الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

عدد ممتاز

العدد ٧٠٥ — ٦ يناير ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

ثمن هذا العدد ثلاثون مليما

15me Année No. 705

Lundi — 6 — 1 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الخامسة عشرة « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ١٣٦٦ — ٦ يناير سنة ١٩٤٧ » العـدد ٧٠٥

لمن الملك اليوم ؟

نبوءة من غير نبي

يعيش جارنا طاهر افندى الكاشف بعد خروجه إلى المعاش عيشة الصوفى المتبتل ، يتعبد النهار ، ويتهجد الليل ، ويُزَجّى ما بقى من فراغه بمطالعة الصحف ومتابعة السياسة ومراقبة الحوادث . وقد آتاه الله ألمعيّة عجيبة يستشف بها حجاب الغيب كأنه رسول ينطق عن الوحى ؛ فلا يتظنن إلا تحقق ظنه ، ولا يتكهن إلا وقعت كَهانته . وكثيراً ما يرى فى المنام أموراً لا يلبث أن يراها فى اليقظة . وربما أخذته حال من الذهول عن الوجود الخارجى تنفذ بصيرته فيها إلى غيابة المستقبل ، فيكون كما يقول أشبه بالصبى الذى ينظر فى فنجال (المندل) يرى ما لا يُرى ، ويَسمع ما لا يُسمع!

قص على فى صباح هذا النيروز [1] رؤيا من رُؤَى يقظته لم أجد كلاماً خيراً منها أجعله مقدمة لهذا العدد ، وفاتحة لهذا العام .



قال : كنت فى الساعة التى تفرق بين عام وعام فى تقويم الزمن ، وتفصل بين فصل وفصل فى رواية الحياة ، قائماً فى غرفتى أصلى ركعتين لله توديعاً لعام قضى ، واستقبالا لعام أهلّ .. وكان الجو الماطر [1] القارّ قد حبس الناس فى الدور فلا أسمع فى الشوارع المحيطة صوتاً ولا حركة ؛ فوجدت نفسى من جلال الساعة ورهبة الوحدة وعمق السكون ، كأنما تنسرح من ثوبها المادى وتندمج فى الروح العام والشعور المطلق ، ثم تغيب فى طوايا المجهول ، وتصفَّحُ كتاب الغد ورقة بعد ورقة ، حتى تقع على عنوان من الدم معقودٍ على ماسجلته يد الأقدار من قضايا الدول ومصاير الشعوب ، فتحدّق إلى العنوان ، وتدقق فى السطور. ثم خيّل إلىّ وأنا مغمض العينين أنى أرى نقطة مربعة من النور تنداح فى الحماليق [2] وتنبسط حتى تصير فى مثل الصحيفة الكبيرة ، وأنى قرأت فى هذه الصحيفة كلاماً كنت فى أكثر الأيام أفكر فى بعضه ، وقد وعته ذاكرتى حتى لأستطيع أن أؤديه إليك الآن على سرده . فقلت له أعد علىّ بعضه إن شئت . فقال : اجمل بالك إلىّ . ثم انطلق يتلو عن لوح قلبه :

«قال جون بول الماكر لصديقه العم سام بعد أن غسلا أيديهما من دم التنّين الألمانى وحمدا الله على السلامة : ما هذا الدب الروسى الذى لجّ فى الخلاف وأصرّ على العناد حتى كدر بجموحه صفو السلام ، وزوّر بطموحه معنى النصر ؟ ألسنا بما جاهدنا فى سبيل الحرية والحق والعدل أولياء الله وخلفاءه ؟ جعل إلينا وراثة الأرض ، وكتب علينا سياسة العالم ؟ فما سكوتنا إذن عن هذا

(١) النيروز أول يوم فى السنة الشمسية .

(١) الماطر : الذي يمطر ساعة ويكف أخرى. (٢) الحماليق : بواطن الجفون .

الدكتاتور الآخر ؟ فقال العم سام وقد تذكر أن استجابة رزفلت لتشرشل قد كسبته نصف الدنيا : من الطبيعي أن ينبو علينا هذا الوحش ما دام طعامه غير طعامنا ، وكلامه غير كلامنا ، ومرامه غير مرامنا ، ونحن خليقان أن ننظر في أمره ؛ فما عندك من الرأي؟

قال جون بول وهو ينفض بيبته على كعب حذائه : الرأي عندي أن نتغدى به قبل أن يتعشى بنا . وسأضع بين يديك موارد الإمبراطورية ، لتضمها إلى موارد الجمهورية ، فيكون منهما جميعاً ذلك السلاح الذري الخفي الذي يمحو الروسيا والروس في يوم أو بعض يوم . وحينئذ نقسم الكرة بيننا قسمين بالطول أو بالعرض كانشاء، وأترك لك أن تختار إما غرب جرينتش أو شمال خط الاستواء!

وكان الدب في الوقت نفسه يقول لخليفة استالين : ما هؤلاء الذئاب الذين لبسوا مسوح الرهبان حتى سلموا وأمنوا ، وولغوا في دماء المغلوبين حتى بشموا وسمنوا ، وظنوا أن قذائفهم الذرية مانعتهم من الله فبغوا بغي (موسو) ، وطغوا طغيان (هتلر) ؟ إن رسالة الشيوعية إعتاق الإنسان من رق الإنسان . ولن يزول من الأرض استعباد الأفراد برأس المال ، واستعباد الأمم في سبيل المال ، مادام على ظهرها ناطق بالانجليزية . ومن المحال أن يتحالف الخير والشر ، ويتآلف الصلاح والفساد . فسبيلنا إذن أن نعمم رسالتنا ، ونتمم إنسانيتنا ، فنبيد هذه الجرائيم بما هيأه لنا الله من قوى المال ومعجزات العلم فيطهر الكون ويصلح المجتمع .

وما هي إلا مواضعة الرأي بين رب الشيوعية وزبانيتها حتى انبثت عيون الروس في مخابئ انجلترا وأمريكا تبحث عن أوكار الطاقة الذرية . وفي ساعة من ساعات الليل الكافر أرسلت عليها صواريخ روسية ألمانية لم يصل العلم السكسوني إليها بعد . فزلزلت الأرض كلها بضع ثوان ، ثم سكن الزلزال وسكن معه كل حي وانقض به كل قائم .

وأصبح الصباح الأغبر الدامي فإذا العالم قد أسلم وجهه لقوة واحدة ؛ وإذا عملاق أصلع من عماليق موسكو يخرج من الكرملين كما يخرج العفريت من القمقم ، فيطول ثم يطول حتى يضع رجلا فوق لندن ، وأخرى فوق وشنطون ؛ ثم يقول وقد ازدهاه النصر وتملكه الفخر : **لمن الملك اليوم ؟** فلا يجيبه في الغرب أحد ! ولكنه يطلع أمامه فيرى شفقاً من سنا الشرق نغشى بلاد الإسلام من مراكش إلى تركية وإيران وأفغانستان وباكستان وقسم عظيم من ملكوت الصين ، وقد تألقت في جنباته المآذن والقباب ، وأشرقت من خلاله وجوه تمج أفواهها النور، وتشع أعينها الأمل ، وتجيب ألسنتها بصوت واحد تجاوبته الأرض ورددته السماء : **الملك لله الواحد القهار** ! ثم يعلو من بين هذه الوجوه وجه ترمقه الدول العربية ، وترقبه الأمم الإسلامية ، حتى يواجه العملاق الذاهب بنفسه ، ثم يقول له : ألست تزعم أن لك رسالة تشيع وسائل العمل بين العمال ، وتفك رقابهم من أغلال رأس المال ؟ إن هذه الرسالة آية واحدة من آي الرسالة الإلهية المحمدية شوهتها نقائص العقل البشري بما دس فيها من إفراط وإقساط وتهور . وليس من المعقول أن يسعد الفرد وتصلح الأمة وترقى الإنسانية بالغاء الوساطة الطفيلية بين المنتج والمستهلك وهي مشكلة واحدة من مشكلات الحياة . هناك علاقة الفرد بنفسه وقد تركتموها كعلاقة الآلة بالمحرك عليها أن تعمل ولها الوقود والزيت والشحم . وهناك علاقته بأسرته وقد جعلتموها كعلاقة الفروج بالفروج في معامل التفريخ الصناعي لا يعرف حنو الجناح ولا يدرك نعيم القن . وهناك علاقته بدولته وقد رددتموها كعلاقة قطع الشطرنج باللاعب ينقلها من خانة إلى خانة ولا إرادة لها ولا وعي . وهناك علاقته بربه وقد قطعتموها فانقطع نور الوحي عن ضميره وعقله . وبمثل هذه العلائق الواهنة لا يتماسك مجتمع ولا يترابط شعب . فإذا كنت صادقاً في دعواك ، مخلصاً في دعوتك ، فاقتبس للعالم الجديد شريعة الإسلام ؛ فإنها وحدها هي النظام الذي يحقق الوحدة الإنسانية : يؤاخي بين الناس كافة في الروح والعقيدة لا في الجنس والوطن؛ ويسوي بين الأخوة جميعاً في الحقوق والواجبات فلا يميز طبقة على طبقة ولا جنساً على جنس ولا لوناً على لون؛ ويجعل للفقير حقاً معلوماً في مال الغني يؤديه إليه طوعاً أو كرهاً ليستقيم ميزان العدالة في المجتمع؛ ويجعل الحكم شورى بين ذوي الرأي فلا يحكم طاغ بأمره ، ولا يصر مستبد على غيه ؛ ويأمر معتقديه بالإقساط والبر لمن خالفوهم في الدين وعارضوهم في الرأي؛ ويوحد بين الدين والدنيا ليجعل للضمير السلطان القاهر في المعاملة ، وللإيمان الأثر الفعال في السلوك .

عندئذ يتصاغر عظموت العملاق ويتقاصر طوله ، ثم يقول في استسلام وإسلام : تلك مبادئ الفطرة ؛ فإذا كانت هي مبادئ الإسلام فسيدخل فيه الناس بالطبع ، ويعتقدونه بالضرورة كلما تقدم العلم وترقى العقل وتهذب الخلق وصحت المعرفة !

احمد حسن الزيات

المسألة الإسلامية في الهند

للأستاذ عباس محمود العقاد



قرأت في بعض الصحف المصرية خطاباً موجهاً إلى السيد محمد علي جناح زعيم الرابطة الإسلامية في الهند لم أر كلاماً أدل منه على الجهل بالقضية الهندية والتهجم على الشئون الكبرى بغير علم ولا بصيرة .

ونحن قد ألفنا في صحافة مصر أمثال هذا التهجم العجيب على الشئون المصرية والشئون الخارجية ، ولكن التعرض لمشكلة الهند بمثل ذلك الجهل المطبق قد جاوز حدود التهجم المعهود في الصحافة على إطلاقها إن صح أن يكون للتهجم حدود .

فالذين أساءوا الفهم وأساءوا إلى واجب الضيافة في توجيه الخطاب إلى السيد جناح لم يفكروا في موضوع الهند وإنما فكروا في كلمة واحدة وظنوا أن كلمة الهند تقابل كلمة مصر، فهما إذن قضيتان متشابهتان يصدق على إحداهما مايصدق على الأخرى بلا اختلاف ولا حاجة إلى بحث طويل أو قصير لمواطن ذلك الاختلاف .

وهذا هو الخطأ الأول .

وهذا كذلك هو الخطأ الأكبر .

فمصر غير الهند في كثير من الاعتبارات ، ولاسيما اعتبارات القضية السياسية ؛ لأن مصر قومية واحدة ، تتكلم بلغة واحدة وتشترك في مرافق واحدة ، ولا توجد فيها أقليات منعزلة أو قابلة للعزلة في حيز السكان أو في المصالح الإجتماعية .

أما الهند فعلى نقيض ذلك لاتشتمل على قومية واحدة بأي معنى من معاني التعريف الحديثة أو القديمة .

فاللغات واللهجات فيها متعددة تتجاوز المائة ، وقد شهدنا بأنفسنا ثلاثة أو أربعة من الهنود المتعلمين يجتمعون في مكان واحد ولا يستطيعون التفاهم بينهم بغير اللغة الإنجليزية ، لأنهم يتكلمون في بلادهم بلغات شتى تختلف في الأصول ، ولا ينحصر الإختلاف بينها في مجرد اللهجات .

واختلاف الأديان هناك أكبر من اختلاف اللغات واللهجات؛ لأن البرهمية وحدها متشعبة الفرق والمذاهب ، متعددة الفرائض والشعائر ، فضلا عن البوذية وطوائفها ، وعن الفرق الأخرى التي نصفها من الإسلام ونصفها من الديانات الوطنية القديمة كالفرقة المشهورة باسم « السيخ » وعدتها نحو سبعة ملايين .

وليس اختلاف الأديان بمعزل عن مسائل الاجتماع وما يلابسها من مسائل الحقوق المدنية والتشريعية .

فإن البراهمة يدينون بالطبقات الأربع ، ويحكمون بالنجاسة على طائفة تسمى بالمنبوذين أو الذين لايجوز لمسهم قد يتجاوز عدد أبنائها في الهند خمسين مليوناً من النفوس البشرية ، ولا ذنب للعالم البشري في اعتبار هؤلاء القوم من الآدميين إذا كان البراهمة لايعتبرونهم كذلك ، لعقيدة من العقائد التي هجرها الزمن ويأبى أن يهجرها البرهميون !.

ويظهر لنا مبلغ التعصب في رعاية هذه التقاليد من حقيقة واحدة ، وهي أن المهاتما غاندي على اعتباره مثلا في السماحة الإنسانية قد أنذر بالصيام حتى الموت إذا منحت هذه الطائفة دوائر معينة في قانون الانتخاب .

وفي الهند ثمانون أو تسعون مليونا من المسلمين لايعتبرون قلة في قومية واحدة بأي معنى من معاني القلة المصطلح عليها ؛ لأنهم كثرة غالبة في بعض الأقاليم ، ولهم أصول جنسية ولغة مكتوبة غير التي تشيع بين جمهرة الهنود . وقد يزيد عددهم على العدد المسجل في دفاتر الاحصاء ؛ لأنهم يثبتون وثائق زواجهم في غير دواوين الحكومة ، ولا يرجعون إلى تلك الدواوين في وثائق الولادة والميراث .

وتشتمل الهند على مائة مليون موزعين في سائر الأرجاء يحكمهم أمراء مستقلون أو على نصيب من الاستقلال .

وقد بينا هذه الحقيقة قبل سبع سنوات في كتابنا عن هتلر حيث قلنا في صفحة ١٥٨ منه إن « بين الأمم المستقلة والأمم التابعة أمما كأهل الهند يتقدمون في طريق الاستقلال ، وقد تكون للنازيين مصلحة في الحلول من أهل الهند محل الانجليز ...

ولكن ماهى مصلحة أهل الهند ؟ وما هى مصلحة العالم ؟ وما هى مصلحة الأمم الغالبة أو الدول المغلوبة ؟ وما هى مصلحة الأمم الواقعة فى الطريق ؟ .

« على أننا لم نذكر الهند لنقرر هذه الحقيقة ، فهى غنية عن التقرير ، وإنما ذكرناها لنقول إن الحالة الحاضرة فى الهند لا ترجع إلى العوامل الخارجية كما ترجع إلى العوامل الداخلية ، وإن بريطانيا العظمى لو رفعت يدها اليوم عن تلك البلاد لما زالت جميع الحوائل بينها وبين قيام الحكومة الوطنية الشاملة ، ولا قاربت الزوال .

« فهناك الأمراء الحاكمون فى ولاياتهم وهم لايتفقون ولا يرضون أن يحكمهم مجلس فى عاصمة بعيدة عن عواصم الامارات .

« وهناك المسلمون وهم كثرة فى بعض الأقاليم وقلة فى بعض الأقاليم الأخرى ، ولو شملتهم حكومة واحدة لأصبحوا قلة ضائعة فى جميع الأقاليم .

« وهناك المنبوذون وهم عشرات الملايين ينظر إليهم البراهمة نظرتهم إلى الرجس الذى يفرقون من ظله ، ولا خير لهم فى حكومة تضعهم هذا الموضع وتهملهم هذا الاهمال .

« وهناك اختلاف الأقاليم فى الأجناس واللغات وعناصر الثروة ومعادن التربة الزراعية ، مما لايجتمع نظيره إلا فى قارة من القارات الكبار .

« فمسألة الهند العضال ليست مسألة السيادة الخارجية وحدها سواء كانت عالمية أو مقصورة على بعض أجزاء العالم . إذ لو فرغت كل سيادة عالمية فى الدنيا لما فرغت المسألة الهندية ، بل لعلها تبدأ يومئذ من جديد ... » .

نعم وتبدأ على نحو لا يخطر على بال أولئك الواهمين الذين يحسبون « الهند » كلمة ولا تزيد معرفتهم بها عن هجاء حروف هذه الكلمة .

فان نهرو زعيم المؤتمر الهندى شيوعى وليست الشيوعية على مسافة بعيدة من الحدود الهندية ، وليس طريق الزحف العسكرى على الهند بالطريق المسدود .

وعصبيات الدين فى داخل البلاد أعجب ماعرف الناس من مصائب العصبيات فى جميع الأقطار .

ففى تلك البلاد أناس يقدسون البقر ويحكمون بالنجاسة على خمسين مليونا من النفوس ، ويتحرجون من ذبح البقر وقد ذبحوا فى بيهار وما جاورها أربعين الف مسلم ، لأنهم تقربوا بضحاياهم فى عيدهم الكبير ! .

فأوجز مايقال فى مشكلة الهند أن حكمها كلها بدستور واحد من هيئة واحدة وراء المعقول والميسور .

وإن نظام « الباكستان » ليس بالنظام العجيب كما يبدو للوهلة الأولى ، ولا يمكن أن يوصف بأنه انشقاق وطنى عن قومية واحدة ، كما تخيله بعض الواهمين فى هذه الديار .

ولم نقرأ فى صحافتنا مقالا يدل على الاحاطة بحقيقة المشكلة كالمقال الذى كتبه الدكتور هيكل باشا فى صحيفة السياسة حيث قال فى الثانى والعشرين من شهر ديسمبر الماضى : « ويدل على هذا الجور كذلك أن الهند ليست أمة لها مقومات الأمة من اتحاد فى اللغة أو فى العقيدة أو فى العنصر ، بل هى أدنى إلى أن تكون قارة بين أديانها ولغاتها وعناصرها من التباين مايزيد اضعافا على مابين دول أوربا .. »

وقال قبل ذلك : « ما كنا لنعالج هذا الموضوع لولا مانرى فى التعريض بالمسلمين من الدعاة إلى الباكستان من جور لاشىء من الانصاف فيه . يدل على هذا الجور أن هؤلاء الدعاة إلى الباكستان لم يطلبوا أى امتياز للأقليات الاسلامية الموجودة فى سائر ولايات الهند ... »

وهذه صورة قريبة من صورة المشكلة الكبرى التى يعالجها نظام الباكستان . ونحن لانقرر هذه الحقيقة لأن الباكستان فى رأينا يحل المشكلة ويحسم الخلاف ، فإن الباكستان يحل بعضاً منها ويترك بعضها الآخر فى انتظار الحلول . ولكننا نقرر تلك الحقيقة ليعلم الواهمون عندنا أن الهجوم على المسائل العالمية هجوم على مايجهلون وخلط فى أمور لاتؤمن عاقبة الفتوى فيها بغير علم وبغير روية ، وإن الحكاية ليست حكاية كلمة إزاء كلمة وثلاثة حروف إزاء ثلاثة حروف ، ولكنها حكاية أمم وأرواح وقضايا تجور على سلام العالم كله إذا عولجت بغير حقها من الفهم والدراية وحسن التقدير لعواقب الأمور .

أما النقص فى نظام الباكستان كما نراه فخلاصته أن الأقاليم التى يراد لها الاستقلال لاتأوى اليها جميع المسلمين وليس سكانها

الفقر آفة البشرية
كيف عالجه الإسلام

لصاحب السعادة الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا



الفقر أعظم آفات الاجتماع البشرى ، وأعظم مايثير السخط على الحياة ، وأشد مايفجع الناس فى حياة الكرامة والسكينة والاطمئنان ، ويثير بينهم الحقد والبغضاء ، ويرميهم بحروب الطبقات وحروب الأمم ، فإذا عولج المجتمع منه نجا من آثار قرينيه وهما الجهل والمرض اللذان يتبعانه ويكوّنان معه ثالوث الشقاء الانسانى الذى إذا خلا منه وجه الحياة بدا جمالها ورضى الناس عن الحياة ورضى الله عنهم ...

لقد نظر الإسلام فى حال الفقير فرآه إما أن يكون عاجزاً عن الكسب لعلة به ، وإما أن يكون عاجزاً عن الكسب لفقد الوسيلة إلى العمل .

فأما الذى يعجز لعلة لا علاج لها فقد جعل مواساته حقا على المجتمع لاتبرعا وتطوعاً . قال الله تعالى « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » فصان بذلك كرامته الإنسانية .

وأما الذى يعجز لفقد الوسيلة إلى العمل فقد أوجب على الدولة إيجاد الوسيلة لتكسبه ، وقد قبح الإسلام السؤال ودعا المسلم للترفع عنه ، فاليد العليا خير من اليد السفلى . وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائلا درهما وأمره أن يشترى به فأساً وحبلا ويحتطب ، ولا يتعرض لذل السؤال .

والأصل فى الإسلام هو العمل والتكسب ، وقد حض عليه بجميع الوسائل ، حتى لقد فضله على الانقطاع لعبادة الله ، ولكنه كذلك أنصف المجتمع بإلزام الدولة أن تعين على إيجاد العمل لمن لايجده ، وأن تحمى من يعجز عنه .

وقد أراد الإسلام أن يجعل مستوى المعيشة متناسقاً ومتقارباً بين أتباعه ، فحارب الترف فى أعلى المجتمع ، وطارد البؤس فى أسفله ، واتخذ لذلك وسيلتين : وسيلة الضمير وهى أقواهما ، ووسيلة القانون ، فجعل الحياة السعيدة الخالدة لاتنال إلا بالإنفاق على المستحقين من الأهل والأقربين والمساكين ، ولا ينال متاعها المسرفون الذين جعلوا شهواتهم فى هذه الحياة أهدافهم .

جعل ضمير المسلم لايستريح إذا طعم ولبس وتمتع ، وجاره ومن حوله قد عجزوا عن القوت ؛ وحضه حضا قويا على البذل والقناعة والحد من شهواته فى سبيل إغاثة الملهوفين والمحتاجين ؛ حتى لقد أمر أن يطعم السيد الخادم مما يطعم ، ويكسوه مما يكتسى قال المعرور بن سويد « رأيت أبا ذر رضى الله عنه عليه حلة وعلى غلامه مثلها ، فسألته عن ذلك فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « هم إخوانكم وخَوَلُكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليُلبِسه مما يلبس ، ولا تكلّفوهم من العمل مايغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه » .

ولم يكتف الإسلام بإيقاظ الضمير لهذا ، بل جعل للدولة أن تقتضى من فضلة مال الفرد مقادير لا يستهان بها لتكفل

جميعاً من المسلمين ، وإن الرابطة الاسلامية يتبعها عدة ملايين وينفصل عنها فريق آخر بعضهم من الشيعة وبعضهم من السنيين ، وأن تبادل السكان بين الأقاليم الاسلامية والأقاليم الهندوسية لتسوية عناصر القلة فى جميع الأقاليم ليس بالحل الميسور ولا يتأتى إتمامه فى بضع سنوات .

فربما كان نظام الاتحاد على المثال المتبع فى الولايات المتحدة أقرب إلى تسوية المشكلة مع الأخذ بالأساس المقرر فى نظام الباكستان .

وعلى ذكر الولايات المتحدة الأمريكية نعود إلى الواهمين ليفهموا مرة أخرى أن تقسيم الولايات شىء وجريمة الانشقاق شىء آخر ، وأنه إذا جاز هذا التقسيم فى بلاد كالبلاد الأمريكية لا تفرق بين أبنائها أمثال تلك الفوارق ولا تعترضهم أمثال تلك المشكلات ، فنظام الباكستان فى الهند أحق بالتدبر والمعذرة أدنى إلى القبول .

عباس محمود العقاد

بوسائلها هى أيضا حاجات الفقراء والمساكين .

وفى الحقيقة حين يحارب الإسلام الترف والاكتناز والربا ، ويقول : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » وحين يقول « الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » وحين يقول . « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » وحين يقتضى الزكاة على الأموال المكنوزة ويحرم الربا ، إنما يريد بذلك كله أن يرفع مستوى الطبقات الفقيرة ، ويخفض من مستوى المترفين ، ليجعل حياة الجميع سعيدة متناسقة .

فتحريم الترف يوجه الأموال إلى إنتاج أكثر فائدة للجميع ، وتحريم كنزها يوجب تداولها . وتداولها من غير ربا يؤدى إلى المشاركة فيها . وإذا لم يجد الناس فى الترف لذتهم وجاههم ، وجدوهما فى الاحسان والبر . وإذا لم يجدوا فى الكنز ضمانا لهم وجدوه فى ضمانة المجتمع الاسلامى المتكافل الذى لم يهمل أحداً ، ولم يحتقر أحداً . وإذا لم يجدوه فى الربا وجدوه فى لذة الكسب والمشاركة مع إخوانهم الذين يعملون فى أموالهم .

ولو قامت الدولة بواجبها فى كفالة المتخلفين من إخواننا لما يصيبهم فى أنفسهم أو أبدانهم ، أومما يصيبهم من انقطاع السبل بهم مع رغبتهم فى العمل ، وذلك بأن تكون سياستها قائمة على أساس التكافل الذى جاء به الاسلام فى قول رسوله « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » فوزعت الصدقة على من لا سبيل له غير الصدقة ، ووزعت العمل على الناس بقصد الخير العام ولو على سبيل الاجبار على عمل معين للقادر عليه ، لقاتلت هى أيضا الفقر بوسائلها الفعالة .

وقد جعل الاسلام فى هذا سلطات واسعة لولى الأمر ، فله فى سبيل الاصلاح العام أن يحدث أقضية بقدر مايحدث من المشكلات ، وله أن يكيف الأحوال لتسير وفق الغرض الأساسى للاسلام ، وهو الإحسان .

وقد قرر الإسلام فى وضوح وعزم مبدأ المساواة ، وهو أعظم المبادئ فى مقاومة الشرور الإجتماعية وأخصها الفقر ، وجعل هذه المساواة مستقرة فى ضمير المسلم ، ومالكة زمام تصرفاته فى العبادة والمعاملة والأدب .

ومن فضل الدعوة المحمدية على البشر أنها تبغض فى الاستعلاء والترفع على الناس ، حتى ليكاد المسلم يفر من مجرد الخاطر الذى يخطر بذهنه بأنه أفضل من غيره . والمسلم الصادق لايضمر فى نفسه أنه خير من خادمه مع سيطرته عليه .

والله تعالى يشتد على الرسول نفسه ويعاتبه بالقرآن ، لأنه تصدى لقوم من رؤوس العرب يرجو من وراء إيمانهم إيمان أقوام يتبعونهم ، وتلهى بهم عن رجل فقير ضعيف جاء راغباً فى الايمان فقال :

« عبس وتولى أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى فأنت له تصدى . وماعليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى فأنت عنه تلهى »

ولست تجد فى أى تشريع احتفالا بالفقراء واعتناء بشأنهم مثل ما جاءت به الدعوة المحمدية ، إذ تحض المسلمين على رياضة أنفسهم على احترام الغير وتقديره « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء ، عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان » .

ومتى رسخ هذا المعنى فى أذهان الملوك والحكام والعامة والفقراء والأغنياء والملاك والعمال كما أرادته الدعوة المحمدية ، استحالت الفرقة الاجتماعية وما يثيرها من حسد وبغض ، وما يترتب عليها من خلاف وشر ثم قتال وحرب ، وما يكون من تسلط الأقوياء على المستضعفين ، أو مايكون من ظهور المستضعفين واستذلالهم لمن كانوا أقوياء .

ظاهر إذاً أن مبدأ المساواة بالمعنى الاسلامى هو من أكبر دعامات البر وأفتك الأسلحة بآفة الفقر .

وقد دعا الاسلام إلى البر بكل وسيلة ، دعا إليه بالترغيب والترهيب ، ودعا إليه بقوة القانون والدولة ، فقال تعالى : « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .

وقال « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقال « أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا

يحضّ على طعام المسكين » وقال . « كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين » .

وكتاب الله وحياة رسوله يفيضان بفضل الإنفاق فى سبيل الله ، واتخاذ الدنيا مطية للآخرة . ولم يكتف صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم بأن تكون دعوته موجهة بكل قوتها للبر بالفقراء والمساكين والضعفاء والمصابين والمعوزين ، بل جعل البر بهم حقا مفروضا لا سبيل إلى المماطلة فيه ، حتى إن العرب لما ارتدت عن دفع الزكاة عقب وفاة الرسول ، ونصح الخليفة الأول بأن يداريهم ، وقد تفاقم الشر ، قال رضى الله عنه « والله لومنعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه » . أى أنه يوجه كل قوى الدول لقتال قوم يمنعون حق الفقير فيما قيمته قيمة حبل يعقل به بعير .

فحقوق الفقراء فى الدولة الإسلامية مصونة ، وليس لأحد أن يمنّ بها فهى حق الله فى ماله وكسبه وملكه ، وقد بينت الشريعة الزكاة وأنواعها وكيفية أدائها ، كما بينت مستحقيها وما لهم وما عليهم بتفصيل دقيق .

وكان من أثر الدعوة المحمدية للبر والإحسان تلك الأوقاف المحبوسة على الخير فى المشرق والمغرب ، وكان من أثرها أن تطهرت نفوس المسلمين ، حتى حبسوا من أملاكهم على القطط والكلاب والحيوانات . ومن أمثلة هذا أن نور الدين محمود وقف أرضاً فى دمشق لتكون مأوى للحيوان الهرم ، يرعى فيها حتى يموت .

وتاريخ المسلمين فى كل أوطانهم يفيض بالبر والعطف والرحمة بالبؤساء والفقراء ، وما الكرم الذى كان به فخر البيوت والأسر والشعوب إلا أثر من آثار روح البر والإحسان الإسلامى .

ولم يكن البر فى الدعوة المحمدية خاصاً بأهل الجنس أو الدين ، ولكنه كان عاما للمساكين من البشر ، فما منع اختلاف فى الدين دون البر . قال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل »

وتنظيم البر فى العصر الحاضر يجب أن يقوم على نفس الأسس والوسائل التى جاءت بها الدعوة المحمدية ، لأنها أفضل وأدوم ، ولكن يجب كذلك أن نتصرف ونجتهد كى نحقق المقصد والغاية ، وأن ننظر فى عصرنا ، وموارد الثروة فيه ، ومصادر الغنى ، وحالات الناس لنكفل الخير للجماعة ونرضى الله سبحانه وتعالى ، حتى يعود للظهور بيننا من كانوا يأبون أن يتعرضوا لوجوب أداء الزكاة عليهم بإنفاق أموالهم كلها ، حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم فقال : أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع .

ولهذا المعنى تصدق أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله ، وعمر رضى الله عنه بشطر ماله .

ولا عجب فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، وروح الدعوة المحمدية واضحة فى أن الزكاة وحدها لا تبرئ أموال المسلمين من حقوق المحتاجين فيها ، فما دام محل للبر والصدقة فهى واجبة ، وحق المسلم لا ينتهى بأداء الزكاة .

يجب إذاً أن نستلهم من شريعة الإسلام الهدى ، وأن نستوحى من روح الدعوة المحمدية نظاماً للبر تقوم عليه الدولة ، لتوازن بين الثروات والحاجات ، وتقيم التكافل الاجتماعى ، ونقضى على حرب الطبقات « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

عبد الرحمن عزام

فتربصوا حتى يأتى الله بأمره

للأستاذ محمد عرفة
مدير الوعظ والإرشاد



« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين »

ما روعتنى آية من كتاب الله ما روعتنى هذه الآية ، وما قرأتها قط إلا ارتعدت فرائصى وخيل إلى أن الأرض تدور بى الفضاء ، ذاك لأنها توجب أن يؤثر المؤمنون الله ورسوله والجهاد فى سبيله على الآباء والأبناء والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن ، ولا ترضى منهم أن يؤثروا الله ورسوله والجهاد فى سبيله كما يؤثر المرء الدواء المر البشع ، بل لا ترضى إلا أن يكون ذلك الأيثار عن رضى ومحبة ، فإذا دعا داعى الجهاد ودعا المال والولد والعشيرة والمسكن وجب أن يستجيب المؤمنون لداعى الجهاد عن رضى ومحبة ؛ فإن لم يكونوا كذلك فليتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، وقد أبهم الله هذا الأمر لتذهب النفس فى أودية الخوف كل مذهب ، والله لا يهدى القوم الفاسقين الذين فسقوا عن أمر الله وانحرفوا عن الطريق القويم .

تكليف صعب شاق ، وهو على صعوبته ومشقته الطريق الوحيد إلى العزة والأمن والقوة والسمو ، فالأمة التى تؤثر الحق والجهاد فى سبيله على ما سواهما هى التى تمهد طريقها إلى المعالى ، وتسلك سبيلها إلى العزة القعساء .

أما الأمة التى انتكست فطرتها فآثرت الباطل على الحق ، والدعة على الجهاد فى سبيله ، فأقل ما يصيبها من أنواع العقوبات الضعف والذلة والاستكانة إلى الأقوياء ، والاستعباد للمغيرين ، يستذلونها ويستخدمونها كما يستخدم الإنسان الحيوان الأعجم ، وهذا البلاء الشديد وغيره مما يشمله قوله تعالى : « فتربصوا حتى يأتى الله بأمره » .

ولا عجب فالمعالى سبيلها غير معبد ، ولها صعداء مطلعها طويل ، وهى لا تنال على الدعة والراحة والطمأنينة والبلهنية ، إنما تنال بالتعب والنصب والكد وتهذيب النفس وتقوية الخلق والإرادة القوية والعزم الشديد . إنما الذى ينال على الدعة والراحة ، الهم الطويل ، والحزن الممض

فليقس كل امرىء إيمانه بهذه الآية ولينظر أيحزن إذا فاته حظ من دينه مثل ما يحزن إذا فاته حظ من دنياه ، أم هو لا يبالى بضياع دينه ويأسى على ما فاته من الحقير من دنياه .

أيجد من قوة اليقين ما يستحبه له دينه على الآباء والأبناء والأهل والعشائر والأموال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا وخيراتها ، أم يجد من ضعف اليقين ما يستحب له عرض الدنيا على دينه وآخرته .

ومن خدع الشيطان ما يوسوس به فى النفوس من أن هذا التكليف لم يتحقق ولن يتحقق؛ فإذا لم يحققه المرء فى نفسه فله فى جميع المكلفين أسوة . هذا ما يحدث به المرء نفسه ، والمرء يلتمس المعاذير ، ولكن التاريخ الإسلامى يحدثنا عن كثير من السابقين الأولين أنهم نالوا هذه الدرجة وكان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما .

روى أنه قدم على النبى صلى الله عليه وسلم رهط من قبيلة عضل والقارة وقالوا إن فينا إسلاما فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام ، فبعث رسول الله معهم نفرا ستة من أصحابه فيهم زيد بن الدثنة ، وخبيب بن عدى ، فخرجوا حتى إذا كانوا على الرجيع وهو ماء لهذيل استصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم فى رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم ، فقالوا لهم إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم ، فقال بعضهم والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا ، فقاتلوا المشركين حتى قتلوا وأسر زيد وعدى ، وخرج بهما المشركون إلى مكة فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة ، فأخذ

الإسلام في الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب



— ١ —

فتح المسلمون إيران وامتد بهم الفتح إلى كابل سنة أربع وأربعين من الهجرة ثم هبطوا أقليم الملتان ؛ ولكنهم لم يستقروا به .

وكذلك حاول العرب فتح الهند من الجنوب من حيث ينصب نهر السند في البحر فغزوا غزوات حتى أعدوا للفتح عدته في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك فسيّر الحجاج الثقفي جيشاً يقوده ابن أخيه محمد بن القاسم ففتح إقليم السند إلى الملتان ؛ ولم يتوغل الفتح العربي في الهند حينئذ ؛ ولكن استقر للعرب سلطان هناك زهاء قرنين وبنو المدن وعمروا الأرض .

— ٢ —

وفي القرن الرابع الهجري عزم السلطان محمود بن سبكتكين ثاني ملوك الدولة الغزنوية على فتح الهند فأعد لفتحها واحتفل وحشد واجتاز الجبال إلى سهول الهند أكثر من خمس عشرة مرة مابين سنة ٣٩١ و٤١٧ ففتح بنجاب وكشمير وكُجرات .

وبقيت بنجاب في سلطان الدولة الغزنوية حتى غلب الغوريّون الغزنويين على غزنة دار الملك فاتخذوا لاهور حاضرة ملكهم سنة ٥٥٣ . فصار في الهند حاضرة دولة إسلامية لأول مرة في تاريخها ، وقد مهد فتح الغزنويين وسيطرتهم في الهند لفتوح الدولة الغورية ودول إسلامية أخرى نشأت في الهند أعظمها دولة سلاطين دهلي (من ٦٠٣ إلى ٩٦٢ هـ) وهي أول دولة إسلامية نشأت في داخل الهند .

وقد فتحت هذه الدول شمالي الهند وبسطت سلطان الإسلام شرقا إلى خليج بنغاله .

— ٣ —

وفي القرن العاشر الهجري توجه إلى فتح الهند داهية عبقريّ لا تُنشىء الأجيال أمثاله إلا قليلا : بابَر بن عمر بن أبي سعيد

حبيبا عقبة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه الذي قتله المسلمون ، وابتاع زيد بن الدثنة صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف الذي قتله المسلمون ببدر وبعث به أمية إلى خارج الحرم ، وترامى الخبر إلى أهل مكة أن صفوان سيقتل زيدا بأبيه فخرجوا ليشهدوا مصرعه ، وكان ممن خرج أبو سفيان فقال لزيد حين قدم ليقتل ، أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ قال والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي . فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمداً ثم قتل . وأما خبيب فلما خرجوا ليصلبوه قال لهم إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعا من القتل لا استكثرت من الصلاة ، ثم قال حين أوثقوه ورفعوه على خشبة : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا . فاضطجع المشركون لجنوبهم حين سمعوا الدعاء ، وكانوا يقولون إن الرجل إذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه ، ثم قتلوه رحمه الله ، وكانت آخر كلمة قالها :

ولست أبالي حين أقتل مسلما
على أي جنب كان في الله مصرعي

فإذا كانت محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله ، أكثر من الآباء والأبناء والمال والمساكن يمكن نيلها وقد نالها الرعيل الأول من المسلمين السابقين ، وهي السبيل إلى العزة والكرامة ، فما أحرى الأمم الإسلامية أن تربي أبناءها على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله ، لتنال ما ناله السابقون من العزة والتمكين في الأرض ، ولتضيف مجدا طارفا إلى مجدها التليد ، ولتنجو من هذا الوعيد الشديد ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين .

محمد عرفه

ابن محمد بن ميرانشاه بن تيمورلنك ، ورث فى سنة ٨٩٩ هـ وسنّه اثنتا عشرة سنة إمارة فى فرغانة وسمرقند ، واقى الصبى من جور أعمامه ومن غِـيَر الدهر ، وتقلب الحدثان ما ذهب بأمارته بعد أن جاهد فيها سبع سنوات ، فبقى ثلاث سنوات شريداً فى جماعة من خلصائه وجنوده . فلما يئس من إمارة أبيه أو كاد ، وجّه همته العالية ، وعزيمته الماضية إلى كابل ففتحها سنة ٩١٠ هـ

ولما تمكن مُلكه فى كابل طمح إلى الأرض الواسعة سعة آماله وعزائمه ؛ طمح إلى الهند فأخذ يغزو أطرافها سنة ٩٢٥ ، حتى مكنته سياسته وعزيمته أن يمحو دولة سلاطين دهلى فى موقعة بانيبات الماحقة التى انجلت عن السلطان ابراهيم اللودى قتيلا بين خمسين ألفاً من جنده .

ويوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة ٩٣٢ بعد موقعة بانيبات بستة أيام خُطب لمحمد ظهير الدين بابر على منبر دهلى .

وبعد سنتين مزق هذا القائد العبقرى جموعاً حشدها أمراء كثيرون من أمراء الهند تألّبوا عليه لدرء خطره : قاد سانجا زعيم أمراء رَجْبوت جيشاً فيه ثمانون ألف فرس وخمسمائة فيل ومائة وعشرون قائداً . فلقيهم بابرُ فى كندها وأدار عليهم من جنده وشجاعته وتدبيره حرباً لا قبل لهم بها فهزمهم هزيمة قاضية سنة ٩٣٤ هـ

وتوفى بابر سنة ٩٣٧ هـ فى التاسعة والأربعين من عمره ، وقد وضع القواعد لدولة استمر سلطانها فى الهند حتى سنة ١٢٧٥ (١٨٥٨ م) . وهى الدولة التى اتسع سلطانها ، وعمّت سطوتها حتى خضعت الهند كلها لسيطرتها حيناً من الدهر ، وما أعرف دولة فى تاريخ الهند الجاهلى والإسلامىّ جمعت الهند كلها فى سلطانها إلا هذه الدولة .

توالى على عرش هذه الدولة ستة ملوك عظام فى مائتى سنة من بابر إلى محيى الدين أورنك زيب ، وقد عمل هؤلاء الملوك فى سياسة الهند وعمرانها وإصلاحها ما لم يؤثر عن دولة أخرى .

سنّ هؤلاء السلاطين سنناً فى الدولة حسنة ، وسلكوا طرقا فى الاصلاح مأثورة ، وجمعوا حولهم — ولا سيا جلال الدين أكبر الذى ملك خمسين عاماً — العلماء والفلاسفة والأطباء والأدباء من الهند وأقطار أخرى .

وجمعوا الصنّاع من شتى البلاد ، وشادوا من الأبنية ما لا يزال قائماً يملأ الرائى عجباً ودهشة ، ويملأ مسلمى الهند فخراً وعزة

وجلبوا إلى الهند كثيراً من أنواع الحيوان ، وأشجار الثمار والزينة ، وأحسنوا الحضارة فى كل مناحيها . فكان عهدهم أنضر عصور الهند فيما يعرف التاريخ .

— ٤ —

كانت الدول الاسلامية فى الهند خيراً لها وسعادة . جلبت إليها حضارات مختلفة ، حضارات العرب والفرس والترك وحضارات أخرى أخذتها هذه الأمم عن غيرها .

كانت الدول الاسلامية فى الهند قائمة بعدل الاسلام ، رافعة راية الأخوّة بين البشر والحرية للناس جميعاً بين أمم فيها العابد والمعبود ، والقدس والمنبوذ ، والطاهر والنجس ، وفيها السيد والعبد ، والعزيز والذليل ، وكانت داعيـة إلى التوحيد الخالص فى بلاد تزدحم فيهـا الأوثان والخرافات والأوهام ، وعلمتْ ما علمه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها من علوم وآداب وفنون وصناعات حتى لقد علموا تفصيل الثياب وخياطتها ولم يكن أهل البلاد بها عارفين . لقد عرّفوا الانسان كرامة الانسان ، وحرّروا العقول من الأباطيل ، وطهروا القلوب من الأرجاس ، ونزّهوا البشر عمـا لا يليق بالبشر ، وسجّلوا على التاريخ مآثر لا يزال يرددها مأثورة مشكورة .

— ٥ —

ولا يزال مسلمو الهند اليوم ، على كرّ العصور ، وتتابع الخطوب ، يؤدون واجبهم لدينهم وللناس جميعاً . لا يزالون يجادلون عن أنفسهم ، ويناضلون عن دينهم ، ويدافعون عن حضارتهم ، ويطمحون إلى المقاصد العليا التى يدعوهم إليها دينهم وتاريخهم وحضارتهم .

ولا تزال جماعتهم ، التى تجمعها وتسوّى بينها أخوّة الاسلام ، مفزع كل مظلوم ، وملجأ كل يائس من العدل والحرية والمساواة . فمن لحق بهم ممن لاحق له ، ولا حرية ، ولا كرامة شملته الأخوّة ، وأظلّته الحرية ، وحىّ قلبه ، وكرمت نفسه ، ووجد السبل ممهدة له إلى أبعد الغايات ، والسلّم منصوباً أمامه إلى أعلى المطامح .

وإنا لموقنون أن المسلمين فى الهند ماضون على خطتهم ، سائرون على سنتهم ، حتى يبلغوا المقصد ، ويستولوا على الأمر ، لخيرهم وخير الناس أجمعين .

عبد الوهاب عزام

شهيد ميسلون

للأستاذ على محمود طه



[فى فجر يوم السبت ٢٤ يوليو من عام ١٩٢٠ سار إلى ساحة ميسلون القائد السورى العظيم « يوسف العظمة بك » مدافعاً عن دمشق بما أمكن حشده من جنود سورية البواسل ، مواجهاً هجوماً مفاجئاً لجيش فرنسى يفوقه أضعافاً فى العدد والعتاد فكان ذلك البطل الصنديد أول مستشهد فى المعركة ، وكان استشهاده رمز الوفاء ومثل الفداء ، وأول جذوة نفخت نارها فى الثورة الوطنية السورية التى انتهت أخيراً بتحرير الوطن من ربقة الاستعباد . إن ذكرى شهيد ميسلون أجل تحية يقدمها الشعر لدمشق المحررة المستقلة]

هبَّ الكمىُّ على النفير الصادح ... مهلا فديتك ما الصباح بواضح
أى الملاحم بين أبطال الوغى ... فَجِئتك بالشوق الملح البارح
فقضيت ليلك لا هدوء ولا كرى ... ووثبت فى غسق الظلام الجانح
والشوق من خلف الجبال غمامة ... حمراء ترعش فى وميض لامح
سلت حراب البرق فوق سمائه ... هوجاء تنذر بالقضاء الجائح
هى صيحة الوطن الجريح وأمة ... هانت على سيف المغير الطامح
قرنت بحظك حظها فتماسكت ... ترعى خطاك على رُبى وأباطح
فى موكب النادين مجد « أمية » ... بجوانح مشبوبة وجوارح
لو قستهم بعدوهم وسلاحه ... أيقنت أنهمو فريسة جارح
الخائضين الفجر بحر مصارع ... السابحين على السعير اللافح
الناهضين على السيوف وتحتها ... شتى جماجم فى التراب طرائح
الرابضين على الحصون خرائباً ... مهجاً تضرم فى حطام صفائح
صرعى ولو فتشت عن أجسادهم ... ألفيت ، ما ألفيت غير جرائح
يا « ميسلون » شهدت أى رواية ... دموية ، ورأيت أى مذابح
ووقفت مثخنة الجراح بحومة ... ماجت بباغ فى دمائك سابح
تتأملين « دمشق » يا لهوانها ... ذات الجلالة تحت سيف الفاتح
جرَّت حديد قيودها وتقدمت ... شمَّاء من جلادها المتصايح
نسيت أليم عذابها وتذكرت ... فى « ميسلون » دم الشهيد النازح
من هبَّ فى غسق الظلام يحوطها ... بذراع مقتتل وصدر مكافح
وتسمعت صوتاً فكان هتافه ... يا للحبيب من المحب البائح !
أماه ! خانتنى المقادر فاغفرى ... قَدرى ، وإن قل الفداء فسامحى !

***

« فيحاء » إن نَصَّتْ حواليك القرى ... أعلامها ، وازَّينت بمصابح
وتواكب الفرسانُ فيك وأقبلوا ... بالغار بين عصائب ووشائح
وشدا الرعاة الملهمون وأغرقوا ... أبهاء ليلك فى خِضَمٍّ مفارح
أقبلت بين صفوفهم متقرباً ... بأزاهرى ، مترنماً بمدائحى
حيث الشهيد رنا لمطلع فجره ... ورأى الغنائم فى الفضاء الفاسح
وتلفتت لك روحه فتمثلت ... وجه البطولة فى أرق ملامح
حيث الربى فى « ميسلون » كأنما ... تهفو إليه بزهرها المتفاوح
وكأنما غسلته « بغدادية » ... بدموع مَلْك فى ثَراك مراوح
أسمى إليه بكل ما جمعت يدى ... وبكل ما ضمت عليه جوانحى
وهو الحقيق بأن أحيى باسمه ... فى الشرق كل مناضل ومنافح
من كل نجد نافض مما اقتنى ... يدَه ، ووهاب الحشاشة مانح
أو كل فاد بالحياة عشيره ... لا القول فى خُدَع الخيال السانح

***

قل للدعاة المحسنين ظنونهم ... بالغرب ماذا فى السراب للامح ؟
لا تغرنكمو وعود محالف ... بطأ المهالك فى ادعاء مصالح
تمضى السنون وأنتمو فى وعده ... تتقلبون على ظهور أراجح
والله لو حسر القناع لراعكم ... قيدٌ أُعِدَّ لكم وخنجر ذابح
من كل مصاص الدماء منوم ... يدعى بمنقذ أمة ومصالح
يا « يوسف » العظمات غرسك لم يضع ... وجناه أخلد من نتاج قرائح
قم لحظة وانظر « دمشق » وقل لها ... عاد الكمىُّ مع النفير الصادح
ودعاك يا بنت العروبة فانهضى ... واستقبلى الفجر الجديد وصافحى

على محمود طه

محاربة الدين بالعلم في الزمن الأخير

للأستاذ محمد فريد وجدي بك



اعتبر العلم منذ أول نشوئه منافساً للدين ، ثم مالبث أن تطور التنافس بينهما إلى تخاصم بسبب اختلاف وجهتيهما . سار كل منهما فى طريقه عاملا على هدم منافسه ، وتجاوزت المخاصمة بينهما فى آخر أدوارها حدود الكلام إلى الأخذ بالنواصي والأقدام ، وكان رجال العلم فى هذا الدور فى أوروبا هدفا لأقسى ضروب الإضطهاد ، ولم ينقذهم من الفناء إلا نشوء انقسام دينى خطير كانت نتيجته فى القرن السادس عشر حدوث عهد جديد من حرية البحث والتفكير ، خطا العلم بعدها خطوات سريعة ، وخاصة فى القرن التاسع عشر ، فى سبيل استكشاف مجهولات ، وإظهار مخترعات وجهت الأنظار إليه ، وجعلت المعول فى ترقية الانسانية عليه .

ظل العلم من الناحية الاعتقادية عدواً للدين ، رامياً إلى محو أثره من النفسية البشرية ، لاعتباره إياه عاملا انقضى زمنه ، وبطلت الحاجة إليه ، وما ليس إليه حاجة مادية أو أدبية ، كان وجوده معطلا الآخذين به من التأدى إلى الكمال المنشود .

ولكن فى القرن التاسع عشر نفسه الذى نال العلم فيه أقصى مناه من الدين ، ظهرت آراء علمية ، قضت بها الضرورة ، كان لها أثر فعال فى إعادة سلطان الدين إليه ، منها الحاجة الملحة إلى إفتراض وجود عنصر أولى لطيف إلى أقصى حد ، مالىء للكون كله دعوه الاثير ، لا يخلو منه حيز فى الأرض ولا فى السماء ، وأنه كان موجودا من أزل الآزال ، وسيبقى موجوداً أبد الآباد ، وأنه أصل المادة منه نشأت وإليه تعود . وغلا الأستاذ (هيكيل) الدرس بجامعة (يينا) من ألمانيا فكتب فى كتابه وحدة الوجود (المونيسم) يقول :

« نعم ، إن نظرية الأثير إذا أخذت كقاعدة للايمان يمكنها أن تعطينا شكلا معقولا للدين ، وذلك إذا جعلنا إزاء تلك الكتلة الجامدة الثقيلة ، وهى المادة ، ذلك الأثير الموجود فى كل مكان ، الذى يمكن اعتباره إلها خالقاً » .

ثم أيد رأيه هذا الأستاذ (شليسنجر) الألمانى الذى أفضى به فى خطبة ألقاها فى (التينبورغ) بالمانيا وهو .

« إن أحقر مظهر من مظاهر الطبيعة غير الآلية ، وأكبر مجلى من مجالى الحياة الآلية ، يمكن أن يعلل وجودهما بفعل قوى طبيعية واحدة . وبما أنهما من جهة أخرى يشتركان فى الصدور من الأصل الأصيل المتوحد ، الذى يملأ الوجود اللانهائى ، وهو الأثير ، فيمكن اعتبار هذا الأثير إلـها ، ويكون نتيجة ذلك الحكم أن الاعتقاد بالخالق يتفق والعلوم الطبيعية . » .

إلى هذا الحد وصل اعتداد الطبيعيين بالأثير ، وهو عنصر افتراضى ، اضطر الطبيعيون اليه ، لأنه لايمكن تعليل كثير من ظواهر الطبيعة بدون افتراض وجوده ، فهل بقى لهم وجه للاعتراض على الدينيين فى القول بوجوب وجود قدرة عليا أوجدت الوجود كله ، ومتعته بالقوى والنواميس الضرورية ، لبنائه على ماهو عليه ، من تنوع موجوداته ، وتباين كائناته ؟ .

لعمرى إن ماذكرناه لربح للدين من العلم أعاد إليه ما سلبه منه من الاحترام فى نظر أتباعه ، فكان هذا جزاء للعلم من جنس العمل على نحو لايمكن إخفاؤه ، يجب أن يفطن له الذين يهيمنون على العقائد .

وكان مما فتن أهل العلم منذ أكثر من الفى سنة ما ارتآه (ديمو كريت) الفيلسوف اليونانى من أن أصل المادة جواهر فردة متناهية فى الصغر لاتقبل الانقسام تتألف مادة جميع الأجسام الكونية منها .

انتشر هذا الرأى وأخذ به أهل العلم فى كل مكان وزمان ، وقارعوا به حجج الدينيين فى أن المادة محدثة كسائر الموجودات ، وظل الأمر على هذا المنوال قرونا ، ودرس الناس فى كل أمة علم الطبيعة على هذا النحو حتى أواخر القرن التاسع عشر ، فرأى الأستاذ اللورد (رود زفورد) من أساتذة جامعة منشستر أن الجوهر الفرد لايعقل أن يكون حصاة جامدة متناهية فى الصغر ، وأنها لابد من أن تكون مجتمع قوى لو أمكن فض اجتماعها أحدث تفرقها قوى هائلة يمكن استخدامها فى الشئون الصناعية . وأخذ من ذلك الحين يحاول حلها . كان ذلك فى سنة (١٨٧٥) . وما جاءت سنة (١٩١٠) حتى كان بعض الطبيعيين قد تمكنوا من تفتيت الذرة فثبت ثبوتا علمياً أنها مجتمع من القوى ، فزال من الأذهان ما كان يقوله الماديون من قدم

المادة حتى أن الدكتور (فيلبون) كتب فى مجلة (العلم والحياة) سنة (١٩١٧) يقول :

« لقد حلت كلمة (القوة) محل كلمة (المادة) ، فما يدرينا إذا كانت كلمة (روح) لاتحل محل كلمة (قوة) ؟ » .

وقال الفلسوف (جيو) فى كتابه (اللاتدين فى المستقبل) ولا يتهم بمشايعة الأديان ، قال فى طبعته السادسة :

« إن الرأى الذى مؤداه : إن الجوهر الفرد لايقبل الانقسام ولا التجزؤ ، يعتبر من الوجهة الفلسفية من الآراء الطفلية . فقد أثبت طومسون وهواولتز أن الذرات فى ذاتها زوبعات متشابهة ثم قال :

« إذا وسّع المذهب المادى مدى نظره ، وجب عليه أولا نسبة الحياة إلى العنصر العام بدلا من أن يفرضه مادة عمياء » .

ثم نقل الفيلسوف جيو بعد ذلك عن سبنسر قوله :

« قال الفيلسوف سبنسر : » كل جيل من الطبيعيين يكشف فى المادة المسماة عمياء قوى ما كان يحلم بوجودها أعلم علماء الطبيعة قبل ذلك بسنين معدودة . » . فاننا لما رأينا أجساما جامدة تحس رغما من جمودها الظاهر بتأثير قوى لايحصى عددها ؛ ولما أثبتت لنا آلة التحليل الطيفى بأن الذرات الأرضية تتحرك موافقة حركة الذرات الموجودة فى الكواكب ، ولما اضطررنا إلى أن نستنتج من ذلك أن ذبذبات لا يحصى لها عدد تخترق الفضاء فى كل جهة وتحركه ، لما رأينا ذلك كله ، وجب علينا أن ندرك ماقاله (سبنسر) من أن الوجود ليس بمؤلف من مادة ميتة ، ولكنه وجود حى فى كل جهة من جهاته ، حتى بأعم معانى هذه الكلمة ، إن لم يكن بأخص معانيها » .

وهذا أيضاً ربح عظيم للدين آتاه به العلم بعدما ملأ الخافقين إيذانا بأن الدين قد قضى زمنه ، وانتهت مهمته .

وفى العالم تدور بحوث منذ أكثر من مائة وخمسين سنة موضوعها النفس الإنسانية ، كان فى مقدمتهـا مادعاه مكتشفه الدكتور (مسمر) الألمانى حوالى سنة (١٧٧٠) بالتنويم المغناطيسى ، وقد ثبت بتجارب العلماء فيه من خصائص الروح الانسانية ماكاد لايصدق لولا أنه شوهد مشاهدة علمية لاتدع عذراً لمستريب . ثبت منه أن الانسان متى وقع فى ذلك الضرب من النوم ، ظهر له عقل أرق من عقله ، وذاكرة لايفلت منها ما كبر أو صغر من حوادثه ، فيدرك ما يراد منه إدراكه بذاته ، لا بأية آلة من آلاته ، وتظهر له من الخواص مايفوق ذلك ، خصائص روحية لاجدال فيها ، وهى مع ذلك تجريبية محسوسة. وقد سلك العلماء سبيلا أخرى للوقوف على ما نجهله من خصائص النفس منذ قرن واحد وصلوا منها إلى غايات بعيدة ، ومكتشفات مدهشة .

كل هذا ربحه الدين من العلم فى مدى المائة وخمسين سنة الأخيرة ، وهى تكفى لدحض كل فلسفة مادية ، وإكساب حجة الدين قوة تجعلها فوق متناول الشكوك .

أليس من العجيب بعد هذا أن رجال الدين لايأبهون لهذه الأسلحة العلمية، بل يوجد فيهم من يكذب بها ويعمل على ملاشاتها ! ألا فليتحققوا أن العصر الذى نعيش فيه هو عصر العلم ، وأن أى مدرك من المدركات ، لايمكن أن يأبه به أحد ممن يعتد بهم إلا إذا جاءه من طريق العلم ، فلا نجعلن بيننا وبينه حجابا ، ولنستفد مما وصل إليه من التطور لنجتذب القلوب إلى حظيرة الحقائق الإلهية الخالدة بما تقرر فيه من المكتشفات الباهرة ، فان كان لابد للقائمين بذلك من دراسة خاصة فلنقم بهـا ، وما يذكر إلا أولو الألباب .

محمد فريد وجدى

من مذكرات عمر بن أبي ربيعة ..

حديث غد ...

للأستاذ محمود محمد شاكر



(قال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة[1]) : خرجتُ في صفر من سنة أربعين أريدُ المدينة أزورُ فتياناً من أصحابي بها ، وأتحسّس الأخبارَ أخبار الفتن المشئومة التي توزّعت قلوب المسلمين ، وأنظر ما فعل بسر بن أبي أرطاة بمُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد بلغنا أنه أحدث فيها أحداثاً عظاماً .

غادرت مكة يوم غادرتها وهي كالتنّور المتوقّد ، فقد ذابت عليها الشمس ، واحتدمَ وهَجُها وبقينا تتنفس بين أخشبيها[2] لظًى من فيح جهنم ، حتى يحس المرء كأنّ الدمَ يفورُ فوراناً في عروقه ، وقد خدر النهارُ من حوله فلا ريحٌ ولا روْحٌ ، فلكل نفسٍ لذعة في الخياشيم والصدر تنشف الرّيق حتى يكادُ اللسان ينشقُّ من فرط جفافه ، وحتى يكاد يظنُّ أنه الجنون . ما أصبرنا يا أهل مكة على صياخيدها ، وما أحبها إلينا على شدة ما نلقى من لأوائها ! بورِكتْ أرضاً وتعالى من حرّمها وتقدّست أسماؤه .

كان النهارُ حراً ماحقاً منعنا التأويب ، فكان سيرُنا كله إدلاجاً تحت غواشي الليل إلى أن يُسْفِرَ الفجر وطرفاً من النهار . ولشدّ ما أعجبني الليل وراعني حتى تمنّيتُ أيامئذٍ أن الدهر ليل كلّه ، فقد كنت أسرى تحت سماء زرقاء ملساء صافية كأنّ النجومَ في حافاتها وعلى صفحتها دُرٌّ يتلألأ على نحر غانية وأنا تحت أنفاسها كالشارب الثمل . وكيف تفعل هذه البيداء بنا وبقلوبنا ؟ قيظٌ يسلخُ جلد الحية ويذيبُ دُماغ الضبّ ، لا يلبث أن تنفحنا بعده بنسيمٍ هفاف كأن الليل يتنفس به ليخفف عنا بلاء نهارنا ، ويفوح من بُرُود الليل شذا الأقاحي فيفعم الفضاء كلّه أحياناً حتى يخيل إلى أن البادية المجدبة قد استحالتْ روضةً تنفث أزهارُها الطيبَ من حيث استقبلتُ ، فأجد لها روحاً على كبدي وراحة فأعبُّ من أنفاسها عباً حتى أقول لقد سَكِرتُ من غير سُكرٍ . ثم ما أندى رويحةَ الفجر على قلوب السارينَ في هذه المهامه السحيقة المتقاذفة ! فإن عبيرَها و بَرْدها والنور الشعشع على أرجائها يجعلك تحسُّ حساً لا يكذب بأنك تحيى في لذاذات لا ينقضي منها أربٌ ولا يستحيل لها مذاقٌ . ولقد حبب إلى الخروجُ إلى البادية كما وجدتُ في نفسي طائفاً من سآمة أو ملل ، فيا بُعدَ ما بين الحاضرةِ وجوّها الكابِد الجاثم ليلا ونهاراً ، وبين هذه الرّحاب المتمادية التي يبثّها النهارُ لواعجه وحرقه ، ويأتي الليل فيناجيها بنجوى خافتة بما في ضميره العميق المشتمل على أسرار الحياة برّها وفاجرها ، وتقف النجومُ على أرجاء سمائها مصغياتٍ مشرقات زاهرات كأنما يومِضُ بعضُها لبعضٍ فرحاً بما سمعتْ من تلك الأسرار المصونة المكتمةِ .

***

كلما أوغلنا في البادية وفي قلب الليل ازددتُ فتنةً بليالي الصحراء وتهامُس رمالها وتَناجي كواكبها ، وأسمعُ للّيل هَنْهسةً كأنها أحاديثُ قلوبٍ عاشقةٍ قد تدانى بها السرارُ ، فتمضي الساعات والعيسُ ماضيةٌ بنا فلا نملّ ولا نكلّ ولا نحسّ وحدةً ولا مخافةً ، كأنّا قد دخلنا الحرم الآمنَ الذي لا يراع اللائذ به . وجعلتْ نفسي تتجدّد وتتطهر كأن برد الليل قد غسلها فما تشوبُ نقاءها شائبة .

وبعد ليالٍ أفضتْ بنا المسالك إلى « الرّبذةِ » التي بها قبر أبي ذرّ الغفاري رضوان الله عليه ، فلم يبق بيننا إلى المدينة سوى ثلاثة أميال ، وأدركنا الفجر وإننا لعلى مشارفها ، فقلنا نعوجُ بها فنصلي الفجر ثم نرتحل حتى نبلُغ المدينة في نهار يومنا هذا . فلما أنخنا جمالنا وقمنا إلى الصلاة ، سمعت صوتَ قارئ قد تأدّى إلينا من بعيدٍ ، فتلمّسته حتى تبينتُ صوتاً راعداً تقياً كأن الجبالَ والرمالَ والدنيا كلّها تهتزّ على نبراته القوية المنيفة

(١) كتب عمر هذه الكلمات وهو في السابعة عشرة من عمره ، فقد كان مولده ليلة الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين يوم مقتل عمر بن الخطاب .

(٢) الأخشبان جبلا مكة المطيفان بها ، وهما أبو قبيس والأحمر .

الصادقة ، وكأنه يمضى فى إهاب الليل المهلهل فيفرِيه فرياً ويمزقه بِمُدَى من النور ، وكأنه يسيلُ فى البطحاء كالسَّيل المتقاذفِ فتموج فيه رمالها كأمثالِ الجبالِ نُسفت من قرارتها ، وكأنَّ ألفاظهُ هبَّاتُ عاصفة تفضُّ دُرُوع الليل فضاً ، وكأنَّ نغماتِه أنوار مشعشعة تخالطُ هذا كلّه فتملأ الفجر فجراً من نُورِها ونور ألفاظها ومعانيها . وأول ما تبيَّنْتُه حين دنوت منه بحيث أسمع قراءته : « كُنتُم خيرَ أمّة أُخرجَت للناس تأمُرونَ بالمعروفِ وتنهوْنَ عن المنكرِ وتُؤمنون بالله ، ولو آمَن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون . لن يَضرُّوكم إلاَّ أذًى ، وإن يُقاتلوكم يُوَلُّوكم الأدبارَ ثم لا ينصرون . ضربتْ عليهم الذلة أينما ثُقِفوا إلا بحبلٍ من الله وحبلٍ من الناسِ ، وباءوا بغضبٍ من الله وضُرِبَتْ عليهمُ المسكنةُ ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلونَ الأنبياء بغير حقٍّ ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ، إلى آخر الآيات ، فلما أخذ يكبر سمعت التكبير يملأ جنبات الأرضِ كلها متردداً ظاهراً كأن لم يبق فى الدنيا شىء إلا كبر بتكبيره .

فرغ الرجل من صلاته ووضع عمامته وبقى حيثُ هو قليلا ثم قام ، فأضاءه لى ذَرْوٌ من نور الفجر الناهد من قبل المشرق ، فإذا رجل فى السبعين من عمره وافر اللحية أبيضها ، أسمر شديد السمرة طوالٌ جسامٌ فارعٌ كأنه صعدة مستويةٌ ، أصلعُ الرأس شديدُ بريق العينين ، نظر إلينا نظرةً وحيًّى ثم انفتل راجعاً إلى فسطاطٍ مضروب قريب من حيث كان يُصلى . رأيتُه وهو يمشى كأنه قائدٌ يحسُّ كأن الجحافِلَ من ورائه تمشى على أثره . وبعد قليل جاءنا رجل كأشدِّ من رأيتُ من الناس نفاذَ بصرٍ ، فحيَّانا وقال : من الناس ؟ قلت : عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى . قال : ابنُ العِدْلِ (١) ؟ رحم الله أباك ، فقد شهد معنا المشاهد بعد عام الفتح . قلت : فمن يكون الرجل الذى أوى إلى فسطاطه يرحمك الله ؟ قال أو ما عرفته ؟ إنه محمد بن مَسلمة الأنصارىّ صاحبُ رسول الله وصاحب أبى بكر وعمر . قلت : فما جاء به ، وقد سمعنا أن رسول الله نهى عن أن يرتدَّ المرء أعرابياً بعد الهجرة ، وأنه ذكر ثلاثاً من الكبائر منها « التعرُّبُ بعد الهجرة » ، فيعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً . قال : صدقت يا بُنىّ ، ولكن لذلك خبرٌ :

كانَ محمد بن مسلمة فيمن ثبت مع رسول الله يومَ أُحُد ، فأعطاهُ رسول الله سيفاً وقال له : « إنه ستكون فتنة وفُرقة واختلافٌ ، فإذا كان ذلك فأت بسَيفِك أُحُداً فاضربْ به عُرْضَه حتى تقطعه ، واكسر نبلك واقطع وَتَرَك ، واجلس فى بيتك حتى تأتيك منيّة قاضية أو يد خاطئة ، فإن دَخَل عليك أحدٌ إلى البيت فَقم إلى المُخدَع . فإن دخل عليك المخدع فاجثُ على ركبتيك وقل : بؤ بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين » . وقد فعل حين كانت هذه الفتن بين علىّ ومعاوية فكسر حدّ سيفه وقعد فى بيته ، وأطاعَ نبيَّه وعصى الشيطان الذى استزلّ هذه الناس التى يقتل بعضُها بعضاً . ولقد قضى فى مكانه هذا ثلاث سنواتٍ يدعو ربه أن يصلح بين هاتين الفئتين من المسلمين التى جعلت تتفانى على دُنيا فانية ، وعسى ربُّك يستجيبُ لدعاء هذا الرجل الصالح فتحقن الدماء وتوصَل الأرحامُ ويعزُّ بهم دين الله فى هذه الأرض .

(قال عمر) : فسألتُ الرجل أن يستأذن لى على أبى عبد الرحمن محمد بن مسلمة فذهب ثم جاء يُومِىء إلى أن أقبِل . فدخلت على أبى عبد الرحمن فسطاطه فإذا فيه سيف مُعلَّقٌ على جانبٍ منه ، فلما سلَّمتُ ردّ التحية وقال : مرحباً بك يا ابن أخى ! ما جاء بك ؟ قلت : زائرٌ إلى مدينة رسول الله يا أبتاه . فدعانى أن أجلس ، فوالله لقد أخذتنى للرجل هيبَةٌ ما وجدتها لأحد ممن لقيت من صحابة رسول الله ، ولا من أمراء المسلمين ، وكانت عيناهُ تَبِصَّان فى سُدْفَة الفسطاط كأنهما قِنديلان يلوحانِ فى ظلامٍ بعيدٍ . وجعلتُ أنظر يميناً وشمالا فلا ألبث أن أثبت نظرى على سيفه المعلق ، فلما رأى المعجَب فى عينىّ قال : لعلك تقول ، لقد كسر سيفه وهذا السيفُ معلقٌ بحيث أرى ! ثم قام واستنزل السيف واخترطه فإذا هو سيفٌ من خشب .

(١) كانت قريش تلقب عبد الله « العدل » ، لأن قريشاً كانت تكسو الكعبة فى الجاهلية بأجمعها من أموالها سنة ، ويكسوها من ماله سنة فكان وحده عدلا لقريش جيماً فى ذلك ، وكان تاجراً موسراً .

ثم قال : لقد فعلت ما أمرنى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم واتخذتُ هذا أُرْهِبُ به الناس .

***

(قال عمرَ بعد حديث طويلٍ) : قلت له : يا أبتاه والله لقد آنستنى وأدنيتنى وأطلقت لسانى فلو سألتك ! قال : سل ما بدا لك يا ابن أخى . قلت : لقد حدَّثنى عن قتلك كعب بن الأشرف اليهودى ، وعن قتل يهودَ أخاك محموداً رضى الله عنه ، فهلا حدثتنى عن إجلائك يهودَ عن جزيرة العرب فى زمان عُمَر ؟ فقال :

رحم الله الرجل ، فقد كان شديداً فى الحق حافظاً للعهد ، ولكن يهودَ قومٌ غُدُرٌ ، أساءوا الجوار وخانوا العهد وتآمروا على المسلمين ، فعزمَ عمرَ على أن يجليهم عن أرض العرب ليقطعَ غدرهم ويحسم مادة النفاق فى هذه البقعة المباركة . فأرسَلَ إلىَّ وقال : « لقد عهد إليك رسول الله مرات ٍ أن تجلى يهود ، فأنا أتبع سنته وأعهد إليك أن تجلى لى يهود عن أرض العرب ، فلا تظلمهم ولا تؤذِهم ، ولكن لا تدعْ منهم صغيراً ولا كبيراً ولا طفلا ولا امرأة حتى تستوثق من جلائهم بجموعهم عن أرضنا . ولئن عشت لأُجْلِيَنَّهم عن كل مكانٍ كبَّر فيه المسلمون لله ، فإنهم أهل فسادٍ ونفاقٍ وخَبَث » فخرجتُ إلى طوائف اليهود فى خيبر وسقتهم مستقبلاً بهم الشام ، فلما بلغنا غايتنا أقبل علىَّ رجل من ولد الحارث أبى زينب اليهودىّ ثم قال لى : لقد كنت مسترضعاً فينا يا أبا عبد الرحمن ، وكنت أنت وابن الأشرف رضيعى لَبانٍ ، فما لبث أن جاء هذا الدين واتبعتم ذلك النبىّ حتى قتلت أخاكَ ورضيعَك ، وها أنت تخرجُنا من ديارنا وأرضِ أجدادنا ، وترمينا فى ديار الغُرْبة ، فهلا كنت تركت كل ذلك لغيرك أيها الرجل ! فقلت له : يا أخا يهودَ ، لئن كنت قتلتُ رضيعى فقد قتل قَوْمُكَ أخى محمود بن مسلمة غدراً ، وعرضتم لحرم رسول الله بالتشبيب والبذاءة والسَّفَهِ ، وأردتم أن تغدروا بنبى الله وتدلوا عليه صخرة لتقتلوه ، أفتظنُ يا أخا يهودَ أنَّا تاركوكُم تعيثون فى الأرض فساداً ، وتكفرون النِّعم ، ولا ترعون حُرمة ولا ذِماماً ولا عهداً ، وتتآمرون على المسلمين تحت الليل ، وتعدون عليهم غارِّين آمنين؟ ووالله لقد صبر عليكم عُمَر صبراً طويلاً ، ولو كان حَزُّ رقابكم جزاءً بما تصنعون لقلَّ ذلك لكم .

قال ابن الحارث : لشدَّ ما تهِشُّم علينا أيها الناسُ ، فوالله ليكونن لهذا اليوم الذى أذللتمونا فيه وفضحتمونا وأجليتمونا عن أرضنا وأرض آبائنا يوم مثله يكون لنا عليكم ، فقد جاء فى كتبنا أنه سوف يجىء يوم تدخل فيه اليهودُ على أبناء يعرب هؤلاء فتذيقهم بأساً شديداً وعذاباً غليظاً ، حتى ترى اللُّقمة فى يد المسلم قد أدناها إلى فيه فإذا على رأسه رجالٌ من أشدَّاء يهود تنفِّره حتى يدعَها لهم . ولتدخلنَّ نساؤنا على نسائكم حتى لا تبقى امرأة منكم إلا نامت بشرِّ ليلةٍ ممَّا تَلْقى من نسائنا ، ولنسوقنكم كما سقتمونا حتى نجليكم عن ديار آبائكم وأجدادكم ولنفعلن الأفاعيل حتى تكون لنا الكلمة العليا ونحن يومئذ أحق بها . ووالله ما نصبر على ما آذيتمونا إلا انتظاراً لما يكون غداً كما قال لنا أنبياؤنا . وكأنى أنظر إلى غد ، فأرَى وجوه الأحباب من بنى إسرائيل قد سقطت عليكم من كل فج كأنهم جرادٌ منتشرٌ تأكل يابسكم وطريَّكم ، ولا تدعُ لكم موطىء قدم إلا كان تحته مِثْل جَمْرِ النار . وإنكم لتقولون إن الله قد ضرب علينا الذلة والمسكنة ، فوالله لئن صدقتمُ اليوم إذْ أمرِ أمرُكُم ، لتعرفنَّ غداً أننا شعب الله الذى لا يرضى له الله بالذلة والمسكنة ، ولقد كنَّا ملوك الأرض فدالت دولتنا كما دالت من قبلها دول ، ولكن الله بالغُ أمره يوم تدولون كما دُلْنا ويعودُ الأمر إلينا ، فنحن قوم أولو بأس شديد ، ونحن أهل الكتاب الأوَّل ، ونحن أتباع الحقّ . فإذا جاء ذلك اليوم يا أبا عبد الرحمن فستعلمون أيُّنا أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلا . فوالله لنتخذنَّكم لنا أعواناً على أنفسكم ، ولنضربَنَّ غاديكم برائحكم ومقبلكم بمدبركم ، ولنوقعنَّ الفتنة بينكم حتى يُصْبِح الرجل منكم مؤمنا ويمسى كافراً ، وليكوننَّ لنا من أنفسكم رجالٌ يُخْربون بيوتهم وبيوت آبائهم وهم عنا راضون ولنا مطيعون !

قال محمد بن مسلمة : فسمعتُ الرجل يقول قولاً كبيراً ، فقلت له : لئن صدقَ أنبياؤكُم فكانَ ذلك ، فما صدقوا إلا

لا بد للأرض من هداية السماء

للأستاذ محمد محمد المدني
الأستاذ بكلية الشريعة



للإنسانية أهداف ثلاثة إذا وصلت إليها وحققتها فقد وصلت إلى القمة، وحققت خلافة الله في الأرض كما أرادها الله. هذه الأهداف الثلاثة هي: الحق، والخير، والجمال. وكل واحد منهما ضروري ما دمنا نريد السعادة الشاملة للجنس البشري، وننشد الكمال الذي به يكون الإنسان إنساناً.

ولقد مضى على الإنسان قرون وآماد كان فيها فريسة الجهل والوثنية، يعبد الشمس والقمر والنجوم، بل يعبد الأحجار والأشجار والحيوان، ولا يتمتع بلذة المعرفة وإدراك الحقائق، ولا تتصل روحه، ولا يسمو عقله إلى خالق هذا الكون العجيب، ولا يمتد تفكيره إلا إلى ما بين يديه كأنه واحد من هذه الحيوانات التي تعج بها الأرض لا يمتاز عنها كثيراً!

وكان الإنسان أيضاً فريسة هينة مستسلمة لعوامل الشر والفساد التي تتمثل في ضعفه وعجزه، وتتمثل في تسخير الأقوياء للضعفاء، وتتمثل في ظلم الرعاة والمملكين، وتتمثل في البهيمية الحمقاء، التي لا تعرف حدوداً، ولا تهدف إلى غرض، وتتمثل في الانحلال والتخبط والارتجال في كل ناحية من نواحي الحياة!

وكان الإنسان محروماً من إدراك الجمال والتمتع بلذته: فالقانون قانون القوة كما هو الشأن بين وحوش الغاب، وليس للأخلاق موازين، ولا للفضائل مقاييس، ولا للشرف قيمة، ولا للحياة مُثل تحتذى أو تراد.

وما لهذا خلق الإنسان، ولا بهذا استحق خلافة الله في الأرض، ولا لهذا استحق بنو آدم التكريم على سائر ما خلق الله!

فلم يكن بد من «هداية السماء» تكفله وتهذبه وتقرب له السبيل، وترسم له الصراط المستقيم، وتخرجه من الظلمات إلى النور، وبذلك كانت الرسالات الإلهية التي تطورت وتركزت وانتهت إلى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وختمت بها كآخر قانون سماوي ضمن له الحفظ والبقاء، وألا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا لمجرد أن ذلك هو ما قضت به الإرادة الإلهية، ولكن لأنه القانون الذي أتى وفقاً للطبيعة، وزود من المبادئ بما يجعله صالحاً لكل زمان ومكان، وبما يجعله قابلاً لكل خير وصلاح تجود به العقول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين!

* * *

ترى ماذا كان يتطور إليه الإنسان لو لم يمد بهداية السماء؟ لا شك أنه كان سيعرف بعض صور الواقع الصحيح، وبعض نواحي الخير، ويدرك بعض أسرار الجمال، ولكن إلى أي حد؟ وبعد كم من القرون والدهور؟ أعتقد أن «الهداية الإلهية»

ليصدقوا رسول الله في خبره، فأنتم اليوم أشتاتٌ مبعثرون في جنبات الأرض، وليزيدنكم ربكم فُرقةً وشتاتاً، فإذا جاء ذلك اليوم فدخلتم علينا أرضنا وعلا أمركم في حيث يشاء الله منها، فلكي تتم فيكم كلمةُ الله وليعذّبكم وليستأصل شأفتكم من أرضه، ولتكونوا عبرةً للطاغين من أمثالكم، فقد قال الصادق المصدّق رسول الله: «تقاتلكم يهودُ فتسلَّطون عليهم حتى يقول الحجرُ: يا مسلم! هذا يهوديّ ورائي فاقتله»، فوالله ليكونَنّ ذلك كما أرادَ الله، ويومئذ يعضّ طغاتكم وطواغيتكم أطراف البنان من الندم، فالعربُ هي ما علمت يا ابن الحارث لا ينامُ ثائرها ولا يُخطم أنفها بخطام.

(قال عمر) قلت: يا أبا عبد الرحمن! وإن ذلك لكائنٌ؟ قال: يا بني، ما علمي بالغيب! ولكنه إذا جاء فليقضيَنّ الله بيننا قضاءه، ويكونُ يومئذ فناؤهم على أيدينا، فأمرُ المسلمين إلى ظهور، وأمر يهود إلى حكم الله الذي ضربَ عليهم الذلّة والمسكنة إلا بحبل من الله وحبل من الناس. والله يحكم لا معقّب لحكمه.

محمود محمد شاكر

قد عجلت على الأقل إلى حد بعيد ، وبعيد جداً ، بتهذيب الإنسان وتطويره ، وأن المبادئ التي اشتملت عليها الشرائع عامة كانت بمثابة بذور غرست فأنبتت وما زالت تنبت وتؤثر في الغذاء الفكرى للانسان تأثيرا عميقا ، سواء أحس الإنسان بذلك أم لم يحس ، نعم قد يظن الإنسان أنه وصل إلى ما وصل إليه من الرقى بعقله وأنه لو لم تكن الأديان لكان العقل دينا وهاديا — وقد قال بذلك فعلا بعض فرق المسلمين — ولكن ما هى مقاييس العقل وهل كان العقل — إذا لم يلقح بهذه اللقاحات السماوية — يمضى قدما فى الطريق المستقيم لا يضل ولا يشقى ؟ إنى لفى شك من ذلك وينبغى أن يكون ذلك موضع شك ، فنحن نرى الأمم البدائية أو المنعزلة تقيم القرون والدهور فى عزلتها ، وهى على ما هى عليه فى أفكارها وعاداتها وتقاليدها ونظرها إلى الأشياء وإدراكها للمعانى دون أن تتطور ، ودون أن تتحرك ، ودون أن تنبت فيهـا نابتة من عقل أو أثارة من عـلم ، إلا إذا جاءها ذلك من خارجها ، كأن يتصل بها قوم آخرون ، أو يرحل عنهـا بعض أبنائها ثم يعود إليها ، أو نحو ذلك . ويومئذ تبدأ فى تفكير جديد ، وتنظر إلى ما هى فيه ، فتعرضـه على العقل وتناقشه ، وتختلف فيه خلافا شديدا ، وينتهى أمرها بأن تأخذ منه وتدع وتعدل فيه وتقوم ، فربما تطورت وتطور التفكير العقلى فيها ، وتطورت أساليب حياتها على نحو جديد ، وما ذلك إلا لأن اللقاح فعل فعله ، وأثر آثاره ، وإن لم يدرك الإنسان فى أثناء هذا التفاعل أنه حاصل واقع ماض فى سبيله موف على غايته !

بهذا نستطيع أن نقيس حالة البشرية عامة لولم تمد الأرض بهداية السماء . إنها تكون فى غيابة من الجهل وضلال من التخبط وتظل فيهما ، وإن تلونا بألوان متعددة ، الحقب الطوال ، والأزمان المترامية والدهور المتعاقبة ، وهبنا سلمنا أنها تتحرر من هذا الجهل شيئا بعد شيء عن طريق الصدفة ، أو التفكير العقلى فإن ذلك يحتاج — والفرض أنه لا مدد من الهداية والنور — إلى أحقاب وربمـا انقضى عمر الإنسان على هذه الأرض دون أن يصل إلى الغاية الحميدة التى أرادها الله له !

وأحب أن نلتفت فى هذ المعنى إلى آية كريمة فى كتاب الله تقول «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا ، إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا » .

فهذه الآية تشير إلى الحقب المتطاولة التى مرت بالإنسان وهو فى طور الخمول وغمرة الجهالة حتى جاز أن يوصف بهذا الوصف البليغ ، فينفى عنه أنه شيء فى هذا الوجود يستحق الذكر !

والإنسان هو عماد هذه الأرض ، وهو خليفة الله فيها ، وهو أكرم من فيها على الله ، فإذا وصف من هذا شأنه بأنه لم يكن شيئاً مذكورا ، فلا بد أن يكون هذا الوصف تعبيراً عن حالة من الخمول والضعف والتفاهة — لا أقول وصلت به إلى مرتبة الحيوان فان الحيوان على كل حال شيء مذكور — ولكن أقول : إنه كان أسوأ حالا من الحيوان وأبعد وأوغل فى الضلال والتسخير !

ثم تذكر الآية بعد ذلك خلق الإنسان وأصله ، والغاية من هذا الخلق ، وما ركب فيه من استعداد فطرى له أدوات ظاهرة من الحواس كالسمع والبصر — سواء أكان المراد بهما هاتان الحاستان المـاديتان أم كان مرادا بهما الاستعداد الفطرى للتقبل والفهم والإدراك عامة — وتردف الآية ذلك بنعمة الله عليه فى الهداية إلى السبيل ، والإرشاد إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ، وبذر بذور المعرفة والعلم فى محيطه ، ينتفع بها من ينتفع ، ويزور عنها من يزور ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة « إما شاكراً وإما كفورا » ذلك بأنه لا يوصف بالشكر ولا بالكفران إلا من علم .

وكأنى بالآيه الكريمة حيث ذكرت هذه المعانى الثلاثة فى طراد واحد — فلفتت إلى حالة الإنسان فى طور جهالته وضؤولته ثم أتبعتها بخلقه واستعداده الذى هيأه الله عليه ، ثم ذكرت بعد ذلك الهداية والإرشاد — كأنى بها وقد ذكرت ذلك على هذا النحو ؛ تلمع إلى أن اعتماد الإنسان على هداية الله وإرشاده ليس بأقل من اعتماده عليه فى خلقه ، وفى استمداده الوجود منـه ، فكما لا يوجد الإنسان بدون موجد ، ولا يخلق إلا من الخالق ؛ كذلك لا يهتدى بدون هاد ، ولا يَرْشد بدون مرشد ، ولا يتعلم بدون معلم !

من هنا يجب أن يعترف الإنسان وأن يكون خاشعاً فى هذا الاعتراف ، بالهدايه الإلهية ، كما هو خاضع خاشع فى اعترافه بالخلق

والتكوين ويجب ألا يغره عقله ، ولا تسول له علومـه ومعارفه أمرا مهما بلغ منها ، فيتردد فى الاعتراف بأنه محدود ، وبأنه محتاج ، وبأنه موضع فضل إلهى ، وفيض ربانى ، بهما قوامـه وبهما عقله ، وبهما سموه عن كل ماخلق الله فى هـذا الوجود ، ولولاهما ما كان ، ولولاهما ماصار شيئاً مذ كورا ! !

* * *

وناحية أخرى تتصل بهذا البحث : ذلك بأن العقول تتفاوت وتتضارب ، ورى بعضها الشيء حسنا بينما يراه الآخر قبيحا ، وهذه قضية يثبتها الواقع ، ولا يجادل فيها متصل بالحياة ! وإنما كان ذلك لاختلاف أسباب العلم واختلاف وسائل العلم ، واختلاف الأمزجة والأهواء والبيئات ، واختلاف العصبيات والجنسيات ، وميل الإنسان بطبيعته إلى الاعتزاز بنفسه ، والاعتداد برأيه ، وتنفيذ فكرته ، وفرضها على من سواه فرضا لا يخضع للمنطق ولا للعقل ، ولـكن يعتمد على السلطان والنفوذ والقوة الذاتية ، فإذا ترك الناس يشرعون لأنفسهم ، ويضعون المثل لتفكيرهم وثقافاتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم فإنهم لا شك متأثرون بما أوضحنا من عوامل الشهوة والمزاج والبيئة والسلطان ، ولا يستطيعون أن يتحرروا منها مهما بلغوا من العلم والحضارة ، لأنها طبيعية تتغلب على كل ما سواها ، وإن استترت فإنما تستتر فى الظاهر ، وهى تعمل عملها فى الخفاء ملحة مثابرة لا يثنيهـا شيء من الأشياء :

ومن هنا رأينا الأمم الحديثة يعتنق كل منها فـكرة ويجعلها مذهبا له فى الحياة ، ويحاول حمل الناس عليها تارة بالقوة ، وتارة بالدعاية . فهذه نازية ، وهذه فاشية ، وهذه اشتراكية ، وهذه شيوعية ، وهذه ديمقراطية وهكذا . وكل هذه أوضاع إنسانية متأثرة بما يتأثر به الإنسان عادة . وليس أصحابها وواضعوها من الملائكة المقربين ، ولا من القديسين المنزهين عن الأغراض والنزعات ، ولذلك اختلفت ، وتعاركوا عليها ، واحتاجوا إلى القوة فى حمايتها ، فلما تخلت القوة عن بعضها انهار وأصبح فى عداد الذكريات التاريخية ، ولو كان حقا وخيرا لبقى وصار الجميع إليه متفاهمين «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض» .

أين هذه النظم من نظام الإله السميع العليم ، المنزه عن الأغراض والأخطاء ، الذى ينظر إلى عباده جميعا نظرة العدل والرحمة والمساواة ؟

أما بعد !

فقد وضح أن العقل وحده غير كاف — حتى فى عهود الحضارة والرقى الفـكرى — للأخذ بيد الإنسانية وتحقيق أهدافها من الحق والخير والجمال ، وأنه لابد من الهداية الالهية لتوسيع آفاق هذا العقل ، ولـكفالة استقامته ، وضبط تفكيره والحد من طغيانه !

بذلك ، وبذلك وحده ، يصل الإنسان فى هذه الحياة ، إلى الغاية التى أرادها الله .

محمد محمد المدنى
المدرس بكلية الشريعة

نشيد الحرية في عيد الهجرة

للأستاذ محمود الخفيف



معصوبة العينين مغلولة
واهنة في أسرها شاحبه
لاهثة في القيــد برية
ذاهلة عن قيــدها واثبه
عصية هوجاء مأخــوذة
نازعة للطير ما أذعنت
يوما لهذا الأسير أو هادنت
أو غلبت روح لهــا غالبه

أبيــة مهما يعض الحـديد فليس بالوهن إصرارها
من بأسه بأس لها أو يزيد والنار تذكى إن طغت نارَها
هازئة في قيـدها بالوعيـد توعد مَن قيَّدها صيحة
تصغى إليهـا الأرض مرتجة
وتنقـل الأيام أخبــارها

تصيح بالسجان يا آسرى غداً تريك الأرض زلزالهـا
تغدو بهـا المقهورَ يا قاهرى يا صــانعا للروح أغلالها
هيهات أخشى القيد من غادر رنين أغـلالى في سمعه
ألقى طيوف الرعب في نفســه
والرجفة النـكراء أوحى لهـا

ما ألفت إلا فسيح الرحاب طليقة في جــوها طائره
في المرج والموج وفوق السحاب خفـاقة رايتهــا عابره
وضيئة تلمع لمع الشهـاب في ظلمـة العيش سنا برقها
تهفو إليه الروح مشــتاقة
وتجتليه الأنفس الثـــائره

كم من فـؤاد باسمها خافق مستشرف يرتقب المـوعدا
وكم لها في الدهر من عاشق محلق الروح وإن قيدا
في سجنه ينظر من حالق يهـزأ بالسجن وأصـفاده
ما عرف الأذعان قلب له
يطلقه مما يســام الردى !

معشوقة الإنسان من يومه حياته قبل ضــلال الحياه
قبـل الذى أغواه من علمه وغره أن الهدى ما يراه
قبل الذى أطغاه من حكمه في رأســه الريش وفي كفه
نصل يلوح الشر في ومضــه
والغل والأصـفاد صاغت يداه

مذ ألبس الناس لباس الحديد والذهب الوهـاج ما يلبس
يا سوء ما يشقى لديه العبيد وليس من يهمس أو ينبس
أين ، وقيدٌ كل يوم جديد والناس قطعان ورعيانهم
إن بسم الراعى صفا مرجُـه
والغيم والأعصــار إذ يعبس

وأصبحت من حلم الحالم ومهده ، الحرية الســاحره
كم من مُـعَنى باسمها هائم يطلبها في الظل والهــاجره
يعيش بالأحــلام في عالم ينسى به الإنسان أغلاله
بالحق والرحمة في أرضــه
والسـلم كم تربطـه آصره

حـورية كم سحرت مهجة راحت بما تشـق به تسعد
ما إن ترى في عيشها بهجة إلا الذى في حلمهـا توعد
والهول كم خاضت به لجة من ظلمة تأوى إلى ظلمـة
تهفو إلى النور الذى شـاقها
حتى ترى صــبحاً له يولد

عذراء كم أغلى الهوى مهرها من الدم الغـالى لها يبذل
كم ألهمت نضواً لها سرها من روحها وحى الذى يعمل
يلمح في كل سناً سحرُها وكل شـاد بالهوى حـوله
ذكره باللحن ممشــوقة
لو تقتضيه الدمَ لا يبخــل

كم راسف في قيده موثق يأبى وإن مُـنِّى أن يذعنا
أشهى له في سجنه الضيق أن يلبس الأغلال مستيقنا
عزاؤه في ضــيقه المحرق ما يحرق الطاغين من غيظهم
ممـا أصرت أنفس حــرة
تأبى إلى الذلة أن تركنا

عذابه في القيـد روح له يكاد لولا كبره يطـرب
ينسيه ما يطلبه هــوله يا هـول ما حمـله المطلب
في قلبه ومض محـا ليـله فاض كما كان يفيض الضحى
وهو من السجن وأحجـاره
في غيهب من فوقـه غيهب
يذوى وفي أضـلاعه جذوة تدفئه في ركنه الأقتم

تذهله عن موته نشوة فتثغره يبسم إذ يرتمى
تمضى إلى الموت به غفوة فيها خيال رف من فوقه
يعرفه ! كم ذا رأى وجهه
بغيره فى الأسر لم يحلم

فطرية تنشدها الأنفس والأنفس الحرة قربانها
من نفس تحيا به أنفس فيها من العزة برهانها
فى لحها النار التى تقبس نار تظل الدهر مشبوبة
يخشى لظاها كل مستكبر
وينذر الطاغين بركانها

أبطالها فى الدهر أيامهم أجل ما يشدو به شاعر
توحى إلى الحاضر آلامهم كيف أبى أغلاله الحاضر
أسيافهم شهب وأقلامهم لحن ، على الأيام أسجاعه
وحى قلوب خافقات به
فى الأرض ما خوفها قاهر

شدوتُ والهجرة فى خاطرى أنشودتى الحرية العانيه
إشراقها فى قلبى الثائر لحن به أذكيت ألحانه
تبقى بقاء الفلك الدائر توحى إلى الأجيال حرية
ما ولدت « يونان » أختاً لها
والدهر ما جاد بها ثانيه !

خوانق الأغلال مفصومة مهاجر حطمها واحد
من حوله الأوهام مهزومة زلزلها البهلل العابد
أسلحة الطغيان مثلومة والناس سوى بينهم دينهم
ما عز إلا الله من حاكم
لغيره ما سجد الساجد

مهاجر عزمته أنطقت بما تدين الأنفس الخائفه
منطلق من أسره أطلقت هجرته الحرية الراسفه
رسالة للروح قد أشرقت تضحى على الأنفس آياتها
قدسية الومض إلهية
جوانب الأرض بها هاتفه

الروح فى منزعها حرة من ربقة الذل الذى يوبق
والعقل قد ثارت به ثورة تأبى من الأوهام ما يوثق
والجسم كم نامت به شرة لا الترف الجامح ماض به
إلى مهاوى البغى يوما ولا
يخشى من الطغيان ما يرهق

محمد ، شرعته قوة تذكى طموح الأنفس الطامحه
حمية توقدها دعوة إلى المدى حجتها لائحه
فى كل نفس حرة جذوة صوب الملا تدفعها والفدا
كم ألهبت فى زحفها عصبة
هزت بها أسيافها الفاتحه

ودينه الحرية الصادقه لا عوجٌ فيها ولا زخرف
معارج الفكر به شاهقه وسيفه من خلفه المصحف
مراشد الوحى بها ناطقه فى الدين لا إكراه من قيم
والأمر شورى فيه لا غاصب
يطغى ولا ذو نزق يعصف

يا مدلجاً أخرجه قومه خطوت لا فى البيد بل فى الزمن
يا جاهداً تحت الدجى ، عزمه والبغى داج ليله ، ما وهن
يا واحداً ضاق به خصمه هجرتك الغراء من وحيها
فى كل عصر ظالم ، هجرة
لكل شاك غربة فى الوطن !

قصيدة رددها منشدا ما هتف الدهر وما رجّعا
لحن له فى كل قلب صدى ما أصدق اللحن وما أروعا
شمس هُدى كم ذا تشع الهدى من أفق الوحى شعاعاتها
مطلعها الشرق وكم أشرقت
شمس به ، أكرم به مطلعا !

(البقية فى العدد القادم) **محمود الخفيف**

فى بيت المقدس

للأستاذ على الطنطاوى



كانت (ماريت) تدور فى البيت ما تستطيع أن تستقر من جزعها على زوجها وإشفاقها أن يصيبه مكروه، تضم ولدها الرضيع إلى صدرها، تناجيه وتناغيه، ثم يدركها اليأس، ويخيل إليها أنه قد غدا يتيما لا أب له، فتساقط الدموع من عينيها على وجه الطفل فيفيق مذعوراً ويبكى، فتمتزج دمعة الحب بدمعة الطفولة ... وكان زوجها قد خرج من الغداة لرد الأعداء المسلمين عن بيت المقدس، ومالت الشمس ولم يعد، ولم تعرف ماذا حل به ... وكانت (ماريت) فتاة باسلة، ثابتة الجنان، لم تكن تعرف الخوف ولا تخلع الحوادث فؤادها، ولكن وقعة (حطين) لم تدع لشجاع من الأفرنج قلباً، ولم تترك لفارس فيهم مأملا فى نصر، فقد طحنت جيوشهم طحناً، وعركتها عرك الرحى، وزعزعت قلوب الكماة عن مواضعها. فكيف بقلوب الغيد الحسان؟ وكان زوج (ماريت) فارس الحلبة، وبطل القوم، وكان قد رأى البنات من الإفرنج والألمان والانكليز وكل أمة فى أوربة، يملأن جوانب القدس، فلم ير فيهن من هى أفتن فتنة، وأبهى جمالا، من (ماريت) فهام بها وهامت به، وتزوجها فكانا خير زوجين، وكانت حياتهما النعيم كله، ودارهما كأنها لهما جنة عدن ... ولكن حبه لها لم يشغله عن حبه لوطنه، وتمسكه بصليبيته، وحرصه على أن يبقى أبداً فارس النصرانية المعلم وبطلها فكان كلما سمع نأمة طار إليها، وكلما دعا داعى القتال كان أول الملبين ...

وفتح الباب، فخفق قلب ماريت وتلاحقت أنفاسها، ولم تدر أهو البشير أم هو الناعى، وتلفتت فإذا هى بزوجها يدخل عليها سالماً، يمد لها ذراعيه فتلقى بنفسها بينهما ... ويحدثها حديث النصر: لقد رد يسوع الأعداء، وفت فى أعضادهم فانطلقوا هاربين، قبل أن نباشر حرباً، أو نشرع فى قتال، لقد استقر أيتها الحبيبة ملك المسيح فى بيت المقدس إلى الأبد، ويا ليتك أبصرتهم يا ماريت، وقد ذهب الفزع بألبابهم لما رأوا أسوار المدينة، تطل من فوقها أبطال النصرانية، وفرسان الصليب، فهدوا خيامهم، وولوا الأدبار لا يلوون على شىء لا يريدون إلا النجاة ... لما صدقت أن هؤلاء هم الذين فعلوا تلك الفعلة فى (حطين). لقد فروا كالنعاج الشاردة ... فياليت أبطال القدس كانوا فى (حطين)، ليروهم يومئذ ما القتال!

ألا تقدس الصليب، وتبارك اسم الناصرى، إن أورشليم لنا إلى الأبد!!

***

ومشت معه إلى الكنيسة الكبرى، لتحضر الاحتفال بالنصر، وكان يحدثها فى الطريق عن هؤلاء الوحوش الكافرين، ويصف لها فظاعة دياناتهم، وقسوة رجالهم، وكيف يأكلون لحوم أعدائهم، ويشربون دماءهم، ويصور لها ملكهم (صلاح الدين)، كما وصفه له الكهنة ورجال الكنيسة. فترتجف أضالعها خوفاً وفزعاً من هذه الصورة المرعبة، وتضم ولدها إليها وتصلب وتستجير بالقديسين جميعاً، وبيسوع وبالعذراء، أن لا يجعلوا له سبيلا إليها ... وأن لا يروها وجهه المخيف ...

وينقضى الاحتفال ويرجعون من الكنيسة، وهى تحس أن الدنيا قد ألقت إليهم مقاليد الأمانى، وأن الدهر قد حكمهم فيه ونزل على حكمهم، وتستلقى على فراشها، وهى تداعب الآمال وتناجيها، حتى إذا بلغ بها التأميل أن ترى هذه البلاد كلها قد عادت للمسيح وأتباعه، ولم تبق فى جنباتها منارة مسجد، ولم يعد يتردد فى جوها أذان، وترى زوجها قد علا فى المناصب حتى صار القائد المفرد؛ أغمضت عينيها على هذه الصورة الحلوة، وأخذتها معها فى أحلامها ... ونامت ... ولكنها لم تجد إلا حلماً مزعجاً: لقد أحست كأن المدينة تتقلقل وتميد، وكأن حصونها تدك دكا، وتخر حجارتها، وتتهدم كما يتهدم عش عصفور ضعيف بضربة من جناح نسر كاسر، وخالطت سمعها أصوات العويل والبكاء تتخللها صرخات الرجال؛ فعلمت أنه ليس بحلم ولكنها الحقيقة، فوثبت تحمل ابنها، ونظرت إلى سرير زوجها فلم تلفه

فى مكانه ... فخرجت تسأل ما الخبر ، فخبرت أن (صلاح الدين) ، قد دار حول البلد حتى حط على جبل الزيتون ، ثم صدم المدينة صدمة زلزلتها وهزتها هزاً ، وكادت تقتلعها من آساسها ، كما تقتلع الشجرة من الأرض الرخوة ، ورماها بالمنجنيقات والعرادات ، وقذفها بالنيران المشتعلة وهجم جنوده على الأسوار كالسيل المنحط ، بل كأبالسة الجحيم ، لا تحرقهم نيراننا ، ولا يقطع فيهم حديدنا ، كأن المردة والشياطين كلها تقاتل معهم ...

وكانت (ماريت) واثقة من قوة الدفاع ، فالقدس بلد النصرانية لبثت فى أيدى أهلها مائة سنة لا سنة ولا سنتين ، وفى القدس ستون ألفاً هم خيرة أجناد الصليب ، يقودهم (بليان) ويصرفهم البطريرك الأكبر ، ولكن هذه المفاجأة روعتها ، وأدخلت الشك إلى قلبها ...

وطفقت الأخبار تصل إليها متعاقبة تترى ، وكل خبر شر عليها من الذى قبله ، وكلما مرت دقيقة سمعت نبأ جديداً عن شدة الهجوم ومضائه ، وعن تحطم أدوات الدفاع ، حتى جاءها الخبر بأن الرايات البيض قد رفعت على الأسوار وأنها قد عقدت الهدنة ، على أن يخرج من شاء من المدينة فى مدة أربعين يوماً ، ومن أراد البقاء بقى فى حكم صلاح الدين ، وأن تفتح له المدينة أبوابها ، وأن يدفع الرجل الذى يريد الخروج عشرة دنانير والمرأة خمسة والولد دينارين .

***

وتركت (ماريت) القوم فى رجتهم وخرجت تفتش عن زوجها الحبيب ، ومشت فى الظلام تدور حول الأسوار ، تنظر إلى الأبواب المفتحة ، والجنود الظافرين يدخلون بالمشاعل والطبول ، فتشد يدها على ولدها وتمضى متباعدة ، حتى تبلغ ساحة القتال ، فإذا هى تطأ على أعلام الصليبيين ممزقة مخرقة ، مختلطة بجثث الأجناد مقطعة الأوصال ، فامتلأت نفسها رهبة وخوفاً ، وهمت بالعودة ولكنها غالبت النفس ومشت ، فقد كانت تفتش عن زوجها ، ولا تستطيع أن ترجع حتى تلقاه أو تعرف خبره ، وكان حولها رجال ونساء كثيرون يبحثون كما تبحث ، عن قريب أو صديق ، وتمثلت ذلك الأمل الضخم : أمل (الوطن القومى) الصليبى ، فألفته قد مات هو الآخر ، وألقيت جثته ... ورأت هذه الأرض قد عادت للقوم الكافرين يسوع

وأمه ... وأحزنها ذلك كما أحزنها فقد زوجها ، وتضاعفت به مصيبتها وحاولت أن تتعرف وجوه القتلى ، من أحبابها وعشيرتها ، فأخفقت وعجزت ولم تبصر شيئاً من الظلام ومما أصابهم من التبديل والتغيير . وتمثلت لها حياتها كلها ، فإذا هى قد ذهبت وجاءت فى مكانها حياة جديدة ؛ حياة رعب وفزع وشقاء لا تعرف عنها شيئا ، ولا تدرى ولا يدرى أحد من قومها كيف يكون مصيره فى ظل الحكم الجديد ، وذكرت ما قاله لها زوجها عن فظاعة هؤلاء الفاتحين ، فأحست عند ذكر زوجها كأن قلبها قد انتزع من صدرها ، وطار فى أثره ، وفكرت فيه : أى أرض تقله ؟ وأى سماء تظله ؟ وهل هو قتيل قد تمزق جسمه الجميل ، وانتثرت ثناياه الرطاب ، و... ولم تستطع المضى فى هذه الصورة فأغمضت عينيها ، وألقت عليهما غشاء من الدمع ، وأحست كأن فؤادها يسيل حزناً عليه ، فانكبت على الولد تقبله بشدة ، وشغف ، كأنها تصب فى هذه القبل أحزانها وعواطفها ، حتى أوجعت الطفل فصرخ وبكى ... ورغبت فى الفرار من هذه المشاهد كلها ، ولم تقدر أن تتصور كيف يتبدل كل شىء بهذه السرعة ، وتتوهم حيناً أنها فى حلم ، وأنها ستتيقظ فترى كل شىء قد عاد كما كان ، ولكن الحقيقة سرعان ما تفجعها بهذا الوهم ، وتبدده أمام عينيها ...

وكان أشد ما روعها وحز فى فؤادها انصراف الناس عنها ، وكف أيديهم عن مساعدتها ؛ فقد شغلت المصيبة الداهمة كل واحد بنفسه ، فكأنه يوم المحشر كل يقول فيه : أنا ... وكرت راجعة وهى تعرض فى ذهنها فصول هذه الرواية التى مثلت الليلة ، فابتدأت بالظفر والمجد ، والحب والوصال . ثم انتهت بالخيبة المرة ، والهزيمة الماحقة ، والفراق الطويل ، ولم تفهم كيف يمكن أن يهوى فى لحظة الصرح الذى أقيم فى مائة سنة ، وكيف يهدم رجل واحد ما تعاون على إنشائه أهل أوربة جميعاً ، أيكون أمير مسلم واحد معادلا فى الميزان للملوك النصرانية كلهم وأمرائهم ؟ إذن كيف لو تحالف المسلمون كلهم ؟ كيف لو كانت هذه الحروب فى أيام الخلافة ، إذ كانت مملكتهم مملكة واحدة تمتد من الصين إلى قلب فرنسا ؟

وجعلت تسأل كل من تلقاه عن زوجها ، فلا يقف لها أحد ولا يرد عليها ، وإذا لقيت كريماً منهم رقيق القلب فسألته

فعطف عليها بجواب ، لم يكن جوابه غير (لا أدرى) !

وظهر القمر نحيلا هزيلا ، من بين فرج الغمام ، فألقى على الساحة ضياء شاحباً حزيناً ، جعل الدنيا كأنها وجه مريض محتضر ، فرأت قطع اللحم البشرى مخلوطة بالوحل ، تبرز من خلالها الدروع الذهبية ، وتبدو من بينها قطع الرماح المكسرة والسيوف ، فأشجاها التفكير فى هذه الجيف المنتنة التى كانت فى الصباح أبطالا كراماً تخطر على أرض الوعد ، وكانت حصن الصليبية وسياجها ، وعادت إلى البحث عن زوجها ، والتحديق فى الوجوه ، فمر بها شيخ كان يحدب عليها ، ويحب زوجها ، فأدركته الشفقة عليها ، فأخذ بيدها فاستخرجها من الساحة ، وكأن الخطب قد حطم إرادتها وتركها كالتى تمشى فى نومها ، فانقادت إليه طيّعة وسارت معه ، وسألته هامسة كأنها تخاطب نفسها .

— يا أبتاه . هل رأيت زوجى ؟

فلم يحب أن ينبئها بما تكره فلوى الحديث وشغلها بغير ما تسأل عنه ، فقالت :

— وما تظن أنهم يصنعون بنا يا أبتاه ؟ هل يخطفون ولدى ليأكلوا لحمه أمام عينى ؟

— قال : ومن خبرك بهذه الأكاذيب ، إن المسلمين قوم كرام ، أهل وفاء ونبل ، وإن ملكهم صلاح الدين خير الملوك قاطبة ...

ومضى يحدثها عما عرفه من صفة المسلمين ، وهى فاتحة فمها دهشة لا تكاد تفهم ما يقول ولا تصدقه . فعاد يقول :

— ولو أنهم ذبحونا لما كانوا معتدين ، بل كانوا منتصفين منا ، فانا لما دخلنا القدس منذ مائة سنة قتلناهم فى البيوت والشوارع والمساجد ، وحيثما وجدناهم حتى صاروا يلقون بأنفسهم من فوق الأسوار لينجوا منا ، وحتى بلغ عدد من قتلنا منهم سبعين ألفاً ولم يتحرك قلب بشفقة ، ولا لسان بإنكار ...

وأصبح الصباح وهى لا تزال تفتش وتبحث ، والولد على يدها ينادى : بابا . فيذكرها به ، وما كانت ناسية ، وإن كلمة (بابا) لأجمل كلمة فى الدنيا ، وفاتحة اللغات وأمها . فهى أول لفظ بشرى يجرى به لسان الوليد ، وهى كلمة الإنسانية تختلف اللغات وتتحد فيها . وهى كلمة الطهر ينطق بها الطفل قبل أن يعرف الشر ويدرى ما المكر ، وهى أحلى من كلمة (حبيبى) لأن من الحب ما يمدح وما يذم ، أما الأبوة فخير كلها . والحب رابطة يصنعها الإنسان أما الأبوة فمن صنع يد الله

ولكن (ماريت) لم تكن ترى فيها هذا الصباح إلا ناراً تحرق كبدها ، وشفرة تمزقها ، وضاق بها أمرها ، فهرعت إلى جارات لها واجتمعن يترقبن ما يكون من الأهوال ، فإذا القدس ترتج بصرخة واحدة اجتمعت عليها حلوق المسلمين والنصارى ، أولئك ينادون : الله أكبر ، وهؤلاء يعولون ويبكون ، فنظرن فإذا أحد الجنود الفاتحين قد علا قبة الصخرة ، فأنزل الصليب الذهبى الذى لبث فوقها قرابة مائة سنة ، وحسبوه سيلبث إلى يوم القيامة ...

وجاءتهن الأخبار بما يصنع المسلمون فى المدينة ، فجعلوا يعجبون ، ولا يصدقون ، أن المسلمين لم يؤذوا أحداً ، ولم ينهبوا مالا ، وأن من شاء الخروج دفع ما اتفق عليه وحمل معه ما شاء وخرج ، وأن النصارى يبيعون ما فضل عنهم فى الأسواق فيشتريها منهم المسلمون بأثمانها ، وأنهم يروحون ويجيئون آمنين مطمئنين لم يروا إلا الخير والمروءة واللطف ، وأن المسلمين قوم أهل حضارة وتمدن ليسوا وحوشاً ولا آكلى لحوم البشر ، وروى لهن ما صنعوا فى الحرم ، فقد نزعوا منه كل ما أحدث النصارى ، وردّوه إلى حاله الأولى ، وجاؤوا بالمنبر الذى صنعه نور الدين الشهيد ليقام فيه ، فأقاموه فى الحرم ، وخطب عليه خطيبهم يوم الإسراء ...

قال الراوى : ودخلت فلم يمنعنى أحد ، ولم يسألنى من أنا ، فاختلطت بالمسلمين ، فإذا هم جميعا يجلسون على الأرض لا تتفاوت مقاعدهم ، ولا يمتاز أميرهم عن واحد منهم ، قد خشعت جوارحهم وسكنت حركاتهم ، وخضعوا لله ، فعجبت من هؤلاء الذين كانوا جنّا فى المعارك ، وشياطين يوم القتال ، كيف استحالوا هناك رهباناً خشعاً ، ورأيت الخطيب قد صعد المنبر فخطب خطبة ، لو أنها ألقيت على رمال البيد لتحركت وانقلبت فرسانا ، ومضت حتى تفتح الأرض ، ولو سمعتها الصخور الصم لانبثقت فيها الحياة ، ومشت فيها الروح ، ووجدت هؤلاء الناس لا يغلبون

أبداً ما داموا مسلمين ، ولو اجتمعت عليهم دول الدنيا ، لأن قوة الإيمان أقوى فى نفوسهم من كل قوة ، إنه لا يخيفهم شىء لأن الناس إنما يخيفون بالموت ومنه يخافون ، وهؤلاء قوم يحبون الموت ويريدون أن يموتوا . كلا ، لا يطمع قومنا بهذه الديار أبدا ، أنا أقول لكم ، وأنا قد عرفت القوم وتكلمت بلسانهم وخالطتهم ووقفت على دياناتهم وسلائقهم . كلا ، إنه لا أمل لنا فيها ، لقد أنزلوا الصليب اليوم ، بعد ما لبث مائة سنة فلن يعود ، لن يعلو هذه القبة إلا شعار محمد ، فلا نصرانية ، ولا يهودية ، خسأت وخابت اليهودية ، إن كل بقعة فى هذه الديار تنقلب إذا حزب الأمر وجد الجد (حطين) ، وكل وليد فيهم بصير (صلاح الدين) ، فلا يهرق قومنا دماءهم هدرا ، ولا يزهقوا أرواحهم فى غير طائل .

ونظرت (ماربيت) فإذا قومها قد آثر فريق منهم البقاء فى ظل الراية الإسلامية ، حينما رأوا فى ظلالها العدل والأمن والهدى ، مع الحضارة والتمدن والغنى ، وأبى فريق إلا الرحيل ، فاختارت أن تكون مع هذا الفريق لا كرها بالمسلمين ، فقد بددت شمس الحقيقة ظلام الأوهام ؛ وكذب الواقع ما سمعت عنهم من الأحاديث ، ولكنها لم تستطع أن تقيم وحيدة فى البلد الذى يذكرها كل شىء فيه ، بزوجها ، وبحبها ، وبسعادتها التى فقدتها ...

ومشت القافلة وتلفتت ماربيت إلى الوراء ، تودع هذه البلدة الحبيبة إلى قلبها المقدسة عندها ، بلدتها التى ولدت فيها ولم تعرف لها بلدا غيرها ، ونظرت إلى موضع الصليب الذهبى الذى كان يشرق كالشمس على قلبها فرأته خاليا منه . فأحست أنها تركت قلبها فى هذا البلد الذى كان لقومها ، فصار لعدوها ، والذى خلفت فيه زوجها لا تدرى فى بطن أى طير أو فى معدة أى وحش صار قبره ... وخلفت فيه ذكريات صباها وبقايا سعادتها وحبها ولكنها فرحت بالخروج منه ، حتى لا ترى ما يذكرها كل يوم بما فقدت ، ولتلحق بديار قومها ، وأهل ملتها ...

سارت وهى سابحة فى أفكارها فتخيلت زوجها وهو يمشى معها فى الموكب الظافر تحت راية الصليب ، فبكت واختلط نشيجها بنشيج النسوة من حولها وهن يبكين من خلفن من الأسرى والقتلى ، وإذا بالجنود يقفوهن ، فسكتن من الفزع ووقفن وأيقن بالهلاك ، فأرجعوهن فإذا على رابية طائفة من المسلمين بينهم شيخ على فرس له ، لم يرع (ماربيت) وصحبها إلا قولهم : هذا هو السلطان .

هذا هو السلطان ، هذا (صلاح الدين) المخيف ، آكل لحم البشر وشارب الدماء . وجعلت تختلس النظر إليه فلا ترى ملامح الوحش الكاسر ، ولا تبصر الأنياب ولا المخالب ، لا ترى إلا الهيبة والنور والجلال ، فلما وقفن عليه ، قال : ما تردن ؟

قالت امرأة : رجالنا فى الأسر ، أزواجنا ...

وتصايحن وبكين ، فبكى السلطان رقة لهن ، وأمر بإطلاق أسراهن ، وأعطاهن الدواب والطعام والمال ...

* * *

لما رأت (ماربيت) زوجها صحيحا معافى ، نسيت الشقاء والهزيمة ، وألقت بنفسها بين ذراعيه ، لم تخف أن يبصرها الناس ، فقد جعل كرم السلطان كل واحد يشتغل بسعادته ، ثم مشت الطريق بهؤلاء النازحين لم يعشوا هم فيها ، لأنهم ملؤوها فلم يعد يعرف أول لهم من آخر ، فكأن الطريق كالنهر الممتلىء بالماء من منبعه إلى مصبه ، نهر من الأسى والفرح ، والهزيمة فى المعركة والظافر بلقاء الأحبة ، وكره الغالبين وشكرهم على إحسانهم ، وأحست (ماربيت) فى قلبها بالاعتراف بفضل هذا الرجل المحسن ، ورأت خلال الإنسانية والحق والنبل تتمثل فيه هو ، لا فيمن رأت من رجال قومها . وكادت تحبه ثم تنبه فى نفسها دينها وما علموها من بغض الإسلام فتوقفت وحاولت أن تذكر سيئة واحدة لهذا الرجل ولقومه تستعيد بها بغضاءها إياهم فلم تجد ، وجعلت تقابل بينه وبين البطريرك الأعظم ، الذى خرج مع القافلة بعدما استلب المعابد كنوزها ، وكنس الكنائس وحمل كل ما كان فيها ، ولم يعط من هذا المال أحدا ، لم يجد به على امرأة ضعيفة تمشى معه ، ولا على شيخ عاجز ، وذكرت ما سمعت من أن السلطان تركه يخرج بهذا المال ، مع أنه شرط لهم الخروج بأموالهم هم لا بأموال الكنائس ، وذكرت ما كان يصنع قومها من إخلاف الوعود ، والحنث بالعهود ، فتمنت لو أنها كانت مسلمة ، ولكنها لم تجهر بهذه الأمنية وخنقتها فى نفسها .

* * *

وتدفق هذا النهر البشرى يحمل أعجب أنواع السلائق

الإنسانية ، وأغرب المتناقضات ، ففيه حنو الأمهات وإيثارهن ، وفيه أثرة الأغنياء وقسوتهم ، وفيه الصبر وفيه الجزع ، وفيه الصدق وفيه التزوير ، وفيه هذا البطريرك الذي يزعم أنه خليفة المسيح ليساعد الفقراء ، ويزهد في الدنيا ، ثم يأكل مال الله وحده ويعرض عن الفقراء والمحتاجين .

مشت هذه القافلة في الطرق المقفرة ، والمسالك الموحشة ، لم تكن تحب أن تعرج على شيء من بلاد الاسلام ، كانت وجهتها طرابلس ، فلما بلغتها بعد الجهد البالغ ، والمشقة المهلكة وبعد أن تركت في الطريق ضحايا الجوع والتعب ، ماتوا وفي القافلة الأغنياء معهم الذهب ، وفيها البطريرك يحمل من أموال الله مائة ألف دينار ...

... لما بلغتها ، أغلق أميرها السور في وجه القافلة وردها ، ثم بعث رجاله فاستلبوها ما كان معها[1] ، فانبرى لهم الشجعان والأبطال ليردوهم ، فأوقعوا بهم وقتلوهم ، وكان فيمن قتل زوج (ماريت) .

وتاه من بقي في البرية كما يتيه الزورق في لجة البحر ، وعاد أكثر أهلها إلى دنيا الأمن والمروءة والنبل دنيا المسلمين ؛ وكانت ماريت مع التائهين ، تمشي معهم قد مات حسها وتبلد شعورها ، ولم تعد تستطيع أن تفكر في شيء ، تنزل بنزولهم وترحل برحيلهم ، وتأكل إن أطعموها ، وتصمت إن تركوها ، وكأنما قد خولطت في عقلها ، أو أصابها مس من الجنون ؛ حتى بلغوا أسوار أنطاكية ، فطردهم أهلها وردوهم[1] ...

... فرجعوا إلى بلاد الإسلام وقد أيقنوا أنه لن يكون في الأرض أنبل ولا أفضل من هذا الشعب الذي علمه محمد كيف تكون الإنسانية ...

أما (ماريت) فبقيت مكانها ذاهلة كأنها لا تبصر ولا تعي ، فأقبل عليها شاب من أهل أنطاكية من قومها ، فأخذ بيدها وواساها ، فانقادت له ، وسارت معه ، حتى احتواها منزله على سيف البحر ، فسقطت من التعب والاعياء نائمة ...

وأيقظها لغط حولها ؛ فاستفاقت فسمعت صوت رجل يقول لصاحبه :

— ما ندعك تنفرد بها إنها أجمل امرأة وقعنا عليها .

فيقول الأول :

— ولكنها صيدي أنا ... أنا الذي اصطادها .

فتفهم أن الخلاف عليها ، على شرفها وعفافها ، ويعود إليها ذهنها ، فتذكر الماضي كله ، وتدرك أنها فقدت زوجها وحاميها ويشد الغضب من عزمها . فتقول لهما :

— ويحكم ، أهذه هي مروءتكم وإنسانيتكم ، أهذا هو دينكم يا جنود الصليب ...

فيضحكان ويقهقهان ، فيشتد بها الغضب ، وتصرخ بهما :

— بأي لسان أخاطبكم ؟ بلسان الدين وأنا أراكم ملحدين كافرين ؟ بلسان الإنسانية وما أنتم إلا وحوش في جلد بني آدم ؟ بلسان المروءة وقد فقدتموها ونسيتم حدودها ؟ ويلكم ألا تستحيون أن يكون هؤلاء المسلمون أشفق على نسائكم ، واحفظ لشرفكم منكم ، وأن يكونوا أنبل وأفضل وأحفظ لوصايا السيد المسيح ؟ لا والله لستم للمسيح ولا لمحمد أنتم للشيطان أولئك هم الذين جمعوا المسيح ومحمداً ، أولئك أهل الفضائل أرباب الأمجاد ، خلاصة الإنسانية ، إنكم لن تغلبوهم ، لن تأخذوا أرضكم المقدسة من أيديهم أبداً ، كلا . إنهم أحق بها لأنهم أوفى منكم لمبادئ المسيح ، إنهم أعرق منكم في الإنسانية إن المستقبل لهم ، إن لهم المجد والظفر ، ولكم أنتم اللعنة ، لكم الخيبة والخزي .

فلا تجد منهما إلا إيغالا في الضحك ، وتتلفت حولها فلا تجد ناصراً وأين المعين على الحق ، المدافع عن الشرف في بلد ليس فيه مسلم ؟ وتراهما قد أقبلا عليها بعيون محمرة ، فيجن جنونها ، فتلقى بولدها في اليم وترمي بنفسها .

وكان البحر ساكناً فصعدت من الماء فقاعتان ، فيهما اللعنة الحمراء التي خرجت من فؤادها المحترق ، على هؤلاء الكلاب... (الواغلين على فلسطين) !

وعاد البحر ساكناً كما كان ...

وأسدل الستار على القصة التي تتكرر دائماً منا ومنهم : قصة نبل لا يدانيه في عظمته البحر ، ونذالة لا يغسل البحر أوضارها ولا يطهر الأرض من عارها .

(القاهرة)

علي الطنطاوي

---

(١) كل ذلك حقائق تاريخية رواها مؤرخو أوربة رجعت فيها إلى (حياة صلاح الدين) للدكتور البيلي .

قيادتنا الروحية

للأستاذ سيد قطب



فى حياة الأمم — كما فى حياة الأفراد — فترات خاصة ، ترتفع فيها على نفسها ، وتسمو فيها على مألوفها فتـأتى بالخوارق والمعجزات ، حتى لتتأمل فيما بعد ما أتمته فى هذه الفترات الصغيرة ، وما قامت به فى تلك الآماد القصيرة ، فلا تكاد تصدق ، ولا تدرى كيف تأتى لها أن تأتى بذلك العجب المعجاب !

هذه الفترات الخاصة هى التى ترتفع فيها الجماعات — كما يرتفع فيها الأفراد — إلى ما هو أعلى من الحياة اليومية ، ومن المطالب العادية . وتتطلع إلى غايات عليا لا تتعلق بحياة فرد أو جيل ، ولا تقف عند رغبة شخص ، ولا أنانية فرد .

وفى هذه الفترات يجد الفرد لذته الكبرى فى أن يضحى بلذائذه . وغايته الأولى فى أن ينسى غاياته . وتنبثق من الجماعة حينئذ إشعاعات وطاقات عجيبة ؛ تتخطى اللذائذ والغايات المنظورة إلى لذائذ وغايات أخرى غير منظورة ؛ قد لا تستطيع تحديدها تماماً ، ولا فهمها نصاً . ولكنها تساق إليها سوقاً بدوافع خفية كامنة فيبدو كأنما الكل أبطال فى وقت من الأوقات .

هـذه الفترات هى التى تسمع فيها الجماعات والأفراد صوت الحياة الأزلية ، وتصغى فيها إلى إرادة الحياة الأبدية ، فتخفت حينئذ أصوات الرغائب الفردية ، وتنطوى رغبات الأفراد الزائلة فتندفع الحياة دفعة كبرى إلى الأمام ؛ وتدخر بعد هذه الدفعة رصيداً تنفق منه فى خطواتها التالية ، حتى إذا نفد ذلك الرصيد بطؤت خطاها ، وتراخت قواها ، وصحت الجماعة من تلك النشوة تتلفت إلى ذاتها ، وتحصر نفسها فى نطاقها ، وتطلع كل فرد إلى شخصه ، وصحت رغائبه ولذائذه ، وتفككت روابط الجماعة وعادت أفرادا وأنانيات ، وصغرت قيم الحياة العليا ، وانكمش المد الزاخر ، وانطوى كل فرد على ذاته ، يعبدها ، ويملقها ، ولا يرى أبعد منها شيئاً ، إلى أن تنقضى الدورة ، وتزهد الجماعة فى هذه الحياة الرخيصة ، وتتطلع من جديد إلى آفاق أعلى ، وتكون قد ذخرت من الرصيد ما يكفى للوثبة فتفعلها .

والملاحظ فى هذه الدورات والفورات ، اتفاق يبعده التواتر عن أن يكون مجرد مصادفة . هذا الاتفاق هو وجود قيادة روحية فى كل وثبة من وثبات الأمم والجماعات . قيادة تهتف للجماهير بنسيان الذات الفانية ، وتضحية الرغبات القريبة . وتشير إليها نحو هدف آخر أبعد ، وأفق آخر أرفع . وكلما بعد الهدف ، وارتفع الأفق ، كانت الاستجابة أكبر ، والتلبية أسرع ، والقفزة أعلى ، والخطوة أوسع . وكلما كانت التضحية المطلوبة أوسع مدى ، كان الدعاء أسرع إجابة .

فإذا كانت تضحية رغائب فرد فى سبيل جماعة محدودة ، كان عدد الملبين للدعوة قليلا . وإذا كانت تضحية جماعات فى سبيل أمة على نسق الدعوات الوطنية — كانت التلبية أوسع . فأما إذا كانت تضحية الأفراد والجماعات والأمم فى سبيل فكرة إنسانية ومبدأ أسمى ، فإن الصدى يكون أبعد ، والمدى يكون أفسح ، والامتداد يكون أقوى

هكذا كانت المسيحية ، ثم هكذا كان الإسلام .

كانت المسيحية تطهيراً للنفس الإنسانية من رغائبها وشهواتها واستعلاء على اللذائذ الشخصية بالحرمان والزهد ، وفناء للذات الفرد فى حب يسوع المخلص ... لهذا صمدت للتعذيب والاضطهاد والاستشهاد . صمدت لبطش الدولة الرومانية ، حتى استجابت لها الدولة الرومانية وظلت تصمد لما هو أقوى من الدولة وجندها وبطشها ... تصمد للغريزة والشهوة والأنانية وهى أقوى من كل قوة . ظلت تصمد إلى أن نفدت الطاقة ، وقل الرصيد . وطغت المراسم والشعائر على العقيدة والمشاعر . فاشترى رجال الدين بدينهم ثمناً قليلا . وانفلت الأفراد إلى أنفسهم وذواتهم عاكفين عليها . ووقف نمو المسيحية ، أو زادت شخوصاً ولم تزد ضمائر ... اللهم إلا الفلتات التى كان ينبغ فيها أفراد ممن يدعون الناس إلى السماء فيستجيبون لهم بقدر ما فى أرواحهم من رصيد . لم يرتفع مرة إلى القمة الأولى .

وهكذا كان الإسلام تجميعاً للطاقة الإنسانية كلها ، وتوجيهاً لها إلى الهدف الأعلى ، إلى معنى الإنسانية الأسمى : المساواة والحرية والكرامة والعمل والرحمة والاستشهاد ، وفى كل واحدة من هؤلاء كان يرتفع بالنفس الإنسانية إلى آفاقها العليا .

كان يرتفع بها فى « المساواة » إلى نسيان النعرة الشخصية ، والنعرة المحلية ، والنعرة القومية . وجميع النعرات التى تمزق الإنسانية طوائف ونحلا ، وتغرس العداوات والبغضاء وتعوق النمو البشرى والتقدم الإنسانى .

وكان يرتفع بها فى « الحرية » إلى « المساواة » فى آفاقها التى رسمنا . ثم إلى التحرر من الشهوات والمطامع المذلة أو الظالمة « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . وإن الله على نصرهم لقدير » « ليس الشديد بالصرعة ؛ إنما الشديد من غلب نفسه » .

وكان يرتفع بها فى « الكرامة » إلى « المساواة » وإلى « الحرية » . ثم إلى الترفع على عبادة العبيد ، والخضوع للمخلوقين . « إن العزة لله جميعاً » .

وكان يرتفع بها فى « العمل » إلى « المساواة » وإلى « الحرية » وإلى « الكرامة » جميعاً ... ثم إلى الإنتاج والتقدم بالإنسانية . « لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة حطب على ظهره ، فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس : أعطوه أو منعوه » . « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

وكان يرتفع بها فى « الرحمة » إلى ما فوق الذات ، وإلى المشاركة الوجدانية مع الإنسانية ، وإلى الشعور بالرحم الأقوى رحم البشرية : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » . « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » « الفقراء عيال الله وأحبكم إلى الله أرأفكم بعياله » .

وكان يرتفع بها فى « الاستشهاد » إلى ضمان هذه الفضائل جميعاً ؛ وإلى الارتفاع عن الحياة المحدودة إلى حياة أخرى غير محدودة . وإلى الخلاص من أشد قيود الغريزة : من حب هذه الحياة المادية ، إلى حب الفكرة المجردة .

بهذا الرصيد الروحى الفخم وثب الإسلام بحفنة من الرجال فى الصحراء . شعث غبر . فارتفع بهم على هامات الامبراطوريتين الشامختين فى فارس والروم . وبهذا الرصيد الروحى الضخم انطلقت الشعلة فى المشيم فأحالته ناراً ونوراً ينهض بالبشرية وينير لها الطريق . واندفع الإسلام يعبر الصحارى والجبال والبحار حتى يصل إلى سد الصين شرقا وإلى بحر الظلمات غرباً فى مثل لمح البصر بالقياس إلى عمر الدهر . فكانت هذه إحدى معجزاته الكبرى

وعند ما انطلق الفاتحون فى مشارق الأرض ومغاربها لم ينطلقوا للاستعمار والفتح ، ولكن لنشر الفكرة العليا . وكلما هبطوا واديا حرروا أهله من مستعبديهم ومن حكامهم ومن ذات أنفسهم . حرروهم من السلطان الغاشم ، والاستغلال القبيح ومن الضلالات والأوهام أيضاً ؛ وردوا لهم كرامتهم الإنسانية وساووهم بأنفسهم « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

واختفت فى فجر الإسلام نزعات العصبية ، ونزعات اللون ، ونزعات الجنس ونعرات العزة بغير الله . كلكم لآدم ، وآدم من تراب » !

اندفع الإسلام بهذه السرعة الخارقة ، وبهذه القوة الجارفة ، لأن الذين اندفعوا به قد ارتفعوا على أنفسهم ، وتساموا على ذواتهم ، وخفقت فى أرواحهم سورة الفردية ، وغلت فيها فورة الغيرية . ولأنهم تخلصوا من أوهام الحياة المادية المجسمة ، وعشقوا فكرة روحية مجردة ... وصار لقاء الله فى سبيل مبادئه ، أحب إليهم من لقاء أهلهم وأبنائهم ، ورغبوا فى النعيم الموعود برضاء الله عن النعيم الذى يلذونه فى هذه الحياة : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ، ويقتلون . وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله : فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به . وذلك هو الفوز العظيم » .

هذه الروح الإسلامية العالية ، وهذا المد القوى الناصر ، كان أول من وقف فى طريقه ، وارتد به عن سبيله هو معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص وإخوانهما وأمثالهما ممن تنكبوا طريق الفكرة الإسلامية الروحية النبيلة ، إلى الرغبات والأطماع الذاتية الوبيلة .

وكانوا أول من رد العصبيات الصغيرة المحدودة إلى مكانها ، وأول من برر الوسيلة بالغاية ، وأول من طعن روح الإسلام فى الصميم .

ولم تعد الروح الإسلامية إلى مدها العالى مرة أخرى بعد هذه الفعلة ؛ ولكنها كانت ترتفع فى فترات ، ثم تعود بعدها

إلى الهبوط . مع هذا فقد كان المد العالى الأول — وهو أعلى مد بلغته البشرية فى تاريخها كله كان كفيلا بأن تثب البشرية وثبة لا مرجع عنها مهما انحسرت موجتها الأولى فاستمر التيار إلى الأمام وجرف معه الإنسانية جميعاً .

***

الفكرة الروحية الضخمة تجد التلبية بمقدار ضخامتها . وتتسع موجتها بمقدار اتساعها . وقد ظل العالم الإسلامى بين مد وجزر منذ الموجة الأولى إلى أواخر القرن التاسع عشر ، وكان قد وصل إلى دور انحطاط وخمول وإفلاس روحى ومعنوى .

وعلى عادة الروح الإسلامية فى الانبعاث بين فترة وأخرى على مدى التاريخ رأيناها تنبثق فى جمال الدين الأفغانى .

كان هذا الرجل شعلة محرقة مضيئة ، مامست روحا إلا ألهبتها وأضاءتها بحسب ما فيها من استعداد للهب والإضاءة .

وكان فى هذه الروح رصيد ضخم ، تزود به كل من لقى الرجل فى بلاد الشرق جميعاً .

ثم استقر فى مصر فترة فأودعها الشعلة المقدسة التى يحملها

ومنـذ ذلك الحين ، وفى خلال السبعين عاما الأخيرة ، نهضت مصر ثلاث نهضات عامة ، وصلت فيها درجة اليقظة القومية حداً عاليا .

كانت النهضة الأولى نهضة « عرابى » لرفع شأن القومية المصرية ، وإحلالها المكان اللائق بكرامة الشعوب .

وكانت النهضة الثانية نهضة « مصطفى كامل » لمقاومة الاحتلال الانجليزى ، الذى لا يستند على أساس من الحق والعدل

وكانت النهضة الثالثة نهضة « سعد زغلول » للثورة على هذا الاحتلال ، وتقرير مصر فى الاستقلال .

وليست هذه النهضات الثلاث بمنفصلة فى حقيقة دوافعها — وإن فصلت بينها الأعوام — فهى جميعها تنبثق عن مصدر واحد ، هو هذه الطاقة الضخمة التى انطلقت من شعلة جمال الدين الدين قبل ثلاثة أرباع قرن فى الشرق الإسلامى .

ولم تكن شعلة جمال الدين سياسـية صغيرة محصورة فى الأهداف الوطنية المحدودة . إنما كانت شعلة روحية ، تلهب النفس الإنسـانية فتتفتح منافذها جميعاً . وهـذا هو الذى كفل لها الامتداد طويلا .

وقد ظلت الأمة المصرية تنفق من هذا الرصيد فى ثوراتها السياسية الثلاث ، تنفق وتستهلك . ولا تضيف شيئا إلى الرصيد لأن الزعامات الثلاث ، كانت بالقياس إلى جمال الدين ، ضيقة محدودة . تطوى أنفسها على مطالب قريبة محدودة ، وليس لها رصيد روحى جديد .

وهنا كان موضع الخطر .

فالدفعة السياسـية تفلح حين يكون وراءها رصيد روحى ضخم تنفق منه وتشتعل به ، وهذا الرصيد يحفظ مستواها من الهبوط، ويصونها من الخمود . فأما حين تنفد هذه الطاقة أو تضعف فالفورة السياسية وحدها لا تكفى وهى مهددة على الزمن أن تخبو

ولا يصعب على الباحث أن يرد ما اعتور نهضتنا القومية الأخيرة من نكسة وفسـاد تتبدى آثارها فى النزعات الحزبية على حساب الوطن ، وفى هبوط مستوى الصراع والأسلحة التى تستخدم فيه إلى نفاد الطاقة الروحية أو اضمحلالها ، لأن رصيدها المذخور من عهد جمال الدين لم يتجدد أبداً .

وبالمثل يمكننا أن نرد كثيراً ممـا نراه من الانحلال الخلقى الفردى والاجتماعى إلى خمود الشعلة المقدسة فى الوقت الذى تغمرنا فيه موجات من أوربا المنحلة ، التى خبت روحها من قرون ، واستحالت آلة لا قلب لها ولا ضمير تنفق من رصيد قديم سينفد بعد حين .

والآن يجب أن نتنبه إلى هذا الخطر ... إن اليقظة السياسية وحدها لا تبقى ولا تعيش ، ولا يرتفع مستواها إلا إذا أمدتها طاقة روحية تنفخ فيها وتقويها ، فأين هى القيادة الروحية لهذا الجيل ؟ القيادة التى تخلق الشخصيات العظيمة كما خلقتها قيادة جمال الدين ؛ وترتفع بالأفراد والجماعات عن المطالب الوقتية إلى المطالب العليا ؟

هنالك جماعات تدعو دعوات إسلامية . ولـكنها جماعات هزيلة الروح ، ناضبة ، خامدة ، أضعف من أن تنفخ فى الجيل الهابط المنحل .

ترى يتمخض الانحلال عن قيادة روحية عظمى كما عودتنا روح الإسلام على مدى الزمان ؛ نرجو أن تكون هناك وثبة قريبة ، وأن يظلنا موعدها المرموق .

سيد قطب

هجرة الرسول والطبع العربى

للدكتور على عبد الواحد وافى
أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب



زود الله الشعب العربى المجيد بصفتين كريمتين لعلهما لم يتوافرا فى أى شعب آخر بمقدار توافرهما لديه : إحداهما شدة التعلق بالوطن الأصلى ؛ والأخرى شدة الميل إلى التنقل والهجرة ، وشاءت قدرة البارىء الحكيم — وقد كرّم هذا الشعب ، وفضله على كثير من خلقه تفضيلا ، وخصه فى سلم الرقى الاجتماعى واللغوى بأمور تعد من قبيل المعجزات — أن يخصه بمعجزة أخرى فى ميوله النفسية ، فزوده بهذين الميلين المتضادين المتنافرين (التعلق بالوطن والميل إلى الهجرة) ، ولكنه ألف بينهما فى نفوس أفراده ، فأصبحا بنعمته منسجمين تمام الانسجام ، يشد كلاهما أزر الآخر ويكمل نقصه ويخفف من غلوائه .

فما كان العربى لتنسيه هجرته حقوق وطنه الأول ، ولا لتنال من مكانته عنده ، أو تنقص من حبه له أو حنينه إليه . وما كان تعلقه بوطنه الأول ليحول بينه وبين الهجرة منه إذا كان فى هجرته رفع لشأن بلاده ، أو توسيع لرقعة ملكها ، أو مدّ لنفوذها وسلطانها ، أو تخفيف من أعبائها ، أو دفاع عن مذهب يقتنع به ، أو فرار من ضيم أصابه ، أو ابتغاء للرزق ، أو سعى لبغية المكارم والمجد . وفى هذا يقول الشنفرى شاعرهم الجاهلى .

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متحول
لعمرك ما بالأرض ضيق على امرىء
سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل

ويقول أدباء العرب إن أقذع ذم وُجّه إلى عربى هو قول الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر ويناضل عن بغيض بن لأى :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

أما حبهم لأوطانهم الأولى ، وشدة حنينهم إليها ، فلا أدل على ذلك من حنين الرسول عليه الصلاة والسلام إلى مكة بعد هجرته منها ، مع أن أهلها قد أخرجوه منها وساموه وشيعته سوء العذاب ، ومع أنه قد كان فى هجرته منها نشر للاسلام وتوطيد لدعائمه . فقد روى أن أُصَيْلا الغِفارى قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قبل أن يضرب الحجاب ؛ فقالت له عائشة : « كيف تركت مكة ؟ » ؛ فقال : « اخضرت جنباتها ، وابيضت بطحاؤها ، وأحْجن ثُمامها ، وأغدق إذْخرها ، وأنشر سَلَمها[1] » ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أثار هذا حنينه إلى وطنه الأصلى : « حسبك يا أصيل لا تُحْزِنّى » وفى رواية : « إيهاً يا أُصيل ! تدع القلوب تَقر » وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة : « ما أطيبك من بلد وأحبّك إلىّ ! ولولا أن قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك[2] » . وعن الضحاك رضى الله عنه أنه قال : « لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة فبلغ الجُحْفَة اشتاق إلى مكة ، فأنزل الله تعالى عليه : « إن الذى فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد » (قال أى إلى مكة)[3] —

ولا أدل كذلك على حب العرب لأوطانهم الأولى وشدة حنينهم إليها من عنايتهم فى ونثنيهم بالحج إلى مكة ، حتى لقد ارتقت هذه الشعيرة لديهم إلى مصاف الفرائض الدينية الهامة . وما الحج فى نشأته الأولى إلا مظهر من مظاهر حنين العرب إلى وطنهم الأول ومنشأ أجدادهم الأولين وهو الحجاز . فمن المحقق أن الحجاز كان المهد الأصلى للشعب العربى ، ومنه انتشر هذا الشعب الكريم فى جميع أنحاء الجزيرة العربية وغيرها من بلاد العالم .

وأما شدة ميلهم إلى الهجرة كلما دعاهم إلى ذلك داع جدى

---

(١) أحجن أى بدا ورقه ؛ والثمام على وزن غراب نبت يسد به خصاص البيوت الواحدة ثمامة ؛ وأغدق أى أزهر ؛ والاذخر حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب ؛ وأنشر أى خرج ورقه واكتسى والسلم والطلح واحد . والحديث مروى عن الخطابى فى غريب الحديث عن الزهرى

(٢) أخرجه الترمذى

(٣) رواه الامام أحمد ، قال أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدى بن الحمراء أخبره أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم .. الخ

فلا أدل عليه من هجراتهم المتوالية فى فجر تاريخهم وفى عصور جاهليتهم وإسلامهم .

فمن الحجاز واليمن اتجهت فى فجر التاريخ موجات الهجرة العربية إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية وإلى غيرها من بلاد العالم. — فمن هذا القسم نزح الساميون إلى العراق وغزوا بلاد السومريين وغلبوهم على أمرهم وأنشئوا مملكة بابل — ومن هذا القسم كذلك نزح الساميون إلى الشمال فتكونت من سلالاتهم الشعوب التى عرفت باسم الشعوب الكنعانية وهى التى تفرع منها الفينيقيون والعبريون . — ومن هذا القسم كذلك هاجر بعض قبائل الإسماعيليين (أى أولاد إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام) إلى خليج العقبة حيث تكون من سلالاتهم الشعب النبطى وهو مخترع الخط النبطى المتصل الحروف الذى انشعب منه خطنا العربى الحالى . — ومن هذا القسم كذلك هاجر عرب الرعاة أو الهكسوس إلى مصر حيث أنشئوا ملكا كبيراً ونشروا حضارتهم العربية على ضفاف النيل . — ومن هذا القسم كذلك هاجر فى أقدم العصور قبائل عربية كثيرة إلى الهند والحبشة والسودان وشمال أفريقيا وشرقها . — ومن هذا القسم كذلك هاجر فى أوائل التاريخ الميلادى بعض القبائل المعدية (أولاد معد) التى كانت تقطن الحجاز إلى الشام وبعض القبائل القحطانية التى كان موطنها اليمن إلى الشمال والشرق . فنزلت منها غسان بالشام والأوس والخزرج بالمدينة (وهاتان القبيلتان الأخيرتان قحطانيتان هاجرتا من اليمن إلى المدينة وإليهما هاجر الرسول عليه السلام ، وفيهما تكون الأنصار رحمة الله عليهم ورضوانه).

وكذلك كان شأن العرب فى عصورهم التاريخية السابقة للاسلام مباشرة ، والتى اشتهرت باسم العهد الجاهلى . وقد جمعت لنا كتب الأدب طائفة كبيرة من أخبار هجراتهم وتنقلاتهم إلى مختلف أرجاء الجزيرة العربية وإلى غيرها من بلاد العالم ؛ حتى أننا لانكاد نجد قبيلة استقرت فى موطنها الأصلى . وقد ساعد على تتابع هجراتهم وكثرة تنقلاتهم عدم خصوبة أرضهم ، واشتغال معظمهم بمهنة الرعى ، وسعيهم وراء الكلأ والماء . وساعد على ذلك أيضاً كثرة حروبهم الأهلية التى لم يكد يخمد لها سعير فى هذه العصور ؛ فكانت القبيلة التى تكون فى موطنها عرضة للعدوان أو تغلب على أمرها تنزح فى الغالب عن ديارها ؛ كما حدث لمعظم بطون تغلب بعد أن هزمتها بكر فى حرب البسوس .

أما هجراتهم بعد الاسلام فحدث عنها ولا حرج ؛ فقد انتشروا فى جميع بلاد العالم المتحضر فى ذلك العصر من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً ، ومن أقاصى السودان جنوباً إلى آسيا الصغرى والبلقان وفرنسا وإسبانيا شمالا ، فنشروا فى هذه البلاد دينهم وأخلاقهم وتقاليدهم ودمهم العربى ، وأسسوا بنيان ملكهم فيها على تقوى من الله ورضوان . وفى هذا يقول شاعرهم الرحالة أبو دلف (وهو خزرجى من سلالة الأنصار الكرام) .

فنحن الناس كل النـــاس فى البر وفى البحر
أخذنا جزية الخلق من الصين إلى مصر
إلى طنجة بل فى كـــل أرض خيلنـــا تسرى
إذا ضاق بنا قطر نَزَلْ عنه إلى قطر
لنا الدنيا بما فيها من الاسلام والكفر

***

فلم يكن إذن حادث هجرة الرسول عليه السلام وجماعة من أصحابه من مكة إلى المدينة غريباً على الطبع العربى ؛ بل كان هذا الطبع يحتمه تحتيما فى مثل الظروف التى تمت فيها هذه الهجرة ، كما حتم من قبل ذلك فى ظروف مشبهة لهذه الظروف هجرة نفر إلى بلاد الحبشة وإلى المدينة نفسها من السابقين الأولين إلى الإسلام . فقد أشرنا فيما سبق إلى أن العربى كان يندفع بطبعه إلى الهجرة من بلاده إذا دعاه إلى ذلك داع من مصلحة عامة أو خاصة أو أصابه ضيم بين عشيرته . وهذه الأسباب جميعاً كانت متوافرة فى هجرة الرسول عليه السلام .

ومع أن أهل المدينة كانوا يتألفون حينئذ من قبائل قحطانية تختلف فى أصولها الشعبية عن القبائل المدنانية التى ينتمى اليها الرسول عليه السلام ، فقد آثر الهجرة إليهم دون غيرهم لأسباب كثيرة أهمها فى نظرى ثلاثة أسباب :

(أحدها) أن أخوال أبيه عليه السلام كانوا قحطانيين من أهل المدينة . فكان طبيعياً ، حسب مألوف العرب ، وقد خذله عصبته وساموه سوء العذاب ووقفوا فى سبيل دعوته ، أن يلجأ

إلى بعض فروع خئولته يلتمس منهم العون والحماية . فالخئولة أقرب الناس إلى العربى بعد عمومته . بل يظهر أن العرب فى مرحلة ما من أقدم مراحل تاريخهم كانت لحمة نسبهم بخئولتهم أوثق من لحمة نسبهم بعمومتهم .

(وثانيها) أنه قد آمن به قبل هجرته عدد كبير من أهل المدينة وبايعوه على الدفاع عن دينه . فكان طبيعياً أن يؤثرهم على غيرهم بهجرته ويتخذ منهم أنصاراً لنشر رسالته . «والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

(وثالثها) أن أهل المدينة وضواحيها كانوا أكثر استعداداً لقبول فكرة التوحيد التى جاء بها الدين الإسلامى من بقية أهل الحجاز . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى كثرة احتكاكهم بالموحدين من اليهود والنصارى الذين كانت تتألف منهم حينئذ جاليات كبيرة عربية وغير عربية فى المدينة نفسها وفيما يتاخمها من مواطن .

صحيح أنه قد ظهرت بمكة قبيل الإسلام مدرسة الحنيفيين الموحدين الذين انحرفوا عن الشرك والوثنية (ومن أجل ذلك سموا بالحنيفيين أى المنحرفين) وعبدوا الله وحده على ملة إبراهيم وأقاموا الصلاة وصاموا رمضان وكان من هؤلاء محمد بن عبدالله نفسه قبل أن يبعث رسولا ، كما كان منهم نفر من قريش، ولكن أعضاء هذه المدرسة كانوا يتألفون من بعض النابهين والمتفلسفين من سكان مكة ، أما دهماء الشعب نفسه فكانت شديدة التعلق بدينها الوثنى ، سادرة فى ضلالها القديم ، تقتفى آثار آبائها فيما كانوا يعبدون . وهذا هو عكس ما كان عليه الأمر فى المدينة . فمع أنه لم ينشأ فى الأوس والخزرج مدرسة متفلسفة كمدرسة الحنيفيين بمكة ، فإن السواد الأعظم من الشعب نفسه كان مهيئاً تهيئة كبيرة لعقيدة التوحيد .

على عبد الواحد وافى

كيف ننشئ أطفالنا

للأستاذ كامل كيلانى

أشرف القائد العام على إحدى القلاع ليزورها فلم يُطلق من القلعة مِدفع واحد لتحيته والترحيب به . فدَهِش لإهمال والى القلعة ، واستهانته بخطره واستدعاه ، فمثل بين يديه ليحاكم عسكريا على تهاونه وتفريطه فى أداء واجبه .

ثم سأله القائد العام ، وهو يكاد يتميز من الغيظ : « ما بالك قد استهنت بخطرى، فلم تحيِّنى التحية المعتادة ؟ » فأجابه والى القلعة باسما : « لم يكن فى قدرتى أن أطلق - من مائة المدفع والمدفع — واحداً لتحيتك ، فقد منعنى من ذلك مائة سبب وسبب » فقال القائد العام : « هات ماعندك من الأسباب وقل فأنا أسمع » فأجابه والى القلعة : « أولا لم يكن فى القلعة بارود » فقال القائد العام وقد سرى عنه : « حسبك هذا عذرا ، فلسنا فى حاجة إلى سماع بقية الأسباب » .

ولقد أصاب القائد العام وأنصف فإن فى السبب الأول الذى ذكره والى القلعة غنية عما يليه من الأسباب . وثمة قضايا كبيرة يهدم كل أسبابها سبب واحد فلا تبق لغيره قيمة بالقياس إليه . وقديما قال أبو العلاء :

« لقد أتوا بحديث لا يصدقه
عقل ، فقلنا عن اىّ الناس تحكونه ؟
فأخبروا بأسانيدٍ لهم كذب
لم تَخلُ من كرّ شيخ لا يُزكّونه »

والأمثلة على هذا أكثر من أن يحصيها العد ! فإن صكا — بالغا مابلغت قيمته المالية — لا يساوى درهما واحدا إذا أعوزته الإمضاءة . ومن هذه القضايا التى نحن بسبيلها ، قضية اليوم . فإن السبب الأول من أسبابها إذا نقض هدم الأسباب التالية كلها فلم يبق لها خطر . قال لى أحد الورزاء المصريين الكرام :

« لقد أسلمت ولدى إلى مربية أجنبية ، لتعنى بأمره . وتنشئه أحسن تنشئة ، وتربيه على أكمل منهاج أقرته الحضارة ، فكان لنا ما أردنا ، ولكن وهنا تأتى قصة الإمضاءة التى لاتتم قيمة الصك إلا بها . قال الوزير : « وذا صباح ، بينا كنت أسير وولدى الصغير إذا مررنا على مسجد كبير فسألته ما اسم هذه البنية ؟ » فقال : « هذه كنيسة محمدية » فكدت أخر من هول ما سمعت صعقا ! ثم قال الباشا الكبير : « منذ ذلك اليوم وأنا أحذر — كل من أعرف ومن لا أعرف — خطر المربيات الأجنبيات ، لأنهم — على ما يسدين إلى أطفالنا من فضل عناية ورعاية — يسئن إلى وطننا العزيز أبلغ إساءة ويسلفن إلى قوميتنا ضررا يتضاءل بالقياس إليه كل نفع مهما جل وعظم .

وهنا بلغنا الجرثومة من الصميم ووصلنا نقطة البحث ومدار الحديث ، وتمثلت أمام أعيننا قصة الإمضاءة التى لا خطر للصك إلا بها ، ولا قيمة لما يحويه من المال بغيرها .

لقد أجمع رجال التربية ، وأساطين علم النفس ، على أن الطفل جدير بأن يتحلى بأكرم الأخلاق وأنبل الصفات — منذ نشأته — وتواصوا بتثقيفه وتكميله ، وتحبيب العلوم والفنون والآداب إلى نفسه بكل وسيلة شائقة مغرية . فإذا تم لهم ما أرادوا ، فقد كتب الصك وفيه الرقم الذى نريد ، ولم يبق إلا أن يمضى ، والإمضاءة هى كل شىء فى الصك ، أوعلى الأصح الأدق : هى الشىء الذى لا تتم قيمة الصك إلا به .

نعم يبقى شىء نحرص عليه جاهدين ونتثبت منه مستوثقين ، وهو : « على أى أساس نشىء الطفل ؟ تنشئة عربية ، أم تنشئة أجنبية ؟ وهل قيد فى دفتر مولودينا نحن أبناء العرب ووارثى تاريخهم وتراثهم وأمجادهم ؟ أم أثبت فى دفتر مولودى غيرنا من الأمم ؟ » .

فإن كانت الأولى فهو من أبنائنا البررة الكرام العاملين على إعزازنا ورفعتنا . وإن كانت الأخرى قيدناه فى دفتر الوفيات وضرعنا إلى الله — سبحانه — أن يجعله فرطاً صالحاً ويعوضنا خيراً منه ، ويلهمنا الصبر والسلوان ويعزينا عن فجيعتنا فيه أحسن العزاء ، ولاغرو أن نثكله حياً فقد ثكل الشريف الرضى بعض رفاقه النادرين أحياء فقال مبدعاً :

« أحيا إخاء كم الممات ، وغيركم جرّبتهم فثكلتهم أحياء
إلا يكن جسدى أصيب فإننى قسّمته فدفنته أجزاء »

* * *

رحم الله تلك الأجزاء العزيزة التي ندفنها كل يوم . وماذا يجدينا أن يصبح بعض أبنائنا مثال العبقرية فى العالم بعد أن نُسلخ منا ؟ وهل ينفعنا أن يصير أحدهم أشعر شعراء فرنسا أو إنكلترا أو ألمانيا — مثلا — فيضيف إلى تراثها صفحة خالدة مشرقة ما كان أشد حاجتنا إلى أن يزاد فى أسفار أمجادنا العربية الحديثة .

وماذا يعنينا من أمر هـذا وأشباهه — مهما عظم خطره وجل — بعد أن يسلخهم منشئوهم من أسرتنا العربية التي نسمى لرفعتها وعزتها مستميتين ؟ أو بأسلوب آخر . ماذا يجدى علينا أن تصبح بلادنا أغنى بلاد العالم وأوفرها قصوراً وأعظمها مصانع مادام أبناء البلاد لا يملكون من هذا كله شيئاً .

فمسألة المسائل الجوهرية — إن صح هذا التعبير — هي أننا نريد أن يكون كل إصلاح نقوم به فى بيت نملكه لا فى بيت نكتريه . وفى طفل ينتسب إلينا بعروبته وشمائله لا فى طفل ينتسب إلى غيرنا من الأمم برطانته ومواهبه . وجماع القول : إننا نريد أن نسخر قواتنا كلها لخدمتنا ورفعة مجدنا — نحن أبناء العرب — لا لخدمة غيرنا من الأمم وإضافة صفحات إلى أمجادهم ولن تعنينا ساقية تدور فى بلادنا ، مادامت تسقى أرضاً لا نملكها وتزيد فى ثروة لا تعود على مواردنا بفائدة . كما لا يعنينا أن يصبح أبناؤنا سادة العالم ومناط فخاره ، ومبعث مجده . ما داموا لا يمتون إلينا بصلة ولا تربطهم بنا آصرة .

ماذا ؟ إن الأمر أكبر من هذا كله فإن خطر هؤلاء الأبناء والأخوة لن يقف عند هذا الحد بل يتعداه إلى ما هو شر منه فإنهم بلا شك عامدون — وقد رأينا مصداق ذلك فى الكثيرين منهم — إلى تراثنا فمُحتقِرُوه ، وإلى أكرم تقاليدنا فمحاربوها ، وإلى أنبل مزايانا الشرقية فمُفَوِّقون إليها أخبث السهام وأفتك الأسلحة .

وقديماً قال أبو العلاء :

« ربيت شبلا فلما أن غدا أسدا عدا عليك فلولا ربه أكلك »

ولكن اللوم علينا فقد تنكبنا قول المعرى وخالفنا نصيحته التي أوصانا بها فى تلك القصيدة البارعة حين قال :

« فلا تعلم صغير القوم معصية فذاك وزر إلى أمثاله عدلك
فالسلك ما اسطاع يوماً ثقب لؤلؤة لكن أصاب طريقاً نافذاً فسلك »

وقد شكا الشاعر العربى من عقوق ولده فقال :

« وربيته حتى إذا ما تركته فتى الحرب واستغنى عن الطر شاربه
تغمد حقى ظالما ، ولوى يدى لوى يده الله الذى هو غالبه »

ولن نتمثل فى هؤلاء الخارجين عنا إلا بقول ابن الرومى :

« وإخوان تخذتهم دروعاً فكانوها ، ولكن للأعادى
وخلتهم سهاما صائبات فكانوها ، ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن عن ودادى »

ورحم الله القائل :

« أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجانى »

إلى هنا قد بلغنا المدى — فيما نظن وأدركنا أن أول واجب علينا وعلى كل من يتصدى لتنشئة أطفالنا أن ينشئهم عربا قبل كل شىء . وبعد كل شىء ، وعلى الرغم من كل شىء . فما هى الوسيلة إلى بلوغ هذا المأرب الجليل !

الأمر على خطورته ، غاية فى اليسر فإن مفتاح كل جنسية من جنسيات الأمم المختلفة الأخرى هو لغتها التي تحوى تاريخ أهلها وتراثهم الأدبى الحافل ، ومزاياهم وشمائلهم النادرة وما إلى ذلك من ضروب الفضائل والأمجاد فليكن أول هدف يفوق إليه المصلحون سهامهم المسددة أن ينشئوا أطفالنا على الفصحى لنؤمن أولا أن السجل قد كتبهم فى دفاتر مولودينا ، ولم يقيدهم فى دفاتر وفياتنا ، فإن الطفل إذا أُنشىء على لغة أجنبية انسلخ عن قوميته ، وإذا أُنشىء على العامية انسلخ عن شعوب الشرق العربية كلها ، وأصبح بمعزل عن أسرته العظيمة المنتشرة فى أقطار تلك الامبراطورية الفكرية العربية الشاسعة . وأن كل تهاون — بالغ ما بلغ من التفه — بهذا المبدأ الأقدس الأسمى هو إساءة وقد كدت أقول « إجرام » فى حق الوطن العربى الخالد .

لقد حدثتنا الأساطير أن مصدر قوة « شمشون الجبار » كانت فى شعره . قالت الأسطورة . فلما قص أعداؤه شعره — بعد أن فطنوا إلى هذا السر — وهن الجبان واستكان . وقد حدثنا

التاريخ الصادق الأمين وقصت علينا حقائق الحياة وعبرها أن شعر شمشون يتمثل فى كل أمة — إذا فحصنا عنه — فى لغتها فإن قص هذا الشعر ، وهذه اللغة ، وهنت الأمة فى أثره وضاع خطرها وتفككت أواصرها الوثيقة .

ومتى أقررنا ذلك ، وجب علينا أن نمهد لهذه الغاية الجليلة وسائلها ونعبد لها طرائقها ونيسر للطفل منهاج العربية واضحاً لا عوج فيه ولا أمتا ، مستعينين على ذلك بكل أساليب التربية الصحيحة ، ومغرياتها الرشيدة على الاتسمح فى إثبات لفظة عامية أوعجمية دخيلة لايقرها اللسان العربى ، ولا توائم أساليب الفصحى، فإن كل خطأ فى ضبط الكلمات التى نقدمها لأطفالنا ، وكل تقصير أو إهمال فى تحرى فصاحتها والتثبت من صحتها جناية على لغتنا أى جناية وتعويق لنهضتنا أى تعويق .

وليضع كل من يتصدى لتعليم الأطفال أو التأليف لهم نصب عينيه ، وصك أذنيه وملء ضميره وجهد حبه للخير أن كل خطأ ينطبع فى أذهانهم وكل وهم أو زلل يعترض سبيلهم إنما هى فى الحقيقة مزالق أو حفر يتردى فيها الطفل الوادع المسكين وليس له من ذنب فى ترديه إلا وثوقه بكفاية معلمه وأمانة أستاذه الذى أبى قصوره أو تقصيره إلا أن يحقق قول أبى العلاء

« ما الناس إلا سالك مسترشد وأخ — على غير الطريق — يدله »

ولن يغفر التاريخ إثم من يتصدى لتعبيد الطرق للمارين إذا عرّضهم للمخاطر والتلف ، ولن تشفع له جهوده المظيمة وحسناته المتوالية فى هذا الجرم الشائن .

أما بعد ، فليأذن لى القارئ متفضلا أن أصرخ — قبل أن أختتم هذه الكلمة — صرخة مدوية منبعثة من الأعماق فى وجه كل من يتصدى لوضع كتب لأطفالنا ممن لا يدينون بهذا المبدأ الأقدس الأسمى ، فيملأها رطانة وركاكة وأغلاطا ويجنى بذلك على نهضتنا عابثا أو جادا ، عامدا أو غير عامد ، أكبر جناية يسجلها تاريخ عزتنا ، ويدونها سجل قوميتنا ، ويقبح جانبها كل غيور على الاصلاح ، ويلعن جارمها كل محب للعرب منتصر للعروبة .

ألا هل بلّغت ، اللهم فاشهد .

كامل كيلانى

وحي الشرق

للأستاذ محمود غنيم



مهدَ الهدى ومثابةَ الأقمار
نورُ البصائرِ أنت والأبصارِ
فيكَ الشرائعُ والشموسُ تلاقتا
فتلاقت الأنوارُ بالأنوار
لله سر فى اختيارِكَ مهبطاً
للوحى يا مُستودعَ الأسرار

لمسوح عيسى فوق أرضك خطرةٌ   وعصا الكليم وبردةِ المختار
وضعت شرائعك السماء وأين من   وضع السماء نتائجُ الأفكار ؟
أبصرت غيرك مستعاراً مجدُهُ   لكن مجدكَ أنت غيرُ معار
مجدٌ بأسباب السماء تعلقت   أسبابُهُ صنعته كف البارى

***

قالوا الحضارة قلت أزهر نبتها   فى الشرق قبل منابت الأشجار
أرض ينابيعُ البيان تفجرت   من جوفها قبل النمير الجارى
سحر الطبيعة والبيان تسابقا   فيها سباق الخيل فى المضمار
تتطامنُ الأيامُ إن مرّت بما   ضمّتْ جوانبها من الآثار

***

هذا أديمُ الله خصّ برسْله   وبيوته القدسيّة الأحجار
فى كل عام للحجيج تمسحٌ   بالقدس أو بالبيت ذى الأستار
الشرق مهوى كل وجه ساجدٍ   لله لا للقوت والدينار
وإذا النفوس عرين من دين ومن   خُلُق فليس لهن أىّ قرار
ليس السلام برائج فى عالم   بارت به الأرواح أىّ بوار
وتقطعت بين السماء وبينه   شتى الصلات تقطع الأوتار
الغرب سار على هدى أطماعه   فتعثرت قدماه أىّ عِثار
أم سرت فى جنح ليل مظلم   قد ضل فيه النجم قبل السارى
تبكى حضارتها بملء جفونها   وتئن تحت جدارها المنهار
قل للأولى ضلوا وضلت فلكهم   فى اليم شرعُ الله خيرُ منار

محمود غنيم

الناحية العلمية من إعجاز القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي



القرآن الكريم حجة الله البالغة على عباده؛ وموضع الحجة القاهرة فيه إعجازه الخلق. وينبغي ألا يكون إدراك إعجازه موقوفا على فصحاء العرب ومن لف لفهم، فإن الإنسانية كلها مخاطبة به، مطالبة بالتسليم له بأنه كلام الله ليس لآدمي فيه كلمة ولا حرف. والانسانية أعجميها أكثر من عربيها، ومع ذلك فلا بد من أن يتضح إعجاز القرآن لكل إنسان، ولو كان أعجمي اللسان، لتلزمه حجة الله إن هو أبى الإسلام.

هذا النوع من النظر والتفكير يؤدى إلى نتيجة لازمة: أن لإعجاز القرآن نواحي غير الناحية البلاغية، وغير ناحية التنبؤات التي كانت في ضمير الغيب حين نزل القرآن، ثم حققها الله فعلا فيما استقبل الناس من زمان.

الواقع أن موضوع إعجاز القرآن لا يزال بكرا برغم كل ما كتب فيه. لكنى لست أريد أن أتناوله في هذا المقال إلا من تلك الناحية التي لا يتوقف تقديرها والتسليم بها على معرفة لغة لا تتيسر معرفتها لكل أحد. هذه الناحية هي الناحية العلمية من الإعجاز

وإذا فهمنا الناحية العلمية على أوسع معانيها فإنها تشمل كل ما عدا الناحية البلاغية من النواحي: تشمل الناحية النفسية وكيف اقتاد القرآن النفس ويقودها طبق قوانين فطرتها؛ وتشمل الناحية التشريعية وكيف نزلت أحكام القرآن طبق قوانين الفطرة للأفراد والجماعات؛ وتشمل الناحية التاريخية التي لم يكن يعلمها البشر عند نزول ما اتصل بها من آيات القرآن ثم كشف عنها التنقيب الأثرى بعد؛ ثم تشمل الناحية الكونية ناحية ما فطر الله عليه غير الإنسان من الكائنات في الأرض، وما فطر عليه الأرض وغير الأرض في الكون.

هذه النواحي هي التي ينبغي أن يشمر المسلمون للكشف عنها وإظهارها للناس في هذا العصر الحديث. ولن يستطيعوا ذلك على وجهه حتى يطلبوا العلوم كلها ليستعينوا بكل علم على تفهم ما اتصل به من آيات القرآن، ويستعينوا بها جميعا على استظهار أسرار آيات القرآن التي اتصلت بالعلوم جميعا. ولا غرابة في أن يتصل القرآن بالعلوم جميعا، فما العلوم إلا نتاج تطلُّب الإنسانية أسرار الفطرة، والقرآن ما هو إلا كتاب الله فاطر الفطرة، فلا غرو أن يتطابق القرآن والفطرة، وتتجاوب كلماتها وكلماته، وإن كانت كلماتها وقائع وسننا، وكلماته عبارات وإشارات تتضح وتنبهم طبق ما تقتضيه حكمة الله في مخاطبة خلقه، ليأخذ منها كل عصر على قدر ما أوتى من العلم والفهم، وكذلك دواليك على مر العصور.

هذا التدرج في إدراك تمام التطابق بين القرآن والفطرة أمر لا مفر منه في الواقع، ثم هو مطابق لحكمة الله سبحانه في جعله الإسلام آخر الأديان، وجعله القرآن معجزة الدهر، أي معجزة خالدة متجددة: يتبين للناس منها على مر الدهور وجه لم يكن تبين، وناحية لم يكن أحد يعرفها أو يحلم بها من قبل، فيكون هذا التجدد في الإعجاز العلمي هو تجديداً للرسالة الإسلامية، كأنما رسول الإسلام قائم في كل عصر يدعو الناس إلى دين الله ويريهم دليلا على صدقه آية جديدة من آيات تطابق ما بين الفطرة وبين القرآن.

هذا النوع من الاعجاز يعجز الإلحاد أن يجد موضعاً للتشكيك فيه إلا أن يتبرأ من العقل. فإن الحقيقة العلمية التي لم تعرفها الإنسانية إلا في القرن التاسع عشر أو العشرين مثلا، والتي ذكرها القرآن، لابد أن تقوم عند كل ذي عقل دليلا محسوسا على أن خالق الحقيقة هو منزل القرآن.

وقبل أن نورد بعض الأمثلة التوضيحية يجب أن ننبه إلى أمرين مهمين: الأول أنه لاينبغي في فهم الآيات الكونية من القرآن الكريم أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة تمنع من حقيقة اللفظ وتحمل على مجازه. إن مخالفة هذه القاعدة الأصلية البسيطة قد أدى إلى كثير من الخطأ في التفسير. وسنرى أن من أعجب عجائب القرآن أن المطابقة بين آياته وآيات الفطرة تكون أتم وأيسر كلما أخذنا بتلك القاعدة في فهم كونيات القرآن. هذا أمر.

أما الأمر الثاني فهو أنه ينبغي ألا نفسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم، لا بالنظريات ولا بالفروض. إن الحقائق هي سبيل التفسير الحق: هي كلمات الله الكونية ينبغي أن يفسر بها نظائرها من كلمات الله القرآنية؛ أما الحدسيات والظنيات فهي عرضة للتصحيح والتعديل إن لم يكن للابطال في أي وقت.

فسبيلها أن تعرض هى على القرآن بالقاعدة السابقة ليتبين مبلغ قربها منه أو بعدها عنه ، وعلى مقدار ما يكون بينها وبينه من اقتراب ، يكون مقدار حظها من الصواب .

فلنأخذ الآن فى تبيين طرف من إعجاز القرآن العلمى عن طريق ضرب بعض الأمثال . وستكون الأمثال فردية لأن الناحية العلمية العامة من الإعجاز قد سبق بيانها فى بعض أعداد الرسالة(1) ، إذ أثبتنا التطابق التام بين العلم الطبيعى الحديث والقرآن من ناحية الموضوع ومن ناحية الطريقة ، وبيّنا أن العلم بموضوعه مأمور به فى القرآن على التحديد ، وأن العلم بطريقته يقره ويؤيده القرآن

لنبدأ من الأمثلة بأول آية — بعد البسملة — فى أول سورة من القرآن . لنبدأ بالآية الكريمة فاتحة أم الكتاب . « الحمد لله رب العالمين » ولندع إعجاز شطرها الأول ، ولنأخذ فى إعجاز شطرها الثانى ، ولنقتصر من ذلك على ما يتمثل من الكلمة الأخيرة منه : كلمة « العالمين » .

لاشك أنها كلمة فاجأت العرب من ناحيتين على الأقل : ناحية الجمع ، وناحية تذكير الجمع . فالعرب لم يكونوا يعرفون إلا عالماً واحدا هو الذى كانوا يعيشون فيه . والناس إلى اليوم لا يتحدثون إلا عن عالم واحد هوهذا الذى نبصر ونحس ونعيش فيه . فقَصْر الحمد على رب العوالم شىء فجأ الناس إذ ذاك ولم يألفه كل الناس إلى اليوم .

والتمس الناس تلك العوالم المتعددة فقالوا هى عوالم الإنس والجن والملائكة ، وقالوا هى عوالم الحيوان والنبات والجماد ، ولكن ليس كل ذلك بموف بمعنى ذلك اللفظ ، لفظ «العالمين» إنه جمعٌ معرف لا جمع منكَّر ، وأنت إذا قلت العالم لم تفهم إلا عالما واحدا هو هذا الشامل لكل ما ترى من أرض وسماء . وإذا أخذنا بحرفية اللفظة فى الفهم طبق قاعدتنا الأولى ، كان عالمنا هذا فرداً من أفراد ، وعالما من عوالم مثله . فأين هذا المعنى فى أى كتاب بأى لسان قبل القرآن ؟

ثم جاء علم الفلك الحديث بمراقبه ومراصده ، وتحليلاته الرياضية وغير الرياضية ، فبين أن المجموعة الشمسية التى نحن فيها ومنها ليست فى هذا العالم المجرّى شيئاً مذكوراً ؛ وبيّن أن هناك عوالم مجرية أخرى مترامية المطارح تعد لا بالمئات ولا بالألوف ولكن بالملايين ؟ .

لكن العلم لم يهتد إلى الآن فى العوالم المجرية الأخرى إلى أرض كأرضنا ، وإن اهتدى إلى أن فى كل عالم مَجَرّى آلافا مؤلفة وملايين من الشموس . وستجد أكثر الناس يقنع من التطابق القرآنى العلمى فى هذا اللفظ الكريم بهذا القدر ؛ لكن حرفية المعنى القرآنى لا تقنع بهذا وتؤدى إلى أكثر من هذا .

إن عالمنا ، وهو العالم الذى نعرف عنه أكثر كثيرا مما نعرف الآن عن إخوته ، فيه أرض تدور حول شمس ، بكل ما فى الأرض وما فى الشمس من أسرار . فحرفية اللفظ القرآنى وحقيقة الجمع القرآنى يقتضيان أن تكون هناك عوالم أخرى فيها أرض تدور حول شمس . أى أنه لا بد حسب حرفية القرآن أن يكون فى ملايين العوالم المجرية الأخرى عوالم ولو قليلة يتحقق فيها ما هو متحقق لنا فى هذا العالم الذى جمعه الله سبحانه فى أول آية من كتابه جمع تذكير ، ليكون فى ذلك إشارة وتنبيه للناس إلى ما فى الكلمة الكريمة من أسرار ليطلبوها فلا يصرفوا أنفسهم عنها بتعليلهم صيغة الجمع بمراعاة الفاصلة ، أو التغليب ، أو ما أشبه ذلك من تعليل .

فما مبلغ ما وصل إليه العلم الحديث فى شأن هذا السر العظيم الذى أشار إليه الخالق سبحانه بكلمة «رب العالمين» ، سر وجود الحياة فى أرض غير أرضنا فى عالم كعالمنا ؟ كل ما وصل إليه من هذا أن وجود الحياة على غير كوكبنا هذا أمر ممكن ، بل أمر راجح . ومن يرد الاستزادة من وجهة العلماء فى هذا الأمر ، فليقرأ فصل : « الحياة فى العوالم الأخرى » من كتاب : « عوالم لا نهاية لها » للفلكى الإنجليزى هـ . سبنسر جونز .

وإذا لم يكن لدى العلم إلا ترجيح ما فهمنا من اللفظ الكريم ، فهل فى كتاب الله ما يؤيد هذا الفهم وهذا التخريج ؟ هل فى القرآن ما يفصل هذا السر المجمل فى لفظ « العالمين » ؟ فإن أوثق ما يفسر به القرآن هو القرآن .

(البقية فى العدد القادم)

محمد أحمد الغمراوى

فى شهيد ميسلون :

وقع اضطراب فى ترتيب هذه القصيدة نصوبه فيما يلى :
جاء بعد البيت الثامن الذى أوله : فى موكب القادين (لا النادين) قوله :
لو قستهم بعدوهم وسلاحه ... والصواب : أن موضع هذا البيت هو بعد البيت الثانى عشر الذى أوله : الرابضين على الحصون .

(1) انظر العددين (١٤٦ ، ١٤٨ من السنة الرابعة)

المجدد المنتظر ...

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى



كان المسلمون فى الماضى كلما حزبهم الأمر ، وبلغ اليأس بهم كل مبلغ ، وجدوا فى خبر المهدى الذى يأتى آخر الزمان ، أو المجدد الذى يبعث على رأس كل مائة سنة ، ما يحيي فيهم ميت الأمل ، ويبعث فيهم الرجاء بعد اليأس .

وهاهم أولاء الآن قد حزبهم الأمر بمالم يحصل مثله فى ما ضيهم ، فأصبحوا من الضعف بحيث طمع فيهم من لا ناصر له وغلب عليهم كل متغلب ، وشمخ عليهم من ضربت عليه الذلة والمسكنة ، فهم فى أشد حاجة إلى من ينهض بهم من هذا الضعف فيصلح ما فسد من أمرهم ، ويجدد ما بلى من أحوالهم ، ويقضى على ذلك الجمود المميت ، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، ويقود جنود الإصلاح إلى النصر ، وينظم صفوفهم فى الحرب القائمة بينهم وبين دعاة الجمود ، حتى ينتظم ما تفرق من صفوفهم ، وترتفع فى الخافقين أصواتهم .

فهل يقوم لهم بذلك ما يرجونه من المهدى المنتظر ، أو من المجدد الذى يبعث إليهم فى رأس كل مائة سنة ؟ والجواب عن ذلك يجرنا إلى النظر فيما مضى من أثر الفكرتين فى المسلمين .

لقد نبتت فكرة المهدى المنتظر بين فرقة الشيعة من المسلمين فانتظروه شخصا من آل بيت النبوة يوافق اسمه اسم النبى صلى الله عليه وسلم ، ويوافق اسم أبيـه اسم أبيه أيضا ، فيـكون إماما معصوما ، ويكون مؤيدا فيما يقوم به من الله تعالى ، ويكون له حكم المسلمين جميعاً ، فيرجعون إليه فى أمور دينهم ودنياهم .

ولا شك أن هذه أمور تغرى النفس كل الإغراء ، وتثير فى كل شخص أن يكون المهدى المنتظر ، لتـكون له تلك القداسة الدينية ، وليـكون له ذلك السلطان على المسلمين ، وكل ما كان من هذا القبيل يدخل فيه الاحتيال ، ويستعان عليه بالتصنع ، وما يدخل فيه الاحتيال لا ينطلى عند كل الناس ، وما يستعان عليه بالتصنع لا يلبث أن يظهر أمره ، فيفترق فيه المسلمون حيث يراد اجتماعهم ، ويكون وسيلة خصام ، لا وسيلة سلام ووئام .

وقد قامت محاولات كثيرة فى ذلك كان الفشل نصيبها كلها ولم يستفد المسلمون منها شيئا ، بل كانت تزيدهم فرقة إلى فرقتهم وكان الخلاف يتسع بها بينهم ، ولم تفدهم محاولة منها ما يطلبونه من إصلاح ، ولم توصلهم إلى ما يريدونه من تجديد .

وكانت أول محاولة فى ذلك من أبى جعفر المنصور ثانى ملوك بنى العباس ، وكان من قبله من بنى العباس قد وضعوا تنبؤات فى ظهور أمرهم ، وفى ظهور المهدى من بينهم ، ومن ذلك ما روى عن ابن عباس — والظاهر أنه موضوع عليه — أن أم الفضل حدثته أنها مرت بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال لها : إنك حامل بغلام ، فإذا ولدت فأتينى به ، فلما ولدته أتت به النبى صلى الله عليه وسلم فأذن فى أذنه اليمنى، وأقام فى أذنه اليسرى، وألبأه[1] من ريقه وسماه عبد الله ، وقال : اذهبى بأبى الخلفاء . فأخبرت العباس — وكان رجلا لباسا — فلبس ثيابه ، ثم أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فلما بصر به قام فقبل بين عينيه ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم . فقال : هو ما أخبرتك ، هو أبو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح ، حتى يكون منهم المهدى ، حتى يكون منهم من يصلى بعيسى ابن مريم .

ومن ذلك ما روى عن ابن عباس عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : اللهم انصر العباس وولد العباس — قالها ثلاثا — ثم قال: ياعم، أما شعرت أن المهدى من ولدك موفقا راضيا مرضيا

وكان أبو جعفر المنصور يسمى عبد الله ، وكان له ابن يسمى محمدا ، فأراد أن يجعل منه المهدى الذى مهدوا لظهوره بهذه التنبؤات ، وكان أبو العباس السفاح قد بايع لأخيه أبى جعفر من بعده ، ثم لابن أخيه عيسى بن موسى من بعد أبى جعفر ، فلما صار الأمر إلى أبى جعفر المنصور عمل على أن يخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ، وأن يضع مكانه ابنه محمدا ، فلقبه المهدى . وأشاع حوله تلك الأحاديث والتنبؤات التى ترمى إلى تقديسه وتعظيمه ، وتشير إلى أنه يقوم بالأمر فيملأ الأرض عدلا، ثم أخذ يرغب الناس فيه ، ويجتهد فى حمل وجوه دولته على الالتفاف حوله

---

(١) أى صب ريقه فى فيه كما يصب اللبأ فى فم الصبى ، وهو أول ما يحلب عند الولادة

فلما تم له ما أراد من ذلك جعله من فعل الله تعالى ، وأنه هو الذى أشرب قلوب الناس مودة المهدى ، وقسم فى صدورهم محبته ، فصاروا لا يذكرون إلا فضله ، ولا ينوهون إلا به ، ولا يجرى على ألسنتهم إلا ذكره ، لمعرفتهم إياه بعلاماته واسمه ، ثم أقدم على الغاية التى أرادها من ذلك ، فأراد أن يخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، ويولى مكانه ابنه المهدى ، تنفيذاً لما أراده الله من ولايته ، لأنه زعم أنه أمر تولاه الله وصنعه ، ولم يكن للعباد فيه أمر ولا قدرة ، ولا مؤامرة ولا مذاكرة .

ولكن عيسى بن موسى لم ينطل عليه شىء من ذلك ، ولم يذعن لهذا الاحتيال الظاهر من عمه أبى جعفر ، ورأى أنه لا مهدى يراد ، وإنما تراد ولاية العهد لا غير ، والباطل يظهر أمره وإن حاول الناس إخفاءه ، والحق لا يأتى بمثل هذا الاحتيال والتصنع ولا يقوم أمره على نقض العهود ، ولا تستبيح دعوته الحنث فى الأيمان

فلم يزل عمه أبو جعفر يأخذه تارة بالقهر ، وتارة بالإغراء ، حتى خضع لما أراد ، وترك ولاية العهد لابن عمه المهدى ، فقام بالأمر بعد أبيه أبى جعفر ، وإذا هو ملك كغيره من الملوك ، لم يملأ الأرض عدلا ، ولم يحقق للمسلمين أملا مما يرجونه من المهدى المنتظر ، بل سار فى الطريق التى سلكها من مضى قبله من ملوك بنى العباس وبنى أمية ، وسلكها من أتى بعده من الملوك ولم يكن ما قام به المنصور من الدعاية له إلا أمانى خادعة ، واحتيالات لما أراده من قيامه بالأمر بعده .

وكذلك كان أمر كل من ادعى أنه المهدى المنتظر قديما وحديثا ، يحاول فى أمره أن يصله بأمر السماء ، ليأخذ الناس بدعوى الولاية ، وادعاء التأييد من الله تعالى ، ويحملهم على ما يريده من إذعانهم له ، حتى يقيم فيهم ملكا له ولأولاده ، أو يجعل له سلطة دينية عليهم ، فلا ينخدع به فى ذلك إلا من تنطلى عليهم خديعته ، ويبقى جمهور المسلمين بعيدا عنه ، لا يؤمن بخداعه ، ولا يرى أن دعوته هى الدعوة التى يرجوها .

لأنهم يرجون إصلاحا لا ملكا ، ويريدون مصلحا لا يبغى لنفسه من الإصلاح شيئا ، ولا يجعله وسيلة لمآرب شخصية ، دنيوية كانت أو دينية ، حتى تكون دعوته خالصة لوجه الإصلاح لا يشوبها شك ، ولا تشوهها ريبة .

ولأنهم يرجون الإصلاح من طريق العلم والاجتهاد ، ويريدون أن يؤمنوا به بالدليل والبرهان ، لا بتلك التنبؤات الموضوعة ، ولا بدعوى الولاية والتأييد من الله تعالى ، لأن الإسلام قد أغلق باب الإقناع بهذه الوسائل بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وفتح باب الاجتهاد والإصلاح ، وجعل وسيلته الإقناع بالدليل ، حتى يؤمن الناس به عن بصيرة ، ويأخذوه عن علم لا عن تقليد ، كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه دينهم ، وكما كان الأصحاب يأخذون دينهم عنه .

ولأنهم يرجون مصلحا ينهض بهم والزمان مقبل ، والدنيا لا يزال فيها أمل ، فيستردون به ما ضاع من مجدهم ، ويعيدون به ما ذهب من عزهم ، ويكون لهم فى ذلك أمل كأفسح ما يكون الأمل ، ويكون لهم فيه رجاء كأقوى ما يكون الرجاء . ويواتيهم فيه الزمان كما واتاهم من قبل .

ولا يرجون مصلحا يأتى لهم فى آخر الزمان ، والدنيا مدبرة والآخرة مقبلة ، فلا يكون أمامهم من فسحة الزمان ما يشيدون فيه كما شيد آباؤهم ، ولا يكون عندهم من بعيد الأمل ما ينهض بهم كما نهض بسلفهم .

وهذا إلى أن أخبار المهدى المنتظر لا يتفق المسلمون على التصديق بها ، بل يذهب كثير من العلماء إلى إنكارها ، ويرون أنها تنبؤات وضعت لأغراض سياسية ، وقد أكمل الله الدين ببعثة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقطع ببعثته حجة السماء على الأرض ، ولم يبق بعده حاجة إلى اتصال بينهما ، كالاتصال الذى تقوم عليه فكرة المهدى المنتظر .

أما فكرة المجدد الذى يبعثه الله فى كل جيل من أجيال المسلمين ، فلا تقوم على ما تقوم عليه فكرة المهدى المنتظر من دعوى الولاية ، وادعاء التأييد من الله تعالى ، ولا يقصد صاحبها ملكا بين الناس ، ولا سلطة دينية ينتفع بها فى دنياه ، ولا يلزم أن يكون شخصاً من آل بيت النبوة ، وإنما هو شخص من عامة المسلمين ، كمل عقله ، ونما علمه ، وعرف الداء والدواء ، وآمن بالتجديد والإصلاح ، فقام يدعو إلى ذلك بالنظر والاجتهاد ، ويؤيده بالدليل والبرهان ، ويضحى فيه بنفسه وماله ، ويستهين فيه بكل ما يلقى من كيد ، وما يصادف من عناء ، ويرجو من ذلك كله أن تظهر دعوته ، وينتصر حقه على باطل غيره ، فترتفع راية الإصلاح ، وتنتشر دعوة التجديد ، ولا يكون له بين المسلمين إلا شرف الجهاد ، وحسن الذكرى .

وتلك كانت غاية الأنبياء والرسل من دعوتهم ، من بعثة نوح عليه السلام ، إلى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول نوح لقومه فى الآية (٧٢) من سورة يونس (فإن توليتم فما سألتكم من

خنازير تدس أنوفها في الإصلاح وضعف المسلمين

للأستاذ عبد المنعم خلاف



خبرت كثيراً من الهيئات الاصلاحية، فوجدت فيها نوعاً من الناس يشترك فى توجيهها مع أنها لم تنشأ إلا لتطهيره هو أو تطهير المجتمع منـه ! فـكيف تأتى لأمثال هؤلاء أن يتسربوا إلى منابع الطهر ومناطق الإصلاح ؟ إنها لا شك غفلة وعبث ومجلبـة للأضرار حيث تلتمس المنافع ، وإنها خدعة لها مابعدها من انتكاس الحال وازدياد الفساد وانعكاس القصد وضياع الجهود هـدراً ، وإنها لفجيعة أن تلتمس لوجهك طهوراً فإذا به نجس !

وأنا أفهم أن الإنسان قد يلبس بعض الشر والضعف الخلقى ويقترفه وهو مؤمن بالفضيلة محب للصلاح والصالحين يدعو الله أن ينفعه وينقذه بهم وأن يمن عليه بسلوكه مسالـكهم ومع ذلك يبتعد عنهم كى لايلوثهم أو يعطلهم أو يؤثر على توجيههم للناس ، ولـكننى لا أفهم أن يقترب منهم ويشترك فى إرشاد الناس معهم مع أنه يعلم رأى الناس فيه وقلة بضاعته فى سوق الهدى والتوجيه .

إن المريض بمرض نفسى ينبغى له ألا يزاول التطبيب فيه ، إلا إذا كان له من الشجاعة ما يجعله يقـدم نفسه دليلا وحجة على فسـاد عكس ما ينصح الناس به ، وما يجعله يضرب نفسه مثلا مجسما أمام الجماهير ، يقول بصدقه وصراحته قولا بليغاً فى نفوسهم ؛ لأنه حينئذ يكون كذلك النوع النادر من الأطباء الذين يقدمون أنفسهم قرابين للعلم وفداء للناس بتعريض أجسامهم للأمراض الفتاكة ليختبروها ثم يخبّروا الناس عن نتائجها .

ولـكنا نجد كثيراً من مرضى النفوس وضعاف الأحلام ، ومثال الأنانية ، لايجدون مجالا لعرض أمراض نفوسهم وضعف أحلامهم وجلوشهرتهم إلا فى جبهات الإصلاح يتطرقون إليها فى جرأة ، ويتدسسون فيها فى خبث واستغلال ، حتى تبدو للناقد الفاحص كأنها جبهات إفساد لا جبهات إصلاح ! !

وإن السماح لهذا التسرب الخطر هو نوع من الصد عن سبيل الله ، لأن الدرهم الزائف يطرد الدرهم الصحيح من السوق ويجعل طابع التعامل هو الغش والخداع ، ويحمل الجماهير على الشك فى صحة الدعوة الإصلاحية ، بل الشك فى جوهر الفضيلة ذاتها ... وهذا أمر فى غاية الخطورة على أمة تلتمس لنفسها السلاح الوحيد لإنقاذها وإنهاضها ، وهو الإيمان بالقيم الخلقية والعقائد التى تثير أعظم ما فى الطبائع البشرية وتوجهها نحو المجد والقوة والفوز

أجر إن أجرىَ إلا على الله وأمرتُ أن أكونَ منَ المسلمينَ)

ويقول هود لقومه فى الآية (٥١) من سورة هود (يا قوم لا أسألـكم عليه أجراً إن أجرىَ إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلونَ)

ويقول الله تعالى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الآية (١٠٤) من سورة يوسف (وما تسألهُم عليه من أجر إن هو إلا ذكرٌ للعالمينَ)

وهذا الإخلاص هو الوسيلة لنجاح الدعوة ، وجمع الـكلمة والثقة بالداعى ، إذ لا مأرب له يشوه دعوته ، ولا غاية له تشكك فى أمره ، وليس كالإخلاص فى نجاح الأمور ، ولهذا عول الدين عليه فيما أتى به من أصول وفروع ، وجعله أساسا لصحتها ، وركنا من الأركان التى تقوم عليها .

وقد آن للمسلمين أن يزيلوا من أدمغتهم فـكرة المهدى المنتظر وأن يطلبوا مجدداً ينهض بهم فى هذا الزمان ، لأنهم لا يجدونه إلا إذا طلبوه ، وشعروا بحاجتهم إليه ، وقد سبقت الإرهاصات وتوالت البشائر ، والأمل قريب بنجاح الطلب ، وظهور ذلك المجدد

ولعل هـذا الأمر هو السر فى أننا نجد كثيراً من تلك الجبهات الإصلاحية لا تلبث أن تنهض حتى تنهـار ، ولا يلبث رجالها أن يتعارفوا حتى يتناكروا ويختلفوا وتظهـر أعراض اختلافهم وتناكرهم على عيون الأشهاد ، وهذا من طبيعة الأشياء إذ كيف يتأتى أن تجتمع الأضداد والمتناقضات من غير احتراب وشقاق ؟ وأى بذرة أو نواة استطاعت قوانين الحياة والنماء أن تخرج منها نخلة أوشجرة فارعة مثمرة إذا كانت عوامل السوس والفساد قد تسربت إليها وهى فى طور النمو الأول ؟ إن الله تعالى يحافظ على مناطق النمـو فى النبات والحيوان ويلففها بأقمطة ولفائف ويقيم حولها حراساً أيقاظاً تدرأ عنهـا عوامل الفساد وتحفظ فيها عوامل الحياة ولا تسمح لسوسة أو نملة أو جرثومة مخربة ضئيـلة أن تتطرق إليها وتزعم أنها من عوامل التـكوين والنمو . تلك هى سنة الله القادر العالم الحفيظ الغيور على ما يصنع حين يكون المصنوع فى دور الضعف دور النشوء ، حتى إذا قوى واشتد وصار قادراً على احتمال الصراع بين عوامل الحياة وعوامل الفناء تركه يبرز قواه الذاتية وأسراره الخفية فى الحرب الأبدية بين الخير والشر . فلما ذا لايصنع محبو الإصلاح المخلصون مايصنع الله ويسترشدون بسننه وقوانينه ؟ أم هم يظنون أنهم قادرون على تبديل سنن الله ما داموا يتكلمون بحذق ومهارة ؟ إن الأمر فى إنشاء جيل على الصلاح ليكون أساساً لأجيال بعده ، أعظم من أن يكتفى فيه بتزاويق الـكلام وتحابيره . إنه يلخص فى أمر واحد . عمل مجسم صامت فى جوانب الحياة لا يعلن عنـه أصحابه وإنما يتحدث عنه غيرهم !

وما ينبغى أن يخدعنا الـكلام بعد أن وعينا عبرة الأيام التى هى عبرة العمل وحده فى الأمم التى تحب العمل ...

لقد وجـدتُ بعض الملحدين الفاسقين يحسنون القول فى الإيمان أكثر من إحسان المؤمنين الصادقين ...

ووجدت بعض المجرمين يجيدون القول فى احترام العدالة والقوانين أكثر من إجادة الطائعين الخاضعين للنظام ...

ووجدت بعض الضعفاء يعظمون القول فى القوة والسلطة أحسن من الأقوياء المسلَّطين ...

ووجدت أعداء الحق والفضيلة والصلاح إذا حملتهم المناسبات على القول فى أضـداد ما يقترفون : أتوا بالقول الساحر والبيان الخالب ، طلباً لتصفيق الجماهير البلهاء ، لا لوجه الله ...

ووجدت الجماهير البلهاء أسرع إليهم وأشد احتفالا بهم من احتفالها بالعاملين الصادقين المحسنين ...

لقد وجدت هذا ... فصرت لا أخدع بالـكلام ... وعلمت لماذا كان العمل هو الأمر الوحيد الذى جعله الله ميزان القلوب ومعيار الحساب ... وعلمت السر فى حديث (محمد) سيد المصلحين المخلصين — صلى الله عليـه وسلم — فى وصف الدجالين الذين يدسّـون أفواههم فى دعوات الإصلاح كما تدس الخنازير أفواهها فى وضوء المتطهرين المسلمين : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق (١) أقتاب (٢) بطنه فيدور كما يدور الحمار بالرَّحَى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان : مالك ! ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ ! فيقول : بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه » .

عبد المنعم خلاف

---

(١)،(٢) تندلق أقتاب بطنه : تسقط أمعاؤه من بطنه . الاندلاق الخروج والأقتاب الأمعاء .

تسبيحة الرمال ...

فى صلاة الصحراء ...

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى



تدفق سلسالا من الوحى صافيا
فغنت به الصحراء ركباً وحاديا
وطوّف يسقى جذبها من روائع
تحدّت حِجاها أحرفا ومعانيا
سقى فُجرَها تقوى وعدوانها هدًى
لك الله من ظمأى تطارد ساقيا!
تدافعُها للموتِ حُمَّى تُديره   على القوم تجنيباً عليه وجانيا
يثورُ بهم طبعٌ لئيمٌ إلى الوغى   ليلقوا منايا صِرنَ فيهم أمانيا
تمرّدتِ الصحراء واربدّ أفقُها
وما حجبَ الأصباحَ كالأفقِ داجيا!
ترحلَ كالسرِ المحجّبِ فى الدجى   وكالهمس بين اثنين حين تناجيا
وكالحلم رفّافاً وكالطّيف عابراً   وكالنفس المجهودِ ينساب خافيا
تسربلَ جنحَ الليل لم يخشَ ضارباً
من الوحش بل يخشى العصاة الضواريا
فندّتْ رمالُ البيد ميمونَ خطوِه
وهبّتْ سوافيها عليه حوانيا
تقبّل فيه الفجرَ أبلجَ رائعاً   ينيرُ النهارَ الحقَّ أروعَ ضاحيا
جلاها من النور السماوى شرعةٌ   أشعتْ فشقّتْ بالضياء اللياليا
طرائفُ لم يبلِ الزمانُ جديدَها   سيبلى جديداه، وتلك كما هيا!
بناها على حقٍ وأرسى بناءها   فبوركَ من مبنًى وبوركَ بانيا
تحدّى بها الباغينَ فاندكّ صرحُهم
وشادَ بها صرحاً على الحقّ عاليا
تجنّوا فقالوا الحربُ، كانت أداته
ولم يكُ إلا للأسنّةِ شاكيا
إذا المنطقُ استعصى على الشرّ هدْيُه
فليس سوى نطق الأسنّة هاديا

وصاحت بهم أوهامهم: إنه فتًى
من السحر، فاق الساحرين الدواهيا
لقد صدقت تلك الأفاعى بكذبها   فما كلُّ سحّارٍ يروضُ الأفاعيا

وماذا عليهم لو يقولون: شاعرٌ   يغنّى بليلاه ويشدو القوافيا
نعم. إنها «ليلى»، وأحمد «قيسها»
وما ضرَّ أن يلقى عذولاً وشانيا
أضاليلُ من حُمقِ الصحارى، كأنها
سراباً، وكالأغصانِ فيها عواريا
مزاعمُ مِن جدبِ الرمالِ، أثابها
إلى الرشد، من روّى الرمالَ الصواديا
تعهدها الراعى بجدواه فارتوت   وأخصبَ واديها وطابَ مجانيا
أفاءت على الدنيا ظلالاً وريفةً   ورفّت على الدنيا قطوفاً دوانيا
وأملت على الأيامِ أكرمَ قصةٍ   سيبقى لها الدهرُ المخاتِلُ راويا
صحائفُ من مجد البطولة لو وعى   لها الشرقُ معنى ما تعثّر وانيا
ولا التأم الجرحُ الذى بات ناغراً   ولا ازدهر الغصنُ الذى بات ذاويا
ولا انبثق الفجر المغلّفُ بالدجى   ولا انبلجَ الصبحُ المنوّرُ زاهيا
مواكبُ أجيالٍ ودنيا رغائبٍ   على يد فاروقٍ سترتدُّ ثانيا

الجامعة الإسلامية بعد الحرب العالمية

للسيد محمد أكرم نعماني
سكرتير جمعية العلماء في الهند

قبل نشوب الحرب العالمية الأخيرة عمدت بريطانيا إلى التفرقة بين دول الشرق الأدنى ، مستخدمة شتى الوسائل لفصل بعضها عن البعض الآخر ، إلى حد جعل المبادئ الاسلامية العظيمة تنهار ، تلك المبادئ التي تدعو ، وتهدف إلى اتحاد جميع الدول الإسلامية .

ثم نشبت الحرب التي أثبتت أنه من المستحيل على الدول الصغرى أن تعيش في عصر بلغت فيه الأسلحة وبالأخص القنبلة الذرية من القوة ما بلغت في هذه الأيام .

وكيف تقف تركيا ، على سبيل المثال ، في وجه الاعتداء الروسي إذا وقع ؟ إن القضاء على أداة الحرب التركية أمر سهل لسبب بسيط هو أن مساحة تركيا محدودة ، فلا يمكنها أن تنقل المصانع الحربية التي يعتمد عليها جيشها إلى حيث يعجز الأعداء عن الوصول إليها ، أما روسيا ، وهي الدولة الكبيرة ، فإن اتساع أراضيها من الأسباب التي جعلت الألمان يعجزون عن مد أيديهم إلى مصانعها الحربية ، لأنها أقيمت على مدى أبعد من أن تصله قاذفات قنابلهم .

إن « حياة » الدول الاسلامية ، وبينها تركيا ، تعتمد قبل كل شيء على استمرار الخلاف بين روسيا وبريطانيا ، وإذا حدث ، بطريقة ما ، أن تم الاتفاق بينهما ، ثم تفرغت الدولتان لتقسيم الدول الاسلامية فيما بينهما ، فلن يكون لهذه الدول من مستقبل إلا أن تقيد إلى الأبد في سلاسل العبودية ، ولن تكون قادرة في يوم من الأيام على تحطيم هذه السلاسل .

وقد يقال إن اتحاد روسيا مع بريطانيا أمر مستحيل ، لأن الاختلاف في مبادئ الدولتين اختلاف جوهري ، ومع ذلك فإن بريطانيا دولة « نهازة للفرص » ولا يمكن الاعتماد على ميول سياستها الخارجية أو « وعودها » لسبب بسيط ، هو أن هذه الميول والاتجاهات عرضة للتغيير إذا اقتضت الحاجة ذلك !

وإذا قررت الدول الاسلامية أن تتحد وتقيم حكومة تشرف على هذا الاتحاد ، فسيعني ذلك « بعث » العالم الاسلامي بطرقه الجوية ، والبحرية ، والبرية ، الممتدة من الشرق إلى الغرب ، عالم يتحكم في سواحل البحر الأبيض المتوسط من مراكش إلى اسطنبول ، عالم يملك البحر الأحمر ، والخليج الفارسي وبحر العرب ويسيطر على آبار البترول العظيمة ، وعلى المواد الخام الأخرى المكنوزة داخل حدوده ، وهي من حقوقه الخاصة . إن مثل هذا العالم ، لو أنشئ ، أصبحت مساحته ۰۰۰ ر ۲٦۰ ر ۲۲ ميل مربع وتمداد سكانه ۰۰۰ ر ٦۷۱ مليون نسمة ، وستكون الحكومة التي تشرف عليه حكومة اتحادية أساسها ثقافة واحدة وفلسفة واحدة ودين واحد .

إن الحاجة شديدة اليوم إلى إقامة مثل هذا الاتحاد بين دول الإسلام ، لكي يتمكن العالم أجمع من الاحتفاظ بسلم دائم .

وإن في إمكان عالم إسلامي متحد أن يحفظ التوازن بين الدول الكبرى ، وبصفة خاصة ، بين روسيا وبريطانيا .

إن سياسة روسيا الخارجية ، في الوقت الحاضر ، هي الاحتفاظ بنفوذها « كدول حاجزة » إذا هاجمتها دول الغرب ، ومع ذلك فهي لا تسمح لهذه الدول بالاحتفاظ بقوة كبيرة قد تستغلها بمساعدة ، أو بدون مساعدة دول أجنبية في تهديد روسيا نفسها ؟ ولا تحب روسيا أن تجد حكومة اتحادية قوية ملاصقة لحدودها الغربية كما أنها ستخاف أن يكون في اتحاد الدول الإسلامية إغراء للجمهوريات التركمانية التابعة للاتحاد السوفيتي على الانضمام إلى هذا الاتحاد ، ومما يذكر أن روسيا تعتمد على هذه الجمهوريات .

ومع هذا فان إقامة هذه الحكومة الاتحادية قد تدفع بروسيا إلى القول بأن الوقت قد حان كي تسلم بريطانيا قناة السويس إلى مصر (التي ستكون قادرة على حراستها) بمقتضى الاتفاقية المبرمة بينهما ، وسيكون هدف روسيا مقصوراً على إخراج قناة السويس من القبضة البريطانية ؛ وهكذا يضعف النفوذ البريطاني في شرق البحر الأبيض المتوسط . ولاشك أن هذا سيكون في صالح روسيا .

وإذا اقتنعت روسيا بذلك فلن تكون قد أوغلت في الخطأ ؛ لأن إقامة حكومة اتحادية إسلامية قوية ستمكن مصر من حراسة قناة السويس .

وهذا ما سيجعل بريطانيا تعارض في إقامة هذا الاتحاد ؛ لأن طرقها الجوية والبحرية والبرية إلى بلدان الامبراطورية في الشرق تمر بالدول الإسلامية ، ولن تحب بريطانيا أبداً أن

تتحد هذه الدول وتحتفظ بقوة تهدد طرق الامبراطورية ، ولهذا السبب لم تف بالوعد الذى بذلته فى الحرب العالمية الأولى ، باقامة حكومة عربية ، وعمدت إلى تمزيق الشرق إلى دول صغيرة .

أما اليوم فان الخطر الروسى قد يلزم بريطانيا الاحتفاظ بعلاقات ودية مع الدول الإسلامية لأنها ترى فى ذلك سلامة طرقها الجوية والبحرية وسلامة امبراطوريتها الهندية ، ومع ذلك فان بريطانيا لن تسمح للدول الإسلامية فى يوم من الأيام ، باقامة حكومة اتحادية تضم شملهم لأن ذلك يضرها أكثر مما يضر أى دولة أخرى

ومن الطبيعى أن واجبنا نحن هو أن نسعى إلى ما فيه مصلحتنا . ولهذا يجب أن نندمج جميعاً فى الحكومة الاتحادية للدول الإسلامية .

وفيما يلى بيان المبادئ الرئيسية التى أقترحها لتشكيل الحكومة الاتحادية التى تضم جميع الدول الإسلامية :

١ — تعلن جميع الحكومات الإسلامية القائمة ، أنها حكومات إقليمية محلية تابعة للاتحاد الإسلامى الدولى .

٢ — تسلم أعمال وزارات الخارجية والحربية والمواصلات إلى مجلس شورى مشترك من جميع البلاد الإسلامية .

٣ — على مجلس الشورى هذا أن ينتخب الرئيس .

٤ — على الرئيس أن يعين وزيراً مسئولا لكل من الوزارات الثلاث التى سبق ذكرها .

٥ — تقسم هذه الوزارات الثلاث إلى تسعة فروع بالصور الآتية:

(ا) وزارة الخارجية . ١ — الشئون الخارجية . ٢ — الوحدة بين المسلمين .

(ب) وزارة الحربية . ٣ — قوات برية . ٤ قوات جوية . ٥ — قوات بحرية . ٦ — دفاع .

(ح) وزارة المواصلات . ٧ — المواصلات والنقل الجوى والبحرى . ٨ — المواصلات والنقل بالطرق والسكك الحديدية . ٩ — المواصلات والنقل بطريق البريد .

٦ — يعهد بكل فرع إلى مندوب عن جميع الولايات (دول فى الوقت الحاضر) .

٧ — تمثل كل ولاية (دولة الآن) بصورة متساوية مع باقى الولايات فى مجلس الشورى .

٨ — يختار كل حزب سياسى من كل ولاية (دولة الآن مندوبيه بنفس النسبة التى يتمتع بها هذا الحزب فى برلمان ولايته .

٩ — تجرى الانتخابات مرة كل ثلاث سنوات .

١٠ — لن يكون للحكومة المركزية الحق فى التدخل فى منطقة نفوذ حكومة الولايات (دول الآن) .

١١ — لن تستعمل الحكومة المركزية أى قوة ، فى صالح ، أو ضد أى ملك مسلم .

١٢ — لا يعلن رئيس الحكومة المركزية الحرب أو الصلح ضد أو مع أى دولة غير إسلامية مستعملا سلطته الخاصة ، فان هذه مسألة تتقرر بأغلبية الأصوات فى جلسة مشتركة بين مجلس الشورى ، ووزراء الحكومة المركزية ، ورؤساء وزارات الولايات الإسلامية (الدول الآن) .

١٣ — الحكومة المركزية هى الحكم فى أى خلاف ينشب بين الولايات الإسلامية .

١٤ — تتطوع كل ولاية بنصيبها من الأيدى العاملة بنسبة تعداد سكانها وعليها أن تتحمل جميع الالتزامات المادية التى يتطلبها جيشها .

١٥ — تتحمل الولايات مرتبات الوزراء الذين يمثلونها فى الحكومة المركزية .

١٦ — تشكل لجنة استشارية للشئون الخارجية من وزراء خارجية جميع الولايات ، وتكون مهمتها مساعدة وزير خارجية الحكومة المركزية .

١٧ — تتحمل كل ولاية مرتبات عضوها فى اللجنة الاستشارية للشئون الخارجية .

١٨ — تشكل لجنة استشارية للشئون الحربية من وزراء حربية جميع الولايات ، وتكون مهمتها مساعدة وزير خارجية الحكومة المركزية .

١٩ — تتحمل كل ولاية مرتبات عضوها فى اللجنة الاستشارية للشئون الحربية .

٢٠ — تغطى باقى أبواب الميزانية من إيراد السكك الحديدية ، والبريد والضرائب الأخرى .

٢١ — جميع الاتفاقيات التى تعقدها الولايات الأعضاء مع دول غير إسلامية تؤيد ويتمسك بها مادامت لا تقف فى طريق تقدم دولة واستقلالها .

محمد أكرم نعمانى

مكتبة مصر بالفجالة :

تقـــدم

نهـــاية الطريق

للأستاذ السيد الدالي

« مجموعة من القصص للأستاذ السيد الدالي . وهي نوعان . قصص رمزية وقصص راقية . وفي الكتاب صفحات مشرقة تدل على أصالة في السبك وسعة في الخيال. أما الأسلوب فترابط الأجزاء في السرد والآراء » .

« آخر ساعة »

تطلب من المكاتب الشهيرة وباعة الصحف والثمن ١٥ قرشاً

مكتبة الآداب بالجماميز :

تقـــدم :

لصاحب العزة الأستاذ الكبير القصصي الشهير

محمود بك تيمور

١ – كليوبترا في خان الخليلي

٢ – شفاه غليظة وقصص أخرى

الثمن ٢٠ للأول و ١٢ للثاني عدا أجرة البريد وتطلب هذه الكتب منها ومن دار التوزيع والطباعة والنشر ٥٣ شارع إبراهيم باشا أمام شبرد .

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت في عربات النوم والاقامة في اللوكاندات

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة لوكاندات الوجه القبلي واللوكاندات الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول ديسمبر سنة ١٩٤٦ لغاية ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٧ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت في عربات النوم والاقامة في اللوكاندات وتشمل هذه التذاكر الاقامة في اللوكاندات يومين وليلة أو ٥ أيام و ٤ ليال أو ٧ أيام و ٦ ليال أو ١٠ أيام و ٩ ليال أو ١٥ يوماً و ١٤ ليلة حسب الأثمان الموضحة بالتعريفة الموجودة بالمحطات وشركة عربات النوم والشركات المعتمدة لصرف هذه التذاكر على أن يكون لحامل التذكرة المشتركة الحق في امتداد مدة إقامته في اللوكاندات ١٥ يوماً و ١٤ ليلة أخرى خلاف المدة السابق ذكرها بنفس الأجور المخفضة بالاتفاق بينه وبين اللوكاندات مباشرة عن هذه المدة الاضافية دون الرجوع إلى شركات السياحة أو المصلحة ولزيادة الايضاح يستعلم من المحطات .

مطبعة الرسالة

العدد ٧٠٦ - الاثنين ١٣ يناير ١٩٤٧ - السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٠٤

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

إعلان بيع

فى يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٤٧ من الساعة ٨ افرنكى صباحاً إلى ما بعدها بسوق السنبلاوين .

سيباع بطريق المزاد العلنى سيارة نقل دوجش سليمة ن ٢٢٨٧٠ مصر صالحه للعمل وعدد ١ سيارة نقل ماركة شفروليه ن ٢٢٥٣٧ نقل مصر صالحه للعمل ملك محمد بك يحيى السيد صاحب سيارات الكرنك بالسنبلاوين السابق توقيع الحجز التنفيذى عليهما بتاريخى ١٩ و ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٤٦ نفاذاً للحكم الصادر من محكمة مصر الابتدائية الوطنية فى القضية ن ٥٢ سنة ٩٤٤ كلى مصر وفاء لمبلغ ١١٠١ جنيهاً و ٥٣٠ مليما قيمة الباقى من المحكوم به والمصاريف بخلاف رسم هذا النشر وما يستجد

وهذا البيع بناء على طلب حضرة الأستاذ محمد أفندى متولى القيم بمصر بشارع دار السلام الخندق سابقا ن ٨ كبرى القبه ومحله المختار السنبلاوين مكتب حضرة الأستاذ عبد الحميد أفندى سعيد المحامى .

فعلى راغب الشراء الحضور للمزايده قانونا .

محكمة السيدة زينب الوطنية

إعلان بيع

أنه فى يوم السبت الموافق ١٨ ثمانية عشر يناير سنة ١٩٤٧ من الساعة الثامنة أفرنجى صباحاً والأيام التالية إذا لزم الحال بالمنزل رقم ٥ شارع الغمراوى بمنيل الروضة قسم السيدة زينب بمصر سيباع بالمزاد العلنى حجرة صالون وهذه المنقولات السابق توقيع الحجز التنفيذى عليها بتاريخ ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٦ نفاذاً للحكم الصادر من محكمة السيدة زينب فى القضية رقم ٢٥٩٩ سنة ١٩٤٦ وهى مملوكة لكل من محمد أفندى سامى وزوجته السيدة نور محمود رضوان القيمان بالجهة المذكوره . ووفاء لمبلغ ١٧٠ جنيه و٦٣٥ مليم قيمة المحكوم به والمصاريف والإتعاب ورسم التنفيذ بخلاف مايستجد من المصاريف ورسم هذا ...

وهذا البيع بناء على طلب الأستاذ رضوان أفندى شلبى القيم بمصر والمتخذ له محلا مختاراً مكتب الأستاذ إبراهيم أباظه المحامى بشارع جامع شركس رقم ٧ قسم عابدين بمصر .

فعلى راغبى الشراء الحضور فى الزمان والمكان بعالية للمزايدة .

محكمة باب الشعرية الوطنية

إعلان بيع عقار نشرة ثانية

فى القضية المدنية رقم ٢٠١ سنة ٩٤٧ مقربه

أنه فى يوم ٢٧ يناير سنة ٩٤٧ من الساعة ٨ أفرنكى صباحاً بسراى المحكمة .

سيباع بطريق المزاد العلنى ٣ ط على الشيوع فى كامل أرض وبناء المنزل رقم ٢٣ بشارع الوسعه قسم باب الشعرية محفظة مصر البالغ مسطحه ٧٥ س ٨٥ متر مربعاً محدود بحدود أربع البحرى ملك محمد العرفان بطول ٥٥ س ٦ متر والشرقى محمد مطاوع بطول ٦٩ س ١ متر والغربى شارع الوسعة وبه الواجهة والباب بطول ٨٢ س ٤ متر والغربى شارع الوسعة ويتكون من خطين منقول من قبلى لبحرى بطول ٩٠ س ٧ متر ثم يميل لجهة الشرق مبحراً بطول ٩٠ س ١٠ متر بناء على طلب سيدة محمود عمر بصفتها وصية على أولادها القصر روحية وزغلول أولاد المرحوم مصطفى عيسى ومحلها المختار بمصر مكتب الأستاذ محمد كمال الحسينى المحامى بناء على الحكم الصادر من محكمة الوايلى الوطنية فى القضية رقم ٢٠٧٦ سنة ٩٣٦ لصالح الطالبة ضد سيدة محمد إبراهيم غزلان وبناء على التنبيه المعلن بتاريخ ٧و٨ أغسطس سنة ٩٤٤ ومسجل بقلم كتاب محكمة مصر الوطنية بتاريخ ١٠ / ٩ / ٩٤٤ تحت رقم ١٢١ سنة ٦٤٤ وفاء لمبلغ ٢٤ جنيه و ٥٦٣ مليم بخلاف المصاريف وأن يكون البيع بثمن أساسى قدره ٣٢ جنيه وعلى من يرسى عليه المزاد يدفع حال انعقاد الجلسة عشر الثمن ومصاريف البيع وأن يقوم فى ظرف عشرة أيام من تاريخ مرسى المزاد بسداد باقى الثمن وإلا يعاد البيع على ذمته ويلزم بالفرق إن نقص وجميع الأوراق والمستندات مودعة بقلم كتاب المحكمة لمن يريد الاطلاع عليها .   كاتب البيوع

إعلان بيع

أنه فى يوم الاثنين ١٧ فبراير سنة ١٩٤٧ من الساعة ٨ صباحاً للمساء بزمام ناحية نعيم مركز بنى سويف وفى نفس اليوم من الساعة ٨ صباحاً للمساء بزمام ناحية بنى سويف بجوار الكوم الأحمر مركز بنى سويف سيباع بالمزاد العلنى قطن مبين أوصافه وقيمته بمحضرى الحجزين المحفظين المؤرخين ١٨ و١٩ أغسطس سنة ١٩٤٦ تنفيذاً للحكم رقم ٣١٨ سنة ١٩٤٦ مدنى كلى بنى سويف ملك الشيخ مسلم حسان على المقاول ببنى سويف وفاء لمبلغ ٥٣٠ جنيه و٣٧٩ مليم بخلاف رسم هذا وما يستجد للسداد .

وهذا البيع كطلب حضرتى مصطفى بك نصرت والست كريمة هانم نامق ناظرى وقف المرحوم حسين بك نامق ببنى سويف

فعلى راغب الشراء الحضور

15me Année No. 706

Lundi — 13 — 1 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٧٠٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٠ صفر سنة ١٣٦٦ — ١٣ يناير سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

إلى إخوتنا في أعالي الوادي

يا أشقاءنا الأعزة في أعالي الوادي! ما بال نفر منكم يريدون أن يقطعوا ما أمر الله به أن يُوصَل؟ نحن وأنتم شعب واحد ما في ذلك غلو ولا تجوُّز. خلقنا الله جميعا من هذا النهر المبارك: من صلصال أرضه ومن سلسال مائه؛ ثم سوَّانا على صور تتشابه في الطباع والملامح، حتى في اللون، فلا يكاد يختلف إلا في الريف لكثرة ما تقلب عليه من أمم الأرض؛ ثم أورثنا هـذا الفردوس الأرضي، وارتضى لنا الإسلام دينا والعربية لغة، فكيف يصح في الدين أو في العقل أو في الطبيعة أن يساعد هذا النفر هذه الحية الحمراء على أن تغويكم بالوقيعة، وتغريكم بالقطيعة، وتمنيكم شجرة الخلد وملك الأبد؟

إن حية الانجليز ليست من طينة السودان ومصر، كما أن حية إبليس لم تكن من طينة حواء وآدم. إنما هي واغلة متطفلة، غايتها الاستئثار بجنات الدنيا، ووسيلتها الاستعانة بالحُوّ[1] الغريرات من صاحبات الهوى وطالبات اللذة. فإذا أصغيتم إلى وسوسة الفجَرة، وأكلتم من ثمار هذه الشجرة، هبطنا جميعا من الجنة بعضنا لبعض عدو، وتنفرد الحية بأعلى الفردوس لتقبض به على أسفله، ثم تأمر المستر رضوان أن يفتح أبوابه الثمانية لعلوج السكسون، وشذاذ اليهود، ومفاليك الروم، وصعاليك الأرمن، ليجعلوا لها من ثرى الوادي ومجاريه وصحاريه ما لا عين رأت ولا أذن وعت.

لقد خدعت الحية هذا النفر بحق تقرير المصير! ومن قبل زعم إبليس أنه يقرر مصير آدم إلى عيش لا يفنى ومُلك لا يبلى، فأصاره إلى هذا الكوكب الشقي المظلم الذي لا بقاء فيه ولا دوام له! وهل معنى تقرير المصير لكم إلا أن تكونوا لجنوب أفريقية وجورج السادس، بعد أن كنتم لشمال القارة وفاروق الأول؟ إن مصيرنا ومصيركم قرره رب السموات والأرض، منذ أجرى الحياة في هذه الصخور الموات، وجعل بين عُدْوتَي هذا الوادي المقدس وحدة بشرية متماسكة لا ترى مجالها الحيوي إلا على ضفافه، ولا تجد قوتها الضروري إلا في شواطئه وأريافه.

إن أولى الناس بحق تقرير المصير أمم الدومنيون، فإن ما بينها من بُعد الشقة وعوامل الفرقة وكمال الانفصال يجعل علاقة بعضها ببعض علاقة (أسطولية) لا يجددها مدد من الطبيعة، ولا يؤيدها سند من الحق. وإن أعجب ما في منطق القوم أن التاج الذي يجمع بين أوتاوا وكَبيرًا، وبين لندن والكاب، وكل مدينة منها في جهة من جهات الدنيا الأربع، ينكر على تاج مثله أن يجمع بين القاهرة والخرطوم وهما بلدان صنوان عربيان يقعان في قطر واحد، ويُسقيان بماء واحد؟!

يا إخواننا في أعالي الوادي! إذا كان رضاع الثدي يؤاخي بين الجيران، ورضاع الكأس يؤاخي بين الندمان، فكيف لا يؤاخي رضاع النيل بين مصر والسودان؟ ليس فينا ولا فيكم من لم يجر في دمائه والحمد لله رحيق أوغندهَ[2]، ولكن فيكم نفراً يجري في عروقهم والعياذ بالله وِسْكي اسكتلندهَ!

احمد حسن الزيات

(١) الحو: جمع حواء. (٢) رحيق أوغنده: ماء النيل

الأمير شكيب أرسلان

وحركة الاصلاح

للأستاذ رفائيل بطى

فقد العرب والمسلمون فى هذه الأيام شخصية متوهجة جبارة من الشخصيات التى عرفها عصر النهضة الحديثة عند العرب ، فقامت بنصيبها من العمل الكبير فى نواحى التحرير السياسى ، أو إيقاظ الرقود ، وبعث الهمم فى النفوس ، أو إبراز عبقرية هذه الأمة فى العلوم والآداب والفنون ، بحيث انبثق من هذه المساعى المشتركة والمتواصلة فجر الانبعاث الذى ينير لنا طريق المستقبل للناطقين بالضاد .

ومما يؤسف له أن هذا الطراز من رجال العلم والعمل قد قل فى العهد الأخير فصرنا كلما فقدنا واحداً منهم لا نجد من يشغل مكانه أو يسد الفراغ الذى أحدثه فقدانه . ولا سيما هؤلاء النوابغ الذين دفعتهم علو همتهم وأسعفتهم مواهبهم فجمعوا إلى التبحر فى اللغة والتمكن من أسرار البيان فحولة فى النظم والنثر ، ومعرفة واسعة بما يتصل بقومهم وعشائرهم ودينهم من تاريخ ، وخبرة بشؤونهم العامة فى السياسة والاجتماع والاقتصاد ، يتوج كل هذه القابليات حماسة فى الكتابة والتأليف ، حبا بأن يشارك القراء الكاتب أو الباحث فى صنوف المعارف التى تفيض بها صدورهم . ولعل فقيد العروبة والإسلام الأمير شكيب أرسلان خير مثال لهذه الطبقة من أعلام اليقظة .

تعددت مجالى النشاط الذى أخذ به أمير البيان لتنوير الأذهان ، وبعث الأمجاد الخالية ، وتوجيه الأفكار نحو طرق النهوض والإصلاح ، فقد عنى فى أول نشأته باللغة والأدب فنشر (الدرة اليتيمة) لابن المقفع من أول عهد شدا فيه الأدب قبل نحو خمسين سنة . ثم عالج الشعر فنظم فى أبوابه المنوعة وجرت له مساجلات ومراجعات فى القصيد مع بعض شعراء جيله ، منهم محمود سامى باشا البارودى ، الذى انعقد له لواء الزعامة فى تجديد ديباجة الشعر العربى البليغ بعد أن أخلقت وعفى عليها الزمن بالركاكة والغثاثة . ومع أن الأمير لم يتفرغ للنظم لتوزع قريحته فى أمور ومسائل متعددة بحيث كان مصليا فى حلبة الشعر ، فإن ما خلفه من القصائد الحسان يعبر عن سليقة خصبة ، وطبع سليم مؤات لجيد المنظوم .

واستحكام أواصر المودة بين أمير البيان وأمير الشعراء ، مما سجله قلم الكاتب العظيم فى كتابه : (شوق أو صداقة أربعين عاما) يدل على تجاوب روحى بين هذين العلمين النيرين .

ولما اشتد ساعد شكيب ونضج فكره ، دفعه حب الاستطلاع وروح الغيرة المتقد فى ذهنه ، إلى الاتصال بالصفوة المختارة من رواد النهضة والإصلاح ، ولا سيما السيد جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده ، والشيخ طاهر الجزائرى ، فاقتبس من أنوارهم ، وثقف من مبتكراتهم ، وتطلع إلى سعة آفاقهم ، ما أنشأه هذه النشأة الحافلة فظل حياته مهموما بدراسة علل تأخر العرب والمسلمين ، وسر تقدمهم فى العُصُر الخوالى ، ووسائل إنهاضهم من كبوتهم . وكم جرى قلمه بمقالات وبحوث ، ووعت تواليفه من آراء ، وخطط تجرى فى هذه المسالك الرشيدة ، والمتابع لسيرة الرجل يجد أنه لم يقصر همه على الكتابة والتأليف فى السعى مع الساعين لخلق النهضة الجديدة ، إنما خاض غمار مداولات مع رجال الدول والممالك ، واتصل بهيئات وجماعات مختلفة الأجناس والمنازع جريا وراء هذا الهدف القومى السامى .

وقد كان الأمير حريصاً على المكاتبة طويل النفس فى المراسلة يمده روحه الحائر العالق بأهداب المجد ، بالجلد والمواظبة على هذا الجهد ، فلا يقف عند الكتابة ، والتصنيف فى الموضوعات التى يهواها .

وأمر واحد لم يشتهر به شكيب أرسلان هو الخطابة ، فلم يؤثر عنه مواقف خطابية ذات خطر ، ولعل لانقضاء أمد طويل عليه يطوف فى البلدان ، ويتنقل فى المهاجر ، حاملا رسالة البعث العربى الإسلامى وفى قلبه إيمان راسخ ، وفى يده قلم عسال ، مما احتسبهما لخدمة بنى أمه خدمة نصوحاً ، جعله أن يبقى بعيداً عن المنابر .

والميزة التى اشتهر بها الفقيد الجليل وستخلد آثاره على وجه الزمن هذه الإحاطة المدهشة بأحوال العرب وشؤون المسلمين

تحت كل كوكب ، ومن شواهد هذه الخصيصة تعليقاته على كتاب : (حاضر العالم الإسلامى) لستو دارد الأمريكى ، فإن حواشيه وشروحه والفوائد التى علقها على متن مترجمه الأستاذ عجاج نويهض للكتاب تستوعب مجلدين كبيرين من كتب اليوم وفيها من صفة ديار العرب والمسلمين وأوضاع أهليها ما قلما تعثر عليه فى مظنة أخرى . وفى هذا السفر صفحات لامعة كتبها علامتنا فى الترجمة لجماعة من زعماء الشرق عرفهم وخبرهم بنفسه ما يكشف عن مغاليق حياتهم ويوجد مفتاح شخصيتهم ، كما شحن الكتاب بذكريات له عن أطوار فى سياسة الشرقيين ، ووثبات التحرر والانعتاق فى ربوعهم .

ومما ألح فى هوايته فى سنيه الأخيرة وقد ساقه إليه شغفه بحب قوميته وإعجابه بحضارة أمته فى الأعوام المطوية (تاريخ الأندلس) بعد أن خلبت لبه آثارها الباقية فى بلاد المجد المفقود عندما وقف على مشاهدها فانصرف إلى تأليف كتابه النفيس : (الحلل السندسية) الذى طبع منه بضعة أجزاء ولما يتمه .

وشاء أن يسجل رحلته إلى البلاد المقدسة فى رسالة ممتعة هى (الارتسامات اللطاف). وحفزه وفاؤه لإخوانه وبره بأصدقائه إلى وضع كتاب : (السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين عاما) . تقف فى تضاعيفه على مراحل فكرة الجامعة الإسلامية والثورة العربية ، وكثير من مناورات دول أوربا وألاعيب الإستعمار فى هذه الرقعة من الشرق .

إن مخلفات الأمير شكيب وتصانيفه الخالدة كثيرة ، لا تستوعبها هذه الكلمة ، فحسبى أننى أشرت إلى بعضها ، وعندى أن من واجب أصحاب المروءة ، وأعوان الفضل ، والمقدرين للرجال أن تتألف منهم جماعة (لتخليد ذكرى أمير البيان) وأول عمل تتوجه إليه ، لإشادة بناء هذا التخليد البحث عن كتاباته ودراساته ورسائله التى لما تطبع ، فتطبعها فى كتب يتيسر اقتناؤها إحياء لذكراه ، وإتماماً لرسالته وتعزيزاً للفكرة العليا التى اهتدى بها الراحل الهمام فى جهاده .

ومن رسائله الطريفة التى تحمل فكرته الإصلاحية ما نشر بعنوان (لماذا تأخر المسلمون ؟ ولماذا تقدم غيرهم ؟) وهى فصول كتبها المصلح الإسلامى جواباً على اقتراح من الشيخ محمد بسيونى عمران إمام مهراجا جزيرة سمبس برنيو (جاوه) ، بأن يكتب لمجلة (المنار) فى أسباب ضعف المسلمين فى هذا العصر وأسباب قوة الإفرنج واليابان وعزتهم بالملك والسيادة والقوة والثروة ، فكتب شكيب رأيه ، وطبع فى كتاب مرتين بعد أن أذاعته المجلة الشهيرة .

يعتقد الأمير الكاتب فى بحثه التحليلى هذا أن عز المسلمين قام أول الأمر بالتمسك بأهداب الإسلام الصحيح ، والاهتداء بهدى القرآن الكريم ، فلما فقد العرب والمسلمون هذه الحماسة وانحرفوا عن التعاليم القويمة ضعفوا وهانوا ، فلم يبق لهم اليوم سخاء الإفرنج فى المشروعات العامة ، والفاداة فى الذود عن حياضهم ببذل الدم والمال ، وإن من أول أسباب تقهقرهم فى العصور المتأخرة فقدانهم كل ثقة بأنفسهم رغماً عن مقدرتهم على العمل ، واستشهد على هذه القدرة على العمل بمشروعى إنشاء خط الحجاز الحديدى ونبوغ طلعت حرب باشا فى تشييد بنك مصر والأخذ بمصانعه ومعامله الناجحة .

والسيد الارسلانى يؤمن بأن العلم كفيل ببعث الأمة ، العلم القائم على ركنين : العلم الطبيعى وعلم الدين . ومحصل نظريته فى نهضة الشرق العربى والأمم الإسلامية ، أن الأمة لا يتم لها النهوض والغلبة إلا بالتضحية أو الجهاد بالمال والنفس ، فإذا تعلمت هذا العلم وعملت به دانت لها سائر العلوم والمعارف ، وإن المضطلعين بالإصلاح غير محتاجين إلى أن يكونوا من كبار رجال العلوم والفنون بل يكفى إذا أوتوا العقل السليم والإرادة النافذة ، والتوجه نحو الأعمال ، لا الاكتفاء بالتمنى والآمال .

وبين ثنايا الكتاب لشواهد وفرائد عن أحوال الناطقين بالضاد وأتباع محمد بالقياس إلى أمم أوربا الناهضة ما يقنع القارىء ويورى زناد الفكر عند من يطلع فيدرك فيتأثر .

وفق الله الأمة ، لتعمل بإرشاد رجالها المصلحين ، فتفوز وتسعد .

رفائيل بطى

يا ليـــل . . . !

للأستاذ الأسدى محمد خير الله

[بحث طريف قيم فى أصل هذه الكلمة وتطورها ، تفضل به علي « الرسالة » الأستاذ الأسدى أديب حلب ونحويها ، وهو يزور مصر الآن فى مهمة ثقافية ، فعلى الرحب والسعة] .

ياليل ! وكم أرسلت حناجر الشداة ترنم ياليل ! فهل للتحقيق اللغوى أن يتولاها بحفل من الدراسة ؟ سنحاول ذلك . سنبسط فى البداءة مذاهب معاصرينا الدائرة حولها ثم نمضى فى مناقشتها . حتى إذا دحضتها مقاييس التحقيق أفضى بنا البحث إلى الإدلاء بمذهبنا

المذهب الأول :

حدثنا ضيفنا الأستاذ رجب المصرى أن صديقنا الأستاذ خليل مردم بك يذهب إلى أن أصلها « ياليلى » بفتح اللام . من أعلام النساء ، كان يتغنى به العرب . فلما طرقت ديار الفرس التبست عليهم صورتها . فصحفوها إلى « ياليلى » بكسر اللام ، وجرى الناس على غرارهم .

وإذا جارينا نحن هذا المذهب كان علينا أن نقول : إن « ياليل » المرسلة المطلقة من الإضافة إلى ياء المتكلم إنما هى من مرخم ليلى ، كما فى قول الفرزدق :[1]

متى ما بت عانيك يا ليل تعلمى

المناقشة :

١ — يفضى هذا المذهب إلى أن العرب نادوا ليلى صحيحاً ، ثم حرفه الفرس ، ثم استعاده العرب منهم محرفاً ، فهجروا لفظهم الصحيح ، واستعملوا لفظ غيرهم المحرف ، وهو ما يستبعد .

٢ — إن الغناء ألصق بحاسة السمع منه بحاسة البصر . فالأذن وهى السبيل الأوحد لدرك النغم — ليس لها بعد أن تتلقف من اهتزازات الهواء « ليلى » أن تأذن للفم أن يعيدها مكسورة اللام استجابة لما قد تتوهمه العين .

٣ — أقام الأصبهانى والنويرى وغيرهما معارض واسعة الأبهاء لما كان يتغنى به الأقدمون ، لم يسجل خلالها أن العرب تغنوا بليلى ، ولو أن اسمها تداخل الشعر كثيراً ، وبصورة أدق لم يكن « يا ليلى » لازمة غنائية تردد .

٤ — لم يقم بين يدى هـذا المذهب حجة ما تدعمه ، أو تحملنا — على الأقل — على الاستئناس به

٥ — سألنا من عرفناه ممن يحسن الفارسية : هل هناك أثارة من يا ليلى فى الغناء الفارسى ؟ فنفى

المذهب الثانى :

جاء فى مجلة المجمع الملكى[1] ، من مقالة لصديقنا الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف : ومن القبطية . . . وقولهم فى الغناء « ياليلى » بمعنى ياطربى

المناقشة :

١ — انفردت العربية . دون اخواتها السامية باستعمال « يا للنداء » ، فما ظنك فى أن تشركها لغة حامية .

٢ — فى الهيرغليفية « ا » أو « ها » علامتان للمنادى ، والقبطية جذرها الهيرغليفية إلا ما استمدته من اليونانية .

٣ — ازدهرت القبطية فى القرن الثالث للميلاد ، وظلت هى اللغة الرسمية ، حتى أبطلها الوليد بن عبد الملك ، واستبدل بها العربية ، ثم جاء الحاكم بأمر الله الفاطمى فأمر بابطالها بالمرة ، وعاقب من يتكلم بها[2] ، وفى خلال كل هذا العهد لم يسجل تاريخ الغناء ولا غيره « ياليلى » .

٤ — تعد القبطية أقل الموارد التى رفدت العربية ، فقصارى ما استمدته منها كلمات لا تعدو العقدين انفرد الاستاذ المعلوف بعد « ياليلى » منها

٥ — لعل ما أغرى الأستاذ بمذهبه هذا كون القبطية كالعربية من حيث أن المضاف يتقدم المضاف اليه — لا بعده — ثم من حيث أن ضمير التكلم المتصل هو الياء .

المذهب الثالث :

هو مذهب الجمهور القائل : أن « ياليل » إنما هو على حده ، أعنى أنه مناجاة لدنيا الظلام ، لما أنه يسدل أستاره على المتحابين ، فهو بهذا جدير أن يرعاه الشعر والغناء . كما فى الخانة الثانية من

(١) ديوان الفرزدق ، مط الصاوى ص ٢٥٨

(١) ج ٤ ص ٣١٠

(٢) مقدمة اللغة المصرية لأطون زكرى ص ٦٥ ، ١٢٠ ، ١٢٢ .

توشيح اما ومن بالجمال أنعم :

يالليـــل إن الحبيب وافى فشد يا ليـــل دهم خيلك

وانهض ورد الصباح عنا دخلت ياليل تحت ذيلك

وكقول إبن خفاجة :

ياليل وجد بنجد أما لطيفك مسرى ؟

وقول سعيد بن حميد :

ياليـــل بل يا أبد أنائم عنك غــد ؟

يا ليــل لو تلقى الذى ألقى بها أو تجد (١)

وعلى هذا المذهب جرى الأستاذ شلفون (٢) ، مرددا قول شوقى فى عبده الحمولى :

يسمع الليل منه فى الفجر يا ليـ ـل فيصغى مستمهلا فى قراره

كما جرى عليه مؤتمر الموسيقى (٣) ، قال : الغناء بكلمة يا ليل هو نداء الليل بألحان شجية مع مراعاة المقامات ، وقد يكون هذا موزونا بميزان يسمى البمب أو الوحدة المتوسطة أو أوزان أخرى مثل السماعى الدارج والأقصاق والسماعى الثقيل .

المناقشة :

١ — لاشك أن النفس تأنس بمذهب الجمهور هذا ، لما أن اللفظ جاء على حده فلا يحاد عنه إلا بدليل ، لكن هذه الظاهرة ظاهرة اللفظ جاء على حده دحضها جمهرة من الألفاظ تولاها الباحثون ، دون أن تفرهم هذه الظاهرة ، وما عهد قراء مقالتنا : « حلب » ببعيد .

٢ — إن الكثير بل الأكثر الأعم من الغناء ، لا مساس له بالليل .

٣ — قد تجيء « يا ليلى » مردفة بقولهم : يا عينى وياسيدى الأمر الذى يرجح أنها نداء الإنسان .

٤ — ليس فى الأدب العربى كله قصيدة افتتحت بيا ليل وتداولتها الألسن مثل قصيدة « يا ليل الصب متى غده » ادعاها الكثير ، وعارضها الأكثر ، وحفظها على توالى العصور مئات الألوف من شداة الشعر ، فما كان يقعد هؤلاء المعجبين بها المغالين بالإطراء عليها ، أن يشيدوا بأنها طبعت الغناء بطابع مطلعها ، لو كان ذلك صحيحا ؟ إن شيئا من هذا لم يكن .

(١) مجلة روضة البلابل العدد ٤ سنة ٩٢٢

(٢) ص ١٦٤ .

(٣) نهاية الأرب للنويرى ج ١ ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

المذهب الرابع :

يقول الصديق الطبيب فؤاد رجائى فى رده على موجز مقالنا هذا وقد نشرناه فى مجلة الضاد : ص ١٥ عدد كانون ٢ وشباط سنة ١٩٤٥ ، كما نشر رده فى المجلة نفسها عدد تموز وآب سنة ١٩٤٥ :

« ولا بد لى قبل تفنيد الشق الثانى من مذهبكم أن أذكر لكم مذهبا خامسا كنت قد قرأته منذ زمن بعيد ، ونسيت أين قرأته ، وهو يقول : « وكان فى الأندلس واد يسمى وادى الليل ، لأن أشجاره الملتفة كانت تحجب ضوء الشمس ، فيخال الجالس فى ظلها النهار ليلا ، وكان مجمع السمار والأهلين . وحين انقرضت الدولة الأموية فى الأندلس ، وهجر البلاد أهلها بقيت ذكراه عالقة فى الأذهان ، فجعل المغنون يرددون اسمه تخليدا لذكراه » .

ثم قال : « وسيكون دحض هذا المذهب حين نبرهن أن لفظ « يا ليلى » لم يظهر فى عالم الغناء ، إلا بعد انقراض الدولة الأندلسية بعصور عديدة ، وليس من المعقول بعث هذه الذكرى بعد عصور عديدة قضتها فى دياجير العدم » .

المناقشة :

رأيت أن الصديق الأستاذ ، أورد هذا المذهب على طريقة تسجيله صحيحا كان أو خطأ ، ثم رأيت أنه دحضه ، وله ملء الحق فى دحضه لشيء مما علق عليه ولما نورده فيما يلى :

١ — ذهبنا نبحث فى كتب الجغرافية القديمة عن وادى ليل فلم نجد له ذكرا ؛ والأسفار التى روجعت هى المسالك والممالك لابن خرداذبة ط ليدن ، أحسن التقاسيم للمقدسى ط ليدن ، الأعلاق النفيسة لابن رستة ط ليدن ، مسالك الممالك للاصطخرى ط ليدن ، المسالك والممالك لابن حوقل ط ليدن .

على أن معجم البلدان لياقوت يذكر فى الواو : والوادى : بالأندلس من أعمال بطليوس .

٢ — ذهبنا أيضا نبحث فى تاريخ الأندلس ، فلم نعثر على ذكر له . وكانت مراجعنا : الصلة لابن بشكوال ط مجريط ، تكملة الصلة لابن الأبار ط مجريط ، بغية الملتمس للضبى ط مجريط ، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ط مجريط ، المعجم فى أصحاب القاضى الصدفى ط مجريط ، المغرب فى حلى المغرب ط

ليدن ، المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب للبكرى ط الجزائر ، نفح الطيب المقرى ط الأزهرية .

٣ — ذاع استعمال يا ليل وما تفرع عنها فى الموشحات الأندلسية — كما سيأتى — ، فالقول بأنها استعملت بعد الجلاء تخليدا للذكرى لا يرد .

٤ — تحقيقنا الآتى يثبت أنها من أصل « يا مواليا » .

المذهب الخامس :

مذهب الصديق الطبيب فؤاد رجائى الرامى إلى أن فى الفارسية ألفاظا تعبر عن شعور الوداد ، وهى : جانم عمرم ميرم أفندم ياللا ياللان يا للان . وأن يا للا وما تفرع عنها هى مصدر يا ليل ، نقلها زرياب إلى الأندلس ، فيما نقل ، أيام الحكم بن هشام ، فتداخلت الموشحات لتتلافى نقص الموازين الشعرية عن الموازين الموسيقية ، وفى هذا إخضاع الشعر للموسيقا ، بعد أن كانت الموسيقا هى الخاضعة للشعر .

استعملت هذه الألفاظ إذن لتملأ الفراغ الذى يقتضيه النغم فاملأت « جانم » فراغ تن تن ، و « أفندم » فراغ تنن تن ، ويا للا فراغ تن تتن وهكذا ، لذا أسموها ترنم : « ترل » .

ثم دخلتها ياء المتكلم العربية ، فكانت مع شىء من التحريف يا ليلى ، حدث هذا فى عهد الفاطميين ، أو ملوك الطوائف بدليل أن الموشحات التى هى فى حوزة الأستاذ الشيخ على الدرويش خالية من « يا ليلى » لكنها تظهر فجأة فى موشح : « أحن شوقا » ، وهو من تأليف عبد القادر المراغى وتلحينه ، وكان نديم السلطان حسين بن الشيخ أويس التركستانى وتوفى سنة ٨١٨ هـ كما يقول رؤوف بكتابك[1] ، فظهور هذه الياء حدث إذن بعد انقراض الدولة العربية فى الأندلس .

ثم تقلص ظل عمرم ميرم أفندم يا للا ، وحل محلها يا للى ، وياعينى وياسيدى .

المناقشة :

١ — لم تتداخل ألفاظ الترنم الغناء الفارسى ، فيصار إلى نقلها إلى الغناء العربى .

٢ — كل ألفاظ الترنم ذات دلالة فى الفارسية إلا يا للا وما تفرع عنها ، فإن اللغة الفارسية خالية منها .

(١) أساتيذ ألحان ص ١٤ .

٣ — لو حكمنا بزيادة « يا » ، كان فى الفارسية « لالا » ومدلولها : العبد والمربى ، وإنما كان من مدلولها المربى ، لأنه يكون غالبا من العبيد — كما ينص أحمد عاصم[1] — فنداء العبد والترنم بذكره ليس من موضوع الغناء .

٤ — تند « لالا » عن رفيقاتها المعبرة عن شعور الوداد .

٥ — لم يسجل فى ترجمة زرياب الحافلة أنه أدخل هذه الألفاظ إلى الغناء العربى .

٦ — العرب أكثر الأمم عناية بلغتهم ، فهل يعد السكوت عن تسجيل هذه الألفاظ إلى العربية مما يتناسب مع العناية ؟

٧ — لم يكن لألفاظ الترنم ظل فى الغناء العربى فيتقلص اللهم إلا نحو « جانم » مما استمد حديثا من الأتراك .

هذا وإن كنا على غير ما يذهب إليه الأستاذ فى صدد « يا ليل » ، فإننا نسجل له على مقالنا هذا أنه خير من بحث فى الموضوع ، فكان رده على مقالنا هذا سببا فى ازدياد أواصر الصداقة ، ذلك لأن الهدف إنما هو العلم والعلم وحده .

الأسدى محمد خير الله (يتبع)

(١) ترجمة البرهان القاطع المسمى تبيان نافع ط مصر مادة « لالا » .

داود باشـــا
ونهضة العراق الأدبية
في القرن التاسع عشر

للمرحوم الأستاذ رزوق عيسى

تذهب طائفة كبيرة من الأدباء والكتاب إلى أن العراق لم يكن له نهضة أدبية علمية في القرن التاسع عشر كما كان في ديار مصر وسورية ، وهذه فكرة خاطئة لأن تباشير تلك النهضة المباركة كانت بادية في حواضر العراق كبغداد والموصل والبصرة والحلة وكربلاء والنجف . غير أن الأدباء الذين دونوا كتباً ورسائل عن النهضة العربية في ذلك الزمن أغفلوا ذكر العراق وما كان عليه من النهوض في العلم والأدب والاجتماع . ومصداقاً لقولنا أن الأستاذ أنيس زكريا النصولي لما وضع كتابه « أسباب النهضة العربية » الذي نشره عام ١٩٢٦ لم يشرك القطر العراقي في تأليفه بصحيفة واحدة .

إن ما يؤاخذ به واضع ذلك السفر أنه لم يكتب كلمة واحدة تشير إلى ما كان عليه العراق في أوائل القرن التاسع عشر من النهضة الأدبية والعمرانية مع أن عنوان الكتاب : « أسباب النهضة العربية » ، وقد اقتصر المؤلف على ذكر أسباب النهضة في القطرين السوري والمصري .

لقد استاء فريق من أدباء العراق وامتعض بعضهم وعدوا ذلك الإهمال والسكوت التام إهانة كبيرة لإقليم عربي كانت تباشير تلك النهضة بادية في معظم حواضره ومدنه ، وقد انتقد المؤلف الأستاذ سليم أفندي حسون محرر جريدة (العالم العربي) والأب أنستاس الكرملي في مجلته لغة العرب .

وفي نظري أن صاحب الكتاب المشار إليه لم يكتب صحيفة واحدة عن أسباب تلك النهضة في ديار العراق لسببين ، إما لجهله ما كانت عليه بلادنا من النشور الأدبي والعلمي أو لتجاهله ، فإن كان الأول فهو معذور ، وإن كان الثاني فلا يعذر إذ قد سكت عمداً عن قطر عربي أنجب طائفة كبيرة من العلماء والأدباء والشعراء والمصلحين والمجددين .

وعلى ذلك رأيت أن الواجب يحتم على كعراقي يهمه سمعة بلاده أن أدون بضع مقالات تتناول تلك النهضة في فجرها ، ولكن يليق بي قبل الخوض في هذا الموضوع أن أنشر ترجمة داود باشا والي بغداد في القرن المنصرم المعدود من أكبر أركان النهضة الحديثة في العراق .

ولد داود باشا عام ١٧٧٤م في تفليس قاعدة ديار الكرج ، وكان مملوكا نصرانياً اشتراه أحد النخاسين وجاء به إلى بغداد وعمره لم يتجاوز يومئذ الحادية عشرة ليهديه إلى أحد أمرائها ، فاشتراه منه مصطفى بك الربيعي وباعه لسليمان باشا الكبير والي الزوراء منذ سنة ١١٩٣ — ١٢١٧هـ ، ١٧٧٩ — ١٨٠٢م ، وقد ظهرت على محياه مخايل الذكاء وشمائل الفطنة ، فلقنه العلم والأدب وأصول الديانة الإسلامية واعتنى بأمره أشد الاعتناء ، فشب داود محباً للعلوم والمعارف مغرماً بالفقه والشريعة شهماً فاضلا صادق اللهجة والعمل . وصفوة القول بذل سيده غاية جهده في تثقيفه وتهذيبه ، ليكون له في شيخوخته ركناً مكيناً ومعواناً صادقاً إذا تفاقمت عليه الخطوب والرزايا ، وقد تمتع في حياته بفرس يمينه إذ رآه نابغة عصره فكان كاتباً نحريراً ، وسياسياً محنكاً ، وقائداً مدرباً ، وبطلاً مغواراً ، ذا مقدرة عظيمة في فك المعضلات وحل المشاكل العويصة وأفاد الزوراء فوائد جمة حينما تولى إدارتها كما ستراه فيما يلي :

بعد أن تضلع داود من آداب اللغة العربية أخذ يتردد على أدبائها الكبار ويناظرهم في المسائل المبهمة ، وكان أيضاً يناضل علماء الدين فيما وراء الطبيعة والقضاء والقدر والثواب والعقاب والخلود والحشر ونحوها من المسائل التي أرتجت عليه أبوابها ، وهكذا صرف شطراً من حياته ، ملازماً للعلماء الأعلام منزوياً للمطالعة ، وقد أتيح له أن يقرأ بعض المسائل الفقهية العويصة على يد السيد زين العابدين جمل الليل .

كان مجلس المترجم حافلا بوجوه الأدباء والشعراء ومشاهير الكتاب ، فكان يطارح هذا ويناقش ذاك ، وينظم القصائد ويذكي شعلة المنافسة والمباراة بين شعراء قطره ، ويحث الأدباء

على التأليف والتصنيف ويجزل العطاء لمن يفوق أخدانه حتى قيل إنه لم يقو على مفارقة الأصحاب ساعة واحدة ، وكان يصحب معه فريقا من خواصه فى رحلاته ، يجلس وإياهم فى وقت فراغه ، ويتناول المباحث على أنواعها من سياسية وإدارية وأدبية ، وقد اشتهر عند الخاص والعام بحب العلم والعلماء ، حتى لقب بعالم الوزراء ووزير العلماء ، وكانت ترد عليه القصائد الرنانة والرسائل البليغة فى مدحه والثناء على أعماله المجيدة ، وقد أناط بعهدة جماعة من أدباء بغداد أن يضعوا الكتب الأدبية والعلمية للقطر العراق فامتثلوا أمره ومنهم من جمع ديوانه وقد فقد ، وله غير آثار أدبية وكان عالماً شاعراً وإدارياً محنكا وقائداً مدرباً .

جلس داود باشا على منصة ولاية بغداد فى ٥ ربيع الآخر سنة ١٢٣٢ هـ — ٢٢ شباط ١٨١٧ م ، فقرت به العيون ، ووفد عليه العلماء والشعراء من كل فج عميق يهنئونه ببلوغ المراد ، وما كاد يجلس على منصة الحكم حتى أجرى إصلاحات عديدة ، منها إصلاح طريقة تعليم العربية . وقد رُوى أنه أراد أن يتقن العربية ويتفنن بأساليبها ، ويقف على شواردها ونوادرها ، فأحضر أحد لغويها الفطاحل فى عصره وطفق يتلقن عنه آدابها مدة . ففى أحد الأيام بينما كان أستاذه يقرأ عليه نبذة من علم النحو ويفسر له قواعده وشوارده بأمثلة قديمة مستطرفة سئم تلك الأمثلة البالية كضرب زيد عمراً وقتل خالد بكراً ، وخطر له إذ ذاك أن يسأل شيخه على سبيل الداعبة عن الجناية التى جناها عمرو ليستحق أن يضربه زيد كل يوم ، وينكل به هذا التنكيل الشديد مع أنه ربما لم يأت أمراً فريا . وهل كان عمرو جباناً أو رجلا ساقط الهمة ذليل النفس إلى هذه الدرجة حتى أنه يغض الطرف عن الإهانة الملحقة به فى كل لحظة ، ويتجرع غصص الآلام المبرحة عن طيب خاطر ، وهو ساكت لا يبدى أقل حراك .

استغرب الأستاذ ذلك الكلام كل الاستغراب وعدّه من قبيل الأوهام ، ولم يتمالك أن استلقى على قفاه من شدة الضحك ، ثم قال لدولة الوالى ليس فى الواقع يا مولاى ضارب ولا مضروب بل اعتاد النحاة من قديم الزمان أن يأتوا بأمثلة لتقريب القواعد النحوية والصرفية من أذهان طلاب العربية . فلم يرقه ذلك الجواب وعده أو هى من نسيج العنكبوت؛ فلما طلب منه المزيد استاء الشيخ من لجاجته فى مسألة تافهة جداً فسكت ولم ينبس ببنت شفة ، فاستشاط الوالى غضباً وأخذ يحرق الأرم وعد ذلك السكوت احتقاراً لشأنه وإهانة ليس وراءها إهانة ، ثم قال للأستاذ بلهجة التهكم والشرر يتطاير من عينيه : أيها الشيخ الوقورما كان يدور فى خلدى أن بضاعة علمك خفيفة هذه الخفة ، وكنت أظنك أجل من أن تعجز عن الجواب فى مثل هذه المسألة البسيطة التى ربما أجاب عنها أولاد المكاتب ، ثم أمر الحاجب بأن يأتى بنفر من الشرطة ، ويقاد إلى السجن ذليلا صاغراً ليلقى هناك جزاء جهله وغباوته . ثم استحضر نحوياً آخر وألقى عليه ذلك السؤال بعينه ، فأجابه بنحو ما أجاب الأول ، فغضب عليه وأمر بسجنه أيضاً . وما زال يأتى بالنحويين واحداً بعد واحد ويسجنه حتى أتى على آخرهم ، فأقفرت المدارس والكتاتيب من النحويين ، وضاقت بهم غرف السجون على رحبها ، وأصبحت هذه القضية الشغل الشاغل له ولبطانته عن جميع شؤون الدولة ومصالحها . فلما ضاق ذرعاً ولم يدر ما يعمل فتق له عقله أخيراً أن يبث العيون فى اقتفاء خطوات النحاة ، ليعرض عليهم ذلك السؤال الذى أصبح لديه أعقد من ذنب الضب .

وبينما هو غائص ذات يوم فى بحر تلك الأوهام إذ بلغه أنه فى المدينة نحوى بارع طاعن فى السن قد تنحى عن منصة التعليم منذ بضع سنوات وهو ملازم داره ، فأمر فى الحال بإحضاره ، فلما مثل بين يديه أعاد عليه السؤال واستطلع رأيه فيه . فأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه وأمارات الفوز بادية على محياه الجليل وقال: إن الجناية التى أتاها عمرو يا مولاى لجسيمة جداً ، ولا أرانى مبالغاً إذا قلت إنه يستحق أن ينال من القصاص أضعاف ما نال . فتنفس صاحب الترجمة الصعداء وذهبت عنه كربته ، ثم سأله بلهجة المتلهف : وما هى تلك الجناية يا عماه ؟ قال الشيخ بكل هدوء إن عمراً القليل الحياء هجم على اسم دولتكم بدون إذنكم

واغتصب منه الواو[1] ، ولما كان ذلك منافياً لحكم العدالة رأى النحويون من باب اللياقة والإنصاف أن ينتقموا من عمرو لوقاحته انتقاماً شريفاً ، فسلطوا عليه زيداً الصارم ، وأمروه أن يذيقه جهاراً كل يوم فى ردهات التدريس وغرف المكاتب من العذاب ألواناً ، حتى كثيراً ما يغمى على ذلك المسكين من شدة السياط جزاء سلبه وسرقته ، فأعجب صاحب الترجمة بذلك الجواب كل الإعجاب وأحله محلا رفيعاً بين أبناء الأعراب ، وقال له إنك حقاً لنادرة الزمان وأديب العراق وخراسان والعالم الكبير المشار إليه بالبنان . فأسألك ألا تخرج من هنا ما لم تطلب منى ما تشاء فأمرك مطاع وطلبتك مقضية ، فقال له الشيخ إذا كان لابد من طلبتى فأتوسل إليكم أن تطلقوا سبيل زملائى المسجونين الذين تركوا عيالهم ومن يلوذ بهم عالة على ذويهم ، فأمر فى الحال بإطلاقهم وأعاد عليهم رواتبهم التى كانوا يتقاضونها فى غرة كل شهر ، غير أنه اشترط عليهم أن يصلحوا طريقة تعليمهم العربية وينهجوا منهجاً جديداً ، ثم أنعم على ذلك الشيخ الرفيع المنزلة بالجوائز والصلات وقربه من مجلسه ، وأمسى من تلك الساعة مرشده الوحيد فى الملمات ، وساعده الأيمن فى حل المشاكل العويصة حتى وافاه الأجل المحتوم فعظم موته على صاحب الترجمة وحزن عليه حزناً شديداً ، وقد شيع نعشه بنفسه مع حشمه وأعيان المدينة .

وقد أفاد داود باشا الزوراء فوائد كثيرة ، فمن جملة هذه الفوائد تنظيمه الجيش على الطراز المشهور فى عصره وجلبه الصناع المهرة والأساتذة البارعين من ديار الإفرنج وسائر أقطار العالم المتمدين ، وإقامته دار صناعة « ترسخانه » ، أى معمل لصنع الأدوات الحربية والمدافع والقنابل والبنادق ونحوها من المهمات والذخائر العسكرية وتأسيسه المدارس، وإنشاؤه دوراً للعلم والأدب وتشييده المكاتب العامرة الحاوية من الكتب المخطوطة النفيسة وغيرها من المطبوعات، وإصداره جريدة باسم « جورنال العراق » وكانت تطبع بمطبعة حجرية ، وتعميره الجوامع ، وشقه الترع والأنهار . ومن بعض آثاره الباقية حتى الآن جامع الباب الشرقى المعروف اليوم بجامع السادة وجامع الشكنة فى الرصافة ، وهرى السيف[1] الواقع فى الجانب الغربى من بغداد « الكرخ » وقد أرخ بناءه الشيخ صالح التميمى بقوله :

أقسم بـــالله الذى زينت ... سماؤه بالخنس الكنس[2]
أن الذى شيد هـذا البنا ... ذو همة بالفلك الأطلس
داود ذا الأيدى ومن حلمه ... ماحل فى شخص سوى هرمس
فقل لمن يرغب فى مكسب ... من ناطق فيه ومن أخرس
أوف إذا كلت ومن بعد ذا ... أرخ وبالميزان لا تبخس

١٢٤٠ هـ

(يتبع) رزوق عيسى

---

(١) يشير الشيخ بذلك إلى زيادة واو « عمرو » لأن من حقها أن تكتب بدونها وإلى إسقاط الواو الثانية من داود فى الرسم إذ كان يجب أن يثبت لها واوان بنا على اللفظ أى « داوود » .

(١) ذهب بعض العراقيين إلى أن لفظة « سيف » بالكسر أعجمية غير أنها عربية ومعناها : ساحل البحر وساحل الوادى ، وقد يقال لكل ساحل سيف ، ويراد بالسيف فى بغداد عدة مواطن متتالية منتسقة يدخر فيها القمح اليوم ، وإنما سمى بالسيف لكونه شيد على ضفة نهر دجلة على ما أظن .

(٢) الخنس الكواكب أو السيارة منها أو النجوم الخمسة . زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد ، والكنس هى كل النجوم لأنها تبدو ليلا وتخفى نهاراً

الناحية العلمية من إعجاز القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

نعم ! إن الله منزل القرآن ينبئنا فى كتابه العزيز أن هناك أرضين أخرى مثل أرضنا . وفرق مابين الأرض والكواكب الأخرى أن على الأرض حياة ، وإلا فالأرض أيضاً كوكب سيار كغيره من السيارات .

وأول مانجد آيات فى سورة فصلت تتعلق بالموضوع : تلك الآيات هى :

« قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ؟ ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدّر فيها أقواتها فى أربعة أيام ، سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض : ائتيا طوعاً أو كرهاً : قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها ؛ وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ؛ ذلك تقدير العزيز العليم ! » .

هذه الآيات الكريمة الأربع فيها فنون من الإعجاز العلمى نكتفى منها بما يتصل مباشرة بالنقطة التى نحن بصدد بحثها . وأول ما نلاحظ من ذلك أن الآية الأولى نصٌّ فى صحة ما استنبطنا من أن العالم فى آية الفاتحة ليس هو مجرد عالم الإنس والجن ، أو عالم الحيوان والنبات ، ولكن هو العالم الفلكى الذى يتبادر إلى الذهن من اللفظ . ووجه كونه نصاً فى ذلك أن الآية والتى تليها تتناولان خلق الأرض على شطرين . ولما كان الشطر الثانى فى الآية الثانية متعلقاً بتطورات خلق الأرض الضرورية للحياة فيها فإن شطر خلقها فى الآية الأولى متعلق بتكوين أرضنا أول ما تكونت عند ميلادها ، وتكون خاتمة تلك الآية « ذلك رب العالمين » متعلقة على الأخص بالمعنى الفلكى الذى هو موضوع الآية . ومن لطيف ما ينبغى الانتباه إليه كثل للاشارات القرآنية العلمية أن يومى الخلق المذكورين فى الآية الأولى داخلان طبعاً — فى الأربعة الأيام المذكورة فى الآية الثانية ، إشارة إلى أن طورى الخلق متداخلان كما هما فى الواقع . وهو مثل رائع للاعجاز فى الإيجاز . فاذا انتقلنا إلى الآية الثالثة وجدناها تنبئنا أن السماء عندما تم خلق الأرض كانت دخانا ، وأن السموات السبع لم يكنّ خلقن بعد ، بل كن كلهن سماء واحدة بدليل قوله تعالى فى الآية الرابعة : « فقضاهن سبع سموات فى يومين » . وإذن فقد كان هناك قبل خلق السموات السبع أرض واحدة تم خلقها ، وسماء واحدة كانت دخانا . وهذا عجيب من أسرار خلق السموات والأرض لايعرف العلم منها إلى أن السماء كانت يوماً ما دخانا . ولا تزال كتل هائلة مما سماه الله دخاناً يشاهدها الفلكيون بمراقبهم القوية اليوم فى السماء وإن تكتل داخلُ أكثرها نجوما ، ويسمونها سُدُماً ، ماتكتل منها وما لم يتكتل . وهذا مثل عجيب من الإعجاز العلمى للقرآن : هذه الدخانية التى كانت عليها السماء .

وواضح أن تخلق السماء إذ ذاك سموات سبعاً المشار إليه فى الآية الرابعة كان طاعة من السماء لنصيبها من الأمر : « ائتيا » إذن فما هو نصيب الأرض وقد قالتا « أتينا طائعين » ؟ هل الأرض فى قوله تعالى : « فقال لهـا وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً » هى نفس الأرض التى نحن عليها ؟ إن الجواب المتبادر هو نعم . لكن القرائن تمنع من هذا التبادر . وأول هذه القرائن وأهمها أن أرضنا هذه كان قد سبق تشكيلها ، وتم خلقها وخلق جبالها وخلق الحياة على ظهرها قبل أن يصدر الأمر ، بدليل « ثم » الترتيبية فى أول الآية الثالثة ، بعد تمام خبر خلق الأرض فى الآيتين الأوليين . والأمر أمر واحد : « ائتيا » ! فإذا كان أمرَ خلقٍ فيما يتعلق بالأرض المخاطبة . فهل يمكن أن تكون الأرض المخاطبة بذلك الأمر هى الأرض التى تم خلقها ؟ أليست هذه قرينة قوية جداً على أن الأرض فى الآية الثالثة غير الأرض فى الآية الأولى ، أى غير أرضنا هذه ؟ بلى ! وتكون أل للعهد فى الآية الأولى ، وللجنس فى الثالثة . فهل هناك قرائن أخرى على هذا الاستنتاج تؤيده وتزكيه ؟

إذا تذكرنا أن المقابلة تامة فى اللغة بين كلمتى أرض وسماء ، وكذلك هى تامة فى الآيات الثلاث الأولى حين لم يكن إلا أرض واحدة وسماء واحدة ، كان فى ذلك إشارة مغنية إلى أن السبع السموات المذكورات فى الآية الرابعة يقتضى وجودهن وجودَ سبع أرضين يقمن بإزائهن : أرض تقابل كل سماء . ولما كانت إحداهن موجودة تامة الخلق بالفعل حين صدر الأمر، كان المخاطب المعنى بالأمر فى « ائتيا » هو الأرضين الست الأخرى المقابلة للسموات الست الجديدة : خلقهن — سبحانه — كلهن من

السماء الدخانية الأولى . وتكون أل فى لفظ الأرض فى الآية الثالثة هى للجنس كما استنتجنا .

ويزداد هذا المعنى والتخريج تأييداً فوق تأييد ، وتوضيحاً فوق توضيح ، بالآية الأخيرة من سورة الطلاق « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، يتنزل الأمر بينهن ، لتعلموا أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما . »

إن ال فى الارض هنا هى حتما للجنس لا للعهد ، بدليل قوله تعالى « مثلهن » . والسموات السبع متعددة ، ليس فى ذلك شك فلا بد أن تكون الأرضون السبع متعددة أيضاً على نفس النحو والنمط لتتحقق المثلية المنصوص عليها فى الآية ، لا أنهن سبع طبقات فى أرضنا هذه كما فهم الناس ويفهمون . فأرضنا واحدة وليس يفهم العلم ولا الناس من لفظ الأرض إذا أطلق إلا أرضنا هذه جملة ، بجذافيرها وطبقاتها كلها . فتفسير الأرضين السبع بطبقات سبع فى هذه الأرض تفسير لا يتفق مع اللغة ، ولا العلم، ولا القرآن، ولا مع الحديث الكريم « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن » لمن يدقق فى تفهم الحديث وتوجيهه على المعنى المألوف .

هذه النتيجة التى تتفق مع حرفية القرآن وحمله على الحقيقة اللغويه لا على المجاز تحل لنا وللانسانية مشكلة السموات السبع حلا حاسما . فقد عجز الناس إلى الآن عن الوصول إلى فهم للسموات السبع ليس عليه اعتراض . قالوا إنها السيارات السبعة فظهر من السيارات عشرة ليس من بينها القمر كما كان يقول اليونان . وقالوا إنها سبعة عوالم فى السماء فكانوا كأن لم يقولوا شيئاً ، إذ ليس هناك مايحدد معنى عوالمهم هذه ، والعوالم والأكوان أكثر من سبعة بكثير . لكن تعال الآن إلى المعنى القرآنى المتبين آنفاً ، وتذكر الإرتباط والمقابلة بين أرض ، وسماء فى اللغة لفظا ومعنى ، وطبق ما تفهم من السماء بالنسبة لهذه الأرض على كل أرض من الارضين الست الاخرى ، يتحدد معنى السماء وعددُها بتحدد معنى الأرض وعددها ؛ أو إذا جئت المسألة من الطرف الآخر ، يتحدد معنى الأرض وعددها بتحدد معنى السماء وعددها . « الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن » ! سبع سموات وسبعُ أرضين ، كل أرض تحدد سماءها ! وأكبر الظن أن مرقب المائتى بوصة الجديد المنتظر إتمام صنعه قريبا سيكشف مع الزمن عن بعض هذه الارضين فتتجدد بذلك آيات أخرى من آيات إعجاز القرآن .

بقيت نقطة واحدة لعل من الخير استيفاءها . أخبرنا الحق سبحانه أن السموات السبع كن قبلُ سماء دخانية واحدة وهذه الأرض مخلوقة ، فهل أخبرنا سبحانه فى القرآن شيئاً عن هذه الأرض أين كانت قبل أن تخلق ؟ نعم . فى آية الأنبياء :

« أوَلم يرَ الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رَتْقاً ففتقناهما ؟ » ! وإذا تركنا المجاز ولزمنا الحقيقة اللغوية طبق قاعدتنا نتج حتما من هذه الآية الكريمة أن السموات والأرض كانتا شيئاً واحداً متصل الأجزاء . وهذه عجيبة كبرى من عجائب إعجاز القرآن العلمى يؤيد القرآن بها العلم الحديث فى قوله بأن الكون كله شيئاً منبثاً واحداً قبل أن توجد فيه أرض أو نجم أو سديم .

وتأمل ان شئت واعجب ماشئت من إعجاز القرآن فى التعبير عن هذا السر الحق الهائل فى الآية الكريمة آية الأنبياء ! تأمل كيف لم يسم ذلك الكون الرتق سماء إذ لم تكن أرض ، وإذ كانت السموات والأرضين شيئاً واحداً منبثاً لعله كان دون الدخان لكننا نكتفى الآن بهذا القدر من الأمثال التوضيحية لما أشرنا اليه فى صدر هذا المقال .

إن فيها على الأقل ثلاث معجزات يقينية يستيقنها العلم الآن : تعدد العوامل فلكيا ؛ ودخانية السماء فى البدء ؛ وانفصال الأرض عن السماء بعد أن كانت متصلة بها اتصالا فى الأول .

وتبارك الله فاطر الفطرة ومنزل القرآن .

محمد أحمد الغمراوى

إلى السماء..!

للأستاذ محمد العلائى

لك الأمر لايدرى عبادك مابيا ... لك الأمر لا للناصحين ولا ليا
وهذى معاذيرى وتلك صحائف ... عليها خطاياها .. وفيها اعترافيا
وفيها من الأمس الدفين وحاضرى
وفيها من الآتى وفيها ابتهاليا
وفيها تهاويل .. ومهجة شاعر ... ينام بها يأساً ويصحو أمانيا
وفيها أعاجيب يكفِّر همها .. ... ذنوبى وإن كانت جبالا رواسيا !!
ونازعنى شوق إليك وهزَّنى ... من الغيب مايهفو إليه رجائيا
وجئت من الدنيا الأثيمة هارباً ... بصفوىَ من أكدارها ونقائيا
وفى النفس ماأخشى ظلام ضبابه ... على نور إيمانى ومسرى حيائيا
وذكرى من الماضى الشهيد وعالم ... ورائىَ منه خدعة وأماميا !
وناديت أحلامى إليك وخافقاً ... تهيَّب أسباب المنى والتماديا !!
أناديك فى ضعف . وأخجل أن ترى
جراحَ أمانيه ولون دمائيا

لك الأمر . أشواقى ببابك والمنى ... ولى أمل ألا يطول انتظاريا !
دعوتك بالسر المغيَّب فى دمى ... وألهمنى حبى وفاض عتابيا
ولاح نشيد جئت أشرع لحنه ... فهابتك أرضى واستحتك سمائيا
وهابتك نفس لم يدع لى شبابها
من الروح ما يهدى إليك اشتياقيا
شباب أحس الدهر ثم حملته ... إليك شهيداً لايحس بكائيا !!
وداريت إلا عنك سر مماته ... وموطن ذكراه ودمع رثائيا
بعدلِكَ لاتمنح سواى مثيله ! ... ولا ترْوِ عنى ماطواه اعتزازيا !!
وبارك شهيداً مات بالأمس ظامئاً ... وما زال مثواه أمامك صاديا !!
منحت جميل الصبر كل مُرزأ ... سواى فلم يلمس هُداك عزائيا
زهور على قبر الشهيد . عبيرُها ... أهاج ضميرى واستعاد اللياليا
وأخرج أسرارى وعاد بماضى ... وكشَّف مابينى وبين زمانيا

لك الأمر . مالى أرتجيك فيلتوى ... لسانى وأمضى بالتوسُّل شاكيا
ذكرتك فى نفس هَداها ضلالها ... إليك وعافت وحدتى وارتيابيا
ومنيت روحى من سناك بلمحة ... أضمِّد آلامى بها وجراحيا
وأرسلته فيما لديك لعله ... يعود بأسباب المحبة راضيا
وأنسى تكاليف الظلام وما اختفى
وراء تعِلاتى وخلفَ ابتساميا !!
وأشرعُ ألحان السماء فلم يعدْ ... جميلا بسمع الدهر لحن شقائيا
تعاليت لم أذكر سواك بمحنتى ... ولم أرجُ إلا من يديك جزائيا
وفوَّضتُ عن علم إليك إرادتى ... وحسبى ما أدَّى إليه اختياريا
ورائىَ آثام وخلفى خطيئة
كفاك شعورى نحوها وكفانيا !!
تهافتُ ظمآن الجوانح ساغباً ... وأيأسنى مما سواك انتباهيا !
وأجهدَنى مالا أطيق بيانه ... فجئتك مشبوب الوسيلة عارياً !!

لك الأمر . شاقتنى سماؤك وانتهى ... إليك بأحلام الضمير مطافيا
وأنزلتُ آمالى وفيها ملامح ... تردُّ أمامى ماتركت ورائيا !
يُطالعنى منها زمان عرفته ... بريح لياليه ولون مهاديا !!
تُقلِّب ذكراه الدفين وماضياً ... تهرَّب منه فى الشباب خياليا !!
أطلَّت مآسيه ببابك فاستمعْ ... إليها حديثاً لم يسمه بيانيا
ضياؤك أغرى باليقين جوارحى ... وفجَّر أعماق وأفضى بذاتيا
وألهمنى حتى تخلَّت مشاعرى ... أذابتْ كيانى فى سناك معانيا !
وأفردنى حتى رأيتُ معالماً ... تلاشى زمانى عندها ومكانيا !!
وأحسست أن الدهرَ لمحة خاطر
وأن امتدادَ الكون بعض امتداديا !!
وأن دوىَّ الحادثات بمسمعى ... رواسب حلم زارنى فى مناميا !
وأوشكت أنسى غير أن هواجساً ... من الأرض نادتنى ومست كيانيا

لك الأمر . أسبابى ضعافٌ وخاطرى
ببابك يخشى رجعتى وانحرافيا
دعوتك ملءَ النفس ألا تردَّه ... مغيظاً وألا تستعيد سؤاليا !!
ويشفع لى أنى أتيتك عاتباً ... وأن لى العُتبى وأجر انطوائيا !
وهذا رجائى فى حماك وهبته ... لعدلك حتى تستجيب دعائيا !!

وحاشاك أن أرضى مع النفس مذهباً
بغير يقين منك يهـــدى شعاعيا !

كفانى أوهاماً فهب لى عيمة   بها أتقى نفسى وشرَّ ذكائيا !!
وبارك فجاج الأرض إلا مواضعاً   شربن دموعى أو شهدن عِثاريا
تناسيتها لولا حديث أهاجه   تلفت أشواقى وخوف ارتداديا
وجدَّد لى همس الرحيل مكارها   تولَّى شجاها والجراح كما هيا
وأيامى اللاتى ذهبن وعالماً   دفنت به عهدَ الصِّبى وشبابيا
وأودعته سرا حراما ولم أزلْ   أعود فأبـكيه دموعاً غواليا

لك الأمر .هذا من يديك عدالة   وهذا قليل فى مقام اتصاليا
أتيتك والحق الصريح يمدُّنى   إليك ولحن البشر ملء فؤاديا
وحولى من عرش الجمال ملائك   ترف أزاهيراً وتسرى أغانيا
وفى النفس فجر من يقين وموكب   من الخير يحدوه إليك ولائيا
وفيها رجاء فاض منك جلاله   وآفاق نور يستحيها ضيائيا
وأحببت حتى أسكرتنى مودَّتى   وذاب يمينى رحمة وشماليا !!
وهامت بآلام الحياة وسائلى   وفاضت على ماليس منى هِباتيا
وأرسلت أنسامى عبيراً وبهجة   لتنفح أشواك الرُّبى والأفاعيا !!
وآمنت حتى كاد يذهب خاطرى   وتصعد أنفاسا إليك حياتيا !
ولم يبق حرف منك إلا أسرَّه   ضميرى وأبدَته إليك سماتيا !!
وزُرْتُـك ألحاناً ورَجْعَ مواهب
وأشهدت سمع الدهر فَيْضَ انسيابيا

لك الأمر آفاق تراءت لخاطرى   وعاودنى منها دبيب شكاتيا !
وذكرنى بشرُ السماء منازلا   أتيتك منها عابس الوجه داميا
أقلِّب أوهامى يميناً ويسرة   وأرفع آمالا إليك روانيا !!
يتنازعنى ماض شرقت بعذبه   وراودت فيه ما أشاب النواصيا
إذا طاف منه حول نفسى طائف   ذكرت زمانى والسنين الخواليا
هناك وفى أرض عليها ملاعبى   وأطياف آبائى ولغْو دياريا
وفيها تَـمِلاَّتى وراح مشاربى   وزلات أهوائى ودمع متابيـا
وأحلامى الموتى وذات مواجعى   وأطلال مأساتى ورجع بلائيا
على وطن أفنى شعورى هواجساً   وألبسنى ثوب الشبيبة باليا !!
ولم يرع لى حق الحياة بأرضه   ولم يرع آلامى له ووفائيا !!

بعدلك لا تمنح مشارق نوره   حياتى ولا تمنح ثراه رفاتيا !!!

لك الأمر . ألهانى حديث أعاده   عليك ضميرى واستحاه لسانيا !!
وأسرفت فى ذكر السماء ولم أكن   لأسرف لولا رجفة من صباحيا
وعذْرِىَ أن الـكأس فوق مواهبى
وأن مقـــام الحب يشجى المآسيا !
وأن تباشير الصباح تنفست   وفاح شذاها واستنار ضلاليا !
ولاحت على وجه السماء بشائر   ولاحت أغاريدى ولاحت ظلاليا
وطاف ضيائى بالمواكب رحمة   لمن ذاق أيامى وذاق عذابيا
أرد جراحاتى عليهم مسرة   ونار جحيمى عزة وتساميا
وأنثر أشواكى عليها أزاهراً   وألوان يأسى حكمة وأمانيـا
وأمنح أرض الظامئين مواردا   تفجر فيهم نشوتى وسلاميا
رجاء وإيماناً وفيض محبـة   وتفتح للدنيا كنوز انفراديا !!
بعدلك مالى بعـد ذلك غاية   من العيش إلا أن تصون اتجاهيا

لك الأمر . نادت بالرحيل خواطرى
وهبت على نفسى رياح اغترابيـا
وذكَّرتها أن الشباب جديدة   وأن عليها من سناك هواديا !
وأن شبابَ الأمس واجهتُ غَيْبها
على غير إيمان فكانت مهاويا !!
هى الأرض تبلونى لتبلو خطبها   على نور إدراكى وضوء نفاذيا !!

لك الأمر . زلات الشعور تردُّنى
إلى الظن والأيغال فيما أماميـــا !
ضميران .. هذا ملء نفسى غناؤه   وذاك يدارى ظنَّه فى غنائيا !!
لك الأمر . مالى فى وداعك باهتاً   ومالى أخطو شاحب النفس نائيا
لك الأمر . ليست للجديد روائح   وليس لهذا الدهر لون ولا ليا
لك الأمر . لاحت من بعيـد مذاهبى
وآذن حاديها وآن ارتحاليـــا !!
ورفت عليها من سناك مآثر   ورفت عليها غايتى وصلاتيـا
تنسمت أمواج الرحيل وأشرقت   علىَّ أمانيه فبارك شراعيا !!

(الزقازيق ـ كفر الحمام)   **محمد العلائى**

وجهة النظر الجديدة فى الحياة

للكاتب الصينى الكبير واب بوه شينغ

[حديث ألقاه في جمعية الثقافة المركزية بتشنغ كنغ]

بقلم الأســـتاذ نور ناهين

إنى لم ألق محاضرة فى مكان عام ، فى تشنغ كنغ ، منذ بضع سنين لسببين : أولهما أنه لم يكن عندى كلام أحب أن أقوله فأحاضر فيه ، لذلك أمسكت عن الـكلام ، لأستر فضيحتى عن أعين الناس . والآخر أنه لو كان عنـدى شىء من الرأى ، لاستطعت أن أنشره فى الجرائد والمجلات ، وما كنت أود أن أحتل مكانا يحتاج إليه العلماء والأدباء للتعبير عن رأيهم ... أما اليوم فقد اضطررت أن أقبل ذلك المركز حين دعتنى لجنة الثقافة المركزية ، وقد اخترت موضوع المحاضرة « وجهة النظر الجديدة فى الحياة » لعلى أسترعى انتباه السامعين .

وأبدأ كم بأن من الحق ألا أتهور فى هذه المحاضرة ، فانى لم أتعمق بحث الموضـوع ، وكل ما جمت فيه ليس إلا رأيا لا يكاد يجتمع على نفسه ولا نظام له يمسكه ؛ لـكن يخيل إلى أنى ما دمت بشراً يحيا بين أرجاء العالم ، وما دام لى شىء بسيط من الفـكر ، فمن حق أن يكون لى وجهة نظر فى الحياة فيما عدا الضروريات من أكل ونوم وعمل ، سواء أكان وجه النظر هذا عميقاً أم سطحياً . ومع هذا فانى أظن أن وجهات النظر فى الحياة لا تزال تتغير دائما بتغير الأوقات من حيث التقـدم والتأخر . إذ من المستحيل أن تظل واحدة مدى الحياة ، لذلك طالما تغيرت وجهة نظرى فى الحياة وتطورت ، وأنا أرجو دائما أن يكون تطورها علامة التقدم .

وقع الشك فى قلبى من مسألتين ، حين قارنت نظم المجتمع ومستقبل الوطن بمـا أعرف من خلق الشخصى ومعاملتى للناس .

الأولى أنه قد مضى علينا آلاف ومئات السنين ونحن نبحث عن العفة والفضيلة والخلق الحسن ، وندرس عوائد الإنسانية والرأفة والرحمة ، منذ عهد كونفشيوس ؛ ولـكننا مع ما بذلنا من جهد فى البحث والدرس ، فقد بعدت سيرة الأمة عن القصد كل البعد ، حتى خرجنا عن كوننا أصحاب عفة وفضيلة ورحمة . إذن لا شك فى أنه لا يكفينا بحث الخلق الحسن ودراسة الفضيلة فقط فى هذا العصر .

والأخرى أننا تعودنا كلما تحدثنا فى تاريخ الشعوب أن نقول إن لنا تاريخاً مجيداً وحضارة تليدة منذ خمسة آلاف سنة . نعم ، ولا شـك فى أن لنا تاريخا حافلا طويلا وحضارة مجيدة ، وهو تاريخنا وحضارتنا حقا . ولـكن لماذا تأخرنا الآن ؟ لا شك أنه لا ينفعنا مجد أجدادنا منفردا .

بسبب هاتين المسألتين وشـكى فيهما ، تذكرت ما قال الفيلسوف « نيتشة » . « من الضرورى تقدير قيمة كل شىء من جديد . »

***

لقد أفزعتنى مصيبة الوطن وأزمة الأمة التى أصابتنا منذ حادث[1] ١٨ سبتمبر جد الافزاع ، وحملتنى على أن أفكر فيما يستحق التهذيب من خلق حسب قواعد المروءة خاصة ، ثم فيما يجب على لخدمة الوطن حسب القوانين عامة . وأخيراً رأيت أن أعرض على الناس اقتراحى فيما أسميه « خطوات المرء الثلاث » ، وهو يشير بأن لا نعمل شيئاً ، إلا (ا) لفائدتنا بدون خسارة الناس ، و (ب) لفائدتنا وفائدة الناس ، و (ج) لفائدة الناس وإن لم نستفد .

نعم ، إن الإنسان كان حيوانا أنانيا ، إذ كان يفتح فمه لشرب اللبن منذ أن ولد ، ثم يخاصم أمه على شىء من الأكل والشرب فى عهد الطفولة . ولـكن مهما يكن الأمر ، فالواجب على من بلغ سن الرشد الذى هو وقت حاجة المجتمع إلى عناية الفرد أن لا يعمل شيئا إلا حيث يستفيد بدون أن يضر الناس

(١) فى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣١ ادعى اليابانيون أن الجيوش الصينية خربت السكة الحديدية لمنشوريا الجنوبية ، والواقع أنهم هم المخربون لها ، فضربت جيوش اليابان مدينة (مكدون) بهذا السبب ، ولم يكتفوا بذلك ، بل احتلوا ولايات الصين الشمالية الثلاث ، وكونوا (منشوكو) المستقلة فى الظاهر المستعمرة فى الواقع . بذلك بدأ اضطراب السلام فى العالم .

ثم إن استفاد وأفاد فذلك خير ، أما إن أمكنه أن يضحى بنفسه وفائدتها فى سبيل فائدة المجتمع فذلك ممن بلغوا الذروة فى الفضل والتضحية .

إنا إذا ترسمنا خطوات هذا الطريق فى سبيل مصلحة الوطن والعالم ، ضمنا ألا يعمل إنسان إلا لفائدته بدون ضرر الوطن والعالم ، أولفائدته وفائدة الوطن والدنيا جميعا ، أو يضحى بنفسه فى سبيل الوطن والعالم ، وذلك منتهى الإيثار .

على أساس هـذه القاعدة ، كنت ألقيت خطابا فى جامعة « تسين هوا » بمدينة بنغ بين ، ثم كتبت ست مقالات تحت عنوان « إلى شبان الشمال » حين وصلت إلى شنغ هاى ، بنيتها على هذه الأساس أيضا . أما من ناحيتى ، فكنت ولا أزال أتمسك بهذه المبادىء ، لتهذيب خلق الشخصى خاصة ولأحسن معاملتى مع الناس عامة .

وفى الربيع الماضى الذى كان آخر مرحلة من مراحل حرب الدفاع المقدس ، حين بدا لنا بارق النصر ، استأنفت الجهاد فى إيقاظ أبناء وطنى ، ليعملوا جهدهم فى إشعال الروح القومية ونبذ الكراهية والتلاوم والمحاباة . وذلك لما لاحظت فى قلوب الناس من دلائل الأغلال واليأس من الحياة ، قاصداً بذلك الإيقاظ انتشال الناس من المنحدر الذى كادوا ينحدرون إليه ، ودفعهم إلى تيار جديد عاصف . ولكننى الآن قد شعرت إزاء أمنيتى تلك أن كل ما عنيت ليس كافيا .

ولماذا شعرت بعدم كفايته ؟ ذلك لأن كل ما بقى فيما أشرت إليه من المسألتين المذكورتين لا بد أن يعاد تقدير قيمته ثانية .

إنى متأكد كل التأكيد أننا لا نقدر أن نتفوق على الهنود فى بحث علوم الفلسفة . ذلك لأن فلاسفة الهنود قد بلغوا ببحوثهم أبعد حدود الخيال الجميل ، حتى كأنهم كشفوا مرج عبقر حيث يسكن الجن ، وكل هـذا بدأبهم على البحث ومزاولة الزهد والطمع فى نعيم الجنة ، حتى أنكروا الحياة وعدوها من البلايا والمصائب ، ولكنهم أصبحوا من أضعف الأمم فى العالم ولا يزال وطنهم مستعمرا .

وإنى لأعتقد كل الاعتقاد ، وقد زعمنا أن لنا تاريخا فى الحضارة منذ خمسة آلاف عام ، أننا لن نقدر أن نتفوق على المصريين من حيث ذلك التاريخ ، لأن أسلافهم قد بنوا الهرم الأقدم قبل خمسة آلاف عام ، وألفوا التقويم السنوى لمعرفة أيام السنة ، قبل ستة آلاف سنة ، وكل هذا ظاهر بين ، فى الحقيقة أن المصريين كانوا من الذين بنوا الحضارة ، ولكنهم الآن لا يزالون من أضعف الأمم ، ولا بد أن يبذلوا أقصى جهدهم للنهضة على الرغم من أن بريطانيا سمحت بالاستقلال .

أما علوم الأخلاق وفلسفة الحياة ، فقد كان أهل الصين فيها مشهورة متفوقين على غيرهم ، ولكن شعب الصين ما يزال الآن متأخراً أيضا .

وكم شعرت دائما حين بدت لى علائم الضعف ، بأن ثمة شيئا من الخلل يعبث بحضارتنا ، ولا بد أن نبحث عن منشئه الأصلى خلف دائرة الهرج الظاهر فى حضارتنا .

بحث صديقى « لين تاو تزى » فلسفة نيتشة ونقدها ، ثم بين بحثه فى مقاله « نظرى إلى نيتشة » ، ولخص مذهب الفيلسوف فى كلمتين ، وهما : « إن الابتكار يكتشف ليعطى للناس ، ولكن ذلك الإعطاء ليس شفقة بهم » . أى أن القصد من الاختراع هو انتفاع العالم ، ولم يكن المخترع رحيما بالعالم فاخترع ، إنه يجهد فكره ليستفيد ويتمتع ، ثم حين يكتفى بالمتعة ، يعرضه على الناس ، إنما كان يخترع لنفسه ، وما كان يفعل كما فعل « يسوع وبوذا » رحمة للناس وإشفاقا عليهم .

إن النشاط لب الحضارة وروحها حقا ، إذ أنه لا تبقى حضارة إلا بالاختراع ، ولا يعيش ابن آدم ولا ينمو إلا والاختراع يقدمه من جهاته جميعا .

ومن يوم أن عرفت « أن الابتكار لنفع الناس ، ولكن انتفاع الناس ليس ناتجاً عن رحمة المخترع بهم » ، اتسع نطاق فكرى أو امتدت مسافته ، فتمكنت من معرفة بعض أساليب الحياة . خذوا منها مثلا ، فالشمس لو أضاءت ونشرت أشعتها وحرارتها ، فسرت الحياة فى الكائنات ونما النبات وشب الحيوان ، ثم توجهنا إلى الشمس وسألناها : « أيتها الشمس ! هل أنت أشرقت ونشرت الحرارة من أجل الدنيا وما فيها ؟ » فقد تجيبنا الشمس مرتبكة حائرة : « لا أدرى ، لا أدرى ! » وإذا نحن كررنا السؤال وأبينا إلا أن نعرف السبب فى ضيائها ،

فربما أجابتنا مضطرة « إنى أنشر الحرارة لأنى أريد الحرارة ولا بد لى منها ! » تلك إحدى نظريات الحياة وأساليبها عرضتها عليكم أيها الكرام ، وهى قانون من قوانين الحياة التى تندفع إلى الأمام بدون تردد ، لذلك أعتقد أن الاختراع سيستمر كما فهمت من نظرية الشمس والحياة . وهـذه النظرية وإن كانت من أنواع الفلسفة ، إلا أنها ليست مما يتفق مع مذهب « نيتشة » بل من فلسفة أعلى من فلسفة نيتشة .

لست أريد الغموض والخفاء بالبحث فى الفلسفة والنطق بها فى حديثى عن نظرية الشمس ، كلا ، فانه لا غموض فى الأمر ولا خفاء ؛ لأن ما قصدت من ذلك هو أن تكون وجهة نظرنا فى الحياة متجاوزة نطاق المتاع الشخصى إلى قوانين السماء ، المراد بالسماء ما وراء الطبيعة ، بل حقيقة الطبيعة ، وبكلام أكثر صراحة ينبغي أن تكون وجهة نظرنا فى الحياة متعدية تلك الحدود التى يعامل بها بعض الناس بعضا ، مسيطرة على الطبائع والكفايات ، مستعملة إياها فى الابتكار للحياة ، وهى ما دامت قد استخدمتها على ذلك الأساس فهى عين الفضيلة ولب السعادة للانسان ، وليست تلك الأمور فى حاجة إلى مراعاة وغاية ، بل هى داخلة فى نطاق منافع الحياة عن طريق الابتكار .

إن شدة العناية بالمتاع الشخصى والتجاوز عن مسايرة قانون الطبيعة هو الذى كلف حضارة الصين الخسارة والضرر . ولا شك أن أكثر العلوم العالية الصينية ، كان من فلسفة الحياة وأكثر علمائنا قد بحث علاقات الناس ببعض بحثاً عميقاً ظاهر العمق . خذ مثـلا : ما يقال من أن كونفشيوس تشرف بزيارة الـكاهن « لووتز » طالباً أدباً ؛ وكان كونفشيوس لا يزال شابا ناضج العقل ذا عزم وطموح ، فقال له « لووتز » بوقار الـكهنة : « أترك ما فى نفسك من العناد والـكبر ، ثم امح من نفسك ذلك الشره الذى غلب عليك . » . يعنى ألا تكون مضطرم الفـكر متبرم القسمات ؛ وألا تبق فى قلبك شيئا من حب الشهرة والطموح . ثم قال : « إن التاجر الغنى هو الذى يخزن سلعه فى أعماق متجره ، حتى كأن دكانه خال من البضائع ؛ وإن الإنسان الـكامل من يكون فى عفته الموفورة كالأحمق . »

فأولى هاتين الـكلمتين تعلم الإنسان أن يكون تاجراً خائنا ، يدخر بضائعه لينتهز فرصة للربح الفاحش ، وثانيتهما تعلم الناس أن يتحامقوا عمداً . إلا أن كونفشيوس احترم « لووتز » ورأيه كل الاحترام ، فانصرف وقال لتلاميذه : « إنى تشرفت اليوم بمقابلة السيد الـكاهن « لووتز » ، وما هو إلا تِنّين ! »

وأعظم الظن أن كونفشيوس قد أخذ يكره تلميذه « تزلو » الشديد الجسور بعد أن أدبه ، وكان دائما يشتمه قائلا : « يا للمزاج الهمجى ! يا للطبع البربرى ! » ثم أخذ تلميذه الأستاذ « تزتوا » يتاجر بعد ذلك ، فـكسب كسبا جزيلا . فلا جدال أن فلسفة « لووتز » فلسفة ماكرة . وأما فلسفة « جواتز » ، فقد كانت فلسفة الجبن والضعف ، لأنها ستار يحتمى به صاحبه من ضرر الملوك الجبابرة من جهة ، وطريق يدرج فيه من جهة أخرى .

ولا جدال فى أن الأمبراطورين « ياو » و « شون » كانا من المثل العليا للعفة وحسن الخلق ، فلذلك دأب الصينيون على ذكر اسميهما فى معرض أمثال العفة وحسن الخلق . ولقد كان « شون » يعتبر الدنيا كحذاء عتيق لما كان أمبراطوراً ، وكان يبكى بكاء مراً ، ويستغفر الله من قسوة أبيه « قوسى » ، حتى هم أن يفر من الدنيا . وفوق ذلك كان دائما يهتم بشأن أخيه « شينغ » التعس الشرير لقلبه الحنون ، فـكان يسر لسرور أخيه ، ويحزن لحزنه أيضا : وإذا كانت شئون النبى أو الأمبراطور لم تخرج عن حيز المتاع الشخصى هكذا ، فما شأن من قلت منزلتهم عن النبى والأمبراطور ؟

قال لى الأستاذ « فوماوجيغ » إنه حاول أن يكتب مقالا ، يتحدث فيه عن شـئون موظفى الصـين . وقال : إن الصينيين تعودوا أن يقرنوا ذكر الوزراء بذكر السرايا والمحظيات ، بل إنهم يعدونهم طبقة واحدة من الناس ، حتى أصبحت السرايا والمحظيات يتخذن أسـلوب الوزراء والموظفين فى الحديث ، وينظرن إلى الحياة نظرتهم تماما ، حيث يتملقون أسيادهم رجاء رضاهم وسرورهم ومحبتهم لهم . ويعودون على زملائهم بالـكراهة والخصام والحسد ، ثم يظلمون من هم أقل منهم بسطوتهم النافذة كل الظلم .

قلت له : ما أصدق ماقلت ، إلا أننى أخشى ألا تسمح سلطة الرقابة الجديدة بنشر مقالك هذا ، ولست ضامنا لك قط ذلك .

البقية فى العدد القادم

نور ناهين

تعقيبات

كلمات تموت :

هى كلمات رددت ، فتطلعت إلى الحياة ، وتطلبت غذاءها من تحقيق ما تدل عليه ، فعللت ومنيت ، وعاشت زمنا على التعلات والأمانى ، حتى أصابها الشحوب والهزال من طول الحرمان ، وها هى ذى مشفية على الموت .

تلك هى كلمات « محاربة الأعداء الثلاثة ، العدالة الاجتماعية ، رفع مستوى المعيشة : إصلاح أداة الحكم ، مشروعات السنوات الخمس » وأمثال هذه الكلمات التى توضع فى البرامج فتكون لها حلية وزينة ، ثم يفتر الحماس لها فتأخذ مكانها على (الرفوف) .

وحياة هذه الكلمات بحياة مدلولاتها ، فما مدى هذه الحياة عندنا ؟ يجيب عن ذلك الأستاذ مريت غالى فى مقال له بالأهرام عنوانه « الحساب الختامى لسنة ١٩٤٦ القومية » قال فى مطلعه : « لو جرت العادة على إعداد تقرير سنوى عن شئون الأمة والوطن فكيف يكون التقرير عن سنة ١٩٤٦ ؟ أندون فيه نجاحا أحرزناه فى نيل الأهداف القومية ، أو علاجا قدمناه لمشكلة الموظفين والإدارة ، أو معركة كسبناها ضد الأعداء الثلاثة التى تفتك بالشعب ، أو مشروعا اقتصاديا أو إصلاحا اجتماعيا حققناه لرفع مستوى المعيشة ؟ الواقع المؤلم أن التقرير لا بد أن يكون خاليا من كل هذا . »

ونحن جميعا نلمس مصداق هذا الكلام الصحيح ، فالأعداء الثلاثة لا تزال قوية منيعة الجانب ، الجهل لم ينل منه تجاذب الاختصاص وتبادل الموظفين بين الوزارات ، والمرض لا تزال ترى فيضه على أبواب المستشفيات وأفنيتها صفوفا متدافعة ، لا يرده جشع الممرض ولا جفاء الطبيب ... والفقر ما فتىء يعد الجهل ويمين المرض ، ومستوى المعيشة هو هو ، والعدالة الاجتماعية أيضا هى هى ... وأداة الحكم ما تنفك فى بطئها ووساطاتها وسائر فسادها ، والسنوات الخمس لست أدرى متى تبدأ ... أمن وقت انتهاء الحرب ؟ وهل بدىء فى مشروعاتها ؟ أم لا مبدأ لها ولا نهاية ...؟

وقد ظلت تلك الكلمات تتراقص فى أحلام الناس وتهدهد آمالهم ، حتى كادت تسقط من فرط الإعياء . وليس من المستحسن أن تموت وفى مقدورنا إحياؤها ، وفى إحيائها حياتنا التى ينتفى فيها السخط والانحراف ، وتتم لنا فيها مقومات الأمة التى تدفع بها إلى أهدافها لا يقف أحد فى سبيلها .

المعنى الدينى :

نشرت جريدة المصرى أن البدراوى باشا يريد أن يقوم بنفقات مشروع إنارة مسجد الرسول عليه السلام وكسوة المقام النبوى الشريف . فبعث اسماعيل صدقى باشا إلى (المصرى) بكتاب يقول فيه إنه يسعى منذ زمن للترخيص له بكسوة المقام النبوى الشريف ، ويرجو البدراوى باشا أن يكتفى بالإنارة ويترك له الكسوة . ولم نعلم بعد ذلك ماذا تم بين (المليونيرين) الكبيرين فى هذا الموضوع ، وإن كنت أود ألا يقبل البدراوى باشا رجاء صدقى باشا ويتمسك بالإنارة والكسوة كليهما ، ولا أدع صدقى باشا حائراً لا يدرى كيف ينفق ما أعد للكسوة من مال فيما يعوضه ما يفوته من الثواب ، فهو رجل غنى ومؤمن ، وثمة مؤمنون كثيرون فقراء يحتاجون إلى أن يكون معهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، والوسائل إلى ذلك كثيرة .

هذا وقد تحدث الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى محرر مجلة (الأمانة) فى رسالة الأزهر ، فقال إنها تقوم على فهم « المعنى الدينى الحقيقى » وقد أصاب فضيلته المحز ، فما أحوجنا إلى فهم حقيقة الدين والقصد إلى لبابه وجوهره ؛ وإنى — على ما أفهم من حقيقة ديننا — أعتقد أن تواد المؤمنين وتراحمهم ، كأن يساعد الغنى الفقير ، أرضى لصاحب المقام الشريف ، وأوفى إلى تلبية دعوته ، وأوفق للعمل بمقتضى رسالته ، وأدعى إلى نيل الثواب .

وعلى ذلك جرى أسلافنا الذين كانوا أقرب منا إلى عهد النبوة وأكثر فهماً لروح الإسلام . ومن الملاحظ أن الاهتمام بالمظاهر والشكليات كثر أو وجد فى العصور المتأخرة ، حتى كان الحكام الذين أمعنوا فى أخذ أموال الناس بالباطل ، ثم يرى أحدهم أنه ما عليه من ذلك بأس ما دام يمحو سيئاته ببناء مسجد أو إنشاء (تكية) . والله أعلم .

« كتب وشخصيات » :

عقب الأستاذ سيد قطب على ما كتبته فى الرسالة عن كتابه « كتب وشخصيات » فبين وجهة نظره إزاء ما ارتأيته فى مسائل تضمنها الكتاب ، وقد كنت أعتبر الأمر منتهيا بذلك – على اختلاف وجهة النظر بيننا فى تلك المسائل – لولا ماجاء فى رده خاصاً بنقده لتيمور ، فقد رأيت فيه ما يحتاج إلى هذه الكلمة .

قلت : « ومما أخطأه الإنصاف فيه نقده لتيمور إذ يصف فنه بالفتور وبأنه يؤثر اللطف والدعة على الانفعال والحيوية » ولم آت بهذا من عندى ، بل أتيت به من « كتب وشخصيات » (ص ١٨٩) حيث يقول الأستاذ فى أقصوصتين من أقاصيص تيمور « وكلتاهما تنبعان من قلب إنسان ولكنه إنسان يؤثر اللطف والدعة على الانفعال والحيوية ، ضحكته ابتسامة فاترة ، وغضبته سحابة باهتة ، ووثبته خطوة وانية ، وإشارته إيماءة رتيبة ، ولكنه على أية حال إنسان .

« هذه الظلال الإنسانية التى تبدو فى بعض أعمال تيمور – مع شىء من الشاعرية اللطيفة فى بعض الأحيان – هى وحدها التى تجعل الناقد لا يستطيع أن يغفل فن تيمور ، وهو يتحدث عن الأقصوصة ، مهما كان فى هذا الفن من فتور ... »

أفليس هذا يا أستاذ سيد من « حقيقة رأيك » فتقول « إن الأستاذ لم ينقل حقيقة رأيى » وتوهم بذلك أنى « أخطأنى الإنصاف » فى عرض رأيك ؟ ! وإن كنت تقصد أنى لم آت بما أتيت به فى الرد من كتابك على أنه مآخذ أساسية ، فإن المجال لم يكن يتسع لذلك ، وقد اكتفيت بما أتيت به من رأيك فى تيمور لأن اتجاهات المآخذ الأخرى تجتمع عنده ، فتماثيل الشمع مثلا التى مثلت بها شخوص تيمور ... أى شىء هى إن لم تكن الفتور وعدم الانفعال والحيوية ؟

أما ما قلته غير ذلك فى هذا الموضوع فإنما أقصد به دفع استنكار لون من الأدب لخلوه من خصائص لون آخر ، والأدب مختلف ألوانه . وقد نطقت به وليس بينى وبين تيمور أسباب المودة الآسرة التى قال الأستاذ سيد قطب إنه يتمتع بها ، والحمد لله على كل حال .

أبو العباس

الأدب والفن فى أسبوع

المجمع اللغوى :

فى مستهل الأسبوع المنصرم افتتح مجمع فؤاد الأول للغة العربية دورته الثالثة عشرة بمؤتمر عام جرياً على عادته فى افتتاح كل دورة ، وقد ألقيت فى المؤتمر عدة كلمات وأحاديث تتصل بمهمة المجمع وتتعلق برسالته فى خدمة اللغة العربية والنهوض بها .

فتحدث الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا وزير المعارف فى كلمة الافتتاح عن المهمة التى يضطلع بها المجمع والتى يصح أن تكون هدفه وغايته فقال : « إن مجمعنا الموقر هو حارس اللغة العربية والقائم عليهـا ، يحرسها ليحافظ على سلامتها ، ويقوم عليها ليجعلها ملائمة لحاجات الحياة فى عصرنا الحاضر ... وإننى أعتقد أن مهمة المجامع اللغوية ليست هى الخلق والإبداع ، بل هى الاثبات والتسجيل ، وعندى أن أعظم المجامع اللغوية نجاحاً هو أكثرها تواضعاً وأقلها ابتكاراً ، هو ذلك المجمع الذى يتجنب ما أمكن أن يبتدع لفظاً جديداً أو أن يحيى كلمة ميتة ، وإنما يقتصر ما استطاع على إثبات لفظ حى ، فهو إنما يقف من الألفاظ عند القائم منها الذى تجرى به الألسن ويقع به التفاهم ، ثم يعمد بعد المقارنة والمفاضلة والترجيح إلى تسجيل ما اختاره من ذلك ، يسجله كما هو أو مع تحوير بسيط قد تقتضيه صناعة اللغة ، وليست مهمة التسجيل هذه بالمهمة اليسيرة وإن بدت كذلك فى ظاهرها ، فهى تقتضى الذوق السليم ، والحس المرهف ، واليقظة البالغة ... » .

ثم ألقى الدكتور فارس نمر باشا الرئيس النائب كلمة قال فيها : « ولمـا كان فى طليعة أهداف المجمع أن يكون جهده لخير اللغة عاماً بين أبناء اللغة فى مختلف البلاد العربية وسواها فقد حرص بمعونة أعضائه فى الخارج على أن يعرض أعماله على الهيئات العلمية وجمهرة العلماء فى الشام والعراق وغيرهما وهو يتلقى ملاحظاتهم ويدرسها ، ومما يدل على أن هذا الغرض قد بدأ يتحقق منه قدر جدير بالاطمئنان أن وزارة العدلية فى الحكومة العراقية حين وضعت مشروع قانونهـا المدنى ضمنته بعض ما أقر المجمع من مصطلحات هـذا القانون وقبلته فى كثير من مواده ونشرت كتيباً خاصاً بما وضع المجمع من مصطلحات القانون المدنى .. »

وتحدث من بعده الدكتور منصـور فهمى كاتب سر المجمع عن أعمال المجمع ولجانه فى الدورة الماضية وما استعد به للدورة الحاضرة ، وقد عرض فى حديثه لصلة المجمع بالحياة العامة فقال : « فأهل العلم والأدب يتصلون بالمجمع ويغتبطون بجهده المشكور، وأهل الصناعة والفن يقدرون ما يصيبهم من عمله الوفور ، حتى أهل الفـكاهة والدعابة فلرصيدهم على حساب مجمعنا لطيف الفـكاهات وطريف التندرات ، فالمجمع إذن يتصل بالحياة العامة على اختلاف ألوانها ، وله أن يغتبط حين يشهد انتفاع الجادين بجهوده ، كما أنه لا يضره أن يتنادر الظرفاء المتفـكهون على حسابه ، ولعلنا لا ننسى قصـة الشاطر والمشطور ، وحكاية الأرزيز والعرعور ... »

وفى النهاية أشار الأستاذ إلى أن مجلة المجمع ستعود للظهور عن قريب ، ولن المجمع سيـستأنف العمل فى معجم فيشر بعد أن انقطع العمل فيه منذ قيام الحرب الماضية .

ثم ألقى الدكتور طه حسين بك بحثا ضافياً قيما موضـوعه « فن من الشعر العربى يتطور بأعين التاريخ » ، وليس هـذا الفن إلا الرجز الذى ظلمه علماء الشعر وسموه حمار الشعراء ، وقد عرض الدكتور الباحث لنشأة هذا الفن ، وتاريخه ، وتطوره ، كما عرض لذكر أعلامه والمبرزين فيه وما كانوا يؤثرون فى تعابيرهم وفى تناول موضوعاتهم ، وبعد أن استوفى نواحى البحث أهاب بالمجمع ورجاله أن يقرأوا هذا الفن من الشعر وأن يعنوا بدراسته فانهم سيجدون فيها كنزاً للغة يمكن الانتفاع به واستخدامه فى النهوض بالعربية وتوسيع مادتها ...

وألقى بعد ذلك الأسـتاذ محمد كرد على بك بحثاً موضوعه « تطور الألفاظ والتراكيب والمعانى » ، فأشار إلى عناية العلماء السابقين بهذه الناحية ، وما كان من بالغ حرصهم فى تحرير اللغة ورعاية التراكيب العربية إبان نهضتهم العلمية ، ثم تحدث عن

صنيع الكتاب والمترجين فى هذا العصر وما يرتجلونه من التراكيب الأعجمية والتعابير المخالفة لدستور العربية وأرجع ذلك إلى عجلة كتاب الصحافة حيث لا يجدون وقتاً للتروى والتفكير ثم أشار بما يجب من استغلال الكنوز القديمة التى حفظها لنا القدماء فى هذا الباب .

وتحدث أخيراً الأستاذ « ماسنيون » نيابة عن إخوانه المستشرقين ، فتكلم عن خصائص المعجم العربى فقال : « لقد ألزمنا الطلاب فى لجنة تخريج الأساتذة باستعمال المعجمات العربية المحضة كالمنجد وأقرب الموارد والقاموس المحيط واللسان والتاج وبذلك اضطروا أن يسبحوا فى البحر المحيط ومحيط المحيط ولا سفينة لنجاتهم من هذه المخاطر إلا بالالتجاء إلى معجم لا أجد الآن منه نموذجاً كاملا وإن كنت أجد صورة ناقصة منه فى المخصص لابن سيده وتهذيب الألفاظ لابن السكيت والألفاظ الكتابية للهمذانى وجواهر الألفاظ لقدامة ، ولهذا النوع من المعاجم مستقبل عظيم ونحن إليه فى حاجة ملحة لتخريج أساتذة العربية فى الخارج . »

وكانت كلة الأستاذ « ماسنيون » ختام المؤتمر .

الأب أنستاس الكرملى :

نعى إلى أبناء الضاد منذ أيام العالم اللغوى الحجة المرحوم الأب أنستاس الكرملى صاحب مجلة « العرب » وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية .

ومكانة الأب الكرملى غير منكورة ولا خافية ، فقد أمضى حياته الطويلة باحثاً متقصياً موفراً كل جهده ونشاطه لخدمة العربية وفقهها والتوسع بمادتها ، وكانت له فى هذا جولات واسعة النطاق ، ومباحثات قوية عنيفة ، وكانت للأب أنستاس نظريات فى أصول العربية واشتقاقاتها ، وكان له فى ذلك اتجاه يناقشه فيه غيره من اللغويين ولكنها على أى حال نظريات تشهد بالجهد والتبحر فى فهم أسرار العربية والتمكن من فقه اللغات الأخرى .

ولقد كان رحمه الله طول حياته أوفى ما يكون نشاطا وهمة فى الدراسة والإنتاج ، وكان مناضلا من الطراز الأول فلا يسكت على مناقشة ولا يتغاضى على خطأ ، فلا شك أن فقده جاء خسارة للعربية ، وأن نعيه قد شق على زملائه خاصة وعلى أبناء الضاد عامة ، ولعلنا نجد من فراغ النطاق ما نوفيه به حقه فى ترجمة حياته وشرح نظرياته .

رحمه الله رحمة واسعة وعوض العربية فيه خيراً .

حروف عربية جديدة :

تحدثت الأنباء الواردة من « نيويورك » بأن السيد نصرى خطار قد ابتدع طرازاً جديداً من الحروف العربية ، ووضع لهذه الحروف قواعد لاستعمالها فى الطباعة والآلات الكاتبة ، وأن شركة الآلات الصناعية قدقررت استعمالها فعلافى آلاتها الكاتبة .

وقد تحدث الأستاذ الخطار نفسه عن مميزات هذه الحروف فقال : إنها ترجع إلى تسهيل القراءة على المبتدىء ، والاقتصاد العظيم فى تكاليف الطبع ، وتصغير الكتابة دون الاخلال بشرط الوضوح .

ومن المعروف أن مسألة الحروف العربية مثار ضجة كبيرة فى دوائر المجمع اللغوى منذ عام ، وقد وضعت فى ذلك رسائل وكتب ، ومن قبل كانت هذه المسألة مثار مناقشة طويلة ومجال اقتراحات متعددة من علماء العربية وخاصة من المستشرقين . ففيهم من يريد أن يختصر المسألة من أقرب طريق ، فيقترح استعمال الحروف اللاتينية مكان العربية دفعة واحدة ، وفيهم من يقترح تحوير الحروف العربية وتهذيبها حتى تفى بالحاجة .

والطريقة التى آثرها السيد الخطار هى تحوير الحروف العربية إلى ما يشبه اللاتينية فى الشكل وكتابتها منفصلة ، ومن المعروف أن الحروف العربية فى الخط الكوفى وفى الخط النبطى ، كانت تكتب منفصلة ، فطريقة الانفصال قديمة ، وطبيعة الحروف العربية بشكلها الراهن لا تستعصى على الانفصال ، فلا ندرى لماذا آثر الأستاذ الخطار ذلك التحوير فيها إلى ما يشبه الحروف اللاتينية ، وهو تحوير ستكون المشقة به أكثر من الفائدة منه .

الواقع أن المسألة ليست مسألة تشابك الحروف وانفصالها ، وليس بنا من حاجة إلى ذلك التحوير فى هيئة الحروف التى ألفناها واعتادتها أنظارنا ، وإنما العناء يأتى من قواعد الكتابة العربية وتعقدها فى استعمال الهمزة والألف اللينة وغير ذلك مما يضجر

علماء العربية أنفسهم ، فهلا تكاتف علماء العربية على تذليل هذه المسألة فإن ذلك يكون أجدى وأنفع ؟ !

هل استفاد الأدب من الحرب ؟

هذا موضوع مناظرة ، أقامتها جماعة الفكر العربي في الأسبوع الماضي ، وأيد الرأي فيها الدكتور زكي مبارك والآنسة روحية القليني المتخرجة في كلية الآداب وعارضه الأستاذ علي الجندي والآنسة زينب عبد الحميد .

وموضوع المناظرة جدير بالبحث والدرس ، لأنه يمس ناحية كان لها أثرها الظاهر والباطن في الأدب وفي الاتجاه الفكري ، ولكن تبادل الكلام بين المتناظرين جرى على الشأن الدارج في مناظراتنا ومحاضراتنا وهو حب الغلبة ، والتأثير على الجماهير بالعبارات الضخمة والكلمات الرنانة والنوادر الفكاهية ومن ثم نستطيع أن نقول إن هذه المناظرة لم تصل إلى الحقيقة في الموضوع ، والواقع أن الوصول إلى الحقيقة في هذا الموضوع يقتضي بحثاً للعوامل النفسية والاتجاهات الفكرية التي كانت نتيجة للحرب وللظروف التي فرضتها على المجتمع وهذا كله أعمق من أن تكشف عنه مناظرة كلامية في ناد .

المواضع والأمكنة في المعلقات :

تنشر جريدة « البلاد السعودية » بحثاً مسلسلا للأستاذ محمد بن بلهيد يحقق فيه أسماء المواضع والأمكنة في المعلقات ، ويدل على مواقعها القديمة وما صار لها من الأسماء الحديثة .

وهذا بحث جليل مفيد ، يحتاج إليه أبناء العربية في دراسة الشعر الجاهلي . ومن الواجب أن يعمم هذا البحث في جميع الأقطار العربية وأن يحرر تحريراً علمياً ليرجع إليه الباحثون ، فقد درجت الجامعات والمعاهد في دراسة الشعر الجاهلي على الاكتفاء بالإشارة إلى المواضع والأمكنة في ذلك الشعر بأنها « أسماء أمكنة » وكفى ، ومن المعروف أن الأمكنة لم تزل في مكانها ، وإن كانت أسماؤها قد تغيرت ، فمن الواجب أن يكون بين يدي الباحثين تعريف لتلك الأمكنة في مواقعها وأسمائها الحديثة .

وبهذه المناسبة نقول إن أبناء العربية يجهلون مواقع البلاد العربية ولا يتحققون من أسمائها الحديثة ومعالمها الظاهرة على حين أن الرحالة الأجانب قد رادوا هذه الأماكن وقاموا بتحقيقها ، وألفوا عنها الكتب والبحوث الضافية ، ومن الأسف أن كثيراً من أبناء العربية يرجعون إلى تلك الكتب والبحوث فينقلون الأماكن والأسماء عنها محرفة ، مما يؤدي إلى الخلط وتوسيع الشقة في التضليل .

الفن الروسي :

تهتم المفوضية الروسية في القاهرة بتعريف المصريين بالفن الروسي وإطلاعهم على نماذجه ولوحاته ، وقد سبق أن أقامت أيام الحرب معرضاً بجمعية المهندسين عرضت فيه لوحات فنية لمشاهير الفنانين الروسيين تمثل المواقع الحربية والقواد البارزين في الجيش الأحمر

وأخيراً أقامت المفوضية معرضاً بمدارس الليسيه عرضت فيه رسوماً وصوراً للتماثيل التذكارية ومعالم الثقافة والعمارة في الاتحاد السوفيتي كما عرضت مجموعة فنية للحيوانات البرية والبحرية استلفتت الأنظار وحازت التقدير والإعجاب .

وحسناً فعلت المفوضية فان المصريين أشد ما يكونون حاجة إلى التعرف بالفن الروسي ، وخاصة بعد أن اتجهت مصر إلى الأدب الروسي وأقبل الأدباء على نقل روائعه إلى جانب ما ينقلون من روائع الأدب العالمي .

الشاعر الدباغ :

أقيمت أخيراً في يافا حفلة تأبين للمرحوم الشاعر إبراهيم الدباغ ولقد كانت يافا موطن الدباغ مولداً ، وهي موطن أسرته وذويه ، ولكنه وفد على مصر في صدر شبابه لطلب العلم ، وبين ربوعها تفتحت عبقريته ونضجت شاعريته ، وقد آثرها بالإقامة إلى آخر حياته ، وفي أرضها ووري جثمانه .

أجل ، لقد عاش الدباغ لمصر بشعره وفنه ، وفيها غنى بمقطوعاته وهزج بقصائده ، وكانت له صلات وثيقة برجال الأدب والصحافة ، وجولات واسعة في الأندية والمحافل ، ثم ألمت به محنة المرض المعضل فاعتكف في مسكنه ، ثم وافاه الموت ، فنسي كما ينسى كل شيء في مصر ! !

ليت شعري أين أصدقاء الدباغ في مصر ، وأين أحباؤه وأصفياؤه ، أين الذين منحهم فنه وشعره مديحاً وإشادة فضنوا عليه حتى بحفلة تأبين في مصر دلالة وفاء وحفظ للجميل وتقدير للأدب والفن ؟ !

الجاحظ



أثر أدبي قديم :

نشرت مجلة « الطرائف الأدبية » الفرنسية القصة التالية .

في يوم من أيام « نيسان » عام ١٩٢٨ عثر فلاح بمنطقة رأس شمرة الواقعة على الساحل السورى تجاه قبرص على عدة قطع وأوان خزفية جميلة ، فأرسل حاكم اللاذقية إلى المفوضية الفرنسية يخبرها بهذا الكشف .

ودلت تحريات لجنة الآثار التي تولت بحث الموضوع على أن القطع والأواني التي عثر عليها الفلاح وجدت في مدفن ليس له شبيه في سورية ، وهو يشبه مدافن القرن الثاني عشر قبل الميلاد التي اكتشفت على ساحل قبرص . فقررت أكاديمية الآثار القيام بالتنقيب في هذه المنطقة ، وانتدبت لذلك بعثة بدأت العمل في آذار عام ١٩٢٩ ، واستمرت تباشر البحث والتنقيب حوالى عشر سنين .

وأسفرت دراسات البعثة وتنقيباتها عن حقيقة تاريخية كانت مجهولة ، وهي أن مدينة عظيمة قامت في منطقة رأس شمرة منذ القرن العشرين قبل الميلاد ، وقد استمرت هذه المدينة حتى القرن الحادى عشر حيث قضى عليها أقوام من الغزاة الخارجين

ومن أهم ما عثرت عليه البعثة المنقبة بقايا مكتبة مؤلفة من ألواح من الفخار على نحو مكاتب بابل وقد نقشت على هذه الألواح رموز وكتابات تبلغ الثلاثين عدداً ، ولم يعثر على ترجمة لهذه اللغات وقد تعذر فهمها وفك رموزها لأنها تنتمى إلى لغة غير معروفة بين اللغات الأثرية ، ولكن بعد مقارنات ودراسات تبين أنها لغة قريبة من العبرية ، وأنها أقدم بنحو عشرة قرون من سائر الكتابات الفينيقية التي اكتشفت إلى الآن .

وقد استطاع رجال الآثار أن يميزوا من تلك اللوحات الكتابية ثلاثة آلاف بيت من الشعر الذى يقوم موضوعه على الملاحم والأساطير ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وقد وقع عليها كلها باسم « إيليملك » .

هذا مجمل القصة التي روتها مجلة « الطرائف الأدبية » الفرنسية ، وهي قصة كشف أدبي سيكون له أثره في تاريخ الأدب ، وعند ما تترجم هذه الأشعار إلى لغة حديثة يمكن لمؤرخي الأدب القديم أن يصححوا كثيراً من الأحكام في ضوء هذا الكشف الجديد .

العاقل لا يعدم حيلة :

في (شرح النهج) لابن أبي الحديد :

قال أبو عثمان (الجاحظ) حدثني أبو عبيد الله الأفوه — وما كنت أقدم عليه في زمانه من مشايخ المعتزلة إلا القليل — قال : كنت ألقى من الذر والنمل في الرطب عندى وفي الطعام عنتاً كثيراً ، فاتخذت لطعامى منملة[1] ، وقيرتها وصببت في خندقها الماء ، ووضعت سلة الطعام على رأسها ، فغبرت[2] أياماً أكشف رأس السلة بعد ذلك وفيها ذر كثير ، ووجدت الماء في الخندق على حاله ، فقلت عسى أن يكون بعض الصبيان قد أنزلها وأكل مما فيها ، وطال مكثها في الأرض وقد دخلها الذر ثم أعيدت على تلك الحال ، وتكلمت في ذلك وعرفت الحال فيه ، فعرفت البراءة في عذرهم والصدق في خبرهم ، فاشتد عجبي ، وذهبت بي الظنون والخواطر كل مذهب ، فعزمت على أن أرصدها وأحرسها وأتثبت في أمرى فإذا هي بعد أن رامت الخندق فامتنع عليها تركته جانباً وصعدت[3] في الحائط ، ثم مرت على جذع فلما صارت محاذية للسلة أرسلت نفسها . فقلت في نفسي : انظر كيف اهتدت إلى هذه الحيلة ولم تعلم أنها تبقى محصورة ثم قلت : وما عليها أن تبقى محصورة بل أي حصار على ذرة وقد وجدت ما تشتهى

(السهمى)

(١) في مجلة المجمع اللغوى في القاهرة . ج ٢ ص ١١٠ : وافق المجمع العرف الشائع في إطلاق هذه الكلمة (النملية garde—manger) على ما يحفظ فيه الطعام من لنمل والذباب ونحوهما .

قلت : قالتها العربية منذ أيام أبي عثمان ، وربما كانت قبله ...

(٢) غبر — بالغين لا بالعين : مكث ، بقى .

(٣) صعد في السلم وفي الدرجة صعودا ، وصعد في الجبل وعليه تصعيد كأصعد إصعادا ولم يسمع صعد فيه أى كفرح (التاج) وصعد في الجبل من باب تعب لغة قليلة (المصباح) قرأ الحسن إذ تصعدون جبل الصعود في الجبل كالصعود في السلم ، وقال ابن الأعرابي : صعد في الجبل واستشهد بقوله تعالى : إليه يصعد الكلم الطيب (التاج) .

رفاهية العلماء :

جاء فى نبأ من موسكو أن الحكومة السوفيتية ستقوم ببناء منازل فى ضواحى المدن الكبيرة لأعضاء أكاديمية العلوم فى روسيا ، وسيتألف كل منزل من حجرة للاستقبال والجلوس وحجرة لتناول الطعام ، ومكتبة وحجرة للنوم فى الطابق الأرضى ومطبخ ومخزن للطعام وحمام فى مؤخر المنزل ، وغرفتين أخريين تواجههما شرفة واسعة ، وسيكون لكل منزل حديقة خلفية وحوش متسع ، وقطعة أرض مجاورة تزرع فاكهة وأزهاراً ، ويبنى فيها غرفتان للسائق والميكانيكى الذى يتعهد السيارة بالرعاية ومخزن للأخشاب والوقود وكابينة صيفية وحظيرة للمواشى .

ويقول النبأ إن السلطات السوفيتية قد أرسلت إلى كل عالم تصميما ليوافق عليه فيبقى أن تشرع فى البناء ، وأنها ستقوم بنفقات إنشاء هذه المنازل وتكاليفها ؛ كما ستقوم بالانفاق على هؤلاء العلماء وتتعهد بما يقلق خواطرهم من الناحية المادية حتى تتيح لهم الفرصة فى خدمة العلم وقصر جهودهم على العمل فى معاملهم .

ومن نحو خمسة عشر عاماً فكرت الحكومة الفرنسية فى بناء مدينة للأدباء والفنانين والعلماء على أن تكون فى الوضع الذى يلائم أمزجتهم راحة وهدوءاً وطمأنينة ، ولكن المشروع لم يخرج عن دائرة التفكير ، وعلق كاتب فكه على هذا النبأ قائلا فى سخرية : « أولى بالحكومة الفرنسية أن تقول إنها تريد أن تقيم مدينة للمجانين ، وإنها تريد أن تريح المجتمع من هذيان أولئك الذين يقولون عنهم إنهم أدباء وفنانون » .

وهذا التفكير الحديث فى أوربا قد سبق إليه آباؤنا وخرجوا به إلى دائرة التنفيذ والتحقيق منذ قرون ، فقد وقفوا على الأزهر الأوقاف الضخمة ، وأنشأوا به الأروقة والمساكن ، ورتبوا الرواتب للعلماء والطلاب حتى يكفلوا لهم الراحة المادية ، ويصرفوا أذهانهم عن التفكير فى شئون العيش إلى التفكير فى مسائل العلم .

والواقع أنه ليس هناك همٌّ أثقل على نفس العالم والأديب من التفكير فى شئون المال وتدبير العيش . ويروى عن الإمام أبى يوسف أنه قال : جلست فى بيتى وقد نشرت كتب العلم بين يدى وأخذت أجتهد فى تحرير مسائل الفقه والتشريع ، فدخلت الجارية علىّ وقالت ليس فى البيت دقيق ، فطارت من رأسى أربعون مسألة ولم تعد واحدة منهن أبداً .

فنحن نغتبط أن تهتم الحكومات بتوفير العيش والطمأنينة المادية لرجال الفكر حتى ينتجوا ويثمروا ، ولكننا لا نرى من الخير لهم وللمجتمع وللعلم أن يعزلوا فى أماكن خاصة ، لأن الفكر إنما يتعامل مع المجتمع ، فهو يأخذ منه ويعطيه ، وبهذا يكون عاملا من عوامل تطوره ، وإلزام العالم والمفكر بالانتاج لا يجدى ، فقد تخطر له الخاطرة ، أو تطوف برأسه الفكرة وهو سائر فى ضجيج الشارع أو فى مجتمع عام صاخب أو وهو يرى مشكلة تواجه المجتمع ، وليس من شك فى أن عزل العلماء والمفكرين سيصيرهم على مرور الأيام أشبه بطبقة الكهان ، وسرعان ما يضيق بهم المجتمع على هذا الوضع ، ويضيقون هم بأنفسهم .

(م . ف . ع)

لن تقوم فى الأرض مملكة يهودية فلسطينية :

دعا سليمان يوماً فاستجيب له ... ونال ما لن ينال الناس من بَعْدُ
ترى أنال غنى ؟ والأغنياء على ... ظهر البسيطة لا يحصى لهم عد ؟
أم نال مملكة مهما علت وسمت ... ففى ممالك أخرى العز والمجد
ما نال إذ نال من شىء يميزه ... عن العوالم لولا العقل والرشد
أمسى (الحكيمَ) ووصفٌ غير مطردِ ... أن خصَّ فيــه بمعنى ما له حد
فما انبغى قط أن يُعطى حكومته ... على اليهود يهودىٌّ وإن جدوا
ففوق حكمة أهل الأرض قاطبة ... جمع اليهود وإن لانوا أو اشتدوا
كالمال (معبودهم) قد بُعثروا بَدَداً ... وليس ممــا قضى فى أمرهم بد
من معجزات سليمان تآلفهم ... والمعجزات (كأهليها) لها حد
عيشى فلسطين فى أمن وفى دعة ... فمعجزات سليمان لهــا عهد
قد قال : « رب هبنى ... » قال : « مملكة ... على اليهود » ، وتمَّ الموقف الفــرد
لا ينبغى لسواه بعده أبداً ... تجميع من ربهم فى المصرف النقد

محمد التهامى وعبد اللطيف النشار



أدباء العروبة :

نشرت مجلة الرسالة فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٤٦/١١/٣٠ كلمة تحت هذا العنوان عجبت كيف قبلتها وهى ملتقى أقلام أهل الأدب وميدان النابهين من رجال الفكر ، وقد أدهشنى ما جاء بهذه الكلمة من أحكام لا تصدر إلا عن تحيز أو غرور .

وأحب أن أبين للقراء ما دق على فهم الكاتب من أهداف (جامعة أدباء العروبة) فى رسالتها للنهضة بالأدب العربى ، والسير به قدُماً إلى الأمام .

فالجامعة تعمل على إيقاظ الذهن العربى وتوجيهه نحو الآفاق البعيدة الجديدة من آثار المفكرين النابهين النوابغ ، وتريد أن تصل الشرق بالغرب فى النافع من الثقافة والأدب ، وتجد فى سبيل توثيق الأواصر بين الأدباء ليسيروا متساندين فى خدمة الضاد ، سواء أكانوا من المنضوين تحت لوائها أم من أنصارها الذين يعملون للأدب العربى مستقلين لا يرون فى التقيد بالجمعيات خيراً كبيراً . فليس هناك احتكار للأدب فى أذهان القائمين بأمر جامعة أدباء العروبة كما زعم الكاتب . وإنه ليسر الجامعة أن تعاون كل من يدعو لخدمة الأدب العربى والنهوض به أفراداً وجماعات . وهنا أريد أن أشير إلى ما سماه الكاتب انقساما فى صفوف الجامعة ، فليس خروج واحد أو اثنين على جامعة الأدباء يعد انقساما يتساوى فيه الفريقان . على أن جامعة أدباء العروبة يسعدها أن تسمع كل يوم عن تأليف جماعة لخدمة الأدب والشعر ، وتدعو لها صادقة بالتوفيق والسداد .

ثم كيف تأتَّى للكاتب — وأحسبه من قراء الرسالة — أن يفهم أن هؤلاء الذين توفروا على خدمة أغراض الجامعة ، يحتكرون الأدب ، وأنهم عدا واحد أو اثنين من غير الصف الأول ! لقد أخطأ خطأً مضاعفا ؛ فإن الذين يعملون معنا ، إنما وقع عليهم الاختيار قبل كل شىء لنشاطهم فى خدمة أغراض الجامعة النبيلة فوق ما يتجملون به من أدب وثقافة . وهم فوق ذلك — فى مجموعهم — يقفون فى الصف الأول من رجال الأدب العربى فى هذا العصر .

والجامعة لا تتردد فى دعوة البارزين من رجال الفكر والقلم فى كافة أنحاء العالم العربى المساهمة فى نهضة الأدب ورفع شأنه بغض النظر عن كونهم من أعضاء الجامعة أو من أنصارها ، أو من المستقلين عنها كل الاستقلال .

وإذا لم يكن شاعر مصر الكبير أستاذنا العقاد والشعراء النابهون : ناجى ، وغنيم ، والأسمر ، وأبو فاشا ، والغزالى ، والعوضى ، وعبد المنعم ، وشمس الدين ، وحمام ، والماحى ، وعماد ، وكامل الكيلانى ، ونخيمر ، والجرنوسى ، وعبد الحميد مرسى ، والجبلاطى ، وكبار كتابنا النابغين هم الذين تلمع أسماؤهم فى أول الصف الأول من أدباء العالم العربى ، فأين يكون هذا الصف الذى يعمل فى الخفاء ، وينشر رسالة الأدب فى خفر واستحياء !

أما ما جاء فى ثنايا كلام الكاتب من أن أحد الأعضاء نقل الأدباء فى سياراته إلى القناطر الخيرية ... الخ فهو ضرب من المهاترات الرخيصة التى لا تستحق العناية .

دعونا نعمل ، فإننا نرمى لتحقيق غايات شريفة نقصد بها وجه الله وخدمة الوطن ، بعيدين عن السياسة والحزبية ، والأغراض الذاتية . نرفع راية الضاد عالية يتفيأ ظلها من أراد بشرط أن يكون كفأ ومخلصا فى السعى لما نرمى إليه ، والله ولى التوفيق .

ابراهيم دسوقى أباظه

الرسالة : نعتذر مخلصين إلى حضرة صاحب المعالى رئيس (جامعة أدباء العروبة) مما أخذه على كاتب الكلمة . ونؤكد لمعاليه أن من أمانىّ الرسالة أن تتألف فى كل طائفة من طوائف الأمة جماعة للأدب يقوم عليها وزير أو كبير . ولقد كانت الرسالة أول من سجل اهتزاز الأدب واعتزاز الأدباء بتولى معاليه الوزارة ؛ إذ لا يستطيع — والأدب من طبعه وفى استمداده — أن يخلى منه نفسه وهمه وعمله ومجلسه . وإنما عز الأدب بعز أهله . وحسب الأدب اليوم أن يكون من منتجيه ومشجعيه وزير ! ولو لم يعمل صاحب المعالى إبراهيم دسوقى أباظه باشا ما عمل للفن الرفيع فى وزارته وفى داره وفى حزبه لما تميز فى رأينا على نظرائه الذين تقدموا بالأدب وتعرفوا به ثم أخروه وأنكروه . وإذا كان فى الناس من ظن أن رياسة الباشا لجامعة الأدباء تشريف ودعاية ، فقد ثبت من هذا البيان الحازم أن رياسته لها تكليف ورعاية .

أعوذ بالله !

أعوذ بالله من ... أأقولها ؟ من صورتي أنا ! ولست أعني الصورة التي صورني الله بها ؛ فإني راض عنها أحمد الله عليها ، ولكن أعني هذه الصورة التي وضعت مع مقالتي في العدد الممتاز وقالوا ... إنها صورتي ! مع أنها لا تشبهني ولا أشبهها وليس فيها ملامحي ولا سماتي ، ولم يرها أحد ممن يعرفني إلا قال كما قلت : أعوذ بالله ! أهذه صورتك !

لا والله يا إخواننا ، ليست صورتي ، ولا أدري من الذي صورها ، ولكن الذي أدريه أن هذا (المصور ...) مثل زميله الأول الذي بلغ من حذقه ومعرفته بصناعته ، أنه صور (ديكا رومياً) فما شك أحد ممن رأى الصورة ، بأنها (خريطة الحبشة)

وأنا أفهم من التصوير الكاريكاتوري أنه لابد فيه مع إظهار القبائح ، وتعمد الاضحاك ، من إثبات الملامح والدلالة على الشخص المصور حتى لا يتردد كل من يعرفه إذ يرى الصورة ، في أن يقول ضاحكا : هذا فلان ، فإذا لم يعرف من الصورة صاحبها ، ولم يوجد فيها مايدل عليه ، ولم تشتمل على فكرة ولا على إضحاك ولا تظهر معنى من المعاني ، فإنها لا تسمى صورة أصلا .

ولا عبرة بأن هذا (المصور ...) أبرز ملامح بعض كتاب الرسالة ، كعزام باشا مثلا ، وأنه يجيد تصوير الوزراء ورجال السياسة ، فإن كل إنسان إذا مرن على تصوير رجل يحذق صورته . ولقد كان عندنا في الثانوية ناظر عجوز له شاربان ينزلان على شفتيه وأنف أعقف كمنقار الصقر ، وذقن غائص في وجهه لا يكاد تظهر ، ووجنتان فيهما حفرتان ، فكنا نصوره بخطوط معدودة فتبرز ملامحه لا يعجز عن ذلك طالب فينا ، أما المصور البارع حقا فهو الذي تظهر براعته في كل صورة ، ويصور كل إنسان ، وعندنا في الشام من ينظر إليك دقائق ، فيصورلك صورة تضحك أنت منها ، ولا يشك أحد من أصحابك في أنها صورتك

ثم إن هذه الصورة المنشورة مع مقالتي ، لفتى في السادسة عشرة وأنا في حدود الأربعين ، وهي لشاب حيي مسكين ، وأنا رجل شرس ما كنت ، ولله الحمد ، مسكينا قط .

فإن كان هذا هو (الفن) في مصر ، فياضيعة الفن في مصر !

علي الطنطاوي

ذكرى باعث الشرق :

في منتصف شهر مارس من عام ١٨٩٧ ، انتقل المغفور له السيد جمال الدين الأفغاني إلى جوار ربه ، ففي مارس القادم يكون قد مضى على وفاة ذلك المصلح العظيم خمسون عاماً كاملة .

ومن نافلة القول أن نقول إن جميع أقطار الشرق الإسلامي مدينة في نهضاتها ووثباتها ، وما تحقق لها من مظاهر التقدم والحرية للسيد جمال الدين الأفغاني ذلك الرجل الذي قضى حياته يكافح الاستبداد وينافح الاستعمار ، ويصيح بالشرق المستسلم أن يستيقظ ، وفي هذا السبيل عاش شريداً طريداً تدفعه يد الأقدار أو يد الاستعمار من قطر إلى قطر ، وتخرجه من بلد إلى بلد ، حتى قضى شهيداً في مطارح الغربة ، وليس حول سريره زوج ولا ولد .

ليس من شك في أن الأفغاني — نضر الله قبره ونور ضريحه — قد أقام دعائم النهوض للشرق الإسلامي ، وبنى لحراستها قلاعاً من الرجال وإن بقية الخير وطلائع الإصلاح في الشرق هم تلاميذه ، أو تلاميذ تلاميذه ، وما كان للأفغاني مع هذا من ولد يريد أن يورثه المجد ، ويحفظ له المكانة ، وما كان له من مطمع في رفاهية الحياة فقد احتقر عروض الدنيا من أيدي السلاطين والحكام ، وازدرى المال والرفاهية ، وعاش حياة خشنة أشبه بحياة الصوفية والمتزهدين ...

واليوم وقد مضى على وفاة ذلك الرجل الذي وهب حياته للشرق خمسون عاما ، فهل للشرق أن يذكره في هذه المناسبة ، وأن يذكر أبناء الجيل بما كان في حياته من قدوة ، وفي سيرته من أسوة ، وفي جهاده من قوة ...

إن أقل ما يجب في هذه المناسبة ، أن ينهض الشرق الإسلامي، شعوبه وحكوماته ، هيئاته وجماعاته ؛ مدارسه وجامعاته فتقيم أسبوعاً عاماً يدعى بأسبوع جمال الدين الأفغاني ، وليس ذلك يعلم الله واجبنا نحو الرجل . بل إنه واجبنا نحو أنفسنا قبل كل شيء حتى ندفع عن أنفسنا معرة النسيان ، وتهمة الجحود والكفران .

محمد فهمي عبد اللطيف



القبر تحت قوس النصر

مأساة عن الحرب العظمى فى ثلاثة فصول

للكاتب الفرنسي بول رينال

نحن فى منزل باحدى القرى الفرنسية أثناء الحرب العظمى ، وقد جلس رجل فى الستين من عمره مع فتاة فى العشرين تدعى أود وشاب يرتدى الثياب العسكرية . وسرعان ما تفهم أن هذا الجندى هو ابن الهرم وخطيب الفتاة وأنه قدم من ساحة القتال ليرى أسرته وليقوم بعقد زواجه على خطيبته « اود » فقد حصل من أجل ذلك على إجازة أربعة أيام . ولا يكاد الحديث يدور بينهم حتى يعلم من أبيه الشيخ أن خطيبته قد تكلفت إظهار السرور بعد أن غادرها وذهب إلى ساحة القتال . وأنها فعلت ذلك لكي ترضي والده.. ولكنها بعد ذلك أخذ القلق يساورها فبدأت تستفسر عن نشأة ابنه الغائب وعن طفولته وشبابه . كان ذلك عزاءها فى غيبته . ويسأل الجندى عما إذا كانت قد وصلت رسالة باسمه إلى المنزل فينكران أولا ثم يحضران له الرسالة فإذا بها من مركز القيادة التابع له وفيها يأمره بأن يلغى إجازته ويعود إلى خط القتال . ولا يكاد يقرأ تلك البرقية حتى يضحك كما لو كان قد فوجىء مفاجأة سارة ، ثم يسأل خطيبته : لما ذا لم تخبريني عند حضورى ؟ فتجيبه : لقد كنت مبتهجا . فيذكرها بالواجب الملقى على عاتقه ، وكيف استشهد من فرقته ألفان ، وأنه لا بد أن يكون قد صدر أمر بهجوم جديد ويصمم على السفر فى أول قطار يقوم فى الفجر إذ أن قائده لم يسمح له بالسفر إلا على شرط الرجوع إذا جد فى الأمر شىء . وأن هذا القائد عند ما سمح له بذلك كان يقدر الخدمات التى أداها للوطن كجندى باسل .

ولا يكاد الإبن يذكر مسألة الزواج التى قدم من أجلها حتى يبدى الأب اعتراضه وتقره «أود» على ذلك فزيارته قصيرة لا تسمح باستيفاء إجراءات الزواج .

ويخرج الجندى ويخلو الأب إلى « أود » فيذكر لها أنه واثق من أن ابنه لم يكن ليفكر فى الأخطار الكبيرة التى كان معرضاً لها بقدرما كان يفكرفيها هى . وفى تلك السعادة الجميلة التى قضت الظروف بحرمانه منها . فتسأله :

— وماذا أفعل لكي أعيش ؟ .

— سأعينك

أتحميني من الشجن والشقاء ؟

وتتطور المناقشة بين الإثنين ، فتذكر له العروس أن واجبه نحو ابنه قد انتهى وأن عاطفته نحوه إنما هى استمرار آلى لما كان يشعر به عندما كان ابنه لا يزال طفلا . أما هى فواجبها لم يكد يبدأ بعد . وعندئذ يقول لها فى تأنيب خفيف :

— إنه ابنى ... فتجيبه بكل روحها : — إنه حياتى

ثم تنبهه إلى أنه ما دام قد حضر فمن غير اللائق أن يدور الحديث على شىء آخر غيره . وأن واجبها الأوحد هو أن تحبه وتذكره بالضحكة التى ضحكها عند ما قرأ البرقية الواردة باستدعائه ، وكيف أن هذه الضحكة الرهيبة قد أرعدتها وهى تشرح ذلك فتقول إنه يحمل طابع الحرب على شخصيته . ولقد أحست هى نفسها بكل هول الحرب عندما رأت كيف تقلصت عضلات وجهه المحبوب واستحال إلى عنف مخيف بمجرد ان نظر إلى البرقية .

ويلاحظ الأب الشيخ أنها لم تعد تتحدث إلا عن خطيبها ، وأن ابنه لا يتحدث إلا عنها . ويبدو له أنهما يشعران بأنه ليس بين الأحياء سواهما . وهو يحس لذلك بغضاضة على نفسه ، ويشعر بشىء من الغيرة إذ يسيطر الشباب هذه السيطرة على منزله . ويتحداه كما كان الظافرون يتحدون خصومهم المغلوبين بالسيوف فيما مضى ! وهو يخشى أن يكون عقبة بين ابنه وبينها . وتدهش « أود » لذلك وتصارحه بأنه جد مخطىء إذ يفكر فى ذلك كله ولكنه يقول برغم هذا : — ما أسعد هؤلاء الشبان. إن الحرب لم تغير كل شىء ! مهما حدث على الأرض فلا يوجد دائما إلا مصيبة واحدة . تلك هى الشيخوخة ! .

ثم يعود الإبن فى ثياب مدنية ويخرج الأب بعد أن يحاول

استصحاب الفتاة معه فيرجو منه ابنه أن يتركها له قليلا . ولا يكاد العروسان يختليان حتى تلتمس منه « أود » أن يصفح عنها ، فاذا سألها عن أى شىء تطلب الصفح ، أجابته عن أنها استطاعت العيش بعده . ثم تقول له : — إنك تمثل لناظرى كل الأمور . إننى لاأملك من حطام الدنيا إلا التفكير فيك . إنه غذاء كيانى ونار نفسى ، وهدف عينى ، وطابع صوتى ، ومجرى دمى . إنه كل شىء . إنه أنا ! .

ثم تذكره بمنشأ علاقتها به ، وكيف أنها طالما زهت وفاخرت بمعرفته وكيف تمنت أن تكون زوجته ، فإذا قال لها — ستكونين زوجتى يوماً ما .

أجابته بعد مجهود كبير : — كنت أود أن أكون زوجتك هذه الليلة .

فيذكر لها أنه ليس من حق أحد فى فرنسا أن يكون سعيداً فى هذا العام ، وأنه يود أن يدعو كل أصدقائه وزملائه فى الجيش إلى حضور حفلة زواجه ، ويشعر أنهم جميعا يشخصون اليه ، ويعدون إليه أيديهم الرقيقة سواء منهم الأحياء والأموات .

هى — الأموات ؟

هو — أصدقائى الذين استشهدوا والذين لو بقوا لكانوا هنا الآن . أين هم ؟ إننى أدعوهم . فلو ظلوا أحياء لكانوا الآن فى مراكزهم بساحة القتال . ولكنهم ماداموا قد ماتوا ففى مكنتهم الحضور ! إننى أنتظرهم . سيظهرون ، ليحضروا ، فلن أتمتع بكل بهجتى وسرورى بدونهم . إننى أناديهم .

ثم يبدأ فى مناداة أصدقائه من المحاربين الأموات إلى أن يصل إلى اسم صديق تعرفه خطيبته « أود » فيذكر لها كيف أن ذلك الصديق قد سقط مضرجا بدمه فى أحد الحصون وكيف أنه طلب إليه أن يرفع تمنياته الصادقة إليها وأن آخر كلماته له وهو يحتضر بين يديه : « كونا سعيدين » وتعجب « أود » بهذه العظمة التى تتجلى فى شخصية خطيبها . وتشعر أن نفسها عاجزة عن مجاراته فيها فتقول له : — إننى بجانبك أحس فى نشوة بعظمتك . وفى اضطراب بشقائى .. أنت توقن بأنك عظيم فيجيبها فى حزم وزهو : — أجل .

— هذا ظاهر ! إن هذه الروح التى لاتتجلى إلا فى جبهة القتال جعلتك مختلفا عنا وأسمى منا ، إننا لانستطيع أن نفهمك .

ثم تطلب إليه أن يرفعها إلى مرتبته وأن يسمو بها إلى درجة البطولة ، أن يرفعها إلى تلك السماء التى تخضبت بدم الشرف الحربى فيقول لها : — إن من يطلب ذلك بهذه اللهجة فلا شك إنه يحصل عليه .

— كلا .

— إنك أنت تلك البطلة التى ترغبين فيها .

ثم يطمئنها بعد ذلك ويخبرها أن الحرب قد وضعت أوزارها وأنها لن يندلع لهيبها بعد . ويتجاذبان أطراف حديث قصير . ثم يهبط الستار وهما يضحكان .

فإذا كان الفصل الثانى فنحن فى غرفة العرس التى قضى فيها العروسان ليلتهما . وهما يتحدثان عن تلك الليلة فنفهم أن « أود » قد وهبت خطيبها الجندى أعز ماتملك الفتاة العذراء ! وهى تذكر له أن هناك أشياء كثيرة لايزالان يجهلانها ومن بينها ماهو فى منتهى البساطة . وهى تعطى مثلا على ذلك أنها لم تره من قبل ، ذلك أنها لم تره قط وهو مغمض العينين . ولذا تطلب إليه أن يغمض عينيه ، فيفعل . ثم يخبرها أنه قد فهم ماتريده من وراء ذلك فإن عينيه المغمضتين تذكرانها بموته ! فتنكر ذلك فى ضعف . ولكنها تعود فتسأله ثانية عما إذا كانت الحرب قد انتهت حقا كما كان قد أخبرها . وتلح فى سؤالها إلحاحاً شديداً وعندئذ يصارحها بأن الحرب لم تنته وبأنه لا يزال أمام النصر النهائى مدة طويلة ؛ وهى تذعر من هذا النبأ وتلومه على أنه أطاعها وصارحها بالحقيقة ، وتخبره بأنه ما كان يجب يعبأ بإلحاح امرأة مفتونة ! وهو يلحظ مبلغ وقع النبأ عليها . وكيف أنها أحست بشبه خيبة فى حبها له . فسوف تضطر مرة أخرى إلى انتظار مدة طويلة وهى تتوسل إليه أن يبقى إلى جانبها ولكنه يجيبها أنه وحده دون باقى زملائه فى الثكنة قد استطاع الحصول على أجازة . وأن قائده قد اشترط عليه وجوب العودة بمجرد استدعائه . وها هو قد استدعى . ولا بد أن يكون الجيش فى خطر . فقد أخبره قائده أنه لن يستدعيه إلا إذا كان هناك خطر داهم . وهو بناء على معلوماته وبعد ورود تلك البرقية أصبح يوقن بأن المعركة الفاصلة ستدور رحاها يوم الأحد القادم ، ولذا يجب الرحيل عند الفجر . وهو ينتقل بعد ذلك فيلقى كلامه كما لو كان ينطق بلسان كل جنود الجيش الفرنسى . فيذكر لها كيف يحب

أولئك الجنود نساء فرنسا . وكيف يموتون وهم يذكرونهن ويتمثلون ابتساماتهن الساحرة . وتتملكه لجأة نوبة يأس وأسى فيخبرها أن هذه الحرب لا تعدو أن تكون كسابقاتها من الحروب ، لا تكاد تضع أوزارها حتى يكتفى الشعب بأن يلبس الحداد فى استهتار وعدم اكتراث مدة ما . وتلقى بعض الخطب بجانب التماثيل المقامة للشهداء . ثم سرعان ماينسى كل شيء ويعود الجميع إلى السرور والمرح واللهو والعبث . وهو لايغار من السعادة التى سوف يفوز بها الذين سيبقون بعد موت أولئك الشهداء ، فهو يعلم أنه يفنى حياته لكى يمهد السعادة للباقين ولكنه يرجو على الأقل أن تحتفظ فرنسا بذكريات أولئك الشهداء ، وهو يربأ بذلك التمثال الذى شادوه من حطام آلامهم وأحزانهم أن يدفن فى رمال الأجيال والقرون ، وهو يرى أنه يجب على فرنسا أن تستمر على معرفتهم وأن ترثى لهم وتترحم عليهم ! وتنصت « أود » إلى قوله فى صمت ثم تؤكد له أن الأموات من جنود الوطن يسمعونه ، فيناديهم بأسمائهم ، ويخبرها أنه قد تبين أصواتهم فقد أجابوه وقالوا له جميعاً : « كونا سعيدين » .

ثم تطلب إليه أن يدنو منها وهى تقول له فى لهجة شعرية رائعة أخاذة .

— دع شفتى حتى أستطيع أن أحدثك ... ضع فك بقربهما تماما . لا . اعطنى إياه . آه كم كنت أود أن أتمكن من إعطائك قبلاتى وكلماتى فى آن واحد ! أغمض عينيك كما أغمضهما أنا . أطفىء هذا الضوء الشرير (يطفىء المصباح وعندئذ تظهر على زجاج النافذة بشائر الفجر ، الفجر الفظيع الرهيب الذى تحدد لرحيل الجندى العاشق . ولكنهما لا يزالان مغمضين عيونهما فلا يريانه) إننى إذا أكون لك أنسى العالم . خذ منى كل ما فى من شباب . إننى أعطيك إياه . إنه لك . لك وحدك . لك دائما وإلى الأبد . أنت وحدك الذى سوف يعرف حرارة جسدى ، إننى أذوب فى حياتك . ثم تتذكر الفجر فتفتح عينيها وتقول وهى مضطربة : أنظر . ! لا تنظر . ! إنه هو . كلا . إنه ليس هو . قل إنه ليس هو . إنه ليس هو الفجر ! فيقف ويحييها فى جراءة وإقدام : إنه الفجر .

فتمسك به وهو على حافة الفراش وتقول : ليس هذا هو الفجر ، لا شك أنه هو !

ويتأثر الجندى الشاب لذلك الحنان العجيب الذى تظهره « اود » فيذهب إلى النافذة ويسدل عليها الستائر . وهو يقول : إنه ليس الفجر ما دمت تريدين ذلك

— وماذا تساوى إرادتى ؟

ما دمت هنا فهى التى تسود العالم

— إذن فلا تسافر

— حسن . سأبقى

ثم يطلب اليها أن تنام لتستريح فتبدى له خوفها من أن يغادر المنزل وهى نائمة . فيؤكد لها أنه سيبقى . وتشعر أنها جد سعيدة إذ تراه بجانبها يتحدث اليها وهى فى الفراش . فهذا أبدع من سماع الموسيقى . فالموسيقى تدلل الجسد ، أما الحديث فهو وحده الذى يدلل الروح . وتلتمس منه أن يقسم لها بأنه لن يتركها فيقسم وعندئذ تتمتم : إننى سعيدة

وتنقضى فترة ثم يسألها : أتنامين ؟

(تجيبه هامسة : « اجل » فيذهب الي النافذة ويزيح الستار . ثم يرى « اود » نائمة فتخونه شجاعته ويذرع الغرفة ذهابا وإيابا فى تهيج واضطراب ويلمس فمها بأصبعه ليتأكد من نومها وهو يتمتم) :

— « أتنامين ؟ »

فاذا وثق من أنها نائمة وضع رأسه على المائدة وأخفاه ثم أخذ يبكى وقد بدا ضوء المصباح يغمر الغرفة وهو يحاول جهد طاقته ألا يوقظ اود .. ويبكى ويبكى ... مع أنه لم يكن يعرف البكاء من قبل!

فاذا كان الفصل الثالث ، فنحن فى غرفة أخرى من غرف المنزل اجتمع فيها الأب الشيخ بابنه الجندى وخطيبته أود . وأنت تفهم منذ بداءة الفصل أن الجندى قد عدل عن الوعد الذى قطعه على نفسه أمام خطيبته ، واعتزم الرحيل من جديد والعودة إلى ساحة القتال . وهو يذكر ذلك لوالده ويلفت نظره فى سخرية إلى أن هذا الرحيل سوف يتيح له — أى للأب الشيخ — الفرصة للاستمتاع بذلك النظام اليومى الذى اعتاده فى حياته مع « أود » . سوف يعود إلى تلقى قبلتها فى المساء قبل أن تذهب إلى فراشها ، وإلى سماع صرير المفتاح فى باب غرفتها ، وإلى التلذذ بالسكون الفاتر يسود جو المنزل . وأنت تحس بأن الشيخ يحوم حول معرفة ما فعله الشابان فى الليلة الماضية ، وهو يرغب فى معرفة ذلك ، فهو يذكر أنه لم يرضوا فى غرفتهما عند ما أغلق نافذته فى منتصف الساعة الرابعة ويتساءل عن سبب ذلك وهو يستشف من خلال

إجاباتهما ما يثيره ويستفزه ، فهو يهاجم ابنه إذ اجترأ على تلويث فتاة عذراء كانت تحت حمايته هو ! وأنت تحس من طريقة إلقاء ذلك الشيخ ولهجته أنه يغار من ابنه غيرة لا يكاد هو نفسه يشعر بها ، فهى غيرة تشتعل فى عقله الباطن ، ويتجاهل أن تلك الفتاة إنما هى خطيبة ابنه وحليلته ، وهو لا يستطيع أن يضبط غيرته من الشباب الذى يتمثل فى ابنه وخطيبته . ويشعر الابن الجندى بذلك ويجابه أباه به ، وينكر أن للأبوة حقاً فى أن تتعرض لمثل ما تعرض له أبوه . فلا يمكن أن يحكم على تصرفات جندى إلا من عرض حياته للفناء فى ساحة القتال ، ويثور الابن فيصارح أباه بأنه إنما ينتقده لأنه لا يريد أن يحرم من التمتع بذلك النظام الذى اعتاده فى حياته مع « أود » أثناء غيبته فى الحرب ، ثم يقول بمنتهى الصراحة : « إنه مما يضايقك أن أظل حياً ! وبدهش الأب الشيخ لذلك ، ولكن الابن الجندى يعلل هذا بما سبق من أن أباه يغار منه دون أن يشعر بتلك الغيرة ، وهو يحس الآن بأن غيرته قد جرحت بعد الذى علمه مما دار بين الخطيبين فى الليلة الماضية » . ويثور الابن على شيوخ العالم ويقول : « إن الشبان قد اختفوا فى هذه الحرب وعاد الشيوخ إلى احتلال مكانتهم كرجال وشبان من جديد . ويتهم والده بأنه يكرهه . وهنا تطلع « اود » والد خطيبها على ما ذكره لها خطيبها من أن الحرب ستطول وأنه أخفى عليهما ذلك . ويدهش الأب لهذا ، وتخشى « اود » أن يموت خطيبها فى تلك الحرب ! وعندئذ يقول الجندى لها :

إذا مت فانني أمانع فى بقائك هنا — ثم يبدى رغبته فى أن يصطحبها معه إلى باريس ، فتمانع فى ذلك ، ويظن الأب الشيخ أنها تمانع من أجله فيشكرها . ويلح الجندى فى ذلك ويطلب اليها أن تختار بينه وبين أبيه ؛ ويدور بينها وبين الشيخ هذا الحوار العجيب !

هى — سيرحل ؟

الشيخ — هل طرده أحد !

هى — سيذهب ؟

الشيخ — ليذهب

هى — سيعود إلى وطيس المعركة

الشيخ — فليؤد واجبه

هى — إنه يواجه الموت

الشيخ — يتوهمون ذلك دائماً !

وفى تلك الأثناء تكون أود بجانب الشيخ فيظهر عليها الاشمئزاز منه وتتراجع وهى تنظر اليه فى احتقار وازدراء وتقول فى صوت قوى : إنك ترعبنى ! فيصيح الشيخ : « اود ! »

ولكنها تلتفت إلى الجندى وتقول : « خذنى ! » وتصارح الشيخ بأنها تشمئز منه وأنها لا تريد البقاء . وتؤكد لخطيبها أنها لم تفكر فى أحد غيره . وأنها له وحده . تفخر وتزهى بأنها زوجته أو بأنه جعلها زوجته ! ويسألها الشيخ عما إذا كانت لم تشعر بحبه لها أو بحبها له . ولكنه ينتبه إلى وجوب التزام الوقار والحكمة ! وتلتفت إلى خطيبها فتعاهده بأنه إذا مات مستشهداً فى ساحة القتال فسوف لا تعرف فى الحياة بعده إلا ذكراه ... وينصح لها الشيخ ألا ترتبط بمثل ذلك التعهد فتسخر منه وتكرر قسمها بأنها سوف تقنع بذكرى خطيبها إلى أن تلحق به ... فإذا عاد الشيخ إلى نصحها غالت فى قسمها وعاهدت خطيبها على أنه إذا مات فستلحق به . ثم يشتد بها الضجر من الجو الذى يحيطها فتطلب أن يأخذها معه فيتوسل الشيخ إلى ابنه قائلا : اتركها لى . وعندئذ تلتفت اليه وتقول : أتوجه اليه الكلام!

الشيخ للجندى — قل لها أن تبقى . وتسخر منه اود فيعترف بأنه وهب قلبه لها للمرة الأولى فى حياته . فتنبهه إلى أنه يجب أن يهبه لابنه وحده . ثم تسأله : هل تعرف شيئا عن الحرب؟

الشيخ — أعرف اليوم للمرة الأولى . ثم يعترف بأنه لا يمكن لامرىء معرفة الحرب إلا بعد أن تدميه وتمزق قلبه . وها هو يشعر بقلبه يتمزق ! وعندئذ تشير إلى الجندى قائلة : إذن أنظر اليه الآن !

الشيخ (بتهكم) — يا صغيرى المسكين !

وتطلب إليه أن يحييه ويستغفره فيتقدم الشيخ إلى ابنه ويسأله الصفح وهو يقول : إن البطولة أيها الشبان من حقكم الطبيعى . إننى أتوسل إليك أن تعفو عما ارتكبته من حطة وضعة . لا أطلب شيئا آخر ... سافرا ... انسيانى . (لا ، لا) ولكن لا تسافر قبل أن تقول لى أنك عفوت عنى . فها أنا ذا والدك أجثو تحت قدميك . عفوك . فيتأثر الابن الجندى ويعفو عن أبيه ثم يقول : إنه لشىء جميل أن يكون رجل هرم مثلك بهذا الحنان . لا تأسف على ما شعرت به من الألم . فاذا تألم الشيخ أصبح شابا . لا وسيلة غير الألم لكى تقترب منا نحن الشبان .

وهذا هو فى الواقع محور القصة كلها ، فقد وفق المؤلف

توفيقاً تاماً إلى الغرض الذى يرمى إليه . إذ كان واجب الإبن الجندى أن يرفع خطيبته ووالده إلى مستوى البطولة ، وأن يسمو بهما إلى المثل العليا النبيلة التى وصل إليها حماة الوطن من جنود الجيش الفرنسى أثناء الحرب ... وها هما قد ارتفعا وسمت نفساهما إلى السماء ... وهـا هو الإبن يعرض على « أود » أن تبقى مع والده بعد أن صفح عنه ، فيأبى الوالد هذه المرة ويرفض . ولـكن الإبن يلح فيقبل الشيخ فى خجل وحياء أن يحمى زوجة ابنه . ويلتفت الجندى إلى خطيبته فيطلب إليها ألا تنفذ ما قالته له من أنها ستلحق به إذا مات فى ساحة القتال فهو لا يريد ذلك . بل هو يتوسل إليها أن تبحث لها بعده عن شاب يكون قد خاض غمار الحرب وأدى واجبه القومى . ويجب عليها ألا تترفع عن حبه إذا بادلها هو الحب . فإذا وصلت شخصيات القصة الثلاث إلى هذا الحد من السمو والتطهر اقتربت اود من خطيبها وهى تقول : أحبك ... ويقول الوالد لابنه فى صوت قوى : إبق حيا .

ويظهر الإبن الرضى والاطمئنان ويتقدم إلى الباب وهو يقول : حسن .

وتنتهى القصة هكذا .

الشيخ — عد إلينا ناجيا

هى — أحبك

الشيخ — إننى فى حاجة إلى يدك لـكى تغمض عينى .

هى — أحبك

ويكون الجندى إذ ذاك قد بلغ الباب فيلتفت إليهما ويقول فى لهجة مفعمة بالحب : كونا سعيدين !

ثم يختفى ويسمع صوت الباب الخارجى وهو يغلق ثم صوت العربة وهى تبتعد . وتظهر علامات الأسى على « اود » فتسقط على أحد المقاعد ويشترك الشيخ والشابة فى البكاء والأنين !

(البصرة) سهيل

مطبعة الرسالة

العدد ٧٠٧ — الاثنين ٢٠ يناير ١٩٤٧ — السنه الخامسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٠٥٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15me Année No. 707

Lundi — 20 — 1 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٠٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ صفر سنة ١٣٦٦ — ٢٠ يناير سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

أشهر الرسائل العالمية

للأستاذ عباس محمود العقاد

كلمة الرسالة من الكلمات التي يستشهد بها على تطور الكلمات في معانيها ودلالاتها على حسب أحوال الزمن ومناسباته، فالرسالة مكتوب يرسل من إنسان إلى إنسان ، والرسالة دعوة دينية يؤديها رسول من الله ، والرسالة مهمة من مهام الإصلاح والإرشاد ، والرسالة في المصطلح الحديث كتاب صغير في بحث وجيز ، والرسالة اسم هذه المجلة التي تجمع بين هذه الدلالات ما عدا الرسالة السماوية التي يختص بها الرسل من الأنبياء .

وربما كان أصل الكلمة كلها من مادة « الرسل » بمعنى اللبن إذ يفيض سهلا من الأثداء ، ثم استعملت للخصب والسهولة والانطلاق الرخي الذي لا تعويق فيه ، ثم كان إرسال الشيء عامة هو نقله من مكان إلى مكان في رفق ولين . ثم كان الإرسال لكل تحريك رقيق أو عنيف ورخي أو شديد .

وهكذا تتطور الكلمات في اللغة العربية وتبقى أصولها كما تبقى معانيها المجازية وهي تتحول مع الزمان وتحولنا معها وإن أبينا عليها التحويل .

***

والرسائل التي نعنيها في هذا المقال هي المكاتيب بين الآحاد وهي أيضاً قد تحولت مع الزمن وتطورت مع مستحدثاته السابقة واللاحقة ، ومنها تعميم الكتابة وتنظيم البريد وشيوع المطبعة على التخصيص.

فانتشار التعليم مع انتظام البريد قد جعل الرسالة كثيرة الأغراض يكتبها العامي الجاهل كما يكتبها الأديب المطلع ، وتكتب في الشئون اليومية كما تكتب في الشئون الإنسانية الباقية .

فليست كتابتها اليوم موضع احتفاء وتنميق كما كانت يوم كان كتابها جميعاً من العلماء والأدباء . وكانت — لصعوبة انتظام البريد — تدخر للموضوعات النادرة والأساليب الأدبية أو الأساليب التي تلاحظ في مخاطبات الدول والرؤساء .

وشيوع المطبعة قد جعل الطبع وسيلة لنشر المؤلفات العلمية والمصنفات الأدبية . فأصبحت الرسالة الخصوصية كالملابس الخصوصية في قلة الاحتفاء والعناية ، وكادت العناية أن تقصر على الموضوعات التي تذاع وتشاع ، خلافاً لما كان في عصور الأمية ونقل الكتب بالأيدي في نسخ معدودات .

فأقل ما يقال عن تطور الرسالة مع الزمن أنها لم تتقدم في عصر المطبعة والبريد ، وأنها أصبحت من الموضوعات التي لا تخص بالتجويد والتحسين ، وقد تخص بالعجلة وقلة الاكتراث .

وهذ سبب من أسباب الحرص على هذا التراث الذي يستحق الاحياء والاستبقاء ، ولعلنا نحببه ونحبب العناية به إلى كتابه إذا أعدنا ذخائره القديمة إلى الذيوع والتداول ، وأضفنا إلى رسائل

البلغاء فى اللغة العربية نماذج أخرى من رسائل البلغاء فى اللغات العالمية ، كما فعل صاحب الكتاب .

هذا الكتاب هو « رسائل العالم الكبرى » وجامعه هو لنكولن شستر الأمريكى Schuster ومصادره هى لغات العالم القديم والحديث ومنها اللغة العربية . فقد ترجم منها رسالة الاسكندر إلى دارا التى يسمى فيها الاسكندر بلفظه العربى Zu Ulkurnain ذى القرنين ، وترجم غير هذه الرسالة من الروسية والألمانية والفرنسية واللاتينية والإغريقية . فكان الكتاب من أوفى مجموعات الرسائل الكبرى التى ظهرت فى العهد الأخير .

ومن أصحاب الرسائل المجموعة رجال من أعظم أعلام التاريخ فى العلم والفن والحرب والسياسة . نذكر منهم كولمبس وباكون وفولتير وواشنطون ونابليون وروبسبير وهكسلى الكبير وبيتهوفن وبيرون ودستيفسكى ونيتشة ولنكولن وزولا ومارك توين وعشرات من هذه الطبقة فى العصور القديمة والحديثة ، يفرغون قلوبهم فى ودائع أدبية لم يقدروا لها - أو لأكثرها - أن تصل إلى أيدى القراء ، ويسرون فيها أحيانا غير ما يعلنون من الوساوس والآراء .

وفى المجموعة رسائل لأناس لم يشتهروا فى الشرق كما اشتهر الذين ذكرناهم فيما تقدم ، ولكن رسائلهم فى الغرب ذخيرة من أنفس ذخائرهم المروية بين الأدباء والأديبات ، ومن هذا القبيل رسائل أبيلاب الفيلسوف الكاهن وهلواز الفاتنة الترهبة ، وقصة حبها الفاجع كأغرب القصص التى تروى عن عشاق العرب المشهورين .

توفر على ترجمة نخبة من هذه الرسائل إلى اللغة العربية أديب قدير فى النقل من الإنجليزية إلى العربية ومن العربية إلى الإنجليزية ، وهو الأستاذ محمد بدران ، وأصدر الجزء الأول منها فى أكثر من مائتين وأربعين صفحة من القطع الكبير ، وسماه أشهر الرسائل العالمية ، وأجاد النقل فى لغة سهلة صحيحة دقيقة التعبير . فهيأ لقراء العربية مادة من القراءة الممتعة النافعة لم تتهيأ لهم قبل هذا الكتاب ، وأعطاهم فى كل رسالة من هذه الرسائل التى بلغت خمسا وستين زادا للفكر والعاطفة يفعم القلب والخيال

ويأبى شستر صاحب المجموعة الإنجليزية أن يصدق أن عصر البرق والتلفون قد جنى على الرسائل وضيق عليها المجال . فهو يقول فى مقدمة المجموعة : « إن اعتقاد المعتقدين أن البرق والتلفون قتل فن المراسلة هو فى رأيى اعتقاد بغير أساس . ومن حين إلى حين ينهض كاتب من كتاب المقالات والفصول فينعاها ويأسف لزوالها فى غضب مشروع ، وأنه لكمن ينعى وقائع الحب العظمى والصراع العظيم والفن العظيم والمأساة العظيمة والخواطر العظيمة ، وقد نجد الجواب المبين فى الرسائل الباقية التى احتوتها هذه المجموعة واشتملت على تلك الصيحات المثيرة التى بدرت من أميل زولا وروبرت لويس ستفنسون ومدام كورى وبارتوليو فازيتى ولورنس وكونراد وتروتسكى وتوماس مان . وغيرهم من المعاصرين الذين انتخبنا لهم بعض الرسائل فى هذه المجموعة .. »

وعندنا أن هذا الإشفاق من الرجل المشغوف بفن المراسلة هو ضرب من إشفاق الوالدين على الأبناء .

فكل فنان متعلق بفنه يأبى أن يسمع نعيه أو يترقب زواله ، وكل والد يحب وليده يأبى أن ييأس من حياته ولو أنذره باليأس منه أقدر الأطباء .

ومثل هذا الشغف معقول ومقبول ، ولكنه لا ينفى الحقيقة التى تدل عليها عبارة المؤلف هذه وهو يسوقها لنفسه وللقراء مساق الطمأنة والتبشير . فلو قيس ما كان ينبغى أن يكتب فى العصر الحديث من رسائل الأدباء إلى ما كتب فعلا واختاره فى المجموعة لظهر أن الواقع لا يتجاوز معشار المطلوب أو المأمول . فإن العصر الحديث يخرج لنا من الأدباء فى كل قطر ما يربى عدده فى الجيل الواحد على عدد أمثالهم فى جميع العصور اليونانية واللاتينية ، وهم مع هذا لم يكتبوا جميعا مثل ما كتبه الأدباء الأقدمون أو ما كتبه معاصروهم من العظماء والرؤساء .

فلا شك فى جناية البرق والتلفون والبريد والمطبعة ومقابلات المسارح ودور الصور المتحركة على تبادل الرسائل البليغة ومساجلات العاطفة والفكر بين أبناء البلد الواحد فضلا عن البلاد القصية ، ولكن الأمل فى دوام هذا الفن منوط بكثرة الكاتبين وإن قل نصيبهم من الكتابة . فان ألفا يكتب عشرهم

الذى قال أنا ربكم الأعلى

للأســـتاذ على الطنطاوى

لبس ثيابه واستعد ولكن الباب لم يفتح ، فوقف وراءه يصغى فلم يسمع صوتا ، فضاق صدره حتى أحس كأن مرارته ستنشق ، وأن أعصابه ستتمزق ، فجعل يدور فى الغرفة وساعته فى يده ينظر إليها ، حتى فتح الباب ، وأقبل الحراس ليقودوه إلى المحكمة ...

وكان يرقب هذه الساعة ويعد لها الدقائق والثوانى ، لا حباً بالمحكمة ورغبة فيها ، بل هربا من الوحدة وخوفا من لياليها ، فقد كان يمر عليه الليل طويلا ثقيلا ، وهو وحيد فى حجيرته (زنزانته) لا رفيق له إلا ذكرياته وأفكاره ، ولا مسرح لنظره إلا هذه الغرفة الضيقة ، يحدق فى جدرانها التى يسيل عليها هذا الضوء الأصفر الشاحب ، ويوهمه طول تحديقه فيه أنه يرتجف ويضطرب ، وتتراءى له ظلال غامضة لا تلبث أن تضح فيرى فيها صورة مشنقة منصوبة ، فيغمض عينيه عنها ويحاول أن ينام فتلاحقه هذه الصور وتزداد بشاعة وهولا ... فيحس أنه مشرف على الجنون ، ويقوم إلى الباب يشده ويعالجه حتى تكل يداه ، فيسقط إعياء ويأساً ... ولم يكن يتمنى إلا إنسانا يحدثه ، عدواً أو صديقاً يجد عنده صدى خواطره ، ورجع أفكاره ، ليقنع نفسه أنه لا يزال عاقلا لم يجن !

لذلك كان يجد هذه الساعة نعمة سابغة ، لأنه يلقى فيها أولاده وصحبه ، راكبين معه فى السيارة مقيدين مثله بالسلاسل والأغلال الثقال ، ولكن ألسنتهم طليقة فهو يستطيع أن يكلمهم ويكلموه ، وهو يلمس من خضوعهم له وإكبارهم إياه ما يثلج صدره ، ويعيد له ثقته بنفسه وأنه لا يزال (ربا) معبوداً ، وإن قيد وسجن ، ولا يزال له عباد مخلصون ... لم تذهب المحنة سلطانه عليهم ، ألم تلق امرأة من أتباعه بنفسها تحت سيارة السجن لأنها لا تطيق أن ترى الرب ... أسيراً مغلولا ؟ ألم يشهد عليه واحد من عبيده غاضاً بصره . فلما قال له الرئيس : أنظر فى وجهه .

وينقطع عن الكتابة تسعة أعشارهم أوفر أثراً من عشرين أو ثلاثين يتبادلون الرسائل أجمعين ، ومن هنا يرجى دوام هذا الفن الجميل فى عصرنا الحديث على الرغم من مواعيد التليفون ومقابلات المسارح وقلة الاكتراث بالرسالة الخاصة إلى جانب المطبوع والمنشور .

على أننا نحسب أن هذا الفن على جماله وإغوائه لا يستغنى عن التشجيع والاستبقاء ، وليس أدعى إلى استبقائه وإغراء القراء به من تزويدهم بالنماذج التى يلتذونها ويقبلون عليها ويستزيدون منها فقد يكون هذا الإقبال مدعاة إلى المحاكاة أو إلى ابتداع فن للمراسلة لا يتوقف على مرسل ومرسل إليه بل ينفرد به كاتب واحد يفتن فى الخطاب والجواب .

ولم يكن هذا التراسل المخترع بدعا فى العصور الأولى وهى العصور التى ازدهرت فيها الرسالة ولم يكن لأصحابها غنى عنها بالبرق والتلفون . فقد حقق شميدلر Schmeidler الباحث الألمانى أن رسائل أبيلارو هلواز قد انفرد أبيلار بكتابتها كلها ولم تشاركه فيها هلواز على ما هو مشهور فى الآداب الأوربية ، وعرض برتراند رسل لهذه الدعوى فى كلامه عن أبيلار فقال : « إننى لست من ذوى الاختصاص فى تمحيص هذه الدعوى ، ولكننى أرى أنه ليس فى خلائق ابيلار المعهودة ما يمنع قبولها ويجعلها فى حكم المستحيل .

فإذا جاز هذا فيما مضى فهو أقرب إلى الجواز فى العصر الذى نحن فيه ، ولا شك أن صدق الواقع أجدى فى كتابة الرسائل من صدق الفن أو صدق الإبداع . ولكن صدق الفن لا بأس به على العلات إذا كان فيه تعويض لجناية البرق والتليفون على نوع جميل من الكتابة تحيق به نذر الزوال

وليس أولى بتحقيق هذا الغرض المرجو من عمل كعمل الأستاذ بدران ، ولعل إقبال القراء على جزئه الأول يعجل بظهور الأجزاء التالية وإضافة النماذج الجديدة إلى النماذج القديمة ، من مصادر شتى تفتح له أبوابها معرفته الوافية بالإنجليزية ، وهى لا تخلو من أوسع المراجع فى هذا الموضوع .

عباس محمود العقاد

صاح : لا أستطيع ، لا أستطيع . ؟! فهل يسلمه هؤلاء ، ويدعونه يساق إلى الموت ؟ لا . واطمأن ووثق من النجاة ، ورأى الدنيا لا تزال على العهد بها ، فالشمس مشرقة ، والبلد يعج بأهله ، والناس يذهبون ويجيئون ، ويبيعون ويشترون ، ويضحكون ويمرحون ، وكان يخيل إليه فى وحدته أن الدنيا قد شملها الظلام الذى ملأ نفسه ، وأنها فقدت رواءها ، وغاضت منها بهجتها .

وسأل ولده : كم مضى من الشهور ؟ فلما أخبره نظر فرأى أنه قد مر على سجنه شهران شهران فقط وقد كان يحسبهما عمراً طويلا ؟ ! وجحظت عيناه دهشة وسبح بنظره فى الفضاء ، لقد انساه هذان الشهران حياته الماضية كلها ، ومحوا منها أيام الحرية والعز والربوبية ، فكأنه ولد سجيناً مقيداً ، لم يكن قط السيد الذى يطاع ، والرب الذى يعبد ، وكأنه لم يكن له شعب يعيش به وله ، ويبذل الروح فى سبيله . ولا يريد من الدنيا والآخرة إلا رضاه

وأيقظه من ذهوله صوت الجندى يدعوه إلى النزول من السيارة ، فقد بلغت المحكمة ، فرأى الناس مزدحمين لينظروا إليه ويتسلوا برؤيته ، وكان يعرف أكثرهم ويعرفونه ، فأغضى وامتلأت نفسه حنقاً على الحكومة لأنها جعلت محاكمته فى اللاذقية حيث قام عرش ربوبيته ابراء الناس ، ويعلموا مصيره ، ولم تجعلها فى دمشق المدينة الكبيرة التى لا يعرفه فيها إلا القليل ورأى الناس متلهفين على إشباع أبصارهم منه ، والشماتة به ، كأنهم فى رواية تمثل على المسرح ، يريدون أن يأخذوا بحظوظهم من المتعة بها ليعودوا إلى دورهم ، ويصلوا ما انقطع من أعمالهم ، الحملة هكذا : والرواية رهان على رأسه بين النائب العالم والمحامى أيهما أبلغ مقالا ، وأطول لساناً ، وأقدر على سرد مواد القانون . نعم سيعود الناس إلى دورهم ، إلا الرب ، فلن تبق له دار يعود إليها !

وكان فى جلسات المحاكمة الأولى ممتلئا املاً ، واثقا بنفسه وبقيام شعبه بنصرته ، ولكنه سمع فى هذه الجلسة شهادات أتباعه عليه ، والوثائق تنهال على عاتقه كأنها ضربات معول صلد على جدار من اللبن ... تضيق عليه باب النجاة ، وتسد طريق الخلاص ، فتضعضع وأوشك أن يموت فى نفسه الأمل .

وسمع النائب العام يتكلم، ويطلب له الموت ، ففكر أن يثب إلى عنقه ، فيضع يديه على رقبته فلا يرفعهما حتى يخنقه وليصنعوا بعد ذلك ما يريدون ، أيقدرون على أكثر من الموت ؟ وتصور الموت ففزع منه وخافه ، لا ، إنه لا يريد أن يموت ... وسمع محامى الدفاع يقول كلاما سخيفا ، فأعرض عنه ، وأبغضه ، وماذا يقول المحامى وهو نفسه لا يستطيع أن ينكر شيئا مما اتهم به ؟

ودنت ساعة الحكم .

***

تلى كلام طويل ، لم يستطع أن يتفهمه ، لأن ذهنه كان معلقا بكلمة واحدة ، هى التى تحدد مصيره ، قد حبس لها أنفاسه ، ووقف لها دقات قلبه ، وخال كل ثانية فى انتظارها دهراً ، فلما سمع هذه الكلمة خارت قواه ، ووهى عزمه ، وسقط على كرسيه لقد كانت هذه الكلمة : الإعدام(١) !

ورأى الناس يثبون إليه ، ويتدافعون ليحدقوا فى وجهه ، والمصورين يوجهون إليه آلاتهم ثم شعر كأنه انفصل عن هذه الدنيا ثم ابتعد عنها ، حتى رآها وهى تدور من حوله ، وقد تداخلت مشاهدها ، وخفيت معالمها ، ورأى الناس كأشباح تتحرك خلال ضباب الأوهام ، وأحس بالقيود توضع فى يديه ، وبأنه سيق إلى السيارة فألقى على مقعدها ، وسمع قهقهة كأنها صاعدة من جوف جب عميق ، ولغطاً فيه ذكر اسمه وذكر المشنقة . ثم أخذه الدوار ، ولم يعد يدرك شيئا .

ولما احتوته حجيرته أحس أنه انحطم وسحقت عظامه ، كأنما مشت عليه المسالف(٢) ... لقد حكم عليه بالإعدام ... ولكن الليل قد انقضى وطلع الصباح ، ثم نزل الليل مرة ثانية ، وهو حى كما كان من قبل الحكم ، إلا أنه لم يعد يخرج إلى المحاكمة ، ولم يعد يرى أولاده ولا صحبه ، وكانت الأيام والساعات تمر به فارغة واسعة كأنها أبهاء قصر مهجور ، وقد كانت له أعمال يفكر فيها كما يفكر الناس فينسى بها مر الوقت وكر الزمان ، فأمسى وليس فى حياته إلا الانتظار ، وإذا كانت ساعة انتظار النعمة تبدو طويلة مملة ، فكيف بمن ينتظر الموت ؟ وكان يود لو يتحقق الأمل بالعفو الذى وعده به محاميه ، أو يعجل عليه بالموت

(١) لاعدام بهذا المعنى خطأ شائع

(٢) المسلفة هى ما يسمى المدحلة فى الشام ووابور الزلط فى مصر

ليستريح من هذا القلق الذى هو شر من الموت ، إذ كان يجهد خياله أبداً ليتصور ساعة الإعدام ، حتى ليحس كل لحظة شدة الحبل على عنقه ، وحرارة الرصاص فى صدره ، فكأنه كان يموت فى كل لحظة مرة .. وكان أشد ما يزعجه من الموت هذه الفضيحة ، وأن يراه ذليلا مهينا من كان يراه بالأمس سيداً وربا ، ولو جاءه الموت طبيعيا[1] كما يموت الناس لما آلمه هذا الألم ، أما أن يتحكم فيه بشر مثله ، وأن يملك نزع حياته من بين جنبيه وهو لا يملك منحها ولا ردها ، فذلك ما لم يستطع حمله ... وفكر فى العفو ، فرآه سهلا قريباً ، أنه فى يد رجل مثله مخلوق من لحم ودم ، لا يكلفه إلا أن يكتب بقلمه ثلاث كلمات فى ذيل العريضة التى قدمها محاميه ، فهل يضن بها ؟ وهل تهون حياته هذا الهوان حتى لا تساوى مشقة كتابة ثلاث كلمات ؟

وتنبه ضميره فذكر كيف كان يستهين هو بحياة الناس ، وذكر كم أزهق من أرواح ، وكم أهلك من نفوس ، وكيف كان يدع طعامه فيقتل الرجل ثم يعود ليتم طعامه كأنه لم يصنع شيئاً ، وكيف كان يقتل وهو يتحدث ثم يرجع إلى حديثه لا يقطعه ، لقد كان فيمن قتل أزواج عاشقون لهم نساء ، وآباء لهم أولاد ، وشباب لهم أمهات ، فما فكر فى نسائهم ولا أولادهم ولا أمهاتهم فهل يفكر أحد اليوم فى زوجاته وأولاده ؟

***

ومرت به الأصباح والعشايا وهو يرتقب وما من جديد وانحصرت حياته فى النوم والطعام والتفكير وما ينام وإنما يهده اليأس فيلقى بجنبه على الفراش يرى مروعات الأحلام ، وما يأكل وإنما يضعفه الجوع فيدس فى فمه لقيمات تقيه الموت ، وما يفكر وإنما يرى صور ماضيه ماثلات على جدار الغرفة ، فينظر إليها كما ينظر المرء إلى فيلم فى سينما .

فجعل ينظر إليه ...

رأى (جوبة البرغال) هذه القرية التى تتغلغل فى جبال العلويين حتى وجدت أقفر بقعة فيها وأوحشها وأبعدها عن العمران ، فى فجوة من الصخر ، يطيف بها جبل قائم فيطوقها من جهاتها الثلاث ، كأنه حصن حربى فلا يدع لها إلا بابا ضيقا يطل منه جبل آخر ، يمد إليه (خشمه) فينحدر إلى الفجوة حتى إذا توسطها اضطجع وتمدد ، فاستقرت الجوبة على عنق هذا الجبل النائم ، يحميها كتفه من هنا ومن هناك قلعات الصخر الراسيات من الجبل المستدير ، وذراه الشامخات الأعالى ، هذه هى عاصمة ملكه ، ومعقله ومثوى عرشه الربانى ... التى ظن أنها ستعصمه من جبابرة الأمس ومن عفاريت الجن ، ومن القنابل الطائرة والنازلة والذرية . . ثم تمده بالقوة والأيد حتى يقرأ منها على الدنيا ، مرة ثانية ، كتاب الذعر والخوف والاغتيال ، الذى كتبه من قبل فى هذه الجبال وهذه التلاع اتباع الحسن بن صباح وسنان شيخ الجبل ...

وتبدل المشهد وعاد به إلى الماضى ، إلى أول عهده بالدنيا يوم كان فتى غراً يرعى الأغنام فى هذى التلاع ، لا يحمل هما ، لأن الهم يحتاج إلى فكر ولم يكن له رأس يفكر ، ولا يطمع فى شىء إلا لقيمات تسد رمقه وتشد صلبه ؟ وفراشاً من القش يريح جنبه ألا ليت هاتيك الأيام قد دامت ، ودام الفقر والبؤس ، ولم يعرف طريق المجد الذى يوصل إلى المشنقة ، وذرفت من عينه دمعة ، فأسرع فمسحها وتلفت يخشى أن يراه أحد وهو يبكى ، وقد كان أشد شىء عليه أن يسخر منه اليوم عباده بالأمس ، فلم ير أحداً فاطمأن وعاد يستعرض (فلم) حياته على مهل ، فرأى أول فصل فى كتاب مجده ، وأول صفحة من شعر بؤسه ...

وكان ذلك فى يوم بارد من أيام الشتاء ، أقفرت فيه الأودية وسدت المسالك ، وبدت الدنيا كلها فى ملاءة بيضاء من الثلج ، ورجع الرعاة إلى القرية ، وعكف الناس على البيوت ، وهبط فيه القرية شيخ علوى ذكى مشعبذ ، فر به فرآه مغمى عليه ، وكان به داء الصرع .. فصحاه وأخذه معه ، فعلمه فنون الشعوذة ، وأقنعه أنه المهدى المنتظر ، وطفق يمخرق به على العامة من أهل الجبل ، وأهل الجبل كلهم من العامة ، وهم أجهل من الأنعام ، وأوحش من الوحوش ، يكفرون بالله ويؤمنون بالمهدى ، وينكرون الوحدانية ويقولون بالتقمص ، ويتساهلون بالقتل ، ويدينون بالنهب ، ويتبعون شريعة الذئاب ، فسرعان ما آمنوا به وصدقوه والتفوا حوله ، وكان ذلك سنة ١٩٣٣ .

ويتغير المشهد فيراه وقد قبض عليه وعلى شيخه وحوكما وسجنا ، ثم نفيا من الأرض ... ثم يعود وكله حنق على الشيخ

(١) طبيعيا لا طبيا كما يقال فى هذه الأيام .

من الأعماق

للأستاذ سيد قطب

— ١ —

هأنذا هارب من الدار ، يا توت[1] ، لأبعد عن مواقع خطاك ، وأهرب من رؤى مصرعك ؛ ولكن كيف أهرب من نفسي ؟ الصور ، والخيالات ، والمشاعر المكنونة ، والرؤى الحية … أولئك أعدائي … وهم معي بين جنبي يا توت — وأنت معنا ! رصاصة صماء ، ويد بلا قلب … وتنطفىء الشعلة ، ويطوى سفر ، وينطوي عالم … وبأيسر من هذا تم تلك النقلة التي تدير الرءوس هولا . والأحياء مع ذلك تعيش ، وترجو ، وتأمل … ألا ما أقسى السخرية البلهاء !

كلب !

ما أيسر ما تلوكها الألسن ، وما أهون ما تتلقاها المدارك ، وما أقل ما تحفل بها المشاعر ! ولكن حين يستحيل هذا اللفظ إلى عشرات من الصور والذكريات ، وعشرات من الرؤى والطيوف ، وعشرات من الاهتمامات الوجدانية والمشاعر الحية . هنا يستحيل كل حرف فيها وكل صوت من مقاطعها ، إلى أفاعي مسمومة تنهش القلب ، وتجرح الضمير ، وتقتات من دماء الأحياء دماء ! ويحي ! ما الذي دس هذه اللفظة في تعبيري الآن ؟ دماؤك أنت — يا توت — تلك التي خضبتك وعفرتك ! ويحي ! لم أنكأ نفسي هكذا ، وأتكىء على جرحي بقسوة ؟ إنها صورتك الأخيرة يا توت لا تبرح تواجه خيالي ، حين يفري جوانحي ألم ضار مسموم

(١) « توت » كلب لطيف نظيف ذكي . قتلته الحكومة وسرقت طوقه ، بيد أحد « الشاويشية » الأجلاف الذين تطلقهم يتصيدون كلاب الناس بالرصاص . كما تطلقهم أحيانا يتصيدون شباب الوادي وكل ألف من هؤلاء الأجلاف لا يحمل نفوسهم من « الشعور » عشر ما كانت تحمله « نفس » « توت » المسكين . وما كان يمكن أن تخطىء عين فتظنه كلبا شارداً وقد قتل على باب الدار وسلب قاتله طوقه ليداري جريمته . ومضى ذلك الوحش الجلف ، وترك قلوبنا تدمى .. وقد كان المتبع أن تجمع الكلاب في عربة ليتعرف أصحابها عليها ولم تكن هذه الطريقة الوحشية المزرية بالإنسانية تتبع فماذا جرى ؟

وعلى الحكومة وعلى الفرنسيين وعلى الدنيا كلها ، فبدأ بالشيخ فقتله ، وأراد أن يمد يده إلى الفرنسيين فإذا هم يمدون إليه أيديهم يعرضون عليه المال والعتاد والألوهية في الجبل على أن يكون عبداً لهم …

فصار المهدي رباً[1] …

***

وكر الفلم فرأى هذه الليلة التي أعلن فيها ربوبية ماثلة أمامه : هذا هو القائد الفرنسي ، يزوره متذللا خاشعاً ويقول لقومه : (هذا هو ربنا وربكم) ، ثم يطلب إليه أن يطلع الشمس في نصف الليل ، فيأخذ الرب الجديد مصباحا في يده فيلوح به ، فيرى الجبليون الشمس ساطعة على الجبل الغربي ، أطلعها الجنود الفرنسيون بالأنوار الكاشفة ، و (البطاريات) القوية ، لما رأوا المصباح يتحرك .

وتتتابع الصور ، أمام عينيه ، فيرى (الرب) يتخذ أنبياء وملائكة ، ويتزوج النساء بالعشرات ويأخذ ما يطيب له من الأراضي ، ومن يستحلي من النبات ، ويقتل ويضرب ويحبس ، حتى إذا انتهت الحرب ، وأحس الفرنسيون أن أجلهم قد دنا ، أقبلوا عليه يحالفونه على أن يمدوه بالمال والسلاح ، ويجعلوه ملكا على الشام كله كما جعلوه ربا على الجبل ، وتمت المحالفة ، وصار ملك الشعب الحيدري الغساني (؟!) يسن له القوانين ، ويشرع له الشرائع ، ويجبي الضرائب ، ويولي الولاة … ويفعل ما يشاء لا يسأل عما يفعل !

وتمر به صور أخرى من حياته ، فيرى الوطنيين يقبلون عليه يسألونه أن يقبل عليهم ، وأن ينفض يده من الفرنسيين ، فيأبى ويمتنع . أيدع أحلافه الأقوياء لقوم لا حول لهم ولا قوة ، أيعود واحداً من هذه الأمة ضائعاً وقد صيره الفرنسيون رباً ؟ أيرد ما اغتصب من الأراضي ويحمل وزر ما اجترم من الجرائم ؟

كلا . إنه لن يصافح اليد الوطنية ، إن الفرنسيين لا يمكن أن يخرجوا من الشام أبداً …

(لها بقية) علي الطنطاوي

(١) ولم ينفرد بذلك الفرنسيون ، فالانكليز أيضا يستطيعون أن يجعلوا (المهدي) ربا ، ليكون لهم عبداً

لقد تماسكت ؛ وتماسكت ، وحاولت أن أغلف المسألة كلها بغلاف من عدم المبالاة . ولـكن حين حملتك — يا توت — بين يدى جثة جريحة دامية ، لأواريك المقر الخبيء فى جوف الثرى . خذلتنى قواى كلها . وبدا لى التماسك سخافة كبرى !

ونمت هناك — يا توت — فى مقرك الأبدى الذى سويته لك بيدى الراعشـة ... ولـكن أنى لى أن أطيق تلك الصورة الواقعة المستحيلة : إن عينى لن تعود فتراك أبدا . إن أذنى لن تعود فتسمعك أبدا . إن هذا الجسد الهامد لن يعود فيتحرك أبدا ... إن شيئا مما كان كله لن يكون أبدا ... مستحيل مستحيل ذلك الواقع الذى لن يزول !

«*»

توت . توت . توت !

سأقولها ، وأقولها ، وأقولها . فلا تجيب أبضا . وسأعود فلا أجدك فى الحديقة ، ولا فى الشرفة ، ولا فى الردهـة ، ولا فى حجرتى ، ولا فى المطبخ ، ولا فى المـكتب ، ولا فى مأواك ، ولا فى مكان ما على ظهر هذه الأرض الدوارة ... ؟

وحينما يحين موعد انطلاقك من مأواك فى الصباح ، وموعد غدائك فى الظهر ، وموعد لعبـك فى الغروب ، وموعد مبيتك فى المساء ، لن تنبح ، ولن توصوص بعينيك ، ولن تبصبص بذنبك ، ولن تتواثب على أقدامنا وأحضاننا ، ولن تزوم احتجاجا ولن تزقّ شكرانا ، ولن « تصوصو » شكوى . ولن يكون شىء من ذلك أبدا ... ؟

وحين أشـتاق إليك كالطفل الحبيب ، وحين أذهب لأطل عليك فى مخدعك قبل أنْ أمضى صباحا . وحين أتوقع أن تطلع لى من حيث لا أعلم عند عودتى ظهراً وحين أجلس للطعام فأسرع لأخلص لك العظم المحبوب . وحين أخشى أن تعبث بكتبى وأوراق التى تحبها حبا جما ... عنـد ذلك تـكون أنت — يا توت — هنالك فى تلك الحفرة الصغيرة المنعزلة التى سويتها لك بيدى !

وكرتك النطاطة ستظل هامدة على الأرض ، ليس فيها من حراك . وصحفة طعامك ، وآنية شرابك ، وبيتك الخشبى الصغير كل أولئك لن يعود أحد يسأل : أهى مليئة أم خواء ؟ !

ويدخل الليل ، ويلفنا الظلام ، وتغمرنا الوحشة ... وبين فترة وفترة يشق السكون « نباح » هنا أو هناك ، فأنسى أنك هناك وأتلفت بنفسى المتطلعة إلى مجمتك الحبيبة على أطراف ثوبى أو قدمى بأنيابك الصغار ؟

ويصبح الصباح ، ويمتع الضحى ، ويميل الأصيل ، ويدخل الليل . وتـكر الأيام وأنت أيضا هناك . ساكن فى ذلك المأوى القريب ، تفصلنى عنك الآباد ؟

يا دنيا !

لم كانت هذه السخرية الـكبرى سخرية الحياة ... للفناء؟ !

— ٢ —

لن أصدق ... لن أصدق !

لقد مضى أمس الأول . ثم مضى أمس . ونحن هؤلاء اليوم . فلم لا تجىء يا توت ؟

إنك قد مُتّ ! أعرف ذلك . ولـكن ! لم لا تجىء ؟ !

اليوم هو الجمعة . وأنا هنا فى الدار — يا توت — ألا تعلم ؟

لقد صحوت فى النوم ، فمالك لم تجىء لتوقظنى بهمهمتـك ؟ مالك لا تحاول القفز إلى سريرى ، مالك لا تزوم محتجا لأننى لم أستمع إلى ندائك ؟ مالك لا تملأ الحجرة نبـاحا وقد يئست من إصغـائى إليك ، فإذا تحركت حركة واحـدة عدت تزق فرحا وابتهاجا بصوتك الودود الجميل ؟

أم لعلك جئت وهمهمت واحتججت ويئست ، ثم انصرفت — لتعود— إلى المطبخ ، لتتناول نصيبك اليومى من العظام وقد أحضرته لك فى الميعاد صديقتك — رقية —التى تحبها وتحبك ، وتلاعبها وتلاعبك ، وتملأ أوقات فراغها وأوقات خدمتها كذلك مرحا ووثبا وصياحا وزياطا وحيوية ، كما تملأ حياة الدار جميعا !

لا . لست فى المطبخ . فهاهى ذى شقيقتى هنـاك وحيدة ، ساهمة ، كئيبة ، مفردة ، موحشة ... هى لا تحاول اليوم أن تحسم الخلافات التى تقع بينك وبين « سوسو » فى توزيع الجلد والعظام وزوائد اللحوم . أنت لا ترفع صوتك احتجاجا لأن زميلك قد عدا على نصيبك ، وهو لا يعوء صارخا لأنك عدوت على نصيبه . إنه هادىء ساكن . أم لعله حزين !

ألا تـكون فى الحجرة الأخرى — يا توت — تمـابث صديقتك الأخرى شقيقتى الصغيرة ؟ تشد منها كرة الخيط المدلاة وتختفى بها تحت السرير فلا تحس بك ولا بها إلا أن تشد خيطها فلا ينشد . فتعلن سخطها عليـك ، وتحذرها إياك . حتى إذا نظرت إلى عينيك الجميلتين ، ورأت فيهما كل معانى الشيطنة

والبراءة ، داعبتك باللفظ الذى تعرف ، وبالصوت الذى تفهم ، وبالإيماءة التى تجيب ؟

هأنذا يا توت فى حجرة المكتب ... يا توت ! تعال يا توت ! ألا تجىء أيها الشيطان الصغير ؟ تعال فالشمس التى تحبها تملأ الحجرة ، والورق الذى تهيم به ينتظرك للشد والتمزيق .

أوه ! رحمتك يا الله !

إن آثار فنجانة القهوة التى سكبت من يدى على المكتب ، وأنا أضطرب للنبأ الأليم ، نبأ مصرعك الوحشى الغادر ، لا تزال . لم يزلها أحد منذ ثلاثة أيام ! وهل بقيت فى أحد هنا بقية يا توت ؟

الفراغ ! الفراغ !

ذلك الخواء الموحش العميق المترامى الأطراف ، ذلك المخلوق الكئيب الهائل .

ذلك الذى نراه على امتداد البصر وآماد الآفاق .

والصور ، والرؤى ، والأطياف ، والأشباح !

تلك الحيات الكامنة فى الضمير ، تنهش القلب ويضم عليها جوانحه ، وتسمم الحياة والحياة بدونها محال .

والذكريات !

أولئك اللواتى يثبن كلما سكن الحس ، وساد الصمت . ولفنا الظلام : ظلام النفس أو ظلام الأرجاء

وإنا لنهرب إلى أنفسنا — يا توت — فنلقاك هناك . ونهرب من أنفسنا فنلقاك هناك . ونهرب إلى الناس فنحدثهم عنك ، وحيثما انجر حديث قفزت إليه من بعيد ، واندست ذكراك فى مجراه .

ياتوت ألم اعترضت طريقنا . مادمت لا تنوى إلا أعمر الأزهار؟ العذاب ! العذاب فى هذه الحياة !

— ٣ —

أبداً لست هنا يا توت . ولو كنت هنا ونحن عائدون هكذا إلى الدار جميعاً ، لما وسعتك الحديقة كلها من الفرح ، ولملأتها جريا ووثبا ومراحا ، ولجئتنا عن أيماننا وعن شمائلنا ، ولأخذت علينا طريقنا وراء وقداما ، ولتواثبت على صدورنا وأقدامنا كالبرق الخاطف أو القذيفة المندفعة ، ولملأت الدار حركة وضجيجا نتابع بهما حركتك وضجيجك ، ونهدىء بهما هذه الشعلة المتوقدة فى جوارحك . ولكنك لست هنا يا توت .

فلنخرج صامتين لا نتلفت وراءنا لنرجعك إلى الدار فلا تتبعنا . ولندخل صامتين يجلل الأسى وجوهنا ، وتغشى الكآبة نفوسنا ، ولنتخاطب فيما بيننا همسا من الكمد ، ولتتجاذب عيوننا وقلوبنا بالهم الذى يغمرها جميعا .

أجل يا توت . ولتمت على شفاهنا ألفاظ قاموس كامل كان لك أنت وحدك ألفاظ التدليل والتنبيه والزجر والتخويف والنداء والاسترضاء فقد انطوى ذلك كله ، وعادت ذكراه تلذع أفئدتنا لذعة الجمر كلما هجست فى الضمير .

وودت يا توت — لو أنساك ! فقد كدت أفقد كل مايعرف عنى من اتزان وتماسك ؛ وتفزعت أعصابى فلست أنام ، وفى جوانحى ذلك اللذع الذى لم يعد يطاق ... ولكن لا أريد أن أنساك — يا توت — لا أريد أن أفقدك كلك . فعزيز على نفسى أن تفرغ من كل شىء حتى من لذعة ذكراك !

— ٤ —

كلنا هنا على المائدة — يا توت — فأين أنت ؟

لست إلى يمينى هنا باسطا يديك على الأرض فى انتظار نصيبك فى النهاية ، وعيناك تلتمعان بكل ما تريد أن تقول !

عيناك الذكيتان المعبرتان ، لقد كانت بيننا وبينهما لغة مفهومة ؛ كما كان بينك وبين أعيننا تلك اللغة المفهومة بلا أصوات!

ولكنهما أطبقتا — يا توت — وانطفأت فيهما تلك الشعلة من الذكاء الحاد ، والحس المرهف ، والإخلاص الودود .

أطبقتا . أطبقتا إلى الأبد . وهذه هى قسوة الموت ... العدم . العدم المطلق . المطلق إلى غير حد ... يا للقساوة الصماء !

وأسرع فى ازدراد طعامى — يا توت — لا لأخلص لك نصيبك المعلوم ، ولكن لأهرب من الخيال المفزع .

لا . لا . لا طاقة لى بهذا العذاب الدائم المتكرر فى كل موضع قدم فى هذه الدار .

فى كل لفتة ذكرى ، وفى كل خطوة صورة ، وفى كل خطوة عذاب . عذاب قاس ممزق لذاع

ولكننى أهرب إلى الخارج ، فتصاحبنى فى كل موضع قدم ، وفى كل خطرة فكر ، وفى كل لفتة بال .

ياتوت يا توت . لم — يا بنى ! — ألمت بنا فى الطريق؟!

يا رب . يارب : رحمتك يا الله !

سيد قطب

ياليـــل . . . !

للأستاذ الأسدى محمد خير الله

– ٢ –

المذهب السادس :

وقبل أن نمضى فى تحقيقنا نورد هنا مذهبا لنا سادسا ، كنا على أن نجهر به قبل أن نتولى البحث بما يفرده العلم من حجج ، أى أننا كنا نتحسس به ، كما هو شأن أرباب المذاهب المتقدمة ، دون حجة ولا بينة ، ذلك أننا كنا نرى فى « يا ليل » مجرد إرسال النغم ، أو قل : تجسيده بالفاظ لا معنى لها ، شأن موسيقى اليوم لدى إرسالها بالنغم : لى للى لى لم .

والبحث الذى نستقبله كفيل أن يعلم أن الكلمة تنتمى إلى أصل ذى معنى ، ثم استعملت لهذا التجسيد .

نعم كثر ما جاء فى الغناء من ألفاظ لا معنى لها ، غير أن « يا ليل » ليست من قبيلها . ومن هذه الألفاظ : « عل يادر يادر يادر يابو العبيسية » ، ومنها « دلى يا دلى دلعونا » ، ومنها ما يستعمله العراقيون فى مقام البنج كله — كما يحدثنا الصديق الطبيب رجائى — فى قولهم : « هى داد بداد هى جان دلى دلى داد

فالكلمة إذن ذات معنى مجهول سيأتى كشفه كما كشف لنا الأب بخاش[1] عن سر « الله يسوى دوص دوص ها بيباها » الترتيلة المستعملة فى أعراس حلب دون غيرها .

مذاهب أخرى :

وهناك مذاهب سمعناها من شتى المصادر لا تنتمى إلى شىء مما يحفل به العلم ، وهى أن أصل « يا ليل » يا ويلى « وشفيعه أن الحزن من مستلزمات الغناء العربى ، ولا يزال العلويون يغنون :

ويل ويـلى بوطنجو عـــلا جنبو قريبينه

أو أن أصلها يا لآلى ْ جمع لؤلؤ ، كأنما ينادى أحبابه الجميلين الشبيهين اللآلى . أو أن أصلها يا آلى أى يا أهلى . او أن أصلها يا لى يالى أى يا من أنت لى . أنشدنى زجّال لبنانى فى دار الأستاذ الفيكونت دى طرازى :

قلتلا شـــو اسمك قالـــت لولـــو
قلتـــلا لى لـــى قالت لى : لا لا

وهو من تلاعب البديعيين ، وقد سبق إليه .

أو أن أصلها يا أليلى بمعنى يا أنينى مما أبدلت نونه لاما ، كقول ابن ميادة :

وقولا لها ما تأمرين بوامق له بعد نومات العيون أليـل

أو أن أصلها يا ليل بكسر اللام : صنم أضيف إليه ، كعبد يغوث وعبد مناة وعبد ود استعملت بعد التحريف للغناء ، لأنه ربما يكون إلها للحب كما كان لليونان إلـه له . أو أن أصلها هلل العبرية ، بمعنى سبح ، وقد سميت مزامير داود تهليم ، أوتصدر جل أبياتها بهللويه أى : سبحوا الله .

تحقيقنا في يا ليل :

لنمض بعد ما تقدم إلى مهمتنا فى التحقيق ، ولنتساءل : يا ليل : وأين يا ترى تردد يا ليل ؟ أليست تردد فى مطلع هذا الضرب الغنائى المسمى لدى العامة بالموال؟ حسن لنبحث الآن عن الموال فى معاجمنا العصرية التى فسحت بعض المجال للمفردات العامية . ها هم أولاء الأساتذة لويس المعلوف فى المنجد ، وفؤاد البستانى فى منجد الطلاب ، وحليم دموس فى قاموس العـوام ينصون فى معاجمهم هذه على أن الموال والجمع المواويل محرف المواليا . لنركن إذن إلى هذا النص ، ولو جدلا ، ثم لنتساءل : ما المواليا ؟ ذلك ما يجيب عنـه الزبيدى اسمع مؤدى ما ينقل عن حاشية الكعبية للبغدادى ، وإذا ذكرت البغدادى لا أعالك من إبداء عاطفة الزهو والاغتباط ، إذ أنه احتفظ فى آثاره بكثير مما وعته الخزانة العربية الضائعة . نعم لنسمع صدى البغدادى يقول : المواليا نوع من الشعر ، اخترعه أهل واسط من مدن العراق ، اقتطعوا من بحر البسيط بيتين ، وقفوا شطر كل بيت بقافية ، تعلمه عبيدهم والغلمان، وصاروا يغنون به على رؤوس النخل لدى جنيه ، وفوق مراقى سلالم البناء ، ولدى سقى المياه ، وفى

(١) أنشودة العرس فى الشهباء ط لبنان .

نحو هذا من الأعمال ، وكانوا يرددون آخر كل صوت : « يا مواليا » إشارة إلى سادتهم ، فسمى بهذا الإسم ، ثم استعمله البغداديون فلطفوه حتى عرف بهم دون مخترعيه إلى أن شاع .

أقول : ولعل فى المطلع القديم المشهور الماع إلى ما ذكر :

القول قول المعجم : آه يا مواليا يا بيض لا ترحلوا ضلوا حواليا

ثم اسمع مؤدى ما يحدثنا به زيدان[١] : وفى العصر المنولى الممتد من القرن السابع الهجرى إلى القرن العاشر وضع ضرب من الشعر العامى يقال له : المواليا ، كان فى بغداد .

وها هو ذا ابن خلدون يقول[٢] : وكان لعامة بغداد أيضاً فن من الشعر يسمونه المواليات ، وتحته فنون كثيرة ، يسمون منها القوما وكان وكان ، منه مفرد ومنه فى بيتين ، يسمونه دوبيت على الاختلافات المعتبرة عندهم فى كل واحد منها ، وغالبها مزدوجة من أربعة أغصان ، تبعهم فى ذلك أهل مصر القاهرة وأتوا فيها بالغرائب ... بمقتضى لغتهم الحضرية .

ثم يمضى ابن خلدون فى سرد طائفة منهـا « نجتزىء » بذكر واحد :

طرقت باب الخبا ، قالت من الطارق ؟

فقلت : مفتون ، لا ناهب ولا سارق

تبسمت لاح لى من ثغرها بارق رجعت حيران فى بحر أدمعى غارق

والأبشيهى[٣] يعقد فصلا لمختارات المواليا ، نورد منها :

وقد أوعدونا الغضابا أننا نخلو فى ظل بستان حافف بالتمر نخلو

والظل من فوقنا قد بلنا نخلو ومن كلام الأعادى قط ما نخلو

والبستانى[٤] يتحدث عن المواليا : وفى أصل المواليا أقوال أشهرها أن هارون الرشيد أمر بعد نكبة البرامكة أن لا يرثيهم أحد بشعر ، فرثت إحدى جواريهم جعفرا بشعر غير معرب ، حتى لا يعد شعراً ، وجعلت تقول بعد كل شطر يامواليا ، قالت :

يا دار أين ملوك الأرض أين الفرس

أين الذين حموها بالقنا والترس

(١) تاريخ الأدب السطر ٢ ج ٣ ص ١١٧

(٢) المقدمة الخيرية ص ٣٤٩ .

(٣) المستطرف ط المحمودية ج ٢ ص ٢٨٦ .

(٤) الاباذة ص ١٥٢ .

قالت : تراهم رمم تحت الأراضى الدرس

سكوت ، بعد الفصاحة ألسنتهم خرس

قال الأستاذ ويل well[١] وهو أول ما عرف من الموال .

وقال مؤتمر الموسيقا ، يقال إن أول ظهوره كان فى بغداد ، بعد الفتك بالبرامكة ، قال الجلال فى شرح الموشح (ثم ذكر القصة المتقدمة وزاد عليها) :

قيل إن الرشيد حينما بلغه ذلك دعا الجارية ، وأراد معاقبتها على مخالفة أمره ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! أنت منعت رثاهم بالشعر ، وهذا ليس بشعر لأنه لا يجرى على الفصيح ، فاقتنع

والمواويل نوعان : الخضر والحمر ، والنوع الأخير شائع فى صعيد مصر ، ويمتاز بالأكثار من التغيير فى ألفاظ قوافيه حتى تتجانس[٢] .

وأعاريضه يشبهها ضربها ، وهى فاعلن وفعلن وفعلان[٣] .

والأستاذ ويل well[٤] يطلق كلمة « موال « لا » « مواليا » حين سرده بعض المعلومات المتقدمة ذاهبا إلى أن الإسمين لمسمى بعينه وأن الثانى محرف الأول — على ما نتصور — ثم زاد : والموال هو أحد الفنون السبعة المعروفة اليوم فى الأغانى الشعبية بل هو أكثرها شهرة ، تصادفه فى كل مكان من العراق حتى مراكش ، ومنشأه المدن خلاف العتابا الذى نشأ فى الصحراء ، ويجوز فيه استعمال اللغة الفصحى ولغة المحادثة ...

ويكون غالباً من أربعة أشطر أو خمسة أو سبعة .

والقافية فى الأول واحدة ، أو يشذ عنها الشطر الثالث فقط

وشاع استعمال ذى الأشطر الخمسـة فى مصر وتلمسان ، والقافية فيه واحدة دون الشطر الرابع ، ويسمى بالموال الأعرج ، وتلمسان تسميه بالحوفى . ومن الطريف أن نشير إلى أن ابن خلدون ذكر هذا الإسم وعده من فروع الموال ، ولكن طبعة بولاق استبدلته بالقوما .

أما ذو الأشطر السبعة فيدعى بالموال البغدادى أو النعمانى

(١) الموسوعة الاسلامية الفرنسية ١ : ٤٧٤ .

(٢) مؤتمر للموسيقا العربية ص ١٧ .

(٣) ميزان الذهب للهاشمى ص ١٥٢ .

(٤) الموسوعة الاسلامية الفرنسية ١ : ٤٧٤ .

ويطلق مايسنر meissner عليه إسم الزهيرى « بالإمالة » أو الزُهيرى كما هو اسمه فى بغداد ، والقافية فيه قافيتان ، فالأشطر الثلاثة الأولى بقافية ، والأشطر الثلاثة الأخرى بقافية مغايرة ، والشطر الأخير يرجع إلى القافية الأولى .

أما شهاب الدين فى سفينة الملك[1] فيسمى الموال المخمس بالأعرج ، والمسبع بالنعمانى مقتصراً على ذلك .

وعند جميع المحققين أن الفنون السبعة (المتقدمة) منها ثلاثة معربة أبداً ، لا يغتفر اللحن فيها ، وهى الشعر القريض والموشح والدوبيت ، ومنها ثلاثة ملحونة أبداً وهى الزجل والسكان وكان والقوما ، ومنها واحد هو البرزخ بينهما يحتمل الإعراب واللحن وهو المواليا ، وقيل : لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة ، فان هذا من أقبح العيوب التى لا تجوز وإنما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الإعراب ، وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفى الدين أبو المحاسن الحلى فى ديوانه وسماه بالعاطل الحالى والمرخص الغالى[3] .

* * *

انتهى حديث المصادر . ومنها يتضح صحة ما ذهب إليه معجميونا المعاصرون من أن الموال من المواليا ، يؤيده :

١ — التقارب اللفظى بين الموال والمواليا .

٢ — كون النظم فى كليهما تمتوره العامية .

٣ — كون الوزن فى كليهما من بحر البسيط .

٤ — كون أحكام القافية فى كليهما واحدة .

٥ — كون الأعاريض فى كليهما يشبهها ضربها .

٦ — كون الأعاريض وضربها فى كليهما فاعلن وفعلن وفعلان .

٧ — أن فى كليهما لازمة تردد: هناك يا موالى وهنا يا ليلى

٨ — أن المواليا والموال للغناء .

٩ — الغناء فى كليهما مرسل .

١٠ — أن كليهما مصدر بيا .

١١ — إطلاق الموسوعة الإسلامية كلمة المواليا .

فاذا كانت هذه القرائن كفيلة أن تقيم الدليل على أن الموال من المواليا كان من الحق أن نحكم أن لا زمة هذا لا زمة ذاك ، وبعبارة أوضح أن « يا ليلى » تحدرت من يا موالى محرفة مطورة تطور الطبيعة حافر الفرس من زعانف السمك ، ما فى ذلك عندنا من ريب .

فالموال إذن من المواليا ، لا فمال من موله بمعنى صيره ذا مال كأنما يمول صاحبه — كما يذهب الزميل الأستاذ أحمد إبرى — ولا أصله مؤول ، لما أن القافية الأخيرة تؤول إلى القافية الأولى — كما يذهب الصديق الطبيب فؤاد رجائى —[1] .

وظنى أن لازمة الشرقاوى « ياباا » أو « يابابای » عدول أتى به الأشراف أو غير الموالى ، بعد أن تبوأ الموال مكانه فى الغناء العربى ، فكأنما أقاموا أباهم مقام المولى .

سبيلنا الآن بعد أن بلغنا غايتنا أن نعقد الصلة بين يا موالى ويا ليل — إن كان ذلك متاحا — الحقيقة أن كرور العصور و كثرة التداول طمسا معالم الأصل فى يا ليلى ما خلا النداء واللام والياء فيمد الشبه ، حتى لا تكاد تتوسم فى هذا الفرع ملامح الأصل إذ ليس ثمة لون من ألوان الاشتقاق المعهود فى اللغة يصار إليه ، الأمر الذى يجعل الملتمس من وراء الطاقة ، وإن كانت إجابة ، فانما هى ضرب من الظن والتخيل ، إلا أن نذهب إلى أنه اشتقاق على غير حدود الاشتقاق القياسية ، بل ما لنا نطلق كلمة الاشتقاق وللاشتقاق خدود ، لنقل : هذه وتلك محرفة بعامل الزمن وبعامل كثرة الاستعمال ، كما هو شأن هذه العاديات فى المتاحف ، وأجدنى الآن على حفافى الاطمئنان ، وقد لمع فى مخيلتى غمر من الكلمات كان شأنها شأن هذا .

(البقية فى العدد القادم)

الأسدى محمد خير الله

(١) ص ٣٨١ .

(٢) والموال هو شطرات من بحر البسيط غالبا ويرتجل تلحينها مع عدم مراعاة أحد الأوزان الموسيقية ، بل يراعى فيها المقامات . مؤتمر للموسيقا العربية ص ١٦٤

(٣) المستطرف ط المحمودية . ٢ ، ص ٢٧٧ .

(١) ولا أصله ممول — كما يذهب الصديق الأستاذ حسام الدين الخطيب ، قال : ألا ترى أن حفلة الطرب السكينة تبدأ بتقاسيم العود من الرصد مثلا ، يتلوها عزف صامت من الجوقة كلها على النغم نفسه ، ثم تعزف السكان تقاسيمها للتأكيد به ، ثم يولج فى موشح رافد الرصد ، ثم يمهد القانون بلياليه الرصدية ، وهنا تكون مخيلة الفنى مترعة بنغمة الرصد وتعليلها أو قل : ساطنت على حد تعبير الموسيقيين ، فتنطلق بالموال فى أفانين الرصد فى جو حر فسيح ، وعلى هذا فالموال قد مولته كل هذه الممهدات ، فهو ممول .

وجهة النظر الجديدة فى الحياة

للكاتب الصينى الكبير وانه بوله شينغ

[حديث ألقاه فى جمعية الثقافة المركزية بتشنغ كنغ]

بقلم الأستاذ نور ناهين

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

ومع ذلك فإن فى تاريخ الصين ما ينزع إلى الأمور الشخصية مثل الذى ذكرت ، فمثلا فى عهد أسرة « تنغ » قد استولت على أفرادها النواحى الحزبية ، واستعلن النزاع بين « نيو » و « لى » ، حيث عقدوا عهدا سريا على أن يخصوا الأمبراطور ، وهذا أمر داخلى ، وأما الأمر الخارجى فإنهم اتصلوا بالأجانب وشايعوهم ، ثم اشترك أنصارهم « نان شاو » و « هون تسن » فى النزاع واحدا بعد الآخر ، حتى غرقت الدولة كلها فى بحر المصائب والبلايا .

وهذا مثل آخر ، أحدث فى عهد أسرة « سونغ » من النزاع الحزبى بين « وان غان شى » و « يان يو » حيث نفثوا سم خصامهم حتى انتشر وأهلك دولة « سونغ » . وأشد ما يحزن ما عم فى آخر عهد أسرة « مين » من بلاء حزب « دان لين » الذى أثر على مدة حكم الملك أسوأ التأثير . أما ما حدث بعد إعلان الجمهورية الصينية من النزاع الحزبى والخصام ، فخير لنا ألا نذكره مؤقتا ، لنتركه إلى التاريخ .

إن مجتمع الصين كله ككتاب تاريخى شامل لما يترتب على الاهتمام بالأمور الشخصية . فكم من الناس من قديم وحديث نجحوا نجاحاً باهرا فى الاعتماد على المتعة الشخصية ! وكم من الأشخاص ، قد تحاربوا وتنافسوا بسبب الأمور الشخصية أيضا ، ذلك لأن الصينيين لا يهمهم إلا ما يعامل به بعضهم بعضا ويهملون ما ينبغى عليهم أن يتعاملوا به كأفراد للطبيعة .

فيجب علينا بعد هذا نحن الصينيين ، فى هذا العصر أن نقصد إلى هدف فى الحياة ، ولا بد أن نهدم ما يحيط بالناس من حدود ، ونبتعد عن نطاق المتاع الشخصى ، لنتغلب على الطبيعة مع بعض ، ثم نجدد نظم المجتمع ونصلح شئون الدولة .

يجب علينا أن نجل المستر « لنكولن » زعيم أمريكا المشهور ، ونحترم رأيه العظيم كل الإحترام إذ أنه يريد ألا يسترق الناس أحد من الناس ، ولا يرضى أن يهدد بنى البشر أمثالهم ، ولم يتردد فى إشعال الحرب لإعتاق الرقيق . وكان يبذل جهده لتحرير الرقيق من جهة ، ويحث الناس على الهجرة من جهة أخرى ، حيث دعاهم بأن يتقدموا نحو غرب أمريكا متحدين ، ليفتحوا كنوز طبيعتها البكر ، وهكذا مهد الطريق إلى رقى أمريكا بيديه .

إن أسلوب « لنكولن » المظيم ، هو هدم الحدود بين البشر لقهر الطبيعة ، أو بتعبير آخر أن يتعدى الناس الحدود الضيقة الشخصية فى معاملة بعضهم لبعض ، ثم حثهم على الكفاح والجهاد لاقتطاف الثمرات الطبيعية للحياة ، وهو أسلوب أشبه ما يمكن بأسلوب المخترعين والمكتشفين ، بل إنهم من منبع واحد .

وبمناسبة ذكر الكفاح والحياة المثالية الطبيعية ، أذكر ما أملاه على ركوب البحر من أفكار ، ذلك أننى كنت غارقاً فى أعمال إدارة جريدتى ، فى ربيع سنة ١٥ للجمهورية الصينية ، إذ كنت فى منصب رئيس التحرير والمدير العام ، وكان هدف الإدارة من نواحى العمل والنظم والمقالات كخيط مستقيم ، إذ نبهت أبناء وطنى للثورة على الضباط الشريرين الذين يضرون الوطن ويزعجون الشعوب . ثم تركت إدارة جريدتى مضطراً ، وفررت راكباً من « تينى جبى » إلى شنغ هاى ، حين وصل « تشوبى يو » و « لى جنغ لين » إلى « تين جين » مع قواتهما . ولما خرجت الباخرة من ميناء « تان قو » ، لم أر فى الدنيا إلا الماء العميق والسماء المرتفعة والتقاءهما عند الأفق ، وسارت الباخرة فى البحر الواسع رويداً رويداً كغرفة القرع ، وحينئذ شعرت فجأة بسعة الدنيا وصغر البشر ، وفكرت فى الذين لا يزالون يتنافسون ويتنازعون ويتحاربون فى « تين جين » ، مثلهم كمثل عرمة الديدان ، لو أن تلك الجملة من الناس ألقيت فى البحر ، لم يبد شئ إلا الزبد والرغوة فحسب .

وعندئذ اعتقدت كل الاعتقاد أن مستقبل الإنسان لن يكون فسيحاً متسماً ، إلا بعد أن يبتعد الناس عن نطاق المتاع الشخصى الضيق ، ويبذلوا أقصى جهدهم فى سلوك طريق الطبيعة العظيمة الأبدية

ما أشد ما يعلق مستقبل الإنسان بآثار الحرب الحاضرة !

فإن من حسن الحظ أن قام الأمريكيون يساعدون انجلترا بقانون الاعارة والتأجير ، ثم يساعدون روسيا والصين أيضاً حتى حولوا موقف دول الحلفاء من الهزيمة إلى النصر ، وكان سبباً فى هزيمة المحور ، وأصبح العالم كله يحلم بمستقبل منير .

وربما رأى بعض الحاذقين أن الأمريكيين من أشد الناس حمقاً ، لأنهم يسلمون ما أنتجوا من السلاح والغذاء إلى حلفائهم بدون أى شرط ، وهم قد دفعوا الضرائب الثقيلة ، وسكبوا عرقاً ودماء . ولكن الأمريكيين أنفسهم ما زالوا يخترعون هكذا ، ويعطون هكذا ، بل إنهم سيستمرون فى الاختراع والاعطاء ، وبذلك أصبحت أمريكا زعيمة دول الحلفاء ، وصار الرئيس روزفلت أول السياسيين فى العالم ، وصار أهل أمريكا أكثر الناس سعادة . وإن مثل أمريكا الآن مثل الشمس تبعث الحرارة والنور باستمرار ، فحصلت عظمتها وجلالها من بذل الحرارة والنور ، وهى نفسها لا تعنى بتنعمها قط .

وإذا لاحظنا مسألة الأمريكان الاقتصادية بعد الحرب الحاضرة ، وقد نفذت اليوم فعلا ما عرضته على آذان المستمعين الآن من نظرية الشمس والحياة ، ظهرت لأعيننا مشكلة النزاع العلنى بين فريقين : أولهما « Expans onist » الذين يقترحون أن يبقى الإنتاج الجليل كما كان بعد الحرب الحاضرة ، كى تتجدد مسألة البطالة ، وهم لا يلاحظون حينئذ دفع الضرائب الثقيلة وتحمل الديون . وثانيهما : « Consrvitist » الذين يقترحون اختصار ميزانية الوطن بعد الحرب الحاضرة والنقص من مدى الإنتاج تجنباً للتضخم المالى .

وإنى لموافق على رأى « xpans on st » من التوسع فى الإنتاج ، فأرجو من أمريكا أن لا تنفذ قرار « Conservitist » الذى يشير بإنقاص الانتاج بعد الحرب الحاضرة ، بل يجب عليها أن تستمر فى الاختراع والإنتاج ، لتتمتع الجماهير بالنتائج ويرتفع المستوى المعيشى ، ثم تبيع ما يبقى من الإنتاج بعد الاستعمال ، ولو بقى شىء من الإنتاج بعد البيع ، فما عليها إلا أن تقدمه للناس هدية . إذ أن ثمة بعد الحرب كثيرا من البلدان تنتظر نهضة ، وكثير من الأمم تحتاج إلى المساعدة والإنقاذ . ولما كانت لأمريكا هذه القوة على الاختراع وتلك القدرة على الإنتاج ، فكيف يجوز أن لا ترفع قواتها إلى أقصى الحد ، كى توفر النعمة لجمهورها خاصة وللعالم كله عامة ؟

إن السياسيين الأوربيين إذا تحدثوا عن سياستهم الداخلية ، طالبوا دائماً برفع المستوى المعيشى » أما السياسيون الصينيون فقد تعودوا أن يبثوا فى الناس حب الاقتصاد والزهد ، وذلك يوضح مذهب الفريقين المختلفين وفلسفتهما ، ويمثل نوعين من السياسة متميزين .

أما كيف يرفع مستوى المعيشة فذلك بالبحث فى خامات الطبيعة وقوانينها والأخذ عنها بالاختراع والعمل على زيادة الانتاج . وأما كيف يكون الزهد والاقتصاد فذلك بالقصد فى الطعام والكساء ، وجمع النقود مليما بعد مليم ، وتكديس المئونة قيراطا بعد قيراط ، حتى أصبح الشحاذون هم أصحاب الثراء ، وفوق ذلك فان أكبر ضرر ينتج عدم الانتاج والابتكار ، والزهد والشح هو فتح باب الخداع والرشوة ، ولهذا كان ضعف الصين وفقرها .

لقد كان صاحب كتاب « الدول الثلاثة » أعظم الناس عقلا وأكثرهم تجريبا ؛ إذ قال فى أول كتابه القيم : « لا بد أن تتطور حالة الدنيا بحيث يتحد الناس بعد مدة الفراق من جهة ، ويفترقون بعد مدة الاتحاد من جهة أخرى » .

ولو أننا رجعنا إلى الخلف خطوة ، نبحث فى تاريخ الصين عن أسباب السلام والصلح من جهة ، وعن أسباب التمرد والعصيان من جهة أخرى ، لوجدنا أن السبب الوحيد هو وقوف سياستنا فى حدود نطاق المتاع الشخصى الضيق ، وحدود الاقتصاد فى إنتاج الزراعة البسيطة ، وعدم استغلال الطبيعة لتحسين حال المجتمع وخصوصاً العجز عن رفع مستوى المعيشة .

لقد كانت مصر من بناة الحضارة بين أبناء آدم ، بل كانت الأولى فى العالم من قديم الحضارة وبعد التمدن ؛ إلا أن أهلها ما زالوا يعيشون على ماء النيل فقط ، فاذا لم يرتفع فيضان النيل إلى درجة موفورة ، نقص حصاد الزراع ، ومات الناس جوعا . وإذا لم تكف المؤونة بأن كان إنتاج الزراعة ومحصولها محدودا مع زيادة السكان ، حدثت المصائب دائما ، فلذلك ظلت مصر ضعيفة .

وإلى هنا كشفت المشكلة أمام أعيننا علانية ، فلا بد أن ننزع ما بين البشر من حدود ، ونبعد عن نطاق المتاع الشخصى ، ثم نتجه إلى السماء بقصدنا المبين ، ونستغل الطبيعة بقوتنا المتحدة وعند ذلك تحسن حالة المجتمع وتصلح شئون الوطن ، ونرى أنفسنا متقدمين نحو الأمام مشغولين بالاختراع . تلك هى وجهة نظرى الجديدة فى الحياة ، وهى نفسها نظرية الشمس والحياة .

نور ناهين

داود باشا

ونهضة العراق الأدبية

في القرن التاسع عشر

للمرحوم الأستاذ رزوق عيسى

— ٢ —

ومن آثاره الجامع المسمى باسمه في الكرخ قرب مقام الخضر، والشارع الذي وسعه والباب الذي فتحه في الرصافة بالقرب من رأس الجسر القديم بجانب الثكنة « القشلة » وقد نقشت فوق رتاجه هذه الأبيات :

آثار داود آثار بها لبست بغدادُ حسناً يروق العين واضحه
تشكو الرصافة قدماً ضيق مسلكها ويكره الضيف غاديه ورائحه
فأُمنحتَ بطريق لازحام به وباب جسر حُبِيِ بالنصر فاتحهُ
يخاطب الملكَ الأعلى كأن به شوقاً إلى المشترى يبغى يصافحهُ
أعيا أبا جعفر المنصور حين بنى حظٌّ أبو يوسف المنصور رابحهُ
داود من أيدت بالنصر دولتهُ وعن لسان الثنا سارت مدائحه
لا زلت تسمع خيراً من مؤرخه بابٌ وداود ربُّ الفتح فاتحهُ

١٢٤١ هـ

ومن آثاره أيضاً الجامع القائم بسوق الهرج الذي شيد معالمه بعد دروسها وقد كتب فوق بابه ما يلي :

ذا جامع كان قدماً لا شبيه له في حسن بنيانه والدهر غيرّهُ
وكم وزير أتى الزوراء ثم مضى ولا لغير خيام الجند صيرهُ
حتى أتى ذا العلى داود آصفنا من حاك بالسبعة الأفلاك مفخره
فشاد أطنابه من بعد ما انهدمت للعابدين ووشاه وصوره
وحين تم غدا الداعى يؤرخه ذا جامع بالندى داود عمره

١٢٤٢ هـ

اهتم داود باشا اهتماماً عظيماً بتوسيع نطاق التجارة والزراعة وترقيتهما فكرى الأنهر وشق الريع ومنها نهر عيسى المعروف اليوم باسم أبي غريب الواقع في الجانب الغربي من بغداد، وقد نظم الشيخ صالح الخيمى قصيدة عامرة الأبيات مطلعها :

لونهر عيسى يحاكي فيض محييه لصير الماء في أعلى روابيه
نهر عليه ظباء الوحش عاكفة دهراً فعادت ظباء الأنس تأويه

ولما تم كرى نهر عيسى شرع في كرى نهر النيل الواقع في لواء الحلة، فأمر بحشد خمسة آلاف فاعل، وقد أنجز حفره عام ١٢٤٢ هـ، فأكثر الشعراء من مدح المترجم بقصائدهم ومنهم الشيخ صالح الخيمى الشاعر المطبوع القائل في مطلع قصيدته هذه :

دع نهر عيسى وحدثنى عن النيل واجر الحديث بإجمال وتفصيل
نيل ولا مصر لكن في جوانبه نضارة لم تكن في مصر والنيل

ومن مآثره اهتمامه بفتح المدارس وإنشاء المعاهد العلمية والأدبية وقد بلغت في زمن ولايته نحو ثلاثين مدرسة بين عالية وابتدائية ومنها المدرسة المعروفة باسمه وقد نالت شهرة واسعة.

شعره

كان صاحب الترجمة يحسن العربية ويجيد قواعدها وشواردها وله وقوف على آدابها، وقد نظم قصائد عديدة، ودبجت براعته رسائل كثيرة بعث بها إلى أصحابه وإخوانه؛ غير أن آثاره الأدبية فقد معظمها ولم يثبت منها سوى الشيء النزر في بطون الدواوين وعلى صفحات المهارق، وقد ورد في سجع الحمامة وهو ديوان بطرس كرامة ص ٣٢٤ ما نصه : وقال مخمساً والأصل بيتان لبعض شعراء العراق شطرهما داود باشا والى بغداد سابقاً :

زند الأسى بين الجوانح قدورى لما تأخر ذو الأمام إلى ورا
أين الوفا والقدر قدعم الورى ولقد يشق على النواظر أن ترى
ذا همة في ذلة وصغار
أضحى النبيل الفرد منفصم العرى مما يؤمل جاهداً فوق العرا(١)
يا لهف نفس مرة مما عرى ما كنت أوثر أن أشاهد أو أرى
كبراء قوم في أكف صغار
فالدهر خصم إن بدا اطراقه وإذا الزمان تراجعت أخلاقه
سلب الرئاسة من يد الأحرار

(١) ساحة الدار.

لعب الزمان بنا فليس بغـادر شهماً يعز عاذراً من غادر
يا طالباً شمسـاً بليل غادر[١] ما ذا تؤمل من زمان جائر
جعل الخيـار بقبضة الأشرار

ومنها قصيدته المعروفة بالدرع الداودية ، فقد وجدت فى خزانة جرجس بك صفا ، أوقفه عليهـا الأمير سعد حفيد الأمير بشير الشهابى الـكبير ، وهى من مخلفات شعر جده بطرس كرامه ، وها نحن أولاء ندرجها كلها لأننا لم نقف على غيرها من نظم ذلك الوزير الشاعر :

الدرع الداوودية

أما آن للأحباب أن ينصـفوا معنا
فزاغوا وما زغنـا وحالوا وما حلنا
نعم هجروا واستبدلوا الوصـل بالجفا
وخانوا عهـــوداً ماضيات وما خنا
رعينا حقوقاً لا علينا نعم لنا عليهم حقوق سالفات ولا منا
وفينا ولم نغـــدر فـكان جزاؤنا
جـزاء أم عمرو فافهم اللفظ والمعنى
وإنا لقـــوم نحفظ الود غـيرة
ونرعى ذماماً إن حضرنا وإن غبنا
وإن جيشوا جيشـاً من الصد والجفا
بنينا من الصبر الجميل لهم حصنا
هم زعموا أن كل برق يخيفنا نخابوا بما قالوا وقلنا وما خبنا
إذا ضـــيعوا حق فهم يعرفوننى
إذا هبت النـكباء كنت لهم ركنا
وإنى أبى أن الم بريبة وأستعطف الحب اللئيم أو الأدنى
وما كان عيبى عندهم غير أننى إذا بيعت الأرواح لا أدعى الغبنا
وإن قام سوق الحرب إنى أشدهم لأعدائهم بأساً وأكثرهم طعنا
وأثبتهم جاشـاً وأطولهم يداً وأوفاهم عهداً وأكبرهم سنا
وأحكمهم عقـداً وأمنعهم حمى وأصدقهم قولا وأوسعهم مغنى
أجامـل أقواماً ولاً لا مهابة فيزعم قوم أننـا منهم خفنا
وأســكت إيفاء لود علمته وعندى مقال يحطم الظهر والبطنا

ولو وقفوا يوم الرهان مواقفى لأهديتهم روحى ومالى وما يغنى
فيا أســفى ضيعت عصر شبيبتى
بكل خفيف القـدر لا يعرف الوزنا
فإن وصلوا حبلى وصلت حبالهم وإن قرعوا سنى جدعت لهم أذنا
إذاهم فى إســـعادنا لملمة ألمت بنا قد أسعفونا فلا عشنا
وظنوا بأن الآل يشفى من الصدى نخاضوا به للورد جهلا وما خضنا
وقد بدلوا الغالى الذى تعرفونه بصفقة غبن لا نقيس بها غبنا
ولو علموا ما يعقب الغبن فى غد لقيل لهم تبت يدا كم وما أغنى
صحائف عنـــدى غيرة قد طويتهـا
ولو نشرت يوماً لقصـــوا لها ذقنا
أجـــول بطرفى فى العراق فلا أرى
من الناس إلا مظهر البغض والشجنا
نخـيرهم للأجنبى وقبحهم على بعضهم بعض يعدونه حسنا
وشبانهم شـابوا المودة بالجفا وشبنا وما للصفو فى كدر شبنا
حضرنا متى غابوا بموقف حـــربهم
وإن حضروا فى موقف للخنـا غبنا
سمرنا مع الســـمر العوالى لياليـاً
وهم سمروا فى ذكر سـعدى وفى لبنى
جفوا فوصلنا حبلهم بعد قطعه فدع منهم يبدو الجفاء ولا منا
ألا نخوة منهم فيصغون للذى أيادى سبا قد لاعبت ذلك المغنى
ألا حازم للرشـد شد حزامه لداهية ينسى بها الطائر الوكنا
ألا مرشد منهم عن الغى قومه فيوقفهم منه على السنن الأسنى
ألا رافع عن قومه بنى ظـالم
إذا فقدوا فى الحرب من ينطح القرنا
وكان إذا أبدى التشاجر نابه يفرون مثل الجمر عنه وما كنا
ومن كل ناموس وبأس تخلصوا كما نحن من غل وغش تخلصنا
لقد حملوا ما يثقل الظهر من خنى كأنهم من ماله حمـلوا سفنا
متى تعتذر أيامنا من ذنوبها وهيهات من غدر لمومسة لحنا
فـكم طحنت قوماً بجؤجؤ صـدرها
وما أصلحت يوماً دقيقاً ولا طحنا
وعصبة لؤم قد تناجوا لحربنا فياويحهم ما ذا يلاقونه منا
تراموا وحاشا المجد أن يتقدموا علينا وهاموا بالأمانى وما همنا

(١) مظلم .

٢٨٠٧.

وطاشوا ببرق خلب لا أبالهم … وسلوا علينا المرهفات وما خفنا
فقل لى بماذا يفخرون على الورى … إذا عدت الآباء أو ذكروا الابنا
فهبهم على المجد الأثيل تسنموا … ألا يعلمون المجد بالقول لا يبنى
ألا غيرة تدعو الصريخ إذا دعا … ليوم عبوس شره يوقظ الوسنى
طوينا عن الزوراء لا در درها … بساطا متى ينشر نعد به طعنا
وإنى وإن كنت ابنها ورضيعها … فقد أنكرتنى لا سقاها الحيا مزنا
إلى الله أشكو من زمان تخاذلت … خيار الورى فيه وساؤوا بنا ظننا
وباع بفلس كل خل خليله … وصار الكريم الحر يسترفد القنا
ألا مبلغ عنى سراة بين الوغى … وأقيال عرب كيف صبرهم عنا
أهم بأمر الحزم فى حومة الوغى … ومن ناهز السبعين أنى له أنى
إذا كفى اليسرى أشارت لناقص … قطعت لهـا زنداً وألحقتها اليمنى
وأنا إذا صاح الصريخ لحادث … أجبنا ولبينا لمن فيه أنبأنا
على الكرخ فى الزوراء منى تحية … وألف سلام ما بها ساجع غنى
صحبتهم طفلا على السخط والرضى … وشبت فلا سيفى أفاد ولا أغنى

وبعد مضى أربع عشرة سنة على ولايته فى بغداد سولت له نفسه أن يستقل بالقطر العراق ويعصى أميره كما فعل محمد على باشا والى مصر ، غير أنه لم يفز بوطره إذ فشا على أثر خروجه على الدولة العثمانية طاعون شديد الوطأة فى بغداد وما جاورها من البلاد بحيث ثبط عزمه وشتت شمل جيوشه . فلما انتهى إلى الآستانة خبر عصيانه أرسل السلطان محمود خان نحو عشرين ألف مقاتل يقودهم على رضا باشا والى حلب لكبح جماح الوالى المتمرد ، فباغت قائدهم مدينة بغداد وشدد عليها الحصار بينما كان أميرها المستقل منهمكا فى تحصين أسوارها وتقوية حاميتها ، وبعد مناوشات عديدة وهجوم ودفاع رأى أن لا طاقة له على القراع والكفاح لموت معظم جنوده بالوباء ، فأذعن لخصمه وسلم نفسه أسيراً ، فأرسل على الفور إلى الآستانة مخفوراً ، وقد برح عاصمة العباسيين قاصداً القسطنطينية عام ١٢٤٧ هـ — ١٨٣١ م حيث عفى عنه ، ولقى مزيد الحفاوة والإكرام لكثرة خدماته السالفة للدولة ، وبقى مشمولا بالرعاية والالتفات ، مدة إقامته فى عاصمة المملكة .

لقد جمعت المترجم لحمة الأدب بالشاعر المفلق المعلم بطرس كرامة الذى أتحفه بقصيدته الخالية التى بعث بها الى طائفة من أدباء وشعراء بغداد وطلب منهم أن ينسجوا على منوالها ويباروا صاحبها وهاك مطلعها وبعض أبياتها :

أمن خـــدها الوردى أفتنك الخال
فسح من الأجفان مدمعك الخـال(١)
وأومض برق من محيا جمـالها
لعينيك أم من ثغرها أومض الخال(٢)
رعى الله ذياك القوام وإن يكن
تلاعب فى أعطافه التيه والخال(٣)
ولله هاتيك الجفون فإنهــا
على الفتك بهواها أخو العشق والخال(٤)
مهـــاة أفتـــديها ووالــدى
وإن لام عمى الطيب الأصل والخال(٥)

اقترح صاحب الترجمة على الشيخ عبد الباقى العمرى أن ينسج على منوال خالية بطرس كرامه فعارضها بقصيدة غراء مطلعها :

إلى الروم أصبو كلما أومض الخـال
فأسكب دمماً دون تسكابه الخال
وعن مدح داود وطيب ثنـائه
فلا القد يثنينى ولا الخد والخال

وقد ختمها بهذين البيتين :

وإنى وإن كنت الرديف نظامه
لمسبوقة حسن الردى لها الخال(٦)
فذى معجزاتى ما أرى ابن كرامة
يعارضها حتى يصـاحبه الخال(٧)

(يتبع) رزوق عيسى

(١) الخال فى الشطر الأول شامة الخد وفى الثانى السحابة الماطرة .
(٢) الخال : أبرق .
(٣) الخال : العجب والكبرياء .
( ) الخال ضد العاشق : أى الخالى من الحب .
(٥) الخال : أخو الأم .
(٦) الخال : النقطة .
(٧) الخال : الكفن .

من أغاني الرق:

عبيـــد الرياح

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[في غروب يوم قائظ ، ماتت رياحه وسكن فيه كل شيء ، إلا غناء شجي يتهاتر أنينه من هؤلاء المعذبين الأبطال . ساروا مصفدين بحبال السفن ، يصارعون تيار النيل في عراك جبار مع الطبيعة ، علهم يشقون في صدرها طريقهم الى الجنوب !]

رأيتهمُ في غروب كئيب ... يعز على شمسهم أن تغيب
جدتهم بأشلاء ضوء ذبيح ... يعصفر أشباحهم باللهيب
جبابرة عوذوا للهواء ... وبثوا رقاهم لريح المغيب
يلوحون صفاً وئيد الحراك ... كأنهمُ صُلبوا في الكثيب
يسيرون سير الهوان المريب ... ويمشون مشي الزمان الكئيب
فتحسبهم أوغلوا في الخيال ... وعينُك تأخذهم من قريب !
على صدرهم من غضون الكفاح ... أفاعي حبال تلف الجُنوب
تجاذبهم خطوهم للوراء ... فهم من عناد بقايا حروب
سواعدهم موثقات الزنود ... ولكنها عــدة للهبوب
تشق الفضـــاء بأصفادها ... فتنشق أجوازه أو تذوب
وأجسادهم حانيات لهـــا ... ركوع المحمَّل ثقل الذنوب
كأنهمُ في سفوح الزمان ... شياطين تحدو المساء الرهيب
حواميمهم خلف نعش الرياح ... (هواهو) (هواهو) غناء رتيب
سقاهم « سليمان » من سره ... فكادوا يعسُّون سمع الغيوب
أقاموا جنازاً يئن الفضاء ... بأصدائه ، وينوح الغروب
يكاد يعزي ، ويغشى النخيل ... وراءهمُ ، وتلوذ السهوب
شدوا واستجاروا وخاب النداء ... فناصت خطاهم وشقوا الجيوب
ومروا حفــاة عراة لهم ... شهيق الثكالى وزفر الغريب
على الأرض خُرْسٌ وإن همهموا ... فهذي صلاة تذيب القلوب
يجرون أيامهم خلفهم ... وذكرى شقاواتهم والكروب
عبيدَ الرياح ، كلانا رقيق ... فغنوا وسلوا عبيد الخطوب !!

محمود حسن إسماعيل

الصـــــفقة الرابحة ...

اطاغور

« تعال يا من يستأجرني » .

رفعت صوتي بهذا النداء وأنا أذرع شارعا معبداً في الصباح. أقبل الأمير في عربته الفاخرة وسيفه في يده ، ثم أمسك يدي وقال « لأستأجرنك بقوتي وسلطاني ، ثم مضى ... »

ولكن قوته لا تساوي شيئا .

وفي مر الظهيرة والشمس حانقة على الوجود ، كانت المنازل مغلقة الأبواب ، غير أني تابعت سيري في الدروب الملتوية ، وأقبل رجل كبير السن في يده حقيبة ملأى بالذهب ... فكر ملياً ثم قال :

« لأستأجرنك بذهبي ... »

ثم وزن ذهبه قطعة بعد قطعة ، ولكنني تركته يعد ذهبه وانفلت هاربا .

أقبل المساء وأسوار الحدائق تكللها الأزاهير ، وبدت فتاة جميلة وقالت :

« لأستأجرنك بابتسامة . . »

شحبت ابتسامتها ، وذابت في دموع غزيرة ، ثم عادت أدراجها وحيدة وغابت في الظلام .

تلألأت الشمس على الرمال ، وهدرت أمواج البحر في عنـاء ، وجلس طفل يلعب بالقواقع على رمال الشاطىء . رفع رأسه وكأنه يعرفني وقال :

« أما أنا فإني أستأجرك بلا شيء ... »

ومن ذلك الوقت تعلمت معنى الحرية من صفقة طفل يلهو بقواقعه على الشاطىء .

(بغداد) إبراهيم أبو الفتوح

الأدب والفن في أسبوع

مكتبة الأب أنستاس الكرملي :

كلفت اللجنة الثقافية بالجامعة العربية مندوب العراق الاتصال بالحكومة العراقية على أن تحرص على اقتناء مكتبة فقيد اللغة والأدب الأب أنستاس الكرملي قبل أن تتبعثر وتتخطف الأيدي كنوزها النادرة .

وقد كان الأب الكرملي — رحمه الله — من الباحثين الذين يهتمون باقتناء الكتب النادرة ، وقد صرف كثيراً من عنايته إلى هذه الناحية . ومما يذكر أنه في صدر حياته جمع مكتبة ضخمة في خزانة دير الآباء الكرمليين ، وقد كانت هذه المكتبة تضم حتى عام ١٩١٤ أكثر من ١١ ألف كتاب عربي مطبوع وأكثر من ٨ آلاف كتاب أفرنجي مطبوع و ٧٨٣ كتاباً من نوادر المخطوطات كان ضمنها ديوان امرئ القيس وديوان السموأل وديوان المزرد ونسخة كاملة في ٣٢ جزءاً من كتاب مرآة الزمن لابن سبط الجوزي ، ونسخة كاملة من الخصائص لابن جني ، ونسخة من كتاب العين للخليل بن أحمد ، ونسخة تامة من ديوان الأدب للفارابي . ولكن هذه المكتبة النفيسة ضاعت إبان الحرب العالمية الأولى ، فكان ضياعها فجيعة قاسية على نفس الأب الكرملي ، وظلت الحسرة على ضياعها تلازمه حتى مماته .

على أنه رحمه الله — أخذ في تجديد تلك المكتبة ، وجهد في جمع النوادر لها ، وقد استطاع أن يضم فيها قرابة ٢٠ ألف كتاب مطبوع وألفي كتاب مخطوط . ومما يذكر أن الكرملي ألف أكثر من أربعين كتاباً في اللغة والأدب والتاريخ ، وقد طبع بعض هذه الكتب ، ولكن أكثرها لا يزال مخطوطاً ، وفيها ما لم يكمل تأليفه . وكان — رحمه الله - يعتز بهذه المؤلفات ويبالغ في المحافظة عليها ، ولما قامت الحرب جمعها في خزائن حديدية ودفنها تحت الأرض حتى لا تفتك بها الأحداث ، وقد صرف الكرملي حقبة طويلة من عمره في تأليف قاموس عربي كبير قسمه إلى ثلاثين جزءاً ، أنجز منها ٢٢ جزءاً ، وكان في آخر حياته شديد الحرص على إتمام هذا الأثر ، ولكن المنية عاجلته قبل أن يبلغ غايته .

ومما هو معروف أن الفقيد كان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضواً في مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فإذا كانت الحكومة العراقية ستقوم من جانبها باقتناء مكتبته ، فلعل هذين المجمعين يقومان بالواجب عليهما نحو الفقيد ونحو أبناء العربية فيحرصان على نشر آثاره الخاصة وطبع مؤلفاته ، حتى لا يضيع جهد ذلك الباحث العظيم على اللغة ، وتكون نهايته أن يدفن في خزانة ...

هل نهضنا ؟

زميلتنا مجلة « الأديب » البيروتية دعامة من دعامات النهضة الأدبية العربية ، وصفحة مشرقة تنشر مفاخر الآباء ومآثر الأبناء وتسجل حلقات التطور في الفكر العربي ، ثم هي تجمع إلى ذلك روائع التفكير الغربي ، فهي بحق تضطلع بمهمة شريفة كريمة في خدمة القومية العربية والنهضة الفكرية .

ولكن هذه الزميلة العزيزة كتبت في عددها الأخير تقول إنها تواجه أزمة مالية تهددها ، وإنها لذلك وضعت مستقبلها بين يدي أنصارها وأصفيائها ، وطالبتهم أن يعينوها باشتراك مادي مضاعف حتى تستطيع السير في خطتها ؛ وتقول « الأديب » : إنها تقصد بالأنصار أنصار الرسالة الواعية والفهم القوي ، وإنها تأمل أن يجد نداؤها صداه البعيد في نفوس الذين في وسعهم تلبيته

وهذا داء معضل نعرفه في الشرق العربي ، فلا نجد صحيفة أدبية تخدم الأدب الصحيح ، وترفع لواء الرأي الصريح ، وتخلص للقومية والعقيدة الرشيدة تصيب من التقدير والإقبال ما يعينها في مهمتها ، ويساعدها على ما تضطلع به من أعباء ، على حين نجد عشرات الصحف والمجلات التي تعيش على تملق الغرائز والتجارة بالكلام التافه تصيب من التقدير والإقبال ما يغدق عليها وفير المال .

يقولون إننا في الشرق العربي قد نهضنا في الأدب ، وأنا أقول أجل ! إننا نهضنا ولكن بغرائزنا لا بعواطفنا ، ونهضة الغرائز

ضراوة وانحلال ، ويوم أن تنهض عواطفنا ، وتتهذب مشاعرنا ، نستطيع أن نقدر الفكر القويم ، والأدب الكريم ، والإنتاج المهذب إنها في الواقع ليست محنة « الأديب » إذ لا تجد ، ولكنها تهمة لأبناء العروبة إذ لا يقدرون .

كتب الله السلامة « للأديب » ، وبصر بحالها كل ندب أريب ...

جورج ديهامل :

يزور مصر في هذه الأيام مفكر ممتاز وأديب فرنسي كبير له صيته ومكانته ، هو الأستاذ جورج ديهامل عضو الأكاديمية الفرنسية . وليس مسيو ديهامل بالمجهول لأبناء العربية عامة ولأبناء مصر خاصة ، فقد سبق له أن زار مصر كما زار بلاد الشرق ، وقد ترجم الدكتور طه حسين بك نخبة من آثاره إلى العربية ، كما ترجم له الدكتور محمد مندور كتاب « دفاع عن الأدب » فأدى بذلك خدمة جليلة للأدب العربي في مرحلة التطور التي يواجهها الآن .

ومسيو ديهامل في نحو الستين من عمره ، وقد درس في أول حياته الطب ، واشتغل بهذه المهنة ، وكانت نفسه تنزع إلى الأدب فاستجاب لهذه النزعة وأخذ يجمع بين الطب والأدب ، ولما قامت الحرب العالمية الأولى خدم فيها ، واشتغل طبيباً في المستشفيات الحربية ، وقد كان هذا من عوامل التطور في حياته وفي تفكيره ، لأنه لمس آلام الإنسانية بيديه ، وتمثلت مشاكلها الباطنية لعينيه .

وقد خرج من ذلك بعقيدة ثابتة وهي أن القلب موطن السعادة ومبعثها ، وأن العلم والعقل والحضارة لا تستطيع أن تسعد إنساناً إذا لم تشف قلبه وتغمره بالرضا والبهجة والاطمئنان وهذه العقيدة هي محور التفكير عند هذا الأديب الكبير في كل ما ينتج .

وإيماناً بهذه العقيدة يحب ديهامل وطنه فرنسا ويفنى في هذا الوطن كما يقول ، لأنه نشأ فيه وترعرع ، ولأن فرنسا قد أسدت أكثر من أي أمة خدمات جليلة إلى الفن والأدب وبذلت كثيراً لإسعاد الروح الإنسانية ، وقد كان مسيو ديهامل في بيروت قبل أن يصل إلى مصر وقد ألقى هناك عدة محاضرات ، وسيلقي في مصر عدة محاضرات أخرى . وفي مساء الأربعاء الماضي ألقى المحاضرة الأولى بدار جريدة « البروجريه اجبسيان » ، وكان موضوع المحاضرة « فرنسا حياتي » فقال إنه ابن فرنسا ، وإنه نما وترعرع تحت سمائها ؛ وعاصر فيها عدة مراحل سياسية وتاريخية ، ولهذا فهو خبير بها مخلص لها ، ثم تساءل : بأي مقياس نحكم أن دولة أعظم من دولة ، أبكثرة عدد سكانها ، أم بما تملك من وسائل الإنتاج الاقتصادي والرواج التجاري ، أم بما تحشد من عدد الجنود والأساطيل ، ثم أجاب على هذا التساؤل قائلا : كلا ، بل بما تهب الدولة للعالم الإنساني من رجال عظام يخدمون الإنسانية في شتى نواحي الأدب والفن والعلم والاختراع ، ثم أشاد بما وهبته فرنسا للعالم من رجال عظام ونساء عظيمات خدموا الإنسانية في كل فن ومذهب .

ويظهر أن مسيو ديهامل لا يقوم الآن بزيارة الشرق لمجرد الرحلة ، بل ليؤدي واجبه نحو الوطن الذي يقول « إنه حياتي » وسيذيع سلسلة محاضرات في تمجيد الثقافة الفرنسية في وقت تتطاحن فيه الدعايات في الشرق للثقافة الأمريكية والثقافة الإنجليزية .

تراث المعري :

لما تجمع أدباء العربية في العراق منذ ثلاثة أعوام للاحتفال بذكرى أبي العلاء المعري رأى الدكتور طه حسين بك — وكان يومذاك مستشاراً فنياً لوزارة المعارف — أن خير ما يجب لأحياء ذكرى ذلك المفكر العظيم هو إحياء تراثه وطبع مؤلفاته . وقد اسرع بتنفيذ هذه الفكرة فألف لجنة من وزارة المعارف قوامها الأساتذة ابراهيم الأبياري وعبد السلام هارون وحامد جادو وعبد الرحيم محمود ومصطفى السقا ، وضم إلى اللجنة السيدة ابنة الشاطىء ولكنها لم تقدر على احتمال هذه المهمة الشاقة فانصرفت أو صرفت عنها .

واعتكفت هذه اللجنة في حجرة بدار الكتب ، وجمعت حولها كل تراث المعري وكل ما تحتاج إليه من الأضابير وجفو الطوامير ، واستطاعت أن تحصل على المصادر التي ليست بالدار وما

تبعثر من آثار المعرى فى سائر الأقطار ، وقد استطاعت بعد قليل أن تخرج كتاب « تعريف القدماء بأبى العلاء » جمعت فيه كل ما قاله السابقون فى المعرى ، وهو كتاب يغنى الباحث عن الرجوع إلى عشرات الكتب كما يجد فيه ما لا يمكن أن يصل إليه لندرة المصادر

ثم أخذت فى إخراج كتاب « سقط الزند » مكملا بالشروح الثلاثة للتبريزى والبطليوسى والخوارزمى وقسمت الكتاب إلى أربعة اجزاء على أن يضم إليه خامس يشمل فهارس مفصلة ، وقد أنجزت منه إلى الآن ثلاثة اجزاء

وإنه لعمل جليل نافع ، يزينه اخلاص أعضاء اللجنة وما يتحلون به من صبر العلماء وتفرغهم لخدمة العلم والأدب منقطعين عن ضجيج الحياة الفارغ ، على حين أن الوزارة لا تكافئهم بما يكفى من الأجر ، ولا تجازيهم حتى بكلمة شكر ...

ولكن الأمر الذى يؤسف له أن اللجنة تخرج ما تنجزه من الكتب ثم تسلمه لوزير المعارف ليتصرف فيه بحكمته . ووزارة المعارف توزع الكتب هدية ، ولكنها تكون هدية إلى من يستحق ومن لا يستحق ، بل إن الوزارة تحبس كثيراً من النسخ لديها ولا تسمح لأحد بالحصول عليها ، أليس معنى هذا أن الوزارة تبعث تراث المعرى لتقبره من جديد !

فكرة ماتت :

كان تفكير القائمين على دار الكتب المصرية قد اتجه إلى بعث مصادر الأدب المصرى التى لا تزال إلى الآن مخطوطة مطمورة بالدار ، على أن تنشر نشراً علميا يستوفى الأسباب والوسائل الكافية ، ويقوم بتصحيح كل كتاب أستاذ معروف بقدرته وخبرته .

والفكرة وجيهة رشيدة ، بل إن النهوض بها واجب يقتضى الإسراع فى إنجازه ، فإن من العار أن يبقى أدبنا الذى يمثل شخصيتنا والذى هو منار فخارنا مطموراً منسياً إلى اليوم ، وإن من الهوان أن يبقى الأدب المصرى فى أزهى عصوره مجهولا حتى الآن .

ولكن يؤسفنا أن نقول إن هذه الفكرة الطيبة قد ماتت وطوى خبرها كما تطوى كل فكرة طيبة فى مصر ، وليس لهذا من سبب إلا لأن الذين فكروا فيها واتجهوا إليها قد بعدوا فى مجال العمل عن الإشراف على دار الكتب ، فلما جاء الخلف عز على نفوسهم أن ينفذوا فكرة صالحة للسلف .

فهل للقائمين بأمر الدار أن يمضوا فى هذه الفكرة ، وأن يعجلوا بانجازها وتنفيذها تقديراً للقومية وللعربية وإحياء لتراث عظيم مبعثر ، قبل أن يندثر ويقبر ؟ !

مجمعان علميان :

أخذت الحكومة العراقية بالأسباب لإنشاء مجمع علمى عربى على نظام المجمع العلمى العربى بدمشق ، وستجعل من مهمته التأليف والترجمة والنشر ، على أن تلغى اللجنة التى تضطلع بهذه المهمة .

وكان دولة رياض الصلح بك رئيس الوزارة اللبنانية يفكر فى إنشاء مجمع على هذا الغرار فى بيروت ، فلما عاد إلى الوزارة فى هذه الأيام كان أول ما انصرف إليه اتجاهه ، هو تنفيذ تلك الفكرة ، ويقولون إنه بسبيل تحقيقها وإخراجها إلى الواقع .

وإنشاء المجامع من هذا الطراز يخدم العلم واللغة والأدب ، وينظم الإنتاج الفكرى ويدعمه ، ثم هو يقوى الروابط بين الأقطار العربية ، لأن صلات الهيئات تكون أقوى وأشمل من صلات الأفراد .

وإذا ما تم إنشاء هذين المجمعين إلى جانب مجمع دمشق ومجمع اللغة فى مصر يكون فى بلاد الجامعة العربية أربعة مجامع ، أى أربع دعامات لخدمة العلم والأدب واللغة ، والهدف الذى نرجو أن تتوجه إليه جهود هذه المجامع هو أن تعمل متحدة متضافرة على جمع التراث العربى المبعثر فى الآفاق ، الموزع فى الأقطار ، فمنه جانب فى مكاتب الأستانة ، وجانب فى الاسكوريال ، وقسم كبير فى مكاتب أوروبا ومتاحفها ، ولقد انقضت السنون وما زلنا نعيش على انتظار ما تجود به علينا أيدى المستشرقين من هذا التراث .

جامعة أدباء العروبة :

افتتحت جامعة أدباء العروبة فرعاً لها بمدينة الفيوم ، وأقامت لذلك حفلا رائعاً ، فى مساء الخميس الماضى خطب فيه معالى

دسوقى أباظة باشا وزير المواصلات فتحدث عن أغراض الجامعة ومراميها ، وشرح ما تهدف إليه من غاية فى رعاية الأدب وتقوية الروابط ، ثم تعاقب الشعراء والخطباء فى إلقاء قصائدهم وكلماتهم فأنشد وخطب الأساتذة الدكتور إبراهيم ناجى ، وطاهر أبو فاشا وأحمد عبد المجيد الغزالى ، وخالد الجرنوسى ، والعوضى الوكيل ، وعبد المنعم إبراهيم ، وطه عبد الباقى سرور ، وعبد الوارث الصوفى ، وهم من الفريق القاهرى ، وعبد العظيم بدوى ، ونبيه أبو زهرة ، ومحمد النشرتى ، وغيرهم من الفريق الفيومى . وكان موضوع القصائد والخطب الحديث عن الفيوم ، من الوجهة التاريخية والأدبية ، وإنه لموضوع له قيمته ، ويا حبذا لو أن الشعراء والخطباء عنوا بتجريده وتخليصه من شوائب المناسبة وسجلوه لتعميم الفائدة .

فى موكب الجلاء والحرية :

أقام لبنان الشقيق فى مطلع هذا الشهر احتفالا رائعاً شاملا احتشدت فيه المواكب المختلفة بمناسبة جلاء الفرنسيين عن البلاد وخلوصها من براثن الاستعمار ، ولقد ظلت بيروت أربعة أيام كاملة وهى تفيض بالسرور وتهزج أهازيج الفرح والنشوة .

هذه المناسبة الطيبة الرائعة كانت ربيعا للشعراء والأدباء ، فقد هزت عواطفهم بخالد الشعر وروائع البيان ، فانطلقوا يتحدثون عن تاريخ حافل بمآثر الأدباء والأجداد ، وذكر عامر بمواقف النضال والجهاد ، كما راحوا يشيرون بأصابعهم إلى ما كان من بلايا الاستعمار ورزايا الاستعباد :

إرث من الماضى البغيض مجمع ... فى كل عضو منه سوس ناخر
مشت السياسة فى حواشيه كما ... يمشى على البلد الأمين الغادر
وطفت على حركاته أمواجها ... فغامر من أجلهـا ومقامر
ومؤامرات تشترى فى سوقها ... وتبـاع بالسلع العجاف ضمائر

ولقد مضى أسبوعان وما زالت صحف لبنان تفيض أنهارها بآيات البيان شعراً او نثراً فى تمجيد يوم الجلاء والابتهاج بيوم الحرية والخلاص ، وكنا نود أن نسجل هذه الآثار ولكنها شىء كثير ؛ فلعل المسئولين فى لبنان يعنون بجمع هذه الآثار وتسجيلها فى كتاب يذاع إكباراً لتلك المناسبة الكريمة ، وتمجيداً لتلك الذكرى المجيدة

ترجمة مائة كتاب :

من بين القرارات التى اتخذتها أخيراً لجنة الثقافة بالجامعة العربية العمل على اختيار مائة كتاب من الكتب التى صدرت باللغات الأجنبية ، والقيام بترجمتها وتوزيعها على بلاد الشرق الأوسط ، وقد ألفت لجنة خاصة للاشراف على هذا العمل والقيام بتنفيذه .

وتقول اللجنة فى تبرير هذا العمل إنه مما يقوى العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب ، ونقول نحن إنه كذلك يؤدى خدمة ثقافية لأبناء العروبة ، ويعينهم على تتبع التطور الفكرى فى العالم ، ولكن ألا توافقنا هذه اللجنة على أن هذا العمل ينطوى على دعاية للغرب فى الشرق ، وهى دعاية تحرص عليها الأمم الغربية فى الظروف الراهنة وترصد للقيام بها الأموال الكبيرة .

هذا صحيح ! ولقد كنا نود من اللجنة أن تحرص أولا على اختيار مائة كتاب عربى وتعمل على نقلها إلى اللغات الأجنبية الذائعة وتقوم بتوزيعها فى أوروبا وأمريكا لتكون دعاية للشرق فى الغرب ، وليعلم أولئك الذين لا يزالون يتصوروننا شعوباً بربرية أننا لا نتخلف عنهم فى كثير إن لم نكن لا نتخلف عنهم فى شىء ، وما أحوج الشرق العربى فى هذه الظروف إلى الدعاية السياسية والدعاية الفكرية !

« الجاحظ »



ناظم حكمت أكبر شعراء الترك ينظم وهو في السجن:



في أحد السجون التركية يعيش الآن ناظم حكمت أكبر شعراء الترك في العصر الحديث وقد انقطع عن دنيا الناس منذ عشر سنين ولا يزال يرسل خواطره وأحاسيسه إلى العالم المفكر كأنه يقول لهؤلاء الذين قيدوه وحدوه أن الفكر الحر لا يحصره مكان ولا يعقله قيد.

ولد ناظم حكمت في أوائل هذا القرن في مهد مترف من مهود الأسر التركية الأرستقراطية. ولما أتم دراسته العامة أدخل المدرسة التجهيزية البحرية، فقضى فيها ردحا من الزمن ثم فر منها عام ١٩١٨ ليقصر وقته وجهده على بعث الشعر التركي من جموده، وتحرير الشعب التركي من قيوده، فدخل جامعة موسكو ليضيف إلى ثقافته الفرنسية التي شب عليها، الثقافة السلافية التي صبا إليها. ولكن الثقافات الأجنبية لم تشغله عن ثقافته التركية، فأحيا في شعره ما مات من الأساطير التركية والأغاني الشعبية، ووصل بين قديم الشعر وحديثه دون أن يحمل باله لما نظم الشعراء الانتقاليون بين هذا العصر وذاك. فهو في الشعر التركي بمثابة ميا كوفسكي ولوركا في الشعر الروسي، وهو في ذيوع الإسم وسمو المكانة بمنزلة يحيى كمال أمير الشعر القديم، فلا غرو إذا جعلوه خليفته في إمارة الشعر الحديث.

وناظم حكمت يعشق الحرية ويركب في سبيلها الأهوال، لذلك لم يُغض الكماليون طويلا عن آرائه (الهدامة)، فاتجهوا بالنظر السياسي إليه، وفتشوا داره فيما فتشوا من دور الضباط التلاميذ في الجيش والبحرية، فعثروا على طائفة من قصائده تبرر اتهامه بالتحريض على قلب نظام الحكم الحاضر وإفساد الشباب، فقدموه إلى المحاكمة، فحكم عليه مجلس الجيش ومجلس البحرية بالسجن أربعين عاما. وقد قضى الشاعر من هذه المدة عشر سنين لم يكف أثناءها عن الكتابة.

ولقد نظم فيما نظم قصيدة مطولة في الشاعر التركي الفيلسوف بدر الدين أحد شعراء القرن الخامس عشر الذي حاول أن يؤلب الشعب على طغيان السلاطين فألقوه في السجن ولم يخرج منه إلا إلى المشنقة. وظل ناظم حكمت كما كان بدر الدين مؤمنا بخلوص الفطرة في شعبه المكظوم المظلوم. فأخذ يقويه بالغذاء الأدبي النافع من مآثر أجداده وتقاليد أبطاله. وهو ينظم الآن ملحمة كبيرة شارفت على التمام عنوانها: (أسطورة الاستقلال)، وموضوعها الحرب التي شنها الشعب التركي على مضطهديه ما بين سنتي ١٩٢٠ و١٩٢٢، ومن فصولها فصل عن (نساء الأناضول) وهن يجددن عهود البطولة بنقل الذخائر والمؤن إلى المقاتلين في سهول الأناضول المقفرة.

ذلك هو ناظم حكمت الذي قضى عشر سنين سجينا في بلاده وهي ربع المدة التي حكم عليه بها، وكل ما اقترفه من الذنوب أنه فكر بحرية، وكتب ما يعتقد في سبيل الحرية!!

طانيوس عبده وشريعة اليونان:

قرأ الشاعر الرقيق المرحوم طانيوس عبده، أن شرائع اليونان تعاقب المرأة الخائنة بجدع أنفها، والرجل الخائن بقلع عينه، فكتب على هامش الكتاب ما يلي:

فلو وصلت شرائعهم إلينا ... على ما نحن فيه من المجون
لأصبحت النساء بلا أنوف ... وأصبحت الرجال بلا عيون

طريق الهجرة النبوية:

خرج النبي صلوات الله عليه ومعه الصديق رضوان الله عليه من غار ثور بمكة فمرا بالبحرة، والستدل، وخيمات أم معبد، وقديد، وحذوات، وثنية الرمحاء، وثنية الكوبة، والمرة، وذات كشد، والمدلجة، والعسيانة، وأمج، والحزار، وثنية المرة، ولقف، ومحاج، ومرجح، والأجرد، وذي سمرة، وتعهن، والقاحة، والعرج، وثنية الاعتبار، وكوبة، ورئماء، وقباء، فالمدينة المنورة، على ما ذكر في عيون الأثر في فنون

المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس » و « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى » وخريطة الهجرة النبوية للأستاذ الحصانى ، ومعجم البلدان لياقوت ، وغيرها .

محمد عبد الوهاب فايد

كتابة الأعداد وقراءتها :

ورد فى كتاب النحو الواضح المقرر للمدارس الإبتدائية (ج ٢ ص ١٦١ الطبعة الثالثة عشرة) المثالان الآتيان :

« غزا المدينة جيش يتألف من ألفين وأربعمائة ... »

« قرأت من الكتاب مائة وعشرين ... »

لقد قدم الأستاذان الفاضلان ماحقه التأخير وأخرا ماحقه التقديم : قدما الألفين على الأربعمائة والمائة على العشرين مع أن الأصل — على ما أرجح — تقديم الأربعمائة على الألفين والعشرين على المائة ، لأن التمييز لا يكون إلا للعدد الكبير دون الصغير إذا اجتمعا أى للألفين لا للأربعمائة وللمائة لا للعشرين ، ولهذا يمتنع الفصل بين المميز المضاف والتمييز المضاف إليه إلا للضرورة .

هذا من جهة ومن جهة أخرى لا يجوز كتابة الأعداد وقراءتها من اليسار إلى اليمين ، لأن اللغة العربية على عكس غيرها من اللغات لا تكتب ولا تقرأ إلا من اليمين إلى اليسار . فالألوف مثلا لا تكتب قبل المئات والمئات لا تكتب قبل العشرات والعشرات لا تكتب قبل الآحاد .

وقد ظل أبناء هذه اللغة يكتبون الأعداد ويقرءونها من اليمين إلى اليسار كما هو شأنهم فى كتابة الجمل وقراءتها حتى أوائل العصر التركى أو الفترة المظلمة ؛ وفى هذا العصر استعجمت الأعداد وبعض الألفاظ أو بعبارة أصح استتركت وأصبح أكثر الكتاب والمؤلفين منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا يكتبون الأعداد ويقرءونها من اليسار إلى اليمين خلافا للقاعدة المتبعة فى كتابة اللغة العربية وقراءتها .

وإنى لأرجو أن يقوم الأستاذان الفاضلان بتصحيح المثالين المذكورين عند إعادة طبع هذا الكتاب حتى لا يلقن الطلاب فيها بعد قواعد مغلوطة .

(عمان) **لطفى عثمان**

داء قديم :

جاء فى كتاب الكامل للمبرد فى أخبار الخوارج هذه القصة « خرج مصعب بن الزبير الى « باجميرا » ثم أتى الخوارج خبر مقتله بمسكن ، ولم يأت المهلب وأصحابه فتوقفوا يوما على الخندق فناداهم الخوارج : ما تقولون فى المصعب ؟ قالوا : إمام هدى . قالوا : فما تقولون فى عبد الملك قالوا : ضال مضل . فلما كان بعد يومين أتى المهلب قتل مصعب ، وأن أهل الشام اجتمعوا على عبد الملك بولايته فلما تواقفوا ناداهم الخوارج ما تقولون فى مصعب قالوا لا نخبركم . قالوا فما تقولون فى عبد الملك ؟ قالوا ! أمام هدى . قالوا يا أعداء الله بالأمس ضال مضل ، واليوم إمام هدى ! يا عبيد الدنيا عليكم لعنة الله »

قلت : وهذه قصة الدنيا مابقى فيها عبيدها ، فلست تجد منا خلا منها ، ولا جماعة من الجماعات تحللت من هذه العبادة المخزية ، غير أن القصة إذا جرت بين قوم يحرمون على الناس عبادة الشهوات كانت أدعى إلى العجب ، وأبعد عن الأدب .

على العمارى



« لاغير » (١) أيضا :

إلى الأستاذ الكبير محمد إسعاف النشاشيبى

تحية وإجلالا .

إن النقطة الأساسية فى ملاحظتى حول « لا غير » هى بيان علة التلحيق وأنها ليست كما ذكرتم أولا . وقد جاء فى ردكم الأخير ما يشعر بتأييدكم لما ذهبت إليه ، وبذلك تم البحث فى هذه النقطة كما هو تام فى خصوص صحة تلك العبارة « لا غير » لدى المحققين ، وأحسب أننى قد أشرت إلى ما فى عبارة « التاج » التى نقلتموها بقولى : « كما جنح إليها كثير من المحققين » الخ .

أما فيما يتعلق بالاستشهاد بما جاء فى تلك « الجريدة » إزاء الرد على ابن هشام فإننى لا زلت غير مطمئن إليه لأن ابن هشام قد لحن جميع عبارات المولدين التى انتظمت « لا غير » بحجة أنها لم تسمع عن العرب ، ومن ضمن هذه العبارات ما شملته « الجريدة » فالاستشهاد بها ضده استشهاد بما هو منتقد وخطأ فى نظره ، وهذا ما لا تسمح به قوانين البحث التى تحظر الاستدلال بموضع النزاع ، ومن أجل هذا أرى أن الرد عليه لا يكون بهذا الوضع ، على أن الاستدلال بكلام أئمة اللغة من المولدين موضع نزاع بين العلماء ، والجمهور على عدم جوازه كما هو مبسوط فى الخزانة للبغدادى وغيرها من كتب هذا الفن .

والسؤال عن الفاء فى « فلم تقنع » فجوابه أن الفاء واقعة فى موضعها والتحريف فيما بعدها حيث انقلبت النون ميما والصواب « فلن تقنع » بالنون كما هو مرسوم فى الأصل المحفوظ ولا أدرى أكان هذا التحريف وقت الكتابة أم كان وقت التصفيف بالمطبعة ومثل هذا فإن جواب الشرط قد يقترن بالفاء ، ولو لم يكن من نوع ما أشار إليه ابن مالك بقوله :

واقرن بفا حتما جوابا لو جعل   شرطا لأن أو غيرها لم ينجعل

ومن نص على جواز دخولها على الجواب المنفى بلم أبو على أحمد بن جعفر الدينورى كما نقله عنه غير واحد من النحاة .

وأما السؤال عن صحة هذا التعبير : « فيا حبذا لو أن الأستاذ الخ ... » فجوابه أننى لم أهتد إلى ما يمنع من صحة هذا التركيب بعد ما صرح النحاة بأن لو تكون مصدرية كما فى قوله تعالى : « ودوا لو تدهنوا فيدهنون » وبعد ما ذكروا أن المخصوص يحذف كما فى قول مداد بن هماس الطائى :

ألا حبذا لولا الحياء وربما   منحت الهوى ما ليس بالمتقارب

وأظن أن مبالغتكم فى التحدى بقولكم : « وعن ورود مثل هذا التركيب « فيا حبذا لو أن الأمر كذا وكذا » فى كلام قديم أو مولد متقدم أو متأخر » مما ساعدت على الإجابة بما يأتى :

جاء فى مقال الأستاذ الكبير محمد كرد على الذى نشرته الرسالة فى عدد ٩٢ تحت عنوان : « الدرر الكامنة » ما نصه : وحبذا لو شفع الناشر . وجاء فى قصيدة رواية المصاهرة للأستاذ غنيم التى نشرتها الرسالة أيضا فى عدد ٣٠١ :

هذا كلام واضح صريح   يا حبذا لو أنه صحيح

إن الأوان هذه الأيام   يا حبذا لو صحت الأحلام

وفى الختام أشكر لحضرتكم الاعتناء بتلك الملاحظة والرد عليها حياكم الله وبياكم والسلام عليكم ورحمة الله .

(طرابلس الغرب)   عبد الرحمن الفلهود

علية ابنة المهدى فى طيرناباذ :

أذكرنى المقال الذى دبجه الأستاذ الفاضل شكرى محمود أحمد بشأن طيزناباذ وما قيل فيها (الرسالة ذات الرقم ٧٠٢) بأبيات صاحبة الفن علية ابنة المهدى التى تعتذر فيها إلى أخيها الرشيد — رجل الدنيا وواحدها فى ذلك الزمان — وكان قد انتهى إليه أنها أقامت فى تلك المدينة أياما بعد انصرافها من الحج فغضب . فقالت :

أى ذنب أذنبته أى ذنب   أى ذنب لولا رجائى لربى

بمقامى بطيرناباذ يوما   بعده ليلة على غير شرب

(١) أعتذر عن تأخر نشر هذه الكلمة حيث لم أتصل بعدد ٦٩١ إلا متأخرا مع عدة أعداد بعده .

ثم باكرتهـا عقاراً شمولا تفتن الناسـك الحليم وتصبى
قهوة قرقفاً يراهـــا جهولا ذات حلم فراجة كل كرب

قالوا : وصنعت فى ذلك لحناً ، فلما سمع الرشيد الشعر واللحن رضى عنها .

قلت : هذا الاعتذار أفظع من الذنب . . . ولكنها شفاعة الشعر والفن .

وفى أخبار هذه (العلية) الظريفة ، ممـا رواه أبو الفرج فى أغانيه ، هذه الحكاية اللطيفة :

قال أخوها إبراهيم بن المهدى — وهو مثلها صاحب فن — ما خجلت قط خجلتى من علية أختى ؛ دخلت عليها يوماً عائداً فقلت : كيف أنت يا أختى جُعلت فداءك ، وكيف حالك وجسمك ؟ فقالت : بخير والحمد لله . ووقعت عينى على جارية كانت تذب عنها ، فتشاغلت بالنظر إليها فأعجبتنى وطال جلوسى ، ثم استحييت من علية فأقبلت عليها فقلت : كيف أنت يا أختى جعلت فداءك ، وكيف حالك وجسمك ؟ فرفعت رأسها إلى حاضنة لها وقالت : أليس هذا قد مضى وأجبنا عنه ؟

قال إبراهيم : فخجلت خجلا ما خجلت مثله قط وقمت وانصرفت .

***

ورجعة إلى طيرناباذ نسأل فيها الأستاذ الفاضل بعد السماح :

هل الأطلال التى ما تزال ماثلة للعيان فى تلك المدينة المندثرة هى القباب التى ذكروا فقالوا : « لم يبق بطيرناباذ إلا قباب يسمونها قباب أبى نواس » .

هذا وللأستاذ أفضل الحمد .

(نابلس) **فدوى عبد الفتاح طوقان**

١ — إلى الأستاذ عباس خضر :

استوقفتنى بعض التعقيبات التى نشرها الأستاذ فى العددين ٦٩٩ ، ٧٠٢ من الرسالة الغراء ، فليسمح لى بهذا التعليق المتواضع :

١ — لا أستطيع أن أوافق الأستاذ على رأيه فى « رؤيا لم نقص » فى قصة : « قطر الندى » للأستاذ العريان ، فهو يرى بعض النقص فى هذا الموضع ويسأل كيف عرف المؤلف تمام رؤيا لم يقصه رائيها .

ونحن نعرف أن للقصة أصلا تاريخيا ، ولعل ذلك هو الذى دفع إلى هذا التساؤل ، ولكنى أحب أن أقول إن مؤلف القصص التاريخى لا يقف عادة موقف المؤرخ المحقق ، وإنما له حقه — كأديب فنان — فى أن يخلق بعض الحوادث الخيالية لكى يتم لقصته ما يريد من التأثير ما دامت الغاية فنية ، وليست تحقيقية .

ونحن لن نسأل سؤال الأستاذ قبل أن نسأل أسئلة كثيرة أخرى من قبيله : كيف رأى دانتى صنوف العذاب فى جحيمه ؛ وكيف رأى شوقى قرية الجن فى قصة المجنون ؟ وكيف يعرف توفيق الحكيم حوادث قصصه ومعظمها خيالى ؟ ؟

ومع أننا جميعا نعرف أن أدباء المهجر لا يعبأون بقواعد اللغة كما يقول الأستاذ ، إلا أننى لا أصدق بمثل هذه السهولة أن الكاتب يخطىء هذين الخطأين الواضحين الفاضحين ، وأرجح أنه أراد فى الأولى « مجيمون » على صيغة إسم الفاعل من « أجاع » وأن فى الثانية خطأ مطبعيا لا نستطيع أن نجزم بعدم وجوده لأنه خطأ مطبعى بسيط منتظر ، ولو أنه خطأ لغوى كبير غير منتظر .

وإلى الأستاذ سلامى وتقديرى .

٢ — إلى الأستاذ محمود شاكر :

رأيتك أيها الأستاذ الفاضل تورد هذا البيت هكذا :

فقالت من أى الناس أنت ؟ ومن تكنْ ؟
فإنك راعى صِرمـــة لا يزينهـــا

بعلامة استفهام بعد « ومن تكن » .

وأغلب ظنى أن « من » هنا شرطية وليست استفهامية ، والدليل على ذلك هذا الجزم فى الفعل المضارع ، فإنه لا محل له هنا فى حالة الإستفهام ، وهذا هو رأيى الضعيف والسلام .

محمد أحمد عيد



الصعلوك ...

لجى دى موباسان

ترجمة الأستاذ أحمد عبد الرحمن

لقد عرف فى حياته أياماً خيرا من هذه ، على رغم ما به من عاهة وبؤس . كان قد فقد ساقيه وهو فى الخامسة عشرة من عمره حينما صدمته عربة فى شارع فارفى الكبير . ومنذ ذلك الحين وهو يطلب الصدقة ماضيا فى الطرقات متنقلا بين المزارع متكئا على عكازيه اللذين جعلا كتفيه يرتفعان إلى ما فوق أذنيه ، فكانت هامته تبدو كأنها غائصة بين مرتفعين

وإذ كان طفلا لقيطا قد عثر عليه راع ببيت فى نفق ، أمسية يوم الموتى فسماه معمده بهذا السبب نيقولا توسان . ثم كانت تربيته مما يجود به أهل الخير فنشأ بعيداً عن كل ثقافة مجرداً عن أية معرفة ، قد جرى له هذا الحادث عقب شربه بعض أقداح من الزبيب قدمها إليه خباز القرية ، وكان أضحوكة بين الناس ثم غدا منذ ذلك الحين شريدا ، فأنه لم يكن يحسن عملا من الأعمال إلا أن يمد يده

كانت البارونه أثارى فيما مضى قد تركت له إلى جانب حظيرة الدجاج بالمزرعة الملاصقة للدار كوخا حقيرا مليئا بالقش ينام فيه . وكان هو واثقا فى أشد الأيام مجاعة أنه واجد دائما كسرة من الخبز وكوبا من شراب التفاح فى المطبخ . وكثيرا ما كان يتلقى بعض الدريهمات من السيدة العجوز تلقيها عليه من أعلى الدرج أو من نوافذ حجرتها . أما الآن فقد ماتت هذه السيدة

لم يكن يظفر بشىء فى القرى . فلقد عرفه الناس جيد المعرفة وقد برموا به وعيوا بأمره منذ أربعين سنة وهم يرونه يتنقل ببدنه البشع وأثوابه المرقعة على اقدامه الخشبيه بين الخرائب والأنقاض ، ومع هذا فهو لم يكن يريد أن يبرح المكان . لأنه لم يكن يعرف على الأرض شيئا غير هذه الزاوية من البلاد ، هذه القرى الثلاث أو الأربع التى قضى فيها حياته التعسة . لقد وضع حدودا للامكنة التى يزاول فيها مهنته . وما كان ليجاوز هذه الحدود التى قد اعتاد أن لا يعدوها ألبتة

كان يجهل ما إذا كان العالم يمتد إلى ما وراء الأشجار التى تحيط ببصره ، ولم يكن يسائل نفسه فى هذا الشأن . وحينما كان الفلاحون يضيقون بملاقاته على أطراف حقولهم وحافات أنفاقهم كانوا يصيحون به : لماذا لا تذهب إلى القرى الأخرى بدلا من تنقلك هنا على الدوام ؟ لم يكن يحير جواباً ، بل يبتعد عنهم وهو يشعر بنوع من الخوف المبهم من المجهول ، خوف البائس الذى يخشى أمورا كثيرة لا يتبينها ، كالوجوه الجديدة ، أو اللعنات ، أو النظرات المرتابة التى يرميه بها أناس لا يعرفونه ، أو الشرطة الذين يعرون بالطريق اثنين اثنين ، والذين كانت رؤيته اياهم تحمله بالغريزة على الامعان فى الشجيرات الوحشية أو الاختفاء وراء كومة من الحطب

حينما كان يلحظهم من بعيد ، ويرى بريق ثيابهم تحت أشعة الشمس ، كان يجد للتو خفة غريبة خفة الوحش الذى ينشد الملاذ ويطلب النجاة . فينسلت من بين عكازيه ويسقط على الأرض كالخرقة ، ثم يتدحرج كالكرة ولا يلبث أن يتصاغر ويتضاءل كمنظر أرنب فى جحرها وقد اختلطت أسماله القاتمة بالأرض

ومع هذا لم يسبق أن كان له معهم شأن من الشئون . ولكنه كان يحمل هذا الشعور فى دمه كما لو كان قد ورث هذا الخوف والمكر عن أبويه اللذين لم يعرفهما ألبتة

لم يكن له بيت يؤويه ، فلا سقف يغطيه ولا كوخ يضمه ولا ملجأ يحميه . كان فى الصيف ينام فى أى مكان . وفى الشتاء كان ينفذ إلى مخازن الغلال أو فى زرائب الماشية بمهارة ملحوظة ، كان يبادر دائما إلى الفرار قبل أن يحس وجوده أحد . وكان يعرف الثقوب التى يمكن بواسطتها النفاذ إلى المنازل والأبنية . ولما كان طول استخدام عكازيه قد أكسب ذراعيه قوة غير عادية ، فقد كان يصعد متسلقا إلى سطوح الأهراء معتمدا على قوة راحتيه وحدهما حين يظل أحيانا أربعة أو خمسة أيام دون حركة حينما يكون قد جمع فى تجواله مؤونة كافية

كان يحيا كوحش الغاب وسط الناس دون أن يعرف أحداً أو يحب أحداً . ولم يكن يترك فى نفوس الفلاحين إلا نوعا من

الازدراء الخالى من الاكتراث ، والبغض الذى يمازجه الأغضاء وقد لقب كلوش [1] لأنه كان وهو يترجح بين قدميه الخشبيتين أشبه بالناقوس وهو يترجح بين محوريه

وقد مضى عليه يومان لم يطعم فيهما شيئا ولم يمنحه أحد شيئا ، فقد ضاق به الناس جيماً وأرادوا أن يفارقهم ويذهب عنهم

وكان الفلاحات يصحن به على أبوابهن حينما يرونه مقبلا من بعد : ألا تريد أن تذهب عنا أيهـا الوغد ، ألم أعطك قطعة خبز منذ ثلاثة أيام

فـكان يدور على وتديه ، ثم يمضى إلى البيت المجاور حيث يستقبل كما استقبل فى الأول

وتصايح النساء من باب لآخر :

ليس من سبيل مع هذا إلى كفاية هذا المتبطل الكسول من الطعام طوال السنة

ومع هـذا فان المتبطل الكسول كان فى حاجة إلى الطعام كل يوم

كان قد طاف فى شوارع سـانهلير وفارڤى وبييت دون أن يربح سنتيما أو يحصل على كسرة من الخبز ، ولم يبق له من أمل إلا فى تورنولا ؛ ولـكن كان عليه أن يقطع إليها فرسخين على الشارع الكبير ، وقد كان به من الاعياء ما لا يستطيع معه السير ، إذ كان خاوى البطن كما كان خاوى الجيب

ومع هذا فقد استأنف السير

كان الوقت فى ديسمبر . وكانت ريح باردة تهب فوق الحقول وتصفر من خلال الاغصان اليابسـة . وكانت السحب تتلاحق وسط السماء القاتمة الفائمة مغذة فى السير إلى حيث لا يعلم لها غاية ، والمعوه يسعى ببطء ناقلا عكازيه الواحد بعـد الآخر فى جهد واعياء معتمدا على ساقه الملتوية التى بقيت له والتى تنتهى بقدم بشعة المنظر قد لفت ببعض الخرق البالية

ومن حين لآخر كان يجلس على حافة النفق ويستريح بضع دقائق . وقد ألقى الجوع فى نفسه الـكثيفة المظلمة شعورا بالغم والحرج . ولم يكن يحمل إلا فـكرة واحدة : وهى الأكل ، ولـكنه لم يكن يعرف الوسيلة إلى هذا

وشعر بالألم والاعيـاء بعد مسير ثلاث ساعات على الطريق الطويل ولما بصر بأشجار القرية من بعد جد فى السير

وأجابه أول فلاح التقى به وسأله كاوش الصدقة

ها أنت لا تزال على حالك القديم ، أليس من سبيل إذن إلى التخلص منك ؟

فابتعد كلوش وجعل يمر بالمنازل وينتقل من باب إلى آخر فيرده الناس ردا جافيا ويصرفونه دون أن يعطوه شيئا ، فيواصل مع هذا تجواله فى صبر واصرار ، فلا يحصل فلسا واحداً

ثم قصد إلى المزارع وجعل يعبر الطرق المبللة بالمطر ، وقد أخذ منه التعب ونالت منه المشقة حتى ما يستطيع أن يرفع عكازيه ولـكنه طورد فى كل مكان فقد كان هـذا يوما من هذه الأيام التى يشتد فيها البرد وتشيع فيها الـكآبة فتنقبض لهـا القلوب وتضيق فيها الصدور وتظلم لهـا النفوس ولا تنبسط فيها اليد لاعطاء أو معونة

فبعد أن طاف بكل المنازل التى يعرفها قصد إلى حظيرة السيد (شيكيه) فاستلقى هناك فى زاوية نفق عند طوال الحظيرة ، وفك وثاقة كما كان يقال تعبيرا عن الـكيفية التى كان يترك بها نفسه يسقط بين عكازيه بأن يدفعهما من بين ذراعيه . ومكث وقتا طويلا لا يتحرك ، وقد اشتد به الجوع وطغى عليه الألم ، ولـكنه كان من البلادة والسذاجة بحيث لا يستطيع ادراك ما هو فيه من بؤس وسوء حال

كان ينتظر شيئا مجهولا ، فلقد اعترته تلك الحالة التى نجدها كثيرا فى انفسنا وهى حالة الانتظار الغامض لشىء مجهول . كان ينتظر فى هذا الركن من الحظيرة تحت هـذا الجو القارس تلك المعونة التى يتوقعها المرء دائما من السماء أو من الناس دون أن يسأل نفسه كيف ولما ذا وعلى يد من ستبلغه ، ومر به عدد من الدجاج الأسود يبحث عن غذائه فى الأرض التى تطعم جميع الـكائنات ، وبين اللحظة والأخرى كانت الطير تميل بمنقارها فتلقط من الأرض حبة أو تصيب بعض الحشرات الدقيقة ، ثم تواصل بحثها البطىء الوئيد

وكان كلوش ينظر إليها دون أن يفكر فى شىء . ثم عرض له (وأحرى أن يقال إنه أحس من أن يقال إنه فـكر أو قدر) أن احدى هـذه الدجاجات يطيب أكلها إذا هى اصلحت وانضجت على النار

(١) كلوش يعني الجرس فى الفرنسية

وما اختلج فى نفسه قط أنه مقدم على سرقة ثم تناول حجراً كان على مقربة منه . ولما كان بارع اليد فقد اصاب للتو أقرب دجاجة منه . فسقطت على جانبها وهى ترفرف بجناحيها ، وفرت بقية الدجاج متحاملة على مخالبها الدقيقة ، وعاد كلوش فركب عكازيه ثم سار إلى حيث يأخذ القنيص بحركات اشبه بحركات الدجاج .

وما إن اقترب من الجسم الصغير الأسود وقد انتشرت على رقبته بعض النقط الحمراء ، حتى تلقى فى ظهره دفعة رهيبة أطارته عن عكازيه وأرسلته على الأرض إلى مسافة عشرة أقدام . وانقض السيد شيكه على السارق وقد اشتد به الغيظ وزاد به الغضب فأوسعه ضرباً . فكان وهو يضربه كالمطروق أو كمن به مس ، كان يضربه كما يضرب كل فلاح من سرقه أوسلبه شيئاً ، فانهال ركلا ولكما على المموه الذى لم يستطع عن نفسه دفاعا .

وجاء أهل المزرعة بدورهم فاشتركوا مع السيد فى ضرب المتسول بما لديهم من الآلات ، حتى تعبوا من ضربه ، ثم حملوه إلى حظيرة الحطب فأودعوه فيها ريثما يرسلون فى طلب الشرطة .

ومكث طريحاً على الأرض وقد سالت دماؤه وأهلكه الجوع وأشرف على الموت حتى جاء المساء ثم تبعه الليل وأعقبه الفجر دون أن يطعم شيئاً. وأقبل اثنان من الشرطة عند الظهيرة ففتحا بشىء من الحذر إذ كانا يتوقعان مقاومة . فقد زعم السيد شيكه أن الصعلوك قد هاجمه وأنه لم يدفع عن نفسه إلا بجهد جهيد .

وصاح به الشرطى أن قف .

ولكن كلوش لم يقو على الحركة . وقد حاول أن يتحامل على عكازه فلم يستطع؛ فظن الشرطة أنه يتصنع العجز ويلجأ إلى الحيلة وينوى شراً ، فأمسك به الرجلان المسلحان بعنف وشدة وحملاه بالقوة على عكازيه .

وأذهله الخوف ، هذا الخوف الفطرى فى نفسه من الحائل الصفراء ، خوف الطريدة من الصائد . أوخوف الجرذ من القط . فبذل جهداً خارقا حتى استطاع الوقوف .

وأمره الشرطى بالسير ، فسار على مشهد من عمال المزرعة وهم يرمقونه جميعاً بنظراتهم فكان النساء يشرن إليه مهددات ، والرجال يتضاحكون ويسبونه ويحمدون الله أن وقاهم شره وأراحهم منه .

ومضى كلوش بين حارسيه ولايزال به رمق من حياة وفضل من قوة كان لابد منهما لكى يواصل السير إلى المساء ، واستغلق عليه الأمر واشتد به الانزعاج بحيث لم يستطع أن يفهم شيئاً مما نزل به . وكان المارة يقفون فى الطريق لمشاهدته ويتحدث الفلاحون عن لصوصيته ؛ وبلغوا قصبة المقاطعة نحو الليل ، ولم يكن قد سبق لكلوش أن بلغ قط إلى هذا المكان ، فلم يكن يتصور ما وقع له ولا يفكر فيما عسى أن يحل به . وقد أصابه الوجوم واستولت عليه الدهشة لهذه الحوادث المباغتة وهذه الوجوه والمنازل التى لم يكن له بها عهد .

ولم ينطق بكلمة واحدة ، وما كان لديه ما يقوله إذ لم يكن يفهم شيئاً ، وقد مضى عليه سنوات لم يتحدث فيها إلى أحد حتى فقد على التقريب سهولة النطق ومرونة اللسان ، وكانت أفكاره من الغموض والاختلاط بحيث لا يمكن الإبانة عنها بالألفاظ وأودع فى سجن القرية . ولم يفرض الشرطيان أنه قد يكون فى حاجة إلى الطعام ، ثم تركاه إلى اليوم التالى .

ولكن حين جىء لاستجوابه فى الصباح المبكر وجد على الأرض طريحاً وقد أسلم الروح ، فياللمفاجأة !

أحمد عبد الرحمن

الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى فى الموسم الغنائى الكبير

تقـدم الأوبريت الخالدة

العشرة الطيبـــة

علي مسرح حديقة الأزبكية ابتداء من ٢٣ يناير



زكى طليمات



اخراج

زكى طليمات

حسين رياض

مع كبار

ممثلى الفرقة



ألحان

سيد درويش

فؤاد شفيق



المطربة شهر زاد



المطرب عبد الغنى السيد



المطربة بديعة صادق

«الرسالة» فى يوم الحداد الوطنى

تصدر الرسالة فى هذا الغلاف القاتم مشاركة للأمة فى حدادها العام على ذكرى اتفاقية السودان التى اغتصب الإنجليز موافقتها عليها في مثل هذا اليوم من عام ١٨٩٩ . وهو يوم من أيام الاحتلال السود لا تزال الأمة تجاهد في دفع أوزاره أو تخفيف أضراره .

مطبعة الرسالة

العدد ٧٠٨ — الاثنين ٥ ربيع الاول ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٨٠٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15me Année No. 708

Lundi — 27 — 1 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٠٨ «القاهرة فى يوم الاثنين ٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ — ٢٧ يناير سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

رحم الله أُدْلف هتلر !

رب يوم بكيت فيــه فلما صرت فى غيره بكيت عليه !

كان هتلر — سقى الله ضريحه إن كان له ضريح — رجلا صحيح النية صريح الرأى يقول لنفسه المكروبة بعد ما أجال النظر فى معاهدة فرساى : نحن جياع وفى رءوسنا الفكر ، وفى صدورنا العلم ، وفى أيدينا العمل ؛ والآخرون شِباع وفى رءوسهم السكر ، وفى صدورهم الحقد ، وفى أيديهم السرقة ؛ فما الذى أجاع العالم وأشبع الجاهل ، وأفقر العامل وأغنى المحتال ؟

وفى ساعة من ساعات التجلى ، وفى حانة من حانات (ميونيخ) أُلقى عليه الجواب أن الذى أسغب هنا وأتخم هناك ، إنما هو رأس المال ! ورأس المال لفظ معناه اليهود وسماسرتهم من هذه الطفيليات التى تعيش على دم المجتمع كما يعيش البعوض والقمل على دماء الناس . فإذا قُطعت (رءوس الأموال) قُطعت الألسنة التى تكذب ، والأيدى التى تسرق ، والأسباب التى تفرّق . وعلى ذلك حكم المرحوم بالإعدام على وايزمان ورينو وتشرشل ! ولو شاء ربك السلام للأرض والوئام للناس لما نقض هذا الحكم رزفلت واستالين . ولكنه لأمر يريده قضى أن يُشنق القاضى ويُطلق المجرم ! ولو كان فى قدَر الله أن يكون هتلر قاضى (نورمبرج) لما كان لفلسطين قضية ، ولا للسودان مشكلة ، ولا فى شمال أفريقية مأساة ، ولا فى الهند الصينية مجزرة .

مَن هؤلاء اللقون بجُثثهم على موارد المسلمين فى مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ، يخضمون أرزاقهم خضمَ الخنازير ، ويحتلون بلدانهم احتلال الصراصير ، ويفسدون أخلاقهم إفساد الأرَضة ؟ ومَن هؤلاء الوالغون فى النيل الطَّهور من منبعه إلى مصبه ، يسممونه بالجرائم ، ويكدّرونه بالشوائب ، ويحرّشون على أهـله التماسيح والأفاعى ؟ ومَن هؤلاء الجاثمون على صدور العرب فى فلسطين والعراق ، يُبيحون العدو ذِمارهم ، ويمنحون الغريب ديارهم ، ويتصرفون فى شؤونهم تصرف القيم السفيه ؟

هم الفرنسيون طلقاء الحلفاء ، وعتقاء القدَر الذين يزعمون أنهم أعلنوا حقوق الإنسان ، وأقاموا صروح الحضارة ، وعبّدوا طرق الثقافة ، وورثوا اليونان فى الآداب والرومان فى القوانين ! !

وهم الانجليز أموات دنكرك وأحياء العلمين وصنائع الحظ الذين لا يزالون يتبجحون بأنهم رسل الحرية وجنود الديمقراطية ومنقذو العالم من طغيان نابليون وغليوم وهتلر .

فليت شعرى متى تنكشف أغشية الغرور عن قلوب هؤلاء المساكين فيعلموا أنهم لم ينتصروا ، وأن خصـومهم النازيين لم ينكسروا ؛ إنما انتصر الضمير الإنسانى فلن يجوز عليه خداع ، وانهزم الروح الاستعمارى فلن يغنى عنه بعد ذلك دفاع !

وما أجـدر الذى يتنكر اليوم لمصر الكريمة أن يعرف أن الفَلك لا يجرى بأمره ، وأن البحر مهما ارتفع مدُّه فلا بد من جَزْره ! !

احمد حسن الزيات

مصر هي السودان

للأستاذ محمود محمد شاكر

دخلت المسألة المصرية السودانية فى ساعة حاسمة لا بد فيها من العمل والتسديد والحزامة والتصميم ، وأصبح لزاماً على أهل الرأى ورجال السياسة أن ينزعوا الخوف من قلوبهم ويطرحوا التردد جانباً ، ويقبلوا على المعركة مستبسلين لا يخافون . وقد صار أمر مصر والسودان إلى مصير ليس فى تاريخ مصر والسودان أسوأ منه ، فكل نكول عن أداء الواجب وعن التنبيه والتحذير خيانة لوادى النيل لا يغتفرها لنا آباؤنا ولا أحفادنا من بعدنا . وإذا أضعنا اليوم حق مصر والسودان علينا ، فقد ضاع كل ما ترجوه بلاد العرب والمسلمين من أطراف الصين إلى أقاصى المغرب الأقصى ، وإذا الفرصة السانحة قد أفلتت من يد هذه الأمم إلى غير رجعة . فمسألة مصر والسودان ليست إذن مسألة مفردة برأسها بل هى أم المسائل العربية والشرقية جميعاً ، وموقفنا حيالها هو المحك لكل ما يرجوه الشرق ويؤمله .

بيد أن مسألة مصر والسودان قد أصابها من البلبلة على مر السنين الطوال ما يخشى معه أن يدع للعدو منفذاً يتدسس منه إلى إحداث الفرقة والتنابذ ، وقد بدا شىء من آثارها فى العهد الأخير بعد أن استطاعت الدولة الخداعة أن تستميل قلوب نفر من أهل المطامع ورجال السوء فى السودان وغير السودان . فلا بد إذن أن نبدئ ونعيد فى بيان الحقيقة التى لا تطمس نورها الأكاذيب الملفقة ، ولا يطفئ رونقها طول الإهمال والترك . وإنا لنأسف أن قد مضى على كبار ساستنا زمان وهم يظنون أن علاج المسألة المصرية مفصولة عن السودان هو الطريق إلى نيل الحق من غاصب وادى النيل ، فأصبح الناس وإذا هم يرون ضلال الساسة الغابرين فى بتر قضية وادى النيل وشطرها إلى شطرين سموهما باسم المسألة المصرية والمسألة السودانية . ولو هم عملوا منذ ولاهم الله سياسة هذه الأمة ، على أن القضية واحدة ، وتجزئتها مفسدة للجزءين كليهما ، لسار تاريخ مصر والسودان غير هذا السير الخبيث الذى ساقتنا بريطانيا فى سراديبه المضللة المظلمة .

إن الجزء المسمى بمصر من هذا النيل المنحدر من منابعه إلى مصبه فى البحر الأبيض المتوسط ، جزء يسير من مجرى هذا النيل ، وهو واقع فى صحراء جرداء لولا هذا الجزء من النيل لاتصلت رمال الجانب الشرقى والجانب الغربى من الصحراء وتصافحت على مسيله . وهذا الجزء الخصب بمد النيل ، خطضيق محصور أكثره بين الجبال والرمال ، ولا يرجو أهله منه خيراً إلا باسم النيل وبماء النيل وبركة النيل . فإذا حبس النيل ماءه أو منع بركته ، أو وجد على الجزء الجنوبى منه (وهو السودان) من يحبس ماءه ويمنع بركته ، انقلبت هذه الأرض المصرية نقمة على أهله وشراً وبلاء . والتاريخ يحدث منذ قديم الأزمان بأنه ما امتنع ماء النيل أو قل إلا حدثت فى مصر المجاعات والقحوط التى أهلكت الحرث والنسل ، حتى اضطر أهل مصر فى كثير من أزمان القحط أن يأكل الرجل لحم أخيه وولده من شدة المتربة التى حاقت بهذا البلد الخصيب . فالنيل هو كل شىء فى بلد لا تمطره السماء إلا غباً ، وليس فيه ما يغنى أهله عن أن يجعلوا مادة حياتهم وأرزاقهم مما تخرجه الأرض التى يكدحون فى زراعتها كدحاً شديداً ، والتى لا تنفع فيها زراعة إلا إذا استوفت حظها من ماء هذا النيل .

وقديماً قامت فى هذا الجزء الأدنى من النيل أمم وحضارات لا تزال آثارها باقية إلى هذا اليوم ، وكان أولى بقيام هذه الأمم والحضارات الجزء الأعلى وهو السودان ، لولا أن أهل الزمن الماضى فروا من وقدات الشمس المحرقة فى السودان إلى هذا الجزء الأدنى فأقاموا الحضارات على حفافيه ، ولكنهم ما فعلوا ذلك إلا وهم مطمئنون إلى أن الجزء الأعلى ليس فيه دولة قائمة يمكنها أن ترد هذا النيل عن مجراه إلى قرارة هذا الوادى الذى سمى « مصر » . ولو كان هناك شىء مثل ذلك لرأينا ، كما رأينا فى شأن الوجه القبلى والبحرى ، رجالا ينصبون أنفسهم لضم الشمال إلى الجنوب وتوحيدهما حتى لا يكون فى الأرض الواحدة دول متقسمة يناوئ بعضها بعضاً ، فلا تقوم لواحدة منهما قائمة ، ولا يكون لواحدة منهما مجد أو حضارة أو تاريخ . وبذلك بقى النيل الأعلى (السودان) فى سلم دائمة ، إذ لم تكن فيه دولة مناوئة ، وبقيت صلته بمصر كصلة أى بلد من بلاد الدنيا

يكون فى أرضها جزء متروك لم يُعمر بالهجرة أو الاستصلاح أو الاستثمار . وهذا الترك لا يدلُّ على اقتطاع هذا الجزء ، بل على أن الحاجة لم تدفع بعدُ إلى استصلاحه أو استثماره . هذا هو التاريخ القديم فى العلاقة بين جزئى النيل « مصر والسودان » .

ومضى التاريخ على هـذا إلى أن جاء العصر الأخير ، فقام شمال النيل « مصر » ليضم الجنوب « السودان » ، كما قام الشمال من أمريكا لضم الجنوب إليه ، وكما قام جزء من بريطانيا نفسها ليضمَّ إليه بلاد الغال وأرض أسكتلندة . ولو بقى شمال أمريكا منفصلاً عن جنوبه ، وبقيت بلاد الغال وبلاد أسكتلندة على أحوالها التى كانت عليها منذ قرون ، لما كان فى الدنيا شىء يسمى الولايات المتحدة ، ولاشىء يسمى بريطانيا . وإذن فضمُّ السودان إلى مصر بالحرب لا يمكن أن يسمى «فتحاً» بل هو ضمٌّ فحسب فلذلك يخطىء بعض الساسة الذين يحتجون فى المسألة المصرية السودانية بهذا الشىء السخيف الذى يسمونه « حقُّ الفتح » . وكل ماهنالك هو أن هذا الجزء المتروك من أرض مصر أو أرض السودان — كما تشاء — كان لا بد فى ضمه من بعض الحرب حتى تستقر الحال ويستتبّ النظام ، كما حدث فى كل بلاد العالم منذ أقدم عصور التاريخ ، فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وهذا شىء بديهىٌّ لا يحتاج إلى زيادة .

ويتبع هذا الخطأ فى الاحتجاج بحق الفتح خطأ آخر أقبح منه ، وهو احتجاجُ من يحتجُّ بما أنفقت الأرض الشمالية على الأرض الجنوبية من الأموال ، وهذا أيضاً فاسدٌ كل الفساد . فكل دانق أنفقته مصر فى السودان هو حق السودان على مصر ، كحقّ أى قرية فى أرض مصر ، وكحق كل شارع أو مديرية . فينبغى إذن أن ننفى من احتجاجنا كلَّ شىء يسمى نفقات أنفقت فى السودان ، فإن كل ذلك هو حق السودان الذى إذا قصَّرْنا فى أدائه وجب عليه أن يطالبنا به بالكلام أو بالسيف أو بكليهما . ومن المؤلم أن يكون هذا الأسلوب الذى جَرَى ولا يزال يجرى على ألسنة بعض الساسة ، هو خديعة بريطانية قديمة لم نزل نتزلق فى مداحضها ونزلُّ ، حتى كادت تكون نكبة عقلية ألمّتْ بهؤلاء الساسة .

فلا بد إذن من وضع هذه الحجج حيث ينبغى أن توضع فى زوايا الإهمال ، وأن ينظر الساسة إلى الحق الطبيعى الذى يجب لمصر على السودان ، والذى يجبُ للسودان على مصر ، وأنا أقدِّم فأقول إن حق السودان على مصر هو الأصل ، وهو الحق الأعظم ، وهو الحق الذى لا يمكن مصر مهما بلغت من قوة ومجد وحضارة أن تتنصَّل منـه أو تتبرأ ، فإذا فعلت ، فذلك هلا كها وضياعها فى هذا العصر وإلى الأبد البعيد .

إن السودان كما كان قديماً ، وكما هو الآن ، هو حياة الأرض التى تسمى باسم « مصر » ، فزراعتها وتجارتها ومالها وأهلها وتاريخها وحضارتها ، كل ذلك فضلٌ أتى به النيل . والنيل فيما بعد أسواره إلى منابعه واقع فى الأرض التى تسمى السودان ، فإذا أبى السودان أن يُفْضِلَ على مصر بالقدر الكافى من ماء النيل ، فقد حدثت المجاعات ، وهلكت الزراعة وبارت التجارة وذهب المال واندثرت الحضارات وانطمس التاريخ ، ولم يبق فى الدنيا دولة تسمى نفسها الدولة المصرية ، بل مكان فى الصحراء يقال له مصر ليس إلا ، مجَرداً من كل ماتكون به دولة أو أمة . فالحقيقة التى ينبغى أن لا نمارى فيها بالعصبية أو الكبرياء هو أن السودان هو سيِّد هذا الوادى الذى يمدّه النيل بمائه ، وإذن فالسودان هو أحق الشقيقين باسم الدولة ، فإما أن يسمى وادى النيل كله باسم الدولة المصرية برضى أهل السودان ، أو أن يسمى هذا الوادى باسم الدولة السودانية برضى أهل مصر . فهذا هو الوضع الصحيح للمسألة المصرية السودانية .

ومن البيِّن الذى لا خفاء فيه أن السودان كَنْزٌ كله ، بمائه ومعادنه وغاباته وحيوانه وكل شىء فيه ، والذى فى مصر من ذلك لا يعدل واحداً من ألف من هـذه القوى الطبيعية المكنوزة فى أرضه وجباله وسمائه . وهذه القُوَى هى التى تجعل لصاحبها السيادة العليا على الذى يستمدُّ من فضلهـا . فمصر تستمد من قُوى السودان جزءاً يسيراً وهو المـاء ، وتستمدّه برضى أهل السودان ومسالمتهم وأخوَّتهم ، فمن العبث إذن أن تدَّعى مصر « سيادة » على السودان ، بل الحقيقة التى لا مراء فيها هى أن سيادة السودان هى العليـا ، وأن مصر جزء من السودان ، وهو جزء عظيم خصب صالح للاستثمار فى الزراعـة وغيرها استثماراً عظيما ، فمن مصلحة السودان أن يُفْـضِل المـاء على هذا الجزء لتزدهر زراعته وحضارته ويكون للسودان ذخراً من القوة يضارع القوة التى فيـه . والسودان محتاج إلى هذا

الإفضال لأن المنطقة الصالحة للزراعة فى مصر أعظم وأجدى من المنطقة الواقعة فى الجزء المعروف اليوم باسم السودان . ومن هذا تعرف كيف دبّر الله لهذين الشطرين العظيمين أن لايجد أحدهما مندوحة تغنيه عن صاحبه ، وتفرض على كل واحد منهما أن يتشبث بصاحبه ، فإذا تنابذا وتنافرا وتدابرا وتقاطعا ، حاق بهما جميعاً ما يحيق بكل أخوين متنابذين متدابرين ، وهو الهلاك والضياع الذى تخاف مغبّته .

وأنا لا أظن أن فى الدنيا شيئاً هو أوضح للعقل السليم من هذا الذى ينبغى أن يكون بين مصر والسودان ، أى الحقوق الطبيعية التى يفرضها وجود هذين الشطرين المتجاورين : شطر لا بقاء له وحده وهو مصر ؛ وشطرٌ هو القوى الكامنة التى تعطى البقاء للشطر الأول ، وذلك هو السودان . والشطر الأول منهما « مصر » هو الذى مهد الله له سبيل القوة والتاريخ والعلم فكان فى الوجود أسبق الشطرين إلى قيام الدولة فيه ، والشطر الآخر باقٍ ساكنٌ قارٌّ ... شيخ وقور رزين لايفارق خَلْوَته إلا بسيبٍ من العطايا والمنح التى يرسلها إرسالا إلى الشطر الأول ليحيى ويقوى ويكون سلطاناً فى أرضه ، وتاريخاً فى الزمن ، وحضارة فى العالم ، ولكن الشيخَ هو سرّ السلطان والتاريخ والحضارة — هو السودان . وذلك حسْبُه .

وقد كتب الله لمصر أن تكون كما هى الآن ، وأن تكون دولة فى الدول لها سلطان ظاهر ولها عمل فى بعض السياسة ، ولها آمال فى تحرير نفسها وتحرير العرب وتحرير الشرق من بُناة الاستعمار فى أوربة وأمريكا وروسيا ، فكيف يجوز فى عقل عاقلٍ أن تدع أباها الذى يمدها بكل هذه القوة ينخزلُ عنها وينفصل ليقع فى يد الدولة المستعمرة المعروفة فى الناس باسم بريطانيا ؟ إن مصر هى السودان ، ولا مصر بلا سودان ، وإذا كانت إنجلترا نفسها تدّعى أن الهند لازمة لها ، وقناة السويس لازمة لها ، وكذلك روسيا فيما تدّعيه ، وكذلك أمريكا فى دعوى مصالحها فى الأرض والبحر والجوّ ، فكيف يجوز فى عقل عاقل أن يُراد لدولة ترجو أن تكون دولة فى هذه الدنيا المريضة المتراحبة ، وهى ليست إلا خطًّا محروماً حظَّ الحياة وأسباب البقاء بانفصال السودان المفضل المتكرّم عليها بأسباب القوة التى تمكنها من أن تكون دولة ؟

إن واجبنا اليوم هو أن نموت فى سبيل السودان ، لأن السودان هو حياتنا ، ونحن بضْعَةٌ منه ، فدفاعنا عنه وموتنا فى سبيله هو دفاع الولد البارّ عن أبيه ، والذى لا حياة له ولا عزّ ولا مجد إلا بحياته وعزه ومجده . نحن لا نريد سيادة على السودان بهذا المعنى العامىّ الجِلْف ، فإن السودان هو سيّد هذا الوادى ، ولكننا نريد أن تبقى مصر حيّة قوية فى كنف السودان أبينا ومادة حياتنا . إننا لن نفرّط ساعة فى السودان لأن الدولة المصرية ليست شيئاً ، ولن تكون شيئاً فى هذا الوجود إلا بالسودان . ولو أنصف القدَرُ وأنصف الناس ، لكان ينبغى أن تسمى «الدولة المصرية» الدولة السودانية . أما بريطانيا فهى تريد السودان ، لأنها تدرك هذا كله حق الإدراك وتعلم أنها إذا بقيت فى السودان ، تحكمتْ فى حياة مصر كلها ، وزادت عليه ما فى السودان من كنوز لا تزال مطمورة تحت تاريخ الحياة الإنسانية المتقادمة منذ أبعد الآباد . فليحذر السودان ولتحذر مصر ، فإن مصر هى القوة الحقيقية لأهل السودان ، والسودان هو الحياة الحقيقية لمصر . فإذا انفصل أحدهما عن الآخر ماتا كلاهما بين أنياب الوحش الذى لا تشبع نهمته ولا تسكن ضراوته .

محمود محمد شاكر

عدوان على مصر !

للأستاذ على الطنطاوى

[جل الأمر عن المجاملة والهـزل ،
فدعونا نتكلم بصراحة وجـد . .]

يعرض فى مصر الآن فلم اسمه (لبنانى فى الجامعة) ، تظهر فيه الجامعة أولا ببنائها وقبتها حتى لا يبقى عند أحد شك أنها الجامعة المصرية ، جامعة فؤاد الأول التى فى الجيزة ، وأن الذى يأتى من الوصف إنما هو لها ، هى ، بعينها وأذنها لا لجامعة غيرها وأنها ليست قصة جامعة خيالية ، حتى إذا وثق صاحب الفلم من أنك عرفتها وحققتها ، سـاق لك مشاهدها ، وعرض عليك صورها ، فلم تر فيها مظهر علم ، ولا دلائل تهذيب ، لم تر إلا الاختلاط الشائن واللهو المحرم ، والغرام والغناء ، كأن هذا كل ما فى الجامعة ، وكأنها أنشئت لمثله : يجيئها الطالب اللبنانى فيستقبله طالب مصرى ، يأبى واضع الفلم إلا أن يجعله مغفلا كأنه ثالث المضحكين لوريل وهاردى ، وأن يسميه (سونه) ... فلا يمر على التقائه به ثلاث دقائق فقط حتى يعرف به الطلاب فيهتفوا له ، ويقودوه رأساً لا إلى بهو المحاضرات ولا إلى المكتبة ، بل إلى البركة ، مع أنه جاء فى وقت الدرس لا فى وقت اللعب فترى فى بركة الجامعة الطلاب والطالبات بالأجساد العارية ، والعورات البادية ، ثم تبصرهم يعمدون إلى طالبة لابسة ثيابها الكاملة فيحملونها فيلقونها فى الماء ، فإذا خرجت كالقطة المبللة حفوا بها ضاحكين عابثين ، وتمضى المشاهد على هذا النمط لا تظهر غرفة الدرس إلا مرة واحدة ، يدخلها عم الطالب اللبنانى وهو فى الرواية (المضحك) المعروف بشارة واكيم فيقطع على الأستاذ محاضرته ، ويفسد عليه درسه ، ويسخر منه ، ويستخرج ابن أخيه بلا إذن ، لأن عاشقته ... تطلبه ...

ويعرض (الفلم) بيت الطلبة الذى أنشأته الحكومة المصرية بأموالها لإيواء الغرباء من الطلاب ، فاطمأن بذلك آباؤهم فى الشام والعراق والحجاز ونجد والمغرب واليمن ، لأنهم غدوا فيه بأمانة هذه الحكومة فما يخشى المرض على أجسامهم ، ولا الفساد على أخلاقهم ، فلا يجمل بيت الطلبة إلا (ماخورا) فظيعاً ... وترى اللبنانى يدخله فيسقط فى حفرة كان إخوانه احتفروها له ، فينزلون عليه بجماعتهم فينضون عنه ثيابه كلها إلا ما يستر العورة الكبرى ولا يكاد ، وتجىء طالبة ، طالبة فى بيت الطلبة — هل تسمعون أيها القراء ؟ تقبل عليه فيستحى هو ويخجل ، ولا تخجل هى ولا ولا تستحى ، وتجره من يده فتلبسه من ثيابها ... فيستنوق الجمل ، ويتأنث الرجل ، ثم يجلسان على مائدة الشراب والغزل ، والطلاب ينظرون ، ولا يكتفى واضع الفلم بهذا كله حتى يجىء بـ (سونة) ، فيقفه عليهما وقفة أبله ، فيقول للبنانى : هذه خطيبتى فكيف تأخذها منى ؟ ثم يضحك ويولى عنه كأن الأمر لا يعنيه ، وكأن هذا الفلم قد تعمد فيه أن يكون لعنة على الرجولة والشرف ومصر وجامعتها معاً ، وعدوانا على أولئك جميعا ...

وما هذا الذى ذكرت إلا مثالا مما فى هذا (الفلم) فهل يبلغ أعداؤنا منا أكثر من هذا ؟ وماذا يقول الناس غدا عن الجامعة المصرية وعن دار طلبتها إذا عرض هذا (الفلم) فى بلاد العرب ورآه أهلها الذين يعدون مصر كعبة الثقافة ومورد العلوم ؟ هل يرسلون أبناءهم إليها ؟ أم يقولون إن هذه هى حقيقة الجامعة ولولا ذلك ما صورها مصريون فى هذا الفلم المصرى ، ولما سمحت حكومة مصر بعرضه ، ولما سكتت عنه إدارة الجامعة فلم تطلب منعه ، ولم تقاض أهله ، ولم تحرك من أجله ساكنا ؟

وهذا الفلم مثال مما جرنا إليه تركنا ديننا وأخلاقنا ، وتقليدنا الغربيين فى رذائلهم وحدها ، وحسباننا أن هذا هو التمدن وهذى هى الحضارة . وإذا كان هذا الفلم قد سبق الزمان فصور الجامعة بهذه الصورة المزورة ، فإنه سيأتى علينا يوم تكون هذه هى الصورة الحقيقية للجامعة وللمستشفى وللمكتب وللدائرة وللمخزن وللشارع وللترام ، ويكون كل مكان يلتقى فيه الرجل بالمرأة ملهى من الملاهى ، ولم لا ؟ واللذة مطلوبة ، والرغبة موجودة ، وما ثمة حجاب يمنع العين ، ولا قانون يكف الجوارح ، ولا دين يزع النفس ، ولا

شهـامة تلجم الشهوات ، لم لا ؟ ونار الشهوة الـكامنة فى كل نفس ، تؤججها هذه المجلات المصورة ، وهذه الأفلام الداعرة ؟

أوليس من العجيب أنك تدخل فى القاهرة السينما التى تعرض الفلم الإفرنجى فترى له فـكرة وموضوعا وهدفا ، وربما رأيت فيها الفلم العلمى أو التاريخى الذى يمر كله فلا تسمع فيه كلمة غرام ، ولا ترى فيه قبلة . وتدخل لترى الأفلام المصرية فتجدها كلها إلا النـادر منها ، سخيفة النسج ، مضطربة الموضوع ، عمادها العرى والخلاعة والتخنث ورقص البطن ؟

أوليس أعجب منه أن تـكون المجلات الفرنسية أعفّ فى الجملة من مجلاتنا التى لا يخلو أكثرها من صور الأفخاذ والسيقان والبطون والنهود ، تسابقت فى ذلك حتى بلغت الوقاحة ببعضها أن نشرت صور نساء عاريات لا يسترهن قليل ولا كثير ؟

أوليس أعجب من هذا كله ، أنى ذهبت مساء الخميس الماضى إلى مجلس يجتمع فيه عادة فريق من أكابر رجال التأليف والتعليم فى مصر ، فتـكلمنا فى هذا الموضوع ، فإذا أكثر الحاضرين بين غافل عن هذا الداء لا يبصره ، أو متهاون به لا يكبره ، أو راض به لا ينكره ، وإذا هم جميعا يتسلّون فى ساعة الخطر ويلهون يوم الجد ، ويردّدون هذه الـكلمات الحلوة (حرية الرأى) و (ضرورات الفن) و (مقتضيات العصر) ، والنار مشتعلة فى البلد ؟ !

***

يا أيها السادة المبجلون :

فـكروا قليلا فإنكم قادة الرأى فينا ، فلا تـكونوا تبعا للعامة من أهل أوربة ، فما يفلح قوم قادتهم تبع للعوام من أعدائهم ، فـكروا بعقولـكم التى فى رؤوسكم لا بعقول أصحاب الوجوه الشقر ، تروا أن الحريات كلها ، والفنون جميعا ، والحضارة من أساسها ، إنما كانت لتزداد بها الأمم قوة ، والناس إنسانية ؛ فإذا أساء قوم استعمالها وأخذوها من ذنَبها فجاءت فى أيديهم مقلوبة منكّسة حتى تبدل وضعها وضـاعت فائدتها ، وصارت للأمة ضعفا لا قوة ، وأعادت الناس إلى البهيمية لم ترتق بهم فى سلّم الإنسانية ، فقد وجب فى شرعة العقل وجوبا درء ضررها ، ودفع أذاها ، وإلا كانت كالسيف يأخذه الأحمق الغرير ، فيجرح به نفسه ، وما كان السيف إلا ليرد به العادى ويذاد به عن الحمى ، وما أظن أن على ظهر الأرض عاقلا واحداً ، يرضى أن يضحى بأخلاق أمته وعفافها ، من أجل مقالة فيها كلام جميل ، أو قصة فيها وصف رائع ، أو صورة فيها فن بارع ، وإن الأمم تعيش من غير أدب مكشوف ، وفن عار ، ولـكنها لا تعيش بلا أخلاق .

وأنا أحب الأدب ، وأقدس الحرية ، ولـكنى أفضل أن نبقى مقيدة ألسنتنا وأقلامنا بقيد الإسلام والأخلاق ، على أن نهلك ونحن أحرار نقول ما نشـاء ، فمن هو الذى يخالف فى هذا من القراء ؟

***

لقد صارت المجلات تخاطب الشهوات بالصور العارية ، بعد أن كانت تخاطب العقول بالعلم الحق ، والقلوب بالأدب السامى ، وهبط الأدباء إلى درك السفلة من القراء بعد أن كان عمل الأديب رفع القراء إلى العلاء ، وانقلبت الجامعات مسرح ظباء وموعد لقاء بعد أن كانت دار العلم والتقى والصلاح ، وغدت السينما عندنا (تهريجا) فاجرا ، بعد أن كانت السينما عند الناس درسا وعبرة وفناً ، وأوشـكت هذه (الحرية ...) وهذه (الحضارة ...) أن تـكون تعديا لحدود الشرع، وهدما لأركان الخلق ، ودعوة إلى الفسوق ، لا عمل لها إلا هذا ، ولا ثمرة لها غيره .

أفيرضى عقلاء مصر أن تظل على هذا الطريق ؟

***

يا أهل مصر ! إن هذه المجلات ، وهذه الأفلام ، عدوان على مصر وعلى الفضيلة والعروبة والإسلام ، فإذا أنتم لم تقاطعوها وتقتلوها ، فمزقوا كتب الدين والأدب والتاريخ ، لأن كل صفحة منها تمجيد للمرض ، وامتداح للنخوة .

يا أهل مصر !

لقـد جرب أجدادنا العمل بالقرآن فـكانوا سادة الدنيا كلها ، فجربوا أنتم مخالفته وانظروا ما ذا تـكونون ! !

القاهرة

على الطنطاوى

الأساطير الاسلامية

للدكتور جواد علي

من الموضوعات الجديرة بالعناية موضوع : « الأساطير الإسلامية وأثرها على العقلية الأوربية » ، وهى أساطير عربية جاهلية اختلطت بعناصر أعجمية فى العصور الإسلامية التى امتزجت فيها ثقافات مختلفة متنوعة .

ولما بحث العالم الإسبانى « ميكول آسين Miguel Asin » فى « الكوميدية الإلهية « Divina Comedia[1] » للشاعر الإيطالى الشهير « دانتى » « Dante[2] » ، تطرق إلى ذكر العناصر التى أخذ منها هذا الأديب « الفلورنسى » الكبير تلك الصورة البديعة التى رسمها من أوربية وشرقية ، وقد اضطر إلى التعرض للقصص الإسلامية التى كانت قد شاعت فى إيطاليا أيام هذا الشاعر ، فقسمها إلى أقسام وفصول مثل الأساطير الأوربية التى أخذت من « معراج الرسول » ، والقصص التى انتزعت من وصف الجحيم عند المسلمين ، ثم القصص التى أخذت من أوصاف الجنة ؛ وبحث فى القصص المختلفة المعروفة مثل أصحاب الكهف والخضر وقصة «بولوقيا» والرحلات المخيفة إلى البحار، وقصص الحيتان البحرية التى تظهر فى البحر على صورة جزر عائمة[3] .

وقد بحث مستشرقون آخرون فى تأثير القصص الإسلامية فى القصص الأوربية ، وفى أثر الأساطير العربية فى أساطير أوربا فى القرون الوسطى[4] ، وفى كيفية انتقالها إلى أوربا . وعلى بعض هذه القصص طابع إسلامى واضح ، وعلى بعضها أثر التكييف الجديد الذى طرأ عليها فى المحيط الأوربى الذى حلت به .

(١) Miguel Asin,islam and The Divine comedy London 1926

(٢) Pietro Fraticelli, Daute operc minori di dante Alighieri3 aols Flsreuee 1908-12

(٣) Asin P, 204

(٤) أثر الشرق فى الغرب . تأليف جورج يعقوب ترجمة الدكتور فؤاد حسنين القاهرة ١٩٤٦ ، ٧٤ .

ومن الأساطير الأوربية القديمة قصص مغامرات البحارة ومخاطرات البحار وعجائب المخلوقات فى هذه المحيطات الشاسعة ، وهى قريبة من القصص العربية الواردة فى كتاب عجائب المخلوقات[1] ، وفى الكتب المؤلفة فى حياة الحيوان[2] ، وفى كتب السياح العرب الذين دونوا ما شاهدوه فى تلك البحار .

ومن أمثال هذه الأساطير الأوربية القريبة من الأساطير العربية قصة رحلة « هارولد النرويجى[3] » ، ورحلة « كورم الدانماركى » « Gorm of Denmark » ، ورحلة « مالدون الكلتى[4] » ورحلة « أبناء كونال درك أو كورا[5] » ، ورحلة « سانت برندن[6] » وهى رحلة حج بحرية مشهورة جداً لراهب إرلندى وقد جمع فيها عدة قصص لرهبان آخرين مثل « St Barintur » و « St Mernoc » و « St malo » و « St amorus » ، ومجموعة الرهبان « الأرموريكن « Armorican monks[7] »

وقد انتشرت فى القرن العاشر للميلاد بين المسلمين كثير من القصص البحرية ، ويعود ذلك إلى توسع الحركة التجارية فى خليج البصرة ، وبين سواحل البلاد العربية ، وسواحل الهند والصين وإفريقية الشرقية ، وقد تفرعت منها قصص عديدة ، منها مادون فى الكتب ومنها ما ذكر عرضاً بصورة مختصرة أومبتورة . ومن هذه القصص قصة البحث عن الخضر ، وقصة رحلات السندباد البحرى وقصة الجزيرة الخضراء وقصص الحيتان[8] .

وقد قارن المستشرق الهولندى « دى كويه » بين قصة «سانت برندن» ، وهى من القصص الإرلندية وبين رحلة السندباد البحرى ، وبعض قصص بحرية ذكرها الشريف الإدريسى ، وقصة « بولوقيا » « Bolugiya »

(١) راجع كتاب « عجائب المخلوقات » للقزوينى طبعة وستنفلد ١٨٤٩ .

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ .

(٣) Asin p, 204

(٤) Dancona p, 105

(٥) Grof l, 93-126

(٦) Shroder Sanct Branden Erlangen 1871

(٧) Yoyè, 47

(٨) الثعالبى .

اختار « سانت برندن » الذهاب إلى قلعة نائية لم تسكن مأهولة فى جزيرة لم تعرف إنساناً من قبل ، ولشد ما تملكه العجب حينما وجد مائدة غنية بأنواع الأطعمة والأشربة فأكل منها وشبع وأطعم أصحـــابه ولم يؤثر ما أكلوه على كية الطعام [1] .

وفى قصة « بلوقيا » التى رواها « عبد الله بن سلام » وهو يهودى اعتنق الإسلام تشابه مع قصة « سانت برندن » ، فبلوقيا وهو حبر يهودى ، وكان والده « أوشيا » من أحبار اليهود وأغنيائهم أراد البحث عن « محمد » وأمته ، فطاف بلاد الشام حتى بلغ جزيرة من جزائر البحر ، فإذا هو بحيات كأمثال الإبل عظاماً كلهن ثم مر بشجر كثير وبعالم غريب يشبه ذلك العالم الذى مر به ذلك الراهب [2] .

وقصة « بلوقيا » هذه التى قصها الثعالبى استناداً على رواية « أبى بكر بن عبد الله الخزدق » باسناده عن عبد الله بن سلام هى قصة ، وإن كانت مطبوعة بطابع إسلامى إلا أنها من القصص الإسرائيلية البحت . ولابن سلام قصص أخرى تحمل نفس الطابع ، ويحشره العلماء وأصحاب الحديث لهذا السبب فى تلك المجموعة التى اشتملت فى إدخال « الإسرائيليات » إلى المسلمين بصورة حديث عن الرسول أو موعظة من المواعظ [3] .

ووجد هذا الراهب فى جزيرة من الجزر أشجاراً فاقتطع من أغصانها مقداراً وأوقد ناراً ليصنع طعاماً ، فلما تأججت النار تحركت تلك الجزيرة العظيمة وأخذت تموج ، فرمى الراهب وأصدقاؤه بأنفسهم فى اليم طلبا للنجاة ؛ إذ لم تكن تلك الجزيرة سوى سمكة عظيمة من نوع الحيتان البحرية [4] .

ويرى بعض المستشرقين مثل « دى كوية » « De goeje » و « Reinaud » و « D' avenyae » ، أن هذه الجزيرة تشبه الجزيرة الأولى التى وصل إليها « السندباد البحرى » وأصدقاؤه [1] وقصة السندباد من القصص العربية المعروفة ولعلها النموذج الأصلى لقصة « روبنسن كروسو » .

ونجد مثل هذه القصص فى الكتب الدينية القديمة مثل : « التلمود » وهو بعد التوارة عند اليهود وعليه عندهم العمل فى الأحكام الفقهية [2] . ومثل « الأفستا » « Avesta » كتاب الفرس المجوس . وقد انتشرت أمثال هذه القصص بين العجائز والأطفال ولا زالت معروفة حتى اليوم .

وزعم نفر من المستشرقين أن قصة « سانت برندن » ، والقصص المشابهة لها هى من القصص الإيرلندية القديمة ، وقد عرفها الشرق عن طريق الصليبيين أو عن طريق أسبانيا ؛ ودليلهم على ذلك أن سمكة « الحوت » التى وصفت بالكبر والضخامة لا تعيش فى مياه الشرق [3] .

وهذا الرأى لا يستند بالطبع إلى دليل ملموس ، ولا يعقل انتقال هذه القصة من إيرلندة إلى الشرق . وهنـاك أدلة علمية واضحة تنفى انتقالها من إيرلندة . فالجاحظ الكاتب البصرى وقد عاش فى نهاية القرن الثامن للميلاد إلى ما بعد منتصف القرن التاسع « ٧٨١ — ٨٦٩ م » يصف قصص البحارة عن الحيات البحرية فيقول : « فقد زعم هؤلاء أنهم ربما قربوا إلى بعض جزائر البحر وفيها الغياض والأودية واللخاقيق وأنهم فى بعض ذلك أوقدوا ناراً عظيمة فلما وصلت إلى ظهر السرطان ساح بهم وبكل ما عليه من النبات حتى لم ينج منهم إلا الشريد [4] » .

ويظهر من كتاب الحيوان أن مثل هذه الأساطير كانت معروفة فى العراق ، وعلى الأخص فى البصرة فى أيام الجاحظ ، وربما كانت معروفة قبل عصر الجاحظ ، وأن قصة « السندباد البحرى » التى شاعت بين الناس فى القرن العاشر وما بعده أخذت من هذه القصص البحرية . وقد تطرق للغزالى فى كتابه « إحياء

---

(١) Rossi vittorio Storia della Lettera tura jtaliana, vol 1-5 ed milan 1911

(٢) عن عبد الله بن سلام راجع دائرة المعارف الاسلامية فى هذه المادة قصة « بلوقيا » الثعالبي . قصص الأنبياء ص ٢٠٧ .

(٣) Encyclopiedia of jslam vol, 1, artic, abdallah ibn Salam.

(٤) Asin p, 20L قارن ذلك برحلة عبد المطلب الحكيم . Chauvin vol 7 p, 46

---

(١) Asin p 207

(٢) Asiu p 207 Haotings arte Telmud.

(٣) Asin Abenmassarra, Appendix 1-133

(٤) كتاب الحيوان للجاحظ ص ٣٣ ، ٣٤ .

علوم الدين » إلى ذكر الحيتان[١] .

أما الجزيرة الثانية من مجموعة الجزر التى زارها القديس فهى جزيرة نائية كانت مأهولة بالطيور المتكلمة وكانت أرواحها من طبيعة أرواح الملائكة[٢] . وفى قصة « بلوقيا » مثل هذه الطيور . فلما سأل « بلوقيا » أحدها قال « أنا من طيور الجنة ، وأن الله قد بعثنى إلى آدم بهذه المائدة لما هبط من الجنة ، وإنى كنت معه حين لقى حواء وأباح الله له الأكل ؛ وأنا ههنا من لدن ذلك الوقت ، فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وأنا أمين الله عليها إلى يوم القيامة . فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص؟ فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص. قال بلوقيا أفآكل منها ؟ قال كل ، فأكل حاجته ، ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد ؟ فقال معى أبو العباس يأتينى . فقال ومن أبو العباس قال الخضر عليه السلام ، فلما ذكر الخضر وإذا به قد أقبل وعليه ثياب بيض فما خطا خطوة إلا نبت الحشيش تحت قدميه . ثم قال غمض عينيك فغمضهما ، ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فإذا هو جالس عند أمه ، فسألها من جاء بى إليك ؟ قالت طير أبيض يطير بك بين السماء والأرض فوضعك قدامى[٣] » .

وتشبه هذه الطيور الطيور المذكورة فى قصة : « سانت مكاريوس » « St. macarius[٤] » . وقد ورد فى الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ذكر الطيور البيضاء ، وقد فسرها المفسرون بأنها الملائكة[٥] . وهو تفسير يتفق مع مذهب الأوربيين فى تصوير الملائكة على أنها على صورة طيور بيضاء ذات جناحين طويلين .

ووجد « القديس » فى جزيرة رهباناً كانوا يقتاتون بخبز الجنة لا يعرفون الهرم ولا يصل إليهم المرض ، وكانوا لا يتكلمون

(١) إحياء علوم الدين جـ ٣ صـ ٣١٨ طبعة القاهرة ١٣١٢ .

(٢) Asin p, 209 قارن ذلك بكتاب السيوطى شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور القاهرة ١٣٢٩

(٣) العرائس صـ ٢٠٨ وهناك قصص تشابهها فى اللغات الأوربية . راجع خاتم سليمان .

(٤) Asin p, 210 .

(٥) Asiu, 2II تذكرة صـ ٨٧ مختصر تذكرة القرطبى للشعرانى القاهرة ١٣٠٨ .

وفى قصة « ذى القرنين[١] » وقصة « جزيرة الحكماء[٢] » . شبه كبير بهذه القصة . أما « العنب » العجيب الذى عثر عليه القديس فى الجزيرة فله أصل فى الحديث المنسوب إلى الرسول إذ يروى أن جماعة سألوا الرسول عن الكرم وهل ينبت فى الجنة ، فأيد الرسول وجوده فيها ، وأبان لهم أن الحبة الواحدة لتكفى الرجل وعائلته[٣] . وهو يمثل على كل حال رأى الناس فى العنب وهو رأى يشابه رأى الأوربيين فى عنب جزيرة القديس .

وفى الأدب العربى عدد لا يحصى من هذا النوع من القصص وقد جمع قسما منها الثعالبى فى كتابه « قصص الأنبياء » وتجد طائفة أخرى فى تفسير الخازن[٤] ، وأكثرها من صنع من أسلم من اليهود مثل عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب ابن منبه وأضرابهم . وروى بعضها عن عبد الله بن عباس[٥] .

وتعرف هذه القصص عند المسلمين « بالإسرائيليات » . والظاهر أنها عرفت عند المسيحيين كذلك إما عن طريق الكتب الدينية والتفاسير الموضوعة على هذه الكتب ، وإما عن طريق اليهود الذين انتقلوا إلى أوربا فى عصر الإمبراطورية الرومانية . غير أن وجود العناصر الإسلامية فيها يشعر أنها انتقلت بعد ظهور الإسلام ، ولعل ذلك حدث بعد اختلاط الأوربيين بالعرب فى الأندلس وفى إيطاليا وفى بلاد الشام وفلسطين ، وبعد وقوفهم على كتب الأدب العربية ولا سيما كتب القصص منها ، وفيها طائفة كبيرة تلائم العقلية الأوربية والذوق الدينى الذى كان يتحكم فى نفوس أوربا فى القرون الوسطى حيث كان الحكم البابوى هو الحكم السائد ، والثقافة الدينية هى الثقافة السائدة ، وفى هذه القصص لون من ألوان هذه الثقافة .

جواد علي

(١) العرائس صـ ٢١١ .

(٢) Asin p 215 خريدة صـ ٩٣ — ٩٤ .

(٣) مختصر تذكرة القرطبى للشعرانى صـ ٨٧ Asin .

(٤) الخازن ، تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن القاهرة ١٣١٨ . تنوير المقياس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادى القاهرة ١٣١٦ .

(٥) عن عبد الله بن عباس راجع Encyclopoedia of yrolam vol p I9noeldeke yeschiche des gosran vol Z p I90.

على هامش محاضرة :

الشر فى طبيعة المستعمر

للأستاذ حبيب الزحلاوى

يحار المرء فى تفسير ظاهرة الشر الواضحة فى الشعوب الغربية المستعمرة ، أهى طبيعة أصيلة فيهم أم هى نتيجة مباشرة لعوامل الاعتداد بالقوة وحياة الترف ولوازم المدنية ؟

لا شك فى أن الشعوب الغربية المستعمرة بلغت من الرقى الاجتماعى ومن الآداب والعلوم والثقافة العامة والتسامى فى التهذيب أو كادت تبلغ أوج التعاليم الانسانية ، فما السر فى أنها تقتتل فى الحروب قتال الإبادة والفناء والتدمير والتخريب ، ويعمل الظافر فيها على سحق أخيه المغلوب ؟

ثم ما بال هذه الشعوب الغربية كالجزار تعمل مداها فى تلك الأغنام التى تدر الثروة عليها كلما أحست بحركة تدب فى هذه القطعان ؟ وما هى إلا الشعوب الشرقية الواقعة تحت سلطانها ودائرة نفوذها ؟

أفهم أن يستمسك الوارث بما ورثه عن الآباء والأجداد ، كما أفهم أن فى طبيعة الغنى القوى جشعاً يدفعه إلى تنمية ثروته وتوسيع جاهه ومد سلطانه كالشعب الانجليزى المستعمر ، أما الذى لا أفهمه ولا أجد سبيلاً إلى إدراكه فهو كيف يجوز لمبذر متلاف كالشعب الفرنسى الذى أضاع ما ورثه عن آبائه وأجداده وفقد بسفهه الأخلاقى والاجتماعى ، كيف يسوغ له وهو القاصر المريض أن يزود بأسلحة الشر يعملها فى رقاب من أرادوا الخلاص منه والانعتاق من رزاياه من سكان شمالى أفريقيا ، خصوصاً وأن الفرنسى كالانجليزى يستويان فى ادعاء تهذيب الشعوب وتدريبها على الحكم الذاتى .

أفهم أن نهم الاستعمار يسيل لعاب الانجليزى ويدفع يده إلى امتلاك كل بقعة من الأرض مجاورة لما اغتصبته يده من قبل ، ولكل قطر سهلا كان أو جبلا ، نهراً أو قناة ، يقع فى طريق امبراطوريته المترامية الأطراف .

أفهم ذلك والامبراطورية البريطانية خارجة ظافرة من حرب بذلت فى سبيلها مهجاً وأموالا ، واكتسبت من جرائها عطف العالم عليها وإعجابه بها ، وبذلك لا أستغرب أن أراها تمد يدها تنتزع قطراً من هنا وتحتل مقاطعة هناك ، وتتطلع إلى ما هنالك ، وهى تتذرع بروح الديمقراطية وإسعاد البشرية وتهذيب الشعوب وإنقاذها من الخوف والمرض والجوع . إنما الذى يدهشنى حقاً هو أن أرى دولة فرنسا فى حال من الهوان والبؤس والذل ، والفقر والضعف والجوع ، ومن الضعة الروحية والفاقة المعنوية ، يدهشنى أن أراها تشمر عن سواعد نخرة بالية تحمل سلاحاً فتاكا ترمى به العزل من أبناء تونس والجزائر ومراكش ، قطعانها التى تعيش على صوفهم وتشبع من لحومهم كأنها تنتقم من الألمان وقد داسوا كبرياءها بحوافر خيولهم .

***

حفزنى إلى هذا التساؤل والاستطراد محاضرة سمعتها من الأستاذ محمود عزمى ألقاها فى نادى الرابطة العربية عن مشاهداته فى شمال أفريقيا فبدا لى أن أقارن بين الحكومتين الانجليزية والفرنسية فى طريقة استعمارهما الشعوب الشرقية المستضعفة الواقعة تحت حكمهما ، مكتفياً بهما وحدهما ، لأن الحكومات الأوروبية المستعمرة الأخرى وإن كانت أكثر ظلماً ، وأوفر شراهة وجشعاً ، تهتدى دائماً بهدى الانجليز والفرنسيين فى استذلال الأمم واستعبادها ، وتحذو حذوها فى كل ما يقترفان من شرور ومظالم وما يدبران لها من أغشية للتضليل والتمويه .

نعرف أن السياسة الانجليزية رأت أن تقف سداً دون انتشار التعليم فى مصر فرمت وزارة المعارف بطاغية يدعى دنلوب عمل جاهداً على أن يجعل من النشء الجدد موظفين لدوائر الحكومة محدودى المعرفة مسلوبى الإرادة .

وما كنا نعرف قبل أن عرّفنا الأستاذ عزمى أن الفرنسيين فى تونس والجزائر ومراكش لا يسمحون بإنشاء مدرسة ابتدائية أو ثانوية إلا بإذن خاص من المقيم الفرنسى العام ، وما أندر ما يأذن ذلك الحاكم الأجنبى بافتتاح مثل تلك المدارس بحجة

أن التعليم يجب أن يبقى قاصراً فى الكتاتيب على حفظ القرآن ، وأن ما نسمع عن المدارس العالية هناك فأنما أمرها بيد الفرنسيين وحدهم وأن برامجها موضوعة وفق مشيئة الروح الاستعمارى وهو ولا شك أضل وأسوأ من مشيئة دنلوب .

نعرف أن الشعوب الشرقية التى يحتل الانجليزى بلادها يحكمهم وفق قوانين موضوعة ومحاكم قائمة وأحكام تنشر وتذاع ، بيد أن أقطار شمال أفريقيا تحكم ، كما روى الأستاذ عزمى ، بغير قوانين ، وأن ليس فى « رباط » قانون عقوبات ، إنما لها محاكم شرعية تحكم فى الأحوال الشخصية وتفصل فى الملكيات الوراثية ، ولها محاكم أخرى تسمى محاكم الباشا عليها مراقبون فرنسيون من رجال الإدارة يرشدون الحاكم المدنى إلى الحكم على المتهم .

نعرف أن الإنجليز فى مصر من حاكمين ومقيمين أقل الناس استملاكا واستثماراً للأراضى الزراعية ، بيد أن الحال يختلف مع الفرنسيين من حاكمين ومقيمين فى شمال أفريقيا فى امتلاك الأرض ، وقد سمعنا من الأستاذ المحاضر أن المستعمر الفرنسى يملك الأرض ويستأجر الأهالى لاستغلالها بأبخس أجر ويقرضهم مالا لا يقوون على سداده ، وبذلك المال المقرض يبقى الفرنسى المالك قابضاً على عنق المغربى الأجير طول حياته .

نعرف أن المندوب السامى الانجليزى فى مصر حاكم يربض وراء الستار يعمل متوارياً ما يصون مصالح حكومته ومنافعها ، وما عرفت مصر مندوباً سامياً يحمل عصا الديكتاتورية المقنعة سوى كرومر وكتشنر واللنبى ، وقل من عرفت منهم من عاش فى ظل الأحكام العرفية فى أيام السلم . بيد أن الحال فى بلاد المغرب تستوى فى السلم وفى الحرب ، فان الأحكام العرفية هناك معلنة منذ عام ١٩١٢ وحجة الفرنسيين فى إعلانها كما قال الأستاذ عزمى أنها تمنح القيم العام حرية مطلقة فى الحكم والتصرف الإدارى ولولاها لوجب عليه أن يراجع باريس فى كل كبيرة وصغيرة من شؤون السياسة والإدارة والقضاء .

نعرف أن الانجليز فى مصر منعوا الخديو عباس من العودة إلى بلاده وأنهم خلعوه من ولايته الشرعية ، وأنهم هيأوا أحد راجات الهند لاعتلاء العرش المصرى ، وأن السلطان حسين أنقذ البيت المالك بقبوله ولاية السلطنة إبان الحرب العالمية الأولى ، وإننا نعرف جيداً أن حادث شهر فبراير المشؤوم ثابت فى ذهن كل مصرى ، ونعرف فوق ذلك أن الحكومات المصرية التى تولت الحكم إبان الحرب الأخيرة أبت على الحكومة الانجليزية الاشتراك رسمياً معها فى الحرب مستمسكة بمعاهدة ١٩٣٦ التى تنص على حرية الحياد ، وعرفنا أن الحكم الفرنسى يستوى والحكم الانجليزى فى معاملة الحاكمين ، حدثنا الأستاذ المحاضر عن « المنصف » باى تونس قال : التزم هذا العاهل المخلص لوطنه شروط الحياد التام لبلاده ، وقد أبى على الألمان ما أباه على الأمريكان والانجليز ، وقد وقف كذلك فى وجه الفرنسيين يصدهم عن تجنيد أبناء رعيته ، وقال : كان الجنرال جيرو يداً من أيادى المرشال بتان وذنباً من أذناب حكومة فيشى ، وأن هذا القائد عند ما جاء تونس لينضم إلى الجنرال ديجول أو يعمل معه ، كان أول ما عمله ترحيل المنصف الباى إلى فرنسا وأنه احتجزه فى الصحراء ستة شهور حتى اضطره إلى كتابة صك تنازله عن العرش ، وعندها حملته طيارة إنجليزية إلى باريس تحرسها شرذمة من الجند البريطانى ، فى حين أن الضباط الفرنسيين والطيارين الفرنسيين رفضوا نقل هذا العاهل المحبوب من شعبه ومن كل من عرفه أو اقترب من بلاطه .

يعرف كل من عاصر الثورة المصرية عام ١٩١٩ أن أحداث السنوات الخمس التى تلتها كانت أحداثاً جساماً ، وأن الانجليز لم يجابهوا الثورة مجابهة إلا عند ما كانوا يدعون دفع الأخطار عن مصلحتهم أو يتذرعون بحماية أرواح الأجانب وممتلكاتهم ، وعندها كانوا يمتشقون السلاح يعملون به ما يتوهمون أنه يقضى على روح الثورة المتأججة . فكم من دماء أهدرت ، وشباب ذوى ، وأمهات ثكلت ، وزوجات ترملت ، وأرواح صعدت إلى باريها تشهد على ظلم الظالمين ! وكم من صفحات أضيفت إلى تاريخ الاستعمار البريطانى سطرها اللورد اللنبى بسيفه وقد حاول المرشال ويفل تبريرها وتعزيزها بقلمه ، وما تلك الصفحات سوى شهادة صادقة على خنق حرية الشعوب الفتية بأيدى دعاة أنصار الحرية .

أما موقعة الجزائر الأخيرة فقد رواها الأستاذ محمود عزمى ، وعززها الأستاذ أمين الجامعة العربية . قال الأول : فعلت دعاية الحلفاء فعلها فى نفوس المغربيين وتأثروا كما تأثر سواهم بميثاق

الأطلنطى . وسحرتهم الديمقراطية الفاتنة واجتذبتهم الحرية ، فما إن ألقى الغربيون المتحاربون سلاحهم حتى هب الشعب الجزائرى هبة واحدة يظهر شعور الفرح والغبطة بدنو الحرية ، فمشى فى الشوارع أفواجاً منظمة يحمل أبناؤه الأعلام واللافتات فيها دعاء للحرية ومطالبة بالاستقلال .

هال المستعمر سماع صوت الشعب وحرارة ندائه فأمر القيم العام البوليس بتفريق المتظاهرين وتمزيق أعلامهم ولافتاتهم ، فنفذ البوليس الأمر بغلظة وقسوة . هاج الشعب وغضب لهذه المقابلة الظالمة فعاد ثانية إلى التجمع والمناداة بغضب للحرية والاستقلال ، فقابلهم البوليس ثانية برصاص البنادق ، ففر الشعب إلى الضواحى يصب غضبه على بيوت الفرنسيين .

قامت قيامة القيم العام فأمر الجيش بإخماد الثورة .. مشى الجيش بجانبه أصحاب الأراضى من الفرنسويين وقد نضوا ثيابهم المدنية وأخذوا يعملون سلاحهم معه فى رقاب الأهلين ونيرانهم فى أكواخهم ، وما زالوا بهم تقتيلا وتحريقاً حتى طرحوا بقاياهم فى الصحراء ، وقد انجلت الواقعة عن ثلاثين ألفاً من القتلى .

وقد عزز هذه الحكاية سعادة الأستاذ أمين الجامعة العربية بقوله : لما كنت فى باريس حادثت أولى الأمر هناك بهذه الواقعة المحزنة فلم أسمع منهم إنكاراً لها ، ولكنهم قالوا إن فيها مبالغة ، والحقيقة التى اعترفوا بها هى أن عدد القتلى لم يتجاوز الثمانية عشر ألفاً !

وددت لو اتسع المجال لعرض كل ما سمعت من الأستاذ المحاضر ومقارنة أعمال المستعمرين بعضها ببعض ، ولكن ما إلى هذا رميت ، ولا إلى التشهير قصدت ، إنما مرماى هو كشف النقاب عن الظلم الكامن فى نفوس الغربيين المستعمرين ، ثم ما هو الواجب علينا حيالهم .

أنا لست مؤمناً بالإنسان ولا بعلومه ، ولا بعقله ، وقد كشف الكثير من أسرار الطبيعة ، وأنكر كل الإنكار المدنية والحضارة والتهذيب والكياسة وكل الأخلاق الفاضلة فى الشعوب الأوروبية التى لم تقو على محو روح الشر المتأصل فيها ولا اقتلاع جذور الظلم الكامن فى جوانبها ، ولا هبوط حمى الجشع المستعر فى ضلوعها ، إنما أومن عن عقيدة بأن الشر يدفع الشر وأن الظلم لا يقتله إلا الظلم .

حبيب الزحلاوى

خواطر مسجوعة :

فلسفة الأمل ...

سأل سائل : ما الأمل؟ قلت : مصحح الملل ، ومبدد الملل ، ومتقن العمل . مذلل الصعاب ، ومهون العذاب . مُعسجد التراب ، ومكوثر السراب . مُصغّر ما جل ، ومكثّر ما قل ، ومُغنى المقل ، بعسى ولعل ! الأمل ساحر مُزوّق ، بالأوهام يسرق ، وكاذب ملفّق ، قلما يصدق ! الأمل سالب الأحلام ، وناهب الأيام ، وغالب الآلام ، ومصاحب المولود حتى الحمام ! ما أحب الأمل إلى القلب ، وإن استحق الثلب ! فوعده عذب ، وكذبه خطب . خياله فتنة ، وحقيقته محنة . بدايته جَنة ، ونهايته جِنة ! الأمل يصور المستقبل أجمل تصوير ، وما تصويره إلا تزوير ؛ ويُقدّر المخبوء أحسن تقدير ، وما تقديره إلا تغرير ! الأمل كالأفق الممتد ، يظهر على بعد ، وكأنه بعد خطوات تُعدّ ، يكون فى متناول اليد ! يُجسم لنا الوهم ، فنخطئ الفهم ، ونتسرع فى الحكم ، على المخبّآت الصم البكم ! رونقه جذاب ، ومنطقه خلاب . خمرته أشهى من ابنة الأعناب ، ونشوته عزم متوقد وثاب ؛ فإذا حسرت الحقيقة عن وجهها نقاباً ، وكشفت الخيبة عن سرها حجاباً ، تبدلت خمرة الأمل صاباً ، ونشوته أوصاباً ! فهو الهم المرغوب ، والمرض المحبوب ، والصديق الكذوب ، والجاد اللعوب ! يُثقِل ولا يُقيل ، ويُطمِع ولا يُنيل ، ومن عجب أنه بخيل ، وكل الناس له خليل ! بيد أن له فى الحياة شأناً يُؤثر ، وأثراً يُذكر ؛ فإذا قلنا : إن الحى بدونه كمن يقبر ، فهو بلا شك البعث الأصغر ! يخلق من البعوضة جملا ، ومن الذرة جبلا ، ومن الضيق سبلا ، ومن الظلمة بدراً مكتملا ؛ ومن الضعف قوة ، ومن الشيخوخة فتوة ، ومن مرارة العيش لذة سائغة حلوة ، ومن الشقاوة سعادة مرئية مرجوة !

فلولا الأمل ما ثابر مثابر ، ولا خاطر مخاطر ، وما تسابق قاصر وماهر ، ولا تنافس عاجز وقادر . ولولاه ما حلا زاد ، ولا طاب رقاد ، ولا تسلّى فؤاد ، بميعاد بعده ميعاد !

حامد بدر

إمام الحرمين
بين المتقدمين والمتأخرين

للأستاذ الأب قنواتي

النضال بين المتقدمين والمتأخرين نضال قديمساير الاجتماع على ممر الأجيال . فلكل جيل طموح ونزعات تجعله ينظر إلى الجيل السابق بعين الاستخفاف بل العدوان ... ولئن أردنا أن نقيم دليلا على هذه الحقيقة البسيطة وجدنا التاريخ حافلا بالأمثلة العديدة الشائعة فى الميادين المختلفة من مذاهب أدبية أو فنية أو سياسية ونظريات علمية ومناهج تاريخية ... الخ ، وقد يرجع هذا النضال إلى طبيعة الإنسان وشغفه بالجديد ... « سنة الله فى خلقه » ... ولكنه قد يرجع أحيانا إلى التقدم الحقيقى والتعمق فى البحث . فقبل أن يكتب النصر للجديد المتأخر لابد له من مقاومة القديم وإقناع مشيعيه ، وهناك تغيرات واتجاهات لا تخلو من الخطورة على خفائها وقلة ظهورها فى الخارج يجدر بالباحث أن يحاول إماطة اللثام عن سرها وإبرازها بوضوح لأنها كثيراً ما تكون « مفتاحاً » لفهم تطورات أخرى ضخمة . ونريد اليوم أن نقف برهة عند نضال كان له أثره الخطير فى تكييف علم الكلام ، ونحن نعنى طريقة المتأخرين التى حلت محل طريقة المتقدمين فى القرن الخامس الهجرى .

***

يقول ابن خلدون فى مقدمته إن أول من كتب فى الكلام على طريقة المتأخرين هو الغزالى[١] ، وقد ردد هذا الرأى كثيرون ممن أرخوا لتطور علم الكلام ولاسيما الشيخ محمد عبده[٢] . ما هى فى رأى ابن خلدون ، هذه الطريقة ؟ وكيف تتميز من طريقة المتقدمين ؟ وهل أصاب ابن خلدون فى رأيه : تلك هى النقط التى أحب أن أعرض لها اليوم على صفحات « الرسالة » .

أما طريقة المتقدمين فقد رآها ابن خلدون متحققة فى الأخص عند الباقلانى (المتوفى سنة ٤٠٣/١٠١٣) . فبعد سرد الظروف التى هيأت لعلم الكلام نشأته والتكلم عن الأشعرى أخذ يقول : « وكثر أتباع الشيخ أبى الحسن الأشعرى واقتفى طريقته من بعده تلاميذه كابن مجاهد وغيره ، وأخذ عنهم القاضى أبو بكر الباقلانى فتصدر للإمامة فى طريقتهم ووضع المقدمات العقلية التى تتوقف عليها الأدلة والأنظار وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد والخلاء وأن العرض لا يقوم بالعرض وأنه لا يبقى زمنين وأمثال ذلك مما تتوقف عليه أدلتهم ، وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية فى وجوب اعتقادها لتوقف تلك الأدلة عليها ، وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول . وجملت هذه الطريقة وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية ، إلا أن صور الأدلة تعتبر بها الأقيسة ولم تكن حينئذ ظاهرة فى الملة . ولو ظهر منها بعض الشىء فلم يأخذ به المتكلمون لملابستها للعلوم الفلسفية المباينة للعقائد الشرعية بالجملة[١] » . إننا — والحق يقال — لا نجد فى هذا النص ما يشفى غلتنا . — فما هو محور طريقة المتقدمين ؟ . أهو استعمال العقل فى شرح العقائد ؟ هذا لا يكفى ، إذ العقل سيظل مستعملا فى طريقة المتأخرين بل سيكون ركنها الركين . هل هو عدم الاكتراث بالمسائل الفلسفية ؟ . . ولكنا نجد الباقلانى وهو بلا شك من المتقدمين يتكلم فى الجوهر والعرض الخ

فلنواصل قراءتنا فى مقدمة ابن خلدون . يقول مؤرخنا الشهير إن المتكلمين أخذوا على مر السنين يفرقون بين علوم المنطق وبين علوم الفلسفة إلى أن قال : « ثم نظروا فى تلك القواعد المقدمات فى فن الكلام للأقدمين فخالفوا الكثير منها بالبراهين التى أدت إلى ذلك ، وربما أن كثيراً منها مقتبس من كلام الفلاسفة فى الطبيعيات والالهيات ، فلما سبروها بمعيار المنطق ردهم إلى ذلك فيها ولم يعتقدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما صار إليه القاضى . فصارت هذه الطريقة من مصطلحهم مباينة للطريقة الأولى وتسمى طريقة المتأخرين » . فنى رأى ابن خلدون يرجع الفرق الحاسم بين الطريقتين إلى هذا : يعتقد المتقدمون أن بطلان الدليل يؤدى إلى بطلان المدلول ويرفض المتأخرون هذا الزعم .

---

(١) طبعة مصر ص ٤٦٦

(٢) رسالة التوحيد ، طبعة ١٣٦١ ص ٢٢

(١) ص ٦٥ ، — ٤٦٦

وأقر بكل بساطة ، مع احترامى لابن خلدون وسعة اطلاعه ، بأنى لم أرتض هذا الرأى لأنى حاولت أن أطبقه على كتابَىْ إمام الحرمين — الإرشاد والشامل [١] فلم أعثر على المبدأ الذى يقول به المؤرخ العربى الشهير . كما أنى لم أجد فى كتب الغزالى الخاصة بعلم الكلام — على القدر الذى أعرفه — دحض هذا الرأى الذى يظهر فساده من أول وهلة . ومن يدرس عن كثب المناقشات الطويلة التى وردت فى « الشامل » لا يلبث أن يتحقق أن الأمر خلاف ما ذهب إليه ابن خلدون . ولقد تبادر إلى ذهنى أن الفرق الحاسم بين الطريقتين قد يرجع إلى نوع المنطق المستعمل فيهما، أو بالأحرى إلى مدى استعمال المنطق اليونانى فيهما . والذى هدانى إلى هذا الرأى هو حدوث شبيه هذا المظهر فى القرون الوسطى عند المسيحيين ؛ فقد كان يوجد فى العالم العلمى الأوروبى حتى القرن الحادى عشر منطق أرسطو فى مختلف أقسامه ، وكان يستعمل فى المناظرات اللاهوتية ولكن من الوجهة الجدلية فقط . فعند ما ترجمت كتب أرسطو الأخرى وخاصة كتابه ما بعد الطبيعة أحدثت فى كهان علم اللاهوت انقلاباً عظيما ... أصبح القياس الأرسطى محور البحث الدينى نفسه ، والمبادئ الأرسطية - بقدر ما تكون غير مخالفة للمقائد — القالب العلمى لتقديم العقائد وربط بعضها ببعض والدفاع عنها والتعمق فى مضمونها . ولقد تساءلنا عما إذا لم يحدث ما يشبه ذلك فى علم الكلام عند المفكرين المسلمين . فلا شك أنهم عرفوا أرسطو منذ القرن الثانى للهجرة فقد كان بعض المعتزلة يقرؤون كتبه ويستفيدون منها . ومن المحتمل بل من المرجح أن مبادئه المنطقية أخذت تتسرب رويداً رويداً إلى علماء الكلام من طريق المجادلات والمناظرات مع الفلاسفة أو الملحدين ، وأخيراً اندمج فى علم الكلام نفسه وأصبح من آلاته الأساسية .

ولقد تحدثنا مع الأستاذ الكوثرى فى هذا الموضوع ، فتفضل وأرشدنا إلى مخطوط لتلميذ للباقلانى أبو جعفر محمد بن أحمد السمنانى (المتوفى سنة ٤٤٤ / ١٠٥٢) ، وعنوان المخطوط :

(١) نشكر الأستاذ الخضيرى الذى أعارنا نسخته لشامل . ومن طريف هذه النسخة أن الناسخ قد أردف الجزء الأول من الشامل بجزء من تبصرة الأدلة لنسفى بدون أن يذكر المؤلف .

« البيان عن أصول الإيمان ، والكشف عن تمويهات أهل الطغيان [١] » يحوى هذا المخطوط باباً خاصا « بالفرق بين الأدلة الصحيحة وبين فاسدها وذكر أقسامها » ، يمكننا أن نعتبرها أنموذجا خالصا لطريقة المتقدمين ، فلا ذكر هنا لقياس أرسطو ، ولا ذكر لإبطال المدلول بأبطال الدليل الذى جعله ابن خلدون معيار طريقة المتقدمين ، بل يكتفى السمنانى فى القسم الأول من الأدلة بذكر « حجة العقول التى نبه الله عليها بقوله تعالى لقوم يعقلون، ويتذكرون ، أفلا يتدبرون» وهذا القسم يقع الاحتجاج به من وجوه :

الوجه الأول : أن يقسم الشىء فى العقل إلى قسمين أو أكثر من ذلك ، ومحال أن تكون كلها صحيحة أو كلها فاسدة ، فمتى أفسد الدليل أحد القسمين أو كلها إلا قسما واحداً ثبت صحة القسم الباقى .

الوجه الثانى : أن يجب الحكم والوصف للشىء فى الشاهد لعلة ، فيجب القضاء على أن كل من وصف فى الغائب بتلك الصفة وثبت له ذلك الحكم فإنه لأجل مثل تلك العلة ما يستحقه .

الوجه الثالث : أن تعلم أن الذى يصحح الحكم والصفة إنما هو وجود المصحح ، فيجب القضاء لكل من له تلك الصفة أن يكون مصححها مثل ذلك المصحح .

الوجه الرابع : أن تعلم أن حقيقة الشىء هو صفة له ، فيجب الحكم بمثل تلك الحقيقة لمثل تلك الذات فى الغائب ، وكذلك الحد .

الوجه الخامس : أن تستدل بصحة الشىء على صحة مثله وما هو بمعناه ، وباستحالة على استحالة مثله وما هو بمعناه .

هذه هى الحجج العقلية التى يبنى عليها علماء علم الكلام

(١) لم يذكر هرتن Horten هذا الكتاب فى مؤلفه المشهور Die spekulativen Systeme der spekulativen Theologen imIslam عندما تكلم عن السمنانى ص ٥٦٢ — ٥٦٤ . والنسخة التى نقل عنها الأستاذ الكوثرى موجودة فى المكتبة العثمانية بحلب ضمن مجموعة مخطوطة تحت رقم ٥٧٧ كان السمنانى قاضيا بالموصل وكان يقول الباقلانى عنه : « هذا مؤمن آل فرعون » باعتبار أنه كان حنفيا أشعريا . ويضيف الأستاذ الكوثرى « هذا كلام بارد لكن قائله لا يخلو من ترق فى كل مواقفه على سعة علمه » انظر ترجمة السمنانى فى تاريخ الخطيب البغدادى ج ١ ص ٣٥٥ .

المتقدمين براهينهم ، وهى على ما أظن لا تتجاوز الدلائل العقلية المستعملة فى أصول الفقه[1] ، ولا صلة لها صلة أساسية بالمنطق اليونانى .

أما الأقسام الأخرى من أقسام الأدلة التى يذكرها السمنانى فهى الاستدلال بموجب اللغة ، والاستدلال بظهور المعجزات على صدق من ظهرت على يده ، لأنها تجرى مجرى الشهادة له بالقول ، والاستدلال بكتاب الله ، والاستدلال بقول الرسول ، وإجماع الأمة من أهل كل عصر ، والقياس على الكتاب والسنة ، والإجماع فى الأحكام الشرعية التى لا مجال للعقل فيها بحال .

ومما جعلنا نؤمن بصحة نظريتنا مطالعتنا لرسالة الأستاذ على محمد جبر من علماء الأزهر : « إمام الحرمين وأثره فى بناء المدرسة الأشعرية » . فقد درس الأستاذ إمام الحرمين درسا وافيا ، راجعا إلى مؤلفاته : (البرهان ولمع الأدلة والشامل والإرشاد) وإلى مخطوطات أخرى مثل (المطالب العالية للرازى وإبكار الأفكار للآمدى) . فتمكن من إبراز شخصيته العقلية والاتجاه الجديد الذى أعطاه لعلم الكلام . وقد انتهى الأستاذ جبر إلى أن إمام الحرمين هو رأس المتأخرين ، وأن التميز بين المتقدمين والمتأخرين يرجع إلى ناحيتين :

أولا : بالنسبة لطريقة الاستدلال على العقيدة ، فقد يخالف إمام الحرمين الأشعرى والباقلانى ، إذ هو جعل الاستدلال على العقيدة بطرق ثلاث : السبر والتقسيم المنحصر بين طرفى النفى والإثبات ، قياس الخلف الذى يثبت الشىء بإبطال نقيضه ، القياس المستقيم . والأشعرية قبله لم يستعملوا قياس الخلف ولا القياس المستقيم بل كانوا يستعملون طرقا خطابية تارة وقضايا مشهورة أخرى والسبر والتقسيم بقسميه المنتشر والمنحصر .

ثانيا : بالنسبة لبعض الموضوعات الكلامية مثل الكلام على الصفات الخبرية التى وردت فى الكتاب والسنة . فطريقة الأشعرية قبل إمام الحرمين هو عدم التأويل وعدم بيان المراد منها . أما إمام الحرمين فقد أول وبين المراد منها . ويقول الأستاذ جبر إن إمام الحرمين هو أول من جعل الأبحاث الكلامية مثل البحث فى الجوهر والعرض والكون والطفرة والجزء الذى لا يتجزأ وسيلة وطريقة تؤدى إلى الغاية المطلوبة من نفس علم الكلام وهو إثبات الله وصفاته ونفى القدم عن سواه أكان قدما ذاتيا أم زمنيا .

وليس يتسع لى المجال هنا لمناقشة الأستاذ فى جميع نتائجه فهذا يستحق بحثا على حدة ، غير أنى أوافقه فى جعل إمام الحرمين ممن أثروا تأثيرا حاسما فى توجيه علم الكلام توجيها جديدا . ولو أنى أميل إلى وضعه لا فى رأس المتأخرين كما يفعل الأستاذ بل فى محل وسط بين الفريقين ، وكحلقة اتصال بين طريقة المتقدمين وطريقة المتأخرين .

ومهما يكن من أمر ، فإنى على يقين أننا لا نزال محرومى التفاصيل الشافية فيما يخص تاريخ الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام وذلك للعدد الضخم من المخطوطات التى لا تزال مطوية فى أجواف المكاتب ، ولو كان لى أن أقدم رجاء فهو أن يهتم شبابنا المثقف من أزهريين وجامعيين (بمعاونة الأزهر والجامعة معاونة روحية ومادية) بنشر النصوص الفلسفية والكلامية القديمة فقد حان الوقت فى هذا الميدان أن نطير بأجنحتنا كما يقول الغربيون وألا نظل إلى الأبد عالة على المستشرقين .

إننا نلفت نظر من يهتم بتاريخ الفلسفة الإسلامية والمسيحية فى القرون الوسطى إلى ثلاثة كتب قيمة ظهرت حديثاً فى هذا الموضوع :

أولا — كتاب مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان واليهود ، وهو للأستاذ بينس Pines وقد عربه الأستاذ أبو ريده تعريباً دقيقاً .

ثانياً — كتاب إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية للأستاذ أبو ريده (الذى يستحق كل الثناء لما بذله فى ميدان نشر الفلسفة الاسلامية) .

ثالثاً — تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط للأستاذ يوسف كرم وهو لا يقل تركيزاً وتعمقاً من كتابه فى تاريخ الفلسفة اليونانية .

الأب قنواتى

(١) مع وجود الاستعانة بالسبر والتقسيم فى تعيين العلة فى بحث القياس الفقهى .

يا ليـــل ...!

للأستاذ محمد خير الدين الأسدى

(تتمة ما نشر في العددين السابقين)

نعود الآن فنرهب الموقف ، وقد بدا لنا توجيه آخر ، ذلك أن الغناء العربى من طابعه الإعادة والترداد ، بأن تعاد الكلمات وأحيانا مقاطع هذه الكلمات ، على نحو ما نسمعه اليوم ، فهل يبعد أن كان ردد مغن مجيد مقطع « لى » من موالى ، فكان من وراء هذا الترداد « لى لى » أو قل : ليلى مصدرة بأداة النداء القائمة بالأصل ، ثم استحسن هذا التفنن وجرى الناس عليه إلى يومنا .

ولعل ما أغرى المغنين بالتمسك بصورة يا ليلى نزوعهم إلى التفرقة بين الغناء الغرامى والغناء الدينى المفتتح بيا مولاى — كما هو شأن التمجيد فى المآذن — .

عرفنا بعد ما تقدم أن يا ليلى أصلها يا موالى ، فلنسجل هذا المذهب بجازم اليقين ، لما أن البينات تدعمه ، ثم لنسجل ما تبقى من تطورها بشىء من التحفظ ، لما أن تاريخ الغناء ومرور الزمن تألبا على الغموض والإبهام .

انتقال ياليل منه الموال :

وكتب ليا ليل أن تفارق الموال إلى غيره من ضروب الغناء متنكرة بمظهر جديد — كما نرى نحن — منها .

ياليل في الموشحات :

انتقلت يا ليل إلى الموشح بشكل « يالا » و « يالالا » و « يالان » و « يالالالا » و « يا لى » كما فى موشح « أحن شوقا » وتلحين الوشح كما يحدثنا الأستاذ رجائى :

أحن شوقا إلى ديا إلى ديار رأيت فيها جمال سلمى آه يالان جانم يا لا يا لالا يا لان جانم يالالالا يا لى ...

وقد تظهر بمظهرها الأصلى : ياليل أو يا ليلى ، كما فى الوشح الحديث : « زالت الأفراح عنا » ، وتلحينه كما يحدثنا الصديق رجائى :

ليلى يا عينى يا ليل زالت زالت يا عينى ...

وقد تكون ياللى ، كما فى موشح « ما احتيالى » وقد تدخل فى صلب الوزن الشعرى بصيغة يالالى ويا ليا وهلوليا ، كما فى « يالالى هوانم آه يالالى » و « يامه يا ليا يا زرد خلخالى » و « هلوليا هلوليا عينى يا لينية » .

وقد تبقى سالمة بإزالة تضعيف الياء ، كما فى لازمة من أغانى رقص السماح « مواليا يا مواليا والعشق غير حاليا » . وقد تحذف الألف كما فى طقطوقة « زوالف يابو الزلف عينى يا مواليا » .

يا ليل فى الغناء الفارسى :

انتقلت يا ليل إلى الغناء الفارسى بشكل « دلاى » ، وكان لها هذا التحريف لتتلاقى مع لفظ ذى دلالة فى الفارسية ، ذلك أن « دلاى » كلمتان : « دل » بمعنى القلب و « أى » أداة نداء وهكذا تبوأ يا قلبى — وما أحلى هذا النداء — مكانه فى الغناء الفارسى ، حذو أمها « ياليلى » فى الغناء العربى ، فتكرر كثيرا ولا تزال دولتها قائمة ، وإن كان معاصرونا يقللون من تردادها . حدثنا بذلك موسى أفندى البهائى ابن أخى عبد البهاء فى حفلة أقامها لنا الأستاذ ثابت عريس قنصل سورية بحيفا .

يا ليل في الغناء الكردى :

معظم الغناء الكردى من نوع الموال ولازمته التى تردد هى « لو لو Lo Lo » وقد تقسم بين جزئى اللازمة « ده » الدالة على التكرار .

وليست لو لو من لو الكردية بمعنى « يا » : أداة النداء ، إنما هى عندنا تحريف « ليلى » على شكل ينسجم مع مدلول آخر فى الكردية .

يردد المغنى الكردى « لو لو » كثيرا وكثيرا ، ولقد عاب أحدهم كرديا بهذا الترديد الكثير الممل ، فأجابه — وكنت أسمع — : جانم ، وانتوليش بيقول: يا ليلى يا ليلى ، فرد الحجر من حيث أتاه .

يا ليل فى الغناء التركي :

وانتقلت إلى الغناء التركى ، إلى ضرب من غنائهم المسمى « غزل » وهو ما يشبه الموال عند العرب لكنها تحرفت كثيرا ، إذ كان مظهرها « يارى » أو « يارهى » يذكرنا بكلمة « يار » الفارسية بمعنى حبيب [1] مذيلة « بأى » أو « هى » أداة الهتاف وكثيرا ما تلحق بأمان امان .

وإذا لاحظت إمالة الراء فى « يارى » وإمالة الهاء فى « يارهى » بدا لك أن وزنهما ووزن « يا ليل » الممالة واحد .

هذا فى نوع الغزل ، أما ما عداه من الغناء التركى فقد استعملوا فيه « واره للى للى للى » حتى جاء منير نور الدين مغنى أتاتورك فاستعمل هذه الأخيرة فى المقامين : الغزل وغير الغزل .

وبمناسبة الغناء التركى ويا ليلى نورد لطيفة يتحدث بها أهل استنبول ، تلك أنهم زعموا أن عربيا صحب شيطانا فى سفر له من استنبول إلى بغداد ، واقترح عليه أن يقطعا الطريق بالغناء على أن يركب صاحب الدور فى الغناء ظهر صاحبه إلى أن ينتهى ، فيؤول الدور إلى الثانى وهكذا .

ها هو ذا الشيطان على ظهر العربى وها هى ذى أغنيته تردد البرارى صداها ، حتى إذا ما انتهى نزل وكان الدور للعربى ، فركب وأرسل الصوت بيا ليلى يا ليلى ... قالوا بلغ بغداد ولم ينته من يا ليلى ...

يا ليل فى الغناء الأرمنى :

تستعمل يار الفارسية فى الغناء الغرامى Troubadour المدعو عندهم « أشوغا كان » ونلاحظ التقارب اللفظى بين هذه الكلمة وكلمة « عشق » العربية .

وتستعمل «لو لو o Lo » فى غير هذا الضرب وتتجلى فى أغنية « سيبانا كاجر » أى أبطال جبل سيبان ، وهو قرب مدينة وان ، وهذه الأغنية قديمة العهد ، وشاعرها مجهول .

وقد تستعمل « لى لى » بالإمالة وهذه مستفيضة . وأن « لو لو » و« لى لى » كليهما لا مدلول لهما فى الأرمنية .

يا ليل فى الغناء القوقازى :

قبيلة غموق فى داغستان تستعمل « دلاى » أو « دللاى » فى ضرب من غنائها ، يرددها المغنى كثيرا ، وقد ترددها الجوقة دون المغنى ، وهى لا مدلول لها عندها

يا ليل فى الغناء الدينى ليهود حلب :

يهود حلب دون كل يهود العالم يحتفظون فى تقاليدهم بكثير من التراث القديم ، ولقد كتب لنا أن درّسنا فى مدارسهم اثنين وعشرين عاما ، اطلعنا فيها على الكثير من دينهم ولغتهم وأساطيرهم وما إلى ذلك .

ومما نعرفه ونحن فى صدد يا ليلى أنهم ينقلون النغم العربى إلى حفلاتهم الدينية الفرعية بألفاظ عبرانية تشابه جدا الألفاظ العربية كل هذا بتوخ وقصد ، ولطالما سمعنا طلابنا الشادين يغنون « يه الى » بإمالة الهمزة ، فهى على وزن يا ليلى ، وهى قريبة اللفظ منها ، ومعنى يه الى : الله إلهى ، إذ أن « يه » المقطع الأول من يهوه .

يا ليل في الغناء الغربى :

يستعمل الغربيون عامة لدى تجسيد النغم « لى للى ... لم » وظنى أن هذه الألفاظ التى أهملتها معاجمهم هى من « ليلى » مقفاة بالميم المؤذنة بالوقفة ، أو بأمد من السكوت يوحى به إطباق الفم بها .

فإذا صح ما قدمته صح معه أن دولة يا ليل العربية تمتد من مراكش فشمال أفريقية فجزيرة العرب ما خلا البادية فالعجم فتركية فأرمينية فالقوقاز فسائر أوروبا ، ومن اصطبغ بمدنيتها من أمريكا وسائر المعمورة .

وعلى هذا الامتداد لا يكاد يدور دولاب الزمن نحواً من الدقيقة ألا يتموج الهواء بيا ليل ليل نهار دون انقطاع ، وهذا مجد ما بعده من مجد .

(تم البحث) **محمد خير الدين الأسدى**

---

(١) قاموس شمس الدين سامى ط استنبول .

بكم تبيع ؟!

للأديب الفاضل ثروت أباظه

كان اليوم يوم جمعة ، والشتاء يرسل نذره لطيفة حيناً ، عنيفة أحياناً ، ولا عاصم من تلك النذر إلا الشمس نضحّى لها حيث نتوقعها ...

وبالجيزة قهوة توثقت الصلة بينها وبين الشمس : فهي دفء ونعيم ومنظر ، لجأتُ إليها وحدى مترقباً صديقاً على موعد .. جلست أنتظر فإذا رجل منتفخ الأوداج ، غليظ الشفتين ، حليق اللحية والشارب ، أسمر الوجه ذو شعر لولبي يأبى على الطربوش أن يطمئن على الرأس ، قصير القامة منبعج فى امتلاء ، يحاول أن يتأنق ما أتاح له جسمه ذلك ، وقليلا ما يتيح ... إنه عبدالشكور افندى .. استغفر الله .. بل عبد الشكور بك ... ولم لا ؟! ألم يهبط من عربة فخمة يقودها بنفسه ؟ ! ألم يغدُ صاحب أملاك وعمارات ...لا... إنه عبد الشكور بك . وباشا إذا لزم الأمر !

كنت أعرفه معرفة قليلة ، ويظهر أنه هو الآخر جاء على موعد ، فهو يقصد إلى منضدة قريبة ولكنه حين يمر عليّ لم ينس هذه الإنحناءة التى تحاول أن تكون أرستقراطية فيقف دون ذلك قوام أفقى ! يفعلها على أى حال تمرين رياضة جسدية ، على أنه إن لم تكن تحية ودية ، ويقصد إلى المنضدة فيجد عليها رجلا أنيق الملبس ، أشيب الفودين ، طويل القامة ، مليح القسمات ، يقف ويسلم على عبد الشكور بك فى حركات مهذبة رشيقة ، ويجلس الرجلان ؛ وأظل شاخصاً إليهما حتى يأتى صديق ويسألنى عمن أنظر إليه فأحدثه حديث عبد الشكور الذى كان كما سمعت بائع دقيق ، ثم .. ثم صار عبد الشكور (بك) منذ سنتين ! فيؤكد لى هذه المقالة ويخبرنى أن الرجل الجالس إليه موظف كبير بوزارة...وأنه يتمتع بسمعة لا يحسد عليها ... التفت إلى رفيق وقلت :

— أتعرف كلمة هذا العهد ؟

— ماذا تقصد ؟

— ألم تعلم يا صديقى أن لكل عهد كلة تميزه من سائر العهود ، كلة يخلقها الجو العالى وتنميها ألسنة الناس ، كلة عهدنا هذا: بكم تبيع ؟ . بكم نبيع شرفك ؟! بكم تبيع كرامتك ؟ وخلقك ماذا يساوى ..؟!» تسمع الآن هذه الأسئلة وتسمع بجانبها ناصحاً يقول للمسئول : « قل ! أخبره ! إنه سيدفع » وآخر يقول للسائل : « ادفع ! إنه سيبيع ! » ولكل من الناصحين فائدته من بذل هذه النصيحة...

— ولكن ألا ترى معى يا أخى أن هذا السؤال لا يعترض إلا صغار الموظفين والذين لا يملكون إلا القليل مما تصبو إليه نفوس السائلين ، أما الغالب فى كبار الموظفين فضمير كبير نماه احترام الموظفين الصغار .

— ضمير !! أنت تفهم مدلول هذه الكلمة ، ولعل كبار الموظفين يفهمونه ؛ ولكنه فى نظر عبد الشكور شىء معوق يجب أن يزول .. فتراه حين يرى ثورة الرجل الكبير يعرف أن الضمير فى هذه المرة غالى السعر قليلا فهو يبذل ويبذل حتى تخمد ثورة وتبدأ مفاوضة .. مفاوضة غير مقطوعة .. فالموظف الكبير لا يقبل الدخول فى هذه المفاوضة إلا إذا كان السعر المبذول باهظاً والغنى الجديد يعلم أن الضمير إن لم يكن بالسعر المفروض فهو بما يقاربه، وكأننى بابن الرومى قدر أى الشارى والبائع فأرسل هذين البيتين:

إن للحظ كيمياء إذا ما   مس كلباً أحاله إنسانا
يفعل الله ما يشاء كما شا   ء متى شاء كائناً ما كانا

كلا الرجلين كلب من كلاب الحظ ..

— هل تريدنى أن أفهم العصامية والنشاط الاقتصادى مجرد كيمياء من الحظ .. لا يا أخى أنت مخطىء .. إن عبد الشكور رجل عظيم انتشل نفسه من وهدة الفقر فعمل وعمل حتى تسنم ذروة الغنى . أنا لا أفهم مطلقاً أن يشرع الكتاب أقلامهم لمحاربة قوم عملوا فربحوا . أنا لا أفهم ...

— اسمع لى قليلا حتى تفهم ... تقول إن الكتاب مخطئون حين يهاجمون هؤلاء . ولو لم أكن وثيق الصلة بك لأيقنت أنك لم تكن حياً فى أيام الحرب ، ولكن الغريب أنك كنت معى وكنا نتشاكى الغلاء معاً .. فلا شك أنك كنت حياً ..

العصامية — ياسيد — شىء نقدره — نحن الشرقيين — نقدره إذا كان عن طريق شريفة .. والتاجر الذى يربح فى السوق الشريفة يحتاج إلى لباقة وكياسة ، ومادام يربح شريفاً فلا حاجة للربح الدنس، فهو يحتقر السوق للوثة ويحاربها ، عندنا من هؤلاء

داود باشـا

ونهضة العراق الأدبية

فى القرن التاسع عشر

للمرحوم الأستاذ رزوق عيسى

(تتمة ما نشر فى العددين السابقين)

أعجب داود باشا بهذه الخريدة كل الإعجاب فأهدى إلى ناظمها إمامة قليون نفيسة فأنشد الشيخ طرباً .

إلىّ إمامـة القليون وافت فتاهت فى محاسنهـا عيونى
من المولى المشير إلى المعالى بأيد حطت الفضلاء دونى
فقبلها فى ألفــاً ونادى مفاكهة لقــوم يجهلونى
أنا ابن جـلا وطلاع الثنايا متى أضع الإمامة تعرفونى

وقد مدحه بطرس كرامة بقصائد عديدة منها قوله :

وزير إذا ما سار فى حلبة العلى على مهل يأتى أمام ذوى الركض
هو البدر للمجد الرفيع وللندا وللعلم والعليا هو الحكم المرضى
وذو الحزم والرأى السـديد مؤيدٌ بكل صواب ما يقول وما يمضى
مهيبٌ حليمٌ جهبذ متجلبب من العلم والآداب بالشرف المحض

ومنها قوله :

إن البلاغة واليراعة عنــد داود الوزير
وسمت من ألفاظـه داود يلهـج بالزبور
فكأنمـا آدابـه روض تنوع بالزهور
إن قال نظما خلتـه بعقوده درر النحـور
صدر العـلوم وبدرها بدر لـكل ذوى الصدور
شهـم إذا حضر النزا ل يصول كالأسد الهصور

وقد مدحه أيضاً عبد الغفار الأخرس الشاعر العراقى الذائع الصيت بقصيدة أرسلها إلى الأستانة نقتطف منها هذه الأبيات :

بوادى الغضا للمالـكية أربع سقتها الحيا منا جفون وأدمع
ومرتع لهو كان للريم ملعباً على أنه للضيغم الورد مصرع

إلى أن قال :

أرانى مقيما بالعراق على ظما ولا منهل للظامئين ومرتع
وكيف بورد الماء والماء آجن يبل به هـذا الغليل وينقع
لعل وما يجدى لعل وربمـا غمائم غم أطبقت تتقشع
يعود زمان مرّ حلو مذاقه وشمل أحبائى كما كان يجمع

***

وكنت إذا طاشت سهام قسيها وقتنى الردى من صنع (داود) أدرع
فمن جوده أنى ربيت بجوده وزير له الإحسان والجود أجمع

الشرفاء قلة ولـكنها محترمة لأنها كانت فى أمانه فوصلت .. هذه القلة لم تساعدها كيمياء الحظ مساعدتها لعبد الشكور ، وإن كان لم يبخل على اجتهادها بقطرة .. ولـكن ذلك العبد الشكور الذى أصبح غنياً فى سـنة أو اثنتين لا نستطيع أن نُجرى غناه على سَنَن الشرف ... وإلا فما أيسر الغنى وما أسهل أن تـكون غنياً ... والحقيقة أن هناك مانعـاً بسيطاً يحول بينك وبين الغنى الفاجىء ... أتدريه ؟ ... إنه الضمير ! ! انزعه من بين ضلوعك واقذف به على سلم الفقر الذى تقف عليه تجد نفسك ارتقيت درجات الغنى بخفة وسرعة ،ولـكنه غنى رخيص

— ترى أبنفسك ترة تحفظها لعبد الشكور ؟ أم إنها ... ؟ !

— لا ! إنها ترة كل مواطن استنزف عبـد الشكور قوته وقوت عياله . إنها ترة وطن ودين وخلق ، وليس فى هـذا الـكلام ما يشفى هذه الترة ، ولـكن هناك واجباً على الحكومة لا بد أن تقوم به .

— ويك وما ترى الحـكومة فاعلة ؟ !

— كأنك لم تسمع ! لقد سنَّت مشروع قانون تسألهم فيه « من أين لـكم هذا ؟ » ولـكن يظهر أن « بكم تبيع ؟ » أومضت فجأة فى عيون الموظفين فمشى المشروع بنفسه إلى درج من الأدراج ونام ، وعلى الناس السلام ... أريد من الحـكومة أن تفتح الدرج وتوقظ مشروع القانون ، أريد منها أن تمنع الموظفين الـكبار أن يسمموا تلك الـكلمة السامة التى إذا لم تصب الهـدف فى الرمية الأولى أصابته فى الثانية أو فى الثالثة ... بكم تبيع ؟ !

ثروت أباظة

وردَّ شموس الفضل بعد غروبها كما ردها من قبل ذلك يوشع
وقام له فى كل منـــبر مدحة خطيب من الأقلام بالفضل مصقع
ومستودع علم النبيين صدره ولله سر فى معاليه مودع
كأن ضياء الشمس فوق جبينه على وجهه النور الإلهى يسفع
وزير ومرّ الحادثات تزيده ثباتاً وحلماً فهو إذ ذاك أروع

***

(أبا حسن) هل أوبة بعد غيبة فللبدر فى الدنيا مغيب ومطلع
لئن خليت منك البلاد التى خلت فلم يخل من ذكرى جميلك موضع
ففى كل أرضٍ من أياديك ديمة وروض إذا ما أجدب الناس ممرع
بفيض الندى من راحتيك وإنها حياض بنو الآمال منهن تكرع
وإنى على خصب الزمان وجدبه إليك وإن شط المزار لأهرع
ولو أننى وفقت للخير أصبحت نياق بأرض الروم تخدى وتسرع

وكان المترجم مكرماً ومحبوباً من الجميع لما كان يأتيه من العدالة والمساواة والاخاء، وقد مدحه الشيخ صالح التميمى وعدد مناقبه بقصيدة طويلة نثبت منها ما يلى :

زهت الرياض وغنت الأطيار وزها المقام ورنّت الأوتار
وصفابها العيش الأنيق وروقت فيها المياه وجادت الأمطار
وعلت على دوح الأراك حمائم وتزاهرت بغنائها الأقمار
وزها بها ورد الاقاح ونرجس وشقائق النعمان والأزهار

وبعد أن مكث فى الآستانة مدة عيّنه السلطان عبد المجيد شيخاً على الحرم النبوى، وأرسله إلى المدينة المنورة عام ١٢٦٠هـ ١٨٤٤ م، وهناك أكب على الدرس والمطالعة والتأليف والتعليم وهو شيخ، وقد أفاد أهل المدينة من وجوه كثيرة، وكان الغرض الذى ينشده هو أن يؤسس كلية إسلامية فقهية تكون بمثابة كعبة للعلوم الدينية يؤمها جميع الطلاب المسلمين من أقصى أطراف المعمور وذلك لإنارة أذهانهم وتوسيع نطاق معرفتهم بيد أن المنية أنشبت أظفارها به قبل بلوغ المرام فى سنة ١٢٧٧هـ ١٨٥١ م وقد عظم موته على جميع معارفه ومحبيه لما كان له من الدالة عليهم والمنزلة الرفيعة بين ظهرانيهم ودفن بحذاء مدفن عثمان بن عفان، وقد أوصى قبيل موته أن لا تبنى قبة على ضريحه بل أن ينصب شباكا من الحديد حول قبره ووقف فى المدينة بستانه العامر المسمى بالداودية، وكان قد أرّخ بناءه وغرس أشجاره الشيخ صالح التميمى بقصيدة عامرة الأبيات فأعجب بها الوزير غاية الإعجاب حتى أنقده ألف ريال، وكان رحمه الله ندى الكف للعلماء والشعراء والأدباء، وقد غمر الكثيرين منهم بالجوائز والصلات السنية مقتدياً بالخلفاء العباسيين الذين كانوا يسبغون العطاء على أرباب العلم والأدب.

ومما يجدر بنا أن نجعله مسك الختام لسيرة هذا العالم العامل هو إنشاؤه خزانة كتب فى المدينة وقد جمع فيها طائفة كبيرة من التصانيف على اختلاف موضوعاتها وبينها مخطوطات عديدة، وإن أردنا أن نلم بكل الاصلاحات التى قام بها فى بغداد والأستانة ضاق بنا المقام عن نشرها، ولما نعته الصحف رثاه شعراء عصره من عراقيين وسوريين بقصائد عددت مناقبه الحميدة وما كان له من الهمة الشماء واليد البيضاء فى نشر العلم والأدب فى الأقطار العربية. وقد جمع أحد أدباء بغداد كل القصائد التى نظمت فى مدحه والثناء على عبقريته وهذا الكتاب لا يزال خطاً.

(بغداد) **رزوق عيسى**

في مهرجان جامعة أدباء العروبة بالفيوم

إلى رياض الفيوم

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

من لِسارٍ إليك يطوى الصحارَى — هزَّه الشوقُ أن يزورَ فزارا
عابراً كالطُّيوف، ولهْانَ كالأنسام
هيمان كالأمانى الحيـارى
مُجْـهَداً ،علَّ فى ظلالك مأوىً — قلقاً عـلَّ فى رُباكَ قرارا
صادياً ، علَّ فى سرابك ماءً — ساهداً ، علَّ فى دجاكِ نهارا
يا جنان الفيوم ، نازحُ أيكٍ — بان عن عشِّه إليكِ وطارا
قد خلا العش من رفيق صباه — فمتى تألفُ القطاةُ الهَزَارا ؟
نسلتْ ريشَـه الليالى طوالا — أترى تصبح الليالى قصارا ؟
يعبرُ الليل فى خداع الأمانى — وتمـنى آصاله الأسحارا
ويناغى درارىَ الليـل حتى — تتوارى فيُشهدُ الأقمـارا
ويناجى الصَّدى البعيد بعود — شـدَّ أضلاعه به أوتارا
آرا. هنـا سيمسى قريراً — فى رياض الفيوم ، طابت جوارا
ياعذارى الرياض من كلِّ شادٍ — أنا أشكو إلى العذارى العذارى
لست بالصادح الذى سئم الصدْ — ح وعاف الأسمـار والسُّمارا
غير أن القيثار أغفى فمن ذا — غيرها موقظٌ لىَ القيثارا ؟ !
أنا أشدُو لها جراحى شعراً — فعساها تُضمِّدُ الأشعارا
وعساها فى جانب النيل تُصغى — لِنشيد يشعُّ نوراً وناراً
ذكرتنى هنـا بحيرة قارو — ن به والدجى يحوك الستارا
والشَّوادى من حولنا مرهفات — سمعَها تستبيننـا الأسرارا
وأنا الشاعر الذى أطلق الرو — ح شراعاً يغالبُ التيَّـارا
كيف أخشى من أن يضل شراعى — والجبين الوضَّاء أمسى منارا
والتى قد تخِذْتُها بجدافى — خُصَلَ أُرسلتْ علىَّ نثارا
والشريدان يذهبان مع المو — ج يميناً ، ويرجعان ، يسارا
يقذفان الأنفاس لفحَ سعير — ينسم الجو شعلة وأوارا ...
وهتافاً فى ضفة النيل يسرى — مقـلةً ثرةً ، وقلباً مطارا
يا أحبّاىَ والديار تنسـاءت — كيف أنسى أحبتى والديارا ؟
لست أنسى ملاعبى والضفاف الخضر
تجرى من تحتهنَّ نضارا
لست أنسى بها مواثيق عشنا — نتحدَّى بصدقها الأقدارا
لست أنسى ولا إخالك تنسين — حتى متى نُطيق انتظارا

قافلة الشعر

[مهداة إلى أدباء العروبة فى الفيوم]

للاستاذ طاهر محمد أبو فاشا

موكب للبيـان فيـه اللواء — يفرَع الدهرَ وخدُهُ ، والحداء
ضاربٌ فى صحرائها يسبق الركـ — بَ جلال من هديه ، ورواء
مثلما يسبق الشعاعُ إذا ما — أعلن الصبحَ للوجود ذُكاء
الطريقَ الطريقَ : قافلة الشـ — ر ، وركبُ الوزير ، والشعراء
لو تحسُّ البيداء من سار فيها — لتغنَّتْ من شجوها البيداء
شاعر فى محرابه يُعبدُ الفـ — ن ، وتستهدى ضوءه الأضواء
ذو بيانٍ لو عاقرته الندامى — لتناهتْ عن شربها الندماء
وهتوف يكاد يشرق فى ألـ — حانه الخير ، والمنى ، والرجاء !
ومن الشعر ما يبشّر بالرحـ — ـة دنيـا طغى عليها الشقاء
ومن الشعر ما يعلمك الحـ — ق إذا موَّه الوجودَ الرياء
ربمـا استغنت الحياة عن العلـ — م على رغم ما أتى العلماء
وعلى الفن وحده عاش أجدا — دُكَ دهراً وهم به سعداء !
إن من أطلقوا المقول علينا
لست تدرى : أأحسنوا أم أساءوا ؟
والذى ظنها تراباً ، وماءً — هو ـ فى نفسه ـ تراب،وماء!!
شدَّ ما تجنح الحياة إلى الرُّو — ح وإن كان فى الطريق التواء

موكب للبيان فيـه اللواء — ترصد الأرضُ وخدَه والسماء
فيـه من طاقة البديع أفانـ — ينُ ، وفيه الأبدال ، والأدباء
(أجمعوا أمرهم عشـاءً فلما — أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء)
والوزير الضخم المبين مع الركـ — ب دليلٌ برأيه يستضاء !
شخصت حوله النواظرُ حتى — قال: سيروا ... فكان هذا اللقاء
وإذا نحن فى رياضٍ من الشعـ — ر لها رونق ، وفيها صفاء
طرق الشعر بابها ، فاذا شعـ — ر يقول: ادخلوا.. وطاب الثواء
رحمُ الفن ... ! والقرابة فى الرو — ح وما كان بيننا غرباء ...
فسبأنا راووقها وشربنـا — من رحيق مُنغَّم ما نشاء
وسقينا بجامـه شعراءٌ — وسقانا أولئـك الشعراء
من أديب يبلُّ قلب أديب — وفصيح تحفى به فصحاء
صلة وثَّقَ البيان عُراها — ونماهـا ... فكلنا أقرباء
جمع الشعر بيننا فى صعيد — ومن الشعر منسب وإخاء

في روضـــات الفيوم

للاستاذ العوضى الوكيل

حدا الركب حاديه فأين مكانيا أبين من الأشواق ما كان خافيا
على شفتى من خمرة الحب نشوة تلهّب ترنيمى بها وغنائيا
لنا ذكريات فى الليالى بعيدة ألا من يعيد اليوم تلك اللياليا
أطلّ عليها والسنون ستائر وينفك قلبى شاخص الحس رانيا

ليالىَ نطوى الليل ، والصبح بعده
فيطويهما قولا ، وأطويه صاغيا
وآخذ أزوادَ النشيد مَلاحماً وأقبس أحلام الفؤاد معانيا
وقد زعموا لحظَ الأحبة قاتلا فما باله قد كان للجرح شافيا ؟!

ومايستنيه القلب إلاهواتف تطيل على بُعد الزمان نجائيا
فتأخذنى منها خوالف نشوة ترى الزمن الماضى من العمر آتيا
فأحيا على أنى دنوت من المنى وما كنت لولا أن تذكرت دانيا

سقى الله فى الفيوم روضات فتنة ونضّر فيها أربُعاً ومغانيا
تخيّلتها معنىً فلما رأيتها حسبت كأنى جئتها اليوم ثانيا
فراديس : منضورٌ بها الظل والجنى
تألّق نوّاراً وتسحر شاديا
وأين السّواق والنسيم يديرها وإن كان خفّاقاً ، وإن كان وانيا !
وأين الطيور البيض أمّت بحيرة
ترامت على صدر الفلاة تراميا
تسر إلى الشطآن بالحب والهوى وتوسعها فرطَ الغرام تناجيا
وتأخذ من روادها كل لهفة فترسلها لحناً مع النسم ساريا

سقى الله فى الفيوم روضات فتنة ونضّر فيها أربُعاً ومغانيا
هدانا إليها السّباسب طيبها على أن روحَ الشوق قد كان هاديا
لجئنا لإخوانٍ كرامٍ وصحبة سقونا من الود المطهر صافيا
إذا ما انتسبنا فالعروبة منسب طوانا كما يطوى القصيد القوافيا
بناء على الأخلاق يدعم أسُّه وحسبك أن كان الدسوقى بانيا

الأدب والفن في أسبوع

الثقافة الروسية والشرق العربى :

إجابة لدعوة من الحكومة السوفيتية تسافر فى هذا الأسبوع بعثتان ثقافيتان إلى روسيا ، إحداهما من سوريا ، والأخرى من لبنان ، وسيقوم أعضاء هاتين البعثتين بزيارة أنحاء الاتحاد السوفيتى للوقوف على مظاهر النشاط الثقافى والعلمى هناك .

هذا هو النبأ الذى أذاعته وكالات الأنباء البرقية ، وهو نبأ يدل دلالة واضحة على ما تتجه إليه روسيا اتجاها جديا واسع النطاق فى الدعاية لثقافتها فى الشرق العربى ، ووصل عناصر هذه الثقافة واتجاهاتها بتفكير أبناء العروبة واتجاهاتهم العلمية والأدبية .

وإنها فى الواقع لفرصة تنتهزها روسيا فى الآونة الحاضرة ، فقد مضت أحقاب طويلة والثقافة الروسية معزولة عن الشرق العربى بسد حصين أقامته السياسة والأوضاع الدولية ، ففى القديم كانت روسيا هى العدو اللدود لتركيا ، ولما كانت تركيا هى المسيطرة على الشرق العربى يومذاك فقد كان أبناء هذا الشرق ينظرون إلى روسيا نظرة بغض وشحناء ، فلم تستطع الثقافة الروسية من خلال هذا أن تنفذ إلى نفوسهم وتفكيرهم ، وحاولت روسيا أن تتلافى هذا وأن تجد له الأسباب والوسائل فأنشأت فرعا للاستشراق والدراسات العربية والإسلامية بجامعة « بطرسبرج » ، واستقدمت من الشرق العربى الأساتذة لتدريس العلوم العربية ، وكان من هؤلاء الأساتذة الشيخ النشرتى والشيخ محمد عياد الطنطاوى من مصر ، والسيد سليم نوفل من لبنان ، ولكن هذا العمل كله كان ضعيف الأثر ، ولم يمن أبناء الشرق بشىء من مآثر الثقافة الروسية واتجاهاتها إلا بما كان من مآثر الفيلسوف الروسى المشهور « تولستوى » لأنه جنح إلى حياة صوفية تلائم الروح الشرقية ، ولأنه كتب كتابة طيبة عن النبى محمد صلوات الله عليه حمدها أبناء الشرق .

وبعد الحرب العالمية الأولى وقع الشرق العربى جميعه تحت

سيطرة الإنجليز والفرنسيين ، ونظراً للفكرة الشيوعية التى تمخضت عنها الثورة الروسية فقد قام هؤلاء بتحصين الشرق العربى تحصينا منيعاً أمام الثقافة الروسية وكل اتجاه روسى ، ولم يكن يصل إلى الأقطار العربية من عناصر الثقافة الروسية إلا بضع قصص كانت تأتى عن طريق البريد الإنجليزى والفرنسى مؤداة باللغة الانجليزية والفرنسية .

ولما قامت الحرب العالمية الأخيرة ، وقضت تطوراتها بانضمام روسيا إلى الحلفاء ، وجدت روسيا الفرصة السانحة للاتصال بالشرق العربى عن قرب ؛ فتبادلت التمثيل السياسى مع دوله ، وغمر طوفان الدعاية الروسية بلاده ، وكان أن ظهرت فى اللغة العربية ألوان كثيرة من الثقافة الروسية فى شتى نواحى العلم والأدب والفن ، وتعتبر سوريا ولبنان أفسح مجال لهذا النشاط اليوم.

فإذا كانت روسيا اليوم تستقدم البعوث من أبناء الشرق العربى للوقوف على مظاهر النشاط الثقافى فى بلادها ، وإذا كانت هى ترسل البعوث الثقافية من جانبها لارتياد الشرق ، فذلك لأنها تريد أن تستغل الفرصة على أوسع مدى فى إيجاد تيار للثقافة الروسية بالشرق العربى إلى جانب تيارات الثقافات الانجليزية والفرنسية والأمريكية ، وكل ما نرجو للشرق العربى أن يجد شخصية وذاتية فى مهب هذه التيارات المنيفة .

الأدب العربى فى القرن العشرين :

هذا عنوان كتاب أخرجه حديثاً المستشرق الروسى الشهير « يوليفتش كراتشكوفسكى » تناول فيه بالبحث والتحليل التيارات الأدبية فى العالم العربى ومؤلفات الكتاب العرب البارزين ، وعقد فصلا خاصاً للحديث عن الأدباء المصريين الذين امتد تأثيرهم إلى العراق وسوريا والأقطار العربية المختلفة ، وختم الكتاب بفصل مطول عن المؤلفات التى ظهرت لكتاب العرب فى مرحلة الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، كما تحدث فى هذا الفصل عن قصائد الشعراء العرب فى الموضوعات الحربية وما نظم منها خاصة فى تمجيد بطولة « ستالينجراد » .

و « كراتشكوفسكى » وثيق الصلة بالشرق العربى من قديم ، وله صداقات كثيرة بعلماء العربية ورجال الأدب العربى ، فقد قام برحلة طويلة إلى الأقطار العربية فى عام ١٩٠٨ ، فزار مكتباتها وتعرف برجالها ، ونسخ كثيراً من المخطوطات النادرة ، وهو الآن عضو فى المجمع العلمى العربى بدمشق .

وقد نشر « كراتشكوفسكى » كثيراً من الآثار العربية النادرة بعد أن قام بتصحيحها واستكمالها ، وفى عام ١٩٣٠ ألف كتاباً خاصاً عن الشيخ عياد الطنطاوى الذى سافر من مصر لتدريس اللغة العربية فى روسيا فعاش هناك من عام ١٨٤٧ حتى عام ١٨٦١ وتوفى ودفن هناك ، وفى العام الماضى أخرج كتاباً طريفاً بعنوان « مع المخطوطات العربية »، وقد تحدث فيه حديثاً قصصياً خلاباً عن رحلته إلى بلاد الشرق العربى وما وقع له من النوادر فى البحث عن المخطوطات النادرة وما وفق إلى اكتشافه من هذه المخطوطات .

فالمستشرق « كراتشوفسكى » وثيق الصلة بالأدب العربى القديم والحديث ، وقد عاصره عن قرب أكثر من أربعين عاماً ، فاذا ما تحدث عن « الأدب العربى فى القرن العشرين » فلا شك أن حديثه حديث العالم الخبير .

المجمع العربى بدمشق :

يعتبر القسط الذى نهض به المجمع العلمى العربى بدمشق فى خدمة التراث العربى وبعثه ، قسطا واسع المدى محمود الأثر ، فقد نشر هذا المجمع كثيرا من النوادر المطمورة ، وجمع كثيراً من المخطوطات الغالية التى بعثرتها واستبدت بها أحداث الزمن وعوادى الأيام ، وكان آخر ما أخرج فى هذه الناحية ديوان الشاعر ابن عنين الذى قام بتصحيحه وشرحه الشاعر الأديب خليل مردم بك الأمين العام للمجمع ، ثم كتاب : « المستجاد من فعلات الأجواد » لعبد المحسن بن على التنوخى وهو يشتمل على أخبار الأجواد ومآثرهم فى الجاهلية والإسلام ، وقد عنى بتصحيح هذا الكتاب وتحقيقه الأستاذ محمد كرد على رئيس المجمع وعضو المجمع اللغوى بمصر .

ونحن إذ نشيد بأثر المجمع العلمى الدمشقى فى هذا ، نرجوا أن يحرص على تعميم آثاره ومطبوعاته فى العالم العربى ، وأن ييسر الحصول عليها لأبناء العربية ، وذلك بانشاء مكاتب فرعية

له تقوم بعرض هذه الآثار فى كل قطر ، فإن كثيراً من الباحثين وأساتذة الجامعات والمعاهد وطلابها ، يعنيهم أن يحصلوا على آثاره ومطبوعاته .

الأخطل الصغير :

من أخبار بيروت أن الشاعر الكبير الأستاذ بشارة الخورى المعروف باسم « الأخطل الصغير » قد اعتزم ترشيح نفسه لعضوية مجلس النواب اللبنانى فى المعركة الانتخابية القادمة ، وقد علقت إحدى الصحف البيروتية على هذا النبأ قائلة فى سخرية خفية : « إن الأخطل الصغير سيرشح نفسه معتمداً على سمعته الأدبية ، ورأس ماله فى الشعر والأدب ... » .

وأى غرابة بربكم أيها الناس فى أن يكون الأدب طريقاً للنيابة ومرشحاً لها ! أليس للأديب والشعر فى خدمة الفن والثقافة وتهذيب العواطف الإنسانية ، ما هو أجدى وأنفع من مال ضخم يملكه حيوان آدمى لا يرضيه إلا أن يمشى على الرؤوس والرقاب ، وأن يحتل على كراسى النيابة أكبر فراغ بكرشه المدلى وأوداجه المنفوخة ؟ !

إن للأخطل الصغير مئات الأبيات التى تعمر أفئدة الآلاف من أبناء العروبة ، وتردد ألسنتهم نبراتها ومقاطعها فى شغف وسحر ، ترى لو أن له بيتا أو بيتين يسكنهما الناس بالكراء ، ويدران عليه وفير المال كان ذلك أجدى فى نظر أولئك المستهزئين وكانت أصوات المتملقين ترتفع : يجب على « النيابة » أن تسعى إليه ، وأن تركع عند قدميه .

لقد آن لنا أن نفهم أن « النيابة » رسالة إنسانية قبل كل شىء ، رسالة قوامها العواطف المهذبة الشريفة ، ويوم أن ترسخ هذه العقيدة فى نفوسنا ، سنرى أن أولى الناس بهذه الرسالة « الأخطل الصغير » ، وإخوانه من الشعراء والأدباء وحملة المشاعل الإنسانية .

هذه السينما وهذا الفن :

« من أخلاق الصغار تقليد الكبار ، ومن أخلاق الأمم الضعيفة الإفتتان بكل ما يصدر عن الأمم القوية ، ونحن كأمة ناشئة ، ضعيفة ، أخنى عليها الاستبداد طويلا ، ورسفت فى قيود الجمود قرونا ، نميل إلى التقليد ونسعى إليه سعى المستميت ، ولكن أغلب تقليدنا فى القشور دون اللباب ، وفى العرض لا فى الجوهر » ... ! !

« ولنخص بالقول هنا السينما ، هذه الدنيا الزاخرة الموارة التى أقبلنا عليها إقبال الصادى على المنهل العذب ، فلم نتقيد بواجب أو نحتط لمحذور ، فكان من أثر هذه الشراهة وهذا التفريط أن أصيبت نفوس ناشئتنا العزيزة الغريرة ونسائنا الساذجات بعادات وخلائق ليس بينها وبين عاداتنا وخلائقنا الأصيلة النبيلة أى ارتباط أو صلة ، فهبط المستوى الخلقى والأدبى إلى حيث لا ينفع النصح والإرشاد . وإن تسعة وتسعين فى المائة من هذا الهبوط والتدنى قد جاءنا عن طريق هذه السينما اللعينة التى يعب عشاقها وروادها من شرورها ومساوئها ولا يستوحون منها غير ما يسمم العقول والنوازع لأن فكرة الأفلام لم تستوح إلا تملق غرائز الجماهير واستهواءهم » .

« فماذا يمنع حكومتنا ووزارة الداخلية خاصة ، أن تقلد الحكومات الراقية فى فرض لجان من أهل الرأى والثقافة والغيرة لتراقب كل « فلم » ينقل إلى بلادنا ، وماذا يمنعها أن تتقدم إلى أرباب صالات الصور المتحركة بأن يمنعوا القاصرين من أطفالنا ، وكذلك الجنس اللطيف من غشيان دورهم إلا فى عرض روايات خاصة تخلو مما لا يتفق والمدارك الساذجة والعفة المصونة ؟ ! لماذا لا تعمد الحكومة إلى هذا ؟ وإلى متى نحلل كل ما يسىء إلى أخلاقنا وآدابنا باسم الحرية الشخصية وباسم التمدين الحديث ؟ ! »

قرأت هذه الكلمة لكاتب أديب فى جريدة « القبس » السورية فقلت يظهر أن العلة شائعة فى أقطار الشرق العربى فى النكبة بتلك الأفلام التى يسمونها فنا ، وما هى فى الواقع إلا استهتار رخيص وتملق سافر لأحط الغرائز فى الجماهير ؟ ! وإن هذا الذى يقال فى سوريا هو الذى يقال أيضا لحكومتنا فى مصر . فإن الأفلام السينمائية التى تعرض فى مصر والشرق لم تعد بحال من الأحوال أداة للثقافة وتهذيب العواطف ، بل إنهما عدوة لكل ثقافة وتهذيب ، ومعول مسلط على أخلاقنا وتقاليدنا وقوميتنا ، سواء فى ذلك الأفلام المحلية أو الوافدة من الخارج ، ولقد بحت الأصوات فى الإهابة بالمسئولين أن يفزعوا لهذا الخطر ولكن القائمين بتلك الأفلام يملكون من المال ما يغرى ، ويقدمون من الوسائل ما يحطم كل رقابة ... وهيهات ! !

« الجاحظ »



الكتاب المريب :

مجلة « المقتطف » من المجلات العزيزة على كل مثقف ، يعرف تاريخها المجيد ، وتقاليدها العلمية النبيلة ولكنها — مع الأسف — تعانى فى هذه الأيام أزمة قاتلة من هذه الناحية ، كما أنها تحتضر وتوشك على البوار . وذلك من جراء إشراف الأستاذ إسماعيل مظهر عليها ، بعد ما كان يشرف عليها من قبل من يعرفون كيف يحافظون على تلك التقاليد .

ولقد كان من أول هذه التقاليد ألا تشتم الناس ، وألا تهاتر مهاترات الوريقات الرخيصة ، فجاء الأستاذ مظهر يحيد بها عن منهجها ، ويقودها إلى الموت الوشيك الذى يأسف له كل من أحبوا هذه المجلة فى تاريخها الطويل . أولئك الذين يرجون الله أن يقيض لها من ينتشلها من وهدتها ، فلا تصير إلى ما صارت إليه « مجلة المصور » على يد الأستاذ رئيس التحرير !

ولقد سمح الأستاذ مظهر أن ينشر فى العدد الأخير من المقتطف شتيمة واطية لجميع من تعرضوا لنقد ذلك الكتاب المريب : « الأغلال » ومن بينهم كاتب هذه السطور . وسواء كان هذا الذى نشر من قلمه ، وقد خزى أن يوقعه ، فرمز إلى نفسه بتوقيع « مسلم حر » . أو كان بقلم ذلك الرجل المريب صاحب الكتاب — كما يبدو — فإن الأستاذ مظهر هو المسئول عن تمريغ المقتطف فى هذا الوحل .

وكل ما قاله كلام مضحك . وهو منشور فى مجلة محتضرة — بفضل رئيس التحرير — فلا عد له نشره فى مجلة يقرؤها الناس ، فلعل هذا يرضيه ، ولعله كذلك يضحك القراء .

قال الرجل المريب أو قال رئيس التحرير :

« وثمة خصم ثالث لهذا الكتاب . وهو رجل يتعاطى صناعة الأدب الصناعى ؛ ولكن مقاومته لهذا الكتاب ، والأسلوب الذى اختاره للمقاومة ، كانا برهانين على براءته من كل صلة بالأدب بكل معانيه ومبانيه » .

أفادكم الله يا مولانا ! ! !

لقد انتهى « سيد قطب » ، فما عاد له فى عالم الأدب وجود ، بعد هذا الكلام المفيد . فلا حول ولا قوة إلا بالله !

* * *

أما بعد ، فذلك الكتاب المريب قد انتهى . واسأل يا مولانا من شئت من الناس ، فستعلم صدق هذا الذى أقول . انتهى لا لأننى كتبت عنه كلمة أو أكثر . ولكن لأننى « كشفت » فقط عن مدى « نظافته » وعن جرائم الفناء فيه !

ولست - بعد هذا — أوافق على إيصال الأذى الشخصى لصاحبه ، كما اقترح بعض النجديين والمصريين ، فهو وصاحبه أهون من ذلك جدا . وليس الإيذاء الشخصى علاجا وأنا أكره مصادرة حرية الناس الفكرية ، ولو كان الذى يكتبونه تفيح منه روائح غير نظيفة فالموت الأدبى الذى لقيه الكتاب وصاحبه يكفى ، ما لم تثبت على الرجل جريمة أخرى غير نظيفة يتناولها القانون العادى ، وإنى لأحسبه أحرص من أن يترك أدلة مادية !

أما أنت يا أستاذ مظهر — وأنا أسميك باسمك ولقبك ولا أشير إليك كما أشرت إلى ، لأن الأدب الواجب يحتم على الناس المؤدبين ذلك — أما أنت فأنا شديد الرثاء لك .

إننى أعلم تلك العقدة النفسية التى توجهك . إنها عقدة الفشل ، الفشل فى كل مشروع هممت به . وأنت تعزو إلى رجال الدين تبعة هذا الفشل فى حياتك ... فكل شتم للدين ورجاله يغذى هذه العقدة فيك . فلا تسأل بعدها إن كان نظيفا أو غير نظيف ، محقا أو غير محق . ومن هنا تعصبك لكاتب مريب وكتاب غير نظيف وأنت فى هذا تستحق المرثية ، فالكتاب لا يحارب الدين وحده ، ولكنه ينعى على كل خلق نظيف ، ويسمى الضمير والخلق والمروءة وما إليها « أغلالا » ، ثم يهدف إلى إخضاعنا الدائم للمستعمرين . والناس يعرفون من ماضى الرجل وتاريخه ما يخزى ، ويعرفون ما لا أستطيع نشره لأنه يقع تحت طائلة القانون ، وأنت مندفع مع عقدتك النفسية . فالله يرحمك ويرحم المقتطف والسلام .

سيد قطب

كلمة فى بيت :

قرأت كلة الأستاذ محمد أحمد عيد فى عدد الرسالة (٧٠٧) تصحيحاً لخطأ وقعت فيه فى نص قول الشاعر : « فقالت من أى الناس أنت ؟ ومن تـكن ؟ » إذ جعلت : « من تـكن » استفهاماً وهو شرط ، كأنه قال : « ومهما تـكن ، فإنك راعى صرمة لا يزينها » . والبيت بهذا التصحيح أدق معنى وأبلغ فى سياقة العاطفة التى أوحت بالشعر . ويكون قولى فى شرحه أيضاً خطأ . وأنا لا أزال أشكر الأخ الكريم على حسن تسديده للمخطىء ، وكمال أدبه فى دقة القراءة . وقد أحسن إلى من حيث أساء غيره ممن جعلهم الله على مَدْرجة المثل الذى جرى على لسان الأوائل ، والذى وضعوه لمن يضع نفسه حيث لا يستأهل ، وهو قولهم : « متى كان حكم الله فى كرَب النخل ! ! » .

على أنى أحب أن أقول قولا آخر أخشى أن يكون له وجه وإن كنت أوثر هنا القول الأول ، وهو أن هذا الفعل كـكثير من الأفعال التى كثر استعمالها ، قد تلعّبت به العرب لـكثرة دورانه على ألسنتها ، حتى حذفوا منه الحرف الذى لا يحذف من أمثاله كقولهم « لم يك » فى « لم يكن » وهو حرف من نفس الفعل . فلست أرى ما يمنع هذه العرب الجريئة الألسنة ، أن تلعب به فى الاستفهام فى قولك : « من تـكونُ ؟ » ، فإنها إذا وقفت عليه كما تقف على قولك : « من تعرفْ ؟ » وهى تنوى الرفع ، فيـكون عندئذ « من تـكونْ ؟ » فتحذف أضعف أحرفه لالتقاء الساكنين فتقول : « من تـكنْ ؟ » فى الاستفهام أيضاً . وقد فعلت العرب مثل ذلك فى قولك : « لم أبالِ » فتوهمت الوقف على حرف لا وقف فيه لأن أصله « أبالى » المكسورة اللام من نفس الفعل بعد حذف الياء للجزم ، فـكانت عندها : « لم أبالْ » فحذفت الحرف المستضعف فى الـكلمة وهو ألف العلة وقالت : « لم أبَلْ » ، واعتمدت ذلك وجرت عليه فى غير الوقف .

وكالذى رُوى عنهم أيضا (رواه سيبويه وغيره) من قولهم « لا أدرِ » فحذفوا الياء لـكثرة استعمالهم له كقولهم : لم أبل ولم يك . قال ابن سيده ونظيره ما حكاه اللحيانى عن الـكسائى : أقبل يضربه لا يألُ ، مضموم اللام بلا واو . وقال الأزهرى ربما حذفوا الياء من قولهم : « لا أدرِ » فى موضع : « لا أدرى » ، يكتفون بالـكسرة منها ، كقوله تعالى : « والليل إذا يسرِ » والأصل يسرى . وقال الجوهرى بمثل الذى قال به سيبويه أيضا فى تأويل الحذف فى « لا أدر » . وهناك شواهد أخرى لا خير فى الإطالة بذكرها .

فهذا رأى عسى أن يكون فيه وجه من الحق ، ودلالة على مقطع من مقاطع الصواب . فإن العرب أجرأ على لغتها وأعرف بها وبما ينبغى لها وما لا ينبغى . ولولا ما تبعثر من ذخائر الذاكرة لاعتمدت هذا الرأى بشاهد آخر فى هذا الحرف بعينه ، كان مر بى فأنسيته . ولعل الأخ يجمل باله إليه عسى أن يجده أو يقع له .

محمود محمد شاكر

طريق الهجرة النبوية :

كتب الأستاذ محمد عبد الوهاب فايد فى الرسالة الغراء كلة وجيزة نقل فيها عن « عيون الأثر » و « مجمع الزوائد » أسماء الأماكن والمواضع التى مر بها ذلك الداعى الكريم محمد العظيم عليه الصلاة والتسليم ، أثناء هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ؛ وهو بهذه الـكلمة يشارك فى تحقيق ذلك القصد الجليل وهو تحقيق المواضع التاريخية وتحديد مواضعها ؛ ولـكنى ألاحظ أن مجرد سرد هذه الأسماء فى الـكتب أو المقالات ، لا يغنى كثيرا ، فنحن نعرف سلسلة طويلة من هذه الأسماء ، ولـكننا لو طولبنا بتوضيحها على الخريطة الجغرافية ، أو أردنا العثور عليها فى مواضعها الحسية ، لما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، ولذلك أرى فيما يتعلق بتحديد هذه المواضع ، ومقابلة أسمائها بمواقعها من البسيطة ، أن تنصرف جهود الباحثين والمؤرخين والعارفين إلى تحقيق « المصورات الجغرافية » التى يوضحون عليها مواقع هذه الأسماء ، وإلى تنظيم الرحلات العلمية إلى هذه المواقع ليصفوا لنا حاضرها ، أو ما أصابها من تغيير بمرور الزمان ، وتتابع الحدثان .

ويسرنى أن أزف إلى قراء الرسالة الغراء بشرى طيبة ، وهى أن الأستاذ الفضال الشيخ محمود السيد الحصانى — وهو مدرس بمدرسة التعاون الإنسانى بدمنهور ، وقد شاب فى سبيل الله

والوطن والتاريخ ، وضحى بالكثير من ماله وأعصابه قد حقق مواضع القرى والآبار والأماكن التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته ، وأفنى في ذلك سنوات قضاها في الرحلة والبحث والضبط والاستقصاء ، ورسم بيده خريطة جليلة مضبوطة سماها « خريطة الهجرة النبوية » ؛ وأبان فيها جميع هذه الأماكن ، وعلق عليها بقوله : « ليست خريطة الهجرة مجرد شكل يفرح المتأمل لرؤيته ، ولكنها إرشاد يوحي بأمجد ذكرى لأكبر حادث في تاريخ البشر ، تغير له وجه الأرض بظهور نور الإسلام على سائر الأديان ، فما كاد صلى الله عليه وسلم يخطو في طريق هجرته حتى بدأت الدنيا تتقلقل ، كأنما مر بقدميه على مركز الأرض فحركها ، وكانت خطواته تخط في الأرض ، ومعانيها تخط في التاريخ ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة ، ومعناها بين الشرق والغرب » ! ! ...

وعندي أنه يجب — تقديراً لمجهود الأستاذ محمود الحصاني ، وتشجيعا لغيره من الباحثين على متابعة التحقيق والضبط — أن تطبع هذه الخريطة ، بالملايين ، وتوزع على تلاميذ المدارس وطلبة المعاهد ، ليستفيدوا منها تاريخيا وجغرافيا ، حتى يتسع أفقنا التاريخي ، ونحيط علما بأجزاء وطننا الأكبر ، وسيرة رسولنا الأعظم .

وبمناسبة هذه الكلمة أذكر أن للأستاذ الحصاني خريطة ثانية وضح فيها « مناسك الحج » ، وخريطة ثالثة وضح فيها مشروعا « لتيسير الحج » عن طريق « رأس بناس » الواقع على ساحل البحر الأحمر ، وهو مشروع يجعل الوصول إلى مكة ميسورا في ثلاثة أيام بالسفر الطبيعي ، ولذلك المشروع الجليل حديث مفصل قد عرضه صاحبه في مذكرة مطبوعة يرحب بكل من يطلبها منه ، فجزى الله العاملين ! ! ...

أحمد الشرباصي

المدرس بمعهد الزقازيق الثانوي

من الأستاذ محمود تيمور بك إلى مؤلف (نهاية الطريق):

تحيات خالصة مشفوعة بجزيل الشكر على هديتكم النفيسة « نهاية الطريق » وإني أتقدم إليكم بتهنئتي الصادقة على توفيقكم في هذه المجموعة الفريدة التي راعني فيها طلاوة أسلوبها وما فيه من عذوبة وسلاسة ، وما حوته في تضاعيفها من معان طريفة ، وخواطر جديرة بالتقدير والإعجاب .

ولا ريب في أنكم بهذه الباكورة الأدبية قد قفزتم قفزة ملحوظة في ميدان الأدب دلت على ما أنتم عليه من نبوغ وتفوق في كتابة القصة الحديثة ، فأكرر لكم تهنئتي ، وأرجو لكم دوام التوفيق ، شاكرا لكم حسن عواطفكم وجميل التفاتكم .

وتقبلوا خالص مودتي ووافر احترامي .

محمود تيمور



غرامي الأول :

لذة الحب لحظة ...

للكاتب الفرنسي موريس دوناي

ترجمة المرحوم الأستاذ يونس السبعاوى

سأحدثكم عن حبي فى أيام شبابي منذ نصف قرن مضى . ومالى لا أعيد تلك الصفحات وأنا أرى هذا الشباب الجديد سابحاً فى عالم بعيد عن الشعر والخيال ؟...

ومن حقه أن يكون كما تراه ، فهو فى زمن أزمات وضيق سدت فى وجهه أبواب الأمل ونشرت على خطواته ظلام اليأس فلم يأمن على المستقبل ولم يطمئن إلى الغد .

منذ نصف قرن مضى كان العهد عهد خيال ، وكان للنساء فى أفكارنا وتصوراتنا مقام غير مقامهن فى هذه الأيام ، ولقد قرأنا الكثير من روايات الغرام ، وكان أدبنا كما قال عنه (بركسون) شهوانى الاتجاه . فلا تقرأ فيه إلا ما يحدثك عن الحب والنساء .

***

عرفت أنجيل فكانت يوم عرفتها فتاة فى الثامنة عشرة ولكنها جمعت نضوج النساء ودل وضعها على أن لها ماضياً ما حاولت أن أسألها عنه . وكانت تعمل فى أحد محال الأزياء وتعيش مع أبوين فقيرين من عامة الناس . ولقد طالما سألت نفسى كيف استطاع هذان الأبوان البسيطان أن يلدا هذه الحسناء البارعة الجمال ! فقد كانت تمثل فى امتشاق قامتها واعتدال جسمها واتساق حركاتها نضرة الربيع فتسبى الناظرين بيدين ورجلين طويلة ناعمة وبشعر أصفر ذهبي وأنف صغير وعينين كبيرتين .

رأيتها لأول مرة فى ثوب فتان وتحدثت إليها فلم أر منها ازوراراً عن أحاديث الأدب ، وهى وإن لم تكن بارعة الثقافة فان لها إلماما بكل ما يتيسر لواحدة من طبقتها من العلوم .

فكنت أنظم فيها الشعر فتقرأه وتلحن ، وما ذا يضيرنى أن تلحن أنجيل وهناك كثير من الفتيات يقرأن الشعر أحسن قراءة فلا يجدن من يقول فيهن شعراً ! وكانت تهوى الفن وملاعب الفنانين وتحب الموسيقى والشعر والرسم فتحب معها الموسيقين والشعراء والرسامين ، ولكنها تفضل الأخيرين لأن هذه الحسناء المفتونة بحسنها يعجبها أن ترى رسمها فى صورة رسام أكثر مما تراه فى أبيات شاعر أو أنغام موسيقى .

وكان لى أصدقاء من الموسيقيين والشعراء والرسامين فعرفتها بهم وأنا فخور ، ولكن الغرور قرين الرعونة كما يقولون ...

وكانت فى أول أيام تعارفنا لا تعرف غير الأناشيد القديمة تعلمتها من روايات سخيفة فتنشدها بصوتها الهادىء الحزين فتخرج على تفاهتها حاملة للسامع كل معانى الحزن والألم ، فأخذت بعد حين تحدثنى عن أحدث الأناشيد وتنشد ما لم أكن قد سمعته ، وأصبح صوتها شيئاً آخر غير ذلك الصوت الهادئ الحزين . وقد راعنى هذا منها ولكنى لم أسألها عمن علمها هذا الغناء الجديد .

وسارت أنجيل على هذا المنوال فأصبحت تقرأ أحدث الروايات وأولعت ببعض الكتاب دون أن أدلها عليهم ، فأخذت ألمس فيها تغيراً ورقياً كنت أعزوهما لتأثيرى عليها فأزداد تيهاً .

ثم أصبحت تتغيب عن مواعيدى كثيراً . ولقد طالما انتظرتها حتى إذا ما دنت ساعة اللقاء جاءنى منها كتابها الأزرق الصغير الذى أعرف خطها فى عنوانه فأفتحه بقلب واجف وأقرأ ما فيه بهلع لأنتهى منه فأعرف ما كنت أخشاه ، وهو أنى حرمت متعتى فى ذلك المساء فتنتابنى الهموم وتساورنى الشكوك فأسأل نفسى أين هى الآن ؟ وماذا تعمل ؟ وأكثر من هذه الأسئلة التى طالما رددها المحبون المظلومون وسألوا فيها عن أحبابهم النائيين . وأعود إلى غرفتى فأجلس فى مقعدها الوحيد ثم آخذ كتاباً فأحاول أن أقرأ فيه ولكن الأفكار تساورنى من جديد فأسأل نفسى أين هى الآن ؟ وماذا تعمل ؟

ولقد أولعت من أيام الدراسة بالفريد دى موسيه فحفظت له (الليالى) عن ظهر قلب ، وعودت قلبى على احتمال الآلام فكنت أذكر لقاءنا الأول وأيام حبنا الأولى فتأخذنى الأفكار وتمر

الساعات وتكون الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وهكذا أقضى ليلة الفرح المنتظر فى ترح وشجون وأبيت حليف الآلام والهموم.

وكان لى صديق ظريف كنت أتحدث إليـه ذات يوم عن الحب والنساء فبادرنى بهذا السؤال :

– أتجتمع كثيراً بأنجيل ؟

– أجتمع بها ولكن أقل مما أريد .

– وهل تحبها ؟

– وكيف لا ؟

– وهل تحبك ؟

– ومن يعرف حقيقة قلوب النساء؟ ولكن أعتقد أنها تحبنى

– وهل أنت واثق من إخلاصها لك ؟

وسكت عند هـذا السؤال وسكت معه طويلا ، وكنت أعرف فى هذا الصديق ميلا إلى المزح والنكتة ، فأخذت أحدق فيه عسى أن ألمح عليه علامات المزح فيما يقول فوجدت أثر الجد ظاهراً عليه ففار دمى وزاد ألمى؟ وأحس بهذا منى فأراد التراجع قائلا : إنه لم يقصد شيئاً بمـا قال . فألححت عليه أن يبوح بما يسر لأنى أريد أن أعرف الحقيقة ، فقد أصبحت من شهور رهين الوساوس والشكوك ، وإن الذى ينقذنى من هذه الشكوك يسدى إلىّ جميلا لا أنساه مدى الحياة .

فقال على عادته فى المزح : تقصد أنك لا تنسى له هذه الإساءة ما دمت حياً . فقلت له : إنك لا تعرفنى جيـداً وإن عليك أن تبوح لى بكل ما تعرف .

وهنا أخـذت أصف له آلامى وصفاً صادقاً . فرق لحالى وحمله قلبه الطيب أن ينير الطريق أمام هذا الصديق الأعمى ؛ فراح يصف لى خياناتها وتعلقها الآن بصديق من أصدقائنا لا يخلو من الرقة على ضخامته .

والواقع أنى لم تدهشنى هـذه الاخبار فقـد أعددت لها نفسى من زمن فأشبعت رغبتى فى معرفة أحوال أنجيل ، ولم يكذبنى صديقى فيما قال فقد سألتها أول مرة رأيتها فيها بعد هذا الحادث وطلبت منها أن تفصح لى عن الحقيقة فإذا بها تثور ثورة اللبكة المغضبة وتركتنى بلا كلام ولا سلام .

فعدت لنفسى وقلت إنى قد أكون مخطئاً فى حكمى ، وإن من الخير لى أن أعرف الخبر اليقين من صديقها الجديد . فعثرت عليه فى ليلة حالكة من ليالى الشتاء ودام بيننا الحديث ساعة أو تزيد وكنت أكلم هذا المنافس السعيد بصراحة تامة آملا أن يصارحنى بمثلهـا ولـكنه أخـذ يفند ما اتهمته به ويقسم أنه لا يعرف شيئاً مما قلت ، وإن علاقته بأنجيل علاقة صداقة لا غير ، ولـكن اضطرابه واحمراره ومغالاته فى التظاهر بالبراءة حملتنى على الاعتقاد بأنه يكذب فيما يقول .

مطبعة الرسالة

العدد ٧٠٩ - الاثنين ٣ فبراير ١٩٤٧ - السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

الفهـرس

صفحة

١٠٥ ٢٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

15me Année No. 709

Lundi — 3 — 2 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٧٠٩ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ — ٣ فبراير سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

أوليـــاء ... وأعداء

حياك الله يا سورية ! ورعاك الله يا لُبنان ! لشدَّ ما قضيتما حق الأُخُـوة ، وبيضتما وجه العروبة ! آسيتمانا حين صرَّح البغى عن محضه ، وحسر الباغى عن قناعه ؛ وآزرتما النيل حين صمم أن يدافع عن حوضه ، وأن يعبىء كل القوى فى دفاعه .

أما شرق الأردن ففيه جلْوب ؛ وأما العراق ففيه كرنواليس! والرجُلان رِجْلان من أرجل الأخطبوط الضخم الذى أمن الحوت فسيطر على معظم الماء وأكثر اليبَس . ورِجْل الأخطبوط خَتْم على أفواه الساسة ؛ يوضع بحذر ، ويرفع بقدَر . ولطالما كابد ساستنا مشقة هذا الختم أيام كانوا للأخطبوط أرقاء أو أصدقاء!

والاستعمار — كشف الله عنا ضره — على الأفواه كمامة ، وعلى العيون غمامة ، وعلى الآذان حجاب ، وفى الأعناق غلّ . ولـكن الأمم العربيـة التى تستمد غذاءها الروحى من عقيدة الإسلام ، وآداب العرب ، وتاريخ الفتوح ، وحضارة الرشيد ، وثقافة المأمون ، لا يسعها إلا أن تخالف الرؤساء والزعماء لتتفق فى الشعور ، وتتحد فى الوجهة ، وتتعاطف فى المكروه ، وتتناصر فى الشدة . ولن تكون هذه المقارب التى يبثها الأخطبوط على دعاة الوحدة العربية إلا طعمة للنار المقدسة التى يشبها شباب العرب لتذيب الغش وتنفى الخبث وتكشف عن المعدن الصحيح .

برح الخفاء ونصل صِبْغ الرياء عن طبع إنجلترا فبدا على لونه الأصيل من خبث العنصر ولؤم الفطرة . وأصبح الأمر بيننا وبينها فى ذمة مجلس الأمن ، وهو الجهة التى زعموها موئل الحق ومثابة العدالة . فهل كان يظن جون بول أن مصر التى ظل خمسا وستين سـنة يتصرف فى حكومتها وشعبها تصرف الراعى فى القطيع ، تقف منه موقف الند من الند فى مجلس القضاء الأممى تدمغ باطله بالحق ، وتدحض مِراءه بالمنطق ؟ الحق أن صرح الامبراطورية يوشك أن ينهار ما دام أمرها قد انتهى إلى سلطان العدل . وهل هى إلا بنيان شاهق من الزور المتراكم والظلم المتراكب يسنده دعامتان من دهاء السياسة وضخامة الأسطول ؟ على أن الدهاء قد فضحته يقظة الناس ، والأسطول قد نسفته طاقة الذرة . فماذا بقى لسيدة البحار ؟ إن إنجلترا غنية بغيرها ، فلا تستغنى بنفسها إلا يوم تروض حلوقها ثانية على ازدراد القواقع والسمك . والرجل الذى يعيش على الناس يكون مع القوة لصاً يسلب ، ومع الضعف متسولا يستجدى . وقد زالت وسائل اللصوصية عن انجلترا باستيقاظ الوعى فى الأمم المستعمرَة ، وانخزال السلاح البحرى عن الأسلحة الحديثة ، والتجاء الدول إلى تحكيم القانون فرَقا من الدمرات الخفية ، فلم يبق لها إذن غير التسول بالمفاوضة ، والتعلل بالمعارضة ، والتسلل إلى البلاد فى ثياب الخونة من طلاب الملك أو الحكم أو المال ، كما تتسلل الجراثيم إلى الأجساد على أرجل الذباب وأفواه الـكلاب وأجسام الفِيَرة ! فإذا عرفنا نقلة الجراثيم عرفنا مصدر الوباء ، وإذا أمنا دسائس الخصم أمِنّا جور القضاء .

احمد حسن الزيات

أفراح الحياة وآلامها

للأستاذ عباس محمود العقاد

تلقيت من بغداد رسالة لصاحب التوقيع الفاضل جاء فيها :

« ... بينما كنت أقلب هذا السفر الجليل — يسألونك — وجدتنى أقف أمام جملة فى تعقيبكم على كتاب — مع أبى العلاء فى سجنه — وهى :

« ... ما زلت أعتقـد وأزداد مع الأيام اعتقاداً أن بغض الحياة أسهل من حب الحياة ، وأن الأدوات النفسية التى نلمس بها آلام الحياة أعم وأشيع وأقرب غوراً من أدوات النفس التى نلمس بها أفراح الحياة العليا ومحاسنها الـكبرى . فالفرح أعمق من الحزن فى رأيى ولا مراء . أما الفرح فهو القدرة والانتصار »

فهلا نفضل سيدى بشرح هذه العبارة ... الخ .

الـكاظمية جعفر آل ياسين

والموضوع يستحق التفصيل ؛ لأننا فى الشرق لا نزال قادرين على الحزن عاجزين عن الفرح ، أو قادرين على التشاؤم عاجزين عن التفاؤل . وربما كان فرضاً أقرب إلى السلوب منه إلى الثبوت . فـكثير من أفراحنا ناشىء من قلة الفـكر وقلة المبالاة ، وقليل منها ناشىء من فهم أسباب الـكمال ومعارض الجمال فى هذه الحياة .

والألم أسهل من السرور لأن أدوات الألم ميسرة للطفل والجاهل مقصورة على الإنسان .

وأدوات الألم هى الحواس الجسدية ، وهى كافية لإشعار صاحبها بجميع المؤلمات والأوجاع التى يشتمل عليها عالم الحس المتسع لجميع الأحياء ، ومنها الإنسان .

كل حىّ يستطيع أن يشعر بشوكة الوردة ، لأن الشعور بها لا يحتاج إلى أكثر من جلد وأعصاب .

ولـكن الجلد والأعصاب لا تـكفى للشعور بجمال الوردة ونضرتها ومعانى الصباحة والحسن التى تتراءى بها للعيون والأذواق ، وتتمثل بها فى عالم الخيال .

وكل حى يستطيع أن يرى ظواهر الأشياء ويسمع ظواهر الأصوات ، فإذا دخل هـذا الحى دار الآثار أو دار الفنون الموسيقية ، رأى وسمـع كل ما يرى بالعيون ويسمع بالآذان . ولم يجد فيما رآه أو سمعه مدعاة إلى السرور أو مدعاة إلى تـكرار الزيارة باختياره .

ولـكن إذا ملك من أدوات النفس حاسة فوق حاستى البصر والسمع — وهى حاسة الذوق — عرف مواضع الفرح فيما رآه وسمعه . ونظر فى دار الآثار إلى جمال الصناعة ودلالة المعانى التاريخية الخالدة ، وسمع فى دار الفنون الموسيقية آيات التعبير المنسق وأسرار العاطفة الخفية التى تترجم عن نفسها بلغة الألحان .

كل إنسان يستطيع أن يخسر فى الحياة ، لأن الخسارة فيها مضمونة للعاجز الذى لا يحسن الفهم ولا يحسن العمل . فـكل عاجز « قادر » على أن يأخذ نصيبه من خسائر الحياة بغير عناء ، وقادر على أن يأخذ الألم مع الخسارة ، لأنه يأتى معها بغير دعوة !

ولـكن القدرة على الانتصار فى الحياة لا تشيع بين الناس شيوع العجز والقصور .

نعم إن القادرين قد يخسرون والعاجزين قد يكسبون . ولـكنّ هذا لا ينفى الحقيقة التى يعرفها القادرون والعاجزون ، وهى أن القدرة أندر من العجز وأن أدوات العجز ميسرة للأكثرين ، وأدوات القدرة لا تتيسر لغير القليل .

***

كل إنسان يستطيع أن يجد فى تمثال المرمر وسيلة إلى الألم ، لأنه يحصل على الألم بصدمة فى الرأس ، والقدم . ولـكنه لا يحصل على السرور الذى يوحى به التمثال إلا إذا أدرك محاسن الفنون وعرف صاحب التمثال وما عمله فى حياته وما استحق به هذا التخليد بين قومه وقادرى فضله وجهاده .

ولا يعنينا هنـا أن تـكون الأفراح فى الحياة أكثر من الآلام أو تـكون الآلام فيها أكثر من الأفراح .

وإنمـا يعنينا أن أدوات الألم ميسرة للأكثرين ، وأن

الأفراح التي تحتاج إلى فهم غير فهم الظواهر حقيقة مقررة لا يدركها غير القليل .

وصحيح أن النفس إذا ارتفعت شعرت بآلام لا تشعر بها النفوس الوضيعة وأدركت مواطن للشر لا تدركها الطبائع المتلثلثة والضمائر العمياء ؛ ولكن هذا لا يغير الحقيقة التي أسلفناها ! وهى أن الألم فى جملته لا يحتاج إلى أدوات نادرة بين الأحياء ، وأن كثيراً من المخلوقات تستطيع أن تتألم وهى فى المرتبة الدنيا من مراتب الحياة ، ولا تستطيع أن تفرح إلا إذا توافرت لها صفة « وجوبية » غير مسلوبة ، وهى على الأقل صفة الصحة واعتدال المزاج .

ونعمم هذه الحقيقة فنقول إن المؤلمات سلوب وإن المفرحات ثبوت . لأن الألم يأتى من الفقد ، والفرح يأتى من وجود شىء يُفرح أو يصدر منه الفرح . ولا حاجة بالإنسان إلى أداة للفقد والخسارة ، ولكنه يحتاج إلى أدوات كثيرة للإيجاد والتحصيل .

وقد مضى على الشرق زمن لم نسمع فيه غير الشكاية والحزن فى شعره ونثره ، وغير الشكاية والحزن فى مواعظه وخطبه ، وغير الشكاية والحزن فى جملة أحواله وأعماله . ولم يكن ذلك الزمن الذى عمت فيه الشكاية والحزن زمن القدرة والعمل بل زمن الفقد والكسل . لأن الأدوات النفسية التى نلمس بها آلام الحياة أعم وأشيع وأقرب غوراً من أدوات النفس التى نلمس بها أفراح الحياة العليا ومحاسنها الكبرى .

والطفل يبكى فى اللحظة الأولى من حياته ، ولكنه لا يعرف الابتسام قبل بضعة أشهر . لأنه فى البكاء لا يحتاج إلى أكثر من صوت وهواء . ولكنه يحتاج قبل الابتسام أن يعرف وجه أمه وأبيه وأن يدرك العطف بينه وبين أمه وأبيه .

***

وإذا تركنا شعور الضرورة إلى شعور المشيئة والاختيار تبين لنا أن الإنسان سريع إلى كشف النقائص والعيوب فى الناس بطىء فى كشف المحاسن والمزايا . بل مغالط فيها بعد كشفها ومكابر فى الشهادة بها لأصحابها .

فهو محجوب عن المحاسن باختياره وبغير اختياره :

محجوب عن محاسن الدنيا ما لم يتهيأ لها بأدوات الذوق والمعرفة وعمق البديهة وسمو الخيال .

ومحجوب عن محاسن الناس ، لأنه يحب أن يستأثر بالمحاسن لنفسه أو يحب أن يبالغ فى تعظيم مزاياه وتصغير مزايا غيره . فلا يحتاج إلى أكثر من الأنانية العمياء ليجهل فضائل الآخرين ومظاهر الكمال فى المخلوقات ؛ ولكنه يحتاج إلى النبل والإنصاف ورحابة الصدر ليعرف تلك الفضائل وينعم بعرفانها ويوفيها حقها من العطف والإعجاب .

فهو فى معرض الدنيا معصوب العينين حتى ترتفع العصابة عن عينيه فيتعلم بعد جهل ويقتدر بعد قصور ، ويغتبط بجمال من يراه بعد أن كان لا يراه .

وهو فى معرض الحياة البشرية يضع كفيه على عينيه باختياره ولا يرفعهما حتى ترتفع عن ضميره عصابة الأثرة والجحود ، وينفذ إليه شعاع النور من عالم الحق والإنصاف .

لهذا صح أن يقال إن أدوات الآلام أسهل وأعم من أدوات الأفراح ، وإن كثيراً من الناس قادرون على الشعور بالألم فى أعم حالاته ، ولكنهم لا يقدرون على الشعور بجميع الأفراح ولا بجميع الرضيات .

وإذا طبقنا هذه الملاحظة على أبى العلاء وجدنا أنها تنطبق عليه وعلى زمانه ، وتدل فى حالته أيضاً على سهولة أسباب الألم وصعوبة أسباب الفرح بالنظر إليه وبالنظر إلى الزمان الذى عاش فيه .

فهو حسير كسير فى عقر داره ، وزمانه زمان الفتن والحروب وزمان التقلب والنفاق ، وغاية الأمل فيه أن يسلم من الشرور أو يتغلب عليها بشرور أكبر منها ، وكلاهما بلاء على الكريم وبلاء على اللئيم ، وقضاء يلوذ منه الحائر بالقبوع أو بالقنوع .

***

وبعد فيكفى أن نعلم أن الإنسان مطالب بتحقيق أسباب الفرح وغير مطالب بتحقيق أسباب الألم ، لنعلم أن الفرح محتاج إلى الأداة وأن الألم لا يحتاج إلى أداة ، بل إلى نجاة !

عباس محمود العقاد

لغة العبيد .. !

للأستاذ سيد قطب

عندما قام الرئيس « لنكولن » بحركة تحرير العبيد فى أمريكا لم يكن خصومه هم « السادة » وحدهم ، بل كان بعض « العبيد » أيضا حرباً عليه !

كان بعضهم يهرب من « الحرية » التى يهبها له « لنكولن » ليرتد إلى « العبودية » فى بيت أسياده لأنه لا يطيق تكاليف الحرية ولا يستطيع مواجهة الحياة مستقلا !

ليس عبيد أمريكا وحدهم هم الذين يهربون من الحرية ؛ فعندنا فى مصر ، وفى سائر بلاد الشرق « عبيد » من نوع آخر عبيد يتزيون بزى الأحرار ، ولكن فى أعماق نفوسهم تلك العبودية التى يهربون إليها بين الحين والحين !

فى عدد ديسمبر من مجلة « الكاتب المصرى » قرأت للدكتور حسين فوزى مقالا بعنوان « جولة فى ما بعد الحرب » جاءت فيه هذه الفقرات :

« شعور واحد يتملكنى فى عشرة أيامى الأولى بلوندرة : شعور الإعجاب المتناهى بعاصمة الدولة التى أنقذت العالم من أعظم الشرور التى حاقت به فى تاريخه الطويل . قلب الأمة الباسلة العنيد التى وقفت وحدها فى مواجهة الأفاقين البرابرة الذين تحدوا البشرية جمعاء ، والتى تلقت الضربات الوحشية تنصب عليها من السماء حمما ونارا ، ومن قاع البحر حمما ونارا .

« كنت فخورا بإنسانيتى ، إذ وجدت من هؤلاء الناس درعا وواقيا للحضارة . وسواء عندى أن يكون دفاع الإنجليزى عن بلاده وحضارته وإمبراطوريته ، ما دام هذا الدفاع فى ذاته ذودا عن الحضارة والإنسانية قطعا .

« أنا هنا بين رجال ونساء راضين بما حققوا . غلبوا على أمرهم ، وطردوا من أوربا والملايا ، وقطعت عليهم أغلب طرقهم البحرية ، وهاجمتهم الطيارات والقنابل الطائرة والغواصات فى كل مكان ، وأنذروا بالفناء قبل الغزو ، أو بالغزو فالفناء . ضيق عليهم أعداء البشرية الخناق ، على حدود مصر والسودان ، وفى العراق وكريت ومالطة والهند ، ولكنهم ثبتوا كصخور مالطة ودوفر وجبل طارق ، وردوا الضربات بأقل منها ، فبمثلها ، فبأضعاف أضعافها . ثم جاء دورهم فى الغزو ، فنزلوا بالقارة الأوربية ، وحرروا فرنسا والبلجيك وهولاندة وإيطاليا ، ثم استعادوا بورما والملايا ، واكتسحوا قطعان الذئاب الفاشيستية يردونها إلى عقر أوكارها ، حتى قضوا عليها . وهم اليوم يتحكمون فى ديارها . إن قدموا الخير فبشعور إنسانى كريم ، وإن أعملوا الشر فبروح انتقام مفهوم ، عادل أو غير عادل تبعا لمزاج من يريد أن يبدى حكما » .

... « والصورة التى انطبعت فى رأسى لبريطانيا بعد إقامتى القصيرة فى لوندرة هى صورة شعب عامل مجد ، محب للنظام والعدالة ، يحترم حكومته لأنه اختارها ، ويتبرم بها تبرم الأخ بأخيه يوما أو بعض يوم . صورة شعب أمين فى معاملاته ، منطقى فى عمله ، دون أن يكون للمنطق حساب فى تفكيره ، يتولاه القلق على معاشه ومستقبله فى العالم ، مع تمسكه بالقيم الروحية المطلقة التى تترجم بالعلم والفن والأدب ، والقيم الروحية فى السياسة التى تترجم بالنظر إلى العالم نظرة الشعب المسئول عن الخير العام للبشرية . وهذه فى رأيى مقومات الحضارة فى شعب كبير وأمة عظمى » . ثم يقول عن فرنسا :

« لحظة اللقاء ، لمست أقدامى أرض فرنسا بعد طول الغياب ، « أمّنا فرنسا » ، كما يقول أهل لبنان ، ومربيتنا باريس . لن أنساك يا فرنسا قبل أن أنسى نفسى . تقطع يداى قبل أن يغدر بك ربيبك يا باريس ! » .

كاتب هذه الفقرات مصرى شرقى وهو رجل أعرفه ، وبينى وبينه مودة ، ولكن مودات الأرض كلها لا تخدر ضميرى وأنا أقرأ له هذه السطور !

هذا الرجل مصرى شرقى ، يرى كيف تعامل انجلترا بلاده ، وكيف تعامل فرنسا أمم الشمال الإفريقى ، ويعرف كيف تصنع انجلترا فى الهند ، وكيف تصنع فرنسا فى الهند الصينية ... ثم يكتب كل هذا « الغزل » فى الدولتين الاستعماريتين اللتين تدوسان قومه وأقرباءه بالأقدام !

وأعجب شىء أنه كان « فخوراً بإنسانيته » فى لوندرة ! أية إنسانية تلك التى ترى الاستعمار ينتهك كل حرمات الإنسانية ، ويمتص دماء المستعمرات ، ويذل أهلها ويسلب أقواتهم وأرزاقهم ، ويبقيهم فى ربقة الجهل والتأخر والتوحش أحيانا حتى لا يفقد

قدرته على استغلالهم . ثم لا تغضب ، ولا تتألم ، ولا تثور ؟

نخور بإنسانيته . لأن الإنجليز يسلبون بلاده إنسانيتها . يفقرونها إلى حد أن يعيش الفلاح فى مستوى أقل من مستوى الماشية . يسرقونها فى أسهم قناة السويس ، وفى ثمن قطنها وصادراتها لهم فى الحرب وغير الحرب ، وفى صفقات المناقصات العامة ، ويستنزفون غذاءها وفاكهتها وملابسها فى زمن الحرب بلا مقابل فينشرون فيها السل والأنيميا وشتى أمراض التغذية ثم يكادون يتنصلون من ديونهم القليلة . يستخدمونها فى الحرب بكل قواها ، ثم يتنكرون لها بعد الانتصار ... أولئك هم السادة الذين يفخر العبيد بإنسانيتهم حينما يرونهم ينتصرون !

نخور بإنسانيته . لأن الإنجليز بعد نصف قرن فى السودان لا يزال سكانه فى الجنوب عرايا وسكانه فى الشمال مبعدين عن إخوانهم فى الجنوب . بدافع التعصب الدينى . لأن دماء الصليبيين لا تزال تجرى فى دماء المستعمرين . وبدافع الاستغلال القذر لأن موارد الجنوب يجب أن تبقى للاستعمار !

نخور بإنسانيته . لأن الهند بعد ثلثمائة عام فى الحكم البريطانى ، لا تزال أفقر الشعوب وأقذرها . وهذه القذارة تنفر الدكتور حسين فوزى وتطلق لسانه بشتيمة الهند والهنود فى كتاب سابق له . ولكنها لا تحنقه إطلاقا على الحكم البريطانى القذر لأن السادة لا يحنق عليهم العبيد !

نخور بإنسانيته . لأن الإنجليز حاربوا الصين مرة لسبب واحد ، وهو أنها عزمت على تحريم تدخين الأفيون . حينما تقتضى « الإنسانية » أن يظل الصينيون « مساطيل » لا يفيقون لأن « الانبساط » والانسجام خير يجب أن يتمتع به الصينيون .

نخور بإنسانيته . لأن الإنجليز نشروا وباء الكوليرا فى حربهم مع « البوير » فى جنوب أفريقيا ؛ فكانت هذه وسيلة « إنسانية » للانتصار فى الحروب !

نخور بإنسانيته . لأن فاجعة « دنشواى » كانت انتصاراً للروح الإنسانية وللضمير الانسانى فى تاريخ الشعوب !

نخور بإنسانيته . لأن الإنجليز يقفون فى وجه التحرر لا فى مستعمراتهم فقط ، ولكن فى مستعمرات سواهم ، كما صنعوا فى أندونسيا ، حينما هبت تحارب الوحوش الهولنديين !

نخور بإنسانيته . لأن الإنجليز يرتكبون فى فلسطين من الجرائم الإنسانية ما تقشعر له الأبدان فى سنة ١٩٣٧ . واليوم يجلدهم اليهود علناً فلا يتحركون !

ثم « أمنا فرنسا ، ومربيتنا باريس » . . . إلى آخر هذا الغزل السخيف !

« أمنا فرنسا — كما يقول أهل لبنان — ولم يكن منصفا فيقول : « كما كان يقول أهل لبنان » :

لقد تحرر لبنان من تلك العبودية يا دكتور فوزى . لقد تحررت أرضه ، كما تحرر ضميره . ولعلك لا تذكر واقعة اعتقال رئيس الجمهورية وأعضاء حكومته فى قلعة راشيا . تحرر لبنان فلم يعد ينطق تلك الكلمة المجرمة المخنثة : « أمنا فرنسا » .

تحرر لبنان ، وتحررت سوريا . وبقى أن تتحرر مراكش ، وأن تتحرر تونس ، وأن تتحرر الجزائر . وبقى أن تنكمش هذه الدولة المتبربرة فى حدودها القومية . فإذا شئتم حينذاك أن تلجأوا إلى حضن أمكم الحنون . فمع السلامة . ولتذهبوا إليها هناك أجمعين !

واسمع هذه البرقية لمراسل الأهرام فى نيويورك :

« تلقت جريدة (نيويورك تيمس) رسالة من السيد محمد أبو الأحرص سكرتير (لجنة المطالبة بحرية شمال أفريقيا) طالب فيها بالحاح بوجوب رفع الستار (الحديدى) المضروب حول مراكش والجزائر وتونس وبالسماح للصحفيين الأجانب بحرية الدخول فى هذه البلاد الثلاثة .

وذكر السيد أبو الأحرص الذى يقول إنه يمثل عشرين مليونا من سكان شمال أفريقيا أنه حدث فى يوم ١٢ مايو سنة ١٩٤٣ أن قتل عشرة آلاف وطنى تونسى وسجن أربعون ألفا من غير محاكمة ؛ وأن عبد المنصف باى تونس عزل ونفى مع أن الحلفاء يملكون من الوثائق ما يثبت أنه كان يقاوم سلطات الاحتلال الألمانية مقاومة شديدة .

وزعم أخيراً أنه فى يوم النصر فى سنة ١٩٤٥ ذبح أربعون ألفاً من الجزائريين وسجن مائتا ألف ونهبت بيوت ثلاثة آلاف من الوطنيين » .

وعلام كل هذا الغزل ؟ و« شعور الإعجاب التناهى » ؟ لأن هذه الأمة ، إنجلترا « وقفت وحدها فى مواجهة الأفاقين البرابرة الذين تحدوا البشرية جماء » !

أى أفاقية ؟ وأى برابرة ؟ يا دكتور فوزى ؟ وأية بشرية تلك التى تحدوها ؟

الأفاقون والبرابرة هم أولئك المستعمرون الذين يمتصون دماء البشرية ، ليتوافر للانجليزى الزبد والويسكى والديكة الرومية فى عيد الميلاد !

الأفاقون والبرابرة ، هم الذين يتسببون فى إصابة مليون مصرى بالسل فى زمن الحرب ، لأنهم يسرقون المواد الغذائية مقابل عملة ورقية لا رصيد لها ؛ ثم يتنكرون لمصر وللدين المصرى الزهيد !

الأفاقون والبرابرة هم الذين يجلدهم اليهود علنا فى الشوارع ، فلا يحركون ساكنا ، بينما يمثلون بالجثث أشنع تمثيل حينما يهب العرب للمطالبة بحقهم المشروع !

ولقد كان جائزاً أن تنتشر هذه الأسطورة : أسطورة أن الإنجليز غير الألمان وأن هؤلاء وحدهم أفاقون وبرابرة ، وأن الإنجليز حماة الإنسانية المتحضرون . حينما كانت رحى الحرب دائرة . حينما كان الذهب الإنجليزى — أو البنكنوت المزيف — يتدفق على مراكز الدعاية ، وفى جيوب الصحفيين والكتاب ، فتنطلق الألسنة بالحمد والثناء لحماة الديمقراطية ، وللحرية ، وتنطلق بالهجاء والاتهامات للبرابرة الألمان ، وحينما كانت الدعاية الإنجليزية تملأ الآفاق ببشريات الحرية العالمية ، والأمن من الجوع والخوف والمرض والجهل . وحينما كان المخدوعون يستغرقون فى الأحلام اللذيذة على صدى هذه الوعود الجميلة .

ويومها كم من أصوات ارتفعت فى محطات الإذاعة بالشرق ، وكم من أقلام انطلقت فى صحافة الشرق ، تمجد أولئك الملائكة الأطهار الذين يريقون دماءهم فى سبيل البشرية المهددة بالوحوش النازيين !

ذلك أن الذهب الإنجليزى — أو البنكنوت المزيف — كان من القوى والتدفق بحيث ينطق البكم ، ويسمع الصم . وذلك أن الوعود المعسولة خدعت بعض المخدوعين ، فتاهوا فى أحلام الحرية والاستقلال والجلاء . وإن كان ضمير الأمة لم ينخدع لحظة واحدة ، لأنه كان أصدق حساسية من أولئك الذيمين والصحفيين والكتاب !

أما اليوم ، فكيف تبقى عين واحدة مغلقة . اليوم وقد خلع الإنجليز القفاز الحريرى وارتدوا جلد النمر . اليوم ما الذى يخدع مصرياً واحداً ، أو شرقياً واحداً ، فيطلق لسانه بمثل هذا الغزل العجيب ؟!

وفرنسا ، فرنسا أم الحرية ، كما يقول عشاقها ، كيف بعد حادث راشيا ، وكيف بعد مؤامرتها على قتل وزراء سوريا ونوابها فى البرلمان ، تلك المؤامرة القذرة التى لم تتم بسبب وقوع وثائقها فى يد الحكومة السورية فى الوقت المناسب .

فرنسا التى تذبح فى يوم النصر أربعين ألفاً من الجزائريين . والتى تقيم سوراً حديدياً حول الشمال الإفريقى كله ، يمنع عنه العلم والنور والحرية والتقدم . فرنسا هذه كيف يختلج بحبها ضمير إنسانى واحد ، بله أن ينطلق لسان لها بمثل هذا الغزل العجيب !

وليس المتغزلون فى انجلترا وفرنسا وحدهم هم عبيد الشرق المنكوب ! هنالك من يتغزل فى «روسيا» فى هذه الأيام . وحقيقة إن بعدنا عن فم الدب بعض الشىء قد يجعلنا أقل حنقاً عليه . ولكن هنالك من ينسى مصريته ليذكر «روسيا» العزيزة او تلك لغة العبيد.

لقد سمعنا طويلا : أمنا فرنسا ، أمنا انجلترا ، أمنا روسيا ! بابا ستالين ! كما سمعنا من يقول : تقدم يا روميل ! أيام العلمين !

ولقد آن أن يخفت صوت العبودية فى هذا كله ، ليرتفع صوت واحد : أمنا مصر . عمنا الشرق . أبونا النيل .

أيها العبيد ! تحرروا مرة من لوثات الضمير

أيها الدعاة فى الحرب وغير الحرب !

كفروا عن جريمتكم وعودوا مصريين . وشرقيين !

إن أوربا المتبربرة قطيع واحد من الوحوش الواغلة فى دماء البشرية ، المعتدية على كرامة الإنسانية ؛ فليس بإنسان من لا يغضب لكرامته ولكرامة «الإنسان» التى يذلها الاستعمار فى كل مكان . وهذه البشرية لن ترفع رأسها إلا يوم أن تسحق هذه اللعنة البغيضة . لعنة الاستعمار والمستعمرين . ونحن فى الشرق لا ينبغى أن يقوم بيننا وبين هذا الغرب المتبربر سلام ، إلا حين تنكمش هذه الوحوش الآدمية فى داخل حدودها أو فى داخل أقفاصها !

وما يجوز أن يرتفع صوت واحد بالثناء على قوم حاربوا لأنفسهم ، دفاعا عن الزبد الذى يأخذونه من بين شفتى العالم ، ليستمتعوا ، ويصاب بالسل آخرون

إن هؤلاء المستعمرين هم لعنة هذه الأرض التى لا يجوز أن نضمر لها غير الحقد والضغن . فهم الذين يثيرون الحروب العالمية ويتمسحون فى الألمان وغير الألمان .

والألمان مثلهم . . . كلهم سواء . وحوش آدمية متبربرة ، تتبدى فى أزياء من الحضارة خادعة . فلن تكون حضارة صادقة مع ضمير متعفن كضمير الاستعمار .

الحقد ! الحقد المقدس أيها الشرق المنكوب هو وحده المنقذ حين يفتح فاه ، فيلتهم قطاع الطرق اللصوص .

أما أولئك المتغزلون فى أوربا فليتواروا حياء ، فليس الوقت وقت الغزل ، بل الساعة ساعة الصراع ألا ولتنطلق من كل فم وقلب صيحة واحدة مدوية : الموت للاستعمار والويل للمستعمرين !

سيد قطب

العجز قـــوة

للاستاذ عبد المنعم خلاف

حينما أرى شيخوخة متهدمة فانية مدبرة الحياة تجرجر جسمها المتهالك كأنما تحمله حملا يبهر الأنفاس ويهى الأوصال ، فى مزدحم طريق مكتظ بأجسام القادرين على الزحام من الرجال ذوى الألواح العريضة والأرجل الخفيفة والخطوات الماضية فى خيلاء الشباب وطفور القوة وعزة القدرة على نيـل الأشياء ، وغرور الخدعة بالحياة ، وقد احتدمت الحركة والجلبة ومضت «دواماتها» العنيفة بتلك الشيخوخة ترمى بها المرامى وسط هذا العباب الزاخر حينئذ أشعر أن هذا العجز يقبض على قلبى بقوة غالبة تجيش لها نفسى وتستجيب لها استجابة لا أحسها فى كثير من الأحيان التى يطالعنى فيها مشهد من مشاهد القوة والاجتياح .

وحين أرى طفلتى الصغيرة تبدأ حياتها منذ أن فصلت عن حياة الرحم وكل سلاحها للعيش وآلاتها فى الـكفاح هو الصراخ واستنجاد بقوى من يحيطون بها من الوالدين والأقربين ، وتلك الغمزات الخفية على قلبى الأم والأب ، غمز الرحمة لهذا الضعف فى هذا الجسم الصغير الضئيل الطريح الذى لا يملك دفع الذباب والنمال عن نفسه ولا جلب غذائه ، ومع ذلك فجميع من فى البيت وما فيه مسخر لرضاها والسهر على الدفاع عنها وجلب المسرة والمنفعة لها ، أشعر كذلك أن العجز قوة يسخر لها جهاد الأقوياء ، وأشرف ما فى النفوس البشرية من أريحية كريمة هى التى تبنى الاجتماع وتجمل الأخلاق وتعلو بمستوى الإنسان بل والحيوان .

ولقد أدركت من شيخوخة أمى رحمها الله فى سنتيها الأخيرتين ما كان يثير فى نفسى لونا من الحنان الثائر والأشفاق والحساسية التى تبعث الدمع الهادىء اللذيذ حين كنت أرى ذلك العجز الذى طرأ عليها بعد قوة ولـكنه مع ذلك سلحها بقوى جميع من فى البيت ، وسخرهم لها يخدمونها فى لهفة ويكفونها كل حاجاتها فى رضا ويسألونها كذلك الرضا .

وعجز الشيخوخة أشـد إثارة للرحمة والشعور والعاطفة من عجز الطفولة ؛ لأنه يريك الهيكل البشرى فى حالة من تاريخ قوته ، فتشعر أنك معه إزاء طلل لبناء عزيز كان عامرا فأضحى غامرا ، تعفيه الرياح ، وينال منه الإمساء والإصباح ، ويدبر منه ما كان مقبلا . وقديما بكى الشعر على الأطلال وبحث فى أصباغها الناصلة وشواخصها الماثلة عن الأشباح التى كانت تعمرها والصور والظلال والأصوات والذكريات التى وقعت عليها والنفس إزاء عوامل الفنـاء أشد حساسية وإرهافا منها إزاء عوامل الحيـاة ، لأن النفس من عالم الوجود فليست عوامل الحياة غريبة عليها غربة عوامل الفناء . وعوامل الحياة تمـدها بالطمأنينة والأمل والشعور بالاستمرار والامتداد ، أما عوامل الفناء فتأخذ منها الطمأنينة وتعطيها الرهبة والشعور بالنهاية وتقفها على حافة المجهول الذى مضى إلى هاويته كل ما كان ويمضى إليها كل ما هو كائن .

والعجز هو مدخل الإيمان وحجته الهادئة التى لا جدال معها لمنطق . فهو إن كان يثير أشرف ما فى النفس وأعظمه أثرا فى بناء روابط الاجتماع على أسس من الرحمة والعاطفة ، فهو كذلك يثير أشرف ما فيها وأعظمه أثراً فى بناء الإيمان وروابط الإنسان بالله على أسس من الفكر والادراك . وقفة واحدة مخلصة من فكر الإنسان الضئيل المحدود وسط هذا الـكون الجبار الحافل بالقوى ذات الهول والاجتياح والرحابة والدوام ، والأجرام السماوية ذات الأحجام والأرقام الفلـكية ، كافية لأن تطلق من صـدر الإنسان آهة عميقة فيها الإقرار بالعجز والاستسلام والانكار لمزاعم القدرة والاستطالة ، وصرخة وجلة دامية فيها طلب اللياذ والاحتماء فى صدر كن رحيم حنون ، وكنف قوى مأمون هو كنف « الذى » بنى هذا الـكون الهائل العاقل من هذه القوى الجبارة العمياء المجنونة التى تسير فى نظم ولجم تمسكها يد القهر فلا تفلت ولا تلتوى ولا تجمح !

وإذا كان غرور الحياة فى بعض النفوس البشرية قد سوّل لها أن تزعم مزاعم الاستكبار والإنكار ، فذلك لأنها نسيت عجزها وضعفها وسجنها فى هذا الـكون الذى لا يستطيع منه مهربا إذ دخلته على غير اختيار وستخرج منه على كره .

وهؤلاء الذين يثيرون بمنطقهم وجدلهم وزخرف قولهم الشغب والثورة على حكومة الـكون ، ويعييك أن تقنعهم بالحجة الفالجة والحق الدامغ ، تستطيع أن تراهم يسرعون إلى الدخول فيما دخل إليه جمهور الناس من إيمان إذا ما ضربهم الزمان بالعجز وقيدهم بقيوده وطرحهم مطارح يرون فيها أنفسهم كائنات تافهة لا تملك لنفسها

في يوم المولد النبوى :

يا سيدى يا رسول الله !

للأستاذ على الطنطاوى

[تسمعون السنة كلها حديث الدنيا
فاسمعوا اليوم حديث الدين]

الصلاة والسلام عليك ياسيدى يارسول الله ورحمة الله وبركاته

هـذا يوم تشرفت فى مثله الأرض بمولدك ، واستضاءت بنورك ، قد جعلناه بعدك عيـداً — وأشهد ما شرعت لنا إلا « العيدين » — فنصبنا الأعلام ، و « أذعنا » الأنغام ، واجتمعنا على الخطب والكلام ، والشراب والطعام ، فالطرقات مزدحمة بالسرادقات ، والمساجد والمقابر ملأى بالزائرين والزائرات ، والصحف والمجلات ، فياضة بالفصول والمقالات ، وفى كل مكان مظاهر الأفراح والمسرات : فى الشوارع والساحات ، والأزقة والحارات …

فعلنا ذلك حباً بك ، وابتهاجاً بمولدك ، ثم أبنا إلى مسا كنّنا فهجعنا هادئة ضمائرنا ، هانئة سرائرنا ، إذ قد وفينـا لهذه الذكرى ، التى لم يمر على ذهن التاريخ الإنسانى أعظم منها أثراً ، ولا أعلى قدراً ، ولا أبقى ذكراً …

أما اتباع دينك ، والاهتداء بهديك ، والوقوف عند أمرك ونهيك ، فلم نفكر فيه ولم ندخله فى « برنامج الاحتفال » !

فهل يعجبك يا رسول الله ما فعلنا ؟ هل يرضى به ربك عنا ؟

لقد بعثت بـ « لا إله إلا الله » . دعوت العرب إليها فأبوها ، فأمرت أن تقاتلهم حتى يقولوها ، وخيّرتهم بين السيف وبينها فاختاروا السيف عليها ، وآثروا أن يهلكوا عن أن ينطقوا بها ، استصعبوها لأنهم عرفوا معناها ، فعلموا أنها ليست كلمة تقال بطرف اللسان ، ولـكنها دستور للحياة كلها ، وصرف لها عن وجهتها ، وتبديل لـكل صغيرة أو كبيرة فيها .

نفعا ولا عنها دفعا ، لا يحفل بهم الليل والنهار ، ولا تنظر إليهم السماء والأرض ، ويرون أنفسهم تذهب كما تمضى ورقة جافة أو تبنة تافهة .. عندئذ يأخذهم العجز بقوته السالبة الغالبة إلى عتبات ربهم يطرحون عليها قلوبهم ويعفرون بترابها وجوههم ويبللونها بدموعهم ويقولون مع أبى نواس :

ذهبت جِدّتى بطاعة نفسى وتطلبت طاعـة الله نِضوا

ومن رحمة الله بالناس أن جعل الدور الأخير من حياة أكثرهم فترة عجز وضعف وخمود يدركون فيها حقيقة حياتهم وحقيقة الحياة كلها ويخاصون فيها لأنفسهم ، يصفون ما بها من غرور ويبصرون الطريق إلى الإيمـان ، وتصح أحلامهم ويرعوى بالحلم ويتركون ميادين النزاع والأباطيل ويقولون مع ابن المعتز :

أخذت من شبابىَ الأيام وتولى الصبا عليـه السلام
وارعوى باطلى وبان حديث النفس منى وصحت الأحلام

ولو استمر شباب الجسم وعنفوانه يصحب الناس إلى نهاية حياتهم ما ارعوى باطلهم ولا خف طيشهم ونزاعهم ، ولا صفت طباعهم من ثورة الأكدار التى تثيرها نوازع الشباب واحتداماته واندفاعاته ؛ لأن السر فى اندفاع الشباب أنه يعتمد على ذخيرة من قوى الحياة التى تقتضيها آلات الجسم الصحيح والعيش الصحيح ، ولأنه لم يبصر كثيراً من الأحكام الصحيحة على الحياة إذ هو مشغول باحساسه بفيض الحياة ونشوتها الغامرة ، فلم تترك له عجلتها الدائرة فى جلبة وقوة أن يبصر الأشياء الثابتة ، لأن حركة الحياة فى نفسه تزيغ نظره عن الأوضاع الصحيحة . فإذا ابتدأت العجلة تهدأ من دورانها شيئاً فشيئاً استطاع المرء أن يبصر الأمور فى رَيْثٍ وهَيْنةٍ ويتملى فى أوضاعها المختلفة فيحكم عليها حكما صحيحاً .

فلتردّ النفس فى فترات إلى الشعور بالعجز وسط جبروت الـكون وهول الطبيعة وإصرارها على قوانينها ، ودوامها فى سلطانها ، حتى تشعر دائماً أنها فى الـكون شىء ربما يكون غير مذكور .. ولنأخذ من العـدل قوانين تعدل قوانين القوة والبطش التى لا يدين الناس لغيرها

وليكن ما فى العجز من ظلال عكسية لأوضاع القوة فى الحياة سبيلاً لإيقاظنا إلى واجبات لا نراها إلا فى هذه الظلال ، تلك الواجبات التى لا تسوقنا إليها القوة ، وإنما تسوقنا إليهـا الرحمـة .

عبد المنعم خلاف

لا إله إلا الله : لاينفع ولا يضر إلا الله ، فلا تخش فى الحق غيره ، ولا تذلّ فى الرجاء لسواه .

لا إله إلا الله : هو القادر فلا تخف أحداً إن كنت معه ، هو البصير فلا تستتر بذنبك منه ، هو الرحمن فلا تيأس من رحمته ، هو الجبار فلا تأمن غضبه ، هو معك حيثما كنت يراك أبداً فاعبده كأنك تراه . هو الخالق البارئ المصور ، أعطاك البصر فلا تنظر به إلى عورة ، والسمع فلا تلقه إلى سوء ، واللسان فلا تحركه بمحرّم ، واليد فلا تستعملها فى عدوان ، والرجل فلا تمش بها إلى ظلم ، والبطن فلا تدخل فيه إلا حلالا ، وأنت منه وإليه لا مخرج لك عن ملكه . وهو المحيى المميت ، منحك الحياة فلا تنفق دقيقة منها فيما يكره ، وكتب عليك الموت فاذكره أبداً وتهيأ له ولا تنس أنه ملاقيك !

لقد كانوا أذكياء ففهموا معناها ، وكانوا أشرافاً فلم يحبوا أن يقولوا بأفواههم ، ما لا يحققونه بأفعالهم ، ولذلك استسهلوا القتل واليتم والثكل عن النطق بها ، ثم لما أعدهم الله لها ، وكتب السعادة لهم فقالوها ، صاروا بها سادة الدنيا ، وخلاصة الإنسانية ، وملائكة البشر .

ونحن يا سيدى يا رسول الله ، نحن نقولها كل يوم ، على منائرنا ومنابرنا ، وفى أسواقنا ومنازلنا ، وعند دهشتنا ومسرتنا ، لا نرى كلمة أخف منها على اللسان ، ولكنها لا تجاوز ألسنتنا ، ولا تبلغ أفئدتنا ، ولا يكون لها أثر فى حياتنا فهل نحن مسلمون ؟

وجئتهم بالقرآن فحاربوه ، ومنعوا القارئين أن يتلوه ، وفروا منه حتى لا يسمعوه ، ولكنهم كانوا إذا وقعت إلى أحدهم الآيات منه ، بدلته تبديلا وجعلته رجلا آخر : أقبل عمر الغليظ الجافى ، عدو الإسلام الألد ، ليأتى الجريمة الكبرى ، فسمع آيات معدودات ، فإذا هو ينقلب إلى عمر المؤمن الرقيق العبقرى الذى أدار وحده إحدى عشرة حكومة من حكومات هذه الأيام بسلمها وحربها، وقضائها وماليتها ، وداخليتها وخارجيتها ، وجليل أمرها وحقيره ، ما قصر فى شىء منه ولا أساء ، فكان نادرة الزمان ، وأعجوبة الفلك ، ونحن نسمع المرتلين يتلون القرآن فى كل لحظة وفى كل مكان ، فى الأفراح والأتراح والحفلات والإذاعات ، بحلوق لعلها أندى من حلق قارىء عمر ، ونغمات أحلى ، وأصوات أشجى ، ومعرفة بالتجويد وضبط للمخارج والأداء ، وبصر بالألحان ، ولكنها لا تصنع بنا ماصنعت بعمر ، ما نجد لها إلا الاهتزاز والطرب ، كما نهتز لكل أغنية حلوة تسمعها آذاننا ، ونطرب لكل صوت شجى تعيه أسماعنا ، ثم نقوم عنها فنمضى فى الحياة حيث توجهنا عقولنا وأهواؤنا ، فهل نحن مسلمون ؟

ودعوتهم إلى الإيمان ، فآمنوا بالله إيمان مراقبة وخشية وتقى ، واستحيوا منه أن يراهم عاصين مخالفين ، فاستقاموا على الطريقة ، وجعلوا أهواءهم تبعاً لما جئتهم به ، فإذا غلبتهم نفوسهم فألموا بذنب ، ومن هو الذى لا يذنب ؟ تابوا إلى الله وأنابوا ، ولم يصروا ويستمروا .

وآمنوا بالملائكة ، فتشبهوا بهم ما استطاعوا فى طاعتهم وعبادتهم ، وأحيوا الملكية فى نفوسهم ، فأماتت بحياتها البهيمية والشيطانية ، ورب إنسان هو أقرب إلى البهيمة وأدنى إلى الشيطان ...

وآمنوا بالكتب ، وصدقوا بالقرآن ، فتلوه تلاوة تدبر واستنباط ، فأتوا ما أمر به وانتهوا عما نهى عنه ، وجعلوه لهم إماماً ، وحاكما مطاعاً .

وآمنوا بالرسل وبك خاتمهم وإمامهم ، فاستمعوا لقولك ، وأطاعوا أمرك ، واتبعوا سنتك ، وكنت أحبّ إليهم من آبائهم وأبنائهم ومن نفوسهم التى بين جوانبهم .

وآمنوا بالقضاء والقدر ، فسعوا للدنيا سعيها ، وطلبوا المال من حله ، وأعدّوا للعدو ما استطاعوا من القوة ، ولم يدخروا وسعاً فى سعى ولا طلب ولا إعداد ، ولكنهم رضوا بما قدر الله عليهم بعدُ من نتائج ، وما قسم لهم من حظوظ ، ولم يجعلوا الدنيا أكبر همهم ، ولا منتهى أملهم ، ولم يتكلوا على المال ولا الولد ، لأن الله هو المعطى المانع ، ولم يتكالبوا على الدنيا لأن الله هو المطعم الرازق ، ولم يقعدوا عن الجهاد خوف الموت ، لأن الأعمار بيد الله ، فلا تموت نفس حتى يجىء أجلها .

فكان إيمانهم ظاهراً فى كل عمل من أعمالهم ، وفى كل لحظة من أعمارهم ، فى عبادتهم يخلصونها لله لا يريدون بها إلا وجهه ، فلا يتبعون بها عادة ، ولايبتغون بها رياء ، وفى معاملتهم الناس لايغشونهم ولا يظلمونهم ، ولا يكذبونهم ولا يؤذونهم وفى بيوتهم وأسواقهم ، وسفرهم وحضرهم . وصحتهم ومرضهم ،

وأسرارهم وأعلانهم. فهل نحن مؤمنون كإيمانهم ؟

يا سيدى يا رسول الله ، لقد أقمت الإسلام على خمسة أركان فما زال الشيطان يغرينا بأركانه الخمسة حتى هدمناها أو أزلزلناها ، فكان فينا من يقول كلمة الشهادة ولا يؤدى حقها ، ومن يدعى الإسلام ولا يصلى ، ومن يصلى بجوارحه ولسانه لا بقلبه وجنانه ، يقوم إلى الصلاة ليستريح منها لا ليستريح بها ، لا يجد فيها أنس نفسه ولا قرة عينه ، فلا تنهاه صلاته عن فحشاء ولا منكر ، فكأنه ما وقف بين يدى الله ، ولا ناجى بلسانه مولاه ، ومن يدعى الإسلام ولا يصوم ، ومن يصوم عن أكله وشربه ، لا يصوم عن قول الزور والعمل به ، ولا يسلم المسلمون من لسانه صائماً ولا يده ، فلا يرقق له الصوم له قلباً فيعطف على جائع ، أو يحسن إلى فقير ومن يدعى الإسلام ولا يزكى ولا يحج ، ومن يحج ليسيح فيرى البلاد ، ويتجر فيجمع المال ، ويكسب من حجه الذكر والجاه ما طهر بالحج قلبه ، ولا غسل ذنبه ، ولا أرضى ربه .

وتركتنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها ، حلالها بين وحرامها بين ، وقلت لنا إن لكل ملك حمى ، وإن حمى الله محارمه ، ونهيتنا أن نحوم حول الحمى لئلا نقع فيه ، فتعدينا حدود الله ودخلنا حماه ، وأتينا المعاصى جهاراً نهاراً ، لا نخشى عاراً ، ولا نخاف ناراً ، ولا رباً جباراً ، بلغتنا قانون الله الذى أنزله لنحكم به ، وسقت إلينا أشد الوعيد ، وأبلغ التهديد ، إن نحن لم نحكم به ، فتركناه وحكمنا بقانون فرنسة . فهل نحن مسلمون ؟ !

يا سيدى يا رسول الله صلى الله وسلم عليك .

لقد كان معك أربعون تخفيهم دار الأرقم فى أصل الصفا ، فأظهرهم الحق حتى فتحوا المشرق والمغرب ، وكان لك منبر واحد درجات من الخشب لا مزخرفات ولا منقوشات ، فأسمعت منه الدنيا كلها صوت الحق ، دعوتها فلبت ، وأمرتها فأطاعت ، ولنا اليوم مائة ألف منبر ، فيها النقش البارع ، والزخرف الرائع يعلوها الخطباء فينادون : « يا أيها الناس اتقوا الله » . فلا يتقى أحد ، لأن الخطيب ما قال إلا بلسانه ، والمصلى ما استمع إلا بآذانه قد فسد العلماء فهم يعلمون ولا يعملون ، ويزهدون من الدنيا ولا يزهدون ، ويقولون : « الساكت عن الحق شيطان أخرس » . ويسكتون ، ويتلون : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ويذلون للوزراء والأغنياء والسلاطين . فسد العلماء ففسد الناس فمن أين ينتقى الصلاح ؟

فنحن اليوم أربعمائة ألف ألف ، أمرنا بالجهاد لنفتح الدنيا فقعدنا حتى فتح العدو أرضنا ، وملك ديارنا ، وحكم رقابنا ، ولا نزال قاعدين نلهو ونلعب ، نعين على أنفسنا ، ونهدم معه دورنا وديننا بأيدينا ، وننظر مالم يأتنا هو به من شروره ، فنأخذه نحن بأنفسنا : أخذنا قوانينه وتركنا لها قرآننا ، وعاداته وتركنا لها أخلاقنا ، وفسوقه فأضعنا فيه أعراضنا .

وقد غدونا دولا وحكومات وأحزاباً وجماعات ، وما المسلمون إلا أخوة فى أسرة واحدة ، وما هم إلا أحجار البناء المرصوص يشد بعضه بعضا .

* * *

ولكنا لم ننس أن نحتفل بمولدك ، وأن ننصب الأعلام ، ونذبح الأنعام ، ونجتمع على الخطب والكلام ، والشراب والطعام ، فهل يكفر هذا ما أذنبنا ؟ هل يعجبك يا رسول الله ما فعلنا ؟ هل يرضى به ربك عنا ؟ !

يا رسول الله ! لقد ركبتنا ظلمات فوق ظلمات ، وحاقت بنا مصائب بعد مصائب ، وخفت صوت المصلحين ، وعلا نداء الضالين المضلين ، وتوارى الحق وجال الباطل ، فما العمل ؟ ضاقت الحيل ، وضعف الأمل ، وانسدت طرق الأرض ولم يبق إلا طريق السماء ؟!

(القاهرة) على الطنطاوى

الأدب فى سير أعلامه :

تولســـتوى . . . !

[قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

— ١ —

طفولة ونسب



أطل من نافذة قصر أنيق أقيم على مرتفع فى ضيعة ياسنايابوليانا الجميلة، طفل فى الخامسة من عمره ، وقد أعجبه ذلك المنظر البهيج من حوله ، ذلك المنظر الذى ألفته نفسه وباتت تأنس به روحه ويتعلق بجماله حسه .

كان الطفل يمد عينيه الصغيرتين الحالمتين إلى كل ما يحيط به إلى الغابات التى تتناثر هنا وهناك ، وإلى النهر الذى تتثنى صفحته بين هاتيك الغابات فيظهر لعينيه جزء منه وتتوارى خلف الشجر أجزاء ، ثم إلى القرية الهادئة التى تتراءى لعينيه من بين الخمائل تحيط بها على مقربة من النهر برك صغيرة وأخرى كبيرة ، وتبدو كنيستها المتواضعة بجانب الأكواخ والعشش الصغيرة المبنية من الطين وجذوع الشجر ، والتى يفصل بينها طريق عريض هو طريق القرية الرئيسى ؛ ثم يمد الطفل عينيه إلى ذلك الطريق البعيد الذى سمع عنه فيما سمع أنه ينتهى عند مدينة تولا على مسافة عشرة أميال إلى الشمال وهى مسافة يصورها له خياله طويلة بعيدة ؛ وكم يتمنى أن يرى مدينة تولا هذه التى يسمع عنها وعن حياتها الشىء الكثير . وثمة طريق آخر يمتد إليه بصره هو الطريق المؤدى إلى كييف ، وإنه ليتمنى أن يرى كييف تلك المدينة التى يذكر اسمها الناس فى احترام وتقديس ، والتى يتقاطر إليها الحجاج مارين بضيعة أبيه فى هذا الطريق القديم ...

وإذا رد الطفل بصره وقع على الطريق المنحدر من القصر تحيط به أشجار الليمون ويقوم على جانبى مدخله برجان أبيضان جميلان . ولم يكد يتحول الطفل ببصره عما يرى حتى مشت فى صفحة وجهه سحابة خفيفة من الهم ، فقد تذكر أن عهده باللعب قد انتهى كما أخبرته العمة تاتيانا ، وأنه من غده سيدخل حجرة الدراسة كل يوم فى ساعة معينة من النهار فلا يبرحها إلا متى شاء معلمه أن يطلقه ... وهو منذ تلك السن يكره القيود كرهاً شديداً فكيف يطيق حجرة الدراسة ويطيق أن يأتمر بما يقضى به المعلم ؟ ذلك ما كان يكرب نفسه الصغيرة ، بعد أن أخذ ذلك المنظر بمجامع عينيه ، فهو يطل على مسارح لعبه ومجال حريته تحت هاتيك الخمائل وفى فناء ذلك القصر .

ولكن الصبى يعود فيذكر أن لا بأس من حجرة الدراسة وما فيها ؛ أو ليس معنى غدوه إليها أنه يغدو كبيراً فيقرأ ويكتب كما يقرأ إخوته ويكتبون ؟ فلا يدل عليه أحدهم بشىء ينقصه هو ولا حيلة له فى هذا النقص ، ولا يفاخره منهم أحد بكتبه ودفاتره فسوف تكون له كتب ودفاتر . وتطيب نفس الصبى بهذه الأفكار فهو يكره أشد الكره أن يتفاخر عليه أحد ، أو أن يشعر أنه دون من يحيطون به . وكثيراً ما دمعت عيناه غيظاً إذ يرى لغيره من دواعى الفخر ما ليس له . وهو سريع البكاء إذا غيظ لأنه لا يحب أن يغيظ أحداً . فليقبل إذاً على حجرة الدراسة فى غير نكد بل ليقبل عليها فى ارتياح . هكذا توحى إليه كبرياء نفسه الصغيرة ، وإنه منذ صغره لذو كبرياء ، وإن كان إذا غضب سريع البكاء .

وكان للطفل واسمه ليو ، ثلاثة إخوة أكبر منه وأخت هو أكبر منها . أما إخوته فهم : نيقولا وكان يكبره بخمسة أعوام ، وسيرجى وكان يكبره بعامين ونصف عام ، وديمترى وكان يكبره بعام وأربعة أشهر ، وأما أخته فهى ماريا ، وكانت دونه بسنة ونصف سنة .

وكانت تعيش مع صغار الأسرة بنت ليست منها وهى بنت غير سفيحة لأحـد الأصدقاء المقربين من عميدها ، وكان أبناء الأسرة يحسنون معاملتها كما لو كانت أختاً لهم ، وماذا تصنع غير ذلك نفوس بريئة كهاتيك النفوس التى لم تدر بعـد لؤم الحياة ؟ . .

هؤلاء هم أفراد الأسرة الصغار ؛ فأما الكبار ففى مقدمتهم أبوه ، ثم تأتى بعد أبيه العمة تاتيانا ، ولم يعرف الصبى منذ بدأ إدراكه أماً له غيرها ، فقد ماتت أمـه كما يذكر أحياناً أخوه نيقولا فى همس وحزن عقب مولد أخته الصغيرة بأيام .

وهناك جدته لأبيه وهى تعيش فى هـذا القصر منذ مات زوجها ، ثم عمته ألين التى جاءت لتعيش فى حماية أخيها بعد أن أصيب زوجها بالجنون فقد بلغ به الجنون أن أطلق الرصاص ذات يوم على صدرها . وكانت ألين هذه عمته حقاً ، أما تاتيانا فكان يناديها بالعمة كما يفعل إخوته ؛ ولـكن نيقولا يفهمه ذات مرة أنها ليست عمتهما فهى ليست أختاً لأبيهما فيعجب ليو لماذا إذاً يدعوها الجميع عمتهم ولا يدرك مكانها من أبيه ولا موضعها من الأسرة ، ولعل نيقولا كذلك لم يكن أقل منه جهلا بهذا الأمر . وكيف يتسنى له أن يعرف أن أباه أحبها فى صدر شبابه وأنها أحبته ولـكنها أفسحت له الطريق ليتزوج بسيدة غنية يصلح بثروتها حال معيشته إذ رأت منه هذا الميل على الرغم من حبه إياها حباً وثقت منه ؛ وكانت تلك السيدة الغنية هى أمه ، فلما ماتت أمه عاد أبوه يطلب يدها فرفضت أن تتزوجه ولـكنها وعدت أن تـكون أماً أخرى لبنيه ، وها هى ذى تبر بوعدها فتكون لهم أماً فى مكان أمهم .

لم يكن يعرف ذلك نيقولا مفصلا هذا التفصيل فـما يجدر أن يُتحدث إلى الأطفال بمثل هـذه الأمور ، وحسب أولئك الأطفال أنها تحبهم وأنهم يحبونها حباً شديداً ، وعلى الأخص ليو فقد كان شديد الحب لها قوى التودد إليها ...

على أن عطف العمة تاتيانا عليه لم يشغله منذ هـذه السن الباكرة عن التفكر فى أنها ليست أمه ، وإن كان يرى منها مثلما يرى الأطفال من أمهاتهم ؛ وإنه ليسأل نفسه أين أمه ؟ لقد ذكر له نيقولا مرات أنها ماتت وإنه ليرى على وجه نيقولا أمارات الغم كلما أشار إلى ذلك ويرى كذلك دلائل الرهبة والألم . فما هذا الموت الذى حرمه من أمه ؟ إن خياله يصوره له شيئاً كريهاً مخيفاً وإنه ليخاف من إسمه وينفر منه ولـكنه لا يدرى ما هو .

وإن الطفل ليرهف أذنيه كلما تحدث متحدث عن أمه ، ولئن كان يحزنه أنه لم يرها فأنه يطيب نفساً بما يسمع من صفاتها والثناء عليها ، وإنه ليجد من عطف عمته تاتيانا ما يخفف حزنه ؛ ثم إنه ليزداد حباً لهذه العمة كلما سمعها تذكر بالخير أمه ، وتظهر الأسف على فقدها بكلماتها أو بما يبدو من صور الهم على ملامح وجهها ..

وتقع عينا الطفل فى القصر على عدد من المربين والمربيات ، ومن الخدم على اختلاف مراتبهم وتنوع أعمالهم ؛ ويجد لأبيه السيطرة على هؤلاء جميعاً ، فما يلقاه أحد منهم إلا بعبارات التجلة وتحيات الاحترام ، فيداخل نفس الطفل شعور الفخر بجاه أبيه وعظمته ، ثم إنه إذا مثل بعض هؤلاء الفلاحين الذين يسكنون القرية القريبـة بين يدى أبيه رآهم يحنون رؤوسهم خاشعين ، ويخاطبونه بألقاب السيادة والعظمة ، والسعيد منهم من ظفر بلثم يده إذا شاء أن يمدها إليه ، ويعجب إذ يرى أباه يخاطبهم أحياناً فى ازدراء ويعنف عليهم فى لهجة الأمر والنهى ، ويتساءل بينه وبين نفسه لم يترفع عليهم أبوه هذا الترفع ، ولم لا يعاملهم كما يعاملونه ، ولـكن نيقولا يخبره إذا سأله أن الفلاحين فى الضيعة كلها ملك أبيه وملك أجداده كما حدثته بذلك العمة تاتيانا .

على أنه يعلم فيما يعلم أن القصر والضيعة كانا من أملاك أمه ورثتهما عن آبائها من أسرة فولـكنسكى ، ولـكن رأسه الصغير لا يتسع لـما يقال عن نسب أمه ونسب أبيه ، وإن أخاه نيقولا نفسه الذى كثيراً ما علمه ما لم يكن يعـلم يبدو منه العجز والتناقض إذا تحدث عن هذا النسب ، ولا تحدثه العمة تاتيانا عنه إلا بقدر ما تعتقد أنه يفهم .

***

لم يكن يستطيع الطفل فى تلك السن أن يدرك حديث نسب أبيه ونسب أمه فأنه حديث طويل وتاريخ قديم ...

كان بطرس أندرفتش تولستوى أول فرع باسق من فروع أسرة تولستوى التى نبت أصلها فى ألمانيا من زمن بعيد ؛ وقد

بدأ سموق هـذا الفرع فى عهد العاهل المظيم بطرس الأكبر الذى ولى أمر الروسيا فى أواخر القرن السابع عشر .

حارب بطرس أندروفتش تولستوى فى معركة أزوف عام ١٦٩٦ ؛ وأرسله القيصر بعد ذلك إلى أوروبا ليتعلم بناء السفن ؛ وفى مستهل القرن الثامن عشر عينه سفيرا لروسيا لدى الباب العالى ، ولما اشتبكت الدولتان فى حرب عام ١٧١٠ ألقى به فى سجن الأبراج السبعة ، وكان يلقى فيه السلطان بالسفراء الذين يكون بينه وبين دولهم حرب ، ولما عاد بطرس إلى بلاده عام ١٧١٤ وصل إلى منصب الوزارة ...

ولم ينس العاهل الجبار بطرس الأكبر صنيع وزيره هذا إذ أرسله إلى إيطاليا ليعود بابنه أليكسى ، وكان قد هرب من بلاده خوفاً من غضب أبيه عليه لما كان من معارضته إياه فى إصلاحاته ، ولم يزل به ذلك الوزير الماكر يغريه ويمنيه ، ويستمين عليه سراً بخليلته حتى عاد به إلى روسيا حيث أسلمه إلى الموت نكال أبيه ، وجزى بطرس رسوله بالمال والضياع المترامية . ومما يروى عن القيصر المظيم أنه فى أواخر أيامه كان يمس بكفه رأس وزيره قائلا : « أيها الرأس ... ! أيها الرأس ، لولا ما أنت عليه من مهارة لمضى اليوم زمن طويل على الاطاحة بك من فوق كتفيك » .

ويأتى دوران الفلك إلى عرش روسيا بنجل أليكسى بعد ، فيكون أول ما يعنى به القيصر الجديد أن يقتص من ذلك الذى خدع أباه حتى جره إلى مواطن الحتف ، ولئن سقاه أمس جده الكأس عسلا فانه اليوم يجرعه إياها علقماً ، فقد جرده من ألقاب شرفه ونفاه إلى أركينجل نفياً لم تكن منه عودة ...

على أن ذلك الفلك الدوار يضع على العرش عام ١٧٤١ القيصرة إليزابث إبنة بطرس الأكبر فترد إلى أسرة تولستوى شرفها وضياعها فى شخص أندرو إيفانوفتش تولستوى حفيد ذلك الذى قضى نحبه فى أركينجل .

وينمو من هذا الفرع الجديد السامق فرع هزيل رخو هو ابنه إليا تولستوى ، فلقد كان ماجناً مستهتراً ضيق العقل ، بسط يده كل البسط فى ثروته العظيمه فبددها ، ثم بدد بعدها ثروة زوجه الغنية ، ولولا أن تداركه بعض ذوى النفوذ والثراء من أقربائه لحاق به سوء ما فعل ، فبفضل هؤلاء عين إليا تولستوى حاكما لقازان واستطاع أن يسترد بعض ما فقد ...

ورزق حاكم قازان بغلام سماه نيقولا ، وترك له بعد موته ما بقى من أملاك الأسرة ، وفى عهد نيقولا هذا وهنت ثروة الأسرة وهناً شديداً ولكن لم تكن له يد فى ذلك وإنما حدث هذا بسبب غيابه إذ أسره الفرنسيون ، وكان لم يتجاوز الثامنة عشرة أثناء حملة نابليون على روسيا ، وظل سجيناً بفرنسا حتى غلب نابليون على أمره فأطلقت سراحه جيوش الحلفاء الظافرة بعد دخولها باريس ... ولم يجد نيقولا ماير أب به ما تصدع ويصلح ما فسد خيراً من زواجه بذات ثراء ، وتم له ذلك بزواجه من مارى فولكنسكى العظيمة الثراء الكريمة المحتد .

وكان لأسرة فولكنسكى إلى الثروة وعراقة الأصل ، الشمم والبطولة وقوة الروح واستقلال الرأى وصرامة العزم فتلك خلال ظهرت كلها أو بعضها فى أفرادها ، ومن هؤلاء ثائر اشترك فى ثورة الديسمبريين وعوقب بالنفى ثلاثين عاماً فى سيبيريا حيث صحبته زوجته عن طوع ، ومنهم ابن عم له خاض المعارك ضد نابليون فى حماسة وبسالة أعجب بهما نابليون إعجاباً حمله على أن يرسل فى طلبه وهو جريح أسير وعرض عليه أن يرد إليه حريته إذا قطع على نفسه عهداً ألا يحاربه مدة عامين ولكنه رفض هذا العرض فى شمم وكبرياء ...

وعرفت كذلك أسرة فولكنسكى بصلة النسب بين كثير من أفرادها وبعض ذوى القدرة الفنية من المؤرخين والأدباء والنقاد والشعراء ، وكانت تربط مارى فولكنسكي وشائج الرحم من بُعد بشاعر روسيا الأكبر بوشكين .

وكانت ضيعة ياسنايا بوليانا من نصيب مارى فولكنسكى عند زفافها إلى نيقولا تولستوى نالتها من أبيها كما نالت ذلك القصر الأنيق الذى استقرت فيه وزوجها عقب زواجهما ، وكان ذلك القصر الأنيق الذى تستوقف الأعين أخشابه الزاهية اللون فى وسطه ويمتد جناحاه الحجريان العظيمان يمنة ويسرة إلى مسافة بعيدة ، يقع فوق مرتفع على مقربة من الضيعة . وفى اليوم الثامن والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٨٢٨ ولد فيه ذلك الغلام الذى يقف الآن وهو فى الخامسة من عمره يطل من شرفته على الضيعة والنهر والغابات والقرية القريبة ، ويذكر ما أخبرته به العمة تاتيانا فى رفق وهو أنه لم يعد بعد صغيراً وأنه سيدخل حجرة الدراسة من غده فلا يبرحها إلا متى شاء معلمه أن يطلقه .

(يتبع) **الخفيف**

اكتبوا للأطفال

للأديب محمد سعيد كيلاني

الشبان عندنا منصرفون عن كتب الأدب ، وفيها زاهدون بل إن طلبة الجامعة ينظرون شزراً إلى قسم اللغة العربية ، ويركبونه — غفر الله لهم — بالدعابة والسخرية .

ولا غرابة فى ذلك فإننا لم ننشئهم تنشئة تطبعهم على احترام لغتنا القومية ، وحب هذا التراث القيم من نظم ونثر . أجل ! لقد أهملنا تغذية عقول أطفالنا إهمالا شنيعاً فى حين أن الأمم الأوربية اهتمت بهذا النوع من التأليف وأنفقت فى سبيل ذلك أموالا طائلة .

١ — فرنسا :

وكانت فرنسا أسبق هذه الأمم إلى إخراج كتب للأطفال . ففى القرن السابع عشر جلس على عرش تلك البلاد الملك المظيم لويس الرابع عشر .

وفى عصره ظهر عدد كبير من الكتاب والشعراء ، وألفت مسرحيات رائعة ، ونهض غير واحد من الكتاب بالتأليف للأطفال ، ونخص بالذكر منهم « بيرو » الشاعر المعروف والعضو بالأكاديما الفرنسية ، فقد أخرج بعض القصص بأسلوب سهل وعبارة جذابة ، بيد أنه استنكف أن ينسبها إلى نفسه فنحلها ابنه . ثم أخرج مجموعة « أقاصيص وحكايات الزمان الماضى » باسمه هو لا باسم ابنه كما فعل من قبل .

ومضى بعد وفاة « بيرو » زمن طويل لم يمن فيه أحد بإخراج شىء من أدب الأطفال حتى جاء القرن الثامن عشر فظهرت « لبرنس دى بومون » وكانت تزاول تعليم الأطفال فى فرنسا فكتبت عدداً عظيما من القصص ، ولعل من أهمها قصة « مخزن الأطفال » ولكنها لم ترزق خيالا واسعاً ولا أسلوبا قويا ، فلا عجب أن اندثرت حكاياتها ولم يبق منها شىء يذكر .

وفى ذلك القرن ظهر « جان جاك روسو » ونشر آراءه فى تعليم الأطفال وتربيتهم فآمن بها كثيرن فى فرنسا وغيرها من البلدان . فقامت « مدام دى جنلس » (١٧٤٦ — ١٨٣٠) بتأليف كتب كثيرة للأطفال . وكانت تسير فى تعليمهم على مبادىء «روسو» . ولم تمن بتربية الخيال عندهم ولكنها حرصت حرصاً شديداً على سلامة أخلاقهم .

وظهر بين عامى (١٧٤٧ ١٧٩١) أديب كبير منح الأطفال قسطا كبيرا من عنايته فأنشأ لهم صحيفة خاصة بهم أطلق عليها « صديق الأطفال » وقد عرف هو نفسه بهذا اللقب . وامتاز بأسلوب فى منتهى السهولة واللين . ولم يكتف بما فى لغة بلاده بل نقل كثيراً مما ورد فى لغات الأمم الأخرى . وبهذا استطاع أن يسد فراغا كبيراً ، وأن يشبع رغبة الصغار فى القراءة

ولم تشرق شمس القرن التاسع عشر حتى كثر عدد الكتاب الذين زاولوا هذا النوع من التأليف .

وفى القرن العشرين بلغ عدد ما يطبع سنويا من قصص الأطفال بضعة ملايين ، كما أن الصحف الخاصة بهم كثرت وانتشرت فى كل مكان .

٢ — فى انجلترا :

ويغلب على الظن أن العناية بكتب الأطفال فى انجلترا بدأت بعد ظهورها بفرنسا . فأنشأ « نيوبرى » مكتبة خاصة للأطفال حوت كثيراً من الكتب التى تستهوى أفئدتهم ، ومن بينها قصص ألفت عن خرافات العصور الوسطى . ولما سرت تعاليم « روسو » و « لوك » وغيرهما من المفكرين إلى بلاد الإنجليز تأثر بها كتابهم إلى أبعد حد . ولا شك فى أن « توماس داى » كان من أعظم كتاب الإنجليز تأثرا بتعاليم « جان جاك روسو » وقد ألف للأطفال قصة دعاها «ستانفورد ومرتون» تدور حول غلام سىء الأخلاق والتربية يدعى « توماس مرتون » وهو من أب انجليزى هاجر إلى الهند وأثرى ثراء عظيما . ولما رجع إلى بلاده نشأت صداقة بين ابنه هذا وبين ابن أحد جيرانه وهو « هارى ستانفورد » وكان حسن الأخلاق طيب التربية بفضل تعاليم قس القرية « المستر بارلو » ولما فطن والد « توماس » إلى

حقيقة الأمر ناط بهذا القس تعليم ابنه وتهذيبه . فنتج عن هذا أن أصبح الصبي « توماس » صالحا لا عوج فى أخلاقه .

وظهر بعد « توماس داى » كتاب كثيرون منهم «دى فو» مؤلف قصة « روبنصن كروزو » التى نالت شهرة واسعة ونقلت إلى جميع لغات العالم وقام فى كثير من البلاد الأوربية من قلدها ونسج على منوالها .

ولد « دى فو » سنة ١٦٦٠ وتوفى سنة ١٧٣١ واشتغل بالتجارة ولكنه أصيب بالفشل . واشتغل بغير التجارة فصادفه الإخفاق التام . وكان مشغوفا بالسياسة فأصدر فى عام ١٧٠٣ نشرة أغضبت ملك الإنجليز فأمر بإلقاء القبض عليه ومحاكمته . وأخيراً اضطر إلى مغادرة لندن والالتجاء إلى الريف . وهناك كان يقضى وقته فى الكتابة والتأليف . وفى سنة ١٧١٩ أخرج هذه القصة الشهيرة .

ثم ظهرت قصة رائعة أخرى وهى « أسفار جوليفر » لمؤلفها « سويفت » وكان هذا الكاتب فقيراً جداً . وحاول أن يشتغل بالسياسة ولكنه لم يفلح فاضطر إلى الرجوع إلى موطنه الأول ارلندا وفى سنة ١٧٢٩ أخرج هذه القصة فى أسلوب مشرق الديباجة .

ثم تتابعت قصص الأطفال فى انجلترا . ومن أشهرها « أليس فى بلاد العجائب » لمؤلفها « لويس كارول » (١٨٦٥) و « بيتربان » (٢٦ ديسمبر ١٩٠٤) وغيرهما مما لا يتسع المجال لذكره . وظهرت صحف يخطئها العد للأطفال دون سواهم . وقد ساهم فى تحريرها الأطفال من الأمراء والنبلاء .

٣ — فى الأمم الأخرى :

وقد تسابقت الأمم الغربية الأخرى فى هذا المضمار وقطعت فيه شوطا بعيدا . فأنشأت أمريكا مكاتب عامة للأطفال ووكلت إدارتها إلى فريق منهم . وتطبع فى أمريكا ملايين القصص فى كل عام ، وتصدر مئات الصحف التى يشرف عليها الأطفال وتدبجها أقلامهم .

واهتمت فنلندة وغيرها من أمم شمال أوربا بأدب الأطفال كل اهتمام . وامتازت قصصهم بخيال خصب ، ترى عليها مسحة من الهزل والطرافة ، ولوناً من الحزن يقربها إلى النفس . وممن برع من كتاب أهل الشمال فى هذا الباب الأديب الفنلندى « اندرسن » الذى ولد عام ١٨٠٥ وتوفى عام ١٨٧٥ . ومن خير كتبه التى أخرجها للأطفال قصة « ملكة الثلج » .

ولم يقصر أهل الجنوب فى هذا الميدان ، بل أعطوه قسطاً كبيراً من عنايتهم . وقد كان لقصص الأطفال أكبر تأثير فى العمل على وحدة كل من إيطاليا وألمانيا . وامتازت قصص أهل الجنوب بالدرس والتحليل والبحث والتمحيص ، وتحكيم المنطق فى كثير من الأمور ، فلم يكن للخيال عندهم نصيب مذكور .

٤ — فى الشرق :

أما فى الشرق فلم يعن أحد بالاتجاه فى هذه الناحية وذلك لتفشى الأمية وعدم العناية بتثقيف النشء . وبقيت هذه الحال حتى عام ١٩٢٨ إذ قام فى مصر الأديب المعروف الأستاذ كامل كيلانى فأوقف مجهوده ووقته لخدمة الأطفال فأخرج فى ذلك العام قصة « جوليفر » فى أسلوب سهل وضبطها بالشكل وحلاها بكثير من الصور فصادفت رواجا كبيراً شجعه على نقل غيرها من روائع الغرب . ثم اتجه هذا الأديب إلى ما ورد فى اللغة العربية من نفائس القصص فبسطها وحذف منها ما لا يتفق مع عقليات الأطفال وأذواقهم فبدت شائقة جذابة ، وانتشرت فى أنحاء الشرق العربى كما ترجمت إلى جميع اللغات الشرقية وبعض اللغات الأوربية وعلى هذا يمكننا أن نقول إن الأستاذ كامل كيلانى قد سد فراغا كبيراً كان من الضرورى أن يُسد ، ووضع أساسا صالحا لأن نشيد فوقه بناء لا يتطرق إليه الخلل .

فما لا شك فيه أن أدباءنا الذين حصروا أنفسهم فى الأدب العالى قد شيدوا الجدران والسقف قبل أن يضعوا الأساس . وهذا هو السر فى إعراض شباننا عن قراءة كتب الأدب وانصرافهم إلى الروايات التافهة الساقطة التى تنقل عن الغرب .

محمد سيد كيلانى

الأدب والفن في أسبوع

تراجم جديدة للقرآن :

ظهرت أخيراً ثلاث تراجم للقرآن الكريم ، الأولى باللغة الأنجليزية ، وقد قام بهذه الترجمة الشيخ عبد الله يوسف من رجال المفوضية السعودية بالولايات المتحدة ، وأشرف على طبعها الشيخ خليل الرواف ، وتقع هذه الترجمة فى مجلدين ، يشتمل كل منهما على ألف وخمسين صفحة .

والثانية باللغة الفرنسية ، وقد قام بطبعها المستشرق « ريجيس بلاشير » أستاذ الأدب العربى فى معهد الدراسات الأسلامية بباريس ، ومؤلف كتاب « نقاد المتنبى » .

والثالثة باللغة الأسبانية وقد قام بها الأستاذان « سيف الدين رحال » و« ستنيا غوم بير الله » ، وتقع فى ثلاثة أجزاء ، وقد كتب الترجمان للترجمة عدة مقدمات باللغتين الأسبانية والعربية تناولا فيها اعجاز القرآن وتاريخ الأنبياء وروح الأسلام وما تضمنه القرآن من نظريات فى العلم والاجتماع والعمران .

وللقرآن تراجم كثيرة فى كل لغة ، ثم هو لا يزال مقصد المترجمين وموضع اهتمامهم ، ونحن نذكر أنه منذ سنوات قامت ضجة كبيرة فى مصر بين العلماء حول ترجمة القرآن ، ونذكر أن الرأى اتجه يومذاك إلى ما سموه بترجمة معانى القرآن ، ووضع مشروع رسمى لهذا ، وألفت لجنة من المختصين لتضطلع بهذه المهمة ، وأرصد لها المال اللازم فى ميزانية الدولة ، وقالوا إن هذه اللجنة باشرت عملها فعلا ، وانتظرنا ، ثم انتظرنا ، وإلى اليوم لم نر أى أثر لهذا كله ، ولم نسمع أدنى خبر عن تلك اللجنة !! ولسنا ندرى ما الذى عطل ذلك المشروع وعاق سبيله .

إن ترجمة القرآن ، أو معانى القرآن كما يقولون أصبحت ضرورة لازمة وواجباً يتحتم علينا أداؤه ، وإن من المحتم أن تكون هناك ترجمة مقومة مصححة ينهض بها علماء ثقات فى علوم القرآن وإدراك أسراره ، ويجب أن تكون هذه الترجمة بجميع اللغات الحية الذائعة ، أما أن نظل جامدين ، ونترك الباب مفتوحاً للمستشرقين ولغيرهم من أصحاب الجهود الفردية يترجمون القرآن كما يشاءون وعلى قدر ما يفهمون ، فأننا لا شك نجنى على القرآن الكريم بجمودنا وإهمالنا . وإذا كان الأزهر — وهو أكبر جامعة إسلامية — لم يستطع أن ينهض بهذا ، ولم يمكنه أن يمضى فى ذلك المشروع الذى وضع من قبل ، فأن لنا كبير الأمل فى الجامعة العربية أن تجعل هذه المهمة ضمن غاياتها الثقافية .

مصر التى علمت العالم :

أشرنا فى عدد سابق إلى وصول الأديب الفرنسى الكبير « جورج ديهاميل » إلى مصر ، وقلنا إنه سيذيع فى مصر عدة محاضرات ثقافية ، ونقول اليوم إنه ألقى فعلا ثلاث محاضرات كلها إشادة بالثقافة الفرنسية وتمجيد لآثارها فى الفن والأدب وخدمة الأنسانية ؛ ولكن أسلوب « ديهاميل » الرائع البارع يضفى عليها جدة وخلابة ، وقد عرض « ديهاميل » فى إحدى محاضراته هذه إلى الحديث عن مصر القديمة بأسلوب طلى فقال :

« قلما تدهشنى مناظر الأرض حين أراها من عل . حقاً إنها تبدو فى هذه الحال غريبة بمقتضى مقاييسنا الأنسانية ، وكثيراً ما أكون كلفاً بهذه الجغرافية المجردة ، ولكنى لا أتأثر بها إلا نادراً ، ومع ذلك فقد شعرت بتأثر لا شك فيه عند ما تكشفت لى دلتا النيل فجأة ، بعد أن أمضيت ساعات فوق صحراء جرداء عابسة . ولست أعزو هذا التأثر إلى شعورى بأنى استعدت مرة أخرى الحياة والخضرة وهما رمز الرجع الأبدى ، كلا ! فأن الذى هزنى وغير إحساسى فجأة أن ألمح هكذا وبنظرة واحدة بعد التنقل من حال إلى خال ، إحدى البقاع المقدسة التى انبعثت منها حضارة الغرب ، وهى مصر … » .

« لقد تشكلت هذه الحضارة وتهذبت فى بطء على ضفاف النيل ، ثم انتشرت — كمياه النهر الكبير — فى شرق البحر المتوسط ، فبلغت الجزر ، وامتدت إلى آسيا الملساء ، وغزت شيئاً فشيئاً كل ما سماه « فاليرى » بحق : قارة البحر المتوسط ،

ومن هذا المكان قفزت إلى أوروبا كلها ، ومن شواطئها وثبت إلى القارات الأخرى ثم تهذبت هذه الحضارة تهذيباً كبيراً واسعاً على ممر الأيام ، وظلت مصر التي كان لها في المهد القديم مكانة مرموقة وهي غريبة عن أجيالنا ، فقصارى القول أنها ظلت في الظاهر — على الأقل — بعيدة عن الأسهام في البناء القريب الذي كرست له كل شعوب الغرب جهودها ».

« ولكن مصر البدائية هذه التي تبدو لنا غامضة كالطلسم ، والتي يتعذر فهمها على الرغم من جهود العلماء التي تبعث الإعجاب ، قد علمتنا درساً كبيراً في الماضي ، ولا تزال تعلمنا هذا الدرس إلى اليوم ، وإلى آخر الدهر ، هذا الدرس الذي يخطىء هذا المجتمع المتحضر كل الخطأ إذا هو غمطه ، فقد أرتنا منذ بداية التاريخ أن من أهم ما يجب على الإنسان أن يجاهد من أجله ، هو أن يستخلص من النسيان شيئاً ، وأن يخلف من شخصه أو من جهده أثراً خالداً . وكثير من الناس يشيرون في كل وقت إلى الخلود والأبدية ، ولكن كثيراً منهم لا يفرقون بين الخلود والأبدية ، فهم حين يستعملون هاتين الكلمتين اللتين تبعثان في النفس الرهبة والخشية إنما يعربون في بساطة ساخرة أو مستترة عن اعتقادهم بأنهم فانون،وعن رغبتهم كذلك في أن يظلوا أحياء بعد موت غيرهم ، إن لم يكن بأشخاصهم فلا أقل من أن يكون بأثر من آثارهم يحيي ذكراهم بعد مماتهم .. » .

« .. ذلك هو الدرس الذي تلقيه علينا مصر القديمة ، وقد عرفته من أول زيارة لها ، فبهرني وأنا أنظر من أجواء عالية فأرى النهر القديم ينساب في جلال بين آثار إنسانية باقية . ولا شك عندي أن أكثرها دواماً وخلوداً تلك التي خلفها لنا الألى لا نكاد نعرف عنهم شيئاً إلا أنهم دفنوا أحقادهم وكل أمر يدعو إلى الخصام .. » .

كتاب له قصة :

في العدد السابق من « الرسالة » أشرت إلى ما نهض به السيد محمد كرد علي بك في نشر وتحقيق كتاب « المستجاد من فعلات الأجواد » للمحسن بن علي التنوخي ، وأشدت بهذا الصنيع على أنه مأثرة حميدة في خدمة التراث العربي ، وبعث آثاره المطمورة ، ووصل حلقاته المفقودة .

وقد حدثني أديب فاضل بقصة عجيبة غريبة عن نشر هذا الكتاب قال : « لقد كانت الفكرة في هذا فكرة الأديب الباحث الأستاذ السيد صقر ، فهو الذي جمع أصول الكتاب ، وقام بتصحيحه وتحقيقه ، وتأهب لنشره ، وأعلن ذلك في الصحف لأهل العلم والأدب ، وكان قد التقى في العام الماضي بالسيد كرد علي بك وأطلعه على هذه الغاية ، وطلب منه أن يفيده بما لديه من خبرة في ذلك .. ومضت أيام ، وبينا الأستاذ صقر ماض في خطته إذا بنبأ من الشام يقول حسبك ، فأن الأستاذ كرد علي قد قام بنشر الكتاب . وإن أخانا صقرا الحائر فلا يدري ما ذا يصنع؟ أيصرف نفسه عن هذه الغاية على ما بذل في الكتاب من جهد وعناء ، أم يقوم بنشر الكتاب وفيه ما أسدى وأفاد »

قلت إنها قصة تروى .. وإني لأعرف من أمثالها كثيرات ، ولكني أقول ما قال « الجاحظ » من قبل « ولولا أن أكون عيابا ، وللعلماء خاصة ، لأريتك من هو أبو عبيدة ، ومن هو في وهمك أبعد من أبي عبيدة » .

فحسب أخينا الأديب صقر ما قدم ، ولعله يحتسبها إحدى « فعلات الأجواد » وإن كان صنيع شيخنا كرد علي ليس « بالمستجاد » .. وإن مما يروى عن عبد الله بن الزبير أنه دخل على معاوية فأنشده لنفسه .

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته
على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه
إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

ثم دخل معن بن أوس وأنشده قصيدته التي مطلعها :

لعمرك ما أدري وإني لأوجل
على أينا تعدو المنية أول

حتى أتى عليها وفيها البيتان السابقان بلفظهما ، فأقبل معاوية

على عبد الله بن الزبير قائلا : ألم تخبرنى أنهما لك ! فقال : نعم ، وهو أخى من الرضاع ، وأنا أحق الناس بشعره ! . .

حرية الرأى والحكومة :

أخرج الأديب اللبنانى الأستاذ « مارون عبود » كتاباً بعنوان « الرؤوس » تناول فيه العرب وعاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم وأوضاعهم بأسلوب سفساف ، تجاوز الحق والأنصاف

وقد تناولت إحدى المجلات « السورية » هذا الكتاب بالنقد ، فوصفته بأنه « باطل جرىء فى لفظ بذىء » ، ونعت على مؤلفه أن يشوه الحقائق استجابة لنزعة طائفية ممقوتة ، ثم قالت : « ونحن نلفت نظر حكومة لبنان الرشيدة إلى أن الحرية لا تمنح إلا ضمن إطار محدود ومقيد ، فمجال الأدب والأديب يتسع لكل قول لأن الأدب والأديب ليس وقفاً بين حدود طبيعية ، ولكن العناصر والأجناس والأديان والرسل لها مكانتها التى يجب أن تحفظ ، ويجب بالتالى أن يراقب كل ما يكتب بشأنها » !

وأنا أقول كلا ، فأنه مهما كان من إسفاف الرأى وضلاله ، وتهافت الحكم وانحلاله ، ومهما كان من المؤلف فى التجاوز والشطط والخلط ، فلا يصح بحال أن نستعين عليه بالحاكم ليردعه ، وبصاحب السلطان ليقنعه ، وإلا كان هذا اعترافاً منا بأن للرأى الفاسد قوة تمكنه من البقاء ، وتستحق منا كل هذا العناء .

لقد كان « ابن الراوندى » أشد اسفافا وأحط صنيعا ، فكان يصبح مع المسلمين ، ويضحى مع النصارى ، ثم هو فى الظهيرة مع اليهود ، وفى المساء مع المجوس ، ولا أدرى مع أى طائفة يكون فى الليل ، وكان يؤلف الكتب لكل فرقة على هواها ، فكان يلعن كل دين ، ويطعن على كل نبي ، ويصب على رؤوس الأجناس والعناصر السباب والشتم ، ومع هذا كله فقد وسعه الأسلام بسماحته ، واحتمله الحكم الأسلامى وهو فى عنفوان صولته ، ثم مات « ابن الراوندى » ، وطارت كل آثاره ومؤلفاته هباء فى الهواء ، ولو كان منها شىء ينفع الناس لمكث فى الأرض . .

ليس للفكرة التافهة أى ضمان للبقاء إلا أن نأبه بها ، ولولا أن « ابن الخياط » رد على « ابن الراوندى » فى كتابه « الانتصار » وتناول اراءه بالتفنيد ، لما بقى ظل لتلك الآراء على الأرض ، فهل تريد الزميلة السورية أن تجعل « لرؤوس المارون عبود » رجع الصدى فتهيب بالحكومة اللبنانية لتمحيصها ومحاسبته عليها ؟

فن وتجارة ! ..

أرسل الأستاذ يوسف وهبى بك بوصفه نقيباً لممثلى المسرح والسينما البرقية التالية إلى معالى وزير الشئون الاجتماعية ننشرها بنصها وبلغتها :

« نقابة ممثلى المسرح والسينما بالقاهرة تهيب بمعاليكم أن تدرأوا عن صناعة السينما المصرية ومستقبل آلاف المشتغلين بها الخطر الداهم من جراء السماح للشركات الأجنبية بعمل نسخ من أفلامها ناطقة باللغة العربية . إن المنافسة ستكون خطرة غادرة لعدم توازن القوى المادية والفنية بيننا وبينهم ، فنستصرخكم لشد أزرنا بأصدار قرار بمنع عرض هذه الأفلام فى دور السينما المصرية ، أبقاكم الله درعاً لحماية الفن والفنانين ! »

فأنت ترى من هذه البرقية أن نقيب الممثلين المسرحيين والسينمائيين يستصرخ ويستنجد ويستغيث بمعالى وزير الشئون الاجتماعية لمنع عرض « أفلام للشركات الأجنبية ناطقة باللغة العربية » لا لشىء إلا لامتيازها « المادى والفنى » على الأفلام المصرية ، مما يجعل المنافسة خطيرة ، ويجنى على مستقبل آلاف المشتغلين بالسينما فى مصر كما يقول حضرة النقيب .

والمعنى الواضح لهذا الكلام أن ما يسمونه فى مصر بالفن المسرحى والسينمائى ليس باباً للامتياز والأجادة والحرص على المثل الأعلى ، وإنما هو تجـارة و « أكل عيش » لا أكثر ولا أقل ، ومتى صار الفن هو هذا ... فكل شىء جائز ، حتى ذلك الكلام الذى يقوله نقيب المسرحيين والسينمائيين .

إننا لا ندافع عن الأجنبى بأية حال من الأحوال ، ولو أن حضرة النقيب طلب إجراء بأزاء الأفلام التى تذاع بيننا باللغة الأجنبية لظاهرناه فى رأيه بدافع القومية على الأقل ، ولكنه يطالب بمنع « أفلام ناطقة باللغة العربية » ، ونحن نعرف أن الشركات الأجنبية بقوتها واستعدادها المادى والفنى ستستخدم

اللغة العربية وستخدم الفن بيننا ، وستكون منافستها داعياً للإجادة وللقضاء على ذلك الفن الرخيص الذى هو أشبه بسامر الطبالين فى القرية ..

لا يا حضرة النقيب ، فأن الفن أجل وأطهر من أن يتدلى حتى يصبح مجرد تجارة ، وضماناً لأكل العيش ، ولو صح هذا الكلام الذى تقوله لجاز أن يطالب الأدباء بمنع ترجمة المؤلفات الأجنبية لأنها تقضى على مستقبل آلاف من المؤلفين المصريين ، ويا لها من حجة هى حجتك ، ومنطق هو منطقك !! .

المسرح الشعبى :

انتهت وزارة الشئون الاجتماعية من الاستعداد لأنشاء مسرح شعبى يقوم بعرض تمثيليات وأدوار تتصل بالحياة الشعبية فى الأحياء الوطنية وفى أقاليم الريف .

والقصد من إنشاء هذا المسرح هو معالجة المشاكل الاجتماعية والخلقية بين طبقات العامة وجماهير الشعب بأسلوب من الفن يلائم مداركهم وعقلياتهم لغة وأداء وموضوعاً ، حتى يكون أسهل فى التأثير ، وأبلغ فى التوجيه ، وأجدى فى الفائدة .

والفكرة فى إنشاء هذا المسرح ليست بنت اليوم ، ولكنها فكرة لجأت فرنسا إلى تحقيقها منذ زمن ، وقد كان القصد من إنشاء هذا المسرح أن يكون درجة قريبة الصعود لطبقات الشعب ، إذ كان التمثيل على المسرح الفنى يجرى بأسلوب رفيع ، ويتناول موضوعات قوية عميقة المغزى، بعيدة على المدارك ، فكان المسرح الشعبى أشبه ما يكون بمرحلة الإعداد للمسرح الأعلى ، كمرحلة التعليم الابتدائى بالنسبة للثانوى ، والثانوى بالنسبة للعالى

ولكن عندنا تجرى الأمور معكوسة مقلوبة ، فما يسمونه بالفن التمثيلى والسينمائى بيننا يجرى منحطاً مع عواطف الجماهير ، ويتدلى إلى ما هو أدنى من مداركهم ، ونحن الذين كنا من قبل نهيب بهذا الفن أن يخفف من غلوائه ، وأن يقدر لإدراك الجماهير قيمة فى حسبانه ، أصبحنا اليوم نطالب بأن يسمو الفن فى مهمته وأساليبه ، وأن يترفع عما تردى فيه من عامية منحطة فى الأداء والموضوع . فمن مبلغ أولئك المسئولين أن الفن عندنا جميعه قد أصبح شعبياً ، وأن الذى نحتاجه هو الفن الرفيع المهذب الذى يسمو بالنفوس والعقول ؟ !

« الجاحظ »



الضريبة والحية :

(للأديب الصينى « ليتزو إيو » (٧٧٣ — ٨١٩)

كان فى مدينة « بان جون » حية رقطاء ، ما لدغت إنسانا إلا قتلته ، وما مست نباتاً إلا أيبسته ، وما عرف الناس أخبث من سمها ، ولكنه إذا استخلص وصب فى القوارير كان دواء للجمرة وللبرص والجذام والناسور والطاعون .

ولما استفحل شرها ، وعمّ ضرّها ، أعلن الملك أن من قتل حية فقدمها إلى طبيبه أعفاه من الضريبة . فتسابق أهل البلد إلى جمعها واختصت بذلك أسرة (شيانج شى) فانقطعت إليه ثلاثة بطون . ولقد لقيت واحداً من هذه الأسرة فسألته عن حاله فقال:

— « لقد قتلت هذه اللذة أبى وقتلت جدى من قبله ، وأنا أمارسها منذ اثنتى عشرة سنة ، تعرضت فيها للموت غير مرة » .

وبدت الكآبة على قسمات وجهه ، وشاع الأسى فى صوته ، فرثيت له وقلت :

— لماذا لا تدعها إذا كان فيها هذا الخطر ، وتطلب من الحكام أن يأخذوا الضريبة منك ؟

فقال — وهو يبكى بكاء موجعاً :

— أتريد أن ترحمنى وتحيينى ؟ لا إن عملى هذا ليس شراً من دفع الضريبة — وإنه ليخيل إلىّ أنى لولاه لم أبق حياً إلى الآن . ولقد مرت على هذه القرية ستون سنة وأهلها ينقصون يوما بعد يوم ، إذ قد وجب عليهم أن يقدموا جميع ما تخرجه أرضهم ، فكانوا لا يصبرون على هذا فيدعونها ويرحلون ، أو يسقطون جوعا وإعياء . وتصيبهم الأمراض والأوباء . ومنهم من لا يستطيع اصطبارا فيجنى الجناية ويأكل من حاصلات أرضه ، فتفانوا وذهبوا ، فلم يبق من الأسر التى عاصرت جدى واحدة من العشر ، ولم يبق ممن عاصر أبى غير اثنتين أو ثلاثا — ولم يبق ممن عرفت أنا منذ اثنتى عشرة سنة إلا أربع أو خمس — وأنا الوحيد الذى بقيت أسرته حية بفضل هذه الحية .

ولو أبصرت حين يصل إلى القرية الجباة الجبارون . فيملأون القرية صياحا وضوضاء ، ويهددون بالقتل أهلها ، ولا ينجو من شرهم الدجاج ولا الكلاب ورأيتنى أقوم متباطئا فأنظر إلى قدورى لأطمئن على وجود الحية — وحين أطعمها وأغذيها ، وأنتظر الموسم لأقدمها إلى الطبيب ، ثم أرجع إلى بيتى فآكل من ثمرة أرضى مطمئنا ، لعرفت فضل هذه الحية علىّ . على أنى لا أقدم على الموت مخاطرا بحياتى إلا مرتين فى السنة وأعيش أيامى الباقية عيشا هنيئا لا يشوبه هذا القلق الذى يتجرع القرويون غصصه طول السنة .

ولا ريب أنى سأموت من هذا العمل يوما من الأيام ، ولكن أجلى يكون أطول على كل حال من آجال أهل القرية ، فلماذا أتذمر من هذه المهنة وأعدل عنها » .

وحزّ فى قلبى كلامه ، وانصرفت وقد فهمت معنى قول كونفشيوس : « إن الحكومة الظالمة أرهب من النمر وأشد افتراساً .

نور ناهين

مطابخ المسكرات عند قدماء المصريين

بلغت الحياة الاجتماعية عند قدماء المصريين درجة عالية من الرقى ، فالمصادر التى تحت أيدينا من النقوش والنصوص تدل على أن المصرى كان كثيراً ما يقيم الولائم لاصدقائه وجيرانه فى داره وأن الزوجة كانت تصحب زوجها فى الحفلات الخاصة وفى الأعياد العامة حيث كان القوم يسمعون الموسيقى ويحتسون الخمر .

وقد عثر علماء الدراسات المصرية القديمة على كثير من النقوش التى تصور المصرى وقد غرس أشجار العنب والنخيل وغيرها لأكل ثمارها أو تحويل هذه الثمار إلى خمور لعلاج بعض الأمراض .

وكانوا يضعون العصير فى قدور أو جرار تسد سداً محكماً حتى لا يتسرب الهواء إليها ويكتب عليها اسم الملك واسم المكان وتاريخه وكان يذكر نوع الخمر للتمييز بين أصنافها المختلفة .

وعلى مرور الزمن أخذوا يستعملون الخمر فى غير ما وضعت

له فبعد أن كانت دواء أصبحت داء .

ففى إحدى المقابر نرى صورة جميلة تمثل حالة سكير قد فقد رشده وخارت قواه وضعفت ساقاه ، فحمله بعض الرفاق على رؤوسهم وعلى وجهه علامات التعب . وفى مقابر مدينة طيبة نرى صورة أخرى تمثل امرأة ثملة تتقيأ ما احتسته من الخمر . وفى بعض نصوص مقبرة الموظف « بحرى » نقرأ حديثا لامرأة تطلب من الساقى أن يناولها نبيذاً لأن جوفها قد جف (حرفيا : « صار كالقش ») ولعل هذه الحوادث وأمثالها مما حدا بالمشرع المصرى القديم أن يوقع العقوبة على السكارى إذا ضبطوا فى شوارع المدن .

فمن ذلك ما ورد فى بردية أن أحد السكارى قاده رجل الأمن إلى السجن .

وقد عاون الأدباء رجال التشريع والأمن على مكافحة المسكرات فمن ذلك أن بعض أوراق البردى تحدثنا أن أديبا نصح ابنه قائلا « لا تدخل حانة السكر وتفاخر أنك تستطيع أن تشرب ابريق نبيذ لئلا ينقل عن لسانك ما تقوله وأنت لا تدرى به . فاذا وقعت على الأرض انكسرت أعضاؤك ولا يمد أحد من رفاقك إليك يده ، ويصيحون قائلين ابتعدوا عن هذا السكير » .

وجاء فى بردية أخرى ما ترجمته « السكير كمعبد بلا إله أو بيت بلا خبز أو سفينة بمجداف مكسور »

ومن هذا نرى أن مصر القديمة كافحت المسكرات بوسائل لا تختلف جوهريا فى الواقع عن الوسائل التى نتبعها فى عصرنا الحاضر .

دكتور باهور لبيب

الانسان الآلى معجزة القرن العشرين

اخترع العلماء الأمريكيون فى أواخر عام ١٩٤٥ آلة حاسبة تستطيع أن تحل فى خلال فترة قصيرة أعقد المسائل الحسابية التى كانت قبل ذلك تحتاج إلى ملايين من عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة ، كما عرف العالم الخارجى أن تلك الآلة الجبارة تضبط كما يضبط « المنبه » عندما يطلب إليها حل إحدى المسائل الحسابية ، وهذا كل ما يفعله الانسان ، أما الباقى فان الآلة تتكفل به من تلقاء ذاتها ، ولا تلبث أن تقدم النتيجة المطلوبة دون خطأ ما .

وقد تنبأ أحد العلماء الامريكيين — وهو الدكتور فانفر بوش مدير معهد الفنون والصناعة فى ولاية ما ساشوسيتس الأمريكية بأن هذه الآلات ستتطور فى المستقبل بحيث يتمكن الانسان من أن يحصل منها على « حجج منطقية » خارج نطاق علم الحساب نفسه ، ولكنه يعترف مع ذلك بأن من المستحيل على كل حال صنع آلات تستطيع أن تتمنى ، أو تنتقد ، أو تخترع .

ويبدو أن لمثل هذا البحث أهمية قصوى فى عصرنا هذا ، فإن المشكلة الكبرى التى تواجه هذا العصر هى مشكلة الجماعات والجماهير ، والعمل الجماعى بوجه عام ، ولم يعد فى هذا العالم مكان لأولئك الفلاسفة الارستقراطيين ، من أمثال « نيتشة » وغيره من فلاسفة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . إن العصر الجديد هو عصر الذرة ، والرادار ، والالكترون ، وسيطرة الانسان على الجماد ، وعلى الطبيعة .

ولا شك أن الأعوام الباقية من القرن العشرين ستشهد انقلابا عظيما فى عالم الاختراع لم يحلم به المفكرون والعلماء فى القرن الماضى ، وسيكون الجزء الأكبر من هذا الانقلاب منصبا على الآلات التى تكاد تصل إلى مرتبة الانسان فى القدرة على التصرف وعلى مجابهة الصعاب .

مجلة لامرسليز — أدريان نوربيل



تقدير كريم لكتاب الرسالة الخالدة :

بعث سعادة الأمين العام لرئاسة الجمهورية السورية الكتاب التالى :

إلى مقام رئاسة مجلس الوزراء :

ظهر كتاب الرسالة الخالدة من تأليف المفكر العربى الفنى عن التعريف عبد الرحمن عزام باشا (الرسالة الخالدة) وقد اطلع فخامة الرئيس على هذا السفر الجليل فألفاه طافحا بالإيمان القوى حافلا بالفكرة الروحية التى قام عليها مجد الآباء والتى يهمنا أن تنتظم نفوس شبيبتنا فى عصر طغت فيه المادة وضعف فيه الرادع الخلقى .

وإن فخامة الرئيس يرغب إلى مقامكم أن تأمروا بأن تقتنى دور الكتب الحكومية والبلدية هذا السفر الجليل وأن توصى المعاهد طلابها بمطالعته حرصاً على أن يعم الانتفاع به من الشبيبة والقراء ، ولكم خالص الاحترام .

دمشق فى : { ١ ربيع الأول سنة ١٣٦٦
٢٣ كانون الثانى سنة ١٩٤٧

الأمين العام لرئاسة الجمهورية

أنسى الأزهر المراغى ؟

أنسى الأزهر المراغى فلا يؤبنه بحفل ، ولا يشيد به فى جمع ، ولا يخلده بمنشأة ، ولا يذكره فى مناسبة ، وقد أخذ بيده هرماً ، تحامل عليه الداء ، واستبد به المرض ؟ ...

لقد كان المراغى عالماً من طراز نادر ، يجود به الزمان على قلة وبعد ، ... تعدى تفكيره سور الأزهر وجوانب الدرس ، وتخطى فهمه مماحكات العلماء ، ومجادلات القدامى ، إلى ما يلائم تطور الزمن ، ويساير تقدم الجماعة ، ويتفق وطبائع البيئة ، مستمداً من روح الإسلام السمحة ، ومرونته العجيبة ، قوانين توائم بين العلم والدين ، وتؤاخى بين الفلسفة والشريعة ، وأحكاماً تنير للناس ما غمض من قضايا ، أو خفى من آيات ...

فلما توفاه الله إليه ، كان أسوأ الناس ظناً بالعلماء ووفائهم ، يؤمن بأن حفلة تأبينه ستقام على الأكثر فى يوم ذكرى الأربعين ، وإنها لن تكون بالمنى الذى تواضع عليه الناس ، وإنما تكون مهرجاناً دينياً يردون فيه إلى الرجل بعض ما أسدى إليهم من معروف ، وأن فيضاً من تخليده وتقديره سيتبع الذكرى ، ولكن — وا أسفاه — مات المراغى ، فلم يقم له حفل ، ولم يذكره عالم ، ولم يخلد له أثر !

من كان يظن أن رجلا أقام جامعة ، وأحيا منصباً ، وفتح بيوتاً ، وهذب نفوساً ، وصقل أرواحاً ، وهز السياسة كما هز أعواد المنابر ، مات ومر على موته عام وبضع عام ، ومع هذا فقد ضن عليه مريدوه ، وأصدقاؤه وخلصاؤه ، وزملاؤه وإخوانه ، والذين نفعهم فى الشدائد ، بحفلة ولو متواضعة ، فى حى الأزهر العتيق ! ...

والعجيب ، أن الذين أحسن إليهم المراغى فى حياته ، فبوأهم المناصب ، وبلغهم المراتب ، وصنعهم رجالا . هم فى طليعة محاربيه والداعين إلى نسيانه ، وإهالة التراب على ذكراه ؟ ! .

عفاء على الوفاء عفاء . . ! !

الطاهر أحمد مكى

حول « قطربل » :

فى العراق كثير من الآثار الجليلة لكثير من البلدان والقرى تحدثنا عنها كتب التاريخ والأدب بإسهاب ... منها ما طمست معالمها فلم تعد تظهر إلا كتلول ومرتفعات . وما أكثرها فى فيافى بين النهرين ... ومنها ما لا يزال ماثلا للعيان ينتظر جهود العلماء والباحثين . ففى تضافرهم ما يسد هذه الثلمة المزرية فى تاريخنا المجيد .

وقطربل واحدة من قرى بغداد حدثنا عنها الأستاذ شكرى محمود أحمد فى العدد ٧٠٤ من الرسالة الغراء حديثاً أدبياً ممتعاً . وقد أبدع فى وصف جمالها الضاحك ومناظرها الفاتنة ما شاء له الإبداع . ولكن شيئاً واحداً لفت نظرى فى حديثه وهو قوله عنها : (قرية بين بغداد وعكبرا) . فهذا القول لا يتفق والحقيقة وقد قاله قبل هذا ياقوت الحموى فى معجم البلدان وعليه اعتمد الأستاذ كما أعتقد ... وقد صحح ابن عبد الحق الحنبلى هذا الغلط الثابت وأشار إليه فى كتابه مراصد الاطلاع بقوله (قطربل ...



« يسألونك »

[للأستاذ عباس محمود العقاد]

ذلك كتاب قيم من أدب المقالة أخرجه الأستاذ العقاد يضيف به حلقة إلى سلسلة كتبه (الفصول) و (المطالعات) و (المراجعات) و (ساعات بين الكتب) ؛ لأن هذه المقالات وإن شابهت تلك الحلقات فى الموضوع والحيز وأسلوب التناول : « لا تدخل تحت عنوان من تلك العناوين لأنها كانت على الأكثر أجوبة لأسئلة معينة يوجهها القراء إلى صاحب الكتاب ، فهى تخالفها فى المناسبة وإن وافقتها فى موضوعها وخطتها وإيثارها الجوانب العامة على الجوانب الشخصية.»[1] والكتاب يشتمل على خمسين مقالة فى المسائل المتنوعة والأغراض المختلفة ، عالجها الأستاذ الجليل بما تميز به من عمق الفكر وأصالة الرأى وتقصى الموضوع وبلاغة الأسلوب . وقد نشرته « لجنة البيان العربى » مطبوعاً فى مطبعة مصر فاجتمع لهذا الكتاب قوة الإنتاج وجمال الإخراج .

(م)

(١) من مقدمة الكتاب

أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء

[للسيدة وداد سكاكينى]

ليست السيدة « وداد سكاكينى » غريبة عن قراء الرسالة ، ولا عن المتتبعين للحركة الأدبية النسائية فى الشرق العربى . . فقد كان لها جولات كثيرة موفقة فى هذا الميدان الأدبى .

وآخر هذه الجولات كتابها الذى نعرض له اليوم عن « أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء » وهو كتاب عرضت فيه لسيرة طائفة من فضليات النساء العربيات فوقفت عند أبرز

قرية . قال بين بغداد وعكبرا . قلت بين بغداد والمزرفة لأن عكبرا فى الجانب الشرقى وهى فى الغربى وبينهما فراسخ . وإليها ينسب الطسوج التى هى فيه فيقال طسوج قطربل ... وما فوق الصراة من أسافل سقى دجيل فهو من طسوج قطربل ...

وبعد فلقطربل ذكر حميد فى مختلف كتب التاريخ ولعل الأستاذ أن يعود إلى الحديث عنها بإسهاب . وبذلك يسدى إلى التاريخ خدمة جلى تذكر فتشكر .

الكاظمية — العراق

محمد موسى الموسوى

١ — فى اللغة :

أشاع بعضهم استعمال مثل : (جميل وجميل جدا) باقحام حرف العطف فى التأكيد اللفظى .

وإذا عذر فى تقليده الناشئون فلن يعذر الراسخون كالجارم والمدنى .

قال الأستاذ الجارم فى مقالته الخامسة فى المعارضات فى الشعر العربى المنشورة بعدد يناير ٤٧ من مجلة الكتاب الغراء :

(وغير هؤلاء كثيرون وكثيرون) أى كثيرون جدا . والوجه أن يقال : كثيرون كثيرون بلا عطف .

وقال الأستاذ محمد المدنى فى ص ١٨ من العدد الممتاز من الرسالة الغراء (٦ يناير ٤٧) :

(إلى حد بعيد وبعيد جدا) والوجه : بعيد بعيد جدا ، أو بعيد جد بعيد — إن أراد —

٢ — حاشرة (زنزانة) :

وضع الأستاذ على الطنطاوى فى مقاله بعدد الرسالة الأخير كلمة حجيرة لزنزانة . والأستاذ الطنطاوى موفق فيما يضع من أسماء لمسميات لم تكن .

وقد كنت سميت الزنزانة باسم (حاشرة) وأظن أنه أدل على المعنى من حجيرة الذى لا يفيد سوى التصغير .

ولعل الأستاذ والسادة الأدباء يوافقون على ذلك فيستعملونه .

فلسطينى

صفاتهن ، وجلت هذه الصفات مبينة عنها ممجّدة لها ، حاثة على الانصاف بها والاقتداء فيها .

والكتاب فى أربعة عشر حديثاً تناولت فى كل حديث منه بسيدة كريمة فبدأت بأم الزهراء ، ثم أم الحسنين ، فأم المؤمنين عائشة ، فوفاء بنت الرسول زينب ، فأخت الحسين ، فذات النطاقين ، فأم سلمة ، فزينب الأسدية ، فمارية المصرية ، فالخنساء فسكينة ، فأم معاوية ، فأخت ضرار ، ثم انتهت أخيراً إلى أم الأمين السيدة زبيدة .

ولقد استطاعت المؤلفة الفاضلة أن تعرض مناحى العظمة فى هؤلاء الفضليات من النساء فى صور فنية لم تحل بينها وبين الحقيقة التاريخية فلم تخلع عليها من خيالها ما يحجب حقيقتها ، ولم تسدل عليها من جمال الفنّ القولى ما يذهب بواقعها ، وإنما التزمت — كما تقول فى مقدمتها — أن تمضى على طريقتها التى جعلت سداها الحقيقة ولحمتها التاريخ .

وفضيلة الكتاب ، فوق فضيلته فى نفسه ، أننا نحتاج إليه أشد الحاجة فى بيوتنا ومدارسنا .. إن بناتنا وأخواتنا لا يجدن ما يقرأن فى بيوتهن إلا هذا الأدب الرخيص ، وهذه المجلات التى لا تتقى الله فى حرمة أو شرف أو إباء .

على أنه لا بد من أن نلاحظ فى أسلوب الكتاب على سموه بعض القسوة والتزمّت ، فقد كانت بعض الصفحات ، وهى قليلة ، كأنها ماء متجمد ، على حين جرت صفحات أخرى ، وهى كثيرة ، عذبة سائغة فى طلاقة وبريق .

ولعلّ من ذلك أن المؤلفة الفاضلة كانت تنساق فى سجع لا يملك الأذن ، ولا يقع منها موقع الارتياح والرضا ، وأرجو الا أكون فى ذلك متجنيّاً ، فقد عهدناها طلقة الاسلوب بعيدة عن قيوده ، ولكن هذا الذى وقعتُ عليه .

والثالثة من هذه الملاحظات أن الكتاب مجموعة أحاديث ألقيت فى المذياع ، أو هكذا يُخيل إلىّ .. ولذا جاء أسلوبه وفيه هذا اللون الغالب من الخطاب وما يستتبعه من بعض الصيغ الاخرى التى لا يحس لها القارىء وقعاً طريباً بينه وبين نفسه

القاهرة — شكرى فيصل

مائدة السمر

[للأستاذ كامل محمد عجلان]

مجموعة أقاصيص طريفة نضدها الأستاذ عجلان فأبان عن سعة اطلاعه وطول باعه . . . تنقسم المجموعة إلى قسمين : عربى قديم ومدنى حديث . . أما العربى فيجمع بضع أقاصيص عن شعراء من الأعراب ذكر المؤلف لكل منهم طرفة مليحة . ولكن يخيل إلى أن القارىء العادى الذى لا يعرف العرجى وإخوانه من الشعراء القدامى كان ينتظر من الأستاذ كامل نبذة صغيرة عن حياتهم؛ فما كل قارىء يقرأ الأغانى ، ولا يضير هذا الأستاذ فى شىء !

وفى غمار قصص الشعراء هذه كانت هناك قصص أخرى عن بدو ليسوا من الشعراء . . من هذه القصص « السهم الطائش » ولا أدرى ما الذى حدا بالأستاذ كامل أن يختار هذه القصة والمورد أمامه ثَرٌّ .. أى جمال رآه الأستاذ فى قصة عاشق قتل عشيقته .. كم كان « السهم الطائش » غريبا بين « أجمل العالمين » و« مغفل وغانية » و« المذارى على الغدير » وغيرها من القصص الجميلة التى تجمع الرقة والمعنى فى آن . غير أن هناك أقصوصة بل رواية من ثلاثة فصول عنوانها « الهارب من الحب » . . محب باع حبيبته وكانت جاريته ثم رجعت إليه مرة أخرى . . موضوع جميل ولكنه صغير على رواية من ثلاثة فصول ننتقل مع أشخاصها من حجرة إلى حجرة ثم من بلد إلى بلد لنعرف نهاية متوقعة . ولو كنا رأينا فى هذا الانتقال حادثاً أو شهدنا واقعة لهان علينا السفر الذى كان خلواً من أى شىء . . القصة جميلة والحوار جميل ، ولكنه كان محتاجا لشىء من الضغط .

لننتقل الآن إلى القاهرة لنشاهد « ست الملك فى صحن الأزهر » . . . طريف هذا العنوان ، يراه القارىء فيتوقع قصة شائقة جميلة ؛ لكن الأستاذ كامل وفق إلى هذا العنوان دون أن يوفق إلى موضوعه إذ ليس فى الأمر قصة ولكن هناك حُلُما.. كانت « ست الملك » موضوعا إنشائيا أحسن اختيار عنوانه . كانت صدمة لى أن أجده فى أول القصص الحديثة ، وأشفقت أن أجد بقية الأقاصيص على هذا النمط ، ولكن . . . لم يكن الأمر كذلك . هناك قصة بعد « ست الملك » تدل على أن القلم ناضج وأن الأقصوصة الأولى كانت كبوة يتبعها القفز

والارتفاع .. « قبلة عند باب الضريح » أقصوصة وصورة من أجمل ما كتب فى هذا الباب .. وموضوعها السخرية من أولئك المشعوذين الذين يجلسون على أبواب الأضرحة يتخذون من الدين شراكا وحبائل . بعد هذا نجد « عش من الحديقة » .. قصة رمزية التوى بها الطريق فخرجت عن الرمزية ، ثم التوى مرة أخرى فعادت وهكذا .. الحقيقة أنها غير مفهومة ولعل الأستاذ كامل قصد بها صديقه « س » فحسب .

والأستاذ كامل دقيق الجسم سريع الحركة . وكذلك هو فى أسلوبه خفيف سريع التنقل يعتمد كثيرا على ذهن القارىء مما يكسب الأسلوب جمالا ويرغم القارىء على المتابعة فى يقظة ذهنية وديعة

ومائدة السمر فى مجموعها شهية أحسن الأستاذ كامل تنظيمها ، وإنا لنرجو أن يضاعف هذا الإحسان فى المجموعة القادمة إن شاء الله

ثروت أباظة

١ – أروع القصص
٢ – قصص من الحياة

للكاتب الانجليزى شارلز دكنز

[تعريب الأستاذ محمد عطية الابراشي]

اختار الأستاذ محمد عطية الإبراشي مجموعة من قصص الأديب الإنجليزى الشهور « شارلز دكنز » وأصدرها فى جزأين تحت عنوان « المكتبة الثقافية » .

وقد عنى الأستاذ الإبراشي بتعريب هذه القصص ؛ لما تهدف إليه من غايات اجتماعية ، وما يتميز به أدب « دكنز » من معالجة كثير من نواحى الحياة القاسية فى المجتمع .

يقول الأستاذ الابراشي «وقد دعانى إلى تقديم هذه المجموعة شغف بالتقويم الخلقى ، وحب للاصلاح الاجتماعى ، فى مصر والشرق ، وما رأيته من التشابه بين الأمم فى الأحوال الاجتماعية التى تحيط بها من حين لآخر ، فالإنسان هو الإنسان فى غرائزه وميوله ، وما يتصل بشعب يتصل بآخر . وإنى آمل أن يكون لها فى مصر وجميع البلاد العربية من الأثر ما كان لها فى انجلترا من إصلاح اجتماعى وخلقى » .

ونحن مع تقديرنا للاهداف الاجتماعية التى ترمى إليها هذه القصص ، وللدوافع الطيبة التى حملت الأستاذ الابراشي على اختيارها ؛ ليكون لها من الأثر فى مصر والشرق ما كان لها فى بلاد الإنجليز — نخالف الأستاذ فيما يراه من التشابه بين الأمم فى الاحوال الاجتماعية ، والاتفاق فى الغرائز والميول ؛ فإن لكل أمة طبيعتها وخصائصها النفسية والاجتماعية .

على أن هذه القصص برغم ما تصطبغ به من ألوان محلية ، فإنها تمس الجانب الإنسانى فى كثير من العواطف المشتركة والشعور العام وتثير فى النفس كثيرا من عوامل العطف والرحمة على الفقراء والمحرومين

وقد اصطنع الاستاذ الابراشى فى تعريب هذه القصص أسلوب « المدرس » الذى يعنى بعرض الفكرة وإبراز جوانبها فى صورة بيانية ، وعبارات مختارة « بحيث يجد القارىء ثروة فكرية ، وخيالية ، ولغوية ، فى كل قصة يقرؤها » كما حرص على ضبط كثير من الكلمات وتذييلها بالشرح والبيان .

محمد كامل حته

الكميت بن زيد

شاعر العصر المروانى

[للأستاذ عبد المتعال الصعيدى]

من الشعراء الذين ظلمهم التاريخ الأدبى ورماهم بالخمول فباءوا فى الأعصر المتعاقبة بهذا الوزر ، الكميت بن زيد ، فقد أخذ عليه سبيل الشهرة شعراء ثلاثة استبدوا بالمجال وتفردوا بالعناية ، وهم الفرزدق ، وجرير ، والاخطل ، حتى كاد يغمره النسيان ، والكميت فى رأى المؤلف أعظم من هؤلاء الشعراء وأحق منهم بالتقديم . وقد عز عليه أن يجنى الجهل أو التجاهل أو التحامل على هذا الشاعر فشمر لإنصافه ، ورد حقوقه ، والتمكين له حيث يجب أن يأخذ مكانه اللائق ، فدرس هذا الشاعر وأبان عن خصائصه الفنية ، وصور لنا البيئة التى كان يحيا فيها — الكميت — وقد مهد لهذه الدراسة بهذا التمهيد الذى تناول فيه الاجتهاد فى الأدب ، وفتح الكميت فى الشعر ، وتعصب بنى مروان عليه ، وجود الشعر فى عصرهم ، وتجديد — الكميت — وشهادة الفرزدق له ، وأثره فى سقوط بنى مروان وتناول حياته ومنزلته فى الشعر ، والهاشميات ، وأشعاره الأخرى ومناقضاته ، ومؤاخذات — الكميت — ثم ختم هذه الدراسة بديوان الهاشميات ؛ وهذا أجمل وأحق ما يجب بذله إزاء هؤلاء الأشخاص الذين لأمر ما وقف منهم التاريخ هذا الموقف الغامض الظالم .

محمد عبد الحليم أبو زيد



روائع ملخصة من قصص الحب العالمية

١ – بول وفرجيني

للكاتب الفرنسي برناردين دي سان بيير

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوي

حياة المؤلف :

« ولد في مدينة الهافر فى فرنسا عام ١٧٣٧ ، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره ، رحل الى جزر المارتنيك الأميركية فأثارت الرحلة فى نفسه رغبة شديدة فى دراسة نباتات المنطقة الحارة ولما أتم دراسته وتخرج فى فن الهندسة ، التحق بخدمة الجيش الروسى ، مدة قصيرة ، ثم رحل الى جزيرة موريتوس Mauritlus فى المحيط الهندى ، وكانت تابعة لفرنسا فى ذلك الوقت ، فأفادته تلك الرحلة علما . وعاد الى فرنسا عام ١٧٧١ يعتنق آراء جان جاك روسو الحرة فيما يتصل بالحضارة وإنها مفسدة لطبيعة الانسان . وفى عام ١٧٨٤ نشر ثلاثة مجلدات تحت عنوان : «دراسات فى الطبيعة» قال عنها العلماء فى عصره إنها أفكار شعرية أكثر منها أفكار علمية ، ولم تصادف ما كان يقدر لها من الانتشار .

وبعد سنوات قليلة نشر قصة « بول وفرجيني » فلقيت رواجا عظيما ، وعين بعد ذلك مديرا لحدائق النبات الملكية ثم استاذا للدراسات الأخلاقية . ولما أحيل على التقاعد زمن نابليون بونابرت أجزل له العطاء فعاش سعيدا فى عزلة شعرية ، ورزق فى هذه الفترة طفلة سماها (فرجيني) ولما بلغ سن الواحد والستين من عمره رزق طفلا سماه (بول) . وعاش المؤلف بعدها إلى السابعة والسبعين ومات سنة ١٨١٤ قبل موقعة واترلو بسنة واحدة » .

القصة :

أراد المؤلف من قصته الوصول إلى غايتين : الأولى تصوير تربة ونباتات المنطقة الحارة وما بينها وبين أوربا من فروق .

الثانية : أن يرسم صورة رائعة لمجتمع ساذج مثالى لم تعرف المدنية الطريق إليه .

الراوية : شيخ صادفه المؤلف خلال إقامته فى جزيرة موريتوس قال الشيخ :

فى أوائل القرن الثامن عشر ، عاشت سيدتان متجاورتان فى بقعة قريبة من ميناء سنت لويس . كانت إحداهما مدام دى لا تور ، وهى أرملة شاب نور مندى ، مات وهو يحاول ابتياع عدد من الرقيق فى جزيرة مدغشقر ، وكانت الأخرى شابة ريفية من مقاطعة بريتانى واسمها مرغريت ، فرت من مسقط رأسها لتفتش عن عالم جديد لا يتصل علمه بزلة اقترفتها . ولدت للأولى طفلة سمتها (فرجيني) وولد للثانية طفل سمته (بول) . عاشت السيدتان فى ود متبادل ، تتعاونان على ما تتطلبه الحياة من كدح ومجهود .

وشب الفتى والفتاة وفى نفسيهما شعور الأخ لأخته ، ولما بلغا أشدهما كان فى نية السيدتين تزويجهما وربط قلبيهما برباط متين من قداسة الزواج ، لولا أن حاكم الجزيرة اقترح إرسال فرجيني إلى فرنسا لتتابع دراستها عند أقربائها الأغنياء هناك ... وقد اتفق الرأى على ذلك ودنت ساعة الوداع والفراق .

***

دنت ساعة العشاء فالتففنا حول المائدة ، وحالت العواطف المتباينة التى تعصف بنفوسنا بيننا وبين الطعام ، إذ كان يلفنا صمت رهيب ... وكانت فرجيني أول من ترك المائدة وتبعها بول وشيكا ، واتخذا مجلسهما تحت ظل هذه الشجيرات التى نتفيأ ظلها الآن وصمتنا ... وكانت الليلة نموذجا رائعا لليالى المناطق الحارة الساحرة التى يعجز القلم عن وصفها : فقد أطل القمر من السماء وعلى جوانبه هالة فتانة من غيوم مبعثرة موشاة باللجين ؛ وأخذ نوره ينتشر ويمتد إلى جبال الجزيرة ، وبدت قممها البعيدة غارقة فى يم عميق من النور ؛ وسكنت الريح ، وأخذت الأحراج البعيدة والوديان العميقة والقمم الصخرية الحالمة تردد صدى أصوات جميلة من حناجر الطيور التى طفقت تتداعب فى أعشاشها مرحة بما يضفيه عليها جمال الليلة من فرح وحنان . ورغبة فى

الوجود ... ، وتلألأت النجوم فى محيطها البعيد مضطربة تبعث بنورها إلى الدنيا النائمة وكأنها محبات يطفن بحبيب ...

كانت فرجينى تتطلع إلى الأفق البعيد وكأنها تفتش عن مجهول ، فرأت على جبين الأفق مما يلى الميناء أنواراً حمراء مبعثرة على الشاطئ من قوارب الصيد ، ورأت نوراً قويا وقد وقف إلى جانبه خيال جسم كبير ... فأعادها ما رأت إلى نفسها وأيقنت أن ذلك الجسم الكبير ليس إلا تلك السفينة التى ستفرق بينها وبين بول ، فأدارت وجهها وهى تغالب مالا تحتمل من آلام قلبها مخفية دموعها عن الذى تبكيه . وكنت أنا ومدام دى لاتور ومرغريت غير بعيدين عنهما ، وقد ساعدنا سكون الليل على الاستماع إلى مادار بينهما من حديث ما زال يعيش فى ذاكرتى :

بول : لقد علمت بأنك ذاهبة عنا وشيكا إلى فرنسا ، وكأنك غير وجلة من أخطار البحر التى كان يرهبك مجرد ذكرها ! ؟

فرجينيا : إنما هو واجب علىّ يتطلب منى إطاعة أهلى .

بول : اتتركيننا من أجل قريب بعيد لم تقع عينك عليه ؟ !

فرجينيا : شد ما يؤسفنى أن أكون مضطرة إلى ذلك ! فوالدتى تدفعنى إليه ، والكاهن الذى اعتدت أن أعترف له قال لى : إنها إرادة الله ، ولا بد من الذهاب ، وان الحياة مسرح للتجارب ... ويا حسرتاه ! ما أمر ذلك وأوجعه فى نفسى !

بول : ماذا ؟ ! تجدين أسبابا كثيرة لتبرير ذهابك عنا ، ولا تجدين سبباً واحداً لبقائك بيننا ! ! السبب الحقيق لسفرك تذكريه ! إنه الثروة التى تغرى النفوس ! إنك لواجدة فى ذلك العالم الذى ستذهبين إليه الثروة وإلى جانبها أشخاصاً أكرم منى مولدا وأرومة وأوسع ثراء ، تستطيعين فى سهولة ويسر أن تتخذى منهم أخا وصديقاً ! شدّ ما يؤلمنى أننى لا أستطيع أن أقدم إليك شيئاً من هذه الأمور ! أتكونين أسعد منك الآن إذا تم لك ذلك ؟ ! أى شاطئ ستذهبين إليه وتجدينه أعز عليك من هذه البقعة التى فتحت عينك على نور الحياة فيها ؟ وأية مخلوقات فى مقدورك إيجادها أحب إليك وأحنى عليك منا ! كيف تحتملين العيش بعيدة عن حنان أمك الذى اعتدت عليه وماذا يكون شأنها ، وقد تقدمت بها السنون ، حينما تلتفت فلا تجدك على المائدة إلى جانبها ، ولا تستعين بك إذا ما همت بالتحرك من مكان إلى مكان ! ! ماذا يكون حظ أمى من اللوعة عليك وهى تكن لك أقوى العواطف وأخلصها ؟ ! ماذا أستطيع من القول لها وهما تجهشان فى بكاء مرير موجع عليك ؟! أما عن نفسى ! فلا أقول لك شيئاً أيتها الظالمة ! ماذا يكون مصيرى حينما لا أراك فى الصباح ، ولا نتلاق فى المساء ! وعند ما أحدق فى هاتين النخلتين اللتين غرستا يوم ولادتنا ، واللتين بقيتا شاهدتين على ودنا الذى لا يزول !

ليس فى مقدورى أن أثنيك عما اعتزمتِ ! ولكن أليس فى استطاعتك السماح لى بمرافقتك وركوب البحر إلى جانبك ! سأحرسك من عواصف البحر وأحميك ! سأضع رأسى على صدرك وأبعث الدفء من قلبى المحترق إلى قلبك الرحيم ، وهناك فى فرنسا سأكون خادمك الأمين ، وإذا احتاجت سعادتك إلى حياتى فسأبذلها رخيصة تحت قدميك !

وما وصل إلى هذا الحد من الألم حتى غلبت عاطفته المنيفة لسانه عن الكلام فصمت ... واستمعنا بعد ذلك إلى فرجينيا تتحدث إليه بصوت مرتجف تقطعه شهقات من بكاء عنيف مكبوت .

***

قالت فرجينيا : إننى مغتربة لأجلك !؟ أنت الذى أراه يرهق جسده بالعمل المضنى كل يوم ليقيم أود أسرتين بائستين ! وإذا كنت قد قبلت هذه الفرصة لأكون غنية فذلك لأننى أود أن أرد لك جميلك مضاعفاً ألف مرة ! أتحسب أن كنوز الدنيا تعادل حبى وحنينى إليك ! لماذا جرحت عواطفى بالتحدث عن نسبكْ ؟ وإذا كان ممكنا أن أختار لى أخا ، فهل تحسب أننى أعدوك فى الاختيار ؟ إنك يا بول لأعز إلى قلبى من الأخ والأهل جميعاً ! كم جاهدت نفسى لأروضها على احتمال البعد عنك ! ، أعنى على انتزاع نفسى من هذا المكان العزيز إلىّ كالحياة نفسها ، إلى أن يبارك الله زواجنا حينما أعود إليك إنى أستطيع احتمال كل لون

من ألوان الألم والحرمان فى الحياة ولكننى لا أستطيع احتمال منظر هذا الحزن العميق المخيم عليك !

وما كادت تتم فرجينيا حديثها حتى صرخ فى ألم حزين وضمها إلى صدره وهو يصيح : سأذهب معك ! لن تستطيع قوة فى الدنيا التفريق بيننا !

واقتربنا منهما فقالت له مدام دى لاتور أم فرجينيا : يابنى ! وماذا يكون مصيرنا إذا ذهبت معها ؟

قال بول فى صوت متهدج حزين يردد ما قالته : يا بنى ! يابنى ! أنت الأم التى تريد التفريق بيننا ، كيف تريدين ذلك وقد نشأنا أخوين لا نفترق أبدا ! كيف ترسلينها وحيدة إلى أوربا ، إلى تلك البلاد غير الكريمة التى ضنت عليك بمأوى فى الماضى ! وإلى أقارب لم يسألوا عنك وعنها أبدا ؟ فى استطاعتك القول إنها ليست شقيقتى وأن ليس لى سلطان عليها . إنها كل شىء لدى ! هى ثروتى ، وحياتى ، وأسرتى . لقد جمعنا فى الماضى سقف واحد ومهد واحد ، وسوف يجمعنا قبر واحد أيضا ! فإذا ذهبت فإنى لاحق بها .

سيمنعنى الحاكم من ذلك كما يخيل إليك . وهل يستطيع الحاكم منعى من إلقاء نفسى فى البحر ؟ هل فى مقدوره منعى من اللحاق بها سابحا ؟

سيكون البحر أحب إلى من اليابسة بعد سفرها على متن أمواجه ! وما دام قد قدر لى أن لا أعيش معها فلا أقل من أن أموت وأغمض عينى وهى آخر ما أبصر فى الوجود . أيتها الأم الوحشية ! أيتها المرأة التى لا تعرف الرحمة ! ليت المحيط الذى تدفعين بها إليه ألا يرجعها إليك أبدا ! وليت الأمواج التى ستعيد جسدى وجسدها إليك يثير مرآها عذابا لا ينقطع من تأنيب الضمير فى قلبك الجلمود !

فأسرعت إليه وأمسكت بذراعيه ، لأن اليأس قد جرده من عقله ، فقد جحظت عيناه ، وتصبب جبينه عرقا ، واصطكت ركبتاه ، وأحسست بقلبه يخفق خفقانا شديدا .

قالت فرجينيا : يا عزيزى بول ! إننى لأشهد أيام طفولتنا الغالية وآلامك وآلامى ، وكل ذكرى حبيبة يمكن أن تربط مخلوقين بائسين مثلنا ، بأننى سأكون لك ! إننى لأسألكم أن تشهدوا أيضا أيها الذين ربيتمونا منذ طفولتنا على ما أقول ! وأنت يارب الذى لم أدنس اسمه الكريم بالكذب كن شاهدا على ! وأنت أيها البحر الذى سأعتلى متن أمواجك ، ويا أيها الهواء الذى أملأ رئتى منك — كونا شاهدين على ما أقول !

لقد عاد إليه هدوؤه ، فطاطأ رأسه على أثر سماع كلماتها الحبيبة وبكى بكاء مرا اختلطت دموعه بدموع أمه التى أسرعت إليه محتضنه وتردد صدى آلامه بسيل من الدموع . ثم قالت لى مدام دى لا تور : إننى لا أستطيع احتمال هذا ، فلن تذهب ابنتى إلى فرنسا مهما كان الثمن الذى سأدفعه . خذه معك إلى منزلك فلم يذق أحد منا النوم منذ أسبوع ونحن على مثل ما ترى من اللوعة والحزن والدموع .

قلت لبول : إن فرجينيا لن تسافر يا بنى ، وغدا سنتحدث إلى الحاكم فى أمر بقائها . هيا بنا إلى منزلى واترك فرصة لأسرتك تذوق بعض الراحة ، فقد انتصف الليل . استجاب بول إلى رغبتى متحاملا على نفسه يجر رجليه خلفه وكأنما مربوطتان فى جسم غيره وقضى الهزيع الأخير من الليل فى نوم قلق متقطع ... وعاد مسرعا إلى أسرته عند بزوغ الفجر .

***

سافرت فرجينيا إلى فرنسا وأدخلتها عمتها الغنية إحدى المدارس ، وبعد عامين أعدت لها زواجا ملائما رفضته الفتاة رفضا قاسيا احتفاظا بالعهد الذى قطعته على نفسها لبول . وما عتمت أن فرت إلى المحيط الهندى على ظهر سفينة كانت تقصد الجزيرة ، وما كادت تقترب من الشاطىء حتى ثارت عاصفة أغرقت السفينة وغرقت مع الركاب فرجينيا التى كانت تطوى نفسها على أسعد ما تكنه النفوس من الفرحة بلقاء بول ووالدتها والجزيرة والشجيرات .

وحاول بول أن يصارع العاصفة فيصل إلى السفينة قبل غرقها ولكن الموج رده إلى الشاطىء مهشما محطما ، وما لبث أن مات ودفن إلى جانب فرجينيا فى قبر واحد .

على محمد سرطاوى

استعنا على تلخيص الرواية بكتاب :

Great Love Scenes From Famous Novets Mason

مطبعة الرسالة

العدد ٧١٠ – الاثنين ١٠ فبراير ١٩٤٧ – السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٥١٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15me Année No. 710

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

Lundi — 10 — 2 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٧١٠ «القاهرة في يوم الاثنين ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ — ١٠ فبراير سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

في ميدان عابدين ...

شهد ميدان عابدين يومين من أيامهم السود سيظلان في تاريخ الاستعمار عنوانين على الخزى واللعنة : يومَ صحّت أحلامهم فأخذوا يدخلون ، ويومَ زلت أقدامهم فأخذوا يخرجون ! أما اليوم الأول فهو التاسع من سبتمبر عام ١٨٨١ يوم وقف عرابي في ساحة القصر، ومن خلفه الجنود، ومن خلف الجنود الشعب ، يطلب من وليّ الأمر في احتشام واحترام أن يسقط وزارة ويقيم وزارة ... وكان كلفن ابن جون بول واقفاً بجانب الخديو يشير عليه بقتل القائد الثائر . فلما نبا (توفيق) في يد الحية ، واستجاب لرغبة الأمة ، قبض مشير السوء وسفير الاستعمار بكلتا يديه على ناصية الفرصة العجلى حتى لا تفوت ، وأخذ يزرع بين القصر والحكومة الزرع الخبيث ، حتى فسد الأمر واستطار الشر ، وعصفت رياح الفتنة . وحينئذ وضع الماكر الخدّاع يديه على قوائم العرش يوهم صاحبه أنه يمسكه ، وهو الذي يحركه . ثم وجد من طغام الطابور الخامس من أعانه بالخيانة على جيش الثورة ، فاحتل البلاد ونفى القواد وسيطر على الحكم !

وأما اليوم الآخر فهو الرابع من فبراير عام ١٩٤٢ يوم وقف مايلز لمبسون حيث كان يقف عرابي ، ومن ورائه فلول الدبابات التي طحنها روميل ، يطلب من مليك النيل في صفاقة وحماقة أن يسقط وزارة ويقيم وزارة ... ولكن جون بول في هذه المرة كان هواه مع عرابي لا مع القصر ؛ فوضع الكرسي بإزاء العرش ، والطربوش بجانب التاج ؛ ثم دفعه فجور النفس وخسّ الضمير أن يقول لمصر وهو يقتحم أبواب القصر ببأس الحديد : أريد أن يحكم هذا الوزير أو لا يملك هذا الملكُ ! !

كلمة مجرمة لم يقلها في ذلك اليوم البعيد عرابي الثائر ، وإنما قوّله إياها الكذاب ليحكم عليه بالمصادرة والنفي وعلى وطنه بالاحتلال والحماية ! ولكن المجرم قالها في هذا اليوم القريب بلسانه البذيء وسلاحه الجريء ، فنزت في الرؤوس نوازي الغضب ، وثارت بالنفوس عواصف الحميّة ، وكاد الزمام يفلت من يد الحليم فيلتاث الأمر على انجلترا لولا أن سبق في حكم الله أن الجبان يهزم الشجاع ، وأن العصا تكسر السيف ، وأن (العلمين) تدمر ألمانيا !

لقد أثار جون بول الجيش يوم عرابي ، والجيش قد يهزم لأنه عتاد وعَدَد ؛ ولكنه أثار الشعب يوم لمبسون ، والشعب لا ينهزم لأنه روح ومدد ! وإذا دخل اللص منصوراً وراء الجيش ، فإنه سيخرج مدحوراً أمام الشعب . وإذا كان في يوم الدخول قد وجد الخائنَ الذي تلقاه في التل الكبير ، ودله على الباب الخلفي ، وقاده إلى فناء القلعة ؛ فلن يجد بعون الله يوم الخروج إلا ألسنة تجرى باللعن ، وأرجلا تمتد بالركل ، وأيديا تشير إلى جهنم ! !

إلى القضاء يا مجرم ! ! إلى المحكمة التي أنشأتها سنختصم ، وإلى القوانين التي سننتها سنحتكم . فإذا كنت أنت وحلفاؤك جادّين ، فسيحكمون عليك بما حكمت به على عرابي ؛ وإن كنتم هازلين فارتقب يوم ينذرك القضاء بحكم القدر ، وتأخذك الصيحة الكبرى فلا تبقى عليك ولا تذر !

احمد حسن الزيات

على ذكر المولد النبوي:

محمد والأمن العام

لصاحب العزة على حلمي بك

مدير جرجا

تمهيد:

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عصر مروع الأمن مضطرب النظام تسوده الفوضى من جميع نواحيه: عصبيات جاهلية، ووأد للبنات، وارتكاب لأشنع المنكرات، سلب ونهب، وقتل وعدوان؛ تغير القبيلة على الأخرى فتبدد شملها وتسلبها حرياتها ومالها وتعتدى على أعراضها فكان الحق للقوة الغاشمة والسيف المسلول. وبديهى أن يتبع هذه الفوضى انحلال فى الأخلاق وإزهاق للنفوس وسلب للأموال وضياع للحريات. كل ذلك كان فى جزيرة العرب. وما كانت الممالك المجاورة ذات المدنية والحضارة كالفرس والروم خيراً من بلاد العرب من هذه الناحية، بل كانت الحروب فيها قائمة يضطرم أوارها ويشتد لهيبها، وكان العالم يتردى فى بؤر الفساد ويرقص على بركان ثائر ينذر بالحروب والويلات – لذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن يقوم على أنقاض هاتين الامبراطوريتين أمة أخرى فتية متوثبة متطلعة للنهوض، لا تعوزها الشجاعة المادية والأدبية ولا ينقصها قوة الجنان ولا تأبه بخوض غمار الحروب للذود عن الإنسانية وأمنها. وقد ألفت التقشف واعتادت شظف العيش، وكانت هذه الشروط موفورة فى أصحاب النبى محمد صلى عليه وسلم وتابعيه من أولئك العرب الذين سما الإسلام بنفوسهم، حتى جعل منهم أمة أخرى لا شاغل لها إلا إعلاء كلمة الله وإصلاح أمور المجتمع الإنسانى.

ولقد أعد الله هذه الأمة للنهوض بالعالم وتوحيد كلمته فأرسل من بينها رسولا عرف بالاستقامة والأمانة وحسن السيرة وقوة الشخصية وشرف المحتد وكرم الأصل، وكان لسلوكه الشخصى وسياسته الحكيمة وتأييده بالمعجزات الباهرة ما جعل من أخيارهم القلوب الواعية والأذن الصاغية (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم) فأوحى الله إليه بالقرآن الكريم فكان هو الدستور العام لكل ما فيه سعادة المجتمع وخاصة للأمن والنظام والسلام لما اشتمل عليه من قواعد العدل والرحمة والحرية حتى صار دستوراً يعمل به فى كل جديد من مختلف العصور. ولم يأت (مؤتمر سان فرنسيسكو) وغيره من الهيئات التى تحاول وضع مبادىء للحرية والسلام والأمن الدولى بشىء أفضل من مضمون هذا الدستور الإلهى وتطبيق مبادئه السامية عملا بالإشارة التى جاءت بالآية الكريمة (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله؛ فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) فرسالة محمد صلى الله عليه وسلم من أهم مقاصدها هداية الخلق وحقن الدماء ونشر السكينة والسلام. فبعد أن تمت له الهجرة وبلغ رسالة ربه كانت الحكومة فى عهده قائمة على العدل والحرية والإخاء المستمد من هدى القرآن الكريم ولم يستعن فيها النبى بعسس ولا شرط للمحافظة على الأموال والأنفس والثمرات. وكان مما ساعد على ذلك:

١ – الهيبة التى كان يتمتع بها صلى الله عليه وسلم؛ فقد ملأت قلوب المؤمنين والكافرين والمنافقين على السواء، وقلما كانت نفس مجرم أو قاطع طريق تحدثه بارتكاب ما حرم الله لما غشيهم من خشية الله وهيبة رسوله وقد روى أن أعرابياً دخل عليه صلى الله عليه وسلم فارتاع من هيبته فقال له: «خفف عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد».

٢ – إن الناس فى الصدر الأول من الإسلام ما كادوا يتلقون الدعوة ويدخلون أفواجا فى دين الله حتى فاضت قلوبهم بتقوى الله ورهبته وقلت الجرائم التى كانت ترتكب فى الجاهلية. وأصبح كل إنسان على نفسه حسيباً ورقيباً، فمن ارتكب جرماً فى السر أو العلانية سارع إلى الاعتراف للمصطفى صلى الله عليه وسلم بما ارتكبه فكان الجانى شرطى نفسه. روى أن رجلا أتى النبى فقال هلكت يا رسول الله! فقال وما أهلكك؟ قال أصبت امرأتى فى نهار رمضان قال: هل تجد ما تعتق رقبة؟ ومن أجل ذلك كان واجب الحاكم سهلا هينا، غير أن طبيعة البشر الطغيان، والظلم من شيم النفوس، والنفس أمارة بالسوء، فوجب الردع والزجر استئصالا للفساد وتثبيتا للاصلاح. ولذلك قال جل شأنه:

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض).

وقد رمت الشريعة الإسلامية فيما جاءت به إلى المحافظة على الدين والنفس والعرض والعقل والمال وتلك أقصى غايات السعادة فى الدين والدنيا، فمثلا للمحافظة على الدين حرم الكفر والإلحاد وشرعت الصلاة والعبادات، وللمحافظة على النفس حرم القتل والانتحار. وللمحافظة على العرض حرم القتل والزنا. وللمحافظة على العقل حرمت الخمر ونحوها. وللمحافظة على المال فرضت الزكاة وحرم الميسر والسرقة.

وسنتكلم فيما بعد عن التشريع الجنائى الذى كفل تحقيق هذه الأغراض.

القواعد الأولى التى وضعتها الشريعة الإسلامية لصيانة الأمن العام

تتلخص فى أن تصان النفس البشرية من العوامل التى تحملها على الإجرام وذلك:

أولا — بتهذيب النشء بالوعظ والإرشاد وإقرار العقائد الصحيحة التى تنير القلب وتجعله فى شغل دائم بمراقبة الخالق والخوف من عقابه واجتناب ما نهى عنه.

ثانيا — بفرض الزكاة والترغيب فى الصدقات صيانة للمجتمع من عوامل الإجرام فقد قال الله تعالى (والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) وقال تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث) وقال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقال عليه الصلاة والسلام «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة؛ ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة» وبذلك تزول حاجة الفقير فلا يفكر فى ارتكاب الجرائم. فلو علم كل فقير أن له حقا فى مال الغنى ما وجد عليه، ولساعده فى استثمار أمواله لعلمه أن ذلك يعود عليه بالمنفعة فيعمل مجداً مع الغنى فى زيادة الإنتاج فى جو من الأمن والسلام. إذ لا يخفى أن الجرائم إنما ترتكب غالباً بدافع الفقر والعوز وما (مشروع بفردج) وغيره من المبادىء الحديثة الخاصة بتأمين حياة الفقير ورفع مستوى معيشته إلا للأغراض التى توختها الشرائع السماوية.

على أنه ينبغى للغنى أن يذكر دائما أنه لا يعطى حين يعطى تبرعا بالمعنى الصحيح بل إن ذلك فى الحقيقة حق عليه كما تقدم ذكره فى الآية الكريمة، يأخذه الفقير وهو محفوظ الكرامة الإنسانية التى حفظها له الشارع. فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام «اليد العليا خير من اليد السفلى».

ولا شك أن فى ترغيب الشريعة الإسلامية فى العمل والتكسب والاحتراف إقامة لعماد الكرامة فقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائلا درهماً وأمره أن يشترى حبلا وفأساً ويحتطب حتى لا يتعرض لذل السؤال.

ثالثا — القصاص الحازم ممن يرتكبون الجرائم ليكون فى ذلك ما يردعهم عن ارتكابها، وقد بينت الشريعة الإسلامية تفصيلات الحدود والقصاص وسنوضحها فيما بعد.

رابعاً — العناية بالقضاء وجعل منصبه أكبر مناصب الدولة بعد الإمارة فلا يعهد به إلا لمن تفقه فى الدين وعرف ما يصلح المجتمع وما يدفع عنه الشر وذلك بتطبيق أحكام الكتاب والسنة واتباع رأى المجتهدين من السلف الصالح، وقد امتازت الشريعة الإسلامية فى قضائها بمراعاة المصلحة العامة.

وهناك قواعد إيجابية وأخرى سلبية، وسنحاول بإيجاز بيان الهدى الإسلامى من الناحية السلبية فى منع الجريمة قبل وقوعها وما لذلك من أثر فى الأمن ضاربين بعض الأمثلة من مشاهداتنا العملية.

القتل:

هو أفظع الجرائم. فقد حرمته جميع الشرائع السماوية. قال تعالى (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) ولما كان إزهاق الروح من طبيعة الحيوان الوحش فارتكاب الآدمى له يدل على أن فطرته خلت من أخص المزايا البشرية، وإن فى ارتكاب هذه الجرائم ما يهدم كيان المجتمع ويفضى إلى الإخلال بالأمن. فكثيراً ما تثأر للقتيل أسرته وهذا شائع الحصول وكثير الوقوع خصوصاً فى بلاد الوجه القبلى فتقع بسبب ذلك معارك دموية بين الأسرتين أو الأسر وتسيل الدماء وتزهق الأرواح.

وكثير من حوادث القتل يكون نتيجة الغضب وحب الانتقام كما نلمس ذلك بوضوح فى الصعيد وسائر بلاد الريف، والغضب شر

أمراض النفس . وقد عالجه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : « ليس الشديد بالسرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » وكان هو نفسه المثل الأعلى فى الحلم وكظم الغيظ واحتمال المكروه حتى أثنى الله عليه فقال (وإنك لعلى خلق عظيم) .

الانتقام والأخذ بالثأر :

ولقد كانت الفوضى فى بلاد العرب ضاربة أطنابها . ومن أمثال ذلك الانتقام والأخذ بالثأر إذ كان من مظهر ذلك أن النساء لا يرضين فى الثأر إلا أن يصبغن ملابسهن بدم القتيل ، وبعضهن يأكل من كبده وقلبه كما حصل لسيدنا حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم فى إحدى الغزوات . وكن يعيرن من يمسك عن الانتقام لنفسه أو الأخذ بالثأر لذويه ، فوضعت الشريعة الإسلامية الغراء لذلك حداً وشرعت القصاص فى قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الأبصار) فإن إعدام القاتل فيه حقن للدماء لما فيه من الزجر والاعتبار فيكف كل جان عن ارتكاب هذه الجناية وبذلك يسود الأمن ويعم السلام .

ومازالت آثار هذه العادة الممقوتة باقية فى الريف وخاصة فى الصعيد وهى من التراث المكروه ويجب العمل على استئصالها بكل الوسائل الميسورة ؛ ومن أهمها العناية بالمصالحات والقضاء على الأمية ونشر نور العلم والعرفان بين هذه الأوساط وأن تكون إجراءات المحاكم سريعة وأحكامها رادعة زاجرة .

شهادة الزور وأثرها وعلاجها :

حرمت الأديان جميعها شهادة الزور — وعدتها الشريعة الإسلامية من أكبر الكبائر ، ومن دستور محمد القرآنى فى ذلك (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) وقوله سبحانه وتعالى (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) وفى آية أخرى (ولا تكتموا الشهادة وأنتم تعلمون) ومما يثقل كاهل رجال الأمن فى مهمة كشف الجرائم التواء الشهادة أو الإعراض عنها . فما أحكم محمداً حيث يقول ما معناه « لا ينبغى لأحد شهد مقاماً فيه حق إلا تكلم به فإن ذلك لاينقص أجله ولايمنع رزقه »

ومما يؤسف له أشد الأسف أن الشاهد وخاصة فى الريف قلما يجد من الشجاعة ما يدفعه إلى أداء الشهادة معاونة منه للعدالة فى الاهتداء إلى الجانى لينال الجزاء العادل . ويكون من نتائج ذلك استفحال الإجرام — ويرجع الإحجام عن أداء الشهادة فى الغالب إلى الرهبة من الجناة والخشية من سطوتهم أو نفوذ ذويهم نظراً لطول إجراءات المحاكمة الجنائية

وعلاج ذلك تبسيط هذه الإجراءات واختصارها خصوصاً وقد دلت التجارب والمشاهدة على أن طول الزمن كثيراً ما يدفع ذوى الشأن فيها إلى الانتقام بأنفسهم فضلا عن أنه يقلل من أثر الأحكام فى نفوس الجناة ويضعف وقعها عند أمثالهم من المجرمين، كما أن ذلك إن لم ينس الشهود الوقائع التى شاهدوها من عهد طويل فإنه يتيح الفرص للجناة لإضعاف أدلة الاتهام والتلفيق لإفلاتهم من يد العدالة .

وفى بلد كمصر تعددت فيه الهيئات القائمة على التحقيق وتوزعت المسئوليات يجب وضع القواعد الكفيلة بتبسيط العمل بحيث تقوم كل هيئة بما يفرض عليها ؛ حتى لا تتعدد الإجراءات تعدداً قد يؤدى إلى الاضطراب فى التحقيق والإضعاف من قيمته .

المصالحات والوعظ والإرشاد :

ومما جاءت به الشريعة الغراء المحافظة على الأمن العام : الأمر بإصلاح ذات البين فقد قال الله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) وقال الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) وقال الرسول عليه السلام : « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا » من أجل ذلك يكون لجهود الوعاظ فى هذا الميدان مجال فسيح عظيم الأهمية فى معاونة هيئات الحكومة للوصول إلى الهدف المنشود وهو إحلال الصفاء محل النزاع بما يسدونه إلى الفريقين من الموعظة الحسنة والإرشاد الحكيم

وقد قامت دعوة النبى عليه الصلاة والسلام على هذا الأساس فالله يقول (فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر) ويقول

إلى إخواننا الأزهريين :

بمناسبة حادث الشيخ أبي العيون

للأستاذ على الطنطاوى

ماعرفنا علماء الأزهر إلا ملوكا ، لا أمر فوق أمرهم ، ولا كلمة بعد كلمتهم ، إذا قال واحدهم لبّت الأمة ، وإذا دعا هبّ الشعب ، وإذا أنكر على الحكومة منكراً أزالت الحكومة المنكر ، وإذا أمرها بمعروف أطاعت بالمعروف ، فكانوا هم السادة وهم القادة ، وهم أولو الأمر : هذى حكومة مصطفى فهمى باشا تستجيب سنة ١٨٩٩ لرغبة الانكليز فى إضعاف القضاء الشرعى ، فتضع مشروعها المشهور ؛ لتعديل اللائحة الشرعية وضم اثنين من أعضاء الاستئناف الأهلى إلى المحكمة الشرعية العليا ، ويبلغ من ثقتها بقوتها ، وتأييد مجلس الشورى لها أن لا تبالى باحتجاج الحكومة العثمانية على المشروع ، وتعرضه على المجلس . (وكان من أعضائه الشيخ حسونة النواوى ، الذى جمعت له مشيخة الأزهر وفتوى الديار المصرية) فيقول كلمة موجزة فى إنكار المشروع ، وينسحب من المجلس ويتبعه القاضى التركى ، فتكون هذه الكلمة كافية لقتل المشروع ، فيردّه المجلس كله ، وتحاول الحكومة إنفاذه على رغمه فلا تجد عضواً استئنافياً واحداً يقبل الانضمام إلى المحكمة العليا ، (عرضت ذلك على الشيخ محمد عبده وكان من أعضاء الاستئناف الأهلى وسعد زغلول وأحمد عفيفى ويوسف شوقى ويحيى ابراهيم . فأبوا جميعاً) وتمشى كلمة الشيخ فى الناس مشى النار فى يابس الحطب ، فتهبّ الأمة كلها تؤيده حتى ترضى الحكومة بالهزيمة وتسترد مشروعها(١) .

ولم يكونوا يخشون فى الحق لومة لائم ، ولا يخافون غضبة ملك جبار : هذا حسين باشا الجزائرلى ، يصل مصر فيفر منه أمراؤها إلى الوجه القبلى ، فيأخذ أموالهم كلها ولا يرضيه فى عتوه وجبروته أن يستولى على عروضهم حتى يسطو على أعراضهم ، فيقبض على نسائهم وأولادهم ، ويسوقهم إلى السوق ليبيعهم زاعماً أنهم أرقاء لبيت المال ، وكانت الأحكام عرفية ، وسيوف الظلم مصلتة ، ولواء البغى مرفوعاً ، ولكن ذلك لم يمنع علماء الأزهر من إنكار هذا المنكر ، ولم يرهبوا بطش الباشا وهم يروون أن أفضل الشهداء رجل قال كلمة حق عند إمام جائر فقتله بها ، فمضوا إليه وتكلم الشيخ محمد أبو الأنوار فقال له : « أنت أتيت إلى هذه البلدة وأرسلك السلطان لإقامة العدل ورفع الظلم كما تقول ، أوليبيع الأحرار وأمهات الأولاد وهتك الحريم ؟ » فقال : « هؤلاء أرقاء لبيت المال » . قال : « هذا لا يجوز ولم يقل به أحد » فغضب أشد الغضب وطلب كاتب ديوانه ، وقال : « اكتب أسماء هؤلاء وأخبر السلطان بمعارضتهم لأوامره » فقال له الشيخ محمود البنوفرى : « اكتب ما تريد بل نحن نكتب أسماءنا بخطنا(٢) » ، وكانت النصرة لهم عليه ، فأحقوا الحق وأبطلوا الباطل ، ووضع الله فى قلبه هيبتهم ، لأن من خاف الله خافه كل شىء . فكانوا بذلك (أجل من الملوك جلالة(٣)) ،

(١) عن كتاب الأستاذ محمد فرج السنهوري .

(٢) القصة فى الجبرتى ٣ – ٢٠١

(٣) شوقى .

(وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغاً) ويقول (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

وبما أن هذه الدعوة هى رسالة الوعظ لحبذا لو ذللت سبل الانتقال لحضرات الوعاظ ليتمكنوا من كثرة التردد على البلاد التى تقع فى دائرة عملهم وليتيسر لهم أداء رسالتهم على الوجه الأكمل . وحبذا لو عنى كذلك خطباء المساجد بمعالجة العادات السيئة والمنكرات الشائعة والجرائم المنتشرة فى دائرة عملهم بما يلائم روح العصر وتطورات الزمن بعبارة سهلة مفهومة لعامة الشعب بالحث على التمسك بالدين وغرس صفات الرفق بالضعيف وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم والتحذير من الكذب وشهادة الزور والترغيب فى أداء الشهادة والصدق وما إلى ذلك من الفضائل . والمأمول أن يتم على أيديهم جميعاً تحقيق رسالتهم على أكمل وجه فيساعدون على استتباب الأمن وإسعاد البشر .

علي حلمي
مدير جرجا

(البقية فى العدد القادم)

وكانت إشارتهم للحكام أمراً ، وطاعتهم عليهم فرضاً ، حدّث الشيخ محمد سليمان[١] أن أباه قدم لطلب العلم فى الأزهر ، أواخر أيام الشيخ إبراهيم البيجورى ، فشكا إليه ظلم تلك الأيام ، وما كان فيها من السخرة والمونة فكتب له ورقة بمساحة إصبعين هذا نص ما كان فيها : « ولدنا مدير الدقهلية . رافعه من طلبة العلم يجب إكرامه . خادم العلم والفقراء . الخاتم (ابراهيم البيجورى) » فدفعها إلى المدير ، فقبلها ووضعها على رأسه ، ودفعت عنه هذه الورقة كل مظلمة ، وأنالته كل مكرمة ، ورفعت قدره عند المدير وعند الناس .

وكان الشيخ الأزهرى موقراً فى الجامع وفى البيت وفى السوق ، مبجلا عند الطلبة والعامة والحكام ، وكان أقصى أمل الطالب أن يخدم الشيخ وأن يحمل له نعله ، وإذا سبّه عدّ سبه إكراماً ، وتحمله مسروراً ، ورآه من أسباب الفتوح .

وكان الطالب الأزهرى المجاور ، يذهب إلى بلده فى العيد أو فى الإجازة ، فيقبل البلد كله عليه يقبل يده ، ويتبرك به ، ويشم فيه عبق الأزهر ، ويكون المرجع لأهله فى الجليل من شؤونهم والحقير ، ويكون فقيههم والحاكم بينهم ، لا مردّ لحكمه ولا اعتراض عليه ، لأنه يحكم بشرع الله ، ويبين حكمه فى فتواه

هذا ما عرفناه . فما الذى جرى حتى تبدلت الحال ، ووقع حادث الشيخ أبى العيون ؟

ما الذى نزع هيبة المشايخ من القلوب وأنزلهم من مكانتهم عند الحكام ؟

أأقول ؟ أنتم أيها الأزهريون فعلتم هذا كله ! أنتم تنكبتم سبيل أسلافكم ، فما الشيخ اليوم شيخ مسلّك ولكنه موظف محاضر ، وما التلميذ مريد طيّع ، ولكنه على النائب مشاغب ، وما يطلب علماً ولكن يبتغى شهادة . أنتم ثرتم على مشايخكم وعلمتم الناس الثورة عليهم . أنتم أيها الطلاب .. أنتم مددتم أيديكم إلى مدرسيكم ، فجرأتم هؤلاء أن يمدوا أيديهم إلى أبى العيون . أنتم أطلقتم ألسنتكم فيهم فشجعتم هذه الصحف أن تتطاول حزبية إلى الكلام على شيخ الأزهر . أنتم أيها الأزهريون جميعاً جعلتموها جامعة فكان فيها ما يكون فى الجامعات ، وقد كانت جامعاً لا يكون فيه إلا ما يكون فى الجامع . لقد كان الأزهر لله فصار للناس ، وكان للآخرة فغدا للدنيا ، وكان يجيئه الطالب يبتغى العلم وحده ، يتبلغ بخبز الجراية ، وينام على حصير الرواق ، ويقرأ على سراج الزيت ، ولكنه لا ينقطع عن الدرس والتحصيل من مطلع الفجر إلى ما بعد العشاء ، ينتقل من شيخ إلى شيخ ، ففى كل ساعة درس ، ولكل درس كتاب ، ولكل كتاب ساعة للتحضير والمراجعة ، لا يدع الدرس إلا للصلاة فى المسجد صلاة خشوع وتبتل ، أو للأكل فيه أكل قناعة وتقشف ، أو لشرب العرقسوس أو الخرنوب . هذه ملذاتهم من دنياهم ، لا يخرجون من المسجد إلا عصر الخميس ، يؤمون الرياض والحياض ، للاستجمام والاستحمام ، لا يأملون من العلم مالا وقد كان أقصى مرتب الشيخ الأزهرى إلى عهد قريب ثلاثة جنيهات فى الشهر ، ولا يبلغها إلا نفر قليل ، فراضوا نفوسهم على القناعة ، وعودوها الصبر وألزموها الرضا . هذا المرصفى يحدّث عنه الأستاذ محمود حسن زناتى أنه كان فى دار بالية فى حى قديم وقد جلس على حصير ألقى عليه كتبه وأوراقه ، ومن حوله خيط من عسل القصب مرشوش على البلاط يدرأ عنه هجوم البق[١] لم يمنعه هذا الحصير الخلق فى هذه الدار البالية من أن يشرح عليه الكامل . وأورثهم هذا الفقر عزة فى نفوسهم : أورثهم كبر العلم ، وكل كبر مذموم إلا كبر العلم ، فلم يكونوا يحفلون أحداً من أبناء الدنيا ، لأنهم لم يتذوقوا لذتها حتى يداجوا فيها ، ولم يميلوا إليها حتى يتزلفوا إليهم من أجلها . كسروا قيودها وتخلصوا من رقها ، وهانت عليهم وهان أهلها . هذا هو اللورد كرومر ، وما أدراك ما اللورد كرومر ؟ ! يدخل على الشيخ محمد الانبابى شيخ الأزهر ، ويسلم عليه ؛ فيرد الشيخ التحية وهو قاعد ، فيعظم اللورد قعوده ويقعد إلى جنبه فيقول له مغضباً : « يا سيدنا الشيخ ألست تقوم للخديو ؟ » قال : « نعم » . قال : « فلم لم تقم لى ؟ » قال : « إن الخديو ولى الأمر وأما أنت فلست منا » . فيزيد ذلك اللورد إجلالا له ، ويكتبه فى أحد تقريراته لحكومته[١] .

وهذا هو رياض باشا وكان رئيس الحكومة وناظر المالية

(١) فى كتابه الحايل (من أخلاق العلماء) .

(١) من أخلاق العلماء .

يزور مدرسة دار العلوم ، وكان الشيخ حسن الطويل مدرساً فيها ، فلا يسلم الرئيس ويدخل ؛ حتى يبتدره الشيخ من آخر القاعة ، فيقول له : « يا باشا أما آن لكم أن تجعلوني معكم ناظراً ؟ » . فيدهش الباشا ويقول : « ما هذا يا شيخ حسن؟ » فيقول : « ما تسمع يا باشا ؟ » قال : « فأي نظارة تريد ؟ » قال : « المالية » قال : « لماذا ؟ » قال : « لأستبيح أموالها![1] » فذعر الباشا وخرج يرتجف ، وقال لعلي مبارك باشا ناظر المعارف : « لا بد أن تخرج هـذا الرجل من خدمة الحكومة » قال : « كيف ؟ وماذا أصنع مع علماء الأرض ، وهو عالم عالمي؟ [2] » .

كذلك كانوا . زهدوا في الدنيا فجاءتهم الدنيا ، وأعرضوا عنها فأقبلت عليهم ، وهابوا الله فهابهم الناس ، فكيف حالكم اليوم يا إخواننا الأزهريين ؟

***

يا إخواننا ، إن هذا الأزهر المعمور ، لبث خمسمائة سنة من عمره ، وهو منار العلم المفرد في الدنيا لولاه لتاهت في ظلمات الجهل ، وهو حارس الدين واللغة ، فأدركوه لا ينطفئ المنار ، ويهجع الحارس ، وتترك الدنيا للظلام واللصوص .

يا إخواننا ، ما عاش الأزهر ولا عز بالعلم وحده ، وما العلم بلا عمل ؟ ولكن عز بالتقوى وبالعمل وبالخلق المتين . لقد كانت لعلماء الأزهر أخلاق لا أقول ضاعت ولكن اختفت عن الناس تلك الأخلاق ، كانوا يجلّون مشايخهم فيجلهم الناس كلهم .

هذا هو الشيخ الباجوري شيخ الجامع كان يجلس بعد المغرب في الصحن فيقبل عليه العلماء والطلبة يقبلون يده ، وكان الشيخ مصطفى البلط وهو أكبر منه ، ناظره في طلب المشيخة ولم ينلها ، يندس فيهم ويقبل يد الشيخ ، فانتبه إليه مرة فأمسك به وبكى وقال : « حتى أنت يا شيخ مصطفى ؟ لا . لا » فقال الشيخ مصطفى : « نعم . وأنا ! لقد خصك الله بفضل وجب أن نقره ، وصرت شيخنا فعلينا أن نوقرك[2] » ، وكانوا يقدمون العلم على المنصب ، ويعرفون لأهله حقهم . هذا هو الشيخ الشربيني شيخ الجامع يجيء إلى الشيخ الأشموني فيراه مضطجعاً على جنبه فيضع حذاءه بعيداً ويقبل عليه على مشهد من أهل الجامع حتى يلثم يده . وكان الأشموني ربما قال له : « إزيّك يا عبد الرحمن ؟ » فيكون الشيخ كأنما حيّته من فرحته بذلك الملائكة[1] ، ولم يكونوا يدعون للعدو ثغرة يدخل منها إليهم ، ويجملون خلافهم إذا اختلفوا ، بينهم ، هذا هو الشيخ الأمير كانت بينه وبين الشيخ القويسني جفوة بلغت الحاكم ، وزاره الأمير فسأله عنها ، وأوهمه أن القويسني أخبره بها وكان يريد معرفة حقيقتها ليزيلها . فقال الشيخ الأمير : « ليس بيننا إلا الخير ، وما أظن الشيخ القويسني حدثك بشيء من هذا » وأثنى عليه ومدحه ونزل من عند الحاكم فمر به على ما كان بينهما ، وأنبأه بما كان ، فقال القويسني : « صدقت في ظنك ما قلت للحاكم شيئاً » قال الشيخ الأمير : « هكذا أهل العلم يسوون أمورهم بينهم ، أما مظهرهم فيجب أن يكون قدوة في التآلف إمساكاً على عروة الإسلام ، وحفظاً لكرامة العلم ، وزال بذلك ما كان بينهما[1] .

* * *

فيا إخواننا الأزهريين ، سألتكم بالله ، ارجعوا بالأزهر إلى سبيله التي درج عليها . أعيدوه سنته الأولى . أفيضوا عليه الدين والتقوى ، فالتقوى روح العلم ، فإن فارقته كان جسماً بلا روح . أحيوا فيه أخلاق الأسلاف ليكن لكم تقاهم وزهدهم ، فتكون لكم عزتهم ومكانتهم . يا إخواننا ، لم يجد والله خيراً في الجامعة الأزهرية ، فردوا علينا الجامع الأزهر !

علي الطنطاوي

(١) تعريضاً برياض باشا . (٢) من أخلاق العلماء .

(١) من أخلاق العلماء .

أنستاس الكرملي

١٨٦٦ - ١٩٤٧

للأستاذ مهدي القزاز

وفاة الكرملي :

في صباح اليوم السابع من شهر يناير سنة ١٩٤٧ توفى فى المستشفى الملكى ببغداد العلامة (الأب أنستاس مارى الكرملى الخالى) أثر أمراض لازمته منذ مدة من الزمن كان يتغلب عليها بحيويته ونشاطه حتى تغلبت عليه فى الأيام الأخيرة فاضطرته إلى دخول المستشفى . وكان وهو يصارع هذه الأمراض داخل المستشفى ، يطالع ما يأتيه من الكتب ويرد على الرسائل التى ترده من الشرق والغرب ويجيب على الأسئلة ويستقبل زواره الذين كانوا يتوافدون للاطمئنان على صحته . حتى أصبحت الغرفة التى ينام فيها مجلساً للشعر والأدب والنقد اللغوى ! وكان يشترك فى بعض الأحاديث - بالرغم من مرضه الشديد ويستأنس بهذا الجو العابق بأحاديث الشعراء والأدباء الذين يفدون للسلام والاطمئنان .

وقبل وفاته بثلاثة أيام منعه الأطباء من المطالعة والكتابة ومنعوا أيضاً عنه الزيارات فعاش - رحمه الله - أيامه الأخيرة فى وحدة قاسية متألما من شدة المرض الذى هجم عليه هجوماً عنيفاً وترك هيكله الضخم حطاماً لا يعرف ، ولم يفد سهر الأطباء والعمليات التى أجريت له ومختلف أنواع العقاقير فقضى مأسوفا عليه ، وأذاعت نعيه محطة الإذاعة العراقية ثم لجنة الترجمة والتأليف والنشر فى وزارة المعارف وتناقلت محطات الإذاعة فى الشرق والغرب هذا النعى وأبنت الفقيد بما تستحقه مكانته الأدبية وخدماته للغة العرب وتاريخهم .

تاريخ الكرملي :

ولد الكرملى فى بغداد فى اليوم الخامس من شهر آب سنة ١٨٦٦ منحدراً من أم عراقية . ولما بلغ سن الدراسة ألحقه والده بمدرسة الكنيسة اللاتينية الابتدائية ، واهتم منذ صغره بدراسة اللغة العربية ومفرداتها . وفى سنة ١٨٨٦ رحل إلى بيروت ودخل المدرسة اليسوعية الاكليركية ، وعلى يد أساتذتها درس اللاتينية واليونانية ونبغ فيهما نبوغاً عظيما دهش له الأساتذة . وكان إلى جانب دراسته هذه يدرس العربية أيضاً دراسة متصلة لا تنقطع .

ولما كان طبعه الجسور لا يستقر ولا يهدأ ، ومطامعه لا تقف عند حد فقد ترك بيروت قاصداً مدينة (شيفرمونت) فى بلجيكا فانخرط هناك فى سلك الرهبنة وانغمر فى الدراسات الفلسفية واللاهوتية ، وقد فتحت له هذه الدراسات أجواء جديدة من المعرفة . ثم ترك (شيفرمونت) إلى مدينة (لاغنو) ثم مدينة (مونبلييه) فى فرنسا ، فأنجز دراسته فى الدير الكرملى هناك ورسم كاهنا باسم (أنستاس الكرملى) ولما تم له هذا النجاح سافر إلى أسبانيا وأقام هناك مدة يتنقل فى المدن الأسبانية ويدرس آثار العرب ومخلفاتهم وما تركوا من ذخائر نفيسة فى التاريخ والشعر واللغة والأدب ، واستنسخ عدة مخطوطات هامة من الأديرة والكنائس والمتاحف لا تزال محفوظة فى مكتبته العامرة إلى الآن .

وبعد أن أنهى رحلته فى أسبانيا رجع إلى بغداد فسلمت إليه إدارة المدرسة الكرملية وتولى فيها تدريس اللغتين العربية والفرنسية . ثم رأى أن هذا الجو يضيق بمعارفه وبتفكيره وما طبع عليه من انطلاق وتحرر وما فى جبلته من حب للاستزادة من البحث والدرس فترك المدرسة وانصرف للتنقيب والتأليف فى اللغة العربية وتاريخها والوقوف على أسرارها فكان لا يدخر وقتاً ومالا فى سبيل الحصول على كل مخطوط أو كتاب يرى فيه عوناً لأبحاثه ودراساته .

وفى هذا التاريخ لمع اسم (الكرملى) باحثاً وعالماً لغويا لايجارى ، فأخذ يضع التآليف القيمة والبحوث الهامة والدراسات المفيدة وينشر فصولا فى المقتطف والهلال والمشرق وفى المجلات الأوربية التى قدرت سعة اطلاعه ونبوغه فأخذت تراسله وتعتمد عليه وتستشيره فى الشؤون التى اختص بها . كما أن دوائر الاستشراق رأت فيه عالما مطلعاً وباحثاً عبقريا فاعتمدته فى أبحاثها ودراساتها والإشراف على بعض ما يشكل عليها فى تاريخ اللغة والأدب .

وفى سنة ١٨٩٦ أنشأ (الكرملى) جريدة (العرب) فعاشت أربع سنوات ثم مجلة (دار السلام) التى عاشت سنة واحدة . وفى سنة (١٩١١) أصدر مجلة (لغة العرب) فكانت من أرقى المجلات العربية فى العالم العربى حرر فيها نخبة من كتاب العراق والبلاد العربية ، وقد عاشت هذه المجلة عدة سنوات ثم أغلقت . وعند إعلان الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ نفى الكرملى خارج العراق بسبب ميوله الوطنية ثم أفرج عنه ، وفى هذه الأثناء انتخب عضواً فى مجمع المشرقيات الألمانى وذلك سنة ١٩١٦ وبعد ذلك انتخب عضواً فى المجمع العلمى العربى بدمشق ثم عين عضواً فى المجمع الملكي المصرى للغة العربية .

وانصرف الفقيد بعد ذلك إلى التأليف وحضور المؤتمرات اللغوية ، وكان دائب السفر بين بغداد والقاهرة والقدس وبيروت باحثاً ومستقصياً ومستنسخاً ، حتى تمكن من تأليف ما يقارب الأربعين مؤلفاً فى الآداب واللغة والفلسفة والدين ، ومن أهم كتبه المطبوعة (الفوز بالمراد فى تاريخ بغداد) و (مختصر تاريخ العراق) و (جمهرة اللغات) و (كتاب الجوع) و (كتاب العجائب) و (كتاب أديان العرب) وغير ذلك من الكتب المهمة ؛ كما أنه وضع معجماً عربياً خطيا يعد حجة فى بابه . وله معجم (عربى فرنسى) مطول . أما كتبه وتآليفه غير المطبوعة فكثيرة ومهمة جداً نأمل أن تقوم وزارة المعارف بطبعها خدمة للغة العربية وتاريخها ولذكرى الفقيد الراحل .

وكان الكرملى يتقن إلى جانب اللغة العربية اللغات اللاتينية واليونانية والفارسية والتركية والانكليزية والفرنسية والأسبانية ؛ وله أبحاث عديدة فى هذه اللغات نشرتها مجلات الغرب فى حينها وكلها تتناول لغة العرب وتاريخهم وآثارهم .

مكتبة الكرملى :

يملك الفقيد مكتبة تعد من أنفس المكتبات فى العالم العربى بما حوته من كتب مخطوطة ومطبوعات نادرة . جمعها من مختلف بلاد الشرق والغرب وبذل فى سبيلها أموالا كثيرة حتى كان رحمه الله يتجشم مشاق السفر فى سبيل الحصول على مخطوط أو استنتاخه مهما بعد المكان والقطر . ويقال إن مكتبته تحوى فى الوقت الحاضر على ما يقرب من (١٤) ألف مجلد بمختلف اللغات جمعها الفقيد فى خمسين سنة .

وحرصا على هذا الكنز النفيس من الضياع وحرمان الجمهور من فوائده وتمكيناً للعلماء والباحثين والمطالعين من ارتياد هذه المناهل فقد تقرر بمدوفاته تأليف لجنة لتنظيم شؤون هذه المكتبة وإدارتها وإيجاد عمارة خاصة بها تفتح أبوابها للباحثين من رواد العلم . وتأخذ هذه اللجنة على عاتقها طبع تآليف العلامة الفقيد والمخطوطات النفيسة الأخرى . والمتوقع تأليف هذه اللجنة من صاحبى المعالى الدكتور حنا خياط ويوسف غنيمة وبعض الأفاضل

وقد علمنا أن اللجنة الثقافية فى الجامعة العربية قد عهدت إلى مندوب العراق فى الجامعة إبلاغ الحكومة العراقية رجاء اللجنة فى أن تقتنى الحكومة مكتبة المرحوم الكرملى قبل أن تضيع وتتبعثر

أدب الكرملى :

نشأ الكرملى نشأة دينية وتثقف ثقافة فلسفية، وعكف على دراسة اللغة العربية واللغات الأخرى وانصرف لبحوث التاريخ . وبرع فى علوم اللاهوت واشتغل أكثر سنوات عمره بتأليف الكتب التاريخية والفلسفية والدينية . وكان رائداً من رواد اللغة العربية وتاريخها . ولذا تجلت عبقريته فى هذا اللون من الأدب وحده . وكان حافظاً وراويا من الطراز الأول لكثرة ما قرأ من الكتب وطالع من الأسفار وتتبع من الحوادث .

كان الفقيد يعقد مجلساً أدبياً بداره فى (دير الكرمليين) فى يوم الجمعة من كل أسبوع ، وكان يختلف إلى هذا المجلس صفوة مختارة من الشعراء والأدباء والمؤرخين والصحفيين وبعض الأساتذة والطلاب . تختلف أذواقهم ومشاربهم . ولكن تجمعهم رابطة الأدب واللغة وحب البحث والجدل وتذوق هذه الألوان الفكرية التى كانت تدور فى هذا المجلس الذى كان دائماً يعمر بالرواد فيبحثون فى قضايا الأدب والنقد والشعر ويثيرون بعض المسائل الفكرية التى تتخذ فى النهاية شكلا من أشكال الجدل يطلع منه المرء على تيارات مختلفة من الأفكار والنازع والأهواء .

وكان الكرملى يشترك فى جميع الباحثات والمناقشات الفكرية التى تدور فى مجلسه ويديرها ، وإذا لزم الأمر يبرز ما لديه من المراجع والمستندات والوثائق التى تزدحم بها مكتبته العامرة فى مختلف اللغات واللهجات للبرهنة على وجهة نظره وتأييد فكرته

وكنت من الذين يحضرون مجالس الكرملى الأدبية هذه ويشتركون فى بعض المناقشات التى تثار فى قضايا الأدب والفكر

الأدب في سير أعلامه :

٢ - تولستوى . . . !

[قمة من القمم الشوامخ في أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

طفولة ونسب



دخل ليو حجرة الدراسة وأسلم إلى مرب يعلمه ويقوم على تنشئته ، وكان هـذا المربى ألمانى الجنس وهو تيودور رويـل ، وكان من عادة سراة الروس أن يختاروا لأبنائهم مربين من الأجانب ليعلموا هؤلاء الأبناء اللغة الأجنبية التى تراد لهم وهم صغار وذلك بالحوار والمرانة لا بالقراءة فى الكتب فحسب ، ولقد كان تيودور رويل هـذا من الشخصيات التى تأثر بها الصبى تأثراً شديداً منذ دخل حجرة الدراسة ، والتى ظل أثرها عالقاً بنفسه مدى حياته الطويلة ؛ إذ كان المربى مستقيم الخلق كريم الطبع عطوفاً على تلميذه فى غير ضعف ، شديداً عليه فى غير عنف ، مخلصاً فى عمله إذا هم بأداء واجب ، ولا يبخل بجهد يرى فيه صلاح تلميذه مهما أرهقه هذا الجهد ، وبهذه الصفات الطيبة أو بهذه القدوة الحسنة أثر المعلم فى تلميذه وهيأ الجو الصالح لنمو الصفات الطيبة فى نفس ذلك الصبى ...

فإذا انطلق الطفل من حجرة الدراسة كانت العمة تاتيانا أول من يلقى فما يطيق البعد عنها ، وإن حبه إياها ليصغر دونه كل حب ، وإن أثرها فى نفسه ليقل عنده كل أثر ، وسيكبر الصبى ويخرج من نطاق البيت إلى مضطرب الحياة ويظل أثر العمة تاتيانا قوياً فى نفسه ، ويظل شخصها حياً فى حسه ، وتظل صورتها ماثلة فى خاطره . وسيعبر عن هذا كله فيما يتناوله قلمه من ذكريات الحياة ومشاهدها . نجد مثلا لذلك فى قوله : « إنى لأتذكر ذات يوم وأنا ابن خمس كيف اندسست خلف أريكة كانت تجلس عليها فى الثوى ، وكيف مدت إلىّ يدها ومست جسدى فى حنو ورفق ، وكيف أمسكت بيدى تلك اليد وقبلتها

فكان لا يرضيني هذا التزمت فى الأدب الذى تفرضه أبحاث العلامة الكرملي ومناقشاته ، فقد كان يحاول دائماً أن يضع للأدب مقاييس وقيوداً وحدوداً لا يتعداها ولا يرى فى الانطلاق والتحرر إلا خروجا وخطأ وجريمة ... وكان تفكيره الرتيب الذى جاء نتيجة دراساته الجافة لا يسمح له بالتجوال إلا فى آفاق محدودة ودوائر خاصة لا يتعداها ولا يسمح لنفسه بالخروج منها . ولذا كان لا يستسيغ هذا اللون من الأدب الحديث الذى برع فيه ناشئة الأدب فى البلاد العربية وتحرروا فيه من قيود الماضى وانطلقوا يكتبون فى أجواء حرة وأساليب حديثة .

لم يكن الكرملي أديباً خلاقاً أو باحثاً مبدعاً ، ولم يترك له أثراً فى الحياة الفكرية فيه هذا اللون المشرق الذى يغذى العواطف ويهز القلوب ، ويفتح كوى مشرقة فيها أضواء وأخيلة وأنداء وجنائن مسحورة يعبق جوها بالأمانى والأحلام تترك الشعور يحلق فى متاهات بعيدة وآباد مجهولة فيها أمواج من النعيم وسحر غريب له لذة وفيه نشوة ، كما نشاهد فى أدب الزيات وطه حسين والحكيم وغيرهم من أساتذة اللغة والبيان .

إن عبقرية الكرملي وإشراق ذهنه فى اللغة العربية وتاريخها ودراسته المتصلة للغات القديمة والحديثة ونشاطه المعروف فى التتبع والبحث والتأليف لو أضاف إلى كل ذلك إشراق العبارة وذهنية تشرك عقلها وقلبها فيما تنتج وتفكر لعد من العباقرة الخالدين فى الأدب العربى . ولكن هذا التحنيط والجمود فى أسلوبه قلل من أثره فى الحياة الفكرية وجعله أشبه بمعجم لا يراجع إلا عند الحاجة إليه .

إن اسم (الكرملي) سيخلد فى مجامع الشرق والغرب كعلم من أعلام اللغة والدين والفلسفة خدم بتتبعه لغة العرب وترك فيها آثارا عديدة ونور عقولا وأذهانا ؛ وكان فخر أمته ، وعقلا عبقريا من عقولها فى الخارج .

بغداد — مهدى فرزان

ودموع الحب فى عينى ... لقد كان للعمة تاتيانا أعظم الأثر فى حياتى ، فمنذ الطفولة الباكرة علمتنى كيف تكون بهجة النفس فى روحانية الحب ، ولقد علمتنى هذه الفرحة لا بكلامها فحسب بل إنها ملأتنى حباً بكيانها كله . لقد رأيت ولقد أحسست كيف كانت تمتع نفسها بنعمة الحب ، ومن ذلك فهمت بهجة الحب ، وهذا أول ما علمتنيه . ثم إنها بعد ذلك علمتنى نعيم الحياة المطمئنة الهادئة » .

وحق له أن يحب هذه السيدة التى يدعوها عمته كما يفعل إخوته والتى تقوم منهم جميعاً مقام الأم وقد حرموا من أمهم . وكان ليو منذ صغره مرهف الحس متقد العاطفة تأسره الكلمة الطيبة وتثيره الكلمة القاسية فما يملك أن يحبس دمعه . وعرفت عمته تاتيانا كيف توحى إليه ما تحب من المعانى العاطفية ...

وليس يذكر ليو أمه فقد ماتت وهو دون الثانية بقليل ، وكانت سيدة كريمة المحتد نبيلة الخلق عالية الثقافة ، تقية رحيمة القلب مرهفة الحس مهذبة الذوق ، تتكلم خمس لغات ولها بالموسيقى شغف عظيم ولها مقدرة ملحوظة فى العزف على البيان ، وموهبة فى سرد القصص جعلت لها شهرة عظيمة فى هذا الباب حتى لقد كانت فى حفلات الرقص تجتذب إليها كثيرين ممن يفضلون أن يستمعوا إليها على أن يشهدوا ما يدور فى تلك الحفلات ، وكان الطفل يستمع إلى سيرتها فى اهتمام كلما تحدث عنها الخدم أو تحدثت عنها العمة تاتيانا ، فتقوم فى ذهنه صورة لها تطمئن لها نفسه ويبتهج فؤاده ، وتظل هذه الأحاديث تهجس فى خاطره فتزداد صورة أمه وضوحاً فى نفسه كلما تقدم به العمر فاذا كتب عن أمه غدا فيما يكتب قال : « لست أذكر أمى ؛ لقد كنت ابن سنة ونصف حين ماتت ، وبسبب مصادفة عجيبة لم تحفظ لها صورة ، وعلى ذلك فلا أستطيع أن أرسم فى خيالى صورتها المادية . وإنى لفرح بهذا من وجهة نظر هى أن ما يقوم بذهنى لها إذ أتصورها إنما هو صورتها الروحية ، وكل ما أعلمه عنها من هذه الناحية جميل ، وأظن أن ذلك لم يكن مرده إلى أن من يتحدثون عنها لا يذكرون لى إلا الخير وإنما كان مرده إلى أن نفسها كانت تنطوى على كثير من الخير حقاً » .

ويبقى فى ذاكرته من أحاديث الناس عنها الشىء الكثير، ولكنه معجب بصفة من صفاتها يراها خير الصفات جميعاً ويشير إلى ذلك فى قوله « إن أرفع خلالها قيمة هى أنها كانت على حرارة مزاجها وسرعة تأثرها تضبط نفسها أبداً ، ولقد يحمر وجهها ولقد تبكى كما أخبرتنى خادمتها ولكنها لا تلفظ قط لفظة نابية بل إنها لا تعرف واحدة من تلك الكلمات » ، ويقول عنها كذلك « إنها كانت تبدو فى خيالى مخلوقاً علوياً روحياً طهوراً وبلغت من ذلك حداً جعلنى فى الحقبة الوسطى من عمرى إبان جهادى ضد المغريات والوساوس القاهرة أتجه إلى روحها مصلياً مبتهلا إليها فى صلواتى أن تأخذ بيدى . ولقد كان لى فى أكثر الأحيان فى هذه الصلوات كثير من العون » .

ذلك أثر أمه فى نفسه وإن لم يرها ، أما أبوه فقد كان يحس ليو طيب قلبه وشدة عطفه على أبنائه ، وكان يحب قصصه التى يتلوها عليهم أثناء الطعام كما كان يراه رفيقاً بهم لا يمنعهم عن زياطهم ولا يضيق بهم إذا دخلوا عليه حجرة مكتبه ؛ وكان يعجب ليو بوجاهة أبيه وأناقة ملبسه إذا تأهب للذهاب إلى المدينة ، وبمهارته ونشاطه وجمال طلعته إذا خرج للصيد . وكم كان ينظر إليه فى إعجاب ومحبة وهو جالس فى مركبته وحوله عن قرب خدمه وكلاب صيده ... كم كان يداخل الطفل شعور الإعجاب به لما يرى من هيبته ؛ واستطاع خياله الناشئ واستطاعت عيناه الصغيرتان أن تنفذا إلى سر تلك الهيبة وهو احترام الرجل نفسه وصونه كرامته فما يطأطئ أبوه رأسه أو يخفض صوته أو يغير لهجته لدى أى كبير من الحاكمين مهما علا مقامه ؛ ثم إنه يفطن إلى معنى آخر يحبب أباه إليه ، وذلك أنه على ترفعه واستكباره أحياناً على مزارعيه ، يعطف عليهم فلا يرضى لهم بالعقوبة البدنية ولا يحب أن يرهقهم بالعمل ، فإذا حدث لهم شىء من ذلك كان على غير علم منه وإذا علم بشىء منه نهى عنه واشتد فى النهى وأخلص فيه .

وسيرث ليو صفات أبيه فيكون عطوفاً رؤوفاً يكره العنف على المزارعين ويحب أن يعلمهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور ؛ ولكنه كذلك سوف ينشأ معتداً بذاته كثير الذهاب بنفسه سريع الميل إلى ازدراء غيره ، ومهما حاول التغلب على تلك النزعات فى طبعه غلبته على أمره فى كثير من المواقف فيزهى ويتكبر ولا يقوم فى نفسه إلا شعوره بما نشأ فيه من أيامه من دلائل العظمة والثراء وعراقة الأصل ، وحسبه أن ليس هناك فى ياسنايابوليانا وماحولها قوم لهم السيادة والجاه منذ عهد بطرس الأكبر إلا آل تولستوى ...

وأحب ليو إخوته حباً شديداً وأحب اللعب معهم كلما أطلقهم المربي من حجرة الدراسة ؛ أحب أكبرهم نيقولا لأنه يعلمه كل شيء ولأنه عطوف عليه مرح فكه الحديث ، وراه ليو لايبارى فى سرد الحكايات والقصص الجيلة وفى رسم الصور المختلفة الأشكال والألوان ، وأحب سيرجى لوجاهة منظره وأعجبه منه حبه الغناء واللهو وكبرياؤه وعدم مبالاته بما عسى أن يقول عنه القائلون ؛ أما ديمترى وهو أقرب الثلاثة إليه سناً فكان يأنس بهدوئه وابتسامته الحلوة وعاطفته الرقيقة ...

وكانت من أحب الألعاب إليه تلك اللعبة التى ابتكرها نيقولا ؛ فقد أسر إليه أنه اهتدى إلى نوع من السحر يستطيع به أن يجعل الناس جميعاً على ظهر الأرض أحباباً بعضهم لبعض ، وأن سحره هذا منقوش على غصن أخضر دفنه فى مكان ما بالقرب من موضع حدده لهم ، ثم دعاهم إلى الجلوس معاً جنباً إلى جنب فى بقعة صغيرة يظللهم سقف واحد كما تفعل النمل لتكون لهم مثل أخوة النمل ومحبة جماعاته ، فأقبلوا حيث جلسوا تحت غطاء من القماش وضموه على بعض الكراسى وتلاصقوا هنا وهناك فى تعاطف ومودة ، وأخذ يحدثهم نيقولا أنه بالحب المشترك المتبادل يستطيع الناس أن يكونوا إخوة ، وهكذا صارت هذه اللعبة من أحب الألعاب إلى الأخوة ؛ ولكم تجمعوا تحت خوان أو فى ركن من الأركان ومثلوا أخوة النمل ، وأحدثت اللعبة أثرها فى خيال ليو ووجدانه فقبل أن يبلغ السادسة من عمره يستقر فى نفسه حلم لذيذ عن عالم جديد يرتبط فيه الناس بعضهم ببعض برباط الحب والمودة حتى يصبحوا بذلك إخوانا ...

استقر هذا الحلم فى نفس الطفل وهو دون السادسة وما زال مستقراً فيها حتى بعد أن جاوز السبعين من عمره فقد كتب إذ ذاك يذكر ذلك الحلم فقال : « إن ذلك المثال وهو أخوة النمل وتعلقنا بعضنا ببعض متحابين بقى قائماً فى نفسى لا يتغير وإن لم يعد كما كان أمس تحت قماش يظلل كرسيين عاليين فهو اليوم عندى تعلق البشر بعضهم ببعض متحابين تحت غطاء عظيم هو قبة السماء ، وكما صدقت يومئذ أن هناك عصاً صغيرة خضراء نقشت عليها تلك الرسالة التى تمحق الشر كله فى نفوس الناس وتهىء لهم السعادة العامة فكذلك أعتقد اليوم أن هذه حقيقة ممكنة وسوف تنكشف للناس وسوف يمنحهم كشفها كل ما تعدهم به من سعادة » .

ولقد أوصى تولستوى فيما بعد أن يدفن حين يموت حيث دفنت تلك العصا الخضراء ، فى تلك البقعة التى صارت حبيبة إلى قلبه من أجل ذلك الغصن الأخضر الذى أوحى إلى نفسه أن يتحاب الناس جميعاً ويتآخوا على نحو ما تنطق به قصة أخيه ؛ ولقد دفن فعلا الكاتب العظيم فى الموضع الذى عينه أخوه مثوى للغصن الأخضر وذلك بعد ستة وسبعين عاماً من قصة ذلك الغصن !

وحدثهم نيقولا حديثاً آخر أبهج نفوسهم الصغيرة وملأها شوقاً وتطلعاً وذلك أنه سيقودهم إلى تل ما وسيبلغ بهم قمته ، فاذا بلغوها وطلبت نفوسهم أى شيء فلا يلبثون دون أن يكون بين أيديهم ، ولكنه لن يقودهم إلى ذلك التل إلا أن يجيبوه إلى ما يطلب إليهم أداؤه ، فعلى كل منهم أن يقف فى ركن فلا يتجه ذهنه لحظة إلى دب أبيض أى عليه ألا يخطر بباله هذا الدب ، وعليه أن يمشى مستقيما على شق بين الألواح الخشبية فلا يميل ، ثم عليه أن يمتنع عاماً كاملا عن رؤية أرنب حى أو ميت أو معد للمائدة ، ومن أخذ نفسه منهم بهذه الشروط فليقسم أن تظل سراً لا يفشيه إلى أحد .

وكم اتجه ليو بخياله ووجدانه إلى ذلك الغصن الأخضر يود أن يعلم ما نقش عليه من سحر ، وإلى ذلك التل العجيب يتوق أن يبلغ قمته ، وما علمه أخوه إلا أخوة النمل وإلا تلك الشروط التى لا بد من أدائها لمن يطمع أن يبلغ قمة التل ...

ويتطلع ليو إلى سيرجى يريد أن يكون مثله ، تحدثه نفسه إذا قارن بينه وبين نيقولا أنه يفضل أن تكون له وجاهة سيرجى ولو أنه معجب بأقاصيص نيقولا وسحره ونكاته ؛ وهو مولع بتقليد سيرجى فيما يعمل ، ولكنه يألم ألا يستطيع أن تكون له مثل وجاهته فلن يجدى فى ذلك تقليد ، وكانت وجاهة أخيه أحب صفاته إليه فما أشقاه أن تكون هى الصفة التى تستعصى عليه ؛ وإنه مهما حاكاه فى الغناء واللهو والاعتداد بالنفس فلن يزال يشعر بعدم الرضا إن لم يكن له ما لأخيه من حسن السمة وجمال الطلعة ؛ وثمة شيء آخر لا يستطيع ليو أن يحاكى فيه أخاه ، وذلك عدم مبالاة سيرجى بما عسى أن يقول الناس عنه ، فهو لم يكن يوماً معنياً بنفسه وإنما يسير على سجيته لا يشغل باله بالتفكير فى ذاته ، وقد خلق ليو على نقيض أخيه فهو بنفسه معنى منذ صغره ، عظيم الاهتمام بآراء الناس عنه ، شديد الإحساس بذاته ، كثير الانطواء على نفسه ، وتلك خلة أتعبته منذ نشأته وستكون منبع كثير من متاعبه فى مستقبل الأيام .

(يتبع) **الخفيف**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٥٦ — قرآن النبي وقرآن المتنبي ...!

تاريخ بغداد للخطيب : أبو على بن أبى حامد قال : سمعت خلقاً بحلب يحكون — وأبو الطيب المتنبي بها إذ ذاك — أنه تنبأ فى بادية السماوة ... وكان قد تلا على البوادى كلاماً ذكر أنه قرآن أنزل عليه ، وكانوا يحكون له سوراً كثيرة ، نسخت منها سورة ضاعت ، وبقى أولها فى حفظى ، وهى : « والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار إن الكافر لفى أخطار . امض على سننك ، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين ، فان الله قامع بك زيغ من ألحد فى دينه ، وضل عن سبيله » وهى طويلة ، لم يبق فى حفظى منها غير هذا ...

قال أبو على بن أبى حامد : قال لى أبى ونحن فى حلب وقد سمع قوماً يحكون عن أبى الطيب هذه السورة : لولا جهله[1] ، أين قوله : امض على سننك إلى آخر الكلام من قول الله تعالى : [فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين ، إنا كفيناك المستهزئين] .

إلى آخر القصة ، وهل تتقارب الفصاحة فيهما ، أو يشتبه الكلامان .

٨٥٧ — جل (الكتاب) عن التشبيه

فى شرح النهج لابن أبى الحديد :

قد اشتملت كتب المتكلمين[2] على المقايسة بين كلام الله

(١) لم يقل مقولته . حذف الجواب للعلم به .

(٢) علماء الكلام : التوحيد . فى صبح الاعشى : سمي بذلك (علم الكلام) لأنه لما وقع القول بخلق القرآن فى صدر الاسلام ممن وقع كثر الكلام والخوض فى ذلك فأطلق على أصول الدين علم الكلام وبقى علما عليه .

تعالى وبين كلام البشر ليبينوا فضل القرآن وزيادة فصاحته على فصاحة كلام العرب نحو مقايستهم بين قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) وبين قول القائل : القتل أنفى للقتل[1] ونحو مقايستهم بين قوله (خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين) وبين قول الشاعر :

فإن عرضوا بالشر فاصفح تكرماً
وإن كتموا عنك الحديث فلا تسل

ونحو إيرادهم كلام مسيلمة وأحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى وعبد الله بن المقفع والموازنة والمقايسة بين ذلك وبين القرآن المجيد وإيضاح أنه لا يبلغ ذلك إلى درجة القرآن العزيز فى الفصاحة ولا يقاربها .

٨٥٨ — ... لا يأتون بمثل هذا القرآن

فى (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لتقى الدين ابن تيمية :

الصواب المقطوع به أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضة القرآن ، لا يقدرون على ذلك ، ولا يقدر محمد نفسه من تلقاء نفسه على أن يبدل سورة من القرآن ، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه[2] لكل من له أدنى تدبر كما أخبر به فى قوله : (قل : لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) وأيضاً

(١) فى مقالتى :(قصة الكلمة المترجمة) فى الرسالة الغراء : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ س ٦ بحث مستفاض فيه فى هذه الكلمة وأصلها وقائلها .

(٢) فى (الفصل فى الملل والاهواء والنحل) : لابن حزم :

ما منهم أحد يتكلف معارضة القرآن الا افتضح وسقط ، وصار مهزأة يتماجن به وبما أتى به . وقد تعاطى بعضهم ذلك يوما فى كلام جرى بيني وبينه فقلت له : اتق الله على نفسك ، فان الله قد منحك من البيان والبلاغة نعمة سبقت بها ووالله لئن تعرضت لهذا الباب باشارة ليسلبنك الله هذه النعمة ، وليجعلنك فضيحة وشهرة ومسخرة وضحكة كما فعل بمن رام هذا من قبلك ، فقال لى : صدقت (والله) وأظهر الندم والاقرار بقبحه .

فى (إعجاز القرآن) للباقلانى : والذى يصور عندك ما ضمنا تصويره ويحصل عندك معرفته ... — أن تنظر أولا فى نظم القرآن ثم فى شيء من كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) فتعرف الفصل بين النظمين والفرق بين الكلامين .

فالناس يجدون دواعيهم إلى المعارضة حاصلة لـكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة ، ولو كانوا قادرين لعارضوه، وقد انتدب غير واحد لمعارضته لـكن جاء بكلام فضح به نفسه ، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الأتيان بمثله .

٨٥٩ — المتنبى

فى خزانة الأدب للبغدادى : إيضاح المشكل لشعر المتنبى من تصانيف أبى القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهانى :

حدثنى ابن النجار ببغداد أن مولد المتنبى كان بالـكوفة فى محلة تعرف بكندة بها ثلاثة آلاف بيت ، واختلف إلى كتاب ، فيه أولاد أشراف الـكوفة ، فـكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً ، فنشأ فى خير حاضرة ، وقال الشعر صبياً ، ثم وقع إلى خير بادية فادعى الفضول الذى نبز به ... وهو فى الجملة خبيث الاعتقاد، وكان فى صغره وقع إلى واحد يكنى أبا الفضل بالـكوفة من المتفلسفة فهوسه وأضله كما ضل ، وأما ما يدل عليه شعره فتلون وقوله :

هون على بصر ما شق منظره   فإنما يقظات العين كالحلم

مذهب السوفسطائية ، وقوله :

تمتع من سهاد أو رقاد   ولا تأمل كرى تحت الرجام
فإن لثالث الحالين معنى   سوى معنى انتباهك والمنام

مذهب التناسخ وقوله :

نحن بنو الموتى فما بالنا   نعاف ما لا بد من شربه
فهذه الأرواح من جوه   وهذه الأجسام من شربه

مذهب الفضائية ، وقوله فى أبى الفضل بن العميد :

فإن يكن المهدى من بان هديه
فهذا وإلا فالهدى ذا فما المهدى ؟

مذهب الشيعة وقوله :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
إلا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل تخلص نفس المرء باقية
وقيل تشرك جسم المرء فى العطب [١]

(١) رواية الديوان : فقيل تخلص نفس المرء سالمة .

فهذا من يقول بالنفس الناطقة ، ويتشعب بعضه إلى قول الحشيشية[١] . والإنسان إذا خلع ربقة الإسلام من عنقه ، وأسلمه الله (عز وجل) إلى حوله وقوته وجد فى الضلالات مجالا واسعاً ، وفى البدع والجهالات مناديح وفسحاً .

٨٦٠ — وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

المتنبى :

تركت مدحى للنبى تعمدا   إذ كان وصفاً مستطيلا كاملا
وإذا استطال الشىء قام بنفسه
وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا[٢]

(١) الاسماعيلية الباطنية . ومن ألفاظ الجماعة : النفس الـكلية والعقل الفعال ... وللامام الغزالى فى الباطنية هذا القول : « الباطنية ظاهرها الرفض وباطنها الـكفر المحض » ومن أقوالى فى الاسماعيلية : « الاسماعيلية جسر بين الاسلام والالحاد » .

(٢) وجدت الشعر فى كتابين منسوبا إلى المتنبى ، وفى إحدى روايتيه « الوصي » والوصي عند إخواننا الأمامية هو على (رضي الله عنه) والوصية عندهم من الاركان .

الحياة الأدبية

فى طرابلس الغرب

بين الماضى والحاضر

للأستاذ صلاح الدين بن موسى

لعل الحديث عن الأدب وأهله فى هذا القطر العربى البائس أمر فيه شيء كثير من الغرابة عند أبناء العروبة الذين ارتسمت فى مخيلتهم وأفكارهم صور مبهمة غامضة عن طرابلس الغرب — أو (لوبيا) كما يحاول أن يسميها بعض المتأخرين — فهم لا يعرفون عن هذه البلاد إلا قوماً خربت ديارهم وخربت مدنهم، وأصابهم من ويلات الحرب ما تركهم فى غفلة أو حيرة، هم بسببها بعيدون كل ماله صلة بالحياة الروحية شعرية كانت أم نثرية، وإن أسباب المعيشة وذلك الفقر المدقع فى الغذاء والكساء كانا حائلا دون انصراف القوم لتثقيف عقولهم وتحقيق النهضة الأدبية بينهم، تلك هى الصورة الخاطئة التى ترتسم هذه الأيام فى أذهان بنى يعرب ويصرحون بها فى مجتمعاتهم الأدبية وأنديتهم الثقافية. لهذا وقد وقفت على الحقيقة الناصعة ولمست روح النهضة الأدبية فى بلاد (ليبيا) أحببت أن أجمل من حديثى هذا على صفحات «الرسالة» معرضاً للفكر الحديث والنهج الأدبى فى طرابلس عساى بذلك أكون قد حققت قسطاً من واجبى نحو قطعة غالية من بلاد العروبة ...

قبل الحديث عن نهضة طرابلس الغرب الحديثة سأحاول أن أعطى للقارئ صورة صادقة لتدرج الحياة الأدبية منذ العهد العثمانى حتى وقتنا هذا فيرى تطور الروح الأدبى ونمو الذوق الشعرى خلال هذه الحقب المتتالية ومبلغ التقدم الذى حازته هذه البلاد فى زهاء ربع قرن تقريباً ..

كانت النهضة الأدبية زاهرة يانعة، قبل احتلال الطليان طرابلس الغرب وكان فيها كثير من الأدباء المجيدين والشعراء الملهمين نذكر منهم: الشيخ على سيالة صاحب الملقات الشهيرة، والشيخ محمود نديم بن موسى، والشيخ ابراهيم باكير، والأستاذ العلامة سعيد المسعودى وآخرين ممن ساعدوا على نشر اللغة العربية وبعث مبادئ الحرية والحياة الصحيحة المستقلة.

وكانت جريدة (الرقيب المتيد) خير رسول أمين للنهضة الأدبية تنقل منتجات عقول الأدباء ووحى شعورهم أو تفكيرهم، وكان لصاحبها الشيخ محمود نديم بن موسى اليد الطولى فى تشجيع الأدباء ورفعهم إلى المستوى الثقافى الرفيع، فأنشأ بمساعدة بعض الأدباء نادياً للثقافة والأدب كان يلقى فيه المحاضرات المختلفة فى السياسة والأدب والإجتماع وبعقد الإجتماعات الأدبية والمساجلات الشعرية والملاحم التمثيلية.

وكان الإستعمار الإيطالى، فطغى على تلك الأفكار الوثابة وغمرها بسيل من التبلبل والإرتباك وسد عليها المنافذ فلم تجد ما تتسرب منه وتسمع صوتها، وأمسى هذا الوضع السياسى يسيطر على العقول ويصرف نتاج الأدباء فيما يعود عليه بالراحة والإطمئنان ويعمل مامن شأنه جلب الأهلين إليه ومحبتهم له واستسلامهم لما يريد بهم المستعمر، فكنت ترى الأديب منهم يذيب دماغه ويشحذ قريحته فى نظم قصيدة أو رصف مقال فى مدح الحاكم وسياسة دولته مما أقعدهم عن مجاراة الأمم العربية وأبعدهم عن الأدب المصرى الذى يتناول كل ناحية من نواحى الحياة وحصره ضمن نطاق ضيق، فالإستعمار الإيطالى أطفأ هذا السراج الذى أخذ يضيء ماحوله وأخمد جذوة هذا الروح الفياض، وأضحى الأدب منصرفاً إلى غير مايقوم الحياة الحقيقية والإستعمار يناهضه ويسعى بكل ما أوتيه من قوة فى إبعادهم عما يرتجى من الأدب وإقصائهم عن غايته الشريفة ويقف عثرة فى سبيل الوصول إلى حقائقه المرجوة.

... كانت الحرب الثانية وبالا على طرابلس الغرب قاسى أهلوها من مصائبها الشيء الكثير، فتشردوا فى أقاليم القطر المختلفة وهجروا المدن العامرة، وصواعق الأساطيل وقذائف

الطائرات تدك البيوت القائمة وتهدم شوامخ القصور بين عويل النساء وأنين الشيوخ .

لهذا كان من الطبيعى أن تهمد الروح الأدبية تماماً فى هذه البلاد ويسود القطر ظلام وجهل يبعث الأسى فى النفوس ، وكانت سنو الحرب فى طرابلس مرحلة فتور وجود فى الحياة الأدبية بل فى الحيـاة العلمية بصورة أعم ، فكانت مدارس القطر مغلقة والطلاب مشردين والشباب الذى كان يتذوق شيئاً من الأدب أضحى طريداً فى القفار ، وبات القلق يسيطر على السكان ويبعث فيهم الرهبة والخوف . وانجلت الحرب عن ديار أصابها الخراب والدمار ، وشعب أخره التفرق والشقاق وقد تربع الجهل على منصة البلاد فلا علم ولا أدب ولا صحف ولا نواد .

وكان فى طرابلس الغرب بعض من ذوى العلم والعرفان ممن سلموا من براثن الحرب الضروس فشمروا عن ساعد الجد والعمل وبدأوا صراعاً عنيفاً بين الجهل والعلم ، يؤازرهم فى عملهم هذا عدد من رجال الدين وضباط الوصاة البريطانيين فكان لنشاطهم هذا أثره فى ازدهار الحياة العلمية والأدبية فى سنين قليلـة وانتشار المدارس العلمية والأندية الثقافية المنوعة فأقبل الشباب الطرابلسى ينهل من موارد العلم والأدب فى مصر ويعود إلى بلاده مزوداً بثقافة رفيعة ساعدت على تطور الحركة العلمية والأدبية فى البلاد .

وكان إقليم برقة أسبق من طرابلس فى مضمار الحياة الأدبية ، ولعل قربه من مصر خصه بهذه المزية السامية الرفيعة ، فسرعان ما أنشئت فيه نواد مختلفة للأدب والعلم ، منها نادى عمر المختار ، والنادى الثقافى اللذان كان عملهما مقتصراً على مدينة (بنغازى) إذ بعثا فيها الروح الأدبية شعرية كانت أم نثرية فنبغ الشعراء والـكتاب الذين رأوا فى صحيفة (برقة الجديدة) ميداناً فسيحاً للتعبير عن شعورهم والإفصاح عما تجيش به نفوسهم . ولعل صاحب هـذه الجريدة الفتية الأستاذ « صالح البوصير » فى طليعة الشباب العاملين فى الحقل الأدبى فقد قرأنا له فى صحيفته مقالات مختلفة فى الأدب والعلم والإجتماع . وهناك الشاعر الملهم السيد « ابراهيم محمد الهوينى » وله قصائد رائعة نشرتها له « برقة الجديدة » تباعاً وفى إحداها قوله مادحاً سمو الأمير إدريس السنوسى :

نظمت شـــعور القلب حتى غدا شعراً
وهذبت هـــذا الشعر حتى انثنى دراً

ومن ذا الذى يسطيع مدحاً لعنصر
تسامى فكان النجم والشمس والبدرا

أمير كأن الله أعطاه حكمة   أذل بها الأعداوقاد بها الدهرا
فأهلا بعهد قد أنيرت سماؤه   وبعداً لهذاك الزمان الذى مرا

* * *

ومن الشعراء الشبان الذين أنجبتهم برقة السيد « محمد بشير المغربى » ومن درر قوله هـذه القطعة الجيلة فى شكوى الحياة والأصحاب :

على أى جنب فى الحياة أميل   ومالى فى ظل الزمان مقيـل
وأى سراب قد أملت مشاعرى   وظل به ماء اللجين يسيل
أسير وما هذا الطريق بموصل   لأمر وقد لايستطاب وصول
دعوت رفاقى للوقوف وإنهم   قليل وما بين الرفاق دليـل
تجاوبنى منهم تقلب أوجه   رأيت به ما فى الصدور يجول
فقلت لهم سيروا وحسبى وقفة   وصبر على قبح المقام جيل
وأى مقـام قد أقمت فليتنى   رحلت ولو أن الرحيل فقول
نسير فرادى والطريق إلى المنى   له شعب دون المدى ووصول
وللدهر والآمال بين صدورنا   صراع ودقات القلوب طبول
ألا إن أسباب النجاح قليلة   وأ كثرها دون النجاح كليل

***

وتـكاد تـكون مدينة « درنة » بمناظرها الجميـلة الفاتنة ملهما لـكثير من الشعراء والأدباء الذين قدموا للأدب العربى فصولا أدبية قيمة وقصائد شعرية خالدة ، فهاهوذا شاعرها الأول السيد « إبراهيم أسطه عمر » يعبر لنا عن شعور بلاده نحو سمو الأمير السنوسى :

إلى الأمير فدته النفس أهديها   مقالة كنت قبل اليوم أخفيها
لـكننى لم أجد ظرفاً يلائمها   غير الذى نحن فيه قد يواتيها
مقالة ملؤها الإخلاص أرفعها   لقائد الشعب، قلب الشعب يمليها
آن الأوان فما التأجيل يعنمنا   لنعلن الحق إقراراً وتنبيهـا
وحقنا وحدة القطرين تتبعها   حرية أنت معناها وراعيها

وفى « برقه » خلا هذين الشاعرين الشابين كثيرون وإنما لم يصلنا شيء من آثارهم العديدة ، منهم الشاب « أحمد فؤاد شنيب » وهو شاعر صغير السن عاش فى دمشق وعاد أخيراً إلى وطنه الأم ليبدأ نضالا أدبيا جديداً فى بلاده العزيزة . ومن لطيف قوله وهو فى دمشق يصف ليلة المولد :

مالى أراك كدرّة تتلالا شعت فأكسبها البهاء جمالا
وكسوت هذا الكون أسنى شعلة سطعت فألهب نورها الأجيالا

وللنثر مكانه المرموق فى برقة والمحاضرات الأسبوعية تحفل بأروع الكلمات الأدبية والإجتماعية والسياسية ونحوها يلقيها شباب توفر على درس الأدب واللغة العربية وأسرارها وتلك هى قطعة نثرية لأديب درنة « فرج بن جليل » يتحدث فيها عن وحى الهجرة :

« فى سجل الخلود ساعات فاصلة ولحظات حاسمة إذا انحرف فيها ميزان القدر يمنة أو يسرة نبعته نتائج كبيرة خالدة وآثار عظيمة باقية تجر وراءها الخير الكثير أو الشر المستطير وتبعث فى الدنيا ضياء باهراً أو انتشر ظلاماً دامساً . ومن أخطر تلك اللحظات وأعظم تلك الساعات تلك التى هاجر فيها محمد بن عبد الله ، تلك اللحظة الخالدة فى تاريخ الإسلام ذات الفضل الأكبر فى تغيير مجرى تاريخ البشرية . »

وهذه قطعة أخرى لأديب شاب من شباب طرابلس الغرب يصور لنا كيف راقب الهلال وصحبه ليلة العيد :

كنا بربوة جماعة نترقب ظهور الهلال ، وكانت أنظارنا معلقة بالسماء تجوب بها فى أجوائها باحثين منقبين فى صفحاتها نريد بصيصاً من نور يكون حجة لنا بالعيد ، وبعد لأى من زمن طال فيه اتجاهنا إلى السماء إذا بخط وضاء لاتكاد تدركه الأبصار يتجلى فى كبدها ، أشار بعضنا إلى أنه الهلال ... الخ ...

***

تلك هى ياقارئى نماذج صادقة شعرية ونثرية من أدب طرابلس الغرب، ولعلك أدركت أنه لم يصل بعد إلى درجات الكمال والسمو شأنه فى البلاد العربية الأخرى ، ولكن الأمل العظيم أن يشمر الأدباء اللوبيون عن ساعد الجد فيبعثوا لأدبهم ماضيه القديم وتغدو مؤلفاتهم الأدبية وكتبهم العلمية فى صدارة مكتبات البلاد العربية فإن عهد الخمول وكبت الملكات وخنق الحريات قد زال بخلاص هذه البلاد من جور الإيطاليين وظلمهم وأصبح الطريق ممهداً أمام الأدباء ليعززوا أدبهم ويجددوا للغة العربية منزلتها فى بلادهم . وليس هذا ببعيد إن شاء الله

صلاح الدين بن موسى

يقظة ...

[مهداة إلى الصديق الكريم الأستاذ محمد العلائى]

شاب الظلام وفارقته الأنجم والأفق عن إصباحه يتبسم
وتحدث الزهر الضحوك مبيّناً معنى السرور وإن يكن لا يفهم
فاعجب لشارح قصة هو جاهل أسبابها ، ولعالم لا يعلم
وقد اشرأبّ النخل يُزهى جيده بقلائدٍ مرجانها يتضرم
مرحاً تداعبه الصَّبا فترى له رقصاً عن المرح الرزين يترجم
فافرح بأعياد الطبيعة إنها متجددات ، كلُّ صبح موسم

وإذا تجهّمت الحياةُ هنيهة فاصبر ، فوجهُ المزن فيه تجهم
كم نعمة لبست ثياب رزيّة حتى تداعبَ من بها يتبرم
فإذا التجهم بسمةٌ ، وإذا الشقا (م) ء سعادةٌ ، وإذا الرزايا أنعم
أو ما ترى الدخلاء فى أوطاننا قد أيقظوا الأفكار رغماً عنهم
كم أبرموا أمر الجلاء وقرروا فإذا غدوا نقضوا الذى قد أبرموا
فأفادنا التسويفُ عزماً لا ينى عما نروم ، وهمةً لا تحجم
هم أقوياء بالعتــاد حقيقة لكننا بالحقّ أقوى منهم

(الزقازيق) **توفيق عوضى**

حول مهرجان جامعة أدباء العروبة بالفيوم :

فى موكب الشعر

للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

قرأت هذه القصائد الثلاث التى أنشدها الأساتذة الغزالى وطاهر والعوضى فى مهرجان أدباء العروبة بالفيوم والتى نشرتها « الرسالة » فوجدت فيها من قبس الفن، وروح الشاعرية ، واختلاف المواهب الفنية فى الشعر ، ومن طريقة كل شاعر فى التصوير ، وأسلوبه فى البيان ، ما يستحق النقد والدراسة .

شعراؤنا الثلاثة متشابهون فى الثقافة ، متقاربون فى النزعات ؛ ربطتهم صلاتُ الصداقة والأدب والدراسة فى مدرسة واحدة ، والحياة فى ميدان واحد ، أو كالواحد ، بروابط قوية متينة ؛ ولكنهم مع ذلك يختلفون فى نزعاتهم الفنية اختلافاً كبيراً .

فالغزالى شاعر وصاحب فن فى شعره ؛ وطاهر شاعر يعلن بشعره الثورة على الحياة ؛ والعوضى شاعر صناع يحفل شعره بالصنعة الهادئة الجميلة ؛ وهذه النزعات الفنية المتفاوتة تكاد تلمسها فى هذه القصائد الثلاث كما تقرؤها فى ملامح وجوههم وألوان حياتهم

طوى «الغزالى» الصحارى فى سفره لرياض الفيوم الساحرة بعد ما هزَّه الشوق لزيارتها ، وصوَّر ذلك كلَّه فى مطلع قصيدته الرائع :

من لسارٍ إليكِ يطوى الصحارى
هزَّه الشوقُ أن يزور فزارا

ثم يصور عواطفه وإجهاده وقلقه وسهده قبل سفره وتطلعه إلى الفيوم لتزيل عنه أثر كل هذا العناء فى تصوير جميل أخاذ فاتن :

عابراً كالطيوف ولهانَ كالأنسام
هيمان كالأمانى الحيارى
مُجْهَداً علَّ فى ظلالكِ مأوى
قلقاً علَّ فى رُباكِ قرارا

ومِمَّ كان هذا الأجهاد والقلق والشقاء ؟ لقد فارق الشاعر محبوبه و « رفيق صباه » فعاش عيشة البائس الشقى المحروم من أجمل ما فى الحياة :

يا جنان الفيوم نازحُ أيكٍ   بانَ عن عشه إليك وطارا
قد خلا العش من رفيق صباه   فتى تألف القطاةُ الهزارا
نسلتْ ريشه الليالى طوالا   أترى تصبحُ الليالى قصارا ؟

ويستمر الشاعر يصور آلامه وآماله وعواطفه فى حبِّه ؛ متمنياً أن يكون له فى رياض الفيوم سلوى ، شاكياً إلى عذارى الرياض ما يلقاه من أترابهنَّ العذارى :

أتراه هنا سيمسى قريراً   فى رياض الفيوم طابت جوارا
يا عذارى الرياض من كل شاد   أنا أشكو إلى العذارى العذارى
أنا أشدو لها جراحى شعراً   فمساها تُضَمِّد الأشعارا

ثم تذكره بحيرة قارون فى دجى الليل بمحبوبه ، فيشدو ويصدح مؤكداً وفاءه لعهد الأحباب :

يا أحبَّاى والديار تناءت   كيف أنسى أحبتى والديارا
لست أنسى ملاعبى والضفاف (م) الخضر تجرى من تحتهن نضارا
لست أنسى بها مواثيق عشنا   نتحدى بصدقها الأقدارا
لست أنسى ولا إخالك تنسين   فحتى متى نطيق انتظارا

***

أما « طاهر » فقد شاهد قافلة الشعر تسير إلى الفيوم وفيها الأدباء والشعراء والوزير الضخم فعنى بتصوير هذا الموكب وجماله أكثر من أى شىء ، إنه لموكب رائع للبيان وكما يقول :

موكبٌ للبيان فيه اللواء   يفزعُ الدهرَ وخدُه والحُداء
ضاربٌ فى صحرائها يسبق الركب
جلالٌ من هديه ورُواء
مثلما يسبق الشعاعُ إذا ما   أعلن الصبحَ للوجود ذُكاء

والشاعر لا ينسى نفسه فى هذا الموكب ، وكيف ينسى وهو الذى « فى محرابه يُعبد الفن وتستهوى ضوءه الأضواء » ؟

لو تحس البيداء من سار فيها   لتغنَّت من شجوها البيداء
شاعر فى محرابه يُعبد الفنُّ   وتستهوى ضوءه الأضواء
ذو بيان لو عاقرته الندامى   لتناهت عن شربها الندماء
وهتوف يكاد يشرق فى ألحانه الخير والمنى والرجاء

ثم يعلى شأن الفن فى الحياة ويثور على العلم الذى أصبح المعول الهدَّام فى صوح الحضارة :

ومن الشعر ما يملك الحق   إذا موَّه الوجـــودَ الرياء
ربما استغنت الحياة عن العلم   على رغم ما أتى العلماء
وعلى الفن وحده عاش أجـــدادُك دهراً وهم به سعداء

ثم يعود إلى قافلة الشعر وموكب الشعراء ومن فيه من « الأبدال والأدباء » و « الوزير الضخم » ، حتى يحط رحاله فى رياض الفيـوم :

وإذا نحن فى رياض من الشعر   لها رونق وفيها صفاء

ثم يشيد برحم الفن وصلات الأدب التى جمعت بين أدباء الجامعة وبين أدباء الفيوم :

صلة وثَّق البيان عراها   وغداها فكلنا أقرباء
جمع الشعر بيننا فى صعيد   ومن الشعر منسب وإخاء

***

أما « العوضى » فقد وصف ذكرياته فى الليالى البعيدة مع أحبائه ، وأثر هذه الذكريات فى قلبه ، ثم وصف روضات الفيوم وجمالها ، و « الأخوان الكرام » الذين استقبلوه هو وصحبه فيها ، وصلات الأدب والعروبة التى تجمع بين الأدباء والشعراء ، يقول :

حدا الركبَ حاديه فأين مكانيا   أبين من الأشواق ما كان خافيا
على شفتىِ من خمرة الحب نشوة   تَـلهَّبَ ترنيمى بها وغنائيا
لنا ذكريات فى الليالى بعيدة   ألا من يعيد اليوم تلك اللياليا

ثم يستمر فى شدوه الهادىء وتصويره المصنوع ، فيصف الفيوم وفتنتها :

سقى الله فى الفيوم روضات فتنة   ونضر فيها أربعاً ومغانيا
فراديس منضـورٌ بها الظل والجنى
تألَّـقُ نوَّاراً وتسحر شاديا

وإخوانه الكرام فيها الذين سقوه صافى الود :

فجئنا لأخوان كرام وصحبة   سقونا من الودِّ المطهر صافيا

ويشيد بصلة العروبة التى جمعت بين الجميع وبذلك ينتهى من قصيدته :

هذه هى الأغراض العامة لكل شاعر فى قصيدته ، وهى تجمع بين العواطف الوجدانية والوصف الفنى ، وكنا نودُّ أن تكون قصائد هؤلاء الشعراء أوسع نطاقاً من هذا الأفق المحدود ؛ ما ضرهم لو كانت قصائدهم فى القرية والحياة فيها أو فى النيل وأثره فى وحدة الوادى ، أو فى العلم وآثاره على الحضارة فى عصر الذرة ، أو فى شتى الأغراض القومية أو الأنسانية العليا ؟ ولكنهم آثروا تلك السبيل الفنية وحدها فلم يشعروا إلا فيها وفيما يتصل بها من العواطف الوجدانية ، وإن كان « طاهر » قد خرج قليلا عن هذا المجال فأشاد بالفن وأعلن الثورة على العلم والعلماء :

إنَّ من أطلقوا المقول علينا   لست تدرى: أأحسنوا أم أساءوا
ربما استغنت الحياة عن العلم   على رغم ما أتى العلماء

أما من حيث الأسلوب : فالغزالى يشعر ويسحر ويبلغ فى التصوير منزلة كبيرة ، نجد ظلا لها فى كثير من أبياته كما يقول عن نفسه :

عابراً كالطيوف ولهان كالأنـ   ـسام هيمان كالأمانى الحيارى

وقوله يعبر عن نفسه أيضاً :

يعبر الليل فى خداع الأمانى   وتمنَّى آصاله الأسحارا

وقوله :

والشوادى من حولنا مرهفاتٌ   سمعها تستبينُنا الأسرارا

وقوله :

لست أنسى بها مواثيق عشنا   نتحدَّى بصدقها الأقدارا

وسوى ذلك من قصيدته التى تمتاز بما فيها من « عيون » كما يقول النقاد ؛ ولكنه على رغم ذلك يخطىء سبيل الفن أحياناً . فبيته :

يا عذارى الرياض من كل شاد
أنا أشكو إلى العذارى العذارى

يقصد فيه العذارى حقاً ؛ فوصْفهن بالسحر والفتنة ورقة العاطفة أولى من وصفهن بالشدو ، بل وصفهم بالشدو يكاد يكون لا معنى لتخصصهن به من بين سائر الأوصاف . ولو قال « من كل أحوى » ، مثلا لكان أولى ؛ وتضميد الأشعار فى بيته :

أنا أشدُو لها جراحى شعرا   فمساها تضمِّدُ الأشعاراَ

لا معنى له ، فما ألفْنا فى القول بأن الأشعار تمثلت جراحاً بل هى استعارة نافرة عن سمع العربى وذوقه . والبيت :

والتى قد تخذتُـها مجدافى   خصل أرسلتْ علىَّ تتارا

لم أفهمه فوق ما فيه من « تشعيث » قافيته ، وهذه الهنات

الأدب والفن في أسبوع

محو الخلافات المذهبية توثيق لعرى الوحدة الاسلامية :

تألفت فى مصر لجنة من كبار رجال الفكر وعلماء الفقه والمعنيين بالدراسات الأسلامية هدفها رفع الخلافات المذهبية بين المسلمين وتمحيص المسائل التى هى مثار هذه الخلافات فى ضوء البحث الحر والتغاضى عن النزعات التى تدعو إلى التعصب فى الفروع والمسائل الشكلية .

وهذا فى الواقع عمل جليل ، فأن هذه الخلافات التافهة كانت شرا منيت به الوحدة الأسلامية ، وكانت عامل التفرقة بين صفوف المسلمين ، حتى شتتت شملهم وصدعت بنيانهم الأصيل ، فلم يقو على رد المستعمر الدخيل .

لم تـكن هذه الخلافات فى شىء من أصول الدين الواضحة ، ولـكنها كانت من صنع السياسة وأصحاب الأغراض والمآرب فى الملك والحـكم يوم كان الدين هو الأساس فى الملك والحـكم ، فأخذ هؤلاء يؤلفون العصبيات ويخلقون الجماعات ، بما يختلقون من الأخبار والآثار ، وبما يعملون فى إثارة النفوس وتأريث المداوات ، وزاد فى البلاء بهذا صنيع الجهلة من الفقهاء الذين كانوا يستجيبون لأهل السلطان وطلاب الحـكم بما يقوى نعراتهم ويتمشى مع أهوائهم . ومن العجيب أن الأيام تطـورت ، والأحداث تواترت ، وفتح على المسلمين من أبواب البلاء والعناء ما بصرهم بعاقبة الوبال فى تلك الخلافات التى فرقت الصفوف ، وباعدت بين القلوب ، ولـكنهم لم يتبصروا لحالهم ، ولم يدبروا لشأنهم ، ولم يسارعوا إلى إنقاذ أنفسهم من أنفسهم ، حتى يمكنهم أن ينقذوا أنفسهم من غيرهم ! !

وكثيراً ما أشـفق عقلاء المسلمين من هذه الحال الأليمة ، وكثيراً ما أهاب المصلحون والغُيُر على الأسـلام والوحدة الأسلامية بالمسلمين أن يتلافوا تلك الصغائر ، وأن يوحدوا بين اتجاههم فى الرأى لتتم لهم الوحدة فى الغاية والهدف بأزاء الاستعمار الأجنبى وتغلغل الدول الأوروبية فى بلادهم ، وقد كان السيد

لا تغضُّ من القصيدة ومكانتها الأدبية .

أما « طاهر » فمستوى الشاعرية فى أسلوبه ، ولـكنه فى ثورته الفنية التى يستمدها من روحه الثائرة ، يبعد أحياناً عن الإجادة ، كما تراه فى قوله :

الطريقَ الطريق : قافلةُ الشعر وركب الوزير والوزراء

وفى قوله يتحدث عن حلمهم برياض الفيوم :

طرق الشعر بابها ، فإذا شعر يقول : ادخلوا وطاب الثواء

وذلك سبيله فى فنه ، يثور حتى على سبل الفن الواضحة المألوفة.

و «الموضى» أظهر استواء فى شاعريته لأن أسلوبه أسلوب مصنوع تأنَّق الشاعرُ فى صوغه كما أراد ، وهو فيه هادىء واضح ، من حيث كان « طاهر » مفـكراً ثائراً ، والغزالى فنّانا شاعراً .

وفى قصيدة « طاهر » روح الحارث ومعلقتِـه :

آذنتْـنا ببينِـها أسمـــاء رب ثاو يملُّ منــه الثواء

بل هو يستعير بعض أبياتها :

أجمعوا أمرهم عشاء فلمـــا أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

كما يستعير بعض ألفاظها وقوافيها ، ولـكنه مع ذلك ذو شخصية قوية مستقلة فى قصيدته .

والغزالى يشترك فى بعض معانيه مع بعض الشعراء ؛ فبيته :

نسلتْ ريشه الليالى طوالا أترى تصبح الليالى قصارا ؟

شبيه بقول ابن أبى ربيعة فى المعنى والوزن والقافية من قصيدة طويلة :

والليالى إذا نأيتِ طوالٌ وأراها إذا دنوتِ قصارا

ولـكن قوله « نسلت ريشه الليالى » زيادة بليغة ليس لها نظير فى بيت عمر .

أما الموضى فتـكاد قصيدته تشبه قصيدة جرير — فى الفن والروح :

ألا أيها الوادى الذى ضمَّ سيله إلينا نوى ظمياء حُييِّتَ واديا

إذا ما أراد الحى أن يتفرقوا وحنَّت جمال الحىِّ حنَّت جماليا

وإن كانت تختلف عنها فى كثير من الأوصاف الفنية .

هذا ما أردت أن أذكره من نقد أدبى لهذه القصائد الثلاث لشعراء لهم من بين شعرائنا الشبان مكانة ممتازة ومجد أدبى نرجو أن يعملوا له ليكون لذلك أثره فى مستقبل القريض وبالله التوفيق .

محمد عبد المنعم خفاجى
أستاذ فى الأدب والبلاغة

جمال الدين الأفغاني رضوان الله عليه — وهو شريف النسب يمتد بنسبه كثيراً — أول من ندد بهذه الحال ، وسخر من المسلمين لأصرارهم عليها ، وهزىء بأولئك الذين يتخذونها مجالا للكلام ، ومن كلماته المأثورة في ذلك : « لا يصح بحال أن نجسم أمر هذه الفروق في الفروع ونجعلها واسطة للتفرقة وللنزاع فالخصام والاقتتال ، وإذا سلمنا أن وجود تلك الأمور التي سهل وجودها جهل الأمة وسفه الملوك الطامعين في توسيع ممالكهم — كان مفيداً في الزمن الماضي ، أو يرجى من ورائه إحقاق حق وإزهاق باطل ، فأن بقاء هذه النعرة إلى اليوم ليس فيه إلا محض الضرر ، وتفكيك عرى الوحدة الأسلامية ، وقد آن للمسلمين أن ينتبهوا من هذه الغفلة ، ومن هذا الموت قبل الموت .. » .

هذه الصيحة التي هتف بها السيد جمال الدين الأفغاني منذ أكثر من ستين عاماً كثيراً ما تداولتها الألسن ، وتناولتها الأقلام ، وهتف بها المشفقون على الوحدة الأسلامية والداعون لجمع كلمة المسلمين ، حتى اقتنع السواد الأعظم بضرورة تحقيقها ووجوب العمل على تنفيذها . وإني لأذكر أنه لما عقد المؤتمر الأسلامي في القدس عام ١٩٣١ تقدم فضيلة السيد آل كاشف الغطاء وأم وفود المسلمين للصلاة في المسجد ، فطرب المسلمون في سائر أنحاء الأرض لهذا النبأ ورأوه بشير خير ، وتمنوا أن تكون هذه بداية للقضاء على الفروق المذهبية القائمة . وقد كان من الطبيعي أن يفزع الاستعماريون لهذا ، وأن يتساءلوا عن الخطوة التي تكون بعده ، ولذلك أخذت الصحف الأجنبية يومذاك تعلق على هذا النبأ بمختلف التأويلات ، والتهويلات ، وقالت إحداها وهي بسبيل تحذير الاستعمار الأوربي : يظهر أن المسلمين بدأوا يجمعون كلمتهم للقيام بحرب مقدسة ضد الغرب من أجل إبقاء فلسطين .

وفي مقام الأنصاف نذكر أن المغفور له الشيخ المراغي طالما ردد الدعوة إلى هذا الغرض ، ونادى جهاراً للعمل على تلافي تلك الخلافات التي لا مبرر لها ، والتي تؤدي إلى الأضرار بالمسلمين بقدر ما تفيد الاستعمار والمستعمرين . .

ولعل القراء يذكرون أن « الرسالة » كثيراً ما أهابت بهذا في كل فرصة سانحة ومناسبة داعية ، وكثيراً ما باركت أصوات الدعاة لهذا العمل ، والحداة للركب أن يسير ، ثم كثيراً ما تعجبت للمسلمين أن تظل بينهم هذه الخلافات قائمة وهم الذين يتوجهون جميعاً إلى قبلة واحدة ، ويأخذون بكتاب واحد هو القرآن ويسيرون بهدي نبي واحد هو محمد صلوات الله عليه ، فاذا ما تألفت اليوم لجنة من أكابر الفضلاء والعقلاء للعمل على محو هذه الخلافات وتمحيص الآراء في دائرة الفكر الحر ، فأن مما يطرب الرسالة أن تبارك هذا العمل وأن ترجو التوفيق فيه ، كما يطربها ويسرها أن تسهم في ذلك ، وأن تفسح في صفحاتها لما يكون من تمحيص فكرة ، أو تصحيح رأي ، أو تحقيق مسألة ، أو إذاعة دعوة في هذا السبيل .

كان . . . ثم انقضى !

إلى عهد أدركناه كان المولد النبوي الشريف موسماً للأدب والشعر والفن والغناء ، وكان في هذا مجلى العبقريات الكبيرة ، والأصوات الرخيمة ، والمواكب الضخمة الحافلة بكل لون ، وكانت مصر تمضي على هذا ثمانية أيام ، وكأنها في فرح شامل عام وكأن بالناس قد ابتدعوا بدعة الحلوى في المولد النبوي حتى يتخففوا من الطعام الثقيل ليفرغوا إلى ما ينشدون في مباهج المولد من متع الفن ومجاليه ...

كان المولد النبوي موسماً للسهرات العظيمة الممتعة يقيمها الأثرياء والوجهاء من أرباب البيوتات الكبيرة العريقة، ويستقدمون لإحيائها عباقرة المغنين وأهل الفن من أمثال عبده الحمولي ويوسف المنيلاوي وأحمد ندا وعبد الحي ومحمد عثمان وغيرهم : ويفتحون أبوابها لرواد الحظوظ والسماع من سائر الطبقات ، ويمدون في أسبابها إلى نفوس الفقراء بنحر الذبائح وإطعام الطعام ...

وكان المولد النبوي موسماً لأقامة الحضرات الشجية الفخمة ، يقيمها أبناء الطريق على شروطهم ، ويحييها كبار المنشدين على ذوقهم ، ويقبل عليها الناس من كل لون ، يستمعون رائع التواشيح ورائق الفن . .

وكان المولد النبوي ذكرى تهز عواطف الشعراء ، وتملأ وجداناتهم ، وتسمو بنفوسهم وأرواحهم ، فتجيش شاعريتهم بأقوى القصيد وبارع النشيد ، ويهل « شوق » على العالم

الإسلامى ليهز عواطفه بقوله : ولد الهدى فالكائنات ضياء .. »

وأخيراً كان المولد النبوى صلة بين الحاكين والمحكومين ، فكان الشعب والحكومة يلتقيان فى ساحه ، ويتقابلان فى أحيائه ، ويتقاربان فى ذلك على المحبة والألفة والتخلص من الأوضاع الرسمية والبرامج الأميرية ، ولهذا كان الشعب يشعر دائماً بأنه قريب من نفوس الحاكين ...

كان هذا كله .. وكان المولد النبوى يأتى كل عام بجديد فى هذا كله أما اليوم فقد انقضى هذا كله ، وأصبح الشعب بسائر طوائفه وطبقاته لا يحس بهذا المولد إلا على وضع رسمى آلى ، فالموظف لا يعنيه منه إلا أنه يوم راحة من عناء الديوان ، والتاجر لا يحفل فيه إلا ببيع لعب الحلوى للأطفال ، وطوائف الشعب لا تستقبله إلا على أنه عادة خلفتها الأيام ، أما أبناء الذوات والبيوتات فلم يعد هذا الموسم منهم على بال ، وهيهات أن يبلغ فى تقديرهم مبلغ سهرة من سهرات (بديعة) . وأما أرباب الشعر والفن فأنهم يعتقدون أن المناسبة فيه مناسبة قديمة عتيقة . وهكذا مضى المولد النبوى هذا العام ، وكل ما بدا من مظاهره : حفلات أقامتها بعض الهيئات وكأنها الرسوم المحيلة ، وكلمات ألقاها بعض الوعاظ والخطباء وهى لا تعدو الألفاظ والتعابير التى تموت على الشفاه ... فما الذى عدا مما بدا ؟ أهى طبيعة العصر ووجهته ، أم ظروف العيش وقسوته ، أم هو صنيع الآلة بنا حتى أصبحنا لا نحس الحياة فى أجلى مظاهرها إلا على وضع آلى ؟!...

شاعر يتحدث عن الشعر :

ألقى الأستاذ عمر أبو ريشه الشاعر المعروف فى « النادى العربى » بدمشق حديثاً عن الشعر وما ينشد من المثل الأعلى فى الحياة قال فيه :

« .. كم شعرت برعشة وأنا أقرأ بعض الشعر ! وكم حاولت أن أتبين المواطن التى أثارت عندى هذه الرعشة فكنت أبوء بالخيبة »

« أنا فى كل يوم أحب وأكره ، وأومن وأكفر ، فلا أقيم على رأى ، ولا أستقر على اتجاه .. قرأت منذ أمد بعيد الملاحم فى الشعر ، فأسكرتنى روعتها ، وهزتنى حيويتها ، حتى إذا كدت أحسبها ما ينتهى إليه طموح شاعر ، سمعتنى أتمتم بينى وبين نفسى :

ما لى ولهذا الشعر الذى ترضعه الخرافة ، ويربيه المجهول ، ليصبح تسبيحاً للماضى السحيق الموهوم ؟ ومرت الأيام ، وإذا أنا فى إحدى المشيات ، وبعد أن شيعت صديقاً عزيزاً على إلى مقره الأخير أمد يدى إلى « الألياذة » مندفعاً برغبة ملحة إلى قراءة دموع « أخيل » على جثمان صديقه « بتروكلس » ، تلك الدموع التى قرأها قبلى الشاعر « بيرون » ، فشعرت بميل خفى نحو « هومير » ، فرجعت إليه وقرأته مرة ثانية فى نشوة وطرب وأصبحت أجد فى الملاحم متعة للنفس المثقلة بأسرار الحياة وبأعبائها ، فاذا كانت غاية الشعر كما تقول بعض الآراء أن يرفه عن النفس ، ويخرجها من أفقها الضيق ، وينسيها ما يحيط بها من متاعب الدنيا ولو إلى حين ، فلما ذا أربأ بالشعر أن يكون مشحوناً بالخرافات والأوهام ؟ » .

« وقد قرأت الشىء الكثير من القصائد والمقطوعات الشرقية والغربية حتى إذا ارتويت ، أو ظننت أنى ارتويت ، سمعتنى مرة أتمتم بينى وبين نفسى : ما لى ولهذا الشعر الذى يخنق الروح الحساسة المرهفة ، ثم ينشرها أشلاء مشوهة بألفاظه وتعابيره .. إن الحياة والطبيعة ينبوع الشعر ، وهو ما تعيه الروح قبل أن يعيه السمع والأدراك ، وليس إلى هذا الشعر الذى يروى ظمأ الروح من سبيل ؟.. » .

« إذن ما هو مثلى الأعلى فى الشعر ؟ أأريد من الشعر أن أشم فيه روائح الحياة ، وأسمع منه أنفاسها ، وأتذوق به نكهاتها ؟ أم أريد من الشعر أن يغيبنى فى هذه الحياة حتى لا أعود أشعر بكيانى الذاتى ؟ لا أدرى ماذا أريد !!.. » .

« إلى هذه الدرجة انتهى بى القنوط من فهم الشعر فهماً منطقياً ، فعجيب إذن أنى ما أزال أكتب الشعر ! وأعجب من هذا كله أننى أحدثكم هنا عن كيف أكتب الشعر ! والواقع أنى إذا تركت جانباً الموازين المنطقية التى تزن بها قيم الشعر ، والتى أراها لا تشفى غلة ولا تبلغ غاية لأن الأحساس بالجمال — كما أرى — مصدره العاطفة والذوق لا العقل والعلم ، أقول إنى إذا تركت تلك الموازين جانباً ، والتفت إلى الشعر الذى أكتبه ، وجدتنى فيه شاعر قصيدة لا شاعر بيت ومقطع ، والقصيدة عندى فكرة معينة ينطوى تحت أجنحتها الثلاثة : الخيال ، واللون ، والنغم »

هذا ما تحدث به الشاعر « عمر أبو ريشة » عن الشـعر ، وإنه فى حديثه لشاعر أيضاً يفهم الشعر بعاطفته وذوقه ، ويعترف بعجزه عن أن يجد فى ذلك سبيلا للموازين المنطقية ، ومقتضيات العقل والعلم ، وهذه الحقيقة هى التى عناها رجل المنطق « سقراط » منذ آلاف السنين إذ قال : لقد وجدت جميع الناس يفهمون الشعر أكثر مما يفهمه الشعراء أنفسهم .. » .

والخلاف القائم بين الشـعراء والنقاد يبتدىء من هنا ، فالشعراء يقولون إن الشعر مجرد عاطفة وذوق وينتهون عند هذا ، والنقاد يقولون إن الشعر منطق وفهم ويتشبثون بهذا ، وقد آن لنا أن نفهم أن الشـعر هو الجانبان معاً . وعجيب من الشاعر أبى ريشة أن يقول : « إن ينبوع الشعر هو الحياة والطبيعة » ، ثم ينتهى بعد ذلك إلى إنـكار الموازين المنطقية فى فهم الشعر ، وهل « الحياة والطبيعة » عاطفة وذوق فقط ، أو هما عقل ومنطق فقط ؟.. كلا ! ولـكنهما كل ما فى الإنسان ..

مات إلياس أبو شبكة :

هتف النـاعى من بيروت منذ أيام بموت الأديب الشاعر إلياس أبو شبكه ، فعز نعيه على أصدقائه وعارفى فضله ، وهز فقده وجدان أبناء العروبة القادرين لفضله .

مات إلياس ابو شبكه وهو فى عنفوان الحياة ، إذ كان فى حدود الخامسة والأربعين ، وكان أوفى مايكون نشاطاً وإنتاجاً ، وكانت آثار قلمه البليغ ، وفنه الرفيع تتناثر على أبناء العروبة كأنهـا قطرات الطل على أوراق الزهر . وهكذا تحطمت « القيثارة » فجأة وهى لمـا تزل مشدودة الأوتار ، تردد أعذب الألحان وأطيب الأناشيد .

نشأ إلياس رحمة الله عليه فتى يتيما ، فقد فتـكت يد أثيمة بوالده فى مطارح الغربة بعيداً عن زوجه وصغاره ، فـكانت فاجعة قاسية أفعمت نفس الفتى بالألم ، وأرهفت قلبه بالأسى والشجن ، ثم كانت الحرب العالمية الأولى وآثارها فى لبنان موطن الشاعر .. أرض لا يعمرها « إلا أشلاء الجائعين ، ونسمات لا تحمل إلا عبق البارود وأبخرة الدماء والدموع ، وأطيار ماتت فى الحقول على الأغصان المتكسرة والأوراق اليابسة الصفراء ، وليس من حداء الحياة إلا أنين المتألمين وحشرجة البائسين » ، ومن هذا كله تغذت نفس إلياس ، وعلى هذا كله تفتحت شاعريته ، فنبت كالزنبقة البيضاء على قمم لبنان وفى أحضان أغواره يتموج بالنشيد ، ويهتف بالقصيد ..

وصف فقيد الأدب « فيلـكس فارس » شاعريته وهى تماثل للتمام عام ١٩٢٥ فقال : « لقد قرأت شعر إلياس أبى شبكة قبل أن أعرفه ، فجزعت نفسى عليه من نفسه .. سمعته ينطق بأرق مافى القلب من الحب ، وبأرق مافى الحب من الوحدة والأخلاص ، فقلت إنه قلب معد للسـحق ، مهيأ لأن يذبح على مذبح غواية الغانيات فى زمان وفى وطن تتمرد فيه المرأة على كل شىء . لتمد عنقها صاغرة أمام آلهة التقليد والبذخ والمطامع .. » .

« ورأيته يتراءى متهالـكا على المغاور المظلمة وقد رفع بيمناه قبس النور ، ونبضات قلبه تتدفق بآيات الحـكمة من فمه ، فارتعشت نفسى أمام هذا الشاب المتلاعب بالحياة والموت ، وقلت إن مغاور الظلمة ستبتلعه ، وإن قبس النور سيحرق يمناه .. » .

« وشاهدته يتهدد سلطات النفوذ والجهل والمال ، ويصرخ بالأمة داعياً إلى النهضة والحياة ، وسمعت فى شعره أجمل ما يقول شاعر لنصرة الحق على الباطل ، فأمسكت على قلبى وسترت عينى بيدى حتى لا أرى ضحية جديدة وشهيداً جديداً .. » .

« ثم رأيت إلياس أبى شبكه بعد أن قرأته ، فعاينت شعره فيه ، كما عاينته فى شعره .. إن فى لفتاته لمات ليست من هذه البلاد ولا من هذا الزمان ، لقد انتقم جسده من روحه قبل أن تنتقم السلطات منه ، ويبتسم الشعب المستعبد لأقواله .. » .

ذلك هو إلياس أبو شبكه الذى فقده الأدب والشعر ، وتلك هى شاعريته التى خسرها الفن والحق ، نمت واكتملت ، وظهر من آثارها الخالدة ما أكبره أبناء العروبة وقدروه حق قدره . على أنه إلى جانب الشعر كان كاتباً له أسلوبه المشرق ، وتعبيره المونق ، وفنه المتدفق ، فلا شك أن كان فقده نـكبة للأدب وخسارة على العربية .

مبشر ثقافى أم سياسى :

لقينى صديق كريم من أبناء سـوريا فحدثنى عما نشرته « الرسالة » عن رحلة الأديب الفرنسى الـكبير الأستاذ جورج

ديهاميل إلى بلاد الشرق العربية قال : « لقد قرأت ما كتبتموه في عددين سابقين عن هذه الرحلة التي يقوم بها مسيو « جورج ديهاميل » الآن ، ووصوله إلى مصر لألقاء بعض الأحاديث والمحاضرات ، وقد أعجبني أن فطنتم للغرض من هذه الأحاديث والمحاضرات إذا قلتم أنه يقصد بهذا إلى الدعاية للثقافة الفرنسية ، وأحب أن أقول لحضرتكم ولقراء الرسالة الكرام ، إن ديهاميل قدم إلى أقطار الشرق العربي وفي برنامجه الرسمي الموضوع أن يرى بعينيه ما يريد العرب والمسلمون ، وأن يستمع بأذنيه إلى ما عندهم من الآراء فيما يقصدون ويهدفون ، وعليه في ضوء ما يرى وما يسمع ، أن يذكر بما أدته الحضارة الغربية عامة ، والفرنسية خاصة إلى العرب والمسلمين وإلى التراث الأسلامي ، وأن يوجه أنظار الذين يقابلهم ويتحدث إليهم إلى أن مطامحهم لا يمكن أن تتحقق إلا بتمام الاتفاق والحرص على الاتصال بالحضارة الغربية ، أو بمعنى أخص وأجلى بالحضارة الفرنسية .. فهو في الواقع مبشر سياسي يصبغ فكرته بصبغة الثقافة ، ولعل ديهاميل يقتنع في نهاية الأمر بأن الشرق قد أصبح على بينة من أمره ، وأنه صار يدرك تمام الأدراك أن نفوذ الثقافة لا حد له ، ولا وطن له ، ولكن نفوذ السياسة يجب أن يكون محدوداً بالحدود الطبيعية ، محصوراً بالدعائم القومية ، وعلى هذا الأساس الذي هو ضمان السلام في الأرض يريد الشرق أن يصفي حسابه مع الغرب » .

شيء مضحك ؟ ؟

نشرت إحدى الصحف اليومية برقيه لمراسلها الخاص يقول فيها : « إن أنباء تونس تدل على أن في هذه البلاد نهضة كبيرة في ميدان الأدب العربي بصفة خاصة ، والعلوم بصفة عامة ، ومن الأدلة على ذلك أن مسرحية هامة بعنوان « هرون الرشيد » ستمثل قريباً برعاية جمعية النهضة التمثيلية ، وستتبعها رواية « فتح العرب لصقلية » بأشراف جمعية الاتحاد المسرحي ، كما مثلت رواية « مجنون ليلى » من قبل على مسرح المدينة الرئيسي ، ورواية « طارق بن زياد » ثلاث مرات » .

ثم تقول البرقية : « ومن النواحي الأخرى في هذه النهضة زيادة عدد الصحف اليومية والأسبوعية ، فقد ظهرت جريدة « المرآة » وهي وطنية ، ومجلة الشعب التونسي — وهي تنطق بلسان نقابات العمال » .

وأخيراً تقول هذه البرقية « وقد ساهمت المرأة التونسية في تثقيف بنات جنسها ، واشتركت كثيرات منهن في إلقاء المحاضرات ، ومنهن الآنسة — ليلى حلواني — التي تذيع رسائل بالراديو عن فائدة الرياضة للمرأة ، وتجمع الآن اكتتابات لإنشاء مدينة جامعية في ضواحي تونس على مثال مشروع المدينة الجامعية في مصر ، ومازالت التبرعات تتدفق على العاصمة لهذا الغرض ، وقد زادت حتى الآن على عدة ملايين من الفرنكات » .

قرأت هذه البرقية فضحكت ، وإنها لشيء يدعو إلى الضحك ، وإلى السخرية ، وإلى الإشفاق ! وهل ثمة أعجب وأغرب في هذا العصر من أن يعتبر تمثيل رواية ، أو إنشاء مجلة ، أو إذاعة آنسة لحديث دلائل « نهضة كبيرة في ميدان الأدب العربي بصفة خاصة والعلوم بصفة عامة » ! !

إن هذه الأمور التي تعددها البرقية وتشيد بها ليست إلا أمورا بدائية ينهض بها التلامذة في مدارسهم . ففي أي مدرسة ثانوية يمثلون الروايات ، ويصدرون المجلات ، ويذيعون المحاضرات والمناظرات ، فكأن هذه « النهضة الكبيرة » في تونس بعد هذا الدهر الطويل ليست إلا نهضة مدرسة ثانوية لا أكثر ولا أقل .

على أنك إذا علمت أن هذه البرقية إنما أذيعت من باريس ، وأنها دعاية استعمارية هدفها التمويه والتلبيس ، تبينت حقيقة الحال في ذلك القطر الشقيق ، وأدركت أن هذا الذي يمن به الفرنسيون في تلك البرقية قد كشف صنيعهم ، وأظهر للناس كيف أن الحياة الأدبية في قطر عربي عتيد لا تزال عند ذلك الوضع البدائي التافه الذي لا يعدو مشاهدة رواية تمثيلية ، وذلك كله بفضل الاستعمار الفرنسي العريق العتيد ! !

لقد آن لفرنسا أن تعلم أن كل هذا العناء في التمويه أصبح لا يجدى ولا يخفى حقيقة الحال في تونس ، فإن أبناء العرب في سائر الأقطار يدركون الحقيقة فيما تفرضه على الثقافة هناك من حجر ، وعلى حرية الرأي من حصر ، وعلى الإنتاج الفكري من رقابة أشبه بالرقابة العرفية ..

« الجاحظ »

فن وتجارة :

أرسل إلينا الأستاذ يوسف وهبي بك في آخر لحظة كلمة يرد بها على ما كتبه (الجاحظ) في العدد الماضي تحت هذا العنوان فأجلنا نشرها مضطرين إلى العدد القادم .

الكتب

ذكريات عشرين عاما فى مصحة حلوان

تأليف الدكتور عبد الرؤوف بك حسن مدير المصحة

عرض وتعليق فى خطاب مودة وتقدير

للدكتور لويس دوس

أستاذى القديم وصديق الكريم :

أهديت إلىّ مع الكتاب مودتك وتقديرك ، فإذا مودتك يثب إليها من مهجتى صنو يأتلف وإياها كأقوى ما يأتلف من الأرواح المجندة ، وإذا تقديرك فيما ينم عليه من تواضع العلماء الفضلاء يبتعث فى نفسى مالك فيها من كامن الشعور المضاعف بالنظير . وإنى لأعكف على كتابك قارئاً ملتهماً فآتى عليه فى ساعة أو نحوها ، وإذا شاعريتك المتأججة الجياشة وراء علمك وطبك تهز مشاعرى ترجيعاً لمشاعرك ، وإذا ذكرياتك تهتاج فى نفسى مثيلات تتداعى لها فينشط قلمى ليجلوها عليك .

بدأت كتابك من حيث بدأت صلتك بمصحتك ، وقبيل تلك البداية كان أول عهدى بك ، إذ كنت معيداً بكلية الطب ردحاً من الزمن ، وكنتُ مستهلا دراستى الطبية فى غمار جم من الطلاب غفير . وأشهد لقد كان يروقنى أسلوب تدريسك — والرجل ، بله المعلم ، هو الأسلوب — وكنت أستشف منه روح الشاعر الأديب وراء ذهن المعلم الطبيب ، وتلك روح مافتئت أراها مناط التمايز فى التدريس الطبى ، وقليل من يؤتاها ، ولقد أوتيتها حديثاً وكتابةً بمــا تغبط عليه ، حتى لأذكر أننى ضننت فى محفوظاتى إلى أمد قريب بمجالة لك بالانجليزية عن البلهارسيا تشهد لك فى هذه اللغة — فضلا عن العربية — بجودة البيان .

ولقد شاقنى من بعد ما تأتّى لى من كتاباتك ، فلا غرو أن يشوقنى كتابك عن مصحة حلوان ، وإن فى موضوعك هذا لخافية لست أدرى ما كنهها ، ولكننى عليم أنها تشوق كل طبيب أديب . ألم تصف كيف شاقتك ، بل ألهبت خيالك فكرة إنشاء المصحة ، ولما تزل طبيباً ناشئاً مغترباً عن الأوطان ، فساقتك إليها مستدرجاً متدرجاً حتى أضحيت لها نعم الدّبّر المدبر ، وإذا هى تملك عليك أقطار مشاعرك فتتفانى فيها كما يتفانى الربان فى سفينه وكأنما هى دنياه ، وإذا أنت تستهل كتابك بقصيدة بلغ من براعة استهلالها أن وقفت بالدار ، وبكيتها مؤذنة باندثار ، وشبّبت فيها بعروس أفكار ، كل ذلك فى اتساق وفى آن ، وكأروع ما ينوح على منازل القلوب صب ولهان !

أى سحر هذا الذى استحوذ عليك من مصحة حلوان ؟ وأية فتنة تلك التى تتجلى فى استهواء المصحة للأطباء الأدباء : على ما هو معروف من هوايتك ، وما وصفت من هواية الدكتور « برناند » مدير المصحة الأول . وإن شئت مزيداً فانى لأذكر — وإن بَعُد المهد — غدوات لى إلى المصحة وروحات ، كنت أعود بها ، وأنا بعد طالب طب ، زميلا فاضلا لى كان ثمــة يستشفى ، وكان هو أيضاً يهوى الأدب وما يزال ، وقد أبرأته المصحة بمنة الله ، فلم يكد يتم دراسته حتى التحق بها ضمن من تتابعوا عليها ممن سميت من أطباء . ولعلى سمعت عن أطباء غيره بمثل قصته ، وعجيب أن تترادف الأمثلة بهذه الظاهرة فى جانب الأطباء ، وأن يقابلها فى جانب المرضى ما يؤكدها بما هو متواتر مشهور : من تفزز حسهم ، وحدة خيالهم ، وسطوة مشاعرهم وغرائزهم ، حتى ليكثر بينهم الموهوبون بالفنون ، على ما ألمت إليه فى كتابك ، وما حفلت به روائع القصص وافتن فيه كتابها المبدعون .

على أننى رأيتك ، يا صديقى ، أوشكت تتنصل فى قصيدتك من هوايتك الأدب ، فتقول إنك آثرت على يراعتك مبضعك ومسماعك ، كأنما أصبح الأدب للأطباء فى هذا البلد تهمة تدفع ، وزلة يعتذر منها ، وإنه فى سائر بلاد الله لمحمدة تذاع ومفخرة يشاد بها — تنبىء عن ذلك مطابعهم — فما تكاد تخرج إلى عالم الأدب كتاباً لطبيب حتى تتلقفه الأيدى فلا يساعفها منه تلاحق الطبعات . ألا فهوّن عليك ، يا صديقى ، تحرجك من الأدب ، ولا تولع منه بفرط إشفاق : وخذ بنا فى تلك الظاهرة



على الحصان

للقصص الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأستاذ كمال الحريري

كانوا فى فقر وعوز ، يزجون أيامهم تزجية على راتب الزوج الضئيل . ولقد رزقوا ولدين من زواجهم ، أما فقرهم ، فقد كان من نوع البؤس المخبوء الخجل . بؤس عائلة نبيلة ، تريد أن تتمسك بتقاليدها وتأخذ مكانها بين أندادها الأشراف مهما كلفها الأمر . لقد نشأ هكتور « دى كربيلين » فى الريف تحت كنف أب مدرس ، ولم تكن الأسرة فى رغد من العيش ، وإن كانت تحافظ على مظاهر النعمة . فحين بلغ «هكتور» العشرين من عمره ، سعت له أسرته فأدخلته موظفاً فى وزارة البحرية . براتب ١٥٠٠ فرنك . فأصطدم الفتى بتلك الصخرة التى يصطدم بها كل من لم يعد نفسه فى بكورة العمر لمعركة الحياة القاسية .

فهو يرى الوجود من خلال ضباب كثيف ، ثم هو يجهل كل الجهل وسائل العيشة وأساليب المناضلة والمقاومة . لأنه لم يتزود منذ حداثته بمؤهلات كفاحية لمجابهة مرارة الحياة وشظف العيش ، إنما ألقى به إلى هذا الوجود ، وليس فى يده آلة أوسلاح لمنازلة حوادثه .

لقد كانت سنوات « هكتور » الثلاث الأولى فى دائرة عمله ، مدعاة للتوبيخ . فلقد ألف من عائلته لفيفا من الأصدقاء قليلى المال مثله ، كانوا يحيون فى أوساط النبلاء ، أى فى الشوارع الحزينة من ضاحية « سانت جرمان » فربط هكتور معهم حلقة تعارف وصداقة . وباغترابهم عن الحياة العصرية كان هؤلاء الأزستقراطيون الموزون ، يقطنون فى تواضع ، الطوابق المرتفعة من المنازل والمساكن الهادئة . ومن أعلى إلى أسفل هذه المنازل كانت ألقاب المستأجرين الضخمة تتردد على كل لسان ، ولكن يظهر أن النقود ، كانت هى البضاعة المفقودة عندهم من الطابق

التى لقتــك — وما أخالك إلا كنت ملتفتاً إليها — تخض فيها بالاستقصاء والاستقراء عالماً طبيباً ، وبالمنظوم والمنثور شاعراً أديباً ، فما حشدت لتجلية هذه الظاهرة مواهب كواهبك ، ولا ظروف كظروفك ، وإن تجليتها لفتح طبي وأدبى لا يتعلق به إلا من كان فى همتك ، وفى الحق إنك لها !

ولقد اصطرعت فى قصة مصحتك من شخصيتك شعب ثلاث : نفحتك الشاعرية ، وذهنيتك العلمية ، وصفة عملك الرسمية ، وفى النطاق الذى قسرك عليه هدفك ، لقد استطعت أن تبلغ بهذه الشعب فى اصطراعها حد الإبداع ، وكأنما قدر للداء الذى أدرت حوله موضوعك أن يطل عليه أبداً — من حيث يدرى المرء أو لا يدرى — شبح المأساة . ولم تباطئ المأساة مصحتك ، إذ أوعدتها العوادى أن تجعلها جصيداً كأن لم تغن بالأمس ، وكأن لم تبرح طوال عشرين عاماً جمة المآثر ، جلية الآثار ! فوا أسفاه على بلد ترتجل سياسته فلا يقر لها قرار ، ولا ترعى فيه حرمة دار حياها الله من دار ! هذا ومن ورائنا أوائل شيدوا ، وأمامنا أقوام بنوا ، فإذا دورهم العامة معالم مكتملة المقومات ، بل شخصيات معنويات ، تذكر بذكريات ، وتمجد بأمجاد ، وتعيد لها الأعياد ، ويطاول بها الدهر خوالد باقيات

تُرى لو صح أن الأرواح تحوم هائمات ، والأصوات تختزن مكنونات ، حيثما تجرى تصاريف الأقدار ، ويُطاح بالآجال والآمال ، ولو أتيح بما أجن فى ضمير الغيب من أفانين المخترعات ، أن تتبدى تلك الأرواح مرئية ، وتنطق هذه الأصوات العيية ، فأى روع وهول كان عساه يتفجر من أرجاء المصحة حمماً ودوياً ، إزاء أمانة أشفقت من حملها الرواسى ولم ترع إنسياً ! لكأنى إخال ما أتخيل ، وأتسمع بين تلك الأصوات المدوية صديق دراستى ، ذلك الطبيب النافع الذى يفيء الآن على مرضاه مما أفاء الله عليه من العافية بالمصحة ، وهو يجأر مستصرخاً : لا تنخبوا الدور على منخوبى الصدور ، وقد وسع الله عليكم رحاب الأرض وجنبات القصور .

وبعد ، أى صديقى عبد الرؤوف ! لئن ضاق صدرك ، فقد انطلق لسانك ، وبلاغاً أبلغت ، وربك أشهدت ، ولله الحكم وإليه ترجع الأمور !

دكتور لويس دوس

الأول حتى الطابق السادس .

أما أعذارهم لهذا السكن المتطرف ، فهى خطورة مراكزهم وتقدم حقوق عائلتهم على بقية الناس ، واهتمامهم بعدم التسفل أمام العامة . وقد كانوا ما كانوا فى سمو المنزلة وعراقة الأصل .

لقى هكتور « دى كريبلين » فى هذا الوسط فتاة نبيلة فقيرة مثله ، فعقد قرانه عليها ، وفى خلال أربعة أعوام كان لها ولدان .

مرت أربع سنين أخر ، لم يعرف خلالها « هكتور » المسكين من ملاهى الشباب ومتع الحياة غير التنزه فى حدائق الشانزليزه أيام الآحاد ، أو حضور ملاعب التمثيل مرتين أو ثلاثا طيلة الشتاء وذلك بفضل تذاكر كان يجود بها عليه بعض زملائه وأصحابه .

ولكن ها هو ذا الربيع يقبل فإذا مهمة يكلفه الرئيس بها ، يتسلم بعد انجازها من الرئيس منحة فوق العادة مقدارها ثلاثمائة فرنك .

ولما حمل هكتور هذا المبلغ إلى امرأته قال : عزيزتى «هنريت » ينبغى أن نبهج أنفسنا بعسرة أو متعة تدخل على طفلينا السرور والبهجة

وبعد جدال طويل قر الرأى على أن يصحب هكتور زوجه وابنيه إلى نزهة خلوية : وهتف هكتور : لعمرى إن السير على الأقدام أمر مبتذل لا يليق؛ لهذا سوف نستأجر عربة نزهة لك وللطفلين وللوصيفة . أما أنا فسأحصل على جواد فى بداءة ترويضه . فإن ركوبه يثير فى نفسى نوعاً من الفرح واللذة .. وفى خلال أسبوع لم يكن حديث العائلة ليتناول أمراً غير النزهة المقبلة ومشروع امتطاء الحصان .

وعند المساء ، حين آب هكتور من عمله ، كان يتناول طفله البكر فيتخذ له من ركبتيه ممتطى كصهوة الجواد ، ثم يقول له وهو يحركه ويقفزه .

— هكذا سيعدو وركض بحصانه أبوك فى الأحد القبل وقت نزهتنا يابنى . فكان الطفل طول النهار يهمز البكراسى ويشد عليها بساقيه ، ثم يجرها حول الغرف قائلا :

— هو ذا أبى فى حالة الركوب . حتى لقد كانت الوصيفة ذاتها ترمق سيدها بعين الدهشة والإكبار حين تتخيله راكباً ظهر حصانه وسائراً بحذاء العربة . وفى أثناء وجبات الطعام كانت تصغى إليه وهو يتحدث عن فروسيته ومفاخره السابقة فى ترويض الجياد . فهو ماهر فى الركوب من الدرجة الأولى . ويكفى أن يكون الحصان المتيد الشموس بين ساقيه وتحته ، إنه وقتذاك لن يخاف شماسه أو حرنه . ولقد كان يكرر لامرأته وهو يفرك كفيه ابتهاجاً :

آه لو أنهم آجرونى يوم الأحد القبل حصاناً شكساً غير مروّض! إنى سأكون إذن جدّ مبتهج وستبصُرين كيف أمتطيه وأعلوه . وإذا أحببت يا عزيزتى ، فلتكن عودتنا من نزهتنا عن طريق « الشانزليزه » حين إياب المتنزهين من الغابة . وبما أن منظرى على ظهر الجواد لن يكون مخجلاً فلا بأس أن نلتقى بأحد موظفى البحرية ، خصوصاً وأن التباهى بين الرؤساء شىء مستحب يدعو إلى الإحترام .

وفى اليوم الموعود ، وصلت العربة والجواد فى وقت واحد إلى منزل هكتور، فنزل فجأة ليفحص الحصان ، ثم خاط لبنطلونه سيوراً لركوبه ، وأصلح سوطاً للضرب اشتراه البارحة ، ورفع بالتعاقب قوائم الحصان وراح يجس عنقه وخاصرتيه وثنيات قوائمه ثم تحسس بأصبعه كليتيه وفتح فمه ، ونقب عن أسنانه فاحصاً عمره . وحيث أن العائلة ، كانت تستعد للنزول ، فقد خطر له أن ينطلق به حول المنزل ، ويطبق فى ركوب هذا الجواد الكريم ، ما عنده من نظريات فى فن الركوب . ولما أخذوا جميعاً أمكنتهم من العربة ، راح يتأكد من متانة سيور السرج ، ثم قفز إلى ظهر الجواد فسقط على ظهره سقوطاً أرقص الحصان فأخذ يثب تحت هذا الحمل ، وقد قام فى نفسه أن يُربك راكبه . وتأثر هكتور من هذه الوثبات ، فاجتهد أن يهدّئ من حدته . فقال له : هيّا . ولكن برفق يا صديقى وعلى مهل . ولما ثابت للحصان سكينته هتف صائحاً :

— هل أنتم مستعدون ؟! فانطلقت الأصوات تقول نعم .

وحينئذ قال آمراً هيا إلى الطريق . . . ثم ابتعدت القافلة الصغيرة شيئاً فشيئاً. ولكن الحصان أخذ يعلو بصاحبه ويتهادى كأنما هو فى حفلة رقص ، حتى لقد خيل لهكتور أنه موشك على السقوط عن ظهره . لهذا ثبت عينيه فى الأرض وقد علت محياه صفرة الرعب . وكانت امرأته وهى تحمل أحد الطفلين إلى صدرها ، والمربية وهى ترفع الثانى لا تفتران عن الهتاف فى أذن الطفلين : ألا تنظران أباكما ؟ ! وسكر الطفلان بنشوة النزهة وهزة الفرح واعتلال الهواء فكانا يصرخان ويزيطان زياطاً أجفل الجواد المسكين ، فجرى يركض ويعدو . وبينما كان فارسه

يجهد فى كبح جماحه تدحرجت قبعته على الأرض . فتحتم على سائق المركبة أن ينزل من مقعده لالتقاطها ومناولتها لصاحبها وبحصول هكتور عليها بدأ يوجه عن بعد إلى امرأته :

— ألا تريدين إسكات الطفلين عن الصراخ والضجيج ؟! إن صياحهما يغيظنى ... ونزلت القافلة فتناولت طعام الإفطار فوق المعشب الخضل تحت ظل غابة من صندوق ملىء مؤنة وطعاماً، وبالرغم من أن سائق العربة لم يقصر فى الإعتناء بالجياد ، كان هكتور بين حين وآخر ينهض ليرى ما إذا كان جواده لا ينقصه حاجة . وحينئذ يأخذ فى مداعبته فى عنقه ثم يناوله بيده الخبز الأبيض وفطائر « السكاتو » اللذيذة وقطع السكر الفاخرة . وكان لا يفتأ يعلن أن جواده مسباق . . نعم إنه هزنى وزلزلنى من على صهوته أول الأمر ، ولكنك أبصرت يا « هنريت » كيف استمسكتُ عليه ، والآن وقد عرفنى فلن يبدى أى حركة مطلقاً . ورجعت العائلة من طريق « الشانليزه » كما كان مقرراً . كانت الجادة حافلة بالعربات والمركبات وعلى جانبى الطريق ازدحمت الأرصفة بجموع المتنزهين ، وكان سيلاً دافقاً من أشعة الشمس يسقط على هذه الخلائق ، فيؤلّق دهانات العربات ويلمّع نعال الأفراس ، ويضوّى مقابض ومطارق الأبواب . وكأنّ جنون الحركة ونشوة الحياة كانتا تحركان جماهير الناس وجماعات المتنزهين وأسراب الحيوانات . وما كاد حصان هكتور يجتاز « قوس النصر » حتى مسته حماسة جديدة . وبالرغم من كل محاولات راكبه لضبطه ورد جماحه أخذ ينطلق فى الطريق كالسهم المنقذف . كانت العربة وراءه بعيدة عنه . فلما واجه هكتور قصر « پالهلاندوسترى » شاهد الجوادُ الطريق أمامه منفسحاً كميدان السباق فانطلق يعدو كالريح ، وكانت امرأة عجوز فى ثياب الخدمة تقطع الرصيف بخطوات بطيئة ، فرأت نفسها بغتة فى طريق حصان هكتور ، وكان الجواد قد تنكب الجادة وتوسط الرصيف . ورأى هكتور نفسه عاجزاً عن كبح حرن الجواد ، فبدأ يصرخ بملء صوته ، هه ... هولا . وراءك ، ولكن ربما كانت العجوز صماء ، لأنها واصلت سيرها هادئة حتى اللحظة التى التطمت فيها بصدر الجواد ، الذى كان مقذوفاً كمحرك القطار . فتدحرجت العجوز عشر خطوات بعد أن أكبت ثلاث مرات على رأسها وبعد أن طار عنها صدار الخدمة وتعالت أصوات من الشارع : اقبضوا عليه ، أمسكوه ! فضاع رشد هكتور ، وتمسك بظهر الجواد ، ثم انطلق يقول : النجدة ، الغوث . ولكن صدمة عنيفة ألقت به من سرج حصانه ، فانقذف كميار نارى من فوق رقبة الجواد . وإذا به يقع بين يدى ضابط من ضباط الجيش هجم عليه كى يمسكه ، وفى لحظة ، تحلق حوله رهط من الناقمين ، ولكن سيداً متقدماً فى السن يزدان صدره بكثير من الأوسمة المستديرة ، ويعلو فمه شارب أبيض ضخم اغتاظ منه أكثر من الحاضرين فقال :

تباً لك ! حين يكون المرء أخرق مثلك يقتضى أن يلزم منزله فلا يخرج ليقتل الناس على قارعة الطريق بعدم استطاعته قيادة جواده . وفى هذه اللحظة ظهر أربعة رجال يحملون المرأة العجوز ، وكانت كأنها الميتة بوجهها الأصفر الكالح وقبعتها الملوثة بغبار الطريق قال الرجل المسن :

احملوا هذه المرأة إلى صيدلية إسعاف . وهيا بنا إلى ضابط الشرطة .

ومشى هكتور فى الطريق بين حارسين من الشرطة وثالث كان يقود حصانه بينما أسراب من الناس تتبعه . وفجأة ظهرت عربة زوجه فانقذفت منها فى حين كانت الوصيفة كأنها فقدت صوابها والأطفال كانوا يُجهشون بالعويل والصراخ . فشرح لهم هكتور الموقف ، وقال : إنه دهس امرأة والأمر لا يهم مطلقاً . فمضت العائلة وقد جن جنونها من الرعب والقلق ، وعند ضابط الشرطة كانت إفادة هكتور قصيرة . قال « للقوموسير » اسمه « هكتور دى كريبه لين » موظف فى وزارة البحرية . ثم تهيأ القومسير لسماع تفاصيل الجريمة . وجاء شرطى نيط به الإستعلام عن حال العجوز يقول : إنها صحت من غشيتها وثابت لرشدها بيد أنها تشكو آلاماً مبرحة فى جوفها . وهى امرأة فى الخامسة والستين من سنها . يدعونها مدام « سيمون » ولما تأكد هكتور من عدم وفاة ضحيته عاد إليه عازب الأمل . فتكفل أن يقوم بنفقات المريضة حتى يوم شفائها . ثم هرول عجلاً إلى صيدلية الإسعاف ، فأبصر جماً من الناس مرابطاً حول الباب وكانت العجوز مستريحة إلى أريكة تشكو وتتوجع ويداها جامدتان ووجهها يعلوه شحوب الموت . كان هناك طبيبان يفحصانها أيضاً ولم يكن فى جسمها عضو مكسور ، ولكن يُخاف من جرح داخلى . كلمها هكتور . هل تتألمين كثيراً ؟ — أوه نعم . وأين موضع الملك ؟

— إنى لأشعر بمثل النار تتقد فى معدتى ، واقترب طبيب فقال :

— وإذن يا سيدى فأنت بطل الحادث ؟!

— نعم يا سيدى .

— ينبغى لك إرسال هذه المرأة إلى مصحة من مصحات المرضى ، وإنى سأدلك على واحدة تتقبلها بستة فرنكات فى اليوم . أتود أن أتولى عنك هذه الخدمة ؟ . فاستطير قلب هكتور وشكر الطبيب ، ثم انقلب إلى بيته مستريحاً ناعم البال ، وكانت زوجته تنتظره بين الآهات والعبرات ، فهدّأها قائلاً :

لا بأس علينا من هذه المرأة الجريح إن صحتها فى تحسن . وبعد ثلاثة أيام لن يبقى فى جسمها موضع شكوى أو ألم . لقد بعثت بها إلى مصحة فلا تقلقى من أجلها . وفى الغد ، فور خروجه من دائرة عمله انطلق يستعلم أخبار مدام سيمون فألفاها تتهيأ لاحتساء مرق من الحساء ، كثيرة الدهن . وهى جدُّ راضية قريرة العين . فقال لها : إه ! أتراك بصحة جيدة ؟ فأجابت:

— أوه يا سيدى المسكين ، إن حالى هى حالى لم تتغير ، وإنى لأشعر بأنى صائرة إلى العدم ما دامت صحتى تتدهور . أما الطبيب فقد أعلن أنه من الواجب الانتظار فقد يعرض للمريضة حال من اشتباك العلة لا يعلمها الطبيب . وانتظر الفتى ثلاثة أيام ثم عاد بعدها ، فاذا المرأة العجوز بصفرة وجهها المضيئة وعينها الزائغة تأخذ فى ترداد ألمها حين مشاهدته .

— إنى لا أستطيع حتى التحرك يا سيدى المسكين ، لا أقدر على ذلك حتى نهايتى الأخيرة . فعرت عظام هكتور رعشة ، ومضى يستفهم الطبيب ورفع الطبيب يديه قائلا :

— ماذا تريد منى يا سيدى ؟ أنا نفسى لا أعلم عن حالها شيئاً . إنها تصرخ وتعوى حين يراد إجلاسها وإنهاضها ، حتى إنه لا يمكننا تحريك مقعدها دون أن نمرّض آذاننا لصرخاتها الداويات المزعجات ، وإذن فأنا علىّ تصديق ما تدعيه . لأنى لست بداخلها ولا فى جوفها . وما دمت عاجزاً عن أن أجعلها تمشى وتسعى فليس من حق أن أفترض أى وهم من ناحية مرضها . وكانت العجوز تسمع كلامه هادئة لا تتحرك ، وفى عينيها الخبث والمكر .

ومرت ثمانية أيام ، فخمسة عشر ... فشهر ، ولم تبارح مدام سيمون مقعدها المريح ، لقد كانت تأكل من الصباح إلى المساء ، وكانت تكتظ شحماً ولحماً . ثم إنها كانت تتحدث بسرور إلى بقية المرضى فى المصحة ، وكأنهـا بتعودها على عدم الحركة والنهوض كانت تكتسب فرصة للاستجمام من عناء خمسة وستين عاماً للخدمة ، قضتها فى صعود ونزول الأدراج ، وتهيئة الأفرشة والأسرّة ، وفى حمـل قطع الفحم من طابق إلى طابق ، وفى كنس الغرف وتنظيف الثياب .

وضاع رشاد هكتور ، فـكان يعودها كل يوم ، وفى كل يوم كان يراها هادئة تعلن إليه :

— أواه إنى لا أستطيع الانتقال أو الحركة ياسيدى المسكين! لا أستطيع ، لا أستطيع . وعند كل مساء كانت مدام دى كريبه لين تسأل زوجها وهى فريسة القلق . ومدام سيمون ؟ فيجيبها فى خمود يائس :

— لا جديد عنها . فهى لم تتغير أبداً . وسرحت العائلة الوصيفة من الخدمة لأن راتبها أصبح عبئاً باهظاً عليها . ثم أخذت عائلة هكتور تمضى فى الاقتصاد ، لأن المنحة التى أخذها الزوج من رئيسه نفدت تماماً . وفى ذات يوم جمع هكتور أربعة أطباء التفوا حول سرير الريضة ، فتركتهم العليلة يجسونها ويفحصونها ، ولـكن عينيها الماكرتين ما كانتا لتحولان عنهم ، قال واحد منهم :

— يجب إجبارها على المشى ، فصرخت قائلة :

— لا أستطيع يا سادتى الكرماء لا أستطيع ، ولـكنهم قبضوا عليها وأجلسوها عنوة ، ثم جروا بها عدة خطوات ، ولـكنها تملصت من أذرعتهم وتدحرجت على البلاط ، وهى تصرخ صرخات كانت من الشدة والإزعاج بحيث اضطروا إلى إعادتها ثانية لمقعدها فى احتراس شديد ، وتشاور الأطباء فيما بينهم ، فاستقر رأيهم على استحالة محاولتهم تحريكها ...

ولـما حمل هكتور هـذا النبأ إلى زوجته تركت جسمها ينحط على مقعد وهى تجمجم ، وإذاً فمن الخير أن نجلبها إلى منزلنا فان ذلك يقلل من نفقتها ، شيئاً . وقفز هكتور .

— هنا عندنا فى دارنا ؟ أتفكرين فى هذا ؟ ! ولـكنها أجابت وقد وطنت نفسها على المـكروه ، وفاضت من عينيها الدموع :

— وماذا تريد أن نفعل غير هـذا يا صديقى ؟ إن الغلطة لم تكن غلطتى .

(حلب) كمال الحريري

مطبعة الرسالة

العدد ٧١١ ـ الاثنين ١٧ فبراير ١٩٤٧ ـ السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

١٤ ٥ ٢٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة دير مواس الجزئية الوطنية

إعلان بيع

نشرة خامسة بعد تقرير الزيادة فى القضية المدنية رقم ٥٦٥ سنة ١٩٤٧ دير مواس إنه فى يوم ٣١ مارس سنة ١٩٤٧ م الساعة ٧ افرنكى صباحا بأول المزايدات بسراى المحكمة سيباع بطريق المزاد العلنى العقارات الآتية بعد المملوكة بالاشتراك بين كل من عبد الحليم كامل عبد العزيز سمهان المحامى بشارع مراد رقم ٢٣ بالجيزة واحمد افندى حيد العزيز كهان من منشاه سمهان مركز دير مواس وعبد العزيز بك كهان بصفته الشخصية و بصفته وليا شرعيا على القاصر مصطفى افندى عبد العزيز سمهان المقيم بشارع مراد رقم ١٣ بالجيزة ثم عبد المحسن افندى سمهان المقيم بشارع الخليفة المأمون بمنشية البكرى رقم ٤٢ بمصر وعبد العليم بك سمهان من منشاه سمهان مركز دير مواس ومحمد افندى عبد العليم سمهان عمدة منشاه سمهان مركز دير مواس ثم الست اجلال محمد سمهان طرف زوجها العمدة والست انعام زوجة المرحوم محمد افندى سمهان بصفتها الشخصية وبصفتها وصيه على القاصر اعتدال وطلعت ولدى المرحوم محمد سمهان المقيم بمنشية البكرى شارع الخليفة المأمون رقم ٤٢ بمصر وأمين افندى محمد سمهان ونجيب افندى محمد سمهان بمنشاة سمهان مركز دير مومى لعدم امكان القسمه وهذا بيان العقارات المطلوب بيعها لعدم امكان القسمة وهى كائنة بزمام ناحية بنى عمران ومنزلتى الحسابية ومحمد سمهان مركز دير مومى مديرية أسيوط .

٥ س ١٦ ط ٢ ف فدانين وستة عشر قراريط وخمسة أسهم بحوض المستحجر ٩ ضمن ٢ حيضا البحرى سالم افند سمهان بطول ١٣٢ قصبة والقبلى عبد العليم بك سمهان بطول ١٣٢ قصبة والغربى جسر تلك الحكومة بطول ٦¾ والشرقي جسر بطول ٦¾ قصبة وكان محدد البيع هذه العقارات أمام محكمة ديروط الوطنية بجلسة ١٧ ابريل ١٩٤٦ وقد رسى مزادها على عبد العزيز بك سمهان بصفته الشخصية بالثمن الأساسى وقدره ٩٢٥ مليم ١٩٢ جنيه بتاريخ ١٧ ابريل سنة ١٩٤٦ وقد حضر ابن افندى محمد سمهان بزيادة العشر ٨٨٧ م و ٢٦١ ج وقد دفع مقرر الزيادة خمس الثمن والرسم المستحق وقد تحدد للبيع يوم الثلاثاء ٢١ مايو سنة ١٩٤٦ .

وهذا البيع بناء على طلب عبد العزيز بك سمهان بصفته الشخصية المقيم بشارع مراد رقم ١٣ بالجيزة وبناء على تقرير الزيادة المؤرخ بتاريخ ١٧ ابريل سنة ١٩٤٦ وعلى حكم الصادر من محكمه ديروط الوطنية بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٩٤٦ لعدم امكان القسمة المراد بصفتها .

والبيع قسما واحدا ومنح مراده على الثمن الأساسى بعد زيادة العشر بمبلغ ٨٨٧ م و ١١١ ج فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين بعاليه للمزايدة .

كاتب البيوع

15me Année No. 711

Lundi — 17 — 2 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١١ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ — ١٧ فبراير سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

جامع وجامعة . . .

للأستاذ عباس محمود العقاد

أوشك الترام أن يفوته ، ولكنه أدركه بعد جهد ومخاطرة ، فاستقر في مكانه وهو يلهث ويرسل اللعنات على الترام :

— يقطعه ويقطع أيامه !

قال صاحبه وهو أصغر منه : ولم ؟ إنه قرب البعيد ويسر الأمور .... لقد كان الانتقال من امبابة سفرة في أرض مهجورة ، فأصبحنا نأتي منها ونعود إليها في ساعة أو أقل من الساعة !

قال الشيخ : ولهذا « عفرت » الدنيا . ركبها عفاريت ، وقل خيرها . وقد كنا قبل أيامه نشترى رطل اللحم بقرش وربطة الملوخية الكبيرة بمليم . فجاء هذا الزمن « المعفرت » الذي لم يدع للفلوس بركة ولا في شيء من الأشياء خيراً يرتجى ... ووافرحتاه بعد ذلك بهذه المراحل التي تنطوى في غمضة عين !

مثل هذا الحديث قد سمع في القاهرة مرات ، ومثل هذا القياس يجرى في النظر إلى كثير من الأمور ، وهو من الأحكام التي تستند إلى مقارنات شعورية ولا تستند إلى مقارنات منطقية ، لأنها ترضى الشعور لأول وهلة ولا ترضى العقل بعد النظرة الأولى .

ومن قبيل هذه الأحكام الشعورية مقارنات بين ماضي الجامع الأزهر وحاضره ، قرأتها لفاضل من كتاب الرسالة في عددها الماضي وفيها يقول كاتبها — الأستاذ على الطنطاوى — بمناسبة حادث الشيخ أبي العيون : « .. ما عرفنا علماء الأزهر إلا ملوكا ، لا أمر فوق أمرهم ، ولا كلمة بعد كلمتهم ، إذا قال واحدهم لبّت الأمة ، وإذا دعا هب الشعب ، وإذا أنكر على الحكومة منكراً أزالت الحكومة المنكر ، وإذا أمرها بمعروف أطاعت بالمعروف ، فكانوا هم السادة وهم القادة ، وهم أولو الأمر : هذى حكومة مصطفى فهمى باشا تستجيب سنة ١٨٩٩ لرغبة الإنكليز في إضعاف القضاء الشرعى فتضع مشروعها المشهور لتعديل اللائحة الشرعية وضم اثنين من أعضاء الاستئناف الأهلى إلى المحكمة الشرعية العليا ويبلغ من ثقتها بقوتها وتأييد مجلس الشورى لها ألا تبالى باحتجاج الحكومة العثمانية على المشروع وتعرضه على المجلس — وكان من أعضائه الشيخ حسونه النواوى الذى جمعت له مشيخة الأزهر وفتوى الديار المصرية — فيقول كلمة موجزة في إنكار المشروع وينسحب من المجلس ويتبعه القاضى التركى فتكون هذه الكلمة كافية لقتل المشروع .. » .

ثم قال بعد سرد الأمثلة من هذا القبيل وغير هذا القبيل : « هذا ما عرفناه . فما الذى جرى حتى تبدلت الحال ووقع حادث الشيخ أبي العيون ؟ ما الذى نزع هيبة المشايخ من القلوب وأنزلهم من مكانتهم عند الحكام ؟

وأجاب قائلا : أنتم أيها الأزهريون فعلتم هذا كله .... أنتم

أيها الأزهريون جميعاً جعلتموها جامعة فكان فيها ما يكون فى الجامعات ، وقد كانت جامعاً لا يكون فيه إلا ما يكون فى الجامع . لقد كان الأزهر لله فصار للناس ، وكان للآخرة فغدا للدنيا ، وكان بجيشه الطالب يبتغى العلم وحده : يتبلغ بخبز الجراية ، وينام على حصير الرواق ، ويقرأ على سراج الزيت ، ولكنه لا ينقطع عن الدرس والتحصيل .. » .

هذه هى العلة كما رآها الفاضل صاحب المقال ، وهى إذا دلت على شىء فإنما تدل على أن الجامع الأزهر ينبغى أن يشتمل على جامعات عدة لا على جامعة واحدة ، لينشر فى الأرض من علم المنطق ، ومن صحة القياس ، ما يعصمهم من خطأ التعليل فى أمره ، بله جميع الأمور .

فلا علاقة لسراج الزيت وبين ما كان عليه الأزهر أو ما صار إليه ، إلا كالعلاقة بين الترام وقلة البركة فى المبيعات والمشتريات .

ولم يتغير الحال فى جملته اليوم عما كان عليه فى شىء من تلك الأشياء التى عددها الأستاذ .

فنى الزمن الذى يحن إليه الأستاذ حدث أن مديراً للأوقاف جلس على كرسيه فى صحن الجامع الأزهر وجىء إليه بفريق من الأزهريين يجلدهم على مرأى ومسمع من الناس .

وفى العصر الحاضر لا يزال أقطاب الجامع الأزهر قادرين على منع كل تشريع يرون فيه مساساً بأحكام الدين . وقد منعوا تشريعات كثيرة أعدتها الوزارات فى شئون الزواج والطلاق ، واشتركوا فى درس كل قانون يدور على الميراث أو الوصية أو الوقف أو حقوق الآحاد المرتبة على أحكام الدين .

وفى الزمن الذى يحن إليه الأستاذ أنكرت فئة من علماء الأزهر تشريح الجثث فى مستشفى « قصر العينى » فلم يكن هذا الإنكار فصل الخطاب .

وفى ذلك الزمن — بل فى جميع الأزمان منذ بناء الجامع الأزهر — كانت الصلة بين طلاب الأزهر وعلمائه وبين الحكومات المتوالية على أوثق ما تكون . لأن جامعاً كالجامع الأزهر لا ينبغى أن تنقطع الصلة بينه وبين حياة الجماعة الإسلامية ، إذ ليس فى الإسلام انقطاع عن الدنيا على النحو المعروف فى غيره من الديانات

فكان لمذهب الشيعة شأنه فى عصر الفاطميين ، وكان لمذهب أبى حنيفة شأنه فى عهد العثمانيين ، وكان العاملون فى الحياة العامة من أقطاب الأزهر أكثر وأكبر من المتنسكين المنقطعين عن شئون تلك الحياة ، وليس الشيخ المراغى — مثلا — بمضارع فى غناه للشيخ العباسى وهو من مشايخ الأزهر فى الزمن الذى يحن إليه الأستاذ .

فلا علاقة لسراج الزيت بما كان عليه الأزهر وما صار إليه ، وليس بصحيح أن شأن الجامع الأزهر فيما مضى كان أعظم من شأنه اليوم ، ولا أن المقبلين على الحياة العامة من أقطابه فى عصرنا هذا أكثر ممن كانوا يقبلون عليها فى العهود الغابرة ، بالقياس إلى عددهم فى كل زمان .

والصحيح أن هيبة العالم الدينى تتوقف على مكانة الدين فى النفوس لا على ما يأكله العالم من خبز الجراية أو ينام عليه من أصناف الفراش .

وفى البلاد الأوربية لا ينام رؤساء الأديان على الحصير ولا يقرأون على السراج ولا ينقطعون عن الشؤون العامة ، ولكن هتلر فى جبروته كان يتقيهم ويداريهم ويتقبل منهم ما لم يكن يتقبله من كبار القادة والوزراء . وكذلك كان موسولينى يفعل فى دولته الفاشية ، وكذلك فعل ساسة الروس الشيوعيين فى العهد الأخير بعد أن جربوا مناضبة الكنيسة ومحاسنتها ، ثم اختاروا بين الخطتين .

وقد يتقى الرجل لمكانته فى أمته وفى سائر الأمم وإن لم يكن من رجال الدين . فإن تولستوى — كاتب الروس الأشهر — لم يكن ممن يصانعون القيصر ولا ممن يصانعون أحبار الكنيسة الروسية ، وكان مع هذا يخاطب القيصر بكلام لا يباح لغيره ، فيتقبله ويتغاضى عنه ، لمكانة الرجل العالية بين قراء الأدب فى القارة الأوربية ، وفى العالم بأسره .

فرجل الدين يستطيع أن يكون للدين وللدنيا ولا يخسر مكانته ولا يحط من هيبته ووقاره ، ويستطيع أن يكون جامعياً بالنسبة إلى الجامعة الأزهرية كما يكون جامعياً بالنسبة إلى الجامع الأزهر ، فيزداد ولا ينقص بهذا الانتساب .

إذ الواقع أن صبغة الجامعة هي التي ميزت الأزهر بين الجوامع في العصور الماضية كما ميزته في العصر الحاضر. فليس أكثر من الجوامع في القاهرة ولا في الأقطار الإسلامية، ولكن الأزهر وحيد بينها لأنه جامعة علمية لا لأنه مسجد مقصور على الصلاة والعبادة.

وأيا كان القول في هذا فالرجوع إلى الحصير أو إلى سراج الزيت أو إلى صومعة النسك لن يعالج شيئاً من الأشياء، ولن يستطاع ولن يحمد إذا استطيع.

وخير ما يطلب للأزهر هو أن يزداد نصيبه من الجامعية العلمية، وأن يزداد نصيبه من المشاركة في الأعمال الدنيوية، وأن يحال بينه وبين العزلة والانقطاع.

ونحن من المؤمنين بماضي الأزهر العظيم، ولكننا أشد إيماناً بمستقبله منا بماضيه. لأن وظيفته في الماضي كانت وظيفة واحدة لا منازع فيها. أما وظيفته في المستقبل فوظيفتان ينهض بهما فيكون له شأنان متعادلان في حكمة الإسلام وحكمة العلم الذي يعمل به المسلمون وغير المسلمين.

فالجامع الأزهر أحق مكان بأن يحيي الفلسفة القديمة التي عاشت فيه وحده يوم ماتت في جوانب الدنيا بأسرها، ومن إحياء هذه الفلسفة أن يزاوج بينها وبين مستحدثات التفكير في كل عصر وبين كل قبيل.

والجامع الأزهر أحق مكان بتوسيع المنطق الذي تمكنت فيه أسسه وتهيأت لما يضاف إلى هذه الأسس من أركان جديدة، في مذاهب الناطقة المحدثين.

والجامع الأزهر أحق مكان بأن يعرض العقيدة الاسلامية المستنيرة على أهل المشرق والمغرب، لأنه أقدر على هذه الرسالة من الآحاد أو الجماعات التي تصدت لها في غير مصر من الأقطار الإسلامية.

والجامع الأزهر أحق مكان بأن يقصده الصيني من أقصى الشرق كما يقصده «الفنلاندي» من أقصى الشمال، أو يقصده الزنجباري من أقصى الجنوب. لأنهم يتعلمون فيه ما لا يجدونه في غيره من الجامعات المقصورة على العلوم الطبيعية.

والجامع الأزهر أحق مكان بأن يتدارك عيب العصر الحاضر وهو العيب الجسام الذي يتمثل في العزل بين عالم العقل وعالم الروح. فيتعلم فيه الرجل وهو مؤمن ويؤمن فيه وهو عالم، ويحسن قيادة المتدينين المتعلمين.

ونحن كبيرو الرجاء في إنجاز هذه المهمة العظمى بعد أن صارت مشيخة الأزهر إلى أستاذ الفلسفة الإسلامية على أحدث المناهج المصرية. فإنه أقدر الناس على أن يحقق للجامع الأزهر وظيفتيه في ثقافة العقل وثقافة الروح، وأعوانه من الأزهريين غير قليلين.

فليكن الأزهر جامعة ما دام.

بل ليظل الأزهر جامعة كما كان منذ كان.

وفي ذلك الخير كل الخير والبركة كل البركة. أما أن تكون البركة مرهونة بالحصير وسراج الزيت فهو قول لا بركة فيه ولا يدل على الحاجة إلى شيء في الأزهر ألزم من الحاجة إلى توسيع الجامعة لتحويل الأفكار في الشرق من مقارنات الشعور إلى مقارنات العقول، ولا سيما في المقارنة بين الجوامع والجامعات.

عباس محمود العقاد

حول قضية فلسطين :

والآن أيهـــا العرب

أما تزالون تنتظرون ؟ !

للأستاذ سيد قطب

قصة العرب مع الاستعمار الانجليزى فى فلسطين هى بعينها قصتهم معه فى كل بلد عربى آخر ؛ وخديعة الاستعمار الانجليزى للعرب فى فلسطين هى خديعته الخالدة لكل بلد عربى آخر .

وتسميتها قصة هى فى الواقع تجوز ، فهى فى حقيقة الأمر مأساة أليمة متكررة ، وأشد ما يؤلم فيها هو هذا التكرار الذى لا يفتح عيون العرب على الخديعة ، ولا يغير طريقهم التى سلكوها فخابوا فى كل مرة ، ولا يجنبهم الجحر الذى لدغوا منه بدل المرة مرات .

هى مأساة الثقة بالضمير الانجليزى ، بل مأساة الاعتقاد بأن هناك ما يسمى الضمير الانجليزى ! وذلك هو الجحر الذى لدغ العرب منه مرات ، فى كل بلد عربى ، ثم هم مع ذلك لا يتوقونه ، فيصدق عليهم الحديث : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وحاشا لهؤلاء أن يكونوا مؤمنين ، وهم فى كل يوم يلدغون !

حفنة من الساسة قعدت بهم عن الجهاد مشقات الجهاد ، فاختاروا لشعوبهم الطريق الأهون ، والخطة السهلة ؛ وراحوا يضيعون أوقات الشعوب بالمؤتمرات والمفاوضات والمحادثات ؛ ودعوا الشعوب للهدوء والانتظار فى ارتقاب النتائج من هذه الطرق الهينة المأمونة .

وكان من غضب الله على هذه الشعوب أنها سمعت كلام أولئك الساسة الضعفاء المهازيل ، واستجابت لدعوة الراحة والدعة ، « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

تكررت هذه المأساة فى مصر ، كما تكررت فى فلسطين ، كما تكررت فى كل بلد عربى دنسته أقدام المستعمرين الطغاة .

وهب الشعب فى مصر ، كما هب فى فلسطين ، كما هب فى كل بلد عربى يكافح هذا الاستعمار البغيض ، يكافحه كما ينبغى أن يكافح. يكافحه بالدم المبذول ، والروح المسترخصة ، والتضحية بالنفس والمال .. وكان هذا هو الطريق الصحيح . الطريق الذى سلكته من قبل الولايات المتحدة ، وإرلندا الحرة ؛ كما سلكته أخيراً سورية الأبية ، ولبنان الأشم .

وبينما الشعوب فى فورتها ، والتضحية فى عليائها ، صاح عليها الأغربة المشئومة : حسبك أيتها الشعوب فقد أديت واجبك حسبك ودعى الأمر لأولى الأمر . دعيه للساسة يعالجونه بالحكمة والدبلوماسية ، بعد ما عالجته بالدماء والتضحية !

ومنذ هذه اللحظة المشئومة وقضايا العرب تخسر فى كل مكان ، ومنذ هذه اللحظة المشئومة والاستعمار يكسب فى كل مكان . لقد التقط الاستعمار أنفاسه بعد الجهد العنيف ، بعد ما كاد يسلم للشعوب بحقها المغصوب . ولكن لماذا يسلم ، وهؤلاء جماعة من هذه الشعوب يخدرونها لتنام ، ويروحون على وجوهها لتنعس ، ويلوحون لها بالأحلام الجميلة لتستغرق فى الأحلام الجميلة ؟

ألا قاتل الله اللحظة المشئومة التى استسلمت فيها الأمم العربية لهذه الغربان المشئومة !

والآن أيها العرب . أما تزالون تنتظرون .

فأما مصر فقد هداها الله إلى نصف الحق ، هداها إلى قطع المفاوضات والمحادثات والمداولات . هداها إلى الخروج من تلك الدائرة البغيضة التى دارت فيها ودارت خمسة وعشرين عاماً كما يدور ثور الساقية ، أو حمار الطاحون !

ولكنه لم يهدها بعد إلى النصف الآخر . لم يهدها إلى أن زمام الأمر فى يدها هى لا فى يد هيئة الأمم المتحدة ، ولا فى يد مجلس الأمن ، ولا فى يد محكمة العدل الدولية ، ولا فى يد كائن من كان على ظهر هذه الأرض إلا المصريين !

لم يهدها إلى أنها تخطو إلى منتصف الطريق عندما تلجأ إلى هذه الهيئات الدولية ؛ فأما نصفها الآخر . نصفها المؤدى إلى النهاية ؛ فهو أن تعزم على الاستقلال فى ضميرها ، وأن تنبذ العبودية من روحها ، وأن تطهر دماءها من لوثة الذل الذى فيها . وأن تنبذ على سواء إلى هذا الاستعمار فتواجهه بنفسها مواجهة من اعتزم وصمم وانتهى .

ولو فعلت مصر لنظرت فى تطهير المصالح المصرية من كل موظف انجليزى منذ هذا الصباح . وفى تطهير الاقتصاد المصرى

من كل نفوذ انجليزي منذ هذه الليلة . وفي تطهير التعليم المصري من كل أثر انجليزي دسه الاستعمار على نظمه وبرامجه وكتبه ، وحقائقه التاريخية والجغرافية . وفي تطهير الحياة المصرية من كل ما هو انجليزي مهما اشتدت حاجتنا إليه .

ولو فعلت مصر لرفض أي مصري أن يخاطب أي انجليزي على ظهر الوادي ولو للسلام العابر . ولأغلقت منذ اللحظة ذلك النادي العجيب الذي يسمى النادي المصري الانجليزي ، ولأعدمت جميع المصورات الجغرافية التي تكتب ذلك العنوان الآثم : « السودان المصري الانجليزي » وجميع كتب التاريخ في أيدي التلاميذ التي تتحدث عن « الاصلاحات التي تمت في عهد الاحتلال » !

ولو فعلت مصر لأطلقتها من الأعماق صيحة عداء مدوية للبرابرة المستعمرين . ولأعلنت أنها ستلقن ناشئتها ذلك العداء ، وستسقيهم إياه مع الرضاع !

ولو فعلت مصر لأرسلت دعاتها كالمبشرين في كل مكان على ظهر هذه الأرض يفضحون مساوىء الاستعمار ، ويتحدثون عن مآسيه الوحشية ، ويكشفون للعالم عن فجائع دنشواي والعزيزية و ٤ فبراير ، وعشرات من هذه المآسي التي يقشعر لها ضمير الإنسانية في كل مكان .

ولو فعلت مصر لسكتت صيحة الحزبية الحقيرة الخسيسة التي تهتف بها الأحزاب التي شاخت ، ويلوكها الجيل الذي أنتن ، ويرددها الرجال الذين لم ينسحبوا في الوقت المناسب من الميدان !

ولو فعلت مصر لأدرك الانجليز من فورهم أنها جادة في هذه المرة لا هازلة ؛ ولاشتروا منها مصالحهم في العالم وسمعتهم بالثمن الذي تريد ؛ ولوجدوا ارضاء مصر أكسب لهم من تشبثهم باستعمارها وقد صرح العداء !

ولكن مصر تقف في منتصف الطريق . تقف لأن الجيل الذي يقودها — في الحكومة وفي المعارضة على السواء — هو الجيل الذي شاخ . الجيل الذي دعاها في فورة الحماسة إلى الهدوء . الجيل الذي أفسد عليها طريقها حينما اختار الطريق الأسهل . طريق المفاوضة والمحادثة والمؤتمرات !

وأما فلسطين فقد فارت فورتها في وجه الظلم الذي لم تعرف له البشرية شبيهاً . وكانت آخر فوراتها في عام ١٩٣٨ . ورأى الانجليز أن الأمر جد لا هزل ، وأن الأمة العربية هناك لا تنوى التراجع ، ولاتبغي المهادنة . فلجأوا إلى وسيلتهم الخالدة . وسيلتهم التي جربوها في مصر من قبل فعادت عليهم بالخير والأمن والهدوء ، دعوا فلسطين إلى مؤتمر المائدة المستديرة ! ودعوا معها العرب جميعاً . ومع الأسف صدقت فلسطين ، وألقت السلاح ، وانتظرت نتائج المائدة المستديرة !

ومن الإنصاف أن نذكر أن الخديعة في هذه المرة لم تأت عرب فلسطين الأباة من جهة الإنجليز ، إنما جاءتهم من جهة من يسمونهم الزعماء ، الزعماء هنا في مصر وفي بعض البلاد العربية . وخدع العرب الأباة بذلك الكتاب الأبيض الذي أسفر عنه المؤتمر . وجاءت الحرب فوقفوا في صف انجلترا هم وسائر العرب في بلاد العرب .

وقيل لهم : إن الانجليز سيعرفون لهم فضل مناصرتهم في ساعة العسرة فصدقوا . وكانوا بلهاء حينما صدقوا ! واشترك في خديعتهم أولئك الساسة والأدباء والكتاب والصحفيون المغفلون والمأجورون الذين راحوا يشيدون بالديمقراطية ، والمدافعين عن الديمقراطية !

ثم وضعت الحرب أوزارها ، وهب الإرهابيون اليهود يجلدون الانجليز في الشوارع ، وينسفون مقر القيادة الانجليزية ، ويخطفون القضاة والقواد ؛ ويطلقونها صيحة مدوية : فلسطين لليهود !

وقيل للعرب : اسكتوا واصمتوا واطمئنوا . فقد وقع الصهيونيون في شر أعمالهم ، وسينالون عداء الانجليز ، ما في ذلك شك ، وسيجازيهم الانجليز على ذلك بالتمكين للعرب في فلسطين!

وقيل للعرب : حذار من أن تكونوا حمقى كاليهود . كونوا « عقلاء » أيها العرب لتكسبوا مودة الانجليز ... قالها لهم أولئك الساسة الذين اختاروا من أول الأمر طريق المفاوضات والمحادثات والمؤتمرات ، استمهالا واستغلالا !

وصدق العرب المساكين ، منطق ساستهم المحنكين ! وباتوا « عقلاء » عقلاء جداً ؛ لا يحركون ساكناً ، ولا يرفعون صوتاً ولا يمكرون صفواً .

وبدأ الانجليز يحنقون على الإرهابيين ، ويميلون للعرب ... فألغوا سياسة الكتاب الأبيض ، وسمحوا بالهجرة اليهودية بعد ما انتهى الأجل الذي حدده للهجرة ذلك الكتاب ! ثم دعوا العرب واليهود إلى مؤتمر في لندن لوضع حل حاسم لقضية فلسطين

من صميم الحياة :

في حديقة الأزبكية

للأستاذ علي الطنطاوي

كنت أمس عند الأستاذ الزيات فدخل علينا شاب في نحو الثامنة عشرة عراقي ، فسلم وقعد صامتاً لا ينبس ، وجعل ينظر إليّ كأن في فيه كلاماً يريد أن يقوله ، ولكنه لا يحب أن يظهرني عليه ، فهو يتبرم بمجلسي ، ويرقب قيامي ، فلما طال منه ذلك ، قال له الأستاذ : « تفضل ! » . فقال متردداً : « كنت أريد أن أقص عليكم قصتي ... علّها ... تكتب في الرسالة ... ولكن ... سأجئ في وقت آخر » ، وألقى عليّ نظرة لا أقول من نار ، ولكن من حروف وكلمات تقول : « لولا هذا الرجل ! » .

فقال الأستاذ معرّفاً بي : « إنه فلان ، وهو من أسرة الرسالة فقص القصة أمامه ، فلعله إذا سمعها منك كتبها هو » . فلما عرفني أشرق وجهه واطمأن وانطلق يقول ...

***

وصلت مصر للدراسة في مدارسها في أكتوبر الماضي ، وكانت تلك أول مرة أقدم فيها القاهرة ، وأرى فيها الدنيا ، أمضيت عمري قبلها في قرية لا تعرف إلا الجد ، ولا تقبل على غير الحرث والدرس ، ما فيها إلا الحلقة والحقل ، ما فيها سينما ولا ملهى ، ولا تلقى في طرقها امرأة سافرة ، ولا تصادف في حقولها فتاة ، لم أخرج منها إلا مرة واحدة وأنا صغير زرت فيها النجف مع لدات لي فرأيتها مدينـة عظيمة فيها كل ما يبهج ويهيج ، وسعدت فيها أياماً ، ثم عدنا إلى القرية ، وإلى حلقة الشيخ ، فقرأنا عليه كتب الدين والنحو والصرف والبلاغة ، ثم أقبلنا على الأدب ، نعبّ الشعر الغزل ، كما يعبّ من النبع العذب الصادي الظمآن ، ونحفظه في صدورنا كما يحفظ الشحيح الموسر ماله في صندوقه ، فيكون لقلوبنا الفتية المشتعلة بالعاطفة حطباً يابساً يزيدها اشتعالا ، ولكنه يكون لقرائحنا مدداً ، ولألسنتنا ثقافاً ، ولنفوسنا صقالا ، وكانت لنا صبوات يحركها سواد المرأة وهي تخطر في سوق القرية بعباءتها السوداء السابغة ، وظلُّها من خلف زجاج النافذة ، وصوتها من وراء الباب ، لا نرى منها أكثر من ذلك ، فكان يثير سواكن هذه القلوب التي ما عرفت طريق الإثم ... وإن لم تخل القرية من آثمين (من الشباب) ومن آثمات .

— قلت : فما فائدة الحجاب ؟

— قال : إن الخير المطلق ليس من طبيعة هذه الدنيا ، والعبرة بالغالب ، فالحجاب خير فيه شر قليل ، ولكن السفور شر قد يكون فيه خير قليل ، وما الإثم في العاطفة يفيض بها القلب ، أو الشهوة تضطرم بنارها الأعصاب ، ولكن الإثم في عمل الجوارح .

وعاد إلى قصته ، فقال :

وكنت قد سمعت عن القاهرة أنها ، لا تؤاخذوني ، أنها كباريز ، بلد لذة وانطلاق ، وأنها عالم فيه من كل شيء ، فيه العلم والجهل ، والغنى والفقر ، والتقى والفجور ، والعفاف والفسوق ، يصنع كل فيها ما يريد ، لا يسأل أحد أحداً ما ذا يصنع ؟ ولا يقول له : دع ذا ، فانه حرام . وكف عن ذا فانه عيب ، وان ... إني لأستحي والله أن أتكلم ...

قلنا له : قل يا أخي ، إنك تقول الصدق ابتغاء الإصلاح ، ولا حياء في الإصلاح

ولج اليهود « المجانين » في إثارة أحقاد البريطانيين . ولج العرب العقلاء في الصمت والهدوء .. ثم إذا الانجليز يزدادون مع اليهود حنقاً ويزدادون للعرب مودة . وإذا مستر بيفن يعرض حلا يتفق مع ذلك الحقد ومع هذه المودة ... إنه يقترح السماح لمائة ألف يهودي بالهجرة إلى فلسطين في خلال خمسة وعشرين شهراً ! أليس الرجل حانقاً على اليهود « المجانين » ؟!

سخرية ! سخرية لا تطاق ! ولكن الزعماء لا يزالون هناك يتفاوضون ويتباحثون ويتجادلون .!

والآن أيها العرب . أما تزالون تنتظرون ؟!

سيد قطب

فتردد قليلا ، وغض بصره . ثم قال :

— وأن النساء فى مصر ، استغفر الله ، ما هذا أعنى ، أعنى أن فى مصر نساء كثيرات أ... الحاصل أن الصورة التى كانت لمصر فى مخايلنا لم تكن صورة الأزهر بحلقاته ، ولا الجامعة بأبهائها ، ولا الجمعيات الإسلامية ، ولا النوادى الأدبية ، كلا . بل صورة (البلاج) ومشاهده ، والسفور والاختلاط ، وأن الصوت الذى يصل إلى قريتنا عالياً ليس صوت الرسالة والثقافة والكتاب ، فانه صوت خافت فينا ، ولكن صوت الاثنين والأخبار والمسامرات ، منها تكونت للقاهرة هذه الصورة ، فتخيلناها فتاة عابثة مستهترة ، لا شيخاً وقوراً صالحاً ...

أنا أقول لكم الحق ، فأرجو أن يتسع لسماعه صدركم ، ولا يضيق به حلمكم ...

ولما تقرر سفرى إلى مصر ، أرقت ليالى بطولها ، لا أستطيع الرقاد من فرط الانفعال ، ثم سافرت وكلما نقصت من الطريق مرحلة زاد شوقى مراحل ، وكلما اقتربت منها ابتعدت عن الصبر ، ولست أطيل عليكم ، فقد دخلتها ليلا ، فنزلت فى فندق فى العتبة الخضراء بلدىّ ، كانوا دلونى عليه من قبل أن أسافر ، اسمه (فندق البرلمان) ، فنمت نوماً متقطعاً تتخلله ثائرات الأحلام ، يؤرقنى ما أرقب من لذائذ هذه الجنة التى دخلتها بعد طول تشوق إليها فأنهض ساعة ، ثم يسحقنى السهر والسفر فأهجع أخرى ، حتى طلع الصباح .

ونزلت الساعة العاشرة ، فمشيت خطوات ، فوجدت فى وجهى حديقة الأزبكية ، وكنت قد قرأت فى (النظرات) للمنفلوطى رحمه الله ، أن الأزبكية ، ولا مؤاخذة ، هى المكان الذى تميل إليه نفس كل شاب ، لأنه أوسخ معابد الشيطان ، السوق التى تباع فيها اللذائذ ، فاقتربت منها وقلبى يجف كأنى مقبل على جريمة قتل ، وهل الزنا إلا أخو القتل ؟ وتمثل لى ماضى وأخلاق ، وطلعة الشيخ ، فارتددت وتلفت أنظر هل رآنى من أحد — لا تضحكوا أرجوكم فإنى أصف لكم ما وقع لى ، ومرّ رجال ، خيل إلىّ أن واحداً منهم يحدّق فىّ ، ويحدّ النظر إلىّ ويتبسم فشعرت أن دمى كله قد صعد إلى رأسى ، وأن أذنى قد صارتا جمرتين ملتهبتين ، وتصبب العرق من جبينى ، لما وقع فى نفسى من أن الرجل يعرفنى ، ويعلم ما أسعى إليه ، فأسرعت فى مشيتى حتى نبهت الناس إلىّ بإسراعى ، فجعلوا ينظرون إلى متعجبين من عجلتى ، وكلما رأيت ذلك منهم ازددت عجلة ، كأنى الجواد الأصيل يقرع بالمقارع ليقف ، وكلما أحس وقعها طار جرياً ، حتى إذا ابتعدت وقفت ، ووجدت راحة الخلاص من الإثم ، كما يجد الغريق راحة الوصول إلى الهواء ، ومشيت لا أعرف لى وجهة ، فعاد الشيطان يوسوس إلىّ ، فثارت الرغبة فى نفسى كرة أخرى ، وندمت على أن أضعت هذه الفرصة التى انتظرتها دهراً مديداً ، وفكرت فيها مسهداً ليالى طوالا ، وقطعت من أجلها قفراً وخضت بحراً ، ومشيت من مشرق الشمس إلى مغربها ، فعدت وجعلت أدور حول سور الحديقة ، وقلبى يكاد يمزق بوجيبه جدار صدرى ، وكان اليوم يوم أحد ، فرأيت غوانيها من خلال السور قاعدات باديات الفاتن أو مضطجعات أو منبطحات على الكلأ ساحرات بالمقل النواعس ، وبالسوق والأفخاذ ، فكدت أجنّ ، ولا تنسوا أنى لا أزال أعتقد أن الحديقة هى (أزبكية المنفلوطى) ...

وشددنا أشداقنا كيلا يفلت الضحك منا ، ومضى فى قصته .

قال : ورأيت على مقعد شاباً وفتاة ، وهما يتناجيان ، وعلى وجههما من ظلال الحديث ، مثل ما يكون على وجه البحيرة الساكنة من شعاع القمر ، وقد تدانى الرأسان ، والتفّت الأيدى بالمناكب ، وتمارض الساقان ، وأحاطهما بجناحيه إبليسُ الهوى ، فجن جنونى ، ودفعتنى موجة الانفعال التى ماجت فى نفسى ، فأقدمت حتى إذا ضعفت الموجة وماتت ، كما تموت أمواج البحر وسط اللجة ، ألفيتنى عند الباب ، فوقفت لا أدرى ماذا أعمل ، وتخيلت كأنى قد أقمت على عمود فى رحبة القرية والناس كلهم ينظرون إلىّ يقولون : هـذا الذى دخل الأزبكية التى لم يعرف (المنفلوطى) من تحديدها إلا أنها فوق الغبراء وتحت السماء ، وتمنيت من الخجل أن أغوص فى الأرض وأحسست أن الدنيا تدور من حولى ، ولم ينقذنى إلا رجل دخل فتوسط الباب الدوار ، فدفع (قرش تعريفة) فأداره له البواب حتى صار فى الحديقة ، فصنعت صنيعه وأنا لا أعقل ما أصنع ...

جُلْت فى الحديقة فوجدت نساء من كل لون وجنس ،

ولـكنى كنت كمن ألقى فى الماء قبل أن يتعلم السباحة ، فلم أدر كيف السبيل إليهن ، وحاولت أن أتذكر ما قرأت من القصص وماذا يعمل أبطالها فى مثل هذا الموقف ، وما حفظت من أشعار الغزل ، فلم يخطر على بالى إلا أبيات (سألت الله يجمعنى بسلمى) فقد كانت حالى كحال هذا الشاعر ، أرقب أن تجيء إحداهن فتأخذ هى بيدى وتجرّنى إليها ، ولـكنى لم أر غرفاً ولا مخادع ، ثم وجدت بنـاء فى الحديقة فعلمت أن المخادع والغرفات فيه ، وبقيت إلى المساء ، أدور لا أفـكر فى طعام ، ولا أشكو التعب ، حتى إذا قيل اخرجوا ستغلق الحديقة ، خرجت وما أظن أن على ظهر الأرض إنساناً أخيب منى …

وجعلت أعود إليها ، كل يوم ، فلما كان بعد ثلاثة أيام ، وكنت قاعداً على مقعد وأمامى امرأة قصيرة الثوب ، عارية الساق قد رفعت رجلا على رجل ، فأبدت ما أحسست به كالبارود فى أعصابى ، وجعلت أنظر إليها ، علّها تلقى بصرها علىّ ، فأغمزها بعينى — وقد فـكرت فى ذلك الليلة البارحة كلها ، ورأيته هو الطريق إليها ، بعد ما أعيانى الوصول ، وجربته أمام المرآة حتى حسبتنى أتقنته — والتفتت إلىّ فغمزت بعينى ، فإذا بها تشمخ بأنفها ، وتقوم فتمضى وعلى وجهها مثل أمارات الاشمئزاز … وسمعت ضحكا من ورائى فتلفت مذعوراً ، فإذا أنا بشاب على رأسه كمّة بيضاء يلبس (قفطاناً) يبدو عليه أنه فلاح ، تلوح عليه سيمياء الفقر ، ورأى ذعرى فقال : « إزّيك » . قلت : « كلُّش زين » ففهم أنى غريب ، وأنى عراقى . فقال : « عجبتك ؟ » فاستحييت أن أجيب . فقال الخبيث : « ليه ؟ انت مكسوف ؟ بما تتكسفشى ! تعال أودّيك واحدة أحلى منها » .

إنـكم لا تستطيعون أن تتصوروا ماذا صنعت بى هذه الـكلمة وأنا الذى عاش عمره يشتهى أن يشم ريح امرأة من مسافة فرسخ وتشجعت فقلت له بصوت مخنوق : « شْلُونْ ؟ » . قال : « شلون يعنى إيه ؟ تعال معايا . تعال » وأخذ بيدى وأخرجنى من الحديقة ، وقال : « تحب ناخد تاكسى ولاّ نركب الترام؟ » وكنت نافد الصبر ، مجنون الرغبة ، فقلت : « تاكسى » . ولو كانت طيارةٌ لركبت إلى ما يأخذنى إليه طيارة ، ولم أسأله إلى أين ، حتى نزلنا من السيارة ، فسألت السائق : « كم تريد » ؟

قال : « ثلاثين قرشاً » فارتعت لحظة ولـكنى لم أبال ، ونقدته الأجرة ونظرت فإذا الذى بقى فى جيبى اثنان وعشرون قرشاً ، وسائر فلوسى عند الفندق . نفقة الشهر كله خمسة عشر جنيهاً …

قال الشاب : « إيدك على جنيه بأه » . قلت : « جنيه ؟ » قال : « أمّال ؟ دى بنت تمانطاشر ، زى الأمـر » . فنظرت هنا وهناك أبغى مهرباً ولا أعرف الطريق . فقال : « مالـكشى مزاج ولا إيه ؟ » . قلت : « فى وقت ثانى » . قال الخبيث : « على خاطرك . هات تعبتى بأه ! » فأعطيته خمسة قروش ، ولم يحب أن يفلتنى قبل أن ينتف ريشى فعـاد يحدثنى حديث الرجس ، وقال لى إن عنده بنات أخر ، ولـكنْ لـكل ثمن ، فبنت مصرية سمراء كأن عينيها عينا غزال شارد ، وبنت شامية من صفتها كذا ، وبنت عراقية من بلادِنا من نعتها كذا ، وبنت رومية كأن جسمها العاج المشرب بعصير الورد ، وكأن شعرها أسلاك الذهب ، تسقى من فمها خمراً ، ومن مقلتها سحراً ورآنى أرتجف من الانفعال ، ورأى وجهى شاحباً ، فقال : هى بنت بيت « مش من دول » لا تأخذ فلوساً ، لأن أباها من كبار أصحاب المصارف ، ولـكنْ للبواب جنيهان ليغض النظر ، وله هو جنيه ، واثنان لوصيفتها لتكتّم الأمر ، وتحفظ الباب …

وسحرنى الملعون . فقلت : « لا بد لى من الذهاب إلى الفندق لآتى بالفلوس » قال : « هيا بنا » .

وتسلم الجنيهات الخمسة ، وأدخلنى عمارة فخمة فى شارع الملـكة نازلى ، فأصعدنى إلى الطبقة السابعة ، وأشار إلى باب فقال : إنها هنـا . ولـكنه لا يستطيع أن يدخل معى ، فهو ينتظرنى عنـد البواب ، ونزل بـ « المصعد » الذى صعدنا به ، وأقدمت مضطرباً فقرعت الباب بيد ترتجف ، ففتحه لى خادم أسود مسنّ ، ووقف ينظر ما أقول له ، ووقفت مبهوتاً فقال : « إيه ؟ عاوز مين ؟ » فسكت . قال : « الله ! إنت عاوز مين ؟ » قلت : « جورج » ، وكان هذا هو الإسم الذى خطر على لسانى . قال « جورج ؟ ! دا منزل أحمد بك صالح المحامى » وأغلق الباب فى وجهى ، ولم أجد المصعد فنزلت على الدرج ، من الطبقة السابعة ، فلما بلغت الباب لم أجد الشاب ولا البواب !

(طبق الأصل) **على الطنطاوى**

على ذكر المولد النبوى :

محمد والأمن العام

لصاحب العزة على حلمى بك

مدير جرجا

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

التشريع الجنائى فى الاسلام

القواعد الإيجابية التأديبية للأمن

لا قوام للأمن بغير عقوبة توضع للجريمة التى ارتكبت ردعاً للجانى وزجراً لغيره ، ولا قيمة لهذه العقوبة إلا إذا نفذت فعلا على المجرم الآثم ، فهل وضعت الشريعة المحمدية عقوبات للجرائم التى تزعزع أركان الأمن وتسبب شقاء المجتمع .

نعم . وما الحدود التى شرعها الله وأوصى بها الرسول الكريم إلا عقوبات تحد من الإجرام وتقف بالإنسان عند حده . وإليك بيانها بإيجاز :

أولا — عقوبة الإعدام « القصاص » : لاشك فى أن أول جريمة تقض مضاجع الناس وتروعهم فتشقى بها الإنسانية إنما هى جريمة سفك الدماء وإزهاق الروح . وقد شرع الله لها القصاص فقال (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص) وهى مادة أساسية فى قانون محمد الجنائى .

ثانياً — حد قطاع الطرق : وهم العصابات المسلحة التى تتربص بالمارة ليلا أو نهاراً وتقتل للسلب والنهب .

وحكم الشريعة فيهم ينحصر فيما يلى :

ا — الإعدام : إن ثبت أنهم ارتكبوا القتل .

ب — الصلب مع القتل : إن قتلوا وسلبوا الأموال على خلاف بين الأئمة فى الصلب .

ج — قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف : « اليد اليمنى والرجل اليسرى » هذا إن اقتصروا على سلب المال دون سفك الدماء

د — النفى : إن استعملوا الإرهاب ولم يقتلوا أو يسلبوا ، وقد فسر بعض الأئمة النفى بالحبس . على أنه ثبت أن عقوبة النفى للمجرم فيها إصلاح وأمن ، وأن إبعاد المجرمين الخطرين الذين لا يرجى إصلاحهم وعزلهم عن المجتمع كما حصل أخيراً باتباع هذا النظام فى معتقل الطور أدى إلى تحسن حالة الأمن وخاصة فى الجهات التى نفى منها هؤلاء — وحبذا لو رأى ولاة الأمور استخدامهم فى استصلاح الأراضى الزراعية البور كأرض البرارى فى شمال الدلتا أو العمل بالمحاجر والمناجم أو تشغيلهم فى إنشاء الطرق فى الجهات النائية كمديرية قنا وأسوان فى سبيل العمران والرخاء والأمن .

هذه العقوبات الموضوعة لقطاع الطرق مستقاة من قول الله عز وجل شأنه (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) .

ثالثاً — السرقة : وهى الجريمة الدنيئة التى تتمثل فى سلب الأموال وهى قوام الحياة يلجأ إليها المجرمون من الكسالى والمتواكلين رغبة فى الاستمتاع بالعيش السهل على حساب غيرهم من المجدين العاملين .

ولهذه الجريمة اسوأ الأثر فى اضطراب الأمن وانتشار الفوضى ، لهذا كانت العقوبة التى وضعها الإسلام لمرتكبيها عقوبة صارمة . وهى قطع يد السارق إذا ثبت عليه الجرم بلا شبهة وليس هنا موضع الحديث عن المقدار الذى يجب فيه القطع ولا عن المال المسروق ولا عن الشبهة التى تمنع الحد (فمرجع ذلك كتب الفقه) لكننا قصدنا إلى بيان أن عقوبة السرقة التى وضعها الله تعالى هى العقوبة الطبيعية لمنع هذا الجرم ودفعا للكسالى والمتواكلين إلى العمل والسعى إلى الرزق وحفظا لأموال الناس من عبث المجرمين. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يشتد فى عقاب السارق ولا يعفو عنه حتى ولو عفا المجنى عليه ، روى أن صفوان بن أمية عفا عن سارق ردائه فقال عليه الصلاة والسلام « لا عفا الله عنى إن عفوت » وأمر بقطع يد السارق وهو الذى يقول فى لهجة الغاضب الآسف لجماعة يريدون الاستشفاع لامرأة سرقت ما يوجب الحد عليها « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » فلئن دل هذا الحادث على شىء فإنما يدل على أن إقامة حدود الله وهى روادع البشرية وزواجر الإنسانية لم يكن للعاطفة فيها نصيب ولا للرحمة عندها منفذ . فهذه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وهى أحب

ذريته إليه ومع ذلك يقسم صلوات الله وسلامه عليه أنه لو سرقت هـذه المحبوبة صاحبة المنزلة الكريمة فى نفسه لأوقع عليها الحد وأنزل بها العذاب ، فأى معنى من معانى السمو الخلق أسمى من هذا الخلق الكريم فلا شفاعة ولا استشفاع ولا محبة ولا عاطفة تمنع من إقامة الحدود مهما يكن الداعى إليها والمسوغ لها ، لذلك انعدمت الجرائم أوقلت كثيراً وعم الأمن وشمل العالم فعمه النظام وطمأنينة البال . وما كان يقع من شرور أو يحصل من آثام فإنما هى أمور شاذة معدودة أمكن علاجها وأصبح من المستطاع استئصالها . ولا محل إذن لقول متحامل على الإسلام من مدعى المدينة بأنها أمور وحشية وعقوبات غير إنسانية ، فالإسلام لم يكن مبتدعاً لهذه العقوبات ولكنه أقر ماجاء منها فى الشرائع السماوية ، فكان العالم على ما قدمنا يرزح تحت نيران الفتن وعوامل الفساد ، وكانت الحال على أشدها فلا مال يصان ولا نفس تحفظ ولا عرض يحترم . وجاء الإسلام فرعى الحقوق وحقن الدماء ونشر السلام وأمن النفوس وجمع القلوب على دين واحد ومبدأ واحد وتعاليم شاملة ومبادىء سامية .

وإن كثيراً من حوادث السرقات إنما يقع بسبب إهمال صاحب المال وعدم الحيطة والحذر كأن يترك مثلا متاعه أو دابته أو سيارته فى الطريق ثم يذهب لقضاء عمل يستغرق وقتاً ، فيكون فى ذلك إغراء للسارق وتشجيع له على السرقة . وقد يكل بعض الناس أمور الحراسة لغير الأمناء بلا حذر أو مراقبة فيستعين الجانى بالحارس على ارتكاب الجريمة .

ولم يهمل المشرع العظيم هـذه الناحية . إذ يقول الله تعالى (وخذوا حذركم) ويقول عليه الصلاة والسلام «اعقلها وتوكل»

رابعاً — عقوبات أخرى : شرع الله سبحانه وتعالى على لسان محمد وشريعته الغراء عقوبات أخرى خلقية لها أثرها فى الأمن أى أثر

الجرائم الخلقية :

لا تقتصر الجريمة على الماديات فحسب . بل تتعداها إلى غيرها ، فهناك الجرائم الخلقية كهتك العرض والفسق التى كثيراً ما تنشأ عن عدم عناية بعض أولياء الأمور بتربية أولادهم وعدم مراقبتهم والمحافظة عليهم .

الزنا :

هو شر أدواء المجتمع : يقوض دعائم الشعوب ويهدم أركان الممالك وحسبك أن انتشاره يقطع التناسل ويؤدى إلى انقراض النوع الإنسانى ويهدم صرح الأسرة وهى اللبنة التى يكون منها الأمة . أضف إلى ذلك ما ينشأ عن هذا الجرم الشنيع من انتشار أمراض المدنية (الأمراض الخبيثة) وما يترتب عليها من شقاء الزانى وألمه المرير طوال حياته فيعيش مشوها فى خلقه متألما فى جسمه ونفسه منبوذاً من المجتمع الذى يحيط به . ثم إن الزانى جرثومة قذرة إن لم يبادر بإبادتها نمت وفشت فتصيب بمرضها الوبيل كل من يقترب منها أو يتصل بها .

ولنا أن نستنتج ما يأتى :

١ — إن الزنا جريمة يمتد أثرها إلى المجتمع نفسه فيصيبه بالانهيار والانحلال .

١ — إنه يفقد الشرف والكرامة وهما أسمى آيات الإنسانية الكاملة .

٣ — إنه سبيل المرض . ولا خير فى أمة مريضة الشباب ضعيفة الرجال .

٤ — إنه وسيلة الفقر وذهاب المال والمال قوام الحياة .

٥ — إنه أساس لكثير من الجرائم الأخرى التى تؤثر شر تأثير فى الأمن العام كالسرقة والتزوير والغصب فضلا عما يؤدى إليه الانتقام للعرض كالقتل كما هو حاصل فى أنحاء البلاد وخاصة فى الوجه القبلى . والتاريخ يحدثنا أن الأمم التى ترتكب الشهوات وتنغمس فى اللذائذ والمنكرات تكون عاقبتها الانحلال والضعف وفقدان الشخصية مهما تكن على قسط من الغنى والقوة أو الحضارة والمدنية (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) .

وليس هناك من علاج حاسم إلا ما قررته الشريعة الإسلامية من عقاب الزانى والزانية فى حزم وبساطة (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) فلو نفذ حد الزنا من جلد أو رجم لكفانا ذلك العمل على بساطته مؤونة البحث والتنقيب والخطابة والتأليف والكتابة والنشر وتأليف اللجان وما إلى ذلك مما لا يجدى نفعاً فى كبح جماح هـذه الغريزة الجنسية ولاسترحنا من الويلات والمشاكل والقضايا المترتبة على هذه الجريمة التى تشغل بالنا وتؤثر فى أمتنا

وهذا لا يمنع من إيجاد علاج شاف للنساء الساقطات اللاتى كن يحترفن البغاء العلنى بما يمنع تسربهن إلى البغاء السرى وذلك بإنشاء مؤسسات تكفل لهن العيش الشريف وضمان المستقبل يعملن فيها بأشغال يدوية كالحياكة وغيرها ويمنحن مكافآت مالية بقدر ما يعملن وتيسير زواجهن إلى أن ينقرض هذا الوباء بعلاج حاسم حازم سريع .

ولنتكلم عن عقوبة الزنا بشىء من الإيضاح لنبين الغرض منها :

قيدت الشريعة السمحة ثبوت هذه الجريمة واستحقاق العقوبة عليها بقيود شديدة تجعلها نادرة التنفيذ ووجهة النظر فى التشريع الإسلامى هنا تنحصر فى أمرين : الأول منع الجريمة الثانى ستر العرض .

فالإسلام يبغى من وراء هذه العقوبة الصارمة الإرهاب . والخوف كان ولا يزال غريزة من غرائز النفس البشرية كثيراً ما يفيدنا فى التشريع والإصلاح الاجتماعى لأن الدين الحنيف يريد استئصال الجريمة من أساسها لما فى ذلك من استقرار النظام الاجتماعى وإسعاده ويريد بدوره ستر الأعراض وعدم الفضيحة والعار لقبح هذه الجريمة وشناعتها . لذلك كان ثبوتها من الصعوبة بمكان .

وإليك البيان :

أولا — اشترطت فى رجم الزانى :

١ — أن يكون بالغاً فلا يرجم الصبى طبعاً .

٢ — أن يكون عاقلا فليس المجنون محصناً فلا يرجم .

٣ — أن يكون مسلماً .

٤ — أن يكون الزانى متزوجاً وأن يدخل بمن تزوج منها .

٥ — أن يكون فاعلا باختياره فلا يرجم من أكره على الفعل

ثانياً — أسقطت الشريعة الحد إن وجدت أية شبهة لقوله عليه الصلاة والسلام « ادرءوا الحدود بالشبهات » .

ثالثاً — اشترطت لثبوت الزنا واستحقاق الحد سواء أكان رجماً للمحصن أم جلداً لغيره أن يتقدم للشهادة عليه أربعة شهود عدول فى مجلس واحد شهدوا وقوع الجريمة ورأوا الفعل رأى العين على حد قول الفقهاء (كالمرود فى المكحلة) فلو اختلفوا فى الرؤية وتأخر أحدهم عن المجلس الواحد (الجلسة عينها) لم تثبت التهمة ولا حد . بل يحد الشهود الأول حد القذف لأنهم رموا إنسانا بالزنا والجريمة لم تثبت عليه .

رابعاً — رأى بعض الأئمة أن ترك الشهادة فى جريمة الزنا أولى إلا إذا كان الزانى متهتكا فاجراً .

خامساً — حتمت الشريعة على القاضى فى حالة إقرار الزانى على نفسه أن يرده أربع مرات وأن يتغافل عنه وأن يقول له (لعلك قبلت أو لمست) فى كل مرة يعود فيها للستر من جهة ولصرامة العقوبة من جهة أخرى .

سادساً — إذا رجع المقر عن إقراره بعد ذلك ولو بعد صدور الحكم سقط الحد . من هذا كله نرى أن الشريعة قصدت إلى أمرين هما (منع الجريمة وستر الأعراض) إذ أن إنزال العقاب يكاد يكون مستحيلا مع كل هذه القيود التى سبق سردها ، على أن العقوبة نفسها مناسبة لأن هتك الأعراض وفساد المجتمع ليس بالشىء الهين الذى يحتمل الهوادة واللين .

الخمر :

إذا تحدثنا عن الخمر فإنما نتحدث عن أم الخبائث وأساس المنكرات ومبعث الجريمة . وسنبين فيما يلى الحقائق التالية ليتبين منها أثر الخمر فى الأمن العام :

أولا — أن الغول (الكحول) الموجود بالخمر يؤثر على المجموع العصبى ويحدث التخدير والنشوة فلا يشعر الثمل بما يأتى من الأعمال ولا يقدر النتيجة المترتبة على فعله ، لهذا نجد كثيراً من المجرمين كالقتلة واللصوص يتعاطون المسكرات قبل شروعهم فى إجرامهم ليزدادوا جرأة وإقداماً .

ثانياً — ثبت فى بعض البلاد الأجنبية التى تنتج الخمر وتعتمد عليها كحاصلات أن نسبة الإجرام تزيد فى موسم محصول الخمر زيادة تلفت النظر .

ومن الحوادث التى روتها الكتب أن شبانا كانوا يحتسون الخمر فمرت بهم عجوز فدعوها وناولوها كأساً فلما شربتها شعرت بخفة وسرور ، ثم لما شربت الثانية أخذت تضحك وتداعب الشبان وقالت لهم : أيشرب نساؤكم هذا الشراب ؟ قالوا : نعم قالت : لقد زنين ورب الكعبة .

والواقع الملموس أن كثيراً من حوادث الشغب وما يؤدى إليه من ارتكاب الجريمة يحدث فى مواطن شرب الخمر من الحانات والشوارع التى يكثر فيها تناول الخمور . وهناك أقسام البوليس لا يهدأ لها بال ولا تكاد تخلو كل مساء من عدة حوادث

الأدب في سير أعلامه :

٣ - تولســـتوى . . . !

[قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

طفولة ونسب



ويتصف الطفل منـذ نشأته بصفة لعلها وليدة شعوره القوى بذاته ، وتلك هى سرعة بكائه ، وما يبكى من غيظ فحسب ، فان عينيه لتدمعان إذا لقى حنواً أو مـودة ممن هم أكبر منه ، وإن عجباً أن يبكى فى موضع السرور ليعبر بدمعه عن امتنانه ، فهل كان لذلك سبب آخر هو إحساسه بيتمه منذ أن فطن إلى موت أمه ؟ ولـكنه بكاء شكاه من قبل أن يفطن إلى ذلك ، وهو لايملك أن يحبس دمعه إذا رأى غيره يبكى وإن لم يدر ما بكاؤه ولقد يُغضب غيره حتى يبكيه ثم لا يستطيع إلا أن يبكى معه ؛ كتب فيما بعد عما كان بينه وبين تلك البنت التى كان يربيها أبوه فى أسرته فقال : « أتذكر أنى أخذت وقد تعلمت الفرنسية أعلمها حروفها الهجائية ، وسـار ذلك سيراً طيباً أول الأمر ، وكنا يومئذ كلانا فى نحو الخامسة من عمره ؛ ولـكن التعب أدركها فأمسكت عن نطق الحروف كما طلبت إليها ، فألحت عليها فبكت ثم إذا بى أبكى مثلها ، ولما دخل علينا من هم أكبر منا لم نجد ما نقوله بسبب ما كنا نذرف من الدمع » .

وكان ليو أكثر من غيره من الأطفال حباً للثناء عليه وابتهاجاً بما يسمع من عباراته ، وذلك أنه يفطن إلى أن الثناء عليه ينصرف بالضرورة إلى ما يبـدى من دلائل الذكاء والنشاط والطموح ، إذ ليس يطمع فى ثناء عليه بسبب منظره أو ملاحة وجهه أو رشاقته كما عسى أن يطمع سيرجى أو نيقولا ؛ فما أبعده عن ذلك كله ، وهو شىء ليس فى طوقه ، وإن كان يتمنى بينه وبين نفسه لو وقعت معجزة فغيرت شكله إلى ما يحب من وجاهة

إجرامية منشؤها السكر والعربدة . وهى الأقسام القريبة من بؤر الدعارة ومحال الخمور .

ومن أجل ذلك حاولت بعض الدول الـكبرى تحريم الخمر فى داخل أراضيها كأمريكا ، وحرمت بعضها تناولها فى أوقات معينة وهى ترمى إلى تقليل ضررها الجسمى والاجتماعى ما أمكن ذلك .

وبعد : فقد علم الله العليم الحكيم ما فى الخمر من ضرر جسيم وبلاء عظيم فحرمها الإسلام الحنيف وأوجب عقاب شاربها .

ويلاحظ أن العقوبة التى وضعت لهذا الجرم فيها إيذاء مادى للبـدن . كما أن فيها إيلاماً وامتهاناً للنفس يتناسب مع امتهان الشارب لنفسه وحقارتها بالسكر وعربدته حتى تكون زاجرة رادعة له ولغيره من العابثين المستهترين وهنا يستقر النظام ويستتب الأمن ثمانون جلدة : عقاب فيه بساطة التشريع وبساطة التنفيذ جريا على عادة البساطة فى الشريعة الإسلامية السمحة والإسلام دين الفطرة ، ولـكن الإسلام مبالغة فى الـكرامة الإنسانية وإرادة للستر وتخفيفا على العباد اشترط أن يؤخذ الشارب ورائحة الخمر فى فمه .

فأوجب لثبوت الجريمة أن تكون مادتها موجودة وهى رائحة الخمر إلا إذا ذهبت الرائحة لبعد المسافة وطول الوقت ، واشترط لذلك أن يشهد على الشارب اثنان تتوفر فيهما العـدالة وعدم التجريح وتنتفى التهمة وتنتفى معهـا العقوبة بأية شبهة يظنها القضاء كأن يثبت أن المتهم شربها للعلاج مثلا .

ولو رجع فى إقراره بعد أن أقر بالشرب لا يحد ، وكذلك لو شهد الشاهدان ولا رائحة للخمر فى فمه .

فلله ما أسمى هذا التشريع وما أعدله وما أبعد أثره فى تقويم النفوس وتهذيب الأخلاق وسعادة المجتمع .

إن هذا التشريع هو ما يتطلبه المجتمع اليوم للقضاء على ما فيه من شرور وجرائم ليستريح الناس ويتطهر العالم مما علق به من رجس وآثام ويسير مطمئنا إلى حياة الاستقرار والسعادة والنور والسلام . (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور)

على حلمى

مدير جرجا

وحسن ؛ ولن تقع هذه المعجزة أبداً فليس له إلا أن يرقى بنفسه ويبدى مقدرته ، ولهذا كان إذا دعى إلى عمل جمع عزمه وحرص الحرص كله على أن يكون فى أحسن حالاته ، ومن ذلك مايكون منه بين يدى أبيه حين يدعوه إلى تلاوة قصيدة من شعر بوشكين أو غيره من الشعراء ، أو تلاوة أقصوصــة من كتاب أو من ذاكرته أو حين يناقشه فى دروسه ليعلم مبلغ فهمه .

وكان شغفه بالموسيقى عظيما يتفتح لها قلبه وتنفعل لها نفسه ويبتهج خاطره إذا سمع لحناً وانشغل غيره عنه فهو مقبل عليه بقلبه ولبه كأنه مسحور به لا يكاد يعى دونه شيئاً .

ويحب ليو الناس جميعاً لا يضمر سوءا لأحد ، ولا يتجهم لأحد ، ويكره أن يرى شخصاً يتألم أو تمشى فى وجهه كدرة الهم كما يكره أن يعبس أحدهم فى وجه صاحبه أويتكره له أو يتجهمه بالقول ، فالصفاء والمحبة والمودة من خصائص طبعه ومقومات خلقه

غلام نابه

تمكنت من نفس الصبى روح المحبة للناس جميعاً ، ولسوف تتوثق على الأيام وتزداد فيكون لها أثرها البعيد فى تكوين آراء الكاتب العظيم فى غد ، وفى توجيه روحه وتحديد مسلكه فى مواطن كثيرة من مواقف حياته .

وكان يحب الطفل فيمن أحب فى طفولته كبيرة الخدم العجوز التى لبثت من عمرها فى القصر سنين طويلة لايدرك مدى طولها ، والتى تقص عليه أجمل القصص عن أجداده وأحداث أسرته وتلاعبه وتضاحكه كلما ذهب إليها أو كلما لقيته فى إحدى ردهات القصر أوحجراته ، وتخبىء له الحلوى فى ثيابها لتلاقيه بها أوتفتح له خزانتها ليأخذ منها ما يحب ؛ وكان كذلك يحب كبير خدم المائدة لأنه يهش له دائماً ويظهر المودة والعطف ؛ والحق أنه كان يحب الخدم جميعاً وإنما يختص بمحبته من هم أكثر تودداً إليه .

دخل يوماً على العمة تاتيانا يشكو إليهـا أنه رأى منظراً كدره وآلمه ، وذلك أنه شاهد أحد الفلاحين يساق إلى حظيرة حيث أوثقه رئيسه وضربه ، ولما سألته عمته لم لم يحل بينه وبين الضرب أطرق فى خجل ولم يحر جواباً ، وكأنمـا يزداد ألماً ألا يستطيع أن يتدارك ما فاته .

وبينما كان أفراد الأسرة كبارهم وصغارهم فى الثوى الكبير ذات ليلة من ليالى الشتاء أشار الكونت نيقولا رب الأسرة بسبابته إلى الحجرة المقابلة وكانت مفتوحة ، فوقعت أعين الجالسين على منظر أثار ضحكهم ودهشتهم فقد عكست المرآة فيها صورة أحد الخدم يمشى على أطراف أصابعه ، وما زال حتى بلغ صندوق الطباق فسرق منه قدراً وانصرف ، وكان الكونت ينظر إليه ضاحكا لم تزل عنه بشاشته ، بل لقد صحب تلك البشاشة شىء من التسامح والرفق ، ولما رأى ليو تسامح أبيه امتلأ سروراً منه وازداد إعجاباً به ، وعند انصرافه لثم يده فى حماسة ظاهرة ليريه مقدار ما فى نفسه من رضاء على ما أظهر من رحمة ورفق .

وامتد عطف الصبى حتى وسع الحيوان فقد أحزنه ذات يوم مرأى كلب مربيه والخدم يشنقونه ، وكان ذلك الكلب العزيز الرمادى اللون ذو العينين الجميلتين والشعر الناعم الجعد على حد وصفه قد أصيب بكسر ساقه إذ مرت فوقه عربة ، فأعدم إذ لم تمد بهم حاجة إليه فى الصيد ؛ وعجب الصبى لما رأى بقدر ما تألم منه. وإنه ليروى هذا الحادث بعد فيما يروى من حوادث الصغر مما يدل على شديد تأثره به ، قال : « كان الكلب يعانى الألم وكان مريضاً وقد شنق بسبب ذلك . لقد أحسست أن هناك خطأ فيما يقع ، ولكنى لم أجرؤ على الثقة فى شعورى حيال ما أرى من تصميم ثابت من جانب قوم أحترمهم » .

ووقف الصبى ذات يوم يمسح بكفه الصغيرة حصانه ، وقد وثب عن ظهره إلى الأرض إذ نبهه أحد الفلاحين وقد رآه يضربه ألا جدوى من ضربه لأنه متعب ، ونظر الصبى إلى الحصان وهو يلهث ويخرج أنفاسه فى زفرات مؤلمة متقطعة ، وجنباه يرتعشان والعرق يتبخر منهما ، فبلغ من حزنه أنه « أخذ يقبل عنقه الذى بلله العرق ويسأله الصفح عما أوقع به من أذى » ...

وممن وسعهم عطف الصبى وشملهم بره أولئك الفقراء الذين كان يعدهم الناس من الصالحين الأولياء ، وكانوا كثيرين فى تلك المنطقة لقربها من كييف حيث يتقاطر الحجيج ليزوروا مواضعها المقدسة ، وكان مرأى هؤلاء فى أسمالهم البالية وبلاهتهم وتمتماتهم وعدم اكتراثهم لأى شىء أمراً يثير الدهشة فى نفس الصبى كما يبعث فيها كثيراً من الرهبة ، ويوحى إلى خياله أطيافاً مبهمة وصوراً غامضة ؛ وكان ينبئه إخوته أن فى هؤلاء الصالحين سراً لا يمكن كشفه يجعلهم على الرغم من حقارة مظهرهم وقذارة

أسمائهم أقرب الناس إلى مرتبة القديسين ، وقد وصف تولستوى هذه الطائفة فى شخص « جريشا » الذى تحدث عنه فى كتابه « عهد الطفولة » وقد كتبه وهو فى الخامسة والعشرين من عمره قال : « كان جريشا شخصية مخترعة ، وكان يغشى منزلنا كثير من هؤلاء البله الطيبين ، وقد عُلِّمت أن أنظر إليهم نظرة الاحترام الشديد وهو صنيع أحفظه لمن قاموا على تربيتى ، ولئن كان بين هؤلاء من يعوزه الإخلاص أو من قضى فيما سلف أياما فى حالة من الضعف والادعاء فان غايتهم فى الحياة كانت على ما يبدو من سخفها فى الواقع بالغة السمو ؛ حتى إنه ليسرنى أنى تعلمت فى طفولتى على غير وعى منى ما وصلوا إليه بأعمالهم من علو ، لقد صنعوا ما تحدث عنه ماركس أورليوس حين قال : « ليس هناك أسمى من أن يتحمل المرء الازدراء من أجل أن يحيا حياة صالحة طيبة » إن الطموح الإنسانى إلى المجد والعظمة أمر لا يمكن تجنبه وهو كذلك بالغ الضرر إذ أنه يفسد كل عمل حميد ، فلا يسع المرء إلا العطف على أولئك الذين لا يقتصرون على بذل جهدهم لتجنب أن يحمدوا فحسب بل ويتعرضون فوق ذلك للاحتقار ...

ومما كان يبهج نفس الصبى ويحبب إليه الحياة ما كانت تحتشد له الأسرة من مظاهر الفرح فى أعيادها وعلى الأخص عيد الميلاد ، فكانت تشيع البهجة فى البيت كله فترى دلائلها فى كل وجه وتحس روحها فى كل ناحية ، فرب الأسرة وسيداتها وأبناؤها وجميع من فى القصر من خدم يتبادلون المحبة والمودة ويبدون سعداء فى ثيابهم الجديدة ويستمتعون بما طاب من الطعام والشراب ، حتى الفلاحين ينالهم حظ من هذا الفرح فتطيب نفوسهم وهذا ما ينشرح له صدر الصبى .

وكان خروجه إلى الغابة للصيد مع أبيه وإخوته فى العربات الجميلة أو على ظهور الخيل المسومة الفخمة يحيط بهم رهط من الأتباع وعدد من كلاب الصيد مما يملأ قلب الصبى سروراً وبهجة ، وكثيراً ما كان يبهجه كذلك الخروج إلى الغابة لغير الصيد فى صحبة العمة تاتيانا أو فى صحبة جدته أو غيرهما من المربين فيرتع ويلعب ويقتطف ما شاء من الزهر ، ويستمع إلى القصص حتى يعود إلى البيت وهو يطفر كما يطفر العصفور من فرط المرح .

وفى ليالى الشتاء كان تحلق الأسرة حول الموقد والاستماع إلى الموسيقى أو القصص الممتعة ، وتبادل العطف بين الكبار والصغار وبين بعضهم مع بعض مما يحبه الصبى ويأنس به ويحرص كل الحرص على شهوده ...

وليس ثمة إلا حجرة الدراسة تخلو من البهجة ويلقى فيها من دروسه عنتاً ورهقاً ، على أن عطف معلمه عليه يخفف عنه ، ورغبته فى أن يرقى بنفسه ويكتسب من دواعى الفخر ما يباهى به إخوته يجعله يتكىء على نفسه ويصبر على مكاره الدرس .

وفيما عدا هذا كانت طفولته بهيجة محببة إلى نفسه ولن تجد وصفاً لهاتيك الأيام السعيدة الحلوة أبلغ مما كتبه عنها بعد ذلك فى أول كتاب له وهو كتابه « عهد الطفولة » قال « ما أسعد هاتيك الأيام الحلوة أيام الطفولة التى لا تنمحى ذكراها ، وكيف ينسى امرؤ أن يحب ذكرياتها وأن ينعم بها ؛ إن هذه الذكريات لتنعش روحى وتسمو بها ، وهى المنبع لأعظم فيض من السرور يغمرنى ، وأى وقت هو خير من ذلك الوقت الذى لا يكون للحياة فيه من دوافع غير دافعين هما فى الفضائل أجمل فضيلتين : اللهو البرىء ورغبة النفس فى الحب رغبة لا تحد » .

(يتبع) **الخفيف**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٦١ — تهنئة بإسلام

عيون الأخبار : كتب رجل من الكتاب إلى (صديق له) قد أسلم يهنئه :

الحمد لله الذى أرشد أمرك ، وخص بالتوفيق عزمك ، وأوضح فضيلة عقلك ، ورجاحة رأيك ، فما كانت الآداب التى حويتها ، والمعرفة التى أوتيتها لتدوم بك على غواية وديانة شائنة لا تليق بلبك ، ولا يبرح ذوو الحجى من موجبى حقك ينكرون إبطاءك عن حظك ، وتركك البدار إلى الدين القيم الذى لا يقبل الله غيره ، ولا يثيب إلا به ، فقال : [ومن يبتغ غير الإسلام ديناً[1] فلن يقبل منه] وقال : [إن الدين عند الله الإسلام] ، والحمد لله الذى جعلك فى سابق علمه ممن هداه لدينه ، وجعله من أهل ولايته ، وشرفه بولاء خليفته ، وهناك الله نعمته ، وأعانك على شكره ، فقد أصبحت لنا أخاً ندين بمودته وموالاته ، بعد التأثم[2] من خلطتك ، ومخالفة الحق بمشايعتك ، فإن الله (عز وجل) يقول : [لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم[3]]

(١) العكبرى : (دينا) تمييز ، ويجوز أن يكون مفعول يبتغ و (غير) صفة قدمت عليه فصارت حالا .

(٢) الأساس : تقول : فلان من الحياء يتلم ، ومن اللمم يتأثم أى يتحرج .

(٣) الكشاف : (لا تجد قوماً) من باب التخييل ، خيل أن من الممتنع المحال أن تجد قوماً مؤمنين يوالون المشركين ، والغرض به أنه لا ينبغى أن يكون ذلك ، وحقه أن يمتنع ، ولا يوجد بحال مبالغة فى النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب فى مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالتهم ومعاشرتهم ، وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله : (ولو كانوا آباءهم)... وفيه فى تفسير (انه ليس من أهلك . انه عمل غير صالح) : تعليل لانتفاء كونه من أهله ، وفيه إيذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك فى دينك ومعتقدك من الأباعد فى المنصب — وإن كان حبشيا وكنت قرشيا — لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك — وإن كان أمس أقاربك رحما — فهو أبعد بعيد منك ...

٨٦٢ — بالعدل قامت السموات والأرض

مفاتيح الغيب للرازى : العدل واجب الرعاية فى جميع الأحوال ، ومن الكلمات المشهورة : (بالعدل قامت السموات والأرض) ومعناه أن مقادير العناصر لو لم تكن متعادلة متكافئة بل كان بعضها أزيد بحسب الكمية وبحسب الكيفية من الآخر لاستولى الغالب على المغلوب ، ووهى المغلوب ، وتنقلب الطبائع كلها إلى طبيعة الجرم الغالب . ولو كان بعد الشمس من الأرض أقل مما هو الآن لعظمت السخونة فى هذا العالم واحترق كل ما هذا العالم ، ولو كان بعدها أزيد مما هو الآن لاستولى البرد والجمود على هذا العالم ، وكذا القول فى مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وبطئها ، فان الواحد منها لو كان أزيد مما هو الآن أو كان أنقص مما هو الآن لاختلت مصالح هذا العالم . فظهر بهذا السبب الذى ذكرناه صدق قولهم : بالعدل قامت السموات والأرض[1] .

٨٦٣ — عللانى وعللا صاحبيا

عمرو بن الإطنابة :

علاني وعللا صاحبيا واسقياني من المروق ريّا
إن فينا القيان يعزفن بالدف (م) لفتياننا وعيشاً رخيا
يتبارين فى النعيم ويصببن (م) خلال القرون مسكا ذكيا
إنما همهن أن يتحلين (م) سموطاً وسنبلا فارسيا
من سموط المرجان فصل بالشذر (م) فأحسن بحليهن حليا !

٨٦٤ — الغيبة

شرح النهج لابن أبى الحديد : إن الغيبة ليست مقصورة على اللسان فقط بل كل ما عرفت به صاحبك نقص أخيك فهو غيبة ، فقد يكون ذلك باللسان ، وقد يكون بالإشارة والإيماء وبالمحاكاة نحو أن يمشى خلف الأعرج متعارجاً ، وبالكتاب فان القلم أحد اللسانين . وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء[2] المرائين ،

(١) فى شرح (النهج) لابن أبى الحديد : العدل سائس عام فى جميع الأمور الدينية والدنيوية ، وبه نظام العالم وقوام الوجود .

(٢) الأساس : فلان قارئ وقراء — بفتح القاف — ناسك عابد ، وهو من القراء ، وقال جرير :

يا أيها القارئ المرخى عمامته هذا زمانك إنى قد مضى زمنى

وقد تقرأ فلان : تنسك .

وذلك نحو أن يذكر عندهم إنسان فيقول قائلهم : الحمد لله الذى لم يبلنا بدخول أبواب السلطان والتبذل فى طلب الحطام ، وقصده أن يفهم الغير(١) عيب ذلك الشخص فتخرج الغيبة فى مخرج الحمد والشكر لله تعالى . فيحصل من ذلك غيبة المسلم ، ويحصل منه الرياء وإظهار التعفف عن الغيبة وهو واقع فيها ، وكذلك يقول : لقد ساءنى ما يذكر به فلان نسأل الله أن يعصمه . ويكون كاذباً فى دعوى أنه ساءه وفى إظهار الدعاء له ، بل لو قصد الدعاء له لأخفاه فى خلوة عقب صلواته ، ولو كان قد ساءه لساءه أيضاً إظهار ما يكرهه ذلك الإنسان . واعلم أن الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب كالغيبة بل أشد لأنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب فى الغيبة فيندفع فيها ، وإذا كان السامع الساكت شريك المغتاب فما ظنك بالمجتهد فى حصول الغيبة(٢) .

٨٦٥ — قليل الراح صديق الروح

خاص الخاص للثعالبى : حنين بن إسحاق المترجم اتفق له هذه اللفظة الوجيزة الشريفة البديعة التى لم أسمع للبلغاء مثلها فى الجمع بين التجنيس والطباق والترصيع مع حسن المعنى وجودته وصحته وهى قليل الراح صديق الروح ، وكثيره عدو الجسم .

٨٦٦ — أسد همذان

معجم البلدان : من عجائب همذان صورة أسد من حجر على باب المدينة منحوت من صخرة واحدة غير منفصلة عن قوائمه كأنه ليث غابة . وكان المكتفى يهم بحمله من باب همذان إلى بغداد ، وذلك أنه نظر إليه فاستحسنه ، وكتب إلى عامل البلد يأمره بذلك . فاجتمع وجوه أهل الناحية ، وقالوا : هذا طلسم لبلدنا من آفات كثيرة ، ولا يجوز نقله فتهلك البلد ، فكتب العامل بذلك ، وصعب حمله فى تلك العقاب والجبال ، وكان قد أمر بحمل الفيلة لنقله على العجلة ، فلما بلغه ذلك فترت همته فى نقله فبقى فى مكانه إلى الآن .

قال محمد بن أحمد السلمى المعروف بابن الحاجب يذكر الأسد على باب همذان :

ألا أيها الليث الطويل مقامه ... على نوب الأيام والحدثان
أقمت فما تنوى البراح بحيلة ... كأنك بواب على همذان
أطالب ذحل أنت من عند أهلها ؟ ... أبن لى بحق واقطع ببيان
أراك على الأيام تزداد جدة ... كأنك منها آخذ بأمان
أقبلك كان الدهر أم كنت قبله ... فنعلم أم ربيتما بلبان
وهل أنتما ضدان ، كل تفردت ... به نسبة أم أنتما أخوان
بقيت فما تفنى وأفنيت عالماً ... سطا بهم موت بكل مكان
فلو كنت ذا نطق جلست محدثاً ... وحدثتنا عن أهل كل زمان
ولو كنت ذا روح تطالب مأكلا ... لأفنيت أكلا سائر الحيوان
أجنبت شر الموت أم أنت منظر ... وإبليس حتى يبعث الثقلان
فلا هرماً تخشى ولا الموت تتقى ... بعضب سيف أو شباة سنان !

٨٦٧ — تتنفس النفوس بقدر همها

اللمحة البدرية فى الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب : تذوكر يوماً بحضرته — يعنى محمد بن إسماعيل من ملوك بنى نصر فى الأندلس — معنى قول المتنبى :

أيا خدد الله ورد الخدود ... وقد قدود الحسان القدود

وقول امرئ القيس :

وإن تك قد ساءتك منى خليقة ... فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

وقول إبراهيم بن سهل :

إنى له من دمى المسفوك معتذر ... أقول حملته من سفكه تعبا

فقال (رحمه الله) بديهاً — على حداثته — : بينهم ما بين نفس ملك عربى وشاعر عربى ، ونفس يهودى تحت الذمة ، وإنما تتنفس النفوس بقدر همها .

(١) دخول (ال) على (غير) فى كلام المولدين كثير .

(٢) لخصت هذه القطعة من فصل فى الغيبة فى شرح (النهج) وفيها جمل كثيرة من (الأحياء) لم يعزها الشارح إليه .

ملحمة:

بطل الريف

الأمير ابن عبد الكريم الخطابى

للأستاذ محمود رمزى نظيم

[كنت يوم انهيار جهاد الأمير الجليل محمد عبد الكريم الخطابي أمير الريف ووقوعه فى الخدعة الفرنسية قد نظمت هذه المزدوجة وقد رأيت نشرها اليوم على صفحات الرسالة الخالدة فى الظرف الحاضر بمناسبة ما يجرى لفك إساره].

العين تبكى والدموع تجرى   ولم يعد ذاك النسيم يسرى
«عبدالكريم» جاثم فى الأسر   وكان محفوفاً بجند النصر

تسليمه قد حار فيه الساسه   من بعد طول الجهد والحماسه
وبعد ذاك الحزم والكياسه   وقد أضل أمره السياسه
ولم تفز منه بكشف السر

رباه ما أتعس حظ الشرق   من حالق به الخطوب تلقى
ويل لنا من مزعجات البرق   صواعق تهوى بنا كالبرق
تجيئنا منذرة بالشر

الشرق نامت عينه طويلا   ولم يزل مضطجماً عليلا[1]
والجهل أرخى حوله سدولا   فلم يجد لبعثه سبيلا
وصار لا يملك كشف الضر

كم أمة من أهله مستعبده   راسفة فى جهلها مقيده
وليس منها من تعيش سيده   بشعبها وعلمها مؤيده
وحره يعيش غير حر

وما أذل الشرق غير أهله   وما به من خلفه وجهله
فما الذى أصابه فى عقله   ألم يكن فى فرعه كأصله
حتى استنام لحياة الأسر

والجهل قاده إلى التعصب   وكثرة الشجار والتحزب
تنافر ووحدة فى المطلب   هذا ضلال كله فى مذهبى
وبحره ليس له من بر

(١) كان أيام ذاك وأعنيه الآن.

فانظر إلى تطاحن الهنود   تعصب يعزى إلى الجمود
ولم يكن لعلة الوجود   ولا القديم احتك بالجديد
لكنه من نكبات الدهر

العصر عصر النور والحياة   وليس عصر هذه الآفات
ألم يحن لهذه الرفات   قيامها من غفوة الأموات
ألم تكن من أهل هذا العصر

دسائس الغرب لنا تكيد   وهكذا الأسياد والعبيد
فهم يريدون ولا نريد   ونارهم نحن لها الوقود
ونحن فى حسابهم كالذر

لهم عقول للحياة تعمل   تعمقوا فى فهمها وأوغلوا
وجددوا وغيروا وبدلوا   وجربوا وهذبوا وحولوا
فجعلوا الزئبق ذوب التبر

واخترعوا فحيروا ألبابنا   وملكوا بسعيهم زمامنا
كيف نقول ما لهم وما لنا   إذا استغل علمهم خمولنا
وجرعوا الشرق كؤوس المر

غواصة تسبح تحت الماء   طائرة تطير فى الفضاء
وصوت «لاسلكى» فى الهواء   فيا لهم من عالم أحياء
ويا لنا من عالم فى القبر

مستضعفون كلنا أذله   ونحن داؤنا ونحن العله
كل زعيم قام يشفى الغله   نتركه فى وحشة مملة
فى عزلة كثائه فى القفر

وكم يثير الحسد البغيض   وكم إناء حاسد يفيض
وهكذا لا يبرأ المريض   وكل ماء أمل يغيض
وينتهى جهاد كل بر

كم وقفة بين أسود الريف   للبطل المستسلم الشريف
فيا له فى جهده المنيف   من أسد مكشر مخيف
فى معقل يشبه وكر النسر

ممتنع كالأسد المصور   مرابط للضرب فى النحور
فما لهذا القائد المنصور   قد غلبته قوة المقدور
فسلم الأمر لرب الأمر

صيت جهاده علا وطارا وطبق البلاد والأقطارا
وأدهش العقول والأفكارا ثم هوى من شاهق وانهارا
وأوقعوه فى شباك الغدر

بالأمس قاد جنده الشجعانا بيأسه وقهر الإسبانا
وساقهم أمامه قطعانا وأحسن البلاء والطعانا
فانقلبت فلولهم بالكسر

وعاد بالنصر وبالسلاب وجنده دامية الحراب
وسد باب الحرب والخراب بعد طويل الطعن والضراب
منذ رمى أعداءه فى البحر

واستبشر الشرق بهذا الربح وهال القوم لهذا الرمح
ولم يكد يبش وجه الصبح حتى أثار الغرب نار الفتح
كى يسترد ثمرات النصر

هب الفرنسيس مع الإسبان لخوض نار الحرب والطعان
وليس ليث الريف بالجبان فقابل النيران بالنيران
حتى جرت دماؤهم كالنهر

ودكت الجبال بالقنابل والطائرات هطلت بوابل
وسال بركان على القبائل يذهب بالأرواح والمنازل
والريف ملتف بثوب الصبر

ليست به موارد غنيه وإنما نفوسه أبيه
وحب حريته سجيه ولم يزل ملتهباً حميه
فى شدة جديرة بالفخر

والحرب ما زالت رحاها دائره والريف لم تدر عليه الدائره
ولم تزل فيه العقول حائره ويفتدى بكل نفس ثائره
حرية غاليــــة فى المهر

وجددت أبناؤه العزائما أن لا يكونوا للعدا غنائما
وأن يموتوا أو يعيشوا دائما ولا يكون الغرب فيهم حاكما
وما جرى به القضاء يجرى

« منيل الروضة »

أبو الوفاء
محمود رمزى نظيم

صحائف مطوية :

التحكيم بين العمال وأصحاب الأعمال

فتوى دينية اجتماعية

للمغفور له الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

تعتبر العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال من أهم المشاكل الاجتماعية التى تشغل تفكير الحكومات والهيئات ، وعلى الرغم من الجهود الطويلة التى بذلت فى الخمسين سنة الماضية لتذليل هذه المشكلة بما يحسم الخلاف الذى ينشب بين الجانبين على وضع عادل سليم يضمن للعامل راحة الجهد ووفرة الأجر ، ويضمن لصاحب العمل تقدم الإنتاج وحسن الربح ، وعلى الرغم من تأليف النقابات والهيئات ووضع اللوائح والتشريعات لتنظيم العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال فإن المشكلة لا تزال قائمة ، وكلما نشب خلاف بين الطرفين انتشر الأمر ، وتشبث كل بوجهته ووقعت الحكومة فى حيرة لأنها لا تجد مجالا لاستخدام نفوذها فى هذه الحال إلا بمنع ما قد يقع من تخريب .

وبينا كنا نقلب الصفحات ، وقفنا على فتوى جليلة للمغفور له الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فى شأن ما يكون من الخلاف بين العمال وأصحاب الأعمال ، وكان المرحوم الأستاذ فرح أنطون صاحب مجلة الجامعة قد كتب إلى الأستاذ الإمام يستفتيه فى هذا الموضوع فكتب إليه بتلك الفتوى ، فنشرها الأستاذ أنطون فى مجلته ومهد لها بمقدمة طويلة قال فيها :

« كنا نطالع ما كتب بشأن العمال وأصحاب الأعمال فى البلاد الإسلامية فعثرنا فى أثناء المطالعة على مقال هام لكاتب فرنسى موضوعه « العمل والعمال فى الجزائر » . ومما أدهشنا فى هذا المقال قول كاتبه : إن عقدة العقد التى يتخاصم الآن حولها أهل العمل وأهل المال فى العالم كله ، والتى هى مشكلة المسائل الاجتماعية فى هذا العصر قد حلتها الشريعة الإسلامية ، فإنها

أوجبت التحكيم بين العامل وصاحب العمل متى قام نزاع بينهما ، فوقفنا عند هذا القول الخطير ، وقلنا إذا كان قائله لم يلق الكلام على عواهنه فالشريعة الإسلامية يحق لها أن تفخر بأنها تقدمت في مبدأ العمل الشريعة المدنية الحديثة ، ولم نستبعد هذا الأمر لأن مبادىء الأديان القديمة قائمة على عدم احترام حق الملك احتراماً مهماً ، وعلى التعاون والمساواة بين أفرادها ، خلافاً لمبادىء المدنية الجديدة القائمة على بقاء الأفضل وتنازع البقاء ، أى قيام القوى وسقوط الضعيف ، وهو معنى حماية حرية الأفراد وملكهم شخصياً وتجارياً وصناعياً ، وقد أخذنا نبحث عن هذه المسألة فى الكتب التى لدينا ولما لم يرو لنا منها غليل لم يبق أمامنا سوى استفتاء حملة الشرع الإسلامى فيها ، فاغتنمنا هذه الفرصة لنجدد عواطف الاحترام لفضيلة العلامة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية وحجة الشرق على الغرب فى هذا العصر ونغترف من بحر علمه بالشريعة الغراء فضلا عن رغبتنا فى الوقوف على رأى الشرع فى هذه المسألة ، فكتبنا إلى فضيلة الأستاذ نستفتيه فيها فتفضل علينا فضيلته بالكتاب التالى :

« تلوت كتابكم بعد رجوعى من السفر ولايخفى على حضرتكم أن التحكيم كما يفهم من لفظه يلزم أن يكون باتفاق الخصمين اللذين يريدان أن يقضى فى النزاع بينهما بالتحكيم فهو اختيارى بطبيعته ، ولا يكون إلا فيما هو من حقوق العباد التى يقع التنازع فيها بينهم ولا يجبر أحد خصمين على أن يتحاكم إلى من يفصل بينه وبين خصمه إلا إذا كان الترافع إلى محكمة من تلك المحاكم التى تقررها القوانين العامة أو الخاصة . والعامل متى علم الأجرة وزمن العلم فهو حر إن شاء قبل أن يعمل على شرط مقدار الأجرة ومدة العمل وإن شاء لم يقبل . فهذه هى القواعد العامة المتعلقة بأجرة العمال وتقيد أزمان عملهم ولا وجه لاختلاف العامل ورب المال قبل الدخول فى العمل ، والمقصود أن يكون الاختلاف فى الوفاء بالشرط وعدم الوفاء به والذى يفصل فيه عند ذلك المحاكم أو المحكمون إذا اختار المتنازعان طريقة التحكيم . أما الحالة القائمة الآن فى أوربا فنشؤها أمران : أحدهما اضطرار العامل للعمل لأنه لا وسيلة له إلى المعيشة سواه . وثانيهما مبالغة رب المال فى طلب الربح لأن توفير المال أصبح من أهم ما يسعى إليه طلابه فى تلك البلاد . فالأول يرغب أن يزاد له الأجر وأن ينقص من زمن العمل ، والثانى يبتغى تقدير الأجر والزمن كما يريد ، والأول لا يجد من أرباب المال من يجيبه إلى طلبه ، والآخر لا يجد من العمال من يرضى بتقديره . فإذا اتفق العمال على ما يلجئون به أرباب الأموال إلى موافاة رغبتهم حدث ما يسمى بالاعتصاب فيتفق العمال على تعطيل الأعمال حتى يلجئوا أرباب الأموال إلى إجابة مطالبهم ، ولرب المال أن يصبر حتى يلذع الجوع عماله فيرضوا بما يريد ، وللعمال أن يصبروا حتى يضطر الخسران رب المال إلى إجابتهم فيما يطلبون ، ولكل منهم أن يتفق مع الآخر فى تحكيم محكمين يذعن الفريقان لحكمهم بعد استيفاء شرائط التحكيم ، ولا يلزم أحد الفريقين بأن يحكم أحداً أو لا يحكم » .

إنما يوجد فى أصول الأحكام الإسلامية أن القيام بالصناعات الضرورية لقوام المعيشة أو للدفاع عن حوزتها فإذا تعطلت الصناعات وجب على القائم بأمر الأمة أن يتخذ السبيل إلى إقامتها بما يرفع الضرورة والحرج عن الناس ، وكذلك إذا تحكم باعة الأقوات ورفعوا أثمانها إلى حد فاحش وجب على الحاكم فى كثير من المذاهب الإسلامية أن يضع حداً للأثمان التى تباع بها » .

« وهكذا يدخل الحاكم فى شؤون الخاصة وأعمالهم إذا خشى الضرر العام فى شىء من تصرفهم . فإذا تعصب العمال فى بلد وأضربوا عن الاشتغال فى عمل تكون ثمرته من ضروريات المعيشة فيه ، وكان ترك العمل يفضى إلى شمول الضرر كان للحاكم أن يتدخل فى الأمر وينظر بما خوّل له من رعاية المصالح العامة . فإذا وجد الحق فى جانب العمال وإن ما يكلفون به من قبل أرباب الأموال مما لا يستطاع عادة ألزم أرباب الأموال بالرفق سواء كان بالزيادة فى الأجرة أو النقص فى مدة العمل أو بهما جميعاً . وإذا رأى الحق فى جانب أرباب الأموال وكان النزق من العمال قضى عليهم بالعمل كما يقضى على الغالين فى ثمن الأقوات بالبيع بالثمن اللائق متى ظهر فحش عملهم وظلمهم للعامة . هذا ولا يعرف فى الشرع الإسلامى إيجاب التحكيم بين العامل ورب المال إلا أن يكون شىء لم نطلع عليه » .

« نعم جاء وجوب التحكيم فى كثير من المذاهب الإسلامية فى مسألة واحدة ، وهى مسألة الشقاق بين الزوجين إذا رفع إلى القاضى . فقال الشافعية « إذا اشتد شقاق بينهما « الزوجين » بأن داما على التساب والتضارب وجب على القاضى أن يبعث حكمين ، لكل منهما حكم برضاه ويُسنّ أن يكون الحكمان من أهل الزوجين » وقال المالكية « إذا ظهر ظلم أحد الزوجين للآخر وجب

ردع الظالم ، فاذا أشكل الأمر على القاضى ولم يعرف أيهما الظالم وجب عليه أن يبعث بالحكمين على نحو ما عند الشافعية » وجعل الحنفية ذلك حقاً من حقوق الحاكم يعمل به إذا اشتد النزاع بين الزوجين ورفع إليه الأمر . والأصل فى ذلك قوله تعالى فى سورة النساء « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريد إصلاحاً يوفق الله بينهما » فالذى يظهر من لفظ الآية إيجاب التحكيم على أولى الأمر إذا رفع إليهم نزاع بين زوجين أو هو إيجاب للتحكيم على من بلغه الأمر من الحاكم أو جماعة المسلمين ، فإن الخطاب فى قوله « وإن خفتم » للمسلمين سواء كانوا أولى أمر أو غيرهم وذلك لأن الزوجين قد ارتبطا برباط عقد الزواج ووحد بينهما من الصلة ما يهتم بالحرص عليه ووجد بين أهلهما من وشائج القرابة بالمصاهرة ما لا يصح التساهل فى توهينه وتقطع ما اتصل به ، ولهذا أمر الله تعالى عباده متى أحسوا بشقاق بين الزوجين وهو النزاع الشديد أن يختاروا من أهل الزوجين حكمين حكما من أهل الزوج يرضاه وحكما من أهل الزوجة ترضاه ليبحث كل مع صاحبه ويقف على أسباب النزاع وما عساه يكون من أسرار لا يقف عليها القاضى ولا أعوانه ، وعلى الحكمين أن يبذلا ما فى وسعهما للتوفيق بين الزوجين المتنازعين وإلزام كل منهما بما يريانه لازماً فى صلاح العشرة بينهما وحاسماً للنزاع فيما يستقبل من أمرهما فإذا لم يجدا سبيلا إلى الوفاق بعد بذل ما فى طاقتهما فلهما أن يقضيا بالطلاق فى بعض المذاهب على طريقة معينة إذا رأيا المصلحة فيه ، وبعض المذاهب لا يعطيهما الحق بل ينتهى عملهما بالعجز عن التوفيق بين الزوجين . وعلى كل حال فإيجاب التحكيم فى أمر الزوجين معقول فإن ما يقع بينهما لو لم يصلح بنحو هذه الطريقة أفضى إلى فساد فى البيوت بين الأولاد والأقارب ، ومثل هذا الفساد مما يسرى وينتشر حتى يؤذى الأمة بتمامها فى صلاتها بعضها مع بعض كما شوهد ذلك عند إهمال هذا الحكم الجليل من زمن طويل حتى كأنه لم يرد فى التنزيل . فإذا كان ذلك الكاتب الفرنسوى يعنى هذا الأصل ويشير إليه ويريد أن يقتبس به ما يقع بين العملة فذلك رأيه وحده والسلام .

١٤ رجب سنة ١٣٢٣ — محمد عبده
مفتى الديار المصرية

الأدب والفن في أسبوع

قصة المخطوطات العربية :

كثر الحديث فى هـذه الأيام عن المخطوطات العربية ، ووجوب العناية بها ، وجمع شتاتها المفرق فى خزائن الشرق والغرب ، ويجرى الحديث فى هـذا فياضاً بالحماسة والغيرة ، وينادى الكثيرون بأن العناية بهذا فى مقدمة ما يجب على الأمة العربية ، ولا عجب ! فان الشرق العربى اليوم فى فترة يقظة يبحث فيها عن نفسه ، ويجاهد ليجمع بين يومه وأمسه .

وكان قد أذيع من قبل أن اللجنة الثقافية فى جامعة الدول العربية معنية بهذا الأمر ، وأنها قد قررت فى هذا خطة ستمضى عليها فى إحياء التراث العربى وجمع المخطوطات النادرة المتفرقة ، سواء ماهو منها فى حيازة الأفراد أو فى ملك الهيئات والحكومات ، ولكننا لا ندرى ماذا بلغت من هـذه الخطة وماذا أجدت فى هذا السبيل .

وللتراث العربى من قديم الزمن قصة ، بل مأساة أليمة مثلت فصولها ومشاهدها على مسرح الأحداث القاتمة والأيام المظلمة ، فقد انتهب هذا التراث أيام غارات التتار ، وفى الحروب الصليبية بالشرق ، والحروب الصليبية بالأندلس ؛ ثم كان أن غزا الأتراك العثمانيون أقطار الشرق العربى وبسطوا نفوذهم فكان أول ما قصدوا إليه أن نقلوا كثيراً من المخطوطات العربية إلى مكاتب الآستانة ، ثم كان أخيراً أن تسلط الغرب على الشرق فتسلطت أيدى الأوروبيين على المخطوطات العربيـة بالسلب والسرقة والاحتيال حتى اكتظت بها مكاتب لندن وباريس وبرلين على حين أقفرت منها مكاتب العرب أنفسهم .

ولما اتجهت رغبة المغفور له أحمد حشمت باشا فى مطلع هذا القرن إلى النهوض بمشروع « إحياء الآداب العربية » ، ونشر المخطوطات العظيمة النادرة ، كان أول ما فكر فيه هو الاعتماد على مكاتب الآستانة ، فسافر فعلا إلى هناك المغفور له

أحمد زكي باشا ، وقام بتصوير ونقل كثير من المصادر العربية النافعة التي نشرتها ولا تزال تتولى نشرها دار الكتب إلى اليوم .

وفي هـذا المقام نرى من الوفاء للحق ، أن نذكر عالمين جليلين بالخير والثناء هما المغفور لهما أحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا ، فقد بذل هذان الرجلان كثيراً من الجهود الصادقة والأموال الطائلة في العنـاية للحصول على المخطوطات العربية ، ولـكننا من الأسف لم نجد من يخلفهما في هـذا السبيل ، لأن علماءنا — أعزهم الله — على اختلاف ألوانهم ودرجاتهم يؤثرون الوصول والمنالة من أقرب طريق .

وعجيب أي عجيب أننا لا نزال فيما نحقق من تاريخنا وآدابنا عالة على المستشرقين فيما ينقلون من آثارنا ومخطوطاتنا التي هي في خزائنهم ، وعجيب أي عجيب أن تكون عندنا الجامعة الأزهرية العتيقة ، وجامعة فؤاد الأول ، وجامعة فاروق الأول ، ودار الـكتب المصرية والمجمع اللغوي ، ثم ما شئت من هيئات ثقافية كثيرة ، حكومية وغير حكومية ، ولم تستطع هذه كلها مجتمعة أو متفرقة أن تنهض بعمل جدي في هذه الناحية ، ولم تفـكر كلها أو واحدة منها في إرسال بعثة بشأن هذا التراث المنهوب .

إنني على يقين من أن بعث تلك المخطوطات النادرة سيصحح كثيراً من مسائلنا التاريخية والأدبية ، وإنني على يقين من أن إحياء هذا التراث الخالد سينصفنا أمام أنفسنا وأمام الأمم الأخرى ، فلعل الجامعة العربية تسدي في ذلك ما فات غيرها ، وتنهض بما هو واجب عليها ومنوط بها ، ولعلنا نلمس لها قريباً في هذا العمل الجهد المشكور .

تأبين الأمير شكيب :

بعد ظهر يوم الجمعة الثامن من هذا الشهر أقيمت حفلة تأبين كبرى بدار الأوبرا الملـكية لفقيـد العروبة المغفور له الأمير شكيب أرسلان اشترك فيها لفيف من الرجالات البارزين في الأقطار العربية وأعلام الأدب والصحافة ، وحضرها كثيرون من الوزراء والكبراء وأهل الفضل ، ولقد جاءت هذه الحفلة عنواناً للأسى الذي شمل جميع أبناء العروبة على فقد ذلك المجاهد العظيم ، كما جاءت مظهراً من مظاهر الوفاء والتقدير للرجال العاملين ، وإنا — من الوفاء للحق — لنشيد في ذلك بصنيع الرجل العظيم سعادة محمد علي علوبة باشا ، لأنه هو الذي نهض بأداء هـذا الواجب عن مصر ، وجاهد لإقامة هذا الحفل براً بذكرى رجل وهب حياته للنضال عن الشرق والإسلام .

وتعاقب الخطباء والشعراء في تأبين الفقيد . فألقى سعادة علوبة باشا رئيس هيئة الاحتفال كلمة ضافية أشاد فيها بمواقف الفقيد في الجهاد للحق ، والـكفاح في سبيل العروبة ، والنضال عن حقوق العرب في الحرية والاستقلال والـكرامة .

وخطب معالي ابراهيم دسوقي أباظة باشا فقال : « لقد كان الأمير شكيب أرسلان الديدبان والحارس على الأقطار العربية ، فـكان المراكشي إذا هددت مراكش ، والتونسي إذا نزل الضيم بتونس ، والمصري إذا روعت مصر بحادث ، والعراقي ، والسوري ، واللبناني ، واليمني إذا اعتدى على بلد من هذه البلاد أو نشبت فيها أظافر الاستعمار وبراثن الاستبداد . ولقد خلا العرين من هذا الأسد الهصور ، ولـكنه خلا بعد أن نشر تعاليمه السامية في كل مكان ، وبعد أن أعطى من نفسه القدوة الحسنة في الوطنية والتضحية والإقدام ... »

وخطب الشيخ سامي الخوري وزير لبنان المفوض في مصر خطبة استهلها بقول الفقيد:

فما العيش إلا أن نموت أعزة وما الموت إلا أن نعيش ونسلما

ثم قال : لقد كانت حياة الفقيد جهاداً مستمراً في سبيل بلاده وهو عنها بعيد ، ولقد بقي على رغم البعد هدى للأوطان العربية جميعها ؛ تستنير بشملة ذكائه الوقاد ، وتهتدي بنور حكمته الرصينة ، ثم دهمه الموت بعد أن عاد إلى بلاده خافق القلب ، إذ لقيه حراً طليقاً من كل قيد ...

وألقيت في الحفلة كذلك عـدة كلمات لممثلي الحـكومات والهيئات العربية ، وكلها تتوارد على الإشادة بمواقف الفقيد ، وتصور مدى الفجيعة الشاملة بموته ، والخسارة الـكبيرة بفقده . على أنها ممـا يجري عادة في مثل هذه المناسبة ، وليست مما يؤثر للتسجيل الأدبي .

وجاء دور الشعر ؛ فألقيت قصيدة لشاعر القطرين خليل بك مطران ، وقد كنت أنتظر من مطران في هذا الموقف شيئاً كبيراً كثيراً ، فاني أقدر وفاءه لإخوانه ، وأعرف صلته بالفقيد ، ولـكن مطران اعتذر بحق اعتذاراً موجعاً أليماً إذ قال :

أبغى الرثاء له فيبرق خاطرى حزناً، ولكن أين صوب غمام؟!
لم يبق لى شعر ولا نثر وقد أخنى علىّ تقادم الأعوام ...

فكان اعتذاره هذا أبلغ وأوجع من أى إفاضة فى الرثاء .

ثم ألقى الأستاذ الشاعر على محمود طه قصيدة قوية الأسر، ابتدأها بتصوير الفجيعة بموت الأمير فقال :

رزء العروبة فيك والإسلام رزء النهى وفجيعة الأقلام
هو مأتم الأحرار فى متوثب بصفوفهم مستبسل مقدام

ثم أخذ فى تصوير حياة الفقيد فقال :

أأبا المثاليين صوتك لم يزل فى الشرق وحى يراعة وحسام
لخلاص دار، أو فكاك عشيرة خضت الحياة كثيرة الآلام
واجتزت جسر العمر بين عواصف هوج ، وموج مزبد مترامى
وشهرتها حرباً على مستعمر متجبر ، أو غاصب ظلام
إرث الجدود الصيد أنت وهبته فقضا يصاول دونه ويحامى
وشباب مهدور الدماء مجاهد فى الله عن عرب وعن إسلام

وهكذا مضى الشاعر إلى آخر قصيدته يصور حياة الفقيد فى شتى نواحيها بهذا الأسلوب الجزل ، وقد كان من الموافقة المتواردة أن اتفق الشاعران فى الروى والقافية ، وفى كثير من المعانى والتعابير التى قوامها حياة الفقيد .

وإنى بعد هذا لأسأل : أيكفى هذا الحفل فى الوفاء بدين الفقيد المظيم ؟ كلا ! فقد كان الأمير شكيب فى حياته وفى جهاده وفى مواهبه أضخم من هذا وأكبر ، فمن الواجب على أبناء العروبة جميعاً أن ينهضوا بعمل يخلد ذكراه ، وصنيع يحفظ آثاره ، وينشر تعاليمه ، وإنى لأعجب أن تهتم الجامعة العربية فتخاطب حكومة العراق لصيانة تراث الكرملى ، ولا تؤدى هذا الصنيع لصيانة تراث الأمير شكيب ! !

وأين نحن ؟!

يظهر أنّ الأمة المغلوبة على أمرها لا تدين بالحقيقة حتى تصدم رأسها ، ولا تصيخ للنصيحة حتى تخرق أذنها ، ولا تقتنع بأمر من تطورات الزمن والحياة إلا بعد فوات الأوان ، وبعد أن يكون الشوط قد بلغ نهايته .

قلت هذا لنفسى إذ قرأت أن الدول التى تحالفت على إدراك النصر قد اتفقت أخيراً على إعداد العالم لتقبل ما تهدف إليه من المبادىء والأفكار . فرأت أن خير سبيل لهذا هو إعداد مجموعة كبيرة من الأفلام الثقافية التى تصور تلك المبادىء وتنطق بتلك الأفكار وتوزيعها للعرض فى كافة أنحاء العالم على الشباب فى المدارس والأندية وسائر المنظمات .

وقلت هذا لنفسى أيضاً إذ قرأت أن هناك مفاوضات تجرى بين بعض المشتغلين بالسينما من المصريين والشرقيين ، وبين فريق آخر من الانجليز لتكوين شركة انجليزية شرقية تقوم بعمل أفلام ناطقة باللغة العربية وتكون موضوعاتها ذات صبغة عالية ، وستقوم هذه الشركة الضخمة بتوزيع أفلامها فى شتى أنحاء الشرق العربى

فأنت ترى أنها حرب دعاية ، وأن السينما قد أصبحت أقوى أداة للتبشير بالمبادىء والأفكار ، وإذا كان الحلفاء قد استغلوا هذه الأداة لبث دعايتهم على أوسع ما يكون فى الحرب فإنهم الآن كذلك يريدون أن يعتمدوا عليها وأن يستغلوها لنشر مبادئهم فى السلم . ونحن فى مصر ، حكومة وشعباً ، نرى هذا كله ، وكأنه لا يعنينا فى شىء ، وكأننا لا نرجو من دنيا المبادىء إلا أن نربط بالذيل .

عندنا سينما ، وعندنا شركات ، وعندنا أفلام . ولكننا نملؤها بأقذر ما فى المجتمع من انحطاط الميول وضراوة الغرائز وكل ما يضمن الرواج والإقبال من العامة وأشباه العامة ، ثم نوزع هذه الأفلام فى الشرق العربى على أنها مظهر فننا وعنوان ثقافتنا ويا له من فن تافه وثقافة رخيصة .

فيا قوم حسبكم ، لقد آن لكم أن تفهموا أن العالم يجد ، وأننا لا نستطيع أن نمشى فى ذلك الموكب العالى إلا جادين ، أليس من الهوان والبخس والتفاهة أن لا تقدم شركة من تلك الشركات السينمائية فى مصر على إخراج فلم قومى يصور ناحية مجيدة من تاريخنا ، ويحمل مظهراً صحيحاً من ثقافتنا ؟! بل أليس من التفريط والتقصير أن لا تعتمد حكومتنا على السينما — وقد أصبح لها الآن كل هذا النفوذ — فى بث ما نرجو من التثقيف والتهذيب . وما تنشده من الأصلاح والنهوض ، وأن لا تجعلها أداة دعاية فى الشرق العربى ؟!

ولكننا أمة مغلوبة على أمرها ، فنحن ننتظر دائماً حتى يصل الغرب إلى آخر الشوط ، ثم نبتدىء نفكر ماذا نعمل ؟!

الفلسفة الهندية القديمة :

يزور لندن الآن الأستاذ وديع البستانى للبحث عن أصول الفلسفة الهندية القديمة ، ويقولون إنه عثر على ستة مخطوطات نادرة ولا يزال يوالى البحث والمراجعة لإعداد دراسة مستوعبة عن الفلسفة الهندية القديمة .

والأستاذ وديع البستانى هو أحد فروع تلك الدوحة البستانية العريقة التى أسدت إلى الثقافة العربية خدمات جليلة فى شتى نواحى اللغة والأدب والفلسفة ، وقد قام الأستاذ وديع منذ ربع قرن بنقل عدة كتب فلسفية طريفة إلى اللغة العربية ، وكانت لديه نزعة إلى الموضوعات الطبيعية التى يتجلى فيها صفاء الروح وجمال الكائنات ، ويظهر أن الفلسفة الهندية الفياضة بالنزعات الروحية قد استهوته فعكف على دراستها منذ سنوات ، وهو لا يزال يجد فى هذه الدراسة لإخراج سفر شامل فى هذه الناحية التى لا تزال معماة على أبناء العربية .

والمعروف أن الفلسفة الهندية القديمة كانت عنصراً من العناصر التى استمدت منها الثقافة العربية بالترجمة والنقل أيام العباسيين ، ففى البلاغة وفى الفلسفة وفى علوم الفلك والجبر والحساب نجد نصوصاً منقولة عن أصول هندية ، ونحن نقرأ هذه النصوص قراءة عابرة لأننا نجهل مصادرها ومراميها ، ولا نزال إلى اليوم فى كل ما نعرف من معارف الهند القديمة عالة على المستشرقين ، وإنها فى الواقع لإحدى العجائب ، إذ يتيسر لأجدادنا العرب بدافع نهمهم إلى المعرفة نقل المعارف الهندية والانتفاع بها والوقوف عليها ، ونحن لا نزال نجهل تلك المعارف جهلاً مطبقاً مع أن صلتنا بالهند قد توثقت ، ومعارفنا قد اتسعت وسبل الانتقال والبحث قد تيسرت .

إن الأستاذ وديع البستانى بعمله هـذا يؤدى خدمة جليلة للعربية ، وإنها لفاتحة خير بدأها الأستاذ عبده حسن الزيات بكتابه الذى أخرجه حديثاً وموضوعه « حكايات من الهند » ، وإنا لنرجو أن يرود أبناء العروبة هذه الناحية على أوسع ما يكون ، فإن الثقافة الشرقية قوامها روح واحدة ، ووجهتها غاية واحدة ، وقد أصبح من الخطأ استقلال أمة بمعارفها ، فكيف والهند ليست غريبة عنا . .

كتاب من غير أقلام :

تناولت عدداً حمله البريد أخيراً من مجلة سورية خصصت صفحاتها للأدب والمباحث الثقافية ، وفى عنوانها أنها « صورة الفكر المعاصر » ، فوقعت فى صفحاتها الأولى على مقال بعنوان « الأديب من أين يبدأ » ، فتغاضيت عما فى العنوان من خطأ شائع درج عليه كثير من الأدباء المعاصرين ، إذ يؤخرون اسم الاستفهام وإن كانت اللغة تقضى له بالصدارة ، وأخذت أقرأ ما تحت العنوان فقرأت فى السطر الأول « إنى بالأدب شغوف » وفى السطر الثانى « وكيف عرفت أن ميولك منصرفة إلى هذه المنصرف » وهكذا أخذت أنتقل من سطر إلى سطر ، وأنا أنتقل من خطأ إلى خطأ حتى ضاقت نفسى وألقيت بالمجلة من يدى ولم أستطع أن أستوعب من المقال أكثر من خمسة أسطر !!

إن الفكرة السليمة قوامها الأسلوب السليم ، وإن الكاتب الذى لا يستطيع أن يصحح ما يكتب لا يستطيع كذلك أن يصحح ما يقرأ ، ومعنى ذلك أنه يقرأ على غير فهم ووعى .

ولكنى أعرف كثيراً من ناشئة هذا العصر ، وكتاب هذه الأيام قاصرين عن تصحيح لغتهم وتقويم أسلوبهم ، وإنى لأعرف كتاباً بيننا يملؤون الدنيا بأسمائهم ويتصدون للنقد والمناقشة وهم حين يجلسون لإراقة المداد على الورق لا يعرفون مصادر الكلام من موارده ، فيتركون هذا لأناس يستخدمون أشخاصاً على أجر معلوم لهـذا الغرض ، وعندهم أن هذا ليس بعاب ، بل إنهم ليحسبون التمسك باللغة عنجهية وتقعراً لا يليق بمفكرى هذه الأيام

وأنا والله لست أدرى ما ذا يكون ذلك الكاتب إذا فقد أول شرط للكتابة ، وأى شىء يبلغ من الأدب إذا لم تكن لديه أداة الأدب ، وهل يجدى هؤلاء شيئاً ما يتشدقون به من أنهم يحذقون لغة أو لغتين أجنبيتين على حين يجهلون اللغة التى يكتبون بها وينتسبون إليها ؟!

ولكنها بدعة أعجمية ، خلقها العجز وبررها القصور عند هؤلاء ، وإنهم لكتاب من غير أقلام ، وإن حسبوا أنفسهم من الأعلام .

« الجاحظ »



فن وتجارة :

اطلعت فى عدد « الرسالة » رقم ٧٠٩ فى باب « الأدب والفن فى أسبوع » على كلمة تحت عنوان : « فن وتجارة » . .

ولقد اعترتنى الدهشة البالغة من تعليق حضرة كاتبها على احتجاجى بصفتى نقيبا للممثلين على عملية « الدوبلاج » للأفلام الأمريكية .

ولقد تضاعف استغرابى من كونه بدلا من أن يشد أزرنا فى قضيتنا الوطنية راح يسخر من منطق ويستنكر طلبى .

ولولا أن مجلة «الرسالة» هى المجلة التى لا يكتب فيها إلا القيم من القول والمتزن من النقد لما راعنى الأمر .

ألا فليعلم حضرة الكاتب أننى لم أقدم احتجاجى على أفلام الدوبلاج الأمريكية بصفتى منتجاً ؛ فأنا لا أحترف الإنتاج منذ عشرين عاماً ، بل فعلت هذا كنقيب للممثلين ، بناء على قرار النقابة وأعضائها ، واستجابة لاحتجاج نقابة السينمائيين واتحاد المنتجين ، فسخريته إذن موجهة إلى كل فنان وإلى كل سينمائى وكل مصرى ؛ أى أن حضرة الكاتب اللبق قد ساءه أن يناصر قضية الفنان المصرى ، فتطوع من تلقاء نفسه للدفاع عن تجار وأصحاب شركات الفيلم الأمريكى .

فهو إذن لا يهمه الدفاع عن كيان الشركات المصرية . بل على النقيض يريد أن يفسح المجال للاستغلال الأجنبى .

فليسمح لى أن أرد له التحية فأقول له : أى منطق منطقك ياحضرة الكاتب ؟ وكيف تقارن بين السماح للمجلات الأمريكية بدخول مصر وعدم السماح لأفلام الدوبلاج مع أنك تعلم أننا لا نود منع دخول الأفلام الأمريكية بلغاتها الأصلية ، وأنت كصحفى قد تطالب غداً بمنع دخول المجلات الأمريكية إذا أرسلتها باللغة العربية ! !

ونحن لا نطالب الحكومة بجديد عندما نستصرخها للذود عن أموال الشركات المصرية والفيلم المصرى بصفته إنتاجا وطنيا وهى التى سنت قانوناً لحماية البضاعة الوطنية كالأقمشة والحرير وما شابهها .

ثم لدى نصيحة للكاتب وهى أن يرسل مقاله هذا إلى الشركات الأمريكية مترجماً وأنا واثق أنها ستجزل له المكافأة كمناصر للاستعمار الأجنبى ! !

والطريف فى الأمر أننا قرأنا للأستاذ الأديب أحمد حسن الزيات صاحب مجلة « الرسالة » افتتاحية رائعة فى العدد نفسه ، يستنكر فيها الاستعمار فى الشرق ، بينما نقرأ لحضرة الكاتب هذه الكلمة التى يناصر فيها الاستعمار ويندد بطلب السينمائيين المصريين بحماية شركاتهم الصغيرة من طغيان الفيلم الأجنبى واستعمار الأجانب لبلادنا فنياً .

يوسف وهبى

« الجاحظ » : وفر على نفسك النصيحة يا نقيب الممثلين ، فليس صاحب هذا القلم ممن تعرفهم . أما الرد فانتظره فى العدد القادم .

موسم محاضرات تفسير القرآن الكريم :

من الظواهر الفكرية التى تستحق التسجيل والتخليد فى مجلة أدبية عربية سائرة كالرسالة الزهراء ذلك العمل الإسلامى الفكرى الجليل الذى يحدث لأول مرة فى تاريخ مصر العربية . أوفى عصرها الحاضر بمعنى أدق ، ألا وهو تنظيم محاضرات تلقى كل أسبوع فى تفسير آيات الذكر الحكيم ، وتوضيح أغراض القرآن الكريم ، ولقد اضطلع بعبء هذا المشروع النافع المفيد رجل كريم من رجالات مصر ، ومحسن مفضال يعد فى الصفوة من أبنائها العاملين لرفعة شأنها ، وتجديد شبابها ، وبعث دينها ، وإحياء أخلاقها ومبادئها ، وهو حضرة صاحب العزة المحسن الكبير والمصلح الإسلامى الموفق الحاج يعقوب بك عبد الوهاب الذى عرفته ميادين كثيرة من ميادين الخير والبر والإحسان والإيمان ، فكان الساعد الأيمن والعامل الأول فى إنشاء معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية والشرقية ، وأمد جمعيات المحافظة على القرآن الكريم بمعونته وعنايته ، إذ خصص مكافآت مالية

سخية توزع على المهرة فى حفظ القرآن من طلبة المعاهد وتلاميذ المدارس ، وتوزع فى احتفال رائع يقام فى كل عام تحت رعاية الملك الناصر لدين الله الفاروق المفدى أعزه الله بالإسلام ، وأعز به الإسلام ، ولهذا الرجل الكريم نواح كثيرة يصلح فيها سراً وجهراً ، وليس هذا مجال تعدادها أو ترديدها ...

ثم رأى الحاج يعقوب بك عبد الوهاب أخيراً أن القرآن بما اشتمل عليه من معان سامية ومقاصد جليلة تتصل بجميع الاتجاهات الفقهية والتشريعية والعلمية والصحية والأدبية والاجتماعية يتطلب أساتذة مهرة ، وفحولا فى البلاغة والأدب ، وأدباء خبراء بطرق العرض وأساليب التوضيح ، ويتشرف هؤلاء بتناول آيات القرآن الكريم ليوضحوا للجمهور المستمعين ما انطوت عليه من إعجاز وإيجاز ، وفصاحة وبلاغة ، وتقنين وتشريع ، فاختار لذلك أربعة من الفحول هم الأساتذة الأجلاء الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور عبد الوهاب عزام والدكتور عبد الوهاب حمودة ، ونظَّم بجهودهم وعلى أكتافهم موسماً للمحاضرات سماه « موسم محاضرات تفسير القرآن الكريم » وجعله يبدأ من نوفمبر وينتهى فى مارس ، ولقد اختار لإلقاء هذه المحاضرات قاعة رحيبة فسيحة هى قاعة « دار الحكمة » بشارع قصر العينى ، فكان هذا فتحاً جديداً ، فتح به الحاج يعقوب بك هذه القاعة لما كانت بعيدة عنه بطبيعة اختصاصها من البحث فى الدين وتفسير القرآن الكريم ؛ ولقد أقبل العلماء والأدباء على هذه المحاضرات إقبالا منقطع النظير ، حتى ضاقت بهم ردهات الدار ، وأحسن المحاضرون مبنى ومعنى ، وتفكيراً وعرضاً ؛ ويلوح لى أن النية الخالصة ونبل الغرض كانا السبب فى كل هذا التوفيق ، مما يدعو إلى أن نسأل الله مخلصين راجين أن يوفق رجالات مصر وأغنياءها إلى أن يتخذوا من هذا الرجل المصلح قدوة ومثلا ؛ والله يهدى العاملين

أحمد الشرباصى

المدرس بمعهد الزقازيق الثانوى

حول الشاعر الطموح :

« والشاعر الطموح » كتاب أصدرته أخيراً «سلسلة اقرأ» لعلى الجارم بك .

وهو تصوير لحياة المتنبي فى بلاط سيف الدولة وكافور فى حلب ومصر وما أحاطه به من دسائس ومنافسات ووشايات وحب وبغض وتقدير وحسد ، وذلك فى الفترة التى ما بين عامى (٣٤١ — ٣٥٠ هـ) .

والكتاب أثر أدبى رائع بيد أن لى عليه بعض الملاحظات :

١ — يذكر المؤلف قصيدة المتنبى .

وا حرَّ قلباه ممن قلبه شبم
ومن بجسمى وحالى عنده سقم

(ص ٤٦ وما بعدها) ويجعلها من القصائد التى نظمها المتنبى عام ٣٤١ هـ (راجع ص ٥ وص ٥٦)

والحق إن هذه القصيدة من أخريات القصائد التى نظمها أبو الطيب فى سيف الدولة الحمدانى قبل رحيله عن بلاطه عام ٣٤٦هـ وتؤكد ذلك القصيدة نفسها وما فيها من إشارات إلى توتر العلاقات وانقطاعها بينه وبين سيف الدولة ، وهذه الحالة والمؤامرات التى كانت السبب فيها مما لم تنشأ فى بلاط سيف الدولة فى ذلك التاريخ الذى ذكره المؤلف .

٢ — ويجعل المؤلف قصيدة المتنبى :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب الأمانى أن يكنَّ أمانيا

أول قصيدة أنشأها المتنبى فى كافور وأنشده إياها .

والحق إن أول قصيدة أنشدها أبو الطيب أمام كافور هى :

فراق ومن فارقت غير مذمم
وأمٌّ ومن يممت خير ميمَّم

وذلك ما يتضح للناقد من دراسته لهذه القصيدة .

محمد عبد المنعم خفاجى

الكتب

أعلام المحـــاماة

في كتاب الأستاذ عبد الحليم الجندى

بقلم صاحب العزة الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك

« جرائم واغتيالات القرن العشرين » كتاب نفيس وضعه الأستاذ عبد الحليم الجندى في جزءين أخرجهما للناس في الشهر الماضى . وأبرز ما في الـكتاب تصويره حياة ثلاثة من أعلام المحاماة . اختارهم المؤلف ضمن عظماء المحامين الذين تألق نجمهم في سماء المحاماة بمرافعاتهم في القضايا الـكبرى في القرن العشرين وهم : الهلباوى في مصر ، ومارشال هول في انجلترا ، وهنرى روبير في فرنسا . قرأت الـكتاب قراءة تأمل وإمعان ، فألفيته جديراً بأن يقرأه كل مواطن ، وكل محام ، وكل شاب يعتنق مبدأ الحرية الفردية والسياسية .

المؤلف أستاذ أديب . ومحام نابه . كان محامياً عن الأفراد وقتاً ما ، وهو الآن محام عن الحـكومة في مجلس الدولة . لازمته روح المحاماة ، وكتب عنها بقلم المؤمن بها ، المحب لها ، فجاء كتابه قصة رائعة للمحاماة في أشخاص ثلاثة من أعلامها . مجد المحاماة تمجيداً صادراً عن عقيدة وخبرة إذ وصفها بأنها مهمة قبل أن تكون مهنة ، وجعلها دعامة الحرية وسندها في ساحات القضاء . ولعمرى إن هذا الوصف لهو أكبر مفخرة للمحاماة . وإن المحامى ليعتز بمهنته إذ يراها سبيل الدفاع عن الحرية وعن الحق . وفي ذلك يقول المؤلف : « سنرى في الصفحات التالية بطولة المحاماة وهي تخوض النمرات في هذا السبيل . إنما هي الحرية غاية جيلنا من حياته . لا وسيلة لأغراضه ولا طب لأمراضه إلا بتدعيمها ، وتعميمها والفسح من مداها ، وما حرية الأمة إلا فيض من حريات بنيها واستقرار العدالة فيها . فإلى دعاة الحرية والعدالة هـذه الصورة المصغرة لثلاثة من كبار المدافعين عن الحرية في ساحات العدالة » .

وفي الحق إن الحرية هي ركن أساسى من أركان المجتمع الإنسانى الجدير بهذا الاسم . وإذا تقلص ظلها في بلد من البلدان نزلت الأمة إلى درك عميق من الذل والهوان . والحرية قد تحميها النظم والقوانين ، وقد يكفلها الدستور ، وتحميها الصحافة . ولـكن خط الدفاع الأول والأخير لها هو القضاء والمحاماة . فالقضاء هو فيصل التفرقة بين الحق والباطل ، بين الحرية والاستعباد . هو ملاذ المظلوم ممن يتحيفهم طغيان الأقوياء والحـكام . والمحاماة هي لسان الحرية والحق المدوى في ساحات القضاء ، والمناضل الذى لا يخشى في الحق لومة لائم ؛ فالقضاء والمحاماة صنوان متلازمان . يتعاونان على أداء مهمة قدسية سامية وهي استخلاص الحق وكفالة الحرية .

عرض لنا المؤلف في الجزء الأول من كتابه صورة حية من الهلباوى المحامى ، والهلباوى الرجل ، والهلباوى الخطيب . فحلل شخصيته أدق تحليل ، وتابعه منذ نشأته إلى أن انتظم في سلك المحاماة إلى أن ظهرت مواهبه فيها وذاعت شهرته في أرجاء البلاد بمرافعاته في القضايا الهامة ، وعدد أشهر القضايا التي ترافع فيها في مختلف العهـود . وأبرز فضائله في المحاماة ونزاهته فيها إلى جانب عبقريته كمحام قدير ، وأبان للقارئ كيف كان يحضر قضاياه ، وكيف كان يهاجم ويدافع ، وكيف كان يسترعى الانتظار في مرافعاته ، وكيف كان يستهدف لغضب ذوى السلطان في أداء واجبه وعنى على الأخص بالقضايا الوطنية التي ترافع فيها عن الحرية وحملاته الصادقة على خصومها ومضطهديها . وأفاض المؤلف في هذا الجانب من حياة الهلباوى ، ولا غرو فهو الجانب الذى يضفى عليه هالة من المجد وخلود الذكر .

وأعجبنى من المؤلف الأديب أنه استثنى من الإشادة بمواقفه مرافعته كمدع عام في قضية « دنشواى » فلم يدافع عن بطله فيها واقتصر على التماس « الظروف المخففة » له حتى عزا موقفه فيها إلى سوء الحظ . وفي الحق إن قبوله المرافعة عن الاتهام في هذه القضية كان سقطة كبيرة من المحامى الـكبير ؛ لم تنسها له الأمة طول حياته ولا يلومها منصف على ذلك بل هو دليل على تقدم الوعى الوطنى فيها . لأن التساهل بإزاء أمثال هذه السقطات يغرى بتكرارها .

صور لنا المؤلف حياة الهلباوى في كل نواحيها ، صورها بلغة مختارة ممتازة ، وفي الحق إن لأسلوبه وتعبيراته طابعاً أدبياً بليناً ، وفيه أناقة وفيه جاذبية ، وفيه عمق في المعانى والأفـكار



لويـــز ...

للكاتب الإنجليزي سومرست موم

ترجمة الأديب السيد مصطفى غازى

عرفت لويز قبل أن تتزوج . كانت وقتئذ فتاة ضعيفة رقيقة ذات عينين وسيمتين حزينتين ، كان أبواها يحبانها ويرعيانها فى قلق وترقب ، إذ قد اتفق على ما أذكر أن أصابتها الحمى القرمزية وخلفتها ضعيفة القلب وفى حاجة إلى أن تعنى بنفسها عناية كبيرة ، فلما تقدم توم متيلاند ليخطبها إلى نفسه فزع أبواها إذ كانا يعتقدان أن صحتها الرقيقة لم تكن لتحتمل متاعب الزواج ، ولكنهما لم يكونا موسرين وكان توم ميتلاند غنياً ، ووعد بأن يبذل كل ما فى وسعه فى سبيل سعادة لويز فقبل الأبوان تزويجها منه وقدماها إليه هدية مقدسة .

كان توم ميتلاند شاباً متين البناء ، رياضياً ، جميل المنظر جذابه ، ولقد وضع كل اهتمامه فى لويز إذ لم يكن يأمل أن تحيا إلى جانبه بقلبها الضعيف طويلا ، وعاهد نفسه على أن يقوم عنها بكل شىء ليجعل سنواتها القليلة على الأرض مليئة بالسعادة والهناء . وترك الرياضة التى كان بارعاً فيها لا لأنها كانت تريد منه ذلك فقد كان يسرها أن يلعب (الجولف) ويصطاد ، بل لأنه كان يصادف أن تصاب بنوبة قلبية كلما عرض عليها أن يتركها لمدة يوم واحد . وإذا حدث أن اختلفا فى رأى ما كانت تستسلم له تواً فقد كانت أسلس الزوجات قياداً ، ولكن العلة تعاود قلبها فتحمل إلى فراشها وتبقى فيه أسبوعاً وادعة راضية ، ويحس بأنه كان عليه ألا يكون قاسياً فيعارضها ، فيتنازل لها عن رأيه وفى جهد يحاول إقناعها بأن تفعل ما ترتئيه .

حدث ذات مرة بعد أن رأيتها تمشى ثمانية أميال فى رحلة قامت بها أن قلت لتوم ميتلاند ملاحظاً : إنها أقوى مما كان يتصوره المرء ، فهز رأسه وتنهد قائلا : « كلا . كلا . إنها رقيقة جداً . لقد ذهبت إلى جميع الأطباء الأخصائيين البرزين فى مرض القلب فاتفقوا جميعاً على أن حياتها معلقة فى خيط ، ولكن لها روحاً لا تقهر » وأخبرها بما قلت عن تحملها فقالت لى مؤنبة : سأدفع ثمن ذلك وسأكون على باب الموت . فتمتمتُ قائلا : يخيل إلىّ أحياناً أنك قوية جداً على ما تريدين فعله » . فقد لاحظت أنه إذا حدث وراقتها بعض الحفلات تأخذ فى الرقص حتى الساعة الخامسة صباحاً فإذا كانت الحفلة مملة تشعر بتوعك شديد فيضطر

وبهذ الأسلوب انتقل بنا من الشرق إلى الغرب . فصور لنا حياة « مارشال هول » الذى سطع نجمه فى سماء المحاماة فى انجلترا ، وزميله « هنرى روبير » فى فرنسا . ذلك النقيب العظيم الذى قال عنه « دى مورو جيافرى » إن المحاماة فى فرنسا فقدت بوفاته أكبر رجل رفع شأنها منذ عهد « بربيه » وهى كما يقول المؤلف أبلغ مقالة عن مكانته فى التاريخ ، فلعل « بربيه » أكبر رجال المحاماة فى التاريخ الفرنسى ، كما كان أعجوبة البلاغة والشجاعة فى مجلس النواب ومجلس الأعيان .

إن لدراسة الشخصيات الكبيرة وتحليلها بالطريقة والأسلوب اللذين نهجهما الأستاذ عبد الحليم الجندى قيمة عظيمة فى توسيع الأفق الثقافى والذهنى ، ففى خلال هذه الدراسات يطالع القارئ وصفاً دقيقاً لحياة المجتمع وتطوره ، وعادات الناس وأخلاقهم وعلاقات بعضهم ببعض . كما يلمح بشىء من التأمل والمقارنة مبلغ الفرق بين الحياة فى عصرنا والحياة فى العصر الذى سبقه .

وفى الكتاب ميزة أخرى وهى أنه يطالع المحامى بما هيأ لأعلام المحاماة فى الشرق والغرب ما وصلوا إليه من مكانة رفيعة ومنزلة سامية ، وما هى العناصر التى عبدت لهم طريق الشهرة والمجد . فهو كتاب المحاماة وكتاب المحامين . فيه يجد المحامى كبيراً كان أو مبتدئاً ما يرسم له سبيل النجاح والتوفيق . فلعل فى كل محام مواهب لو عرف كيف يتعهدها ويستخدمها على ضوء حياة العظماء من المحامين لأدرك من المكانة والمنزلة ما لا يدركه إذا أغفل هذا الجانب من البحث والدراسة . وإنى لأنصح كل محام وكل من يعد نفسه ليكون محامياً أن يقرأ كتاب « الأستاذ عبدالحليم الجندى » ففيه صورة واضحة قوية للمحاماة الرفيعة الناجحة

عبد الرحمن الرافعى

توم إلى أن يعود بها إلى المنزل مبكراً . ويظهر أنها لم ترتح لجوابى وبالرغم من أنها نظرت إلىَّ بابتسامة وادعة فإننى لم أر لهذه البسمة أثراً فى عينيها الوسيمتين الزرقاوين ، وقالت : لعلك تتوقع منى أن أسقط ميتة لا لشىء إلا لأدخل السرور على نفسك » .

ولكن لويز لم تمت ومات زوجها وهى حية بعد . لقد لقى حتفه عقب برد أصابه فى إحدى رحلاتهما البحرية . وكانت رقة لويز قد دفعت به إلى أن يختصها بجميع الأغطية لتتدفأ بها . مات وقد ترك لها ثروة طيبة وابنة ، فلم تستطع لويز أن تتعزى ، ولقد كان عجيباً حقاً أن تتحمل الصدمة ، ولقد توقع أصدقاؤها أنها ستلحق بتوم المسكين عاجلا فى القبر . وأحسوا جميعاً بالأسف الشديد على ابنتها إيريس وقد تيتمت فضاعفوا عنايتهم بلويز . كانوا لا يدعونها تحرك أصبعاً . كانوا يلحون فى توفير أسباب الراحة لها لأنهم لو خلوا بينها وبين أى عمل مرهق أو غير ملائم لرقتها فإن قلبها لا يلبث أن تعتاده العلة ويقف بها على باب الموت .

قالت إن خلو حياتها من رجل يعنى بها يبلبلها ويرمضها ، وإنها لا تعرف كيف تربى عزيزتها إيريس بصحتها هذه الرقيقة فسألها أصدقاؤها لماذا لا تتزوج . أوه إن هذا ما يأباه قلبها وإن كان العزيز توم لم يكن ليأباه بل لعلها إن تزوجت أن يكون ذلك أصلح شىء لإيريس . ولكن من يعنى نفسه بزواج امرأة عليلة مثلها ؟ ومن العجيب حقاً أن يتقدم لها أكثر من شاب كلهم مستعد أن يتكفل بها .

وبعد عام من موت توم قبلت أن تتزوج من جورج هوبهاوس وكان شاباً جميلا فارع القوام وعلى جانب من الثراء . ولم أر أحداً أسعد منه لفوزه بشرف القيام على رعاية هذا المخلوق الرقيق الدقيق.

قالت : لن أحيا طويلا لأزعجك . كان جندياً طموحاً فاستقال من منصبه إذ كانت صحة لويز تحتم عليها أن تقضى الشتاء فى مونت كارلو والصيف فى دوفيل . ولقد تردد قليلا وهو يضحى بمستقبله ورفضت لويز أن تستمع إليه بادىء ذى بدء ، ولكنها لم تلبث أن امتثلت كما هى حالها دائماً فتهيأ لأن يجمل سنواتها الأخيرة سعيدة هانئة إلى أقصى حد .

قالت : إن هذا لن يستمر طويلا . سأحاول أن لا أكون مزعجة

وفى خلال العامين أو الأعوام الثلاثة التى أعقبت زواجها الثانى استطاعت لويز بالرغم من قلبها الضعيف أن تذهب فى أجمل الثياب إلى أشوق الحفلات وتقامر فى إسراف وترقص بل وتغازل الشبان الفارعى القوام . ولم يكن جورج هوبهاوس من عنصر زوجها الأول فكان يستعين بالمشروبات الحادة من وقت لآخر وهو يقوم على خدمتها . وكان من المحتمل أن يصبح عنده الشراب عادة فتضيق لويز بذلك أشد الضيق ، ولكن لحسن حظها (هى) قامت الحرب فالتحق بفرقته وبعد ثلاثة شهور قتل فى الميدان . وكانت صدمة عنيفة على لويز ، وشعرت مع ذلك بأنه يجب عليها فى حالة دقيقة كهذه أن لا تسلم نفسها للحزن البالغ ، وإذا كانت قد أصيبت بصدمة قلبية فإن أحداً لم يسمع بها ، ولكى تتلهى عن أحزانها حولت فيلتها بمونت كارلوا إلى مستشفى للضباط الناقهين . وقال لها أصدقاؤها إنها لن تتحمل وطأة هذا العناء . فقالت : ليس عندى من شك فى أن هذا سيقتلنى ، أنا أعرف ذلك ولكن ما حيلتى ؟ يجب أن أصنع شيئاً ... ولكن العمل لم يقتلها وبقى فى حياتها فسحة .

قابلتها مصادفة فى باريس وكانت تتغدى فى الريتز مع شاب فرنسى جميل المنظر ممشوق القوام ، وفسرت سبب مجيئها فقالت إنها إنما جاءت إلى باريس لتقوم ببعض أعمال تتعلق بالمستشفى وأخبرتنى أن الضباط ظراف جداً وأنهم لا يدعونها تعمل شيئاً ما مراعين فى ذلك رقة صحتها . لقد كانوا يعنون بها كما لو كانوا جميعاً أزواجها . وتنهدت « مسكين جورج . من ذا الذى كان يظن أننى سأعيش بقلبى الضعيف بعده ؟ »

فقلت : ومسكين توم ! ولست أدرى لم كرهت منى أن أقول ذلك فقد أرسلت إلى بسمتها الوادعة وقالت وقد اغرورقت عيناها الجميلتان بالدموع : إنك تتكلم دائماً كما لو كنت تنفس على هذه السنوات القليلة التى يمكن أن أحياها » .

— بالمناسبة . أوليس قلبك الآن فى حالة أحسن ؟

— لن أتحسن مطلقاً . لقد عرضت نفسى هذا الصباح على إخصائى فقال إنه يجب على أن أستعد لما هو أسوأ .

— حسناً . إنك تستعدين لذلك منذ عشرين عاماً . أوليس كذلك؟

ولما وضعت الحرب أوزارها أقامت لويز فى لندن وكانت وقتئذ فى الأربعين من عمرها نحيفة ضعيفة بعينيها الوسيمتين وخديها الشاحبين . ومع ذلك فلم تكن تبدو إلا وكأنها فى الخامسة والعشرين من عمرها . وكانت إيريس قد شبت وأتمت دراستها فجاءت لتعيش معها . قالت لويز : ستعنى بى . حقاً إن من الصعب عليها أن تعيش مع امرأة عليلة مثلى ولكن ذلك لن يدوم طويلا أنا موقنة برضائها .

وكانت إيريس فتاة جميلة ، ولقد نشئت وهى تعرف أن صحة أمها

منحرفة فلم يسمح لها في طفولتها أن تحدث ضجة في البيت ، وكانت تدرك دائماً ما يجب عليها من مراعاة راحة أمها . وبالرغم من أن لويز قالت لها الآن إنها لن تسمح لها بأن تضحى نفسها من أجل امرأة عجوز مزعجة لم تستمع الفتاة لقولها فهى لم تكن تستشعر فى عملها أنها تضحى بنفسها وإنما كانت تحس بالسعادة وهى تقوم بخدمة أمها العزيزة المسكينة . وتنهدت الأم وخلتها تقوم بجميع شئونها . قالت لويز : إن الطفلة مسرورة بأن تجمل من نفسها شيئاً ذا نفع . فقلت لها : ألا ترين أنه يجب عليها أن تخرج للرياضة من وقت لآخر . فقالت : هذا ما أقوله لها دائماً ، أنا لا أستطيع أن أقنعها بأن تسرى عن نفسها . يعلم الله أننى ما أردت قط أن أعنّى مخلوقاً بخدمتى .

ولما راجعتُ أيريس فى ذلك أجابتنى قائلة : مسكينة أمى العزيزة إنها تريدنى على أن أخرج فأجالس الأصدقاء وأحضر الحفلات ولكننى أفضل أن أبقى فى البيت فإنها فى اللحظة التى أتهيأ فيها للخروج تعتريها نوبة من نوباتها القلبية .

لم تلبث إيريس أن وقعت فى حب أحد أصدقائى . وكان شاباً طيباً حلو الشمائل تحبه نفسى ، ولقد رضيت به إيريس حين تقدم لخطبتها ففرحت بأن الفرصة فى أن تحيا حياة مستقلة قد هيئت لها . واعترض أيريس الشك فى إمكان الزواج ولم يلبث الشاب أن حضر إلى ذات يوم وهو فى أشد حالات الحزن وأخبرنى بأن الزواج قد تأجل إلى أجل غير مسمى .

لقد أحست إيريس بأنها لا تستطيع أن تترك أمها . وطبعى أن المسألة لم تكن تخصنى بالذات ولم يكن لى فيها دخل ولكننى اهتبلت الفرصة وذهبت لأقابل لويز . لقد كان يسرها دائماً أن تستقبل أصدقاءها وقت تناول الشاى ، أما وقد تقدمت بها السن الآن فقد أحاطت نفسها بمجموعة من الرسامين والأدباء .

فقلت لها بعد قليل : حسنا . لقد سمعت أن إيريس لن تتزوج

— أنا لا أعرف شيئاً عن ذلك . كان يحق لها أن ترفض الزواج لو كنت أنا التى رغبت فى ذلك ولكننى توسلت إليها وأنا جاثية على ركبتى أن لا تفكرى فى . لكنها رفضت أن تتركنى

— ألا ترين أن فى ذلك قسوة عليها ؟

— من غير شك . ولكن هذا لن يدوم أكثر من أشهر قليلة ثم إنى أكره أن يفكر أحد فى أن يضحى بنفسه من أجلى .

— يا عزيزتى لويز لقد دفنت زوجين ولا أرى أى مانع يقف بينك وبين التفكير فى دفن اثنين آخرين .

فقالت وقد ضاقت بكلامى أشد الضيق : أو تجد فى الهزء بى متعة لك ؟

— يبدو لى انك تقوين دائماً على ما تريدين فعله وأن قلبك الضعيف إنما يمنعك من عمل الأشياء التى تضايقك .

— أوه . أنا أعرف . أنا أعرف ما تعتقده فىّ دائماً . إنك لم تصدق قط أنى كنت مريضة فى يوم من الأيام أوليس كذلك ؟

فقلت لها وأنا أحدق فى عينيها : بلى إن ما أعتقده هو أنك قد خدعت من حولك هذا الخداع الهائل مدة خمس وعشرين سنة وأنك أعظم امرأة قابلتها أنانيةً وبشاعةً . لقد حطمت حياة هذين الزوجين التعسين والآن تريدين أن تحطمى حياة ابنتك .

لم يكن ليأخذنى العجب لو أن لويز قد أصيبت فى هذه اللحظة بنوبة قلبية وكنت متوقعاً كل التوقع أن تثور على ثائرتها ولكنها اكتفت بأن ابتسمت فى وجهى ابتسامة رقيقة وقالت : يا صديقى المسكين . فى يوم ما ستندم أشد الندم على ما قلته لى الآن .

— أوصممت على أن تمتنع إيريس عن الزواج بهذا الشاب ؟

— لقد توسلت إليها أن تتزوجه . أنا أعرف أن ذلك سيقتلنى . ولكن هذا لن يهم فما من أحد يأبه لشأنى وإنما أنا حمل على كل إنسان

— أوقلت لها إن هذا سيقتلك ؟

— لقد اضطرتنى هى إلى ذلك .

— كما لو قد طلب منك أى مخلوق أن تعملى شيئاً لم تكونى تفكرين فى عمله .

— يمكنها أن تتزوج من حبيبها غداً لو شاءت . وإذا كان ذلك يقتلنى فليكن .

— حسناً . فلنجازف .

— أولا تشفق على .

— ما من مخلوق يستطيع أن يشفق على من يسليه تسليتك لى

فقامت وجنتاها الشاحبتان وظهر الغضب فى عينيها رغم أنها كانت لا تزال تبتسم . قالت : ستتزوج إيريس فى ظرف شهر وإذا حدث لى شىء فأرجو منكما أن تطلبان لنفسيكما الصفح والغفران . وسارت الأحوال على أحسن ما يكون . وحدد اليوم وأعدت ثياب العرس الرائعة ووزعت الدعوات . وكانت إيريس وفتاها الطيب مشرقين . وفى يوم الزفاف فى الساعة العاشرة صباحاً أصيبت لويز هذه المرأة الشيطانة بنوبة من نوبات قلبها ولفظت أنفاسها ... ماتت فى وداعة وقد صفحت عن إيريس التى كانت سبباً فى قتلها .

السيد مصطفى غازى

مطبعة الرسالة

العدد ٧١٢ — الاثنين ٢٤ فبراير ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٥١٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15me Année No. 712

Lundi — 24 — 2 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٧١٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ربيع الثانى سنة ١٣٦٦ — ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

إن هذا العـــلم دين

فانظروا عمن تأخذون دينكم

للأستـاذ على الطنطاوى

أنا لم أتشرف بالانتساب إلى الأزهر ولا إلى غيره من المعاهد الشرعية ، لأنى تعلمت فى المدارس الأميرية من دار الحضانة إلى كلية الحقوق ، ولـكنى نشأت من صغرى بين كتب العربية والدين ، وربيت فى مجالس العلم والأدب ، لأن والدى رحمه الله كان من كبار علماء دمشق ، وكانت دارنا من الدور العريقة فى العلم ، فلم تكن تخلو يوماً من مراجعات أو مناقشات ، ونظر الـكتب ومقارعات بالحجج ، ومن عامة يستفتون وطلبة يقرأون وعلماء يبحثون ، فلما توفى والدى لزمت عالماً أزهرياً متفنناً ، فـكنت أنصرف من المدرسة فأراجع دروسها على عجل ، ثم أتعشى (وكان العشاء فى تلك الأيام بعد العصر) وأصلى المغرب وأمضى إليه فى مسجده ، فأقعد مع الطلبة ننتظره حتى يفرغ من صلاته ، وكنا نحو الخمسين طالباً ، منا تلميذ المدرسة ومنا التاجر ومنا الموظف ، ومنا الشاب ومنا الـكهل . وما يبتغى أحد منا بالعلم دنيا ، ما نبتغى إلا العلم وحده لنعرف به الحلال من الحرام ، نرى طلبه علينا فرضاً ، وتحصيله عبادة ، فـكنا نجد فى المطالعة لذة ، وفى الحفظ مسرة ، وفى التعب راحة ، فنطالع الدرس قبل أن نقرأه ، ونطالعه بعد أن نقرأه ، ونحقق مسائله ونحفظ شواهده ، ونفتش عن الشروح له والحواشى عليه ...

فإذا قضى الشيخ صـلاته أقبل علينا فسلم فرددنا عليه السلام ، لا نقوم له لأنه أدبنا بأدب الإسلام ، وليس منه هذا القيام ، ولـكن تثب لمقدمه قلوبنا ، وتخشع لمحضره جوارحنا ، وتنبض بحبه وإجلاله كل ذرّة فينا ، فيقعد ونحن من حوله ، فيسمى الله ويحمـده ويشرع فى درس النحو ، فيقرأ المعيد ويشرح هو ، ويقيم أحدنا إلى لوح أسود كالذى يكون فى المدارس ، فيملى عليه الشاهد ليوضح عليه القاعدة الجديدة ويذكر بالقواعد القديمة ، وكان أحب شىء إليه أن نستعيده ونستوضحه ونناقشه ، فيعيد ويوضح ويجيب باسم الثغر ، طلق المحيا ، مشرقُ الشيبة محبوباً مهيباً . فيملك بخلقه قلوبنا ، وبعلمه عقولنا ، ثم يختم الدرس بحمد الله كما بدأه بحمد الله ، ويؤذن المؤذن فنقوم إلى الصلاة ، فنرى السكينة قد حفّت المجلس ، والرحمة قد نزلت عليه ، ونحس بالملائكة قد حضرته ، ويؤمنا الشيخ فيقرأ قراءة إخال من روعتها كأن القرآن قد هبط به الوحى آنفاً ، ولقد سمعت قراءه أحلى صوتاً ، وأصح نغماً ، فما سمعت مثلها أبداً . فاذا قضيت الصلاة قعدنا نذكر الله بقلوب حاضرة ، وألسنة رطبة ، وجوارح خاشعة ، ثم من شاء منا قبل يد الشيخ (ولا يكاد يسمح بتقبيلها) وانصرف ، ومن شاء بقى يستمع إلى حديث الشيخ ،

وكان حديثه أعذب فى آذاننا من همسات الحب ، وأشجى من عبقريات الأغانى ، ثم ينظر الشيخ فيقول : إن فلاناً لم يحضر وقد بلغنى أنه مريض ، فعودوه وساعدوه . فنسرع إليه نعوده ونؤنسه ونأتيه بالطبيب وبالدواء . وإن فلاناً فى ضيق فأعينوه ، فنسد خلته ونفرج ضيقته . وربما استبق الواحد منا ، فانفرد به فنصحه ووعظه ، أو أنـّبه على زىّ لا يليق بطالب العلم اتخذه . أو محل لا يحسن به حلـّه ، أو صاحب لا يدله على الله صاحبه ، فيبلغ منا تأنيبه ما لا يبلغه السيف ، وندع ما كرهه ولا نعود إليه ، ثم ننصرف جميعاً إلى بيوتنا : الكبار إلى زوجاتهم وأولادهم والصغار إلى أمهاتهم وأخواتهم ، ننام من أذان العشاء على فرش التوبة والاستغفار ، ثم نقوم فى بواكر الأسحار ، عند ما يفيق الديك والمؤذن والنور ، فنتوضأ فنطهر بالماء أجسادنا ، ونصلى فنطهر بالصلاة أرواحنا ، ثم نمضى إلى المسجد فنؤدى الغداة مع الجماعة ، ثم نجلس فى حلقة الشيخ ، لنقرأ عليه الفقه والحديث والتفسير فى الصباح ، كما قرأنا النحو أولا والبلاغة ثانياً فى المساء وكما يقرأ عليه غيرنا غير هذا وذاك النهار كله ، فلا تلق فى حياة الشيخ إلا العلم والدرس ، والمراجعة والبحث ، تتخللها مواعظه العامة ، وتوجيهاته الناس ، فهو المرجع فى كل شىء : فى الانتخابات العامة يسألونه فيأمرهم بأهل الدين والورع من أى حزب كانوا ، وفى الخصومات يرفعونها إليه ، فيزيلها بالصلح ، أو يفصلها بالحق وفى الأحداث كلها يبين فيها حكم الله . وكان كل نائب أو وزير يؤم داره خاشعاً متواضعاً كأنه يمشى إلى حرم ، فيريه عزة العلم ، وجلال الحق ، ولطف المؤمن ، وتواضع العظيم ، ويعظه ويأمره وينهاه ، ولا يرزؤه شيئاً من دنياه . وكان أيام الثورات على الفرنسيين هو الداعى إلى الجهاد ، وهو قائد القواد ، أرهبه الفرنسيون فلم يخف ، ورغـّبوه فلم يطمع ، وأزعجوه فما لان ، فتركوه لم يجرؤوا عليه ودونه أهل البلد يفدونه بأنفسهم وأهليهم .

أما الدنيا فلم يكن يسأل عنها أقبلت أو أدبرت ، ولم يكن يفكر فيها ضاقت أو اتسعت ، فإن حضره الطعام حلالا أكل ، وإن دعاه محب أو فقير أجاب ، وإن أهدى إليه قبل ، فان كانت الدعوة أو الهدية من فاسق أو متكبر أبى . يلبس ما وجد فربما كانت عليه الجبة من الجوخ الثمين فربه فقير مقرور فدفعها إليه ، ولبس عباءة مرقعة ، أو خرج بالإزار وحده . تدخل الدنيا داره فيكون كأنعم الناس ، ويدخل المال كيسه فيكون كأغنى الناس ثم يضيق ويفتقر ، فيتنكر ويقصد القرى فيشتغل فيها بالطين واللبن ، ويعود بما كسبه من كدّ يده ، لا يطغى فى الأولى ولا يقنط فى الثانية ، ولا يذيق قلبه حلاوة الدنيا ، فيلين لأبنائها حرصاً عليها ، وخوفاً من زوالها .

وكنا نخرج معه كل ثلاثاء (وهو يوم الراحة عند العلماء) إلى القرى والأرباض ، فإذا جاوزنا رحبة دمشق ، قال : قد وضعنا المشيخة هنا ، ونحن من الآن إخوان . فنمازحه ويمازحنا ونغنى أمامه ونثب ونلعب ، ونسبح ونركب الخيل ونصطاد ، وكان يرغبنا فى السباحة والفروسية والرمى ، وسائر أنواع الرياضة ، لأن ذلك من سنة الإسلام ، ويود أن يكون معنا فيه ولكن السن تمنعه والضعف والكبر ، ثم نعود من الغد إلى الدرس ، ونحن أصفى الناس ذهناً ، وأطيبهم نفساً ، وأشدهم نشاطاً .

***

ولازمت من بعده مشايخ كثيرين كانت حالهم كحال الشيخ أو قريباً منها ، وكانت حياتهم علماً وعملا ، ومنطقاً وخلقاً ، وكانوا كلهم يحدثوننا عن الأزهر ومافيه ، حتى حبّب إلينا الأزهر القديم من أحاديثهم ، وتخيلناه جنة الروح ، ونعيم القلب ، وتوهمنا أن ما رأيناه من أحوال مشايخنا وردة من تلك الجنة ، وطرفا من ذلك النعيم ، وبتنا نتشوق إلى الأزهر ، ونتمنى أن نزور مصر لنراه ، فلما قدمت مصر سنة ١٩٢٨ رأيت الأزهر قد تغير عما وصفوه لنا ، وحال عن حاله التى حدثونا عنها ، فتركته ودخلت دار العلوم العليا . ثم لما عدت سنة ١٩٤٥ ، لم أجد الأزهر وإنما وجدت مسجداً خالياً ، وكايات تنتسب إليه ليست إلا مدارس كما عرفنا من المدارس ، فبكيته لما فقدته ، وحننت إليه ، لا إلى سراج الزيت ، وحصير الرواق ، بل إلى ذاك التقى وتلك الأخلاق . بكيت فيه شيخى ، وبكيت فيه عهد الشيخ الذى مضى عليه اليوم أكثر من ربع قرن ، ولا تزال ذكراه غذاء لروحى ، وفرحة لقلبى ، وأنسة لى فى وحشة الحياة ، أفكر فيه كما يفكر العاشق المهجور فى ليالى الوصال ، والسجين فى أيام الحرية ، والمفلس فى زمان الغنى ، بل إنه لأحب إلىّ من عهود

الحب ، وليالى الوصال ، لأنها لذة الهوى وهو حلاوة الإيمان ، ولأن ذكراه ذخرى الذى لا يفنى ، ومفزعى كلما دهمتنى خطوب هذه الحياة المادية التى تختنق فيها الروح ، ومعين اليقين لى فى بوادى الشكوك .

***

رحمة الله على أولئك المشايخ الذين كانوا ينابيع العلم ، ومنارات الهدى ، وأئمة الخير . وما كل المشايخ الأولين كانت لهم هذه الخلال ، وما كل علماء اليوم تجردوا عنها ، ولكن الأعمال بالنيات ، والأمور بالمقاصد ، وأولئك كانوا يقصدون العلم والدين ، فكان الأصل أن يكونوا أهل علم ودين إلا من شذ منهم ، والكمال لله وحده ، وهؤلاء الطلاب يقصدون الشهادة والمنصب فكان الأصل أن يكونوا أصحاب منصب وشهادة إلا من شذ منهم ، والخير لا ينقطع فى هذه الأمة إلى يوم القيامة .

وما أنا بالمحامى عن عهد بذاته ، ولا عن أشخاص بأعيانهم ، لكنما أدافع عن تقوى العالم وأمانة العلم ، والعلم إذا لم يكن معه أمانة كان الجهل خيراً منه ، كالطبيب الفاجر ، يغشّ المريض ويماطل فى العلاج ، ابتغاء دوام الحاجة إليه ، وتدفق المال عليه ، بل ربما بالغ فى الفجور فلم يمنعه علمه إن لم يكن أميناً أن يقتل المريض بالسم ، بدلا من شفائه بالدواء .

***

وخلاصة القول أن نبينا صلى الله عليه وسلم علمنا أن هذا العلم دين ، وأمرنا أن ننظر عمّن نأخذ ديننا ، ونحن لا نستطيع أن نأخذ العلم إلا عن رجل نثق بدينه كما نثق بعلمه ، ونطمئن إلى إيمانه كما نطمئن إلى منطقه ، فان لم يكن إلا العلم والمنطق ، لم ينفعاه عند الله شيئاً .

وأنا لا أقيس الأزهر على الجامعات ، فالجامعات فيها العلم والفن ، وفيها الكفر والإلحاد ، لا يمنع منه عندهم أنه كفر ، مادام يسمى باسم الفلسفة أو العلم ، ذلك لأن أسلوب الجامعات أسلوب عقلى لا يبالى بالدين ، ولا يتقيد بالوحى ، وديننا لا يعارض قضايا العقل المسلّمة وأحكامه الثابتة ، ولا ينافيها ، ولكن أين هذه القضايا ؟ وهل يكون منها كل حكم يوصل الباحث إليه عقله ؟ فقيم إذن تختلف العقول ، ويتناظر الفحول ؟ أفنبنى ديننا على آراء الرجال ، فكلما جاء واحد منهم ببدعة فى الدين قلدناه فيها ، وأقمناه بيننا وبين ربنا ، وجعلنا ما جاء به من شرعنا ؟ ومن يكون إمامنا فى ديننا إذا لم يبق فى الأزهر أئمة دين ؟

ألا يكون ذلك تحقيقاً للحديث ، ومعجزة للرسول عليه الصلاة والسلام إذ قال : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور العلماء ، ولكن يقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم ، اتخذ الناس أئمة جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ؟

نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى ، والكفر بعد الإيمان !

***

ألا إن ديننا يقوم على أدلة معروفة هى الكتاب والسنة الثابتة ، والإجماع الصحيح والقياس الجلى ، لا عمل للعقل فيها ، إلا الاستنباط والاجتهاد ، على (الأصول) المعروفة ، والسبيل المسلوكة ، واتباع البيضاء النقية ، والاقتداء بالسلف الصالح ، فان جاوز هذا الحد ، لم يجز لمسلم أن يعوّل فى دينه عليه ، أو يرجع فى الحكم إليه .

ونحن نريد علماء من أمثال هذا الشيخ رحمه الله ، يعلمون ويعملون ، ويتبعون ولا يبتدعون ، ويتقون الله سراً وعلناً ، ويحكمون الشرع فى خاصة نفوسهم وعامة أمورهم ، لا تذلهم الدنيا ، ولا يفسدهم الفقر ، ولا يطغيهم الغنى ، فان كانوا كذلك فليخرّجهم أساتذة جامعات ، أو وعاظ جوامع ، وليكونوا بعدُ فلاسفة فالإسلام لا يعادى الفلسفة ما لم تكن كفراً ، وليكونوا باحثين فالإسلام يحب البحث ، وليكونوا مجددين بالاجتهاد ما داموا متبعين فى أصول الدين ، وليجلسوا على البساط أو على الطنافس ، وليقرأوا على السراج أو على الكهرباء ، وليسكنوا الأكواخ أو القصور ، ولينقطعوا إلى العلم أو ليكونوا أصحاب المناصب أو أعضاء المجالس وأولياء الأمر .

***

ولكن هل ينتظر أن تخرج هذه الجامعة الأزهرية أمثال أولئك العلماء ؟

هذه هى المسألة !

وأنا لا أحب أن أجيب عنها ، لأنى إن أجبت قلت مرة ثانية : « ردّوا علينا الجامع الأزهر ، لا نريد هذه الجامعة الأزهرية !! » .

(القاهرة) على الطنطاوى

لا تدابروا أيها الرجال !

للأستاذ محمود محمد شاكر

زعموا أن رجلا ضلّ له بعير، فأقسم لئن وجده ليبيعنّه بدرهم، فأصابه، فقرن به سِنَّوْراً وقال للناس: «أبيع الجمل بدرهم، وأبيعُ السنور بألف درهم، ولا أبيعهما إلا معاً». فقيل له: «ما أرخصَ الجملَ لولا الهرَّة!» فذهبت مثلا!

والظاهرُ أن بعض ساستنا لا يفتأون يفعلون فِعْلَ هذا الأعرابيّ، كأنما كُتِبَ عليهم أن يتحدَّوْا دائماً إرادة هذا الشعب المسكين المصفّد فى الأغلال الوثيقة، وكأنما كُتب عليهم أن يختلقوا العِنادَ اختلاقاً حتى يضيِّعوا عليه كل فرصة سانحة لنيل حقوقه المهضومة منذ قديم الأيام، وكأنما كُتِبَ عليهم أن يتعيَّشوا بنكَبات هذا البلد وآلامه. وإلاَّ فليحدثنا هؤلاء الساسة فيم يختلفون اليوم، وعلامَ يتدابرون تدابُر الذئاب التى قال فيها القائل:

وكنتَ كذئب السَّوْء، لما رأى دماً
بصاحبه يوماً، أحالَ على الدَّمِ!

لقد ظلَّت المسألة المصرية السودانية منذ أكثر من نصف قرن وهى تتخبط فى أساليب السياسة البريطانية وتكاذيبها وخُدَعها وتغريرها بعقول الرجال، وتكاثرت النكَبات على مصر والسودان، واتخذت بريطانيا صنائع لها لبسوا ثوب الصديق وهم الدُّ عدوٍّ، وأبشمُه وأخلاه من الشرف والمروءة، ولم تزل مصر والسودان تجاهد بطبيعتها الحرة الصريحة المكنونة فى صدور أهل هذا الوادى الحر النبيل، فغلبت الشرَّ وقهرته، واستعلنتْ على أبْيَن ما تكون وأكمله، فانتهينا من ذلك الوباء الفتاك الذى كان ينخر فى جسم هذا الوطن، والذى كان يتهادى عليه من سهام الناس «زعماء» — انتهينا من وباء «المفاوضة» ومن حصر المسألة المصرية السودانية فى حيازة بريطانيا وشرف تاجها ووُعودها المبذولة بألفاظٍ من سراب. وهذه النتيجة وحدها هى حَسْبُ مصر والسودان من جهادِهما، فإنه لم يكن من المعقول أن يقف منصوب ضعيف ليفاوض غاصباً قوياً مفاوضة الندّ للندّ كما كان «الزعماء» يزعمون! ووالله ما ندرى كيف كان يجوز ذلك فى عقولهم «الزعيمة»؟ وكيف كانوا يخدعون الناس عن عقولهم «المزعومة»!! ولكنه كانَ، وعلم أسرار ذلك عند الله خالق الزعماء!

ثم خرجنا من بلاء المفاوضة إلى عرْض قضيتنا — قضية مصر والسودان — على مجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة لتحكم بيننا وبين بريطانيا المغتصبة الجريئة على حقوق خلق الله، وعلى الإيقاع بين الأمم والشعوب، وعلى خلق المشكلات التى لا وجود لها، كما فعلت فى فلسطين، ثم تظاهرها بعد ذلك بأن حلّ هذه المشكلات هو همُّها، وهو تعبٌ صبّه الله عليها وحمَّلها إياه، وهى كانت تتمنى لو زعمتْ أن الله لم يصبَّ عليها هذا التعب ولم يحمّلها عبء حله وتصريفه حتى تبلغ إرضاء المختلفين فى هذه المشكلات!! وهى تريد أن تخدع الأمم فى مجلس الأمن أو فى هيئة الأمم المتحدة بهذا الكذب الأبلق، وعندها من أفانين الدعاية وأساليب الصحافة، ومن رجال القلم واللسان ما يعينها على إجازة هذا الكذب الصِّرف إلى عقول الرجال فى مجلس الأمن أو سواه. وهى تعلم أن هؤلاء الرجال قليلا مايعرفون من سيئاتها ومظالمها وبغيها وجرائمها وآثامها فى هذا الشرق الذى ابتُلى بها وبخداعها.

وظنى بساستنا، هداهم الله، أنهم يعرفون هذا حق المعرفة، فإن لم يكونوا يعرفونه فقد نُبهوا مراراً ويوماً بعد يوم، فهم الآن على أتم علم بما يُخاف وما يُتجنَّبَ فى ساعة العُسرة التى نحن فيها منذ فتح الله مغاليق القلوب المُصْمتة فأدركت أن المفاوضة عبث لا يُجدى ولا يغنى، وإنما هو الجهادُ العامُّ فى سبيل نيل الحق المغصوب. فما معنى هذا التدابُر إذن؟

معناه أن هؤلاء الساسة قوم تصرفهم أهواؤهم لا حقوق هذا الوطن الذى أعطاهم حق الحياة فيما أعطى، ومعناه أيضاً أنهم قوم جمَدوا على سياسة لا يحسنون غيرها ولا يفهمون الأشياء إلا على أسلوبها، وهو أخسُّ الأساليب، ومعناه أيضاً أنهم يجهلون معنى خروجنا من أسر المفاوضات وارتفاعنا بقضية وادى النيل إلى مجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة. ولو همْ نفوْا من

صدورهم هـذه الشحناء القديمة البغيضة لأدركوا موقف مصر والسـودان حق الإدراك . فالأمم لا ترتفع إلى مجلس الأمن أو هيئة الأمم إلا فى القضايا التى تهدد السّلم العالمى ، أى التى يخشى أن تجرّ إلى حرب مبيدةٍ بين الأمم ، فإذا ارتفعت أمتان إلى المجلس أو الهيئة لـكى يحكم بينهما ؛ فمعنى ذلك أنهما قد بلغا مبلغاً يمكنُ أن يسمى « حالة حرب » كما يقولون اليوم ، وإذن فاحتكامنا إلى مجلس الأمن معناه أن ههنا « حالة حرب » يرادُ من مجلس الأمن أن يتداركها . فإذا كان ذلك كذلك فهل فى عقل عاقل أن تـكون أمة فى ساعة أشبه بساعة حرب ، فإذا رجال من قادتها يقومون ليتنابزوا بالألقاب ويتكايلوا بالتهم ، ويتدافعوا بالبغضاء ، ويبسطوا ألسنتهم فى حديث الماضى الذى عفّى عليه الزمن حين عفّى على أسبابه وهى المفاوضات التى كان قوم يستأكلون بها كراسى الوزارات ومقاعد البرلمان ؟

ألا فليعلم هؤلاء جميعاً أننا لا نريد أن ننصر قوماً على قوم فما بنا إلى أحد منهم حاجة ، وأننا إنمـا نريد لهذا الوطن أن يخرج من المحن منصوراً مؤزّراً ظافراً بالحق المسلوب . إن مصر والسودان قد أعلنت على بريطانيا — باحتكامها إلى مجلس الأمن — ما يمكن أن يسمى حرباً بغير سلاح ، فـكل مصرى سودانى هو اليوم جندى منوط به حراسة الثغرات التى يتدسس منها العدوّ الأكبر وهو بريطانيا ، لا فرق بين كبير وصغير ، ولا زعيم ولا تابع ، فأهل هـذا الوادى جميعاً يدٌ واحدةٌ وسواسيةٌ كأسنان المشطِ فى التكليف الذى كلفوا به ، وعلى كل منهم أن يبذل ما وسعه من النصيحة والمشورة للذين سيتولون الدفاع عن حق الوطن فى ذلك المكان الذى سنحتكم إليه .

وخيرٌ لأولئك الذين يقولون : إن فلاناً هذا لا يصلح لعرض القضية المصرية السودانية على مجلس الأمن أو هيئة الأمم أن ينزعوا هذا الإفك من ألسنتهم فإنه مضَلة ومفسَدة وخذلان للوطن لا لفلان أو فلان ، وخير لهم أن يقضوا الليالى الطوال فى درس الحجج التى سنتقدم بها لإقناع رجالٍ يجهلون كل الجهل تاريخ النكبة البريطانية التى صبّها الله على رأس مصر والسودان ، وخير لهم أن يستخرجوا آثام بريطانيا وضروب بغيها فى مصر والسودان ، وفى الهند ، وفى فلسطين ، وفى سائر بلاد الشرق ليعرضوها جملة واحدة تصريحاً أو تلميحاً ليكشفوا لرجال مجلس الأمن عن فظائع بريطانيا وأفعالها البشعة منذ سلطها الله على هذه البلاد فإن أكثر التاريخ الذى يقرؤه هؤلاء مكتوب بأقلام بريطانية وأهواء بريطانية. وإلا فحدثونا مَن مِن رجال مجلس الأمن ، فضلا عن شعوب هؤلاء الرجال ، عرف ألوان الخساسات التى ارتكبت فى دنشواى ، وفى فلسطين أيام الثورة العربية ؟ إننا لن نذهب إلى مجلس الأمن وحده بالقضية المصرية السودانية بل سنذهب إلى كل فرد فى روسيا وأمريكا وسائر الشعوب المشتركة فى مجلس الأمن . وإننا لن نذهب بالقضية المصرية السودانية وحدها ، بل سنذهب بجميع قضايا الشرق الذى ذاق نكال بريطانيا أكثر من قرن ونصف قرن . إننا نريد أن نُدخل قضيتنا وسائر قضايا الشرق فى كل بيت وفى كل نادٍ وفى كل مصنع ، وفى كل مكان فيه إنسان يعقل — كما تفعل بريطانيا الغادرة بباطلها الذى تنفثه فى كل حنيّة من حنايا هذا العالم ، متظاهرة بأنها المدافعة عن الحق وعن الحرية وعن العدالة وعن رفع مستوى الشعوب !! ويالـه من كذب لا يفله إلا الحق الأبلج ! فأين نحن من هذا كله ؟ أين ؟ أفى البغضاء ، وتمداد المساوئ الماضية ، وبسط الألسنة فى المطوىّ من الأحداث القديمة ؟ إننا لن ننال شيئاً إذا فعلنا إلا الخزى والعار وعرض فضائحنا على أعين الناس !

إننا أيها السادة محاربون ، فافعلوا فعل المحاربين فى ساحة القتال ، لا فعل المتشاتمتين على قارعة الطريق . واذكروا هذا الوطن ، فهو أحقُّ بالذكرى من ضغائنكم وإحنكم وثاراتـكم . اجعلوا هذه كلها دُبْرَ آذانـكم وتحت أقدامكم ، فإن الوطن يأمركم بهذا فأطيعوه ولا تطيعوا داعى الشهوات وكراسى الحكم ومقاعد البرلمان فـكلها عرض زائل ، وإن هذه أمتكم أمة واحدة ، وهى هى التى تتقدم إلى مجلس الأمن بقضيتها ، لا فلان هذا ولا فلان ذاك ؛ فالـكلمة الآن لمصر التى أنتم أبناؤها ، لا لأحـدٍ منكم على حياله . فأجمعوا أمركم ، ولا تحملنـكم الـكبرياء على تزييف القول إرضاء لشهوات أنفسكم ، فإنكم إن فعلتم كدتم لبلادكم وأوطانـكم وشرقـكم كيداً لا يكيده عدوٌّ حقود ولا شامت باغٍ لـكم أهوال المصائب . وماذا تريد بريطانيا إلا اختلاف الـكلمة وتفرّق الوحدة ؟ ألم تدركوا بعد ماذا كان

يريد كهف بريطانيا بيفن حين زعم أنه لم يعرف أنه أخطأ إلا يوم عزمت مصر والسودان على رفع قضيتها إلى مجلس الأمن ، فإنه زعم أنه أخطأ إذ أدار المفاوضات بينه وبين حكومة أقلية ! ! وياسبحان الله ! إنه لم يرد من تلك الأكثرية التي يعرّض بها إلا أن تكون خصومة ولدداً على حكومة الأقلية ، وأن يستثير دفائن الأحقاد ويفتّ من عضد الأمة التي سوف ترغمه وترغم بريطانيا على احترام إرادتها وحقها . فإن لم يكن في الاتحاد والتناصر إلا قتل هذه الكلمة وما ترمى إليه ، حتى يحمل الرجل حسرتها إلى الأبد — لكان ذلك واجباً مفروضاً وخيراً مرغوباً فيه. وكيف جاز في العقول — أعني عقول بعض الساسة — أن الأمر أمر حكومة أقلية أو أكثرية !! لا أدري ، ولكنه كان .

ومع كل ذلك ، فالأمر كله تدليس سخيف ، ففي البلاد المنكوبة المهضومة الحقوق ، لارأى لأكثرية ولا أقلية بل الرأى للشعوب وللبلاد — أي للشعب من حيث هو تاريخ ماضٍ وتاريخ حاضر وتاريخ مستقبل ، فحكومة الأكثرية لو هي خانت الأمانة وفرطت في حقوق البلاد ومهرت ووقعت وأسلمت المقاليد وعقدت المعاهدات وأقرها البرلمان وأجاز كل ما جاء فيها من تفريط — فذلك كله باطل ، لأن الحق ههنا حق طبيعي متوارث في البشرية كلها ، لا يغيّر رأى الأكثرية شيئاً من حقيقته وجوهره ، ولا تملك الدولة القائمة في أرض البلاد المحتلة أو المهتضمة أن تنزل عن هذا الحق لأحد ، فنزولها عنه عمل باطل من أصله . وإذن فالذي يقيّد الأكثرية ، ويؤيدها هو حق الشعب وهي بحرصها على هذا الحق تسمى أكثرية لا بغيره . فلو جاءت الأقلية وفعلت ما يدل على أنها حريصة على هذا الحق الطبيعي المتوارث الذي لا يمكن حكومة أن تتنازل عنه لأحد ، فهذه الأقلية بمنزلة الأكثرية ، لأنها هي المطالبة بالحق الطبيعي ، وهذا شيء بيّن واضح ، اللجاجة فيه شهوة وعبث .

أوليس عاراً أن يكتب المرء مثل هذا لقوم كان لهم جهاد في سبيل بلادهم ؟ إنه لعار . ألم يكن لهؤلاء أسوة حسنة في سورية ولبنان حين وقفت صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، على ما كان يومئذ من اختلاف أشد وأعنف من اختلاف رجالنا؟ بلى قد كان .

أيها الرجال ! إن العالم كله ينظر إلينا ، وإن قلوب الشرق كله تخفق إشفاقاً علينا وحباً لنا ، وإن الأمم الجريحة التي مزّق الوحش البريطاني أوصالها قد كفّت عن الأنين لتسمع صوتكم وهو يدوّي في جنبات الأرض لتنسى عندئذ آلامها وأوجاعها ، وإن فلسطين — وآه لفلسطين — إن الجزع ليأكل قلوب أبنائها مخافة أن تزل أقدامنا ، وهم قد ناطوا بنا رجاء قلوبهم . فرفقاً أيها الرجال ولا تخذلوا شعباً مجاهداً كتب عليه أن يقاتل أنذال الأمم .

أيها الرجال ! لايغرنكم هذا الوحش البريطاني ، فإنه يضرب بقوائمه وهو كالصريع فذففوا عليه باتحادكم ، وأجهزوا عليه بتناصركم ، وانسوا ما مضى وخذوا عدتكم للذي سيأتي ، فإنه النصر لمصر والسودان بإذن الله مذلّ الجبابرة ، ومرغم الطغاة الغادرة ، وناصر الأمم المتآزرة .

محمود محمد شاكر

صحائف مطوية :

رأس النقب وخليج العقبة

حملة البرنس أرناط على الأراضى المقدسة الإسلامية عام ٥٧٨ هجرية

للأستاذ أحمد رمزى بك

قالوا « الحرب رحى ثقالهـا الصبر وقطبها المكر ومدادها الاجتهاد وثقافها الاناة وزمامها الحـذر » (العقد الفريد) ، أما تلك التى أضعها أمامك فكانت ملحمة من ملاحم الحروب الفاصلة جمت بين قوات البر والبحر معا ، وقامت فيها المصادمة على ظهور المراكب والمطاردة على رمال الصحراء . ولم تتسع للصبر لأن السرعة كانت عنصرها ، ولا للمكر والاجتهاد واصطناع الخديعة لأنها جاءت على غير استعداد ، ولم يصاحبها الحذر لأنها بُنيت على المفاجأة والاقدام .

كان مشروعاً دفعه الحقد والحمق والغرور ، ذلك المشروع الحربى الذى دار بمخيلة البرنس أرناط صاحب الكرك وتسميه الفرنجة Renauld de Chatillon فقد أقسم أيمانا ملغظة على فتح الحجاز وإيذاء المسلمين فى أشرف بقعة يقدسونها ، ولذلك أنشأ أسطولا فى أراضيه جمله من قطع حملتها الابل ، وسارت بها وسط القفار ليلقى بها فى خليج العقبة ، وساعده بعض أشرار البدو فى عدوانه ولم تأت سنة ٥٧٨ إلا والأسطول يمخر عباب البحر الأحمر ، وإذا به ينقسم إلى فرقتين أقامت الأولى على حصن للمسلمين بخليج العقبة تحاصره ، واتجهت الاخرى جنوبا تهاجم موانئ البحر على الشاطئين الاسيوى والافريقى فاختل طريق الحج وأخذ الأسطول يطارد المسلمين فى عقر ديارهم وعلى أمواج بحرهم ، فأصبحوا تحت رحمة هذا الجبار ، ولما وصل الخبر إلى مصر وكان بها الملك العادل ابو بكر نائباً عن أخيه السلطان صلاح الدين ، بادر بانشاء أسطول نقله إلى خليج السويس وسلم قيادته للحاجب حسام الدين لؤلؤ ، فسار مجداً فى طلب الفرنجة حتى أوقع بهم بعد أن أمضوا شهوراً يجوبون البحر الأحمر إلى عدن وينزلون مقاتلتهم إلى ساحل الحجاز ، فأحدثوا أموراً لم يسمع فى الإسلام بمثلها حتى ذكر المؤرخون « أنهم توجهوا إلى المدينة النبوية فلم يبق بينها وبينهم سوى مسيرة يوم واحد » .

قرأت هذا فى مراجعنا ثم وقع نظرى على ما كتبه الأب لامنس اليسوعى إذ قال : « لفت خليج العقبة وموقع أيلة أنظار البطل الصليبى ولمس أهميته فعمل على احتلال تلك البقعة ونشر الرعب بأسطوله ، ولا شك فى أنه ضرب مثلا باقدامه وجرأته لجمع كبير من أبطال الاستعمار الاوروبى وبناته الذين جاءوا من بعده فجاهدوا مثل جهاده ، فهو الذى شق الطريق أمامهم وهم نسجوا على منواله »

حرّكنى هذا الكلام مع غيره مما قرأت من كتاب الاوروبيين الذين أشادوا بعمل البرنس ارناط ، أن أتتبع هذه الملحمة ، التى لم تعجبنى الدوافع التى أملتها ، وإن كانت عملا حربيا كبيراً فيه المجازفة والمخاطرة إلى أبعد حدودها ، وأعجبت من عمل مصر ورجال صلاح الدين الذين عالجوا الموقف وخطورته بجرأة وإقدام ومجازفة لا تقل عما لدى الخصم وكان أن كتب النصر لهم .

فلنقف هنيهة لننظر ما يقدمه لنا ذلك العصر من بطولة وقوة ومن مشاكل وأحداث ومصاعب : فى الفترة التى برز فيها هذا الخطر كان صلاح الدين بعيداً عن مصر ، يجمع شتات ملك الشام . كان ينازل الموصل بعد أن تم له فتح حران وسروج وسنجار ونصيبين والرقة وجميعها من بلاد الفرات الشامية ، فإذا برسول خليفة بغداد يستعطفه بشأن الموصل فيرحل عنها ليأخذ حلب من عز الدين مسعود الاتابكى ويعوضه عنها بسنجار .

فى وسط هذه المطامع القائمة وتبدل الدول حيث يعمل البطل الكبير إلى عودة حدود المملكة المصرية الإسلامية إلى سابق عهدها ، كما كانت أيام آل طولون والاخشيد والفواطم فى إبان مجدهم ، يفاجأ بهذه الحركة التى يقصد منها عرقلة مشاريعه وقطع اتصاله مع عاصمة ملكه . وسنرى أن العاهل الكبير أدرك خطورة هذه الحلة فقطع ما كان مزمعا عليه وعاد إلى الشام ليدبر حملاته الكبرى التى افتتح فيها أراضى الكرك والشوبك ثم انتهى إلى حطين حيث وقع البرنس ارناط اسيراً بين يديه .

لقد خدم ارناط العروبة ودين محمد ، فقد كنا نحبو إلى حطين

حبواً ، فإذا بالطاغية وملاحمته التى اثارها يجعلنا نركض إليها ركضا ، نعم ، لنكتب على صعيد فلسطين أنباء المعركة الفاصلة فى التاريخ والتى حطمت ملكا أنشأه الفرنجة ظلما على أراضى آسيا الإسلامية بضربة واحدة ، وقدم ارناط للشرق كأساً مملوءة بالظفر شربها أبطالنا بعد مضى قرن من الزمن على المعركة الأندلسية الكبرى التى انتصر فيها يوسف بن تاشفين على جموع الاسبان وفلول الادفونش (٤٧٩هجرية - ١٠٨٦ميلادية) وأثبت عن حق أن عزائم المرابطين من قبائل المغرب كانت أقوى من عزائم الاسبان وفرسان أوروبا .

تلك هى الملحمة التى كانت فى الماضى نعمة علينا فالبستنا من بعد حطين ثوباً من القدرة والانتصار ، مالى أراها تعاودنى وتقلق مضاجعى ؟ اهناك أشياء آتية المسها من بعيد ، سيخلقها المستقبل لنا؟

أنى أذكر تماماً أنه فى عام ١٩٣٥ حينما كنت بالقدس جاء إلى كاتب يهودى وقدم إلى مؤلفا بالعبرية كتبه عن أراضى النقب وطلب إلى أن أقرأه . وكان أن ساءلت نفسى ما الذى يشغله بهذه البقعة النائية عن الحضارة الخالية من السكان ، وما ذا يقصد هؤلاء من النقب ، وهم لا يكادون يصلون إلى قرية بئر السبع إلا بشق الأنفس ؟ لم أر الأمر بعين الجد ، ودار حديث مع المؤلف عن هجرة إسرائيل من وادى النيل وضلالهم فى سيناء ، وعرضنا لكلمة التيه وعلاقة هذا الاسم بتلك القبائل التى تخطر فى الريف المصرى باحثة عن المرعى لقطعانها من الغنم والتى يطلق عليها العرب من السكان اسم هتيم ؟ هل هم سكان التيه ؟ لا أدرى . وما خرج المؤلف حتى فتحت الكتاب فإذا به خريطة شاملة لتلك البقعة الهامة من أرض الشرق العربى التى ستؤثر فى تاريخنا لألف سنة قادمة . واتجهت انظارى إلى العقبة إذ هناك تنتهى أراضى فلسطين الحديثة ، وتذكرت النزاع الذى قام عام ١٩٠٦ بين مصر والدولة العثمانية أو بين بريطانيا وتركيا . وتخيلت مجموعة كبيرة من الوثائق الرسمية والخرائط كنت اطلعت عليها من زمن مضى ومعها صور للفرمانات السلطانية التى منحت للخديويين والولاة ، وكانت الحدود بين مصر والدولة صاحبة السيادة عليها تنتقل بين السويس والعقبة أى تنتهى مرة هنا وأخرى هناك

فما الذى حرك السياسة البريطانية عام ١٩٠٦ لاثارة مسألة العقبة وجعلها مسألة دولية وما الذى دفعها لكى تفرض إرادتها فرضا على الدولة صاحبة السيادة على مصر ؟ أكانت تقرأ فى عالم الغيب والشهادة تطورات ضرب فلسطين ومواقع القتال أم معارك الدردنيل عام ١٩١٥ ؟ أما التقارير الرسمية والأوراق السرية فقد أظهرت للعيان أن خطط اقتحام المضايق وغاليبولى قد وضعتها قيادة البحر مع اشتراك قيادة البر فى سنة ١٩٠٦ وهى السنة التى تمت فيها اتفاقات العقبة بين مصر وانجلتره من جانب والدولة العلية من جانب آخر ، فهل كان هذا من قبيل المصادفة ليس إلا ؟ لا أستطيع لذلك جوابا لأن للسياسة الأوروبية أسراراً وطلاسم أعجز عن فهمها .

مر كل هذا بذاكرتى بعد أن قدم المؤلف اليهودى كتابه مجلداً تجليداً حسناً ومهدى إلى ممثل الدولة التى مهدت له الدراسة ومهلت له التنقل فى ربوعها ليبحث مسألة علمية ، وليساهم بقسط ضئيل فى المعلومات والابحاث عن أرض النقب ، والنقب اسم متسع يشمل اجزاء من فلسطين وغيرها فى نظره .

وتمر الأيام والسنوات تترى وتشاء الأقدار أن أعيش بمصر بعيداً عن الحياة العامة ، فتهتز نفسى يوماً اهتزازاً قوياً ، ذلك لأن الجرائد اليومية تنشر ضمن أخبارها برقية من فلسطين تنبىء بأن جماعات صهيونية زحفت على أرض النقب وانشأت فى بضع ساعات عشر مستعمرات يهودية فى أماكن لم تكن مسكونة من من قبل .

نعم نقلت العمال والزراع والسكان ومواد البناء والبيوت مفككة وآلات الزرع والأثاث على السيارات فى ليلة واحدة وانشأت المستعمرات انشاء وأحكمت البناء ولم تقدر السلطات على الوقوف أمام هذه الحركة ولا ردها ، ولم يكن هناك سكان لأن أراضى النقب غير عامرة ، أما أهل البلاد وأصحابها فكانوا فى نوم عميق

هنا انتبهت وعدت إلى حملة ارناط أطلب الوحى منها . ألم ينقل المراكب والسفن مفككة على الجمال ؟ ألم يحط مشروعه بالكتمان ليبرز عنصر المفاجأة والمخاطرة ، ألم يكن سريعاً فى تصميمه وتنفيذ أغراضه . ولكن جاء رد الملك العادل سريعاً وحاسماً ، لم يحجم ويتردد ، لم يستشر ولم يترك الوقت يغالبه بل انشأ الأسطول ودفعه إلى البحر ، وجاء بالحاجب لؤلؤ وكان مظفراً وشجاعاً ونجداً فاخذ الأمر بالمفاجأة والمخاطرة والاقدام وكتب

للمسلمين صفحة من المجد .

فأين عمله من عملنا اليوم ونحن إذا رصفنا طريقا بين مصر والعباسة أمضينا الشهور والسنوات وغيرنا يقيم عشر مستعمرات فى ليلة واحدة ؟ .

رأس النقب يعمر وخليج العقبة تعود إليه الحيـاة ، إنها لكبيرة على النفس لأن صفحة جديدة من العراك والتصادم تبدأ ، لو كنا احياء نشعر بالاعصار القادم علينا .

***

إذا اردت أن تعرف بالضبط مدى هـذه الصيحة ، أفتح خريطة لهذه المنطقة تجد حدود أربع دول تتلاقى فى بقعة واحدة هى نهاية خليج العقبة ، وتبدأ حدود مصر من « طابة » وهى مع فلسطين لايشاركهما فيها أحد ، أى إذا اردت الذهاب لشرق الأردن أو الحجاز أو نجد ، يجب أن تمر بالممر الفلسطينى وهو مثل ممر دانتزيج المشهور ، وبهذا الممر تتصل فلسطين لأول مرة فى التاريخ مع المحيط الهندى واستراليا بدون أن تحتاج لقناة السويس. ماذا يخبئه لنا هـــذا الاتصال وماذا سيكون من أثر هذا الممر الأرضى؟ أشياء كثيرة سيعرفها الأبناء والأحفاد قبل أن يلمسها الأحياء الآن لانهم لاهون بأنفسهم وأطماعهم — أما من الناحية الأخرى فهنالك تتلاقى حدود مملكتين هما العربية السعودية وشرق الأردن ، وتقع مدينة العقبة فى داخل حدود الثانية .

لننظر الآن ماذا يقول القدماء عن العقبة : هى عقبة ايلة وهى مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطىء البحر تعد فى بلاد الشام وهى جليلة بها مجتمع حاج الفسطاط والشام[1] .وورد عن أيلة فى قاموس الكتاب المقدس أنها فرضة شهيرة فى أرض أدوم على الشاطىء الشرقى من الخليج ، مربهـا بنو اسرائيل وكانت ذات شأن فى زمن سليمان والارجح أن داود تغلب عليها ثم استرجعها أهل أدوم . ونقل القريزى فى خططه أنها « كانت حد مملكة الروم وعلى ميل منها باب معقود لقيصر وكان بها قوة مسلحة يأخذون المكس ، وكانت فى الإسلام منزلا لبنى أمية وأكثرهم موالى عثمان بن عفان وكانوا سقاة للحج ، وكان بها علم كثير وآداب ومتاجر وأسواق عامرة وهى كثيرة النخل »، وقال عن العقبة « لا يصعد إليها من هو راكب ، ولذلك أصلحها فائق مولى خمارويه بن أحمد بن طولون ومهد الطرق إليها »، وعرض فى خططه إلى الحوادث التى نحن بصددها أى إلى حمـلة البرنس ارناط بتفصيل أعم مما ذكره فى السلوك فقال نقلا عن القاضى الفاضل : « فى سنة ٥٦٦ أنشأ صلاح الدين مراكب مفصلة وحملها على الجمال وسار بهـا من القاهرة فى عسكر كبير لمحاربة « أيلة » وكان الافرنج قد ملكوها وامتنعوا بها فنازلها فى ربيع الأول وأقام المراكب وأصلحها وطرحها فى البحر وشحنها بالمقاتلة والأسلحة وضيق عليهـا الحصار فى البحر حتى فتحها ثم أسكن فيها جماعة من ثقاته وقواهم بما يحتاجون إليه من سلاح وغيره وعاد إلى القاهرة »

وعن القاضى الفاضل أيضا « فى سنة ٥٧٧ وصل كتاب من نائب القامة ان المراكب على تحفظ وخوف شديد من الافرنج إذ وصل البرنس (يقصد ارناط صاحب الكرك) وسير عسكره إلى ناحية تبوك ، وربط جانب الشام لخوفه من عسكر يأتى لمحاربته من مصر » وإنما سقنا كل هذه الاشارات ووضعنا فى وسط كلامنا ما سجلته المراجع لكى نثبت للقارىء المتيقظ الذى يهمه أمر مصر والبلاد العربية ومستقبل الأجيال القادمة شيئا واحداً : هو أن خليج العقبة ورأسه حيث ملتقى الحدود الأربعة كان موقعاً استراتيجياً مهماً جداً يؤثر فى عوامل التاريخ وبناء الممالك وفى حفظ الحدود وسوق الجيوش فى الجاهلية وفى الإسلام وقد ظهرت خطورته فى الحروب الصليبية وكاد أن يكون ضياع هـذا الركن حاسماً لولا أن قيض الله للمسلمين الملك القائد العظيم صلاح الدين الأيوبى ، الذى عرف فى الوقت المناسب أن يسد هذا الخرق ويحفظ هذا الثغر ويقى البلاد من عبث « أرناط » واخطار رجاله ونعلم الآن ان هذا الموقع لم يكن مجمع الحاج من مصر والشام فحسب بل كان أكثر من هذا كان طريق الاتصال الوحيد بين مصر والشام حينما انقطع الطريق المعتاد بينهما بتهديد الصليبيين وأنه لولاه لتعذر على جنود شيركوه وابن أخيه صلاح الدين انقاذ مصر ، ولولاه لتعذر على جند مصر الحصول على شرف القتال بمعارك فلسطين والشام . وإذا قلت ان طريق البحر كان مفتوحاً بين مصر والحجاز فلدينا وصف شامل عن رحلة ابن جبير الأندلسى من القاهرة لجدة وما لقيه من المتاعب فى طريق البر والصحراء وطريق البحر من عيذاب وما تعرض له من اخطار . فنحن أمام

(١) كلام أبي عبيدة نقله ياقوت

موقع هام من مواقع التاريخ يستدعى أن تتلاقى الحدود بشكل يسمح باجتماعها فى نقطة واحدة . وتنحدر من الماضى إلى العصر الحاضر وأهم مظاهر الدنيا هى الحروب ، فقد ذكرت المؤلفات الرسمية التى نشرتها وزارة الحربية البريطانية عن تاريخ الحرب العظمى الأولى طبعة ١٩٢٨ ما يأتى « لقد أصبح من المحتم بعد نشوب معركتى غزة الأولى والثانية مارس وإبريل سنة ١٩١٧ احتلال العقبة ، وقد تم ذلك بواسطة لورنس فى يوليو ١٩١٧ ، وباحتلالها مهد الأسطول فى جعلها قاعدة حربية ومركزا عسكريا ممتازاً ساعد كثيراً فى تهيئة واعداد العمليات الحربية التى سندت ميمنة جيش اللنبى فى قتاله مع الأتراك » ولبيان ذلك نرجع إلى ما كتبه حاكم القدس السابق « سنورس » فقد قرر « أن فترة الجمود التى سادت الجزيرة قد انتهت باحتلال العقبة التى أخذت مكان رابغ والوجه ، وجاءت الحرب العظمى الثانية فإذا بخليج العقبة من أحسن الأماكن أماناً لتفريغ العتاد الأميركى والمؤن والذخائر لبعده عن غارات الطائرات ، وكان أن انشأت السلطات العسكرية البريطانية خطاً حديديا اضافيا يبدأ من مدينة معان وهى على الخط الحديدى الحجازى ويتجه إلى الجنوب مشرقاً حتى ينتهى إلى رأس النقب. ومن هناك نظراً للانحدار الشديد تعذر أن يصل القطار إلى البحر فاكتفى بانشاء طريق معبد للسيارات انتهى إلى ثغر العقبة

هذه كلمة أولى عن المنطقة الواقعة على رأس خليج العقبة وهى فى الوقت نفسه رأس النقب إذا أطلقنا هذا الإسم على الشكل المخروطى الذى يبدأ عريضا من الشمال ويتقارب كلما انحدر جنوبا وهو الجزء من فلسطين الواقع بين حدود مصر وحدود شرق الأردن والذى صمم الصهيونيون على استعماره واستغلاله للوصول إلى البحر الأحمر ، وهم يتحدون بعملهم التاريخ والطبيعة والأقطار العربية . فما الذى أعددناه لمواجهة هذا النشاط الانشائى ؟

تبدو لى دائما الحركة الصهيونية أنها تحاول أن تأخذ شكلا توسعيا جارفاً ، ولكنى مع هذا ألمس أنها تسير وئيداً بخطوات منظمة ومتصلة وهى حركة خطيرة لأنها لا تحمل طابع الغرور والادعاء ولا تعتمد على الاغراء والزخرفة والتشويق وانما على الوسع والطاقة والسلم والتنظيم ، وتمر الأيام فإذا بخبر من رأس خليج العقبة ينبىء بان أول منظمة يهودية لصيد الأسماك قد ظهرت على شاطىء البحر الأحمر وستكون بعد هذه الخطوة خطوات . فماذا اعددنا للعمل فى هذه الناحية ؟ وهل المياه الاقليمية لمصر والمملكة السعودية محروسة ؟ وما هى القوة التى تحرسها فى خليج العقبة فى الوقت الذى تمر به أكبر الحوادث فى مستقبل العالم العربى؟ لا أعرف شيئا عن اجتماعات العرب واتجاهات الجامعة فأنا بعيد عن الحاضر أعيش فى التاريخ ، ولذلك انقل من كتاب بعث به السلطان صلاح الدين إلى أخيه عن الاسرى الذين أتى بهم لؤلؤ إذ قال «هؤلاء الاسارى قد ظهروا على عورة الإسلام وكشفوها ، وتطرقوا بلاد القبلة وتطوفوها ، ولو جرى فى ذلك سبب والعياذ بالله لضاقت الاعذار إلى الله والخلق وانطلقت الألسن بالمذمة فى الغرب والشرق »وتقدم الشعراء بمدح الحاجب لؤلؤ فمن ذلك قول أبى الحسن ابن الدروى .

مرّ يوم من الزمان عجيب كاد يبدى فيه السرور الجماد
إذ أتى الحاجب الأجل بأسرى قرنتهم فى طيها الاصفاد
بجبالٍ كأنهن جبالٌ وعلوج كأنهم أطواد
قلت بعد التكبير لما تبدّى هكذا هكذا يكون الجهاد
حبذا لؤلؤ يصيد الأعادى وسواه من اللآلى يصاد

وهو شعر كما ترى يتفق مع حالنا اليوم فى البيت الأخير .

أحمد رمزى

ليس هذا هو الطريق يا مسيو ديهامل !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

فرنسا تحس وتعلم غاية العلم أنها فقدت كثيراً مما كان لها فى العالم العربى من أمكنة ومكانات ، وضيعت كثيراً من هيبتها وسمعتها لدى العرب ، وأن الثقة القديمة بالروح الفرنسى والثقافة الفرنسية أصابها كثير من الزلزلة والشك والهزال بعد تلك الصدمات التى طوحت بفرنسا وسحقتها فى معترك الأقوياء الذين أحاطوا بها من الشرق والغرب ، وبعد تلك المواقف غير المشرفة التى وقفتها فى سوريا ولبنان ولا تزال تقفها فى المغرب العربى الواقع تحت حكمها القاسى الجامد المتغافل عن تيارات الحريات التى تحيط بالناس وتفتح أعينهم على عالم جديد وتكتسح العوائق والسدود

فرنسا تعلم ذلك وتقدر ما له من نتائج على مستقبلها بل على حاضرها وتريد أن تتخذ الحيطة للاحتفاظ بما بقى لها من تلك السمعة المتداعية ولإنمائها إذا أمكن ذلك حتى تعود إلى المكانة السامية التى لم تكن تدانيها فيها حتى انجلترا ذات السيطرة الرسمية وذات العلاقات الوطيدة فى كثير من البلاد العربية . .

لكن فرنسا من سوء حظها تخطىء فى التماس الوسائل إلى إعادة سمعتها ومكانتها وتصطنع تلك الأساليب السطحية التى أصبحت لا تتصل بصميم ضمير الشعب العربى ووعيه ولا ترضى طبيعته التى شبت عن الطوق ولم تعد تنطلى عليها تلك الدعايات التى تتصل بالترف الذهنى والعلاقات الكمالية وإرضاء بعض الطبقات الموشكة على الانقراض فى الحياة المصرية ، طبقات الصالونات والأندية التى تعيش بمعزل عن غمار الحياة اليومية المصرية والقومية العربية .

فإذا كانت فرنسا تريد أن تسلك السبيل القريبة إلى صداقة القومية العربية الناهضة التى أصبحت حقيقة سياسية ملموسة يحسب لها حساب فى الحاضر والمستقبل القريب والبعيد ، وإلى صداقة المصريين الحقيقيين بنوع خاص فعليها أن تلتمس لذلك وسائله العملية وتترك أمر الدعايات الكلامية والسفارات الأدبية التى تجند لها بعض مفكريها وأدبائها كمسيو جورج ديهامل الكاتب الشهير وتحملهم مشقة السفر وعناء الرحلة والحديث المكرور المملول عن فرنسا وخدماتها للثقافة ثم لا يكون من وراء ذلك طائل كبير ولا تبقى آثاره إلا ريثما ينقضى الحفل وتنفض سوامر الصالونات ولا يرسب من ذلك شىء فى أعماق المجتمع المصرى يصح أن يكون ذخيرة أو خميرة لبناء صداقة عربية فرنسية تخدم الحضارة وتكون عاملا من عوامل الاستقرار والتفاهم والتوازن فى البحر الأبيض المتوسط الذى يحتل العرب الجزء الأكبر منه . فعلى فرنسا إن كانت تريد عملا لا كلاماً أموراً هامة نرشدها إليها لأننا أعرف من فرنسا بما يفتح قلوبنا لها:

عليها أن تغير أولا نظرتها « الصليبية » بالنسبة للعرب والمسلمين التى حملتها على احتقار المغاربة والعرب عموماً والتنكيل بهم ، وأن تتحرر من ذلك التوجيه الحاقد الذى يستمد حقده من تلك الظلال والأشباح السوداء التى كان يثيرها المثيرون المتعصبون فى القرون الوسطى على العرب ويحملونهم أمام الجماهير حلفاء الشيطان ويتخذونهم وسيلة لاثارة ذلك الشعور الذى كان يسمى « الحقد المقدس » !

ولتعلم فرنسا وخصوصاً مفكريها الذين تجندهم للدعاية ، أن نظر العالم لم يعد يطيق ذلك اللون السخيف الذى يبدو فى محاولات المستعمرين الفرنسيين فى شمال إفريقية لفتنة البربر والعرب المسلمين عن دينهم ، وضرب الحصار على أبنائهم ليحال بينهم وبين التعرف إلى قوميتهم ولغتهم التى صحبتهم منذ فجر التاريخ .

إن هذا منكر غليظ ورجعية عمياء لا تريد أن ترى طبائع الأشياء وتحاول فصل ما ربطته مشيئة الله التى نوعت الناس أجناساً ولغات لأمر عظيم على جانب من الخطر فى عالم الفكر وعالم العمل !

وعلى فرنسا أن ترفع يدها عن ضرب ذلك السور الحديدى حول تونس والجزائر ومراكش ، ذلك السور الذى لا يسمح لداخل غريب أن يدخل ولا لخارج أن يخرج ولا يسمح لعيون الناس أن يروا آثار حكمها السعيد ! فى حياة هؤلاء الأرقاء التعساء الذين ابتلوا بأن يعيشوا فى أوطانهم كأنها سجون ، الداخل فيها مفقود والخارج منها مولود ؛ فإن هذا أعجوبة الأعاجيب فى القرن العشرين ، حتى ولو كانت هذه البلاد مستقلة استقلالا تاماً ومحكومة ذلك الحكم بأيدى فريق من أبنائها لكان ذلك النوع من ضرب الحصار الحديدى عليها أسلوباً عجيباً فى هذا العصر !

وعلى فرنسا أن تقلع عن سياسة الإفقار والتجهيل التى تفرض بها البؤس والجهل على سكان هذه البلاد وتعزلهم بذلك عن حياة العالم وتفنيهم الفناء الأكبر بحرمانهم من وسائل العلم المصرى الذى يجعلهم أبناء حقيقيين لزمانهم يساهمون فى خدمة المعارف الإنسانية وفى إمداد شعلة الحضارة ومد نورها على ديارهم

وهم من أذكى الناس وأشدهم جلداً على التعلم والعمل . وإذا نسى التاريخ مخازى الأمم فلن ينسى لفرنسا أنها تتخذ سياسة تجهيل المغاربة عمداً وترسم لذلك الخطط وتستفتى مفكريها ليهدوا فريقاً من الناس إلى طريق الجهالة العمياء ، ويصرفوهم عن طريق المعرفة البيضاء ! إن هذا أكبر عار يلحق بفرنسا ، وإنه لأكبر «ارتداد» عن رسالة العلم ، وإنه لجدير أن يخزى وجهها يوم يستعرض عملها أمام هيئة الأمم المتحدة وينشر على رءوس الأشهاد فى يوم آت قريب

وإننى لا أذكر لفرنسا هذا الموقف المخزى إلا أشعر أن سخط الإنسانية كلها لا القومية العربية وحدها يثير فى دمى القشعريرة والاشمئزاز وعلى فرنسا أن تسير مع الزمن فى علاقاتها السياسية بشمال إفريقية وأن تتطور كما يتطور غيرها فى ارتباطاتها بالشعوب العربية التى بينها وبينها مصالح ، وأن تعلم أن الفجر الدولى قد سطع على العالم وكشف أوكار الرجعية والاستبداد ولن يخفى على العيون ما تفعله فرنسا فى إفريقية مهما خيل إليها أنها ستصل إلى غاياتها الظالمة فى غفلة عن الرقباء ، وأن تقلع عن خرافة سلخ أى جزء من المغرب من جسم العروبة لضمه إليها فإن ذلك لن يكون لها يوماً ما ، لأنه ينافى طبيعة التكوين وحقائق السياسة العالمية الراهنة

فيا مسيو ديهامل إن كان عليك لوطنك واجب فعليك للانسانية مثله والفكر المخلص إنسان تملكه الإنسانية كما تملكه وثنية الوطن

فإن كنت تريد أن تعيد مجد فرنسا لامعاً واسمها عالياً كما كان فسخر قلمك للدفاع عن الحقائق الانسانية العليا الأبدية التى تحتل الحرية فيها مكان الصدارة واجعل فرنسا أم الحرية فى زعمكم لا تنكس لواء الحرية ولا تمرغه فى الوحل والدم فى الجزائر ومراكش وتونس .

وإذا كانت فرنسا هى حياتك — كما حاضرت المصريين — فاجعل حياتك هذه صورة مما ينشد فكرك الحر وأدبك الحار وقلبك العامر لا كما ينشد الفرنسيون الرجعيون الحاقدون والسماسرة والدجالون والجاهلون اللاعبون بالشعوب الذين لا يدركون سير الحياة بالأحياء ولا يعرفون منطق هذا العصر الذى يعيشون فيه بثياب المتحضرين وجلود الآدميين بينما قلوبهم هى قلوب القردة ووحوش الغاب ..

وإنها لرسالة لك فى فرنسا إذا أردت : أن تعود إليها رسول آلامنا من أجل بنى قومنا المثخنين بجراح بنى قومك ! وقد أرسلتك إلينا « السياسة » التى لا قلب لها لشأن من شئونها الخادعة ، فارفض أيها الكاتب أن تخدع . وعد إليها رسول الآلام الإنسانية التى عانت فرنسا مرارتها وحرارتها فترات مظلمة من الزمان البعيد قبل الثورة التى حولت مرارتها حلاوة وحرارتها نداوة ، وفترة مظلمة من الزمان القريب الذى لا يزال وقع الحذاء الألمانى فيه على أرض فرنسا يصخ آذان أحرارها !

يا مسيو ديهامل ! أيها الأديب الكبير ! إننا هنا فى الشرق ندعو أن يثور المفكرون على الواقع السىء الذى يسيطر عليه العوام وأن تتحرر الرءوس من سلطان الأقدام ، والجامعات من منطق الشوارع .. لأننا نرى فى هذه المدنية الحالية مدنية الحرية والعلم نبوة شيوعية من لم يؤمن بها فقد صبأ عن الإنسانية ، ومن سخرها بغير أهلية لها فقد ألحد فيها ، مع أننا لا نزال فى دور فتح العيون على فجرها ولم نأخذ منها ما أخذتم معشر الغربيين ، وليست منسوبة إلينا ، بل تنسبونها أنتم إليكم . فلماذا لا تدافعون عن سمتها وعن حقائقها دفاع أنبياء إسرائيل الشرقيين القدماء عن حقائق الإيمان والنبوات الأولى ؟ لماذا لا تذوقونها بأرواحكم وقلوبكم بدل ذواقها بجيوبكم وخزائنكم ؟! لماذا تجعلون رسلها إلى بلاد المتخلفين هم من السماسرة والمتغطرسين والحاقدين والمتعالين؟

إن اللوم فى ذلك واقع على أرباب الفكر الذين يرون هذا ولا ينكرونه ، ويرضون لأقلامهم وألسنتهم أن تسخر وراء القطيع الذى لم يدرك أمانة الفكر وحراسة شعلة الحضارة فى الروح قبل الجسد

وما أظنك ترضى لو علمت أن أربعين ألفاً من العرب الجزائريين قتلوا فى « سطيف » بالجزائر ، لأنهم طالبوا بحريتهم فى أيام الاحتفالات بعيد النصر سنة ١٩٤٥ ؟

إن صراخ دم هؤلاء الضحايا يجب أن يؤرق نومك ويمد قلمك بمداد من نار لتثأر من قتلة هؤلاء الأحرار الذين طالبوا بالحرية التى يمجدها قلمك وأقلام إخوانك وإلا كنت غير مخلص لرسالة الفكر

وما أظنك ترضى أن يعيش خمسة وعشرون مليوناً من النفوس محرومين من عصارة فكرك وفكر أمثالك ومعارف الدنيا لأجل أن يكونوا سوائم بلهاء تحرث أرضها وتحلب ضرعها لتستولى عليه عصابات المستعمرين الرأسماليين فى فرنسا ؟

واعذرنا إذا كنا نتهكم ونسخر مما تقول ويقول أمثالك عن فرنسا وروحها الحر وميراث ثقافتها ، ما دمنا نرى أن هذه كلها بضاعة تستهلك فى فرنسا ولا تصدر إلى الخارج ..

هذه كلمات صادقة أردت أن تخلص إليك من بين مجاملات الصالونات ، وأنا أعلم أن واجب مثلك أن يحرص على سماع الصدق الصريح .

عبد المنعم خلاف

الأدب في سير أعلامه :

٤ ـ تولستوى ...!

[قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

غلام نابه



كان كلما اقترب ليو من إخوته سمعهم يتحدثون عن موسكو وعن الرحيل إلى موسكو فيرفع بصره إلى وجوههم يتبين هل ثمة فيها شىء من الهم لقرب هذا الرحيل ؛ فإن الهم ما يبرح يهجس فى خاطره منذ أن علم بقرب انتقالهم إلى موسكو ؛ ولكن الغلام لا يجد فى وجوههم أية أمارة لذلك الذى يعتلج فى نفسه من الحزن كلما تطرق الحديث إلى موسكو أو كلما وقع بصره على ما يلمح إلى الرحيل أو يشير إليه ، ومن ذلك تلك السراويل الجديدة ذات الأشرطة الزاهية يقلبها إخوته بين أيديهم فرحين ؛ وإنه ليشاركهم فرحهم بها وما ينقم منها إلا أنها سوف تلبس فى موسكو ؛ فما قريب يرحل مع إخوته ليتعلموا فى تلك المدينة الكبيرة ؛ وإنه ليعجب كيف يطيقون الرحيل عن يا سنايا بوليانا فيتحدثون عن ذلك الرحيل ضاحكين مستبشرين ويقع الحديث من نفسه موقعاً أليماً .

وهل كان يطيق البعد عن ذلك القصر وعن تلك المدينة وعن هاتيك الغابات القريبة التى أحبها وألف المرح فى أرجائها ؟ وهل كان يطيق البعد عن العمة تاتيانا وهو لا يجد له أماً غيرها ؟ ومن ذا يكون مربيه فى موسكو مكان تيودور رويسل ؟ وهل هو واجد فى موسكو ما يجده هنا من مسرات الحياة ولهوها ؟ أيطيق ألا يرى الخدم الذين أحبهم وأحبوه والخيل وكلاب الصيد التى أولع بها وأحب أن يراها كل يوم ؟ ولكن ما من الرحيل بد فليس له إلا أن يصبر عليه ... بهذا كان يتحدث الغلام إلى نفسه أو بهذا كانت تحدثه نفسه .

وحان يوم الرحيل ؛ ومسح الغلام عينيه وقد انطلقت به وبأخوته العربة إلى موسكو فما يجدر به أن يبكى وهو ابن ثمان ، وهؤلاء إخوته حوله لا يبكون بل لا يكترثون لشىء كأنما هم ذاهبون كما كانوا يذهبون بالأمس إلى الصيد فى الغابة !

ونظر الغلام فى موسكو إلى مربيه الفرنسى الجديد سنت توماس فإذا هو تلقاء رجل لا يحس فى وجهه ما كان يحسه فى وجه تيودور رويسل من عطف ومحبة وإخلاص ، وما لبث أن وجده يعنف عليه كأشد ما يكون العنف ، فيحبسه فى حجرة ويتهدده بالعصا ، الأمر الذى أغضبه أشد الغضب وكره إليه الغلظة والعنف ونفره من العقوبة البدنية ومن صور القسوة جميعاً طيلة حياته ؛ كتب بعد ذلك فى مذكراته يشير إلى هذا الحادث فقال « حبسنى سنت توماس أولا فى حجرة ثم جاء يتهددنى بالضرب بعصاه ، ولست أذكر الذنب ولكنه كان أمراً لا يستحق العقاب البتة ؛ وعندئذ ذقت شعوراً مخيفاً هو مزيج من الغضب والاحتقار والاشمئزاز ، ولم يكن ذلك نحو سنت توماس فحسب ، ولكن نحو القسوة التى يتهددنى بها كذلك » .

وأكبر الظن أن مربيه ما فعل هذا إلا لإهماله وانصرافه عن الدرس ، وعناده إذا دعاه إلى العمل ؛ ولم يتجن عليه سنت توماس فهذا أحد لداته قد تحدث عنه وعن إخوته فقال : « يرغب نيقولا فى التعلم ويقدرعليه ، ويقدر سيرجى على العلم ولكنه لايميل إليه ، ويميل ديمترى ولكنه لا يقدر ، أما ليو فأنه لا يميل ولا يقدر » ولكن مربيه على الرغم من ذلك موقن من ذكائه ومن موهبة فيه عبر عنها بقوله « إن لهذا الغلام رأساً ... إنه موليير صغير » .

وماذا كان فى رأسه يومئذ حتى يسميه مربيه هذا الاسم ؟ لعل مرد ذلك إلى نفاذ عينيه إلى ما تقعان عليه ، ونفاذ بصيرته إلى أفعال إخوته ولداته من التلاميذ وتفطنه إلى خصائص كل منهم ، فالغلام على حداثته يقظ مرهف الحس ، دقيق الملاحظة للناس وللأشياء جميعاً .

وهو وإن لم يتجاوز الثامنة بعد ، تطوف بقلبه الغض عاطفة

الحب ، ولم يكن هذا الحب الجديد كذلك الذى يحسه نحو العمة تاتيانا أو نحو غيرها ممن أولوه مودتهم وعطفهم من أفراد الأسرة ومن الخدم ، وإنما كان حباً كذلك الحب الذى قلما خلا منه قلب فتى أو فتاة فى ربيع العمر ؛ ويميل بعض علماء النفس إلى عد هذه العاطفة فى مثل هذه السن الباكرة دليلا على الموهبة الفنية ، ولذلك يرجى لصاحبها أن يكون فى غده من الأفذاذ ...

أحب ليو تلك البنت الصغيرة التى عاشت بين أفراد الأسرة فى كنف عميدها الكونت وكانت تسمى اسلنيف ، وأحب فى موسكو غلاماً صغيراً من أبناء عمومته من آل بوشكين ، وقد بلغ من حبه إياه أنه كان ينعقد لسانه إذا وجد نفسه تلقاءه من فرط إحساسه بعاطفته ؛ وكذلك أحب بنتاً لا تكبره فى العمر جميلة زرقاء العينين تدعى سونشكا ، وكان يشعر بين يديها بفيض من السرور والمودة والرفق ، فإذا غابت فإن ذكر اسمها كان يملأ مقلتيه بدموع الفرح من فرط نشوته ، وكانت عاطفته نحوها عميقة بالغة العمق صادقة خالصة الصدق بريئة من كل شائبة أو غرض ، حتى لقد اتخذها فى مستقبل أيامه مقياساً يرجع إليه إذا شاء أن يقارن بين حالات شعوره ...

أما اسلنيف فكان يغار عليها كأشد ما تكون الغيرة ، لا يطيق أن تحدث شخصاً غيره كبيراً كان أو صغيراً أو تتجه حتى بنظرها إليه ، وكان يعسف عليها ويعصف فى وجهها إذا وجد منها ما يظنه ميلا إلى غيره حتى إنه دفعها مرة من شرفة حيث كانا يلعبان وقد بلغت بها الجرأة أن كلمت غلاماً أمامه فسقطت ولحق بها العرج من جراء ذلك بضع سنين ، وبعد قرابة ربع قرن من هذا الحادث شاءت الأقدار أن يتزوج ليو من ابنة هذه التى غدت سيدة أنجبت بنات وبنين ، وأصبحت أم زوجته فقالت له ضاحكة تذكره بذلك الحادث « أكبر الظن أنك دفعتنى من الشرفة إبان طفولتى لكى تتزوج بابنتى فيما بعد » .

وذاق الغلام فى موسكو لوعة الحزن كما ذاق فرحة الحب ، فقد مات أبوه وكان فى طريقه إلى مدينة تولا فى صيف سنة ١٨٣٧ وسقط فى الطريق جسما لا حراك به ، فمن قائل إنه مات بنوبة من نوبات القلب ، وآخرون يهمسون أن السم أودى به على يد فلاح ممن ملكت يداه ؛ ويتسلط على رأس الغلام خيال عجيب فهو يحسب أن أباه حى لم يمت ولا يستطيع أن يتصور أنه مات حقاً على الرغم من أن أخاه نيقولا قد شهد دفنه فى ياسنايا بوليانا ؛ وإنه لينقل بصره بين وجوه المارة فى شوارع موسكو يتوقع أن تقع عيناه على أبيه ، وظل هذا الخيال بضعة أشهر متسلطاً عليه .

ويتفكر الغلام مرة ثانية فى الموت والحياة ، فقد تفكر فى ذلك حين أدرك أن عمته تاتيانا ليست أمه وعلم من نيقولا بموت أمه ؛ ولقد أحس يومئذ أن الموت شىء كريه مخيف ، ولكنه لم يدرك كنهه ، وهو كذلك يحس اليوم مثلما أحس بالأمس ، وإن كان يصحب إحساسه هذه المرة شىء من التفكير والدهشة ، وسيظل هذا شأنه كلما نظر فى الموت حتى يجاوز الثمانين من عمره فيطويه ذلك الشىء الكريه المخيف وهو لم يعد من طول النظر فى أمره بشىء .

ولم تكد تمضى تسعة أشهر على وفاة أبيه حتى ماتت جدته محزونة على ابنها ؛ وجاء المربى يحمل النبأ إلى الصبية وهم يلعبون ، فانقلب مرحهم وزياطهم وجوماً وسكوناً ، وأرهف ليو أذنيه ودار بعينيه يسمع ويرى ، فكم كره مرأى الحانوطية على مقربة من البيت فى ملابسهم السوداء ، وكم بث فى نفسه الخوف رؤية التابوت بين أيديهم ووجوههم كئيبة عابسة من أثر ما يتكلفونه من الحزن ؛ على أنه يطيب نفساً بما يشاهد من مظاهر العطف عليه وعلى إخوته وبما يسمع من عبارات الرثاء لهم والإشفاق عليهم وإن كان ذلك يزيد إحساسه باليتم ؛ ولقد تندت عيناه ذات مرة متأثرة بكلمة عطف سمعها من سيدة إذ قالت لجارتها « إنهم اليوم أيتام كل اليتم فقد مات أبوهم منذ قليل ، وهاهى ذى جدتهم كذلك يأخذها الموت » .

وينظر الصبى إلى حلته السوداء المخططة الحواشى بخيوط بيضاء وهو يرتديها حداداً على فقد جدته وقد صنعت لهذا الغرض خاصة ويعجبه منظره فى هذه الحلة فينسى بعض ما يمسه من حزن .

وللغلام فى هذه السن الباكرة اشتغال بما يعد الاشتغال به من أعجب الأمور ممن كان فى مثل سنه ، وذلك هو نظره فى الدين ومسائله ، ولندع تولستوى نفسه يتحدث عن ذلك قال فى مستهل كتابه « اعترافاتى » إنى أذكر كيف زارنا ذات يوم من أيام الآحاد فى الحادية عشرة من عمرى غلام يدعى ڤالرمير موليتين كان فى إحدى المدارس الابتدائية وراح يقص علينا ما سماه أحدث الطرائف من الأنباء ألا وهو كشف اتفق وقوعه فى مدرسته ، ومؤدى ذلك الكشف أنه ليس لهذا العالم إله ، وأن كل ما لقناه عنه إن هو إلا محض اختراع . وإنى لأذكر مبلغ ما داخل إخوتى

من سرور عند سماع ذلك ، لقد دعونى إلى مجالسهم وأذكر أننا جميعاً شعرنا شعور النشوة لهذه الأنباء ، وتلقيناها كأمر سار ممتع ممكن الحدوث كل الأمكان » .

وعرف الغلام منذ حداثته بقوته البدنية وحيويته المتوثبة ، تبين ذلك من حادثة تقصها أخته ومؤداها أن أخاها نزل من إحدى العربات ذات مرة وقد توقفت عن السير لأمر ما فظل ماشياً حتى أوشكت العربة أن تدركه فأخذ يعدو عدواً سريعاً كيلا تدركه وإخوته فى العربة يعجبون من سرعة عدوه وطول نفسه ؛ ولم ينقطع نفسه إلا بعد ميلين فصعد إلى العربة وهو يلهث ولكنه يحاول أن يخفى تعبه ؛ ولسوف تلازمه هذه القوة البدنية وهذه الحيوية على الرغم مما ينتابه أحياناً من أسقام وآلام حتى يطويه الموت بعد أن يجاوز الثمانين .

وكان ليو منذ صغره مولعاً بركوب الخيل ، وقد تعلم الركوب فى سن مبكرة على الرغم من معارضة أمه إياه فى ذلك ؛ وقد رأى أخويه اللذين يكبرانه يمتطيان جواديهما ذات يوم فما زال يلح حتى سمح له بأن يمتطى جواداً كما فعلا فإذا به بعد خطوات فوق عرفه يطوق عنقه بساقيه ويمسك بجبهته ، فلما أعيد إلى حيث كان لم يبد عليه شىء من الخوف وصمم على أن يطلق العنان لجواده وانطلق به يعدو وهو ثابت فوق صهوته ومن ذلك الوقت أصبح يجيد الركوب .

وفكر الغلام ذات يوم فى أمر : لم لا يطير كما تفعل الطير ؟ لم لا يضع ذلك موضع التجربة ؟ إنه يرى أنه مستطيع بحركة ما أن يثب طائراً فيسبح فى الجو كما تسبح الطير ؛ وإن فى نفسه منذ صغره لميلاً إلى أن يضع مايهجس فى خاطره موضع الاختبار ، ولسوف يكبر معه هذا الميل فيظهر فى مواطن كثيرة ؛ ويشد الغلام بيديه حول ركبتيه ثم يثب من نافذة يريد أن يطير ولكنه يصحو بعد ثمانى عشرة ساعة قضاها فى سبات عميق فيفتح عينيه دهشاً متحيراً يحاول أن يذكر ماذا كان من أمر طيرانه فيذكره ما يحس من ألم من مفاصله وأضلاعه .

ولم يقتصر شذوذه على هذا الحادث ، وأكثر ما كان من شذوذه ما كان يتصل باهتمامه بهيئته ، ومن ذلك أنه حلق شعره ذات مرة بالموسى لعل فى ذلك إصلاحاً لشكله ثم عاد فأطلق شعره حتى استطال ، وعمد إلى المشط فجعل به ذلك الشعر فى موضع خاص لعل فى ذلك أيضاً ما يكسبه وجاهة وليظهره فى هيئة المهموم المفكر على نحو ما يظهر بيرون . وعمد مرة أخرى إلى حاجبيه فانتزع شعرهما بملقط كى يشتد بعد ذلك نماؤه فيكسب ملامحه مظهراً عاطفياً شعرياً ، ولكنه لم يرجع من وراء هذا كله بطائل الأمر الذى نغص عنده العيش .

ولقد جاء فى كتابه « عهد الطفولة » قوله « كنت أعلم حق العلم أنى لم أك حسن المنظر ، ولذلك كانت كل إشارة إلى هيئتى تسىء إلى إساءة مؤلمة ، ولقد مرت بى لحظات تملكنى فيها اليأس وخيل إلى أنه لا يمكن أن تتهيأ السعادة على هذه الأرض لمن كان له أنف كأنف العريض وشفتان كشفتى الغليظتين وعينين كعينى الصغيرتين الشهباوين ، وسألت الله أن يحدث معجزة فيجعلنى وجيهاً فأنى لأجود بكل ما هو لدى وبكل ما عسى أن أظفر به فى المستقبل فى سبيل وجه حسن » .

وفى صيف ١٨٣٩ شاهد الغلام فى موسكو مشهداً استقر فى نفسه فلم يبرحها حتى ظهر أثره فى أحد أوصافه فيما بعد فى قصته الكبرى « الحرب والسلم » إذ وصف موكباً من مواكب الاسكندر الأول على لسان روستوف أحد شخصيات تلك القصة ، أما المشهد الذى رآه الغلام وجعله مثاله فيما كتب من وصف فهو موكب نيقولا الأول يوم زار موسكو ليضع الحجر الأول فى بناء كنيسة أقيمت لتخليد ذكرى تحرير روسيا من غزو نابليون .

ولم يطل بالغلام المقام فى موسكو فقد أعيد مع أخيه الصغير إلى ياسنايا بوليانا ليكونا فى رعاية العمة تاتيانا ، وبقى الأخوان الكبيران فى موسكو ترعاهما الكونتس أوستن سيكن عمتهما على الحقيقة ؛ وكانت الكونتس أوستن أو عمتهما ألين امرأة تقية صالحة لله فى السر والعلن وتنفق مالها فى سبيل الله فلا ترد فقيراً ولا تتنكره لذى حاجة ، وكانت بالخدم رحيمة عطوفاً تكره أن توقظهن إذا آوين إلى مضاجعهن فتعمل عملهن فيما تريد لنفسها من حاجة ؛ وكان أثرها عميقاً فى نفس الغلام فكان يشعر نحوها من الأجلال والأكبار بقدر ما كان يشعر نحو عمته تاتيانا من المحبة ، ولئن علمته العمة تاتيانا كيف تكون بهجة النفس فى الحب فقد أوحت إليه ألين كيف تسمو النفس وكيف تطيب بالدين

ولكن هذه العمة قضت نحبها فى خريف عام ١٨٤١ فصارت الوصاية على الأخوة جميعاً لعمة أخرى هى السيدة يوشكوف زوجة أحد ذوى الثراء من الملاك فى قازان ، وثم فقد نقل الصبية جميعاً إلى قازان فأقاموا هناك حتى ربيع ١٨٤٧ ؛ على أنهم كانوا يقضون أجازاتهم الصيفية فى ضيعتهم المحبوبة بناحية ياسنايا بوليانا .

(يتبع) الخفيف

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٦٨ — العلم غنى بلا مال

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية :

قال أبو جعفر الطحاوى : كنت عند أحمد بن أبى عمران ، فمر بنا رجل من بنى الدنيا ، فنظرت إليه وشغلت به عما كنت فيه من المذاكرة ، فقال لى : كأنى بك قد فكرت فيما أعطى هذا الرجل من الدنيا .

قلت له : نعم .

قال : هل أدلك على خلة ، هل لك أن يحول الله إليك ما عنده من المال ، ويحول إليه ما عندك من العلم فتعيش أنت غنياً جاهلا ، ويعيش هو عالماً فقيراً .

فقلت : ما أختار أن يحول الله ما عندى من العلم إلى ما عنده ، فالعلم غنى بلا مال ، وعز بلا عشيرة ، وسلطان بلا رجال .

* * *

يقول الفقير إلى الله تعالى والغنىّ عن الناس محمد إسعاف النشاشيبي :

يأمل آملون أن لن يكون بعد حين مترف مسرف زهى ، ولا بائس فاضل يشكو .

« وقالوا قسمة نزلت بعـــدل

فقلنا ليتـــه جور مشاع »

فقد تتبدل أحوال ، وتؤول أمور خير مآل ، ويصـدق قول من قال :

« دوام حال من قضايا المحال

واللطف مرجو على كل حال »

وبالدساتير المسنونة — يا أخا العرب — يقف واقفون ، ويمشى القهقرى أو اليقدمية ماشون . إنها الشرائع إنها الدساتير تشقى الأنام وتسعد ، فارجونَّ ولا تيأس من روح الله وعدله وتقدم هذا الإنسان « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » وفى (الكتاب) : « لكل أجل كتاب » .

قال جار الله فى (الكشاف) عند تفسير هذا القول الكريم العظيم :

« الشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات ، فلكل وقت حكم يكتب على العباد أى يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم » .

وقال فى موضع آخر من كشافه :

« الله (تعالى) ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح ، وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة . والله (تعالى) عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء ، وينسخ ما يشاء بحكمته » .

٨٦٩ — أثر البيئة

الحيوان للجاحظ : ... لا ننكر أن يفسد الهواء فى ناحية من النواحى فيفسد ماؤهم ، وتفسد تربتهم ، فيعمل ذلك فى طباعهم على الأيام ... وقد رأينا العرب وكانوا أعراباً حين نزلوا خراسان كيف انسلخوا من جميع تلك المعانى . وترى طباع بلاد الترك كيف تطبع الابل والدواب وجميع ماشيتهم من سبع وبهيمة على طبائعهم . وترى جراد البقول والرياحين وديدانها خضراء [٢] وتراها فى غير الخضرة على غير ذلك .. وقد نرى حرة بنى سليم وما اشتملت عليه من إنسان وسبع وبهيمة وطائر وحشرة فنراها كلها سوداء [٢] وقد خبرنا من لا يحصى من الناس أنهم قد

(١) و (٢) نعتوا الاسم المجموع بفعلاء وفعل ، وليس فى كلام المبرد فى الكامل ما يدل على منع النعت بالمفرد — كما ظن فقيد العربية الأستاذ الرافعى ، وحى القلم ج ١ ص ٢٨٣ — وهنا قول الكامل : « ما كان من باب أفعل لجمعه على أفاعل ... فإن كان نعتاً لجمعه على فعل ... فإن أردت نعتاً محضاً يتبع المنعوت قلت مررت بثياب سود وبخيل دهم » وأول من خطأ ناعتى الجمع بالمفرد — كما ذكر الأديب اللغوى المشهور الدكتور مصطفى جواد — هو العربانى (المستشرق) فريتس كرنكو الألمانى ، وأول من دل على مظنة القول فى الكامل هو الدكتور جواد . والذى هو فى (الكامل) مثل الذى هو فى (الكتاب) : « وأما أفعل إذا كان صفة فإنه يكسر على فعل ... والمؤنث من هذا يجمع على فعل ... »

أدركوا رجالا من نبط بيسان[١] ولهم أذناب إلا تكن كأذناب التماسيح والأسد والبقر والخيل وإلا كأذناب السلاحف والجرذان فقد كان لهم عجوب[٢] طوال الأذناب . وربما رأينا الملاح النبطى على وجهه شبه القرد ، وربما رأينا الرجل من المغرب فلا نجد بينه وبين المسخ[٣] إلا القليل . وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسد والماء الخبيث والتربة الردية ناساً فى صفة هؤلاء المغربيين والأنباط ويكونون جهالا فلا يرتحلون ضنانة بمسا كنهم وأوطانهم ولا ينتقلون ، فإذا طال ذلك عليهم زاد فى تلك الشعور وفى تلك الأذناب وفى تلك الألوان الشقر وفى تلك الصور المناسبة للقرود .

٨٧٠ — ويبيع قرطبها إذا ما أعدما

تتمة اليتيمة : قد أكثر الشعراء فى الحث على الاضطراب فى الاغتراب لالتماس الرزق وقضاء الوطر من السفر ، ومن أشف ما قالوا فيه وأشفاه قول هذا الاعرابى الشامى (أبى شرحبيل الكندى) :

سر فى بلاد الله والتمس الغنى … ودع الجلوس مع العيال مخيما
لا خير فى حر يجالس حرة … ويبيع قرطيها إذا ما أعدما

٨٧١ — ما أقل الروم وأكثر المسلمين !

تاريخ الطبرى : شهد اليرموك ألف رجل ، من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيهم نحو من مئة من أهل بدر ، وكان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس فيقول : اللهَ الله ، إنكم ذادة العرب وأنصار الاسلام ، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك ، اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم ، أنزل نصرك على عبادك . وقال رجل لخالد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! فقال خالد : ما أقل الروم وأكثر المسلمين ! إن الجنود تكثر بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال[٤] .

(١) فى العراق .

(٢) العجوب جمع العجب — بالفتح والضم — أصل الذنب وعظمه ، وهو العصعص .

(٣) القاموس : مسخ صورته حوله إلى أخرى أقبح ، ومسخه الله قرداً فهو مسخ ومسيخ ، وفى الأساس : فلان مسخ من المسوخ .

(٤) فى تاريخ الطبرى … عن أبى أمامة وكان شهد اليرموك هو وعبادة بن الصامت أن النساء قاتلن يوم اليرموك فخرجت جويرية ابنة أبى سفيان فى جولة وكانت مع زوجها بعد قتال شديد ، وأصيبت يومئذ عين أبى سفيان فأخرج السهم من عينه أبو حثمة .

٨٧٢ — نعم ، بلى

نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لأبى البركات الانبارى :

يحكى أن أبا بكر بن الانبارى حضر مع جماعة من العدول ليشهدوا على إقرار رجل ، فقال أحدهم للمشهود عليه :

ألا نشهد عليك ؟

قال : نعم .

فشهد عليه الجماعة وامتنع ابن الانبارى وقال : إن الرجل منع أن يشهد عليه بقوله : نعم[١] ، لأن تقدير جوابه لا تشهدوا على ، لأن حكم نعم أن يرفع الاستفهام ، ولهذا قال ابن عباس فى قوله تعالى : [ألست بربكم قالوا بلى] لو أنهم قالوا : نعم لكفروا لأن حكم نعم أن يرفع الاستفهام ، فلو قالوا : نعم لكان التقدير نعم لست ربنا ، وهذا كفر ، وإنما دل على إيمانهم قولهم : بلى ، لأن معناها يدل على وقع النفى ، فكأنهم قالوا : أنت ربنا ، لأن أنت بمنزلة التاء التى فى لست .

٨٧٣ — مخيريق خير يهود

سيرة النبى لعبد الملك بن هشام :

كان مخيريق أحد بنى ثعلبة بن الفطيون حبراً عالماً ، وكان غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بصفته وما يجده فى علمه ، وغلب عليه إلف دينه ، فلم يزل على ذلك ، حتى إذا كان يوم أحد — وكان يوم أحد يوم السبت — قال يا معشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت لكم ، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه بأحد ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قُتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يصنع فيها ما أراه الله ، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل ، فكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما بلغنى يقول : [مخيريق خير يهود] وقبض رسول الله أمواله ، فعامة صدقات رسول الله بالمدينة منها .

(١) فى المغنى : … ولذلك قال جماعة من الفقهاء لو قال : أليس لى عليك ألف ؟ فقال : بلى لزمته ، ولو قال نعم لم تلزمه . وقال آخرون : يلزمه فيهما وجروا فى ذلك على مقتضى العرف لا اللغة … بلى لايجاب بها عن الايجاب وذلك متفق عليه . ولكن وقع فى كتب الحديث ما يقتضى أنها يجاب بها الاستفهام المجرد … وليس لهؤلاء أن يحتجوا بذلك لأنه قليل .

صرخة من عبود الشعر فى آذان المسلمين :

فى حيرة البيد ...

[بمناسبة المولد النبوى]

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

قداهتدت بك فى البادىن صحراء   فرقٌ فى صفحتيها الظل والماء

تلك الهواجر فى البيداء محرقة   كأنها شعلة بالنار حمراء

لا تستقر على خير ضمائرها   ولا ترف لها بالنور سيماء

سبيلهم كلها بالشوك عاثرة   وأرضهم كلها صخر وحصباء

حار الأدلاء فيها وهى موحشة   فضلَّ رادَ الضحى فيها الأدلاء

للشرك فيها ترانيم مضللة   وللطواغيت صيحات وأصداء

كأنهن نعيب البوم فى وطن   تهدمت فيه أركان وأرجاء

الليل فى البيد مرهوب جوانبه   والصبح مثل الدجى ريح وأنواء

فى أمة قد أقام الله ألسنها   لكنها عن جلال الحق خرساء

يا عاكفين على الأوثان مظلمة   هل عندكم من جبيل الصبح أنباء؟

الركب فى البيد قد ضلت مسالكهم

فكلهم فِرَق فيه وأهواء

هم ظامئون إلى ماء وأين لهم   وفى السراب ضلالات وإغواء

هم واردون إلى وهم إذا ظمئوا   وصادرون عن الرمضاء إن فاءوا

جاءوا وراحوا فما قرت رواحلهم

هل ترحم البيد من راحوا ومن جاءوا ؟؟

تلك البلاقع من ندًى حواشيها   فأصبحت وهى للبادىن خضراء؟

فيهن للجائع المحروم منتجع   خصب وللظامىء الصديان إرواء

بان الطريق على السارين مؤتلقاً   كأنما ضوأت بالوحى « سيناء »

يا هائمين على الصحراء مقفرة

لا تجزعوا ! ! إن أرض الوحى محزاء !

تلك المهامه فى البيداء قد خضرت

وأخصبت صفحتاها وهى جرداء

من فجر الماء فيها وهى مجدبة   وأنبت الروض فيها وهى صماء؟

ومن طوى الريح منها وهى عاصفة

ونفَّس الصبح فيها وهى ظلماء ؟

يا بانيا فوق أصنام مهدمة   لا بدع إنك هدام وبناء

قد كان للهدم والإنشاء مولكم   وإنما المجد تهديم وإنشاء

قر الحيارى على كفيك وانتظموا   وحُررت بك فى البيد الأرقاء

وأغليت قيمة الإنسان فى زمن   ما كان فيه لسعر المرء إغلاء

هاجرت لله فى أرض منورة   لما جفاك على الأرض الأوداء

وقد يكون من الأدنين من بعدوا

فلا تصح لهم قربى وإدناء

المسلمون حيارى اليوم فى زمن   لا تنفع النفس فيه وهى عزلاء

سبيلهم فيه يا مولاى عاثرة   بهم ، وخطتهم فى الحق عوجاء

فلا تبين لهم فى الجو معلمة   ولا تلوح لهم فى الأفق أضواء

لهم يد عن بناء المجد عاجزة   وأرجل عن سبيل الحق عرجاء

فهل لهم أسوة فيما نهضت به

وهل لهم فى « ابن عبد الله » إيحاء ؟؟

الأدب والفن في أسبوع

مؤتمراتنا الثقافية

وافقت وزارة الخارجية اللبنانية على ما قررته اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية من عقد مؤتمر ثقافي بلبنان فى فصل الصيف المقبل ، وهذا هو المؤتمر الثانى من نوعه ، فقد سبق أن عقد المؤتمر الأول بدمشق فى العام الماضى على ما أذكر .

وكذلك وافقت الحكومة اللبنانية على عقد مؤتمر الصحافة العربية بلبنان فى الصيف المقبل على أن تتكفل بنفقات المؤتمر والمؤتمرين .

والذى يعنينا من هذا أن نسجل هذه الظاهرة الطيبة التى تؤدى إلى توثيق التعاون الثقافى بين الأقطار العربية ، وإذا ضممنا إلى هذا ما يجرى كل عام من عقد مؤتمر عربى للمحامين ، وآخر للأطباء ازداد تقديرنا لهذه الظاهرة الطيبة ، وتفاءلنا بذلك الشعور العميم الذى هو ثمرة من ثمرات اليقظة الفكرية ، ودعامة من دعامات الجامعة العربية . فإن اللغة العربية لاشك أقوى مقومات الجنسية العربية ، وهى الأساس لما يتفرع عنها من مقومات الدين والتقاليد والتاريخ والاختلاط بين أبناء العروبة فى شتى الأقطار ، ونحن إذ نبارك هذه المؤتمرات ونحث على التوسع فيها نرجو أن تكون سريعة الأثر والتأثير ، وأن لا تطاول الزمن فيما تهدف إليه من المقاصد والغايات ، وأن لا تتناول الأمور على الوضع الذى يجرى فى اللجان الحكومية ، فإننا كما هو معلوم فى عصر السرعة الخاطفة ، فلا سبيل إلى السير إلا بالقفز والتوثب ، والجرأة والإقدام . .

فى ذكرى الأفغانى

منذ شهرين أهبنا بأبناء الشرق العربى ورجال الجامعة العربية أن ينهضوا للاحتفال بذكرى باعث الشرق المغفور له السيد جمال الدين الأفغانى بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، وقلنا إن أقل ما يجب فى هذا الشأن أن يحتشد أبناء الشرق العربى فى إقامة مهرجان لذلك الرجل يستمر أسبوعاً على أن تتولى رعاية هذا المهرجان الجامعة العربية وتشارك فيه سائر الجمعيات العلمية والهيئات الثقافية . قلنا هذا منذ شهرين ولم يبق على يوم الذكرى إلا أيام ، وكل ما تحركت له الهمم أن تألفت لجنة من حضرات السادة : محمد على علوبة باشا والدكتور عبد الوهاب عزام بك والشيخ محمود شلتوت ومحمد صلاح الدين بك وعزيز خانكى واسماعيل مظهر ومحمد خالد للاحتفال بهذه الذكرى ، على أن هذه اللجنة لم تحدد برنامجها بعد .

ونحن إذ نشكر لهؤلاء السادة غيرتهم ووفاءهم نعود فنسأل: وأين الجامعة العربية ، وأين الأزهر ، وأين جامعتا فؤاد وفاروق ، وأين جمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الإخوان المسلمين ، وأين المجمع العلمى العربى فى دمشق والجماعات التى لولا الأفغانى لما كانت ولما تيقظت الضمائر لإقامتها إلى اليوم ؟!

إن الشرق العربى فى موقف هو أشد ما يكون حاجة فيه إلى التذكير بالأفغانى وبتعاليمه فى الحرية والإباء والنضال عن الكرامة ، ونحن إذ نذكر الأفغانى لا نكبره ، فقد استوفى مكانته من تقدير التاريخ ، ولكنا نكبر أنفسنا ، وندل على أننا أوفياء نقدر الجميل لصاحبه ، ونعرف فضل آبائنا فيما أسدوا إلينا وأجدوا علينا .

وآسفاه ! لقد كانت آخر صيحة للافغانى فى حياته تلك الصيحة الألمية اليائسة إذ يقول : « إن المسلمين قد سقطت هممهم ونامت عزائمهم ، وماتت خواطرهم ، وقام شىء واحد فيهم ، وهو شهواتهم » . فهل لا تزال هذه الصيحة كلمة حق ، وهل لنا أن نلقى بها فى وجه أولئك الجاحدين الناسين ، إننا والله نرجو أن لا يكون ذلك .

لغة ... وأسلوب !

طالعت هذا الأسبوع فى مجلة أدبية تصدر فى بيروت مقالا لأديب بعنوان « عودة بتهوفن » استهله بقوله :

« عند الشاطىء المنتاج ، وفى المنحنى البعيد ، وخلف تلك الخواطر والخيالات ... أصابع بتهوفن ... »

« فى عيون سمار الليالى ، ومهج السكارى الشاعرين ، وحلق العصافير ، وبحات النهور ، وندب القصب . اختلاجات ودوسات بتهوفن ... » .

« فى حرير النسمات ، ومجارى العبرات ، يقطن بتهوفن ليستحم فى كل عين ويجفف جسمه فى كل جفن ورمش ... »

والمقال كله من هذا القبيل ، حروف عربية وكلمات عربية أيضاً ، ولكنك لا شك حائر معى فى فهم هذه اللغة وفقه هذا الأسلوب .

وأنا رجل والحمد لله قد درست العربية ، ووقفت عليها حياتى ، واستوفيت ما كتبه علماء البلاغة والنقد فى فهم الأساليب ، وإدراك أسرارها ، ولكنى أشهد الله عاجز كل العجز عن فهم هذا الأسلوب المعجز ، الذى لا أول له يعرف ، ولا آخر له يوصف ... فياضيعة العمر والجهد ، إذ أجدنى بعد طول ما بذلت وأفنيت عاجزاً عن فهم مقال فى صحيفة أدبية ...

ولا أكتم القارئ أنى سألت صديقاً لبقاً أن يعيننى على فهم هذا الأسلوب ، فقال لى الصديق الماكر : حسبك يا أخى فإنه أسلوب الصم البكم ، وفيه ما يسميه البلاغيون « براعة النظير » فقد كان بتهوفن على ما يروون أصم وكانت كل عبقريته فى اللحن ، فكان من براعة الكاتب أن تحدث عنه بهذا الأسلوب الأصم الملحون ...

هذا ما قاله الصديق والعهدة عليه . ولكنى والله ما زلت حائراً فى فهم هذا الأسلوب « المعجز » الذى يكتب به إخواننا الذين يعيشون فى « تل من الخواطر والخيالات » .

وآخر بريطاني !

فى الأسبوعين الماضيين وصل إلى مصر مسيو ديهاميل الأديب الفرنسى الكبير كما عرف القراء مما كتبنا عنه وقام بإلقاء سلسلة من المحاضرات فى الأحاديث عن الثقافة الفرنسية وما أدت من خدمات للشرق العربى ، ثم طار فى نهاية الأسبوع الماضى إلى الجزائر لإتمام رحلته فى أداء مهمته . وفى هذا الأسبوع وصل إلى مصر الأديب الإنجليزى الكبير مستر ريموند مورتا مر لإلقاء سلسلة من المحاضرات فى القاهرة والاسكندرية وأسيوط عن الأدب فى العصر الفكتورى ، وعن الرواية فى الأدب الإنجليزى الحديث ، ويقولون إنه بعد أن يفرغ من أداء هذه المهمة سيطير هو الآخر إلى قبرص لإلقاء سلسلة محاضرات هناك . .

وأنا أعرف أن الأدب لا وطن له ، وأن مودة الفن والثقافة أكبر وأعظم من أن يحدها وضع جغرافى ، ولكنى أعتقد أيضا أن القارئ لا يطيق أن يلقى بالا لأديب يبغضه ويمقته ، ولا شك أن هؤلاء الدعاة الذين يتوافدون علينا لتزجية الأحاديث الأدبية والثقافية يقدرون هذا ، ويقدرون أننا فى موقف نضال عن حريتنا وكرامتنا التى يأبى الاستعمار الإنجليزى والفرنسى إلا تقييدها وإذلالها ، فليس من المعقول أن يطربنا الأديب الإنجليزى الكبير بأحاديث الأدب فى العصر الفكتورى ، والرواية فى الأدب الإنجليزى الحديث .. لأن أحاديث مستر بيفن الاستعمارية لم تترك لذلك مكاناً فى قلوبنا وعواطفنا .

أجل ! لقد كنا نود أن نستمع لأحاديث الكاتب الإنجليزى الكبير ، ولكن الاستعمار الانجليزى قد سد آذاننا ، فليس الذنب ذنبنا .

« الجاحظ »



حول كتاب «الرسالة الخالدة»

بين معالى عبد الرحمن عزام باشا
والأستاذ محمد بهجة الأثرى

[كان الأستاذ محمد بهجة الأثرى الأديب العراقى قد بعث من بغداد إلى معالى عبد الرحمن عزام باشا برأى حول مسألة هامة وردت فى « الرسالة الخالدة » هى مسألة تصرف عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أرض السواد بالعراق تصرفاً جديداً وكانت الرواية التى اطلع عليها عزام باشا واستشهد بها لم تذكر جانباً تاريخياً هاماً فى النظر إلى المسألة . ولذلك لما ذكرها له الأستاذ الأثرى فى كتاب خاص آثر أن يوجه النظر إليها بنشرها تعميماً لمعرفة الحقيقة وهذان هما كتابا الأستاذ الأثرى وتعقيب عزام باشا عليه] :

حضرة صاحب المعالى الجليل الصديق الكريم الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فان توفيق الله إياك لكتابة (الرسالة الخالدة) تجلو بها «رسالة الله الواحدة الخالدة على الزمن» ، وتدعو العالم الجديد إلى الاقتباس من هداها فى الاجتماع والسياسة والحرب والسلم والعلاقات الدولية لإزالة أسباب الإضطراب العالمى وإمداد الحضارة بسند روحى وإقامة نظام عالمى جديد لنعمة من نعمه التى أسبغها سبحانه عليك وأنت لها أهل أراك خليقا بان تستزيدها بالشكر وتستديمها بالحمد والثناء ؛ ومظهر لما توسمته فيك من سمو الغايات وجلال التفكير منذ سمعتك لأول مرة تخطب ليلة افتتاح المؤتمر الإسلامى العام تحت قبة المسجد الأقصى (ليلة ٢٧ رجب ١٣٥٠ ﻫ) ، ثم لم تزدنى صلاتى بك من بعد فى القدس والقاهرة وبغداد إلا يقيناً بما توسمت وتفرست ، ووثوقاً بكرم العنصر الذى يتمثل فى شمائلك وأدبك وفضلك وفى علاقاتك الخاصة والعامة وفى مساعيك الجليلة فى سبيل العروبة والإسلام التى توجتها بتأليف هذه الرسالة الخالدة وجعلتها الطغرى فى جبينها الأبيض النقى النزيه . ومن أولى منك بأن تنبثق من ذهنه الوقاد هذه الفكرة السامية ، وتجول براعته فى أشرف ميدان من ميادين الأبحاث الجدية الرفيعة ، وأنت الشاغل لمقام أمانة جامعة الدولة العربية بجدارة واستحقاق ، وأنت السياسى الأمين والكاتب المفكر الذى تعلق ذهنه بالمثل العليا فاحتذاها وشغل نفسه بالدعوة إليها ، وأحب الخير فتمثله وسعى جهده لإيصاله إلى الناس فى صدق ونخوة وإخلاص ؟

إن كتابك — يا صديقى الكريم — كتاب الموسم ، بل رسالة العصر ألمّ بحالة الشذوذ والاضطراب التى سادت العالم فى أثناء الحرب الأخيرة ، فكشف عن أسبابها وبواعثها ووصف لها العلاج الشافى بما وجده فى صميم رسالة الله الخالدة إلى رسله وأنبيائه وما انتهت إليه من أطوار الأنظمة العالمية فى الشريعة المحمدية الغراء فى السياسة والاجتماع والحرب والسلم والعلاقات بين الدول والشعوب والطبقات والأفراد يعدها سند روحى لابدّ منه لعالم جديد متجه نحو دولة عالية واحدة تباركها يد الله ويرعاها رضاه على حد تعبير الرسالة .

وليس يعوزه لاستكماله أسباب فوائده وتعميمها حتى يتكون به رأى عالمى أو شبه عالمى إلا نقله ، بعد اجالة القلم فى بعض نواحيه إلى اللغات العالمية الغربية والشرقية ؛ ليتداوله أكبر عدد ممكن من القراء ، ويعيه من لا عهد له بموضوعه من المسلمين وغير المسلمين ، ولا يزال الخير فى الناس إلى يوم القيامة ، ولكن الدعاة العاملين إليه قليلون ، ولا أراك إلا فاعلا إن شاء الله .

وبعد فقد وقفت فى الكتاب على أمر أخالفك فيه كل المخالفة ولا إخالك إلا حريصاً على مكاشفتك به ثم جاداً فى إصلاحه إذا وقع منك موقع القبول .

ذلك أننى فى أثناء تصفحى السريع للكتاب مررت بجملة خطيرة تكررت على سبيل التوكيد ثلاث مرات فى صور متعددة ، وسرعان ما رأيت من آمن بها من الباحثين — بله عامة القراء — كصديقنا الفاضل الأستاذ عبد المنعم خلاف ، إذ أوردها فى عرضه للكتاب فى مجلة الرسالة (ع ٦٩٩ س ١٤ ص ١٣٢٢)

على سبيل الإقرار والتأييد والإعجاب ، وهى فى رأيى بعيدة عن الصواب ، وإقرارها يفتح منفذاً إلى الإسلام يهدمه من أصوله وأنت ياسيدى لا تريده بحال من الأحوال .

قلت فى (ص ١٢٨) : « وحيثما كان العدل فثم شرع الله ودينه ، فإذا فرض أن هذا العدل يقتضى أمراً لا نص فيه ولا أثر شرعياً فعليه أن يجتهد برأيه » .

هذا صحيح لا غبار عليه ، ولاجدال فيه ، ولـكنك لما مثلت له أتيت بمثال عملى لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يكن مطابقاً لما قصدت له من التوضيح للقاعدة المذكورة ذلك هو عمله حين أريد على قسمة أرض السواد ، فأبى إلا بقاءها بأيدى أهلها ، وضرب عليها الخراج . لقد ذهبت إلى أنه عمل ذلك برأيه ، وترك ظاهر النص القرآنى (ص ١٢٩) ، ثم استحسنت منه هذا التصرف فى موضعين من بعد ، فقلت فى (ص ١٣٠) : « هذا مثل من تصرف تلميذ الرسول وخليفته فى أمر جاء به نص ، وهو نفسه يسلم بهذا النص ... » ، وقلت فى (ص ١٣١) : « وعليه فالدولة الإسلامية التى يكفل فيها الإمام التوازن الاجتماعى والتى تقوم على قوله تعالى : (وزنوا بالقسطاس المستقيم) والتى أخذ فيها برأى عمر رضى الله عنه فى ظرف ما وعُدِل به عن ظاهر النص القرآنى عدولا مبرره المصلحة العامة ... » .

وهذه الأقوال ، على اختلاف صورها ، تتضمن أشياء منها مايتعلق بالقاعدة المذكورة فى ص ١٢٨ ، ومنها مايتعلق بشخص عمر ومواقفه من النصوص الشرعية ، ومنها ما يتعلق بالمصلحة المرسلة والتحسين والتقبيح العقليين ، ومنها ما يتعلق بحقيقة المثال وكيفية تصرف عمر فى المسألة : هل هو ضمن النص أولا . وإنى ذاكرها على الوجه الذى أراه تبياناً للحق فى هذه المسائل ووضعاً له فى نصابه منها .

فأما مايتعلق بالقاعدة ، فهذه المسألة على الوجه الذى ذكرته أو على حقيقتها التى سأوردها ، لا تنطبق عليها ؛ لأن القاعدة هى إباحة الاجتهاد للامام فى أمر يقتضيه العدل لا نص فيه ولا أثر شرعياً ، والمثال إنما هو فى أمر جاء به نص من كتاب الله ، ولـكن الإمام فيما ترى تصرف به خلافه وهو نفسه يسلم بهذا النص ! فالقاعدة شىء ، والمثال شىء آخر ، ولا صلة جامعة بينهما

وأما ما يتعلق بتصرف عمر رضى الله عنه فى أمر جاء به نص فى كتاب الله ، وتركه هذا النص وعدوله عنه إلى رأيه ، كائنة ما كانت أسبابه ، فأقول : إن هذا الأمر إذَّ منكر ينزه عمر منه ، وقد أجمع المسلمون على أنه لا اجتهاد فى مورد النص ، وإنه ليفتح منفذاً إلى الإسلام يهدمه من قواعده ، ويجعل القرآن مهجوراً ، وحينئذ تبطل الحاجة إليه وإلى الدعوة إلى اتخاذه أساساً للعالم الجديد المنشود . وهذا الرأى فيما أرى يرجع فى حقيقته إلى مذهب أهل التحسين والتقبيح العقليين ، ومحصول مذهبهم كما قال الشاطبى تحكيم عقول الرجال دون الشرع ، وهو أصل من الأصول التى بنى عليها أهل الابتداع فى الدين ، بحيث أن الشرع إن وافق آراءهم قبلوه ، وإلا ردّوه .

وأنا أجلك يا سيدى من تصور ذلك فضلا عن إرادته . وإنما التبس الأمر فى الموضوع بين المصلحة المرسلة الشرعية والتحسين والتقبيح العقليين ، فكان هذا الذى نراه من القول ، وهو قول ينبغى تحريره فى ضوء القاعدة المذكورة فى ص ١٢٨ ومباحث المصلحة المرسلة التى تبسطت فيها كتب أصول الفقه ونحوها ، ومن أحسن ما قرأته فيها ما كتبه الشاطبى رحمه الله فى كتاب الاعتصام ، وهو مطبوع بمطبعة المنار بمصر . وفى هذا الكتاب يقول الشاطبى : « إن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعى المطلوب شرعاً ، ضلال ... وإن الحجة القاطعة والحاكم الأعلى هو الشرع لا غيره » . وضرب لذلك أمثلة من وقوف كبار الصحابة فيما يعرض لهم من النوازل عند حدود النصوص ، وإذعانهم لطاعة الله ورسوله دون أن يعبأوا برأى من رأى غير ذلك ، منها مسألة السقيفة ، وقتال مانعى الزكاة ، وبعث أسامة . ومن هؤلاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد كان من أكثر القوم انصياعاً إلى نصوص القرآن وأشدهم طاعة لرسول الله ، بذلك عرف واستفاضت عنه الروايات ، حتى وصفوه بأنه « كان وقافاً عند كتاب الله » .

ففى الصحيح عن أبى وائل قال : جلست إلى شيبة فى هذا المسجد قال : جلس إلى عمر فى مجلسك هذا قال : هممت أن لا أدع صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين ؟ قلت : ما أنت بفاعل . قال : لم ؟ قلت : لم يفعله صاحباك . قال : هما المرآن أقتدى بهما — يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى حديث عيينة بن حصن حين استؤذن له على عمر ، قال فيه . فلما دخل ، قال : يا ابن الخطاب ! والله ما تعطينا الجزل ، وما تحكم بيننا بالعدل . فغضب

...

عمر حتى هم بأن يقع فيه . فقال الحر بن قيس : يا أمير المؤمنين ! إن الله قال لنبيه عليه السلام (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) . فوالله ما جاوز عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافاً عند كتاب الله .

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة عن وقوفه عند الكتاب والسنة ، مما لا أريد أن أثقل على طبعك بروايته ، وفيما سأورده من القول فى حقيقة مسألة تقسيم السواد نفسها مثال آخر أيضاً من أمثلة التزامه حدود كتاب الله ؛ لعلمه أن ما جاء به القرآن هو العدل المطلق الذى لا يعقل أن يكون وراءه عنده أو عند أى إنسان آخر عدل أسمى منه بحيث يسوغ له أن يعدل به عن ظاهر النص القرآنى أو يتركه لأجله وهو نفسه يسلم بالنص !!

وأما حقيقة مسألة السواد والنزاع الذى قام من أجل تقسيمه أو عدمه بين عمر بن الخطاب وبعض الصحابة حتى وفق للاستناد إلى نص القرآن فسكتوا ورضوا ، فهى مذكورة فى كتب التفسير والحديث والأموال ، ومنها كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف صاحب الإمام أبى حنيفة (ص ٢٨ إلى ٣٢) ، وهو يورد حجة عمر من كتاب الله نصاً ، ويعلق عليها أجمل تعليق ، وأحسب يا صديقى أنك منه نقلت ما نقلت ، لتماثل العبارتين ، ولكننى أعجب كيف اقتصرت على الجانب التاريخى من المسألة ، وأهملت الجانب الدينى منها وبه استدلال عمر بالقرآن على صحة ما يذهب إليه من الامتناع من القسمة ، حتى رأيت أنه يصح لك أن تقول : إنه عدل برأيه عن ظاهر النص القرآنى مع أنه إليه استند والصحابة الذين نازعوه لم يسكتوا ويرضوا حتى أدلى لهم بحجته الناصعة من كتاب الله ؟

وإليك أسوق حجته التى قالها لمخالفيه كما أوردها أبو يوسف قال : قال عمر رضى الله عنه : إنى قد وجدت حجة ، قال الله تعالى فى كتابه : (وما أفاء الله على رسوله منهم ، فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير) حتى فرغ من شأن بنى النضير : فهذه عامة فى القرى كلها . ثم قال (وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دُولة بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب) ثم قال : (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً ، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم ، فقال : (والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) . فهذا فيما بلغنا والله أعلم للأنصار خاصةً ، ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم ، فقال : (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم) فكانت هذه هى عامة لمن جاء من بعدهم . فقد صار هذا الفىء بين هَؤلاء جميعاً ، فكيف نقسمه لهؤلاء ، وندع من تخلَّف بعدهم بغير قسم ؟ فأجمع على تركه وجمع خراجه .

قال أبو يوسف رحمه الله : والذى رأى عمر رضى الله عنه من الامتناع من قسمة الأرضين بين من افتتحها عند ما عرفه الله ما كان فى كتابه من بيان ذلك توفيقاً من الله كان له فيما صنع وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم ... » .

وفى كتاب (الأموال) لأبى عبيد القاسم بن سلّام :

قال أبو عبيد : فقد تواترت الآثار فى افتتاح الأرضين عنوة بهذين الحكمين :

أما الأول ، فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيبر ، وذلك أنه جعلها غنيمة ، فخمسها وقسمها ...

وأما الحكم الآخر ، فحكم عمر فى السواد وغيره ، وذلك أنه جعله فيئاً موقوفاً على المسلمين ما تناسلوا ، ولم يخمسه ، ولم يقسمه ...

قال أبو عبيد : وكلا الحكمين فيه قدوة ومتَّبع من الغنيمة والفىء ، إلا أن الذى أختاره من ذلك أن يكون النظر فيه إلى الإمام كما قال سفيان . وذلك أن الوجهين جميعاً داخلان فيه . وليس فعل النبى صلى الله عليه وسلم براد لفعل عمر ، ولكنه صلى الله عليه وسلم اتبع آية من كتاب الله تبارك وتعالى فعمل بها ، واتبع عمر آية أخرى فعمل بها ، وهما آيتان محكمتان فيما ينال المسلمون من أموال المشركين ، فيصير غنيمة أو فيئاً . قال الله تبارك وتعالى : (واعلموا أنما غنمتم من شىء فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) فهذه آية الغنيمة ، وهى لأهلها دون الناس ، وبها عمل النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال الله عز وجل : (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ...) فهذه آية الفيء ، وبها عمل عمر ، وإياها تأول حين ذكر الأموال وأصنافها ، فقال : «فاستوعبت هذه الآية الناس» وإلى هذه الآية ذهب عليّ ومعاذ حين أشارا عليه بما أشارا فيما نرى ، والله أعلم .

وكذلك قال سائر العلماء ، من مفسرين ومحدثين وفقهاء ، ولو ذهبت أروى أقوالهم فى التزام عمر النص فى هذا الموضوع وسواه وأنه لم يتركه ولم يعدل عنه إلى رأيه أو رأى غيره من الرجال وأن الصحابة كلهم كانوا على هذه الطريقة لم ينزع منهم نازع إلى مذهب التحسين والتقبيح العقليين ، لأملت السامع وثقلت عليه

وبعد ، أفلا ترى يا سيدى بعد هذا وذاك ، وأنت الملتمس للحق والداعى إليه ، أن تتلافى ما كتبته فى هذا الشأن بالتصحيح والتنبيه ، لئلا يتابعه الناس كما تابعه صديقنا الأستاذ عبد المنعم خلاف؟

على أن الذى يعنينى من أمر عمر رضى الله عنه وتصحيح ما ينبغى تصحيحه من الرأى العارض فيه ، ليس بأكبر مما يعنينى من تصحيح جملة القول الذى يتعلق بإباحة ترك النصوص القرآنية لآراء الرجال بدعوى مسوغات المصلحة العامة ، لما يترتب على هذا من تعطيل الشريعة وإبطالها ؛ فأية مصلحة عامة هذه يهتدى إلى تحديدها البشر ذوو المصالح المشتبكة المتعارضة والنوازع الضيقة الحرجة ، ولا يهتدى إليها خالق البشر وهو المنزه عن تلك النقائص ، الذى لا يريد لعباده إلا ما يضمن لهم مصالحهم على خير الوجوه ؟ إن ما استحسنته من ذلك ياسيدى إنما يدخل فى باب التحسين والتقبيح العقليين ، وحقيقة ما أردته إنما هو ما يسمى المصلحة المرسلة بلسان الفقهاء والأصوليين ، ولكنه اختلط هذا بذاك وجرى البحث إلى غير وجهته . فياحبذا لو حررت الموضوع ثانية ، وأقمت حداً فاصلا بين ما يسمى المصلحة المرسلة وهى شرعية ، وبين ما يسمى التحسين والتقبيح العقليين وهو بدعى هادم للشريعة لا يقول به إلا من يريد أن يأتى على الإسلام من قواعده ، وأنت بحمد الله من بُناته وحفظته الأقوياء المخلصين .

هذا وإنى مرسل رسالتى إلى معاليك ولك أن تحتفظ بها أو أن تنشرها بنصها وفصها تنبيهاً إلى أمر خطير لا يصح إهماله وإغفاله ، وإنى معتقد اعتقاداً جازماً بأن من يكتب مثل (الرسالة الخالدة) ويسمو هذا السمو فى الدعوة إلى إقامة نظام عالمى جديد أساسه الدعوة المحمدية فى مختلف الشؤون الإنسانية ، لا يعنيه فيما يكتب ويدعو إليه إلا الحق ، ولا يعيش فى دنياه إلا لآخرته . بارك الله لك فى مساعيك ، ورعاك بعنايته ورضاه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته من أخيك المخلص الأمين :

محمد بهجة الأثرى

عزيزى الأستاذ الكبير السيد محمد بهجة الأثرى :

السلام عليكم ورحمة الله وبعد . فقد تلقيت كتابكم الكريم ، وأشكر لكم حسن تقديركم « للرسالة الخالدة » وجميل ثنائكم ونقدكم الخالص لوجه الله والإسلام والصداقة ، ذلك النقد الذى أقدره كل التقدير وأعلم ما فيه من غيرة مشكورة على الكتاب والكاتب .

وإنى حين ذكرت قصة تصرف عمر رضى الله عنه فى أرض السواد تصرفاً جديداً لم يسبق إليه ، لم أرد ما تبادر إلى فهمك من أنى ضربته مثلا لترك النص القرآنى بناء على مذهب التحسين والتقبيح العقليين وتحكيمه فى دين الله ، وإنما أردت أن أعرض مثلا من اجتهاد الإمام فى فهم النصوص وعدم وقوفه عند ظاهرها مادام أمامه طرق لفهم جديد معلل بمصلحة عامة فيها نفع محقق للدولة والأمة ، وذلك لأضع أمام الغرباء عن فهم حقيقة الشريعة الإسلامية مثلا من مرونتها واتساع مدى الرأى والتعليل فيها وصلاحيتها أساساً للتشريع فى الفرعيات التى تحدث وتتجدد بتجدد الأزمنة والأقضية وألوان حياة الناس ، حتى لا يستمر انسياق كثير من الناس فيما انساقوا إليه من توهم وقوف الشريعة الإسلامية لا تتكيف ولا تتسع للتطبيق المعقول .

وإن الرواية التى ذكرتها أنا فى المسألة نقلا عن كتاب التشريع الإسلامى للمرحوم الشيخ الخضرى قد ذكرت الجانب التاريخى والجدل العقلى بين عمر ومخالفيه فيما رأى من تخميس الأموال وتقسيمها بين أهلها وإخراج الخمس وتوجيهه وجهه وحبس الأراضى بعلوجها ووضع الخراج عليهم فيها مع الجزية الشخصية ، ولم تذكر استدلال عمر بالآيات التى تلى آيتى الفىء من سورة الحشر كما روى أبو يوسف فى كتاب الخراج وكما ذكرت فى كتابك إلىّ .

أما وقد روى أبو يوسف اعتماد عمر فيما ذهب إليه على فهم لهذه الآيات فقد صار للمسألة بذلك وجه آخر . ولم يخطر ببالى قط أن عمر رضى الله عنه يرى نصاً قرآنياً لا يقبل التأويل ثم يخالفه ، فعمر هو ما هو صدق إيمان وإذعاناً لأوامر الله . وأخيراً أكرر لك شكرى وتقديرى مع فائق التحية . المخلص

عبد الرحمن عزام



فقيد العلم والإسلام :

قضى بموت الفجاءة مساء يوم السبت الخامس عشر من هذا الشهر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر ، فكانت الفجيعة بموته أليمة قاسية أرمضت النفوس ، وأوجعت القلوب ، وساد الحزن عليه جميع الأوساط والأقطار . فقد كان الفقيد — رحمة الله عليه — مثالا للفكرة المستقيمة ، والحكمة المهذبة ، والإنسانية النبيلة ، وكان كل هذا سجية فى طبعه وغريزة فى نفسه ، فقد نشأ فى بيت عريق الثراء والجاه ، واتصل فى أدوار حياته بمجالى النشاط السياسى والنضال الحزبى ، ولكنه نشأ وعاش على طبيعة الخير وفطرة السماحة ؛ فدرس فى الأزهر جامعة الشعب ، وسافر إلى فرنسا للدراسة ، ثم عاد منها لا ليطلب منصباً يوازى جاهه ومكانته بل ليجلس مجلس الأستاذ يفيد تلاميذه فى الأزهر وفى الجامعة ، وهكذا عاش طول حياته محباً للحكمة ، قريباً من النفوس ؛ ولقد تقلد المناصب الكبيرة . فعين وزيراً للأوقاف ثم شيخاً للأزهر ، ولكنه لم يتغير ولم يتبدل .

لقد كان الشيخ مصطفى عبد الرازق رجلا نبيلا فلاقى ربه بهذه الميتة النبيلة ، ولقد رأى الناس نعشه محمولا على الأعناق ، ورأوا الألوف تحتشد لتشييعه والعزاء فيه ، ولكنهم لم يصدقوا أنه مات ، ولم تستطيع أذهانهم أن تحتمل تلك الصورة الرهيبة ، فيعتقدوا أن الموت طواه كما يطوى سائر الناس ...

لن يموت الشيخ مصطفى عبد الرازق ، ولكنه سيظل صورة شاخصة ومثالا حياً فى أذهان تلامذته ومريديه ، وفى نفوس إخوانه ومحبيه ، وفى قلوب أولئك الذين ملأ قلوبهم بفيض إنسانيته ، وكرم سجيته ، وما أفاء الله عليه من فضل عميم .

لقد كان الشيخ مصطفى عبد الرازق عالماً فاضلا ، وحكيما مهذباً ، وأديباً أريباً ، وكم له من مشابه فى هذا بين الناس ، ولكنه كان إنساناً نبيلا لا يشبهه فى هذا إلا القليل من الناس ، وحسبك برجل لم تحسب له طول حياته فعلة نابية ، أو كلمة شاردة أو إساءة قدمها ، بل أضمرها ، ولكنه عاش طول حياته يزرع الخير فى كل مكان . فلا شك أن الفجيعة بموته إنما هى فجيعة لأهل الخير الذين يؤثرونه والذين يطلبونه ...

ونحن اليوم إذ نعزى العالم الإسلامى فى موته ، والعلم فى فقده ، نرجو أن نعود لوفائه حقه من الحديث المستفيض فى شتى نواحى حياته وإنسانيته . أسكنه الله فسيح جناته ، وأسبغ عليه عميم رحماته .

مرحى توفيق الحكيم !

مرحى يا صديق الكاتب الكبير ! وتهنئتى لك على تحرر قلمك الوهوب وخلوصه لأمتك التى تحتاج إلى فنه وقوته فى هذا الدور من تاريخها مسيس الاحتياج .. أمتك العربية الكبيرة لا مصر وحدها .

ومن حقك علىّ أن أسجل لك هذا الوقف المشرف فى مقالك « عطور وبخور وفكر » الذى نشرته بالعدد الماضى من « أخبار اليوم » والذى نال من الدعاية الفرنسية ومحاولتها تجديد خديعة مصر عن واجبها إزاء أبناء عمومتها فى شمال إفريقية ، ما لم ينله مقال آخر ، من حقك علىّ أن أسجل لك هذا بعد ما أنحيت عليك بلوم مرّ على صفحات هذه المجلة (1) لموقف عكسىّ سابق بدا لى فيه أنك مخدوع بفرنسا متعصب لها تعصباً قد أنساك بعض المجاملة فى حديث إخوانك ، وأنت الرجل المهذب الهادىء ، مما دعانى يومئذ أن أغضى عما لك فى نفسى من مكانة حينما بدا لى أنك تغضى عما ترتكبه فرنسا ضد الحرية وضد حرمات الفكر فى شمال إفريقية ، وأنت يجب ألا يخدع عن ذلك .

والآن أحمد الله إليك على أن سريرتك الطيبة الحرة قد انكشف لها موقف فرنسا على حقيقته ، فأثبت أن الثقافة الفرنسية والدعاية الفرنسية لا تستطيعان أن تخدعا المفكرين العرب بعد اليوم عن واجبهم إزاء ما يرونه من تناقض فاحش بين الفكر الفرنسى الزاعم لنفسه الدفاع عن حريات الإنسان وحقوقه ، وبين السياسة الفرنسية الغاشمة التى تجعل من تونس والجزائر ومراكش سجوناً لأهلها تحرمهم خبز الروح والفكر العربى الذى ينتجه أبناء عمومتهم ، وتحبسهم عن الرحلة فى طلبه ، وتحول بين الناس وبين الرحلة إليهم ليروا آثار الحكم الفرنسى السعيد فيهم .

وأحسب أن بعض أصدقاء فرنسا فى مصر قد فاجأهم وأدهشهم

(1) فى العدد ٦٢٥

موقفك الأخير من فرنسا وأنت ربيبها ، وقد كنت من الأوفياء لها حتى بعد انهيارها وسقوطها بينما انقلب كثيرون ضدها بعد أن كانوا من أبواقها قبل الحرب ولا أزال أذكر كلمتك « فيران السفينة » التي نشرتها في الاهرام غداة سقوط فرنسا وتخلى بعض تلك الأبواق عنها ودعايتهم ضدها واشمئزازك منهم ذلك الاشمئزاز الذي صورته في تلك الكلمة ...

أقول أنا أحسب ذلك وأذكر هذا ، ولكن مهما يكن من شيء فإنه لا بد للكاتب الحر أن يفي للحق والحرية ويدافع عنهما في أي أفق ، ولا يضيره أن يتغير موقفه في الدفاع ، وإني أعتقد أن فرنسا تستفيد من موقفك الأخير أضعاف ما تستفيده من موقف الإغضاء عنها أو الخديعة بدعايتها ، لأن ذلك سينبهها إلى أن تترك سياستها التقليدية في خداع العرب عن طريق مصر ، وإذا كنت قد عشقت روحها الحرة فمن واجبك أن تذكرها بها وتلومها ، وتشتد في لومها وتقاضيها إذا ما رأيتها ترتد عن رسالة تلك الروح ، وما أظن عشاق فرنسا من المفكرين والكتاب في الشرق يحبونها لما يرون فيها من البهرج والزينة والمتع الحسية ، وإلا كانوا أحرياء ألا يسموا مفكرين ، وإنما هم طبعاً يحبونها لتقاليد آدابها وما اشتهرت به لديهم من دفاعها عن الحريات . فإذا كشفت لهم الأيام حقيقة خداع فرنسا في ذلك كله فما أحراهم حينئذ أن يناشدوها أن تحقق ما أحبوها من أجله ، وبخاصة مع قوم تربطهم بهم روابط الدم واللغة والعواطف والآمال والآلام ، فإذا لم تستجب لمناشدتهم فما أحراهم أن يخلعوا من قلوبهم الولاء والحب لها ومن ألسنتهم المجاملة وأن يستقبلوا وافدي الدعاية لها بما هم أهله من الفتور والإهمال .

ذلك هو منطق الذين لا يريدون لأنفسهم التناقض مع أنفسهم ، ولا يريدون أن يبدوا لدى فرنسا مخدوعين ولدى الشرق خادعين أو مخدوعين .

فامض أيها الصديق في طريق الدفاع عن المغاربة والغضب لهم لا لأنهم من قومك فحسب ؛ بل لأن الحق والحرية ، وهما عماد رسالة الفكر ، تشتد فرنسا في محاربتهما على مسرح بلادهم .

وعسى الله أن ينبه بك أذهان البقية من أصدقاء فرنسا في مصر إلى واجبهم في مطالبة فرنسا بالخصومة إذا لم تغير سياستها مع المغاربة تغييراً أساسياً . وإنك لمكسب كسبناه والسلام .

عبد المنعم خلاف

فن وتجارة !

تحت هذا العنوان كتبنا كلمة في عدد مضى من الرسالة حبذنا فيها ما تقصد إليه شركات الأفلام الأجنبية من عرض أفلام قوية باللغة العربية ، وقلنا إن هذا العمل سيفيد الفن السينمائي في مصر قوة وجدة نظراً لما تملك هذه الشركات من القوة المادية والقوة الفنية كما عجبنا لتلك الضجة الصاخبة التي يحمل لواءها حضرة يوسف وهبي بك بوصفه نقيباً للممثلين واستنكرنا أن يفزع إلى ولاة الأمور لمنع عرض هذه الأفلام بحجة أنها ستقضي على كثير من الممثلين السينمائيين بالبطالة ، وقلنا إنها حجة تدل على أن هؤلاء السينمائيين إنما يطلبون العيش لا أكثر ولا أقل .

ورد علينا حضرة نقيب الممثلين بكلمة طالعها القراء في العدد الماضي ، ولقد حاولنا أن نجد في تلك الكلمة حجة من المنطق بل شبه حجة تقنعنا بأن حضرة النقيب يدافع عن مسألة له فيها رأي وفهم ولكن حضرته كان عند حسن ظننا به وفهمنا فيه ، فقد ترك حضرة يوسف بك المسألة من الناحية الفنية وراح يتهمنا بمناصرة الاستعمار ، وبنصحنا بتقديم ما كتبنا إلى الشركات الأجنبية لتجزل لنا عنه العطاء ..

وإننا لندع هذا الهراء الفارغ ونلتمس للسيد يوسف في ذلك كل العذر ، فما نحسبه يقدر أن الكلام الذي يكتب غير الكلام الذي يلقيه على خشبة المسرح على رءوس العامة وأشباه العامة ، ندع هذا لنعود فنقول لنقيب الممثلين إنه دل في كلمته على صدق ما قلناه ، وهو أن حضرات الممثلين السينمائيين إنما يتاجرون بالفن ويدافعون عن حقهم في العيش ، فقيمة فنهم هي قيمة ما يجلب من الرغيف . ومن العجيب أن السيد يوسف بك يقول إنه لا ينكر عرض الأفلام الأجنبية بلغتها الأصلية ، ولكنه ينكر عملية « الدوبلاج » لما فيها من خطر المنافسة لأفلامه وأفلام شركاته ، ونحن على العكس منه ننكر عرض الأفلام الأجنبية بلغاتها الأصلية ونحبذ تمصيرها ونقلها إلى لغتنا ، ولست أدري بعد هذا من منا هو الذي يكون داعية للاستعمار الأجنبي .

إن هذا الفزع يا حضرة النقيب ليس له من مبرر إلا الضعف ، وإنكم بإنتاجكم الضعيف الهزيل تحملوننا على أن نحبذ عملية « الدوبلاج » ، فأنتم العلة وعليكم الوزر ، والناس معذورون إذا طلبوا الفن من أي طريق ما دمتم أنتم قد تنكبتم عن الفن كل طريق ..

« الجاحظ »



من الأدب الروسي الحديث :

بعد المعركة

للكاتب الروسي الكسي تولستوي

بقلم الأديب فريد وجدي الطبري

كان صديقي إيجور درعوف شخصاً متزناً يسود عليه الجد. أحب والدته ماريا بوليكا ديوفنا ربوفنا ووالده إيجور إيجونوفتش فكان يقول، «أبي رجل يحترم نفسه، وكثيراً ما علمني أن أفتخر بروسيتي» وخطب فتاة في تلك المدينة الصغيرة. وكثيراً ما يتحدث الجنود في الميدان، وبين فترات القتال عن الزوجات والحبيبات، يتحدثون في الملاجئ، وهم في مأمن من البرد القارس، ومعدهم ملأى، ونور الشمع يوحي بالحديث. فتسمع كل ناحية من ذلك الموضوع، مثلا «أساس الحب الاحترام والحب مجرد عادة، فالإنسان يوزع حبه بين زوجته ووالديه وحيواناته» ويقول آخر «يبدأ الحب عند مايفور دمك، وشعور المحب كشعور المخمور والجذل المرح» ويستمر الحديث ساعات، ولا ينتهي إلا بكلمة أو أمر من أحد الضباط.

أما إيجور دريعوف فلم يشترك كثيراً في مثل هذه الأحاديث وإذا أشار إلى خطيبته كان ذلك بأسلوب غير مباشر، فتراه يقول مثلا «فتاة طيبة تنتظر صديقها حتى ولو جاء على رجل واحدة» ولا ينقاد إلى التحدث عن مغامراته الحربية. وعندما يمتدحه أحد أصدقائه يقول «الأفضل أن لا نتحدث عن هذه الأشياء» وكل ما عرفناه عنه كان من أحاديث زملائه؛

كنا نتوسل إلى سائقه تشفيلوف ليقص علينا أخباره، فيصف لنا مثلا كيف كان ينقض على العدو في المصفحة مطلقا عليه ألسنة اللهيب، فلا يكاد يصل إليه حتى يصرعه. وكم من معركة خاض غمارها وعاد سالما بعد أن يكون فقد عددا من رفاقه وقد أبلى بلاء حسنا دائما وقصص شجاعته عديدة.

وعلى هذه الحال حارب الملازم إيجور درعوف إلى أن أقعده الحظ. كان ذلك في معركة كيسرسك بحيث كان النصر في بادئ الأمر للألمان، واشترك فيها بدبابته، وما كاد يدخل المعركة حتى قتل اثنان من رجاله. ثم اشتعلت النار في الدبابة. أما السائق «تشفيلوف» فقد تمكن من مغادرة الدبابة المشتعلة، وسحب الملازم الذي كانت ثيابه تحترق وهو مغمى عليه وأخيراً انفجرت الدبابة وتناثرت قطعا إلى مسافة تزيد على ١٥٠ قدما وأقبل تشفيلوف على الملازم ليطفئ النار المشتعلة في ثيابه وجره إلى مكان أمين. ويقول تشفيلوف «إنما فعلت ذلك لأني شعرت أن فؤاده مازال ينبض بالحياة» عاش إيجور درعوف حتى ولم يخسر بصره لكن تشوه وجهه جدا حتى أن العظم ظهر في بعض الأماكن، وبقي في المستشفى ثمانية أشهر، وأجريت له عدة عمليات متوالية لإعادة أنفه وشفاهه، وأجفانه وأذنيه. وعندما نزعت عنه الأربطة بعد الشهور الثمانية، وكانت معالم وجهه قد تغيرت تماما حتى لم يبد فيه شبه للصورة التي كان عليها قبلا. ولما ناولته الممرضة المرآة ليرى وجهه أدارت وجهها بسرعة كي لا يلاحظ الدموع في عينيها من شدة تأثرها بمنظر وجهه. وأعاد إليها المرآة قائلا «كان من الممكن أن تكون المصيبة أكثر مما هي الآن، على كل حال يكفي أني بقيت حيا» ولم يطلب المرآة مرة أخرى، بل اكتفى بلمس وجهه الجديد كأنه يعود نفسه أن تألفه. وسرح من الخدمة العسكرية بناء على تقرير طبي. لكنه ذهب إلى قائده ورجاه أن يسمح له بالالتحاق بفرقته ثانية. ودارت هذه المحادثة بينهما.

تصحيح آية :

كتب إلينا كثيرون يصححون كلمة جاءت في المقالة القيمة (محمد والأمن العام) لصاحب العزة علي حلمي بك على أنها آية، وهي «ولا تكتموا الشهادة وأنتم تعلمون» على أنها ليست بآية، والآية هي «ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون».

« لـكنك أصبحت غير قادر على الخدمة » « لا يا سيدى بل لقد أصبحت مخلوقا غريب المنظر ولا أرى كيف يجعلنى ذلك غير صالح للقتال » ولاحظ أن القائد كان يتجنب النظر إليه أثنـاء الحديث ، فابتسم بشفتيه الاصطناعتين الرقيقتين . أعيد إلحاقه وأعطي أجازة مدتها ثلاثة أسابيع ، فذهب ليقضيها فى البيت ، وكان ذلك فى الأول من آذار . ولدى وصوله اقترب محطة من قريته ، حدثته نفسه أن يستأجر عربة تقله إلى البيت لـكنه عاد فقرر أن يقطع المسافة وهى اثنا عشر ميلا مشيا .

كان الثلج كثيفا والهواء الرطب يهب باردا جداً ، فيتخلل أطراف معطفه محدثا صوتاً كله حنين إلى البيت ، ووصل القرية عند الغروب .

رأى وطنه الصغير بخير والطيور على الأشجار تغرد ؛ أمامه الآن بضعة بيوت ، والبيت السادس يسكنه أبواه . اقترب من البيت ووقف عند الباب لا يجرؤ على الدخول ثم ذهب إلى جانب البيت ونظر فى النافذة وكان الثلج يصل إلى ركبتيه . رأى أمه على ضوء المصباح الخافت تعد المائد للعشاء . وبدت أمه كما يعهدها تماما — طيبة القلب ، هادئة ، وعلى رأسها تلك القبعة الصغيرة نفسها وقد تغيرت عما كانت عليه عند ما رآها لآخر مرة ، إذ انحنى ظهرها قليلا . « ليتنى كتبت لها قبل مجيء ، ليتنى كتبت بضعة أسطر كل يوم » كانت تضع الحليب وقطعاً من الخبز الأسمر والملاعق والملح ، ثم وقفت مكتفة الأيدى وساد عليها التفكير أو الحيرة ؟!

شـعر إيجور درعوف وهو يراقب والدته من النافذة أنه لا يستطيع أن يوجه إليها هذه الصدمة إذا عرفت أن هذا المخلوق المشوه هو ابنها ! ووطد العزم على ألا يعرفها بنفسه ، وقرع الباب . سألت الوالدة « من بالباب » ؟ فأجاب « أنا الملازم جرينوف أحد أبطال الاتحاد السوفيتى » . ووجد أن خفقات قلبه قلت وزال عنه القلق عند ما رأى أن والدته لم تميز صوته . حتى هو نفسه أخذ يلاحظ أن صوته قد تغير بعد تلك العمليات ومن جراء الأهوال ، فقد أصبح صـوته خشناً وحاداً . وقالت الأم « ماذا جرى؟ » فيجيب « أحمل رسالة إلى ماريا بوليكا دبوفنا من ابنها الملازم الأول درعوف » ولما سمعت ذلك ضمته بإحدى يديها وصافحته بالأخرى بحرارة قائلة « إذا ولدى ايجور مازال حياً ؟ تفضل ادخل وحدثنى عنـه » جلس إيجور درعوف إلى المائدة حيث كان يجلس وهو صغير يوم كانت رجلاه لا تصلان الأرض وأمه تخاطبه — « قل يا أعز الناس لدى » — أخذ يحدثها عن ولدها أنه بخير وصحته جيدة وأنه سعيد . لـكنه لم يذكر لهـا للمارك التى خاض غمارها بدبابته . وتقاطعه قائلة — « قل لى الحياة فى الجبهة فظيعة رهيبة ، أليس كذلك ؟ » . « نعم أيتها الوالدة ، إن الحرب كلها فظائع وويلات ، ولـكن الإنسان يألفها مع الأيام » .

بعد قليل جاء والده وقد بدا أكبر مما كان وذقنه بيضاء وكأنما اعتراها غبار أو طحين مسح الثلج عن رجليه وخلع معطفه المصنوع من الفراء وصافح الضيف . فى هاتين اليدين الـكبيرتين يلمس الإنسان الأبوة اللطيفة ! وإيجور درعوف يعرف هاتين اليدين فطالما لمسهما ! جلس والده ليستمع إلى ذلك الجندى الذى غطى صدره بالأوسمة دون أن يسأله أى سؤال . وكلما طال الوقت على درعوف وأهله لم يميزوه كلما ضاق صدره وهم أن يقول « ميزونى تتعرفوا إلى ، بعد أن أصبحت إنسانا غريب المنظر » ، لـكنه يتراجع .

مما يبعث السرور فى نفسه ، أنه يجلس على مائدة أبيه غير أنه فى نفس الوقت كان كمن خاب أمله والآن حان وقت الطعام ، فهل لديك ما نقدمه لضيفنا أيتها الأم ؟ » قال الأب هذا ، وفتح جارورا فى طرف الطاولة لا تزال فيه سنارات لصيد السمك فى علبة كبريت فارغة تخص ولده . وفاحت رائحة مألوفة ، هى رائحة البصل والخبز . وأخرج زجاجة خمر صغيرة بقى فيهـا ما يملأ قدحين صغيرين فقط . وبينما كانوا يأكلون ، لاحظ درعوف أن أمه تحاول أن ترى كيف يمسك الملعقة ولـما التقى نظرها غضت طرفها وعلى وجهها مسحة من الحزن والشفقة ، فابتسم . طرقوا مواضيع عديدة . المزروعات والحاصـلات ، الأمل بانتهاء الحرب فى الصيف « ولماذا تعتقد يا سيد إيجورفتش بأن الحرب قد تنتهى فى هذا الصيف ؟ » .

فأجاب الأب « الشعب هائج ، بعد هذه المصائب التى سببها لهم الألمان ، لن يقف فى وجههم شىء ، وهنا قالت ماريا « لم تخبرنا متى يأتى ولدنا فى أجازة بعد أن مضى ثلاث سنوات على غيابه عنا ؟ ربما تغير شكله كثيراً الآن وربمـا كان له شاربان ويعيش

كهؤلاء الذين يقطنون فى جوار الموت . قد يكون صوته تغير؟»

« ربما لا تعرفينه متى عاد »

وضعوا له فراشاً فى إحدى زوايا الغرفة ، قريبا من الموقدة ؛ فى تلك البقعة التى يعرف كل حجر فيها وكل ثقب وعقـدة فى السقف ، ورائحة الخبز ، ورائحة البيت ، الرائحة التى لا ينساها الإنسان حتى ساعة الموت . وهبت رياح شديدة فى الخارج . وكان يسمع شخير والده من وراء الحاجز وكان سهلا عليه أن يتصور أمه مسهدة تصعد الزفرات واللازم مضطجعاً على جانبه ورأسه على يده وقد أخـذ يقول فى نفسه : أحقا يا أماه لا تستطيعين أن تعرفينى ؟ واستيقظ فى الصباح على صوت طقطقة الحطب وهو يحترق فى الموقدة ، ورأى أمه منهمكة فى عملها قرب النـار وجوربيه قد غسلا وعلقا على الحبل وحذاءه نظف ومسح ؛ وسألته والدته إذا كان يحب الجبنة مع البسكوت . وبعد أن جلس إلى المائدة قال «طلب إلى دريموف أن أبلغ سلامه إلى كاتيا ابنة أندرى سيڤانوڤتش؛ فهل لا تزال تسكن قريبا منكم؟»

«نعم وقد أنهت المدرسة فى العام الماضى وهى تعلم الآن . سأدعوها لك» ثم خرجت تدعو كاتيا مانيشڤا، وما كاد اللازم يلبس حذاءه حتى جاءت كاتيا تركض ووقفت أمامه ، وها هى عيونها الواسعة اللامعة وحاجباها وقد ارتفعا فى دهشة واستغراب ، وزاد احمرار خدودها المتوردة عند ما ألقت بالشال الصوف الذى كان فى يدها . وتمنى لو يقبل هـذه الشفاه اللطيفة . بدت أمامه كما كان يتصورها : عروس المستقبل ، نضرة مرحة ، ناعمة ، تكسوها العافية وقد أضاءت الغرفة عند ما دخلت .

« هل جئتنى بأخبار من إيجور ؟ قل له إنى أنتظره فى الليل والنهار». أدار وجهه من النور ليراها بوضوح ؛ اقتربت منه لـكنها همت بالتراجع عند ما رأت ملامحه . وأراد أن يكشف عن نفسه فى ذلك اليوم وفى تلك اللحظة ولـكن لم يفعل : وطلبت إليه أمه أن يجلس ويأكل الـكعك مع الحليب .

وتكلم إيجور دريموف ولم يعلق على اشتراكه فى القتال وتجنب أن ينظر إلى كاتيا كيلا يرى انعكاس بشاعته فى عينيها . واقترح أبوه أن يأتيه بحصان يركبه لـكنه فضل أن يعود مشيا كما جاء .

لقد تأثر جـداً من تلك الزيارة ، وكان فى الطريق يتحسس وجهه ولا يدرى ماذا يفعل بنفسه !

ولما عاد إلى المعسكر اهتم به أصدقاؤه كثيراً وصار يأكل ويشرب ويضحك مثلهم بنشاط وسرور وكأن لم يحدث له شىء . قرر أن يخفى الحقيقة عن أمه. أما ذكريات كاتيا فرأى أن يخرجها من مخيلته كسن تسبب ألما ويجب خلعها .

وبعد أسبوعين تسلم رسالة من أمه :

«تحيات ياحبيبى. ترددت قبل لأنى لم أعد أعرف بماذا أفكر؟ جاءنا شخص من طرفك — شاب لطيف جـداً لـكن وجهه مخيف . وكأنه كان يرغب أن يمكث قليلا لـكنه عدل عن ذلك فجأة . ومنذ تلك اللحظة لم أنم ويبـدو لى أن ذلك الشاب هو أنت . أما والدك فيقول بأنى مجنونة . وربما أنا مجنونة إذ لو كان ذلك الشاب ولدنا لقال ذلك ، ولمـاذا يخفى ذلك عنا ؟ كان له وجه يفتخر به ! ويحاول والدك أن يقنعنى لـكن قلب الأم يقول لى ، إنه ولدك ! اكتب لى يا حبيبى إيجور بالله عليك أشفق على وأخبرنى هل كان ذلك صحيحاً أم أنا مجنونة ؟

وأطلعنى صديقى دريموف على هذه الرسالة كصديق ولما قص على القصة كانت الدموع تملأ عينيه فيجففها بمنديله . لقـد ارتكبت خطأ جسيما أيها الناشم ، اكتب لأمك حالا وأطلعها على الحقيقة واطلب الصفح منها . سيزداد حبها لك وأنت فى هذه الحال وفى اليوم نفسه كتب لأبويه :

« والدىّ العزيزين ، لقد كان ذلك الشاب ولدكم ، أنا ... »

وراح يملأ أربعة صفحات من الحجم الـكبير وبخط صغير ، فـكتب رسالة تشغل عشرين صفحة من الحجم العادى .

وبعد أيام كنا نتدرب فى الميدان عند ما جاء أحد الجنود إلى إيجـور وخاطبه قائلا : يا عزيزى الـكابتن يدعوك . وتبعته إلى الشكنة التى يسكنها معا، وهناك سمعته يقول «مرحبا يا أمى ها أنذا» ورأيت سيدة عجوزا قصيرة ضئيلة الحجم تعانقه، وكان هناك امرأة أخرى — لم أر مثل ذلك الجـال حياً يتنفس طيلة حياتى ! ! رفع والدته عن صدره وخاطب الفتاة . « لماذا أتيت يا كاتيا ؟ لقد وعدت ذلك الشاب الذى كنت تعهدينه بأن تنتظريه وليس أنا الذى لم تستطيعى ... » لـكنها قاطعته : « إيجور قررت أن أقضى العمر معك ، فلا تبعدنى عنك من الآن » .

(القدس) فريد وجدى الطبري

مطبعة الرسالة

العدد ٧١٣ — الاثنين ٣ مارس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

٢٨٠١٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15me Année No. 713

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi — 3 — 3 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ربيع الثانى سنة ١٣٦٦ — ٣ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

مسألة القضاء والقدر

للأستاذ عباس محمود العقاد

قد راعيت ياسيدى أن أقدم إليك مسألة واحدة حتى لايشق على مجلة «الرسالة» ردك ... وهذه المسألة هى « القضاء والقدر » هل الإنسان مسيّر أم مخيّر ؟ ... وقد وجهت هذا السؤال من قبل لأستاذى فردّ علىّ رداً لم أر فيه مقنعاً ... فتضاربت الآراء بعقلى وإنى لأخشى على نفسى وعلى إيمانى ...

محمد علي طالب
بعمل قنا

مسألة القضاء والقدر هى مسألة الحرية الإنسانية فى جميع نواحيها ، فهى بهذه المثابة مسألة قضائية نفسية علمية ، وليست بالمسألة الدينية وكفى .

وليس من اليسور أن تحل هذه المسألة من جميع وجوهها حلا يدفع كل اعتراض ، ويوافق كل رأى ، ويكشف النقاب عن العلاقة بين حرية الإنسان وقوى الكون الذى يعيش فيه . فان العلم بحدود حريته يتوقف على الإحاطة بهذه العلاقة من جميع أطرافها ، وليس ذلك بالمستطاع فى عصرنا هـذا ، ولا نخاله يستطاع كل الاستطاعة فى وقت من الأوقات .

لكن المستطاع الذى لا شك فيه أن مسألة القضاء والقدر هى نفسها حل معقول أسهل من جميع الحلول التى تذهب إليها العقول ...

فبماذا يقول من ينكر القضاء والقدر كأنه شىء لا يوافق العقل ولا يساغ فى منطق التفكير ؟

أيقول بأن المخلوقات يجب أن تختلف وأن تتساوى مع ذلك الاختلاف فى كل قدر وقضاء ؟

ذلك حكم لا يسوغ فى عقل عاقل . لأن اختلاف التقدير لازم مع اختلاف الأقدار .

فاذا اختلفت أقدار المخلوقات وأوصافها فلايخطر على العقل أن تكون بعد ذلك سواء فى الأعمال والتقديرات .

وإذا هى لم تختلف فكيف يريد المعترضون أن تكون ؟ وكيف يتوهمونها فى الخيال فضلا عن تقديرها فى عالم الفكر أو عالم العيان !

أيريدونه عالماً لا فرق فيه بين حى وحى ، ولا بين شىء وشىء ، ولا بين موجود وموجود ؟

إذن هم يريدونه عالماً لا أشياء فيه ولا أحياء فيـه ولا موجودات فيه .

لأن الشىء لا يسمى شيئاً إلا إذا كان مخالفاً لشىء آخر فى جوهره أو صفاته . فاذا بطل الاختلاف بين الأشياء بطل قوام الأحياء والموجودات .

فهل يرى المعترضون أنهم هربوا من مسألة القضاء والقدر إلى مسألة يقبلها العقل وترتضيها النفس ويتصورها الخيال ؟

وأى الصورتين بعد هذا أقرب الى عقول المفكرين : عالم فيه اختلاف فى التقدير واختلاف فى الأقدار ؟ أو عالم لا توجد فيه الأشياء ولا توجد فيه الأحياء !

فمسألة القضاء والقدر على هذا أقرب الى الفهم من كل مسألة تخطر على بال مفكر فى هذا الموضوع .

وإذا كانت هى الوجه الذى يقبله العقل فالناحية المجهولة منه ينبغى أن تقاس على الناحية المعلومة. فيطمئن الفكر الى موافقتها له ومطابقتها لدواعى الايمان .

أما هذه الناحية المجهولة فهى ناحية التوفيق بين العدل الالهى واختلاف الجزاء على الأعمال .

فاذا وجب أن تختلف الأشياء ويختلف الأحياء ويختلف الجزاء ، فقدوجب أن يكون الجزاء غير مناقض للعقل فى نهاية المطاف ... ونهاية المطاف هذه هى التى يجهلها الانسان ، ويقيسها على ما يعلم فتسرى اليه الطمأنينة فى هذا القياس الصحيح .

***

ويتحدث الأديب صاحب الخطاب عن صديق له يسخر من تبلبل خاطره فى هذه المسألة فيقول : « انه أبرز لى آراء فى هذه المسألة وقال إنها آراء أهل السنة وأخرى قال إنها آراء المعتزلة » ... ولا يدرى أيها أحق بالاتباع .

ولا فائدة من الإطالة فى تفصيل هذه الآراء أو تلك الآراء .

ولكن كاتب الخطاب خليق أن يوقن أن آراء المعتزلة تؤدى الى تبلبل فى الخواطر يعود على صاحبه بسخرية أمر وأنكي . لأنهم يحلون المشكلة بمشكلات ويخرجون من تيه الى أتيـاه . ويقولون إن الانسان ينبغى أن يكون حراً لأن الله يحاسبه ، وإن الله لا يحاسبه إلا لأنه حر فى عمله واختياره .

فهم لا يقررون أن الإنسان حر فى عمله واختياره بدليل من الواقع ، بل بفرض من الفروض . فن أين لهم أن حساب الله لا يوافق حالة التقدير، وأنه لابد أن يناقض العدل إذا وجب الايمان بالتقدير ؟ ولماذا يمنعون على الله حساباً يتقابل فيه العدل والرحمة وصدق الجزاء والعقاب ؟ واذا وجب التسليم بأن الاختلاف فى العالم المشهود هو الحالة التى يتحقق عليها الوجود ، فلماذا يجزمون بأن هذه الحالة الواجبة ستناقض مايجب فى مسألة العدل والتوفيق بين العمل والمصير ؟

لو كان المعتزلة ينكرون وجود الله لجاز أن يبطلوا الحكمة فى الخلق كله وأن يبطلوا العدل والرحمة فيما هو ظاهر لنا وما هو محجوب عنا، ولكنهم يؤمنون بالله ويؤمنون بوجوب الاختلاف بين الأشياء والأحياء . فلماذا تضيق قدرة الله عندهم عما يوافق الحكمة فيما يجهلون ؟

وقصارى القول أن الحل الوحيد المستطاع لعقدة القضاء والقدر هو المقابلة بينها وبين العقد التى تنتهى اليها اذا أنكرنا القضاء والقدر ... وأن العدل بمعنى المساواة الشاملة هو العدم بعينه ، لأن المساواة الشاملة تنفى قيام الأشياء والأحياء . فلا بد من معنى للعدل الإلهى غيرهذا المعنى ، ولاتناقض اذن بين العدل والاختلاف فى تركيب الموجودات ، اذا وجب أن نفهمه فهما غير فهم المساواة فى الأقدار والمساواة فى التقدير .

ونحن نرى فى حياتنا العملية أن الناس يرثون أخلاقهم من آبائهم وأمهاتهم ، وينشأون فى عاداتهم على نشأة بيئتهم وبيئات أسلافهم ، ولكننا مع هذا لا نبطل التكليف والجزاء ولا نرى أنه عبث فى غير جدوى ، أو أن إلغاء القوانين والعقوبات مساو لبقائها وسريانها ... فهناك نصيب من الحرية يكفى لقيام التكليف فى المسائل الدنيوية ، وهناك نصيب من الحرية يكفى للتوفيق بين العمل والجزاء فى هذه الحياة القصيرة . فكيف بالحياة الأبدية التى تدبرها عناية الله ولا يحيط بها علم الانسان ؟

إن مسألة القضاء والقدر عقدة ، ولكنها عقدة لا ينكرها المنكر إلا وقع فيما هو أعقد منها ، ولاسيما المنكر الذى يؤمن بوجود الخالق القديم .

أما الذين يبطلون وجوده فانهم يعطلون العقل جلة فى هذه المسألة وفى غيرها من المسائل ، لأن تفسير العالم كله بالمصادفة العمياء لايدع مجالاً للاشكال ولاللسؤال ، وكل شىء جائز أو غير جائز . فقد استوى الجائز وغير الجائز على كل حال .

عباس محمود العقاد

من حديث الجهاد

للاستاذ على الطنطاوى

ركبت الترام أمس وكان ممتلئاً بالناس، قد قعدوا على مقاعده، ووقفوا فى رحبانه، وتعلقوا بسلالمه، وكنت قاعداً فى الدرجة الأولى، فرأيت امرأة ملتفة بملاءة على يدها ولد يظهر عليها أنها مسكينة مغلّبة(١) تريد أن تدخل علينا، فيمنعها رجل بلدى واقف بالباب، ويقول لها: «دامش مكانك، دا بريمو، مكان الخواجات» فتستكين وتقف، فدعوتها وأقعدتها فى محلى، وهى حائرة لا تدرى فى خجلها وشكرها ما ذا تقول لى، وسار الترام إلى المحطة التالية، فنزل ناس وصعد ناس، وكان فيمن صعد امرأة فرنجية ضخمة كأن خديها زقّان منفوخان، وكأن ثدييها عِدلان على ظهر أتان ... وأقبلت تزحم الركاب بوقاحة عجيبة حتى دخلت علينا. فلما رأت المرأة قلبت شفتها، وقلصت وجهها حتى صار كوجه قرد عجوز ... وحمّلته كل ما استطاعت من أمارات الاشمئزاز والكبر، وضمت ثوبها ترفعاً أن يمس الملاءة، وأشارت لها بيدها، أن: قومى ...

فنظرت المسكينة نظرة بلهاء، وابتسمت ولم تفهم ...

فقالت لها: «دا بريمو، انتَ بيروخ هناك، يلا. يلا» ...

فقامت ... فلم أملك أن صرخت بها: «أقعدى» وقلت لهذه الوقحة: «ألا يكفى أنك زاحمتها على خبز بلدها، وأكلت خيره من دونها، وغنيت به وفقرت هى فيه، حتى أردت أن تقيميها لتقعدى مكانها ...»

وكانت ثورة منّى عاصفة، فلم يجب أحد، ولكن شاباً «مهذباً» استاءه منى، وأراد أن يعلن احتجاجه علىّ، فنهض قائماً وقال: «تفضلى يا مدام» وأعطاها مكانه ...

***

وذهبت أزور رجلا كبيراً، اعتزل الناس فى بيته بعد أن ولج أوسع أبهاء القصور، وحل فى أضخم كراسى المناصب، وتشقق الحديث معه حتى بلغ الكلام على الإخوان المسلمين فقال: «إنهم سيتسلمون الحكومة يوماً ما، ولكن المشكلة، أنهم يريدون العودة إلى الحكم الإسلامى، ومصر تمدنت وارتقت حتى صارت قطعة من أوربا، فكيف يمكن أن ترجع إلى أحكام الشرع؟»

وسمعت كثيرين من رجالات العرب، يتظرفون بدس الكلمات الفرنسية أو الانكليزية فى أحاديثهم العربية، من غير داع إليها، ولا فائدة منها، ويجدون ذلك رافعاً من أقدارهم معلياً من منازلهم.

ورأيت كثيرين من الشباب تجيئهم بالحكمة أو النظرية فتعزوها إلى صاحبها الشرقى المسلم، فيلوون وجوههم عنها، ولا يحفلونها، فإذا نسبتها إلى الفيلسوف الألمانى أو الأديب الانكليزى هشوا لها وبشوا، وتلقوها بالتجلة والاكبار.

وقرأت لكثيرين من المؤلفين والباحثين فصولا فى الدين أو اللغة، لا مرجع فيها إلا النقل، ولا تنقل إلا عن أئمتنا وعلمائنا، فرأيتهم يدعون المنبع ويستقون من ذيول السواقى، ويتركون مراجعنا ويعزون إلى فلان وعلان من المستشرقين.

وليس فينا من لا يرى تقليد الأوربيين مدنية، واتباعهم رقياً، ومن لا يشعر فى قلبه بإجلالهم، ويتمنى أن يزور بلادهم، ويثقف ألسنتهم، ويا ليت أنا إذ أحببناهم جمعنا حبهم، ولم يفرقنا غرامهم شيعاً وأحزاباً لهم، ويا ليت أنا ارتفعنا اليوم عما وصفه جبران خليل جبران، منذ ربع قرن، حين قال: «كان العلم يأتينا من الغرب صدقة وإحساناً، فنلتهم خبز الصدقة لأننا جياع فأحيانا ذلك الخبز. فلما حيينا به أماتنا، أحيانا لأنه أيقظ بعض مداركنا، ونبه عقولنا، وأماتنا لأنه فرق كلمتنا، وأذهب وحدتنا، وقطع روابطنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة، مختلفة الأذواق، متضاربة المشارب، كل مستعمرة منها تشد فى حبل إحدى الأمم الغربية، وترفع لواءها، وتترنم بمحاسنها وأمجادها. فالشاب الذى تناول لقمة من العلم فى مدرسة أمريكية قد تحول إلى معتمد أمريكى، والشاب الذى ارتشف رشفة من العلم فى مدرسة يسوعية صار سفيراً فرنسياً، والشاب الذى لبس قيصاً من نسج مدرسة روسية أصبح ممثلا لروسيا».

***

(١) كذلك نقول نحن فى الشام، وهى صحيحة فصيحة، وفى مصر يقولون غلبانة

فإذا كنا – ولا نريد أن نمارى فى الحق ، ولا نجادل فى الواقع ؛ إذا كنا نطوى قلوبنا على حبهم ، ونضم جوانحنا على إكبارهم ، ونرى أنفسنا صغاراً أمامهم ، ونقلدهم فى كل شىء ونمشى وراءهم ، فماذا ينفعنا قولنا بألسنتنا إننا نكرههم ونعاديهم، ولا نقعد عن حقنا حتى نناله منهم برغمهم ؟

لقد تعلمت فى المدرسة الابتدائية حكاية لا أزال أذكرها إلى اليوم ، هى أن رجلا كان يذبح العصافير فى يوم بارد ويبكى ، فقال عصفور منها لأخيه : ألا ترى إلى شفقة هذا الرجل ورقة قلبه ؟ قال : ويحك لا تنظر إلى دموعه ، ولكن انظر إلى ما تصنع يداه .

فهل تظنون أن الانكليز والفرنسيين أصغر أحلاماً من العصافير حتى يخدعوا بخطبكم وأقوالكم ، ويعموا عما تصنع أيديكم ؟

* * *

إن قضية فلسطين لم يجر مثلها ولا فى أيام نيرون . ولو قرأناها فى أخبار الأولين ، لما صدقنا أنه يسوغ فى إنسانية البشر ، وعقل العقلاء ، أن تقول لرجل : أخرج من دارك ليأوى إليها هذا الشرد المسكين ، ونم أنت فى الزقاق ، أو اضطجع على المزبلة أو مت حيث شئت . هذا قضاء الدنية ، وهذا حكم الديموقراطية.

وإن حوادث المغرب لم يقع مثلها ولا على عهد محاكم التفتيش أن يذبح عشرات الألوف من الأبرياء ، لأنهم قالوا لمن دخل عليهم بلادهم ، واغتصب أرضهم ، وأكل خبزهم : اطعمنا معك من خيرات أرضنا ، وارفق بنا فى عدوانك علينا ...

فهل أحسسنا حقيقة ببغضاء الفرنسيين والانكليز؟ ألا يزال فينا من يثنى على الانجليز فى الصحف « تقديراً للحقيقة ؟ » ، ويحتفل بدوهامل « تمجيداً للأدب ؟ » ، ويودع المجندات الانكليزيات بالأسى « تقديراً للجمال ؟ » ، ألا يزال فينا نواد أقيمت لتثبيت الصداقة بيننا وبين هؤلاء الذين فعلوا هذه الأفاعيل فى فلسطين والمغرب ؟

فكيف يجتمع الحب والبغض فى قلب واحد ؟

* * *

إننا فى أيام لها ما بعدها ، ومصائب تنسينا أواخرها أوائلها

فإذا كنا جادين حقيقة فى إنقاذ فلسطين والمغرب ، وفى العمل لمصر وللعربية وللاسلام ، وكنا نريد أن نكون أمة تستحق أن تعيش ، فيجب أن نتخلص أولا من استعمار الأوربيين أدمغتنا وألسنتنا وبيوتنا ، وأن نحكم عقولنا فلا نقتبس منهم إلا ما نعتقد نفعه لنا ، وأن نثق بأنفسنا ، ونشعر بكرامتنا ، وأن يفهم الحاكم منا أن لنا شرعاً أفضل من قوانينهم ، فيجب أن نقتبس الأحكام من شرعنا ، وأن يعلم الطالب أن لغتنا أكمل من لغاتهم ، وأدبنا أسمى من آدابهم ، وتاريخنا أمجد من تواريخهم ، وأنها لم تخدم أمة العلم ما خدمته أمتنا ، وأن يعتقد التاجر أن من الفرض عليه أن يروج البضاعة الوطنية ، ويقاطع الأجنبية التى تزاحمها ، وأن يؤمن الأديب بأن لهذه الأمة حقاً على قلمه ، أن يدافع عنها ، ويعيد إليها كرامتها ، وثقتها بنفسها ، ويصغّر الأجنبى فى عينها ، وأن يفهم أخنع[1] رجل فينا ، أنه أعظم من أكبر خواجة من الخواجات ، أو (مستر) من المساترة أو (هر) أو (سنيور) من السنانير والهررة ، وأن يعلم أنه هو صاحب البلد ، وهؤلاء بين غاصب أو لص أو (شحاد) ، وله هو مقعد الدرجة الأولى فى الترام ، وله الغرفة الأولى فى الفندق ، والمائدة الأولى فى المطعم ، وأنه حينما يقنع بالاقل ويتوارى ويبتعد ، ويدع الأجنبى يملك الأرض ، والعمارات ، والمتاجر ، يكون مجرماً كالجندى الذى يهزم من المعركة .

وملاك الأمر كله ، أن نعلم أننا نحن أساتذة الدنيا ، ونحن سادتها . عززنا بقرآننا وديننا ، ولا يزال القرآن مبعث عزّ لنا ، فلنعد إليه ، ولنجعله إمامنا فى حياتنا ، ومعقد فخارنا ، ولندعُ الدنيا إلى اتباعه لأنه لا فلاح لها إلا به .

إننا اليوم أضعف من الغربيين فى القوى المادية ، فلم يبق لنا إلا القوى الروحية : قوة الإيمان ، وقوة الأخلاق ، وقوة العفاف فلنحافظ عليها ، ولنحارب الإلحاد والنفاق والفجور ، لأنها عون للعدو علينا ، وسلاح له يعمله فينا ، وأن نجرد للعدو جنداً أخرجوا حبّه من قلوبهم ، وضلالاته من رؤوسهم ، وعاداته من بيوتهم ، وأبغضوه بغضاً بلغ الشغاف ، وخالط الدم ، وسرى فى الأعضاء ، وظهر فى الأفعال . جنداً ، صدورهم حافلة بالإيمان ،

(١) أخنع : أذل وأوضع .

عامرة باليقين ، يثقون بماضيهم وأنهم يستمدون منه الظفر : من ألف معركة منصورة كانوا أبطالها ، ومن ألف سنة مباركة كانوا ملوك الأرض فيها ، ويثقون بحاضرهم ، وأن دماءهم ما أضاعت هذا الإرث ، ورؤوسهم ما فقدت هذه الذكريات ، ونفوسهم ما خسرت ذلك الشمم وتلك الفضائل ، ويثقون بمستقبلهم ، وأنهم سيملكون الأرض كرة أخرى ، وسيعودون ملوكها . جنداً : شباباً هم فى الحكمة كالشيوخ ، لم تسترقّهم الشهوات ، ولم تستعبدهم الملذات ، ولم تلعب بهم الصبايا ، وشيوخاً هم فى العزيمة كالشباب ، لم تفتنهم المناصب ، ولم يطغهم الغنى ، ولم يسر فى أعصابهم الخور ...

بهـذا الجيش فلنجاهد ، جهاداً متصلا مستمراً ، لا يني ولا يقف حتى يهدم قلاع العدو كلها ، ظاهرها ومضمرها ، وواضحها وخفيها .

إن الجهاد إن لم يبدأ من البيت والمدرسة والجريدة ، فلا يمكن أن ينتهى إلى الساحة الحمراء ، فإذا أردتم أن تبلغوا نهاية الطريق فامشوا من أوله ، وإن شئتم أن تصلوا إلى أعلى السلم فابدأوا من أسفله ، فان من يمشى من آخر الطريق يرجع إلى الوراء ، ومن ينزل من رأس السلم يصل إلى الأرض !

(القاهرة) **علي الطنطاوى**

النطق وكيف نشـأ

فى النوع الانسانى وفى الحيوانات العليا

للأستاذ نصيف المنقبادى المحامى

١ — هل النطق غريزى فى الانسان ؟

يتعين علينا قبل الدخول فى صميم الموضوع أن نشير الى نقطتين أو حقيقتين مقررتين ثابتتين :

تطور اللغات :

الحقيقة الأولى أن اللغات — وهى مظهر النطق أو صوره فى مختلف الجماعات والبيئات الانسانية — لم توجد كما هى منذ ظهور الانسان على الأرض ولـكنها تنشأ وتتطور شأن كل ما فى الـكون من جمادات ونباتات وحيوانات (بمـا فيها الانسان) طبقـاً لنواميس النشوء والتطور . فمنذ ألفى سنة لم يـكن للغات الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية مثلا أثر من الوجود . فـكيف نشأت ووُجدت ؟ لمـا فتح الرومان باقى أقاليم إيطاليا ثم فرنسا وإسبانيا والبرتغال انتشرت لغتهم اللاتينية فى تلك البلاد وكانوا هم الفاتحون الأقوياء كما أنهم كانوا أرقى من السكان الأصليين فى المدنية والشرائع والعلوم والفنون ، لذلك لم تلبث اللاتينية حتى تغلبت على اللغات المحلية وحلت محلها جرياً على نواميس الانتخاب الطبيعى وما يترتب عليها من انهزام الضعيف وبقاء الأصلح . ولـكنها (أى اللاتينية) تطورت بدورها فى كل بلد منها تطوراً مختلفاً باختلاف كل من تلك البيئات الجديدة فتحولت شيئاً فشيئاً فى فرنسا الى الفرنسية وفى إيطاليا الى الايطالية وفى إسبانيا الى الاسبانية وهكذا .

وكما أن الصور أو الحلقات المتوسطة بين الحيوانات والنباتات الحديثة وبين الأنواع القديمـة التى تسلسلت منها موجودة وقد كُشف عن الـكثير منهـــا متحجراً فى طبقات الأرض التى تـكوّنت فى مختلف الأعصر الجيولوجية القديمة ، كذلك الحلقات المتوسطة بين اللغات الحديثة وبين جداتها التى تسلسلت منها ، وأعنى بها المؤلفات التى وضعت بتلك اللغات فى الأعصر المتعاقبة ووصل الينا الـكثير منها . فلغة الـكتب والرسائل الفرنسية التى وضعت فى القرن العـاشر مثلا أو الثانى عشر قريبة من اللاتينية ومن مزيج من اللغات الأصلية المحلية . وكلما اقتربنا من عصرنا الحالى نجدها تقترب من اللغة الفرنسية الحديثة بحيث نستطيع أن نتتبع تطور هـذه اللغة التدريجى وتحولها شيئاً فشيئاً من اللغة اللاتينية التى اشتقت منها مع امتزاجها بشىء من اللغات المحليـة الأصلية . وهكذا الحال بالنسبة للاسبانية وباقى اللغات المتسلسلة من اللاتينية . بل ولسائر اللغات الأخرى .

واللغات اللاتينية واليونانية القـديمة (التى اشتقت منهـا اليونانية الحديثة) والجرمانية القديمة (التى تـسلسلت منها الألمانية الحديثة وبعض لغات أوروبا الوسطى والشمالية بل واللغة الانكليزية نفسها) ، ومعظم لغات أوروبا الأصلية متسلسلة بدورها من لغة هندية قديمة وهى السنسكريتية . وجميع هذه اللغات الهندية الأوربية تـكتب من اليسار الى اليمين خلافـاً للغات السامية مثلا (التى منها العربية) فانها تـكتب من اليمين الى اليسار عدا الأرقام لأنها من أصل هندى .

وما يقال عن اللغات الأوروبية يقال عن اللغات الشرقية وغيرها . فمنذ ثلاثة آلاف سنة تقريباً لم تكن اللغة العربية ولا العبرية الحديثة ولا الحبشية ولا أخواتها الحالية قد وجدت . فكيف نشأت ؟ إنها نشأت وتطورت جرياً على نفس النواميس الطبيعية المتقدم بيانها بفعل العوامل الاجتماعية والسياسية والتاريخية والطبيعية . فاللغة أو اللغات الأصلية القديمة التي اصطلح على تسميتها بالسامية تطورت تطوراً مختلفاً باختلاف الأقاليم والبيئات التي انتشرت فيها الى أن تحولت الى العربية القديمة ، والعبرية القديمة والمصرية القديمة (التي اشتقت منها القبطية واستبدلت كتابة حروفها باليونانية) ، والحبشية ، والحيرية ، والكلدانية أو البابلية ، والآشورية ، وغيرها . وقد استمرت عوامل التطور تعمل في هذه اللغات الأخيرة الى أن تحولت شيئاً فشيئاً الى اللغات الحديثة المعروفة . وسأعود في آخر هذا المقال الى تطور اللغة العربية في مختلف البلاد الشرقية .

وكذلك الحال بالنسبة لمجموعة اللغات الطورانية القديمة والحديثة (التي منها اللغة التركية ولغات آسيا الوسطى) وغيرها من اللغات الأخرى .

وكما أنه توجد في أنواع النباتات والحيوانات القديمة والحديثة وفي الانسان أعضاء أثرية لا وظيفة لها إطلاقاً بدليل أنه يمكن استئصالها دون أن يصاب الفرد الذي تجرى له هذه العملية بأى ضرر أو نقص في حيويته ، لأنها في الواقع آثار أعضاء قديمة كانت مستعملة عند أجدادنا البعيدين ثم ضمرت شيئاً فشيئاً لعدم استعمالها عندما طرأت عليهم ظروف جديدة جعلتهم يستغنون عنها ، كذلك توجد في بعض الألفاظ حروف أثرية لا تنطق ولكنها تدل على الأصل الذي تسلسلت منه . مثل لفظة Corps الفرنسية أي جسم فان حرفي S و P لا ينطقان ولكنهما كانا يلفظان في الأصل اللاتيني Corpus . وكذلك لفظة Sang الفرنسية فان الـ g لاتلفظ هنا ولكنها كانت تلفظ في الأصل اللاتيني Sanguis ويجد القارىء الكثير من هذه الأمثلة في كتب علم نشوء اللغات وتطورها .

وخلاصة القول إن لغات البشر ليست ثابتة ولم توجد كما هي منذ ظهور الانسان على الأرض ولكنها في تطور مستمر ينشأ الحديث منها من القديم ويتسلسل منه بطريق التطور التدريجي . وسأبين فيما يلي كيف نشأ النطق في بادىء الأمر كما ينشأ الآن في الأطفال وفي كثير من الطيور والحيوانات العليا .

النطق غير غريزي في الانسان :

والحقيقة الثانية التي يجب بيانها هي أن النطق ليس غريزياً في البشر ولا هو مميز لهم عن سائر الحيوانات وليس « الانسان حيوان ناطق » كما كانوا يعتقدون فيما مضى قبل تقدم العلم .

فاذا فصلنا طفلا عن باقي البشر منذ ولادته وعهدنا في تربيته الى شخص يتولى ذلك بعيداً عن الناس دون أن يفوه أمامه بأى لفظ ، فان هذا الطفل ينشأ عديم النطق بتاتاً إلا ما يصدر منه طبيعياً أو فسيولوجياً من أصوات الألم والانفعالات النفسية كالتأوهات والهمهمة والتأفف مثلما تفعل الحيوانات كما سنبينه فيما بعد . وقد يلجأ الى بعض إشارات للتعبير عن حاجاته كرفع يده الى فمه اذا أراد الأكل وما الى ذلك من الحركات الطبيعية الآلية . واذا سلمناه الى جماعة من الخرس فانه لا يلبث حتى يقلدهم في إشاراتهم ليعبر بذلك عما يتطلبه من أمور الحياة فيكون في ذلك كالأخرس دون أن يعرف الى النطق سبيلا .

ويؤيد هذه الحقيقة ، أي أن النطق اللغوى ليس غريزياً في الانسان بل هو وليد البيئة ونتيجة التقليد السماعي — كما سيأتي بيانه — ما هو معروف للجميع من أن الطفل الذي ينشأ في وسط قوم يتكلمون العربية مثلا يتكلم هذه اللغة دون غيرها حتى اذا كان آباؤه وأجداده من أبناء لغة أخرى ، وكذلك الحال اذا نشأ طفل عربي محض في فرنسا بعيداً عن أهله منذ ولادته فانه لا يتكلم إلا الفرنسية وهكذا . واذن فالنطق ليس بغريزي .

النطق في الحيوانات :

ومن جهة أخرى لا يخفى أن لكثير من الطيور وذوات الثدى وعلى الأخص القرود العليا ، وكذلك الحشرات الإجتماعية كالنمل لغات صوتية أو اصطلاحية بسيطة يتفاهم بها أفرادها إلى حد ما . فان لبعض الحيوانات إشارات طبيعية تعبر بها عن انفعالاتها النفسية . فالكلب مثلا يهز ذيله للترحيب بسيده ويتفوه ببعض أصوات خاصة لا يبديها إلا في مثل هذا الظرف ،

وهو يرخى ذيله إلى الأرض بين قدميه عند الخضوع والخشوع والخوف وهو والقطط وبعض الحيوانات الأخرى يكمشون آذانهم عند الخوف إذا هددوا مثلا بالضرب .

وللنمل طريقة للتفاهم أشبه بلغة الإشارات التلغرافية . فإذا تقابل إثنان منها من نوع واحد نراها يتلامسان بزوائدهما الأمامية برهة ثم يسير كل منهما فى طريقه . وإذا اكتشف أحدها شيئا من الغذاء يسرع إلى استدعاء باقى أفراد جماعته ، ومعلوم أنه ليس للنمل وسائر الحشرات قصبة هوائية ولا أوتار صوتية نظراً لأنه ليس لها رئتان بل انها تتنفس من مسام عديدة على سطح جسمها ينفذ منها الهواء إلى داخل الجسم ، فلا يمكن والحالة هذه أن تحدث أى صوت تتفاهم به ، ولاشك فى أنها تتحدث مع بعضها بالإشارات بالطريقة المتقدم بيانها (Langage Antennale) .

وليست لغة الحيوانات قاصرة على الإشارات ولكن الكثير منها ينطق بأصوات للتعبير عما يجول فى نفسيتها البسيطة من الانفعالات والمقاصد المحدودة . والذى يرقب القطط مثلا فى المنازل يراها عند رؤية الطعام أو شم رائحته أو عند ماتجوع تبدى نغمة خاصة . ولها عند نداء صغارها صوت آخر لاتنطق به إلا فى هذه المناسبة فقط . وللأناث منها عند طلب الذكور صوت معروف أشبه بلفظة « داؤد »

والببغاء تنطق بكلام البشر بوضوح . وقد دلت المشاهدات والاختبارات على أنها تفهم فى أغلب الأحيان مجمل ما تتفوه به مما تكون قد حفظته من باب التقليد فى بادىء الأمر ثم تكرره وينتهى بها الأمر إلى أن لاتتفوه به بعد ذلك إلا فى المناسبات التى تؤدى إليها معانيه ، بل إنها كثيراً ما ترد على مايوجهه اليها الإنسان بالألفاظ المناسبة مما يدل على أنها تدرك إلى حد ما معانى ماتسمع ومعانى ماتقول . ويتم لها ذلك بالتقليد والتلقين والتمرين كما يحدث للأطفال على وجه التقريب ، ذلك لأن الأطفال يتعلمون بنفس هذه الطريقة : التقليد والتلقين والتمرين .

أما تغريد الطيور فأمره معروف ، وتمتاز به الذكور فى بعض الأنواع لتغرى الأناث حتى تكتسب إعجابها وتفوز بها . وتقيم أنواع أخرى منها اجتماعات على الأشجار أشبه بالحفلات الموسيقية يتبارى فيها الذكور فى النطق بنغمات شجية مطربة لتخطب ود الأناث فتنتخب هذه أجملهم صوتا ، كما أن أنواعا أخرى يتباهى ذكورها أمام الأناث بريشهم الزاهى ، ولهذا كان الذكور أجمل من الأناث لافى الطيور فقط ولكن فى كثير من الفصائل والمراتب الحيوانية الأخرى نتيجة ذلك الانتخاب الجنسى الطبيعى طبقاً لنظرية داروين « Sélection Sxcuelle » .

على أن أنصار نظرية لامارك فى أسباب النشوء والتطور يضيفون إلى ذلك التفسير تفسيراً آخر يرجع إلى فعل العوامل الطبيعية الخارجية (البيئة والعوامل الجوية ونظام الحياة والعادة والاستعمال أو عدم الاستعمال الخ) والداخلية (العوامل الفسيولوجية والتفاعلات الكيميائية التى تحدث داخل الجسم وعلى الأخص فعل الهرمونات التى تفرزها الغدد الصماء أى الغدد ذات الافراز الداخلى)

ومما يرجح نظرية لامارك على نظرية داروين فى تفسير تلك الظاهرة ونعنى بها تفوق الذكور على الأناث فى جمال الصوت وزهاء الريش وغزارة الشعر وجمال اللون هو مايحدث فى كثير من أنواع الأسماك حيث تكتسب الذكور فى موسم التلقيح ألوانا زاهية يسمونها فى علم الحيوان « حلة الزفاف » على حين أن تلك الأنواع لاتتزاوج ولاتلقح بعضها تلقيحا فعلياً مباشراً بل إن الأناث تفرز بويضاتها رأسا فى الماء ثم يأتى الذكر ويفرز مادته المنوية فى الماء أيضاً فيحدث التلقيح بين مايلتقى منهما بفعل الأمواج ، وكل هذا دون أن يتصل الذكور بالأناث . فلا شك فى أن الألوان الزاهية التى تطرأ على الذكور إنما هى نتيجة التفاعلات الكيميائية التى تحدثها فى الجسم الإفرازات الداخلية للخصيتين عند نضوجهما وهى التى تنبت مثلا الشوارب وشعر الذقن فى ذكور النوع الإنسانى وتؤثر فى صوتهم وتكسبهم صفات الرجولة ، كما أن إفرازات المبيضين تكسب الفتيات عند البلوغ نعومة المرأة وصفات الأنوثة فيها .

نعود إلى النطق فى الحيوانات فنقول إن للقرود عامة وعلى الأخص القرود العليا الشبيهة بالإنسان (الغورلا ، والشانبازيه

والأورانجوتان ، والجيبون) لغة أو لغات حقيقية وإن كانت على أبسط صور النطق ، مكونة من بعض أصوات أو مقاطع لا تبعد كثيراً عن لغات الأطفال فى أوائل العام الثانى من ولادتهم ولغات بعض القبائل المتوحشة .

وقد التقط بعضهم أصوات أفراد من القرود على اسطوانات فونوغرافية ثم أدارها أمام قرود من نفس النوع فى حدائق الحيوانات فكانت تصغى إليها باهتمام وتنبه وتبدى إشارات وحركات وتنطق بأصوات كأنها ترد عليها .

ومما يؤيد أيضاً أن النطق فى الإنسان والحيوانات ليس غريزيا وإنما هو مكتسب بالتقليد التجربة القديمة الآتية التى أجراها دين باريحتون الإنكليزى Daines Barrington ودوّنها فى موسوعته الفلسفية التى ظهرت سنة ١٧٧٣ فى الجزء ٦٣ Philosophical transactions وقد نقلناها من كتاب العالم البيولوجى الفرنسى فيلكس ليدانتك « العلم والشعور » Science et conscience طبع سنة ١٩١٦ صحيفة ١٨١ فقد أخذ باريجتون عصافير صغيرة عقب ولادتها من نوع Linottes ونقلها إلى عش عصافير من نوع آخر يسمى Alonettes فاقتبست تغريد هذه العصافير بطريق التقليد وظلت تغرده طيلة حياتها كأنها طبعت عليه إلى حد أنه وضعها بعد ذلك مع أفراد من نوعها فلم تستطع أن تجاريهم فى تغريدهم الذى هو تغريد آبائها وأجدادها . ذلك لأن مخ العصافير المحدود يعجز عن وعى شىء جديد غير ما طبع فيه بطريق التقليد فى مستهل حياة هذه الكائنات البسيطة .

* * *

وخلاصة القول إن النطق ليس بغريزى فى البشر ولا هو قاصر عليهم وإنما هو ظاهرة فسيولوجية بسيكولوجية طرأت على بعض الحيوانات وتدرجت حتى وصلت إلى ماهى عليه فى النوع الانسانى . كما أن اللغات ظاهرة اجتماعية

فالانسان ليس بحيوان ناطق كما كانوا يعلموننا فيما مضى وهو لايختلف فى شىء من هذه الناحية عن باقى الحيوانات إلا فى الدرجة فقط .

وكل ماهنالك هو أن الانسان حيوان ثرثار كثير النطق يحب أن يتكلم بلا انقطاع فى مجتمعاته الخاصة والعامة ، فى كل مكان وزمان ، يخلق المناسبات ليشبع شهوة الكلام ، وإذا تقابل اثنان على غير سابق معرفة فى القطار أو الترام مثلا تراهما يتحدثان ولو فى أتفه المواضيع كالجو والطقس . وإذا لم يجد الانسان من يتحدث معه يظل يتكلم مع نفسه ويكرر مثلا ما قاله أومايود أن يقوله لغيره ، وأحيانا يصحب هذا الحديث إشارات يبديها بيده على غير قصد تنم عما يدور فى نفسه . وحتى فى نومه لايخلو من الكلام ، وكثيراً مايتفوه وهو على هذه الحالة بألفاظ واضحة أو غير واضحة يسمعها من بجواره . وكثرة الكلام مرض عند بعض الأشخاص يضايقون به غيرهم فيهرب الناس منهم .

وفى المقال التالى نتكلم عن نشوء النطق فى النوع الانسانى ثم نعقبه ببحث خاص عن تطور اللغة العربية[1] .

نصيف المنقبادى
المحامي

(١) كتب هذا البحث قبل ظهور الكتاب القيم فى هذا الموضوع للدكتور على عبد الواحد وافى وسنعود إلى الحديث عن الكتاب .

من كتاب ديارات بغداد :

الديارات وملحقاتها ...

للأستاذ شكرى محمود أحمد

الدير بيت يتعبد فيه الرهبان ، ويكون بين الرياض والحدائق فى ظواهر المدن والأمصار ، أو فى المواضع البعيدة عن الناس كالصحارى والمستشرفات ورءوس الجبال .

وقد أخطأ ياقوت فى الكلام على الدير والتعريف به فى كتاب معجم البلدان بقوله : « ولايكاد يكون بالمصر الأعظم ، إنما فى الصحارى ورءوس الجبال[(١)] » . فاننا وجدنا أديرة كثيرة فى ظواهر المدن ، فقطربل مثلا وهى ملاصقة لبغداد فيها دير أشمونى ، قال الشابشتى : « وعيـده اليوم الثالث من تشرين الأول[(٢)] ، وهو من الأيام المظيمة ببغداد ، يجتمع أهلها إليه كاجتماعهم إلى بعض أعيادهم ، ولا يبقى أحد من أهل التطرب واللعب إلا خرج إليه ... ويباهون بما يعدون لقصفهم ، ويعمرون شطه وأكنافه ، وديره وحاناته ...[(٣)] » ، وفى قطربل أيضاً دير آخر اسمه دير « الجرجون » ذكره الشابشتى فى الكلام على دير أشمونى .

وقد أحصيت الأديرة التى كانت ملاصقة لبغداد أو قريبة منها فوجدتها تقرب من العشرين ديراً ، وربما كانت أكثر من هذا ؛ أما الأديرة التى حول الحيرة أو قريبة منها فأكثر من عشرين ديراً . وهذا ينقض زعم ياقوت بأن الدير لا يكون فى المصر الأعظم ، وإذا استقصينا الشواهد على نقضه ضاق بنا المجال .

وربمـا كان قول المقريزى فى التعريف بالدير أقرب إلى الصواب ، فقد قال : « الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به ، والكنيسة مجمع عامتهم[(٤)] »

أما قول الفيروز ابادى فى الدير ، والتعريف به فقلق جداً

(١) ياقوت ج ٤ ص ١١٩ . (٢) هو الإسم العربى لاكتوبر
(٣) الشابشتى ورقة ١٨ .
(٤) المخطط ج ٣ ص ٤٠٩ .

لا يدل على اطلاع فى هذا الموضوع ، فقد قال : « الدير خان النصارى وجمعه أديار[(١)] » ، والخان يطلق على كل موضع يقام به فى سفر أو غيره .

وقد جاء فى الشعر العربى إشارات كثيرة إلى مواضع الأديرة التى تكون على سفوح الجبال أو فى السهول والرياض . قال أبو الحسين بن أبى البغل الشاعر فى دير الأعلى بالموصل ، وقد اجتاز به يريد بلاد الشام[(٢)] :

انظر إلىّ بأعلى الدير مشترفاً لا يبلغ الطرف فى أرجائه طرفا
كأنما غربت غر السحاب به فجاء مختلفاً يلقاك مؤتلفا
فلست تبصر إلا جدولا سرباً أو جنة سدفاً ، أو روضة أنفا

وربما كان هذا الدير «دير الأعلى» أكثر الأديرة ارتفاعاً . قال العمرى : « وله درجة منقورة فى الجبل تفضى إلى دجلة نحو المائة مرقاة[(٣)] » .

وقال ربيعة الضبى يصف إحدى الحسان :

لو أنها عرضت لأشمط راهب فى رأس مشرفة الذرى متبتل
جآر ساعات النيـــام لربه حتى تخـدر لحمه متشمعل
لصبا لبهجتها وحسن حديثها ، ولهمّ من ناقوسه بتنزل[(٤)]

ومما جاء فى وصف موضع الدير الذى يكون بين الحدائق والرياض محف به البساتين والحقول قول ابن المعتز فى دير عبدون :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر ودير عبدون هطالٌ من المطر
يا طالما نبهتنى للصبوح به فى ظلمة الليل والعصفور لم يطر
أصواتُ رهبان دير فى صلاتهم سود المدارع ، نعَّارين فى السحر[(٥)]

وقال جحظة البرمكى فى دير أشمونى بقطربل ، وقد خرج إليه فى عيد من أعياده ، فلما وصل إلى الشط ، مدّ عينيه لينظر موضعاً خالياً يصعد إليه ، أو قوماً ظرافاً ينزل عليهم ، فرأى فتياناً من أحسن الناس وجوهاً ، وأنظفهم لباساً ، وأظرفهم آلة ، فصعد إليهم وصاح بغلامه : « يا غلام طنبورى ونبيذى ، فقالوا : أما

(١) القاموس المحيط مادة دير .
(٢) ياقوت ج ٤ ص ١٢٤ .
(٣) مسالك الأبصار للعمرى ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .
(٤) الأغانى طبعة بولاق ج ١٩ ص ٩٣ .
(٥) ياقوت ج ٤ ص ١٥٥ .

الطنبور فنعم ، وأما النبيذ فلا ، فجلست مع أحسن الناس أخلاقاً وأملحهم عشرة ، وأخذنا فى أمرنا ، ثم تناولت الطنبور وغنيت شعراً لى :

سقياً لأشمونى ولذاتها   والعيش فيما بين جناتها
سقياً لأيام مضت لى بها   ما بين شطيها وحاناتها
إذ اصطباحى فى بساتينها   وإذ غبوقى فى دياراتها[١]

وعلى ذكر أشمونى وخبر جحظة البرمكى وشعره فيه ، يجمل بنا أن نذكر هذه القطعة البارعة لأبى الشبل البرجمى فيه ، وهو كصاحبه جحظة من « عصابة السوء » النواسية :

شهدت مواطن اللذات طراً   وجبتُ بقاعها بحراً وبرا
فلم أر مثل أشمونى محلاً   ألذّ لحاضريه ولا أسرا
به جيشان من خيل وسفن   أناخا فى ذراه واستقرا
كأنهما زحوف وغىً ولكن   إلى اللذات قد كرا وفرا
سلاحهما القواقز والقنانى   وأكواس تدور هلم جرا
وضربهما المثالث والمثانى
إذا ما الضرب فى الحرب استحرا
وأسرها ظباء الدير « طوعاً »
إذا أسد الحروب أسرن قسرا[٢]

فالدير إذن يكون على قمم الجبال وسفوحها ، وفى السهول بين الرياض والجنائن ملاصقاً للمدن أو بعيداً عنها فى الصحارى والمواضع المنقطعة عن الناس .

ويسمى الدير أحياناً بالعُمْر وجمعه أعمار قال صاحب تاج العروس فى العمر : « والعمر بالضم المسجد والبيعة والكنيسة ، سميت باسم المصدر لأنه يعمر فيها أى يعبد »[٣] .

وقد فرق صاحب مراصد الاطلاع بين الدير والعمر ، فخص ما كان منهما قريباً من المدن والعمران بالعمر وما كان بعيداً عنهما بالدير ، وذلك فى قوله : « ... وما كان من مواضع المتعبدات التى فيها مساكن الرهبان بقرب العمران فإنه يسمى العمر »[٤] .

وقد مرت هذه اللفظة فى شعر الفتاك والماجنين الذين كانوا يألفون الديارات ويتطرحون فيها . قال أبو نواس :

أذنك الناقوس فى الفجر   وغرد الراهب فى العمر
وحنّ مخمور إلى خمرة   وجاءك الغيث على قدر
يا حبذا الصحبة فى العمر   وحبذا نيسان[١] من شهر
يا عاقد الزنار فى الخصر   بحرمة الحانة والفهر
هات التى تعرف وجدى بها   واكن بما شئت عن الخمر
يا حبذا الجهر بأمر الصبا   ما كنت من ربك فى ستر[٢]

وقد أرجع حبيب زيات هذه اللفظة « العمر » إلى أصل أرامى بمعنى البيت والمنزل .

ملحقات الدير :

تشتمل الأديرة على الكنيسة والهيكل ، والقلالى وبيوت المائدة ، ومستودعات الخمور ، والبساتين ومعاصر الكروم والحانات ودور الضيافة ، وحجر الرهبان ، وحجرة لرئيس الدير الذى يشرف على تنظيمه .

ويحف بالدير أحياناً بنايات مرتفعة يسكن كل واحدة منها راهب يقال لها القلالى أو القليات ، ومفردها على الأول قلية ، وعلى الثانى قلاية ، ومعناها الصومعة ، وقد تكون هذه القلالى فى داخل الدير خلف سوره .

وربما كانت هذه اللفظة « قلية » فى الأصل خلية ، وجمعها خلايا لأنها تشبه الخلايا فى شكلها وانتظامها حول الدير .

وقد أخبرنى بعض الأفاضل أن أصل هذه اللفظة يونانى ، وهى فى اللغة الأرمنية قليثه .

وقد مرت هذه اللفظة فى شعر العصبة النواسية فى مواضع كثيرة نكتفى بقول الثروانى فى دير بالحيرة عرف بقلاية القس . قال :

خليلى من تيم وعجل هديتما
أضيفا بحث الكأس يومى إلى أمسى
وإن أنتما حييتمانى تحية
فلا تعدوا ريحان قلاية القس

(١) الشابشتى ورقة ١٨ ، ١٩ .
(٢) الشابشتى ورقة ١٨ ، ١٩ .
(٣) تاج العروس ج ٣ ص ٤٣ .
(٤) مراصد الاطلاع ج ١ ص ٤٢ .

(١) هو ابريل واسمه فى الشام والعراق نيسان .
(٢) ديوان أبى نواس طبعة آصاف ص ٢٧٦ .

وتنتشر حول الأديرة الحقول والبساتين المعمورة بمختلف الأثمار والأزهار ، وقد كانت الكروم أكثر هذه المزروعات عناية ، وذلك لأن الخمور النصرانية التي كانت تدخر في الأديرة لها شهرة ممتازة يقبل عليها الناس من كل جانب .

واشتهرت المزرفة – وهي قرية ملاصقة لبغداد ، فيها أديرة كثيرة – بالرمان الذي ضرب المثل بجودته حتى قيل الرمان المزرفي . وهذه القرية بين قطربل وبزوغى ، وتبعد عن بغداد ثلاثة فراسخ .

ومن الأثمار التي عني بزراعتها في الأديار الزيتون والنارنج والفستق والبندق واللوز . وكان الرهبان يعنون بزراعة مختلف الزهور كالريحان والآس والزعفران والنرجس والبنفسج يعملون منه التحايا والأكاليل .

وفي الغالب كان الرهبان يعنون بتربية البقر والأغنام للاستفادة من نتاجها لهم ولأضيافهم ، كما كانوا يعنون بتربية النحل للاستفادة من شمعه وعسله .

وكانت الأديرة مزينة بالقناديل والصلبان والدمى ، مصبوغة بالأدهان ، وقد كانت هذه الدمى منقوشة على الحيطان بمختلف الألوان ، ولا حاجة بنا إلى الاستشهاد بالشعر على ذلك لأنها مرت في مواضع كثيرة من الشعر العربي ، حتى أصبح ذكرها من ملتزمات القصيدة – في بعض الأحيان – كذكر الأطلال والدمن والربوع .

في الغالب المشهور أن هذه الأديرة كانت محاطة بالأسوار المرتفعة خوفاً من اللصوص وقطاع الطرق والفتاك . وربما كان لها باب حديد كدير الأسكون[1] بالحيرة ، أو باب حجر كدير باطا ، ويسمى هذا الدير أيضاً « دير الحمار » وقد كان بين الموصل وتكريت قال ياقوت : « .. وله باب حجر يذكر النصارى أن هذا الباب يفتحه الواحد والاثنان ، فإن تجاوزوا السبعة لم يقدروا على فتحه .. »[2] .

ولكن هذه الأسوار المرتفعة ، والأبواب الحديدية القوية لم تكن لتحمي الرهبان والراهبات على كثرة عددهم من اللصوص والفتاك ، فقد أصيبوا كثيراً بالنهب والقتل وهتك الحرم .

وقصة اللصوص في دير العذارى خير شاهد على ذلك ، وخبر

(١) ياقوت ج ٤ ص ١٢٣ .
(٢) ياقوت ج ٤ ص ١٢٥ .

الحادث يرويه لنا الجاحظ في كتابه « المعلمين » وهذا الكتاب مفقود ، لكن الخبر ينقله عنه البكري والبلاذري وياقوت والشابشتي والعمري . قال : حدثني ابن فرج الثعلبي أن فتياناً من بني ملاص من ثعلبة ، أرادوا القطع على مال يمر بهم قرب دير العذارى ، فجاءهم من خبرهم أن السلطان قد علم بأمرهم ، وأن الخيل قد أقبلت تريدهم ، فاختفوا في دير العذارى . فلما حصلوا فيه ، سمعوا أصوات حوافر الخيل التي تطلبهم وهي راجعة من الطلب فأمنوا . فقال بعضهم لبعض : ما الذي يمنعكم أن تأخذوا القس وتشدوه وثاقاً ، ثم يخلو كل واحد منكم بواحدة من هذه الأبكار ، فإذا طلع الفجر تفرقنا في البلاد ؟ وكنا جماعة بعدد الأبكار اللواتي كن في حسابنا أبكاراً . ففعلنا ما أجمعنا عليه ، فوجدناهن كلهن ثيبات قد فرغ منهن القس .

وينظم أحد هؤلاء اللصوص قصتهم هذه مع الرواهب قائلا :

ودير العذارى فضوح لهن وعند اللصوص حديث عجيب
خلونا بعشرين ديرية ونيل الرواهب شيء غريب
إذا هن يرهزن رهز الظراف وباب المدينة فج رحيب
وللقس حزن يهيض الفؤاد ووجد يدل عليه النحيب[1]

واشتهرت قصة دير العذارى هذه حتى وردت في مواضع مختلفة في الشعر العربي .

وفي أحداث سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧) يذكر صاحب مرآة الزمان : « فيها صعد عشرون رجلا من الغز إلى دير للنصارى بميافارقين ، فيه أربعمائة راهب ، فذبحوا منهم مائة وعشرين واشترى الباقون نفوسهم بست مكاكي فضة وذهب »[2] .

فالأسوار المرتفعة والأبواب الحديدية التي كانت تحصن الأديرة لم تحافظ على الرهبان والرواهب ، لذلك نجد أكثر هذه الأديرة متجمعة بالقرب من المدن الكبيرة ، والعواصم المزدحمة ، والأمصار المأهولة خوفاً من اللصوص وقطاع الطرق والفتاك .

أما الكرح بالكسر فبيت الراهب ، ويكون أصغر من القلية ، يسكن فيه الراهب إذا قعدت به الحال ولم يستطع الحصول على قلية . وجمع الكرح أكراح ، ويجيء جمعه أيضاً على صيغة التصغير اكيراح . قال ابن منظور في اللسان ج ٣ ص ٤٠٥ هي

(١) معجم ما استعجم ص ٣٧٦ ، آثار البلاد للقزويني ص ٢٤٨ ، ياقوت ج ٤ ص ١٥٧ .
(٢) حبيب زيات ص ٣٠٠ .

بيوت للرهبان يخرج إليها النصارى فى بعض أعيادهم . ومعنى هذه اللفظة اليونانية الكوخ الصغير .

وأشهر المواضع التى عرفت بالأكيراح هو دير حنة بالحيرة الذى وصفه أبو نواس فى موضعين ، قال :

دع البساتين من ورد وتفاح
واعدل هديت إلى ذات الأكيراح
اعدل إلى نفر دقت شخوصهم
من العبادة إلا نضو أشباح
بكررون نواقيساً مرجعة
على الزبور بامساء واصباح
تنأى بسمعك عن صوت تكرهه
فلست تسمع فيه صوت فلاح
إلا الدراسة للانجيل فى كتب
ذكر المسيح بابلاج وإفصاح
يا طيبه وعتيق الراح تحفتهم
بكل نوع من الطاسات رحراح
يسقيكها مدمج الخصرين ذو هيف
أخو مدارع صوف فوق أمساح (١)

ويصف فى موضع آخر من شعره رهبانه ورواهبه ، وكيف أصبحوا أنضاء من العبادة :

يا دير حنة من ذات الأكيراح
من يصح عنك فإنى لست بالصاح
رأيت فيك ظباء لا قرون لها
يلعبن منا بألباب وأرواح
دع التشاغل باللذات يا صاح
من المكوف على الريحان والراح
واعدل إلى فتية ذابت نفوسهم
من العبادة نحف الجسم أطلاح
لم يبق فيهم لرائيهم إذا حصلوا
خلاف ما خوفوه غير أشباح
تلقى بها كل محنو مفارقه
من الدهان، عليه سحق أمساح
لا يدلفون إلى ماء بآنية
إلا اغترافاً من الغدران بالراح

والغريب أن ناشر مسالك الأبصار يقول إن الأكيراح : بلد نزه كثير البساتين والرياض والمياه (٢) .

والصحيح ما أثبتناه من أن الأكيراح هى بيوت صغيرة تشبه القبة يسكنها راهب واحد إذا لم يستطع الحصول على قلية .

(بغداد) شكرى محمود أحمد
مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) ديوان أبى نواس طبعة آصاف ص ٢٦١ .
(٢) مسالك الأبصار ص ٣١٤ .

خواطر مسجوعة :

فلسفة الفــــأس . . .

قال صاحبى : هل ذكرت الفأس فى كتابك ، وعطفت عليها بآدابك ؟ قلت : نعم وصفتها ، وأنصفتها . فاسمع أيها الصاحب الرشيد ، ما تريد :

الفأس فى تكوينها لا تزيد ، عن قطعة من حديد ؛ رُكِّبت فى غصن تمرد بعد لين ، وتجرد بعد تزيين . هذه فى تكوينها هى الفأس ، أداة البأس ؛ فإن لم يدل صنعها على المهارة ، فإن وراءها روح جبارة ؛ تردّ الشظف إن عدا ، وتصد السغب إن اعتدى ...

رأيت حامل الفأس فى الصباح ، كجندى شاكى السلاح ؛ يُذِل بطش العيش ببطش شديد ، ويفُلّ بأس البؤس بيأس الحديد ؛ فقلت بخ بخ أيها الإنسان ، هكذا العزة نصان ! وبهذا الفأس يتحطم اليأس ! سر فى طريقك غير ملوم فلن يثنيك عن الحربة غشوم ! وواصل الكد فى إيمان ، وابحث عن الرزق فى اطمئنان ؛ غير مسحور بكذب الآمال ، ولا مأسور بذهب الأغلال ؛ فإن فأسك أمضى فى النقمة ، من السيف فى المممة ؛ وأسرع فى الإجابة ، من القلم فى الكتابة ؛ فلو حكمت بأنها أعز من حسام الكمىّ ، وأغلى من يراع العبقرى ، لكنت فى حكمك صائباً ، ولم تك كاذباً !

والفأس فى يدك أيها الزارع ، كالمبضع فى يد الطبيب البارع ؛ لها رهبة السلاح ، وعليها سمة الإصلاح ، تعمل حدها فى الأرض ، فتنسق كثافتها ، وتستأصل آفتها . وتمهد السبيل للماء . وتمد الحقل للنماء ...

وحسب الفأس شرفاً أنها تؤتى نائلهـا ، وتحمل حاملها ؛ بل تحنو على من يحنو عليها ؛ وتعز من يلتجئ إليها ؛ فترحمه من المن ، وتقيه سوء الظن ؛ وتدرّبه بطول الركوع على الخضوع لله ، وتهون عليه ما تعقد من أسباب الحياة !

حامد بدر

الأدب في سير أعلامه :

٥ - تولســـتوى

[قمة من القمم الشوامخ في أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

فتى حائر



كان ليو في نحو الثالثة عشرة من عمره حينما انتقل مع إخوته إلى قازان ؛ وكان جدهم أحد حكام قازان من قبل فكان الصبية ملحوظي المكانة في مضطربهم الجديد وكان يصحب كل صبي منهم خادم خاص جيء به من بين عبيدهم في ياسنايا ، وترفع الصبية عمن حولهم من الناس إلا من كانت لهم مثل مكانتهم ولذلك قلت خبرتهم بقازان وأهل قازان ...

وكانت عمتهم بوشكافا التي يعيشون يومذاك في رعايتها طيبة القلب ولكنها لم تكن على قدر من الثقافة كبير ، وكان زوجها من ذوي الثراء يجعل أكثر وقته للموسيقا ولعب الورق إليها ؛ ولذلك كثيراً ما كان يغشى بيته جماعات من أصحابه وكثيراً ما صرف الصبية عن الجد من الأمور مشاهدتهم هذه الجماعات وأوحى إلى نفوسهم اللعب واللهو فكان لذلك سوء أثره في دروسهم.

ولكن ليو لا يسرف في ذلك إسراف إخوته ، بل إنه ليميل إلى مجافاتهم إلى حد ما منذ أن رآهم يتغيرون عما ألفهم ، ورأى في أذواقهم وميولهم ما يحس أنه غريب عليه جديد عليهم وما لا يسعه إلا أن ينكره منهم بينه وبين نفسه .

ولعله ما أنكر ذلك منهم إلا لأنه لا يستطيعه لنفسه ، فقد عاوده ما يكدر نفسه من اهتمامه بهيئته وماذا عسى أن يكون وقعها في النفوس ؛ وإنه ليطيل النظر في المرآة فلا تعجبه أذناه الكبيرتان ولا أنفه المفرطح الواسع المنخرين ولا عيناه الشهباوان الجاحظتان بعض الشيء ولا شفتاه الغليظتان بعض الغلظ .

على أن له في القراءة مصرفاً عن هـذا ، وعزاء ومتعة غير ما يسمى إليه إخوته من متعة ؛ وهو اليوم في الرابعة عشرة من عمره يلتهم ما تصل إليه يده من الكتب التهاماً ؛ ولن يزال مكباً على كتابه ساعات طويلة حتى لينسى نفسه ، لأنه يعيش بخياله فيما يقرأ ؛ وكان مما قرأه يومئذ كتاب ألف ليلة وقد أثرت في خياله وحسه قصة « الأربعين لصاً » تأثيراً قوياً وكذلك فعلت قصة الأمير « قمر الزمان » ؛ وقرأ الغلام شعر بوشكين وأعجب بقصيدته عن نابليون ، وراقته قصة « الدجاجة السوداء » للكاتب الروسي بوجورولسكي ؛ وقرأ الأناجيل وكم تأثر قلبه بقصة يوسف فأن أثرها فيه كان على حد قوله هائلا ، ولم يزل بعد ذلك بسنين يصف ما أعجبه من وجازتها وبساطتها وصدقها ، ولم يكد يبلغ الخامسة عشرة حتى أصبح مسحوراً بجان جاك روسو ، وإنه من فرط تأثره به ليكاد ينسى كل شيء غيره ، وقد بلغ افتتانه به أنه استبدل صورة له بما كان يضع فوق صدره من صليب ، وأقبل على اعترافاته وكتابيه « إميل » و « هلويز الجديدة » فقرأها مرة بعد مرة ، وكلما أعاد قراءتها ازداد حبه لها واشتد تأثره بها . قال بعد ذلك يصف هذا السحر « كانت صفحات كثيرة منه وثيقة الصلة بنفسي ، حتى لقد خيل إلى أني أنا الذي كتبتها لا محالة » .

ويمتلىء ذهن الفتى في السادسة عشرة بكثير من مسائل الفلسفة ، بل إنه ليطمع أن يحل ألغاز هذا الوجود فيشغل نفسه بالنظر في خلود الروح ووظيفة الإنسان في هذا الكون وصلته به وإمكان وجود حياة أخرى إلى أمثالها من المعضلات والمسائل .

وينظر الفتى في نفسه فيصل إلى رأى ، وذلك أن سعادة المرء لا تتوقف على العوامل الخارجية في ذاتها ولكن على صلة الإنسان بهذه العوامل ، ومن ذلك مثلا أن الإنسان إذا أخذ نفسه بالتقشف وتعود الآلام ألف شقاء العيش وآلامه فلن يشقى به ولن يألم منه

وعلى ذلك فقد أخذ نفسه بألوان من العنف والشدة كأن يحمل بعض الكتب الثقيلة زمناً ويداه ممدودتان ، وكان يضرب جسمه وقد تعرى بمحبل حتى تدمع عيناه ، ثم إنه يقنع نفسه بأن التفكير فى الموت أمر لا محل له وللأنسان أن يستمتع بالساعة التى هو فيها فالموت أمر لا بد منه والحياة أتفه من أن يُعنى بها المرء قلبه ، فليمرح الفتى ماوسعه المرح ولينصرف عن الدرس وليقبل على كل ما يلذه من طيبات الحياة خيرها وشرها وليقض وقته فى قراءة القصص وأكل الحلوى ...

ويحاول أن يتدسس إلى أعماق نفسه ليرى ماذا يجرى فى شعوره فيصل به الأمر إلى ما يقرب من الخبل . تجد ذلك فى قوله « وكنت أفكر فى أنى أفكر فيما كنت فيه أفكر » وإنه ليستغرق فى تفكيره هذا حتى ليأكل ما فى يده ذات مرة من ديدان كان أعدها طعماً للسمك أثناء صيده ثم يمج الديدان من فمه بين الضحك والتقزز .

ولا يلبث الفتى حتى يجد نفسه قد أخذه التشاؤم من جميع أقطاره ، ثم يجد نفسه مستغرقاً فى هذا التشاؤم استغراقاً ، فلافكاك له منه ولا منتدح عنه . تجد ذلك واضحاً فى عبارة جاءت له فى كتابه «عهد اليفاعة» ، ولئن كان هذا الكتاب كسابقه «عهد الطفولة» وكلاحقه « عهد الشباب » لم يكتب على أنه تاريخ حياته فأن أكثر ما جاء فيه من وصف لشخصيات خلقها وأكثر ما جاء على ألسنة هذه الشخصيات يدور حول حياته ومن كان له بهم فى هذه العهود صلة . قال « لم تشتد نزعة فلسفية فى نفسى كما اشتدت نزعة التشاؤم ، تلك النزعة التى أشرفت بى ذات مرة على حافة الخبل فقد تخيلت أنه ما من شىء أو شخص هو قائم فى هذا الوجود بجانب شخصى ؛ وأن الأشياء جميعاً ليست أشياء فقط ، ولكنها صور فحسب لاتظهر إلا عندما أتجه بفكرى إليها ، وإنها لتختفى حين ينتهى تفكيرى فيها ؛ وقصارى القول أنى وافقت شلنج فيما ذهب إليه من أن الأشياء لا وجود لها فى ذاتها وإنما الوجود هو علاقتى بها ؛ ومرت بى لحظات وصلت فيها تحت تأثير هذه الفكرة المتسلطة على إلى حالة من الخبل حتى لألتفت فى سرعة حولى كى أدرك اللاشىء ... لقد ازدهتنى هذه الكشوف الفلسفية التى بلغتها وأثارت غرورى إلى حد عظيم ، وكثيراً ما تخيلت أنى رجل عظيم يكشف حقائق لخير بنى الأنسان ، وبهذا الشعور الذى انطوت عليه نفسى ، شعور الكبرياء نظرت إلى باقى البشر ، ولكنى ما واجهت أحداً من هؤلاء الفانين إلا أحسست بالخجل حياله ، الأمر الذى يحمل على كثير من العجب ، وكلما رفعت قدرِىَ نفسى شعرت أنى أقل مقدرة لا على إظهار ما يخالجنى من شعور الرفعة فحسب ، بل كذلك على أن أعود نفسى أن أتجنب الخجل الذى يعترينى من أبسط كلماتى وحركاتى » .

وتتوزع فؤاده هواجس الشباب وأحلامه ، فبينما هو مستغرق فى تشاؤمه مسرف فيه ، إذا به يميل بغتة إلى التفاؤل فيجمع عزمه على أن يجد فى تحصيل دروسه وأن يكون خير مثال للطالب المجتهد ، ويذهب به التفاؤل إلى حد أن يعتزم العمل على أن يكون موضع إعجاب كل من يراه من الناس فان لم يتفق له هذا فى نواحى الكفاية والبطولة ، فليس ذلك بمانعه أن يبلغ مأربه فى أن يصبح أغنى بنى الدنيا وأشهرهم مكانة .

ولكنه لا تكاد تنقضى أيام على ما عقد عليه العزم حتى يعود إلى تشاؤمه وإلى بطالته ولهوه ، ثم إنه يطلق العنان لرغبات جسده ، وهو فتى قوى البدن متدفق الحيوية يكاد يلتهب مما يخالجه من رغبات هذا البدن على الرغم من إسرافه فيما يطفىء به هذا الظمأ المتصل به ؛ وما زال به شيطانه يغريه ويزين له كثيراً من الإثم ، ويسوقه إلى مهاوى الفتنة حتى يوقع فى حبائله فتاة من الخدم ذات ملاحة فيغويها ويقضى منها وطره ! ويبلغ نبأ هذا الإثم عمته فتطرد الفتاة من البيت إلى حيث تتلقاها مهاوى الرذيلة ثم يطويها الموت قبل أوانه على صورة محزنة نكراء ...

وما يعنينا هذا الفعل إلا لأنه استقر فى أعماق وجدانه . فكان منه حين تجاوز السبعين من عمره صورة فذة لأهم شخصية فى قصة تعد من أعظم آثاره الفنية وأخلدها ألا وهى قصة (البعث)

ويضطرب الفتى اضطراباً شديداً بين وساوس الشباب ، فما يكاد يخالجه الندم على ما يعده تفريطاً منه فى جنب الفضيلة ، حتى يستسلم ثانية إلى الرذيلة ، ثم يعود فيجمع عزمه على الورع والطهر والعفة وعلى أن يأخذ نفسه بالجد من الأمور ، ولكنه

لا يلبث حتى ينقاد إلى ما يوسوس له به شيطانه .

وهكذا ما يزال الفتى يتملق بالكمال مرة ، وينحدر حتى يقرب من قرارة الانحطاط مرة ، ويرضى عن نفسه حيناً ويجثم على صدره الندم حيناً ، دون أن يستقر على وضع أو يركن إلى رأى ...

وللمرء أن يعجب حقاً من أن تشغل الفتى مثل هاتيك الأمور فى سن كسنه يومئذ ؛ ولقد كان بعد ذلك بسنين يشعر بما عسى أن تثير من عجب ، بل إنه كان يخشى ألا يصدقها المرء أو أن يردها إلى المبالغة فى القول كما ذكر ذلك فى كتابه « عهد اليفاعة » . فما كان التفكير المتصل فى الحياة والناس ، وما كانت الرغبة فى بلوغ الكمال وتلمس السبيل إلى تحقيق تلك الرغبة مما يتكافأ تلك السن ، ولولا ذلك الوضع الذى كان فيه وهو حدث لم يلتحق بعد بجامعة من الجامعات ، وحسب أنداده أن يقرأ الفتى منهم قصة أو يلهو بديوان شعر ...

ولكنه كان فيما يشبه الحمى يومئذ مما يجول فى رأسه من أفكار وما يهجس فى نفسه من خواطر ، وما يلج تلك النفس الحائرة من رغبة فى السمو ومن طموح نحو المثل الأعلى ، وإن تولستوى الفتى اليوم لهو صورة مصغرة لتولستوى الكاتب العظيم فى غد ، يوم يشتغل ذهنه الجبار بالفن وبالدين وبمسائل الاجتماع ، ويوم يبحث حائراً قانطاً أول الأمر عن الغرض من هذه الحياة ، حتى تنزل السكينة عليه إذ يرى أن الغرض من الحياة يتلخص فى العمل على السمو بها نحو ما يريد الله من كمال .

وإن تحمسه للمعرفة على هذه الصورة واهتمامه بأن يبلغ ما يطمح إليه من رفعة لدليل لا يدع مجالا للريب على أنه فطر على البحث عن الحقيقة وأنه من العباقرة القلائل الذين تفطن بهم الإنسانية إلى سر وجودها ، والذين يأتون إلى العالم على فترات من الزمن ليقيموا الدليل بوجودهم فى ذاته على أن حياة الإنسان جديرة بأن يحياها الإنسان .

وإنك لتجد مثالا لما كان يعنى به نفسه يومئذ فيما جاء بكتابه « عهد اليفاعة » قال :

« كنت يومئذ فى نحو السادسة عشرة ، وكان الرفقاء لا يزالون يترددون على ، وكنت أتهيأ فى فتور وكره لألتحق بالجامعة ... وفى ذلك الوقت الذى أعده نهاية اليفاعة وبدء الشباب ، كانت تقوم أحلامى على مشاعر أربعة : أولها حبى « لها » تلك المرأة الخيالية التى كنت أحلم بها دائماً على وتيرة واحدة والتى كنت أتوقع أن ألقاها فى أية لحظة فى أى مكان ما ؛ وثانيها محبتى فى أن أغدو محبوبا ، فقد رغبت فى أن يعرفنى كافة الناس وأن يحبونى ، ورغبت فى أن أصرح باسمى فأجد من الناس جميعاً مايدل على اهتمامهم بما أصرح به وأراهم يحيطون بى فيسمعونى شكرهم إياى على أمر ما ؛ وثالثها أملى فى حظ عظيم غير عادى ، وقد بلغ من تسلط هذا الأمل على أن أشرف بى على الجنون ، ورابع مشاعرى وهو أهمها كان إحساسى باشمئزازى من نفسى واستشعارى الندم ، ولكنه كان ندما ممتزجا بالأمل فى السعادة ولذلك لم يخالطه الحزن ... ولقد أحسست السرور فى نفورى من الماضى وحاولت أن أجعله أكثر اسوداداً مما كان عليه فى واقع الأمر ، وذلك أنه كلما كانت ذكرياتى عن الماضى أكثر سواداً ، ظهر لى الحاضر الناصع الواضح أكثر وضاءة ووضوحا ، وتراءت لقلبى أحلام المستقبل أكثر جمالا وبهجة ، ولقد كان ذلك الصوت المنبعث فى نفسى صوت الندم والرغبة القوية الحادة فى بلوغ الكمال هو الاحساس الرئيسى لروحى فى تلك الحقبة من نموى ، وكان هو الذى رسم لى أساس نظراتى فى نفسى وفى البشرية وفيما خلق الله من كون »

وكان له يومئذ صديق فى قازان ، كان فتى طويل القامة ، عريض المنكبين حسن الهيئة ، فى وجهه ملاحة ورقة ، يبتسم عن أسنان جميلة دقيقة ، ويزين رأسه شعر مسبل ناعم ، ولكنه كان على الرغم من ذلك خجولا كصاحبه إذا لقى الناس ، بل لعله كان أشد منه خجلا وأكثر حساسية ...

وقد حبب هذا الفتى إلى تولستوى إخلاصه لما يعتقد من رأى وتحمسه له وصراحته فى التعبير عما فى نفسه مهما يكن من أمره ، وقد سأل دياكوف ذات مرة ـ وهذا هو اسمه ـ صاحبه تولستوى قائلا أتدرى لماذا أحبك أكثر مما أحب غيرك ؟ ذلك لأنك صريح لا تكتم شيئا فى نفسك ، وهكذا يجتمع الفتيان

على الصراحة فترتبط بينهما ، وإنهما ليتقاربان في كثير من ميولهما ، ويتضح لهما ذلك فيما يديرانه بينهما من حوار في أمور كثيرة ، فيما يتصل بالدين وفيما يتصل بالمجتمع وأركانه من حكومة وتعليم ونظم مالية وما إليها

ولقد كان هذا الفتى شديد التأثير في حياة صاحبه فما فرغ من محاورته مرة إلا قويت في نفسه الرغبة في العمل على الكمال المنشود ، والانطلاق من حياة اللهو والعبث ، تلك الحياة التي يذهب فيها العمر سدى ، ولئن لم يك لتولستوى ما لصاحبه من حسن الهيئة فليس ذلك بمانعه أن يعمل على كسب مايحمل الناس على الإعجاب به مما هو أهم وأجدى من المنظر وحسن الطلعة ، بل إنه لحافزه إلى ذلك العمل الذي يعقد عليه عزمه .

على أنه عزم كأكثر ما يعتزم الشباب فما يلبث أن يذهب فيما تحيطه به الحياة من مسراتها ومغرياتها ، ولكم اضطرب تولستوى بين عزمه وبين لهوه ، ولكم جدد العزم ثم تحلل من عزمه

وكان ديا كوف هو شخصية ديمترى في كتابه « عهد اليفاعة » فما يفوت كاتب الغد أن يصور أشخاصه كما رآهم في مضطرب الحياة ، ولن ينسى شيئا مما رأى أو يسهو عن أمر يتصل بما يقوم في رأسه من فكرة مهما بلغ من ضآلة هذا الأمر ، وتلك ناحية من أهم نواحي مقدرته الفنية يوم يغدو أعظم من كتب القصة في أدب قومه وأحد أفذاذها القلائل في أدب أوربا كله ...

وستمضى الأعوام ويبقى أثر ديا كوف في نفسه ، فقد كان مما أوحته اليه صحبته عبادة الفضيلة ، وأن غاية الإنسان في الحياة العمل على بلوغ الكمال والسمو بالنفس أبدا ، وسوف يظهر أثر ديا كوف في قصة الحرب والسلم فيما جاء على لسان «أندري» أحد شخصيات القصة قبل معركة أوسترلتز إذ يقول « إني أرغب في المجد ، أرغب أن أكون معروفا عند الناس وأن يحبني الناس ، وما لي رغبة غير هذه ، وما أعيش إلا من أجلها ... وإني وإن كان ذلك مني أمراً مروعاً غير طبيعي لأضحى حتى بأعز الناس عندي في سبيل لحظة من المجد والفوز على الرجال ومحبة من لا أعرفهم من الناس ومن سوف لا أعرفهم بعد أبدا

(يتبع) **الخفيف**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٧٤ — الله

التبصر في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبي المظفر عماد الدين الأسفرايني :

إن الله لا يجوز عليه الكيفية والكمية والأينية ، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه : كيف هو ؟ ومن لا عدد له لا يقال فيه : كم هو ؟ ومن لا أول له لا يقال له : مم كان ؟ ومن لا مكان له لا يقال فيه : أين كان ؟

وقد جاء فيه عن أمير المؤمنين على (رضى الله عنه) أشفى البيان[1] حين قيل له : أين الله ؟

فقال : إن الذى أيّن[2] الأين لا يقال له : أين .

فقيل له : كيف الله ؟

فقال : إن الذى كيّف الكيف لا يقال له : كيف .

وسأله آخر : ما جهة وجه الله ؟ فأمر حتى أتى بشمعة فوضعها فى أنبوبة قصب ، فقال للسائل : ما وجه هذه الشمعة ؟ وبأى جانب تختص ؟

فقال له السائل : ليس بمختص بجانب دون جانب

فقال : ففيم السؤال إذن[3] ؟

(١) قلت : القول لقائله وقد أريدت تقويته بعزوته .

(٢) هنا الفعل : (أين) مثل الفعل (كيف) — هو من المولد، وقد جاء (التكييف) في (النهج) كما جاء (الأزل) ولولا المولد ماسار العلم فى المدينة العربية الاسلامية ذاك السير .

(٣) قال صاحب التبصير : معناه إذا جاز أن يكون فى المخلوقات شىء لااختصاص له بجهة دون جهة ، فلم لا يجوز أن يكون خالق الخلق غير مختص بجهة دون جهة .

٨٧٥ — ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم

الفصل[1] فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم :

إن اليهود يقولون للدنيا أربعة آلاف سنة ونيف ، والنصارى يقولون : للدنيا خمسة آلاف سنة ، وأما نحن فلا نقطع على عدد معروف عندنا ، وأما من ادعى فى ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد كذب ، وقال ما لم يأت قط عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيه لفظة تصح ، بل صح عنه (عليه السلام) خلافه ، بل نقطع على أن للدنيا عمراً لا يعلمه إلا الله (عز وجل) قال الله (تعالى) [ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم] وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « ما أنتم فى الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود أو كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض » هذا عنه (عليه السلام) ثابت ، وهو (عليه السلام) لا يقول إلا عين الحق ، ولا يسامح بشىء من الباطل ...

٨٧٦ — أثر العربية والأدب في يهودى

عيون الأخبار لابن قتيبة : ... أبو العيناء قال : كان بالبصرة لنا صديق يهودى ، وكان ذا مال ، وقد تأدب وقال الشعر ، وعرف شيئاً من العلوم ، وكان له ولد ذكور ، فلما حضرته الوفاة جمع ماله وفرقه على أهل العلم والأدب ، ولم يترك لولده ميراثا فموتب على ذلك فقال :

رأيت مالى أبرّ من ولدى فاليوم لا نحلة ولا صدقه
من كان منهم لها فأبعده الله ومن كان صالحاً رزقه

٨٧٧ — فلو أنني لاقيته ما عرفته

تتمة اليتيمة : أبو الحسن محمد بن الحسين العثمانى قال : أنشدنى ابن المغربى الوزير لنفسه فى بلوغ الغاية من السلوة ، ولم أسمع فى معناه أبلغ منه :

حبيب ملكت الصبر بعد فراقه على أننى علقته وألفته

(١) الفصل فى اللغة جمع الفصلة ، فى اللسان : الفصلة النخلة المنقولة المحولة وقد افتصلها عن موضعها ، خير النخل ما حول فسيله عن منبته ، والفسيلة المحولة تسمى الفصلة ...

محا حسنُ يأسى شخصه من تفكرى

فلو أننى لاقيتــــه ما عرفته

٨٧٨ — اقعد ، اجلس

وفيات الأعيان : هو (أى ابن خالويه) القـائل : دخلت يوماً على سيف الدولة بن حمدان ، فلما مثلت بين يديه قال لى : اقعد ، ولم يقل : اجلس ، فتبينت بذلك اعتلائه بأهداب الأدب واطلاعه على أسرار كلام العرب . وإنما قال ابن خالويه هذا لأن المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم : اقعد ، وللنائم والساجد : اجلس ، وعلله بعضهم بأن القعود هو الانتقال من العلو إلى السفل[1] ، ولهذا قيل لمن أصيب برجليه : مقعد ، والجلوس هو الانتقال من السفل إلى العلو ، ولهذا قيل لنجد : جلساء لارتفاعها وقيل لمن أتاها : جالس ، وقد جلس ، ومنه قول مروان بن الحكم لما كان والياً بالمدينة يخاطب الفرزدق :

قل للفرزدق والسفاهــــة كاسمها

إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

أى أقصد الجلساء ، وهى نجد[2] .

٨٧٩ — أمر لا يدرك إلا بالذوق

ابن أبى الحديد : إن معرفة الفصيح والأفصح ، والرشيق والأرشق والحلو والأحلى والعالى والأعلى من الـكلام — أمر لا يدرك إلا بالذوق ، ولا يمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه ، وهو بمنزلة جاريتين إحداهما بيضاء ، مشربة حمرة ، دقيقة الشفتين ، نقية الثغر ، كحلاء العينين ، أسيلة الخد ، دقيقة الأنف ، معتدلة القامة . والأخرى دونها فى هذه الصفات والمحاسن لـكنها أحلى فى العيون والقلوب منها وأليق وأصلح ، ولا يدرى لأى سبب كان ذلك . ولـكنه بالذوق والمشاهدة يعرف ، ولا يمكن تعليله . وهكذا الـكلام ، نعم يبقى الفرق بين الموضعين أن حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة وأما الـكلام فلا يعرفه إلا أهل الذوق ، وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق ، وممن يصلح لانتقاد الـكلام ، وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان ، وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والـكتابة والشعر ، وصارت لهم بذلك دربة وملـكة تامة . فالى أولئك ينبغى أن ترجع فى معرفة الـكلام وفضل بعضه على بعض إن كنت عادماً لذلك من نفسك .

٨٨٠ — ياظبية البان ترعى فى خمائله

فى (الغيث الذى انسجم فى شرح لامية العجم) للصفدى :

« ما من شاعر فى الغالب إلا وقد عارض الشريف الرضى فى قصيدته التى أولها :

يا ظبية البان ترعى فى خمائله ليهنك اليوم إن القلب مرعاك

وما منهم من رزق سعادته » .

قلت : هذه أبيات منها ، قال بعد المطلع :

الماء عندك مبذول لشاربه وليس يرويك إلا مدمع الباكى

هبت لنا من رياح الغور رائحة بعـد الرقاد عرفناها برياك

حكت لحاظك ما فى الريم من ملح

يوم اللقاء فـكان الفضل للحاكى[1]

كأن طرفك يوم الجزع يخبرنا بما طوى عنك من أسماء قتلاك

أنت النعيم لقلبى والعذاب له فـما أمرّك فى قلبى وأحلاك

سهم أصاب وراميه بذى سلم من بالعراق لقد أبعدت مرماك

عندى رسائل شوق لست أذكرها

لولا الرقيب لقــد بلغتها فاك

لو كانت اللمة السوداء من عددى

يوم الغميم لمـا أفلت أشراكى[2]

(١) بضم السين وكسرها وسكون الفاء .

(٢) التاج : قال الأصبهانى فى المفردات وتبعه المصنف (صاحب القاموس) فى البصائر : إن الجلوس إنما هو لمن كان مضطجعاً والقعود لمن كان قائماً باعتبار أن الجالس لمن كان يقصد الارتفاع أى مكاناً مرتفعاً ، وإنما هذا يتصور فى المضطجع ، والقاعد بخلافه فيناسب القائم .

(١) التاج : ملح كـكرم يملح ملوحة وملاحة وملحا فهذه ثلاثة مصادر الأول هو الجارى على القياس والثانى هو الأكثر فيــه ، والثالث أولها .

(٢) الغميم — بفتح أوله وكسر ثانية — موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان) . أفلته وأفلت منه .

من بودلير :

أوهـــام .

للاستاذ محمد على مخلوف

نسيت وفى أحداث يومى ماينسى … فلاتذكرى ما كان منى بالأمس!
أجل كنت ريان الجوانح بالمنى … وكنت قرير العين أنعم بالأنس
مى الموجة … الفرحى تضل طريقها
إلى القلب فى ألفاف موج من البؤس
أنا الشاعر الحيران فى عالم الرؤى
أطل على الأكوان من هيكل القدس
تغازلنى الأرواح فى سبحاتها … وتنشدنى حتى أغيب عن حسى
وأحيا على الدنيا غريباً مشرداً … حليف هوى حتى يوارينى رمسى
وأصبو إلى الأنغام والغيد والطلى
وإن عصفت أفكارى السود فى رأسى
يريب رفاقى ما بدا من تمردى … وإيثارى اللهو البرىء على الدرس
وما علموا أنى دفنت مواهبى
وحطمت أقلامى وثرت على طرسى
وردد فىَّ الدهر أنشودة البلى … مغلفة الأصداء خافتة الجرس!
وأخرست الآلام أوتار مزهرى … وغاضت ينابيع السعادة فى نفسى
لقد فرغت كأسى … فمن لى بغيرها
وهيهات أن أحيا وقد فرغت كأسى
ظننت الهوى يدنى من الخلد موكبى
فكان الهوى دون المظنة والحدس
وفى حقل عمرى كم غرست تجارباً
ولكن غيرى قد جنى ثمر الغرس
وقلبى فى نهر الحياة سفينة … تميد على صُم الصخور ولا ترسى
يلين إذا مسَّ الرجاء شغافه … ويقسو إذا طافت به ثورة اليأس
ويحمل أعباء ثقالا … تؤوده … ولا يشتكى حين يصبح أو يمسى
بلى إنه فى الحب قد صار كالذى … تخبطه الشيطان من ألم المسّ
وفى الشك للحيران ومض هداية … يضجُّ معانيه . فيرتاح للهمس
لقد بعت فى سوق المآثم عفتى
وحظى من الأخلاق بالثمن البخس
وها هو ذا ثوب التقى قد نزعته … لتغسله الأقدار فى حمأة الرجس
طمست على قلبى فغاب صوابه
وهوَّم فى داج من الريب والهجس
وإن حياتى لن يضىء ظلامها …
سوى قبس من نور حسنك يا شمسى
فلاتذكرى ما كان منى بالأمس! … نسيت وفى أحداث يومى ماينسى!

قبـل الرحيل

للاستاذ حسين محمود البشبيشى

أغداً أرحـل عن جنـة حبى … أغداً ؟ لا كان من عمرى غد !
تاركا فى معبد الأشواق قلبى … تعبث الذكرى به والمـوعد !
كل شىء ها هنا يذكرنى
قد أذبت الوجد من قلبى وعينى
وغداً أرحل ! ! . . لا كان غد

يا عيونى … ودعيها ثم نوحى … فحرام أن ترى الدمع بعينى
وابسمى صبراً كما تبسم روحى … بالذى يخلد فى قلبى وأذنى
من ليالى الوصل فى ظل الأمانى
حينما كنا كأصـداء الأغانى
نتهادى … وغداً تبعد عنى !

أغداً أرحـل عن وكر الأمانى … وغـداً تذبل أزهار اللقاء
يا غدى لاكنت من عمر الزمان … لا رأتك العين يا ظل الفناء
كيف أحيا مفرد القلب غريبا
كيف أنسى ثغرها الحلو الحبيبا
كيف أنساها … وأيام الهناء

يا طريق … كم هنا سرنا معاً … أترى فى البعد تنسى خطواتى ؟
وهنـا الحب … بقلبينا سعى … راقص الفرحة حلو الأغنيات
كم ضحكنا . . كم بكينا . . ها هنا
وانطلقنا . . خلف أسراب المنى
آه ما أقسى فراق الذكريات

بين مصر والسودان :

قصـــة الروح ...

للأستاذ عثمان طه شاهين

أخذت الحضارة تصلح على ضفاف النيل وواديه منذ أن بدأ الإنسان يشتغل بالزراعة وبدأت حياة الاستقرار وإنشاء الحكومات ، وحيث أن المصريين — كما يقول هيرودوت — هم أقدم أمة متمدينة على الأرض فقد أخذت حضارتهم تنبث إذن على ضفاف الوادى متجهة مع الماء نحو الجنوب ، تاركة فيه رواسب متباينة من هذه المدنية القديمة ، وعلى هذا الأساس فقد بذرت البذور الأولى من قصة هذه الروح ، ثم إن هذه الصلة قد تكونت عن صدق وإخلاص لأن السودانيين كانوا يدينون بالدين المصرى القديم ويتكلمون اللغة المصرية .

يرى المحدثون من الباحثين أن معالم الحضارة المصرية القديمة والثقافة العربية قد تسربتا إلى السودان الشمالى عن طريق مصر ، وقد استطاع هذا الأقليم أن ينتج فى وقت ما حضارة شبه مصرية من حيث طابعها ومظهرها ، ومنه خرج الغزاة الذين أسسوا إحدى الأسر الفرعونية كما أنه أقرب من حيث ثقافته وحالته البشرية العامة إلى مصر من أقليم النوبة الشمالية نفسه مما يرجح الأخذ بأن قصة هذه الروح تقوم على دعائم ثابتة ، وعلى أركان وطيدة راسخة تمد الروح فى جهادها العبقرى للتخلص من وبقة الاستعمار .

فالروح فى الشمال لم تستكن يا صاح — فى تاريخها الطويل — للغزاة الفاتحين ؛ فإذا نظرنا إلى غزاة مصر من الأغريق والرومان فأنا نجد أنهم لم يفلحوا فى فرض طابعهم على الحياة المصرية ، ذلك لأن هنالك قوة حيوية كامنة فى نفوس المصريين تستحثهم على الدوام وتوجههم للثورة على الغالبين ، فغدوا هم غالبين منتصرين ، مسيطرين على المجرى الطبيعى لوادى النيل ؛ ومن هنا ندرك أن الروح المؤمنة الشاعرة تنتصر على الدوام لأن رسالتها تنبث من قوى الإيمان الصادق .

وإذا انتقلنا مع الزمان نقلة سريعة باحثين عن الأثر الذى تركته الحياة العربية فى جنوب الوادى فاننا نلمح تجاوباً سريعاً فى حياة الروح فى الشمال والجنوب ، ذلك لأن الآلام واحدة والآمال واحدة كذلك ، ومرجع ذلك ومرده إلى وحدة اللغة والدين والعادات والتقاليد ، لأن حياة الأمم — كما نعلم — لا تتكوّن إلا عن طريق هذه النظم الاجتماعية الكبرى التى تعبر تعبيراً صادقاً عن التطور الطبيعي المرموق ، وعلى هذا فالإيمان الذى يدعو إليه أبناء الشمال عن الجلاء ووحدة الوادى يجد سبيله النافذ إلى أبناء الجنوب فهم يستمسكون به ويدافعون عنه ويضحون فى سبيله بأغلى ما يملكون . فالروحان المتعانقان فى الشمال والجنوب يؤمنان ويجاهدان ويعملان ...

ولكن ما هى العناصر التى تمد هذه الروح وتذكيها ، وما هى الآثار التى يخلفها هذا الإيمان ، وما هو المدى الذى تتطلع إليه هذه الروح فى غدها القريب السعيد ؟ كل هذه النتائج يتلمسها المتتبعون لسير الحوادث فى جنوب الوادى فى هذه الآونة الأخيرة ؛ ذلك أن حركة وادى النيل قد أخذت تظهر منذ أن هب المخلصون من السودانيين تلك الهبة المعروفة والتى تمخضت عن حوادث سنة ١٩٢٤ الدامية إذ قتل فيها من قتل وشرّد فيها من شرّد ، فكانت تلك الحركة إذن وقوداً يذكى الروح الشعبية فى جنوب الوادى ، وقد وجدت تلك الحركة صداها فى نفوس الشعراء من شباب ذلك الحين فانبعثت الألحان الثائرة من عبد الله بن عبد الرحمن ، ومدثر البوشى ، وعبد الله البنا ، وصالح عبد القادر . فكانت الشرارة الأولى للروح الثائرة المؤمنة ...

وإذا نظرنا إلى قصة الروح فى الشمال فإنا نجد أن الحملة الفرنسية قد كان لها دور بعيد فى تاريخ هذه الروح ، إذ كان الفرنسيون أول أمة غربية هبطت مصر فى تاريخها الحديث واستولت عليها ، وبهذا فقد اتجهت أنظار الدول الأوربية إلى مصر وغدا لها فى تاريخ الروح الأوربية طور جديد ؛ أضف إلى هذا أن انجلترا قد أخذت تهتم بمصر اهتماماً عظيما وذلك لمركزها الجغرافى المرموق ، وأخذت تعمل — بالتالى — للحيلولة دون وقوع مصر فى يد دولة غربية أخرى ، ومن هنا تلعب قصة الروح دورها الذى انفردت به من بعد على مدى التاريخ ؛ ومن

هنا ظهرت لجنوب الوادى مكانته فى نظر السياسة الانجليزية كما هو معروف .

ومن البداهة أن يلاقى المباقرة من العظماء والمجاهدين والفنانين الآلام المبرحة فى سبيل الوصول إلى القمة فى حياة الروح ، ذلك لأن التخلص من طبيعة الأرض يمسك بهم من الانفلات والصمود فيجاهدون ويجاهدون ، ومن البداهة كذلك أن تلاقى الأمم هذه الآلام فى تاريخها للوصول إلى العزة والكرامة والاستقلال ، فالإيمان والمثابرة شرطان ضروريان للروح فى سبيل تلمس مثلها العليا الكريمة ، والغاية قريبة — مهما بعدت الشقة — إذا دعمتها إرادة قوية وإيمان مطلق .

كانت الروح التى نادى بها جمال الدين الأفغانى مشتعلة وهاجة ، إذ لبث فى مصر سنوات يتصل بالطلبة من كل أرجاء العالم الإسلامى ويبث تعاليمه ومبادئه فتجد الاستجابة المؤمنة فى نفوس أبناء الأزهر بشكل لم يمهد له مثيل فى العصور الحديثة ، وأخذ الإمام محمد عبده يعيد للفكر قدسيته وللدين مكانته من حيث النظر العقلى السديد مما يذكر الباحثين بابن رشد حينما أراد أن يؤاخى بين الشريعة والحقيقة ، ومن هنا كان لهذه الحركة صدى بعيد فى الجنوب فارتبط الجهاد على الإصلاح والإيمان كما يرتبط اليوم على الجلاء والوحدة ، وكان ذلك النشاط المرموق يستمد قوته وبقاءه من الحركة العرابية فى الشمال ومن حركة المهدى فى الجنوب ، وعلى هذا فقد تلاقت الأكف والقلوب والحناجر بالدعاء والتضحية والإباء ...

أما اليوم — فى حياتنا المعاصرة الرشيدة — فقد أخذت الروح فى الشمال تعبر تعبيراً صادقاً عن إيمانها بالجنوب ، وأخذ الأديب السياسى الفنان هيكل باشا يصوغ هذا التعبير إذ قال : « إن مصر لم ترد فى يوم من الأيام سيطرة على السودان ولا تسلطاً على أهله ولا استغلالا لموارده ، ولكننا ونحن نعيش فى واد واحد تتحدد فيه مرافقنا واقتصادياتنا ومقوماتنا جميعاً لا يستطيع أحدنا أن يستغنى عن صاحبه فى الشمال أو فى الجنوب ، كما أن أهل الغرب طالما كرروا ويكررون إن الأمم الصغيرة خاصة لا يمكن أن تعيش وحدها بل يجب أن تتكتل لتصبح قوية قادرة على التعاون ، والأمم لا تتكتل إلا إذا تجاورت ، وليس هناك تجاور أقرب من تجاور السودانيين والمصريين » .

وأخذت الروح فى الجنوب تعبر تعبيراً صادقاً عن إيمانها بالشمال وبجمل هذا التعبير فى القوى المذخورة التى ادخرتها الأمة لوفدها الأمين ، وفى هذه الآثار القوية المتجلية فى وجود الشعب ومشاعره وأحاديسه وفى الأفكار التى يبعث بها الجنوب على صفحات الصحف المحلية والخارجية وفى الوثيقة الدموية التى خطها الشباب بقلبه وروحه ودمه ، وفى كل مايحدث من ثورات ويسيل من دماء تعبر عن هذا الإيمان وتكشف عن طبيعة الروح وهى تتخذ طريقها للتعبير ...

آمنت الروح على ضفاف الوادى بأنها ستنال حريتها وكرامتها ، وكان من طبيعة هذا الإيمان أن تتجاوب أنغام التضحية والفداء ، فأخذت القلوب تتلاقى فى الشمال والجنوب مؤمنة برسالة الحرية والإخاء داعية لأنغام الجهاد ، فسالت الدماء الطاهرة على قرى الوادى مؤذنة بميلاد الفجر الجديد ، وارتفعت الحناجر منادية بالثورة فى شباب الجامعة فى الشمال وفى أروقة العلم فى الجنوب ، ولفظ الشهداء أنفاسهم الأخيرة وهم ينادون بالاستقلال للوادى الكريم ، فأذن المؤذن بميلاد الفجر الجديد .

نعم ، قد أراد الوادى اليوم أن يكون خالصاً لبنيه ، وإذا أرادت الأمم شيئاً فهى واصلة إلى ما تريد . فالروح إذن إنما تعبر تعبيراً صادقاً عن أحاسيس أبناء الوادى ومشاعرهم وتترجم عن مواطن القوة والكمال فيهم :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة　　فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلى　　ولا بد للقيد أن ينكسر

ذلك لأن إرادة الحياة — كما يقول الشابى — إنما تخلق بالأمم القوية الشاعرة التى تؤمن برسالتها فى الحياة وبحقها فى الوجود .

يا إخوان الطفولة ويا حماة العرين ! انظروا إلى الأسد البريطانى يفغر فاه ليلتهم القوى المذخورة فى النفس . فلتكن يقظين ، فالانجليز معكم يا إخوان يسيطرون على كل شبر فى الجنوب ، وينبثون بينكم فى كل مكان ، ويصرفون الأمور بمددهم العديد الجم ، فكونوا يقظين حريصين ناظرين ، واعلموا أن جهادهم

في الحرب قد استنفد منهم كل ما يملكون وفي الجنوب عوض للجهود التي بذلت وللنفوس التي حطمت وللأرواح التي حاق بها الخسران ...

هل تؤمنون اليوم بأن الانجليز يؤيدون حركة الانفصال ويرعونها لأن فيها خير البلاد ورفاهيتها وتقدمها ، وهل يقوم حاكم السودان بجولاته في الغرب والشرق ، شارحاً قصة الحكم الذاتي ، متحدثاً عن أسطورة الاستقلال ، داعياً إلى مذهبه الجديد ، هل يصدق أولئك وغيرهم بأن الحاكم الانجليزي يفعل ذلك لخير السودان أم لخير الامبراطورية ! ؟

نحن مؤمنون يا صحاب بأن موسيقى الحياة تسير على أنغام عذاب ، ونحن مؤمنون بأن حركة الانفصال تلعب بها أصابع خفية ناشزة ، فلتشدوا الأوتار من جديد ولتصلحوا الحياة كما تستقيم ، واعزفوا لأطفال اليوم ورجال الغد بأن الانجليز هم الداهية الدهياء في الشرق الحديث ، وابعثوا الأنغام هادئة نقية ، وآمنوا بأن للوادي روحاً وجسماً وانظروا إلى رسالة السماء ...

ولتسر هذه الروح مؤمنة برسالتها في الشمال وفي الجنوب واليدان الممدودتان — من ريشة الفنان — قبل الأرض تباركان الخير وتبذران الحبّ للساعين ...

عثمان طه شاهين

ليسانسيه في الفلسفة

الأدب والفن في أسبوع

هذا واجب قومي :

تلقت وزارة المعارف رسائل من بعض الهيئات الثقافية والعلمية في الحبشة وأريتريا وجنوب أفريقيا والهند وغيرها من الأقطار الإفريقية والأسيوية وكلها تطلب أن تساعدها الوزارة ثقافياً وعلمياً بما يعينها في أداء مهمتها ، وكلها تلح أن تبادر الوزارة المصرية إلى بذل هذه المعونة لشدة الحاجة إليها .

ولست أدري ماذا صنعت أو ستصنع الوزارة بهذه الطلبات ولا مدى ما عندها من الاستعداد لبذل المعونة المطلوبة ، ولكني أبادر فأقول إن من الواجب على الوزارة أن تبذل هذه المعونة ، وتلبي جميع هـذه الطلبات مهما كلفها الأمر ومهما لقيت في سبيل ذلك من الضيق والرهق ، لأنها بهذا تؤدي واجباً على مصر نحو قوميتها ونحو مكانتها .

إن مصر تقف اليوم موقف الزعامة للعالم الإسلامي والعربي ، وللمجد تكاليف شاقة مرهقة ، فنحن لا نستطيع أن نحتفظ لمصر بزعامتها ولا أن ندعم مكانتها عند الأقطار العربية والإسلامية إلا إذا حققنا لهذه الأقطار ماتنشده عندنا وما ترجوه فينا وتطلبه منا ، وقد كان من الواجب علينا أن نتبرع بهـذه الخدمات الثقافية ، فكيف وقد توجه إلينا الرجاء بتحقيقها والنهوض بتأديتها ...

لقد قرأت فيما قرأت من أنباء هذا الأسبوع أن انجلترا تعاني في داخل بلادها ضنكا في شئون المعيشة ، وأن أفراد الشعب هناك لا يحصلون على حاجتهم من مواد الطعام واللباس ، على حين أن انجلترا تصدر الكميات الضخمة من هـذه المواد إلى الخارج ، وذلك لأنها تريد أن تحتفظ بأسواقها التجارية وأن تظل عنـد أمل الشعوب التي تقع تحت سيطرتها فيها ، فهي تضحي وتطلب إلى شعبها أن يحتمل الرهق حتى لا تغلبها دولة منافسة على أسواقها ، وحتى لا تجد أمة فرصة لاقتحام الميدان عليها ...

فياحبذا لو أخذت وزارة المعارف عندنا بهذا المبدأ في تلبية ما يطلب منا من تأدية المعونات الثقافية في الخارج ، ويا حبذا لو قدرت الوزارة أن الأمر واجب قومي لا بد فيه من التضحية وتجنيد الجهود مهما كنا في أشد الحاجة إلى تلك الجهود .

المعجم اللغوي التاريخي :

يشتغل المجمع اللغوي الآن بإنجاز المعجم اللغوي التاريخي الذي وضعه المستشرق الألماني المعروف الدكتور فيشر ، وقد قدر المبلغ اللازم لطبع هذا المعجم وإخراجه بألف وخمسمائة جنيه ، وإنه في الواقع لمبلغ ضئيل بالنسبة لقيمة ذلك المعجم النافع الذي ليس له مثيل في اللغة العربية .

أقول لا مثيل له في العربية لأنه ليس لدينـا معجم لغوي يشرح تطور الكلمات العربية في دلالاتها ومعانيها وما جرى

فى استعمالاتها المختلفة على نحو ما يعنى به علماء فقه اللغة ، وقد حاول جار الله الزمخشرى فى معجمه « الأساس » وضعاً قريباً من هذا ولكنه جعل قصده إلى إظهار تطور الألفاظ وانتقالها من الاستعمال الحقيقى إلى الاستعمال المجازى . وفى العصر الحديث عمد المستشرق فيشر إلى سد هذه الثلمة فى القواميس العربية ولما لم تكن هناك مصادر تعينه فى قصده جعل كل اعتماده على مراجعة النصوص العربية ، ومعنى هذا أن التراث العربى كله كان مصدر بحثه ، ولقد اضطلع الرجل بهذه المهمة الشاقة فى صبر العلماء وأناتهم حتى استطاع أن يحرر فى ذلك آلاف الجذاذات لتكون مادة القاموس إذا ما رتبت .

وعند ما اختير هذا المستشرق عضواً فى المجمع اللغوى بمصر تقدم إلى المجمع بفكرته وعمله فى هذا القاموس فشهد المجمع بأنها فكرة رشيدة وعمل جليل وأخذ الأهبة للعمل على إتمام هذا المعجم وإخراجه فى وقت قريب .

وكان أن قامت الحرب ، وسافر فيشر إلى بلاده ، وجاءت الأنباء بأنه قضى نحبه فى إحدى الغارات ، وطوى أمله وعمله فى مطاوى الإهمال والنسيان ، إذ لم يكن « ضمير » السياسة يسمح بأن يظهر هذا العمل لذلك العالم الذى ينتسب إلى بنى الألمان مهما كان عمله خالصاً للعلم . ثم انتهت الحرب ، وظهر أن فيشر لا يزال حياً والحمد لله ، وأن أحداث الحرب الرهيبة لم تنسه الرغبة فى إتمام عمله بإخراج ذلك المعجم الذى وقف عليه العمر ، وعلى هذا عاد المجمع يهتم بإظهار هذا الأثر النافع المفيد ، وكل ما نرجو أن لايبدو مايدعو إلى التطويح به والتسويف فيه .

... إنه العلم أمانة ! !

فى مجلة « المباحث » — وهى مجلة تصدر فى تونس لخدمة الأدب والفن والتاريخ والفلسفة — قرأت فصلين متتابعين عن « كتاب ألف ليله وليلة » ، فما انتهيت من قراءتهما حتى تبين لى أنى نظرت هذا البحث من قبل ، ولما أثرت الذاكرة ظهر لى أن الكاتب أخذ بحثه أخذاً كاملا أميناً من بحث كتبه صاحب « الرسالة » عن « ألف ليلة وليلة » ، ومن العجيب أن صاحب « الرسالة » قد حاضر بهذا البحث أبناء العراق ، ونشرته مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، ثم مجلة المعرفة فى مصر ، وأثبتته « دائرة المعارف الإسلامية » فى التعليق على مادة ألف ليلة وليلة وسجله صاحبه فى كتاب « فى أصول الأدب » ، ولكن كل هذا لم يحمل الأستاذ التونسى على الاشارة إلى صاحب البحث إبراء للذمة .

ومنذ قريب تناولت مجلة أدبية سياسية تصدر فى لبنان ، فطالعت فيها قصة لشاب من أبناء لبنان يحسبونه فى الكتاب وفى الشعراء أيضاً ، ولكنى ما كدت أنتهى منها حتى ذكرت أنى قرأت تلك القصة فى مجلة مصرية لكاتب مصرى ، وبعد المراجعة تبين لى أن لا فرق بين القصتين إلا أن الكاتب المصرى جعل فتاة القصة من لبنان والكاتب اللبنانى جعل فتاة قصته من مصر

وكم من عجائب وغرائب ، وكلها من هذا القبيل ، وإنها لجرأة أثيمة ؛ فان من الأمانة فى العلم والإخلاص للأدب أن ينسب كل رأى لصاحبه ، وأن يرد كل فضل لفاعله ، وقد علمنا شيوخنا أن من شرائط الأدب والتأدب أن نسمى الاقتباس اقتباساً ، والنقل نقلا ، وقالوا لنا إن من نسب رأياً إلى صاحبه فقد خلص من تبعته . أما سرقة الأفكار والتطاول بأنها من صنع الابتكار ، فانها لصوصية فى تقدير الأخلاق ، وجريمة فى حكم القانون ؛ وعجز يتدلى بصاحبه فى عرف الناس .

ملاحم البدو :

قرأت فى إحدى المجلات السودانية كلمة يقول فيها كاتبها : « إن فى أشعار البدو الرحل فى السودان وفى دوبيت العرب القاطنين أشعار كثيرة يتفق الخاطر فيها مع الخاطر العربى الأصيل ، ويهيب بأبناء السودان وأدبائه أن يلتفتوا التفاتاً جدياً إلى هذا الضرب من الأدب المقارن . » .

وكنت قد قرأت كلمة للباحث الفاضل الأستاذ أحمد رمزى بك فى جريدة الأهرام أشاد فيها بالملاحم العربية البدوية وقال : « إن ترك هذه الثروة الأدبية التى يملكها العالم العربى بغير بحث واستقصاء وجمع وتسجيل جريمة فى حق الأدب الشعبى والفنى ،

وإنى أطمع فى أن أجد جماعة منظمة تعنى بهذه الناحية وتجمع هذه الثروة الفنية خاصة وأن أثرها لا يزال عميقاً فى نفسية شعوب العروبة » .

والواقع أن ملاحم العرب البدو جديرة بالاهتمام والتسجيل ، ولكننا تغاضينا عن هذا التراث وأهملناه إهمالا كبيراً ، وقد كان للأجانب شغف وعناية بهذا التراث أكثر من عنايتنا به ، فهل آن الأوان لأن نهتم بذلك التراث الحافل ، وأن نبذل له ما يجب من الدراسة والتسجيل ؟

معلوم !

يزور أقطار الشرق العربى فى هذه الآونة مستر دكسون المستعرب الانجليزى استعداداً لإصدار مجلة باللغة الانجليزية فى لندن للدفاع عن قضايا العرب فى الشرق الأوسط وشمال إفريقية ، ويقول مستر دكسون إن مجلته هذه لن تكون ذات صبغة سياسية ، ولكنها ستعنى بالثقافة والعلم والحياة العربية ، وستوزع فى بريطانيا وكندا والولايات المتحدة لكى يعرف الغربيون أكثر مما يعرفون الآن عن حياة العرب وقضاياهم .

وليس مستر دكسون بالرجل الغريب عن أقطار الشرق العربى ، فقد أمضى بها من قبل نحو عشر سنوات ، وتنقل فى مصر والسودان وفلسطين وطرابلس وغيرها من هذه الأقطار ، وهو يتقن اللغة العربية ولا يزال جاداً فى الإحاطة بآدابها وثقافتها ، وقد أنشأ أخيراً الجمعية الاسكتلندية العربية وأسند رياستها إلى السير والتر ماكسويل سكوت كما استعان فى رعايتها بالسفراء العرب فى لندن ، ويقولون إنه الآن بسبيل تأليف جمعية أخرى فى دبلن بإرلندا ...

ولكن ما هذا كله ؟ وهل مستر دكسون يبذل كل هذا العناء للدفاع عن العرب وقضاياهم حقاً كما يقول ويقول أنصاره ؟!

إنها لمفارقة لطيفة ، وإنه لأسلوب من أساليب الدعاية الاستعمارية خبرناه من قبل ، ووقفنا على اتجاهاته وأهدافه ، فما نال أبناء الشرق العربى من ضر مثل ما نالهم على يد أولئك الأصدقاء الأعداء الذين يتطوعون للدفاع عنا ويذرفون الدموع السخينة لحالنا وما هى إلا دموع التماسيح ، ولكن عذر هؤلاء أن هذا الأسلوب لا يزال يجوز على ضعاف العقول من أبناء هذا الشرق الذين تأخذ بلبهم ظواهر الأمور .

إنجليزى يدافع عن العرب عند الإنجليز ؟ ! معلوم ! ! معلوم ويا له من منطق مفهوم ! !

هل هذا صحيح :

كانت كلية الآداب الفرنسية فى لبنان قد وجهت الدعوة إلى الدكتور عبد الرحمن بدوى المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول إلى إلقاء سلسلة من المحاضرات الفلسفية هناك فلبى الدعوة ، ويقولون إنه قد قوبل بالحفاوة والترحيب وإن محاضراته قد قوبلت كذلك بالاعتبار والتقدير .

ولكنى طالعت فى العدد الأخير من مجلة « المعهد » التى تصدر فى جنوب لبنان حديثاً جرى بين محرر تلك المجلة وبين الأستاذ البير عمون صاحب مجلة « الأديب » عرضا فيه لهذه المسألة . فقال الأستاذ عمون — والعهدة على راوى الحديث — « إن دعوة الفرنسيين للدكتور عبد الرحمن بدوى لإلقاء هذه المحاضرات ليست إلا إحدى مناوراتهم ومثالا لأساليبهم التى يخدمون بها مركزهم ويجلبون الناس إليهم ، ولم يلب الدكتور بدوى الدعوة إلا لأن مركزه كأستاذ فى الجامعة المصرية يكاد أن يكون مضطرباً فى المدة الأخيرة ، وذلك على أثر مذهب فيه شىء من الإباحية كان الدكتور قد دعا إليه فى أحد كتبه ، فأثار نقمة أولياء الأمر فى مصر ، وبخاصة أوساط الأزهر ، ولا يستبعد أن يرى الدكتور هذه الدعوة بمثابة تأييد لمركزه ، وهى من كلية فى لبنان بلد العلم والثقافة » .

هذا ما جاء فى ذلك الحديث بنصه وبحروفه ، وأنا رجل شديد الغيرة على أبناء وطنى ، وظنى بهم أباة يترفعون عن أن يكونوا صنيعة لأية دولة مهما عظمت ، وإن هذه الغيرة لتدفعنى إلى سؤال الأستاذ بدوى : هل هذا صحيح ؟ !

« الجاحظ »



واحة الكفرة :

جاء فى (أخبار اليوم) العدد (١٢٩) أن الذى اكتشف واحة الكفرة هو أحمد حسنين باشا رحمه الله ، والباشا رجل أجمعت القلوب على محبته وتجلته ، ولكن الحق يذكر ، وذلك أن أول من زار واحة الكفرة من غير السنوسيين هو صادق باشا العظم رحمه الله أرسله إليها السلطان عبد الحميد موفداً إلى الشيخ المهدى السنوسى الكبير سنة ١٨٨٤ ولم يصل إليها رسول قبله ، وقد وضع عن رحلته تلك كتاباً باللغة التركية ترجمه إلى العربية جميل بك العظم رحمه الله ، وقد أوفده بعد ذلك إلى نجاشى الحبشة منلك سنة ١٩٠٦ ووضع عن رحلته الحبشية كتاباً ترجمه رفيق بك العظم رحمه الله ، ودلة حق بك العظم رئيس وزراء سورية سابقاً ، وعنه روينا هذا الحديث ، والرحلتان مطبوعتان بالعربية .

(قارىء)

خطأ عروضى :

اطلعت فى عدد الأهرام بتاريخ ١٩ فبراير سنة ١٩٤٧ على قصيدة للأستاذ الشاعر محمد الأسمر فى ذكرى وفاة المرحوم أحمد حسنين باشا مطلعها :

أعام مضى أم تلك أحلام حالم ... وذكرى الكريم الحرأم وهم واهم!

قال فيها :

وعدت لنا من حفرة ومجاهل ... ومن عالم تحت الثرى أى عالم !

فوقع فى خطأ عروضى هو « سناد الإشباع » ، وذلك بتغييره حركة الحرف الدخيل بعد ألف التأسيس من خفض فى جميع الأبيات إلى فتح هنا فى هذا البيت الأخير ، وهو خطأ تواضع العروضيون على عدم استعماله أو الوقوع فيه

هذا ، والقصيدة المترعة بالذكريات واللوعات ، لا يغض من قيمتها هنة من تلكم الهنات . والسلام

عدنان أسعد

فى اللغة :

كتب بعضهم فى الرسالة الغراء : (انطلت عليه الحيلة) يريد جازت عليه . وأظن أن هذا التعبير أول ما دخل عن طريق الترجمة . فليت من يدل على تعبير قديم بهذا اللفظ

ويقولون :(حديث طلى) ، والطلىّ كغنى الصغير من أولاد الغنم جمعه طلبان كرغفان (القاموس) . وأما الحسن المعجب فهو الطل (القاموس أيضاً)

فلسطينى

طباق قلعة القاهرة :

كان الأستاذ أحمد رمزى بك أورد فى « الأهرام » نص السخاوى فى كتابه (الضوء اللامع فى تاريخ القرن التاسع) عن سكن ناصر الدين محمد جقمق « بالنور بالقلعة » وقال : هل هناك مكان معلوم للقدماء بالقلعة كان يطلق عليه اسم « النور » ؟

نعم ، كان فى القلعة اثنتا عشرة طبقة ، فى كل طبقة نحو ألف ممن يتلقون دروس التدريب على الجندية والحرب ، مع بعض علوم الشريعة والعلوم المصرية ، ومن هذه الطباق طبقة قائمة على أرض منخفضة ، فسميت « طبقة النور » . وفى « الضوء اللامع » يذكر كثيراً من هذه الطباق كطبقة الرفرف وطبقة الزمام وغيرها .

وهذه الطباق كانت أكبر مدرسة حربية نعرفها فى التاريخ وأقدمها ، وقد تخرج منها آلاف من الضباط والقواد والأمراء ، بل الملوك . ولو جمعت أخبار هذه الجامعة الحربية لجاءت فى كتاب حافل .

وفى خطط المقريزى ، وزبدة كشف الممالك لخليل بن شاهين الظاهرى (المطبوع فى أوربة) مفصل القول على هذه الطباق ونظامها ، وفى در الحبب فى تاريخ حلب لابن الحنبلى بحث عن صلة السلطان النورى بطبقة النور ، ونسبته إليها ، وأنها بفتح النين ، وفى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) شىء من هذا

وكان فى المكتبة التيمورية خزانة خاصة لكتب الفروسية والرمى وآلات الحرب ؛ ألف الكثير منها فى عهد المماليك ، وكان كثير منها يدرس فى طباق القلعة .

محمد عبد الوهاب فايد

حول (اكتبوا للأطفال) :

اطلعت فى مجلتكم الزاهرة على كلمة الأديب محمد سيد كيلانى (اكتبوا للأطفال) ومع تقديرى لاهتمامه بهذا العنصر الهام من عناصر نهضتنا العربية وتدوينه جهود الغربيين فيه آخذ عليه قوله بالحرف الواحد « أما فى الشرق فلم يعن أحد بالاتجاه فى هذه الناحية ... الخ » .

إذ قد قام المرسلون الأميركيون فى بيروت ما بين ١٨٨٥ و ١٨٩٩ بترجمة وطبع كتب كثيرة للأطفال باللغة العربية مثل حكاية روبنصون كروزو وغيرها من القصص الأدبية الأخلاقية (التى لا صلة لها بالدين) مكتوبة بأقلام كبار أدباء سوريا ولبنان يومئذ وموضوعاتها لذيذة وأساليبها شيقة تستهوى عقول الأحداث والأطفال وهى مزينة بالصور الجذابة ، بل أذكر أننى كنت أقرأها وأنا طفل بين العاشرة والخامسة عشرة بشغف وسرور ، وكان لدى العشرات منها وكانت جميعها مطبوعة طبعاً أنيقاً (وأحياناً مشكولة) فى مطبعة الأميركان فى بيروت ولعل الأديب الكيلانى يعثر فى مكتبة خاصة أو فى مكاتب بيروت على نسخ منها .

ثم إن كاتب هذه السطور (ولا فخر) أصدر مجلته الأسبوعية «مجلة الأولاد» فى ١٥ فبراير سنة ١٩٢٣ وظل يصدرها أسبوعياً حتى ١٢ مارس سنة ١٩٣١ وكان يتراوح ما يطبع منها فى مطبعة اللطائف المصورة بين ١٤ و١٦ ألفاً وكانت طافحة بالرسوم المضحكة التى تسر الأطفال وتقر عيونهم وتكتب شروحها باللغة العامية المسجعة وفى أواخر سنيها كان يكتب فيها بلغة صحيحة بسيطة وأضيف إليها معلومات علمية طبيعية وألعاب للتسلية ومسابقات ولم نوقفها إلا لأسباب فنية قاهرة ، وكانت معظم رسومها شرقية مصرية وبعد أن أوقفناها سعى الكثيرون من الأدباء والأديبات إلى إنشاء مجلات للأطفال والأولاد على غرار مجلة الأولاد ولكن أغلبها لم يقو على مكافحة الأزمات ، وكانت آخر محاولة من الأستاذة إجلال حافظ ومجلات أخرى أظن أنها ما زالت تصدر وأذكر أن مجلة الأسبوع الزاهرة وبعض الصحف بدأت بنشر مواد مصورة للأطفال .

اسكندر مكاريوس

تعليق وتعقيب :

١ – اذكر موضوعى حول « طيزناباذ » أديبة فلسطين فدوى طوقان بقصة صاحبة الفن علية بنت المهدى أخت الرشيد ، وإقامتها بطيزناباد بعد منصرفها من الحج ، وهى التفاتة ظريفة من الأديبة الفاضلة أذكرتنى أيضاً بما يشبه هذا الخبر من قصة حج أبى نواس الذى رواه سليمان بن نوبخت عندما أراد الحج فاستصحب أبا نواس بعد نفار منه وامتناع . لكن « راهب الكاس » اشترط على سليمان أن يتقدما الحاج إلى القادسية ، ثم يعرجا « قليلا » على طيزناباذ ، ريثما يصل الحاج فملا .

وكان فى طيزناباذ خمار ظريف ، لطيف الآلة ، يعتق الشراب اسمه «سرجيس» له ذكاء وفطنة فى المنادمة ، فشرب أبو نواس هو وصديقه سليمان ، ثم استيقظ ليصطبح « على عادته » فأنشد :

وخمار أنخت إليه ليلاً ... قلائص قد ونين من السفار

فجم والكرى فى مقلتيه ... كمخمور شكا ألم الخمار :

أبن لى كيف صرت إلى حريمى ... وجفن الليل مكتحل بقار ؟

فقلت له : ترفق بى فإنى ... رأيت الصبح من خلل الديار

فكان جوابه أن قال : صبح ... ولا ضوء سوى ضوء العقار !

وقام إلى العقار فسد فاها ... فعاد الليل مسود الازار

وشك بزالها فى قعر دن ... محفرة الجوانب والقرار

مصورة بصورة جند كسرى ... وكسرى فى قرار الطرجهار

وجل الجند تحت ركاب كسرى ... بأعمدة وأقبية قصار

ثم جلس يشرب مع سليمان ، وبقيا يصلون الليل بالنهار فى اصطباح واغتباق ، حتى ورد عليهما أوائل الحاج قد حجوا وعادوا فرحلا معهم إلى بغداد على أنهما كانا حجاجاً معهم . .

أما الآثار التى كانت شاخصة على عهد ياقوت والعمرى والشابشتى فقد كانت تسمى فى ذلك الحين « قباب أبى نواس ».

٢ — ومما فاتنى ذكره عن قطربل إن حاناتها اختصت بالنظافة وحسن الصفة ، والتألق فى الآلة ، كما امتاز سقاتها وباعتها بالفطنة واللباقة والظرف ، ونظافة المنازل والدنان.

واشتهرت قطربل بالمشمش حتى ذكره البحترى فى شعره قائلاً :

شربت مشمش قطربل   وجرعتنا دقل الدسكره (١)
إذا حُبّ فى الكاس مسوده   فكف النديم لها محبره

وكان ينزل هذه القرية الأعراب الذى يفدون على بغداد من البادية ، وكانت لغتهم فصيحة لم تشبها شوائب اللحن ، وفى القصة الزنبورية خير شاهد على ذلك . فقد نُقل عن الاصمعى أن هؤلاء الأعراب كانوا ينزلون بقطربل ، وأن الكسائى لما ناظر سيبويه استشهد بلغتهم عليه ، وفى ذلك يقول أبو محمد اليزيدى :

كنا نقيس النحو فيما مضى   على لسان العرب الأول
فجاء أقوام يقيسونه   على لغى اشياخ قطربل
إن الكسائى وأصحابه   يرقون فى النحو إلى أسفل !

أما موقع قطربل بالنسبة إلى جغرافية العراق الحالية ، فقد قال صديقنا مصطفى جواد تعقيباً على ما كتبناه فى الرسالة فى العدد ٧٠٤ بكلمته المنشورة بجريدة العراق عدد ٤٩/٩/٢٣ بأنها « فوق الكاظمية بكيلو مترات قليلة مقابل بستان كاظم باشا من الغرب » ويظن أنها « كانت فى الموضع المعروف — اليوم — بالتاجى »

(بغداد)   شكرى أحمد

(١) ابن المعتز فصول التماثيل فى تباشير السرور ص ٤١

النهضة الأدبية فى طرابلس :

منذ زوال الحكم الإيطالى الغاشم عن أرض ليبيا العزيزة « طرابلس وبرقة » والنهضة الأدبية تسير بخطوات ثابتة سريعة بصورة تدعو إلى التقدير والإعجاب .

فهنالك فى كل من مدينة درنه وبنغازى عاصمة برقة التجارية وطرابلس فى جميع هذه المدن قد انتشرت الجمعيات الثقافية والندوات الأدبية التى تتلخص رسالتها فى نشر الأدب العربى وبث روح الثقافة العربية بين جميع المواطنين .

وقد كتب المواطن الفاضل الأديب « صلاح الدين بن موسى » مقالا قيما فى الرسالة (٧١٠) تحت عنوان « الحياة الأدبية فى طرابلس الغرب بين الماضى والحاضر » ولكن فاته أن يذكر فيه كلا من الشاعرين العصاميين الأستاذ أحمد الشارف شاعر طرابلس والأستاذ أحمد رفيق المهدوى شاعر برقة وهما بحق علمان من أعلام الشعر والأدب فى طرابلس الغرب :

ولقد اطلع أستاذنا العقاد على شىء من شعر الأستاذ رفيق فنال إعجابه وتقديره .

(القاهرة)   فرج بن جليل

بطل الريف :

اطلعت فى العدد ٧١١ من « الرسالة » على قصيدة أو بالأصح « مزدوجة » للأستاذ « أبو الوفاء » محمود رمزى نظيم فيها :

واخترعوا فخيّروا ألبابنا   وملكوا بسعيهم زِمامنا
كيف نقول ما لهم وما لنا   إذا استغل علمهم خولنا

« والمزدوجة » كما ترى مؤسسة بألف التأسيس فى الأشطر الثلاثة الأولى إلا فى الشطر الرابع فقد غيّر من التأسيس إلى الردف وهو حرف الواو ، وذلك ما نص العروضيون وتواضعوا على خطئه وعدم جواز استعماله .

وهى هنة هينة والسلام .

(الزيتون)   عدنان أسعد



أسطورة من الأدب الروسى :

الخـــير والشر ...!

للكاتب الفيلسوف ليو تولستوى

[مهداة إلى أستاذنا الفاضل محمود الخفيف]

بقلم الأستـــاذ مصطفى جميل مرسى

[من الهدى والتوفيق أن تنقل هذه القصة الرفيعة إلى العربية فى الحين الذى يقوم فيه الأديب الكبير الأستاذ محمود الخفيف بترجمة رائعة لحياة ذلك الفيلسوف الذى ذاعت شهرته الأدبية وشاعت عبقريته الفلسفية فى جميع أنحاء العالم،وترجمت كتاباته وقصصه إلى معظم اللغات فى مختلف البلدان ... وقد سبق لنا أن قدمناه إلى قراء « الرسالة الغراء » فى قصة « الملاك » التى نشرناها تباعاً على صفحاتها فى شهر أغسطس سنة ١٩٤٦

وفى هذه القصة التى تتنازعها عوامل الخـــير والشر ، وتضطرب فيها دوافع الحق والباطل ... نلتقى بعبقرية تولستوى الفذة وعقله الجبار فى خير ما سطره يراعه فى تمجيد الفضيلة ورفعتها . ! فهو يجلو لنا فى ثنايا هذه القصة صفحة بارعة من الحلم والتسامح والعفو وضبط النفس التى تنزع بالمرء إلى ركوب متن الشطط والغى ... وقد رأينا أنه من الأفضل أن نتناول عنوان هذه القصة بالإيجاز والتحوير لطوله ... فهو فى الأصل الذى نقلنا عنه « Evil allures, but good endures »] .

« م . جميل »

حدث فى الأيام التى خلت وطوتها صفحات الدهر منذ القدم ... أن كان ثمت رجل رضى النفس طيب القلب جليل الشأن عظيم القدر ... أقبلت عليه الدنيا وأتاحت له وفراً فى ماله فملك الضياع والديار ... وراح يعيش فى ثراء ورغد ، ومن حوله جمع من العبيد يقومون على خدمته ويتولون قضاء حاجته . وقد بثهم سيدهم من الود وأخلص لهم من العطف ما جعل أفئدتهم تخفق بحبه وألسنتهم تلهج بحمده . !

وراحوا يتيهون بسيدهم فخراً وزهواً ، ويغبطون أنفسهم على هذا الفضل وهذه النعمة ويعربون لجيرتهم عن مبلغ هنائهم قائلين :

« لم تطلع الشمس على من يضاهى سيدنا فى طيبته ورقة عاطفته ... فهو يطعمنا إذا ما أدركنا الجوع ، ويخلع علينا من الثياب كل طريف ومن الأبراد كل جميل ، ويهيىء لنا أعمالا تتفق ومقدرتنا وقوتنا ... وما تلفظت شفتاه يوماً بكلمة سوء يرمينا بها ولا يبيت لنا حقداً ولا ضغناً .. فما هو كالسـادة الآخرين الذين يذيقون عبيدهم هول العذاب ويقسون فى عقابهم سواء أحق عليهم أم لم يحق . ! ولا يحنون عليهم بكلمة عطف ولا يواسونهم إذا ما مسهم الضر ... أما سيدنا فقد وهبه الله قلباً يتمنى لنا الخير ونفساً ترجو لنا السعادة ... نحن لا نأمل فى حياة أهنأ ولا أرغد من هذه . ! » .

فضاق الشيطان ذرعاً بذلك الحب والود الذى يكنه العبيد لسيدهم ، فعمد إلى واحد منهم يدعى « ألب » فسخره ليوغر صدورهم ويشيع بينهم الفتنة والعصيان ويسرب إليهم الفساد ...

وبينما هم جلوس ذات يوم يتناقلون حديث العطف والكرم الذى يسبغه عليهم سيدهم ويحوطهم بفضله ... رفع «ألب» صوته قائلا فى خبث ودهاء: « إن من الغباء والحمق أن نغرق سيدنا بهذا الحمد ونحيطه بتلك الهالة من المديح ... وهو لا يستحقها . فالشيطان قدير وكفيل بأن يكون كيساً رقيق الحاشية معكم إذا ما أديتم له كل ما يروم ! . فنحن نخدم سيدنا فى وفاء وإخلاص ونحقق له كل ما يساور نفسه ويراود فؤاده من بغيات ... فما الذى يسعه سوى أن يكون رحيماً كريماً معنا ؟! . دعونا نحاول أن ندفع إليه ضرراً ما ثم ننظر ما يكون من جلية أمره ... وإنى لعلى يقين من أنه لا يفضل أقرانه السادة . فلسوف يلقى إساءتكم بمثلها بل بأشد منها ... » .

فانطلق بقية العبيد ينكرون هذا القول ، ويدرأون الشبهات عن سيدهم وولى نعمتهم ... بيد أنهم ما لبثوا أن عقدوا فيما بينهم رهناً مع « ألب » الذى أخذ على عاتقه أن يثير حفيظة سيده

ويلهب غضبه ... وقد تمهدوا بأن يدفعوا إليه بالثياب التى يحرمه منها سيده ، ويقوموا مدافعين عنه أمامه أو يمدوا إلى إطلاق سراحه إن حبس أو غل بالقيد !.

كان «ألب» راعياً مسئولا عن فِزْرٍ من الغنم النادرة الغالية التى يعتز بها سيده ...

وفى اليوم التالى حينما أقبل سيده فى صحبة من أضيافه ليريهم ويمتع ناظرهم بتلك الأغنام الكريمة ... غمز «ألب» بحاجبه لرفاقه وكأنه يقول لهم «انظروا الآن إلى أى حد سأثير غضبه وحنقه !..».

وتجمّع العبيد يمدون طرفهم من فوق سياج المرعى! وتسلق «الشيطان» شجرة سامقة حيث استقر فوقها وراح يرقب ما سوف يعمله «ألب» خادمه ورسوله . !

وتهادى السيد مع صحبه يعرض عليهم شياهه وحملانه ... وانثنى يقول لهم وقد رنّ فى صوته جرس الإعجاب والزهو: «إنها جميعاً كريمة نادرة ،ولكن بينها كبشاً أصوف أعقص القرن — لا يقدر بمال — أعتز به كما أعتز بمقلتى .! ».

وشاع الاضطراب بين حشد الأغنام ، فانطلقت تعدو إلى جهة أخرى من المرعى ، فلم تنهز للزائرين سانحة لرؤية ذلك الكبش الذى نوه صاحبه بجلال قيمته وعظم شأنه ...

ولم تكد تستقر الشياه فى مكانها حتى أثارها «ألب» من جديد فعادت تجرى إلى كنف آخر ، وهى تضطرب فيما بينها ، وفوّتت على الزائرين نهزة اجتلائها وتبيُّن الكبش . . فلم يجد السيد بداً — وقد أدركه العناء وبرح به الإعياء — من أن يدعو «ألب» قائلا : «أرجوك أن تحول بين ذلك الكبش الأعقص القرنين وبين الهرب وأمسك به ممتنياً حتى تتاح لنا رؤيته» !

ما كاد السيد يقول ذلك ، حتى انطلق «ألب» بين الشياه كالأسد الذى يسعى بين رعيل من الظباء ! . وقبض على صوفة الكبش فى عجلة وتناول رجلا من أرجله فلواها فى شدة حتى تهشمت عظامها وصارت له قعقعة الغصن اليابس حينما يطؤه الإنسان . . لقد حطم ساقه وجعله يخر على الأرض وهو يثاج ويثنى فى ألم . .

ثم لم يلبث «ألب» . أن أمسك برجل أخرى وحاول أن يلحق بها ما أصاب سابقتها !

فصاح الزائرون فى جزع ، وهتف العبيد فى هيمة وفزع . وطرب الشيطان وهو قابع فى مكانه على الشجرة ، وهلل فرحاً لما رأى من نجاح خادمه وهو يسعى لإثارة سيده ! وتقطّب جبين السيد وعلتْهُ كآبة سوداء تنذر بعاصفة هوجاء ، وزمهرت عيناه وقد اتقد فيهما لهيب الغضب والحنق والسخط . . وقد كاد أن ينشق من الغيظ . . بيد أنه طاطأ برأسه ولم ينبس ببنت شفه . .

ران الصمت — ولكنه صمت رهيب — على الأضياف وعلى العبيد وقد تعلقت أنفاسهم يترقبون ما سوف يتمخض عن هذه الجناية على الكبش المسكين الذى لا يُلفى له نظير !

وبعد هنيهة من السكون ، هز السيد كتفيه وكأنه قد تخلص من حمل ثقيل كان يجثم على قلبه ... ثم لم يلبث طويلا حتى رفع رأسه ومد بصره إلى الأفق البعيد مستغرقا فى فكره لا يريم . !

وبغتة . ! غاب التقطب عن صفحة جبينه وانفرجت أسارير وجهه وهدأت نفسه وقد عصف بها الاضطراب ... ونظر إلى «ألب» فى عطف وعلى ثغره ابتسامة عذبة ... وقال فى صوت رقيق شاعت فيه الوداعة والطمأنينة :

«إيه ... يا ألب ... لقد أغواك صاحبك الشيطان بإثارة غضبي ولكننى سوف أخيّب مسعاه وأثير غضبه هو ... فلست بحانق عليك ولا ساخط منك ... إنك لتخشى عقابى ويداعب نفسك أمل فى أن أعتق رقبتك ! . فاعلم - إذن — أنى لن أمسّك بسوء ، كما أنى — أمام هؤلاء الأضياف وتحت سمعهم وبصرهم — أطلق حريتك ... فاذهب أينما شئت ... فأنت حر من هذا اليوم . ولك أن تحمل معك ما تود من ملبس وطعام . »

* * *

وانثنى السيد عائداً مع رفقته إلى داره فى هدوء وبشر أما الشيطان — وقد باء مسعاه بالخسران المبين — فقد هوى من فوق الشجرة ... وغار فى الأرض ...

(القاهرة) **مصطفى جميل مرسى**

مطبعة الرسالة

العدد ٧١٤ — الاثنين ١٠ مارس ١٩٤٧ — السنه الخامسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٥٢٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

١ — الأعمال اللازمة لبناء ثلاثة فصول فوق مبنى مدرسة النشاوى باشا الابتدائية للبنات بطنطا .

٢ — الأعمال اللازمة لأنشاء دور علوى أعلى الدور الأرضى لإدارة معهد المنشاوى بطنطا .

٣ — الأعمال اللازمة بمسجد المنشاوى باشا المجاور للسراى بالقرشية .

٤ — الأعمال اللازمة لدهان مقاعد الجلوس لمعهد المنشاوى باشا بطنطا .

٥ — الأعمال اللازمة فتح باب لمعهد المنشاوى باشا وعمل حاجز بينه وبين المسجد بطنطا .

٦ — توريد وتركيب فرن كبير لمطبخ سراى المنشاوى باشا بالقرشية .

إعلان

تشهر وزارة الأوقاف العمليات الموضحة بماليه وقف المنشاوى باشا الكائنة بطنطا والقرشية فى المناقصة العامة وتقبل العطاءات « بقسم المخازن والمشتريات لغاية ظهر يوم ٢٤/٣/١٩٤٧ ويمكن الحصول على مستندات هذه العمليات من خزانة الوزارة نظير مبلغ ٦٦٠ مليما .

والمدة اللازمة لإتمام الأعمال موضحة على كل مقايسة .

15me Année No. 714

Lundi — 10 — 3 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٧١٤ « القاهرة في يوم الاثنين ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٦٦ — ١٠ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

إنه جهاد لا سياسة !

للاستاذ محمود محمد شاكر

عجبتُ أشدَّ العجب حين قرأتُ في الأسابيع الماضية خبر وَساطة سورية ولبنان وغيرهما من بلاد العرب والتى أرادوا بها اجتلابَ التفاهم بين بريطانيا ومصر والسودان . ومعنى ذلك أن البلادَ التى دفعتها الغيرة والصداقة والقُربَى إلى هذه الوساطة ، تَتَمنى أو تظنُّ أو تؤمِّل أن تكون المفاوضةُ بيننا وبين بريطانيا خيراً من الارتفاع إلى مجلس الأمن أو الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة ، ليقضى بيننا فيما اختلفنا فيه !

وللعجب من مِثْل هذا الفِعْل وجوهٌ كثيرةٌ . فمن ذلك أننا ظللنَا نُفاوض هذه الدولة المتغطرسة سنين طوالا مغرَّرِين بالمفاوضة ، فما أجدتْ علينا إلا ألواناً من البلاء ، وعلمتنا ضروباً من كَذِب الألسنة واحتيالها وخداعها ، وعرفنا أن بريطانيا تراوغُ ما استطاعت المراوغةَ ، وتتجنَّى ما أطاقت التجنِّى ، ولا نكسبُ نحنُ من ذلك شيئاً إلا الفرقَة والتدابُر والتنابُذ والتشاتُم ، وهى كلُّها من مبيدات الأمم . نعم ، وكانت العِبْرة التى لا عِبْرة بعدها أن القوم الذى ظلُّوا أكثر من خمسة وعشرين عاماً يُصرُّون على أن المفاوضة هى خير طريقٍ لاستنقاذ حقوقنا من الأيدى الغاصبة ، هم هُم القوم الذين عرفوا أن لا جدْوى من المفاوضة ، فقطعوها وآثروا أن يرفعوا الأمر إلى هيئة دولية تحكُمُ بيننا . هذا فضلا عن أن صريح الرأى ، وصريح الدلالة ، وصريح التجربة ، تُوحى جميعاً بأن بريطانيا لم تستفد قطُّ من شىء فى هذا الشرق المبتلى بها ما استفادت من مبدأ المفاوضة . فهو الذى أتاح لها فى مصر مثلاً أن تُطفىء جمرة الشعب المصرى التى ظلَّت تتوهَّج فيما بعد سنة ١٩١٩ ، حتى صدق فيها قول المتنبى :

وكم ذا بمصر من المضحكاتِ ولكنه ضحكٌ كالبُكَى

فمن هذه المضحكات المبكية ، ما كان من تغرير المفاوضين الذين جاءوا بمعاهدة ١٩٣٦ ، والذين استطاعوا أن يصبُّوا فى آذان الشعب من الكلام الفاتن حتى احتفل بها احتفاله المذكور على أنها « معاهدة الشرف والاستقلال » ! ! ومن ذلك أن ترى شعباً قد أُوذى وامتُهِن وحقِّر على يدِ فئة من طُغاة العسكريين فإذا هو يحمل ممثل هذا الشعب بعدَ قليل على الأعناق ! ونحنُ لا نذكر هذا رغبةً فى ذكره ، ولكن الذين توسَّطوا ينبغى لهم أن يعرفوا هذه الفظائع التى أورثتنا إياها مبادىء المفاوضة وما يتبعُها .

ومن أساس العجب أيضاً أن سورية ولبنان تعلم حقَّ العلم ، وتعلم بالتجربة التى جربتها مع الفرنسيين ، أن المفاوضة لا تجدى ، وأنها لم تنلْ حقَّها إلا حين كانت يداً واحدةً تطالب بحقها المغصوب ، فلم تقبل معاهدة ولا شروطاً ولا وعوداً تمد بها

فرنسا ، وأصرَّت على ذلك إصرارَ الكِرامِ القادرين ، فإذا فرنسا تجلو بجيوشها جميعاً عن كل بقعةٍ من بقاعها ، وكل مكتب من مكاتبها . فالذين يعرفون هذا فى أنفسهم ، إذا هم أتوا خلافه ، أو أرادوا غيرهم على إتيان خلافه ، إنما يزيدون العجبَ عجباً ولا ريبَ .

أما العجبُ العاجبُ فهو أن هذه الدول التى بذلت وساطتها نسيتْ موقف بريطانيا فى مسألة السودان كل النسيان ، وغفلت عن السرّ الذى دفع بها إلى إيثار التشدّد على المساهلة ، والصراحة على المواربة . وذلك أنها لا تريدُ أن تفصِل السودان عن مصر مُكايدةً لها أو انتقاماً منها ، بل لأنها لا تريدُ الجلاء عن مصر كلّ الجلاء ، وهى تعلم أن السودان هو مصر ، فبقاؤها فيه هو بقاؤها فى مصر سواء بسواء . ولكن بريطانيا لا تريدُ أن تفضح نفسَها بالإصرار على البقاء فى أرض مصر ، فاخترعت قصة الدفاع عن مصير السودان واستقلاله أو تهيئته للحكم الذاتىّ وأنه لا بُدّ لذلك من أن تبقى فيه حتى يتهيّأ ويستعدّ ، وأن تمنع مصر الباغية من العدوان على السودان ! ! وهذا كله تدليسٌ بيّنٌ ، وكنا نرجو أن يعرف المتوسّطون حقيقة هذه المسألة على وجهها فيكفُّوا عن الوساطة التى تعودُ بنا إلى المفاوضة — أى إلى تعذيب الشعبَ المصرىّ السودانىّ سنين أُخَر ، وإلى بقاء العالم كله جاهلا بعدالة قضية مصر والسودان على وجهها الصحيح .

وأما أعجبُ العجبِ : فهو أنهم نسوا ما تُلاقى فلسطين على يد البريطانيين اليوم ، من إرخائها الحبْل لنذالة الإرهاب اليهودى ومعاونتها فى هجرة اليهود بأساليبها الخدّاعة ، واحتمالها فى ذلك الأمر ما لم تكن تحتملُ قليلا أو كثيراً من مثله حين ثارتِ العربُ على ظلمها وبغيها وعدوانها هى وأشياعها من يهود . وهل ننسى ، نحن العرب ، لم وعدت بريطانيا شُذّاذَ اليهود الذين ضربَ الله عليهم الذلة والمسكنة ، بأن ينشئوا فى فلسطين وطناً قوميًّا ، ثم معاونتهم لهم فى ذلك ، ثم إغضاءها عن جشع اليهود بعد ذلك وطلبهم إنشاء « دولة يهودية » تقوم فى قلبِ الأوطان العربية التى تحيط بها من كل ناحية ؟

إن الوساطة لا تكون حقاً إلا حين تتوسّط بين شريفين كريمين يُحْسِنان تقدير الوساطة . فما الذى رأته سورية ولبنان وسواهما من الشرف والكرَم فى تاريخ بريطانيا فى بلادِ العرب حتى تركب هذا المركب الوعر ؟

الجواب : لا شىء ، بل النقيضُ هو الصحيح .

***

وأنا لا أكتب هذا عتاباً ولاملامةً ، فأنا لا أشك فى أنهم جميعاً إنما أرادوا الخير ، وظنُّوا الخير ، وعملوا للخير ، ولكن غير ذلك كان أولى وأدلّ على فهم الحقائق .

لقد وضعت الحربُ العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) فإذا الشعوب العربية فِرَق مقطَّعة بين الدولتين الباغيتين فرنسا وبريطانيا ، وكان رأى العرب مفرّقاً ضائعاً فى فوضى الاضطراب الذى أعقبَ الحرب ، ومع ذلك فقد قامت الثورات فى كل مكان مطالبة بالحقوق الواضحة التى لا جدال فى وضوحها ، فأنكرتها علينا بريطانيا وفرنسا ، ولكنّا مع ذلك ثُرْنا وبقينا نثور فى كلّ مكانٍ .

ثم جاءتنا الحرب العالمية الثانية ، فإذا رأى العرب مُجتمع غير مفرّق كما كانَ بعد الحرب الماضية ، وبدأنا نثورُ فإذا الثورات قد خمدت بعد قليلٍ ، وإذا نحنُ نوشِكُ أن نتفرق بعد اجتماع . ولعلّ هذا رأى غريبٌ مع ما نرى من قيام الجامعة العربية ، ومن تصريحها فى مناسبات كثيرة بأنها تؤيد مطالب مصر أو مطالب غيرها من الأمم العربية بالإجماع . بيد أن السبب الذى من أجله أخشى تفرُّق الكلمة هو ما رأيت من أمثال هذه الوساطات التى تردّ كلُّها إلى سبب واحدٍ ، هو أن الرأى العربىّ لم يدرُسْ القضايا دراسة مستوعبةً ، ولم يتخذ لنفسه خُطّة بيّنةً واضحة فى كل قضية . وأظنّه لو فعل ذلك لنفى من قلبه خاطرَ هذه الوساطات بين أقوام العرب ، وبين الدول المتغطرسة التى لا أمانة لها ، ولا هدفَ لها إلا استعباد هذا الشرق بأساليبِ « مطابقة لمقتضى الحال » .

وإنه لأولى بنا جميعاً ، نحن العرَب ، أن نصارح بالعداء كلّ أمة من أمم الطغيان الاستعمارى ، وأن نحذرَ كلّ الحذر مزالق السياسة وأساليبها الخدّاعة ، فإننا أمم مجاهدةٌ ، وينبغى أن نظل مجاهدة حتى تنال حقها فى كل مكان ، من أقصى

الشرق إلى أقصى الغرب . والمجاهد مُقاتلٌ ، لا صاحب سياسة ومُوَاربة ومداراة ، فإن ضررَ هذه الثلاثة على الشعوب المجاهدة أكبرُ من أن نَغفُل عنه أو نتهاون فيه .

وأنا أتعجّبُ أحياناً : لماذا لا تتعاونُ الدول العربية جميعاً والدول الشرقية الخاضعة للاستعمار ، فتهبّ هبّة رجل واحد ، وتقاطع هذه الدول الباغية ، وتقول لها : إنى لن أتعاون حتى أنال كلّ حقوق كاملة غير منقوصة ! وهذا شىءٌ ليسَ بغريبٍ بعد قيام هيئة الأمم المتحدة التى يزعمون أنها أنشئت للمحافظة على سلام العالم ، والتى تنقض مبادئها كل حجة تقالُ فى مسألة مخافة العُدْوان على هذه الأمم بعد خروج الجيوش المحتلة من أراضيها ، ولو فعلنا ذلك ، وأبينا أن نُلقى السَّلَم حتى تحلّ هذه القضايا الكثيرة التى عقّدتها بريطانيا وأشياعها من الدول المستعمرة ، لكان قريباً أن ننال كل ما نريد ، ولكان ذلك معواناً للشعوب العربية والشرقية على الشُّعور بقوّتها وعزتها واجتماع كلمتها ، ولكان ذلك وِقاء لنا من أن نكون كما نحن الآن : خداعٌ يُراد بمصر ، وخداع يُرادُ بالسودان ، وخداع يُراد بالمغرب ، وخداعٌ يرادُ بالهند وما جاوَرَها .

إنه ليس عجيباً . بل الدلائل على صدقه وعلى صلاحه ما رأينا من نتائجه بعد قيام الجامعة العربية التى لا تزال فى أول نشأتها . فالجامعة العربية على قلة وسائلها وقلة تجربتها ، قد جعلت العالم الغربى كله يتنبّه إلى أن فى الدنيا شيئاً من القوة لا يَنفع فى الخلاص منه سلاحٌ فتّاك ولا غطرسةٌ حربية . فإذا اجتمعت الكلمةُ فى الشرق كله ، وهبّت الأمم الشرقية كلها مرة واحدة لاستيقظ العالم كله على صوت هذه الضجة المدوّية ، ولطالبت الأمم الغربية نفسها بدراسة هذه المسائل المعقّدة وفهمها على وجهها الصحيح ، لا على الوجه الذى ظلّت بريطانيا وسواها من حكومات الاستعمار تعمل جهدها سنين مطاولة على تدليسه وبثه فى صحافتها وكتبها وإذاعاتها . فلا سبيل إلى ردّ هذه الأكاذيب جملة واحدة إلا بأن نشعر العالم جملة واحدة بما نريد ، فيتنبّه ويستعدُّ للمعرفة ، فنتخذ عندئذ كل وسيلة إلى إفهامه عدالة قضايانا ، ونكشف له عن الأكاذيب التى أذيعتْ عليه من قبلُ ، ونفضح أساليب سياسة الاستعمار فى تشويه الشعوب وقضايا الشعوب .

هذا رأىٌ ، وطريقة العمل له ميسرة وواضحة . وهو شىءٌ كبيرٌ ، ولكن صاحب الحقّ الذى يستهوِل الإقدام على بيان حقه بالأساليب التى ينبغى اتخاذها وإن عظمت ، لن ينال شيئاً إلا العجز ، وتراكم العجز بعد العجز ، ثم ضياع حقه إلى الأبد .

ولقد بدأت مصر والسودان تخرج بقضيتها عن محيط المفاوضة إلى الاحتكام إلى الدول الممثلة فى هيئة الأمم المتحدة ، فينبغى على كل عربى وشرقىّ أن يحرّضها على ركوب هذا الطريق وإن شق مسلكه ، وينبغى على كل دولة عربية وشرقية أن تقف صحافتها وإذاعتها صفًّا واحداً للجهاد فى سبيل مصر والسودان — أى فى سبيل فلسطين وليبية ومراكش والجزائر وتونس والهند وما والاها ، أى فى سبيل الدفاع عن حقوق جميع الشعوب التى ذاقت مرارة الاستعمار ونكاله أجيالا أو أعواماً . والعاقبة للمجاهدين الصابرين على لأواء الجهاد وبأسائه .

محمود محمد شاكر

مصر العربيـــة

للأستاذ أحمد رمزى بك

كتب أبو حيان التوحيدى عن العرب بعد أن شملتهم الدعوة والنبوة والشريعة فقال : « قد رأيت كيف تحولت جميع محاسن الأمم إليهم . وكيف وقعت فضائل الأجيال عليهم ، من غير أن طلبوها وكدحوا فى حيازتها أو تعبوا فى نيلها ، وهكذا يكون كل شىء تولاه الله بتوفيقه وساقه إلى أهله بتأييده » . وتلك حال مصر العربية من يوم أن دخلها عمرو بن العاص وصحبه منقذين ومخلّصين ، يحملون أعلام الحرية لا فاتحين وغزاة . فهذه البقعة من الأرض التى خاطب أهلها عمرو من مسجده العتيق بالفسطاط فقال لهم : « اعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم ، نتجه قلوبهم إليكم ، وتتشوق إلى دياركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية » . قد خط الله لها فى سجل قدره وإرادته أن تكون من البدأ قلب العروبة ، فهيأ لها أن تجتمع محاسن الأمم إليها وفضائل الأجيال عليها ، ومهد لها رجالا أتوا إلى الوادى لخدمته ، بعبقريتهم وسيوفهم ، وكان أن صمد أهل مصر طول القرون الماضية وهم فى رباط دائم ، يخدمون الإسلام والعروبة بعلمهم وفكرهم ، ويذودون عن الإسلام ونفوذ المسلمين بإيمانهم وسيوفهم ، ألم تقم دولة آل طولون بمـا تعهدت به للدولة العباسية من حماية الشام وأهله والعواصم والثغور فى طرسوس وما حولها ؟ ألم يدرك المرض الأمير أحمد بن طولون فى أنطاكية وهو عائد من جهاده ضد الروم فى آسيا الصغرى ليموت بمصر ؟

تلك سنة الله التى اختطها لأهل مصر فى الأعصر الخالية ، فكتب عليهم القتال والجهاد والشهادة وحمّلها لهم أمانة لجند مصر وأمرائها وملوكها ، فما وهنت أعناقهم عن حملها ، وإنما ساروا بها لألف سنة والنصر يواتيهم ، والشهادة تلاحقهم ، وكتبوا بدمائهم صفحات من المجد الخالد ، يعرفها كل من اطلع على تاريخ مصر العربية الإسلامية وشوكتها أيام استقلالها وعظمتها كما اعترف بها كتاب الغرب الذين كشفوا بأبحاثهم عن معارك الحروب الصليبية ، وإن ود كثير منهم أن يطمسوا الحقائق وتبعهم فريق منا يحاول التقليد ليخفى من أثر مصر وجهادها فى تاريخ الإسلام والعروبة .

إننا فى حاجة دائماً إلى من يذكرنا بمواقف مصر وجهاد أهلها السابق ؛ لأن هذا التاريخ الذى تنطق صفحاته بأيام النصر المتلاحقة المتتابعة عنصر هام من عناصر التكوين الروحى والعقلى للأمة المصرية ، وهـذا الإيحاء الدائم المتواصل المستمد من تاريخنا الإسلامى والعربى هو مصدر روحى لقوة الأمة وعبقريتها واستعدادها للتصادم ومقارعة الأحداث .

وأعود بهذه المناسبة إلى كلمة نشرتها[1] عن الفكرة العربية وحاجتها إلى مجهود عدد كبير من المفكرين والباحثين ونظرت إليهـا كجزء مكمل للتكوين الروحى والعقلى للأمة المصرية . بل ذهبت فى إيمانى بها إلى تقرير مبدأ يتلخص فى أن الكثير من مشاكلنا الخلقية والقومية ، والتى تبدو لنا صعبة الحل ؛ سيسهل علينا مواجهتها على ضوء الأسس الاجتماعية التى لا تعتمد على العقل وحده بل تحرك القلوب والمشاعر ، وليس أعظم من الإيحاء الدائم المستمد من التاريخ الحى لتلقين الجماعات وإشعارها بالدور الذى لعبته فى الماضى وتهيئتها لمواجهة المستقبل ومصاعبه .

ونحن الآن فى مصر أمام حركة قومية تحدث العالم عنها ، ووقفت البلاد إزاءها وقفة من تلك الوقفات التاريخية الخالدة ، إذ أجمعت الأمة ممثلة فى أحزابها ورجالها وساستها فى المطالبة بحق ثابت لها ، وهـذا عمل عظيم رائع يملأ النفس تفاؤلا ويكاد يشعرنا بأن الأيام المقبلة ستكون حتما أسعد لنا من الليالى القاتمة السواد التى مضت . وإنا لنحس بأن هذه الدفعة وليدة الوعى القائم والرغبة المنبعثة عن إرادة شاملة للتحرر ، بل فيها ما يقنع بأن هذه الإرادة ترمى إلى أبعد من ذلك كله : ترمى إلى إثبات كفاية هذه الأمة ومقدرتها على التقدم وإلى تأكيد شخصيتها وتحررها من الصلات القائمة لكى تعتمد فى حل مشاكلها القادمة على القوة الكامنة فيها وحدها . هذه حالتنا اليوم فى موقفنا إزاء الأحداث القادمة ، ولئن شغلتنا قضية البلاد بمشاكلها الداخلية والخارجية ومصاعبها ؛ فنحن فى حاجة ماسة إلى تمهد هذه اليقظة ، بعمل دائم من رجال الفكر ، لكى تقوم هذه النهضة على أساس عقلى دائم ، ولكى تبرز القيم الروحية لهذا الوعى ، حتى تغمر الدوافع القومية كل طبقات الأمة . فيكتب لنهضتنا الدوام والاستمرار ، وتحمل طابع الخلود الذى يلازم

(١) « الرسالة » عدد ٦٠٦ فى ٢٨ يناير سنة ١٩٤٦

الحركات القومية الكبرى .

وهذا ما يدعونا إلى تقرير بعض المبادئ العامة التي تصلح لأن يؤمن بها كل منا . فالمبدأ الأساسي الذي تقوم به علاقات هذا الوطن بالعالم : يتلخص في أن الأمة المصرية في نضالها وكفاحها لا تضمر شراً لأحد من الناس أو لإحدى الدول الأخرى ، وإنما تطلب معاملة الند للند ، أي لا تسمح لأي دولة أن تعاملها معاملة أقل من المعاملة المعتادة التي توجد بين دولة أوروبية ودولة أوروبية أخرى ، أي المعاملة الدنية التي تفرض أوروبا قيامها مع أي مجموع راق متطور . ومعنى ذلك أن هذه البلاد كاملة السيادة فهي ليست مستعمرة ، وعلى من يعيش فيها أن يخضع لأنظمتها وقوانينها ومحاكمها وتشريعها ويرعى قواعد الضيافة ويعود نفسه على احترام الأمة المصرية وتاريخها وتقاليدها .

وتستند هذه القاعدة لقيام صلات مع العالم المتمدين ، على مبدأ شامل عام : هو أن الأمة المصرية تسكن هذه الأرض المعلومة بحدودها ، وأن لها على أرض الوطن الحق الطبيعي التاريخي الثابت ، وما من شك في أن هذه الأمة ممثلة في أفرادها وجماعاتها وهيئاتها ، تريد أن تحيا وهي متمتعة بكل حرياتها التي تكفلها حقوق الإنسان ، وأن تتمسك بكامل شخصيتها ومميزاتها . ومعنى ذلك أنها لن تتنازل عن شيء من حرياتها ومميزاتها لأن كل هذا وديعة بأيدي الجيل الحالي سيسلمها كاملة وبأمانة إلى الأجيال القادمة وهي لا تقبل التفريط أو التساهل ، لأن الأمة التي تفقد هذه الأشياء تصبح في النواحي التي ضعفت لديها ، فريسة سهلة لما يحيط بها من تأثير الأمم الأخرى .

وأعظم مظاهر الشخصية للأمم هي اللغة : ولغتنا العربية هي من أعظم لغات الأرض بل هي أقوى اللغات السامية التي شقت بحيوية أهلها طريقها في التاريخ ، وتمثلت فيها عبقرية الأمم العربية وتفوق الفكر السامي وقدرته على الخلود ومواجهة أحداث الزمن ونكباته ، ولها ميزة انفردت بها عن سائر اللغات السامية وهي أن غيرها فني وانقرض وبقيت لغتنا خلال القرون وهي حافظة على قوة التعبير والقدرة على التطور والإبداع .

وفي العالم الحديث ثقافات متعددة أو هي بعدد الأمم الحية وللعصر اتجاهات ، ولكن لنا ثقافة نريد أن تكون حية وهي ثقافتنا العربية وليدة كفاحنا وجهادنا . لا ننوي أن تطغى عليها ثقافة أخرى من لاتينية أو انجلوسكسونية أو سوفييتية مهما علا كعب أهلها في مضمار الحضارة ، لأن ثقافتنا جزء ثابت مكون للشخصية المصرية لا يمكن أن نتنازل عنه أو نقصر في حقه بل يجب أن يبرز في كل ركن وناحية من نواحي نشاطنا . ونحن نطمع أن نأخذ بما في الكون من أشياء نافعة وأفكار مبدعة ، ونريد أن نساهم بقسط في تطور الفكر وإبداعه ، فذلك حق لنا وضرورة لازمة ، ونطمع فيما يطمع فيه غيرنا وهو استكمال النقص فينا لإبراز عناصر الحياة وتدفقها في ثقافتنا وجعلها حقيقة عالمية تفنى فقط حين يفنى العالم بأكمله .

ونحن نعرف ما في قوانين الطبيعة من تفاوت وتفرقة ، وما تمليه قواعد الطاقة ونظم الحياة الحديثة وما في العالم من قدرة وقوى محركة ، ونعرف مواطن النقص لدينا وأماكن الضعف عندنا ، ولكننا سنقبل المعركة كما دخلها الآباء والأجداد من قبل ، سنتقدم بغير هوادة ، لا تقدم اليائس بل تقدم الواثق من نفسه ، سوف لا نقف بعد اليوم لأن الجمود تراجع ، وستبرز فينا القوى الكامنة والمستمدة من عناصر الفتوحات الكبرى بشكل يبهر العالم . ولا يغرنكم ما ترون من تطاحن وتناحر واختلاف وتنابذ ، إن ما يبدو مستحيلا أو بعيداً للوصول إليه سيتحقق ، وسترى الأحزاب مدارس لإخراج الرجال وتدريب القادة ، ستملي النهضة قوانينها الثابتة المستمدة من روح الحياة والتاريخ ، وتأخذ سيرها الطبيعي بعد التحرر ، وتجعل من الأتباع والأعوان أنصاراً للفكرة الكبرى يثبتون على مبادئهم ، ويفرضون على القادة التمسك ببرامجهم السياسية ، فلا خصومة شخصية ولا كراهية يعليها الحقد ، ستكون المصلحة العامة قبل المصلحة الخاصة ، ومصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد . وسنصل بالعلم والتدريب والنظام إلى خلق طبقة من الرجال : لا يخشون في الحق لومة لائم ، أشداء على أنفسهم ، فيهم الصبر والتؤدة والإقدام والسرعة ، لديهم البصيرة النافذة والعناد والجرأة ، نرى في أعينهم الثبات على الرأي ، ونلمس في مشيتهم قوة الإرادة والسرور في ملاحقة الأخطار والصعب من الأمور ، سيجمع بينهم طائفة من العواطف النبيلة أهمها حبهم لبلادهم وشعورهم بضرورة التفاهم والتعاون لترقية هذا الوطن : سنرى الشافعي في رجل الدين ، وابن بكار في القضاء ، وابن خلدون في العلماء ، وصلاح الدين وبيبرس في القواد والزعماء وسنقول يومئذ ما قاله توسيديد[1] Thuicidide « إن قوة المدينة في رجالها لا في قلاعها ولا في أسطولها » .

أحمد رمزي

(١) من مؤرخي الأغريق عاش بين ٤٧١ إلى ٣٩١ ق . م .

للتاريخ :

يوم من أيام بغداد

للأستاذ على الطنطاوى

[لعل ذكرى هذا اليوم تهز بغداد ، دار الأعزة الصيد ، فيكون فيها لمصر وقضيتها يوم مثله ...]

طلعت جريدة (البلاد) على أهل بغداد ، صباح اليوم الأخير من آذار (مارس) ١٩٣٩ ، وفى صدرها مقالة (لكاتب شامى أستحى أن أسميه) ، ليست كالمقالات ، جملا ترصف ، وكلمات تؤلف ، ولكنها قلب يتفطر ، وديناميت يتفجر ، عنوانها : « يا غازى . يا غازى . يا غازى » . وفيها :

« يا غازى ، تدعوك الأيامى الثاكلات ، يا غازى يناديك اليتامى المظلومون ، ياغازى يستنصرك الضعاف العزّل ، والعجائز الركّع ، والأطفال الرضّع . يا غازى يهتف باسمك الشباب الذى يواجه بجسمه المصفحات ، وبصدره الدبابات ، ويحارب الدولة الطاغية الغاشمة ، لا سلاح له إلا إيمانه ، وأمله بالله ، ثم بالعرب ، وبك يا مليك العرب ، يا غازى !

يا غازى : دعوةَ غريق ينادى منقذه القوى !

يا غازى : هتافَ مريض يدعو طبيبه الآسى !

يا غازى : إهابةَ مشرف على اليأس بالسيد المأمول !

يا غازى : صرخةَ الدم ، واللغة ، والدين ، والمجد ، والجوار .

يا غازى : المدَد ! المدَد !

يا غازى !

لقد نادت امرأة واحدة ، فى سالف الدهر : « وامعتصماه » فاهتزّ لها هذا العرش : عرشك . وماج لها هذا الشعب : شعبك وخرجت الجيوش : جيوش بغداد ، فلم ترجع إلا وفى ركابها المجد والنصر . فمن غيرك ، وغير العراق لهذه الأمة التى حملت البلاء ، ورأت الشدائد ، وشاهدت ألوان الموت ، وخانها الحليف ، ونقض عهده لها القوىّ ، وجرّد دباباته الضخمة ، ومدافعه وعتاده ، ليحارب بها النساء والأطفال والشيوخ ؟ من غيرك وغير العراق لهذه الأمة التى تنادى اليوم : « واعراقاه » . « واغازياه » !

فقم يا أبها (المعتصم) ، لنّبها على (الخيول البلق) فإن كتاب التاريخ أعدّوا صحفهم ، وأمسكوا بأقلامهم ليكتبوا المفخرة مرة ثانية للعراق ، ولملك العراق !

إن الأمة التى أحبّت فيصلا ، وأحبها فيصل تناديك اليومَ يومَ الخطب يا بْنَ فيصل !

إن الشعب الذى بايع فيصلا ، هو على بيعته لك ، فهل تضيع شعبك يا أبا فيصل ؟

إن القصر الذى كان يسكنه أبوك ملكاً ، والذى كنت تلهو فى حدائقه طفلا ، هو اليوم مقر عدو العرب ، منه يصدر الأمر بتقتيل رجالهم ونسائهم وأطفالهم ، يسكنه اليوم العدو الذى بغى على فيصل ، وسرق منه عرشه . فأنقذْ تراث فيصل ، من عدوّ فيصل ، وعُدْ أنت إلى قصر فيصل ، يابن فيصل !

يا غازى ؟

الشباب الذين سقطوا فى شوارع دمشق شهداء البغى ، ماتوا وهم يهتفون باسمك ياغازى . العجائز تلقين أبناءهن المصرعين على أرض الوطن ، وهنّ يهتفن باسمك يا غازى .

يا غازى ، كم من طفل وطفلة ، عدا عليهم الظالمون ، فتلفتوا حولهم يفتشون عن المنقذ الذى حفظوا اسمه ، ورفعوا رؤوساً يسيل من جراحها الدم ، وأشاروا إلى الشرق بأصابعهم الصغيرة المخضبة بالنجيع الأحمر ، ورددوا اسمك : يا غازى !

ياغازى ! بك علقوا الآمال ، ومنك ينتظرون العون ، أفتدع هذا الشعب بين براثن الوحوش يعبثون بكرامته وأمجاده وحياته وكرامته كرامة العرب ، وأمجاده أمجادهم ، وحياته حياتهم ؟

أتتركهم يموتون ، وبغداد تستروح رائحة الربيع العطر ، وتستمع إلى جرْس النشيد الحلو ، وتنام على فراش النعيم ؟

يا مليكى !

هذا يوم من أيام التاريخ له ما بعده ، فلا يقولنّ التاريخ : « يا ليتهم نصروا الشام فى وقت محنته ! يا ليتهم لم يدعوه رهن الحديد والنار » !

الشام فى كرب شديد ... الشام فى ضيق !

لقد ضجّ لما يعانى الشام قبر محمد ، يا سليل محمد !

لقـد اهتزّ الحطيم وزمزم ، ومادت جبال مكة ، يا حفيد شريف مكة !

يا مليك العرب : الشام يدعوك . الشام يستجير بك . الشام يهتف باسمك : « يا غازى . يا غازى . يا غازى ! » .

***

نشرت المقالة فى أشهر جرائد بغداد ، فألهبت شبابها ، وشباب بغداد كوّنت أعصابهم من نور ومن نار ، وخلقت أيديهم من الندى ومن الحديد ، وملئت قلوبهم نخوة وسماحة ، وأترعت شجاعة وكرماً .

فإذا حاربوا أذلوا عزيزاً وإذا سالموا أعزوا ذليلا

وإذا عز معشر زال يوما منع السيف عزهم أن يزولا

وشباب بغداد ، جند العروبة حيثما كان للعروبة أرض ، وحماة الحمى ، وأسد الغاب . إن أطلقت رصاصة فى الشام ، أو فى مصر ، أحسوا أزيزها . وإن أشعلت فيها نار وجدوا حرّها . وإن سقط شهيد كان عندهم مأتمه ، وإن أصيب جريح كان فى ضلوعهم ألمه . وشباب بغداد إن غضبوا الإعصار الجارف ، والبحر الطاغى ، والصواعق المنقضة ، والموت . هل من الموت مهرب ؟ وشباب بغـداد إن رضوا النسيم الرخىّ ، والربيع الطلق ، والسلسبيل العذب ، والحياة . هل فى الوجود أحلى من الحياة ؟

وعلم شباب بغداد ، أن ديار الشام فى خطر ، وأن (حلفاءها) قد نقضوا عهدهم لها ، وعادوا كما كانوا أعداءها ، فأسروا كرامها وسوّدوا لئامها ، وجرعوها من (مدنيتهم ...) الصاب والحنظل المسموم ، وأن شعب الشام قد لبس لأمة الجهاد ، ونزل إلى الشوارع يجالد البارود بالحجارة ، ويرد الدبابات بالخناجر ، حتى سقطت الدور على أهلها فغدت لهم مقابر ، وامتلأتْ بالأبرياء السجون ، واشتد الخطب وعظم البلاء ، وقل الناصر ، وانقطع المدد ...

... واشتعلت الحماسة فى صدور شباب بغداد ناراً ، ومشت هذه النار فى قلوب الشعب ، فلم تمض ساعات حتى صار حديث الشام حديث الناس فى كل مكان ، فى القهوات ، والطرقات ، والمنازل والمدارس ، ولم يعد الطلاب يصغون إلى درس ، أو يستمعون إلى مدرس ، أيشتغلون بالمفاضلة بين الفرزدق وجرير ، وبحساب بعد القمر ومساحة سيبريا ، والشام غارقة فى دماء بنيها ، عابقة برائحة البارود ، رازحة تحت أثقال المدافع ، تطؤها نعال الفرنسيين والسنغال ؟ ... أيطلب الشكولاتة من لا يجد الرغيف ؟ أيقرأ الأسمار من تأكل بيته من حوله النار ؟ إنهم يريدون أن يطيروا إلى الشام ، ليطبقوا فى ساحاتها ما تعلموه فى دروس الفتوّة من فنون القتال .

وفوجئ الناس فى المساء ، بإذاعة هذه المقالة من محطة الملك الخاصة ، فى قصر الزهور ، فلما انتهى المذيع من تلاوتها ، كانت مفاجأة للناس أشد وأمجد ، حين سمعوا صوت الملك غازى الذى يعرفونه ، يقول :

« لبيك . لبيك يا سورية ! » .

فكانت هذه الـكلمة سحراً ماضياً جعل كل منزل فى بغداد ثـكنة ، وكل قهوة معسكراً ، وكل رجل جندياً شاكى السلاح ، ينتظر الأمر بالهجوم على الجن والإنس والعفاريت لايهاب شيئاً ، ولا يخشى أحداً ، مادامت الحرب حرباً مقدسة لنصرة الشام ، والقائد الملك الشاب الحبيب

وكانت حال لا توصف ، ولا تصوَّر ولا تمحو الأيام أثرها .

***

ودعا ناظر الثانوية المركزية فى صبيحة الغد نفراً من المدرسين العراقيين والشاميين منهم كاتب المقال ، وأفهمهم سراً ، (ولا ضير اليوم فى إذاعة هذا السر) أن الحـكومة (حكومة السيد نورى السعيد) ترغب فى مظاهرة احتجاجية على فرنسا ، وأنه ترك لنا أمر تنظيمها ، فـكان ذلك أحب إلينا من خزائن المال نعطاها ، وأسمى المراتب نمنحها ، وخرجنا فأخذنا فى عملنا .

وكان فى بغداد وضواحيها عشر ثانويات ، فاقتسمنا ثانوياتها العشر . ينفرد كل منا بإعداد طلاب مدرسته للمظاهرة ، ونفننا فى هذا الإعداد ، واستبقنا فيه ، وكنت امرأً أكتب ولـكنى لا أحسن بيتاً واحداً من الشعر ، فبحثت عمَّن ينظم لمدرستنا نشيداً لهذا اليوم فلم أجد ، فنظمت أنا أنشودة مهلهلة النسج ، ضعيفة التأليف ، لـكنها خارجة من القلب وتقع فى القلوب ، ثم وضعت لها أنا ... لحنـاً لفقته من ألحان الأناشيد التى كنت حفظتها قديماً ونسيها الناس ، وعمدت إلى لوحات صنعناها من القماش ... فـكتبت عليها كلمات تعبر عن الحقيقة التى امتلأتْ بها

نفوس البغداديين مثل :

« الله جعل العرب أمة واحدة فلن تفرقهم يد مخلوق »

« نحن جند الوحدة العربية ، إننا سنكتبها بالدم »

« من تعدى على دمشق فقد اعتدى على بغداد »

« لبيك لبيك يا سورية ، إننا آتون »

« يا سورية ، لن تضامى وشباب العراق فى الوجود »

وسهرت مع الطلاب فى كتابتها وتلوينها ، وأنا الذى لم يمسكْ من قبل (ريشة) قط .

***

ولم أنم تلك الليلة بل كنت أنتقل من مكان إلى مكان ، حتى إذا أصبحنا بكرت إلى ساحة الاجتماع ، وهى الساحة الفيحاء بين دار الكتب والمتوسطة الغربية ودار المعلمين العليا فوجدتها تعج بالطلاب من كل مدرسة ، وكلهم بلباس الفتوّة لا يمتاز طالب منهم من طالب ، فكيف أجمع طلاب مدرستى وأصفهم ؟

وطفقت أصرخ ولا سامع ولا مجيب ومن يسمع النداء فى هذا المحشر الذى جمع فيه عشرة آلاف طالب متحمس كلهم يصيح ويتكلم ؟ ثم ألهمنى الله فكرة فدعوت عريفاً من عرفاء الطلبة ، مميَّزَته من شرائط الفضة على ذراعه ، فانتصب أمامى ، وحيَّا ووقف وقفة عسكرية ينتظر منى الأمر . فقلت له : صفّ هؤلاء الطلاب . فأعاد التحية وقال : حاضر . وانصرف ، وأنا أعجب منه كيف يقول : « حاضر » ، وقد عجزت من قبله عن ذلك ويعجز عشرة من أمثالى ! وإذا به يدعو طالباً معه بوق ، فينفخ به ، فتقع المعجزة ، ويعمّ الصمت ، كأن المتوكل قد طلع بضوء وجهه ...

... ... فانجلت تلك الدجى وانجاب ذاك المثير

ثم ينفخ فيه أخرى : فإذا هذه الخلائق كلها ، تغدو صفاً طويلا صامتاً مرتباً . وقدمنى إخواننا فقلت فيهم خطبة . ومشينا ، حتى إذا بلغنا أوائل ميدان باب المعظم ، قابلتنا مواكب الشعب الهائلة آتية من حى الفضل وتلك الأرجاء ، فتدانى الجبلان ، والتقى البحران ، فعادا بحراً واحداً ، تلتطم أمواجه ، وتعلو أثباجه ، بحراً من الناس ملأ باب المعظم وأفواه الشوارع المفضية إليه ، والأرض البراح من هنا ومن هناك . وقام الخطباء فى كل مكان فلم يبق فى اللغة كلمة تمجيد إلا قيلت للشام ، ولا لفظة تحقير إلا سيقت لفرنسا ، ولا جملة تعبر عن القوة والإيمان والاستعداد إلا ألقيت على الناس ، ولا شىء يهز القلب ويحرك العزائم إلا كان ثم مشى هذا البحر . وإلى أين تمشى البحار ؟ والشوارع قد سدت بالناس ، والناس على الأرصفة وفى الشبابيك وعلى الأسطحة . وفى كل مكان هتاف ونداء ، فالطلاب ينشدون ، والعامة يحدون والنساء يزغردن ، والتكبير والتهليل ، والمواكب تمتد ، والخلائق تتوافد ، حتى حملت بغداد كلها فى شارع الرشيد من باب المعظم إلى الباب الشرقى ، وكان يوم ما رأيت له مثيلا قط .

***

إننا لم نخض فى ذلك اليوم ملحمة ، ولا شهدنا معمعة ، ولا أرقنا لعدوّ دماً ، ولم نجاوز فيه الكلام ، ولكنه كلام جعل كل فتى من هؤلاء الفتيان بطلا ، وترك فى نفسه ذخيرة تمدّه بالقوة دهراً ، وصبّ فى نفسه من العزة ما جعل نفسه أسمى من النجم ، وأكبر من الدنيا . كلام ولكنه كان أساساً من الصخر الراسى فى صرح الوحدة العربية غداً والإسلامية بعد غد . كلام ولكنه أرهب العدو وخلع قلبه ، وردّه عن قصده ، ودفع من عدوانه . كلام ولكن بمثله تحيا الأمم ، وتبنى النهضات ، وتكتب تواريخ المجد . كلام ، وإن من الكلام لفَعالا من أعظم الفَعال ، وقوة من أمضى القوى ، ومجداً من أسمى الأمجاد .

***

إن الشام يذكر لك يا بغداد فى عرس الاستقلال ، ما أسديت إليه فى بؤس الاحتلال ، فهلا اتخذت عند مصر يداً مثلها تذكرها لك يدَ الدهر ؟

إن مصر ، يا بغداد ، أختنا الكبرى فى العروبة ، وقضية مصر قضيتنا ، ووادى مصر وادينا ، وعدو مصر عدونا ، وإننا إن تخذلْ مصر تخذلْ بلادنا ، وإلا نكنْ معها تخُنْ أمتنا .

يا بغداد ، ياذات المجد ، يامثوى البطولة ، ياعرين الآساد ، إن مصر قد عدا عليها العادون ، وكشر لها عن أنياب الذئب ، من كان يجيئها أيام الحرب فى فروة الحمل ، سائلا يطلب منها العون والمال . إنه يريد الآن أن يفرق بين أسودها وأحمرها ، وأعلاها وأدناها ويسرق منها نصف واديها . أفتنامين يا بغداد فى سُرُر الأمان ، ومصر فى الشوارع تصارع الذئاب ؟

يا بغداد ! اليوم يومك ، يا بغداد !!

(القاهرة) علي الطنطاوي

أم كلثوم تلقى درساً

للأستاذ عبد المنعم خلاف

منذ أن غردت أم كلثوم تلك القصيدة الفذة (سلوا قلبي غداة سلا وتابا) لأول مرة وأنا أشعر أن القلم يريد أن يسجل شيئاً لا بد من تسجيله إزاء ما تجلى فى هذه الأغنية من البيان الرفيع والموضوع الكريم والتلحين الشرقي الخالص .

غير أن الأيام قد ذهب مطلها بالقلم مذاهب النسيان والإبطاء ، ولكن ما تتأذى به الآذان كل يوم من الأغانى التافهة المسمومة يلح عليّ بذكرى هذه الأغنية والتنويه بها ، ولفت أنظار وزارة الشئون ومحطة الأذاعة بما يجب قوله تعليقاً على هذا الحادث الأول من نوعه فى أغانى أم كلثوم ، بل ربما فى أغانى هذا الجيل الذى احتملت أعصابه من سموم الأغانى التافهة المسمومة الساقطة ما سمم الينابيع وأسقط الهمم وأفسد الذوق وأطفأ الأشواق الرفيعة التى تضطرم فى الأفئدة حين تهب عليها الأصداء والهتافات وأنسام الشجو من حنجرة تنفرد على طبيعتها السليمة القوية ، أو وتر يرتعش فى يد ينصب إليها النغم الذائب الحادر فى أعصاب العازف المترجم عن تلك الخفايا والأسرار والكلمات المكنونة فى الكون ولا يخرج خبأها ويكشف سرها إلا أنامل عازف يعرف كيف يخنق الوتر الدقيق فيخرج حنينه ، أو فم ساحر ينفخ فى الناى فيخرج أنينه ، أو لامس ماهر يلمس الطبل أو الدف فيهيج شجونه ، ويرسلها فى دبيب ودوى رهيب إلى الأسماع والأوصال فيدخل عليها من هواتف ماوراء المادة والكثافة والجمود مايدخل !

ولقد هبّ على قلوب سامعى هذه الأغنية من أم كلثوم نسمات رفيعة من الطرب الحق الذى يثير أعظم ما فى النفس الإنسانية من أحاسيس الحب والجمال والقوة والدين والوطنية والبر والتبتل والألم اللذيذ الوديع والرحمة القلقة الملهوفة ، والثورة العازمة الواثقة ، ما أجرى فيها طهارة ونقاء يطردان الدم الأسود المسموم ، ويجريان بدله الدم النقى المطهر للنفوس من عوامل الضعف والفسولة والتخدير والحب الوضيع .

ولقد تقبل الجمهور المصرى هذه الأغنية بكل حواسه الموسيقية والمعنوية فى الحب والدين والوطنية بما يشجع على أن تتجه الأغانى إلى خدمة الأهداف القومية والأمجاد الرفيعة خدمة لا تتأتى إلا عن طريق الأناشيد السائرة على الحناجر الساحرة التى لها من السلطان على نفوس جماهير الرجال والنساء والأطفال ما ليس لقواد الاجتماع والسياسة والدين ، وخاصة فى هذا العصر الذى تلاحق فيه الإذاعة الفرد فى كل مكان وتقتحم عليه حتى مخادع نومه .

وقديماً كانت « الأصوات » التى يغنيها المغنون العرب للخلفاء والسلاطين والجماهير من منتقى الشعر الرفيع ، وكان الغناء بها من أسباب رواج الأدب الكريم .

وكان للبيت الواحد أو للأبيات التى يتغنى بها التأثير اللازم لمعانيها والنتائج الحتمية لدى سامعيها ، حتى إن غناء أحد المغنين بيتين فى مجلس الرشيد كان الحافز المثير والنقطة المطففة التى طفحت بها كأس الرشيد فأنزل نكبته بالبرامكة .

ولو علمت أم كلثوم وعبد الوهاب وغيرهما بمدى سلطانهم على تربية الناشئين لخافوا الله فى تلك النفوس الغضة التى تلاحقها أغانيهم من المهد .

* * *

وفى الموسيقى تستعرض قلوب الأمم ، وقد استطاعت كل أمة أن تلقط توقيعات من طبيعة بيئتها التى تعيش فيها تطرب لها وترقص بها فى ساعات الطفور والمرح والهيام فى عالم الرؤى والأحلام ، وتعرض فيها أفانين حياتها وأصداء الهواتف الطبيعية فى آذانها وصور الدنيا الباطنة كما تراها فى مرآتها الخفية .

فالقلب العربى أو المكسيكى أو الهندى أو الألمانى أو الزنجى أو غيرها يمكنك أن تعرف خلاصة اتجاهاته فى الحياة حين تسمع ألحانه وأشواقه فيها .

وبودى أن يجتمع جوق عالمى عظيم من فنانين عالميين ليضع ألحاناً آخذة من جميع الأصداء والهواتف لتوجيه قلوب البشر ليدركوا السر الواحد الذى فى قلوبهم جميعاً بدون ألفاظ .

وبودى كذلك أن أجمع الوجوه الإنسانية الكريمة من الأجناس المختلفة وتؤلف منها (هرمونى) وتناسقاً بصرياً يرى عشاق التحف والطرف ما فى العقد البشرى المنظوم من جمال وثراء ...

وبودى كذلك أن أقيم معرضا للطفولة الإنسانية البريئة الموحدة اللغة والإشارة والإدراك قبل أن تأخذها سبل أممها المتفرقة فتجعلها أباديد متنا كرة كأنها فصائل أجناس متعادية متناقضة ...

وبودى كذلك أن أقيم معرضاً للقمم الإنسانية العالية العاملة المجاهدة القريبة من عرش الله بالنسك والفكر والعلم والعمل ، حتى يراها الفاجرون القاعدون فى السفح ... بودى كل أولئك ! ولكن ما مبلغ جهدى غير الآمال والأحلام السعيدة ...

***

وإنى لأتساءل : من أين أتى الإنسان بهذه الأنغام العالية المعقدة التى يخرجها من المزامير والصنوج والأوتار ؟ إن كل أصوات الطبيعة ساذجة محدودة المقاطع ليس فيها إلا توقيع بسيط، فكيف أتى الإنسان بهذه الألحان التى تهيج أعصابه وتثير أشواقه نحو الجمال والحياة وتأخذ بأنفاسه وحواسه نحو المجهول ؟ ولماذا تثير الألحان العظيمة قوة الإيمان وانفساح مدى الحياة فى أعماق القلوب ؟ أيكون ذلك ناشئاً من أن روح هذا الإنسان ذات ذخيرة كامنة من أيام حياة فى عالم ذى طرب دائم ، فلما أخرج منه وأنسى ما فيه صار يبحث فى ذهول ولهفة إلى إيجاد أصداء وصور منها فى هذه الدار الفانية ؟ فجعل ينبش فى ذبذبات الأوتار والصنوج عن ذلك النغم الذى كان يعمر جو الجنة ويختلط بأنفاس رياحها ويهب على النفس مع هبوب نسماتها وخفوق خافقاتها ؟

إنى أشعر أن لتلك الأصداء الموسيقية تأثير الحياة أو الموت على الأعصاب . . . إن لها فى الأعصاب وحياً كوحى النسمات وقطرات الندى ودفقات المزن ونضحات الأشعة وانعكاسات الألوان . . إنها أفواه نافخة من شذى الجنة أو لافحة من زفرات جهنم أحياناً . وإنى أتلقاها بحاسة خاصة . والألفاظ هنا تضيق والشرح يترك للوجدان المشترك لدى كل حساس . إنها من أعجب ما أودع الله فى طبيعة الأشياء !.

وإذا قيل إن الألفاظ والمعلومات « أشياء » أفادها الإنسان من محيطه وتسلسلت حتى تركبت فى عقله وصارت هكذا كما نراها معقدة ؛ فماذا يقال فى النغمات ؟ إنها لا تكون أكثر من فيض نفسى ، ولا تكون نقلا عن « معلوم » فى الطبيعة ، وإنما هى تعبير خفى يفيض به همس المجهول فى أعماق النفس . ولذلك قال القدماء عنها إنها فضل كلام نفسى ضاق عنه النطق . .

وإن الآلات الموسيقية تظل صامتة خرساء حتى تمسكها يد الإنسان فتنطقها بالأغاريد الغريبة التى فى قلبه هو لا فى قلبها هى..

والشخصية الموسيقية شخصية خفية ليس لها مدد تستملن به إلا من داخلها ، وإنى لأسمع إلى الموسيقى الألمانية فى ألحان عباقرتها فأدرك ما فى نفس الألمان من كبت وتمزيق وهيام وحيرة وصوفية عاجزة عن رؤية الطريق ، ورمزية وصرخات الإنسان الفريد المحس بضياعه فى رحاب الكون . .

وأسمع إلى موسيقى الزنوج فأحس فيها طمأنينة الجهل وصخب الغرائز ومجابهة المجهول بدون إحساس به وحيرة فيه .

وهكذا أغلب ألحان الأمم .

ولكنى حين أسمع أكثر ألحان الموسيقيين المصريين المحدثين أشعر بشىء مخدر كئيب لا فلسفة فيه ولا أصالة طبع معه ، وإنما يختبىء وراءه « دعاء جنسى » مريض غير صحيح الذكورة ولا صحيح الأنوثة .

فهل تدرك « وزارة الشئون الاجتماعية » ذلك أو لا تدركه ؟ إن كانت تدركه فما أحراها وهى المشرفة على الإذاعة الموسيقية أن تحمى الجيل الناشىء من هذه السموم المخدرة التى تنفثها تلك الموسيقى التافهة وأن تجرب وضع برامج من الموسيقى القوية تستعين فى وضعه باللفظ القوى واللحن القوى والذوق الناقد الذى يدرك خطورة الأمر .

وإن كانت لا تدركه فما أضيع هذه الأمة التى تتخذ على شئونها رعاة يسيرهم القطيع !

عبد المنعم خلاف

معاوية بين يدى عائشة

للأستاذ سعيد الأفغانى

الشورى أساس من أسس الحكم فى الإسلام ، فكلما كان حظ الحكم منها أوفى كان أقرب إلى روح الإسلام . والحاكم الأعلى فى العرف الإسلامى أجير للناس كافة : يسهر على مصالحهم ويمضى أحكام الشرع ويستوفى أجره من بيت مالهم وليس يملك من الأمر غير ذلك .

انقضى عهد الراشدين وفهم أجلاء الصحابة ورؤوس الناس للحكم هذا الفهم ؛ فلما اتفق أن ولّى الخليفة عثمان رضى الله عنه بعض الأكفياء من أقربائه أعمالا ، أعظم الناس ذلك وخافوا أن تصير مصالحهم العامة حُكْرة لأحد أياً كان أو وقفاً على أسرة أية كانت ، ففشت القالة فى عثمان وكان هذا أول الشر الذى أودى بخلافته .

أما معاويه ، فإن أربعين عاماً سلخها فى حكم الشام إلى جوار إمبراطورية الرومان وفى ديارها القديمة ، قد انحرفت به عن الجادة فى أمر الحكم ، فلم يسلك به الطريق الإسلامى الذى رأينا أساليب مختلفة له فى عهد الراشدين ، وإنما سلك به طريقاً (بيزانطياً) وأراد الخلافة أسلوباً ملكياً على أساس بيزنطة ، وانتوى لها نية فطفق يتألف لها الناس ويهيىء لها الأمور ... فلما وجد الأحوال موانية أعلنها بيعة بولاية العهد من بعده لابنه يزيد .

ولم يفعل ذلك معاوية حتى سبر أغوار الأمصار وطباع الناس ؛ وكانت قد استلانت واستكانت مدة عشرين عاماً بسبب سياسته وسياسة ولاته الحازمين الأشداء . نعم لقد استكانت إلى الطاعة ، حتى من يجيش حمية من رؤوس الناس وأحرارهم ، روّض معاوية إياهم وأنفتهم بلطفه وعطائه الجم حتى أسلسوا القياد ، أما من لم يسلس له فقد جعله جزر السيوف كما فعل فى أمر حجر بن عدى وأصحابه . هذا وقد حصد الموت مدة أربعين سنة أكثر الصحابة وزعماء الجماهير ممن يهابهم معاوية .

مع كل ذلك ، لم يخل إعلان البيعة ليزيد من صدمة للنفوس عامة ، فأكثرها وقف ثم رضى بالقدر المحتم ، وبعضها أنكر ورفع عقيرته بالإنكار .

أما السيدة عائشة فقد لزمت بيتها وسكينتها ، وأنا أقطع أنها جاهدت نفسها بهذه السكينة أعظم الجهاد ، وكبتها أعظم الكبت وكظمت غيظاً ما كانت لتكظمه . فما كان هذا الأمر بالأمر الحقير ، إنه أعظم ما مر بالسيدة من خروج على الإسلام وتنكر لروحه ؛ ولكنها ذكرى يوم الجمل والدماء المهراقة فيه ، الدماء دائماً هى الشبح الذى يلوح لعائشة كلما همت بإنكار منكر فترعد فرائصها وتستجير بالله من كل خير يؤدى إلى شر .

لكن أعوان معاوية فاتهم اللطف فى تأتيهم لهذا الخرق لحرمة الخلافة ، ولم يدركوا ما فيه من كسر لحرية ألفها العرب وشورى يتعبدون بها ، ونظم سامية تجرى منهم مجرى الدم من العروق . ظن أعوان معاوية أن البيعة ليزيد أمر من هذه الأمور الكثيرة التى يرد بها البريد فتعلق للناس وتنفذ فى يسر وصمت ... مما لا يصدم عقيدة ولا يجافى روحاً ولا يكسر تقاليد أصيلة ولا يذل أنفة قومية .

***

أرسل معاوية أمره إلى الأمصار بأخذ البيعة لابنه يزيد من بعده ، فوقف عامله على المدينة مروان بن الحكم يعلن هذه البيعة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إنكار الناس لها واحداً ، وكان متكلمهم عبد الرحمن بن أبى بكر أخو السيدة عائشة ، فقد رد على مروان قائلا :

« كذبت والله يا مروان وكذب معاوية معك ، لا يكون ذلك . لا تحدثوا علينا سنة الروم : « كلما مات هرقل قام مكانه هرقل » ، « لقد جئتم بها هرقلية وقوقية [1] ؛ تبايعون لأبنائكم ؟ »

قال مروان : « سنة أبى بكر وعمر » .

عبد الرحمن : « بل سنة هرقل وقيصر » ، « ما لأبى بكر لم يستخلفنى ؟ وما لعمر لم يستخلف عبد الله ؟ » .

واشتد الغضب والحنق بمروان فقال :

— يا أيها الناس ، إن هذا الذى قال الله فيه : « والذى قال لوالديه : أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله : ويلك آمن ، إن وعد الله حق ، فيقول : ماهذا إلا أساطير الأولين » [2] .

حينئذ ، فرغ صبر عائشة وهى تسمع من حجرتها بالمسجد ،

---

(١) الدنانير القوقية من ضرب قيصر لأنه كان يسمى قوقا — القاموس المحيط

(٢) سورة الأحقاف ٤٦ الآية ١٧ .

وقد رأت أن عبث مروان تطاول إلى القرآن ، فغضبت وقالت لمن حولها : « ألابن الصديق يقول هذا ؟! استرونى » فستروها فجهرت ورددت جوانب المسجد صوتها قائلة :

— كذبت والله يا مروان ، ما هو به ، ولو شئت أن أسميه لسميته ؛ إن ذلك رجل معروف نسبه ... ولكن (رسول) الله لعن أباك وأنت فى صلبه ، فأنت فضض (قطعة) من لعنة الله[1] يابن الزرقاء ، أعلينا تتأول القرآن ؟! لولا أنى أرى الناس كأنهم يتمشون لقلت قولا يخرج من أقطارها » .

وكان لهذه الصرخة أثرها فى الجماهير فانخذل مروان وانكسر ولم يعرف أن يقول غير هذه الكلمة : «ماوَمنا منك بواحد»[2]

لقد كان جبهها مروان شديداً عنيفاً حاطماً ، وما باختيارها جبهته ، ولكنه أحرجها . إن الذى وسمها أن تفعله هو حيادها فى أمر هذه البيعة غير المشروعة ، وحسبها ذلك قهراً لنفسها وللواجب عليها ، وكذلك كان : فلم ترد على مروان شيئاً لما أعلن بيعة يزيد ، لكن مروان امتد أذاه إلى أخيها بغير حق ، ثم امتد إلى ما هو أشد حرمة من أخيها وما لا يجوز لمسلم أن يقربه عبثاً فيه ، لقد امتد عبث مروان إلى كتاب الله يدعى أن آية نزلت فى عبد الرحمن وهى لم تنزل فيه ...

لم يكن للسيدة ولا لغيرها أن تسكت على هذا النكر الذى ارتكبه مروان نصرة لعصبيته السياسية .

وأى كان فقد امتنع عبد الرحمن بن أبى بكر عن البيعة ، وامتنع الحسين بن على وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر ، وامتنع لامتناعهم أهل الحجاز .

كتب مروان بالذى كان إلى معاوية ، فأقبل نحو المدينة ، فلما دنا منها استقبله أهلها وفيهم الأربعة المذكورون ، « فأقبل على عبد الرحمن بن أبى بكر فسبه وقال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً » .

فلما دخل الحسين بن على قال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً ، بدنة يترقرق دمها — والله — مهريقة » .

فلما دخل ابن الزبير قال معاوية : « لا مرحباً بك ولا أهلا ، ضب تلعة مدخل رأسه تحت ذنبه » .

فلما دخل عبد الله بن عمر قال معاوية : « لا مرحباً بك ولا أهلاً » وسبه فقال عبد الله : «إنى لست بأهل لهذه المقالة» قال معاوية : « بلى ، ولما هو شر منها »[1] .

معاوية فى بيت عائشة :

دخل معاوية المدينة وكله خوف من السيدة عائشة أن تشتد عليه فيما ابتدع وما يريد أن يبتدع فى أمر خلافة المسلمين مما يهون معه كل ما كان الناس نقموا على عثمان . ثم هو يخشى أن تكون السيدة سنداً وملجأ وقوة لهؤلاء الأربعة أعلام الحجاز من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومعاوية من الذين يتأتون للشر قبل وقوعه ، ولا تحملهم قوتهم عليه أن يكابروه حتى يقضوا عليه ، توفيراً لقواهم ورجالهم ، وسياسة لهؤلاء الخصوم عسى أن يصبحوا فى جملة أنصارهم فيزيدوا بهم قوتهم .

أراد معاوية أن يتلطف لما فى قلب السيدة عليه ، فقد قتل قائده — بأمره على ما أرجح — أخاها محمد بن أبى بكر بمصر شر قتلة وأشدها نكالا : حرمه قبل قتله شربة ماء وكان يتهالك ظمأ ثم أدرج جثته فى جيفة حمار فأحرقها ، ولم ينج أخاها من القتل والإحراق شفاعة عائشة ولا إرسالها فى أمره رسولا خاصاً من أشراف بنى أمية ؛ وكذلك أرسلت تشفع أيضاً فى حجر بن عدى وأصحابه فلم تنفد شفاعتها شيئاً . ولا ريب أن فى نفس السيدة على معاوية — لذلك — ما فيها ، ولكنها كظمت غيظها وردت حنقها . ثم كان من مروان مع أخيها عبد الرحمن فى أمر البيعة ليزيد ما رأيت آنفاً .

ومعاوية يخشى أن يفيض الإناء فيكون له من عائشة يوم مثل يوم الدار أو يوم الجمل ، والحملة عليه اليوم موانية ناجحة لاتحة : لهذا الخرق الذى أتاه فى الإسلام بأخذ البيعة لابنه يزيد مع أن أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار وأولى الحل والعقد من رجال العلم متوافرون يشهدون ويسمعون : قد تخطى معاوية مشيختهم وأجلاءهم إلى شاب مستهتر سكير سيء السيرة رقيق الدين فيما زعموا .

لهذا كله ، عزم معاوية أن يروض أصعب الناس عليه يومئذ وأشدهم وأجدرهم إذا قال « هلم » أن يلبيه الناس من كل صوب ويثوروا تحت لوائه . عزم قبل كل شيء على زيارة عائشة والتذلل لها ومودتها ، « فأقبل ومعه خلق كثير من أهل الشام حتى

(١) تاريخ ابن عساكر (مخطوط) : ترجمة عبد الرحمن بن أبى بكر .

(٢) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ١٤١ .

(١) أمالى القالى ١٧٥/٣ .

أتى عائشة أم المؤمنين ، فاستأذن ، فأذنت له وحده لم يدخل عليها معه أحد ، وكان عندها مولاها ذكوان ، فلما استقر به المجلس ابتدرته عائشة تقول :

« يا معاوية ، أكنت تأمن أن أقعد لك رجلا فأقتلك كما قتلت أخى محمد بن أبى بكر ؟ » .

كان التقريع عنيفاً مفاجئاً كما ترى ، لكن داهية الأمويين — على ما يظهر — كان يتوقع مثله ، فلم تصدمه المفاجأة ، بل أجاب متملقاً متودداً :

— ما كنت لتفعلين ذلك .

— ولم ؟

— لأنى فى بيت آمن : بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم[١]

فطامن ذلك من عنفها . ثم إنها حمدت الله وأثنت عليه وذكرت رسول الله وذكرت أبا بكر وعمر ، وحضته على الاقتداء بهما والاتباع لأثرهما ... ثم صمتت . وكان على معاوية أن يجيب على خطبتها هذه ، ولكنه لم يخطب مخافة ألا يبلغ ما بلغت ، فارتجل الحديث ارتجالا فى الأمر الذى قدم لأجله ، وتلطف فى تهوينه وتقريبه ، قال :

— « أنت والله يا أم المؤمنين العالمةُ بالله ورسوله . دللتِنا على الحق وحضضتنا على حظ أنفسنا ، وأنت أهل لأن يطاع أمرك ويسمع قولك ، وإن أمر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من أمرهم . وقد أكد الناس بيعتهم فى أعناقهم وأعطوا عهودهم على ذلك ومواثيقهم ؛ أفترين أن ينقضوا عهودهم ومواثيقهم ؟ ؟ » .

فلما سمعت عائشة ذلك علمت أنه سيمضى أمره فأوصته بهؤلاء المخالفين : أخيها عبد الرحمن وأصحابه فقالت :

— « أما ما ذكرت من عهود ومواثيق فاتق الله فى هؤلاء الرهط ولا تعجل فيهم ، فلعلهم لا يصنعون إلا ما أحببت » .

ثم قام معاوية ، فلما قام ذكرت عائشة فعلته الشنعاء فى حجر وصحبه ، فقرّعته قائلة :

— « يا معاوية ، قتلت حجراً وأصحابه العابدين المجتهدين ؟ »

فقال معاوية مراوغاً : « دعى هذا ، كيف أنا فى الذى بينى وبينك وفى حوائجك ؟ » .

قالت : « صالح » .

قال : « فدعينا وإياهم حتى نلقى ربنا »[١] .

وهكذا انتهى اللقاء الأول بين الخليفة الداهية العظيم وعائشة أم المؤمنين ، وأصابه بعض مايستحق من التعنيف على لسان السيدة

ثم خرج معاوية ومعه ذكوان مولى عائشة ، فاتكأ على يد ذكوان وهو يمشى ويقول :

« تالله ما رأيت كاليوم خطيباً أبلغ من عائشة بعد رسول الله » ثم مضى . ولا تظنن وأنت تقرأ كلام معاوية آنفاً أن فيه حجة أو أن السيدة اقتنعت ، فليس مما يقنع مثلها أن يقال لها فى منكر تنكره (هذا قضاء من قضاء الله) ، لكن عزيمة سبقت منها فى اعتزال السياسة والفتن جعلها تمر بهذه الحجة الواهية متغافلة . ومعاوية يعلم ذلك منها[٢] ، وكلا الاثنين يجامل صاحبه ويدافع شره .

ثم كان لقاء آخر بمكة زوّر له معاوية جواباً فيه شبه الحجة فى قتل حجر وأصحابه .

والذى أذهب إليه أن السيدة لا تريد ظاهر هذا التأنيب ، وإنما تلوّح لمعاوية بقضايا قد تلجأ إلى التشنيع بها عليه إذا هو حاول أن يمس أخاها عبد الرحمن وصحبه بأذى أو بطش ، ففهم كل منهما عن صاحبه .

وكأن مكانتها رحمها الله قيّدت معاوية عن التصرف كما يريد فى إحكام الأمر لابنه فى الحجاز فمات وفى نفسه غصة من منزلة عائشة بين المسلمين وتخوف لما قد يكون منها .

أما اجتناب السيدة الشدة فى إنكار هذا المنكر فيشرحه أحسن شرح حالها فى احتضارها :

ذكروا أنها لما احتضرت جزعت ، فقيل لها « أتجزعين يا أم المؤمنين وأنت زوجة رسول الله وأم المؤمنين وابنة أبى بكر الصديق ؟ » . فقالت : « إن يوم الجمل معترض فى حلقى ... ليتنى كنت نسياً منسياً »[٣] .

سعيد الأفغانى

---

(١) الإمامة والسياسة ص ١٥٠ .

(١) المصدر السابق — ذكروا أن معاوية كان يتعهد السيدة دائماً بالعطايا الجسام : قال عروة : بعث معاوية إلى عائشة بمئة ألف درهم ، فوالله ما أمست حتى فرقتها ، فقالت لها مولاتها : « لو اشتريت لنا بدرهم لحماً ! » فقالت عائشة : « ألا قلت لى » : وبعث إليها معاوية بقلادة بمئة ألف فقسمتها بين أمهات المؤمنين . وقيل إنه قضى عنها ثمانية عشر ألف دينار — أنظر سير النبلاء للذهبى ٢/ ٧١ والإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ٧٢

(٢) ويعلم من نفسه أنها — فى البيعة ليزيد — تمضى فيما يخالف الكتاب ، ولقد نقل عنه قوله لابنه يزيد فى احتضاره : « إن أعظم ما أخاف الله فيه : ما كنت أصنع لك . » يعنى من أمر البيعة له . — أنظر تفصيل ذلك فى الطبرى ٤ / ٢٢٦ حوادث سنة ٥٦ هـ .

(٣) من كتابنا (عائشة والسياسة) المعد للطبع .

الأدب فى سير أعلامه :

٦ ـ تولستوى

[قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

طالب فاشل



لما بلغ ليو السادسة عشرة من عمره أراد أن يلتحق بجامعة قازان ، واختار قسم اللغات الشرقية إذ كانت بغيته أن يكون فى غده من رجال السياسة؛ وكان لابد لمن يلتحق بهذا القسم أن يجتاز امتحاناً فى اللغات العربية والتتارية والتركية ، مضافاً إليها بعض اللغات الغربية وبعض فروع المعرفة العامة ، ونجح الفتى فى بعض مواد هذا الامتحان وأخفق فى بعض ؛ وقد حصل فى اللغة الفرنسية على أعلى درجة ، وتفوق فى الألمانية والعربية والتركية ، وكان أقل من ذلك جودة فى المنطق والرياضة واللغة الإنجليزية والأدب الروسى ؛ أما التاريخ والجغرافيا فقد كان نصيبه فيهما الرسوب إلى حد بعيد ، وقد ذكر عن نفسه أنه سئل أن يعدد الموانى الفرنسية فما استطاع أن يذكر منها واحدة ؛ ثم أعيد امتحانه بعد أشهر فيما رسب فيه فنجح وقبلته الجامعة منتسباً ...

وجلس بين صفوف الطلاب ، منصرفاً أكثر وقته عما يقول الاساتذة ، يقلب عينيه فى أقرانه حيناً فيعجبه منظر هذا وتضحكه هيئة ذاك ؛ وينظر إلى الأستاذ حيناً فيسخر مما يقول أو يرسم له صورة هزلية ؛ ثم ينشغل عما حوله حيناً كأنما أخذته عن نفسه حال فما يفيق إلا على نهوض الطلاب ينطلقون من درسهم ، فيسرع فى انطلاقه منه لأنه ضائق به صدره ...

وكيف يحمل الفتى للدرس باله وإنه لفى شغل تارة بما يطوف برأسه من أحلام الشباب وأوهامه ، وآونة بما يهبط على خاطره من أفكار منها ما يتصل بالدين ومنها ما يتصل بالحياة ...

أما عن الشباب وأحلامه فقد كان له فى قازان مجال أى مجال للهو واللعب ، وألفى الفتى نفسه وقد أخذ حب اللهو عليه كل مذاهبه وطالعته مفاتن الحياة ومسراتها من جميع أقطاره ، وهو فتى متوثب الشباب تعتلج فى نفسه عواطف شتى من الحب والطموح والشهوة وكل ما هو بسبيل من هذا ؛ ولذلك ألقى بنفسه فى متع الحياة صالحها وفاسدها وأرخى العنان لشهواته ونزواته ، حتى لينسى فى تلك المسرات كل ما عنى به نفسه من قبل من رغبة فى الكمال ...

والكمال عنده يومذاك أن يلبس أحسن الثياب وأجملها وأن يفتن فى اختيار الألوان حتى يحمل الناس على الاعجاب بذوقه ، ولعل عدم رضائه عن خلقته قد أدى به إلى كثير من الإسراف فى هذا السبيل ؛ ثم إنه يلعب الورق ويشرب الخمر فى جماعات من لداته ؛ ويدخن الطباق فى غليون جميل يحرص أن يكون ثمنه أغلى ثمن ، ويتطيب ويمشط شعره ويدهنه بما يكسبه اللمعان ، ويتكلم الفرنسية فى أناقة متكلفة ؛ وإنه ليشهد كل حفلة يقيمها أرستقراط المدينة وذلك بدعوة من أصحابها فما يفوت أحداً أن يدعوه وقد أمسى شخصية من شخصيات المجتمع ، وإنه ليبذل قصارى جهده أن يلفت الأنظار إليه ، ولكم يبهجه أن يتحقق له ما يريد وبخاصة إذا ظفر بنظرات الأوانس ، ولكم يؤلمه ويكدر عليه عيشه أن يصادف من أحد عدم الاكتراث له أو الفتور فى تحيته ؛ وإنه ليندس بين كل جماعة فيتحدث ويعرض آراءه ويخالف ويعارض ليبرهن على أصالته وقوة شخصيته .

وإنه ليغشى دور اللهو جميعاً ، فيتكلف أكثر ما يستطيع من مظهر أرستقراطى فى حديثه وتحياته ومشيته وجلسته ؛ ويدلى بآرائه فيما يشهد من تمثيل أو يسمع من موسيقى ، ويأخذ بقسط من الرقص ، وإن كان لا يحسنه كما يجب أن يحسنه .

وإنه ليحسب أكثر من مرة أنه نضو حب ، فيخيل إليه

تارة أنه أسير هوى لشقيقة صاحبه دياكوف ، وتحدثه نفسه أنها خير ما يختار من زوجة ؛ ثم إذا به يتجه بخياله وقلبه إلى صديقة لأخته مارى إذ يراها وهى طالبـة فى معهد عال تجمع إلى جمال الخلقة حسن الخلق وسمة الثقافة ؛ ولـكنه لا يلبث أن يرى نفسه وقد علق قلبه بفتاة تزوجت حديثاً ، ولـكنه يؤثر أن يموت بين يديها على أن يكاشفها بمـا يحس نحوها من حب … ولن تزال أحلام الحب تطوف بقلبه شأنه فى ذلك شأن غيره من الشباب ، ولا تزال الرغبة فى الزواج تلحّ على نفسه وتوحى إليه كثيراً من الأمانى العذاب ، ولـكنه لا يستقر على رأى ، وقصاراه أن يحـلم بمن يتوق إلى أن يحبها لتكون له زوجاً تجمع بين صدق العاطفة ورجاحة العقل وتحس نحوه مثلما يحسه نحوها وتفهمه كما يفهمها ، وأنى له أن يظفر بهذه الزوجة التى لا يجدها إلا فيما يحلم من حلم ؟

ولم يقتصر الفتى على الأحلام ، فقد كان طـلب نساء يسعى إليهن ويسعين إليـه ولا يتورع أن يتسلل إلى بيوت يتهامس النـاس بأسمائها ويتغامزون بهـا ؛ ولن تخرج المرأة فى رأيه عن إحدى اثنتين ، فإما واحدة يلهو بها ويطفىء بها لهيب جسده ، وإما ثانية يحلم بين يديها أحلام الزواج والعفة ولا يستطيع خياله أن يتجه لحظة أمامها إلى معنى من معانى السوء ؛ ومن عجيب أمره أنه على تنبله بالثياب والمـال وعلى حيويته وقوة بدنه كان خجولا شديد الاضطراب إذا وجد نفسه فى مجلس أوانس أو سيدات مهما بلغت ألفته لهن ، أو إذا تحدث إلى فتاة أو سيدة فمـا يزول عنه خجله أو يبارحه اضطرابه إلا بعد حين .

ومن كان يحيا حياة كهذه مطلق العنان مسرفا فى اللهو كان حقيقة أن يفشل فى طلب العلم ؛ ولذلك فشل تولستوى فشلا كبيراً ، على أنه يحاول أن يبرىء نفسه فيرد سبب إخفاقه إلى اضطغان أستاذ التاريخ الروسى عليه ، ويزعم أنه كان حسن الإلمام بهذه المادة ؛ كما يعلم أن هذا الأستاذ أسقطه كذلك فى اللغة الألمانية على الرغم من أنه يجيدها أكثر من أى طالب آخر فى قسمه بمـا لا تجوز معه المقارنة .

وترك تولستوى كليـة اللغات الشرقية إلى كليـة القانون ، ولـكنه فى عامه الثـانى بالجامعة لم يك أحسن حالا منه فى عامه الأول ، فقد ظل مسرفا فى لهوه لا يقف فيه عند حد ، يسهر أكثر لياليه حتى يسفر الصبح فى مجونه وفتونه ، ولبث على هذه الحال حتى انتصف العام الدراسى أو جاوز المنتصف .

وكان فى الجامعة يتنبل بماله وثيابه ، يصل إليها على جواد جميل وحوله بعض الخدم ، ولا يجالس أو يصاحب إلا من يراه فى مثل طبقته ، ويترفع على من يراهم دونه ، ولذلك كان بغيضاً إلى هؤلاء ثقيلا عندهم ، قال أحـدهم يصف شعوره نحوه « لقد كنت أبتعد عن الـكونت ، ذلك الذى نفرنى من أول الأمر تظاهره بالجفاء كما نفرنى شعره القصير الخشن وما ينبعث من عينيه نصف المقفولتين من معنى يخز النفس ، وإنى لم ألق قط شاباً مثل ما لهذا الشاب من ذهاب بالنفس ورضاء عنها ، الأمر الذى يدعو غريباً كما أنه لا يفهم ؛ وقلما كنت أقابل الـكونت أول الأمر ، ذلك الذى على الرغم من قبيء منظره وخجله قد اتخذ له رفقة ممن يدعون الأرستقراط ؛ وقلما عنى بأن يرد تحيتى كأنما يريد أن يشير بذلك إلى أننا أبعـد من أن نتساوى حتى فى هذا المـكان حيث أنه يأتى إليه فى عربة أو على ظهر جواد وآتى أنا راجلا » وذكر هذا الزميل مرة أخرى أنه تصادف أن حبس فى حجرة بالـكلية هو وتولستوى بعض الوقت عقابا لهما على تقصير ، فرأى تولستوى فى يده كتاب تاريخ ، فقال إن التاريخ فى رأيه أتفه موضوع ، فما هو إلا مجموعة من الخرافات والتفاصيل العديمة الجدوى تتخللها طائفة من الأرقام وأسماء الأعلام ؛ وتطرق الحديث إلى الشعر فتهكم تولستوى وسخر من الشعر ؛ ثم تحدث عن التعليم الجامعى بوجه عام فسخر منه ما وسعته السخرية وسخر من تسمية الجامعة دير العلم إلى أن قال « ويحق لنا أن نتوقع أننا نترك هذا الدير رجلين نافعين مزودين بالمعرفة ، ولـكن ما ذا عسى أن نحمله معنا من الجامعة حقاً ، وأى شيء نصلح له ولمن من الناس نكون ضروريين ؟

هـذا هو رأى زميله عنه ، ولـكن الذين عرفوا تولستوى وقد نسى تكلفه يجدونه شخصاً غير هذا ، فهو ذكى الفؤاد محبب العشرة إلى رفقائه ، طيب القلب ، واسع الأفق متوثب الروح ، صادق الحماسة لما يعتقد أنه حق أو صواب .

وهو فى أثناء أجازته الصيفية فى ياسنايا ، ينسى ما كان منـه فى المدينة من تكلف يبعد به عن طبيعته ، ولو أن أحداً من خلانه رآه هناك لأخذه العجب من أن يكون هذا هو الطالب الإرستقراطى

الذي عرفه في الجامعة ؛ فهو هنا في القرية يستحم في النهر ويجلس تحت شجرة يطالع قصة فرنسية ، ويصيد السمك أو الطير ويمشي في الغابة ما وسعه المشي وقد أطلق نفسه على سجيتها ، فلا أناقة في ملبس ولا تكلف في مشية أو جلسة أو حديث ؛ وإنه لينام في شرفة ويأكل حيث يحب ويلبس ما يلائم لبسه الحر فحسب ؛ حتى إذا عاد إلى المدينة رجع إلى تكلفه وأرستقراطيته .

ونجده بعد إسرافه في لهوه يثوب بعد منتصف العام الدراسي الثاني إلى شيء من الجد ؛ ويجد لذة في دراسة القانون المقارن والقانون الجنائي وعقوبة الإعدام ، ويقبل على القراءة إقبالا شديداً حتى ليتجاوز المقرر كثيراً في هذه الموضوعات ، ويأنس منه أستاذه هذا الإقبال فيكلفه أن يقارن بين كتاب منتسكيو «روح القوانين» وبين قانون كاترين الثانية ، فيجد الفتى في هذه المقارنة متعة عظيمة حتى ليميل إلى ترك الجامعة كي يستطيع أن يقرأ ما يحب أن يقرأ في غير قيد بما يتطلب المنهاج ، فإنه إذا أقبل على قراءة شيء أحبه لا يحب أن ينصرف عنه إلى غيره حتى يستوعبه ويستوفي منه ما يريد . ويخرج الفتى من مقارنته بين الكتابين بأن كاترين في كتابها قد خلطت آراء منتسكيو الحرة باستبدادها وغرورها ، وأن هذا الكتاب قد أجدى على كاترين من الصيت أكثر مما أجدى على روسيا من الخير ...

وفي شهر مارس من سنة ١٨٤٧ يصيبه المرض ويلح على بدنه القوي فيحمل إلى مستشفى يقضي به أياماً ؛ وهناك يبدأ الفتى كتابة يومياته فتكون هذه اليوميات من أهم مصادر تاريخ حياته ، فلقد دأب على كتابتها أكثر أيام عمره ؛ ولم ينقطع عنها إلا بضع سنين ثم عاد إليها .

وكانت أول صفحة منها بتاريخ اليوم السابع عشر من ذلك الشهر ومما جاء فيها قوله : « ليس يصحبني خادم هنا ولا يساعدني أحد ، وعلى ذلك فلن يؤثر مؤثر خارجي في ذاكرتي أو حكمي على الأشياء ، ويجب تبعاً لذلك أن يزداد نشاطي العقلي ... وإن أهم ما كسبته من ذلك هو أن أرى في وضوح أن تلك الحياة المضطربة التي يعزوها الناس عرفاً إلى الشباب إنما مردها في الحق إلى فساد روحي مبكر ؛ إن من يعيش في جماعة يجد في العزلة من الفائدة له مثلما يجده منها في الجماعة من كان يعيش في عزلة ؛ وما على المرء إلا أن ينسحب من الجماعة وينطوي على نفسه ليرى كيف يطرح عقله ذلك المنظار الذي كان يرى خلاله كل شيء حتى ذلك الوقت في ضوء مهوش ... ولأن يكتب المرء عشرة مجلدات في الفلسفة أهون عليه من أن يحقق فكرة واحدة تحقيقاً عملياً » .

وفي منتصف أبريل من تلك السنة كتب في يومياته يقول : « لقد فشلت منذ قريب في أن أجمل سلوكي كما أريد ، وكان مرد ذلك بادئ الرأي إلى أنني تركت المستشفى ، ثم بعد ذلك إلى من أجدني أعود إلى مخالطتهم من رفقة يوماً بعد يوم ؛ وأختتم ذلك بأنه ينبغي أن يقودني تغيير المكان إلى أن أفكر في جد كيف تؤثر في الظروف الخارجية كلما تجددت الشروط والأوضاع » .

ويتفكر في مستقبله فيعاوده ما كان يطمح إليه من كمال على الرغم مما أسرف فيه من عبث ولهو فيقول : « إني أجدني دائماً بحيث يطالعني هذا السؤال : ما الغرض من حياة الإنسان؟ وبغض النظر عما بلغته بطول تفكيري من نتائج وعما أعده في رأيي منبع الحياة ؛ فإني ما أزال أصل إلى خاتمة لا تتغير ومؤداها أن الغرض من الوجود الإنساني إنما هو أن نبذل أكبر عون نستطيعه في سبيل أن يرقى كل شيء حي رقياً عالياً عاماً ؛ وإني لو لم أجد غرضاً لحياتي لكنت أشقى بني الفناء على أن يكون غرضاً نافعاً عاماً ... وعلى ذلك فيجب أن تكون حياتي منذ اليوم كفاحاً دائباً نشطاً في سبيل تحقيق هذا الغرض الذي ليس لي غرض سواه » .

ويعود الفتى إلى اعتزامه وما يقطعه على نفسه من مواثيق فيذكر ما سوف يأخذ به نفسه من ألوان الجد في عاميه القادمين بالقرية ، فسيدرس القانون كله ليتهيأ للامتحان النهائي للجامعة وسيدرس الطب العملي وقسطاً من ناحيته النظرية واللغات الفرنسية والروسية والألمانية والانجليزية والطليانية واللاتينية ، والزراعة النظرية والعملية والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والعلوم الطبيعية ، وسيدون ما يعن له من ملاحظات وسيبلغ درجة الكمال في الفن والموسيقى ، وسيكتب المقالات في شتى المواضيع التي يدرسها إلى غير ذلك من ألوان الجد والدأب ...

ثم إنه يقطع على نفسه عهداً أن ينجز ما جمع عزمه عليه مهما

تسكن العقبات وأن ينجزه على خير وجه وألا يرجع إلى الكتب فيما نسى من أمر بل يعمل على أن يسترده من ذاكرته ؛ وأن يحرص على أن يبذل عقله أقصى ما فى وسعه من طاقة وأن يجهر بقراءته وتفكيره ، وألا يخجل من أن يصارح من يقطعون عليه عمله بأنهم يعوقونه عنه ؛ وليدعهم أول الأمر يشعرون بذلك فإن لم يفهموا فليصارحهم به فى شيء من الاعتذار .

وحق للمرء أن يعجب من هذا الذى يعتزمه الفتى بعد ما كان من لعبه وبطالته ، ولعل إسرافه على نفسه هو الذى يوحى إليه بما عسى أن ينسيه ذلك العبث ويعوضه عما فاته من جد ؛ وفيم العجب وتلك حال من حالات الشباب ، والشباب يتخيل أنه قادر على كل شيء فلننتظر ماذا أنجز الفتى من هذا الذى جمع العزم عليه .

لم يلبث الفتى أن ترك الجامعة دون أن يحصل على شهادة ما ؛ ففى سنة ١٨٤٦ خرج أخوه نيقولا من الجامعة والتحق بالجيش ، وعاش ليو مع أخويه الباقيين فى بيت استأجروه وقد تركوا بيت عمتهم فلا رقيب عليهم ؛ وبعد أشهر قليلة قسمت ثروة أبيهم بينهم فكانت ياسنايا بوليانا من نصيب ليو ، مضافاً إليها أربع ضياع أخرى تبلغ اربعمائة وخمسة آلاف من الأفدنة ، كما كان من نصيبه نحو خمسين وثلثمائة من الفلاحين الذكور ومن ورائهم أسرهم ؛ وفى يناير سنة ١٨٤٦ يحس ليو بكثير من الضيق بعد أن بارح أخوه الجامعة كما يسأم حياة المدنية وملاهيها وغرورها ، وحياة الجامعة وقيودها والامتحانات وسخفها ، فيكتب إلى إدارة الجامعة لتستبعد اسمه من سجلاتها معتذراً بسوء صحته وبأمور تتصل بمطالب أسرته ؛ وينطلق من الجامعة إلى غير عودة ، فهل هو فاعل فى غده ما تخيله فى قازان من ضروب الجد ؟

(يتبع)

الخفيف

جامعة الدول العربية

الأمانة العامة

جائزتا جامعة الدول العربية للمؤلفين

١ — الموضوعان المقترحان لنيل جائزة الجامعة العربية هما :

ا — تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامى إلى خروج العرب منها وما يتصل بذلك من الحوادث فى بلاد المغرب

ب — تاريخ الأمة العربية (العراق — الشام — مصر والسودان — بلاد المغرب — جزيرة العرب) من سقوط بغداد إلى أول القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى)

٢ — يكتب الكتاب بلغة عربية صحيحة كتابة علمية لاعاطفية إنشائية فى مستوى الجمهور المثقف

٣ — فى عرض الموضوع تذكر مصادر البحث فى حواشى الصفحات مع ذكر أرقامها وتذكر النصوص إذا دعت الحاجة

٤ — يعنى فى الكتاب بتاريخ الأمة والشعب والحضارة ولا يقتصر على تاريخ الأشخاص والحروب

٥ — على المؤلف أن يطلع على المصادر الهامة المكتوبة فى الموضوع بلغة أجنبية ويشير إليها

٦ — لايجوز تقديم كتاب فى أحد الموضوعين سبق نشره

٧ — لاتقل صفحات الكتاب عن (٥٠٠) صفحة من القطع المتوسط

٨ — يزود الكتاب بالخرط التى يحتاج إليها

٩ — يقبل الكتاب الذى اشترك فى تأليفه أكثر من مؤلفه

١٠ — الجائزتان كل منهما (٥٠٠) جنيه

١١ — يحق لكل عربى أن يشترك فى المسابقة أيا كان قطره

١٢ — إذا قبلت لجنة التحكيم كتابين متقاربين فى الجودة فى أحد الموضوعين وزعت الجائزة بينهما ولا يجوز أن تقبل أكثر من كتابين

١٣ — يكون الكتاب ملكا للمؤلف بشرط أن يطبعه وينشره فى ظرف سنة من قبول لجنة التحكيم فإذا لم يطبعه فى هذه المدة كان للجامعة أن تطبعه

١٤ — آخر موعد لتقديم الكتاب أول مايو سنة ١٩٤٨ .

٦٨٥٨

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٨١ — فلا يسعنا أن نفتى بخلاف ما نعتقده

إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزيه :

ليحذر المفتى الذى يخاف مقامه بين يدى الله (سبحانه) أن يفتى السائل بمذهبه الذى يقلده وهو يعلم أن مذهب غيره فى تلك المسألة أرجح من مذهبه وأصح دليلا ، فتحمله الرياسة على أن يقتحم الفتوى بما يغلب على ظنه أن الصواب فى خلافه ، فيكون خائناً لله ورسوله وغاشاً له ، والله لا يهدى كيد الخائنين ، وحرم الجنة على من لقيه وهو غاش للاسلام وأهله . والدين النصيحة ، والغش مضاد للدين كمضادة الكذب للصدق والباطل للحق . وكثيراً ما نرى المسألة نعتقد فيها خلاف المذهب فلا يسعنا أن نفتى بخلاف مانعتقده . فنحكى المذهب الراجح ونرجحه ، ونقول : هذا هو الصواب ، وهو أولى أن يؤخذ به ، وبالله التوفيق .

***

فى الأحكام السلطانية للماوردى :

يجوز لمن اعتقد مذهب الشافعى (رحمه الله) أن يقلد القضاء من اعتقد مذهب أبى حنيفة ، لأن للقاضى أن يجتهد برأيه فى قضائه ولا يلزمه أن يقلد فى النوازل والأحكام من اعتزى إلى مذهبه ، فإذا كان شافعياً لم يلزمه المصير في أحكامه إلى أقاويل الشافعى حتى يؤديه اجتهاده إليها ، فإذا أداه اجتهاده إلى الأخذ بقول أبى حنيفة عمل عليه ، وأخذ به ، وقد منع بعض الفقهاء من اعتزى إلى مذهب أن يحكم بغيره ، فمنع الشافعى أن يحكم بقول أبى حنيفة ، ومنع الحنفى أن يحكم بمذهب الشافعى إذا أداه اجتهاده إليه لما يتوجه إليه من التهمة والممايلة فى القضايا والأحكام ، وإذا حكم بمذهب لايتعداه كان أنفى للتهمة وأرضى للخصوم ، وهذا — وإن كانت السياسة تقتضيه — فأحكام الشرع لا توجبه لأن التقليد محظور ، والاجتهاد فيها مستحق . وإذا نفذ قضاؤه بحكم وتجدد مثله من بعد أعاد الاجتهاد فيه وقضى بما أداه اجتهاده إليه وإن خالف ما تقدم حكمه . . .

٨٨٢ — وقدرك خير من وليمة جارك

الأغانى : (قال اسحاق الموصلى) قال لى أبو زياد الكلابى :

أولم جار لى يكنى أبا سفيان وليمة ودعانى لها ، فانتظرت رسوله حتى تصرم يومى فلم يأت ، فقلت لامرأتى :

إن أبا سفيان ليس بمولم فقومى فهاتى فلقة من حوارك[1]

فلقت له أليس غيرُ هذا فقال : لا ، إنما أرسلته يتيما[2] ، فقلت : أفلا أجيزه ، قال شأنَك ، فقلت له :

فبيتك خير من بيوت كثيرة وقدرك خير من وليمة جارك

فضحك ثم قال : أحسنت بأبى أنت وأمى ، جئت والله به قبَلا[3] . . وما ألوم الخليفة أن يجملك فى سماره ويتملح بك ، وإنك لمن طراز ما رأيت بالعراق مثله ، ولو كان الشباب يشترى لابتعته لك بإحدى عينىّ ويمنى يدى ، على أن فيك بحمد الله ومنّه بقية تسر الودود ، وترغم الحسود .

٨٨٣ — المسألة دولية لا دليلية

العلم الشامخ فى إيثار الحق على الآباء والمشايخ لصالح بن مهدى المقبلى اليمنى (المتوفى سنة ١١٠٨) :

مثال ما استصغر فى الفروع ما فعله الزيدية فى عصرنا هذا ولم يكن فى أوائلهم ، وهو تحريم الفاطميات على من ليس بفاطمى. وجهه الغلو فى الرياسة ، ولا ينبغى أن يذكر ما تشبثوا به فإنما هو كذب ومخرقة وقد استدل بعضهم بأن نكاح الفاطمية بمن ليس بفاطمى — بحسب العرف الطارىء — كالهتك لحرمه أهل البيت والوضع من شأنهم فلا يجوز فعله . والتطبيق منذ عصر الصحابة إلى الآن على التزوج بهن فى جميع الأرض حتى رأينا وضعاء يترفع عنهم آحاد الناس يتزوجون بالفاطمية ولم يقع استنكار ، وإن

(١) فى البيت خرم : ذهاب الفاء من فعولن ، فيبقى عولن فينقل فى التقطيع إلى فعلن.

(٢) اليتيم : الفرد .

(٣) يقال تكلم فلان قبلا فأجاد ، والقبل أن يتكلم بكلام لم يكن استعده ، واقتبل الكلام والخطبة اقتبالا ارتجلهما وتكلم بهما من غير أن يعدهما (اللسان) .

أردتم ، فى بقعتكم هذه من جبال اليمن فأما علماء الدين فليس عندهم الا اتباع الدليل ، ولا يستنكرون إلا مخالفته وأما العامة أتباع كل ناعق فإنهم نشئوا فى منع الدولة لذلك ودعوى تحريمه وتهويله وظنوه كذلك ، فإن المسألة دولية لادليلية[1]. ثم صرن (يعنى الفاطميات) الآن فى اليمن يشيب أكثرهن بلا زواج ، وتفسد من تفسد ، ويتفرع على فساد من تفسد منهن مفاسد أخرى ، لأن الرفيع يحاذر ما لا يحاذره الوضيع فيقتحم فى تستيره نفسه كل هول ، وقد علم أن النساء أكثر من الرجال فمن أين لنا فاطميون يقومون بهن ؟ وليتهم مع هذا حملتهم النخوة والحمية على القيام بهن وإيثارهن ولكن يعدلون إلى ما يقضى به هواهم من بنات السوقة والحبش ! فترى الفاطميات اليوم فى اليمن متجرعات لهذه المظلمة مع ماعلم من الأمر الشرعى من المسارعة إلى التزويج [إلا تفعلوه تكن فى الأرض فتنة وفساد كبير] .

٨٨٤ — وإنما الشأن فى الحار جداً والبارد جداً

البيان والتبيين للجاحظ : أنا أقول : إنه ليس فى الأرض كلام هو أمتع ولا أنفع ... ولا ألذ فى الأسماع ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة ... من طول استماع حديث الأعراب الفصحاء والعقلاء والعلماء والبلغاء ... إلا أنى أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعانى ، وقد يحتاج إلى السخيف فى بعض المواضع ، وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم ومن الألفاظ الشريفة الكريمة المعانى[2] كما أن النادرة الباردة جداً قد تكون أطيب من النادرة الحارة جداً ، وإنما الكرب الذى يخيم على القلوب ويأخذ بالأنفاس النادرة الفاترة التى لا هى حارة ، ولا هى باردة ، وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط ، وإنما الشأن فى الحار جداً والبارد جداً ...

٨٨٥ — قاد الجيوش لسبع عشرة حجة

عيون الأخبار لابن قتيبة : قال أبو اليقظان : ولى الحجاج محمد بن القاسم الثقفى قتال الأكراد بفارس فأباد منهم ، ثم ولاه السند فافتتح السند والهند ، وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر :

إن السماحة والمروءة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة يا قرب ذلك سودداً من مولد

وفى معجم الشعراء للمرزبانى : وله يقول زياد الأعجم أوغيره :

قاد الجيوش لخمس عشرة حجة ولداته عن ذاك فى أشغال
قعدت بهم أهواؤهم وسمت به همم الملوك وسورة الأبطال

وكان محمد بن القاسم من رجال الدهر .

٨٨٦ — . . . وإن أفطر قالوا معذور

نهاية الأرب : قال سعيد بن جبير : لم تر عيناى أجل من فضل عقل يتردى به الرجل ؛ إن انكسر جبره ، وإن تصدع نعشه ، وإن ذل أعزه ، وإن اعوج أقامه ، وإن خاف أمنه ، وإن حزن أفرحه ، وإن تكلم صدقه ، وإن أقام بين أظهر قوم اغتبطوا به ، وإن غاب عنهم أسفوا عليه ، وإن بسط يده قالوا : جواد ، وإن قبضها قالوا : مقتصد ، وإن أشار قالوا : عالم ، وإن صام قالوا : مجتهد ، وإن أفطر قالوا : معذور ...

٨٨٧ — الحلواء ، اللوزينج ، القطائف

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهانى :

قال بختيشوع : الحلواء كلها ، حقها أن تؤكل بعد الطعام لأن للمعدة ثوراناً عقب الامتلاء كثوران الفقاع ، فإذا صادفت الحلاوة سكنت . وقول الناس : إن فى المعدة زاوية لا يسدها إلا الحلاوة على أصله والآكل إذا اشتهى الحلاوة ثم فقدها وجد فى حواسه نقصاً .

***

اللوزينج قاضى قضاة الحلاوات .

قيل لبعض الناس : إن التمر يسبح فى البطن ، فقال : إذا كان التمر يسبح فى البطن فإن اللوزينج يصلى فيها التراويح .

***

ألذ شىء على الصيام من الحلاوات فى الطعام
قطائف نضدت لحاكت فرائد الدر فى النظام
منومات على جنوب فى الجام كالصبية النيام

---

(١) يراجع الفصل (هل فى الاسلامية طبقات ؟) فى الاسلام الصحيح

(٢) وفى كتابه (الحيوان) : وأنا أقول : إن الإعراب يفسد نوادر المولدين كما أن اللحن يفسد كلام الأعراب لأن سامع ذلك الكلام إنما أعجبته تلك الصورة وذلك المخرج وتلك اللغة وتلك العادة فإذا ادخلت على هنا الأمر الذى إنما أضحك بسخفه وبعض كلام العجمية التى فيه — حروف الاعراب والتحقيق والتثقيل وحولته إلى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء وأهل المروءة والنجابة انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت صورته .

غروب شمس

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

[مهداة إلى روح شقيقتي الوحيدة التي رجعت إلى ربها راضية مرضية].

تركت الدار موحشة الجناب ورحت وأنت فى شرخ الشباب
دفنتك فى التراب وكنت عندى أعز الخاطرين على التراب
وأودعت الثرى كنزاً ثميناً من الأخلاق والشيم العذاب
وغاب مع السكون الجهم صوت على نبراته يغفو اضطرابى
وغيب فى ظلام القبر نور وخلف لى لهيبا من عذاب
يؤرقنى غيابك من حياتى وما أقسى مرارات الغياب !
تلمست النجاة فرحت جسما طرى العود خفاق الإهاب
وعدت إلى لا نفس خفوق ولا روح يلطف من مصابى
ولو أنى استطعت بذوب قلبى فديتك من أعاصير التباب
أنادى باسمك الغالى ، ولكن أراك عييت عن رد الجواب
وكنت إذا سكت ملأت نفسى بألوان الحديث المستطاب
أنادى ... والأنين رجيع صوتى وأهتف والجواب صدى انتحابى
وتغلبنى الدموع ... وأى صبر يقر أمام دمع فى انسكاب !
وأى مصيبة نزلت بساحى ! وأى رزيئة وقفت ببابى !
وما بالهين الخطب افتقادى أعز الأقربين إلى انتسابى
فقدتك وافتقدت عزاء نفسى وكنت لى العزاء وقد خلا بى !

***

أراك - وقد أراك الموت حلما - بسمت فقد خلصت من العذاب
رؤى الدنيا كواذب خادعات وقد صبغت بألوان كذاب
نساق إلى مفاتنها ، ونمضى مضى المسحرين إلى السراب
ونعشو كالفراش على شعاع جحيمى الحرارة واللهاب
نؤمل ما نؤمل ثم نُطوى مع الإنفاس آمال خوابى
تعللنا بمعسول الأمانى وتمزج بالتعلة كل صاب
ونأخذ من يد الأيام كأسا تداول بالقديم من الشراب
نجرعه وليس لنا سبيل إلى الشكوى من الألم الذاب
وتسلبنا الأعز، وليس حرص بمانع كفها عن الاغتصاب
مضت بالأولين ، وسوف تمضى بنا وبغيرنا من كل باب
نعيش وحولنا أهل وصحب ونحن من الحياة على اغتراب
وما حمل المرارة غير حى زواه الموت عن هذا الركاب
يشيع نفسه فى كل حين وراء الراحلين من الصحاب..!

***

شقيقتى العزيزة ! لست أدرى أكنت خيال وهم فى عبابى ؟!
أسائل موج أيامى أكانت ليالينا بها خفق الشهاب ؟!
وكنا ناعمين على سبوح رخى الريح يمرح فى انسياب
يوحدنا الحنان الجم حتى كأن رغاب نفسك من رغابى
فلم يعصف برحلتنا خلاف ولم نعرف لجاجات الشغاب
ولم يلمم بنفسينا خصام ولا خطرت بنا نسم العتاب
فمالك قد قطعت سراك منها وعوجل نجم عمرك باحتجاب ؟!
وروع ليلنا الزاهى بفجر دميم الوجه مهتوك النقاب
وهبت فى الصباح الطلق ريح تسوق إليه داكنة السحاب
وزلزلت السفينة وهى تمضى تشق عباب أمواج غضاب
منكسة الشراع كأن نعشا سرى فى اليم ما بين اصطخاب
تمر بها العواصف معولات كأن سبيلها أحشاء غاب
وقهقهت المقادر وهى تبدو مسلحة بأظفار وناب
فألقى بى الأسى فى غير وعى شريد الفكر مشدوه الصواب
أجوب الشاطئين غريب دار مطلسمة المعالم والشعاب
كأن نسيمها أنفاس جن وأن حفيفه صمت اليباب !
محا منها البشاشة هول يوم أساء إلى مغانيها الرطاب

***

شقيقتى العزيزة ! أى خطب بليت به ولم يك فى حسابى !
كتاب حياتك اختتمته بلوى فكان الرزء خاتمة الكتاب
طويل فصوله سنة وحلم سريع الخطو ومضى الوثاب
طواه الموت مخترما عجولا كما يطوى الحديث بالاقتضاب
وكانت قصة القدر المعمى وكانت قصة الزمن المحابى
صبرت على متاعبها ، وكانت شجونك فى فؤادى كالحراب..

***

شقيقتى العزيزة ! أى ذكرى معطرة سمت عن كل عاب !
حديثك فى فم الأهلين شهد وبعدك عن ديارك كأس صاب

وما عودتنى فى العيش نأياً ... فكيف وقد رحلت بلا إياب!
ذهبت شهيدة للقاء رب ... كريم الأجر مرجو الثواب
حملت على يديك كتاب طهر ... وعفة خاطر، وتقى شباب
رحلت وأنت باسمة رضاء ... وما خلفت لى إلا اكتئابى
سأمضى بعد موتك فى حياتى ... كما يمضى الغمام فى الضباب
خلت من كل سلوان وشاهت ... وقد ضاقت بأحزانى رحابى ...

حسن كامل الصيرفى

الأدب والفن في أسبوع

أصول الأدب الهندى :

أشرنا فى عدد سابق من « الرسالة » إلى الجهد المشكور الذى يبذله الأستاذ وديع البستانى فى البحث عن أصول الفلسفة الهندية وآداب الهنود ، وأشدنا بهمته فى نقل تلك الآثار الخالدة إلى اللغة العربية بعد أن وفر جهده على دراستها أربعين عاماً أو تزيد .

وقد جاء فى الأنباء البرقية أن الأستاذ وديع أتم فعلا نقل الملاحم الهندية القديمة إلى اللغة العربيـة ، وهى « الرامايانا » و « المهابهاراتا » و « النالادمايانتى » و « الشا كونتالا » ، كما أنه ألف كتاباً خامساً عن الأساطير الهندية القديمة ...

و « الرامايانا » و « المهابهارتا » ملحمتان كالأليـاذة ، والأوديسة ، فموضوعهما تصرفات الآلهة وقصص الأبطال ، وتعتبر « الرامايانا » أهم من « المهابهارتا » ، كالأليادة بالنسبة للأوديسة أما « النالادامايانتى » فإنها إحدى القصص الخمس التى تتألف منها « المهابهارتا » ، وأما « الشا كونتالا » فإنها قصـة عنيفة من النوع الدرامى . ولـكنها تعتبر حديثة بالنسبة لسابقاتها ، إذ وضعها الشاعر « كالنياسا » فى أواخر القرن الثالث للميلاد .

ويقول الباحثون فى الأدب المقارن إن « الرامايانا » تشبه الألياذة إلى حد كبير ، بل إنها تشبهها تمام المشابهة ، فإن الهنود ينسبون وضعها إلى شاعر قديم يدعى « فاليكى » ولـكن حياة هذا الشاعر غير محققة ، وإن البحث الحديث ليشك فى وجوده كما يشك فى وجود هوميروس ، وإذا كانت الألياذة قد صورت آلهة اليونان مجتمعة بقمة الأولمب ، فأن الرامايانا كذلك صورت معبودات الهنود مجتمعة فى قمة جبل ميرو ، وتنسب الألياذة إلى المعبودات اليونانيـة أنها كانت تتغذى بماء الخلود ، وكذلك تنسب الرامايانا إلى المعبودات الهندية أنها كانت تشرب ماء العنبرية أى ماء الحق الذى يضمن لهم الحياة الباقية ، وفى الألياذة يقف « جوبيتر » أبو المعبودات اليونانية وفى يده الصاعقة ليرسلها على المغضوب عليهم من الضالين ، وكذلك فى الرامايانا يقف « أندرا » شيخ معبودات الهنود وفى يده هذه الصاعقة ، ولـكن الهنود يصورون معبودهم الـكبير فى وضع مهيب إذ يمثلونه بثوب أزرق مرصع بعيون كثيرة متكئاً على قوس قزح ومن حوله الحور العين ، وكأنهم بهذه الصورة يرمزون إلى السماء .

وكذلك نجد على وجه العموم مشابهة كثيرة بين الملاحم الهندية والملاحم اليونانية فى تصوير الآله والأبطال ، « ففينوس » الجيلة المعبودة عند اليونان تقابلها المعبودة « لـكمى » عند الهنود ومن الغريب أن كلتيهما قد خلقت من زبد البحر ، و « أبولون » إله الوحى والشعر والفنون يقابله « كريشنا » و « إيروس » إله الحب يقابله « كاما » وهكذا نجد لـكل إله أو بطل مقابلا فى مثل وضعه ووصفه .

وقد يؤدى هـذا إلى الاعتقاد بوجود صلة بين الأدبين ، والواقع أن الباحثين فى الأدب المقارن لم يستطيعوا أن يصلوا إلى نتيجة حاسمة فى هذا الشأن لأن الملاحم الهندية وضعت فى القرن التاسع قبل الميلاد ، وهو الزمن الذى وضعت فيه الملاحم اليونانية فلم تعرف أسبقية لأيهما بعد ، كما لم تـكشف صلة فى ذلك الزمن بين الهنود واليونان ، ولا شك أن عناية الأستاذ وديع البستانى بنقل تلك الملاحم الهندية إلى اللغة العربية سيعين على كشف هذه الحقيقة ؛ ولاشك أنه بهذا الجهد الجبار يؤدى خدمة جليلة للآداب العربية ، بل للآداب العالميـة ، وإنها لخدمة تزيد فى التقدير والاعتبار عن تلك الخدمة السابقة التى نهض بها عمه الشيخ سليمان البستانى بترجمة الألياذة إلى العربية ، لأن الألياذة كانت قد نقلت إلى كثير من اللغات الحية فى العصر الحديث . أما الملاحم الهندية فأنها لا تزال بلغتها الهندية القديمة .

على أننا فى هذا المقام نذكر باحثاً فاضلا بكل خير وهو المغفور له صالح جودت بك ، فقد نقل إلى العربية عام ١٩١٢

قصة من تلك الملاحم الهندية وقدم لها بمقدمة أشاد فيها بالآداب الهندية القديمة وأشار إلى ما فيها من مظاهر لا تقل عما هو ملحوظ فى آداب اليونان .

انحطاط المجلات المصرية :

بهذا العنوان كتبت مجلة « عالم الغد » العراقية كلمة قالت فيها : « يغمر العراق سيل لا ينقطع من المجلات المصرية الأسبوعية المصورة الرخيصة ، وهى ملأى بالميوعة والخلاعة والعامية وسوء الأدب وليس فيها إلا الأدب الرخيص الذى يتنافى وعاداتنا وتقاليدنا ويتنافى ونهضتنا التى يجب أن تقوم على أسس ثقافية متينة وتستند إلى دعائم خلقية قوية ، ولو كانت هذه المجلات تباع بالمئات لغضضنا الطرف عنها ولكنها تباع بالآلاف وتتسلل إلى كل بيت ويقرؤها كل شاب وتتصفحها كل فتاة فلانستطيع إذن أن نتجاهل تأثيرها فى أخلاق الناس ومستقبل الثقافة » .

« ولقد ارتفعت الشكوى من هذه المجلات فى مصر والعراق لأنها أخذت تتسابق فى دعارتها ... وتتفنن فى إثارة شهوات المراهقين بما تعرضه من صور خليعة نابية ، وماتنشر من أقاصيص مكشوفة بعيدة عن كل ذوق سليم ، ونحن لا نعترض على نشر الصور الفنية ، وإنما نعارض فى نشر الصور الخليعة التى لا ترمى إلى غاية ثقافية وخلقية ، فعلى مديرية الدعاية العامة واجب عظيم وهو مراقبة هذه المجلات مراقبة دقيقة والحيلولة دون تسربها إلى أسواق العراق محافظة على الثقافة الصحيحة والآداب العامة » .

هذا ما كتبته تلك المجلة الثقافية العراقية ، نشرناه بنصه وحروفه ، وإن كنا قد حذفنا منه أسماء المجلات التى عينتها وعنتها بالحديث ، ونحن ننشر هذا الكلام من غير تعليق ، وكل ما نرجو أن نكون بصيرين على أنفسنا قبل أن يبصرنا غيرنا بأمورنا ، وماذا يكون موقفنا إذا واجهتنا مديرية الدعاية فى العراق بمنع دخول تلك المجلات المصرية إلى العراق بحجة أنها تسئ إلى الأخلاق؟

تاريخ دمشق :

من أنباء دمشق أن مصلحة الآثار هناك اتخذت خطة للعناية بالآثار الأسلامية ، ورأت فى ذلك أن تذيع نشرات دورية للتعريف بأهم تلك الآثار وأن تقوم بطبع الكتب المخطوطة القيمة التى تؤرخ دمشق وتتحدث عن خططها .

وهذه نهضة طيبة ووجهة حميدة نرجو أن تستمر فى طريقها كما نرجو أن تسايرها نهضات مماثلة فى مصر والعراق ولبنان وفلسطين وغيرها من الأقطار العربية الأسلامية ، فأن كثيراً من مصادر التاريخ الإسلامى وعواصم الإمبراطورية الإسلامية لاتزال مطمورة مجهولة ، ولا يزال المؤرخون فى العصر الحديث يجدون فى معالجة هذه الموضوعات مشقة بالغة .

ومما يذكر بهذه المناسبة أن نهضة مماثلة لهذه النهضة الدمشقية كانت قد قامت فى مصر ، وكان لدينا طبقة من العلماء الباحثين الذين يمنون بهذه النواحى ، ولكن هذه النهضة ركدت بل وقفت فجأة فى منتصف الطريق ، حتى إن كتاب مسالك الأبصار الذى حقق المغفورله أحمد زكى باشا الجزء الأول منه وأخرجه منذ ثلاثين عاماً لم يطبع منه أى جزء آخر للآن ، بل لقد أهمل أمر هذا السفر العظيم وأصبح فى خبر كان .

ولعل عاصمة من العواصم الإسلامية القديمة لم تجد من عناية المؤرخين بتاريخها وخططها وتطوراتها مثل ما وجدت القاهرة ، ولكن مما يدعو إلى الأسف أن لا نجد بين أيدينا من ذلك إلا خطط المقريزى فى القديم وخطط على باشا مبارك فى الحديث ، على حين أن هناك عشرات الكتب المماثلة لاتزال مطمورة مجهولة فهل يمكن أن تتعاون دار الكتب المصرية ودار الآثار العربية على اخراج هذه الآثار ؟

آثارنا :

ومن أنباء دمشق أيضاً أن رئيس البعثة الفرنسية التى كانت تقوم بأعمال الحفر والتنقيب فى منطقة رأس شمر باللاذقية قد نقل جميع ما عثر عليه من اللوحات الأثرية القيمة إلى فرنسا ولم يسلم للحكومة السورية منها شيئاً مع أن هذا يخالف نص الاتفاق الذى عقد بين الحكومة السورية والبعثة الفرنسية والذى يقضى باقتسام ما يعثر عليه من الآثار مناصفة بين الفريقين ، وقد كتب محافظ اللاذقية إلى حكومته يقول إن رئيس البعثة يأبى أن يسلم شيئاً من الآثار التى عثر عليها بحجة أنه نقلها إلى فرنسا ليقوم بدراستها وفك رموزها ، ثم يهيب بالحكومة أن تقاضيه لأخذ نصيبها من هذه الآثار .

وهذه القصة فى الواقع هى قصة جميع الآثار التاريخية لأقطار الشرق ، تلك الآثار الغالية التى سرقت تحت أبصارنا وأسماعنا وغمرت بها المتاحف الأوروبية ، على حين خلت منها متاحفنا ومكتباتنا وأصبحنا لا نستطيع تصحيح تاريخنا إلا إذا شددنا إليها الرحال أو تفضل مستشرق فقدم إلينا من دلائلها ما يريد هو لا ما نريد نحن .

« الجاحظ »



ترجمة الآداب الثقافية العالمية :

أذيعت أخيراً أهم القرارات التي أقرتها الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في القسم الثاني من دورتها الأولى التي عقدت بنيويورك من ٢٣ أكتوبر إلى ١٥ ديسمبر عام ١٩٤٦ ومن بينها قراران خاصان بالناحية الثقافية اقترحهما الوفد اللبناني ووافقت عليهما الجمعية بالإجماع وهما :

أولا : تعتبر الجمعية العامة أن ترجمة الآداب الثقافية العالمية إلى لغات أعضاء الأمم المتحدة من شأنه أن يساعد على التفاهم وانتشار السلام بين الأمم إذ يخلق ثقافة مشتركة لجميع الشعوب .

لذلك فهي تحيل هذا الموضوع إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي ليحيله بدوره إلى المنطقة التهذيبية والاجتماعية والثقافية للأمم المتحدة لاتخاذ عمل ملائم ، وتوصي المجلس والمنطقة أن يأخذا بعين الاعتبار المبادىء التالية في درس هذا الموضوع :

(ا) أن ترجمة هذه الآداب الثقافية العالمية هي مشروع ذو طابع عالمي له أهمية كبرى من ناحية التعاون والتفاهم الدولي حول المسائل الثقافية .

(ب) أن بعض الأمم ليس لديها التسهيلات الكافية ولا المعدات اللازمة لترجمة هذه الآداب العالمية إلى لغاتهم .

(حـ) تعتبر هذه الترجمة من الحوافز التي تساعد على انتشار الثقافة بين الناس .

(د) أن معنى الآداب الثقافية لا ينحصر بالإشارة إلى أدب معين دون سواه بل يتناول جميع آداب الأمم وثقافاتهم خصوصاً ما كان منها — بشهادة أكبر الثقاة — ذات قيمة باقية على الدهر .

ثانياً : تعتبر الجمعية العامة أن أعضاء الأمم المتحدة ليسوا على مستوى من التطور الثقافي وأن بعض الأعضاء قد يحتاج إلى مشورة الخبراء الفنيين في مختلف نواحي الاقتصاد والاجتماع والثقافة ، وأنها مدركة عظم المسؤولية الملقاة على عاتق الأمم المتحدة في تقديم هذه المشورة الفنية لهم بحكم نصوص ميثاقها نظراً لأهميتها في دعم السلم والرفاهية في العالم .

لذلك فهي تقرر إحالة هذا الموضوع إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي بالتعاون مع المؤسسات المختصة لإيجاد الوسائل الفعالة التي من شأنها تأمين تقديم آراء الخبراء الفنيين في مختلف نواحي الاقتصاد والاجتماع والثقافة للدول الراغبة في الحصول على مثل هذه الآراء .

***

هذان هما القراران اللذان أقرتهما الجمعية العامة لهيئة الأمم بالإجماع ، ونحن نسجلهما للتاريخ ، ولعلنا نراهما عن قريب عملا نافذاً ، ولعل اتجاهات السياسة المغرضة لا تجعلهما حبراً على ورق ، ولا تطويهما في مطاوي النسيان . .

دولة المماليك البحرية :

أجمع المؤرخون على أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب هو أول من رتب المماليك البحرية وأول من سماهم بذلك الاسم نسبة إلى بحر النيل الذي كان يحيط بثكناتهم بجزيرة الروضة .

غير أن هذا الرأي لا يستند على أساس علمي صحيح ، فلقد أثبت أستاذنا الدكتور محمد مصطفى زيادة بالأدلة العلمية القاطعة أن الصالح أيوب لم يكن أول من أوجد تلك الفرقة في مصر ولم يخترع لتسميتها اسم البحرية ولا أدل على ذلك من أن جده السلطان العادل كانت لديه طائفة من الأجناد اسمها البحرية العادلية كما أن الفرقة التي أنشأها الصالح نفسه كانت تعرف باسم البحرية الصالحية ولا معنى لهذه النسبة سوى ما أريد بها من تمييز تلك الطائفة عن الطوائف البحرية الأخرى المنسوبة لمن سبق الصالح أيوب أو من جاء بعده من السلاطين كالبحرية الظاهرية المنسوبة للسلطان الظاهر بيبرس البندقداري [1] .

ويمكنني أن أدعم نظرية أستاذي القيمة بأدلة أخرى تتلخص في أن لفظ « البحرية » كان مستعملا في العهد الفاطمي في مصر حيث أطلق على طائفة من طوائف الجند ، فيروى أبو المحاسن واصفاً ركاب الوزير في الموكب الخلافي الفاطمي « ... ثم

(١) انظر مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول المجلد الرابع • مايو سنة ١٩٣٦ « بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك للدكتور زيادة »

يأتى حامل الدرق والرمح ... ثم الأكراد والغز المصطنعة وهم البحرية(١) .

ولم تكن فرق البحرية موجودة قبل عهد الصالح أيوب فى مصر فقط ، بل كان يوجد فى أوربا أيضاً فرق حربية جاءت إلى الأراضى الإسلامية وحاربت المسلمين فى الشام وأطلق عليها المؤرخون العرب المعاصرون اسم « الفرنج البحرية » أو « الفرنج الغرب البحرية » فيروى أبو شامة فى مخطوطه « النيل على الروضتين » لوحة ٨ و ٩ حـ ١ « ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وفيها فتح الملك العادل يافا .... ومن عجيب ما بلغنى أنه كان فى قلعتها أربعون فارساً من الفرنج الغرب البحرية فلما تحققوا نقب القلعة وأخذها دخلوا كنيستها وأغلقوا عليهم بابها وتجالدوا بسيوفهم بعضهم لبعض إلى أن هلكوا جميعاً وكسر المسلمون الباب وهم يرون أن الفرنج ممتنعين (صحتها ممتنعون) فألفوهم قتلى عن آخرهم فتعجبوا عن حالهم » .

ويروى أبو شامه فى موضع آخر (حـ ١ لوحة ٥٥) « وفى سنة ٦٠١ هـ تغلبت طائفة من الفرنج البحرية يعرفون بالبنادق على قسطنطينية وأخرجوا الروم منها » . وفى موضع ثالث حـ ٢ لوحة ١٦٧ يذكر أبوشامه « فى سنة ٦٢٤ هـ قدم رسول الأنبرور ملك الفرنج البحرية على المعظم بعد اجتماعه بالكامل يطلب منه البلاد التى كان فتحها عمه صلاح الدين فأغلظ له القول وقال قل لصاحبك ما أنا مثل العزيز ما له عندى إلا السيف » .

ويروى ابن واصل فى مخطوطه « مفرج الكروب » حـ ١ لوحة ١٥٠ « سنة ٥٩٩ هـ خرج جمع من الاسبتار من حصن الأكراد والمرقب ومن وصل من الغرب وأغاروا على بلد بعرين وعدتهم خمسمائة فارس ..... فبلغ الملك المنصور (صاحب حماة) ذلك فخرج إليهم والتقاهم فكسرهم كسرة عظيمة وقتل منهم مقتلة كبيرة وكان من جملة القتلى ..... وقومص من البحرية وانهزم الباقون لا يلوون على أحد » .

فلفظ بحرية إذن لم يكن جديداً على مصر حينما أنشأ الملك الصالح أيوب فرقته البحرية بل كان لفظاً عاماً أطلق على المسلمين والمسيحيين على السواء .

(١) النجوم الزاهرة حـ ٤ ص ٩٠ .

تبقى أمامنا المشكلة الأخيرة وهى لماذا سميت هذه الفرق بالبحرية ؟

للاجابة على هذا السؤال يجب أن نشير أولا إلى خطأ الفكرة الشائعة بأن لفظ بحرية يرجع إلى بحر النيل الذى كان يحيط بثكنات فرقة البحرية الصالحية بجزيرة الروضة ، فهذه النسبة لم يذكرها المؤرخون المعاصرون بتاتاً أمثال ابن واصل وأبى شامة ، هذا فضلا عن أن وجود هذا الاسم منذ العهد الفاطمى فى مصر ينفى هذا الزعم نفياً باتاً .

وأغلب الظن أنهم سموا بحرية لأنهم جاءوا من وراء البحار فيروى الجنرال جوانفيل أحد قواد حملة الملك لويس التاسع على مصر (١٢٤٩ — ١٢٥٠ م) فى كتابه « تاريخ حياة سان لوى » العبارة التالية يعرف بها البحرية الصالحية :

They were called bahriyya or menfrom(١)

أى أنهم كانوا يسمون بحرية أو رجال ما وراء البحر Ouerseei,

والجنرال جرانفيل الذى ندين له بالكثير فى تفاصيل هذه الحملة فى كتابه المذكور ، قد حارب المماليك البحرية الصالحية وأسر عندهم وتحدث إليهم ، فروايته لها قيمتها بصفته رجلا معاصراً وشاهداً عياناً . وإذا علمنا أن المماليك البحرية زمن الأيوبيين والمماليك كانوا عبارة عن فئة من الغرباء والأجانب الذين جلبوا من أسواق النخاسة بالقوقاز وآسيا الصغرى وشواطىء البحر الأسود تأيدت لدينا عبارة جوانفيل السالفة الذكر .

من كل ما تقدم نرى أن لفظ بحرية فى العصور الوسطى كان لفظاً عاماً أطلقه المسلمون والمسيحيون على الرجال الآتين من وراء البحار .

أحمد مختار العبادى

أمين مكتبة كلية العلوم بجامعة فاروق الأول

نجم يهوى

فى موجة من موجات الجنون قذف نجم بنفسه من سمائه العالية وهوى إلى أعماق البحر المظلمة ...

(1) The History of St. Louis by Joinville tr. by Joan Evans p. 84.



إلى العاتبين على الأستاذ الزيات :

لقد ظلمتم الأستاذ ، فما (هجع قلمه وسط الأحداث التى توقظ النيام) ، ولا (آثر السكوت ابتغاء الراحة والاستجمام) وما زال هـذا القلم العضب سيف الحق فى كل مكان ، وعَلَم البلاغة ومنار البيان ، ولـكنها عزلة المرض ، شفى الله الأدب بشفائه ، وأقر بصحته عيون قرائه .

(على)

حملقت ملايين النجوم فزعة مُروعة وهى تشاهد هالة من الضوء تغيب فى هذا الفضاء المطلق فى لحظات معدودات ...

لقد اندفع النجم إلى أعماق المحيط ذات القاع الصخرى وانتثر هناك مع نجوم لاقت مصيره من قبل وابتلع البحر نورها مثله .

ماذا كان سبب مأساة هذا النجم الهادى ...

أنا وحدى أعرف الجواب .

أنا وحدى أعرف ماذا كان يُبْليه ويُضنيه أثناء إشراقه ولمعانه .

إنه دفع ثمن لمعانه المستمر وكفّر عن تلألـئه الدائم ... مثله كمثل قطعة من الفحم الحىّ تضحك وتبين عن ثناياها لتُخفى ظلمتها وسوادها ، وكلما زاد تلألؤها ازدادا احتراقها وهكذا ضحك النجم وتوهج نوراً ، وحينما لم يستطع أن يتحمل آلام الاحتراق هوى من سمائه .

من مملكة الضوء إلى ظلمات الأمواه .

ملايين من النجوم أبصرت النجم الساقط وضحكت فى سخرية قائلة .

« إننا لم نخسر شيئاً . فلا تزال السماء منيرة كما كانت من قبل » .

(عن طاغور)

إبراهيم أبو الفتوح يوسف
المدرس بدار المعلمين ببغداد

قصة الروح :

تمثل الأستاذ عثمان طه شاهين فى مقاله فى مجلة الرسالة العدد (٧١٣) بهذه الأبيات :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدرْ
ولا بد لليل أن ينجلى ولا بد للقيـد أن ينكسر

وهى من المتقارب فى ضربه المحذوف ، غير أن البيت الثانى لحق به خطأ عروضى هو « إسناد التوجيه » وذلك بتغيير حركة الحرف قبل الروى المقيد من فتح إلى خفض ، وهو منصوص على خطئه فى قوانين العروض والعروضيين .

(الزيتون) عدنان أسعد

نشر ديوان الشريف الرضى :

يتمتع الشريف الرضى بمكانة مرموقة بين فحول شعراء الأدب العربى ؛ وديوانه يعد من النمط العالى . فناً ، وصياغة ؛ وحجما ؛ وطبعاته مع ندرتها بين القراء الآن تشوبها شوائب التحريف الطاغى عليها ؛ وتمتورها الأغلاط اللغوية المنتشرة ؛ وكان يحز فى نفس كل من له اشتغال بالدراسات الأدبية ؛ أن يظل ديوان الشريف الرضى ينوء تحت عبء الإهمال ، ويعانى هذا الإجحاف ؛ وقد قام العالم الباحث الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد بإخراجه إخراجاً علمياً دقيقاً ؛ وشرح ألفاظه وصور المعنى الإجمالى للبيت ؛ وتلافى ما فيه من تأريخ لا يتفق والحقائق التاريخية الثابتة ؛ ورقم القصائد بأرقام مسلسلة ؛ ورقم أيضاً القصيدة بأرقام مسلسلة ؛ وقد صدر بمقدمة طويلة جيدة ؛ تناول فيها فن الشاعر وعصره ؛ وخصائصه الشعرية ؛ وقد قسمه إلى أربعة أجزاء ؛ وتعهدت نشره « دار عيسى الحلبى » وهى تعد من أرقى دور النشر فى الشرق ؛ فجاء تحفة فنية فى الإخراج ؛ وآية رائعة فى الطبع ؛ وقد أوشك الجزء الأول أن يكون بين أيدى القراء .

محمد عبد الحليم أبو زيد

حول النبوا للأطفال :

تفضل الصحفى الكبير الأستاذ اسكندر مكاريوس بالتعليق

على مقالى « اكتبوا للأطفال » وقد أخذ على إشارتى إلى أن هذا النوع من الكتابة لم يمن به فى الشرق إلا منذ عهد قريب وكان على رأس من شقوا أفقه أديبنا الكبير الأستاذ كامل كيلانى بتلك المكتبة الضخمة التى جرت على أدق منهاج واستوفت عناصر الإفادة والإمتاع والتشويق . فالأستاذ الناقد يذكرنى بما كان من جهود بعض المرسلين الأمريكيين وما أصدره هو من مجلة الأولاد وما إليها . وأحب أن أؤكد للأستاذ أنى حين أشرت إلى حداثة العهد بالكتابة للأطفال لم أكن أعنى أن العهود الماضية خلت من مطبوعات فى هذا الصدد . فقد تعلم آباؤنا وتعلم آباؤهم من قبل وكانت بين أيديهم كتب حوت قصصاً (وحواديت) ولكنى كنت أعنى حداثة العهد بمحاولات تربوية موفقة تجارى ما نهدف إليه من آمال فى إنشاء جيل جديد صحيح التنشئة قويت ملكاته الذهنية والنفسية واستقام لسانه على نطق عربى مبين . ولو كنت بصدد تاريخ حركة الكتابة للأطفال أسرد خيرها وشرها ووثباتها وعثراتها لما غادرت شيئاً مما أشار إليه الكاتب الناقد وما أحسبنى لو فعلت ذلك أرضيه .

محمد سيد كيلانى

نيف . عام :

يجد القارئ فى غلاف مجلة الهلال الغراء (الجزء ٢ فبراير ١٩٤٧ المجلد ٥٥) العبارة الآتية : « أسست دار الهلال منذ نيف وخمسين عاماً ، وكان لها — وما زالت — أهداف ثلاثة : ثقافة — وصحافة — وطباعة » .

لقد استعمل الكاتب الفاضل كلمة (نيف) قبل العقد من العدد والصواب أن يستعملها بعد العقد من العدد . جاء فى أقرب الموارد : (النيف كسيد وقد يخفف : الزيادة يقال « عشرة ونيف » وكل ما زاد على العقد فنيف إلى أن يبلغ العقد الثانى . وعن ابن عباس أن ما حصلناه من أقوال حذاق البصريين والكوفيين أن النيف من واحدة إلى ثلاث والبضع من أربع إلى تسع . ولا يقال نيف إلا بعد عقد يقال « عشرة ونيف ومئة ونيف وألف ونيف » .

واستخدم كلمة (عام) بمعنى سنة والصواب أن يقال : منذ خمسين سنة . قال ابن الجواليق البغدادى : « ولا يفرق عوام الناس بين العام والسنة ويجعلونهما بمعنى . فيقولون لمن سافر فى وقت من السنة أى وقت كان إلى مثله عام وهو غلط والصواب ما أخبرت به عن أحمد بن يحيى قال : السنة من أى يوم عددته إلى مثله والعام لا يكون إلا الشتاء وصيفاً . وقال أبو منصور الأزهرى فى التهذيب : والعام حول يأتى على شتوة وصيفة فهو أخص من السنة فكل عام سنة وليس كل سنة عاماً . وإذا عددت من يوم إلى مثله فهو سنة وقد يكون فيه نصف الصيف ونصف الشتاء والعام لا يكون إلا صيفاً وشتاء متوالين » .

(عمان) لطفى عثمان

تعقيب :

١ — فى مقال « النطق وكيف نشأ » وردت العبارة الآتية : « فالانسان ليس بحيوان ناطق ، كما كانوا يعلموننا فيما مضى . وهو لا يختلف فى شيء من هذه الناحية عن باقى الحيوانات إلا فى الدرجة فقط » وقد فهم الكاتب أن النطق الذى جعله الناطقة فصلا يميز ماهية الإنسان عما عداها هو النطق اللسانى ، فخال ما ذكروه فى حد الانسان باطلا ولغواً من القول . وغاب عنه أنهم يريدون بالنطق التفكير بالقوة أى أن الإنسان خلق متهيئاً باستعداده ومواهبه لأن يفكر ويدرك الكلى من المعلومات وهذه ميزة لا يشركه سواه فيها ، ولم يؤتها سائر الحيوان .

وقد أتى الكاتب من اشتراك اللفظ بين معنييه اللغوى والاصطلاحى . وهذا أحد أركان الوجوه التى توقع فى الخطأ كما نص عليه علماء المنطق .

٢ — فى ص ٢٦٠ فى نقل الأديب وردت العبارة الآتية : « ولهذا قيل للنجد جلساء » وهذا لا شك خطأ من الطبع وصوابه جلس ؛ فالجلس الأرض الغليظة أو المرتفعة ، والجلساء لفظ غير معروف فى المادة .

٣ — فى ص ٢٦٩ ورد تحت عنوان : «تعليق وتعقيب» أن قطربل اشتهرت بالمشمش حتى ذكره البحترى فى قوله :

شربت مشمش قطربل وجرعتنا دقل الدسكره
إذا حب فى الكأس مسودة فكف النديم لها محبرة

وفى البيتين تحريف كما فى الديوان . فشمش صوابها مشمس ، وهو ضرب من الخمر ، وحب صوابه صب .

محمد النجار
مدرس بكلية اللغة العربية



أخت ...

للأستاذ لبيب السعيد

نظر « صادق » إلى صورة أخته الصبية بقلب يفيض رحمة ويسيل حباً وحنواً . إن صورتها تطالعه بنظرة يراها تشع وداعة وقدساً ، وبسمة ترف له لطفاً وأنساً .

وأراق على الصورة حنين روحه وضراعة فؤاده ، ثم انثنى يفكر ، وإن دموعه لتنحدر على خديه ...

لقد حرمته الوظيفة بيت أسرته فى المنيا : البيت الذى تملؤه هذه الأخت حياة بنشاطها اللطيف ، وجمالا بوجهها الأبلج ، ومتعة بحديثها العذب ... نعم ، وحرمته أن يسعد بالعناية بها عن كثب ، وأن يستوثق فى أصباحه وأمسائه أنها ناعمة فى ظلال العافية ، سابحة فى صفاء النعيم ...

أبداً تتجه روح « صادق » إلى أخته ... لقد تزوج أخواتها اللائى يكبرنها ، ورمى العيش بإخوتها المرامى ، وبقيت هى مع أمها ... أمها فحسب ! فإن أباها قد لحق بآخرته ... وتركها فى سنى الغرارة ، محرومة من ألطاف بره ! ضعيفة ! مستقبلها سر فى ضمير الزمان ...

إن صادق ليناجى أخته على البعد : « لئن مات أبونا يا أختاه ، فأنا مكانه ، وحاشا أن تحسى بعده نقصاً . إن حياتى رخيصة جداً إذا لزمتك ؛ لا تضعفى يا أختاه بل تقوى ، تقوى حتى تستطيعى أن تستطيلى بقوتك عند الاقتضاء على كل قوية نهلت من عطف الأبوة أكثر مما نهلت ! ... إن حياتك يا عزيزتى لن تشاب برغم خطبك فى أبيك بشائبة من هموم الحياة أو كدر العيش . ذرى لى كل هذا فأنا قوى عليه ! » .

ولقد ودع صادق قبل مجيئه إلى الإسكندرية أهله وأحباءه فى المنيا ، غير أخته ، هرب من توديعها ، سافر وهى فى المدرسة ، لأنه يدرك أن الحزن الذى كان سيطالعه من كلماتها ونظراتها أهول من أن يطيقه . ولذلك اكتفى بأن أخذ معه صورة لها من صور الامتحان ، لتكون له زاداً فى غربته ، وانطلق وهو يجاهد فى سد أبواب التفكير المفتحة ...

وعند ما مر القطار تجاه المقابر ، ذكر « صادق » أباه الذى لولا فقده لصح له أن لا يميد من المخاوف على أخته الناشئة ... وأرسل دعاء قلبه وصلاة نفسه إلى الفقيد الحبيب ، وضرع إلى الله ، وهو ذارف العين متدفق الوجد : يا رب ! أنت بأختى الضعيفة اليتيمة أبر منى وأكرم !!

***

وها هو فى بيته الجديد الذى كأن الوحشة تجثم عليه ، ليس بين كتبه شىء من كتب « عوارف » أخته ، ولا سبيل له إلى مناقشة « عوارف » فى دروسها ، ولا إلى الاستمتاع بإنشائها الذى تمليه خطرات صباها الباكر الطاهر ، ولا رسومها التى تخرج غالباً على حظ من الإحسان ... والصباح يسفر ، فلا يرى ولا يسمع «عوارف» وهى تهيئ نفسها للمدرسة : تسوى شعرها وتجمع كراسات يومها ، وتنظم حقيبتها ، وتصيخ لأبواق السيارات حتى إذا بلغها صوت سيارة المدرسة ، جرت إليها فى خفة العصفورة أو فى لطف القطاة ، متبلجاً بالبشر وجهها الحبى . والمساء يأتى فلا يرى « صادق » عوارف تقبل بصفحتها الآلقة وصوتها الحلو عليه وعلى أمها ، تحدثهما عن يومها ، وتفيض خاصة فى الثناء الذى تلقته من أستاذاتها وأستاذيها ، حتى إذا ما عابها وهون من شأن مادحيها ومدحهم بدا الغضب والخجل فى انكسار طرفها وتناقص بشاشتها ، فيصالح صادق تواً من لهجته ، ويتجه إليها بكل ما فى قلبه من تقدير لرشدها وحنان عليها ، ويسكب على وجهها الصغير قبلاته ، فتطمئن « عوارف » وتطيب نفساً ، وتشرق فى الحال بسمتها العذبة على ثغرها السعيد .

***

كل حالات « عوارف » يمثلها له الشوق ، فهى لا تفتأ ماثلة أمام عينه بل فى طيات قلبه ... وكأنما الآن خلال ضلوعه من فرط الشوق إليها جمرات تتقد .

ويقف صادق أمام « فاترينات » التاجر فى الاسكندرية ،

فلا يذر شيئاً يمكن أن يفيد أخته أو يسرها على أى وجه إلا اشتراه إنه يريد أن يلبسها النعمى ، وإنه ليتمنى لو كان يقدر أن يحيكها من خيوط قلبه ! وإنه ليشترى لها الحين بعد الحين مجموعات من الكتب ، فإذا لم يلق جديداً يناسبها اشترى لها مصاحف ، فإذا قال له البائع مندهشاً : كفى مصاحف ! عندك الأستامبولى طبعات ، وعندك القاهرى أشكالا ، وعندك التفاسير كلها ، وعندك الكبير الحجم والوسيط والصغير ، همس صادق لنفسه : نعم ... ولكن ليتنى أحشد فى رحاب « عوارف » كل بركة وكل نعمة !!

***

وفى صبح من الأصباح ، وهو يفتح نافذته ، التقت عينه فجأة بعين غادة فى ربيع العمر ، تنشر بعض الملابس فى الشرفة المجاورة ... وتكهرب صادق ! كهربته عين الفتاة المشحونة جاذبية وسحراً ، والتى مست فى مثل ومضة البرق أغلاف قلبه ... وأغضى بصره فى استحياء ، واسترجع جسمه كله من النافذة ... وهو يقول لنفسه : فلا تدبر !! وما هى إلا هنيهة حتى عاد إلى النافذة وهو لا يدرى لماذا يعود ... ووقف واجم اللسان ولو أنه ناطق الأسارير بكل لذعات الرغبة وكل لهفات الحرمان ...

وابتسمت له الجارة ابتسامة متوهجة بنوازع الحياة والشباب فأحس بسمتها تضىء جوانب نفسه ، كما يضىء الصبح للمتململ تحت الظلام ، كما يشرق الأمل القوى على الحيوان ، كما يهز الماء الأرض الهامدة .

ورد الابتسامة مبتهجاً ملتاعاً ، منتبهاً مأخوذاً !!

***

ولما عاد إلى سكنه فى العصر ، كانت تعتلج فى نفسه رغبات تلح فى طلب المفيض ... كان يريد أن يعل من المتعة التى نهل منها مصبحاً ، فاتجه إلى الشباك وهو يناضل الحياء الذى عاش معه منذ نشأ فى الدنيا . ولاحظ أن بعض جيرانه يستطيعون رؤيته فى مكانه ، فعدل مصراع نافذته بحيث لا تراه إلا جارته البسامة ، وتذكر أن خادمه العجوز قد فتح عليه الباب فجأة ، فأغلق دونها الباب بالمفتاح ... ونظر ، فرأى فتاته مشغولة بتطريز قطعة قماش مولية ظهرها لشرفتها ، فأراد أن يلفتها إليه ، فلم يجد فى غرفته المتواضعة غير الفرشاة يقرع بها على سقف طربوشه . ونجح فيما أراد ، فقد التفتت إليه الفتاة سريعاً وانفرج ثغرها الحلو عن بسمات فاتنة عريضة تنطق ضمن ما تنطق به بأنها فطنت لحيلة صادق ، وأنها سعيدة إذ تراه يعنى بها وانتهبت البسمات قلب صادق انتهاباً !..

ووقفت الحسناء بأقرب نوافذها إلى جارها المفتون محتجبة بالستار عن عيون الجيران إلا عينيه الجائعتين ... ومضت تكلمه فى بساطة وألفة ، وسألته فى صوت خفيض ، ويداها وعيناها وشفتاها وجيدها تعينها على الإبانة ... سألته عن منشئه وعمله واستطردت فسألته لماذا لا تتزوج ، فشدهته جرأتها غير المعهودة ولكنه ما لبث أن اعتذر عنها لدى نفسه بأنها تنزل من السذاجة المنزل الذى لا تدرك عنده ما قد يذهب إليه الناس من سوء الظن بها إذا سمعوها تسأل شاباً : لماذا لا يتزوج . وأجابها صادق عن كل أسئلتها فى غير تحرج ؛ وأحس عجبه لجرأتها يستحيل عاجلا إلى رضى عن صراحتها وارتياح لبساطتها .

وامتد حبل الحديث ولم يبق للكلفة ظل بينهما وكأنه وإياها نشآ معاً طفلين فى دد وأمان !

وقال لها مدفوعاً بجنون العاطفة : أيكفينى هذا الحديث ؟ ليتنا نجلس معاً ! ليتنا نسير جنباً إلى جنب ! تدرى لنا واحتالى !

فأجابت فى رعونة مرحة : الأمر هين ... نذهب إلى سيدى بشر أو المكس ، بل لنبعد إلى الدخيلة .

ولم يكن صادق مستعداً لتلقى مثل هذه الإجابة الجريئة ، فقال فى استغراب : ألا تخافين ؟

— مم ؟

ونظر صادق فوقه وتحته وعن اليمين وعن الشمال ، كأنما يريد أن يقول : من كل شىء فى هذه الجهات ، ولكنها مضت تقول وحركات جسمها كله تساعد على فهم أفكارها : إن فيكتورين جارتنا تقابل جارنا الضابط عند رأس الشارع ، ومن هناك يركبان السيارة إلى كازينو السفينة فى ستانلى ، أو يذهبان إلى « اكسنونون » فى المكس فيتغديان أو يتمشيان . هى حدثتنى بذلك فلنصنع كما يصنعان . وقد حدثتنى فيكتورين أنها ترافق صديقها أحيانا إلى كابينة له فى سيدى بشر ، فلنقلدها ؛ ان الشاطئ الآن

قليل الرواد ، فالفضول فيه قليل ... هكذا لاحظت فيكتورين ...

* * *

وأثار هذا العرض السافر فى نفس صادق ما أثار ، فكله فتن قيام فى الضلوع قعود ...

وقال لفتاته : إستعدى ، وهيأ هو من نفسه ، ووقف تجاهها قبل أن يخرجا ، مشيراً إليها أن تنهج الطريق يساراً ، ويتجه هو يمنة ، ليعميا وجهتهما على الحلاق وبائع السجاير القريبين ، وعلى من يكون فى دكانيهما .

ونزلا مسرعين ، ومضى كل منهما فى طريقه المرسومة ، ثم التقيا بعد دقائق عند محط السيارات ، فركبا إلى الدخيلة ...

* * *

وتحدثت « إغراء » بغير حساب ككل امرأة . وبغير عناء لمس « صادق » ظاهر أمرها ، واستشف باطنه . إن أباها وأمها غالتهما شعوب ، وإن لها لأخاً وحيداً يقتضيه عمله فى أحد البيوت التجارية أن يغيب عنها أغلب النهار وزلفاً من الليل . إنها لطيفة الحديث ، متسعرة العاطفة ، وإن شبابها الظمآن ليحدوها إلى أى منهل يرتوى منه ، وهو فى قهره وسطوته يجعلها تنكب عن ذكر العواقب جانباً ... إن « إغراء » متكلمة وساكتة ، متلفتة وساكنة ، مبتسمة وعابسة جميلة حقاً ، وجمالها فى كل حالاتها يذهب بالقلب مذاهب ... وصادق يراها بنزعاتها وشبابها وجمالها فى قبضته ، وإنه لفرح بها لأنها أول ما كسبت صبوته الوانية ...

وبلغت السيارة غايتها ، فهبط الرفيقان ؛ ونقد صادق قائد السيارة أجره ، ولكنه لم يرد حافظة نقوده إلى جيبه ، بل وقف يتأمل بطاقة فى محتوياتها ... يتأملها فى اهتمام ، منشغلا عما هو فيه .

وصاحت به « إغراء » بعد دقائق مظهرة الملل : ما هذا ؟ فلم يجب ... واتجه بها إلى منضدة فى الكازينو وهو يبتسم لها ابتسامة باهتة يريد أن يستبق بها رضاها ، ويدرأ بها عنها الملل والخجل والدهشة .

وأطرق صادق فترة لا يتكلم ، وصاحبته أمامه مستغربة لا تتكلم ...

إن أخته طالعته بصورتها وهو يفتح حافظة نقوده ، إنها قريباً ستجتاز الصبى إلى الشباب ، وإنها لتناديه فى استرحام عنيف أن يطلق سراح طير اقتحم الشر ومايدرى .. إنها بقدسها تناشده أن لا يتلطخ ، وأن يكون يقظ القلب ... ! إنها ترجوه ، بل إنها تؤنبه ! بل إنها تؤدبه ! ... وإن مستقبلها ليتراءى له منادياً : « استح لى ومنى ، وكما تتمنانى تمنى مثلى لكل ضعيفة يتيمة !! ...

وألقى صادق ببصره إلى الأرض خجلان ، وبدا كأنه شيخ زلّ وانفضح زلله . وود صادق لو كانت نيته إنساناً ليلقيه بلا رحمة فى البحر الواسع حوله ، أو ليطوّح به فى الصحراء المترامية الدانية منه ، ليبرأ إلى الله وليجرؤ أن يفكر فى أخته ويناجيها ويتأمل صورتها ، ويلقاها بين حين وحين فيبسم لها وتبتسم له وتتعلق به نفورا ويتملق بها نفوراً !

وقطع الصمت أخيراً والدموع فى عينيه ، و « إغراء » أمامه أعداها سكوته ... قطع الصمت بقوله فى جد وعزم قاطعين : فلتعودى إلى بيتك وإلى رشدك ... لقد سوّغ هذا الخاطئ لنفسه أن يذلل لك عنان الشر ، ويتهور معك إلى ما لا يتهور إليه الشرفاء ، فأنقذتك منه صبية ! ...

وأحست « إغراء » وجدان « صادق » فى قوله ؛ أحست مشاعره وسرائره ، فبدت إنسانة غير التى هى ... لقد ذلت نزعاتها الثائرة ! وسألته فى خشوع ومهابة . فمن هى منقذتى ؟

— إنها أختى !

(القاهرة) لبيب السعيد

مطبعة الرسالة

العدد ٧١٥ — الاثنين ١٧ مارس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

٢٨٠٢٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة المنيا الابتدائية الأهلية

اعلان بيع عقار فى القضية نمرة ١٩٨ سنة ١٩٤١ كلى بجلسة المزايدات المزمع انعقادها علناً بسراى المحكمة فى يوم ٤/١٥ سنة ٩٤٧ . من الساعة ٨ افرنكى صباحاً .

سيباع بطريق المزاد العلنى ٤س١٩ط٢ف فدانين وتسعة عشر قيراطا وأربعة أسهم أطيان كائنة بزمام ناحية منشاة المغالقة مركز ملوى مديرية اسيوط ملك الست خديجة فرغل محمود عمار بنت فرغل محمود عمار محمود من ناحية منشاة المغالقة مركز ملوى مديرية أسيوط .

بيان الأطيان من واقع قائمة الرهن وكشف التحديد ١٥ط خمسة عشر قيراطا ضمن القطعة رقم ٢٤ بحوض أبو سبعة نمرة ١٧ محدودة كالآتى .

البحرى ورثة اسماعيل نصر نمرة ٥٦ بحوض نمرة ١٦ بطول ١ ١٨/٢٤ قصبة .

الشرق محمود رضوان وآخرين نمرة ٢٥ بحوض بطول ١٢٠ قصبة والقبلى خديجة بنت فرغل المطالبة ضمن القطعة بطول ١ ١٦/٢٤ قصبة الغربى جزء بعضه منزوع ملكته لجسر مصرف كبكب عمومى نمرة ٣ وبعضه رمضان ابراهيم ضمن القطعة بطول ١٢٠ قصبة

١٦س ٥ط ١ف ضمن القطعة رقم ٥ بحوض حليقة رقم ٢٦ محدودة كالآتى .

البحرى محمد خيرالله رقم ٤ بحوضه بطول ١١٠ قصبة والشرق هاشم عبد الموجود وآخرين ضمن القطعة بطول ٣ ١٩/٢٤ قصبة والقبلى نصيحة بنت فولى ضمن القطعة بطول ١٠٦ قصبة الغربى جسر مصرف كبكب عمومى نمرة ٣ بطول ٣ ٣٠/٢٤ قصبة

١٢س ٢٢ط اثنين وعشرين قيراطا واثنى عشرة اسهم ضمن القطعة نمرة ٢ بحوض الحرمة نمرة ٣١ محدودة كالآتى .

البحرى محمد أحمد بدران ضمن القطعة بطول ٩٦ قصبة .

والشرق ورثة محمد حسن على نمرة ١٧ بحوض نمرة ٢٢ بطول ٣ ١/٤ قصبة

القبلى محمد رضوان وآخرين نمرة ٣ بحوض بطول ٩٦ قصبة الغربى اصمى ابراهيم نمرة ٤٦ ونمرة ٤٧ بحوضه نمرة ٢٠ بطول ٤٣ ١/٤ س ١٠ط ٢ف فقط فدانين وتسعة عشر قيراطا وأربعة أسهم

ويتبع هذه الأطيان من ملحقات وما استجد وما يستجد من الاصلاحات والتحسينات والمباني والأشجار وحلافه وذلك بعد استبعاد السبعة عشر قيراطا المبين بنشرة البيع السابقة مؤقتاً والمرفوع عنها دعوى استحقاق من محمد أحمد محمود لحين الفصل فيها

وذلك وفاء لسداد مبلغ ٦٢٨م ر١١٨ج بخلاف الفوائد والمصاريف وما يستجد منها .

وهذا البيع بناء على طلب البنك العقارى الزراعى المصرى الكائن مركزه بالقاهرة بشارع جامع شركس رقم ١١ والذى يمثله حضرة صاحب العزة علام بك محمد رئيس مجلس ادارته وعضوه المنتدب ومتخذا له محلا مختارا ببنى سويف مكتب حضرة الأستاذ حسن افندى اسماعيل المحامى وبالمنيا مكتب حضرة الأستاذ حسن محمود الحينى المحامى .

وبناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١٩٤١/١٢/٢٥ فى القضية نمرة ١٩٠٦ سنة ١٩٤١ ومسجل بقلم كتابها نمرة ١١٤ فى ١٩٤٢/١/٤ ومودع مع باقى الأوراق بقلم كتاب المحكمة لاطلاع من يرغب على شروط البيع وسيكون البيع قسما واحدا وبثمن أساسى وقدره ٢٤٣م ٢٥٥٠ ج بعد تنقيص الخمس عليه ١٩٤٦/١٠/١ فنعلن بذلك .

فعلى راغب الشراء الحضور وعلى قلم المحضرين اللصاق نسخ هذا بالمحلات القانونية حسب القانون . كاتب البيوع

15me Année No. 715

Lundi — 17 — 3 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٧١٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٣٦٦ — ١٧ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

بدع التشبيه ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءنى خطاب من « مستفسر » يسألنى فيه بعض التوضيح لمسألتين عرضت لهما فى محاضرة عن «الأدب المصرى بين حربين» ألقيتها فى نادى خريجى القسم الإنجليزى بالجامعة المصرية . وهما بدعة التشبيه والروايات التى تسمى بالملاحم الاجتماعية .

أما بدعة التشبيه فقد كانت مناسبة الكلام فيها أن أدباء الصناعة كانوا يحسبون الوصف فرصة لاختلاق الأشباه التى لا أصل لها فى الطبيعة ولا فى إحساس الشاعر . فكان الشاعر يصف الدمع الأحمر لأنه استنفد ماء شئونه فجرى الدمع من دم مآقيه ، فيأتى بعده من يعارضه بوصف الدمع الأخضر أو الدمع الأسود أو الدمع الأصفر إلى غير ذلك من الألوان التى لم تشاهد قط فى عين إنسان .

فمن تعليلاتهم لاحمرار الدمع قول الأرجانى :

دنون عشية التوديع منى ... ولى عينان بالدم تجريان
ولم يمسحن إكراماً جفونى ... ولكن رمن تخضيب البنان

فالدمع هنا نوع من صبغة الأظافر أو صبغة الأنامل التى تقابل « المانيكور » فى هذا الزمان .

ولكنه عند ابن سناء الملك انعكاس لون الخدود :

لا تحسبوا أنى بكيت دماً ... ولئن بكيت فليس بالبدع
لكن دمى حين قابله ... ألقى شعاع الخد فى الدمع

وكذلك هو عند الباخرزى حين يقول :

شكوت الذى ألقى مهاداً وعبرة ... وقلت احمرار الدمع يخبر عن وجدى
فقال محال ما ادعيت وإنما ... سرقت بعينيك التورد من خدى

أما ابن الساعاتى فالدمع عنده مطر ، والمطر من البرق ، والبرق كالصفائح الدامية ... فلا عجب أن تجرى الدموع بلون الدماء كما قال :

سلوا بالحمى أين الظباء السوانح ... وهل ظل بعدى بانه المتناوح
جرى ماء عينى يوم كاظمة دماً ... فأعلمنى أن البروق صفائح

وتتحول المسألة إلى أنبيق تقطير عند يوسف بن لؤلؤ الذهبى فيقول :

قالوا تباكى بالدموع وما بكى ... بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمى لكنه ... لما تصعد صار يقطر أبيضا

وإلى هنا تنحصر المشابهة فى الدمع والدم وهما فى بنية الإنسان وفى تركيب العيون .

إلا أنها لا تنحصر فيهما طويلا حتى يعرض لحلها خليل ابن إيبك الصفدى شارح لامية العجم فيروى فى كتابه « تشنيف السمع بانسكاب الدمع » أن الدمع يسود كما قال بعضهم :

وقائلة ما بال دمعك أسودا ... وجسمك مصفر وأنت نحيل
فقلت لها أفنى جفاؤك مدمعى ... وهذا سواد المقلتين يسيل

ويعجب الصفدى بالمعنى ولـكنه يستضعف الشعر « كأنه عروس جليت فى ثياب حداد » ... ثم ينتقل إلى الدمع الأخضر فيروى هذين البيتين :

وقائلة ما بال دمعك أخضرا   فقلت لها : هل تفهمين اشارتى
ألم تعلمى أن الدموع تجففت   فأجريتها يا محنتى من مرارتى

ويعود الصفدى فيعقب قائلا : « وهذا المقطوع ركيك . وإنما الاستطراد اضطرنى إلى ذلك . ولقائله عذر واضح لـكونه دفع إلى مضيق هذا الجواب ، وكنت قد كلفت نظم شىء فى الدمع الأخضر فاتفق لى هذا المعنى فنظمته وهو :

يقول عذولى ما لدمعك أخضرا
جرى فى هوى ظبى غلا فى نفاره
فقلت صفا دمعى وقابلت صـــدغه
فأبصرب فيه لون آس عذاره

وتبرعت بالنظم فى الدمع الأصفر فقلت :

وقائلة ما بال دمعك أصفرا   فقلت لها ما حال عن أصل مائه
ولـكن خدى اصفر من سقم الهوى
فسال به والمـاء لون إنائه

وهكذا كانوا يفهمون الوصف على أنه مناسبة لاختلاق التشبيهات التى لاوجود لها فى الحس ولافى الطبيعة ، ولايشبهون لتقريب المحسوسات إلى العاطفة أو الخيال .

فلما خلص الشعر من أوهاق الصناعة بطل هذا الاختلاق وأعقبته محاولة التشبيه للتقريب وصدق التمثيل . وهذه خطوة تقدم لا شك فيه ... فلا يقدح فى هذا التقدم أن يكون السابقون أبرع من اللاحقين فى اصطياد التشبيهات وتمحل المناسبات . فإن الذى يعمد إلى التشبيه لأنه يحس ويتخيل خير من الذى يعمد إليه لأنه يعرض براعته فى التلفيق والاختلاق ، وإن قصر الصادق عن المختلق فى ظواهر التشبيه .

عرضت لهـذا التطور فى سياق الـكلام على نهضة الشعر الحديث بعد هبوط الصـناعة به إلى ذلك الحضيض . فبلغ من دهشة السامعين أن طالباً أزهرياً منهم ظن أننى وضعت هذه الشواهد من عندى لتمثيـل تلك النزعة واستبعد أن يجد شاعر فى نظم تلك السخافات . فأرضانى منه هذا الشك لأنه كان من أدل الدلائل على ارتقاء الأذواق وتطور الأفهام . فما كان براعة يتسابق إليها الأدباء قبل بضعة قرون أصبح فى زماننا هذا سخفاً لا يعقل أن يخطر على بال أديب ولا قارىء ، وكفى بذلك دليلا على نشأة الأدب من جديد بعد ذلك المسخ وذلك الانحدار .

ويحق لمن أراد أن يستزيد من تحقيق تلك الأعجوبة أن يعرف مرجعها فى ذلك الـكتاب الذى أشرنا إليه ، فإن كتاب « تشنيف السمع » قد طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق وليس هو بالمخطوط النادر الوجود

***

أما الروايات المطولة التى سميناها بالملاحم الاجتماعية فقد عرضنا لها فى المحاضرة لنقول إنها لم تظهر فى الأدب المصرى لأنها تتوقف على قيام المشكلات الاجتماعية التى تدور عليها . وستظهر فى حينها متى ظهرت موضوعاتها وظهر أبطالها وذوو « الشخصيات » التى تؤدى أدوارها فى الحياة

وقد خطر لبعض السامعين أن يناقش هذا الرأى لأنه أخطأ فهم العنوان وأخطأ فهم التطبيق .

فقد حسب أن القصة التى تسمى بالملحمة Epic وقف على موضوعات كموضوعات الإلياذة وما إليها ، أو أنها مقصورة على معارك الحروب وبطولة القتال .

وليس لذلك مسوغ من أصل الـكلمة ولا من تطبيقها فى الروايات .

فإن الكلمة اليونانية لاتشير فى أصلها إلى حرب ولا أسطورة إلـهية . ولا تتجاوز معنى الأقصوصة أو الأنشودة .

وتطبيق هذا العنوان القديم لا يستلزم حصر الملحمة فى الأساطير لأن رواية موتلى عن الجمهورية الهولندية تحسب من الملاحم وهى تدور على وقائع التاريخ .

وهو لا يستلزم حصر الملحمة فى المعارك الحربية لأن « الـكوميدية الإلـهية » ملحمة وليست هى من روايات المعارك الحربية ، ولو جاز الأخذ بالقشور لمـا جازت تسميتها بالـكوميدية ولا « بالأبوبى » على هذا الاعتبار .

وإنما تطلق الملحمة فى عصرنا وقبل عصرنا على كل قصة مطولة تدور على موضوع فخم من موضوعات البطولة والعظمة ، وهى من ثم صالحة لأن تظهر فى كل زمان متى ظهر الموضوع الذى تدور عليه ، وليس من الحتم أن تقف بعد عصر هوميروس أو عصور الأساطير .

عباس محمود العقاد

أوراق . . .

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

شرعت منذ ساعتين أقلب أوراق فى خزانة كتبي وأرتبها وأمزق ما لا أحتاج إليه . وأنا وأمثالى من الأوراق فى جهاد دائم . إن أغضيت قليلا تراكمت على المكتب والكراسى وكان منظرها همًّا ، والتفكير فيها ألماً ، ونغَّصت علينا العمل . فلا بد أن يتعهد الإنسان أوراقه بين الحين والحين وإلا غلبته وتراكمت حوله تراكم الهموم .

وفى طبعى إلف يدعونى إلى الاحتفاظ بأوراق لا غناء فيها ، وكلما طال عليها الزمن ، وبعد العهد بما فيها زادت قرباً إلى نفسى ، وحباً إلى قلبى ، وعزَّت علىَّ عزة الذِكَر القديمة ، والحوادث التى تؤرخ الحياة الماضية .

وقد عثرت — وأنا ماض فى نقد الأوراق وتمزيق بعضها ، وقد غلبنى التعب والملل فهان علىَّ تمزيق أوراق ضننت بها زمناً طويلا — على ظرف فيه وريقات شتى فجلست بها أقلبها وأتسلى بذكرياتها . فإذا هذه الوريقات تمثل تقلب الإنسان فى هذه الدنيا بين أعمال مختلفة ، وشواغل شتى . إن جمع بعضها إلى بعض كانت مفارقات مضحكة أو عظات مبكية .

هذه الوريقات فى هذا الظرف الصغير ترجع إلى سفرى إلى تركيا قبل تسع سنوات :

فهذه أبيات فيها كتب تركية فى موضوعات شتى ومعها بيان أثمانها . بين هذه الكتب نسخة عربية مخطوطة من أمثال الميدانى ، ونسخة جليلة من كتاب المثنوى أغلب الظن أنها كانت فى يد العالم الشاعر الصوفى العظيم الشيخ عبد الرحمن الجامى . ذكرتنى هذه الورقة بمجالس لى عند الورّاقين فى حىّ بايزيد من أحياء اسطنبول ، وهو أحب أحيائها إلى نفسى .

وورقة أخرى فيها أسماء أربع عشرة من خزائن الكتب فى هذه المدينة العظيمة اسطنبول وقد دخلتها كلها ونعمت بالقراءة والبحث عن الكتب القيمة فيها .

وأوراق أخرى من هذا الضرب الذى شغلنا فى السفر والحضر . واليقظة والنوم .

وورقة فيها قطع من الشعر التركى خطها أديب عالم تركى ظفرت بصحبته فى تلك الرحلة هو المرحوم فريد بك . وكان رحمه الله متشائماً كثير السخرية .

ومن هذه الأبيات وأحسبها من نظمه :

كچدى دنيـــادن آدا ملق دوره سى
اعتماد إيت كَل بد قول راجـــح
شمـــدى حيوانلقده درفيض ورواج
روح إنسانية الفاتحـــة

وترجمتها :

مضى من الدنيا دور الإنسانية . اعتمد على هذا القول الراجح والحيوانية الآن فى فيض ورواج . فلروح الإنسانية الفاتحة .

وبعدها ورقة فيها بيان بكتب مخطوطة قديمة محلاَّة رأيتها عند واحد من ولاة الترك السابقين . ورأيت كيف يعتز بها ، ولسان حاله يقول :

وقد تخرج الحاجات يا أم عامر كرائم من ربٍّ بهن ضنين

ثم ورقة تذكر بزيارتى بيت الشعب فى أنقره وما لقيت هناك من رجال وآراء وتحف وآثار .

وبطاقة فيها ذكر كتب وآثار رأيتها فى مدينة قونية حينما زرت ضريح جلال الدين الرومى ، ودار المولوية التى صُيِّرت اليوم متحفاً . وكم لى فى دار المولوية من وقفات ، وعظات . وكم لها فى النفس من ذكريات .

وصورة صغيرة لرجل كريم رافقته فى طريقى من اسكيشهر إلى قونية وسايرته فى قونية ساعات لحفظ الودّ ، وأهدى إلىَّ صورته وعلى ظهرها كلمة تعرب عن أخوته وصداقته . وتاريخها ١٣ أيلول سنة ١٩٣٧ ، وقد افترقنا ولم يعلم أحدنا عن صاحبه من بعد شيئاً . ورحم الله حافظا الشيرازى . يقول :

« اغتنم الصحبة فاننا حين نفترق من هذا المنزل ذى الطريقين لا نستطيع أن نلتقى أبداً » .

وكل منازل هذه الحياة ذات طريقين بل طرق . إن افترقت بالمجتمعين لم يكونوا من اللقاء على يقين .

ثبْ وَثْبــا ...

للأستاذ على الطنطاوى

كان أبى رحمه الله يوقظنى كل غداة لأصلى الصبح ، يناديني فأجيبه والنوم فى عينى أقول :

— حاضر . سأقوم حالا .

— فيقول : لا تتراخَ . ثب وثباً .

فأتراخى وأتكاسل ، ثم أتناوم فلا أردّ ، أو أردّ ولا أقوم ، حتى يملّ منى فيدعنى . وتوفى أبى ، وكبرت ، وقرأت الكتب وجالست العلماء ، وخبرت الدنيا ، وجربت الأمور ، فلم أجد تجربة أجدى ، ولا كلمة أنفع ، ولا موعظة أعظم أثراً فى المعاش والمعاد ، والأفراد والجماعات . من كلمة أبى تلك : « ثب وثباً » لو أن الله جلّت حكمته مدّ فى أجله قليلا حتى يعوّدنى العمل بها ، والسير عليها ، ولم تخترمه المنية وأنا صغير لم أتمرس بعد بحرب الشيطان ولم أستكمل المدة لدفع أذاه ، وردّ كيده عنى ، فلبثت فى نضال معه إلى اليوم ، أغلبه حيناً ، ويغلبنى ، لعنة الله عليه ، فى أكثر الأحيان .

تدوّى هذه الكلمة فى أذنى كل صباح ، فأسمع منها صوت أبى يقول لى : « قم إلى الصلاة ؛ فالصلاة خير من النوم ، وبكِّر فالبركة فى البكور » فيقول الشيطان : « الوقت فسيح ، والنوم لذيذ ، والفراش دافىء ، والجو بارد » ولا أزال بين داعى الواجب وداعى اللذة ، أفكر فى متعة الصلاة وثواب الآخرة ، فأتحفز للقيام وأتصوّر مشقة الوضوء ، وبرد الماء ، فأنقلب من جنب إلى جنب . ولا تزال نفسى بينهما كنوّاس[1] الساعة ، تتردّد بين : « قم » و« نم » حتى تطلع الشمس ويفوّت الشيطان علىّ الصلاة ، ويضيّق علىّ الوقت ، فآكل طعامى لقمة بالطول ولقمة بالعرض ، ولقمة تعترض فى صدرى فأغصُّ بها ، وألبس ثيابى جورباً على الوجه وجورباً على القفا ، وعقدة مائلة وقميصاً أعوج ، وأنسى من عجلتى

(١) النواس : رقاس الساعة . وفى المعاجم : ناس تذبذب متدلياً . ومنه قولهم : له ذؤابتان تنوسان على كتفيه .

وبيدى الآن صفحة كتبت بخط نسخى جميل وباللغة التركية وهى رسالة من أحد أدباء الترك إلى آخر يعرب عن تحسره على الشاعر الكبير الصديق المرحوم محمود عاكف . ولست أتذكر الآن المنشىء ولا الكاتب .

وهى صحيفة جديرة أن تترجم إلى العربيـة وتنشر تجديداً لذكرى شاعر الإسلام عاكف الذى سعدنا بصحبته فى مصر سنين .

وهاتان ورقتان نشرتهما فإذا أبيات لى فى وصف دمشق وإحدى ذكرياتها مسطورة بالرصاص وللمداد فيها إصلاح وتغيير كالتمثال لا يزال يعمل فى جوانبه إزميل النحات ، وأول الأبيات :

دمشق يا قرّة العيون   وبسمة الفؤاد والجبين
لله يوم خلست فيــه   ساعاً من الدهر ذى الشجون
دخلت خلف المصور داراً   عاد بهــا غابر السنين
رأيت تاريخنـــا تجلى   يفيض بالشعر والفنون الخ

وهى أبيات كثيرة وصفت فيها داراً قديمة من دور دمشق ذات الحدائق والنوافير والنقوش والزخارف التى تمثل تاريخنا يوم كنا نبنى بأيدينا وعقولنا لأنفسنا قبل أن نسلب الاستقلال فى كل شىء ، ونُعنى بالتقليد فى كل شىء .

وآخر الأبيات :

خرجت منها يقــول قلبى للرجْل : بالله أنظِرينى

ومن الأوراق كتاب من النادى العربى فى دمشق يتضمن شكرى على محاضرة ألقيتها فيه موضوعها : النهضة العربية .

وأوراق غير هذه فيها حساب الفنادق . ومالى وللحساب .

هذا ظرف صغير نشرتُ منه هذه الذِكَر كلها ، وقد مضت عليها تسع سنين وكأنما وقعت أمس .

وكل حياتنا ملأى بالوقائع ، والفِكر والعِبر ولكنها تمر سريعة من الزمان . ويُنحى عليها الزمان المحّاء بالمحو والنسيان . فهل من مُدّكر .

أثارت هذه الوريقات ذكريات فى نفسى ، تتصل بها ذكريات وكشفتْ النسيانَ عن حوادث عفّى الزمان على آثارها . فسارعت بكتابة هذه الكلمة قبل أن يمحوَ الزمان الذِكَر ، ويفجع بعد العين بالأثر .

عبد الوهاب عزام

بعض أوراق ، وأهرول فى الطريق ، فأسىء هضمى ، وأتعب معدتى ، وأضحك الناس علىّ . ثم إنى ما كسبت من هذا الإبطاء نوماً ، ولا ازددت راحة ، ولو (وثبت) من أول لحظة لـكان فى ذلك رضا ربى بأداء الصلاة ، وصحة جسمى بحسن الأكل وإجادة المضغ ، وإكمال عملى بإعداد أوراقه على أناة ، وحفظ منزلتى بين الناس بالسير على مهل .

وأنظر فأجدنى أقرأ كل يوم مهما أقللت أكثر من مائتى صفحة ، جلها مما لا يفيد علماً ، ولا يعلّم أدباً ، ولا يقوّم خلقاً ، وأدع عشرات الـكتب الجدّية النافعة فى اللغة والأدب والفقه والتفسير ؛ فأعزم على قراءتها ، وأذهب فأعدّها وأصفّها على مكتبى ، وأهم بالشروع بها ، فأجدها كثيرة ، فأرجىء النظر فيها ، وأقول : سأبدأ فى غد فما يضر التأخير إلى الغد وقد أخرتها هذه السنين كلها ، فيجىء الغد والذى بعده ، وتنصرم الأيام ، وأقرأ خلال ذلك أضعاف أضعافها من الـكتب التافهة،والصحف والمجلات التى لاتفيد شيئاً ، وليس فيها إلا اللهو والتسلية وإضاعة الوقت ، وتبديد ساعات العمر ، وتبقى هذه الـكتب مرصوفة على مكتبى يعلوها الغبار ، حتى ترفعها ربّة الدار ، ولم أمسسها ولم أقترب منها .

ولو أنى (وثبت إليها وثباً) لفرغت منها من زمان طويل .

وأنظرفأجدنى قد كدت أنسى اللغة الفرنسية لطول ما أعرضت عنها ، وانصرفت عن الاشتغال بها ، وهى نافعة لى لا حباً بأهلها قبح الله أهلها ؛ بل لأن فيها حكمة ، والمؤمن يطلب الحـكمة حيث وجدها ، وآسف أنى بدأت بتعلمها من سنة ١٩١٨ وواليت دراستها حتى حذقت صرفها ونحوها ، ووقفت على شعرها ونثرها ثم نسيتها . وأعزم على تجديد العهد بها ، والعودة إليها ، وأهيىء كتبها ومعاجمها ، ولـكنى لا (أثب) إليها . فتمضى السنون وأنا لم أشرع بها .

وأنظر فأرى الشحم قد ركبنى ، والسِمن قد علانى ، فأبطأ حركتى ، وأثقل أعضائى ، فأطالع كتب الرياضة ، وأستشير رجالها ، وأشترى أدواتها ، وأنوى أن أمارسها ، وأواظب عليها حتى يذهب شحمى ، وينشط جسمى ...

وأزمع وضع كتاب عن الخوارج ، وآخر عن المهلب ، وكتاب فى الدين الإسلامى ، وأجمع المصادر وأرسم الخطط ، ولا يبقى إلا أن أمسك القلم لأكتب ...

وأحاسب نفسى ، فألقاها قد تنكبت طريقها ، وتحولت عن وجهتها ، وأنستها الدنيا آخرتها ، وصرفتها عن ربها ، فأعزم على التوبة ، والتحرى فى المطعم والمشرب ، وكفّ البصر وحفظ اللسان ، والمحافظة على السنن والنوافل ، وهجر رفاق السوء ، وصحبة من يذكّر بالله ويدلّ عليه ...

ولـكنى لا (أثب إلى ذلك) ، بل أقبل عليـه متراخياً ، أرقب به يوماً بعد يوم ، فتمرّ الأيام ، ولم أشرع برياضة ، ولم أبدأ بكتاب ، ولم أحقق توبة وإنما استسلمت للحياة فدار دولابها علىّ وأنا ساكن ، يصبح الصباح ويمسى المساء ، (والحالة هى هِىَ ، والعيشة هى هِىَ) ، مانشطت بالرياضة جسما ولا شحذت بالمطالعة عقلا ، ولا زكيت بالتوبة نفساً ، خسرت هذا كله لأنى عصيت أبى ، وخالفت عن أمره فلم أثب من الفراش وثبا ، وبعت هذه الخيرات بتمددى ساعة تحت اللحاف، فما أعظم المبيع، وما أقل الثمن!

وهذا هو مرضنا جميعاً ، وعلة عللنا وسبب أدوائنا ، وليس تنقص واحداً منا المواعظ والأفكار ، ولا يعوزه معرفة طرق الخير . فالمواعظ مبثوثة فى كل كتاب ، ومترددة على كل لسان ، وماثلة حتى فى وفاء الـكلب ، وصبر الحمار ، ودأب النملة ، وتوكل العصفور وظاهرة فى طبائع الأشياء ، وصفات الجمادات ، من شاء موعظة وجدها ، ومن ابتغى نصيحة وقع عليها . وطرق الخير معروفة لا يجهلها أحد ، فـكل أب يجد إن فـكر خطة لتربية ولده خيراً من خطته ، وكل تاجر يجد أسلوباً أحسن من أسلوبه لتوسيع تجارته ، وكل رجل يعرف الطريق لتحسين صحته ، وإصلاح سيرته فى بيته مع أهله وزوجته ، وفى طعامه وكسوته ، وفى يقظته ونومته وأحمق الناس تمر به نفحات يرى فيها سبيل العقل واضحة ، وأفسق الناس تسمو نفسه لحظات يبصر فيها قبح الفسوق وجمال الطاعة ، ويشعر بالندم ويعزم على التوبة ، ولـكن ينقصنا المضاء والتصميم و (الوثوب) إلى الخيرات حين تلوح لنا وتمر بنا .

هذا هو مرضنا الذى طالما أضاع علينا أموالا ومكاسب ، وخيرات ومنافع ، وأخرنا والأمم تتقدم ، وهو مرض الجماعات منا والحـكومات ، فاعرضوا تاريخنا الحديث تروا كم فرصة أضعنا وكم غنيمة فوتنا ، بل انظروا ما ذا صنعنا فى هذه الحرب وحدها واعجبوا منا إذ فتحت لنا إلى آمالنا باباً واسعاً فلم ندخله ، ووضعت فى أيدينا سلاحاً ماضياً فلم نستعمله : عجزنا أن نكون أقوى من عدونا ، فأضعفته هذه الحرب لنقوى بضعفه ، وشغلته عنا لننتفع

الفرصة فنسترد منه ما سلب منا ، فأدركتنا رقة الشعور، فرحمناه، وأشفقنا عليه أن نزعجه بمطالبنا فى بلواه ، وآثرنا الذوق واللطف على واجب الوطنية والشرف ، فلم نفتح أفواهنا لنقول له : « أعطنا الذى سرقته منا » بل أعنّاه على عدوّه وعلى أنفسنا ، وأيدناه بألسنتنا وأموالنا وأيدينا ، وزعم لنا ، أنه ما حارب إلا لينصر الديموقراطية ، فقلنا : « صحيح . فلتعش الديموقراطية » وقال لنا إنه يبذل دمه ليدافع عن الضعاف المظلومين ، ويطهر الأرض من النازيين الباغين ، فقلنا : « بارك الله فيك ، هذه شيمة السادة الأكرمين » . وقال لنا ، إنه إن يُغلب فى هذه الحروب ينهدم صرح الحضارة ، وينهدّ بناء التمدن ، ويرجع البشر إلى شريعة الغاب ، وطبيعة الذئاب ، فقلنا : « هذا لا شك فيه . فأنتم حماة الحضارة ، وأنتم أهل المدنية ، وما الألمان إلا برابرة همج متوحشون » . ولم يكن فينا أمة عاقلة إلا الهند ، فلم تجامل هذه المجاملة السخيفة التى جاملناها ، ولم تقترف هذه الجريمة التى اقترفناها ، ولم ترق مثلنا الدموع على باريس ، دار الفسقة الظالمين ، أعداء العرب والمسلمين بل قامت تنادى بطلب الاستقلال ، على حين كان أدباؤنا يمجدون الديموقراطية فى الصحف ، ومشايخنا يدعون لها على المنابر بالنصر فكانت عقوبتنا عاجلة ، فلم تمر ثلاث سنوات على استجابة الدعاء وانتصار الأعداء ، حتى فعل بنا أهل باريس التى بكينا عليها يوم نكبتها (جدد الله نكبتها) ولندن التى مجدنا ديمقراطيتها ، ما لم يفعله هتلر باليهود ، (وماذا فعل هتلر باليهود؟) ولا موسولينى فى الحبشة ، ولا الذئب بقطيع الغنم ، فضربوا دمشق أقدم مدن الأرض بالقنابل ، وذبحوا عشرات الألوف من أهل المغرب وأعانوا الهولنديين على الأندونيسيين ليملكوا أرضهم ، ويسلبوهم بلادهم ، ويقتلوا أبناءهم ، ويسرقوا ثمارهم ، ورموا فلسطين بشذاذ الآفاق ، ونفايات الأمم ، أهل الذلة والمسكنة اليهود ، ودفعوا إليهم الرصاص ، وأعطوهم السلاح ، فسلطهم الله عليهم حتى ذبحوهم بسلاحهم ، ثم رأوهم لا يستحقون الرصاص فالرصاص للجندى الشريف ، فأعدوا لهم السوط فجلدوا به جلودهم ، ومزقوا أبشارهم ، فصاروا بذلك أذل من اليهود ... وتنكروا لمصر من بعد ما لجأوا إليها فآوتهم ، وسألوها المال فأعطتهم ، وخطبوا منها على ظلمهم لها الودّ فوادّتهم ، واستنصروها وهم أعداؤها على قوم لم يعادوها فنصرتهم ، فكان جزاءها منهم بعد ما أكلوا خبزها ، وأخذوا مالها ، وسكنوا فى مساكنها ، جزاء الذى أطعم الحية فلدغته ، وآوى الضبع فأكلته .

فهل اعتبرنا ؟ وهل عرفنا أن من لا (يثب) على الفرصة تفلت منه ، ومن لا يضرب الحديد حامياً يبرد ويشتد فيعجز عنه ؟ هل اعتزمنا (الوثوب) فى فلسطين ، وفى مصر ، وفى المغرب ، أم لا نزال نؤجل ونسوّف ، حتى يأتى يوم لا ينفع فيه الوثوب ، ولا يجدى العمل ؟

***

هذه هى علتنا أفراداً وجماعات ، مع أن المسلم أبعد الناس عن هذه العلة ، وأحقهم بالبرء منها ، لأن من مقاصد العبادات فى دينه ، تعليمه التنظيم والتصميم ، لولا ذلك ما جعل الله للصلاة (وقتاً) إذا تقدمت عنه دقيقة لم تصح الصلاة ، ووقّت للصوم وقتاً إن نقصت منه دقيقة فسد الصيام ، وحدّد للحج وقتاً إن لم يكن فيه بطل الحج .

فيجب أن يجتمع لمحاربة هذه العلة ، المعلم فى المدرسة ، والكاتب فى الصحيفة ، والواعظ فى المسجد ، حتى ننشىء نشئاً قوى الإرادة ، ماضى العزم ، (يثب) إلى غايته وثوب الأسد ، ويحط عليها حط النسر ، ولا يدع اليهود يكونون أمضى منه يداً ، وأجرأ قلباً ، وأعظم أثراً .

إن (الوثوب) إلى الخير ، والثبات عليه ، جماع الفضائل كلها ، فإن تعلمناها لم نحتج بعدها إلى شىء .

علي الطنطاوى

الأزهر بين الجامع والجامعة

للأديب صبحي إبراهيم الصالح

... أقبل منذ نعومة أظفاره على الدين مولعاً بدراسته شغوفاً بأسراره شديد الرغبة في بثـه وإحيائه ؛ حتى إذا نال الشهادة الثانوية في موطنه لبنان قدم القاهرة فانتسب إلى إحدى كليات الأزهر وإن في صدره لآمالا كباراً ، وأحلاماً عذاباً .

لم تكن آماله لنفسه فقد وهب للدين نفسه ، ولا أحلامه في شخصه ؛ وإنما كان كل رجائه ماثلا في الأزهر الشريف يرقب وثبته الداعية إلى الإصلاح ، وتطوره الباعث على التحرر .

أسرف في حسن ظنه بالأزهر : فما لبثت الأحداث أن صدعت الباب ، لتظهره على المستور من وراء حجاب !

واقتصد في حسن ظنه وأصبح ضنيناً في مدحه حين رأى الأزهر على حقيقته ... فاحترق من الألم فؤاده ، وتقطع من الألم قلبه . وفاض من التحسر دمعه .

أخذ يستعرض في مخيلته صوراً للأزهر قد خلت فوجـده — منذ بنائه إلى عهد قريب — غير مقصور على العبادة في خشية وخشوع ، ولا على الصلاة في تذلل وخضوع ، وغير مقصور على علوم الشريعة في تمحيص وتدقيق ، ولا على آداب اللغة في تبويب وتنسيق ، وإنما كان نسيجاً من ذاك وهذه ، وكان النسيج من قوة الحبك ووثوق العرى بحيث استعصى على الحوادث حله مدى عشرة قرون حمل فيها الأزهر مشعل الحضارة بيده ، وبدا للعـالم كله مثالا حياً للجامعة المقدسة الوقورة ، ونفر إليـه الوافدون يتلقون في حلقاته علوماً يزينها الإيمان ، ومعارف يجملها الإخلاص ، وآداباً يصقلها الخلق المتين .

لقد كان الشرق عزيزاً بالإسلام ، يوم كان الغرب منزوياً في الظلام ... ثم سكر الشرق سكرة أضاعت رشاده ، فوثب الغرب وثبة بعثت جهاده !

وغلب الشرق على أمره فقلد الغرب في حضارته ، وتأثر به في مدنيته ، وانتقل بين عشية وضحاها من عهد مؤمن بالدين القويم ، مخلص لرسالته السامية ، خاضع لتشريعه الحكيم ، مذعن لأحكامه العادلة ، إلى عهد متفان في المادة الطاغية ، غارق في بحرها المتلاطم مسحور بمتاعها الـكاذب ، مأخوذ بجمالها الخلاب .

* * *

ولا ريب أن مهابة رجال الدين تتفاوت قوة وضعفاً تبعاً لمكانة الدين في المجتمع ، وإن مكانة الدين في المجتمع تعـلو وتهبط تبعاً لنشاط القوامين عليه ، الداعين إليه ، فلا عجب إذا أتى على علماء الأزهر حين من الدهر كانو فيه « ملوكا لا أمر فوق أمرهم ، ولا كلمة بعد كلمتهم » في عصر كان فيه صوت الدين مسموعاً ، وحكمه نافذاً ، وأنصاره كثيرين . ولا غرو إذا نزعت الحياة مهابتهم هذه في عصر خفت فيه صوت الدين . وعطلت أحكامه ، وقل دعاته . ولا بدع إذا سارع الأزهر — بدافع من حب البقاء ، وحافز من صيانة الحياة — إلى مسايرة العصر الحديث الذي يعيش فيه فانتقل من حلقات الجامع إلى فصول الجامعة ، ومن حصير الرواق إلى مقاعد الدراسة ، ومن سراج الزيت إلى نور الـكهرباء ، محاولا أن يتبوأ مركزاً في الحياة ...

في مراحل هـذا الانتقال أصبح عسيراً على الأزهر تعيين وجهته ، ورسم خطته : فقد تعددت أمامه السبل ، وتفرعت تحت بصره المسالك ، وتشعبت بين يديه الدروب ، ولبث في حيرة تنازعه فيها القديم والحديث ، فقيض الله رجالا أشربوا في قلوبهم الإصلاح بإيمانهم ، فخافوا على الأزهر أن يسحقه الجديد إذا بقي على القديم ، ولم يأمنوا أن يقطع صلته بماضيه إذا سارع إلى الجديد ، فتحفظوا وكانوا أمة وسطاً ، وأعلنوا للملأ شـعارهم الخالد : « نحن لا نهجر القديم لأنه قديم ، ولا نعشق الجديد لأنه جديد » !

وكانوا حكماء بهذا التحفظ ، كما كانوا حكماء حين لم ينتظروا أن يتم الإصلاح في حياتهم ، فبدءوا سلسلة الجهاد ثم تركوها في أيدي أنصارهم وأعوانهم الذين حرسوا في بيئة الأزهر وفي البيئات الموالية له شريعة تهاون بها المجتمع ولم يرعها حق الرعاية .

ومع أن التحفظ خطة حكيمة فقد نجم عنه كبت للشعور ، وفي الـكبت حرمان اللذائذ ، وفي الحرمان إثارة إلى مستعذب الرغائب ، وفي الإثارة تحد وإغراء ، فـكان طبيعياً أن يضيق الأزهري بقيوده في عصر الحرية والانطلاق ، فينسى معاني الرضا

والقناعة المتمثلة فى حصير الرواق وسراج الزيت وصومعة النسك ، ويعى حالماً بالوظائف والعلاوات ، والمناصب والدرجات .

لكن هذا كله لم يذهب بحسنات التحفظ فى نظر المنصفين الذين يعلمون أن الإصلاح التدريجى البطىء خير وأحسن من الانتقال الفجائى السريع ، لأن فى البطء اتزاناً ونظاماً ، وفى السرعة اضطراباً وفوضى .

والحق أن فى الأزهر اليوم نهضة إصلاحية كبرى يعترضها كثير من العقبات . والحق أن فى الأزهر ومعاهده شباباً غير قلائل يلتهبون غيرة على الدين ، ولكنهم يفقدون القيادة الحكيمة والتوجيه الرشيد . ولو ذللت العقاب ، ووجه الشباب ، لخطا الأزهر أشواطاً إلى الكمال . ولكن ... أين الأسود لتعلم الأشبال ؟

أوضح الأستاذ الطنطاوى ما كان يتلجلج فى الصدر حين وجه على صفحات الرسالة كلمة إلى الأزهريين (بمناسبة حادث الشيخ أبى العيون) .

كانت الكلمة مكتوبة بشعور فياض ، وعاطفة جياشة ، فلم أتمالك نفسى وأنا أتلوها من التأثر والبكاء . ورحت أتلوها على إخوانى الأزهريين من المصريين وغير المصريين ، فلم أجد إلا عيوناً تفيض ، وقلوباً تلين . وليس بالجديد أن يكتب الأديب بمداد قلبه ، فكثيراً ما يغلب على الأدباء إرهاف الحس ، فيقارن أحدهم بوحى من عاطفته ما يسأم العقل من مقارنته ، أو يمل من تحليله وتعليله .

هذه المقارنة الشعورية التى تجلت فى المقال لم يكن فيها مقنع للأستاذ الكبير العقاد الذى رد عليها تحت عنوان (جامع وجامعة) وإنى إذ أوافق الأستاذ على أن الشرق فى أشد الحاجة إلى تحويل أفكاره من مقارنات الشعور إلى مقارنات المعقول ، أرى أن موضوع الأزهر خاصة وبعض الموضوعات الأخرى ما برحت فى حاجة إلى المقارنة الشعورية بين وقت وآخر ، على شرط ألا يخالف الشعور العقل فى حكمه ، وإن خالفه فى أسلوبه ونظمه .

إن هذه الحياة — كما هى بحاجة إلى العقل فى حكمه الراجح الموزون — لا نستطيع أن نتجاهل أنها فى بعض الأحيان بحاجة كذلك إلى الشعور فى تصوير الحكم العقلى الجاف بصورة عاطفية مثيرة ؛ وإلا فلن يكون للخطباء تأثير ، ولا للشعراء تقدير ، ولا للأدباء إجلال .

وإنى لأعجب للأستاذ الفاضل — وهو الأديب الذى تفخر العروبة بآثاره — كيف استنبط من مقال الطنطاوى أن علة العلل فى الأزهر هجرانه حصير الرواق وسراج الزيت وصومعة النسك ، وأن البركة كل البركة مرهونة بالعودة إلى هذه الأشياء . وإنى لأكثر عجباً بموازنة الأستاذ بين صلة الترام بقلة البركة فى المبيعات والمشتريات وبين صلة سراج الزيت بما كان عليه الأزهر وما صار إليه .

ليسمح لى الأستاذ الذى كثيراً ما تعلمت من مقالاته حرية البحث أن أكون حراً فى نقدى إذا رضى أن يسميه نقداً وفى حكمى على موازنته بأنها قياس مع الفارق ، ليس فى رأيى فقط ، بل فى رأى إخوانى الأزهريين الذين تلوت الرد عليهم فلم يجدوا فيها مقنعاً . والأزهريون — كما جاء فى مقال الأستاذ — أفنوا حياتهم فى دراسة المنطق ، والتمكن من أسسه ، والتدرب على صحة أقيسته التى تعصم الأذهان من خطأ التعليل ، فلهم إذاً حق المناقشة والانتقاد .

وإنى مستعد بلا ريب لتحمل مسئولية كلامى حين حكمت على تلك الموازنة بأنها قياس مع الفارق لأن الذى جعل للترام علاقة بقلة البركة رجل من عامة الناس باعتراف الأستاذ ؛ أما الذى جعل لسراج الزيت علاقة بماضى الأزهر وحاضره فأديب كبير يعرف فضله الأستاذ .

ولست أزعم أن الأديب معصوم ، فما أكثر ما يخطىء الأدباء ! لكنى لا أرى من الإنصاف للأستاذ الطنطاوى أن نحسبه يصور ما بنفسه تصوير العوام ، أو يجرى فى وصف شعوره على ما يجرى عليه الجهال ، كأنه يعجز عن الموازنة بعقله ، أو يرتبك فى المقارنة بمنطقه .

ليس حنين الطنطاوى إلى حصير الرواق ليعود الأزهرى إلى النوم عليه ولكن لأن فيه معنى القناعة ..

وليس تشوقه إلى سراج الزيت ليعود الأزهرى إلى القراءة عليه ولكن لأن فيه معنى السهر فى المطالعة والتحصيل ...

وليس شغفه بذكرى صومعة النسك ليعود الأزهرى إلى الانقطاع بين جدرانها ، ولكن لأن فيها معنى التعفف والتقوى والصلاح ...

وليست الأمثلة التى سردها عن العلماء الأعلام ليرغب الأزهريين فى تقليل نصيبهم من المشاركة فى الحياة العملية ، ولكن لأن فيها إشادة بالمثل العليا التى كانت أخلاق الأسلاف ...

وليست كلمته فى ختام مقاله (يا إخواننا لم نجد والله خيراً فى الجامعة الأزهرية فردوا علينا الجامع الأزهر)لينتقل بالأزهريين من جديد إلى الدراسة فى حلقات الجامع ، ولكن لأن فيها مطالبة بإفاضة التقوى التى كانت روح الجامع الأزهر . فينبغى أن تكون روح الجامعة الأزهرية ! ! !

هذه الروح الطيبة هى التى فهمها وفهمها إخوانى من غضون الكلمة ، ومن أجل ذلك بكيت وبكوا .

ولو استردت الجامعة الأزهرية هذه الروح لأدت رسالتها الأولى فى بيان حكمة التشريع الإسلامى ونشر السلام فى ربوع العالم تحت إشرافه ، ثم لأدت رسالتها الثانية التى لا تقل عن الأولى خطراً فى استخراج حقائق « العلم الذى يعمل به المسلمون وغير المسلمين ، وفى تدارك عيب العصر الحاضر . وهو العيب الجسام الذى يتمثل فى العزل بين عالم العقل وعالم الروح . فيتعلم فيه الرجل وهو مؤمن ويؤمن فيه وهو عالم ، ويحسن قيادة المتدينين المتعلمين » .

تغمدالله الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق بسحائب رحمته ، فقد كنت مثلك كبير الرجاء — يا سيدى العقاد — فى إنجاز هذه المهمة على يديه !

قابلته رحمه الله أول ربيع الأول مع وفد من زملائى المصريين فى كلية أصول الدين ، وألقيت بين يديه كلمة جرى بها قلبى قبل لسانى ، رجوته فيها بتعديل الدراسة فى الأزهر على أحدث المناهج العصرية ، ليتمكن خريجه من أداء وظيفتيه فى ثقافة العقل وثقافة الروح . ولست أنسى مدى حياتى تلك الدمعة الطاهرة التى اغرورقت بها عيناه وهو يقول بحضور فضيلتى وكيل الأزهر ومديره : « يا أبنائى هذه هى النهضة المباركة التى طالما تمنيت أن يسمى إليها أبناء الأزهر ، وإنى لأرجو أن تهيئوا الجو الصالح لأواصل عملى فى اتزان وسكينة » .

ولقد وفى رحمه الله بوعده فبقى يواصل العمل حتى توفاه الله إليه . وعسى أن يكون خلفه محققا لرغبات الأزهر فى الاصلاح .

وبعد ، فإن الطالب الأزهرى اللبنانى لم يكتب هذا المقال إلا ليصور آلامه و آماله ، وإنه ليغتنم هذه الفرصة السانحة فيناشد الأستاذين الكبيرين العقاد والطنطاوى أن يواصلا الحديث عن الأزهر ، وأن يقوما بقسطهما فى توجيه شبابه ، حتى يعود الأزهر جامعاً لله فيه قداسة الجوامع وهيبتها ووقارها وجامعة للناس فيها علوم الجامعات وفنونها وآدابها ، وفيها — فوق ذلك — روح تخرج الناس من الظلمات إلى النور .

صبحى إبراهيم الصالح

كلية أصول الدين

النطق وكيف نشأ فى الانسان وفى الحيوانات العليا ؟

للأستاذ نصيف المنقبادى المحامى

٢ — نشوء النطق فى النوع الانسانى

أثبتنا فى مقالنا الأول بالمشاهدات والاختبارات المختلفة أن النطق ليس غرزياً فى الإنسان ولا هو قاصر عليه ولا مميز له دون الحيوانات الأخرى ، بل هو ظاهرة فسيولوجية بسيكولوجية طرأت عليه وعلى بعض الطيور وعدد من الحيوانات العليا وعلى الأخص القرود الشبيهة بالإنسان ، وإنما الفرق بين الإنسان وبين الحيوانات هو فرق فى الدرجة ليس إلا .

ونتكلم اليوم عن كيفية نشوء النطق فى الإنسان فنقول : إن لنا فى كيفية نشوء النطق فى الأطفال الآن وفى اللغة البسيطة التى يبدأون بها الكلام ، وكذلك فى لغات بعض القبائل المتوحشة الحالية ، صورة مصغرة من كيفية نشوء النطق فى أول أمره .

إن كل ما يمتاز به البشر عن الحيوانات الأخرى من هذه الناحية هو نمو المخ وبالتالى النشاط العقلى من جهة ، ونمو التكوين التشريحى والفسيولوجى للأعضاء التى تشترك فى عمليات النطق من جهة ثانية ، ونمو الحياة الاجتماعية من جهة ثالثة فى النوع الإنسانى أكثر منه فى الأنواع الحيوانية الأخرى للأسباب الطبيعية التى سيأتى الكلام عليها .

وقد بينّا فى مقال نشر فى « الرسالة » منذ بضع سنين أن الظروف الطارئة المحلية التى اضطرت أجدادنا البعيدين إلى الالتجاء للغابات ليحتموا بها ويقتاتوا بثمارها أدت إلى نمو اليدين أثر استعمالها فى تسلق الأشجار والقبض على فروعها . ومن القواعد المقررة فى علم الحيوان أن جميع الحيوانات والطيور التى تعيش على الأشجار يقابل بعض أصابعها البعض الآخر للقبض على الفروع والأغصان . وهـذا ما حدث للانسان وللقرود وباقى مرتبة الحيوانات الرئيسية (Primates) وقد سُميت هكذا من باب التفخيم والتعظيم لأن من بينها النوع الإنسانى .

ولقد توسع الإنسان فى استعمال يديه بعد ذلك بالقبض على مختلف الأشياء ورفعها وفحصها ونقلها وكسرها وتقطيعها وتهيئتها لأغراضه المختلفة نخف العمل إلى حد كبير عن الفكين اللذين كانا يقومان بجميع تلك الأعمال ولهذا تقلصا وصغر حجمهما فى الإنسان إلى الشكل الذى هما عليه الآن بعد أن كانا على درجة كبيرة من الضخامة وممتـدين إلى الأمام ، وكانت تحركهما عضلات قوية تصل إلى قمة الرأس من كل ناحية فتلتف حول الجمجمة وتقيدها وتحول دون نموها ونمو ما تحتويه وهو المخ مركز التفكير وآداته . وقد صغر حجم الفكين فى البشر أكثر منه فى القرود العليا الأخرى لأسباب محلية خاصة طرأت مصادفةً على الفريق الذى تحوّل شيئاً فشيئاً إلى النوع الإنسانى .

وكان من نتيجة تقلص الفكين فى الإنسان بعد أن صارا قاصرين على مضغ الطعام أن قل بالتبعية شأن العضلات المحركة لهما وصغر حجمها وصارت لا تصل إلا إلى أعلى الخدين بالقرب من الأذنين فتحررت الجمجمة من قيودها وتخلصت من ضغطها وخلا لها الجو فنمت ونما معها ما بداخلها وهو المخ نمواً كبيراً وهذا هو السر فى تفوق الإنسان العقلى العظيم (١) .

وترتب أيضاً على نمو اليدين واستخدامهما فى كافة أعمال الحياة أن زالت الحاجة إلى الذيل فضمر وزال بعدم الاستعمال فى الإنسان وفى القرود العليا (الغورلا ، والشامبنزيه ، والأورنجوتان والجيبون) .

غير أن الذيل يظهر فى أجنتها بما فيها النوع الإنسانى فى أول أطوار تكوينها ثم لا يلبث حتى يضمر ويزول جرياً على نواميس الوراثة الطبيعية لأن من القواعد المقررة فى علم تكوين الجنين أن كل فرد يمرّ وهو جنين بجميع الأطوار التى مرّ بها

(١) أحرى بعضهم تجربة لمحاولة تق هـذه الحقائق بان استأصل عضلات الفكين عند أعلى الصدغين من بعض الحيوانات العليا فلم تنم الجمجمة ولا المخ أكثر من المعتاد . غير أنه دل بهذا على تفكير صبيانى وجهل بأصول العلوم البيولوجية ونواميسها لأن ما يطرأ على أفراد الكائنات الحية من تشويه عارض أو بتر أعضاء لا ينتج نتائج حالية دائما وانما يحدث ذلك للتغيرات الطبيعية التى يستمر فعلها الاحقاب الطويلة والا لوجب مثلا أن يولد الآن أبناء المسلمين واليهود مختونين طبيعيًا حيث تجرى لأبائهم وأجدادهم هذه العملية من زمن .

نوعه فى الأزمنة الغابرة . وهو مايعبرون عنه بقولهم : « إن تطور جنين الفرد يلخص تطور نوعه » — وهذا دليل من الأدلة المختلفة على صحة ناموس التطور والتسلسل — وما زالت فى الإنسان وفى القرود العليا المشار إليها بقية أثرية من الذيل وهى عبارة عن بضع فقرات ضامرة ملتحم بعضها ببعض فى آخر السلسلة الفقرية ويسمونها : (Coccyx) .

ومن نتائج نمو اليدين أيضاً أن صغر حجم الأسنان لعدم استعمالها إلا فى مضغ الطعام ، وخاصة الأسنان الأمامية : الأنياب والأسنان القاطعة فصار المجال أوسع أمام الشفتين ، وكانتا فى الوقت نفسه قد رهفتا — نتيجة صغر حجم الفكين — إلى أن تحولتا (الشفتان) شيئاً فشيئاً إلى أداة صالحة للابتسام والنطق

وخلاصة القول إننا مدينون بنمو مخنا وعقلنا ، وتفوقنا على باقى الحيوانات الأخرى ، واستعدادنا للنطق بوضوح وبسهولة أكثر من الأنواع الأخرى ؛ إلى نمو يدينا ، نتيجة اعتياد أجدادنا البعيدين الحياة على الأشجار وتسلقهم إياها وقبضهم على فروعها وغصونها ألوفاً من السنين . ولا شك فى أن التجاءهم إلى الأشجار والغابات كان لأسباب طبيعية طرأت عليهم مصادفةً كأن يكون الغذاء الذى كانوا يعيشون عليه من قبل قد قل أو انعدم فاضطروا إلى تسلق الأشجار ليقتاتوا بثمارها ، أو أنهم احتموا بها هرباً من الوحوش الكاسرة أو الزواحف والحشرات السامة أو من كوارث الطبيعة كالغرق وغيره . وهكذا أدت تلك العوامل المحلية الطبيعية المحض إلى نتائج هائلة لم تكن منتظرة

ولا يفوتنا أن نقول كلمة عن مراكز النطق فى مخ الإنسان فقد تطورت للقيام بوظيفتها هذه ، إما بنموها نمواً كبيراً أكثر مما كانت عليه فى الطيور والقرود العليا ، وإما بتحول بعض مراكز أخرى فى المخ عن وظائفها الأصلية إلى وظيفة النطق المركزية . وإن وحدوث هذا التحول فى أعضاء الحيوانات والنباتات وفى أنسجتها من وظيفة إلى أخرى لكى تلائم الكائنات الحية الظروف المستجدة والعوامل الطبيعية الطارئة أمر شائع ومعروف فى العلوم البيولوجية كتحول الأقدام إلى أجنحة فى الزواحف القديمة التى اضطرتها الأسباب المحلية الحادثة أن تقفز من شجرة إلى شجرة أو من شاطئ إلى شاطئ إلى أن اعتادت الطيران ، وتحولت إلى صف الطيور كما تنطق بصحة ذلك أحافير الصور أو الحلقات المتوسطة التى عثروا عليها متحجرة فى طبقات الأرض التى تكونت فى تلك الأعصر الجيولوجية القديمة ، وعلى الأخص الاركيوبتيركس Archéopterex وهو شكل متوسط بين الزواحف والطيور . ومثل تحول قشر السمك إلى الأسنان فى الزواحف وذوات الثدى التى منها الإنسان ، وتحول قشر السمك أيضاً إلى القشر الضخم الذى يغطى أجسام التماسيح ، وإلى الهيكل الكبير الجامد الذى تتكون منه ظهور السلاحف .

ولعل مراكز النطق هذه التى نحن بصددها نمت فى النوع الإنسانى أكثر من اللازم حتى صار حيواناً ثرثاراً كثير الكلام كما قلنا فى مقالنا السابق .

***

ومن العوامل الرئيسية الهامة التى دعت الإنسان إلى النطق والكلام ، الحياة الاجتماعية . فبعد أن كان أجدادنا البعيدون يعيشون فرادى لاحظوا أنه كلما صار فريق منهم جماعة يستطيعون القيام بالأعمال التى لا يقوى عليها الواحد منهم منفرداً كالدفاع عن أنفسهم ضد وحش مفترس أو كصيد فريسة كبيرة أو زحزحة صخرة ضخمة أو تسلق شجرة عالية لجنى ثمارها أو تقطيع أخشابها لتهيئة مأوى أمين وغير ذلك من صعاب أمور الحياة . ولكن حياة جماعاتهم هذه كانت قصيرة الأمد فى بادئ الأمر لأن الأقوياء منهم كانوا يبطشون بالضعفاء ليستولوا عنوة أو خلسة على ما حصلوا عليه من الغذاء أو الأثاث أو المأوى الصالح ، فلا يلبثون أن يتشتتوا هرباً من اعتداء بعضهم على بعضهم ، فيشعر الفرد منهم بضعفه وهو وحيد أمام قوى الطبيعة والوحوش المفترسة الخ . فيجتمعون ثم يتشتتون ثم يجتمعون ، وفى كل مرة يزدادون اقتناعاً بفوائد الحياة جماعة ، وأخيراً فطنوا إلى أنه لا بد لبقائهم مجتمعين من احترام حياة الغير وملكيته وأثاثه وغير ذلك من القواعد التى دعت إليها المصلحة المحض — مصلحة الجماعة وبالتالى مصلحة الفرد وانتقلت هذه الصفات أو القواعد — التى نسميها حميدة لأنها منافعه — من الآباء إلى الأبناء ، ومن جيل إلى جيل حتى صارت غريزية فينا أو كادت ، وهذا هو منشأ الغريزة الاجتماعية الأخلاقية فى الإنسان وفى الحيوانات

التى تعيش جماعة كالنمل والقرود العليا .

نعود إلى النطق فنقول : إنه ما إن بدأ أفراد الناس وأفراد باقى الحيوانات الاجتماعية يعيشون جماعة حتى شعروا بالحاجة إلى التفاهم بعضهم مع بعض والتعبير بأية وسيلة عما يجول فى خواطرهم مما يهم كل واحد منهم أو يهم الجماعة . وكان الاستعداد للنطق قد تحقق عندهم بعد أن نما مخهم ، وتقلص الفكان ، وصغر حجم الأسنان ، وتحررت الشفتان وترهفتا على الوجه المتقدم بيانه ، نتيجة لنمو اليدين ، بسبب تسلق الأشجار والحياة فى الغابات . فأخذوا يحاولون بعضهم التفاهم مع بعض بمختلف الطرق .

التفاهم بالإشارات :

أخذ الناس وسائر الحيوانات العليا — ومثلهم الأطفال الآن — يبدون إشارات كانت فى بادىء الأمر آلية غير اختيارية ولا تقليدية تدل على الانفعالات النفسية أو الحاجات الجسمانية الحيوية وهذه الإشارات ترجع إلى عوامل بيولوجية وفسيولوجية بعضها معروف أسبابه وبعضها مجهول كتقطيب الوجه عند الغضب أو الحزن وكالابتسام عند الارتياح والسرور وكهز ذيل الكلب عند الفرح والترحيب بقدوم من يحب ، وكهز رأس الإنسان للدلالة على التعجب وانحنائها للذلة والخضوع ، وكالعض على الأصابع للدلالة على الندم ، وككثير من الإشارات التى يصاحب بها الإنسان كلامه الآن ويمكن ردها إلى عوامل بيولوجية قديمة ورثناها عن أجدادنا الذين تسلسلنا منهم .

ثم اعتاد الإنسان أن يقوم بهذه الإشارات بمحض إرادته للتعبير عن المعانى التى تؤدى إليها فصارت اختيارية . فإذا أراد أن يعبر عن استهجانه لشىء أو كراهيته لشخص تراه يقطب وجهه كأنه يقول : « إنى أكره هذا » . ومثل ذلك ما اعتاده الناس من قديم الزمان أن يرفعوا رؤوسهم إلى أعلى للتعبير عن النفى أو يهزها إلى اليمين واليسار لهذا الغرض نفسه . كأنهم يقولون «لا» كما أنهم يعبرون عن الإيجاب بخفضها نحو الأرض بمعنى « نعم » .

ثم أخذوا يعبرون عما يقصدون بتقليد شكل الأشياء التى يريدون الإفصاح عنها أو عن بعض صفاتها كما يفعل الأطفال والخرس الآن .

وبعد أن كانت إشارات الإنسان فى أول الأمر تعبيراً عن المحسوسات والأجسام المادية تطورت تدريجياً تحت تأثير حاجات الناس المستمرة وارتقاء حياتهم الاجتماعية والعقلية وتحولت (أى الإشارات) إلى التعبير عن المعانى الرمزية والمعنوية . فبعد أن كانوا يعبرون عن الصخر مثلا بالإشارة إلى قطعة منه صاروا يدللون بهذه الإشارة إلى معنى الصلابة . وهذا ما تفعله إلى الآن كثير من القبائل البعيدة عن العمران سواء فى إشاراتهم أو فى لغاتهم الكلامية البسيطة المحدودة . وهذه هى أيضاً إشارة الخرس عن هذا المعنى — معنى الصلابة .

ومما يروى على سبيل الفكاهة لهذه المناسبة أن حرس برلين يعبرون من زمن عن شخص فرنسى بحركة يدهم بعنف على رأسهم من الخلف كمن يحاول قطعها . وقد اتضح أن هذه الحركة تشير إلى حادث موت لويس السادس عشر ملك فرنسا الذى أعدمته الثورة الفرنسية بالمقصلة .

(يتبع) **نصيف المنقبادى**

المحامي

صور من حياة الانجليز الاجتماعية
في القرن الثامن عشر

للكاتب العظيم يوسف أديسون

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

١٦٧٢ – ١٧١٩

حياة المؤلف :

« أتم دراسته فى جامعة اكسفورد ، متمكناً من اللاتينية تمكناً أثار إعجاب الشاعر دريدن ، للقصائد الرائعة التى كان ينشرها بتلك اللغة . ونشر ١٧٠٤ ملحمة بعنوان (كمباين) أى الحملة ، أشاد فيها بالنصر العظيم الذى انتصره الانجليز فى معركة بلنهيم . وفى ١٧٠٦ عين عضوا فى مجلس النواب البريطانى فوزيراً للدولة . وسافر بعد ذلك إلى أرلندا سكرتيراً لحاكمها العام اللورد ورتون . وكان صديقاً حميماً لرجال الأدب فى عصره مثل ستيل ، وسوفت وفى عام ١٧٠٩ ابتدأ سلسلة مقالاته الاجتماعية والأدبية التى صور فيها حياة الانجليز أتم تصوير ، والتى ننقل عنها هذه الصور الاجتماعية ، وأخذ ينشرها فى صحيفة صديقه الحميم ريتشارد ستيل التى كانت تصدر باسم تتلر . وفى عام ١٧١٢ تعاون مع صديقه ستيل على إصدار صحيفتى السبكتاتور والغارديان . ولما عاد حزب الأحرار إلى الحكم عام ١٧١٥ عين سكرتيراً عاماً لإرلندا وأصدر جريدته السياسية فرى هولد . وفى عام ١٧١٦ عين مديراً للتجارة وتزوج من الكونتس ورورك . وترك الخدمة العامة سنة ١٧١٨ براتب تقاعدى مقداره ألف وخمسمائه جنيه فى العام وتوفى فى السنة التالية ودفن فى كنيسة وستمنستر مقر العظماء .

لقد رثاه شاعر وهجاه آخر بعد موته ، وللرثاء والهجاء قصة نوجزها فيما يأتى : كان توماس تيكيل يعيش فى رعاية أديسون وكان يعطف عليه أشد العطف وقد تخرج فى اكسفورد أيضاً . وكان الشاعر الكسندر بوب ينشر ترجمة الألياذة ، وكلما نشر فصلا ، أسرع تيكيل إلى نشر الفصل ذاته من ترجمته فى جرائد ستيل ، فكان يجن بوب من ذلك ويفترض أن أديسون هو الذى يحرضه على ذلك . ولذلك كان الرثاء الموجع من الشاعر تيكل ، والهجاء المقذع من بوب »

مباراة فى التكشير :

أشرت فى مقال سابق ، إلى اقتراح قُدِّم باجراء مباريات بين الفنانين ، وتخصيص الجوائز ، تشجيعاً للانتاج المحلى فى الصناعات اليدوية بين الصناع البريطانيين ؛ وقد أدهشنى بعد ذلك الإعلان التالى فى صحيفة بوست بوى فى عدديها الصادرين فى الحادى عشر من الشهر الجارى والخامس عشر من شهر أكتوبر التالى ،

« سيعطى إناء خزفى قيمته ستة جنيهات جائزة لسباق يقام فى كولزهل من مقاطعة ورورك شير بين الجياد الصافنات ، وسيعطى إناء خزفى آخر ، أقل قيمة من الأول ، لسباق بين الحمير ، وخصص خاتم ذهبى ، لمباراة تقام فى نفس اليوم بين الرجال فى التكشير » .

أما أولى هذه المباريات فقد تكون لها فائدة معقولة ؛ وأما المباراتان الأخريان ، فلا أرى لهما فائده معقولة . أما لما ذا يريدون إقامة مباراة بين الحمير وأخرى بين الرجال فى ورورك شير ، دون أى مكان فى انجلترا ، فهو أمر لا أستطيع له فهماً وتعليلا . لقد قرأت كثيراً عن الألعاب الأولمبية ، فلم أجد فيها سباقا للحمير أو مباراة للتكشير ؛ ولكن مهما كانت الأسباب المؤدية إلى ذلك ، فقد اتصل بعلمى أن مجموعات من الحمير تدرب ويسخى عليها فى الطعام ، وأن عدداً كبيراً من الرجال على بعد عشرة أميال من مكان المباراة — يقضى الواحد منهم الساعات أمام المرآة يمرن عضلات وجهه استعداداً لذلك اليوم العظيم .

لقد أثارت الجائزة المقترحة تنافسا كبيراً بين طبقات الشعب ، حتى ليخشى أن تتشوه الوجوه ، ويعرف الرجل أنه من ورورك شير ، بمجرد تكشيره . لقد كانت التفاحة الذهبية جائزة الجمال الساحر فى الماضى ، فأصبح الخاتم الذهبى جائزة تشويه ما ركب الخالق من جمال فى الوجوه .

وإنه لمن دواعى الغبطة أن ألفت نظر الفنانين الهولنديين ، إلى اغتنام هذه الفرصة لرسم مجموعة من الوجوه التى ستشترك فى تلك المباراة العتيدة .

وتذكرنى هذه المناسبة ، بحديث اتصل بى من رجل قرأ الإعلان عن مسابقة التكشير التى نحن بصددها ، فحدث أصحابه القصة التالية :

حينما سقطت مدينة نامور ، كان بين الاحتفالات الشعبية ، مباراة فى التكشير ، على خاتم قدمه قاض من حزب الأحرار .

وكان أول المتبارين رجل فرنسى ، مرّ عرضاً بتلك المدينة ، وخيل إليه أن نحافته وقبح وجهه ، ربما كانا عوناً له على نيل الجائزة ، فوضعت له منصة أمام الجمهور وطلب إليه أن يصعد إليها وأن يواجه الناس . وابتدأ يشد عضلات وجهه ، ويديرها يمنة ويسرة ، وقد استطاع أن يظهر عشرين سناً من أسنانه فى التكشيرة الأولى ؛ وسرت همسات الاستياء بين الناس مخافة أن يظفر هذا الأجنبى بشرف الجائزة ، ولكن حسن الحظ أظهر أنه لا يجيد إلا التكشير المرح ، فلذلك لم يظفر بالجائزة .

واعتلى المنصة بعده إنجليزى ، يعتبر الأول فى فن التكشير ، فأجاد إجادة لا مزيد عليها ، حتى لقد قيل إن عشرات من النساء الحبالى أجهضن ، ولكن المحكمين أخبروا بأن الرجل يعقوبى (نسبة إلى أتباع الملك جيمس الثانى أو ابنه) ، وساء الجمهور أن ينال الجائزة رجل يخرج فى عقيدته السياسية على العرف العام ، وأن يصبح بطل التكشير فى المقاطعة ، فطلبوا إليه أن يقسم يمين الولاء للنظام الحاضر ، فرفض وكان السرور عظيما بإخراجه من بين المتبارين

وتقدم بعده للمنصة عشرات من المتبارين كان سوء الحظ حليفهم ، ولست أنسى من بينهم فلاحاً يعيش فى طرف ناء من المقاطعة ، رزقه الله فكين طويلين ، كشر بهما عن سحنة الشياطين نعوذ بالله منها . وقد أدهش الجمهور بمهارته فى تكشيرة معقدة ، وكادت الجائزة أن تعطى له لولا أن أحد المتبارين برهن للمحكمين على أنه استعمل الغش فى المباراة ؛ ذلك أنه قد مرن عضلات وجهه على نوع من عصير الفاكهة أكسب تلك العضلات هذا اللين العجيب ، وأن حبة زعرور قد وجدت قريبة من مكان وقوفه ، فوافق المحكمون على إخراجه باعتباره محتالا .

وتقدم بعد هؤلاء إسكافى يدعى جيلز جورجون Giles Gorgen دلت المقدمات على أنه سيربح الجائزة لإظهاره ألواناً من التكشير ، اخترعها ، وهو يجاهد فى رتق الأحذية . لقد ذهبت الملامح الإنسانية من وجهه فى التكشيرة الأولى ؛ وانقلب وجهه فى الثانية إلى ما يشبه المزراب ، وأصبح قرداً بشعاً فى الثالثة ، وأصبح رهيباً كذئب البحر فى الرابعة ، وككسارة اللوز فى الخامسة ، وكان إعجاب الجمهور عظيما بمهارته فمنح بالإجماع الخاتم الذهبى . وأعجب ما يتصل بهذا الإسكافى ونيله الجائزة ، أن فتاة ريفية جميلة طالما تودد إليها هذا الرجل فرفضته فى الماضى ، وما كادت تراه يتسلم الجائزة الثمينة بين إعجاب الجمهور وهتافه وتصفيقه حتى سارعت إليه تطلب وده ، وتزوجا فى الأسبوع التالى . وكان خاتم الخطبة تلك الجائزة التى تعتز وتباهى لدآتها بها .

ليس فى النية أن تنتهى هذه المقالة بأفكار جدية ، إنما ألفت نظر المسؤلين عن إقامة هذه المباريات إلى الجرم الشنيع الذى يقترفونه فى حق مواطنيهم بتشجيعهم مباريات حيوانية منحطة من هذا النوع ، أقل ما يقال فيها إنها دعوة علنية إلى التشبه بالقردة والحيوانات ؛ وأنهم يملأون رؤوس هؤلاء الجهلاء بطموح رخيص ، بدلا من الارتفاع بهم إلى مستوى تهذيبى يليق بالإنسان .

علي محمد سرطاوى

مراجع هذا البحث :

(1) Essays of Hddison
(2) Oxford Companion of English Literature ; Harvy.

فـــــنان ... !

للاستاذ ثروت أباظه

يسقط على مجلسك دون أن تعرفه ، فلا تملك إلا أن تنعم فيه النظر ، فهو أشمث أغبر كأنه ابن السلكة قد وافى بعد إيغال فى شعاب الصحراء ... ضامر شاحب كأنه عامل قد أضرب عن الزاد ، قذر الملبس يذكرك بالمار أمام منزلك صندوقه على كتفه يصرخ بأعلى صوته (بوابير جاز أصلح)

تريد أن تسأله من أنت ... والويل لك إذا فعلت ... إنه لا يسمح لإنسان ألا يعرفه وقد أفنى نفسه فى سبيل الشهرة .. إن غيره لا يجهد سوى عقله وقلمه فينالها . . أما هو الشاعر الحق فقد أجهد عقله حتى جهد . . وقلمه حتى تحطم وجسمه حتى ذوى ، ثم أنت لا تعرفه ؟ ! ففيم إذن أهمل هذه اللحية وجملك لا تعرف أن كان يزيلها أو هو يرسلها . . . أليس هذا فناً ؟ . وفيم إذن أطلق حول أذنيه هذه الإطارات من شعره . . كثة تكاد تخفى أذنه . . طويلة توشك أن تصل إلى فكه . . وفيم إذن ركب لنفسه هذا الرأس الثانى من الشعر ... إن غطى الطربوش رأسه الأول برز من خلفه يخبر أنه .. فنان .. لا. لابد أن تعرفه أردت أو لم ترد . . تعرفه هكذا دون أن يخبرك . . إن سألته من أنت ؟ ثار فى وجهك وزمجر واستأسد بعد خنوع ، إنه فنان يجلس إليك فيخبرك أنه لم ينم ليلته وأنه هكذا دائما . . هائم على وجهه فى غير مهيم . . . شارد فى غير مشرد إنه فنان . . والفن فى اعتقاده عزوف عن الراحة وشذوذ يفتعله هو . . قد لا يتحدث عن نفسه فيروح يرصف القواعد للعبقرية ويضع الخطوط الواضحة بينها وبين الاكتمال العلمى فهو يقول إن العلم شىء سهل الحيازة دانى القطوف . . يستطيع أى قدم أن يكون عالما ولكن العبقرية قبس من الأشعة الإلهية أرسله الله إلى صاحب القسمة فهو شارد اللب يمشى دون وعى ويجلس على غير علم ، إنه مس الواصلين هكذا هكذا . . ولكن ماذا أفاد الرجل من كل هذا .. انتظر.. انتظر هاهو ذا يتبعه بجملته الخالدة ، والله كثيراً ما أمشى فى الشوارع دون أن أعرف لنفسى اتجاهاً ، إنه عبقرى ما أسهل العبقرية وما أشبه العباقرة بعمال التنظيم ... هكذا الرجل لا يهمه بعد هذا إن كان فنه ناضجا أو فجا . المهم أن يتشوذ وأن يعرفه الناس هكذا وهو بعد فنان ... أراد الفن أو أبى ، لا تظلم الرجل إنه لا يأتى هـذا تصنعاً ولـكنه تطبع طال به الأمد فأصبح طبعاً .

يتحدث إليك عن حب خاب وأمل خبا ، ثم عن حب ما يزال متقد الجذوة ، وهو إن فعل نظر إلى شىء خلفه يشبه الإنسان وسأله ان يخبرك عن « ليلى » مايعلم فيأخذ شبه الإنسان فى الكلام واصفاً المحبوبة ... فتتوقع أنت فى هذه اللحظة أوصافاً تخجل الشمس إبان صحوتها وتزرى بالغصن أوده الصبا ... تهيأ أذنك لأوصاف المحبوبة لا يخالجها شك فى جمالها وفتنتها ، ولـكن هذا أمر طبيعى ليس فيه شذوذ ؛ أو يرتضى الفنان لنفسه أن تطلق على سجيتها الأولى ولو فى الحب ؟ لا ودون ذلك الفن أجمع ... ها هو ذا الواصف يخبرك أن الحبيبة سوداء مفلفلة الشعر معبلة ، مثقلة الشحم ؛ ثم يلتفت بعد هذا إلى الفنان يسائله فى عجب ما يزال متكلفاً : لم تحبها ... إن كثيرات غيرها يهوينك ويوددهن لو نظرت إليهن ولو نظرة واحدة يلتفت إليك الفنان متعجباً من نفسه هو أيضاً ولـكنه يحاول أن يغالط نفسه قليلا فيخبرك أن معشوقته شديدة الحساسية عليمة بنبضات الشعر وخفقات الشعور. وإنها — وهو المهم — تحترم شعوره الحساس الرقيق فهو قد يغضب وقد يضربها ولـكنها لا تؤذى إحساسه بكلمة وتحافظ على كرامته ما وسعها الحفاظ ومهما كلفتها تلك الخطة من إجهاد لشعورها الرهيف ... وجاع أمرها وأمره أنها تفهمه وأنه يفهمها

عجيب أن يتكلم الرجل عن الكرامة ولـكن كرامته هى الأخرى شاذة من نوع آخر ... فهو قد يسألك القرش على غير معرفة ولـكنه مع هذا ذو كرامة — وهو يفرط فى الخمر على حساب غيره ثم يخرج إلى الطريق العام عربيداً ... ولـكنه ذو كرامة ... وهو ينتقى أقذر الملابس ويضعها على نفسه كما توضع البردعة ... وما يزال ذا كرامة .

إن الرجل ليس فقيراً ، فهو يعمل ويحصل على أموال كثيرة ولـكنه يضيعها لا لشىء إلا ليستجدى ، ولعله يستجدى وهى فى جيبه لمجرد الشموذة والمحافظة على كرامته الفريدة .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٨٨ — إنها مما أهل به لغير الله

الموافقات للشاطبي : نهى عن (معاقرة الأعراب) وهى أن يتبارى الرجلان فيعقر كل واحد منهما ، يجاود به صاحبه ، فأ كثرهما عقراً أجودهما ، نهى عن أ كله لأنه مما أهل لغير الله به

قال الخطابى : وفى معناه ماجرت به عادة الناس من ذبح الحيوان بحضرة الملوك والرؤساء عند قدومهم البلدان وأوان حوادث تتجدد لهم وفى نحو ذلك من الأمور .

وخرّج أبو داود : (نهى عليه الصلاة والسلام عن طعام المتباريين أن يؤ كل) وهما المتعارضان ليُرى أيهما يغلب صاحبه . وهذا وما كان نحوه إنما شرع على جهة أن يذبح على المشروع بقصد مجرد الأ كل ، فإذا زيد عليه هذا القصد كان تشريكا فى المشروع ، ولحظا لغير أمر الله تعالى ، وعلى هذا وقعت الفتيا من ابن عتاب بنهيه عن أ كل اللحوم فى النيروز وقوله فيها : إنها مما أهل به لغير الله .

٨٨٩ — بحث لغوي فى شج وشجى

الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب للبطليوسى .

قد أ كثر اللغويون من إنكار التشديد فى هذه اللفظة (الشجى) وذلك عجب منهم ، لأنه لا خلاف بينهم أنه يقال : شجوت الرجل أشجوه إذا أحزنته ، وشجى يشجى شجاً إذا حزن ، فإذا قيل : شج بالتخفيف كان اسم فاعل من شجى يشجى فهو شج كقولك عمى يعمى فهو عم ، وإذا قيل : شجى بالتشديد كان اسم المفعول من شجوته أشجوه فهو مشجو وشجى كقولك مقتول وقتيل ومجروح وجريح . وقد روى أن ابن قتيبة قال لأبى تمام الطائى : يا أبا تمام ، أخطأت فى قولك :

ألا ويل الشجى من الخلىّ   وبالى الربع من إحدى بلىّ

فقال له أبو تمام : ولم قلت ذلك ؟

قال : لأن يعقوب(١) قال : شج بالتخفيف ولا يشدد .

فقال له أبو تمام : من أفصح عندك ؟ ابن الجُرمقانية(٢) يعقوب أم أبو الأسود الدؤلى حيث يقول :

ويل الشجى من الخلى فإنه   نصب الفؤاد لشجوه مغموم

والذى قاله أبو تمام صحيح ، وقد طابق فيه السماع القياس ، وقد قال أبو دؤاد الإيادى ، وناهيك به حجة :

من لعين بدمعها موليه   ولنفس مما عناها شجيه(٣)

(١) ابن السكيت .

(٢) التاج : الجرامقة قوم من العجم صاروا بالموصل كما فى الصحاح، زاد غيره : فى أوائل الاسلام ، وقال الليث جرامقة الشام أنباطها ، الواحد منهم جرمقانى وهنا كالاسم الخاص ، ومنه قول الاصمعى فى الكميت : هو جرمقانى ، ويقال أيضاً فى الواحد منهم الجرمقي ، وهكذا نسب أبو العباس أحمد بن اسحاق الكاتب الشاعر .

(٣) أصل الولى — كما فى الأساس — المطر الذى يلى الوسمى ، وقد وليت الأرض وهى مولية .

قرأ ذلك الشاعر فى بدء حياته بعض تراجم لشعراء غربيين قدامى — فرأى ما يفعله بودلير وسمع ما قيل عن بايرون ، فظن أن الفن عربدة كعربدتهم وتحلل كتحللهم ، وظن أن هذه العربدة وذلك التحلل هما الطريق السوى الممهد إلى الخلود ... نسى الرجل أن هؤلاء كانوا أصحاب أفكار سامية وعاطفة ملتهبة نابضة وعلم مكتمل ناضج وأنهم نجحوا برغم سلوكهم لا بسبب سلوكهم .

إن من هؤلاء الشعراء المشعوذين من إذا انصرف عن شعوذته إلى فنه لكان نتاجه حقيقاً بالاحترام فكثير منهم ذو ملكة مهيأة للفن تهيئة يفتقدها الكثير ... ولكنه أخطأ الطريق أو لعله رآى وعورتها ... فانثنى عنها إلى طريق أخرى أ كثر وعورة على الكرامة الحقة ولكنها سهلة معبدة للكرامة المشعوذة .

ثروت أباظة

٨٩٠ — خذ بيدي فهكذا زوال النعم

تاريخ بغداد للخطيب : أبو محمد عبد الله المعروف بابن الأكفاني قال سمعت أبي يقول : حججت في بعض السنين وحج في تلك السنة أبو القاسم عبد الله بن محمد وأبو بكر محمد بن جعفر الأدَمي[1] القارئ صاحب الألحان ، كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن وأجهرهم بالقراءة . فلما صرنا بمدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) جاءني أبو القاسم فقال لي : ههنا رجل ضرير قد جمع حلقة في مسجد رسول الله وقعد يقص ويروي الكذب من الأحاديث الموضوعة والأخبار المفتعلة فإن رأيت أن تمضي بنا إليه لننكر عليه ذلك ونمنعه منه ، فقلت له : يا أبا القاسم ، إن كلامنا لا يؤثر مع هذا الجمع الكثير والخلق العظيم ، ولسنا ببغداد فيعرف لنا موضعنا ، وننزل منازلنا ، ولكن ههنا أمر آخر وهو الصواب وأقبلت على أبي بكر الأدمي فقلت له : استعد واقرأ ، فما هو إلا أن ابتدأ بالقراءة حتى انفلت الحلقة ، وانفصل الناس جميعاً ، وأحاطوا بنا يسمعون قراءة أبي بكر ، وتركوا الضرير وحده ، فسمعته يقول لقائده : خذ بيدي فهكذا زوال النعم ! !

٨٩١ — كلنا صيادون ولكن الشباك تختلف

النجوم الزاهرة : قال القاضي التنوخي : جاء رجل من الصوفية إلى بجكم[2] ، فوعظه بالعربية والفارسية حتى أبكاه ، فلما خرج قال بجكم لرجل : احمل معك ألف درهم وادفعها إليه ، فأخذها الرجل ولحقه ، وأقبل بجكم يقول . ما أظنه يقبلها ، فلما عاد الغلام ويده فارغة قال بجكم : أخذها ؟

قال : نعم .

فقال بجكم بالفارسية : كلنا صيادون ولكن الشباك تختلف ...

(١) في (اللباب في تهذيب الأنساب) الأدمي — هذه النسبة الى من يبيع الأدم .

(٢) النجوم الزاهرة : بجكم التركي الامير أبو الحسين ، كان أمير الامراء قبل بني بويه ، وكان عاقلا يفهم العربية ولا يتكلم بها بل يتكلم بترجمانه ويقول : أخاف أن أتكلم فأخطىء ، والخطأ من الرئيس قبيح .

٨٩٢ — سيرة أردشير

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي :

سيرة أردشير — من حسن سيرته أن له كتاباً في حسن السيرة يضرب المثل به ، وتقتبس الملوك من نوادره ، فمن نكته قوله :

إذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة .

لا صلاح للخاصة مع فساد العامة ، ولا نظام للدهماء مع دولة الغوغاء .

أوحش الأشياء عند الملوك رأس صار ذنباً وذنب صار رأساً .

لا سلطان إلا برجال ، ولا رجال إلا بمال ، ولا مال إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة .

ومن كلامه : القتل أنفى للقتل . وأجمل منه في معناه قول الله تعالى : ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب .

٨٩٣ — جعلك من عجائب البحر

أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي : قال أبو الحسن السلامي الشاعر : مدح الخالديان سيف الدولة بن حمدان بقصيدة أولها :

تصد ودارها صدد وتوعده ولا تعد
وقد قتلته ظالمة فلا عقل ولا قود

وقال فيها في مدحه :

فوجه كله قمر وسائر جسمه أسد

فأعجب بها سيف الدولة ، واستحسن هذا البيت ، وجعل يردده ، فدخل عليه الشيظمي الشاعر فقال له : اسمع هذا البيت وأنشده ، فقال الشيظمي : احمد ربك فقد جعلك من عجائب البحر

٨٩٤ — راحة الجسم والنفس والقلب واللسان

عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة :

من كلام ثابت بن قرة : راحة الجسم في قلة الطعام ، وراحة النفس في قلة الآثام ، وراحة القلب في قلة الاهتمام ، وراحة اللسان في قلة الكلام[1] ...

(١) ومن أقواله : ليس على الشيخ أضر من أن يكون له طباخ حاذق وجارية حسناء لأنه يستكثر من الطعام فيسقم ، ومن الجماع فيهرم .

توقيــــع

[طلبت صغرى كريمتى الشاعر الكبير عزيز أباظه باشا إلى أبيها أن يسجل عيد ميلادها فى كراسة توقيعاتها فكانت هذه الأبيات :

وهبتك قلبـــا مع شقيقيك عامراً بأغلى الذى عندى من الحب والعطف
وأسكنتكم أحنـاءه منزلا لـكم فلو قد صددتم عنه أسكنتكم طرفى
وأصفيتكم من جنة النفس رحمة ويسعد نفسى أنها لم تزل تصفى
وأبدى حنو الوالدين ... وأتقى فأخفى ... فينهلُ الحنو الذى أخفى
إذا ما بذلتم لى جزاء يضىء لى بقية أيامى .. فمن ساكب العرف
وإن كانت الآباء كهف فروعهم فكهف كمو حبى وحبكمو كهفى

عزيز أباظة

في مهرجان جامعة أدباء العروبة فى الزقازيق:

حنين إلي الموطن الأول

للاستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

تسليم مشتاق ، ولهفة زائر يا مهد أحلامى ، ونبع خواطرى
ومجال فجرى وهو يومىء للضحى أن تستفيض على الصباح الباكر
ومنارة الأفق الذى لما يزل يهفو له قلبى ، ويرنو ناظرى
ومثار أشواق الوليدة ، والهوى فى عشه يحبـــو بخطو عاثر
متفزعا من كل سار صادح ومبلبلا من كل طيف عابر
إنى ذكرت على «مويس» جراحه وغنيت عن دمعى بلوعة ذاكر(١)
رف الشباب على رباه مثلما رف المتوف على الغدير الزاخر
هذى الضفاف الناعسات ملاعبى يا طالما يقظت لقلبى الساهر
نديت منها أدمعى وسكبتها آلام مهجور ، وجفوة هاجر
وقرأت فوق ظلالها أسطورتى وأبحتها أن تستشف سرائرى
ونثرت آهاتى على آهاتهـــا فى النسمة الحيرى ، ونوح الطائر
يا سامرى بين الخمائل ها هنا جئنا نجدد عهدها ، يا سامرى
أوفى عليك الركب ، نفحة مبدع ونشيد فنان ، وهتفة شاعر
حفوا بركب وزيرهم فى نشوة كالطير حفت بالخميل الناضر

من لى بركب العبقريين الألى صدحوا على لجب الزمان الهادر
وشدوا ملاحم مجدهم وتسابقوا فى صيحة الداعى ، وعزم القادر
حسب الوزير الألمعى وحسبهم إحياء مجـــد للعروبة غابر
مجـد أظل الشمس تحت لوائه ومشى على هام الزمان الجائر
عزت به الفصحى ، فأطلع صبحها والدهر يضرب فى ظلام حائر
لله من رجل ينشر مجدها فى مجده سلمت يمين الناشر
ليشيع فى الدنيا الجمال ، ويحتفى بالخير فى هدى البيان الساحر
تلك الأيادى يا دسوقى صنعتها وورثتها من كابر عن كابر
أنا بعضها ، فواهبى شبت على بيت هنالك فى غزالة عامر(١)
لا كرمة فى روضة ساقيتها نجوى صلاتى فى لحون مزاهرى
وعصرتها خمراً ودرت بها على ندمان روضك بين أنس غامر
أسقى وأسقى من سلاف شعشعت بكريم أمجاد ، ونبـل عناصر

يا سيدى أسر العروبة جهدكم فى بعثها ، لا زال فضل الآمر
من يبعث الشعراء يبعث قومه للمجد فى وضح النهار السافر
فإذا سئلت عن الذى تحيا له فى الشرق والنيل العزيز القاهر
فقل البيان . أعيش أرعى أهله فى الخافقين . وتلك تلك مفاخرى
فى ظل فاروق سنرفع ذكره ليدور فى فلك الزمان الدائر

(١) مويس : بحر عظيم هو مجلى الطبيعة فى عاصمة الشرقية .

(١) بلد صاحب القصيدة وبلد معالى الوزير .

رجعة إلى مويس (*)

للاستاذ طاهر محمد أبو فاشا

وصل الركب يا نديم فهات هـــذه رملتى ، وتلك رباتى
الرياض اللفاء ، والرفرف الخضـ ـر ، ومغنى الصبا ، وملهى اللدات
ومغانى عماتك النخل فرعا ء صموتاً كعهدها قائمات

(*) بحر من روافد الرياح التوفيقي يمر بالزقازيق .

والطريق الفينان فى جانب النهـ | ـر عروس الأصيل ، حلم الغداة
«ومويس» السكران راوية الحـ | ـب ، وساقى لحونه الثملات
معبد الراهب الخليع بساط | للنـدامى ، وموعد للغواة
العجوز الزنديق خمارة الشعـ | ـر ، وعُزّى ندمانها ، واللات
خطر الفن حـوله فجثا يسـ | ـتغفر الحسن ، والعيون اللواتى
وعلى صـدره بغام حنين | وعلى شـطه عرام سـقاة
أنا أيضاً من السقاة ولى فى | ذلك الشـط قصتى ورواتى
فوق هذا الثرى سكبت من العمـ | ـر سنيناً عصرتها من حياتى
وعلى هـذه الرمال تناولـ | ـت حديث المأساة ، والمسلاة
والزمان المطمور تحت رباها | بعض ذاتى ، وفيه بعض صفاتى
فاعذرونى إذا لويت عن الركـ | ـب فإنى أسير فى ذكرياتى

***

يا سقى الله بالزقازيق أحلا | م صباى النـواضر العطرات
وسنيناً كأنها طرفة العيـ | ـن خفافاً مررن كاللحظات
يسترقن الخطى إلى شاطىء النسـ | ـيان فى موكب رهيب الصمات
من ترى أيقظ الخواطر حولى | وأثار المطـوى من صفحاتى
وأعاد الأيام ... والمعهد السا | مق مسروج بالنجوم المهداة
العـمود الأعلام أمثلة الزهـ | ـد ، وشيخانه الفحول الثقات
ورفيـق كأنه هامش الشر | ح إذا صات يمضغ القافات . !
حنبلى كأنه الجـدل الأو | رق صخابة كثير اللتات . . !
السراج المليـل يشهق فى محـ | ـرابه ، والبلى يروح ، ويأتى . !
ونضيج مفلفـل لاذع الطعـ | ـمة يشوى أصابعى ، ولهـاتى
يتصـبى المجاورين فننصـ | ـب عليه كالفاتحين الغزاة
اترك المتن ، واطو حاشية السعـ | ـد ، وأدرك شيخون قبل الفوات
أنا من مازن ، ومازن منى | والليالى القمراء من صـدحاتى

***

أيهذا النديم ويحـك أوفيـ | ـت قل بى على «مويس» وهات
أنا فى شطه أراجع فى سفـ | ـر وجـودى أيامى الخاليات
أنا فى شطه أراقب فعل الدهـ | ـر فى أهـلـه وأرقب ذاتى
أنا فى شطه أقاوم إغـرا | ء خيالى بهـذه الذكريات
أوقظ الماضى البعيد وأخشى | أن تنيم الأشباح فى خلجاتى
وأنا الشاعر الذى زمزم الكا | س فرنت بهـذه المرقصات
ليت من عقنى وألحد بالشعـ | ـر يرد الأخيـذ من خطراتى

جنـــة الحب ... !

للاستاذ أحمد مخيمر

خذى قناعك لا تلقيه إغراء | يا لمحة أشرقت من طور سيناء
هذى المحاسن لم يجمعن فى جسد | فحسبك اليوم للعشاق إغواء
كنا الأُباة والأيام هادئة | حتى طلعت ، فلم نصبح أباء
جنّ الحنين جنوناً فى أضالعنا | وأوسعتنا ليالى الشوق إظماء
وأيقظت ما طوته من رغائبنا | يد الزمان فما يملكن إغفاء
ينظرن من شرفات الروح فى لهف | يبغين من لمحات الحسن إدناء .

يا روضة من رياض الحب زاهرة | طابت ظلالا ، وأنساما ، وأنداء
كسوت جسمك من فرع إلى قدم | غلالة من رفيف الظل ملساء
ولم يزل نبعك الرقراق مندفقاً | لم يأل من ورده الدهر إرواء
أظل أسمع موسيقى الحياة به | تطوف بالروح أنغاماً وأصداء
حسبت كل رنين حيث تبعثه | طيفاً من العالم العلوىّ وضاء
يبث ما شاء من رىّ ومن ظمأ | ورسم العيش بأساء ونعماء

يا جنة الحب ، لولا ما سقيت به | من الدموع لما أصبحت غنّاء
ليس الذى فى الغصون الخضر من ثمر | إلا قلوباً صـديّات وأحناء
أزهارك النضر رفت فوقها ذكراً | وجسمتها يد الأقدار أهواء
وما العبير سوى الأشواق ضائعة | لا تستطيع لها الأدواح إخفاء
ما بال بابك لم يفتح لحارسه | وما لأغصانك اللفاء خرساء
أتاك طائرها الصداح ، تدفعه | أشواقه .. فامنحيه الحب والماء
نسيته فتناسى وهو مدّكر | وكان — لولا قديم الود — نسّاء

يا جنة الحب لا سخط لديك ولا | عتب عليك ، ولم نبرح أحباء
غنت طيورك فى الفيوم فاستمعى | ما يعجز القوم إفصاحاً وإلقاء
إذا شدونا إلى الدنيا بقافية | مالت إلى جرسها الأجيال إصغاء
وأوقفت خطوها الأيام ، التفتت | حتى ترى عزة للشعر قعساء
من خمرة الحب نسقيه ، ونعصره | من كرمة الخلد للصادين صهباء

الأدب والفن في أسبوع

روائع الفن العالمي :

يقول « جيبو » فى كتابه « علم الجمال » : لا يخلد من إلياذة هوميروس إلا صلاة عجوز وابتسامة وداع بين زوجين ...

ويقول « رومان رولان » : لا شيء يؤثر على النفس تأثير تحفة فنية صاغتها يد فنان وكونها حذقه وتفكيره ، فإذا سمع المرء إيقاع « بتهوفن » الموسيقى أو تأمل لوحة من لوحات « رامبرانت » نسى ذاته وذابت أنانيته وشاهد الطيبة تتدفق من تلك القلوب الكبيرة ولمع فى ناظريه شعاع ذكائهم ...

ذكرت هـذا الكلام وأحسسته فى نفسى وأنا أنقل النظر والفكر من لوحة إلى لوحة فى المعرض الدولى للفن الحديث الذى أقيم بالسراى الكبرى بالجزيرة وتفضل جلالة الملك بافتتاحه يوم الأحد الماضى وشاهده كثير من رجالات الدولة وكبرائها ، ومحبى الفنون وهواتها .

وقفت أول ما وقفت فى القسم المصرى بالمعرض فاستغرقنى التأمل فى كثير من اللوحات الخالدة ، أعجبنى « الفرسان الثلاثة » لمحمد حسن بك و « بنات البحر » للأستاذ محمد سعيد و « الذكر » لمحمود سعيد بك ، وهكذا أخذت أتأمل جميع المعروضات المختلفة فى هذا القسم للمرحوم المثال مختار والمرحوم سحاب ألماظ والأساتذة جابر وأحمد عثمان وسعيد الصدر والسيدة إيمى نمر ، ولكنى أعجبت إعجاباً خاصاً بذلك الاتجاه الشعبى الذى اتجه إليـه الأستاذ محمد مصطفى عزت فى لوحته « قهوة بلدى فى خان الخليلى » ، وفى صورته الرائعة « نهر النيل » ، وقد بلغنى أن هـذه الصورة الرائعة حظيت بالرضا السامى من جلالة الملك فأثنى على صاحبها ولا عجب أن تتجه عواطف ملك النيل وراعيه إلى « النيل » .

وانتقلت بعد ذلك إلى القسم الفرنسى فشاهدت ما ضم من أعمال فنية رائعة فى الرسم والنحت ، وقطع نادرة من السجاد والتحف والنقوش وكلها تنطق بالشعر والجمال .

وفى القسم البريطانى شاهدت مجموعة من المطبوعات الملونة يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر ، وأربعين لوحة تصور عدة مناظر مختلفة وأكثرها مناظر علمية واقعية وهى الروح التى تسيطر على الفن الانجليزى .

أما فى القسم الروسى فقـد استوقف نظرى صور البطولة « ثلاثة أبطال من التاريخ » و « أغنية البطولة » و « سباق » ، أليست هـذه الصور صورة تمثل روسيا فى بطولتها وفى سباقها أصدق تمثيل ...

وكان آخر المطاف بالقسم الأمريكى ، وفى هذا القسم عرضت المجموعة التاريخية الفنية لجمعية الفنون الدولية وهى تشتمل على ستين صورة أمريكية يرجع تاريخهـا إلى القرنين التاسع عشر والعشرين . وكلها من أروع ما أخرج الفنانون الأمريكيون

قال صاحبى بعد أن انتهينا من مطافنا : أنظر . إن الفن بقوته وروعته يعلو على جميع الأطماع الإنسانية ويحطم جميع الفوارق ، ألا ترانا هنا نوزع إعجابنا على المصرى والانجليزى والفرنسى والروسى والأمريكى من غير تفريق ولا تحيز ، ولـكننا لا نحتمل هذا ولا نستسيغه فى المجال السياسى والزحام الدولى .

فى معرض الآثار العربية :

وأقامت دار الآثار العربية معرضاً افتتحه معالى وزير المعارف فى الأسبوع المنصرم وحضره كثيرون من هواة الآثار الفنية والمعنيين بالدراسات التاريخية والأثرية والأدبية ، وقد عرضت الدار فى هذا المعرض أكثر من مائة وخمسين قطعة لا يعرف تاريخها بالضبط ولهذا سمتها الدار بالآثار غير المعروفة وإن كان من المرجح أن أقدمها لا يسبق فى وجوده القرن التاسع الميلادى كما أن أحدثها لا يتجاوز القرن الخامس عشر .

وتشتمل هذه المعروضات على حلى من الذهب الخالص وقطع من القاشانى الفارسى الجميل والخزف المزوق ونسائج من الصوف البديع وغير ذلك من الزجاج المضيء والصور التى تؤرخ عصرها بما تحمل من طابع الذوق والفن . ومن أروع ما شاهدت مجموعة أثرية نادرة من مختلف القطع كان المغفور له على إبراهيم باشا قد أوصى بعرضها قبل وفاته بأيام

ولقد شاهدت هذا المعرض ، وقضيت ساعة كاملة أتفحص ما فيه من القطع الأثرية الغالية النـادرة ثم خرجت وكأنى قد استوعبت كتاباً ممتعاً فى تاريخ الحضارة الأسلامية ، بل لقد

تمثل لى فيما شاهدت متعة فنية وفائدة عقلية مما لا يمكن أن يتمثل فى قراءة أى كتاب ، ذلك لأن الآثار تحمل طابع الذوق وطابع العقل .

على أن مما يؤسف له أن هذا المعرض وأمثاله لا يستلفت فى مصر إلا أنظار الهواة لهذا الفن ، أعنى عشاق الآثار والتحف القديمة ، مع أنه معرض ثقافى يجب أن يهتم به طلاب الثقافة من كل لون ، وهذا يرجع إلى ضعف الاهتمام بهذه الناحية فى مدارسنا وفى دراساتنا ، بل إن وزارة المعارف نفسها لا تزال تنظر إلى هذه الناحية على أنها من مظاهر الكمال كما يقولون فلا تبذل لها من العناية والاهتمام ما يجب ، أليس من المؤلم أن تضيق دار الآثار العربية منذ سنوات بمحتوياتها ، وترتفع بذلك الشكوى إثر الشكوى ولكن لا سميع ولا مجيب ، وكأن الأمر لا يعنى وزارة المعارف فى كثير ولا قليل ... حقاً إنها حال تدعو إلى الأسف ...

ذكرى الأستاذ الأكبر مصطفى عبد الرازق :

تألفت لجنة برياسة الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد باشا لتخليد ذكرى المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وقد أهابت هذه اللجنة بأصدقاء الفقيد وتلامذته ومريديه والمخلصين للدراسة والبحث العلمى أن يسهموا فى مساعدة اللجنة على إنشاء جائزة باسم الفقيد الكريم لتشجيع الدراسات الإسلامية فى مصر .

وإنها لفكرة طيبة ، نرجو أن لا تكون نخوة يثيرها الحزن على فقد ذلك الإمام ثم تخبو شأن فكرات لها مماثلة ، كما نرجو أن تنهض هذه اللجنة بما يجب نحو ذكرى الفقيد من جمع آثاره ونشرها وإذاعتها إلى جانب ما تهتم له بإنشاء تلك الجائزة العلمية ، ونحن نعرف أن الشيخ مصطفى عبد الرازق قد انفق حياته الحافلة للصالح العام ، فخدم الأزهر ، وخدم الجامعة ، وخدم الوزارة ، وخدم فى ميدان الثقافة العامة ، كما خدم فى هيئة سياسية لها مكانتها ، فهل لهذه الجهات أن تجتمع كلها ظهرة واحدة على تخليد ذكراه وإحياء تراثه وإذاعته ؟ إنها لوفعلت ستؤدى شيئاً له قيمته وخطرة ، وستنهض بالواجب على أتم ما يكون الواجب ، ولكن هيهات ، فإن شعورنا نحو من نفقد من رجالنا يتضاءل بمرور الأيام ، ورحم الله شوقى إذ يقول :

يزاد كثيراً ، فدون الكثير فنبأ ، فينسى ، كأن لم يزر

شعور كريم :

نهض جماعة من تلامذة الأب الكرملى ومريديه الذين انتفعوا بعلمه واغترفوا من بحره لتخليد ذكرى استاذهم وشيخهم فرأوا أن خير سبيل فى ذلك هو إحياء تراثه ونشر كل ما يعرفون من آثاره ، وخاصة ما ترك من مؤلفات لم تطبع ، وما كتب من مقالات لم تظهر ، على أن يضيفوا إلى هذا كل ما كتبه الكاتبون عن ذلك الباحث العظيم الذى خسرته اللغة العربية وخسره العلم والأدب .

ويقولون إن من هذه الآثار التى تعدها الجماعة للنشر « رسائل » تبودلت بين المغفور له أحمد تيمور باشا والأب الكرملى ، وهى رسائل تدور على مناقشات وتحقيقات فى اللغة والأدب والتاريخ ويقوم بطبع هذه الرسائل والتعليق عليها الأستاذان كوركيس عواد وميخائيل عواد وهما من تلامذة الفقيد وخاصته .

وإلى جانب هذا تهتم لجنة التأليف والترجمة والنشر فى وزارة المعارف العراقية بإخراج مؤلفات الفقيد وطبعها طبعاً محققاً مصححاً حتى يعم النفع بها من جهة ، ويكون إخراجها براً بذكرى الكرملى من جهة أخرى .

وهذا شعور كريم ، وعمل خير وبر ، خير حيث يتيسر الانتفاع بتلك الآثار الجليلة ، وبر لأنه دلالة وفاء لذكرى رجل وقف حياته على خدمة العلم ، وياحبذا لو نهجنا هذا النهج فى إحياء ذكرى أدبائنا وعلمائنا بأن نحرص على آثارهم من الضياع ، ونضن بمخلفاتهم أن تباع ، وأن نقوم بطبع كل ما تركوه من مؤلفات ، وإذاعة ما أبدوا من آراء وتحقيقات ، فإن هذا كله أجدى وأنفع من تلك الحفلات التقليدية التى نقيمها ، وتلك الخطب « التأبينية » التى نتفضل عليهم بها ، وهى خطب لا نفع بها للأحياء ولا بر فيها بالأموات .

ذكرى اليازجى :

احتفلت لبنان فى الأسبوع الماضى بذكرى مرور مائة عام على مولد الشيخ ابراهيم اليازجى ، وأذاعت محطة الإذاعة هناك بهذه المناسبة برنامجاً حافلا اشترك فيه كبار الأدباء والشعراء

وفى طليعتهم الشاعر الكبير شبلى ملاط بك إذ ألقى قصيدة عامرة صور فيها عصر اليازجي وحظه فى عصره أقوى تصوير وأروعه.

وإن مما يؤسف له أن تمر هذه الذكرى فلا يشعر بها أديب أو شاعر فى مصر، ولا تهتم الإذاعة المصرية عندنا بأن تصنع فيها شيئا مما صنعته زميلتها فى لبنان، مع أن ذكرى اليازجي دين فى عنقنا، وواجب يفرضه عرفان الجميل علينا.

حقاً، إن اليازجي قد نبت فى لبنان، فكانت موطن مولده ونشأته، ولكنه جاء إلى مصر أديباً كبيراً وعالماً محرراً فنحج مصر من أدبه وعلمه كل خير وبركة، إذ أصدر بها مجلة «البيان» ثم مجلة «الضياء»، وعنى عناية خاصة بتصحيح أساليب الأدباء وتقويمها والتنبيه على الأخطاء الشائعة فى لغة الصحفيين، وجمع هذا كله فى كتاب سماه: «لغة الجرائد»، وكان الكاتب أو الشاعر فى مصر لا يأخذ حظه من التقدير والاعتبار إلا إذا فاز بشهادة من اليازجي تزكيه فى قومه، وقد ظل الرجل فى مصر يفيد بعلمه وأدبه ويجاهد فى خطته حتى أعياه الجهد ومات بداء السرطان فى ضاحية الزيتون.

هذا هو اليازجي، عاش لمصر بعلمه وأدبه، فكان الواجب علينا أن نكون سباقين للقيام بالواجب نحو ذكراه ...

جامعة القلم:

طالعت فى الصحف أخيراً أن جماعة من الأدباء ورجال اللغة الذين خبروا تصحيح الكتب وتقويم الأساليب وشئون الطباعة قد تألفوا فيما بينهم وأسموا رابطتهم «جماعة القلم» واتخذوا لهم مكاناً وجعلوا من غايتهم مساعدة المؤلفين والناشرين والطابعين على إخراج المؤلفات مصححة مضبوطة محققة بما يضمن خلوها من أخطاء الصناعة وأخطاء الطباعة.

وقد أذاعت هذه الجماعة أو الجامعة كما تقول: أن الذى دفعها إلى هذه الغاية ما لمسته من كثرة الأغاليط والأخطاء فى المؤلفات والمحاضرات والأغانى والأفلام والمقالات والرسائل التى تخدش اللغة وتحرف الكلم عن مواضعه وتضلل القراء وتهوى بقيمة المؤلفات وتسىء إلى سمعة مصر زعيمة الشرق، فرأت أن تنهض لتلافى هذا كله حتى تخرج المؤلفات خالية من الزلات بريئة من العثرات ومهما يكن من شىء فإنها غاية حميدة ومهمة تقع موقعها من الحاجة، فإن المطبوعات الكثيرة التى تقذف بها المطابع فى هذه الأيام تخرج مشحونة بالأخطاء والشناعات، وبما يضحك ويبكى من فنون الأغاليط، وذلك يرجع إما لعجز المؤلفين أو قصور الناشرين أو عجلة الطابعين، وشيوع الأخطاء فى المؤلفات من أخطر الأخطار على الثقافة العامة لأنه يؤدى إلى شيوع اللحن وانحلال اللغة فى الألسن وضعف ملكتها فى الأذهان، ولكن ما جدوى هذا وقد أصبحنا فى عصر يتظرف أبناؤه باللحن فى اللغة، ويرون الحرص على صحيح التركيب وصواب اللفظ من دلائل الجمود والتأخر.

إننا نطالب بشىء أجدى من هذا، إننا نطالب وزارة المعارف بإنشاء رقابة لا تسمح بإخراج الكتب والمؤلفات إلا إذا استوفت شرائطها من سلامة الأسلوب وصواب الأداء وحينئذ يضطر المؤلفون والكاتبون إلى تحرى الصواب فيما يكتبون.

الأستاذ ليفى بروفنسال:

قدم إلى مصر منذ أسبوع إجابة لدعوة جامعة فاروق الأول بالإسكندرية المستشرق الفرنسى المعروف الأستاذ ليفى بروفنسال لإلقاء سلسلة من المحاضرات الأدبية باللغة الفرنسية، وقد تقرر أن يلقى أربع محاضرات، ألقى الأولى منها فعلا مساء يوم الخميس الماضى بقاعة المحاضرات بكلية الطب فى جامعة فاروق الأول وكان موضوعها «الشعر العربى الكلاسيكى فى إسبانيا»، ويلقى الثانية مساء الإثنين «اليوم» وموضوعها «الشعر العربى الشعبى فى إسبانيا»، والثالثة فى مساء الخميس القادم وموضوعها «العلاقة بين الشعر العربى الأندلسى والشعر الأوربى الوسيط»، أما الرابعة فسيتحدث فيها الأستاذ المحاضر عن «غرناطة الإسلامية وقصر الحمراء» وسيكون الموعد بإلقائها مساء السبت من الأسبوع القادم.

والأستاذ روفنسال بقية من المستشرقين المخضرمين، وهو أحد الأعلام الذين أسهموا فى إخراج وتحرير دائرة المعارف الإسلامية وله كثير من الدراسات الأدبية والتحقيقات التاريخية النافعة، وكل ما نرجو أن تعنى كلية الآداب فى جامعة فاروق بتدوين تلك المحاضرات ونقلها إلى اللغة العربية حتى تكون مرجعاً يرجع إليه وينتفع به.

«الجاحظ»



تكريم الأستاذ خليل مطران :

تنبيهاً للأذهان ، لا تقريراً لما يجب أن يكتب فى هذا الحادث الأدبى المظيم ، نقول إن طائفة من أرباء السوريين واللبنانيين من محبى أدب شاعرهم الخالد الأستاذ خليل مطران اجتمعت فجمعت سبعة آلاف جنيه لطبع دواوين شعره وسائر مؤلفاته الأدبية ، وقد اختارت منها لجنة مؤلفة من عشرين عضواً قررت ما يلى :

١ — طبع دواوين مطران السبعة منها « ديوان الخليل » الأول وقد طبع من زمن بعيد ، وديوان للأراجيز فى الأخلاق والآداب .

كذلك قررت طبع الروايات الأربع المترجمة عن شكسبير وهى هملت ، ومكبث ، وعطيل ، وتاجر البندقية . والروايات الثلاث المنقولة عن كورناى وهى ، السيد ، وسنّا ، وبوليو كيت وأيضاً طبع رواية « بريتيس » المترجمة عن راسين « وهرنانى » عن فكتور هيجو ، « والغريب » عن بول بورجيه ورواية « القضاء والقدر » وقد عارض فيها الشاعر مطران رواية « قسمت » الإنجليزية التى رمى مؤلفها العرب بما هم براء منه ، فأعاد الشاعر مطران بروايته « القضاء والقدر » الحق إلى نصابه ووصف العرب على حقيقتهم فى أخلاقهم المعروفة ، وآدابهم المأثورة

وللشاعر المحتفل به مؤلفات أخرى هى « الموجز في علم الاقتصاد » من خمسة أجزاء اشترك معه فى ترجمتها المرحوم حافظ ابراهيم . وكتاب «مرآة الأيام فى ملخص التاريخ العام» وكتاب « الإرادة » وهو مجموعة فصول فى أدب النفس . وهذه الكتب لم تصدر اللجنة رأياً فى إعادة طبعها بعد .

٢ — قررت إقامة حفلة بدار الأوبرا الملكية تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك بجعلها تحت رعايته ، وقبل رئاستها حضرة صاحب المعالى وزير المعارف وستقام فى الساعة الخامسة بعد ظهر يوم السبت ٢٩ مارس ويخطب فيها معالى السنهورى باشا وصاحبا السعادة علوبة باشا وأنطون الجميل باشا وحضرة الشيخ المحترم عباس محمود العقاد وسينشد الأستاذ الأسمر قصيدة من شعره

٣ — تقيم لجنة الاحتفال مساء الأحد ٣٠ مارس حفلة عشاء بفندق شبرد تدعو إليها المائة والسبعة والخمسين وجيهاً الذين تبرعوا بالسبعة آلاف جنيه لهذا الغرض ولفيفاً من أرباب العلم والأدب والوجاهة من أصدقاء المحتفل به يكون خطباؤها سعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا والأستاذ فؤاد صروف والشاعر محمد عبد الغنى حسن .

٤ — تلبية دعوة معالى وزير المعارف إلى نزهة نيلية تستقر فى القناطر الخيرية نهار الاثنين ٣١ مارس .

٥ — تلبية دعوة الأستاذ إدجار جلاد بك إلى حفلة غداء يقيمها فى فندق شبرد لرجال السلك السياسى وأصحاب الصحف الأجنبية يوم أول أبريل .

٦ — حفلة يقيمها النادى الشرقى بالاشتراك مع الأندية السورية واللبنانية الأخرى وهى نادى الشبيبة ، ونادى لبنان ، ونادى الاتحاد الأرثوذكسى يوم الأربعاء ٢ أبريل .

٧ — حفلة أخيرة تقيمها المفوضية اللبنانية يوم الخميس ٣ أبريل

٨ — ولا تزال اللجنة تدعو كل من يريد الاشتراك فى هذا العمل ولم يعرب عن هذه الرغبة بعد ، أن يتفضل بمخاطبة سكرتير اللجنة صموئيل بك عطيه أو أمين الصندوق السيد إلياس مرشاق

ومما يجدر ذكره أن لجنة الاحتفال كانت قررت إصدار الجزء الأول والثانى من « ديوان الخليل » قبل إقامة الحفلة الأولى ولكن بعض الموانع الفنية حالت دون ذلك .

وأن محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية وكذلك محطة الإذاعة اللندنية للمستمع الغربى B, B, C, قد قبلتا مبدئياً إذاعة ملخص لما يقال فى هذه الحفلات .

وأن السوريين واللبنانيين فى مهاجرهم يشتركون أدبياً ومادياً فى تكريم شاعر الأقطار العربية . كما أن الحكومة اللبنانية قد قررت الاشتراك فى هذا الاحتفال وهو وفاء منها للشاعر الكبير

أما الأموال التى ستجتمع لتكريم مطران ، والفوائد التى تجنى من بيع مؤلفاته فستنفق على الجناح الخاص الذى سوف يحمل اسم الشاعر خليل مطران فى المستشفى الذى شُرع فى بنائه باسم دار الشفاء

ليطل الله بقاء مطران ، لا ليقول للمحتفلين به ما قاله ڤولتير العظيم يوم احتفلت أمته به « إنكم تريدون القضاء على حياتى من فرط الغبطة والسرور » بل ليسمع على مدى العمر شكر كل ناطق بالعربية على ما أعطاهم من أدب وفن . « حبيب »

حول اكتشاف واحة الكفرة :

جاء فى « الرسالة » الغراء عـدد ٧١٣ بتوقيع قارىء كلمة قصيرة رداً على ما نشرته أخبار اليوم بعدد ١٢٩ حول اكتشاف واحة الكفرة ، ونحن بدورنا أردنا أن نثبت شيئاً عن هذه الواحة على ضوء ما كتبه حضرة القارىء المحترم والشىء بالشىء يذكر :

كانت واحة الكفرة المجهولة عند العامة ردحاً من الزمن محلا يأويه الدعار واللصوص ومخبأ يلتجىء إليه العائثون الذين يشنون الغارة من مصر على السودان الفرنسى وبالعكس حيناً من الدهر ، ولم تكن هذه الواحة معروفة عند الليبيين وقتذاك وقد سكنها فى وقت من الأوقات (التبو) وهم قبيلة من القبائل السودانية وكانت هذه القبيلة غير متدينة بدين إلا بعد اتصالها بالسنوسى ، ثم سكنها الكثير من العرب مثل قبائل (الجهمة) وقبائل (الجوازى) وأخيراً عمرت بأهلها الحاليين وهم قبائل (الزوية) وذلك سنة ١٦٧٥م على وجه التقريب . ومن ذلك التاريخ أصبحت معروفة عند عرب برقة ، وفى سنة ١٨٥٤ وصل إلى تلك الواحة السيد عمر الفضيل موفداً من قبل الإمام الجليل السيد محمد السنوسى الكبير لبناء زاوية (الجوف) وبذلك أصبحت محط رحال القوافل السائرة بين ليبيا والسودان الفرنسى ، وفى سنة ١٨٧٤ اهتم خليفة السنوسى السيد محمد المهدى بهذه الواحة والطرق المؤدية إليها من الجهات الأربع فأرسل السيد محمد بن الشفيع (رئيس زاوية سرت) لحفر بئر (بشرى) الواقعة بين الكفرة والسودان الفرنسى . وفى سنة ١٨٩٦ تحول السيد المهدى من زاوية الجغبوب إلى الكفرة فنسق بها الجنان وعمّر ما خرب منها وكثرت بها المبانى وبنى بها معهداً لتحفيظ القرآن ودراسة علوم الشريعة وأمها السكان من جميع نواحى القطر الليبى ، وفى نفس السنة زارها صادق بك (باشا) المؤيد العظم يحمل تحيات جلالة السلطان عبد الحميد إلى السيد المهدى وفى ذلك يقول الصادق :

مليك ملوك الأرض مذ كان فى المهد
توالت هداياه على السيد المهدى
هدايا عظيم أهديت لمعظم فمن هو كالمهدى إليه وكالمهدى
كعبد الحميد الملك يحمى حماه من؟ وكالسيد المهدى فمن هديه يهدى؟
أتى (صادق) يطوى المهامه قاصداً إلى حرم المهدى المطايا له يهدى
يجوب الفيافى لا يميل إلى الكرى
حليف السرى يهوى مواصلة الهدى
يرى الصعب سهلا والمتاعب راحة
وبُعد المدى قرباً وما مرّ كالشهد الخ

وقد زار صادق باشا سنة ١٨٩٠ زاوية الجغبوب لنفس الغرض المذكور ، وبعد وصول السيد المهدى إلى الكفرة كما سبق أرسل بكثير من البعثات الاستكشافية لبحث وتنقيب الطرق المؤدية من الكفرة إلى السودانين الفرنسى والمصرى وإلى مصر ودراسة تلك الصحارى ، ومن بين تلك البعثات تلك التى كان يرأسها السيد مصطفى السمالوسى كما جاء فى كتاب أرسله العلامة الجليل السيد أحمد الريفى إلى السيد مصطفى المحجوب (رئيس زاوية الطليمون) فعثرت هذه البعثة على موقع واحة (العوينات) وواحة (مرقة) وكانت هاتان الواحتان إلى ذلك العهد مجهولتين ، كما اكتشفت مواقع أخرى فلم يكن والحالة هذه المكتشف لواحة الكفرة أو العوينات صاحب السعادة أحمد باشا حسنين رحمه الله وجعل الجنة مثواه ؛ ولكنه زار تلك الواحات وغيرها مصحوباً بالكثير من رجال السنوسى ولا يزال الكثير منهم على قيد الحياة .

محمد الطيب بن إدريس

برقية منه صاحب « الأديب » :

أشرت فى عدد سابق من « الرسالة » إلى حديث نشرته مجلة « المهد » التى تصدر فى جنوب لبنان ، وعزاه محرر تلك المجلة إلى الأستاذ ألبير أديب صاحب مجلة الأديب وزعم فيه أن الدكتور عبد الرحمن بدوى المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول إنما لبى دعوة كلية الآداب فى لبنان لإلقاء المحاضرات التى ألقاها هناك لأمر يتصل بمركزه فى الجامعة المصرية ، وأن الفرنسيين وجهوا إليه هذه الدعوة ستراً لأساليبهم الاستعمارية .

وقد تلقينا برقية من الأستاذ ألبير أديب تأخر نشرها سهواً يقول فيها إنه لم « يتحدث إلى مجلة المهد عن الدكتور عبد الرحمن بدوى » وأنه « نفى الحديث فى مجلة الأديب عدد مارس » .

ونحن نشكر للأستاذ صاحب « الأديب » هذه الغيرة على الحقيقة وبخاصة فى جانب أستاذ مصرى وجهت إليه دعوة علمية فلم يضن على أبناء لبنان بعلمه وأدبه ، وننتظر من محرر « المهد » أن ينصف الأستاذين بالاعتذار

« الجاحظ »

الكتب

أبو هريرة

[تأليف الأستاذ عبد الحسين الموسوى العاملى]

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

اسم كتاب ألفه الأستاذ الفاضل عبد الحسين الموسوى العاملى ، وهو من الشيعة المقيمين بالشام ، وقد أراد أن يدرس أبا هريرة درساً علمياً بريئاً من التعصب المذهبى ، ولكنه لم يكد يفتتح كتابه حتى وقع فيما فر منه ، وابتدأه من أول صفحة كتاباً لا ينظر إلى أبى هريرة فى ذاته ، وإنما ينظر إليه كشخص يقدسه أهل السنة المخالفون له فى الغلو فى التشيع ، لأنا معشر أهل السنة نتشيع لعلى وأهل بيته رضى الله عنهم ، ونسلك فى ذلك مذهباً وسطاً بين المغالين فى التشيع لهم ، والذين يكرهونهم من الخوارج ونحوهم ، وقد قال على رضى الله عنه : خير هذه الأمة النمط الأوسط ، يلحق بهم التالى ، ويرجع إليهم الغالى .

فقد ذكر المؤلف أن الذى أوقع أهل السنة فى الرضا عن أبى هريرة إنما هو مذهبهم فى تعديل كل صحابى ، واعتقاد أن الصحبة عصمة لايمس صاحبها بجرح وإن فعل ما فعل ، ثم ذكر أن الصحبة فضيلة جليلة ولكنها غير عاصمة ، وأن الصحابة كان فيهم العدول والأولياء والأصفياء والصديقون ، وكان فيهم مجهول الحال ، وكان فيهم المنافقون من أهل الجرائم والعظائم ، كما قال تعالى (ومن أهل المدينة مَرَدُوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) فعدولهم حجة ، ومجهول الحال نتبين أمره ، وأهل الجرائم لا وزن لهم ولا لحديثهم ، وقد درس المؤلف أبا هريرة على هذا الأساس ليثبت أنه كان منافقاً كذاباً مجرماً ، فيكون عنده من الفريق الثالث الذى عده من الصحابة ، ولا يكون هناك وزن له ولا لحديثه .

ونحن معشر أهل السنة لا نعتقد أن الصحبة عصمة ، لأنه لا عصمة عندنا إلا مع وحى ونبوة ، والشيعة هم الذين يقولون بوجود العصمة بعد النبوة ، فالمؤلف فيما رمانا به من هذا على حد قولهم فى أمثالهم : رمتنى بدائها وانسلَّت .

فالصحابة عندنا رجال كسائر الرجال ، يصيبون كما يصيبون ، ويخطئون كما يخطئون ، ولهذا كان مذهب الصحابى ليس حجة عند جمهور أهل السنة ، وكان الشافعى فيما أظن إذا خالف مذهبه مذهب الصحابى يقول : هم رجال ونحن رجال

فالصحابى قد يخطئ فى رأيه ، وقد يخونه سمعه فيخطئ فيما يرويه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأهل السنة يجيزون تخطئة الصحابى فيما يقع فيه من الخطأ ، لا فرق فى ذلك بين أبى هريرة وغيره من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم لا يجيزون مجاوزة ذلك إلى الطعن فى دينهم ، ورميهم بما رمى به المؤلف أبا هريرة من أنه كان منافقاً مجرماً كذاباً ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم مات وهو راض عن أصحابه ، ونحن نكرمه برضانا عمن رضى عنه ، وبالتأدب فى حقه وعدم الطعن عليه فى دينه ، وقد كان أبو هريرة من ألصق الأصحاب بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فيهمنا أن يكون رضاه عنه فى موضعه ، وألا يكون رضاه عن منافق كان يخدعه فى دينه ، ولنخطئ أبا هريرة بعد ذلك فيما يثبت عليه أنه أخطأ فيه ، مع صون اللسان عن السب والشتم والطعن فى الدين ، فليس هذا السب من النقد الصحيح فى شىء ، ولا من أدب الجدال فى الدين والعلم ، وقد نهانا الله عن ذلك فى جدالنا مع من يخالفنا فى الدين ، فقال تعالى فى الآية — ١٠٨ — من سورة الإنعام (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) ، وقال تعالى فى الآية — ٤٦ — من سورة العنكبوت (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن) ، والمسلم أحق بذلك مع المسلم .

وقد ثبت أنه كان هناك رواة يضعون الحديث على أبى هريرة ، ومنهم إسحاق بن نجيح الملطى ، وعثمان بن خالد العثمانى ، وابنه محمد ، وهو الذى روى عن أبى هريرة أنه دخل على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة عثمان بن عفان وبيدها مشط ، فقالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندى آنفاً رجَّلت شعره ، فقال لى : كيف تجدين أبا عبد الله — يعنى عثمان — قلت : بخير . قال : أكرميه ، فإنه من أشبه أصحابى بى خلقاً . وهذا حديث باطل ، لأن رقية ماتت فى غزوة بدر ، وأبوهريرة إنما أسلم بعد فتح خيبر ، فلنحمل مثل هذا على أولئك الرواة ، ولا داعى إلى الطعن فى أبى هريرة .

ضبط الأعلام

[تأليف المغفور له أحمد تيمور باشا]

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

هذا أثر نافع مفيد ، قام بتأليفه وتحريره فقيد العلم واللغة المغفور له أحمد تيمور باشا ، ثم انتقل إلى جوار ربه ولم يكن قد استكمل ما رسم له من المقدمات والتمهيدات ، كسائر ما ترك رحمه الله من الآثار والمؤلفات .

يتضمن هذا الكتاب ضبط أسماء الأعلام في اللغة العربية ، مما يقع فيه التحريف واللبس إما لندرته وغرابته أو لاختلاف النطق فيه وبعد المهديه ، على أن المؤلف رحمه الله لم يكتف بهذا فيما ذكر من الأعلام ، ولكنه أورد لها ترجمات قصيرة ، وحقق لها ما استطاع من تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة ، وهذا في الواقع عمل شاق لا يدركه إلا من كابده ، وما كان يتيسر إلا للمغفور له تيمور باشا بما كان له من الاطلاع الواسع ، وبما كان يملك من المخطوطات والآثار النادرة . فليس من شك في أن هذا الكتاب قد سدّ طلبة للباحثين والمحققين .

ولقد قامت بنشر هذا الكتاب «لجنة نشر المؤلفات التيمورية» وهي لجنة تألفت للنهوض بهذا العمل الجليل ، ولكني أسفت كثيراً وتألمت ! إذ وقعت في الكتاب على أغلاط نحوية ومطبعية لا تحصى ، ففي صفحة واحدة وجدت قوله « عادياً عنها » والصواب « عارياً » ، وقوله « وورد كثيراً منها » والصحيح « كثير » وقوله « كابن بنانه » والصواب « نباتة » وقوله « بذكر أبيه وجدّ غالباً » والصواب « وجده » ، وإن التبعة في هذا كله على الناشر لا على المؤلف ، فقد كان تيمور باشا رضوان الله عليه عالماً محققاً ، وقد عرفته يقضي الأيام والليالي في تصحيح لفظ أو ضبط كلمة ، فلعل اللجنة تتلافى هذا في الطبعة الثانية لهذا الكتاب ، وتراعيه فيما تنشر من مؤلفات أخرى للفقيد المعظم .

أمهات المؤمنين ...

[تأليف السيدة الفضلى وداد سكاكيني]

للأستاذ كامل محمد عجلان

أهدت إليّ الكاتبة الشرقية ضيفة مصر السيدة وداد سكاكيني كتابها الأخير (أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء) .

وقراء الرسالة يعرفون هزجات قلمها الفنان ، فلست في حاجة إلى وصف براعتها وحسن بيانها ، ولكني أريد أن أحيي عاجلا مرآتها التي جلتها لقراء العربية بعد مراياها الحسان .

وأنا سيء الظن بآثار الأنوثة القلمية لأنني كلما تناولت عملا فنياً لنسائنا الشرقيات بدت لي أصابع الرجل تنسج وتدفع أنامل المرأة وبذلك تضيع نفحات الأنوثة أو تبدو وقوامة الرجل عليها شاهدة ، ولعل حظ نساء مصر في الانتحال الأدبي أوفى من غيرهن في الأقطار الشقيقة .

لكن السيدة وداد فيما تقدمه لنا ترغمني على أن أستثنيها لأن أدبها تنشئه أناملها الصناع وأنفاسها التي تتموج على شباة قلمها يمدها قلب حي بين أضالع معمورة بحنان المرأة الغيرى على أختها في ماضيها وحاضرها . وكذلك كان كتابها عن أمهات المؤمنين مثل (أم الزهراء) و(أم الحسنين) و (أم المؤمنين) وغيرهن

وعناية السيدة وداد بجمال التصوير لم تمنعها من إبداء الخصائص التي تضيق بها في المرأة مع إيماننا بأنها من لوازم الأنثى حتى ولو كانت من أمهات المؤمنين كالهفوات الخفيفة التي تخللت صفاء الزوجية من جانب نساء الرسول .

وهو هو السمح الذي يصفح بفضل حلمه ورحابة صدره الذي أناره الله بنور النبوة .

وإن تعجب فلك أن تطيل الإعجاب بالسيدة وداد في مقدرتها من نخل كتب السيرة وغربلة روايات الأوائل حتى أخرجت لنا هذا الكتاب .



أسطورة من روائع الأدب الروسي :

بشر وشياطين

[قصة الخمر والدنان وغلبة الشيطان على الإنسان]

للكاتب الفيلسوف ليو تولستوى

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

ما كاد الصبح يتنفس ، وتخفق جنبات الكون بالحياة .. حتى هرع الفلاح الفقير يغذ الخطى إلى حقله ... وقد بكر فى غداته يروم الحرث والفلح ... ويحمل معه كسرات يابسة من الخبز ليفطر ثمة بها ...

فلما هيأ محراثه وربط إليه حصانه ... علق ثوبه — وقد أودعه كسرات الخبز — إلى شجيرة دانية ... وانطلق يشق أديم الأرض ويقلب الترب ... حتى إذا ما تصرمت ساعات الصبح ، وتراءت الضحى وأدركه العناء ، وتبدى الإعياء والسغب على حصانه ... أطلقه فى سبيل الكلأ ... وانثنى هو إلى الشجيرة يبتغى الكسرات يسد بها جوعه الذى راح يبرح به ...

فما إن بسط ثوبه حتى تولاه العجب .! إذ ألفى الخبز قد اختفى منه ... فقلب الثوب بين يديه وراح يهزه ، ولكن عبثاً !. فليس للخبز من أثر . فقال — يحدث نفسه وما زال الشك يتوزعها — « عجباً ! ! . . إن هذا غاية فى الغرابة ، إنى لم ألمح أى إنسان هذه الصبيحة ! . لعل أحدهم كان هنا ، وأخذ معه الخبز . ! » .

أجل لقد أخذه واحد من الشياطين الصغار ، بينما كان الفلاح مستغرقاً فى عمله ... وكان فى ذلك الحين قاعداً خلف الشجيرة يترقب ما سوف يتفوه به الفلاح من لعن وسباب ...

فاض قلب الفلاح بالأسف وألم به الضيق لضياع الخبز الذى أعده لفطوره ، بيد أنه ما لبث أن ارتفع صوته فى هدوء : « ليست ثمت حيلة ... وعلى كل حال فلن أقضى من الجوع ! . وإنى أحسب أن من استولى على الخبز أشد منى حاجة إليه ... فهنيئاً لمن أخذه ! . . » .

ومضى إلى جدول .. فرشف منه بعضاً من الماء ينقع به غلته .. ومال يستريح من عناء العمل ومن قرصة الجوع ... وبعد حين أسرج جواده وقيده إلى المحراث وعاد يقلب به صفحة الترب من جديد ...

***

فطأطأ الشيطان الصغير برأسه ... وقد ركبه الخجل والألم لإخفاقه فى حمل الفلاح على أن يزل لسانه ويشرع فى سبيل الخطيئة ... وانثنى إلى أستاذه الأكبر « إبليس » يروى له ما حدث ! وكيف أنه أخفى عن الفلاح الفقير البائس كسرات الخبز فلم يحمله هذا على أن يتلفظ بكلمات السوء ... بل قال وهو قرير النفس . « هنيئاً لمن أخذها . ! » .

فصاح فيه « إبليس » ... وقد تملكه الغضب وزاد تلهب عينيه وكأنهما جمرتان وسرى الحنق والسخط إلى نفسه : « إنه خطؤك أنت ... فلست تفقه ما ينبغى عليك أن تعمله ... فبهذه الطريقة سوف يعيش الفلاحون وأزواجهم وذريتهم سعداء فى راحة وهناء ... يجب عليك أن تبث الضغينة وتنفث فيهم البغضاء وتفسد قلوبهم وتثير الحقد فى نفوسهم ... فهذه رسالتنا منذ أن خلق البشر ... انطلق ثانية ... وإنى لأمهلك ثلاث سنوات لتصلح ما أتيته من خطأ ... فإذا عدت بعدها ولم تفلح فى أن تدع الشر ينساب فى قلب ذلك الفلاح ، فسوف أغرقك فى الماء المقدس » .

فارتعدت فرائص الشيطان الصغير من الفرق والهلع ، وهو يرى أستاذه الأكبر يتوعده بالثبور والعذاب الأليم ... فغاص فى باطن الأرض ، وهو يجهد ذهنه ويعصره بحثاً عن حيلة توغر قلب الفلاح ، وتدفع عنه غضب إبليس ... وما أرهبه من غضب !. فراح يفكر ويطيل التفكير حتى عثر على خطة بارعة .

فانقلب فى شكل واحد من بنى آدم ... وتمثل بشراً سوياً ... وذهب إلى الفلاح حيث سأله عملاً بأجر رخيص ... فلم يجد هذا بأساً فى أن يلحقه بخدمته ليكون له عوناً فى زراعته . !

وفى السنة الأولى أشار على الفلاح بأن يزرع قمحاً فى أرض غدقة جرداء ذات جدب ومحل ... فعمل الفلاح بمشورته ، وبذر قمحه فى تلك الأرض السبخة . فلما انقضى الحول — وكان ذا صيف صيهد شديد الحر — لفحت الشمس غلال الفلاحين

الآخرين فأحرقتها ... دون قمح ذلك الفلاح فقد نمى كثيفاً ، وغلظت سنابله ودحس حبه ... ففاض عن حاجته بعد أن أترعت خزائنه وامتلأت ... فألقاه جانباً ...

فلما حان موعد الزرع من جديد أخذ الشيطان يزين له أن يبذر القمح هذه المرة فى سفح الجبل ... فرضخ الفلاح لمشيئته ... بيد أن الصيف فى هذه السنة كان طلقاً ذا ريح سجسج ... فتلفت غلال الآخرين وعفنت ولم تجدل لها سنابل ... أما الفلاح فقد تأتى له حصادٌ طيب أبلغ فى الوفرة من سابقه ... فحار الفلاح فيما يفعله بكل تلك الزيادة ...

وحينئذ أوحى إليه الشيطان كيف يستخلص الخمر من الحنطة فينقعها حيناً ثم يقطرها حتى يبلغ منها الراح فيمتقه ثم يشربه ...

فراح الفلاح يقطر الخمر ... ويودعها فى دنان ... ثم يدعو رفاقه لينهلوا منها معه حتى يدر كهم الثمل والسكر . !

* * *

عاد الشيطان الصغير إلى أستاذه « إبليس » يحدثه بما فعل فى زهو وخيلاء ... فأخبره أستاذه الأكبر بأنه سوف يرافقه ، فيرى بعينه ما وفق إليه تلميذه ورسوله ...

فلما بلغ دار الفلاح ألفى هذا قد جمع حشداً من صحابه وجيرته يدعوهم إلى الشراب وكانت زوجه تدور عليهم بالقداح ، فينهلون منها ويعلون ، وبينما هى تمد يدها ببعض الشراب إلى واحد منهم ... تعثرت قدمها فهوت على الأرض وتحطمت إحدى الدنان ...

فاحتدم غيظ الفلاح ، واستشاط غضباً على زوجته ... وانطلق يعنفها ويلعنها : « ما هذا أيتها الكسيحة الحمقاء ؟ ! هل عميت حتى تهرق هذه الخمر النفيسة على الأرض ؟! اغربى من وجهى . لعنة الله عليك ! . » .

فلكز الشيطان الصغير أستاذه « إبليس » فى جنبه بمرفقه وهو يقول فى صوت رن فيه جرس الانتصار والزهو : « انظر ... هذا هو الرجل الذى لم أتمكن من إثارة غضبه حينما كان الجوع يصرخ فى أمعائه ... وقد ضاعت منه كسرات الخبز ! . »

وقام الفلاح يناول الخمر أضيافه ... وما زال لسانه يجرى باللعن والسب على زوجته ... وحينئذ دلف إلى الدار أحد الفلاحين ، وهو عائد لتوه من حقله . فرأى القوم ينهلون الخمر ... فحدثته نفسه بأنه واجد عندهم بعض الشراب يبعث الراحة فى نفسه ، وقد أنهكه التعب وأضناه العمل ... فجلس إلى أحد المقاعد وراح يتلمظ القطرة من الشراب . ولكن صاحبنا الفلاح — بدلا من أن يجود عليه ببعض الخمر — قال له فى صوت أجش شاعت فيه الغلظة : ليس عندى شراب لكل عابر سبيل ! . فتفضل بمغادرتنا » .

فترسمت على شفتى « إبليس » ابتسامة ... بيد أن الشيطان الصغير ما لبث أن همس فى مسمعه : « انتظر بعض الوقت! وانظر ما سوف يفعلون ! . » .

نهل الرفقاء الأغنياء مع صاحبهم الفلاح ، وجرعوا من الصهباء ما طاب لهم ؛ ولذ لمذاقهم ... وبدأت تسرى بينهم أحاديث النفاق والخداع ، وتجرى على ألسنتهم ألفاظ السوء والنميمة ... وتطير بين شفاههم كلمات الملق والمداهنة والرياء .

فأصغى « إبليس » لما يقولون .. وسره ما رآه من نبوغ تلميذه الشيطان ... وقال « إذا كان هذا الشراب يحملهم على أن يتبادلوا أحاديث المكر والخداع كما هى خلال الثعالب فإن ذلك يجعلهم عجينة طيعة فى أيدينا نحن الشياطين ! . » .

فأجابه الشيطان الصغير : « دعهم يتناولون زقاً آخر من هذه الخمر ... ثم ارقب ما يكون من أمرهم ... إنهم الآن يبصبصون بأذنابهم كالثعالب ، ويتماكرون فى دهائها ولكن بعد حين سوف ينقلبون إلى ذئاب وحشية ! . »

وزع الفلاح على الأضياف كؤوساً أخرى من الخمر فراحوا يعبون منها فى نهم .. وبدأت أحاديثهم ترتفع وتخشن . وتنساب فى رنتها غلظة الوحشية ... فبعد أحاديث الملق والرياء ، راحوا يتقاذفون بألفاظ السباب والشتائم ، ويزمجرون فى أصوات مخيفة ويلطم كل منهم الآخر على أنفه ويصفعه على وجهه . واشتبك معهم كذلك الفلاح صاحب الدار ...

فمد الشيطان الأكبر طرفه إلى ذلك ، وقد بلغ منه السرور والبهجة مبلغاً عظيما ... وراح يردد « هذا عظيم ... هذا عظيم ! » ولكن العفريت ما لبث أن قال له « انتظر قليلا فثمة ما هو أعظم من هذا ... ترقبهم حتى يُفرغوا فى أجوافهم دناً ثالثة ... فينقلبوا من ذئاب وحشية تتلاطم وتتصافع ، إلى خنازير لا تدرك ولا تعى ..

تناول الفلاحون دناً ثالثة ... فارتفع لجاجهم وعطعطتهم وهم يلغطون كالبهائم التى لا تملك إحساساً ولا شعوراً . فأخذوا يصيحون دون أن يعرفوا سبباً لصياحهم ولا يصغى أحدهم للآخر!

وبدأ الحفل يشرف على منتهاه ... وانطلق السكارى فرادى ومثنى وثلاث ... تملو صيحاتهم الحيوانية وصراخهم الوحشى فى هدأة الدجى فيمزق سكونه فى رهبة تبعث الرعب !.

وهم الفلاح بودع أصدقاءه ... ولكنه سقط فى بركة من الماء الضحل .. فتلطخ جسده وثوبه بالوحل من هامته إلى أخمص قدمه .. فانفلت يلعن ويسب ، وهو قابع فى مكانه كالخنزير ..

***

قهقه «إبليس» عالياً .. وعاد يُطرى نبوغ تلميذه ثم قال له : « لقد أمكنك أن تصلح خطأك حين أخفيت الخبز عن الفلاح .. وفزت بالنجاح فيما اختبرتك فيه ..

ولكن خبرنى كيف رُكب هذا الشراب الساحر .. لابد أنك وضعت فيه خلاصة من دماء الثعالب .. وأضفت إليه دماء الذئاب ثم مزجتها بدم الخنازير .. ذلك ما جعلهم يتماكرون ويتملق بعضهم بعضاً فى أول الأمر كالثعالب !. ثم يتضاربون كالذئاب.. ثم يصيحون كالخنازير التى فقدت إحساسها ومشاعرها »

فأجابه الشيطان الصغير : « لا يا سيدى الفاضل !. ليست هذه الطريقة التى اتبعتها فى عمل هذا الشراب ... كل ما فعلته هو أنى لحظت أن الفلاح توفر لديه القمح وزاد عن حاجته !..

إن دماء الحيوانات والوحوش كامنة فى عروق الإنسان منذ أن فُطر .. فطالما عنده ما يكاد يكفى حاجته من الطعام والخبز .. ظلت هذه الدماء ساكنة حبيسة .. ولذا لم يغضب الفلاح حينما سرقت منه كسرة الخبز .!

وحينما توفر لديه القمح وراح يسعى إلى وجوه جديدة يتنعم فيها بهذا الوفر فدللته على متعة عظيمة .. هى الخمر فلما أخذ يقلب فضل الله وخيره عليه ... إلى هذه الخمر ليتخذها متعة لنفسه ، انطلقت دماء الثعالب ودماء الذئاب ودماء الخنازير من سكونها وراحت تعبث بنفسه وتعبث بعقله .. ولو أن الإنسان داوم على الشراب !. لظل حيواناً وحشياً طيلة حياته ... إن الرغد من أسباب الرذيلة !. » .

فامتدح إبليس تلميذه الشيطان الصغير وأثنى على براعته وعفا عما بدر منه سابقاً من ذنوب... ورقاه إلى رتبة أعلى فى دنيا الشياطين!

(القاهرة) **مصطفى جميل مرسى**

العدد ٧١٦ — الاثنين ٢٤ مارس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٥٢٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15me Année No. 719

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi — 24 — 3 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٧١٦ « القاهرة في يوم الاثنين أول جمادي الأولى سنة ١٣٦٦ — ٢٤ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الخيـــانة العظمى...!

للأستاذ محمود محمد شاكر

كثرت لجاجة الصحف البريطانية ومراسليها في مسألة مصر والسودان ، ولا تزال تلحُّ في ترديد الأقوال التي تشكك في عرض قضية الجلاء عن وادي النيل — مصره وسودانه — على مجلس الأمنِ أو أية هيئة دولية يكون من حقـها أن تنظر مثل هذه القضية ، ولم تزل هذه الصحف ومراسلوها يدسُّون كلمة « العودة إلى المفاوضة » دسًّا عجيباً حيث يحتاج إليها الكلام وحيث لا يحتاج . وهـذه عادة قديمة وأسلوب عتيق كسائر أساليب بريطانيا في الُخدَع التافهة التي تسمِّيها سياسة . ولسنا ندري على أيِّ أساسٍ يبنى هؤلاء المراسلون ، أو الموحون إليهم ، كلامَهم وتزويرهم هذه . ولـكن الشيء الذي لا نشكُّ نحنُ فيه البتّة ، والذي ينبغي أن تعرفه بريطانيا ومن ترسلهم إلى مصر والسودان ليحملوا إليها أنباء هذه البلاد — هو أن الشعب المصريّ السودانيّ قد قال كلمته منذ اليوم ، وقد قضَى على كل سياسيٍّ يخرجُ على إجماع الشعب بالخيانة العظمى كما تفهمها الشعوب — لا كما تفهمها الحكومات . وقد انعقد إجماع الشعب على اختلاف الأحزاب التي ينتمي إليها :

١ — بأن لامفاوضة بيننا وبين بريطانيا بَتةً وقولا واحداً .

٢ — وأن الجلاء كلَّهُ يرادُ بهـا أن تجلوَ بريطانيا عن وادي النيل لا عن مصر دون السودان .

٣ — وأن طلَب الجلاء ينبغي أن يعرضَ على هيئة دولية لها شرفٌ تخافُ أن يُثلَم ، ولها مكانة تتحرَّج عن سقوطها في أعين البَشَر .

٤ — وأن التجربة قد دلَّت على أن بريطانيا خِلوٌ من هذين الشرطين ، وهما شرطان لا بُدَّ منهما لمن ترتفع إليه بقضيتنا أو من نفاوضه فيها .

٥ — وأن كل دعوةٍ يُراد بها أن نعود إلى المفاوضة في حقٍّ من الحقوق المكفولة لسائر البشر ، ليست إلا خيانة توجب على مُرتكبها ما توجبه سائر الخياناتِ من قصاصٍ .

٦ — وأن مصر والسودان أمةٌ واحدة ، سوف تتولى بنفسها عقاب كل خائن .

هذا مختصر ماينبغي لبريطانيا وساستها أن يعلموه علم اليقين . أما مراسلوها وجواسيسها الذين كُلِّفوا بأن يحملوا إليها الأنباء التي تهتدي بها في سياستها التي تخصُّ مصر والسودان فقد كذبوها أخش الكذب ، لا لأنهم يريدون الكذبَ على أمتهم البريطانية ، كلاَّ . بل لأنهم جهلوا كلَّ الجهل طبيعة الشعب المصري السوداني ، وخدعتهم الظواهرُ عن حقيقة النار المضطرمة في أحشاء مصر والسودان ، منذ استيقن شعب مصر والسودان أنّ بريطانيا أمة من أخلاقها الغـدْر والوقيعة وإخلاف الوعدِ والتلوُّن في ألفاظٍ من بهرج الكلام وزائفه

ونحن لن ننصب أنفسنا لإفهام هؤلاء القوم ما طبيعة شعب مصر والسودان ، ولكننا سنحدثهم عن مسألة المفاوضة نفسها كيف كان من أمرها ، ولهم بعد ذلك أن يحكموا بما يشاؤون ، فإن إخراج الغرور من رأس المغرور أعسر من رد النور إلى عينى الأكمه ؛ ولا سيما إذا كان غروراً بريطانياً متغطرساً .

فى أوائل القرن الماضى قام فى مصر فتى ينادى فى جنبات هذا الوادى : « بلادى ! بلادى ! » فهبّت مصر والسودان تتلفت مستجيبة لهذا الداعى النبيل الصوت ، الحبيب النداء ، القوى الإيمان . لقد كانت مصر والسودان هى التى تنادى مصر والسودان ، فهى دمه ، وهى أعصابه ، وهى نفسه ، وهى جنانه ، وهى لسانه ، وهى حقيقته التى صار بها هذا الفتى يُدعى بين الناس « مصطفى كامل » . ثم أوحت مصر والسودان إلى فتاها أن يقذف فى وجه بريطانيا ذات البأس بكلمتها الخالدة : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، لأن حقيقة مصر والسودان المستقرة فى بنيان هذا الفتى كانت تعلم من سر ضميرها أن هذا هو الحق ، وأما كل شىء سواه فباطل وقبض الريح ، كما قال سليمان . نظرت مصر والسودان إلى هذا الفتى الضئيل المعروق وهى تبكى من فرط لهفتها وتخوفها ومن فرط ما كانت تشعر به يومئذ من العجز الذى استهلكها وأثقلها عن أن تكون مثله توقداً ونشاطاً وقوة وحياة ، ولكنها آمنت به ورضيت عنه وجعلت دمعها شهادة الإيمان بحقه وحقها الذى أجراه الله على لسانه

ونجمت يومئذ فئة من خلق الله الذين شاء برحمته وحكمته أن يجعل مصر والسودان لهم منبتاً ومباءة كما جعلها منبتاً ومباءة لسائر الهوام وخشاش الأرض وهمج الجو ، وقامت بريطانيا تتعهد هذه الفئة وتغذوها وترضعها من درها بغية أن تشتد فتكون سباعاً وجوارح وأعواناً لها على الفتك بهذا البلد الأمين ، وما هو إلا قليل حتى خرج منها خلق يعوى فى وجه الفتى وينبح ويهر هريراً لا ينقطع ، ولكن مصر والسودان أبت إلا فتاها فأطاعته وأنكرت تلك الفئة التى نبتت أبدانها على شىء غير نيلها وتربة هذا النيل .

ثم قبض الله إليه فتى مصر والسودان ، فخرجت مصر والسودان فى جنازته تبكى الصوت الذى ردد الكلمة الخالدة المنبعثة من سر أحشائها : « بلادى ! بلادى ! لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، خرجت مصر والسودان حتى سباع بريطانيا وعواتها ونباحها يبكون أيضاً ، لأن فى دمهم شيئاً من مصر كان يحن بهم إلى صوت بلادهم ومأتمها ونواحها .

بقيت مصر تذكر فتاها ، وتسمع صدى كلماته من حيثما تلفتت ، حتى جاءت الحرب العالمية الأولى وخشعت الأصوات لهد القنابل ودوى الرصاص ، فما كاد يسكت ناطق الحرب حتى انبعثت مصر بالقوة الدافعة التى جيشها فى قلبها هذا الفتى الشاب ، وصرخت فى وجه بريطانيا الظافرة : « حقى ! حقى ! أيتها الناصبة » لم تهب بأسها ولاسطوتها ولا جبروت الظفر المسكر الذى ثملت بنشوته .

ثم كان شىء لا ندرى كيف كان ! !

كان منطق الحوادث يقضى بأن تردد هذه الجماهير الثائرة كلمة مصر والسودان الخالدة : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، ولكنها اقتصرت يومئذ على مايتضمن ذلك النداء الحكيم الذى نادى به فتى مصر فجعلت تقول « الاستقلال التام » ، وخرجت بريطانيا تُقتّل بالرصاص جمهوراً ثائراً مطالباً بحقه مستبسلا فى سبيله ، فكلما انطلقت رصاصة انطلقت معها صيحة واحدة من حناجر أمة بأسرها : « الاستقلال التام » ، فكأنها رأتها تغنى عن كلتها : « لامفاوضة إلابعد الجلاء » . فهما عندها كلمتان مترادفتان

وألحت بريطانيا فى التقتيل والفتك والعدوان والبغى ، وألحت مصر والسودان فى الجرأة على باطل بريطانيا مطالبة بحقها وهو « الاستقلال التام » ، ولم يكن يدور بخلدها شىء إلا هذا النداء وحده ليلا ونهاراً وبكرة وعشية ويوماً بعد يوم ، ولم يكن يجرى فى وهم الشعب الثائر المطالب بالحق أن أحداً سوف يقول: تعالى أفاوضك يا بريطانيا ! فيحذر عندئذ حذره ويعود إلى ندائه الأول الذى هو الكلمة المستكنة المضمرة فى دم هذا الشعب الذكى على قلة علمه ، القوى على ضعف حيلته .

ثم كان شىء لا ندرى كيف كان ! !

كان زعيم هذا الشعب الثائر « سعد زغلول » ، وكان رجلا شيخاً ، ولكن ناهيك به من شيخ ، وكان خطيباً حسبك من خطيب ، كان يسمع الهمهمة التى تدور فى دم الشعب

قال : ألم أقل لك ، إنك لا تعرف الدنيا ؟

قلت : فـكيف تريد أن أعرفها ؟

قال : كما يعرفها كل أدباء العالم ، وذلك ... ولـكن قل لى أولا ، هل تحب ؟

قلت : أحب ؟ نعم . وهل فى الدنيا من لا يحب ؟

قال : تحب من ؟

قلت : أحب أولادى ، وأهلى ، وإخوتى ، وعمتى ...

فصاح : لا لا ، ما هذا أعنى . هل أنت عاشق ؟ إذن يجب أن تعشق ، إنه لا شىء كالعشق يصب الحياة فى الأدب .

قلت : هل تريد أن أختار فتاة من الطريق فأعشقها ؟

قال : من الطريق ، من الشباك ، من السينما ، المهم أن تعشق .

قلت : ويكنى هذا لتعجبك كتابتى ، وترى فيها حياة ؟

قال : نعم .

قلت : سهلة ، سأعملها غداً ؛ أحلق ، وألبس أحسن ثيابى ، وإن لم يكن عندى ، والـكلام بيننا ، إلا ثوب واحد ، ألبسه كل يوم ، وأقف فى ... أين يقفون عادة ؟ فى شارع عماد الدين مثلا ، ثم أختار أجمل امرأة تمر بى ، فأقول لها : العفو ياست ، أو يامدموازيل ، كما تقولون فى مصر ، كلمة من فضلك . فتقول : ماذا ؟ فأقول : أنا كاتب يكتب مقالات مريضة ، وقد وصف لى أطباء الأدب ، أن أحب لتصح مقالاتى ، فهل تأذنين لى أن أحبك ؟

قال : أنا لا أحب الهزل .

قلت : تحب الجد ؟ إذن قل لى ، ماذا بعد الحب ؟ أى بعد الوعد واللقاء ؟ ماذا تكون النتيجة على رجل متزوج له أولاد ، وعلى امرأة لا يمكن أن تكون عجوزاً ولا كهلة ما تـكون إلا فتاة غريرة ، أو عذراء بكراً ، لم يطوّح بها الاحتياج والفقر ، ولـكن هذه المدنية الملعونة ، وهذا السفور والاختلاط ؟ أيساوى ما أفقده من شرفى ودينى ، وما تضيعه من عفافها ومستقبلها ، المقالات التى أكتبها يومئذ حيّـة مشتعلة ؟ وهل تـكون تلك المقالات إلا جريمة ثانية لأنها تدعو إلى مثل هذا الحب ؟

قال : إنك تتكلم بلسان العصر الماضى ، إنا لن نرجع إلى الوراء ، فلا تحاول المستحيل ، هذه هى دنيا اليوم ، ولا بد أن أريكها ؛ فقم معى .

قلت : إلى أين ؟

قال : لا تسأل : امش حيث أقودك .

قلت : بشرط أن لا تدخلنى خمارة ولا ماخوراً ولا مرقصاً ، ولا مجمعاً فيه نساء سوافر .

قال : فـكيف إذن ترى الدنيا ؟

قلت : وليست الدنيا إلا هناك ؟ هذه دنيا الرجس ...

قال : ينبغى أن يرى الأديب كل شىء .

قلت : إننا تعلمنا من مشايخنا الرجعيين ، أسلوب الدعوة إلى الله ، وكيف تـكون بالحـكمة والتدريج لا تـكون طفرة ، فلماذا لا تمشون يا أيها المجددون على هـذه الحـكمة فى الدعوة إلى ... إلى ... رؤية الدنيا ؟ !

قال : طيب ، آخذك اليوم إلى أمكنة لا تنكرها ولا تأباها

فضحكت وقلت : ثم تمشى بى خطوة بعد خطوة ، حتى تبلغ بى حيث تريد . هذه هى الحـكمة .

قال : هيا بنا ، على أن لا تنفق شيئاً ، أنت فى ضيافتى .

وأركبنى سيارة ، سلـكت بنا شوارع على النيل ، رأينا فيها أزواجاً من الناس ، أزواجاً فى العدد لا بعقد المأذون الشرعى فقال لى : ترى هؤلاء ؟

قلت : نعم .

قال : مثل هذا يفتح قريحة الأديب حتى تتدفق بالشعر الحىّ الذى يهز القلوب من قراراتها ، فهل أمتع من هذا ؟ جمال الطبيعة وجمال الحب ...

قلت : والحـكومة ترى هذا ولا تمنعه ! والعلماء يبصرونه ولا ينكرونه ! والآباء ...

قال : علماء إيه ؟ وبتاع إيه ؟ إنت فين يا أخى ؟

ومشينا ، ومر بى على قصور شامخات ، فسماها ووصف لى ما يجرى فيهـا ، من دَفق الذهب على موائد الميسر ، وخنق الأعراض فى سرر الشهوات ، وحرق الأكبـاد بكؤوس الشراب ، ثم قال لى فجأة : هل تعرف الرقص ؟

قلت : لا ، ولم أحضر فى عمرى حفلة رقص ، ولم أر راقصة إلا فى السينما يوم كنت أدخلها

فصَفـقَ كفاً بكف ، وأبدى الرثاء لى والشفقة علىّ ، وقال بلهجة المؤدب الناصح ، للمريد الطائع :

يجب أن تتعلم الرقص ، إن له فى مصر مدارس خاصة ، وإنك تلقى فيها من يلزمك الحب إلزاماً ...

قلت : وهل الرقص إلا الفاحشة المستترة ، كالسم يوضع في علب الحلوى ؟

فقال متحمساً : لا . أبداً . من قال هذا ؟

قلت : أنا .

قال : هذه أفكار المتأخرين الجامدين .

قلت : وما هي أفكار المتقدمين المائعين ؟

قال : ثق أننا لا نفكر أبداً عند الرقص إلا في الرياضة والموسيقى ...

قلت : ألست تعانق فتاة غريبة عنك ، يكاد يمس وجهك وجهها ، وصدرك صدرها ، و ... أعني ألست تحتضنها ؟

قال : وماذا في ذلك ؟ لماذا لا تنظرون إلا إلى الناحية البهيمية ؟ هذا فنّ !

قلت : وكشف أفخاذ بنات المدارس للرياضة فن ، وتجردهن للسباحة فن ، وجلب الفتاة العارية ليصورها طلاب مدرسة الفنون الجميلة فن ، إن كلمة الفن اليوم مرادفة لكلمة الفجور عند أجدادنا الأولين .

وانتهى الطريق فنزلنا من السيارة ، وقلت :

أشكرك . السلام عليكم .

قال : إلى أين ؟ إننا سنتعشى ثم نبدأ سهرتنا .

قلت : نبدأ ؟ صارت الساعة التاسعة !

قال : وماله ؟

قلت : نتعشى في البيت وننود .

قال : دعك من البيت ، إنا اتفقنا على أن أريك الدنيا .

قلت : وهل البيت في الآخرة ؟

فأصرّ فعلمت أن العشاء في السوق من شرائط رؤية الدنيا إجادة الكتابة ، فقبلت ومشينا .

قلت : إني أعرف (مطعما) جيد الطبخ .

قال : أي مطعم ؟

قلت : الحاتي .

قال : الحاتي ؟ ! تعال أرك الدنيا . امش . امش ...

قلت : وأين الدنيا ؟

قال : ... ...

وسمى أسماء نسيتها .

وأدخلني واحداً من هـذه المطاعم ، فرأيت مكاناً مزدحماً ، وسقفاً واطياً ، وهواء ثقيلا ، ودخاناً مطبقاً ، وضجة مرهقة ، وموائد ملتصقة ، ثم جاءنا النادل فكلمته بالعربية ، فلوى شدقه استكباراً ولم يفهم ولم يجب ، فكلمه صاحبي بلغة لا أعرفها ، فجاءنا بطعام أدعو الله أن لا يطعمه مؤمناً ، إلا إذا عذبه به في الدنيا تكفيراً لذنبه ، وتخليصاً له من عـذاب الآخرة ، طعاماً خبيثاً ، وشيئاً كالضفادع والسراطين وعقارب البحر ودود البر ، وحشرات الجو ، وشيئاً لزجاً كأنه مرهم الزنك مخلوطاً بالا كتيول فرفعت يدي عنه ولم أمسه ، وأكل صاحبي بشماله ، لأن من العيب كما فهمت أن يأكل باليمين ... واستعمل ملاعق وأشواكا وسكاكين كباراً وصغاراً تسلح عصابة كاملة ... ثم جاء النادل بزجاجة فتحها له ، قرأت عليها اسم خمرة من الخمور ، فالتفت فإذا الذي نحن فيه خمارة ، فغضبت وقمت ، وقلت :

أما إذا بلغ الأمر مبلغه ، فاعلم أني أمزح معك ، وأتسلى بصحبتك ، وما أحب أن تمتد المزحة أكثر من هذا ، ولله عليّ أن لا أصحبك بعد اليوم

ورأيته قبل أن أنصرف ، قد دفع ثمن عشائه وزجاجته تسعين قرشاً ، أطعم بمثلها أسرتي كلها يوماً كاملا .

وعدت إلى الدار ، فتلقاني أهله بالمودة والبشر ، وأسرع الأولاد وتعلقوا بي ، فأحسست إذ أبصرت دعة المنزل ، ونعمة الأهل ، وسعادة الفضيلة ، ولذة الاستقرار ، بمثل ما تشعر به السمكة تلقى في الماء ، بعد أن أشرفت على الاختناق .

هذا وما مشينا إلا خطوة واحدة من الطريق ، وما رأيت إلا المطعم ، فكيف لو أكلت الطريق ورأيت الدنيا ؟!

لا . لا أريد هذه (الدنيا) ، خلّيتها لكم ، فاسرحوا فيها وحدكم وامرحوا ، لا أريدها ، حسبي دنياي ، فهي خير لي وأجدى عليّ ، ولو لم يكن فيها إلا راحة الأعصاب ، وهدوء البال ، وصحة الجسم ، لكان ذلك مرغباً لي فيها ، صارفاً لي عما سواها ، فكيف ومع ذلك كله تقدير الناس ، ورضا الله ؟

أما الأدب فإن كان لا يعجب الناس منه إلا ما يجيء بسهر الليالي ، وذرع الطرقات ، وسكنى المراقص ، وإغراء الغيد بالفواحش ، وسلوك طريق جهنم ، فإن أهون شيء عليّ أن أهجره وأن أطلق الكتابة ثلاثاً ، ثم لا أعود إليها ، ولا أقبل عليها ، وأن أنام بعد مستريحاً خليّ القلب فارغ الذهن ، إذ لم أخسر بتركها شيئاً ولا خسر القراء !

علي الطنطاوي

ولا نجد لها بياناً ، فيصوغ لها بياناً من عنده ويلقى به إلى الشعب فإذا هو يسمع كل ما فى ضميره مترجماً فى ألفاظ حية تتردّد فى أذنيه . وفُتِن الشعب بسعد لسانه الذى ينطق بأسراره التى تتحيَّر فى دمه ولا يعرف كيف يبين عنها ، وأسلم القياد لرجل يهديه ويرشده ويعبّر عنه ، ويلطم بشيخوخته الوقورة الصاحية شبابَ بريطانيا الظافرة الطائشة السَّكرى براحِ النصر .

ثم كان شىء الله يعلم كيف كان ! !

فإذا هذا الشعب المأخوذ بسعد ، الفائر بالثورة فى طلب حقه المهجَّم على بريطانيا العاتية ، المائج من منبع النيل إلى مصبه يطلب الحرية من قيوده وآصاره فتتلقَّاه أسنّة الرماح البريطانية ويتخطّف أرواحه رصاصُ الوحوش ذاتُ المدنية العريقة منذ كان أرسطو إلى هذا اليوم !! إذا بهذا الشعب المنادى بالاستقلال التام يسمع دعوةً إلى مفاوضة بريطانيا لا يدرى أحدٌ كيف جاءت وكيف تدسست إليه ، وإذا سعدٌ هو المفاوض ، فمشت مصر فى آثار زعيمها ثقةً به وتسليماً له ، ورجتْ لحكيمها الشيخ أن يرتدّ إليها باستقلالها التام ...

كان هذا ولا يدرى أحدٌ كيف كان !!

ولكن بقيتْ فى مصر والسودان بقيّةٌ لم تزلْ تسمع صدَى كلماتِ الفتى الأوّل ، فهبَّت تصرُخ فى وجه الشعب المطالب بالاستقلال التام ! ! حذارِ حذارِ ، وألَحت فى صراخها ولكن مات صوتها فى دوىِّ الأصوات المطالبة بالاستقلال التام ! وفى موج الجماهير ، وفى أزيز الرصاص وهديره وقصفه . وأخيراً وقف رجلٌ يسخر من كلمة مصر الخالدة : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » سُخريةً لاذعة ملفّفة فى ثوب الدُّعابة المحبَّبة إلى هذا الشعب منذ قديم الأزمان ، والذى يُداعبُ ويحب الدُّعابة ولا ينساها وهو فى حبل المشنقة ، أو فى سياقِ الموت . وكانت هذه الدُّعابة أفتَل من رصاص بريطانيا وحِرابها ونذالتها جميعاً فى قتل كلمة مصر والسودان : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، حتى صار من يقولُ بها معدوداً عند أصحاب العصبيات الجاهلية فى عداد المجانين والموسوسين والبُلهِ واللاحيس .

ثم كان ذلك ولكن لا ندرى كيف كان !!

ولكن بقى شىءٌ واحدٌ جهلته بريطانيا وجواسيسُها ، وجهله كل مِفراحٍ طيّاش من أصحاب العصبيات الجاهلية التى غلبت على قلوبهم وأعمت أعينهم . ذلك الشىء الواحد هو أن المفاوضات ظلّت تجرى منذ بدأت إلى أن كانت سنةَ ١٩٣٦ ، والشعب يتبَعُ المفاوضة بقلبه عسى أن يرجع إليه الرجال المفاوضون بحقّ مصر كاملا غير منقوصٍ ، وهو من ورائهم يدفعهم دفعاً رجاء أن ينفعهم ذلك فينتفع بنفعهم . ولكن ... ولكن مرة أخرى وفى الثالثة كان الشعب يفعل ذلك مجتمعاً ، فلو سألتَ كل رجل وكل أنثى وكل طفل أيضاً : « هل ترجو من وراء هذه المفاوضات خيراً ؟ » فهو قائل لك : « يا سيدى ، ياما جرّبْنا » ثم يمضى لشأنه يائساً تكادُ دماؤه التى تجرى فى عروقه تبكى من الحسرات التى تقطّع قلبه وتنهش ضمير حياته !

هكذا كانت مصر والسودان برغم المفاوضات الدائرة ، وبرغم مطالبة الشعب مجتمعاً أحياناً بهذه المفاوضة . كانت الدّماء تجرى فى الأبدان المصرية السودانية وتُهَمْهم وتدمدمُ ، ولكن الرجُل الذى يفهم معنى هذه المهمهة الخفيّة لم يكنْ موجوداً ، وهى لا تستطيع العبارة عن نَفْسها بلسان ناطقٍ مبين . وبقينا جميعاً ننظُر ، لأن عبارة أمثالنا لن تؤدّى إلى شىء ، إذ لم يكن لأحدٍ يومئذٍ من قوة الاستجابة لنداء الدم المصرى السودانى ، ولا من استعداد الأبدان والعقول التى تجرى فيها هذه الدماء ، ما يحمِل لكلمة مصر الخالدة « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » صدىً يتردّدُ فيستجيب له الوادى كُلّه كما استجاب للفتى الأوّل مصطفى كامل ، وبقيت الأبدانُ العاقِلةُ (والتى هى الشعب بأفراده) فى ناحية ، والدّم الذى يجرى فى هذه الأبدان نفسها فى ناحيةٍ أخرى — وجعلَ الله بأسَنا بيننا ، فكانت إرادة الله ولا رادّ لما أراد .

ثم كان شىءٌ ونحن ندرى كيف كان .

فقد سكنتْ زمجرة المدافِع ، وعجيج القنابل الذرية ، وقامَ رجالٌ يريدون مفاوضة بريطانيا ، ولكنهم لم يلبثوا إلاّ قليلاً حتى سمعوا صوت الدّمِ المصرى السودانى ينطقُ من كُلّ ناحيةٍ « لامفاوضة إلا بعد الجلاء » فتمّت المعجزة التى كان كل امرىء يترقّبها ، وكان لمصر والسودان النّصر بعد الهزيمة المنكرة الأولى ، وظهرت كلمةُ الحقّ حتى صار أكفرُ الناس بها هو أشدّهم إيماناً ، وأجودَهم فى سبيلها بروحه وحياته ، وعادت مِصر

مقالة بلا موضوع!

للاستاذ علي الطنطاوي

قال لي من أيام صديق لي: أتسمع؟

قلت: وهل تحسبني أصم؟

قال: إن كتابتك لا تعجبني.

قلت: آسف جداً!

قال: لا تسخر. سلني، لماذا؟

قلت: سألتك.

قال: لأنك لا تعرف الدنيا... لذلك تجيء كتابتك بعيدة عن الحقيقة، خالية من الصور، ليس فيها حياة، ولا ابتكار.

قلت: إن ناساً قد زعموا لي غير ما قلت.

قال: هو ما أقول لك، فلا تصدقهم، إنهم يضحكون عليك إني ألحظ من كتابتك أنك تعيش منطوياً على نفسك، بعيداً عن الدنيا، فقل لي، بالله عليك، كيف كنت تعيش في دمشق؟

قلت: كما يعيش الناس؛ أغدو على محكمتي صباحاً وأخرج منها ظهراً، فأمر على المكتبة العربية وهي من أحب الأمكنة إليّ، وأصحابها إخوان كرام عليّ، فألبث فيها ساعة، وقد أتغدى فيها، ثم أمضي إلى الدار فلا أفارقها إلى غداة الغد، إلا مرات معدودة في السنة كلها أزور فيها صديقاً أو قريباً، أو اخطب في حفلة، وقد كنت قبل أن ألي القضاء أجلس أحياناً في قهوة، أو أمضي إلى سينما، فتركت ذلك كله.

قال: وفي مصر؟ كيف تعيش ومن زرت وماذا رأيت؟

قلت: أعيش أنا وأسرتي في منزل خالي، وأمضي إلى «الرسالة» كل يوم، وإلى الوزارة أو المحكمة أو المجلس الحسبي في أكثر الأيام. وأنا في مصر كما كنت في الشام، معتزل متفرد أفر من لقاء الناس، وأنأى عن المجامع، ولم أزر أحداً في داره إلا نفراً من علماء الأزهر، وزرت لجنة التأليف والترجمة مرة، وجلست مرة واحدة في القهوة، وخمساً في السينما، رأيت في إحداها (فلماً) عربياً فخرجت منه غضبان أسِفاً، ورأيت في سائرها أفلاماً فرنجية، ومشيت إلى الحدائق والمتاحف ولولا الصغار ما مشيت إليها؛ فقد وجدت الحدائق، مجمع غيد ودار مواعيد، ورأيت الناس في حديقة الحيوانات، ينظرون إلى امرأة مضطجعة على المقعد أكثر ما ينظرون إلى سبع البحر، ويضحكون لفتيات يلعبن على الحشيش أكثر مما يضحكون للقردة تتراقص في الأقفاص...

قال: وهذا كل شيء؟

قلت: نعم. لا شيء فوقه ولا تحته.

والسودان إلى حقيقتها المستكنّة في سِرّ القلوب والدماء والأحشاء! «لا مفاوضة إلا بعد الجلاء»: كلمة حكيمة صريحةٌ قويّة، ظاهرة المعنى، بيّنة الطريق، كريمة المنبت لأنها بنت مصر والسودان — لا يسخرُ بها بعد اليوم أحدٌ إلا كان دَمُه هو أوّل من يسخرُ منه ويزدريه ويلعنُه ويبرأ من الانتساب إليه.

هذا ما كان من أمر المفاوضات بيننا وبين بريطانيا، فليفهمه من شاء كما شاء. وليقُل أصحاب الغرور المتغطرس، وليقل أشياعُهم من المضللين: هذا شعرٌ، وهذه عاطفةٌ، ولكنّها ليستْ بحقيقة معقولة أو تحليل متّزنٍ. ونقول: نعم! إذا شئتم، ولكنّ الشعوبَ هي العواطف أوّلاً، وعواطف الشعوب أصدق حُكماً من عقول الساسة!

وأخيراً، ليعلم من لم يكن يعلَم من المتغطرسين أو من الساسة العقلاء الذين أظلّتهم سماء مِصْر، أن دم الشّعب قد نطقَ بالكلمة المتحيّرة فيه، وأجمعَ عليها، وكتبَ على نفسه أن يَنفِيَ الخبثَ عن مصر والسودان. ومعنى ذلك أنّ كل من خرج على إجماعه فقد خانَ وادي النيل خيانة عُظْمى، وأنّه رهنٌ بالقِصاصِ، وأن قصاصَ الشعوب أبقى على وجه الدهر من قصاص الحكومات.

والكلمة الآن لِمصْر والسودان، لا لفلان الزّعيم ولا لفلان السّياسيّ — فمن شاء أن يخالف عن كلمة مصر والسودان فليتقدّم، ولينظر ما هو لاقٍ في غدٍ أو بعد غدٍ.

محمود محمد شاكر

صورتان للخير والشر

للأستاذ عبد المنعم خلاف

رجلان ...

أحدهما ملك كريم هبط إلى الأرض بروح السماء ، وسيصعد إلى السماء بمكرمات الأرض ...

وثانيهما روح خبيث صعد من الطين كأنه فقاعة من غاز عفن ! أو كأنه بثرة ذات قيح وصديد فى وجه مجدور ... ، ثم عاد وسفل فى الطين وأبى الارتفاع ، وسيكون مرجعه إلى عالمه ، عالم نجاسات الأرض ...

وقد رأيتهما فى مكان واحد فى وقت واحد ، فرأيت الضدين الأبديين الخالدين تصطرع روحهما على روحى ، فكانت محنة هى محنة العيش بين المتناقضين كمحنة الحديد يوقد عليه فى النار ثم (يُطَشُّ) فى ماء مثلوج ...

أولهما له وجه أصيل الحسن والسماحة عميق المعانى الإنسانية ، يأخذك إلى رحاب الوضوح التفاؤل والحب العميق للخير ، ويدعوك إلى تصديق ما أتت به دعوات السلام والحب والبر ، وله عينان كأنهما منبعا نور وصفاء يغسلك بأشعته ويطهرك وينير لك سبل الحياة .

والثانى له وجه عميق القبح ممسوخ المعانى ، رآه مرة أحد أرباب الصفاء والنفاذ فقال : إنه وجه غادر ... وله عينان كأنهما جُبَّان جفَّ فيهما الماء وسكن الظلام وانطلقت الحشرات ، فهما يغمران قلبك بالظلام والوحشة ، ويأخذان فكرك وخيالك إلى أودية التشاؤم والكراهية للإنسانية ، ويوحيان إليك أن كل ما تقرأ عن عالم الخير والسلام وهم واهمين وغفلة غافلين بلهاء ...

وللأول يد تفيض بالخير فيضاً ولا تحبسه عن أحد ، وتعطى الناس مستحقين وغير مستحقين ، وتمسح الجراح والآلام ، وترتق الفتوق وتسد الثغور وتسند الذى يريد أن ينهار وتشير دائماً إلى منطقة النجاة والسلام كأنها علامة إرشاد منصوبة على طريق الإنسانية ...

وللثانى يد كأنها ناب ذئبة جائعة ذات أجراء صغيرة ، فهى تختطف لنفسها ولأجرائها قلوب الناس وأكبادهم أو كأنها فم قبر مخروق يأخذ ولا يعطى إلا الثكل والفقد ...

الأول عظيم بالطبع ، عظيم بالوضع ، يتوجه مجد الفعال العظيمة والمكرمات الخالدة ، ولكنه يتواضع حتى يحس محدثه ومجالسه أنه أمام رحمة مجسمة خلقت إنساناً ...

والثانى لا يحملك وجهه وعمله على إعطائه ما يليق بآدمى من احترام واتتناس ، وإنما تجفل لمرآه أول ما تقع على عينك ظلاله وعلى وعيك أعماله ، ولا يحملك ما يحاول أن يحيط به من زينة الثياب والرياش والأثاث البراق إلا على مقارنة قبح ذاته وصفاته بجمال ما يحيط به من الأثاث الجامد !

***

هذا الأول أسدى لنفسى معانى كثيرة من الخير ، وما تملك نفسى إلا أن تسدى إليه الحب وتسجيل الذكر وتخليد الصورة فى مثل هذه المناسبة ، لأنه مرتفع عن مستوى الحاجة ... وذاك الثانى أسدى لنفسى شراً كثيراً ، وأقل ما أسديت إليه أننى كنت التمس المعاذير لقبح خلقه وهوان شأنه على معاشريه ، وكنت أغضى عن ذلك رحمة له إذ لم يخلق نفسه ، وأنا أرحم القبح ولكن لا أهواه كابن المعتز . ومع ذلك فقد كان حظه منى أعظم مما مع غيرى ...

وتسأله لماذا يا فلان ؟ فيخرس لسانه ويجيب وجهه بتمليل الطبع السائر على نهجه ... ولقد أجاب لسانه مرة حين قلت له : إننى لا أطيق الشر فهلم معى إلى الخير ... فقال : لن تستطيع أن تغير ما فى القلوب بالأقوال ...

فكانت هذه هى حكمته الوحيدة الخالدة ...

هذا النوع من الناس هو الذى قد يحملك على جحود الخير والإيمان بالشر ، إذ يحيل قلبك من هدوئه واطمئنانه إلى الثورة والتشكك واعتناق الشر وتحطيم المثل العليا ، أو أنه على الأقل يحملك تعتقد أن الشر عريق فى الوجود عراقة الخير ، كأنهما مخلوقان لإلهين مختلفين يحتربان ويصطرعان على تسيير دفة الدنيا ، يديرها أحدهما إلى الأبيض ويديرها الآخر إلى الأسود . فيجب أن تطيع الثانى كالأول ويتسع قلبك له وتطاوع شيطانك فيه

تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد
سلسلة محاضرات ألقاها فى فينا
للأستاذ محمد جمال الدين حسن

بعض الفروض التمهيدية وطريقة التفسير :

كان العلماء إلى ما قبل ظهور علم التحليل النفسى يفسرون الحلم على أنه ظاهرة جسمية تنشأ عن اضطراب فى المعدة أو ما شابه ذلك من مؤثرات عضوية . أما نحن فسنفرض أن الحلم ظاهرة عقلية لا جسمية . وقد لا يكون لهذا الفرض ما يبرره ، ولكن ليس هناك ما يمنعه أيضاً ، فالحلم إذا كان ظاهرة جسمية لا يهمنا فى شىء ولكنه يكون ذا فائدة لنا إذا كان ظاهرة عقلية . وعلى هذا فسنسلم بصحة هذا الفرض وسنرى من النتائج التى سنصل إليها إن كنا على خطأ أم على صواب . والآن ما هو الغرض من هذا البحث وإلى أى غاية نوجه هذه الجهود ؟ إن غرضنا هو الغرض من كل بحث علمى ، أى الوصول إلى دراسة واضحة للظواهر الطبيعية وتكوين علاقة بينها وإخضاعها لسلطتنا على قدر الأمكان .

وعلى هذا فسنواصل بحثنا على فرض أن الأحلام ظاهرة عقلية ، ومعنى هذا أنها خيالات رآها الحالم أو كلمات تفوه بها أثناء النوم ولكنها لا تدلنا على شىء ولا نستطيع أن نفهم لها معنى .

لنفرض أنى تفوهت أمامكم بكلام غير مفهوم فما ذا أنتم صانعون ؟ ألا تسألوننى الأيضاح عما أريد ؟ أظن هذا هو الحل المعقول . فلم إذاً لا نتبع نفس الطريقة فنسأل الحالم عن معنى حلمه ؟ تذكرون أننا سبق أن وجدنا أنفسنا فى مثل هذا الوضع (١) عند ما كنا نبحث فى زلات اللسان ، وقد بينت لكم أنه يجب

(١) يشير فرويد إلى المحاضرات التى ألقاها عن «سيكلوجية الأخطاء» وهى بين فيها أن زلات القلم واللسان ليست فى الواقع هفوات تصدر عن الأنسان لا معنى لها وإنما هى حالات عقلية تنشأ عن عوامل نفسية مختلفة تمكن الوصول إليها بالتحليل النفسانى .

بحيث لا يحدك ضمير ولا وجدان ساعة بُحران الشر واحتدام الضغينة فلكل وقت ، فيكن للشر بقلبك كما تكون للخير بقلبك !

هكذا يسم هذا النوع من الناس نفسك بشِرّة نفسه ، كما يسم الثعبان دمك بلسعة نابه ومسموم لعابه ، فلا تمالك إلا أن تقىء وتهذى وتتلوى وتأتى بالحماقات والشناعات ...

إنه يجذبك من عالم أحلامك السعيدة العليا إلى الحضيض الذى تتمرغ فيه وتتقلب عليه مع بنات الطين والظلام ...

إنه بوق الشيطان ينفخ فيه على أفاعى الشر والضغينة فى الحجرات المظلمة من نفسك كلما أوشكت أن تموت ؛ لتحيا دائماً معك لأنها أعظم جنوده التى أرصدها لحرب ذلك الطفل العبقرى الوديع : الحب !

وإن هذه الأفاعى إذا صحت ونشطت فلن تأكل فى الحقيقة إلا فلذات قلبك ولن تشرب إلا دمك ... ولقد جعلت من الذين أوسعوا لها من صدورهم مسمومى الإدراك مطموسى الإحساس بجمال الوجود ولذة الحب والرحمة .

إنها كريهة الدبيب مغتالة لأفضل ما فى النفس ، مثيرة للدم الأسود المحموم .

إن الشر يجب ألا يكون إلا لدفع الشر الذى لا يُدفَع بالخير . فيجب على القديس الحليم أن يكون عنيفاً شديداً مع الذين لا يرون المثل الأعلى إلا فى الشر والعنف ... أما أن يتخذ ذخيرة وغذاء تجتره النفس انسياقاً مع الغرائز القديمة ، واستجابة للوحش الذى فينا ، وتنمية لنوازعه وتنقيباً عن سفالاته المطمورة فذلك هو الهدم لدعائم الحضارة والارتداد والانتكاس إلى الوحشية التى تطمس الآفاق التى رأتها الإنسانية على ضوء السكينة النفسية والحب المتبادل .

فليُعِين اللهُ محبى الخير على الحرب الدائرة بينهم وبين هذه النفوس العريقة فى عالم الأذى ...

وليحفظ رقة الخير وضعفه بين الشرور كما يحفظ حرير الورد من جوار الأشواك المسنونة المُشرعةَ التى تهدده دائماً بالتمزق وتؤذى من يريد أن ينعم به نعمة خالصة .

عبد المنعم خلاف

علينا فى هذه الحالة أن نسأل صاحب الزلة عما يقصده أو ما كان يفكر فيه حتى نستطيع أن نصل إلى الدوافع الخفية التى دفعته إلى ارتكاب هذه الزلة ، كما بينت لكم أن التحليل النفسى مبنى كله على هذه الطريقة ، أى ترك الشخص الذى نحلله يجيب بنفسه على مشاكله . وعلى هذا فالحالم يجب عليه أن يفسر لنا حلمه بنفسه

ولكن الأمر ليس هنا بالسهولة التى نظن ، ففى حالة الزلات كانت هذه الطريقة تنجح فى كثير من الأحيان ، ولكن فى أحيان أخرى كان الشخص المستجوب يرفض الإجابة عن شىء بل كان يرفض الجواب الذى نقترحه عليه من استنتاجاتنا فى غيظ وحنق . أما فى حالة الأحلام فليس هناك أمثلة من النوع الأول ، فالحالم دائماً يقول إنه لا يعلم شيئاً عن حلمه ، وهو لا يستطيع أن يرفض تفسيرنا لأنه ليس لدينا ما نقدمه له . فما دام لا يعلم شيئاً ونحن لا نعلم شيئاً ومن المؤكد أن شخصاً ثالثاً لا يعلم شيئاً كذلك ، فلا مطمع لنا إذاً فى الوصول إلى حل موفق . أعلينا عندئذ أن نقلع عن هذه المحاولة ونقر بعجزنا ؟ إذا كان منكم من يرغب فى ذلك فليفعل . أما إذا كنتم راغبين فى مواصلة البحث ففى استطاعتكم أن تتبعونى فسأريكم أن الشخص الحالم فى الواقع يعلم معنى حلمه ولكنه لايدرى أنه يعلم وعلى هذا يظن أنه لايعلم .

أظن أنه من المحتمل أن تلفتوا نظرى عند هذه النقطة إلى أننى قد عدت إلى تقديم فرض آخر ولما يمض على تقديمى الفرض الأول وقت طويل ، وأننى بعملى هذا قد بعدت عن جادة الصواب ودقة البحث ولكنى أوجه نظركم إلى أنى لم أجىء هنا لأتظاهر أمامكم بالشعوذة فأقدم إليكم حقائق سهلة مستساغة بينما أخفى عنكم الصعوبات والشكوك حتى تطمئن نفوسكم إلى أنكم قد تعلمتم شيئاً جديداً . وعلى هذا أقول لكم إنى فعلا قد فرضت فرضين متداخلين فمن يجد منكم فى هذا مشقة أو عدم دقة فما عليه إلا أن يتركنا فى خير . ولكنى أوجه نظركم إلى أن هذين الفرضين ليسا على درجة واحدة من الأهمية . فأحدهما وهو القائل بأن الأحلام ظاهرة عقلية هو الفرض الذى نأمل فى إثباته عن طريق النتائج التى سنصل إليها . أما الفرض الآخر فقد سبق إثباته فى مجال مختلف وأنا فى الواقع لم أعمل أكثر من أن سمحت لنفسى باستعارته فى بحثنا هذا . وهذا المجال المختلف الذى أقصده هو

التنويم المغناطيسى فقد شاهدت برنهيم (Bernheim) عام ١٨٨٩ فى نانسى وهو يقوم بتجاربه على رجل من المدينة نومه تنويماً مغناطيسياً ، وعند ما استيقظ الرجل بدا لأول وهلة أنه لا يدرى شيئاً عما قام به أثناء النوم وقد ادعى أنه لا يستطيع أن يتذكر شيئاً ، غير أن برنهيم ألح عليه فى السؤال مؤكداً له أنه يعلم كل شىء وأنه لو أجهد نفسه قليلا لاستطاع أن يتذكر كل ما حدث له . وما كان أشد دهشتنا عند ما بدأ الرجل فعلا يتذكر شيئاً فشيئاً بعض ما حدث له أثناء النوم ، وكلما تذكر شيئاً اشتدت ذاكرته فتذكر أشياء أخرى حتى استطاع فى النهاية أن يتذكر بالضبط كل ما قام به وهو نائم . ألا يصح لنا إذاً أن نستنتج من هذا أن هذه الذكريات كانت فى عقله من مبدأ الأمر ولكنها كانت فقط صعبة المنال ؟ فهو لم يكن يدرى أنه يعلم بها ولكنه كان يعتقد أنه يجهلها . وهو فى هذه الحالة يشبه الشخص الحالم تمام الشبه . والواقع أن هناك علاقة واضحة بين التنويم المغناطيسى والنوم الذى هو شرط أساسى للحلم . فالتنويم المغناطيسى يطلق عليه فعلا النوم الصناعى ، فنحن نقول للشخص الذى نريد أن ننومه مغناطيسياً : « نم ! » وما نوعز به إليه وهو نائم يمكن مقارنته بالأحلام فى حالة النوم الطبيعى . فالحالة العقلية واحدة فى الاثنين ، فكما أننا فى النوم الطبيعى نقطع كل صلة تربطنا بالعالم الخارجى ، فكذلك نفعل فى حالة التنويم المغناطيسى فيما عدا الشخص الذى يقوم بتنويمنا والذى نبقى معلقين به .

أظن من الممكن الآن أن نعود إلى عملنا ونحن أكثر ثقة من ذى قبل . رأينا إذاً أن من المحتمل جداً أن الحالم يعلم شيئاً عن حلمه ، ولكن المسألة هى كيف يمكننا أن نسهل له الوقوف على هذه المعلومات وإعطائها إيانا ؟ الطريقة التى سنتبعها هى أن نسأل الحالم عن معنى حلمه وكيف حلم هذا الحلم ، والكلمات التى يجيب بها يجب أن تؤخذ على أنها الأيضاح المطلوب بغض النظر عن كونه يظن أنه يعلم أو لا يعلم شيئاً عن الحلم .

أظن هذه الطريقة بسيطة جداً ، ولكنى مع هذا أخشى أن تثير فيكم معارضة شديدة فتصيحون : « فرض ثالث ! وهو أبعد احتمالا من سابقيه ! أتعنى أننا إذا سألنا الحالم عن الأفكار التى تتوارد على خاطره فأجابنا على الفور فما علينا إلا أن نأخذ إجابته

هذه على أنها الايضاح المطلوب ؟ ولكن من المؤكد أنه قد لا يجد ما يجيب به على الأطلاق أو قد تتوارد على خاطره أفكار يعلم بها الله . إنا لا نستطيع أن نتخيل على أى أساس بنيت هذا الأمل ، فهو فى الحقيقة يتطلب اعتماداً أكثر من اللازم على العناية الإلهية فى الوقت الذى نحن فيه أحوج ما نكون إلى نفاذ البصيرة والمقدرة على النقد . وفضلا عن ذلك فالحلم لا يتكون من عنصر واحد كزلة اللسان ، ولكنه يتكون من عناصر كثيرة ؛ فأذا كان الأمر كذلك ، فعلى أيها يمكننا الاعتماد ؟ » .

أظن أنكم على حق فى جميع النقط الغير أساسية . فالحلم حقاً يختلف عن زلة اللسان من ناحية تركيبه من عناصر كثيرة كما أنه يختلف عنها من نواح أخرى كذلك ، وهذه الاختلافات كلها يجب أن تراعى عند التحليل . ولذا فأنى أقترح عليكم أن نقسم الحلم إلى عناصره المختلفة وأن نختبر كل عنصر على حدة ، وبذا نكون قد أعدنا التشابه الذى بينه وبين زلة اللسان . وأنتم كذلك على حق عند ما تقولون إن الحالم عند ما يستجوب عن عنصر من عناصر حلمه قد يجيب بأنه لا يجد لديه أفكاراً تتعلق به ، وهناك حالات نكتفى فيها بهذا الرد قد أدلكم عليها فيما بعد . أما فى أغلب الأحيان فيجب علينا أن نناقضه وأن نلح عليه فى الجواب مؤكدين له أن لابد من وجود فكرة ما لديه وسنرى أننا كنا على صواب ، فسيبدأ بقوله : « إن هذا يذكرنى بشىء حدث لى منذ وقت قريب ! » أو « إن هذا حدث لى بالأمس! » وسنرى من هذا أن الأحلام ترتبط ارتباطاً وثيقاً بآثار اليوم السابق . وأخيراً قد يستطيع الحالم إذا اتخذ الحلم نقطة ابتداء أن يصل إلى تذكر حوادث من الماضى البعيد .

أما من حيث النتيجة العامة فأنتم على خطأ . فاذا كنتم تحسبون أن اعتبار الأفكار الأولى التى ترد على خاطر الحالم كجواب عما نسأل عنه مسألة اختيارية بحتة ، وإذا كنتم تحسبون أن هذه الأفكار قد تكون هوائية لا علاقة لها بما نحن فى صدد البحث عنه ، وأنها لا تدل إلا على تفتق العمياء فى العناية الألهية إذا توقعت شيئاً آخر ... إذا كنتم تحسبون هذا فأنتم على خطأ مبين . وهذا الخطأ راجع إلى الاعتقاد الراسخ فيكم بأن القوى النفسية حرة غير مقيدة فى اختيارها وهذا اعتقاد غير علمى ، لذا يجب على أن أطلب منكم أن تنظروا بعين الاحترام إلى هذه الحقيقة الواقعة : وهى أن فكرة واحدة فقط ولا شىء غيرها هى التى تخطر على بال الحالم عند ما يستجوب عن حلمه .

ولما كانت هذه النقطة على درجة كبيرة من الأهمية ، لذا أسألكم أن تلتفتوا إليها التفاتاً خاصاً. فعند ما أسأل شخصاً عما يخطر على باله بالنسبة لعنصر ما من عناصر حلمه فأن ما أطلبه منه هو أن يستسلم لعملية الترابط المطلق « Frec association » وهذه العملية تحتاج إلى حالة من الانتباه تختلف اختلافاً بينا عن حالة التروى بل هى فى الواقع تفوقها . وبعض الناس يتهيأ لهذه الحالة فى سهولة ويسر ، والبعض الآخر يلاقى فى ذلك عناء كبيراً وعدم استعداد غير معقول . وقد يحسب المرء أن عملية الترابط المطلق التى تنشأ عند ما نطلب من شخص ما أن يفكر فى اسم خاص أو عدد ما تكون أكثر حرية ويكون لدى الشخصين فرصة أكبر للاختيار ؛ ولكن الواقع أنه يمكن أن نثبت أنه فى كل حالة توجد عوامل عقلية خفية هى التى تحدد نوعى الترابط ، وهذه العوامل تكون مجهولة لدينا فى اللحظة التى تبدأ فيها عملها ، ولتوضيح ذلك أضرب لكم المثل الآتى :—

حدث فى يوم من الأيام بينما كنت أعالج شاباً أن ذكرت له شيئاً عن هذا الموضوع وأكدت له أنه على الرغم من الحرية الظاهرة فى الاختيار فى مثل هذه الحالات فأننا فى الحقيقة لا نستطيع أن نفكر فى أى اسم لا يمكن أن نثبت أن الظروف المحيطة بالشخص الذى نقوم معه بالتجربة ، وسجيته والحالة التى كان عليها هى التى تحدد هذا الاسم . ولما كان بطبعه ميالا إلى الشك فقد عرضت عليه أن يقوم بالتجربة فى التو واللحظة . وقد سهلت له الأمر بأن طلبت منه أن يفكر فى اسم امرأة من صاحباته لما كنت أعلم عن علاقاته المتعددة بكثير من الفتيات والنساء . ولكنه لدهشتى ، أو لدهشته على الأصح ، لم يغمرنى على الفور بسيل من الأسماء ، وإنما ظل ساكتاً مدة ثم اعترف بأن الاسم الوحيد الذى خطر على باله فى هذه المدة هو ألبين Albine ولكن الأغرب من ذلك أنى عند ما سألته ما علاقتك بهذا الاسم وكم من النساء تعرفت به ؟ أخبرنى أنه لا يعرف أحداً بهذا الاسم وأن لا أفكار لديه يربطها به . وقد يظن المرء أن التجربة قد فشلت ،

ولكن لا ، فقد تم التحليل ولسنا فى حاجة إلى أفكار أخرى . فالشاب نفسه كان أشقر بشكل غريب ، فكنت فى حديثى معه أثناء التحليل أداعبه بقولى له albino (وهو اسم الرجل الأبيض الوجه والشعر) وعلاوة على ذلك فقد كنا فى هذا الوقت منهمكين فى تحليل العنصر النسوى فى طبيعته . وعلى هذا فقد كان هو نفسه هذه « المرأة » التى شغلته فى هذا الوقت أكثر من أى امرأة أخرى .

وكذلك الحال فى الألحان التى يترنم بها الأنسان فى أوقات فراغه فقد نستطيع إذا حللناها أن نصل إلى مصدرها ومعرفة الأفكار التى كانت تشغل عقلنا فى هذا الوقت من غير أن نحس بها

فاذا كانت الأفكار الحرة التوارد مقيدة هذا التقييد فاننا نكون على حق إذاً عندما نستنتج أن الأفكار التى تتوارد نتيجة لفكرة محركة (Stimiluo idea) واحدة تكون كذلك مقيدة غير مطلقة . وقد أثبتت التجارب كحقيقة واقعة أنها لا تكون متعلقة بالفكرة ، المحركة فحسب ، بل إنها كذلك تعتمد على ألوان من التفكير وضروب من المؤثرات القوية (أو العقد كما نسميها) لا نعلم عنها شيئاً فى ذلك الوقت ، أو بعبارة أخرى تعتمد على نشاط لا شعورى .

وقد اتخذ الترابط الذى من هذا النوع أساساً لتجارب عديدة أفادتنا كثيراً ولعبت دوراً ملحوظاً فى تاريخ حركة التحليل النفسى . فمدرسة وندت « Wundt » هى التى ابتكرت طريقة « تجربة الترابط » (association Éœperimeut) وفيها يطلب من الشخص الذى تجرى عليه التجربة أن يجيب على كلمة — محركة (Stimjluo — word) بأسرع ما يمكنه من كلمات رد الفعل (Reaction — Mords) ، وتلاحظ النقط الآتية أثناء التجربة : وهى الفترة التى تمضى بين النطق بالكلمة — المحركة وكلمات رد الفعل ، وطبيعة هذه الكلمات والأخطاء التى ترتكب عند إعادة التجربة إذا أمكن . أما مدرسة زوريخ تحت رئاسة بلواير وجنج (Bleuler and jung) فقد توصلت إلى تفسير رد الفعل فى تجربة الترابط بأن ثالث الشخص الذى تجرى عليه التجربة أن يلقى قليلاً من الضوء على الأفكار التى تبدو ذات أهمية وذلك بوساطة سلسلة أخرى من الأفكار المترابطة . وقد اتضح من هذه الطريقة أن هذه الردود الغير مألوفة لها اتصال وثيق بالعقد التى فى نفس الشخص . وقد كان هذا الاكتشاف هو الخيط الأول الذى ربط بين علم النفس التجريبى وبين التحليل النفسانى

أظن أنكم بعد سماع هذا الشرح ستقولون : « إننا نسلم معك أن هذه الأفكار المترابطة خاضعة لقيود معينة وليست محض اختيار كما كنا نظن من قبل ، كما أننا نعترف بهذا أيضاً فى حالة الأحلام ولكن ليس هذا ما يعنينا . إنك تقرر أن كل ترابط بعنصر من الحلم له دافع عقلى خفى لا نعلم عنه شيئاً ولكنا لا نستطيع أن نرى أى برهان على ذلك ، حقيقة إننا نتوقع أن تكون الأفكار التى تترابط بعنصر من الحلم ذات صلة وثيقة بالعقد التى فى نفس الحالم ولكن ما هى الفائدة ؟ إن هذا لن يساعدنا البتة فى تفهم معنى الحلم ولكنه يوصلنا فقط إلى بعض المعرفة عن هذه الأشياء المسماة بالعقد ، كما فى حالة تجربة الترابط ، ولكن أى علاقة بين هذه العقد وبين الأحلام ؟ » .

إنكم على حق ولكنكم تغفلون نقطة هامة وهى نفس النقطة التى منعتنى من اتخاذ « تجربة الترابط » نقطة ابتداء لهذا البحث . فنحن فى حالة التجربة أحرار فى اختيار الكلمة — المحركة ، وهى الشىء الوحيد الذى يتوقف عليه رد الفعل ، أما كلمات رد الفعل نفسها فتعمل كوسيط بين الكلمة المحركة والعقدة التى فى نفس الشخص الذى تجرى عليه التجربة . أما فى حالة الحلم فالكلمة المحركة تستبدل بشىء مشتق من حالة الحالم العقلية ، وهذا الشىء ينبع من مناطق مجهولة لديه ، وعلى هذا فمن المحتمل جداً أن يكون هو نفسه « إحدى مشتقات العقدة » فليس من الوهم إذاً أن ندعى أن الأفكار التى تترابط مع عناصر الحلم لم تحددها عقدة أخرى غير العقدة التى كونت هذا العنصر الخاص من الحلم وأنها فى نهاية الأمر ستوصلنا إلى اكتشاف هذه العقدة .

دعونى أضرب لكم مثلا آخر تتبينون منه أن الحقائق كثيراً ما تحقق صدق نظريتنا . وهذا المثل هو نسيان الأسماء المعروفة لدينا ومحاولة تذكرها ، فالذى يحدث فى هذه الحالة يشبه تمام الشبه ما يحدث فى حالة تحليل الأحلام . فلنفرض مثلا أنى نسيت اسماً ما ولكنى أشعر فى قرارة نفسى أنى واثق من معرفته فماذا أفعل ؟ لا شك أنى سأحاول أن أبذل كل جهد مستطاع فى محاولة تذكره ، ولكن التجارب علمتنى أن كثرة التفكير لا تجدى وأن فى استطاعتى دائماً أن أفكر فى اسم آخر أو أسماء عديدة أخرى غير الإسم الذى نسيته فاذا حدث أن خطر على بالى أحد

الأدب في سير أعلامه :

٧ – تولستوى

[قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

بين الجد واللهو

ودع تولستوى قازان وفى نفسه أنه ودع اللهو والعبث فما إليهما من عودة ، وبلغ ياسنايا تلك الضيعة المحبوبة وقد زاده محبة لها أنها غدت من نصيبه ، وإنه ليشعر أنه أصبح مسؤولا عنها وعمن يعيش فيها من الناس ؛ ولقد زاد هذا الشعور لا ريب فى نفسه العزم أن يطلق حياة اللعب والعبث ...

ثم إن فكرة تسيطر على لبه اليوم وتملأ جوانب نفسه ، ومؤداها أن يعمل فى جد على إصلاح حال الفلاحين فى الضيعة وما جاورها ، فما يليق به أن يدعهم فيما هم فيه من جهل وبؤس .

وتستمع إليه العمة تاتيانا دهشة مبتسمة فما يخرج الأمر عندها عن أن يكون نزعة جديدة من نزعات الشباب ؛ ولكنه يعود كل يوم إلى هذا الحديث وإنه لأقوى عزماً وأكثر جداً ؛ وإن تفكيره فى هذا الأمر ليصرفه عن القراءة وعن الموسيقى التى أحبها حباً عميقاً خبرته عمته ؛ وإنها لتجلس إلى البيان تحاول أن تمتعه بلحن مما يحب فما يروعها إلا انصرافه عنها وعن لحنها ليقبل على حديث إصلاح الفلاحين ...

وتعجب عمته ويزداد عجبها إذ تراه يتخذ لنفسه زياً خاصاً به يعتزم أن يلبسه في كل وقت وفى كل مكان لأنه يظهره فى مظهر الفيلسوف ؛ ولكن الفتى لا يلبث حتى يخلع هذا الرداء ويلقى به لأن أحد الزائرين لم يتمالك نفسه ذات مرة من الضحك من مظهره ، وكره الفتى أن يكون موضع استهزاء ، وهو الذى طالما تأنق وتنبل بالثياب ...

هذه الأسماء طوعاً من تلقاء ذاته فهنا فقط يكون الشبه واضحاً بين هذه الحالة وحالة تحليل الأحلام . فعنصر الحلم كذلك ليس هو ما أبحث عنه وإنما هو عوض عن شىء آخر ، وهذا الشىء الآخر هو ما لا أعرفه وما أسعى إلى اكتشافه عن طريق تحليل الحلم . ما ذا أفعل إذاً لأتذكر الاسم الذى نسيته ؟ إن ما يحدث هو أنى أوجه التفاتى إلى هذا الاسم الذى خطر على بالى عوضاً عن الإسم المنسى ثم أحاول أن أدع أسماء أخرى تتوارد على خاطرى فى ترابط مطلق ، وبهذه الطريقة أستطيع أن أصل فى النهاية إلى الاسم الذى نسيته . ومن المشاهد فى مثل هذه الحالات أنى عندما أتذكر هذا الإسم ألاحظ دائماً أن هناك علاقة بينه وبين الأسماء التى تركتها تخطر على بالى عوضاً عنه . فقد حدث لى مثلا أن حاولت فى يوم ما أن أتذكر اسم القطر الصغير الذى يقع على ضفاف الريفيرا والذى عاصمته « مونتكارلو » ولكنى لم أستطع على الرغم من تأكدى من معرفته . فأخذت أفكر فى كل من أعرف فى هذا القطر وما كان لى فيه من علاقات ولكن بلاجدوى . وأخيراً كففت عن التفكير وتركت أسماء أخرى تتوارد على خاطرى طواعية واختياراً . وقد توالت هذه الأسماء بسرعة وهى مونتكارلو نفسها ثم بيدمون ، ومونتفيدو ، ومونتنجرو ، وكوليكو . وقد لاحظت أن ثلاثة من هذه الأسماء البديلة تحتوى على نفس المقطع «مون» وفى الحال تذكرت الاسم الذى أبحث عنه وهو « موناكو » ومن هذا ترون أن هذه الأسماء البديلة قد نشأت فعلا عن الاسم المنسى ، فالثلاثة الأسماء الأولى تحتوى على المقطع الأول « مون » والإسم الرابع يحتوى على المقطع الأخير « كو » أما السبب فى هذا النسيان المؤقت فهو أن « موناكو » هى الاسم لأيطالى « لمونيخ » وقد كانت لى ذكريات فى هذه المدينة هى التى وقفت حائلا بينى وبين تذكر الاسم الذى أريد .

وعلى هذا فما هو ممكن فى حالة نسيان الأسماء لابد أن يكون ممكناً كذلك فى حالة تفسير الأحلام فإذا ابتدأنا من العناصر البديلة فأنه لابد أن نصل فى النهاية إلى غرضنا الحقيقى عن طريق سلسلة من الأفكار المترابطة ، كما أنه فى استطاعتنا (كما هو الحال فى نسيان الأسماء) أن نفرض أن هذه الأفكار التى نشأت عن عنصر الحلم لم يحددها هذا العنصر فحسب بل حددتها أيضاً الدوافع اللاشعورية التى أنتجت الحلم . فإن أمكن هذا فاننا نكون بذلك قد قطعنا شوطاً بعيداً فى تبرير طريقتنا فى التفسير .

(يتبع) المترجم

محمد جمال الدين حسن

وما الذى ألقى فى قلب الفتى هـذه الرغبة القوية فى إصلاح حال الفلاحين ؟ أهى مجرد نزعة من نزعات الشباب حقاً ؟ أم هى خيال ألقاه فى نفسه قراءة قصة حديثة تسمى « القرية » ألفها قصصى يدعى جريجوروفتش وصور فيها حياة الفلاحين ، صورة مؤلمة تبعث فى النفوس شعور الرثاء لحالهم ؟ أم أن مرد ذلك إلى عاطفة عرف بها منذ طفولته وهى أنه يحب أن يرى الناس جميعاً حوله سعداء ؟ الحق أن الفتى ما كان ليستطيع أن يرى مظاهر البؤس من حوله ثم لا يتحرك لها قلبه الإنسانى الرحيم ، وكيف كان يطيق أن يسمع فيما سمع أن امرأة قضت نحبها من الجهد ، وأن المرض يفتك بالناس فلا يستطيعون له دفعاً ؛ وكيف كان يطيق أن يرى بعض الفلاحين يخرون على قدميه سجداً يسألونه القوت ؟ لقد كان ذلك يؤلمه أشد الألم أو كما يقول « إن ذلك كان يؤلمنى كما تؤلمنى ذكرى جريمة ارتكبت ولم يكفر عنها » .

على أنه يعجب أشد العجب من إعراض الفلاحين عن إصلاحاته ؛ ويألم إذ يرى فى وجوههم الشك والإنكار والعناد ، وإذ يسمع أنهم يصفون ما بنى لهم من أكواخ جديدة بأنها سجون وأنهم يرمون بالمدارس التى افتتحها لأبنائهم والتى كان يعلمهم فيها بنفسه أحياناً ، فعندهم أن هذه المدارس تحرمهم من معاونة أبنائهم إياهم فى أعمال الزراعة ؛ ويقلب تولستوى كفيه حائراً من أمرهم ، وفى نفسه شعور الغضب ومرارة الخيبة ...

ولا يلبث اليأس أن يصرفه عما شرع فيه ، فينصرف عنه مكرهاً لأنه كان شديد التعلق به ، يدلنا على ذلك ما جاء فى قصة كتبها بعد سنوات قليلة ، هى القصة المسماة « صباح أحد الملوك » فقد صور فيها أميراً يحلم بأن يعلم الفلاحين ويسعدهم ويوفر لهم أقواتهم ، ويصلح رذائلهم التى تنجم من الجهل والتعلق بالخرافات ويجعلهم يحبون الهدى والحق ؛ وفى هذه القصة يترك الأمير الجامعة ليعود إلى القرية ويكتب إلى عمته برغبته فى إصلاح حال الفلاحين فى ضياعه قائلا بعـد أن يصف مبلغ بؤسهم : « أليس واجبى الواضح المقدس أن أعنى بحال هذه الأنفس السبعمائة التى سوف يسألنى الله عنها حساباً ؟ ثم أليس من الإجرام أن أجرى وراء أنماط من اللهو والطمع بينما أدعهم لمشايخ أو رؤساء هم عليهم خشن غلاظ ؟ ولم أبحث فى نواحى أخرى عما عسى أن يظهرنى بمظهر الرجل النافع الخير فى حين أن أمامى هذا الواجب الوضىء النبيل الذى أعرفه عن وثوق وخبرة ؟ » .

ولم يكن يدور بخلده أن يجد من الفلاحين هذا الجحود ، فما أشد ما كره ما كان فيه من جد وما أسرع ما أقبل على لهوه وعبثه ، وقد نما إليه أن أخاه سيرجى يعيش مع غجرية مغنية عيشة مطلقة من كل قيد فى ضيعته ؛ فحبب إليه عبث أخيه أن يعود هو كذلك إلى عبثه ، فأقبل على المجون واللعب وأسرف فى ذلك إسرافاً شديداً وبخاصة فى مخالطة النساء مخالطة لا تأثم منها ولا تورع فيها حتى لقد أحدثت أثرها فى بدنه القوى أو كادت ، وحتى لقد عاد الفتى إلى سالف ندمه فانه يكتب فى يومياته فى منتصف شهر يونيو سنة ١٨٤٧ يقول « ما أصعب على من يقع تحت تأثير الشر أن يزيد ما تنطوى عليه نفسه من خير ... هل أبلغ بعد الأمد الذى أجدنى فيه مستقلا عن المؤثرات الخارجية ؟ إن ذلك معناه فى رأيى الوصول إلى كمال عظيم ، حيث أنه فى حال الرجل الذى يتخلص من العوامل الخارجية تسيطر الروح على الجانب المادى منه بالضرورة فيبلغ ما يريد ؛ وسأضع اليوم لنفسى قاعدة جديدة وهى أن الاجتماع بالنساء إن هو إلا شر من شرور المجتمع لا بد منه ، وعلى المرء أن يتجنبه ما استطاع ؛ وممن نتعلم فى الواقع الشهوة والخنوثة والتفاهية فى كل شىء إن لم نتعلمه من النساء ؟ وعلى من تقع تبعة فقداننا تلك المشاعر الغريزية فينا كالشجاعة والمناعة والبأس والتصبر والعدالة إن لم تقع على المرأة ؟ إن المرأة أشد استجابة من الرجل للمؤثرات ، وكانت فى عصور الفضيلة خيراً منا ، ولـكنها الآن فى عصر الفساد والرذيلة قد باتت أسوأ منا وأرذل » .

وتلمح إليه العمة تاتيانا ذات يوم بقولها « إنه لا شىء يكون الشاب خيراً مما يكونه ارتباطه بفتاة ذات خلق » ؛ ولـكن توثب حيويته وعرامة فتوته وحبه الاستقلال ، كل أولئك يميل به عن أن يركن إلى ما تقول ...

وسيكبر هذا الفتى وقد ذاق حلو الحياة ومرها فيكون له من ذلك مادة لفنه وسيفيد من لهوه هذا كما يفيد من جده ، فما ينسى شيئاً مما تطالعه به الحياة ، وسوف نرى نظرته هذه إلى المرأة سنة ١٨٤٧ وهو فى التاسعة عشرة ، تتجدد فى قصة يكتبها سنة ١٨٨٩ وهو فى الحادية والستين ، وهى قصة كروتزرسناتا .

لم يعد للفتى أمل فى إصلاح فلاحيه وأحس أنه يقضى أيامه

فى ياسنايا عبثاً فصمم على الرحيل منها ، وفى شهر أكتوبر سنة ١٨٤٨ سافر إلى موسكو حيث قضى ثلاثة أشهر أو أربعة مطلق العنان لا يلويه عن العبث واللهو شىء ، وله من فراغه وشبابه وماله ما يزيد جموحه ويمد فى حبال غوايته ؛ ثم سافر الفتى إلى بطرسبرج فدخل جامعتها ليدرس القانون ثانية وليحصل على درجة علمية تهيئه للالتحاق بوظيفة من الوظائف المدنية .

***

وأقبل الفتى على الدراسة فى جد وعزم كأن لم يعرف اللعب يوماً ؛ وكتب إلى أخيه فى فبراير سنة ١٨٤٩ يخبره بما هو فيه من جد ، وينبئه بأنه سيبقى فى بطرسبرج إلى الأبد ؛ ويصف له فى كتابه مبلغ ما للحياة فى هذه المدينة من أثر فى نفسه ، فكل شىء يبعث على الجد والدأب ، وكل امرئ يسعى سعيه حتى لن يجد المرء من يصحبه إلى حياة عابثة ، ولن يستطيع المرء أن يحيا هذه الحياة وحده إلى أن يقول لأخيه « أعلم أنك لن تصدق أنى غيرت ما بنفسى وأنك ستقول إنها المرة العشرون ولكن فى غير جدوى ؛ كلا ... لقد تغيرت الآن ... وفوق ذلك فاننى اليوم يداخلنى إحساس بأن المرء لا يستطيع أن يعيش بالنظريات والتفلسف ، ولكنه ينبغى أن يحيا حياة واقعية ، أعنى أنه يجب أن يسلك سلوكا عملياً ... وهذه خطوة واسعة نحو التقدم » .

وفى شهر أبريل يجتاز ليو امتحاناً فى القانون المدنى والقانون الجنائى بتفوق ملحوظ ؛ على أن ذلك لم يكن فى الواقع ثمرة جهد متصل وإنما كان ثمرة أسبوعين استوعب فيهما ما استطاع أن يستوعبه من هاتين المادتين ...

وفى شهر مايو يكتب لأخيه فإذا به يقول فى كتابه « أى سيريوشا ... أتوقع أنك سوف تقول إنى أكثر من عرفت ضعف عزيمة ، ولكى أكون أميناً ، ينبغى أن أقول إن الله يعلم ماذا كنت أفعل هنا ! ... لقد جئت بطرسبرج بغير سبب معين ، ولم أعمل هنا عملا ذا عائدة ، وقصاراى أنى أنفقت مالا كثيراً حتى لقد تورطت فى الدين ؛ يا للغباء ! وأى غباء ؟ لن تستطيع أن تصدق كيف يؤلمنى ذلك ، وبخاصة تلك الديون التى يجب أن أؤديها بأسرع ما فى وسعى ، وذلك لأننى إن لم أفعل فلست أفقد المال فحسب ، بل أفقد معه شرف سمعتى . أعلم أنك ستضج بالشكوى ، ولكن ماذا عسى أن أصنع ؟ إن الإنسان يقترف مثل هذه الحماقة مرة فى مدى عمره ... وإنى لأركن إلى عطفك إذاً أرجو منك أن تتدبر فى إخراجى من هذا الوضع الكريه حيث أجدنى مفلساً يحيط بى الدين من كل جانب » .

ويعتزم الفتى أن يلتحق بالجيش فى فرقة الفرسان متطوعاً فى الحرب ، وأن يترك جامعة بطرسبرج دون أن يتم دراسته فيها كما ترك جامعة قازان من قبل وكانت الحرب التى يريد أن يتطوع فيها هى تلك الحرب الظالمة التى قذفت بها النمسا الأحرار المجاهدين فى المجر ، أولئك البواسل الذين رغبوا فى الاستقلال عنها وردوا جيشها وقد عصفت العواصف بأنحاء الامبراطورية حتى استعانت بالجيش الروسى فجاء لمعونتها خمسون ومائتا ألف من هذا الجيش ، وكانت روسيا تريد أن تطفئ نار الثورة فى المجر حتى لا تمتد إلى بولندة وكانت تحت حكمها فتخلع عنها نير الاحتلال ؛ ومن عجب أن يتجه تولستوى إلى التطوع فى حرب ظالمة كهذه الحرب وهو الذى سوف يكون فى غده من أكبر الساخطين على العدوان وعلى الحرب أيا كانت بواعثها ...

وكان لزاماً على من يتطوع أن يقضى سنتين فى صحبة الجيش العامل قبل أن يسمح له بحمل السلاح والقتال ، ولكن تولستوى كان يطمع أن يتخذ مكانه فى الصفوف قبل انتهاء هذه المدة بما عسى أن يبدى من مهارة وقوة ، وإن خياله ليسهل له كل شىء فما إن يفكر فى أمر حتى يحسبه حقيقة واقعة ، وإنه ليحدث نفسه بأن عمله فى الجيش سوف يكسبه خبرة بالحياة والناس ، وسوف يخلق منه شخصاً جديداً ، إذ أنه بهذا العمل ينجو مما يغريه به الفراغ والشباب من عبث ولهو ...

ولكنه لا يلبث إلا قليلا حتى يكتب لأخيه يقول له : « أثبت فى كتابى الأخير إليك كثيراً من اللغو ، وكان أبرزه ما أشرت إليه من رغبة فى التحاق بفرقة الفرسان ، وسوف لا أفعل ذلك إلا إذا فشلت فى امتحاناتى أو إذا كانت الحرب ذات خطر » .

وجاء الربيع يبعث البهجة والحياة فى كل حى ، وطافت بخيال الفتى مجاليه فى أسحاره وآصاله ، هناك فى ضيعته المحبوبة ياسنايا بوليانا ، فسرعان ما انطلق من جامعة بطرسبرج كما انطلق قبل من جامعة قازان ، وسرعان ما أبعد عن فكره وخياله العمل فى الجيش وفى الوظائف المدنية جميعاً ، ثم أقبل على ياسنايا ، وليس فى نفسه هذه المرة من عزم إلا تعلم الموسيقى !

(يتبع)

الخفيف

ذلك الهمهمة وهى الصوت الحاصل من الزفير عند الحزن ومنها الهم والهموم الخ . والزفير أى إخراج النفس بشدة عند عمل شاق والشخير وهو محاكاة النائم وهو يغط . والنحنحة والعطاس والسعال . ومن ذلك لفظة « وى » وقد ترکب منها ومن اللام لفظ ويل ويعبرون بهـا على التفجع أو حلول الشر واستعملوها إسماً لوادٍ فى جهنم ، وشقوا منها ويلة بمعنى فضيحة وركبوا من ويل ألفاظ أخرى منها ويح ، ومنها ويب وربمـا كان أصلها « وَىَ أب » للاستغاثة بالأب ولفظة « ويخ » ربمـا كان أصلها « وى أخ » للاستغاثة بالأخ . وكذلك الألفاظ العديدة المشتقة من كلمة أف ومنها الأنف والتأفف والنفخ وغيرها .

ويؤيد أن اللغة العربية نشأت هكذا أننا نجد تلك الألفاظ الأصلية فى أخواتهـا العبرية والحميرية والأشورية والحبشية والـكلدانية والمصرية القديمة وجميعها مشتقة من أصل أو أصول قديمة اكتشفت آثار بعضها ولا يزال بعضها الآخر مجهولا . وهى مجموعة اللغات المسماة باللغات الشرقية أو السامية . ويمكننا أن نتبين هنا أصل نشوء وتنوع وتطور الأسماء والأفعال على تباين صورها والحروف المختلفة كحروف الجر والنفى والإضافة والإشارة وكذلك الضمائر، ويمكننا أن نتتبع كيفية تحول جميع هذه الألفاظ وتسلسلها من اللغات السامية القديمة إلى اللغة العربية وأخواتها السامية الحديثة كالعبرية وغيرها . ولـكن المقام لا يتسع لذلك فنكتفى بمثل أو مثلين :

فالظرف « مَعْ » فى لغتنـــا العربية يقابله فى العبرية « عِم » ، وفى السريانية « عَمْ » فلا شك فى أن « معْ » العربية مقلوبة عن « عم » العبرية والسريانية . ومن الغريب أن هذه اللفظة نفسها تفيد أيضاً فى هاتين اللغتـين — فوق معنى الظرفية — معنى « شعب » ومعنى « العم الشرعى » . فيستدل من ذلك أن الأصل فيها معنى الاجتماع والاتحاد فاستعملوها إسماً للعم الشرعى وانتقلت للعربية كما هى ، واستعملوها أداة عطف وانتقلت إلى العربية مقلوبة — أو أنها قلبت فى الطريق .

ولفظة « ليس » النافية فى اللغة العربية أصلها « لا » حرف النفى و « أيس » التى معناها فى العبرية الـكون أو الوجود ولم تنتقل هذه الـكلمة إلى العربية أو أنها انتقلت ولم تلبث حتى اندثرت لعدم استعمالها . فلفظة ليس المستعملة الآن فى العربية معناها نفى الوجود و « أيس » هذه بمعناها المذكور موجودة فى كثير من اللغات السامية وغير السامية . فهى فى العبرية القديمة « يش » ، وفى السريانية « إيت » ، وفى اللاتينية والسنسكريتية والفارسية واليونانية وفروعهن « إيست est » أى الـكون أو الوجود ، وفى الفرنسية القديمة المتسلسلة من اللاتينية كما لا يخفى « إيست est » أيضاً ومنها تحولت فى الفرنسية الحديثة إلى فعل être الذى أصله فى الفرنسية القديمة estre الذى يفيد معنى الوجود أو الـكينونة وأن عبارة Vous étes أصلها Vous este ومعلوم أن حركة « ^ » المسماة Accent circouflee المستجدة فى الفرنسية الحديثة حلت محل حرف « S » فى الفرنسية القديمة وعلى هذا النحو تحولت لفظة « hostel » بمعنى فندق إلى hôtel .

وكلـمة « مال » العربية التى يعتقد جمهور الناس أنها لفظة ثابتة قائمة بنفسها إنما هى مركبة فى الواقع من « ما » الموصولة ولام الإضافة كقولهم ما للرجل وما عليه أى الذى له والذى عليه ، وقد اندمج هذان الحرفان على مر الزمن وأصبحا كلمة واحدة مستقلة بمعنى المـال . واشتقت منها ألفاظ عديدة منها مول واشتقاقاتها فعلا وإسماً وفاعلا ومفعولا ، ومنها ملك وملـكية ومملوك وفعل ملك وامتلك الخ ومنها ملك وجمعها ملوك . ولا يبعد أن يكون مال يميل مأخوذ عن تلك اللفظة لأن الميل فيه معنى الحب والرغبة ، والمـال أحب شىء للانسان .

وما يقال عن اللغة العربية وأخواتها وأجدادها السامية يقال عن اللغات الهندية الأوروبية والطورانية وجميع لغات العالم .

* * *

وخلاصة القول إن النطق ظاهرة طبيعية محضة بدأت على أبسط صـورة فى الحيوانات العليا التى تعيش جماعة مثل بعض الطيـور وبعض أنواع ذوات الثدى وعلى الأخص القرود العليا (أما النمل فله طريقة صامتة للتفاهم والتعبير) . وقد ارتقى النطق واتسع فى الإنسان نتيجة العوامل الطبيعية المتقدم بيانها التى أدت تطور النوع الإنسانى وتحوله إلى شكله الحالى . فالفرق بين الإنسان والحيوانات إنما هو فرق فى الدرجة فقط — درجة التطور — وليس فى طبيعة الأمور

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٩٥ – بين ملك وعالم

نفح الطيب : قال الحجارى صاحب (المسهب فى أخبار المغرب) :

كنت كثيراً ما أستشكل هذه التسمية لما قال غير واحد أن (المسهب) إنما هو بفتح الهاء . والفقرة الثانية وهى المغرب تقتضى أن يكون بكسر الهاء ، ولم يزل ذلك يتردد فى خاطرى إلى أن وقفت على سؤال فى ذلك رفعه المعتمد بن عباد سلطان الأندلس إلى الفقيه الأستاذ أبى الحجاج يوسف بن سليمان النحوى الشنتمرى المشهور بالأعلم ، ونص السؤال :

« سألك – أبقاك الله – الوزير الكاتب أبو عمرو بن غطمش – سلمه الله – عن (المسهب) وزعم أنك تقول بالفتح والكسر ، والذى ذكره ابن قتيبة فى أدب الكتاب والزبيدى فى مختصر العين (أسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر الكلام بالفتح خاصة) فبين لى – أبقاك الله تعالى – ماتعتقد فيه ، وإلى أى كتاب تسند القولين لأقف على صحة من ذلك » .

فأجابه : « وصل إلىّ – أدام الله تعالى توفيقك – هذا السؤال العزيز ، ووقفت على ما تضمنه ، والذى أحفظه وأعتقده أن (المسهب) بالفتح المكثر فى غير صواب وأن المسهب ، بالكسر البليغ المكثر فى الصواب ، إلا أنى لا أسند ذلك إلى كتاب بعينه ولكنى أذكره عن أبى على البغدادى عن كتاب (البارع) أو غيره معلقاً فى عدة نسخ من كتاب (البيان والتبيين) على بيت فى صدره لمكى بن سوادة :

حصر مسهب جرىء جبان خير عى الرجال عى السكوت

والملقة : (تقول العرب أسهب الرجل فهو مسهب وأحصن فهو محصن وألفج فهو ملفج إذا افتقر ، قال الخليل : يقال : رجل مسهب ومسهب ، قال أبو على : أسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر فى غير صواب ، وأسهب فهو مسهب بالكسر إذا أكثر وأصاب ، قال أبو عبيدة : أسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر من خرف وتلف ذهن ، وقال أبو عبيد عن الأصمعى : أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح إذا خرف وأهتر ...) انتهت الملقة . فرأى مملوكك – أيدك الله تعالى – واعتقاده أن المسهب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن ولا المكثر المصيب ، ألا ترى إلى قول الشاعر (حصر مسهب) أنه قرن فيه المسهب بالحصر وذمه بالصفتين ، وجعل المسهب أحق بالعى من الساكت والحصر فقال : (خير عى الرجال عى السكوت) والدليل على أن (المسهب) بالكسر يقال للبليغ المكثر فى الصواب أنهم يقولون للجواد من الخيل مسهب بالكسر خاصة لأنها بمعنى الإجادة والإحسان ، وليس قول ابن قتيبة والزبيدى فى المسهب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب أن المكثر هو البليغ المصيب ، لأن الإكثار من الكلام داخل فى معنى الذم لأنه من الثرثرة والهذر ، ألا تراهم قالوا : رجل مكثار كما قالوا : ثرثار ومهذار . فهذا ما عندى والله (تعالى) الموفق للصواب

وقد نشأت اللغات – وهى ظاهرة اجتماعية طبيعية محض – من النطق بأصوات بسيطة لجأ إليها الإنسان الأول للتفاهم وكان يعبر بها عن الانفعالات النفسية أو الآلام الجسمانية أو الحاجات الحيوية ، ويقلد بها الأصوات الطبيعية للأشياء والأفعال المختلفة أو أصوات الحيوانات والطيور أو عوامل الطبيعة . ثم تصرف فيها وتوسع بالنحت والاشتقاق والقياس والإضافة والإدماج وتحويل الألفاظ من معانيها المادية إلى المعانى الرمزية والمعنوية الخ طبقاً لحاجاتهم المستجدة مع تقدمه فى المدنية وارتقاء الحياة الاجتماعية والعقلية . فصارت اللغات البسيطة الأوليـة تتطور هكذا تطوراً يختلف باختلاف البيئات والأقاليم فنشأت اللهجات المختلفة واستمرت هذه فى التطور والتحول عن أمهاتها حتى أصبحت لغات جديدة مستقلة تولدت من كل واحدة منها لغة أو لغات أخرى تسلسلت منها اللغات القديمة ثم الحديثة على نحو تطور الكائنات الحية النباتية والحيوانية (بما فيها الإنسان) وتسلسل الحديث منها من القديم طبقاً لنواميس التطور والتحول الطبيعية التى تشمل كل ما فى الكون وعلى الأرض من الجمادات والكائنات الحية (وهى صورة من صور الجمادات ومظهر من مظاهرها) واللغات والشرائع والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية .

نصيف المنقبادى

النطق وكيف نشأ فى الانسان وفى الحيوانات العليا ؟

للاستاذ نصيف المنقبادى المحامى

٢ — نشوء النطق فى الانسان

التفاهم بالأصوات :

وفى الوقت نفسه استعان أفراد النوع الإنسانى على التفاهم بالأصوات — فوق لغة الإشارات المتقدم بيانها — وقد بدأوا بالأصوات الطبيعية للتعبير عن الانفعالات النفسية أو الآلام الجسمانية والحاجات الحيوية كالتنهد والتأوه والأنين والتأفف وغير ذلك كما تفعل الأطفال والحيوانات . وما نزال نرى لغات بعض القبائل المتوحشة التى تعيش فى أواسط أوستراليا وفى أواسط أمريكا الجنوبية فى هذا الطور من تطورات لغة البشر إلى الآن ، فإنهم نظراً لقلة مواد لغاتهم البسيطة يضطرون للتعبير عن أغراضهم إلى الإكثار من استعمال الإشارات . فإذا تكلموا صوّتوا وأشاروا بأيديهم وأرجلهم وأعينهم ، والإشارات جزء من لغتهم لا يمكنهم الاستغناء عنه فهم لا يستطيعون التفاهم ليلا . وألفاظ لغتهم أقرب إلى الأصوات الطبيعية ولغات القرود العليا منها إلى ألفاظ سائر لغات البشر وهناك قبائل أخرى بأوستراليا لا تسعفهم لغتهم فى التعبير عما وراء الاثنين بلفظ واحد إذ ليس لديهم من الألفاظ العددية إلا لفظتان فقط وهما « نتات » أى واحد ، و « نايس » أى اثنين . فإذا أرادوا ثلاثة أضافوهما إلى بعضهما وقالوا : « نايس نتات » أو أربعة « نايس نايس » أو خمسة « نايس نايس نتات » أو ستة « نايس نايس نايس » . أما السبعة وما فوقها فيقفون عندها حيارى وهم يعبرون عنها بقولهم ما معناه « كثير »[1] .

ثم بارتقاء الناس عقلياً ومدنياً وتقدمهم فى الحياة الاجتماعية مع قيام حاجات جديدة لهم ؛ كل هذا جعلهم يتصرفون فى ألفاظهم الأولى ويتوسعون وينوعونها ويفرعون ألفاظاً أخرى فيها إما بتقليد أصوات الطبيعة وانفعالات النفس وإما بالرمز إلى المعانى بألفاظ كانت تدل فى بادىء الأمر على الماديات ، كما يفعل الأطفال إلى الآن . فأول لفظة يتفوه بها الطفل الرضيع عند ما يبدأ فى النطق هى « أم » أو « ما » يقصد بها الرضاع ، وهو فى هذا يعبر تعبيراً طبيعياً عن ذلك المعنى لأنه إنما يقلد الحركة الآلية الفسيولوجية المحض التى يقوم بها للاطباق بشفتيه على ثدى أمه وهو حين يفعل ذلك كأنه يلفظ حرف الميم الذى لا يمكن النطق به إلا بإطباق الشفتين على بعضهما . ثم يتقدم الطفل فى السن والنطق قليلا فيتوسع فى ذلك اللفظ الطبيعى إلى « مَمْ » يطلقها على الرضاع أولا ثم على جميع أنواع الأغذية ، وعلى والدته نفسها ويفرع منها « ماما » .

وهذا عين ما حدث للانسانية نفسها فى أول عهدها بالنطق ولذلك نجد أن جميع شعوب العالم تعبر عن الأم (أى الوالدة) بألفاظ متشابهة فى جميع اللغات تشترك فى حرف الميم سالف الذكر .

وكانت اللفظة الواحدة فى اللغات الأولى القديمة وفى اللغات المتأخرة الحديثة تدل على الإسم والفعل على اختلاف أزمنته (الماضى والمضارع والأمر) ، ولم تكن الضمائر وحروف الجر والنسبة والإضافة وغيرها قد ظهرت بعد . فكان الناس — وما زالوا فى كثير من اللغات البسيطة إلى الآن — ينوّعون معانى اللفظة الواحدة بإضافة لفظة أخرى إليها . فالصينيون مثلا لخلو لغتهم من حرف الجر « فى » يستعيضون عنه بلفظة « وسط » فيقولون « وسط مملكة » أى « فى المملكة » ولأنهم لا يعرفون حرف الباء السببية يستعملون بدلها كلمة كاملة مستقلة . فعندما يريدون التعبير مثلا عن معنى « قَتل رجلاً بالعصا » يقولون « قَتل رجلاً واستعمل عصا » .

وتتقدم لغات البشر خطوة أخرى باستعمال الألفاظ الدالة على المحسوسات والأجسام المادية للتعبير عن المعانى الرمزية والمعنوية فلا تشتمل كثير من اللغات البسيطة القديمة والحديثة على كلمة تدل على معنى الصلابة ، ولهذا يستعمل المتكلمون بها لفظة « حجر » للتعبير عن ذلك المعنى كما فعل الناس فى لغة إشاراتهم وكما يفعل الخرس الآن . ولا تشتمل لغات أخرى على لفظة تؤدى معنى الطول فيعبرون عنه بلفظة « ساق » ، وعن لفظة مستدير بقولهم

(١) كتاب الفلسفة اللغوية لجورجى زيدان .

« مثل القمر » . ويستعمل العرب أحياناً لفظة « قلب » المادية للتعبير عن « وسط » فيقولون « قلب المدينة » بدلاً من « وسط المدينة » وذلك لأن القلب فى وسط الجسم . ولفظة وسط نفسها تحولت فى لغتنا العصرية من المعنى المادى ونعنى به وسط الأجسام إلى معنى معنوى محض أى وسط غير الماديات وصارت تستعمل بمعنى بيئة .

وقد استطاع علماء نشوء اللغات وتطورها واشتقاقها أن يردوا معظم الألفاظ المستعملة الآن فى اللغات الحديثة إلى أصول بسيطة تحاكى أصواتاً طبيعية أو انفعالات نفسية أو آلاماجسمانية أو تقلد فعلا مادياً مألوفاً ، ويطول بنا المقام لو اردنا استيعاب ذلك فنكتفى ببعض أمثلة عن أصول الألفاظ العربية نقتبسها من كتاب جورجى زيدان الذى نحن بصدده . فن ذلك ألفاظ : قط وقطب وقطف وقطع وقطم وقطش وقطل ، فانها جميعها تتضمن معنى القطع والأصل المشترك بينها هو لفظة قط وهو حكاية صوت القطع كما لايخفى — وباللغة الإنجليزية أيضاً « كت » Cut — وبتطور اللغة وارتقاء المتكلمين بها فى المدنية تنوعت مدلولاتها باضافة لفظة ثانية إلى لفظة قط للتعبير عن مختلف معانى القطع وعلى ممر الزمن ضمرت اللفظة الثانية كما تضمر أعضاء الحيوانات والنباتات، وكادت تندثر ولم يبق منها الآن إلا حرف واحد اندمج فى لفظة قط وصار وإياها كلمة واحدة بالطرق المقررة فى علوم فقه اللغات .

ومن متنوعات « قط » لفظاً « قص » ومنها قصم وقصل وقصب وقصر وقصف وقص ، وجميعها تفيد القطع وتحاكى بعض أصوات تنوعاته القطع بالمقص . ومن تحولات قص لفظة كَسْ وهى محاكاة صوت الكسر ولا سيما كسر الخشب — وبالفرنسية Casser أى كَسَرَ — ومنها كَسْ وكسر وكسع وكسم . وتحولت « قص » لفظاً من ناحية أخرى إلى « جز » ومنها جذه وجذب (بمعنى انقطع فيقال جذب الريق أى انقطع) وجذف وجذم وجميعها تتضمن معنى القطع أو تنوعاته ويجانس جَذْ جَزْ وهو محاكاة صوت قص الشعر وتنوعت منه جَزَّ وجزء وجزر وجزع وجزل وجزم . وإن تنوع معنى القطع يفوق المئات عداً فضلاً عن اشتقاقات كل لفظة منها إسماً وفعلا ونعتاً وفاعلا ومفعولا ثلاثياً ورباعياً وخماسياً وغير ذلك مما تطورت إليه اللغة وتحولت من أصولها البسيطة الأولية . وكانت تدل فى أول استعمالها على معانٍ حقيقية حسية ثم أطلقوها على معانٍ مجازية وكلها ترجع إلى أصل واحد وهو محاكات صوت طبيعى وهو صوت القطع .

وهكذا الحال بالنسبة لمعظم ألفاظ اللغة . فن « هَبْ » بمعنى ثار أو هاج تفرع هَبَّ وهيج (أى ضرب ضرباً شديداً) ، وهبذ أى أسرع فى المشى وهبش بمعنى هيج المتقدمة ، وهبص الرجل أى نشط أو عجل ، وهبا الفرس أى فر . وهى جميعها تتضمن معنى « هب » وهى محاكاة صوت اللهيب إذا نفخه الإنسان أو نفخته الريح . ومن الألفاظ التى تدل على السرور وطلاقة الوجه : بسَّ وبساء وبسم وبسط وبسل وبش أى حسنت سحنته وجميعها ترجع إلى معنى واحد وهو « بس » التى يغلب أنها تحولت لفظاً عن بش وهى من الأصوات التى ينطق بها الإنسان غريزياً عند الاستحسان كقول العامة إذا استحسنوا شيئاً أو أعجبوا به « إش » ومنها بشَّ . ووجه بشوش . ومن ضروب معانى الفتح فقْ وفقاء وفقح وفقر وفقص وفقس وفقش . والعامة تقول فقع . وترجع جميعها إلى « فق » وهى حكاية صوت القربة إذا شُقت وهى ملأى أو ما شا كل ذلك من الأصوات القريبة .

وفى الأمثلة المتقدمة جاء الحرف المزيد — المشتق من كلمة إضافية قديمة — فى آخر الكلمة الأولى وهذا هو الأغلب ولكن قد يكون فى الوسط أى بين الحرفين الأصليين كشلق من شق ، وفرق من فق ، وقرط من قط ، وقرص من قص وقرض من قض ، وشرق من شق ، ولحس ولمس ولهس من لس .

وألفاظ أخرى كثيرة مشتقة فى الأصل من أصوات طبيعية تعبر عن انفعالات نفسية أو حالات جسمانية فسيولوجية يخرجها الإنسان أو الحيوان باختياره أو عن غير قصد مثل « آه » للتألم والتنهد . ولا يخفى أن الآلام وسائر انفعالات النفس تحدث اضطراباً فى التنفس عن طريق الجهاز العصبى فيضطر الحزين أو المغموم أو المهموم أن يستنشق من فترة إلى أخرى كمية زائدة من الهواء ليعوض ما فاته من التنفس الناقص أثناء اضطرابه أو حزنه . وهذا هو التنهد بعينه : وقد اشتقت من لفظة « آه » ألفاظ كثيرة منها التأوه وتأوهَ ومنها لفظة « تنهد » نفسها . ومن

٨٩٦ – أبو بكر ، على

وفيات الأعيان : كانت لأبى الفرج بن الجوزى فى مجالس الوعظ أجوبة نادرة ، فمن أحسن ما يحكى عنه أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة فى المفاضلة بين أبى بكر وعلى (رضى الله عنهما) فرضى الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج ، فأقاموا شخصاً سأله عن ذلك وهو على الكرسى فى مجلس وعظه فقال : أفضلهما من كانت ابنته تحته. ونزل فى الحال حتى لا يراجع فى ذلك ، فقالت السنية : هو أبو بكر لأن ابنته عائشة (رضى الله عنها) تحت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقالت الشيعة : هو على بن أبى طالب (رضى الله عنه) لأن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تحته . وهذا من لطائف الأجوبة ، ولو حصل بعد الفكر التام وإنعام النظر كان فى غاية الحسن فضلا عن البديهة .

٨٩٧ – وخير منه عندى

فى (بدائع البدائه) لعلى بن ظافر الأزدى :

أخبرنى القاضى السعيد (ابن سناء الملك) قال:أخبرنى الشريف الجليل الوافد من العراق على الدولة المصرية قال : اجتمعت فى بعض الأيام بأمين الدولة أبى الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ فأخذنا فى ذم الدهر وإخنائه على أهل الفضل[١] وإذا بكلاب الصيد التى برسم الخليفة قد أبرزت فى جلال[٢] الوشى والديباج فحرك ذلك ما كنا نتجاذب أهدابه فى الدهر فقلت :

من كان يكسو الكلاب وشيا (م) ثم يقنع لى بجلدى

واستجزته فقال :

الكلب خير عنده ... منى ، وخير منه عندى ...

٨٩٨ – خفيف على القلب ...

الكنايات للثعالبى : حدثنى أبو جعفر محمد بن موسى الموسوى قال دخلت يوماً إلى الشيخ أبى نصر بن أربد ببخارى وعنده علوى مبرم قد تأذى بطول جلوسه وكثرة كلامه ، فلما نهض قال لى نصر : ابن عمك هذا خفيف على القلب ، فقلت : نعم مساعداً له على رأيه . فتبسم ضاحكا من قولى ، وقال لى : لم تفطن للغرض ، فما زلت أفكر حتى وقع لى أنه أراد خفيفاً مقلوبا وهو الثقيل ، وهذا المعنى أراد أبو سعد دوست بقوله :

وأثقل من قد زارنى وكأنما ... تقلب فى أجفان عينى وفى قلبى
فقلت له لما برمت بقربه ... أراك على قلبى خفيفاً على القلب

وكان الناصر العلوى الأطروش إذا كلمه إنسان فلم يسمعه قال له : يا هذا ، ارفع صوتك ، فإن بأذنى بعض ما بروحك ، يكنى عن الثقل .

٨٩٩ – أيشربن منه هذا الشراب ؟

الحيوان للجاحظ : حدثنا ربعى الأنصارى أن عجوزاً من الأعراب جلست فى طريق مكة إلى فتيان يشربون نبيذاً لهم ، فسقوها قدحاً فطابت نفسها وتبسمت ، ثم سقوها قدحاً آخر فاحمر وجهها وضحكت ، فسقوها قدحاً ثالثاً فقالت : خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن من هذا الشراب ؟

فقالوا : نعم .

فقالت : زنين ورب الكعبة ...[١] .

٩٠٠ – يأتم بأبى فروخ . . .

الحيوان للجاحظ : قال بعض ظرفاء الكوفيين :

فإن يشرب أبو فروخ أشرب ... وإن كانت معتقة عقارا
وإن يأكل أبو فروخ آكل ... وإن كانت خنانيصاً صغارا

٩٠١ – ماذا وراءك أو ما أنت يا فلك ؟

نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى: قال أبو العلاء المعرى:

يا ليت شعرى وما ليت بنافعة ... ماذا وراءك أو ما أنت يا فلك
كم خاض فى إثرك الأقوام واختلفوا ... قدماً فما أوضحوا حقاً ولا تركوا
شمس تغيب ويقفو إثرها قمر ... ونور صبح يوافى بعده حلك
طحنت طحن الرحى من قبلنا أمماً ... شتى ولم يدر خلق أية سلكوا
وقال : إنك طبع خامس نفر ... عمرى لقد زعموا بطلا وقد أفكوا
راموا سرائر للرحمن حجبها ... ما نالهن نبى لا ولا ملك

(١) جوره عليهم .

(٢) جل الدابة كثوب الانسان يلبسه يقيه البرد والجمع جلال وأجلال (المصباح) ...

(١) فى شرح المقامات للشريشى : يزنين ورب الكعبة ، والله لا يدرى أحدكم من أبوه ...

زرقاء العيـــون

للاديب عبد العظيم عمر زين الدين

حينما ترحل النجوم عن الكو   ن إلى عالم من الخلد زاخر
حينما تختفى الرؤى سابحات   وتجوز الأحلام وادى الخواطر
حينما يحمل النسيم من المش   رق بشرى السنا إلى كل ساهر
تجدينى يا فتنتى أتمـــلى   نور دنياك فى بشاشة طائر

حينما ينضج الندى وجنة الور   د فتهتز للشروق النواظر
حينما يبسم الضياء على الأف   ق ابتسام الآمال فى قلب حائر
حينما تبعث النســائم بالمو   ج فينساب فى افتتان المغامر
تجدينى أطوى الطريق لواديـ   ـك وظلى على البحيرة سائر

حينما تنفض العذارى من الجا   ن غلالاتهن من كل ساتر
يتمطين فوق أرجوحة المو   ج ويرقصن فى عيون الأزاهر
حينما تسرح الفراشات عطشى   لرحيق على الشفاه النواضر
تجـــدينى أدق بابك فى رفـ   ـق وقلبى للحسن حى الشاعر

تجدينى بباب كوخك نشوا   ن ، أحييك فى الضياء الحبيب
فرحتى باللقاء تطلق روحى   تتهادى مع النسيم الرطيب
لتزيح الستار عن خدرك الحا   لم بالسحر ، بالرؤى ، بالغروب
واتملى الضياء من صدرك الخا   فق بالحب ، بالحنان المجيب

ياصبا العمر ، ذاك مغناك نادى   والحبيب المشوق ، هيا أجيبى
وخذينى من قفرة الوجد والشو   ق إلى ساحل الهوى ، واعبرى بى
أنا أهوى الجمال منك رحيقاً   ينبت الحب فى الفؤاد الجديب
وحياة تفيض فيها معان   كل يوم جديدة فى القلوب

أنا عندى كل الذى تتشهـ   ـين فهاتى ، كما وعدت نصيبى
فى عيونى نجوى يصوبها الشو   ق لعينيك ، فى حنان غريب
وبقلبى من أسطر الحب قرآن   طهور ترتيله فى وجيبى
وحواليك هالة من حنانى   لتراعيك دائماً من قريب

عجب ما أرى بعينيك من عمـ   ـق ، ومن فتنة ، ومن أضواء
وغريب هذا الشعاع الذى يجـ   ـذب روحى للجـــه المتنائى
والنــداء القهار يسلبنى رشـ   ـدى ، فويلاه من فتون النداء !
أترى فيه لو تبعت خلودى ؟   أم أرى مصرعى وألقى فنائى ؟

حدقى بى يا فتنتى ، ودعينى   فى خيالى وسرحتى وانتشائى
واجعلينى أنسى كيانى ، وعمرى ،   ونعيمى ، وبهجتى ، وشقائى
وأرى الدهر والمكان بعينيـ   ـك وسحر الرؤى ، ونور السماء
أطلقينى فى ظل جفنيك أحيا   عبقرى الصبا ، جديد الرواء

حدقى بى . يا جنتى يا جحيمى   يا دوائى من غلتى وشقائى
وأزيحى الخصلات عن خدك النا   عم حتى أرتاد دنيا الضياء
سكن الكون حولنا وأصاخ السـ   ـمع ما حولنا من الأحياء
والغدير الرجراج كف عن السـ   ـير ، ومال الصفصاف للاصغاء

أسندى رأسك البديع إلى صد   رى وكونى رفيقتى فى هيامى
وصلى من طريق عينيك روحيـ   ـنا ، وطوفى بصدرى المترامى
واجعلينى أحس أنى قد نلـ   ـت نصيبى الموعود من أيامى
واغمرى وجنتى من أفق عينيـ   ـك بنور من الرضا والسلام

أنا راو ، أتيت واديك وحدى   من وراء الأزمان والأيام
من بلاد لم يعرف الحب أهلو   ها فماشوا فى وحشة وظلام
قضوا العمر فى قيود من الجـ   ـهم وأفنوه فى انتظار الحمام
وذوى القلب بينهم من ظماء   وقضى دون دمعة أو سلام

إن قومى قد شيعونى كميت   قربوه فى معبـــد الآثام
قيل : ذو جنة يعيش على الحـ   ـلم ، ويحيا فى عالم الأوهام
وفتى راح فى الخيــال بعيداً   وفقدناه فى خضم الزحام
آه .. يا ليتهم يرون مسرا   ت المنى ، وفرحة المستهام

خبرينى ، ما قصة العين والجفـ   ـن ؟ إذا أنشدا حديث الغرام
وعظات الكهان فى معبد الحب   وأســطورة الهوى فى الأنام
أنت أهلى ، وشيعتى وقبيــلى   وبواديك موطنى ومقامى
ومنـــامى على هواك وصحوى   وابتدائى فى ظـــله وختامى

الأدب والفن فى أسبوع

رجالنا المنسيون :

كتب أديب فاضل فى جريدة « الأهرام » مقالا عن المغفور له حفنى ناصف بك بمناسبة ذكرى وفاته ، وقد اقترح على الحكومة أن تهتم بإنشاء مدفن فخم تضم فيه رفات أولئك الرجال العبقريين تخليداً لذكرهم واعترافاً بفضلهم وتذكيراً للأبناء بما أسدوا وأجدوا فى خدمة أوطانهم .

وليس هذا الاقتراح بالجديد ، فقد ردده كثيرون من قبل ، على أن الرجاء فى تحقيقه ضئيل بل معدوم ، لأننا أمة تعيش على مبدأ « مات الميت فليحيى الحى » وليس من شيمتنا تقدير الفضل لذاته ، ولا الاعتراف بالجميل لأصحابه حتى ولو كان أصحاب هذا الجميل هم أبناؤنا وأساتذتنا وأعز الناس على نفوسنا . ولهذا طوى كثير من رجالنا الكبار فى مطاوى النسيان ، وأصبحوا — بعد أن ملأوا الدنيا بأعمالهم — فى خبر كان ...

حفنى ناصف ومحمد سلطان ومحمد المهدى ومحمد الخضرى وعبد الوهاب النجار وعبد العزيز جاويش وغيرهم من الطلائع الذين تخرجوا فى دار العلوم لا يعلم عنهم أبناء دار العلوم شيئاً ، ولا يحسون أثراً من فضلهم وعلمهم ، ولا يقفون على شىء من ذكرهم وخبرهم !

ومحمد عبده وأبو خطوة والمرصفى والعباسى وعلى يوسف ، وعشرات من إخوانهم الذين تخرجوا فى الأزهر لا يعرف عنهم أبناء الأزهر شيئاً ولا يحسون أثراً من فضلهم وعلمهم ولا يقفون على شىء من ذكرهم وخبرهم ! !

وأمين الرافعى وسيد كامل ومحمد مسعود وعبد القادر حمزة وتوفيق فرغلى ، وعشرات الصحفيين من إخوانهم لا يعلم عنهم أبناء الصحافة اليوم شيئاً ولا يحسون أثراً من فضلهم وعلمهم ، وللصحفيين ناد يجتمعون فيه ولكنك مع الأسف لا تجد فيه صورة واحدة من صور أولئك الصحفيين الذين أيقظوا وجدان الأمة وبثوا كيان الشعب .

ومن منا يذكر أحمد زكى وأحمد تيمور وتوفيق العدل والنجارى والفلكى وسواهم من الأعلام الأفذاذ عليهم رضوان الله أجمعين .

وآسفاه ! كأننا جيل خلق بدون آباء وتربى من غير أساتذة فلا تقل يا سيدى مقبرة للأدباء ، ولكن قل لعل الأبناء أن يذكروا الآباء .

نبئيني يا زهرتى — أى ربع … كان مهداً لزهرتى — أى وادى؟
أى دوح أظل عودك ريا … ن ، ونبع سقى صباك الهادى؟
أى أفق بزغت فيه ضيـاء … كان صحواً ويقظة فى البوادى؟
أى فذ أخذت عنه أناشيـ … دك حتى قدست فى الإنشاد ؟

علم الله أن هذى مغانيـ … ك بعينيك فى جلاء بوادى
والعهود البيضاء من عمرك الزا … هى أمامى من ليلة الميـلاد
وأراها على شواطىء نبع … أزرق اليم ، صـافى الإزباد
تتهادين كالنسيم وكالحـ … لم ، وكاللحن فى جمال التهادى

كالفراش النشوان من بهجة النو … ر ، طليق على المروج . وغادى
خطرات الأقدام منك على الشط … كوقع الندى على الأعواد
يلثم الزهر طرف ثوبك حباً … ويناجيك فى جوى العباد
ويحليك هذه الشمس إعجاباً … بتاج من السنا الميـاد

يا فتاتى هذى مغانى مرآتك … تبدو فى مقلتيك نديه
ذلك العالم الملىء بأرواح … عذارى وأنفس سحريه
لفها الطهر فى غلالات حس … ورآها خـلاقها عذريه
أنت فيها لحن بديع سماوى … المعانى ، مخـلد العبقريه

فإليها حيث التلاق خلود … ومسراتنا بهـا أبديه
وخذينى على جناحك مشتا … قاً وعودى للسحر — يا جنيه
سوف نحيا بها سوياً كأنا … نرجسات غيسانة بريه
ولنا الحب والجمال معان … ساميات فى روحنا علويه

عبد العظيم عمر زين الدين
كلية الآداب — اسكندرية

تأثير الأندلس فى أوربا وأمريكا :

بمناسبة المحاضرات التى ألقاها أخيراً المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسيال بجامعة فاروق الأول عن الشعر العربى فى الأندلس أذكر أن الشاعر الأسبانى « فرنسيسكو فيجاسباتسا » ألقى محاضرة منذ عشرين عاماً فى مدينة « بيونس أيرس » أشاد فيها بأخلاق الشعب العربى فى الأندلس وأطرى سجاياه النبيلة وما فطر عليه من الفصاحة والسليقة الشعرية ثم قال « وإن هذه السليقة الشعرية لتكاد تكون ملموسة بنغماتها فيه ومعانيها فى الشعر الشعبى الذى تعبر به الأمة الأسبانية عن مشاعرها الحقيقية ، وقد انتقلت هذه الروح العربية من أسبانيا إلى أمريكا اللاتينية بواسطة هذا الشعر الشعبى الذى حمله إليها الأسبانيون ولا سيما المهاجرون من الأندلس الذين كانوا فى طليعة المستعمرين لأمريكا الجنوبية ! !

هذا ما شهد به مفكر كبير من أبناء أسبانيا ، ولست أدرى رأى المستشرق بروفنسيال فى هذه الحقيقة ، ولعله يكون قد عرض لها فى حديثه عن تأثير الشعر الأندلسى فى أوروبا .

التأثير الدينى :

لاحظ القائمون بأمر المسرح الشعبى فى وزارة الشئون الاجتماعية أن الناحية الدينية هى أقوى مؤثر على عواطف الجماهير واجتذاب مشاعرهم ، ولهذا يفكر المشرفون على هذا المسرح فى استغلال هذه الناحية على أوسع مدى فيما يقدمون إلى أبناء الريف من المشاهد والتمثيليات .

وهذا فى الواقع أمر مفهوم ، فإن الشعب المصرى شعب متدين بالفطرة ، وهو أقدم شعوب الأرض اتجاهاً إلى الله ، ولا يزال للنغم الدينى فى الشرق عامة سحره ولذته ، وإن من الواجب أن تقوم دعاياتنا الاجتماعية على ما يتجاوب مع عواطف الشعب وينسجم مع روحه ومشاعره ، ولا يمكن أن تفيد تلك الدعاية وتؤتى ثمرها إذا جرينا فيها على التقليد للغرب واقتباس العواطف الغربية عنا ، وما دامت وزارة الشئون الاجتماعية قد لمست هذا بالتجربة فلعلها تتجه ذلك الاتجاه ، بأن تتبين نفسية البيئات الشعبية وتتلمس الأوتار الحساسة فى عواطف الجماهير وميولهم فتضرب عليها وتأخذهم إلى الإصلاح من طريقها .

تمثال للأمير شكيب :

قررت الجالية اللبنانية فى الولايات الأمريكية إقامة تمثال لفقيد العروبة الأمير شكيب أرسلان اعترافاً بفضله على العرب والأدب وتقديراً لخدماته الجليلة للأمم العربية فى حياته ، ووفاء لذلك الرجل العظيم الذى عاش غريباً مشرداً ينادى بالحرية والاستقلال لسائر الأقطار العربية .

وهذا واجب تؤديه الجالية اللبنانية فى مطارح الغربة ، ولكن يبقى على أبناء العروبة فى الوطن الأصيل أن يجعلوا للفقيد تذكاراً حيث نشأ وحيث جاهد وناضل ليذكر الأبناء ويشحذ من عزيمة الأحفاد ؟ !

نشيد عالمى للشباب :

يعقد الاتحاد العالمى للشباب الديمقراطى مهرجاناً عالمياً فى مدينة براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا يستمر من ٢٠ يوليو القادم إلى ١٧ أغسطس ، وستجرى فى هذا المهرجان مسابقة عالمية لاختيار نشيد للشباب الديمقراطى العالمى ، على أن يكتب النشيد بأية لغة ثم يترجم عند تقديمه إلى الانكليزية أو الفرنسية أو الروسية أو الإسبانية ، ويشترط فيه أن يعبر عن أفكار الشباب الديمقراطى ورغباته فى قيام تفاهم عالمى وسلم دائم يشمل جميع أبناء الأرض ، وأن يصور مرح الشباب وحيويته وحماسته ، وقد طلب الاتحاد من هيئات الشباب الديمقراطى فى أنحاء العالم أن تقوم بتنظيم مسابقات محلية لاختيار نشيد تتقدم به إلى المسابقة العامة التى ستجرى فى ذلك المهرجان العام .

وأنا لا أثق بمثل هذه المسابقات ولا أعتقد أنها تنتج نشيداً له سحره وحيويته وفيه من القوة وفيض الإيمان ما يضمن له الخلود والبقاء والاتصال بالقلوب ، ذلك لأن الأناشيد لا تصنع ولا تقترح على الشعراء والأدباء ، ولكنها تكون فيضاً من الإيمان والحماسة يتنزل على الشاعر فى فترة من فترات التجلى كتنزل الوحى ، وجميع الأناشيد الحماسية الخالدة لم يكن مبعثها إلا هذا . أما الأناشيد التى تصنع وتقترح فأنها أشبه ما تكون بالأناشيد التى تصنع لتلاميذ المدارس .

وعلى أية حال فأى معنى سيؤثره الشباب فى نشيده ، أهو — كما يقول — الرغبة فى قيام تفاهم عالمى وسلم دائم فى جميع

أنحاء العالم ، وما قيمة هذه الرغبة وما جدواها بإزاء ذلك التناحر الذى يقوم بين السياسيين فى مؤتمراتهم حول اقتسام النفوذ وفرض السلطان على الضعفاء ؟ !

معرض الكتاب اللبنانى :

يعتقد القائمون بنشر الكتب العربية فى لبنان « أن الكتاب اللبنانى فى مصر مغمور ومحاط بالغموض ، وأن ذلك يرجع إلى نقص فى تنظيم النشر أكثر مما يعود إلى عدم إقبال القراء المصريين » .

لهذا أقيم معرض للكتاب اللبنانى فى دار القنصلية اللبنانية وقد افتتحه وزير لبنان المفوض بعد ظهر يوم الجمعة الماضى بحضور كثيرين من رجال العلم والأدب والصحافة . وتقرر أن يظل هذا المعرض مفتوحاً عشرة أيام وذلك لإعطاء أبناء مصر صورة عن حركة النشر الثقافى فى لبنان .

وقد علمت أن ناشرى الكتب فى بيروت قد اجتمعوا أخيراً وألفوا اتحاداً من بينهم يجمع شملهم ويوحد غايتهم وذلك بالدعاية « للكتاب اللبنانى فى الأقطار العربية والمهاجر المتصلة بها » .

كما أذيع من بيروت أن أصحاب المطابع سيصدرون نشرة دورية باللغتين العربية والفرنسية تشتمل على أنباء الطباعة وأعمال النشر .

ومما يذكر بهذه المناسبة أن معرضاً للكتاب العربى الفلسطينى قد أقيم فى يافا فى الأسبوع الماضى وفى النية إقامة هذا المعرض فى فرصة أخرى وذلك للدعاية للكتاب العربى فلسطين ..

ونحن نرجو أن تقابل هذه الحركة فى لبنان حركة مماثلة فى مصر وفى سورية وفى سائر الأقطار العربية ، وأن يكون هدف الجميع تنظيم أعمال النشر بما يضمن رواج الكتب العربية فى سائر أنحاء العالم العربى ، على أن يراعى هؤلاء الناشرون أنهم يؤدون خدمة ثقافية قومية أكثر مما يحترفونها مهنة تجارية .

كتاب عن المملكة العربية :

أصبحت البلاد العربية السعودية فى الآونة الأخيرة مثاراً لاهتمام الباحثين الأمريكيين ومجالا لعنايتهم فى الكتابة والتأليف ولقد كان من مظاهر هذا الاهتمام أن ظهر أخيراً كتاب للكاتب الأمريكى المستر تويتشل باللغة الانجليزية ألم فيه المؤلف بتاريخ تلك البلاد ثم تحدث عن وضعها الجغرافى والاقتصادى ومرافق الاستغلال والانتفاع فيها ، ثم قال إن هذه الصحراء العربية التى كانت مهداً للدين ستصبح مصدراً للثروة وستخرج أمة جديدة تتبوأ مكانتها فى التجارة والرقى الاجتماعى .

وقد وقع المؤلف فى بعض الأخطاء التاريخية وقرر بعض الأحكام التى لا تطابق الحقيقة فى روح الإسلام واتجاهه ، على أن هذا ليس بالأمر المهم لأنه ديدن أولئك الأجانب عادة فيما يكتبون عن الإسلام وبلاد الإسلام فإنهم كثيراً ما يترددون فى فرض الأحكام الخاطئة بحسن نية أو سوء نية ، وإنما المهم الذى يسترعى الأنظار هو أن نلمس هذا الاهتمام المفاجىء عند الباحثين الأمريكيين بتاريخ البلاد العربية السعودية وطبيعة أرضها وسمائها وما فيها من موارد الثروة ومصادر الانتفاع ، فليس من شك فى أنه ليس بالاهتمام الخالص لوجه البحث والعلم ولكنه اهتمام بمجارى السياسة الأمريكية فى اهتمامها بمرافق تلك البلاد ، ومن ثم يجب أن نقابل تلك التآليف التى تظهر فى هذه الناحية بكثير من الحذر وتدقيق النظر

« الجاحظ »

« الرسالة » : بمناسبة ما كتبه « الجاحظ » عن رجالنا المنسيين من العلماء والأدباء والفنانين نقول إن الرسالة تحشد الجهد وتمد العدة لنشر سلسلة من التراجم المستفيضة لأولئك الأعلام والتعريف بآثارهم وآرائهم وستبدأ فى نشرها قريباً ، والرسالة لا تريد أن تستقل بهذا الجهد ، وترجو من جميع الذين لديهم خبر فى ذلك أن يعاونوها على أداء هذا الواجب .



ليس :

وجود هذا الفعل فى اللغة العربية غريب جداً . غريب فى صيغته ، غريب فى زمنه وغريب فى مادته .

ولقد تنبه القدماء إلى صيغته فقالوا : إن أصله ليس بكسر الياء ولكن الياء سكنت استثقالا ، كما سكنت عين كل ما كان على هذا الوزن[1] (قاعدة ذكرها المبرد فى الكامل)

وأما زمنه فقالوا إنه استعمل بلفظ الماضى للحال (وهذا غريب سنعلم وجهه) .

وأما مادته فلم يعرفوا عنها شيئاً أو عرفوا عنها كل شىء فقد ألمعوا إلى أن أصلها لا أيس (وهى ملاحظة لها خطرها) .

ويتصل بليس ليت فالمعروف فى النحو أنها حرف تمنٍّ ولكن بعض العرب يجريها مجرى الفعل (كما فى الصحاح) .

والمهم أن ليت كليس[2] إلا أنها تقدمت خطوة فاحتلت صيغة واضحة فى الأفعال[3] فقيل لات . والأخفش يقول إنهم شبهوها بليس وأضمروا فيها اسم الفاعل .

أما نحن فماذا نقول ؟ نقول كما قال الأقدمون فى ليس : إن أصلها لا أيس كما نقول فى ليت إن أصلها لا أيت . لا معروفة وأيس أوأيت [ما هى ؟] .

أيس هذه رابطة تدل على كون مطلق كأيت وهى فى أكثر اللغات واحدة تقريباً خصوصاً اللغات القديمة . فى العبرانية (يش) وفى السريانية (إيت) وفى الفارسية واللاتينية (أيس) أو (أست) . فى الفارسية أست وفى الفرنسية est وفى الألمانية ist وفى الأسبانية es وفى الإنجليزية is .

وهكذا نجد أن ليت العربية ماهى إلا، لاوأيت السريانية تركت مع لا كما تركت أيس مع لا .

(١) من الأفعال
(٢) غريبة
(٣) المعتله العين

أما ما يختص بزمن ليس فهو بالضبط ما تدل عليه المادة فى اللغات المذكورة : فهو — كما قال الأقدمون — الحال بالرغم من أن صيغتها للماضى .

هذه الكلمة فى أغلب اللغات اختصت بشخص معين عند الربط أما فى العربية وفى الفارسية فلا . نقول فى العربية : لستُ ولستَ الخ كما نقول فى الفارسية . استم أو هستم وهستى وهست وهستيم وهستيد وهستند .

ولكن فى الفرنسية والأسبانية والألمانية والإنجليزية مثلا ليس لها هذا التصرف المطلق كما هو معروف . فقد اختصت بأشخاص دون غيرهم واعتيض عنها فى هذا الغير بروابط من أفعال مختلفة فى مادتها كما سنبين ذلك فيما بعد .

إذاً فقد كانت فى اللغة العربية رابطة للزمن الحالى ولكنها اندثرت ولم تبق منطوقاً بها إلا فى النفى .

وهنا يسأل لماذا اندثرت فى الإيجاب وبقيت ماثلة فى النفى .

الجواب عن هذا فى منتهى البساطة . فإن اللغة العربية لم تدون إلا فى مرحلة متأخرة من نموها واستكمالها وإن هذه الرابطة استغنى عنها فى التخاطب لأنها ليست بذات أهمية كبيرة فيه عند الإيجاب ولكنها لم يستغن عنها فى التخاطب إذا كانت فى النفى وهذا ما يحصل بالضبط الآن فى هذه اللغات التى تحتفظ بهذه الرابطة فى كتابتها عند الإيجاب فإنك إذا خاطبت أحد متكلميها وخصوصاً غير المثقف منهم فإنه يستغنى عن الرابطة فى الإيجاب ولكنه لا يستغنى عنها فى النفى .

وإذا اتضح ما قلنا فى ليس فإن الأمر – عند القراء — فى ليت ليس بهذا الوضوح فكيف صارت ليت تدل على التمنى فى اللغة العربية ؟

هذا سؤال نرجىء الإجابة عنه إلى المقال التالى .

وهنا سؤال أيضاً والإجابة عنه تزيد الموضوع وضوحاً ولا تترك فيه أى مجال للشك وهو :

إذا كان الأمر كما قلت فى ليس وأنها مجرد لا + أيس التى للربط فكيف صار خبرها منصوباً بعد أن كان مرفوعاً ؟

والإجابة عنه نتركها حتى نجيب عن ليت بحول الله .

محمد بن تاويت التطوانى
ليسانسيه فى الآداب ودبلوم فى اللغات الشرقية

فلسفة جديدة للألم :

نحن فى عصر يحرص أبناؤه على فلسفة كل ظاهرة من ظواهره ، وكل معنى من المعانى التى يحسونها فى الحياة ، فهم يحاولون أن يفهموا الأمور بالتحليل والتأويل ، ولا يقنعهم فى هذا إلا أن يصلوا إلى طريق غريب ، أو ما يحسبونه هكذا ..

أقول هذا بمناسبة ما جاء فى البريد الأوربى أخيراً عن صدور كتاب فى بريطانيا بعنوان « من سريرى فى المستشفى » ألفه كاتب أقعده المرض فى أحد المستشفيات وسجل فيه خواطره ومشاعره نحو المرض والعلاج وما انتابه من الألم ، وقد استهل الكاتب كتابه بقوله : « من أكبر الخطأ أن نحسب المستشفى مكاناً للألم والبؤس ، فإن الكثرة الساحقة من الذين يدخلون المستشفيات يخرجون منها صحاح الأجسام ، معافى الأبدان ، تاركين وراءهم الأتراح والآلام ، والهموم والأسقام » .

وتحدث عن شعوره بالألم فقال « إن الألم فى الواقع أخف كثيراً من رهبة الألم ، وفى شبابى كان أقل ألم يصيبنى بقفل عينى بحجاب كثيف من الظلمة التى تبعد قلبى عن الإيمان ، مع أنى لم أكن فى ذلك الوقت أشكو أكثر من وجع ضرس ، أو خدش ذراع ، وإنى اليوم — بعد أن عانيت كثيراً من الآلام المبرحة — لأنظر إلى أوجاعى القديمة بعين الأزدراء وأدهش لجبنى القديم فى احتمال آثارها التافهة الصغيرة » .

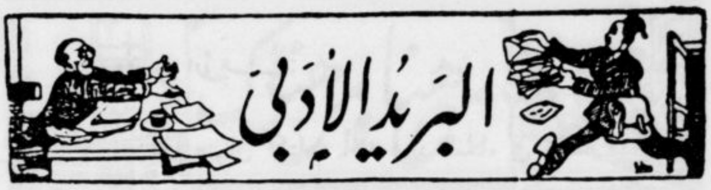
ثم يقول : إن الألم ليس شراً فى ذاته ، بل إنه تنبيه يشير إلى وجود الشر ، ويمهد للطبيب استئصال النازلة من موطنها ، لذلك أرى أن إسكات الألم والعمل على تسكينه نحسب أخطر على المرء من إزالة علامات السير من شارع مزدحم بالسابلة » .

ثم يختم هذه الفلسفة بقوله : « إن المرض مادة فى ميثاق الحياة ، فبعض الناس يحيون بدون كتب أو نزهات أو موسيقا ، والأسكيمو يعيشون على نصيب ضئيل من نور الشمس ، وأهالى جزر الباسفيك لا يقدمون الثلج وليست لهم به حاجة ، والرهبان والراهبات يحرمون أنفسهم كثيراً من الملذات ، ولكن الجميع يصرون على استكمال حياتهم إذا شابها شىء من نقص ، أو اعتراها أثر من مرض ... » .

الحدود الأنسانية :

هذا عنوان كتاب ألفه أحد العلماء فى جامعة تكساس بأمريكا وجعل قوامه دعوة موجهة إلى رجال العلم والفكر أن يوجهوا اهتمامهم إلى دراسة الإنسان وأن يعنوا بأنشاء فرع من العلوم هدفه فهم الأنسان على حقيقته :

ويقول هذا الباحث فى كتابه إن الخطر الذى يهدد الإنسانية ليس خطراً خارجاً عنها ، ولكنه كامن فى أطوائها ، فليس ثمة خطر من القنبلة الذرية وغير القنبلة الذرية وإنما الخطر كل الخطر مما يدور فى داخل الإنسان ويتجه بتفكيره ، ثم يقول إن المتاعب الناشئة الآن كلها نتيجة لعدم فهم الإنسان للإنسان ، ولهذا يجب على العلماء أن يتجهوا إلى هذه الناحية وأن يوفروا علمهم على الناس وتعرف البواعث والانفعالات التى تحركهم على مسرح الحياة فى جميع أدوار حياته ، ومتى كان الإنسان مفهوماً فى داخله استطعنا أن نتلافى الأخطار التى تهدد الإنسانية من الخارج ...



نعت الاسم المجموع بفعل (جمع أفعل وفعلاء) :

قرأت في العدد (٧١٢) من رسالتكم تعليقاً[١] لحبر اللغويين في بلاد الشام الأستاذ الكبير محمد إسعاف النشاشيبي على نعت الاسم المجموع بفعلاء وقد أجاز ذلك — حفظه الله — وأشار في أثناء التعليق إلى قول لي وقول للأستاذ الرافعي رحمه الله في النعت المذكور ، وقدم محصول رأيه بقوله : « نعتوا الاسم المجموع بفعلاء وفعل وليس في كلام المبرد في الكامل مايدل على منع النعت بالمفرد » . وإني أرى في كلامه ما يدل على المنع ، قال « فإن أردت نعتاً محضاً يتبع المنعوت قلت : مررت بثياب سود وبخيل دُهم ، وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه[٢] » . أراد به النعت الغالب الذي دخل في الاسمية والنعت المحض ، وكرر تقرير القاعدة في موضع آخر[٣] ، فمنع نعت الجمع بفعلاء مستفاد من قوله : « وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه » مريداً « أفعل » الذي هو اسم و «أفعل» الذي هو نعت ، ومن قوله «نعتاً محضاً يتبع المنعوت» مريداً « أفعل » الثاني ، لأن التمثيل يغني عن التفصيل ، ويجوز في هذا الفن تعليل حكمين بعلة واحدة ، والإيماء من مسالك العلة[٤] . أعني أن في قول المبرد إيماء إلى وجوب جمع النعت المحض بعد المنعوت المجموع وإن كان ظاهر مراده تكسير الصفة دل على ذلك تمثيله بـ « ثياب سود » ، ومفرد الثياب مذكر وبـ « خيل دهم » ولا بد من تأنيث الخيل ، فقد جمع بين المذكر والمؤنث في التمثيل ، ولو لم يرد تلك النكتة النعتية لاقتصر على المثال الأول ، ثم إن تركه الإتيان بمنعوت عاقل مجموع مثل « نساء دعج ورجال شوس » دليل على أنه لا فرق بين العاقل وغيره في هذا النعت .

(١) في الموضوع المترجم بـ « نقل الأديب » ص ٢٣٠
(٢) الكامل للمبرد « ج ١ ص ٣٩ » من طبعة الدلجوني .
(٣) الكامل ج ٢ ص ٢٥٠ من الطبعة المذكورة .
(٤) السيوطي في « الاقتراح ص ٥٥ و ٥٨ ناقلا من الخصائص

ويجب أيضاً طرد الحكم في هذه المسألة فيقال « يجب جمع الخبر بأفعل وفعلاء إذا كان المبتدأ جمعاً أو دالا على الجمع[١] مثل « ثيابهم سود وخيلهم دهم » ، ويجب الجمع في الحال أيضاً ، وعليه قول المتأخر :

بأنا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد روينا

ولولا أن قوله — تعالى — « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » خاص بالعاقل لاستشهدت به ، على أن نعت الاسم المجموع بفعل لغة القرآن الكريم كقوله تعالى « عاليهم ثياب سندس خضر » « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود[٢] » وسبع سنبلات خضر » .

وكيفما كان الأمر فان القاعدة ثابتة باستقراء كلام الله تعالى وكلام العرب ، وهو عندي أقوى الأدلة ، أما الجملتان اللتان استدل بهما الأستاذ الكبير العالم على جواز نعت الاسم المجموع [لغير العاقل] بفعلاء وفعل فقد عراهما تحريف في النعت نفسه ، فالأولى « وترى جراد البقول والرياحين وديدانها خضراء ... » والأصل « خضراً » جمع خضراء ، إلا أن الناسخ زاد بعد الألف همزة وغيّر صورتها ، وحرّف جمعها ، والثانية « فتراها كلها سوداء » والأصل «سوداً» بالنصب والجمع ولكن الناسخ الماسخ فعل بها ما قد فعل بخضراً[٣] . وقد جرى كثير من هذا التصحيف في « فعل » المنكرة المنصوبة ، دون المرفوعة والمجرورة ، ومن ذلك ما ورد في رسم « لوب » من مختار الصحاح[٤] ، ونصه : « اللوبة والنوبة بوزن الكوفة فيهما : الحرة الملبسة حجارة سوداء » والأصل — وهو الصواب — حجارة سوداً . ألا تراه قد قال في رسم «حرّ» من الكتاب نفسه « والحرة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار » . وفي الصحاح من طبعة المعجم «قال أبو عبيدة لوبة ونوبة للحرة وهي أرض ألبستها حجارة سود (كذا) » . فهذا القول على تحريف فيه جُمِع فيه النعت لما لم يكن إلى النصب المحرف إلى الافراد سبيل ، وفي نهاية

(١) منه قول عنترة :
فيها اثنتان وأربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحم
وقوله تعالى « متكئين على رفرف خضر » .
(٢) وقيل إن الأصل « سود غرابيب » .
(٣) هذه محكية كما هو ظاهر
(٤) ص ٦٠٧ من طبعة وزارة المعارف المصرية

الجد ابن الأثير « اللابة : الحرة وهى الأرض ذات الحجارة السود التى قد ألبستها لكثرتها » . وجاء فى المغرب للمطرزى « اللابة واللوبة : الحرة وهى الأرض ذات الحجارة السود » . وعلى ذلك جمهور اللغويين .

فالخطأ الذى انسرب فى نسخة وزارة المعارف المصرية من مختار الصحاح إنما هو من آثار النُّساخ السيئة ، وكذلك القول فى الجملتين اللتين ذكرها الأستاذ الكبير — على مامرّت إشارتنا إليه — فلا يصح الاستشهاد بهما ، وما أظن سعادته إلا عادلة منذ اليوم عن الاحتجاج بهما ، وهو المرء ينتجع الحق فى ساحته ويستفاد العلم من قلمه وتستعذب مساجلته لمجده وسمو خلقه .

مصطفى جواد

فى ديوان البحترى :

فى « الرسالة » رقم (٧١٤) عقب الأستاذ محمد النجار على بيتين للبحترى — صاحب الشعر الشاعر — كانا قد وردا فى تعقيب للأستاذ أحمد شكرى فى « الرسالة » رقم (٧١٣) . فقال إن فى البيتين تحريفاً كما فى الديوان ، فشمس صوابها مشمّس — وهو ضرب من الخمر — كما ذكر الأستاذ ، وحب صوابها صُبّ .

قلت : الأستاذ الفاضل مصيب فى هذا التصويب . هذا وللديوان طبعتان ، إحداهما مصرية — حيا الله مصر وأهلها — والأخرى بيروتية ، وقد جاءت الكلمتان فى طبعة بيروت بصوابهما لم تفقداه ، إلا أن هناك تغييراً فى صورة البيت :

إذا صُبّ فى الكأس مسودّه فكف النديم لها مجبره

ففى طبعة بيروت ورد البيت هكذا :

إذا صُبّ مسودّه فى الزجاج فكأس النديم به مجبره

ولعلّ هذه هى الصورة الصحيحة للبيت ، فإن كأس النديم أولى بأن تشبه بالمجبرة من كفه .

(نابلس) **فدوى عبد الفتاح طوقان**

رسالة الوعظ والارشاد :

مساهمة لها أثرها الفعال فى نفوس الجماهير ؛ تلك التى يضطلع بها — مكتب الوعظ والإرشاد فى ذكرى مولد الحسين - فهو يعد عدته لمحاربة تلك العلل التى تهد كيان الأمة الروحى والاجتماعى عن طريق إذاعة المحاضرات بواسطة مكبرات الصوت . وليس فى هذا من جديد يستحق النظر والتسجيل ، إنما الجديد حقا هو هذا الأسلوب الذى يصطنعونه فى الطب لهذه الأدواء ، فهو أسلوب جديد ، جدير بالتشجيع لما له من التأثير الاجتماعى والخلقى فى روح الأمة ، لأنه يقوم على تناول أمراض البيئة وتصويرها فى صور مؤثرة مخيفة ، حتى إذا ثارت بواعث كراهيتها لتلك الأمراض ، وبرزت دفائن احتقارها اياها ، قدم لها الملاح الإسلامى فى أبهى حلة ، وسقاها إياه شرابا طهورا ، فلو استطاع العلماء الذين ينهضون برسالة الوعظ فى الأمة أن يدرسوا خصائص كل بيئة وعقليتها وأمراضها ، ويحاولوا علاج ما فيها على هذا الضوء . لكان لرسالتهم صداها القوى ؛ فى الإصلاح الاجتماعى و الخلق ، وما أشد حاجة الريف خصوصا إلى أمثال هذه الجهود التى تأخذ بيده فى حياته الاجتماعية والخلقية المتعثرة ، فليس هناك من يستطيع انتشاله من هوته غير رجال الدين إن صح عزمهم ، وقوى نشاطهم ، واتسمت ثقافتهم الاجتماعية والنفسية بجانب ثقافتهم الدينية ، حتى يتهيأ لهم أن يسيروا فى معالجتهم تحت ضوئها ، وأن يهتدوا فى تأدية رسالتهم بإرشادها ، فتختفى هذه الظاهرة التى كانت تملأ النفوس خزيا عندما كان الخطيب يرتقى المنبر . ثم يحدث الجمع الريفى الجاهل الفقير عن مضار التصييف فى المصايف الأوربية . وأمثال هذه الموضوعات التى لا صلة بينها وبين من يحاول إصلاحهم ، مما كان له أسوأ الأثر فى تدهور الأمة اجتماعيا ، وخلقيا ، ولعل رجال الوعظ — وفيهم — صفوة من الشباب المثقف — يتلافون ماورثوه عن عصور الركود والجمود والظلام ، وأن يؤدوا واجبهم فى عصر العلم ، وفى عصف المذاهب الاجتماعية المتضاربة ، وإزاء تلك الموجة الإلحادية التى ترمى إلى التخلص من الأديان ، كما يجب أن ينهض به رجل الدين فى عصر الثقافة والنور .



قصة من روائع الأدب الروسي :

الملك والناسك . . !

للفيلسوف الروسي ليو تولستوي

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

زعموا أن ملكا من ملوك القرون الغابرة الأولى . قيل له أن الفشل والإخفاق لن يعلكا إليه سبيلا ، إذا ما أدرك دواماً خير الأحيان للانطلاق فى العمل الذى يروق لباله ويعن لخاطره . وإذا ما ألم بأجدر الناس بالإنصات إليهم والإصغاء إلى حديثهم ... ومن هم أولئك الذين ينبغى عليه أن يجانبهم ورغب عن مجلسهم ! . .

وإذا ما تناهى علمه إلى معرفة أحق الأشياء بالعمل وأخلقها بالتحقيق فأمر الملك رجاله بأن يذيعوا فى آفاق مملكته ، أن كل من يشير على الملك بخير الأوقات للعمل وأجدر الناس بالإنصات والصحبة وأفضل الأشياء وأحقها بالعناية والرعاية سوف يجازى جزاء حسناً ويحظى بهبة سنية من لدنه ... وأقبل العلماء وأهل الخبرة والتجربة من كل فج على الملك يتنافسون ويتسابقون يجلون له ما غمض عليه ويجيبونه على ما سألهم إياه . بيد أنهم تباينوا فى آرائهم وتعارضوا فى أقوالهم واختلفوا فى مشورتهم . فقال بعضهم - جواباً على السؤال الأول - أن ليس ثمت سبيل إلى معرفة خير الأحيان إلا بتسطير لوحة تسجل عليها الأيام والأشهر والسنون ، ولا يسير المرء فى شئون الحياة إلا وفق نظامها . وبهذا ينجلي للمرء أى الأوقات خير من الأخرى وقال بعضهم إن ذلك لا يتأتى إلا بالفطنة واليقظة لما مضى ولما يجد من الأمور . فيتعرف على خيرها وأبلغها أهمية فيبتدره فى حينه . وقال فريق منهم إنه مهما توخى الملك الدقة والبراعة فى معرفة أجل الأوقات ، فلن يبلغ مبتغاه . فمن أشق الأمور وأعضلها على الرجل الواحد أن يقرر الخير فيما يتراءى له من الأوقات ... وعليه أن يعقد مجلساً من أصحاب الحكمة فى دولته فيلقى منهم عوناً صادقاً على تحديد الوقت اللائق الموفق

واختلفت آراؤهم على السؤال الثانى . فأجابه البعض بأن أجدر الناس بالرفقة والإصغاء هم أهل الشورى والحكمة ، وقال آخرون بأنهم رجال الدين والأطباء ... بينما رجح البعض أن الجند هم أفضل من يستفيد المرء من قربهم ... أما عن السؤال الثالث فرأى جمع منهم أن أحق الأشياء بالرعاية هو العلم ... ومال آخرون إلى أنه الحذق والبراعة فى فنون الحرب والقتال . وارتأى بعضهم أنه الفناء فى عبادة الله عز وجل وتأدية فروض الدين على أكمل وجه ...

فلما استبان للملك أنهم لم يستقروا على رأى صائب راجح منع عنهم عطيته ... وعقد فى نفسه عازماً على أن يتوجه إلى ناسك ذاعت شهرته وطبقت حكمته كل أفق بعيد ... يستلهمه النصيحة ويستوحيه المشورة ... وكان ذلك الناسك يتعبد فى جوف غابة لا يبرحها أبداً ... ولا يلقى من الناس إلا الفقراء والمعوزين . فأحاط الملك نفسه بثوب بسيط ، ليس عليه من ظواهر الملك شيئاً ... وترجل عن جواده وخلف حرسه على مبعدة وانطلق وحده ... فلما أدرك الناسك ألفاه يفلح الأرض أمام صومعته ... وحينما أبصره الناسك بادره بالتحية ، وانثنى إلى فأسه يضرب بها أديم الأرض ... فكانت الضربة التى يهوى بها فيقلب الترب تستنفد ما بقى فى جسده من قوة ، وبجمله يبهر من الأعياء ويبهج من التعب ... فقد كان شيخاً ضعيفاً وهنت عظامه ووهت قواه . . !

فدنا الملك منه وأفصح له عما فى نفسه قائلا : « أيها الناسك الجليل ... لقد أتيت إليك - عن نأى - أروم جوابك عن أسئلة ثلاثة : « أولها : كيف يتاح لى أن أعلم خير الأوقات لأنجز خير الأعمال ؟ » ، « وثانيهما : أى الناس أولى بالصحبة وأجدر بالاهتمام ؟ » ، « وثالثها : ما هى الأشياء التى تستوجب منى العناية وتستحق التفرغ لها ؟ » . فأصغى الناسك إليه منصتاً ، بيد أنه لم ينبس ببنت شفه جواباً ... وبصق فى راحتيه وعاد ينبش الأرض بفأسه وهو يفلحها من جديد ... فارتفع صوت الملك - وقد لمح ما على الناسك من دلائل الضعف وظواهر الوهن : لقد بلغ التعب والإعياء منك مبلغاً ... فناولنى الفأس ، أتولى عنك الإفلاح حيناً . ! » فلما هوى الملك بالفأس إلى الأرض مرتين ، رفع رأسه إلى الناسك ، وسأله ثانية جواباً على ما بسطه له وصارحه به ... فلم يتلفظ الناسك بشىء ، بل مد ساعده إلى الملك يبتغى الفأس قائلا « استرح قليلا ، ودعنى أوالى العمل برهة ! » ولكن الملك رغب عن أن يعطيه الفأس ، وعاد يحتفر الأرض .

تصرمت ساعات اليوم ومال ميزان النهار وتولى الضياء عن صفحة الكون ... وراحت الشمس تتوخى سبيلها إلى المغيب فى حمرة موردة وراء الأشجار السوامق ... فألقى الملك الفأس من يده وهو يقول: «لقد أتيت إليك أيها الناسك الجليل أبتغى جواباً لأسئلتى الثلاثة! فإن كنت لا تود أن تجيبنى عليها فخبرنى ... لأنقلب إلى دارى .!» فقال الناسك وهو يمد طرفه إلى الأفق «ثمة من يعدو! . فدعنا نرى من يكون! .» فتلفت الملك وراءه ... فالتقى طرفه برجل ذى لحية كثة يركض نحوهما! . . وقد أمسك يديه على بطنه، والدم يتفجر خلال أنامله. فلما بلغ مكان الملك هوى أمامه على الأرض وهو يئن ويتأوه فى حدة وألم ... وقد تولاه الإغماء ... فراح الملك والناسك ينضوان عنه ثيابه ... فألفيا فى بطنه جرحاً غائراً فى الأمعاء ... أخذ الملك يغسله بالماء .. ويضمده بمنديله ثم برباط أتاه به الناسك من صومعته ... بيد أن الدم لم ينقطع سيله، فعاد الملك يغير الرباط الملطخ بالدم بآخر أقتطعه من ثيابه .. فلما توقف فيضه عن الجريان والنزف عاد إلى الرجل الجريح رشده وصوابه وأفاق من غشيته ... وطلب بعضاً من الماء فوافاه الملك بما سأله إياه ... وكانت الشمس حينئذ قد هوت كالجمرة خلف الأفق وغابت عن صفحة السماء ... وشاع البرد فى فى كل مكان ... فاستعان الملك بالناسك على رفع الرجل وحمله إلى داخل الكوخ حيث استقر فى الفراش وأغمض جفونه وراح يغط فى وسن هادىء وسبات عميق! وارتمى الملك فى ركن من الكوخ وقد أعياه العمل وأضناه العناء والكدح فأغرق هو الآخر فى النوم.

حينما استيقظ الملك فى صبيحة اليوم التالى، كاد ألا يذكر أين مكانه، ولا يعرف ذلك الرجل الملتحى الذى يقبع فى فراشه يحدق فيه ويرنو إليه بعينين نفاذتين . . . قال الرجل — وقد أحس أن الملك بدأ يستعيد وعيه ويفيق من نومه وراح ينظر إليه — «أضرع إليك أن تشملنى بعفوك!» فأجابه الملك فى رنة عجب: «إنى لا أعرف من أنت ... فعلام ترجو عفوى؟!» — «أنت لا تعرفنى بيد أنى أعلم من أنت! . فأنا ذلك العدو الذى أقسم غير حانث على أن ينزل بك نقمته وعدوانه جزاء ما أعدمت أخاه وانتهبت داره وشردت أهله ... فقد تناهى إلى علمى أنك قاصد إلى الناسك ... فبيت النية وعقدت العزم على أن أنهز هذه البادرة وأقتلك وأنت فى سبيل العودة . . ! ولكن اليوم تقضى ولم أستبن لك أثراً ..! فبرزت من مكمنى لأنقب عنك ..! فلمحنى رجالك وتعرفوا على، وأصابونى بجرح بالغ فى بطنى .. لقد أفلت منهم فتلقفتنى براثن الموت، وكدت أن أسلم الروح لولا أن توليتنى بعنايتك فآسيت جراحى وآويتنى فى هذا الكوخ ... لقد كنت متعمداً قتلك فأنقذت حياتى . . جزيت خير الجزاء . . . والآن لو امتد بى الأجل فسوف أقوم على خدمتك — إن رضيت — عامر القلب بالإخلاص لك كعبد من عبيدك الأوفياء ... وكذلك أبنائى وأهل بيتى فقد قيدت عنق ربهم بمعروف لن ينساه فأسألك أن تعفو عنى وتغفر لى!» فاستخف الملك الفرح والبشر وطربت نفسه وطاب قلبه بما رأى من السلم والوفاق الذى عقده مع عدوه فى بساطة وهدوء فكسبه صديقاً وفياً. فلم يعفُ عنه فحسب بل أخبره بأنه سوف يبعث إليه بخيرة أطبائه وخدمه ليقوموا على العناية به ووعده بأن يرد عليه ماله المسلوب ويعيد إليه ملكه المغصوب.

غادر الملك صاحبه الجريح وأخذ يتلفت فى ساحة الكوخ باحثاً بعينه عن الناسك ليرجوه من جديد أن يجيبه على أسئلته. فألفاه جاثياً على ركبته يغرس الحب فى النقر التى احتفرها البارحة فدنا منه ودعاه قائلا: «إنى أرجوك لآخر مرة أن تجيبنى على ما سألتك إياه ... أيها الحكيم الجليل» ... فأجابه الناسك وهو ما يزال جاثياً على ساقيه الرقيقتين «لقد أُجِبْت على ما تود!!» فتساءل الملك فى دهش وعجب «كيف أُجبتُ!؟ وما الذى تعنيه» فرفع إليه الناسك رأسه وعلى ثغره ابتسامة، وقال فى صوت شاع فيه الهدوء والرزانة: «ألم ترَ أنك. لو لم تترفق بى وترحم ضعفى بالأمس ولم تهيىء لى هذه الحفيرات بل انطلقت فى سبيلك لهاجمك ذلك الرجل وبلغ منك مقتلا ... وحينئذ كنت تقعد نادماً تأكل قلبك الحسرة وتتمنى لو أنك مكثت لا تبرحنى. إن خير وقت كان فى ذلك الحين الذى كنت تحتفر فيه الأرض ... وكنت أنا أولى الناس باهتمامك ورعايتك ... وكان أفضل عمل أديته هو الإحسان إلى ... ! وبعد حين أتانا ذلك الرجل يسعى راكضا .. فكان أدق وقت هو ذلك الذى توليته فيه بعنايتك وحدبك ... إذ لو أنك رغبت عن معونته لقضى دون أن تحظى منه بسلام وحمد ولذا كان هو أجدر الناس وأحقهم بالاهتمام والعطف وكان ما أديته له من معروف من أروع أعمالك وأجل فعالك. فاعلم إذن أن ليس ثمَّ إلا وقت واحد يستحق منك الاهتمام ذلك هو «الآن» الذى تكون فيه ... فهو الآونة الوحيدة التى تتملك فيها قوتك وقدرتك، وأحق الناس بأن تعنى به هو من يكون معك فأنت لا تدرى إذا كنت تعامل غيره بعد ذلك أو يكون هو آخر من تعامل! وأجل الأشياء وأعظمها شأناً هو أن تبادر بالخير والمعروف إلى غيرك. فلهذه الغاية السامية فطر الإنسان فى هذا الكون.

(القاهرة) **مصطفى جميل مرسى**

العدد ٧١٧ — الاثنين ٣١ مارس ١٩٤٧ — السنه الخامسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٠٢٦

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15me Année No. 717

Lundi — 31 — 3 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ جمادي الأولى سنة ١٣٦٦ — ٣١ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

معروف الرصـــافى

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى هذا الكتاب دراسة أدبية للشاعر العراق الكبير وبيئته السياسية والاجتماعية كتبها الأستاذ بدوى أحمد طبانة مدرس اللغة العربية وآدابها فى دار المعلمين العالية ببغداد .

ونحن نرحب بهذا الكتاب وبأمثاله لأكثر من سبب واحد : لأن تأليف الكتب عن الشعراء المحدثين بعد وفاتهم سنة حسنة لم نأخذ بها كثيراً فى حياتنا الأدبية المصرية .

فقد يشتهر الشاعر ويسير شعره فى الآفاق ويلتف به المعجبون والرواة المتشيعون . ثم تنقضى حياته فتنقضى العناية به وبشعره وتطويه كل سنة تمضى بعده فى حجاب بعد حجاب ، وقصارى ما يبلغه من بقاء الذكر أن يعاد طبع ديوانه إن كانت له ذرية يعنيها طبعه والإبقاء على شهرة صاحبه ، أو كان طبع الديوان لا يكلف طابعيه مغرماً ولامشقة . فأما الدراسة والتحليل وتخليد السيرة فى الكتب التى تصلح للمطالعة والتداول فذلك عمل نادر فى حياتنا الأدبية المصرية أو معدوم . لأن الذين ظفروا بعد موتهم بالكتابة عنهم لم يكن فضلهم كله مقصوراً على الشعر والعبقرية الشعرية ، وكانت شفاعتهم إلى الذكر مناصب الدولة أو غير ذلك من الشفاعات .

ونرحب بكتاب « معروف الرصافى » مرة أخرى لأنه علامة من علامات التقارب بين الأقطار العربية فى هذه الآونة التى وجب فيها التقارب بين هذه الأقطار وتهيأت له العوامل والأسباب .

وكثيراً ما سمعنا العتب من أدباء العرب فى سورية ولبنان وفلسطين والعراق والحجاز لأن صحف مصر لا تفسح صدورها للتنويه بآثارهم والتعقيب على أعمالهم ، فكنا نقول لهم إن شأن أدباء العرب فى ذلك كشأن الأدباء المصريين أنفسهم بغير خلاف . لأن الصحافة المصرية لا تكتب عن مؤلفات الأدباء المصريين ولا تتبع أعمالهم بالنقد أو الثناء ، ومن المصادفات التى تذكر فى هذا الصدد أن كثيراً من الصحف المصرية يتولاها أناس من أصول لبنانية أو سورية ، فليس فى الأمر تمييز بين أمم العرب بل هو تقصير شامل لكل أمة منها بلا استثناء .

أما إذا رجعنا إلى الشعب المصرى — بمعزل عن الصحافة — فقد يكون إقباله على المؤلفات العربية متى وصلت إليه أكثر من إقباله على المؤلفات المصرية ، لأنه فى هذه الحالة يضيف حب الاستطلاع وحب المجاملة إلى حب التقدير والاستفادة .

فالآن يسرنا أن نرى أديباً مصرياً يتجرد للدراسة شاعر عراق كبير ويسبق أدباء العراق إلى هذه الدراسة وهى من واجب الأدباء فى الأقطار العربية جماء ، وقد أشار الأستاذ الجليل السيد محمد رضا الشبيبى وزير المعارف السابق بالعراق إلى هذا المعنى فى مقدمته للكتاب فقال : « ومما راقنى جداً أن يضطلع بها مؤلف مصرى فيحوز قصب السبق فى هذا المضمار على أدباء العراق » ثم قال : « وقد تصفحت الكتاب فإذا مؤلفه الأستاذ قد ألم بكثير من النواحى التى ينبغى الإلمام بها فى هذا الشأن ، فلم يفته البحث فى بيئة الرصافى ومنشئه وسيرته وفنه وشاعريته إلى غير ذلك .

وقد كون آراءه فى النقد وذكر ما للشاعر وما عليه ، والموازنة بين محاسنه ومساويه فى الشعر والأدب تكويناً لطيفاً يدل على تجرد وإنصاف فى كثير من فصول الكتاب » .

وقد استعان الأديب المؤلف بجميع المؤهلات التى تندبه للكتابة عن شعر الرصافى وأدبه وسيرة حياته . لأنه عاش حيث عاش واطلع على مماهد شعره وسيرته ، وانطوى له على إعجاب يتيح له أن يفهمه وينصفه وأن يعطف على موضوع دراسته .

وربما كان العطف على موضوع الدراسة أول شرط من شروط التأليف فى ذلك الموضوع، فإن الناقد الذى يدرس شاعراً أو كاتباً أو رجلا من رجال التاريخ كائناً ما كان لا يراد منه أن يتعقبه تعقب الغريم أو يدينه إدانة القاضى أو ينظر إليه نظرته إلى غريب لا يعنيه أمره ويستوى عنده إنصافه وظلمه . وإنما يراد منه أن يشعر بشعوره وأن يخلص إلى بواطن نفسه ، ولا سبيل له إلى ذلك بغير عطف وصداقة نفسية تعينه على الفهم الصحيح .

ولكن هذا العطف لم يمنع الأديب المؤلف من نقد الشاعر حيث يجب نقده فى أدبه أو خلقه كما قال الأستاذ الجليل مقدم الكتاب . فمن أمثلة ذلك أنه أنكر عليه التبذل فى الغزل فقال : « وله إلى جانب هذا الهوى المتوزع والقلب المتفرق غزل مبتذل ووصف مكشوف لا يتورع فيه الرصافى عن ذكر الخفيات وإبداء العورات فى غير تحفظ ولا احتشام ، مما يأباه العقل الحكيم ويمجه الذوق السليم ، وما كان يليق منه ولا يقبل هذا وهو الذى جعل شعره صورة لمجتمعه وقائداً لأمته ، ولا سيما بعد ما عرف إقبال الناس على آثاره وحفظهم لأقواله » .

وللناقد حق فى هذا النقد المتفق عليه . ولا عذر للرصافى فيما يعاب من تبذله إلا أنه وارث من وراث مدرسة العباسيين فى بغداد . وقد أطلعت تلك المدرسة أبا نواس والبحترى كما أطلعت الشريف وابن المعتز . ولا تحسب أن أدباء العصر فى العراق يعدون هاتين المدرستين فى أسلوب النظم ووجهته . فمن جنح إلى مدرسة الشريف وابن المعتز فهناك اللفظ الجزل والنمط الرفيع والغزل العفيف ، ومن جنح إلى مدرسة أبى نواس فقد يجمح جماحه أو يتبعه فى التمرد وخلع الربقة والرقبة فى بعض الأمور . فيقف عند الثورة على القديم ولا يتطوح معه فى الخلاعة والمجون ...

ولا بد للمدرسة من الجناح المتطرف كما يقولون فى لغة الحرب والسياسة ، فكان الرصافى ذلك الجناح وعليه جناحه ولا مراء !

***

على أن الأستاذ طبانة قد أفلح ولا شك فى إبراز محاسن الشاعر وتشويق القراء إلى استقصاء شعره فى مظانه ؛ فإن الشواهد التى أتى بها فى سياق الترجمة إما حسنات أدبية تروق القارىء لما فيها من الظرف والبلاغة والسجايا المأثورة كقول الرصافى يخاطب وطنه :

يا موطناً لست منه فى موادعة
عش بعد موتى عيش الوادع الهانى

فكل من فيك تعنينى سعادتهم ... وكل أبنائك الأعداء إخوانى
إن سرك الدهر يوماً سرنى، وإذا ... آذاك بالمزعجات الدهر آذانى

أو قوله فى الهجاء :

سوّد الله منك يا شيخ وجهاً ... غش حتى باللحية السوداء
لو نتفنا من شعرها وغزلنا ... لنسجنا خمسين ثوب رياء

أو قوله فى الرد على من يعيبون ظهور الفتاة على مسارح التمثيل :

وما العار أن تبدو الفتاة بمسرح ... تمثل حالى عزة وإباء
ولكن عاراً أن تزيا رجالكم ... على مسرح التمثيل زى نساء

فإن لم تكن الشواهد من هذا القبيل فهى مراجع تاريخية يهم القارىء أن يتابعها للوقوف على مناسباتها ، وهى على الجملة مناسبات الشرق الحديث فى معرض السياسة والاجتماع .

ولم يبرز الأستاذ طبانة فضائل الرصافى وكفى ؛ بل هو قد أبرز من فضائل أهل العراق ما تضرب به الأمثال فى تواريخ الأدب بين جميع الأقوام ، فنحن لا نرى فى تلك التواريخ أمثلة كثيرة لمروءة ذلك المحسن الأريحى السيد « مظهر الشاوى » الذى تكفل بالشاعر فى شيخوخته ومحنته فأجرى عليه أربعين ديناراً مشاهرة مدى حياته ، ولا نرى فى تلك التواريخ وفاء كثيراً كالوفاء الذى ظهر من أهل بغداد فى تشييع الرصافى إلى مثواه .

فكل ما أنكروه عليه أيام حياته من تمرد أو خروج على العرف والعقيدة لم يذكروه ساعة فارق الحياة ؛ بل ذكروا له الفضل وحده غير معتز بصولة الجاه أو حواشى المنصب والثراء ، فشيعوه الوفاء إلى مقره الأخير .

عباس محمود العقاد

منطقــة أنطاكية وخليج الاسكندرونة

للاستاذ أحمد رمزى بك

لمعت كناصية الحصان الأشقر — نار بمعتلج الـكثيب الأحمر
وفتحت أنطاكية الروم التى — نشزت معاقلها على الاسكندر
وطئت مناكبها جيادك فانثنت — تلقى أجنتها بنات الأصفر

هذا شعر للأبيوردى خاطب به ملـكشاه بن ألب أرسلان حينما فتحت الدولة السلجوقية أنطاكية ، ولست أعرف ركناً من أركان الدنيا برز فى التاريخ بروز هذه البقعة من الأرض ، فقد لفتت أنظار الإنسان منذ بدأ يفـكر وينظم حياته ، فما تأسس ملك أو سيادة أو ظهرت قوة فنية أو دعوة دينية إلا وجعلت من أول أهدافها امتلاك هذه البقعة التى شهدت مصارع الدول ، وحمل صعيدها أرزاء الحروب وما يتخللها من إزهاق الأرواح ، ذلك تاريخها فى القرون الغابرة وهذا عهدنا بها اليوم فى تاريخنا الحديث . لقد شغلت رجال السياسة بعد الحرب الماضية واهتمت بمصيرها هيئة عصبة الأمم ، ثم كان من نصيبها أن ضمت إلى أراضى الجمهورية التركية وبقيت معها طول الحرب العالمية الثانية ، وما انتهت هذه أو قاربت نهايتها واستقلت سوريا ، حتى قامت تطالب بها ، ولا يعلم غير علام الغيوب ما تخبئه لها الأقدار والأيام القادمة .

وإذا ورد ذكر هذه البقعة برز اسم مدينة أنطاكية لأنها رأت من السعد والعظمة فى زمن ملـكها أنطيوكس الـكبير (٢٢٣ — ١٨٧ ق . م) ما جعلها سيدة المدن . فـكان أن أصبحت حاضرة سوريا وفاقت غيرها فى الثروة والعلوم والمتاجر ، ولما دخلت تحت سلطان روما حصل أهلها على حقوق المواطنين فى الدولة الرومانية ، وإذا بها قد أصبحت إحدى عواصم ثلاث كبرى : روما والقسطنطينية وأنطاكية .

ولقد حاول بعض مفـكرى الغرب من الفرنسيين أن يجعلوا من ملك أنطيوكس تتمة لملك الاسكندر ومن أثر عمله تـكملة لسلطان الغرب على الشرق ، ودليلا على تفوق العقل اليونانى على العقل السامى ، والصورة التى أعطاها العهد القديم والمؤرخ يوسيفوس للعاهل اليونانى تنبىء بأنه كان ملـكا مستبداً جباراً ، فقد ورد عنه فى كتاب المؤرخ اليهـودى ما يأتى : « إنه دخل مصر بجيش كثيف وعجلات وفيلة وأسطول عظيم فاستحوذ عليها ثم قوى أمره وعظم شأنه حتى استولى على كثير من الأمم وأطاعته ملوك فارس وغيرهم من الملوك فداخله العجب والـكبرياء وطغى وتجبر وسبب الـكثير من الآلام لأهل المشرق » .

فهذه القوة التى طغت على الشرق يقول عنها الـكاتب الفرنسى إنها بقية من عبقرية الاسكندر ، وإن بقاءها كان من ضرورات بقاء الأصلح ، لأنها تحمل قبساً من روح الهيلينية إلى الشرق ، وأنها قوة دافعـة منظمة منشئة لأنها أدبت الناس وأخذتهم بالسيف وعلمتهم ما لم يعلموا . ولـكن روما لم تلمس الحقائق حين ساقت كتائبها وأخذت أنطاكية مركز هذه الحركة ولذلك لما حطمت الممالك والعروش التى أنشأها أتباع الاسكندر ، كانت تحارب نفوذ الهيلينة فى الشرق وكانت تحطم بأيديها سيطرة الغرب على الأمم الشرقية . فروما حينما تنازعت مع أهل أنطاكية وقضت على عظمتهم مهدت لشعوب الشرق عودة ، بدأت بقيام الفرتيين أو البارتيين وهم قوم عرفوا بشدة المراس والصبر على القتال ، وظهرت فى غضب اليهود بحركة المـكابيين وتطورت بظهور المسيحية ضد هذا التحكم ثم فى مذاهبها المختلفة التى يعبر عنها بالـكنائس الشرقية ، والتى تعتبر نفثة ضد استحواذ أهل الغرب على المسيحية وهى شرقية فى أصولها ومبادئها ومراميها ، وما كان هذا ليحدث لولا اختلاف الـكلمة وتعارض المصالح بين روما والاغريق المحتلين لأراضى الشرق ، فلو تم بينهم التعاون والتفاهم والتآزر والتكاتف وما تمليه وشائج القربى ، لما تهيأت الأسباب لقيام الشرق مرة أخرى ، ولمـا تفاعلت العوامل التى مهدت السبيل أمام جيوش المسلمين فاستولت بعد قرون قليلة على إرث روما وبيزنطة وما أنشـأه الاسكندر من مجد وملك قبل ذلك .

وتلك دعوة لها خطورتها لأن معناها أن الخلاف الذى قام بين فرنسا وبريطانيا على سوريا ولبنان يمثل النزاع الذى نشب

بين روما وأهل أنطاكية فى المشرق وأن الامبراطورية البريطانية تلعب اللعبة الخطرة التى أخذت بها الامبراطورية الرومانية منذ عشرين قرناً فهى قد قضت على نفوذ فرنسا وأبعدتها عن سواحل البحر الأبيض المتوسط فى شرقيه ، كما زحزحت روما نفوذ الهيلينية عن هذا الشاطىء ، فكانت النتيجة أن خرج الشرق من تحت سيطرة روما واليونانيين وتقلص حكم الغرب عن أمم المشرق ، فإياكم أن يحدث لكم ما حدث للقدماء من قبل ويخرج الشرق من يد بريطانيا وفرنسا على السوء .

وإنما سقنا هذا الحديث للتدليل على أثر هذه البقعة من الأرض فى عقول القوم من ناحية السيطرة الفكرية والرغبة فى التحكم على مقادير الشعوب من شباك يطل علينا ويثير لنا الكثير من المشاكل . ولقد نظرنا إليها من الوجهة التى يرى بها رجل الفكر الغربى فلنجرب نظرة رجل الدين .

كانت أنطاكية مثل الاسكندرية ميداناً للتنازع بين الوثنية والمسيحية ، ذلك التنازع الذى انتهى بانتصار الفكر السامى ممثلا فى تعاليم مُعلّم الناصرة ، ولكن أنطاكية فاقت الاسكندرية فى ناحية أثرها فى حياة المسيحية ، فكلتا المدينتين أوتيت حظها من حياة الترف واللهو والخلاعة والتغاضى عن الفضيلة . ثم قامت فى كل منهما دعوة للخير والصلاح وترك الدنيا والابتهال إلى الله ، ولكن النكبات المتتالية وخصوصاً الزلازل المدمرة جعلت أهلها فى حيرة منها ، وأخيراً قرّ رأيهم على أن يطلقوا على أنطاكية إسم « مدينة الله » وتحصنوا بالفضائل وجانبوا الرذائل وتقربوا بهذا لله زلفى ؛ وكان أن عرفت مدينتهم وسط مدن العالم بأنها حازت سلطان الحياة الدينية ، وإذا بكرسيها يتلألأ وسط كراسى ملكوت السماء ، ويقول عنها الناس : ليس فى المسيحية كلها بعد روما سوى أنطاكية الخالدة .

ولذلك لا تعجب إذا وجدت عدداً من رؤساء الطوائف المسيحية يضعها فى المكان الأسمى من نعوته وألقابه الكهنوتية فيقول كل منهم إنه صاحب كرسى أنطاكية وسائر المشرق . وهم على حق فى ذلك لأن أنوار المسيحية أشرقت على الأرض من هذه البقعة ، وانتقلت من مواجهة إسرائيل إلى مواجهة الدنيا ، وفى ذلك يقول القديس لوقا : « وكان الذين تبددوا من أجل الضيق قد اجتازوا فينيقية وقبرص وأنطاكية وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود ، ولكن قوماً منهم كانوا قبرصيين وقيراونيين فهؤلاء لما قدموا أنطاكية أخذوا يكلمون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع » .

ففى أنطاكية تحولت الدعوة إلى حركة عالمية . فهذا أثر من تأثير هذه البقعة الفريدة ، التى كانت قبلة الدنيا ومجمع مدنية الشرق مع مدنية الغرب ، ولو أدركتها المسيحية وهى فى إبان مجدها وسطوتها ؛ أى لو تقدمت قرنين من الزمن حينما كانت أنطاكية حاضرة سوريا وقد فاقت قرطاجنة وصور وصيدا ، فالأغلب على الظن أن كانت تأخذ أنطاكية فى عالم المسيحية مكان روما .

ويجمع المؤرخون على أن أنطاكية كانت مركزاً هاماً للدعوة المسيحية فى القرن الرابع وإن كان هناك من يقرر بأنها كانت منذ البداية أول مركز أرسل منه المبشرون المسيحيون إلى أقطار العالم ، وظهر فيها القديس يوحنا فم الذهب بل كانت مسقط رأسه وسطعت فيها أعماله ومعجزاته ، وكان أهلها مائتى ألف نسمة دخل نصفهم فى الدين الجديد وتصدروا الدعوة إليه ، ولذلك تذكرها الكتب المسيحية بأنها المدينة الأولى فى العظمة بعد روما ، وأنها تأتى فى تاريخ الكنيسة بعد القدس ، وهذا ما جعلها مكاناً يؤمه أهل التقوى والصلاح والعبادة ويهرع إليها الزوار لرؤية ما كانت تحويه من قبور القديسين والأبرار وما عرف عنها من العجائب والمعجزات .

فمدينة هذا تاريخها يأتى ذكرها دائماً فى الكتب المقدسة وفى تاريخ الكنيسة ويتكرر هذا الإسم فى الطقوس والصلوات ويرد فى ألقاب رجال الدين من مختلف الطوائف والمذاهب ، لا شك فى مكانتها وعظمتها واحترامها فى قلوب الناس ، وإن مجرد ذكر اسمها يحرك ذكريات عزيزة على النفس ، وهذا ما تؤكده الآيات الواردة فى أعمال الرسل . « ثم خرج برنابا إلى طرسوس فى طلب شاول ولما وجده أتى به إلى أنطاكية ، وترددا سنة كاملة فى هذه الكنيسة وعلّما جمعاً كثيراً حتى أن التلاميذ دعوا مسيحيين بأنطاكية أولا » .

أحمد رمزى

حديث عن دمشق

للأستاذ على الطنطاوى

دخلت مخزناً أمس أشترى منه شيئاً ، فسمع لهجتى الشامية شيخ هم كان هناك ، أبيض الشعر كأن رأسه ولحيته الثغامة ، فالتفت إلىّ وقال :

— أنت من دمشق ؟

— قلت : نعم .

فسطع على وجهه نور ، وبرق فى عينيه بريق ، وبدت على جبينه ظلال ذكريات حلوة ، مرت فى رأسه ، وأخذ بيدى هاشاً لى باشاً بوجهى ، فأقعدنى معه ، وقال لى :

أهلا بك ، أهلا وسهلا ، تشرفنا يا ولدى ، فتعال . تعال حدثنى عن دمشق ، فقد طال عنها ابتعادى ، وزاد إليها اشتياقى ، حدثنى عن سهلها وجبلها ، عن غوطتها وربوتها ، عن (الميزان) . ألا يزال الميزان مثابة الطهر ، ومعبد الجمال ، وجنة الدنيا ؟ ألا يزال السراة والتجار يصلّون الصبح كل يوم ويخرجون إليه ، يقضون فيه حق النفس بالتأمل ، كما قضوا فى المساجد حق الله بالصلاة ، فيجمع الله لهم الجنتين ، ويعطيهم نعيم الدارين ؟ ألا يزال زاخراً بحلق الأحباب ، وجماعات الصحاب ، عاكفين على (سماورات) الشاى الأخضر (وِسكى) المسلمين ، يشرفون على (قنوات) و (باناس)[1] وهما يخطران على العدوة الدنيا متعانقين متخاصرين فعل الحبيبين فى غفلة الرقيب ، يمشيان حالمين خلال الورد والفل والياسمين ، كزوجين فى شهر العسل ، يظهران حيناً ثم تشوقهما الخلوة ، فيلقيان عليها حجاباً من زهر الشمش والدراقن والرمان ، وعلى العدوة القصوى زوجان آخران حبيبان ، يمضيان يتناجيان ويتخالسان القبل : (يزيد) و (تورا)[1] ؟ وبردى ! ألا يزال يدبّ فى قرارة الوادى على عصاه ، ينظر باسماً إلى بنيه ثم يلوى عن مشهدهم بصره ، وينطلق فى طريقه لا يبالى . عاف الحب وملّ الغرام ، وعلّمته تجارب العمر ، أن كل ما فى هذه الحياة باطل ، إلا ذكر الله والعمل للآخرة ، كله لعب ولهو ومتاع زائل ؟

(١) من فروع بردى السبعة .

وقاسيون الجدّ العبقرىّ الذى عاش عشرة ملايين سنة وما انفك شاباً ، وشاخ ابن أخيه بردى ولم يشخ ، ألا يزال قاسيون قاعداً قعدة ملك جبار ، قد رفع رأسه ومدّ ذراعين له من الصخر ، فأحاط بهما دمشق وغوطتها ، من الربوة إلى برزة ، ووطأ لها ركبته فنامت المدينة عليها ، كما تنام الحبيبة إن أضناها النعاس على ركبة الحبيب ، واحتمت الصالحية بصدره كما يحتمى الطفل الوليد بصدر الأم الرؤوم ؟ والشمس ! ألا تزال الشمس تضحك لبردى وأبنائه ، وتستحم أنوارها فى مائه ، وتسبح أشعتها فى سمائه ؟

و (صدر الباز) و (مصطبة الأمبراطور) و (الصوفانية) و (الشاذروان) ؟ حدثنى عنها ... حدث عن دمشق ، ألا يزال الناس يعيشون فى دمشق للخير والجمال ؟ ألا يزال التجار يخرجون من صلاة العصر ، فيغلقون دكاكينهم ويمضون إلى بيوتهم ، إلى أولادهم وأهليهم ، ثم يتمشون المغرب ، ويؤمّون المساجد فإذا صليت العشاء خرجوا ، فمنهم من عاد إلى داره ومنهم من ذهب إلى الدرس ومنهم من مشى إلى (الدَّوْر) ...

قل لى : ألا يزال (الدَّوْر) يجمع الإخوان المتآلفين ، والأحبة المتصافين ، يسمرون كل ليلة فى منزل واحد منهم ينشدون الأشعار ويسوقون النوادر ، ويروون المضحكات ، ويطالعون الكتب ، ويتجاذبون الحديث ، ويأكلون ألوان الحلويات ؛ ويشربون الشاى ، ثم ينصرفون إلى دورهم ، وقد استمتعوا أوفى ما يكون الاستمتاع ، وسروا أكثر ما يكون السرور ، وما غشوا قهوة ، ولا أمّوا ملهى ، ولا جالسوا غريباً ، ولا أتوا محرماً ، ولا أنفقوا فى غير وجهه مالا ؟

ألا تزال منازل المشايخ فى (زقاق النقيب) و (حمام أسامة)[1] و (القيمرية) معاهد إرشاد ، ومدارس علم ، ودارات ملوك ؟ قل لى : من بقى من تلك الأسر العلمية ؛ آل حمزة وآل عابدين والطنطاوى والعطار والخانى والطيبى والشطى والأسطوانى والكزبرى والعمادى والمحاسنى والمنينى والخطيب ؟ ألا يزال فيها العلماء الأعلام أم تنكب الخلف طريق السلف ، واستبدلوا الدنيا بالدين ، والمال بالعلم ، والمنصب بالتقوى ؟ والعلماء ألا يزالون أعزة

(١) عامة أهل الشام يسمونه حمام سامه بالامالة وخاصتهم يظنونه حمام سامى، ولايدرون من سامى هنا ، والحقيقة أنه منسوب إلى البطل المشهور أسامة بن منقذ .

بالدين ، يعرضون عن الملوك فيسعى إلى أبوابهم الملوك ، ويزهدون الدنيا فتقبل عليهم الدنيا ، ويهربون من الولايات والمناصب فتلحقهم المناصب والولايات ؟ ألا يزال الناس يعكفون فى دمشق على العلم لا يريدون به إلا الله والدار الآخرة ، يثنون لذلك ركبهم ويحيون ليلهم ، ويكدون نهارهم ، ويقنعون فى أيام الطلب بما سد الرمق ، وحمل الجنب ، وستر العورة ، لا يسألون عما غاب من ذلك أو حضر ، قد فكروا فى غيره ، وأقبلوا على سواه ، فكان العلم أملهم ، وكانت المطالعة شغلهم ، وكان ثواب الله مبتغاهم ، قد صغرت الدنيا فى أعينهم حتى إنهم لم يروها ليتكالبوا عليها ، ويذلوا من أجلها ، و(يضربوا) عن التعلم إن لم يصلوا إليها ؟ ألا تزال هذه المدارس عامرة ، يجيئها الطالب ؟ فينام فى غرفها ، ويستمع من مشايخها ويأكل من أوقافها ، ويجعلها دنياه لا دنيا له وراء جدرانها : العمرية والمرادية والنورية والبادرائية والقلبقجية ودار الحديث وجامع التوبة وباب المصلى والدقاق ومدرسة الخياطين وأمثالها . ألا تزال زاخرة بالطلاب عامرة بالعلم ، عاملة للاصلاح ؟

ومنازل دمشق ! ألا تزال تلك المنازلَ الواسعة الصحون ، ذات الظل والماء ، والبرك والنوافير ، والأشجار والزهور ، والدواوين والمجالس ، والصيانة والستر ، فهى من خارجها مخازن تبن ، ومن داخلها جنات عدن ، وهى مصيف ومشتى ، وهى مسكن وملهى ، وهى دار وبستان .

ألا تزال فى دمشق الأسرة كلها تعيش فى المنزل الواحد : الجد والأب والأعمام والأولاد ، ونساؤهم وأولادهم ، ثم لا تجد خلافاً ولا شقاقاً ، ولا دسًّا ولا كيداً ، الصغير يوقر الكبير ويطيعه ، والكبير يرحم الصغير ويحبه ، وكل يؤثر على نفسه ، ولا يحب لغيره إلا ما يحب لها ؟

ألا تزال المرأة لبيتها ولزوجها ، لا تقيس الطرقات ، ولا تقصد الأسواق ، ولا تعتاد منازل الخياطات . إن احتاجت شيئاً اشتراه لها بعلها ، وإن أرادت زيارة أهلها ذهب معها ، وإن اشترت ثوباً خاطته بنفسها ، والحجاب سابغ ، والشهوات مقموعة ، والزواج شامل . لا يبلغ الولد عشرين إلا وله ولد ، ولا تصل البنت إلى الثامنة عشرة إلا ولها ولدان ؟

والبوابات ! هل زالت البوابات ، التى كانت تغلق كل ليلة بعد العشاء وتسد الطرقات فى وجوه لصوص الأموال والأعراض فلا تفتح إلا لقاصد بيته ، أو ذاهب فى حاجة مشروعة ؟

والأحياء ! ألا يزال فى كل حىّ عقلاؤه وسادته ، يسمون لخيره ، ويمينون عاجزه ، ويسعدون فقيره ، ويأخذون من فضل مال الغنى ما يسدّ خلة المحتاج ، وإذا رأى أحدهم غريباً فى الحى سأله من هو وما يكون ، فلا يدخل الحى إلا رجل شريف . وإن شاهد امرأة متبرجة نصحها وزجرها ، وبحث عن وليها ليحميها . وإن علم بأن داراً ترتكب فيها فاحشة ، عقد مجلساً فدعا المؤجر والمستأجر وكانت المحاكمة التى لا تؤدى إلا إلى منع الفاحشة فى غير ظلم ولا عدوان ، فكان الحى كله كالأسرة الواحدة ، وكان البلد مجموعة أسر كلها خيّر فاضل نبيل ؟

ألا يزال الناس على وئام وسلام ، فلا نزاع ولا خصام ، يعرف كل منهم حقه فلا يطلب إلا أقل منه ، ويعرف ما عليه فلا يقصر فى أدائه ، وإن اختلفوا رجعوا إلى العالم ورضوا بحكمه لا يعرفون المحكمة إلا إن استحكم الخلاف ، وقلما كان يستحكم الخلاف ؟

ألا يزال القاضى الشرعى مرجع كل خصومة ، ومصدر كل حكم ، يحكم فى كل قضية بشرع الله ، فلا تطويل ولا تأجيل ، ولا مراوغين ولا محامين (1) ؟

ألا يزال كل ما يحتاج إليه الناس يصنع فى دمشق ، فلا يأكلون إلا حاصلات بلادهم ، ولا يلبسون إلا نسيج أيديهم ، ولا يتداوون إلا بعشب أرضهم ، لا يدفعون أموالهم إلى عدوهم ، ولا يعينونه بها على أنفسهم ؟

ألا يزالون سعداء راضين ، قد انصرف العالم لعلمه ، والتاجر لتجارته ، والطالب لدرسه ، والمرأة لبيتها ، لا يشتغل أحد بغير شغله ، ولا يدخل فيما لا يعنيه ، قد تركوا السياسة لنفر منهم أخلصوا لهم فوثقوا بهم ، ورأوا أمانتهم فأعطوهم طاعتهم ، ورأوهم لا يسرقون مالهم ، ولا يمالئون عدوهم ، ولا يضيعون مصالحهم ، فلم ينفسوا عليه زعامتهم ، ولا ضيقوا عليه مكانتهم ؟

فقلت للشيخ : منذ كم فارقت دمشق يا سيدى ؟

فتنهد وقال : منذ سنة ١٨٩٧ ، فارقتها شاباً ، ولم أدخلها بعد ذلك أبداً .

---

(1) معذرة يا سادتى المحامين ؛ فقد جرتكم القافية ليس إلا ... وحقكم على الشيخ المحدث لا على أنا .

فرحمت الشيخ أن أفجعه فى أحلى ذكرياته ، وأن أطمس فى نفسه أجمل صور حياته فتلطفت فودعته، ولم أقل له شيئاً ، وماذا أقول ؟

أأقول له : إن أهل الشام قد انصرفوا عن صدر الباز والميزان والصوفانية والشاذروان وأهملوها حتى صارت مزابل ، لأنهم آثروا عليها العباسية والهافانا وشهر زاد ونادى الصفا ؟

وأنهم هجروا منازلهم التى كانت جنات ، ليسكنوا كالافرنج فى طبقات كأنها سجون أو مغارات ، وأن أبناء العلماء الأتقياء ، صاروا من الفساق الجهلاء ، وأن مدارس العلم هدمت أو سرقت ، وأن غرفها احتلت لتكون مساكن أو قهوات أو مخادع شهوات ، وأن طلبة العلم الدينى يطلبونه للمناصب والمراتب والأموال والرواتب ، وأن الأسر انصدع شملها ، وتفرق جمعها ، وأن النساء ملأن اليوم الطرقات ، وأممن المخازن والسينمات ، وعاشرن الشبان فى المدارس والملهيات ، وأن البنات كسدن فى البيوت ، لما آثر الشباب اللهو على الزواج ، والسفاح على النكاح ، وأن الأحياء غلب عليها سفهاؤها ، وضعف عن حكمها عقلاؤها . وأن الناس اختلفوا وتنازعوا ، وفشا فيهم الغش والخداع ، وأن المحاكم هجرت شرع الله وحكمت بقوانين فرنسا . وأن الناس تركوا أشغالهم واشتغلوا بالسياسة . وأن الزعماء طلبوا المال والجاه ، وآثروا مصالحهم على مصالح الناس . وأن الموظفين غلبت عليهم الرشوات والبراطيل والسرقات ، وأننا تركنا مصنوعات بلادنا وكرهنا أزياءها ، وتعلقنا بأذناب الغربيين ، وأعطيناهم أموالنا . وأنه قد ارتفع الوفاق وحل الشقاق ، وذهب الرخاء وجاء السخط ، فالرجل يختلف أبداً مع زوجته ، والأب ينازعه ابنه ، والشريك يسرقه شريكه ، وليس فينا راض ولا قانع ولا سعيد ، ما فينا إلا شاكٍ باكٍ ، كاره الحياة ، متمنٍ الموت ... ثم إننا لم نحس أن هذا كله من لعنة هذه المدنية الغربية ، ومن ثمراتها المرة التى لا يمكن أن تثمر غيرها ...

ولكن لا ، فإن فى دمشق خيراً كثيراً ، لا يعرف خيرها إلا من يعيش فى غيرها ، إن دمشق التى يصفها الشيخ لم تمت ، ولا تزال تتردد ذماؤها ، فإما أن تنعشها (رابطة العلماء) وبعدها الإخلاص بالقوة حتى تنقذها ، وإما أن يغلب القضاء ، فيموت المريض تحت يد الطبيب ... ...

ولن تموت دمشق الإسلامية بحول الله أبداً !

على الطنطاوى

خواطر مسجوعة :

فلاح مصر ...

فلاح مصر أسخى على أهلها ، من نيلها ؛ فالنيل يجود بمائه ، وهو يجود بدمائه ؛ خالعاً شبابه على الغبراء ، ليراها جنة خضراء !

فلاح مصر جندىّ لا يسفك الدماء ، ولا يهدم البناء ؛ جندىّ يعمر . . . ولا يدمر ؛ جنـدىّ يتفانى . . . ولا يتوانى ؛ جنـدى متصل العزمات ، فى السلم والأزمات ؛ فكل جِد يتضاءل أمام جده ، وكل فرد — وإن علا — يعيش من ثمرات كده .. ! معروفه يغمر بلاده ، ونعمته فى كل عنق قلاده . . . !

فلاح مصر هو — وحده — الذى يشبه الناس شكلا ونفسا ، والحديد فعلا وبأسا . وهو — وحده — الراضى بالقليل ، الذى لا يبغى جزاء سوى القوت الضئيل ؛ وإلاَّ فمن سواه ، يُلقى فى التراب قواه ؟ ومن غيره ، يفيض خيره ، بعد أن يزرع الجميل فى الثرى ، ويسقى بالعرق قبل الماء حقول القرى ؟؟! لو أن للأرض لسانا لأثنت عليه ، ولقبّلت يديه ؛ ولكنّ الإنسان ، يجحد الإحسان !

فلاح مصر صبور لا يخشى الهجير ، ولا يفر من الزمهرير . يبكر والمترفون فى الغُرَف ، لا يشاركهم الراحة والترف . من شيَمه التواضع والإيثار ، فى اليسر والإعسار . فتراه خشنا فى جسمه وعزمته ، فى ثوبه ولقمته ، فى بيته وعيشته لينا فى عطفه الرائع ، وقلبه الطائع ، وحقه الضائع ... !

ليتنى ياسيدى الفلاح الكريم ، أملك ما أقدمه اعترافا بفضلك العظيم ، لم أملك سوى الكلام ، فعليك السلام !

(الزنكلون) **حامد بدر**

الشاعر خليل مطران

للاســـتاذ حبيب الزحلاوى

جسم نحيل معروق ، ونظرات لامعة أخاذة ، وصوت مبحوح لاهث من حنجرة صليتها الأعوام الثمانون وقد ناهزها ، وهو بالرغم منها على أحسن ما يكون من اتقاد الذهن ، ومضاء العزيمة ، وخصب الإنتاج .

يمتاز مطران بالخلق الكريم ، والحديث العذب ، والسعى فى الخير ، ثم بشاعرية فريدة فى نوعها .

يعود خلقه الكريم إلى أرومته الكريمة وتربيته الارستقراطية المترفعة وإلى نحيزة هادئة ترى المداورة والصبر والاتئاد فى التصعيد لبلوغ القمة خيراً من الانقضاض عليها كالنسور الجبارة

وهو محدث بارع ينضح من ينابيع غزيرة واطلاع ثقافى عام من أدب العرب والإفرنج قديمه وحديثه ، لا يتفلسف مع الفلاسفة ، ولا يتعالم مع العلماء ، ولا يشمل مصباحه للعميان ، يعطى من أدبه بقدر حاجة الطالب ، ويهبط أو يرتفع وفق فهم السامع وإدراكه ، وهو عف اللسان ، نصير الغائب ، قليل الغضب ، كثير التسامح .

من سجاياه سعيه للخير ، وهو يتراخى وقد يتكاسل فى السعى لخيره الخاص ، ولكنه لا يتوانى ولا يتقاعس فى السعى لفك ضيق ، أو حل مشكلة ، أو دفع نازلة ، أو إزالة خصومة ، أو تزويج فتاة من أية طائفة أو ملة كانت .

يعطى المعوز ما يستدره من مال الغنى ، وينتزع الدراهم من الشحيح البخيل ويأخذ الدينار من السخى الكريم يقيل بهما عثرات العاثرين .

ما قامت جمعية للبر ، أو مؤسسة للخير ، أو دار للشفاء ، أو تألفت جماعة لعمل من الأعمال إلا وكان مطران من أوائل القائمين بها ، وما نشأت بين السوريين واللبنانيين منشأة إلا وكان مطران من الساعين إلى إنشائها ، وما شجر بين الطامعين أو بين محبى الظهور شجار على رئاسة أو عضوية فى مجلس إلا وكان مطران أول المتنازلين عن الرئاسة أو العضوية حباً باحلال الوئام محل الخصام ...

هو ذا مطران الإنسان وقد حدد أمنيته فى الحياة بقوله : « أمنيتى أن أجتاز طريقى دون أن أسىء إلى أحد » .

مشى مطران وشوقى وحافظ فى جادة أدبية واحدة ، وما لبث أن سلك كل منهم مسلكا خاصاً به ، وأزعم أن لا مناص لمن يتصدى لدراسة شعر مطران عن معالجة أربعة أنواع من الشعر انفرد بها مطران وحده دون معاصريه من الشعراء .

الأول : شعر المناسبات وينطوى فيه تاريخ حقبة من الزمن تبتدئ فى الربع الأخير من القرن الماضى تشمل الأحداث الاجتماعية والشخصية والفردية .

الثانى : الوصف وفيه صورة تريك الموصوف كما رآه خالقه وكما كيفته الطبيعة حساً ومعنى .

الثالث : التحليل وهو ملاحم كبرى خص بها عظماء التاريخ وشعوبه وما كانوا عليه من صفات وخلائق وسجايا ، وما فى فطرتهم من ظلم وجور وطغيان .

الرابع : إبراز أقيسة اللغة ومقادير ثروتها فى المفردات للتعبير عن ملكات النفس .

تجمع لمطران من شعره ما يملأ سبعة دواوين معدة للطبع منها واحد للأراجيز فى أدب النفس ، وترجم عن الفرنسية ثلاث عشرة رواية تمثيلية لشكسبير وراسين وكورنيل وهيجو وترجم أيضاً كتاب الوجيز فى علم الاقتصاد فى خمسة أجزاء وألف كتاب « مرآة الأيام فى التاريخ العام » ، ولم تخل صحيفة خلال هاتيك الأعوام ، على مر الأيام من بحث أو درس أو تقريظ أو نقد لمطران ، ولم يعتب منبر نصب فى مجمع للأدب أو للخير أن لم يعتله مطران .

هو ذا شاعرنا الذى تحتفل به الأمم العربية اليوم فى مصر ، وهذه لمحات خاطفة من أدبه الخالد وخلقه الكريم .

حبيب الزحلاوى

مراجعات فى الفلسفة :

نظرية المعرفة عند شوبنهور

للاستاذ عبد الكريم الناصرى

يستهل شوبنهاور (١٧٨٨ – ١٨٦٠) أثره الرئيسى « العالم كإرادةٍ وفكرة » بقوله : « العالم فكرتى » . ولأجل أن يفهم معنى هذا القول على وجهه الصحيح يحسن بنا أن نقدم له بكلمة موجزة فى نظرية المعرفة عند فيلسوفين ، أحدهما إرلندى هو بركلى (١٦٨٥ – ١٧٥٣) ، والآخر ألمانى هو كانْت (١٧٢٤ – ١٨٠٤) .

ونظرية الأول تتلخص فى عبارته المشهورة : « وجود الشىء أن يدرك » أو « الوجود هو الإدراك » . فقد كان « لوك » ميز بين « الكيفيات الأولية » و « الكيفيات الثانوية » للموضوعات الخارجية . فالأولى ، كالامتداد والشكل والحركة ، توجد فى الأشياء أنفسها بصرف النظر عن العقل . أما الثانية ، كالألوان والأصوات والروائح ، فلا وجود لها خارج الحس والعقل المدرك . وقضى بذلك على فكرة « الجوهر المادى » وجعل العقل هو المحل أو الحامل للموضوعات ، وكل ما تتصف به ، من امتداد وشكل وحركة وزمان وأصوت وأضواء وألوان . فكل هذه الأمور لا يمكن أن تقوم ، أو تُتصور ، مستقلةً عن الذات المدركة ؛ ومن هنا كان من المناسب تماماً أن تدعى « أفكاراً » . ويقول بركلى هنا : إن أحداً لا ينازع فى أن ذكرياتنا وتصوراتنا وتخيلاتنا إنما توجد فى الذهن ، ولا يمكن أن توجد بمعزل عنه ؛ ولكن لا يقل عن هذا بداهة أن الإحساسات أى « الفكرات » المطبوعة على الحس ، على اختلاف مركباتها ، أى الموضوعات الخارجية المركبة منها ، لا يمكن أن توجد إلا فى ذهنٍ مدركٍ . وتتضح هذه الحقيقة كل الوضوح حين نتدبر معنى لفظة « الوجود » أو « الموجود » كما تطلقان على موضوعات الحس . فما عساى أعنى حين أقول إن هذه المائدة موجودة ؟ أتراني أعنى شيئاً غير أنى أبصرها وأحسها ؟ وإذا كنت خارج الغرفة ، وقلت إن المائدة موجودة ، أترانى أعنى شيئاً غير أننى لو كنت فى الغرفة إذن لأبصرت بها ، أو أن هناك ذهناً آخر يدركها ؟ — لقد كانت ثمت رائحة : هذا معناه أنى شممتها ؛ كان ثمت لون أو شكل ، أى أنى أدركته بالبصر أو اللمس . هذا ، كما يقول بركلى ، هو كل ما يمكن أن يفهم من أمثال هذه التعبيرات . أما القول بوجود الموضوعات المادية وجوداً مطلقاً فقول متهافت ، غير مفهوم أبداً . فإن وجود (esse) الأشياء أن تدرَك (Percipi) ، ولا يمكن أن يكون لها أىُّ وجودٍ خارج الأذهان التى تدركها[1] .

ومن هنا فالمعرفة تتألف من عنصرين مختلفين ، هما الموضوع أو الفكرة المعروفة ، أو الذات العارفة . وليس يوجد إلا المدرَك أو المدرِك .

ولنلاحظ هنا أن كون الموضوعات المحسوسة فكراتٍ فى العقل لا ينفى ما بينها وبين الأخيلة والتصورات من فروق هامة ؛ كما أن إنكار « الجوهر » المادى لا يعنى إنكار واقعية العالم المادى ، وإنما معناه إنكار أن تكون هذه الواقعية مستقلةً عن العقل ، وأن يكون للموضوع المادى وجود مطلق لا يتوقف على الذات المدركة .

ونظرية شوبنهاور فى العالم الخارجى لا تختلف فى جوهرها عن نظرية الأسقف العبقرى ، ومع ذلك فإنه يسلك إلى نظرية المعرفة طريق « كانت » ، ويستمير من مؤسس « النقد » لغته وأسلوب تفكيره . فلا مفرَّ إذن من إلقاء نظرة ، ولو عامة خاطفة ، على نتائج نقد العقل الخالص (النظرى) ، بمقدار ما تتعلق هذه النتائج بموضوعنا .

لقد وضع « كانت » حداً حاسماً بين الشىء فى ذاته ، أو العالم المعقول ، وبين الظواهر ، أو العالم المحسوس . فالأول خارج المكان والزمان ، وخارج نطاق المعرفة الإنسانية ، أما الثانى فزمانى مكانى بالضرورة ، وداخل فى نطاق المعرفة ، والمعرفة العلمية مقصورة عليه ، لا يمكن أن تتخطاه ، فلا علم إلا العلم « بالظاهر » وقوانينه . وإنه لعلم صحيح ضرورى ، لهذا السبب : وهو أن العقل نفسه هو الذى يبدع عالم الظواهر ، أو يشارك على الأقل فى إبداعه ، ويسنُّ له قوانينه ، ويخلع عليه شكوله الثابتة .

---

(١) جورج بركلي : «مبادىء المعرفة الانسانية» — الفقرة (٣) .

فالعالم المحسوس يقوم بالضرورة فى إطارين : هما المكان والزمان . ولكن هذين الإطارين لا يرجعان إلى الأشياء فى أنفسها ، وإنما هما « صورتان خالصتان » لحساسية العقل : مبدآن فطريان قبليان ، لا وجود لهما خارج الذات الحساسة المدركة . إنهما فى الواقع « أسلوبان » أو « وسيلتان » لإدراكنا الأشياء ، فلا سبيل إلى إدراك هذه إلا إذا دخلت فى المكان والزمان ، وانطبعت بهذا الطابع العقلى الأجنبىّ عنها ، وتحوّلت بذلك عن طبيعتها الأصلية ، إنهما شرطا إمكان الإدراك والمعرفة ؛ وبما أن معرفة الموضوعات هى ما ندعوه «بالتجربة» فالمكان والزمان إذن شرطا إمكان التجربة ، وعليهما تتوقف كل تجربة ، واقعة أو ممكنة ، فلا يمكن أن يكونا مشتقين من التجربة ، لأن الشرط يتقدم على المشروط ، وإنما هما سابقان عليها أو هما « قبليان » . ولذلك ترانا نستطيع أن نتمثل المكان والزمان خاليين من كل موضوع ، تمثلا عِيانياً مباشراً ، ولكننا لا نستطيع أن نتمثل الموضوعات بمعزل عن الزمان والمكان . ومؤسس النقد يسمى هاتين الصورتين، معتبرتين فى نفسيهما ، «بالعِيان الخالص» كما أنه يسمى الإدراك الحسى « بالعيان التجريبى » . وهذا الأخير يتوقف على شرطين : أولهما أن تقبل الحساسية أو تتسلم من « الخارج » تأثرات مختلفة ، صادرة عن الموضوع الحقيقى أو الشىء فى ذاته ؛ وثانيهما أن تترتب الإحساسات الناشئة عن التأثر فى صورتى الزمان والمكان ، إذا كان العيان يتعلق بالموضوعات الخارجية ، أو فى الزمان وحده ، إذا كان يتعلق بتعييناتنا الباطنة .

والظواهر الناشئة عن العيان تترابط برباط العلية ، وتبدو على هيئة كميات وكيفيات ، ونسب وعلاقات ، وجواهر وأعراض ؛ ولكن جميع هذه التعينات لا ترجع إلى الأشياء فى ذاتها ، وإنما هى أشكال أو « مقولات » ذهنية قبلية ، نتصور العالم ونفهمه على نحوها . والقوة أو الملكة العقلية التى تقوم بهذا الدور هى « الذهن » (أو « الفهم ») ، كما أن حساسية العقل ، أو قدرته على قبول التأثرات ، هى التى تقوم بالعيان أو الإدراك . وقد قرر « كانت » أن هناك اثنتى عشرة «مقولة» أو «تصوراً خالصاً» ، تكون ، مع المبادىء القبلية اللازمة عنها ، ومع المكان والزمان ، شروط إمكان التجربة . وتندرج المقولات ، ثلاثاً ثلاثاً ، تحت أربعة عناوين أساسية ، وتؤلف بذلك مقولات « الكمية » و « الكيفية » و « النسبة » و « الجهة » . ولا حاجة بنا إلى التحدث عن هذه المقولات ، ما دام شوبنهاور نفسه قد نبذها جميعاً ، إلا مقولة واحد : هى « العلية » . وحسبنا أن نشير — فى ختام هذه الخلاصة لمذهب « كانت » — إلى نقطتين أساسيتين فيه ؛ أولاهما أن عالم الظواهر متوقف برمته وبغير استثناء على الذات وشكولها القبلية وأن عالم الأشياء فى ذاتها (أو بالأحرى عالم « الشىء فى ذاته » ، ما دام أن « الكمية » مقولة ذهنية) مستقل عن الذات وصورها الفطرية ، ولسنا نعرف ، ولا يمكن أن نعرف ، عنه شيئاً ؛ فهو «س» مجهولة . والنقطة الثانية أن قيام الظاهرة مشروط، مع ذلك ، بتأثير الموضوع أو الشىء فى حواسنا .

وقد هوجمت فكرة الشىء فى ذاته منذ ظهورها هجوماً عنيفاً. كيف يزعم « كانت » أن الموضوع « يؤثر » فى الحساسية ، وأن تأثيره ضرورى لحصول الإدراك ، مع أنه يؤكد فى «التحليل المتعالى » أن المقولات ، كمقولة الجوهر والواقع والعلية ، لا تصح وراء عالم التجربة الممكنة ، عالم الزمان والمكان ؟ إن العلية تتعلق بالظواهر وحدها ، فليس من حقنا أن نطبقها على ما هو خارج الظواهر ، وليس لنا أن نصف الشىء فى ذاته بأنه علة للظاهرة ، بل ولا أن نقول بوجوده أصلا . إذ من أين لنا أنه موجود ، وعلمنا محصور فى دائرة التجربة ؟ وكيف نزعم أنه « س » مجهولة ثم نقول إنه موجود ، وإنه علة الظواهر ؟

كذلك انتُقِد « الشىء فى ذاته » ؛ ومن جملة ناقديه « شولتسه » أستاذ شوبنهاور ، و « فشته » الذى أنكر ، بناء على هذا النقد ، أن يكون ثمة حقيقة مطلقة خارج « الذات » ، وانتهى من ذلك إلى أن الشىء فى ذاته هو الذات أو الأنا ؛ فالأنا المطلق اللامتناهى يضع نفسه بنفسه ، ويضع اللا أنا أو العالم الخارجى . على أن فشته ، كما يلاحظ شوبنهاور ، لم يزد على أن جعل الذات « علة » للعالم الموضوعى ، مع أن العلية هى الصورة القبلية لكل موضوع مدرك فقط ، فلا يمكن أن تعدو عالم الموضوعات إلى العلاقة بينه وبين الذات .

وعلى أن شوبنهاور يأخذ بالنقد الموجه إلى فكرة الشىء فى ذاته بحسب مفهومه عند كانت فإنه لا ينتهى من ذلك إلى إنكاره

وإبطاله ، وإنما هو بضد ذلك يقر « كانت » على القول به ، ويراه كما رآه سلفه العظيم المطلق الكامن وراء عالم الظواهر . وإنما الذي يأخذه عليه أنه جعل هذا المطلق « علة » و « موضوعاً » ، ووقع بذلك في الخلف والشناعة . إذ لا علة وراء إمكان التجربة ، ولا موضوع بغير ذات . والقول بموضوع في نفسه ، بموضوع لا تعرفه الذات ، تناقض في الحدود . كل موضوع فهو بالضرورة موضوع بالنسبة إلى ذات ، أو إدراك مدرك . ليس الشيء في ذاته بظاهرة أو فكرة ، ولا هو بشيء « موجود » بالفعل ، وإنما هو المطلق المستقر وراء الظواهر والموجودات الواقعية ؛ هو ذاك الذي « يظهر » ، ذاك الذي يريد أن يوجد ، لأنه غير موجود . إنه الإرادة — إرادة الوجود . وقد قرر « كانت » أن الشيء في ذاته ممتنع على المعرفة ، وشوبنهاور يسلم له هذا أيضاً ، إن كان المقصود بالمعرفة المعرفة الخاضعة لمبدأ السبب الكافي ؛ ولكن هناك ضرباً من المعرفة المباشرة ، نستطيع أن نكتشف به المطلق ، ونكتشف أنه إرادة سرمدية : نزوع مطلق إلى الوجود والحياة والتحقق الموضوعي .

وليس عالم الظواهر بمعلول للشيء في ذاته أو الإرادة ، لأن العلية لا تصح إلا على الظواهر وحدها ؛ وليس هناك ، إن طلبنا الدقة في التعبير ، عالمان مترابطان برابطة العلة والمعلول ، وإنما هو عالم واحد ذو وجهين ، وجه الفكرة أو التمثل (١) ، ووجه الإرادة أو النزوع — والأول مرئي مشهود ، والثاني مغيب غير منظور . إنه من جهة فكرة كله ، ومن جهة إرادة كله ؛ وبعبارة أخرى ، إذا نظرنا إلى العالم من الخارج فهو فكرة ، وإذا نظرنا إليه من الداخل فهو إرادة . وبعبارة أوضح ، ليس عالم الظواهر إلا تجسم الإرادة ، أو تحققها الموضوعي ؛ إنه الإرادة كما نراها ، كما تبدو لنا (٢) .

(١) فكرة أو تمثل = بالألمانية Vorstelling ، وبالانجليزية والفرنسية representation أو Preseentation . على أن معظم الباحثين في فلسفة شوبنهاور ، وكذلك مترجمو كتبه إلى الانجليزية ، يترجمون هذا المصطلح بـ « idéca » أي « فكرة » ، بحسب مفهوم هذا اللفظ عند « لوك » و « بركلي » .

(٢) عالم الظواهر هو التحقق الموضوعي « غير المباشر » للارادة ، لأن هذه تتحقق أولا في « المثال » الافلاطوني ، الذي هو خارج المكان والزمان والعلية ، وإن كان مع ذلك راجعاً إلى عالم الفكرة . والمعرفة العيانية المباشرة للمثال من شأن « الفن » — وهي المعرفة العليا والمعرفة =

وصور العالم المرئي هي الزمان والمكان والعلية ، وهي كل ما استبقاه شوبنهاور من جهاز « كانت » القبلي ؛ على أنه جمل ما أسماه بمبدأ السبب الكافي التعبير العام عن هذه الصور ، كما أنه أدرج هذا المبدأ ، في كل أشكاله ، تحت صورة عليا ، هي ازدواج الذات والموضوع ، وسنأتي بعد على بيان هذا كله .

وبفضل المكان والزمان والعلية يتم لنا ، ولسائر الحيوانات ، إدراك العالم الخارجي . والذي يقوم بهذا الإدراك أو العيان ، وربط المدركات الحسية برباط العلية ، هو « الذهن » وحده ، لا الحساسية ثم الذهن ، كما ذهب إلى ذلك « كانت » ؛ ولا « العقل » . ولذا « فكل عيان ذهني » . وقد ميز شوبنهاور بين « الذهن » و « العقل » كما ميز « كانت » ، ولكن على حين أن الأخير جعل العقل (بمعناه الضيق) قوة الصور أو المثل الكلية المنظمة لأحكامنا ، قصره الأول على قوة التصورات المجردة ، التي يتميز بها الإنسان على العجماوات ، وليس من شأن هذه الملكة أن تكتشف أو تبتكر شيئاً ، فذلك من شأن الذهن وحده ، وإنما شأنها تجريد المدركات ، وتعميمها ، وربط بعضها ببعض ، وحفظها ، وتيسير استعمالها في المقاصد العملية .

(يتبع) عبد الكريم الناصري

= « الموضوعية » الحقيقية . بيد أننا نتحدث في هذا المقال عن المعرفة بمعناها الضيق عند شوبنهاور ، أي المعرفة الخاضعة لمبدأ السبب الكافي ، وهي تشمل التجربة والعلم . ومقالنا هنا « مراجعة » وتلخيص تقدي للقسم الأول من كتابه الرئيسي (العالم كإرادة وفكرة) ؛ وعنوان هذا القسم : « العالم كفكرة — الوجه الأول — الفكرة خاضعة لمبدأ السبب الكافي موضوع التجربة والعلم » .

يا إخواننا فى وادي النيل!

[مهداة إلى الأستاذ الشيخ على الطنطاوى]

للأستاذ غائب طعمة فرمان

قرأت — فيما قرأت — فى الرسالة الحبيبة إلى القلوب، العزيزة على النفوس، مقالة بليغة للأستاذ الكريم على الطنطاوى عنوانها (يوم من أيام بغداد) أجرى فيها من روحه الأبية، ومن دمه الكريم، قوة متفجرة تهز قلب كل عربى غيور، وتوقظ همة كل أبى أشم؛ فقد — والله — لمست منها قوة العاطفة، وسمو النفس، وكرم المحتد.

« ليست كالمقالات، جملا ترصف، وكلمات تؤلف، ولكنها قلب يتفطر، وديناميت يتفجر ... ».

وغاية الأستاذ الكريم من هذه الكلمة الجميلة إيقاد الهمم، وإيقاظ النفوس، وشحذ العزائم؛ ليعلمنا « ... أن مصر ... أختنا الكبرى فى العروبة، وقضية مصر قضيتنا، ووادى مصر وادينا، وعدو مصر عدونا، وإننا إن نخذل مصر نخذل بلادنا، وإلا نكن معها نخن أمتنا. » . ويتساءل فى النهاية مخاطباً بغداد « أفتنامين يا بغداد فى سرر الأمان ومصر فى الشوارع تصارع الذئاب؟ » .

وليطمئن الأستاذ إلى إخلاص الشباب العراقى جميعاً.

وليثق بنا فى ساعات المجد وفى سوح القتال.

وليعلم أن أجفاننا لا تهدأ، وأن قلوبنا لا تستقر، وأننا لا نخلد إلى السكينة، ولا ننام فى سرر الأمان ما دامت مصر تتألم، والمغرب العربى يئن تحت نير الاستعمار، وفلسطين المجاهدة تتناهبها الأطماع، وتنهشها الذئاب البشرية، ويعبث بها أرباب المصالح الأجنبية، وتراوغ فى حقوقها ثعالب الصهيونية.

أجل لن نهدأ ولن نقر عيناً والبلاد العربية مجروحة تتنزى ألماً، لأن الشعلة المتوقدة فى قلوبنا، والشجاعة الممتزجة بدمائنا، والاخلاص الثابت فى نفوسنا، والصرخة المدوية فى أعماق ضمائرنا — صرخة الحق، والعدالة، والحرية — كلها لا تزال فى توقدها، وقوتها الأولى.

كلها أسس حياتنا، ومقدسات فكرنا، ومثلنا العليا التى نؤمن بها إيماننا بديننا.

إننا — معشر الشباب العراقيين — لا نزال ثابتين على عقائدنا، حافظين لعهودنا، سائرين فى طريقنا القويمة وفق دستورنا العربى المقدس.

نحن لا نزال — كما عهدتنا — مؤمنين بحقنا الأسمى فى الحياة، ذابين بأرواحنا وبما تملك أيماننا، رافعين راية الجهاد ضد كل معتد أثيم.

الحق، والعدالة، والحرية، ومكارم الأخلاق، والعزة، والإخلاص مواد دستورنا الأولى.

مصر، والعراق، وسوريا، ولبنان، وفلسطين، والجزيرة العربية، وشمال أفريقيا، بلاد أمتنا الكريمة.

ولسنا من العرب فى شىء إن تخاذلنا فى نصر كل بقعة من بقاعها.

أقسم لك أيها الأستاذ الكريم أننا لا نزال كما عهدتنا نناصر كل بلد عربى؛ إننا نتألم لسوريا ولبنان فى محنتهما كما نتألم لمصر والسودان فى قضيتهما، وإننا نفزع إلى الجهاد فى سبيل فلسطين، كما نفزع إلى الذب عن المغرب الأقصى، المغرب العربى الكريم.

وشاعت فى هذه الأيام أن العراق يتوانى عن مساعدة مصر فى قضيتها. وتلك لعمرى سبة للعراقيين.

فالعراق لا يتوانى ولن يتوانى عن نصرة البلاد العربية لأنه يشعر شعوراً عميقاً بما يصنعه الاستعمار البريطانى. إن جروحه لم تندمل وإن صدى البارود لم يذهب عن أذنه، وإن طيف الثورة العراقية الكريمة منتصب أمام عينيه.

وما تلك التهم إلا دسيسة أجنبية تجد طريقها إلى عقول بعض السذج. إنها ألاعيب استعمارية تبث لتفريق الكلمة، وتشتيت الشمل، وشغل العقول.

إذا أردت أن تتأكد من صواب قولى؛ فلا تعتمد على ما تذيعه الصحف، وما تروجه الألسنة المغرضة، بل تعال معى إلى المحلات العامة، تعال معى إلى الشعب العراقى لنسأله: تعال إلى التلميذ فى مدرسته، والعامل فى معمله، والموظف فى دائرته، والفلاح فى حقله.

حول «أغنية السودان»

للأستاذ على متولى صلاح

نحمد لمحطة الإذاعة اختيارها – الفينة بعد الفينة – إحدى روائع شوقى الخالدات لتغنى على الناس فى مناسبة عابرة أو ظرف قائم أو لمقتضى حال يجب أن يقال فيه ما يطابقه.

وقد أحسنت الصنيع يوم اختارت قصيدته «نكبة دمشق» التى مطلعها «سلام من صبا بردى أرق»، وأحسنت الصنيع يوم اختارت قصيدته «ذكرى المولد» التى مطلعها «سلوا قلبى غداة سلا وتابا» ولو أنها أضافت إليها – توهما منها أن ذلك يجعلها أدنى إلى المناسبة القائمة وأكثر مطابقة لمقتضى الحال – ما كان منها كالرقعة الرخيصة فى الوشى الثمين، ولو لم تفعل لتمت المطابقة دون حاجة إلى هذا التكلف!

وأحسنت المحطة الصنيع أيضاً حين اختارت – فى الأسبوع المنصرم – قصيدته «شهيد الحق» التى مطلعها «إلام الخلف بينكما إلاما» التى قيلت بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم الزعيم مصطفى كامل، وأطلقت عليها اسم «أغنية السودان»! ...

ونحن نشكر للمحطة جاهدين أن تختار الشعر العالى، ونودّ لو أنها تتحلل يوماً بعد يوم من هذا الهذر والسخف الذى تنطق به حناجر بعض المغنين فيها، وأن تترك هذه الأغنيات الرخيصة السائمة التى تتسرب إلى نفوس الناس سماً وفساداً وانحلالا ... غير أننا ونحن بصدد الحديث عن اختيارها لقصيدة «شهيد الحق» نريد أن نبصرها بأمور كانت عسية أن تتجنبها، وليكون ذلك دستوراً لها إن أرادت حقاً أن يغنى بها شعر رفيع عال كهذا الذى تختاره من شعر شوقى، وإن ذلك لجدير – فى المستقبل – أن يعفيها من كل لوم، وأن يجنبها كل زلل، ويوقيها كل عثار.

١ – فنحن لانفهم أولا كيف تعدو المحطة على التاريخ الأدبى والتاريخ السياسى فتنحرف بالقصيدة عن الغرض الذى قيلت فيه وتخرجها عما إليه قصد منشئها، ثم تعدو بذلك على ذكرى غالية لزعيم وطنى من طراز قلّ أن يوجد بين الزعماء ؟؟ ثم تسميها عنوة واقتداراً «أغنية السودان» ومابها صلة بالسودان إلا أنه ذكر فيها مرة !! ولقد كان للمحطة معدى عن ذلك لو أنها تمهلت قليلاً فى الاختيار، أو وكلته إلى أهل الذكر فى الأدب الذين يعرفون قول الذى قال: –

قد عرفناك باختيارك إذ كا ... ن دليلا على اللبيب اختياره!

كان لها معدى عن ذلك باختيار شعر آخر أو قصيدة أخرى لشوقى، وله فى الوطنية شعر كثير، أو لحافظ وله قصائد متفرقة تفيض وطنية وحثاً على الاتحاد والائتلاف وتنديداً بالفرقة والاختلاف، ولكن محطة الإذاعة راقها مطلع القصيدة «إلام الخلف بينكمو إلاما» وملك عليها أمرها فلم تجد عنه منصرفا!

تعال إلى هؤلاء وانظر إلى ما يقولونه.

تعال لتسمع القصة من أفواههم، ولتلمس أفكارهم، وتسبر غور أنفسهم، ولتعلم بم يفكرون ؟.

إننى لأقسم لك إنهم يفكرون فى قضايا بلادهم، بلادهم بالمعنى الشامل الواسع، البلاد العربية: مصر، الشام، فلسطين، شمال أفريقيا.

وفى هذه الأيام يحل الوفد السودانى ضيفاً على العراق. فهل تعلم ما كان فى نفس كل عراقى ؟.

لقد كانت فى نفوسنا أحاديث قلبية نريد أن نبلغها.

لقد كانت قلوبنا تخفق، وشفاهنا ترتجف، وعيوننا تبتسم، ونفوسنا فى هزة من الشوق.

لقد كانت فى قلب كل عراقى كلمات يودّ أن يبلغها إلى الوفد السودانى الكريم قائلا: يا إخواننا فى وادى النيل إننا نؤيدكم من صميم قلوبنا، ونناصركم بأرواحنا، ونهتم بقضيتكم اهتمامنا بقضيتنا بل أكثر منها ... إن الجراح التى تحسونها فى بلادكم نشعر بها ونتألم لها ... إننا صوت واحد، صوت قلبىّ يصرخ فى وجه المعتدى الأثيم: تباً لك من وغد، هذه الأرض أرضنا نريق من أجلها دماءنا ... فلا تصدقوا ما يقوله عنا المستعمرون.

وفى النهاية نصرخ صرخة الشاعر العراقى:

أبشرى ياطلعة الوادى الأمين ... جاءك الأبطال بالنصر المبين

قد سمعنا عنك ما روعنا ... فأتيناك أسوداً لا تلين

بغداد **غائب طعمة فرمان**

على أننا لا نفهم كيف أسمتها قصيدة « السودان » وأغاب أبياتها التى غناها عبد الوهاب موجهة إلى « شهيد الحق » مصطفى كامل وكيف يوفق سامعوها بين عنوانها هذا وبين تلك الأبيات ؟؟

٢ — على أن المحطة وهى تريد الدعوة إلى الائتلاف والاتحاد أغفلت الأبيات التى تؤدى إلى ذلك وتدعو له فى القصيدة لأسباب يعلمها الله وحده ! وإلا فهل أدل على هذا الذى تهدف المحطة إليه من قول شوق : —

لقد صارت لكم حكما وغنما وكان شعارها الموت الزؤاما
وثقتم واتهمتم فى الليالى فلا ثقة أدمن ولا اتهاما

ومن قوله : —

وكانت مصر أول من أصبتم فلم تحص الجراح ولا الكلاما
إذا كان الرماة رماة سوء أحلوا غير مرماها السهاما
أبعد العروة الوثقى وصف كأنياب الغضنفر لن يراما
تباغيتم كأنكمو خلايا من السرطان لا تجد الضماما ؟

ومن قوله وقد يكون فيه دعوة واضحة صريحة إلى أن يكون الحكم فى أيدى الأحزاب جميعاً متحدين مؤتلفين : —

وأينا الأمر حزباً بعد حزب فلم نك مصلحين ولا كراما
جعلنا الحكم تولية وعزلا ولم نعد الجزاء والانتقاما
وسسنا الأمر حين خلا إلينا بأهواء النفوس فما استقاما !

ولكن لأمر ما أغفلت المحطة كل ذلك …

٣ — كان التلحين الذى غناها به محمد عبد الوهاب بعيداً غاية البعد عن المعنى المنشود ، لقد كان هذا اللحن أبعد شىء عن معانى الوطنية والاستنهاض والدعوة السريعة العاجلة إلى الاتحاد والتهكم اللاذع — بالموسيقى اللاذعة — بهذا الاختلاف وتلك الفرقة ، والمناداة العالية برأب الصدع ، واللهفة الحارة إلى جمع الشمل … ما أحسست والله وأنا أسمعها إلا بأنين وحشرجة وخفوت ونوم واحتضار !!

فرفقاً بالأدب العالى والموسيقى العالية يا محطة الإذاعة .

علي متولي صلاح

الأدب في سير أعلامه :

٨ - تولستوى

[فذ من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

بين العبث والندم

لن يصبر الفتى على المقام طويلا بسنايا ، فان المدينتين : موسكو وبطرسبرج ما تزالان تدعوانه إلى مفاتنهما وزينتهما ، وما إن يأخذ الفتى حظه من اللهو فى إحداهما أو فى كلتيهما حتى ينطلق إلى ياسنايا يطلب الهدوء ويأمل فى التوبة ، ويرجو أن يتفرغ لشؤون ضياعه ، وعلى هذه الحال قضى الفتى ثلاث سنوات يلق به طول عبثه إلى النـدم ، ويؤدى به سأمه من ندمه إلى ما كان فيه من عبث ؛ وكان فى حاليه يمثل حياتى أخويه . فاذا أمعن فى عبثه ومجونه وعدم اكترائه لشىء مثل حياة سيرجى ، وإذا ندم وتقشف وزهد فى الحياة الدنيا وزينتها عاش عيشة ديمترى

ولم يقف عبثه عند حد فى العاصمتين ؛ فهو فى ليله يسرف فى الميسر ويغشى أمكنة اللهو وينتقل بين «صالونات» الارستوقراط وأماكن الغجريات المغنيات ، يقضى أرب مشاعره من الجمال والبهجـة ، وغاية بدنه من الفسوق والرجس ، وهو فى نهاره يستمتع بالصيد أو بركوب الصافنات الجياد . أو يملأ فراغه بلعب الورق أوالشطرنج أو بكتابة ما يداخله من ندم فى دفتر يومياته ، أو باللعب ساعة على البيان ، وهو فى ليله وفى نهاره يشرب الخمر ويصيب ما يلذه من طعام فى أشهر مطاعم المدينة وأغلاها ثمناً . يفعل ذلك فى رفقة من صحابته يعبثون ويلهون كما يعبث ويلهو ، ويفوزون منه بما ينفق عليهم من ماله ...

ويحاول أحياناً أن يصنع ما نصحت به عمته تاتيانا إليه ، وذلك أن يرتبط بفتاة ذات خلق وكرم محتد ، فيدور بعينيه فى سهرات الأرستقراط يطالع وجه الأوانس ، ويخفق قلبه لهذه أو لتلك ، ولكنه لا يلبث حتى ينطلق تحت ستار الظلمة إلى حيث يلقى بنفسه بين ذراعى إحدى الغجريات !

ويحلم تارة أحلام الزواج فيهفو قلبه إلى الآنسات فى صحبة أمهاتهن وقد تبرجن وأبدين زينتهن ، ويتظرف فى حديثه ويظهر أكثر ما يستطيع من مظاهر الارستقراطية والنبل ، ولكنه سرعان ما ينصرف عن هذا إلى مايوسوس به الشيطان من فجور وإثم يطفىء به ضرام بدنه القوى الذى ما يزال يلتهب من شهوة

ويعود إليه تارة تخيله أنه محب وأنه أسير هوى غادة عرفها فى موسكو هى الأميرة شرباتوف ، وإن كانت هذه الغادة لتجهل كل الجهل ما تحدثه به نفسه من حب ، ولا تفطن إلى ما يخيل إليه أنها بعثته فى نفسه من عاطفة ...

وكذلك تساوره أحياناً رغبته فى الكمال ، تلك الرغبة التى تسلطت عليه زمناً فى قازان ، ولكن الكمال هنا يتخذ منحنى جديداً غير منحنى الثقافة والمعرفة ؛ فهو يريد اليوم أن يكون رجل مجتمعات ، يشار إليه فى المنتديات والصالونات ، ويريد أن يكون حديث مجالس ينصت إليه ذوو المكانة ويصفونه بأحسن أوصافهم من النبل والتهذيب والظرف واللباقة ؛ ولكنه لا يستقر على هذا الاتجاه ، وما هى إلا أن توسوس له أقل المغريات حتى يعود إلى مجونه وجنونه ، ليعب منهما ما يشاء له شبابه ثم يعمد إلى دفتره فيثبت فيه ما يخالجه من ندم ومن تأنيب منه لنفسه ؛ وهكذا يحيا الفتى فى المدينتين حياة لا تختلف عن حياته فى قازان إلا بما يكون من إفراط فى اللهو وإسراف فى المال .

ولن يزال الفتى كالفراش الهائم يطير من زهرة إلى زهرة ، ومن ثمرة إلى ثمرة ، أو يقع على اللهب ليرتد عنه ثم يجذبه الضوء فينجذب إليه ، ولا يجد مايبثه خلجات شعوره ونوازع وجدانه إلا دفتر يومياته ؛ كتب فى هذا الدفتر سنة ١٨٥٠ يقول وقد كان فى موسكو « إن هذه ثالث سنة لى أقضى شتاءها فى موسكو دون أن أكون فى منصب ما ؛ هنا حيث أقضى حياة سخيفة لا غناء فيها ، حياة فارغة لا تهدف إلى غرض ؛ ولم أحى هذه الحياة لأن كل امرىء فى موسكو يفعل مثلما أفعل ، ولكن لأن مثل هذه الحياة هيأت لى أسباب المسرة » .

وبلغت حاله من السوء فى أواخر تلك السنة بما أسرف على نفسه فى الميسر أن أصبح يطلب القليل من المال فلا يكاد يجده

ولذلك فكر فى أن يشغل منصباً يرتزق من وظيفته ، واتجه إلى منصب مدير البريد فى مدينة تولا ؛ ولـكنه لم يجد من ذوى النفوذ من أقربائه من أعانه على تحقيق هذا المطلب ، كما لم يجد فى نفسه القدرة على أن يعمل عمل الموظفين فانصرف عن هذا المتجه ...

ولـكن ماذا عسى أن يصنع وقد اشتدت به الحاجة إلى المال وفدحته أعباء الدين ؟... يا عجباً ! إنه يريد أن يحذق لعب الورق ليكسب المال من الميسر ، عسى أن يعوض شيئاً مما خسره فيما سلف من لعبه ، ولـكنه ما لبث أن رأى أن الميسر ما كان وسيلة لـكسب المال وإنما هو كما عرف من قبل وسيلة لاتلافه ؛ ثم إن الفتى يضيق بحياته هذه حتى مايطيق صبراً فيفد إلى ياسنايابوليانا

ويقضى الفتى فى ضيعته بضعة أشهر لا يكدر عليه صفوه ولا يقطع هدوءه إلا إلحاح عاطفته الحيوانية عليه وظمأ بدنه ذلك الظمأ الذى لايفتر ؛ ولـكنه يغالب تلك العاطفة بكل ما فى طوقه من عزم ، ويصبر على ذلك الظمأ ما وسعه الصبر ؛ ثم لا يلبث حتى يجد نفسه وقد غلب على أمره فعاد أكثر ممـا كان نهماً وطمعاً . والحق أنه كان يعانى كثيراً من الضيق من جراء فشله كلما فشل فى مغالبة هـذه العاطفة ؛ أشار إلى ذلك مرة لأحد مترجمى حياته بعد أن تقدم به العمر فذكر أنه ما من شيء كان أشق على نفسه من محاولته قهر هذه العادة التى تسلطت عليه فلم يقو على دفعها ؛ ولقد كان يتأثم منها ويندم أشد الندم كلما منى بفشل جديد ، تجد ذلك فى مثل قوله سنة ١٨٥٠ « إنى أعيش عيشة بهيمية ، ولقد هجرت كل ما عسى أن يشغلنى من عمل ؛ وإن ذلك ليكدر روحى كدراً شديداً » .

ولا يكاد الفتى يجمع من المال قدراً حتى يعود إلى موسكو فى شهر مارس سنة ١٨٥١ ؛ وفى نفسه هذه المرة أن يبتعد عن كل مايشين لأنه اليوم يريد أن يصل إلى مكانة مرموقة فى المجتمع وأن يشغل منصباً ذا خطر وأن يتزوج من ذات ثراء ومحتد ...

وراح يغشى أوساط الارستقراط يشهد الحفلات والولائم ، يهمه أن يتعرف إلى العلية وذوى المكانة والنفوذ ؛ إذا جلس فى حلقة أخذ بقسط موفور من الجدل والحديث ، وحاول ما استطاع أن يكون هو الذى يدير الكلام ويصرف وجوهه ، وحرص على أن تـكون آراؤه مثيرة للدهشة أو للانتباه أو للمعارضة ، واجتهد أن يبرز أقصى ما لديه من علم فيما يتشقق إليه الحديث من مسائل فيفيض ويشرح وجهة نظره ويسرد الأمثلة ويبسط الحجج فى لهجة التمكن القادر .

وعادت تطوف برأسه أحلام الزواج ؛ وعاد يتذكر ما تمنته له عمته تاتيانا ؛ فقد كان أجمل ما تمنته له فى رأيها أن يتزوج بفتاة عظيمة الثروة وأن يمتلك من رقيق الزراع أكثر ما يستطاع أن يمتلك ؛ ولـكنه يرى أن مثل هذا الرباط لن يكون إلا بالحب ، وهذا ما لا يحس أنه انتهى فيه إلى رأى ...

وكان لا يزال يطمع أن يعينه بعض ذوى النفوذ والجاه من أقربائه أو أصدقائه على أن يظفر بمنصب من مناصب الدولة ينعم فيه بالمال والجاه ، ولـكنه لم يصل من ذلك إلى كل ما يريد ..

وكان قد صمم عند مجيئه إلى موسكو ألا يقرب الميسر وقد أوصته عمته أن يتحرر من هذه العادة المتلفة المال الموبقة للروح ؛ ونفذ الفتى أول الأمر ما عقد عزمه عليه وابتعد عن الميسر كل الابتعاد كأنه أمر ينفر منه بطبعه ؛ ولـكن ما كان أعجب عودته إليه بعد قليل بأمل من جديد أن يجد فيه مخرجاً مما هو فيه من عسر ؛ ولعب ما وسعه اللعب وخسر خسارة كبيرة ، ولـكن الخسارة لم تزده إلا إسرافاً فى اللعب وعدم اكتراث لمـا يكون للعب من عاقبة حلوة كانت أو مرة قاسية المرارة ؛ ولقد بلغ به الأمر أن رهن ساعته يوماً ليدفع ثمن معطف ذى فراء أراد أن يدخل على روحه بعض البهجة بلبسه والتنبل به وإن صفرت من المال يده ...

وضاق صدره بحياته على هذه الصورة وعزا هذا الاضطراب إلى ضعف عزيمته . كتب فى دفتره يقول « إنى ألاحظ أن أهم عاطفتين تتسلطان علىَّ هما الميل إلى اللعب ثم الغرور » ؛ وراح يتهم نفسه كل يوم فى دفتره ويندم ماوسعه الندم ؛ وجعل لـكل يوم من أيام الأسبوع فى دفتر آخر فضائل يؤديها وأخذ يشير بعلامة إلى ما قصر فى أدائه حتى لا يعود إلى التقصير فى مثل ذلك اليوم من الأسبوع التالى ؛ ثم لاذ الفتى بالدين فزهد الحياة أياماً فصام وصلى وألف دعاء يدعو به الله ليخرجه مما هو فيه ...

ولحت للفتى بارقة أمل ؛ لم لا يجعل الأدب حرفة له ؟ ألم تكن

عمته تاتيانا على حق حين قالت له ذات يوم « إنى أعجب ياعزيزى ليو كيف لا تكتب رواية ولك مثل ما لك من خيال ؟ » .

وكان الفتى يقرأ القصص أكثر ما يقرأ ، ولم ينقطع عن القراءة مهما شغلته الشواغل أو ملأ حياته اللهو ، ولا يزال إعجابه بروسو عظيما ، وكذلك لا يزال يحمل لدكنز منزلة عظيمة فى نفسه ؛ أما الكتاب الروس فقد كان يقبل منهم على بوشكين وجوجول إقبالا شديداً ، وكان لثانيهما تأثير قوى فى خياله وعقله؛ وبدأ يلتمع اسم ترجنيف وكان أكبر من تولستوى بعشر سنوات ، وقد نشر أول كتبه سنة ١٨٤٧ وهو مذكرات رجل صيد ، وكان لهذا الكتاب كذلك تأثير عميق فى خيال ليو ووجدانه ، وبخاصة ما أظهره مؤلفه فى فنه القوى المحكم من حياة رقيق الأرض ... وقرأ الفتى لغير هؤلاء الكتاب كتب شلر وكتب ستيرن وغيرهما من فحول القصة والشعر .

وتصادف أن كانت قصة دكنز العظيمة دافيد كوبرفيلد تنشر يومئذ تباعا فى إحدى المجلات فأحدثت فى نفسه أثراً لم تحدث مثله قصة غيرها وظلت لها فى نفسه المكانة الأولى حتى آخر حياته

وماذا عسى أن يكتب الفتى ؟ ذلك ماحيره أول الأمر حيرة شديدة ؛ أيصف حياة الفجر كما فعل بوشكين وإنه اليوم بهم عليم ؟ أيكتب قصة عمته تاتيانا ؟ لا إنه لا يميل إلى هذه ولا إلى تلك فماذا يكتب ؟ ليصف زيارته بالأمس لتلك الأميرة شيرباتوف التى ظن أنه يحبها ؛ وأقبل الفتى فوصف هذه الزيارة ، ولقد نشرت هذه القصة الصغيرة حديثاً بعد أن عثر عليها ورأى الناس أول عمل أدبى لنابغة كتاب القصة فى القرن التاسع عشر فاذا بهذه الباكورة تنطق بكثير من دلائل عبقريته ...

ويقول ليو فى دفتره « إن الوصف ليس كل شىء .. كيف ينقل المرء إلى القارئ شعوره ؟ » . قال ذلك لأنه كان قد اعتزم أن يجعل الوصف غايته من الكتابة فيصف كل ماتقع عليه عيناه ثم بدا له وكان أثر دافيد كوبرفيلد قوياً فى نفسه أن يكتب أيام طفولته ، وانكب على الكتابة كل صباح من الساعة الخامسة حتى الحادية عشرة حتى أتم باكورة آثاره التى كتب لها الخلود .

ولكن حياة اللهو وأسفاه تعود فتصرفه عن هذا الجد . فيقبل على لذاذاته ويسرف من جديد فى مجونه وعبثه ، ثم لا يجد آخر الأمر خيراً من أن يلوذ بضيعته من هذه الحياة التى سئمها وسئم نفسه بسببها فيعود إلى ياسنايا فى صيف عام ١٨٥١ ولم يتزوج من ذات ثراء ولم يظفر بمكانة فى المجتمع ولا بمنصب خطير من مناصب الدولة ، ولم يتحرر من الميسر ولا مما يوهن عزمه من نوازع بدنه القوى الذى لا تهدأ حيوانيته ...

وأقام فى القرية أياماً يخالجه شعور الندم على ما كان من عبثه الذى أسرف فيه على نفسه وشعور الحسرة على ما آلت إليه حاله من عسر ومن دين ، وينظر اليوم إلى هؤلاء الرقيق الزراع الذين أراد إصلاحهم بالأمس فيؤلمه أنه انقلب اليوم مبدداً لما تنتجه أيديهم من خير ؛ فلا هو أصلحهم ولا أفاد من كدهم إلا ذلك المال الذى يذهب هباء فى الميسر والترف والغرور والفسوق .

وينقاد إلى جموح بدنه فى القرية كما كان يفعل فى المدينة ، لا يهدأ هذا البدن ولا ينطفئ لهبه ؛ ولكنه يشعر باشمئزاز شديد ذات ليلة إثر فعلة من فعلات الشباب فعلها تحت جنح الظلام ، وكأنما استيقظت فى نفسه مشاعر جديدة فى تلك اللحظة جملته ينكر هذا الذى فعل إنكاراً شديداً كان أكثر قيمة من ذلك الندم الذى كان يخالجه كل مرة ثم لا يلبث أن يموت .

كره الفتى حياته كرهاً شديداً ، وضاق بالمقام فى ياسنايا وفى موسكو وفى بطرسبرج ، وماله غير الرحيل شفاء لنفسه ومنجاة لروحه ، فليرحل إلى حيث لا يجد شيئاً يذكره بالذى كرهه أشد الكره وأنكره كل الإنكار من مواطن مجونه وعبثه وفراغ حياته .

(يتبع) **الخفيف**

محاضرات فى التفسير

للأستاذ على العمارى

تحتفل قاعة المحاضرات بدار الحكمة فى يوم الأربعاء من كل أسبوع بنخبة ممتازة من رجال العلم والأدب فى القاهرة يستمعون إلى أحاديث فى تفسير القرآن الكريم يلقيها طائفة من العلماء الأعلام ، سمعنا منهم إلى الآن فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت عضو هيئة كبار العلماء وفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور عبد الوهاب عزام بك والأستاذ عبد الوهاب حمودة ، ومع أنهم أسمعونا الطيب المعجب ، وطالعونا بأساليب جديدة فى تأويل الآيات وفهمها وتفهيمها ، ومع أننا نحب أن نسمعهم كثيراً إلا أننا مع ذلك نحب أن نسمع غيرهم من كبار المشتغلين بدراسة القرآن الكريم ، فاننا اليوم فى حاجة إلى الإطلاع على أكثر من أسلوب فى هذا التفسير خصوصا وقد زاد تنبه الأذهان إلى ضرورة وضع تفسير جديد سهل المأخذ قريب التناول خاليا من تلك الأساطير التى ملأ بها المفسرون كتبهم ، وليس القول فى قلة جدوى هذه التفاسير ، وعدم غنائها من مواليد هذا العصر ولكنه قديم ، فقد أنحى بعض العلماء الفضلاء عليها باللائمة ، ومن هؤلاء إمام البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجانى فقد قال فى كتابه دلائل الإعجاز « ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن توهموا أبداً فى الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل أنها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف ، وناهيك بهم إذا هم أخذوا فى ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون فى غير طائل . هناك ترى ماشئت من باب جهل قد فتحوه، وزند ضلالة قد قدحوا به. ونسأل الله تعالى العصمة والتوفيق »

ونحن اليوم أكثر معرفة بهذه الأبواب المفتوحة من الجهل فى بعض التفاسير ، وأشد حاجة إلى أسس جديدة صحيحة غير هذه الأسس القديمة ، وهذه المحاضرات تبشر ببداية حسنة ، ففيها من دقة الفهم ، وجمال العرض والبعد عن الفضول ما يجعلنا نؤمل أن تكون خطوة أولى فى سبيل وضع هذا التفسير المرتقب ، وياحبذا لو قام المشرفون على تنظيم هذه المحاضرات بطبعها حتى تذيع وتنتشر ويعم بها النفع .

وقد استمعت فى آخر مرة إلى فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف يفسر الآيات الأولى من سورة آل عمران ، وقد أعجبت به إعجابا ملأ نفسى ، غير أنى كنت أود أن أناقشه فى بعض ما عرض له ، وقد لقيته بعد المحاضرة فاعتذر بأنه متعب فرأيت عرضها على صفحات الرسالة الغراء ، ذكر الأستاذ — كغيره — أن القرآن اشتمل على كثير من السنن الكونية ، ولست أريد أن أخالف عليه فى هذا ، وأن أعيد ما قاله جماعة من كبار العلماء وفندوا به هذه النظرة إلى القرآن فلكل وجهة ، لكن الذى أريد أن أخالفه فيه أنه تحدث عن دوران الأرض وقال إن القرآن صريح فى الدلالة على هذه الحركة وذكر قوله تعالى « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون » وربما تعجب معى كيف ذهب على المحاضر — وهو رجل فاضل — موضع هذه الآية من القرآن ، ولكن هذا يدلنا أكبر الدلالة على استيلاء النقص على جملة البشر ، والعرب يقولون فى أمثالهم « قد يكبو الجواد »

هذه الآية فى سورة النمل تصور حالة من أحوال يوم القيامة « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش »(١) وكما قال تعالى فى سورة الكهف « ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً » جاءت هذه الآية فى هذا السياق « ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، وكل أتوه داخرين ، وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون » فليس بخاف أن الآية تذكر حالة من أحوال ذلك اليوم وليس فيها أية إشارة إلى حال الجبال فى الدنيا وقد بدا لبعض من ناقشته فى هذا الأمر أن قول الله تعالى « صنع الله الذى أتقن كل شىء » فيه دليل على أن هذه الرؤية مما يكون فى الدنيا وإليه ماقاله الإمام الزمخشرى فى تفسيره الكشاف « صنع الله . يريد به الإثابة والمعاقبة ، وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التى أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال « الذى أتقن كل شىء » يعنى أن مقابلته الحسنة بالثواب ، والسيئة بالعقاب من جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها ، وإجرائه لها على قضايا الحكمة إنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك »

على العمارى

(١) سورة القارعة .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٠٢ – مناظرة بين عالمين

سأل الإمام أبو الحسن الأشعري شيخ السنة الإمام أبا على الجُبّائى رئيس المعتزلة عن ثلاثة إخوة ، أحدهم كان مؤمناً براً تقياً ، والثانى كان كافراً فاسقاً شقياً ، والثالث كان صغيراً ، فماتوا فكيف حالهم ؟

فقال الجبائى : أما الزاهد ففى الدرجات ، وأما الكافر ففى الدركات ، وأما الصغير فمن أهل السلامة .

فقال الأشعرى : إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له ؟

فقال الجبائى : لا ، لأنه يقال له : إن أخاك إنما قد وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات .

قال الأشعرى : فإن قال ذلك الصغير : التقصير ليس منى فإنك ما أبقيتنى ولا أقدرتنى على الطاعة .

فقال الجبائى : يقول البارى (جل وعلا) كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت ، وصرت مستحقاً للعذاب الأليم فراعيت مصلحتك .

فقال الأشعرى : فلو قال الأخ الكافر : يا إله العالمين ، كما علمت حاله فقد علمت حالى فلم راعيت مصلحته دونى ؟

فقال الجبائى للأشعرى : إنك مجنون .

فقال : لا ، بل وقف حمار الشيخ فى العقبة ! وانقطع الجبائى [1] .

(١) أورد ابن خلكان فى كتابه (وفيات الأعيان) هذه المناظرة ثم قال :

وجملة المناظرة دالة على أن الله تعالى خص من شاء برحمته ، وخص آخر بعذابه وأن أفعاله غير معللة بشيء من الأغراض .

٩٠٣ – أمريكا ...

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى :

قال شيخنا فريد الدهر أبو الثناء محمود بن أبى القاسم الأصفهانى أمتع الله به : لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا منكشفاً من الجهة الأخرى . وإذا لم أمنع أن يكون منكشفاً من تلك الجهة لا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا أو من أنواع وأجناس أخرى .

***

مفاتيح الغيب للرازى فى تفسير (الرحمن على العرش استوى) من رده على أصحاب الجهة :

إن العالم كرة ، فالجهة التى هى فوق بالنسبة إلينا هى تحت بالنسبة إلى ساكنى ذلك الجانب الآخر من الأرض ، وبالعكس ، فلو كان المعبود مختصاً بجهة فتلك الجهة ، وإن كانت فوقاً لبعض الناس لكنها تحت لبعض آخرين ، وباتفاق العقلاء لا يجوز أن يقال المعبود تحت جميع الأشياء .

***

شرح النهج لابن أبى الحديد :

وهى (الأرض) كرية الشكل [1] فمن على حدبة الكرة لا يرى من تحته ، ومن تحته لا يراه ، ومن على أحد جانبيها لا يرى من على الجانب الآخر ، والله تعالى يدرك ذلك كله ، ولا يحجب عنه شىء منها بشىء .

٩٠٤ – قدرى ومثبت فى الجاهلية

الأغانى : سِماك بن حرب قال لى يحيى بن متى راوية الأعشى وكان نصرانياً عِبادياً وكان معمراً : كان الأعشى قدرياً ، وكان لبيد مثبتاً ، قال لبيد :

(١) الكشاف (الذى جعل لكم الأرض فراشا) : قرأ يزيد الشامى بساطا وقرأ طلحة مهادا ، ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس أنهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه وبساطه ومهاده ، فان قلت : هل فيه دليل على أن الأرض مسطحة وليست بكرية ؟ قلت : ليس فيه إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش ، وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر لا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها وإذا كان متسهلا فى الجبل ، وهو وتد من أوتاد الأرض فهو فى الأرض ذات الطول والعرض أسهل .

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ، ومن شاء أضل

وقال الأعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل (م) وولى الملامة الرجلا

قلت : فمن أين أخذ الأعشى مذهبه ؟ قال : من قبل العباديين نصارى الحيرة ، كان يأتيهم يشترى منهم الخمر فلقنوه ذلك .

٩٠٥ — شعبانية

الشريشى فى شرح المقامات : حكى الفقيه أبو الحسن أن أباه حدثه أن الأديب أبا الطاهر بن أبى ركب حضر عنده بسبتة بقرية شنان فى نزهة شعبان لاستقبال رمضان ، فأكل من حضر ضروباً من الأطعمة والألوان ، فقال أبو الطاهر (رحمه الله تعالى) لأبى عبد الله بن زرقون : أجز :

حمدت لشعبان المبارك شبعة تسهل عنى الجوع فى رمضان

فقال أبو عبد الله (رحمه الله تعالى) :

كما حمد الصب المتيم زورة أطاق لها الهجران طول زمان

فقال أبو الطاهر :

دعوها بشعبانية فلو أنهم دعوها بشعبانية لكفانى

٩٠٦ — أردت أن أكنسه من القصيدة . . .

ثمرات الأوراق فيما طاب من نوادر الأدب وراق لابن حجة الحموى : قال ابن سناء الملك من أبيات :

صليني وهذا الحسن باق فربما يعزل بيت الحسن منه ويكنس

فوقف القاضى الفاضل (رحمه الله) على هذه القصيدة ، وكتب إلى ابن سناء الملك من جملة فصل :

... والقصيدة فائقة فى حسنها بديعة فى فنها ولكن (بيت يعزل ويكنس) أردت أن أكنسه من القصيدة ، فإن لفظة الكنس غير لائقة بمكانها .

فأجاب ابن سناء الملك قائلاً : قد علم المملوك ما نبه عليه مولانا من أمر البيت الذى أراد أن يكنسه من القصيدة . وقد كان المملوك مشغوفاً بهذا البيت مستحلياً له معجباً به معتقداً أن قافيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه ، وما أوقعه فى الكنس إلا ابن المعتز . والمولى يعلم أن المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر ... وحبك الشىء يعمى ويصم فقد أعماه حبه وأصمه إلى أن نظم تلك اللفظة فى تلك الأبيات تقليداً لابن المعتز ...

فأجابه (القاضى الفاضل) بقوله ... ولا حجة فى احتجاجه بابن المعتز عن الكنس فى بيته فإنه غير معصوم من الغلط ، ولا يقلد إلا فى الصواب فقط ... وقد تعصب القاضى السعيد (يعنى ابن سناء الملك) على أبى تمام فنقصه حظه ، وأما البحترى فأعطاه أكثر من حقه .

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى فؤادى ولكن للعتاب مواضع

رحيل ..!

للاستاذ حسين محمود البشبيشي

ودّعيني قبلما يدنو رحيلي   بلقاء يغمر القلب حنانا
ودعي البسمة في الثغر الجميل   تملأ الروح صفاء وأمانا
ودعيني قبلما يذبل زهري
فغداً يشرد في الصحراء عطري
يسأل الأيام عن إلهام شعري
إن إلهاميَ في الثغر الجميل
عند إشراقك في يوم رحيلي

ودعيني قبلما أغدو غريباً   عن مني قلبي وأشقى باحتراق
لحظة تبصر عيناي الحبيبا   هي نوري في دياجير الفراق
كلما فاض بي الشوق لثغرك
وصفاء الذهب الحلو بشعرك
وسجود القلب في محراب ظهرك
أتملى في ثناياها الحبيبا
سلوة تسعد في البعد الغريبا

ودعيني آن يا قلبي وداعي   ودنت ساعة يأسي وفنائي
ودعيني، آه من نار التياعي   عندما تصرخ أصداء التنائي
عن قريب منذرات بارتحالي
أنا أخشاها فيا سوء المآل
لو دنت منيَ أشباح الزوال
قبلما تهدأ نيران التياعي
بلقاء منك من قبل الوداع

سوف أمضي ذاهلا يوم الرحيل   وسنا عينيك يسري في ضميري
كاشفاً بالنور والحب سبيلي   كلما أظلم في عيني مصيري
لحظات منك من قبل البعاد
هي خلدي، هي هدى، هي زادي
في صباح الشوق أو ليل السهاد
فتعالي قبلما يدنو رحيلي
بسنا عينيك والثغر الجميل

ودعيني واسكبي الصبر بقلبي   علني أستطيع صبراً في البعاد
وعسى يهدأ في الأعماق حبي   بالذي يلقاه من صفو الوداد
عند توديعك لي يوم الفراق
وارتواء القلب من خمر التلاق
قبلما تكويه نيران اشتياقي
للمنى والسعد من أيام حبي
فتعالي ودعي روحي وقلبي
ودعيني ، ودعيني ، ودعيني

حديث المدفع ..!

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

[إذا عبرت (وادي شعيب) وأنت في الطريق من القدس إلى عمان ، عاصمة شرق الأردن ، رأيت هناك مدفعاً مطرحاً في سفح جبل ، وهو من بقايا الحرب العظمى الأولى . ويذكر الذين أدركوا تلك الحرب العجب العاجب من بطش هذا المدفع وتحديه إلى أن ضرب الضربة القاضية ...]

عجبت له من أبكم كيف ينطق   بأعجب ما يجلو بيان ومنطق
ويروي عن التاريخ وهو مطرَّح   (بوادي شعيب) عبرة ليس تخلق
وقفت به أصغي ، وبي لحديثه   وما فيه من هول وزول تشوق
يقول : لقد كانت قناتيَ صلبة   ولي خلق صعب الشكيمة ضيق
أرود شماريخ الجبال ومعقلي   منيع ، على هام السحاب محلق
وبي تتذرى من بني الحرب عصبة   إذا رزدق منها وني هب رزدق
ونازعني عجب الدل بحوله   فكنت أخا حمق يطيش ويحرق
أفح فحيح الصل أشرع نابه   وفي فيه ما يؤذي النفوس ويرهق
وأرسل من زرق المنايا على الورى   بهول مبيد ، ليس فيه ترفق
ولم أدر أن الدهر أزمع ضربة   تريني بأن الدهر أضرى وأزرق
رماني بها صماء ، فانهدَّ كاهلي
ورحت لقًى، والنفس تردَى وتزهَق
تلفت حولي ، لا رجالي هم هم   ولا حلاتي في الشدائد تصدق
ولم تغن عني في المعامع صولتي   ولم يجدني جيش، ولم يحم خندق
وعُلّمت كيف البغي يودي بأهله   على مهلك يردي البغاة ويسحق
وما انفك يرويها لناد ورائح   عظات، تلقاها النفوس فتشفق
وكم عبرة للظالمين ... وإنما   تنكب عنها الظالمون وأعنقوا

الأدب والفن في أسبوع

ساعة مع الأستاذ وديع البستانى :

كانت ساعة طيبة حافلة قضيتها مع الأستاذ الشاعر وديع البستانى ، وكان الأستـاذ قد طار منذ قريب إلى لندن فى مهمة سياسية عربية ، فاغتنمها فرصة للبحث عن أصول الأدب الهندى القديم فى مكتبة المتحف البريطانى ومراجعة الملاحم الهنـدية العريقة التى عكف على نقلها إلى اللغة العربية سنوات طويلة ، وقد أشرنا إلى خبر هذا فى عددين سابقين من « الرسالة » وبعد أن أنجز الأستاذ مهمته وأخذ طريق العودة إلى وطنه (حيفا) ، آثر النزول فى مصر لقضاء فترة من الوقت ، وقد زرته حيث ينزل بفندق الكونتنتال فى أمسية من أمسيات الأسبوع المـاضى فتلقانى بالبرور وجلس يُفيض على من زاخر علمه ويحدثنى عن آثار جهده فى نقل أصول الأدب الهندى وما وقف عليه فى ذلك من التحقيقات ، فـكان حديثاً عامراً قيدت منه بعض الشوارد المفيدة والشواهد النافعة ...

الحمى .. الحرام :

... سألت الأستاذ عن هذه الملاحم الهندية التى عنى بنقلها وعكف على ترجمتها ، فوضع بين يدىّ حزمة ضخمة من المجلدات والطوامير وقال هذه هى الآثار المقدسة . وإذا قلت المقدسة فإنى أعنى أنها ظلت طوال العصر القديم كالحمى الحرام لا يفتح بابه لـكل طارق ولا يباح عبوره لـكل سالك ، إذ كان البراهمة يحيطون كتب الحـكمة القديمة المعروفة باسم « الفيدا » وملحمتى الرامايانا والمهابهاراتا بسياج من التقديس ، فكان البراهمة لا يبيحون الاطلاع عليها إلا لأبناء الطبقات الممتازة ، أما العامة من العمال وغيرهم فـكانوا يحللون قتل الشخص منهم إذا اختلط نَـفَسه ولو بمصادفة بنَـفَس من يتلو آية من كتب الحـكمة أو يردد بيتاً من الرامايانا والمهابهاراتا ، ولما قام حاكم الهند فى عام ١٧٨٤ بترجمة نشيد السماء ونشيد المعلم (كريشنا) إلى اللغة الإنجليزية نثراً وضع لذلك النشيد مقدمة افتخر فيها بأنه كان أول من أتاح له البراهمة ترجمة هذا النشيد . والحق أن هذا النشيد — وعدد أبياته فى اللغة الهندية القديمة نحو سبعمائة بيت — هو أول ما نقل من الأدب الهندى القديم إلى لغة أخرى ، ومن بعد ذلك توافرت جهود الباحثين فى نقل الملاحم الهندية ، فقد نقلت الرامايانا كاملة إلى اللغة الفرنسية كما ترجمت إلى الإيطالية بقلم أديب إيطالى تحت رعاية أحد الملوك الإيطاليين . ولها ترجمات عديدة فى الألمـانية والإنجليزية واللغات الأوروبية الأخرى ، وحين أقول الرامايانا فإنى أقصد رامايانا فالميكى التى نظمت بالسنسكريتية وذلك تمييزاً لها عن ملحمة أخرى لنفس القصة وضعت منذ ثلاثة قرون بلغة أخرى من لغات الهند ، وقد بلغنى أن الأديب المسلم المظيم الدكتور عبد الحق رئيس جمعية ترق الأدب الأوردى آخذ فى ترجمة رامايانا فالميكى إلى اللغة الأوردية وهى من أشهر اللغات الحية فى الهند اليوم . وأحب أن أقول لك إنى اطلعت على هذه الرامايانا الحديثة مترجمة إلى الإنجليزية ، فوجدتها قد نقلت فى لغة رديئة وتروى قصصا تطنب فى ذكر راما البطل المعبود ، وقد علمت أخيراً أن هذه الرامايانا أخرجت فى السينما وتكلف إخراجها نحو ٢٧ ألف جنيه ولـكنها فى مدى سنة حصلت للشركة التى تولت إخراجها ٢٤٠ ألف جنيه ربحاً .

فتح جديد فى علم الفيلولوجى :

قال الأستاذ : ولقد أدى نقل الملاحم الهندية القديمة إلى اللغات الأوربية إلى فتح باب جديد للبحث فى فقه اللغة « الفيلولوجيا » وإن من نظر الآن فى قاموس كامل للغـة الانجليزية يدهشه ما يرى من كثرة المفردات الانجليزية التى ترجع إلى أصل سنسكريتى ، وسيكون لنقل هذه الآثار إلى اللغة العربية نفس الأثر ؛ فقد ثبت لى ثبوت اليقين أن هناك تشابها كثيراً بين المفردات فى اللغة العربية واللغة السنسكريتية ، فـكلمة « الفيدا » مثلا — أى كتب الحـكمة — لا تخلو من صلة بكلمة الفائدة وكلمتى دين وديانة ، واسمى « البستانى » يرجع إلى أصل سنسكريتى فقـد وردت كلمة « بستان » فى شعر جرير الخطفى ، وهى فى

الأصل مؤلفة من كلمة « بو » و « ستان » ، وأصل « بو » فى اللغة البهلوية — أى الفارسية القديمة — بول ، ومنها الكلمة العربية « فول » وهو البقل المعروف الذى إذا زرع منه حقل كان أبهى ما يكون منظراً وأطيب ما يكون رائحة زهره الجميل. ومن كلمة « بول » أخذ إسم الزهرة فى الفرنسية والانجليزية ، والمعنى الجامع فى هذا كله : الرائحة الطيبة . وأما كلمة « ستان » فهى أصل لمئات الكلمات فى اللغات اللاتينية وفى اللغة العربية . فإن معناها المكان أو الوقوف ، ومنها هندستان أى مكان الهند وتركستان أى مكان الترك . فكلمة « بستان » معناها مكان الروائح .

أقدم الملاحم وأطولها :

وسألت الأستاذ عما حققه من تاريخ نظم الرامايانا والمهاباراتا فقال : إن الرامايانا أقدم من المهاباراتا بنحو قرن واحد وعدد أبياتها فى الأصل السنسكريتى ٢٤ ألف بيت فهى أقدم الملاحم العالمية قاطبة . أما المهاباراتا فعدد أبياتها ١٢٤ ألف بيت فهى أطول الملاحم العالمية قاطبة ، ولكن عشرات الآلاف من أبيات المهاباراتا قد نظمت فى مباحث وموضوعات عامة كأحكام الزواج وآداب الضيافة وتقديم القربان وفلسفة خلاص النفس مما لم يهتم أحد من المترجمين بنقله إلى اللغات الأوربية ؛ إلا أن الحكومة الهندية قد أحدثت ترجمة كاملة نثرية باللغة الانجليزية لهذه الملحمة وطبعت فى كلكتا منذ أكثر من مائة سنة .

وآراء الباحثين تختلف فى تعيين التاريخ للأدب الهندى القديم ، فالمهندون الذين وقفوا حياتهم على البحث فى أصول الأدب السنسكريتى يذهبون إلى أن تاريخ هذا الأدب فى وجوده يتراوح بين ٢٤٠٠ سنة و ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، والبراهمة والمحققون من أبناء الهند يعتقدون أن تاريخ وجوده أقدم من ذلك بكثير . ومهما يكن من شيء فإنى على يقين بأن الرامايانا والمهاباراتا قد تقدمتا فى الوجود على الإلياذة ، وإذا كان هناك مظاهر كثيرة من التشابه بين هاتين الملحمتين والإلياذة فإن التاريخ لم يذكر أن فاتحاً فتح الهند قبل الإسكندر المقدونى الذى كان يحمل الإلياذة ويسرح كل أسير يروى بيتاً منها . ومن المعلوم على اليقين أن عهد الإسكندر أحدث من عهد الإلياذة نفسها . وفى أثناء سفرتى الثالثة إلى لندن ، وهى هذه السفرة عنيت بالاطلاع على ما جدّ من الكتب فى مكتبة المتحف البريطانى لاستيفاء البحث فى هذه الناحية ، وقد سرنى أننى لم أجد شيئاً هناك ينقض ما كنت قد وقفت عليه فى هذا الشأن .

فى ضيافة طاغور :

وحدثنا الأستاذ عن شغفه بالأدب الهندى القديم والروح الهندية الفياضة بالتأمل العميق وهو لما يزل فى مطلع شبابه فقال : لقد أخذت وأنا فى طراوة العمر بذلك النغم الذى تبينته فى الأدب الهندى والفلسفة الهندية وحملتنى نفسى فى هذا السبيل على أن أعيش عيشة أهل الهند وأن أنسك نسكهم فسافرت إلى هناك وقضيت شهرين فى ضيافة طاغور ، وأخذت أروض نفسى على حياة الهنود الناسكين ، وكنت قد أحسست فى جنايا قلبى بكل المشاعر الإنسانية كشعور المحب وشعور العاشق وشعور الصديق ولكنى لم أكن قد أحسست بعد شعور الوالد ، ومن ثم رغبت فى الزواج وحملنى الإحساس بشعور الأبوة أن أكون أبا ، وتزوجت وأقلعت عن حياة النسك ولكنى بقيت مندمجاً فى تلك الروح الهندية العميقة مأخوذاً بصفائها ، ومن ثم كان شغفى بتلك الآداب الهندية القديمة ونقلها إلى اللغة العربية إذ أنها لم تنقل إلى اللغة العربية بل لا تزال مجهولة لأبناء العروبة على حين قد عرفها أبناء اللغات الأخرى .

هذه الملاحم :

قال الأستاذ وقد نقلت الرامايانا أعنى رامايانا فالميكى والمهابارابا . والنالا وداميتنى وهى إحدى القصص الخمس المروية فى المهاباراتا وقد ثبت أن ثلاثة من أبواب كليلة ودمنة وردت قصصها فى المهاباراتا ووقع تعريبى لنالا وداميتنى فى ١٢٥٤ بيتاً ، كما نقلت مسرحية الشاكونتالا وقد وضع هذه المسرحية شاعر عاش بين القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد اسمه ڤاليداس ، كما عنيت بنقل الأساطير الهندية القديمة المعروفة بكتب الحكمة وهى ترجع فى تاريخها إلى ما قبل وجود الملاحم ... هذا وقد أسمعنى الأستاذ جملة فصول من هذه الملاحم التى نقلها شعراً فأعجبنى أنه استطاع أن يكون شاعراً يؤثر الديباجة الرائقة والأسلوب الشعرى الموسيقى حتى لقد فاق فى ذلك البستانى الكبير فى ترجمة الإلياذة . وقد استرعى نظرى أنه نقل من الرامايانا فصلا

عن « وصف الشتاء فى بنشقانى » فآثر نقله بنغمه الهندى على بحر غير بحور الشعر المعروفة فى العربية ، وقد أخبرنى أنه آثر ذلك ليعطى صورة صادقة من النغم الهندى والروح الهندية .

فى الدين الهندي :

وسألته عما يقال عن المعبود (كريشنا) فى الأدب الهندى وهل هو يقابل (أبولو) فى أدب اليونان . فقال لى أن كريشنا لا يقابل أحداً من آلهة اليونان أو اللاتين ، وإنما هو التجسد الثامن عندالهنود، ويعتبر بوذا التجسد التاسع؛ أما التجسد العاشر فلم يظهر بعد وعلامة ظهوره عندهم أن تقوم الملوك ملكا على ملك وأن تطلب المرأة مساواتها بالرجل . ويعتبر راما التجسد السابع كما اعتبر المسيح تجسداً إذ نسب إلى الله أباً وهذه فكرة هندية قديمة . فإن كلا من كريشنا وراما نطفة الإله قشنوا الأقنوم الثانى فى الثالوث الهندى المؤلف من براهمة وقشنوا وشيوا وهو أقنوم موحد (برهم) ، فالدين الهندى دين توحيد لا دين تعديد .

لغة القرآن :

وانتقل الأستاذ يحدثنى عن ذكرياته فى الحياة ونشأته فى الأدب فقال : لقد نشأت فى رعاية ابن العم الشيخ سليمان البستانى معرب الإلياذة وكنت أقول الشعر وكان يسددنى فى طريقه ، فلما علم أنى بلغت فيه مبلغاً نادانى فى يوم وقال لى يا وديع، لقد سرت فى طريق الشعر وبلغت فيه مبلغاً ، ولكن هل تحسن القراءة ؟ ثم ناولنى كتاباً وقال اقرأ ، فقرأت ، ثم قال لا بأس، ولكن أنصحك يا وديع أن تحفظ كثيراً من القرآن الكريم ، وأن تقف على أحكام تجويده وتلاوته وتروض لسانك عليه فإن ذلك مما يقوم قراءتك ، وإن ذلك هو الأساس السليم لتقويم اللسان فى القراءة . وإنى قد أخذت نفسى بذلك فى صدر شبابى وهكذا أبناء الأسرة البستانية الذين أمسكوا أنفسهم بالعناية بالأدب ، فأخذت بنصيحته ونفذتها

وبعد ألا ترى أيها القارئ أنها كانت ساعة حافلة بالأدب والعلم؟ أجل وإنى لأسدى صادق الشكر عليها إلى الأستاذ الجليل .

المجمع اللغوى يؤبن عضوين من أعضائه :

أقام مجمع فؤاد الأول للغة العربية هذا الأسبوع حفلة تأبين فى قاعة الجمعية الجغرافية الملكية لفقيدى العلم والإنسانية المغفور لهما الشيخ مصطفى عبد الرازق والدكتور على ابراهيم باشا ، وبعد أن افتتح معالى أحمد لطفى السيد باشا رئيس المجمع الحفل بكلمة رصينة فى تقدير مناقب الفقيدين العظيمين وتصوير الخسارة بفقدهما تقدم الدكتور على توفيق شوشة باشا فألقى كلمة خاصة بتأبين المغفور له على إبراهيم باشا استهلها بالحديث عن حياة الفقيد طالباً ثم دكتوراً صغيراً اختار مدينة أسيوط ميداناً لنشاطه . ولكنه لم يلبث أن انتقل إلى القاهرة إذ ذاع صيته وطبقت شهرته فافتتح مستشفى يحمل إسمه فى شارع الصنافيرى فلم يكن هذا المستشفى مجرد عيادة بل كان كذلك مجال خير عميم للتخفيف من ويلات الإنسانية وميدان نشاط ثقافى رائع إذ صدرت منه أول مجلة طبية وتم فيه إنشاء الجمعية الطبية المصرية ، على أن الفقيد ظل طول حياته رجل الإنسانية وخادمها ، فكان دائماً المجاهد فى مكافحة الأمراض المتوطنة والأمراض الوافدة ، وكان دائماً يعمل فى حرص بالغ على رفع صوت مصر فى المؤتمرات الدولية ، ثم كان إلى جانب عبقريته الطبية صاحب ذوق فنى وطبيعة جمال النفس وصفاء الذهن وقد تجلى هذا فى شغفه رحمه الله بالتحف النفيسة والآثار الغالية الجميلة

وألقى الأستاذ أحمد أمين بك كلمة التأبين للمغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق فقال : رحم الله صديقنا وزميلنا مصطفى فقد كان ممتازاً فى خلقه ؛ ممتازاً فى نفسه ؛ ممتازاً فى علمه ، أما امتيازه فى خلقه فقد نأى به عما يتخلق به أمثاله من أبناء الحسب والنسب والغنى والجاه فما بطر ولا تعجرف ، وأما امتيازه فى نفسه فأنه يتجلى فى جمعه بين القديم والجديد ، وكذلك امتيازه فى علمه فإنه يظهر فى أسلوبه الذى كان يؤثره واختيار اللفظ الأنيق فى تدبيج عبارته ؛ ثم تحدث عما كان يتحلى به من كرم النفس وسماحة اليد وبذل العون المحتاج ، وانتقل بعد ذلك فتحدث عن حياة الفقيد ونشأته الأولى فى كنف الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ثم تنقله بعد ذلك فى مدارج الحياة حتى انتهى إلى مشيخة الأزهر ثم قال إنه كان فى هذه المرحلة الأخيرة من حياته برماً لما يحيط به من الصعاب فى القصد إلى إصلاح الأزهر ، وكان يطوى نفسه على كثير من الخير فى هذا السبيل لولا أن عاجلته المنية ...

رحم الله الفقيدين الجليلين اللذين خسرتهما مصر ، وخسرهما العلم ، وفقدتهما الإنسانية ...

« الجاحظ »



المشكلة الألمانية

[دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية]

تأليف الأستاذ سامي عازر جبران المحامي

للاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

الأستاذ سامى عازر جبران محام شاب نابه لم يقصر نشاطه على المحاماة ؛ بل له فى الصحف والمجلات — وفى المجتمعات أحياناً — بحوث فى المسائل السياسية والاجتماعية لها طابع خاص من الدرس والتمحيص . ولعله اقتبس هذه الميزة عن والده المحامى الكبير الأستاذ عازر جبران، فقد كانت أحاديثه ومناقشاته فى مجلس الشيوخ متسمة باتساع فى الأفق وإحاطة بدقائق الموضوعات التى يطرقها . ولقد زاملته وزاملنى فى هذا المجلس وقتاً ما . ووددت لو استمرت هذه الزمالة . ولـكن الحكومة لم تجدد تعيينه بعد انتهاء مدة عضويته . وهو ثالث ثلاثة كان عدم تجديد تعيينهم حجة لى على الذين يرمون هذا الشعب بأنه لا يحسن اختيار الأكفاء لتمثيله فى انتخابات حرة . وقلت لهؤلاء اللائمين أن يخففوا من غلوائهم فى تجريح الشعب . وضربت لهم الأمثلة على أن اختيار الحكومة أمعن فى الخطأ وعدم تقدير الكفايات من اختيار الشعب إذا تركت له حريته فى الانتخاب . ومن هذه الأمثلة عدم تجديدها تعيين ثلاثة من الشيوخ . منهم الأستاذ عازر جبران وسلم اللائمون بأن حجتى مقبولة بالنسبة لهؤلاء الثلاثة .

« المشكلة الألمانية » دراسة منسقة مستفيضة للأستاذ سامى أخرجها فى كتاب متوسط الحجم . عالج فيه مسألة من أهم المسائل العالمية التى تشغل أفكار الناس كافة . وهى الطريقة التى يحسن أن تعامل بها ألمانيا بعد هزيمتها فى الحرب الأخيرة . وقد طرق المؤلف هذا الموضوع من شتى نواحيه . وعرضه على القارىء عرضاً شائقاً ، وقرن كل دراسة لفصوله بالرأى الذى يرتئيه . ويبدو لمن يقرأ الكتاب أن مؤلفه درس المسائل التى عرض لها دراسة مستفيضة . وأحاط بالبحوث التى أخرجها علماء السياسة وأقطابها . فجاء كتابه ثمرة طيبة للدراسات وتأملات عميقة . وفى الحق أن القارىء لهذه الدراسات يسره أن يرى فيها وفى مثلها صورة من جهود الشباب فى نشر الثقافة السياسية والاجتماعية بطريقة علمية تأليفية .

ولا يرى الأستاذ سامى أخذ ألمانيا بالشدة المتناهية فى الانتقام وساق على ذلك أدلة مقنعة ، أهمها أن المعاملة الصارمة التى عوملت بها عقب الحرب العالمية الأولى كانت من العناصر التى ولدت الحرب العالمية الثانية . وأن مسئولية الحربين لا يمكن أن تحصر فى سياسة ألمانيا وحدها . وأن نظرية تفرد شعب بالذات بصفة الاعتداء والوحشية نظرية تعسفية ؛ لأن أصل شعوب الأرض واحد أياً كان ذلك الأصل . ولأن النازية « الوطنية الاشتراكية » هى سمة ألمانية للفاشية ، والفاشية لا هى بالألمانية ولا هى بالإيطالية ولا هى باليابانية ؛ ولـكنها ظاهرة دولية انتشرت فى مختلف بقاع العالم .

وساق الأستاذ سامى الأدلة على أن الشعب الألمانى شعب مسالم بطبعه . لم يكن راغباً فى الحرب بل كان يميل عنها وينفر منها . ولـكن النازية هى التى دفعته إلى الحرب . فمن الإنصاف أن لا يؤاخذ الشعب بجريرة النازية . وأن مهمة الديمقراطية المنتصرة ليست فى تحطيم الشعب الألمانى بل فى تحطيم النازية وحدها . أما إذا هى عملت على تحطيم الشعب الألمانى فإن هذا سيثير فى نفسه روح البغض والـكراهية مما يمهد فى المستقبل إلى حرب عالمية أخرى . وأن الاحتلال العسكرى الطويل فى ألمانيا يعطل الثورة الاجتماعية المرتقبة فيها والتى تميل بها إلى الديمقراطية .

ومن آرائه الموفقة قوله إنه لا يمكن أن نتصور أن أية محكمة درلية أو أية حكومة أوروبية يصح أن تـكون أكثر من ستار شفاف لديكتاتورية يفرضونها على العالم ، وإن التاريخ يعلمنا أنه من النادر أن استعمل القوى قوته استعمالا محايداً للصالح العام ، وأن الحل الوحيد الحاسم يتلخص فى تحويل ملـكية القوات الحربية من ملـكية الدول منفردة إلى ملـكية دولية عامة . لأنه طالما أن كل دولة تملك قواتها الحربية وأسلحتها فسيظل « توازن القوى » هو الشغل الشاغل للسياسة الدولية .

وقارن الأستاذ سامى بين موقف المنتصرين فى أعقاب الحرب

العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ، وموقفهم فى مؤتمر ڤينا سنة ١٨١٤ — ١٨١٥ عقب سقوط نابليون وانتصار الحلفاء على فرنسا وقتئذ ، وكيف عوملت فرنسا معاملة معتدلة فقبلت شروط الصلح ونفذتها راضية دون أن تفكر فى الانقضاض عليها ، فلم تنشب فى أوروبا حرب عالمية كبرى زهاء مائة عام . على عكس ما وقع فى مؤتمر فرساى سنة ١٩١٩ فإن شروط المنتصرين القاسية مع ألمانيا جعلت الحرب العالمية الثانية تقوم قبل انقضاء ربع قرن على الحرب العالمية الأولى .

وبعد فإنى أهنىء الأستاذ سامى عازر جبران بهذا الكتاب القيم . وبهذا الجهد الموفق فى البحث والتفكير ، والعرض والتحليل وحسن الأداء . وأرجو له المزيد فى الإنتاج والتأليف .

عبد الرحمن الرافعى

معجم ادباء الأطباء

تأليف الأستاذ الباحث محمد الخليلى

موضوع هذا الكتاب يقتصر على طائفة خاصة من الأعلام هم أدباء الأطباء ، والعلاقة بين الأدب والطب علاقة وثيقة ، وكثيرون هم الذين نبغوا فى الناحيتين وبرزوا فى الصناعتين ، وقد كان العرب يعتبرون الطب أحد فروع الأدب ، وكانت الموسيقا وكل وسائل الطرب مما يستخدمه الأطباء فى مهنتهم ، ونظراً لأن آثار هؤلاء الأطباء الأدباء قد تبعثرت فى بطون الكتب القديمة عنى الأستاذ محمد الخليلى من علماء النجف الأشرف بجمع تراجمهم وآثارهم فى معجم شامل أخرج الجزء الأول منه ، وهو الذى نقدمه اليوم إلى القراء .

وقد ترجم الباحث الفاضل فى معجمه هذا لسائر الأطباء الذين عرفوا بالأدب وكان لهم فيه أثر من شعر أو نثر ، سواء فى ذلك الذين نبغوا بالشرق أو بالأندلس أو بشتى الأمصار والأقطار العربية وسواء فى ذلك الذين ظهروا فى الجاهلية أو فى صدر الإسلام أو فى العصر الحديث ، فأنت تقرأ فى هذا الجزء من المعجم مثلا ترجمة ابن حذيم التيمى الطبيب العربى الجاهلى إلى جانب تراجم الدكاترة ابراهيم ناجى وأحمد زكى أبو شادى وشبلى شميل من أبناء هذا العصر والمؤلف يوجز فى بعض التراجم ويفيض فى بعضها ، وذلك على حسب ما يقع له من المصادر ، وهو يعنى بإسناد كل رواية إلى صاحبها وكل ترجمة إلى مصادرها ، وذلك مظهر من مظاهر الأمانة العلمية ، وقد أورد التراجم على نسق الحروف الأبجدية ، وقسم معجمه إلى جزءين ، انتهى فى الجزء الأول الذى بين أيدينا إلى حرف العين ، على أن يستوفى البقية فى الجزء الثانى ، ونحن إذ نشكر للمؤلف النجفى الفاضل عمله الجليل ، ونطرى فكرته وجهده فى إخراج هذا المعجم المفيد نرجو أن يوفق لإصدار الجزء الثانى فى القريب .

بين العلم والأدب

تأليف الأستاذ قدرى حافظ طوقان

إذا تناول القارىء هذا الكتاب وهو من تأليف الأستاذ الباحث قدرى حافظ طوقان من أبناء فلسطين النابغين وجده حجة لأبناء الشرق العربى فيما كان لهم من مجد سالف وفيما أسدوا إلى المدنية والمعرفة من فضل سابغ ، فإن القسم الكبير من هذا الكتاب إنما هو فى بحث التراث العربى والمآثر العربية فى العلم والمعرفة وإطلاع أبناء العروبة على ما خلف آباؤهم من آثار نافعة يجب أن تكون ضمن أسلحتهم فى تحقيق رسالتهم القومية التى ينشدونها فى هذه الأيام .

ففى هذا الكتاب أحاديث ومقالات عن التراث العربى والحاجة إلى إحيائه ، والأدب والرياضيات ، والملاحة عند العرب ، وابن ماجد أسد البحر الهائج ، وبيت الأميرة والممهدون للاكتشاف والاختراع ، وإلى جانب هذا مقالات عن نيوتن والجمعيات العلمية فى انجلترا ، وحول القنبلة الذرية إلى غير ذلك من المقالات والفصول المختلفة التى تتقارب فى الموضوع والغرض . وقد سبق للاستاذ المؤلف أن نشر هذه المقالات وأذاع بعضها فى أحاديث الإذاعة ولكنه أحسن إذ جمعها فى سفر لتكون مرجعاً يسهل تناوله .

والواقع أننا فى نهضتنا قد عنينا بالدراسات الأدبية عناية واسعة ، ولكن عنايتنا بتراثنا العلمى وبالثقافة العلمية لا تزال ضئيلة فاتجاه الأستاذ قدرى إلى هذه الناحية اتجاه محمود نرجو أن يتسع أثره ويعم نفعه .

محمد فهمى عبد اللطيف



العام والسنة :

من أحمد بن يحيى إلى الأستاذ لطفى عثمان — من أين جاءهم أن (السنة من أى يوم عددته إلى مثله والعام لا يكون إلا شتاء وصيفاً) حتى كان ما على غلاف مجلة الهلال الغراء : (أسست دار الهلال منذ نيف وخمسين عاماً) خطأ والصواب (أن يقال منذ خمسين سنة) ؟!

وماذا يقولون فى قوله تعالى عن نوح (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) ؟ هل يجب أن يكون استخدام العام بمعنى السنة أو أن تكون أعوام نوح مشتملة على شتاء كامل وصيف كامل بخلاف أعوام مجلة الهلال وأن يكون الاستثناء منقطعاً — هل يجب كل هذا ليصح قول أحمد بن يحيى فى الفرق بين السنة والعام ؟

وماذا يقولون أيضاً فى قوله تعالى (أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه . قال كم لبثت؟ قال لبثت يوماً أو بعض يوم، قال بل لبثت مئة عام) ؟ أكان ابتداء الحساب مضبوطاً بحيث شمل كل عام صيفاً وشتاء أم هو عد من أى يوم إلى مثله ؟ أم أن السنة والعام لافرق بينهما وإن الصحيح هو مذهب العوام لا مذهب أحمد بن يحيى؟

وما قيل فى هاتين الآيتين الكريمتين يقال فى قوله تعالى : (وفصاله فى عامين) ولا أحسب أن أحداً فهم من هذه الآية أنه إذا اتفق أن ولد المولود فى بعض شتاء أو بعض صيف أن يلغى هذا ويبدأ بحساب صيف كامل وشتاء كامل ليتحقق معنى العام بل الكل — كل من رأيت قوله من الفقهاء — يقول بأن مدة الرضاع سنتان أى ٢٤ شهراً ، وما الداعى لأن يقول عامين ويقصد سنتين إلا أن يكون العام هو السنة ؟ ويقال أيضاً فى سائر الآيات الكريمة التى ورد فيها ذكر العام .

فلسطينى

فى اللغة :

فى العدد (٧١٣) من « الرسالة » الغراء قصيدة للأستاذ محمد على مخلوف بعنوان « أوهام » يقول فى بيت منها :

وقلبى فى نهر الحياة سفينة تميد على صُم الصخور ولا ترسى

باستعمال الفعل (ترسى) فى آخر البيت بالياء بدل الواو ، إذ المعلوم أن الفعل (رسا) من باب عدا وسما أيضاً والمضارع منهما هو (يرسو) وليس يرسى بالياء كما ذكر الأستاذ .

ولا أظن القافية تسمح للأستاذ الشاعر بما أورده مخالفاً لقواعد اللغة ، وهى ثابتة .

هذا ، وللأستاذ « مخلوف » تحية الأديب ، والسلام .

عدنان أسعد

جوائز فؤاد الأول وجوائز فاروق الأول :

ذكرنا فى عدد مضى أن إرادة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول قد اقتضت أن تنشأ ثلاث جوائز مالية سنوية قيمة كل منها ألف جنيه يطلق عليها إسم (جوائز فؤاد الأول) وتخصص كل منها لصاحب أحسن عمل أو إنتاج فى الآداب والعلوم والقانون ، ويكون موعد منحها فى اليوم الثامن والعشرين من شهر أبريل من كل عام لمناسبة ذكرى وفاة المغفور له صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول . ورداً على هذه التحية الملكية الكريمة للعلم وأهله أنشأت وزارة المعارف ثلاث جوائز سنوية قيمة كل منها ألف جنيه تمنح لصاحب أحسن عمل أو إنتاج فى فرع من الفروع الرئيسية للعلوم وتسمى (جوائز فاروق الأول) ويكون موعد منحها فى اليوم الحادى عشر من شهر فبراير من كل عام ابتهاجاً بعيد الميلاد الملكي السعيد . وبمقتضى قرار وزير المعارف بتاريخ ١٩٤٦/٣/٢٧ تألفت برياسته لجنة لوضع شروط المسابقة ومنح الجوائز ، وقد اجتمعت اللجنة أربع جلسات وانتهت إلى إقرار الشروط التى ستعلنها على الناس . وقد انعقد إجماع اللجنة على أن الجوائز تهدف أول ما تهدف إلى العلم النافع فى الحياة المصرية اللائم لتطورها والذى يساعد على استثمار مصادر الثروة المصرية وزيادة الإنتاج .

ولهذه الجوائز لجنة دائمة تؤلف من وزير المعارف رئيساً وستة أعضاء يمثلون الفروع المختلفة ، وتختار اللجنة الدائمة فى كل عام لجاناً لفحص الإنتاج المقدم فى كل مادة يعيّن أعضاؤها بقرار

مطبعة الرسالة

العدد ٧١٨ — الاثنين ٧ ابريل ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨ ٥ ٢٨

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

Lundi — 7 — 4 — 1947

15me Année No. 718

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١٨ «القاهرة في يوم الاثنين ١٥ جمادي الأولى سنة ١٣٦٦ — ٧ أبريل سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

الجـــلاء الأعظم

للأستاذ محمود محمد شاكر

أكتب هذا وكُلُّ ذرةٍ في ثَرَى مصر وفي جَوّها وفي مائها تَتَلفّتُ حولَها لتنظرَ إلى الضجّة التي خفقت في جَنَبات الأرض المصرية لليوم المشهود — يومِ الجلاءِ عن مُدُنِ الوجهين القبلي والبحري إلا ما استثنته بريطانيا غصبًا وافتئاتاً.

نعم هو الجلاء — جلاء الجندي المتغطرس الذي كان يمشي على أديم مصر تيّاهاً مستكبراً متعالياً ليذلَّ الشّعب الذي احتقره وازدراه على قوّته وعلى سلطانه، ولم يعبأ به ولا بثيابه ولا بكبريائه. وكيف يفعل ذلك وهو الشعب الفقير الذي يسير في الطريق حافياً في أسمالٍ؟ وكيف يفعل ذلك وهو الجاهلُ الذي لا يقرأ ولا يكتبُ ولا يعلمُ من أمرِ الدّنيا إلاّ ماحضر بين يديه؟ وكيف يفعل ذلك وهو الشعب الذي هزَمته بريطانيا في موقعة التل الكبير سنة ١٨٨٢، ثم انساحت جيوشها في أرضه تأخذُ ما تأخذ وتدعُ ما تدعُ وهو ساكنٌ قارٌّ راضٍ بالذلّة التي كتبها الله عليه؟ هكذا كانَ يمشي كل جندي بريطاني على أرضِ مصر وهو يحدّث نَفسه بهذا كله، والمصريّ ينظر إليه نظرةً ليس فيها الحقدُ ولكن فيها الاحتقارُ، ويبتسمُ إليه ابتسامة ليس فيها الرضى ولكن فيها السخريةُ، ويصافحه مصافحة ليس فيها الترحيب ولكن فيها الإيمان بأن الذي أمامه إنسانٌ مغرورٌ يظنُّ أن الدنيا باقيةٌ له، وهي الدنيا التي تداولتها من قبله القرون والأمم فزالوا وبادوا، ونالها من بعدهم من كانوا لهم تبعاً أو عبيداً.

هكذا كان ينظر الشعبُ الجاهل الفقير المهزوم بزعمهم نظرة الفيلسوف الذي قَنِع بما عنده فاستغنى عما عند الناسِ، شعب فقيرٌ ولكنه عزيزٌ، شعب جاهل ولكنه مؤمنٌ، شعب مهزوم ولكنه مترفعٌ عن دنايا الأخلاقِ.

* * *

نعم هذا الجلاء، ولكن هل يقنع هذا الشعب به؟ وهل يزيله الفرحُ بما تمّ عن الهدَفِ الذي رَقى إليه؟ إنّ بريطانيا قد علمتْ أن لا قِبَل لها بإبقاء جنودها مفرقة في مُدُن مصر فتكون قَذى في العيون يحدث آلاماً تنبه النفوس يوماً بعد يوم إلى عُدْوانها وبغيها، فآثرتْ أن تحمل جنودها وتجمعهم في مكانٍ بعيد عن عيون الشعب، تريدُ أن تجعل مثل هذا العبث مِنّةً يحملها الشعبُ المصري، فيكفَّ عن مطالبتها وعن كشف عيوبها وسيئاتها وخَبَثها. فلما رأت أن هذا الشعب العجيب قد فرح بجلائها عن بعض أرضه، ولكنه لم يكفَّ عن مطالبتها، ولا عن إماطة اللثام عن رذائلها، قامت صُحُفها تزعم أن الصحف المصرية قد شنّت على بريطانيا «حملة سِبَاب» في نفس المكان الذي أشارت فيه إلى مسألة الجلاء إشارة عابرة. وهذا دليلٌ على أن موقف الشعب قد غاظها غيظاً شديداً وأنها

كانت تؤمل أن تخدعنا بهذا الجلاء من أماكن فى أرض مصر إلى مكان واحد حصين فى أرض مصر أيضاً ، فلما كان غير الذى أرادت زعمت أنها « حملة سباب » .

ومن الذى يسبُّ ؟ أمصر المسكينة التى احتملت وقاحة جيوشها وقوّادها منذ سنة ١٨٨٢ ، وصفاقة رجالها الذين جاءوا ليحكموا هذا الشعب بالقوة والبطش من أمثال كرومر وكتشنر واللنبى ولويد ومايلز لامبسن ؟ أهى مصر المسكينة التى تسب اليوم بريطانيا وقد سمعت سفاهة الصحافة البريطانية على شعبها وهو يوصف بالرعاع ، وسباب الصحف البريطانية للطلبة المصريين الذين كانوا يخرجون من مدارسهم للجهاد فى سبيل وطنهم وبلادهم

إن مصر حين تصف أعمال بريطانيا بالسفاهة والوقاحةِ والصفاقة — لاتسب بل تقرر حقائق وتسميها بأسمائها التى خلقت لها ، ولم تخرج فى ذلك عما وصفها الرجال المحايدون الذين وقفوا ينظرون إلى أعمال بريطانيا فى مصر والسودان . فالشعب المصرى لا يسب بريطانيا وإنما تسبُّها أفعالها وأفعالُ رجالها . وإذا أرادت بريطانيا أن لا تسمعَ المسبّة من الشعب المصرى ومن سواه فى أقطار الأرض ، فلتقلع عن سياستها التى توجب لها هذه الصفات ، والتى تدفع أمماً كثيرة غير مصر والسودان إلى أن تصفها بأشد مما وصفتها به مصر والسودان .

والعداوة التى بيننا وبين بريطانيا قائمة ما بقى فى أرض مصر من منبع النيل إلى مصبه جندى بريطانى واحد ، ولن تكفّ عن عداوتها وعن ذكر سيئاتها إلا إذا جلت جلاء تاماً عن كل مكان انتزعته من بلاد مصر والسودان بالكذب والمكر والخديعة والتدليس ، ولن تكفّ ألسنة مِصر عن وصف أعمالِ بريطانيا بأسمائها التى خلقت لها إلا إذا كفّت هى عن عُدوانها وأعطت كل ذى حق حقه . إنها عداوة باقية بيننا وبينها حتى تدعَ لنا أرضنا ، وتدع للعراق أرضه ، وتدعَ لفلسطين العربية أرضها ، وتقاوم معنا كل باغٍ أعانته هى فيما مضى على بغيه وعدوانه ، كالذى كان من أمرها فى مسألة تونس ومراكش والجزائر وليبية وبلاد إفريقية التى أطلقت فيها يدَ فرنسا وإيطاليا ليطلقوا لها يدَها فى مصر وفى سوى مِصر .

بل إن جلاء الجنودِ البريطانية لن يكفى وحده أن يكون مدعاة لنسيان تاريخ بريطانيا وأفعالها . لقد دخلت بريطانيا بلادنا وبلاد سوانا ، فاستعانت بشذاذ الأمم الذى لا يجدون فى بلادهم ما يأكلون ، وجاءت بهم إلى مصر والسودان وكل أرض كتب الله عليها أن تبتلى ببريطانيا وسياستها الاستعمارية ، وحمت هؤلاء الشذاذ وشدت أزرهم وملكتهم الأموال والأرزاق ، ونفخت فى قلوبهم كبرياء الحقيرِ الذى علا بعد ضعةٍ ، ومدت لهم مداً طويلا حتى صاروا سادة علينا وهم يأخذون ما فى أيدينا — أى يسرقون ما فى أيدينا . أتت بالشذاذ من كل أمة وجعلتهم جاليات وأقليات وفرضت على نفسها حمايتهم فيما تزعم ، واستنكفت لهم أن يتقاضوا فى محاكم البلاد التى آوتهم بعد تشرد ، وميزتهم عن أبناء البلادِ فى كل شىء حتى فى معاملاتها التجارية . حتى صارت لهم قوة المال وفجور المال وطغيان المال ، فعاثوا فى الأرض فساداً ، يفسدون بيوتنا ، ويبتهالون عنا ، ويحتقرون أبناءنا ورجالنا ، ويسخرون من آدابنا وعقائدنا . ويطعنون فى أخلاقنا ، ويشتموننا فى الطرقات وهم فى حمى بريطانيا ذات المجد والشرف ! !

وأكبر من ذلك أنها حمت هؤلاء الشذاذ حماية أخرى ليكونوا لها جنوداً فى ثياب مدنية ، فأقطعتهم المدارس ينشئونها حيث يشاؤون ، وجاءت بدنلوب ليضرب التعليم المصرى ضربات قاضية لا تزال إلى اليوم باقية لا تدرى وزارة المعارف كيف تخلص منها . وإذا هذه المدارس تأخذ أبناءنا من بيوتنا ، فتضمهم بين جدرانها ، وتنفث فيهم سمَّها ، وتحقّر لهؤلاء الصغار بلادهم وأهلهم ، وتمتهن لغتهم حتى كانت تمنع طلبتها عن أن يتكلموا بالعربية بتة ، ولا فى أوقات الفسحة ما بين الدروس ، فإذ فعل ذلك طفل منهم عوقب أشد العقاب ، وداروا به على الفصول كأنه مجرم قد ارتكب أشنع جريمة يعاقب عليها القانون . وبقيت بريطانيا الممثلة فى دنلوب ونظام دنلوب ورجال دنلوب تحمى هذا الوباء وهذا البلاء حتى استفحل ، وخرج جيل من أبناء مصر نفسها ينظر إلى بلاده كأنها أرض غريبة يحتقرها كما رأى أستاذه الأجنبى يحتقرها ، وكما رأى زميله الأجنبى يزدريها .

وأكبر من ذلك أيضاً أنها أخذت هؤلاء المساكين الذين أضلّتهم مدارسهم الأجنبية فآوتهم ونصرتهم ثم مكّنت لهم ، وصاروا لها أشياعاً يثنون عليها ويفضلونها على سائر أهل الأرض ، وعلى أهل بلادهم . واتخذوا لذلك كل أسلوب يدل اتخاذه على أن بريطانيا لا تتورع عن أن تجعل أخسّ الطبائع البشرية

والشهوات الإنسانية سلاحاً تقاتل به الشعب الذى اعتدت عليه واستبدت به. فصار الشعب المصرى يسمع مصرياً مثله يبسط لسانه فى تاريخ شعبه وفى أخلاق شعبه غافلا عن السبب الأول الذى كان داعياً إلى انهيار هذا الشعب، ألا وهو بريطانيا وشذاذها.

فكل هذا وكثير سواه كان احتلالا أدبياً ضرب على مصر والسودان كما ضرب عليها الاحتلال العسكرى، فنحن لن نكتفى بأن يزول الاحتلال العسكرى بجلاء الجنود؛ بل لابد من إجلاء ما ورّثناه الاحتلال العسكرى من نُظم ومن شيع ومن عادات ومن أخلاق؛ حتى لا يكون المصرى والسودانى غريباً فى بلاده، ممتهناً فى أرضه، مضروباً بالفقر والجهل والهزيمة فى دياره.

ذلك هو يوم الجلاء الأعظم: يوم يعود إلينا أخونا المصرى السودانى المقيم فى بريطانيا «يعقوب عثمان» ليقول لبلاده إنى أخطأت فاغفرى لى زلتى وتجاوزى عن خطيئتى، ويوم يخلع الشباب المصرى السودانى من فتيان وفتيات كل الزينة التى أضفتها عليهم مدارس الليسيه الفرنسية، وفكتوريا الانجليزية، والمدارس الأمريكية، ويخرجوا إلى أهليهم خاشعين خاضعين نادمين يعتذرون من الآثام التى ألموا بها أو قارفوها فى حق بلادهم وفى حق آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وأخواتهم وأسلافهم وأعقابهم.

بل يوم يخرج المهدى عن أمواله لمصر والسودان، ويعفر وجهه فى ثرى النيل الأعظم، ويستغفر الله مما كسب من الإثم فى حق مصر والسودان، أرض آبائه وأجداده؛ بل فى حق أبيه الذى لم تتورع بريطانيا عن إهانة عظامه وهو ميت لا يملك دفعاً عن نفسه.

إنه يوم الجلاء الأعظم — يوم يقف كل مصرى سودانى أيامه وساعاته للتكفير عما فرط منه، ويوم يعمل جاهداً فى إزالة كل أثر للاحتلال فى نفسه، ويوم يخرج إلى الطريق ليميط الأذى عنه استعداداً لمقدمِ الأجيال الحرة التى ترث أرضاً طاهرة لم تلوثها غفلة القرون الماضية أو ضعفها أو استكانتها أو رضاها بالذل والمهانة طمعاً فى مال زائل ومجد حائل.

إنه يوم الجلاء الأعظم، يوم لا يسمع ثرى مصر لساناً أعجمياً من أهله أو من غير أهله ينطق بغير اللغة التى ينطقها الشعب المصرى السودانىّ، ويوم لا يخرج المصرى السودانىّ فتتحداه تلك الطوائف من شذاذ الأمم ناطقة بغير لسانه وساخرة من لسانه.

إنه يوم الجلاء الأعظم، يوم يستطيع المصرى السودانى أن يقف على ثرى أرضه مطمئناً لأنه حرٌّ من أحرار، وينظر حوله متلفتاً يمنة ويسرة فلا يرى إلا وجوهاً عربية وبلاداً عربية تضم الأحرار أبناء الأحرار.

محمود محمد شاكر

من صفحات مطوية :

أنطاكية وخليج الاسكندرونة

فى الحرب العظمى الأولى

للأستاذ أحمد رمزى بك

ينعم المرء بمناظر رائعة إذا كان على ظهر باخرة تسير على مقربة من الساحل الشرقى للبحر الأبيض المتوسط ، إذ تظهر جبال لبنان والعلويين أمام ناظريه وتحتها الراق متقاربة متشابهة ؛ فإذا جن الليل تبدو أنوار القرى المتناثرة على سفوح الجبال وهى تتلألأ فى الظلام . إنه منظر يوحى لراكب البحر فى ظلمات الليل البهيم شعور الأمن والاطمئنان ، فتزول من نفسه مخاوف البحر ومخاطره . فإن وصلت إلى خليج الإسكندرونة وجدت البحر يغزو الأرض ويبدو هـذا الجزء منه كأنه بحيرة تحيط بها الجبال من ثلاث جهات ، ووراءها قمم عالية شاخة كأنها تناطح السماء : هذه جبال اللكام عند العرب وأمانوس عند الفرنجة وطوروس وجبال الكفرة ، كاورطاغى ، عند الأتراك .

ولقد كنت مسافراً مرة فى أواسط الأناضول فبلغت مدينة قيصرية، وهى التى فتحها ملكنا الظاهر بيبرس، وركبت القطار منها إلى الشام ، فوقف بنا عند مخرج نفق على جبال طوروس ، وكان على رأسه محطة أشاروا علىّ بالنزول فيها لآخذ منها القطار السريع . من هذه الرابية العالية رأيت البحر ممتداً من بعيد ، وكشفت سهول ولاية أضنة أو كيليكية ، كما تبدو للناظر إليها من نافذة طائرة محلقة فى السماء : قلت هذا هو أول ما تقع عليه أنظار كتائب الزاحفين من الشمال ، وهذا ما رأته جنود الصائفة والحمدانيين وعسكر مصر أيام ابن طولون وبيبرس وقلاوون فى عودتهم من حروب أرض الروم ، بل قل هذا أول مناظر الحياة التى لقيها الصليبيون فى زحفهم على سوريا بعد أيام الويل والحرمان التى ذاقوها فى أرباض آسيا الصغرى .

فإذا انحدرت من مضايق الجبال ودخلت السهل واتجهت إلى الساحل كان أول ما يلفت النظر هـذه البحيرة التى تكوّن خليج الاسكندرونة ، لو رآها رجل البحر لقال عنها هذى أكبر مرافىء الشرق ، وتصورها الموئل الطبيعى لمئات السفن ، ولو نظر إليها رجل البر لقال هـذا مركز من المراكز الممتازة فى العالم . فهنا التصق الخليج بالأرض وكونا فى التاريخ قطعة واحدة وأصبح لها قصة واحدة : هى قصة تلك البقاع من الدنيا التى لها ذنب واحد هو ما حبتها به الطبيعة وجغرافية الأرض من مزايا .

هـذى البقاع ليست كثيرة على الأرض ولكنها خلقت لتكون مسرحا للمشاكل والمعارك والتصادم وتتابع الحوادث والخطوب . إن مثلها كمثل بعض الناس ممن يأتى إلى الدنيا ليثير ضجة بين الخلق من يوم مولده إلى يوم وفاته كأنهم جاءوا إلى الدنيا تحت طالع من طوالع الضجيج أو سوء الحظ ، كذلك هذه الرقعة من الماء والأرض والجبال ، أراها قد برزت للوجود تحت برج خاص من بروج السماء ، فحكمت عليها الأقدار أن تكون فريسة للطامعين من ذوى الغلبة والسلطان ، وموطناً للحروب والقتال ، وأن يكتب على أهلها تحمل مصائب الدهر من ضيق الحصار ونقص فى الأموال والأنفس ، وتحمل غضب الطبيعة فيما تثيره من أوبئة وزلازل ، وأن يكتب فى سجل القدر لهـذه البقعة من الأرض فيقترن اسمها بالعز آناً وتعلو علواً كبيراً حتى تسمو على غيرها من بقاع الأرض ، ثم يلاحقها سوء الطالع فترى الأيام السود وتذوق الويل المرة بعد المرة حينما يطؤها الفاتحون والغزاة ، فتندك صروحها وتفنى بشاشة أهلها وتبكى نساؤها بكاء طويلا فى الليل كما يتحدث بذلك تاريخها فى أكثر من عشرين قرنا من الزمن ؟

وغريب أمر هـذه البقعة : تقوم عليها الدنيات المختلفة وتتبادلها الشعوب ، وينطق أهلها بكل لسان ويفنى شعب بعد شعب على أرضها ولكنها تخرج من وسط النكبات والمصائب وهى باقية لن تبيد ، لأن الحياة لا تلبث أن تعود إليها . ولا تزال إلى اليوم إنطاكية وما حولها : ترى أسوارها القديمة وتلمس عظمتها الفانية . تراها صغيرة بجانب ما كانت عليه ، ومع هذا تشعرك بماضيها ومجدها ، وقد يدخل المرء مستهينابها فيخرج منها

وهو حامل فى نفسه ما يدعو لا كبارها ، إن فيها سراً يجبر الناس على احترامها .

***

نعم لقد قدر لهذه البقعة من الأرض أن تبرز خلال العصور الماضية وأن يتحدث عنها الناس من أهل الشرق والغرب ، وسنبذل بعض الجهد لنأتى بشىء من ذكرها فى كل عصر من العصور السالفة وخصوصا ذلك العصر المملوء بالبطولة والكفاح : عصر الحروب الصليبية ، ونذكر ما حولها من حصون الافرنج وما أقيم أمامها من حصون المسلمين وقلاعهم والكتابة فى هذه الناحية من أحب الأشياء إلى من يؤمن بعظمة ماضينا ، ولكن هناك ناحية لا تزال خافية عن قراء العربية هى أهمية هذا الركن من العالم فى الحرب العظمى الأولى ، فقد بقيت منطقة أنطاكية وخليج الإسكندرونة بعيدة عن ميادين القتال ولم تغمرها الحوادث ولذلك لم يشتهر اسمها ولم يعلم الناس عنها إلا لما أثيرت مسائلها أمام عصبة الأمم وأخذت تتطور مشكلتها بين فرنسا وتركيا ثم أخيراً بين سوريا وتركيا .

ولهذه المنطقة تاريخ طويل فى مدة هذه الحرب وما تلاها من الحوادث ، سنعرضه ملخصا ما أمكن راجعين من النهاية إلى البداية :

حينما قامت الحركة التركية وحصلت حكومة أنقرة على الانتصارات الأولى على اليونان . أرسلت وفداً إلى باريس فى يولية سنة ١٩٢١ أخذ يفاوض الفرنسيين فى عدة مسائل ، وفى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٢١ عقد اتفاق أنقرة الأول وفيه سلمت فرنسا بالحدود التركية التى تبدأ من بياس إلى ميدان اكبس ثم تستمر على شريط سكة حديد بغداد ، وكان من ضمن ما اتفق عليه إقامة نظام إدارى خاص بسنجق الإسكندرونة واعتبار اللغة التركية لغة رسمية فيه .

جاء هذا الاتفاق عقب حرب بين الفرنسيين والأتراك دامت من يناير ١٩٢٠ إلى ١٩٢١ قال عنها الفرنسيون فى كتابهم عن تاريخ الشرق ما يأتى : « إنها حرب مقدسة وقومية اتسمت بالقسوة والعنف اللذين يتصف بهما أهل تلك البلاد وأنها وافقت زمن غليان الحركة الكمالية التى استنفرت الأناضوليين فى وجه مشروع يشعر بتفكيك الوطن التركى »

ويتعجب صديقنا الأستاذ ادموند رباط فى كتابه بالفرنسية عن الوحدة السورية ويتساءل « كيف سلم الفرنسيون بعد معاركهم الطاحنة فى كيليكية وخسائرهم فيها بهذه الحدود ؟ ويقول إن فى ذلك سراً سيبقى أمام مؤرخى المستقبل من المعميات التى يجدون الصعاب لفهمها » .

أما نحن فلا نعجب وقد عرفنا النزاع والتنافس بين بريطانيا وفرنسا ، وإنما نتساءل ونقول للكاتب الفرنسى الذى ذكرنا نظريته فى المقالة الأولى : من كان يمثل دور الإمبراطورية الرومانية فى عام ١٩٢١ . بريطانيا أم فرنسا ؟

إن مثل هذه الأمور تأخذ وقتا طويلا لكى نكتشف تفاصيلها وما يلابسها من المعميات ، وقد يطرأ حادث طفيف يتمثل فى طلب احتلال الإسكندرونة وخليجها فينتج عنه أكبر الأمور ويعيد إلى ذكريات السياسيين مسائل ومشاكل بقيت لمدة طويلة طى الكتمان .

وهذا ما حدث فى عام ١٩١٨ ففى أكتوبر سلمت الدولة العثمانية وأمضت هدنة مدروس ، وكانت الجيوش التركية تحتل منطقة أنطاكية وتشرف على خليج الاسكندرونة وبقيت فى حوزتها بعد إمضاء هذه الهدنة ، ولما كانت شروطها تحتم إجلاء الجنود والضباط والقواد الألمان فقد تقرر سفر الجنرال فون ساندرس ومن معه ، وعليه تسلم القائد مصطفى كمال القيادة ، وقد فهم أمرين : الأول أن الهدنة عقد لوقف القتال بين المتحاربين وأن الأراضى التى فى حوزة الأتراك تبقى معهم لحين إمضاء معاهدة الصلح ، والثانى : أن خط الحدود لوطنه هو الذى أثبته الأتراك بقوة السلاح فى آخر معركة دارت مع الانجليز والهنود فى شمالى مدينة حلب عند انسحابهم منها وترتب على هذه المعركة إيقاف الزحف البريطانى على نقطة تبعد ثلاثين كيلو متراً من المدينة[2] .

ويقرر فى مذكراته ومخابرته الرسمية أن هذا الخط من صنع يديه ، ولذلك تمسك به حتى النهاية فى مفاوضاته مع الفرنسيين ، ولم يكتف بذلك بل عارض قبل ذلك الحكومة المركزية حينما

(١) من أغرب تحكم الاقدار أن الأرض التى دارت عليها هذه المناوشة هى التى دارت عليها معركة ١٥١٧ بين المصريين والأتراك والتى فقدت فيها مصر ملك الشام ثم أصبحت ولاية عثمانية بعد ذلك ، ثم تبدأ فيها مقاومة الأتراك بعد هزائمهم لينتهوا إلى حركة التحرير التى أتموها تحت قيادة زعيمهم .

طلب الانجليز السماح لهم باستعمال خليج الاسكندرونة والميناء لتموين جيوشهم المحتلة لمدينة حلب ، وتبادل مع رئيس الوزارة مكاتبات فى منتهى الخطورة ، وكانت هذه الفترة موجهة له فى حياته المقبلة لأنه من تلك اللحظة بدأ يفكر فى تأليف جيش من شراذم الوحدات التى تحت قيادته ، حينما أقنعته الحوادث بأن إنقاذ البلاد يحتم مداومة القتال إلى النهاية .

فالمطالبة بتسليم ميناء الاسكندرونة كان معناه احتلال المنطقة ، وقد أثار هذا الطلب مخاوف الفرنسيين لما سيرد بعد ذلك من تفاصيل فى هـذا البحث ، وأثار قلق القائد التركى الذى فسر احتلال هذه المنطقة كرغبة فى احتلال غيرها من الأراضى وأن هذا الطلب يهدم الشروط المتفق عليها . فلما طلبت منه الحكومة إجابة هذا الطلب أجابها بصراحة :

« أنا لا أتزحزح عن عقيدتى بوجوب تعيين وتحديد التضحية التى يمكن أن تبذلها الدولة بعد هزيمتها » ، وكتب إلى رئيس الوزارة « إن الانقياد إلى البريطانيين فى طلباتهم قبل إزالة ما فى نصوص المعاهدة من إبهام ولبس لا يبقى هناك وسيلة للوقوف أمام أطماعهم » .

كان الفرنسيون على علم بنيات البريطانيين وهم حلفاؤهم طول مدة الحرب ، وكان الأتراك على علم بما يدور حولهم وما يمكن أن يسببه لهم التساهل والإغضاء عن حقوقهم ، والآن وقد نشرت أغلب وثائق الحرب العظمى الأولى ، أصبح من السهل تتبع المركز الخطير الذى لعبته منطقة أنطاكية وخليج الاسكندرونة فى استراتيجية الحرب بين السنوات ١٩١٤ و ١٩١٨ .

وسوف نبدأ من الناحية التركية ثم ننتقل إلى وجهة النظر البريطانية : ففى سنة ١٩١٦-١٩١٧ تألفت مجموعة من الفرق أطلق عليها اسم مجموعة الصاعقة « ييلدريم » وكانت حلب مركزاً لها وتولى قيادتها الماريشال فون فالكنهاين ومعه نخبة من رجال الجيش والبحرية والطيران ، ومن الاطلاع على التاريخ الرسمى الذى نشرته وزارة الحربية التركية فى نشراتها عن تاريخ الحرب ؛ يتبين أن القصد من تأليف هذه القوة هو السيطرة على ميادين القتال فى فلسطين والعراق ثم حماية منطقة أنطاكية وخليج الاسكندرونة ضد أى هجوم يشنه الحلفاء ويكون القصد منه قطع المواصلات العسكرية وعمليات تموين الجيوش فى أهم نقطة حساسة فى أراضى الامبراطورية العثمانية[1] .

(١) « ييلدريم » أركان حربية عمومية تاريخ حرب تعرياتي .

ويؤكد هذا ما كتبه هندنبرج : « لو وفق الانجليز إلى إنزال جنودهم فى خليج الاسكندرونة لفقدت تركيا الحرب نهائياً أو اضطرت إلى الاحتماء فى جبال طوروس » ، وكان قد شبه فى مذكراته هذه المنطقة بالشريان الحيوى لتموين الجيوش التى تقاتل فى العراق وسوريا وفلسطين وقال : « إن مدافع السواحل لم يكن لها وجود » .

وأشار إلى ما قاله أنور باشا « من أن أمله الوحيد هو ألا يلمس العدو حالة الضعف التى عليها خليج الاسكندرونة » .

ولذلك ختم حديثه بقوله « إن قيام الدولة العثمانية أو استمرار الحرب كان مرتبطاً بمصير هذه البقعة ، وإن الضربات التى لقيتها بسقوط بغداد وتحطيم جبهة فلسطين جعل تجمع جيوش الصاعقة ضرورياً ، وألزم منه إسناد قيادة هذه المجموعة إلى قائد ألمانى معروف وهذا ما جعله يوافق على هذا التعيين » . ومن اطلاعك على ذلك يتضح ما مر بمخيلة مصطفى كمال حينما تمسك بشروط الهدنة ولمس فى الإخلال بها رغبة جديدة لاتخاذ سياسة أشد عداء لبلاده ، وقد كان محقاً فى ذلك لأن نيات البريطانيين من ناحية خليج الاسكندرونة لم تكن خافية طول مدة الحرب كما قلنا ؛ فقد ذكرت المؤلفات الرسمية لوزارة الحربية البريطانية عن تاريخ الحرب العظمى[1] ما دار من نقاش بين اللورد كتشنر والجنرال مكسويل فى نوفمبر سنة ١٩١٤ بخصوص إنزال حملة بريطانية على خليج الاسكندرونة وتوجيه ضربة قاصمة إلى منطقة أنطاكية ونهاية الخطوط الحديدية فى جبال طوروس حتى يمكن تحطيم مواصلات الامبراطورية العثمانية .

وقد تبين من هذه المحادثات أن احتلال هذه المنطقة قد درسته القيادة البريطانية درساً وافياً ، وكان القصد من إنزال الجنود هو حماية مصر أو منع الحملة التركية الموجهة إلى مهاجمة قناة السويس من إتمام فتح مصر ، وكان هذا المشروع جدياً لدرجة أن نظر إلى الناحية السياسية التى ستنتج عنه وهى قيام ثورات الارمن ووسط قبائل النصيرية والاسماعيلية وتحريك كل ما يؤدى إلى انحلال الحكم التركى ، وقد عرض كل ذلك بموافقة الأميرالية البريطانية على مجلس الوزراء ، ولكن كتشنر عاد أمام أسباب عسكرية وسياسية إلى التمسك بضرورة حماية قناة السويس والوقوف موقفاً دفاعياً سلبياً والاكتفاء بتشديد الرقابة والحصار على شواطىء سوريا بأكملها ، وبادرت القيادة

(1) Offrial Hisory of the Wor - Milflatey Oheratens

البريطانية بإرسال الفرق البريطانية والهندية التى صدت هجوم جمال باشا على مصر فى فبراير سنة ١٩١٥ .

ثم عادت حملة خليج الاسكندرونة إلى الظهور مرة أخرى ، وكان ذلك فى نهاية عام ١٩١٥ حينما فشلت بريطانيا فى حرب الدردنيل وقررت إخلاء شبه الجزيرة وسحب جنودها منها فقد جاء كتشنر بصفته وزيراً للحربية إلى ميادين القتال فى غاليبولى ومصر ولمس بنفسه سوء الحالة العسكرية قبل الإخلاء وما يحمله من تطورات ومفاجآت وأشار إلى رد الفعل الذى قد يحدث بعد فشل حملة الدردنيل فى العالم الإسلامى وإلى وجود عدد من الفرق التركية المدربة على أصول القتال الحديث بعد اشتباكها فى معارك الدردنيل ، ثم نظر إلى أن دخول بلغاريا الحرب قد فتح الطريق بين تركيا وألمانيا وأصبح تدفق الأسلحة والعتاد ممكناً ، ولذلك يجدد الخطر مرة أخرى على مصر وهى مركز الزاوية فى العمليات الحربية البريطانية ... وجاء التصريح الذى ألقاه أنور باشا أمام مجلس المبعوثين وقال فيه « إن الحملة الأولى على مصر كانت عملية استكشافية تعرضية وسيعقبها حملة ثانية لاسترجاع مصر » ، لتحريك هذه المخاوف .

ولذلك ازداد قلق ماكسويل وصارح وزارة الحربية البريطانية بأن إخلاء الدردنيل سيكون شديد الوطأة على المكلفين بحماية مصر وسيكون أثره بعيداً من الناحيتين السياسية والعسكرية إن لم تبادر بريطانيا بتوجيه ضربة عاجلة إلى الدولة العثمانية . وعاد ليعزز اقتراح كتشنر بضرورة إنزال حملة بريطانية على خليج الاسكندرونة بل ذهب فى تحمسه أن عرض على حكومته أن احتلال هذه المنطقة يجب أن يسبق عمليات الإخلاء فى الدردنيل .

ورجعت وزارة الحربية إلى دراسة هذه الحملة وقدرت القوات اللازمة بمائة ألف مقاتل وأخذت القيادة العليا مع قيادة الأسطول تضمان الخطط التفصيلية ، واتفق الطرفان على مبدأ الجمع بين المشكلة السورية ومسألة الدفاع عن مصر ، وضرورة تنسيق العمليات الحربية بين قناة السويس وخليج الاسكندرونة .

وعرضت جميع الخطط فى الاجتماع الحربى الذى عقده كتشنر فى جزيرة مدروس ودعى إليه كبار القواد ، وكان قرارهم على ضرورة احتلال منطقة الاسكندرونة بالاجماع حتى حددت فى هذا الاجتماع على الخرائط الأماكن الذى اختيرت لانزال الجنود

ولكن هذا المشروع تعرض من الوجهة الفنية العسكرية لانتقاد رياسة أركان الحرب العامة للامبراطورية ، ودارت عدة مناقشات طويلة يجدها الباحث مفصلة فى الكتب والوثائق الرسمية ، وفى أثناء ذلك جاءت المذكرة الفرنسية التى قدمها الكولونيل دى بانوس الملحق العسكرى بسفارة فرنسا بلندرة ، وهى المذكرة التى قضت على المشروع لتعارضه مع مصالح الفرنسيين إذ جاء فيها إن أى عمل حربى فى هذه المنطقة يجب أن يكون باتفاق الحكومتين لأن فرنسا لا تدافع عن مصالحها الاقتصادية فحسب ، وإنما تضع الناحية السياسية والنفوذ الأدبى قبل كل اعتبار فى بلاد تعدها بواسطة الاتفاقات الدولية داخلة فى مناطق نفوذها

وذهب رئيس وزارة بريطانيا إلى باريس ولما عاد أصدرت الحكومة البريطانية قراراً برفض مشروع الحملة واستبعاد فكرة احتلال خليج الاسكندرونة ، وإن بقيت كل من تركيا وألمانيا تنتظران هذه الحملة حتى نهاية الحرب العظمى وإعلان الهدنة .

ذكر هندنبرج فى مذكراته أن أعباء مدة الحرب لم تكن تسمح له بقراءة التقارير التى يرفعها إليه خبراؤه العسكريون فكان يكتفى بالملخصات ولكن لفت نظره ما جاء فى أحدها من أن نهاية الحرب سوف تقرر فى خليج الاسكندرونة ، وذلك باستدراج العدو إلى معركة فى كِلِّس .

قال « كنت أجهل هذا الإسم ، ولهذا كان أول عمل لى هو البحث عنه وقد وجدته اسماً لبلدة صغيرة فى شمالى حلب » .

ومن الغريب أن الانتقادات التى وجهها الخبراء البريطانيون إلى مشروع كتشنر ترتكز على افتراض تجمع فى هذه الناحية وقالوا إن طبيعة المنطقة بأكملها تساعد على إخفاء قوات كبيرة فى أماكن مختلفة وتسهل عمليات الدفاع والمفاجأة .

إن الفكرة التى نظر إليها باستهتار القائد الألمانى العظيم كانت من ضمن الأسباب الفنية التى أخرت تنفيذ هذه الحملة .

والآن وقد قامت سوريا تطالب بعودة هذه المنطقة إلى أراضيها نعرض هنا هذه الآراء على المهتمين بمستقبل الشرق وأممه إذ نستخلص منها حقيقة ثابتة هى أن الدفاع عن البحر الأبيض المتوسط سيتولاه فى المستقبل أهله ، وإنه لن يقتصر على المضايق وسواحل اليونان وجزر بحرايجه بل يرتكز على منطقة الاسكندرونة وأن الدفاع عن وادى النيل كما رأينا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدفاع عن هذه الناحية فى السنوات القادمة .

أما ملامح العروبة والاسلام على هذه الأرض فلها عودة فى مقال قريب بإذن الله .

أحمد رمزى

رثاء الأستاذ الأكبر

للأستاذ عباس محمود العقاد

عصف النعىّ بكل قلب خافق   يوم استطار بنعى عبد الرازق
من راب سمع السامعين بخطبه   وهو المعلّم كل علم صادق
ومن استقام على الفضيلة والتُّقى   ورعى مع المخلوق حق الخالق
ومن ارتضى شيم الثبات لزيه   ولرأيه ، ولكل سمت لائق
ومن اتقى حسد الحسود بخير ما   يُرجى ويُحسد من نُهى وخلائق
نظرٌ كسارى النجم مؤتلق على   أدب كأفواف الربيع العابق
بلغ الذى فى الدين والدنيا معاً   وعلا من الأحساب ذروة شاهق
أسفاً عليه ! وكم حزين آسف   أسفى على ذاك المحيا الرائق
ماذا عليـــه لو استتم بقاءه   كتمامه فى كل وصف فائق
ذاك الذى كملت جوانب فضله   وتناسقت فى الحسن أى تناسق

من مثل نابغة النوابغ مصطفى   فى سابق من مجده أو لاحق
رجّاه والده الكريم لغاية   حسنى ، فوفاها وفاء الواثق
ربّاه حِبراً للديانة فاستوى   فى نخبة الأحبار أسبق سابق
ونماه فى حجر العبادة مسلماً   فهدى الحجيج وحجّ كلّ منافق
وأعده للعـــلم فاستوفى به   حظ العليم الفيلسوف الحاذق
وغذاه بالتبيان فانقادت له   غرر اليراع بكل معنى شائق
وهداه للاحسان فهو وليه   لمعاهد الإحسان غير مفارق
ورجاه للعلياء فاستبق الخطى   سبق الكرام إلى المقام السامق
لا وانياً عنها ، ولا متعجلا   فيها ، تعجّل مشفق من عائق
وكأنه وعد الأمين وفى به   فطوى صحيفته كلمح البارق
لو لم يكن قدراً قضاه لما قضى   كالنجم يرجع غارباً من شارق
إن المطالع لا يقر قرارهـا   بعد التمام ، ولا تدوم لطارق

يا آخذاً من كل شىء صفوه   بوركت من ذى معجزات خارق
حتى الخمول بلغت غاية حظه   عجباً ، وأنت من العلا فى حالق
لم ألق قبلك من نبيه آمن   من شرة الباغى وغيظ الحانق
تلك المدامع ما امتزجن بدمعة   من كاذب فى حزنه أو ماذق
ولتلك من رضوان ربك آية   تخذت من الأجماع أصدق ناطق
فادخل حظيرته بخير خلائق   مرضية منه وخير علائق
ما الموت يا كشاف كل حقيقة   إلا حقائق حُجّبت بحقائق

مصطفى عبد الرازق

الشيخ الأكبر الذى فقدناه !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أيها الروح الزكى الكريم الذى حبسه الموت عن كل قلب عرفه كما يُحبس النسيمُ الرخىُّ عن قلب المحرور الظمآن !

أيها العقل الكبير الذى حول فى نفسه ما عرفه من هدى الدين وفلسفة الرأى الصحيح إلى حكمة الخلق الراجح واللفظ النزيه والعمل المبرور ، فلم ير فيه الناس ذلك التناقض البغيض بين حكمة القول وطيش العمل ، وعلم الدرس وجهل العيش ، بل رأوا دينه وعلمه وحكمته كماء الشجرة الطيبة يحييها ويجرى فيها عنصراً أصيلا يتحول لُباباً حياً وورقاً حريرياً ندياً وزهراً شذياً وثمراً شهياً يملأ الحواس والإدراك وحيّه وتعبيره ، لا كالماء فى شجرة الحنظل يتحول فيها إلى مر زُعاق ، أو فى دم الأفعى يتحول إلى سم مَدُوف كما يتحول العلم فى بعض العقول !

ويا أيتها الواحة المُخضَلَّة الوارفة التى كانت تميش هادئة فى مَدٍّ الرمال الطاغية ، رمال الخيلاء العلمية المزدهاة والتقعرات الكلامية الجوفاء ، والدعاوى العريضة والمزاعم المنادية على نفسها مناداة المتاجر فى الأسواق !

ويا أيتها السكينة النفسية التى كانت تشع على من يقرب منها ألواناً من الرضى والطمأنينة ، وتدخله إلى رحاب عالم من السكون والصمت المتحدث !

ويا أيتها « القطعة الفنية » الباقية من الشرق الكريم فى وجوهه الحيية وألفاظه العفيفة وثيابه الساترة التى فيها شخصيته وأبوته ووقاره !

ويا أيتها الصوفية العقلية العملية التى تربى مُريدَها بالأدب الرفيع يتحلى به الكبير أمام الصغير فيأخذه عنه بدون قوالب ألفاظ وفلسفات ومجادلات ، بل بذلك السر الخفى الذى يعطيه الآباء الحكماء للأبناء !

ويا أيتها المكرمات التى لا حد لما كانت تبذله من جاهها ومالها وحسن إقبالها على المحتاجين إلى برها ، كأنها الينبوع الفياض فى هدوء بين قسوة الظروف وشح الأنفس !

ويا أيتها التقاليد الصالحة العارفة بما عند قومها من محامد ، فهى معتزة بها مستمسكة بعراها فى آداب البيت والزى واللهجة وإن اختلف الزمان واختلت الأوضاع وطغت عوامل التحلل من الواجبات والتقاليد الكريمة على البيوت والألسنة والحرمات !

ألا أيتها المعانى والعوالم التى كانت مجسمة فى هذا الجسم المهذب الحواشى الدمث الجوانب الذى كان الكمال والسمت يقيده فى الحركة والالتفتة والكلمة ... هل يملك مثلى ممن كان يعيش معك فترات يجدد فيها ذكرى والده فى صورتك وروحك ويحيى الوفاء الذى كان بينكما ، إلا أن ينظر الآن من وراء الغيب إلى هذه الحفرة التى أسلموا إليها ذلك الجسم الزكى الحبيب الذى كان يحتلك أيتها المعانى ؟ ! وماذا يغنى النظر فى تلك الحفر التى مضى إليها كل من كان ويمضى إليها كل من هو كائن فى أبد الآبدين ؟ ! ... هل يغنى إلا الحسرة على الفقد وضياع ما فى يد الإنسانية من تلك المعانى العزيزة النفيسة التى هيهات أن تجتمع فى ذات إلا فى خطفات زمنية وذوات معدودة يجود بها الزمان على بخل وشذوذ ؟ إن هذه الذوات التى تجتمع فيها هذه الخلال إنما هى الكتب الحية والكلمات المجسمة التى تفسر الأفكار والأحلام التى يقرؤها القارئون فى عالم الكتب المسطورة فيظنونها مخلوقات من عالم الأطياف لا حياة لها على هذه الأرض حتى يروا النموذج فى شخص حى فيصدقوا ...

وكم يرى الناس من عالم يملأ طباق الفكر علماً ، ولكنه لا يملأ الفجوة الواعية الحساسة الصادقة فى النفس ! لأن علمه منفصل عن ذاته وحياته ، فهو فى فكره كالشىء المقتنى فى يده ، لم يجر من ذاته مجرى الدم فى قلبه والرأى فى عقله والخلق فى سلوكه فهو حقيق ألا يرى الناس فيه قدوة تهدى أرواحهم القلقة : وإنما ينظرون إلى علمه بإعجاب ، كإعجابهم بالمشموذ أو الحاوى !

وكم رأى الناس من روحى لا يحسن الكلام ولكن يحسن السلوك والعمل وتفيض يداه بالخير وقلبه بالعطف فيكون فيه للناس علامة مشيرة أبداً إلى منطقة النجاة من لجج الوحل والدنس التى تقطع السبل على الرجل المتطهر ! فإذا اجتمع العلم والروح فى شخص كان فضل الله عليه عظيما ، فإذا كان ذلك على غنى وجاه لرجل يؤدى زكاة الغنى والجاه بالكيل الوافى كان ذلك فضلا عظيما مضاعفاً يعتبر ندرة تجمع عليها القلوب بالحمد .

أنا واثق أن كل فرد ممن اتصل بالفقيد يستطيع أن يسرد وقائع شخصية له من مكارم هذه الذات ، أدبية أو مادية ، ولذلك أقترح أن تدون هذه المكارم لتضم إلى المذخور المأثور عن أجواد العرب وساداتهم وعلماء المسلمين الأبرار ، فإن فى هذا التدوين ثروة تضاف إلى عبقرية الخلق التى هى أعظم العبقريات فى الإنسان على رغم ما يشاع عن عبقرية الفكر أو عبقرية الفن ، لأن عبقرية الخلُق هى (فن الحياة) الذى ينمو فى ظلاله الاجتماع الإنسانى بما فيه من نتاج فكرى وفنى وعملى ، فهى عبقرية أشبه شىء بالأمومة المضحية الفادية المعطية من غير أخذ . وهى عبقرية يختص الله بها قلوب طراز من الرجال يصح أن يسمى (الرجال الأمهات) ! لشدة حبهم لنفع الإنسانية وتفانيهم فى خدمتها وبرها .

أيها الروح الزكى الذى كان أباً وأخاً وصديقاً للجميع ؛ إن القوم اجتمعوا لا ليكرموا ذكراك ، فإنها عنصر من مكونات معنى الكرم ذاته فى أفهام الناس فى هذا المصر ... ولكنهم اجتمعوا ليكرموا أنفسهم بحديث ذكراك . ولو أرادوا أن يكرموك لأدركوا منك فى حياتك كامل ما أدركوه بعد فقدك ... ولكنهم اعتادوا مع الأسف الشديد ألا يكرموا الفضائل إلا بعد موت الفاضل ... لأن انتقال الموت يفجأهم ويفجعهم فيحسون أن الأرض تزلزل تحت أقدامهم بعد أن يتحطم قطب من أقطاب حياتهم عليها ... وكانوا يدورون حوله وهم لا يشعرون ...

فمتى ترشد الأمم الشرقية فتتمتع بثمارها الناضجة التى أودع الله فيها سر النوع البشرى قبل عطبها أو اختطافها ! لماذا لا ندرك منازلهم فى قلوبنا إلا بعد فقدهم ، لماذا لا نسرهم فى حياتهم بالاستجابة لداعية الخير فى نفوسهم حتى يمضوا مطمئنين إلى بقاء الخير والبر بعدهم ؟ لماذا لا تكون الدائم قبل المراثى ؟

ما أصدق تلك الكلمة التى قالها الأول :

لا أعرفنك بعد الموت تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادى !

وما أصدق قول الآخر :

ترى الفتى ينكر فضل الفتى ما دام حياً فإذا ما ذهب .
لج به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب !

فاللهم ارشدنا وبصرنا حتى ندرك أن أعظم ثروات الأمة هم رجالها الأفذاذ فى الخلق والعلم فننتفع بهم ونتمتع بعبقرياتهم ، ولا نضيعهم ثم نبكى عليهم !

روّح الله روح الفقيد وأرواح أحبائه ، وأحسن العزاء فيه للجميع فإنه فقيد الجميع .

عبد المنعم خلاف

مراجعات فى الفلسفة :

نظرية المعرفة عند شوبنهور

للأستاذ عبد الكريم الناصرى

— ٢ —

وللذهن وظيفة واحدة ، وهى معرفة « العلية » . ولكن العلية تفترض الزمان والمكان مقدماً ، وتفترضهما متلازمين متحدين . إذ ليست العلية مجرد توال للأشياء فى الزمان ، وإنما هى هذا التوالى بالإشارة إلى موضع من المكان ؛ ولا هى مجرد وجود الأشياء فى المكان ، وإنما هى هذا الوجود بالإشارة إلى لحظات الزمان . إن العلية هى « حاصل ضرب المكان فى الزمان » وبهذه الوظيفة الواحدة ، أعنى معرفة العلة من المعلول ، والمعلول من العلة ، يدرك الذهن العالم الواقعى . والمعلول هنا هو تأثرات « الموضوع المباشر » أى الجسم الحيوان ، ومهمة الذهن أن يحيل هذه التأثرات — التى نعطاها مباشرة — إلى عللها الخارجية ، وبذلك يتم إدراك هذه العلل كموضوعات ممتدة فى المكان . وليست الإحالة المذكورة عملية تجريدية تصورية ، وإنما هى فعل مباشر ، فورى ، ضرورى . ولولا الذهن ووظيفته ، لما أمكن الإنسان والحيوان أن يدركا العالم المادى القائم فى المكان ، والمتغير فى الزمان ، والمترابط برباط العلية ، بل لكانا يشعران شعوراً « نباتياً » غامضاً بتغيرات البدن ، وأحاسيسه المتوالية ، دون أن يكون لمثل هذا التوالى دلالة مفهومة ؛ وإنما تكتسب التغيرات المتعاقبة فى « الزمان » معناها وترجع الأحاسيس مدركات حسية ، ممتدة فى « المكان » ، بفضل الذهن ، حين ينتقل من الإحساس إلى علته ، أى الموضوع الخارجى ومن هنا فالعالم المادى « لا يوجد إلا بالنسبة إلى الذهن ، وبواسطة الذهن ، وفى الذهن » .

وتتدرج معرفة العلية من أبسط أشكالها ، وهو الإدراك الحسى ، أومعرفة الصلة العلية بين الموضوع المباشر [1] والموضوعات غير المباشرة المؤثرة فيه ، حتى أعلى درجات الروابط العلية القائمة بين الموضوعات غير المباشرة ، وينتظم ذلك استكشاف القوانين الطبيعية ؛ فان هذا كله من عمل الذهن والعيان ، وليس من عمل العقل والتصور ، وما المجردات فى الواقع إلا انعكاسات باهتة لعالم الحس والعيان .

* * *

ولكن إذا كان الإدراك يحصل عن طريق معرفة العلية ، فليس معنى ذلك ، فيما يرى شوبنهاور ، أن صلة الذات بالموضوع صلة علة بمعلول ؛ لأن هذه الصلة لا تقوم إلا بين الموضوع المباشر والموضوعات غير المباشرة أى بين « الموضوعات » وحدها — وليست تعدو الموضوعات إلى الذات . ومن ثم لا يجوز لنا أن نعتبر الموضوع معلولا للذات ، ولا الذات معلولة للموضوع . إن العلية هى شرط إمكان وجود « الموضوع » ، وصورته العامة ولكن الموضوع يفترض الذات مقدماً أو ضمناً ، إذ لا موضع بغير ذات تدركه ، فاذا كان ثمت موضوع ، فهناك بالضرورة ذات . وبعكس ذلك يقال ، إن الذات تتضمن وجود الموضوع فلا ذات بغير موضوع ، ولا عارف بغير معروف . وبذلك يكون ازدواج الذات والموضوع أعم صورة لعالم « الفكرة » . إنه أعم من الزمان والمكان والعلية ، لأن كل هذه الصور تتضمن النسبة إلى الذات . لا شىء فى هذا العالم إلا وهو — أولا وقبل كل اعتبار — موضوع بالنسبة إلى ذات ، أو هو « فكرة » . ومن هنا فليس للعالم المحسوس واقمية « متعالية » أو مطلقة ، ولكن هذا لاينفى واقعيته « التجريبية » ، أو النسبية . ولكل كائن مدرك أن يقول : « إن العالم فكرتى » ، وإن كان الانسان وحده قادراً على تصور هذه الحقيقة فى وعيه المروى المجرد . « وهو إن يفعل ذلك حقاً » كما يقول شوبنهاور فى أول أثره الرئيسى ،

---

(١) شوبنهاور يسمى الجسم الحيوانى « بالموضوع المباشر » لأننا نعرف (أو بالأحرى نحس) تأثراته مباشرة ، وهى كما رأينا نقطة البدء فى إدراكنا الموضوعات الحسية ، التى يصح أن تدعى — لهذا الاعتبار — موضوعات غير مباشرة للذات . على أن من الواجب أن نلاحظ أن وصفنا = البدن بالموضوع « المباشر » وصف غيردقيق لأننا قد تجوزنا فى التعبير فأسمينا مجرد الاحساس (الذى يحدث لذة أو ألماً ، أى الذى يوجد بالنسبة إلى المعرفة فقط دون الارادة) فكرة ، مع أنه لا يكون فكرة مدركة حقاً إلا بعد أن يعمل الزمن فيه عمله ؛ لأن الذى يدرك هو الزمن وحده ، لا الحساسية . ومعنى هذا أن البدن ، باعتباره فكرة قائمة فى المكان ، لايعرف إلا بطريق غيرمباشر ، كالشأن فى سائر الموضوعات ، وذلك بعدتطبيق قانون العلية على فعل جزء من أجزاء البدن فى جزء آخر ، كان تبصره العين أو تلمسه اليد .

« يكون قد بلغ الحكمة الفلسفية . وعندئذ يتضح له ويتيقن عنده أن مايعرفه ليس شمساً ولا أرضاً ، وإنما هو عين ترى شمساً ويد تحس أرضاً ، وأن العالم الذي يحيط به لا يوجد إلا بالنسبة إلى شيء آخر ، هو الوعي . » . وإذا كان ههنا حقيقة يمكن أن تقرر مقدماً أو « قبلياً » — أي قبل كل تجربة — فهي هذه الحقيقة ، لأنها « تعبر عن أعم صورة لكل تجربة ممكنة ومتصورة صورة هي أعم في الزمان ، والمكان ، والعلية ، لأن هذه الصور جميعاً تفترضها مقدماً ... إن ازدواج الموضوع ، والذات هو الصورة المشتركة بين جميع أصناف الفكرات ، هو الصورة التي بمقتضاها وحدها يمكن أن تقوم أو تتصور أية فكرة ، أيًّاما كان نوعها ، مجردة أو عيانية ، خالصة أو تجريبية . ما من حقيقة إذن أكثر يقيناً ، وأكثر استقلالا عن سائر الحقائق ، وأقل حاجة إلى الدليل من هذه الحقيقة ، وهي أن كل ما يوجد بالنسبة إلى المعرفة ، وبالتالي هذا العالم كله ، فانما هو موضوع بالنسبة إلى ذات ، إدراك مدرك ، وبالإيجاز فكرة » .

الذات والموضوع إذن هما قطبا عالم الفكرة، وشطراه الضروريان. والذات هي « ذلك الذي يعرف كل شيء ، وليس يعرفه شيء » ، وهي لذلك حاملة الظواهر ، وشرط كل مايعرف أو يمكن أن يعرف شرط العالم كله ، باعتباره فكرة . وكل منا هو هذا الحامل للعالم الظاهر ، بجباله وأنهاره ، ونجومه وأفلاكه ؛ كل منا ذات ، ولكن من حيث هو يعرف ، لا من حيث هو معروف ، أو موضوع معرفة . ذلك أننا لسنا محض عقول خالصة ، وإنما نحن أبدان أيضاً . والبدن موضوع بين الموضوعات ، وخاضع لشروط وجودها (المكان والزمان والعلية) ؛ وبما أن الزمان والمكان هما شرطا الكثرة أو التعدد ، فأبداننا تتعدد ؛ ولكن الذات لا تخضع لهذين الشرطين ، لأنهما يتعلقان بالموضوعات أو المعروفات فقط ولكن يفترضان الذات العارفة مقدماً ؛ ولذا فالذات لا تتعدد ؛ ولكنها ليست بعد واحدة ؛ « وإنما هي حاضرة — كاملة غير منقسمة - في كل كائن مدرك . ولذا فأي كائن مدرك خليق بأن يكون ، مع الموضوع ، عالم الفكرة كله ، كأتم ما تكونه الملايين القائمة ؛ ولكن لو اختفى هذا الكائن الواحد ، إذن لاختفى العالم كله ، بما هو فكرة » هذان الشطران إذن مقترنان ، متضايفان ، لا سبيل إلى فصل أحدهما عن الآخر كلٌّ منهما يحدُّ صاحبه مباشرة ، فحيث يبدأ الموضوع تنتهي الذات .

ومن الممكن اعتبار الزمان والمكان والعلية ، التي تستقرُّ في وعينا قبْلياً ، وتكون الشكول العامة للعالم الموضوعي ، الحد المشترك الذي تلتقي فيه الذات والموضوع . ولذلك نستطيع أن نكتشف هذه المبادئ إما من الموضوع (أو بعدياً) وإما من الذات (أو قبلياً) . وقد جعل شوبنهاور مبدأ السبب الكافي — كما سبق القول — التعبير العام عن جميع معارفنا القبلية الخالصة . وبمقتضاه تسود الضرورة السببية جميع أنواع الفكر أو الموضوعات . فما من موضوع إلا وهو مُعين من جهة معين من جهة أخرى . فلا شيء مستقل ، لاشيء حر ، لاشيء مطلق ؛ بل كل شيء نسبيّ ، قائم بغيره ، مفتقر إلى غيره ، موجود لأن غيره موجود . إن عالم الظواهر خاضع لقوانين ضرورية صارمة ، وكل هذه القوانين ترجع في النهاية إلى مبدأ السبب الكافي . وقد شرح شوبنهاور هذا المبدأ ، بأشكاله الأربعة ، في رسالته الموسومة « بالجذر الرباعي لمبدأ السبب الكافي ، وهي أطروحته للدكتوراه ، ومجمل القول فيه أن هناك أربعة أصناف من الموضوعات وهي « المدركات الحسية » و « التصورات » و « العيانات الخالصة » و « المشيئات » . وكل من هذه الأصناف خاضع لشكل من أشكال المبدأ المذكور ، الذي يقوِّم طبيعة الموضوعات بما هي موضوعات ، أي تمثلات بالنسبة إلى الذات . فالصنف الأول يسوده مبدأ الصيرورة (fieudi) ، والثاني يسوده مبدأ المعرفة (cognoscendi) ، والثالث يسوده مبدأ الوجود (essendi) ، والرابع يسوده مبدأ الفعل (ageudi) .

(البقية في العدد القادم)

عبد الكريم الناصري

الأدب في سير أعلامه :

٩ ـ تولستوى

[قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

روسيا لا تزال فى الغسق

أهل على أوروبا نور القرن التاسع عشر وروسيا ما تزال فى الغسق ؛ ولئن لاحت فى أفقها بشائر الفجر لحظة على يد قيصرها الإسكندر الأول الذى ولى أمرها فى أول أعوام هذا القرن فإنها ما لبثت أن علمت أنه الفجر الكاذب !

كان الإسكندر يريد أن يوجه همه إلى النهوض ببلاده فى الداخل، وقد اعتزم أن يجنبها ويلات الحرب فى الخارج ، ولكن سرعان ما فطن أن طوفان الحرب لابد مدركه فحالف انجلترة والنمسا وظاهرها على نابليون ، ومن ثم ذهبت بشائر الفجر أباديد فى حلكة الليل العابس .

وما لبث أن ساق نابليون الجيش الأعظم ليذل به روسيا ولكن حملته عليها كانت بداية نهايته ؛ ولما حمل بعد ورتلو إلى سنت هيلانة ، أصبح القيصر فى القارة مرموق المكانة عظيم الخطر ولكن هذا الوضع الذى هيأته الظروف لروسيا فى سياسة القارة كان يتطلب رجلا غير الإسكندر ، فلقد حار هذا الرجل بين دعاة الرجعية وأنصار الحرية كما أضله زمناً تصوفه وحلمه اللذيذ الذى خيل إليه أن فى الإمكان أن تجعل أوروبا تسامح المسيحية أساس العلاقات الدولية ؛ وأخيراً تغلبت عليه سياسة مترنخ ، فصار من أكبر أنصار الرجعية فى القارة وفى روسيا ، وفقد دعاة الحرية أملا عللوا به أنفسهم برهة على يديه .

وأخذت أوروبا تقاوم الرجعية فكانت تلوح بشائر النور مرة وتختفى مرة ، ولكنها كانت ترى كل مرة أسطع منها فى سالفتها نوراً وأطول أمداً حتى ذهب الليل وانهل النور فأضاء كل ركن فى القارة ومحا كل ظلمة .

ولكن ليل روسيا قائم قاتم وآفاقها عابسة دامسة ؛ وكان يدب تحت هذا الليل نحو تسعة وأربعين مليوناً من الأنفس كلهم عبيد ومن هؤلاء زهاء ثلاثة وعشرين مليوناً تابعون للقيصر ، ومثل هذا العدد تابعون لملاك الأراضى ، وماتبقى بعد ذلك فتابعون للكنيسة أو أوزاع وخدم .

ولم يك هؤلاء الملايين يملكون من أمرهم شيئاً ، إذ كانوا فى كل أمر خاضعين لمشيئة سادتهم لا ينتقلون من جهة إلى جهة غيرها ولا يمتلكون شيئاً أو يبيعونه إلا باذن من هؤلاء السادة ؛ وهم فوق ذلك مكلفون بأن يؤدوا للسيد ما يطلب من المال كضريبة أو كمنحة وأن يعملوا مسخرين فى أرضه ، وللسيد إذا باع أرضه أن يبيعهم كما تباع القطعان والسلع ؛ وهو ينزل بهم ما شاء من أنواع العقاب كالجلد والحبس والنفى إلى سيبيريا .

وكان السادة الأرستقراط يعيشون عيشة مترفة ، ولهم فى قصورهم كل ما فى الحياة الأوروبية من مظاهر النعيم ، فالموائد والحفلات الساهرة والأثاث والخدم على اختلاف أعمالهم ومراتبهم كل أولئك على النمط الأوروبى ، وأخذت العادات وآداب المجتمع الأوروبى تتغلب على عادات الروس وعرفهم فى هذه البيوت الأرستوقراطية التى تجعل قياس التمدن الأخذ بأكبر قسط من كل ما هو أوروبى ، حتى اللغة فإنهم فى هذا الوسط يتكلمون الفرنسية فى حفلاتهم التى تجمع بين الرجال والنساء وفق الأسلوب الأوروبى ...

وانحطت الحكومة ، فلا أمانة ولا عدالة ولا إصلاح ؛ وكانت وظائف الدولة لمن يدفع من المال أكثر مما يدفع غيره ، أو لمن كان له بذوى الجاه صلة ، فأصبحت الرشوة أمراً لا غرابة فيه ، وتفشت حتى تسللت إلى المحاكم دانيها وعاليها ؛ ولم يكن للحكومة منهاج أو شبه منهاج للاصلاح ، وحسب رجالها فى المقاطعات أن يجمعوا لأنفسهم المال بكل ما وسعهم من حيلة أو واتاهم من بطش ...

وكان الملايين من الزراع أضعف من أن يشتكوا ؛ لهذا حملوا الآلام كما تحملها الدواب فلم يكونوا صابرين على حالهم وإنما لم تكن لهم فيه حيلة ! ولقد كانت حال هؤلاء المساكين أسوأ كثيراً من حال المزارعين فى فرنسا قبل ثورتهم الكبرى ، ولكن أولئك الفرنسيين كانت بينهم طبقة امتلكت وتعلمت وتأثرت بكتابة المفكرين والفلاسفة وهى الطبقة الوسطى ، ومن بين صفوف هذه الطبقة انبعثت الشكوى ثم رجفت بعد ذلك الراجفة !

أما فى روسيا فلم يكن غير كبار الملاك وهم السادة وملايين

الزراع وهم العبيد ؛ على أن مقاومة الاستبداد فى روسيا جاء على يد نفر من هؤلاء السادة المتملكين ، الأمر الذى يبدو عجيباً لما فيه من تناقض ؛ ولكن للمسألة وجهاً يفسر هذا التناقض ، وذلك أن هؤلاء السادة لم يكرهوا الاستبداد ولكنهم كرهوا أن تعتمد الحكومة القيصرية على طبقة الموظفين والحكام ومعظم رجالها من عنصر ألمانى وتهمل أعيان الروس رغبة فى القضاء على طموحهم نحو التسلط ، ومن ثم رحب هؤلاء بكل شكوى تنبعث ضد القيصر وحكومته .

وثمة فريق آخر يعطف أشد العطف على كل رغبة فى الإصلاح وهؤلاء هم رجال الجيش العائدون من فرنسا والقارة بعد سقوط نابليون وبخاصة الشبان ، فلقد امتلأت قلوبهم بآمال وأحلام ، وعادوا إلى روسيا آملين أن يطلع على بلادهم نور يزيح عنها هذا الغسق ، كما عاد لافاييت وأقرانه من شباب فرنسا الذين تطوعوا فى صفوف الأمريكان فى حرب استقلالهم إلى وطنهم يحملون مبادىء الثورة ويرتقبون الميلاد الجديد ...

وتسامع هؤلاء الرجال بالجمعيات السرية فى القارة كالكاربونارى فى إيطاليا والهيتيريان فى اليونان ، فأسسوا لهم فى روسيا رابطة الخير العام ، وجعلوها سرية بالضرورة ؛ وتفرع من هذه الجمعية فرع فى الشمال كانت وجهته الملكية الدستورية ، وفرع فى الجنوب كان لا يرى غير الجمهورية ؛ كما نبتت فى الجنوب جماعة سرية أخرى جعلت منهاجها ضم جميع السلاف فى اتحاد عام

ولكن هذه الجمعيات كانت كما وصفها أحد الكتاب « جيلا لا آباء له ولا أبناء » ، فظلوا لبعد أفكارهم ومبادئهم عن أذهان معاصريهم محصورين لا يكاد نطاقهم يتسع ، ولم يأتوا عملا ذا بال إلا فى سنة ١٨٢٥ فإنه لما مات الإسكندر ترك ثلاثة إخوة كان أكبرهم قسطنطين ولذلك فهو وارث الحكم ، ولكن الذى ارتقى العرش كان نيقولا بدعوى أن أخاه تنازل له عن حقه كما أراد القيصر المتوفى ؛ وأحيط ارتقاء نيقولا العرش على هذا النحو بشبهات فانتهزت الجمعيات السرية الفرصة ورفضت فرقة جيش موسكو أن تقسم يمين الولاء للقيصر الجديد ، ووقعت بعض القلاقل فى الجنوب ، ولكن القيصر ما لبث أن تغلب على هذه الحركة فى يسر وتعرف بحركة الديسمبريين لأنها وقعت فى ديسمبر من ذلك العام ؛ وقضى بعض أفراد الجمعيات نحبهم ونفى البعض إلى سيبيريا. قال أحد زعمائهم عند إعدامه « لقد كان خطأى أنى حاولت أن أجمع الحصيد قبل أن أبذر الحب » ؛ وقال آخر « لقد عرفت من قبل أن لا أمل لنا فى النجاح كما عرفت أنه لابد أن أضحى بحياتى! إن ساعة الحصاد آتية فيما بعد » .

ولقد كان الحصاد الذى يرجون هو الحكم الدستورى والمساواة لدى القانون وتحرير الزراع ؛ ولئن قضى عليهم اليوم فلم تذهب دماؤهم عبثاً ، وما يقدم عبثاً دم هو مهر للحرية الزهراء ...

واشتدت حلكة الغسق فى عهد نيقولا الذى عرف منذ البداية بالصرامة القاسية ، وامتدت يد الطغيان إلى كل مكان ، فعلى كل ما يطبع من الكتب والصحف وما يرد منها من الخارج رقيب عتيد له من السلطان ما يمكنه من إلقاء أى شخص فى غيابة السجن أو نفيه بغير محاكمة ؛ والشباب سجناء فى روسيا لا يسمح لهم بالتعلم فى أوروبا مخافة العدوى ، ورجال الشرطة السرية يبثون عيونهم فى كل ركن ، ولا يحد سلطانهم قانون ولا عرف ؛ ولا تقل آثامهم وفظائعهم عن فظائع محاكم التفتيش الإسبانية فى العصور الوسطى إن لم تزد عنها فحشاً وهولا ، والقيصر مهيمن متربع على عرشه يحسب سكون الناس رضاء وولاء أو لا يجرى فى حسابه شىء من عصيان أو ولاء ...

ونسى القيصر أو لم يدر بخلده أن الحرية يعمل لها أعداؤها وأنصارها على سواء ، فأولئك يذيقون الناس لباس الذل والخوف ليزدادوا له مقتاً ويحتالوا على النجاة منه ؛ وهؤلاء يذيقونهم الأمن والسلام ليلذهم طعمه ويحرصوا على الدفاع عنه .

ونعم القيصر بالا بما يرى من هدوء ، ولكن دوى العاصفة يسمع من خارج روسيا لا من داخلها ، فها هى ذى حرب القرم تضمه وجيشه منذ سنة ١٨٥٣ تلقاء جيوش انجلترة وفرنسا وتركيا مجتمعة ، ويتلفت القيصر باحثاً عن حماسة الروس فينقلب إليه البصر خاسئاً إذ أن كل ذى رأى فى البلاد ينقم على الجيش ضعفه ويعزو ذلك إلى ما شمل الحكومة كلها من فساد .. ويحرم الطاغية من الاحترام كما حرم من المحبة ، ويوشك أن يسمع دوياً آخر من داخل بلاده ؛ وأى دوى كان إذا مس أذنه أشد إزعاجاً له مما احتواه ذلك المخطوط الذى تداوله الناس فيما تداولوا من المخطوطات على غفلة من الرقيب والشرطة السرية . قال مؤلفه فيما قال « يقول القيصر : لقد جعلنى الله حيث أنا مهيمناً على روسيا فعليكم أن تنحنوا راكعين أمامى فإن عرشى هو كرسيه ، ولا تمنوا أنفسكم بالمصالح العامة فإنى أفكر من أجلكم وأسهر على مصالحكم

كل ساعة ؛ إن عينى الساهرة تنفذ إلى المساوىء الداخلية وإلى ما يعده لنا فى الخارج أعداؤنا ؛ وما أنا فى حاجة إلى من يشير على فإن الله يلهمنى الحكمة فافخروا إذاً أيها الروس بأنكم عبيدى واجعلوا مشيئتى قانونكم .

ولقد أنصتنا معشر الروس إلى هذه الكلمات فى خشوع عميق وسلمنابها طائعين . فماذا كانت العاقبة ؟ كانت عاقبة ذلك أن دفنت المصالح الحقيقية تحت جبال من أكداس الأوراق الحكومية ، وصار يستمسك بحرفية القانون فى كل ما يصدرمنا ، بينما يترك الإهمال والجريمة بغير عقاب إذا جاءت من أعوان الحكومة ، هؤلاء الذين يتمرغون فى التراب أمام الوزراء ثم يسرقون فى غير حياء ... لقد باتت السرقة أمراً مألوفاً حتى أصبح أكثر الناس احتراماً أكثرهم سرقة ؛ وصارت تقرر كفايات الضباط بمجرد النظر ؛ وإذا حصل شخص على منصب قائد فإنه فى نفس الوقت يمكن عده حاكما قديراً أو مهندساً ممتازاً أو سياسياً حكيما . وإن هؤلاء الذين يختارون حكاماً فى الجملة هم طغاة حقاً يوكل إليهم عذاب الناس فى الأقاليم ؛ وكذلك تملأ المناصب الأخرى دون أقل مراعاة للاستحقاق ، فسائس الخيل مثلا يعين رقيباً للمطبوعات ! والماجن الأحمق من حاشية القيصر يعين أميراً للبحر !... وماذا صنعنا نحن معشر الروس طوال ذلك الوقت ؟ لقد نمنا !. . أدى الفلاح ما فرض عليه وهو يئن ورهن المالك نصف ضيعته وهو يئن ، وأدينا جميعاً ما يطلب منا لرجال الحكومة ونحن نئن ؛ ولقد هززنا رؤوسنا أحياناً فى جد هامسين إن هذا عار وهوان ، كما تهامسنا أن لا عدل فى ساحات العدل ، وأن الملايين يقضون حياتهم عبثاً فى سبيل تمتع القيصر بسياحاته وجواسق حرسه ومبانى أبهته وسرادقاته ؛ إن كل شىء حولنا خطأ ، ومع ذلك فأنا بضمير هادىء يشاغب بعضنا بعضاً ليحظى بالتقدم خطوة ليلحق بهذه الخدمة التى نمقتها كل المقت ... فإذا صاح أحد بنا بغتة فى هذه الغفلة الشاملة أن أفيقوا وجاهدوا فى سبيل الحق وفى سبيل روسيا فما أعظم ما يبدو لنا من سخفه ، ثم إنه يتعلم فى سجن مظلم فى سيبيريا أى إثم عظيم ارتكبه بمحاولته إقلاق ما يغط فيه النافلون من العبيد من نوم عميق .

ولكننا مع هذا كله كان لنا عزاء واحد ؛ أمر يحق أن نفخر به وذلك هو قوة روسيا ، وها نحن أولاء وا أسفاه بعد تفاخرنا قد أخذنا على غرة وأحيط بنا ونحن غافلون ... أفيقى يا روسيا ! التهمك الأجانب من أعدائك وحطمتك العبودية ؛ واضطهدك واخجلاه الحمق من ذوى السلطة ومن الجواسيس ... أفيقى من نومك هذا الذى امتد فى جهل وغفلة وقفى ثابتة هادئة أمام عرش الطاغية واسأليه أن يقدم حساباً عن الكارثة القومية »

وكان رجال الحكومة يشعرون أن كثيراً من الأنظمة القائمة يومذاك إنما تقوم على ما يحسه الناس فى أنفسهم من اطمئنان إلى قوة القيصر أو قوة الدولة ، فلما سقط حصن سباستبول زلزلت القيصرية زلزالا عنيفاً ، حتى لقد تناثرت الإشاعات أن القيصر نيقولا حين قضى نحبه إنما مات منتحراً . ولقد كان حكم ذلك القيصر الذى حكم روسيا ثلاثين سنة أشبه بظلمة الليل إذ تشتد حلكته قبيل الفجر ، وكان لروسيا آخر عهدها بالظلمة ، فلما مات تنفست الصعداء ، وتلفتت تتلمس مطلع النور .

(يتبع) **الخفيف**

١ – مضحكات مبكيات

للأستاذ صلاح الدين المنجد

[حديث أنقله إلى صديقي النابغة العالم الأستاذ علي الطنطاوي] .

(صلاح الدين)

كنا أربعة نفر، مللنا عملنا الرسمي، فانطلقنا نستروح نسمات الربيع الدافئة المعطرة في غوطة دمشق، جنة الدنيا، وكنا نحس، وقد ابتعدنا عن المدينة مجمع الشقاق والنفاق، أننا نستطيع أن نتكلم ... فلا رقيب يحصي أنفاسنا ونظراتنا وكلماتنا وليس من يطالبنا بالنفاق باسم اللباقة والتمدن والمصانعة. فقلت لصاحبنا الفتى: لقد هان أمر اللغة والأدب بهؤلاء الذين عادوا وقد لقنوا اللغة على الأعاجم من ذوي الرطانة والمطانة؛ لقد صادفت اليوم في طريقي طالباً في الجامعة فحدثني حديثاً أهمني ... حدثني أن أستاذه قرأ عليه نصاً فيه « لبس ثوب الحِداد » فقرأها « الحدّاد » فلما قال له الطالب: إنها الحِداد يا أستاذ! انتهره وأصر على أنها الحدّاد. ثم ساق الأستاذ على ذلك دليلا تمسك به فقال هكذا أخذناها عن المستشرق فلان ... أتعلمون من هو هذا المستشرق؟ إنه أوسع أهل الاستشراق علماً، وأذكاهم فهماً، وأفصحهم لساناً. وقوله لا يرد لأنه ثقة، ضابط، محرر.

قلت: لقد مُسخ الزمان، فجاء بهؤلاء المسوخ الذين يقولون هكذا أخذناها عن المستشرق فلان. ليت شعري إذا كان الأستاذ هكذا، فكيف يأتي التلاميذ؟ وليت شعري أما درى من انتقى هؤلاء ليكونوا في الجامعة أنهم يهدمون اللغة ويهتكون الادب؟

فقاطعني صاحبي، وقال لاتلم هؤلاء إذا أخطأوا. ولا تعجل عليهم بنقدك إذا تكبروا ... فما كبرياؤهم غير ستر لجهلهم. إنهم ليسوا بشيء، ولو بلغوا رتبة الوزارة. فما يزال في الناس ناس يعلمون أن الفضل لأولي العلم، لا لذوي الجهل. لقد غشهم من أوفدهم لتلقي العربية عند ذوي الرطانة ... فعادوا يغشّون الطلاب بجهل فاضح، والناس بشهادات أزياف كواذب.

قال أكبرنا: ولكنّ هذا ليس بالأمر العجب. فهناك أعجب وأغرب، ألم يأتكم نبأ ذلك الذي عاد من أوربة، كما تعود هذه الجماعة الضعاف قلوبها، السخيفة عقولها، شغفاً بأقوال المستشرقين، مدلهاً بمذاهبهم، فجعل نفسه من شباب محمد، فطنطن صحبه بعلمه وفضله، ثم أخرج كتاباً، فإذا هو يطعن فيه على محمد، فيختلق ويفتري، ويدس ويماري ويأخذ بالنبي إلى اليمين، ويقرنه التوراة والإنجيل ويجمعه إلى الرهبان والأحبار ثم يقول إنه ألّف القرآن.

فما أدري مِمّ أعجب؟ أأعجب من هذا العلم الذي شداه، أم أعجب ممن يفتري على محمد، وهو من شباب محمد؟

قال صاحبي: لا تلم هذا أيضاً. إنما هو ببغاء لقنوه الشر فأعاده. إنما لُمْ أبويه اللذين أغفلا تربيته وسددا خطواته وعرفاه من هو محمد. ليت شعري أنطمع من المستشرقين أن يفعلوا غير هذا؟ إنه ليكفيهم أن يغرسوا في نفوس من يلقونه من ناشئة المسلمين الشك ... الشك في الدين، والكتاب، واللغة ... فإذا شككت وكنت من الضعاف الإيمان، زلّت بك القدم فهويت. لا تلم هذا، بل لُم أولئك الذين لم يحسنوا تلقين الدين، ولا تعليم التاريخ، ولا انتقاء الأساتيذ ...

قال ثالثنا: ولكنّ عندي ما ليس عندكم. فقد حُدّثت عن واحد من هؤلاء، هواه مع الشيوعيين، ومعدود في المسلمين وقد أشرف على الأربعين، إنه عاد من أوربة يحمل دراسة عن كنيسة من كنائس فرنسة، نال بها الدكتوراه. فبلغني من صفته أنك إذا رأيته يمشي في الطريق، وهو يتثنى، وأبصرته وقد نتف حاجبيه، وصفّف شعره، حسبت أنه عانس تلبس البنطلون. دعوه يوماً إلى المسجد الأموي ليحتفل بمولد الرسول. فنظر في بطاقة الدعوة شزراً، ثم غمز الجرس فاستدعى كاتباً عنده. فلما أتاه قال له:

أما تزالون تنزعون نعالكم إذا دخلتم المسجد؟

فصَعق الكاتب لهذا السؤال، وحدق بالسائل يريد أن يعلم أهو في الجد أم الهزل. فهذا سؤال لا يسأله مسلم ... فأجابه.

— نعم يا سيدي.

قال: ومتى تتمدنون؟ لقد غبت عن دمشق تسعة أعوام كاملات

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٠٨ — فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا

منهاج السنة النبوية لابن تيمية : إن الله بعث رسوله (صلى الله عليه وسلم) بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، فإذا تولى خليفة من الخلفاء كيزيد وعبد الملك والمنصور وغيرهم فإما أن يقال : يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يتولى غيره كما يفعله من يرى السيف فهذا رأى فاسد فإن مفسدته أعظم من مصلحته ، وقل من خرج على إمام ذى سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة ، وكابن الأشعث الذى خرج على عبد الملك بالعراق ، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة وأمثال هؤلاء . وغاية هؤلاء إما أن يغلبوا وإما أن يغلبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة ، فإن عبد الله بن على قتل خلقاً كثيراً وقتله أبو جعفر المنصور .

وأما أهل الحرة وابن الأشعث فهزموا وهزم أصحابهم ، فلا أقاموا ديناً ، ولا أبقوا دنيا ، والله (تعالى) لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا . وإن كان فاعل ذلك من عباد الله المتقين ومن أهل الجنة فليسوا أفضل من على وطلحة والزبير وعائشة وغيرهم ، ومع ذلك لم يَحمدوا ما فعلوه من القتال وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم .

وكذلك أهل الحرة كان فيهم من أهل العلم والدين خلق ، وكذلك أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من أهل العلم والدين والله يغفر لهم كلهم .

٩٠٩ — النداء منه الله للعباد ومنه العباد لله

الموافقات للشاطبى : إن القرآن أتى بالنداء من الله تعالى للعباد ومن العباد لله سبحانه ، فحين أتى من قبل الله للعباد جاء بحرف النداء المقتضى للبعد ثابتاً غير محذوف كقوله تعالى : [يا عبادى الذين آمنوا ، إن أرضى واسعة] [قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله] [قل : يا أيها

وعدت فرأيتكم حيث كنتم ... متى يصبح عندنا علماء يجتهدون ، فيقلبون الدين رأساً على عقب ؟ متى ينقذوننا من خلع النعال ، وينقذوننا من الركوع والسجود ؟ لِمَ لا يفعل المسلمون فعلَ النصارى ؟ إنهم يدخلون كنائسهم بنعالهم ، لا تتسخ جواربهم ، فيقفون قليلا يرتلون ... ثم يخرجون لم يتعبوا ، ولم تتسخ سراويلهم !. لِمَ لا تنشرون هذه الدعوة .؟ آه ! سأنشرها بين طلابى بنفسى ...

وأخرس الكاتب ، وطار لبه ، وخرج ولم يُجب ، وهو يلعنه فى قلبه ألف لعنة ولعنة ... » .

وصحنا جميعاً ... أصحيح هذا ؟ أصحيح ما تقول ؟

قال : لقد شككت عند ما أخبرت ؟ ولكنى قصدتُ إلى الكاتب بنفسى فحدثنى كما أخبرت .

قلنا : وكيف يسكتُ عنه علماء الدين ؟ كيف تسكت عنه وزارة المعارف ؟ أبمثل هؤلاء تحفظ الاستقلال ؟ أتحفظه بإفساد العقائد والإلحاد والتخنث ونتف الحواجب ؟ أتحفظه بالوقاحات ؟ أهذا أستاذ قد اؤتمن على تثقيف الطلاّب ؟

قال صاحبى : لا تلم هذا أيضاً ؛ فمن عدم المروءة والدين طلب خلع النعال والتشبه بالنصارى ورفع الركوع والسجود من الصلاة . ولا تلم وزارة المعارف فهى أم الفوضى . ثم لا تلم علماء الدين ، فهم فى أمر دنياهم لاهون ، وعن دينهم ساهون . إنما لُمْ من نصبه لتثقيف التلاميذ ولم يخبروه ... آهِ لو كان هنا الطنطاوى إذن لجرد قلمه لنصرة الدين والحق والشرف . ولأصلى هؤلاء ناراً حامية تشويهم شيأ .

قلت : أما قلتُ لكم لقد مُسخ الزمان فجاء هؤلاء المسوخ ! فانبرى ، رجل كان بقربنا يسمعنا ، وقال : كل ما ذكرتموه ليس بشىء ... فعندى ما هو أعظم وأدهى ...

قلنا : هاتِ ما عندك هات .

(للكلام بقية) (دمشق) صلاح الدين المنجد

الناس ، إنى رسول الله إليكم جميعاً] فإذا أتى بالنداء من العباد إلى الله تعالى جاء من غير حرف نداء ثابت بناء على أن حرف النداء للتنبيه فى الأصل ، والله منزه عن التنبيه : [ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا] [ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا] ... فحصل من هذا التنبيه على أدبين : أحدهما ترك حرف النداء والآخر استشعار القرب، كما أن فى إثبات الحرف التنبيه على معنيين: إثبات التنبيه لمن شأنه الغفلة والإعراض والغيبة وهو العبد ، والدلالة على ارتفاع شأن المنادى وأنه منزه عن مداناة العباد، إذ هو فى دنوه عال ، وفى علوه دان ، سبحانه !

٩١٠ — تهنئة بعزل

الشريشى : من غرائب التكاتب فى العزل ما كتب به أحمد ابن مهران إلى معزول : بلغنى (أعزك الله) انصرافك من عملك ، فسررت بذلك ولم أستفظعه لعلمى بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفعك عمل تتولاه ، أو يضعك عزل عنه . والله لو لم تختر الانصراف وترد الانعزال لكان فى لطف تدبيرك وثقوب رويتك وحسن تأتيك — ما تزيل به السبب الداعى إلى عزلك والباعث على صرفك . ونحن إلى أن نهنيك بهذا الحال أولى بنا من أن نعزيك إذ أردت الصرف فأوتيته ، وأحببت الاعتزال فأعطيته ، فبارك الله لك فى منقلبك ، وهناك النعم بدوامها ، ورزقك الشكر الموجب المزيد لك فيها .

٩١١ — تمتع من الدنيا فانك فانى

سعيد بن حميد[1] :

تمتع من الدنيا فانك فانى ... وإنك فى أيدى الحوادث عانى
ولا يأتين يوم عليك وليلة ... فتخلو من شرب وعزف قيان
فانى رأيت الدهر يلعب بالفتى ... وينقله حالين مختلفان[2]
فأما التى تمضى فأحلام نائم ... وأما التى تبقى لها فأمانى

٩١٢ — . . . ما بعت الضيعة

شرح المقامات للشريشى : كان بالبصرة رجل ذو ضياع فأنفق ماله فى الشراب، فباع ضيعته ، فلما تم البيع قال له المشترى : تأتينى بالعشى أدفع لك المال وأشاهدك . فقال : لو كنت ممن يرى بالعشى ما بعت الضيعة . قال محمود بن الحسن الكاتب بعت دارى فأصابنى مثل هذا فقلت :

أتلفت مالى فى العقــــار ... وخرجت فيه عن عقارى
حتى إذا كتب الكتاب (م) ... وجاءنى رســـل التجار
قالوا الشهـــادة بالعشى (م) ... ونحن فى صـــدر النهار
فأجبتهم ردوا الكتـــاب (م) ... ولا تعنـــوا بانتظارى
لو كنت أظهـــر بالعشى (م) ... لمـــا سمحت ببيع دارى

٩١٣ — ائتمنه قوم فأدى اليهم الأمانة

تاريخ الطبرى : أحمد بن يوسف بن القاسم : سمعت ابراهيم ابن صالح يقول : كنا فى مجلس ننتظر الإذن فيه على المنصور ، فتذاكرنا الحجاج ، فمنا من حمده ، ومنا من ذمه ، فكان ممن حمده معن بن زائدة ، وممن ذمه الحسن بن زيد ، ثم أذن لنا ، فدخلنا على المنصور ، فانبرى الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ما كنت أحسبنى أبقى حتى يذكر الحجاج فى دارك وعلى بساطك فيثنى عليه ، فقال أبو جعفر : وما استنكرت من ذلك ؟ رجل استكفاه قوم فكفاهم ، والله لوددت أنى وجدت مثل الحجاج حتى استكفيه أمرى ، وأنزله أحد الحرمين . فقال له معن : يا أمير المؤمنين ، إن لك مثل الحجاج عدة لو استكفيتهم كفوك قال : ومن هم؟ كأنك تريد نفسك ؟ قال : وإن أردتها فلم أبعد من ذلك . قال : كلا لست كذلك ، إن الحجاج ائتمنه قوم فأدى إليهم الأمانة ، وإنا ائتمناك فخنتنا ...

***

معجم البلدان : ذكر الحجاج عند عبد الوهاب الثقفى بسوء ، فغضب ، وقال : إنما تذكرون المساوىء أوَما تعلمون أنه أول من ضرب درهماً عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وأول من بنى مدينة بعد الصحابة فى الإسلام ، وأول من اتخذ المحامل وأن امرأة من المسلمين سبيت بالهند فنادت يا حجاجاه ! فاتصل به ذلك ، فجعل يقول : لبيك ، لبيك ، وأنفق سبعة آلاف ألف درهم حتى افتتح الهند ، واستنقذ المرأة ، وأحسن إليها ، واتخذ المناظر بينه وبين قزوين ، وكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهاراً ، وإن كان ليلا أشعلوا نيراناً فتجرد الخيل

(١) نسب الشعر فى الأمالى إليه وعزاه العسكرى فى (ديوان المعانى) إلى ديك الجن . (٢) فى رواية : وتنقله حالان .

الواعظ الضرير !..

للشيخ حسن عبد العزيز الدالى

كان ذلك منذ ثلاثة أشهر ، وكان المطر غزيراً ، والبرد قارساً وأزقة القرية مملوءة بالأوحال ، وقد لاذ أغلب الأهلين إلى دورهم طلباً للدفء ، وإذا بشيخ وقور مكفوف البصر تقوده ابنته وهى فى العاشرة من عمرها ، عليه مهابة وله جلال ، يخب فى جبته وقفطانه وقد بلل المطر ثيابه فأصبح كالقاضى الذى قيل فيه :

وسخ الثوب والعمامة والبر ذون والوجه والقفا والغلام

دخل علينا لحييناه وأدفأناه ، ثم قال :

شكراً ومعذرة يا سادة إذا كانت وظيفتى غير منسجمة مع حالتى ، وكان عملى شاقاً مرهقاً ، فإن كثرة العيال ، والحاجة إلى العيش تجعل الرجل يركب الصعب . وأنا مكلف برسالة دينية يجب أن أؤديها مهما كان الثمن .

أثبتونى فى دفتر ١٤ وبلغونى المسجد ... أنا واعظ المركز ... ثم أدى رسالته وانقلب إلى أهله .

وفى هذا الأسبوع ، دخل الشيخ علينا يتفصد وجهه عرقاً وينوس برأسه من الحر ؛ فالشيخ ربع القامة ، شحيم الجسم ، وقد افتر ثغره عن بسمة لطيفة ، هى بسمة الرضاء بالقضاء ، حدثناه وحدثنا ، فكان مما قال إنه فى هذه السفرة عدم الرفيق فضل الطريق ، بعد أن نزل من السيارة العامة ، وكان لا بد من أن يجتاز الترعة التى اعترضت طريقه ، فخلع سراويله واجتازها وحمد الله على النجاة من الغرق . ثم إنه بالأمس القريب كان يؤدى رسالته فى قرية أخرى ، فأشلت الأطفال كلابها عليه ، فمزقت ثيابه وخدشت إهابه .

وفى ذات مرة نبه السائق أن ينزله أمام قرية كذا ، فأنزله خارج حدود دائرته فحمد الله وشكره على أنه لم يصب بمكروه ! يا سبحان الله ! ما هكذا يكون الاختيار يا إدارة الوعظ والإرشاد ؟ وما هكذا يكون الوضع السليم يا وزارة الداخلية !

إذا كان ولا بد أن يكون هذا العالم الجليل فى سلك الوعظ والإرشاد ، لذلاقة لسانه وقوة بيانه ، وعظيم إيمانه ، فألحقوه بمنطقة فى مدينة يطمئن فيها على نفسه ، ويستطيع أن يباشر مصلحة أهله ويأمن فيها على كرامته ، فلا يجتاز ترعة ، ولا تهره الكلاب ولا يضل الطريق ، حتى يخرج إلى دائرة أخرى ، وهناك يكفيه مؤنة هذا العناء قائد صغير لا يكلفه غير دراهم معدودة . إن ما يقوم به فضيلة الشيخ المكفوف ، من وعظ وإرشاد بالقرى فى يوم كامل يقوم به فضيلة الشيخ البصير فى نصف يوم مع الراحة التامة والكرامة الموفورة .

يا أولى الأمر : انقذوا أمثال هؤلاء المكفوفين من عناء هذا العمل ، فالميدان واسع ، والنقل سهل ، والثواب من الله عظيم ، وإن كانت الحكمة فى تعيين المكفوفين للوعظ والإرشاد أن يعظوا الرجال والنساء ، فما فى الريف نساء يجتمعن لسماع الوعظ ؛ وإن كان فمن وراء حجاب .

حبذا لو فكرت وزارة الشئون مع وزارة الداخلية تفكيراً جدياً فى عممت الإذاعة بالريف ، وجعلت للوعظ نصيباً من الإذاعة كل أسبوع ، فإن ذلك يكون أجدى وأصلح وأوفر . اذهبوا مشكورين يا أولى الأمر بهؤلاء الوعاظ إلى المساجد المغلقة والمهدمة فافتحوها وشيدوها .

اذهبوا بهم إلى التدريس بالمعاهد والوعظ بالسجون العمومية والفرعية . أفسحوا لهم المجال بالمحاكم الشرعية والمحاماة : إنكم إن فعلتم ذلك فقد خطوتم بنا إلى الأمام ، وخففتم العبء عن هؤلاء المكفوفين الكرام . ولعلنا نسمع قريباً أن وزارة الشئون قد أخذت بيد أمثال فضيلة واعظ مركز طلخا المكفوف البصر وأجلسته بدار الإذاعة ليلقى محاضراته الدينية فى هدوء واطمئنان بعد أن تعمم الإذاعة بالريف . فيعم النفع ويسلم الوضع ، ويطمئن الشيخ ... ليت ... وليت !

حسن عبد العزيز الدالى

عمدة كفر دميرة القديم

إليهم ، فكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط ، وكان قزوين ثغرا حينئذ ...

***

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى : قال — عمر بن عبد العزيز — : ما حسدت الحجاج على شىء حسدى إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله

قصائد تكريم مطران في الميزان

للأستاذ على متولى صلاح

كان وفاء كريماً من أدباء العربية وعلية رجالها ، وكان دَيناً استحق الوفاء والأداء لصاحبه منذ زمن سحيق ، وكان تكريماً أدنى ما ينبغى أن يكون ، وأقل ما ينبغى أن يقدم لشيخ الشعراء وأستاذهم وإمامهم ورائدهم خليل مطران .

نعم ... كان هذا التكريم — على روعته وجلاله — بعض ما ينبغى لهذا الشيخ الوقور جزاء وفاقاً لما قدم للشعر العربى من جهد كبير متواصل ، ولما قدم لشعراء العرب من مناهج وطرائق وراد لهم من مجاهل كانت محجبة مستخفية مطوية ، إلى أن تكشفت لعبقريته ، وتفتحت لوحيه ، وأشرقت على يديه ...

ولقد عرف الناس ما كان فى هذه الاحتفالات التى تتالت وتعاقبت أياماً ثلاثة ، وقرأوا كل ما فيها من خطب وما أنشد فيها من شعر ، وشاهدوا حشود الناس تسعى من مصر وشقيقاتها إلى الاحتفال فى نهضة كريمة ووفاء شديد ، فى زمن عز فيه الوفاء وغاض ماء الخير .

ولقد كان موكباً أدبياً فذاً متفرداً ، تكلم فيه الأدباء الكبار والشعراء الكبار ، وترجموا الرجل وآثاره ترجمة وافية مستفيضة وفصلوا القول فيه وفى فنون أدبه تفصيلا ، ودرسوا آثاره جميعاً دراسة لا زيادة لمستزيد عليها ، فكان سجلا أدبياً ، وكان سفراً أدبياً رائعاً حقاً ...

ونحن نجد أن من تمام هذا السجل ومن كمال هذا السفر أن يقول النقد الأدبى فيه كلمته ، وأن يزن الميزان الأدبى محتوياته بميزانه العادل الدقيق ، فذلك أدنى إلى أن يبلغ هذا السفر غايته ، ويستوفى كماله !

ونحن — من جانبنا وعلى سوانا أن ينهض بالباقى ! — آخذون فى كلمات متتابعة فى وزن وعرض الشعر الذى قيل ، ووضعه فى ميزان النقد الذى يعلم الله براءته من الهوى ، وخلوصه من الغرض ، وبعده عن الميل أو الانحراف عن الحق ...

ولقد أنشد فى هذه الاحتفالات فحول من شعراء العرب فى مصر والعراق ولبنان هم أعيان الشعر وأعلام الأدب فى بلادهم ، وإن خليل مطران لقمين بأن يقول فيه هؤلاء ، عسىٌّ بتمداحهم والإطراء منهم ...

وكان أول هؤلاء الشعراء الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فألقى قصيدة مثلثة القافية — وهو نوع كان العقاد يكثر منه أيام صدر شبابه الأول — قاربت الخمسين بيتاً تضمنت وصف الأستاذ المحتفل به وصفاً دقيقاً شاملا محيطاً ألم فيه بجميع خصائصه وجميع سماته ، بل وجميع قسماته ، لم يترك دقيقة من دقائقه ، ولم يدع خلجة من خلجات نفسه ، ولا همسة من همسات قلبه ، ولا خطرة من خطرات فؤاده ... وتلك الإحاطة الشاملة ، والإفاضة الكاملة هى مزية العقاد الكبرى فى كل ما يكتب وما يتناول وما يصف .

ولقد زخرت قصيدة العقاد — كالمهد به دائماً — بالمعانى البكر المستحدثة التى يزخر بها كل ما ينشىء ويكتب ويفيض بها كل ما يخرج للناس !

ولعلى لا أجد من لا يرى الجمال غاية الجمال ، والمعنى البكر غاية البكورة — إن جازت هذه العبارة ! — فى قول العقاد عن مطران إنه «محراب القريض» ! وفى قوله معدداً سجاياه الكريمة :

ماذا أعدد من سـجا ياك الحسان وهن شتى
أدباً وعرفاناً وآلا ء محببة وسمتا
وإذا أطلت فغاية الإ طراء أنك أنت أنتا

وأى طرافة وجدة واستحداث أبعد من قوله :

أنطقت بالعربية الـ ـفصحى معاجم شكسبير
ونقلتهم نقل الأما نة فى الكبير وفى الصغير
بدلت فى لغة اللسا ن .. ولم تبدل فى الضمير !

ولم ينس العقاد أن يعرض فى قصيدته لما خدم مطران به التمثيل والاقتصاد ، ولما سبق به من التجديد والتحرر من ربقة القديم تحرراً لطيفاً ليناً ليس بينه وبين تجديده كمال الانقطاع وتمام الانفصال ، ولكنه تجديد وئيد رفيق هين يأخذ من القديم أبهاه ومن الجديد أزهاه ، ويرتشف من كل بحر قطرة ، ويقطف من كل بستان زهرة ، فيستوى للناس بعد ذلك أدباً مشرقاً رائعاً يملك عليهم ألبابهم وهواهم وعقولهم ... نعم فإن مطران كان ذلك المجدد ، وإنه بحق للحلقة المفقودة ، بل الحلقة المنشودة بين المجددين !

(للكلام بقية) **على متولى صلاح**

صحائف مطوية :

قصة فاشـــودة . . . !

أو قصة الاستعمار الانجليزى فى السودان

رواية شعرية فكاهية للمغفور له حافظ ابراهيم بك

[قصة فاشودة معروفة مشهورة ، وتتلخص فى أن بعثة فرنسية انحدرت من الحبشة إلى أعالى النيل ورفع قائدها العلم الفرنسى هناك فتصدى له حاكم السودان البريطانى بحجة أن هذه الأرض ملك لمصر ، وتحرج الموقف يوم ذاك بين فرنسا وبريطانيا حتى توقع العالم قيام الحرب بينهما لهذا السبب ، وقد استطاعت بريطانيا أن تفوز بغايتها وأن تتخذ من موقف الحكومة المصرية مطية لهذه الغاية .

وهذه الرواية من الشعر المجهول لحافظ ابراهيم فليست فى ديوانه ، ولا عرفها أحد له ، ولكنا وقفنا عليها منشورة فى إحدى المجلات عام ١٩٠١ م ، فنحن ننشرها على أنها أثر أدبى نادر يكشف عن ناحية من نواحى الشاعرية فى حافظ ابراهيم ثم لنذكر بها أبناء مصر بتاريخها بمناسبة ما يجرى من أفاعيل السياسة الانجليزية فى السودان]

محمد فهمى عبد اللطيف

تمهيد

فشـــودة روايه   للمبصرين آيه
قد مثلت فى العصر   ليهتدى فى مصر
فما اهتدى ولا عقل   ولا دري كنه الحيل
بل شهـد التمثيلا   ثم انثنى مخيلا
مولى الأكتاف   فى ساعة الإسعاف
فلا تلم فرنسا   وفضلها لا تنس
وقل لمن رام السبب   شقاء مصر قد غلب

الفصل الأول : مرشان فى فشودة

مرشان بالنيل التقى   من بعد ما عز اللقا
تقابلا فى سـلم   على الصفا الأتم
حيث المياه تجرى   نهراً بجنب نهر
والأرض بكر لم تزل   كما دحاها فى الأزل
تخرج أصناف الثمر   تنبت أجناس الزهر
تفيض بالمأكول   من عدس وفول
ترابهـا التبر السنى   وكم بها من معدن
وغرسها ابن يومه   « لمرشن » وقومه
فهى كما الجنـــات   ما غير خذ وهات
مرشان فيها قد ثبت   كأنه عـود نبت
يلين للمواصف   فما له من قاصف
أخرجه دلـكاس   ألعوبة للنـــاس
ألعـوبة وتنقضى   قد خاب فيها من رضى
وكيف كان العاقبه   فإن مصر الخائبه
إن لم يكن لبطرس   من طاقة بدلـكس
ولاله من بورى   يسمع سالسبورى
ولاله من أمه   تنجـده فى الغمه
ولاله من دولة   تمـده بالصولة

الفصل الثانى : مرشان والنيل

النيل كان نائما   رأى « المجور » قائما
يضربه فى رأســه   يحسبه فى رمسه
خاطبه يا نيـل   يا أيها القتيـل
يا تارك البـلاد   لأفســد الأولاد
يا صانع المـيراث   والصبية الأحداث
ذُبحت بالسكين   من ظالم مهين
وكان أهلك الدى   والحبل كانوا واليدا
فما صرخت صرخه   بل قد ذهبت فرخه
قد سقطت فى زير   أو وقعت فى البير
فلا تلمنى بعد ذا   إذا تعمدت الأذى
إنى أنا المحـــامى   عنك لدى الأنام
لا بد لى من حصه   قبل ضياع الفرصه
إذ قد غدا فى التيه   أن تحفظ القضيه

فهبّ داعى النيل من نومه الطويل
يقول يا مرشان يا أيهـا الشيطان
يا أسد القفار يا حية البرارى
يا سمكا عواماً يا طائراً حوّاماً
يا لبكة العجين يا بلة فى طين
يا ضجة الطبول على طريق الفول
يا خارجاً من علبه يا حادثاً من لعبه
يا مشكلا لما نزل ومشكلين إن رحل
إذا أردت جدى فأنت خير عندى
من كل ذى قلب بطل لجنة الأرض وصل
ما كانت الشهور يكفى لها طابور
ولا الحسام الأزرق يعصم منه زورق
ولا الأسود السود يصدها بارود
ولا مجاهل الثرى تطوى كما تطوى القرى
سلكتها يا غازى أبية الحجاز
حتى ملكت مجرى بحر الغزال طرا
تبيعه وتشترى براية وعسكرى
لكن تعال قل لى ولا تكن مضلى
من ذا أباحك الحمى من ذا حباك المغنما
من ذا لهذا جرّا من ذا عليه جرّا
بحر الغزال منى كيف يزول عنى
وهذه فشوده ربيبتى المعهوده
كيف أساء فيها وكيف تقتنيها
فاندفع الماجور بسحره يدور
وقال قولا مقنعا أثبت فيه ما ادعى
يا سيد الأنهار ومالك الديار
ماذا يهمك السقط من بعدما الرأس سقط

الفصل الثالث : سالسبورى ومصر

وجاء سالسبورى لمصر فى سرور
يقول وهى تسمع يقنعها فتقنع
يا مصر يا فتاتى يا زينة البنات
يا مشتهى انجلترا يا بنت أخت لندرا
يا منية التاميز والوطن العزيز
بل يا أتان الملكة يا ألف ألف سكة
يا ناقة السردار وجيشه الجرار
يا أصل ما قد اكتسب من ثروة ومن نشب
يا بلداً ما فيه ذو ناظر يبكيه
يا أمة ولا وطن يا منزلا لمن سكن
يا موطىء الأقدام يا فتنة الأقوام
إنى أرى النشالا يختلس الخلخالا
هيا نصيح السارقا ونشهد الخلائقا
وبطرس والوزرا يحررون القمطرا
ويثبتون فيه تهمة سارقيه
وبعد عرض الشكوى نقيم نحن الدعوى
ونظهر النصوصا ونطرد اللصوصا
أو لا فقد خاب الأمل ولا سبيل للعمل
فما أتم قوله أن ضحكت مصر له
وأقبلت تقول يا أيها المأمول
الوزرا عبيدكا والكل من جنودكا
فاقض بما تشاء لا يُنقص القضاء

رقصة الختام

إليكم عن بطرس نادرة فى المجلس
إذ قالت النظار: يا من له الفخار
نرى الجمال صعبا ذنب يعض ذنبا
فهات حدث عنه كيف خرجت منه
فقام فيهم ناصحاً يقول قولا راجحاً
فشودة تعيش مثل اسمها فشوش
ما الخلف والتجافى إلا على اللحاف
دفعته للورد وبتُّ تحت جلدى

الأدب والفن في أسبوع

في تكريم مطران :

تميز الأسبوع الماضي بمظهر أدبي رائع هو مظهر التقدير للأدب والإكبار للفن والتكريم للمواهب والإعجاب بالخلق القويم ، إذ اجتمع أبناء العروبة من سائر الأقطار في دار الأوبرا الملكية بعد ظهر يوم السبت الماضي لتكريم شاعر العروبة الكبير صاحب العزة خليل مطران بك . فكان جمعهم وما أبدوا فيه من جميل الرأي مظهراً من مظاهر الوفاء الطيب في عرفان الجميل للرجل الطيب .

وكل جميل يؤديه أبناء العروبة نحو مطران إنما هو وفاء للدين ورد لبعض الصنيع الذي بذله ذلك العبقري نحو أبناء العروبة وعاش عليه طول حياته المديدة إن شاء الله ، فما حياة مطران في الواقع إلا فيضاً من المجاملة وحسن الصنيع يؤديه نحو الكبير والصغير والغني والفقير ، وينهض بذاك في ميدان الحياة العامة ويأخذ به نفسه في النواحي الخاصة ، ويبذل لذلك من أدبه ومن خلقه ما يعد غريباً عن طبيعة البشر ، وناهيك برجل جاوز الثمانين ولا يستطيع أحد أن يحصي عليه إساءة لشخص أو موقف تخلف عن طريق الخير ، على أنه مع هذا كله ظل على تواضعه لا يمن ولا يتطاول ولا يتنفج بما أجدى في الأدب وبما أبدى في الخير ، فلا غرو إذا ما اجتمع أبناء العروبة لتكريمه وأجمعوا على تقديره ، ولا غرو إذا ما صنعوا له ما هو أكبر من التكريم والتقدير ...

حفل حافل :

ويطول بنا القول إذا أخذنا أنفسنا بتسجيل الذين حضروا هذا الاحتفال أو شاركوا فيه ، ويكفي أن نعرف أنهم الطلائع من أعلام السياسة والقانون والأدب والصحافة والمقدرين للفن والمواهب في العالم العربي ، ولقد زاد في روعة الحفل أن توجه الفاروق حفظه الله برعايته السامية فأناب مندوباً حضر الاحتفال وأبلغ المحتفى به سابغ العطف الكريم والتحية لشخصه خاصة ولأهل الأدب والعلم عامة .

الخطباء والشعراء :

وبعد أن ألقى الأستاذ خليل ثابت بك كلمة الافتتاح تعاقب الخطباء والشعراء في إلقاء خطبهم وقصائدهم ، فخطب أصحاب المعالي والسعادة والأساتذة عبد الرزاق السنهوري باشا وزير المعارف والدسوقي أباظه باشا وزير المواصلات ومحمد علي علوبة باشا وأنطون الجميل باشا والأستاذ السراج مندوب سوريا والأستاذ زكي طليمات وألقى الشعراء قصائدهم وهم الأساتذة عباس محمود العقاد وعبد الرزاق محيي الدين بك مندوب العراق ومحمد الأسمر وشبلي ملاط بك مندوب لبنان ثم ألقيت قصيدة شكر من المحتفى به ثم عزف الأستاذ سامي الشوا مقطوعة موسيقية تحية للشاعر الكبير .

إجماع الرأي :

وقد أجمع الخطباء والشعراء في حديثهم عن مطران على أنه شاعر سلك في الشعر العربي طريق التجديد والابتكار وأنه أستاذ المدرسة الحديثة في الشعر ، وأنه استطاع بعبقريته وباطلاعه الواسع أن يلائم بين طريقة العرب وطريقة الفرنج في براعة وتوفيق وأنه عاش طول حياته رجل فضل ونبل وخير وبر ، وقد كان هذا جماع القول فيما تكلم به خطباء الحفل وشعراؤه وإن كان لكل ما أورد من الشواهد ونهجه في تناول الحديث .

الشعراء الثلاثة :

وكانت المناسبة بتكريم مطران مما أثار الحديث عن شوقي وحافظ ، فقد عرض الخطباء إلى ذلك الثالوث الذي عاش مندمجاً كالحلقة المفرغة حتى كانت أسماؤهم تتردد على الألسن وأشخاصهم تتوارد في كل موقف وكأنهم شخص واحد أو دعائم يتكون منها بنيان واحد ، وإذا كان خطباء الحفل قد اختلفوا في تقدير الطاقة الشعرية لكل واحد من الثلاثة فإن هذا الخلاف قد قام منذ ظهر الثلاثة على مسرح الشعر ، وسيظل قائماً إلى ما شاء الله ...

وأخيراً :

وأخيراً نقول : لقد أقيمت بقية الحفلات لمهرجان مطران فى أيام الأسبوع المتوالية وقد كان بودنا أن نسجل كل ما بدا فى تلك الحفلات من ألوان الأدب والفن وأن نؤدى هذا الواجب نحو الشاعر الكبير ولكن لجنة الاحتفال ضنت على « الرسالة » بأداء هذا الواجب ، لأنها آثرت للمهرجان صبغة محلية رسمية لا تلائم روح مطران ولا تتسق بحال مع شخصيته وشاعريته !

تأبين الشيخ مصطفى عبد الرازق :

تعددت حفلات التأبين لفقيد العلم والإسلام المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق ؛ وكان أهمها وأجلها تلك الحفلة التى أقيمت فى الأسبوع المنصرم بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول حيث خدم الفقيد بعلمه وأفاد بثقافته وخرج جيلا من الأساتذة فى الأدب والفلسفة ، وقد احتشد فى هذه الحفلة جمهور كبير من رجال الدولة والأدب والصحافة وأساتذة الجامعة وطلابها وشيوخ الجامعة الأزهرية وأبنائها كما خطب فيها كثيرون كلهم من أعلام البيان وأعيان الكلام .

تكلم الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا فقال : لقد عرفت مصطفى يحكم عقله علمه ، ويحكم علمه لسانه وقلمه …

وتكلم معالى عبد العزيز فهمى باشا فأوغل فى فلسفة الموت ذلك الشىء الغامض على العقول والأفهام ، المحير للفلاسفة والحكماء

وتحدث سعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا فقال : لقد كان مصطفى المفكر الفيلسوف والأديب الكاتب ، لا يعرف العنف ولايميل إلى البطش بل كان يؤمن بالحرية لأنه حر الفكر وبالتسامح لأنه طيب القلب وديع الخلق …

وقال معالى ابراهيم دسوقى أباظه باشا : إن مصطفى كان رجل الأخلاق ، ولكن الأقدار لم تمهله ، فكانت الفجيعة فيه قاسية !

وتناول الدكتور طه حسين شخصية الشيخ مصطفى من جميع نواحيها تناول العارف فقال : إن تاريخ الأدب العربى المعاصر حين يكتب سيحتل مصطفى فى صفحاته مكاناً ممتازاً ، وسيلاحظ الذين يكتبون التاريخ الأدبى لمصطفى أنه صورة صادقة أمينة للذكرى فقد كانت حياته ذكرى قوامها الوفاء .

وتحدث الدكتور منصور فهمى باشا عن مصطفى الصديق ومصطفى العالم المتمكن والحكيم الروحى وقال : إن الناس إذا كانوا قد نعموا من الفقيد بجانب الصديق الكريم فإنهم قد انتفعوا منه كذلك بجانب المرشد العليم والموجه الحكيم …

وتعاقب الباقون من الشعراء والخطباء فألقى الأستاذ العقاد قصيدة من شعره العميق ، وتحدث الأستاذ أمين الخولى عن الناحية الجامعية من حياة الفقيد ، ثم أنشدت قصيدة عامرة للأستاذ السيد حسن القاياتى ، ثم تحدث الدكتور محمود عزمى عما كان للفقيد من فضل فى تقريب المسافة بين اتجاهات الدين والاتجاهات العصرية فى العلوم ، ثم ألقى الأستاذ محمود غنيم قصيدة من رصين الشعر ، ثم ألقى الشيخ عبد اللطيف دراز كلمة عن نواحى الفقيد المختلفة فى ميدان العمل ، وألقى الأستاذ فؤاد شاكر رئيس تحرير جريدة أم القرى بالمملكة السعودية قصيدة جيدة ، ثم ألقى معالى الأستاذ على عبد الرازق شقيق الفقيد كلمة شكر باسم الأسرة …

وأخلص من هذا كله لأقول لك إن حفلات التأبين عندنا لا تزال تجرى على ذلك الوضع الدارج فهى أشبه بالمناحات ، وإن الذين أبنوا الفقيد المعظم فى هذا الحفل إنما أبنوه بدموعهم وسرعان ما تجف الدموع ، فيذهب ذلك الكلام الكثير الذى قالوه ويجف وتبقى عبقرية مصطفى وشخصيته وسيرته حديث الناس …

تراث الأندلس :

أرسلت حكومة إسبانيا إلى الحكومة المصرية بدعوة موجهة إلى بعض أساتذة الجامعة وطلابها للقيام برحلة علمية إلى إسبانيا يقومون فيها بالإطلاع على أصول التراث الأندلسى ، ويزورون المعالم التى كانت مسرحاً للفكر العربى حقبة طويلة من التاريخ .

ولعل إسبانيا تهدف بهذه الدعوة إلى التقرب من العرب على نحو ما تصنع انجلترا وأمريكا وروسيا وفرنسا فى هذه الأيام ، أولعلها تكون فى هذا مخلصة للعلم والبحث والتاريخ ، وعلى أى حال فمن الواجب أن نكون نحن مخلصين فى تلبية هذه الدعوة وأن ننتهز هذه الفرصة السانحة للافادة والدراسة وأن نستغلها للعلم والأدب والاطلاع على تراثنا الذى لا يزال مطموراً فى أقبية تلك البلاد ومكتباتها .

إن المعلومات التى لدينا عن التراث الأندلسى محدودة معدودة ونحن فيما نكتب عن هذا التراث نعتمد على جملة قليلة من المؤلفات العربية ابتذلت لكثرة ترديدنا لنصوصها ، ثم على ما يقدمه إلينا المستشرقون والباحثون الأجانب الذين يسافرون للبحث

والكشف عن الجديد فى ذلك التراث ، وقد تنقل عنهم خطأ الرأى وضعف الاستنتاج ، وإن من العار أن نظل قانعين بهذا وأن لا يكون لنا فى ذلك جهد يذكر ، فلعل رجال الجامعة يستغلون هذه الدعوة إلى هذه الرحلة استغلالا علمياً مفيداً ولعلها تكون مقدمة لرحلات متتابعة تؤتى ثمرها .

المستشرق بروفنسيال أيضا :

نشرنا فى الرسالة من قبل أن المستشرق المعروف الأستاذ ليفى بروفنسيال قد ألقى أربع محاضرات عن الأدب الأندلسى فى كلية الطب بالإسكندرية بدعوة من جامعة فاروق الأول ، ولما كانت الظروف لم تمكننا من الاستماع لتلك المحاضرات فقد سألنا صديقاً أديباً من الذين حضروها وسمعوها فأخبرنا بأنها كانت محاضرات سطحية لا جديد فيها من الرواية أو الرأى وأنها لاتعدو المعلومات التى يتناولها الطلاب ويقدمها الأساتذة فى مصر .

قال الصديق الفاضل : ومن العجيب أن جامعة فاروق قد قدرت لهذا المستشرق ستين جنيها أجراً عن كل محاضرة كما سمعت ، وقد كان فى مقدورها أن تنظم سلسلة من المحاضرات يلقيها الأساتذة المصريون فيبلغون فيها فوق مابلغ ذلك المستشرق ، ولكن يظهر أننا لا نزال مأخوذين بقدرة هؤلاء المستشرقين حتى لنبذل لهم المال من غير حساب .

هذا ماقاله الصديق ، أردنا أن نسجله والعهدة عليه فى صدق الرواية ، ونقول بهذه المناسبة إن المعهد الفرنسى فى مصر قد دعا المستشرق بروفنسيال لإلقاء ثلاث محاضرات عن الشعر الأندلسى وقد ألقى المحاضرة الأولى عن الشعر الأندلسى الفصيح ، والثانية عن الشعر الأندلسى الشعبى وعنى فى هذه المحاضرة عناية خاصة بالحديث عن ابن قزمان .

وفاء كريم :

أصدر الأستاذ « الحومانى » المجاهد العربى المعروف العدد الأخير من مجلته « العروبة » خاصاً بالحديث عن المغفور له الأمير شكيب أرسلان فجاء سفراً حافلا بالمعلومات والطرائف عن حياة فقيد البيان وشرح مآثره ومظاهر جهاده فى خدمة اللغة والدين والعروبة ، وقد كان الأستاذ « الحومانى » صديقاً أثيراً عند الأمير شكيب ، وكانت له به صلات خاصة ومودات صادقة فكان من الواجب أن يتوجه إلى ذكراه بهذه التحية الطيبة ، وإذا كان مجال القول فى مجلة لا يتسع للإفاضة ، فإننا نطمع أن يعمد الأستاذ الحومانى إلى جمع ذكرياته وما يعرف من خصوصيات الأمير فى كتاب يكون مرجعاً للباحثين على نحو ما صنع الأمير طيب الله ثراه نحو ذكرى شوقى بكتابه المعروف « شوقى أو صداقة أربعين عاماً » .

إسلام هرقل :

أقام طلبة المعهد الأزهرى بالقاهرة فى الأسبوع الماضى حفلة تمثيل فى معهدهم مثلوا فيها رواية « إسلام هرقل » وهى من تأليف الطالب الأديب محمد عبد المنعم المغربى ، وقد حضر هذه الحفلة طلاب المعهد وكثيرون من أساتذتهم وشيوخهم ، وهذا خبر يسترعى النظر لأنه مظهر من مظاهر التطور فى الأزهر الحديث ، فقد أدركنا عهداً فى الأزهر كان شيوخه يختلفون فى جواز ابتداء الشعر بالبسملة ، فكان بعضهم يتسامح فى جواز ذلك ، وبعضهم يقول إنه لا يجوز لأن الشعر ليس من الأمور ذوات البال .

ولكنا عشنا حتى رأينا التمثيل يدخل الأزهر ، ويؤثره شيوخه كلون من ألوان التثقيف للطلاب .

« الجاحظ »



قلعة مصر القاهرة :

أشكر للأستاذ محمد عبد الوهاب فايد اهتمامه وبحثه الأخير فقد اطلعت بعدد الرسالة[١] على كلمته الشائقة بشأن تحقيق الطباق بقلعة مصر القاهرة . وقوله « هذه الطباق كانت أكبر مدرسة حربية نعرفها فى التاريخ وأقدمها ، وقد تخرج منها آلاف من الضباط والقواد والأمراء بل الملوك ، ولو جمعت أخبار هذه الجامعة الحربية لجاءت فى كتاب حافل » .

ولقد أردت بكلمتى فى الأهرام أن أحقق غرضين : الأول إثارة البحث والاهتمام حول القلعة ومبانيها القديمة وأثرها فى تاريخ مصر الإسلامى العربى . والثانى : تحقيق اسم السلطان الغورى ونسبته الصحيحة فقد رأينا بعض المؤرخين المتأخرين ينسبه إلى الغور بافغانستان وهو يطلق على جبال وولاية بين هراة وغزنة كما ورد فى معجم ياقوت .

أما الآن وقد انكشف غور القلعة ، فيمكن التحقق من أصل هذه النسبة أو التأكد بنص تاريخى يثبت اتصال قانصوه الغورى بالغور فى مستهل حياته .

ويهمنا جميعا الاهتمام بالقلعة ومبانيها وما تحويه من آثار لأنها فى الواقع أكبر أثر قومى لمصر الإسلامية ، ولذلك يتحتم علينا المحافظة عليها من عهد إنشائها إلى اليوم فلا يطغى عصر على عصر بل يحتفظ برونقها القديم كاملا كما كانت فى أبهى عصورها .

والذى أعناه هو أن تسلم القلعة بأكلها إلى عهدة مصلحة الآثار الإسلامية وأن تتولاها بعنايتها بشرط أن توضع لها الوسائل الكافية حتى تتمكن من إعادة مبانيها وأبراجها إلى ما كانت عليه وأن تعيد أجزاء منها تمثل العهد الأيوبى والعهود المملوكية ثم عصور آل عثمان والعهد العلوى .

لقد آلمنى ما رأيت من قيام حائط مستحدث لم ير الموكلون بعمله سوى طغراء لأحد ملوك مصر القدماء لكى يقيموا حائطهم أمامه فأخفوا الكتابة وتكسرت أجزاء منها وهذا ما أخشى أن يتكرر .

ألا ترى وقد تعددت المسكرات والمبانى والثكنات أننا فى حاجة إلى إخلاء القلعة من جنود الجيش وورش وزارة الدفاع حتى يخلو الجو لأهل البحث والعلم ، وحتى ندرس برامج إعادة القلعة إلى سابق مجدها .

لقد رأيت قلعة مصر وقلعة دمشق وقلعة حلب وأرسلت كلمة تحت عنوان أمجاد ثلاثة للعروبة أدعو إلى إعادة إصلاحها كما فعل الفرنسيون بقلعة الحصن أى حصن الأكراد[١] الواقع بأراضى سوريا .

أما قلعة مصر فقد كانت كرسى السلطنة فى أزهى العصور حينما كانت مصر بحق حامية الإسلام وحينما كان الناس يقولون القلعة المحروسة ومصر المحروسة وهذه القلعة ليست لمصر وحدها بل للاسلام وأم العروبة التى شاركتنا فى السابق أمجادنا وهى ليست للجيل الحاضر بل للأجيال القادمة .

وما يقال عنها يقال عن قلعة دمشق وقلعة حلب ، ولقد عمل الفرنسيون عملا هائلا فى قلعة ببلادنا هى قلعة الحصن ، وكان غرضهم أن يثبتوا الأصل الصليبى فى مبانيها ولهم وجهة نظرهم ، فهل تعجز الدول العربية أن تبرهن مرة واحدة على أنها أقدر من هؤلاء فى إعادة الآثار الإسلامية إلى سابق عهدها ؟ وتعمل عملا يشبه أو يقرب من عمل فرنسا ؟

إننا لا نزال ننتظر ونؤمل ! وأول عمل ننتظره هو إصلاح القلاع الثلاث ، فهل يطول أملنا ؟

أحمد رمزى

فى تكريم الأستاذ خليل مطران بك :

شهدت حفل التكريم الذى أقيم للشاعر العظيم خليل مطران بدار الأوبرا الملكية فى أمسية من أماسى هذا الأسبوع ، وحين أنشد الشعراء قصائدهم قلت : أين شاعر الشام فيشقشق هذه العشية بلسانه ويسحر ببيانه ، وتلفت فلم أجد من صوب بلادى وجه شاعر وكانت تحتهم تهتز المنابر فى مصر أيام الحفول السوالف فى

(١) عدد ٧١٣ بتاريخ ٣ مارس سنة ١٩٤٧ .

(١) جريدة المصرى فى ١٧ أكتوبر ١٩٤٤ .

تكريم شوقى وحافظ ، وتساءلت أين شفيق جبرى الذى قرأه المصريون ناثراً ولم يسمعوه إلى اليوم شاعراً ، ورباع الشام طالمات بأزاهيره ودارات العراق عارفات بفيض خواطره ، وأين فحل الشعراء محمد البزم فيرد بمنفاف النيل لشعر العصر أبراد ماضيه القشيب فى ديباجة جرير والأخطل ، وما خبر النابغة الملهم عمر أبى ريشة الذى تردد شعره هوانف عبقر فيملك الألباب ويلعب بالشعور ، وهل حالت الحوائل دون بدوى الجبل الذى سحر طه حسين فى مهرجان المعرى فقال له أديب العصر هذا سحر وليس بشعر .

بل أين شعراء الشباب وفيهم أمجد الطرابلسى الذى تطامن له الشعر على ربق العمر ، وسليم الزركلى شاعر ميسلون بدماها وجلق ورباها ، وأنور العطار وشعره المعطار ، وجميل سلطان ذو الروعة والألحان ، أين كل هؤلاء ، أما كان فى مكنة سورية أن ترسل واحداً منهم لينشد قصيدة فى تكريم شاعر الأمة العربية؟ ومن سواهم أجدر بالإنشاد فى حفله إشادة بمجده ، واعترافاً بفضله

ولقد شهدت الحفل الكريم خالياً من صوت المرأة التى تمتز بشاعرية الخليل وكان لها خير نصير ، وقد شاء حفظه لله أن يشجعنى بكلمة منه حين لقينى بباب الأوبرا تلك العشية فقال لى :

« ... إنما أرجو من الله أن يفسح فى أجلى حتى أشهد تكريمك وأقول فيه كلمتى » فجللنى قوله بالخجل وكانت كلمته الكريمة باعثة لعتبى على لجنة الاحتفال التى نسيت المرأة فى منهاجها الطويل .

فيا شاعرى الذى أنبته مهد الشعر فى فردوس لبنان زهرة إلهية ، ليكون خير هدية لوادى النيل ، اعترافاً بالجميل ، إنك خالد خلود الأهرام ، ففى شعرك رواسم التجديد ، وفى بيانك مياسم التخليد ، لك تحياتى الطيبات .

(القاهرة) **وداد سكاكينى**

أى القولين أصدق ؟ :

احتفلت البلاد العربية بتكريم الشاعر خليل مطران بك وتسابق الشعراء والخطباء والكتاب إلى الإشادة برائع شعره والتنويه بعظيم قدره .

ولقد كان من خير ماقيل فى هذا التكريم تحية طيبة أرسلها الدكتور طه حسين بك على صفحات جريدة الأهرام[1] خاطب فيها صديقه بقوله : « إنك لتعرف مكانك فى قلبى ومنزلتك فى نفسى وتعرف إعجابى بخلقك العظيم وإكبارى لأدبك الرفيع وإعلانى فى كل قطر زرته من أقطار الأرض فى الشرق والغرب وإلى كل متحدث تحدثت إليه فى الشعر من الشرقيين والغربيين أنك زعيم الشعر العربى المعاصر وأستاذ الشعراء العرب المعاصرين . لا يستثنى منهم أحد ولا يفرق منهم بين المقلدين والمجددين . وإنما أسميهم جميعاً بأسمائهم غير متحفظ ولا متردد ولا ملجلج ولا مجمجم ، وإنما هو اللفظ الصريح أرسله واضحاً جلياً لا التواء فيه ولا غموض علمت المقلدين كيف يرتقون بتقليدهم ... وعلمت المجددين كيف يتزهون أنفسهم عن الغلو ... وعلمت أولئك وهؤلاء أن الفن حر ... كريم ... نشيط ... أنت حميت حافظاً من أن يسرف فى المحافظة ... وحميت شوقى ... من أن يسرف فى التجديد ... وأنت رسمت للمعاصرين من الشعراء هذه الطريق الوسطى التى تمسك على الأدب العربى شخصيته الخالدة وتتيح له أن يسلك سبيله إلى الرقى والكمال ، وقد حاولوا أن يتبعوك فى هذه الطريق فطار بعضهم بجناح واستسلم بعضهم فأراح وأقمت أنت على قمة الشعر الحديث شيخاً جليلا وقوراً ... » .

هذا بعض ماقاله الدكتور طه حسين بك وهو صريح واضح فى أن مطراناً هو زعيم الشعراء فى العصر الحديث بلا استثناء وأنه أستاذهم جميعاً — حتى حافظ وشوقى — !

ولكنا قد سمعنا الدكتور طه حسين بك نفسه منذ ثلاث عشرة سنة يقف فى حفل تكريم العقاد الذى أقيم فى سنة ١٩٣٤ ويقول :—

« إن العقاد هو الصورة الناطقة واللسان الخالد والمرآة الصافية المجلوة التى حفظت صورة مصر الناهضة وأبقتها ذخراً للأجيال القادمة ... أنا سعيد جداً ... فى أن أعلن رأيى فى صراحة وأن أقول ... إنى لا أؤمن فى هذا العصر الحديث بشاعر عربى كما أؤمن بالعقاد أنا أعرف حق المعرفة وأقدر كما ينبغى نتيجة هذه المقالة التى أعلنها سعيداً مغتبطاً ، أعلم هذا حق العلم وأعلنه مقتنعاً به محتملا تبعاته » .

---

(١) جريدة الأهرام ١٩٤٧/٣/٣٠

وإنى « أؤمن به وحده ... لأننى أجد عند العقاد ما لا أجده عند غيره من الشعراء ... وأكبر العقاد وأؤمن به وحده دون غيره من الشعراء فى هذا العصر ... لأنه يصور لى هذا المثل الأعلى في الشعر ... هذا المثل الأعلى الذى يجمع بين جمال الشعر العربى القديم وبين أمل المصرى الحديث ... » .

وختم قوله الذى استغرق صفحتين من جريدة الجهاد[1] بهذه الصيحة « ضموا لواء الشعر فى يد العقاد وقولوا للأدباء الشعراء أسرعوا واستظلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه » .

هتاف يحى أمير الشعراء !

هذا هو حكم الدكتور طه حسين بك - بالأمس — فى زعامة الشعر فى العصر الحديث ، وذاك قضاؤه الذى قضى به اليوم نعرضهما أمام الأدباء جميعاً ليروا رأيهم فيهما .

(المنصورة) محمود أبو ريه

الى الأستاذ محمود بك تيمور :

أنت تبكى آه ما أقسى الدموع حينما تنساب يا محمود منكا
لا تلم دمعى فنى جر الضلوع قلبى الباكى أسى يسأل عنكا

كنت بالأمس تدارى الحزنا فى وليد راح فى عمر الورود
وأراك اليوم تبكى شجنا روح إسماعيل فى ساح الخلود

نحن نبكى من مضى . . والدمع صدق
أترى ننسى ؟ وقد عز الفداء
أأعزيك ؟ أجل فالموت حق ومصير الكون والدنيا فناء

عبد القادر محمود

مكتبة لوزارة العدل السورية :

رصدت وزارة العدل السورية مبلغاً كبيراً من المال لشراء ماجد فى مصر فى هذه السنين من الكتب الشرعية والحقوقية والمالية وإمداد مكتبة الوزارة ومكتبات المحاكم بها وكلفت الأستاذ سامى بك المظم مفتش العدلية العام الموجود فى مصر الآن بالإشراف على انتقائها وشرائها .

(١) جريدة الجهاد ٢٩ أبريل سنة ١٩٣٤ .

كتاب « أبو هريرة » :

نشرت مجلتكم الغراء « الرسالة » — فى عددها ٧١٥ — كلمة للأستاذ الفاضل الشيخ عبد المتعال الصعيدى حول كتابى « أبو هريرة » فأبرأته مما نال منى ولم أتعقبه فيما أفرط فيه من التمويه والمغالطة .

ولكن البحث العلمى فرض علىّ أن أمعن فى قوله : « وقد ثبت أن هناك رواة يضمون الحديث على أبى هريرة ومنهم اسحاق بن نجيح اللطى وعثمان بن خالد العثمانى وابنه محمد وهو الذى روى عن أبى هريرة أنه دخل على رقية بنت رسول الله امرأة عثمان بن عفان وبيدها مشط . فقالت : خرج رسول الله من عندى آنفاً رجلت شعره . فقال لى : كيف تجدين أبا عبد الله — يعنى عثمان — قلت : بخير . قال أكرميه فإنه من أشبه أصحابى بى خلقاً . [قال] وهذا حديث باطل لأن رقية ماتت فى غزوة بدر وأبو هريرة إنما أسلم بعد فتح خيبر [قال] : فلنحمل هذا على أولئك الرواة ولا داعى إلى الطعن فى أبى هريرة » .

قلت : لا يمكن حمله على أولئك الرواة من وجهين .

١ — ثبوته عن أبى هريرة بالسند المتصل الصحيح وقد أخرجه وصححه الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الحاكم النيسابورى فى كتاب معرفة الصحابة أثناء ذكر وفاة رقية ودفنها فى ص ٤٨ من الجزء ٤ من المستدرك وأورده الذهبى فى تلخيصه معترفاً بصحة سنده وإنكار متنه .

١ — أمعنا فى البحث عن سند هذا الحديث فلم نجد أحداً قبل اليوم زعم أنه روى من طريق محمد بن عثمان بن خالد . وإنما روى بسندين لا ثالث لهما أوردهما الحاكم وليس فى واحد منهما اسحاق بن نجيح اللطى ولا عثمان بن خالد ولا ابنه محمد فكيف نحمله عليهم والحال هذه يا منصفون ؟!

وليت الشيخ يدلنا على مأخذه فيما حمله على محمد بن عثمان بن خالد العثمانى إذ قال : وهو الذى روى عن أبى هريرة أنه دخل على رقية وبيدها مشط الخ ، ومتى فعله كنا له شاكرين وسدد الله من أمعن فى نقد كتابى بنصح فنبهنى إلى أخطائى محرراً للحق مجرداً من سواه .

(صور — لبنان) عبد الحسين شرف الدين



نموت ولا نسلم

[تأليف الأستاذ عباس علام]

الأستاذ عباس علام أحد النابهين القلائل الذين أسهموا فى بناء الأدب التمثيلى والقصصى فى اللغة العربية ، لا أقصد بذلك الذين ترجموا وآثروا النقل والاقتباس ، وإنما أقصد الذين ألفوا وآثروا تصوير حياتنا الاجتماعية وما يتمثل فيها من المظاهر والميول والاتجاهات واستجابوا فى هذا إلى مواهبهم الفطرية ، وإلى غيرتهم القومية ، وإلى رغبتهم فى إصلاح الحياة الاجتماعية

ويمتاز الأستاذ علام فى معالجة هذا الفن بالفهم الدقيق للمجتمع المصرى وما يتدافع فيه من التيارات . فهو خبير بهذا المجتمع حيث يبدو فى الشارع ، وفى المنزل ، وفى النادى ، وفى الصلات التى تقوم بين الناس فى شتى النواحى المختلفة ، ولهذا تجده إذ يقص عليك قصة من قصصه كأنه يروى لك حادثة شاهدتها ورأيتها . ولهذا تجده أيضاً فى تلمس نواحى هذا المجتمع يضع إصبعه على موطن العلة ويمثلها لعينيك حقيقة واضحة ، ويكفى له فى هذا أنه استطاع أن يحمل الحكومة فى يوم من الأيام على إصدار القانون الذى يحقق المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق الزوجية ، وذلك تحت تأثير مسرحيته المعروفة « باسم القانون » .

وهذا الكتاب الذى نقدمه اليوم إلى القراء « نموت ولا نسلم وقصص أخرى » يشتمل على عشر قصص من وضع الأستاذ علام وتأليفه ، خمس منها فى تصوير النواحى الوطنية ، وخمس أخرى فى معالجة النواحى الاجتماعية ، وجميعها تحمل طابع كاتبها الفاضل من صفاء الروح وقرب الأسلوب وتسلسل الحوار وبراعة التصوير . ويظهر أن عناية الأستاذ الفاضل بالقصص المسرحى قد أثرت عليه فى ذلك ، فجميع قصصه فى تسلسلها وتصويرها يمكن تحويلها إلى المسرح بأدنى جهد ، وإنك لتقرأ القصة له فترى أشخاصاً يتحركون ويتكلمون ، وتتمثل لك صورة ناطقة لا ألفاظاً جامدة ميتة على الورق ، ولقد أحسن نجل المؤلف الفاضل إذ قام بتقديم هذه المجموعة من قصص والده إلى الطبع ، واعداً بأن يتولى طبع جميع قصصه ومسرحياته وتقديمها إلى القراء ، فإن هذا مظهر بر بالأبوة وبالأدب .

محمد فهمى عبد اللطيف

المــــــربى

تمهيد فى التصوف وأثر الأستاذ الكامل فى تربية الروح

[تأليف الأستاذ حسن كامل الملطاوى]

ليس من ينكر من المنصفين أن الصوفية الحقيقيين كانوا من رواد المسلمين إلى المثل العليا ، وكانوا فى قضايا الحق والخير من العمال الأقوياء الأمناء . وتلك صحائفهم فى كتب الجهاد لنشر الدين والفضيلة نضيرة مقروءة ، ومناهجهم فى تهذيب أتباعهم والتصاعد بهم فى مدارج الرقى الروحى موصلة محمودة ، وما زالت سيرهم بما تنضح به من إخلاص وإشراق وروحانية مناهل للواردين وذكرى للذاكرين .

بيد أنهم مُنُوا فى بعض مراحل تاريخهم بدخلاء حرموا المواهب الفكرية والروحانية والذوقية ، فتعوضوا عنها بالتكبر على الناس والاستطالة ، وجعلوا التصوف مجرد رسوم وإشارات ، وأضافوا إليه شعبذات تردها الإسلامية ويجل عنها التصوف ، شعبذات يقع أثرها فى النفس تارة مضحكا وتارة مبكيا .

وهكذا ذهبت فى أهل الحقيقة الظنون مذاهب ، ومزقتهم الأقاويل ، وتطرف بعض الناس فرأوا التصوف الذى تهدف رسالته إلى إسعاد المجتمع مظهراً من مظاهر الهبوط الاجتماعى !

وكان الظن بالمتعلمين أن يقبلوا على التصوف ليحسنوا العمل به كما أراده السابقون ، وليُسهموا فى كشف الضباب الذى غلّفه ، فيعود نوره إلى الإشراق فى القلوب فيملؤها سعادة وطمأنينة ، ويعود بقوته الحقيقية إلى المجتمع الإنسانى الذى مشى فيه لؤم الحياة ، والذى أشقته المادة وبهظته الدنيات ، فينقيه جميعاً ، ويوجد عالماً مرتفعاً قدسياً ، ولكنهم من أسف أعفوا أنفسهم

من الواجب ، وقنموا بإطلاق ألسنتهم بالثلم والهدم ، بالحق وبالباطل
واليوم ، نستنشى الرجاء من الشباب المثقف إذ نرى واحداً منهم هو « الأستاذ حسن كامل الملطاوى » الذى تداولت كفايته الوظائف الطيبة ، يقدم لنا رسالته الجيدة فى التصوف . والطريف أن المؤلف على ما لديه من ألوان الغـذاء الصوفى المهضوم لم تتصل دراسته ولا عمله بشىء يمت إلى التصوف بصلة ، فهو منـذ عهد الطلب من المشتغلين بشؤون الاقتصاد والمال .

قال مؤلفنا فى مقدمته لرسالته : « وقد جهل بعض الناس رسالة الصوفيـة فعابوهم وأنكروا عليهم مسلـكهم ظلما وزوراً أو جهلا وغروراً ، ولا عجب فالناس أعداء ما جهلوا ، فن قائل إن الصوفية بدعة لا أصل لها فى الدين ، ومن قائل إن الصوفية قوم كسالى متواكلون ، ومن قائل إنهم غلاة متشددون ، وكل هذا بعيد عن الصواب ، وسأحاول إن شاء الله أن أبين فى هذه الرسالة على قصرها شيئاً من فضل هؤلاء السادة الأماثل ، ولعـلى أبلغ من ذلك المراد من إعطاء الناشئة الإسلامية فـكرة صحيحة عن الصوفية وما تدعو إليـه وما تؤديه للاسـلام من خدمات فى تربية القلوب وإصلاح الأرواح ... » .

ونستطيع أن نطمئن الأستاذ إلى أنه بلغ المأمول ، فرسالته على إيجازها تنقل إلى الأذهان والأرواح التى تجهل التصوف معانى متسامية تهزها وتبهرها وتفتحها ...

تكلم المؤلف موفقاً عن معنى الصوفية ، ومتى ، وكيف نشأت ، وم اشتق اسمها ، وعرض لغاياتها ، ثم لخص محسناً قواعد التصوف ، واستطرد إلى إيضاح سبل الصوفيـة فى نشر مبادئهم ، وأوضح كيف يختـار المريد شيخه ، ثم عقب بترجمة منـاسبة لأستاذه ومسلّكه « الشيخ عبـد السلام الحلوانى » رحمه الله .

والمؤلف فى كتابته يورد عن السلف الصالح عبارات جذابة . وترجمته لشيخه تتأرّج بالوفاء والحب ، وتستأهل الثناء الأوفى ، فقليل الآن من المريدين من يشكر لصنيعة أستاذه ، وقليل منهم من يسق المودة بينه وبين شيخه ، وخاصة بعد أن يذهب هذا إلى العالم البعيد : عالم الموت .

والذى يلفتنى فى ترجمة الشيخ – وهى حافلة كلها بما يجدد فى الأذهان ذكرى الأسلاف الأمجاد من الصوفيـة – مناقب يجب أن تكون من ألمع مناقب المربين الصوفيين ... تلك هى : استغناؤه عن الناس ، وتعففه عما فى أيدى مريديه ، وتواضعه لهم ...

ولا جرم أن شيخاً لا يستوفى هذه الشمائل ، فلا يقيم الموازين لغير المال ، ويعمل تحت ستار المشيخة شحَّاذاً أو سلاّباً ، ويلقى الناس فى ترفّـع شامخ ، هو أبعد ما يكون عن التصوف ، بل هو أبرز مظهر للفساد الخطير الذى دب إلى الصوفية ، والذى يضرع رجالها الصادقون إلى الله أن يهوّر ليله ويبدل منه الروحانية والسمو .

والـكلمة الختامية للمؤلف التى يناجى فيها شيخه ويشيد فيها بفضله هى بمـا فيها من حب صاف ووفاء خالص وعواطف حارة مؤثرة صلوات على الشيخ الراحل الذى وقف على تربية الشباب عمره ، والذى كان المؤلف من أقرب خلصائه .

وليس لدى ما آخذه على الرسالة سوى أن مؤلفها بمـا أوتى من طبع مشرق نقى وثروة فى الثقافة الصوفية ضافية كان حقيقاً أن يطيل إمتاعنا بكتابته ، لاسيما وأن أمامه متندحاً كبيراً للقول .

ولقد نشر المؤلف رسائل خاصة لأستاذه ، وكنت أوثر لو صفيت هذه الرسائل من بعض أشياء لايضار الجوهر من تصفيتها ، بل لعل التصفية كانت تزيدها بروزاً وجمالاً .

***

أما بعد ، فالصوفية يطربون لهذه النفحة المباركة من المؤلف الصالح ، ويعتزون بإقبال أمثاله على خدمة الدين والتصوف . آجره الله على ما فعل .

لبيب السعيد
نائب المشيخة البيومية بالدقهلية

مطبعة الرسالة

العدد ٧١٦ — الاثنين ١٤ ابريل ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٠٣٠

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15me Année No. 719

Lundi — 14 — 4 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ جمادي الأولى سنة ١٣٦٦ — ١٤ أبريل سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

مقاييس وأصـــول
فى النقد والشعر

للأستاذ عباس محمود العقاد

« كتب الأديب السورى المصرى الأستاذ خليل هنداوى مقالا فى مجلة الكتاب الفيحاء تناول فيه بالنقد مؤلف الأستاذ سيد قطب الحديث عن « كتب وشخصيات » ، واستطرد من نقده إلى الكلام على ما سماه المدرسة الشوقية والمدرسة العقادية فى الشعر، ثم انتهى من كلامه قائلا : ومثل شوقى لن تظهر قيمته مدرسة عقادية لأنها أظهرت فيه تحيزها يوم كانت تريد أن تجعل من المازنى الشاعر الأكبر ، ومن شكرى الشاعر المصور . وها قد طلق المازنى الشعر لأنه لم ير نفسه أهلا له ، وها شعر شكرى لا يردده أحد ، ولم يبق من تلك الفئة إلا العقاد . والعقاد رجل ذهنية جبارة وعقل خصيب عجيب ، لا يسمح له أن يطير إلا بقدر ...

« وكان من الحق أن أرجع إلى صاحب المدرسة فى هذا السؤال الذى أردت له جواباً شافياً عن هاتين المدرستين ... فا قول الأستاذ فيما كتبه الهنداوى وما زعمه من التحيز وما حكم به بين المدرستين ... الخ .

على نافع

ونحن نوجز غاية الإيجاز فى الجواب المفيد على هذا السؤال ، فنقول إن التحيز فى أحكام الأدب — وفى جميع الأحكام — أخلق أن ينسب إلى الذين يستحسنون أو يستهجنون لغير سبب يعلمونه إلا أنهم قد استحسنوا وأنهم قد استهجنوا ولا مزيد .

أما أن تبنى حكمك على أصول ومقاييس تعم الآداب كلها ولا تخص أحداً من الشعراء أو الكتاب فليس ذلك من التحيز فى شيء كائناً ما كان الرأى الذى ترتئيه . وليس المتحيز إلا الذى يستمع إلى تلك الأصول والمقاييس فلا ينقدها ولا يبطلها ولا يفهمها على الوجه الصحيح .

ونحن لا يعنينا شاعر من الشعراء بعينه إذا فهمنا الشعر على حقيقته وطلبناه من معدنه . أما إذا كنا نجهل تلك الحقيقة ولا نعرف المحك الصادق لذلك المعدن فالمصيبة أعم من محاباة شاعر، أو الإجحاف به والتحامل عليه لأنها مصيبة الميزان نفسه لامصيبة الشيء الموزون فى إحدى كفتيه ، أو فى كلتا كفتيه .

ونحن لم نقل إن المدرسة الشوقية خلو من محاسنها ومزاياها ، ولا قلنا إنها لم تشتمل على شيء غير النقائص والعيوب .

ولكننا قلنا إنها لم تحقق للشعر أشرف مقاصده وأرفع مزاياه ، وعرضناها على المقاييس الخالدة التى لاسبيل إلى التشكيك فيها بحال من الأحوال ، فلم يصدق عليها مقياس منها ولا حاول أحد أن يصحح لنا ما قسناه مخالفاً فيه مذهبنا فى « التطبيق » .

وهذه خلاصة تلك المقاييس التى ندع إنكارها لمن يستطيع إنكارها ، أو ندع تطبيقها على خلاف رأينا لمن يشاء كما يشاء .

فالمقياس الأول أن الشعر قيمة إنسانية قبل أن يكون قيمة لفظية أو صناعية .

فما من أمة على وجه الأرض إلا وهى تنظم الشعر على اختلاف اللغات والأوزان .

وهى لا تنظم الشعر لأنها تتكلم بهذه اللغة أو تلك ، وتعرف هذا الضرب من العروض أو ذاك . ولكنها تنظمه لأنها كائنات إنسانية حية تجمعها كلها سليقة الإنسان ونوازع الحياة .

فأول مقياس للشعر الصادق الرفيع أنه يحتفظ بقيمته الكبرى إذا ترجم إلى جميع اللغات ، لأنه يرجع إلى الطبيعة ولا يجعل مرجعه كله إلى أعاريض الأوزان أو موقع الألفاظ فى الآذان .

نعم إن الموسيقية اللفظية مزية من مزايا الشعر فى كل لغة من اللغات .

ولكنها إذا كانت هى مزيته الوحيدة ؛ أو مزيته الكبرى التى لا ينهض بغيرها ، فأول ما يفهم من ذلك أنه كلام منفصل من الطبيعة الإنسانية ، وأنه صناعة محض وتلفيق من الألفاظ والأوزان ، وليس من الشعر الإنسانى الخالد فى طراز رفيع .

والمقياس الثانى أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه وإن كان وصفاً لغيره .

فإذا قرأت ديواناً كاملا من الشعر وجب أن تعرف صاحبه وتتمثله فى دخائل طبعه ونوازع سريرته وأطوار حياته .

وإذا تتبعت غزله — مثلا — فى أطوار تلك الحياة وجب أن تتمثل لك سمات حبه وسمات محبوبه فى كل طور من تلك الأطوار .

فلا يكون الشعر تعبيراً عن نفس حية إذا كنت تجهل تلك النفس حين تقرأ ديوان صاحبها ، ولا تستخرج لها من ديوانه ترجمة حياة داخلية لا يعوزها شىء غير الأرقام والأعلام .

ولا يكون الشعر تعبيراً إذا كنت تقرأ غزل الشاعر كله من صباه إلى شيخوخته فلا ترى فيه فارقاً بين محبوب ومحبوب ، ولا بين عاطفة وعاطفة ، ولا بين شباب ومشيب .

ولا يكون الشعر تعبيراً إذا كان صاحبه يزعم لك أنه معطيك صورة من الأحياء والجمادات وهو لا يعطيك صورة من نفسه .

وإنما هذا صناعة وفقر فى نوازع الحياة ؛ لا يبلغ بقائله من القوة أن يميزه «شخصاً كاملا» بين غيره من شخوص الأحياء .

والمقياس الثالث للشعر الصادق أن القصيدة بنية حية أو «بنية عضوية» يقع كل جزء منها فى موقعه الذى لا يغنى فيه غيره ، كما تتألف الأجسام من الجوارح والأعضاء .

فإذا عالجتها بالتقديم والتأخير ماتت كما يموت الجسم الحى الذى تضع قدميه فى موضع رأسه أو رأسه فى موضع قدميه .

أما إذا جاز لك أن تبعثرها شذر مذر ثم تعيدها فى كل مرة على وضع جديد فهى إذن من عالم الجماد لا من عالم الأحياء . بل هى من عالم الجماد الذى لا فن فيه ولا تنسيق له ولا معنى لتركيبه . لأنك لا تستطيع أن تصنع هذا الصنيع بجماد كالتمثال أو جماد كالدولاب أو القدح المنقوش .

***

هذه أمثلة من المقاييس التى ندين بها فى نقد الشعر وتقدير الشعراء ...

فعلى أى وجه تجوز المخالفة فيها ؟

لا تجوز المخالفة فيها إلا على وجه من وجهين :

فإما أن يقول القائل إن هذه المقاييس باطلة فى جملتها وتفصيلها ، وإن الشعر قد يكون من طراز الشعر الرفيع وهو لا يعطينا مزية إنسانية بمعزل عن رنين الأوزان وطلاوة الألفاظ ، ولا يعبر لنا عن نفس صاحبه ودخيلة حياته ، ولا تتماسك قصائده تماسك البنية الحية التى تستعصى على التقديم والتأخير .

فإن قال القائل هذا فهو وشأنه فيما يراه ، والناس وشأنهم فى الأخذ بما رآه .

أما إذا قبل تلك المقاييس وارتضاها فليس له غير وجه واحد للمخالفة فيما قدمناه ، وذلك أن يقول إن المقاييس صحيحة ولكنها تنطبق على شعر المدرسة الشوقية وما جرى مجراها .

ومعنى ذلك أنه يستطيع أن يستخلص من دواوين شوقى صورة صادقة له كالصورة التى نستخلصها من الدواوين لأمثال المتنبى والمعرى وابن الرومى وأبى نواس وأن يعرف من غزله أطواراً لحبه فى الشباب والمشيب ، وأوصافاً لمن أحبهم ونظم الغزل فيهم على اختلاف المحاسن والسجايا وألوان الغرام .

٢ – تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن للحلم :

رأيتم أن دراستنا لسيكولوجية الأخطاء لم تكن عديمة الفائدة ، فقد استطعنا بفضل الجهود التى بذلناها فى هذا الاتجاه أن نصل ، عن طريق الفروض التمهيدية التى تعلمونها ، إلى نتيجتين : الأولى فهم لطبيعة عنصر الحلم ، والثانية العثور على طريقة لتفسير الأحلام . أما عن طبيعة عنصر الحلم فقد رأينا أنه ليس فى حد ذاته شيئاً رئيسياً ، وإنما هو بديل من شىء آخر مجهول لدى الشخص الحالم . وإنا لنأمل فى تطبيق هذا الفهم على الحلم بأكمله كمجموعة من هذه العناصر ، والطريقة التى سنتبعها هى أن ندع بعض الأفكار البديلة تتوارد على خاطرنا ، وبوساطة الترابط المطلق سنصل إلى كشف الغطاء عن الأفكار اللاشعورية وإبرازها إلى منطقة الشعور .

فإذا انتقلنا الآن من النظر إلى العنصر الواحد ونظرنا إلى الحلم كوحدة كاملة وجدنا أن الحلم ما هو إلا تحريف لشىء آخر لاشعورى وأن الغرض من التفسير هو الكشف عن هذه الأفكار اللاشعورية ، وعلى هذا يجب مراعاة الثلاث قواعد الهامة الآتية عند التفسير :—

١ — لا داعى للاهتمام بالمعنى السطحى للحلم سواء أكان معقولا أم غير معقول ، واضحاً أم غير واضح ، فهو لا يحتوى بأى حال من الأحوال على الأفكار اللاشعورية التى نبحث عنها .

٢ — يجب علينا أن نركز جهودنا فى محاولة تذكر أفكار بديلة لكل عنصر على حدة من غير أن ننعم النظر فيها كثيراً لنرى إن كانت تحتوى على شىء يلائم الحلم أو لا يلائمه . كما يجب علينا أن لا نهتم كثيراً إذا شعرنا أن هذه الأفكار تقودنا بعيداً عن عنصر الحلم .

٣ — يجب علينا أن ننتظر حتى تبرز الأفكار اللاشعورية الخفية التى نبحث عنها من تلقاء نفسها كما حدث فى حالة الكلمة المنسية « مونا كو » التى رويتها لكم فى المحاضرة السابقة[1] .

والآن أظنكم أدركتم أنه لا داعى مطلقاً للقلق أو المبالاة إذا كنا لا نتذكر الحلم بأكمله بل نتذكر جزءاً كبيراً أو صغيراً

(١) العدد ٧١٦ من الرسالة .

ومعنى ذلك أنه يستطيع أن يترجم قصائد شوقى ويحتفظ لها بالجوهر الذى لا يزول بزوال المحاسن اللفظية والنغمة الموسيقية ، ويستطيع أن يتحدى الناقد بقصيدة تتماسك فى بنيتها كما يتماسك الأحياء وتستعصى على محاولة التقديم والتأخير .

فإذا استطاع هذا جاز له أن يسمى استحسانه استحساناً وأن يسمى كلامه رداً على نقد وبياناً فى معرض الآراء والأذواق .

أما أن يكون قصاراه « الاستحسان وبس » ! فله أن يستحسن « وبس » كما يريد ، وله أن يقول إن المستحسنين مثله « وبس » كثيرون . . ولكن أى استحسان هذا الذى تقيمونه معياراً لآداب الإنسانية يا هؤلاء ؟

إن الذين طربوا لشعر شوقى ولم يلمسوا مواطن النقص فيه هم بأعيانهم أولئك الذين طربوا لتلك الأغانى السقيمة الشائعة ، ورددوها وترنموا بها ولا يزالون يترنمون بها وهى تغثى النفوس وتفرغ المعدات .

أفهذا هو القياس القويم المستقيم ، وما نبسط نحن من خلاصة الآداب الإنسانية هو التحيز والعجز عن التقدير ؟

افهموا يا هؤلاء أولا .

وافهموا يا هؤلاء ثانياً .

وافهموا يا هؤلاء أولا وأخيراً .

افهموا قبل أن تهموا ، وافهموا قبل أن تنصبوا أنفسكم قدوة للنقد والتقدير ، ومحكمة تقضى بالتحيز وتستأثر لقضائها بالإنصاف .

عباس محمود العقاد

منه فقط ، وأيضاً إذا كنا نتذكر هذا الجزء جيداً أم لا . فالحلم كما نتذكره ليس هو الشيء الحقيقي الذى نبحث عنه وإنما هو بديل محرف له نستطيع بوساطة الأفكار البديلة التى تنتج عنه أن نقترب من المعنى الحقيقى وأن نصل إلى إبراز الأفكار اللاشعورية إلى منطقة الشعور . فإذا حدث أننا أخطأنا فى تذكر الحلم فمعنى ذلك أن تحريفاً آخر وقع فى البديل وهذا التحريف لا يمكن أن يكون من غير دافع .

وكما أن فى استطاعتنا أن نفسر أحلام الغير فإن فى استطاعتنا كذلك أن نفسر أحلامنا ، والحقيقة أننا نتعلم كثيراً من هذا التفسير . فإذا حدث أن أجرينا تجربة على أنفسنا فإننا نلاحظ أن هناك قوة داخلية تعمل على عرقلة التفسير . حقيقة أن الأفكار المترابطة تتوارد على خاطرنا ولكنا نجد أننا لا نريد أن نعترف بها جميعاً بل نأخذ فى نقدها والتمييز بينها لننتخب ما هو صالح فنقول لأنفسنا : « لا : هذه الفكرة لاتلائم الحلم » . أو « هذه فكرة تافهة جداً » . أو « هذه فكرة بعيدة عن الموضوع » . ثم نلاحظ أننا بهذه الاعتراضات كلها قد خنقنا الأفكار المترابطة وفى النهاية أقصيناها عنا قبل أن تتمكن من الظهور بوضوح تام . وعلى هذا فإننا نحاول من ناحية أن نتمسك بالفكرة الأصلية ، أى عنصر الحلم نفسه ، ومن ناحية أخرى نعرقل عملية الترابط المطلق عند ما نحاول النقد والتمييز . فإذا حدث أننا لم نقم بالتفسير بل تركنا شخصاً آخر يقوم به فإننا نلاحظ جيداً أن هناك دافعاً آخر يدفعنا إلى هذا التمييز بين الأفكار المترابطة فنقول لأنفسنا فى بعض الأحيان : « لا هــذه فكرة يثقل على النفس التحدث بها . إنى لا أستطيع بل لن أقولها له » .

ومن الواضح أن هذه الاعتراضات تهدد مسعانا بالفشل ، ولذا يجب علينا أن نتخذ لأنفسنا الحيطة ضدها . فإذا كنا نقوم بتفسير أحلامنا وجب علينا أن نعقد العزم على أن لا نخضع لهذه الاعتراضات مهما بدت قوية ، وإذا كنا نقوم بتفسير أحلام الغير فيجب أن نضع نصب عينيه هذه القاعدة الصارمة وهى أن لا يخفى عنا أى فكرة تخطر على باله أثناء عملية الترابط المطلق حتى لو اعترضها أحد الاعتراضات الأربعة التى ذكرتها لكم كأن تبدو عديمة الأهمية أو سخيفة ، أو غير ملائمة ، أو يثقل على النفس التحدث بها . وقد يأخذ الشخص على نفسه عهداً أن لا يخرج عن هذه القاعدة ، ولكنا سنشعر بالخيبة والضيق بلا شك عند ما نرى أنه سرعان ما ينسى هذا الوعد . وقد نحسب لأول وهلة أن هذا النسيان يرجع إلى عدم ثقته فى نجاح عملية الترابط المطلق على الرغم من تأكيداتنا القاطعة له . وربما كانت الخطوة التالية لذلك هى أن نحاول أن نجتذبه أولا إلى نظريتنا بأن نعطيه كتباً يقرأها أو نرسله إلى محاضرات يسمعها حتى يتحول إلى وجهة نظرنا فى الموضوع ، ولكن قليلا من التفكير يرينا أنه لا داعى لاتخاذ مثل هذه الخطوة الخاطئة ، لأننا سنرى أننا أنفسنا عرضة لمثل هذه الاعتراضات على الرغم من عدم شكنا ألبتة فى نجاح طريقتنا .

ولكنا بدلا من التبرم بهذا الإهمال من الشخص الحالم فى المحافظة على وعوده لنا سنتخذ من هذه التجربة مادة صالحة لنا فى الحصول على شيء جديد ، شيء ذى أهمية كبرى لأننا لم نكن نتوقعه ألبتة . فمن الواضح أن عملية تفسير الأحلام تلاقى معارضة قوية بوساطة « مقاومة » تبدو على هيئة اعتراضات فى شكل نقد ، وهذه المقاومة لاعلاقة لها بإقناع الحالم نظرياً بنجاح العملية. وقد أثبتت التجارب أن الاعتراضات التى من هذا النوع ليس لها ما يبررها بل على العكس قد ثبت أن الأفكار التى يحاول الشخص إخفاءها عنا هى بغير استثناء على درجة كبيرة من الأهمية ، وأنها لازمة جداً للوصول إلى الأفكار اللاشعورية . وعلى هذا يجب علينا أن نعتنى عناية خاصة بالأفكار التى يصحبها اعتراضات من هذا النوع .

وهذه « المقاومة » تعتبر شيئاً جديداً لم يكن متوقعاً بالمرة . وهى ظاهرة لم تكن ضمن الفروض التى فرضناها فى مبدأ الأمر ولكنا اكتشفناها أثناء البحث . وإنا لنخشى أن تكون هذه الظاهرة عقبة فى طريقنا مما قد يدعونا إلى اليأس أو الكف عن بذل المجهود فى تفسير الأحلام . ولكنا من وجهة أخرى قد نجد لذة فى التغلب على هذه الصعوبات ، فهذه المقاومة التى تعترضنا كلما توغلنا فى البحث عن الأفكار اللاشعورية لا بد وأنها تحقق

وراءها شيئاً ذا أهمية عظمى . وإلا فما الداعى لهذه الصعوبات التى نلاقيها ولا غرض لها إلا التستر والتعمية على قدر الإمكان ؟ إن الطفل عند ما يرفض أن يفتح لنا قبضة يده ليرينا ما بداخلها فمما لا شك فيه أنه يقبض على شيء لا حق له فى امتلاكه .

وهذا العامل الجديد (المقاومة) يختلف من الناحية الكمية باختلاف الأحلام . فقد نجد أنفسنا أثناء العمل عرضة لمقاومات قوية ومقاومات ضعيفة . وهناك عامل آخر كثيراً ما نلاقيه أثناء التفسير يمكن أن نقرنه بهذا العامل ، أعنى أنه فى بعض الأحيان قد تكفى أفكار قليلة أو فكرة واحدة فقط للوصول من عنصر الحلم إلى الأفكار اللاشعورية التى تستتر وراءه ، بينما فى أحيان أخرى قد نحتاج إلى سلسلة طويلة من الأفكار المترابطة ، وإلى التغلب على كثير من الاعتراضات قبل الوصول إلى غايتنا . وهذه الأفكار المترابطة يختلف عددها باختلاف شدة المقاومة ، فإذا كانت المقاومة ضعيفة فإن الأفكار البديلة تكون قريبة من الأفكار اللاشعورية ، أما إذا كانت المقاومة قوية فإنها تسبب تحريفاً كبيراً فى الأفكار البديلة ، ومن ثم نحتاج إلى طريق أطول للوصول إلى الأفكار اللاشعورية نفسها .

أظن أن من الأوفق الآن أن نختار حلماً من الأحلام ونطبق عليه طريقتنا فى التفسير لنرى إن كان ما توقعناه صحيحاً أم لا ؟ ولكن أى حلم نختار ؟ هذه هى المشكلة . فأنتم لا تعلمون الصعوبات التى ألاقيها فى ذلك ، ولا أنا بمستطيع أن أفسر لكم هذه الصعوبات الآن . وقد يرى بعضكم أن الحلم الواضح الغير مشوش يكون سهل التفسير ولكنه بذلك يكون قد ارتكب خطأ كبيراً ، فقد أثبت التحليل أن مثل هذه الأحلام تكون قد تعرضت إلى درجة عالية من التحريف . وعلى هذا فإننى أقترح عليكم أن نختبر عنصراً واحداً فقط من الحلم ونطبق عليه طريقتنا لنرى ماذا ستكون النتيجة :

(ا) قصت على سيدة أنها وهى طفلة كانت دائماً تحلم : « أن الله يلبس على رأسه قبعة من الورق تغطى عينيه » . كيف نستطيع إذاً أن نفسر هذا الحلم إذا لم تمد لنا صاحبته يد المساعدة ؟ لظنه من غير المعقول فالحلم يبدو تافهاً لا معنى له . ولكن هذه السخافة سرعان ما تختفى عندما تروى لنا السيدة أن أهلها وهى فتاة صغيرة كانوا يضعون على رأسها مثل هذه القبعة كلما جلست إلى المائدة لأنها لم تكن تكف عن النظر فى أطباق أخواتها لترى إن كان أحدهم قد نال نصيباً أكبر من نصيبها . ومن الواضح أن هذه القبعة كانت تستخدم كمانع يعوقها عن التلفت يميناً وشمالاً ، وقد روت السيدة هذه المعلومات فى غير صعوبة تذكر . وقد استطاعت أن تفسر الحلم بنفسها عند ما تواردت على خاطرها فكرة مترابطة أخرى فقالت : « ولما كنت قد لقنت وأنا طفلة أن الله يرى كل شيء ويعلم كل شيء ، فلا بد أن الحلم يعنى أننى مثل الله قد رأيت وعرفت كل شيء ، على الرغم من محاولتهم منعى من ذلك » . أظن هذا المثل بسيطاً جداً .

(ب) رأى أحد مرضاى حلماً طويلاً نوعاً ما كان منه الجزء الآتى : « كان لفيف من أفراد عائلته يجلسون حول مائدة ذات شكل خاص ... الخ » وقد لفتت هذه المائدة نظر الحالم إلى أنه قد سبق له أن رأى مائدة تشبهها عند زيارته لإحدى العائلات . ومن ثم تسلسلت أفكاره على النمط الآتى : كانت العلاقة بين الإبن والأب فى هذه العائلة من نوع غريب ، وقد أضاف الحالم أن علاقته بأبيه كانت فى الحقيقة من نفس النوع . وعلى هذا فقد اتخذت المائدة فى الحلم كأداة للتشبية .

وليس من المستغرب أن يلتفت صاحبنا إلى مثل هذه التفاصيل التافهة كشكل المائدة ، فقد كان على علم منذ زمن طويل بما يتطلبه تفسير الأحلام . فنحن ننكر إنكاراً باتاً أن هناك شيئاً اسمه المصادفة فى الأحلام ، بل على العكس فإننا نتوقع أن نصل إلى غايتنا عن طريق البحث فى هذه التفاهات التى تبدو كأنها غير مقصودة . وقد تعجبون جداً لأن الحلم لم يقع اختياره إلا على المائدة كأداة يعبر بها عن الفكرة : « إن العلاقات بيننا تشبه العلاقات بينهم تماماً » ولكن من الممكن توضيح ذلك أيضاً إذا علمتم أن العائلة المذكورة تدعى عائلة tiechler (مائدة = tisch) فالحالم عند ما جعل أهله يجلسون على نفس المائدة كان يعنى أنهم أيضاً كانوا « tischler » (أى مائدتين) .

(يتبع) محمد جمال الدين حسن

عالم إيطالى يدافع
عن تعدد الزوجات

انسجام مبادىء الإسلام مع تطور المدنية

للأستاذ على عبد الله

من أسرار الشريعة الإسلامية السمحة ، أنها تتفق مع نظام الحياة وتطورها ، وأنها تصلح لجميع الأزمان والأجيال ، فلا يتحرج المسلم الذى عاش فى القرن الأول من أن يعيش فى القرن العشرين ، دون أن يجد غضاضة أو حرجاً أو أوضاعاً تباعد بينه وبين دينه . وقد امتاز الإسلام وهو الدين الذى أعزه الله بمسايرته لتطور المدنية ، واتساع صدره لما فى الحياة من مفاجآت ، وانسجامه مع التقدم العلمى ، والسمو الفكرى ، والابداع الفنى .

وكلما بلغ العقل البشرى غايته من الكمال واتسع نطاق الأبحاث العلمية إلى حدود الإعجاز ، أدرك العالم أسرار الإسلام وآمنوا بأن هذه المبادىء المحمدية السامية هى أصلح المبادىء وأكفلها لسعادة الحياة ، وأقدرها على ضمان العيش الهنىء والصفو المرىء ، والمتاع الموفور ! !

وبين يدى الآن وأنا أكتب هذه الكلمة محاضرة لعالم إيطالى جليل ألقاها فى مدينة شيكاغو فى موضوع تعدد الزوجات فى اجتماع حضره أكثر من خمسة آلاف رجل وسيدة وقد قال فى هذه المحاضرة مانصه (إن تعدد الزوجات أصبح فى هذا الوقت ضرورة من ضرورات الحياة الحديثة ، وقد أضحت مسئوليات الزوجة عديدة بشكل يستحيل علبها معه أن تقوم بلوازمها الخاصة كامرأة وزوجة وهو الأمر الذى حال بين الأزواج وبين كثير من المتع والرغبات .

ولست أرى علاجاً لهذه المشكلة سوى أن يكون للزوج أربع زوجات يوزع العمل بينهن حسب الكفاءات ونواحى الاختصاص : فالزوجة الأولى بحكم أقدميتها تتولى تربية الأولاد ، والثانية تتولى الإشراف على نظام العمل والشئون المنزلية العامة ، وتقوم الثالثة بإعداد كل ما يلزم للزوج من وسائل الراحة .

أما الرابعة فمهمتها الترويح والترفيه عن الزوج وملاطفته ، والتفنن فى إدخال السرور عليه ، ومسح غبار المتاعب عن رأسه ، وجعل غرفتها عشاً لغرامه ، وفردوساً لأحلامه !!)

هذا هو ملخص رأى العلامة الإيطالى هيراد فى محاضرته الجديدة ، وقد أشارت جريدة المصرى القراء إلى هذه المحاضرة إشارة لطيفة .

ويعتقد الكونت هيراد أن السعادة الزوجية لا يمكن أن تقوم دعائمها إلا على هـذا الأساس إذ تقوم كل زوجة بمهمتها على نظام دقيق ، فإذا مرضت إحدى الزوجات أو ماتت كان لابد للزوج أن يعيد النظر فى تنظيم مملكته من جديد وأن يبحث عن زوجة شابة جميلة يضمها فى مركز الصدارة العظمى من هذه المملكة .

وقد كان المفروض أن يثور المستمعون على هذه الآراء الجديدة الجريئة التى تخالف ما اصطلح القوم عليه وتتعارض مع تقاليدهم المأثورة والموروثة .

ولكن الأمر كان على العكس إذ قوبلت المحاضرة بالسرور والإعجاب والتصفيق من المستمعين جميعاً ذكراناً وإناثاً .

وأحب أن أعلق هنا على هذه الآراء التى نشرتها الصحف على أنها من مبتكرات العلامة الكونت هيراد بأنها منقولة مع شىء من التحريف من أحكام الشريعة الإسلامية التى طالعت العالم بها منذ ثلاثة عشر قرناً ، وقد كان الغربيون يعتبرون هذه الأحكام من عيوب الدين الإسلامى ويتخذونها سبيلا للطعن فيه ، كما كانوا يعيبون على المسلمين إقرارهم لمبادىء الطلاق ، فلما كشف الله عن بصائرهم ، وطار رماد التعصب من عيونهم ، وارتقت بهم المدنية إلى إدراك أسرار الحياة ، وفهم حقائق الوجود ، آمنوا بتعاليم الإسلام وأقروها ونفذوها بالفعل على اعتبار أنها ضرورة من ضرورات العيش ، حتى ليخيل إلى أنهم قد أصبحوا مسلمين بقوة الواقع وإن لم يعلنوا إسلامهم بحكم التقاليد !!

وأتذكر أنى ألقيت فى العام الماضى محاضرة فى نادى رابطة الموظفين بالمنصورة عن حكمة تعدد الزوجات فى الإسلام حضرها كثير من أهل الرأى والعلم ، فلما انتهيت منها قام شاب من إخواننا المسيحيين ومن مدرسى المدارس الثانوية ، فأعلن فى

صراحة عجيبة بأنه لم يكن يعرف أبداً أن الإسلام بمثل هذه السماحة وهذا اليسر ، وأنه يشعر تحت تأثير الإعجاب بما انطوت عليه أحكام الشريعة الإسلامية من مزايا وفضائل وأسرار ؛ أنه مسلم بجوارحه وروحه ! ! فدوت القاعة الكبرى بتصفيق حماسي هز جوانح الجميع .

أما تعدد الزوجات فى الإسلام فحكمة أرق بكثير مما ذكره الكونت هيراد ، وهو فى اعتقادى من مزايا الدين الإسلامى وفضائله ، على أن يكون هذا التعدد لحكمة وضرورة ، لا للهو ولا للمتاع ولا لمجرد العبث والتنقل بين أذرع الغيد !! ويمكن النظر فى حكمته من ناحية الباعث عليه ، فإذا كان لرجل زوجة مريضة ويئس من شفائها ورأى من الوفاء لها أن يبقيها للعناية بها على أن يأتى بزوجة أخرى تعفه وتروح عنه فما هى الحكمة فى منعه عن هذا الزواج ، وهو شىء تنادى به الفطرة والطبيعة وحقائق الحياة !! وهل ذلك خير أم نتركه يتخذ الأولى زوجة والأخرى خليلة ؟؟

إن الدين الإسلامى ينظر إلى الحقائق المجردة ولا يؤمن بالخداع والنفاق ، ولا يوافق أبداً على أن يتخذ الرجل زوجة واحدة ثم يتخذ بجانبها خليلتين أو ثلاثا ! ثم يدعى بعد ذلك أنه قد اقتصر على واحدة وهو فى الواقع متزوج بأربع ، واحدة بشريعة الله وثلاث بشريعة الشيطان !! ومع ذلك فالإسلام لا يكلفه إلا أن يجعل الحرام حلالا

وما ذلك إلا لأنه دين واقعى يحارب الرياء والخداع والتظاهر بما لا يتفق مع الواقع .

وماذا يصنع العالم فى عشرين مليوناً من الفتيات فى أوربا وحدها تركتهن الحرب الضروس بدون أزواج ؟ المسألة واضحة ، فإما أن يبيح القوم تعدد الزوجات لرجل واحد أو يبيحوا البغاء لهؤلاء المسكينات !! وهنا تظهر عبقرية الإسلام فى الاحتياط للطوارىء وتنظيم نواميس الحياة ، والتشريع الصالح للخلود .

وهذه ألمانيا المحتلة قد نفذت بالفعل نظام تعدد الزوجات بناء على طلب الفتيات والنساء وإلحاحهن ؛ لا على طلب الرجال . ولو قلنا للألمانيات الجائعات المشردات إن الإسلام هو الذى وضع لكم هذا التشريع المحكم وأعده لمثل هذه المحنة القومية لهتفن بحياة الإسلام !! الدين الذى جاء لإنقاذ البشرية والإنسانية من الويلات !!

وليست ألمانيا وحدها هى التى أخذت بنظام الإسلام فى هذه الظروف العصيبة ، بل تبعتها إيطاليا مقر البابوية ، وهاهى ذى أمريكا تسير فى هذا الطريق . بل وهذا هو برنارد شو يقرر فى صراحة واضحة بأن مبادىء الإسلام ستغزو العالم لأنها المبادىء الصالحة للبقاء !!

وبعد فقد آن الأوان للدنيا كلها أن تصغى لهذه الآية الكريمة (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) ! ! وصدق الله العظيم .

(المنصورة) **على عبد الله**

الأدب في سير أعلامه :

١٠ - تولســـتوى

[قمة من القمم الشوامخ في أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

خيوط من النور

لئن اشتدت حلكة الليل فى عهد نيقولا ، وأحاطت بالناس المخاوف مما كان يتهددهم من المهالك ، فان خيوطاً من النور برغم ذلك كانت تتراءى على الأفق فتكون لأنفس الأحرار أنساً وشفاء وعزاء ...

حالت القوة بين الروس وبين أى عمل يتصل بالسياسة فقام الفكر والأدب مقام العمل ؛ ولكن أى فكر هذا وأى أدب وكيف يتسنى له أن يخرج من الرؤوس ، وكيف تتجاوب به نفوس الأحرار والرقيب من ورائهم محيط وسلطة لايحدها قانون ولا تقومها نصفة ؟ ليس غير الفن ينفس به الأحرار عن أنفسهم وقد اختاروا من صور الفن : القصة والشعر والموسيقى ... وراحوا يهمسون بهذا الفن همساً سوف يكون له فى روسيا دوى عظيم .

كانت القصة الروسية على حد تعبير أحد الكتاب « صرخات من فوق خشبة الصلب » ، ولكنها كانت صرخات القوى الذى أنطقه الألم الهائل على رغمه ، لا صرخات الخائر الذى يستعطف ويبكى ...

ولما كانت القصة فى مقدمة الوسائل التى عبر بها الروس عما فى نفوسهم ، فقد برعوا فيها براعة جعلت الكثيرين من فطاحل النقد فى أوربا يسلمون لروسيا بالسبق فى هذا الميدان ، فعندهم أن فن القصة بلغ أوج كماله فى القرن التاسع عشر فى روسيا فقد سبق الروس فى هذا القرن أساتذتهم من الفرنسيين والانجليز والألمان حتى غدوا هم الأساتذة وأحدثوا فى هذا القرن أثراً بعيداً فى فن القصة فى هذه الأمم الثلاث وفى غيرها ممن نقلوا القصة الروسية الى آدابهم ...

وليس بمجيب أن ينبغ الروس فى هذا النوع من القصة ، فأمام غيرهم مجال القول متسع فى غير هذا الفن ، ولكن الروس اضطروا أن يظلوا على القصة عاكفين زمناً طويلا فتهيأت لهم أسباب التفوق ، وتعددت فى القصة مذاهبهم وأساليب تعبيرهم ، واتضحت هذه المذاهب واستقرت ، وطُوِّعت هذه الأساليب وأسلس قيادها .

كان على كتاب القصة أن يخلقوا وسيلة بها يتكلمون ولكن على ألا يفطن إلى ما يريدون المتصنتون من الحكام والرقباء ، وكانت القصة فى ذاتها كعمل فنى خير معين لهم على ذلك ولكنهم أضافوا إليها ما أضافوا من صور الوصف فأبدعوا تصوير ما كانوا يريدون تصويره من مشاهد الحياة وآلامها ، وألوان العواطف الإنسانية وخلجاتها ؛ ولقد أدى بهم هذا إلى أن يسلكوا وإن لم يقصدوا مذهب الفن للفن ، فلم يدعوا إلى شىء إيجابى أو يقترحوا علاجاً لداء ؛ وإنما اكتفوا أو اضطروا فى الحق أن يكتفوا بتصوير الحياة الروسية كما هى بما فيها من خير وشر ، ومن هنا كذلك كان المذهب الواقعى هو الغالب فى القصة الروسية .

وكان هذا الوصف أعلى فى الآذان صوتاً وأعمق فى النفوس أثراً من كافة صور التعبير التى أتيحت لغير الروس ، من فلسفة ومقالة ومحاضرة وبحث ، وتلك هى ميزة الفن وبخاصة فن القصة وقد بلغت أقصى ما يبلغه فن كأداة للتعبير على أيدى أساطين القصة الروسية .

وثمة صفة أخرى للقصة الروسية ، وتلك هى انطواؤها على كثير من النذر ، ويشاركها فى ذلك الشعر إلى حد كبير ، حتى ليمكن القول إن الأدب الروسى فى القرن التاسع عشر كان أكثر من أدب أية أمة تنبؤا بالمستقبل المخيف ؛ بل لعل هذا التنبؤ هو خاصته التى مازته من غيره فهو نذير للناس بالهول والبلاء والشر المستطير ، وقل أن كان بشيراً بشىء إلا بما يفهم مما يتضمنه هذا الشر المنتظر من معنى الثورة التى تذهب بالمساوىء القائمة وتفتتح فى تاريخ البلاد عهداً جديداً ..

ولقد كان الأدب الروسى فى الواقع لهذه العوامل المحيطة به أدباً ثائراً ؛ لا بما كان ينذر به من هول فحسب ولكن بما كان يصف من سوء الحال ، فان ذلك الوصف على ما يبدو من هدوئه كان متنفساً للنفوس مما كانت تنطوى عليه من ثورة ، أو كان شكاة وأنيناً أو « صرخات من فوق خشبة الصلب »

والفرق واضح بين هـذا الأدب الروسى وبين أدب فرنسا قبيل ثورتها الـكبرى على أيدى فلتير وروسو وديدرو وأضرابهم فقد تفلسف أولئك الفرنسيون وسخروا وبينوا سبل الخلاص وواجهوا المسائل السياسية والاجتماعيـة والاقتصادية مواجهة مباشرة فـكانوا فى الغالب فلاسفة مفـكرين ، ولـكن الروس صوروا فحسب ، فلم يبينوا لنـا المعايب الاجتماعية وأسبابها وشقاء العيش وعوامله ، وإنمـا خلقوا لنا أناساً أشقياء يتألمون وتفدحهم كوارث الحياة ولا يدرون ماذا يفعلون .

ولقد أحدث هذا الأدب أثره العميق فى النفوس على الرغم من الرقابة والرقباء ، حتى انتهى الأمر إلى ثورة جارفة كانت فى الواقع من صنع الفن وحده ؛ وليس فى هذا الذى نذكر شىء من الغلو ، فبالفن لا بالأفـكار المجردة ، ولا بالدراسة المباشرة لمشكلات روسيا هدم أدباء الروس صرح العهد القديم ، وعلى ألسنة أشخاصهم التى خلقوها وفى ميول هذه الأشخاص ونزعاتها وحركاتها عبر الـكتاب عما يريده كل روسى وأفصحوا دون أن يقولوا قولا صريحاً عما كان يشغل الأذهان من آراء فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد ما كان ليسمح بها الرقيب ...

وفى الأدب الروسى جانب روحى أكسبه صفة إنسانية عامة بها وجد سبيله إلى قلوب الناس فى كل أمة ؛ وهـذا الجانب الروحى فيه هو محاولة الوصول إلى خلاص للانسان عامة من شرور الحياة وشقائها ، وتوقعه حياة أخرى أسمى من هذه الحياة ، ومرد ذلك فى الواقع إلى هول ما عانى الروس من ظلم وما ذاقوا من ألم وشقاء . ومن عجب الأمور أن كثيراً من الأدباء الروس على ما بلوا من شرور الحياة حولهم وآثامها كانوا يؤمنون فى كتاباتهم بالخير وأنه هو الأصل فى الإنسان ، وأن الشر يأتيه من الحياة وملابساتها ، فـكان هؤلاء الأدباء متفائلين مع ما كانت تريهم الحياة من دواعى التشاؤم .

وكفر أدباء روسيا بمدنية الغرب وثقافة الغرب ، فلم يروا أنهما حق كلهما ، وإنما أحسوا فيهما بكثير من صور الباطل ؛ وارتابوا فى كثير من المبادئ التى أخذ بها العالم الغربى واطمأن إلى استقرارها وصلاحيتها لتقدم العمران والسمو بمستوى الحياة ؛ وساورهم كثير من القلق فيما عسى أن تفضى إليه هذه المبادئ من كوارث قد تطيح بهـا وبمدنية الغرب جميعاً ، وقد أضاف هذا الـكفران بمدنية الغرب وثقافته إلى الأدب الروسى والقصة الروسية نغمة ارتاحت إليها النفوس القلقة ، وزادت هذه النغمة ثورة هذا الأدب بروزاً ، وجعلت له خطراً كبيراً فى تاريخ الفكر البشرى ...

وأدى هذا الـكفران بمدنية الغرب ومبادئ المجتمع الغربى إلى اتساع أفق الأدب الروسى ، فبات يتعمق النظر فى مسائل الحياة والموت وما عسى أن يكون وراء هذا الـكون العجيب من أسرار ود الأدباء لو استطاعوا أن يهتدوا إلى شىء منها ، وقد صبغ هذا الاتجاه الأدب الروسى بصبغة دينية صوفية لا مثيل لها فى أدب الغرب ...

***

كان الشعر أسبق من النثر فى هـذا القرن ولذلك حق أن نتكلم أولا عما كان للشعر من أثر فيما نحن بصدده ، وقد تجلى هذا الأثر فى شعر شاعرين كانت لهما أو على الأصح كانت لأولهما زعامة الشعر الروسى الحديث وهما بوشكين وليرمونتوف . وقد ولد أولهما سنة ١٧٩٩ ومات فى الشهر الأول من سنة ١٨٣٧ . وولد ثانيهما سنة ١٨١٤ ومات سنة ١٨٤١ .

تمثلت الروح الجديدة فى حياة بوشكين وفى شعره ، ولقد كان لهذا الشاعر الفذ الذى مات فى الثمانية والثلاثين من عمره ، أعمق الأثر فى الأدب الروسى فى القرن التاسع عشر ...

يعد بوشكين بحق أحد عباقرة الشعر فى جميع عصوره وعلى اختلاف بيئاته ، فقد خلق موهوباً كما يخلق أفذاذ هذا الفن وفحوله فله قوة الشعر وعمق الفكرة وصدق الإحساس وحدته وسمو الروح وحرارة الإيمان وجمال النفس ، وله إلى جانب ذلك الأداة الطيعة من التعبير الجميل القوى والموسيقى الرائعة الحلوة .

على أن ما يعنينا هنا هو أثر فنه لا قيمة ذلك الفن ؛ ولقد كان أكبر تأثيره فى حياة قومه بمـا تغنى به من أغانى الحرية ، تلك الأغانى التى هزت النفوس هزاً .

تأثر بوشكين بشاعر عظيم متمرد ثائر هو اللورد بيرون الذى قضى نحبه سنة ١٨٢٤ فى حصار مسولنجى مصاباً بالطاعون ، وقد كان يدافع مع المدافعين عن حرية اليونان ، وأعجبت بوشكين

حمية بيرون كما أعجبته طريقته فى الشعر ، وكان من أبرز خصائص بوشكين أنه يتمثل آثار غيره ويتأثر بها ولكنه لا يفقد أصالته ولذلك فقد احتفظ بروحه الروسية وإن اصطنع أسلوب بيرون .

تغنى بوشكين بعظمة روسيا وقوتها وكان يعد بطرس الأكبر بطلها الفرد ، وغنى بمثل البكاء حياة فلاحيها وشقاءهم ، وكان شعره مليئاً بالنذر ، فكان منذراً للطاغين مبشراً بحرية سوف تنعم بها روسيا بعد طول الأسر والعذاب تجد ذلك فى قوله « إنا منتظرون ، وقلوبنا الملتهفة تخفق بالأمل فى الحرية المقدسة كما ينتظر العاشق الشاب ساعة لقائه بفاتنته »

وتأثر بوشكين كذلك بمبادئ الثورة الفرنسية ، وكان صديقاً للديسمبريين ، ولكنه كان قد نفى إلى ضيعة أمه قبيل حركتهم فلم يشارك فيها ونجا بذلك من الموت لينظم لروسيا خير ما أخرجت من شعر وليوقظ مشاعرها ويطبع أدبها بطابعه ؛ وليكون شعره حداءها المتلئ بالأمل والسحر .

وكان حول بوشكين عدد من الشعراء ، كان ليرمنتوف الذى بدأ ينظم الشعر من سن الرابعة عشرة أبرزهم وأقواهم موهبة ، وقد تأثر هذا الشاب الشاعر ببوشكين أولا ثم بشلر وأخيراً باللورد بيرون ذلك الذى أحبه ليرمونتوف حباً كاد ينسيه كل شاعر غيره حتى بوشكين نفسه .

وكان ليرمونتوف فى شعره منذراً أكثر مما أنذر بوشكين ، وقد أذاع قصيدة غفلا من اسمه سنة ١٨٣٠ تنبأ فيها بالثورة ، حتى ليعجب من يقرأها بعد الثورة البلشفية من صحة نبوءته ؛ فكأنما كانت تتكشف له حجب الغيب ؛ وتغنى ليرمونتوف بالحرية كما تغنى بوشكين ، وكان ينظم الشعر فى يسر فيجئ قوياً متدفقاً كالسيل ، ولكن الموت لم يمهله لتمد موهبته غاية مدها فمات وهو فى السابعة والعشرين ... على أنه قبل وفاته بسنة أخرج وصية نثرية سنة ١٨٤٠ تعد أول قصة تحليلية فى الأدب الروسى الحديث وهى القصة المسماة « بطل من أبطال عصرنا » ، ولذلك يعد هذا الشاعر الفذ طلعة فى فن القصة .

***

ونعود بالحديث إلى القصة فنجد أن الكاتب الذى يعد مقامه فى القصة كمقام بوشكين فى الشعر هو جوجول المولود سنة ١٨٠٩ والمتوفى سنة ١٨٥٢ ؛ وليس معنى ذلك أنه لم يوجد قبل جوجول قصصى ، وإنما نقصد أن جوجول كان رائد القصة الروسية فى القرن التاسع عشر وكان زعيماً من أكبر زعمائها غير مدافع ...

قام فن هذا القصصى الموهوب على أساس السخرية من المعايب الاجتماعية فى عصره ، ولم تكن سخريته سخرية نفس هادئة تعطف على ما تخلق من الشخصيات وترفق بهم وتضحك مع الضاحكين كسخرية شارلز دكنز مثلاً ، وإنما كانت سخرية عنيفة هدامة تبرز المعايب عن سخيمة ونقمة كأنها سخرية شيطان يلهو بزلة فريسة من فرائس غوايته ...

كان يؤلم جوجول أن يرى روسيا وقد ذاع فيها الشر والفساد والباطل ، وماتت فيها روح العدالة والخير ، وكان يقول دائماً إنها ممتلئة بالأقنعة الكاذبة حتى ما تقع العين على آدمى واحد فيها ، والحق أنه قلما اطمأن إلى وجود شيء من الخير فى الحياة الروسية فقد استشرى الشر فى رأيه حتى لم يدع للخير مجالا ...

وقد أنتج جوجول عدداً غير قليل من القصص والصور الاجتماعية ، ويهمنا فيما نحن بصدده ثلاثة منها هى « المفتش العام » و « الأنفس الميتة » و « العباءة » أما القصة الأولى فهى ملهاة تهكمية تدور حول نبأ أذيع بأن مفتش الحكومة العام قادم للتفتيش فى مدينة من مدن الأقاليم ، ولما كان المفتش غير معروف فقد أخذ الموظفون مسافراً من المسافرين على أنه المفتش المرهوب الجانب ، فأكرموا وفادته ومشوا بين يديه بالزلفى وأعطوه المال والهدايا ، ولما رأى ذلك المسافر أنه قد أخذ منهم كل ما استطاع أخذه من المال فر هارباً ؛ ويسدل الستار عقب إعلان أن المفتش الحقيقى قد وصل فعلا ! ؛ ولقد أحدثت هذه الملهاة ضجيجاً كبيراً وأثارت من حنق الحكومة على مؤلفها ما اضطره إلى مغادرة روسيا إلى إيطاليا حيث أتم قصته الكبرى « الأنفس الميتة » .

تعد هذه القصة الثانية من أعظم الآثار فى أدب أوروبا جميعاً ولم تكن لها عقدة معينة أو حكاية غرام ، وقد أتمها جوجول فى عدة سنوات ، وفيها سخر أشد السخرية من كل ما عده معيباً فى الحياة الروسية ، وتهزأ بمن شاء من الأشخاص الذين صور أمثلة لهم فى قصته الكبرى ، وقد تنفذت عيناه نفاذاً عجيباً إلى كل معيب شائن فى جوانب تلك الحياة وإلى كل وضيع مرذول من صور

مرجعات فى الفلسفة :

نظرية المعرفة عند شوبنهور

للأستاذ عبد الكريم الناصرى

[تتمة ما نشر فى العددين السابقين]

١ – مبدأ الصيرورة :

أو مبدأ التغير ، أو قانون العلة والمعلول . ومفاده أن كل شىء فى العالم الواقعى المتغير فهو حلقة فى سلسلة العلل والمعلولات ، وخاضع إذاً للجبرية المطلقة . وسلسلة العلل أزلية أبدية ، بمعنى أنها تمتد إلى الماضى اللامتناهى ، وإلى المستقبل اللامتناهى . والعلة تسبق المعلول بالضرورة ، فلا مجال لتبادلهما الأثر فى وقت واحد . وهناك ثلاثة أنواع من العلل ؛ وهى « العلة » بمعناها الضيق ، وتسود التغيرات الميكانيكية واللاعضوية ، و « الحافز » أو المهيج الذى يتحكم فى الحياة النباتية عند النباتات والحيوانات (كالهضم والدورة الدموية عند الحيوان والإنسان مثلا) ، و « الباعث » ، وهو يسيطر على الأفعال المقودة بالإدراك والشعور عند الحيوان والإنسان .

٢ – مبدأ المعرفة :

يتحكم هذا المبدأ فى تصوراتنا وأحكامنا . وقوة التصورات هى « العقل » الذى يختص به الإنسان ، بينا « الذهن » مشترك بين الإنسان والحيوان . والتصورات أو المجردات تتوقف على المدركات أو العيانات ، والتصور قد يحيل على تصور آخر ، وهذا على آخر مثله ، ولكن سلسلة الأفكار المجردة لابدَّ من أن تقف عند عيان ، ويكون هذا هو السبب الكافى للتصور الذى يتوقف عليه مباشرة ؛ كما أن هذا التصور هو الأساس الكافى للتصور الذى يتوقف عليه ، أى الذى هو أكثر منه تجريداً . وهناك أربعة قوانين منطقية عليا ، هى قانون الذاتية ، وقانون التناقض ، وقانون الثالث المرفوع ، وقانون السبب الكافى للمعرفة .

٣ – مبدأ الوجود :

أو مبدأ المكان والزمان . ونحن لا نستطيع أن نتصور العالم الواقعى موجوداً إلا فى الزمان والمكان . ولكننا نستطيع ، من جهة أخرى ، لا أن نتصورهما مستقلين عن التجربة تصوراً مجرداً فحسب ، بل وأن ندركهما بالعيان المباشر . ومن أجل ذلك يعتبرهما شوبنهاور صنفاً مخصوصاً من أصناف الموضوعات . ومبدأ الوجود فى الزمان هو « التوالى » ، ومبدأ الوجود فى المكان هو « الوضع » . كل لحظة من الزمان تتعين باللحظة السابقة ، وتُعيِّن اللحظة اللاحقة . ومواضع المكان يعين بعضها بعضاً بالتبادل . والإضافات (أى العلاقات) المكانية هى موضوع علم الهندسة ، والإضافات الزمانية موضوع علم الحساب . وكلُّ هذه الإضافات تدرك ، أول ما تدرك ، بالعيان الخالص ، لا بالتصور والبرهان .

مبدأ الفعل :

أو مبدأ البواعث أو الباعثية . وقد كنا – فى كلامنا على مبدأ العلية – عددْنا الباعث فى أنواع العلل الثلاثة . ولكننا كنا عندئذ ننظر إلى العلية من الخارج . فإذا تأملنا الآن فى أحوالنا الباطنة ، وجدنا أن أفعالنا الإرادية أو مشيئاتنا تتعين

الناس وأنماطهم ، لم يغادر شيئاً من ذلك إلا أحصاه ...

ولو أراد النقاد أن يعدوا عشرة كتب فى فن القصة لها أثرها فى توجيه هذا الفن ، ولها خطرها فيما تقاس به رسالة هذا الفن لكان كتاب جوجول « الأنفس الميتة » أحد هذه الكتب العشرة بلا جدال ، فهو فيما تواضع عليه نقدة الأدب أعظم ملحمة للضعة الآدمية فى أدب العالم كله ، وذلك حسب مايفهم من معنى الملحمة كعمل فنى، وليس كما قد يذهب إليه الذهن من معنى المعركة. فما فى القصة معركة ما وإنما نقصد معنى الملحمة كما تسمى ملهاة دانتى المقدسة ، أعنى أنها عمل أدبى شامل يحيط بكل شىء مما هو منه بسبب ...

الخفيف

(يتبع)

بالأسباب التى ندعوها « البواعث » . وقد وصف شوبنهاور قانون الباعثية « بأنه العلة مرئية من الداخل » ، وعن طريقه يتم الانتقال من عالم الظواهر إلى الشىء فى ذاته ، ومن الفيزياء إلى الميتافيزيقا .

والمبدأ الأول من مبادىء السبب الكافى هو المبدأ الفيزياوى ، والمبدأ الثانى هو المبدأ المنطقى ، والثالث هو المبدأ الرياضى ، والرابع هو المبدأ الأخلاقى . وهذا معناه أن « الضرورة » المطلقة تعمّ عالم الظواهر ؛ فى صورة الضرورة الفيزياوية ، والمنطقية ، والرياضية ، والأخلاقيـة . والفرد الإنسانى ظاهرة بين الظواهر ، فهو إذن خاضع خضوعاً تاماً للضرورة السببيَّة الجبرية ، ولا حرية له بهذا الاعتبار .

وكل مبدأ من هذه المبادىء الأربعة ، أو بالأحرى كل « شكل » من أشكال هذا المبدأ الواحد ، مبدأ السبب الكافى ، يعبر كما قلنا آنفاً عن طبيعة الموضوعات الخاضعة له . فمبدأ الوجود فى الزمان الخالص هو « التعاقب » أو « التوالى » ، وليس الزمان شيئاً سوى هذه الرابطة . ومبدأ الوجود فى المكان الخالص هو « الوضع » ، وليس المكان فى جوهره سوى « الوضع » والعلية هى الرابطة التى تسود موضوعات الإدراك الحسى ، التى تملؤ المكان والزمان ، وتؤلف العالم المرئى ، عالم المادة . فإذا سألنا : ما طبيعة المادة ؟ فالجواب أن « المادة » ليست فى جوهرها سوى العلية . كيان المادة كله هو الفعل ، والفعل هو العلية ، فالمادة علة ومعلول ، ولا شىء وراء ذلك . ومثل هذا يقال فى تصوراتنا ومشيئاتنا . وصفوة القول إن كل موضوع من الموضوعات فإنما يوجد ويعرف بمقدار ما يرتبط بغيره من الموضوعات ، وفقاً لمبدأ السبب الكافى فى صورة من صوره الأربع . وهـذه الرابطة تستنفد طبيعة الموضوع باعتباره موضوعاً فحسب ، أى فكرة بالإضافة إلى الذات . فلنا إذن أن نقول إن عالم الموضوعات أو الفكرات لا يزيد عن كونه شبكة من العلائق والروابط والنسب ، والوجود فيه إذن وجود محض نسبى .

ومبـدأ السبب الكافى ، الذى يظهر لنا العالم مطبوعاً بطابعه (طابع الضرورة والنسبية) واحد متشابه فى كل صوره ، فإذا اعتبرنا أبسط هذه الصور مثلا ، وهى الزمانية أو الزمان ، فهمنا الصور الأخرى ، وطبيعة عالم الظواهر . ونحن نجد أن كل لحظة من الزمان إنما توجد لأنها محت اللحظة السابقة ، التى ولدتها ، ثم لا تلبث أن تختفى هى أيضاً ، إذ تمحوها اللحظة اللاحقة . فالماضى والمستقبل خاويان خواء الأحلام ، وما الحاضر إلا الحد المترجرج ، غير المنقسم ، بين الماضى والمستقبل .

ومثل هذا الخواء نصيبه فى المكان ، وفى مضمون المكان والزمان ، أى فى كل ما يصدر عن البواعث والعلل ، فلا شىء من ذلك يوجد إلا بالنسبة إلى شىء آخر مثله ، أى نسبى زائل [١] .

« وهذا المذهب فى لبابه قديم : فهو يظهر عند هرقليطى ، حين يندب سيلان الأشياء الأبدى ؛ وعند أفلاطون ، حين يهبط بالموضوع إلى ما هو صائر أبداً ، وليس بكائن قط ؛ وعند اسپينوزا ، فى صورة القول بأعراض الجوهر الواحد ، الكائن الباقى . كما أن (كانت) يعارض الظاهرة المحضة بالشىء ذاته . وأخيراً فإن حكمة الفلاسفة الهنود القديمة تصرح قائلة : (إن مايا ، نقابَ الوهم ، هو الذى يغشى على أبصار الفانين ، ويريهم عالماً لا يستطيعون أن يقولوا عنه ، لا إنه موجود ولا إنه غير موجود : إنه كالحلم . إنه كضوء الشمس على الرمال ، يحسبه المسافر على البعد ماء ...) — ولـكن ما يقصد إليه كل هؤلاء ، وما يتحدثون عنه جميعاً ، ليس شيئاً أكثر من هذا الذى نظرنا فيه : العالم باعتباره فكرة خاضعة لمبدأ السبب الكافى » .

عالم الظواهر إذن حلم باطل . وليس ثمة من فرق حقيقى بين ما ندعوه الواقع أو اليقظة ، وبين حلم الرقاد . إذ ما عسى أن يكون معيار التفرقة ؟ إن القول بأن أحلامنا أقل وضوحاً وتميزاً من مدركاتنا فى حال اليقظة ، لا وجه له ، إذ لم يتفق أن استطاع إنسان من الناس عقد مقارنة عادلة بين الحالين ، لأننا لا نستطيع أن نقارن إلا ذكرى الحلم بالواقع الحاضر . وقد جعل « كانت » ترابط الأفكار أو الموضوعات وفق قانون العلية معياراً للتفرقة بين حياة الواقع وبين الأحلام ؛ ولـكن يُرَدُّ على هـذا بأن تفاصيل كل حلم على حدته ، على الأقل ، تترابط تبعاً لمبدأ السبب الكافى فى كل صُوَرِه ؛ ولا ينقطع الترابط إلا بين اليقظة والأحلام ، أو بين حلم وحلم . وعلى ذلك نستطيع أن نسوغ معيار « كانت »

(١) كما أن عالم الظواهر برمته نسبى إلى الذات العارفة ، تبعاً لصورته العليا (ازدواج الذات والموضوع) .

على الوجه التالى : إن الحلم «الطويل» — الذى نسميه «الحياة» — تترابط أجزاؤه جميعاً وفقاً لمبدأ السبب الكافى ؛ ولكنه لا يرتبط هذا الارتباط بالأحلام «القصيرة» وإن كان كلُّ حلم من هذا النوع الثانى مترابط الأجزاء على الوجه نفسه ؛ ونحن إنما نميز بين الحلم الطويل والحلم القصير لانقطاع الصلة السببية بينهما .

والحق أن أعظم المفكرين والشعراء لم يترددوا فى تشبيه الحياة بالحياة بالحلم . فأصحاب «الفيداس» و «البوراناس» مثلا لايعلمون من تشبيه العالم الواقعى — الذى يسمونه نسيج «مايا» — بالحلم . وكان أفلاطون كثيراً ما يقول : إن الناس يعيشون فى حلم ، وإن الفيلسوف وحده يحاول إيقاظ نفسه . وشكسبير من الشعراء يقول : لقد جُبِلنا من المادة التى تصنع منها الأحلام ؛ وحياتنا القصيرة يحف بها النوم » . وقد جعل كالدرون عنوان إحدى مسرحياته : «الحياة حلم» . ولا يكتفى فيلسوفنا الأديب بما يقتبسه من الحكماء والشعراء ، بل يدلى هو أيضاً بدلوه ، ويستأذن قارئه فى هذا التشبيه من تشبيهاته الرائعة : إن الحياة والأحلام صفحات من كتاب واحد . والقراءة المنظمة لهذا الكتاب هى الحياة الواقعية ؛ ولكن بعد أن تنتهى ساعات القراءة (أى اليقظة) تَرانا كثيراً ما نستمر على تقليب الصفحات فى تراخ وكسل ، فنقرأ صفحة من هنا وصفحة من هناك ، بغير نظام أو ارتباط ؛ وكثيراً ما تكون الصفحة مما قرأناه سابقاً ، وقد تكون فى بعض الأحيان جديدة علينا ؛ ولكن الكتاب المقروء واحد لم يتبدل . ولا ريب فى أن مثل هذه الصفحة المنفردة مقطوعة الصلة بالدراسة المنظمة للكتاب ، ولكن الفرق لا يبدو كبيراً إذا تذكرنا أن القراءة المتصلة ، كالأمر فى قراءة الصفحة المفصولة ، تبدأ وتنتهى فجأة ، وفى وسعنا إذن أن نعتبر المقروء فى الحالة الأولى صفحة واحدة كبيرة » .

إن عالم الظواهر ، هذا الحلم الذى لا نهاية له ، والذى يتسلسل فى الزمان والمكان وفقاً لمبدأ السبب الكافى ، هو موضوع التجربة المادية والعلوم المختلفة ، كالفيزياء والكيمياء والتاريخ ؛ فإن غاية العلم ومهمته استقصاء ترابط الظواهر أو الجزئيات أو الأفكار وفق المبدأ المذكور ، وعلى هدى من « اللماذا » . وتسمى هذه العملية بالتعليل وظيفة العلم إذن تعليل الظواهر ؛ ومضمونه ، الذى لا يستطيع يقدم لنا سواه ، هو ما يصل إليه التعليل من الروابط السببية . أما مضمون الظواهر ، ومعناه الأخير ، أما الشىء فى ذاته ، فإن النظر فيه والإخبار عنه ليس من شأن العلم ، لأنه خارج نطاق السبب الكافى ، الذى يهتدى العلم فى تعليلاته به . وإنما هو من شأن الفلسفة . العلم يستطيع أن يخبرنا لماذا ، وكيف ، وأين ، ومتى ، حدثت هذه الظاهرة عن تلك ، ويستطيع أن يصوغ قوانين لاطراد الظواهر ، من جذبية وكيماوية وكهربائية ومغناطيسية ، ولكنه لا يستطيع أن ينبئنا « ما » المادة ، وما الكهرباء ، وما الجذب وما الألفة الكيماوية ، وما سائر « القوى الطبيعية » التى تبقى ، بالنسبة إليه ، « كيفيات خفيةً » أو صفات مستورة ؛ وهكذا يتركنا فى جهل مطبق بشأن الطبيعة الباطنة لكل شىء . ولكن حيث ينتهى العلم تبدأ الفلسفة . فإن الوصول إلى هذه الطبيعة الباطنة ، إلى ماهيَّة العالم ، هو الهدف الذى ترمى إليه ، وهى لا تبلغه عن طريق التعليل ومبدأ السبب الكافى ، فإن هذا المبدأ لا يعتدُّ إليه كما سبق القول ، وإنما تبلغه بضربٍ من المعرفة العيانية المباشرة ، ويقول شوبنهاور هنا إن كل إنسان يعرف فى الواقع ما هو العالم ، ولكن هذه المعرفة تجريبية ، وجدانية ، غير متميزة ؛ ووظيفة الفلسفة إعادة هذه المعرفة الغامضة بلغة تصوُّرية تجريدية دقيقة . إن الفلسفة هى مجموع أحكام عامة ، أساسها الكافى هو العالم نفسه برمّته ؛ وهى لذلك تلخيص أو انعكاس للعالم ، فى صورة أفكار مجرّدة ...

(بغداد) **عبد الكريم الناصرى**

نقبـــل منهم ...

للاستاذ ثروت أباظة

تلقينا (الرسالة) ونحن فى مجلس كأنما أعدَّ لها ، فتناولها قارىء منا وأخذ يتلوعلينا مقالاتها متنقلاين علم وفن وأدب حتى بلغ الصفحة الأخيرة ، فطوينا الرسالة — لا زالت منشورة — ثم أخذنا بجيل الحديث بيننا نخفف به ثقـل الوقت ونقصر طوله .

وكان فى شعر المجلة أبيات من شاعر إلى ابنه يبثه الأبوة الرحيمة ، ويعقد به الرجاء المأمول ، فقال أديب جالس :

— عجيب أمر هذه الأبوة ! كانت فى صدر الزمان قداسة يشرف الابن أن يتطلع إليها ويستمع إلى ممثلها كأنه إله لا يصدر فى أفعاله وأقواله إلا عن الصواب المحض . وكان الأب من ناحيته يرث القسوة عن أبيه وأجداده ، فيبديها لأولاده ، ولو ترك لعاطفته لمـا بدا منه غير الرحمة . وهكذا قام الصراع فى قلب الوالد بين قسوة دخيلة ورحمة أصيلة ، وظلت العاطفتان تصطرعان منذ عهد الرومان أيام كان الوالد يملك الحياة والموت على أهله حتى اليوم ، إذ نرى الوالد يتوجه إلى ابنه بهذا الحب الصافى وبذلك الرجاء الواسع الذى يعلقه عليـه ... وهكذا تغلبت الرحمة الموهوبة على القسوة المكسوبة ، وانطلقت النفوس لا يقيدها عرف ، فأبان الوالد عن خلجاته ، وكشف للابن عن نبضاته ، فانسجم البيت على حب ظاهر لا قسوة فيـه ولا عنف . قلت : جميل أن يظهر الوالد عواطفه ، وجميل أن يأخذ ولده باللين ... ولـكن إذا شب الولد عن الطوق ووالده لا يزال يأخذه بالرحمة ، لا يهديه إذا ضل ، ولا يعاقبه إذا زل ، وأمه لا تنفك تعامله بالحنان ؛ فهل يمـكن أن يكون هذا الابن تـكأة لوالديه عند الـكبر ، أو مفخرة لهما يوم الفخر ؟ ...

أثبتت الأيام ، وما تزال تثبت ، أن هذا لا يكون وأن هذا الابن ذا الملعقة الذهبية يتمرد على أبيه إذا قدم له الطعام فى ملعقة من فضة ... فهـو يستوطىء الدعة ولا يعرف من حياته غير مائدة شهية ، وفراش وثير ، وغيد ملاح ، وكؤوس دهاق ... فالأبوة على هذا اللين قسوة ... إنما تتمثل الرحمة فى عصا الوالد التى تقود الابن إلى السبيل الأقوم .

— لقد تحدثت فأسهبت ، ولـكنك أطلقت قولك كمن يلقى محاضرة لا يعرف موضوعها ، فأنا حين أقول إن النفوس أرسلت على طبيعتها لم أقصد بذلك أن يضع الوالد ولده على كرسى ثم يسمعه عبارات المديح والحب ... إن الحبيب لا يطيق هذا من حبيبه ، فـكيف والأمر بين ابن وأب ؟ إن الابن لا يقبل هذا الثناء فهو يعرف عن حب أبيه إياه ما لا يحتاج معه إلى هذا التبيان ؛ بل لعل القول يغض من قيمة هذه العاطفة فى نظر الابن ... إنما أقصد إلى الرحمة الصادقة ... أما ما كان فى غابر العصور من قسوة فهو يخالف الطبيعة ويرهق الوالد والابن جميعاً .

— نسيت يا صديقى أننا نتكلم عن قصيدة من شاعر إلى ابنه .

أنسانى طول المناقشة سبب النقاش فأرتج على حين جبهنى مناقشى به ، وكان بالمجلس شيخ وقور أخذ يستمع إلى الحوار فى إنصات ولذة دون أن يتكلم ، ولـكنه لمـا سمع الإجابة الأخيرة ورأى حيرتى شارك فى الحديث :

— أمنكما والد ؟

قلت — إنما نحن أبناء .

قال — إن كليكما قد أصاب فى قوله .. وكأنى بكما وأنتما تتناقشان تمثلان الصراع الذى كان قائماً فى صدر الوالد قبـل أن تتغلب الرحمة ، ولـكن الأب الحق وسط بين قوليـكما ؛ فالرحمة الدائمة والقسوة الدائمة كلتا الحالتين فيهما مضيعة لقوام الابن ... فالوالد محتاج إلى كثير من الحزم يعرف به كيف يضع الأمور فى أوضاعها الصحيحة ، فلا يجعل الشدة فى موضع اللين ، ولا الرحمة فى موطن القسوة ، ولـكن نسى كلاكما أنه إنما يتحدث عن الشاعر ، وهو وحده الذى يستثنيه المجتمع من كل هذه القيود . فاننا لا نحتمل شاباً يحدثنا عن مغامراته الغرامية ، ولـكن إذا كان شاعراً وصاغ لك مغامراته فى قصيدة فانك لا شك تطرب لها وتعجب بها . وإذا كنت محباً فانك واجد فى قصيدة الشاعر متنفساً عما يجيش بصدرك وتشفق من إخراجه نثراً حرصاً على كرامتك إذا كنت أخا كرامة ، وكذلك الوالد الشاعر يقول قصيدته معبرة عن مشاعره نحو ابنه

قصائد تكريم خليل مطران في الميزان

للأستاذ على متولى صلاح

– ٢ –

وكانت ثانية القصائد التى ألقيت فى تكريم مطران قصيدة الأستاذ عبد الرازق محيى الدين المفتش بوزارة المعارف العراقية وكانت قصيدته – فى الحق – غاية فى الإشراق والبهاء والنصاعة، وكانت الموسيقى، وكان الجرس العذب الشجى شائعين فى جميع أجزائها ...

وكانت « الحضارة » واضحة جلية فيها، ولعل أصدق وصف يوصف به هذا الشاعر أنه الشاعر « المتحضر » ! واعتقادى أن لحياته الخاصة، ولماضى أيامه، ونظام عيشه، دخلا كبيراً فى ارتقاء شعره وأخذه هذا السمت الرفيع وإن لم أنل شرف التعرف إليه.

وقصيدته فى جملتها قطعة موسيقية متناسقة متسقة لا ترى بها نشوزاً ولا تحس فيها انحرافاً عن النهج الموسيقى القويم، وهى تغريك بقراءتها إغراء قوياً ملحاً، وتأخذ بك إلى غايتها دون توقف أو تمهل أو تراخ، فليس لك عن تمامها معدىً أو منصرف ...

ولقد استطاع أن يضفى عليها جواً شعرياً صافياً نقياً متعطراً، وكان له فيها – إلى ذلك – معان رائقة طريفة ما أحسب الكثير من شعرائنا المعاصرين يأتون بمثلها وتتفتح لهم مغاليقها إلا من عصم الله !

وقد وصف فيها « الشاعر » الشاعر لذاته مطلقاً أروع وأجمل وصف، فبيّن خصائصه التى يجب أن تكون، وميزاته التى يجب أن تتوافر، وأوضح طريقه الذى يجب أن ينهج، وفلكه الذى ينبغى أن يدور فيه انظره يقول عن الشاعر إنه:

آلة مسحورة تحيا متى فنيت بالشىء روحاً وخلالا
ضلّت الألباب عن إدراكه ومضت تحطب رشداً وضلالا

وانظر قوله عنه ممثلا فى شخص مطران:

الغوانى البيض ما زلت لها فاتناً ... توليك حباً ووصالا
والمعانى العصم ما زلت بها أكثر الناس اقتناصاً واعتقالا
تتحدى السرب فى شاهقة وتعاف السهل للناس مجالا ...

وانظره يقول عنه هذا البيت الطريف الرائع البديع:

مصلح فى غير دعوى مصلح ونبى لم يكلفنا امتثالا ... !

ولعل من كمال الجو الموسيقى الذى أحاط بالقصيدة من كافة جوانبها أن اختارها الشاعر من هذا البحر الغنائى المرقص « الرمل » ...

وهو وإن يكن قد اضطر فى القليل جداً من أبياته إلى ضرورات كنا نود لو تنزّه عنها مثل قوله:

جئت والنهضة فينا طفلة بعدُ ... لم تبلغ فطاماً أو فصالا.

والفطام والفصال بمعنى، ومثل قوله يصف الشاعر « وعاذا تتحامى شره ؟ » . فإن هذه العبارة فوق مجافاتها للغة الشعر وللغة هذه القصيدة خاصة، فإن الشاعر ملاك رحيم، وليس بالشيطان الرجيم ! وليس وراء الشعراء هذا الشرّ المستطير، وهذا الويل الكبير الذى يتهيّبه الناس ويتّقونه ويلتمسون الوسائل للنجاة منه ! وصدق الذى قال: « أنتم الناس أيها الشعراء » . إلا أن

فيقرؤها القارئ ويعجب بها لأنها تعبير صادق عن شعور صادق، ويقرؤها الوالد غير الشاعر فيرتاح لها ويجد بين أبياتها المتنفّس الذى أعياه البحث عنه ليفرج فيه عن أحاسيس طال عليها الكظم.

وهكذا الشعراء فى كل أمة وفى كل عصر يحملون عن قومهم ما لا يطيقه القوم، ويذيعون ما لا يذيعه غيرهم فتجرى على أسنة أقلامهم أرسال العواطف. فهلا سمحتم بأن يقولوا ما دام فى قولهم راحة لغير الشعراء !

قال صاحبى وقد بدت عليه علائم الاقتناع:

– إذن فالثناء لا نقبله من والد لابنه مادام الوالد غير شاعر؛ أما الوالدون والمحبون الشاعرون فنقبل منهم.

قال الشيخ:

– هو ما قلت، نقبل منهم.

روت أباظة

هذه هَنات هيِّنات جداً لا تضيره فى شىء ، ولا تنقص قليلا من قصيدته الرائعة التى نباركها عليه ، ونشدُ على يديه مهنئين طالبين ألا يسكت — ما وسعه الجهد وواتتــه الظروف — عن الإنشاد ، وألا يسلم إلى الصمت القيادْ ، وسبحان من له الـكمال وحده ...

وكانت ثالثة القصائد لشاعرنا الأستاذ محمد الأسمر ، وقد وجدتُ شيئاً بنفسى يرجع بى وأنا أقرؤها إلى الوراء لم أتبيَّنه للوهلة الأولى ، غير أنه أخذ يدفعنى دفعاً قوياً شديداً إلى الوراء كلما أمعنتُ فى قراءتها حتى وجدتُنى أردِّد معلَّقة عنترة العبسى :

هل غادر الشعراء من متردَّم   أم هل عرفت الدار بعدتوهم ؟؟

ولـكننى ما كدت أهتدى إلى هذه المعلقة حتى أوغلت فى قراءتها وتركت قصيدة الأسمر؛ ومن وجد البحر استقلَّ السواقيا!

أراد الأسمر أن يقـلِّد القدامى ، فنظر وأطال النظر فى هذه المعلقة ، ووقف وأطال الوقوف عندها ، علَّه يقول كلاماً فيه منها مشابه وملامح ، ولـكنه عاد من النظر والوقوف بظلٍّ باهت ، وصدى خافت .

على أن ألفاظه كانت بعيدة عن جرْس الشعر وماينبغى له من تخيُّرو انتقاء واصطفاء ، وهل من الشعر قوله :

قدَّمتهم نحو العـلا فتقدَّموا   والفضل فضل مقدِّم المتقدم !

وهل من الشعر كذلك قوله .

هذا ... وكم لك من شمائل حرة   هى «فى الحقيقة» روضة المتوسِّم

أو قوله :

من شاعرٍ يثنى عليك وناثرٍ   هو شاعر أيضاً وإن لم ينظم

أو قوله :

صورت جنة ظالم وجحيمه   حتى الغناء وآهــة المتألم

ولا أدرى ولا المنجم يدرى كيف يكون التصوير إن خلا من آهة المتألم وغناء النشوان وهما أدنى ما ينبغى أن يقال !

وفى مقالنا القادم إن شاء الله سنتناول القصائد الباقية وهى لشبلى ملاط وعبد الغنى حسن وللمحتفل به .

(المنصورة)   علی متولی صلاح

(الرسالة) للأستاذ الـكاتب رأيه فى شعر الاستاذ الأسمر ، والرسالة لا توافقه فى جلة ما يرى .

فى الخضم . . . .

للأستاذ العوضى الوكيل

طال ليلى ، وغام أفق صباحى   هل لديكم من بلسم لجراحى
يامدير الأقداح ما بالك اليـو   م تدير الهموم فى الأقداح
أنا فى سطوة الُخمَار، وما أحـ   ـسب ُأنى منهامدَى الدهر صاحِ
وكأن السنين أشباحُ ليْـلٍ   ملأتْه قوافلُ الأشباحِ
وكأن المنون غفوة غافٍ   وكأن الحياة صحوةُ صاحِ
طرقت راحةُ الزمان على قلـ   ـبى كطرق المستعجل اللْحاحِ
يا صديقى لا تلحنى حين أبـكى   فبـكائى رأيته كصداحى
رب لاح من الصحاب حكيم   خبر الأمر فاغتدى غير لاح
رب دمعٍ أبيحه فى قوافٍ   ودمع فى القلب غير ُمباحِ
وأنا اليوم أعزل يدفع الدهـ   ـر بكف والدهر شاكى السلاحِ

رحمـــــــة ! . .

للآنسة الفاضلة دنانير

يا أيها الروح الغريب الحانى   يا مؤنسى فى وحشة المكان
ومنقذى من قسوة الزمان   ألهب شعورى واسر فى جنانى
عاطفة قدسـية النيران

نجيتنى من مجهل سحيق   سـد على ثلجه طريقى
ذر الهوى يبعث بالحريق   ويشمل الدماء فى عروق
فرعدة القرور فى كيانى

ما زلت تحت وطأة الأعوام   أخبط فى تيـه وفى ظلام
حتى تنزلت على أيامى   روحاً من الضياء والسلام
يهدى إلى شواطىء الأمان

يا رحمـــة من رحمات ربى   هل نار سيناء أضاءت دربى
أم قبس ألقيتـــه فى قلبى   فأشرق الـكون بنور الحب
وفاض بالعطف وبالحنان

لما تسمعت حنون شدوى   يقطر دمعاً من أسى وشجوِ
حننت ، وانطلقت تهفو نحوى   تهتف : يا أختاه ،أنت صنوى
نحن بخد الدهر دمعتان !.

نحن بخد الدهر دمعتان   من أدمع الأشواق والأشجان
إن يكن المزار غير دان   فقد تلاقى فى الهوى القلبان
وائتلفت على النوى الروحان

وانساب إشعاعك من بعيد   على بقايا هيكلى المجهود
فاخضر من بعد الذبول عودى   واهتز للحياة من جديد
قدست يا محيى الرميم الفانى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩١٤ — اتق شر من أحسنت إليه

كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، لإسماعيل بن محمد العجلونى :

(اتق شر من أحسنت إليه) وفى لفظ من تحسن إليه . قال فى الأصل (١) : لا أعرفه ، ويشبه أن يكون من كلام بعض السلف ، قال : وليس على إطلاقه بل هو محمول على اللئام دون الكرام ، ويشهد له ما فى المجالسة للدينورى عن على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) : الكريم يلين إذا استعطف ، واللئيم يقسو إذا لطف . وعن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ما وجدت لئيما قط إلا قليل المروءة . وفى التنزيل : [وما نقموا منهم إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله] .

وقال أبو عمرو بن العلاء يخاطب بعض أصحابه : كن من الكريم على حذر إذا أهنته ، ومن اللئيم إذا أكرمته ، ومن العاقل إذا أحرجته ، ومن الأحمق إذا رحمته ، ومن الفاجر إذا عاشرته ، وليس من الأدب أن تجيب من لا يسألك أو تسأل من لا يجيبك ، أو تحدث من لا ينصت لك ... وعن البيهقى فى الشعب عن محمد بن حاتم المظفرى قال : اتق شر من يصحبك لنائلة ، فإنه إذا انقطعت عنه لا يعذر ، ولم يبال بما قال وقيل فيه .

٩١٥ — خلت الديار فسدت غير مسود !

قال ابن خلكان : كان أبو بكر محمد بن أحمد الشاشى المعروف بالمستظهرى الملقب فخر الإسلام (٢) — فقيه وقته ، ... وانتهت

(١) يعنى كتاب (المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة) لشمس الدين السخاوى ، والكشف هو تلخيص المقاصد قد ضم إليه فوائد من كتب أخرى . نشرت هذا الكتاب النفيس مكتبة القدسي فى القاهرة .

(٢) الفعل (لقب) من الوفيات وفى كثير من كتب السير يجىء غير متعد بالبناء . فى الأساس : هو ملقب بكذا أو متلقب ، وقد لقب به وتلقب

إليه رياسة الطائفة الشافعية ، وصنف تصانيف حسنة ... وتولى التدريس بالمدرسة النظامية بمدينة بغداد سنة (٥٠٤) إلى حين وفاته ، وكان قد وليها قبله الشيخ أبو إسحاق الشيرازى وأبو نصر ابن الصباغ صاحب (الشامل) وأبو سعيد المتولى صاحب (تتمة الإبانة) وأبو حامد الغزالى ، فلما انقرضوا تولاها هو . وحكى لى بعض المشايخ من علماء المذهب أنه يوم ذكر الدرس وضع منديله على عينيه ، وبكى كثيراً وهو على السدة التى جرت عادة المدرسين بالجلوس عليها ، وأنشد :

خلت الديار فسدت غير مسود
ومن العناء تفردى بالسؤدد (١)

وجعل يردد هذا البيت ، وهو يبكى ، وهذا إنصاف منه ، واعتراف لمن تقدمه بالفضل والرجحان عليه .

٩١٦ — فوزر بلاؤهم أبدا عليه

تاريخ الطبرى : لما قسم هارون الرشيد الأرض بين أولاده الثلاثة (محمد الأمين وعبد الله المأمون والقاسم المؤتمن بعد مبايعتهم) قال بعض العامة قد أحكم أمر الملك ، وقال بعضهم : بل قد ألقى بأسهم بينهم ، وعاقبة ما صنع فى ذلك مخوفة على الرعية ، وقالت الشعراء فى ذلك فقال بعضهم :

أقول لغمة فى النفس منى ... ودمع العين يطرد اطرادا
خذى للهول عدته بحزم ... ستلقَى ماسيمنعكِ الرقادا (٢)
فإنك إن بقيت رأيت أمراً ... يطيل لك الكآبة والسهادا
رأى الملك المهذب شر رأى ... بقسمته الخلافة والبلادا
رأى ما لو تعقبه بعلم ... لبيض من مفارقه السوادا
أراد به ليقطع عن بنيه ... خلافهم ويبتذلوا الودادا
فقد غرس العداوة غير آل ... وأورث شمل ألفتهم بدادا (٣)
وألقح بينهم حرباً عواناً ... وسلس لاجتنابهم القيادا
فويل للرعية عن قليل ... لقد أهدى لها الكرب الشدادا

(١) للحماسى ، ورواية حبيب : ومن العناء ...

(٢) (ستلقى) : ستلقين ، طير الوزن نونها .

(٣) نعرف (بداد) المبنية : تفرق القدم بداد ، جاءت الخيل بداد أى متبددة متفرقة . وليس فى كتب اللغة جمع اللغة ...

وألبسها بلاء غير فان وألزمها التضعضع والفسادا
ستجرى من دمائهم بحور زواخر لا يرون لها نفادا
فوزر بلائهم أبداً عليـــه أغياً كان ذلك أم رشادا

٩١٧ — مهما

الكشاف : (مهما) هي ما المضمنة معنى الجزاء ، ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك : متى ما يخرج أخرج ، أينما تكونوا يدرككم الموت ، فإما نذهبن بك ، إلا أن الألف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين ، وهو المذهب السديد البصرى . فإن قلت : ما محل مهما ؟ قلت : الرفع بمعنى أيما شيء تأتنا به ، أو النصب بمعنى أيما شيء تحضرنا تأتنا به ، و (من آية) تبيين لمهما ، والضميران في (به وبها) يرجعان إلى مهما ؛ إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثانى أنث على المعنى ، لأنه في معنى الآية ، ونحوه قول زهير :

ومهما يكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية ، فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ، ويقول : مهما جئتني أعطيتك ، وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ، ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت ، فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر ، وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدى الناظر في كتاب سيبويه[1] .

٩١٨ — ... ولكن أين من يصبر على أحكام العقل ؟

رسالة الغفران للمعرى : قد تجد الرجل حاذقاً في الصناعة بليغاً في النظر والحجة ، فإذا رجع إلى الديانة ألفى كأنه غير مقتاد ، وإنما يتبع ما يعتاد ... ويلقن الطفل الناشىء ما سمعه من الأكابر ، فيلبث معه في الدهر الغابر . والذين يسكنون في الصوامع ، والمتعبدون في الجوامع ، يأخذون ما هم عليه كنقل الخبر عن المخبّر ، لا يميزون الصدق من الكذب لدى المبر . فلو أن بعضهم ألفى الأسرة من المجوس لخرج مجوسياً ، ومن الصابئة لأصبح لهم قريباً سياً[1] . وإذا المجتهد نكب عن التقليد ، فما يظفر بغير التبليد . وإذا المعقول[2] جعل هادياً ، نقع بريه صادياً ، ولكن أين من يصبر على أحكام العقل ، ويصقل فهمه أبلغ صقل ؟ هيهات عدم ذلك في من تطلع عليه الشمس ، ومن ضمنه من الرمم رمس ، إلا أن يشذ رجل في الأمم ، يُخص من فضل بعمم[3] ...

٩١٩ — ... فأبى وحمى أنفا وقاتل حتى قتل

أنساب الأشراف[4] للبلاذرى : قال عبد الملك يوماً لجلسائه : من أشد الناس ؟ قالوا : أمير المؤمنين . قال : اسلكوا غير هذه الطريق . قالوا : عُمير بن الحباب . قال : قبح الله عميراً ، لص ، نوب ينازع عليه أعز عنده من نفسه ودينه . قالوا : فشبيب . قال إن للحرورية طريقاً . قالوا : فمن ؟ قال : مصعب ، كانت عنده عقيلتا قريش : سكينة بنت الحسين[5] ، وعائشة بنت طلحة ، ثم هو أكثر الناس مالا ، جعلت له الأمان ، وضمنت أن أوليه العراق ، وعلم أنى سأفي له لصداقة كانت بيني وبينه ، فأبى ، وحمى أنفاً ، وقاتل حتى قُتل . فقال رجل : كان يشرب الشراب ، قال : ذاك قبل أن يطلب المروءة ، فأما مذ طلبها فلو ظن أن الماء ينقص من مروءته ما ذاقه .

---

(١) في المغنى : الثاني — من معانى مهما — الزمان والشرط فتكون ظرفاً لفعل الشرط ، ذكره ابن مالك وزعم أن النحويين أهملوه وأنشد لحاتم :

وإنك مهما تعط بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وأبياتا أخرى ، ولا دليل في ذلك لجواز كونها للمصدر أى إعطاء كثيرا أو قليلا ، وهذه المقالة سبق إليها ابن مالك غيره وشدد الزمخشرى الإنكار على من قال بها .

---

(١) السي : المثل ، وهما سيان مثلان .

(٢) اللسان : يقال ماله معقول أى عقل وهو أحد المصادر التي جاءت على مفعول كالميسور والمعسور .

(٣) اللسان : العمم عظم الخلق في الناس وغيرهم ، وأمر عمم : تام عام

(٤) في (إرشاد الأريب) : « كتاب جمل نسب الاشراف وهو كتابه المعروف المشهور » قلت يعنى البلاذرى بالأشراف رجال مضر المشهورين ، وثلث كتابه في أخبار بني أمية ، ومن أسماء هذا الكتاب : كتاب الأنساب والأخبار ، تاريخ البلاذرى .

(٥) ابن خلكان : كانت سيدة نساء عصرها ومن أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقا ، والطرة السكينية منسوبة إليها .

الأدب والفن في أسبوع

جوائز المجمع للبحث والشعر والقصة :

أقام مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى الأسبوع الماضى حفلاً أدبياً بدار الجمعية الجغرافية الملكية لتوزيع الجوائز المالية التى رصدها هذا العام للفائزين فى مسابقات البحث الأدبى والشعر والقصة ، وقد افتتح الحفل الدكتور طه حسين بك بحديث ممتع مستفيض عن نشأة البحث الأدبى فى الأدب العربى وتطوره بتطور العصور والثقافة ، ثم تأثره بما اقتبسناه فى ذلك من ألوان الأدب الغربى واتجاهاته ، ثم انتهى إلى الحديث عن البحوث الأدبية التى قدمها أصحابها لنيل جائزة المجمع فقال : « وقد استحق ثناء المجمع وتقديره السيدة سهير القلماوى عن بحثها « ألف ليلة وليلة » والأستاذ سليم حسن بك عن كتابه « الأدب المصرى القديم » ، والأستاذ جمال الدين الشيال عن « الترجمة فى القرن التاسع عشر » والدكتور سيد نوفل عن كتابه « الطبيعة فى الشعر العربى » والأستاذ أحمد خاكى عن كتابه « قاسم أمين » .

ثم تحدث من بعده الأستاذ عباس محمود العقاد عن الشعر ومذاهب الشعراء فى النهضة الأدبية الحديثة فقسمهم فى ذلك إلى مذهبين ، أو كما يقولون إلى مدرستين . مدرسة التجديد والابتداع ومدرسة التقليد والاتباع ، وقد أنحى الأستاذ باللائمة على الآخذين بمذهب المدرسة الثانية ، ثم قال : وقد رأى المجمع أن يوزع جائزة الشعر هذا العام بين شعراء المدرستين ؛ فنالها الأستاذ محمود عماد عن « ديوان عماد » ، والأستاذ محمد مفيد الشوباشى عن « ديوان الشوباشى » وهما من المدرسة الابتداعية ، كما نالها الأستاذ محمود غنيم عن ديوانه « صرخة فى واد » والأستاذ محمد الأسمر عن ديوانه « تغريدات الصباح » وهما من المدرسة الاتباعية أو التقليدية .

ثم تكلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد عن القصة فى نشأتها من عهد اليونان والرومان وما تم فيها من التطورات والاتجاهات ثم ما صار لها من المقام فى الآداب العالمية قاطبة وما أصبح لها من الشأن فى الأدب العربى الحديث ، وبعد أن نوه بكثير من القصصيين النابغين قال : وقد استحق جائزة المجمع للقصة هذا العام الأستاذ محمود تيمور بك عن مجموع إنتاجه القصصى الغزير .

وعلى أثر انتهاء الأساتذة الثلاثة من إلقاء بحوثهم وقف الدكتور منصور فهمى باشا السكرتير العام للمجمع وأعلن أسماء الفائزين وقيمة الجائزة التى استحقها كل منهم .

هذا وستجتمع لجنة الأدب بالمجمع فى هذا الأسبوع للنظر فى إجراء المسابقات للعام القادم ، وقد أرصد المجمع لهذا الغرض مبلغ ثمانمائة جنيه توزع على نواحى الإنتاج الأدبى حسب ما تقدره تلك اللجنـة .

ونحن من جانبنا نرجو أن يعمد المجمع فى إجراء هذه المسابقات إلى تقدير أوضاع أدبية للفائزين إلى جانب تلك الجوائز المالية التافهة ، لأن الجوائز المالية يذهب أثرها وتفقد قيمتها بعد قليل ، وإذا راعى المجمع أن أكثر الفائزين ممن يعملون فى الحكومة فمن الواجب أن يبذل سعيه ليكون هؤلاء فى العمل الذى يلائم اتجاههم ويساعدهم على الإنتاج الأدبى ، ومن من القراء يذكر أن الشاعر محمود عماد مثلا يعتبر من الشعراء المبرزين منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، وكان اسمه يتردد مع الشعراء النابغين النابهين ، ولكنه قضى حياته على مكتب ضئيل فى ركن مظلم من أركان وزارة الأوقاف ، فلم تمكنه هذه الحياة من أن يظهر للناس فنسيه الناس ، ولما أعلن فوزه بالجائزة قال القائلون : ومن هو محمود عماد . بل لقد رأيت الصحف ذكرت اسمه بين الفائزين محرفاً ، فقلت يا لله ، أيكون اسم ذلك الشاعر الكبير مجهولا إلى هذا الحد ؟

وبعد ، فإنه تقليد طيب على أى حال ، وتقدير للأدب يدعو إلى التشجيع ويحض على الإجادة فى الإنتاج الأدبى ، ولعل صديقنا الأسمر بعد هذا لا يعود فيزدد قوله القديم :

نصحتك لا تكن صداح أيك　　　وكن فى مصر ناعبة القبور

تيسير الكتابة العربية :

وكان المجمع قد فتح باب مسابقة لإبداء الإقتراحات والآراء فيما يقصد إليه من تيسير الكتابة العربية ، وقدر لذلك جائزة مالية ضخمة مقدارها ألف جنيه . وقد تلقى المجمع فى هذا الموضـوع عشرات الاقتراحات والمشروعات من الباحثين فى مصر وشتى الأقطار العربية ، فأخذ فى بحثها وتقديرها ووضع تقرير شامل عن مختلف الآراء التى قدمت إليه وإعلان الرأى فى مدى صلاحيتها وفائدتها وما يمكن أن تؤدى إليه فى خدمة هذا المشروع .

ومن المعلوم أن هذا المشروع يتناول وضعاً أساسياً من أوضاع العربية ، وأن الشأن فيه يهم سائر أقطار العروبة ، فليس القصد فيه بمنح الجائزة للتشجيع كما هو الشأن فى المسابقات الأدبية ، وإنما القصد هو الوصول إلى طريقة مثلى فى الإصلاح ، ولهذا يجب على رجال المجمع أن لا يمنحوا هذه الجائزة وأن لا يجزموا باختيار أى اقتراح فى هذا الوضوع إلا بعد عرضه وطرحه تحت الأنظار حتى يتناوله العلماء والباحثون فى الخارج بالمناقشة والدرس والتعليق ، وإلا فالمجمع مهما بلغ من المكانة والإعتبار لا يستطيع أن يفرض مشروعاً فى هذا السبيل لا تقبله الأفهام ولا تقره الأقلام ...

محنة الأدب المصرى :

قرأت مقالا فى إحدى المجلات الأسـبوعية قال فيه كاتبه : « إن المجتمع المصرى يضطرم اليوم بالحركة وبالحياة ، وهو فى يقظة متوثبة ، ومع ذلك فأدبنا عقيم راكد ، وأدباؤنا أيقاظ فى أذهان أنفسهم ، أيقاظ بأسمائهم وبشهرتهم المولية فى أذهان قرائهم ، ولكنهم رقود عما يجرى حولهم حتى لينطبع سباتهم العميق على ما ينتجون من أدب راكد ... وإذا كان الأدب المصرى اليــوم يعانى أزمة فى جميع فنونه من شعر أو قصة أو مسرحية لا تقل فى شدتها عن الأزمة السياسية القائمة ، فرد ذلك إلى أنه أدب سطحى لاينفذ إلى أعماق الحياة المصرية ، ولأنه أدب مفتعل لا يخدم غاية حتى ولو كانت هذه الغاية مجد منتجيه وشهرتهم ... »

ومقال الكاتب يدور كله حول هذا المعنى ، فهو يرمى شيوخ الأدب فى مصر بالجمود والركود ، وينعى على الشبان أن أحدامنهم لم يتقدم فى هذا المترك ولم يتوجه بأدبه وفنه نحو الحياة المصرية القائمة ، وإنما عنيت بتقييد هذا الكلام لأنه يصور عقيدة قائمة فى أذهان بعض الشبان الذين أذهلتهم الحرب بأهوالها وبأحداثها عن القيم الروحية فى الحياة ، فأصبحوا يطالبون بتوجيه التفكير إلى النواحى المادية والحياة الميشية التى يحياها الشعب وتواجهها الجماعات فى مصر ، ويعلل الشيوخ الأدباء هذه الظاهرة بأنها أثر من آثار التعلق بالشيوعية ، وعندى أنها أثر لتوتر الأعصاب الذى ينتاب أبناء الشرق العربى عامة فى هذه الآونة ، ومن الطبيعى أن تكون هذه الحال بعد تلك الحرب الضروس التى أرهقت العالم سبع سنوات كاملة ، وقد بدت مثل هذه الحال عقب الحرب العالمية الأولى إذ طغت على جميع الآداب الأوروبية عامة موجة واسعة النطاق من الشك والحيرة ، حتى لقد دعا بعض الأدباء إلى التخلص من جميع الأوضاع القديمة دفعة واحدة ومواجهة الحياة على وضع سافر ، ولقد ظلت النفوس عامرة بهذا الشك حتى جاءت الحرب الثانية بأهوالها فانضجته وأثارته عند أبناء الشرق العربى المخمورين بالنغم الروحى .

ومهما يكن من شىء فإننا الآن بإزاء مذهبين فى تقدير مهمة الأدب والأدباء ، رأى يقول : الأدب للأدب ، أو الأدب لتغذية الروح والعواطف والعقل والفكر ، ورأى يقول الأدب لأسعاد الشعب وإطعامه والدفاع عن حقه فى العيش والحيـاة الرغيدة ، ولن نلبث قليلا حتى نشاهد معركة حامية بين الرأيين ، والتقديرين!

الموت الأحمر :

على أن هذا التمرد ليس خاصة فى مصر وحدها ، فقد تلقيت العدد الأخير من مجلة « المواهب » التى يصدرها أبناء العروبة فى المهجر الأمريكى فطالعت فيها مقالا افتتاحياً مطولا قصره محرر المجلة على الحديث عن « نهضتنا الأدبية الحديثة » ، وبعد أن أطرى الكاتب ما فى هذه النهضة من ظواهر القوة والتوثب قال : « إن أدبنا الحاضر فى الأعم الأغلب أدب نقل وصنع لا أدب صحيحة

وطبع ، أدب فروع لا أدب أصول ، أدب لهوجة وسمة لا أدب اتقان ورفعة . وعلاوة على ذلك فهو الآن يطغى عليه — كما تعاون على تكوينه من قبل — فقران جائران : فقر القلوب وفقر الجيوب والفقر فى عرف جميع الناس هو الموت الأحمر . وقد نشأ أدبنا وشب على هذه الحال الضعيفة السقيمة ، وفى كنف هذه البيئة الخاملة القانعة بأيسر الأمور . وتفاقمت العلة وانتشر الداء ... حتى أسلم الأدب أمره إلى التزلف والإستجداء . ونعوذ بالله من التزلف والإستجداء فإنهما الخزى بعينه ، وإنهما ليقتلان الضمير قتلا ، حتى لا يدعا فى قرارة النفس ذرة من العزة والشهامة ولا قلامة من المتعة والكرامة » .

واعود فأقول إنها نزعة طارئة ، كانت أثراً من أثر تلك الحرب الجهنمية فى النفوس ، وكان من المتوقع أن تكون ، ولن يضير الأدب أن تكون ..

انشاء كرسى باسم شوقى بك :

تقدمت وزارة المعارف إلى مجلس الوزراء بمذكرة تطلب فيها إنشاء كرسى بقسم اللغة العربية باسم المغفور له أمير الشعراء أحمد شوقى بك لتدريس الأدب العربى الحديث فى مصر وسائر الأقطار العربية على أن يعنى فى ذلك بدراسة أدب شوقى وشاعريته دراسة مستفيضة من شتى نواحيها واتجاهاتها .

وقد ضمنت الوزارة مذكرتها المبررات التى تدعو إلى إنشاء هذا الكرسى وتحتم وجوده فقالت : إن دراسة الأدب العربى كانت منذ نشأة كلية الآداب فى مقدمة الدراسات التى عنيت بها الجامعة ، وإذا كان الأدب العربى خليقاً بعناية خاصة فقد أنشىء بعد ذلك للعناية بدراسة الأدب المصرى الإسلامى فى أطواره المختلفة إلى عصر النهضة الحديثة ، ولكن مصر الحديثة امتازت فى الأدب العربى فحملت له لواء نهضة حديثة فى بلاد الشرق العربى وظهر فى مصر من العلماء والأدباء والشعراء المعاصرين من توسطوا هذه النهضة فى مصر وبلاد الشرق العربى ، ومن هؤلاء الشاعر الكبير المرحوم أحمد شوقى بك الذى امتاز من بين زملائه بالسبق فى تصوير الصلات السياسية لمصر ومسايرة النهضة الأخيرة فيها وبخدمة المسرح العربى بما كتب من روايات ووضع من أغان وبتقدمه الفنى على شعراء العربية الحديثين حتى بايعوه بأمارة الشعراء حياً وأبقوا على ذكراه ميتاً » ..

وهذه فكرة رشيدة جليلة لا يسعنا إلا تحبيذها وتشجيعها ونرجو أن يتم لها التوفيق على أكمل وجه وعلى ما يحقق تلك الأهداف التى تناولتها الوزارة فى مذكرتها وأن لا يكون إنشاء ذلك الكرسى مجرد وضع من الأوضاع الرسمية ، فإن مما يؤسف له أن الكرسى الذى أنشىء فى كلية الآداب منذ سنوات لم يثمر ولم يجد شيئاً فى تحقيق الآمال الكبيرة التى كانت منوطة به ، فما زال الأدب المصرى على عهده مجهولا مطموراً لم يكشف فيه ذلك الكرسى جديداً ، ولا أحدث فى دراسته تجديداً ، ولكنها جملة من المعلومات تتداولها الأقلام من قديم ، وتدرج عليها الأفهام كأنها الصراط المستقيم ، فلعل الله يجعل لكرسى شوقى حظاً أوفى ويوفر له جهداً أوفر ...

« الجاحظ »

نشر ما انطوى

يقولون أسراب الغوانى سوانح
فهلا بعثت الطرف فيهن رائدا

نراك اعتزلت الغانيات فكلما
سنحن صرفت القلب عنهن ذائدا

وما ذاك شأن الشاعرين وإنما
أخو الشعر من تلقيه بالغيد واجدا

لقد ملت عن طيب الحياة وصفوها
بميلك عن حب الحسان نواهدا

رأيت غرام الفاتنـــات مضلة
بكدر من هذى الحياة الموارد

يقود زمام النفس للشر عنـــوة
وذو اللب من قد كان للنفس قائدا

إذا ما أطعت النفس فى اللهو والهوى
ضللت وخير الناس من كان راشدا

(دمشق) **أحمد عبير**



نسبة عرب الشمال إلى إسماعيل :

إلى الأستاذ أحمد محمد شاكر :

تذكر التوراة فى الاصحاحين : الرابع والعشرين ، والخامس والعشرين من سفر التكوين أن (هاجر) حينما فرت بابنها إسماعيل من (سارة) زوجة إبراهيم لجأت إلى بادية بئر السبع ، وأن الماء الذى سقت منه ابنها إسماعيل كان فى مكان بلدة بئر السبع التى سميت بذلك الإسم منذ زمن بعيد ، وأنها زوجت ابنها من فتاة مصرية .

والذى نؤمن به ، نحن المسلمين ، أنها قد هربت به إلى الحجاز وان الله قد فجر له ينبوعاً ، هو ماء زمزم فى مكة إلى آخر ما ورد من تفصيل فى سيرة ابن هشام وجه ١٢٢ إلى ١٣٠ من الطبعة المصرية التى نقحها الأستاذ العلامة محمد محى الدين عبد الحميد ، وفسر غامضها ، وأنه قد أصهر لقبيلة جرهم العظيمة .

والشىء المعقول ، فى صلة غريب عن طريق النسب ، لقبيلة عظيمة أن يذوب نسب هذا الغريب الطارىء فى أنساب القبيلة وأن يمحى اسمه من الوجود .

والشىء الذى لا يعقل ، أن يقبل العرب وهم الحريصون على أنسابهم أن ينتسبوا إلى الرجل الذى لجأ إليهم وبسطوا عليه جناح الحماية والرعاية ، فيقال عنهم إنهم من نسل إسماعيل . ولم تذكر السيرة أن طاعوناً جارفاً قد فتك بالقبائل العربية التى كانت تملأ الجزيرة وأماتها عن بكرة أبيها وترك للحياة الذين قد انحدروا من صلب إسماعيل فقط ، وإنما تذكر قبائل جرهم وبكر وخزاعة وغيرهم وغيرهم مما لا يقع تحت العد .

والذى يتراءى ، أن المؤرخين الذين كتبوا فى التاريخ العربى قد استلهموا ذلك من آى الذكر الحكيم التى أشارت إلى هذا الحادث ، ولم يكن لديهم دليل مادى على صحة هذه النسبة .

وعلى ضوء هذه الحقيقة لا يمت اليهود للعرب بصلة من الصلات وليسوا أبناء عمومة ، وكل ما فى الأمر أن لغتهم عاشت مجاورة للغة العربية فى محيط مماثل تأثرنا به فى فترة من الزمان .

أرجو أن يتفضل الأستاذ العلامة الجليل فيفيد قراء الرسالة من علمه وأدبه بما يجلو الحقيقة .

علي محمد سرطاوي

الموسيقى القديمة والحديثة :

لم يكد يطلع القراء على المقال البليغ الذى دبجته يراعة الكاتب الفن الأستاذ عبد المنعم خلاف حول المفاضلة ما بين الموسيقى القديمة والحديثة . وما تركته فى نفسه تلك القصيدة الفذة « سلوا قلبى غداة سلا وتابا » للآنسة أم كلثوم من الأثر البالغ حتى تناقلت المقال الأيدى وتعاورته ، وكان له الوقع الحسن لدى المنصرفين إلى هذه الصناعة من أعضاء الأندية الموسيقية فى الشام ، إذ عرفوا أن فى مصر نقمة على الموسيقى الحديثة الرخيصة المبتذلة تحكى النقمة عليها فى سائر أقطار العروبة ، وعرفوا أن فى مصر حنيناً إلى الموسيقى القديمة لما فيها من روح الطرب الصادقة والفن العربى السامى الذى يلذ المسامع ويستهوى الأفئدة ، ويأخذ بمجامع القلوب .

لقد كان الأستاذ محقاً فى طلبه من وزارة الشئون الاجتماعية ، الإشراف على هذه الأنغام الباكية الحزينة ذات المعانى التافهة والألحان المريضة التى تميت القلب وتحمل إلى النفوس السآمة والضجر ... إنه لطلب يشاركه فيه كل عربى سليم الذوق ، وإن فى هذا الإشراف وقاية للنشء الجديد الذى شب على سماعها وكادت تألفها أذنه ، وإذا كنا ننتحل الأعذار للملحنين المصريين المتكسبين فى تسجيل هذه الألحان على الشاشة البيضاء سعياً وراء نيل بلغة العيش ، فلن نجد لهم عذراً فى إماتة الفن القديم ، والتخلف عن وضع ألحان مبتكرة تحكى ألحانه القوية الممتعة التى يستسيغها كل ذوق ، ويهنأ بها كل نفس وتطرب لها كل أذن سليمة ... أين وهن الأنغام المستحدثة من قوة الألحان القديمة التى كنا نسمعها من شيخ الفن وعمدته الأستاذ المرحوم الشيخ درويش ، ومن زملائه الحمولى والمنيلاوى والشيخ سلامة ومحمد عثمان وداود حسنى وسالم الكبير والسفطى وغيرهم من كبار المنشدين والملحنين؟

تلك أنغام قوية عذبة تبعث فى النفوس القوة والنشوة والعزة القومية ، وهـذه ألحان تميت النفوس وتقتل المشاعر وتحمل إلى القلب الخمول . كانت النفحات الأولى تنبعث من حناجر أصحابها حلوة عذبة شجية ساحرة كأنها أنغام مزامير داود ، فتملأ قلوب مستمعيها طرباً ونشوة ، وتحمـل إلى النفوس البائسة الراحة والسلوى والطمأنينة والهناء ، ويقضون الليل كله فى الإصغاء إليها والتملى من نشوتها ، فغدت الأصوات اليوم تصدر من الحناجر الخشنة وتصيح بمـا يسمونه فناً ولو لم يحمل فى ثناياه السحر والطرب .

إن البلاد العربية التى تصدر فى موسيقاها عن الديار المصرية ، ليعز عليها ويسوؤها أن يتردى الفن فى مصر إلى هذا الدرك الذى يعلن عن نفسه بمظاهر التماوت والتخنث والضعف ، وتود من صميم أفئدتها أن يلهم القائمون على هذا الفن فى مصر ، الرجوع به إلى القديم مع اقتباس النافع الجميل من الحديث ، ذلك لأن حديثنا اليوم قد غمر نفوسنا وكاد ينسينا قديمنا ، فإذا لم توفق مصر ، وهى زعيمة العروبة اليوم إلى هذا الذى نرجوه ، فلن نرى فى الجيل الجديد إلا مضيعاً للفن وأهله وإننا لنشاهد اليوم بوادر هذا التضييع منذ بدأنا نكاف آذاننا أن تستسيغ الأنغام الشعبية على ما بها من تبذل فى المعانى وحطة فى الفن هرباً بأنفسنا عن سماع المقطعات الحديثة الجافة ...

ونحن لا نريد أن نشمل بحكمنا كل حديث ، إذ لا نكران أن بعض الملحنين المعاصرين قد صدحت حناجرهم بألحـان فيها فتنة القديم فأقبل الناس على تلقيها وتعلمها وذاعت على أفواههم وأجمع أفراد الشعب على استحسانها مثل أغنية « على بلدى المحبوب » وأغنية « ما احلاها عيشة الفلاح » و « ليلة العيد » وغيرها من المقطعات ذات النغمة البياتية الساحرة وكان سرور الناس عظيما بالالحان التى طلعت بها علينا حديثاً مطربة الشرق فى فلم « سلامة » من تلحين الشيخ زكريا أحمد ، وهذا يدل على أن بعض الملحنين المصريين بدأوا يعودون إلى القديم .

(دمشق) **حسنى كنعان**

مراءبة :

عند ما أصف الأستاذ الشيخ على الطنطاوى بأنه من المحافظين أكون قد خففت كثيراً مما أسمه من وصفه الذى يدل على (المغالاة فى المحافظة) .

هذا المسلم المحافظ لم يعجبه أن يبقى المسلمون بدون (وسكى) فسمى الشاى الأخضر (وسكى المسلمين) ولمـا قرأت له هذا فى الرسالة الغراء (العدد ٧١٧) قلت فوراً : حتى أنت يا أستاذ ! ! أتقولها وأنت الفقيه الذى قرأ قول الفقهاء : لو شرب الماء على هيئة ما تشرب الخمر كان شربه حراماً ؟

صدق رسول الله : لتتبعن سنن من قبلكم . لم يكن للمسلمين وسكى فجملت لهم الشاى الأخضر وسكى .

فلسطينى

فى اللغة والعروض :

١ — نبه الأستاذ « عدنان أسعد » فى العدد ٧١٧ من الرسالة الغراء على خطأ « ترمى » فى البيت :

وقلبى فى نهـر الحيـاة سفينة تميد على صم الصخور ولا ترمى

من قصيدة الشاعر « محمد على مخلوف » ظناً منـه أن الفعل من الثلاثى والصـواب ضم أوله على أنه رباعى - فنى القاموس « رسا الشىء رَسْواً ورُسُوًّا ثبت كأرْسى » ولشوقى بك .

نفسى مرجـل وقلبى شراع بهما فى الدموع سيرى وأرْسِى

فلا دخل للقافية ولا مخالفة لقواعد اللغـة فى بيت الشاعر « مخلوف » .

٢ — ونبه الناقد فى العدد ٧١٣ من الرسالة على أن فى قول الشاعر محمود رمزى نظيم .

واخترعوا لخـــيروا ألبابنا وملـكوا بسعيهم زمامنـــا
كيف نقول ما لهم وما لنـــا إذا استـــقل علمهم خمولنا

تغيير التأسيس فى الأشطر الثلاثة إلى الردف فى الشـطر الرابع وذلك ما نص العروضيون على خطئه ، وفى نقده مجانبة للصواب فلا ردف فى الشطر الرابع أصلا فإن الردف لا يفصل بينه وبين الروى . وما فيه هو « سناد التأسيس » ولم يتواضع العروضيون على خطئه بل نصوا على جوازه للمحدثين مع القبح والـكراهة .

رياض عباس



السادهانا أو كنه الحياة !

[تأليف الأستاذ محمد محمد على]

حفلت المكتبة العربية فى أذيال الحرب الأخيرة بثروة عظيمة من ثمار الفكر والمعرفة ، وأخذت تضم إليها من فنون الأدب والفن ما يبشر بنهضة فكرية عالية . ونحن مع اغتباطنا بهذه النهضة الحديثة نود أن تسير فى طريقها الواضح السليم نحو تحقيق غايتها المنشودة . ولا يتيسر ذلك إلا بالنقد الصحيح .

فسفينة الأدب تسير فى لجاج بعيدة الأغوار وتجتاز عوالم عديدة الألوان والناقد البصير يجلس على سكانها يريها الطريق الرشيد ، ويجنبها الانحراف عن جادة الطريق المستقيم .

ومن الكتب التى تخرجها المطابع ما يمر عليه الناقد مرّ الكرام ، ولا يسمح لقلمه بأن يعرض له بخير أو بشر ، ولا لوم عليه فى ذلك ولا تثريب ؛ ولكن أمهات الكتب ومنها كتاب السادهانا الذى أتكلم عنه لها على الناقد حق يجب أن يقضيه . وإلا بطلت مهمة النقد .

وقد اطلعت على ترجمة لهذا الكتاب أخرجتها لجنة النشر للجامعيين تحت عنوان السادهانا أو كنه الحياة للأستاذ محمد محمد على فراعنى ما فى عنوان الكتاب من التحريف الذى يدل على تقصير عجيب عن فهم معناه ، فالكتاب عنوانه فى الإنجليزية The Realisation of Life ومعناه تحقيق الحياة أى جعل الحياة حقيقة . وليس فى الكتاب أى بحث فى كنه الحياة ، ولكن هذا الخطأ فى عنوان الكتاب قد يكون شيئاً بسيطاً بالنسبة لترجمة الكلمات الآتية :

جاء فى صفحة ١٠٩ من الكتاب : فى الليلة الأخيرة ، ترجمة لكلمة Lastnight وصحتها البارحة . وفى صفحة ١٢١ هناك قول ملاحظة ترجمة Remarkable saying وصحتها قول مأثور ، وفى صفحة ٦٧ لعب الحياة والموت ترجمة لكلمة I' lay of life and death وصحتها رواية الحياة والموت ، وفى صفحة ٩٤ عن القارة الأوربية ، إن جزئيتها فى أنها مشغولة تماماً : وجزئيتها هنا ترجمة لكلمة its part وصحتها دورها ، وفى صفحة ٢١ معرفة الروح ترجمة لكلمة Saul Consciausness وصحتها الوعى الروحى . وفى صفحة ٨٨ الإدراك فى العمل . ترجمة لكلمة Realisation in action وصحتها تحقيق الحياة بالعمل ، ولا تخلو صفحة من صفحات الكتاب من أمثال قوله : الذين ضعفت أفكارهم لا غيرهم الذين ينالون الفرح ص ٣٠ ، أو قوله : يا عامل الكون بدلا من يا بارىء الكون ص ١٠١ أو قوله : إن خلاص طبيعتنا العضوية فى نيل الصحة .

وبعد فإذا كانت القوانين لا تعاقب من يرتكب مثل هذه الأخطاء ، فإن للأدب حكومة يجب أن لا تنفى عن حقها فى الضرب على أيدى العابثين فى مملكة الفن والجمال .

محمد طاهر الجبلاوى

القضايا الكبرى فى الاسلام

[تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدى]

أظهرت منذ أيام مكتبة الآداب بالجماميز بالقاهرة كتاب القضايا الكبرى فى الإسلام للاستاذ عبد المتعال الصعيدى فى ٤٠٤ صفحات من القطع الكبير ، وصاحب الكتاب معروف لقراء الرسالة ، وقد نشر فيها نحو خمس عشرة قضية . فأذاع بعضها عنها بعض محطات الإذاعة الشرقية ، ونقل بعضها عنها بعض المجلات فى الأقطار الشقيقة ، وقد كانت اللغة العربية تنقصها هذه الدراسة الجديدة ، وهى دراسة لا تكاد تخلو منها لغة من اللغة الأوربية ، فسد هذا الكتاب فى اللغة العربية هذا النقص ، وابتكر فيها هذه الدراسة الجديدة .

ولم يدون صاحب الكتاب هذه القضايا كما يدونها من لا يعنى بالنقل ، ومن يعوزه الرأى المجتهد ، والفكر المجدد ، بل أظهر فيها من التجديد فى تصويرها ونقد أحكامها ما أظهر ، وأحيا فيها من الاجتهاد ما أماتته سبعة قرون أو أكثر ، وهى ما هى فى اختلاف القدامى من القضاة والفقهاء فى أمرها ، واضطراب رأيهم فيها ،

فحلَّ هـذا الـكتاب منها ما أشكل ، وأتى فيها بالفهم الصحيح والقول الفصل .

وقد اشتمل الـكتاب على ستين قضية فى مختلف العصـور والدول والأقطار ، ورتبها من عصر النبى صلى الله عليه وسلم إلى العصر الحديث ، ليعطى القارىء فـكرة عن حال القضاء فى هذه العصور ، ويعرف أمره فى مختلف الدول والأقطار ، فيظهر تاريخ القضاء الإسلامى أمامه واضحاً جلياً ، ويعرف الأسباب التى أدت إلى نهوضه ، والأسباب التى أدت إلى انحطاطه ، ولا تقف فائدته من الـكتاب عند دراسته القضائية ، بل تتناول معها الناحية التاريخية .

أثر الشرق فى الغرب

[تأليف المستشرق الألمانى جورج يعقوب]

أثر الشرق فى الغرب ، خاصة فى العصور الوسطى ، هذا هو عنوان ذلك الـكتاب القيم الذى ألفه الباحث المحقق الأستاذ جورج يعقوب المستشرق الألمانى المعروف ، وترجمه دكتور فؤاد حسنين على المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، وقامت بنشره لجنة البيان العربى .

أما المؤلف فعـالم جليل ، وباحث محقق مدقق ، كان يؤمن بعظمة الشرق ، وخاصة الشرق العربى ، ويعترف بما أدى فى سالف الزمن من خدمات جليلة مفيدة للثقافة الفكرية ، والحضارة العالمية ، وقد بذل كثيراً من الجهود لدعم هذه الحقيقة ، ولاقى فى سبيلها ما لاقى من القاومة والرهق ، وأما كتابه فوثيقة مدعمة بالأسانيد والأدلة العلمية الناطقة على أثر الشرق فى الغرب وما أداه إبان مجده السالف نحو المعرفة والحضارة ، وإذا كان الشرق يتلقى اليوم عن الغرب ما يتلقى من علم ومعرفة ، فأن من حقه أن يقف وفى يده هـذه الوثيقة ليقول : إنها بضاعتنا ردت إلينا ...

أجل . لقد أنصف هذا المؤلف الغربى الشرق إنصافاً قوامه الحق والصدق ، ولسنا نبالغ إذا قلنا إن أحداً من أبناء الشرق الأصليين لم يبلغ فى هذا شيئاً ممـا بلغه ، فقد عرض فى كتابه لـكل ما أداه الشرق نحو الغرب فى العلم والرياضة والأدب والفن والعمارة والنقش والزخرفة وما إلى ذلك من مظاهر المعرفة والثقافة ، وإنه ليورد فى الدليـل على رأيه ما يدل على الاستقصاء فى البحث والأمانة فى العلم وكثرة ما بذل من التنقيب والرحلة إلى الأقطار الشرقية فى سبيل الحقيقة ، فلا عجب إذا ما جاء كتابه هذا حجة للشرق على الغرب ، وإن أبناء الشرق جميعاً لفى أشد الحاجة إلى هذه الحجة وخاصة فى هذه الآونة التى يناضلون فيها عن حقهم ومكانتهم ، وإننا إذ نشيد بالعمل الجليل الذى أداه الباحث الفاضل الدكتور فؤاد حسنين بترجمة هذا الأثر النافع ، فإننا نعتب عليه أن ترجمه بتصرف كما يقول ، ولسنا ندرى لماذا عمد إلى هـذا التصرف ، فأن من الأمانة العلمية أن تترجم مثل هذه المؤلفات العلمية التاريخية كما كتبها مؤلفوها ، كما نعتب عليـه أن أخرج الـكتاب وكأنه بحث واحد فلم يعن بوضع عناوين لموضوعاته وبالتـالى لم يضع فهرساً لهذه الموضوعات . ولعله أراد بهذا أن يحمل القارىء على تناول الـكتاب دفعة واحدة .

محمد فهمى عبد اللطيف



قصة مصرية :

ألـــوان ...

للاستاذ نصرى عطا الله سوس

كان قطار الليل يشق طريقه المظلم إلى الصعيد ...

وكانت هذه المرة الأولى التى يستقل فيها الدكتور فؤاد هذا القطار فى طريقه إلى مقر عمله الجديد

لقد عاش طول حياته فى العاصمة ، وكان طبيباً باحدى مستشفياتها .. وأخيراً ، وبعد نزاع مع رئيسه ، نقل إلى إحدى المستشفيات الصغيرة بأعالى الصعيد ، وكان يمكنه أن يستقيل ويكتفى بإيراد عيادته التى تدر عليه الكثير ... وقد فكر فى ذلك حتى أضناه الفكر ، فليس من السهل على رجل ألِف حياة العاصمة أن يجد نفسه فجأة فى جو لم يألفه ، وحياة خشنة جافة هزيلة لم يعتدها !

ولكن تياراً أقوى كان يدفعه فى الاتجاه الآخر : لم يكن قد أفاق بعد من صدمة هائلة أذهلته عن كل شىء وأنسته كل الاعتبارات ... كان يود أن يهرب من المكان الذى كان مسرحاً لمأساة قلبه ، والذى كان يذكره بها وينكأ جراحه كلما قاربت الالتئام !

لقد فكر وفكر ... وأخيراً فضَّل أن يهرب من أشباح الماضى التى كانت تلاحقه فى عناد ، وتعذب قلبه ، وتغمره فى ليل أبدى لا فجر له !

ولم يكن الدكتور فؤاد من أولئك الأطباء الذين تتركز كل حياتهم فى مهنتهم ، فيحشون أدمغتهم بالمعلومات الطبية التى يطبقونها تطبيقاً أعمى ، بينما يشاركون فى الوقت نفسه رجلَ الشارع فى ثقافته وأخلاقه وكل غرائزه ، بل كان شخصية ممتازة ، رقيق العاطفة ، مرهف الأعصاب ، ولوعاً بالأدب والموسيقى ، ظامئاً إلى الحياة الدسمة الفنية بمختلف العواطف والإحساسات ، ولم يكن ينقص حياته إلا شيئاً واحداً لا معنى لأى شىء فى الحياة بدونه : ذلك المخلوق الناعم الحلو الذى تمسح ابتسامته السحرية كل الهموم والمتاعب ، وتخلق فى النفوس الشجاعة والعزم والأمل ، ذلك المخلوق الجميل الرقيق الذى نسميه « المرأة » ، وعند ما رآها بعد سنوات طويلة من الحنين والانتظار ، ظن أنه قد عثر على ضالته وحقق أمله ، فاندفع وراء الخيال ، وراح ينسج الأحلام ، ويكيِّف حياته تكييفاً جديداً على هدى الكوكب الجديد الذى غمر حياته بالنور ...

وبعد عامين كاملين عرف أنه مخدوع ... وأن الشيطان كان يسرق القربان الذى يتقرب به إلى « كيوبيد » فى معبد الحب ويستحله لنفسه ... واستحالت حياته إلى بحر من الدموع ، وكره العاصمة الكبيرة والحياة فيها ، فلما فوجئ بخبر نقله لم يحزن كما يفعل الموظفون ، بل تلقى الخبر بفتور ، وحمل كتبه وموسيقاه ليهرب من الحياة البراقة الزائفة ، وليخلو إلى نفسه علّه يستطيع أن يلهمها العزاء والسلوان ! إنه سيحقق حلماً جميلا طالما تمنى تحقيقه ، حياة الطبيعة الساذجة الجميلة ، والمساحات الشاسعة الخضراء التى قرأ عن سحرها وجمالها ، وما توحيه إلى النفس من صفاء ، والناس السذج البسطاء الذين لم يتعلموا شرور المدن الكبيرة وآثامها !

إن حياة المدن تفرض نفسها على الإنسان وتستعبده وتخنق فيه حياة العاطفة والروح ... وحياة العاطفة والروح هى كل ما ينشده الطبيب الحزين ، إنه يأمل أن يجد فى صدر الطبيعة ما لم يعثر عليه فى صدر المرأة !

* * *

وتمكن من أن يروض نفسه على حياة الريف ويستسيغها ، ووجد فى بساطة الحياة فيه الراحة التى يجدها الملاح بعد عاصفة هوجاء هددته بالفناء كان فى الصباح يؤدى عمله فى هدوء ، وفى الأمسية يخرج للرياضة بين المزارع الخضراء ، وعنده بعد ذلك كتبه وموسيقاه ، ولكنه ظل شديد الانقباض عن الناس زاهداً فى الحديث معهم حتى فى رؤيتهم .. !

ووجد « فؤاد » شيئاً من العزاء الذى كان ينشده ولكنه كان عزاء يمازجه كثير من اليأس ... والفلسفة . كان يقول لنفسه إن الذى يعيش مثله بين المرضى ويرى الإنسانية تتألم وتتعذب بهذا القدر ، ويشاهد كل يوم شبح الموت يلهو بالأرواح ، لابد أن يتعلم كيف يزن مسرات الحياة وفواجعها ، ويميز صحيحها من باطلها ... إن أوجاع الحياة توحى إليه بتفاهتها ، تلك الحياة التى نجهد أنفسنا فى سبيلها حتى الجنون ! نفنى السنين تلو السنين فى المتاعب والهموم ، حتى يحل خريف العمر وتذبل أوراقه ، عندئذ نبحث عن ثمار جهودنا وعنائنا فلا نجد شيئاً ! وتهب علينا ريح باردة تهمس فى آذاننا أن الكل باطل ، حينئذ ، وحينئذ فقط ، ندرك ... ونشيح بوجوهنا عن الحياة .

... وبمثل هذه الأفكار كان يعزى نفسه عما فاته من مباهج الحياة ومفاتنها ، ومرت شهور وهو منهمك فى عمله وبقايا همومه وأفكاره القاتمة التى كان يطاردها فتغيب عنه حيناً ثم تعاوده فى قسوة وعنف ...

وفى صباح أحد الأيام كان جالساً كعادته إلى مكتبه يطالع صحف الصباح ... وفجأة دخلت فتاة ... وكان من عادته أن يطلب من أولئك الذين يقتحمون عليه خلوته أن ينتظروا بفناء المستشفى حتى يحين موعد العمل ، ولكنه نظر إليها ، وسكت ... وبعد برهة سألها فى صوت وادع عما تطلب بينما كانت عيناه تلتهمانها التهاماً ... !

وأسبلت جفونها ، واصطبغ وجهها بلون الدم ، وتلعثمت وهى تجيب . ودعاها برفق أن تقترب ... وتخبره عن مرضها .

واقتربت ، وأخذت تقص عليه أعراض مرضها بصوت ناعم حالم ... بينما كان هو يتأملها فى نشوة سعيدة كأنه يتأمل أثراً فنياً خالداً : كانت ترتدى ملاءة حريرية تحتها جلباب باهت اللون وفى إحدى يديها قارورة فارغة ، وفى الأخرى تذكرة أمراض باطنية ، وكان فى مشيتها فتور ثمل كأن رأسها قد حمّل أكثر مما يسع من الأحلام ، وفى عينيها ذلك الحنين الذائب الذى تشمه عيون الفتيات عند ما تطرق قلوبهن تلك الإحساسات الحلوة الآسرة التى لا يدركن كنهها ، ونظراتها كطيور تائهة تبحث عن وكرها فى عيون أليف حنون يقتنص الأحلام الهائمة فى السماء ويريقها فى أذنيها بصوته الحلو الرقيق ... !

وتناول منها التذكرة وقرأ البيانات المدونة عليها فعرف أن اسمها « عزيزة » وعمرها سبعة عشر عاماً .

كانت تشكو ورماً بسيطاً فى أصابعها وساقيها ، وتناول يدها فى كفه وأخذ يتأملها ، واهتزت يده اهتزازاً خفيفاً وهو يضغط على أصابعها ليعرف طبيعة الورم ، ثم فحصها فحصاً دقيقاً ، وطلب منها أن تمتنع عن تناول بعض المأكولات ، وزودها بنصائحه ثم أعطاها ما يلزمها من دواء وانصرفت .

وجلس يفكر وقد ملكت عليه نشوته بحسنها وودعاتها كل حواسه ... أين كان هذا الكنز مختفياً ؟ لِمَ لم تحضر قبل الآن ؟ لقد جاءت ثم ذهبت كأنها الحلم السعيد فى هدأة الليل ، وكانت اللحظات التى قضاها وهو يتأمل هذا الوجه السماوى الجميل من أسعد لحظات عمره ... إن هذا الجمال من نوع نبيل يوحى بالعبادة أكثر مما يوحى بالحب : عيناها عسليتان يشمان وداعة وطهراً ، وبشرتها خمرية يعلوها تاج كثيف من الشعر الفاحم ، وكانت نحيفة وهو يكره الجسم المكتنز الذى يوحى دائماً بالرغبات كما أنها أطول من رأى من فتيات القرية ! !

ثم ابتسم وهو يقول لنفسه : « ألأنها جميلة تهتم بها أكثر من بقية المرضى ؟ ؟ قد تكون الدميمة المشوهة الخلقة أكثر احتياجاً إلى العطف والرعاية » ، ولكنه هرب من الإجابة عن سؤاله ، وأشعل سيجاراً وأخذ يغنى بصوت خافت ، وود لو أمكنه أن يرقص أيضاً .

وعند ما بارحته عزيزة لم يأمل أن يراها مرة ثانية ، فقد مضى عليه فى هذا المستشفى نصف عام لم تحضر خلاله إلا هذه المرة ، كما أن ملابسها وأناقتها — بالنسبة للقرويات — تدل على أنها تنتسب إلى الطبقة الموسرة التى لا تستسيغ التردد على أماكن العلاج العامة ...

ولكنها عادت فى الأسبوع التالى ، وكانت هذه المرة أكثر اعتناء بهندامها وشعرها . وترددت كثيراً قبل أن تتقدم نحوه . أما هو فكان يرقب خجلها وترددها فى سرور .

وأخيراً جمت شجاعتها وذهبت إليه ... ولاحظ وهو يحدثها أن أسنانها أكثر بياضاً مما كانت عند مارآها فى الأسبوع الماضى وأخذ يلقى عليها عشرات الأسئلة حتى تطول وقفتها أمامه وأحس وهو يحدثها أن الثلوج التى ظلت تكتنف قلبه منذ كارثته الأولى بدأت تذوب وتفسح له مجال الحياة مرة أخرى .

كان يكلمها وفى عينيه وجرس صوته أطياف من الشوق والحنان ود لو تجسمت شخصاً حيا يطوقها ويغمرها بالقبل .

ولم تلمح هى فى عينيه ذلك الظمأ الخشن الذى ألفت أن تراه فى عيون الرجال ، إن عيناه تشمان وداعة وسلاماً .

ثم فحصها مرة أخرى ، وأعطاها دواء جديداً وانصرفت .

واطمأنت إليه ، وبدأت تألفه ، واعتادت التردد على المستشفى مرة كل أسبوع على الأقل ، وكانت تتلمس مختلف المعاذير للذهاب إلى المستشفى ، وكان هو ينتظر حضورها فى نوع من القلق ، ورغب فى أن يتعرف بأبيها فلم تعيه الحيل ، ووثق صلاته به وغمره بكل عطفه ، الأمر الذى أثار دهشة الرجل ، وجعله يتساءل عما يرمى إليه الطبيب من وراء كل هذا الاحتفاء !

وأحس « فؤاد » أن جراحه القديمة تبرأ بسرعة ... إنه سعيد بهذه الطفلة البريئة الساذجة ! إنه لا يطلب أكثر من أن يراها لترد إليه من جديد إيمانه بالحياة ، وتزيح عن قلبه الظلام المتراكم ، لقد غمرها بكل ما فى قلبه الأبيض من حنان ... ذلك الحنان الذى كان يعذبه لعدم عثوره على من يغدقه عليه ! ولاشك أن هذه القروية الساذجة ، الطاهرة القلب أجدر الناس به ...

وعند ما يمنح الطبيب قلبه للمريض تلهم العناية الآلهية يده وتحدث المعجزات ... وكانت عزيزة تبدو أكثر نضرة وشباباً فى كل مرة تذهب فيها إلى المستشفى . وكان هو يتأمل احمرار خديها فى فرح وهى تتقدم نحوه والخجل يكاد يقيد قدميها بالأرض آه ... لو كان شاعراً لنظم أروع قصائده فى هذه اللحظة التى يراها فيها وهى مقبلة عليه فى خطواتها الموسيقية الهادئة ...

واستولت الريفية الفاتنة على لب الطبيب الذى نزح من المدينة ناشداً السلوى والعزاء ... وأصبح خيالها يراوده فى اليقظة والمنام ... فعند ما كان يقرأ ، أو يفكر ، أو يتأمل الطبيعة والدنيا والناس فينبض قلبه بمختلف العواطف ، وتنتشى نفسه بأجمل الإحساسات ، كان يفكر فيها ويتخيلها جالسة إلى جانبه تشاركه عواطفه وإحساساته ويحدق فى وجهها فيرى بريق الذكاء فى عينيها والبسمة الحلوة تضىء قسماتها معبرة عن الفهم والفرح .

ولكن لا تلبث أن تظلل محياه سحابة من الأسى . إنه يسرف فى الخيال : وهى لا تستطيع كل هذا ... إنها القروية الساذجة التى تنطبق حدود الدنيا فى ذهنها على حدود القرية ...

ثم يعود يسأل نفسه لم يعكر صفو سعادته بمثل هذه الأفكار؟ إنه سعيد ، فرح ، يعيش فى دنيا جديدة من خلق عينيها . إن الغيوم الداكنة المتراكمة فى سماء روحه تتبدد تحت أشعة بسماتها الصافية ، ونظراتها الحلوة وتطرد من رأسه كل الأفكار السوداء التى قضى أشهراً وهو يجهد فى إقناع نفسه بها ، وتعلمه من جديد نفاسة الحياة وجمالها ، وعاد يأنس بالناس ويتبسط معهم ويجد فى حديثهم الساذج التافه كثيراً من الغبطة والسرور .

وسارت الأيام فى طريقها والعلاقة بينهما تزداد قوة وعمقاً ، كان هو يتفانى فى خدمتها ويبدى لها من دلائل الوداد والحنان مايجعلها تحس بأنها أسعد أنثى فى الوجود ، لقد اعترفت له وعيناها تتألقان بشراً وحبوراً أن يوم حضورها إلى المستشفى هو « يوم العيد » عندها .. ، وتبادلا كثيراً من التذكارات ، وطلب منها مرة أن تهديه صورتها فاعترفت له فى كثير من الخجل أنها لم تقف مرة واحدة طول حياتها أمام آلة تصوير ، فصورها بنفسه عدة صور ... وكان يصله من العاصمة بين حين وآخر ما لا يتيسر وجوده فى الريف من الحلوى والفاكهة ؛ فلا يطيب له تناول شىء منها إلا إذا أهداها بعضها فينتهز فرصة وجود أبيها معه ويعطيه من كل ما كان يرد إليه .

وآمنت هى بطيبة قلبه وإخلاصه ولم تعد تخجل منه أو تهيبه بل كانت تجد سعادتها فى أن تعترف له بكل ما فى قلبها ...

وكان يلاحظ أحياناً على وجهها آثار الحزن والألم فيسألها عن سبب أشجانها ، ويلمح الدموع تجول فى عينيها وهى تعترف له بأنها كثيراً ما توصد على نفسها باب غرفتها ، وتظل تبكى وتبكى دون أن تدرك لذلك سبباً .

وأدرك هو أن قلبها يعذبها ، خاصة عند ما سألته فى صوت يقطر توسلا وضراعة لماذا يعيش وحيداً ؟ لماذا لا يحضر أمه أو إحدى أخواته لتؤنسه وتسهر على راحته ؟؟ وابتسم ، وعرف أنها لم تعد تقنع بهذه اللحظات العابرة التى تقضيها معه .

وابتدأ يحاسب نفسه ويسألها عن النتيجة !

لقد نبه فى قلبها الشوق ، وأشعل فيه الحب ، وها هو الحب يجلب معه الشجون والأفكار .

لقد فتنه جمالها وطيبة قلبها فهل يربط مصيرها بمصيره ؟ ظل وقتاً طويلا حائراً معذباً بين فكره وقلبه وقضى ليالى برمتها لا يذوق جفنه النوم وهو يفكر كيف تكون حياتها معه لو تزوجها ؟

ولكنه اقتنع أخيراً أن بينهما من الفروق ما يجعل الحياة الدائمة معها مستحيلة ، إنها القروية الساذجة التى لم تتلق من العلم شيئًا وقد تهلك عند ما ينزعها من تربتها ليزرعها فى تربة أخرى !.. إن نواحى كثيرة فيه ستبقى مجهولة منها ... مستغلقة عليها وسيشقى كثيراً فى طريق الحياة المجهد وهى إلى جانبه لا تدرى بشقائه وبواعثه ، وسيسعد كثيراً فى دنيا الفكر والفن والطبيعة وهى إلى جواره لا تستطيع أن ترد ذلك المنهل العذب وتتيح لنفسها تلك المتع الرفيعة التى لا تملك الحياة نفسها أن تمنح أسمى أو أجمل منها ...

ولم يخفف قراره هذا من لوعته وألمه : إنه سيحطم بيديه القلب الذى بدد وحشته ، وأنساه آلامه وهز أوتار قلبه هزات دائمة وسيعود يوماً ما إلى برد الوحدة من جديد ولا يجد إنساناً واحداً يستطيع أن يفرح ويحزن معه ...

وظل حائراً معذباً ولكن ماذا يفعل ؟ لقد أحبها أكثر من أى أنثى رآها فى حياته ولكنها ليست له ، هذه الجوهرة النفيسة ما زالت « خاماً » وفى حاجة إلى كثير من الصقل والتهذيب ، لقد غمرها بحنانه لأنها الزهرة الوحيدة فى تربة لا تنبت إلا الحشائش وكان سعيداً بها لأنه يراها لحظات كل أسبوع ولكن الحياة الدائمة بينهما قد تكون مثال التعاسة والشقاء ...

كانت كل هذه الأفكار تصطرع فى رأسه وهى تزداد حباً له وتفانياً فيه ، وهو لا يجرؤ على أن يبوح لها بمكنون ضميره ، وأهل القرية يتهامسون بأن طبيبهم سيتزوج من عزيزة ...

وظل هكذا موزع القلب بين حبه لها وإشفاقه عليها من عاقبة هذا الحب حتى صدر قرار نقله إلى بلدة أخرى ، وللمرة الثانية تلقى الخبر فى فتور حزين مؤمناً أن للقدر أحكامه وسخرياته .

وسمعت هى نبأ نقله فجاءته والدموع تجول فى عينيها وسألته فى لهفة عن حقيقة الأمر ، وعما إذا كان سيعود أم لا ؟ ؟

وللمرة الأولى منذ حل هذه البلدة وجد الدموع تنحدر على خديه وقال لها : « الله يفعل ما يشاء يا عزيزة ، من يدرى ماذا سيحدث غداً ؟ » .

وأحس من نظراتها القلقة الحادة أن إجابته لم تعد إليها طمأنينتها ، ولكنه لم يجد ما يقوله . وبعد أن قضت معه فترة انصرفت وهى تتعثر فى خطواتها ...

شعر بقلبه يمتلىء سخطاً على نفسه وندماً ! ليته ما عرفها ، إنه سيذهب ولا يخلف لها إلا الحسرة والألم والدموع ... ولكن هل كان يستطيع أن يحول بين قلبه وبين الهيام بها والافتتان بجمالها الرقيق وروحها العذب ؟ وهل فى طبيعة الأشياء أن يقف المرء فى طريق قلبه ويخنق عاطفته التى تفيض طهراً وسمواً ، وتتدفق على حياته ، وحياتها هى ، أنبل المعانى وأجمل الإحساسات ؟

وحل اليوم الموعود وغادر البلدة إلى مقر عمله الجديد .

وتوالت الشهور والأيام وذكراه تحتكر فكرها وقلبها ، وظلت تمنى نفسها أنه سيعود يوماً ويملأ حياتها فرحاً وسعادة .. وطال انتظارها وعادت إلى وحشتها وكآبتها ودموعها ... وكانت تجلس ساعات وحيدة ساهمة تحدق فى الطريق البعيد المؤدى إلى المحطة ... فقد يلوح شبحه فجأة قادماً من بعيد .

وتقدم ابن عمها لطلب يدها فرفضت .

أما هو فكثيراً ما كان يفكر فيها ويمتلىء قلبه شوقاً إليها ، ولا تكاد تمر ليلة دون أن يضع صورها أمامه ، ويطيل التأمل فيها ، ويسأل نفسه : « ترى من سيتزوجها ؟ ليس بين أهل قريتها من هو جدير بها ! » ثم يرفع وجهه نحو السماء ويضرع إلى الله أن يمنحها الرجل الذى يستطيع أن يمنحها السعادة والهناء !.

نصرى عطا الله سوسى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٢٠ — الاثنين ٢١ ابريل ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

٢٨٥٣٢

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15me Année No. 720

Lundi — 21 — 4 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ جمادي الأولى سنة ١٣٦٦ — ٢١ أبريل سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

نحن العـــرب . . .

للأستاذ محمود محمد شاكر

إنى لأسألُ نفسى ، كما يسألُ كل عربى نفسه : « إلى أين يسار بنا تحت لواء هذه الحضارة البربرية الحديثة ؟ » وجواب هذا السؤال يقتضى العربى منا أن يلمح لمحاً فى طوايا النفوس وخبايا السياسات ، ويقدمَ الحذر بين يديه ، ليكون على بينة من رأيه ومن مصيره أيضاً . ولعل القارىء قد فوجىء لإقحام هذا الوصف للحضارة الحديثة بأنها حضارة بربرية ، ولكن لا يعجل بالعجب مما لا عجب فيه فإنه حق بيّن لا تخطئه العين البصيرة .

نعم ! إنها حضارة لم يوجد لها مثيل بعدُ فى التاريخ كله منذ كان آدم إلى يومنا هذا . حضارة قد نفذت إلى أسرار المادة فكشفت عنها كشفاً يسر للبشرية أن تقبضَ على زمام الحياة وتصرّفها فى حيث شاءت وإلى حيث تريد ، وجعلت الإنسان يشعر شعوراً لا خفاء فيه بأنه قادر على أن ينشىء التاريخ إنشاء ، ويبنى الوجود بناء جديداً ، ويملأ ظلام الليل وضياء النهار حياة وقوة وجلالا ، وينفث فى الأشباح روحاً ويكسوها لحماً ويعطيها من مقدرته ما يجعلها كائناً متصرفاً بشىء أشبه بالعقل والإرادة . ونعم ! إنها حضارة قد قامت أركانها على علم جم يعجز المتأمل عن إدراكه وبلوغ آفاقه ، علم تدسس إلى ضمير الأرض والسموات فاسترق السمع إلى نجواه وإلى خواطره فقبس منها قبساً مضيئاً أنار ظلمات هذا الوجود الذى لا يعلم ما انطوى عليه إلا الله الذى يعلم الخبْء فى السموات والأرض . ونعم ! إنها حضارة أزرت بالحضارات كلها وجعلتنا نشعر بالقوة التى طواها الله فى هذا « العالم الأصغر » حتى مكن له أن يكون سيد « العالم الأكبر » غير منازع .

نعم إنها حضارة مجيدة عاتية أحيت الإنسانية ورفعت شأنها ، ولكنها على ذلك كله حضارة بربرية طاغية قد امتلأت فساداً وجوراً وحماقة وفجوراً ، حضارة بربرية رفعت الإنسانية من ناحية العقل ، ولكنها قتلت ضميرها ومزقت شرفها ، وجعلتها تشعر بقوة غير شريفة ولا صالحة ولا أمينة فى أداء حق الإنسانية عليها .

والعربى منا إذا نظر اليوم فينبغى أن ينظر أولا إلى هذه « البربرية » من الناحية التى لها مساس به وبحياته وبتاريخه على هذه الأرض ، ليعلم إلى أين تريد هذه الحضارة أن تسوقه ؟ وأى بلاء تريد أن تبتليه به ؟

إن تلك الدول التى صارت دولا فى تاريخ هذه الحضارة البربرية وبمعونتها تريدنا على أشياء وتريد بنا أشياء لا بد لكل عربى أن يراها بعين لا تغفل . هذه الدول التى ادعت ولا تزال تدعى أنها خاضت غمار الحرب المبيدة الثانية دفاعاً عن حرية البشر فى الحياة ، وعن رفع مستوى المعيشة فى هذه الأرض ، ترتكب كل يوم من ضروب الخيانات والغدر والنذالة ما لم يشهد التاريخ مثله ، كما لم يشهد مثل حضارتها هذه البربرية . .

هذه أمريكا وبريطانيا وروسيا وفرنسا جيماً ولا نستثنى تزعم كل يوم أنها تغضب للحق ، حق الناس فى الحرية ، وتثور استنكاراً للمظالم التى تفرض على الشعوب العاجزة عن دفع الظلم ، وأنها تحوط لإنسانية من أن يدنسها باغ أو طاغ بجبروته وبطشه ، وهى جميعاً لا تزال تملأ جنبات الأرض عجيجاً وضجيجاً إذا رأت ضيماً أصاب شعباً من الشعوب ، وتتنبل كل منها بالدفاع عنه وبالذياد عن حقه المهتضم ، ونرى أمريكا خاصة ومن دونها جميعاً تذيع بين الناس وتشيع أنها حامية الحضارة ، وأنها حامية الناس من البغى ، وأنها لم تخض غمار الحرب إلا لهذا وحده : أن تحمى الحضارة من الدمار ، وأن تحمى الناس على اختلافهم من البغى . وكذلك تفعل بريطانيا أيضاً ، وهكذا تزعم روسيا ، وهكذا تتبجح فرنسا .

ولكن — هذه فلسطين فلذة أكباد العرب قد شهدت أنذال الأمم يطأون ديارها منذ سكنت الحرب العالمية الأولى ، ثم أخذوا يسيلون عليها سيلا منذ ذلك اليوم يريدون أن يجلوا العرب عن بلادها ليحتلوها وينشئوا فى ربوعها دولية يهودية ، فإذا بنا نرى أمريكا تعينها بالمال واللسان والقلب ، ونرى بريطانيا تغريهم بما يريدون وتصبرُ على إذلالهم لها صبراً لم يعرفه قط تاريخ بريطانيا التى كانت تسمى رجال العرب المجاهدين « رجال العصابات » ، ونرى روسيا وفرنسا تلوذان بالصمت المطبق لا تقول ولا تنبس ولا تتحرك دفاعاً عن الحضارة ، ولا دفاعاً عن المضيمة التى تراد بالإنسانية ، كما تحركت من قبل .

وهذه تونس والجزائر ومراكش تجرى فيها المذابح الوحشية التى لم يعرف التاريخ مثلها . فتسيل دماء أربعين ألف عربى ماين عشية وضحاها ، بين سمع سفراء الدول وبصرها ، فلا نرى أمريكا ولا بريطانيا ولا روسيا تثور أو تغضب أو تقول ، وتمضى فرنسا الباغية تنفذ سياستها فى تدمير شعوب برمتها . تدمر حضارتها وماضيها وقواها وتستل الأرواح من أبدانها بالسلاح غدراً وغيلة ، وتمتهن الرجال وتسب الأديان وتفتك بالأحرار ، ويرى ذلك ويسمعه سفراء أمريكا وبريطانيا وروسيا المدافعات عن الحرية وعن الحضارة وعن الإنسانية .

نعم ، وهذه فرنسا أيضاً تقيم الولائم للسباع والوحوش فى جزيرة مدغشقر ، فتفتك بأهل الجزيرة فتكا لارحمة فيه ولاهوادة والعالم كله يسمع ، والإشاعات تتناقل خبر المجازر وتسميها « إخماد ثورة » وتقف بريطانيا صامتة عليها الوقار ، وتدير أمريكا ظهرها قد شغلتها هيئة الأمم المتحدة التى تنظمها للدفاع عن حريات البشر ورد البغى عنهم ! وتنكب روسيا على إصلاح معايش خلق الله ورفع الضيم عنهم بالمساواة بينهم فى حقوق الحياة !

وهذه بريطانيا ترتكب شر الأفاعيل فى السودان وفى إفريقية ، وتقول لأمريكا وفرنسا وروسيا إنى أريد أن أكفل لهؤلاء الناس استقلالهم ، أريد أن أرد عنهم اعتداء بنى جلدتهم الطامعين فى استعمارهم ، وأريد أن أترفق بهم حتى أرفعهم من حضيض الجهالات لكى يصبحوا شيئاً فى تاريخ هذه الإنسانية ، فهى تقتل منهم كما تقتل السائمة ، وتدعهم عراة بل تجبرهم على أن يظلوا عراة ليخرجوا لها من ثمرات الأرض ما يرفع مستوى معيشتهم . وتعرف ذلك أمريكا وفرنسا وروسيا فيقولون لها أن نعم ، ولك الشكر ، ونعم ما تفعلين !

وهذه أمريكا تنطلق من معزلها مرة واحدة لتقول للعالم إنى أحمى الضعفاء ، وأجبر كسر المحتاجين ، وأعين على نوائب الحق ، وأدفع الظلم عن الناس ، وأرفع الضيم عن المضيم ، ونرى كل هذا وراءه سفراؤها ورجال جامعاتها فى الشرق ، فلا تكون نصرتها لنا إلا بأن تذهب إلى جزيرة العرب وإلى إيران وإلى بلاد كثيرة من بلادنا لتأخذ البترول ، وتقول لنا سأعطيكم من المال مبلغاً ضخماً ترفعون به مستوى معيشتكم ، فلا تحملوا المصالح الأجنبية فى بلادكم على محمل سيء أيها الرجال العقلاء . أما مسألة مصر والسودان ، وأما مسألة مراكش وتونس والجزائر وهذه المذابح والمجازر ، وأما مسألة فلسطين وما فيها من الجور والبغى والعدوان والنذلة ، وأما مسألة العراق وسائر البلاد العربية ، فذلك كله أمور تتم على وجه آخر إذا جاء حينها ، وأنا لا أستطيع أن أتدخل فى شئون الدول ، بل الأمر كله متروك لهيئة الأمم المتحدة إن شاء الله ، فاطمئنوا .

هكذا يرى العربى فعل هذه الدول القائمة على الحضارة

والمدافعة عن تاريخ الإنسانيـة وعن شرفها وعن حريتها : فإذا رأتنا نقول لها الحق غضبت وزعمت أننا قوم نتعصب على الأجانب بجهلنا وغباوتنا وحماقاتنا الموروثة ، وصـدقوا ، فنحن جهلاء أغبياء ، لأننا صدقنا يوماً أن روسيا هبت لتدفع الظلم عن الطبقات المهضومة الحقوق ، وأن بريطانيا ثارت لتدفع الشر عن الإنسانية المهددة بالجبروت والطغيان ، وصدقنا فرنسا أنها هى الداعية إلى العدل والمساواة والإخاء ، وصدقنا أمريكا أنها البريئة المدافعة عن حقوق البشر وتساويهم فى هـذه الحياة لا فرق بين صغير الأمم وكبيرها ، أو ضعيفها وقويها ، إننا جهلاء وأغبياء ، لأننا أبحنا بلادنا للأجانب ليرفعوا لنا مستوى العلم والثقافة ، ومستوى العيش والحياة ، فأكرمناهم وآويناهم وخُدعنا بهم ، وحرصنا على أن نجعلهم لا يشعرون بأننا نريد أن نكون حرباً عليهم ، فأنشأوا ما أنشأوا من مدارس ومتاجر وأوغلوا فى بيوتنا وأراضينا فسرقوا منا قلوب أبنائنا وأموال أغنيائنا وفقرائنا ، واستبدوا بالأمر دوننا ، وتركونا لا نستطيع أن ننفذ فى بلادنا ما تنفذه كل دولة من القوانين والأحكام فإذا أردنا نحن أن نفعل شيئاً قليلا مما تفعله الدول لحماية أرضها وأموالها ، ثاروا علينا من الشرق والغرب ومن يمين وشمال يرموننا بالتعصب ، ويمنون علينا أنهم هم الذين رفعوا مستوى معيشتنا ، وهم الذين علمونا كيف نلبس وكيف نأكل وكيف نشرب .

فهل يحل منذ اليوم لعربى أن يصدق أكاذيب هـذه الأمم الباغية فى دعواها ومزاعمها ؟ هـل يحل لعربى أن يثق بأن أهل هذه الحضارة التى اشتملت على روائع الفن والعلم والفلسفة ، قد صاروا حقاً أهل حضارة تستحق أن تسمى حضارة لأنها قربت المسافات بالطائرة التى تخطف فى جو السماء خطفاً ، ومست موات الأرض فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، وألقت السحر فى بنان الإنسان فإذا هو طبيب يدفع عوادى الموت عن رجـل فى النزع ليس بينه وبين الموت حجاب ؟ هـل يحل لعربى أن يصدق شيئاً من هـذا كله وهم يكذبون على خلق الله العرب ويغررون بهم ويخدعونهم ويقتلونهم ويذبحونهم بلا رحمة ولا شفقة ولا ضمير يفزع من كل هـذه الجرائم البشعة فى تاريخ الإنسانية !

تمس العلم وتمس الفن وتمست الفلسفة ، وتمست هـذه الحضارة البربرية ، إذا كان هـذا خلقها وهذا ضميرها ! وما نفع العلم والفن والفلسفة إذا هى خلطت لنا نحن العرب بالكذب والوحشية حتى فى الأعمال التى يصفونها بأنها علمية خالصة (١) .

إننا على ضعفنا وجهلنا وفقرنا أكرم نفوساً ، وأعلى أخلاقاً ، وأنبل قلوباً من أهل هذه الحضارة البربرية التى لا يثور أهلها إلا لحاجة فى نفوسهم ، والذين لا يفزعون مما ترتكب أيديهم من الوحشية فى بلادهم وفى بلاد غيرهم من البشر .

ليعلم أهل هذه الحضارة فى أوربة وأمريكا ، وينبغى أن نعلمهم نحن فى بلادهم وبين ظهرانينا أننا لن نهاب بعد اليوم أن نكاشفهم بعداوة عربية ، لا كعداوتهم هم تلك العداوة الممزوجة بالرقة والخداع والكذب والتغرير ، إنها عداوة طالب الحق الذى ينتصف لعدوه من نفسه ، وينتصف لنفسه من عدوه ، والذى لا يغمط حقاً ولا ينكر معروفاً ، ولكنه لا ينسى أن عدوه هو عدوه !

ولقد سمع أحد رجالنا ، هو ابن شبرمة ، يوماً عروة بن المغيرة وهو ينشد هذه الأبيات :

لا أتقى حسك الضغائن بالرقى   فعل الذليل، ولو بقيت وحيدا
لكن أعد لها ضغائن مثلها   حتى أداوى بالحقود حقودا
كالخمر خير دوائها منها بها   تشفى السقيم وتبرىء المنجودا

فقال : لله در عروة ! هذه أنفس العرب .

فهـذه نفوسنا ، لن نهادن من يعادينا عداوة طويت على الضغائن الصغيرة المحتقرة ، فإذا أنابوا وانتصفوا لنا من أنفسهم ، وعرفوا قبح ما أتوا وشناعة ما ارتكبوا ، فيومئـذ نصالحهم مصالحة العربى الذى لا يضمر الغدر ولا الغيلة ولا الفتك ، ولا يعرف الكذب ولا المخاتلة .

محمود محمد شاكر

---

(١) يحسن بالقارىء أن يقرأ مقالة فى مجلة الكاتب المصرى شهر إبريل سنة ١٩٤٧ بعنوان « بين السياسة والعلم » للدكتور سليمان حزين ، فهى تكشف عن استخدام العلم أحياناً فى أحط الأساليب السياسية .

على هامش معركة عين جالوت :

بين مصر ولبنان

للأستاذ أحمد رمزى بك

أمراء الغرب البُحتُريون من تنوخ[1] أهل المجد وأصحاب الرياسة فى لبنان كانوا طوال الأعصر الماضية حلفاء مصر ويدها اليمنى فى كثير من الملمات والحوادث . كانت « إعبية » معقلا لهم وفيها آثار قلاعهم وقصورهم ، ما مررت بها إلا وغلبتنى دمعة حاولت إخفاءها ، فقد دالت منذ زمن بعيد دولة أمراء الغرب وذهبت ريحهم أو قل مع الريح أخبارهم ، كما دالت وذهبت مع الريح دولة مصر الإسلامية التى كانت تهزّ الدنيا ويخشاها أهل الشرق وأهل الغرب .

وبقيت ذكريات ذلك العهد وآثاره وأعمال مصر الإسلامية العربية وجهادها وهى جميعاً تحرك النفس وتدعو إلى العجب من هذا النسيان الذى لا أجد له تفسيراً لدى أحد من الناس ، نعم عجبى من هذا النسيان الشامل الذى نعيش فى غمراته .

لقد ذهبت أخبار أمراء الغرب ودفعوا ثمن ما عُرف عنهم من ولائهم لمصر وعرشها[2] غالباً بعد معركة مرج دابق وزوال الدولة المصرية من الوجود ، ثم فنيت جموعهم واندكت صروح مجدهم ولم يعد يسمع لهم خبر بعد أن ورث المعنيون وهم أتباعهم ثم أصهارهم الملك والإمارة من بعدهم ، وجاء الشهابيون وهم من أتباع آل معن فورثوا الإمارة والرياسة من هؤلاء ، فاندثرت الرياسة الكبرى لأمراء الغرب من تنوخ إذ هم الأصل والكل فروع ، مثلهم فى لبنان كمثل آل سلجوق فى الدنيا ، الكل لهم فروع من أتابكة وأيوبيين وأمراء من البحرية والبرجية وملوك من آل عثمان وسلاجقة الروم لأنهم كانوا الأصل والموئل والمرجع ومن سواهم فهم فروع لهم .

بنوهاشم فى كل شرق ومغرب كرام بنى الدنيا وأنت كريمها

وسآتيك بنبأ من أخبارهم يحلو لى ترديده وذكره ، وهذا حديث يصح فيه قول البحترى :

وهو ينبيك عن عجائب قوم لا يشاب البيان فيهم بلبس

فقد ذكر صالح بن يحيى خبر المرسوم الذى بعث به المعز أيبك[1] صاحب مصر إلى سعد الدين خضر أحد مقدمى أمراء الغرب وقال إن أهل الشام نسبوا أمراء الغرب إلى المصريين فجمعوا لهم جموعاً من العشائر النازلة فى بعلبك والبقاع وساروا بهم نحو جبال لبنان ، والتقوا معهم فى بلدة عيتات فى ٢ ذى القعدة سنة ٦٥٣ هجرية ، فاقتتلوا وكتب النصر لألوية أمراء الغرب ، وكان فارس المعركة وصاحب الشهرة واليد الطولى أمير منهم اسمه زين الدين صالح بن على بن بحتر بن على ، سطع نجمه من ذلك اليوم وسيأتى ذكره فى معركة عين جالوت وغيرها من حوادث الزمن .

وصالح بن يحيى هذا مؤرخ القوم قال « وجدت باسم سعد الدين منشوراً من الملك المعز أيبك التركمانى أول سلاطين الترك بالديار المصرية والعلامة « حسبى الله » وأبدى لنا تعجبه لأن بيروت كانت تتبع الشام والمنشور مصرى وهو يعلم أن الملك الناصر الأيوبى صاحب ديار الشام كان يروم أخذ مصر وإعادة ملك الأيوبيين كسابق عهده قبل أن يستقل بها أمراء الأتراك ، وكان المعز أيبك يدافع عن ملك مصر ويروم قهر الناصر ، وكانت حوادث وخطوب ومعارك ، وانتصر فيها المعز وزينت القاهرة ومصر وقلعة الجبل وقلعة الروضة عدة أيام حينما دخل العاصمة والأسرى بين يديه والسناجق منكسة والطبول مشققة ، ولعبت الفرسان بالرماح على الخيول فى ساحة بين القصرين ، حتى إذا وصلوا إلى تربة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، صاح البحرية :

---

(١) ينتسبون إلى تنوخ بن قحطان بن عوف بن كندة بن جندب بن مذحج بن سعد بن طى بن غيم بن النعمان بن المنذر — وتنوخ اسم حبشى .

(٢) حضر من أمراء الغرب فخر الدين معركة مرج دابق ولم يقاتل وخلع عليه السلطان سليم بناء على إشارة الغزالى ثم اشتد ضغط العثمانيين عليهم بعد ذلك ، هذا خلاف من اعتقل من أمرائهم لثباتهم على أمانة مماليك مصر .

(١) تاريخ بيروت : أخبار أمراء الغرب . نشره الأب لويس شيخو

« أبن عينك اليوم يا مولانا لترى أعداءك بين أيدينا » .

واستمر الأمر بين مصر والشام على المنازعة والمخاصمة حتى تدخل بين الملكين من أصلح الأمر على أن تكون بلاد الشا إلى العريش للناصر وأن تكون مصر للمعز .

وكان الفرنج على الساحل وبيدهم الحصون والمعاقل يغزون ويقاتلون المسلمين كافة من أهل الشام وأهل مصر ، وفى تلك الأثناء سقطت بغداد بيد التتار وساقوا خيولهم إلى أراضى الفرات والشام ، فأرسل الملك الناصر صاحب الشام ابنه الملك العزيز إلى هولا كو ومعه تقادم وعدة من الأمراء فوعده بنجدة لإنقاذ مصر من حكامها .

فى تلك اللحظة انتهى أمر الأيوبيين أو قضوا على أنفسهم بالفناء بعد أن خالفوا تقاليد صلاح الدين وارتموا فى أحضان الغاصب ، فضاعت منهم بلاد الشام ولم تقم لهم قائمة ، وألقت الأقدار على جند مصر كتابة الملحمة الكبرى فى عين جالوت التى تناقل حديثها الأجيال .

فى هذه المعركة انضم إلى التتار أمراء وملوك من آل أيوب وغيرهم من مقاتلة المسلمين ، وجاء من أمراء الغرب من وقف فى صفوف التتار يحارب بإرادته أو رغم أنفه ، وكان منهم زين الدين الذى أشرنا إليه فنقل عنه أنه حضر المصاف بين عسكر مصر والتتار على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٥٨ فلما انهزم التتار وتفرقت جموعهم لجأ فريق منهم إلى المرتفعات واختار بعضهم قمة جبل يشرف على المعركة وتحصنوا هناك فأحاطت بهم المماليك السلطانية وسدت عليهم منافذ الخلاص فلحق بهم الأمير زين الدين وانضم باختياره إلى جند مصر وحارب التتار وأعجب مماليك السلطان بقتاله وقوة بأسه حتى صاروا يقدمون له النشاب من تراكيشهم (التركش هى جعبة السهام). ولما انتهت المعركة وجلس المظفر قطز ملك مصر ، وجيء بين يديه بالأسرى وفيهم ملوك المسلمين وأمراؤهم الذين أعانوا الخصم وحاربوا فى صفوفه ، وقدموا إليه الملك المسعود صاحب قلعة الصبيبة من ملوك بنى أيوب وكان شديد الوطأة فى حربه على المسلمين فأمر السلطان فى الحال بضرب عنقه . وجيء إليه بالأمير زين الدين المذكور وهو من أمراء الغرب فتقدم مماليك السلطان جماعة وشهدوا فى حقه وحسن بلائه وقتاله للتتار على ذروة الجبل فنظر المظفر إليه وعفا عنه .

ونقل عن زين الدين المذكور وصف شائق للمعركة يوم عين جالوت قال فيه « والله ما خفت فى يوم أكثر منه » وذكر أنه رأى مع العسكر الطبول محملة على ثلثمائة جمل حتى أخفى أصواتها وقع الضرب بالسلاح على القراقل (الدروع) والخوذ وما كان يتخلل ذلك من صراخ الرجال ، وذكر أن بين ما وقع بين يديه فرس هائل المنظر من خيول التتار كان يسابق عليها طويلا .

ذلك خبر أمير من أمراء الغرب على هامش معركة عين جالوت . أما مواقفهم بعد ذلك مع ملوك مصر أيام الظاهر وقلاوون وابنيه الأشرف خليل والناصر محمد فكثيرة ، تبرهن على ود وصداقة وتآلف مع مصر ، ومنها رسالة من ديوان مصر تقول : « قد بلغنا أن جموعكم قد تفرقت ، وأنتم تعلمون أن هذا الوقت الذى يظهر فيه مناصحة الدين والدولة القاهرة فليتقدم الأمراء أيدهم الله برد الرجال إلى جهة صيداء ، وليجتهدوا فى المساعدة على حفظ هذا النفر مؤيدين إن شاء الله » ...

أحمد رمزى

---

٣ – تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

والآن فلنستخدم تعريفين جديدين كان يحق لنا أن نستخدمهما من قبل . لنطلق كلمة « المحتوى الظاهر للحلم » على الحلم كما يرويه صاحبه . ولنطلق كلمة « المحتوى الباطن للحلم » على المعنى الخفى الذى نصل إليه عن طريق الأفكار المترابطة . ولننظر بعد ذلك فى العلاقة التى بين المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن فى الأمثلة السابقة . نرى فى المثال (١) أن المحتوى الظاهر للعنصر الذى اختبرناه من الحلم عبارة عن جزء صغير من المحتوى الباطن ، ولكنه جزء قائم بذاته أى أن قطعة صغيرة من بناء عقلى ضخم فى منطقة اللاشعور قد استطاعت أن تتخذ طريقها إلى المحتوى الظاهر . وقد تبدو هذه القطعة فى أحيان أخرى على هيئة إشارة أو تلميح إلى شىء مجهول . ومهمة التفسير هى العمل على إتمام هذا البناء العقلى الذى تنتمى إليه تلك القطعة أو ترمز إليه تلك الإشارة . أما فى المثال (ب) فإننا نعثر على علاقة من نوع جديد . فالمحتوى الظاهر ليس تحريفاً للمحتوى الباطن بالقدر الذى هو تمثيل له ، ولكنه تمثيل بصرى ، أى أن الأفكار والكلمات فى المحتوى الباطن يستعاض عنها بصورة بصرية فى المحتوى الظاهر

والآن هل فى استطاعتكم أن تقدموا فى شجاعة على تفسير حلم تام بأكمله ؟ دعونى أقص عليكم حلماً غير غامض تماماً ولكنه على أية حال يعطينا فكرة واضحة عن خواص الأحلام ، ولنر إن كنا أصبحنا معدين لهذا العمل أم لا ؟

رأت سيدة متزوجة منذ بضع سنوات الحلم الآتى : « رأت نفسها كأنما فى أحد المسارح مع زوجها بينما كان نصف القاعة تقريباً خالياً من النظارة . وقد أخبرها زوجها أن صديقتها « أليس » وخطيبها قد أرادا الحضور ، ولكنهما لم يجدا غير أماكن رديئة ، ثلاثة مقاعد بفلورن ونصف ، ولذا رفضا بالطبع شراءها . وقد أجابت السيدة إنهما فى رأيها لم يخسرا كثيراً بعدم الحضور » .

كان أول شىء روته السيدة التى رأت هذا الحلم أن هناك إشارة فى المحتوى الظاهر إلى السبب الحقيقى الذى أدى إلى هذا الحلم ؛ فقد أخبرها زوجها فعلا فى اليوم السابق أن جارتها « أليس » التى تقاربها فى العمر قد تمت خطوبتها وقد جاء الحلم كرد فعل لهذه الأخبار . والآن كيف نفسر خلو نصف القاعة من النظارة ؟ تقول الحالمة إن هذا العنصر يشير إلى حادثة حقيقية وقعت لها فى الأسبوع الماضى فقد أرادت السيدة أن تشاهد إحدى المسرحيات فحجزت المقاعد مقدماً مما اضطرها إلى دفع مبلغ إضافى فى نظير الحجز . ولكنها عندما ذهبت إلى المسرح رأت أن تسرعها بالحجز كان فى غير محله ، لأن ناحية بأكملها من القاعة كانت خالية تقريباً . فلم يكن هناك داع إذاً للعجلة ، وكان فى استطاعتها لو تمهلت أن تشترى التذاكر ليلة التمثيل ، وقد اتخذ زوجها هذه الحادثة مدعاة للتسلية والتفكه على حسابها مما أحنقها . والآن كيف نفسر الفلورن والنصف ؟ يشير هذا العنصر إلى مادة غير المادة السابقة ولكنه كذلك يرجع إلى أخبار تلقتها الحالمة فى اليوم السابق فقد تلقت أخت زوجها مبلغاً وقدره ١٥٠ فلورن من زوجها على سبيل الهدية فأسرعت كالطائشة بالذهاب إلى محل لبيع الحلى حيث أنفقت المبلغ كله فى شراء قطعة من الحلى . أما عن العدد ثلاثة (ثلاثة مقاعد) فلم تستطع الحالمة أن تعطينا فكرة عنه اللهم إلا أن الفتاة المخطوبة « أليس » كانت تصغرها بثلاثة شهور فقط بينما هى متزوجة منذ عشر سنوات . أما عن الجزء الغير معقول فى الحلم وهو أنها اشترت ثلاث تذاكر لشخصين فقط ، فلم تستطع الحالمة أن تفسره لنا أو تعطينا أية معلومات أو أفكار أخرى بعد ذلك .

ومع هذا فقد استطعنا أن نحصل من هذه الأفكار القليلة التى أعطتنا إياها على المادة اللازمة للكشف عن المحتوى الباطن للحلم . فما يلفت النظر أن هناك دائماً إشارة إلى الوقت فى مواضع مختلفة من رواية السيدة . فهى تشترى تذاكر المسرح « مبكرا » وتشتريها على « عجل » مما يضطرها إلى دفع مبلغ إضافى . وكذلك أخت زوجها قد عجلت بالذهاب إلى بائع الحلى لتشترى

حلية بالمبلغ الذى معها كأنما هى تخشى أن « تفقد شيئاً » فاذا ربطنا بين هذه النقط وبين الأسباب التى أدت إلى هذا الحلم (أى الأخبار التى تلقتها السيدة من أن صديقتها التى تصغرها فى العمر بثلاثة شهور فقط قد استطاعت مع هذا أن تحصل الآن على زوج صالح) وبين النقد الذى يتمثل فى الخشونة التى استخدمتها فى اتهام أخت زوجها بالحماقة والطيش لتهورها؛ فأننا نستطيع أن نحصل على التركيب الآتى للمحتوى الباطن الذى جاء المحتوى الظاهر بديلا محرفاً له : —

لقد كان من « الحماقة » أنى تسرعت هكذا بالزواج فها هى أليس تضرب لى المثل على أنه كان فى استطاعتى أنا أيضاً أن أجد لى زوجا فيما بعد . (التسرع ممثل بتصرفها فى شراء التذاكر وبتصرف أختها فى شراء الحلى . أما الزواج فممثل بالذهاب إلى المسرح) . هذه هى الفكرة الرئيسية . وقد نستطيع أن نتابع التحليل ، ولكن فى ثقة أقل لأن التحليل فى مثل هذه الحالات يحتاج إلى أن يدعم برواية السيدة الحالمة نفسها ، فنقول « ولقد كان فى استطاعتى أن أعثر بنفس المبلغ على زوج أفضل مائة مرة » (١٥٠ فلورن تساوى مائة مرة الفلورن والنصف) . فإن استعضنا عن المال بالبائنة فمعنى هذا أن الزوج يشترى بالبائنة . فكل من المقاعد الرديئة والحلى يمثل الزوج . ولقد كنا نود لو كان فى استطاعتنا أن نرى صلة بين الثلاث تذاكر والزوج ، ولكن معلوماتنا للآن لا تؤهلنا لمثل هذه المعرفة . والذى استطعنا أن نعرفه فقط هو أن الحلم يمثل إنقاصاً لقدر زوجها وأسفاً على زواجها المبكر .

أظن أننا سنكون أقرب إلى العجب والارتباك منا إلى الإقتناع بهذه النتيجة التى وصلنا إليها فى محاولتنا الأولى لتفسير الأحلام . فهناك أفكار كثيرة تفرض نفسها علينا بالقوة قبل أن نكون على استعداد بعد لتلقيها . وعلى هذا أرى أن نشرع على الفور فى البحث عن النقط التى قد نجد فيها مادة جديدة من المعرفة : —

أولا : نلاحظ أن أهم ما فى المحتوى الباطن هو عنصر التسرع والعجلة ، ولكن المحتوى الظاهر على العكس لا أثر فيه لهذه الصفة بالمرة ، ولولا التحليل لما داخلنا الشك مطلقاً فى أن هذه الصفة تلعب أى دور . وعلى هذا يبدو لنا أنه من الجائز أن النقطة الرئيسية التى تدور حولها الأفكار اللاشعورية قد لا يوجد لها أثر إطلاقاً فى المحتوى الظاهر .

ثانياً : لاحظنا أن هناك ارتباطاً لا معنى له بين الأفكار فى المحتوى الظاهر (ثلاثة تذاكر لشخصين) كما أننا لاحظنا أن المحتوى الباطن يحتوى على الفكرة « لقد كان من الحماقة أن أتزوج مبكراً » ألا نستطيع أن نستنتج من ذلك أن الفكرة « لقد كان من الحماقة » قد استعيض عنها فى المحتوى الظاهر بإدخال عنصر تافه لا معنى له فى الحلم ؟

ثالثاً : نلاحظ أن العلاقة بين المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن ليست من النوع البسيط الذى يحل فيه المحتوى الظاهر محل المحتوى الباطن دائماً . وإنما هى من النوع المركب الذى يجوز فيه أن يمثل المحتوى الظاهر عدداً من المحتويات الباطنية أو بالعكس يستعاض عن المحتوى الباطن بعدد من المحتويات الظاهرة .

أما بالنسبة إلى المعنى الإجمالى للحلم فقد اعترفت السيدة فعلا بالتفسير ولكنها عجبت له ؛ فهى لم تكن على علم بأنها تحمل لزوجها مثل هذا الشعور بالاحتقار ، بل لم تدر ما الداعى بالمرة للحط من قدره بهذا الشكل . ومعنى ذلك أنه مازال أمامنا كثير من المعميات لا نعلم عنها شيئاً ، وعلى هذا أظن أننا لسنا معدين بعد الاعداد الكافى لتفسير حلم كامل وأننا مازلنا فى حاجة أولا إلى كثير من الاستعداد والمعرفة .

محمد جمال الدين حسن

الامتيازات الطائفية القضائية

وجوب إلغائها كالامتيازات الأجنبية

للاستاذ نصيف المنقبادى المحامى

تخلصت البلاد من الامتيازات الأجنبية أو كادت ، وتنفس الناس الصعداء ، وعما قريب سيصبح جميع السكان خاضعين مدنياً وجنائياً لقضاء واحد هو القضاء الوطنى أو السلطة القضائية المصرية ، ولتشريع واحد مستمد من السلطة التشريعية المصرية . سلطتان هما ، مع السلطة التنفيذية ، مظهر السيادة القومية للدولة .

ولكن لم يفكر أحد إلى الآن — لا الحكومة والأفراد — فى وجوب إلغاء الامتيازات الداخلية القضائية التى اختصت بها جميع الطوائف فى مصر حتى المصرية المحض منها ، بل إن تلك الهيئات أخذت تطالب الآن — لمناسبة مشروع القانون المعروض على مجلس الشيوخ — بالمزيد من امتيازاتها والتوسع فيها وهى ترفض بشدة إشراف القضاء الوطنى العالى على أحكامها كما ترفض تنظيم الحكومة لأقلام كتابها ، وذلك بدلا من أن تشكرها على هذه العناية وترحب بهذا الإصلاح المشكور الذى أرادته لها الحكومة .

ولا يخفى أن من أول واجبات الحكومات تولى القضاء وإقامة العدل بين الأفراد ، وهذه هى وظيفة السلطة القضائية ، إحدى السلطات الثلاث التى تتكون منها سيادة الدولة ، وعليها يقوم كل نظام ، بل إنها الأساس العام للمجتمع الإنسانى فى عصرنا الحالى ولولاها لكان العالم على الحالة البدائية للشعوب المتوحشة والقبائل البدوية غير المتحضرة .

وما القول إذا عهدت حكومة من الحكومات إلى فرد من الأفراد أو جمعية أو شركة أمر الحكم فى بعض القضايا المدنية أو محاكمة طائفة من الذين يرتكبون الجرائم كذلك النظام الشاذ الذى كان يتمتع به الأجانب ، مع أن الذى كان يتولى محاكمتهم إنما هى محاكم نظامية قضائية تابعة لحكومات حقيقية شرعية ولكنها حكومات أجنبية ، وكانت المحاكم القنصلية تحكم بمقتضى قوانين وضعية مدونة معروفة للجميع سنتها سلطات تشريعية عامة فى حدود سلطاتها . وحتى المحاكم المختلطة فاننا كنا نشكو بحق من وجودها لأنها تحدُّ من السلطة القضائية الوطنية وبالتالى من سيادة الدولة مع أنها محاكم شبه مصرية تحكم بمقتضى قوانين كانت تشترك الحكومة فى وضعها مع الحكومات ذات الشأن ، وتتوج أحكامها باسم جلالة الملك .

ولكن المدهش حقاً أن ترى الحكومة المصرية تتولى القضاء فى أمور الأفراد المالية فقط وتغفل ما هو أهم من المال بكثير ، وأعنى به مسائل الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والبنوة والولاية على النفس ونفقة الأقارب وغيرها مما هو أساس الأسرة ، وعليه يقوم النظام الاجتماعى بأكمله ، لأن الأسرة هى نواة المجتمع ، وتترك الحكومة هذه الأمور الهامة الحيوية لبعض الهيئات الطائفية تتصرف فيها كما تشاء من غير رقيب عليها ولا قانون وضعى ثابت لها يقيدها إلى حد ما فى أحكامها ، قانون صادر من السلطة التشريعية المصرية صاحبة الولاية على التشريع فى البلاد .

وكم كتب المفكرون والمصلحون عن فوضى محاكم الأحوال الشخصية فى مصر ، والفساد المنتشر بين جدرانها ، والتحيز والتلاعب بل الظلم البين الذى طالما وقع فى أحكامها . وإنى أحيل القارىء إلى المقالات الضافية التى ينشرها عنها بحق الأستاذ عزيز خانكي بك وغيره ممن طرقوا هذا الباب وبينوا عيوب تلك الهيئات وفساد نظامها وخلوها من كل تشريع وضعى لأحوالها الشخصية صادر من السلطة التشريعية . ولا أنكر أنه توجد بعض مجالس منظمة قليلا إلى حد ما مثل المجلس الملى للأقباط الأرثوذكس بالقاهرة ، ولكن هذا استثناء لا يبنى عليه حكم ، وهو يرجع إلى بعض الأفراد الأفاضل الذى يجلسون الآن فى هذه الهيئة وليس ما يضمن بقاء الحال فيها هكذا . ويكفى أن نقول إن كثيراً ما تؤجل القضايا إدارياً لعدم حضور الأعضاء كلهم أو بعضهم فى أكثر من نصف جلسات السنة وأن هذه المجالس تعطل مدة أربعة شهور الصيف .

فواجب الحكومة الآن أن تمحو هذا النظام العتيق البالى من أساسه وأن تلغى الامتيازات الداخلية القضائية التى كانت قد اختصت بها الطوائف فى الأزمنة الغابرة لعدم ثقتها بالحكومات القائمة فى تلك العهود إذ كانت فكرة حماية الأسرة والنظم

الاجتماعية معدومة من أذهان الناس، وكانت وظيفة الحكومات فى تولى القضاء غير راسخة — نقول إن واجب الحكومة الآن أن تلغى هذه الامتيازات الداخلية الطائفية أسوة بالامتيازات الأجنبية ، وذلك بأن تلحق اختصاص محاكم الأحوال الشخصية جميعها الشرعية والملية بالمحاكم الوطنية كما هو حاصل فى جميع البلاد الغربية وفى تركيا نفسها ، وأن تسن تشريعاً عاماً للأحوال الشخصية لجميع السكان يضم إلى القانون المدنى تطبقه على الجميع محاكمنا الوطنية . وأعتقد أن قضاتنا أوفر علما وأكفأ من أعضاء تلك المجالس وأبعد عن الهوى والتحيز وسوء التصرف . وهاهو القانون المدنى فى تركيا وفى جميع البلاد الغربية والأمريكية وفي اليابان يشتمل من جهة على الأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والبنوة والولاية على عديمى الأهلية الخ كما يشتمل من جهة أخرى — فى الجزء الثانى منه — على الأحوال الخاصة بالمال كالملكية والالتزامات والعقود وغيرها .

ولا مانع من إنشاء نظام انتقال يقوم فى فترة من الزمن ثم يلغى ، تشكل فيه مثلا دوائر أحوال شخصية بالمحاكم الوطنية ، دائرة لكل ملة ، يجلس فيها مع القاضى الوطنى الرئيس «عضو ملة» من أبناء الطائفة كما هو حاصل الآن فى المجالس الحسبية ويسن لهذه الفترة تشريع وقتى للمسلمين ، وآخر لجميع الطوائف غير المسلمة تقرب فيه أوجه الخلاف بين التشريعين ، فيقيد مثلا حق الطلاق وحق تعدد الزوجات[1] فى التشريع الأول وتوسع هذه المسائل قليلا فى التشريع الثانى إلى أن يلتقيا مستقبلا فى التشريع الموحد الأمثل المنشود .

ولنذكر الخطوة الجريئة التى خطتها الحكومة المصرية الوطنية قبل الاحتلال المشؤوم حين سنت القانون المدنى وقانون العقوبات المصريين العظيمين، واستعاضت بهما عن الأحكام القديمة، فلم يرتفع فى ذلك الحين إلا احتجاجات خافتة من بعض العناصر الرجعية الجاهلة ، لم تلبث أن سكتت لأن أولى الأمر يومئذ لم يعيروها أدنى اهتمام وذهبوا فى طريق الإصلاح الاجتماعى العظيم الذى بدأوا فيه حتى رفعوا مصر إلى مصاف الدول المتمدنة الراقية ، واستطاع المصلح المصرى الكبير الخديو إسماعيل أن يقول كلمته المشهورة وهى « إن بلادى ليست من أفريقيا ولكنها جزء من أوربا » . وكان هذا بفضل النهضة العلمية التى ألقى بذورها العلماء الفرنسيون الذين حضروا إلى مصر فى عهد بونابرت (نابليون) ثم أخرجها إلى حيز الفعل ونشرها المصلح الأول فى مصر الحديثة وهو محمد على الكبير وخلفاؤه من بعده حتى عمت جميع النواحى من التعليم — التعليم المصرى الصحيح — إلى الصناعة والتجارة ، إلى الفنون العسكرية والصناعات الحربية . واستمر ذلك العهد السعيد يرتقى ويزدهر إلى أن جاء الاحتلال اللعين فقضى على كل شىء صالح فى هذا البلد المسكين ، حارب التعليم وقتل الروح العلمية المصرية وجنى على العقول وأفسد الأخلاق ورجع بنا إلى الوراء بنحو المائتى عام على الأقل .

***

ومن الغريب أن يزعم بعض رجال الطوائف فى مصر أن الزواج عندهم عقد دينى محض يجب أن لا يمسه أحد . وإنى لا أدرى إلى أى نصوص فى كتبهم الدينية يستندون وهى خالية من وضع أحكام لمسائل الزواج وغيره من الأحوال الشخصية ، ولم يكن الدين المسيحى دين عقائد وتشريع كبعض الأديان الأخرى وإنما هو دين عقائد فقط . ولو رجع هؤلاء المعترضون على الإصلاحات العصرية المرجوة إلى تاريخ منشأ الأنظمة الاجتماعية وتطورها لاتضح لهم أن الزواج ليس له أى مصدر دينى إطلاقاً بل إنه كان — على العكس — فى بادىء الأمر فى كثير من الجمعيات الإنسانية نظاماً مكروها . فكان فى عدد كبير من الشعوب القديمة قاصراً على الأرقاء من النساء يستحوذ عليهن الرجال ويملكوهن ولهم عليهن حق الحياة والموت ، ولكن كانت المعاشرة تؤدى فى كثير من الأحوال إلى شىء من الألفة والعواطف الطيبة خصوصاً إذا كانت المرأة على جانب من الإخلاص ووداعة الأخلاق ، وعلى الأخص إذا أنجبت نسلا فيحسن سيدها معاملتها وقد يدوم ارتباطهما طيلة الحياة . ولما تراءى ذلك للأحرار من النساء الفقيرات قبلت الكثيرات منهن أن يستسلمن للرجال على ذلك الوجه لتضمن القوت والمأوى ثم

(١) ان الطلاق وتعدد الزوجات ليست بفروض دينية فرضها الشرع على الناس الزاماً ولكنها مجرد حقوق منحت لهم يستعملونها أولا يستعملونها كما يشاؤون . وهى حقوق مكروهة ومقيدة بقيود كقول الفقهاء أنفسهم ، فلا يمكن القول الآن بان تقييد تلك الحقوق أو التضيق فيها أو الغائها يمس العقائد الدينية .

أخذت هذه الحالة تتدرج إلى أن عمت معظم النساء ، وعندئذ تدخل المشرعون ونظموا هذه العلاقة بين الرجل والمرأة — علاقة المعاشرة المستمرة التى سُميت بالزواج ، وهى قائمة إلى حد ما فى بعض أنواع الطيور وبعض أنواع ذوات الثدى العليا وعلى الأخص القرود الشبيهة بالإنسان (الغورلا ، والشامبنزه ، والأورنجوتان والجيبون) وتقتصر ذكور بعض هذه الأنواع على زوجة واحدة .

ونذكر مثلا أن من بين طرق الزواج فى القانون الرومانى القديم « التقادم » فمن عاشر امرأة مدة عام كامل دون أن ينقطع عنها ليلة واحدة تصبح زوجته من تلقاء نفسهما بحكم القانون بلا حاجة إلى أى إجراء آخر ، كما هو الحال فى الملكية وباقى الحقوق العينية تُكتسب بالتقادم أى بوضع اليد المدة الطويلة المقررة فى القانون .

ومن هذا كله يتضح أن الأديان ليست مصدر الزواج وإنما هو نظام اجتماعى محض نشأ فى النوع الإنسانى وفى بعض أنواع الطيور والحيوانات العليا بفعل العوامل الطبيعية البحت .

وما لنا وهذا كله ، وها هى تركيا وباقى بلاد أوروبا وأمريكا واليابان قد نظمت قوانينها المدنية أمور الزواج وأحكامه وكيفية انعقاده وفسخه عند الاقتضاء وما يتبعه من أحوال الطلاق والبنوة والولاية على النفس وعلى المال الخ ... دون أى دخل للأديان . وقد فرضت أغلب الشرائع البلاد المتمدنة عقوبات صارمة على رجال الدين الذين يعقدون الزواج قبل أن يعقده موثق الزواج الحكومى الرسمى (١) فضلا عن أن هذا الزواج يُعد باطلا قانوناً وكأنه لم يكن لأن الحكومات هناك ترى بحق أن الزواج نظام اجتماعى هام هو أساس الأسرة والمجتمع بأسره فلا يمكن أن يترك أمره للأفراد مهما كان مركزهم . وكل ما هنالك أنه يجوز لمن يشاء من الأزواج أن يذهب ، بعد إتمام العقد بالطريق النظامى الرسمى ، إلى رجال الدين ليجروا طقوسهم الدينية عليه .

وإنى لا أدرى لماذا تفضل الحكومة الأقليات الطائفية التى تريد أن تستأثر بأحوالها الشخصية بدعوى أنها من أصل الدين — لماذا تفضلها على الأغلبية من المصريين وقد أبطلت استعمال تشريعهم الدينى الخاص بالمعاملات والعقوبات واستعاضت عنه بالقوانين المدنية والتجارية والجنائية المصرية .

***

ومعروض الآن على مجلس الشيوخ مشروع قانون لتأييد تلك الامتيازات الطائفية مع تنظيمها . فكل محب لخير بلاده يرجو من حضرات شيوخنا أن ينظروا إلى الموضوع من ناحية مصلحة الوطن العليا غير متأثرين بفكرة مجاملة زملائهم من أبناء الطوائف الأخرى فيرفضون المشروع برمته ويرسمون للحكومة فى رفضهم الخطة المثلى التى يجب أن تتبعها وهى ألا تترك أمر الأحوال الشخصية فى أيدى الأفراد فإن من أول واجباتها أن تقوم هى بتنظيمها وسن قوانين عصرية صالحة لها وتتولى القضاء فيها على ما تقدم بيانه .

وليضع رجال التشريع وأولو الأمر فينا نصب أعينهم أن أول صفة يجب أن يتحلى بها من يتزعم الحكم هى الشجاعة والاقدام فى تنفيذ الاصلاحات النافعة دون أن يبالى بمقاومة العناصر الرجعية الجاهلة .

نصيف المنقبادى
المحامى

(١) والزواج عندنا يجرى فى الواقع على هذا النحو فيما يتعلق بالأغلبية وهم المسلمون لأن « المأذون » ما هو إلا موثق حكومى رسمى لعقد الزواج ، خلافاً للطوائف الأخرى .

الوقائع الحربية فى الشعر العربى

للرئيس نعمان ماهر الكنعانى

من بين أبواب الشعر العربى المديدة باب هام جدير بالحديث أيما جدارة ذلك هو باب شعر الوقائع الحربية . وإنى لا أزعم أن هذا اللون من الشعر لم تصبه عناية الباحثين فقد بحثه كثير من رجال الدراسات الأدبية وتاريخ الأدب ، وأشاروا إلى مواطن الإجادة والإبداع فيه ودلوا على قيمته الأدبية والفنية ، إلا أنى لم أقع على من خصه بهذا الوصف أو بحثه بحثاً عسكريا أدبيا فى آن فإن جل باحثى هذا الشعر كانوا يضمونه تارة فى باب الحماسة وأخرى فى باب الفخر وأحيانا يزجون به فى موضوع المديح وقليل منهم يضمه إلى الوصف ، وقد مرت أثناء مطالعاتى لدواوين القدامى بقصائد احتوت على الكثير من أقسام المعارك التى نظمت تلك القصائد بها ، أى أنها احتوت على أكثر صفات المعركة كالتحشد والاستطلاع والتقدم والتصادم واستثمار الفوز إلى غير هذه المصطلحات الحديثة . وكانت تصور تلك المعارك تصويرا بارعا يخيل لمن يقرؤها أنه يشاهد عرضاً مصورا لهاتيك الوقائع على تفاوت فى السرد والتصوير فمن الشعراء من جعل منظومته لوصف المعركة فقط ، ومنهم من مزجها بالمديح أو ذكرها على سبيل الفخر أو أشار إليها فى معرض الحماسة .

من هؤلاء الشعراء أبو فراس الحمدانى وأبو الطيب المتنبى وأبو تمام الطائى وابن هانىء الأندلسى وآخرون غيرهم سجلوا فى شعرهم كثيراً من المعارك التى اشتركوا فيها أو شهدوها أو سمعوا بأنبائها . ولكن الذى أجاد وبرع إجادة ظاهرة هو الحارث بن سعيد أبو فراس الحمدانى لأن هذا الشاعر اجتمعت له إمارة السيف والقلم اجتماعاً ندر أن يتم لغيره .

فاستمع إليه يحدثك عن حرب له مع الروم واقرأ صفحات هذه المعركة فى هذه الرائية صفحة صفحة تعلم صحة ما ذهبنا إليه .

قال يصف تقدم جيشه فى بلاد العدو :

وجبن بلاد الروم ستين ليلة   تغادر ملك الروم فيمن تغادر

ولكن ماذا كان موقف سكان البلاد التى سارت فيها خيول الحمدانى ستين ليلة :

تخر لنا تلك القبائل عنوة   وترمى لنا بالأهل تلك المصادر

ثم استمر على قراءة القصيدة لتعلم اقتراب جيشه من جيش العدو أعنى لتعلم التقدم نحو الهدف :

ولما وردنا (لدرب) والروم فوقه   وقدر (قسطنطين) أن ليس صادر

ضربنا بها عرض (الفرات) كأنما   تسيرنا تحت السروج الحرائر

إلى أن وردنا (الرقتين) نسوقها   وقد نكلت أعقابها والقصاصر

فهنا اصطدم جيش الحمدانى بجيش قسطنطين وهرب الأخير واستمر الأول على الزحف :

ومال بها ذات اليمين (بعرعش)   مجاهيد يتلو الصادر المتصادر

فلما رأى جيش (الدمستق) زاحمت   عزائمهـا واستنهضتها البصائر

لقد اصطدم هذا الجيش بقوات جديدة للعدو هى جيش الدمستق فاستمع إليه يصف هذا الصدام الجديد :

وما زلن يحملن النفوس على الوجى   إلى أن خضبن بالدماء الأشاعر

وولى على الرسم (الدمستق) هاربا   وفى وجهه عذر من السيف عاذر

فدى نفسه بابن عليه كنفسه   وفى الشدة الصماء تفنى الذخائر

لقد تحملت خيول الحمدانى عبء المعركة ثقيلا إلى أن خضبت أشاعرها بالدماء حيث تم له النصر واندحر جيش الروم وفر قائده الدمستق بعد أن ترك ابنه أسيراً لدى أبى فراس .

هذه أبيات صورت معركة من معارك العرب تصويراً يكاد لا يختلف كثيراً ووصف المعارك الحديثة بالكتابة .

وهذا ابن هانى الأندلسى له باع طويل فى تسجيل المعارك فى شعره ، فاقرأ قصيدته الدالية التى يصف فيها نصراً شهده لجيش جعفر بن على بن غلبون واستيلاءه على قلعة كتامة قال :

أقمنا فمن فرساننا خطباؤنا   ومنبرنا من بيض ماتطبع الهند

ولو لم يقم فيها لحمدك خاطب   علينا وفينا قام يخطبنا الحمد

على حين لم يرفع بها لخليفة   منار ولم يشدد بها عروة عقد

وكانت شجاً للملك ستين حجة   وماطيب وصل لم يكن قبله صد

***

بها النار نار الـكفر شب ضرامها

ولو حجبت فى الزند لاحترق الزند

***

وعادت بهـا حرب الأزارق لاقحا

وإن لم يكن فيها المهلب والأزد

***

ولمـا اكفهر الأمر أعجلت أمرها

فألقت وليد الـكفر وهى له مهد

أخذت على الأرواح كل ثنية   وأعقبت جنداً واطئا ذيله جند

لقد تحشد جيش ابن غلبون لغزو هذا الحصن الممتنع العاصى الذى لم يطع الخلافة الأندلسية ستين عاما حتى كان شجا فى حلق الدولة وتقدم إليه ورماه بالنار فصمدت واكفهر الأمر على الفاتح فأعجل الضربة حتى سقط بين يديه وأحاطه بعسكره بعد أن سد على المدافعين الطرق والمسالك ودهمهم بجنده فتساقطوا جثثا وأشلاء .

ثم هذا أبو الطيب المتنبى يسجل وقعة للأمير الخالد سيف الدولة الحمدانى بقصيدة رائعة شهيرة هى تلك التى يقول فى مطلعها على قدر أهل العزم تأتى العزائم .

وكان سيف الدولة قد غزا قلعة الحدث وصحب معه الشاعر :

خميس مشرق الأرض والغرب زحفه

وفى أذن الجوزاء منـه زمازم

تجمع فيه كل لسن وأمة   فما تفهم الحداث إلا التراجم

فلله وقت ذوب الغش ناره   فلم يبق إلا صارم أو ضبارم

أما وقد علمت هذا الجيش ومقداره وتحشده فاعلم حاله قبل الصدام : —

تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا   وفر من الأبطال من لا يصادم

وهنا تخلص الجيش الحمدانى من الضعفاء وسيدخل المعركة قريبا . وبعد فاستمع إلى الشاعر يصور لك تعبئة القائد وأسلوب دخوله المعركة :

ضممت جناحيهم على القلب ضمة   تموت الخوافى تحتها والقوادم

بضرب أتى الهامات والنصر غائب

وصار إلى اللبات والنصر قادم

وينخذل العدو بعد هذه الضربة ويستثمر الفوز ابن حمدان فيقول الشاعر :

نثرتهمُ فوق (الأحيدب) كله

كما نثرت فوق العروس الدراهم

تدوس بك الخيل الوكور على الذرى

وقد كثرت حول الوكور المطاعم

ثم يعلن لك المتنبى خسائر العدو فى هـذه المعركة ويذكر هرب قائدهم ومقتل ابنه وصهره وابن صهره حيث يقول :

أفى كل يوم ذا الدمستق مقدم   قفاه على الإقدام للوجه لائم

وقد فجعته بابنه وابن صهره   وبالصهر حملات الأمير الغواشم

مضى يشكر الأصحاب فى فوته الظبى

بمـا شغلتها هامهم والمعاصم

ففيما تقدم من رائعة المتنبى هذه قرأنا صفحات المعركة كما اصطلح عليها الفن العسكرى الحديث من تحشد إلى دخول المعركة إلى استثمار الفوز .

هذه أمثلة من أمثلة شعر الملاحم العربية تدل على غنى الأدب العربى عامة والشعر منه خاصة فى هذه الناحية من نواحى تدوين الوقائع بالمنظوم ، وعسى أن تكون لنا عودة إلى هذا الموضوع فنأتى بأمثلة أخرى لنقرأ فيها أخبار وقائع أخرى .

نعمان ماهر الكنعانى

الرئيس فى الجيش العراقى

الأدب في سير أعلامه :

١١ – تولستوى

[قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

خيوط من النور

وبطل هذه القصة التى هى فى الواقع مجموعة فصول أقوى مثال للصعلوك الذى لا يكترث لشىء والذى لا يتأثم من شىء ، والذى يرضى كل الرضاء عن أعماله جميعاً لا يشعر بأى أثر فى نفسه مما يسميه الناس وازع الضمير ؛ وفكرة القصة الرئيسية التى تدور حولها حوادثها هى أن هذا الصعلوك المسمى شيشكوف قد اعتزم أن يشترى من ملاك الضياع من يموت من رقيق الأرض قبل أن يسجل فى سجل الموتى اسمه ، لكى يرهن هؤلاء للمصرف على أنهم أحياء ويربح من وراء ذلك ربحاً كبيراً ؛ وينتقل من مالك إلى مالك يتواطأ معهم على الإقرار بوجود هؤلاء الرقيق ، وفى أثناء ذلك يصف المؤلف حال هؤلاء التعساء الذين يقول عنهم إنهم لا يحيون كما يحيا الخلق وإنما يوجدون فحسب ! وكان هؤلاء الرقيق يسمون فى روسيا وقتذاك الأنفس وكان الواحد يسمى نفساً ، فإذا سأل أحد الملاك صاحبه عن عدد رقيقه قال له كم نفساً تمتلك ، ومن هنا جاء إسم القصة « الأنفس الميتة » ؛ والقصة مليئة بتلك السخرية القاسية وذلك الضحك الشيطانى الذى يتميز به فن جوجول ...

ونشر جوجول فى نفس الوقت الذى نشر فيه «الأنفس الميتة» قصة كان لها أثرها فى النفوس ؛ وهى ثالثة ما أشرنا إليه من قصصه ، ألا وهى قصة « العباءة » أو « المعطف » أو يؤدى معنى الرداء الخارجى الذى يلبس فوق الملابس جميعاً اتقاء للبرد ، وخلاصة هذه القصة أن أحد الكتبة الفقراء وهو شيخ ضعيف كانت أعظم أمنية له أن يشترى معطفاً ، فما زال على خصاصته يقتصد من ماله القليل حتى اشترى المعطف المنشود ، ولكنه مُنى فى أول يوم فرح فيه بمعطفه بفتية من صعاليك الشوارع سرقوا منه المعطف فقضى نحبه من فرط غمه ويأسه ، والقصة على بساطة موضوعها تصف البؤس والشقاء وسوء الحظ أقوى تصوير وأصدقه ...

ولجوجول كما أسلفت القول غير هذا الذى ذكرت كثير من القصص الطويلة والقصيرة والمسرحيات والنبذ الوصفية وما إليها وإنما اخترت هذه القصص الثلاث لأنها أكثر صلة بما نريد بيانه وأعنى به كيف عبر أدباء الروس بالفن عن ثورة نفوسهم المكبوتة

وهكذا كان بوشكين وجوجول ومن دار حولهما من النوابغ يلقون على الأفق الحالك فى حكم نيقولا الأول خيوطاً من النور كانت لأنفس الأحرار أنساً وشفاء وعزاء ...

***

بقيت بعد ذلك كلمة عن تيارين فكريين قوى ظهورهما فى عهد نيقولا وأعنى بهما المدرسة الشرقيـــة والمدرسة الغربية ، أو بعبارة أخرى الاتجاه نحو أوروبا والإبقاء على سلافية روسيا..

وكانت المدرسة الشرقية أو السلافية تؤمن بأن مدنية روسيا غير مدنية أوروبا ، وأن على الروس أن يحذروا مادية الغرب الوضيعة وأن يعودوا إلى تلك الجماعات التعاونية التى أقامها السلاف الأقدمون فى قرى روسيا ؛ وكان قادة هذه المدرسة يعتقدون أن بطرس الأكبر لم يخدم روسيا بقدر ما أساء إليها بمحاولته صبغها بالصبغة الأوروبية ، وكذلك كان أنصار السلافية يعدون الغرب فى طور انحلاله لأنه بعد عن الجانب الروحى من الحياة ، ذلك الجانب الذى اتصفت به روسيا السلافية والذى يجب أن يعيده الروس اليوم سيرته الأولى فينمموا بالإيمان والمحبة والتعاون فيما بينهم ، ثم يذيعوا هذه المبادىء حتى تشمل الإنسانية جميعاً فيكون ذلك رسالة روسيا إلى العالم .

أما أنصار المدرسة الغربية ، فكانوا يعزون ما فى روسيا من شقاء العيش وطغيان الحكام إلى عزلها عن أوروبا وفلسفة أوروبا وعلم أوروبا وثورات أوروبا . فإذا أرادت روسيا أن تخرج مما هى فيه فعليها أن تأخذ بمدنية أوروبا فى كل شىء فهذا سبيلها الذى لا سبيل لها غيره .

ومهما يكن من خلاف بين المدرستين فقد أفادت روسيا من دفاع كل منهما عن وجهتها ، وكانت لها من خلافهما يقظة ،

وبخاصة لأن هؤلاء المختلفين قد اتفقوا على أمر جوهرى وذلك أنه فى أى الوضعين لا يرجى لروسيا خير إذا أسلم أمرها إلى رجل واحد يستبد فيها بالأمر ، ويصرف شؤونها كما لو كانت ضيعة من ضياعه .

هذه لمحة فى الحال الأدبية فى روسيا حتى أواخر حكم نيقولا الأول أى حوالى سنة ١٨٥١ عندما بدأ الفتى ليو تولستوى يتجه فى جد إلى الأدب ليغدو بعد أمد غير بعيد أعظم كتاب القصة فى القرن التاسع عشر لا فى روسيا وحدها بل فى أوروبا جميعاً .

هجرته إلى القوقاز

كان لابد للفتى من هجرة إلى بلد ما ، فقد ضاقت نفسه بيسنايا وبموسكو وبيطرسبرج جميعاً ، ومل حياته بين العبث والإسراف فيه والندم والركون إليه حتى لم يعد يطيق شيئاً من هذا ، بل إنه لم يعد يصبر حتى على التفكير فيه ...

واتفق أن جاء من القوقاز أخوه الضابط نيقولا إلى ياسنايا فى إجازة عيد الميلاد فنصح لأخيه نصحه فى كثير مما كان يشغل باله ، ومن ذلك أن يدع الزواج حتى يطمئن إلى ارتباطه برباط الحب ثم حبب إليه أن يصحبه إلى القوقاز فما أسرع ما أخذ ليو برأى أخيه وتأهب للرحيل ... واتفقت الأسرة أن يصرف زوج أخته أمور ضياعه فى غيابه وأن يدفع عنه ديونه وذلك على أن يقنع ليو بخمسين ومائة جنيه كل عام حتى يؤدى الدين كله ، وقبل ليو هذا الشرط وسافر فى صحبة أخيه ...

ووقفت بهما العربة عند أول محطة على بعد أربعة عشر ميلا فما راعه إلا كلبه الأسود المحبوب قد أقبل يلهث من شدة الحر ومن سرعة العدو حتى لحق به ، وعلم بعد ذلك أنه كسر لوحاً من زجاج إحدى نوافذ الغرفة التى كان محبوساً بها وانطلق يعدو ليدركه لأنه لا يطيق أن يرحل عنه .

ويذكرنا هذا الرحيل برحيل « تشايلد هارولد » أو اللورد بيرون حين اضطر إلى مغادرة انجلترة إذ ضاق بها وضاقت به بعد أن أسرف على نفسه فيما أنكره المجتمع منه ، وقد وجه بيرون الخطاب إلى كلبه فى أول قصيدته التى وصف فيها رحلته يقول إنه لا يجد من يأسف على رحيله حتى كلبه هذا فلسوف ينساه وينكره حتى ليثب عليه ويعضه إن قدر له أوبة من غربته ..

كانت رحلة بهيجة سارة ، فقد قطعا جانباً منها إلى استراخان فى زورق على صفحة الفلجا ، وقد عرجا على موسكو وقازان وقضيا بضعة أيام فى كل من المدينتين ، وكتب ليو من موسكو إلى عمته تاتيانا يخبرها فى لهجة الفخر أنه استطاع أن يقهر نفسه حين زار ناحية الغجريات ، ويصف لها مقدار ما بذل من مغالبة منه لنوازع نفسه حتى أمكنه أن ينتصر بعد جهد بالغ ...

وفى قازان قابل تلك الفتاة التى عرفها منذ نحو خمسة أعوام صديقة لأخته مارى وأحس يومها بميل شديد نحوها وهى زنايدا مولستفوف ، ولقد أحس أنه على الرغم من تلك الأعوام الخمسة لم يزل بها متعلقا . قال فى يومياته بعد ذلك بشهرين « لم أفه بكلمة من كلمات الحب ، ومع ذلك فقد كنت واثقا أنها كانت تدرك مشاعرى ، ولئن كانت بادلتنى إياها فذلك لأنها كانت تفهمنى .. كانت صلاتى بزنايدا يومذاك لا تعدو تلك المرحلة البريئة ، مرحلة انجذاب روحين كل منهما نحو الأخرى ؛ أيداخلك الشك فى أنى أحبك يازنايدا ، إن كان ذلك فإنى أسألك الصفح فإن الخطأ خطأى إذ كان على أن أؤكد لك ذلك بكلمة .. أتذكرين حديقة كبير القساوسة يازنايدا وممرها الجانبى ؟ كان على أسلة لسانى ما أفصح به عما فى نفسى كما كان على لسانك ، ولكن كان على أن أكون أنا البادىء ؛ أتدرين لماذا فكرت ثم لم أقل شيئا ؟ ذلك لأننى كنت من السعادة بحيث لم يبق ما أرغب فيه ، وخشيت أن أفسد لا هناءتى وحدى بل هناءتينا .. وسيبقى هذا اللقاء أعز ذكرى إلى نفسى حتى نهاية حياتى » .

غادر ليو قازان إلى القوقاز مستمتعاً بصحبة أخيه ، مبتهج النفس بما تركه فيها لقاء زنايدا ، مرتاحا إلى ما يهجس فى خاطره من أنه انطلق من حياة العبث انطلاقا لا رجعة فيه ؛ ويجد القارىء وصفا لهذه الحال النفسية فى شخصية أولينين بطل قصة « القوزاق » التى كتبها بعد ذلك بقليل ، وكان أولينين كذلك مسافراً قال « فى مثل هذه الحال العقلية السعيدة التى يحدث فيها نفسه فجأة شاب يستشعر أخطاءه الماضية قائلا إن ذلك لم يكن حقيقياً ، فكل ما حدث فى الماضى كان عرضا عديم الأهمية ،

وإنه حتى ذلك الوقت لم يكن حاول محاولة جدية أن يعيش ، ولكن حياة جديدة بدأت تتهيأ له أسبابها ، حياة لاشيء فيها من خطأ ولا من ندم ، فليس إلا السعادة . وكان من الأمور البينة أن تلك الأخطاء لن تعود بين الجبال ومساقط المياه والأخطار والشركسيات الحسان »

وجد المسير بهما جده حتى بلغا ستارى يورت فى القوقاز وأقاما فى خيمة أول الأمر ، وأعجب ليو بمنظر الرواسى الشامخة من الجبال ، وكان لا يفتأ يقلب عينيه فيها ويتأمل فيما يبعثه منظرها من رهبة فى نفسه ، وكتب إلى عمته تاتيانا يصف لها تلك الأطواد فى نشوة وحماسة ، ويشرح لها البيئة التى سوف يقضى فى قراها قرابة ثلاثة أعوام ؛ وإن المرء إذ يقرأ ما جاء فى قصة « القوزاق » من وصف للجبال ليتملكه العجب من روعة وصفه ، ومرد ذلك الوصف البليغ الساحر إلى معيشته سنين فى سفوح هاتيك الجبال الشاهقة ...

ولم يكد يمضى أسبوعان عليه فى ستارى يورت حتى عاد إلى إحدى عاداته السيئة التى كم اعتزم أن يطلقها ألا وهى الميسر ، فجلس يلعب ذات ليلة فخسر فى هذه الجلسة خمسين وثمانمائة روبيل أو ما يساوى سبعة وعشرين ومائة من الجنيهات ، وكدرت نفسه هذه الخسارة لا ريب ، وكدرها كذلك عودته إلى هذا الذى طلب الهجرة ليتخلص منه وهو من أرذل نزعات نفسه ؛ ولكن الندم عقب ذلك أخذ يتغلغل فى أعماق نفسه . وآية ذلك أنه استطاع ألا يقرب الميسر بعد هذه الليلة ستة أشهر كاملة ، كان يقضى فيها أوقات فراغه فى الصيد والكتابة والقراءة « وتعقب حسان القوزاق » .

ولفت إليه ببسالته القائد العام فى تلك الجهة للجيش الروسى وذلك أثناء تطوعه ذات مرة فى حملة على بعض القبائل ، كانت مهمة ذلك الجيش هناك مطاردتها ؛ وقد اقترح القائد أن يلحقه بالفرقة ليكون أحد رجالها ؛ ووقع ذلك من نفسه موقعاً حسنا ، ولعله تخيل لنفسه ما تخيله أولينين بطل قصته من البسالة والقوة ، وحلم كما حلم أولينين بأن يكون قاهر القوزاق وبأن يعزى إليه وحده الفضل فى تسكين القبائل الثائرة هناك .

وأرسل إلى تفليس ليمتحن هناك نوعا من الامتحان يهيئه النجاح فيه للالتحاق بالجيش ، ورأى فى تفليس ما يشبه الحياة فى قازان نحن إلى حياة المدن بعد تلك الأشهر التى قضاها فى القرى والأماكن البرية وأوشك أن يعقد النية على أن يعود أدراجه إلى موسكو ، وصار يحس أنه يحيا فى تلك القرى حياة أشبه ما تكون بالمنفى ...

وظل فى تفليس أياما يستمتع بمثل ما كان يستمتع به فى موسكو أو فى قازان ، ويترقب بقلب نزوع وصبر فارغ نبأ إلحاقه بالفرقة الرابعة متطوعا فإن ذلك كفيل أن يخرجه من تردده ويجعله يركن إلى البقاء فى القوقاز .

وتم له ما أراد فعاد إلى ستارى يورت ، وهناك توثقت عرى الصداقة بينه وبين فتى يدعى سادو ، وكانا يتعاونان فى السراء والضراء ويطمأن معاً كلما واتتهما فرصة لذلك ويقتسمان المال بينهما ويتبادلان الهدايا ، وقد أعجب ليو بصاحبه وما رأى من بسالته وجميل مودته وإخلاصه له ذلك الإخلاص الذى أدى به أكثر من مرة إلى أن يعرض نفسه للأخطار لينجى صاحبه ؛ وطاب الفتى نفساً بهذه الصداقة وأحب من أجلها الحياة فى القوقاز .

وكان سادو مقداماً لا يهاب شيئا ، يهجم على قرى الأعداء فيأتى منها بما يبيعه وبذلك يحصل على المال فهو متلاف يبسط يده كل البسط وأبوه على ثرائه يضن عليه إلا بالقليل الذى لا ينقع غلته ...

وكان على ليو أن يدافع عن سادو كما يدافع هذا عنه ، ولذلك كان يتعرض لكثير من الخطر من أجله ، حتى لقد أوشك ذات مرة أن يؤسر هو وصاحبه ، ونجا مرة أخرى من الموت وهو على حافته إذ انفجرت قذيفة مدفع على مقربة منه .

ويعنينا من هذا ما نذكره عن حياته فى القوقاز لعلته بفنه ، فلسوف يصف هذه الحياة وصفاً يكسبه على حداثته ذيوع الصيت فى دنيا القصة ، ويضفى على عمله من الإصالة والروعة والدقة ما يسلكه وهو حدث فى القلائل الأفذاذ .

(يتبع) **الخفيف**

قصائد تكريم مطران في الميزان

للاستاذ على متولى صلاح

— ٣ —

عند ما كرموا شوقى منذ أكثر من عشرين عاماً أرسل لبنان شاعره المجلى بشاره الخورى فصدح بقصيدته الخالدة :

قف فى ربى الخلد واهتف باسم شاعره
فسدرة المنتهى أدنى منـــابره

فطار ذكرها فى الآفاق ، وبقيت بقاء الزمان ... وعند ما كرموا خليل مطران فى الشهر الماضى أرسل لبنان الأستاذ شبلى الملاط بك شاعر الأرز ، وهو الذى نعرف له ماضيـه البعيد ، وآثاره الحسان ، وبدائعه الجيلة ، فصدح بقصيدة خانه التوفيق فيها كثيراً ! ... نعم ، كنا نود لو أن لبنان كرم الخليل وهو ابنه وشاعره ، وقيثارته المغردة بذكره وحمده ، المتغنية بأمجاده وآثاره ، المترجمة عن مشاعره وهواه . كنا نود أن يكون تكريمه بالجليل العظيم من الشعر ، والفخم الضخم من الكلام الذى يسير سير الشمس ، ويمشى على أفواه الناس مشى النار فى يابس الحطب وإنه بذلك لقمين .

ألقى الأستاذ شبلى الملاط بك قصيدة طويلة تزيد على الستين بيتاً لم يعرض لذكر الخليل إلا فى عشرة منهـا ، وانصرف فى باقيها يسوق كلاماً يأخذ بعضه برقاب بعض ، ويجر نفسه جراً ، دون وقفة تأمل ، أو هدأة تصور ، ودون خلجة قلب ، أو همسة نفس ! ولقد كنت تحس وأنت تقرأ القصيدة أنك تعتسف فى بيداء مجهل ، لاظل ولا ماء ، وكنت تشعر بالفراغ يشتملك ويحيط بك من كل نواحيك ، وتحس إقفار البيداء إقفاراً شديداً ، فتنظر هنا وتنظر هناك علك تصيب حياة أو تجد أنساً فلا تلقى إلا صوراً باهتة لاتدل على شىء ، ولا تسمع إلا أصداء بعيـدة لا تؤدى بك إلى شىء !

ولقد أسرف الشاعر فى نسج أبيات يشهد الله أنهـا كانت هواء خلاء لا تكاد تعرف لها معنى إلا أن يقال عنه طويل النفس فأى معنى فى قوله :

تعاقبت القرون فمن هبوط
تمر به القرون ومن صعود !

وأى معنى وأى شعر فى قوله :

لها فى كل ناحية حـدود
وتأبى أن تنام عن الحدود !

ولقد كانت قصيدة شبلى الملاط جميعها كالحجارة المرصوصة المصفوفة بعضها وراء بعض لا ترى بينهما زهرة يانعة ، أو وردة متفتحة ... وقد خلت القصيدة من كل خيال ومن كل ظل ومن كل صورة من بدائع الصور التى لا يكون الشعر شعراً إلا بها وإلا فهو كلام لاطعم له ولامذاق فيه ! وأغلب ظنى أن الشاعر عنى بأن يضفى على قصيدته ثوب القصة أو الملحمة القصيرة فخانه الحظ كثيراً فخرجت قصيدته للناس وهى أشبه شىء بأسطورة جافة خشنة من أساطير الأقدمين أو بحكاية من حكايات كليلة ودمنة ! وليتها كانت !

وكان الـكثير من كلامه مبتذلا رخيصاً بعيداً عن جو الشعر وما ينبغى له من رونق وجمال وإشراق ، وماذا من الشعر فى قوله لمصر :

فانا ما يشاء بنـوك شئنا
من استقلال آفاق الصعيد !

وماذا منه فى قوله :

بلبنان ... الجلاء أصاب عيداً
وفى مصر سنشهد أى عيد !

وماذا منه فى قوله إلى عذارى النيل :

وشاركن الشباب وكل حر
يموت ولا يعيش من العبيد

أين الموسيقى الشائعة فى القصيدة ؟ وأين العبارة الرنانة الآخذة بمجامع القلوب ؟ قصارى مابلغته هذه القصيدة — وهى لم تصور من نواحى الخليل إلا اليسير القليل — أنها خلت من الأخطاء اللغوية والأخطاء النحوية إلا فى كلمة واحدة ، وذلك أضعف الإيمان ! ! ...

وكانت القصيدة الأخـيرة فى حفلات تكريم الخليل التى قرأناها لصديقنا الشاعر محمد عبد الغنى حسن ، وأشهد أن لها فى جملتها إشراقاً وموسيقى لم يتوفرا لقصيدة الملاط ، غير أن الناظر

فيها نظرة المتأمل المدقق ، يجد فيها هنات كنا نربأ بصديقنا عنها فقد ابتدأها بقوله « جئت ألقى فى بابك الأعذارا » والأعذار لا تلقى وإنما تلقى الأحجار[1] ، وقال فيها مخاطباً الخليل « أنت كالبدر فى الوجود ائتلاقاً » وكلمة الوجود فوق أنها ليست من الشعر فى شىء لاضرورة لذكرها والأستاذ خير من يعلم ذلك ، وقال عجزاً لأحد الأبيات « ثم أصلح فى كفك المزمارا » وأصلح هذه لغة رجال « التخت » لا رجال الشعر ، وقال البيت الآتى عن العود :

لا تقل حطمته من الليالى لم تحطم من عودك الأوتارا !

والبيت لا شعر فيه ، وأين هو من قول خليل مطران فى مثل هذا المعنى :

حطم العود إن كر الليالى لم يغادر فى العود إلا الأنينا !

والأوتار لاتحطم وإنمـا تقطع ولـكنه رد العجز على الصدر وكفى . وقال يصف قلب خليل مطران :

أنت ذوّبتــه حناناً وعطفاً أنت رقعتــه جوى واستعاراً

وما معنى أنه رقعه جوى واستعاراً ؟؟ ، وقوله عن الدموع « زدتها فى عيوننا إكبارا » أقرب إلى كلام العامـة وقوله للخليل « يا وقور الأشعار » اضطرار فى الـكلام كريه ، فالشعر رجع للانفعال والإحساس الثائر المرهف فلا أفهم وصفه بالوقار ، وقوله عن جبل لبنان إنه « مثل الأهرام فى الجو خلداً » فإن كلمة الجو هنا لا معنى لهـا ! وقوله بعد ذلك إننا « انتظمنا عواطفاً وشعوراً » يريد العكس أى انتظمتنا عاطفة واحدة وشعور واحد وهذا هو الأولى ...

على أن الأستاذ عبد الغنى كان شاعراً حقا فى قوله :

يا دليـل الركبان فى القفر إنى ما رأيت الحيـاة إلا نفارا

يا دليـل السفين فى البحر إنى لم أخض فى الحيـاة إلا بحارا

وإذا ما المنى نفرن عليـــنا فمن الخـــير أن نزيد نفارا

فعلينا السعى الجميل ولـكن ما علينا أن ندرك الأوطارا

ولعله كان فى هــذه الأبيات يتـكلم عن شعور متدفق من نفسه ، وذخيرة مكنونة فى فؤاده .

وكنا نود أن نتـكلم قليلا عن شعر خليل ولـكننا وجدنا المحتفلين به قد أفاضوا القول فيه ، وصار كل كلام يقال فيه بعدهم معاداً مكرراً ... على أننا نقولها قولة حق لا التواء فيها إن الشعر لم يؤد ما يجب عليه لشيخه الجليل ، وإن الشعر قصر كثيراً فى تـكريمه والاحتفال به ، والوفاء له ، وكان الرجـل حرياً بأن يقال فيه أجزل الشعر ، وأقوى القصـيد وأكرمه ، فذلك حق يتقاضاه ويد لانقوم بشـكر أياديه ، وله العمر المديد حتى يؤدى إليه دينه كله !

على متولى صلاح

---

(١) وما قول الأستاذ الناقد فى قوله تعالى (ولو ألقى معاذيره) ؟
(الرسالة)

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٢٠ — لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم

صيد الخاطر لابن الجوزى : بلغنى عن بعض زهاد زماننا أنه قدم إليه طعام ، فقال : لا آكل ، فقيل له : لم ؟ قال : لأن نفسى تشتهيه ، وأنا منذ سنين ما بلغت نفسى ما تشتهى ، فقلت : لقد خفيت طريق الصواب عن هذا من وجهين ، وسبب خفائها عدم العلم . أما الوجه الأول فإن النبى (صلى الله عليه وسلم) لم يكن على هذا ولا أصحابه ، وقد كان (عليه الصلاة والسلام) يأكل لحم الدجاج ، ويحب الحلوى والعسل . ودخل فرقد السبخى على الحسن وهو يأكل الفالوذج ، فقال : يا فرقد ، ما تقول فى هذا ؟ فقال : لا آكله ، ولا أحب من أكله . فقال الحسن : لعاب النحل بلباب البر مع سمن البقر هل يعيبه مسلم ؟ وجاء رجل إلى الحسن فقال : إن لى جاراً لا يأكل الفالوذج . فقال : ولم ؟ قال : يقول : لا أؤدى شكره . فقال : إن جارك جاهل ، وهل يؤدى شكر الماء البارد . وكان سفيان الثورى يحمل فى سفره الفالوذج والحمل المشوى ، ويقول : إن الدابة إذا أحسن إليها عملت . وما حدث فى الزهاد أمور من هذا الفن مسروقة من الرهبانية وأنا خائف من قوله تعالى « لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » والوجه الثانى أنى أخاف على الزاهد أن تكون شهوته انقلبت إلى الترك فصار يشتهى أن لا يتناول ، وللنفس فى هذا مكر خفى ، ورياء دقيق ، فإن سلمت من الرياء للخلق كانت الآفة من جهة تعلقها بمثل هذا الفعل وإدلالها فى الباطن به ، فهذه مخاطرة وغلط .

***

شرح النهج لابن أبى الحديد : جاء فرقد السبخى إلى الحسن ، وعلى الحسن مطرف خز ، فجعل ينظر إليه ، وعلى فرقد ثياب صوف ، فقال الحسن : ما بالك تنظر إلى ، وعلىّ ثياب أهل الجنة وعليك ثياب أهل النار ؟ إن أحدكم ليجعل الزهد فى ثيابه والكبر فى صدره فلهو أشد عجباً بصوفه من صاحب المطرف بمطرفه . وقال ابن السماك لأصحاب الصوف : إن كان لباسكم هذا موافقاً لسرائركم فلقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ، ولئن كان مخالفاً لها لقد هلكتم

***

فى (الكتاب) الكريم العظيم :

[قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟] .

[هو الذى سخر لكم ما فى الأرض جميعاً] .

[وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه] .

٩٢١ — أبو نواس

الموشح للمرزبانى : الجماز قال : كنت عند أبى نواس ، قال : إسمع أبياتاً حضرت ، قلت : هات ، فأنشدنى :

وملحة باللوم تحسب أننى ... بالجهل أوثر صحبة الشطار
بكرت على تلومنى فأجبتها ... إنى لأعرف مذهب الأبرار
فدعى الملام فقد أطعت غوايتى ... وصرفت معرفتى إلى الإنكار
ورأيت إتيانى اللذاذة والهوى ... وتعجلا من طيب هذى الدار
أحرى وأحزم من تنظر آجل ... علمى به رجم من الأخبار
ما جاءنا أحد يخبر أنه ... فى جنة من مات أو فى النار (١)

فلما بلغ إلى هذا البيت قلت له : يا هذا ، إن لك أعداء وهم ينتظرون مثل هذه السقطات ، فاتق الله فى نفسك ، ودع الإفراط فى المجون ، واكتمها . قال : والله لا أكتمها خوفاً ، وإن قضى شىء كان ، فنمى الخبر إلى الفضل بن الربيع ثم إلى الرشيد فما كان بعد هذا إلا أسبوع حتى حبس .

٩٢٢ — . . . لكان خليفة وفتنا أصح بالعصر

منهاج السنة النبوية لابن تيمية :

كان (الشيخ عبد المغيث الحربى) ينهى عن ذلك (عن لعن يزيد) وقد قيل : إن الخليفة الناصر لما بلغه نهى الشيخ عبدالمغيث قصده وسأله عن ذلك ، وعرف عبد المغيث أنه الخليفة ، ولم يظهر

(١) قلت : إن كان ابو نواس إماميا (شيعيا) أو كان جماعيا (سنيا) فكيف يريد أن يجئ قبل الرجعة أو قبل البعث من يخبر حضرته بما هنالك

أنه يعلمه فقال : يا هذا ، أنا قصدى كف ألسنة الناس عن لعن خلفاء المسلمين وولاتهم ، وإلا فلو فتحنا هذا الباب لكان خليفة وقتنا أحق باللعن ، فإنه يفعل أموراً منكرة أعظم مما فعله يزيد ؛ فإن هذا يفعل كذا ويفعل كذا ، وجعل يعدد مظالم الخليفة حتى قال له : ادع لنا يا شيخ . وذهب …

٩٢٣ — الناس على دين ملوكهم

تاريخ الطبرى : كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلائفهم ، بنى المساجد ، مسجد دمشق ومسجد المدينة ، ووضع المنار ، وأعطى الناس ، وأعطى المجذّمين وقال لا تسألوا الناس … وفُتح فى ولايته فتوح عظام : فتح موسى بن نصير الأندلس ، وفتح قتيبة كاشغر ، وفتح محمد بن القاسم الهند … وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع ، وكان الناس يلتقون فى زمانه فإنما يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع ، فولى سليمان فكان صاحب نكاح وطعام فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والجوارى . فلما ولى عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ ومتى تختم ؟ ومتى ختمت ؟ وما تصوم من الشهر ؟

٩٢٤ — . . . فعاق اللقاء

نفح الطيب : قال أبو الحسن بن سعيد : ما سمعت ولا وقفت على شىء أبدع من قول الجزار وقد تردد إلى جمال الدين بن يغمور رئيس الديار المصرية فلم يقدر له الاجتماع به :

أسأل الله أن يديم لك العـــز ويبقيك ما أردت البقاء
كل يوم أرجو النعيم بلقيـــاك فألقى بالبعد عنك شقاء
علم الدهر أننى أشتكيه لك إذ نلتقى فعاق اللقاء

فبعث له بما أصلح حاله من الإحسان ، وكتب فى حقه إلى ولاة الصعيد كتباً أغنته مدة عن شكوى الزمان . ولم أسمع فى وضع الشىء موضعه أحسن من قول المتنبى :

وأصبح شعرى منهما فى مكانه وفى عنق الحسناء يستحسن العقد

ولم أسمع فى وضع الشىء غير موضعه أحسن من قول أبى الفرج :

من مدحى ضائعاً فى لؤمه كضياع السيف فى كف الجبان

٩٢٥ — أنسب العرب

أمالى المرتضى : ابن المزرع قال : قلت لأبى عثمان الجاحظ : من أنسب العرب ؟ فقال الذى يقول :

عجلت إلى فضل الخمار فأثرت عذباته بمواضع التقبيـــل

وقال : هذا للبحترى[١] فى القصيدة التى أولها : (صب يخاطب مفحمات طلول) .

وفى نسيب هذه القصيدة بيت ليس يقصر فى الملاحة والرشاقة وأخذه بمجامع القلوب عن البيت الذى فضله به الجاحظ وهو :

ألخيب عندك والصبا لى شافع وأرد دونك والشباب رسولى

وفى مديح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو :

لا تطلبن له الشبيه فإنه قمر التأمل مزنة التأميل

٩٢٦ — العمل على العادة . . .

العلم الشامخ فى تفضيل الحق على الآباء والمشايخ لصالح بن مهدى المقبلى اليمنى :

كان بعض الأمراء المغفلين قال له أصحابه : إذا جاءك أحد لأمر فقل : العمل على العادة . فجاءه يوماً إنسان قد ضرب رأسه والدم يسيل منه ، فشكا إليه ذلك ، فقال : العمل على العادة . فقال الرجل : لم يكن فى رأسى عادة أن يضرب قبل . وكانوا أيضاً عينوا له يوماً من الأسبوع للشكاية هو أمس ذلك اليوم فقال للرجل : يوم الشكاية أمس ، فهلا جئتنا أمس ؟ فقال الرجل : إنما ضرب رأسى كما ترى اليوم . ونرى أرباب الدولة الظالمة وسائر أعوانهم … إذا قيل لهم فى شىء مما يأخذون من الأموال وكثير مما يأتون ويذرون : ما وجه هذا ؟ قالوا : عادة ، فإن عاودتهم سخروا منك ، وقالوا وفعلوا بحسبما يقضى الهوى فى القضية … وكذلك أشياء جرى عليها الناس مما يتعلق بالدين ومما يتعلق بالدنيا إذا سألتهم عنه كان جوابهم الذى لا يراجع فيه إلا أحمق عندهم — قولهم : عادة …

---

(١) أمالى المرتضى : … عن أبى نصر محمد بن إسحاق قال : سمعت بعض أهل الأدب يقول للزجاج : قد كنت تعرف أبا العباس المبرد وكبره وأنه ما كان يقوم لأحد ولا يتطاول له ، وينشد (ثهلان ذو الهضبات لا يتحلحل) ولقد رأيته يوما وقد دخل عليه رجل متدرع ، فقام إليه أبو العباس فاعتنقه وتنحى عن موضعه وأجلسه ، فجعل الرجل يكفه ويستعفيه من ذلك ، فلما أكثر من ذلك عليه أنشده أبو العباس :

أتنكر أن أقوم وقد بدا لى لأكرمه وأعظمه هشام
فلا تنكر مبادرتى إليه فإن لمثله خلق القيـــام

فلما انصرف الرجل سألت عنه ، فقيل لى : هذا البحترى .

وحى الساعة . . .

بين رياض المنصورة

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

بين يمن الزمان والإقبال   حدثينا عن خالدات الليالى

ياربوع الأبطال قصى علينا   سيرة من مواقف الأبطال

نحن فى فرحة الجلاء ظماء   لمعين من نبعك السلسال

فأفيضى الحديث ذكرى نضال   يعربى أكرم به من نضال

يوم ذل الجبار فى ساحة الأسـ   ـر وباع الحياة بالآمال

جاء يُزهى بصولجان وتاج   فانثنى بالقيود والأغلال

مثلما تطمع الحمامة فى النسـ   ـر ويعشى الغزال للرئبال

زلزل الأرض تحته لجب الخيـ   ـل يُدوّى بين القنا والنصال

واثبات عليه تصهل بالمو   ت وبأس الجياد فى التصهال

إيه يا ساحة البطولة والنصـ   ـر ومهد الهوى ومغنى الجمال

جنة الله أنت تزخر بالحو   ر تهادى بين السنا والظلال

والضفاف السواحر الخضر تجرى   تحتها فى وضاءة وجلال

تتغنى بها النسائم لحنا   فى معانى قطيعة أو وصال

آه من همسة الغصون ونجوى الطير

بين البكور والآصال

ومن الموج حين يبعث فى الشطآن

ذكرى ليلاتهن الخوالى

ومن النور فى مرائيه يسرى   حائراً حيرة الرؤى فى الخيال

ومن الخافق الذى تستثير الشو   ق فيه تلك الربى والمجالى

يا لقلبى لما اطمأن به الركـ   ـب وألقى هنا عصا الترحال

شاركتنى ضلالة الحب قلبى   فتبارى ضلاله وضلالى

وانتبذنا هنا مكانا قصيا   وشكوت الهوى له وشكالى

كيف ننجو من الفاتن تبدو   هاتفات بسحرهن حيالى

لم تدعنى أنضد الشعر فيها   فى عقود تغار منها اللآلى

واستبدت بناظرى فتملى   وتجلت لخاطرى فصفا لى

فشغلنا بذاك عنها فعذراً   رب كُثْر يكون فى الإقلال

هو الوجد ...

للأستاذ العوضى الوكيل

هوَ الوجدُ ما تخفى بنفسك أو تبدى

هو الوجد ... فاذكر ما لقيت من الوجد !

ونهنه توانيا بقلبك أوشكت   تفيض، كنهلّ الدموع على الخد

وقد خلق الله المدامع رحمةً

فتجدى ، إذا ما الصبر أصبح لا يجدى !

عرفت هنا من منذ عشرين حجةً

معاهدَ ما زالت على حالها بعدى

وما كان لى فيها هوى فأعيده   ولا كان لى وجد بليلى ولا هند

رأيت هنا من لا أطيق ادّكاره   يهدهدنى ، حتى كأنىَ فى المهد

ويا طالما سرنا على النيل صحبة   وهأنذا أمشى على شطه وحدى

فهل أنا سال بالبساتين نضرة   تأزرن من آذار بُرداً على برد

وبالشفق المخضوب قد لاح فاتناً

وعطر الربى يسرى من الآس والورد

وهل أنا سال بالنخيل وقد بدا   كرهبان دير فى التبتل والزهد

له صور فى الماء كالطيف روعة   تعيد من الأحلام والشعر ما تبدى

سرت فى دمى نجوى خفىٍّ دبيبها   فأورت خفوقاً فى ضلوعى كالزند

فيا جيرة الأيام وات حميدة   أعندكم من لهفة الشوق ما عندى؟

وهل أنا سال بالأصيل وسحره   وما فيه من هول التصاور والجد

يرف الهوى الريان فى نسماته   ويخطر نشوان التنقل والوخد

وبالصحبة الغر الذين إذا شدوا   شدت لهم الأيام لحناً من الخلد

يقودهم للنصر أكرم قائد   ويهديهم للمجد أرشد من يهدى

أبا الشعر لا يجديك شكر نسوقه

ولا خالص صاف من الحب والود

أقمت عكاظ الشعر والنثر ها هنا

بأرباض وادى النيل لا فى ربى نجد

وأحييت من ذكرى البطولة وقعة

بها غزى الغازى وبوغت بالقيد

جعلت لأيام العروبة رونقا   يجمله الفاروق ذو العزم والأيد

الأدب والفن في أسبوع

خطيب . . ودهشة !

نقلت الأنباء البرقيـة تفاصيل الزيارة التى قام بها سلطان مراكش لمنطقة طنجة ، وقالت هذه الأنباء فيما نقلته : « وقد أدى السلطان صلاة الجمعة فى مسجد طنجة الكبير ، ودهش الناس إذ رأوه يرتقى منبر المسجد ويلقى خطبة الجمعـة بدل الإمام . . »

دهش الناس ! ! هكذا قالت الأنباء فى روايتها بالنص ، وحق للناس والله أن يدهشوا وأن يعجبوا ، لأنهم يعتقدون فى هـذه الأيام أن مرتبة الخطبة فى الجمعة مرتبة نازلة يكفى أن يتقلدها فقيه كتاب ، أو شخص يحسن قراءة الفقرات المسجوعة من كتاب . .

كلا أيها الناس ، لا موضع للدهشة لو علمتم ، فقد شرعت خطبة الجمعة لتكون قوة موجهة للعقول والأفكار ، ولتكون صلة بين الحاكم والرعيـة فى التوجه إلى الدين والأخذ بمظاهر الدنيا ، وقد كانت مرتبة النبوة من قبل ، وكان منبر المسجد مرقى الخلفاء الراشدين وحكام المسلمين ، وكانت فى موضوعها يومذاك تعالج الحال القائمة فى صفوف الجماعـة ، وفى أسلوبها نموذج من الأدب العالى تتجلى فيه الروعة والبراعة ، فلما صار الأمر فى قيادة العرب للأعاجم ، وارتضخت الألسن العاميـة واللكنة ، وتدلت الأقدار عن مراقيها ، كان شأن الخطبة ما نراه اليوم ، مادتها كلام ملق مضطرب ، وأداتها سيف من الخشب ، وهدفها تمداد الفضائل للأيام والمواسم ... إنه تقليد حسن ذلك الذى أحياه سلطان مراكش المظيم ، فهل يمكن أن نراه تقليداً سائداً فى جميع الأقطار الإسلامية ؟ .

الغرب والسيادة الأدبية :

تنشر « الأهرام » تحقيقات صحفية عن الحالة فى إيطاليا بعد الحرب للصحفى النابه الأستاذ أميل خورى ، وهى تحقيقات تتميز بدقة الملاحظة وعمق التفكير وتبين العلل الكامنة وراء الظواهر الواضحة . .

وإنما يعنينا من هـذه التحقيقات كلمة عرض بها الكاتب إلى الحالة الأدبيـة فى إيطاليا خاصـة وفى أوربا عامة إذ قال : « والأضرار الأدبية التى أنزلتها الفاشية الغاشمة بالأمة الإيطالية يلمس الباحث بعضها فى ضعف الإنتاج الفكرى ذى القيمـة الصحيحة ، فقد تضاءل عدد الأدباء المنتجين من أبناء الجيل الذى تفتحت أكمام نفسه لشمس الحياة فى مطلع عهد موسولينى والذى هو اليوم جيـل الشباب فى إيطاليا . وأظننى أكون أكثر إنصافاً وأقرب إلى محجة الصواب والحقيقة إذا قلت إن هـذا النضوب تشكو منه بلاد أخرى ، أو البلاد الأوربية بأسرها التى لم يقم فيها طاغية ولم تأخـذ النظم الغاشمة على شبابها سبل الأدب الحر والتفكير الطليق ، ففرنسا مثلا التى ظهر فيها غداة الحرب العامة الأولى رهط من كبار الكتاب والمفكرين لا نجد فيها من الكتاب الجدد سوى عدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة »

« فالداء إذن أوربى عام ، لا إيطالى خاص ، وأظنـه مظهراً من مظاهر إحدى الأزمات الحادة التى يشكو منها الغرب والتى لا تدل على أن هـذه القارة آخذة بالأسباب التى تضمن لهـا الاحتفاظ بعد وقت قصير بالسيادة الأدبية والفكرية التى بسطتها على العالم غداة خروجها من ظلمات القرون الوسطى .. »

وهذا الذى يقوله الكاتب صحيح ، وإن الباحث ليلمس آثاره وشواهـده لأول نظرة يلقيها على الحالة الأدبيـة والفكرية فى أوربا ، ولـكن ليس معنى هـذا أن أوربا ستفقد سيادتها الأدبية والفكرية كما يتوقع الكاتب ، لأنها حال عامـة تتمثل فى جميع قارات العالم ، فنحن مثلا فى مصر لم نجد الشبان الذين استطاعوا أن يشغلوا الأذهان عن أولئك الشيوخ الذين سيطروا على الحركة الفكرية منذ الحرب الأولى ولا تزال أسماؤهم إلى اليوم تتداولهـا الألسن وتشخص إليها الأبصار ، وهذه أيضاً هى الحال فى جميع الأقطار العربية وفى كل مناحى الشرق .

وهـذه الحال فى حقيقتها لا ترجع إلى اقفار الأذهان من النبوغ ، بل إنها ترجع إلى ضآلة التقـدير للقيم الأدبية ، فالعالم الآن يعيش فى نشوة علمية اقتصادية يغذى بها عواطفه ومشاعره ، فالناس يعنيهم أن يلتفتوا إلى الصراع القائم بين المذاهب الاجتماعية

والسياسية الآن أكثر مما يعنيهم الأدب الخالص ، وليس هذا مما يدعو إلى التشاؤم والخوف على مستقبل الأدب والقيم الروحية فإن العالم لابد أن يضيق بهذه الحال الطارئة ، ويعود الناس في يوم قريب متلهفين يبحثون على صلاتهم الطبيعية بالحياة ، ولن يكون ذلك إلا إذا هدأت الأعصاب المتوترة واطمأنت الأفكار القلقة وانتهى ذلك النضال العنيف القائم حول الرغيف .

المؤتمر الثقافي العربي الأول :

أذاعت الأمانة العامة للجامعة العربية أن اللجنة الثقافية بها تعمل على تهيئة الوسائل لعقد المؤتمر الثقافي العربي الأول في لبنان في شهر سبتمبر القادم ، وأن اللجنة لا تزال تتلقى كثيراً من الأبحاث والتقارير من مختلف البلاد العربية عن المواد التي سيتناولها المؤتمر في جدول أعماله ، وسيشترك في هذا المؤتمر مندوبو البلاد العربية وكثيرون من العلماء والباحثين في الثقافة العربية كما سيحضره بعض المستشرقين للاستماع أو المحاضرة ، وسينتهي المؤتمر إلى اتخاذ قرارات حول مواد الثقافة العربية في اللغة والأدب والتاريخ والتربية الوطنية ويبدي ما يراه من المقترحات لتعديل برامج التعليم والثقافة بما يحقق الفكرة الموحدة . .

مؤتمر للآثار العربية :

كما أذاعت الأمانة أيضاً أن الإدارة الثقافية بالجامعة تتخذ العدة لإقامة مؤتمر آخر في الصيف القادم للبحث في شؤون الآثار الموجودة في البلاد العربية والعمل على صيانتها وتبادلها ، وهذان المؤتمران هما أول المؤتمرات التي تعقدها الجامعة العربية مستهدفة فيها توثيق عرى الصداقة بين البلاد العربية وتنشيط الاتجاه القومي العربي فيها ، ونحن إذ نحبذ هذه المؤتمرات وندعو إلى الإكثار منها حتى تكون طريقاً من الطرق لتوثيق الروابط بين أبناء العروبة وتوحيد الاتجاه الفكري في البلاد العربية ، فإننا نرجو أن لا تجعل الجامعة العربية الشأن في هذه المؤتمرات قاصراً على الرجال الرسميين ، وأن تتعدى بها دائرة المؤتمرات الحكومية التي تقف في إبداء الرأي عند التقاليد المرعية ، بل يجب على الجامعة أن تفتح الباب الواسع للباحثين الطلقاء والمفكرين الأحرار حتى تثمر هذه المؤتمرات ثمرتها ، وتؤدي مهمتها

آثار الهند :

أعلن الزعيم الهندي المسلم أبو الكلام آزاد عضو الحكومة الهندية المؤتمر أنه سيطلب إلى الحكومة البريطانية إعادة بعض القطع الأثرية الهندية التي نقلت إلى المتاحف البريطانية ، ومن القطع الغالية التي سيطالب الزعيم الهندي بإعادتها الجوهرة المعروفة باسم « جبل النور » وهي الجوهرة التي قدمتها شركة الهند الشرقية البريطانية عام ١٨٥ إلى الملكة فيكتوريا والتي أضيفت إلى مجوهرات التاج البريطاني يومذاك ولا تزال تشع فيه حتى الآن . .

وليس من شك في أن انجلترا قد انتهبت الآثار الهندية انتهابا ، وأنها نقلت إلى متاحفها من الهند كثيراً من القطع الغالية والآثار التاريخية التي لا تقدر بثمن ، وهذه محنة لحقت بالآثار في جميع بلدان الشرق ، فقد نهبت تلك الآثار في غفلة الزمن وظلمة الأحداث ونقلت إلى دور الغرب ومتاحفه ، ولقد مضى عليها زمن طويل وهي تعيش غريبة عن أوطانها وبين أهل غير أهلها ، وما نحسب أن دول الغرب تذعن لتصفية هذه المسألة في سهولة .

سيطلب مولانا أبو الكلام ، ولكن هل تسمع الحكومة البريطانية لهذا الطلب ؟ ! هيهات . .

تصوير المخطوطات العربية :

سافرت إلى سورية ولبنان البعثة التي أوفدتها الجامعة العربية لتصوير المخطوطات العربية التي كانت قد اختيرت للتصوير في العام الماضي ، وتجد الإدارة الثقافية بالجامعة في انتقاء المخطوطات العربية الأخرى التي ستقوم بتصويرها بعد أن تنتهي البعثة من عملها في سورية ولبنان .

والذي نحب أن نقوله لرجال الإدارة الثقافية بالجامعة العربية هو أن الشأن في المخطوطات العربية الموجودة بالأقطار العربية هين ميسور ، ففي الإمكان تبادل هذه المخطوطات ونقلها وتصويرها بواسطة الهيئات العلمية والثقافية ، ولكن الشأن كل الشأن هو تصوير المخطوطات القيمة المجهولة التي توجد في مكاتب تركيا والأسكوريال ومكاتب أوربا عامة ، فلعل الجامعة تعنى بأمر هذه المخطوطات قبل كل شيء ، ولعلها تهتم بتصويرها حتى تكون في متناول أيدي العلماء والباحثين من أبناء العروبة

وهناك مجال آخر يجب أن يكون مثار اهتمام الجامعة ، ونعني بذلك المخطوطات التي هي في حيازة الأفراد . فهناك مخطوطات في المكاتب الخاصة غالية القيمة نادرة الوجود ، وقد تكون النسخ التي يملكها الأفراد منها هي النسخ الوحيدة ، فلعل الجامعة توجه اهتمامها إلى تصوير هذه المخطوطات والإسراع بجمع شملها قبل أن تبدد وتتفرق وتضيع في قسمة التركات وفي مطاوي الإهمال ، وعندي أن الاهتمام بهذه المخطوطات أولى ، لأن المخطوطات التي في المكاتب العامة محفوظة ويمكن الحصول عليها في أي وقت .

« الجاحظ »

أدباء العروبة في المنصورة :

افتتحت جامعة أدباء العروبة شعبة ثالثة لها في المنصورة في اليوم العاشر من (إبريل) ، واتخذت من دار الأستاذ سعد الشناوي رئيس الشعبة الجديدة مكاناً للمهرجان ، وحرص صاحب المعالي دسوقي باشا أباظة رئيس الجامعة على اختيار هذا اليوم بالذات لأنه يتصل بذكريات حبيبة تجمل عوامل الإلهام ، وبواعث الشاعرية ، وينابيع البيان ، دانية لمن يريد أن يقول . فهو يعيد إلى الذاكرة صفحة مشرقة من صفحات المجد القومي يعتز بها الشرق كله بشهادة دار ابن لقمان ، وهو يوافق عيد مولد جامعة أدباء العروبة ومرور العام الأول على تأليفها ، ثم هو يقبل مع الزهور في بواكير الربيع ، ويأتي في أعقاب جلاء الانجليز عن الدائن المصرية .

ومن هذه المعاني المؤتلفة ، والذكريات المتفقة ، يجد الأديب مداداً لكلماته ، ويرى الشاعر أفقاً واسعاً لخياله ، فإذا جمعنا إلى هذا كله ما تميزت به المنصورة من سحر وجمال وروح وريحان لم يبق لصاحب البيان الأصيل حجة في عدم الامتاع ، ولا لذي الباع الطويل في الشعر معذرة في القصور عن الابداع .

وقد تبارى الشعراء والأدباء في القول فأسمعونا كلاماً ليس حسناً كله ولا قبيحاً كله ، ولكنه يتصل بالحسن أحياناً فيثير العواطف ويهز المشاعر ، ثم يهوى إلى درك القصور والتفاهة فينصرف عنه المستمعون ويتحدث بعضهم إلى بعض فيما لا يتصل مع هذا الكلام بسبب !

كان أول الخطباء هو الأستاذ حسين رأفت بك مدير الدقهلية ، وكان الناس يعتقدون أن كلمته ستكون أدنى ما تكون من لغة الإدارة منها إلى لغة الأدب ، فلما استمعوا إليه كأديب وكخطيب أدركوا أنه أديب بالفطرة لا بالكسب ، وكاتب بالطبع لا بالتكلف ! !

ولعله الخطيب الوحيد الذي تكلم عما للأدب من أثر في حياة الأمم ، وما للشعر من فضل في تهذيب العاطفة وتربية الوجدان وتنشئة الذوق الأدبي ، وطبعه على غرار يمكن أبناء الأمة من إدراك ما في الحياة من معاني السمو والجمال ، ومن عباراته اللطيفة قوله (وهل هز شاعر الأمم في كل العصور وحدا بها إلى غايات المجد على مر الدهور ، إلا تلك البروق المنبعثة من آفاق البلاغة ، كلما أضاء لهم سناها مشوا فيه ، وهل تدين الحضارة في تقدمها ، والإنسانية في تطورها ، إلا لأولئك الرسل الكرام من حملة الأقلام ؟)

أما معالي دسوقي باشا رئيس الجماعة فقد كان كلامه كالنبع الصافي يتدفق بالمعاني السامية والعبارات الأنيقة ، ويتحدث عن رسالة جامعة الأدباء فيقول : إنها تعمل لجمع كلمة العرب ورفع شأن الأدب ، وتوثيق عرى الصداقة بين أدباء وطننا في سائر أرجائه ، وبين أدباء العالم العربي في جميع أقطاره ، وما العرب إلا :

أمة ينتهي البيان إليها ... وتؤول العلوم والعلماء

وتعاقب بعد الرئيس والمدير شعراء وأدباء ؛ منهم من أجاد فاستحق الثناء والتقدير وأثبت وجوده بإنتاجه وحسن بيانه ، ومنهم من خانه التوفيق فأذاع خطأه على الناس واستوجب النقد من حيث كان يريد الشهرة والظهور .

ومن حقنا أن نأخذ على قلم المراجعة والتصحيح في جامعة الأدباء ، عدم عنايته بحذف القصائد والكلمات التافهة المغسولة التي اعتبرها أهل الذكر موضع الضعف في المهرجان ، وكان من الواجب ألا يقول إلا من يحسن القول . لا كل من يريد أن يقول ! ولولا المجاملة في الحق لصار أدب الجماعة خالصاً كله ، ولكن لكل شيء آفة ، وآفة الأدب دخول الفضوليين فيه ، واستباحتهم حماه ، وانتسابهم إليه وهم من غير أهله ! !

ولولا أننا نكرم صفحات (الرسالة) أن تسجل ما لا خير فيه ولا فائدة في الحديث عنه لعرضنا على القراء بعض ما قيل مما لا يستحق أن يقال ، ولكنا نؤثر أن ندع الزبد يذهب من تلقاء نفسه ولن يبقى إلا ما يصلح للبقاء .

(المنصورة) ... علي عبد الله



الحكومات الأوربية :

[هذه فقرات من مقالة لم تكتب اليوم ولا عقب الحرب الثانية ولا عقب الحرب الأولى. ولكن كتبت قبل ذلك كله، كتبها سنة ١٩١٢ الأستاذ العلامة محمد إسعاف النشاشيبي في حديث له مع صديق شكا إليه ما كانت البلاد العربية عليه يومئذ ، وبين له أن لا أمل إلا بالدول الأوربية وحضارتها ، اطلعنا عليها في مجلة النفائس فأردنا تسجيلها في الرسالة سجل العرب ، قائلين : ما أشبه الليلة بالبارحة !] .

« منقب »

... فإن هذه (الدول) لا تسعى سعيها ولا تبذل مجهودها في الاستيلاء على البلاد الشرقية لتنجيها من عذابها ، وتنتاشها من ضلالها ، وتسعدها بعد بؤسها ، وتهذبها وتثقفها وتعلمها ما لم تكن تعلم — ولو اتبعت ذلك لسلكت غير هذه السبيل ، ولخالفت عن بُنيّات طريقتها الاستعمارية المشهورة ولكنها جدّت في تملك بلادك لتموت أنت وتحيا هي ، ولتملق أنت وتثرى هي ، ولتذل أنت وتعز هي. وإن يوماً تراك فيه استيقظت من هجوعك وثبت إلى رشدك ، وجرى في عروقك دم الوطنية ليوم عليها عظيم

***

ولقد لبثت فرنسا في الجزائر وتونس والتونكين وغيرها ما شاء شقاء أهلها أن تلبث ، وأقام الإنكليز في الهند ومصر واستراليا ما قدر القدر الجائر أن تقيم ، ومكثت روسيا في القرم وبخارى وخيوه ما أراد القدر القاهر أن تمكث ، وظلت هولاندة في جزيرة جاوا ما كتب لأهلها النحس أن تظل ، ومكدت إيطالية في الصومال ما حكم الدهر الوغد أن تمكد ، وتملكت غير هذه الدول من الأرجاء في المشرق والأقطار ما تملكته — فلم نرها جاءت من الخير للذين سلبتهم سلطانهم ما كان يجب عليها أن تجيء به ، ولم نلفها بلغت هؤلاء المساكين من الإصلاح العلمي والاجتماعي ما أمله المؤملون منها ، ولم نجدها بدلت من خلائقهم شيئاً ، بل وجدناها كادحة جاهدة في إرداء شعورهم وإحساسهم وإفساد كل صالح فيهم ، ووجدناها ضاربة دونهم ودون الرقي الذي ينشدونه بالأسداد ابتغاء ألا ينتبهوا من نومهم ويرجعوا إلى أنفسهم فيردوا ما ألم بهم وما صبحتهم به الليالي (أقال الله عثرتنا من الليالي) فيكبروه وينكروه ، وإن كل جريمة تحتقبها أوربة ، وإثم تكتسبه حلال طلق في شريعة السياسة ودين الاستعمار .

***

وإني لأقرّع القوم بأعمالهم كثيراً ولا أعذرهم على حال ، لأنهم موقنون جد الإيقان بفظاعة ما يأتون وشناعة ما يجترمون . وعالمون كل العلم بأنهم يجرحون فؤاد الإنسانية بما يجترحون من الإثم بإذلال بنيها وإضراعهم ؛ لكنهم متصلبون في عنادهم مصرون ، ومقيمون على ضلالهم لا يتزحزحون ، وكافرون بدين الرحمة جاحدون ، ولو كان من عذر لما سمعت استيد وجوريس وأضرابهما من الإنسانيين يصيحون ويجلبون ، ويندبون ويبكون ، ويقولون في كل حين : « أوربة ، إنك ظالمة ، أوربة ، إنك آثمة ، أوربة إنك جارمة ... » .

محمد إسعاف النشاشيبي

الموسيقى الإيرانية وأثرها في العالم :

لقد علمت إيران العالم كيف يغني وكيف يترنم ، ولإدراك هذه الحقيقة نقدم إليك النبذة التالية التي نشرتها جريدة «القبس» الدمشقية :

« تعتبر إيران بحق سيدة الموسيقا الكلاسيكية الشرقية ، ذلك أنها عرفت قبل الإسلام بزمن طويل نهضة موسيقية وصلت إلى أوجها في القرن السابع على عهد الملك كسرى أبرويز ، فقد كان هذا الملك نفسه موسيقياً ، لهذا لم يأل جهداً في إنهاض فنه المحبوب ، فوضع بواسطة الموسيقي الإيراني الشهير الشيرازي ومساعده الأرمني سركيس هوروم أوزان ونظريات الموسيقا الإيرانية » .

« وعندما احتل العرب بلاد الفرس ، لم تكن الموسيقا عندهم فناً يستحق توجيه الجهد إليه ، لأنهم انصرفوا إلى توسيع رقعة لغتهم وشعرهم ، ومع هذا فقد استعاروا من الإيرانيين طرقهم الموسيقية ، وألحانهم ، وآلاتهم ، ونشروا هذا في بلادهم وفي

البلاد التي احتلوها بآسيا الوسطى وبمصر وشمالي إفريقية ، حتى في أسبانيا حيث وصل العرب بالموسيقا إلى نقطة تحول في تاريخ الفنون الجيلة في العالم ، وكان للموسيقا الإيرانية تأثير كبير في هذا التحول . واليوم — وبعد قرون عديدة — ما زالت هنالك نواح في الأغاني الشعبية الأندلسية تنطبع فيها صور إيران وما زال في أسبانيا الحديثة مؤلفون موسيقيون ينحون في مقطوعاتهم وألحانهم منحى العرب » .

« ولم يقتصر تأثير الموسيقا الإيرانية على العرب وحدهم ، بل أثرت كذلك في الأتراك وفي الأرمن وفي الروس إذ يتجلى مدى هذا التأثير في ألحان بورودين وموسورغسكي وريمسكي كورسا كوف » .

« هذه الخطوط الرئيسية للموسيقا الإيرانية ، إلا أن كثرة الغزوات التي اجتاحت البلاد الإيرانية كان لها تأثير كبير في تدهور الفن الموسيقي الإيراني والزج به في مهواة الابتذال وتتابع الأنغام الرديئة » ...

طريقة جديدة في معالجة السعال الديكي

كانت معالجة السعال الديكي بالبقاء بضع ساعات على ارتفاع يتراوح بين ٢٥٠٠ و ٣٥٠٠ متر متبعة قبل الحرب . ولكن هذه الطريقة لم يكن يستطيع التمتع بها إلا بعض من أسعدهم الحظ من أصحاب الطائرات وأعضاء أندية الطيران والتابعين لسلاح الطيران الحربي .

وقد اكتشف هذه الطريقة سنة ١٩٢٧ في «ستراسبورج» إثر انتشار السعال الديكي في شكل وباء ، ففكر أحد الطيارين من السرب الثاني في قوة المطاردة بسلاح الطيران في أخذ ابنه الذي كان مصابا بهذا المرض بدرجة خطرة في طائرته لعله أن تغيير الهواء سيخفف عنه فقضى ساعة في التحليق على ارتفاع ثلاثة آلاف متر فلم يمض على ذلك ثلاثة أيام حتى شفي الطفل شفاء تاما .

واهتم السويسريون بهذه الطريقة اهتماما كبيرا وأطلقوا عليها اسم « طريقة ستراسبورج »

غير أنه لوحظ في أثناء تجربته هذه أن بعض المصابين بالسعال الديكي يشفون بعد ٢٤ ساعة . والبعض الآخر كان يحدث عنده تحسن ملموس وخاصة في حدة السعال . وأخيراً هنالك فريق ثالث يقدر بنصف الذين يعالجون بهذه الطريقة لم يكن يحدث لهم أي تغيير في الحالة .

وشرع الأطباء بعد ذلك في دراسة هذه الطريقة على وجه أتم وتنظيم استعمالها . وكان من التجارب التي أجريت أن طياراً من « ميتز » اسمه « شوفان » نجح في شفاء حوالي مائة طفل في شتاء سنة ١٩٣٨ — ١٩٣٩ فكان من أوائل الذين استطاعوا الوصول إلى استنتاجات من ملاحظاتهم وتقرير طريقة عملية . فكان يصعد بالأطفال إلى ارتفاعات تتراوح بين ١٥٠٠ و ٣٥٠٠ متر وفاقا لأعمارهم .

وكان يصعد وينزل ببطء منعاً لأصابة الأطفال بأمراض الأذن التي تفسد فعل هذه الطريقة في العلاج . ولما كان النوم يغلب على الأطفال عندما يصلون إلى أقصى حد من الارتفاع فإنه كان يغطيهم لدرجة التدفئة . وعدا هذا فإنه كان يأمرهم بالغناء ليكون تنفسهم من الفم .

وفي سنة ١٩٤٥ أنشيء « مركز البيولوجيا » في مدينة الطيران . وعهد إليه بدراسة هذه الطريقة تحت إشراف الطبيبين « روبيربالدي » و « ماكس ريشو » . فأجريت عدة تجارب في الطائرات وأمهات الطلبات من عائلات الأطفال المصابين بالسعال الديكي . فخصصت وزارة الطيران إحدى طائراتها لهذا وهي الطائرة التي كان يستقلها « جورنج » وزير الطيران في الحكومة النازية وهي من طراز « يونكر ٥٢ » . وقد اختارت الوزارة هذه الطائرة لأنها بطيئة في سيرها فسيحة في فراغها ومريحة جداً في ركوبها . ولكن العلاج بطريقة « ستراسبورج » كان يكلف نفقات باهظة بالنظر لقلة البنزين وارتفاع ثمنه واستخدام طيارين اخصائيين .

لذلك أنشأ هذا المركز في داره «صندوق التنفس الصناعي» فلوحظ أن هذه الآلة يمكن أن تحدث من التأثير على الأرض مايحدث للمريض وهو مرتفع في الجو بالطائرة . ومن ذلك المهد أوجد الدكتور « ريشون » نطاقاً لمعالجة السعال الديكي .

وقد استمر العمل بهذه الطريقة في معالجة الأطفال المصابين بالسعال الديكي تحت إشراف الأطباء الإخصائيين وملاحظاتهم



تهجم لا داعى له :

نشرت مجلة الرسالة فى عددها ٧١٩ نقداً للسادهانا التى قمت بترجمتها عن الشاعر الروحى تاجور، لمترجم آخر قام بذلك، هو الأستاذ طاهر الجبلاوى .

وأنا أوافق الأستاذ على أن السادهانا من أمهات الكتب العالمية، وأنها يجب أن توضع فى ميزان النقد، ولكن الذى قام به الأستاذ لم يكن نقداً، بل تهجم محنق مغيظ . لقد عدد الأخطاء التى فى ترجمتى فبلغت سبعة كاملة !! وذلك لا يبيح له أن يرفع عقيرته طالباً الضرب على أيدى العابثين كما يقول ؛ فما بالك وهو مخطىء فى تخطئته ؟ إن موقفه هذا ليس موقف الناقد الممسك لسكان سفينة الأدب ؛ بل موقف مدعى الاتهام الذى لا يملك شيئاً من الأدلة ، فيضرب بكلامه ذات اليمين وذات اليسار .

١ — ترجم الأستاذ كلة Realisation of Lifc بتحقيق الحياة ، وفسرها بقوله جعل الحياة حقيقية ، وليست الحياة باطلة حتى يجعلها الكتاب حقيقة ، وليس من معانى التحقيق فى اللغة العربية جعل الشىء حقيقة ، بل إن تحقيق الأمر إثباته ، والتحقيق فى الأمر فحصه ، وكلاهما غير مقصود هنا ؛ ولكن المقصود هو إدراك حقيقة الحياة . واستتبع خطأه هذا خطأ آخر فى ترجمة Realsation in action بتحقيق الحياة فى العمل مع أن المعنى المراد هو إدراك كنه الحياة فى العمل ، أو الإدراك فى العمل كما ترجمتها موجزة غير مخلة للمعنى، ولا هادمة للأسلوب العربى الصحيح

٢ — خطأ الأستاذ ترجمتى للجملة consciousness of soul بمعرفة الروح ، وترجمها بالوعى الروحى ، وفى تخطئته خطأ مركب فالوعى فى اللغة العربية الحفظ والانتباه وليس هذا هو المقصود ؛ وقد جاء هذا التعبير فى الفصل الأول عن العارف بالله . ولا أظن الأستاذ يستبدل بها « الواعى لله » إذن لكانت خطأ مضحكا ، ونسبة الوعى للروح تدل على أنها التى تعى وتنتبه . وذلك خطأ ؛ لأن المراد هنا من هذا الفصل أن يعرف الإنسان روحه ، كما ورد فى ص ٣٠ « اعرف أنك واحد ، أنك روح فذلك هو السبيل الذى يقودك إلى الوجود الأبدى » أما الكلمة فى اللغة الإنجليزية فتستعمل للمعنيين ؛ الانتباه الظاهرى ، والمعرفة الباطنية ، كما ورد فى دائرة المعارف البريطانية ؛ ولكن ما بعدها هو الذى يحدد معناها ، فترجمتى تنفى هذه الأخطاء المتراكبة .

٣ — خطأ الأستاذ ترجمتى لكلمة worker of the world بعامل الكون ، وصححها بكلمة بارىء الكون التى تقابلها فى الإنجليزية « Creator » وقد ورد قبل هذه الكلمة فى الكتاب بأسطر قليلة : « من طبيعة المعرفة والقوة والعمل » وورد أيضاً « دعنا ننزع من أفكارنا الوهم الضعيف الذى يجعل من فرحك شيئاً منفصلا عن عملك » فلا معنى الكلمة الصحيح ، ولا سياق الكلام يثبت صواب الأستاذ وخطئى ولكنه يثبت الضد .

٤ — انساق الأستاذ مع التجنى فحرف جملة موجودة فى الكتاب ؛ ثم خطأ التحريف الذى حرفه بنفسه ، وهذه الجملة كما وردت فى كتابى ص ٣٠ : أولئك الذين صفت أفكارهم — لا غير — هم الذين ينالون الفرح الدائم . وقد حرفها إلى قوله : الذين صفت أفكارهم لا غيرهم الذين ينالون الفرح ؛ ولست أدرى أهذا من ضعف البصر عند الأستاذ أم من ضعف البصيرة

وهناك كلمتان خطأها وأثبت صوابهما ، بينما تصح فيهما الترجمتان ، ولكن سياق الكلام يحتم ترجمتى :

١ — كلمة its part يصح فيها معنى دورها أو معنى جزئيتها التى انصرفت إليها ؛ ولكن الأستاذ لو قرأ قبل ذلك بسطور : « إن الحقيقة الصادقة أننا لا نستطيع أن نحيا إذا قسمناه — الذى هو حق — إلى جزءين ، يجب أن ننوى فيه ظاهراً كما ننوى فيه باطناً » لما أسرع بإثبات الخطأ لى ، ولأثبته لنفسه .

٢ — كلمة play of life and death يصح فيها معنى رواية الحياة والموت على أسلوب منحرف فى اللغة الإنجليزية ، كما يصح فيها معنى لعب الحياة والموت على أسلوب صحيح ، وفى الصفحة التى قبلها ما يحتم الترجمة الثانية وينفى الأولى . إذ يقول : إن إرادته هى التى وضعت الحدود لذاته كلاعب الشطرنج يحد إرادته فى لعبه بالقطع ... والقانون الذى جعل الأرض والماء هو فان ينفصل به اللاعب عن لعبه ففى ذلك يوجد فرح اللاعب ، فسياق الكلام ، والأسلوب الصحيح يخطىء الأستاذ ويقف معى



من أساطير القدماء :

خصومة فى الحب !

للأستاذ ماجد فرحان سعيد

[نقلت عن الانجليزية من كتاب (أساطير بلفنش)
Bulfinch's Mythology ... ...]

فى يوم من الأيام ، رأت يونو Juno — زوجة المشترى وحارسة النساء — سحابة مظلمة فوق رأسها ، فساورها الشك بأن زوجها قد أقام تلك السحابة ليخفى عن عيون الناس بعض أعماله المستنكرة ؛ ولذا أمرت السحابة بالانقشاع ، فتلاشت فى الحين ؛ وإذا بزوجها جالس على ضفة نهر لجينى الصفاء ، وبجانبه عجلة جميلة . فاشتبهت يونو بأن شكل العجلة يخفى جورية هيفاء فاتنة الجمال . وفى الحقيقة كان ظنها صادقاً ، لأن زوجها — وهو إله السماء العظيم وملك الآلهة جميعها — كان يداعب إيو Io إبنة إله النهر إناخوس Inachus — وعند ما أحس مقدم زوجته غير شكل الحورية .

ثم جلست يونو بجانب زوجها ، وبدأت تثنى على جمال العجلة وتسأل عنها وعن القطيع الذى تنتمى إليه . أما زوجها ، فلكى يوقف هذا الفيض المستمر من الأسئلة ، أجاب بأنها مخلوقة

بقيت لى نصيحة أنصح بها الأستاذ ؛ وهى أن التهجم فى النقد قبيح ولو كان على صواب ، فما بالك إذا كان ممن يخطىء الصواب البين ، ليأتى بدله بالخطأ الواضح ، وما بالك إذا كان من رجل غير متثبت من كلامه ، يهجم والأرض مزعزعة تحت أقدامه ؟

(أسيوط) **محمد محمد على**

مضحكات مبكيات :

جاء فى عدد الرسالة الغراء رقم ٧١٨ تحت عنوان مضحكات مبكيات بقلم السيد صلاح الدين المنجد ما نصه :

« لقد صادفت اليوم فى طريقى طالباً فى الجامعة (يعنى الجامعة السورية) فحدثنى حديثاً أهمنى . حدثنى أن أستاذه قرأ عليه نصاً فيه :(لبس ثوب الحِداد) فقرأها « الحدّاد » فلما قال له الطالب : إنها الحِداد يا أستاذ ! انتهره وأصر على أنها الحدّاد . ثم ساق الأستاذ على ذلك دليلا تمسك به فقال هكذا أخذناها عن المستشرق فلان ... أتعلمون من هو هذا المستشرق ؟ إنه أوسع أهل الاستشراق علماً ، وأذكاهم فهماً ، وأفصحهم لساناً ، وقوله لا يرد لأنه ثقة ، ضابط ، محرر » .

ومن المؤلم أن ينشر السيد المنجد هذا الخبر قبل أن يتحقق من صحته . وحقيقة الأمر أن الأستاذ الجليل عز الدين التنوخى عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ، ومفتش اللغة العربية فى وزارة المعارف فى الجمهورية السورية ، وأستاذ النحو والصرف فى فرع اللغة العربية من كلية الآداب فى الجامعة السورية ، أراد فى أحد دروسه أن يرمى كعادته على طلابه نكتة ليخفف عنهم قليلا من عناء الدرس فقال ما معناه :

مهما تعمق المستشرقون فى دراسة لغتنا العربية ، ومهما توسعوا فى الاطلاع عليها فلا يستطيعون أن يتفهموا معانيها كما يتفهمها أبناؤها . ومما يروى عن أحدهم وهو من كبارهم أنه بينما كان يقرأ نصاً عربياً على طلابه قرأ « لبس ثوب الحدّاد » بدل لفظة « الحِداد » ولما راجعه أحد طلابه قائلا : « إنها الحِداد وليست الحدّاد يا أستاذ » أصر الأستاذ المستشرق على لفظة الحدّاد مفسراً ذلك بقوله بما أن ثوب الحدّاد أسود مما يصيبه من هباب الفحم الأسود فإنه يقال لمن يحزن أنه لبس ثوب الحدّاد كناية عن الحزن !

هكذا روى أستاذنا الجليل التنوخى النكتة ، وعلق عليها بما قدمت . فالقضية إذن لا تتصل بأستاذ جاء من أوروبا ولكنها تتصل بأستاذ لم يذهب للدراسة فى أوربا أبداً .

أما الدكتور أمجد الطرابلسى الذى درس فى أوربا ويدرس لطلاب فرع اللغة العربية تاريخ الأدب ، والنصوص الأدبية ، فلا يحتاج إلى تعريف .

وأما بقية ما جاء فى كلمته فليس لى اطلاع على حقيقته لأنه لا يمت إلينا بصلة ولكنى أحب للسيد المنجد ألا يتسرع فى نشر أخباره قبل أن يتحقق منها تماماً والسلام .

عمر توفيق جعفر أغا

بريئة خرجت من الأرض قبل مدة وجيزة ؛ فطلبتها يونو هدية منه ، فحار فيما يصنع ، إذ كان يحز فى نفسه وبعضها أن يهب خليلته لزوجته ، ولكن كيف يمكنه أن يضن عليها بهدية زهيدة كهذه المعجلة ، ألا يكون قد أثار فى نفسها عاصفة هوجاء من الشك والارتياب ؟! فوافق على ذلك ؛ أما زوجته فظلت الشكوك تتطرق إليها ، ولذا عهدت إلى أرجوس argus مراقبة المعجلة والمحافظة عليها .

وكان لأرجوس مئة عين فى رأسه ، فلم يتعود النوم بأكثر من اثنتين منها ، لتظل إيو تحت المراقبة المستمرة . وكانت إيو ترعى سحابة النهار ؛ وعند ما يزحف الليل بجحافله يربطها حارسها بحبل خشن حول عنقها . وكم كانت تود لو تستطيع مد يديها لتضرع إليه أن يطلق سراحها ويمنحها الحرية ! غير أنها كانت تحجم عن ذلك لأن خوارها مرعب لدرجة عظيمة . وكان أبوها وأخواتها يقتربون منها ، ويربتون لها على ظهرها ، ويعجبون بجمالها ، ويغرقون فى استحسان شكلها ، ويقدمون لها حزماً من الحشيش الأخضر فتلعق أيديهم الممدودة. وأخيراً سولت لها نفسها أن تعترف عن اسمها لأبيها وتعرب له عن رغبتها ، غير أنها لم تكن تقوى على التعبير عن شعورها ؛ فعن لها أن تحفر له اسمها على الرمل بظلفها . أما إناخوس فيزه ؛ وعند ما عرف أن ابنته التى كان ينشدها من غير جدوى متنكرة بتلك الهيئة ، علا وجهه ضباب قاتم من الحزن ، وعانق على الفور جيدها الناصع الجميل ، وصرخ قائلا : « لهنى عليك أيتها العزيزة الغالية ! فلأن أفقدك بالمرة أهون على من رؤيتك بهذه الحالة ! » وعند ما لاحظ الحارس ذلك ، جاء وساقها أمامه وجلس فى محل عال يتمكن فيه من رؤية ما حوله .

أما المشترى ، فقد كان يزعجه كثيراً أن يرى خليلته تعانى أبرح الآلام والأهوال ؛ فالتجأ إلى عطارد — رسول الآلهة — وطاب إليه أن يدبر حيلة تنتهى بالتخلص من الحارس . فأسرع عطارد واحتذى خفيه المجنحين ، ولبس قبعته ، وتأبط عصاه السحرية ، وقفز من أبراج السماء إلى الأرض ؛ وهنالك خلع أجنحته واحتفظ بعصاه وتظاهر بأنه راع يسوق قطيعه . وكان فى طريقه يعزف على سرنكس Syrinx مزماره الفريد ، فأطرق أرجوس وأرهف مسمعه للنغمات العذاب التى أخذ يصدح المزمار بها ، إذ لم يكن رأى مزماراً كهذا من قبل . فناداه قائلا : « تعال هنا أيها الشاب واجلس بجانبى على هذا الحجر ؛ لتكن نفسك مطمئنة ، إذ لا يوجد مكان يكثر فيه العشب كالمكان الذى ارتادته أغنامك ؛ وههنا الظل الظليل الذى يتوخى الرعاة أن يصطفوا فيه مجالسهم » فجلس عطارد بجانبه ، وأخذ يخوض معه فى أحاديث متنوعة ، ويقص عليه الأقاصيص الطريفة ، ويعزف على مزماره صوادح الألحان التى تبعث النوم إلى الأجفان ... كانت الشمس قد آذنت بالمغيب ، وخضبت وجنة الأفق بأشعتها السحرية التى تبهج النفوس . أما الحارس ، فقد ظل يقظان ليقوم بالمراقبة ، بالرغم من كل الجهود التى بذلها عطارد ليجعل النعاس يستحوذ عليه ، والمجموع يستبد بجفونه . ومن بين تلك الأقاصيص قصة اختراع آلته الصداحة ، قال : « كانت تعيش حورية حسناء تدعى سرنكس ، وقد تيم حبها الجنيين وأخذ بمجامع قلوبهم ، ولكنه لم يخطر ببالها قط أن تتزوج أحداً منهم لأنها كانت متعبدة مخلصة لديانا Diana — إلهة الصيد . وكانت سرنكس مغرمة بالصيد أيضاً ، فلو رأيتها فى زيها لما ونيت دقيقة بأن تحسبها ديانا نفسها . فالشىء الوحيد الذى يفرق بينهما هو أنها اتخذت قوساً قرنية ، بينما اتخذت ديانا قوسها من الفضة الخالصة . وفى ذات يوم بينما هى راجعة من الصيد التقى بها پان Pan — إله الرعاة والقطعان — وأخذ ينظم لها العقود المنضدة من عبارات الغرام . ولكنها جعلت ذلك دبر أذنيها وولت هاربة بيد أن پان حفز فى أثرها ، وأدركها عند ضفة النهر ؛ وهنالك طلبت المعونة من صويحباتها — عرائس الماء — فوافقن على إجابة طلبها . أما پان فطوقها بذراعيه ، ولكنه سرعان ما دهش عند ما رأى أنه يطوق مجموعة من القصب ! وعند ما تنهد ، سمع للهواء صوتاً داخل القصب ، وكانت النغمة حزينة مطربة ، وأعجبته حلاوة موسيقاها ، وكان لها وقع عظيم فى نفسه ؛ فقال مشدوهاً من شدة الفرح : « وهكذا ستكونين لى ! » . فأخذ بضع قصبات متفاوتة فى الطول والقصر ، ووضع بعضها بجانب البعض

الآخر ، وصنع آلة موسيقية جديدة أسماها سرنـكس ، تذكاراً لتلك الحورية » . وما كاد عطارد ينهى أقصوصته حتى مد النعاس إلى الحارس ذراعيه ، وطوق بهما عنقه ، فأغفى . ولما رأى عطارد أن الحارس قد اطمأن إلى النوم ، فصل رأسه عن جسمه بضربة قاضية دحرجته عن الصخور ، وأطفأت نور عيونه المئة إلى الأبد أما يونو فأخذت عيونه وزخرفت بها ذنب طاووسها ولا تزال عليه إلى اليوم .

ولـكن يونو لم تـكتف بالانتقام من إيو على هذه الصورة ، بل سلطت عليها ذبابة خيل لتسومها سـوء العذاب أينما تذهب وتحل . أما إيو فطافت العالم كله لتأمن شرها : سبحت فى البحر الأيونى الذى اشتق اسمه من اسمها وقطعت سهول اليريا Illyria ، وصعدت فى جبل هيموس haemus ، واجتازت مضيق البوسفور وجالت فى أراضى سيثيا Scythia ، حتى وصلت أخيراً إلى ضفاف النيل ؛ فاستشفع المشترى لها زوجته بعد أن وعدها أن لا يولى خليلته أى اهتمام بعد ذلك الوقت ؛ وعندئذ سمحت زوجته لإيو أن تسترجع شكلها الأصيل . وكم يبدو غريباً أن تشاهدها وهى تسترجع ذلك الشكل ، فيسقط الشعر الخشن عن جسمها ويتقلص قرناها ، وتضيق عيناها ، ويقصر فمها ، وتستبدل بأظلافها أنامل رخصة ؛ غير أنها كانت تخشى الـكلام ظناً منها أنها ستخور ؛ ولـكن ثابت لها بالتدريج شجاعتها وثقتها بنفسها ؛ فذهبت لتعيش مع أخواتها وأبيها .

***

وكالستو Callisto حسناء ثانية أضرمت سـعير الحسد فى صدر يونو ، فمسختها الإلهة دبة قائلة لها : « لأسلبنك تلك الفتنة التى استهويت بها زوجى فمنا لها ! » . وعندها خرت كالستو على ركبها ، وحاولت أن تتوسل إلى يونو ، غير أن يديها بدأتا تتغطيان بشعر أسود ، وتتسلحان بأظافر ملتوية . وأما ذلك الفم الذى طالما تغنى المشترى بجماله ، فصار ينفرج عن فكين شنيعين ؛ وأما صوتها الذى لو بقى على حاله لأثار كوامن الحب والشفقة فى القلوب ، فتحول زمجرة مرعبة . ولـكن مزاجها الأصيل بقى على حاله ، فلم يعتره أقل تغيير أو تبديل . وبتلك الزمجرة المستمرة ، كانت تندب سوء حظها وتستعطف الرحمة من قلوب الراحمين ؛ ولـكنها صارت تشعر بأن المشترى عدم الشفقة ، مع أنها لم تجهر بما تضمر . وفى مناسبات عديدة ، كانت تخشى البقاء فى الأحراج وحيدة طوال الليل وخصوصاً بين الـكلاب التى تخيفها بهريرها ، فتنطلق نافرة من الصيادين . ولقد بلغت بها شدة الخوف إلى أن صارت تهرب من الوحوش البرية حتى من الدببة ، متناسية أنها أصبحت من معشرهن .

وفى ذات يوم رأت شابا يصطاد فى الحرج ، فأيقنت أنه ابنها ، وثارت فى نفسها آنئـذ أمواج من العواطف الأبوية ؛ فتوقفت وأرادت أن تعانقه . وعند ما اقتربت منه وجف قلبه ، فأشرع رمحـه ، وأوشك أن يطعنها به ؛ غـير أن المشترى حسما لوقوع الجريمة اختطف الإثنين إلى السماء ، واتخـذ منهما الدب الأكبر والدب الأصغر .

فثارت ثائرة الغضب فى صـدر يونو عنـد ما رأت خصمها متسنمة عرش السماء ؛ فأسرعت تيثيس .Tethys وأوشـيانوس Oceanus — وهما إلهـا البـحار — وخاطبتهما قائلة : — « أتسألان مليكة الآلهة لمـاذا انحدرت من السهول السماوية إلى هذه الأعماق ؟ أجل ! انظرا عند ما تخيم الظلمة ترياً بجانب القطب الإثنين اللذين بولغ فى إكرامهما وحلا محلى فى السماء ! أتظنان بأن أحداً بعـد اليوم سيقيم لى وزنا أو سيبنى فى احتقارى عند ما يعلم بأن الإساءة إلىّ تقصى عنى مثل هـذه المكافأة ؟ ! هذا ما استطعت أن أعمله وهـذه سعة قدرتى ! ! حرمتها من شـكلها البشرى لحلت بين النجوم النيرات ! ! إنه لمن الأفضل أن تستعيد شـكلها القديم كما فعلت إيو عند ما تجاوزت عنها ؛ لهذا السبب جئت مستغيثاً بكما — إن كنتما ترأفان بى وتستنـكران هذه المعاملة السيئة التى نـكبت بها — أن تثأرا الحق المسلوب ، وتمنعاهما من المجىء إلى مياهكما » .

فوافق الإلهـان على ذلك ، إذ منعا الدب الأكبر والدب الأصغر من أن يغيبا تحت البحار كما تفعل غـيرهما من النجوم ، وفرضا عليهما الدوران الدائم فى السماء .

القدس — كلية تراسانطا ماهر فرهاد سعيد

مطبعة الرسالة

العدد ٧٢١ — الاثنين ٢٨ ابريل ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٠٣٤

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

9me Année No. 721

Lundi — 28 — 4 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر المالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢١ « القاهرة في يوم الاثنين ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٦ — ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

روح اليابان ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءني الخطاب الآتي من الأستاذ « محمود محمد الحبيب » المعلم بمدرسة المربد بعشار البصرة قال فيه بعد ثناء نشكره عليه :

« ... نقرأ الشيء الكثير من الأدب الإنكليزي ، وأكثر منه من الأدب الفرنسي ، ونطالع الأدب الأمريكي والألماني واليوناني ؛ ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فكشفت لنا القناع عن الأدب الواقعي الروسي خاصة في الأقاصيص . كذلك لنا نظرات في الأدب الصيني والهندي طالعناه في كثير من الكتب المعربة ؛ ولكن شيئاً واحداً هو الذي لم يحظ من أدبائنا بالعناية . ذلكم هو الأدب الياباني . وهذا ما أردت من سيدي أن يلقي عليه شيئاً من أنواره ليكشف لنا مجاهله ومراميه ... وقد عرفنا بعض فلاسفة الصين ، فمن يقود الحركة الفلسفية في اليابان ؟ » إلى أسئلة من هذا القبيل تتلخص في السؤال عن « روح اليابان » كما تتمثل في عالم التفكير والإبداع الأدبي والفنون .

ومما هو غني عن الشرح أن أمة كبيرة عريقة التاريخ كالأمة اليابانية لا تخلو من أدب وفن وفلسفة على نمط من الأنماط

ولكن الأستاذ الحبيب على صواب حين يقول إن الآداب اليابانية لم تظفر من الغربيين ولا من العرب بالعناية التي ظفرت بها آداب الصين أو الهند القديمة . ويبدو لنا أن السر في هذا يرجع إلى المنافسة السياسية أو الحربية بين اليابان والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا على الخصوص . فإن الأمريكيين والإنجليز والفرنسيين لم ينظروا إلى الصين والهند نظرتهم إلى منافسين يهددونهم في ميادين التجارة والاستعمار ، ولكنهم نظروا هذه النظرة إلى اليابانيين ، فكان لهذه المنافسة شأن في الجفاء الذي قوبلت به آداب اليابان بين الناطقين باللغتين الإنجليزية والفرنسية ومن يعتمدون على هاتين اللغتين في الاطلاع على الآداب العالمية .

وقد ظفرت الصين والهند بالعناية الكبرى من مترجمي الآداب الشرقية لسبب آخر غير هذه المنافسة الاستعمارية ، وهو أصالة الآداب الصينية والهندية وغلبة الاقتباس على الآداب اليابانية . فإن الهند أولا والصين ثانياً هما مرجع الثقافة الأولى التي عول عليها اليابانيون قبل نهضتهم الأخيرة منذ أواخر القرن الماضي ، فلما نهضوا نهضتهم تلك في العصر الحديث كانت ثقافتهم نسخة مصحفة من الثقافة الأوربية أو الأمريكية ؛ فلم يحفل بها الأوربيون والأمريكيون لأنهم يطلبون الغرائب ولا يحفلون كثيراً بنقل الآثار الفنية التي تشبه ما تعودوه وألفوه .

وقد حال بين الأمة اليابانية وبين تسجيل مأثوراتها الشعرية والنثرية أنها لم تعرف الكتابة قبل القرن الرابع للميلاد ، ولم يكن شعراؤها وأدباؤها من جمهرة الشعب ولا من أوساط الناس في أكثر الأحوال ، بل كانوا من الأمراء والكهان والأساتذة الذين يقرضون الشعر كما يقرضه المترفون في أوقات الفراغ .

على أن هذا كله لم يمنع العبقرية اليابانية أن تسلك طريقها إلى

اللغات الأوربية ، فتجلت تلك العبقرية فى نمطين من الشعر تملو فيهما الصبغة القومية على كل صبغة ، وهما مقطوعات « الهاكو » ومنظومات الوقائع الحماسية التى وضعوها قديماً فى أسلوب الروايات التمثيلية .

أما مقطوعات « الهاكو » فهى أشبه الشعر بما طبع عليه اليابانيون من الدقة والأناقة ، وهى مقطوعات لا تتجاوز الواحدة منها بيتين أو شطرين . ومن أمثلتها التى نشرناها فى بعض مقالاتنا بيت يقول فيه الشاعر وقد نظر إلى شجرة : « ها قد سقطت هنالك زهرة كلا إنها فراشة ! » وبيتان يقول فيهما الشاعر فى حقائق الحياة وأوهامها : « ما دمت أعلم أن الوقائع التى نشهدها ليست هى كل اليقين ، فمن أين لى أن أحلام المنام ليست سوى أحلام ؟ » .

وكل هذا الشعر على هذا النحو من الدقة التى تتلألأ فى ألفاظها الوجيزة كما يتلألأ الفص النفيس فى الخاتم الفريد . وأكثر ما ينظمونه فى الوصف والحكمة على هذا المثال .

أما شعر الحماسة فى الروايات التمثيلية أو القصائد المطولة فهو من سليقة اليابان التى استقلوا بها عن المقتبسات الصينية ، لأن أهل الصين لا يقدسون المجد العسكرى كما يقدسه جيرانهم الشرقيون

وأشهر شعرائهم فيه « شكامتسو » الذى يلقب بشكسبير اليابان . وقد ترجمه إلى الإنجليزية أديب يابانى معاصر هو الأستاذ اساتارو ميامورى Asataro Miamori أستاذ الأدب الإنجليزى فى جامعة توكيو ، وقدم له تقديماً حسناً يغنى بعض الغناء عن المطولات فى التعريف بهذا الفن الخاص من فنون بلاده .

ومهما يقل القائلون عن غاية الاقتباس على الفنون اليابانية فما لا شك فيه أن هذه الأمة مطبوعة على ذوق الجمال الأنيق والإعجاب بمحاسن الطبيعة . وقد شاءت لهم هذه الطبيعة أن يتفرغوا للأناقة وحدها بين أفانين الحسن والملاحة . فكانت الأناقة أيضاً هى السمة الغالبة على فن العمارة فى جزائرهم البركانية ، لأنهم قد استغنوا عن فخامة البناء بالأكواخ الصغيرة والجواسق المنمقة ، فاتفقت لهم أسباب الأناقة فى جميع الفنون .

ولا يخفى أن الأناقة تكون مع الاقتباس كما تكون مع الاختراع فتأنق اليابانيون فيما اقتبسوه كما تأنقوا فيما ابتدعوه .

إلا أنهم محافظون تقليديون فى عاداتهم ومشاربهم قبل كل شىء

وآية هذه المحافظة التى تغنى عن إطالة البحث فيما عداها أنهم لا يزالون يعبدون الملوك ، ولا تزال أسرة المالكين المعبودين فيهم هى الأسرة التى ملكتهم وحلت بينهم محل الأرباب منذ عشرات القرون .

أما الفلسفة فهى كما يعلم القراء على اقتران دائم بالعقائد الدينية ، ولا سيما فلسفة البحث فيما وراء الطبيعة .

وقد أخذ اليابانيون عقائدهم من البوذية الصينية ، وأخذوا عن أهل الصين كل تصرف فى هذه العقائد ، سواء منها عقائد العبادات وعقائد السلوك .

ونشأ بينهم قديماً حكماء على نهج الحكماء الصينيين ، محور حكمتهم الوصايا السياسية وقواعد العرف المرعى فى المعيشة اليومية . وقل بين حكمائهم من توسع فيما بعد الطبيعة وتابع النساك البوذيين فى التوجه إلى الحقائق المجردة والإعراض عن الأوهام الدنيوية ؛ لأن اليابانيين دنيويون بالسليقة لا يسيغون فلسفة التجرد وإنكار الحياة .

لا جرم لم تكن لليابانيين إذن فلسفة مستقلة فيما وراء الطبيعة ، ولم ينبغ بينهم الفلاسفة كما نبغ الشعراء الغنائيون والحماسيون ومهندسو البناء ومنسقو الحدائق ومنازه الجبال .

وقد ظلوا كذلك إلى القرن الماضى الذى ترجموا فيه المذاهب الفلسفية عن الغربيين ، فاستبدلوا تقليداً بتقليد ، ولم ينجبوا بعد فيلسوفاً يبدع لليابان مذهباً لا يدين فى جوهره ولبابه لأحد من فلاسفة الأوربيين والأمريكيين . وربما كان أروج الفلاسفة بينهم سبنسر ووليام جيمس وكارل ماركس ونيتشه ، أو أقربهم إلى مذهب العمل والكفاح .

فالروح اليابانى كما يتراءى فى ثقافته وفنونه يتلخص فى المحافظة والاقتباس وإثبات السليقة اليابانية بعد ذلك بالأناقة والحركة والنزعة العملية ، أو يتلخص فى كلمة واحدة هى « الدقة » التى تبدو فى الطبيعة والصناعة ، وتبدو فى الأبدان كما تبدو فى الأذواق والأذهان

وليس هذا التعريف على كل حال بالتعريف الذى يحيط بموضوعه ، ولكنه موضوع لا يحاط به فى مقال ، وربما كان بهذا القدر مفيداً على الأسلوب اليابانى الذى أشرنا إليه .

عباس محمود العقاد

وكم فى مصر من بنات أمبان (*) !

للأســتاذ على الطنطاوى

إجلاء هذه البنت عما تسمّيه ملك أبيها ، أعظم عندى من إجلاء الانـكليز عن مدن مصر .

لأنها تحتل بحق (التملك ...) وأولئك يحتلون بسيف الغصب .

ولأنها توشك أن تصير (كما صار غيرها) مصرية ... فى سجلات الإحصاء ، على حين أنها لا تزال أجنبية الدم والهوى واللسان ، وأولئك يبقون انكليز غرباء ، غاصبين أعداء ، ويبقون قذى فى عين كل مصرى ، وغصّة فى حلقه ، وثقلا على قلبه ، حتى يخرجوا ، وما من خروجهم بدّ ، لأن الباطل إلى اضمحلال وإن كانت له جولة ، والحق إلى ظفر وإن كانت له كبوة ، وقد طالما بغى باغون ، وظلم ظالمون ، ولـكن لم يدم باغٍ ولا خلد ظالم !

هذه البنت وأمثالها شر من الانكليز ، وسند التملك فى يدها أقطع فى رقابنا من السيوف فى أيديهم ، وفندقها فى مصر الجديدة أخطر على استقلال مصر من ثكنات قصر النيل ، لأن المصيبة فى هؤلاء أنهم يعدون (فى جنسيتهم الرسمية) منا ، وهم فى حقيقتهم من غيرنا ، فيدخلون فى الأمة دخول السم فى الجسم ، وصندوق الديناميت بين أحجار البناء ، ويكونون منا كالشيطان من الإنسان يجرى منه مجرى الدم ، فلا يستطيع الخلاص من شره ، ولا النجاة من أذاه . ثم إن أصحاب كل بلدٍ هم ملاّك أرضه ، وأصحاب عماراته ، هم سادته ، وهم الحاكون فيه ، فإن شاؤوا عطلوا هذه الأراضى وتركوها مواتاً فجعلوا البلد مقفراً ، وردّوه فقيراً ، وإن شاؤوا أخلوا عماراتهم للبوم والعناكب أو هدموها ، وإن شاؤوا أدخلوا الناس إليها وأسكنوهم فيها ، وإن شاؤوا أخرجوهم منها وأغلقوا دونهم أبوابها ، فمن هو الذى مكّن لهذه البنت وأمثالها أن يكونوا هم ملاك هذا البلد ، وترك الـكثير من أهله حفاة عراة جائعين ، يدورون يسألون هذه (الخواجاية) صدقة وإحساناً ، فتزورّ عنهم وتنأى بجنبها ، وتصعّر خدها ، وترميهم بكل قبيحة من فمها الجميل ...

من الذى أجرم هذه الجريمة الـكبيرة ، أو غفل هذه الغفلة العجيبة ، حتى أصبحنا اليوم والمتاجر الـكبرى للخواجات ، والفنادق للخواجات ، والقهوات للخواجات ، وأكبر العمارات يملكه الخواجات ، وأفخم السيارات يركبه الخواجات ، حتى إن شارعاً عظيما هو شارع قصر النيل ، لا يملك فيه المصريون ، كما أخبرنى الثقة ، إلا ثلاث عمارات فقط ، بقيت مصرية لأنهـا موقوفة ... وسائره للخواجات. فماذا ينفعك أنك مصرى مستقل، وأن الوادى وادى أبيك وجدك وواديك ، إذا كان الخواجة يستطيع أن يطردك من مأواك ، فلا تلقى إلا بإذنه سقفاً يكنُّـك ، وأن يعريك فلا تجد إلا بإذنه ثوباً يسترك ، وأن يسيّرك فلا تصل إلا بإذنه إلى ترام يحملك ؟

ما الاستقلال وأنت محتاج إليه فى كل شىء ؟ ما العزة ؟ وأنت تأكل الخبز الأسود وهو يأكل لباب البر من أرض مصر ؟ وأنت تسكن الـكوخ المهدم وهو يملك الصرح الضخم على أرض مصر ؟ وأنت تشرب المـاء العكر وهو يشرب الرحيق المصفّى من خير مصر ؟ وأنت تمشى حافياً وهو يختال بسيارته على ثرى مصر؟ وأنت تلبس الجلباب الخلَق وهو يتخذ الثياب الرقاق من قطن مصر ؟ أيصير الغريب صاحبَ البلد ، وابن مصر يصير غريباً فى مصر ؟ هذا فظيع ! هذا (عهد المماليك) يعود بثوب جديد !

لمـا كنت فى العراق كنت أرى بعض العراقيين يظهرون الـكراهية للمدرسين السوريين ، وينفسون عليهم رواتبهم التى يأخذونها ، ويقولون لهم ، أنتم آتون (لتقشمرونا) ، ويبغضون السورى الذى يزاحمهم على مورد الـكسب فى التجارة ، ومنبع الربح فى العمل ، فـكنت أتألم من ذلك وأقول ، ليتهم تعلموا اللطف ومحبة الغريب . فلما جئت مصر ، ورأيت هذا اللطف وما جر إليه من الضعف ، وحب الغريب وما أوصل إليه من الخراب عرفت أن الخير فيما يفعل العراق .

وأنا لا أدعو العرب ليكره بعضهم بعضاً ، ولـكن أدعو إلى شىء معقول : هو أن العرب اليوم فى أقطار العربية كلها ، كجيش

(*) جلست بنت البارون أمبان صاحب شركة (مصر الجديدة) فى فندق (هليوبوليس بالاس) مع شابين انجليزيين ، وكان على مقربة منهم الضابط الطيار صدق فجرت بينهم مناقشة فى الجلاء ، فقالت الفتاة : « إن المصريين من غير الانجليز صفر ... » فلما أنكر عليها الضـــابط وألزمها بالاعتذار أصرت على قولها وأوعدته بالطرد من فندقها ومدينتها ... وبلغت تلك الحادثه صاحب الجلالة الملك فكرم الضابط بأن ذهب إلى الفندق وأجلس الضابط معه على المـائدة التى كان يجلس إليها ثم قال جلالته بعد العشاء : « إنى أول من يرحب بضيوفنا الأجانب الذين يحبون مصر ، ولكن عند ما أسمع ابنة البارون أمبان تشتم مصر والمصريين لا يمكننى أن أسمح ببقائهـا فى مصر » ....

فى مصافه ، على كل فرقة أن تدفع العدو عن حماها ، ولا تدع الجيش يؤتى من قبلها ، ونحن نحارب (فيما نحارب) الفقر والإفلاس ، فعلى كل قطر عربى ألا يدع فى أبنائه فقيراً ، وألا يترك فيه رجلا بلا عمل ، وأن يمنع الغرباء عنه من مزاحمة أهله فى زراعته وتجارته وصناعته ، حتى إذا اشتغلوا جميعاً ، وبذلوا قواهم كلها ، وبقى فيه بعد ذلك فراغ لأيد غير أيديهم ، وأموال غير أموالهم ، استعانوا بأبناء الاقطار العربية الأخرى ، ولم يفتحوا لهم الباب إلا بمقدار الحاجة ، أما أن يجىء السورى ليعمل فى مصر ، ويجىء المصرى ليشتغل فى الشام ، ويترك أهل البلد بلا مال ولا عمل ، فتفسد البطالة أخلاقهم ، ويذلّ الفقر نفوسهم ، ويعلّمهم هذا وذاك كره أخيهم العربى ، فليس من مصلحة العرب أن يكون . هذا رأيى أعلنه بلا جمجمة ولا مداراة .

وهذا للعرب . أما (الخواجات) فأجلوهم عن بلادكم إجلاء تاماً فلا يأتوها إلا سياحاً أو زوّار آثار . وارفعوا أيديهم عن مرافقها فلا يملكوا منها إلا مايملك مثله الأجنبى فى بلادهم . وكل بلاد الدنيا ، تمنع الأجنبى أن يملك فيها أرضاً أو عقاراً إلا برسوم فما بال مصر مائدة ممدودة لكل طاعم ، وكنزاً مفتوحاً لكل آخذ ؟ وما بال الخواجة يجىء مصر فقيراً مفلساً ، لا يبتغى إلا القوت يمسك رمقه أن يموت ، ولا يتمنى إلا قرشين يعود بهما إلى بلاده ، فلا تمر السنون حتى يصير الفقير غنياً ، والواغل على البلد مالكا له ، ويغدو الشحاد صاحب المنزل ؟ ويجىء معه بالغانية راقصة أو بغياً ، فيقدمها للمصرى بيد ويأخذ منه الأسناد على موسم القطن بيد ، ثم تتجمع الأسناد فتأ كل الموسم ، ثم نعجز المواسم عن سداد الدين ، فيملك الأرض ، ثم تتبدل الدنيا غير الدنيا ، وينقلب الفلك ، فيصير السيد عبداً ، والعبد سيداً ...

هذا احتلال شر من احتلال الجيوش الانكليزية ، لأنه احتلال الومسات : راقصات وأرتيستات ، واللصوص : أصحاب متاجر وأعضاء شركات . والخلاص منه أصعب وأشق ، لأنه لا يكون بالرصاص والبارود ، ولا يكون بالمظاهرات والثورات ، بل يكون بإعلان (النفير العام) فى الكتاب أولا ، وبتجنيد القوى الأدبية كلها ، للعمل على إعلاء همة هذا الشعب ، وأن نعيد إليه ثقته بنفسه ، وأن نردّ عليه عزّته و كبرياءه ، حتى ترتفع هامته ، وتشتد عضلاته ، ويشمخ أنفه ، ويعلم أنه لا يكون حقيقاً بملك مصر ، ولا أهلا للاستقلال ، ولا سليل من ملكوا الدنيا ، إن لم يكن عزيزاً فى نفسه ، سيّداً فى بلده .

ثم نعمل على أن نصب فيه روح المغامرة ، وندفعه إلى اقتحام المخاطر ، وركوب الأسفار ، ونعلمه حب المال ، فما يفلح شعب لا يحب المال ، ولا يعرف قيمته ، ولا يفلح شعب لا يريد فراق وطنه ، ولا النأى عن عشه .

ثم نعلمه بغض الأجنبى ، حتى يكون له ديناً ، ويغدو له طبعاً ، نعم البغض ... لماذا تنفرون من سماع هذه الكلمة ؟ ألأنها منافية للّطف والمجاملة والكرم ؟ يا ناس . لقد قتلنا اللطف ، لقد ضيعتنا المجاملة ، لقد أودى بنا الكرم . الكرم صيّرنا شحادين ، والتواضع جعلنا عبيداً ، فلنتعلم الاقتصاد ، والعزة ، أو فلنعلمهما أولادنا إذا لم يمكن أن نأخذ بهما نفوسنا .

ثم لنفهم هذا الشعب أن الأوربى يضحك علينا بالأرتستات والخمور والأزياء ، كما يضحك على زنوج أفريقية بالخرز والأجراس ، فلنره أننا عقلنا وشبينا عن الطوق ، وأننا لم نعد نرضى أن يضحك أحد علينا ، وما لنا ولارتستاته وعندنا نساؤنا أزكى وأطهر وأجمل وأكمل ؟ وما لنا ولأزيائه ولنا أزياؤنا ؟ وما لنا ولخموره ولنا ... شرائعنا التى تحرم علينا الخمرة ، وأخلاقنا ؟

فإذا استكملنا عدة الهجوم ، شرعنا الرماح وهجمنا ، وخضنا المعركة نحاربه بمثل سلاحه ، بالعلم والجد والدأب والتعاون حتى نلقى عنا هذه القيود التى كبلنا بها ، حلقة بعد حلقة ، كما شدها من حولنا حلقة بعد حلقة ، على أن المعركة قد بدأت من زمان ، وما معامل المحلة الكبرى ، ومصانع الطرابيش والزجاج إلا أعلام النصر فى معركة الوطن ، فلنمض فيها ، ولنؤلف لكل ميدان فرقة : شركة اقتصادية ، فيكون لكل مرفق من المرافق شركة ، حتى إدارة الفنادق والمقاهى ، وتسيير الترام وبناء المنازل .

لقد أعلن فاروق مصر المعركة المقدسة ، بإجلائه هذه البنت عن أرض مصر ، وعقد لكم اللواء ، ورفع العلم فامشوا تحته أدباء واقتصاديين وعلماء ، فإن الميدان يتسع لكم جميعاً ، ويحتاج إليكم جميعاً ، واعلموا أن الاستقلال الحقيقى لا يكون إلا عندما يلتفت المصرى فلا يرى حوله شركة أجنبية ، ولا مدرسة أجنبية ، ولا متجراً لأجنبى ، ولا عقاراً يملكه أجنبى ، وتكون كل خيرات مصر لأبناء مصر !

هذا هو الاستقلال ، فعلى كل مصرى أن يعمل له ما يستطيع !

على الطنطاوى

تلفـــــون الأرواح

للاستاذ نقولا الحداد

ذكر مراسل المصرى الخاص أن المستر جون وليمسن العالم بما وراء الطبيعة قال « إن استعمال آلات تحطيم الذرة فى مضمار الاتصال بعالم الأرواح ، يؤدى أخيراً إلى اختراع تليفون يصل بين عالمنا المادى وعالم الأرواح بحيث يتيسر لأى شخص أن يقتنى آلة تليفونية روحية لا تكلفه أكثر من خمسة جنيهات ويخاطب بها الأرواح » .

إذن فليبشر العلامة الروحانى الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير . لأن أول آلة تصدر من مصنع التليفونات الروحانية ستقدم له هدية بحكم رسالته وجزاء لاجتهاده فيها . وحينئذ سينقم من الساعة التى بدأ يدرس فيها علم الروحانيات لأن ألوفاً من طلاب أرواح أهليهم وأصحابهم سيهجمون عليه لكى يتصلوا بأرواح ذويهم ويزعجونه أى إزعاج ويقبضون على خناقه ريثما تنتشر آلات هذا التليفون فى الأسواق وتتيسر لكل إنسان .

إن نظرية المستر جون وليمسن هذه مسندة إلى نظرية « أن الأفكار تتولد من الطاقة . ولذلك فإن أفكار الأرواح التى تتحدث بطريقتها الخاصة تخلق نوعاً من الذبذبات تصبح إشارات يمكن أن تلتقطها آلة التليفون الروحانى وتقويها وتنقلها » .

هذه نظرية معقولة على فرض واحد لا محيص من تحقيقه بعملية هذا التليفون وهى أن الروح لا بد أن تكون هيولانية أى مادية من طبيعة مادة الجسد ، لأن الطاقة (التى تتولد منها الأفكار كما يقول المستر وليمسن) وذبذباتها أى موجاتها هى خاصة رئيسية للمادة . فالمادة لاتتحرك إلا بما لها من طاقة ، والطاقة لا تحرك إلا المادة .

وإذا كانت الروح شيئاً مادياً كسائر عناصر المادة تسنى لنا أن نظفر بها فى المعمل الكيماوى كما نظفر بالراديوم أو الأورانيوم وفى المصانع الميكانيكية أو فى المطياف أو تحت الميكروسكوب القوى الجديد الذى يعظم مئة ألف مرة . وحينئذ يمكننا أن نشرح الروح كما نشرح الجسد وكما شرحنا الذرة ، وأن نعرف أسرارها كما عرفنا أسرار النور وسائر الموجات الكهربائية . ولعلنا نهتدى حينئذ إلى صلتها بهذه الكهربائية أو نراها حالة من حالاتها . وثم يتيسر لنا أن نتصل بالأرواح عن يد الموجات الكهرتيسية ، وإذن فلايستحيل علينا إذ ذاك اصطناع التليفون الروحانى .

وإذا أمكننا حينئذ مخاطبة أرواح الموتى بهذا التليفون فبالأحرى يمكننا أن نخاطب أرواح الأحياء به مهما كانوا بعيدين عنا . وثمة لا يبقى لزوم للوسطاء بين الأساتذة الروحانيين وأرواح الموتى والأحياء .

ومن أدرانا حينئذ أن يطلع بعضنا على أفكار بعض بناء على نظرية وليمسن (أى أن الأفكار هى ضرب من الطاقة المذبذبة كما قال) . وإذا صح هذا الحلم الجميل فكيف يمكن أن يعيش الناس بعضهم مع بعض وهم يضمرون خلاف مايظهرون ؟ هل يتورعون حينئذ عن الكذب والدس والكيد والغش والزور . وهل يسلكون سلوك الملائكة الأطهار والقديسين الأبرار ويستغنون عن البوليس والقضاء والحكومة والحكام .

ولكن إن صح هذا يستلزم أن يتلاشى الطمع والاستئثار واستغلال القوى للضعيف من الناس . وكيف يمكن هذا إذا كان الناس متفاوتين فى الكفاءات والأهليات والمؤهلات والذكاء ؟ ...

وإذا استرسلنا فى هذه الافتراضات وجدنا العالم منقلباً رأساً على عقب بل مختلطاً بعضه مع بعض وقد انصهر فى بوتقة الروحانيات وانسبك عالماً آخر جديداً . ولعله يكون أفضل من عالمنا هذا . ويكون الله تعالى قد رضى عن خليقته وصاغها خليقة جديدة صالحة

ولكن هل يسلم الروحانيون بأن الروح شىء مادى من صنف مادة الجسد لها طاقة مذبذبة الموجات ؟ أم هى شىء غير مادى . فإذا كانت شيئاً غير مادى فنظرية المستر جون وليمسن تنهار لأنها لا تكون ذبذبات طاقة كما زعم . وإن كانت شيئاً مادياً فالأرواح تنحل بانحلال الجسد ولا يبقى ثمت عالم أرواح .

نقولا الحداد

٤ – تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للاستاذ محمد جمال الدين حسن

أحلام الطفولة :

أظنكم تشعرون أننا قد تقدمنا فى سرعة زائدة عن اللازم ، وعلى هذا فلنقصر من خطوتنا قليلا . تذكرون أننا عندما قمنا بتجربتنا الأخيرة فى محاولة التغلب على الصعوبة التى تنشأ عن التحريف فى الأحلام ، قلنا إنه من المستحسن أن نحتال على ذلك بأن نركز كل جهودنا فى اختبار الأحلام التى تكون خالية أو شبه خالية من التحريف إذا كان هناك أحلام من هذا القبيل . ولكننا بهذا القول نكون قد عدنا إلى البعد عن جادة الصواب ، لأن الطريق الذى سلكناه فى البحث لم يهدنا فى الواقع إلى معرفة شىء عن هذه الأحلام الخالية من التحريف إلا بعد أن طبقنا طريقتنا فى التفسير مراراً وتكراراً على أحلام من النوع المحرف ، وحللناها تحليلا مضنياً استنفد منا مجهوداً كبيراً .

وهذا النوع الذى نبحث عنه من الأحلام موجود فى الأطفال ، فأحلام الطفولة أحلام واضحة ، سهلة الفهم ، متماسكة خالية من التعقيد . وليس معنى هذا أن كل الأحلام فى الأطفال من هذا النوع ، فالتحريف يبدأ عادة فى الظهور من بواكير الطفولة ، وتوجد تحت يدنا أحلام لأطفال بين الخامسة والثامنة تظهر فيها كل الخواص التى تظهر فى أحلام البالغين . ولكنا إذا اقتصرنا على النظر فى الأحلام التى تحدث فى المدة الواقعة بين بدء النشاط العقلى للطفل والسنة الرابعة أو الخامسة من حياته ، وجدنا أنها تحتوى على سلسلة من الأحلام يمكن أن نطلق عليها حقاً « أحلام الطفولة » . وهذه الأحلام قد توجد بصفة فردية فى أواخر الطفولة . كما أن كثيراً من البالغين يرون فى ظروف معينة أحلاماً لا تختلف عنها اختلافاً يذكر .

وهذه الأحلام فى إمكانها أن تمدنا بمعلومات وافية عن الطبيعة الأساسية للحلم نأمل فى أن تكون عامة تنطبق على جميع الأحلام على اختلاف أنواعها :

١ – هذه الأحلام لا تحتاج فى تفهم معناها إلى أى تحليل أو تطبيق لطريقتنا فى التفسير . فليس من الضرورى أن نستجوب الطفل الذى رأى الحلم بل يكفى أن نعرف شيئاً عن حياته . وهذه المعرفة لا بد منها لأننا نجد فى كل حالة أن حادثة من الحوادث التى وقعت للطفل فى اليوم السابق هى التى تفسر لنا الحلم ، وما الحلم فى الحقيقة إلا رد الفعل الذى ينتج عن هذه الحوادث أثناء اليوم .

دعونى أضرب لكم بعض الأمثلة حتى نستطيع أن نبنى استنتاجاتنا القادمة عليها :

(ا) كان على طفل يبلغ من العمر سنة وعشرة شهور أن يقدم صندوقاً من الحلوى هدية إلى أحد أقرانه بمناسبة عيد ميلاده . ومن الواضح أن الطفل قام بهذا العمل على غير رغبة منه ، على الرغم من أنه قد وعد بأن ينال شيئاً منها لنفسه . وفى الصباح روى الطفل الحلم الآتى : « لقد أكل هرمان كل الحلوى » .

(ب) قامت طفلة تبلغ من العمر ثلاث سنوات برحلة بحرية لأول مرة فى حياتها ، فلما وصل الركب إلى الشاطىء أخذت الطفلة تصيح راغبة عن النزول من المركب فقد مر الوقت بالنسبة لها مراً سريعاً من غير شك . وفى صبيحة اليوم التالى قالت الطفلة : « لقد رأيت نفسى فى النوم على ظهر مركب يمخر عباب الماء » . وقد يكون فى إمكاننا أن نستنتج أن هذه الرحلة طالت عن الرحلة الحقيقية حتى تشبع رغبة الطفلة .

٢ – نرى من هذا أن أحلام الطفولة ليست عديمة المعنى بل هى عمليات عقلية واضحة المرمى مفهومة المعنى ، وقد سبق أن بينت لكم أن النظرية الطبية تفسر الحلم على أنه ظاهرة جسمية تنشأ عن اضطراب فى المعدة أو ما شابه ذلك . وقد شبهه بعضهم بالأصوات التى تصدر عن آلة موسيقية من يد غير بارعة . ولكنكم بلا شك لن تغفلوا عن التناقض الواضح بين هذا التشبيه وبين أحلام الأطفال التى رويتها لكم . فإذا كان فى استطاعة الطفل أن يقوم بعمليات عقلية كاملة أثناء النوم فليس من المعقول إذاً أن يقنع

الرجل البالغ بأن تجىء أحلامه رد فعل لعوارض جسمية ليس إلا ! هذا مع العلم بأن الطفل عادة يكون أعمق نوماً من الرجل البالغ .

٣ — هذه الأحلام خالية من التحريف ، وعلى هـذا فهى لا تحتاج إلى تفسير ، فالمحتوى الظاهر والمحتوى الباطن متماثلان .

ومن هـذا يمكننا أن نستدل على أن التحريف ليس من الأشياء الضرورية فى تكوين الحلم . أظن هذه النتيجة سترفع عنكم عبئاً ثقيلا ، ومع هذا فإننا إذا دققنا النظر وجدنا أن التحريف موجود حتى فى هذه الأحلام وإن كان على درجة طفيفة جداً ، وأن هناك اختلافاً ولو بسيطاً جداً بين المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن للحلم .

٤ — الحلم الذى يراه الطفل عبارة عن رد فعل لحادثة وقعت له فى اليوم السابق وخلفت بعدها آثاراً من النـدم أو الطموح أو رغبة لم تحقق . وهـذه الرغبة تتحقق فى الحلم فى صورة واضحة مكشوفة . ومن الواضح أننا لا نجد فى أحلام الطفولة هذه أى أثر للمؤثرات العضوية التى يركن إليها بعض العلماء فى تفسير الأحلام ولـكن ليس معنى هـذا أننا ننكر أثر هذه المؤثرات فى تكوين الأحلام ، وإنما كل ما أود قوله هو أن أسأكم لم تغفلون من مبدأ الأمر أن هناك مؤثرات عقلية كما أن هناك مؤثرات عضوية تقلق نومنا ؟ فنحن نعلم بلا شك أن هذه المؤثرات هى التى تمنع الرجل البالغ من النوم لأنها تجعل من العسير عليه أن يتهيأ للحالة العقلية اللازمة للنوم أى قطع كل صلة تربطه بالعالم الخارجى ، فهو لا يرغب فى أى شىء يقطع عليـه حبل أفكاره ويود لو ظل يعمل فيما هو مشغول به وهذا هو السبب الذى يمنعه من النوم . وعلى هذا فالمؤثر العقلى الذى يقلق نوم الطفل هو الرغبة التى لم تحقق والحلم هو رد الفعل الذى ينشأ عن ذلك .

٥ — نرى من هذا أن قيمة الحلم كرد فعل للمؤثرات العقلية تتوقف على قدرته على تصريف الرغبات المـكبوتة حتى يزول المؤثر ويظل النوم متصلا . ونحن لا نستطيع أن نعرف بعد كيف يحدث هذا التصريف من الوجهة الديناميكية ، ولـكنا قد لاحظنا بلا شك أن الأحلام ليست مقلقة للنوم (وهى التهمة التى تلصق بها دائماً) وإنمـا هى حارسة عليه تخلصه من عوامل القلق والإزعاج . وقد يميل البعض إلى الظن بأننا لو لم نحـلم لنمنا نوماً أحسن ولـكنه بذلك يكون مخطئاً لأن الحقيقة أن الفضل فى القـدر الذى نمناه يرجع إلى الحلم وأننا لولاه لمـا نمنا على الأطلاق . وإذا كان الحلم لا يجد بدا من إزعاجنا قليلا فمثله فى ذلك كمثل الشرطى الذى لا يستطيع أن يتجنب إحداث جلبـة أثناء طرده من قد يعكر علينا هدوءنا أو يوقظنا من النوم .

٦ — من الصفات الرئيسية للأحلام أنها تنشأ عن رغبة وأن محتوى الحلم يمثل هذه الرغبة . هذه واحدة والثانية أن الحلم لا يعبر عن فـكرة وحسب ، وإنمـا يمثل الرغبة كأنها تحققت . فمثلا فى الحلم الذى رأته الطفلة كانت الرغبة : « إنى أود أن أظل على ظهر المركب » أما محتوى الحلم فـكان : « لقـد رأيت نفسى على ظهر مركب يمخر عباب الماء » ومن هـذا ترون أنه حتى فى أحلام الطفولة هذه يوجد فرق بين المحتوى الظاهر والباطن للحلم . وأن هناك تحريفاً بسيطا إذ تحولت الفكرة فى المحتوى الباطن إلى تجربة حسية فى المحتوى الظاهر . وعلى هذا يجب علينا عند التفسير أن نعمل أولا على إعادة كل شىء إلى ما كان عليه .

٧ — تعتبر الأحلام توفيقاً بين قوتين : إحداهما تعمل على استغراقنا فى النوم والثانية تعمل على إيقاظنا منه لإشباع الرغبة المـكبوتة . فتكون النتيجة أننا ننام وفى نفس الوقت نشبع هذه الرغبة عن طريق الحلم .

٨ — جرى الناس على أن يطلقوا كلمة « أحلام اليقظة » على الخيالات التى يسبح فيها الإنسان وهو يقظان ليحقق بها آماله فى الطموح أو رغباته الجنسية . ولـكن أحلام اليقظة هذه تظل دائماً أفـكاراً وخيالات فقط ولا تتحول أبداً إلى تجارب حسية كما هو الحال فى الأحلام أى أنها تحتفظ بإحدى الصفات الرئيسية للأحـلام التى ذكرناها فى البند السادس ولا تحتفظ بالصفة الأخرى .

وهناك أيضاً أقوال مأثورة فى اللغة تشير إلى أن الحلم عبارة عن إشباع لرغبة . فـكلنا يعلم المثل القائل : « يحلم الخنزير بثمرة البلوط والأوزة بالذرة » . أو « بماذا يحلم الفروج ؟ بالحب »[١] . وهناك أيضاً جمل كثيرة تستخدم أثناء الحديث تشير إلى نفس المعنى كقولنا « جميل كالحلم » أو « ما كنت لأحلم بمثل هذا أبداً » .

(١) ونحن نقول فى أمثلتنا العامية : « الجعان يحلم بسوق العيش » المترجم

والآن تأملوا أى محصول غزير جمعناه فى غير صعوبة تذكر أثناء دراستنا لأحلام الطفولة ! فقد رأينا أن وظيفة الحلم هى المحافظة على النوم ، وأنه ينشأ عن قوتين متعارضتين تظل إحداهما ، وهى الرغبة فى النوم ، ثابتة ؛ بينما تعمل الأخرى على إشباع رغبة ملحة ، كما ثبت أيضاً أن الأحلام عبارة عن عمليات عقلية غنية بالمعانى ، وأن لها صفتين رئيسيتين هما إشباع الرغبات وتحويل الأفكار إلى تجارب حسية ؛ وهذا كله فى الوقت الذى كدنا أن ننسى فيه أننا ندرس التحليل النفسانى .

نرى من هذا أن الأحلام لو كانت كلها من نوع أحلام الطفولة لانحلت المشكلة ووصلنا إلى غايتنا فى غير ما حاجة إلى استجواب الحالم أو الرجوع إلى عقله الباطن أو استخدام طريقة الترابط المطلق . وعلى هذا فالمسألة التى علينا أن نبت فيها الآن هى معرفة ما إذا كانت الصفات التى تنطبق على أحلام الطفولة تنطبق كذلك على بقية الأحلام وبالأخص تلك الأحلام التى تبدو غير واضحة المعنى والتى لا نستطيع أن نرى فى محتواها الظاهر أية إشارة أو تلميح إلى رغبة ظلت بغير إشباع من اليوم السابق . هذه الأحلام فى رأيى قد تعرضت إلى درجة عالية من التحريف وعلى هذا أرى أن لا نتسرع بالحكم عليها ، فأغلب الظن أننا سنحتاج فى التغلب على هذا التحريف إلى معونة التحليل النفسانى الذى استطعنا أن نستغنى عنه أثناء دراستنا لأحلام الطفولة .

ومع هذا فهناك على الأقل نوع آخر من الأحلام خال من التحريف كأحلام الطفولة ويعبر مثلها عن إشباع رغبته . وهذا النوع ينشأ عن الحاجات الطبيعية الملحة كالجوع والعطش وإشباع الرغبة الجنسية . فتحت يدى مثلا حلم لطفلة لها من العمر سنة وسبعة شهور يحتوى على قائمة بأصناف المأكولات وفى أعلاها اسم الطفلة . وقد جاء الحلم كرد فعل ليوم اضطرت فيه الطفلة إلى الصيام عن الطعام نظراً لسوء الهضم الذى ألم بمعدتها نتيجة لكثرة الأكل من نوع من الفاكهة ظهر مرتين فى الحلم . وقد أثبتت المشاهدات أن السجين الذى يترك بغير طعام ، أو المسافر الذى يعانى الجوع والحرمان يحلم دائماً بإشباع رغباته . وقد جاء فى كتاب لأوتو نوردنسكولد Otto Notdenskjold عن العصبة التى أمضى معها فصل الشتاء ما يلى :

« كانت أحلامنا فى هذا الوقت تشير بوضوح إلى الاتجاه الذى كانت تتخذه أفكارنا ، فلم يسبق لنا قبل ذلك أن رأينا أحلاماً بهذه الكثرة والوضوح ، حتى إن الرفاق الذين كانوا لا يحلمون إلا نادراً أصبحت لديهم قصص طويلة يقصونها علينا فى الصباح عند ما كنا نتبادل رواية ما قمنا به من تجارب فى هذه الدنيا الواسعة من الأطياف . وقد كانت الأحلام كلها عن هذا العالم الخارجى الذى أصبح بعيداً عنا ، ولكنها كانت غالباً ما تحوى تلميحات إلى الحالة التى كنا عليها ؛ فالأكل والشرب والسفر كانت فى أغلب الأحيان المحور الذى تدور حوله أحلامنا ... فكان بعضنا يحلم بالموائد الحافلة ، والبعض الآخر يحلم بالسفن رائحة وغادية وهكذا . . »

وإذا كان أحدكم قد أكل يوماً أكلة أظمأته أثناء الليل فما لا شك فيه أنه سيحلم بشرب الماء . ولكن هذا الحلم بالطبع لن يخفف عنه حدة الظمأ ، وما يحدث فى هذه الحالة هو أنه يصحو من النوم ظمآن ويضطر إلى أن يشرب ماء حقيقياً . والخدمة التى يؤديها الحلم فى هذه الحالة ليست بذات قيمة من الوجهة العملية ، ولكنها مع ذلك ترينا أن الغرض من الحلم كان حماية النوم من المؤثرات التى تدفعنا إلى اليقظة والعمل ، وقد تستطيع هذه الأحلام أن تؤدى الغرض منها إذا كانت الرغبة على درجة أقل من الحدة .

وليس معنى هذا أن أحلام « إشباع الرغبة » التى هى من نوع أحلام الطفولة لا تنشأ عند البالغين إلا كرد فعل للحاجات الطبيعية الملحة التى ذكرتها سابقاً ، وإنما هناك أنواع أخرى كذلك من الأحلام ، قصيرة واضحة تنشأ عن حالة عقلية خاصة تكون مستولية على تفكير الشخص . فمثلا هناك « أحلام الملل » ، وهى تنشأ عند ما يكون الشخص آخذاً فى الاستعداد للقيام بعمل هام كرحلة طويلة ، أو مشاهدة مسرحية ذات موضوع يستهويه ، أو زيارة صديق ، أو سماع محاضرة شيقة ... الخ . فمثل هذا الشخص ما تكاد عينه تغفو حتى تلم به الأحلام فتحقق له مقدماً ما كان يستعد لتحقيقه ، فإذا به يرى نفسه على ظهر الباخرة ، أو فى قاعة التمثيل ، أو يتحدث إلى صديقه الذى كان يأمل فى زيارته وهكذا.

وهناك أيضاً أحلام من نوع آخر يطلق عليها « أحلام الراحة » ، وهى تنشأ عند ما يكون الشخص مستغرقاً فى النوم

طائفة المستعمرين
فى شمال أفريقيا

للأستاذ عبد المجيد بن جلون

ما من شك فى أن فكرة الاستغلال الاقتصادى هى الأصل فى الاستعمار ، فقد نشأت نتيجة لتطور الاختراعات ووجود أزمة المواد الأولية فى دول قادرة على الصناعة الضخمة السريعة ، بينما توجد بلاد عاجزة عن الاستغلال وتتوفر لديها المواد الأولية بكثرة فى نفس الوقت . ثم استتبع ذلك حاجة الدولة المستغلة إلى إرسال أفراد إلى هذه البلاد ، لكى يشرفوا على العمل فى أرض عجز أهلها عن التنظيم والعمل ، طبقاً للنظريات الحديثة . وهكذا نشأت فكرة الاستيطان فى البلاد المستعمرة ، أى أنها كانت تستند إلى عامل زيادة الإنتاج وتغذية المصانع بأكبر كمية مستطاعة من تلك المواد الأولية .

وإذا نحن انتقلنا إلى الاستعمار الفرنسى فى شمال أفريقية وجدنا أنه تمدى هذه الحدود تعديا مخيفاً ، إذ اتخذ شكل هجرة كان للسياسة فيها دخل كبير ، وكان الأساس الظاهرى الذى تستند إليه هو أن المنتج الفرنسى أقدر من المنتج المحلى ، ولذلك برزت فكرة انتزاع الأراضى وتوزيعها على المستعمرين الفرنسيين لتحقيق هذه المصلحة العامة ... المصلحة العامة التى لا تدخل فى حسابها مصلحة الأهلين .

أما فى الحقيقة فإن فرنسا كانت تستند فى إرسال المستعمرين إلى شمال أفريقيا إلى بواعث سياسية منذ احتلت جيوشها الجزائر سنة ١٨٣٠ ، وقد كان شعار الكونت ديسلى المحارب « الفتح بالسيف والمحراث » وقد ظلت هذه العبارة شعارا للاستعمار الفرنسى فى أفريقية الشمالية إلى اليوم .

وليست مشكلة الجنسية التى أثارتها فرنسا فى الجزائر ببعيدة عن سياسة نزع ملكية الأراضى ، لأنها كانت تعمل على تفتيت القومية الجزائرية بإدخال عنصر جديد إلى البلاد عامل ونشيط ، وإذا لم يكن من المستطاع أن تكون فيها أغلبية عددية فإنها كانت تفكر فى إنشاء أقلية أكثر أهمية من الأغلبية العددية ، وذلك بما يتوفر لديها من نشاط وقدرة وتفوق . ولذلك نجد أن فرنسا كانت تمنح جنسيتها للمواطنين بشروط معينة ، ثم نجدها بعد ذلك قد منحت هذه الجنسية لليهود الجزائريين جملة واحدة بمقتضى قانون ١٤ أكتوبر سنة ١٨٧٠ .

ولا محيد لنا عن الإشارة إلى نشأة الاستعمار الفرنسى فى الجزائر إذا نحن أردنا نفهم هذا الموضوع ، لأنه امتد منها إلى تونس ثم إلى مراكش . وجدت فرنسا الأراضى الجزائرية من أملاك الدولة طبقاً للنظام العثمانى ، فأبقت على ذلك النظام لكى تستعين به على منح ما تشاء منها لمن تشاء . واستولت فى الحال على أراضى الأتراك وأراضى المحاربين ، وكانت تمنح هذه الأراضى إلى الفرنسيين وتعترف لهم بملكيتها ، بينما ظلت الأرض التى

لا يريد أن يصحو منه أبداً ، وفيها يرى الشخص نفسه كأنما هو يغسل وجهه ، أو يرتدى ملابسه ، أو فى طريقه إلى المدرسة ، ومعنى ذلك أنه يفضل أن يحلم أنه استيقظ من النوم على أن يستيقظ منه فعلا . وفى هذه الأحلام نرى أن الرغبة فى النوم (وهى التى قلنا عنها إنها تدخل فى تكوين الأحلام) ، تتمثل بوضوح وتبدو كأنها السبب الحقيقى فى تكوين الحلم . وهى فى هذا الاعتبار تدخل ضمن الحاجات الطبيعية الملحة التى ذكرناها سابقاً .

تذكرون أننى سبق أن قلت لكم إننا نجد فى جميع الأحلام فيما عدا أحلام الطفولة وما يشبهها ، عائقاً يعوقنا عن التفسير وهو التحريف . ونحن لا نستطيع أن نقرر من الآن إن كانت هذه الأحلام أيضاً إشباعاً لرغبات ، كما أننا لا نستطيع أن نخمن أى مؤثر عقلى دفعها إلى التكوين ، ولا أن نثبت إن كانت هى أيضاً تعمل كأحلام الطفولة على تصريف الرغبات . فالحقيقة أن هذه الأحلام يجب أن تفسر أولا ، أى تترجم؟ ولذا يجب علينا أن نعكس عملية التحريف ، وأن نستبدل المحتوى الظاهر بالمحتوى الباطن ، وذلك قبل أن نقرر إن كانت الصفات التى اكتشفناها فى أحلام الطفولة تنطبق أيضاً على بقية الأحلام على اختلاف أنواعها

(يتبع) محمد جمال الدين حسن

يقيم فيها الوطنيون غير معترف بملكيتهم لها . وقد امتد هـذا الأمر إلى سنة ١٨٦٣ ، حيثما اعترف لهم نابليون الثالث بهـذه الملكية .

وخرجت فكرة المحراث من حيز التفكير إلى حيز الوجود وبدأ الفرنسيون يدفعون بالجزائريين إلى الجنوب ليستولوا على الأراضى الخصبة فى الشمال . لـكنهم وجدوا أنفسهم أمام مشكلة جديدة هى : من أين لهم أن يوجدوا طائفة المستعمرين وبلادهم عاجزة عن المستعمرين من أبنائها ؟

حصل بعد الثورة الفرنسية فى سنة ١٨٤٨ — وهى السنة التى صدر فيها قرار باعتبار أراضى الجزائر أراضى فرنسية — أن عمت البطالة بين الطبقة العاملة فى باريس ، إلى درجة فادحة ، فقرر المجلس الوطنى الفرنسى إرسال العمال إلى الجزائر لاستعمار الأراضى ، ليخفف بذلك من حدة البطالة ، ويحقق الهـدف الاستعمارى فى تلك البلاد . و كانت الحكومة تنقل العمال مجاناً إليها فإذا وصل العامل إلى هناك منحته عشرة هكتارات من أجود الأراضى الزراعية .

بيد أنه لم يكن من اليسير أن يصبح عامل المصنع فلاحا . لقد توافد هؤلاء المستعمرون إلى أرض الجزائر أفواجا أفواجا ولـكن بدلا من أن يبرهنوا على تفوقهم فى الانتاج أفسدوا الأرض وعجزوا عن استغلالها ، وما هى إلا بضع سنوات حتى بدأوا يرجعون إلى فرنسا من جـديد وكان عـدد الذين رجعوا أكثر من النصف .

وهكذا عجزت فرنسا عن أن تمد الجزائر بالفلاحين من أبنائها، ولـكنها لم تستطع بالرغم من ذلك أن تتنازل عن فـكرة إيجاد أقلية تفتت القومية التى قد تحدث لها مشاكل فى المستقبل تعجز عن مقاومتها ، ولذلك عمدت إلى اتخاذ إجراء خطير ، هو تشجيع الأجانب من اسبانيا وإيطـاليا وكورسيكا على الهجرة إلى تلك البلاد والقيام بالدور الذى عجز أبناؤها عن القيام به . وفعلا توافد عليها خليط غريب من أجناس مختلفة ، منحتهم فرنسا جنسيتها مقرونة بامتيازات عديدة ، ووزعت عليهم الأرض ، ومن هؤلاء تناسلت الكثرة الغالبة من طائفة المستعمرين ، الذين يدعون أنفسهم بالفرنسيين الجزائريين ، وازداد خطرهم استفحالا مع مرور السنين .

ولقد كانت الإدارة المحلية دائما أشد تطرفاً من حكومة باريس فى تشجيع طائفة المستعمرين هذه منذ نشأتها ، حتى إن التشريعات التى أصدرها نابليون الثالث لإنصاف عرب الجزائر قبرت فى الإدارة المحلية بتأثيرهم ، وقد ظلت الإدارة تراوغ فى تنفيذها إلى أن قامت الجمهورية الثالثة وتنوسى أمر تلك التشريعات نهائيا .

ثم بعد ذلك مدت فرنسا حمايتها على تونس سنة ١٨٨١ ثم تقدم الزمن واستطاعت أن تمدها على مراكش أيضاً سنة ١٩١٢ فكان شعار الفرنسيين فيهما أيضاً هو « الفتح بالمحراث والسيف » وجاء المستعمرون الفرنسيون فى إثر الجيش وبدأت نفس الإجراءات القديمة تتخذ فى أفريقية الشمالية كلها ، على الرغم من التباين الموجود فى علاقة شعوبها بفرنسا ، ولم تمر إلا مدة قصيرة حتى كان خطر هذه الطائفة يهدد مراكش نفسها التى لم يمر اليوم على تبعيتها لفرنسا سوى خمسة وثلاثين عاما .

وتعمل تلك الطائفة اليوم فى تونس ومراكش على أن تنال كراسى فى البرلمان الفرنسى لـكى يزيد تأثيرها فى السياسة الفرنسية وتمهـد لاعتبار أراضيهما أراضى فرنسية ، ولـكنها اصطدمت بالقومية فيهما ، وقد كاد يتم تأسيس دائرة انتخابية للفرنسيين فيهما لولا احتجاج جلالة ملك مراكش وسمو باى تونس على ذلك ، ولولا أن الوضعية السياسية فى البلدين تمنع من تأسيس مثل هذه الدائرة ، ولـكن هذا لم يفت فى عضد المستعمرين ، إذ ما يزالون يسعون فى نشاط للوصول إلى غايتهم متحينين الفرص وعاملين على خلقها .

وهم يتخذون مختلف الوسائل المشروعة وغير المشروعة للتأثير على العسكريين والموظفين ، سواء فى هذه البلاد أو فى فرنسا . وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نقول إن وجود هـذه الطائفة خطر شديد على الحياة الاقتصادية ، إذ يستطيع أفرادها بما لهم من نشاط وقدرة وأساليب خاصة : أن يهدموا القواعد التى تسير عليها الدولة حتى إن كبار الموظفين الفرنسيين يصطدمون بهم ، وقد حدث كثيراً أن اصطدم بهم ممثل فرنسا نفسه .

وتمتاز طائفة المستعمرين بالجشع الذى لا نهاية له ، والأنانية التى تستهين بـكل شىء فى سبيل تحقيق المآرب الشخصية ، كما يمتاز أفرادها بالتعصب والتطرف وسرعة التأثر ، وبالعمل الدائب المستمر على الوقوف فى وجه الأهالى حتى لا يـكسبوا أى حق من الحقوق لأنهم يعتقدون أن فى ذلك ما يمس مصالحهم ، وهم

الأدب في سير أعلامه :

١٢ – تولستوى

[قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

في القوقاز

كان أكثر ما يجد من الأنس فى صحبة صديقه سادو وفى صحبة رجل آخر هو إپيشكا القوزاقى صاحب الكوخ الذى كان يقيم به ، وذلك الذى برع فى الصيد براعة عظيمة أو الذى برع فى الحديث عن مقدرته ومهارته فيه ، وعن أيام شبابه الأولى وكيف كان الغوانى يأخذن عليه كل سبيل ويفتتن به كل الافتتان ، ولقد جعل منه ليو صورة إروشكا فى قصته « القوزاق » فبلغ فى ذلك غاية الإبداع .

وكان الصيد من أحب ما يلهو به فى ساعات فراغه ، وقد كانت الأرض غنية بطلبته من الأرانب البرية والثعالب ، وكان يصحبه إپيشكا إلى قرى وأماكن بعيدة فى الجبال حيث كانت تحيط بهما المخاطر فى كثير من الحالات ...

وليته جعل للصيد كل فراغه ، فلقد عاد إلى الميسر منذ سنة على الرغم من مغالبته نفسه ابتغاء الإقلاع عنه ، وما استطاع أن يكف عنه إلا ستة أشهر بعد أن وقع فى الشرك ولم يمض عليه فى القوقاز أسبوعان ؛ وما إن عاد إلى التفرج على إخوانه الضباط وهم يلعبون حتى غلبه حب اللعب فأقبل عليه إقبال النهم الذى حيل بينه زمناً وبين الطعام ، ففى كتاب منه إلى عمته تاتيانا فى شهر يناير سنة ١٨٥٢ أخذ يقص عليها كيف عاد إلى الميسر وكيف لحقته الخسائر من كل فج ! وظل هذا شأنه طول تلك السنة والتى تلتها حتى عاوده ندمه وضيقه .

أما عن جانب الجد من حياته فى القوقاز ، فإنه فى الجيش قد أبدى من البسالة فى مواطن كثيرة ما استحق به صليب سان جورج للبطولة ، ولكنه لم يحزه فعلا نظراً لعجزه عن تقديم شهادات وأوراق خاصة كان لا بد أن يقدمها من يحظى بهذا الإنعام ...

وكان كما سلفت الإشارة إليه قد أخذ يكتب منذ سنة ١٨٥١ وفى شهر يوليو سنة ١٨٥٢ أتم كتابه « عهد الطفولة » باكورة

لا يضمرون عطفاً للارض التى يعيشون بفضلها ولا للدولة الفرنسية التى تحميهم ، كما أنهم على استعداد لمناصرة أى نظام يستطيعون فى ظله أن يشبعوا نهمهم ، ولو قام ذلك النظام على أنقاض النظام الفرنسى الحالى . وربما بلغ بهم الأمر حد التآمر على المثل الفرنسى لأنه لم يحقق لهم مأربا ، بل يبلغ بهم الأمر أن يحتجوا فى جرأة ووقاحة إذا مانال المواطنون حقاً من الحقوق البسيطة . إنهم ليسوا من صميم الفرنسيين ، ولكن فرنسا هى التى تتحمل مسؤولية ما يقومون به من أعمال لاستعباد الأهلين الفلاحين فى هذه البلاد ، واستغلال جهودهم وامتصاص دمائهم وكل المساوىء التى تتمثل فيهم . فرنسا مسؤولة عن أعمالهم لأنها هى التى عملت على أن تكون حياتها فى أفريقية الشمالية معتمدة على هذه الطائفة الخطيرة وهى التى أنشأتها وساعدت على تمكينها من أجود الأراضى الزراعية ومن مقاليد الحياة الاقتصادية عموما .

وسوف تستمر الفوضى فى أفريقية الشمالية ما دامت هذه الطائفة موجودة فيها على هذا النحو الخطير ، لسبب بسيط هو أنها تستمد حياتها من هذه الفوضى ، فهى لا تصطاد إلا فى الماء العكر ، ومن مصلحتها أن لا يصل الوطنيون إلى أى اتفاق مع الحكومة الفرنسية ، ولذلك فإن أول خطوة كان يجب أن تتخذها فرنسا هى أن تحد من نشاطها وتضرب على يدها وتكافح هؤلاء الناس الذين لا يستوحون فى حياتهم سوى ملء الجيوب والبطون . أما تفتيت القومية فى تلك البلاد فلعل هذه السنين الطويلة الحافلة بالمآسى كافية لكى تفهم الفرنسيين أنهم يحاولون المستحيل ، فقد برهن العربى فى أفريقية الشمالية على أنه غير قابل لأن يفنى مهما كانت القوة التى تحاول أن تقضى عليه ، وربما عجز الخيال عن تصوير النتائج الخطيرة التى يمكن أن تنجم عن استمرار هذه الطائفة فى التقوى والاستعلاء .

عبد المجيد بن جلون

فنه وخطوته الأولى صوب المجد وذهاب الصيت وأرسلها بإمضاء ل . ن . إلى مجلة شهيرة كانت تسمى « المعاصر » وكان يصدرها رجلان من أعلام الأدب وقتئذ وهما نكراسوف وبانييف ...

وظل ليو شهرين ينتظر رداً من المجلة وهو يسلم نفسه إلى الأمل الحلو تارة وإلى اليأس المرير تارة حتى جاءه كتاب من نكراسوف ينبئه فيه بقبول القصة للنشر ، ولكن على ألا يدفع لصاحبها أجراً حسب ما تعارف عليه أصحاب المجلات الأدبية يومئذ إذ كانوا لا يدفعون أجراً لكاتب غير معروف على أول شيء يقبل منه للنشر ...

وفرح تولستوى فرحاً عظيماً بالنشر في ذاته فهذه أمنيته ، أما الأجر فما خطر بباله قط ؛ وازداد فرحاً إذ جاءه كتاب ثان من نكراسوف يقول فيه إنه ازداد رضاء عن القصة وهو يصححها للطبع وأنه يعتقد أن مؤلفها ممن وهبوا المقدرة ، وإنه لأمر ذو أهمية أن يعلم المؤلف ذلك في بداية عهده بالكتابة ...

ونشرت القصة في عدد أكتوبر فسرعان ما حظيت بثناء أهل الفن جميعاً وفي مقدمتهم ترجنيف ذلك الذي كان اسمه من أشهر الأسماء يومئذ في فن القصة ، ومنهم دستويفسكى وكان في منفاه بسيبيريا فكتب إلى أحد أصدقائه يسأله من يكون ل . ن . هذا صاحب تلك القصة ...

ولم يكن بالأمر الهين أن يلتفت ترجنيف ودستويفسكى إلى هذا الكتاب فقد خلف هذان الكاتبان جوجول في زعامة القصة واغتدى اسماهما أرفع الأسماء في الجيل الذي أعقب جيل جوجول ...

وطابت نفس الفتى ليو نيقولا تولستوى وابتهج فؤاده بهذا النجاح ، وإن كان ضايقه من الناشر أنه غير عنوان الكتاب لجعله « تاريخ عهد طفولتى » بدلا من عنوانه الأصلى « عهد الطفولة » وذلك أن الكاتب كما ذكر في أكثر من موضع لم يقصد بكتابه أن يكون ترجمة منه لنفسه ... وكذلك ضايقه أن الرقيب تناول بالحذف أو التغيير بعض عبارات الكتاب .

أخذت تتفتح الأكمام في هذا الكتاب عن عبقرية الكاتب الناشيء الذي لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره ، وبدأت تتجلى خصائص فنه وتتضح مواهبه وفي مقدمة تلك المواهب إحساسه المرهف وقلبه الشاعر وذكاؤه الحاد وبصيرته النافذة إلى أعماق الأشياء المحيطة بتفاصيلها ودقائقها وروحه الدائبة المتوثبة التي لا تعرف سأماً وحيويته الفكرية التي لا تقل عن حيويته البدنية .

أما فنه فكان قوامه الأصالة والصدق والسمو وتجنب ما لا عائدة منه في التعبير والتصوير ، وكان يجمع فيه بين عاطفة الفنان ومهارة الصانع وتفطنه إلى كنه ما في يده ؛ وكان يقبل على الكتابة في تحمس شديد وإخلاص بالغ ، ثم يطيل النظر فيما يكتب فيمحو ويثبت ويحذف ويضيف حتى يستقر على وضع ترتاح نفسه إليه ويقرأ ما يكتبه على من يدخل عليه يتبين أثره في نفسه ، كما كان ينفعل انفعالا شديداً إذ يتلو لنفسه ما كتب فتدمع عيناه ويهتز بدنه وترتعش يداه ، ثم يشيع السرور في كيانه وتستقر الطمأنينة في وجدانه .

كتب في مذكراته في هذه السن المبكرة يقول في أوائل سنة ١٨٥١ « إن الخيال هو مرآة الطبيعة ، مرآة نحملها في أنفسنا وفي هذه المرآة تصور الطبيعة ، وأجمل الخيال هو أصفى المرايا وأصدقها وتلك هي التي نسميها العبقرية ... إن العبقرية لا تخلق وإنما هي تعكس ما ترى » وقال في موضع آخر « إن الكتابة الأدبية ينبغي أن تكون أغنية منبعثة من صميم نفس الكاتب » .

لم يكن كتابه « عهد الطفولة » ترجمة لحياته ، ولم يكن كذلك عملا خيالياً بحتاً ، وإنما كان وسطاً بين هذا وذاك ، ولعله كان إلى وصف حياته وبيئته الأولى أقرب . قالت زوجته فيما بعد « كانت كل الصور فيه مشتقة من أعضاء أسرته ، وكان الإسكندر إسلنيف هو صورة جدى لأمى » .

ولم يعن تولستوى في كتابه هذا بالحوادث في ذاتها فليس فيه إلا الحياة العادية التي يحياها الناس كل يوم ، وإنما عنى بإبراز المشاعر والأحاسيس التي تثيرها الحوادث فيما صور من الأشخاص فكان عمله أقرب إلى التحليل النفسي الذي سوف تمتاز به القصة الروسية عما قريب بوجه عام وفي فن دستويفسكى بوجه خاص .

ولقد وفق تولستوى توفيقاً كبيراً في تصوير الخلجات النفسية في كتابه هذا حتى ما يظن قارئه (إن لم يكن يعرف) أنه

عمل مبتدىء ، هـذا إلى دقة اللمسة الفنية والبراعة فى عرض الصور مع وضوحها وخلق المناسبات ، واختيار ما يحتاج إليه السياق فى غير استطراد ممل أو على حـد تعبيره « استبعاد كل ما لا ضرورة له وكل ما هو سطحى أو ضعيف » .

ولـلكتاب أهمية من ناحية أخرى إذ هو يرينا تأثره إلى حد ما بروسو وستندال ودكنز وبخاصة فى قصة دافيد كوبر فيلد التى هى فى الواقع حياة دكنز فى بيئته الأولى مقنعة كما شاء القصصى العظيم ، وكانت هذه القصة كما ذكرنا تنشر تباعاً يومئذ مترجمة إلى الروسية فى مجلة المعاصر ...

وحفزه نجاحه فى كتابه الأول إلى أن يكتب « عهد اليفاعة » فأقبل على ذلك فى نشاط وأمل وغبطة ؛ وكان أثناء كتابته « عهد الطفولة » قد كتب بعض الأقاصيص عن حياته فى الجندية ومنها « قطع الغابة » و « الغارة » ، وقد أرسل هذه الأخيرة إلى مجلة « المعاصر » فنشرتها وقد اطمأنت إلى القصصى الشاب ؛ ولـكن الرقيب شوه بعض أجزاء هذه الأقصوصة حتى لقد اشتكى مؤلفها قائلا « لقد قضى عليها الرقيب ، فقد محا كل ما كان حسناً فيها أو بدله » .

وأقبل القصصى الشاب على مذكرته يثبت فيها ما يعتزم كتابته من قصص ؛ وكلما طرأ على خاطره موضوع يصلح لقصة عجل بإثباته ودون ما يعن له من ملاحظات ليعود إليها فى حينها ، وكلما أعجبته حادثة أو شخصية ممن يحيطون به كتبها مخافة أن ينساها ليجدها فيما بعد حين يأخذ فى بناء قصصه وهكذا بث نجاحه الأول فى نفسه كثيراً من الأمل والنشوة ...

***

أخذ يزداد سأم الفتى من القوقاز ومن حياة الجندية يوماً بعد يوم ، منذ أن ذهبت عن تلك الحياة جدتها ؛ واشتد ضيقه فى شهر أكتوبر سـنة ١٨٥٢ حتى إنه ليـكتب فى يومياته إنه يعد سنى نفيه من ذلك التاريخ ، ويقول فيما يُشعر بالأسى إنه لن يستطيع أن يعتزل خـدمة الجيش إلا سنة ١٨٥٥ « وعندئذ أكون فى السابعة والعشرين من عمرى ، وما أكثر ما أكون من الـكبر فى هذه السن ! ... ثلاث سنوات أخرى فى خدمة الجيش منذ اليوم ؟ إن على أن أقضيها فيما يجدى » .

وفى مستهل سنة ١٨٥٣ يقول « يا للناس من أغبياء ! إنهم جميعاً وبخاصة أخى لا يدعون الخمر ، وهذا شىء أراه كريها ... إن الحرب أمر باطل ... هى شر لا ريب حتى إن الذين يخوضون غمارها ليحاولون تلقاءها أن يخنقوا ضمائرهم . أحق ما أنا فاعل؟ أرشدنى يا إلهى واغفر لى إن كنت أعمل باطلا » ...

والحق إنه لولا ما كان يصادفه فى القوقاز ممـا يكون مادة طريفة لفنه من الناس والحوادث والمناظر ، ما استطاع صبراً على العيش هناك ، ولا أطاق حياة الجنـدية وما فيها من خشونة وما كانت تبعثه فى نفس كنفسه من سأم وضيق بأيامها المتكررة المتشابهة ...

وبدأ يشـكو أسقاماً فى معدته وأمعائه وكان مرد ذلك إلى ما اعتاده من إسراف فى الطعام ، فقـد كان من مرذول عاداته نهمه فى تناول أنواع من الأطعمة كان يحبها كالفطائر والمثلجات وأصناف الحلوى ، وكان لا يستطيع أن يصد نفسه عنها إذا تهيأت له ، أو يفطمها إذا غابت عنه ، وإنمـا كان يسعى إليها سعياً حتى يظفر منها بأوفر نصيب وإن مسه الضر ؛ وكان لا يكترث لنصح أو يشفق من أذى اتـكالا على ما يحس من قوة بنيته وشـدة حيوانيته ، ورغبة منه فى تعويض ما يبذله من طاقة فى تلبية نداء جسده ... ؛ ولـكن ذلك النهم قد أضر بمعدته ضرراً أخذ يزداد منذ كان فى القوقاز وسوف يتمكن منها حتى ليستعصى على العلاج حين يتقدم به العمر ...

وكذلك أخذ يشكو من الروماتزم والحمى والرعاف والتهاب الحلق فى كثير من الأحيان ، ونجده يكتب إلى عمته تاتيانا ذات مرة يقول لها « لا تظنى أننى أخفى عنك شيئا ... إنى وإن كنت متين البنية أعانى داءـا ضعف الصحة » .

وفى شهر مارس سنة ١٨٥٣ يكتب فى يومياته قائلا « إن الخدمة فى القوقاز لم تجر على إلا المصاعب والـكسل ومعرفة غير الأخيار ... إنه ينبغى أن أخلص منها أسرع ما أستطيع ... لقد فقدت ما كان معى من المـال جميعاً ، ولا زلت مديناً بثمانين من الروبلات لأوجولين وستة ليانوفتش وخمسين لسكوفنين وثمـان وسبعين لقنسطنطينوف ؛ وتبلغ جميعاً أربع عشرة ومائتين ، وقد أنفقت فضـلا عنها ثلاثين ومائتين كانت كل ما أملك ... إن ذلك لسىء » .

(يتبع) الخفيف

الْكيا الهرّاس

للأستاذ برهان الدين محمد الداغستاني

٤٥٠ – ٥٠٤ هـ

اسمه ونسبته :

هو عماد الدين شمس الإسلام أبو الحسن على بن محمد بن على الطبرى المعروف بالكيا الهراس ، وإلكِيا بهمزة مكسورة بعدها لام ساكنة ثم كاف مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت كلمة أعجمية معناها : الكبير القدر المقدم بين الناس [1] . والهراس بتشديد الراء لا تعلم نسبته لأى شىء [2] .

مولده ونشأته الأولى فى طبرستان :

ولد إلكيا فى طبرستان خامس ذى القعدة سنة خمسين وأربعمائة من الهجرة ونشأ فيها نشأته الأولى حتى بلغ الثامنة عشرة . ويقول مترجموه إنه تفقه فى بلده قبل الخروج إلى نيسابور . وليس فيما لدينا من المراجع ما يكشف عن حاله فى بلدته مدة ثمانى عشرة سنة التى قضاها فيها سوى هذه النبذة القصيرة ولا تذكر شيئاً بعد ذلك عن أبيه وعائلته وبيئته كما أنها لا تذكر شيئاً عن شيخه أو شيوخه الذين تفقه عليهم ، وعلى كل حال فدراسته الفقهية التى تلقاها فى بلدته قد أعدته وهيأته لتلقى دروس شيخ الشافعية فى عصره إمام الحرمين الجوينى فى نيسابور والاستفادة منها بل جعلته فى مقدمة تلامذته ومعيدى درسه . ونستطيع أن نفهم من هذا أن دراسته الأولى كانت فى مستوى علمى متوسط – على الأقل – إن لم نقل فى مستوى عال وإلا لما تهيأ له أن يستفيد من دروس إمام الحرمين من يوم وصوله إلى نيسابور .

(١) هذا تفسير ابن خلكان فى وفيات الأعيان (١ : ٤٦٥) وأما غيره ممن تعرض لشرح هذه الكلمة فقد اقتصر على أن معناها : الكبير فى لغة الفرس ويقول ابن خلكان : ولا أعلم لأى شىء قيل له : الكيا .

(٢) طبقات الشافعية لابن شهبة ورقة ٣٠ مخطوط وشذرات الذهب لابن العماد (٤ : ٨) طبع القدسي – القاهرة .

فى نيسابور :

لا بد أن الكيا – وهو يطلب العلم فى بلده – بلغته شهرة إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى رئيس الشافعية فى عصره وتطلعت نفسه المتعطشة إلى العلم إلى لقيا هذا الإمام الجليل والأخذ عنه فارتحل وهو فى الثامنة عشرة إلى نيسابور .

يقول ابن عساكر فى تبيين كذب المفترى [1] : « ورد نيسابور فى شبابه وكان قد تفقه فحصل طريقة إمام الحرمين وتخرج به فيها وصار من وجوه الأصحاب ورؤوس المعيدين فى الدرس ، وكان يعيد الدرس على جماعة حتى تخرجوا به ، وكان مواظباً على الإفادة والاستفادة . ونقل السبكى فى طبقات الشافعية الكبرى [2] عن الكيا نفسه قوله : كانت فى مدرسة سرهنك [3] بنيسابور قناة لها سبعون درجة وكنت إذا حفظت الدرس أنزل القناة وأعيد الدرس فى كل درجة فى الصعود والنزول وقال : وكذا كنت أفعل فى كل درس حفظته . ثم يقول السبكى : وفى بعض الكتب أنه كان يكرر الدرس على كل مرقاة من مراقى درجة المدرسة النظامية بنيسابور سبع مرات وأن المراقى كانت سبعين مرقاة .

وهذا الذى نقلناه يدلنا على أن الكيا فى نيسابور كان طالباً مجداً بكل ما تحتمله كلمة مجد من معنى ، وأنه ظل على جده واجتهاده فى طلب العلم حتى أصبح من كبار تلامذة إمام الحرمين وحتى إنه كان يقوم بإعادة دروس شيخه على كثير من زملائه الطلبة حتى

(١) ص ٢٨٨ طبع القدسى دمشق وهذه النبذة عن الكيا نقلها ابن عساكر فى تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الامام أبى الحسن الإشعرى عن الشيخ أبى الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسى مؤلف تاريخ نيسابور كما نقلها عنه أيضاً ابن خلكان فى الوفيات والسبكى فى طبقات الشافعية .

(٢) ٤ : ٢٨١ طبع القاهرة .

(٣) مدرسة سرهنك هذه هى النظامية التى بناها نظام الملك أبو على الحسن بن على بن إسحاق الوزير الفارسي الكبير المولود سنة ثمان وأربعمائة والمقتول فى عاشر رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة . بقى نظام الملك وزيراً ثلاثين سنة وزر لألب ارسلان السلجوقى حتى قتل سنة ٤٦٥ ثم لابنه ملكشاه إلى أن قتل هو فى عاشر رمضان سنة ٤٨٥ واشتهر نظام الملك بأنه أول من بنى المدارس فى الاسلام فقد بنى النظامية فى نيسابور لامام الحرمين ثم نظامية بغداد سنة سبع وخمسين واربعمائة وتمت فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين واربعمائة تولى بناءها أبو سعيد الصوفى وبلغت نفقاتها ستين ألفاً من الدنانير . تولى التدريس فيها الشيخ أبو نصر بن الصباغ الشافعى المتوفى سنة ٤٧٧ ثم الشيخ أبو إسحق الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٦ ثم الشيخ =

تخرجوا عليه ، وعلى هذا النحو بقى فى نيسابور إلى أن توفى شيخه الجوينى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فارتحل عنها إلى بيهق .

فى بيهق :

خرج إلكيا من نيسابور إلى بيهق وقد استكمل علماً فقد علمنا أنه كان من كبار تلامذة إمام الحرمين وأنه حصل طريقته فى إلقائه الدروس والبحث العلمى؛ ونرى أن الوقت كان ملائماً كل الملاءمة لهذا الطارق على بيهق ليظهر علمه ونبوغه . ولا شك أنه فعل ذلك حتى عظم قدره عند ولاة الأمور هناك . ولكن المصادر التى بأيدينا لا تتكلم عن هذه الفترة من حياته من سنة ٤٧٨ التى مات فيها إمام الحرمين إلى ٤٩٢ التى دخل فيها بغداد إلا قليلا ، فابن خلكان يقول : ثم خرج من نيسابور إلى بيهق ودرس بها مدة ثم خرج إلى العراق . وأكثرها يهمل هذه المدة الطويلة من حياته فلا يذكرها بخير أو بشر ، إلا أن ابن خلكان كشف عن هذا الغموض قليلا حين نقل عن عبد الغافر الفارسى صاحب تاريخ نيسابور قوله : « ثم اتصل بخدمة مجد الملك بركيارق[1] ابن ملكشاه السلجوقى وحظى عنده بالمال والجاه وارتفع شأنه وتولى القضاء بتلك الدولة » .

وفى حوادث سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة من الكامل لابن الأثير[2] ما يأتى : فى هذه السنة فى شعبان وصل إلكيا أبو الحسن على بن محمد الطبرى المعروف بالهراس الفقيه الشافعى ولقبه عماد الدين شمس الإسلام ، برسالة من السلطان بركيارق إلى الخليفة الخ[3] .

ومن هذا نرى أن الكيا قد عظم شأنه وأنه بعد أن درس مدة فى بيهق اختير قاضياً فى سلطنة بركيارق السلجوقى وعظمت صلته بالسلطان وثقة السلطان به حتى اختاره للسفارة بينه وبين الخليفة فى بغداد .

فى بغداد :

قلنا إن الكيا وصل بغداد فى شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة يحمل رسالة إلى الخليفة. ويقول ابن الأثير: واعتنى بأمره مجد الملك البلاسانى وقام له الوزير عميد الدولة ابن جهير لما دخل عليه[1] ثم لا نعلم شيئاً عن حياته فى بغداد إلى ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة لما ولى التدريس بالمدرسة النظامية فى بغداد يقول ابن شهبة فى طبقات الشافعية : وتولى النظامية فى ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة واستمر بها عظيم الجاه رفيع المحل يتخرج عليه الطلبة إلى أن توفى فى المحرم سنة أربع وخمسمائة .

شيوخه وتلامذته :

لا نعلم شيئاً عن شيوخ الكيا الهراس إلا أنه تفقه فى نيسابور على إمام الحرمين وأخذ عنه طريقته فى الفقه والأصول والخلاف وأنه لازمه حتى مات ، ويذكر السبكى فى الطبقات أن الكيا حدث عن إمام الحرمين وأبى على الحسن بن محمد الصفار وغيرهما ولكنه لم يذكر غيرهما من شيوخه كما أن كل من رجعت إليهم من المؤرخين لم يذكروا من شيوخه إلا إمام الحرمين وأبا على الحسن بن محمد الصفار ، وعلى الرغم من أنه تولى التدريس زمناً طويلا فى بيهق كما تقدم لا تذكر كتب التراجم أحداً ممن تلقى العلم عنه فى بيهق وإنما تقتصر على بعض من تلقى عنه فى نظامية بغداد مثل الحافظ الكبير السلفى ، والمحدث الرحالة سعد الخير بن محمد الأنصارى الأندلسى البلنسى ، وأبى إسحق إبراهيم بن عثمان الغزى الشاعر المشهور .

ومهما يكن من شىء فإن الكيا الهراس — وقد قضى أكثر عمره فى الاستفادة والإفادة — لا شك أنه خدم العلوم الإسلامية وخاصة الفقه والأصول خدمة جليلة حتى دعى شيخ الشافعية فى بغداد وتطلعت إليه العيون من كل صوب ولا شك أن الكثير

= أبوسعد عبد الرحمن بن المأمون المتوفى سنة ٤٧٨ وابو القاسم الدبوسي والغزالى وابو بكر الشاشي والكيا الهراس هذا وغيرهم من جلة العلماء فى كل عصر ومدارس أخرى فى اصبهان وهرات وكلها تدعى النظامية . على أن بناء المدارس كان معروفاً فى الاسلام قبل نظام الملك فقد كانت فى نيسابور مدرسة ابن فورك المتوفى سنة ٤٠٦ والمدرسة البيهقية نسبة إلى البيهقي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ .

(١) بركيارق بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقى مولده سنة أربع وسبعين وأربعمائة وتوفى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وأقام فى السلطنة اثنتى عشرة سنة وا شهراً .

(٢) ج ١٠ : ١٨

(٣) كان الخليفة فى هذه المدة هو المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله المتوفى سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة من الهجرة .

(١) كان ابن جهير هذا عظيم الكبر يعد كلامه عداً وكان إذا كلم إنساناً كلمات يسيرة هنىء ذلك الرجل فلا عجب إذا اعتنى ابن الأثير وذكر قيامه لالكيا لما دخل عليه .

من فقهاء الشافعية فى أواخر القرن الخامس وأوائل السادس تخرج عليه واستفاد منه وخصوصاً أيام توليه التدريس فى نظامية بغداد من ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة إلى وفاته سنة أربع وخمسمائة من الهجرة .

الثناء عليه :

يقول الشيخ محمد الأنصارى البهنسى فى الكافى (١) : أنه تفقه ببلده وقصد إمام الحرمين بنيسابور فلازمه حتى برع فى الفقه والأصول وكان هو والغزالى والخوافى (٢) أكبر تلامذته ومعيدى درسه . وكان إماماً نظاراً ، قوى البحث ، دقيق الفكر ذكياً فصيحاً جهورى الصوت . وقال أبو طاهر السلفى : سمعت الفقهاء ببغداد يقولون : كان أبو المعالى الجوينى يقول فى تلامذته إذا ناظروا : التحقيق للخوافى ، والجريان للغزالى ، والبيان لإلكيا .

وصفه السبكى فى الطبقات : بأنه أحد فحول العلماء ورؤوس الأئمة فقهاً وأصولا وجدلا وحفظاً لمتون أحاديث الأحكام . وكان ثانى الغزالى بل أملح وأطيب فى النظر والصوت ، وأبين فى العبارة والتقرير منه ؛ وإن كان الغزالى أحدوأصوب خاطراً وأسرع بياناً وعبارة منه . وكان يحفظ الحديث ويناظر فيه وهو القائل : إذا جالت فرسان الأحاديث فى ميادن الكفاح ، طارت رؤوس المقاييس فى مهاب الرياح .

وقال فيه ابن شهبة فى طبقات الشافعية : إنه كان إماماً نظاراً قوى البحث دقيق الفكر ذكيا فصيحاً جهورى الصوت حسن الوجه جداً ، قدم بغداد وتولى النظامية فى ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة واستمر مدرساً بها عظيم الجاه رفيع المحل يتخرج عليه الطلبة إلى أن توفى . وقال ابن خلكان : وكان حسن الوجه جهورى الصوت فصيح العبارة حلو الكلام . ويقول ابن عساكر فى تبيين كذب المفترى : كتب إلى الشيخ أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل قال : إنه ورد نيسابور فى شبابه وقد تفقه وكان حسن الوجه مطابق الصوت للنظر ، مليح الكلام ، فحصل طريقة إمام الحرمين وتخرج به فيها وصار من وجوه الأصحاب ورؤوس المعيدين فى الدرس ، وكان ثانى الغزالى بل أملح وأطيب فى النظر والصوت وأبين فى العبارة والتقرير منه ، وهذا كان يعيد الدرس على جماعة حتى تخرجوا به وكان مواظباً على الإفادة والاستفادة (١) .

(له بقية)

برهان الدين محمد الداغستانى

---

(١) يلاحظ القارئ للنبذ التى نقلناها من كتب التراجم فى الثناء على الكيا الهراس تشابهاً كبيراً بينها مما يجعله يجزم باتحاد مصدرها ثم تصرف فيه كل كاتب منهم بعض الشيء فى الأصل الذى وصله ، والذى ظهر لنا أن المصدر الأصلى لأخبار الكيا الهراس هو الشيخ عبد الغافر أبو الحسن بن اسماعيل مؤلف تاريخ نيسابور الذى كان موجوداً فى أواخر القرن الخامس وأول السادس وهى المدة التى كان فيها الكيا موجوداً وعن عبد الغافر نقل ابن عساكر وابن خلكان والسبكى وغيرهم ممن أتى بعدهم

---

(١) الكافى فى معرفة علماء المذهب الشافعى ورقة (٦٦) مخطوط

(٢) هو أحمد بن محمد بن المظفر الخوافى الامام المشهور أنظر أهل عصره وأعرفهم بطريق الجدل فى الفقه عرف بالعبارة الرشيقة المهذبة والتضييق فى المناظرة على الخصم والارهاق إلى الانقطاع توفى سنة ٥٠٠ من الهجرة وخواف قرية من أعمال نيسابور .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٢٧ — حشو اللوزينج

ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للثعالبي :

حشو اللوزينج يضرب مثلا للشيء يكون حشوه أجود من قشره وأفضل ، وذلك أن حشو اللوزينج خير منه فيشبه به الحشو فى الكلام يستغنى عنه وهو أحسن منه . ومن أشهر ذلك قول عوف بن محلم :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان[1]

فقوله (بلغتها) حشو مستغنى عنه ، ومعنى الكلام يتم بدونه ولكنه أحسن من جماته ... قال أبو سعد رجاء : دخلت يوماً على أبى الفضل بن العميد فقال لى : امض إلى أبى الحسين بن سعد فقل له : هل تعرف أن لقول عوف (إن الثمانين وبلغتها) ثانياً فى كون الحشو أحسن من المحشو . فسرت إليه وبلغته الرسالة فقال : سألنى عنه محمد بن على بن الفرات فسألت عنه أبا عمرو غلام ثعلب فقال : سألت عنه ثعلباً فلم يأت بشيء ، ثم بلغنى أن عبيد الله ابن عبد الله سأل المبرد فأنشده قول عدى بن زيد لابنه زيد بن عدى فى حبس النعمان :

فلو كنت الأسير ولا تكنه إذن علمت معد ما أقول

قوله (ولا تكنه) حشو مستغنى عنه ولكنه فى الحسن نظير (وبلغتها) قال مؤلف الكتاب (الثعالبي) : قد افتتحنا كتاباً صغير الجرم لطيف الحجم فى نظائر هذين الحشوين وترجمته بـ (حشو اللوزينج) فما أودعته إياه أن المأمون قال يوماً ليحيى ابن أكثم : هل تغديت ؟ فقال : لا وأيد الله أمير المؤمنين ![1] فقال المأمون ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها ... ومما عثر عليه من حشو اللوزينج فى شعر البحترى قوله للمتوكل :

وجزيت أعلى رتبة مأمولة فى جنة الفردوس غير معجل

فقد تم الكلام عند قوله فى (جنة الفردوس) وقال (غير معجل) أى بعد عمر طويل لأن الجنة إنما يوصل إليها بالموت .

وفى شعر لأبى الطيب :

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

فقوله (وحاشاك) حشو فيه ما فيه من الحلاوة ، وعليه ما عليه من الطلاوة .

٩٢٨ — الشريعة تأبى التضييق والحرج

الاعتصام للشاطبي : ... إن عدّوا كل محدث العادات بدعة فليعدوا جميع ما لم يكن فيهم من المأكل والمشارب والملابس والكلام والمسائل النازلة التى لا عهد بها فى الزمان الأول بدعاً ، وهذا شنيع ، فإن من العوائد ما تختلف بحسب الأزمان والأمكنة فيكون كل من خالف العرب الذين أدركوا الصحابة واعتادوا مثل عوائدهم غير متبعين لهم ، هذا من المستنكر جداً ... وأيضاً فقد يكون الزى الواحد والحالة الواحدة أو العادة الواحدة تعباً ومشقة لاختلاف الأخلاق والأزمنة والبقاع والأحوال ، والشريعة تأبى التضييق والحرج فيما دل الشرع على جوازه ، ولم يكن ثم معارض .

٩٢٩ — يعدل حيا وميتا

كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين : قال (ابن الأثير) ومن عدله أيضاً (من عدل نور الدين) وهو من أعجب ما يحكى أن إنساناً كان بدمشق غريباً استوطنها وأقام بها لما رأى من عدل نور الدين (رحمه الله) فلما توفى تعدى بعض الأجناد على هذا فشكاه فلم ينصف ، فنزل من القلعة وهو يستغيث ويبكى وقد

(١) سمى العسكرى فى (الصناعتين) هذا النوع : الاعتراض ، وأورد هذا البيت وفى (خزانة الأدب) للحموى : ومن معجزه فى القرآن : فإن لم تفعلوا — ولن تفعلوا — فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة .

(١) فى (البيان والتبيين) للجاحظ : مر رجل بأبى بكر (ض) ومعه ثوب ، فقال : أتبيع الثوب ؟ فقال : لا ، عافاك الله . فقال أبو بكر : لقد علمتم لو كنتم تعلمون ، قل لا ، وعافاك الله .

شق ثوبه وهو يقول : يا نور الدين ، لو رأيتنا وما نحن فيه من الظلم لرحمتنا ، أين عدلك ؟ وقصد تربة نور الدين ومعه من الخلق ما لا يحصى ، وكلهم يبكي ويصيح ، فوصل الخبر إلى صلاح الدين فقيل له : احفظ البلد والرعية وإلا خرج عن يدك ، فأرسل إلى ذلك الرجل وهو عند تربة نور الدين يبكي والناس معه ، وطيب قلبه ، ووهبه شيئاً ، وأنصفه ، فبكى أشد من الأول ، فقال له صلاح الدين : لم تبكي ؟

قال : أبكي على سلطان عدل فينا بعد موته .

فقال صلاح الدين : هذا هو الحق ، وكل ما ترى فينا من عدل فنه تعلمناه .

٩٣٠ — كان يحلق لحيته وشواربه

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوى :

عبد الملك بن عبد الحق بن هاشم الحربى المغربى كان صالحاً معتقداً ، يذكر أن أصله من الينبوع ... وقد ولى بمكة مشيخة رباط السيد حسن بن عجلان ، ومات بها فى ليلة السبت ثامن شعبان سنة خمس وأربعين ، وبنى على رأس قبره نصب بل حوط نعشه ، وهو مما يزار ويتبرك . وكان يحلق لحيته وشواربه ...

٩٣١ — فى شعر البحترى

قال الصفدى فى شرح اللامية : انشدت يوماً بعض الأفاضل قول البحترى من قصيدته المشهورة :

وأزرق الصبح يبدو قبل أبيضه   وأول الغيث قطر ثم ينسكب

فقال بدل ينسكب : (ينهمر) فقلت : كيف تصنع فى الأول وهو قوله :

هذى مخايل برق خلفه مطر   جود وورى زناد خلفه لهب

فقال بدل لهب : (شرر) فقلت هذه القصيدة بائية ، فلم يحر جواباً لكنني اعترفت له بالإحسان لسرعة الجواب فى الثانى .

قلت . فى القصيدة هذان البيتان :

قلب يطل على أفطاره ويد   تمضى الأمور ونفس لهوها التعب

وما صحبتك من خوف ولا طمع   بل الشمائل والأخلاق تصطحب

و (على أفطاره) هى رواية الديوان ، وروى ابن الأثير البيت وفيه (يطل على أفكاره) ثم قال : فقوله (قلب يطل على أفكاره) من الكلمات الجوامع ، ومراده بذلك أن قلبه لا تملؤه الأفكار ولا تحيط به ، وإنما هو عال عليها ، يصف بذلك عدم احتفاله بالفوادح وقلة مبالاته بالخطوب التى تحدث أفكاراً تستغرق القلوب ، وهذه عبارة عجيبة لا يؤتى بمثلها مما يسد مسدها .

٩٣٢ — أيها الصدر قد اجتمع عندك رءوس أهل النار

النجوم الزاهرة لأبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى : وفيها (سنة ٤٨٨) توفى عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزوينى شيخ المعتزلة ، كان إماماً فى فنون ، فسر القرآن فى سبع مئة مجلد — وقيل فى أربع مئة وقيل فى ثلاث مئة — وكان الكتاب وقفاً فى مشهد أبى حنيفة (ض) وكان رحل إلى مصر وأقام بها أربعين سنة ، وكان محترماً فى الدول ، ظريفا حسن المشرة ، صاحب نادرة . قيل : إنه دخل على نظام الملك الوزير وكان عنده أبو محمد التميمى ورجل آخر أشعرى ، فقال له القزوينى : أيها الصدر ، قد اجتمع عندك رءوس أهل النار . قال نظام الملك : وكيف ذلك ؟ قال : أنا معتزلى ، وهذا مشبّه (يعنى التميمى) وذلك أشعرى ، وبعضنا يكفر بعضاً . فضحك النظام . وقيل : إنه اجتمع مع ابن البراج متكلم الشيعة ، فقال فقال له ابن البراج : ما تقول فى الشيخين ؟[1] فقال سفلتين[2] ساقطين . قال : من تعنى ؟ قال : أنا وأنت ... وكانت وفاة القزوينى هذا فى ذى القعدة وقد بلغ ستاً وتسعين سنة ، ودفن بمقابر الخيزران عند أبى حنيفة (ض) .

---

(١) قصد ابن البراج من قصد فسمع ما سمع .

(٢) نطق بها قائلها عامية ، فى التاج واللسان : قال الجوهرى ولا يقال هو سفلة لأنها جمع والعامة تقول رجل سفلة من قوم سفل ، قال ابن الأثير : وليس بعربي ، وسأل رجل الترمذى فقال له : قالت لى امرأتى يا سفلة فقلت لها : إن كنت سفلة فأنت طالق ، فقال له : ما صنعتك ؟ قال : سماك (أعزك الله) قال : سفلة والله فظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد : سفلة فتأمل .

قلت : لقد لغا الترمذى بغير الحق ، فليس السماكون وأشباههم من السفلة بل هم من الأشراف والكرام العاملين ، إن فى الحرفة وفى العمل الشرف كله . والسفالة كل السفالة هى فى البطالة ، والسافل إنما هو الفارغ السبهلل .

فى التاج : قال السيرافى فى كل فارغ :سبهلل ، وفى النهاية فى حديث عمر : إنى لأكره أن أرى أحدكم سبهللا لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة يقال جاء يمشى سبهللا إذا جاء وذهب فارغا فى غير شيء .

على مضجع الآمال ..!!

للأستاذ محمد العلائى

« أستاذنا الجليل عميد الرسالة :

... وتلك قصيدة ثالثة أملتها ضجعة الأمل المحموم على سرير المحنة وأنا فى هذه القرية المصرية التى نزلتها زائراً فأمسكتنى عليها سجيناً . والتى نزلتها مودعاً فأدركنى بها ما صنعت « وزارة المعارف » فى عهدها السابق بقضيتى حين أوقفت بعثتى إلى « لندن » وحين استباح الهوى الغاشم حرمة الضعف النبيل وظل الشجى يبعث الشجى حتى انكمشت مشاعرى وتراجعت عن هذا العالم الصاخب وتجمعت فى هذا البلد الصغير الذى استقبلت عليه مأساتي ودرجت على ربوعه أحلامى ... وظل الشجى يبعث الشجى حتى صدق الله وعده وأراد أن يمن على الذين استضعفوا فى الأرض ويجعلهم أئمة فزهق الباطل وجاء أستاذنا « السنهورى » إلى وزارة المعارف ... واستفاقت قضيتى من جديد ما بين عدالة الوزير الكريم وحصافة المستشار الجليل . وأستاذنا «اسماعيل القبانى» مستشار له كرامة ورجولة وله حقيقة أكبر من ظاهره وسأدخر شكرى للوزير الخير وللمستشار الحاسم ولأستاذنا « شفيق غربال » الوكيل الفاضل الذى ناصر قضيتى وهى فى وحدة الظلم وأيدها بكلمته وهى فى مطلع العدالة ... سأدخر شكرى لهؤلاء ... ولأساتذتى وأصدقائي الذين ذكرونى بالعطف والمودة يائساً ، وبالمعونة والتهنئة آملاً ، سأدخر شكرى لأولئك وهؤلاء حتى يعبر عنه ما سأبذل من واجب يشرف الاستعداد المصرى فى آفاق الغربة والمعرفة وما سوف أقدمه من جهد وتضحية فى قضية أبناء الظلام بعد رجعتى إلى الوطن المصرى الحبيب . والحبيب مهما نزفنا على أرضه من دماء ومهما تركنا عليها من شوق وأشلاء ... وليتقبل عميد الرسالة وأسرتها تحيتى ووداعى » .

« العلائى »

ما زال من تجفَ الأحلام هيمانا   حتى تساقط آمالا وأحزانا
وقلّبَ الشوكَ فى أغصانه يقظاً   ومدَّ أنفاسه للزهر وسنانا
وعانق الليل حتى اسود خاطره   ولم يجد لبياض الصبح وجدانا
وكم تمنّى ولما جاء مورده   ألفى الضمير بذات الماء غصانا
وكم تشكى ولما صد غايته   ألفى مذاهبها ظلا وريحانا
يا مهد أحلامه ، ما كان مقدمه   إلا وداعاً ، فألفى غير ما كانا !
وافاك يصنع من أشلائه أملا   قبل الرحيل فذاق اليأس ألوانا
وافاك يدفن فى أرض الصبا شجناً   فواجهته بملء الأرض أشجانا
يا مهد أحلامه . وافاك منفردٌ   سقى الأجادب حتى عاد ظمآنا
ألقى الصلاة على الأقداس فاختنقت   بها المعابد أوثاناً ورهبانا ! !

تذكر الشاعر الوسنان وارتجفت   ذات المشاعر ألواناً وأنغاما
يا مهد أحلامه ، ولّى وأتعبنى   ليل الشباب . وضاع العمر أوهاما
يا ليت ليلك إذ خابت مشارقه   أمست عليه صروف الدهر أحلاما !
نزلت أرضك أوجاعاً مضمدة   فانساب أخطرها حساً وإلهاما !
رفّت ببابك أفراح الصبا قطعاً   من الظلام ورف الشوق آلاما!
على ديارك ذكرى كلما ارتجفت   تساقط الأمس فى واديك أياما !
والفجر مازال مسوداً بيا كرنى   كالهم ناصية والموت أنساما !
لا ألمح الشمس فى واديه مشرقة   ولا الصباح على الآفاق بسّاما
ولى الشباب وما زالت مصائبه   على ربوعك أشلاءً وأسقاما
مضى الزمان بما أشجى وما برحت   سود الليالى على ناديك أعلاما ! !

يامهد أحلامه . لاشىء فى خلدى   إلا وذكرنى فى الأمس أشياء
تلك الروائح والأشلاء من أمد   كانت بأرضك آلاماً وأهواء !
نزلت أرضك بالآمال فانقلبت   على ربوعك يوم اليأس أرزاء !
نزلت أرضك بالآمال فانتثرت   على الضغائن والأفواه أشلاء !!
وساورتنى على مغناك أخيلة   وبعثرتنى على الآفاق أخطاء !!
وطالعتنى من الأيام أوجهها   حتى شربت تراب اليأس صهباء !
وللنوائب كأسٌ بات شاربها   يقلب النفس تبريراً وإرجاء !
والهم ينسج أحداثاً لينقضها   ويفتن العقل تثبيطاً وإغراء !
ويجعل الصدق فى أفواهه كذباً   واليمن مشأمة والعزم إعياء !!
والهم يجعل من ذات الرؤى حدثاً   ويملأ الصمت فى الأسماع أنباء !

يامهد أحلامه ، ماذا تملكنى؟   وخالط النفس أجواء وأعماقا
أمست وأضحت كأن الأرض ماعرفت
يأساً ولا نظرت من قبل إخفاقا !
ماذا دهاها ؟ فصبت أمسها كسفاً
وأزهقت يومها فى الأمس إزهاقا ! !
ليس الجديد قليلا فى مداركها..   حتى تجدد للأحزان آفاقا !
وليس حاضرها خِلواً فتملأه   ولا الضمير إلى ما كان مشتاقا !
هى الليالى وألوان الشجى رحم   والعرق يجمع فى الآلام أعراقا
واليأس أوجُهه ما ناء حامله   وكان لولا جراح فيه سباقا !
والليل أنجُمه ما نام ساهره   وقام لا يرتجى للنور إشراقا !!
والنفس أبعد أشواطاً إذا عدمت   شوقاً فهاج على مثواه أشواقا !
والنفس أبلغ من أعماقها ألماً   إذا أطالت على المأساة إطراقا !

يامهد أحلامه. طافت على خلدى   مواجع الأمس أرواحاً وأجساداً
كم جئت أرضك بالآمال هامدة   وبالوسائل أشباهاً وأضدادا
عجبت للدوحة السوداء مابرحت   كأن فيها على الأيام أحقادا !!
الأصل فى أرضه ما زال منشعباً   والفرع فى أصله مازال ميادا !
يادوحة فى ضمير الليل ماشهدت   شمساً ولا نظرت للدهر أعيادا !
بات الفناء على واديك حشرجة   والظل أصبح في ساقىَّ أصفادا !
سرب المكاره مازالت عصائبه   على غصونك أزواجاً وأفرادا !
طوبى لروضك ما زالت حمائمه   أشهى وأوجع مما كان إنشادا !
طوبى لنسمتك السوداء ما تركت
على المذاهب لا ماء ولا زادا !!
أحفاد خطبك لا طابت منابتها   أمست على نسب الأحزان أجدادا

يامهد أحلامه ، فاحت على خَلَدى   ريح الليالى تباريحاً وأوصابا !
أبى وفاؤك إلا أن تنسق لى   سود الأزاهر فى لقياك ترحابا !
ماكاد يشرح آلام النوى جسدى
حتى صببت لذات النفس أكوابا !
هاج المساء وهاج الصبح ما شرقت
به ديارك أنفاساً وأعتابا !!
عطر النوائب فى مغناك أبهجنى   ومد للنسمة السوداء أسبابا !!
وخايلتنى على مغناك أزمنةٌ   فيها مواجعها أهلا وأحبابا !!
والتف بالنفس ماضيها وقلبنى   على المضاجع محزوناً ومرتابا
ما ذا بأرضك أعرى النفس فارتجفت
على منـــابتها دوحاً وأعشابا
ماذا بأرضك ناداها وذكرها ؟   وفتح الواقع المشئوم أبوابا !
كأن بين خطوب الأرض قاطبة   وبين خطبك أرحاماً وأنسابا !

يا مهد أحلامه . ناداك مرتعد   يغشى المعالم أجداثاً وأهوالا
وطاف بالأمس لايلوى على طلل   إلا وكشف أطلالا وأطلالا !
وطاف بالأمس حتى جن رائده   وخاض ما فيه أشلاء وأوحالا !
وخاض فى لجة الأيام وانتفضت
موتى الأمانىّ فى الأكفان أجيالا !
قامت تجر خطاياها ، ومن أمد   كانت تجر وراء الضعف أثقالا!
كانت تجدد أوجاعى وتجعلنى   أخشى المغايب أسحاراً وآصالا!
كانت على النفس أرواحاً مدللة
فأصبحت فى مهاوى الأمس أغوالا !
موتى الأمانى لا أنسى تعثرها   بين المخاوف إدباراً وإقبالا
حملتها اليوم آلاماً على كبدى   وكنت أحملها بالأمس آمالا !!
وكنت أجعلها للنفس أجنحة   فأصبحت فى حنايا الصدر أغلالا

يا مهد أحلامه . وافاك مغترب   يشكو المذاهب أشواكاً وأزهارا
رأى الأصائل فارتابت مشاعره   فيما يراه تباشيراً وأسحارا !
ألقى عصاه على يومين فانتكست   به الأمانى فى مغناك أشمارا !!
ما كاد يعزف بلواه على وتر   حتى أهاج أنين اللحن أوتارا !
ولا تعمق فى شط المنى خبراً   إلا وذكره فى اليم أخبارا !
ولا تأمل غصناً فى بشائره   إلا تخوفه ظلا وأثمارا !!
ولا أزاح ستار الغيب عن ظلَم   إلا وأسدل خوف النور أستارا !
ظن الظنون وذاق الناس واختنقت
منه الخواطر أشراراً وأخيـــارا
ما كان أكبره نفساً وأطهره   لوأن فى البر أوفى البحر أطهارا !
رأى القلوب عبيداً فانطوى ألماً   وغاظه أن يرى الأفواه أحرارا !

يا مهد أحلامه . ناداك مرتحل   صب الضمير على مغناك أسقاما!
ما بال دارك يا ابن الليل حافلة ؟   لم ترع شوقا ولم تستبق آلاما!

مابال روضك لاتصفو مشاربه؟   ولا يطيب على الآفاق أنساما

زلت أرضك والآمال فى غدها

فانساب رائدها فى الأمس أوهاما !

وارتد هامدها فى الوهم أخيلة   والتف ذابلها بالنفس أنغاما !!

ومن توارى من الأيام مشأمة   خال التراجع بالأشلاء إقداما !

وبات ينزف أوهاماً ويسكبها   ويستمد من التصميم إحجاما !

وراح بالنفس لا يدرى لها أفقاً   وعاد يملؤها ظناً وأحلاما !

وراح يطلب للتبرير مستمعاً   وعاد يستخذات اليأس أحكاما !

وراح يسخر بالآمال تعمية   وعاد ينظر للاخفاق بساما !

يا مهد أحلامه ما كان من ألم   ولى وأورثنى فى النفس أشياء

والقلب أوسع للضراء تذكرة   إذا تنسم فى الآفاق سراء !

والروح يذكرعند الظل حرقته   كما يهيج رحيل الداء أدواء !

والهم أثقل خطواً قبـــل مخرجه

والنفس أكثر بعد الشوط إعياء !

والليل يلمس ألباباً فيتركها   لا تستطيب لذات الفجر أنباء

واليأس إن لمس الأعماق فادحه   رد البشائر فى الأسماع أرزاء !

واليأس يطمس فى الميؤوس حكمته

حتى يظن طنـــين الهم آراء

واليأس ينسج أشلاء المنى عقداً   ويملأ الأرض للميؤوس أعداء

واليأس ينفخ أوهام الفتى ورماً   ويخلع القلب تخييلا وإيحاء

ويخنــق النفس تبريراً وتغطية

ويقلب الكون فى الأذهان أخطاء !

يا مهد أحلامه . ناداك مرتحل   أفنى الوساوس أجواء وأعماقا

مد الفؤاد إلى الآمال مختنقاً   وكان فى سكرات اليأس خفاقا

وأغمض الشوق عن أقداسه ورعا   وكان فى حمأة الأرجاس مشتاقا !

وأفرغ الكأس لما جاء واقعها   وكان يشربها فى الوهم ترياقا !

من خالط الدهر لايروى له خيراً ...

ولا يصـــدق للآفاق إشراقا

ومن تعود شح الجدب آمله   رأى الهشيم بذات الخصب إغداقا

ومن توغل فى الإخفاق خاطره   خال النجاح على الأهداف إخفاقا

ومن تمرس بالأشواق خافقه   ألنى الحفيظة فى الأفواه أشواقا !

ومن تذوق للاغراق منقلباً   ظن التبسم للأيام إغراقا !

ومن تجرع صاب الوهم فى أفق   خاف الحقيقة آفاقاً وآفاقا

يا مهد أحلامه . ناداك مرتحل   أبلى حوادثها فقداً وإيجادا !!

ولم يزل فى شـعاب الأمس يذكرها

إن مس نازلة أو مس أعيادا !

يا بؤس دارك ما زالت نوائبها   سوداً وأسودها ما زال وقادا !

لم يعل محنتها شيب وقد نظرت   على الملاعب أبناء وأحفادا !

يا بؤس دارك لايصفو لها خبر   وإن صفا لم يجد للصفو أكبادا

تسد مسممها إن كان عارضها   غيثاً وتفتحه إن كان إرعادا !

ياويح دارك قد فاحت سريرتها   وأزبد الألم المكبوت إزبادا!

وجسم الأمل المحموم سامرها   وماج منقلب الأيام أشهادا

واهتز فى دوحة الأشواك فارعها   حتى اشرأب دفين الأصل ميادا

وأخرج الأمس ألفافاً وأحكمه   على المشاعر والأهواء أصفادا !

يا مهد أحلامه . ناداك مرتحل   أفنى الخواطر إنكاراً وإيجابا !

طالت مذاهبه وارتاب رائدها   وأطنب الدهر فى نجواه إطنابا

واشتف أعماقه حتى تشربها   فما أطاق لها شهداً ولا صابا !

واستل أنفاسه صبراً وتضحية   وامتص خاطره بدءاً وإعرابا !

وضاع فى صخب الأقدار هامسه   وانشق مرهفه عتباً وإعتابا

وراح فى غسق الأهواء مقتنماً   وعاد فى وضح الأقداس مرتابا

جنى المصائب آمالا وأحرقها   على المذاهب توديعاً وترحابا !

وأذهل الشوق عن أبواب واقعه   وهام يطلب خلف الغيب أبوابا

ومال بالنفس عما لاح شاطئه   ومد للشاطىء المجهول أسبابا

وأزهق العمر تفكيراً وتجربة   وما تخير من دنياه محرابا !!

يا مهد أحلامه . وافى وطالعنى   يوم الرحيل وهاج الشوق أهوالا

الحق أزهق أغراضاً ومزقها   على المذاهب والأفواه أمثالا !

والخير أخمد أهواء وأركسها   تحت الذلة أردانا وأوحالا !!

والحق كالدهر إن أملى لباطلة   وفى وأوغل فى التشهير إيغالا

والخير أرزن مأساة فإن عصفت   رد الحبائل فى الأشرار أغلالا

والنوم أبلغ للأقدار تذكرة   والصمت أبعد فى الآفاق إرسالا

ومن ترامى على الأحداث مرتمدا   ذاق المنى فشلا واليأس آمالا !

الأدب والفن في أسبوع

المرصد والجامعة :

وافق مجلس الوزراء هذا الأسبوع على اقتراح لكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول بضم المرصد الملكى بحلوان إلى الجامعة على أن يكون وحدة مستقلة ، وأن تتألف لجنة من القائمين بالمرصد الآن ومن رجال الجامعة لتقديم التفاصيل الخاصة بهذا المشروع وتقدير الاعتمادات اللازمة لتنفيذه .

وهذه فى الواقع خطوة طيبة كان من الواجب أن تتم منذ سنين ، وكانت المصلحة العلمية تقضى بتحقيقها من يوم أن قامت الجامعة وتهيأت المكانة اللازمة لكلية العلوم ، فإن المرصد لا يصح أن يقوم على أنه آلة تسجل ظواهر الجو المعتادة وكفى ، بل يجب أن يكون مركزاً علمياً للتجارب والإفادة فى تلك الناحية التى استغلتها العقول الكبيرة حتى جعلت لها السيطرة على جميع ظواهر الحياة .

ومن تفكر أفناه تفكره ... وخال ميسرة الأيام إقلالا !
ومن تعمق لا ينمو له أمل ... إلا تقصف أوهاماً وأقوالا !
وأحصف الناس لايدرى تعثره ... إن كان نازلة أو كان إقبالا !!

يا مهد أحلامه . نادى وخايلنى ... يوم الرحيل وماج الغيب أسرارا
ما بال أمسك ألقاه على خلدى ... شوكا وأنثره للدهر أزهارا !!
ومن تسامى عن الأوضاع منزلة ... ألقى سعادته بذلا وإيثاراً !
يا مهد أحلامه . ما كان أوجمها ... ذكرى وأعمقها عطراً وأخباراً
والنفس خاشعة الأهواء يلمسها ... نور فيملؤها شوقاً وأخطارا !
ومن تسامى عن الأوضاع بمعرفة ... رد الظلام على الأيام أنوارا !!
يا مهد أحلامه . ناداك مرتحل ... مد المشاعر للأنسام تذكارا
أودعت أرضك أخطاء ستجمعها ... بعد اغترابى آلاء وأثمارا !!
ومن تسامى عن الأوضاع بتجربة ... لاحت مآثره للناس أوزارا !!
وأقرب الناس الأقدار منفرد ... يرعى الحياة كما لو كان مقدارا !

محمد العلائى

إن علم الظواهر الطبيعية أصبح دعامة من دعامات النهوض والقوة عند الأمم ، وقد أدى هذا العلم فى الحرب الماضية من الجهد ما غير مجرى الحوادث وحول دفة التاريخ ، فلعل أن تكون هذه الخطوة مقدمة لاهتمام شامل بهذه الناحية حتى تؤدى فيها الجامعة رسالتها العلمية .

بعد المرحلة :

أشرنا فى أعداد سابقة من الرسالة إلى تلك المرحلة الطويلة التى قام بها الأديب الفرنسى الكبير مسيو جورج ديهاميل فى بلاد الشرق العربى حيث طاف بسوريا ولبنان ومصر وبلاد شمال أفريقيا ، وقد جاء فى نبأ من باريس أن ديهاميل تقدم إلى الأكاديمية الفرنسية بتقرير واف عن نتائج رحلته وما تبينه فى بلاد الشرق من اتجاهات .

ولست أدرى ماذا قال الأديب الفرنسى الكبير فى بيانه أو فى تقريره هذا . فإن الأنباء البرقية لم تشر إلى شىء من مضمونه ، ولست أدرى هل كتب ديهاميل ما كتب بروح الأديب الإنسانى الذى عاش طول حياته ينشد الإنسانية المهذبة فأطرب أبناء الشرق والغرب ، أم بضمير السياسى المسعور الذى لا يرجو لأمته إلا أن تستعمر البلاد وتستعبد العباد وتظل قائمة وبيدها سيف الإرهاب والبطش تجره على رقاب الضعفاء .

إننا أبناء الأدب نرجو دائماً أن نظل أوفياء لرسالتنا ، محترمين لإنسانيتنا ، فلعل الأديب الفرنسى قد حدث «الخالدين» من أبناء أمته بما رأى من شنائع الاستعمار الفرنسى فى شمال أفريقية ، ولعله صور لهم ما رأى بعينيه من تلك المآسى الأليمة فى تونس ومراكش وغيرهما من البلاد التى اغتصب الفرنسيون أقواتها وتركوها نهباً للجوع ... وأن يكون فى هذا كله قد اعتصم بضمير الأديب الإنسانى لا بضمير الجلاد السياسى ، وإلا فعفاء على أدبه ، ولعنة الأدب على شخصه ...

يقظة الشباب العربى :

عقدت رابطة الطلبة العرب بأكسفورد فى الأسبوع الماضى مؤتمراً عاماً حضره طلاب يمثلون جميع الأقطار العربية ، وقد عقد المؤتمرون عدة اجتماعات للبحث والتشاور ثم اتخذوا عدة قرارات

بعضها فى مجال العمل السياسى وبعضها يتصل بالنشاط الثقافى .

ففى مجال السياسة قرروا العمل على إدخال عرب شمال أفريقيا ممن يوصفون بالشعوب المنسية فى حظيرة الجامعة العربية ، والعمل على حصول فلسطين على استقلالها ووقف الهجرة اليهودية إليها ، ثم العمل على تحقيق الاستقلال التام لمصر والسودان .

وفى مجال النشاط الثقافى قرروا الموافقة على إنشاء مراكز اجتماعية وثقافية فى جميع عواصم البلاد العربية يطلق عليها إسم « البيت العربى » لتكون منازل للمسافرين من العرب وندوات علمية ثقافية لأبناء العروبة ...

وإن هذه اليقظة من الشباب العربى المثقف لتدعو إلى الاطمئنان والتفاؤل ، وتملأ النفوس بالغبطة والبهجة ، وإننا إذ نبارك هذه الروح نرجو أن تظل فى يقظتها متوثبة ملتهبة حتى لا يفسدها التراخى ولا يخدرها طول الوقت .

كانوا يقولون : [آه لو علم الشباب ، وآه لو قدر المشيب] ، ولكننا اليوم أصبحنا نجد فى الشرق العربى الشباب العالم القادر الذى يتبصر الطريق ، فلعل الله يحقق على يديه للعروبة ما تمنى الأدباء وتلهفوا عليه .

تكريم مطران مرة ثانية :

أما التكريم الأول فهو الذى قامت به لجنة تألفت لهذا الغرض وقد كان من أمره ما نشرناه من قبل .

وأما هذا التكريم الثانى فقد قام به الاتحاد العربى فى داره بالقاهرة هذا الأسبوع فى حفل جامع حضره كثيرون من أعلام الأدب وأقطاب العرب ، وقد افتتح الاحتفال صاحب السعادة محمد على علوبة باشا رئيس الاتحاد بخطبة قيمة ضافية استهلها بقوله : « لنا الفخر أن نكون شرقيين منبع المدنية والآداب والعلوم التى اهتدى العالم بهديها ، وسار فى ضوئها . منا البابليون والأشوريون والفينيقيون والفراعنة ، وفينا ظهر الأنبياء عيسى وموسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين ، ولنا لغات راقية ممتازة فى مقدمتها اللغة العربية الشريفة التى نهضت بأعباء المدنية نحو العالم قروناً طويلة والتى يستطيع الإنسان أن يعبر بها عن كل إحساساته ومطالبه بما لا يجده فى لغة أخرى » .

وفى هذا المنحى من الحديث أفاض علوبة باشا فى الإشادة بمجد الشرق عامة والإسلام خاصة ، ثم انتهى فى الحديث إلى الضعف الذى انتاب الشرق فى العصور المظلمة وما كان بعد ذلك من مصارعة بين الشرق والغرب فى ميدان الحياة فقال : « ابتلينا بالغرب ، فهدم مدنيتنا ، وأضاع حريتنا ، وقتل شخصيتنا ، وفى هذا الظلام الخانق تأخرت اللغة العربية ، وندر الشادون بها من فحول الأدباء والشعراء . ولكن بين الحين والحين كانت تظهر فى تلك التربة الخصبة حبات صغيرة تحاول استرداد مجد اللغة ، ومن هذه الحبات حبة نبتت فى جبل لبنان الأشم ثم أراد الله لها أن تنمو وتفرع وتثمر فى وادى النيل حتى صارت دوحة عظيمة ، وليست هذه الدوحة إلا شاعر العروبة الكبير الأستاذ خليل مطران بك » .

وتحدث علوبة باشا عن مطران الرجل ، وشاعريته العبقرية الفياضة ، وما له من آثار جليلة فى خدمة العربية والتراث الأدبى ، وأهاب بالشاعر الكبير أن يتوجه بشاعريته إلى إيقاظ المشاعر بالإشادة بمجد الشرق العربى وتذكير الأبناء بما كان للآباء من تراث عظيم .

وتعاقب الشعراء والخطباء بعد ذلك ، فأنشد شبلى ملاط بك جملة من القصائد والمقطوعات القديمة والحديثة ، وأتى الأستاذ حسين السيد زجلا رقيقاً والأستاذ موريس أرقش خطبة بليغة وأنشد بعض قصائد مطران الخالدة ، ثم ألقى الأستاذ جميل الرافعى بعض الكلمات التى قيلت فى تكريم مطران فى عدة مناسبات ، وكان هذا ختام الحفل لتكريم الشاعر الكبير .

وبعد ، فليس هذا كله بكثير على خليل مطران بل إنه بعض الدين الذى فى عنق أبناء العربية نحو شاعر العربية الذى غنى فأطرب وأنشد فأعجب ...

مجمع للشريعة الإسلامية :

وضعت لجنة خاصة من هيئة كبار العلماء تقريراً اقترحت فيه إنشاء مجمع لبحث المسائل الدينية والتشريعية يسمى « مجمع فاروق الأول للشريعة الإسلامية » على غرار « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » وقد استهلت اللجنة تقريرها بمقدمة أشارت فيها إلى الضرورة التى تدعو إلى قيام هذا المجمع فقالت : « إذا كان مجمع فؤاد الأول للغة العربية قد قضت به الضرورة ودعا إليه داعى

الإصلاح واستلزمته مقتضيات العصر وما وجد فيه ، فإن ذلك يوجب أيضاً أن يكون فى مصر وتحت ظلال الأزهر مجمع دينى علمى ينسب إلى الفاروق المظيم ... وإن مجال العمل فى مثل هذا المجمع الدينى العلمى لفسيح ، وإن الأمة الإسلامية لنى حاجة ماسة إليه لا تقل عن حاجة اللغة العربية إلى مجمعها الراهن ، بل تزيد أضعافاً ، فقد حدثت صور من المعاملات لم تكن ، وبانت حاجات للناس لم تبن ، ووفدت علينا تيارات فكرية تارة ، ونزعات اجتماعية ضارة ، ليس من الخير ولا من الرأى أن ننفض النظر عنها وأن نتركها حتى يستشرى داؤها ويتفاقم خطبها » ...

ثم تحدثت اللجنة عن الأغراض التى سينهض بها هذا المجمع فأوجزتها فيما يلى :

١ — دراسة ما يرد للأزهر من أسئلة تتعلق بالأحكام الشرعية الاعتقادية والعلمية دراسة تتجلى فيها روح الشريعة الإسلامية فى وحدة العقيدة ورعاية المصالح .

٢ — بيان ما هو بدعة وما ليس ببدعة ، ووضع كتاب فى هذا الموضوع والإجابة عن الأسئلة التى تتعلق به ونشر المهم من البدع وإذاعته على الناس .

٣ — تفسير القرآن الكريم تفسيراً سهلا خالياً من الإسرائيليات وموافقاً لما تقضى به القواعد العربية والأصول الدينية والإجابة عن الأسئلة التى تتعلق بتفسير الآيات الكريمة ونشر المهم من ذلك وإذاعته على الناس .

٤ — وضع كتاب يحتوى على ما نسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام مع بيان مراتبه وشرح وجيز لما يحتاج إلى شرح من المقبول ، والإجابة عما يسأل عنه من تفسير الأحاديث أو تخريجها ونشر المهم من ذلك وإذاعته على الناس .

٥ — إحياء الكتب النافعة فى الشريعة الإسلامية وما له صلة بها إحياء يسهل معه الانتفاع بها .

٦ — إبداء الرأى فى الكتب التى يرى شيخ الجامع أخذ رأى المجمع فيها لشرائها لتدريسها فى مراحل التعليم بالأزهر والمعاهد الدينية وحل المشكلات العلمية العامة .

هذا هو الاقتراح الذى تقدمت به اللجنة لإنشاء مجمع للشريعة الإسلامية ، وهو اقتراح نوافقها عليه كل الموافقة ، ونرى معها أن الضرورة تقضى بإنشاء هذا المجمع فى أقرب فرصة ممكنة ، ولكنا نخالفها كل المخالفة فى أن تكون الأغراض التى أبدتها هى أغراض ذلك المجمع ومهمته ، لأنها كما يرى القارىء أغراض ثانوية ومن الواجب أن تضطلع بها هيئة كبار العلماء ودار الافتاء بالأزهر وإلا فلا حاجة تدعو إلى بقائهما ... وإنما يجب أن يكون المجمع المقترح مجمعاً للعالم الإسلامى عامة وأن يكون من أول أهدافه تحرير المسائل الخلافية التى فرقت الشمل وجعلت المسلمين جماعات ، ثم تنقية هذا الدين من شوائب النزعات المذهبية والاتجاهات الطائفية والتلفيقات الخرافية ورده إلى أصوله السمحة ؛ ونحسب أن الأذهان تهيأت فى العالم الإسلامى للاستجابة إلى هذه الغاية الشريفة التى هى غاية الإسلام الصحيحة القويمة ...

انحطاط الفن السينمائى فى مصر :

وأخيراً انتبهت وزارة الشئون الاجتماعية إلى أن الفن السينمائى فى مصر يمشى فى سبيل من الفوضى وأن الأفلام التى تعرض على الشعب ليست إلا ألواناً من التهريج الفارغ حتى أصبحت الجماهير الشعبية تشعر نحوها بالغضاضة وعدم التقدير .

نقول تنبهت وزارة الشئون الاجتماعية إلى هذا فقامت إدارة الارشاد الاجتماعى وهى الجهة المختصة بالوزارة ببحث هذه الحالة وفحص العلة فيها ثم تقدمت إلى معالى الوزير بمذكرة ضمنتها ما ترى لعلاج هذه الحالة وملافاة ذلك النقص ، وهى ترى فى مذكرتها أن السبب فى تدهور الفيلم المصرى يرجع إلى ضعف القصة ، ولذلك نقترح أن تمتنع الوزارة عن الترخيص بتصوير القصص الضعيفة التأليف أو التافهة الموضوع على أن تتألف هيئة بالوزارة من الفنيين يكون لها الرأى فى تقدير القصص الصالحة للعرض بما يجتمع لها من براعة ونبالة الغرض وقوة الموضوع ، أشارت المذكرة إلى ما يجب على الوزارة فى منع الأفلام التى تسىء إلى سمعة مصر والبلاد العربية أو تسىء إلى صناعة السينما واقترحت توافر شروط خاصة فيمن يزاولون الأعمال الفنية الأساسية فى صناعة السينما ، كما رأت أن يظل باب المنافسة بين الأفلام الأجنبية والأفلام المصرية مفتوحاً إذ أن المنافسة داعية الاجتهاد وتحرى الإجادة ..

وكل ما نقوله فى التعليق على هذا هو أن الوزارة قد لمست الداء وتبينت الدواء فلعلها تكون حازمة فتنقذ مصر من هذه الفوضى التى تدلت بالفن إلى مدى سحيق !!

« الجاحظ »



بل أى الأقوال أصدق ؟

قرأت ما كتبه الأستاذ محمود أبو ريه فى عدد الرسالة الغراء ٧١٨عن حكم الدكتورطه حسين بك للعقاد منذ ثلاث عشرة سنة وعن حكمه لمطران اليوم ، وأقول إن الدكتور قد حكم من قبل ذلك لشوقى وحافظ بما حكم به بعد ذلك للعقاد ومطران .

فالدكتور يقول فى الصفحات الأخيرة من كتابه « حافظ وشوقى » : « ... ... وكلا الشاعرين قد رفع لمصر مجداً بعيداً فى السماء ، وكلا الشاعرين قد غذّى قلب الشرق العربى نصف قرن أو ما يقرب من نصف قرن بأحسن الغذاء ...

هما أشعر أهل الشرق العربى منذ مات المتنبى وأبو العلاء من غير شك ، هما ختام هذه الحياة الأدبية الطويلة الباهرة التى بدأت فى نجد وانتهت فى القاهرة » ويستطرد الدكتور إلى أن يقول : « هما أشعر العرب فى عصرهما ... » .

وإنى إذ أضيف هذا الحكم القديم للدكتور إلى ما نقله الأستاذ أبو رية لا أود أن أعرض ذلك أمام الأدباء جيعاً ليروا رأيهم فيه فحسب ، بل أعرض ذلك للدكتور نفسه قبل هؤلاء جيعاً ليعلن رأيه الفصل ، ويوفق بين ما أعلنه فى صراحة ووضوح وله منى أطيب التحيات والسلام .

(السودان — بربر) **عز الدين الأمين**

عود إلى ترجمة :

كتبت كلمتى السابقة فى الرسالة عن ترجمة كتاب السادهانا للأستاذ الأديب محمد محمد على وأبرزت بعض نواحى الخطأ فى هذه الترجمة . وأنا أشعر بأننى أؤدى واجباً نحو الأدب والفن لا يحسن السكوت عنه وقد قرأت فى عدد الرسالة الأخير رد الأستاذ على ما كتبت وكان بودى أن ينتهى الأمر عند هذا الحد ويترك إلى ذوق القارىء وتفكيره .

ولكن الكاتب الأديب قد عمد إلى تحريف الكلم . وقدم للقراء صوراً زائفة من القول يبرر بها أخطاءه التى أشرنا إلى بعضها فى الرسالة الغراء .

كتب شاعر الهند تاجور فصلا فى السادهانا بعنوان Soul Consciousness وترجمها معرفة الروح . وصححنا هذه الترجمة فقلنا الوعى الروحى ولكن الأستاذ رد على نقدنا بقوله « خطأ الأستاذ ترجتى للجملة Consciousness of Soul بمعرفة الروح وترجمها بالوعى » ونحن نضع يدنا على يده ونقدمها للقراء متسائلين عن الذى دعاه إلى هذا التحريف فى كلام تاجور وهو تحريف يخل بالمعنى الذى رمى إليـه ، ويخالفه كل المخالفة . فالوعى الروحى هنا هو الضمير الروحى ومنه قوله تعالى « والله أعلم بما يوعون » أى يضمرون فى نفوسهم . والمقصود بهذا فى لغة الفكر : أن يعى الإنسان كل شىء عن طريق الروح وشتان بين هذا وبين معرفة الروح

وخطأ ترجمة كلمة Reolisation of Cife بتحقيق الحياة التى ترجمها بكنه الحياة . ولم يجد سبيلا إلى هـذه التخطئة غير قوله : « ليست الحياة باطلة حتى يجعلها الكتاب حقيقة » وهذا نقد كان يجدر به أن يوجهه إلى مؤلف الكتاب لا إلى . والذى يعرف اتهام الهند عند الغربيين بالتجرد والزهد فى الحياة واعتبارها شيئاً باطلا ، يفهم قصد شاعر الهند بهـذا العنوان . وتدعيم الرأى فى هذا بأقوال مصلحى الهند وأنبيائها فى سياق الكتاب .

ولست أرى الرد على بعض المغالطات التى عمد إليها الكاتب فى تأويل بعض الأخطاء التى وقع فيها وأشرت إليهـا فى مقالى السابق فهذا ما لا يحتاج القول فيه إلى بيان .

وإذا كانت هذه الأخطاء قليلة فى رأى حضرة الكاتب الأديب فإن هذا القليل الذى ذكرناه يدل على الكثير الذى أهملناه .

محمد طاهر الجبلاوى

إلى معالى عبد العزيز فهمى باشا :

سيدى معالى الباشا

تفضلت فأهديت إلى كتابك القيم متوجاً بإهدائك البليغ الذى صفته من تواضعك الرفيع وعطفك السامى، فهممت أن أجيب عن هذا التكريم العظيم بالمثول بين يديك أرجو على الشكر مقدرة ، أو ألتمس عن العجز معذرة ... ثم انثنيت عن هـذا لأنه عمل لا ينسجم مع نبل لفتتك ؛ وأخذت أجيل النظر والفكر فى كتابك

وإهدائك ، فكان فضلها ونبلهما يخجلان كل ما ينثال على ذهني من الصور والخواطر ، فانتهيت ياسيدى إلى أن ألجأ من فضلك إلى فضلك ، محتمياً به منه ؛ وتلك هى السبيل التى سلكها كل من طوقهم بجميلك ، وهديتهم إلى سبيلك ، تسدى إليهم المعروف ثم تمن عليهم بالإغضاء عن شكره . مد الله فى عمرك وظلك ، وأبقاك لبنى وطنك تلقى عليهم دروس الكرامة والوطنية والعزة .

ثروت أباظة

حول أبي هريرة :

كتبت كلمة نقد لكتاب أبى هريرة سلكت فيها جادة الإنصاف ، ووضعت توجيهاً جديداً لدراسة أبى هريرة دراسة عادلة ، ولكن هذا لم يعجب صاحب الكتاب ، ولم يعجب بعض إخواننا من الشيعة ، فحملوا علىّ فى بعض جرائدهم حملة ظالمة ، وقد رد على صاحب الكتاب بكلمة فى الرسالة لم يأت فيها بشىء نحو ذلك التوجيه الجديد فى دراسة أبى هريرة ، ولم يجد فيما يأخذه على إلا إسناد حديث دخول أبى هريرة على رقية إلى محمد بن خالد بن عثمان ، وقد كنت ذكرت معه بعض أسماء من كان يضع الأحاديث على أبى هريرة ، فسقط فى الطبع بعض هذه الأسماء ، وترتب على هذا إسناد ذلك الحديث إلى محمد بن خالد . والحقيقة أنه من وضع غيره لا من وضعه ، وقد ورد هذا الحديث بروايتين فى مستدرك الحاكم ، جاء فى إحداهما محمد بن أحمد بن سعيد الرازى ، وهو من الضعفاء ، والمطلب بن عبد الله ، وهو من الضعفاء أيضا ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وقد ضعفه النسائى والبخارى .

وجاء فى الرواية الثانية عبد المنعم بن إدريس عن وهب بن منبه ، وهو قصاص لا يعتمد عليه ، وقد ذكر أحمد بن حنبل أنه كان يكذب على وهب بن منبه ، وذكر البخارى أنه ذاهب الحديث

فلم يبق إلا تصحيح الحاكم لسند هذا الحديث ، ولا شك أن تصحيحه له يشمل أبا هريرة أيضا ، فلا يصح لصاحب كتاب أبى هريرة أن يعتمد عليه فى رأيه فيه ، وقد قال الحاكم عقب هذا الحديث : ولا أشك أن أبا هريرة رحمه الله تعالى روى هذا الحديث عن متقدم من الصحابة أنه دخل على رقية رضى الله عنها ، لكنى قد طلبته جهدى فلم أجده فى الوقت ، وهذا هو الإنصاف الذى يجب أن يدرس به أبو هريرة وغيره .

وقد جاءنى من حضرة الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجحمونى أنه وجد هذا الحديث فى كتاب التاريخ الصغير للبخارى (ص ١٠٠) وأنه ذكر إسناده إلى المطلب بن عبدالله عن أبى هريرة ، ثم قال : ولا يعرف للمطلب سماع من أبى هريرة ، ولا تقوم به الحجة ، فأعله بالانقطاع . وقد ذكر هذا الأستاذ الفاضل أن الحاكم يروى فى كتبه ما لا يعقل ، وقد طعن فى بعض أحاديثه الإمام السيوطى فى كتابه (اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة) وكذلك طعن فيه صاحب كتاب (الصارم المنكى) . وذكر الشيخ عبدالعزيز الخولى فى كتابه (مفتاح السنة) أن فى المستدرك للحاكم كثيرا من الموضوعات ، وطعن فيه صاحب المنار فى المجلد السادس منها ، والشيخ طاهر الجزائرى فى كتابه (توجيه النظر إلى أصول الأثر)

وما كان أحرى صاحب كتاب أبى هريرة أن يتناول دراسته بهذا التوسع الذى يجده فى دراسة هذا الحديث ، ويثبت منه أنه موضوع على أبى هريرة ، لا أن أبا هريرة هو الذى وضعه على النبى صلى الله عليه وسلم .

عبد المتعال الصعيدى

تصويب :

١ — جاء فى مقال الأستاذ أحمد رمزى بك : (بين مصر ولبنان) المنشور بالعدد الماضى فى التعليق على كلمة تنوخ . وتنوخ اسم حبشى والصواب اسم جنسى ، وورد فى المقال غالباً وصوابها غالياً .

٢ — جاء فى مقال الأستاذ على متولى صلاح أن قصيدة الأستاذ بشارة الخورى ألقيت فى تكريم شوقى والصواب أنها ألقيت فى رثائه



الجاسوسة العاشقة

عن الانجليزية

للاديب شفيق اسعد فريد

كان مقهى فندق كوزمو بوليتان يعج بالجالسين حتى لقد تعذر على (فانيا) السير لضيق مسافة ما بين المناضد . وتوقفت الفتاة لحظة وقد بدا عليها التردد ، على أنها استأنفت التقدم ثانية حتى وصلت إلى منضدة كان يجلس إليها رجل منفرد . ولاح كأنها كانت على وشك السقوط إذ مدت يدها مسرعة إلى المنضدة ولم تلبث أن سقطت منها حقيبتها اليدوية على الأرض .

وانحنى الرجل يلتقط الحقيبة ثم وقف وقال وهو يقدمها إلى فانيا :

— أرجو المعذرة ... ولكن هل تتكرمين بالجلوس معى ياسيدتى ... يلوح أنه لاتوجد أماكن خالية الليلة فى المقهى .

وابتسمت الفتاة دلالة على الشكران ثم جلست ... وقبلت قدح القهوة الذى طلبه لها ثم بدأت تشكره على تلطفه معها .

ولم يخف على رئيس الخدم ورجاله المنتشرين فى أرجاء المكان أن (فانيا) الجاسوسة فى قلم المخابرات السرية بموسكو قد عادت لاستئناف نشاطها ثانيا .

ولكن أن أندريه ليرو لم يكن يدرى ذلك برغم معلوماته الجمة عن الجاسوسية وعن حيل الأشخاص الذين ينتمون إلى أقلام المخابرات السرية .

لقد كان هو نفسه جاسوساً فرنسيا طاف بكثير من الممالك منتحلا شخصيات عديدة ومستعملا فى ذلك جوازت سفر تطابق الأسماء التى كان ينتحلها ... ومع ذلك فإنه لم يكن يدرى أن رفيقته (فانيا) من أخطر جواسيس موسكو .

لم يكن يدرى أن فانيا هى التى أدارت الحديث ثالث يوم من صداقتهما ناحية بولندا وزيارته إلى تلك المملكة ... لأنه كان يعتقد أنه هو نفسه الذى وجه الحديث إلى هذه الناحية الشيقة

لم يكن يدرى أن مرض خادمه فى الفندق فى اليوم الرابع من وصوله ومجىء خادم جديد بدلا عنه كان من صنع (فانيا) وأنى له أن يعرف ذلك وقد خرج فى اليوم ذاته فى نزهة فى السيارة استغرقت أكثر من أربع ساعات بعيداً عن المدينة ، كان أحد مهرة صانعى الأقفال يعمل خلالها بنشاط عجيب ويفتح جميع أدراج مكتبه فى الفندق على حين كان رجل آخر يلتقط صورا فوتوغرفية لجميع أوراقه ويعيدها إلى مكانها كأنما لم يحدث شيئا مطلقاً

حقاً لقد كانت (فانيا) ماهرة فى عملها كل المهارة ... ومع ذلك فإن أندريه ليرو لم يكن يأبه إلا للنظرة الساحرة التى كانت ترميه بها من وقت لآخر .

كانت فانيا تجلس فى غرفة استقبال أندريه ليرو فى فندق كوزموبوليتان بعد مضى أسبوعين على لقائهما .

ونظرت الفتاة إلى ساعتها اليدوية ... (لم يبق غير دقيقة واحدة) .

قال أندريه : إننى ذاهب إلى أمريكا أولا ، ثم أخترق القارة إلى سان فرنسيسكو ... ألا تشعرين بأنه يجدر بنا — إذا أردنا السعادة — أن نتزوج فى وارسو أو فى باريس أو فى أى مكان آخر ثم نرحل معاً ... كم هى جميلة حياة الأسفار حيث يتجول الإنسان فى ممالك غريبة عنه ... إننى أملك مالا كثيراً ... فهل تتزوجيننى يا فانيا ؟ .

ولم تستطع الفتاة أن ترفع بصرها عن ساعتها اليدوية ... وكانت تحاول أن تتجه بأفكارها اتجاها آخر بعيداً عن أندريه وعن حديثه ... وابتسمت ... وراحت تفكر فى زميلها كرجل ينازلها ويعرض عليها الزواج ولكن كرجل له أهمية عظمى فى مؤامرة أعظم ...

ولم تجب ، فاسترسل أندريه فى حديثه قائلا :

— فانيا ... أصغى إلى ...

وتوقف فقد اهتز باب الغرفة فى تلك اللحظة اهتزازاً عنيفاً تحت تأثير ضغط عظيم من الخارج ...

وسمع الاثنان صوتا خشناً يقول :

افتحوا الباب وإلا فسنحطمه فى أقل من خمس ثوان ... افتحوا الباب ...

ولم ينتظر الآمر إذ يبدو أنه كان فى عجلة شديدة ... وأسرعت فانيا تحتمى بجانب أحد جدران الغرفة ... ثم دوت طلقة نارية لم يلبث بعدهـا أن تحطم قفل الباب وتناثر داخـل الغرفة فى قطع صغيرة ... واهتز البـاب اهتزازاً عنيفاً ثم فتح البـاب على مصراعيه ...

ووقف ثلاثة من الجنود على عتبة الباب وقد رفعوا مسدساتهم فى أيديهم .

وتقـدم أحدهم وقام بتفتيش الجاسوس الفرنسى تفتيشا دقيقا ثم قبض على كتفه فى شىء من العنف .

وفى تلك اللحظة دخل فورناشوف الغرفة .

كان فورناشوف هذا من كبار موظفى حكومة السوفييت على أن الجمهور لم يكن يدرى من أمره شيئاً فقد كان نادر الظهور أمام أفراد الشعب ، كما أن اسمه لم يكن يذكر فى الإدارة السرية فى الكرملين إلا فى ظروف خاصة .

هز فورناشوف رأسه فى إيماءة خفيفة إلى فانيا ولـكنها كانت أبلغ من الـكلام ...

كانت هذه الإيماءة الخفيفة تحوى كل معانى التهنئة ... حقاً لقد قامت الفتاة بدورها على ما يرام فسارت الأمور فى نصابهـا دون أن تحدث أى ثغرة بسيطة فى الخطة الموضوعة ...

وصاح فورناشوف يأمر الجند : خذوه خارجاً ...

كان أندريه ممتقع الوجه ولـكنه لم يفه ببنت شفه ... وحين كانوا يسوقونه إلى الخارج التى على الفتـاة نظرة عاجلة ولـكنها كانت خالية من كل المعانى ... وسر الفتاة أنه لم يقل شيئاً وأدركت أن هذا الرجل العظيم لم يكن على شاكلة الآخرين الذين أوقعتهم فى حبائلها ... كانوا يثورون ويلعنون أما هذا الرجل الباسل فقد كان هادئاً برغم الخطر العظيم الذى كان يحدق به ...

ولم يتكلم فورناشوف أيضاً بل أومأ إلى أحد أعوانه بأن يجمع حقائب أندريه كما أرسـل أحـد الجنود لإحضار نجار يصلح الباب ... وغادر الغرفة فى النهاية وانصرفت فانيا على الأثر إلى منزلها .

وفى الصباح التالى كانت فانيا قد نسيت كل شىء عن أندريه وحين زارت فورناشـوف فى مكتبه علمت أن قلم المخابرات قد أحرز نصراً عظيما بالقبض على أندريه .

قال فورناشوف : إننا نأمـل أن تكشف لنا الأوراق التى عثرنا عليها مع أندريه عن معلومات ثمينة إذ يبدو أن فيها ما يشير إلى وجود رجل انجليزى فى المؤامرة ... وفى اعتقادى أن وجود الأصبع الإنجليزى فى المؤامرات ضد الروسيا قد أصبح من الأمور المألوفة ...

وقهقه ضاحكا إذ كان يشعر بالغبطة والانشراح ... والتقط قلماً من فوق مكتبه وراح يعبث به . وهتف : لقد نجحت نجاحا عظيما يافانيا فقد استطعت أن تقومى بدورك فى هدوء وسكينة دون أن تثيرى حولك ضجة تجذب أنظار الجمهور ... إن أحداً — غير موظفى قلم المخابرات السرية — لا يعلم أن شخصاً معلوماً قد اختفى من عالم الوجود كما حدث أمس وكما سيحدث قريباً جداً ... فقد وصل إلى علمى أن إنجليزياً على وشك الوصول إلى موسكو ولمـا كان أمر ذلك الإنجليزى يهمنى فسأعهد إليك بالمهمة الخاصة به فى الوقت المناسب ... ولـكن تذكرى أننى لا أريد ضجة لا مبرر لها لأننى رجل سلام ... والآن يمكنك أن تنصرفى أيتها المواطنة على أن تعودى بعد أسبوع ...

كانت محادثتهما خالية من كل ما يشير إلى أندريه ... ولـكن ما ذا يهمهما من أمره ... لقد لاقى جزاءه المحتوم مثل الـكثيرين الذين سبقوه فى هذا المضمار ...

كانت الفتاة تدرك ماحدث للجاسوس المسكين فقد كانت تعرف فى مثل هذه الأمور ما لا يعرفه إلا القليلون .

وتمثلت فى ذهنها اللحظات السوداء التى تمر بالجاسوس بعد القبض عليه وقبل أن يساق إلى الموت ... وتراءى لهـا أندريه وقد ساقوه إلى مكتب المخابرات حيث مثل بين يدى رئيس المكتب الذى طلب اليه أن يتكلم ويبوح بكل مالديه من المعلومات واعدا إياه بالحرية المطلقة أو على الأقل بالحرية داخل حـدود روسيا السـوفيتية ... وتمثلت منظر الجاسوس وقد رفض التكلم لعله بغدر العارض، وعندئذ يسوقونه إلى سجنه المظلم حيث يوضـع تحت المراقبة الدقيقة .. فإذا كان الفجر سيق الرجل فى دهليز طويل

ضيق ... ويبرز من إحدى المنعطفات رجل يسير بحذر وخفة ثم يرفع هذا الرجل يده وقد حمل فيها مسدسا يطلقه فى هـدوء على الجاسوس المسكين فلا يلبث أن يخر صريعاً ...

وهكذا سوف تتخلص روسيا من أندريه ليرو الجاسوس الفرنسى الكبير ...

* * * *

كانت فانيا فى طريقهـا من محطة المترو إلى فنـــدق كوزموبوليتان وقد تدثرت بملابس ثقيلة التماسا للدفء ... كانت متجهة بكل أفكارها إلى شخص معين يدعى اليوت فانجدون.

لقد زودوها بكل ما يلزمها من المعلومات عن هـذا الرجل وأوصافه ولكنهم لم يخبروها أن هذا الشاب من الشبان القليلين الذى لا يفقدون رباطة جأشهم ابان أشـد الأزمات خطورة وأنه أرسل من قبل الحكومة الإنجليزية فى مهمـة تتعلق بالتجسس على مشروع خطير قيل إن حكومة روسيا تقوم به فى الأوساط الهندسية — لأنهم لم يكونوا يعرفون ذلك هم أنفسهم ...

وتكرر حادث سقوط حقيبتها اليدوية للمرة الثانية كما تكرر وقوع الشاب الإنجليزى فى حبالها أيضاً ... ولعله كان من أعجب الأمور أن يقف الخادم بجوار فانيا حين سقطت الحقيبة ومع ذلك فإنه لم يكلف نفسه مؤونة التقاطها تاركا ذلك للشاب ... ولم يمض على ذلك الحادث غير نصف ساعة حتى كان اليوت فارنجدون يعبر للفتاة عن سروره لأن عثر على فتاة روسية ظريفة تستطيع التحدث باللغة الإنجليزية .

كان الاثنان يجلسان فى شرفة الفندق ثالث يوم على لقائهما ... قال اليوت :

— كان يجب أن ترتدى قبعة من تلك القبعات التى تغطى العينين والتى تلبسها السيدات هـذه الأيام ومعطفا من الفرو السميك حتى تبرزى محاسنك الفاتنة يا فانيا .. إننى لا أعنى أنك لست جميلة ولكنى أعتقد أنك تكونين أجمل لو أنك ...

فقاطعته قائلة : اننى لا أدرك ما تعنى ... إن لدى معطفاً للشتاء كما لدى قبعة ... وفى اعتقادى أن رجال الإنجليز يعشقون الملابس لا النساء اللائى يرتدينها ...

فصاح اليوت : لا تكونى حمقاء ... اننى أخبرك بما سأبتاعه لك لو أنك سمحت لى بذلك الشرف ... تعالى نرقص معاً هـذا المساء .

فهتفت فانيا : سوف نرقص هنا ثم نخرج فى نزهة قصيرة فى موسكو وعندئذ سوف تخبرنى عن قصة حياتك ... أليس هذا ما تفعله الفتيات الإنجليزيات ...

فقال فى هدوء : بلى .

* * *

والآن وقد مضت سبعة أيام على هذا الحديث فقد بدأت فانيا تشعر بشىء من القلق والاضطراب فقد تحاشى اليوت الكلام عن نفسه وعن المركز الخطير الذى يشغله فى قلم المخابرت السرية الإنجليزى ... أجل لقد تجنب الكلام عن نفسه بصفة خاصة حتى إنه لم يطلعها على أمر تلك المكالمة التليفونية التى تلقاها من بوخارست والتى استغرقت مدة ساعة بأكملها ما بين الساعة الواحدة صباحاً والساعة الثانية صباحاً ... فهل ياترى كانت تلك الحادثة الطويلة لسؤال اليوت عن جوموسكو ...

لقد قرر جاسوس المخابرات الروسية الذى استرق السمع ابان المكالمة أنهـا كانت عبارة عن تقرير بخصوص حالة أخى اليوت الصحية إذ مرض هذا الأخ فجأة فى بوردو ...

(البقية فى العدد القادم) شفيق أسعد فريد

مطبعة الرسالة

العدد ٧٢٢ — الاثنين ٥ مايو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٠٣٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

15em Année No. 722

Lundi — 5 — 5 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٧٢٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٦ — ٥ مايو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

من مذكراتى اليوميـــة

يوم الأحد ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٧ :

اختلف أطبائى الخمسة فى شرح ما بى ، ولكنهم اتفقوا على أن أذهب إلى حلوان فأنقع فى هدوئها ودفئها أعصابى وأوصابى . ففى صباح هذا اليوم العابس القَر انتقلت إلى هذه المدينة ونزلت فندقاً من فنادقها الكبرى ، ثم قطعت ما بينى وبين دنيا الناس فلا أشغل ذهنى بفكر ولا يدى بعمل — هذا الفندق الغريق فى الضوء والسكون أشبه الأشياء بالدير الجبلى فى روعته الأخاذة ووحشته القابضة ؛ وهؤلاء النازلون به المستشفون فيه أشبه الأحياء بالرهبان المنقطعين فى معيشتهم الرتيبة وعزلتهم الرهيبة . إنه كالدير فى غير بساطة ولا زهادة ؛ وإنهم كالرهبان فى غير ورع ولا عبادة . هم أزواج وأمزاج من جاليات الأمم الذين انتجعوا مصر انتجاع البدْو مساقط الغيث ، ففيهم اليونانى والطليانى واليهودى ، وفيهم كذلك خلق عجيب من جيراننا الأدنين يلبسون القبعـة حتى لا يقال إنهم مصريون ، ويتكلمون الفرنسية حتى لا يتهموا بأنهم شرقيون . وأكثر هؤلاء الأخلاط كهول وكهلات يشكون ذات الصدر أو وهن الأعصاب أو وجع المفاصل أو داء الملوك ؛ فمنهاجهم اليومى أن يغدوا إلى العين الكبريتية فيستحموا ، أو إلى العين المعدنية فيشربوا ، فإذا متع الضحى رجعوا فرادى وثُناء حتى يتجمعوا حلقاً حول الموائد تحت مظلات الحديقة وفوق شرفات الفندق . فهنا جماعات العجائز السمان والعجاف جلسن يثرثرن وفى أيديهن إبرة الحياكة تدخل وتخرج ، وفى أفواههن آلة الغيبة تتحرك وتَهرُج ، فلا يزلن معظم النهار بين أيد تحوك ، وألسنة تلوك ، وأهدافهن أعراض أولئك الحسان القليلات اللائى جلسن متفرقات يهدهدن أجسامهن وأحلامهن على الكراسى الوثيرة الهزّازة .

وهناك جماعات الكهول الثقال والخفاف يتراطنون بفضول الكلام وغث الحديث ولؤم الوقيعة ، وكل منهم يتغفّل مجوزه المراقبة من بعيد ليخالس النظر إحدى أولئك الجميلات المنفردات فلا ترى منها بالاً يبى ولا طرْفاً يجيب !

كان مرضى يمنعنى القرار فى مكان واحد ، فكنت أسترق السمع حيناً إلى جماعة النساء ، فلا أجد حديثهن يخرج عن أن هذه الفتاة الداخلة عشيقة الغنى فلان تاجر القطن وقد أخفاها عن زوجه فى هذا الفندق ، وهو يزورها من الإسكندرية كل أسبوع فيقضى معها الليلة أو الليلتين ؛ وأن هذه المرأة الخارجة أرملة لعوب وصلت أسبابها بالمرابى الأرمل فلان ، فهو يلقاها كل عصر فى (دار الينبوع) أو فى (الحديقة الصينية) ؛ وأن هذه المستلقية على الكرسى الطويل يهودية بذلت سرها لصديق زوجها فانتحر الزوج وأفلس الصديق ؛ وهى الآن فى حضن صاحب سينما ....

ثم أسترق السمع حيناً إلى جماعة الرجال فلا أجدهم يخوضون

(البقية على الصفحة التالية)

احمد حسن الزيات

الحكم العـــدل

للأسـتاذ محمود محمد شاكر

يسمع كل عربى ويقرأ أن بلاده فى حاجة إلى « الدعاية » لها فى بلاد الأجانب ، وبخاصة فى أمريكا التى صارت اليوم ملتقى الأمم التى يسمونها الأمم المتحدة . وصارت هذه الكلمة حلوة على ألسنة رجال الصحافة العربية وعلى ألسنة رجال السياسة العربية ، فكلهم يقول لك أو يكتب لك إننا تعوزنا « الدعاية » لبلادنا فى الخارج . ولا بأس فى أن يستحلى رجال الصحافة ورجال السياسة كلمة يديرونها على ألسنتهم ، ويجدون فى طعمها وفى نبرتها وفى جرسها لذة تحملهم على ترديدها واللجاج بها ، ولكن البأس كل البأس أن يفضى استحلاء هذه الكلمة إلى استحلاء صب الملامة والتأنيب على أنفسنا ، وتحت أثلاتنا بالتعنيف على ما نرتكب من تقصير فى حق أوطاننا . ولو كان ذلك التقصير حقاً محضاً لا يمتوره رأى ينقضه ، لكان كثرة اللجاج فيه عملا لا خير فيه ألبتة . ومع ذلك فلنفرض أنه حق محض ، فما وراء ذلك ؟

نعم إنه لحسن أن نظهر الناس على وجه الحق فى مطالبنا . وعلى بشاعة الظلم المضروب علينا ؛ وحسن أن ندعو الناس إلى سماع حجتنا ؛ وحسن أن نزيل من أوهام أولئك الخلق ما علق بعقولهم عنا ؛ وحسن أن نبدى لهم حقيقة أنكروها أو أنكرتها علينا السياسات فصدقوا السياسات وكذبوا أعينهم وأسماعهم . كل ذلك حسن ، ولكن ليس بالحسن أن نأخذ الأمور من أقفائها لا من وجوهها ، وأن ندع الرأى البين إلى الرأى الخفى ، وأن نغفل الحقيقة الواقعة ونبصر الرجاء الذى لا يدرى المرء أيتحقق له أم لا يتحقق .

فمسألة « الدعاية » تكاد اليوم تكون منصبة كلها على الدعاية فى «أمريكا» ، إذ لا سبيل إلى الدعاية فى روسيا بحال من الأحوال ، وبريطانيا هى طرف النزاع فى مسألة مصر والسودان ومسألة فلسطين وفى سائر المسائل الشائكة التى يعانى العرب منها ما يعانون ؛ وكذلك شأن فرنسا فى مسألة بلاد تونس ومراكش والجزائر ، فلم يبق إلا أمريكا ، وهى التى يدور حديث رجال الصحافة ورجال السياسة فى وجوب الدعاية لقضايانا فى أرجائها .

فلننظر إذن إلى جدوى هذه الدعاية علينا هناك ، وفى إمكانها قبل جدواها ، وفى حقيقتها قبل جدواها وإمكانها .

فأمريكا لم تزل تزعم منذ الحرب الماضية أنها نصير العدل والحق ، وأنها عدو البغى والعدوان ، وأنها صديق الأمم المستضعفة ، وأنها تبغض أشد البغض كل الاستعمار ، أى أنها الحكم العدل الذى لا يرى بغياً ولا عدواناً ولا مظلمة إلا نبض قلبه إشفاقاً ، وتحركت دماؤه اشمئزازاً وأنفة ، وأبى إلا أن يكون كما أراده الله أن يكون حكما عدلا لا يرده عن إقرار الحق والعدل جهد يبذله ، ولا دم يريقه ، ولا مال ينفقه فى سبيل الحق والعدل والحرية .

وهى لا تزال تحقق ذلك — فيما ترى — بكل ما آتاها الله من قوة وحيلة ومعرفة ، فهى تتدسس إلى قلب روسيا لتكشف الغطاء عن هذا الوحش الباغى المستقر بين جنبيها ، والذى يخشى أن يكون أشد بغياً وعدواناً من الفريق الأول الهالك «ألمانيا» ، وهى تتسلل إلى خفايا السياسات فى أرجاء أوربة لتظهر العالم على أساليب روسيا فى العمل لإدخال كل أوربة فى حوزتها وتحت سلطانها ، وهى ترسل جيوشاً لا تحصى من الخبراء والمخبرين ليستطلعوا طلع الحقائق التى تسترها روسيا فى كل حنية من حنايا هذه الأرض ، وهى تؤوى إليها كل شريد أو طريد ناله من عسف الروس وبطشهم وتفسح له صدرها ، وتفسح له الصحف

إلا فى الهُجر والنكر ، ففلان أثرى بالسرقة ، وفلان يتجر بالفحش ، وفلان قضى بهذا الفندق شهرين ثم لم يعط الخدم يوم سافر إلا قرشاً صاغاً كان من نصيب الخادم الذى نقل له الحقائب . فإذا أفضى بهم الحديث إلى قضية المصريين والإنجليز مطوا الشفاه ، وعوّجوا الأفواه ، وقالوا على أنفسهم خلطاً أسود من الغمز بنا والطعن فينا ، وأخونا الشرقى المقبّع الذى يناقلهم الحديث لم يرد أن يقول لهم ولنفسه : « حسبكم ! فإن لحم أشداقكم التى تلوونها بالبذاء ، وشحم أعناقكم التى تثنونها بالكبرياء ، هما من ضيافة هذه البلاد ! » ولكن المجتمع الأجنبى هنا كأكثر المجتمعات الأجنبية فى كل مكان : نسيج من عمل الشيطان ، لحمته الجناية على الأخلاق ، وسَداه الزراية على مصر .

أحمد حسن الزيات

أيضاً حتى يقول للناس ماذا تحاول روسيا أن تخبأ عن الناس ، وكيف تفعل روسيا بالناس ، إلى آخر هذا كله .

بل أعظم من ذلك أنها لم تتردد لحظة واحدة فى أن تبذل كل البذل لتركيا واليونان حتى يتاح لهما أن يصدا عن نفسهما بلاء الروس وبطشهم واضطهادهم ، وأن تكونا جبهة مزودة بالقوة التى تعينهما على الجرأة فلا يروعهما تهديد الروس ولا تخويفهم . ولم تتوان صحف أمريكا عامة عن أن تجعل مسألة تركيا ومسألة اليونان من أعظم المسائل التى تشغل الرأى العام حتى يتهيأ للكونجرس أن يؤازر حكومته فى سياستها التى أرادتها لدرء خطر الروس عن هذين البلدين .

كان هذا كله ليس يشك فيه أحد ، ورأت أمريكا أنها إنما تؤدى بذلك حق الإنسانية عليها ، وتؤدى حق المكانة التى تبوأتها عند الناس ، وتؤدى مايجب على الحكم العدل الذى لا يبغى إلا إقرار الحق والعدل ، وإزهاق الظلم والجور .

ولكن ما الذى فعله هذا الحكم العدل فى شأننا نحن العرب؟

كان أول مافعله أنه طلب باسم الحق والعدل أن تبيح فلسطين أرضها لصعاليك الأمم فتؤويهم وتمهد لهم أن يقيموا فى قلب بلاد العرب دولة يهودية تفعل بهذه العرب ما تشاء ، وسكتت باسم الحق والعدل عن المحرضين من يهود بلادها على انتزاع الأرض عامرها وخرابها من يد العرب لتكون فى يد صعاليك اليهود ، وغفلت باسم الحق والعدل عن شعب يسكن هذه الأرض منذ آلاف السنين تريد اليهودية أن تفقره وتذله وتنتزع منه أرض آبائه وأجداده بالجور والعدوان والنذالة الحديثة التى تسمى قوة المال . ثم أرسل الحكم العدل رسلا من عنده ليدرسوا القضية مع طائفة أخرى من البريطانيين ، فخرجت رسل الحكم العدل وهى ترى أن العرب أمة متأخرة ، وأنه لابد لليهود من أن يستعمروا هذه الأرض ليرفعوا عن هذه الأمة المتأخرة أساطير الجهل وغشاوة البؤس — ولو أفضى ذلك إلى أن يخوضوا فى الباطل خوضاً حتى يبلغوا الحق !

ثم جاءت مسألة مصر والسودان ، فإذا نحن نموج ونضطرب ونفزع من هول الغدر البريطانى وهذه المظالم الاستعمارية ، وإذا الحكم العدل يصم آذانه ويستغشى ثيابه باسم الحق والعدل حتى لا تروعه صرخات المظلومين والبائسين ، وإذا صحافته تضن بكلمة واحدة أن تقولها فى إنصاف هذا الشعب من الظالمين والباغين عليه ، بل لعل أكثرها ذهب إلى خلاف هذا وألح فيه .

وليس يقول أحد وهو يجد إن هذا الحكم العدل يجهل قضية فلسطين ؛ ولو هو كان يجهلها حقاً لكان أول ما تفرضه عليه هذه الحكومة التى تبوأها فى العالم أن يرسل إلى فلسطين رجالا من أهل سياسته ، ورجالا من أهل صحافته ليدرسوا وينبشوا وينقبوا ويكشفوا خفايا الدسائس اليهودية والبريطانية كما يفعلون فى روسيا وفى أوربة وفى سواهما من بلاد الله . وليس يقول أحد وهو يجد إن هذا الحكم العدل يجهل قضية مصر والسودان ، فلو كان حقاً يجهلها لفعل مثل ذلك حتى يتاح له أن يقف على أسرار هذه القضايا ليحكم بين الناس بالعدل والقسطاس ما دام مصراً على أنه حكم عدل لا يبغى من وراء عدله إلا إقرار الحق وإزهاق الباطل . ولو فعل لرأينا الصحف فى بلاده تملأ الدنيا عجيجاً وضجيجاً وبحثاً وتنقيباًو كشفاً عن خفايا السياسات كما تفعل فى مسائل روسيا وأوربة .

لا ، بل أكثر من ذلك أن لهذا الحكم العدل رجالا طالت إقامتهم فى مصر والسودان ، وفى فلسطين والشام ، منهم رجال الصحافة ومنهم رجال الجامعتين الأمريكيتين ورجال المدارس الأمريكية ، ومنهم رجال الشركات ومنهم غير هؤلاء ممن يذكرون بأسمائهم ومن لا يذكرون . فماذا يفعل هؤلاء جميعاً ؟ أى معروف يسدونه إلى البلاد التى طالت إقامتهم بين أهلها فعرفوهم وخبروهم ؟ أليس فيهم إنسان واحد فيه قدرة على أن يعرف خفايا الدسائس اليهودية والبريطانية فى بلاد مصر وبلاد الشام وفلسطين ؟ أليس لأحد منهم لسان ينطق بالحق دفاعاً عن أمم يكتم الاستعمار حقها ويبطش بها بطشاً وحشياً لا رحمة فيه ؟ كلا بل فيه ، ولكنهم حرب علينا ولا يريدون أن يقولوا لبلادهم ، وكأن بلادهم لا تريدهم أن يقولوا — وإلا ففيم صمتهم ، وفيم ممالأتهم لبريطانيا ويهودها وأفاقيها جميعاًمن حثالات الأمم ؟أم ترانا لانستحق عدل الحكم العدل؟ أم نحن لسنا بأهل لأن تقال فى حقوقنا كلمة تجعل الحكم العدل

يتنبه إلى أن فى الدنيا شعباً تبلغ عدته أكثر من مائة مليون وعشرين مليوناً من الأنفس البشرية قد ضربه الاستعمار اليهودى والبريطانى والفرنسى ضربات مبيرة مبيدة بغير شرف ولا ورع ولا إنسانية .

أيقال إن رجال الجامعات والمدارس ، وهم أهل العلم والثقافة والأدب ، ليسوا سوى جماعة يعيشون فى سراديب العلم والفلسفة لا يعرفون ما يجرى على أديم هـذه الأرض ؟ وأنهم لا يخالطون أحداً ولا يخالطهم أحد ؟ وأنهم رجال مقنعون بالأثواب الجامعية من فرع الرأس إلى إخمص القدم ، فهم عمى لا يبصرون إلا نور العلم ، وصم لا يسمعون إلا نداء الحقائق الخالدة فى الفلسفة ؟

كلا كلا ! إنهم يسمعون ويبصرون ولـكنهم لا يريدون أن يبينوا عما يسمعون وعما يبصرون ، فإذا أبانوا فلن يبينوا عن الحق ، بل يبينون عن خلافه مما سمعوه من أعوان بريطانيا وأشياع يهود ، ويطمئنون فينا كل طعن ، ولا يرون بأساً من تعظيم أخطائنا وإخفاء صوابنا أو حقنا . بل يعنون علينا أن فعلوا لنا وفعلوا وهم يعلمون علم اليقين أننا لو قد كنا أحراراً فى بلادنا لفعلنا لأنفسنا ما لا يستطيعون هم ولا سواهم أن يفعلوه لنا .

ثم فليخبرونا : أنحن الذين يجب علينا أن نتولى الدعاية لبلادنا فى بلادهم ؟ أيجب علينا أن نذهب إلى الحـكم العدل الذى يرسل إلى بلاد الله سوانا من يعرف خبايا أسرارها ، فنقول له بألسنتنا إن حجتنا كذا وكذا ، وفضائلنا كذا وكذا ، ونعدد له مناقبنا ووجوه حقنا ومظالم عدونا ، فإذا به يسمع لنا ويقنع بما نقول نحن ، وينسى كل ما تقول بريطانيا واليهود ، وإذا الرأى العام الأمريكى قد أصبح معنا ! !

كلا ليس بهـذا بمنطق ولا حق ، بل الحق هو أن الحـكم العدل هو الذى يجب عليه أن يتتبع حقائق القضايا ويرسل رجاله ورجال صحافته ليعرفوا ويسألوا ، ويجب عليه أن يطالب المقيمين من أهله فى بلادنا أن يقولوا الحق غير متجانفين ولا باغين ولا تابعين للأهواء والعصبيات ، وأن يتولى هو وصحافته بيان الحق فى ذلك كله حتى يستطيع أن يحكم بالعدل ، وإلا كان حكما لا يصلح للحكم .

أما دعاتنا الذين يحرضوننا على « الدعاية » لأنفسنا فى بلاد الحـكم العدل ، فليعرفوا أن الصحافة هنا لن تقبل منا أن ننشر ما نشاء إلا أن ندفع عليه مالا كثيراً ، وهم ينشرون لنا على أنه « إعلان » لا أكثر ولا أقل ، وأن القارىء سوف يقرؤه على أنه إعلان لا أكثر ولا أقل . فإذا كان لنا أن نرجو خيراً من الحـكم العدل ، فهو يوم يلين قلبه ويرق ويشعر أننـا أهل لأن ترفع عنا المظالم ، ويومئذ يرسل إلينا من يسألنا ويستخبرنا ويعود لقومه قضاة الحق أن أنصفوا مظلوماً طال ظلمه ، وأما قبل ذلك فلا . وإن كان هذا لا يمنع أن نبذل من الجهد ما نرجو أن يوقظ الحـكم العـدل من سباته الذى طال كما طال ظلمنا . وقبل ذلك فلنحذر أن نلوم أنفسنا على تقصير لم يكن ، لأنه ليس تقصيراً بل هو معرفة للحقيقة الظاهرة وهى أن الحـكم العـدل لا يريد أن يكون معنا نحن العرب دون النـاس جميعاً — حكما عدلا .

محمود محمد شاكر

من معجزات القـــرآن

تفسير الآيات الأولى من سورة الروم

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

لابد لتفسير الآيات الكريمة التى افتتحت بها سورة الروم من مقدمة تاريخية تبين الحوادث التى أشارت إليها هذه الآيات .

— ١ —

كان غربىّ آسيا ، فى جملته ، متنازعاً بين الدول الفارسية المختلفة التى قامت فى إيران وبين الدول الأوربيــة التى مدّت سلطانها إلى آسيا . وقد اسـتمر النزاع فى هذه البقاع قروناً كثيرة أكثر من ألف عام .

فدولة الأكمينيين ، الدولة الفارسية الأولى التى أقامها كورش فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد وأزالها الإسكندر المقدونى حوالى سنة ٣٣٠ ق م ، هذه الدولة نازعت دول اليونان حقباً ، وحروب دارا وخلفائه فى آسيا الصغرى وبلاد اليونان معروفة مشهورة .

والدولة الأشكانية التى نشأت فى إيران بعد الإسكندر حاربت الرومان فى هذه البقاع عصوراً طويلة .

والدولة الساسانية التى قامت فى إيران سنة ٢٢٦ م وبقيت حتى أزالها الفتح الإسلامى نازعت الرومان ودولة الروم الشرقية التى تسمى الدولة البيزنطية ودام بينهما النزاع إلا فترات قصيرة حتى زالت الدولتان كلتاهما عن آسيا بالفتوح الإسلامية .

— ٢ —

والحادثات التى تشير إليها فاتحة سورة الروم هى خاتمة الجلاد الطويل والحروب المتمادية بين الدولتين .

وخلاصة هذه الحادثات على طولها واضطرابها فيما يأتى :

كسرى پرويز حفيد كسرى أنو شروان ، من أعظم ملوك الفرس وهو آخر ملوكهم العظام . ولى الملك سنة ٥٩٠ م بعد قتل أبيه هرمزد أثناء ثورة قائد فارسى عظيم إسمه بدام چوبين .

ولما تولى پرويز العرش حاول إصلاح هذا القائد فاستعصى عليه وحاربه حتى اضطره إلى دخول مملكة الروم ، وقد استنجد الأمبراطور موريس فأمدّه بجند رده إلى عرشه فاستحكمت المودة بين الملكين . فلما قتل موريس سنة ٦٠٢ م شن كسرى الحرب على فوكاس خليفة موريس . وتوالت وقائع زلزلت دولة الروم الشرقية زلزالا شديداً .

توالت هزائم الروم فى آسيا الصغرى والجزيرة وشمالى الشام حتى فزع الروم ، واستغاثوا هرقل (هركليوس) ابن والى أفريقية فأقبل إلى القسطنطينية فاختير إمبراطوراً مكان فوكاس .

وحاول هرقل جهده أن يصد الفرس ، ولم يدخر وسعاً فى حربهم فلم يستطع لهم رداً . وامتدت فتوح الفرس إلى الجنوب حتى استولوا على دمشق سنة ٦١٤ واتخذوها مركزاً سيروا منه الجيوش إلى أرجاء مختلفة حتى فتحوا بيت المقدس بجيوش جرارة فيها ستة وعشرون ألفاً من اليهود وبلغت كبرياء كسرى غايتها فأخذ الصليب الذى يزعم النصارى أن المسيح صلب عليه ، وكتب إلى هرقل كتاباً خلاصته :

« من كسرى پرويز رب الأرباب إلى عبده الحقير هرقل . تزعم أنك تعتمد على المسيح فلماذا لا يخلص المسيح بيت المقدس من يدى . ولماذا لم ينقذ نفسه من أيدى اليهود حينما صلبوه » .

ثم امتد الفتح إلى مصر فظفر بها الفرس بعد تسعة قرون من خروجهم منها أيام الإسكندر المقدونى .

وفى العام التالى صمم الفرس على فتح القسطنطينية ولم يكن بينهم وبينها إلا المضيق ، وحالفوا الأوار على أن يغزوها من تراقيا .

وزاد أمر الروم اضطراباً ، وبلغ يأسهم أن عزم هرقل على الفرار إلى قرطاجة لولا أن عرف الروم أمره فثار الناس واستحلفه البطريق فى كنيسة آياصوفيا ألا يبرح المدينة على أية حال .

فى أثناء هذه الهزائم المتوالية اللاحقة التى توالت على الروم عشرين عاماً ، وحوالى سنة ٦١٥ حينما غلب الروم فى أدنى الأرض

إلى بلاد العرب ، فى أرض الشام وهى الهزائم التى أهمت العرب نزلت الآية الكريمة :

الم . غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين الخ . وكان خبراً عجيباً ، أنكره مشركو العرب حتى راهنوا على كذبه .

روى الطبرى وغيره أن أبا بكر رضى الله عنه راهن أبىّ بن خلف على خمس إبل إلى خمس سنين فأمره الرسول صلوات الله عليه أن يزيد فى الرهان ويمد الأجل فراهنه على مائة ناقة إلى تسع سنين .

— ٣ —

فى سنة ٦٢٢ أعد هرقل العدد لحرب الفرس ، وتحمس النصارى لمجاهدة العدو الذى استولى على بيت المقدس وأخذ الصليب الحقيقى ... وحقر النصرانية وسفه عليها هذا السفه ، وبذل القساوسة الجهد حتى صهروا آنية الكنائس من الذهب والفضة يتخذونها عدة للحرب .

ولم يكن لهرقل بقية من أمل إلا فى أسطول بقى لهم ، فأبحر فى جيش والفرس مشرفون على الخليج ينظرون إليه حتى نزل فى أسوس على ساحل الأناضول .

وكان هذا أول انتصار للروم بعد موت موريس أى منذ عشرين عاماً .

ثم توالى النصر فى آسيا الصغرى وأرمينية إلى أن عبر هرقل الفرات شطر الغرب والجنوب سنة ٦٢٥ .

وحاول كسرى پرويز أن يوقع بالروم فى حاضرة ملكهم ، فحالف الأوار وسير جيشاً لمحاربة هرقل وآخر لحصار القسطنطينية سنة ٦٢٦ مع الأوار . فلقى الجيشان كلاهما الخيبة والهزيمة .

وأغرى هرقل الظفر المتتابع فعزم على أن يغزو كسرى فى مدينته دستكبرد وهى على تسعين ميلا إلى الشمال من المدائن عاصمة الدولة . وكانت وقعة الزاب فى ١٢ ديسمبر سنة ٦٢٧ ثم فر كسرى ، وقابلته العاصمة بالثورة عليه وخلعه . ثم حبس فى بيت الظلام ولا زاد إلا الخبز والماء . وبالغ ساجنوه فى إهانته . وقتل كثير من أولاده أمامه ثم قتل هو قتلة فظيعة . وذلكم كسرى پرويز الذى أرسل إليه رسول الله كتاباً فمزقه « فقال اللهم مزق ملكه كل ممزق » .

وخلفه على العرش ابنه شيرويه (قباذ الثانى) فصالح الروم على أن يرد إليهم كل ما فتح الفرس من البلاد التى فى سلطان الروم ، وعلى أن يرد الصليب . وقد سار هرقل بالصليب إلى بيت المقدس فوضعه مكانه فى شهر سبتمبر سنة ٦٢٩ . وكان يوماً عند النصارى مشهوداً ، وتمت الغلبة للروم .

كان انتصار الفرس فى الشام حوالى سنة ٦١٥ وبعد بضع سنين شرع الروم يهزمونهم سنة ٦٢٢ وتوالت عليهم الهزائم حتى قتل پرويز وصالح ابنه مصالحة المغلوب على أمره .

وذلك تأويل الآية الكريمة : « وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين » .

ونرجع إلى رهان أبى بكر وأبىّ بن خلف .

روى أن أبا بكر حين هاجر أخذ عليه كفيل وأنه حين انتصر الروم أخذ الرهن من أولاد أبىّ بن خلف .

وهنا نقول : لماذا اهتم العرب بحوادث الروم والفرس ولماذا أنزل فيها قرآن ؟ يقول المفسرون إن مشركى العرب فرحوا بانتصار الفرس وهم أصحاب أوثان كالعرب المشركين وبانهزام الروم وهم أهل كتاب كالمسلمين ، وقالوا للمسلمين سنغلبكم كما غلب الفرس الروم . فاهتم المسلمون وأخبروا رسول الله فنزلت الآية الخ .

ولا أحسب أن اهتمام العرب بالأمر كان لهذا بل أحسب ، والله أعلم ، أن العرب قلقوا لغلبة الفرس على الشام وهى منقلبهم للتجارة ، وقد ألفوا الروم فيها ، واتصلوا بهم بالتجارة وغيرها واتخذوا من عامتهم وخاصتهم أصدقاء وأعواناً ، وتجاراً يعاملونهم ويبايعونهم ، فكان الروم أقرب إلى عرب الحجاز ومن يتصل بهم من قبائل الشام وفلسطين ، وكان العرب بهم أعرف ، وبينهم وبين الروم من الأسباب ، ولهم فيهم من المنافع ما جعلهم يشفقون من غلبة الفرس على الشام ، وزوال سلطان الروم عنها ، ثم كان مع انهزام الروم انهزام حلفائهم وأنصارهم من عرب الشام ولهم بعرب الحجاز صلات .

(يتبع)

عبد الوهاب عزام

تعليق على كتاب :

إلى علماء الشيعة !

للأستاذ على الطنطاوى

كان أهل القسطنطينية يتجادلون فى مسائل تافهة لا تقدم ولا تؤخر والعدو على الأبواب فضرب بهم المثل حتى قيل لكل جدال سخيف فى وقت عصيب : « جدال بيزنطى » . ونحن المسلمين اليوم ، يحيط بنا الأعداء من كل جانب ، وتنصب علينا المصائب من كل مكان ، ثم نختلف فى أبى بكر وعلى أيهما كان أحق بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى نتائج بنيناها على هذه المقدمة ، وفروع فرعناها عن هذا الأصل ، أطلنا الكلام فيها ، والجدال عليها ، حتى لم يبق فيها شىء يقال إلا قلناه ولا حجة إلا احتججنا بها ، وحتى صارت من الحديث المعاد ، والقول المملول ، وصرنا (معشر أهل السنة) نتمنى أن تطوى صحيفتها ، وينسخ حديثها ويتناسى حتى ينسى ، لذلك رحبنا فى مصر بالعالم الإيرانى محمد تقى قمى ، كما رحبنا من قبل فى الشام ومصر بسلفيه أبى عبد الله وعبد الكريم الزنجانيين ، ومكناه من افتتاح (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) ، وسررنا حقيقة بتقرب إخواننا الشيعة منا ورجوعهم إلينا بعد إعراضهم عنا .

وجمهور أهل السنة لا يعلمون عن الشيعة إلا أنهم حزب سياسى ألف فى وقت من الأوقات لتأييد أحد المرشحين للخلافة ، اعتقاداً منهم بفضله ، وإيماناً بصلاحه ، ويرون هذا شيئاً طبيعياً ومفهوماً ، لا يخلو من مثله بلد فيه انتخابات عامة ، والحكومة فيه برأى الأمة لا بنص سماوى ، ولا بحق إلهى ، فمن انتخبته الأمة ورضيت به فهو الحاكم الشرعى ... أما الشىء الذى لا يرونه طبيعياً ولا مفهوماً ، فهو أن يبقى فى أمريكا مثلا حزب لا يزال يسب لنكولن ، ويعادى الأمة الأمريكية كلها لأنها انتخبته ، وقدمته على خصمه الذى يراه هذا الحزب أصلح منه ، ويستمر على ذلك إلى الآن ، وقد مات لنكولن ، ومات خصمه ، وولى بعده رؤساء كثيرون وماتوا . أو أن يبقى فى المسلمين حزب يعادى الكثرة الكاثرة من سلف هذه الأمة وخلفها ، وينتقص جمهرة الأحياء والأموات منها ، لأن الخليفة الذى بايعته هذه الأمة سنة خمس وثلاثين للهجرة ، كان من حقه أن يبايع بها سنة عشر ، ويرى أن تأخير بيعته خمساً وعشرين سنة وتقديم ثلاثة رجال عليه ، أمر يستحق أن نتنازع (نحن) الآن عليه ، بعد ألف وثلاثمائة وخمسين سنة ، وبعد ما تبدلت الأرض ، وتغير وجه الدنيا ، مع أن هذا الخليفة نفسه قبل بتقديم الثلاثة عليه ، وبايعهم بالخلافة بيده ، وأعطاهم طاعته ، وأولاهم مودته ...

إن الأحزاب تتنازع وتختلف وقد يسب بعضها بعضاً ، ويبغى بعضها على بعض ، ويسلك كل منها إلى تقوية مرشحه أوعر الطرق ، فيمدحه بالباطل ، ويفترى على خصمه ، ويصمه بكل ما يشين ، ولكن تنقضى المعركة الانتخابية ، ويعود السلام ، ويرجع الجميع إخواناً متصافين ، يجمعهم العمل للوطن ، والسعى لإعلاء شأنه ، فما بالنا نشتغل اليوم بمسألة انتهت من ... ثلاثة عشر قرناً ؟!

شىء عجيب جداً !

على أن أهل السنة لا يطيلون النزاع فى (أفضلية) أبى بكر أو على ، ولا يرون لذلك خطراً فى الدين ، لأنه إن كان الفضل عند الله ، فالله أعلم به ، وهو لا يسأل عما يفعل ، ونحن لا دخل لنا فى القضية ، وإن كان فى الإدارة والسياسة ؛ فقد ولى الرجلان والحكم الآن للتاريخ وأهله . ولا طريق للاتفاق بيننا وبين الشيعة ، إلا :

١ — بأن ندع الكلام فى تفضيل بعض الصحابة على بعض لأن ذلك ليس من أركان الإيمان ، ولا من أسس الدين ، وليس له فى حياتنا نتيجة عملية .

٢ — وأن نجل الصحابة جميعاً ، ونكبرهم كلهم ، ولا نخوض فيما كان بينهم من حروب فتلك دماء طهر الله سيوفنا منها (كما قال الإمام مالك) فلنطهر ألسنتنا عن الخوض فيها .

٣ — وأن نرجع جميعاً إلى أصول الدين : إلى الكتاب

معتمدين فى تفسيره على المأثور كالذى نقله الطبرى فى تفسيره أولا ثم على المعقول الموافق للعربية ولأسباب النزول وإلى السنة الصحيحة وما بنى عليها من فقه ، وفرع من فروع ، وأن نترك كتب الخلاف التى تورث الأحقاد ، وتثير السخائم .

هذا هو الطريق الذى نراه ، ولعل (دار التقريب) ترى طريقاً أقصر منه ، وأسلم ، فنسلكه معها إلى هذه الغاية التى صار السعى إليها اليوم واجباً ، وأن يتعاون الشيعة والسنة على منع كل ما يصدع الشمل ، ويفرق الجمع ، ويلقى الخلف بين جماعة المسلمين كهذا الكتاب الذى كتبت هذه الكلمة تعليقاً عليه …

وهو كتاب أهدى إلى الرسالة للاطلاع والنقد ، اسمه (تحت راية الحق فى الرد على الجزء الأول من فجر الإسلام) مكتوب على غلافه (لمؤلفه البحاثة المحقق الشيخ عبد الله السبيتى) مطبوع فى طهران طبعاً سقيما ، أسلوبه ضعيف كثير الأغلاط ، له مقدمة (بقلم صاحب السماحة العلامة الكبير حجة الإسلام الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمى) ولست أريد تتبع كل ما فيه ولكنى أمثل عليه بهذا الذى أنقله منه بحروفه ، ولم أتعمد اختيار أشده وإنما أخذت ما وقع تحت نظرى منه :

قال فى صفحة (١٥) : إن تاريخ سقيفة بنى ساعدة يملى علينا درساً كاملا يوضح لنا به نفسية المهاجرين والأنصار وأنه لم تصف نفوسهم إلى حد وصل الدين (كذا) إلى أعماق قلوبهم . وقال فيها : والصحاح تحدثنا عن قول عمر (إن النبى يهجر) ذلك حينما قال النبى (ص) إيتونى أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فكل ذلك يشرف بالباحث على القطع بأن الدين لم يصل إلى أعماق قلوبهم ، ولم يفهموا الإسلام كما يريد الإسلام . وقال (١٥٤) : وحسبه أن يرى كعب الأحبار اليهودى الدساس إلى جانب عثمان وهو مستشاره . وقال (٥٠) : معاوية رأس النفاق — معاوية المستهتر . وقال (٨٥) معاوية رأس القاسطين . وقال (٧٩) : ورب رجال أقعدهم بغض أمير المؤمنين عن القيام بواجب الشهادة فأصابتهم دعوته كأنس بن مالك . وقال (٩٨) : أبو هريرة يحدث بالترهات ، ويختلق الخرافات . وقال (١٣٠) : حديث المنافقين كابن هند (أى معاوية) وابن النابغة (أى عمرو بن العاص) وابن الحكم وابن شعبة وأمثالهم ولا بحديث الكذابين الدجالين المخرفين كأبى هريرة … وقال (٤٠) : الشيخان (أى البخارى ومسلم) عنيا بأمور لا وزن لها ولا قيمة — ولسنا نعلم لو كان النجاح فى هذه الحرب (الخندق) لغير على أكان يهمله الشيخان فانضح لك أن تلك الأقلام (الكلام كله على البخارى ومسلم) التى تسود تلك الصفحات كانت تمشى وراء الميول والأهواء والتبصبص (كذا) حول التيجان . وقال (٩٣) : على أن مسلماً فى صحيحه زاد فى اختصارها (خطبة للنبى صلى الله عليه وسلم) جرياً على مقتضيات السياسة التى تخرس الناطق وتصم السميع لحذف شطرها المختص بعلى عليه السلام كما لا يخفى ، ومما يدلك على أن السياسة لا دين لها ، وأنها تعمى البصر والبصيرة . وقال (٩٦): كرر البخارى هذه السخافة فى مواضع عديدة من كتابه . وقال فيها : وقد أخرج البخارى من الغرائب والعجائب والمناكير ما يليق بمقول مخرفى البربر ، وعجائز السودان . وقال (١٠٠) : تراه (أى البخارى) يخرج من الأحاديث الموضوعة ما قد تقرب الواضع به إلى الظالمين الغاشمين تصحيحاً لما كانوا يرتكبونه من القتل والمثلة وسائر الأعمال البربرية . وقال (١٤٦) : إن الشيعة لا تعول على تلك الأسانيد (أى أسانيد أهل السنة) بل لا تعتبرها ولا تعرج فى مقام الاستدلال عليها فلا تبالى بها وافقت مذهبها أو خالفته . وقال فيها : إن لدى الشيعة أحاديث أخرجوها من طرقهم المعتبرة عندهم ، ودونوها فى كتب لهم مخصوصة وهى كافية وافية لفروع الدين وأصوله عليها مدار علمهم وعملهم وهى لا سواها الحجة عندهم ، فما أغناهم بها عن حديث غيرهم صح حديث الغير أم لم يصح . وقال (١٦٢) والتجسيم معروف عن الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه — ولقد رأينا من قبل أن ابن تيمية الخ … وابن القيم رأيه ذلك أيضاً — : وقال (١٦٣) والتجسيم رأى محمد بن عبد الوهاب وعليه اليوم الوهابية جميعاً لا يتحاشون فى ذلك وقد نقله الشهرستانى عن أحمد بن حنبل وداود بن على الأصفهانى (أى الظاهرى) ومالك بن أنس ومقاتل بن سليمان وجماعة من أئمة

أهل السنة . وقال (١٦١) : والأشاعرة جميعاً على هذا الرأى — أفليس هذا هو القول بالتجسيم ؟! وقال (٦٤) : ومتى كانت الشيعة تعتبر تفسير الطبرى وتعتمد عليه ؟! وقال (٨٦) : ومتى كان ابن خلدون وغيره من علماء السنة ، اللهم إلا القليل ، لا يحمل حقداً ولا يتحامل عند يقف مؤرخاً للشيعة ومتى كان المؤرخ منهم لا يرتكب زوراً وبهتاناً عند سنوح كل فرصة ؟! وقال فيها : الاعتماد على ابن خلدون مثل من يريد أن يبحث عن الشريعة الإسلامية وصحة نبوة النبى فيعتمد على كتب النصارى قبل سبعة قرون الخ الخ .

ومؤلف الكتاب (البحاثة المحقق) لا يسوق هذا على أنه رأى له ، بل على أنه معتقد الشيعة ، وأنه المعتمد عندهم ، وأنا أصدقه فى ذلك ما لم أر علماء الشيعة يكذبونه فيه ، وينكرونه عليه ، وأقول :

إذا كان إخواننا الشيعة يعتقدون أن المهاجرين والأنصار لم تصف نفوسهم لفهم الدين ، ولم يصل إلى أعماق قلوبهم ، ونحن نراهم أئمة الهدى ، وورثة الرسول ... وإذا كانوا يسبون أكثر الصحابة ونحن نجدهم خلاصة الإنسانية ولباب البشر ... وإذا كانوا لا يقبلون أسنادنا ولا يحتجون بحديثنا ، ونحن نبنى على هذه الأسناد ديننا ، ونقيم على هذه الأحاديث شرعنا .. وإذا كانوا يرون الصحيحين مملوءين بالموضوعات والسخافات ، لا يليقان إلا بمخرفى البربر وعجائز السودان ، ونحن نراهما أصح الكتب عندنا بعد كتاب ربنا ... ولا يعتبرون تفسير الطبرى وهو عمدة تفاسيرنا ... وكانوا يطعنون على أئمتنا ، ويصمونهم بالتجسيم وفساد المعتقد ... وإذا كان المؤلف قد صرح فى الصفحة (١٥) و (٦٤) و (١٣٢) أنه لم يقل كل ما عنده ، ولم يجهر بكل ما يعتقده (لئلا يقوده البحث إلى نتائج غير صالحة قد لا تلتئم مع العصر الذى يطلب فيه الوفاق) ، وإذا كان عنده ، أى عند الشيعة ، أكثر من هذا الذى قاله ... فكيف يا علماء الشيعة ، وكيف يا أعضاء دار التقريب ، وكيف يا محمد تقى قمى ، يكون الوفاق ، ويتم التقارب ؟

أو ليس من التناقض أن يأتى من إيران محمد تقى قمى ، ليعمل على التقريب بين المذاهب ، فينزل فى أفخم فندق فى القاهرة ويفتح داراً ينفق عليها وعلى موظفيها وزوارها أضخم النفقات ، فى الوقت الذى يطبع فيه فى طهران هذا الكتاب ؟ وهل وجدتم فى مصر أو الشام أو العراق كتاباً لسنى يسب فيه أهل البيت الأطهار ، أو يتعرض فيه لسيدنا على وذريته الطيبة ؟ فلماذا إذن افتتحتم دار التقريب فى مصر التى تحب عترة النبى صلى الله عليه وسلم وتتبرك بقبور الحسين وزينب ونفيسة ، ولم تفتحوها فى (طهران) حيث طبع هذا الكتاب الذى لم يترك مؤلفه أحداً من سلف هذه الأمة وخلفها حتى أصابه برشاش من أدبه السامى ؟

ألم يكفنا هذا الاختلاف أربعة عشر قرناً ؟ أما آن لنا أن نصطلح ونتفق ، ونجرد المسألة من ثوبها الدينى لتعود مسألة سياسية ، وقضية حزبية انتخابية ، لا أكثر ولا أقل ، ويرجع إخواننا الشيعة إلى حظيرة الجماعة ، فيترضوا عن الصحابة كلهم كما نترضى نحن عن آل البيت جميعاً ؟ ويجلوا أبا بكر وعمر كما نجل نحن علياً ؟

ماقول علماء الشيعة الأفاضل ؟ وماقول أعضاء (دار التقريب)؟

(القاهرة) على الطنطاوى

٥ـ تفســـير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للاستاذ محمد جمال الدين حسن

الرقابة فى الأحلام :

استطعنا من خلال دراستنا لأحلام الأطفال أن نصل إلى معرفة شيء عن حقيقة الحلم وكيفية حدوثه وماهى خواصه الرئيسية ووظيفته . فرأينا أن الحلم يعمل كوسيلة لأزالة المؤثرات العقلية التى تقلق النوم . ونحن وإن كنا لم نتمكن بعد من الوصول إلى معرفة شيء عن أحلام البالغين ، اللهم إلا النوع الذى هو من نوع أحلام الطفولة ، إلا أن النتيجة التى وصلنا إليها ليست مما يستهان به ؛ فقد اتفق أننا فى كل مرة نتوصل فيها إلى تفسير الحلم تفسيراً واضحاً نجد أنه عبارة عن إشباع لرغبة . وهذا الاتفاق لا يعقل أن يكون عرضياً أو عديم الأهمية . أما الأحلام التى من نوع آخر فقد فرضنا ، اعتماداً على الشبه الذى بينها وبين زلات اللسان ، أنها عبارة عن بديل محرف لمحتوى مجهول لدينا . الخطوة التالية إذن هى أن نجتهد فى معرفة شيء عن ماهية هذا التحريف الذى ينشأ فى الأحلام .

هذا التحريف هو الذى يخلع على الأحلام هالة من الغرابة تجعلها بعيدة عن مدارك الفهم . وهناك أشياء كثيرة نريد أن نعلمها عنه ؛ أولا : كيف ينشأ هذا التحريف ؛ وثانياً : ما هى وظيفته ، وثالثاً : كيف يؤدى هذه الوظيفة .

دعونى أرو لكم أولا حلماً قصته علينا سيدة معروفة فى دوائر التحليل النفسانى وهى الدكتورة فون هج ـ هلموث Frau Dr Von Hug - Hellmuth وهذا الحلم كما تقول الدكتورة رأته امرأة عجوز ولكنها متثقفة ثقافة عالية ولها مكانة محترمة بين الناس وهى لم تقم بتحليله لأنه على حد قولها لا يحتاج إلى أى تحليل بالنسبة إلى المحلل النفسانى، كما أن الحالمة نفسها لم تقم بتفسيره ولكن طريقتها فى نقده وذمه تدل على أنها قد فهمت مرماه ، فقد قالت : « تصوروا امرأة فى الخمسين من عمرها لا هم لها بالليل والنهار إلا رعاية أولادها ، تحلم مثل هذا الحلم الفظيع الذى لا معنى له ! »

والآن دعونى أرو لكم هذا الحلم الذى يدور حول « الخدمة ـ الغرامية [1] فى الحرب »

قالت الراوية : رأت السيدة فيما يرى النائم أنها توجهت إلى المستشفى العسكرى الأول وأبدت للحارس الذى يقف بالباب رغبتها فى مقابلة كبير الأطباء (وقد أعطته اسما لا تعرفه) لأنها ترغب فى عرض خدماتها على المستشفى . وقد ضغطت السيدة على كلمة « خدمات » بطريقة فهم منها الحارس أنها تقصد بها « الخدمة ـ الغرامية » ولما كانت المرأة متقدمة فى السن فقد أفسح لها الحارس الطريق بعد قليل من التردد ، ولكنها بدلا من العثور على كبير الأطباء وجدت نفسها فى حجرة مظلمة تحتوى على عدد من الضباط وأطباء الجيش جلس بعضهم حول مائدة طويلة بينما ظل البعض الآخر واقفاً . وقد توجهت المرأة إلى أحد الأطباء وأفضت إليه باقتراحها ، ففهم الطبيب توا ما تقصد إليه . وقد كانت الكلمات التى استخدمتها فى الحلم هى : « اننى وكثيرات غيرى من نساء وفتيات ڤينا لعلى استعداد فى سبيل الجنود والضباط أو الرجال أن ... » وهنا انتهت الجملة بدمدمة غير واضحة . وقد ارتسمت على وجوه الموجودين علامات تجمع بين الخبث والارتباك رأت المرأة منها أنهم فهموا ما ترمى إليه فتابعت حديثها قائلة : « إنى أعلم أن هذا التصميم من جانبنا يبدو لكم شاذا غريبا ولكنى جادة كل الجد فيما أقول ، فالجندى لا يسأل فى المعركة إن كان يرغب فى الموت أو الحياة . ثم أعقب ذلك فترة رهيبة من السكون المطبق قطعه أحد الأطباء بقوله لها ، وقد تأبط خصرها بذراعه . « لنفرض يا سيدتى أننا حقاً قبلنا أن ... (دمدمة) » وهنا تخلصت المرأة من ذراعه وهى تتمتم « إنهم كلهم سواء » ثم أجابت : « يا للعجب ! اننى امرأة عجوز وقد لا يحدث لى هذا أبداً ؛ على أن هناك شرطاً يجب أن يراعى وهو

---

(1) Liebesdienst بالألمانية وهو اصطلاح معروف فى ألمانيا مأخوذ عن قولهم « الخدمة العسكرية »

مسألة السن ، بحيث لا يسمح لامرأة عجوز وشاب يافع أن ... (دمدمة) إن هذا يصبح فى غاية الفظاعة . » فهز الطبيب رأسه قائلا : « انى فاهم تماما ما تقصدين . » غير أن بعض الضباط ضجوا بالضحك فطلبت السيدة أن تؤخذ فوراً إلى كبير الأطباء الذى تعرفه حق المعرفة ، حتى يوضع كل شىء فى نصابه . ولكن الدهشة عقدت لسانها عندما اكتشفت أنها لا تعرف اسمه . غير أن الطبيب مع ذلك أرشدها إلى الطريق الذى يؤدى إلى الطابق العلوى فى أدب جم واحترام متناه وبينا هى تصعد درجات السلم إذ وصل إلى سمعها صوت أحد الضباط يقول : هذا تصميم عظيم بلا شك . وسواء أكانت عجوزا شمطاء أم صبية حسناء فلها الشرف العظيم على أية حال » . وهنا ملأها شعور بأنها لا تقوم إلا بتأدية أبسط ما يتطلبه منها الواجب ، فأخذت تصعد درجا لا نهاية له .

وقد تكرر هذا الحلم مرتين فى خلال بضعة أسابيع مع تغييرات طفيفة هنا وهناك قالت عنها الحالمة إنها عديمة الأهمية ولا معنى لها إطلاقا :

وهذا الحلم يشبه فى تسلسله أحلام اليقظة ، غير أن هناك مقاطعة فى بعض المواضع . كما أن هناك كثيراً من النقط الغامضة كان من الممكن توضيحها إذا استفهمنا من الحالمة عنها ، ولكن هذه الخطوة لم تتخذ كما تعلمون . وإنما الغريب الذى يلفت النظر فى هذا الحلم هو وقوع كثير من الفجوات لا فى السرد بل فى المحتوى نفسه : فهناك آثار للمحو تبدو فى ثلاثة مواضع من المحتوى ، وحيثما توجد هذه الفجوات فالمحادثة تقاطع « بدمدمة » : وبما أننا لم نقم بتحليل هذا الحلم ، فليس لنا فى الحقيقة إذا توخينا الدقة أن نتكهن بشىء عن معناه . غير أن هناك تلميحات معينة مثل « الخدمة ـ الغرامية » يمكننا أن نستخلص منها بعض النتائج . كما أن الحديث الذى ينقطع قبل الدمدمة مباشرة لا يحتاج لإتمامه إلا إلى نوع واحد من التركيب. فإذا قمنا بإتمام هذه الأحاديث فاننا نحصل على رؤيا خيالية مؤداها أن الحالمة ، تلبية لنداء الواجب ، مستعدة لأن تهب نفسها لأشباع الرغبات الجنسية للجند على اختلاف درجاتهم . وهذا شىء فظيع حقاً فهو نموذج للرؤيا الجنسية المكشوفة . ولكن الحلم لا يخبرنا بشىء من هذا ، فحيثما احتاج الأمر إلى هذا الاعتراف وجدنا فى المحتوى الظاهر دمدمة غير واضحة ، كأنما هناك شىء قد فقد أو قمع .

أظن من الواضح جداً أن السبب فى قمع هذه العبارات يرجع إلى طبيعتها البشعة . والآن أين نستطيع أن نجد شبيهاً لما يحدث هنا ؟ أظنكم فى غير حاجة إلى البحث بعيداً فى هذه الأيام [1] ، فأنتم إذا تصفحتم اليوم أى صحيفة سياسية وجدتم أن ههنا وهنا بعض الفقرات قد حذفت من الأصل وظل البياض الناصع للصحيفة يطالعكم بدلا منها . وهذا كما تعلمون من فعل الرقيب على الصحافة ، فحيثما وجدت هذه الفواصل البيضاء فمعنى ذلك أن شيئاً ما قد رفع من هذا الموضع لعدم موافقة الرقابة على نشره. وقد تأسفون على هذا العمل لأنه مما لا شك فيه أن هذا الموضع كان يحتوى على أهم ما فى الجريدة أو على «زبدة» الأخبار كما يقولون

ولكن فى أحيان أخرى قد يتنبه الكاتب مقدما إلى العبارات التى من المحتمل أن تتعرض لقلم الرقيب ، فيقطع عليه خط الرجعة بأن يحور فى العبارة تحويراً يجعلها لا غبار عليها ، أو قد يكتفى بأن يلمح من بعيد إلى ما يريد أن يكتبه فعلا . وفى هذه الحالات لا توجد مواضع بيضاء خالية من الكتابة وإنما فى امكاننا أن نستنتج من طريقة اللف والدوران التى يستخدمها الكاتب أو من تعبيراته الغامضة أنه كان يكتب وهو يخشى قلم الرقيب .

والآن نستطيع أن نقول بالمثل إن الأحاديث التى حذفت من الحلم والتى جاءت متنكرة على شكل دمدمة كانت هى الأخرى ضحية لنوع من الرقابة : ونحن فى الواقع نستخدم الاصطلاح « رقابة الأحلام » ونرجع جزءا من التحريف إلى فعلها به فحيثما توجد فجوات فى المحتوى الظاهر فاننا نعرف على الفور أن الرقابة هى المسئولة عن ذلك . بل إننا نذهب إلى أكثر من هذا ؛ فان رأينا وسط العناصر الواضحة الجلية من الحلم عنصراً غامضاً غير واضح المعالم أو لم تستوعبه الذاكرة جيداً قلنا إن هذا دليل على عمل الرقابة . على أن الرقابة قلما تتخذ هذه الطريقة الواضحة المكشوفة كما هو الحال فى الحلم الذى يدور حول « الخدمة الغرامية » وإنما تستخدم فى أغلب الأحيان الطريقة الثانية التى ذكرتها لكم وهى التحوير فى العبارات أو الاكتفاء بالاشارة والتلميح بدلا من الافاضة والتصريح.

(يتبع) **محمد جمال الدين حسن**

---

(١) الحرب العظمى الأولى

إلى طلبة التوجيهية :

شاعران فى المنفى

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

تمهيد — موضوعات القصيدتين — الصور والخيال — الأسلوب — كلمة عامة ......

— ١ —

شاعران مصريان معاصران تغنيا بمصر وأخلصا لها الحب ، فكان جزاؤهما النفى ، أما أحدهما فمحمود سامى البارودى ، وأما الآخر فأحمد شوقى .

نفى البارودى إلى جزيرة سرنديب فى أعقاب الثورة العرابية ؛ لأنه أحد زعمائها وقادتها ، ونفى شوقى إلى الأندلس فى أول الحرب العالمية الأولى ؟ لأنه يناهض الاحتلال البغيض ، ولأنه شاعر الخديو عباس وترجمانه ، وهوى مولاه وهواه مع تركيا ، وهى يومئذ فى صف ألمانيا ضد انجلترا ، وقد حيل بين الخديو ومصر فليبعد شاعره شوقى من مصر .

قضى البارودى فى منفاه سبعة عشر عاماً يتسلى فيها بالشعر ، وينفس به عن نفسه ، وقضى شوقى فى منفاه خمسة أعوام يردد النظر فى شعر الأقدمين ، ويصور ما يعتلج بنفسه من ألم وحنين .

وتجلت فى شعر كل منهما نزعته وطبيعته ، فالبارودى يتحسر على أيامه السعيدة بمصر ، ويكثر من ذكر الروضة والمقياس والحسان المائسات على الجسر ، ويود أن تكتحل عيناه بمرأى مصر ، ويفتخر بشجاعته فى الحرب ، لأنه من رجال الجيش .

وشوقى يأسى على عهده النضير بمصر ، ويتغنى بطبيعتها المزدانة الفتانة ، ويتوق إلى الرجوع إليها ، ويمجد ماضيها العظيم ويفخر بجلاله ، ويتحدث بآثارها الخالدة ، ولا ينسى مجد العرب والإسلام فى الشرق والغرب فينوه به ، منساقا فى ذلك مع ثقافته التاريخية الواسعة .

وإذا كانت النعم أحياناً تجنى من لهب الشدائد فإن نفى الشاعرين بلية أجنت الأدب حلو الجنى ، إذ أثرته بكثير من القصائد الجياد قد بعثها عاطفة جياشة بالألم والحرمان والشوق واللهفة إلى الوطن والخلان .

ونحن الآن نوازن بين القصيدتين المقررتين على طلاب التوجيهية فى هذا العام موازنة تكشف عن نواحى الاتفاق ومناحى الاختلاف .

— ٢ —

ليس فى القصيدتين وحدة ، فكلتاهما ذات أغراض عدة ، ولكنها مما يتداعى فى خاطر الشاعر إذ يذكر وطنه ويحن إليه .

فالبارودى بدأ قصيدته بالشكوى ، الشكوى من الفراق المؤلم المسقم الذى لا يخففه عطف المواسيات ، حتى ليحسبن أنه مجنون لا يفيق ، لأنهن يجهلن داءه ، وما داؤه إلا تباريح الحب المهلك ، ثم يتألم لأنه يكلف بحب من لا يهتمون بأمره ، وكرر الشكوى من الأرق والوحدة حيث لا يجد صاحباً يبثه همه . قال :

ترحل من وادى الأرا كةبالوجد ... فبات سقيما لا يعيد ولا يبدى
سقيما تظل العائدات حوانيا ... عليه بإشفاق وإن كان لا يجدى
يخلن به مساً أصاب فؤاده ... وليس به مس سوى حرق الوجد
به علة – إن لم تصبها سلامة ... من الله – كادت نفس حاملها تردى
ومن عجب الأيام أنى مولع ... بمن ليس يعنيه بكائى ولا سهدى
أبيت عليلا فى (سرنديب) ساهراً ... أعالج ما ألقاه من لوعتى وحدى
أدور بعينى لا أرى وجه صاحب ... يريع لصوتى ، أو يرق لما أبدى

ولكن شوقى بدأ بدءاً آخر ، فتخيل حماماً ينوح بوادى الطلح ، وناجاه بأن بلواهما متشابهة ، لأن اليد العاتية التى طيرت الحمام من واديه هى اليد الغاشمة التى حرمت الشاعر من وطنه وأهله ، وكلاهما فى وادى الطلح غريب ضائق الصدر يحز الألم فى نفسه ، ولا ينفك يشتاق إلى وطنه ولكنه لا يستطيع الوصول إليه ، وهذا الطائر صديق شوقى لأن الألم يربطهما ، وهو دائم الحنين والذكرى لواديه والحزن على فراقه ، قلق يتنقل من غصن إلى غصن فى فتور واسترخاء باحثاً عن مواس ولكنه لا يجد ،

لأن لأمراض الجسوم أطباء ولكن أسقام الأرواح لا أساة لها ، وشوقي يرمز إلى نفسه بهذا التصوير ، وهذا بدء يلائم الحال النفسية للشاعر المبعد من وطنه ، لأن الحمام من طبعه الحنين إلى وطنه وإلفه ، والشعراء إذا ما سمعوا حنينه هاجت ذكرياتهم فحنوا وأنوا . قال شوقي :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا   نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟
ماذا تقص علينا غير أن يداً   قصت جناحك جالت في حواشينا
رمى بنا البين أيكاً غير سامرنا   أخا الغريب وظلاً غير نادينا
كل رمته النوى : ريش الفراق لنا   سهماً ، وسل عليك البين سكينا
إذا دعا الشوق لم نبرح بمنصدع   من الجناحين عي لا يلبينا
فإن يك الجنس يا ابن الطلح فرقنا   إن المصائب يجمعن المصابينا
لم تأل ماءك تحناناً ولا ظمأ   ولا ادكاراً ولا شجواً أفانينا
تجر من فنن ساقاً إلى فنن   وتسحب الذيل ترتاد المؤاسينا
أساة جسمك شتى حين تطلبهم   فمن لروحك بالنطس المداوينا ؟

ثم يتفق الشاعران في أن رأى كل منهما برقاً يتلألأ حقيقة أو تخيلا ، فهاجه إلى مصر ، فالبارودي رأى برقاً يلمع فيضيء الجبال والسهول ، فبات ليلته أرقان يرقب النجوم التي أجهدها طول السرى كأنه ملدوغ أو فريسة في مخالب الأسد ، وصور لألاء النجوم بالياقوت اللامع في درع . قال :

ومما شجاني بارق طار موهناً   كما طار منبث الشرار من الزند
يمزق أستار الدجنة ضوؤه   فينسلها ما بين غور إلى نجد
أرقت له ، والشهب حيرى كليلة   من السير ، والآفاق حالكة البرد
فبت كأني بين أنياب حية   من الرقط ، أو في برثني أسد ورد
أقلب طرفي ، والنجوم كأنها   قتير من الياقوت يلمع في سرد

ولكن شوقي صور البرق بأن ناره تلمع مقتبسة من النار التي تشتعل في أضالعه ، وصور المطر الذي يعقب البرق بأنه مستمد من غزير مدامعه ، فهو مؤرق طوال الليالي يراقب النجوم ، ويرعى عهد الحب لمصر ، حتى لقد ذوى ونحل ، فصار كزفرة حيرى في الليل . وحمل هذا البرق وهذا المطر تحية إلى الوطن ، وصور المطر بأنه يجوب ظلمات البحر يحرسه جبريل من الأذى والعدوان حتى يصل إلى سماء مصر الأبية التي لا تقبل عطاء النير وإن كان مطراً مباركا ، وحتى رويت بقطراته حدائق الوادي ومروجه وحقوله وريفه الجميل ، وطالبه أن ينزل على خمائل الوادي في إيقاع رقيق كأنه تغريد وتطريب ، وأن ينزل سلاماً على النبات كما يتساقط الندى على أكمام الزهر ، وأن يواسي منازل الشاعر وأحبابه . قال شوقي :

يا ساري البرق يرمي عن جوانحنا   بعد الهدوء ويهمي عن مآقينا
لما ترقرق في دمع السماء دماً   هاج البكا فخضبنا الأرض باكينا
الليل يشهد : لم نهتك دياجيه   على نيام ولم نهتف بسالينا
والنجم لم يرنا إلا على قدم   قيام ليل الهوى للعهد راعينا
كزفرة في سماء الليل حائرة   مما نردد فيه حين يضوينا
بالله إن جبت ظلماء العباب على   نجائب النور محدواً بجبرينا
ترد عنك يداه كل عادية   إنساً يعثن فساداً أو شياطينا
حتى حوتك سماء النيل عالية   على الغيوث وإن كانت ميامينا
وأحرزتك شفوف اللازورد على   وشي الزبرجد من أفواف وادينا
وحازك الريف أرجاء مؤرجة   ربت خمائل واهتزت بساتينا
فقف إلى النيل واهتف في خمائله   وانزل كما نزل الطل الرياحينا
وآس ما بات يذوي من منازلنا   بالحادثات ويضوى من مغانينا

ثم يتفقان في الحنين إلى ملاعب الصبا ومراتع الشباب ، ويصور كل منهما حنينه تصويراً يوائم شاعريته ، فالبارودي يذكر جزيرة الروضة حيث داره ومنبت غرامه ومرتع لذاته وحياته الهانئة ، ويوازن بين حاله البائسة في حاضره وحاله الناعمة في ماضيه فتكاد تفارقه روحه ، ويدعو لهذا المنزل بأن ينزل عليه المطر غزيراً كما كان يدعو العرب ، محاكياً لهم في دعائه ، على أن الروضة التي يحتضنها النيل من جهاتها الأربع في غنى عن هذا المطر ، ويذكر بعض مالقي من سعادة في هذا المنزل والدنيا موائية والحياة ناعمة ، وحبيبته وافية . قال :

خليلي هذا الشوق لا شك قاتلي   فميلا إلى (المقياس) إن خفتما فقدي
ففي ذلك الوادي الذي أنبت الهوى   شفائي من سقمي ، وبرئي من وجدي
ملاعب لهو ، طالما سرت بينها   على أثر اللذات في عيشة رغد
إذا ذكرتها النفس سالت من الأسى   مع الدمع حتى لا تهم بالرد

إلكيا الهراس

للأستاذ برهان الدين محمد الداغستاني

٤٥٠ - ٥٠٤ هـ

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

مناظراته :

كانت مجالس المناظرة تعقد صدر الإسلام وعهد الأئمة المجتهدين للبحث فى العقائد ومسائل علم الكلام أو للمناقشة بين مجتهدين فى مسألة اجتهادية ثم تطورت المناظرات فى القرن الرابع الهجرى وما بعده — بعد أن ترك العلماء الاجتهاد المطلق فى الأحكام الشرعية وألزموا أنفسهم بمذاهب المجتهدين الذين كانوا قبلهم أمثال أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل وأقرانهم — وتغيرت مواضيعها فأصبحت مسائل فقهية خلافية بين الأئمة المجتهدين وكانت أكثر المناظرات تدور عليها بين أتباع المذاهب .

فمع أنه تخرج من علماء الإسلام وفقهائهم فى القرن الرابع وما بعده من لا يقل عمن تقدمهم من المجتهدين علماً بأصول التشريع والاستنباط لكن لم تكن لهم الجرأة الكافية للظهور بمظهر الاستقلال ولم تكن لهم الحرية الواسعة التى تمتع بها أسلافهم فقيدوا أنفسهم بنصوص المتقدمين لا يتعدونها وقصروا هممهم على تعليل الأحكام التى وصلتهم من أئمتهم وترجيح بعض الروايات على البعض الآخر واعتنى كل فريق منهم بتأييد مذهب إمامه على مذاهب الآخرين وكثرت المناظرات فى ترجيح مذاهب الأولين بينهم ، وكان أكثر ما تعقد هذه المناظرات المذهبية بين الحنفية والشافعية لأن أغلبها كانت بالعراق وعلماء المذهبين فيها متوافرون والمنافسة بينهم شديدة .

ومن هـــذا القبيل ما يرويه ابن خلكان من أنه كان بين إلكيا الهراس والشيخ الإمام أبى طالب الزينبى وقاضى القضاة أبى الحسن بن الدامغانى — وهما من أكابر الحنفية يومئذ ببغداد — من المنافسة والتنافر بسبب الخلافات المذهبية وما يرويه السبكى فى الطبقات إذ يقول : وكانت فى إلكيا لطافة عند مناظرته . ربما ناظر بعض علماء العراق فأنشد :

ارفق بعبدك إن فيه يبوسة ... جبلية ولك العراق وماؤه

قيل أنشد هذا البيت فى مناظرته مع أبى الوفاء بن عقيل الحنبلى

فتاويه :

قلنا إن العلماء فى القرن الرابع وما بعده لم يجدوا فى أنفسهم الشجاعة الكافية لإعلان استقلالهم عن الأئمة المتقدمين فى الاستدلال من الكتاب والسنة بل قصروا أنفسهم على نصوص أئمتهم،ولكن هذا لم يحل بينهم وبين استنباط العلل للأحكام التى نص عليها المتقدمون فتسنى لهم بذلك قياس ما جدّ بعد ذلك من الأحكام على ما نص عليه من سبقهم وبذلك استطاعوا أن يفتوا فى المسائل التى كانت تعرض لهم فى مختلف الشئون وربما اختلفت أنظارهم فى علة الحكم الواحد فتختلف آراؤهم فى المسائل المستجدة تبعاً لذلك، وكانت مسألة يزيد بن معاوية وقتله الحسين رضى الله عنه مسألة مثارة فى كل مجلس وناد مدة الحكم العباسى فكان لا بد

فيا منزلا رقرقت ماء شبيبتى ... بأفنائه بين الأراكة والرند
سرت سحراً فاستقبلتك يد الصبا ... بأنفاسها وانشق فجرك بالحمد
وزر عليك الأفق طوق غمامة ... خضيبة كف البرق حنانة الرعد

وشوق يحن إلى مصر ، ويراها صورة من الجنة وإن تهاونت فى تخليصه ، وهو يحبها لأنها مدرج طفولته وملعب صباه ، ومهبط آماله ، ومجال عظمتــه ، ومولد أبنائه وأحبائه ، ومثوى أجداده وآبائه ، ويدعو بالخير لأيامه الماضية وحياته المسعدة المواتية حيث كان هو وأحبابه جمال الحياة ، صلتهم حب ووفاء ، وزمانهم حافل بالسعادة والصفاء . قال :

لكن مصر — وإن أغضت على مقة —
عين من الخـــلد بالكافور تسقينا
على جوانبها رفت تمائمنا ... وحول حافاتها قامت رواقينا
ملاعب مرحت فيها مآربنا ... وأربع أنست فيها أمانينا
ومطلع لسعود من أواخرنا ... ومغرب لجدود من أوالينا
سقياً لعهد كأكناف الربا رفة ... أنى ذهبنا وأعطاف الصبا لينا
إذ الزمان بنا غيناء زاهيــة ... ترف أوقاتنا فيها رياحينا
الوصل صافية ، والعيش ناغية ... والسعد حاشية ، والدهر ماشينا

أحمد محمد الحوفى

(البقية فى العدد القادم)

أن يسأل كل عالم عن لعن يزيد وهل هو جائز شرعاً أم لا ، وقد سئل إلكيا نفسه عن لعن يزيد فقال : إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأما قول السلف فى لعنه ففيه لأحمد قولان تلويح وتصريح ، ولمالك قولان تلويح وتصريح ، ولأبى حنيفة قولان تلويح وتصريح ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر وشعره فى الخمر معروف ومنه قوله :

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم وداعى صبابات الهوى يترنم

خذوا بنصيب من نعيم ولذة فكل وإن طال المدى يتصرم

ولا تتركوا يوم السرور إلى غد فرب غد يأتى بما ليس يعلم

وأفتى الغزالى وابن الصلاح بخلاف رأى إلكيا لأنه وإن غلب الظن بقرائن الأحوال أن يزيد رضى قتل الحسين أو أمر به فلا يجوز لعنه ويحمل كمن فعل كبيرة . وجواب الغزالى بكامله فى الجزء الأول ص ٤٦٦ من وفيات الأعيان وهو فى غاية الإبداع والرصانة .

ويقول الحافظ أبو طاهر السلفى : استفتيت شيخنا إلكيا الهراس ببغداد فى سنة خمس وتسعين وأربعمائة لكلام جرى بينى وبين الفقهاء بالمدرسة النظامية . وصورة الاستفتاء ما يقول الإمام وفقه الله تعالى فى رجل أوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء ، هل تدخل كتبة الحديث تحت هذه الوصية ؟ فكتب الشيخ تحت السؤال نعم ، وكيف لا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : من حفظ على أمتى أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً .

ونقل النووى عن إلكيا فى موضع واحد من الروضة أوائل كتاب القضاء أن العامى يلزمه أن يقلد مذهباً معيناً ثم نقل عن ابن برهان عكسه ورجحه .

مؤلفاته :

لا يذكر المؤرخون شيئاً عن مؤلفات إلكيا إلا السبكى فقد ذكر أن من مؤلفاته شفاء المسترشدين فى مباحث المجتهدين وقال إنه من أجود كتب الخلافيات ونقد مفردات الإمام أحمد ، وكتاباً فى أصول الفقه لم يذكر اسمه .

وذكر ابن الملقن الأندلسى فى العقد المذهب [1] الرد على الإمام أحمد ومباحث المجتهدين وأحكام القرآن . ولسنا نعلم عن كتب إلكيا أكثر من ذلك ما عدا أحكام القرآن الذى ذكره ابن الملقن فإن منه نسختين فى دار الكتب المصرية نسخة بخط قديم أكثره غير منقوط تحت رقم (١٤٤) تفسير وأخرى منقولة عن النسخة السابقة مكتوبة بخط جميل تم نسخها يوم السبت ٢٧ جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة تحت رقم (٧١٠) تفسير ، ولكتاب أحكام القرآن هذا أهمية علمية كبرى هى التى حدت بى إلى كتابة هذا الفصل فى التعريف بالكيا الهراس والتنويه بكتابه أحكام القرآن .

* * *

تفسير آيات الأحكام نوع من أنواع التفسير نشأ مع نشوء المذاهب الفقهية فى الإسلام ، لجأ أصحاب المذاهب من الفقهاء إلى هذا النوع من التفسير لتأييد مذاهبهم التى ذهبوا إليها واقتصروا على تفسير الآيات التى تعرض للأحكام الفقهية من قرب أو بعد وفسروها على قواعدهم فى الفهم والاستنباط .

وفى كشف الظنون [2] أن أول من صنف فى هذا النوع من التفسير الإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤ ثم الشيخ أبو الحسن على بن حجر السعدى المتوفى سنة ٢٤٤ ثم الإمام القاضى أبو اسحق اسماعيل بن اسحق الأزدى البصرى المتوفى سنة ٢٨٣ ثم الشيخ أبو الحسن على بن موسى بن يزداد القمى الحنفى المتوفى سنة ٣٠٥ ثم الشيخ الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوى المتوفى سنة ٣٢١ ثم الشيخ أبو محمد القاسم بن اصبغ القرطبى النحوى المتوفى سنة ٣٤٠ ثم الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد المعروف بالجصاص الرازى الحنفى المتوفى سنة ٣٧٠ ثم الشيخ الإمام أبو الحسن على بن محمد المعروف بالكيا الهراس الشافعى البغدادى المتوفى سنة ٥٠٤ .

* * *

وأهمية كتاب الأحكام لإلكيا تأتى بنوع خاص من ناحية أنه ألفه على طريقة الإمام الشافعى وعلى أصوله فى استنباط أحكام

(١) ورقة (٥٥) مخطوط .

(٢) ١ : ٤٥ طبع بولاق

٢٨٠٣٧

الفقه من آيات الكتاب العزيز كما يقول فى مقدمته .

ولأنا لا نعلم عن كتاب الأحكام الذى ألفه الشافعى — كما يقول صاحب كشف الظنون — شيئاً ولأنه من ناحية أخرى ليس لدينا إلى اليوم كتاب مطبوع فى تفسير آيات الأحكام على طريقة الشافعى مع كثرة هذا النوع من التفاسير فى المذاهب الأخرى، ولأن إلكيا الهراس كتب كتابه الأحكام بعد الاطلاع على كتب من تقدمه من الحنفية والمالكية فى الأكثر الغالب — نرى أن أحكام القرآن للهراس ذخيرة علمية يجب الانتفاع بها وحبذا لو قام بطبعه ونشره من يهمهم نشر البحث العلمى فى هذا البلد فإنهم يؤدون بعملهم هذا خدمة جليلة للفقه الإسلامى ويحيون أثراً قيما من آثار أسلافنا الأمجاد .

وفاته ورثاؤه :

توفى إلكيا الهراس وقت العصر من يوم الخميس مستهل المحرم سنة أربع وخمسمائة فى بغداد ودفن بباب أبرز فى تربة الشيخ أبى اسحق الشيرازى وكان مولده — كما تقدم — فى خامس ذى القعدة سنة خمسين وأربعمائة فيكون قد عاش ثلاثاً وخمسين سنة وقريباً من شهرين [1] وحضر دفنه الشيخ أبو طالب الزينبى وقاضى القضاة أبو الحسن بن الدامغانى — وكانا مقدمى الحنفية فى بغداد وكان بينه وبينهما فى حال الحياة منافسة وتنافر مما يكون بين الأقران فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال ابن الدامغانى متمثلا :

وماتغنى النوادب والبواكى ... وقد أصبحت مثل حديث أمس

وأنشد الزينبى متمثلا :

عقم النساء فلا يلدن شبيهه ... إن النساء بمثله عقم

ونقل ابن خلكان عن ابن عساكر فى تاريخه الكبير ان تلميذ إلكيا أبا إسحق إبراهيم بن عثمان الغزى الشاعر المشهور رثاه ارتجالا فقال :

هى الحوادث لا تبقى ولا تذر ... ما للبرية من محتومها وزر
لو كان ينجى علو من بوائقها ... لم تكسف الشمس بل لم يخسف القمر
قل للجبان الذى أمسى على حذر ... من الحمام متى رد الردى الحذر ؟
بكى على شمسه الإسلام إذ أفلت ... بأدمع قل فى تشبيهها المطر
حبر عهدناه طلق الوجه مبتسما ... والبشر أحسن ما يلقى به البشر
لئن طوته المنايا تحت أخمصها ... فعلمه الجم فى الآفاق منتشر
سقى ثراك عماد الدين كل ضحى ... صوب الغمام ملث الودق منهمر
عند الورى من أمى أبقيته خبر ... فهل أتاك من استيحاشهم خبر
أحيا ابن إدريس درس كنت تورده ... تحار فى نظمه الأذهان والفكر
من فاز منه بتعليق فقد علقت ... يمينه بشهاب ليس ينكدر
كأنما مشكلات الفقه (يوضحها) ... جباه دهم لها من لفظه غرر
ولو عرفت له مثلا دعوت له ... وقلت دبنى إلى شرواه مفتقر

هذا فصل وجيز قصدت به التعريف بإلكيا الهراس والتنويه بأهمية كتابه « أحكام القرآن » إلا أنه ضاق فلم يتسع لتناول أحكام القرآن إلا بقدر يسير . وأرجو أن تتاح لى فرصة التحدث عنه فى فصل آخر خاص به فى القريب العاجل إن شاء الله .

برهان الدين محمد الداغستانى

(1) غير واحد من المؤرخين قال إنه كان ابن أربع وخمسين سنة يوم وفاته وهنا تساهل يكثر مثله فى التراجم .

الأدب في سير أعلامه:

١٣ - تولستوى

« قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه »

للأستاذ محمود الخفيف

في القوقاز

قرأ ليو كثيراً فى القوقاز وهو منذ حداثته لا يسلو الكتب مهما صرفته عنها أهواء شبابه ؛ فاذا عاد إليها أقبل يقرؤها فى جد وعناية قراءة تدبر واستمتاع ، ولم يفته كتاب مما كان يصدر يومذاك فى روسيا أو فى أوروبا ، كذلك لم تفته صحيفة أدبية تعنى بألوان الأدب المعاصر وتهتم بنقده ، وكان فى مقدمة تلك الصحف مجلة « المعاصر » التى نشرت له أول آثاره ...

وكان لترجنيف جانب كبير من اهتمامه ، وكان ترجنيف الذى يكبره كما أسلفنا بعشرة أعوام قد نشر سنة ١٩٤٧ أول كتاب له وهو « مذكرات رجل صيد » الذى سبق أن أشرنا إليه ، فكان ليو يعيد قراءته بين الحين والحين ؛ ولعل ما استمتع به ترجنيف من ذهاب الصيت بكتابه الأول هذا قد ألقى فى نفس ليو تولستوى أحلام المجد الأدبى وبخاصة بعد أن صادف كتابه « عهد الطفولة » ما أشرنا إليه من نجاح .

وكان لجوجول كذلك منزلة عظيمة فى نفس تولستوى ، فكان يطيل التأمل فى قصة « الأنفس الميتة » وفى قصته الفكهة « فى » ...

ولم يسه تولستوى عن الأدب الأوروبى فكان يقرأ آثار أعلامه جميعاً ، وكان يتتبع ما ينشر دكنز فى شغف كبير ويقدمه على كل قصصى سواه ؛ وكذلك كان عظيم الاعجاب بالكاتب الانجليزى ستيرن الذى ذكرنا اسمه قبل فيمن ذكرنا ممن قرأ الفتى آثارهم ؛ كان ستيرن من رجال الدين ولد سنة ١٧١٣ وتوفى سنة ١٧٦٨ فهو من أعلام القرن الخامس عشر وقد اشتغل بالأدب ، وامتازت مؤلفاته بروح الفكاهة والعاطفة ، وبلغ فى قوة خلق الأشخاص وتصويرهم مالا يبلغه إلا الأفذاذ القلائل ، فكان لآثاره ميزة الأصالة والنبوغ ، وقد نشر قبيل وفاته أشهر كتبه وهو « الرحلة العاطفية » ، وقد كان تولستوى شديد التأثر عظيم الانجذاب نحو هذا الكتاب ؛ يضعه فى مستوى آثار روسو من حيث قيمته فى ذاته ومن حيث أثره فى نفسه ...

وكثيراً ما كان الفتى يطيل التأمل فى ساعات فراغه ، أو عقب قراءته كتابا من كتبه ، وكثيراً ما كان يثبت تأملاته فى كراسته فكان لهذه الكراسة بذلك خطرها كمصدر من مصادر تاريخ حياته

وكان أول ما تأمل الفتى فى الدين ولما يمض عليه فى القوقاز غير أيام ، ولم تكن هذه أول مرة يتجه فيها تأمله هذا الاتجاه ، فقد سبقتها مرات ومرات ؛ وقد أشرنا قبل إلى ما ذكره فى مستهل كتابه « اعترافاتى » عن ذلك الصبى الذى تحدث إليه ذات مرة وهو فى نحو العاشرة عن الله ووجوده ، وكيف تلقى ذلك الحديث فى اهتمام وأفضى به إلى اخوته ... ومما ذكره كذلك فى مستهل ذلك الكتاب قوله « لقد عمدت ونشئت على العقيدة المسيحية الأورثوذكسية ؛ وقد علمت هذه العقيدة فى طفولتى وطول أيام يفاعتى وشبابى ؛ ولكنى عندما تركت الجامعة وأنا يومئذ فى الثامنة عشرة لم أعد أصدق شيئاً مما علمته .. وقد ذهبت المعتقدات الدينية التى علمتها فى صغرى ؛ ونظراً لأنى منذ سن الخامسة عشرة بدأت أقرأ الآثار الفلسفية ، فإن رفضى هذه المعتقدات كان أمراً شعوريا فى سن مبكرة جداً ؛ فمنذ سن السادسة عشرة انقطع ذهابى إلى الكنيسة وانقطع صومى ؛ ولم أصدق ما لقنت فى طفولتى ولكنى كنت أصدق شيئاً ما ؛ أما ما هو ذلك الشىء فما كنت أستطيع وقتها أن أقول ، لقد صدقت بالله أو على الأصح إنى لم أنكر الله ، ولكنى لم أستطع أن أقول أى إله هذا ، وكذلك لم أنكر المسيح ولا تعاليمه ، ولكن مم كانت تتألف تلك التعاليم ؛ ذلك أيضاً ما لم أكن أستطيع أن أقوله ...

وإذا رجعت إلى تلك الحقبة من عمرى أرى الآن فى وضوح أن إيمانى ، إيمانى الحقيقى الذى لم يكن لى غيره ، ذلك الذى كان يحفز حياتى بصرف النظر عن غرائزى الحيوانية هو عقيدتى فى بلوغ الكمال النفسى ، ولكن مم يتألف هذا الكمال وما غرضه ؟ ذلك مالم أستطع أن أبينه ، لقد حاولت أن أكمل نفسى عقلياً ، فدرست كل ما استطعت أن أدرس ، كل شىء ألقته الحياة فى طريق ، وحاولت أن أكمل إرادتى فوضعت

قواعد أخذت نفسي بأتباعها ، وكلت نفسي من ناحية البدن فدربت قوتي ونشاطي بكافة أنواع التمرينات ، وعودت نفسي التحمل والصبر بكافة ضروب التقشف ؛ واعتبرت كل أولئك وسائلي نحو الكمال ؛ وكان أول ما اتجهت إليه الكمال الأدبي ثم أعقب ذلك وحل محله الكمال من جميع الوجوه . أو الرغبة في أن أكون أحسن حالا ، لافي نظري فحسب ولا عند الله وحده ، ولكن في نظر غيري من الناس ... وسرعان ما اتجهت محاولاتي بعد ذلك إلى رغبة أخرى هي أن أكون أقوى من غيري وأبعد منهم صوتاً ، وأعظم خطراً وأكثر ثراء ...

هذا هو مبلغ اهتمام الفتى بالدين وكل ماهو من الدين بسبب منذ حداثته ، أما اهتمامه به في القوقاز فتجد شاهداً عليه فيما أثبته هناك من تأملاته ومنها قوله بعد أن ذكر أنه لم ينل ليلته بسبب صلاته ونسكه لله « إذا أريد بالصلاة أنها استغفار أو شكران فاني إذاً لم أكن أصلي ؛ بل إن رغبة كانت تتملكني نحو شيء طيب سام . أما عن كنه ذلك الشيء فذلك مالا أستطيع تفسيره ، ولو أنني أشعر شعوراً تاما ماذا يكون ذلك الذي رغبت فيه ؛ إن الذي رغبت فيه هو أن أذوب فأمتزج بذلك الجوهر المحيط بكل شيء وأن أستغفره عن آثامي ... لا ، ليس هذا ما رغبت فيه لأني شعرت إذ منحني هذه اللحظة المباركة أنه بهذا منحني كذلك المغفرة »

والذي يستخلص مما كتبه تولستوي حتى هذه السن أنه لم يفقد الإيمان لحظة بقوة مطلقة في هذا الوجود ، وكان مرد إيمانه إلى عاطفته وإن كان يشعر أنه لا يستطيع أن يصالح عليها عقله ومنطقه ، فلقد كان شديد الشك في صورة العقيدة كما تضعها الكنيسة الأورثوذكسية الروسية ، ولذلك عظم الصراع بين عاطفته وعقله ... وتراه يتساءل ذات مرة في دفتره معتمداً على العقل والقياس قائلا : حتى ولو أن الجسم والروح شيئان ، وأن الجسم يلحقه الفناء ، فاذا في ذلك من البرهان على فناء الروح ؟ لقد رأيت الجسم يموت ، وعلى ذلك أستخلص أن جسمي أنا سوف يموت ، ولكن ليس في ما يريني أن روحي سوف تموت ، وعلى ذلك فبناء على مايقوم في فكري أقرر أنها خالدة »

وقال عن الصلاة في موضع آخر « هل الصلاة لازمة ؟ وهل هي ذات فائدة ؟ إن التجربة وحدها هي التي تريني مدى ما يكون في ذلك من اقتناع . إني أصلي هكذا . رب نجني من السوء ومن الغواية أن أفعل السوء ، وهب لي الخير أوهب لي القدرة على أن أعمل صالحا ؛ وسواء أكان خيراً أم كان شراما أعمل فان مشيئتك هي النافذة »

وعاد يبحث عن الله في قوله « هل لي أن أنجح نجاحا لاريبة فيه فأكون عن الله فكرة واضحة وضوح فكرتي عن الخير ؟ لقد باتت هذه الرغبة أقوى رغابي !

إن فكرة الإنسان عن الله هي وليدة تفطنه إلى ضعفه هو ... ولم يقنعني بوجوده وبصلتنا به شيء أقوى من هذه الفكرة : ألا وهي أن كل مخلوق قد وهب من المكنة ما يتفق مع مايرغب فيه من مطالب ، لاشيء أكثر من ذلك ولاشيء أقل ؛ ولأي غرض وهب الإنسان قوة إدراك مثل هذه المسائل وهي العلة الأولى والأبد واللانهاية والقوة المطلقة؟ إن المقدمة فيما أتحدث عنه هي فروض تؤيدها علامات ، وإن الإيمان حسب تقدم المرء يتمم صحة هذه الفروض » .

وتشتد حيرته بعد ذلك فيقول : إني عاجز عن أن أثبت لنفسي وجود الله ، أو حتى عن إيجاد قرينة مقنعة به ؛ كما أني لست أرى ثمة ضرورة حتمية لهذا الادراك ، إنه لأيسر وأبسط أن نتخيل الوجود الأبدي للكون بنظامه العجيب الذي لايمكن تصور مداه ، من أن نتخيل وجود خالق له ... إن تطلع الجسم والروح إلى السعادة هو السبيل الوحيدة إلى تفهم أسرار الحياة ، وإذا تصادمت نوازع الجسم ونوازع الروح فيجب أن تهيمن نوازع الروح لأن الروح خالدة كالسعادة التي تنتجها ... وإن تحقيق السعادة هو السبيل لتقدم الروح ورقيها ... إني لست أفهم ضرورة وجود الله ، ولكني أومن به وأصلي له كي يعينني على أن أدركه » .

وستنطوي سنوات كثيرة قبل أن يغير تولستوي ما أثبته في كراسته في نوفبر سنة ١٨٥٢ وهو قوله « إني أومن بإله واحد لا تدركه الأبصار وأومن بخلود الروح وأومن بالجزاء على أعمالنا ؛ وما يضيرني أني لست أفهم خفايا الثالوث ومولد ابن الله ؟ إني أجل عقيدة آبائي ولست أجحدها » .

ويتأمل الفتى غير الدين في أمر يتصل بالأخلاق فيقول « إن الضمير خير رائد لنا وخير ما نعول عليه من هاد ، ولكن ما هي الشواهد التي بها نميز صوت الضمير من بين الأصوات الكثيرة التي تنبعث في أنفسنا ، على أنه الصوت الوحيد الحق ؟ ذلك لأن

مهرجان الربيع ...

للأستاذ خليل شيبوب

مهرجان الربيع فى الأيام   فرحة الكون تجتلى كل عام
وشباب الدنيا يجدده الدهـ   ـر بفيض من الحياة سجام

ألهميني عروس شعرى شعوراً   صافى البث صادق الإلهام
أتملى الربيع نوراً به ينفسـ   ـح العمر والزمان أمامى
يا ابنة الفجر أيقظيني فإنى   أذهلتنى طوائف الأحلام
وانظرى فالحياة نظرة حب   وابسمى فالمنى ضياء ابتسام
وأفيضى علىّ وصف محيا   ك أطوّع له عصى الكلام
قد تولى الشباب وا كتهل القا   ب ومالت به عوادى المقام
وربيعى فى وجنتيك وعينيـ   ـك وفى الجيد واللمى والقوام
طالعى الأرض والسماء بنفع   منك يسرى مسارى الأنسام
وابعثى فى الفؤاد ضوء رجاء   منك يحيا به حياة سلام
واستمدى له من الشعر فناً   صادراً عن حقائق الأوهام

عادت الطير من مهاجرها حا   ملة ذكر أفقها المترامى
فروت للرياض عنها حديثاً   لحنته لها بغير نظـام
وسرت فى النسيم نزوة تفـ   ـصح عما به من الإبهام
وجرى الجدول الصغير ضياء   سائلا منه يرتوى كل ظام
وزهت حوله الخمائل غناً   فتراها من عنبر لا رغام
ظللتها الأشجار فهى عروش   ظللتها خوافق الأعلام
موجتها أشعة الشمس إذ تمـ   ـزج فيها الصفاء بالاضطرام
وتغطى زمرد النبت بالتبـ   ـر وتسرى كالروح فى الأجسام
قد أفاقت هذى الطبيعة تزهى   بقواها من بعد ذاك المنام
وتناجت آفاقها مائجات   بالشذى والنسيم والأنغام
فى الصحارى والروض والبحر والشا   طى وبين الآكام والآجام
تتناغى أصواتها فى خرير   وحفيف ورنة وبغام
لبست أبهج البرود وحطت   عن وجوه الجمال كل لثام
وتحلت بالزهر سيان ما فتـ   ـح منه أو كان فى الأكمام
باللآلىء والدر شىء نثير   ونظيم ورونق وانسجام
فتراها روانياً كعيون   فترت بالدلال والإحتشام
وتراها بواسماً كثغور   سحرها مبعث الهوى والهيام
وتراها حيية كخدود   هاج فيها الهوى ندى الضرام
وكأن الرياض منسج ألوا   ن ومسرى شذى ومسقى مدام
وتهاويل ساحر عبقرى   وتصاوير ملهم رسام
كل لون وكل معنى وفن   وجمال وصبوة وغرام
فتن تشرح الصدور وتشفى   من جمود القلوب والأفهام
هى فى اليوم باعثات الأمانى   وهى فى الليل ناعشات الظلام
وهى عوذ المعربد المتغنى   ولياذ المرفرف النسام
تلك حور الجنان فى سبحات الـ   ـنور قد أرضعت ندى الغمام
والغصون الولدان طافت من الز   هر بجام على الطيور فجام
إنما هذه مقدمة الجنـ   ـة فى الأرض فادخلوا بسلام

كيف هذا الورى عن الحق يسهو   وهو لاه عن الهوى متعام
وهو يحيا على خلاف ويبقى   أبداً فى تنازع وخصام
ينقضى الدهر بين حرب وسلم   مثل حرب فى شدة وعرام
طمع جر القوى فظن الا   حق مستمسكا بحد الحسام
وضعيف آبى المهانة يرجو   مثلهم أن يعيش عيش الكرام
عالم تستحل فيه الخطايا   وتراق الدماء حول الحطام
قلق ساور الحياة وحق   ضاع بين السيوف والأقلام
ليتهم فى الربيع يستلهمون الرو   ض حتى يحيوا حياة الوئام
فى نعيم القلوب مؤتلفات   بين رعى الرضى ورعى الذمام
يا ابنة الشعر رفرفى فى مجا   لى النور حيث الصفاء بحر طام
لا يفتنى ربيع حسنك فى قلـ   ـبى إذا فاتنى ربيع الأنام

خليل شيبوب

الغرور يتكلم بنفس القوة .. إن الرجل الذى يكون غرضه فى الحياة سعادة نفسه هو رجل سوء ؛ وإن الذى يكون غرضه حسن رأى الناس فيه رجل ضعيف ؛ وذلك الذى يجعل غرضه إسعاد الآخرين رجل خير ؛ ولكن الذى يجعل غرضه وجه الله هو رجل عظيم .. إن الشر فى رأى يتكون من اتباع السوء تجاه الآخرين والخير كامن فى محبة الخير لهم ؛ بهذا يتحدث الضمير أبداً ؛ وإن غرض الحياة لهو الخير وهو عاطفة موروثة فى النفس ، ورأى أن الوسيلة لنعيش عيشة طيبة هى معرفة الخير والشر ... وإننا لن نكون أخياراً إلا عندما توجه جميع قوانا دائماً نحو هذا الغرض »

(يتبع) **الخفيف**

الأدب والفن في أسبوع

يوم من أيام العلم :

شهدت جامعة فؤاد الأول فى الأسبوع الماضى يوماً رائعاً من أيام العلم فى تقدير النبوغ وإكباره ، ولقد زاد فى روعة هذا اليوم وبهائه أن باركه الفاروق المظيم برعايته السامية وعطفه السابغ ، إذ وقف المليك العظيم فى لباسه الجامعى بين أبناء الجامعة ، أساتذة وطلاباً ، ورجال العلم والأدب : شيوخاً وشباناً ، يوزع جوائز فؤاد الأول على الذين استحقوها من العلماء البرزين ، ويسلم الدرجات العلمية للذين نالوها من المتخرجين المتفوقين ، وما الجامعة العظيمة إلا غرس فؤاد العظيم ومأثرته على العلم ، فلا غرو أن يكون الغرس موضع الرعاية من شبله ، وإنما الابن سر أبيه …

جوائز فؤاد العلمية :

ولقد افتتح الاحتفال معالى وزير المعارف عبدالرزاق السنهورى باشا بخطبة ضافية ألقاها بين يدى المليك المظيم نصير العلم والعلماء واستهلها بقوله : « مولاى . إن لوالدكم الراحل العظيم من الأيادى البيضاء على العلم ، ما جعل رجال العلم فى هذا البلد تختار يوم ذكرى وفاته ليكون موسماً للعلم ، فاختارت لجنة الجوائز هذا اليوم لتوزيع الجوائز العلمية التى تفضلتم بتخصيصها كل عام للفائزين من كبار العلماء والأدباء ، وهى الجوائز التى أطلقتم عليها اسم والدكم المظيم . كما اختارت جامعة فؤاد الأول هذا اليوم أيضاً لتوزيع درجاتها العلمية على النابهين من أبنائها الخريجين … وسيتشرف بالمثول بين يديك يا مولاى لأخذ الجوائز العلمية ولتسلم الدرجات الجامعية كهول وشباب ، أما الشباب : فأولئك هم المتفوقون من الناشئين فى العلم ، وأما الكهول فأولئك هم النابغون فيمن نضج من العلماء » …

العقل المصرى :

قال معالى الوزير : « لقد أثبت علماؤنا اليوم يا مولاى أن العلم ليس وقفاً على الغرب ، وأن العقل المصرى إذا أطلق من عقاله وأفسح له المجال ، يثب ويرتفع ، حتى يصل إلى المستوى الذى وصل إليه علماء الغرب ، وهذه حقيقة تدل عليها مؤلفات علمائنا الذين فازوا بجوائز هذا العام ، وهى ليست إلا مثلا لمؤلفات كثيرة أخرى ، فالعالم المصرى يحق له اليوم أن يطالب بمكانه بين علماء الغرب ، وهو فى ذلك لا يستحدث جديداً ، بل يواصل تقاليد قد سلفت ، يوم كانت مصر هى منار العلم ومنبع المدنية ومقر الحضارة » …

النهضة العلمية فى مصر :

ثم قال : « والنهضة العلمية فى مصر هى عز الماضى ، وأمل المستقبل ، بنينا مجدنا بالعلم ، وسنعيد بناءه بالعلم ، وها نحن نمد النظر إلى آفاق بعيدة ، آفاق يشع منها النور قوياً وهاجاً ، ونرى النور يقترب منا رويداً رويداً ، وكلما اقترب زاد إشعاعا وقوة ، فهل يغمر مصر وهى تمشى إلى مستقبلها هذا النور المتألق ؟ لقد أخذت غياهب الجهل تنقشع عن سمائنا ، يبددها هذا النور الذى يقترب ، فليكن سيرنا نحو النور ، ولنمش إليه بخطوات ثابتة ، فإن هذا النور الذى نراه هو مرآة الماضى ، وعنوان الحاضر ورجاء المستقبل » …

الفائزون بالجوائز :

وتكلم بعد ذلك الأستاذ الكبير معالى أحمد لطفى السيد باشا رئيس لجنة الفحص لجوائز الآداب فأعلن أن اللجنة لم تفرغ من عملها بعد ولهذا قررت إعلان تأجيلها إلى العام القادم ، ثم تكلم معالى بهى الدين بركات باشا رئيس لجنة الفحص لجائزة القانون ثم سعادة الدكتور حسن صادق باشا رئيس لجنة الفحص لجائزة العلوم ثم قدم معالى وزير المعارف الفائزين بجائزة القانون إلى جلالة الملك وهما الدكتور محمد مصطفى القللى بك عميد كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول والدكتور محمد زهير جرانه المحامى فتسلما البراءة بالجائزة وقدرها ألف جنيه ، ثم قدم معالى الوزير الفائزين بجائزة العلوم وهم مصطفى نظيف بك والدكتور محمود الشيشينى الأستاذان بكلية الهندسة والدكتور محمد عبده السعيد الأستاذ بكلية الهندسة وعضو بعثتها إلى انجلترا .

درجات المتفوقين :

وبعد ذلك تفضل جلالته بتسليم المتفوقين من الخريجين درجاتهم العلمية ، وقد قدمهم إلى جلالته الدكتور عبد الوهاب عزام بك نيابة عن مدير الجامعة بكلمة جامعة رائعة ختمها بقوله: « إن مصر والأمة العربية جماء تبنى اليوم تاريخاً وتنشىء أجيالا وتعد مستقبلا يكافىء مكانتها بين الأمم ومآثرها على الزمان. والله أسأل أن يرعاها ويسدد خطاها وأن يجعل عرشكم الزاهر مناراً لنا فى تاريخ مصر وتاريخ العرب كلهم ، وتاريخ الحضارة الإنسانية» وكان هذا الدعاء الصادق مسك الختام .

البراءة الملكية بالجائزة :

ويهمنا أن نسجل فيما يلى نص البراءة الملكية بالجائزة التى منحت للدكتور مصطفى نظيف بك وهى نموذج للبراءات التى منحت لجميع الفائزين .

وهذا هو النص :

من فاروق ملك مصر بعناية الله تعالى

إلى صاحب العزة مصطفى نظيف بك الأستاذ بكلية الهندسة بجامعة فؤاد الأول .

بناء على ما أقرته اللجنة الدائمة لجوائز فؤاد الأول وفاروق الأول من استحقاقكم جائزة فؤاد الأول للعلوم عن سنة ١٩٤٧ لما امتاز به مؤلفكم « الحسن بن الهيثم — بحوثه وكشوفه البصرية » من دقة البحث .

قد أمرنا بإصدار براءتنا الملكية هذه من ديواننا بمنحكم تلك الجائزة وفقكم الله لخدمة العلم والوطن .

تحريراً بقصر القبة الملكى بالقاهرة فى اليوم السابع من شهر جمادى الآخرة لسنة ألف وثلاثمائة وستة وستين من هجرة خليفة المسلمين وفى السنة الحادية عشرة من حكمنا .

صدر بأمر مولاى الملك المعظم

رئيس ديوان جلالة الملك

مولانا أبو الكلام :

اختارت حكومة الهند مولانا أبو الكلام آزاد ليكون سفيراً لها فى مصر ، وهو أول سفير تختاره لتمثيلها فى البلاد العربية ، وثانى سفير يمثلها فى العالم ، إذ اختارت أول سفير لها ليمثلها لدى الولايات المتحدة .

ومولانا أبو الكلام أحد الزعماء المسلمين البارزين فى الهند الذين قضوا حياتهم فى مجاهدة الاستعمار ومقاومة الطغيان والنضال فى سبيل الحرية نضالا أبياً شريفاً لم ينل منه سجن ولا تشريد ، ولم يفل من حدته وعد ولا وعيد ، ونحن إذا تجاوزنا عن الناحية السياسية فى حياة هذا الزعيم العظيم وهى موضع خلاف بينه وبين الزعماء الآخرين فإننا نجده زعيما من زعماء الإصلاح الدينى الذين جاهدوا لنصرة الإسلام وعملوا على تقوية الروابط الإسلامية وانتصروا لها فى صدق وإخلاص وأبدوا فى ميدان الثقافة الإسلامية جهوداً مشكورة كان لها أعمق الأثر عند بنى قومه وأطيب الذكر فى العالم الإسلامى أجمع .

فمنذ عام ١٩١٢ وقف مولانا أبو الكلام وهو لما يزل فى مطلع شبابه ، يهيب بالمسلمين فى الهند أن يتحرروا من ربقة الجمود والتقليد ، وأن يكون طريقهم فى الدين التمسك بالكتاب والسنة ونبذ البدع والخرافات ، وتطهير الأعمال والعقائد من المحدثات ، ويصيح فيهم تلك الصيحة المأثورة : « إن الدين ما كان عليه الرسول وأصحابه والسلف الصالح من أمته ، لا ما قاله فلان وفلان وإن القرآن مهيمن على الكتب السماوية والعلوم البشرية فلا تشوهوا وجهه باليونانيات ولا بتخريفات المتفرنجين » .

وكان الرجل فى كل ما يكتب ويدعو إليه ينطق بتلك الروح القوية التى غرسها المصلح الكبير السيد جمال الدين الأفغانى فى النفوس ؛ فهو الذى يقول لأبناء وطنه « إن الإسلام من أوله إلى آخره دعوة عامة إلى البسالة والجرأة والتضحية والاستهانة بالموت فى سبيل الحق والقرآن ، وإن التوحيد يعلم المسلمين أن الخوف والخشوع لا يكون إلا لله الواحد القهار ، وأن المسلم الذى أمره ربه أن يرحب بالموت الأحمر ويتغلغل فى لجج الدواهى لا يقبل السكوت عن الحق ولا يغضى على المكروه » .

ولما قامت الحرب العالمية الأولى واشتبكت انجلترا فى ميدانها مع تركيا وهى أمة الخلافة يومذاك ، وقف مولانا أبو الكلام يدعو المسلمين فى الهند وفى الأقطار الإسلامية عامة أن يمتنعوا عن معونة انجلترا فى تلك الحرب التى تقوم بها ضد الدولة الإسلامية

الكبرى ، وطاف بالهند يلقى الخطب ويذيع البيانات فى هذا ، فلما أعيت انجلترا الحيل فى جذبه أو ردعه سجنته أربع سنوات ، وبعد عقد الهدنة أطلقت سراحه فخرج يدعو إلى وحدة إسلامية عامة بين المسلمين ، ويهيب بالدول الإسلامية أن تلتف حول دولة الخلافة لتعينها من كبوتها وتساعدها فى محنتها حتى ضجر به الإنجليز فأعادوه مرة ثانية إلى السجن .

فسر الزعيم أبو الكلام قدراً من القرآن الكريم تفسيراً علمياً عصرياً ، وترجم القرآن كله إلى اللغة الانجليزية ، وله مقالات إسلامية وبحوث ثقافية ضافية كان ينشرها فى مجلتى « الهلال » و « البلاغ » اللتين أنشأهما للدعوة إلى التحرر الدينى والتحرر السياسى ثم عطلتهما الحكومة لشدة أسلوبهما ، وعلى الرغم من هذه الغيرة الإسلامية الصادقة التى تفيض بها نفس ذلك الزعيم فإنه من أنصار الدعوة إلى توحيد الصفوف وجمع الشمل بين طوائف الهند ، فلا شك أنه سيكون خير سفير للهند فى أقطار العروبة .

وزارة للفكر :

كتب مستر برنارد شو الكاتب الإيرلندى الذائع الصيت إلى جريدة « التيمس » يقترح إنشاء وزارة للفكر فى انجلترا ويقول فى رسالته : « إن التقدم الذى أحرزته آسيا الصحراوية التى تسكنها القبائل حتى توصلت إلى قلب المدنية إنما يرجع إلى الاشتراكية الزراعية والصناعية ... وإننا إذا ما وضعنا أسس الاشتراكية فلن يقف شىء فى سبيلنا غير الكسل الفكرى والسياسى ، وخوفنا وكراهيتنا للتفكير . لدينا وزارات لكل شىء ما عدا وزارة للفكر على أنها العامل الوحيد الذى يستطيع مسايرة المدنية الحديثة » .

وإنى لأعجب لذلك الكاتب الكبير أن يقصد إلى حصر التفكير فى حدود الرسميات وأن ينزعه من جو الصراحة والطلاقة حيث يعيش ليجعله فى رعاية الحكومة تصرفه وتمشى به كما تريد ، فإن ذلك فى الواقع قتل للتفكير ، وحجر على العقول الطليقة أن تثمر وتنتج .

وهل يعتقد برنارد شو أنه لو كانت هناك وزارات للتفكير فى العالم من قديم الزمان كان فى الإمكان أن يصل تطور الفكر إلى تلك الحال التى بلغها وكان العالم قد رأى ما نراه اليوم من ألوان الفكر المختلفة فى مناحى الحياة الاجتماعية والعلمية والأدبية والاقتصادية ؟! كلا ! ونحسب أن برنارد شو نفسه يعلم حق العلم أن تاريخ التطور فى التفكير ليس إلا نزعات ووثبات وصفت بالتمرد والتهور وقوبلت فى أول الأمر من الحكومات والوزارات بالمقاومة والصرامة ، وفى هذا السبيل كثيراً ما ذهب أصحاب الأفكار ضحية أفكارهم وتفكيرهم .

وشىء آخر نراه واضحاً ملموساً وهو يدحض ذلك الرأى الذى يراه برنارد شو ، ونعنى به تلك الهيئات الرسمية والمجامع الحكومية التى تتولى الإشراف على أى ناحية من نواحى التفكير ، فإننا نراها جامدة خامدة لا تسير إلا فى بطء ولا تنتج إلا فى ضوء المتابعة للتفكير الحر الخارج فى دائرة الرسميات ، ولهذا كثيراً ما كانت تلك الهيئات والمجامع هدفاً لسخرية الساخرين وضحك الضاحكين !

وزارة للتفكير ؟! كلا أيها الكاتب الكبير ، فإن هذا سيكون إيذاناً بوضع نهاية لإيجاد التفكير ...

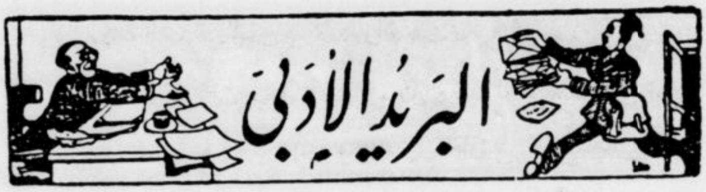
الشمس تغنى :

اكتشفت مصلحة الرادار فى الجيش البريطانى أثناء الحرب العالمية الماضية أن الشمس ترسل فى الفضاء موجات «راديوفونية» كالموجات التى ترسلها محطات الأذاعة اللاسلكية فى أنحاء العالم ...

وقد وقع هذا الاكتشاف مصادفة إذ كان البريطانيون يراقبون اقتراب طائرة مغيرة للعدو على أجهزة الرادار فى نطاق الأربعة أمتار والستة أمتار فأدهشهم أن استمعوا إلى أصوات موسيقية غريبة استمرت فى عزفها يومين ونصف يوم وكانت اتجاهات الرادار تشير طول هذه المدة إلى الشمس ، فلما انتهت الحرب قامت هذه المصلحة بعدة تجارب أثبتت أن الشمس ترسل فى الفضاء موجات « راديوفونية » على أبعاد مختلفة .

وقد أثارت هذه الظواهر اهتمام العلماء والباحثين ، فهم يجرون التجارب لكشف هذه الظاهرة العلمية واستغلالها ويقولون إنه ليس ببعيد أن نسمع صوت المذيع فى يوم من الأيام يقول : هنا راديو الشمس ، تسمعون الآن قطعة موسيقية تعزفها الشمس!

« الجاحظ »



نهضة العراق الأدبية فى منهاج الوزارة العراقية الجديدة

مما يلفت النظر فى منهاج الوزارة العراقية الجديدة التى ألفها السيد صالح جبر احتواؤه على (١٤) مادة لتشجيع حركة نشر الفنون والآداب فى العراق . وضعها دولة رئيس الوزراء كما قال لى فى حديثه لما رآه من تأخر العراق عن بعض الدول العربية الشقيقة فى الحركة الأدبية والثقافية فى ميدان النهضة الأدبية فى العصر الحديث فى حين أن له من تاريخه الثقافى وقابليات أبنائه الفكرية وطبيعته الموحية ما يؤهله أن يكون عاملا هاماً فى الحركة الأدبية المعاصرة . وسبب تأخر العراق الأدبى ناشىء من انصراف المسئولين الذين تعاقبوا على الحكم فى العراق إلى حصر جهدهم فى السياسة، فى حين أن العمل الثقافى يجب أن يسبق غيره من الأعمال ويحظى بعناية المسؤولين لكى ينير لهم طريق السياسة ويمهد لهم إنشاء مجتمع صالح سعيد .

لذلك رأى فى منهاجه هذه الناحية الهامة فى بناء العراق الحديث وخصص لها المبالغ اللازمة فى الميزانية لصرفها فى هذه السبيل وتجنيد المخلصين من الأدباء والعلماء والكتاب والمثقفين فى العراق والبلاد العربية للعمل معه فى هذا الميدان، وللاشراف على وضع دستور أدبى للعراق والعمل على نشر الثقافة العامة فى الجمهور واستغلال القوى الأدبية للترجمة والكتابة والنشر

وسيعنى قبل كل شىء بإنشاء مئات المدارس القروية ورياض الأطفال والابتدائية والثانوية لكى تضم كل راغب فى التعلم من أبناء العراق . كما أنه سيهتم بتوسيع المعاهد العالية ووضعها على أسس علمية رصينة والمباشرة بإنشاء الجامعة العراقية والإكثار من البعثات العلمية ورفع مستواها لتهيىء للبلاد ما تحتاجه من العلماء والأدباء والفنيين وتشجيع التعليم الحرفى والصناعى والزراعى والتجارى والفنون الجميلة وتوجيه معظم خريجى المدارس ولا سيما الابتدائية منها إلى هذا النوع من التعليم .

وسيهتم بتشجيع الثقافة العامة بين مجموع أفراد الشعب عن طريق المدارس المسائية والإذاعة والسينما والمعارض وإنشاء كليات شعبية لرفع المستوى الثقافى والمهنى العام فى البلاد وتوجيه التربية والتعليم فى العراق نحو تنمية المواهب والقابليات لدى أبناء الشعب كافة لما فيه خير البلاد وإعمارها والعناية بالمبادىء السليمة والأخلاق قبل كل شىء .

وسيحرص على العناية بثقافة الطلاب بعد تخرجهم من المدارس وذلك بتأسيس نواد ثقافية لغرض الدرس والمطالعة والتفكير .

لقد حدثنى دولة رئيس الوزراء بكل هذا وزاد عليه بأنه سيوعز بالمباشرة حالا بإنشاء مجمع علمى عراقى لتعضيد حركة الترجمة والتأليف والنشر وجعله صلة ثقافية بين العراق والبلاد العربية ، وتسهيل مهمة اللجنة الثقافية فى الجامعة العربية بما تقترحه من أمور ثقافية تخدم الأغراض الأدبية فى العراق وتساهم فى نشر وإذاعة التفكير العربى .

وطلب منى دولته أن أذيع على صفحات (الرسالة) الغراء بأنه سيوعز بتصوير وجمع وشراء جميع المخطوطات العربية فى المكاتب العامة والخاصة التى لها أهمية تذكر فى أدبنا العربى للاستفادة من بعضها ونشرها ، كما أنه سيستعين بكل أديب وكاتب عربى يخدم هذه الأغراض ويكون ذا فائدة فى نهضة العراق الأدبية والثقافية وذلك باستخدامه بأجور تتناسب ومكانته الأدبية والعلمية ليساهم مع أدباء العراق وعلمائه فى تدعيم حركة نشر الثقافة بين العراقيين :

وسيكون (المجمع العلمى العراقى) على غرار (لجنة التأليف والترجمة والنشر) فى مصر ومن جملة مهامه طبع مؤلفات الأدباء والشعراء والكتاب وإذاعتها ونشرها فى العراق والعالم العربى ليساعد بذلك المؤلفين العراقيين الذين تقف نفقات الطبع والورق حائلا دون نشر أفكارهم وما يضعونه أو يترجمونه من كتب وأقاصيص :

لقد احتوى المنهاج الوزارى العراقى على الخطوط الرئيسية للمعلومات التى شرحها دولة رئيس الوزراء . ولا ريب أن حماسته فى العمل والإنشاء ستعجل بتنفيذ هذا المنهاج الثقافى الضخم الذى تقوم لأول مرة ، وزارة عراقية بنشره وتتعهد بتطبيقه فى العراق .

بغداد

مهدى القزاز

إلى الأستاذ الطنطاوي :

أخي الأستاذ علي .

ذكرت في مقالك الممتع الذي تحدثت فيه عن دمشق (العدد ٧١٧ من الرسالة) أن حماماً سامي منسوب إلى البطل المشهور أسامة بن منقذ . فاسمح لي أن أبين لك ما يلي :

إن هذا الحمام لا ينسب في الحقيقة إلى أسامة بن منقذ . بل ينسب إلى أمير آخر اسمه أسامة الجبلي . قال ابن كثير « أسامة الجبلي ... كان أحد أكابر الأمراء . وكان بيده قلعة عجلون وكوكب . . اعتقله العادل بقلعة الكرك سنة تسع وستماية . واستولى على حواصله وأملاكه وأمواله . وكان قيمة ما أخذه منه قريباً من ألف ألف دينار ؛ من ذلك داره وحمامه داخل باب السلامة . وداره هي التي جعلها البادرائي مدرسة للشافعية » اه .

أما أسامة بن مرشد ... بن منقذ ، فلم يدرك القرن السابع ، ولا أيام العادل . بل توفي أواخر القرن السادس ، أيام صلاح الدين سنة أربع وثمانين وخمسماية ، ولم يذكر أحد أنه بنى بدمشق حماماً .

انظر : تنبيه الطالب للنعيمي (مخطوط) المدرسة البادرائية — مختصر تنبيه الطالب للعلموي . ص ٣٥ (مطبوعات مديرية الآثار العامة) — البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ، ص ٦٣ — النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٠٧ —

Ecochard et Le Coeur, les Bains de Damas, P, 22—Sauvaget, Un Beain damasquin du XIIIe siecle Paris 1930,

ولأخي الأستاذ ، خالص تحيتي[1] .

(دمشق) **صلاح الدين المنجد**

شعاب قلب :

أهدى الأستاذ حبيب الزحلاوي مجموعة قصصه (شعاب قلب) إلى الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك ، فكتب إليه الكتاب الآتي :

تحية طيبة وبعد فقد تفضلتم فأهديتم إلى مجموعة قصصكم (شعاب قلب) وتوفرت على التمتع بقراءتها ولم أقدم على كتابة هذا الشكر الواجب إلا بعد أن فرغت من قراءتها .

وقد كانت متعة كبرى في خلال هذا الأسبوع الذي قضيته في عمل متصل إذ حملتني صورها إلى آفاق شتى من المعاني تتصل كلها بصميم النفس الإنسانية . وقد راعني فيها أسلوب رصين متين فيه السلاسة وفيه الجزالة كما راعني من صوره كثير مما يهز النفس ويدفعها إلى التأمل العميق . ولست أنسى أن أشير بنوع خاص إلى القصة الأولى « غريب » وإلى السادسة « هواجس » فإنها تجمع إلى الأسلوب المتين وضوح الصورة وحبك الحوادث واطراد السياق في الأسلوب بغير ما يعوق مثول أهم الأشخاص دائماً في « بذرة » الاهتمام .

فأهنئك على هذا المجهود الكبير وأرجو لكم دائماً حسن التوفيق ولك شكري مكرراً وتحياتي خالصة .

محمد فريد أبو حديد

حول (انطلى عليه) :

في بريد « الرسالة » الأدبي في العدد (٧١٣) كلمة تحت عنوان « في اللغة » بإمضاء « فلسطيني » يخطىء فيها استعمال الفعل (انطلى عليه ...) بمعنى جاز عليه ، ويقول وأنها جاءت عن طريق الترجمة ...

وعليه أقول : لو أننا تركنا المعاجم أو التعابير القديمة لوجدنا كلمة (الطلاء) وهو ما يطلى به الشيء أو يدهن ، لتغيير لونه الأصيل الباهت أو تضييع معالمه ، ومن الممكن الجائز اشتقاق الفعل (انطلى عليه الأمر) بمعنى اغتر ببطلائه دون أصله ، وظن خيراً ما يكمن تحته الشر كالنار في الزند ... ومنه يقال (انطلت عليه الحيلة) أي جازت عليه بغير تفطن إلى الأصل الذي غيبه الطلاء .

وإذاً ، فالتعبير على هذا الأساس صحيح لا غبار عليه ولا التباس فيه ... والسلام .

(الزيتون) **عدنان**

تصويب :

جاء في كلمة الأستاذ عبد المتعال الصعيدي المنشورة في العدد الماضي تحت عنوان (حول أبي هريرة) أن حديث أبي هريرة : دخلت على رقية الخ جاء في كتاب التاريخ الصغير للبخاري (ص ١٠٠) والصواب (ص ١٠) .

(١) ولك يا أخي صلاح شكري . (علي)

الكتب

يوم ميسلون

« تأليف الأستاذ ساطع الحصرى بك »

بقلم الأستاذ حبيب الزحلاوى

الأستاذ ساطع الحصرى مؤلف هذا الكتاب ، علم من أبرز أعلام الرجال فى البلاد العربية ، وعالم محقق مدقق ، صبور على التتبع ، مفطور على التقصى والتحليل ، ومرب فاضل له فى المعارف رأى صائب سديد ، وفى السياسة باع طويل ، ودراية واسعة ، ولباقة نادرة ، ما وكل إليه شأن من شؤون الدولة إلا قام به خيرقيام ، ولا أسند إليه عمل من الأعمال إلابلغ به الغاية من التمام

من أحدث مؤلفاته كتاب « يوم ميسلون » وليوم ميسلون شأن أى شأن فى تاريخ الأمة العربية ، فإن أحداثه الكبرى برغم أنها دكت عرشاً ، وأنزلت بالشعب السورى هواناً ، وأقامت بدلا من العرش وهو رمز الأمة ، طودا للاستعمار البغيض جثم على الصدور ، وثلم الكرامة الواعية . فإن تلك الأحداث على عنفها لم تكن عاجزة فقط عن قتل روح الأمة ومحو قوتها المعنوية بل كانت باعثاً من أكبر البواعث على الاستفزاز وعلى النشاط للجهاد ومحو آثار ذلك اليوم المشئوم ، ودرء أخطار مثله .

قرأت الكثير مما كتبه الفرنسيون فى تبرير يوم ميسلون ، وسمعت الكثير من أقوال رجال سورية العاملين ، منهم الذين شاركوا فى التمهيد ليوم ميسلون ، ومنهم من عمل ليتفادى أو يستبدل أحداث ذلك اليوم المشئوم ، فلم أقع على ما يروى غلة متعطش إلى معرفة الحقيقة ، ولكن هذا الكتاب ، لا ينير فقط طريق المؤرخ ، بل يعطيه الوثائق والأسانيد الصحيحة ويطلعه على حقائق كان بعضها خافياً على الكثيرين من رجال الحكم ، وبعضها الآخر كان يعمل على اخفائه رجال الحكم أنفسهم ، أو تجار الوطنية من عباد الوظائف الكبرى ، وعلى طمس معالمه حتى لا تثلم زعامتهم ، ولا يفتضح أمرهم عند سواد الشعب ، الذى كان حتى الأمس القريب ، يؤخذ بالتقاليد العتيقة البالية فيحترم فلانا الحاكم أو الزعيم لا لصفات تؤهله للزعامة أو الحكم ، بل لأنه من آل فلان الحاكمين أو الأثرياء . ويمجد علانا الموظف لأنه يشغل مقعد الوظيفة

يقول المؤلف الفاضل « ان حوادث يوم ميسلون لم تكن بنت ساعتها ، بل كانت صفحة من صفحات القضية السورية ، والقضية السورية نفسها لم تكن قضية قائمة بذاتها ، بل كانت جزءاً من القضية العربية ، كما أن القضية العربية كانت وثيقة الارتباط بالمسألة الشرقية » ولكى يقيم المؤلف الدليل على هذه الارتباطات المتسلسلة أنشأ فصلا كان بمثابة تمهيد يبرز أطماع فرنسا فى سورية جعل مردها إلى الحروب الصليبية ، كما كان بمثابة توضيح لسياستها الاستعمارية التى سلكتها فى الربع الأول من القرن الثامن عشر،وقد أخذت منذ ذلك الحين تبسط نفوذها على بلاد إسلامية واسعة الأرجاء ، وتعلن أنها صاحبة امبراطورية إسلامية وإرث عظيم يؤول إليها من تركة الدولة العثمانية ، ويستعرض المؤلف الفاضل ببراعة وإيجاز فصول اصطدام فرنسا الاستعمارية بالعقبات الدولية وتناحرها مع الإنجليز، أصحاب الامبراطورية التى لا تغرب الشمس عنها لامتدادها فى أصقاع الأرض ، لينتهى إلى الاتفاق الذى تم بين الدولتين الحليفتين ، فرنسا وانجلترا على تنفيذ معاهدة سايكس - بيكو بنصوصها وحذافيرها ، وكان ذلك الاتفاق بمثابة مقدمة لحلول القضاء المشئوم يوم ميسلون .

فصول الكتاب متعددة متنوعة بارعة ، ولعل ابرعها الفصل الذى تم فيه اختيار أعضاء مجلس الديرين زميلهم السيد ساطع الحصرى وقد حبذ الملك رأيهم للسفر إلى مقر قيادة الفرنسيين فى لبنان قبيل زحف الجيش الفرنسى على سورية للتفاهم مع الجنرال غورو المندوب السامي ، خصوصاً وقد قبل وزير الخارجية السورية كافة المطالب الفرنسية : ففى هذا الفصل يصف المؤلف البارع الموقف أبلغ وصف ، ويكشف القناع الشفاف عن مطامع الفرنسيين المستعمرين ، وكيفية توسلهم بكل وسيلة تحقق أمانيهم وتدرجهم فى الطلب حتى يستوفوا أغراضهم تامة كاملة . ثم يفضح أذناب المستعمرين من أبناء سورية بسرد نتف من أعمالهم ولمحات من تصرفاتهم وسكوته المهذب عن ذكر

الشريد

(تأليف على بك حلمى)

للأستاذ محمد خليفه التونسى

بين يدى بهذا العنوان مسرحية ذات ثلاثة فصول كتبها على بك حلمى مدير جرجا .

١ – فالمؤلف – مع أنه من رجال الإدارة والشرطة – يمتاز باطلاع واسع عميق ، وهو – إلى ذلك – أديب يكتب المقالات وبديع المسرحيات ، وأقرب الأمثلة إلينا بحثه الممتع « محمد والأمن العام » الذى نشرته الرسالة فى عدديها (٧١٠ ، ٧١١) وهذه المسرحية .

٢ – والمشكلة الكبرى التى تدور حولها هذه المسرحية هى مشكلة الطفولة المحرومة من عطف الآباء والأمهات وحمايتهم ، والطابع المصرى يبدو واضحاً راسخاً على كل ما فى المسرحية سواء فى ذلك موضوعها الأكبر ، والحوادث التى تظهر دقائقه ، والشخوص التى تظهر فيه ، وهذا امتياز كبير قل أن يتوفر اليوم فى إنتاجنا القصصى عامة والمسرحى خاصة ، فهو قصص عاطل من السمات والملامح المحلية حتى إن الناقد يبحث فيما يقرأ عن المؤلف والبيئة التى نشأ فيها قصصه والشخوص المفردة التى يعبر عن حياتها فلا يكاد يفوز – مهما جد – بطائل ، فمن الممكن أن يقع بعد ألف عام أو قبل ألف ، هنا أو فى أى مكان من الأرض أو غيرها حيث يمكن أن يكون بشراً ، فإذا ظفر الناقد بعد الكد بشىء من هذه السمات والملامح لم يجدها إلا حائلة حائرة مائعة، مع أن الخصائص أول شرط من شروط الإنتاج الأدبى عامة والقصصى خاصة، والخصائص فى مسرحية الشريد بارزة لا فى مشكلتها الكبرى وحوادثها وشخوصها الأساسية فحسب، بل فى المشكلات الثانوية المنتثرة فيها دون قصد خاص إليها .

٣ – وقد جاءت هذه المسرحية فى إبانها ، فمشكلة الطفولة المشردة من مشكلاتنا القائمة بيننا الآن بكل متاعبها ، وأعباؤها لا تزال تثقل كواهل كثير من أولى الأمر فينا فى عدة وزارات ، كما تشغل عقول كثير غيرهم من محبى الإصلاح ودعاته .

وعلى الرغم مما قرأته من بحوث متعددة لكثير ممن كتبوا فى هذه المشكلة حكوميين وغير حكوميين – لم أستطع أن ألم بخفاياها وصعوباتها وطرق علاجها كما ألممت بها من هذه المسرحية فهى تصور أوضح تصور حياة الأطفال المشردين بكل ما تزخر به من منغصات وأوجاع ، وما يتعرضون له من استغلال الزعار والشطار لهم ليعيثوا فساداً فى الأرض ، والتخفى وراء براءتهم والشفقة عليهم للعبث بقوانين المجتمع ونظمه وحماته توقياً من العواقب الوخيمة ، فهم يسخرونهم فى السطو والاختلاس والتجارة المنكرة بالأغراض والسلع المحرمة ؛ كى يضللوا حماة الأمن الذين لا يجدون فى هؤلاء الأبالسة الصغار غير أطفال ملائكة أطهار جنى عليهم آباؤهم وحرمهم المجتمع عنايته دون ذنب ، فهم لا يستحقون منهم إلا العطف والعون ، مما يتيح لفساد محركيهم فى الخفاء أن يستشرى ويتسع دون أن يفطن إليه الموكلون بدرئه .

ولا شك أن صلة المؤلف بهذه المشكلة أهم عوامل نجاحه فى تعرف حدودها وخفاياها وأساليب علاجها الميسورة .

أسمائهم ، فتنطق الأعمال بلسان أوضح من تبيان الأسماء ، فلا يتمالك القارىء من استنزال لعنة يصبها على ذلك الزعيم الخسيس أو ذاك المتكالب على الوزارة أو الطامع فى وظيفة ، أو هذا المائع المتفلسف يلبس لكل حالة لبوسها

فى الكتاب فصول عدة لا محيد لكاتب تاريخ سورية من اقتباس بعضها بالنص ، والاستئناس والاسترشاد ببعضها الآخر لأنها بمثابة متون تحتاج إلى شرح وتفصيل

يرى المؤلف الفاضل أن واقعة ميسلون – وإن كانت بمثابة الفصل الأخير من رواية « المنافسة الدولية » التى حامت حول سوريه – فانها كانت فى الوقت نفسه بمثابة الفصل الأول من منقبة « المنافسة الوطنية القومية » التى قامت فى سورية ضد القوى الفرنسوية . فهذا القول صحيح لا غبار عليه ، وإننا نتمنى مخلصين أن تكون أعمال المتنافسين قد انتهت لتتجه الاتجاه الخاص فى بناء الملك على أوطد دعائم العدل والامن والقوة بشرط أن لا تأخذها نشوة الانتصار باجلاء الفرنسويين وتنام عن تقلبات السياسة وألاعيب عباد كراسى الحكم

يطول بى المقام لو وقفت حيال كل موضوع من مواضيع هذا السفر القيم ، ولكنى أدعو قراء العربية إلى اقتنائه ، ومن ثم أقف لأعترف بفضل مؤلفه الرجل الكريم الذى دون أحداث أمة ناهضة وعلم ناشئتها وما برح يعلمها كيف تزجر زعماؤها وكيف تهدى حكامها سبيل الحرية والاستقلال

حبيب الزحلاوى



الجاسوسة العاشقة

عن الانجليزية

للأديب شفيق اسعد فريد

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

دخلت فانيا شرفة الفندق فانحنى لها الخادم باحترام بينما وقف اليوت لاستقبالها ... وقبل الشاب أناملها فى رفق ... وحين جلسا بادرها قائلا : —

— اصغى إلى يا فانيا ... يجب أن أرحل هذه الليلة ... إننى متأسف كثيراً لذلك ، بيد أن الأمر جد هام أعنى أن لدى أعمالا تستلزم رحيلى إلى الغرب ... فقد وصلنى اليوم خطابك ...

فقاطعته قائلة : — أعمال ... لم أكن أدرى أنك قدمت إلى موسكو لأجل العمل . ولكن خبرنى ،ألا ترجع ثانية لموسكو ... ؟ وهل أنت ذاهب بعيداً ... ؟

فأجاب : — إننى ذاهب إلى باطوم ... ولكننى سأعود ثانية فإن الأوامر التى عندى تقضى علىّ بالبقاء فى باطوم لمدة أسبوع ... سوف أشعر بكثير من الوحشة لفراقك يا فانيا ...

وشعرت الفتاة بشىء من الإضطراب إذ لم يبلغ سمعها أى نبأ عن وصول مثل هذا الخطاب ... وخطر لها أن تتحرى الحقيقة من أعوانها ... فاستأذنت الشاب لبضع دقائق .

ودخلت فانيا الغرفة السرية التى يحتلها مندوب قلم المخابرات السرية فى الفندق ... ونظرت إلى الرجل الذى كان يجلس إلى المكتب وقد ارتدى معطفاً غليظاً ... ثم قالت : —

— يقول الشاب إنه ذاهب إلى باطوم الليلة وذلك بناء على التعليمات التى أرسلت إليه فى خطاب وصله اليوم ... وسيعود إلى موسكو ثانية بعد أسبوع ..

فهتف الرجل قائلا : ليس هناك خطاب أيتها المواطنة ... إننا ندرى كل شىء عن المحادثة التليفونية ... على كل حال ستذهبين إلى باطوم الليلة ... وسأنظر فى أمر جواز سفرك ... على أنى أعتقد أنه لمصلحة المهمة التى تقومين بها ينبغى أن تسافرى بالدرجة الثالثة ...

***

كان قطار الغرب مزدحما ازدحاماً شديداً فى تلك الليلة ... ولقد استطاعت فانيا أن تجد مقعداً خالياً بصعوبة شديدة ... وبعد أن وضعت السلة التى كانت تحملها فوق المقعد غادرت العربة ... ووقفت فوق الرصيف ترقب وصول اليوت ... ولم يمض أكثر من بضع دقائق حتى رأته يشق لنفسه طريقاً وسط الزحام الشديد ...

ووصل القطار أخيراً إلى باطوم بعد رحلة شاقة ... فغادرت فانيا العربة وراحت تراقب اليوت عن بعد ... واستمرت فى رقابتها حتى انصرف من المحطة واستقل سيارة ثم انطلق إلى فندق باطوم ...

وفى المساء تسلل شبح إلى ممر فندق باطوم ولم يلبث هذا الشبح أن دخل إحدى الغرف فى هدوء ... وتلفتت فانيا حولها فوجدت أن رجال قلم المخابرات قد زودوها بكل ما يلزمها فى عملها ... ولم تمض لحظة حتى طرق رئيس قلم المخابرات السرية فى باطوم الباب ... وحين دخل بادر الفتاة قائلا : —

— لقد كانت حيلة مرض الأخ الأصغر حيلة تدل على الذكاء النادر ،على أننى واثق أن بين اليوت ومحادثه طريقة سرية للكلام، وفى اعتقادى أن كلمة بورد وتعنى باطوم وأن سان سباستيان مثلا يقصد بها سبستابول ... ياله من أمر مضحك ...

فقالت فانيا : ماذا تعتقد أنه سيحدث .. ؟

فقال الرئيس : أعتقد ... إننى متأكد مما سيحدث لأن من واجبنا معرفة الحقائق ... يوجد شخص معين فى باطوم يعرف الكثير من المعلومات الهامة عن أحد المشروعات الهندسية الكبيرة التى ستنفذها الحكومة على نهر فولجا ... إن هذا الرجل روسى لسوء الحظ ... ولما كانت معلومات هذا الرجل تهم الكثيرين من المهندسين الأجانب وبخاصة الانجليز منهم فقد جاء اليوت لمقابلة هذا الرجل للحصول منه على ما عنده من المعلومات .

ومع ذلك فإن الرجل لن يستطيع أن يبوح بهذه المعلومات إلا مرة واحدة ... وسوف نمكنك من سماع ما سيدور بين الرجلين من حديث بوساطة تليفون سرى أعد لك فى الغرفة رقم ١١٤ ... والآن أريد أن أوجه انتباهك إلى أننا نريد الرجلين معاً ... سوف نكون فى حاجة إلى شهادتك فيما بعد ...

***

تلفتت فانيا حولها فى اشمئزاز ، فقد شعرت للمرة الأولى بالكراهية للعمل الآلى الذى تقوم به ... والواقع أنها كانت تحس اضطراباً داخلياً لم تستطع مقاومته ... كانت تريد أن تطلق الجاسوسية ومؤامراتها وإيقاع الأبرياء فى حبائلها لتسوقهم إلى الهلاك ... أجل لقد شعرت بأنها امرأة شريرة ...

واستولى الإعياء عليها ، وشعرت برعب عظيم يتسرب إلى قلبها ولكنها استطاعت أن تقاوم هذا الذعر ، وبدأت تفكر فى هدوء !

ودق جرس التليفون فجأة فأفاقت من تأملاتها ... وسمعت صوت عامل التليفون يعلن أن رجلا اسمه المستر راكوف قد اتصل بالمستر أليوت وطلب إليه أن يحدد له موعداً للمقابلة كى يطلعه على النماذج اللازمة ... ولقد حدد المستر أليوت الساعة السادسة للمقابلة فى الغرفة رقم ١١٠ ...

وبدا للفتاة أن وقت العمل قد حان ، فقد استقر رأيها على أمر معين وصممت على تنفيذه مهما كانت العقبات التى تعترض سبيل هذا التنفيذ ...

وتسللت فانيا من غرفتها إلى الشرفة فى هدوء ... وتقدمت إلى الغرفة رقم ٩٠ وطرقت النافذة فى رفق ، وحين فتح اليوت النافذة وضعت فى يده مذكرة صغيرة كانت قد أعدتها فى غرفتها ثم قفلت راجعة دون أن تلوى على شىء ...

كان قلبها يدق فى عنف ووحشية ... وشعرت بنوع من الحمى يدب فى جسدها ، ولكنها — مع ذلك — شعرت بشىء من الطمأنينة إذ حذرت الشاب فى الوقت الملائم .

وفى الساعة الثالثة سمعت فانيا وقع أقدام الشاب فى الدهليز وصوت أقدامه وهو ينزل الدرج ... وراحت تتساءل : ترى هل سيعمل بنصيحتها ..؟ وهل ستنقذه هذه النصيحة من مصيره المحتوم ؟!

لم تكن ترتاب فى أنه إنما قدم إلى الروسيا ابتياع معلومات لو أنها أذيعت لسببت متاعب جمة لحكومة السوفييت ... إنه أحد أعداء بلادها ويجب القضاء عليه بكل الوسائل الممكنة ... ولكن ... يا لله ... لقد أقدمت على خيانة وطنها خيانة عظمى دون أن تدرى لذلك سبباً ...

ودقت الساعة فى بهو الفندق معلنة الرابعة والنصف ومع ذلك لم يعد أليوت ...

وحين دقت الساعة الخامسة بدأت تتساءل : ترى هل هرب؟

ونظرت الفتاة إلى ساعتها فإذا بها السادسة إلا ربعاً ...

وما هى إلا لحظات حتى سمعت وقع أقدام فى الدهليز أعقبها طرق على بابها ...

ودخل الخادم لينبئها أن شخصاً جاء لمقابلة المستر اليوت فى غرفته وأن هذا الرجل موجود فعلا فى غرفة الانتظار فى تلك اللحظة ...

كان هذا الإعلان نذيراً ببدء العمل ... فالتقطت فانيا سماعة التليفون ووضعتها فوق أذنها وراحت تصغى ...

كان الصوت واضحاً حتى لقد استطاعت فانيا أن تسمع صوت تحرك اليوت فى الغرفة .. وخطر لها أن تصيح لتحذره ولكن أنى لها ذلك ..

وسمعت الفتاة وقع أقدام فى الدهليز فعرفت أن المستر راكوف فى طريقه إلى مقابلة أليوت فى الغرفة رقم ١١٠ .

واستولى عليها الاضطراب حتى لقد سقطت منها حقيبتها اليدوية ... وفجأة سمعت الحديث الذى دار بين الرجلين ...

كان الصوت واضحاً عالياً ...

وراحت تصغى وقد أدركت أنها لن تستطيع الفرار من مواجهة الأزمة ...

كان اليوت يتكلم بصوت عال بكلام لا معنى له دون أن يجعل لرفيقه فرصة الكلام .

إذن فقد أدرك الشاب أن هناك من يسترق السمع ...

وأسرعت الفتاة فوضعت السماعة مكانها وهرعت نحو الباب وأشارت إلى الخادم إشارة فهم المقصود منها ...

وفجأة امتلأ الدهليز برجال قلم المخابرات السرية ... وحين

واجههما رئيسهم باسماً قال :

— هل سمعت ما فيه الكفاية أيتها المواطنة ؟

وصاح أحد الرجال فى تلك اللحظة :

— افتحوا الباب وإلا حطمناه ...

وفتح الباب فجأة بينما اندفع الرجال داخل الغرفة .

كان اليوت باسماً على حين كان راكوف أبيض الوجه يرتجف من الخوف ...

وفتش الجند الرجلين بسرعة وفى خشونة وعنف ... بينما وقفت فانيا على مبعدة وقد أطرقت برأسها إلى الأرض .

وقال رئيس الجند : تعاليا منى لتوضحا مسلككما الحالى ... لقد استطاعت هذه المواطنة أن تسمع الحديث الخطير الذى دار بينكما منذ لحظة .

ولاح لفانيا أنها تشاهد إحدى المهازل ... ولم يبق لديها شك فى أنهما وقعا فى الفخ ...

وأخيراً قالت فى صوت مبحوح : لقد سمعتهما يتحادثان أيها الرئيس،ولقد استنتجت من حديثهما أنهما يتكلمان طبقاً لطريقة خاصة ! . . لقد ذكرا أنهما يتوقعان محادثة تليفونية من بوردو بخصوص حالة أخى المستر اليوت الصحية ...

ودق جرس التليفون فى تلك اللحظة فانصرفت أنظار الجميع إلى الآلة الصغيرة الموضوعة على منضدة بجوار السرير ... وكاد أليوت يتناول السماعة حين منعه رئيس الجند من ذلك وتناول هو السماعة ثم قال رداً على المتكلم :

— ماذا تقول . . ؟ مكالمة خارجية . . ! مستعجلة . ! تقول إنها للمستر فارنجتون ... حسن ... ماذا ؟ من بوردو ...!

والتفت رئيس الجند حوله فى غضب ... وأخيراً قال لفانيا : هل تتكلمين الفرنسية . . ؟ حسن ! يمكنك أن تصغى للمتكلم ... أخبريه أن المستر فارنجدون مريض أو بالخارج أو ما شابه ذلك .

ووضعت فانيا السماعة على أذنها وبدأت تصغى ...

وقالت رداً على المتكلم :

— أجل ... سوف أخبر المسيو اليوت ... تقول إنه أحسن حالا ... هذا بديع ... لقد كان المسيو اليوت قلقاً على أخيه ...

— حسن ! سأخبره بذلك يا سيدى ... الوداع ...

والتفتت إلى رئيس الجند وهى تقول :

— إن المكالمة من بوردو كما ذكرت وهى مكالمة خاصة للمستر اليوت ... إنها تقرير عن صحة أخيه ... يلوح أننا أخطأنا يا سيدى ... ربما أخطأت فى إدراك مغزى حديثهما ...

وبدا الغضب واضحاً على رئيس شعبة قلم المخابرات السرية فى باطوم وعض على شفتيه قهراً ثم ألقى نظرة غاضبة على اليوت والتفت إلى فانيا قائلا :

— حقاً ... ربما اخطأت أيتها المواطنة ... إن الإنسان معرض للخطأ ... وعلى ذلك فهأنذا أتقدم للمستر فارنجدون باعتذارى وأنا جد واثق أنه يقدر المتاعب والأخطاء التى تعترض سبيل عملنا الدقيق ... إننى أعتذر إليك للمرة الثانية يامستر اليوت

والتفت إلى راكوف قائلا : أما أنت فاتبعنى .

وحين غادر الجميع الغرفة التفت اليوت إلى فانيا وقال فى صوت رقيق : خبرينى لماذا أقدمت على هذه المخاطرة من أجلى ؟

فقالت : الواقع أننى لا أدرى يا اليوت ... لقد شعرت بالملل فضحك ...

وفجأة ضمها إلى صدره فى حنان ثم قال : والآن سوف نذهب معاً إلى بوردو ...

شفيق أسعد فريد

مطبعة الرسالة

العدد ٧٢٣ — الاثنين ١٢ مايو ١٩٤٧ — السنه الخامسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٥٣٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15em Année No. 723

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi — 12 — 5 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٦ — ١٢ مايو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

لوازم الحـــديث

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان الحديث عن آقاك الأرمنى الذى قيل إنه طبيب روحانى يشفى الأمراض المستعصية ويلمس المريض مرة أو مرتين فينهض سليما معافى .

وكان المتحدث رجلا يصدق من الغرائب والمفارقات بمقدار ما فيها من مفاجأة الناس ومصادمتهم بالمستبعد المستغرب من الأمور ... له فى الحـديث لازمة هى كلمة « لا » النافية . يقولها عشرين أو ثلاثين مرة فى الجلسة الواحدة ، ويقولهـا لمن يوافقه ومن يعارضه ، ولمن يقبل كلامه على علاته ومن يرفضـه « على طول الخط » كما يقولون . ويخيل إليك وأنت تستمع إلى حديثه أنه يفضل إنكارك كلامه على موافقتك وتأمينك . لأن الإنكار يفتح له باب الجـدل والاستمتاع بتلك الكلمة المحبوبة لديه ، البغيضة إلى الناس أجمعين ، وهى كلة « لا » النافية ومرادفاتها فى اللغة العربية .

قال : إن آقاك شفى مشلولا كسيحا لاينهض على قدميه .

قالها والتفت إلىّ متوقعاً أن أنكر منه هذا الخبر ، وأجزم باستحالته أو استبعاده .

فخيبت ظنه وقلت : يحصل .. نعم يحصل وقد حصل فى الزمن القديم وفى هـذا الزمن . وقد حصل على أيدى الأطباء الذين لا ينتحلون لأنفسهم قدرة روحانية ولا كرامة من كرامات الأولياء . وحصل فى عهد العباسيين قبل هذا العهد الحاضر الذى عرف الناس فيه علم العلاج النفسانى وسلكوه فى عداد العلوم الطبيعية . وذكرت قصة الجارية التى كان الرشيد يحبها فرفعت يدها ذات يوم فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها ، وعولجت بالتمريخ والدهن فلم ترجع يدها إلى حركتها . فلما استدعى ابن بختيشوع لعلاجها قال للرشيد : إن لم يسخط علىّ أمير المؤمنين فلها عندى حيلة : تخرج الجارية إلى ههنا بحضرة الجميع حتى أعمل ما أريده فأمر الرشيد بالجارية فأحضرت ، وأسرع إليها الطبيب وأوثق يدها الطليقـة وأمسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها . فانزعجت الجارية وبسطت يدها المتقلة إلى أسفل . وكان ذلك شفاءها .

هذا وأشباهه جائز فى الطب مشاهد فى الواقع ، والمعول فيه على استفزاز القوى الحيوانيـة من طريق المؤثرات النفسانية . فإذا كان آقاك يملك القدرة على استفزاز هـذه القوى فى نفوس معتقديه فلا مانع عقلا أن يشفى بعض الأمراض بهـذا النحو من العلاج .

وليس المهم فى مقالنا هذا هو حديث آقاك الأرمنى وإن كان حديثه ليجرى الآن على كل لسان . وإنمـا المهم « لا النافية » على لسان صاحبنا الذى آمن بآقاك ليقولهـا ويسمعها من سامعيه ! .. فقد ظننت أننى أخذت عليه الطريق وانتزعت هذه الكلمة من بين شدقيه . فإذا هى والله أول كلة علق بها على هذه

القصة ، وإذا به يفتح فاه ليقول : لا . ليس هذا قصدى ...

قلت : لا . بل ينبغى أن يكون هذا قصدك . ماذا تعنى أيها الرجل « بلا » هذه التى تفجأ بها الناس موافقين أو مخالفين ؟ قلت إن آفاك يشفى المرضى فقلنا لك : يحصل . فأين موضع « لا » هنا لا حرمك الله سماعها من كل لسان ؟

فانقبض واستخزى . وكانت عنده بقية أدب فى الخطاب فقال معتذراً : والله إنها لازمة . ولازمة ذميمة والحق يقال . ولكن ما العمل فى المادة وسيئاتها قبحها الله !

وخطرت لى لوازم الكلام عند أكثر المتحدثين ؛ فسألت نفسى : أيها ياترى خير وأفضل . « لا » هذه التى تقال فى كل جواب ؟ أو « نعم » ومرادفاتها التى تعود بعض الناس أن يعقبوا بها على النقيضين فى مجلس واحد ؟

— حبذا لو خلت مصر من الأحزاب .

— صحيح .

— ولكن الأحزاب ضرورية فى الأمم الديمقراطية .

— صحيح والله !

— إلا أن الديمقراطيـة قد تستغنى عنها فى بعض أوقات التطور والانتقال .

— معك حق . فهذا صحيح .

فكم من المتحدثين يستمع إلى أمثال هـذا التعقيب فى كل يوم وبين كل طائفة من الناس ؟ وكم تسوءهم هذه الموافقات وهم ينتظرون الشجاعة الأدبية من ذوى الرأى فـلا يرون بينهم وبين الجهلاء الإمعات من خلاف ؟

إن كانت هناك « نعم » شر من « لا » فهذه النعم شر من جميع اللاءات وجميع أدوات النفى على الإطلاق .

ومن اللوازم ما هو أعجب من الموافقة والإنـكار على هـذا المنوال ؛ لأنها لازمة تلقى على المستمع تهمة لا ذنب له فيها ولا مناص له من دفعها .

تلك هى لازمة « على رأيك » عند بعض الناس .

يحدثك عن رجل لا تعرفه ولعلك لم تذكره قط فى حياتك ، فإذا به يقول : « على رأيك إنه رجل لئيم » ... ويمضى فى تحميل رأيك المظلوم تبعات هجائه وإنحائه وأنت لم تر شيئا مما اتهمك برؤيته ، ولم يفكر هو بعقله فى إسناد التهمة إليك وإنما جرت التهمة « البريئة » على لسانه من حيث لا يريد .

وحضرت مجلساً فيه واحد من أصحاب هـذه اللازمة وهم غير قليلين . فصرخ أحد السامعين الذين اتجه إليهم الحديث مستغيثاً :

يا شيخ حرام عليك ! متى وصفت الرجل بهذه الصفات؟وهل هو رأيك أو رأيى الذى تحكيه وترويه ؟

وضحك صاحبنا وكان ظريفاً حسن التخلص . فراح يقول : هو التواضع يا فلان . هو التواضع . وهل يليق بأدب الحديث أن أقول : هذا رأيى ! هذا رأيى ! فى كل ما أرويه وأحكيه ؟

ومن اللوازم ما يبعث الضحك ولا يبعث الفزع كهذه اللازمة التى يلازمها الاتهام ، بل قد يضحك الحزين إذا غلبت عنده روح الفكاهة على روح الجد والصرامة .

من هذه اللوازم لازمة كانت لأحد القضاة المشهورين يرددها وهو ذاهل عما يسمع وذاهل عما يعنيه . وهى لازمة « براڤو براڤو » التى يتخلص بها من التفكير فيما يقول .

ولقى شاباً كان يعرف أباه فسأله : أين أنت الآن ؟ قال : موظف فى هذا الديوان ...

قال : براڤو براڤو . وأين أبوك ؟

قال : تعيش ... مات منذ شهور .

فلم يلبث أن حيا أباه تحية الاستحسان المعهودة . لأنه مات ! لكن اللازمة البغيضة حقاً تلك اللازمة التى تضطرك إلى الجواب على كل فقرة من فقرات الحديث كأنك فى محضر تحقيق

— أخذت بالك ؟ « فاهمنى ؟ » .

ولا بد من الجواب ، ولا بد من انتظاره جواباً ملفوظاً لا يغنى عنه الإيماء ولا السكوت .

ومن هؤلاء من يبدى لك الرأى ثم يسألك :

هل أنا غلطان ؟

فتقول مثلا : معاذ الله . بل أنت على صواب .

فلا يكتفى بذلك ويعود سائلا : إن كنت غلطان قل لى . هل أنا غلطان بالله ؟

— لا لست بغلطان .

من معجزات القرآن

تفسير الآيات الأولى من سورة الروم

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

لم ينزل القرآن للأخبار بانتصار الروم فقط، بل للأخبار بأن الأمر كله لله وأنه سينصر المسلمين على ضعفهم وقلتهم فى بضع سنين كما ينصر الروم. فتبشير المؤمنين بنصر الله لم يأت فى الآية تبعاً كما يوحى كلام المفسرين بل كان الأخبار بانتصار الروم تمهيداً للتبشير بنصر الله المؤمنين. والاخبار بغلبة الروم وحده فيه معجزة واضحة، وبيان لصدق النبوة ولكنه مع هذا لم يكن القصد الأول من نزول الآية الكريمة.

وينبغى أن نذكر هنا أنه حينما تمت الغلبة للروم وذهب هرقل إلى بيت المقدس فى أعقاب ظفر توالى من القسطنطينية إلى بيت المقدس فى ذلك الحين ذهب جيش إسلامى صغير إلى البلقاء — التى تسمى اليوم شرق الأردن — فحارب جيشاً من الروم والعرب؛ وتلكم الوقعة المعروفة فى التاريخ الإسلامى باسم غزوة مؤتة. وقعت فى السنة الثامنة من الهجرة، وهذه الغزوة التى لم يبال بها هرقل ولعله لم يسمع بها كانت فاتحة الغزوات الإسلامية التى نزعت الشام من سلطان هرقل وجملته يقول وقد يئس من الشام: سلام ياسورية سلاماً لا لقاء بعده. ولم يكن بين تمام الظفر لهرقل وبين تمام الهزيمة عليه فى الشام وتسلط المسلمين عليها إلا بضع سنين، فبين غزوة مؤتة وبين واقعة اليرموك ست سنوات من السنة الثامنة بعد الهجرة إلى السنة الرابعة عشرة.

لله الأمر من قبل غلبة الفرس على الروم ومن بعدها بل له الأمر قبل كل شىء وبعده لاشريك له فى سلطانه. وبأمره غلب الفرس على الروم عشرين عاماً ولاء، ثم أديل للروم فى بضع سنين ثم أديل للمسلمين على الروم فى بضع سنين أخرى.

— لا لا. إن كنت غلطان فقل لى ولا تخف الحقيقة عنى. إننى رجل صريح. أليس هذا الواجب؟

ويكررها: أليس هذا الواجب؟ أليس هذا الواجب؟ حتى تفض المشكلة بقسم غليظ ... فيصدق أنك قد آمنت بأنه ليس «بغلطان».

وقد تكون اللازمة التى من هذا القبيل عقلية تأتى من نقص الوعى والإدراك ولا يقف بها الأمر عند حب التكرار والإعادة مع فهم الحديث المعاد.

تسأل أحدهم: هل لقيت فلاناً؟

فإذا هو قد أعد كلة الاستفهام فى منتصف السؤال وبادرك مستفهماً: نعم؟

— هل لقيت فلاناً؟

— فلاناً؟

— أى نعم فلان!

— ماله؟ أو ما باله؟ أو علام تسأل عنه.

ولا يعى أنك تسأله عن لقائه إلا بعد السؤال الثالث أو الرابع على هذا المنوال. وهى عادة غالبة على الطبقة الجاهلة فى بلاد الريف على الخصوص مرجعها بطء الحركة الذهنية وإهمال الكلام واعتباره لغواً لا يرتبط بالتفكير ولا يحمل معناه إلا مع التوكيد والترديد.

وبعض هذه اللوازم لازم فى الحديث المفيد، لأنه يعينك على تتبع الحديث والوقوف على مراحله وغاياته. كلازمة «نهايته» فى موضعها الصحيح، أو لازمة «على كل حال» أو «لا تؤاخذنى» إذا كانت تهيىء الذهن حقاً لسماع شىء يحتاج إلى الاستئذان أو طلب السماح. فهذه اللوازم فى المحادثات أشبه بعناوين الفصول والأبواب فى الكتب والمخطوطات. ولكنها قد تتواتر وتتكرر حتى تفقد معناها ولا تتعدى أن تكون حشواً بغير دلالة ...

ومن قبيل ذلك فنان قدير فى فنه تلازمه كلة «ثانياً» حين يقيم الأدلة على صحة فكرة أو مذهب من المذاهب الفنية. فإذا «بثانياً» هى أولا وثانياً وثالثاً ورابعاً إلى آخر المشرة، أو تزيد!

وكفى بمراقبة هذه اللوازم أنك تستمد منها سبباً للاصغاء إلى الأحاديث سواء منها ما استحق الإصغاء وما استحق الإعراض ... لأنك تسمع على الأقل «لوازم» تصلح للتفكهة وتصلح للدلالة على الفوارق بين «الشخصيات» والفوارق بين أساليب الألسنة وحركات القول.

عباس محمود العقاد

على أن الله الذى له الأمر قد وضع للبشر سنناً للنصر والهزيمة من سار على سنن النصر انتصر ومن أخذ بسنن الهزيمة هزم . ليس الأمر متروكا للفوضى أو الاتفاق .

ويومئذ يفرح المؤمنون — إلى — لا يعلمون .

فى هذه الآية إخبار بأن المؤمنين سيفرحون بنصر الله حينما يغلب الروم الفرس . فهل نصر الله الذى يفرح به المؤمنون هو انتصار الروم . هذا بعيد ، وما للمؤمنين يفرحون بانتصار الروم وهم عدو لهم كسائر أمم الأرض التى كرهت هذا النور الجديد حفاظاً على تراثها من أديان وأباطيل ، ثم فى الآية : وعد الله لا يخلف الله وعده . فهل هو وعد الله المسلمين أن ينتصر الروم . لا . بعيد كل البعد أن يقال إن المسلمين يفرحون بانتصار الروم وقد وعد الله المسلمين ، انتصار الروم ، إنما الوعد لمن يعود إليه الخير من الواعد ، ولم يكن للمسلمين فى انتصار الروم خير .

بين جداً أن الآية تبشر المؤمنين بنصر قد وعدوه ، وأنهم سيفرحون بهذا النصر فى السنة أو السنين التى يغلب فيها الروم فما هذا النصر ؟

رجحت من قبل أن هزيمة الروم التى اهتم بها العرب فنزلت هذه الآيات وقعت حوالى سنة ٦١٥ ، فالنصر الذى يفرح به المسلمون حين يغلب الروم فى بضع سنين من هذه الهزيمة ، هو انتصارهم يوم بدر ، وكانت وقعة بدر فى السنة الثانية فى الهجرة أى سنة ٦٢٤ من الميلاد وبين ٦١٥ ، ٦٢٤ بضع سنين .

وقد روى أن خبر انتصار الروم بلغ المسلمين وهم فى غزوة الحديبية ، وكانت الغزوة سنة ست من الهجرة ، وهذه الرواية مردودة بدليلين :

الأول أن بين الحديبية وبين هزيمة الروم فى الشام أكثر من اثنى عشر عاماً ولا يقال لهذه المدة بضع سنين .

والثانى أن الحديبية لم تكن نصراً فرح به المسلمون بل كانت صلحاً رأى فيه رسول الله صلوات الله عليه وسلامه خيراً للاسلام وكانت عاقبته خيراً ، ولكن المسلمين حزنوا له حيناً وقع ورأوا فيه ذلا لهم إذ رجعوا عن مكة وقد خرجوا لدخولها والاعتمار بها.

على أن انتصار المسلمين ، وظهور الإسلام قد بدأ بالهجرة وتوالى انتشار الإسلام ، وانتصار المسلمين فى الوقائع من بعد . فجائز ألا نخص النصر الذى يفرح به المسلمون بوقعة واحدة أو حادثة معينة، بل نقول قد وافق انتصار الروم أول عهد ظفر فيه المسلمون وعز دينهم وأول انتصار للروم وقع سنة الهجرة سنة ٦٢٢ م كما أسلفت .

تضمنت الآيات خبرين عن المستقبل صادقين ، انتصار الروم وانتصار المسلمين ، وتضمنت كذلك أنهما يقعان فى وقت واحد.

« ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » ولكن مشيئته جرت على أن ينصر من يأخذ بوسائل النصر ، وفى القرآن الكريم : « ولينصرن الله من ينصره » . « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » ، « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

فنصر الله لا يؤتاه من أساء عملا ، أو قعد عن التوسل إلى النصر بوسائله ، أو أخذ بأسباب الهزيمة ، سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تحويلا .

« وعد الله لا يخلف الله وعده » .

هذا هو الوعد الذى فى قوله : ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وهو مطابق لوعد الله العام وسنته الدائمة أن ينصر المؤمنين ويؤيد المجاهدين ، ويمكن الصالحين ، « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات — إلى — فأولئك هم الفاسقون » . « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » . « الذين إن مكناهم فى الأرض — إلى — عاقبة الأمور » .

فلا يقعد أحد ويرجو ثواب الساعين ، ولا يفرط وينظر جزاء المجدين ، ولا يقصر ويبغ أجر المجاهدين ، « وأن ليس للانسان إلا ما سعى — إلى — الأوفى .

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون — إلى — غافلون » .

أكثر الناس لا يعلمون سنن الله فى خلقه ، ونصره المؤمنين وتمكينه الصالحين وهم غافلون عن القوانين الإلهية ، والسنن التى يسير الخالق عليها عباده . وما قدره لأهل الخير وأهل الشر ، وأنصار الحق ، وأنصار الباطل . غافلون عن أن لله وعداً وأن وعده لا يخلف وسنته لا تبدل . عليها سارت الأمم ، وتعاقبت الدول ، وتقلبت الأمم ، وتغيرت الجماعات ، ولم تتبدل أو تتحول. أكثر الناس فى غفلة عن هذا . « لم يتفكروا فيها ولم ينعموا النظر وأخذوا الأمور بالظن ، وقاسوها بالوهم ، « وإن تطع أكثر

من أحاديث الإذاعة :

السعــــادة ... *

للأستاذ على الطنطاوى

كنت أقرأ فى ترجمة (كانت) الفيلسوف الألمانى الأشهر ، أنه كان لجاره ديك ، قد وضعه على السطح قبالة مكتبه ، فكلما عمد إلى بشغله صاح الديك،فأزعجه عن عمله ، وقطع عليه فكره. فلما ضاق به بعث خادمه ليشتريه ويذبحه ويطعمه من لحمه ، ودعا إلى ذلك صديقاً له ، وقعدا ينتظران النداء ، ويحدثه عن هذا الديك ، وما كان يلقى منه من ازعاج ، وما وجد بعده من لذة وراحة ، ففكر فى أمان ، واشتغل فى هدوء ، فلم يقلقه صوته ، ولم يزعجه صياحه ...

... ودخل الخادم بالطعام وقال معتذراً ، إن الجار أبى أن يبيع ديكه ، فاشترى غيره من السوق ، فانتبه (كانت) فإذا الديك لا يزال يصيح !

***

(*) حديث كتب لمحطة الشرق الأدنى ، فسجلته فى مصر وأذاعته من يافا يومى (٧) و (٨) مايو ١٩٤٧ .

فكرت فى هذا الفيلسوف العظيم فرأيته قد شقى بهذا الديك لأنه كان يصيح ، وسعد به وهو لا يزال يصيح ، ما تبدل الواقع ما تبدل إلا نفسه ، فنفسه هى التى أشقته لا الديك ، ونفسه هى التى أسعدته ، وقلت : مادامت السعادة فى أيدينا فلماذا نطلبها من غيرنا ؟ وما دامت قريبة منا فلماذا نبعدها عنا ، إذ نمشى إليها من غير طريقها ونلجها من غير بابها ؟ إننا نريد أن نذبح (الديك) لنستريح من صوته ، ولو ذبحناه لوجدنا فى مكانه مائة ديك ، لأن الأرض مملوءة بالديكة ، فلماذا لا نرفع الديكة من رؤوسنا إذا لم يمكن أن نرفعها من الأرض ؟ لماذا لا نسدّ آذاننا عنها إذا لم نقدر أن نسدّ أفواهها عنا ؟ لماذا لا نجعل أهواءنا وفق ما فى الوجود إذا لم نستطع أن نجعل كل ما فى الوجود وفق أهوائنا ؟

أنام فى دارى فلا توقظنى عربات الشارع وهى تزلزل بسيرها الأرض ، ولا أصوات الباعة وهى ترعد فى الجو ، ولا أبواق السيارات وهى تسمع الموتى ، وتوقظنى همسة فى جو الدار ضعيفة ، وخطوة على ثراها خفيفة . فإن نمت فى الفندق لم يوقظنى شىء وراء باب غرفتى . فإن كان نومى فى القطار لم يزعجنى عن منامى حديث جيرانى إلى جنبى ، ولا صوت القطار وهو يهتز بى . فكيف احتملت هنا ما لم أكن أحتمله هناك ؟ وآلمنى هناك ما لم يؤلمنى هنا ؟

ذلك لأن الحس كالنور، إن أطلقته أضاء لك ماحولك فرأيت ما تحب وما تكره ، وإن حجبته حجب الأشياء عنك ، فانت لا تسمع أصوات الشارع مع أنها أشد وأقوى،وتسمع همس الدار وهو أضعف وأخفت،لأنك وجهت إلى هذا حسك،وأدخلته نفسك فسمعته على خفوته كما ترى فى الضياء صغائر الأشياء ، وأغفلت ذاك وأخرجته من نفسك ، فلم تسمعه على شدته ، وخفى عنك كما تختفى فى الظلام عظائم الموجودات . فلماذا لا تصرف حسك عن كل مكروه ؟ إنه ليس كل ألم يدخل قلبك . ولكن ما أدخلته أنت برضاك ، وقبلته باختيارك ، كما يدخل الملك العدوّ قلعته بثغرة يتركها فى سورها . فلماذا لا نقوى نفوسنا حتى نتخذ منها سوراً دون الآلام ؟

أيها السادة المستمعون :

إنى أسمعكم تتهامسون . تقولون : « فلسفة وأوهام ». نعم،

من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » .

« إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون » .

أكثر الناس لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا ، أمور من المحسات عرفوها بالممارسة ، والتعود ، وأدركوها بالتقلب فى المعاش ، والتجربة . وهم فى غفلة عن الحقائق الكبرى ، التى تتصل بالمبدأ والمنتهى والقوانين التى تسير الناس فى الحياة ، والتى تقضى بين الحق والباطل والخير والشر ، وتفصل بين أمة مصلحة وأخرى مفسدة ، وجماعة يغلب فيها الحق ، وأخرى يسود فيها الباطل . وهم فى غفلة عن الآخرة وما فيها من جزاء عادل ، وقصاص حق .

عبد الوهاب عزام

إنها فلسفة ، ولكن ليست كل فلسفة هذياناً . وإنها أوهام ، ولكن الحياة كلها أوهام تزيد وتنقص ، ونسعد بها ونشقى ، أو شىء كالأوهام :

يحمل الرجلان المتكافئان فى القوة الحمل الواحد ، فيشكو هذا ويتذمر فكأنه حمل حملين ، ويضحك هذا ويغنى فكأنه ما حمل شيئاً ، ويمرض الرجلان المتعادلان فى الجسم المرض الواحد فيتشاءم هذا ويخاف ، ويتصور الموت ، فيكون مع المرض على نفسه ، فلا ينجو منه ، ويصبر هذا ويتفاءل ويتخيل الصحة ، فتسرع إليه ويسرع إليها . ويحكم على الرجلين بالموت ، فيجزع هذا ويفزع فيموت ألف مرة من قبل الممات ، ويملك ذلك أمره ويحكم فكره ، فإذا لم تُنجه من الموت حيلته ، لم يقتله قبل الموت وهمه ...

وهذا بسمارك رجل الدم والحديد ، وعبقرى الحرب والسلم ، لم يكن يصبر عن التدخين دقيقة واحدة ، وكان لا يفتأ يوقد الدخينة من الدخينة نهاره كله فإذا افتقدها خلَّ فكرُه ، وساء تدبيره . وكان يوماً فى حرب فنظر فلم يجد معه إلا دخينة واحدة ولم يصل إلى غيرها ، فأخرها إلى اللحظة التى يشتد عليه فيها الضيق ويعظم الهم ، وبقى أسبوعاً كاملا من غير دخان ، صابراً عنه أملا بهذه الدخينة ، فلما رأى ذلك ترك التدخين ، وانصرف عنه ، لأنه أبى أن تكون سعادته مرهونة بلفافة تبغ واحدة ...

وهذا العلامة المؤرخ الشيخ الخضرى ، أصيب فى أواخر عمره بتوهم أن فى أمعائه ثعباناً ، فراجع الأطباء ، وسأل الحكماء فكانوا يدارون الضحك حياء منه ، ويخبرونه أن الأمعاء قد يسكنها الدود ، ولكن لا تقطنها الثعابين . فلا يصدق .

حتى وصل إلى طبيب حاذق بالطب ، بصير بالنفسيات ، قد سمع بقصته ، فسقاه مسهلا وأدخله المستراح وكان قد وضع له فيه ثعباناً فلما رآه أشرق وجهه ، ونشط جسمه ، وأحس العافية ونزل يقفز قفزاً ، وكان قد صعد متحاملا على نفسه يلهث إعياء ، ويئن ويتوجع ، ولم يمرض بعد ذلك أبداً .

ما شفى الشيخ لأن ثعباناً كان فى بطنه ونزل ، بل لأن ثعباناً كان فى رأسه وطار ، لأنه أيقظ قوى نفسه التى كانت نائمة ، وإن فى النفس الإنسانية لقوى إذا عرفتم كيف تفيدون منها صنعت لكم العجائب .

تنام هذه القوى فيوقظها الخوف ويوقظها الفرح ؛ ألم يتفق لواحد منهم أن أصبح مريضاً ، خامل الجسد ، واهى العزم لا يستطيع أن ينقلب من جنب إلى جنب ، فرأى حيّة تقبل عليه ، ولم يجد من يدفعها عنه ، فوثب من الفراش وثباً ، كأنه لم يكن المريض الواهن الجسم ؟ أو رجع إلى داره العصر وهو ساغب لاغب ، قد هدّه الجوع والتعب ، لا يبتغى إلا كرسياً يطرح نفسه عليه ، فوجد برقية من حبيب له أنه قادم الساعة من سفره ، أو كتاباً مستعجلا من الوزير يدعوه إليه ليرقى درجته ، فأحسَّ الخفة والشبع ، وعدا عدواً إلى المحطة ، أو إلى مقر الوزير ؟

هذه القوى هى منبع السعادة تتفجر منها كما يتفجر الماء من الصخر نقياً عذباً ، فتتركونه وتستقون من الغدران الآسنة ، والسواقى العكرة .

أيها السادة والسيدات : إنكم أغنياء ولكنكم لا تعرفون مقدار الثروة التى تملكونها ، فترمونها زهداً فيها ، واحتقاراً لها . يصاب أحدكم بصداع أو مغص ، أو بوجع الضرس ، فيرى الدنيا سوداء مظلمة ، فلماذا لم يرها لما كان صحيحاً بيضاء مشرقة ؟ ويحمى عن الطعام ويمنع منه ، فيشتهى لقمة الخبز ومضغة اللحم ، ويحسد من يأكلها ، فلماذا لم يعرف لها لذتها قبل المرض ؟

لماذا لا تعرفون النعم إلا عند فقدها ؟

لماذا يبكى الشيخ على شبابه ولا يضحك الشاب لصباه ؟

لماذا لا نرى السعادة إلا إذا ابتعدت عنا . ولا نبصرها إلا غارقة فى ظلام الماضى أو متشحة بضباب المستقبل ؟

كل يبكى ماضيه ، ويحن إليه ، فلماذا لا نفكر فى الحاضر قبل أن يصير ماضياً ؟

أيها السادة والسيدات :

إنا نحسب الغنى بالمال وحده ، والمال وحده ؟ ألا تعرفون قصة الملك المريض الذى كان يؤتى بأطايب الطعام فلا يستطيع أن يأكل منها شيئاً ، فنظر من شباكه إلى البستانى وهو يأكل الخبز الأسمر بالزيتون الأسود ، يدفع اللقمة فى فمه ويتناول الثانية بيده ، ويأخذ الثالثة بعينه ، فتمنى أن يجد مثل هذه الشهية ويكون بستانياً ؟

فلماذا لا تقدرون ثمن الصحة ؟ أما للصحة ثمن ؟ من يرضى منكم أن ينزل عن بصره ويأخذ مائة ألف دولار؟ من يبيع قطعة من أنفه بأموال عبود باشا ؟

أما تعرفون قصة الرجل الذى ضل فى الصحراء ، وكاد يهلك جوعاً وعطشاً ، لما رأى غدير ماء وإلى جنبه كيس من الجلد ، فشرب من الغدير ، وفتح الكيس يأمل أن يجد فيه تمراً أو خبزاً يابساً ، فلما رأى ما فيه ، ارتد يأساً ، وسقط إعياء . لقد رآه مملوءاً بالذهب !

وذاك الذى رأى مثل ليلة القدر ، فزعموا ، أنه سأل ربه أن يحول كل ما مسته يده ذهباً ، واستجيبت دعوته ، فلمس الحصى فصار ذهباً ، ومس الخشب فصار ذهباً ، فكاد يجن من فرحته ، ومشى إلى بيته ما تسعه الدنيا ، وعمد إلى طعامه ليأكل فمس الطعام فصار ذهباً ، وبقى جائعاً ، وأقبلت بنته تواسيه ، فعانقها فصارت ذهباً ... فقعد يبكى يسأل ربه أن يعيد إليه بنته وسفرته وأن يبعد عنه الذهب .

وروتشلد الذى دخل خزانة ماله الهائلة فانصفق عليه بابها فمات غريقاً فى بحر من الذهب .

يا سادة : لماذا تطلبون الذهب وأنتم تملكون ذهباً كثيراً ؟ أليس البصر من ذهب ، والصحة من ذهب ، والوقت من ذهب ؟ فلماذا لا نستفيد من أوقاتنا ؟ لماذا لا نعرف قيمة الحياة ؟

كافتنى المحطة بهذه الأحاديث الأربعة من شهر ، فما زلت أماطل بها ، والوقت يمر ، أيامه ساعات ، وساعاته دقائق ، لا أشعر بها ولا أنتفع منها، فكأنها صناديق ضخمة خالية ، حتى إذا دنا الموعد ولم يبق إلا يوم واحد، أقبلت على الوقت أنتفع به ، فكانت الدقيقة ساعة ، والساعة يوماً، فكأنها العلب الصغيرة المترعة جوهراً وتبراً ، واستفدت من كل لحظة حتى إنى لأكتب هذا الحديث والله، فى محطة (باب اللوق) وأنا أنتظر الترام فى زحمة الناس وتدافع الركاب ، فكانت لحظة أبرك علىّ من تلك الأيام كلها ، وأسفت على أمثالها ، فلو أنى فكرت كلما وقفت أنتظر الترام بشىء أكتبه ، وأنا أقف كل يوم أكثر من ساعة متفرقة أجزاؤها ، لربحت شيئاً كثيراً . ولقد كان صديقنا الأستاذ الشيخ بهجة البيطار يتردد من سنوات بين دمشق وبيروت ، يعلم فى كلية المقاصد وثانوية البنات ، فكان يتسلى فى القطار بالنظر فى كتاب (قواعد التحديث) للامام القاسمى ، فكان من ذلك تصحيحاته وتعليقاته المطبوعة مع الكتاب ، والعلامة ابن عابدين كان يطالع دائماً، حتى أنه إذا قام إلى الوضوء أو قعد للأكل أمر من يتلو عليه شيئاً من العلم فألف (الحاشية) . والسرخسى أملى وهو محبوس فى الجب ، كتابه المبسوط ، أجل كتب الفقه فى الدنيا ، وأنا أعجب ممن يشكو ضيق الوقت ، وهل يضيق الوقت إلا الغفلة أو الفوضى ؟ أنظروا كم يقرأ الطالب ليلة الامتحان ، تروا أنه لو قرأ مثله لا أقول كل ليلة ، بل كل أسبوع مرة لكان علامة الدنيا ، بل انظروا إلى هؤلاء الذين ألفوا مئات الكتب كابن الجوزى والطبرى والسيوطي والجاحظ ، بل خذوا كتاباً واحداً كنهاية الأرب ، أو لسان العرب، وانظروا ، هل يستطيع واحد منكم أن يصبر على قراءته كله ونسخه مرة واحدة بخطه فضلا عن تأليف مثله من عنده ؟

والذهن البشرى ، أليس ثروة ؟ أماله ثمن؟ فلماذا نشقى بالجنون ولا نسعد بالعقل ؟ لماذا لا نمكن للذهن أن يعمل ولو عمل لجاء بالمدهشات ؟ لا أذكر الفلاسفة والمخترعين . ولكن أذكركم بشىء قريب منكم ، سهل عليكم ، هو الحفظ ، إنكم تسمعون قصة البخارى لما امتحنوه بمائة حديث خلطوا متونها وأسنادها ، فأعاد المائة بخطئها وصوابها. والشافعى لما كتب مجلس مالك بريقه على كفه ، وأعاده من حفظه . والمعرى لما سمع أرمنيين يتحاسبان بلغتهما ، فلما استشهداه أعاد كلامهما وهو لا يفهمه . والأصمعى وحماد الراوية وما كانا يحفظان من الأخبار والأشعار . وأحمد وابن معين وما كانا يرويان من الأحاديث والآثار . والمئات من أمثال هؤلاء ... فتعجبون ، ولو فكرتم فى أنفسكم لرأيتم أنكم قادرون على مثل هذا ولكنكم لا تفعلون .

أنظروا كم يحفظ كل منكم من أسماء الناس والبلدان ، والصحف والمجلات ، والأغانى والنكات ، والمطاعم والمشارب ، وكم قصة يروى من قصص الناس والتاريخ ، وكم يشغل من ذهنه ما يمر به كل يوم من المقروءات والمرئيات والمسموعات فلو وضع مكان هذا الباطل علماً خالصاً ، لكان مثل هؤلاء الذين ذكرت .

الذكرى العاشرة للرافعي *

للأستاذ محمود أبو رية

مما يجب علينا لعظمائنا وعلمائنا الذين ينتزعهم الموت من بيننا، أن ننتهز كل مناسبة تمر بنا لنستعلن بفضلهم ، ونبعث التحية الطيبة إلى أرواحهم ، وفى ذلك وفاء لهم وأحياء لذكرهم حتى لا نرمى بعدم الوفاء ، ولا نزنّ بنكران الجميل

ولمناسبة انقضاء عشرة أعوام على وفاة أديب العربية وكاتبها السيد مصطفى صادق الرافعى رحمه الله نرى من الحق علينا أن نبعث إلى روحه الطاهرة بتحية مباركة طيبة ونرجو أن تفى هذه التحية ببعض ما له من فضل وما يستحق من تقدير

نبت الرافعى فى أكرم منبت وأزكى مغرس ؛ فبيت (الرافعى) مشهور فى الأقطار الإسلامية بأنه بيت علم وأدب وتقوى ، ولئن كان رحمه الله قد ورث عن آبائه الدين والتقوى ، فانه قد نشأ على حب الأدب العربى ، فأقبل على دراسته دراسة استيعاب واستقصاء وتحقيق ، حتى تضلع من فنونه ، وتملأ من أصوله ، ووقف على أساليب بلغاء العربية وأحاط بطرائقهم ومناحيهم حتى أصبح صدره خزانة أدب . وقد آتاه الله ملكة قوية فى البلاغة ، وحاسة دقيقة فى البيان ، وبهذه الدراسة المحيطة للأدب العربى ، والملكة القوية فى البلاغة ، والذوق الدقيق فى البيان ، استطاع أن يبتدع لنفسه أسلوباً خاصاً فى الكتابة العربية يباين أساليب الكتاب جميعاً إذ يجمع هذا الأسلوب بين البلاغة والحكمة والخيال ، هذا مع النكتة اللاذعة والكناية المستملحة . حتى لو أنك نصبت جملة من إنشائه بجانب جمل كثيرة من إنشاء غيره من كتاب العربية لبانت جملته منها جميعاً ، ولنادت على نفسها بأنها للرافعى ومن أسلوبه رحمه الله

لقد شبهوه بالجاحظ ، وكأنهم لما رأوا أسلوبه محكم النسج متخير اللفظ مصقول العبارة أنيق الديباجة ، قد خلعت عليه البلاغة زخرفها ، وكسته الفصاحة بجميل وشيها؛ قالوا إنه جاحظ هذا العصر . ولكن الجاحظ على إمامته فى البلاغة وبراعته فى

(*) توفى رحمه الله فى صباح يوم الاثنين ١٠ مايو سنة ١٩٣٧ .

أعرف نادلا كان فى (قهوة فاروق) فى الشام اسمه (حلمى) يدور على رواد القهوة وهم مئات يسألهم ماذا يطلبون : قهوة أو شاياً أو كازوزة أو ليموناً ، والقهوة حلوة ومرة ، والشاى أحمر وأخضر والكازوزة أنواع ، ثم يقوم وسط القهوة ويرد هذه الطلبات جهراً فى نفس واحد ، ثم يجىء بها فما يخرم مما طلب أحد حرفاً !

فيا سادة ، إن الصحة والوقت والعقل ، كل ذلك مال ، وكل ذلك من أسباب السعادة لمن شاء أن يسعد .

* * *

وملاك الأمر كله ورأسه الإيمان ، الإيمان يشبع الجائع ، ويدفىء المقرور ، ويغنى الفقير ، ويسلى المحزون ، ويقوى الضعيف ، ويسخى الشحيح ، ويجعل للانسان من وحشته أنساً ، ومن خيبته نجحاً .

وأن تنظر إلى من هو دونك ، فانك مهما قل مرتبك ، وساءت حالك ، أحسن من آلاف البشر ممن لا يقل عنك فهماً وعلماً ، وحسباً ونسباً ، وأنت أحسن عيشة من عبد الملك بن مروان ، وهارون الرشيد ، وقد كانا ملكى الأرض . فقد كانت لعبد الملك ضرس منخورة تؤلمه حتى ما ينام منها الليل ، فلم يكن يجد طبيباً يحشوها ويلبسها الذهب ، وأنت لا تؤلمك ضرسك حتى يقوم فى خدمتك الطبيب . وكان الرشيد يسهر على الشموع ، ويركب الدواب والمحامل وأنت تسهر على الكهرباء ، وتركب السيارة . وكانا يرحلان من دمشق إلى مكة فى شهر وأنت ترحل فى أيام أو ساعات .

فيا أيها السادة والسيدات .

إنكم سعداء ولكنكم لا تدرون . سعداء إن عرفتم قدر النعم التى تستمتعون بها ، سعداء إن عرفتم نفوسكم وانتفعتم بالمخزون من قواها ، سعداء إن سددتم آذانكم عن صوت الدبك ولم تطلبوا المستحيل فتحاولوا سد فمه عنكم ، سعداء إن طلبتم السعادة من أنفسكم لا مما حولكم .

أكل الله عليكم سعادتكم ، وأسعد الله مساءكم ، والسلام عليكم .

(القاهرة) علي الطنطاوي

الترسل ، وطول نفسه فى العبارة ، وافتنانه فى تلوينها وابداع تصويرها ، كان عندما يستطرد إلى غير الغرض الذى ساق كلامه إليه ، ويذهب فى شعاب القول ههنا وههنا يؤدى به هذا الاستطراد إلى الخروج عن بلاغته العالية .

ومع أن الجاحظ حجة من حجج العربية وامام كتابها على مد العصور فانك لا تجد فى مطاوى كلامه قبساً من الحكمة . والحكمة من أقوى اداة الكاتب والشاعر

ولقد كان للرافعى خيال بعيد ينفذ به إلى أقطار المبانى الدقيقة فيستوحى منها الدرر ، ويحلق فى جواء التصورات البعيدة فيستنزل منها الغرر

ولا نقول هذا مجاملة له رحمه الله ، ولا يدفعنا إليه تشيع لما كان بينى وبينه من أواصر الصداقة والودة ، وإنما هو الحق والانصاف .

وقد كان الرافعى أستاذ مدرسة خاصة فى الأدب والكتابة ، وكان فى الأخلاق الكريمة والتمسك بآداب الإسلام ومجد العرب أمة وحده ، لا يعنيه شىء فى الحياة إلا أن يحرس لغة القرآن ويحافظ على أساليبها ، ويبعث من تراثها ، ثم كان لا يفتأ يعمل على إحياء الآداب الإسلامية والأخلاق الدينية ، حتى ينشأ هذا الجيل على محبة لغته ودرس فنونها والتمرس بآدابها ثم يأخذ بأخلاق دينه وصالح عاداته . إذ كان يستيقن رحمه الله – وهو على حق – ان الأمة لا تنهض إلا باستمساكها بأصول لغتها وكريم أخلاقها ، ثم لها بعد ذلك أن تأخذ من العلوم والفنون النافعة فى الحياة ما شاءت وشاء لها نظام العمران

ولما انبعثت فتنة (التجديد والمجددين) منذ أكثر من ثلث قرن وكان أهلها يحاولون أن تكون الكتابة (باللغة العامية) وأن نهجر أدبنا القديم وتراثنا التليد كان هو أول من نازل دعاتها وظل وحده يناضل ويصاول حتى كتب له النصر وخرجت الأساليب العربية الصحيحة ظافرة تشرق على أسلات الأقلام

وما كانت هذه الفتنة لإصلاح يراد ولا كانت لتطور معتدل وإنما كانت ترمى إلى غرض بعيد ؛ ذلك أن القضاء على البلاغة العربية يؤدى لا جرم إلى هجر القرآن وعدم فهمه وبذلك يصبح هذا الكتاب المقدس للغة العربية كاللاتينية للغات الأوروبية ؛ ومتى صار القرآن كذلك فقل على الإسلام العفاء .

وظل رحمه الله رابضاً متحفزاً يحمى ذمار العربية ويذود عن حوضها إلى أن انقلب إلى ربه

وانى لأشهد أنه كان يتحرق على ماوصلنا إليه من ضعف فى الأدب ، وانحلال فى الخلق ، ويود لو تتاح له الفرصة ليطلع على الناس فى كل أسبوع بمقال فى إحدى الصحف يؤدى فيه شيئاً من رسالته حتى سنحت له فرصة الكتابة بمجلة الرسالة الغراء وارتقى منبرها فامتلأ قلبه فرحاً وقد بدا سروره فى خطاب أرسله إلى فقال (١)

« أما الرسالة فهم كتبوا إلى بعد أن تركت طه حسين ... وقد رأيت انى مخطىء فى الاقتصار على وضع الكتب ، وكان فى نيتى من زمن الكتابة أسبوعياً فى مجلة كبيرة كما أخبرتك فلما عرضت هذه الفرصة انتهزتها لأجرب هذه الطريقة ... ولعلى أوفق إن شاء الله بعونه تعالى فى المضى فى الكتابة والقوة بالله ، وسأنوع المواضيع كما رأيت ويدخل فيها فصول الكتاب النبوى بين الوقت والوقت إلى أن يتم وأنا أقاسى فى كتابته الآن عسراً شديداً من الحر والتعب وحالة المعيشة الحكومية لعنة الله عليها

« وهذا الموضوع صعب جداً يا أبارية ليس فى العربية مقال واحد منه . ومن يومين أطلعنى العريان على الجزء الأول للنظرات (٢) فإذا فيه مقال عن الهجرة لا يساوى نصف مليم ! فادع الله لنا بالعون فى اقتحام هذه العقبة ... »

والكتاب النبوى الذى يشير إليه الرافعى فى هذا الخطاب هو كتاب كان يريد أن يضمه فى رسالة الرسول صلوات الله عليه ويجعل عنوانه (محمد)

ولقد كان له غير ذلك آمال يريد تحقيقها وأعمال يود استكمالها ، ومن هذه الأعمال كتاب (تاريخ آداب العرب) الذى كان يقول عنه انه دين فى عنقه حتى يتمه . وقد انعقد الاجماع عندما ظهر الجزء الأول منه انه لم يؤلف فى موضوعه مثله

وممن أشادوا به الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا فقد

---

(١) فى خطاب أرسله الى مؤرخ ١٩٣٤/٧/٤ .

(٢) كتاب النظرات للمنفلوطى رحمه الله .

عقد له صفحات كثيرة فى الجريدة ولولا اننا نؤثر الإيجاز لأتينا على ما كتبه هنا[(١)]

وعقد له الأمير شكيب أرسلان رحمه الله صفحة طويلة فى صدر جريدة المؤيد[(٢)] جاءت فيها هذه العبارة « لو كان هذا الكتاب خطا محجوباً فى بيت حرام اخراجه منه لاستحق أن نحج إليه ، ولو عكف على غير كتاب الله فى نواشىء الاسحار لكان جديراً أن يعكف عليه »

ومن الكتب التى أتمها كتاب (أسرار الإعجاز) وكان رحمه الله يفاخر به وقد وضع أكثره . وكان يريد أن يضع « رسالة فى معارضة الدرة اليتيمة لابن المقفع بنفس الأسلوب وعلى الطريقة الأولى فى الكتابة العربية طريقة المتقدمين »[(٣)]

وكتب إلى فى خطاب[(٤)]

« وأنت قرأت الآم فرتر وهذا الكتاب مشهور فى لغات أوروبا وآدابها وأنا أريد معارضته وقد قام بذهنى انه لا راحة لى إلا إذا أخرجت مثله »

وقال فى خطاب آخر :

« ولا يزال فى فكرى أن أضع كتاباً صغيراً يكون أشبه بقصيدة واحدة فى معارضة سفر من أسفار التوراة كأناشيد سليمان مثلا »[(٥)]

وقال فى خطاب[(٦)]

« وأنا بحسرة من كليلة ودمنه[(٧)] فلو وفقنى الله إلى اتمامه كتاباً برأسه لكان حادثاً فى تاريخ العربية كلها »

ولا استوفى هنا كل ما كان يريد عمله

ولقد كان له فى البحث والاستقصاء شأن عجيب فيوم أن غمره الجمال وأخذ يؤلف كتاب أوراق الورد بعد رسائل الأحزان أراد أن يعرف هل كتب (اخوان الصفا) فى الجمال

(١) يراجع بعض ما كتبه فى عدد الجريدة الصادرة فى ٤ مارس سنة ١٩١٢ .
(٢) جريدة المؤيد الصادرة فى ١٩ فبراير سنة ٩١٢ .
(٣) من خطاب خاص مؤرخ ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٥ .
(٤) من خطاب خاص مؤرخ ١٩٢١/١/٢٥ .
(٥) من خطاب مؤرخ ٥ يونيه سنة ١٩٣٦ .
(٦) من خطاب مؤرخ ١٢ سبتمبر سنة ١٩٢٦ .
(٧) نشر بعض فصول من هذا الكتاب فى كتابه (تحت راية القرآن)

فكتب لى فى خطاب مؤرخ ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠

« ... أبحث فى إخوان الصفا هل كتبوا عن الجمال فإنى لم أقرأ فى هذا الكتاب إلا قليلا ولا وقت عندى لتصفحه ... »

كتب إلى فى خطاب آخر مؤرخ ٢١ نوفبر سنة ١٩٣١ يقول

« أحب أن تراجع قسم المنطق من رسائل إخوان الصفا لمعرفة هل استعمل واضعو هذه الرسائل كلمة (استنتاج) أم لا فإن من مقالات المجموعة[(١)] مقالة عن هذه الكلمة وحل استعمالها . أما الكلمة نفسها فعثرت عليها فى كتابة ابن سينا وهذا يدل على أنه أخذها عمن قبله ، فلا بد أن تكون قد وردت فى رسائل إخوان الصفا » . وإن القول فى الرافعى وأدبه لطويل؛ وإنما هى سطور كتبناها لمناسبة انقضاء عشرة أعوام على وفاته رحمه الله

وإذا كان أقصى مايقال فى العظماء بعد وفاتهم أن يتحدث عن صفاتهم وأعمالهم ، وعما أصاب الناس بفقدهم ، وهل لهم خلف يعزى عنهم أو أنهم قد خلا مكانهم فإنى أقولها كلمة ولا أخشى فيها أحدا .

ذلك إن مكان الرافعى قد خلا وانه لم يخلفه فى إداء رسالته أحد . رحمه الله رحمة واسعة .

محمود أبو ريه

المنصورة

(١) أى مجموع مقالاته وكان يسمى هذه المجموعة (الورقات) .

هل الموت نتيجة لازمة للحياة؟

الحيوانات والنباتات الخالدة — الشيخوخة وأسبابها

للأستاذ نصيف المنقبادى المحامى

« إلى ذكرى العالم البيولوجى المصرى الكبير الدكتور عثمان غالب باشا أقدم هذه الثمرة البسيطة من حديقة تعاليمه الفيحاء »

يعتقد جمهور الناس أن الموت نتيجة طبيعية لازمة للحياة ، وأن كل كائن حى لا بد من أن يموت . فإذا صحت هذه العقيدة فلا محل للبحث عن أسباب الشيخوخة ولا محاولة الكشف عن علاج لها لاتقاء حدوثها لأنها تكون حينئذ قضاء محتما لا مفر منه . ولكن من ينعم النظر ويدقق البحث على ضوء الاكتشافات والحقائق العلمية الحديثة يتضح له أن تلك العقيدة لا تستند إلى أى سند علمى وأن سبب قيامها فى أذهان الناس هو ما يشاهدونه عادة فى الإنسان وفى باقى الحيوانات والنباتات المتعددة الخلايا نتيجة عوامل الشيخوخة التى سيأتى الكلام عنها .

وقبل أن نتكلم عن هذه العوامل ونبين أن الشيخوخة مرض كسائر الأمراض ينشأ عن تسمم تدريجى ناتج من نظام التغذية وجهاز التصريف الناقصين فى النباتات والحيوانات (بما فيها الإنسان) — نقدم من الآن الأدلة القاطعة التى تهدم تلك العقيدة من أساسها — عقيدة ضرورة الموت — ونعنى بذلك الحيوانات والنباتات الخالدة .

الحيوانات والنباتات الخالدة :

كل من يفحص بالميكرسكوب قطعة من جسم إنسان أو من جسم أى حيوان أو أى نبات يتضح له أنها مؤلفة من خلايا صغيرة متلاصقة لا ترى بالعين المجردة وهى أشبه بخلايا النحل ولكنها غير منتظمة مثلها ، والخلية تتركب من مواد زلالية مخلوطة أو ممزوجة بمواد دهنية ومواد سكرية أو نشوية ، وفى وسطها نواة من مواد زلالية أخرى ، ولمعظمها غشاء أو غلاف يحيط بها من مادة زلالية وغيرها فى الحيوانات ، ومن مادة السيليلوز فى النباتات وهى من فصيلة السكر والنشاء ومادة الخشب .

وأصل كل فرد من النباتات والحيوانات (ومنها الإنسان) خلية واحدة تسمى فى علمى الحيوان والنبات « بالبيضة » ، وهى خلية ميكرسكوبية[1] تنتج من تلقيح بويضة الأنثى بخلية خاصة مشتقة من أعضاء التذكير فى الحيوانات والنباتات . وتأخذ البيضة بعد التلقيح فى النمو بطريق الانقسام نتيجة التغذى فتنقسم إلى قسمين يبقيان متلاصقين ، وينقسم كل منهما إلى قسمين آخرين وهلم جرا ، وعلى هذا النحو تتكاثر الخلايا المشتقة من البيضة وتنشأ منها مختلف الأنسجة والأعضاء فيتكون الجنين ثم الفرد الكامل .

غير أنه توجد كائنات حية مكونة من خلية واحدة وأعنى بها النباتات الأولية كالبكتريا والمكروبات ، والحيوانات الأولية الميكرسكوبية كالإميبا التى يسبب نوع منها مرض (الدوسنطاريا) وكجرثومة الملاريا وجرثومة مرض النوم وغيرها . وكيفية توالد وتكاثر هذه الأحياء ذات الخلية الواحدة هى أن تنقسم كل منها إلى قسمين (وأحياناً فى بعض الأنواع إلى أقسام عديدة) كما يحدث لخلايا الحيوانات والنباتات الأخرى المتعددة الخلايا وخاصة أثناء تكوين أجنتها (جمع جنين) على الوجه المتقدم بيانه . غير أن كل قسم جديد من أقسام الخلية الأصلية ينفصل هنا عن غيره ويصبح فرداً جديداً يحيا حياة مستقلة ويتغذى فينمو وينقسم بدوره إلى أقسام أخرى تصبح أفراداً جديدة ، وهكذا ، بحيث لا يموت ولا يفنى شىء من هذه الأفراد إلا بحادث مهلك كأن يجف الماء الذى تعيش فيه أو يفسد أو كأن تبتلعها حيوانات أخرى مع الماء وتهضمها .

ولكن يحدث أنه بعد عدة انقسامات تصبح الأفراد الأخيرة غير قابلة للانقسام كأنها شاخت أو هرمت ، وهذه أول صور الشيخوخة وأبسطها فى عالم الأحياء . ولا شك فى أن هذا العجز ناتج مما يتراكم داخل أجسامها من بقايا المواد الإفرازية السامة

(١) أما بيض الطيور الكبير المعروف للجمهور بهذا الإسم فهو أيضاً بيض بالمعنى العلمى ولكنه يحتوي على كمية هائلة من المواد الغذائية المختلفة التى يتغذى بها الجنين ويتكون منها أثناء نموه داخل القشرة الجامدة .

المتولدة من احتراق المواد الغذائية بعد هضمها وعدم تصريفها (أى الإفرازات السامة) إلى الخارج بأكلها ، ذلك الاحتراق اللازم لتوليد الطاقة (القوة والحرارة) الضرورية لعمليات الحياة ، ولهذا يعرّف الفسيولوجيون الغذاء بأنه وقود الكائنات الحية الحيوانية والنباتية . ولو استمر هكذا حال تلك الأفراد العاجزة عن الانقسام لماتت لا محالة كما يموت أفراد الأحياء العليا بالشيخوخة . غير أنه يكفى لاسترداد شبابها ونشاطها الانقسامى أن يلتصق كل فردين منها أحدهما بالآخر ويتبادلان نصف نواتيهما ثم ينفصلان فإذا بهما شباب ناهض قابل للانقسام من جديد . وهذه هى أول صورة من صور التلقيح فى عالم الكائنات الحية .

ولبس التلقيح سراً من وراء الطبيعة فقد استعاض عنه البيولوجيون (علماء الحياة) وفى مقدمتهم چاك لوب ببعض مؤثرات طبيعية أو كيميائية على الأفراد العاجزة عن الانقسام فيفصلون فرداً واحداً منها فى قليل من الماء ويضيفون إليه قليلا من بعض الأحماض أو القلويات الخفيفة أو يسلطون عليه تياراً كهربائياً ضعيفاً أو يرجّونه داخل أنبوبة صغيرة فيأخذ هذا الفرد الهرم فى الانقسام من تلقاء نفسه كما يحدث عقب اتصاله بفرد آخر مماثل له وتلقيح الواحد منهما بالآخر على الوجه المتقدم بيانه.

ويظهر أن فعل التلقيح الطبيعى وفعل هذه المؤثرات الاصطناعية إنما هو تنشيط تصريف تلك الافرازات السامة المتراكمة داخل أجسام الأفراد التى شاخت وصارت عاجزة عن الانقسام أو إحداث تفاعلات كيميائية من شأنها إزالة تلك السموم الإفرازية ومحو أثرها .

وخلاصة القول أن الحيونات والنباتات الأولية ذات الخلية الواحدة هى كائنات حية لا تموت ولا ينعدم منها شىء ، فمتى وصل الفرد منها إلى تمام نموه ينقسم إلى قسمين مستقلين يصبح كل منهما فرداً جديداً ينمو ثم ينقسم بدوره إلى أفراد جديدة ، وهكذا إلى ما لا نهاية له دون أن يموت أو يتلاشى شىء منها إلا بحادث مهلك كما تقدم فى ذلك القول. فهى أحياء خالدة بالمعنى الحقيقى ويمكن القول أن أفرادها التى تعيش الآن هى هى التى نشأت منذ نحو مائة مليون سنة عند ظهور الحياة على الأرض وما زالت حية تنقسم منذ ذلك الماضى البعيد المتغلغل فى القدم إلى اليوم وإن كان قد طرأ عليها أثناء ذلك بعض التغيير فى أشكالها بفعل العوامل الطبيعية جرياً على نواميس التطور والتحول . وإذا لوحظ أن هذه الكائنات الأولية ذات الخلية الواحدة هى أول ما ظهر على الأرض وأنه مضت مئات الألوف أو الملايين من السنين قبل أن يتحول فريق منها إلى الحيوانات والنباتات المتعددة الخلايا — إذا لوحظ هذا يمكن القول أن الموت ليس نتيجة لازمة للحياة وأنه مرت على الأرض فترة طويلة من الزمن تنعم فيها الأحياء بالخلود ، وإنما طرأ الموت على الكائنات الحية فى طور من تطوراتها فى الوقت الذى أخذت فيه الاحياء ذات الخلية الواحدة تعيش جماعة متلاصقة لأسباب طبيعية محلية دعت إليها الظروف المستجدة ، ذلك لأن خلايا هذه الأحياء المتعددة — المتعددة الخلايا — ثابتة فى مكانها فى الأنسجة المختلفة ، لا تستطيع (أى الخلايا) أن تنتقل لتلتقى بالخلايا الأخرى حتى تتلاقح وتتقى الشيخوخة على ما تفعل الأحياء الوحيدة الخلايا ، خصوصاً وأن كل فريق من تلك الخلايا المجتمعة فى الحيوانات والنباتات العليا تخصص فى وظائف معينة من أعمال الحياة وتنوع فى شكله ليلائم وظيفته كخلايا الأعصاب وخلايا العضلات وخلايا الغدد وخلايا الجلد وغيرها فى الحيوانات ، وكخلايا الأنسجة المختلفة فى النباتات فصار غير صالح لأن يتلاقح مع غيره (وقد تخصصت فيها خلايا أعضاء التناسل للتلقيح لمصلحة مجموع الحيوان أو النبات وهى التى تضمن بقاء النوع وعدم تلاشيه — النوع فقط دون الأفراد) .

فالموت يبدو لنا أنه نتيجة تطور الكائنات الحية من الأحياء الأولية ذات الخلية الواحدة إلى الأحياء الأرقى مرتبة وهى المتعددة الخلايا فهو الفدية التى تدفعها ثمنا لذلك الارتقاء ، ثمناً غالياً حقاً .

وهذا ما يقوله أستاذى المأسوف عليه العالم الكبير داستر Dastre الذى كان أستاذ علم الفسيولوجيا فى كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون) وعضواً فى المجمع العلمى (أكاديمى العلوم) وعضواً فى أكاديمى الطب فى كتابه «الحياة والموت» صحيفة ٢٢٧ وما بعدها .

« ... ومن هذا يتبين أن الخلود هو من خواص الكائنات ذات الخلية الواحدة التى تتناسل بطريق الانقسام النصفى ، وأذا

لوحظ أن هذه الكائنات هى أول ماظهر من الأحياء على الأرض وانها سبقت بزمن طويل الحيوانات والنباتات الأخرى المتعددة الخلايا فتكون النتيجة المنطقية البدهية أن الحياة ظلت مدة طويلة على الأرض دون الموت ، وإن الموت طرأ بعد ذلك نتيجة تطور الاحياء وتحولها من ذات الخلية الواحدة إلى المتعددات الخلايا »

* * *

ومما يؤيد هذا — أى عدم ضرورة الموت — التجارب القديمة المعروفة التى قام بها بعض من البيولوجيين على كثير من أنواع الديدان والحيوانات الجوفاء كأخطبوط الماء العذب بل وعلى حيوانات أعلى مرتبة ، بتقطيعها قطعاً تنمو كل قطعة منها وتصبح فرداً جديداً كاملا يحيا حياة مستقلة،وهكذا يصنعون من الحيوان الواحد عدة حيوانات ، ويكررون ذلك فى الأفراد الجديدة وهلم جرا . ويمكن مواصلة هذا العمل إلى ما لا نهاية له دون أن يتطرق الموت إلى تلك الأفراد ماداموا يقطعونها وهى فتية،وهذه العملية معروفة ومألوفة فى النباتات .

ويؤيد هذا أيضاً التجارب والأبحاث العظيمة الشأن التى يقوم بها منذ سنين عديدة الدكتور كاريل فإنه يحفظ أجزاء حية صغيرة مفصولة حديثاً من أجسام الإنسان والحيوانات فى سوائل مغذية مطهرة تُجدد وتهوى باستمرار ، فتستمر حية يستعين بها الجراحون فى عمليات الترقيع وغيرها حتى أنهم وصفوا الدكتور كاريل « بأنه تاجر أنسجة حية » ، والأغرب من هذا أن تلك الأجزاء المحفوظة كثيراً ما تنمو وتتكاثر خلاياها بطريق الانقسام كما يظهر من فحصها تحت الميكرسكوب من حين إلى آخر بعد أن تكون قد فقدت تنوعها وعادت إلى شكل الخلايا الجنينية الأولى (الشكل البسيط الذى تكون عليه خلايا الجنين فى أول أطوار تكوينه) .

***

ويتصل بهذا الموضوع بحث على جانب كبير من الأهمية وهو أن تقسيم الكائنات الحية إلى حيوانات ونباتات ، وإلى فروع وصفوف ومراتب وفصائل أو أفراد إنما هو تقسيم اصطناعى من وضع الإنسان ، وإنه ليس للفوارق التى تفصل فى الظاهر بينها وجود مطلق حقيقى ثابت فى المكان والزمان ، فلا توجد فى الحقيقة والواقع إلا المادة أو مجموعة المواد الزلالية المعقدة التركيب المسماه « بالحية » وهى صورة من صور المواد الكيميائية الأخرى ومشتقة منها — تشتق على الدوام تحت اعيننا وعلى مرأى منا من الجمادات ، من الهواء والأرض ، بفعل طاقة أشعاع الشمس بواسطة الكلورفيل (المادة الخضراء النباتية) . وقد ظهرت المواد المذكورة الموصوفة بالحية على الأرض منذ أن أصبحت هذه صالحة للحياة وستظل هكذا إلى أن تمسى غير صالحة لها ، كل هذا بفعل العوامل الطبيعية . وكل ما فى الأمر أن هذه المواد الحية الدائمة تبدو لنا فى صور مختلفة اختلافاً ظاهرياً وقتياً كما تبدو الجمادات والمعادن فى أشكال متنوعة يتحول بعضها إلى البعض وهى فى مجموعها لا تفنى . على أن هذا موضوع عويص يضيق بنا المقام دون بسطه الآن .

نصيف المنقبارى

المحامى

(البقية فى العدد القادم)

إلى طلبة التوجيهية :

٢ – شاعران فى المنفى

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

تمهيد — موضوعات القصيدتين — الصور والخيال — الأسلوب — كلمة عامة ....

وفى كلتا القصيدتين فخر ، ولكنه أيضاً صورة من نزوع الشاعر وميله ، فالبارودى رجل الجيش والحرب يفتخر بشجاعته وبلائه فى الحرب ، ولم تزايله حماسته فى منفاه ، فسيفه هنالك صاحبه الوحيد ، يحمله جسمه القوى الشديد ، وهو سيف متعطش إلى الدم ، حتى ليشرئب من الغمد إذا لمسه البارودى متلهفاً إلى أن يضرب به . ويفخر بوفائه،وإقدامه ، وصواب رأيه إذا استبهم الصواب ، وربما كان غرضه هنا تعزيز رأيه الذى أبداه قبل الثورة العرابية متخوفاً من سوء عقباها ، ويكرر الفخر بشجاعته وتقدير الأبطال له حتى ليفدونه بأنفسهم ، وببلاغته وسحر شعره ، لكنه غالى فى قيمة هذا الشعر إذ زعم أنه يضارع أبلغ شعر سابق ، ويكبر أن يشبهه شعر لاحق ، وجرته محاكاته للقدماء إلى تقدير لذاذة شعره بأنها ألذ من الحداء ، وختم الفخر بأنه قوال وفعال وغيره يقول ولا يفعل .

ونخره بنفسه وبشعره فى مجال الشكوى تسرية عن نفسه من ناحية ، ومحاكاة لأبى فراس الحمدانى وهو أسير من ناحية . قال :

ولا صاحب غير الحسام منوطة حمائله منى على عاتق صلد
إذا حركته راحتى للمة تطلع نحوى يشرئب من الغمد
سجية نفس لا تخون خليلها ولا تركب الأهوال إلا على عمد
وإنى لمقدام على الهول والردى
بنفسى ، وفى الإقدام بالنفس ماردى
وإنى لقوال إذا التبس الهدى
وجارت حلوم القوم عن سنن القصد
فإن صلت فدَّانى الكمى بنفسه وإن قلت لبَّانى الوليد من المهد
ولى كل ملساء المتون غريبة إذا أنشدت أغضت لذكر بنى سعد
أخف على الأسماع من نغم الحدا
والطف عند النفس من زمن الورد
مخدرة تمحو بأذيال حسنها
أساطير من قبلى ، وتعجز من بعدى
كذلك إنى قائل ثم فاعل فعالى ، وغيرى قد ينير ولا يسدى

أما شوقى شاعر مصر المنوه بأمجادها ، المعتز بماضيها ، العليم بتاريخها فقد افتخر بسالف عهدها ، فالدهر منذ طفولته لم يحتفل بغير الفراعنة ، ولم يعرف أقوى منهم ، وهم صبر على النوائب وفيون بالعهد لا يتلونون كالحرابى،وهو هنا يشير إلى وفائه للخديو عباس ويعرض بمن تلون من أصدقائه أو يعرض بالإنجليز أصحاب السياسة المتقلبة ، والشمس لم تشرق على ملك عظيم كمصر ، وقد عبدت على ضفاف النيل ، ورأت ملوكا له أبناءها الفراعين ، وإنه لواد جميل خصيب تشرق الشمس عليه فتكسوه أشجاراً ووروداً وحريراً ، ونحن الفراعنة حكمنا الأرض قبل الرومان ، وكنا رواد العالم ، ولم يفت شوقى أن يعرج على الأهرام الخالدة ، فوصفها هذا الوصف البارع : بناها الدهر لا الإنسان الفانى ، وعمرت مقاصيرها أربعة آلاف عام تقوضت فيها عروش الملوك وهى باقية ، وكأنها وبحر الرمل حولها سفن واراها اليم إلا قلوعها ، وكأنها والضحا يتلألأ فوقها كنوز فرعون يزنها على موازين كبار فنطها وتكومت فوقها . قال :

لم يجر للدهر إعذار ولا عرس إلا بأيامنا أو فى ليالينا
ولاحوى السعد أطغى فى أعنته منا جياداً ولا أرخى ميادينا
نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا
ولم يهن بيد التشتيت غالينا
ولا يحول لنا صبغ ولا خلق إذا تلون كالحرباء شانينا
لم تنزل الشمس ميزاناً ولا صعدت
فى ملكها الضخم عرشا مثل وادينا
ألم تؤله على حافاته ، ورأت عليه أبناءها الغر الياميننا ؟
إن غازلت شاطئيه فى الضحا لبسا
خمائل السندس الموشية الغينا

وبات كل مجاج الواد من شجر   لوافظ القز بالخيطان ترمينا
وهـذه الأرض من سهل ومن جبل   قبـل القياصر دناها فراعيـــنا
ولم يضع حجراً بان على حجر   فى الأرض إلا على آثار بانينا
كأن أهرام مصر حائط نهضت   به يد الدهر لا بنيان فانينا
إيوانه الفخم من عليا مقاصره   يفنى الملوك ولا يبقى الأواوينا
كأنها ورمالا حولهـا التطمت   سـفينة غرقت إلا أساطينا
كأنها تحت لألاء الضحا ذهباً   كنوز فرعون غطين الموازينا

وهذا الفخر بماضى الوطن من شاعر مبعد عنه حزين لما ألم به من أحـداث وكوارث قوى الصلة بحور القصيدة ، وبنفسية الشاعر المكروب من الحاضر المتجهم ، فيرجع إلى الماضى المشرق لأنه يجد فيه عزته وراحته وسلوانه .

وأخيراً يتحدان فى الغزل المصطنع من كليهما فى هاتين القصيدتين ، فالبارودى ينعت حبيبته بالوفاء ، ويصفها بالجمال وجهاً وخصراً ، ويعرض حالة ماضيه إذ أسرته بنظرها الساحر فعلق بها وتبعها ، فتظاهرت بالدهشة من حماقته كأنها لا تعلم أنها الجانية ، ويرجوها ألا تصـد عنه حتى لا تعذبه وتقعده عن طلب المجد ، وألا تظن أن فى قلبه قدرة على تحمل مزيد من الحب ، ويصور مقدار خضوعه لها بأنها لو أمرته أن يهلك نفسه لفعل . قال :

فلست بناس ليـلة سلفت لنا   بواديه ، والدنيا تغر بما تسدى
إذ العيش ريان الأماليد ، والهوى   جديد وإذ لميـاء صافية الود
منعمة ، للبـــدر مافى قناعها   وللغصن مادارت به عقدة البند
سبتنى بعينيها ، وقالت لتربها   ألا ما لهذا الفتى يتبعنى قصدى
ولم تدر ذات الخال — والحب فاضح —
بأن الذى أخفيه غـير الذى أبدى
حنانيك إن الرأى حار دليله   فضل ، وعاد الهزل فيك إلى الجد
فلا تسألى منى الزيادة فى الهوى   رويداً ، فهذا الوجد آخر ما عندى
وهأنا منقاد كما حكم الهوى   لأمرك فاخشى حرمة الله والمجد
فلو قلت : قم فاصعد إلى رأس شاهق
وألق إذا أشرفت نفسك للوهـــد
لألقيتها طوعاً لملك بعـدها   تقولين : حيا الله عهدك من عهد

وشوقى تغزل فى عجل بحبيبته التى يعف فى حبها ، فهو يحن إليها حنيناً لا يشوبه تدلل ، وهو غير مستطيع صبراً على فراقها ، وهو جلد ولـكن الحزن غلبه لأنه أبعد عنها بالنفى من وطنه وحصنه ، وليـله طويل لا نهاية له تتناوبه فيه الذكريات الحلوة والمرة فتميته وتحييه ، وتـكاد آلام الفراق ترديه ، ولا يفتأ يبكى ويئن ، ويراقب النجوم حتى ترثى له أو تمل مراقبته وتتعب من السير ، ولـكنه فى النهاية يتـكلف الصـبر أمام الأعداء حتى لا يشمتوا . قال :

يا من نغار عليهم من ضمائرنا   ومن نصون هواهم فى تناجينا
ناب الحنين إليكم فى خواطرنا   من الدلال عليـكم فى أمانينا
جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا   فى النائبات فلم يأخذ بأيدينا
وما غلبنا على دمع ولا جـلد   حتى أتتنا نواكم من صياصينا
ونابغى كأن الحشر آخره   تميتنا فيه ذكراكم وتحيينا
نطوى دجاه بجرح من فراقكم   يكاد فى غلس الأسحار يطوينا
إذا رسا النجم لم ترقأ محاجرنا   حتى يزول ولم تهدأ تراقينا
بتنا نقاسى الدواهى من كواكبه   حتى قعدنا بها حسرى تقاسينا
يبـدو النهار فيخفيه تجلدنا   للشامتين ويأسـوه تأسينا

ويتفرد شوقى بتمجيده عرب الأندلس والبكاء على ملكهم المضيع ، ولم يعرج البارودى فى قصيدته ولا فى غـيرها على مجد المسلمين بالهنـد وأثرهم فى تحرير عشرات الملايين من أبنائها من الوثنية ، وجوبهم البحار قبـل كولبس وماجلان ، وهى ينابيع ثرة بالذكريات يترع بها خيال الشاعر لو أنه مثقف وبصير بالتاريخ .

ثم يتميز بأن شكر لمصر برها به ، وإرسالهـا الهدايا والأموال إليه ، وأجاد تصوير حالها حين اضطرت إلى نفيه محبة له حريصة على سلامته .

ثم يفترق من البارودى بالتمهيد لموضوع قصيدته بمناجاة الحمام النائح ويختلف عنه أيضاً فى تخيله نسمة عبقة قد سرت من مصر إليه فأنعشته ، ثم ينفرد بوصفه الرائع لجمـال الطبيعة فى مصر ، ووصفه أهرامها .

(البقية فى العدد القادم)

أحمد محمد الحوفى

هذا العالم المتغير :

دمك يؤثر على تفكير عقلك

للاستاذ فوزى الشتوى

مخك يتأثر بغذائك :

إلى أى مدى يظل عقلك أداة مفكرة تسيطر على عضلات جسمك ، إذا تعرض للحرارة أو البرودة أو نقص غذاؤه من الأكسوجين أو السكر أو الكلسيوم أو غيرها من المواد ؟

موضوع جديد ، واسع الآفاق ، عسير الفهم . ولكن العلماء يدركون أهميته البالغة ، ويعرفون أن المخ البشرى مثل جهاز اختبار محكم لا يكل لحظة عن الحركة . فهو يتلقى المؤثرات الخارجية أو الداخلية المختلفة ، ويحللها واحدة واحدة ثم يعطى أوامره للاستجابة المناسبة لكل منها أيضاً . ودراسة هذه الحركة الدائمة تتبع علما حديثاً نسميه بكيمياء العقل . فكلما تغيرت نسب المواد الكيميائية فى المخ تغيرت أيضاً استجابات الإنسان ، وآراؤه ، وشخصيته وأخلاقه ، وقدرته العقلية من ذكاء أوغباوة

فهل تعرف مثلا أن مخ الوليد أفقر فى المواد الحديدية من مخ البالغ ؟ وأن قصر العقل عن أداء وظائفه إنما ينطوى على نقص فى عناصره المعدنية ؟

اكتشف إبراهام ميرسون وليو الكسندر الإخصائيان فى الأمراض العقلية هاتين الحقيقتين بتعريض أنسجة المخ إلى أشعة المرقب الطيفى الكاشفة : وقاس آخرون مواد العقل الكيميائية فى حالات اضطرابه فوجدوها ناقصة فى بعض أنواع الكبريت والحديد

الماء فى المخ

وكيات الماء فى المخ عامل جوهرى فى أداء وظائفه وتقرير ملكاته . فإن زاد أو قل عن النسب المعقولة أدى إلى كوارث لا يقتصر أمرها على نقص القدرة العقلية بل يسفر عن هذيان وذهول وإغماء . فإن الماء فى المخ يحتفظ بالمواد الكيميائية فى محاليل ذات نسبة معينة من التركز ، وأى زيادة أو نقص فى كمية الماء تزيد تركيز المحاليل الكيميائية أو تنقصها مما يؤدى إلى اضطراب التفكير

وزيادة الحوامض أو القلويات فى المخ ذات تأثير وقتى فى الغالب ؛ ولكن المخ القلوى يعرض صاحبه للصرع ، ويقلبه بين حالات التشنج واضطراب الأفكار . أما المخ الحامضى فيعرض صاحبه لمرض السكر ، فعندما تتركز الجسيمات الحامضية يضعف المخ ويسفر عن الذهول ثم الإغماء أو يتوقف تماما عن كل نشاط

الأكسوجين والذكاء :

والأكسوجين بالنسبة للذكاء من أهم العناصر فى المخ . وقد برزت هذه الحقيقة عام ١٨٦٢ حين قام العالم الطبيعى جليشر يصحبه كوكسول الإخصائى فى المناطيد برحلتهما المشهورة فى طبقات الجو العليا. فى ٤٨ دقيقة صعد بهما المنطاد إلى ارتفاع ٢٨٫٠٠٠ قدم . وعندئذ أدرك جليشر أنه لا يستطيع قراءة أرقام مقياس الحرارة أو ساعته . ولاحظ كوكسول حالة زميله فهبط بمنطاده وعندئذ استعاد جليشر قدرته العقلية

وتمادى هالدان وكالاس فى دراسة هذه الظاهرة فدخلا غرفة محكمة من الصلب ، وتولى آخرون إفراغها من هوائها حتى هبط الضغط داخلها إلى ٣٢٠ ملليمتراً من الزئبق أى ما يوازى ارتفاع ٢٤٫٥٠٠ قدم . وعندئذ تعذر على هالدان أن يقرأ أو يبدى أية ملاحظة وكانت إجابته على أى سؤال يوجه إليه «دعه على ٣٢٠»

وبعد ساعة وربع استولى القلق على زملائهما خارج الغرفة فكتبوا رسالة وضعوها أمام نافذة الغرفة ولكن إجابتهما لم تتغير « دعه على ٣٢٠ » وكان من الجلى أن إجابتهما لم تكن سوى إجابة أناس تعطل تفكيرهم بسبب الحاجة إلى الأكسوجين

وخفف الصحب الضغط إلى ٣٥٠ ملليمتراً أى ما يوازى ارتفاع ٢١٫٥٠٠ قدم . ومعنى هذا زيادة كمية الأكسوجين فى الغرفة وأن القوة العقلية تسترد جزءاً من قدرتها لا كلها، والدليل على ذلك ان هالدان أراد أن يرى شفتيه فى مرآة تناولها ولكنه بدل أن ينظر إلى سطح المرآة العاكس حدق فى ظهرها

وخفف الضغط مرة أخرى إلى ٤٥٠ ملليمتراً (١٤٫٥٠٠ قدم) فانجلى ذهن هالدان تماما . ولكنه لم يحس بمرور الوقت كما أن ذاكرته لم تع شيئاً مما مر به في تلك الفترة الطويلة

ينام في ثلاجة :

وأجرى السير جوزيف باركروفت عدداً من التجارب ليعرف تأثير التبريد على المخ. وهو كما تعرف أحد العمليات الهامة في الكيمياء . فخلع ملابسه ودخل ثلاجة رقد على أرضها ليرى النتيجة . وكان يعرف أنه يعرض نفسه باختياره للتجمد ليدرك استجابات العقل في مثل هذه الحالة وكان يرقبه خارج الثلاجة أحد أتباعه ، فلما رآه يفقد وعيه لفه في أغطية صوفية وأسقاه مشروبات ساخنة ليفيق . وقد كرر السير باركروفت تجربته . ووصفها بقوله ان ما أذكره عن محاولتي خفض درجة حرارة جسمي قليل . ففي كل من التجربتين اللتين قمت بهما أحسست بلحظة تغير خلالها كل مظهري العقلي . فعندما كنت راقداً عارياً في الثلاجة كنت أرتعش ، وكانت مفاصلي تنتفض رغما عني في محاولاتها القيام كما أحسست تماما بالبرد الشديد .

« وجاءت فترة مددت فيها ساقي ، وغادرني الاحساس بالبرد وأعقبه شعور لطيف بالدفء . ولعل كلمة « تشميس » أو « اصطلاء » هي أنسب تعبير لحالتي فقد كنت أتشمس بالصقيع . وفي اللحظة التي توقف فيها ارتعاش جسمي بدأت الطبيعة البشرية في قتال عنيف لتقاوم استمرار التجربة . استيقظت كل غريزتي وكان من الضروري بذل جهد جبار حتى أستمر . ومضت هذه اللحظة فرضيت عن نفسي في غبطة لأن تأثير الغريزة زال . وشعرت بأنني وصلت إلى ذروة الحالة التي يصل إليها المسافرون حينما يكرهون على النوم في الصقيع في أقسى برودته وهم واثقون انهم لن يستيقظوا أبداً »

« وأدركت تغييراً آخر في حالتي العقلية العامة ، فإن الخجل الطبيعي من أن شخصاً يشترك في التجربة سيدخل الغرفة ليجدني عارياً قد اختفى تماماً . لقد تغير الحياء الطبيعي إلى شيء لا أدري ما هو . ومن الجلي أن الإنسان يجب أن يكون شديد الحذر من انطلاق العقل . وهذه هي النقطة التي عرفتها فإن أرقى أجزاء الجهاز العصبي المركزي كانت أول ما تعرض للارهاق حتى زالت موازينها

تأثير الحرارة :

أما ما يحل بالمخ إذا حدث العكس ورفعت درجة الحرارة ، فكان موضوع التجربة التي قام بها هارفي ستون ، وأسفرت عن استرخاء العضلات والنعاس واسترسال العقل في سبات عميق وما تحولت عنه إلى نوبات اضطراب وقلق

وقد وصف التجربة بقوله « إن قراءة كتاب أو الجلوس في وضع واحد كانت من الأشياء المرهقة ، وكان البقاء في وضع مريح يحتاج إلى قوة ارادة ملموسة . كما أن تلمس الراحة استلزم الحركة البطيئة الدائمة لكي يغير الإنسان وضعه »

وتؤثر كمية ثاني أكسيد الكربون التي في الدم أيضاً على المخ . وقد جرب هالدان وعالمان آخران البقاء لمدة عشرين دقيقة في جو نسبة ثاني اكسيد الكربون فيه ٧٫٢ في المائة ، وهي تعد نسبة كبيرة ، فأحسوا بعوارض الإجهاد العقلي . فلم يكن في وسع هالدان مثلا أن يركز تفكيره أو ينتبه إلى ما يدور حوله من حديث بغير عناء كبير . ولم يستطع قراءة جريدة ويدرك معنى عباراتها . كان تعباً كانسان أقبل على الفراش بعد أن أمضى أسبوعاً بغير نوم . وكان يحس ذهنه كصفحة بيضاء لا تعي شيئاً مما يدور حوله

يرى كل شيء مزدوجا :

ويحدث أيضاً تفاعل كيميائي معروف بتأثيره السيء على المخ عندما تتمزق احدى الأوعية الدموية . وقد وصف الدكتور لوسيان كلارك ماحدث له في إحدى هذه الحالات بأنه كان يقاسي من ارتفاع ضغط الدم الذي بلغ ٢٣٠ وهي نسبة كبيرة الارتفاع. وكان يتوقع أن ينفجر أحد الأوعية الدموية في أي وقت .

وصدقت نبوءته فكتب يقول « في ٢ نوفبر سنة ١٩٣٤ كنت عائداً بسيارتي من زيارة أحد مرضاي حتى وقفني ضوء إشارة المرور ، فلما أردت متابعة السير ومدت يدي إلى مفاتيح السيارة رأيت يدين وبدل المفاتيح مفتاحين . وتولاني الاضطراب لمدة ثانية واحدة استعدت بعدها وعيي ، ولكنني أدركت ماحدث ،

من نشيد الحرية

للأستاذ محمود الخفيف

بالشرق غنيت وكم هزنى والهم الأسجاع قيثاربه
تعضنى الأغلال لكننى لا تعرف الأغلالَ أوتاريه
الحاضر المغلوب لم ينسنى روحاً به خالدة أيقظت ،
بعد سبات حالك ، دهره ،
منّى بها رقرقت أشماريه

والغرب كم فى أفقه كوكب فى ظلمات أطبقت ، أومضا
يرقبه المدلج إذ يطلب هدى له فى الدهر ممن مضى
لولاهم استوحش إذ يضرب فى فلوات شد ما أوحشت
والعيش داج حوله عابس
والدهر كم من أمل قوضا

كم من أبىّ عاف طعم الحياه ذليلة مذعنة ضارعه
غبية دانت بشرع الطغاه راسفة فى جهلها راكعه
صماء ما إن أسمعتها شكاه خرساء ما أنت ولا استصرخت
عمياء ترعى الوهم منقادة
بلهاء فى بأسائها رائعة

سقراط كأس الموت فى كفه عن خمرها الشنعاء هل أحجما ؟
أعجله اليأس إلى حتفه فأسلم الروح وما استسلما
مبتسم والموت فى جوفه الظلمة الخرساء فى حفرة ،
أحلى له من باطل غاشم
فى الأرض كم جرعه العلقما

وسيف روما الفاتح القاهر فتى الوغى فارسها قيصر
أرداه من شيعته جازر من دمه خنجره يقطر
يقول هذا غاصب جائر أضله الطغيان عن نهجه
من حوله الحرية استصرخت
ألا فتًى ذو نخوة ينصر ؟

فأسرعت إلى البيت قبل أن يستفحل الأمر . وكانت عيناى طول الفترة تريان مختلف ألوان الأضواء . »

« كنت أرى كل شىء مزدوجا ولم أستطع القراءة لأن ارتباط الحروف أو الأرقام ببعضها ببعض لم يرسل أى معنى إلى ذهنى . حتى أدواتى الجراحية التى أستخدمها سنوات طوالا بدت غريبة أمام ناظرى . ومع أنى كنت أعرف طريقها فإنى لم أدرك طريقة استخدامها . وكانت الكتابة نوعا من المستحيلات .

كان من العسير أن أكتب سطراً واحداً فلما وقفت إلى كتابة حرف لم أجد له أى معنى . وفى هذه المرحلة بلغ الاضطراب والارتباك العقلى أشده . ولا ريب أنى فقدت توازنى الجسمانى ؛ فعندما حاولت اجتياز الغرفة تعثرت بعدة أشياء واتجهت رغبتى إلى النوم طول الوقت .

الذكاء ودم المخ :

والتركيب الكيميائى للدم من العوامل الحيوية فى تغذية المخ ونشاطه أو ركوده ، وقد لجأ العلماء فى السنوات الأخيرة إلى عدة وسائل علمية لدراسة كيمياء الدم الذى يغذى المخ بإجراء عملية بذل يحصل بها على الدم من أوعيته قبل المخ وبعده مباشرة .

وقد وصل العالمان ابرهام ميرسون وهالوران إلى نتائج باهرة كشفت كثيراً من أسرار تغذية العقل . فوجدا مثلا أن السكر فى الدم يختفى بعد مروره بالمخ ، أى أنه يتغذى بالسكر ويمتصه ، فإذا زادت كميته أو قلت فى الدم فإن نشاط المخ يختلف أيضاً .

وقد لوحظ أن مخ الأصحاء يستهلك مقداراً كبيراً من السكر ؛ فإذا قلت كميته فى الدم انخفض نشاط العقل أيضاً .

وأثبت التركيب المعدنى لدم المخ أهميته البالغة فى تقدير ذكاء الفرد ، فأعطانا مفتاحاً نتلمس به أسرار العقلية البشرية ، فالكلسيوم والفسفور ضروريان لحفظ النشاط العادى لجميع أنسجة المخ فإذا قلت كميتهما ظهرت عوارض البلادة الذهنية والخمول العقلى ؛ فإذا زادا عن المعقول تجاوز النشاط الذهنى حده العادى وربما بلغ حد الاضطراب مما دفع أطباء الأمراض العقلية إلى استخدامها فى علاج مرضاهم .

وقد لا تمر فترة صغيرة حتى يحتل علم الكيمياء العقلية مكانه إلى جوار علم النفس ويساعد أخصائييه على فهم الطريقة الغامضة التى يعمل بها العقل البشرى الكثير الغموض .

فوزى الشتوى

ما عدمت فى دهرها نُصْرَةً   وما خبت شعلتها الساطعه
تمثـلت ثائرة مرة   فى الحقل كانت زهرة وادعه
فانقلبت فى حقلها ثورة   عذراء فى درع على ضامر
من حولها تحت غبار الوغى
أسنة ملء الفضا لامعه !

عن جانبيها جحفل واثب   تلهبه الحرية البـاسله
ساحرة كل لها خاطب   ودونها نارُ وغى آكله
النار ما إن هابها هائب   كيف وهم فى غمرات الردى ،
روحها إنسـية بيهم
فى درع (جندرك)لهم ماثلة !

تنقلت فى ظلمات العصور   الشعلة الوهاجة العاليه
كم ذائدٍ فى كل عصر جسور   فدى لها مهجته الغاليه
هيهات لا يطفىء ما فى الصدور   قيد ولا خوف ولا غيـلة
وكيف تخشى الموت نفس أبت
عيشتها فى ذلة جاثيه ؟

من الردى (لوثر) لم يفزع   والغيظ نار حوله تضرم
ينزو به الخافق فى الأضلع   لو لم يبح أرداه ما يكتم
يكرُّ كرَّ البطل الأروع   بالرأى صوال على خصمه
وخصمه فى الرأى ذاك الذى
يجود بالغفران أو يحرم !

والمارد الجبار فى عصره   السـاحر المبتسم الناقم
يرتعد الطغيان من ذكره   وما له من حربه عاصم
فى نثره الويل وفى شعره   (فلتير) والدهر له منصت
ينقل للأجيـال آياته
والظلم مستخذ له راغم

كأن فى أضلاعه جمرة   بنارها كم مهجة أشعلا
فى كل قلب نافث ثورة   ما كلَّ أو أبطأ أو بدلا
هاجر عن أوطانه هجرة   نجَّت من (البستيل) آراءه
واعجباً بالقلم المنتضى
بنيان هذا الحصن كم زلزلا !

وجاءت الرجفة من بعده   وجن بركان بهـا يفهق
وأذهل الطغيان عن عهده   لحوله الهول الذى يصعق
والدم موج جد فى مده   يخوضه القادون فى موكب
عروسه الحرية ، ادّاركت
من حولها ألوية تخفق

زلزلة فى الغرب قد جاوبت   أختاً لها فى الأفق النازح
أختـاً لها نازفة غالبت   منذرها بالعاصف الجامح
بالمـوت إذ أنذرها حاربت   فالعيش فى الأغلال موت وما
يخشى الردى إلا الذى يرتضى
قيـوده فى عيشه الرازح

وهاجـة شعلتها لاتنى   تضىء لا يحجبها حابسُ
من موطن سارت إلى موطن   خانقها من موتها يائس
نار سناها ليس فى الأعين   ملء أبيّـات النفوس السنا
أعظَم ما ضوءاً لألاؤها
والليل مرهوب الدجى عابس

قيثارتى كم بطـل خالد   غير الذى غنيت ضاحى الكفاح
وكم شهيد نازف جاهـد   غاب اسمه وهو وضىء الجراح
وخامل تحت الثرى هامـد   كان طليق الروح ذا عزة
لو كشف الدهر مدى عزمه
شدا به العزم وغنى الطماح !

فى الأفق النازح لا تغفـلى   عن كوكب قيثارتى أبلج
عن نور (إبراهام) لا تذهلى   فى كل دهر قبـلة المدلج
الناشىء البادىء بالمول   محطم الأغـلال فى قومه
هـدية الغابة مبعوثها
أنداده الأمصار لم تخرج

غنى بأبراهـام واستلهمى   رسالة فى عُرسها استشهدا
رسـالة ابن الفطرة الملهم   الصارم العزم الوثيق الفدا
الحامل الأعبـاء لم يسأم   والفتنة السوداء من حوله
حتى محا الرقَّ بياض الضحى
وألف الأبيض والأسودا

من بعده الشعلة حارت فما   تلوح حتى يحتويها السحاب
ثم توارت بعـد حين كما   يموت فى الظلمة ومض الشهاب
الأفق الغربى قـد أظلما   لولا مصـابيح به نورهم ،
باق على الدهر وأسماؤهم
حاضرة ما إن لها من ذهاب

فى الغرب عهد الموقنين انقضى   كما انقضى فى الشرق وحى السماء
احتجب النـور الذى أومضا   وأعتم الليـل ومات الرجاء
وا أسفا ! كم أمـل قومنا   وكم تراءى شـفق كاذب
مخضب مُنكَدِرٌ أفقه
البغى فيـه والخنا والدماء

الأدب والفن في أسبوع

قبر الكاظمي :

كان المغفور له الشاعر العربي الكبير السيد عبد المحسن الكاظمي قد أوصى قبل وفاته أن يدفن بأرض مصر وأن لا ينقل رفاته إلى العراق . وتنفيذاً لهذه الوصية قامت الحكومة العراقية من جانبها بتشييد مدفن له في مقبرة الامام الشافعي ، وقد تم بناء هذا المدفن في الأسبوع الماضي على وضع يليق بمكانة الشاعر الكبير وإكرام الحكومة العراقية لذكراه ونقل رفات الشاعر إليه في حفل حضره كثيرون من رجال الأدب وأبناء العروبة .

ولعل من المعروف أن الكاظمي رحمه الله قد نشأ في العراق من أسرة عريقة شريفة ، ولكنه غادرها في صدر شبابه هرباً من العسف والطغيان وجاء إلى مصر فوجد من أريحية بنيها عامة ومن رعاية المغفور له الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ما جعله يؤثر الاقامة بها ويتخذ من أهلها أهلا وسكنا . وكانت له رحمة الله عليه صلة وثيقة بالمغفور له الزعيم الوطني الكبير سعد زغلول ، ولما قامت الثورة المصرية وقف الكاظمي ينصرها بشعره ، ويرسل القصائد العامرة في تمجيد سعد والاشادة بزعامته ، وله في ذلك جملة قصائد مطولة سماها بالمعلقات ...

كان الكاظمي مثال الشاعر العربي القديم في صفاء الفطرة وغزارة المادة وحضور البديهة ، وكان يرتجل القصيدة تزيد على المائة بيت دفعة واحدة فتأتي خالية من الحشو والفضول . وكان يترنم في الشعر بنغم يدوي حلو فيهز النفوس هزا ، وقد أخذ حافظ إبراهيم عنه هذه الطريقة فكانت قوام الروعة في إلقائه المعروف ، وعلى الرغم من بداوة الكاظمي في مظهره وفي طريقته فإن أسلوبه كان حلواً سائغاً خالياً من المعاظلة والتعقيد ...

حقاً إن الحكومة العراقية قد أكرمت ذكرى هذا الشاعر الكبير بتشييد هذا الضريح ، وبما أغدقته من رعاية لابنته الوحيدة «رباب» وقد كانت (رباب) كل أمل للكاظمي في حياته ، فلعل حكومتنا تقوم من جانبها بإكرام ذكرى شاعر منح

استدبر النور فما استقبلا ... فجراً ولا بارقة أبصرا
يخبط في أوهامه معجلا ... يخطو وما يمشي سوى القهقرى
يعيش عيش الغيلة الأولا ... الناب والظفر تغطيهما ،
أغطية ما إن يرى مبصرٌ
أشقى له منها ولا أخسرا

في شغل أفراله ما يفيق ... معبوده ذو وهج يبرق
النور ما يلقيه هذا البريق ... فليس ومض غيره يعشق
وهو شواظ من عذاب الحريق ... يهوي إلى لألائه دائباً
هذا الفراش المستهام الذي
يجذبه اللمح الذي يحرق !

والقيت في السجن مكبولة ... حيرى به الحرية الراغمة
معصوبة في القيد مغلولة ... في أسرها جاثية قائمة
موصولة الثورة مذهولة ... تعجب ، من ألبسها غلها
وفيم هذا السجن تلقى به
بعد ضحى رفت به هائمه ؟

تصيح بالسجان إني هنا ... فانظر غداً إذ ترجف الراجفة
ما كان هذا السجن لي موطنا ... قد أزفت يا آسري الآزفة
هذا تداني الخافت استملنا ... أصغ له ... للريح مجنونة
صافرة من كل صوب ، أنت
تنبيء عما تحشد العاصفة

إني هنا لكنما تجتلى ... روحي في كل عتيّ طليق
في البحر ... في البيداء ، روحي فلا ... توثق أو تخشى ظلاما يحيق
في هزمة الرعد إذا جلجلا ... في السحب السابحة استرسلت
في رعدة الأرض إذا زلزلت
في زفرة البركان عاتي الحريق !

روحي في رفرفة الطائر ... وفي تغنيه إذا حلقا
وجذوتي في مهجة الشاعر ... بنارها ضوّأ أو أحرقا
ويحك ! طال الأمر يا آسري ... يا موثق الطين بأغلاله
الروح نور الله ... من غلّها
هيهات يا آسر أن توثقا

مصر قلبه وخصها بشعره، فتجمع كل آثار الكاظمى و اشعاره وتطبعهافى ديوان فإن الكاظمى يخلد بشعره أكثر مما يخلد بقبره

برناردشو والجاحظ :

يشتغل الأستاذ أحمد حقى نائب مدير مكتب البعثات المصرية فى لندن بتلخيص مؤلفات الكاتب الإرلندى المعروف برناردشو وإخراجها فى كتاب جامع ، وقد أراد بهذه المناسبة أن يقابل الكاتب الكبير ليباحثه فى بعض الآراء ، فكتب إليه برناردشو يعتذر عن المقابلة ويقول له: إن المقابلات أمر خارج عن الموضوع، فإنى رجل هرم،وليس فى مقدورى استقبال الزائرين . ولاالبحث معهم فى مؤلفاتى ،وما كتبته قد كتبته ، وأود الآن أن يقرأنى الناس لا أن يرونى ... »

وقد أذكرنى هذا بمحادثة مماثلة من كاتب العربية الكبير أبى عثمان الجاحظ ، فقد روى عن أبى طاهر انه قال : صرت إلى الجاحظ ومعى جماعة وقد أسن واعتل فى آخر عمره ،وكان يجلس فى منظرة له وعنده ابن خاقان جاره ، فقرعنا الباب فلم يفتح لنا ، وأشرف من المنظرة فقال : ألا إنى قد حوقلت وحملت رميح أبى سعد[1] فما تصنعون ؟ سلموا سلام الوداع ، فسلمنا وانصرفنا ...

فما أشبه صنيع برناردشو اليوم ، بصنيع الجاحظ بالأمس ، والناس هم الناس فى جميع الأزمان والأجيال ...

نشاطنا الثقافى :

يعنى معالى وزير المعارف عبد الرزاق السنهورى باشا برسم الخطة لإصدار سجل ثقافى تتولى إخراجه كل عام إدارة مختصة فى وزارة المعارف وتضمنه مظاهر النشاط الثقافى فى مصر ليكون تاريخاً لحياتنا الثقافية وما يجد فيها من تطورات واتجاهات ، وما يبدو فى مجالها من جهد وانتاج .

وانها لفكرة طيبة وخطوة موفقة ، لأن إصدار مثل هذا السجل فضلاً عما له من الفائدة التاريخية سيكون حافزاً لشحذ العزائم ، فسيقف الناس فيه على مدى النشاط الفكرى ، أى أنه سيكون بمثابة « صحيفة حساب » عن الجهد الثقافى فى عام ...

(١) أى يتكىء على العصا ماهر .

وحبذا لو أخذت جميع الهيئات والجماعات الثقافية والعلمية بهذه الفكرة ، فتقصد كل منها إلى وضع سجل سنوى يؤرخ مظاهر إنتاجها ومناحى نشاطها حتى تبرز وجودها أمام الناس ، على أن تتولى الوزارة تنسيق هذه السجلات الخاصة فى سجلها العام

الروابط الثقافية بين الأقطار العربية :

تبدى الجامعة العربية نشاطاً ملحوظاً مشكوراً فى توثيق عرى الروابط الثقافية بين الأقطار العربية ، وقد أشرنا إلى مظاهر هذا النشاط ومقاصده الطيبة فى أعداد « الرسالة » السابقة ، ويسرنا أن نشير اليوم إلى خطوة سديدة خطتها الجامعة فى هذا السبيل ، ذلك أنها قررت أخيراً إيفاد أساتذة محاضرين من مصر إلى عواصم الأقطار العربية الأخرى ، واستقدام أساتذة محاضرين من تلك الأقطار إلى مصر وإلى غيرها من الدول العربية لإلقاء محاضرات عامة تقوية للروابط الثقافية بين أقطار العروبة .

وإنها كما قلنا خطوة موفقة تدعو إلى الغبطة والاطمئنان على مستقبل العالم العربى ومستقبل الوحدة العربية ، فإن الوحدة الثقافية فى الواقع أساس الوحدة السياسية ، ولن تجتمع كلمة العرب فى القصد إلى هدف سياسى واجتماعى موحد إلا إذا تقارب اتجاههم فى التفكير وتوحدت وجهتهم فى الإدراك العقلى والثقافى ، غير أننا نعود إلى ما سبق أن حذرنا الأمانة العامة للجامعة العربية من الوقوع فيه ، وهو الاقتصار فى النهوض بهذه المهمات على الرجال الرسميين والأساتذة الموظفين ، بل يجب أن تجعل ذلك ميداناً مفتوحاً يجرى فيه رجال الفكر والثقافة المتحررين من ربقة الرسميات وتقاليد الوظائف لأن التفكير الرسمى أجدب ما يكون فى خدمة تلك الاتجاهات والنهوض — كما يجب — بمثل هذه المهمات ...

شاعر ... وطباخ :

قرأت فى إحدى الصحف العربية التى تصدر فى المهجر الأمريكى نبأ طريفاً تقول فيه : « علمنا أن حضرة المواطن الفاضل الشيخ حسين أبو حمزة شاعر الجيل الفذ المشهور نزيل مدينة « جكسنفيل » قد افتتح مطعما جيلا فى تلك المدينة ، فنرجو الله

أن يوفقه فى تجارته وأن يديمه بلبلا غريداً فى حقل الشعر ...

وضحك صاحبى الذى كان يستمع لما أقرأ وقال : أظن أن شعر صاحبنا هذا تفوح منه روائح البهار والتوابل ، وأعتقد أنه مما تشتهيه البطون ... ثم اندفع يعلق على هذا الكلام فقال : لقد كان المرحوم الأستاذ محمد السباعى يقول : لا تقل يانسيم الصبا ويا ريح الغرام ، بل خير لك أن تقول : يا نسيم المطبخ ويا ريح الشواء ، وكان يقول أيضاً : لأجل أن تعيش لا تكن أديباً فحسب ، بل كن أديباً وصانع أحذية أو أديباً وبائع لعب أو أديباً وشيئاً من ذلك ... وتصور أنت أن أديباً من أدبائنا الكبار افتتح مطعما أو احترف حرفة من هذا القبيل ، إن الناس لا شك كانوا ينظرون إلى هذا على أنه شىء غريب مضحك ...

قلت : أجل . إن هذا قد يبدو لنا أمراً غريباً عجيباً لأننا تعودنا أن ننظر إلى الأدب على أنه حرفة متميزة ، لا يصح أن تقرن بحرفة أخرى ، وأصبحنا ننظر إلى الأديب على أنه إنسان يعيش فى عزلة عن دنيا الناس ، فلا يصح منه ولا يليق به أن يسلك سبيلا فى الحياة من سبل الناس ، وهذا إسراف لامبرر له ، وإجحاف لا إنصاف فيه .

إن الأدب يا صاحبى ليس حرفة فى ذاته ، وإن الأديب إذ يبتذل فنه فى سبيل العيش يكون قد تدلى إلى أسفل ، ونزل به إلى سوق التجارة، وإنما الأدب إلهام وتضحية كما يقول تولستوى.

وقد كان الجاحظ وهو أديب العربية يشتغل فى أول حياته ببيع الخبز والسمك على نهر سيحان ، وكان أبو هلال العسكرى يبيع البز فى الأسواق ، وكان الخبز أرزى يصنع خبز الأرز ، والحسين الجزار يشتغل جزاراً ، وهناك عشرات أمثالهم من الأدباء والشعراء كانوا يعيشون من البيع والشراء فى عروض التجارة وينتجون فى الأدب ويقولون الشعر ، فليكن يا صاحبى فينا الشاعر الطباخ والأديب الخباز والفنان النجار ، فإن هذا لن يضير الأدباء ولن يغض من قيمة أدبهم ، وإنما الانحطاط الأدبى أن يجعل الأديب من أدبه مادة تجارة لكسب الرغيف ...

جائزة فؤاد للآداب :

عرف قراء « الرسالة » مما نشرناه فى العدد السابق أن الأستاذ الكبير معالى أحمد لطفى السيد باشا رئيس لجنة الفحص لجائزة فؤاد الأول للآداب قد أعلن فى حفلة توزيع الجوائز بالجامعة ان اللجنة لم تستطع إنجاز مهمتها لضيق الوقت ولهذا رأت تأجيل منح الجائزة إلى العام القادم ، ولكن بعض الصحف علقت بكلام كثير فى هذا الشأن وزعمت أن الأدباء الذين تقدموا لنيل الجائزة لم يستحق أحد منهم الفوز بها .

ولما كان صاحب « الرسالة » عضواً فى لجنة الفحص ، فقد سألناه كما سألنا غيره من الأعضاء عن الحقيقة فأكدوا لنا جميعاً أن الحقيقة هى أن وقت اللجنة كان أضيق من أن يتسع للمفاضلة بين ما أرسلته إليها وزارة المعارف وقد بلغ حوالى مائة كتاب فى أغراض مختلفة . وقد رأت اللجنه أن الأفضل أن تمنح الجائزة وقدرها ألف جنيه لتتويج مجموع إنتاج كاتب من الكتاب لا لمكافأة كتاب من الكتب فتكون جائزة فؤاد على غرار جائزة نوبل التى يكافأ بها كاتب أو عالم أو سياسى على مجموع عمله . أما مكافأة الكتاب الواحد فتكفيها الجوائز التى يمنحها سنوياً مجمع فؤاد للغة العربية وهى جوائز تتراوح قيمة كل منها بين المائة جنيه والمائتين واللجنة تسعى لدى وزارة المعارف لتحقيق ذلك .

وهناك ناحية أخرى يجب أن تكون موضع الاعتبار ، وهى فتح الباب للفوز بهذه الجائزة أمام أبناء الأقطار العربية الأخرى، إذ لا يخفى أن هذا مما يرتفع بقيمة الجائزة ويتمشى مع الرغبة فى توثيق الصلات الثقافية بين الأقطار العربية .

«الجاحظ»



تعليق على تعليق :

هذا كتاب أرسله إلينا الأستاذ محمد تقي القمي السكرتير العام لجماعة التقريب تعليقا على مقال الأستاذ الطنطاوي المنشور في العدد السابق .

« ... وبعد، فقد نشرت الرسالة في عددها ٧٢٢ كلمة للأستاذ الفاضل علي الطنطاوي بعنوان « تعليق على كتاب ، إلى علماء الشيعة » عرض فيها للخلافات الطائفية بين المسلمين ، وذكر أنها خلافات سياسية كان من الواجب أن تنتهي بانتهاء معاركها السياسية . ويقرر حضرته أن أهل السنة يتمنون أن تطوى الخلافات وينسخ حديثها وتتناسى حتى تنسى ، وعرج على كتاب « تحت راية الحق في الرد على الجزء الأول من كتاب فجر الإسلام » واقتبس منه فقرات تمس أهل السنة ؛ وأظن أن عنوان الكتاب كاف للدلالة على أنه وضع منذ ست عشرة سنة رداً على مطاعن وجهها إلى الشيعة مؤلف فجر الإسلام [1] نفضل ألا نشير إليها حتى لا نثير مسائل نعمل للقضاء عليها . وقد تبين للمؤلف عدم صحتها فحذفها من الطبعة الثانية — ومعنى هذا أن الشيعة لم يعتدوا وإنما دافعوا عن أنفسهم فقط . ولو أن الأستاذ طنطاوي التفت إلى مقدمة الكتاب المذكور للعلامة آل يس الكاظمي وقد كتبه منذ ستة عشر عاماً لوجد فيها ما يصرفه عن تناول هذا الموضوع، ولتأكد أن علماء الشيعة ينفرون مما ينفر منه، ويدعون لما يدعو إليه ، ويرغبون في التقرب إلى أخوانهم السنيين . ولوجد أن الكاظمي نفسه أخذ على المؤلف إسرافه وأن كان التمس له بعض المعاذير .

وبصفتي عضواً في جماعة التقريب وملما بأحوال النجف وإيران أؤكد أن أحداً من علماء الشيعة لا تسمح له نفسه أن يهاجم المذاهب الأخرى — اللهم إلا أن يكون كاتباً يؤجره المستعمرون — الذين يريدون القضاء على فكرة التقريب بأي ثمن — وليس في علماء الشيعة — والحمد لله — من يغريه المال ...

ولا يفوتني أن أذكر أن ما ينصح به كاتب المقال وراء طريقاً للاتفاق بين الشيعة والسنة هو بعض ما تسعى إليه جماعة التقريب، وفي المادة الثانية من قانونها الأساسي ما يؤيد ذلك، وأعتقد أن من السهل تحقيقه في زمن قصير لو أعاننا رجال الفكر والعلم والقلم أمثاله .

أما نفقات « دار التقريب » فإن مصدرها تبرعات حضرات أعضاء الجماعة سنيهم قبل شيعيهم وسجلات الدار مفتوحة لكل من يريد الاطلاع .

ومع أني أشكر لأخي الأستاذ طنطاوي حسن ظنه بجماعة التقريب واعتقاده أنها قادرة على رفع الخلافات الطائفية في ثلاثة أشهر — أي من وقت تأسيسها إلى الآن — إلا إني آخذ عليه ما ذكره من أني أقدم لأصدقائنا الكثيرين من فاخر المأكل والمشرب فإني أخاف أن يثوروا جميعاً علينا ، إذ لم يقدم إليهم سوى القهوة أو الشاي .

وأحب أن أقول لحضرته أنه لو عرف حياتي الخاصة في إيران ما حسب أن نزولي بفندق الكونتيننتال فيه شيء من الترف أو الإسراف كما خيل إليه .

محمد تقي القمي

السكرتير العام لجماعة التقريب

(1) الكتاب الذي أهدى إلينا مطبوع في طهران سنة ١٩٤٥. (علي)

تحقيقات تاريخية :

للدكتور علي إبراهيم حسن جولات في التاريخ الإسلامي كان آخرها « دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص » [1] ، وهو كتاب قيم جدير بمؤلفه ولا تكفي هذه العجالة للإلمام به أو الإشارة إلى قيمته ولكن ورد فيه بالصفحة ٢٩ بعض تعليقات منها ما جاء تحت رقم ٥ « والمعروف أن والد السلطان برقوق كان من فلاحي الدانوب » ولما كان المعروف لدى المعاصرين والمجمع عليه كما جاء في ابن إياس وهو حجة لأنه جركسي الأصل أن السلطان برقوق مؤسس دولة الجراكسة كان من خلاصتهم. وفيه أيضاً : « حضر من بلاد الجراكسة والد الأتابكي برقوق فخرج الناس لملاقاته قاطبة فلاقوه في البكارشة في يوم الثلاثاء ٨ ذي القعدة سنة ٧٨١ » .

(1) مكتبة النهضة المصرية.

وفى وفيات ٧٨٣ « وفيها أنس بن عبد الله الشركسى والد برقوق الملك الظاهر كان كثير البر والشفقة لا يمر أسير مقيد إلا ويطلقه لا سيما إذا رأى الذين يعمرون بالمدرسة التى ابتدأ السلطان بعمارتها ، توفى فى شوال ودفن بتربة يونس ثم نقل إلى المدرسة (يقصد البرقوقية) فدفع ولده الظاهر إلى جلال الدين التبانى ألف مثقال وستمائة ذهباً ليحج عنه ويقال أنه جاوز التسمين » (شذرات الذهب).

فمن أين جاءت مدام ديفونشير بأن هـذا الوالد من فلاحى الدنوب ؟ بينما إسم برقوق من الأسماء التى يحملها الجراكسة إلى الآن وتكتب Birkluk ويحمله ضابط من أصل جركسى وصل إلى رتبة جنرال فى الجيش التركى والتقيت به مراراً مدة خدمتى بأنقرة بالسفارة المصرية ، ولم أتمكن من تحقيق الناحية اللغوية لهذا الإسم ولكنى قرأت فى تعليقات الأمير شكيب أرسلان على ابن خلدون صفحة ١٠٢ » ومن أصناف الترك « الشاروق » أو « الجاروق » وكانوا يسكنون فى مدينة برقوق التى هى اليوم « ماد الباشى » .

وفى الضوء اللامع : برقوق ابن انص الظاهر أبو سعيد الجركسى العثمانى نسبة لجالبه كان شهماً شجاعاً ذكياً خبيراً بالأمور. وساق كلاماً عن ترجمته حتى قال « وترجم له الفاسى فى مكة وله سيرة طويلة جمعها بعض أهل العصر فى مجلد » .

وفى كشف الظنون أن له سيرة جمعها ابن دقاق ثم العينى وذكره أى برقوق المقريزى فى عقوده وجاء فى خططه صفحة ٣٤١ جزء ٣ أنه أخذ من بلاد الجركس وبيع فى بلاد القرم .

وجاء عنه أنه تعلم الفقه وسائر العلوم الإسلامية حتى إن أستاذه « يلبغا »[1] لقبه بالشيخ . فمن أين أتى ذكر بلاد الدانوب ؟ وهل لدى مدام ديفونشير نص تاريخى يمكن الاستشهاد به ؟

لا يمكن إنكار حقيقة واقعة وهى أن بلاد الدانوب وبعض بلاد البلقان أتى عليها وقت ساد فيه الإسلام ربوعها وذلك قبل آل عثمان وقبل هجمات التتار أى فى أوائل القرن السابع الهجرى. وجاء فى تعليقات الأمير شكيب أن جميع البلاد إلى النصف الأول من القرن السادس عشر للمسيح من شبه جزيرة البلقان وشطوط البحر الأسود إلى الصين ممالك إسلامية متصلة كما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية .

(١) الأتابكى يلبغا العمرى الناصرى .

وفى نص نقله الشيخ عز الدين عمر بن على بن ابراهيم بن شداد عن الأمير بدر الدين يسرى الشمسى أنه كان رفيق الملك الظاهر بيبرس فى بلاد القفجاق وهى الجزء الشمالى من البحر الأسود فلما زحف التتار من القوقاز عليها كاتب قبائل القفجاق أنس خان ملك الأولاق أن يعبروا نحو صوراق إليه ، والمفهوم أن بلاد الأولاق هى رومانيا الحالية أو الجزء الشمالى منها والتى عرفت فيما بعد بالإفلاق باللغة العثمانية ، كما أن المفهوم أن صوداق تقع فى شبه جزيرة القرم ، وأن الأسماء الروسية والأجنبية مثل سباستيول وغيرها أطلقت حديثاً على بلاد إسلامية بعد ضمها إلى الروسيا .

فهل أخذت مدام ديفونشير أن اسم أنص هو لكل من يسكن أو يأتى من نهر الدانوب ؟ أم كيف تنسب الظاهر برقوق إلى هذه الجهة وتاريخه العائلى معروف بالتفصيل بدليل مجىء والده وأخوته وأخواته وبعض أولادهم واستبطانهم مصر بعد سلطنته ؟ وجميع المصادر المعاصرة تقرر فى كل مرة يحضر فيها واحد منهم أو بعضهم بأن حضورهم من بلاد الجركس وأنهم كانوا مسلمين وماتوا مسلمين .

أحمد رمزى

اقتراح :

يخطب الخطيب فيصفق الناس أو يدعون فيعرف ما يحبون وما يكرهون ، ويغنى المغنى فيهتف السامعون أو يسكتون فيدرك إن كانوا يطربون أو يكتئبون ، وتصدر المجلات ويكتب الكاتبون . فلا يدرون أرضى القارئون أم يسخطون .

فلماذا لا تسن الرسالة سنة جديدة يعلن بها القراء عما يرضيهم ليصلوا إليه . ويعلم به الكتاب فيكثروا منه ؟ ثم إن الرسالة اليوم على أبواب تطور جديد فى جوهرها ومظهرها . وإصلاح شامل تستكمل به قوتها . وتحتل مكانها فلماذا لا تشرك القراء معها ، (وهى لهم وهم لها) فى وضع منهاج هذا التطور ، ورسم طريق هذا الإصلاح . فتسأل كل قارىء (١) عما يعجبه من الرسالة لتزيده له (٢) ومايكرهه لتخلصه منه (٣) وما يؤمله لتحققه له. وتؤلف لجنة لفحص الأجوبة وترتيبها وإعلان نتيجتها ونشر الجيد المملل الدلل منها ؟ ما هو رأى الرسالة ؟[1]

على الطنطاوى

(١) « الرسالة » : توافق على هذا الاقتراح .



الله ...

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

بقلم الأستاذ محمود الخفيف

هذا كتاب جليل القدر من ناحيتين : ناحية موضوعه وناحية كاتبه ...

ولست أجد في وصفه خيراً من أن أقول إنه كتاب عظيم ؛ والحق أن هذا الكتاب لو صدر في أي لغة لكان بين كتبها من أعلام الكتب ولأثار من اهتمام المفكرين والقراء ما هو خليق بأشباهه من الكتب الفذة ، وإنه ليسرني في هذا المجال الضيق أن أتحدث حديثاً موجزاً عن هذا الكتاب هو أقرب إلى التحية منه إلى النقد .

يحق لكتاب العربية من زمن طويل أن يستبشروا بكل ما يكتب العقاد ، فقد اتفق له من الخواص ما يجعله بغير ريب من مفاخر جيلنا هذا ، بل ومن مفاخر الفكر العربي في تاريخه كله ، ومن هذه الخواص أصالة الرأي واتساع أفق الثقافة ، وحدة الذكاء وقوة المنطق ، هذا إلى لقانة عجيبة يستشف بها الحجب وينفذ بها إلى الأعماق ، فإذا أضفت إلى هذا براعة أسلوبه وقدرته على التعبير القوي الموجز الذي لا يزيد ولا ينقص عن المعنى ، وذوقه وضلاعته في اختيار اللفظ المطلوب، تمت لك صورة العقاد الكاتب ، وإنك لتجد هذه الخواص مجتمعة في أكمل صورها في هذا الكتاب الذي أتحدث عنه .

تبقى بعد ذلك صفة هامة من صفات الكتاب ، وهي الإحاطة المدهشة بنواحي الموضوع على دقته وعلى الرغم من تشعب مذاهب القول فيه . والواقع أن كل فصل من فصول هذا الكتاب يصلح موضوعاً لكتاب ، وإنك لتخرج مع هذا من كل فصل بما تخرج به من كتاب كامل . فالأستاذ المؤلف يعرض ما دار من الآراء حول ما يطرق من الموضوعات ، ولا يكتفي بالعرض بل يأتي بكل ما يرد به على هاتيك الآراء، وهنا تبرز قوة منطقه وسعة أفقه وتمكنه مما يقول ، ولا يسعك إلا الإعجاب العظيم كما أنك تستشعر اللذة التي يبعثها اتساق الفكر وحسن السياق ... ، وتجد ذلك جليا في فصول الكتاب جميعاً وبخاصة « أصل العقيدة » وفي « براهين وجود الله »

خصصت لقراءة هذا الكتاب زمناً ما ، فما فرغت منه حتى عدت إلى قراءته ، ثم عاودت النظر أكثر من مرة في بعض فصوله مثل ذلك الفصل الجميل « الوعي الكوني » الذي تتمثل فيه أصالة العقاد ، ومثل « البراهين القرآنية » التي ترينا كيف يغوص العقاد فيخرج بما يطلب من المكنونات والخفايا ...

ولقد قرأت في الإنجليزية كثيراً من الكتب التي تناولت مثل هذا البحث ، وأشهد في غير مجانبة للحق أني ما ظفرت في أحدها بمثل ما ظفرت به في هذا الكتاب من الإلمام والاستيعاب ، وإني لأعجب كيف يجتمع هذا كله بين دفتي كتاب لا تزيد صفحاته على ثلاثمائة ، ولكنه فن العقاد ...

وبعد فهذا كتاب ينبغي أن يقرأه المؤمن ليزداد إيماناً مع إيمانه ، والحائر ليجد سبيل هدايته ، والمتشكك ليطرح شكه ، والجاحد ليعلم علم اليقين أنه أسرف على نفسه بجحوده ؛ هذا ما تركته في نفسي قراءة هذا السفر الجليل ، ولعلي بعد ذلك لم أوف على الغاية مما أحببت أن أقول .

ولا يفوتني أن أشير إلى شيء آخر راقني في الكتاب كله ، ذلك هو منطق ترتيب البحث وتأليف الكتاب ، فأنت تخرج من فصل إلى فصل كما تنتقل من فكرة إلى فكرة لها أوثق الصلة بها ، بحيث لا تستطيع أن تقدم منه فصلا على فصل ، يضاف إلى ذلك أنه ليس بين هذه الفصول المتساوقة ما يشعرك بأن في هذا الموضع أو ذاك فصلا ناقصاً كان يجب أن يكون ...

بحث الأستاذ في أصل العقيدة الإلهية وتطورها وتكلم عن الوعي الكوني كتمهيد للبحث في ذات الله ، وفكرة الوعي الكوني هذه من أجمل وأروع ما صور العقاد ؛ واستعرض الكاتب بعد ذلك الأديان القديمة في مصر والهند والصين واليابان

وفارس وبابل واليونان كلا منها فى فصل ، ثم عرض الأديان السماوية قبل الفلسفة وبعدها ؛ وألم إلى التصوف ، وانتهى إلى براهين وجود الله العقلية منها والنقلية ، وختم كتابه الجليل بكلمة فى آراء الفلاسفة المعاصرين وفى العلوم الطبيعية وعلاقتها بالمباحث الإلهية ...

ومن هذا يدرك القارئ كيف كان بناء الكتاب على هذه الصورة من براعة المنطق .

تحيتى للأستاذ الكبير مشفوعة برجائى أن يزيدنا من ذخائره الطيبة الفذة التى نحن أحوج ما نكون إليها ، والتى يحق أن تفخر بها المكتبة العربية .

الخفيف

فى فلسطين العربية

(تأليف الأستاذ محمد يونس الحسينى)

تعتبر فلسطين فى هذه الأيام مشغلة الأذهان فى العالم العربى، لهذا تمتلئ النفوس للهفة إلى معرفة كل شىء عن تلك البقعة المقدسة التى هى مثار ذلك الخلاف المنيف ، وليس هذا الكتاب فى الواقع إلا تقريراً ضافياً وافياً عن طراز الحياة العربية القائمة فى فلسطين ، وقد قدم المؤلف الفاضل لشرح هذه الحقيقة فى كتابه بمقدمات تاريخية مفيدة عن بيت المقدس وعن فتح العرب لفلسطين وما كان لذلك القطر من شأن على عهود الدول الاسلامية المختلفة ، ثم انتقل من هذا إلى الحديث المستفيض عن الحياة الاقتصـــادية والاجتماعية والثقافية على نهج علمى يعنى بالحقائق و إيراد الأرقام وعقد المقارنات ، ثم شرح الصلة بين هذه النواحى و بين مستوى المعيشة والحياة التى يحياها أبناء فلسطين العرب فى هذه الآونة .

فالمؤلف الفاضل قد سد بكتابه هذا حاجة عند أبناء العروبة وصور لهم ناحية كان من الواجب أن يقفوا عليها ويتفهموها لأنها فى الواقع الأساس لفهم المشكلة الفلسطينية والعمل على إنقاذ ذلك القطر العربى من براثن الاستعمار والطغيان وإنه لعمل يذكره له وطنه ويشكره له سائر أبناء العروبة .

الحكر في مصر

(تأليف عثمان بك فهمى)

والحكر فى مصر ناحية من النواحى التى تشغل الأذهان فى الدوائر القضائية والحكومية نظراً لكثرة ما يجد فيها من المشكلات ثم ما يكون فى ذلك من اختلاف فى الرأى والتقدير ، وقد عرض المؤلف الفاضل فى كتابه هذا إلى هذه الناحية فتناولها تناول الباحث المحقق والخبير المدقق ، إذ عنى بالحديث عن عقد الحكر وما يحدث من الخلاف فى تطبيقه وأتى فى هذا على وجهات النظر الواردة فى الفقه وفى القانون وفى العدل ، وصحح ما هو شائع فى التطبيق من الأخطاء الشائعة والاعتبارات التى تصطدم بالواقع وفازع وزارة الأوقاف ما تدعيه فى عقد الحكر منذ خمسين عاما وختم بحثه بالمطالبة بإبعاد القضاء عن نظر مسائل الأحكار . وإن هذا الكتاب بموضوعه هذا وبما اشتمل عليه من الدقة والعمق فى البحث يهم رجال الفقه والقانون والمعنيين بمسائل الأحكار بصفة عامة بل انه يعتبر مرجعاً وافياً ومصدراً نافعاً فى الاعتماد عليه .

محمد فهمى عبد اللطيف



الاختيار الذى كسر قلبي

معربة عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى

« ماذا يجب أن تعمل المرأة إذا هى ووجهت بهذه المشكلة؟ بل ماذا تستطيع أن تعمل ؟ وهل هناك قانون يحدد الصواب والخطأ تستطيع أن تسترشد به ؟ »

سألتنى صاحبتى ، بعد أن خرجنا من دار السينما على أثر مشاهدتنا الرواية القوية « أنا كارنينا » :

— كيف استطاعت ذلك ؟ لقد كانت القصة رائعة حقاً وقد مثلت تمثيلا مدهشاً ، ولكننى لا أستطيع أن أصدق أن أية أمّ يمكن أن تتخلى عن طفلها جرياً وراء رجل ما، بلغ حبها ذلك الرجل ما بلغ من عنف ومن يأس !

فلم أقل شيئاً تعقيباً على كلمات صاحبتى ، ولكن يدى المخبأتين فى قفازيهما تشنجتا وانطبقت شفتاى انطباقاً محكماً، ومن أين لها أن تتبين ذلك الألم الصامت الذى يمزق صدرى ويلهب رأسى ، فالنساء اللواتى يجتمعن فى الشرق الأقصى ويتحدثن ويشربن يصطنعن الصداقة ولكن لأغلبنا أسراراً يحتفظن بها فى أعماق قلوبهن لا تستطيع هذه الصداقة المزعومة أن تفض خاتمها .

لقد تزوجت من « رونى كولبرن » لأننى كنت أحب « تيد بورتر » حب جنون ويأس. وليس لهذا التصرف من معنى معقول، على أن أشد من هذا بعداً عن كل معنى معقول أن « تيد » كان يحبنى وكان ، بعد أن تنتهى السنوات الثلاث المفروض عليه أن يقضيها فى الخدمة فيما وراء البحار ، طليقاً من كل قيد يحول دون زواجه منى . ولقد انتظرته سنتين من هذه السنوات الثلاث قضيتهما فى التلهى والتروض مع الشبان الآخرين ، ولكننى احتفظت فى أثنائهما بشفتى وجسمى وقلبي « لتيد » بعد عودته .

لقد كان ذلك أمراً شاقاً على ، بعد أن نعمت سنتين بقرب « تيد » وجسمه وقبلاته وضمات ساعديه ، ولكننى ظننت أننى أستطيع تحمل هذه التجربة القاسية ، لقد كان ذلك واجباً على حتى أكون أهلا « لتيد » فلقد كان يحارب الوحدة وحرارة جوّ الحمى ، لا يجد حتى فتاة تواسيه أو شراباً ينعشه ، لقد كان « تيد » قوياً، وكان الرجل الذى لا يحب غير امرأة واحدة — وكنت أنا هى تلك المرأة !

كان الله فى عونى ! فلم أكن أرغب فى إنسان غير « تيد » ولكن لم يكن لى مثل قوته . وكان « رونى كولبرن » ، الذى قابلته فى أثناء السنة الأخيرة من افتراقنا — إذ لم يبق غير اثنى عشر شهراً يعود « تيد » فى نهايتها إلى الوطن — كان رونى هذا شديد الإصرار والالحاح. وكان طروباً جذاباً فى أسلوب شيطانى. وقد صمم على أن أكون له . ولعل جريان دمى كان يزداد سرعة كلما دنا موعد رجوع « تيد » لذلك أصبحت لا أملك شعورى كلما لمسنى « رونى » ، وحدث فى ذات ليلة قضيناها فى رقص وبهجة رائعين أن رجانى فى توسل أن أسمح له « بقبلة واحدة » وإذ مال رأسى إلى الوراء شعرت بشفتيه تضغطان شفتى فكأنما كانت هذه القبلة طعاماً قدم لجائع تقتله المسغبة .

ووقفنا هناك متعانقين فى الشرفة وهو لا يفتأ يقول :

— ليس بضيرنا أننا لم يعرف أحدنا الآخر إلا منذ شهر واحد. فهذا هو الحب ياعزيزتى « بام » وستتزوجين منى ... فى الحال.

وحاربت رغبته الملحة ثلاثة أسابيع كنت فى أثنائها أتقى الاجتماع به ما استطعت ، وقلت فى نفسى إننى مجنونة حمقاء . ولكن غيبة « تيد » قد طالت حتى أننى ، ولو حننت إليه وعلى الرغم من كل ما كان بيننا ، لا أستطيع أن أذكر حتى ولا شكل وجهه . أما « رونى » فكان قريباً منى ، وكان شخصاً حقيقياً أراه وألمسه وأشعر بوجوده وهل كان شيئاً غير الحب ذلك الذى سرى فى كيانى سريان الكهرباء عندما ابتسم لى وأمسك بى ؟

وانتصر « رونى » آخر الأمر ، وقضينا إحدى « العطلات » الأسبوعية مختفيين عن أعين الناس وتحت تأثير شعور لذّ مبهج مخيف، أقسمت أيماناً لم أقصد إلى الوفاء بها ، وكل ما كنت

أعزى به نفسى فكرة يائسة سخيفة هى أننى إن كنت قد أخطأت فإننى أستطيع أن أسترد حريتى بالطلاق . فكان كل ما حدث حلماً جنونياً مرعباً ، تدرج من دهشة الذين علموا بأمر زواجى، إلى قضاء شهر العسل فى المسكن الذى استأجرناه خصيصاً له ، ثم بخروجنا أمام الناس متأبطين — فكان حلماً خاطفاً غير مكتوب له الدوام .

ولم يكن بد من أن أستيقظ من ذلك الحلم فأدرك أننى قد تزوجت من رجل غريب عنى فى كل شىء . لقد كان لطيفاً يسر الإنسان أن يكون معه ولكنه لم يكن « تيد » . ولقد كنت كذلك المرأة الوحيدة « لرونى » أيضاً ولكن على غير الطريقة العمياء المنطوية على الوله والعبادة التى كانت تظهرنى فى عين « تيد » مثالا لكل شىء جميل .

ولم يلبث « رونى » أن نظر إلىّ النظرة العادية إلى الشىء المألوف ، لا يقبلنى إلا نادراً إن خطرت له فكرة التقبيل على بال ، وكان من النادر أيضاً أن يقول لى إنه يحبنى ، ولم يقصد قط النظر إلى ملابسى أو شعرى ، ولم يكن ليبدى له من الإعجاب ما تشعر كل فتاة بأنه من حقها الواجب أداؤه لها .

وفى كثير من المرارة والألم ذكرت كيف لم أكن لأبدل ملبساً أو أضع دبوساً فى شعرى دون أن يهمس « تيد » فى دقة «يا للسماء ياحبيبتى كيف تستطيعين أن تنوعى جمالك بهذه الوسائل المديدة ؟ » . وذكرت كيف كان يندر أن يتركنى أغيب عن نظره ، وكيف كان دائماً إذا ما اجتمعنا لمس يدى أو شعرى أو شفتى ... يا لها من ذكرى ... فأواه يا تيد أواه ...

وبعد أسبوع واحد يصل « تيد » إلى الوطن وسيتجول فى الطرقات المألوفة لنا فى غير صحبتى ولعله يذهب لزيارة أمى ، رافع الرأس متألماً ومتذكراً — كما أتذكرانا هنا فى هــذه البلدة الصغيرة فى مقاطعة نور ثمبرلاند التى أخذنى رونى إليها بعد زواجنا .

لقد كانت الأزمة شديدة لذلك حمد « رونى » الله إذ وفق إلى مركز كاتب فى أحد الجراجات ، وهو عمل صغير يتقاضى أجراً عليه ثلاثة جنيهات فى الأسبوع ، فاستأجرنا لإقامتنا مسكنا رخيصاً وعشنا عيشة رثة . فأين الآن ما كنت أتوقع من حياة ساحرة لقد أردت أن أعود إلى بيتى إلى أبى وأمى و « تيد » ولكن على الرغم من غضبى مما دفعنى إليه رونى ومن إهماله إياى بعد ذلك كنت أشفق عليه ، فلقد كان نصيبه من قسوة هذه الحياة مثل نصيبى منها : فمن شجار بيننا إلى حياة الفقر التى نحياها إلى اضطراره للعمل الشاق ساعات طويلة من اليوم . وكنت إذ ذاك كل شىء له فى الوجود .

إن الحياة لغز عسير الحل ، فقد كان يجب ألا أتزوج منه ، وكان يجب ألا أستسلم أبداً للشفقة فى بقائى معه حتى أصبح من العسير ، على كل حال ، أن أتركه ، لقد كان « تيد » فى حاجة إلىّ وكان مستعداً لأن يرجعنى إليه فى الحال ، وقد علمت ذلك من الخطاب العجيب الذى بعث به إلى متحدثاً فى موضوع زواجى وفيه يقول : « إن سعادتك هى كل ما أعيش له ، يا « بام » . ولن يحل أحد مكانك من نفسى ، وسأنتظرك إلى الأبد ، فإذا أردتنى مرة أخرى أو احتجت إلى ... »

إن أردته ؟ أو احتجت إليه ! إننى لم أكن أشد حاجة إليه مما أنا الآن ، ولكننى لم أكن لأستطيع الذهاب إليه وأنا أحمل جنين « رونى » فى أحشائى .

لقد فرح « رونى » بهذا الخبر ، وقال : « إن هـذا الوليد سيبقينا معاً » فخيل إلى أن هذه الكلمات معناها الحكم بالسجن الأبدى ، فشعرت بما يشبه الجنون ... الأمومة ... الرباط الوثيق ... وحماسة رونى الفرحة كل ذلك أثار عوامل غضبى . فقلت :

— وكيف يمكننا حتى أن نكفل هذا الوليد ؟

على أننا قد استطعنا ذلك على صورة ما . وقد أصاب رونى فى ذلك كما أصاب فى قوله إن الوليد سيبقينا معاً — فى بيت واحد ، فلقد بقينا معاً بالفعل سنتين على الأقل، سنتين امتزجت فى خلالها الفاقة فى حياتنا بنشوة السرور .

لقد أحببت أنا ورونى ابنتنا الصغيرة « سو » حباً مفرطاً ، ففى اللحظة التى وضعت فيها هذه الوليـدة التى لا يزيد حجمها على حجم القطيطة ، بين ساعدى ، تحللت جميع عوامل البغضاء والغضب التى تملكتنى تسعة أشهر طوال إلى شعور فياض بالرقة والمحبة . لقد كان صغر حجمها ! ومعجزة وجودها وجمالها ! كان كل ذلك باعث حب لا يطاوله حب ولا تدانيه أية عاطفة إنسانية . كذلك قبضت « سو » على قلب « رونى » بقبضتها الصغيرة ،

فى حين أصبحت ، أنا التى كنت حبيبته من قبل ، ولا صفة لى إلا أننى أم ابنته ولا مهمة لى إلا السهر عليها والعناية بأمرها ، فقد انصرف حبه كله إلى أرجوحتها الصغيرة . فكان ينفق من المال مالا قبل لنا به على ابتياع اللعب والملابس الصغيرة ، وكان فى أغلب الأوقات يجلس فى الظلام إلى جانبها بعد أن تستغرق فى النوم ، وكان يقضى الوقت الطويل فى ملاعبتها معتقداً أنه وحده هو الذى علمها المشى والكلام ، وكان شديد التفاخر بأنها تشبهه بأنفها الشامخ ، وابتسامتها الساحرة ؛ فكانت حسبه من الحياة كلها ، وقد احتلت من نفسه مكمن العواطف والخيال ولم أكن أقل حباً لابنتى من أبيها لها . ولكنه كان حباً من طراز آخر . فلم يبد لى صواب القول بأن ثمرة الحب تضع حداً للاحساسات ، أياً كانت ، التى حملت اثنين على الاقتران أحدهما من الآخر . فقد خيل إلى أنه قد قدر لى أنا ورونى أن نعيش متلازمين إلى الأبد ، ولكى أرفه من حياتنا ظننت أنه يجب علينا أن نأخذ بهذه الفكرة ، وأقسم إننى قد حاولت ذلك ، ولكن جمود رونى وعدم قابليته لأن يفهم ما أنا محتاجة إليه غير البيت والطفلة والعلم بأنه مخلص لى وفى ، كل ذلك أشعرنى احتقاراً لنفسى حرمنى النوم . فكنت أبكى وأناقش وأتوسل ولكن ذلك كله لم يكن إلا ليزيد العلاقة بيننا سوءاً .

ثم إذا أدركت أن رونى لا يستطيع أن يغير ما به اعتزمت أن أكتفى بحب الأمومة . فيجب أن أكتفى بملاحظة « سو » وهى تنمو من طفلة قوية البنية صحيحة الجسم إلى بنية صغيرة مرحة حلوة المحيا ، ولقد علمتها بعض الأغانى والشعر الخفيف ، وكنت أتروح معها كل يوم ماشيتين نجمع فى الشتاء أوراق الشجر الزاهية أو نتزلق على الجليد — وكنت أشعر بالكبرياء تملأ نفسى عندما يتلفت الناس إليها فيبتسمون معجبين بخطواتها القصيرة السريعة وشعرها الناعم الذى يتلاعب به الهواء وعينيها الجميلتين البراقتين . لقد كانت جميلة حساسة سريعة الحركة بشوشة الوجه شديدة المرح ... لقد كانت ابنتى ... وهى لى وحدى آه يا « سو » ... « سو » عانقى أمك يا ابنتى واملأى حياتها الموحشة سعادة وعزاء .

كان حب « سو » يعزينى فى أغلب الأحيان ، ولكنه لم يكن كل العزاء الذى تتعطش نفسى إليه ، فلقد كنت امرأة كما كنت أماً . وكنت لا أزال صغيرة جذابة كمثل ما كنت يوم تركنى « تيد » والآن أريد « سو » وأريد « تيد » ، ولكنى كنت أعلم — كمن وقع فى الفخ — أننى لن أستطيع أن أجمع بينهما . فإن رونى لن يتخلى عن « سو » أبداً ، ولقد كان ينذرنى بذلك كلما حدثته فى أمر الطلاق فكان يقول : « حسناً يا بام لك أن تطلبى الطلاق إذا كنت غير قادر على إسعادك — ولكنك لن تأخذى سو أبداً » .

ومع ذلك كان تفكيرى فى «تيد» يعذب نفسى ، لقد كنت أحلم به فى الليل وفى النهار . لقد كنت أتساءل : أين هو؟ وحيثما كنا نذهب — وكنا كثيراً ما نغادر البيت — كنت أبحث عنه بنظرى بين الجماهير ،حائرة ، آملة . يقفز قلبى كلما رأيت رجلا طويل القامة عريض الفك مجعد الشعر ... إذ كنت أتخيله « تيد » .

كنت أشعر أننى مندفعة فى طريق الجنون . ولو أننى عرفت على الأقل أخباره وطريق حياته لاطمأنت نفسى وهدأت أعصابى فصممت آخر الأمر على أن أكتب إليه ،معنونة الكتاب بعنوان بيته القديم الذى لا يزال فى رعاية أبويه اللذين لا شك فى أنهما يعرفان مقره الجديد وسيحولان الخطاب إليه .

(لها بقية) عبد الحميد حمدى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٢٤ — الاثنين ١٩ مايو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٠٤٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15em Année No. 724

Lundi — 19 — 5 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٦ — ١٩ مايو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

من مذكراتى اليوميـــة

ملوان فى يوم الجمعة ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٧ :

زوجة مدير الفندق يوغسلافية حسناء ، يحلو لها أن تلبس فى ساعات العمل القميص الرياضىّ الأبيض ، والبنطلون الرمادىّ الطويل ، وأن تسرح شعرها وتصففه على الأسلوب الغلامى الفاتن فتكون أشبه النـاس بأبناء الذوات حتى فى النتوءين الجيلين المكوَّرين فى أعلى البطن وفى أسفل الظهر . ثم يعجبها ويعجب الناس أن تمشى البخترَة فى الشرفة أو فى الردهة أو فى البهو فتوزع التحيات والبسمات على من تعرف ومن لا تعرف من نزلاء الفندق . فأينما تمر ينبثق منها على القعود الخمودِ أشمة من الصِّبا والفتوة ، فلا تجد غافياً إلا صحا ، ولا غافلا إلا وعى ، ولا مغضياً إلا فتح عينيه ، ولا ساكناً إلا رفع يديه ، ولا شيخاً إلا تمنى أن تقف لحظة على طلله فتسأله كيف أمسى وكيف أصبح!

كانت تصدُّ عامدة عن الشباب وأشباه الشباب حتى لا تُفسر نظراتهـا وبسماتها بغير المجاملة التى تقتضيها طبيعة عملها من مواساة المريض ومؤانسة الوحيد ومباسطة المنقبض ؛ ولـكنها كانت تؤثرنى بقسط موفور من هذه المجاملة الغزلة ، وتعلل هذا الإيثار بأننى مصرى وهى ترتاح لهذا الجنس ، وبأننى حيي وهى تطمئن إلى هذا الخلق .

أقبلت علىّ ضحى اليوم إقبال الربيع فى لونه وحسنه وعطره ، وكان المرض ساعتئذ قد أحرج صدرى وأفرغ صبرى وتركنى لا أنقارُ من الضجر ، ولا أنفرج من الضيق . فلم تكد تحيي وتجلس حتى أحسست فى جسمى ذلك الخَدَر العجيب الذى يسكن الألم ويحرك النفس . ثم أخذت تساقطنى أعذب الحديث حتى جرى ذكر هـذه الطغمة التى تنعم بخير مصر وتنكره ، وتنتشى برحيق النيل ثم تعكره ؛ فقالت لا تعجب أن يجحد هؤلاء اللئام فضل مصر ؛ فإن منفعتهم قائمة على أن تظل موسومة بالعجز موصومة بالجهالة ! لقد خالطت بحكم عملى أنماطاً شتى من الأجناس فلم أجد أنبل فطرة ولا أسجح خليقة ولا أندى راحة من المصرى الأصيل القح . أتذكر ذلك الرجل البذىء الذى كنت تجادله بالأمس فى مشكلة فلسطين ؟ إنه أغنى أرمل فى يهود الإسكندرية . ومع ذلك طمع يوم نزل الفندق أن ينام دون أن يأكل ؛ فلما أبينا عليه ذلك اتفق مع يهودية مصدورة تقيم فى إحدى الغرف المفروشة على أن تشترى غداءه وعشاءه بستين قرشاً ؛ ولها فوق البيعة أن تتمتع بشمس الفندق وحديقته وأثاثه وحفلاته ؛ وبذلك ينام هو بستين قرشاً ويأكل بعشرين ، وتنام هى بعشرين قرشاً وتأكل بستين ! فأين هذا الشحيح القذر وأمثاله منك وأنت لا تكاد تأكل خمس ما تنفقه ، أو من المصرىّ الآخر م . باشا ، وطعامه يأتيه كل يوم من داره فيفرقه ؟ إن المصرى سمح سهل ، لا يساوم فى (تعريفة) الأجرة حين تعرض عليه ، ولا يراجع قائمة الحساب يوم تقدم إليه . فقلت لها : من هنا ياسيدتى جاءته الخيبة ! فلو أنه كان بخيلا لاستدرُّوا بالتقبيل كفه ، ولو أنه كان فظاً لاستماحوا بالتدليل عطفه !

احمد حسن الزيات

هى الحـــرية

للاستاذ محمود محمد شاكر

قالوا فى قديم الأمثال : « ليس المتعلق كالمتأنق » ، فالرجل الذى أنعم الله عليه بسعة العيش ، وأرخى باله من هموم الحياة ، مطيق أن يتأنى فيما يختار لنفسه متذوقاً ومتخففاً حتى يرضى ، أما الذى قدر الله عليه رزقه فهو كالسهم فى الوتر الشدود ترمى به يد الحاجة إلى هدف يتخايل له أو يتحقق ، وهو لو أراد لما أطاق إلا الذى فعل لأنه مدفوع بالاضطرار . ورب سارق لم يجد من السرقة بداً لأنه دفع إليها بحاجة طبيعية لا يطيق أحد خلافها ، وهو التعلق بالحياة والإبقاء على النفس ، فهو يريد أن يطعم الغريزة التى تلهب أحشاءه بالجوع المهلك . ومهما تكن روادع نفسه ، ومهما تكن قوتها ، فهو منتهٍ إلى ساعة لا يجد عندها إلا أن يمد يده ليأخذ شيئاً يمسك عليه رمقاً يوشك أن يتبدد . وما مد الرجل يده ، ولكن الحياة هى التى مدتها ، فهو خليق أن لا يكون عندئذ مسئولاً عما فعل . وكذلك الشأن فى أحداث كثيرة تكون فى هذه الحياة الدنيا وفى هذا الناس ، فإن المجتمع الإنسانى يعنف بأبنائه أحياناً ويعتسف بهم أضل المجاهل ، لأنه لا يبالى بأن يكفل لأبنائه جميعاً حاجتهم التى لا غنى لأحد منهم عنها ، ولأنه يغفل فى فورانه عن الطبائع الأولى التى تتطلب زادها من الحياة ، والتى إذا فقدت هذا الزاد لم تبق على شىء ، ولم ترع شيئاً ، ولم ترعو عن شىء . وهـذا ضلال قديم فى نظام المجتمع الإنسانى ، أراده الأنبياء بالإصلاح ، وأراده عقلاء المفكرين بالتغيير ، فأدركوا شيئاً ووقف بهم العجز عن كثير . لا من عجز فى هـدايتهم أو آرائهم ، بل من عجز المجتمع عن أن يدرك سمو الأغراض التى رمى إليها الأنبياء والمفكرون .

وفى عصرنا هـذا أمثال كثيرة على تغلغل الفساد والجهل والعسف وقلة المبالاة فى قلب المجتمع الإنسانى . أمثال يكون فيها الأفراد هدفاً منصوباً لاضطهاد جماعة الأمة أو الشعب ، وأمثال تكون فيها الأمة هدفاً لاضطهاد جماعة الدول أو الشعوب .

فليس فى الأمم اليوم أمة لا تتداعى وتتنادى باسم الحرية : حرية الفرد ، وحرية الفكر ، وحرية العقيدة ، وحرية التجارة إلى آخر هذا الحشد من الحريات ، فهى بذلك تقرر جميعاً أن الحرية أكبر أغراضها ، وهـذا طبيعى ، لأن الحرية هى إحدى الطبائع المستقرة فى الإنسان الفرد ، وهو يطلبها طلباً حثيثاً ملحاً ، حتى ولو اضطر أن يستعبد نفسه لعمل يكدح فى سبيله طول حياته ، ولكن غايته من هذا الكدح هى أن يتحرر من الكدح وهذا إحدى عجائب الطبيعة البشرية .

نعم إن الحرية غاية الفرد التى يسعى إليها وهو وحيد فى مشاعره وفى بعض وجوده ، ولكنه إذا صار فرداً من جماعة كان للجماعة سلطان على هذه الحرية وتصرفها ، وهو شىء من حقها أيضاً . ولكنها إذا أرادت أن تتعسف وتحرمه حريته فقد أساءت من حيث أرادت الإحسان ، ولا تكون الجماعة رشيدة حتى تعرف أن الحرية حاجة طبيعية لا بد للفرد من الاستمتاع بها على وجه من الوجوه ، فلا بد إذن من أن تتيح أوسع ما يمكن من مجال تتصرف فيه الحرية على الأسلوب الذى يجملها وافية بحاجته الطبيعية . ومن هنا يأتى الفرق بين نظام ونظام ، فيكون هذا بغيضاً مملولا ، وذاك محبباً مألوفاً .

والأمم اليوم فى جماعة الدول بمنزلة الأفراد فى الجماعة ، فلا بد للنظام الذى يريد أن يكون محبباً مألوفاً من أن يتيح للأمم جميعاً أوفر قسط من الحرية يتيح لها أن تتصرف على الأسلوب الذى يجعل الحرية وافية بحاجتها الطبيعية ، فإذا لم تفعل ذلك جماعة الدول انتقضت الأمم المسلوبة حريتها ورأت ذلك النظام بغيضاً مملولا ، وكرهته وكرهت أهله ، وصارت حرباً على الجور والعسف حتى تنال حريتها وتستمتع بها طبقاً لحاجتها الطبيعية . ومن أجل ذلك فيما زعموا ، أنشأوا هيئة الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية .

ولكن ماذا نرى من فعل جماعة الدول اليوم ؟ إنها جميعاً قد أنكرت بأسلوب يجمع بين الخسة والمكر والنفاق ، أن تكون فلسطين المضطهدة أمة عربية مستقلة حرة كما تشاء الفطرة الإنسانية ، وأرادوها أن تكون يهودية تفتح أبوابها لأنذال أمم الأرض ، فهم يتدسسون إليها من كل حدب ومن كل فج ، وهم

يزعمون أن يغزوها بأجساد يهودية تتساقط من الطائرات على أرضها ، وأرادوها أن تظل ساكنة هادئة مطيعة حتى تمتلىء جنباتها بالأنذال الذين يريدون أن يحولوها عن عربيتها إلى يهوديتهم .

وهذه الأمم التى كانت ، ولا تزال تتداعى وتتنادى باسم الحرية ، تسمع وتبصر ، فيسكت بعضها ويمالىء بعضها ، ويعاضد بعضها ، وتأذن جميعها للصهيونية الخبيثة أن تزرع بذورها الخبيثة فى الأرض الطيبة . فإذا قامت العرب تناديهم باسم الحرية حاوروها وداوروها وتنذلوا معها بكل أساليب الخسة والخداع والنفاق ، لأنهم يريدون أن لا تكون الحرية حقاً لهؤلاء العرب ، ويريدون أن تكون يهود عوناً لهم على سلب هذه الحرية من العرب ، ولن يبلغوا بإذن الله ما يريدون .

ثم هذه مصر والسودان ظلت أكثر من خمس وستين سنة وهى تتفزع من ثقل النير المضروب عليها ، فلما جاءت الساعة التى لا تطيق معها صبراً على ضروب الذل والهوان التى لقيتها من احتلال جيوش بريطانيا ، ومن احتلال شذاذ الآفاق الذين نزلوا أرضها فرتعوا فى نواحيها كما يرتع السوس فى الصوف فى الصيف ، كما يقولون ، ولما جاءت الساعة وطلبت الفطرة الإنسانية فى مصر حاجتها من الحرية التامة التى تتنادى بها تلك الأمم ، لاذت تلك الأمم بالصمت ولجأت إلى الخداع وتلفعت بالنفاق ، ويوشك أن تتنكر على مصر والسودان حقوقهما فى هذه الحرية العامة التى ينبغى أن تستمتع بها البشرية كلها أمماً وأفراداً .

بل أعجب من ذلك أنها لجأت إلى أدنأ الأساليب يوم أرادت تفريق كلمة المصريين بأن يوقعوا الشقاق بين أهل دينين ظلا أجيالا يتعاشر أهلهما بالمعروف . فلما سقط فى أيديهم وأخفق سعيهم وحبطت أعمالهم ، انحازوا إلى أسلوب آخر هو تسليط جماعة من المرتزقة يقال لهم المراسلون الصحفيون ، يذيعون عنا كل خبيث بكل لسان لا يرعون حرمة ولا ذمة ولا عهداً . وحرضوا أيضاً أعوانهم من الأجانب الذين عاشوا فى مصر طويلا أو قليلا ، ليجلسوا فى المجالس ويذيعوا أن بلادنا وبلاد العرب جميعاً تسىء اليوم إلى الأجانب . ويعنون بذلك أنه منذ جلا الإنجليز عن جزء من مصر ، صار المصريون وحوشاً مفترسة تعتدى على الأجانب وتهينهم وتزدريهم قولا وفعلا . وكل ذلك يتناقله المراسلون الصحفيون من المرتزقة ، ويرسلونه ليذاع فى الصحف فى جنبات الأرض . ونحن نعلم علم اليقين أن هذا ليس من فعل المرتزقة أنفسهم ، بل هو من حث بعض الدول وإغرائها لهم بأن يقولوا هذا ويذيعوه ويتناقلوه بينهم وبين من يلقون .

هذا ، والأجانب أنفسهم قد عاشوا فى مصر مع بريطانيا خمساً وستين سنة ، وهم يمتهنون المصريين ويسيئون إليهم فى أنفسهم وأموالهم وأرضهم وعقائدهم ، حتى ألفوا هذا النوع من الغطرسة ، فلما جئنا اليوم نأباها عليهم كما تأباها بريطانيا وأمريكا وكل بلد قل شأنه أو ارتفع ، تصاخبوا علينا ، وراحوا يبسطون ألسنتهم وأفواههم فينا وفى أخلاقنا وعاداتنا ، فإذا أراد أحدنا أن يكفكف من شر أحدهم ، انطلق يزداد صخباً وجلبة يستصرخ الدنيا كلها على هؤلاء المتوحشين الذين يسمون المصريين . ومع ذلك فمصر منذ عشر سنوات هى مصر اليوم لم يزد ما كان يلقاه الأجانب أمس فيها من رد وقاحتهم وجرأتهم علينا ، على الذى يلقونه اليوم من ذلك ، ولكنهم سمموا ألسنة هؤلاء المرتزقة تذيع عنا الأباطيل ، فانطلقوا يتصايحون علينا كأننا صادرنا أموالهم وأجليناهم عن بيوتهم ، ونصبنا لهم المشانق ، وأعملنا فيهم استئصال الشأفة كما كان يفعل طاغية ألمانيا باليهود ! !

ثم تأتى المرتزقة من المراسلين فتزعم أن بلادنا قد أصبحت متطرفة فى الحماسة للحرية ، وأن كلمة « مصر للمصريين » قد أصبحت أهم كلمة فى مصر ، ويقوم صعلوك منهم يقول : « ولذلك لا يعجب المرء كثيراً حينما يراهم (يعنى المصريين) قد ضلوا الطريق ! ولكننا نعجب حينما نتساءل : إلى متى سوف يستمرون فى اندفاعهم الذى لا يكبح جماحه من أجل الحرية ؟ » .

ونحن نأسف لأن الشعب المصرى لا يزال هادئاً صابراً على كل هذه الوقاحة التى يصبها علينا مرتزق بين ظهرانينا ، ونأسف لأن حكومتنا المصرية لا تزال هادئة صابرة ، بل مجاملة أشد المجاملة لهذا النوع من المرتزقة . وكان خليقاً بأية حكومة فى الدنيا — لا حكومة مصر — أن تعرف أولئك الذين أذاعوا أنباء غير صحيحة فى طائفة من المسائل التى تتعلق بمصر ، وأن تقول لهم إنكم كذبتم ، فإما أن تكفوا عن إذاعة هذه الأكاذيب ،

من أحاديث الإذاعة: (*)

بين الوحوش والبهـــائم!

للأستــاذ علي الطنطاوي

أيها المستمعون الكرام . أنتقل بكم هذه العشية إلى بقعة في مصر ، جمعت فيها عجائب البلدان ، وغرائب الحيوان ، فوضع فيها البحر بحيتانه وتماسيحه ، وأفراسه وسباعه ، والبر بصحاريه وغاباته ، وأسوده وفهوده ، ووعوله وغزلانه ، وأقيمت بها الذرى المخضرة من لبنان تتفجر منها الينابيع وتتحدر السواقي ، وتغنى عليها البلابل والشحارير ، ومدت فيها القفار الجرداء من الجزيرة تسعى فيها المها وتتسابق العير ، والأحراج الملتفة من الهند تمشي فيها الفيلة ، والثلوج المبسوطة من القطب تخطو عليها الدببة . وعاشت فيها الحيات والثعابين إلى جنب الحمام والعصافير ، وصحبت فيها المعزى الذئابُ ، والثعالب الدجاجُ ، والسباع البشر . وفيها (الجبلاية) هذا الجبل المسحور ، تدخل منه إلى مسارب منحوتة في الصخر ولا صخر ، وكهوف تتسلسل فيها العيون ولا عيون ، وقاعات في باطن الأرض كأنما أعدت لتكون مخادع للحب أو محاريب للتأمل ، وكأنما هي أحلام شاعر قد تحققت ، وأمنية حالم قد تجسمت ، وطرق ظاهرة وخفية ، تنقلك في خطوات من حر الصيف إلى برد الشتاء ، ومن جلوات الطبيعة في أعراس الربيع ، إلى خلوات النفس في نشوات الرؤى ، تلك هي (حديقة الحيوانات) .

وهي بعد هذا كله معرض للانسان ، ترى فيه طباعَه وأزياؤه ، وخلائقه ولغاتُه ، تسمع فيه أشتات الملاحظات ، وعجائب التعليقات ، تمشي مع الناس فتجد فيهم من يسير على هدى فيرى كل شيء ويقف عليه ، ويخرج وما فاته مشهد ، ولا ناله تعب ،

(*) كتب الحديث لمحطة الشرق الأدنى فسجلته في مصر وأذاعته من يافا يومي (١٤) و (١٥) مايو .

وإما أن تغادروا بلادي . ثم ترفع كل الأدلة التي تفضح كذب هؤلاء الكذابين من المرتزقة إلى حكوماتهم ، وأن تبرئ ذمتها من دخيل لا يرعى أدباً ولا خلقاً ، ولا يعرف قدره ولا أقدار الناس!

إننا نطلب الحرية وسننالها ، وسنكون أحراراً في بلادنا نسوسها بالسياسة التي نرتضيها لأنفسنا . ونحن لن نرضى لأنفسنا إلا الإنصاف ، ننصف أنفسنا ، وننصف من يعاشرنا من الأجانب . ولكن إذا ظن الأجانب أن هذا الإنصاف الذي لهم ينبغي أن يكون على ما تعودوه منذ خمس وستين سنة ، من امتهان المصريين ومن الغطرسة عليهم ، ومن بقائهم طبقة واحدة ترى أنها أنبل منا ، وأشرف منا ، وأحسن عقلا منا ، وأولى بثروتنا منا ، وأحرى بالامتياز من كل مصري يعيش على أرض مصر — فيومئذ سوف ننصفهم أيضاً ، ولكن بما نرضى به نحن غضبوا أو رضوا ، وضجوا أو سكتوا .

أما الدول التي تتنادى باسم الحرية ، والتي تنكر على مصر والسودان ، وعلى فلسطين ، وعلى العراق ، وعلى بلاد المغرب كلها — أن تكون أمماً حرة ، فلتفعل ما تشاء ، لأن هذه العرب لن تهادن إلا من يهادنها ، ولن تجامل إلا من يجاملها ، ولن تعاون إلا من يعاونها ، ولن تمد يدها إلا إلى من يمد لها يداً نقية من الغدر والفتك والنفاق .

الحرية حق طبيعي ، فنحن بالغوه ومدركوه شاءت الأمم أم أبت . والقوة الدافعة إلى طلب الحرية غريزة فطرية ، فنحن خاضعون لها حتى تحقق غايتها شاءت هذه الأمم أم أبت . والإنصاف طبيعة فينا ، فنحن سننصف أنفسنا وننصف من يعاشرنا ، رضي بذلك من رضي وكرهه من كره . وهذا كله شيء ليس لنا فيه خيار ، لأننا كدنا نموت ونريد أن نحيا . ونحن نتعلق في حياتنا هذه كالجائع الشرف على الهلاك حين يتعلق بكسرة خبز ورشفة ماء ، هي الحرية ، وأما هم فيريدون أن يتأنقوا ويتنبلوا ويتفاصحوا باسم الحرية التي يريدون بها حريتهم هم مقرونة بالاعتداء على سواهم من الشعوب التعلقة بالحرية أمثالنا نحن .

وسوف يأتي على الناس يوم وتظهر العرب ، وتعلم هذه الأمم كيف تكون الحرية ، ثم تقودها إلى هذه الحرية مرغمة كما يقاد الجمل

محمود محمد شاكر

ومن يدع اللوحات الدالة على الطرق ، والحراس المرشدين إلى المسالك ؛ ويسير على غير الطريق ، فيدور دوران السانية ، فيتعب نفسه ، ولا يبصر شيئاً ، ولا يخرج بفائدة ، فكأنه الرجل الضال الذى يترك هَدْىَ الأنبياء ، وحكمة الحكماء ، ويتبع عقله الأعوج وهواه ، فلا يسعد فى دنياه ، ولا يسلم فى أخراه ، وتمر على حراس الحيوانات فتجدهم قد فرقت بينهم الحظوظ إذ ساوت بينهم الوظيفة ، فحارس القرد والفيل والدب الأسمر يلعب حيوانه فيقف عليه الناس ، وتلقى عليه القروش ، فيتسلى ويغتنى ، وحارس الخنزير لا يلتفت إليه أحد .

زرت الحديقة ، ومشيت مع الناس أنظر كما ينظرون إلى أنواع الحيوان ، وأرى فيهم أمثالها ، ولكنها قد تلففت بالثياب ، ففيهم أسد له بطشته وإن لم تكن له لبدته ، وفيهم ثعلب له حيلته وإن لم تكن له فروته ، ودب له غلظته ، وحمار له غفلته ، وطاووس له خَيْلتُه[1] وذئب له عدوته ، حتى وقفت على الأسد وهو يدور فى قفصه متألماً فى صمت ، صابراً فى استكبار ، كأنه النابغة من الناس حبسوه فى (قفص) من وظيفة صغيرة ، أو إفلاس شامل ، أو قرية منقطعة ، يلحظ الناس بطرف عينه يقول : آه ، لو كنت طليقاً فى البادية يا أيها الـ .. بشر ! ورأيت الحارس يخرجه إلى متنزّهه : إلى القفص الضيق ، بعد القفر الواسع ، والفضاء الرحيب ، يذله بعصاه ، ويستطيل عليه بسوطه ، كما يستطيل الفرنسى اللئيم على المغربى الكريم ، ويذله بسيف العدوان وقوة السلطان ، وصمته يزأر مقيداً ، كما يصيح المصلح فى أمة أفسدها التقليد ، فلا يفزع من زئيره إلا الصبية الصغار ، ولو زأر عند العرين لخلع هذى القلوب وزلزلها حتى قفزت من حناجر أصحابها .

ووقفت على الفيل وقد تواضع ، حتى غرَّ الناس منه لينه فنسوا شدته ، وهان على أحدهم حتى أركبه صبيتَه ، وصرّفه الفيّال واتخذه لعبته ، كما يطيع الرجل امرأته ، فيضيع رجولته ، ويفقد منزلته .

ووقفت على دبين متجاورين ، أبيض كبير ، قد اتخذوا له فى قفصه من الجبس كهيئة الجليد ، ووجهوا مسكنه إلى الشمال حتى يظل بارداً ، لا تدخله الشمس ، فيظنه موطنه ، وموطنه هناك على حدود القطب الشمالى .. ولكنهم لم يخدعوه ، إنه ينظر فيرى قوماً لا يشبهون قومه ، إذ لم تستعبدهم فئة قليلة منهم ولم تظلمهم باسم العدل ، ولم تحرمهم باسم حرية الكلام ، ولم تملك دونهم كل شىء وتستمتع بكل متعة ، بشريعة ماركس ودين لينين !

ودب أسمر صغير ...

يدور الأبيض النهار كله ، غضبان أسِفاً لا يهدأ ولا يستريح فلا يصل إلى شىء ، ويلعب الأسمر بكرة من الحديد ، ويراوغ الحارس ، ويضحك النظارة ، كلاهما سجين ولكن هذا ينسى سجنه ، وذاك يذكره أبداً ، كالناس منهم من يذكر المصيبة ، ويدنيها من خياله ، فيراها أبداً أمامه ، ومنهم من (يخادع نفسه فى الحقائق) فتصفو له الحياة .

والأبيض على جمال شكله ونعومة جلده ، ثقيل سمج ، والأسمر على قبحه لطيف خفيف ، لأن الجمال جمال الروح ، لا جمال الجسد ، فرب حسناء تنبو عنها القلوب ، وغير ذات حسن تهواها الأفئدة ، وتعلق بها العيون .

ووقفت على القردة ، وهى تعيش العمر كله مجلسَ لهو واعب تقلد كما يقلد (قردة) البشر ، ولكنها تقلد فيما ينفعها وهؤلاء يقلدون فيما يؤذيهم ، وعلى الببغاء وهى تردد ما يقال بلا فهم ، كهؤلاء الذين يعيدون علينا كل ما يقول الغربيون ، وعلى الحيات وهنّ ناعمات الملمس ، ناقعات السم ، كالصديق المخادع ، يُحالك ليخاتلك . ويسقيك من قوله العسل وفيه من قبح مقصده الحنظل

ومررت على فئات الحيوانات على اختلاف أشكالها وألوانها ، ومطاعمها ومشاربها ، من كل سائر أو سابح أو طائر ، مما يحارب بمخلبه ونابه ، كالشجاع الأبى ، وما يدافع بسمّه كالنمام المفسد ، وما يقاتل بثقل جسمه كثقال الروح من الناس والقنفذ وسلاحه شوكه كسليط اللسان ، بذىء المنطق ، والسلحفاة وسلاحها درعها كالمنطوى على نفسه ، المعتصم بصمته ، والطاووس وهو كالمرأة سلاحه جماله وحسن منظره ... والذى يعيش فى الماء نظيفاً مطهراً كالسمك ، والذى يغتسل فى اليوم عشر مرات كالبط ، والذى لا يطيب له العيش إلا فى الأوساخ والقاذورات كالخنزير ، يلغ فيها

(١) الخيلة : الخيلاء والكبر .

كما بلغ المغتاب فى أعراض الناس ، وينغمس انغماس الفاسق فى حمأة الفجور ، وسبع البحر وهو أعلاها صوتاً ، وأضخمها زئيراً وأقلها غناء ، وأضعفها قوة ، كالجبان الفخور ، والجاهل المدعى ، وما ينحط على فريسته من عل كالنسر ، وما يأخذها قوة واقتداراً فى وضح النهار كالأسد ، ومايسلك إليها المسالك المظلمة ، ويتسلل صامتاً خلال الحجارة وفى أصول الجدران كالحيات ، وعلى الغزلان والعصافير ، وهى أبهى الحيوان فلا يقف عليها أحد لكثرتها ويقفون على حيوان قبيح لأنه نادر ، لأن قيمة الشىء بندرته لا بمنفعته ، ولولا ذلك لما كان الهواء أرخص شىء ، والألماس أغلاه .

... حتى مررت على طائفة من الحمير محشورة فى زريبة ، طائفة من حمير الشارع تأكل وتهز أذنابها ، تتلفت ترقب العصا تنهال عليها كما يرقب الذليل المهانة ، ويعجب إن افتقدها ، فلما لم ترها وعرفت أنها فى أمان منها بطرت بطر حديث النعمة ، وترفعت ترفع اللئيم يسود فى غفلة من الدهر ، ونسيت ما كانت فيه كما ينسى غنى الحرب عهد الفقر ، ويأنف من السيارة الفورد وكان لا يجد عربة الكارّو ، ويدخل أولاده المدارس الأجنبية وكان لا يعرف طريق الكتاب

يستخشن الخزّ حين يلبسه　　　وكان يبرى بظفره القلم

وفكرتُ هذه الحمير وقدرتُ ، فانتهى بها التفكير إلى أنها لم تعد حميراً وإنما صارت بشراً ، أليس فى البشر (حمير) ، فلماذا لا يكون فى الحمير بشر ؟

ومرّ حمار مسكين ، يجر عربة مثقلة بالحشيش لطعام حيوانات الحديقة فنظر إليها ، فلما رآها ... أجفل وارتدّ ...

ما هذا ؟ حمير مثله ؟ إنه يفهم أن يكون فى الحديقة نسور وصقور ، وفهود ونمور ، وزرافات ونعام ، وأن يكون فيها حمير الوحش لأنها غريبة المنظر ، بعيدة الوطن ، نادرة الوجود ، أما أن يكون فيها حمير مثله ، تسمّن وتخدم ولا تعمل ، فهذا ما لا يفهمه أبداً .

ووقف ونهق لها يحيّيها ، فترفعت عنه ، وتألمت من تطاوله عليها ، ومدّت شفاهها الرقيقة ، وضمت آذانها القصيرة ، ولوحت بأذنابها استنكاراً واستكباراً ، ونسيت أصلها وتجاهلت أخاها ، كما يفعل الموظف الصغير الذى يعيش بمال الأمة إذا وقف عليه أحد أبناء الأمة يسأل حاجة ، أنه يظنه يسأل صدقة ، أو يطلب إحساناً ، أوالشرطى حين يلقى البائع السيار من أهل بلده ، وترجمان المستشار حين كان يقابل واحداً من بنى قومه ...

فلما رأى ذلك منها ، بصق ومشى يلعن الحظ الذى جعل (الحمير ...) سادة ، وأقام (الناس) لهم خدما وخولا وبكى على خلائق الجنس (الحمارى) ، لقد ضاعت تلك الخلائق ، وهبطنا حتى صرنا مثل بنى آدم ، لا نعرف أقدار أنفسنا ولا أقدار إخواننا.

***

وجعلت أعاود الحديقة ، وأكرر زيارتها ، فأرى هذه الحمير محشورة فى الزريبة ، تأكل وتشرب ، وتتعجب لماذا لا يقف عليها أحد ! إنها لا تلعب لعب القردة ، ولا تغنى غناء البلابل ، ولا تملك هيبة السبع ، ولا ضخامة الفيل ، ولكنّ لها فنها وجمالها ، وما الفرق بينها وبينها ، ألا يقرأ الناس لأدعياء الرمزية ولصقاء الأدب ، ولصوص البيان ، كما يقرأون لأئمة البلاغة ، وملوك الكلام ؟ ولكن هذه (الفلسفة) لم تقنع أحداً فظل الناس معرضين عنها ، لا يحفلون بها . وماذا يبتغون منها ؟ وهل قلّت الحمير حتى ما تشاهد إلا بقرش صاغ ؟ إن الحمار يبقى حماراً ولو وضعته فى القصور ، وأركبته السيارات ، وكسوته الحرير ، وأطعمته الفستق المقشر ...

حتى كان أمس فرأيت القائمين على الحديقة ، قد عزموا على إخراج هذه الحمير منها ، كى يوفروا على أنفسهم ثمن طعامها ، وينتفعوا بجهدها وعملها ، ويجملوا الحديقة بإبعادها عنها ...

فعلمت أن هذه آخرة كل (حمار) يتجاوز قدره ، وينسى أصله ، فليعتبر سائر (الحمير) !

***

ياسيدات وياسادة . العفو إذا لم أجد ما أحدثكم به إلا حديث الوحوش والحمير ، فالحديث عنها ، أكثر فائدة ، وأسلم عاقبة من أحاديث الناس .

والسلام عليكم ورحمة الله .

على الطنطاوى

القفجاق

للأستاذ أحمد رمزى بك

« له براذن تحت إبطيه وصدر وجنبات عليها أطواق وأتراس ملونة ، ليس لأقمشة الترك والتتر أن تحاكيها ... ... » .

جحيم دانتى

القفجاق أو القبجاق أو الخفشاق أو القبجق كلمات وردت فى الكتب العربية القديمة ويعادلها بالأفرنجية Kaptehabr Riftchabr

هل القفجاق اسم مكان أطلق على السكان ، أم هم قبيل من الناس أطلق اسمهم على الأراضى التى سكنوها فعرف المكان باسمهم ؟

هذا بحث يقصر عنه الجدل .

فن قائل إن القفجاق فى لغة الأتراك القدماء هو الصعيد المتسع أو الفيافى من الأرض الواسعة المنبسطة أى Steppes حيث يكثر المرعى وينبت الزرع ، ثم يأتى الجدب فتصبح الأرض كالصحراء ولذلك كثر ورود اسم صحارى القفجاق فى كتب العرب

وعليه فسكان هذه البقاع هم أهل السهول والبوادى مثلهم كأهل البادية من العرب الذين وصفهم ابن خلدون فى مقدمته بقوله « لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء المواطن » وعليه فالقفجاق قوم يعشقون الحرية ولا يخضعون لنظام ، اختلفوا عن غيرهم من سلالات الترك الذين هم أهل جماعة وسلطان ونظام ، الذين تجمع بينهم وحدة التعاون والخضوع للرآسة وما يمليه قانون الجماعة ، فإذا تركنا أهل المشرق فى آسيا جانباً يقول علماء الأجناس إن أهل فنلندة وبعض سكان اسكندنافيا والبشكاريين وفريق من سكان القوقاز المستوطنين هم أهل حضارة وباقى سكان هذه المناطق من أهل هجرة العناصر التركية الأولى فى فجر التاريخ : قفجاق .

ويقول الباحثون إن العناصر التركية البدوية اتجهت فى هجراتها إلى ناحيتين : صحراء جوبى فى الصين وصحراء القفجاق فى الروسيا ، وأقام ملوك الصين سداً لحماية بلادهم . أما فى أوروبا فقد عبر القفجاق نهر الفولجا « أتل » ودخلوا السهول واتجهوا إلى الغرب فوصلوا إلى الدانوب جنوباً وإلى المجر وسهول بولونيا

فأينما اتجهت جماعاتهم ووصلت سنابك خيلهم فهى امتداد للقفجاق ويطلق اسم القفجاق على القبائل التى هاجرت ودخلت بلاد الرمال بألوانها المختلفة . الرمال السوداء والحمراء والبيضاء وغيرها قرة ، قزل ، آق ، باتان قوم ، وهى هذه السهول الواقعة بين الفولجا وجبال الكربات . وفى مسالك الأبصار عن بلاد القفجاق إنها « كانت قبل استيلاء التتار عليها معمورة الجوانب وأنها لا تزال فى بقايا تلك العمارة والغراس » وعدد ما فيها من أنواع المزروعات والفواكه وأسماء بعضها بلغة القفجاق .



وفى أسماء البلاد ما يشير إلى ألوان الرمال التى مرَّ ذكرها ، فمنها مدينة آقجا كرمان الواردة بمسالك الأبصار وصبح الأعشى وهى Akrerman الحالية بقرب مدينة أوديسا الروسية وفى مقابلها صارى كرمان ، وفى القرم آق مشهد وآق شيار (سباستبول) وآق بلغات الترك معناه : أبيض ؛ ولو فتحت خريطة مفصلة لأراضى الروسيا الجنوبية لهالك ما تجد من أسماء القرى والمحطات التى لا تزال تحمل أسماء مشتقة من لغة القفجاق سكان البلاد .

ويحاول بعض المؤلفين أن يجمع بين القازاق والقفجاق فيقول بأن القيرغيز وهم أهل بداوة إلى اليوم يطلقون قازاق على التائه أو الشارد ، والقفجاق فى لغتهم هم الذين انقطعوا عن قومهم وانفصلوا وشردوا .

فالقازاق أو القفجاق هم الذين تركوا العشيرة الكبرى وحكم عليهم بالغربة ، فإذا استقروا فى جهة ما وشغلوا أنفسهم بفلاحة الأرض : استفلحوا وظهرت عليهم مزايا الشعوب المستقرة ومظاهر ضعفها ، ولكن إذا جاءت سنوات القحط وأجدبت الأرض أو أصابهم ظلم الحكام عادت إليهم غريزة الكفاح الأولى ووقفوا أمام الطبيعة وأمام الإنسان ، فإن أخطأهم التوفيق بدأوا غربة جديدة وواجهوا مصاعب الزمن وتحكم الأقدار ، وهم فى

بلاد الروسيا وقد تغيرت مذاهبهم ولغاتهم ولكن يطلقون إلى اليوم على الدواب والمحاصيل وما تحت أيديهم من منقول كلمة « مال » وعلى سكنهم كلمة « ازبة » وهى عزبة عندنا .

وليس معنى رجل السهول والبادية أنه يأنف من سكنى المدن بل هو يفرح بحياة الاستقرار ويضع مزايا البداوة في تحسين حياته الجديدة ، فالقفجاق قوم أشداء طوال القامة أعصابهم قوية ذوو شدة ومراس على الحروب ، ولكن الأقدار لم تكن تسمح للرجل منهم بحياة الراحة فى صحاريه التى تحيط بها الأطماع ، فما إن يهاجم فى عقر دياره أو تأتى سنوات القحط حتى يبدأ الهجرة إما شارداً من عدو أو باحثاً عن الكلأ ويسير فى هذا الطريق الصعب الشاق الذى يذكرنا بتغريبة بنى هلال فيأخذ فى البكاء على الأطلال والغابات ومساقط المياه ، ولهم حوادث سجلتها الأغانى الشعبية ، ولا يزال قوزاق الدون ينشدون جماعات ذكرى هذه الهجرات ويبكون الأطلال ويرسلون التحية للأسير الغائب والابن الضائع والفتاة المسلوبة ، ولكن بلغة غير لغة آبائهم وأجدادهم ، وإن حملت أغانيهم وعبرت عن مشاعرهم تلك النغمة الحزينة التى لازمتهم من أواسط آسيا حيث مشرق الشمس ومنبع مرج الدنيا .

ولقد أخرجت المطابع العربية بمصر الكثير من الكتب والأبحاث التى عرضت لتاريخ مصر الإسلامية ، وكان من الطبيعى أن يتعرض واضعو هذه المؤلفات إلى بعض المسائل الجغرافية أو الأمور المتعلقة بشؤون الأجناس ، فكان مما رأيت أن البعض أخذ لفظ جبال القبق على أنه القفجاق ، وأن القفجاق هم سكان القوقاز بل رأيت خريطة جغرافية وضع راسمها جبال القفجاق على أراضى القوقاز ، ولما كان القبق وباب الأبواب والدربند فى البلاد الواقعة بين بحر الخزر والبحر الأسود وهى المعروفة بسكانها من الجراكسة والكرج والداغستانيين وغيرهم وهى غير صحارى القفجاق الواقعة حول شبه جزيرة القرم والممتدة من نهر الفولجا شرقاً ، رأيت أن أجمع بعض ما عثرت عليه فى الكتب العربية تأكيداً لذلك .

فقد ورد فى صبح الأعشى عند كلامه على بلاد الدشت قوله «وهى صحارى فى الشمال وتضاف إلى القبجاق بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح الجيم وألف بعدها قاف وهم جنس من الترك يسكنون هذه الصحارى أهل حل وترحال على عادة البداوة » وفى كلامه عن القفجاق قال «هذه المملكة متسعة الجوانب طولا وعرضاً كبيرة الصحراء قليلة المدن وبها عالم كثير لا يدخل تحت حصر»

ونقل عن صاحب التعريف : أن صاحبها فى الأيام الناصرية (يعنى الناصر محمد بن قلاوون) هو السلطان أزبك خان ، وما زال بين ملوك هذه المملكة وبين ملوكنا اتحاد قديم وصدق وداد من أول الدولة الظاهرية بيبرس وإلى آخر الوقت . وفى مادة تركستان عدَّد ياقوت أصناف الترك وذكر القفجاق تحت اسم خفشاق ، وفى المسعودى أنه كان فى البلغار من قديم الزمن دار إسلام ومستقر إيمان نقل ذلك صاحب المسالك وأضاف « أما الآن فقد تبدلوا بإيمانهم كفراً وهم يدارون سلطان القفجاق لمظيم سلطانه وأخذه بخناقهم لقربهم منه .

ويقرر الأصطخرى أن لغة البلغار والخزر تفترق عن لغة الترك ، وأن لهجات القيرغيز والقبجاق تركية محضة وهذا يتفق مع أبحاث العلماء الأوروبيين الذين وصلوا ما بين القيرغيز والقبجاق كما قلنا . ويقرر الأمير شكيب أن لغة الترك الرحالة الساكنين حول نهر الأتيل وهو الفولجا ، أنقى من لغات أهل المدن وهو قول صريح فى أن لغة القفجاق كانت من أنقى لغات الترك .

ويقرر علماء العرب أن نهر أتيل هو المركب عليه مدينة سراى وهى تقع جنوبى ستالينجراد وهو ينبع فى ذيل جبل قاقونا ثم يتجه جنوباً آخذاً بغرب فى صحارى القفجاق على شمالى معادن الفضة حتى يصب فى بحر طبرستان .

وفى ياقوت عند كلامه على مدينة « كرش » بلدة صغيرة على ساحل بحر الأزق أهلها قبجاق كفار ، ويقابلها من البر الآخر الطامان . وفى كلامه على « كفا » يقول «هى على ساحل بحر القرم وهى شرقى صوداق وعليها سور من لبن ومن شماليها وشرقيها صحراء القبجاق . وعنه حينما تكلم على حملات التتار « وقتلوا القبجاق فى بواديهم حتى انتهوا إلى بلغار فى نحو عام واحد » .

ومدينة « كفا » هى الميناء الذى كان أهل جنوا والبندقية ينقلون منه فتيان المماليك من أهل هذه البلاد لتسليمهم إلى ملوك مصر مدة دولتى المماليك البحرية والجراكسة ، ولقد وصل الظاهر

بيبرس إلى تسهيل هذه التجارة باتفاقه مع ميخائيل باليولوج ملك بيزانطة للترخيص بمرور السفن عبر البوسفور فى ذهابها إلى البحر الأسود وعودتها إلى مصر .

وجنى أهل جنوا والبندقية أرباحاً طائلة من هذه التجارة كما كانوا يتاجرون بالرقيق الأبيض من فتيان الشرق إلى أوروبا ، ومن نقل فتيان المجر والصقالبة وغيرهم من أوروبا إلى الشرق ، وقد عثر على سجلات بالأثمان التى كان يباع بها الرقيق ؛ وأن عدد المماليك الواردة من نواحى البحر الأسود لمصر كان لا يقل عن ٢٠٠٠ مملوك تضم كل سنة إلى جنود سلاطين مصر .

وليس هنا موضع بحث هذه الناحية فقد يتسع البحث ويعرض لموضوع تنظيم هذه التجارة والاتفاقات التى كانت قائمة والقواعد التى كان معمولا بها وهذا مما يخرجنا عن موضوعنا .

ولكن أهم ما يربط التاريخ المصرى بالقفجاق هو ما جاء بصبح الأعشى نقلا عن مسالك الأبصار وهو « ومنهم معظم جيش الديار المصرية من ملوكها وأمرائها وجندها ، إذ لما رغب الملك الصالح نجم الدين أيوب فى مشترى المماليك منهم ، ثم صار من مماليكه من انتهى إلى الملك والسلطنة ، فالت الجنسية إلى الجنسية ، ووقعت الرغبة فى الاستكثار منهم حتى أصبحت مصر بهم آهلة المعالم ، محمية الجوانب فهم أقار موا كبها وصدور مجالسها وزعماء جيوشها وعظماء أرضها » .

« وحمد الإسلام مواقفهم فى حماية الدين حتى إنهم جاهدوا فى الله أهليهم » .

إذ يظهر أن جل المماليك الذين أطلق عليهم اسم البحرية كانوا من قبائل القفجاق مثل بيبرس وقلاوون وفارس الدين أقطاى وغيرهم فأحاطوا أنفسهم بمماليك وأمراء من جنسهم .

ويفسر النزاع الذى قام بين المعز وهو تركمانى وبين المظفر قطز وهو خوارزمى بعد ذلك وبين البحرية من جهة أخرى هو اتفاق الجنسية بين المماليك البحرية وتفاهمهم وتعاونهم وعدم وجود قوة منظمة متماسكة تقف فى سبيلهم ، ولذلك وصلوا إلى فرض إرادتهم على من نازعهم من الأجناس التركية الأخرى وبرزوا فى التاريخ .

وللمماليك البحرية موقفان : أحدهما فى المنصورة والثانى فى عين جالوت ، وفى الثانى يقول صاحب مسالك الأبصار « وكفى بالنصرة الأولى يوم عين جالوت فى كسر الملك المظفر قطز عساكر هولاكو بعد أن عجز عنهم عساكر الأقطار واستأصلوا شأفة السلطان جلال الدين محمد بن خوارزم شاه » وقتلوا عساكره مع أن الجيش المصرى بالنسبة إلى العساكر الجلالية كالنقطة فى الدائرة والله يؤيد بنصره من يشاء » .

وفى تاريخ المماليك الأتراك فترات غامضة يفسرها لنا النزاع القائم بين الأجناس المختلفة ، فالمعز أيبك التركمانى اعتمد على البحرية فى وقت ما ثم حاربهم ، وقطز وهو خوارزمى حاربهم وصالحهم ثم قتلوه ، وحاول زين الدين كتبغا أن يوجد حوله عصبية من جنسه فضاع الملك منه ، وكان بيبرس الجاشنكير من البرجية فلم يثبت له ملك ، وتمسك الأمراء ببيت قلاوون لأن الغالبية منهم وهم من جنس واحد مع أولاد المنصور قلاوون وهكذا عاش هذا البيت رمزاً للرئاسة مدة أطول من غيره .

وفى الجزء الرابع من صبح الأعشى : « أما فى زماننا فإنه منذ قام السلطان الملك الظاهر برقوق من جنس الجركس رغب فى مماليك من جنسه وأكثر من المماليك الجراكسة حتى صار منهم أكثر الأمراء والجند ، وقلت مماليك الترك من الديار المصرية حتى لم يبق منهم إلا القليل من بقاياهم وأولادهم » .

ويؤكد هذا النص ما سقناه من الحديث ، وإن بحث المشاكل التى قامت بين أمراء المماليك يجب أن يكون قائماً على النصوص وعلى الاستقراء والبحث فى كتب التراجم مع الإلمام بأجناس الترك والجركس وعصبياتهم .

فى القرن السابع الهجرى أتم جونى ابن جنجيزخان فتح بلاد المسلمين وأخضع إيران واتجهت كتائبه شمالا إلى القوقاز حيث اقتحم الدربند وباب الأبواب ، وفى الشمال التقى على نهر الدون بقبائل تركية هى القفجاق فخضعت لأول وهلة للفاتحين كأبناء عمومة وأخوة ، ولكن المعاملة القاسية التى لقيتها أقنعت غيرها من سكان بحر الأزق (أزوف) أن الأفضل لها وأسلم هو أن تتجه غرباً ، وكان ذلك من أسباب مطاردتهم والفتك بهم وتشريدهم لإعادة القطيع الضال إلى حكم الخان الأعظم . وترتب على هذه المطاردة أن توجه قائدان جوبى وسابوتاى بحملة إلى وادى الدنيبر فأتموا إخضاع الجزء الجنوبى من روسيا الحالية وهو المسمى بأراضى القفجاق

فى هذه الأثناء أى سنة ٦٣٩ كانت إحدى قبائل القفجاق لا تجد مأوى أمامها ، فاتجهت إلى القرم بجواد صوداق حال البحر بينها فكاتبت أنس خان ملك الأولاق ليعبروا البحر إليه فراراً من جحافل التتار ، فأجابهم إلى ذلك وأنزلهم وادياً بين جبلين وكان عبورهم إليه سنة ٦٤٠ فلما أطمأن بهم المقام غدر بهم وشن الغارة عليهم فقتل منهم وسبى ، وكان من بين السبى غلامان هما بيبرس الملك الظاهر وبدر الدين بيسرى الشمسى ناقل هذا الحديث ، وكان عمر بيبرس أربعة عشر عاماً فكان أن بيع فى مدينة سيواس وأخذ إلى حلب وانضم فى مصر إلى جماعة من جنسه القفجاق يعملون فى خدمة سلطان مصر .

أما فى بلاد القفجاق فاستمرت المطاردة ضد القطيع الشارد إلى أن جاء الأمر من جنجيزخان باستدعاء قائديه ، ومات الخان الأعظم فإذا حفيده على عرش أراضى القفجاق وما يستجد من الفتوحات .

والآن بعد مضى مئات السنين على هذه الحوادث يرقد الملك الظاهر فى مدرسته بدمشق وتزول من الوجود دول التتار وعظمة الخان ، ولكن ملايين الخلق من القفجاق والعناصر المغولية والأسيوية قد استوطنت روسيا الأوروبية منذ قديم الزمن وتركت عوائدها وتقاليدها وأثرت الحياة الفكرية والتكوين العقلى وصبغت اللغة والأناشيد ، إن هذا التأثير كان قوياً عميقاً لدرجة أكثر من أن يعترف بها الروس أو يحاول أن يشعر بها أو يسلم بها الباحثون فى شؤون روسيا من أهل أوروبا الغربية لأنها تقلب المقاييس والقواعد .

ذلك لأن روسيا بأكلها خضعت لخانات المغول الذين حكموها وامتد سلطانهم إلى ما وراء غاليسيا وأتى وقت لم يبق للروس غير نوفوجورود ، ثم خضعت هى بدورها ، ولذلك يقول الدكتور رابوربورت Rapporport صاحب « تاريخ روسيا » ومؤلف كتاب « لعنة آل رومانوف » .

« موسكو وارثة المغول ، كان القيصر الوارث الروحى لأمراء المغول الذى تجرى دماؤهم فى عروقه ، إن جودونوف كان مغولياً وكان القياصرة يفخرون بأنهم أصحاب عرش القفجاق » .

وفى تعليقات الأمير شكيب على ابن خلدون يقول « أما الروس فكانوا يفرقون دائماً بين القفجاق وغيرهم ، فكانوا يطلقون من أواسط القرن الثانى عشر المسيحى على جميع أصناف الترك ما عدا القفجاق سرنيكلوبوكى أى « الطرابيش السود » وهذا دليل على أنهم قدماء فى تلك الأرض .

فى القرن السادس الهجرى وصل أحد أمراء القفجاق إلى جند من أجناد المسلمين فقال واحد منهم « رزقه الله الإسلام » فأسلم القفجاق ودخلوا الدين الحنيف . والآن فى القرن العشرين نقول « هل يأتى وقت يذكرون فيه أنهم كانوا مسلمين » مرة أخرى « رزقهم الله الإسلام » .

أحمد رمزى

الأخطل والمـــرأة

للأستاذ مهدى السامرائى

يستلهم كثير من الشعراء والأدباء قصائدهم وأخيلتهم من شياطين مختلفة . والمرأة من هذه الشياطين التى توحى لهم بمختلف الغرر والأفكار ، ولكن أثرها فيهم يختلف من فرد لآخر كل حسب نوع تأثره بها .

والأخطل من الشعراء الذين أثرت فيهم المرأة ، ولكن أثرها فيه كان سلبياً حتى إنه وقف منها موقفاً أقرب إلى العداء منه إلى المحاباة والتلطف . فهناك كثير من الشذرات موزعة فى أنحاء ديوانه صرح الأخطل فيها بآرائه فى خلق المرأة ونفس المرأة وعقل المرأة وموقف المرأة من الشباب والشيب ، ولكنها آراء لا ترضى كثيراً من النساء والمتعلمات منهن خاصة . والحق إنه كان متحاملا عليها شديداً فى القسوة معها .

لم يكن يرى الأخطل فى المرأة إلا ألعوبة يلهو بها كيف شاء ومتى أراد ، فعندما تلعب برأسه بنت الحان وعندما تداعبه شياطينها وعند ما يأخذ السكر منه مأخذه ، هناك يتذكرها فيقصدها ليقضى منها وطراً من لذاذة ولعب حيث يقول :

ولقد شربت الخمر فى حانوتها ولعبت بالقينات كل الملعب

فهو لا يرى فى المرأة إلا دمية لحية يقضى معها لياليه ، وإلا وسيلة من وسائل لهوه عندما يكون ناعم البال مرتاح الفكر .

فلهوت ليـــلة ناعم ذى لذة كقرير عين أو كناعم بال

ويبـدو أن المرأة أذاقت الأخطل مر الفعال وسقته كأس الأهوال فهو حتى فى نومه وأحلامه لا يرى منها غير الويل والثبور إذ يقول :

طرق الكرى بالغانيات وربما طرق الكرى منهن بالأهوال

ولا يكتفى بهذا وحسب ، بل يصفها بالتلون والتبدل ويشبهها بجنية مروّعة تذيق الرجال طعم الأهوال .

فتغدّلت لتروعنا جنيـة والغانيات يرينك الأهوالا

فهو من أعداء المرأة القدامى حاربها بكل قوة ، وكشف عن جانب الشر فى نفسها ولم يكن يؤمل منها غير الشر وغير الجنة ، وغير اللوعة والهول ، قريبة وبعيدة ، حاضرة وغائبة ، حية أو ميتة:

فلو كان مبكي ساعة لبكيتها ولـكن شر الغـانيات بديل

وكنت صحيح القلب حتى أصابنى من اللامعات المبرقات خبول

وإنى لأعجب كثيراً من نساء العصر الأموى إن سكتن عن الأخطل وهو يعلن عليهن حرباً عواناً ويهيب بالرجال أن يبتعدوا عنهن وأن يكفوا عن وصالهن إذ هن لا يبيتن لهم غير الحيلة والغواية وما هن إلا بلاء ابتـلى به الرجال وغول يقض عليهم حياتهم .

وهن على أحبالهن يصـدننى وهن بلايا للرجال وغـول

«وإن امرءاً لاينتهى عن غواية إذ ما اشتهتها نفسه لجهول »

هـذه الحكمة التى يقدمها الأخطل لأبناء جنسه لا ترضى المرأة فى أى عصر من العصور ولا فى أى حال من الأحوال ، إذ لا شك أنها لعنة فى الصميم من حياتها ، فلو كف الرجال عنها وانتهوا لبارت وثقلت على أهلها ولأصبحت حياتها مملة خالية من الأمل لا يمكن أن تطاق . ويكشف لنا الأخطل عن ناحية خفية من نفسية المرأة فـكأنه اطلع على خفايا هذه النفس ونفذ إلى قرارها ، فعلى الرغم من بعد غور المرأة وكتمانها الشديد لدقائق قلبها لـكنه استطاع أن ينفذ ببصيرته القوية إلى أعماقها وأن يستشف من وراء ظل حركة تأتيها معنى بعيداً لا يصل إليه إلا من عرف المرأة معرفة جيدة وإلا من ذاق منها مرارة العذاب والصد ، فقوله :

المهديات لمن هوين مسبة والمحسنات لمن قلين مقالا

يدل على أنه عرف أساليبها الملتـوية ، تلك الأساليب التى تستعملها مع من تحب ومع من تكره ، ويدل أيضاً على أنه قد درس هذه النفسية التى لا تريد إلا أن تبطن غير ما تظهر وتظهر غير ما تبطن .

والأخطل لا يتحرج من وصف المرأة بالمكر والخديعـة إذ يظهر أنهـا قد لعبت به كل ملعب وأذاقته من أحابيلها وحيلها ما جعله يفرّغ ثورته المكبوتة ضدها بقوله :

ما إن رأيت كمكرهن إذا جرى ... فينا ولا كحبالهن حبالا

كما أنه لا يتحرج من وصفها بالجهل ، ولكن أى جهل هذا الذى يصفها به ، إنه جهل أشد من العلم والذكاء فعلا وأقوى من المكر والثقافة تأثيراً ، إنه جهل يرمى أقوى الرجال تحت أقدامها صريعاً مجندلا بسهامها النارية مفكراً بإيماءاتها الخفية :

يعددن من هفواتهن (١) إلى الصبى ... سبباً يصددن به النواة طوالا

ويذهب الأخطل إلى أبعد من ذلك فى إظهار معايب المرأة الخلقية فيصفها بالماطلة فى العهود ، وبعدم الوفاء بالوعود ، فهى مشهورة بالخلف ، معروفة بالمطل فيقول :

وإذا وعدنك نائلا أخلفنه ... ووجدت عند عداتهن مطالا

وأروع من هذا المعنى فى وصفه لهذا النوع من خلف بعض النساء قوله :

إذا مطل الدين الغريم فأنها ... على كل أحيان تحل ديونها

والأخطل لا ينى عن التهجم على المرأة ونعتها بسرعة التبدل وكثرة التحول فهو يقول :

يرعين عهدك ما رأينك شاهداً ... وإذا مذلت يصرن عنك مذالا

فما دمت بقربها تقدم لها فروض الحب والطاعة ، وما دمت حاضراً بين يديها تطرى جمالها وتصفها بكل ما فى قاموس الجمال من أوصاف ، فهى تحبك وهى باقية على عهدك وإلا فنصيبك النسيان إن قصرت فى ذلك أو نأيت قليلا عنها .

ويلتفت الأخطل التفاتة أخرى تدلنا على ما فى نفسه من نقمة على المرأة وحقد عليها فهو يصف غرابة تصرفها مع الرجل وشذوذ سلوكها معه ، فهى تتخاذل أمام من يظهر لها الضغينة ، وتتفانى فى حب من يمتنع عليها ويظهر لها الجفوة ، ولعل هذا يعزى لضعفها الطبيعى من جهة ولروحها الخيالية من جهة أخرى ، فالرجل الذى لا يظهر لها ضعفاً ولا يبدو أمامها متخاذلا لا شك يشعرها بقوته وسلطته ، كما أنه إذا ما ابتعد عنها ولم يتقرب كثيراً منها ستبقى تنسج حول شخصه أخيلتها وتتصور فيه فتى أحلامها فيزداد حبها له ويكثر تعلقها به . والأخطل يصور لنا ذلك بقوله :

(١) الهفوة : الجهل .

إذا احتثها الركبان كان ألذها ... إلى ذى الصبى ذو ضغنها وحزونها (١)

أما رأى الأخطل فى عقل المرأة فرأى يكاد يغضب كل النساء ، والمتعلمات منهن كما قلت خاصة ، فهو لا يرى فيها غير ضعف العقل وخطل الرأى وقلة التفكير ، فالمرأة فى نظره لا تصلح للحياة العقلية ولا تصلح لإبداء الرأى السديد ولكنها حاذقة فى تسديد السهام إلى القلوب ، ماهرة فى اللعب بالعقول عن طريق العيون :

يبرقن بالقوم حتى يختبلنهم ... ورأيهن ضعيف حين يختبر

وأكثر من هذا سخرية بعقل المرأة وحطاً من قيمته ذلك الكيل العجيب الجائر الذى يزن به الأخطل عقل المرأة فهو يقول :

وإذا وزنت حلومهن إلى الصبى ... رجح الصبى بحلومهن فمالا

***

يوضح لنا الأخطل ناحية أخرى من نواحى نفسية المرأة ، تلك هى موقفها من الشيب والشباب فيصور لنا فرار الغوانى من هؤلاء المساكين الذين بلغوا من العمر عتياً والذين استنزف كر السنين منهم ماء الحياة وسطر مر الأعوام فى وجوههم تجاعيد الكوارث والأحداث فهو يقول :

يا قاتل الله وصل الغانيات إذا ... أيقن أنك ممن قد زها الكبر

أعرضن لما حنا قوسى موترها ... وابيض بعد سواد اللمة الشعر

لا يرعوين إلى داع لحاجته ... ولا لهن إلى ذى شيبة وطر

يظهر أن الأخطل كان يتبع نساء ولكنه ليس موفقاً كعمر ابن أبى ربيعة ، فهو لم يقعد عن متابعتهن وعن مضايقتهن حتى فى أيام شيخوخته حتى اضطررن آخر الأمر إلى طرده بقسوة واستهزاء فهو يخبرنا عن ذلك بقوله :

يقلن لا أنت بعل يستقاد له ... ولا الشباب الذى قد فات مردود

وقول الأخطل :

هل الشباب الذى قد فات مردود ... أم هل دواء يرد الشيب موجود

يحمل المرء على الرثاء لحال هذا الشيخ الذى يبكى صباه ويحن لأيام شبابه ويفتش عن ذلك الدواء الذى أعيا العلماء والأطباء إيجاده ، ويجد المرء نفسه أكثر من هذا عطفاً على الأخطل حينما يسمع قوله :

(١) الحزون السيء الخلق ويقال فى الأصل للشاة السيئة الخلق .

أعرضن من شمط فى الرأس لاح به ... فهن منه إذا أبصرنه حيد
قد كن يعهدن منى مضحكا حسناً ... ومفرقاً حسرت عنه العناقيد
فهن يشدون منى بعض معرفة ... وهن بالود لا بخل ولا جود

فقوله : « وهن بالود لا بخل ولا جود » مما يبعث فى النفس الرثاء لحال ذلك المسكين الذى تقف الغوانى منه هـذا الموقف الحيادى ، فهو من قلة الأهمية ومن التفاهة بحيث لا يثير فى نفوسهن حباً ولا بغضاً كما لا يثير فى قلوبهن تلك العواطف المضطربة والأحاسيس المتباينة ورجل كهذا حرى بالرثاء والعطف .

ويصف لنا الأخطل منظراً لا يخلو من ظرف ودعابة مع ما فيه من مرارة ، منظر تلكم النسوة اللواتى اجتمعن يهمهمن ويهسهسن وقد علت وجوههن الكدرة وأصبن بالهم والحزن لدخول الأخطل عليهن وهو فى حالة شيخوخة وتضمر وهزال فيقول :

ورأين أنى قـد علتنى كبرة ... فالوجه فيــه تضمر ومهوم
وطوين ثوب بشاشـة أبلينه ... فلهن منـك هساهس وهموم

وأخيراً وبعد أن يئس الأخطل من وصل المرأة ، وبعد أن عجز فى هـذا الميدان لا يريد إلا أن يبث الدعاية السيئة ، ويأبى إلا أن يحرض الرجال فى الابتعاد والكف عنها فيقول :

فدع الغوانى والنشيد بذكرها ... واصرف لذكر مكارم ومقال

ولكنى متأكد أنه لم يقل ذلك إلا بعـد أن عجز عن جلب ودها إليه وإلا بعد أن خابت سياسته معها .

***

حاولت أن أجد الأسباب المبررة لهذا الموقف العدائى الذى يقفه الأخطل من المرأة فلم أجد سوى خبرين قد يمكن أن نستشف من ورائهما شيئاً عن ذلك العداء ، أحدهما خبره أو قصته المشهورة مع زوجة أبيه تلك التى يقول فيها :

ألم على عنبات العجـوز ... وشكوتها من غياث لمم
فظلت تنـادى ألا ويلها ... وتلعن واللعن منها أمم

وقد كانت زوجة أبيه تناصبه العداء وتسيء معاملته وتؤثر أبناءها بالعطف والحب كما تؤثرهم بأطايب الطعـام والشراب وتحرمه هو من كل ذلك ؛ فلا شك أن هذه القسوة فى المعاملة من زوجة أبيه قد أثرت فى نفسه تأثيراً بالغاً وتركت فى قلبه جروحاً لم تندمل فنقم على المرأة متمثلة فى زوجة أبيه فأراد أن ينتقم منها فصور لنا ما رأيناه فيها من مساوىء ومعايب .

والخبر الثـانى الذى يفسر لنا ثورة الأخطل على المرأة هو ما رواه صاحب الأغانى فى الجزء السابع من كتابه قال : « طلق أعرابى امرأته فتزوجها الأخطل ، وكان الأخطل قد طلق امرأته قبل ذلك ، فبينا هى معه إذ ذكرت زوجها الأول فتنفست فقال الأخطل :

كلانا على هم يبيت كأنمـــا ... بجنبيه من مس الفراش قروح
على زوجها الماضى تنوح وإننى ... على زوجتى الأخرى كذاك أنوح

من هذا الخبر يمكننا أن نستنتج أن الأخطل لم يكن موفقاً فى حياته الزوجية ، فهو لم يسعد مع زوجته الأولى ولم ينجح فى حياته معها فاضطر إلى تطليقها ، كما أنه لم يستطع أن يرضى الثانية أو يجلب ودها وحبها فينسيها زوجها الأول فهى تعيش معـه بجسمها ولكنها تعيش مع مطلقها بروحها وقلبها ، ولا شك أن هذا يدلنا على أن الأخطل كان فاشلا مع المرأة ، لم يحذق ذلك الفن الصعب « فن سياسة المرأة » وربما يكون هـذا الفشل الواضح فى حياته الزوجية مما جعله ينقم على المرأة نقمته المرة التى رأيناها فى شذراته السابقة والتى لا نوافقه فى أكثر آرائه فيها .

(العراق) مهدى السامرائى

مؤتمر آثار الشرق

للدكتور جواد علي

قررت اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية عقد مؤتمر في مدينة دمشق في شهر أغسطس أو أوائل شهر سبتمبر من سنة ١٩٤٧ لدراسة آثار الشرق الأدنى يُدعى «مؤتمر آثار الشرق» وقد عينت اللجنة التحضيرية التي وضعت منهج المؤتمر أغراضه بما يأتي:

١ — الاهتمام بالثقافة الأثرية وتبادل الآراء العلمية والفنية.

٢ — المحافظة على تراث الشرق العربي ووضعه في الإطار اللائق به.

٣ — تقوية الصلات بين أمم الشرق، وتذليل العقبات في سبيل تحقيق التعاون فيما بينها من الناحية الأثرية.

وقد تصفحت التقرير الذي وضعته اللجنة التحضيرية ليكون جدولاً لأعمال المؤتمر فلم أجد فيه — وآسف لذلك — أية إشارة إلى عرب ما قبل الإسلام. كما أنني لم أجد في قائمة الموضوعات العامة التي ستبحث فيها المحاضرات التي تلقى في المؤتمر أية محاضرة قد تناولت تاريخ ما يسمى «بالجاهلية» أو «العصر الجاهلي» وكل ما وجدت هو أن سلسلة المحاضرات بدأت بالعلاقات بين مصر والشرق الأدنى، ثم تطرقت إلى العلاقات بين بابل وآشور والشرق الأدنى، فأثر الفنيقيين في حضارة الشرق الأدنى، فالعلاقات بين الشرق الأدنى والإغريق. ثم انتقلت رأساً إلى موضوع أثر العقائد الدينية في حضارة الشرق القديم، ثم إلى حظ الشرق من الحضارة الإغريقية في العصور الهلينية فيدخل في ذلك حظ مصر من تلك الحضارة ثم حظ سوريا فبابل، ثم تنتقل السلسلة إلى مظاهر الحضارة الإسلامية في دول الشرق العربي وتلك طفرة عجيبة بالطبع، وتنتهي بموضوع الحفائر الأثرية في ممالك الشرق العربي فموضوع ترميم الآثار.

وكنت أطمع في أن أرى للتاريخ العربي القديم المحل الأول في قائمة الموضوعات التي ستدرس في هذا المؤتمر، إذ أن اللجنة الثقافية التي وكلت إلى اللجنة التحضيرية أمر تهيئة خطط المؤتمر هي مؤسسة من مؤسسات الجامعة العربية، وأنها وضعت نصب عينها إحياء التراث العربي القديم وحرصت على ذلك في كل مناسبة. فالأولى بها أن تعنى بتاريخ عرب ما قبل الإسلام فتجعله الهدف الثقافي الأول نظراً إلى أن التاريخ العربي القديم يكاد يكون حتى اليوم في حكم المجهول، ولأن الآثاريين الغربيين لم يتمكنوا من التنقيب فيه لأسباب كثيرة، منها أن الدول العربية التي تشتمل على المناطق الآثارية، لم تسمح لهم بالعمل، خوفاً من النفوذ الأجنبي ومن تسرب تلك الآثار إلى الخارج، وإن اللجنة الثقافية ستنتهز هذه الفرصة فتثير لذلك هذا الموضوع في مؤتمر الآثار لتحث الدول العربية على العناية بآثار العرب وبتاريخ العرب القديم، ولتطلب إلى حكومات الجامعة القيام بحفريات علمية بنفقتها أو بنفقة الجمعيات العلمية الأوربية التي توافق على التنقيب بإشراف الجامعة. أو أنها ستسعى لأن تسهل لمن تخصص من أبناء دول الجامعة العربية بتاريخ العرب القديم الدخول في مناطق الآثار لدراستها والكتابة عنها والقيام بحفريات علمية فيها إن أمكن ذلك من الوجهة العلمية والمادية.

وقد قام نفر من العلماء المستشرقين في القرن التاسع عشر والقرن العشرين أمثال «هاليفي» و«أرنو» و«كلاسر» وغيرهم بزيارة مختلف أنحاء بلاد العرب المجهولة وفي ظروف حرجة فتعرضوا إلى مختلف الأخطار والمهالك فعادوا بأنباء مهمة تشير إلى وجود أماكن آثارية على جانب كبير من الأهمية. وقد نقلوا معهم بعض الألواح والأحجار المكتوبة التي عثروا عليها على سطح الأرض وهي توجد اليوم في المتاحف الآثارية الكبرى وهي تؤيد هذه النظرية وتتحدث عن حضارة عربية قديمة أصيلة.

وقد بذل هؤلاء العلماء جهوداً كبيرة حتى تمكنوا من حل رموز الحروف اليمانية القديمة المسماة بالحروف الحميرية. واستطاعو بعد معرفتها أن يقرأوا ما هو مكتوب فنشروه، وقد دل ما نشر حتى الآن وهو قليل بالطبع على أن الحضارة اليمانية قديمة قدر عمرها بعض العلماء بما يزيد على ألف وثلاثمائة عام قبل المسيح.

كما أنهم بحثوا في النصوص الآشورية والبابلية والمصرية وفي التوراة، وفي النصوص السريانية واليونانية واللاتينية فكونوا من هذا البحث مقدمات لمن يريد في المستقبل الكتابة عن تاريخ عرب ما قبل الإسلام.

ولا يمكن أن يكتب للأمة العربية تاريخ قديم إلا إذا مهدت الدولة العربية للمستشرقين وللشبان العرب الذين تخصصوا بتاريخ ما قبل الإسلام الدخول في المناطق الآثارية وقاموا

أنديتنا الموســـيقية

للأستاذ حسني كنعان

كانت الموسيقى قبل ربع قرن ، تصدر فى بلاد الشام عن مصر بطريق أسطوانات الحاكى ، وكان الموسيقيون لدينا يجهلون النوتة الغربية ، فيضع أحدهم الحاكى أمامه ويدير مفتاحه وينقل عنه الأغنية أو الدور أو البشرف أو الدولاب أو السماعى كما يسمعه دون تحوير أو تبديل . وكان أرباب هذه المهنة محتقرين لدينا حتى أن الأب إذا علم أن ولده قد ظهرت فيه مخايل المواهب الموسيقية تبرأ منه وأخرجه من داره ، ولبثت الحال على ذلك حتى انبثق فجر النهضة الكبرى فى بلادنا عقب الحرب العالمية الأولى فتأسس أول ناد للموسـيقى فى دمشق ضم الصفوة المختارة من رجالات الفن عندنا ، فيهم المحامى والطبيب والموظف والتاجر والمزارع والصحفى وغيرهم ممن كان يمنعه الحياء ومسايرة البيئة من الظهور ، وبعد أن تمرّن أعضاؤه على القطع الموسـيقية الصامتة والغنائية والموشحات وسواها ، وحذقوها على أساتذة فنيين معروفين بخبرتهم الواسعة وكفاءتهم ، بدأوا باقامة أول حفلة موسيقية على مدرج الجامعة السورية الفخم فلم يبق أحد فى دمشق ممن حضرها إلاّ وقد سرّ بما سمع وبما شهد من تنسيق وابداع وانسجام بين أعضائها الذين ظهروا على المرسح بمظهر من يبغى اعزاز هـذا الفن وإزالة ما علق فى نفوس القوم من احتقار أربابه وأشـياعه ، ولا تزال ذكرى هذه الحفلة عالقة فى النفوس برغم بُعد العهد بها . وأطلق على هـذا النادى اسم « النادى الموسيقى السورى » وهو أقدم أنديتنا ، وقد قام بفضل أموال أعضائه المشتركين ، وريع حفلاته وكان رئيسه الفخرى وهو أحـد الرجال الوطنيين المعروفين ، لا يألو جهداً فى جمع الإعانات له وإقامة حفلات خاصـة لعظماء الرجال الذين يؤمون سوريا للاصطياف أو فى مناسبات خاصة ، أذكر أن المرحوم طلعت حرب باشا باعث نهضة مصر الإقتصـادية قد دعى مرة إليه ، وأقيمت له حفلة رائعة خرج منها مغتبطاً مسرورا ، وجادت يداه رحمه الله باعانة مالية كان لها الوقع الحسن والأثر الحميد .

بقى هذا النادى محلقاً فى سماء الفن حقبة من الزمن ، إلى أن أصابه ما يصيب كل حى فى هذا الوجود من ذرور قرن الخلاف والشقاق بين أفراده . وظهر فيه داء الغرور والمنافسـة فتفرق أعضاؤه بعد اتفاق ، واختصموا بعد وئام ، وكانت عاقبة ذلك أن

بحفريات علمية باشراف تلك الدولة أو الدول العربية على أن يحفظ ما يستخرج من آثار فى متحف الدولة أو فى متحف جامعة الدول العربية مثلا . وانى أرجح فكرة اشتراك دول الجامعة كلها فى نفقات الحفر حتى لا تتسرب الآثار إلى الخارج فتنتقل إلى المتاحف الأوربية أو الأمريكية ، وأن تكون عمليات الحفر باشراف المتخصصين العرب .

ولما كان المؤتمر لم يعقد بعد وأن هناك متسـعاً من الوقت لتدارك الحال أرجو من اللجنة الثقافيـة أن تهتم بهذه الناحية اهتماماً كبيراً بأن تجعل فى رأس المواد التى ستدرس فى المؤتمر موضوع دراسة الآثار العربية القديمة ، وأن نرجو من دول الجامعة ولا سيما اليمن والمملكة السـعودية بذل العناية لخدمة التاريخ العربى القديم ، وأن تطلب من المتخصصين العرب أو المستشرقين التطوع للقيام بحفريات علمية أو دراسة الاطلال الموجودة تمهيداً للقيام بالحفر ، وأن تمنع الناس من نبش تلك الاطلال لسرقة الآثار أو هدمها لاستعمالها مادة للبناء . فالعبث بهذه الآثار عبث بتاريخ الأمة العربية الذى نريد إحياءه . وأن تقوم الجامعة بتخصيص المبالغ لإرسال المتخصصين إلى مواقع الآثار كما فعلت فى إرسال نفر من العارفين بالمخطوطات إلى سـوريا ولبنان لتصوير ما هو موجود من المخطوطات .

وأن تخصص فى قائمة المحاضرات مكاناً للتاريخ العربى قبل الإسلام وأن نرجو بهذه المناسبة من الذين سـيمثلون دول الجامعة فى مؤتمر الآثار توجيه أنظارهم نحو خدمة كل أثر عربى قديم ، وأن يكون لآثار العرب نفس الحظ الذى نالته الآثار القديمة الأخرى فى الأقل ، وإن كنت أطلب المزيد لأنه تاريخنا المباشر ، ولأنه يوازى الآثار الأخرى فى القدم والدرجة ، إذ أن من العار على العرب أن يتركوا متاحفهم خالية من آثارهم وهى كثيرة مطمورة فيتصور العالم أنهم أمة همجية لم يكون لها تاريخ قبل الإسلام وانهم كانوا عالة على حضارات الأمم الأخرى أو أنهم كانوا نقلة تعوزهم قوة الإبداع والابتكار .

جواد على

من وراء السور الحديدى

جامعة عربية أم اتحاد فرنسى ؟

للأستاذ عبد الهادى الشرايبي

يتحدث الرأى العام الفرنسى حكومة وشعبا ، فى صحفه ومجتمعاته عن الاتحاد الفرنسى الذى أحدثه الدستور الجديد(١) وحار فى كيفية تطبيقه على بلدان ما وراء البحار . كأنما يحاول بذلك أن يسدل الستار على تاريخ الاستعمار القاتم المظلم ، ليبدله بلون آخر قد يكون أشد هولا ، وأشنع عاقبة .

إن نقطة الضعف فى هذا القرار هى أنه لم يحترم إرادة هذه الشعوب ، ولم يستشرها ليأخذ رأيها بالموافقة أو الرفض ، حتى إذا شرع فى تطبيقه كان مبنيا على أساس متين ، واستطاع أن يؤتى ثماره المطلوبة . على أن الحكومة الفرنسية ، فيما يظهر ، كانت أعمق تفكيرا ، فلم تقدم على اتخاذ هذا القرار إلا بعد أن خبرت الرأى العام فى هذه البلاد ، وخرجت مقتنعة بغرام شعوبها بالحكم الفرنسى ، وهيامها بكل ما تقدمه إليها الدولة الفرنسية ، وما « تضحى » به فى سبيل سعادتها وتطورها من مال ورجال وعتاد !

أما الشعب المغربى فإنه بدوره يزداد كل يوم إيمانا بفوائد هذا « الاتحاد الفرنسى » وما سيجره إليه فى مستقبل الأيام من خير ورفاهية ونعيم . خصوصاً بعد « حوادث الدار البيضاء » التى تركت ألسنة الناس تسبح بحمد الإدارة الفرنسية ، وحسن تصرفها ، وسداد موقفها ! ! فقد فتحت هذه الحوادث الأعين ، وعرفت الناس مزايا الدخول فى « الاتحاد الفرنسى » عن طيب خاطر ، وأنهم سيعيشون فى عهده فى ظلال الأمن والطمأنينة والسعادة والسلام ! إن هذا الحدث الجديد الذى يراد ربط مصيرنا به ، يتطلب منا أن نقف عنده قليلا ، وندرسه على ضوء التفكير السليم ، والمنطق الصحيح . فالشعب المغربى ، ككثير من الشعوب

(١) (الرسالة) : جاء فى المادة الستين من دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة عن الاتحاد الفرنسى ما نصه : « يتكون الاتحاد الفرنسى من الجمهورية الفرنسية المشتملة على فرنسا ذاتها والمقاطعات والأراضي فيما وراء البحار من جهة ، أو من الأراضى والدول الشريكة فى الاتحاد من جهة أخرى » .

انقسم النادى إلى أندية عدة ظهرت باسم « الرابطة الموسيقية » و « دار الألحان والتمثيل » و « المعهد الموسيقى » و « دار الموسيقى الوطنية » و « معهد الآداب والفنون » و « ندوة أصدقاء الفنون » بيد أن هذه الأندية جميعاً لم تؤلف فيما بينها وحدة فنية عامة ، فأعضاؤها على كثرتهم ، من الهواة الذين تخذوا الفن ألهية خاصة ، وقد سعى الكثيرون من الذين يغارون على هذا الفن ، إلى توحيد هذه الأندية فما قدر أحد منهم على ذلك ، ولذا أخذت هذه الأندية تنحل الواحد إثر الآخر بسبب الضائقة المالية ، ولم يبق منها ثابتاً قوياً إلا الأقل ، وانقلب بعضها إلى دور للعب الورق والنرد وغيرها من ألعاب المقاهى ، ولو أن أولى الأمر مدوا يد العون لهذه الأندية وساعدوها بالمال والرجال لعاشت فى تقدم وازدهار ولضارعت بنهضتها أندية العالم الكبرى ، لأن مواهب رجال الفن عندنا مشهود لها بالسمو والقوة ، وقد زادت قوة فى هذا العهد الاستقلالى الجديد بعد أن ذهب الأجنبى عنا لا رده الله ، ومما يسرنا اليوم أن نرى القائمين على محطة الاذاعة فى دمشق قد افتتحوا مدرسة فنية لتعليم ناشئة البلاد النوتة الموسيقية على أحدث الطرق ، وإحياء موات الموسيقى القديمة والموشحات الأندلسية الرائعة ، وتعاقدت مع أساطين الفن فى دمشق وحلب الذين يندر وجود مثلهم فى الأقطار العربية الشقيقة ، وكل من ينبغ من طلاب هذه المدرسة يؤخذ فوراً إلى محطة الإذاعة ليذيع منها فنه ويظهر مواهبه ، وهذا مما يبعث على التنافس الحميد بين الطلاب ، ونحن نرجو أن تعيد دمشق مجد الأندلسيين الزاهر فى مختلف الضروب الموسيقية والأصوات والأنغام ، والرقص المسمى رقص « السماح » وبطل هذه النهضة عندنا هو نائب دمشق السيد فخرى البارودى الذى يشتغل اليوم فى وضع مؤلف قيم شامل فى الموسيقى العربية ، ومدير الاذاعة الفنان السيد شفيق شبيب ، والمدير العام الشاعر المعروف الأستاذ سليم الزركلى . وحبذا لو أن محطة الاذاعة فاوضت الأستاذ توفيق الصباغ نابغة « الكمان » لا فى سورية وحدها بل فى الشرق العربى كله ، وهو الذى عرفته مصر فى المؤتمر الموسيقى الذى انعقد فى عهد جلالة الملك فؤاد رحمه الله . وكان جلالته معجباً بمواهب الأستاذ ، فالأمم لا تنهض إلا إذا قدرت نابغيها حق قدرهم وأحلتهم المنازل اللائقة بهم .

دمشق — حسنى كنعان

الإسلامية العربية التى أريد لها أن تسمى « شعوب فرنسا ما وراء البحار » هو الآن فى مفترق الطريق . وأمامه : أن يختار الانضمام إلى جامعة دوله العربية ، أو الاندماج فى « الاتحاد الفرنسى » وشعوب فرنسا ما وراء البحار .

أما جامعة الدول العربية فتربطنا بها ، أو تربطها بنا ، روابط متينة راسخة الاعراق والأصول ، روابط كونتها مختلف العوامل النفسية ، والتاريخية ، والجغرافية ، على ممر العصور والأحقاب وجمعتنا بها عوامل لا انفصام لها ، ولا يمكن أن تعمل فيها يد الدهر ، مهما كانت قاسية : فالدين واحد ، وهو الذى جمع الهندى والمغربى والصينى واليوغوسلافى فى صعيد واحد ، وهو الذى وجههم جميعاً إلى قبلة واحدة ، ووحدهم فى عقيدة واحدة . والتاريخ قد جمعنا فى البأساء والسراء ، فتنعمنا بأيام عزه وازدهاره ، كما تحملنا آلامه واقتسمنا مرائره وشدائده .

أما الوضع الجغرافى فإنما هو سلسلة واحدة متصلة الحلقات أبدعتها يد الإله متماسكة البناء ، ممتدة من ضفاف البحر الأحمر إلى شواطىء المحيط الأطلسى ، وهى وضعية اقتصادية وسياسية ممتازة قلما ظفرت بها أمة من أمم الأرض .

أما العوامل النفسية التى كونها القرآن ، ومتنت عراها تعاليم الإسلام ، وصهرتها حوادث الأيام ، فاننا نلمس آثارها فى كل يوم ، ونشاهد نتائجها عند كل حادث . فوقائع فلسطين ، ومعارك الهند الصينى والهند الهولاندية ، تدمى قلوب المغاربة ، كحوادث المغرب ، والدار البيضاء ، عند شعوب الشرق الأدنى والأقصى . وقد نشأ عن هذه العوامل الكثيرة المختلفة ، عوامل سياسية ربطت مصير الأمم العربية بعضها ببعض ، وجعلت سعادة البعض منها متوقفة على سعادة الكل ، بحيث لا يطمئن لاحداها خاطر ، ولا يقر لها قرار ، مهما نالت من أسباب السيادة والعزة ، إذا كان البعض الآخر لا يزال أنينه يتردد صداه فى أنحاء المعمورة ، تحت وطأة الاستعمار الثقيلة .

هذه طائفة من الأسباب التى تربطنا بجامعة الأمم العربية ، وتجعل مصيرنا مرتبطاً بمصير أخواتنا الشقيقات ، بلاد الشرق العزيزة ، فلنلق الآن نظرة أخرى على ما يمكن أن يربطنا بالاتحاد الفرنسى من أسباب وما يمكن أن يجمعنا به من علائق ومصالح .

أما صلاتنا بهذا الاتحاد ، أو بالأحرى ، بالدولة المبتكرة له ، فتبتدىء منذ نيف وثلاثين سنة . وإن نظرة عجلى على هذه الفترة من تاريخنا القومى كافية لبيان ماهية هذا الاتحاد ، وشرح الأسس التى يراد بناؤه عليها . فهى فترة مهولة ، مليئة بالنار والدم والحديد ، وبمعارك وحروب ، وسجون ومناف ، وأنواع من الارهاق والعسف ، لم يشهد لها التاريخ مثيلا حتى فى العصور التى تسمى « مظلمة » !

هذه نظرة قصيرة على كلا الاتجاهين ، وعلى الطريقين المفتوحين أمامنا . فما الذى يختاره الشعب المغربى من ذلك : سبيل « الجامعة العربية » أم سبيل « الاتحاد الفرنسى » الجديد ؟

لقد تفضل جلالة مولانا الملك ، ترجمان الأمة الصادق ، ولسانها الناطق ، فأجاب عن هذا السؤال الذى يختلج فى صدر كل مغربى ، وقلب كل عربى ، فى تصريحه الأخير لرجال الصحافة ، قبيل مغادرته لمدينة طنجة . قال جلالة الملك المحبوب : « ... ومن جهة أخرى ، فإن المغرب يحرص أشد الحرص على تمتين صلات الود مع جميع البلاد التى حاربت من أجل الحرية ، ولا تزال تواصل الكفاح فى سبيل نجاح قضيتها . ان المغرب ليأمل بكل ما أوتى من قوة ، أن ينال حقوقه كاملة . ومن الواضح الجلى أن المغرب بلد عربى ، مرتبط مع بقية بلاد الشرق العربى بروابط قوية متينة ، وإنه يرغب فى أن تتقوى هذه الروابط يوما بعد يوم ، خصوصاً منذ أن أصبحت « الجامعة العربية » مؤسسة تلعب دوراً هاما فى السياسة العالمية . وإننا لمقتنعون بأن الصلات الثقافية ستساهم بقسط وافر فى تحقيق هذا الاتحاد . وهذه هى الأسباب التى تحدو بنا إلى إنشاء مؤسسات للتعليم العالى لإنارة عقول الشعب المغربى ، تكون برامجها مستمدة من برامج التعليم فى جامعات القاهرة والشام ولبنان والعراق .

إن همنا الأكبر منذ اعتلائنا العرش المغربى هو أن نمنح رعايانا نعمة التمتع بالحقوق الديموقراطية التى يصبون إليها . وإن أملنا اقوى فى الحصول على هدفنا الأسمى الذى سنواصل السعى لإدراكه »

هذه تصريحات جلالة الملك المفدى لرجال الصحافة الأجنبية . وهى كما ترى — قد حددت الاتجاه ، وكانت القول الفصل فى هذه المسألة التى أثارت مخاوف وشكوكا ، سرعان ما انقشعت وتبخرت فى مهاب الرياح . فما على شعبنا العزيز ، إلا أن يقتفى الطريق التى اختطها له جلالة العاهل المعظم ، والرائد الخبير ، ويسير على النهج الذى سنه له . واضح المعالم ، موفق الخطى .

المغرب الأقصى — **عبد الهادى الشرايبى**

هل الموت نتيجة لازمة للحياة؟

الحيوانات والنباتات الخالدة — الشيخوخة وأسبابها

للأستاذ نصيف المنقبادى المحامى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

الشيخوخة وأسبابها :

رأينافيما تقدم أول مظهر من مظاهر الشيخوخة فى الحيوانات والنباتات الأولية ذات الخلية الواحـدة وهو عجزها عن الانقسام إلى أن تتلاقح فتعود إلى شبابها ، وقد بينا أن هذا ناتج من تراكم بعض المواد الافرازية السامة داخل أجسامها وعدم تصريفها فى الحال بأكملها إلى الخارج لنقص فى تكوين الكائنات الحية وعلى الأخص نظام التغذية والتصريف .

وما يحدث للخلايا المنفردة يحدث للخلايا المجتمعة فى النباتات والحيوانات العليا ومن بينها الإنسان. فإن الدم فى الحيوانات والسوائل المماثلة له فى النباتات تنقل إلى جميع الخلايا المواد الغذائية وهـذه تحترق ببطء أى تتأكسد داخلها فتتولد الطاقة (القوة والحرارة) التى تستعين بها الكائنات الحية على القيام بمختلف وظائف الحياة . ونقول إجمالا إن بقايا احتراق المواد الزلالية هى التى تسم الجسم تدريجيا وتسبب الشيخوخة .

وتفصيلا لهذا الإجمال نقول إن المواد الغذائية مهما تنوعت مظاهرها تنقسم ثلاثة أقسام : المواد الهدروكربونية مثل السكر والنشاء ، والمواد الدهنية ، والمواد الزلالية مثل اللحوم والبيض والجبن والخضروات البقولية كالفول والعدس والفاصولية والبِسلى وغيرها .

فالمواد النشوية السكرية والمواد الدهنية نظراً لأنها مكونة من هدورجين وأوكسيجين وكربون تحترق داخل الجسم احتراقاً كاملا فتتحول إلى ماء لا ضرر منه وإلى غاز حامض الكربون تفرزه الرئتان بأكمله على أغلب الظن . فهذه المواد لا تلحق فى الغالب ضرراً بالجسم، ولكن قد تتولد منها أثناء احتراقها التدريجى مواد كيميائية ضارة تشترك فى تسميم الجسم بطريقة غير محسوسة فى الفترة القصيرة التى تمكث فيها قبل أن تحترق هى أيضاً بدورها.

أما المواد الزلالية فإنها الفاعل الأصلى حقاً فى ذلك التسمم التدريجى الذى يسبب الشيخوخة فالموت ، فهى أهم غذاء وفى الوقت نفسه أكبر عدو لنا لأنها مواد رباعية يدخلها الازوت إلى جانب العناصر الثلاثة سالفة الذكر ولهذا فإنه يتخلف عنها عند احتراقها فى الجسم - عدا الماء وغاز حامض الكربون — مواد أخرى تشمل الازوت وهى المواد الإفرازية المعروف بعضها مثل المادة البولية والحامض البولى وأملاحه ومثل الصفراء وأحماضها وأملاحها . وهى جميعها سامة وضارة وكثير منها غير قابل للذوبان فى الماء فلا يفرز بتاتاً ويتراكم داخل الخلايا وفى الأنسجة المختلفة وعلى جدران الشرايين فيصلبها وبالتالى يقلل من قدرتها على تأدية وظائفها ويؤثر تأثيراً سيئاً فى الجهاز العصبى وفى جميع الأعضاء الأخرى ويضعفها فتنحط ولا تقوى على القيام بأعمال الحياة وهذه هى الشيخوخة بعينها : تصلب عام فى الشرايين ، وتيبس فى الأنسجة ، وقصور فى وظائف الأعضاء الخ .

يضاف إلى هذا السبب فى تسمم الجسم سبب آخر وهو تخمر فضلات الطعام فى الأمعاء ، ونتيجة هذا التخمر هى تولد مواد عفنة سامة يمتصها الجسم مع المواد الغذائية النافعة خصوصاً وأن الامعاء عضو ملائم للامتصاص أكثر من غيره

ويضاعف أسباب الشيخوخة المتقدم بيانها فعل كريات الدم البيضــاء التى كشف عن وظائفها متشنكوف فخطا بالعلوم البيولوجية والعلوم الطبية خطوات واسعة عظيمة النفع نظرياً وعملياً . فإن من يفحص تحت الميكروسكوب نقطة من دم الانسان أو أى حيوان يجد أنها مكوّنة من سائل شفاف تقريباً يشتمل على كريات حمراء عديدة هى التى تكسب لونه الأحمر وكريات بيضاء أقل عدداً . ومن أهم صفات الكريات البيضاء أنها تفترس بشراهة كل ما يقابلها فى الجسم من الباكتيريا والميكروبات والجراثيم الحيوانية الأخرى .

غير أن فعل الكريات البيضـاء غير مقصور على افتراس الميكروبات والجراثيم والمواد الغريبة عن الجسم بل إنها لا تحترم حتى زميلاتها من الخلايا الأخرى فى مختلف أنسجة الجسم لأنه لا عقل لها يجعلها تميز بين النافع والضار فهى تحاول على الدوام التهام كل

مايقابلها لأنها حيوانات حقيقية مفترسة لا تقف شراهتها عند حد. غير أن الخلايا والأنسجة حين تكون فى كامل صحتها وعنفوان شبابها تصد بسهولة تلك الكريات المشاغبة الجشمة بأن تفرز عند اقترابها منها مادة كيميائية تمنعها من الاعتداء عليها ، ويتم ذلك بطريقة آلية طبيعية . ولكن خلايا الجسم وأنسجته ، متى أضعفتها تلك السموم التى تتراكم فى الجسم تدريجياً على النحو المتقدم بيانه ، لا تقوى على الكريات البيضاء وتضعف مقاومتها لها فتنخر الكريات البيضاء فى جميع الأنســجة كالعضلات والغدد والأعصاب والمخ فتزيد الجسم هبوطاً بعد أن تكون تلك السموم قد أنهكته ، وتجتاز تلك الكريات البيضاء الشرايين الرفيعة الشعرية وتتكدس فى جميع أنحاء الجسم وتتكون منها أنسجة جامدة وحتى جذور الشعر لا تسلم من اعتدائها فتسبب الشيب سامحها الله

والذى يراه البيولوجيون (علماء الحياة) أنه متى اهتدى العلماء فى المستقبل إلى وسيلة لتطهير الأمعاء والدم تطهيراً تاماً أولا بأول عقب كل أكلة دون المساس بعمليات التغذى المختلفة أمكن التغلب على الشيخوخة فتطول حياة الإنسان إلى مائتين أو ثلثمائة سنة أو أكثر . وقد تكون الفيتامينات الجديدة والمطهرات المدهشة التى اكتشفت أخيراً كالسـلفيناميد والبانيسيلين مقدمة لذلك الاكتشاف العظيم الذى يصبو إليه الناس من قديم الزمان . وقد يستنبطون عقاقير تنشط بعض الغدد الصماء المعروفة أو غدداً جديدة يكشفون عنها فيما بعد فى مجاهل الجسم فتفرز هرمونات من شأنها تطهير القناة الهضمية كلها والدم والأنسجة تطهيراً تاماً مستمراً من تلك السموم مع تصريفها بأكلها فى الحال إلى الخارج أولا فأولا

ولكن تبقى عقبة كؤود لا أرى وجهاً للتغلب عليها وهى وضع الكبد ونظام صرف افرازه . فإن البول الذى تفرزه الكليتان يجتمع فى المثانة ويصرف إلى الخارج رأساً . أما الصفراء التى تفرزها الكبد فانها لسوء حظ الإنسان والحيوانات لا تنصرف إلى خارج الجسم مباشرة بل تصب مع شديد الأسف فى الأمعاء وتبقى فيها فترة من الزمن قبل أن تصل إلى الخارج عن طريق المستقيم ، بل إن الأمعاء مملوءة على الدوام بالصفراء التى تفرزها الكبد باستمرار فتمتص (أى الامعاء) كميات منها (أى من الصفراء) وهى مادة سامة ضارة كل الضرر بالجسم [1] ، ولولا ذلك لكان هناك أمل أن يصل العلم يوماً من الأيام إلى قهر الموت نفسه ومنعه منعاً باتاً ، وذلك أمر لا يراه العلماء مستحيلا من الوجهة النظرية بدليل الحيوانات والنباتات الأولية ذات الخلية الواحدة الخالدة التى تقدم لنا الكلام عليها . وقد رأينا كيف أن البيولوجيين عالجوا الشيخوخة التى تطرأ عليها عقب الانقسامات المتكررة وأعادوا إليها شبابها ونشاطها الانقسامى الذى يضمن لها الخلود . والذى نقصده بالخلود هنا هو أن تبقى حية لا تموت إلى أن تمسى الأرض غير صالحة للحياة بفعل العوامل الطبيعية بعد عدة ملايين من السنين على ما يقدرون

غريزة الموت :

ويتوقع متشنكوف أنه متى تغلب العلم على الشيخوخة وباقى الأمراض وعاش الانسان حياة طويلة لا تقل عن المائتين أو الثلثمائة من السنين عيشة سليمة من كل علة أو ضعف فانه حين يصل إلى آخر هذا العمر الطويل يشعر بحاجة إلى الراحة النهائية ويستقبل الموت بهدوء وارتياح كما يشعر المرء فى آخر النهار بالحاجة إلى النوم ويرتاح إليه . وهذا ما يسمونه بغريزة الموت ، تحل فى آخر الحياة محل غريزة حب البقاء . وحين تنشأ هذه الغريزة فى البشر يكون العلم قد قهر آخر عدو للانسان وهو الموت ، إذ يكون الناس قد حلوا قبل ذلك المعضلة الاجتماعية الكبرى الخاصة بتوزيع العمل وخيرات الطبيعة بين الناس توزيعاً عادلا مع تحديد النسل ، وتكون الغريزة الاخلاقية قد تأصلت فى النفوس بمرور الزمن الطويل كما هو الحال فى النمل فتمتنع الجرائم والحروب وترتقى الأخلاق وتعم الفضيلة ويكون الطب قد تغلب على جميع الأمراض، بل إن الطب الوقائى سوف يمنعها قبل وقوعها فيعيش البشر فى سلام ونعيم دائمين ، ذلك النعيم الذى ظلوا العصور الطويلة يحلمون به ولن يحققه لهم إلا العلم

نصيف المنقبارى

---

(١) صحيح ان الصفراء تمهد الى هضم المواد الدهنية وتطهر الامعاء إلى حد ما من جراثيم التخمر ولكن هذه فوائد لا تذكر بجانب الاضرار المهلكة التى تلحق بالجسم من امتصاصها داخل الامعاء . ولو كانت الطبيعة جادت علينا بقناة تنصرف منها الصفراء رأساً إلى الخارج كالبول لتطورت الحيوانات فيما يتعلق بفسيولوجية هضم المواد الدهنية وتطهير الامعاء من جراثيم التخمر تطوراً آخر ولاسترحنا من ذلك التسمم القاتل

إلى طلبة التوجيهية :

شاعران فى المنفى

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

(تتمة ما نشر فى العددين السابقين)

— ٣ —

شوقى أثرى صوراً ، وأطرف خيالا ، وأبرع معنى ، فنحن لا نجد فى معانى البارودى مبتكراً مستحدثاً ، وإنما هى معان شائعة سبق بها ، وطالما كررها فى شعره وهو بسرنديب .

ونزعته إلى محاكاة الأقدمين غالبة على تصوره ومعانيه ، حتى إن بعضها لا يلائم العصر الذى عاش فيه كالدعاء للمنزل بالسقيا ، وهو دعاء يلائم الصحراء حيث الجفاف وندرة الأمطار ، وبأن تهب عليه ريح الصبا ، وهى ريح كان يستطيبها أهل الحجاز لأنها تهب لطيفة من الشرق ، وطالما تغنى بها الشعراء ، ولكن ريح الشرق فى مصر سموم ورمال ، ومثل تعبيره عن مصر بوادى الأراك وليس الأراك من شجرها ، وذكره شجرة الرند وليست من نباتها ، وتقديره إطراب شعره بأنه ألذ من الحداء ، وقد انقضى زمن الحداء ، ونعم الناس منذ زمن بعيد بالموسيقى والغناء ، وفى بعض معانيه ضعف مثل قوله لسيفه :

أقول له والجفن يكسو نجاده دموعاً كرفض الجمان من العقد

فليس فى تشبيه دموعه بحبات اللؤلؤ براعة ، لأن هذا التشبيه يستجاد من شاعر يشبه دمع محبوبته قاصداً الجمال والنفاسة ، ولكن البارودى فى حال باك حزين لا يلائمه إلا تصور الدموع بأنها حارة تكوى ، أو غزيرة لا تنقطع كما صور شوقى ، على أن البكاء ليس من مفاخر الرجال . وفى خياله تناقض مثل شكواه من الوحدة وأنه لا يرى صديقاً بعد عدة أبيات من تقريره أن العائدات يعدنه ويعطفن عليه .

ولكنا نجد فى صور شوقى ومعانيه ما يهز النفس ، كتصوره حال الطائر الغريب اللهفان إلى وطنه ، الظمآن إلى مائه يجرر ساقيه وذيله باحثاً عن دواء ، وكتصويره حال مصر نفته مرغمة وهى تحبه وتود سلامته وتأمل عودته بحال أم موسى ألقته فى اليم واثقة به مسلمة أمرها وأمره لله ذى الرحمة ، ضارعة إليه أن يكلأه بعنايته ، وكطلبه من المطر أن ينزل على مصر برداً وسلاماً فى نغم رتيب وإيقاع عجيب ، وكوصفه للأهرام هذا الوصف البارع .

على أن قصيدته لم تخل من تراكيب قليلة متأثرة بالتصور القديم مثل قوله للبرق :

بالله إن جبت ظلماء العباب على نجائب النور محدواً بجبرينا

يقصد بنجائب النور النور المشبه للنوق المسرعة ، وليس هذا بشىء .

ومثل قوله : « ريش الفراق لنا سهماً » وليس السهم المريش ولا غير المريش من أدوات القتال فى العالم المتحضر .

— ٤ —

أجاد شوقى فى اختيار المفردات وصوغ التراكيب إجادة أشاعت فى القصيدة موسيقى ورنيناً ، وأجاد اختيار القافية نونا بعدها ألف لينة تلائم الحنين والألم ، وأجاد البارودى فى انتقاء كلماته ، وجنح إلى الجزالة والفخامة وإن حرمت قصيدته موسيقية شوقى ، على أنه استعمل كلمات مبهمة المعنى مثل « لا يعيد ولا يبدى » .

— ٥ —

وبعد فكل من القصيدتين مرآة لنفس قائلها ، تتجلى فى قصيدة البارودى صرامته وشجاعته وجنديته واعتداده بنفسه وبآبائه المماليك ، وولعه بمحاكاة الأقدمين فى أساليبهم ومعانيهم وأخيلتهم .

وتتجلى فى قصيدة شوقى ثقافته التاريخية ، وحبه لمصر ، واعتزازه بماضيها المجيد ، ونخره بماضى العرب ، وتغنيه بجمال الطبيعة فى مصر ، وكلفه بموسقة أسلوبه ، وابتداع معانيه وافتنان خياله .

على أن قصيدة شوقى خير من قصيدة البارودى فيما اتفقتا فيه من أغراض ، ومتفردة ببعض أغراض ، وإذا كان شوقى قد تتلمذ للبارودى فقد بزه ، وما أهنأ للأستاذ أن يفوقه تلميذه .

أحمد محمد الحوفى
المدرس بالسعيدية الثانوية

الأدب والفن في أسبوع

حول جائزة الآداب :

أثير فى أول الأمر بعض الغبار حول قرار لجنة الفحص لجائزة فؤاد الأول للآداب الذى أعلنه معالى رئيسها الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا فى حفلة توزيع الجوائز بالجامعة ، قال معاليه إن الوقت لم يتسع أمام اللجنة للمفاضلة فرأت تأجيل منح الجائزة إلى العام القادم .

وكاد يسكن ذلك الغبار لولا أن أثاره عالياً كثيفاً الأستاذ عباس محمود العقاد فى مقال عنوانه « علامة الاستفهام فى قرار لجنة الآداب » نشرته « أخبار اليوم » وجه فيه الأستاذ الكبير النقد إلى تصرف اللجنة ، لأنها قبلت العمل وأجابت الدعوة وهى تعلم الموعد المقرر وتعلم المهمة المطلوبة ، وتساءل : « ولماذا لم تتنح عن العمل منذ اللحظة الأولى إذا كانت قد علمت أنها لا تستطيع الوصول فيه إلى نتيجة ؟ » .

ومما قاله الأستاذ العقاد أن اللجنة تشهد على نفسها أنها لم تطلع على ثقافة وطنها اطلاعاً يكفى للفصل فيها ، وإن اللجان التى تقبل أمثال هذه المهام ينبغى أن تكون مرجعاً يستفاد منه العلم بحركة الثقافة الأدبية فى بلادها ؛ ورد على اعتذار اللجنة بتنوع الموضوعات الذى يحتاج إلى وقت أوسع للموازنة والتمييز ، بأن تعدد الموضوعات هو الذى أعان لجنة العلوم على الفصل فيما عرض عليها ، فاختارت لجائزة هذا العام موضوعاً خصته بالتفضيل وتركت الباب مفتوحاً للموضوعات الأخرى فى الأعوام المقبلة . ولو صنعت لجنة الآداب مثل هذا الصنيع لما كان أيسر عليها من تخصيص هذه السنة بجائزة الشعر أو بجائزة القصة أو بجائزة البحوث والدراسات وما إليها ، فيتسع وقتها للفصل والتمييز .

وخلص الأستاذ العقاد بعد ذلك وبعد عبارات « حريفة » وجهها إلى اللجنة ، وبعد أن ذكر أنه فى خلال السنوات الخمس التى قررها المرسوم أصدر ثمانية عشر كتاباً جديداً ، لا تقدر اللجنة أن تسقطها من الحساب أو تهملها فى ميزان الترجيح ، خلص الأستاذ بعد كل ذلك إلى « أن قرار اللجنة معناه تفسير المرسوم على معنى لا يفهم له معنى سواه : وهو أن الجائزة مشروطة فى هذا التفسير بأن يعطاها صاحب الآثار الأدبية فى السنوات الخمس الأخيرة ما لم يكن شخصاً يسمى عباس العقاد ... » .

وقد سمعت فى بعض المجالس الأدبية تعليقات على هذا الموضوع فوجدت كثيرين يوافقون الأستاذ العقاد على صميم نقده ، وإن كان الكثيرون لا يرون رأيه فى الإعلان عن إنتاجه بنفسه مع تقديرهم له وإحلاله محله اللائق به ، أما اتهامه اللجنة بالقصد إلى مجاوزته فى منح الجائزة فهو من قبيل الحكم على النيات .

الشعبة الثقافية العالمية :

كانت بعض المدن الأوربية فى أثناء الحرب الماضية موئل كثير من رجال الأمم التى غلبت على أمرها ، وفيهم وزراء المعارف فى هذه الأمم ورؤساء الهيئات الثقافية والتعليمية ، فكان ذلك داعياً إلى التفكير فى تكوين هيئة ثقافية عالمية تكون شعبة من هيئة الأمم المتحدة ، وولدت هذه الفكرة فى لندن سنة ١٩٤٥ وتألفت الشعبة فعلا ووسعت مدى الانضمام إليها بإباحته لمندوبى الأمم غير المشتركة فى هيئة الأمم المتحدة ، وواصلت نشاطها فى سان فرانسيسكو ، حتى اقتنعت هيئة الأمم بفكرتها واعتمدتها من شعبها بمقتضى المادة (٥٧) من ميثاقها . ثم انتقلت الشعبة بعد ذلك إلى باريس حيث أخذت فى تنظيم أعمالها ووضع الخطط التى تكفل تأدية رسالتها .

وفى مساء الإثنين الماضى وبنادى الخريجين المصرى تحدث الدكتور محمد عوض محمد بك رئيس قسم العلوم الاجتماعية بتلك الشعبة فى « رسالة الشعبة الثقافية فى هيئة الأمم المتحدة » فبين أغراضها التى تتلخص فى تثقيف الناشئة والكبار تثقيفاً إنسانياً يرمى إلى خدمة قضية السلم العالمى ببث الأفكار الصحيحة والتقريب الثقافى بين أبناء العالم ، لا فرق فى ذلك بين الشعوب

والأجناس ، فتنتفى الأفكار المخطئة ويجنب الناشئون التربية التى تحض على كراهية الشعوب الأخرى ، مما كان يؤدى إلى سوء التفاهم فالحروب .

وقال المحاضر إن هيئة الأمم إذا كانت تعالج المشاكل السياسية والاقتصادية فإن الشعبة الثقافية تريد وقاية العالم من هذه المشاكل .

ثم أفاض الدكتور عوض فى الحديث عما قامت به الشعبة فى باريس فقال إنها جعلت لكل فرع قسما مختصاً ، فهناك قسم الصحافة والإذاعة والسينما ، وقسم التربيــة ، وقسم الآداب والفنون ، وقسم العلوم الاجتماعية ، وقسم العلوم الطبيعية ، وأخذ كل قسم يبحث فيما خصص له ، ومن الأمثلة التى ذكرها لنشاط هـذه الأقسام وبيان عملها موضوع الأدب المقارن الذى اقترح أن يكون به قسم الآداب والفنون ، وذلك بأن يقوم الأساتذة المتمكنون فى أكثر من أدب واحد بدراسة مقارنة بين الآداب المختلفة ونشر هذه الدراسة بمختلف وسائل النشر

ومن تلك الأمثلة ما اقترح أيضاً من إنشاء معهد دولى للدراسات المختلفة ، وعقد مؤتمرات سنوية تمثل فيها الهيئات الثقافية فى أنحاء العالم .

وقد أجاب المحاضر عن سؤال عن علاقة لجنة التعاون الثقافى فى الجامعة العربية بالشعبة الثقافية العالمية بأن الجامعة العربية هيئة سياسية والشعبة ثقافية بحتة ، وكل ما يمكن أن يكون من الصلة بينهما أن تدعى لجنة التعاون الثقافى العربية إلى مؤتمرات الشعبة الثقافية العالمية ، وتكون هذه المؤتمرات فرصة للعمل على تحقيق الأهداف الثقافية المشتركة .

الشاعر المطارد :

هو الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى ، وقد وصفه بالمكر الأستاذ عباس محمود العقاد فى مناقشة دعابية دارت بينهما فى « أخبار اليوم » حول ما كان قد أعلنه الأستاذ المازنى منذ سنين من إنكار الشاعرية على نفسه وبراءته من الشعر والشعراء ، فقد خاطبه الأستاذ العقاد واصفاً ذلك بأنه « مكرة صغيرة صنعتها أنت أيها الصديق بيديك وانتظرت عاقبتها حتى الآن أربع سنوات أو خمس ســنوات » وقال له : « ولعلك قدرت أن الناس لا يسمعونك تنكر الشاعرية على نفسك وتتأخر من صف إلى صف ومن رعيل إلى رعيل ، حتى يتسابقوا إليك فى الصف الثانى ، أو الصف الثالث ، أو الرابع ، ليجـدوك قابعاً هناك تنتظر المطاردين والكاشـفين ، فما هو إلا أن يلمحوك فى زاوية من الزوايا حتى يلقوا عليك القبض ويسلسلوك ويحملوك إلى الطليعة فى أول الصفوف . ثم يمثلوا معك دور (الشاعر على رغم أنفه) كما مثلوا دور الطبيب على رغم أنفه فى رواية موليير »

ورد الأستاذ المازنى على ذلك بإقراره إذ قال : « كل ما قاله صديقى الأستاذ العقاد صحيح ، ولست أستثنى قوله إنى مكار وإنى شاعر »

ثم علل الأستاذ المازنى كفه عن قرض الشعر بأنه كان بطىء النظم ، ولم يكن يرضى عما يقول ، وأنه أساء الظن بصدق سريرته فيما نظم من الشعر وتوهم أن العواطف التى وصفها والتى ولدت ما أعرب عنه من آراء لم تكن صادقة وإنما كانت تقليداً لا أكثر ، وأنه كفر بالخلود وبالأدب كله « وطلع فى دماغه » أن ينكر أنه أديب

أفيكون الأستاذ المازنى قد رجع عن تجريد نفســه من الشاعرية إذ يعترف الآن بأنه شاعر ؟ وكل ما فى الأمر أنه مورط بما أقره من مكره الذى كانت نتيجته كما قال الأستاذ العقاد : « أن يصغى الناس إلى المطيبين فى ركاب المغنيات والمغنين ، ولا يصغوا إلى المازنى فى أغانيه وأناشيده ، ولا إلى المازنى فى مترجماته التى لو نظمها الخيام أو هاينى أو شكسبير عربية فصيحة لما جاوزوه فى التجويد والإتقان »

ولكن هل يستطيع الأستاذ المازنى أن يتلافى « مكرته » ويخرج من ورطته فيعود إلى قرض الشعر ؟ ما أحسبه يستطيع ، فقد اكتفى الناس منه واكتفى هو أيضاً بما بلغه من الشأن فى الكتابة ، وذلك حسب الناس وحسبه ، وهو الذى طغى على شعره ، ولولاه لكان من المحتمل أن يتلمسوه حيث يقبع هاربا ويحملوه إلى الطليعة فى أول الصفوف ليقوم بدور « الشاعر على رغم أنفه »

نواة الجيل الأولى :

خصت مجلة « المصور » الأدب بصفحة من صفحات عددها الخاص (المجتمع المصرى) كتبها الدكتور طه حسين بك تحت عنوان « بعض بيئاتنا الأدبية » ويعتبر هذا المقال ـ على وجازته ـ الفصل الأول فى تاريخ أدبنا الحديث . فهو يحدثنا عن نواة النهضة الأدبية التى نبتت فى مستهل القرن العشرين ، والتى اطرد نموها حتى أثمرت الأدب العربى الحديث الذى أصبح بعد أدبا من الآداب العالمية الكبرى

يحدثنا الدكتور طه عن البيئة الأدبية الأولى التى اتخذت لها مكاناً مختاراً فى الممر الضيق الذى يفصل بين إدارة الأزهر القديمة وبين الرواق العباسى فى مدخل الجامع الأزهر حيث كان يجلس جماعة من الأدباء الأزهريين يعرف الناس منهم فى هذا الجيل « محمود حسن الزناتى ، وأحمد حسن الزيات ، وطه حسين » كانوا يختلفون إلى ذلك الممر قبل أن يرتفع الضحى لينتظروا درس الأستاذ المرصفى فى الأدب ، وبعد صلاة العصر لانتظار درس الأستاذ الامام فى البلاغة وتفسير القرآن الكريم

يقول الدكتور : « وكانت هذه الجماعة تتحدث حين تلتقى بما تسمع من الأستاذين ـ أحدهما أو كليهما ـ أحاديث الاعجاب والاكبار ، وبما تسمع من الأساتذة الآخرين فى الفقه والنحو والمنطق والأصول ، أحاديث السخرية والعبث ! ثم كانت تعلق على إقبال المقبلين وانصراف المنصرفين ، وعلى ما يكون بينهم من تفاوت فى الاشكال والأزياء والسمات ، تذهب فى هذا كله مذهب النقد أو مذهب العبث والتشنيع ، لا تحفل بشىء ولا تأبه لأحد ، ولا تتحرج من لفظ ! »

واتصلت هذه البيئة ببيئة أدبية جديدة من طراز آخر ، هى « الجريدة » التى كان يديرها أستاذ الجيل احمد لطفى السيد باشا الذى كان يحدثهم عن مونتسكيو ، وروسو ، وفولتير ، وجول سيمون . وكانت « الجريدة » ملتقى الشباب من الأزهر ومن المدارس العليا ، يزخر بهم مكتب مديرها معممين ومطربشين ، يقول الدكتور « وكذلك التقى الشباب الناشىء بعضهم ببعض فأخذت الأسوار تنهار بين العمائم والطرابيش ، والتقوا بالشباب الناضج والكهول والشيوخ من أعلام الحياة المصرية على اختلاف فروعها ، فأخذ دم جديد يدور فى جيل جديد من المصريين »

ويتقدم الزمن وتتعاقب السنون فتتخذ هذه البيئة الجديدة لنفسها نادياً آخر فى دار آل عبد الرازق التى أثرت فى الحياة العقلية المصرية أقوى أثر وأبقاه

ولا شك أن خريجى هذه البيئة فى مقدمة الذين قادوا الحركة الفكرية ووجهوا النهضة الأدبية فى صدر هذا القرن ـ لذلك رأينا أن نسجل هنا بعض ما تضمنه من حديثها مقالُ الدكتور طه حسين بك الذى أحسنت به « المصور » إلى المجتمع الأدبى فى عددها « المجتمع المصرى »

« العباس »

تحيـــة الامام

للأستاذ أنور العطار

« ألقيت فى الحفلة الكبرى التى أقامها النجف احتفالا بالوفد الثقافى السورى فى آذار (مارس) ١٩٤٧ »

سلام على النجف الأطيب   سلام على ورده الأعذب
على مهده عالم الذكريات   ودنيـــا توقد كالـكوكب
وكون كأذار جمُّ العبيـــر   أنيــق كمنضوره الأهدب
تنشقْ فى الترب مسك الخلود   تهادى ، وفى الجو عطر النبى
وُطف بالهدى والندى والعلاء   وبالجدث الطاهر الطيب
وسلم على العبقرى الهمام   على نبعة الخير من يعرب
وسلم على أرج الكائنات   وريحانة الشرق والمغرب
هنا الحسب السمح عم الفضاء   وأسنت به مقلة الغيهب
سرى العبق الطهر ينشى الصرود   ويورق نديان فى السبسب
يموج من النور فى موكب   ويندى من الطيب فى موكب
يطوف على الناس مثل الصباح   إذا افتر عن مبسم أشنب
ويختال فى الـكون مثل الربيع   يرن بفينــــانه المعشب
وعرج على موئل النعميات   على الأريحى النجيد الأبى
أخى الحزم والعزم والمكرمات   أخى النائل الأطول الأرحب
وهم بالبيان السنى الشهى   وأعذبْ بمنهــله أعذب
وزد مورداً حافلا بالخلود   وما شئت من ممتع مطرب

***

على ! ويا سحر هذا النداء   وأعجبْ بروعتـــه أعجب
تحن إليك القلوب اللهاف   حنين الصغار لصدر الأب
إذا أغطش الليل كنت الشعاع   وكنت رجاء الغد الأصعب
وكنت الحنان ورمز الندى   وكنت المعين على المنصب
ولم لا وأنت رفيق النبى   وأنت شذا الطهر من يثرب
وأنت قريش العلى والبطاح   وأنت مدى السؤل والمأرب

***

فيا ساكنى النجف المستحب   سلام القريب إلى الأقرب
سلام الشآم كشدو الهزار   على حافة الجدول المذهب
بنى الجود والخلق المستطاب   من الأفرخ الزغب والشيب
رفاق الـكفاح رعاة الذمار   حماة المسالك والمشعب
صبغتم طريق البقاء الحبيب   بهذا الدم الثائر المغضب
فـكنتم ضحايا النضال الطويل   مشيتم على حده المرهب
وطهرتم الوطن المستـــضام   من الصل ينفث والعقرب
نقمتم على الظلم والظالمين   وثرتم على الغاصب الأغلب
فيا ثورة النجف اليعربى   غضبت وحقك أن تغضبى
يسيل الفرات بها صاخباً   ونهر العلى إن يثر يصخب
ولولاك ما كان فجر الخلاص   ولم يجل عن دارنا الأجنبى
سأذكر ما عشت هذا الجهاد   وأفنى بملهمـــه الملهب
وأحيا لهذا الحمى نغمة   وقلبىَ إما يهمْ يطرب
فيا طير هذا الغناء الرقيق   فإن شئت ترتيله فاندب
ويا جفن هذا سبيل البـكاء   فإن رمت ترويحة فاسكب
ويا قلب هذا قريض الخلود   فإما استباك العلى فاكتب
ويا نفس من ورده فانهـلى   ويا فـكر من مائه فاشرب

***

شباب الحياة شباب الجهاد   يشق المتـــاعب بالمنكب
مضى يستهين بغلب الصعاب   ويدفع بالنـــاب والمخلب
تدرع بالحزم يوم الهيـــاج   وأزرى بمرهقــه المتعب
وما الحق إلا الطماح الصراح   بغير الرجولة لم يطلب
إذا ما توانيت عنـه استبيح   وإن تنف عن صونه يسلب
فشـــيد منار العلى بالدماء   وبالمثل الرائع المعجب

(دمشق)   أنور العطار



أبو هريرة والصعيدي :

كان الأستاذ عبد المتعال الصعيدي نشر – في العدد ٧١٥ من الرسالة الغراء – كلمة حول كتابنا « أبو هريرة » فأجبناه بما نشرته الرسالة – في عددها ٧١٨ – جنحنا في جوابه إلى الدعة لا نسأله عن شيء مما غالط به أو غلط فيه كالعصمة التي حمل بها حملته على غير روية ، فان العصمة من الذنوب – التي تثبتها الامامية للأنبياء وأوصيائهم – شيء ، والعصمة من الجرح المسقط لعدالة المجروح – التي يثبتها أهل السنة لكل صحابي شيء آخر

واليوم وافانا العدد ٧٢١ من الرسالة فإذا به – يعترف بالغلط في نسبة وضع الحديث إلى محمد العثماني المذكور فقال : والحقيقة أنه من وضع غيره لا من وضعه .

ثم ضعف سنده بما لا تتنزه عن مثله أسانيد كثير من الصحاح ، على أنه لم يستند في تضعيفه إلى أئمة الجرح والتعديل وإنما أرسل تضعيفه كسائر مرسلاته .

ونحن نستند في تصحيحه إلى أمامين مسلمي الامامة في الجرح والتعديل عند أهل السنة ، حجتين عندهم في السنن لا يدافعان ، الحاكم في المستدرك ، والذهبي في تلخيصه (ص ٤٨ من الجزء الرابع) .

والأستاذ لا يجهل دأب الذهبي في تعقب الحاكم وافراطه بتضعيف كثير من صحاح المستدرك واسقاط بعضها بأقل شبهة ، لكنه مع ذلك لم يتعقبه في هذا الحديث بل صرح بصحته عن أبي هريرة . فقال : صحيح منكر المتن فإن رقية ماتت وقت بدر وأبو هريرة أسلم وقت خيبر اهـ .

وما كان الذهبي ولا الحاكم مع حسن ظنهما بأبي هريرة ليثبتا عنه هذا الباطل لو وجدا إلى حمله على غيره سبيلا ، لكنها الأمانة لا يحمل وزرها الا من (كان ظلوماً جهولا) .

وقد حاول الحاكم صرف الباطل عن أبي هريرة – كما جاء في كلمة الأستاذ – لكنه لم يفلح .

نقل الأستاذ أن كلا من الامام السيوطي والشيخ الخولي وصاحب المنار والشيخ الجزائري طعنوا في بعض أحاديث المستدرك ونحن نقول : انهم طعنوا في البعض من حديثه ، لكنهم لم يذكروا هذا الحديث بسوء ، ولو كان ضعيفاً لنبهوا إلى ضعفه ، ولو كان من الأحاديث الموضوعة لنظمه السيوطي وغيره في سلك الموضوعات ، ما علمنا أحدا من أئمة الحديث فعل ذلك .

أما ما نقله الأستاذ عن الفاضل الججموني – من انقطاع الحديث لأن المطلب بن عبد الله لا يعرف له سماع عن أبي هريرة – ففيه نظر ، وقد قيل ان الذي لم يدرك أبا هريرة انما هو المطلب ابن عبد الله بن المطلب بن حنطب ، وراوي الحديث إنما هو المطلب بن عبد الله بن حنطب ، فهما – على الأصح – اثنان يروي الأول منهما عن أنس وجابر وابن عمر وعائشة وأبي هريرة ، وروى عنه الأوزاعي وعمرو بن أبي عمر ، وقد وثقه أبو زرعة والدارقطني وحديثه ثابت في السنن الأربعة وغيرها .

وهب أنا صرفنا النظر عن هذا الحديث ولوازمه الباطلة فما رأى الأستاذ وسائر المنصفين فيما يلزم أبا هريرة من أحاديثه الثابتة عنه في الصحيحين ؟ وحسبهم منها ما اشتمل عليه كتابنا « أبو هريرة » في جميع فصوله فليممن به الأستاذ ، وليدع توجيه الجديد جانباً وليسلك جادة العلماء المنصفين (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) والذي دعانا إلى هذا إنما هو الذود عن السنة المقدسة والغيرة على الإسلام والمسلمين بتمحيص الحق المتصل بحياتنا العلمية والعقلية اتصالا مباشراً ، ان أريد إلا الاصلاح ما استطعت

صور – لبنان **عبد الحسين شرف الدين**

إلى الأستاذ على الطنطاوي :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فإنني من المعجبين بك وبما تكتبه ، وبهذا الأسلوب السهل السلس الذي يجري من النفس مجرى الطبع والذوق السليم . هـذا أما من حيث

مناقشتك للآراء فهي مناقشة القاضي العدل الذي ينظر إلى كل شيء فاحصاً مدققاً ثم يناقش على أساس راسخ وعلم غزير.

وإن حميتك العربية وفضائل الإسلام التي تتدفق في عروقك والخير الذي ترجوه للمجتمع الإسلامي من الاتحاد هو الذي دفعك لنقد هـذا الكتاب (في مقالة بالعدد ٧٢٢ بعنوان إلى علماء الشيعة) بالرغم من أن هـذا الكتاب هو طبعة ثانية لكتاب صدر منذ ستة عشر عاماً. فإن مجرد وجوده دون هـذا التعليق كان دليلا على أن النزاع سيظل قائما والجدل سوف لا ينتهي إلى حد. ولهـذا فقد أحسنت يا سيدي صنعاً. وإن حرصك يا سيدي على الوحدة والتئام شمل المسلمين في هذا الظرف العصيب لما هو جدير بالتقدير ولكن قل من يعرف المواقف وما تقتضيه في هذا الزمن.

وإن رغبتك يا سيدي في نبذ الجدل بين السنيين والشيعيين لما يقتضيه الموقف في هذه الظروف الحاضرة، ولكن هنالك في التاريخ الإسلامي سابقة هي أن العالم الإسلامي اتحد في ظرف عصيب على يد شخصية بارزة ألا وهو البطل صلاح الدين الأيوبي — طيب الله ثراه — اجتمع العالم الإسلامي كله من سنيين وشيعيين لمواجهة خطر داهم، ألا وهو الخطر الصليبي. وهذا الخطر يهدد الأمم العربية اليوم ولكن بصورة أخرى. فالقوى الاستعمارية تريد أن تكيف العالم كما تريد. وتريد أن تجعل فلسطين العربية طعما خالصاً لليهود! لا لشيء سوى أن الدول الكبرى تريد أن تهيء لليهود وطناً في أرض مقدسة ليست لليهود وحدهم وتأبى أن تستقل فلسطين العربية دماً ولحماً.

لقد أحسنت يا مولاي بقرع جرس الخطر وبالنداء للوحدة والتكتل. فعسى أن يفيق القوم من سباتهم العميق ويهبوا ليحملوا السلاح للدفاع عن فلسطين وليستعيدوا مجدهم التالد الخالد.

ويا حبذا لو ذكر لنا أستاذنا العلامة المحقق أحمد رمزي بك طرفاً من حياة صلاح الدين وتوحيده شمل العالم الإسلامي ومقاومته للصليبيين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شفيق أحمد عبد القادر

كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

كلمة صغيرة:

كان بودي أن تكون كلمتي في الرد على الأستاذ طاهر الجبلاوي هي الأخيرة. لولا شبهة صغيرة أتى بها في رده الأخير، رأيت أن أوضحها إظهاراً للحق – فقد أراد الأستاذ أن يثبت صحة ترجمته Consciousness of soul بالوعي الروحي بأن الوعي هنا بمعنى الضمير استشهاداً بالآية الكريمة «والله أعلم بما يوعون» أي يضمرون ... وليسمح لي الأستاذ أن أقدم أمامه هاتين الحقيقتين الواضحتين:

١ — الوعي ليس مصدر «يوعي» أي يضمر بل هو مصدر «وعى» وهو في الأساليب الحديثة يأتي بمعنى الانتباه مثل الوعي القومي – ولا يأتي بمعنى الضمير، وفي ذلك مراعاة لمعناه الأصيل في اللغة العربية

٢ — ليس في الفصل كله جملة واحدة تؤيد رأي الأستاذ في أن الروح يجب أن يدرك ضميرها الأشياء، والفصل كله يؤيد رأيي في أن الخطوة الأولى لمعرفة الحقائق هي معرفة الروح، فليتفضل الأستاذ بمراجعته مرة ثانية قبل أن يتهمني بالتزييف والتحريف!!.

وقد ختم الأستاذ كلمته باتهام مبهم لوح فيه بأخطاء في ترجمتي للسادهانا غير موجودة، وهذا الكلام المبهم مما لا يرد عليه؛ لأنه يحتاج إلى دليل يؤيده.

هذه كلمة صغيرة في هـذا الموضوع. وأؤمل أن تكون الأخيرة.

أسيوط **محمد محمد علي**

إلى أصدقاء أحمد محرم:

المرجو من أصدقاء ومقدري فضل شاعر العربية المغفور له أحمد محرم أن يرسلوا مشكورين ما قد يكون في حوزتهم من آثاره الأدبية (شعراً ونثراً) – ما نشر منها بالمجلات والجرائد وما لم ينشر إلى الأستاذ محمود أحمد محرم بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول.



الاختيار الذى كسر قلبي

معربة عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

وفى الحق كان هذا الخطاب أول ما شعرت به من عوامل الارتياح منذ أشهر طوال . فلقد أخبرته فيه بما يحيط مركزى من حرج يدعو إلى اليأس . خبرته بمبلغ حبي ابنتي حباً يحول بيني وبين اللحاق به ولكنني اعترفت له بأنني كنت شديدة الحماقة فى تصرفى الذى أدى بعد الواحد منا عن الآخر ، وقلت إنني أود على الأقل أن أتعزى فى شقائى بمعرفتى أحواله . ولقد كنت أعلم على كل حال أنه قد انتظرنى وأنه لم يستبدل بى أحداً . وطلبت منه أن يبعث برده على خطابى إلى شباك البريد .

قضيت أسبوعين فى عذاب متواصل تنتابنى على التوالى عوامل الخوف والشعور بالجريمة واليأس والأمل ، إذ كنت أذهب كل يوم إلى دار البريد لأسأل سؤالى المألوف : « هل جاءتنى خطابات » ؟ وأتلقى الجواب المألوف أيضاً : « لا ، يا سيدتى »

وأخيراً جاء الرد ، فكان أشبه بالمعجزة أن أقرأ العنوان وكلمات « تيد » مكتوبة بخطه الذى ألفته زماناً طويلا فكان من أعز الأشياء على نفسى . وكأنما كانت تلك الكلمات صوتاً خارجاً من القبر وقد استهلها بقوله « عزيزة نفسى » وقد قال لى فى ذلك الخطاب إن شيئاً واحداً كان ثابتاً فى حياته التى اكتنفها الاضطراب ، وأنه كان متنقلا من مكان إلى مكان وكان خطابى يتبعه حيثما ذهب . وأنه قد عاد الآن إلى لندن ، وسيغادرها بعد قليل ليبحر مرة أخرى إلى الشرق الأقصى . وقد رجانى أن أذهب إليـه ، وأن لا أكلف نفسى أكثر من حمل طفلتى معى .

وتبادلنا المراسلات شهراً كاملا محاولين أن نصل إلى حل لمشكلتنا . وقد خيل إلى أننى بمشورى عليه مرة أخرى أستطيع أن أتحمل حظى فى الحياة . ولكننى لم ألبث أن أدركت أن هذا الوضع الذى أريد وضع الأمور فيه غير عادل ولا مقبول ، فهناك فى لندن يقيم الرجل الذى أشتاق لقاءه وهو ينتظرنى ويرجونى أن أذهب إليه . فلم أضيع الحياة الوحيدة الصالحة لى احتفاظاً بعقد زواج مجرد من الحب ؟

ومع ذلك لم أكن لأستطيع التفكير فى هجر ابنتى « سو » وكنت أعلم أننى إذا حاولت أخذها من « رونى » فإنه يقدم على كل مستحيل للحيلولة دون ذلك .

وهناك إلى جانب ذلك شعورى الشخصى بروح العدل والإنصاف لا يسمح لى بأن آخذ منه الشىء الوحيد الذى يعيش من أجله فى هذا العالم وما كانت القسوة لتبلغ بى إلى حد أن آخذ « تيد » ولا أترك « لرونى » شيئاً . كذلك لم أكن لأسمح لنفسى بأن أعرض « سو » للحياة فى مركز حربى ببلاد نائية ، حتى لو استطعت أن أخرج بها من هذه البلاد .

احتفظت بخطابات « تيد » وكنت أكرر قراءتها المرة بعد الأخرى باحثة عن حل لهذا الإشكال ، وكنت فى كل يوم أعتزم أن أحرق هذه الخطابات ، ولكنها كانت جميلة جداً ، وكان حرقها فى نظرى أشبه بالتخلص من الحب الذى كنت متعطشة إليه ، بعد أن أصبح بين يدى . فكان احتفاظى بهذه الخطابات هو الغلطة الكبيرة الثالثة التى ارتكبتها . فقد كنت أدرك جيداً الخطر من وجودها عندى ، وكنت فى خوف دائم من أن يعثر « رونى » عليها ولو أنها كانت محفوظة فى صندوق المقفل .

وفى يوم من الأيام انحنيت فوق الصندوق أبحث عن شىء من القصاصات لأجعل منها ملابس لعرائس « سو » وكانت « سو » إلى جانبى فمالت إلى نصفها داخل الصندوق وقالت بلهجة الطفولة العذبة « ورق » .

ولم تسترع هذه الكلمة نظرى بادى الأمر ، ولكن بعد بضع دقائق كانت « سو » جالسة على الأرض تعبث ببعض الأوراق عند ما دخل رونى الغرفة .

فأغلقت الصندوق مسرعة وقد دق قلبي دقاته العنيفة وهو يقول :

— لقد عدت لأخبرك أننى لن أحضر الغداء اليوم هنا .

ثم حمل « سو » بين يديه وقبلها ، وهو يقول :

— كيف حال ابنتى الصغيرة . أترسمين ؟ ألا فدعى أباك يرى ما عملت »

وعلى حين فجأة وفى ثورة جنونية عرفت ما كان فى يدها ، فصحت فى حماقة بالغة :

— لا . . أريد أن أقول . . إنها لا شىء . . هاتها لى »

فنظر رونى إلى نظرة غريبة .. ثم أنزل « سو » إلى الأرض فاستمرت ترقص وهى متعلقة بساقيه ، ونظر إلى الخطاب الذى أخذه من ابنته ، فحاولت أن أختطفه من يده ولكنه أمسك بيدى ورفع يدى على رأسى ، وكان لون وجهينا قد استحال إلى صفرة الموت وثقل تنفسنا ، وقال فى إيجاز :

— لقد اشتبهت فى شىء من هذا القبيل منذ عهد بعيد ثم ترك يدى وبدأ يقرأ الخطاب ، فانحنيت على الصندوق وخبأت وجهى بكفى واندفعت فى بكاء عنيف ، علماً بأن ما وجدت كان الخاتمة والبداية . فقد كان علمه بما بينى وبين « تيد » عذاباً لى وراحة فى وقت واحد . فمعناه مواجهة الحقيقة ثم الاستقرار على أمر

ثم قال وقد تجهم وجهه وتقلصت شفتاه واشتعلت عيناه بنار الجرح الذى أصابه :

— حسناً ، ولعل الخير فى أن تذهبى ، ألا ترين ذلك ؟

فضممت « سو » بين ساعدى وضغطت جسمها الصغير الدافئ إلى صدرى ، وقلت فى لهجة منقطعة بالتنهد :

— لا أستطيع أن أتركها وأبتعد عنها .

فعانقتنى الطفلة وهى تقول بلهجة الطفولة المرحة :

— لا تبكى يا أمى .. لا تبكى .. وانظرى «سو» فهى تحبك لا تبكى ...

فانتزع رونى الطفلة منى وقال فى لهجة مخيفة :

— لا بد من أن تفارقيها ، فإنك لن تأخذيها معك ولن تبقى هنا معها ... إذهبى إليه إن كنت تعنين به فوق ما تعنين بأهلك ! إنك تحبينه ، فلن تبقى هنا تخادعيننى !

فقلت متوسلة :

— أرجوك يا رونى ... أرجوك أن تفهم !

فأجاب فى ثبات :

— إنى فاهم ... لقد كنت تحبينه دائماً ... ولم تحبينى قط ! فاذهبى إليه ... ولكنك لن تأخذى « سو » أبداً .

فقلت باكية : إن لى فيها النصف . فقال :

— إنها لن تعرف لها أباً غيرى ... وسأقف معك أمام أية محكمة فى البلاد يا « بام » وسأبرهن على أنك أم غير صالحة لكفالة ابنتك . وسأعمل الآن كل شىء لإبعادها عنك .

فتدلت شفة « سو » السفلى واضطربت وانحدرت الدموع على وجنتيها الصغيرتين . فأمسك رونى بها ولكنها مدت إلى يديها الصغيرتين وهى تبكى وتقول :

— لا تبكى يا أمى ... أرجوك لا تبكى ...

وإنى لأستيقظ فى بعض الليالى فأتخيلها أمامى وأسمع كلماتها الأخيرة لى : « لا تبكى يا أمى ! » ولعل هذا هو السبب الذى لا يعيننى على البكاء .

حمل « رونى » ابنته إلى الغرفة الثانية ، وسمعته يكلمها فى رقة وهو يلفها فى معطفها المصنوع من الصوف الأحمر ويلبسها قبعتها الجميلة ويداعبها ويسألها هل تحبه وتحب الخروج معه .

ثم سمعتها تتحدث فرحة مبتهجة ... والحق أنهما سيعيشان معاً عيشة سعيدة ، فلقد كان أباً صالحاً جداً وكانت الطفلة تحبه حباً مفرطاً .. فهما يستطيعان أن يعيشا من غيرى .

ووضع « رونى » « سو » فى الردهة ثم عاد فوقف بباب غرفتى وقال :

— سأعطيك ورقة طلاقك ولكنى سآخذ « سو » منى اليوم . فاسحبى من البنك أى مبلغ من المال شئت ، وخذى أى شىء آخر تريدينه .

أى شىء آخر أريده ؟ وأى شىء يمكن أن أريده غير ابنتى ؟ فشعرت بأن قلبى قد جمد فى صدرى وقلت باكية :

— ألا تريد حتى أن أبقى هنا !

ولقد كنت حتى تلك اللحظة مستعدة للبقاء معه إذا هو قبل ذلك . فهز رأسه وقال :

— لم يعد ذلك الآن بممكن ، فمن الخير « لسو » أن تعيش بعيدة عن أم لا تستطيع حتى أن تخلص لزوجها .

وسمعت صوت خطاهما وهما يجتازان الردهة ، ثم سمعت صوت إغلاق الباب وصوت تحرك السيارة ، ثم وثبت إلى النافذة كمن أصيب بفاجعة مفاجئة وأزحت الستار ، فرأيت وجه ابنتى الصغير ملتصقاً بالزجاج الخلفى وقد تفرطح أنفها وهى ترسل لى بيدها قبلة

فى الهواء قبل أن يبتعدا عن نظرى .

فاستولى الخبل على نفسى وأسرعت إلى آلة التليفون وطلبت لندن ثم بدأت أعد حقائبى ، وكان كل ما أخذته مما يتصل بابنتى التى لا أحب شيئاً فى الوجود حبى لها حذاء من أحذيتها الصغيرة وصورتها الفوتوغرافية ... وتركت صورتى الفوتوغرافيـة وقائمة مشوشة بما يلزمها من طعام ، وحمام ، ودواء إذا أصابها برد .

وكتبت فى آخر القائمة بخط مضطرب : « وغطيها فى الليل »

وكان من عادة الطفلة أن تتقلب ليـلا فيجىء رأسها مكان رجليها وتنفض الغطاء عن جسمها ، وكان نوم « رونى » عميقاً ، فليساعده الله فى أن يعمل لها كل ما كنت أعمله أنا .

ودق جرس التليفون دقاً شديداً وأخيراً سمعت صوت « تيد » المحبوب الذى كدت أنساه ، فلما سمع بأننى قد أصبحت آخر الأمر له ابتهج وصاح .

— لا تشحنى شيئاً فى القطار ، إنك ستركبين الطائرة ياحبيبتى؟ وسأرسل لك المال اللازم بالتلغراف ... آه ... يا بام ... سأعد الدقائق عداً ! .

فلأسرع ... نعم فلأسرع . بمغادرة البيت ولأنهب الطرقات فى إحدى سيارات الأجرة . . ولأمض لا أتلفت ورائى إلى لعب ابنتى المبعثرة فى أرض الغرفة . .

ولأنظر إلى الأمام . . إلى تيـد ! . . تيد : الذى يستطيع حبه أن يعيدنى « الفتاة » التى كنت من قبل . . جميلة محبوبة ! آه . . ياتيد . . تيد . . إنك ستنسينى كل هـذه السنوات . . . ستنسينيها نسياناً تاماً فلا يصحبنى شىء منها ! .

ولقد حاول « تيد » فعـلا أن ينسينى أيام المتاعب . ومن حسن الحظ أننا أبحرنا فى الحال ، فالبحر ، والبلاد الجديدة وليالى شهر العسل فى المناطق الاستوائية كل ذلك كان حلماً ساحراً . وشفاهه العاطشـة وساعداه القويتان الضاغطتان ، واجتماعنا معاً ناسيين العالم كله ، وهو يرينى هـذه الأراضى الجديدة التى يقيم فيها . هذه هى السعادة ، هذه هى الجنة . .

ولكن الطلاق من «رونى» والزواج فى اطمئنان من الرجل الذى أحببته ... لم يكن كله ليمحو عن رأسى ذكرى هاتين السـنتين اللتين عشتهما أما لطفلة صغيرة ... لا أدرى أين هى الآن ومع من هى ، وماذا هى فاعلة ؟ وهل لا تزال تصلى الصلاة التى علمتها ؟ وهل أوصيت فى القائمة التى تركتها بأن تستحم مرتين فى اليوم ؟ ومن الذى يتولى أمر استحمامها بينما يـكون « رونى » فى عمله بعيداً عن البيت ؟ أهى خادمة ؟ إن قلبى ليرتجف رعباً عندما أتصور إحدى الخادمات تزجر ابنتى فى خشونة وعنف ...

والآن تكاد « سو » تبلغ السنة الثالثة من عمرها . . أو هى تقرب من السنة الرابعة ... ومن الذى يغطيها فى الليل ؟

وغالباً ما أستيقظ فى الليل على حين فجأة وقد خيل إلى أننى سمعت تنفسها المرتجف الذى يدلنى على أنها تشعر بقسوة البرد .

ومازلت أتوهم مثل هذه الأوهام ، وإن كانت ابنتى قد أشرفت الآن على السنة السادسة من عمرها ... فهى على أهبة الذهاب إلى المدرســـة .. على أن « تيد » الذى كان يشعر باضطراب نفسى ، لم يكن ليبتعد عنى كثيراً فهو دائماً إلى جانبى يحاول أن يواسينى ويهدىء من روعى .. وعلى الرغم من أننى ، من أجله أحاول أن أنسى ، فإننى لا أستطيع النسيان ولا تزال سعادتنا يظللها شبح آلامى وعذاب نفسى .

ليس فى الوجود شىء كامل . وليس فيهـــا شىء كاف لإقناع النفس . فكما كنت من قبل أشتاق إلى « تيد » أنا الآن أشتاق إلى « سو » ، وكما كان رأسى يداعبه الأمل فى أن أجتمع « بتيد » ها هو ذا رأسى اليوم يداعبه الأمل فى أن أجتمع يوما بابنتى ... وحيثما ذهبنا ، وبخاصة الآن بعد أن عدنا إلى انجلترا ، تصفحت وجوه الأطفال ، أبحث عن طفلة براقة العينين ، راقصة الساقين ، بداعب الهواء حلقات شعرها الجميل . وقد تكون فى مكان يبعد أميالا عديدة عن مقامى ، وقد تكون على مقربة منى تمر بى فى الطريق .

لقد كتب علىّ أن لا أعرف شيئاً من أمرها ، ولعلى لن أعرف منه شـيئاً أبداً ... وكل ما أستطيع أن أفعله هو أن أصلى من أجلها وأن أدعو الله « أن يحفظها ... وأن يغطيها فى الليل »

عبد الحميد حمدى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٢٥ — الاثنين ٢٦ مايو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15em Année No. 725

Lundi — 26 — 5 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٥ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ رجب سنة ١٣٦٦ — ٢٦ مايو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

عجائب الشحاذين وأصحاب الملايين !

للأستاذ عباس محمود العقاد

هذه العجائب وتلك — كلتاهما من عجائب أميركا .

وهي بلاد العجائب بغير حدود من السكان ولا من طبقات السكان ؛ فإنها لتجود بالعجائب في الشمال وفي الوسط وفي الجنوب ، وإنها لتجود بها على أيدي « المتسولين » كما تجود بها على أيدي أصحاب الملايين .

وأعجب العجائب حقاً ما جاء من الوسط على رواية بعض الأنباء البرقية . ولا عجب ... فإنك لتستطيع أن تقول « أعجب العجائب الوسط » كما تقول خير الأمور الوسط . فلا تعدو الصواب .

وبلاد المكسيك هي البلاد الوسطى بين الشمال والجنوب في القارتين الأمريكيتين .

وعجيبتها المروية هي عجيبة الشحاذين ، وهي أعجب ما سمعناه من بلاد العجائب في هذه الأيام .

روى عن صحيفة « اليونفرسال جرافيكو » المكسيكية أن الشحاذين في عاصمة المكسيك قد اتفقوا على الحد الأدنى الذي ينبغي أن يقبلوه ليكون لهم عمل مجد على قدر المستطاع . وقرروا أن يرفضوا نصف المليم ولا يمدوا أيديهم إلى مادون خمسة مليمات ، وعليهم أن يرفضوا الصدقة إذا نقصت عن القيمة المقررة على الوجه الذي يرونه بالغاً في التأنيب والملامة . حسبما يقتضيه الموقف أو يقتضيه الحال » .

هذا هو الخبر العجيب !

وهو ولا شك من « علامات الزمن » كما يقولون . لأننا في زمن الإدعاء والطلب بالحق وبالباطل : كلٌّ يزعم له حقاً وكل يطالب بحق ، حتى من لا عمل له ولا معول له على نفسه . وما من أحد قط يذكر الواجب عليه أو ينظر إلى حقوق الآخرين .

وقد كانت مصر تدعى من قديم الزمن ببلاد العجائب ، أو تدعى على الأصح ببلاد المفارقات .

وكان أهل مصر يقولون على سبيل الإغراب في الدلالة على التبجح والصفاقة : « حسنة وأنا سيدك ! » ويخيل إليهم أنها غاية الغايات في الإدعاء وقلة الحياء . ولكنه عصر غابر وعجائب تاريخية وأزمنة متأخرة ... وما هي في حساب بلاد العجائب على الطراز الحديث إلا من وقائع الصحافة وأخبار كل يوم !

ترى ماذا يكون لو قوبلت هذه « الحقوق » بالرفض والإهمال من فريق « المغتصبين » ؟

أيضرب أصحاب الحقوق ؟

لو فعلوا لكان خطراً جسيما على المحسنين . لأنهم يبحثون عن أبواب السماء فلا يجدونها ، ويدورون على أبواب الوجاهة

والمظاهر فيقال لهم « يحنن » أو يرزقكم الله . ودقة بدقة أو بدقات ، وطرقة على الأبواب بطرقة على الأبواب أو بطرقات !

ويكون الجزاء على هذا من جنس العمل ، فى شريعة من لا يعملون!

وإذا صح أن الصدقة باب السماء فقد أصبحت مقاليد السماء إذن فى أيدى «سدنة» العصر الحديث ، وهم أبناء السبيل أو أبناء محراب الطريق .

وكل ما بقى من منافذ الرجاء للمحسنين المساكين أن يكون للسماء أكثر من باب واحد .

فعسى أن يبحث عنه المحسنون موفقين .

وعسى ألا يسبقهم كهان السبيل على الأبواب .

ومتى أصبحت « الشحاذة » على هذا المنوال فلسوف يصبح كل محسن فى العصر الحديث على غرار ذلك المحسن الوحيد الذى قال فيه الشاعر العربى :

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله!

***

تلك هى أعجوبة الشحاذين .

أما أعجوبة أصحاب الملايين فمن محاصيل الشمال فى تلك البلاد التى فاضت بجميع أنواع المحاصيل .

وأما بطلها العجيب فهو رجل يدعى « البرت لايت » باع مصانعه وقصوره وسياراته وقبع هو وزوجته فى خمس حجرات مزرية فى أقليم فلادلفيا ... وقال لمن سألوه : لم اكتفيت بهذه الحجرات الخمس وهى من مساكن أصحاب الكفاف ؟

فقال : إنها جهد ما تستطيع الزوجة العاملة أن تتولاه بالخدمة والرعاية ، وهى مع ذلك كافية لمأواه ومأوى ذويه الأقربين .

لو كان هذا الرجل فى الشرق لحجروا عليه ، واتهموه بالجنون المطبق ولم يكن قصاراه من التهمة أنه مخلوق عجيب .

على أنه فى الحق عجيب بين الناس لأنه نادر المثال بينهم ، لا لأنه غير مفهوم أو لأنه منحرف عن منهاج العقل السليم .

فالعقل كل العقل ما صنع وحده .

والعجب كل العجب ما يصنعه جميع الناس فى كل مكان .

لأن الناس لا يعجبون لرجل يودع عشرين مليوناً من الذهب فى مصرف من المصارف ولا يحتاج إلى درهم منها لنفقة يومه أو غده ، أو لنفقة أحد ممن تلزمه النفقة عليه .

وما الفرق بين عشرين مليوناً من الذهب باسمك أنت وعشرين مليوناً من الذهب باسم رجل آخر تعرفه أو لا تعرفه بين مخلوقات الله الذين يحسبون بالملايين .

ما الفرق بين مال تملكه ومال لا تملكه على هذا الحساب ؟

ما الفرق بين مليم تستغنى عنه وألف مليون من الدنانير تستغنى عنها ؟

لا فرق بينهما فى حساب العقل السليم .

بل ربما كان الفرق فى هذه الحالة أن المليم أفضل وأوفر من ألف المليون .

لأن هم المليم فى التفكير والحساب أهون من هم الألوف والمئات والعشرات .

وكل ما هنالك أنه تنافس على الهباء أو بطر ومزاح فى تلفيق المخاوف والأخطار .

تنافس على الهباء ليقال إن صاحب الألف أغنى من صاحب المائة أو العشرة .

وبطر أو مزاح فى تلفيق المخاوف والأخطار ، لأنك تضحك من تلك المخاوف والأخطار لو لم تكن قادراً على توهم الحاجة واختلاقها من العدم ، وأنت لا تخلقها من العدم لو استغنيت عنها واستغنيت عن تلك الأموال .

غنى من الوهم تدفع به حاجة من الوهم . فأنت فى غناك وفى حاجتك من الواهمين .

وإنما الغنى الصحيح كل مال تحوّل فى نفسك إلى إحساس صحيح . فلا قيمة لمال لا يمثله فى خزانة النفس رصيد من الإحساس ، وكل ما فى خزائن الأرض من الذهب والفضة هو مالك أنت إذا كان قصاراك من المال أن تجمعه فى خزانة أو تكتبه فى أوراق المصرف بحروف اسمك بدلا من سائر الحروف .

أكان « ألبرت لايت » عجيباً كما وصفته الصحف ووصفه قراء الخبر فى المغرب والمشرق ؟

نعم إذا كان العجيب هو النادر المخالف للمألوف .

وكلا وألف مرة كلا كما يقول خطباء الحماسة إذا كان العجيب هو الشائع المخالف للمعقول .

من أحاديث الإذاعة(*)

فى الـــترام

للأســـتاذ على الطنطاوى

يا سادتى ويا سيداتى . كنت راكباً أمس فى الترام ، أفكر فى موضوع أتحدث به إليكم ، فأسليكم وأفيدكم ، فلا يكون الحديث لذيذاً بلا نفع ، ولا نافعاً بلا لذة ، فكان يطيّر الموضوعات من رأسى ، هواء بارد يلفح الوجوه ، فيبلغ منها مثل ما تبلغ السياط ، فقمت إلى الباب لأغلقه فاستعصى علىّ ، فشددته فتأبى فجربت فيه الوسائل فما أجدت ، فتركته وقعدت . وصعد شاب مفتول العضل ، عريض المنكبين ، بادى القوة ، فجذبه فما استطاع فأمسكه بكلتا يديه ، ووضع قوته كلها فى ساعديه ، حتى احمر وجهه وانتفخت أوداجه ، والباب على حاله ، فأغضى بصره حياء منا أن ينظر فى وجوهنا وقعد . وركب بعده شيخ وكهل وامرأتان ، لم يكن فيهم إلا من جرب مثلما جربنا ، وخاب كما خبنا ...

فلما رأيت ذلك ، قلت مقالة أرخميدس فى أول الدهر : « أوريكا » ، وجدت الموضوع إنى سأجعل موضوع حديثى (فى الترام) ، فالترام يا سادة معرض الناس ، ومرآة الأمة ، وهو مسلاة لمن نشد تسلية ، ومدرسة لمن أراد استفادة ، وهو سينما أبطالها أناس صادقون ، لا (يمثلون) رواية وضعها كاتب ، ولكن يعرضون فِطَرهم التى فَطرهم الله عليها ، وأخلاقهم وطباعهم وكل صغيرة (فى الترام) تمثل كبيرة فى الحياة : هذا الباب المغلق مثلا عنوان فصل كبير من فصول حياتنا ، ونقص بيّن فى تربيتنا ، إذ ربما كان دفاع الباب أقلّ من قوة اثنين منا ، ولكنا أتيناه متفرقين ، كما نفعل فى كل أمر نرومه ، وإصلاح نطلبه ، نعمد له فرادى ، ونقصده أشتاتاً ، فلا نصل إلى مقصد ، ولا نبلغ غاية ، قد استقرت (الفردية) فى سلائقنا ، فترى الواحد منا يعمل ما لا تعمله الجماعة ، فإذا اجتمعنا أضعف بعضنا بعضاً ، أو استبد بعضنا ببعض ، وإذا نحن أردنا التخلص من هذا ، قفزنا من أول الخط إلى آخره ، فجاوزنا حد الاعتدال ؛ وتعدينا نطاق الممكن ، وأردنا أن نبنى الدار قبل أن نعدّ الحجارة ، ونصلح الأمة قبل أن نصلح الأفراد ، كأن الأمة مخلوق مستقل ، له طول وعرض وعمق وارتفاع . لا يا سادة ، ما الأمة إلا أنا وأنتم وهم وهنّ ، فإذا لم يصلح كل منا نفسه لم يكن للأمة صلاح .

هذا عيب كبير فينا دل عليه الحادث الصغير ، وما أكثر ما تدل الصغائر !

ركبت الترام مرة ، وكان مزدحماً يغصّ براكبيه ، فلا تبصر لون أرضه ، ولا تعرف من الازدحام طوله من عرضه ، وكان على المقعد إلى جنبى شيخ مسنّ أحسبه قد دخل فى السبعين ، وكان معه لبن سائل فى صحن ضحل لا غطاء له ولا قمر ، فكلما اهتز الترام ، أو تحرك الناس ، طار رشاشه على ثوبى الذى كنت أتجمل به أيام الحرب ، ولا أجد وأنا موظف السبيلَ إلى غيره ، فكنت أضم ثيابى إلىّ ، وأحاول أن ابتعد عنه ، ليدرك أذاه لى فيدفعه عنى ، فلا يدرك ولا يبالى ، فقلت له : « يا عم ، قد آذيتنا ... ولوثتنا بالحليب .... » فما كان منه إلا أن صرّخ تصريخاً جمع على أهل الترام ، وقال :

(*) كتب هذا الحديث لمحطة الشرق الأدنى . فسجل فى مصر وأذيع من يافا يومى (٢١) و (٢٢) مايو .

ولك أن تقول إن بلاد العجائب فيها مائة وعشرون مليوناً عجيبون ورجل واحد غير عجيب .

فيقول الناس كلهم : عجيب عجيب ، ولا تسلم أنت يومئذ من تهمة العجب أو من تهمة الجنون .

على أن المرأة هنا أعجب من الرجل والله .

ولو لم تكن أعجب منه لأخذت بتلابيبه وجرته إلى القضاء وملأت عليه الدنيا صخباً ولجباً كما فعلت امرأة الفيلسوف الروسى تلستوى ، أو كما فعلها من قبلها نساء الأجاويد من العرب ، وكلهن يلمن على ترك الغنى وكسب الدعة والثناء .

رجل عجيب وامرأة أعجب ، وعالم أعجب من الرجل والمرأة معاً لأنه يعجب فى غير عجب ، وكان من حقه أن يصنع كما صنعا فلا يبتلى بشحاذين من ذلك الطراز ، ولا بنزاع على الحقوق من قبيل النزاع الذى يقود إلى مثل ذلك الإدعاء ، فلا يسمع معه صوت للواجب ولا للانصاف .

عباس محمود العقاد

— « اتق الله ، ما هذا الكفر ؟ ما هذا الجحود ؟ ألا تعرف قدر النعم ؟ إنه حليب طاهر ، هل هو نجاسة ؟ حرام عليك » .

فتركته ودخلت بين الناس ، ووقفت مع الواقفين ، وقد كادت تتلامس الوجوه ، وتتلاقى الأنفاس ، وكدت أختنق ، وإذا بشاب على آخر طراز ... فى فه سيكار أسود ضخم كأنه ذنب العَنْقَرْفُوط[1] ، يخرج منه دخان كأن رائحته ضراط الخنافس ، فوقف أمامى ، حتى أوشك أن يحرق بناره أنفى ، فقلت له : « انتبه يا أخى » ، فصاح : « وأين الحرية الشخصية ؟ وبأى حق تكلمنى ؟ » وأمثال هذا الهذيان ...

فرأيت فى ذلك مثالا لعيب آخر من عيوبنا ، إننا نأخذ المسائل مقلوبة ، ونفهمها على أضدادها ، فلا الشيخ فقه الدين وعرف الحلال من الحرام ، قبل أن يعظ ويفتى ، ولا الشاب عرف المدنية ، وأدرك أحوال أهلها ، قبل أن يهذى ويتفلسف ، الدين يحرم إيذاء الناس ، والمدنية تمنع التدخين فى الترام ، ولكنا نأخذ ما لا نعرف ، ونخوض فيما لا نعلم ، فكان فى حياتنا الشىء وضدّه ، اجتمعت فيها المتناقضات ، وائتلفت المختلفات ، كما يكون فى عصور الانتقال كلها ...

وصعدت الترام مرة عجوز متصابية متبرجة ، كأنّ وجهها خريطة حربية ، من كثرة الخطوط المرسومة عليه والألوان ، ففوق عينيها خطان أسودان مقوّسان ، وعلى خديها بقعتان حمراوان ، وشفتاها كأنهما قد غمستا بالماء المغلى فاحترقتا ثم نزفتا ، فاجتمع عليهما الدم متجمداً فظيعاً ، فلم تعودا شفتين ولكن صارتا والعياذ بالله ، آفتين مشوّهتين ، وأظافر يديها كأظافر ذئبة افترست حَمَلا ، فهى طويلة محمرّة مخيفة ، فوقفت فى غرفة الرجال وهى مملوءة بالناس ، وإلى جنبها غرفة النساء فارغة مفتوحاً بابها ، فنظر الناس إليها متعجبين ، ثم ردّوا أبصارهم عنها منكرين ، فقالت : « ما فيكم واحد مؤدب ، يقوم للست يا عيب الشوم » .

فقال لها أحد الحاضرين . « تفضلى ، هذه غرفة النساء خالية » فنفضت يدها فى وجوهنا . وقالت :

— أنتم (متاخرين) كثير ، (متوحشين) ما تعلمتم التمدن .

ورأيت مرة شابين دخلا علىّ غرفة الترام ، يلبسان أردية بلا أردان ، وسراويل تكشف السيقان ، فألقى أحدهما بنفسه على المقعد فاضطجع اضطجاع العروس على سريرها ، ورفع الثانى رجلا فوق الرجل فعل الراقصة على مسرحها ، ثم تحدثا حديثاً مخلوطاً فيه العامية بالفرنسية بالانكليزية ، بالضحكات الحليمة ، والإشارات المخنثة ، تحدثا فى الأدب ، فكان من رأيهما أن الزيات والعقاد والمازنى تحتاج كتاباتهم إلى ترجمان ، لصعوبتها وأنها لا تفهم بلا قاموس ، ثم ذكرا الامتحان والدروس ، مع الحب والغرام ، وأماكن اللهو والتسلية ... حتى أنى لم أعد أطيق الصبر فنزلت وركبت تراماً آخر ...

هذان مثالان لطبقة من نسائنا ورجالنا ، يبديها الترام إن أخفتها البيوت ، طبقة هى فى الأمة كالديناميت فى البناء ، والسم فى الجسم ، والقذى فى العين ، وهى وإن تكن نادرة فينا . ولم تكن تخلو أمة من مثلها — لا ينبغى للمصلحين منا أن يغفلوا عنها ، ويهملوا إصلاحها ، لأننا أمة تستعيد اليوم حريتها ، وتبدأ جهادها وتسعى لتصل ما انقطع من أمجادها ، ولا ينال المجد إلا بشباب أولى خلق وعلم ، ونساء أولات عقل وعفاف .

ولكنّ فى الترام ، فى مقابل هذه الصور التى تؤلم وتسوء صوراً تسرُّ وتفرح ، لقيت فيه أمس فلاحاً من فلاحى مصر بجلبابه و (طاقيته) وزِنّه ، وكان معى صديق يتكلم فى الجلاء عن مصر ، وفى جامعة الدول العربية ، فاندفع والله هذا الفلاح فى حديث عن السياسة والنزاع بين الدول الكبرى ، وموقف هذا الشرق الأدنى ، وما يتوقع له ، وفصَّل القول فى حالة مصر والشام والعراق والمغرب والحجاز واليمن ، فكانت محاضرة مرتجلة استمرت أكثر من نصف ساعة ، مشى فيها الترام من الفسطاط إلى شبرا ، لو أن سياسياً دعا الناس إلى أفخم ناد من النوادى ، فألقى عليهم مثلها لخرجوا معجبين .

ولقيت فى الترام فلاحاً آخر ، مرّ به جابى الترام فناداه ، « يا أفندى » فقال له : « ما فيش أفندية دى الوقت ، الفلاحين هم أسياد البلد » ! يقظة عجيبة ، وكلام عظيم ، وسيكون أعظم يوم يصير الفلاحون أسياد البلد حقاً ، يوم لا يبقى فى مصر شركة أجنبية ، ولا مصرف أجنبى ، يوم لا يبقى فى مصر شحاد مصرى ، يوم يكون المصريون أعلم من الأجانب وأنظف منهم وأحرص على الصحة وأفهم للحياة وأسبق إلى المغامرة ، وسيجىء هذا اليوم قريباً بحول الله .

أيها السادة والسيدات .

(١) من نوع الحرباء والحرذون .

إن الترام يكشف أخلاق الناس، وطبائع البلدان، وهو مدرسة يرى المرء فيها القبيح من جاره فيتركه، والحسن فيتعلمه ويستمتع اللاحظ المدقق بعد هذا كله بفصول (الفلم) البشرى المعروض عليه

هذا فصل من الرواية: رفيقان يدعان الأمكنة الخالية، ويجلسان حولك هذا عن يمينك وهذا عن شمالك، ويتحدثان في أمورهما الخاصة بهما، من فوق رأسك، لا يحفلان بك ولا يباليانك، كأنما أنت كرسي أو متكأ أو كأن أذنيك شباك يتكلمان منه ...

وهذا فصل آخر: رجل طويل عريض، لا يطيب له أكل (بذر البطيخ) إلا في الترام، فلا يزال يقضمه بأسنانه، ويقذف قشره بلسانه، فإن لم يصب به الناس، آذاهم بقبح منظره، وسوء أدبه ...

وهذا رجل يأتيك من خلفك وأنت واقف في زاوية الترام، يرجوك أن تفسح له ليمرّ، فإذا انزحت له أخذ مكانك وتركك حائراً لا تدرى أين تقف!

وهذا عامل بثيابه الملونة بالزيت المعدنى، أو الملطخة بالطين، يحتك بك وأنت بثيابك البيض فلا يدعك حتى ينقل إليك زيته وطينه، فإن تكلمت قال: ليه؟ هوّ احنا مش بنى آدم!

وهذه امرأة ضخمة عريضة القفا، تصعد ومعها ولد على ظهرها، وولد تسحبه بيدها، وسلة كبيرة فيها سمك وبصل وكراث، فتقعد على الأرض، فتشغل مكاناً كان يقف فيه عشرة رجال، ثم لا تزال تسب هذا لأنه داس على ثوبها، وتشتم ذاك لأنه مسّ ولدها.

وهذا عجوز ثرثار، لا يفتأ الطريق كله، يذم هذا الشعب لأنه لم يتعلم أن النزول يكون من مقدم الترام، والركوب من آخره ويعجب من جهله وقلة تربيته، ولا يزال كذلك حتى يصل إلى محطته، فينسى محاضرته الطويلة، وينزل من خلف لا من قدام

وهذا رجل منتفخ كأنه الديك الرومى، مزهوّ كالطاووس يقعد أمامك فلا يرضيه ألا يمتد ويبرز بطنه ويؤخر رأسه ويرفع رجله في وجهك، حتى يقابلك نعلها، ويكاد يمسُّك طرفها ... ثم إنه إذا لمح الجابى أسرع بالنزول ولم يدفع ثمن التذكرة!

وهذا شيخ له عمامة وعذبة، لا يحب أن يذكر الله إلا على سبحة طويلة يرفعها بيده حتى يراها الناس كلهم، ولا يتمسك بسنة السواك إلا في الترام، فيخرجه من جيبه طويلا ثخيناً، فيستاك به على أبشع هيئة، ثم يعصره بأصابعه ويبصق على الأرض وإذا انتقده أحد، نادى: يا ضيعة الدين، ويا بوار الأخلاق ...

وهذا فصل آخر (عمله) السائق، يقف في المحطة يشترى طبق الفول ورغيف الخبز، ويتباطأ بعدها في سيره ليأكله، حتى إذا وجد أنه تأخر وفاته الموعد، أسرع إسراع المجنون، ولم يمهل المرأة حتى تركب ولدها وتركب بعده، فيبقى الولد في الترام خائفاً يصيح ويبكى يكاد يلقى بنفسه، وأمه تعدو وراء الترام، والناس يصرخون من كل جانب ...

وفي الترام دليل على طباع كل قطر، ونموذج من حياته، ففي الشام عراك على النزول والصعود، وتسابق فظيع إلى المقاعد لأن فيه شعباً حديث عهد بالجهاد والنضال، ولأن الترام له أول وله آخر، فالناس يركبون معاً وينزلون، وفي مصر تدور أكثر الترامات، دوران السواني، وتكر كرّ الأيام، لا أول لها ولا آخر، والناس ينزلون ويصعدون في كل مكان، وفي مصر شعب وادع أنيس فإذا فرغ مقعد في الدرجة الأولى رأيت كلاً يدعو الآخر إليه. والفرق في الشام وبيروت بين ركاب الدرجة الأولى والثانية قليل لا يكاد يظهر في زيّ ولا حديث، وهو في مصر ظاهر بيّن، لأن شعار مصر التفاوت في كل شيء، فليس في الشام ساحله وداخله، أغنياء من الوزن الثقيل ولكن ليس فيه أيضاً إلا القليل من الفقراء المدقعين، وليس فيه علماء كبار جداً، ولكن ليس فيه أيضاً أمية طاغية، وجهالة منتشرة، أما مصر ففيها أشد الغنى وأشد الفقر، وفيها العلم والجهل، والقصور والأكواخ، بل إن فيها شارعاً واحداً، في أوله الملاهى والمسارح فكأنك منه في باريز وفي أوسطه البنوك والمصارف، فكأنه من نيويورك. وآخره شارع من شوارع الرقة أو الميادين

والترام في الشام هدف كل مظاهرة، وغاية كل إضراب، فإن كان للشعب احتجاج على الحكومة، كسر الترام، وإن كان للطلاب مطلب من المعارف أحرقوا الترام، وإن شكا الناس من سوء الخبز، أو كثرة الضرائب حطموا الترام، لأنه رمز السيادة الاقتصادية الأجنبية، وأهل الشام لا يحتملون لأجنبى سيادة لا في الحكم ولا في المال.

إن حديث الترام طويل، ووقت الحديث القصير، وقد استنفدته كله وزدت عليه، وأنا أرجو إن أمللتكم عفوكم، وأشكر لكم على سماعه صبركم، والسلام عليكم.

(القاهرة) **علي الطنطاوي**

القسم الأول :

فرنســا ومستعمراتها

للاستاذ أحمد رمزى بك

هذ بحث تحليلى للاستعمار الفرنسى ومتاعبه يعرض له بطريقة إجمالية ، ويستعرض بعض النواحى التاريخية والاقتصادية وأحياناً العسكرية مع الإشارة إلى الوضع الشاذ الذى كانت فيه المستعمرات الفرنسية بين ألمانيا والحلفاء مدة الحرب الماضية . وقد شجعنى على نشره المقال الشائق الذى كتبه الأستاذ إسماعيل مظهر بجريدة الكتلة يوم السبت ١٧ / ٥ / ١٩٤٧ تحت عنوان أعصر جديد ؟ أم عودة إلى عصور العبودية ؟ وما جاء بالرسالة تحت عنوان من وراء السور الحديدى « جامعة عربية أم اتحاد فرنسى » .

إن ما لقيته قضية فلسطين فى أمريكا وأمام مجلس الأمن تجربة قاسية للعرب ، لأن الانتصار على الخصم يستلزم فهم الخصم والإلمام بأساليبه ، وفى هذه الكلمة أفكار وآراء قد لا تعجب بها ولكنها فى صميم الدفاع عن قضية المغرب وحق شعوبه لأنها مستقاة من أقوال الخصم وهى مدعاة لفهمه ولن تنتصر على خصمك إلا إذا فهمته .

فرنسا ومستعمراتها :

كانت فرنسا دولة استعمارية كبرى فى القرن الثامن عشر ، خضعت لسلطانها مساحات واسعة فى أمريكا الشمالية وأكثر من منطقة غنية من مقاطعات الهند ، ولكنها فقدت هذه المنزلة فى حروب القرن الثامن عشر والثورة الفرنسية ، فأخذت تجاهد طول المائة سنة الماضية لكى تسترجع مقامها كدولة استعمارية . ولقد برهنت تجارب أكثر من قرن على تعذر تحقيق السيادة البحرية لفرنسا وكان ضياع المستعمرات البعيدة فى أمريكا والهند كافياً لإقناع الفرنسيين أنه بغير أسطول قوى لا يمكن ضمان الدفاع عنها أمام القوة البحرية برغم جهود القواد والحكام وعبقريتهم . فكان مما فكر فيه نابليون أن يختصر الطريق البحرى الذى يفصل فرنسا عن الأراضى التى تخضع لها ، فقاد حملة مصر مؤملا أن يجعل منها قاعدة للتوسع الاستعمارى الفرنسى بالمشرق ، وكانت بريطانيا تعرف أن هذه الضربة موجهة إليها فى الهند فوقفت أمامه وقطعت الطريق البحرى عليه وأجبرت جيشه على الجلاء ، فالحملة الفرنسية هذه على مصر كانت مدرسة وتجربة برهنت على أن الفن الحربى الحديث قد جعل من السهل التغلب على جيوش المسلمين فى أراضيهم ، ثم فتحت الأذهان إلى استعمار الجزء الأفريقى المقابل لأوروبا ، فهى فاتحة الاستعمار الفرنسى فى القرن التاسع عشر .

ولا ننس أن فرنسا حينما ألجئت إلى إخلاء مصر كانت تفكر فى العودة إليها وتأسيس الامبراطورية الاستعمارية عن طريق البر إن أمكن ، أو قل على الرمال التى أراد أن يسير عليها لويس التاسع لفتح مصر فلاقى حتفه فى تونس ، ولذلك اتجهت أنظار رجالها إلى بقعة من الساحل الأفريقى تكون أقرب إليه وأبعد عن إثارة شكوك ومخاوف بريطانيا فلم تجد أقرب إليها من الساحل المغربى بالجزائر إذ هو أسهل طريق للعبور إلى أفريقية وأسلم ما يصلح لاتخاذ مرافئه مثل الجزائر ووهران وغيرها كرؤوس جسور للزحف إلى الداخل ، وقد خدمتها الظروف حينما اشتد العداء بين مصر وتركيا فانقسم الشرق على نفسه وخلا لهـا الجو فى الجهة التى تطمع بامتلاكها . حينئذ قذفت بجيوشها بين ١٨٣٠ و ١٨٤٧ على القطر الجزائرى فى الوقت الذى كانت جيوش مصر وتركيا تتقاتل فيما بينها قتالا كانت نتيجته أن انتهى بالفشل للجانبين ، بينما اندفعت هى بقوة لترسيخ أقدام جنودها على الأرض الأفريقية التى حملت أعلام دول الموحدين والمرابطين وكانت فى وقت ما موئلا للعروبة والإسلام . فأخذت تحارب أهلها وتشتتهم . ولما انتهت حروب الأتراك والمصريين لم يكن بوسع أحد الطرفين أن يمد يد المساعدة أو يجهر بالدعوة لنصرة المجاهدين من قبائل الجزائر المدافعين عن بلادهم ، فكان أن سلم الأمير عبد القادر للفرنسيين ، وإذا نحن أمام أول هزيمة للاسلام بشمال أفريقيا ، وإذا نحن فى بداية الأرزاء التى أعقبت توغل الفرنسيين فى المغرب ونتج عنه تأسيس امبراطورية ضخمة فى بلاد عربية .

أوربا تشجع فرنسا فى توسعها خارج القارة الأوربية :

وكانت فرنسا فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر أقوى أمم أوروبا وأكثرها سكاناً إذ بلغت ٢٥ مليون نسمة ، وهو عدد عظيم لما كانت عليه أوروبا فى ذلك الوقت ، وبذلك تفاءل الساسة الأوروبيون بالاتجاه الجديد الذى سارت فيه ووجدوا أن من مصلحة السلام والأمن فى القارة الأوروبية تشجيع هـذا التوسع والتزام سياسة الصمت إزاء هذا العدوان لأنه سيؤدى إلى إشغال قوى فرنسا البرية وإلى توزيع جهود هـذه الأمة الحربية

فى ناحية لا تضرهم، خصوصاً إذا وجد ضباط الجيش ورجال الجندية الذين أسكرتهم ذكريات الانتصارات الماضية مجالا لنشاطهم فى بلاد بعيدة عن أوروبا بعد أن دوخوا أمما كثيرة بحروب دامت جيلين ، وقد تم لهم ما أرادوا وقنعت فرنسا .ورجالها بهذا الدور وزاد تمسكهم به خصوصاً بعد هزيمتهم فى حرب ١٨٧٠ مع ألمانيا .

فرنسا تجعل من أراضى أفريقيا معسكراً لتموين جيوشها وضباطها

فكان أن أصبحت فرنسا بعد عدة سنوات تملك الشاطىء الأفريقى وتسيطر على مناطق وأقاليم متسعة فى الصحراء تتنقل فيها كتائبها ويتلقى قوادها وضباطها بأنحائها أساليب القتال المختلفة ويأخذون دروساً عملية باتخاذ الحروب ضد الأهالى صناعة دائمة فيدخلون الجديد كل سنة على كتب التدريب والقيادة وأنظمة تعليم عساكر المستعمرات من الجنود الملونة .

وجاءت الحرب العظمى سنة ١٩١٤ وفرنسا ثانى دولة استعمارية فى العالم ، فخاضت غمارها وأعلامها تخفق على الكتائب المؤلفة من جنود المغرب ومدغشقر والهند الصينية والسنغال تسوق الآلاف منها إلى الموت وتدفع بهم إلى الصفوف الأمامية . ثم أمضيت معاهدة الصلح فإذا بمناطق شاسعة من أملاك ألمانيا الأفريقية تدخل ضمن نطاق الامبراطورية الفرنسية إما عن طريق تعديل الحدود أو عن طريق الانتداب جزاء وفاقاً على المجهود الحربى الذى بذله جنود المستعمرات من السمر والسود فى كفاحهم لتحرير العالم . فإذا نظرت إلى خريطة لأفريقيا تجد الامبراطورية الفرنسية كتلة ضخمة ملونة بلون واحد تقع جنوب فرنسا وكأنها جزء متمم لها أو امتداد لأراضيها لا يفصلها عنها غير البحر الأبيض المتوسط ، ولكنه طريق سهل قريب لأنه يجمع بين الشاطئين فى ساعات معدودة ، وهذه الامبراطورية أو المجموعة من المستعمرات تبدو أمام الناظر والبحر يحيط بها من ثلاث جهات : المتوسط فى الشمال ، والمحيط الأطلسى فى الغرب والجنوب ، ويفصلها عن بعضها الصحراء الكبرى وهى فى صمتها وتحديها للانسان لا تزال كالربع الخالى فى جزيرة العرب تسخر من الإنسان الذى لم يفك أسرارها بعد ولم يخضعها لإرادته ، فقد فكر المستعمرون فى استثمار أراضيها وفى اختراقها بعدة طرق ممهدة للسيارات أو إنشاء خط حديدى يقطعها من الشمال إلى الجنوب ، ولم يتحقق للآن شىء من ذلك لأن مجهودات فرنسا محدودة ، وهى لن تسمح لغيرها من الدول أن يتولى هذا العمل عنها . ويخيل إلى الباحث أن هذا العمل الاستعمارى الذى بدأ بعد حروب نابليون طفرة فأصبح حقيقة فى عصرنا الحالى يبدو كعمل عظيم ساهمت فيه أمة برجالها ودمائها وتفكير أبنائها ، وإنه إن دل على شىء فهو يدل على عبقرية الذين جاهدوا فى إنشائه وجمعوا بصبر شتاته فحققوا لبلادهم حكم امبراطورية موحدة كافية لإسعاد أى بلد أوروبى يمكنه أن يتحول باستغلال خيرات هذه الأمبراطورية وثرواتها وأراضيها إلى بلد عظيم فى الصف الأول من العالم .

فهل وصلت فرنسا إلى أن تحكم بعقل وحكمة ودراية هذه الأمبراطورية وأن تحسن سياستها مع الشعوب التى تسكنها فتسعدها وتزيد من عدد سكانها وتأخذ بيدهم فى طريق الحضارة والعلم والحكم الذاتى حتى تجنى ما فى هذه الأراضى من الخيرات والثمرات ؟ .

الواقع أن فرنسا لم توفق كثيراً فى مضمار الاستعمار كما يفهمه العالم الغربى ، وإن وفقت فلشىء لا يتناسب مع جهودها أو هو ضئيل بجانب ما كان يمكن أن تصل إليه ، ذلك لأنها بقيت ولا تزال تعيش على أساليب الماضى فى إدارة مستعمراتها وفى علاقاتها مع البلاد الخاضعة لها، وإلا فلماذا يواجه الباحث فى أنحاء امبراطوريتها ما يشعره أنه داخل حصن كبير أو معسكر من المعسكرات وحوله نطاق من الأسلاك الشائكة يحرسه جنود من السنغال يسيطر عليهم رجال أشداء كل همهم قطع كل العلائق بين هذه البلاد والعالم الخارجى ولا يعرفون سوى قانون البطش فى علاقاتهم مع السكان؟ .

لماذا يلازم الناس هذا الشعور دائماً ؟ لأن عيوب الإدارة الفرنسية للمستعمرات ظاهرة واضحة ملموسة وموقف الحكومة المركزية وممثليها يشعرك باستمرار أن فرنسا لم تنجح كأمة حاكمة ، ولذلك لم تستطع أن تقدم دليلا واحداً على رغبتها فى تحرير الشعوب المظلومة ، ولا فى الأخذ بيدها فى طريق العلم والنور ، ولا فى إعطائها ما تطلب من حرية أو حكم ذاتى أو اشترا كها فى إدارة الأمور العامة أو تسليمها إلى أهلها ، كما أنها لم تقدم للعالم برنامجاً إنسانياً يمكن أن يحقق شيئاً من ذلك .

إننا لا نقر الاستعمار على أى وجه من الوجوه ، ونراه نكبة على البلاد والأمم التى أصيبت به ، ولكننا مع ذلك ننقل عن كتاب الغرب وعن الفرنسيين أنفسهم ما يعترضون به على هذه الإدارة

وتتساءل مع الباحثين لماذا تطور العالم ووقفت فرنسا جامدة لا تتقدم ؟ ولماذا غمرت الدنيا موجات التحرر فى إفريقيا وآسيا وتسللت إلى الأراضى الفرنسية ، وفرنسا واقفة لم تتغير ولم تستفد شيئاً من دروس الماضى ؟ ثم كيف تقدم على إقرار سياسة الإدماج والاتحاد فى وقت تبدو فيه عوامل التفكك والانهيار ملموسة واضحة ؟ أليس فى فرض سياسة الاتحاد دليل على إفلاس السياسة التى اتبعتها الحكومة الفرنسية والتى كانت ترمى إلى إلغاء الجنسيات والقوميات فى بعض الجهات وصهرها فى بوتقة واحدة ؟

نظريات استعمارية :

يقول الباحثون فى الاستعمار وشئونه إنه كمشروع تجارى يجب أن ينتهى بالكسب على أقصر سبيل وأهون طريق ، فليس من مصلحة الدولة الحاكمة أن تتحمل تكاليف إدارة المستعمرة وحفظ الأمن فيها ، بل هى تساعد على أن تقف المستعمرة معتمدة على مواردها الخاصة ، ويكره المستعمر استعمال العنف والقوة ، ويعد التلويح بهما ضعفاً ، والالتجاء إليهما مخاطرة يتحاشى الوقوع ما أمكن فيها ، فهو كالتاجر الذى يحاسب على الدانق ويحسب للمستقبل ألف حساب ، ولذلك يعتمد فى حكم الشعوب على نفسيتها وفهمها ليستغل غرائزها لصالحه ، ولا يلجأ إلى السلاح إلا فى الوقت المناسب وبالقدر اللازم ، وهو أسرع الناس إلى إزالة أثر القوة من نفوس المحكومين . هذه هى تجارب الأمم التى سارت فى هذا النشاط شوطاً بعيداً ، فهل اتبعت فرنسا أو أخذت بهذه السياسة ؟ إن التقاليد التى وضعتها حكومات فرنسا المختلفة فى سياستها الاستعمارية كانت جامدة ، وصعب فى كثير من الأحيان على المسئولين تغييرها واستبدالها . نعم عملت أحياناً للخروج عنها شخصيات قوية فرضت إرادتها مثل ليوتى فى مراكش ، ولكن سرعان ما عاد الروتين الاستعمارى إلى قواعده وفرض إرادته من جديد . ومن عيوب الاستعمار الفرنسى أن فرنسا بدأت حملاتها بتكاليف باهظة ، أى أن كل قطر أو بقعة من الأرض دخلتها أو بسطت حمايتها عليها كلفت دافعى الضرائب الفرنسيين مبالغ لا يستهان بها ، وقد جاءت تكاليف الفتح ثقيلة لأن الطبيعة الفرنسية تريد أولا الغلبة والنصر ، فهى قد حكمت السيف ، حيث يلزم السيف ، ووضعت السيف أيضاً حيث كان يلزم غير السيف ؛ وفى ذلك مخالفة لقواعد الاستعمار الذى يسمن البقرة ليستدر أكبر كمية من ألبانها . أما هى فحيثما حلت تحمل الأهالى الكثير من الفقر والفاقة والعنت والتشريد .

ولقد عهدنا المستعمر يتخذ له بطانة من أهل البلاد المستعبدة يروضهم على أغراضه ويوسوس لهم بما يريد ، فإذاهم طوع إشارته ، يصل بواسطتهم إلى أهدافه وأغراضه من غير أن تظهر نياته أوتشمر بأنفاسه ، ومن دون ضجة ولاجلبة . وللاستعمار الفرنسى من يخدمه بإخلاص من زعماء البلاد الخاضعة له ، ولكن فرنسا اعتادت أن تضع على أكتاف رجال فرنسيين من العسكريين والمدنيين العبء الأكبر من المسئوليات ، وأن تسند إليهم مباشرة سلطات التشريع والإدارة والتنفيذ ، فإن أساءوا التصرف تحملت هى عبء الأخطاء وخسرت عطف الناس بالدفاع عن رجالها ، بينما قواعد المستعمرين تحتم على الدولة الغاصبة أن ترسم الخطط الكبرى ، وأن تترك أمور التنفيذ لأهل البلاد يتولونها بأيديهم حتى إذا أخطأوا ، وغالباً هم مخطئون ، تبرأت السلطات منهم وألصقت الأخطاء بهم وأتت بفريق جديد يتولى تمثيل نفس الدور . وهذا النظام الأخير يجعل عيوب الإدارة الاستعمارية ملصقة بأهل البلاد دائماً ، بينما النظام الفرنسى يضع العيوب على رأس الدولة المستعمرة ويحملها الأخطاء والأعباء كما قلنا .

تأخر المستعمرات الفرنسية فى ميدان الحضارة وأسبابه :

وهناك ظاهرة أخرى لها أهميتها ، وتكاد تنفرد بها المستعمرات الفرنسية وما يشبهها من ممتلكات بعض الدول الأوربية التى احتفظت بمستعمراتها كتراث تاريخى لماض قديم ، وهذه الظاهرة هى أن التقدم المادى الذى صحب العالم فى السنوات الماضية والذى فرض نفسه على أغلب المستعمرات فى قارات العالم لم يشمل الإمبراطورية الفرنسية ، ولذلك إذا تحدث الفرنسيون عن مجهودهم الاستعمارى وملأوا العالم بكتبهم ونشراتهم ، فهو مجهود عظيم من وجهة نظرهم وحدهم ، ولكنه مجهود متواضع إذا قيس بما قامت به الأمم الاستعمارية الأخرى . فإذا نزلت بشمال أفريقيا ، وهى من البقاع الخصبة الغنية بمواردها وثرواتها المعدنية وقارنت

ما عملته فرنسا هناك بالمجهود الذى بذله الاستعمار فى نواح مماثلة ، لوجدت أن مجهودها لم يصل إلى الدرجة التى تسمح بها حضارة القرن العشرين ، وبما تضعه بين يدى الإنسان من وسائل تمكنه من السيطرة على الطبيعة ومن إخضاعها لإرادته .

تعليل هذا الوضع :

ويعللون هذا النقص بأن فرنسا بلد زراعى فى حياته الاقتصادية ، وهـذا الوضع ينقص من طاقة فرنسا وإمكانياتها كدولة عظمى ، ثم هى وطن الملكيات الصغيرة ، ولذلك يبرز فيها عامل اقتصادى هام هو عامل الادخار أو التوفير النقدى الشعبى الذى يعتمد فى تراكمه وازدياده عاماً بعد عام على ملايين من الناس . وقيل إن هذه الأمور مجتمعة تؤثر فى سياسة الدولة حينما تواجه عملها فى المستعمرات لاستغلال مواردها ، وذكر بعض الكتاب أن فرنسا كانت تحسن صنعاً لو أنها من البداية فتحت أبواب امبراطوريتها لنشاط الدول الصناعية الكبرى مثل أمريكا الشمالية ، أو بعض الدول الأوربية ، ولكن رجال الحكم وأساطين الاستعمار حرصوا منذ زمان طويل على وضع العراقيل الجمركية والتشريعية لمنع حدوث هذا النشاط ، بل أقفلوا حدود امبراطوريتهم وجعلوا منها مناطق محرمة وممنوعة لأى تنافس يأتى إليها من الخارج

ولا نشك فى أن فرنسا كانت بلداً صناعياً من الدرجة الأولى وكان هذا فى القرن الماضى ، ولكن ظهور الصناعة الضخمة وتطورها السريع فى بلدان أوروبية أخرى جعل منها بلداً صناعياً فى الدرجة الثانية . ولقد ذكرنا فى بحث سابق أن التركيز الاقتصادى بين الدول الصناعية والمستعمرات أو بين المستعمرات وبعضها يعتمد على التفوق الصناعى والمقدرة الرأسمالية والإنتاج الواسع وهى مجتمعة تمهد للدولة صاحبة الشأن أن تسير بالمستعمرات ومناطق النفوذ نحو التكتل الذى يجعل من هذه الدولة قوة عالية . أما الاستعمار الفرنسى فلا زال فى الدور البدائى الذى لم يتطور بهذه الوثبة ، ولعل شعور الفرنسيين بذلك هو الذى أملى على رجال السياسة مشروع الاتحاد الفرنسى الذى يحاولون تنفيذه .

فرنسا بلد زراعى :

وإذا نظرنا لحالة فرنسا كبلد زراعى نجد أنها من أغنى البلاد الأوروبية ، بل إحدى الدول القليلة التى تعد فى حالة استكفاء بالنسبة لغيرها ، ومعنى ذلك أنها لا تعانى مشاكل ومتاعب لإطعام سكانها ؛ فهى ليست بحاجة إلى مضاعفة المساحات المزروعة فى مستعمراتها ، فإذا كان هناك بعض الأثر للتطور الإنتاجى الزراعى وزيادته ، ويبدو هذا ملموساً فى بعض المناطق أو مكللا نسبياً بالنجاح فى المزارع التى يملكها الفرنسيون بالمستعمرات ، فأنه محدود الغاية والوسائل

رؤوس الأموال :

أما أثر رؤوس الأموال وكونها مجمعة من التوفير الشعبى فيبدو فى اتجاه أصحابها إلى تفضيل القروض الخارجية للدول الأجنبية الصديقة لتصورهم بأن فى ذلك ضمانات أكبر من المجازفة فى صرفها على مشروعات فيها روح المغامرة بأراضى المستعمرات وهى قاعدة مستمدة من طبيعة الشعب وعقليته .

فرنسا كبلد صناعى :

ونعود إلى الناحية الصناعية إذ هى العامل الأساسى الفعال لكل سياسة استعمارية موفقة نظراً لما تحويه أراضى القارات البعيدة من مواد أولية ضرورية للصناعات ، ولأن عظمة الدول الصناعية بنيت على ما تقدمه أراضى مستعمراتها من خامات رخيصة قد تذهب أحيانا إلى تمكين كل واحدة من احتكار بعض هذه المواد وحرمان بقية العالم منها . فإذا نظرنا إلى حالة فرنسا بعد أن انتهت الحرب العظمى الأولى نجد أنه طرأ عليها بعد سنة ١٩٢٠ تغيير بعيد المدى ، فقد بدأ يسيطر على مقدراتها طائفة من أصحاب الصناعات الكبرى يدعمهم رجال المال ، واعتمدوا على ما يبثونه فى الجماهير من آراء وأفكار عملوا على أن تصبح بالتكرار راسخة ، وأهمها فكرة أمن فرنسا وضمان حدودها ، أى إيهام الشعب بوجود خطر دائم يهدد كيانه ليبذل مجهوداً فى ناحية معينة أو ليستعد لتلبية التضحيات التى يتطلبها العمل لدرء هذه الأخطار .

فرنسا قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها :

ولم تكن فرنسا قبل سنة ١٩١٤ فى حالة تمكنها من منافسة الدول الصناعية الكبرى التى نضجت أو أتمت بناء هيكلها الآلى الضخم لا فى السوق العالمية ولا فى طريقة استغلال واستثمار أملاكها ، وكانت تلجأ إلى وسائل شاذة لحماية تجارتها فى الأراضى المملوكة لها ، فما بالك وقد بدأت بعد الحرب مباشرة تحمل أعباء إنشاء صناعة على نمط الصناعات الثقيلة — يقصد بها صناعات الحديد والفولاذ والصناعات الكيماوية الكبرى — ولو أن التعبئة المالية والفنية والإنشائية للوصول إلى هذه الغاية كافية لأن تستنفد مجهودات جيل بأكمله .

وقد بدأ هذا المشروع يسير سيره الطبيعى من يوم استرجاع مقاطعتى الألزاس واللورين إذ جعل ضم هاتين المقاطعتين بين يدى رجال الصناعة بعض ما كان ينقصها من مواد الصلب والحديد ، ويا حبذا لو ضم إليها جزء آخر من أراضى ألمانيا وهو الروهر إذن لحصلت فرنسا على ما تحتاجه من الفحم الحجرى .

يلتمس الكتاب الفرنسيون بعض العذر لبلادهم فى تقصيرها الاستعمارى الذى ينسبونه إلى أن هذا المشروع الصناعى الكبير الذى جعل رؤوس الأموال تتجه إلى تحقيقه اتجاها ترك النشاط فى أراضى المستعمرات قاصراً على الضرورى اللازم ، وعليه تأخر تنفيذ المشروعات الكبرى التى وضعت لاستغلال أراضى جبال أطلس بمراكش ونظر إليها وإلى غيرها نظرة ثانوية أو تأجل تنفيذها باعتبار أنها تكميلية للبرنامج الصناعى فى أراضى فرنسا الأوروبية .

وعليه فهم لا يسلمون بالنقص الذى بدا من ناحية بلادهم ويقولون ولو أن الفترة بين الحربين نقلت الدول الكبرى الصناعية مرحلة نحو التكتل والتماسك مع المستعمرات بل ذهبت إلى إدخال الصناعات فى أراضى المستعمرات نفسها كما حصل فى الهند واستراليا وأفريقيا الجنوبية وبقيت فرنسا تدير مستعمراتها بأساليب قديمة إلا أنها حسناً فعلت لأنها انتظرت الوقت المناسب لكى تستفيد من تجارب غيرها ولكى يحين الوقت الذى تندمج فيه هذه الأقطار فى نظام اتحاد فرنسى يشبه من بعض الوجوه نظام الاتحاد السوفيتى : وحينئذ تظهر للعالم فرنسا الاستعمارية القوية التى لم تضع منها سنوات الانتقال بل كانت تحضر برنامجا صناعياً للمستعمرات سوف تدهش العالم المتمدين به .

أحمد رمزي

---

٦ – تفســـير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للاستاذ محمد جمال الدين حسن

الرقابة فى الأحلام :

وهناك طريقة ثالثة تستخدمها الرقابة فى الأحلام لا يوجد لها مثيل فى حالة الرقابة الصحفية . ولكنى أستطيع أن أوضح لكم هذه الطريقة بالرجوع إلى الحلم الوحيد الذى استطعنا أن نحلله إلى الآن وهو الحلم الذى يدور حول « الثلاث تذاكر التى ثمنها فلورن ونصف » . رأينا أن المحتوى الباطن لهذا الحلم تبرز فيه صفة « التسرع والتبكير » . وقد كان معناه : « لقد كان من الحماقة أنى تزوجت « مبكراً » » ، كما كان من الحماقة أن تحجز المقاعد « مقدما » وكما كان من الحماقة أيضاً أن « تتسرع » أخت زوجى باضاعة نقودها كلها على قطعة من الحلى . » ولكن هذه الصفة الرئيسية لم يبد لها أثر مطلقاً فى المحتوى الظاهر ، وإنما كان الحلم كله مركزاً فى الذهاب إلى المسرح وأخذ التذاكر . وقد كان لإزاحة هذا التركيز وإعادة ترتيب العناصر من جديد أثره فى انعدام الشبه بين المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن للحلم بحيث لا يتسنى لأحد أن يشك مطلقاً فى تستر أحدهما وراء الآخر . وهذه « الإزاحة » تعتبر من أهم الوسائل التى يستخدمها التحريف ، وهى السبب الذى يضفى على الحلم هذه الحالة من الغرابة التى تجعل الحالم نفسه يتردد فى الاعتراف به على أنه إحدى بنات أفكاره .

وعلى هذا فالحذف والتحوير وإعادة ترتيب العناصر ، هذه كلها هى الأساليب التى تتخذها الرقابة فى الأحلام وهى الوسائل التى تستخدم فى التحريف . والرقابة نفسها هى المولد أو هى أحد المولدات التى ينشأ عنها التحريف . أما التحوير والتغيير فى الأوضاع فتدخل عادة تحت عنوان « الإزاحة » .

ولننظر الآن إلى الرقابة فى الأحلام من الوجهة الديناميكية بعد أن ألمنا ببعض الملحوظات عن أوجه النشاط فيها . لعلكم لا ينشط بكم الخيال فتصورون الرقيب لأنفسكم على هيئة قزم عبوس الوجه قابع فى إحدى خلايا المخ حيث يقوم بتأدية أعباء وظيفته ، أو تتخيلون أن هناك « مركزاً عصبياً » تنبعث منه تأثيرات رقابية معرضة للزوال إذا زال هذا المركز أو أصابه عطب . ولكن يكفينا فى الوقت الحاضر أن ننظر إلى الرقابة على أنها اصطلاح نافع يعبر عن علاقة ديناميكية ، على أن لا تعوقنا هذه النظرة عن البحث لمعرفة أى نوع من النزعات له هذا التأثير وأيها يخضع له ، كما أنه يجب علينا أن لا نعجب إذا اكتشفنا أننا ربما نكون قد تعرضنا للرقابة من غير أن نتعرف عليها . وهذا ما حدث فعلا . فأنتم تذكرون أننا أثناء قيامنا بتطبيق طريقة الترابط المطلق ، اكتشفنا أن هناك « مقاومة » ما تعترض الجهود التى نبذلها للنفاذ إلى المحتوى الباطن للحلم من خلال الظاهر . وقلنا إن هذه المقاومة تختلف من ناحية الشدة فتكون فى بعض الأحيان ضعيفة جداً فلا نحتاج إلى مجهود كبير لتفسير الحلم وتكون فى أحيان أخرى كبيرة جداً فنحتاج إلى سلسلة طويلة من الأفكار المترابطة وإلى التغلب على كثير من الاعتراضات التى تواجه هذه الأفكار . وهذه الظاهرة التى لاقتنا على شكل « مقاومة » أثناء التفسير نعود فنقابلها مرة أخرى على شكل « رقابة » فى تكوين الحلم ؛ وما المقاومة فى الواقع إلا الرقابة في شكل ملموس وهى تثبت لنا أن تأثير الرقابة لا ينعدم بعد القيام بعملية التحريف بل يظل قائماً كنشأة دائمة تعمل على إبقاء التحريف على حالته الراهنة . وكما أن المقاومة تختلف فى الشدة باختلاف عناصر الحلم ، فكذلك تختلف أيضاً درجة التحريف الذى ينشأ عن الرقابة . فالمقارنة بين المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن تحرينا أن بعض العناصر الباطنة قد حذفت تماما من المحتوى الظاهر أو حورت تحويراً طفيفاً أو كبيراً ، بينما ظل البعض الآخر على حالته التى كان عليها من غير تبديل أو تغيير ، بل ربما ازداد وضوحاً عن الأول .

قلنا إننا نريد أن نبحث لمعرفة أى نوع من النزعات له هذا التأثير الرقابى وأيها يخضع له والجواب على هذا السؤال ؛ الذى

يعتبر جوهريا ، الوقوف على معنى الأحلام أو ربما الحياة البشرية بأسرها ، يكون من الأموز السهلة إذا فحصنا سلسلة الأحلام التى بحثنا فى تفسيرها . فسنرى من ذلك أن هـذه النزعات هى التى يحكم عليها الشخص الحالم فى حالته اليقظة بأنها جزء من نفسه لا ينفصـل عنها . فمن المؤكد أن الشخص الذى لا يريد أن يعترف بالتفسير الصحيح لحلم من الأحلام التى رآها هو ، فإنمـا يفعل ذلك مدفوعاً بنفس العوامل التى تولد الرقابة وتتسبب فى وقوع التحريف فى الحلم حتى يصعب تفسيره . فالمرأة التى فى الخمسين من عمرها مثلا قد أصابها الفزع والذهول لبشاعة الحلم الذى رأته رغمـا عن أنه لم يفسر لهـا ، فما بالكم إذاً لو كانت الدكتورة فون هج — هلموث قد أفضت إليها بطرف من معناه الذى لا يخفى ! هـذه المرأة أنكرت الحلم ولم تعترف به مدفوعة بنفس الأسباب التى أدت فى الحلم إلى استبدال العبارات الجارحة بدمدمة غير واضحة .

أما النزعات التى تخضع لتأثير الرقابة ، فإننا إذا اختـبرناها بنفس هـذا القياس من النقد التحليلى فإننا نجد أنها عبارة عن نزعات لا تقبلها النفس لأنها تجرح شعور الإنسان من الوجهة الأخلاقية أو الإجتماعيـة ، وتدور فى أغلب الأحيان حول أشياء لا يجسر المرء على التفـكير فيها أو على الأقل يشعر باشمئزاز كبير إذا مرت بخاطره . وهذه الرغبات التى تؤثر فيها الرقابة فتبدو فى الحلم بشكل محرف هى فوق كل شىء إظهار للأنانية الفظيعة التى لا حد لهـا . « فالذات » (Ego) يبدو أثرها دائمـا فى كل حلم وهى تلعب فيه الدور الرئيسى وإن استطاعت فى بعض الأحيان أن تتنـكر تنـكراً تاماً بالنسبة إلى المحتوى الظاهر للحلم . وهذه « الأنانية المقدسة » (Sacro Egoismo) للأحلام ليست فى الواقع عديمة الصلة بالحالة العقلية التى تلزم للنوم أى قطع كل صلة بيننا وبين العالم الخارجى .

والذات التى تطرح عنها كل القيود الأخلاقية تحس أنها قد أصبحت على وفاق مع الرغبات التى يتطلبها الدافع الجنسى فى الإنسان ، وهى الرغبات التى لا تقرها التربية الثقافية والتى تتنافى مع القيود التى تفرضها علينا الأخـلاق القويمة . فالطاقة الجنسية (Libido) لا يحول حائل بينها وبين الأشياء التى يقع عليها اختيارها لجلب اللذة ، بل هى فى الحقيقة تفضل الأشياء المحرمة كزوجة رجل آخر مثلا ، أو ما هو أشد حراماً كتلك الأشياء التى اتفق البشر جميعاً على تقديسها كالأم والأخت فى حالة الرجل ، والأب والأخ فى حالة المرأة . وهذه الرغبات التى نعتقد أنها غريبة عن الطبيعة البشرية تظهر قوتها فى قدرتها على توليـد الأحلام . والبغض والـكراهية أيضا من الأشـياء التى تنطلق فى الحلم من غير قيد ، فالرغبة فى الأخـذ بالثأر أو تمنى الموت لمن هم أقرب الناس إلينا وأعزهم علينا فى الحيـاة كالآباء والأبناء ، والأخوة والأخوات ، والأزواج والزوجات ليست قطعاً من الأشياء الغريبة غير المألوفة . هذه الرغبات التى تخضع للرقابة يبدو أنها تنبع من جحيم حقيقى فنحن عند ما نقف على معناها فى أثناء اليقظة يبدو لنا أنه لا توجد رقابة كافية لردع هذه الرغبات . على أن الأحلام ليست مسئولة عن هـذا المحتوى الأثيم ، فأنتم بالتأكيد لم تنسوا بعد أن وظيفة الحلم التى لا ضرر منها بل النافعة هى المحافظة على النوم من عوامل القلق والإزعاج . فالإثم والفجور ليـسا من طبيعة الحلم ، وأنتم فى الواقع تعلمون أن هناك أحلاماً تعمل على تصريف رغبات مباحة ، أو حاجات جسمية ملحة . وصحيح أنه لا يوجد تحريف فى هذه الأحلام ولـكن ذلك لأنها لا حاجة لهـا به فهى تستطيع أن تؤدى وظيفتها من غير أن تجرح الشعور الأخلاقى أو الثقافى للذات . تذكروا أيضا أن درجة التحريف تتناسب مع عاملين فهى من ناحية تزداد كلما كانت الرغبات التى تحت المراقبة أشد بشاعة ولـكنها كذلك تزداد كلما كانت مطالب الرقابة أشد صرامة . ولهذا فالرقابة الصارمة فى الفتاة المحافظة التى تربت تربية قويمة قد تسبب تحريف أحلام نراها نحن رجال الطب ، تصريفاً مباحاً لرغبات جنسية لا ضرر منها ، وقد ترى الفتاة نفسها هذا الرأى عند ما يتقدم بها العمر عشر سنوات أخرى .

وفضلا عن ذلك فنحن لم نتقدم بعد فى طريق النجاح لدرجة تجعلنا نستشيط غضباً للنتيجة التى وصلنا إليها من عملية التفسير فأغلب الظن أننا لم نفهمها بعـد كما يجب ، ولـكن يتحتم علينا قبل كل شىء أن نعمل على تحصين هذه النتيجة ضد الهجمات التى قد تتعرض لها ، فإنه لا يصعب عليكم أن تدركوا النقط الضعيفة التى فيها . فنحن بنينا طريقتنا فى التفسـير على فروض فرضناها

من مبدأ الأمر وهى : أن الأحلام ليست خالية من المعنى ، وأن النظرية القائلة بأن العمليات العقلية قد تكون لاشعورية لبعض الوقت ، كما هو الحال فى التنويم المغناطيسى ، يمكن تطبيقها أيضاً فى حالة النوم الطبيعى ، وأخيراً أن من الممكن تحديد كل الأفكار المترابطة . فلو أننا تمكنا بمساعدة هذه الفروض من الوصول إلى نتيجة معقولة لحق لنا أن نستنتج من ذلك أننا كنا على صواب فى فرضها . ولكن ما هو العمل والنتيجة التى وصلنا إليها كما ترون ؟ أظن أنه يبدو طبيعياً فى هذه الحالة أن تقولوا : « هذه النتائج من التفاهة بمكان فهى مستحيلة الوقوع أو على أقل تقدير بعيدة الاحتمال ، فلا بد إذاً من وجود خطأ ما فى الفروض التى فرضناها ؛ فإما أن الحلم ليس ظاهرة عقلية كما تخيلنا ، أو أنه لا توجد أفكار لاشعورية لا ندركها فى حالتنا الطبيعية ، أو أن هناك عيباً ما فى طريقة التفسير . أليس من الأفضل إذاً بل من الأسهل علينا أن نسلم بصحة هذا الافتراض بدلا من الموافقة على هذه النتائج البشعة التى تمجها النفس والتى نعترف بأننا وصلنا إليها عن طريق الفروض التى فرضناها ؟ » .

أجل يا سادة ، إنى أوافقكم على أنه أفضل وأسهل ، ولكن ليس معنى ذلك أنه أصح . وعلى هذا فلننتظر قليلا ، فالمسألة لم تنضج بعد للحكم عليها ، وتعالوا بنا قبل كل شىء نقوى الاعتراضات التى تواجه طريقتنا فى التفسير . فنحن لا نبالى كثيراً إذا كنتم لم تستسيغوا النتائج غير السارة التى وصلنا إليها ، وإنما المشكلة التى تواجهنا حقاً هى أن كثيراً من الحالمين لا يقرون بالنزعات والرغبات التى ننسبها إليهم عند ما نقوم بتفسير أحلامهم بل ينكرونها إنكاراً باتاً مبنياً على أساس متين . فقد يقول أحدهم : « ما هذا الذى تزعم ! أتريد أن تبرهن لى على أن ما أنفقته على تعليم أخى وعلى بائنة أختى كان على غير رغبة منى ؟ أيعقل هذا وأنا الذى قضيت عمرى كله أجد وأعمل لأرعى إخوتى وأخواتى ولم يكن لى هم فى الحياة إلا أن أقوم بواجبى نحوهم كأخيهم الأكبر حتى أنى بالعهد الذى أخذته على نفسى أمام والدتى وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة ؟ » وقد تقول امرأة : « ما هذا ؟ أتريد أن تفرض علىَّ أنى أرغب فى موت زوجى ؟ حقاً إن هذا كلام فارغ لا يصدق . فنحن لسنا سعداء فى حياتنا الزوجية فحسب ، ولو أنك قد لا تصدق هذا ، ولكن بموته سأفقد كل شىء أمتلكه فى هذه الحياة الدنيا . » أو قد يجيب شخص آخر بما يأتى : « أتريد أن تزعم أننى أضمر لأختى شعوراً بالرغبة الجنسية ؟ ولكن هذا مضحك حقاً فهى لا شىء بالمرة بالنسبة إلىَّ ، فنحن لم نكن على وفاق فى يوم من الأيام ، بل إنه قد مضت علينا سنوات لم نتبادل فيها كلمة واحدة » .

على أنه ما زال فى إمكاننا أن لا نهتم كثيراً إذا لم يستطع هؤلاء الحالمون أن ينكروا أو يعترفوا بما ننسبه إليهم من نزعات ورغبات ، فقد نستطيع أن نقول . إن هذه هى بالذات الأشياء اللاشعورية التى لا يعلمون عنها شيئا . ولكنهم عند ما يحسون فى أعماق قلوبهم بعكس الرغبة التى ننسبها إليهم بناء على التفسير ، وعند ما يبرهنون لنا بسيرتهم وسلوكهم الدائم فى الحياة أن الرغبة العكسية هى الغالبة عليهم فمن المؤكد أننا لن نحير جواباً . أيكون الوقت قد حان إذاً لكى نطرح كل الجهود التى بذلناها فى تفسير الأحلام كشىء أدى بنا إلى نتيجة تافهة (reductio ad absurdum) .

(يتبع)

محمد جمال الدين حسن

من وراء المنظار



ثبات عجيب

أفٍّ لهذا المنظار ! أزلت عنه التراب والصدأ ووضعته على أنني بعد طول غيبة ، فماذا يريني من دنيا الناس ما يسوؤني في الكثير مرآه ، وإن كان ليسرني أن أراه ...

ولا يعجبن القارئ من هذا التناقض . فإن عجب فليعجب من هذا المنظار الذي يقع بي على ما يضحك في ذاته وإن كان خليقاً بأن يستل من النفس كل ما أوصى به الله من صبر . وأكثر ما يريني منظاري ما يتصل بأقوى سبب بالتحمس والتحمسين . والمصريون كما أعلم وتعلم أيها القارئ الكريم قوم شديدو التحمس سريعو الانفعال ، وإن كانوا رقيقي الحاشية أسخياء الطبع مرحي النفوس . فما أسرع ما ينقلب الرجل الذي تمازحه ويمازحك في مثل ارتداد الطرف إلى نمر هائج لأقل بادرة منك في الحديث . وإننا لنتحمس في كل فصل ... في الشتاء وفي الربيع وفي هذا الحر الذي يزهق النفوس وكثيراً ما يكون التحمس لغير سبب ظاهر ، وهذا عندي أدعى صوره إلى إثارة الضحك كتحمس هذا الذي أريد أن أحدثك عنه ...

هو شاب في نحو الخامسة والثلاثين ، بادي الفتوة ، مهندم الثياب ؛ تطالعك في وجهه لأول وهلة أمارات الجد ، وترى في جلسته ونظراته شيئاً من الصلف والصرامة ؛ وتحس من عضلاته المفتولة وصدره العريض المرتفع أنك أمام مصارع محترف ...

جلس في « المترو » على مقعد في الدرجة الأولى ، ولم يبلغ الزحام في ذلك الصباح ما يبلغه أكثر الأيام من شدة : فالممر بين صفي المقاعد خال من الناس ، والباب إلى الدرجة الثانية لا يقف فيه أحد ... وفي مثل هذه الحال لا يتساهل محصلو الأجرة في أن يركب الراكب حيثما اتفق له ...

وكان صاحبنا يطالع إحدى صحف الصباح ، وكنت على مقعدي تلقاءه ، أنظر إليه من وراء منظاري ، ولست أدري لم ألقى في روعي أنني أمام متحمس من طراز عجيب ؟ ... أكان ذلك لما يبدو من صرامته وصلفه ودلائل قوته ؟ أم كان مرد ذلك إلى ما كان يرتسم على وجهه من علامات الاشمئزاز والنفور كلما نقل بصره في الصحيفة من عنوان إلى عنوان ؟ فلقد رأيته لا تتشكل أساريره قط بما ينبئ عن ارتياح لشيء مما يقرأ ...

ومهما يكن من شيء فإني شعرت بأني حيال متحمس من متحمسينا الأشداء ...

وجاء محصل الأجرة وهو كهل نحيف يردد لفظيه المتادين : ورق ... تذاكر ؛ ويزيد عليهما بين حين وحين قوله : فلوس ، وينقر بقلمه على ظهور المقاعد أو على ظهر الخشبة التي تحمل تذاكره ...

ومشى نحو صاحبنا ، فلما بلغه كان قد بلغ في ندائه قوله : فلوس . وناوله الفتى بطاقة يقرض منها بمقصه خانة فيساوي ذلك قرشاً ونصف قرش ، ولم يكن في البطاقة إلا الخانة الأخيرة فقال محصل الأجرة لصاحبنا « ادفع الباقي » فلم يرد الفتى وعاد إلى صحيفته ينظر فيها كأن لم يحدث شيء .

ونفخ المحصل في زمارته فوقف « المترو » ، واشتد الغيظ بالركاب جميعاً ، وصارت القضية على تفاهتها من قضايا الرأي العام ، ولكن في مجالها الضيق هذا ... وأصر صاحبنا إصراراً شديداً وثبت ثباتاً عجيباً لا يكترث لشيء ! ...

وخطر لأحد الركاب حل سلمي فتقدم بالباقي إلى المحصل ؛ وهنا وثب الفتى من مقعده ينتهر هذا المعتدي على كرامته ويطلب إليه أن يضع نقوده في جيبه . ونطق فإذا هو نخم اللفظ ينطق الزاي ظاء والتاء طاء والدال ضاداً ، وكان كلما انطلق منه لفظ تراجع المسكين الذي تقدم بالنقود خطوة وقد رد نقوده لتوه إلى جيبه وأخرج يده يقلبها في الهواء بيضاء من فرط خوفه ، أما المحصل فقد رضي من الغنيمة بالإياب ؛ ونظرت ونظر الركاب فإذا ثلاثة أرباعه في الدرجة الثانية وما بقي منه ففي الدرجة الأولى ، ولعله كان يتأهب ليغلق من دونه الباب ...

وذكرتني ثورة هذا التحمس بما كنت أقرؤه عن « الدوتشي » إذ كان يرعد في وجه موظفيه ... وجلس هذا « الدوتشي » المصري لا يكترث لشيء ولا يجرؤ أحد أن يكلمه كلمة ... وكم بيننا من أمثال هذا البطل ممن لا يحسبون لأحد

حساباً مهما بلغت شناعة ما يصنعون ...

وكنت أكتم ضحكى تلقاءه، وأخشى أن يغلبنى، فأتأهب لألحق بالمحصل وأوصد من خلفى الباب؛ ثم أشغل نفسى بالتفكير فى أمره، فأقول لو أن لهذا « الدونتشى » ولأمثاله من المتحمسين الأشداء مثل هذا الثبات فى الجد من الأمور، أو مثل هذا الرفض والإباء إذا دعاهم رؤساؤهم إلى غير ما يحبون، لأخرجت أمتنا من الأبطال ما لم تخرج أمة مثله فى غابر الزمن وفى حاضره، ولكن أكثر تحمسنا يأتى حين لا نخشى قوة، وكثيراً ما يكون فى التافه من الأمور ..

وظل هذا « الدونتشى » على ثباته وإصراره، وظل القطار فى موضعه والناس فى العربات الأخرى ينظرون فى ساعاتهم ويطلون من النوافذ ويظهرون أشد علامات التبرم والسخط، ويطل بعضهم من الباب ينظرون إلى هذا الذى لا يبالى بشىء.

وجاء قطار آخر وتشاور المحصلون فيما بينهم؛ ثم انطلق بعد حين ذلك القطار الذى يحملنا ويحمل الدونتشى حتى وقف على إحدى المحطات، فنزل مزهواً بالنصر ومشى مرفوع الهامة موفور الكرامة إلى حيث يتضاءل ويتصاغر بين يدى رئيسه.

الخفيف

٢٨٠٤٣

أعلام معاصرون:

محمد عبد المطلب

١٨٧٠ - ١٩٣١ م

للشيخ محمد رجب البيومى

يرى المتجول فى مديرية جرجا قرية « باصونة » الصغيرة، حل بها لفيف من العرب الخلص الذين ينتمون إلى قبيلة جهينة وهى إحدى القبائل العريقة التى نزحت من الجزيرة العربية إلى مصر فى حقب مختلفة ومازالت تتنقل فى ربوع الوادى حتى استقر بها المقام فى أعلى الصعيد

ومنذ ثمانين عاما كان بهذه البلدة الهادئة بيت مرموق المكانة يقصده الوافدون للتبرك بصاحبه الصوفى الزاهد « عبد المطلب واصل » فهو شيخ وقور تنتظم فى بيته حلقات الذكر وتهب لديه النفحات الروحية الصافية، ثم هو عالم متفقه فى دينه يعظ الناس كل مساء بما وعاه من الكتاب والسنة، فيهز أوتار القلوب. ويأخذ بمجامع العقول، هذا إلى عربيته الخالصة ونسبه الصريح

ولد شاعرنا الكبير سنة ١٨٧٠ فى هذا البيت الطيب، فتربى تربية دينية قويمة. وطبع منذ نعومة أظفاره على الخلال العربية الحميدة، وطبيعى أن يسلمه والده إلى معلم القرية فيحفظ القرآن الكريم، ويلم بقواعد القراءة والكتابة، حتى إذا فرغ من ذلك أمكنه من الفقه الإسلامى والحديث النبوى فارتشف ما قدر عليه من معينهما الرائق، ثم أنس من نفسه المعرفة فجلس يعظ الناس مكان والده، وهو يبد فى مبدأ العقد الثانى من حياته الزاهرة، فكان من يسمعه فى هذه السن الباكرة يؤخذ بلباقته الفائقة، ويدعو له بالنجاح والتوفيق

وكان العارف بالله الشيخ اسماعيل أبو ضيف شيخ الطريقة يزور مريده « عبد المطلب واصل » فى « باصونة » من حين إلى آخر، فشاهد نجله الصغير يعظ الجمع الحافل كعادته، وهو لا يزال طرى الأملود غض الإهاب، فتوسم فيه النجابة والذكاء، وزاد به إعجابه فعرض على والده أن يصحبه إلى القاهرة حيث يرتشف العلم الغزير من منهله الرائق بالأزهر الشريف، وكانت فكرة حميدة تلقاها الوالد بالترحاب والقبول، ولم يمض زمن وجيز حتى كان الواعظ الصغير طالبا بالأزهر يقضى فيه بياض نهاره، فإذا جنه الليل توجه إلى منزل حاضنه الشيخ اسماعيل فلازمه حتى الصباح

وإذا كان الفتى قد شهد مجالس التقوى فى صورة مصغرة عند والده بالصعيد فإنه فى منزل حاضنه الأكبر الشيخ أبى ضيف يرى الصورة الكبيرة لهذه المجامع العامرة، ويستمع إلى القصائد الصوفية التى تنشد فى الحلقات كل ليلة، فيحس لها رنينا مشجيا يدعوه إلى تفهمها واستظهارها حتى كونت لديه ملكة حساسة تطرب للتوقيع الجميل، وتتذوق المعنى الرائع، ومهما يكن من

شيء فقد كانت هذه المقطوعات الصوفية أول حافز دفعه إلى الانكباب على الدواوين الشعرية فى ميعة صباه يستوضح غامضها ويتفهم معانيها حتى خلقت منه فيما بعد شاعراً فحلا جزل العبارة فخم الأسلوب !

ولقد كان الطالب الأزهرى مبرزا بين لداته ، مشمولا بعطف أساتذته ومشايخه . إذ أن المبادىء الفقهية التى حصلها عند والده قد مهدت له أسباب التفوق والنبوغ ، ودفعته إلى التحصيل فى لذة وشوق ، فأخذ يستوعب كل ما يلقى عليه أتم استيعاب حتى نضج عقله فى مدى سبع سنوات قضاها فى الأزهر المعمور ، ثم هو لا يكتفى بما يأخذه من دروس قيمة فى اللغة والدين بل رتب لنفسه جزءا خاصاً من روائع الشعر العربى يحفظه يوماً بيوم ، حتى خرج من الأزهر إلى مدرسة دار العلوم سنة ١٨٩٢ م وعنده من غرر القوافى ثروة ثمينة ساعدته على النظم فى مختلف الأفانين الشعرية ، وجعلته يثق بنفسه ويعتد بملكته أكمل اعتداد

ولقد هيأت له الظروف فى سنته الأولى بدار العلوم فرصة طيبة لمع فيها نجمه ، فقد وقف يرثى فقيد المعارف على باشا مبارك فى حفل عام أقيم لتأبينه فأتى بالرائع المعجب من الأبيات الرصينة ، وخرج أساتذته وزملاؤه الذين سمعوه ينثرون عليه أكاليل الثناء ، ويضربون به المثل فى قوة الشاعرية وصفاء القريحة ، مما حفزه بقوة إلى الإطلاع الدائب ، والإنتاج الثمين

وكان المرحوم الأستاذ الشيخ سليمان العبد إذ ذاك مدرساً فى دار العلوم وله ميل شديد إلى النظم . فكان لا ينشىء قطعة إلا عرضها على تلميذه مستنيراً برأيه أمام زملائه ، وكثيراً ما ينزل على إرادته فيحذف ويثبت كما يملى عليه تلميذه الناشىء ، فإذا ما نشر قصيدته ـ وكان دائماً يكتب فى الوقائع المصرية ـ قرأها على تلامذته معترفا بما لعبد المطلب من أثر جميل

قضى الشاعر أربع سنوات فى دار العلوم وتخرج منها فى سنة ١٨٩٦ متوجا بالنجاح ، فنجا من قيود الدراسة التعليمية ، وهى كما نعلم — محصورة فى علوم خاصة ومناهج محددة ، قد لا يكون للشاعر فى بعضها رغبة ملحة أو حاجة ماسة ، أما الآن فهو حر فيما يقرأ ويدع ، وهنا نجد عبد المطلب قد عكف على الكتب الأدبية القديمة يستخلص لبابها ويستظهر أشعارها ، ويروى أخبارها ، ومن حظه أن عين مدرساً بمدرسة سوهاج الابتدائية وبها يومئذ صفوة مختارة من عشاق الأدب ورواد المعرفة ، أذكر منهم المرحومين الأستاذ عبد الرحمن قراعه ، وعبد الله بك الطوير وعلى بك الكيلانى ، فنشأت بينهم وبين الشاعر صداقة وليدة تمهدها الأدب بمائه العذب حتى غدت دوحة مورقة وارفة فكانوا يعقدون مجالس السمر الأدبى حافلة بالنادرة الطريفة والملحة البارعة ، فإذا جاء دور الشعر فحمد راويته الفذ وصناجته الحكيم ، وكثيراً ما يقترحون عليه أن ينظم فى معنى معين فيتحفهم بما يريدون مستعينا ببديهته المواتية وقريحته المتوقدة ، وكان الشيخ قراعة أحبهم إلى قلب شاعرنا المجيد ، وإنك لتجد فى ديوانه قصائد عديدة ممتازة قالها فى صديقه الوفى تنطق بالود الخالص ، وتنبىء عن الحب الأكيد ! .

ولقد نظم الشاعر فى هذا العهد طائفة محمودة من الشعر السهل الواضح تتناسب مع تلامذته فى المدرسة الابتدائية ، فجذبهم إلى الشعر يتذوقونه ويحفظونه بعد أن كانوا لا يجدون منه غير المغلق المستعصى على مداركهم الناشئة مما خلف الأولون ، فكان عبد المطلب بهذا أول من خط الصحيفة الأولى فى كتاب الشعر المدرسى فى وقت صدف فيه التلاميذ عن كل ما يتصل إلى العربية بسبب . وإنك لتقرأ أبياته فى ذلك ، فتراها جليلة الغرض ، رائعة المغزى ، سهلة التناول ، سلسة النسج كأن يقول

إن كنت تبغى المعالى   فالعلم أهدى سبيلا
فأحقر الناس من قد   طوى الحياة جهولا
تراه بالجهل يمشى   بين الأنام ذليلا
نحن الذين اتخذنا   نور العلوم دليلا
لعلنا فى المعالى   بها نجر الذيولا

وهو لا يكتفى بحثهم على العلم فى هذا النسق الجميل ، بل يجذبهم إلى الأدب بنوع خاص فهو عنده كل شىء فى الحياة ، اسمعه حين يصف لتلامذته القلم فيقول

إذا اهتز فى طرسه معجبا   أذل شعوبا وأحيا شعوبا
فيسعد قوم به تارة   وقوم به يصطلون الخطوبا
وطورا تراه يفض الجموع   وطوراً تراه يثير الحروبا
وطورا ينادى الورى سائلا   وطوراً يرد عليهم مجيبا

وفى ديوانه مقطوعات عامرة من هذا الطراز الرقيق ، ويقينى أنه أول من حفز صديقه وتلميذه الأستاذ الهراوى إلى سد هذا الفراغ فى الأدب ، فنظم ما نظم من شعر الأطفال ترضية لأستاذه الحبيب

(البقية فى العدد القادم)

محمد رجب البيومى

الأدب والفن في أسبوع

مدارس الشعر :

نلاحظ فى الأنباء الأدبية الواردة إلينا من بعض الشقيقات العربية فى هذه الأيام ، وفيما يكتب عن الحالة الأدبية فيها ، كثرة ما يقال من مثل « أدباء الجيل الجديد » و « شعراء المدرسة الحديثة » ، وقد يقابل هذا بنحو « الأدب القديم » و « الأدباء المحافظون » .

وأكثر ما نجد ذلك فى الحجاز ، وقد وفدت علينا أخيراً طائفة من دواوين الشعر من إنتاج صفوة من الشباب الحجازيين الناهضين ، حوت شعراً جديداً جذب الأنظار إلى منازل وحى الشعر العربى الأصيل . وليس عجيباً أن تتردد بينهم كلمة الجديد وكلمة القديم ، لأن جيل الكهولة هنالك لم يكد يجاوز حدود عزلته للمشاركة فى نهضة الأدب العصرية فى سائر البلاد العربية .

وفى مصر لا نزال نرد الشعراء إلى مدارس تنسب إلى الجديد وإلى القديم ، ولكن ذلك خفت حدته فى السنوات الأخيرة وقلّ ترداده ، وكان أمره مستشرياً فى أوائل هذا العصر ردّ فعل لعصر الجمود السابق له ، ثم تهيأت الأذهان واستقرت بها الحقائق الأدبية العصرية ، فتدانت المدارس واجتيزت الحدود ولم تعد بينها فروق كبيرة ، وأصبح الاختلاف بين الخصائص الشخصية أكثر من الاختلاف بين الخصائص المدرسية .

لذلك لم يكن الناس يتوقعون ما قاله الأستاذ العقاد عن لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية فى الحفل الذى أقيم منذ أسابيع لإعلان نتيجة المسابقات الأدبية ، فقد نسب الأستاذ الشعراء إلى مدرستين : ابتداعية حديثة ، واتباعية سلفية ، على أن الأستاذ نفسه أشار إلى متاخمة المدرستين واقتراب خصائصهما .

وقد قرأت أخيراً من الدواوين الحجازية الجديدة ما يسوغ لى أن أسجل هنا أن الشعر الحجازى الجديد لا يلتزم حدود مدرسة معينة ، وهو يسير فى ركب الأدب العربى الحديث مقارباً ومؤاخياً ، وأن الشعراء الشباب هناك ليس بينهم وبين أمثالهم فى مصر وفى سائر البلدان العربية كبير اختلاف إلا فيما لا بد منه من بعض السمات المحلية .

الشعر والاستعمار :

ذكرنا مقال الأستاذ أحمد أمين بك الذى كتبه فى عدد (الثقافة) الأخير بعنوان « الأدب يناهض الاستعمار » والذى بين فيه أن سقوط أمم الشرق فى يد الغرب جعل الناس يشعرون أن الحرب الحقيقية بين المستعمَرين والمستعمِرين بدأت بدخول الأجانب بلادهم ، لا أنها انتهت بدخولهم ، فكان الأدب هو وحده المعبر عن شعورهم ، ثم بين اتجاه البارودى فى شعره إلى مسائل عامة يعرض فيها قضية الوطن واستثارة الهمم ، وكذلك شوقى وحافظ اللذان أذكت زيادة الوعى القومى فى عصرهما حرارة الوطنية فى شعرهما ، وكان يناهض الاحتلال إلى جانبهما شعراء آخرون أمثال أحمد الكاشف وأحمد محرم وأحمد نسيم ومحمد عبد المطلب ومحمد الهراوى

ذكرنا ذلك بما يلاحظ على شعرائنا الأحياء من ضآلة نصيبهم فى ذلك المضمار وقعودهم عن مكافحة الاستعمار ، وخصوصاً فى هذه الآونة التى استفحلت فيها المنازعات بيننا وبين المستعمرين ، وبلغ فيها الوعى القومى مبلغاً كبيراً

فهل ترجع قلة محصول شعرائنا فى هذا الميدان إلى قصور شاعرياتهم ، أو ترجع إلى أن الشعر يتجه ، فى آخر اتجاهاته ، اتجاهاً غنائياً ، فلا يحفل بحماس الوطنية ولا بمشاكل السياسة ؟ ؟

سفير عربي :

حدثنا الأستاذ محمود تيمور بك عن زيارته لدار الكتب الأهلية فى نيويورك فى أثناء رحلته إلى أمريكا فى العام الماضى ، قال يصف تلك الدار : « إنها مبنى عظيم يحتوى على حجر رحبة وقاعات فسيحة ، وقد جبت أرجاءها فاستهوتنى تلك الطرافة والتجديد فى كل ركن ، وذلك التيسير وسرعة الإفادة فى كل

موضوع ، وزهانى أن تقع عينى هنالك على قسم عربى ملحوظ الجانب بين سواه من الأقسام ، هذا سفير الشرق العربى يتربع هنا فى مهابة وإجلال ... ألا تراه أعز مكانا وأحمد أثرا من مقاعد تمد للشرق فى هيئة الأمم أو مجلس الأمن أو غيرهما من هيئات السياسة والشئون العالمية ومجامع الشرف والتكريم ؟ »

والأستاذ تيمور يعمل فى تأليف كتاب عن هذه الرحلة اسمه « أبو الهول يطير » يفرغ منه قريبا .

مسابقة المجمع اللغوى :

اجتمعت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الاثنين الماضى ، ونظرت فى موضوع المسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ ، وقد تناقشت اللجنة فى موضوعات الشعر والقصة والبحوث من حيث التقييد والإطلاق ، وكان بعض الأعضاء قد اقترح أن تعين موضوعات جائزة الشعر والقصة مثل البحوث ، ولكن رئى عدم الأخذ بهذا لأن تحديد الموضوع وإن كان مقبولا فى البحوث الأدبية فإنه لا يستحسن فى الشعر والقصة ، إذ لا شىء أفسد لهما من صنعهما عن طريق التعمل والتكلف

واقترح أحد الأعضاء النص على أن الإنتاج المقدم للجنة يجب ألا يكون قد سبق تقديمه للمجمع ولا لأية هيئة علمية أخرى ، لأن مثل هذا الإنتاج لا ينبغى أن يجاز مرتين ، وما دامت هيئة علمية محترمة قد سبق أن أجازته فمن الحرج مخالفتها ، فنوقش هذا الاقتراح بأنه يجب قصر النص على ألا يكون الانتاج مما سبق أن أجازه المجمع ، أما ما سبق لهيئة علمية أن أجازته فلا ينبغى أن يكون هناك مانع من قبوله ، وقد جرت على ذلك المجامع الأوربية ثم استقر الرأى على أن ما يقدم للمجمع يجب ألا يكون مما سبق أن أجازه المجمع . أما النص على ألا يكون مما سبق أن أجازته هيئة علمية محترمة فلا يذكر وتترك المسألة مطلقة

وقد تقرر تخصيص مبلغ مائتى جنيه لأحسن إنتاج من الشعر العربى الفصيح ، ومبلغ مائتى جنيه لأقوم قصة وضعت بالعربية الفصحى لا تقل عن مائتى صفحة من القطع المتوسط ، على ألا يكون كل من الشعر والقصة قد سبق تقديمه للمجمع

وتخصيص مبلغ ٤٠٠ جنيه للبحوث الأدبية على أن توزع على النحو الآتى :

ا — ٢٠٠ جنيه لأحسن بحث بالعربية الفصحى عن البيئة الأدبية فى المدينة أيام بنى أمية

ب — ٢٠٠ جنيه لأقوم بحث بالعربية الفصحى عن مهيار الديلمى وشعره

على ألا يقل البحث المقدم عن مائتى صفحة من القطع المتوسط وترسل إلى المجمع نسختان من الإنتاج الأدبى المقدم ، مطبوعتان أو مكتوبتان على الآلة الكاتبة فى موعد لا يتجاوز نوفبر سنة ١٩٤٧

التتويج الأدبى :

كان مجمع فؤاد الأول للغة العربية قد قرر فى سنة ١٩٤٥ « أن يتخذ سنة جديدة فيتوج أعظم الآثار الأدبية كل عام بتقديره ومنح صاحبه جائزة كما سيصنع مع الأستاذ خليل بك مطران »(١) وتم فعلا بعد ذلك تتويجه للأستاذ خليل بك مطران ومنحه جائزة ٨٠٠ جنيه . وكان ضمن قراراته فى المسابقة الأدبية الماضية تتويج الإنتاج القصصى للأستاذ محمود بك تيمور ومنحه جائزة مائة جنيه

وقد نظرت لجنة الأدب أخيراً فى هذا الموضوع فرأت عدم تتويج أحد فى هذا العام ، وقررت مبدأ جديداً . أن يكون التتويج معنوياً لا مادياً أى تقديراً أدبياً فحسب ، فلا يمنح المتوج جائزة مادية ، على أن يكون التتويج حسب مشيئة المجمع واختياره من تلقاء نفسه ، لا بناء على طلب صاحب الآثار الأدبية

المخطوطات العربية :

من مشروعات اللجنة الثقافية بالجامعة العربية إنشاء معهد لإحياء المخطوطات العربية ، ويجرى العمل فى سبيل تصوير المخطوطات العربية القيمة وجمعها فى هذا المعهد .

وهذا مشروع جليل يستحق أكبر العناية ، فلا تزال فى

(١) نص قرار المجمع سنة ١٩٤٥

المكتبات العربية أسفار مخطوطة عظيمة الشأن، منها مراجع يلق الدارسون عناء كبيراً فى نبش قبورها، كالمنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، وكالمغرب فى حلى المغرب.

وتلك المراجع المخطوطة هى أهم ما يستعين به من يضع مؤلفاً فى أحد الموضوعين اللذين قررت اللجنة الثقافية وضع جائزتين للتأليف فيهما، وهـذا الموضوع هو « تاريخ الأمة العربية من سقوط بغداد إلى أول القرن الثالث عشر الهجرى » فجل تاريخ هذه الفترة مما حوته المخطوطات.

وقد أنشأت الجامعة المصرية منذ سنوات كرسياً للأدب المصرى، والمقصود أدب تلك العصور، ولا شىء أعون على دراسته من إحياء تلك المخطوطات، فغاية ما نرجو أن يكون حظ الجامعة العربيـة من التوفيق فى ذلك أحسن من حظ الجامعة المصرية.

الإذاعة العامية:

وأخيراً وافق مجلس الوزراء على مذكرة وزارة الشئون الاجتماعية الخاصـة بإعادة تنظيم محطة الإذاعة، بعد أن آلت إدارتها إلى الحـكومة. ومما تضمنته هذه المذكرة تأليف لجان ثقافية وفنية لاقتراح ما يذاع من الموضوعات واختيار المحدثين والفنانين وما إلى ذلك.

والمأمول من هذا التنظيم الجديد أن يحقق ما يرجى من محطة الإذاعة بحيث يقوى براجها ويتلافى عيوبها التى استهدفت للنقد فى الأيام الأخـيرة. ومهما يكن من شىء فإنا لا نستطيع أن نستمر على غض الطرف عن هـذه العامية المتفشية فى الإذاعة المصرية، فى التمثيليات وفى الأحاديث ... وليس الأمر مقصوراً على العامية منها، بل نسمع كثيراً من المحدثين بالعربية يلحنون ويخطئون فى النطق وفى التعبير، وكثيراً ما يقع ذلك ممن يدعون من الوزارات المختلفة للتحدث فى موضوعات فنية. فلم لا تـكون هناك رقابة لتصحيح لغة الأحاديث وتمرين المحدثين على النطق الصحيح ما داموا لا يهتمون بتقويم ألسنتهم فى لغتهم كما يهتمون بتقويمها فى اللغات الأجنبية!

وقد انفردت محطة الإذاعة المصرية من بين سائر المحطات العربية بالإكثار من الإذاعة العامية، فلا تكاد تجد فى محطة غيرها حديثاً ولا تمثيلا إلا بالعربية الفصيحة.

فيجب أن يلتفت القائمون على أمر الإذاعة فى عهدها الجديد إلى أنه، قبل تقوية صوتها ليسمع جلياً فى العالم العربى كله، يجب أن يكون هذا الصوت بلسان عربى مبين.

« العباس »

من صور المجتمع المصرى :

عرس فى مأتم

للاستاذ على الجندى

كانت الجنازة تسير فى خطى وئيدة إلى مدينة الأموات ! وفى أذيالها نوائح متشحات بالسواد ، يتبارين فى شق الجيوب ولطم الخدود ! ومن بينهن فتاة فى طراءة السن ، بيضاء اللون ، فاحمة الذوائب ، ساجية العينين ، مخطفة الخصر ، تتأطر فى مشيتها وتبالغ فى الإرنان والنحيب ! وتحيل على وجنتيها باللطم فيكاد يبض منهما الدم ! حتى شق ذلك على صواحبها فقلن لها : ارحمى شبابك يا « جمل » .

وقد كنت أظن بادىء النظر أنها تصدر فى ذلك عن كبد حرى وفؤاد مقروح ، ولكنى رأيتها فى سر من رفيقاتها تثنى سالفتها ، وتخزر عينيها ، وتفتر عن بسمات الدل والإغراء ! فأيقنت أن هذا الدمع زيف ، وأن ذلك الحزن مصنوع لا مطبوع ! يا للمفارقات العجيبة ! !

قطعة زاخرة من الحياة تدلف فى ركاب الموت ! ونغم حلو شجى يرتفع بين النشيج والعويل ! وبسمة وضيئة ترف على عبوس الأحزان ! !

لقد استطاعت هذه الحسناء اللعوب أن تذهل الناس عن جلال الموت ! ولكنها استطاعت كذلك أن تصلهم بالصانع الحكيم الذى أبدع هذه الدمى الفاتنة فأدقها وأجلها !

وقد أوحى إلى هذا المشهد الفريد هذه الأبيات ولكن أشهد أن ما بقى فى نفسى من ذلك أعظم وأجل !!

لا تنوحى كما ينوح النساء   أنتِ نور ، وهن طين وماء
إنتِ عرس تطني على المأتم الصا   خب منه الأنغام والأضواء
أنت تحت الخشوع فى موكب المو   ت دلال ، وفتنة شعواء
أنت بين النحيب ، واللوعة الحرى   م نميم ، وبهجة ، وصفاء
أنت بين الأحزان ، والألم المشـ   ـبوب زهر ، وخمرة ، وغناء
اتقى الله فى خدودِك ، فالور   د من اللطم جذوة حمراء
اتقى الله فى عيونِك فالنر   جس أدمت أجفانه الأنداء
وبلاء أن يذبل النرجس الغض   م ويلهو بوردتيك الفناء
كيف تأسى مَن وجهها فى الأسى المبـ   ـرح روْح[1] ، وسلوة ، وعزاء

(١) راحة .

كيف تبكى من ثغرها لمة البـ   ـشر إذا جدَّ بالحزين البكاء
لا تقولى : أبكى رياء ، فما يحـ   ـسن من حسنك البرىء الرياء
لا تقولى : هى المداراة ، فالنا   س جميعاً — إذا سلمت — هباء
ماعهدنا أن يخمش (البدر) خديـ   ـه وأن تسكب الدموع (ذكاء)
جلَّتِ الصنعة العلية أن يُلـ   ـطم وجه يشع منه الضياء
فابسمى للحياة ، فالحسن بسا   م ، وقبيح أن تَعْبِس الحسناء
وامرحى فى الشباب فالفطرة البيـ   ـضاء تأبى أن تستكين الظباء

***

أى نعيش سارت تشيعه الشمـ   ـس وتسعى وراءه الجوزاء
شغل الحامليه ظبى رخيم   لاعب بالعقول كيف يشاء
قد ضمنا أن ينزل «الخلد» ميت   لمست عود نعشه « حوْراء »
كيف لم تعبق الجنازة[1] مسكا   من شذاها ، وتورق «الحدباء»

***

حسبكِ الله ! قد نسينا بك المو   ت ، وللموت حولنا ضوضاءِ
بين سود الثياب ، والفاحم الفيـ   ـنان وجه ، له الوجوه فداء
عجب الناس أن يروا فى الضحا الما   تع بدراً تحفه ظلماء
ومهاةً تحت الأسَى تتثنى   خوط بانٍ تهزه النكباء
كلما ماس عطفها انسدل الشعر   م فغطى على الصباح المساء
وتنزَّت رمانتان من العا   ج ، وماجت حقيبة بجراء
ترسل الصوت كالبغام ، وترنو   بعيون ، تفتيرها صهباء
وتندى خدودها عبرات   تصف الحزن ، وهى منه براء
تصنع الدمع صنعها الدَّلَّ ، والتمـ   ـثيل فن تجيده « حواء »
وهى حيناً تجلو جُمَانَ لِثات   تتمنى سلافها الندماء
بسمات بين الدموع كما افترت   م عن البرق مزنة وطفاء
كل شىء فيها يناديك أن تخـ   ـلع ثوب الوقار حتى البكاء
ومن الغانيات مَنْ كلها فن   م أنيق ، وكلها إغراء
ما عليها لو حجَّبَت ناظريها   فاستراحت من الجوى الأبرياء
دينها الفتك ! لا السوابغ خرز   من ظباها ولا التروس وقاء

***

سمت طرفى الإغضاء عنها ، فماصا   نى ، وصعب عن مثلها الإغضاء
ليت شعرى ما رابنى من جمال   هو لله حجة بيضاء

(١) بالكسر : الميت .

إليهـــا . . .

للشـــاعر إبراهيم محمد نجا

طائر الليل وراء الأفــق طارا   وبدا الفجر كأحلام العذارى
فتعـــالى خففى من لوعتى   أوفزيديها — إذاشئت — أوارا
إن تكن نارك تكوى مهجتى   حبذا نارك فى المهجة نارا
أنا يا هند خيـــال شارد   سئم الناس ، كما عاف الديارا
عشت فى الدنيا غريباً حائراً   هائماً فى كل واد ، مستطارا
يستوى عندىَ يومى وغدى   وكذا أمسىَ ليلا ونهارا
ملك اليأس زمامى ، فأنا   لا أسير اليوم إلا حيث سارا
لا تلومينى ؛ فكم من أمل   طاف حولى وتغنى ، ثم طارا
معزفى باك ، وقلبى خافق   لج فى المـاضى حنيناً وادكارا
فتعـــالى يتغنى معزفى   بالهوى طوعاً،وبالحسن اختيارا
أو فعودى بى إلى الماضى الذى   غاب خلف الأفق عنا وتوارى
كلمـــا نبّـه قلبى طيفُـه   لم يطق قلبى من الشوق اصطبارا
أين منى الآن أفق ضـاحك   كان للحب مراحاً أو مطارا ؟
أين منى الآن وكر هادىء   حوله الجدول ينساب نضارا ؟
ملك الحب كســـاه مطرفاً   وكسته ربة الطهر شـــعارا
طالما زرناه يا هنـــد معا   ورجعنا منه لم نخلع عـذارا
وغرسنا بذرة الحب به   ثم عـــدنا فجنيناها ثمارا
حبذا الحب ملاكا طاهرا   لا يرى إثما ، ولا يبصر عارا
حبذا الحب منارا فى الدجى   يسكب النور على دنيا الحيارى
حبذا الحب نسيما عاطرا   يرتقى بالروح حتى يتوارى
حبــذا الحب عيونا تلتقى   فى ظلال الشوق سرا أو جهارا

***

تلك دنيا بعد العهد بها   ونأت عنا مقاما ومزارا !
أفما زالت على عهد الهوى ؟   أم أحال الدهر مغناها قفارا ؟
أين منى الآن روح طاهر   كان فى ظلمـاء أيامى منارا ؟
أين منى الآن جسم باهر   يأسر اللب انعطافاً ونفارا ؟
أين منى الآن ثغر ســـاحر   طاب كالزهرة عطراً وافترارا ؟
يسكب الحسن عليـــه نوره   والفراشات إليـــه تتبارى
رفرف الحب عليـــه طائراً   والمنى رفت حواليـــه إطارا
أين منى الآن شعر ناعم   ضـلّ قلبى فى ثناياه وحارا ؟
كلمـــا مرت عليه نسمة   داعبته ، فتمالى واســـتدارا
أين منى الآن صوت حالم
يترك الأطيار فى الروض سـكارى ؟
لى منـــه نشوة ما تنتهى   أترانى أحتسى منـه عقارا ؟
أين ؟ ... لاشىء سوى دمع الأسى
وطيوف اليأس فى قلبى حيـــارى !

***

من لباك ليس يرقا دمعـــه   ومحب ضـيع العمر انتظارا ؟
طالمـا حن إلى المـاضى الذى   غاب خلف الأفق عنه وتوارى
آه يا قلبى ! كفانا حـيرة !   وكفانا أيها القلب عِـثارا !
طُوى الماضى ! فيا قلبى اتئد !   عبثا تطلب للمـاضى انتشارا !
لم يعد ماضـــيك إلا ذكرا   فاْحىَ فى الماضى حنيناً وادكارا

ابراهيم محمد نجا

رب حسن هدى إلى خالق الحسـ   ـن حيارى لم يهـــدهم أنبياء
ودعاء باسم المـــلاحة يزجى   قد تلقته بالقبـــول السماء
شقى النـاس بالجمال ، ويشقى   ـ تحت ظل السعادة ـ الأغبياء
ليت من أشعلوا البسيطة ناراً   عرفوه ، فـــلم يصبنا البلاء
لو دَرَوْا سِرَّه أظلهمو السلـ   ـم ورفَّت عليهمـــو النعماء

على الجندى



الجمهورية اللبنانية تكرم النشاشيبي :

سبقت الجمهورية اللبنانية إلى تكريم إمام العربية فى هذا العصر العلامة المحقق الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي فأهدت إليه وسام الاستحقاق اللبنانى المذهب تقديراً لجهاده الأدبى الدائب المثمر فى سبيل وحدة العرب ونهضة العربية. وليس بِدعا أن يسبق لبنان دول العروبة إلى أداء هذا الواجب لرجل قصر جهده وفكره ووقته وماله على خدمة الأدب العربى زهاء أربعين عاماً ، فإن لبنان يجرى فى هذا السبق على أعراق آبائه . فقد كانوا حين تَترَّك العرب وجعلوا يدرّسون نحو العربية وصرفها باللغة التركية فى مدارس العراق والشام ، يتعصبون هم للغة القرآن فيجددون قديمها ، وينشرون أدبها ، ويصدرون الصحف بها ، ويصنفون المعاجم لها ، ورحم الله آل البستانى وآل اليازجى !

كلمة أخيرة فى أبى هريرة :

قرأت ما كتبه الأستاذ عبد الحسين شرف الدين فى العدد ٧٢٤ من مجلة الرسالة ، فوجدته يدعى أنا معشر أهل السنة نذهب إلى عصمة الصحابة من الجرح المسقط لعدالة المجروح ، وهذا ليس بصحيح ، لأن العصمة خاصة عندنا بالأنبياء ، وعدالة الصحابة عندنا لا ترجع إلى عصمتهم ، لأنه يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم ، وإنما ترجع إلى ما كان من تحرزهم فى دينهم ، وما يأخذه أخواننا من الشيعة عليهم يرجع إلى رأيهم فى الخلافة ، ومثل هذا لا تسقط به عدالة .

ثم وجدته يعود إلى حديث دخول أبى هريرة على رقية ، وإلى تصحيح الحاكم لسنده ، مع أن البخارى أعله بالانقطاع ، ومع أنى أثبت له ضعف هذا السند فى روايتى الحاكم ، واعتمدت فى هذا على كتاب ميزان الاعتدال للذهبى ، وقد ذكر الأستاذ أنى ضعفت هذا السند بما لا يتنزه عن مثله أسانيد كثير من الصحاح ، وفاته أنه يكفر أبا هريرة بهذا الحديث ويتهمه بوضعه ، ولا يصح تكفير مثل أبى هريرة إلا إذا لم يكن مطمن ما على غيره ، فاذا كان هناك مطمن ما على غيره لم يصح تكفيره ، لأن التكفير لا يثبت إلا بقاطع فيه .

على أن تصحيح الحاكم لسند ذلك الحديث لا يفيد الأستاذ فيما يريده من إثبات وضعه ، ومن أن واضعه أبو هريرة ، لأن الحديث الذى يصح سنده دون متنه لا يكون موضوعاً ، وإنما يكون فى متنه غلط أو نحوه ، كما تقرر هذا فى علم مصطلح الحديث ، أما طلب الأستاذ أن ينظر فى غير هذا الحديث من كتابه فيمنع منه أن مجلة الرسالة لا تتسع له .

عبد المتعال الصعيدى

إلى الأستاذ الطنطاوى (١) :

أتقول - أيها الأستاذ الفاضل - إن « مؤلف الكتاب - السبيتى - لا يسوق ما ساقه على أنه رأى له ، بل على أنه معتقد الشيعة وأن المعتمد عندهم ، وأنت تصدقه فى ذلك ما لم ترَ علماء الشيعة يكذبونه وينكرونه عليه » .

فتعالَ معى - حفظك الله - لأدلك على الشباب المثقف فى مدينتنا - التى تُعَدُّ أهم مراكز الشيعة فى العراق - لترى أنه لا يعير هذه التقاليد والعقائد اهتمامه بل هو راغب عنها ، ثائر عليها ، لا يهتم بهذه النعرة - الطائفية الأثيمة - الجالبة الشر إلينا وعلينا ، لأنه عرفها من عمل « المستعمر » الغاشم وأذنابه ، ودرى أنها ليست نتيجةً للتفكير .

وكُنْ على يقين ثابت من قولى من أن هذا الكتاب - تحت راية الحق - الذى كان بين يديك قبل مدة وقرأته وعلقت عليه ، لم يقرأه شباب الشيعة المثقف عندنا ، ولا يحاول أن يطّلع على كتاب - كهذا - يحوى بين دفتيه سفساف الأمور ، وأشياء لا تجلبُ للمسلمين سوى الضرر . وأنهم عجبوا منك حينما طرقت هذا الموضوع ، فى صحيفة تخدم الأدب والعلم والفن ! وحقيق بنا أن نعجب !

***

(١) تعليق على مقال « إلى علماء الشيعة » الذى نشره فى عدد الرسالة ٧٢٢ .

عفواً ، « إن إخوانكم الشيعة لا يعتقدون أن المهاجرين والأنصار لم تصف نفوسهم لفهم الدين ، ولم تصل إلى أعماق قلوبهم ، وهم يرونهم — كما ترونهم — أئمة الهدى وورثة الرسول » والشباب الواعى لا يسب الصحابة لأنه يراهم « خلاصة الإنسانية ولباب البشر » ولأنه واثق أن الدين الحنيف قام على أكتافهم وشُيِّدتْ دعائمه ببذل جهودهم المشكورة .

وبعد فإننى لم أرد — بهذا المقال — الدفاع عن الشيعة بل إنما أردتُ أن أقول الحقيقة ، وأدعو المسلمين كافة إلى نبذ أمثال هذه الكتب المفرقة ، فحسبنا هذا الاختلاف أربعة عشر قرناً .

فقد اتحد أقوامٌ من أديان مختلفة وانضموا تحت لواء واحد ، وبقينا نتنازع ، وانقلبنا شِيعاً بعد أن كنا كالبنيان المرصوص وأُصبنا بما أُصبنا .

أليس من العيب علينا ألا نتحد وكلنا يَدين بدين محمد !

(كربلاء — العراق) **جواد صالح الطعمة**

١ — فى العروض :

فى « الرسالة » الغراء فى عددها (٧٢٣) قصيدة حرة سابقة للأستاذ الكبير الشاعر النابر محمود الخفيف استوقفنى فيها ما أردت إثباته للحقيقة .

يقول الأستاذ :

وهّاجة شعلتها لا تَنى تنفىء لا يحبسها حابسُ
من موطن سارت إلى موطنِ خانقها من موتها يائس
نار ســناها ليس فى الأعين ملء أبيّات النفوس السنا
... ... الخ

والشاهد أن الأستاذ أسّس فى الشطر الأول من البيت الأول « بألف التأسيس » فى كلمة (لا تنى) وأغفله فى البيتين التاليين وهو ما لا يجوز فى شِرعة العروضيين أهل السبق والرتق والأذن الواعية .

هذا ، وللأستاذ الموقّر تحية المقدِّر ، والسلام .

٢ — منذئذ :

عرضت لى هذه الكلمة فى مجلة « العالم العربى » ووقفت عندها موقف الشاك فى غير إثم ...

فأنا أعرف أن « حينئذ وعندئذ ويومئذ وليلئذ ... » كلها تحدد الزمان حيال أمر مضى أو انقضى .. أما (منذئذ) هذه فأمرها غير أمر أخواتها وإن وقع الشبه ..

« فمنذ » كلمة تحدد الزمان لأمر حدث فى الماضى واستمر حتى ساعة الخطاب .. تقول : ما عرفت طعم الكرى منذ رحل أو مذ رحل .

وأما (منذئذ) فأنا أسأل عنها العارفين شاكراً ... والمرء جاهل ما عاش ...

(الزيتون) **عدنان**

خطأ عروضى شائع :

نشر الأستاذ مختار الوكيل قصيدة فى هلال مايو ، بعنوان : « إلى أخى » وهى مهداة لكل أخ فى جنوب الوادى ، ومطلع هذه القصيدة :

أخى قد شاء رب الكو نِ أن يُجمع قلبـــانا

وهذا المطلع كما هو ظاهر من بحر الهزج (مفاعيلن مفاعيلن) (وكذا عجزه !) بينما البيت الذى يليه من مجزوء الوافر وهو :

فأســكننا بوادٍ فا ضَ بالخــيرات ألوانا

لأن وجود التفعيلة (مفاعلتن) فيه تكفى لجعله من ذلك البحر .

وأكثر أبيات القصيدة خليط من بحرَى الهزج ومجزوء الوافر وهو خطأ يقع فيه كثير من الشعراء المحدثين .

(فلسطين) **خليل ابراهيم الخطيب**

فى مقال القفجاق :

وقع فى مقال الأستاذ رمزى بك المنشور فى العدد الماضى خطأ مطبعى فى كتابة هذين الإسمين فنعيد نشرهما مصححين :

كابتشاك	Kaptchak
وكيبتشاك	Kiptchak



الحجاج فى الميزان

(تأليف الأستاذ طه عبد المجيد الشيمى)

تاريخنا لم يكتب بعد ، وما هذه الكتب التى بين أيدينا إلا مصادر له ، على أنها مصادر يصدر عنها الخير والشر ، والصحيح والباطل ، وسبب ذلك أن علماءنا لم يعنوا بنقل التاريخ . عنايتهم بنقل السنة ، ولم يتعبوا أنفسهم في تصحيح إسناده ، وتمحيص رواياته كما أتعبوا أنفسهم فيها - وأن التاريخ دوّن فى عهد العباسيين فكان فيه من التحامل على بنى أمية خاصة شىء كثير ، لا سيما وأن أكثر الطعن فيهم ينقله مؤلفونا المعاصرون عن مثل المسعودى واليعقوبى وهما شيعيان متهمان ببغض بنى أمية ولا بد من إعادة كتابة هذا التاريخ من جديد .

وهذا الكتاب محاولة صالحة لدرس حياة الحجاج دراسة أراد المؤلف أن ينصفه فيها ويدفع عنه تهم أعدائه ، ففعل ولكنه بالغ فى ذلك حتى كان نظره إليه نظره إلى صديق يمدح لا مؤرخ ينقد ويزن .

والكتاب للأستاذ طه عبد المجيد الشيمى من علماء الأزهر فى مائة صفحة من القطع الصغير يطلب من دار مجلة الإسلام فى شارع محمد على بمصر .

على الطنطاوى

معرض الأدب والتاريخ الاسلامى

(تأليف الأستاذ محمد عبد الغنى حسن)

قال لى صديقى الأستاذ محمد عبد الغنى حسن وهو يقدم إلى كتابه الأخير أكتب عن هذا الكتاب وانقده ما وسعك النقد. فقلت له لقد قرأت هذا الكتاب يوم صدر ، ولم يكن فى عزمى أن أقرأه كله ، ولكنى ما كدت أقرأ الصفحات الأولى منه حتى مضيت فى قراءته إلى آخره ، لأنى وجدت فيه متعة ولذة وسهولة مع براعة الاستهلال وحسن الانتقال ، ولا أذكر أنى وجدت فيه مآخذ تستوقف النظر . فإن كتبت عنك فلا بد لى من الرجوع مرة ثانية إلى الكتاب لألتمس فيه المغامز التماساً ، فلا تكلفنى شططا .

قال : بل اكتب .

فقلت كما قال أرسطو : أحب أفلاطون وأحب الحق ، ولكن حبى للحق أعظم .

الكتاب يقع فى ٢٣٤ صفحة ، وفيه هذه الموضوعات : قصة الأساطيل الإسلامية ، ارتياد جزيرة العرب ، التجارة الإسلامية على مر العصور ، الوزارة والوزراء فى الإسلام ، مكتبات عربية فى الشرق والغرب ، دور التحف العربية ، الرحلات العربية ... ثم أربعة عشر موضوعاً خلاف ما ذكرنا ، وهذا هو السبب الذى جعل المؤلف يصوغ عنوانه « معرض الأدب والتاريخ الإسلامى » .

وأول ما يستوقف القارىء هو هذا العنوان .

هل الإسلامى صفة للتاريخ أم صفة للأدب والتاريخ . إن كانت الصفة للتاريخ فقط فالعنوان صحيح ، وإن كانت لهما معاً ، فالواجب أن يقال : معرض الأدب والتاريخ الإسلاميين .

ولست حجة فى اللغة العربية وقواعدها ، ولكن العقل السليم يقتضى ما ذكرت ، على الرغم من أن اللغة تتسع لكثير من التخريج والتأويل .

ثم قال فى قصة الأساطيل الإسلامية : « ومن العجب أن عمر بن الخطاب الفاتح العظيم ، لم يحب ركوب البحر ، بل على الضد من ذلك صرف المسلمين عنه . وكتابه إلى معاوية يؤيد هذا ، فقد أقسم بالله الذى بعث محمداً بالحق لا يحمل فيه مسلماً أبداً . وذلك حينما اقترح معاوية وألح فى الاقتراح على عمر ركوب البحر وغزو الروم فى حمص .

« وعجيب جداً أن يكون هذا موقف عمر من البحر وهو الذى دوخ البلاد فتحاً وغزواً ، ولعله أراد أن يركز قوة المسلمين فى البر حتى يتهيأ لهم مع الزمن ركوب البحر » .

وإذا كان الأستاذ عبد الغني قد اعتمد على هذا النص الموجه إلى معاوية، فهناك نصوص أخرى تفيد غير هذا المعنى. من ذلك — وأنا أرجع الآن إلى الذاكرة — قول عمر «علموا أولادكم الرماية والسباحة». والسباحة لا تكون إلا بحراً لا براً، وقد قال عمر ذلك في معرض الفروسية وتربية العرب على الحرب والقتال. والذي ينصح بالسباحة لا يمتنع من النصح بركوب البحر.

ومن جهة أخرى لا ينبغي تفسير التاريخ بالنظر إلى وثيقة واحدة. والواقع في المسألة أن الحروب التي قام بها عمر في فارس والشام، ما كانت تقتضي ركوب البحر، ولو أن الله مد في حياته، لفعل كما فعل عثمان بن عفان.

وقال الأستاذ عبد الغني عند الكلام على «التجارة الإسلامية على مر العصور» ما يأتي «وكانت روح الإسلام المتحرجة من التجارة باقية عند الأمويين، ولم تترك لهم المنازعات السياسية والحزبية مجالا للبيع والشراء. فلما جاء العباسيون تغيرت نظرة الناس إلى الأشياء وأصبح التاجر الغني موضعاً للتبجيل والاحترام».

ويبدو كذلك أن هذا الحكم سريع لا يستند إلى الواقع من التاريخ. فالقول بأن المنازعات السياسية والحزبية لم تترك للأمويين مجالا للبيع والشراء، قول يصح بالنسبة إلى الدولة العباسية فقد كثرت فيها المنازعات السياسية والحزبية.

ومهما يكن من شيء فهذه وجهات من النظر في تفسير التاريخ، ولن نجد في التاريخ تفسيراً واحداً.

ولا أحب في ختام هذه الكلمة أن أذكر المواطن التي أعجبتني في هذا الكتاب، وأن أنبه عليها، حتى لا يقال هذه تحية صديق

أحمد فؤاد الأهواني

١ — نظرة العجلان في أغراض القرآن

(تأليف محمد كمال الخطيب المحامي)

إذا كان القرآن الكريم قد ظل على طول القرون مقصد العلماء يتناولونه من سائر نواحيه بالدراسة والبحث، فإن هذا الكتاب يلم بناحية فنية من تلك النواحي إذ قصره مؤلفه الفاضل على البحث في وحدة الموضوع في السور وتناسب الأغراض بين الآيات، وعلى هذا تحدث عن جميع سور القرآن مبتدئاً بفاتحة الكتاب حتى بلغ النهاية، وهذا الذي عناه المؤلف مما تناوله المفسرون ورجال البلاغة ولكن في مواضع متفرقة وفي مناسبات استطرادية. فكان من الفضل للمؤلف أن جعل من ذلك وحدة شاملة هي موضوع كتابه النافع وإن كان قد اضطر إلى إجمال الكلام إجمالا لا يشبع.

أما مؤلف هذا الكتاب فهو الأستاذ محمد بك كمال أحمد الخطيب المحامي ومدير مجلة التمدن الإسلامي التي تصدر بدمشق، وهو معروف بصدق الغيرة الإسلامية، وليس كتابه هذا إلا مظهراً من مظاهر هذه الغيرة الكريمة، ولا شك أن كتابه بما له من جلالة الموضوع سيقع عند القراء موقع الرضا والتقدير.

٢ — ألغاز الحياة والموت

(ترجمة الأستاذ علي عبد الجليل راضي)

الخلق. الروح. البعث. الذرة. الأثير. الأحلام. الضمير، هذه الموضوعات التي تتصل بعالم الكون وعالم الإنسان قد حيرت الأفهام وأرهقت عقول العلماء على أنها لا تزال مورد التساؤل والاستفهام، ومبعث الحيرة والارتباك.

ولقد أحسن الأستاذ الفاضل علي عبد الجليل راضي إذ عني بنقل ما كتبه العلماء الإخصائيون في هذه الموضوعات وما وصلوا فيها من آراء هي نتيجة الدراسة العميقة والخبرة التي تقوم على مدلول التجربة ومنطق العقل، كما أحسن إذ عني بتبسيط المسائل المعقدة وشرح الاصطلاحات الغامضة، فجاء كتابه هذا ثمرة طيبة في الإفادة بالموضوعات العلمية والتعريف بهذه الناحية التي لا تزال مجهولة من الشبان وطلاب المعرفة.

محمد فهمي عبد اللطيف



المـــترو

للقصصي النمساوي أيرفين ريجر

كان الحر لافحا خانقاً عند ما توقف شاب وفتاة وسط الساحة الكبيرة فى « محطة الشرق » بباريس يطلقان حولهما نظرات قلقة حائرة . كان من السهل إدراك أنهما أجنبيان قدما إلى باريس من بعيد ، وأنهما فلاحان كما تدل عليه ملابسهما . كانا بولنديين مهاجرين قدما إلى باريس ليبحثا عن عمل فى فرنسا

كان الإعياء يبدو عليهما من أثر الرحلة الطويلة . وكانت الفتاة شاحبة اللون تحيط عينيها الوضاءتين هالات سود . ولكن نظرتها كانت تنم عن الاستسلام المطلق والثقة العمياء بالشاب القوى العريض المنكبين

ووضع الشاب الأمتعة التى كان يحملها كلها وحده . ثم أخرج ببطء من جيبه الداخلي محفظة كبيرة من الجلد وجذب منها ورقة قـــدمها لأحد المارين الذى ألقى عليها نظرة عاجلة وقال (متروبورت دو كلينيا نكور) ولم يفهم الشاب الأجنبي وسار وراء المار ورفيقته وراءه يستوضحه فأجاب بنفس العبارة

وعرض الشاب نفس الورقة على شيخ قصير القامة يحمل منظارا . ولاحظ العجوز أن الشاب والفتاة أجنبيان يبدو عليهما الوجل والاضطراب فأشار إليهما بمتابعته ففعلا ونزلا وراءه السلم الذى يوصل إلى ممر طويل تحت الأرض كتب على مدخله عبارة (مترو) وبعد بضع خطوات رأيا لافتة كتبت عليها عبارة (مترو بورت دو كلينيانكور)

واشترى العجوز تذكرتين وناولهما للشاب مبتسما وسار فى سبيله .وتقدم (بوجدان) يحمل الأمتعة نحو الممر تتبعه (تيريز). لم يكن السير سهلا فقد كان يخرج من تحت الأرض هواء ساخن يخنقها ، وكانت الممرات تتقاطع تملؤها الجموع الإنسانية الحاشدة.
لذا كان يحدث من لحظة إلى أخرى أن يفصل بين بوجدان وتيريز بالرغم منهما بعض المارين المسرعين فى طريقهم .

وكان بوجدان يخترق الجموع بجسمه المارد كباخرة عاتية لا تعبأ بما يعترضها من الأمواج . أما تيريز فكانت تجرى وراءه بقدر ما تستطيع . وعند ما وصلا إلى نهاية السلم وجدا أمامهما أفريزا تمتد تحته قضبان حديدية وسط ظلام دامس . ما أغرب هذا العالم الذى يجرى تحت الأرض ! وعبر بوجدان بابا وتوقف قطار كهربائي يحمل معه صوتاً أشبه بصوت الرعد . ثم فتح أبوابه وألقى إلى خارجه جموعا إنسانية أخرى وفى نفس اللحظة أغلق باب الافريز صاداً عن المرور تيريز التى كانت تجاهد الزحام بكل قواها دون جدوى ؛ فاضطرت أن تنتظر على السلم مع مئات غيرها . وأصابها الذعرحين رأت بوجدان مدفوعا بجهود نافدالصبر يدخل عربة القطار دون أن ينظرحوله . فصرخت صرخة تمزق القلب « بوجدان ! بوجدان ! » وفى نفس الوقت أغلقت جميع أبواب القطار ثم دوى صوت صفارة تبعها فى الحال تحرك القطار الذى انزلق كالسهم فى النفق الأسود المظلم .

بقيت تيريز وحدها يحيط بهـا جمهـور متباين الوجوه ، يتكلم لغة لا تفهمها ، وامتلأ الرصيف بالخلق يضحـكون ويمزحون ولا يأبه أحد لها . ووصل قطار جديد يشبه تماما ذلك الذى ركبه بوجدان منذ دقيقتين وفغرت الأبواب أفواهها واندفعت الجموع . ما العمل ؟ هل تنتظر ؟ هل تتبع الجموع فى سيرها ؟ وبغير وعى انساقت تيريز مع الحشود الإنسانية فى طريقها كما فعل بوجدان . وبدأت رحلتها فى أنحاء باريس تحت الأرض دون أن تعرف إلى أين تذهب . كانت واقفة وسط عربة القطار الذى يخترق الظلام نحو المجهول . أين بوجدان ؟ هل هناك أمل فى العثور عليـه ؟ وتملكها الخوف . إلى أين يقودها ذلك القطارالذى يجرى فى الظلام كالصاعقة ، ودار رأسها ولم تعد تستطيع احتمال هذا القلق وهذه الوحدة . ووقف القطار فنزلت منه كمجنونة وسـارت يدفعها هـذا ويرتطم بها ذلك صاعدة سلما لا ينتهى . ثم أنعشها هواء ناعم ووضحت أمامها الوجوه وعادت إليها الحرية . كانت لا تصدق عينيها . أهى فى حلم ؟ ما هذه الأضواء العديدة الصارخة ؟ ما هذه الموسيقى ؟

وجدت نفسها فى شارع على جانبيه منازل عالية . تصطف تحتها المطاعم والمقاهى الزاهية بالأنوار . المكتظة بالناس المرحين فى ثياب العيد .

ماذا يريد منها هذا الشاب ؟ لقد مس ذراعها فرفعت رأسها ونظرت إليه بدهشة أضحكته . إنه يتكلم تلك اللغة الأجنبية . ولاحظت أن صوته ناعم رقيق برغم أنها لم تفهم كلمة واحدة مما تفوه به ، وهزت رأسها وافتر ثغرها عن ابتسامة اعتذار أضاءت وجهها المبلل بالدموع . وأدرك (رونيه) أنها جميلة وهو ينظر إلى خصلة الشعر الذهبية التى تبرز من تحت المنديل الذى يعتصر شعرها . وأدرك أنها أجنبية وربما كانت ألمانية . لقد تعلم بعض كلمات ألمانية أثناء اعتقاله مدة الحرب فجمع شتات ذاكرته ووجه إليها عبارة صغيرة آتت ثمارها فقد كانت فى وطنها بولونيا تعيش قرب الحدود الألمانية . ما أسعد أن يجد المرء فى هذه البلدة الغريبة شخصاً يركن إليه ويضع فيه ثقته ! لقد فتحت له قلبها وقصت عليه كيف أن والديها لم يقبلا الإنصات إلى حديثها عن بوجدان فهربت معه إلى خارج وطنها ، وكيف أنها قدمت إلى فرنسا تبحث عن عمل . وكيف فقدته فى محطة المترو وهى قاب قوسين أو أدنى من هدفها كان يجب أن تأكل الفتاة شيئاً لتسترد قواها فذهبا إلى أحد المطاعم المحيطة بها وجلسا فى الشرفة يحيط بهما جمهور كبير يأكل أشهى الطعام ويشرب أفخر الشراب ، كانت تيريز قد جففت دموعها ولكنها كانت خجلة من ملابسها المتواضعة وسط هذا الجمع المتأنق الفاتن ، لقد أخذ بوجدان معه جميع ملابسها ونقودها . كانت تنظر إلى رونيه مذهولة لفرط ظرفه ورقته اللذين لم تر لهما نظيراً . وأراد رونيه أن يهدىء من روعها ويرفه عنها فقال :

هذه هى مونمارتر ، هى من أبهى أحياء باريس واليوم يوم عيد . إنك سعيدة الحظ بوصولك إلى باريس فى هذا اليوم . يوم ١٤ يوليو . انظرى كيف يضحك الناس وكيف يرقصون . إنها ليلة الحرية .

واستحوذت على تيريز عاطفة جديدة . عاطفة حب الحياة . وتملكتها رغبة فى الاستقلال والتحرر لم تشعر طول حياتها بمثلها ، كانت كأنها تريد أن تقبل كل هذه الجماهير التى لا تعرفها .

* * *

ومرت الشهور والأعوام ولم يعد بوجدان جاورونسكى . لقد اشتغل عاملا فى المناجم فى بلدة مارل لى مين بأقليم بادوكاليه ، وكان إذا ما حل المساء وذهب إلى الحانة وأمامه كأس النبيذ قص على رفاقه ذلك الحادث الغريب الذى فقـد به تيريز فى المترو يوم وصولهما إلى باريس وأن بحثه عنها ذهب كله أدراج الرياح فلم يرها منذ ذلك اليوم . كان يقول :

لقد تبعتنى مغلقة العينين . كانت طوع بنانى . مطلقة الثقة بى . وهذا ما يجعل الأمر مرعباً . لم يكن معها فلس واحد . كان معى كل أوراقها ، وكل ملابسها .

وأجاب عامل كان النبيذ قد أدفأه قليلا :

نعم ! وباريس مدينة خطرة ! لا ترقب الخير لفتاتك !

وتظاهر بوجدان بعدم السماع ثم قال :

لقد جبت كل مكان فى باريس . لم أترك شارعاً ولا ميداناً لم أبحث فيه . وبعد بضعة أيام ابتدأت تنفد نقودى وتتلف أحذيتى ولم يكن لدى أصدقائى عمل يعهدون إلى به . وكانت المشكلة الكبرى مشكلة اللغة وعندئذ جمعت ما تبقى معى من النقود وسافرت إلى مارل مع رفيقين ، وما بقى بعد ذلك تعرفونه .

ومر الزمان وبوجدان يعيش فى مارل لى مين ، يحيا حياة العزلة والهدوء لا يشرب كثيراً ولا يمرح إلا قليلا . كان لا يعبأ بأى شىء منذ فقد تيريز . وإذا كانت ذكراها لا تفارقه وطيفها لا يبرح خياله ، فانه كان يذهب بين وقت وآخر إلى المنزل رقم ١٣ حيث تقيم بائعات اللذة ؛ وإن مغامرته مع (ألين) لا دخل فيها للهوى والغرام لقد كانت سيئة الخلق ولكنها كانت تصلح له جواربه . كان لا يحب غير تيريز . كان يعرف ذلك ويعرف أنه لن يحب غيرها . ومن أجلها يتحمل هذه الحياة المريرة الخطرة فى المنجم . من أجلها يدخر النقود إذ سوف يراها يوماً من الأيام ولا يريد أن يبدو أمامها بمظهر المتسول . سوف يقدم إليها أوفر الأعذار فقد وهبته كل شىء وأساء هو استخدام ما منحته إياه من ثقة . سيبحث دون ملل أو وهن .

* * *

فى ذلك الوقت كانت تيريز تحيا حياة دعة فى باريس . كانت منذ وقت طويل زوجة رونيه ولها منه طفلان : جورج وأخته ،

الصغيرة انيليت . ومع ذلك لم تنس الليلة الرهيبة ، وهل يمكن أن تنساها ؟ هل للسعادة أو الراحة أن تمحو هذه الذكرى الدفينة ؟

كانت تيريز دائماً مع رونيه زوجة أو على الأصح صديقة مخلصة ، ولو أن ذلك لم يكن بالأمر الهين . كان واجباً عليها قبل كل شيء أن تنسى عاداتها وأن تكتسب عادات جديدة وأن تتعلم لغة أجنبية . وسرعان ما أصبحت الفتاة القادمة من صميم الريف باريسية بغير صعوبة . كان ذلك واجباً بعد أن قطع عليها سبيل التقهقر . فقد ولى بوجدان وفصل بينها وبين منزل والديها . فوالدها لن يغتفرلها هربها . وقريتها تضمرلها السخط والحنق .

وعاشت تيريز نموذجاً للزوجة المقتصدة المدبرة . كانت أكبر عون لزوجها ، تساعده فى كل أعماله حتى صارا يأملان بأن يكون لديهما بعد ست سنوات سيارة . وبعد عشرين سنة منزل صغير ذو حديقة تقوم هى بزرع الخضروات فيها كما كانت تعمل فى أوائل شبابها قبل تلك الساعة الرهيبة التى جعلت من حياتها حياتين مختلفتين تماماً .

* * *

ومرت عشر سنين منذهذا الفراق الاضطرارى وتيريز تحتفظ دائماً بسر غريب . وفى بعض الأيام كانت تدفعها قوة داخلية إلى الاقتراب — دون أن يعلم أحد — من المكان الذى اختفى فيه صديقها فجأة . كانت تقاوم هذه القوة المجنونة بكثير من الفوز أحياناً . بيد أنها كثيراً ما كانت تضعف وعندئذ تقفز إلى أول سيارة تصادفها مسرعة إلى محطة الشرق كسافرة كاد يفوتها القطار . فتعبر الردهة الواسعة — باحثة فى كل مكان على مقربة من السلم المشئوم . وتنتظر صابرة رغم أنها واثقة من أنه سوف لا يأتى أيضاً هذه المرة كما فعل فى المرات السابقة . وفجأة تفيق من جنونها وتعود إلى الواقع . فتقفل راجعة إلى منزلها يغمرها الخجل .

وفى ذات ليلة من ليالى الصيف الحارة عاودتها (الأزمة) كما كانت تسميها بصورة قوية جارفة لم تعهد مثلها من قبل . أحست بأنها تكاد تختنق . بأنه ينتظرها . وأنها ليست مخدوعة هذه المرة فعليها أن تهرول إليه . نزلت إلى الشارع وكان الليل قد أسدل أستاره واتجهت إلى محطة المترو المجاورة للمنزل مخترقة الجموع كمجنونة . ووصلت إلى محطة الشرق . أين هو ؟ هل تبحث عنه على الأفاريز الداخلية أم عند شباك التذاكر كما فعلت مراراً دون جدوى ؟ وارتبكت عيناها وصعبت عليها الرؤية وظلت هكذا نصف ساعة يدفعها المارون من كل جانب وتخنقها أحاديثهم وأنفاسهم الساخنة . وبلغ ذعرها أوجه حين سمعت صوتاً يناديها وشيئاً يمسك بذراعها . كانت أصابع من حديد ! من يكون هذا الوقح ؟ واستدارت بسرعة فرأت بوجدان . هل هو حقاً ؟ وغشى عينيها حجاب قاتم السواد . وصرخت

وعندما عادت إلى رشدها وجدت نفسها مستلقية على أريكة من القطيفة الحمراء . لقد حملها بوجدان إلى مقهى صغير أمام المحطة . كانت القاعة ذات المرايا العديدة خالية من الناس إذ جلسوا جميعاً فى الشرفة يستنشقون الهواء الرطب وبلل بوجدان جبهة تيريز بالماء البارد وطلب لها فنجانا من القهوة . وأخيراً فتحت تيريز عينيها ونظر هو إليها متأملا . وانفرجت شفتاه بحركة عصبية فلمعت أسنانه الكبيرة تحت شاربه . لم تغيره السنون . أما هى فقد أصبحت شيئاً آخر ، لقد أصبحت سيدة وقورة حسنة الهندام. كان ينظر إليها معجبا بقبعتها المصنوعة من الخوص الأزرق التى تطفر من تحتها خصلة من الشعر الأصفر الذهبى . وبسترتها الجميلة وقفازها الجلدى وجوربها الحريرى الشفاف وحذائها اللامع . من الذى اشترى لها أو منحها كل هذه الأشياء الجميلة ؟ وأفسد هذا الخاطر سعادته العظمى برهة من الزمن ولكن السرور غمره ثانية . فقد عادت وعاد كل منهما للآخر من جديد . وليس فى الوجود قوة تستطيع أن تفصل بينهما

وكما تحطم الأمواج المكبوتة زمانا طويلا ما يعترضها من سدود ، كذلك انفجر بوجدان شارحاً همومه وآلامه ، واصفا أمله وثقته اللذين لازماه طول عشر سنين .

وبلغ التأثر أقصاه بتيريز وانسابت دمعة على خدها ونظرت إليه فأدركت أنه كبر فى العمر لقد فقد شعره بهجته ، ووجهه ما كان عليه من اشراق فى الزمن السالف ، ثم يداه المجعدتان ! ما أبغضهما إليها الآن بعد أن كانت فيما مضى ترتعش لمجرد لمساتها. وبرغم كل هذا فهاهى تجد تدريجياً على ذلك الوجه الخشن الذى أفلت منه الشباب « بوجدان » الأيام الماضية . تجد القسمات التى

أحبتها والتى ستحبها دائماً .

ومرت الساعات دون أن يشعرا . كانا يضحكان ويتمازحان . ولجأة ارتجفت تيريز وألقت نظرة على ساعتها . لقد بلغت الساعة التاسعة وعاد رونيه إلى المنزل منذ وقت طويل ولا بد أنه قلق لتأخرها . وأحست تيريز بوخز ضميرها حين تذكرت أن (اتيننيت) لا تنام إلا إذا طبعت على شفتيها قبلة الليل . ووقفت دفعة واحدة وقالت :

— الوقت متأخر . هلم بنا !

فأجاب بوجدان بهدوء :

— هيا بنا يا تيريز . تعالى نأخذ أمتعتى من مخزن المحطة فهناك أيضاً كل حاجاتك .

ثم نظر إليها وقال بلهجة الانتصار :

— سنقضى هذه الليلة فى باريس القذرة . ولكن غداً صباحاً سنعود فى أول قطار إلى وطننا . سأشترى حقلا صغيراً ونعيش فى هدوء .

ووقفا على باب المقهى ونظرت إلى يديه المنهكتين وكأنها تريد تقبيلهما وقالت :

— بوجدان إنك لا تزال كما كنت عنيداً ونحن لم نعد صغاراً . ماذا كان يحدث لو لم تكن وجدتنى ؟ .

— ما أعجب هذا السؤال ؟ لو لم أكن وجدتك ؟ هذا محال . كنت أنفق كل نقودى أثناء بضعة أيام فى هذه المدينة اللعينة .

ورفعت رأسها وقد علاها الرعب ناظرة إلى وجهه المتجهم وقالت :

ثم ما ذا ؟

ثم ما ذا ؟ لا أدرى ، فحتى لو أردت العودة إلى المنجم فسوف لا أجد عملا . لقد استغنوا عن جميع العمال البولونيين بسبب الكساد . وأخيراً هناك الفرقة الأجنبية .

وعبرا معاً متشابكى اليدين ميدان المحطة الواسع المزدحم . كان بوجدان يسير متردداً ينقاد وراءها كطفل فى هذه المدينة التى يكرهها والتى تحبها هى . باريس التى جعلت منها السنون وطناً لها . باريس التى تحتمل مرارتها وتفهم عظمتها . إن بوجدان هو الشباب والوطن والحب ولكن الأعوام علمتها شيئاً آخر وهو الواجب . فهى تستطيع أن تهجر رونيه ولكن ماذا تصنع بطفليها ؟ إنهما فلذات كبدها .

ووصلا إلى الساحة الكبرى ، إلى نفس المكان الذى قابلا فيه منذ عشر سنوات ذلك السيد العجوز اللطيف المعشر بالقرب من سلم المترو . كانت تيريز تندم فى تلك اللحظة لأن كلا الرجلين كان طيباً ، فليتها كانت تكره أحدهما . لم يكن أمامها لحظة واحدة لتضيعها . وخاطرت تيريز وكذبت على الرجل الذى تحبه وقالت :

بوجدان ! اذهب وأحضر أمتعتنا . إنى أنتظرك هنا ، واستدار بوجدان بسرعة وابتعد بخطواته الواسعة الحاسمة التى كانت تحبها فيه وقت شبابها . كانت تتبعه بنظراتها وفى استطاعتها أن تناديه أو تلحق به . واختفى بوجدان . كان أمامها دقيقتان قبل أن يعود . واقتربت — وكأن قوة خفية تدفعها — من السلم الذى يقود إلى تحت الأرض حيث فقدت بوجدان منذ عشر سنوات ووضعت قدمها على أول درجات السلم واندفعت مع الجموع ممزقة القلب ولكن ثابتة الجنان ، ممزقة الرابطة التى كانت لا تزال تربطها ببوجدان أثناء أحلامها .

ولم تره بعد ذلك أبداً ...

العدد ٧٢٦ — الاثنين ٢ يونية ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

٢٨٠٤٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15em Année No. 726

Lundi — 2 — 6 — 1947

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٢٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ رجب سنة ١٣٦٦ — ٢ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

من مذكراتى اليوميـــة

حلوان فى يوم الأحد ٢ مارس سنة ١٩٤٧ :

ذهبت صباح اليوم إلى نبع حلوان الجديد فإذا عليه أمة من الناس يستقون ويشتفون ، بعضهم من مخلّفى الجيش ، وبعضهم من مرفَّهى العيش ، وكلهم من الممعودين أو المكبودين أو الممرورين(١) فلا تعرف فى وجوههم نضرة الشباب ، ولا على جسومهم بضاضة العافية .

انبجس هذا النبع منذ سنوات فى هذه البقعة التى انطمس فيها معنى الوجود ، فلا حياة ولا موت ، ولا سكون ولا حركة ، ولا أمسٌ ولا غد ، فأصبحت بعد نبوغ هذا النبع وما جر إليها من النفع ، مهوى الشعراء ومَراد الأصحاء ومَلاذ المرضى!

كذلك بنو آدم والدنيا ! جنادب (٢) فى أجادب ! فلولا الينبوع الذى ولد الواحة ، والنهر الذى خلق المملكة ، والنبى الذى منح الجنادب أجنحة الملائكة ، والحاكم الذى وهب الأجادب خصب الفراديس ، لما أخلد بعض إلى بعض ، ولما امتازت أرض من أرض!

الأرض لولا الرياض واحدة   والناس لولا الفَعال أمثال (٣)

تقطع الناس فرقاً حول الينبوع يتساقون أقداحه الفاترات العِذاب . وقد لاحظت أن الذى قسم هذا الجمع إلى هذه الفرق إنما هو الدين لا الجنس ولا الوطن ولا اللغة ؛ فاليهودى مع اليهودى ، والمسيحى مع المسيحى ، والمسلم مع المسلم . ينظرون إلى الماء بعين واحدة ، وينظرون إلى السماء بعيون متعددة ! فأين هذا من اجتماع الحجيج حول زمزم ؟ إنهم هناك يجتمعون على ينبوع من الإيمان القوى المتحد يجرى فى أفواههم دعاء وأملا ، ويسرى فى دمائهم شفاء وقوة .

ذلك ما أكد لى للمرة السبعين أن الدين أقوى العوامل الروحية والاجتماعية أثراً فى توثيق العلائق بين معتقديه ، وتوهينها بينهم وبين منكريه . فإذا شاء ربك أن يجعل الناس أمة واحدة أرسل إليهم ذلك الرجل المنتظر فيجمعهم بالرضا أو بالكره على الدين الذى يكفل التعاون بالمؤاخاة ، ويضمن العدالة بالمساواة ، ويحفظ الكرامة بالحرية ، ويرفع الإنسانية بالإيثار . فإذا ما تم له ذلك عمد إلى سماسرة الدين وتجار السياسة وعباد الطمع فأقام لهم المشانق فى الساحات العامة من المدن المقدسة . يومئذ تنكسر حدة العصبية ، وتنقمع شهوة المنافسة ، وتنقطع أسباب الحرب ، ويغنى الناس عن هذه المؤتمرات والمجتمعات التى يقيمها ذؤبان البشر للحرية والديمقراطية وهى فى الواقع أسواق دولية للرقيق تباع فيها الأمم الصغيرة بالمساومة أو بالمزايدة ! !

الينبوع وميدانه الرحب ، وفندقه الفخم ، وحديقته المنمنمة ، ومشربه الريان ، ومسبحه العريان ، تعج بالناس ولكنى وحيد . والسماء الصحو ، والنسيم الفاتر ، وسفح المقطم الحادر الضحيان ، وشاطىء النيل الأشجر الفينان ، تغرى كلها بالنشاط ولكنى مريض . وليس للوحيد المريض إلا أن يعود إلى مثواه عسى أن يجد فيه لساناً حلواً فى فم جميل يؤانسه ، أو قلباً طيباً فى صدر نبيل يواسيه !

أحمد حسن الزيات

(١) الممرور : من هاج به خلط المرارة .
(٢) الجنادب : صغار الجراد   (٣) الفعال بالفتح : الكرم والخير .

قضى الأمر ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

قضى الأمر ، وانتهت الحكومة القائمة عن ترددها ، وألفت الوفد الذى سيذهب إلى مجلس الأمن ليعرض موضوع الخلاف الذى بيننا وبين بريطانيا . وعن قليل سيسمع العالم كله لقضية مصر والسودان ، ويصغى إلى حجتنا التى ستاق إليه ، وإلى حجج بريطانيا فى دفاعها عن الذى تدعيه . ولو كان الأمر أمر عدل وإنصاف وبعد عن التحيز وأنفة من الظلم ، لما بالينا أن ندعو حكومتنا أوشعبنا إلى خطة سوى عرض القضية كما هى ، بلاحاجة إلى تتبع سوءات بريطانيا وعورات أفعالها . ولكن لا عدل ولا إنصاف ، بل هو التحيز والظلم . هذا ما ينبغى أن نتوقعه بعد الذى كان من موقف الأمم الغربية والأمة الروسية من أعظم قضايا الشرق وأوضحها برهاناً وأبينها حجة ، أعنى قضية فلسطين.

ولسنا نقول هذا تثبيطاً لوفدنا أو لشعبنا ؛ كلا فإن القضية المصرية السودانية قضية للجهاد لا للسياسة . فلنفرض أن الأمم ظلمتنا وتحيزت لبريطانيا فجارت علينا وضلت معها فلن يضيرنا ذلك ، بل هو الداعى الأعظم إلى الاستماتة فى الجهاد إلى أن ننال حقنا غير منقوص ولا مهتضم . ولكن هذا الأمر المخوف أو المتوقع يوجب علينا أشياء لا مناص لنا من المحافظة عليها والحرص على أدائها .

فقد كان من سياسة بريطانيا قديماً أن تمزق وحدة هذا الشعب وتوقع بين أبنائه العداوة والبغضاء وقد فعلت ، فصارت أحزابنا أحزاباً تسيّرها شهوات رجال يتطلعون إلى مناصب الحكم كما يتطلع الظمآن إلى الماء أو سراب الماء وكان من سياستها أن تلاين وتساير حتى يصبح السودان شيئاً قائماً بذاته أو كالقائم بذاته ، ففعلت . وكان من سياستها أن تغرى شهوات قوم من أهل السودان بالحكم أو السلطان ، ففعلت ، وانقسمت فئة من أبنائه مضللين بوعود كاذبة لن تتحقق ، وخرجت عن بقية الشعب مؤزرة بالمال ففجرت ومردت ، وبريطانيا من ورائهم تنفخ فى نيرانهم حتى يأتى اليوم الذى يجعلونهم فيه حرباً على بلادهم وهم يظنون أنهم يعملون لخيرها وفلاحها . تم ذلك كله لبريطانيا ، ولكننا مع ذلك لا نبالى به قليلا ولا كثيراً ، لأننا نعلم أن هذا الشعب المصرى السودانى شعب كريم ذكى الفؤاد ، تجتمع قلوبه عند المحنة يداً واحدة على عدوه الباغى إليه الغوائل .

بيد أننا الآن فى ساعة غير التى كانت بالأمس ، فالقضية المصرية السودانية سترفع عن قليل إلى مجلس الأمن ، أى مجموعة من الدول لبريطانيا عليها فضل ، أو لها عليها تأثير . والزمن الذى ستعرض فيه لن يطول كما كانت تطول سياسة بريطانيا . وإذن فقد أصبح واجبنا نحن أن نتآزر ونتداعى ولا ندع هذه الفرصة تفلت منا ونحن عنها غافلون .

ليكن الوفد الذاهب إلى مجلس الأمن وفداً لم تجتمع له الصفات التى تنبغى أن تجتمع لوفد مصر ، وليكن رئيس الحكومة الذى سيرأس الوفد رجلا غير الذى كانت ترجوه بعض الأحزاب ، وليكن أعضاء الوفد رجالا غير الذين كنا نتوقع أن يكونوا — ليكن كل ذلك ، ولكن أليسوا مصريين سودانيين يجاهدون ما استطاعوا فى سبيل حق مصر والسودان فى الحياة الحرة التى تنبغى أن تكفل لكل حى ولكل أمة ؟ أليسوا رجالا منا قد انبروا للمحاماة عنا فى مجلس يخشى أن يكون أقرب إلى عداوتنا منه إلى صداقتنا ؟ أليس مطلبهم هو مطلب مخالفيهم من سائر الأحزاب فيما يخص قضية مصر والسودان ؟ بلى ، وما أظن أحداً من مخالفيهم يستطيع أن يقول خلاف هذا أو يدعى نقيضه .

وهذا المجلس الذى هو أقرب إلى العداوة منه إلى الصداقة ، لن يفرق بين مصرى نختلف عليه أو مصرى نتفق عليه . وبريطانيا لن تكون أقل عنفاً ولجاجة إذا كان الذى يرتفع بالقضية إلى مجلس الأمن إنساناً اتفق المصريون والسودانيون عليه ، لأنها تريد بكل ما تبذله أن تأكل حق هذا الوادى وتحيف على مستقبله ، لا تبالى بما يسمى أقلية أو بما يسمى أكثرية . وإذن فالعقل قاض علينا بأن نلقاها ونلق مجلس الأمن يداً واحدة وعلى قلب رجل واحد أياً كان هذا الرجل . ونحن نعلم أن هذه دعوة قد كثر الداعون إليها فباءوا بالخيبة مرة بعد مرة ، ولكن كان العذر عندئذ قائماً ، فإن الحكومة لم تكن قد ارتفعت إلى مجلس الأمن بعد ، وكان هناك مجال لشهوات الأحزاب أن ينال أحدها فضل التقدم للدفاع

عن حقوق مصر والسودان . أما الآن فقد قضى الأمر ، فمصر والسودان تطالب أحزابها بحقها عليها ، فإذا أحجم أحدها ، أو أحد رجالها ، عن الذى تقضيه عليه حقوق الوطن ، فذلك « خائن » خائن بالمعنى الصريح التام الشامل الذى تنطوى عليه هذه الكلمة .

وكلمة الخيانة كلمة عظيمة نأنف أن يتصف بمعناها مصرى سودانى لأنها تصم صاحبها بأنذل ما يكون فى طبيعة البشر ، وهى جريمة لا تغتفر ، وجزاؤها جزاء لا يحد . ولا نظن أحداً أحب أن يعرض نفسه لها راضياً عامداً قط ، بل الظن أنه إنما يخطىء وجه الصواب فيقع فى أقبح العيب ويخوض فى أشنع العار . وقد جاءت الساعة التى توجب على كل مصرى سودانى أن يقف ساعة ساكناً هادئاً مفكراً متورعاً خشية أن يقع فى هذه الخطيئة أو يلم بهذا الإثم ، وأن يحرر نفسه لحظة من شهواتها الجامحة ، وينفض عن قلبه غبار أعوام من الأحقاد الحزبية والسخائم الوزارية ، ليتطهر لوطنه ولبلاده ، وليستهدى بهدى الوطن فى ساعة المحنة . إنها أعظم خطيئة يقارفها مصرى سودانى منذ اليوم ، لأنها خذلان لوطنه فى ساعة يرى فيها الأعداء يتناهشونه من كل مكان ، ويريدونه بالشر من كل ناحية ، ويكيدون له أخبث الكيد فى كل أرض .

ولن يضير أحداً أن يكون له رأى يخالف هؤلاء الرجال الذاهبين إلى مجلس الأمن فى شئون لا علاقة لها بمجلس الأمن ، فيدع عناد الرأى إلى مناصرة الحق — بل إلى مناصرة وادى النيل فى حقه الطبيعى الذى لا يعرف الرجال وآراءهم وسياساتهم ، بل يعرف حقه على أبنائه من أى رأى كانوا ، وفى أى زمن ولدوا ، وعلى أى دين نشأوا . أقول هذا وأنا غير يائس من أن تجتمع كلمة هؤلاء المختلفين على هذا الحق البيّن الذى لا ينازع فيه عاقل .

وأنا أدعو « الكتّاب » الذين أنتسب إليهم بهذا القلم ، أن يجتمعوا على رأى واحد ، ويقوموا مرة واحدة لدعوة الشعب إلى الطريق الحق ، وأن يبرئوا أقلامهم من الأحقاد الصغيرة التى أنشأتها بينها بريطانيا يوم مزقتنا أحزاباً ، ليملأوها بالحقد الأعظم على العدو الأعظم الذى لم يدع لنا عرضاً إلا هتكه ، ولا فضيلة إلا لوّثها ، ولا كرامة إلا تهجم عليها بالتحقير والتشنيع . وإنما أوجه دعوتى إلى الكتاب ، لأنهم هم أصحاب الرأى الأول ، وهم بناة الأمم ، وهم حياة الشعب ، وهم القوة التى تؤازر الضعيف حتى ينال حقه ، وتلطم الجبار حتى يدع الحق لأهله . إن التبعة الملقاة على كواهل الكتاب ، هى أعظم تبعة ألقيت على مصرى سودانى فى هذه الساعة ، فهى أعظم من تبعة الوفد الذاهب إلى مجلس الأمن ، لأنه بدونها لا يستطيع أن يواجه هذه الأمم مواجهة الند للند ، ومواجهة صاحب الحق لظالمه ، ومواجهة المؤمن بقضيته للكافر بهذه القضية . ولو فعل الكتاب ما يوجبه عليهم حق مصر ، فلن يستطيع مخالف أيًّا كان أن يفتّ فى عضُد الذاهبين بقضيتنا إلى مجلس الأمن ، وليس اليوم يوم لهو ولا لعب ولا شهوات ، بل هو يوم الجد والصبر والزهد . وظنى بالكتاب أنهم أسرع الناس إلى معرفة مفصل الصواب فى كل أمر ، فلن يخطئوا أن يعرفوا ذلك وترى مصر والسودان يهمس لهم داعياً مؤلباً حافزاً على العمل لتحرير بلادهم من نير العبودية .

وأنا مؤمن بأننا سننال حقوقنا كلها كاملة ، شاء مجلس الأمن أم أبى ، وبأننا صائرون إلى ساعة تجتمع فيها القلوب المصرية السودانية على كلمة واحدة ، شاء رؤساء أحزابنا أم أبوا ، وبأن المستقبل قد بانت لنا معالمه ، فإن عميت عنه عيون قد تقادم عليها الزمن فخبا ضوؤها ، ففى الوادى عيون ناظرة مبصرة لم تطمس نورها حزازات الماضى ولا شهوات الحكم ، وأنهم هم الذين سيحكمون على الرجال حكماً لن يرد . إنهم مصر والسودان أيها الساسة ، فاحذروا مصر والسودان وأحكامها عليكم ، فمن وضعته فهو الموضوع إلى يوم الفصل ، ومن رفعته فهو المرفوع إلى آخر الدهر !

محمود محمد شاكر

من أحاديث الإذاعة(*)

بين الزوجـــين

للأســتاذ علي الطنطاوي

يا سادتي ويا سيداتي . قعدت لأكتب هذا الحديث ، فما بدأت به حتى هبت العاصفة في بيت الجيران ، وعلت الأصوات ، وزمجر الرجـل وصخب ، وولولت المرأة وعيّطت(1) ، وقام الشيطان يهيج للشر ويضحك ، ثم هدأت العاصفة فجأة كما هبت فجأة ، وأعقبها سكون ثقيل ، سمعت له دوياً في أذنيّ شغلني عن الكتابة ، فقمت أنظر ما ذا جرى . فإذا الزوج قاعد في ركن المنزل ينظر في جريدته عابساً ، ولا أظنه يفقه منها حرفاً ، والمرأة في الركن الآخر تطرز ولا أحسبها تلقي لتطريزها بالا ، هو يندب حظه يحسب أنه وحده الخائب في زواجه ، وهي تبكي جدّها تحسب أنها وحدها التي فقدت سعادتها ، ورأيت الولد قد ملّ هـذا السكون ... فمشى إلى أبيه خائفاً يترقب ، فقال له :

— بابا . اعطني شكولاته

— فصرخ به زاجراً : قل لأمك . أتريد أن أخدمكم في السوق وفي البيت ، وأن أعمل عمل الرجل والمرأة ؟ !

فابتعد عنه الولد ، ونظر إلى أمه ، فصاحت به من غير أن ترفع رأسها عن شغلها :

— ابتعد عني وإلا كسرت رأسك ، أنت أصل السبب ، يا ضيعة تعبي ، أشقى من الصباح إلى المساء فلا أجد من يقول لي : الله يعطيك العافية !

فهمّ الرجل بالانفجار ، ثم تماسك وتجلد ، وسكت على غيظ ومضض ، ومشى الولد إلى الأريكة فتكوّم عليها ، ودس وجهه في وسادتها ، وراح يبكي بكاء خافتاً متصلا موجعاً !

وعاد البيت ساكناً كما كان ، ومرت دقائق ، لمحت فيها على وجه المرأة ظلال نزاع عنيف في نفسها ، بين شفقتها على ولدها ، وغيظها من زوجها ، ثم رأيتها تثب فجاءة ، فتمضي إلى غرفتها فتنبطح على سريرها وتنشج ... ويرفع الرجل رأسه ، متعجباً منها ، ويضيق صبره عن هذه المسرحيات (تمثل) في بيته ، وهو يريده بيتاً فيه الهدوء والمحبة ولا يفهم سر بكائها وهي — عنده — الظالمة ، فيمضي إليها بعد تردد ، حتى يقوم أمام السرير منتصباً مربد الوجه ، كأنه القائد العسكري في جنده ، أو النائب العام في مقعده ، ويقول لها بصوت بارد كالثلج متماسك كالجلمد :

— وما آخرة هذه المساخر ؟

وكانت تظنه قد جاء يواسيها في كربتها ، ويعطف عليها ، ويحاول أن يفهم ألمها ، ويزيح همها ، فلما سمعت ذلك منه ، فقدت عقلها ، فصاحت :

— مساخر ؟ أنتم الرجال ليس عنـدكم وفاء ، ليس لـكم قلوب ، إنـكم ...

فنسي أنه أمام امرأة ، وأنه أمام زوجة ، وحسب أن الذي يقول له هذا الـكلام قرن له أو خصم ، فأجابها جواب الأقران ، وكلمها كلام الخصوم ، ولم يبق بينها وبين الطلاق إلا شعرة واحدة .

فقلت لهما : بسّ ، انتظروا ، قولوا ، ما هي الحـكاية ؟

فنظرا إليّ ، وحسباني (وأنا قريبهما) عفريتاً قد نبع من الأرض ففزعا منه ، ثم اطمأنا إليّ وعرفاني ، وانطلقا يتكلمان بصوت واحد كلاماً متواصلا متداخلا ، تتلاحق كلماته ، كأنه السيل انهدم سدّه فاندفع ، أو لسان النار غفلت عنه فاندلع ، وما فهمت الحـكاية حتى كادت نفسي تزهق ...

و (الحـكاية) التي سببت هذه النكبة ، وكادت تهدّ بيت الزوجية ، وتطلق الزوجة وتشرد الولد ، أنه جاء من عمله فوجد الصبي على الباب ، والباب مفتوحاً ، وليس عنده أحد يمنعه أن يمشي فيضل في الحارة ، أو تدعسه(1) سيارة ، أو تلفحه الشمس ، أو يصيبه المرض ، وتخيل ألف مصيبة قد حاقت بالصبي ونزلت به فاستحال حبه له حنقاً على أمه التي أهملته ، وتركته على شفا

(*) سجل في مصر وأذيع من محطة الشرق الأدنى يومي (٢٨) و (٢٩) مايو

(1) (عيط) في الشام صاح وفي العربية كذلك (تقريباً) وفي مصر بكى.

(1) دعسته السيارة : وطئته ؛ أما قولهم دهسته فهو من الغلط .

الهلاك ، ودخل مغضباً محنقاً ، وبدأها باللوم قبل السلام ، وكانت قد نظفت الدار وأعدت الطعام ، و(لبست ...) تنتظر وصوله ، لتسعد بقربه ، وتجد مكافأتها فى شكره إياها ومسرته منها ، فلما رأته مخاصماً تبدد أملها ، وخاب ظنها ، وسيطر عليها الغضب ، حتى أعماها عن حادثة (الباب المفتوح) والخطر المرتقب ، فلم تر فيها إلا حادثة تافهة ، لم ينشأ عنها شىء ولم يأت منها ضرر .

وبدأ من هنا الخلاف ، وتطاير الشرر

ياسادتى وياسيداتى: هذه صورة ترون كل يوم أمثالها ، فاسمحوا لى أن أجمل حديثى هذه المشية تعليقاً عليها ، وبياناً لها ، وليست صورة غريبة عنكم ولا نادرة ، بل الغريب النادر أن تخلو دار منها ؛ وأنا قاض شرعى عملى أن أرى دائماً دخائل البيوت ، وأن أطلع على أسرار الأسر ، فصدقونى إذا قلت لكم ، إنى لا أعرف زوجين لا يختلفان ، ولكن خلاف الأزواج كحريق فى كومة من القش ملقاة فى رحبة الدار ، إذا أطفأته أو تركته ينطفئ همد بعد لحظة ، وحمل الريح رماده ، فلم يرزأك رزءاً ، ولم يعقبك أذى ، وإن هجته أو أدنيت منه ثوبك ، أو قربته من بيتك ، احرق الثوب وخرب البيت ، ولقد كان بينى وبين زوجتى اليوم خلاف كهذا ، فقلت لها :

— تعالى أعينينى على كتابة مقالة ؟

وكانت هذه المقالات ضرتها ، فحسبتنى أسخر منها ، واندفعت تريد أن (تقول) ... فما زلت بها أكلمها بجد ، حتى بدا عليها الاهتمام وقالت :

— وكيف أعينك ؟

قلت : تقولين لى كيف يختلف الأزواج ؟

ومضينا نستعرض حوادث الاختلاف بيننا ونحلل أسبابها فانتهينا إلى المضحك منها

يا سادة ويا سيدات : إنه قد يكون بين الزوجين اختلاف مفهوم على مال أو عقار ، ولكنه نادر وأكثر الخلاف تافه مضحك ، ليس له إلا عندها قيمة أو خطر ، وأنا أفهم أن تهتم المرأة بهذا ، ما دامت تريد أن تشغل عقلها كما تشغل يدها ، وما دامت لا تجد مشكلة علمية أو أدبية تبحث فيها وليس لها إلا مشاكل البيت — ولكن ما بال الرجل يهتم بها ويبالغ فى تقديرها ؟

تقولون : كيف نصنع ليسود البيت السلام ويشمله الهدوء ؟

أنا أقول لكم ؛ مقالة مجرب حكيم ، فاستفيدوا إن شئتم من حكمتى وتجربتى

هذه (أقراص) سهلة البلع ، عظيمة النفع ، فيها شفاؤكم من هذا الداء :

أولها : أن الزواج يبدأ بالحب والعاطفة ، والحب أوله حلاوة وآخره مرارة ، فهو يعمى البصر ، ويصم الأذن ، ويغطى العيوب ، فإذا زال الغطاء ، ولا بد يوماً أن يزول الغطاء ، وبدا المحجوب من العيوب ، وظهر المستور من الأمور ، وافتقد الزوجان لذة الحب فلم يجداها ، انتهى شهر العسل ، وبدأت سنوات العلقم ، فتجرعا العمر كله مرّها ، وقاسيا ضرّها . والدواء ألا يرقب الزوجان المحبة والعشق ، فالحب عمره كعمر الورد ، لا يعيش إلا أمداً قصيراً ، ومن طلبه بعد عشر سنين من الزواج كان كمن يطلب من وسط القبر من العظام والرمم الغادة الحسناء والفاتنة الهيفاء . لا ، ولكن مودة وإخلاص وحب كحب الأصدقاء والإخوان .

وثانيها : أن الرجل يغتفر لصديقه ما لا يغتفر لزوجته ، ويحمل منه ما لا يحمل منها ، ويتسامح معه فيما لا يتسامح فيه معها ، وما ذلك إلا لأنه يصدق هذه الخرافة التى تقول إن الرجل والمرأة كلاهما مخلوق واحد ، فهو يريد منها أن تفكر برأسه ، وهى تريد منه أن يحس بقلبها ، مع أن الناس كخطوط مستطيلة وفيها اعوجاج يسير ، فإذا كانت متباعدة بدت للعين متوازية متوافقة ، تضيع من البعد هذه الفوارق الصغيرة بينها ، فإذا تدانت وتقاربت ، بانت الفجوات ، فأنت تصحب الصديق عشرين سنة ، فلا ترى بينك وبينه اختلافاً ، ثم ترافقه أسبوعاً فى سفر ، تنام معه وتأكل وتشرب فترى فى هذا الأسبوع مالم تره فى السنين العشرين ، فتشنؤه وتبغضه وقد كنت تحبه وتؤثره .

والله لم يخلق اثنين بطباع واحدة ، لا الصديقين ولا الزوجين ، فليكن الزوجان متباعدين قليلا ، حتى لا يظهر الاختلاف بينهما ، وليكن بينهما شيء من الكلفة والرسميات … كما يكون فى عهد الخطبة وأوائل الزواج ، ولتكتم عنه بعض ما فى نفسها ، وليكتم عنها بعض ما فى نفسه ، فإنه ما تكاشف اثنان إلا اختلفا . وما زالت الكلفة إلا زالت معها الألفة ، لأن المرء يتظرف ليظرف ، ويتلطف ليلطف ، ويساير الناس ليحبه الناس ، فإن لم يفعل ثقل عليهم ، وأنا أعرف رجالا من أهل النكتة والظرف ، يحرص الناس عليهم فى مجالسهم لخفة أرواحهم ، وحلاوة أحاديثهم ، إذا دخلوا بيوتهم كانوا أجهم الناس وجهاً ، وأيبسهم لساناً ، وأثقلهم نفساً ، وما ذاك إلا لإسقاط الكلفة ، وإذهاب المجاملة .

وثالثها : أن الرجل يمشى فى الطريق فلا يرى إلا نساء فى أحسن حالاتهن ، قد طلين وجوههن ، وجمّلن ثيابهن ، ثم يدخل داره ، فيرى زوجه على شر هيئة ، وأقبح صورة : مصفرة الوجه ، قذرة الثوب ، منغمسة فى أوضار المطبخ ، أو غارقة فى غبار الكنس ، فيظن أن نساء الطريق من طينة غير طينتها ، وأن عندهن ما ليس عندها ، فيميل إليهن وينصرف عنها ، والدواء أن تكون المرأة عاقلة ، فلا يجملها يراها إلا فى الهيئة التى تخرج فيها من بيتها ، وتستقبل عليها ضيفها ، ولا تدعه يبصرها نائمة ولا يراها بغير زينة ، ولا يطلع عليها فى مباذلها وأعمالها .

ورابعها : أنه لا بد لكل شركة أو جماعة من رئيس ، فإن كان فى المركب رئيسان غرق المركب ، ولو كان فى السماء والأرض آلهان فسدت السماء والأرض ، فلا بد من ترئيس أحد الزوجين والرجوع عند الاختلاف إلى رأيه ، واعتراف الثانى برياسته ، وعلى الرئيس بعد أن يكون حاكما بعدل ورفق ، وعلى المرؤوس أن يكون طيّعاً بفهم واحترام .

وخامسها : لا بد لدوام المودة من اغتنام الفرصة لإظهار العاطفة المكنونة بحديث حلو ، أو مفاجأة منه : هدية ولو صغرت ، وطرفة ولو قلّت ، واهتمام منها بصحته وراحة نفسه ومطعمه وملبسه وكتبه ، وأن يصبر كل منهما على غضب الآخر وتعتبه

يا سادة : إن مشاكل البيت هينة سخيفة ، ولكنها إن استفحلت نغّصت العيش وسودت وجه الدنيا ، ولم ينفع معها ملك ولا مال ، فلقد كان الامبراطور نابليون الثالث يجد من مكارهها ما لم ينجه منه ملكه . وكان الرئيس لنكولن يلقى من متاعبها ما لم يخلصه منه سلطانه ، وإنى لأستأذن السيدات المستمعات بأن أختم هذا الحديث بكلمة لامرأة مثلهن هى (آن شرر) . قالت :

« إن بين كل عشر نساء تسعاً يحرصن على مضايقة الرجل ، وتنكيد عيشه ، ولهن إلى ذلك وسائل لا تحصى ، وهن يعتقدن أنه لا عمل للرجل إلا الثناء على جمالهن بوجه كله ، وامتثال أوامرهن ، وإجابة رغباتهن ، وإذا رأينه مقبلا على قراءة أو كتابة أو عمل له ، اقتحمن عليه مكتبه ، ونفضن فى وجهه من المنغصات ما يحيل عزلته سجناً ، وحياته جحيما »

فيا سيداتى المستمعات : أرجو أن لا تكون فيكم واحدة من هؤلاء !

(القاهرة) **على الطنطاوى**

القسم الثانى

فرنســـا ومستعمراتها

بقــــلم أحمد رمزى

فرنسا والحرب العالمية الثانية : بين الديموقراطية والفاشية

كانت فرنسا فى وسط برامجها لتنفيذ هذه الطفرة الصناعية لكى تعوض ما فات منها حينما قامت الحرب العالمية الثانية ، جاءت هذه الحرب وهى منقسمة فى الداخل ، فالروح الرجعية التى تفشت فى عدة بلاد بأوروبا وأفريقيا وآسيا وأخذت فى فرنسا مظهر العنف فى مظاهرات الكونكورد سنة ١٩٣٣، وهذه الروح لم تكن قد ماتت فى سنة ١٩٣٩ بل كانت تمثل مصالح وأغراض تلك الفئة التى أشرنا إليها من أساطين الصناعة الذين أخذوا على عاتقهم تنفيذ هذه البرامج . وكانت هذه الفئة تؤمن بضرورة مسالمة برلين وروما[1] ، لا حباً فيهما أو رضوخاً لإرادتهما بل لأن الوطنية تملى بأنه يجب تحمل كل شىء فى سبيل السلم حتى تستكمل فرنسا بناءها الصناعى ولو كان فى ذلك الخروج من ميثاق عصبة الأمم أو إهمال المحالفات والضمانات القائمة .

صداقة بريطانيا :

يقابل هذه الروح تيار الديموقراطية ممثلا فى روح الجماعات والأحزاب السياسية والبرلمان ، وكانت جميعاً لا ترغب فى الاندفاع على طريق غير مأمون العاقبة : يفقد فرنسا مركزها الأدبى كدولة عظمى إذا حنثت بالمواثيق والضمانات المأخوذة أو ضربت بالمحالفات والمعاهدات عرض الحائط ويفقدها صداقة حليفتها بريطانيا، تلك الصداقة التى بنيت عليها سياسة فرنسا منذ الاتفاق الودى عام ١٩٠٤ وأكسبتها المواقف الاستعمارية فى مؤتمر الجزيرة ١٩٠٧ وأيام حادث القدير فى مراكش سنة ١٩١١ ، وكانت العامل الأساسى لكسب حرب ١٩١٤—١٩١٨ .

أثر بريطانيا فى سياسة فرنسا :

وكانت هناك دواع تملى باستبقاء تلك الصداقة من الجانب البريطانى نفسه ، فقد ظهر جلياً بعد تقدم الطيران وموقف إيطاليا المعادى أن أراضى الأمبراطورية الفرنسية ستكون فى السلم والحرب المهر الطبيعى للطائرات البريطانية إذا تحاشت البحر الأبيض المتوسط : لم يكن من السهل إهمال علاقات هذا الجوار وما تمليه المصالح المشتركة للبلدين وما يفرضه تماشق حقوق الارتفاق بين الأمبراطوريتين ، ولهذا لم تترك السياسة البريطانية هذه الناحية تسير طبقاً للأقدار بل مالت بقواتها وعبأت أساليبها المختلفة وعضدت الاتجاه المضاد للحركة الأولى ، وكان أن حكمت فرنسا حكومات بقيت حريصة على محالفة بريطانيا ، وترتب على هذا أن دخلت فرنسا الحرب العالمية الثانية بجانب الأمبراطورية البريطانية .

ومن هنا نفهم حقيقة العرض الذى تقدم به تشرشل قبل تسليم يونيه ١٩٤٠ واقترح فيه إدماج الأمبراطوريتين فى اتحاد واحد وهو العرض الذى توهم فيه الكثيرون بأنه كان عرضاً خيالياً لا يستند إلى أساس .

الحرب العالمية الثانية ٣٩—١٩٤٥ والمستعمرات الفرنسية :

جاءت الحرب فمرت شهورها الأولى وتحملها الناس ، ثم اشتدت وطأتها على فرنسا وظهرت عيوب الأنظمة الفرنسية وتفكك الأحزاب الحاكمة وخيانة رجال الصناعة وقواد الجيش ، وتوالت الهزائم واضطرت فرنسا للتسليم عقب قتال لم يدم طويلا ، وكان أن طرأ حادث غريب فى تاريخ العالم جاء نتيجة لإبرام عقد الهدنة بين فرنسا وألمانيا عام ١٩٤٠ ، وهو أن يحتل العدو بلداً أوروبياً أو جزءاً منه بجيوشه وتبقى أراضى المستعمرات من غير احتلال ، وليس فى ذلك من عجب إذا كانت الهدنة لوقف القتال

---

(١) يقول أندريه فيليب إنها تعاونت مع المحورمدة الحرب وحصلت بذلك على أرباح طائلة

La droite industrielle a Collaboré avec L'ennemi et a realisé dans ses opérations de Coquets Bénéfices

ثم تعقبها مفاوضات الصلح وينتهى الأمر بابرامه عقب فترة قصيرة من الزمن كما حدث سنة ١٨٧٠ . أما أن تعقد الهدنة ويتضح من شروطها استثناء الأمبراطورية الفرنسية وبقاء جيوش الجمهورية معبأة للدفاع عنها ويستمر ذلك شهوراً ثم سنوات ما دامت الحرب قائمة ، فأمر جديد أثار الكثير من المشاكل كلما بعدت نهاية الحرب .

فهناك فريقان يتحاربان حرباً مميتة ، وهناك أمبراطورية لدولة قبلت التسليم ، فما هو حكم الأراضى التى سلمت أهى دار حرب وقتال أم هى على الحياد ؟ لا شك فى أن القسم الفرنسى الذى يشغله العدو بجيوشه هو دار حرب .

فما هو موقف القسم غير المحتل وأهم جزء فيه تلك الأمبراطورية بأقاليمها المتسعة ؟

هدنة سنة ١٩٤٠ ومستعمرات فرنسا :

كنت فى بيروت عند بداية الحرب وبعد عقد الهدنة ، ولقد شعرنا وشعر الناس جميعاً أن الحياد الذى أرادت فرنسا أن تظهر به غير موجود ولا يمكن التمسك به نظرياً أو عملياً فقد كانت الطائرات الإيطالية والألمانية تضرب فلسطين وكان بعضها يصاب بنيران الدفعية فيضطر للهبوط فى أراضى سوريا ولبنان فاتخذت السلطات الفرنسية معها فى الحوادث الأولى الاجراءات التى ينص عليها باب الحياد فى القانون الدولى ، وكان للألمان لجنة عليا فى فيسبادن تشرف على أمور الهدنة وتفسير شروطها . أبلغت هذه اللجنة الحكومة الفرنسية رسمياً أن شروط الهدنة مع ألمانيا لا تجعل من فرنسا ومستعمراتها بلداً محايداً ، وما يسرى على المستعمرات يسرى على الأراضى المشمولة بالانتداب : وبناء على ذلك أفرجت السلطات العسكرية الفرنسية عن الطائرات والطيارين وسمحت بالمرور والنزول فى المطارات ، فكان من بريطانيا أن قذفتها بالقنابل ووجهت حملتها لاحتلال أراضى سوريا ولبنان .

حالة شاذة :

هذه الحالة الشاذة لأوضاع الأمبراطورية الفرنسية طول مدة الحرب أوجدت فى أراضيها نوعاً من الحكم استفاد منه الفرنسيون للوقوف بين الفريقين المتحاربين ، ولو أنه أدى فى النهاية إلى خسارة أسطولهم واحتلال الألمان والطليان لتونس : إلا أن هذه الحالة لفتت أنظار الفرنسيين جميعاً للامبراطورية وأثرها وأهميتها وما ينتظر منها وأنها قوة المستقبل ودرع الشعب الفرنسى وغير ذلك مما كانت تردده الصحف وتذيعه الأنباء المختلفة من محطات اللاسلكى .

انقسمت فرنسا إلى فريقين : حكومة فيشى وحركة الجنرال ديجول ، واتفق كلاهما على أمر واحد هو الاحتفاظ بوحدة الأمبراطورية وعدم التفريط فى أى جزء منها ، وترجع الأخطاء وأعمال العنف التى ارتكبها ممثلو فرنسا فى القطرين الشقيقين سوريا ولبنان إلى تمكن هذه الفكرة منهم تمكناً أعماهم عن تلمس الحقائق ومواجهة تطور العالم الجديد .

وأغرب من ذلك أن الحلفاء حينما وجهوا حملتهم إلى شمال أفريقيا قام الكتاب الفرنسيون بحملة قلمية فى أنحاء العالم تقول : إن الأمبراطورية وشعوبها قد قامت بأسرها تشد أزر الجنرال ديجول ، وأنها سارت تحت لوائه لإنقاذ أراضى الوطن المحتلة ؛ واتخذوا هذه الدعاية دليلا على نفوذ فرنسا وقدرتها الاستعمارية ، بل من هنا أخذوا ينادون بما صمموا عليه من إدخال سياسة الاتحاد الفرنسى وفرضها بقولهم إن المستعمرات قد حملت عبء القتال عن الوطن الأوروبى المحتل فهى إذن ساهمت فى تحريره ومن حقها أن تندمج فيه وتكون وحدة معه وننقل هنا ما كتبه بول أميل ڤيار ، لأن مرة سلم الوطن الأم وبقيت فرنسا تحارب فى مستعمراتها (١) :

Pour La premiére fois en effet La Métropole est Occupée et La France se bat dans ses Colonies Powl Emile Viourd

لماذا لم تحتل ألمانيا الأمبراطورية الفرنسية :

إن السياسية التى أملت على ألمانيا ترك الأمبراطوربة الفرنسية

(١) راجع: Essai d' ure Organisaton Constétutionnelle de La Communité Francaise

تحت إشراف فرنسا بعد تسليمها لا تزال غامضة بل هي إحدى المعميات التي سيتساءل عنها مؤرخو الحرب طويلا . فقد تكون هناك عوامل عسكرية أو سياسية فرضت هذه السياسة ، ومن المحقق أن هناك مفاوضات وأشياء لا يزال العالم يجهلها تماماً .

فن قائل إن التسليم قد تم على يد رجال يؤمنون بعظمة فرنسا إذا تخلصت من أنظمتها الدستورية واتجهت اتجاهاً فاشياً ، فن الطبيعي تشجيع هذه الحركة وإعطاء هؤلاء الناس بعض التساهل بترك المستعمرات لهم ، ومن قائل إن الغرض الأساسي الذي رمى إليه هتلر هو أن يجعل الأمبراطورية الفرنسية يوماً ما في صفه أمام الأمبراطورية البريطانية في أفريقية . وذلك لأن :

لفرنسا سياسة أوروبية وللمستعمرات سياسة أمبراطورية :

يقول أصحاب هذا الرأي إنه إذا كان لفرنسا سياسة في القارة الأوروبية تعتمد على الأمن والضمان وهي تحتم التحالف مع بريطانيا وغيرها ، فإن للامبراطورية بحكم موقعها الجغرافي ونفوذها وحاجاتها الاقتصادية سياستها الخاصة بها .

ويظهر ذلك جلياً في أن الفرنسي في القارة الأوروبية يعالج المشاكل بروح تختلف عن روح الفرنسي المقيم بالمستعمرات الذي يفكر بالأسلوب الأفريقي الاستعماري وينظر إلى عظمة فرنسا في إمبراطوريتها نظرة بعيدة عن تطور السياسة الأوروبية وما تفرضه من محالفات وصداقات .

فإذا تركنا جانباً المستعمرات البعيدة مثل مدغشقر والهند الصينية ، تبدو الأمبراطورية الفرنسية لقول هؤلاء كوحدة جغرافية لها أهمية كبرى وهي في نظرهم كائن حي له ما لفرنسا من مشاكل متعلقة بالأمن والحماية والجيش والبحرية .

وقد تتفق السياستان وقد تختلفان في الشئون الخارجية ، أما في الشئون الداخلية فقد ظهر أثر الرجال الفرنسيين المقيمين بالمستعمرات في محاربة كل إصلاح يرمي إلى إشراك الوطنيين في الحكم ، بل فرضوا إرادتهم وأجبروا الحكومة المركزية على تغيير سياستها مراراً ولذلك توهم المختصون بشؤون الاستعمار ألا مخرج لهم من هذا التعارض سوى سياسة الاتحاد التي تجعل من فرنسا والأمبراطورية كتلة واحدة في الخارج والداخل .

وكان من رأى الذين لمسوا هذا النزاع القائم أن المشاكل الإقليمية والحربية في سيرها وتطورها تواجه في النهاية مصالح الأمبراطورية البريطانية في أفريقيا وأكبر ضربة لهدم التحالف الفرنسي البريطاني تأتي من تشجيع فرنسا للأخذ بسياسة إمبراطوريتها في الأمور الخارجية وبنوا نظريتهم على :

المتناقضات القائمة بين إمبراطوريتين عالميتين :

فقالوا إن سياسة الوفاق والصداقة سهلة وتبدو ضرورية في أوروبا ولكنها صعبة وغير محتملة في أفريقية أو إذا سار التحالف بانسجام هنا فإنه لا يسير أشواطاً بعيدة في أفريقية من غير أن تبرز المتناقضات : وهي الأمور التي تتطور إلى مشاكل أو أزمات فيستعصى حلها لأن مردها إما إلى السياسات العليا أو إلى القواعد الثابتة اللازمة لطبائع الأشياء : وعلى هذا الضوء تبدو حوادث سوريا ولبنان سنة ١٩٤٣ ، ومشاكل بريطانيا في طرابلس الغرب وبرقة ، في الوقت الحاضر وتعذر إيجاد حل لها .

أمل ألمانيا في استغلال التنافس بين الدولتين :

كان الألمان على إلمام تام بالحالة النفسية والعسكرية في الجيش الفرنسي ، وبما يمكن أن تؤديه الفرق المكونة من الجنود الأفريقية ، وهم على علم بطاقة هذه الشعوب ومقدار صلاحيتها للحروب الحديثة ، ولكنهم أبقوا مع ذلك على وحدة الأمبراطورية الفرنسية وتركوها بيد الفرنسيين لأنهم توهموا أن التنافس بين البريطانيين والفرنسيين قد ينقلب إلى عداء ، وقد مرت حوادث كانت نتيجتها التصادم والقتال ولكن الأمبراطورية الفرنسية لم تتحرك بل إن القتال الذي نشب في سوريا ولبنان انحصر هناك .

أما من الناحية الفرنسية فقد تمكن الأمل من القواد والساسة لدرجة أنهم توهموا بأن لديهم القوة الكافية للدفاع عن الأمبراطورية إذا هوجمت وحشدوا وحداتهم البحرية في شمال

أفريقيا أملا فى الخروج إلى السلم بالسيادة على البحر وحدود المستعمرات كما كانت قبل الحرب : بل كانوا يجاهرون بأنه إذا لزم الأمر أن يقبلوا التضحية عند إقرار السلم مع ألمانيا فلتكن التضحية من الأراضى الأوروبية إذا ضمنوا المحافظة على وحدة أملاكهم الأفريقية التى هى المدى الحيوى التاريخى للشعب الفرنسى .

ومن الغريب أن هذا الأمل الألمانى وهذا المنطق الفرنسى ترك شمال أفريقيا فى حالة سهلت للحلفاء احتلالها واتخاذها بمرافئها لجمع قواتهم التى زحفت إلى قلب أوروبا ، فكان أن ساهمت الأمبراطورية الفرنسية فى تحرير أوروبا بل فى تحرير العالم ولكن كبقعة متسعة من الأرض استعملت كمسرح للحوادث والمعارك ليس إلا ...

الحلفاء يسيطرون على أملاك فرنسا ثم يعيدونها اليها :

تمزق السور الفولاذى لأول مرة عند دخول الحلفاء وقواتهم أراضى شمال أفريقيا ، فرأى أهل مراكش وتونس والجزائر جنوداً من عناصر أخرى غير فرنسية ، ولا بد أنهم لمسوا وعاينوا أشياء جديدة ، ولكن البلاد التى خضعت لسنوات عديدة لأعمال العنف والتشريد كانت تتمخض بانبعاث جديد ووثبة شاملة ، ولم تكن حملة الحلفاء لتخلق هذا الوعى القائم لولا أن لهذه الشعوب من الشخصية والتاريخ ما يجعلها تحس وتشعر بالرسالة التى تحملها للعالم . وجاءت حملة الحلفاء لهذه الأرض بأساطين العالم وكانت مقر مؤتمرات : وعرف الناس جميعاً أن أراضى تونس والجزائر ومراكش كانت وديعة فى يد الحلفاء وقد أعيدت لفرنسا بعد أن تمهد رجالها لروزفلت أن تسير هذه البقاع فى ركب الحضارة نحو الحرية وتقرير المصير كغيرها من بقاع الدنيا التى يسكنها الإنسان لا الحيوان .

أعود إلى الوراء ؟ أم عصر جديد ؟ هذه كلمة الأستاذ إسماعيل مظهر خينما عرض إلى مشروع الاتحاد الفرنسى ونحن نتفق معه فى صيحته ونقول :

إن الخطر الذى يبدو لنا هو أن توفق فرنسا فى إقناع العالم أن الاتحاد الفرنسى هو مشروع إنسانى يدعو إلى رفع مستوى شعوب الأمبراطورية ، وبعد تنفيذه تحقيقاً لما وعدوا به روزفلت فى اجتماع الدار البيضاء ، أو مرحلة فى طريق الرقى الاجتماعى .

ولكن فكرة الاتحاد قديمة وسنعرض لها فى الجزء الأخير من هذا البحث ونبرهن أنها أخطر بكثير مما نتصور ، وأنها ضربة موجهة لاستقلال الشعوب وحريتها ومستقبلها ، وأنها أخطر طعنة يوجهها الاستعمار الأوربى فى أفريقيا موطن الشعوب المظلومة

أحمد رمزى



من وراء المنظار

مذيـــــاع ... !

سوف لا تضحك يا قارئى من هذا الذى أكتب ، بل أنك ستتحمس أشد التحمس مع قوم انقلبوا جميعاً على الرغم مما كانوا فيه من ألم وعذاب وضعف من أكبر المتحمسين . وحسبك أن تعلم بادىء الأمر أنى أنا الذى طالما تفكهت بكل من يتحمس وضحكت ملء نفسى قد بت فى الحماسة أشد الناس أجمعين !

هذا شاب يضطجع على سرير ، بيده مجلة ينظر فيها وقد لمح منظارى على غلافها بعض الصور المغرقة فى المجون والفتنة ، وبجانبه مذياع لا يبعد عن أذنه إلا بقدر ما بين عينيه والمجلة ، والمذياع يرسل صوته كما لو كان فى مقهى من أشد المقاهى جلبة وصخباً ، وصاحبنا يقرأ ويسمع ويمتع بالجمال العارى ناظريه لا حرمه الله منهما ولا حرمه من ظرفه وأناقته وحسن ذوقه — كما يمتع بالموسيقى واللحن الصاخب أذنيه .

ولعلك تقول وما ذا فى ذلك من غرابة ؟ وما ذا فيه من بواعث التحمس حتى تستعدى عليه القراء على هذا النحو ؟ ألا فاعلم رعاك الله ووقاك السوء وجنبك وإيانا مواطن التحمس أن هذا الشاب الظريف كان يضطجع على سرير فى أحد المستشفيات ، إى والله فى مستشفى يحيط به فى الحجرات المجاورة مرضى منهم من يتلوى على سريره من فرط ما به ، ومنهم من يطلب غفوة تنقذه من عذابه ، ومنهم من اشتد به الصداع حتى أذهله عما بقى من صوابه ، ومنهم من يتراءى له شبح الموت فى كل شىء ، ومنهم من يطلب الهدوء حتى ليتضجر من وقع أقدام ممرضته أو من مجرد فتحها باب غرفته وإنها لتتنقل كما يتنقل الخيال فى الحلم !

والمذياع يجلجل صوته بكل ما هب ودب ، وقد أحضره هذا المريض الظريف ، شفاه الله ، من بيته ، وكانت حجرته لسوء حظ هؤلاء المساكين من حوله فى مفرق الطرق من ممرات المستشفى ، وكان بابها مفتوحاً إلى آخر ما ينفتح ، كما كان صوت مذياعه بالغاً فى الارتفاع آخر ما يمكن أن يرتفع .

وضج المرضى أو ضج من يستطيع منهم أن يحتج ، أما الذين برحت بهم الأوصاب فكانوا يتململون من هذا الطرب المفاجىء الذى نزل بهم فإذا هو يضاف إلى ما يلاقون من ألوان العذاب !

وغمزت أيديهم الأجراس ، وهى من نوع عالى الصوت ، فأضيفت نغماتها إلى نغمات المذياع ، واختلط بهذا كله استنكار الزائرين واستغاثة بعض من استطاعوا المشى من المرضى ، فهذا يصفق بيديه ، وذاك يتسخط ويتكره ويستعيذ بالله ، وذلك ينادى المسؤولين ؛ وتألفت من أولئك جميعاً ضجة لن يكون فيما يصور الخيال أشد منها نكراً ولا أبغض نشوزاً .

كل ذلك وصاحبنا لا يكترث لشىء ، كأنه وحده فى البحر أو فى الصحراء . وطرقت الباب أستأذن عليه ، ودخلت الحجرة فنظر إلى مستفهماً بهزات من رأسه المضطجع على الوسادة ، فوقع فى نفسى أنه ثقيل السمع فهو لذلك يعلى صوت المذياع ، ودنوت منه ورفعت بالكلام صوتى لخبس صوت المذياع واستمع إلى ، فرجوت منه وأنا أدعو له بالشفاء أن يغض من صوت مذياعه رحمة بالمرضى وبخاصة مريض كنت أعوده وقد اشتد به الألم ولا يفصل بينه وبينه إلا جدار الحجرة الرقيق .

ونظر إلى مستنكراً — كما فهمت — تطفلى وتهجمى على حجرته واعتدائى على حريته ، ولم يزد على أن أدار مفتاح مذياعه فأعاده أشد مما كان إن كان فيه فضل لزيادة !

ونظر فى صحيفته كأن لم يكن أمامه أحد ! وللقارىء أن يتخيل نفسه فى موضعى ، ثم لينظر مبلغ ما فى نفسه من تحمس حتى لمجرد هذا الخيال ! لقد فكرت أن أنتزع المذياع من مكانه فألقى به فى الحديقة ، ولو أنى فعلت ذلك ما فثأ ما كان فى نفسى من غضب . على أن مدير المستشفى قد جاء بعد ساعة فأمر بانتزاع هذا المذياع وحرم دخوله إلى حيث كان ... وكفى الله المؤمنين القتال ... نحن لعمرك ولعمرى أيها القارىء قوم كثيرو العيوب الاجتماعية ، ولتتحمس ما شئت إن أنكرت منى هذا القول ، وأكثر هذه العيوب ذيوعاً وأرذلها فيما أرى وقعاً عدم مبالاتنا أو ما أسميه على التحديد عدم اهتمامنا بالغير ، ما دمنا قد أرضينا أنفسنا ، وما نظن أن فى الأمم من هم مثلنا فى عدم الاهتمام بالمحيط الاجتماعى ، وقلما نعنى بما تقضى به اللياقة أوقلما نفطن إلى أن هناك شيئاً يدعى اللياقة . أقول هذا وليغضب القارىء العزيز ما شاء له غضبه ، فأنا متحمس كما ذكرت على غير عادتى ، وإن كنت ضنا بصحتى أدعو الله مخلصاً ألا يريبنى بعد اليوم ما يعود بى إلى مثل هذه الحماسة !

الخفيف

حقـــوق المرأة

للأستاذ على عبد الله

يخيل إلىّ أن الذين يطالبون بحقوق المرأة ... ويريدون لها أن تشترك فى السياسة ، وتعطى صوتها فى الانتخابات النيابية ، إنما يتآمرون عليها ويعملون على تضييع حقوقها ، وإفسادها بإخراجها عن طبيعتها ووظيفتها التى خلقت لها

لأن الله خلق المرأة لتكون أنثى ، وجعل وظيفة الأنوثة من أهم وظائف الحياة ، وأتاح للمرأة أن تبدع فيها وتنتج ماشاء لها الإبداع والإنتاج ؛ وهيأ لها كل فرصة للبلوغ بهذه الأنوثة إلى قمة المجد والعظمة

ولذا كان كل تصرف أو عمل يراد به إبعاد المرأة عن عملها ، وإخراجها عن دائرة اختصاصها ، وإشراكها مع الرجل فيما هو من عمل الرجولة محاولة طائشة ليست من مصلحة المرأة فى شىء

إنهم يطلبون مساواة المرأة بالرجل ! ! فإذا فرضنا أن هذه المساواة قد تمت ؛ بل لنفرض أن المرأة قد أصبحت رجلا بالفعل !! فهل تكون أسعد حظاً وأكبر شأناً أو أعظم منزلة مما هى الآن ؟

ما أظن ذلك أبداً ، وما زالت المرأة فى نظرى تعتز بجمال الأنوثة ، وتباهى بالطرف الكحيل ، والخد الأسيل ، والخصر النحيل ، ولو أنك شبهت امرأة برجل مرة واحدة لاعتبرت ذلك إهانة لها وتجريحاً لجمالها ! !

ولعل الذين يطالبون بمساواة النساء بالرجال لايدرون أن من الخير للمرأة أن تبقى كما هى وألا تؤدى من الأعمال إلا مايتفق مع رقة الأنوثة وسحر النساء ، وأنها فى أنوثتها أفضل ألف مرة مما لو كانت قريبة من الرجولة

ولا شك أن طلب النساء المساواة بالرجال كطلب الرجال المساواة بالنساء ، فإذا أمكن أن يستقيم هذا المنطق مع منهاج الحياة الاجتماعية أمكن للمطالبين بحقوق المرأة أن يحققوا مطالبهم ! !

إننى أعتقد أن المرأة ليست فى حاجة إلى شىء من الحقوق حتى تطالب به ! فهى فيما أرى متمتعة بكافة الحقوق التى منحتها إياها الطبيعة والشريعة ، وهى مساوية لحقوق الرجل تماماً ، وكل مافى الأمر أن هذه الحقوق تختلف باختلاف الجنسين ، وقد فرض الله لكل منهما ما يتفق مع فطرته وقدرته وخلقته ، وبذلك يمكن النظر إلى ما للرجل وما للمرأة عن طريق الموازنة والتعادل ، لا عن طريق المساواة وتوحيد الأعمال ، لأن هذا يفسد نظام المجتمع ويضع الأمر فى يد غير أهله ، وقد يسر الله كل جنس لما خلق له

وبشىء من الموازنة بين ما قررته الشريعة للنساء وللرجال نجد المرأة فى الكفة الراجحة ، ونرى أنها حين تطلب المساواة بالرجل تنزل عن شىء كثير من امتيازاتها

هذا عقد الزواج الذى يجمع بين المرأة والرجل ، يلتزم فيه الرجل بالمهر والنفقة بجميع أنواعها : نفقة السكن والغذاء والكساء وما يتبعها من ملحقات ، وهو مع ذلك كله لايعطى الرجل أكثر من حق الاستمتاع بالمرأة استمتاعاً عاطفياً بحتاً مجرداً عن الماديات والخدمة والتسخير

وقد حددت الشريعة هذا المعنى بنص الآية الكريمة (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إنّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

وإذاً فالعلاقة بين الزوجين يجب أن تقوم على أساس سكون النفس وارتياحها واطمئنانها ورضاها ، ولن يتأتى هذا السكون إلا بتجاوب الشعور ، وتبادل العاطفة وتقارب الثقافة وتكافؤ التربية . وأضافت الشريعة إلى هذا كله وجوب توفر المودة والرحمة ، وكلها صفات عاطفية مجردة عن المنفعة والانتفاع ، وهذا نوع عجيب من السمو رفع المرأة إلى أرقى المراتب ووضع العلاقة الزوجية فى أسمى الدرجات

لقد كانت المرأة فى الجاهلية تباع وتشرى ، وتكره على الزواج والبغاء ، وتورث ولا ترث ، وتمنع من التصرف فى مالها ، وكان قدماء الرومان يشكون فى أنها إنسانة ويعتقدون أنها حيوان نجس لم يخلق إلا للخدمة ، وكان بعضهم يغالى فى اتقاء شرها ويرى تكميم فمها لمنعها عن الكلام كالكلب العقور أو الجمل المضوض ! ! وأغرب من هذا أنه كان يباح للوالد ذبح ابنته أو دفنها فى التراب وهى على قيد الحياة دون أن يؤخذ بجزاء أو قصاص (وإذا بُشرَ أحدهم بالأنثى ظلّ وجههُ مسوداً وهو كظيم

يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هُون أم يدسه في التراب ألا ساءَ ما يحكمون) وكانوا يقولون في مأثور الحكم (دفن البنات من المكرمات) ومن أغرب ما يرويه لنا التاريخ عن فرنسا التي وضعت دستور الحرية للعالم ... أنها لم تقرر أن المرأة إنسانة إلا سنة ١٥٨٦ ، أما الإسلام فقد نسخ هـذه الأوضاع وساوى بين الرجل والمرأة بقوله : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلقَ منها زوجها) (من عملَ صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينهُ حياةً طيبة) (يا أيها النبي إذا جاءكَ المؤمنات يُبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهنّ ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن فبايعهنّ واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم) (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف . وللرجال عليهن درجة)

هذه الآيات الكريمة تبين لنا بمنتهى الوضوح أن المرأة لها مثل ما للرجل من الحقوق في القيمة لا في النوع ، وليس للرجل عليها غير درجة واحدة ، هي حق الرعاية والحماية والولاية ، وهو حق تقرره طبيعـة الحياة ، إذ لا بد لكل أسرة من راع يتولى أمرها ويحمل المسئولية عنها ، والرجل في هذا المقام أولى بالرعاية لأنه صاحب الفضل والجهد والنفقة والمسئولية

(الرجال قوّامون على النساء بما فضلَ الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)

حتى هذه الدرجة التي جعلها الله للرجل على المرأة ، لم يشأ أن يجعلها خالصـة له بدون عوض ، فكلفه بالسعي وأعطاه حق القيادة ، وألزمه النفقة ، وخصه بالولاية والقوامة ، وجعل له الضعف في الميراث وحمّلَهُ تكاليف المهر والإنفاق ، فتعادلت الكفتان ، وعرف كل فريق حقه ، ولم يعد لأحدهما أن يبغي على الآخر

وإذاً فما بال المرأة تحاول العدوان على الرجل وتريد أن تسلبه وظيفته وتزاحمه فيما هو من شأنه ؟ ! وهل هي بهذه المساواة التي تطلبها تريد أن تشترك في الإنفاق ودفع الصداق ، والكفاح في الحياة من أجل مطالب الأسرة ؟ أم أنها تريد الاشتراك في التشريع والحكم والنيابة دون أن تشترك في الأعباء والتكاليف ! !

وهبها استطاعت أن تحاكي الرجل في كل شيء ، وتشاركه في كل أمر ، فهل تعتقد أن هـذا يحقق لها المساواة ؟ وهل في استطاعتها أيضاً أن تجعل الرجل يحمل ويلد ويرضع أم تقف عاجزة أمام هذه الفوارق الطبيعية التي لا حيلة لأحد فيها ؟ !

وإذا فرضـنا أننا أعطينا المرأة حق التصويت في البرلمان ، فسيتبع هذا إعطاؤها حق النيابة ، وحين يصبح النساء أغلبية في المجلس تقضي التقاليد البرلمانية بتأليف الوزارة منهن ، وليس ببعيد أن نرى في مصر بعد تنفيذ هذا الاقتراح وزارة من الجنس اللطيف !

وأنا مطمئن إلى أنه سيكون من أول ما تقرره هـذه الوزارة اللطيفة ... إلغاء الضرائب المفروضة على الوارد من أدوات التجميل والجوارب (النايلون) وأقلام الشفاه الحمر وزجاجات المطور ، وأصباغ الأظافر ، وإنشاء المعاهد العالية لابتكار الأزياء وخياطة الملابس وابتداع أنواع من الأحذية تزيد الأقدام جاذبية وإغراء

ولا ريب أن وجود النساء في البرلمان يجعل لهن حق التشريع ووجودهن في الوزارة يعطيهن سلطة التنفيذ وبذلك تنعكس الآية وتكون النساء قوامات على الرجال

ألا ليت الذين يتعلقون بهذا الخيال يعلمون أن العالم في حاجة إلى الأنوثة كما هو في حاجـة إلى الرجولة ، وأن لكل منهما اختصاصاً فرضته الطبيعة على الجنسين ؛ فمحاولة خلط عمل النساء بعمل الرجال محاولة طائشـة تؤدي إلى انهيار النظام الاجتماعي وفساد الأسرة وخراب البيت !

والبيت مملكة قائمة بذاتها تحتاج إلى مجموعة كبيرة من القوى والجهود لتنظيمه وتدبيره ، وتوزيع الزمن والجهد والثروة على ما تتطلبه من متاعب الحمل والرضاع والتمريض ومشاكل الطهي والنظافة والتدبير وشواغل التعليم والتربيـة والتوجيه والتوفيق بين رغبات الأطفال ، ومشاكل العيال ، وحقوق رب البيت في الراحة والسكون والمتاع والاستجمام

هذا هو عمل المرأة في البيت وهو عمل ليس هيناً ولا سهلاً ، فإذا أرادت أن تخدم وطنها فهذا هو السبيل الصحيح ، وإذا شاءت أن ترفع الأنوثة إلى ذروة المجد وقمة العظمة ، فليكن ذلك من طريق الإبداع في تنظيم البيت وتحويل هذه المملكة الصغيرة إلى جنة وارفة الظلال ، مخضرة العشب يجد الأطفال فيها حنان الأمومة وجمال العطف ويشعر الزوج في ظلها ببرد الراحة ، ونعيم العافية وصفو العيش الرغيد ! !

(المنصورة) علي عبد الله

الجهاد الوطنى فى مراكش

للأستاذ عبد الكريم غلاب

فى جمع ضم نخبة ممتازة من أصحاب الدولة والمعالى من مصريين وشرقيين وعرب تحدث متحدث عن مراكش وما تلاقيه فى سبيل الحصول على استقلالها ، فرد عليه أحد أصحاب المعالى قائلا : إننا لا نسمع إلا قليلا عن الحركة الوطنية فى مراكش ، ولذلك لا نستطيع أن نقوم نحوها بشىء جدى . ذلك حديث صاحب المعالى ولست أدرى أأنكر عليه حديثه أم أسرد عليه بعض الحقائق التى تبرهن له على أن مراكش جاهدت فى سبيل استقلالها جهاد المستميت ، وضحت فى سبيل قوميتها تضحية لا أحسب أن أمة شرقية ضحت أكبر منها .

والحقيقة أن مراكش وقعت تحت الحماية الفرنسية ، ويكفى أن أقول « الحماية الفرنسية » ليدرك إخواننا العرب فى الشرق ما تعانيه هذه الأمة من بطش وجور واضطهاد ، وليدركوا أيضا - إن كانوا قد سمعوا أو رأوا ما وقع فى سوريا ولبنان طول ربع قرن - ما يتجرعه المراكشيون فى سبيل كيانهم الوطنى ؛ مع ما يوجد هناك من فارق جوهرى بين الحالة فى الشرق والحالة فى مراكش . وهذا الفارق هو أن مراكش وقعت فى الركن الغربى لشمال أفريقيا ، وبذلك أصبح فى إمكان الفرنسيين أن يقفلوا الأبواب فى وجهها ، ويكتموا أنفاسها حتى لا يسمع صوتها أحد فى الشرق أو الغرب . وقدتم لها ذلك فما إن تتحرك البلاد حتى تقفل جميع الحدود ، وتمنع إدارة البرق من أن ترسل أى رسالة إلى الخارج وبذلك يتم للفرنسيين أن ينفردوا بمراكش فيقضوا على حركتها بالحديد والنار - ويخمدوا أنفاسها إلى حين ، وبذلك لا يدرى أحد ماذا جرى فى مراكش .

ألست ترى معى أن صاحب المعالى معذور فى قوله إن حركة مراكش لا يسمع لها صوت ؟ وسنحاول فى هذا الحديث أن نلخص جهاد المراكشيين فى سبيل استقلالهم وحريتهم .

يبدأ تاريخ الجهاد الوطنى منذ فكر الأجانب فى احتلال مراكش ، وقد فطن لذلك المراكشيون فكانت ثورة المولى عبد الحفيظ وتوليته العرش سنة ١٩٠٧ قائمين على أساس إبعاد خطر الأجانب عن البلاد والقيام بالإصلاحات الداخلية التى يتطلبها العهد الجديد كما ورد فى الوثيقة التى بويع على أساسها . وقد قام المراكشيون فى ذلك العهد ضد المولى عبد العزيز وعملوا على خلعه لأن النفوذ الأجنبى بدأ يتسرب إلى البلاد فى عهده . ولما أخفق المولى عبد الحفيظ فى إبعاد الفرنسيين عن البلاد وإخراجهم من مدينتى « وجره » و « الدار البيضاء » وأكره على إمضاء معاهدة الحماية سنة ١٩١٢ ، قامت ثورة فى مراكش كلها وخاصة في العاصمة « فاس » التى حدثت فيها مصادمات عنيفة بين الشعب المراكشى والجيش الفرنسى . وهذه المصادمات - وإن انتهت بالإخفاق - إلا أنها دلت على ما فى الشعب المراكشى من حيوية كادت ترغم الفرنسيين على الجلاء عن العاصمة ، لولا الإمدادات القوية التى تلقاها المرشال « ليوطى » قائد الحملة الفرنسية . والمؤرخون الفرنسيون الذين تحدثوا عن هذا العهد يقدرون هذه الحوادث التى يسمونها « أيام فاس السوداء » .

ولئن استسلم المراكشيون فى المدن الكبرى لأنهم غلبوا على أمرهم تحت مدافع الفرنسيين وبنادقهم . فقد استمرت الحرب فى القبائل الجبلية وخاصة فى الجنوب . استمرت حرب العصابات بين الفرنسيين والمراكشيين اثنتين وعشرين سنة فلم تستسلم حاميات الجنوب إلا فى سنة ١٩٣٤ .

وفى هذه الفترة قام الأمير عبد الكريم الريفى ليخلص البلاد من يد الاسبانيين والفرنسيين ، ولا نريد أن ننوه بانتصاراته المديدة ، وبما لاقته الجيوش الاسبانية ، والفرنسية على يديه ، فإن القراء فى الشرق العربى يعرفون هذه الحروب ويقدرونها ، وهم يعرفون أن عبد الكريم بطل مراكش لم يعمل على بناء مراكش الحديثة فحسب ، ولكنه ساهم فى بعث الروح العربى فى الشرق أيضاً . ويكفى أن نقول إن انتصاراته أقضت مضجع أوروبا كلها ، وحملت مجلس النواب فى كل من فرنسا واسبانيا يطالبان بسحب الجيوش من مراكش ، والتسليم للأمير عبد الكريم ، وقد كادت تقوم ثورة شعبية فى اسبانيا لتنقذ

البلاد من ويلات الحرب الريفية التى استمرت زهاء خمس سنوات كاملة .

ولم يكد الأمير عبد الكريم يلقى سلاحه حتى تلقفته منه الحركة الوطنية السلمية التى أعلنت ابتداء جهادها فى مايو سنة ١٩٣٠ . قامت هذه الحركة لتعمل على تخليص البلاد من نير الاستعمار الفرنسى والإسبانى ، فأخذت تعمل جاهدة لتحقيق المطالب القومية للشعب المراكشى . وقد تمثلت هذه الحركة فى حزب واحد هو « كتلة العمل الوطنى » وكان لهذه الكتلة برنامج وطنى يشمل الإصلاحات الضرورية التى يجب على كل من فرنسا وإسبانيا أن تعالج بها الحالة فى مراكش . وما كادت الكتلة تعلن عن وجودها حتى التف حولها الشعب ، وأصبح الفرنسيون يدركون خطرها على مشروعاتهم الإستعمارية ، ومن ثم أخذوا يقاومونها مقاومة أدت إلى اصطدامهم بالشعب مرات عديدة ، وكان من نتيجة ذلك أن سقط فى ميدان الجهاد عدد كبير من المجاهدين المراكشيين .

وكانت سبيل الفرنسيين فى محاربة الحركة الوطنية تقوم على إقفال الأبواب فى وجه الوطنيين ومنعهم من كل عمل من شأنه أن يقوى نفوذهم فى الشعب . فقد كانوا ممنوعين من إصدار صحيفة عربية واحدة تعبر عن آرائهم كما منعوا من فتح نواديهم ، ومن إعلان صوتهم بأى طريقة من طرق الإعلان . جاهد الوطنيون ليزيحوا عنهم هذا النير ، ولكن الفرنسيين كانوا يمعنون فى طرقهم الاستعمارية ، وهذا ما جعلهم يصطدمون بالشعب المراكشى فسلطوا جند السنغاليين المعروف بقسوته ووحشيته على الشعب الأعزل ... وأخيراً أصدرت السلطة قراراً بحل كتلة العمل الوطنى وأغلقت نواديها وصحفها ، وقبضت على زعمائها ، وبقى زعيم الكتلة محمد علال الفاسى فى منفاه بالكابون فى افريقيا الإستوائية منذ سنة ١٩٣٧ إلى الآن

وهكذا أصبحت مراكش مباءة للثورات الجامحة فى سبيل الحرية . ولكن لم يكن جهاد الحركة الوطنية ثوريا يعمل على زحزحة النفوذ الأجنبى بالثورات فحسب ، ولكنه كان جهاداً يقوم على أسس متينة لبناء صرح الأمة المراكشية . فرجال الحركة رأوا أن الإدارة الفرنسية لا تقوم بشىء يذكر فى سبيل التعليم ، ولذلك قاموا بحركة تعليمية واسعة النطاق ، ففتحوا المدارس الحرة فى جميع أرجاء البلاد برغم ما قاسوه من محاربة الإدارة الفرنسية لهم ؛ وبذلك أنشأوا جيلا متعلما من الشباب ، وكان مجهودهم فى سبيل التعليم أضخم من مجهود الإدارة برغم الأموال التى خصصتها الإدارة فى ميزانيتها للتعليم . وقاموا أيضاً بحركة تحريرية اجتماعية لجندوا الشباب لمحاربة الجهل والفقر ولتنوير أذهان الشعب ، وحملوا حملة منكرة على بعض العادات والتقاليد التى يغذيها الاستعمار الفرنسى. ثم قاموا بحركة خطيرة وهى اقتحام مناطق جبال الأطلس التى منع الفرنسيون دخولها إلا بجواز سفر. وبذلك فضحوا (السياسة البربرية) التى اتبعتها فرنسا فى هذه المناطق والتى تقوم على فصل جنوب مراكش عن شمالها . وقد ساعدت الحركة الوطنية فى بعث النشاط الأدبى والفكرى فى مراكش فقاموا باصدار مجلات وكتب أدبية تعرضت هى الأخرى للمصادرة والتعطيل . ومما يذكر للحركة الوطنية بالفخر أنها أنشأت صحفاً ونوادى وجمعيات فى قلب باريس للدفاع عن مراكش . وكان لمجلتى « مغرب » و « أطلس » الفرنسيتين اللتين كان يحررهما الشبان المراكشيون فى باريس أثر كبير فى الرأى الفرنسى فأوجدت نوابا ووزراء فرنسيين يعطفون على الحركة المراكشية .

وقامت الحرب الأخيرة فقام المراكشيون يساعدن دول الحلفاء ويبذلون أبناءهم الذين حاربوا فى كل الميادين الهامة ببسالة شهد لهم بها مستر تشيرشل فى إحدى خطبه ، وقدمت الحكومة المراكشية أموالا طائلة مشاركة منها فى المجهود الحربى . ثم قدمت لفرنسا المحاربة وللجنة التحرير الفرنسية قروضا كبيرة استعانت بها فى استرجاع بلادها المحتلة . وقد سخرت جيوش الحلفاء أرض مراكش وموانئها ومطاراتها واستفادت من منتجاتها الضخمة. كل ذلك ظنا من المراكشيين بأن الحرب ستخلق مبادىء جديدة وستتيح للشعوب الصغيرة أن تتمتع بمبادىء ميثاق الأطلنطى . ولذلك اتحدت كلمة الأمة تحت زعامة « حزب الإستقلال » الذى قدم وثيقة لدول الحلفاء ومن ضمنهم فرنسا ، طالب فيها باستقلال مراكش ، وتوحيد أراضيها ، وإقامة نظام ديمقراطى دستورى ؛ كان ذلك فى يناير سنة ١٩٤٤ ولم تكد تعلن هذه الوثيقة حتى

جند الفرنسيون جنودهم ، وقبضوا على زعماء الحزب وشردوهم ونفوهم ، ثم أطلقوا يد السنغاليين فى كل المدن والقرى ، فمثلوا مأساة يندى لها جبين الإنسانية ، ومنعت الإدارة الفرنسية عن المدن والقرى مواد التموين الضرورية والماء والنور . ولكن المراكشيين ثاروا فى وجه الفرنسيين وحلفائهم السنغاليين ، فوقعت معارك طاحنة سقط فيها مئات المراكشيين ضحية دفاعهم عن حريتهم واستقلالهم ، وحكم بالإعدام على كثير من الوطنيين وبالنفى والسجن مع الأشغال الشاقة على كثير غيرهم ولا يزال زعيم الحزب أحمد بلا فريج منفياً بجزيرة كورسيكا برغم إصابته بأمراض خطيرة . ولكن الحركة لم تمت بل ازداد الشعب إيماناً بحقه فى الحياة الحرة الكريمة ولا يزال يعمل برغم ما ينتابه من نكبات إلى أن يصل ، وسيصل ...

عبد الكريم غلاب

الشباب والفراغ والجدة

للأستاذ مصطفى القونى

[هذه الكلمة هى خاتمة الفصل الأخير من الطبعة الثانية من كتاب « الأثمان : عرض جديد لأصول علم الاقتصاد » الذى طبع فى دار الرسالة وظهر فى هذا الأسبوع عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة]

يصل المجتمع إلى أقصى قدر من الرفاهية الاقتصادية إذا استغل موارده على النحو الذى يتيح له أقصى قدر من الشباب والفراغ والجدَة . ونعنى بالجدَة الثروة . ونعنى بالفراغ أن يقصر وقت العمل بالقدر الذى يهيء للناس التمتع بثمرات عملهم . ونعنى بالشباب علو مستوى الصحة العامة ، لأنه لا خير فى العيش إذا فسدت آلته ، وآلة العيش صحة وشباب .

والمشكلة الإقتصادية هى مشكلة قلة الوقت والموارد ، فاذا استطاع المجتمع أن يستغلها أفضل استغلال خفف من حدة قلتها وفاز من القليل بالكثير .

ولكن الثروة والفراغ والقدرة على الاستمتاع وإن كانت نعمة حين تتاح للناس فى مجموعهم ، فإنها تنقلب نقمة إذا اختص بها أفراد دون آخرين ، نقمة تفسر قول من قال :

« إن الشباب والفراغ والجِدَه مفسدة للمرء أىّ مفسده ! »

ولنرو الآن طرفاً من مفاسد تباين ثروات الناس وتباين دخولهم .

إن ثروات بعض الناس تغنيهم عن السعى لكسب أرزاقهم ، ويعيش مثل هؤلاء عيشة بطالة اختيارية . وليس للبطالين مايشغلهم غير الجرى وراء حوافز الاستمتاع ومثيرات الشهوات ، فهم يخلقون لأنفسهم « حاجات » ثم يجرون وراء إشباعها . ويقبل البطالون على شرب الخمر ، مثلا ، تزجية للفراغ وهرباً من السأم والملالة ، ولكن غيرهم يحاول أن يجرى مجراهم فتشيع المفاسد بين العامة الذين يحاولون أن يتشبهوا بالخاصة وإن لم يكونوا مثلهم (١)

ومن هنا كان توجيه جانب من نشاط المجتمع الاقتصادى إلى إشباع « حاجات » البطالين ومن يجرون مجراهم . والنشاط الاقتصادى ، أو السعى للرزق ، عبارة عن صنع أشياء أو أداء خدمات يطلبها أناس ويدفعون نظيرها « ثمنا » . وإقبال الناس على شرب الخمر يدفع غيرهم إلى التوسل للعيش بالخدمة فى المواخير وطالب القوت ما تعدىّ .

وبعض من ينظرون فى كتب الاقتصاد نظرات عابرة ، ينعون على الاقتصاديين اعتبارهم الرغبات المحرمة والسافلة « حاجات » وينمون عليهم وصف ما يسد هذه الرغبات بصفة « المنفعة » . ولكن الاقتصاديين يحللون النظام الاقتصادى ، بما فيه من خير وشر ، ويحاولون تفسير دوافع السعى للرزق وغايات هذا السعى . ويسعى المرء للرزق بالقيام بعمل «يطلبه» غيره ويدفع فيه «ثمناً» وتدفع الناس ثمناً لما يطلبونه لأنهم يرون فيه منفعة ، أى صلاحية لسد رغبة ؛ وقد تكون هذه الرغبة عالية أو سافلة ، حلالا أو حراماً ، خيراً أو شراً ، ضرورة أو ترفاً . وإهمالنا دراسة الحاجات التى يجرى بعض الناس وراء إشباعها ، بالرغم من أن

---

(١) انظر ارفنج فيشر : مبادىء الاقتصاد الأولية . ص ٤٩٤ وما بعدها .

فى هذا المجرى خروجاً على مبادىء الدين والخلق ، نقول إن إهمال هذه الحاجات هروب من الواقع الذى نتناوله بالتحليل للكشف عن علله وأسبابه وهل يتورع من يقومون ، فى المعامل ، بتحليل فضلات الإنسان أو الحيوان ، عن مسها لقذارتها أو لنجاستها ؟

ولنعد إلى مساوى تباين ثروات الناس . إن الإفراط فى الغنى كالإفراط فى الفقر ، نقمة على صاحبه . وإن أحس الفقير ألم الجوع فان الغنى قد يصاب بالتخمة . وإن لم يجد المعدم ما يستر عريه فان إفراط الثرى فى التأنق يحمله هماً كان حرياً به أن ينأى عنه . وإن كانت مساكن العامة تزدحم بهم ازدحاماً ، فان عناية الخاصة بمساكنهم الرحيبة تشغل بالهم بما لا طائل وراءه .

وانقسام الشعب شعبين ، أغنياء وفقراء ، جناية على الأخلاق ، وبنات المعدمين فريسة سهلة لإغراء المثرين وسماسرتهم الذين يتوسطون بين من يبعن أجسادهن وأرواحهن وبين من يشترونها .

وتحاول الديمقراطية السياسية أن تسوى بين الناس ، وإن اختلفت أقدارهم فى المجتمع ، وذلك بأن تجعل لكل فرد صوتاً واحداً فى انتخاب السلطات الحاكمة . ولكن الناخبين عرضة لإغراء مرشحى المجالس النيابية الذين يحاولون ، وقد ينجحون ، شراء أصواتهم بالمال . وليس من السهل سيادة الديمقراطية ما لم تدعم الديمقراطية السياسية ديمقراطية اقتصادية .

ثم هناك مايجرى من سباق بين المثرين : سباق غايته الخيلاء والزهو الذى لاينتهى إلى نهاية . وتسابق أفراد الطبقات الموسرة فى مظاهر الغنى مصدر همّ لهم ، لأن كلا يسابق ويخاف أن يسبقه غيره . ومن سلع الترف ما يكاد يكون كل الغرض منه مجرد الزهو ، ومن السيدات من تقتنى جواهر نادرة ، تخاف عليها من السرقة فتصنع لها من الحلى المصطنعة نسخة تطابق الأصل ، وتخزن الجوهر النادر فى خزائنها وتتحلى فى زينتها بالحلى الزائفة . ومن جامعى روائع فن التصوير من يستأجر خبيراً يتعرف له أصالة الصور التى يقبل على شرائها ، لأنه يشتريها لا عن إحساس بجمالها وإنما عن اعتزاز بمقدرته على شرائها .

وقد يرد على ما قدمناه من أمثلة على مساوىء توزيع الثروة ، بأن الإقبال على شراء شىء ، أيا كان هذا الشىء ، يدفع إلى عمالة بعض الناس ويسرع من دوران عجلة النشاط الاقتصادى ويشيع الرخاء . ولكن ليس سواء أن يعمل أناس فى صنع الخمر أو أن يعملوا فى صنع الخبز . وليس سواء أن يشتغل المرء بتجارة الماشية أو بتجارة الرقيق وإنه لإسراف ، ومفسدة أى مفسدة ، أن تحول بعض موارد المجتمع من إنتاج ما يسد الحاجات الضرورية لجمهرة الناس إلى إنتاج ما يشبع نزوات البطالين والمترفين .

وتقليل التفاوت بين الدخول يقلل من الظلم الاجتماعى ويهيىء الفرصة لزيادة رفاهية المجتمع . والقضاء على تباين توزيع الثروة ، وعلى تفاوت الفرص ، قد يكون عن طريق الثورة كما قد يكون عن طريق التطور التدريجى ، ولكل من السبيلين أنصار .

وتتدخل الحكومة محاولة إصلاح ما فسد ، وتفرض ضرائب على الموسرين والقادرين على تحمل عبء الضريبة ، وتنفقها على ما يعود بالخير على الجميع . وكلما زاد تدخل الحكومة فى هذا الشأن قل المدى بين الثورات المختلفة والدخول المختلفة ، وسار المجتمع خطوة نحو تحقيق العدالة الاجتماعية .

مصطفى الفونى

أعلام معاصرون:

محمد عبد المطلب

١٨٧٠ - ١٩٣١ م

للشيخ محمد رجب البيومى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

ولقد انتقل رحمه الله إلى عدة مدارس ابتدائية وثانوية حتى اختير أستاذاً بمدرسة القضاء الشرعى ، وكانت شهرته قد طارت إليها بما نشره من حين لآخر فى الصحافة ، فاستقبل بالتجلة والترحيب ووجد نفسه أمام عقول مستنيرة تفهم آراءه وتسير معه فى اتجاهه ، فأخذ يغرس فى نفوسهم حب الأدب والفضيلة ويدفعهم إلى التعصب للعربية فى وقت هوجمت فيه من أعدائها المتعصبين . ولقد غالى فى ذلك مغالاة عدها الكثيرون رجعية وجمودا فكان لا يحفل بما تخرجه المطبعة العربية من الكتب الحديثة بل يحث على الانتفاع بالآثار الأدبية القديمة أولا وقبل كل شىء ، فإذا ما درست دراسة وافية كان المجال فسيحا لغيرها ، ثم شفع القول بالعمل فأخذ ينهج فى إنتاجه نهج القدامى من فطاحل العصر العباسى ، فكان يبتدىء قصائده بالغزل الرائق ، مكثرا من الغريب الجلجل ، مستعينا بخياله البدوى فى التوليد والتصوير ، وتلك منة كبرى أسداها إلى الأدب العربى ، فهو يذكر الناس بين الفينة والفينة بمن ينسج على منوالهم فيفيئون إلى الدواوين القديمة باحثين مستفيدين ، ولا شك أن الأدب العربى كان فى مبدأ هذه النهضة محتاجا إلى المحافظ أكثر من احتياجه إلى المجدد ، وإلا فكيف نتشدق بالابتداع والتجديد ، وتراثنا الرائع القويم لا يزال فى ظلمات النسيان تشيح عنه الوجوه وتستعجمه الأفهام ! !

وأحب أن أكشف عن حقيقة مطموسة ، فالذائع المشهور أن أمير الشعراء هو أول من كتب الروايات المسرحية الشعرية ، فقد أصدر أولى رواياته « كيلوباتره » سنة ١٩٢٨ م ثم أعقبها بعدة روايات مشهورة ، والواقع أن عبد المطلب قد سبقه إلى ذلك بعشرين عاماً ، فقد نظم فى سنة ١٩٠٩ وما بعدها بضع روايات شعرية ذات فصول ومناظر تمثيلية ، وقد جعلها متينة الحوار، سريعة الحركة ، حسنة المفاجأة . وكلها عربية بدوية تتخذ أسماء لامعة فى تاريخنا الادبى « كالمهلهل » و « امرىء القيس » و « ليلى العفيفة » ومن المؤسف حقاً أنها لا تزال فى غمرة الجحود مخطوطة بدار الكتب المصرية ، ولعلنا نجد من يخرجها للناس فى ثوبها اللائق ، فهى وحدها الدليل على تجديد عبد المطلب وتنبهه إلى عنصر هام من عناصر الشعر قد أثبتت الحياة مزيد احتياجنا إليه ، فليت الذين يرجفون بجفاف الشاعر وجموده يلتفتون إلى هذه المأثرة الخالدة ثم يحكمون !! .

وأنت إذا نظرت إلى المآخذ التى توجه إلى شعره تجدها منصبة على تغلغله فى الأخيلة الصحراوية ، وهيامه بالأماكن البدوية وإكثاره من الغريب الفحل ، مما يعتبر محاكاة وترسما لا تجديداً وابتداعاً ، وفى رأيى أن عبدالمطلب بالذات غير ملوم فى ذلك ، لأنه عربى صريح نشأ فى بيت يفخر بانتمائه إلى الجزيرة العربية ، فهو حين يهتف بنجد والعقيق وسلع إنما يعبر عن وجد مشبوب ، ويحن حنيناً محرقاً إلى أماكن يعتز بها مدى الحياة ، فلا عليه إذا جال فى هذا الميدان وصال ، وأحرى بنا أن نوجه هذا النقد إلى غيرى كالبارودى مثلا ممن لا ينتمون إلى الجزيرة ولا يشعرون نحوها بعاطفة وانجذاب ! !

وإذا كنا نعد من حسنات الفرزدق على اللغة العربية أنه أحيا ثلثها فى شعره ، فلماذا ننكر على عبد المطلب إكثاره من الغريب المستساغ فى وقت جاهر فيه أعداء اللغة بعجزها عن مسايرة الحياة ، ألا يكون ذلك توجيهاً صالحاً منه إلى تحصيل اللغة ودراسة معاجمها الواسعة حتى تسعفنا بما نفتقر إليه من كلمات ! !

هـذا وقد شاءت الظروف السياسية أن ينتقل من مدرسة القضاء الشرعى إلى مدارس وزارة الأوقاف !! فحيل بينه وبين العقول الممتازة التى كانت تنتفع بآرائه وتوجيهه ، ووجد نفسه أمام طائفة أخرى لا تزال فى الدور الأول من التعليم ! !

وقد اعتبر الفقيد وجوده فى مدارس الأوقاف محنة قاسية قابلها بالصبر الجميل ، على أنها كانت فى الواقع محمدة جميلة . فقد خلص من دروسه العميقة فى القضاء الشرعى، وعكف على الإنتاج

الأدب الرفيع، وكانت الحرب العظمى الأولى فى ذلك الوقت مندلعة اللهيب . ثم تلتها الثورة المصرية الصاخبة ، فوجد الشاعر من أحداث زمانه ميادين شاسعة يحلق فيها بخياله الجوح ، وحين نطالع ديوانه نجده حافلا بالقصائد السياسية التى تعتبر فى الواقع وثائق تاريخية صحيحة يحتج بها الباحثون ، فما من عاصفة سياسية هبت بمصر إلا خلدها عبد المطلب فى شعره الرائع — إلى جانب ما كان يكتبه من مقالات طنانة الدوى عميقة التأثير — ولعلك تسأل معى لماذا لم تذكر سياسياته الشعرية كما ذكرت سياسيات حافظ إبراهيم ؟ والجواب على ذلك أن الشعر السياسى شعر شعبى لا يدور على الألسنة إلا إذا كان سهلا واضحاً يفهمه العامى قبل المثقف . وقد كان حافظ رحمه الله يأتى فى السياسيات بنوع خاص بما يناسب عقل الجمهور ، فطار شعره السياسى كل مطار . ورواه الريفيون فى القرى قبل المثقفين فى الأندية ، أما عبد المطلب فقد كان محافظاً على نسجه الرصين وجزالته القوية ، فنجا شعره من العامة وظل منهلا رائقاً يرده المثقفون ، وإذا شئت الدليل على ذلك فاقرأ قصيدة حافظ فى سعد زغلول يوم اعتدى عليه ومطلعها

الشعب يدعو الله يا زغلول   أن يستقل على يديك النيل

ثم اقرأ قصيدة عبد المطلب فى هذا الموضوع

رمى وسهامُ الله فى نحره رد   فلا بأس حاطتك العناية ياسعد

فإنك بلا شك ستسارى فيما أقول

وأود أن أنبه القارىء إلى قصيدة عبدالمطلب فى الحرب العظمى فهى وحدها كافية للتدليل على مذهبه فى الشعر . ولقد عبر فيها عن إحساس الشعب المصرى أصدق تعبير ، فكانت سوطاً نارياً يلهب ظهور الإنجليز ، وقد مكثنا سبعين عاماً نضج من المغتصبين ونرى بأعيننا كتائب الاستعمار رائحة إلى الحانات والمواخير ، ينتهكون الحرم . ويصرعون العفة ، ولكن لم نجد فى شعرائنا مَنْ صوّر هذه المناظر المخجلة فى جزالة لفظ وقوة أسر ، غير عبد المطلب حين قال :

تبصر خليلى هل ترى من كتائب   دلفن بها كالسيل من كل مودق
سراعاً إلى الحانات تحسبهم بها   نعاماً تمشى رزدقاً خلف رزدق
يهولك مرآها إذا اصطخبت بهم   مواخير تجلو فاسقات لفسَّق
إذا أجلبوا فيها حسبت ضفادعاً   تجاذبن إيقاعاً على صوت نقنق
زعانف شتى من طويل مشذب   طرى القرى عارى الأشاجع أعنق
ترى منه فى بحبوحة الأمن باسلا   وإن يدعه الداعى إلى الكر يحبق

والقصيدة كلها وقد جاوزت المائتين تضرب على هذا الوتر الرنان ، وطبيعى أنها لم تنشر فى حينها بل ظلت فى مدرجة النسيان حتى قرأناها بالديوان !! والعجيب أن عبد المطلب — بعد انتقاله من سوهاج — لم ينشر خرائده تباعا فى الجرائد اليومية كما فعل قرناؤه بل ظل محتفظاً بها فى مسوداتها غير اليسير مما أنشده فى المحافل العامة وسارعت الصحافة إلى تدوينه !! ولعلك تقف معى من هذا على تواضعه الجم وعزوفه عن الشهرة ، ولا أدرى أى ذخيرة غالية قدمها الأستاذ الهراوى إلى العربية يوم جمع قصائد الفقيد فى سفر خاص فكانت كأس النديم وعبير المشتاق

على أن مدة الشاعر لم تطل بوزارة الأوقاف ففى سنة ١٩٢٦ تقلد وزارة المعارف المرحوم جعفر والى باشا وكان ذا اتصال حميد بأرباب الفكر وحملة اليراع، فاغتنم عبدالمطلب هذه السانحة وتقدم إليه آملا فى الأخذ بيده ، وكان الوزير الأريحى عند ظنه الحسن به فقد استصدر أمراً من مجلس الوزراء بنقله إلى التدريس فى دار العلوم مع إعفائه من الكشف الطبى إذ كان الشاعر يشكو ضعفاً فى قوة إبصاره، ولا تسل عن فرحته بالعودة إلى وسط ممتاز يشجعه على الدرس الجيد والبحث المفيد ، ولم يرغير الشعر مكافأة طيبة يهديها إلى معالى الوزير فشكره بقصيدة عامرة قال فيها

أنا الروض حياه ولىٌّ بديمة   عليه بأسباب الحياة استهلت
عداه الردى أحيا لمصر وأهلها   مآثر من عهد ابن يحيى تولت
(جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت   بنا نعلنا فى الواطئين فزلت)

ولم يلهه التدريس بدار العلوم عن الاتصال بالجهور عن طريق الصحافة، فقد كان ينشر أبحاثه الأدبية دراكا ، وحين ظهر كتاب الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين سارع إلى نقده فى جريدتى الأهرام والقطم ، ثم تشعب به النقاش فخاض المعركة الحامية بين الجديد والقديم . وأخذت الردود الكثيرة تتوالى على نقده وهو يناقشها مأخذاً مأخذاً حتى عد عند الكثيرين عميداً للمدرسة القديمة الاتباعية ، ولقد طبعته هذه العادة بطابع خاص ، فكان يتعمد فى أكثر إنتاجه أن يكون كما عهده الأدباء فى صدر شبابه جزلا فخلا . وأذكر أنه ما أقيمت حفلة أدبية إلا ودعى إليها عبد المطلب باعتباره ممثلا للمذهب القديم أصدق تمثيل . وكان السامعون ينتظرون الديباجة العربية منه فى شوق وانجذاب ، ففى الحفلة التى بويع فيها شوقى بأمارة الشعر وقف عبد المطلب يلقى قصيدته فهمس أديب كبير فى أذن شوقى امرؤ القيس! امرؤ القيس!

وتكلم عبد المطلب فضج الحفل بالتصفيق الشديد ! !

ولقد كان مظهره فى الجامعة المصرية يوم ألقى قصيدته العلوية سنة ١٩١٩ رائعاً جيلا فقد ركب ناقته ومضى ينشد طويلته متشبهاً بأجداده البادين، وكان الحفل الحاشد مأخوذاً يجارى ويسمع، فمن تدفق فى البيان وطرافة فى الموضوع، إلى غرابة فى المنظر وبعد فى الاتجاه، ولقد طال نفسه فيها حتى جاوزت قصيدته أربعمائة بيت تقرؤها فى متعة وارتياح فلا تجد غير القوى الرصين ! !

أما أخلاقه الرفيعة فقد كانت دينية مثالية تبحث عنها فلا تجدها عند الذين يتظاهرون بالورع ويتشدقون بالعبادة وليسوا من ذلك فى قليل أو كثير، فعبد المطلب قد درس التعاليم الإسلامية ثم طبقها على نفسه واتخذها منهجاً يسير عليه. فكان عف اللسان، صلب العقيدة، راسخ الإيمان طاهر الذيل، متمسكا بتقاليد قومه، راغباً فى الزهد الصوفى الذى ورثه عن أبيه، وقد اشترك فى جمعيات إسلامية كثيرة. كالمواساة الإسلامية والشبان والهداية، والمحافظة على القرآن الكريم باذلا لها ما يستطيع بذله من مال وعتاد

قال شيخنا الأستاذ الاسكندرى «وكان شديد العصبية لسلف هذه الأمة وقوادها وعلمائها وشعرائها فلا يكاد يسمع بحديث مزرٍ عليها أو غاض من كرامتها حتى يغضب لها غضبة الليث الهصور وينبرى له تزييفاً وتهجيناً نظماً وكتابة وخطابة»

هذا وقد انتدب فى سنة ١٩٢٨ للتدريس فى تخصص اللغة العربية بالأزهر الشريف، وظل به حتى لقى ربه راضياً مرضياً عنه بما قدم لدينه ولغته من العمل الصالح، وكان قد أحيل إلى المعاش من دار العلوم قبل وفاته بشهر واحد. وحين جاءه اليقين خرجت الدنيا تشيعه فى حفل مهيب التقى فيه أصدقاؤه بتلامذته العديدين باكين منتحبين، ورأى الناس الوفاء للأدب والعلم متمثلاً حول نعشه فى جمع حاشد وصفه الهراوى فقال:

لقد مشت الدنيا وراءك خشعاً
وما كنت فى سلطان حل ولا عقد
ألا إنها كانت قلوباً تداعت
على الود تمشى حول نعشك فى حشد

محمد رجب البيومى

تعقيبات

بين العامية والعربية :

تقدم الأستاذ محمد فريد أبو حديد عضو المجمع اللغوى وعميد معهد التربية إلى المجمع ببحث مطول عن موقف اللغة العامية من العربية الفصحى عرض فيه لخصائص العامية وما لها من الآثار الجميلة فى معارض الكلام كالزجل والموشحات والقوما والدوبيت، وتناول ما كان لها من تطور فى الشرق وفى بلاد الأندلس ثم فى باقى الجهات الأخرى، وانتهى من ذلك إلى القول بوجوب دراسة العامية والاهتمام بها ووضع الوسائل للتقريب بينها وبين الفصحى حتى تلتقى لغة الكتابة ولغة الكلام.

وليست هذه الدعوة التى يرتفع بها صوت الأستاذ أبو حديد اليوم بالأمر الجديد، ولعلها دعوة قديمة بالية ارتفع بها الصوت فى مصر منذ أكثر من خمسين عاماً، وثارت فيها مجاجة الكلام واشتجرت حولها أقلام الباحثين، وقد استطاع أساتذة ذلك الجيل أن يصفوا حسابها وأن يفرغوا من تفنيدها وأن يأتوا فى ذلك بما لا مزيد عليه.

كان رأس تلك الدعوة رجل انجليزى موظف فى مصر يدعى «ويلكوكس»، وكان هذا الرجل داهية، درس اللغة العربية، واللغة العامية أيضاً وكان عمله الأصيل فى شئون الرى والصرف، ولكنه أثار بين المصريين الدعوة إلى العامية بحجة أنها لغة الكلام، وأنها قريبة من الأفهام، ومن العجيب أن ذلك الرجل أنشأ مجلة يومذاك سماها «الأزهر»، وكان يصطنع الغيرة على العربية وعلى الاسلام وعلى المصريين فيما يدعو إليه، وتحت ستار تلك الغيرة كان يحاول أن يسدد الطعنة النجلاء إلى العربية وإلى الاسلام وإلى المصريين.

وبيننا كثيرون يذكرون أن الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا كان له مجال فى معرض تلك الدعوة، فقد كتب مقالين فى «الجريدة» أيام كان يقوم على تحريرها يدعو فيهما إلى تمصير

اللغة » ، فانبرى كثير من الباحثين لمناقشة دعوته وتفنيد حجته ، وكأن الرجل قد اقتنع بما بدا له فى معرض المناقشة إذ سكت عن تلك الدعوة إلى اليوم ، بل لقد وقف بعد ذلك يدعو إلى الفصحى ويحبذها فى عدة مناسبات …

وأنا فى الواقع لا أدرى ماذا يريد الأستاذ أبو حديد بالتقريب بين العامية والعربية ، وماذا يقصد بأن « تلتقى لغة الكتابة ولغة الكلام » ؟ !

إن موضوع القضية باطل ، لأننا إذ نقول العربية فانا نقصد إلى لغة موحدة الألفاظ والدلالات عند جميع أبناء العربية والذين ينطقون العربية ، أما العامية فانها تتوزع فى الألسن إلى لهجات عديدة بل إلى لغات تختلف فيها الألفاظ ودلالاتها إلى حد كبير ، ليس فى الأقطار العربية فحسب ، بل فى القطر الواحد منها ، وأظن الأستاذ يعلم الفرق الكبير بين العامية فى شمال مصر والعامية فى جنوبها ، فأية عامية من هذه كلها يريد أن يتخذها أساساً تلتقى به لغة الكلام مع لغة الكتابة .

فى جميع أمم الدنيا لغة للكلام ولغة للكتابة ، ويوم أن كانت العربية فى أهلها فطرة وسجية كانت هناك لغة للكلام ولغة للكتابة . إنه رأى غريب مريب ، يعود فيرفع رأسه بعد أن قطعه أساتذة الجيل السابق . والعجيب أن يحفل المجمع بهذا الرأى الذى لا طائل تحته وأن يأمر بطبع هذا الكلام لبحثه وإبداء الرأى فيه ، كأن هذا المجمع قد فرغ من أداء واجبه نحو العربية فما بقى عليه إلا العناية بالعامية . ومن يدرى لعل الشيوخ الأجلاء يقترحون أن يكون اسم مجمعهم « مجمع اللغة العربية والعامية » ! !

بشار وروزفلت وزكي مبارك :

يبدو صديقنا الدكتور زكى مبارك فى كتاباته التى يكتبها فى هذه الأيام على نهج جديد ، وطريق كثير الدروب والتعاريج ، فهو يكتب كما يتحدث ، وهو لا يرتبط مع القارىء بوحدة الموضوع ولكنه يستطرد ثم يستطرد ، فيخرج من كلام إلى كلام ، ويورد كل ما يبدو من الروايات والذكريات ، وهو فى هذا يعتمد على الذاكرة أكثر مما يعتمد على المراجعة ، والذاكرة مهما كانت قوة وحفظاً لا تصدق صاحبها فى كل الأحيان .

وطريقة تشقيق الكلام والاستطراد هى الطريقة التى ابتدعها وآثرها كاتب العربية الكبير شيخنا أبو عثمان الجاحظ ، وليس من قصدى أن أستطرد بالقارىء إلى الحديث عن هذه الطريقة ، ولكنى أريد هنا أن أشير إلى مقال قرأته للدكتور يوم الثلاثاء من الأسبوع الماضى فى جريدة « البلاغ » فوقفت فيه على روايتين جديرتين بالتصحيح تقديراً للأدب وإكراماً للتاريخ .

أما الأولى فقد قال الدكتور وهو يتحدث عن شهر كانون : « وكان الشاعر بشار بن برد متهماً بالزندقة ، فأراد أحد الصوفية أن يحبب إليه الايمان فقال : إن المؤمن الصادق فى الجنة غرفة عرضها ألف ميل وطولها ألف فرسخ ، فقال بشار : هى إذن أبرد من كانون الثانى » ، وليست الرواية هكذا ، ولكنهم قالوا : « ومر بشار بقاص فسمعه يقول : من صام رجباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصراً فى الجنة صحنه ألف فرسخ فى مثلها ، وكل باب من أبواب بيوته ومقاصيره عشرة فراسخ فى أمثالها : فالتفت بشار إلى قائده وقال : بئست والله هذه الدار فى شهر كانون الثانى » … وإذن فلم يكن هناك صوفى يعظ بشاراً بهذا الكلام الملفق ، وقد كان على الدكتور ، وهو مؤلف فى التصوف ، أن يتحرى الرواية من هذه الناحية فضلا عن الناحية الأدبية . . . هذه واحدة …

أما الثانية فقد قال الدكتور وهو يتحدث عن الشيخ على يوسف صاحب المؤيد : « وكانت للشيخ على وقفة جريئة فى وجه الرئيس روزفلت جد روزفلت الذى كان رئيس جمهوريات الولايات المتحدة قبل سنين ، وخلاصة القصة أن روزفلت زار أسوان وأظهر عجبه من أن يتمجد المصريون بقصر أنس الوجود . فثار شوقى الشاعر فنظم الضادية وفيها يقول :

شاب من حولها الزمان وشابت
وشبـاب الفنون ما زال غضا

وثار الشيخ على يوسف فشواه بمقالة فى جريدة المؤيد … »

وليست القصة هكذا أيضا ، ولم يكن الأمر أمر أنس الوجود ، وإنما القصة أن روزفلت زار السودان وخطب فى أحد المعاهد المسيحية هناك فاتهم المصريين بالتعصب الدينى ، وأشاد بأيادى الانجليز على تقدم مصر ، وعجب للمصريين الذين يكفرون بتلك الأيادى والنعم ، ثم دعا المصريين إلى ترك التشدق بالقديم البالى والنظر إلى إصلاح حالهم الراهنة ، فكان أن غضب المصريون

لأنفسهم ، وثاروا عليه ثورة عنيفة فى دفع تلك الافتراءات التى كان روزفلت يردد فيها كلام المعتمد البريطانى ، وكان الشيخ على يوسف ممن حركوا القلم فى هذه الثورة ، وكان شوقى يومذاك موظفاً ولكنه خرج عن دائرة « الموظف » كما يقول ونظم قصيدته الضادية فى تمجيد حضارة الشعب الذى كفر به روزفلت وقدم لتلك القصيدة بمقدمة قال فيها : « قمت أيها الضيف العظيم فى السودان خطيباً ، فأنصفت العصر ، وانتقصت مصر ، وأقبل أهلها بعضهم على بعض يتساءلون : كيف خالف الرئيس سنة الأحرار من قادة الأمم وساسة الممالك أمثاله ، فطارد الشعور وهو يهب ، والوجدان وهو يشب ، والحياة وهى تدب ؛ فى هذا الشعب ، ومن حرمة العواطف السامية ، ألا تطارد كأنها وحوش ضارية » . إلى آخر تلك المقدمة التى تعتبر آية من آيات شوقى الخالدة .

وثار حافظ إبراهيم أيضا ، وتناول روزفلت بقصيدة من قصائده الوطنية النارية ، ولكن هذه القصيدة لا توجد فى ديوانه الذى طبعته الوزارة ، وقد سبق أن نشرتها فى « الرسالة » مع بعض القصائد والمقطوعات المنسية لحافظ إبراهيم ...

هذا أمر يهمنا :

تنشر جريدة « المصرى » سلسلة من التحقيقات الصحفية عن الحالة فى بلاد المغرب الأقصى قام بها الأستاذ إبراهيم موسى الصحفى المعروف ، وقد عرض الأستاذ فى كتاباته إلى الحديث عن الحياة الثقافية وما يفرض عليها من الحجر الاستعمارى فى تلك البلاد فقال : « ووجدت مع أحد الزعماء كتباً مصرية قديمة من النوع المستعمل ، وكانت عليها كتابة تدل على أنها لرجل آخر فى طنجة من ثلاث سنوات ، وكان الزعيم المغربى شديد الفرح بها ، وقد دهشت حين علمت أن سبب فرحه هو أنه هربها معه من طنجة لأن الفرنسيين لا يسمحون بدخول الكتب العربية إلى المغرب إلا إذا كانت توافق مزاجهم ، وقليلا ما يجدون ما يلائم هذا المزاج الرقيق ... »

ثم قال الكاتب : « وقال لى هذا الزعيم إنك لا تتصور مقدار العذاب الذى يعيش فيه رجال الصحافة والعلم فى هذه البلاد ، إذ لا ينشر كتاب ولا صحيفة بدون رقابة ، وكثيراً ما تخرج الصحف ونصف صفحاتها بيضاء وقد كتب عليها — حذفته الرقابة — بل لا يمكن أن يقبل كتاب فى مطبعة قبل تسليم النسخة الأصلية إلى الرقابة ، وحدث مرة أن الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله المحرر بجريدة العلم وضع كتابا فى الجغرافيا فبقيت النسخة الخطية فى الرقابة سنتين — نعم سنتين — بقصد التعطيل ، ثم أفرج عن الكتاب بعد تعديلات ومساع كثيرة ، ومن أمثلة هذه التعديلات أنه كان فى الكتاب فصل اسمه « المغرب فى عهد الاستقلال » ، ويقصد الكاتب بذلك العهد السابق للعهد الفرنسى ، فأصرت الرقابة على تغيير العنوان إلى — المغرب قبل الحماية — ولما رضى المؤلف بذلك سمحوا بطبع الكتاب ... »

قلت : وهذه حال تهمنا ، فمن الواجب على رجال الأدب والعلم وحملة الأقلام فى مصر وفى جميع العالم العربى أن يفزعوا لها ، وأن يقفوا منها موقفاً حازماً لأنها مصادرة للحياة الفكرية . ومصادرة للكتب العربية ، وجميع الآثار التى تخرجها حتى لا تجد طريقها إلى تلك البلاد الشقيقة ...

نعم ، إن من الواجب على الجامعة العربية أن تفزع لهذه المسألة ضمن ما تعنى به من الحالة القائمة فى المغرب الأقصى ، وضمن ما تعنى به من الشئون الثقافية العامة فى البلاد العربية ، ولكن علينا نحن أن نفزع لهذه المسألة بالذات ، لأنها مسألتنا ، ومسألة الثقافة العربية ، والأمر فيها يسير علينا إذا حزمنا لها الرأى والأمر ، وذلك بأن نعمد إلى مقاطعة الكتب الفرنسية فى جميع الأقطار العربية ما دامت فرنسا تقصد إلى منع الكتاب العربى من الدخول إلى أى قطر من الأقطار التى تقع تحت نفوذها ، فإذا عمدنا إلى هذا صادقين فستكون فرنسا هى الخاسرة . وستضطر اضطراراً إلى النزوع عن تلك الخطة الشنعاء .

فهل أنتم يا أبناء الثقافة العربية ويا حملة الأقلام فاعلون ، غضباً لكرامتكم ورعاية لمصلحتكم ؟ ؟

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

من الأدب السياسي :

دعت رابطة الطلبة السودانيين فى مصر مكرم عبيد باشا لاختتام موسمها الثقافى ، بمحاضرة عن « الوحدة الطبيعية الوطنية بين مصر والسودان » فلبى الدعوة ، وكان يوم الخميس موعد إلقاء هذه المحاضرة بدار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ، وقد قدمه رئيس الرابطة بكلمة وصفه فيها بقوله « أديب ملك من البيان عنانه ، وخطيب فاق بفنه أقرانه ، وناثر حر أعجب بل أدهش خصومه وأعوانه »

وهذا الوصف من التقديم هو الذى يلائم المقام فى هذا الباب الأدبى ، فالذى يعنينا هنا هو مكرم عبيد الأديب الذى يسترعى انتباه الأدباء ومحبى جمال الكلام بما يكتب ويخطب . ولما كانت هذه المحاضرة من إنتاجه الأدبى السياسى ، فقد رأينا أن نلم هنا ببعض أجزائها ونقطف شيئاً من ثمراتها

بين مكرم باشا العوامل الأساسية التى تقوم عليها وحدة وادى النيل، فعد منها «النيل نهراً» و«النيل شعوراً» ثم قال فى بيان العامل الثانى : « ووحدة النيل شعوراً هى عنصر الوحدة المنوية بين أبناء النيل ، ولست فى هذا أتعمل أو أتخيل ، بل أحلل التحليل العلمى الذى لا جدال فيه ولا دجل . فما من شك أن الطبع وليد الطبيعة ، وإذا جمعت بيننا وحدة الطبيعة ، فقد جمعت بيننا حتما وحدة الطبع . نعم إن هناك وحدة اللغة ووحدة الدين ، ولكن هذه قد توجد بين البلاد المستقلة بعضها عن بعض ، أما وحدة الطبع ، مستمدة من وحدة الطبيعة ، فهى الوحدة الأصلية التى تجعل من أبناء البلاد شعباً واحداً ، فإذا ما أضيفت إليها العناصر الإضافية كالدين واللغة والمصالح الاقتصادية كانت الوحدة مكتملة الأسباب أصولا وفروعا

« ولقد أجمع علماء التاريخ والآثار وفى مقدمتهم المسيوماسبرو على أن المصرى والسودانى متفرعان فى مجموعها من جنس واحد وأصل واحد ، رغم أن الشمس لم توزع سخاءها عليهما بقدر واحد ... ! »

ودلل على التشابه فى اللهجة الإقليمية فقال : « كنت منذ أيام قليلة أتحدث إلى بعض إخواننا السودانيين ، فراعنى من هذا الحديث ، لا وحدة التفكير فحسب ، بل وحدة التعبير ، حتى إن لهجتهم فى الحديث لا تختلف عن لهجة أبناء الصعيد ، مما أخجلنى — وأنا رجل صعيدى « تبحرت » — فجعلنى أعود معهم إلى القاف الصعيدية الجيمية ، بدلا من القاف الملطفة الألفية التى تعودناها فى لغة عاصمتنا الرشيقة ...

« ولما كان أهالى الوجه البحرى والصعيد شعبا واحداً وإن اختلفت بينهما اللهجة الإقليمية ، فلست أرى فارقا — حتى من هذه الناحية الفرعية التفصيلية — بين الصعيد الأدنى فى مصر ، والصعيد الأعلى فى السودان »

وقال معقبا على ماحدث أخيراً فى الخرطوم من محاكمة الأستاذ أحمد كامل قطب رئيس حزب الفلاح الاشتراكى المصرى متهما بالحض على كراهية الحكومة البريطانية والحكومة السودانية فى محاضرة ألقاها بنادى الخريجين هناك ، وقد هتف أمام القاضى بعد أن حكم عليه بالسجن أربعة عشر يوما ، قائلا : « الله أكبر ، ويحيا ملك مصر والسودان ، ويسقط الاستعمار »

قال مكرم باشا معقبا على ذلك : « نعم أيها السادة ، الله أكبر ، والله أكبر ، والله أكبر ، فلست أعرف نداء جمع بين حكمة الدين وحكمة الدنيا كهذا النداء ، الذى يتلاقى فيه الجزاء مع العزاء .. فلو أن فى الدنيا كبيراً فالله أكبر ، ولو أن بين الظالمين ظالماً يرى نفسه كبيراً فالله منه أكبر ، ولو أن بين الشعوب شعبا كبيراً يرهق شعباً صغيراً فالله من الكبير أكبر

« إذن فلا تهنوا ولا تحزنوا ، وإذا ما أصابكم عسف أو عنت فلا تفقدوا ميزانكم بل زنوا ثم وازنوا ... نعم وازنوا بين عادل سرمدى وبين ظالم وقتى أبى واستكبر ، وفاته أنه مهما كبر فالله أكبر »

المؤتمر الثقافى العربى :

تضمن ميثاق الجامعة العربية النص على التعاون الثقافى بين

بلادها ، وتوحيد الاتجاه التعليمى فيها ، وألفت الإدارة الثقافية بها للعمل على تحقيق ذلك ، وأخيراً قررت دعوة الأمم العربية المشتركة فى الجامعة العربية وغيرها ، إلى مؤتمر ثقافى عربى ينعقد بلبنان فى سبتمبر القادم للنظر فى توحيد اتجاهات الثقافة العربية والعناية بموادها وأساليب تعليمها فى اللغة وفروعها ، والتربية الوطنية ، والتاريخ ، والجغرافيا ، فى مراحل رياض الأطفال والتعليم الأولى والابتدائى والمتوسط والثانوى

ووجهت الدعوة إلى وزارات المعارف فى كل من البلاد العربية ، لتتولى كل وزارة منها الاتصال بالهيئات الثقافية والتعليمية فى بلادها لتعيين من يمثلها فى المؤتمر ، على أن يكون الممثلون الذين يؤلفون هيئة المؤتمر من الهيئات الرسمية ، أما الهيئات الأخرى فلها كما للأفراد المهتمين بالشئون التعليمية والثقافية ، أن يكتبوا بآرائهم ومقترحاتهم إلى الإدارة الثقافية لتنسيقها وعرضها على المؤتمر ولهم أن يحضروا اجتماعات المؤتمر متتبعين مستمعين

وقد ربطت بالدعوة بيانات بالموضوعات التى يرجى البحث فيها للمؤتمر ، فى المواد الدراسية المتقدمة ، ومن هذه الموضوعات فى « اللغة العربية وفروعها » ما يأتى :

(١) كيف يحقق بث الفكرة العربية بطريق كتب المطالعة ؟

(٢) كيف تعالج صعوبات وجود اللغة العامية بجانب اللغة الفصحى ؟

(٣) تيسير القراءة والكتابة للمبتدئين ووسائل تحقيقها

(٤) هل يدرس تاريخ الأدب مستقلا أو فى ثنايا دراسة النصوص الأدبية بالتعريف بأصحابها وعصرها الخ

(٥) فى اختيار النصوص الأدبية ، هل ترتب على حسب العصور أو الموضوعات أو يتدرج فيها من حيث السهولة والصعوبة دون تقيد بعصر ؟

(٦) كيف تستغل دراسة الأدب إلى حد ما فى بث الروح العربية ؟

(٧) القراءة خارج المدرسة

(٨) استغلال الوسائل الحديثة فى ترقية اللغة العربية كالإذاعة والتمثيل والمناظرات والمجلات والصحف ودور الكتب

ومن موضوعات التربية الوطنية :

أساليب إعداد المواطن العربى ليكون مواطناً صالحاً فى مجموعة البلاد العربية كما هو مواطن صالح فى قطره الذى ينتمى إليه

ومن موضوعات التاريخ :

(١) هل يدرس فى التعليم الابتدائى تاريخ قطر الطالب فقط ، أم تاريخ الأمة العربية كلها ، أم يجعل تاريخ القطر محوراً لدراسة التاريخ العربى ، أم تدرس سير أبطال العرب وعظمائهم فقط ، أو يدرس تاريخ المدن ونحو ذلك

(٢) وسائل الاستفادة من التاريخ العربى لتقوية الروح العربية الحق

ومن موضوعات الجغرافيا :

الأسس والمبادىء العامة التى يحدد على أساسها القدر الذى لابد من أن يحصله المواطن العربى من جغرافية البلاد العربية ، وموضع هذا بالنسبة إلى جغرافية العالم كله ، ومبلغ التعارض بين هذا وبين الفكرة الدولية التى يتجه إليها العالم الآن

ويطلب فى كل مادة بيان المنهج المثالى الذى يقترحه الباحث فيها ، ومبلغ اتفاقه مع المناهج المقررة الآن فعلا فى بلاده

وقد وصلت إلى الإدارة الثقافية كتب كثيرة تتضمن آراء ومقترحات مختلفة فى تلك الموضوعات، وهى تعمل فى تنسيقها بطريقة تسهل عرضها على المؤتمر . وكان موعد تلقى هذه الردود قد انتهى ، ولكن رئى مده إلى منتصف يونية الحالى نظراً لحالة بعض البلاد النائية

معرض الكتب والأدوات :

وفى خلال المدة التى يجتمع فيها المؤتمر الثقافى ، وفى البلد الذى يكون الاجتماع به (وسيكون فى لبنان ولم يعين بعد) يقام معرض للكتب المدرسية المؤلفة فى مواد الدراسة المشتركة والتى هى موضوع نظر المؤتمر ، وللوسائل العملية لتعليم فروع اللغة العربية المختلفة ، ووسائل الإيضاح لمادتى التاريخ والجغرافيا كالصورات والمجسمات والأجهزة ، التى من صنع الأفراد ودور النشر والشركات

وتقدم نسختان من الكتب واثنان من الأدوات للادارة الثقافية قبل منتصف يولية القادم

مؤتمر الآثار العربي :

وقد استقر الرأى على عقد مؤتمر للآثار فى البلاد العربية بسوريا (أحد بلدانها ولم يعين بعد) فى ٢٣ أغسطس القادم

وقد وجهت الدعوة إلى الحكومات العربية لكى تعين ممثليها الرسميين الذين سيمثلونها فى هذا المؤتمر . والمفهوم بوجه عام أن هذا المؤتمر سيتناول بالبحث أسباب التعاون فيما يتعلق بالشئون الأثرية وتنظيم عمليات التنقيب عن الآثار وترتيب المتاحف

رحلة إذاعية :

كان مكتب الإذاعة البريطانية بالشرق الأوسط قد رأى أن يقوم بتسجيلات ثقافية وموسيقية فى بعض البلاد العربية ، إلى جانب ما يقوم به من هذه التسجيلات فى مركزه بالقاهرة ، لتذاع فى برنامج محطة لندن للاذاعة العربية

وفى الأسبوعين الماضيين قام بهذه الرحلة الثقافية الفنية الأستاذ يحيى شرارة مدير القسم العربى بالإذاعة البريطانية والأستاذ إيفان جست ممثل محطة لندن فى الشرق الأوسط،وهو ابن الأستاذ جست المستشرق المعروف وصاحب كتاب « ابن الرومى ـ حياته وشعره » ومما يذكر استطراداً أن هذا الكتاب موضوع باللغة الإنجليزية ولم يترجم إلى العربية . وقد أثبتت به نصوص الشعر باللغة العربية .

وكان مع الأستاذ يحيى والأستاذ إيفان موظفون آخرون وآلات للتسجيل،وقد قصدوا أولا إلى عمان عاصمة شرق الأردن، حيث سجلوا أحاديث لبعض الأدباء هناك ، منها « الأدب فى شرق الأردن » و« نهضة الشعر الحديث فى شرق الأردن » ومما وقفنا عليه أن دعائم هذه النهضة الشعرية هم الشباب الذين يتابعون قراءة ما يصدر فى مصر من الصحف والمؤلفات بشغف ، ويتأثرون بها ، وهم يغشون مجلس جلالة الملك عبد الله الذى يطارحهم الأشعار ويناقلهم الأحاديث الأدبية ، ومما سجلته إذاعة لندن فى شرق الأردن ، كلمة لجلالته بمناسبة عيد استقلال شرق الأردن

ثم قصدوا بعد ذلك إلى بغداد ، فقاموا بتسجيل أحاديث ، منها « الصحافة فى العراق » و« المرأة والمجتمع العراقى » و « البترول فى العراق » و « مجموعة من الأشعار يختارها ويلقيها ناظموها » وبين هؤلاء الشعراء الذين ألقوا ما اختاروه من أشعارهم ، شاعرات عراقيات تألقن هناك فى ميدان الشعر ، منهن الآنسة عاتكة الخزرجى والآنسة نازك الملائكة

وسجلوا مجموعة كبيرة من الأغانى والموسيقى ، وقد روعى فى هذه المجموعة أن تمثل الفن العراقى القديم الذى يقوم على الأغنيات القديمة كالتى يكثر فيها ترديد « جانم باللى » كما تمثل الفن العراقى الحديث الذى تغنى فيه الأناشيد والأشعار الحديثة ، أما الموسيقى فلا تزال فى العراق عربية شرقية لم تتغلغل فيها نزعة التفرنج الموسيقى على الرغم من شيوعها فى موسيقى الأفلام المصرية الطاغية على السوق هناك ، والفلم العراقى لم يولد بعد ، وهناك شركة أجنبية تحاول إنتاج أفلام عراقية ، ولا يقدر لها النجاح ، لأن اللهجة العراقية غير مفهومة تماما فى خارج العراق ، والاستهلاك المحلى لا يكفى ، ولست أدرى لم يقال بعدم نجاح هذه الأفلام ان أنتجت باللغة العربية !

« العباس »



تحقيقات تاريخية :

بين يدى ديوان « صرّدر » طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة (١٩٣٤) فى الصفحة الرابعة وفى السطر الثانى هذا البيت من الشعر :

جيوش من الأقدار تفنى عُداته
بلا ضرب إيتاخ ولا طمن أشناس

وفى الحاشية رقم (٢) « إيتاخ وأشناس كذا بالأصل ولعل الأولى « أثباج » جمع « ثبج » وهو بين الكاهل إلى الظهر والثانية لم نوفق إلى مراد الشاعر منها .

وصحة البيت :

جيوش من الأقدار تفنى عُداته
بلا ضرب إيتاخ ولا طمن أشناس

وإيتاخ وأشناس كلاهما من مشاهير قواد المعتصم الذين أبلوا أحسن البلاء فى حروب الروم وفتح عمورية (٢٢٢هجرية — ٢٢٤) وضربت بقيادتهم وشجاعتهم الأمثال .

قال الطبرى : كان على مقدمته أشناس ويتلوه محمد بن ابراهيم، وعلى ميمنته إيتاخ وعلى ميسرته جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط صفحة ٢٦٤ الجزء السابع .

قال ابن الأثير : وفى هذه السنة ٢٢٣ هجرية . خرج توفيل ابن ميخائيل ملك الروم إلى بلاد الإسلام وأوقع بأهل زبطرة وغيرها ، وكان سبب ذلك أن بابك لما ضيق الأفشين عليه وأشرف على الهلاك كتب إلى ملك الروم يعلمه أن المعتصم قد وجه عساكره ومقاتلته إليه حتى وجه خياطه يعنى جعفر بن دينار الخياط وطباخه يعنى إيتاخ ولم يبق على بابه أحد؛ فإن أردت الخروج فليس فى وجهك أحد يمنعك . «ص ١٧٦ جزء ٦ طبعة أميرية»

أحمد رمزى

على هامش كتاب « دفاع عن البلاغة » :

سيدى الأستاذ العقاد :

لو لم تكن حبسة المرض قد حجبت الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات ، لجعلته الخصم والحكم فى كلمتى هذه ، ولسرنى منه أن يرمينى بالدواة والقلم والرسالة ؛ ولكن لأمر ما لجأت إليك أيها الأستاذ الكبير ، وأنت عندى شيخ النقد النزيه ، وعصارة الأدب فى هذا العصر .

قرأت كتاب « دفاع عن البلاغة » للاستاذ أحمد حسن الزيات فأكبرته ووجدت له شأناً أعظم من شأن غيره من مؤلفات البلاغة ، وعز على أن يأتيه النقص من أحد جوانبه ، ضنا بأدب الزيات أن يعتوره غبن فى الأجيال المقبلة .

قال الأستاذ — نفعنا الله بعلمه — فى كتاب دفاع عن البلاغة صفحة ٧٢ المطبوع سنة ١٩٤٥ ما يأتى :

« إن بلاغة التوراة والانجيل فى العبرية لا مساغ للشك فيها ؛ ولكنك تقرأهما فى العربية فلا تجد أثراً لهذه البلاغة ؛ ذلك لأن الذين ترجموهما إلى لغة القرآن لم يكن لهم بآدابها علم ، فوضعوا لفظاً مكان لفظ ولم يضعوا أسلوباً مكان أسلوب ؛ فجاءت الترجمة موضوعية عجماء لا تشبه لغة من لغات الناس فى لون ولا طعم ولا شكل . » انتهى

يشعر الأستاذ الجليل بقوله هذا أن الانجيل قد كتب باللغة العبرية . والانجيل مكتوبات متى ومرقس ولوقا ويوحنا ؛ وربما تناول أيضاً باقى أسفار العهد الجديد معرب Evangelion باليونانية ومعناه بشارة أو خبر مفرح .

والنصرانية تعتبر الأناجيل الأربعة سنداً تاريخياً تغترف منه براهين تاريخية لتأسيسها ونظامها الداخلى . وما كانت الأناجيل كتاب بلاغة فى العبرية عند أصل وضعها .

فان متى صاحب السفر الأول من الإنجيل قد كتب سفره ما بين سنة ٤٤ — ٥٠ م بلغة التخاطب الشائعة فى عهد المسيح بين يهود فلسطين، وتلك اللغة هى السورية الكلدانية أو الآرامية.

والانجيل الثانى ينسب إلى مرقس ، وعلماء آباء النصرانية مجمعون على أن مرقس كتب فى رومية للرومانيين تعاليم بطرس الرسول وكتب باللغة اليونانية بعد سنة ٦٢ م .

والسفر الثالث من الإنجيل يعزى إلى لوقا ، وقد كتبه فى

رومية زهاء سنة ٦٢ م باللغة اليونانية أيضاً .

أما السفر الرابع من الانجيل فقد كتبه يوحنا فى أواخر القرن الأول من الميلاد يوم كان فى جزيرة باطمس وروى فى أفسيس ؛ وقد اتخذ اليونانية أداة لكتابته .

يظهر مما سبق أن الأناجيل قد كتبت فى غير العبرية ، ولم تترجم من العبرية إلى العربية . أما بلاغتها فى العبرية بعد أن ترجمت إليها فمسألة ليس من السهل الجزم بها ، ولا يتأتى لمن يجهل العبرية أن يتهجم على مثل هذا الشأن .

عند مايتناول القارىء قطعة للأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات يحسب أن أمة كبيرة تقمصت فرداً واحداً ؛ فكأن ما ينفحنا به قلمه يمثل لنا أن جماعة عديدة من أمراء الكتاب وقادتهم ، يعملون الفكر ، ويسددون المنهج لاخراج الكلمة ، فيقدرون لكل عبارة قدراً ، ولا ينشرون حرفاً قبل أن يعرضوه على مقاييس محكمة من فصاحة فى اللفظ ، وبلاغة فى المعنى ، وشمل للحقائق ؛ أما القطعة التى سبقت الاشارة إليها من كتاب دفاع عن البلاغة صفحة ٧٢ فقد خرجت عن طريقة الزيات إلى طريقة من لا أدرى.

فهل يجيز أيها الأستاذ العقاد — شملنا الله بعدلك — قوله إن بلاغة التوراة والانجيل فى العبرية لا مساغ للشك فيها . ولكنك تقرأها فى العربية فلا تجد أثرا لهذه البلاغة ؛ ذلك لأن الذين ترجموها إلى لغة القرآن لم يكن لهم بآدابها علم ... ؟

أفلم يكن للشيخ إبراهيم اليازجى علم بأداب اللغة العربية ؟ أو ليست أسفار العهد القديم والعهد الجديد ، المنسوبة إلى الآباء اليسوعيين فى بيروت ، من تعريب الشيخ إبراهيم اليازجى ؟ فقد نشرت خبر ذلك مجلة الأجيال الجزء الثانى من السنة الثانية ؛ ونشرته جريدة الأيام التى كانت تطبع فى نيويورك فى العدد الصادر بتاريخ ١٦ شباط سنة ١٨٩٩ ؛ ونشرته جريدة البشير فى العدد الصادر بتاريخ ١٦ حزيران سنة ١٨٨١ ؛ وأعادت نشره مجلة الضياء فى أربع صفحات بتاريخ ١٥ إبريل سنة ١٨٩٩ ؛ وذكرته الكتب المدرسية المعنية بتاريخ الآداب العربية .

ومما يشهد به التاريخ أيضاً أن فارس الشدياق قد ترجم العهدين العتيق والجديد بعناية الجمعية الانجليزية ونفقتها ؛ وطبع العهد الجديد عن هذه الترجمة سنة ١٨٥١ — ثم طبع العهدان أيضاً سنة ١٨٥٧ وذلك فى مدينة لندن .

أما النسخة التى قام بترجمتها مرسلو الأمير كان فى بيروت فقد وقف عليها المعلم بطرس البستانى و كرنيليوس فان ديك .

« ومن الذين كان الاعتماد عليهم فى ضبط الترجمة على قواعد اللغة العربية وفصاحتها الشيخ ناصيف اليازجى اللبنانى والشيخ يوسف الأسير الأزهرى . » راجع كتاب مرشد الطالبين صفحة ٣٧ — المطبعة الأميركية — بيروت .

فهؤلاء جميعاً كانوا وما زالوا يعدون من أولى العرفان الراسخين فى علوم العربية وآدابها .

فنرجو منك أيها الأستاذ العقاد أن تكشف لنا عن هذه الحقيقة وتعلل قول الأستاذ الزيات أمير البلاغة وصاحب الدفاع عنها بكلمة انصاف ترد الفضل لذوى الفضل والسلام

(نابلس) **أبو بكر التمرى**

أستأذن صديقي الأستاذ العقاد فى أن أقول للكاتب الفاضل إنى ذهبت فيما كتبت مذهب الإسلام وما كان لى غير ذلك .

فإن القرآن — وهو عند المسلمين مصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — يخبر أن الله أنزل التوراة والانجيل على موسى وعيسى بلسان قومهما وكان العبرية . وما كان من عند الله كان جاريا على سنن الكمال اللفظى والمعنوى ما فى ذلك شك . والترجمة العربية الأمريكية التى قرأناها للعهدين القديم والحديث هى على ما وصفت من ركاكة الأسلوب وغثاثة العبارة ، ولا يجوز أن يأتيها ذلك النقص إلا من جهة النقل

أما ترجمة اليازجي والشدياق فليستا فى أيدى الناس ، وإذا صح أنهما صحيحتان بليغتان ، فإن ذلك يؤيد قولى ولا ينقضه ، وللأستاذ التمرى بعد ذلك جزيل الشكر على حسن ظنه بالكتاب وصاحبه « الزيات »

مولانا أبو الكلام وترجمة القرآن :

جاء فى العدد ٧٢٢ من الرسالة تحت توقيع الجاحظ مانصه :

(فسر الزعيم أبو الكلام قدراً من القرآن الكريم تفسيراً علمياً عصريا ، وترجم القرآن كله إلى اللغة الإنجليزية إلى آخره)

والحقيقة أن مولانا أبو الكلام آزاد قد فسر القرآن الكريم باللغة الأردية URDO تفسيراً علمياً عصريا ولكنه لم يترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية كما ذكر الجاحظ لأنه لا يعرف هذه اللغة ولا يفهمها . أما ترجمة القرآن من العربية إلى الأوردية فهى أحسن التراجم وأصدقها فى هذه اللغة .

والسلام عليكم أولا وآخراً .

(الكويت) **عبد الحميد يوسف القناعى**



الوالدان

للكاتب الألمانى رودلف كرودزر

بعد أن أحيل القاضى هجونور إلى المعاش اشترى قطعة أرض فى الريف واعتزل حياة المدينة التى كانت مسرحا لآلامه وهمومه حيث توفيت زوجته قبل الحرب، كما أن ولده الوحيد انتظم فى سلك الجندية وذهب إلى الميدان دون رجعة ولم يعد يؤنسه فى وحدته الآن إلا خادمه العجوز.

مضت عشرون عاما وبدأ الماضى يمحى بصوره المحزنة من مخيلة الرجل ونفض عنه غبار أعوام مضت قاسى فيها الأهوال ولكن الماضى جاء يقرع بابه بقوة يلح فى الدخول.

كان ذلك فى يوم من أيام أغسطس وكان القاضى واقفا فى حديقة داره بين الأوراد الجميلة التى يتعهدها بنفسه حين جاءته الخادم ومعها بطاقة باسم رجل انجليزى يدعى جيمس مارلو من جلوسستر. أما حرفته فلم يكن لها ذكر فى البطاقة.

لم يعرف الرجل من يكون ضيفه وذهب إليه فى حجرة الاستقبال فتقدم الانكليزى فى أدب جم واحترام زائد وهو يقول فى همس بأنه سعيد لتشرفه بمعرفة والد الكابتن فرانز هجنوير؛ فدهش القاضى. من أين عرف ذلك الرجل اسم ولده؟ ولما أخبره هجنوير بأن ابنه قد توفى فى الحرب كست وجه الرجل الغريب السبعينى الطويل القامة موجة من الحزن والأسف لأنه شعر بالألم الذى ارتسم على وجه القاضى لتجديده تلك الذكرى الحزينة اعتذر من ذلك ثم أوضح شخصيته. فهو والد ضابط انجليزى يدعى هارى مارلو، وإن كان فرانز قد مات فى الحرب بطلا شهيداً، إلا أن هارى مات بعد أن حوكم عسكريا لما أبداه من جبن أمام العدو وبعدما جردوه من رتبته الشريفة.

قام الرجل العجوز المهدم وقطع الغرفة جيئة وذهابا وهو يشرح كيف استنكر ذلك من ولده والا لغدا شرف عائلة مارلو فى التراب. حاول أن يعرف السبب الذى حوكم ابنه من أجله، لأنه عاد منفردا إلى فرقته بينما كان بقية جنوده يقاتلون فى الميدان؟ لقد ظل أمر عودته سرا مكتوما بينه وبين نفسه ولم يكتشفه أحد.

هذه هى المشكلة. إنه يعرف ولده جيدا فهو شجاع إلى أقصى حدود الشجاعة، ولا يظنه على ذلك الجبن والخور. جعل يبحث عشرين عاما ليقتنع بأن ولده لم يفعل ذلك إلا لسبب جوهرى عظيم، ولكنه كان يقابل دائما من الناس بالشفقة والرثاء لتقدم سنه وبأجابات كلها سلبية؛ فلم يرح إلى جواب منها يشفى به غليل نفسه. لقد ضحى ماله وكهولته ليعرف السر ولكن دون جدوى إلى أن طرق الباب عليه أخيراً فرانز هجنوير. فقد سمع اسمه من جندى انجليزى قال بأن أسيرا ألمانيا مات قبل نهاية الحرب كان دائم التحدث عن الكابتن هجنوير الذى كان يقاتل فى سالى فى اليوم الثامن عشر من أكتوبر عام ١٩١٦ فى معركة السوم.

حينئذ تذكر القاضى بأن خطابا غريبا كان قد وصله من ابنه فى ذلك الحين فقام وأتى به كان مؤرخا فى التاسع عشر من أكتوبر عام ١٩١٦ فى بلدة سالى وقرأ مارلو الخطاب وكان فيه:

والدى العزيز

أكتب إليك الآن لا لأذكر لك شيئا عن شجاعتى فى الميدان أو كيف استولينا على حصن من حصون العدو بل لأطلعك اليوم على حادث غريب. فلقد هاجمنا الأعداء وتمكنا من التقدم فى صفوفهم. وكان ضابطهم شابا شجاعا من فرقة جلوسستر جعل يقاتل حتى نفد منه الرصاص، ولما وجدته أعزل هجمت عليه وكدت أقتله إلا أن أحد جنوده دفعنى على الأرض؛ وحينئذ تيقنت بأنى سأموت وأغمضت عينى وأنا أسلم أمرى إلى الله. إلا أنى حين فتحتهما وجدت ذلك الضابط وقد ألقى بسلاحه ولم يرغب فى قتلى وأنا فاقد الحيلة. ولما حاول أحد جنودى قتله من خلفه أنقذته وتمكنت أن أدعه يفر من الأسر. وبذلك خنت زملائى وجنودى ووطنى كما فعل هو من قبل ...»

وضع الرجل الإنجليزى الخطاب بيد مرتعشة وحل الصمت بينهما طويلا ثم قفزت تلك الصورة أمام القاضى . ولده يكاد يشرف على الموت لولا شفقة ذلك الضابط الإنجليزى ورحمته له . كما تراءت له خيانة ولده ومساعدته لعدوه على الفرار . واختلط كل شىء فى رأسه وسط ذلك الظلام الذى بدأ يغمر الحجرة التى لا ينيرها سوى تلك الذؤابات الباقية من الشموع .

كان للجو الغريب الذى عاش فيه الرجلان فى تلك اللحظة كل الرهبة . فها هو الخطاب ملقى على المكتب وقد اصفرت أوراقه ، وها هى الذكريات تتعاقب على مخيلتهما ؛ وها هما ولداهما قد عادا إلى الحياة وارتسمت صورهما واضحة أمام عينيهما . صورة البطولة والشجاعة والاقدام والشفقة والرحمة والخيانة العظمى .

شعر الرجلان بأنهما يجهلان كل شىء عن الحرب مع أنهما عاشا فى لهبها أربعة أعوام . ولكن هل هذا الذى حدث يعد عملا شريفا أو تشتم منه رائحة الجبن والخيانة حقا ؟ هل للحياة تلك المنزلة الغالية فى الميدان حتى أن ضابطا يلقى بسلاحه حين يجد عدوه فاقد الحيلة أمامه .. إنهما لا يعرفان شيئا عن قانون الإنسانية والشباب والحياة . أما القاضى فكل مايذكره الآن هى تلك الكلمات الأخيرة من خطاب ولده .

« لقد ارتكبنا خطأ واحدا بأن ألقينا سلاحينا » .

انتشر الظلام فى الحجرة ولم يقو أحدهما على إنارتها لأن تلك الذكريات البعيدة وذلك الصوت الذى يتكلم من وراء السنين يجب أن يهيأ له الجو الصامت المظلم حتى تسبح روحاهما فى ذلك العالم حيث فلذتا كبديهما .

امتدت خيوط القمر المكتمل قرصه وأنارت أجزاء من الحجرة كما نبح الكلاب وتمايلت أغصان الشجر إلا أنهما لم يشعرا بكل ذلك ، بل كان عالمهما الذى يعيشان فيه بعيداً حيث الظلام والنار والدخان والدماء .

وأخيرا قال مارلو . إذن لم تكن تلك هى الحياة التى وهبها الكابتن هجنوير إلى ولدى بل كانت الطريق إلى الموت بمحض إرادته ، كما أن حياة هجنوير لم تكن إلا قرضا سرعان ما استعادته قوة غاشمة .

فقال القاضى : نعم هو ذلك الأمر .

ولم يشعر إلا وهو يضع يده فى يد الرجل الذى أمامه وكأنهما صديقان قديمان عزيزان . وعاد يقول لعل هناك شيئا من العدل يغشى ذلك الحادث . العدل الذى لا نعرفه ونحن فى دنيانا ، والذى يشعرون به هم فى ميدان القتال .

فقال مارلو : وتلك المحاكمة . أكانت عادلة ؟

فقال القاضى : أما عن المحاكمة فإن ولدك هو الذى حكم على نفسه ولا يدرى أحد إن كانت عادلة أو ظالمة .

وكأن الرجل قد اقتنع بذلك الرأى . فنهض واقفا وهو يطيل النظر فى وجه القاضى الهادىء .

كان السكون يعم السكون فى الخارج ، والنسيم يهب رقيقا ، ورداء الليل الأسود يغطى الطبيعة فيزيد أسرارها رهبة ؛ ولمح القاضى بعض التغير يطرأ على وجه ضيفه . وكأنه شعور الراحة بعد طول عناء .

وأخيرا قال القاضى : أنا لم أفهم لم لم يصرح مارلو بالأمر حين حوكم فهو محق ببعض الحق فيما فعل .

لم يشعر الرجل الإنجليزى إلا وهو يتناول الخطاب ثانية ، وأدرك القاضى للتو الكلمات التى يقرؤها الرجل فاذا به يهمس بها تلك الكلمات العذبة الصادرة من قلب يشعر بما للحرب من أهوال وفظائع ، وكأن نيرانها قد اشتعلت فى أفق يومهما ذاك . كلمات ولده التى تقول « لم أر فى حياتى من هو أكبر إقداما وأكثر شجاعة من ذلك العدو الشاب » .

كفى مارلو تلك الكلمات وليحاكوه ما شاءوا . كفاه فخرا شهادة مثل هذه من عدوله لدود . عاد السكون بينهما إلا أن القاضى قال :

إنه لمن دواعى سرورى حقا أن أضع بين يديك ما يزيل عنك وحشة وشكا مريبا عشت تحت رحمتهما عشرين عاما كاملة ، ولا أظن أحداً يمكنه أن يتهم ولدك بالجبن والخوف بعد الآن . فلمعتْ عينا الرجل برغبة حادة شعر بها القاضى فإذا به يقول :

لتأخذ ذلك الخطاب ولتفعل به ما تشاء .

فما كان من الرجل الإنجليزى إلا أن نهض واقفا وأمسك بالخطاب ثم أدناه من لهب الشمعة فاشتعل وسرعان ما تساقط الرماد . حدث ذلك وهما باقيان على صمتهما ونور القمر يرافقهما .

ولم يشعرا إلا ويد كل منهما فى يد الآخر . فقاما فى صمت إلى الحجرة المجاورة وقد اشتبكت ذراعاهما . وأدارا النظر فيها فقابلتهما صورة الكابتن هجنوير بقامته المديدة وابتسامته العذبة .

حسن فهمى خليل

مطبعة الرسالة

العدد ٧٢٧ ـ الاثنين ٩ يونية ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٠٤٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15em Année No. 727

Lundi — 9 — 6 — 1947

بدل الاشتراك عن سنة
ـــص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٢٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ رجب سنة ١٣٦٦ — ٩ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

كتابان قيمان

للأستاذ عباس محمود العقاد

سألتنى مجلة « المصور » فى إبان الحرب العالمية : ما هى الاتجاهات التى ستغلب على الحركة الفكرية فى العالم بعد الحرب الحاضرة ؟ فكان رأيى أن الحركة الفكرية فى العالم كله ستتجه بعد نهاية الحرب إلى وجهتين متناقضتين فى الغاية متفقتين فى السبب ، وهما النزعة الروحية الدينية ، والنزعة الجنسية الحسية .

وهما كما قدمت متناقضتان فى الغاية ولكنهما متفقتان فى السبب ، لأنهما ترجمان إلى القلق الذى يعتور النفوس البشرية فى إبان الزلازل العنيفة ، ولم يزل من دأب النفوس البشرية أن تعالج قلقها بطمأنينة الروح وثقة العقيدة ، أو بإغراق الحس فى المتعة الجسدية .

وندع العالم وحركاته الفكرية بعد الحرب لأنها مما يطول شرحه ولا يجزىء فى بيانه مقال واحد .

ولكننا نلتفت حولنا فى مصر فنرى مصداق ذلك فى الوجهتين المتناقضتين معاً لهذا السبب بعينه . فأما النزعة الحسية فيكفى أن ينظر القارىء إلى الصور العارية التى تنشر فى الصحف لغير مناسبة ليستدل منها على ما وراءها من النوازع النفسية ، فإن شاء أن يتجاوز ذلك إلى قراءة الموضوعات التي تقترن بتلك الصور أو الروايات والأقاصيص التى تدور عليها علم أن المصدر واحد والتعبير بالحروف والكلمات يوافق التعبير بالخطوط والأشكال

وأما النزعة الروحية فهى واضحة فى انتشار الجماعات الدينية والعناية بالبحوث التى تنصرف إلى حقائق الأديان والعقائد .

وأمامنا منها الآن كتابان قيمان هما اللذان نخصهما بهذا المقال ، وهما كتاب «فصوص الحكم» لابن عربى ، وكتاب « الوجود » للأستاذ محمود أبو الفيض المنوفى . وكلاهما بحث عميق فى حقيقة العقيدة وسر الوجود على الإجمال .

١ — فصوص الحكم :

وقد قام على تصحيح كتاب الفصوص ومراجعته والتقديم له الدكتور أبو العلا عفيفى أستاذ الفلسفة بجامعة فاروق الأول بالإسكندرية .

والدكتور أبو العلا عفيفى عالم ثبت متمكن من موضوعه . يعجب غاية الإعجاب بابن عربى صاحب الكتاب ، ولكن إعجابه به لا ينسيه أمانة العرض وإقرار الحق فى نصابه . فهويذ كرماللمؤلف وما عليه ، ويقدره بميزانه الصحيح فيقول « إنه فيلسوف آن أن يهمل منهج العقل الذى هو منهج التحليل والتركيب ويأخذ بمنهج التصور العاطفى والرمز والإشارة والاعتماد على أساليب الخيال فى التعبير . ولهذا لا أرى من الصواب أن نصف مذهبه بأنه مذهب فلسفى بحت إذا اعتبرنا التفكير والترابط المنطق

أخص صفات الفلسفة ، ولا بأنه مذهب صوفى بحت إذا اعتبرنا الوجدان والكشف أخص ميزات التصوف . ولكنه مذهب فلسفى صوفى معاً ، جمع فيه بين وحدة التفكير وقوة الوجدان »

ولم ينس الأستاذ أن يشير إلى كلام ناقديه بل مكفريه ، ولا أن يشير إلى كلام المدافعين عنه والمتأولين لأحاجيه وألغازه ، ولكنه كان أقرب إلى جانب الرضا منه إلى جانب السخط ، ولو لم يكن كذلك لقال فيه كما قال الذهبى إنه « انعزل وجاع وفتح عليه بأشياء امتزجت بعالم الخيال والخطرات والفكرة واستحكم ذلك حتى شاهد بقوة الخيال أشياء ظنها موجودة فى الخارج ، وسمع من طيش دماغه خطاباً اعتقده من الله . ولا وجود لذلك أبداً فى الخارج » .

وقد صدق الذهبى كما صدق الدكتور أبو العلا . ولكن الذهبى كان فى صدقه أقرب إلى جانب السخط منه إلى جانب الرضا . ولا بد من الموازنة بين الجانبين .

ونحن مع اعتقادنا أن ابن عربى لم يكن بالفيلسوف المحض ولم يكن بالمتصوف المحض ، ومع إعجابنا ببعض سبحاته الروحية وشعورنا بصدق ما وصف به من طيش الدماغ — نعود فنقول إن الفلاسفة المتجردين للفلسفة فى هذا الزمان لم يبلغوا فوق مبلغه من التفرقة بين إله العبادات وإله الحقيقة المجردة ، وليس رأى « برادلى » الذى يعرفه الدكتور عفيفى جيد المعرفة من جملة أقواله فى التفرقة بين الحقائق والمظاهر إلا صورة جديدة من رأى ابن عربى فى هذا الكتاب بعينه وهو كتاب الفصوص .

ومهما يكن شأن ابن عربى بين الإعجاب والانتقاص فالحقيقة التى لا مراء فيها أن مذهبه مذهب يدرسه الباحثون ولكنه لا يصلح لجمهرة المتدينين . وحسبك أن رجلاً مثل ابن خلدون فى سماحة عقله وسعة نظره يقول بإحراق كتبه وكتب أمثاله ومحو أعيانها دفعاً للمفسدة . وأحسبه لو عاد إلى مصر فى هذه الأيام لما نجا من شدة المصريين فى المحافظة ، ولا حرم من عطف الفكاهة المصرية . فقد أوشك قديماً أن يقتل فى مصر لولم ينقذه الشيخ أبو الحسن الجانى الذى أبت عليه سليقة النكتة أن ينقذه من لذعتها . فسأله : كيف يحبس من حل منه اللاهوت فى الناسوت ! فقال الرجل وهو لا يصدق بالنجاة : يا سيدى ! قلت شطحات فى محل السكر . ولا عتب على سكران ! »

وليس العصر عصر إحراق الكتب أو تفنيدها بلغة النار والماء ؛ ولكنه العصر الذى يحاسب الكاتب بحساب النقد والبرهان . ومتى حوسب ابن عربى بهذا الحساب ففيه ما يهمل إهمالا كالإحراق والإغراق ، وفيه ما يفيد ويمتع العقول والقرائح .

وخير ما يفيد من هذا الكتاب تفسيره لوحدة الوجود ؛ لأنه أصلح من تفسيرات إخوانه فى هذه العقيدة ممن يقولون بتأليه الكون فى جميع مظاهره المادية . فليس الوجود عنده إلا الوجود الحق الذى تحجبه هذه المظاهر المادية ، وهو بهذا يقترب كل الاقتراب من عقيدة التوحيد .

٢ — الوجود :

والكتاب الثانى الذى سماه السيد أبو الفيض المنوفى « بالوجود » هو ألزم الكتب لمن يتوخى البحث المصرى فى وحدة الوجود وفى حقيقة الوجود على الإجمال .

وهو كتاب مدروس أو « مخدوم » كما يقال فى اصطلاح المؤلفين . لم يصدر باللغة العربية كتاب يحوى ما حواه فى هذا الموضوع ، ولم يكن معول المؤلف فيه على المراجع العربية وحدها بل لعل اعتماده على مراجع الفلسفة الأوربية بين قديمها وحديثها أظهر من اعتماده على مراجعنا المعهودة . لأنه قصد فيه إلى إقناع المحدثين الذين يلهجون بفلسفة العصر وأساليبه ويعرضون عن القديم لقدمه من غير بحث فيه ولا اطلاع عليه .

وأجل ما فى الكتاب — وليس هو بالنسق النادر فيه — كلامه عن عالم العناصر الذى هو العالم البرزخى بين المادة والقوة ، فمن هذا العالم البرزخى نتحقق « أن الشىء المنظور يتحول إلى غير المنظور ويصبح هو والفكر والروح فى الخفاء سواسية ... ولا نظن أنه يوجد فرق بين النور والقوة إلا فى الألفاظ ؛ لأن الطاقة يستوى فيها أن تكون إشعاعاً أو حركة أو حرارة أو مغناطيس أو كهرباء أو غير ذلك ، ولا فرق أيضاً بين الحرارة والنور المنظور والنور غير المنظور إلا فى طول الموجات وقصرها » .

ومصدر الوجود كله على هذا النحو هو النور ، ثم النور الإلهى وهو نشاط محض . ولا فرق بين الوجود والعدم إلا فى خاصة

بين أدب المرأة وأدب الرجل

للسيدة الفاضلة منيبة الكيلانى

[كاتبة هذا المقال الطريف سيدة عراقية حديثة قل فى مصر نفسها من تضارعها فى عمق الثقافة وسعة الاطلاع وأصالة الفكر. تلقت دروسها الثانوية فى بغداد، والجامعية فى بيروت، ثم سافرت إلى انجلترا فتخصصت فى التربية وعادت إلى بغداد فعينت بمدرسة الفنون البيتية. ثم رحلت مرة أخرى إلى انجلترا فى بعثة المعهد الثقافى البريطانى ورجعت بعد ذلك إلى التدريس

وللأستاذة منيبة نشاط محمود فى الخدمة الاجتماعية والنهضة النسوية والحركة الأدبية ، نرجو أن تكون هذه المقالة فاتحة لتسجيل آثاره على صفحات الرسالة] .

١ — أدب للرجل وأدب للمرأة :

يرى الناظر فى كتب الأدب وتاريخه أن الكتاب اصطلحوا على تقسيمات وأنواع للأدب نحتوها من عصور الأدب أو من خصائصه بالقدر الذى يتعلق بمرضه لا بجوهره ، فقال الأقدمون منهم مثلا بوجود أدب جاهلى وأدب مخضرم وأدب إسلامى ، وفصلوا الأخير منه بحسب ما حكم الأمة العربية أو بحسب ما تنقلت إليه الحكومات العربية من حواضر وبلدان ، فوسموا بعضه بالأدب الأندلسى ، وسموا بعضه بالأدب العباسى ، وغير ذلك من التسميات التى استندت فى الأكثر على هذه الاعتبارات التاريخية والجغرافية المحض . وأشاح المحدثون عن مثل هذه الاعتبارات لأن الفنون الأدبية تنصاع إلى العوامل التاريخية بقدر ما تؤثر تلك الاعتبارات فى مبانى الألفاظ واتجاه التراكيب اللفظية وإيغالها فى البداوة أو قربها من الحضارة مما يجعل فنونها فى الأولى متعددة الألوان والأوصاف لا يخرجها عن الرثاء والمديح والعتاب والوصف والموشحات والغزل والتشبيب إلا بالقدر الذى عرف فى تلك الفترة من مدلولات الألفاظ وتحكم العادات فيها ... أعنى لا يخرجها عن القيود التاريخية كبير فرق ، بينما تنعكس الحالة انعكاساً كبيراً فى ضوء الأدب نفسه ، فيتفرع عن هذا ألوان جديدة هى غير الرثاء والمديح والوصف والموشحات والغزل والتشبيب ... فهى على هذا ليست موضوعات وإنما هى فصول وأبواب وأجزاء ومباحث تدخل فيها تلكم الوضوعات دخولا ثانوياً لا أقل ولا أكثر . فمن ذلك أن ينقسم الأدب غير انقسامه الأول إلى أدب واقعى Realist ومثـالى Idealist ورمزى Symbolist أو إلى أدب صوفى ومكشوف أو إلى أدب مأساة Tragedy وأدب ملهاة Comedy ، وإلى أدب تحليلى أو وجدانى أو مسرحى ، أو إلى أدب ابداع Romantic وأدب اتباع Classic ، وإلى أدب فلسفى وقصصى ، وأدب تبشير وأدب سياسة وكثير من غيرها مما يكبر عن التقسيم الأول ويطول عليه بسبب أن ذلك التقسيم صادر على سبيل الحصر وهذا صادر على سبيل الاطلاق .

وكما أن لذلك التقسيم أنصاراً ومنتقدين فإن لهذا أنصاراً ومنتقدين ؛ وكما أن ذلك التقسيم على شدة وضوحه وتعين حدوده موضع لبعض الانتقاد ما دام يعتمد فوارقه وضوابطه عن طريق التبعيض والتكتيل ... فهو لا قبل له بما يضطلع به التقسيم الأساسى الذى يحتوى فى بطونه وثناياه ألوان الأدب وأفاعيل الزمان وأشتات الموضوعات وأصناف الأبواب السالفة الذكر ، ومن أجل ذلك أضحى لزاما أن يبدأ التقسيم هذا من مبدأ الأمر ليدخل فى كل قسم سائر ما فى هذه المقدمة وغيرها من التفاصيل ، وعلى أن يكون التقسيم من الناحية الثانية معترفاً به دون جدال فما هو يا ترى ؟ أهو الأدب الحزين والأدب المرح ؟ أهو الأدب الجاهلى والأدب الإسلامى ؟ الجواب على هذه جميعاً (كلا) بل هو — أدب المرأة وأدب الرجل — وفى اللحظة التى نقرر فيها هذا التقسيم نرى أنه استوعب تقسيم الأوائل والأواخر بدون استثناء ، كما أنه احتوى مادة لا تنضب من عصارة الأدب ، فاحتوى خصائص

« النشاط » الذى لا يقاس دائما بمقياس المحسوسات . بل يتعداها إلى ما وراء الحس والعقل والخيال ...

هذان الكتابان — كتاب الفصوص وكتاب الوجود — هما من مظاهر النزعة الروحية التى توازن عندنا تلك النزعة الجسدية ، كما تتمثل فى الصور المثيرة والأقاصيص الماجنة والشواغل الحسية ، وكفى بأمثال هذه المباحث عدلا كافياً للموازنة بين النزعتين . فإنها لدليل على يقظة الجانب الرفيع من ملكات الإنسانية بين المصريين وبين قراء العربية على التعميم . وما أحوجنا اليوم إلى اليقظة فى هذا الجانب الرفيع !

عباس محمود العقاد

ينفرد بها أحد النوعين ، واحتوى بالإضافة إليها ما يسود النوعين على حد سواء ، فينصرف تارة إلى ما يتعلق بتراث المرأة ، وينصرف أخرى لتراث الرجل .

وبعد فلئن صح أن الأدوار التاريخية من جاهلية وإسلامية ، وأدوار الحكم الإسلامى من أموى وعباسى وأندلسى، قد فرقت أنواع الأدب بعضها عن بعض، فإن تلك الأدوار ذاتها قد أثرت تأثيرات متفاوته فى الرجل والمرأة ، فجاء أدبهما جد مختلف ولو فى دور واحد لفرط ما أثرت عوامل الدور الواحد فى كل جنس دون صاحبه ، فجاء أدب المرأة منذ أقدم عصوره أصدق أنباء وأكثر انطباقاً على الواقع ، وتكفل أدبها بأسباغ الألوان الحسان والدقة البالغة والجمال الرفيع على أدب الرجل ، وأضحى بعد ذلك يحمل راية الإباء والأنفة والشمم . وجاء أدب المرأة يشد من أدب الرجل ليجعل منه أكثر موافقة ومسايرة للزمن ، وليلهب نشاطه الفكرى والاجتماعى ، ويأخذ من الصراحة بنصيب ، ومن التلميح بنصيب ، مما قد لا يدركه الرجل على وجهه بعد أن أعلته الفتوح وبهرت عينيه ثروات الزمان فى قبضة يده يصرفها كيف أراد . وجاء أدب المرأة للعقل ، وأدب الرجل للعاطفة ، عند ما تطيش الحلوم ، وتراش السهام ، ويدبر المنطق وتقبل بدوات الثأر ، وتغرورق العيون من رثاء أو عتاب أو ثكل ، فيعمل الرجل بعاطفته ويفكر بقلبه ، وتسكت هى بفكرها وتتكلم بعقلها فتتم نقصه وتضفى على أدبه اللون القوى المتيد الذى يعوزه . وجاء أدب المرأة بعد هذا لحسن حظها فاقداً بعض الحلقات الموفورة فى أدب الرجل، فليس فيه التعريض ولا رمى المحصنات الغافلات ، ولم يحو التشكك ولا التجنى ولا الوسواس ، ولو حوى بعضها جدلا لما كانت من العمق والغور والاثم بالقدر الذى احتواه نتاجه . وجاء أدب المرأة كذلك منحدراً عن أساتيذ لم يعرفهم الرجل ، فقد انحدر بعضه عن تعدد الزوجات وأحاسيسها ، والطلاق وظله الثقيل ، والحجاب غير الشرعى ، والجهل والأمية المفروضة ، وزحمة المسترخصات من الجوارى والقيان المزاحمات للبيت الشريف والزوجية المقدسة ، والعضل .

وجاء أدب المرأة متجهاً غير اتجاه أدب الرجل ومتأثراً بهذا العصر وفنونه وعلومه وخصائصه تأثراً غير تأثره ، وهذه كلها أبحاث سنقوم على شرحها والتمثيل عليها واثباتها فى حلقات هذه السلسلة حتى تستقيم منها دراسة لموضوعنا قائمة على أسس غيرما تعارفه بحاث الأدب حتى الآن .

هذه الفروق التى ذكرتها تتوفر فى كل فن من فنون الشعر ولكنها أول ما تتوفر فى الوصف ؛ فانظروا كيف تكون .

قال شاعر الفلاسفة أبو العلاء المعرى فى صباه :

عللانى فإن بيض الأمانى   فنيت والظلام ليس بفان
إن تناسيتما وداد أناس   فاجعلانى من بعض من تذكران
رب ليل كأنه الصبح فى الحسـ   ـن وإن كان أسود الطيلسان

ويقول فيها وهو من رائع القول :

ليلتى هذه عروس من الز   نج عليها قلائد من جمان
وكأن الهلال يهوى الثريا   فهما للوداع معتنقان
ثم شاب الدجى وخاف من الهجـ   ـر فغطى المشيب بالزعفران

هذا من وحى الصبا ؛ وأروع منه عندى قول جحناء بنت نصيب وقد افتر الضحى عن نهار بسام وجاءت مع أبيها نصيب فأنشدت المهدى الخليفة العباسى هذا الوصف على قافية شاعر الفلاسفة ووزنه وقصيدته ومعناها :

رب عيش ولذة ونعيم   وبهاء بعشرق الميدان
بسط الله فيه أبهى بساط   من بهار وزاهر الجوزان
ثم فيه من ناضر العشب الأخضـ   ـر تزهو شقائق النعمان
مده الله بالتحاسين حتى   قصرت دون طوله العينان
حفلت حافتاه حيث تناهى   بخيام فى العين كالطيلسان
زينوا وسطها بطارمة مثـ   ـل الثريا يحفها النسران
ثم حشو الخيام بيض كأمثا   ل المها فى صرائم الكثبان
يتجاوبن فى غناء شجى   « أسعدانى يا نخلتى حلوان »
فبقصر السلام من سلم الله   وأبقى خليفة الرحمن
ولديه الغزلان بل هى أبهى   عنده من شوارد الغزلان
يا له منظراً ويوم سرور   شهدت لذتيه كل حصان

أحاط المعرى ما وصف بتعقيد ، وأشاح عما يصف إلى ما يصوغ به الوصف ، وجاءت هذه الشاعرة بالقول سافراً ، ووضعت فيه تفاصيل البناء ، واقتبست غناء المغنيات ، ودعت للخليفة ، ولم يفتها فى وسط هذه الفتنة أن تجعل اللذتين لذة المناظر ولذة السرور مقصورة على الحصان من النساء فأفردت بذلك غريماتهن من المسترخصات على أنهن لهو وعبث ومتاع ، فلا لذة لهن من هذا القبيل . أليس هذا بعد الذى أوضحت أصدق إنباء وأكثر بياناً وتبياناً ؟

وليس هذا فى مجال الوصف فقط فقد يصف الشاعر الفلق

الذى طبقت شهرته الآفاق مشهداً محزناً فتفوقه بذلك شاعرة ليست لها شهرته وليس لها طول باعه .

هذا الشاعر ابن الرومى ، والمشهد المحزن هو موت ولده ، والشاعرة امرأة لا اسم لها ، ومنظرها المحزن موت ولدها فى سفرها معه .

هذا ابن الرومى يقول وأروع ما يقول هو :

توخى حمام الموت أوسط صبيتى فلله كيف اختار واسطة العقد
ألح عليه النزف حتى أحاله إلى صفرة الجادى عن حمرة الورد
وظل على الأيدى تساقط روحه
ويذوى كما يذوى القضيب من الرند

ويناجيه فيها بقوله :

أرى أخويك الباقيين كليهما
يكونان للأحزان أورى من الزند
إذا لعبا فى ملعب لك لوّعا
فؤادى بمثل النار عن غير ما قصد

وتقول هذه المرأة :

ما كان إلا أن هجمت له ورمى فأغنى مطلع الفجر
إذ راعنى صوت هبيت به وذعرت منه أيما ذعر
وإذا منيته تساوره قد كدّحت فى الوجه والنحر
وإذا له علق وحشرجة مما يجيش به من الصدر
والموت يقبضه ويبسطه كالثوب عند الطى والنشر
فدعا لأنصره وكنت له من قبل ذلك عُدة النصر
فعجزت عنه وهى زاهقة بين الوريد ومدفع السَّحر
فمضى وأى فتى فجعت به جلت مصيبته عن القدر
لو شاء ربى كان متعنى بابنى وشد بأزره أزرى
بُنيت عليك بُنى ــ أحوج ما كنا إليك ــ صفائح الصخر

أى إعجاز هذا ؟ لقد وصفت الحشرجة والنزع والوفاة وعادت وهى أشد ما تكون لوعة إلى صوابها وعرفت أن ربها اختار لها هذا فكانت أصدق إنباء وكانت أكثر دقة وكانت قصيدتها للعقل والإيمان .

٢ — صراحة أدب المرأة :

إن الصدق فى الإنباء والدقة فى التعبير إنما يجيئان من توفر الإنسان على ما هو فى سبيله من الشأن والنظر إليه من ناحية الواقع المجرد ، وذلك حال المرأة فى تلك العصور ، فإن انكبابها على ما هى بسبيله ، وقصورها عن مجاراة الرجل فى مجال نشاطه خارج البيت ، أتاح لها أن تتوفر على الموضوعات التى تضطلع بها غير توفره ، وتصدر فيها عن حكمة وروية غير حكمته ورويته التى أبطرتها كثيرا التوسعات العسكرية ، والفتوحات ، وسلطان الحكم والظفر ، وهكذا كان الرجل يفتقر إلى مقطوعات من أدب المرأة تعمر بها جهاته وتكفكف غلواءه ؛ فلقد وجدت السيدة زبيدة زوج الرشيد لزاما عليها أن توصى على بن عيسى وقد أمره الأمين بالشخوص لقتال المأمون بالوصية التالية التى تعتبر وثيقة خطيرة فى السياسة فضلا عن كونها قطعة رائعة من الأدب فتقول له :

« يا على ، إن أمير المؤمنين وإن كان ولدى وإليه انتهت شفقتى ، فإنى على المأمون منعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه وأذى ، وإنما ولدى ملك نافس أخاه فى سلطانه . فاعرف لعبدالله — المأمون — حق ولادته وأخوته ولا تجبهه بالكلام فإنك لست نظيراً له ، ولا تقتسره اقتسار العبيد ، ولا توهنه بقيد أو غل ، ولا تمنع عنه جارية أو خادماً ، ولا تعنف عليه فى السير ، ولا تسايره فى المسير ، ولا تركب قبله ، وخذ بركابه إذا ركب ، وإذا شتمك فاحتمل منه » .

بهذا القدر من الحدود وضعت السيدة زبيدة قائد جيش ولدها الأمين الذاهب لمقاتلة المأمون غريمه على العرش ... وبهذا الخطاب الرائع كبحت سورة نفسه وأعلنت أدبها المتجاوب الأجزاء المتماسك الأطراف ، وأعربت عن سموه . وبهذا الأمر السامى أثبتت أن أدب المرأة للعقل لا للعاطفة ، وأنه صادق فى الإنباء ، دقيق فى الأداء ، وإلا كان فى بعض هذا الذى قالت كفاية ، وبهذه الوصية الدقيقة المحددة وضعت سياسة العقيدة التى تدين بها بقولها « وإن كان ولدى ، وإليه انتهت شفقتى ، فإنى على عبد الله منعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه ...

وليست السيدة زبيدة وحدها ذات المقام المرموق فى السياسة والأدب ، ولا عقيلات الخلائف أو بنات القصور ، بل قد يتوفر هذا الضرب من الكلام الحكيم والرأى الثاقب فى فتاة من عامة الناس لا صلة لها ببلاط الملك ولا سلطان الحكم مما يؤيد أن المسألة إنما هى أدب المرأة على أشد ما يكون الاطلاق شمولا .

قصة امرأة من الخوارج أرسلت أسيرة للحجاج بها وهى

تعرف من ستقابل، وقيل لها وهى فى طريقها إليه: «أى أم علقمة والله لو وافقته فى المذهب لنجوت من أذاه» فقالت: «قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين».

وجاءت ديوان الحجاج وقد استحال كل ما فيه إلى وجوم، ووقفت وهو جالس فانتهرها قائلا: «لقد خبطت الناس بسيفك يا عدوة الله خبط العشواء». فقالت: «لقد خفت الله خوفاً صيرك فى عينى أصغر من ذباب» وكانت منكسة. فقال: «ارفعى رأسك وانظرى إلى» فأجابت: «أكره أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه». فقتلها.

(البقية فى العدد القادم) **منيبة الكيلانى**

القسم الثالث :

فرنسا ومستعمراتها

للأستاذ أحمد رمزى بك

إن العالم الإسلامى فى يقظته وفى كفاحه مع الاستعمار البريطانى والأوروبى والصهيونى يواجه ثلاث هيئات اتحادية : الاتحاد السوفييتى فى الشمال والاتحاد الفرنسى فى المغرب والاتحاد الهندوكى فى الهند. وكل اتحاد منها يعطى لنفسه مظهر حركة تقدمية (١) يصبغها بصبغة التحرر (٢) ويريد كل منها أن يقنع العالم أن هذا الاتحاد أو الضم جاء وليد إرادة شعبية، وأنه فى مصلحة هذه الأمم وفى الهند يأخذ الاتحاد شكل حركة قومية كبرى. ولو كان الأمر قاصراً على المناطق التى يسود فيها الروس والفرنسيون والهندوس لما أثار ذلك اعتراض أحد من الناس.

ولكن الباحث المدقق لا تغريه الألفاظ والمظاهر، إذ يتبين له أن كلا منها ينتزع أقطاراً شاسعة ويحاول أن يضم أمماً إسلامية لا تمت بصلة إلى الاتحاد الذى يفرض نفسه فرضاً عليها ولذلك لا تلبث أن تنكشف حقيقة هذه الأنظمة الاتحادية حينما يتعلق الأمر بمستقبل الشعوب الإسلامية وحريتها، إذ تبدو لنا هذه الأنظمة فى ثوب قوات رجعية (٣) تعسفية (٤)، لا تمنح للمسلمين حريتهم وحقهم فى تقرير مصيرهم، بل تجعل للتحكم والسيطرة والاستغلال الاقتصادى شكلا جديداً براقاً لا يغتر به إلا الواهمون.

فالاتحاد الفرنسى يحاول بقوة التشريع ضم أراضى شمال أفريقية وسكانها وهم أكثر من عشرين مليونا، لهم تاريخهم وثقافتهم وشخصيتهم، بدون أن يسمح لهم بأبداء رأى فى هذا الاتحاد، والاتحاد السوفييتى يضم أكثر من أربعين مليونا من المسلمين الأسيويين لا يسمع لهم صوت ولا يسمح لهم بالاتصال بالعالم الخارجى، والاتحاد الهندى يمنع إنشاء دولة الباكستان الإسلامية ولا يسلم بها.

ولا يمكن للعرب فى أفريقيا والمسلمين فى آسيا قبول وضع من الأوضاع يجعل منهم أقلية فى بقعة من بقاع الأرض : لأن تجارب الماضى كانت شديدة الوقع عليهم، ولذلك فهم لا يسلمون للأقدار أن تتحكم فيهم مرة أخرى، ثم هم أصحاب مجد وتاريخ وصولة على هذا الكوكب الأرضى، وهو تاريخ حافل بأيام العراك والكفاح والنصر والهزيمة، وهو فى قوته وبروزه وأثره، لا يمكن أن يقارن بتاريخ أى أمة من أمم الأرض مهما علا كعبها فى الحضارة، وقد ألقى علينا هذا الماضى درساً قاسياً لا يمكن أن ننساه، فنحن قد فقدنا ملايين من العرب فى إسبانيا وجزائر صقلية وسردينيا وكريت ومالطة، كانوا عرباً دخلوا هذه البلاد واستوطنوها، ثم زالت أيامهم فأدمجوا بالسيف فى جنسيات وأديان أخرى، ولا تزال دماء العروبة فى عروقهم إلى اليوم، وهناك ملايين من المسلمين كانوا سادة فى القرم ورومانيا والبلقان فأين هم اليوم؟ إنهم يوم أن أصبحوا أقلية أفناهم الظلم والاستبداد.

ولهذا فكل اتحاد يفرض بالقوة على أقطار المغرب وشعوبه العربية، ويحول بينهم وبين جامعتهم هو حركة استعمارية رجعية تعسفية تستهدف إفناء العروبة والإسلام والوقوف أمام نهضة الشعوب العربية فى مراكش وتونس والجزائر وإضعافها كقوة فعالة فى تاريخ العالم. ولذا وجب على كل فرد منا أن يفهمها على حقيقتها وأن يشعر بالأخطار التى تهددنا من هذه الناحية، وأن نحشد كل مالدينا من القوى الروحية والعقلية للوقوف أمامها حتى يشعر العالم أجمع أنه ليس فى عزمنا نحن معاشر الأمم الإسلامية والعربية أن نفنى بهذه السهولة من الأرض فتذهب ريحنا لدى الصدمة الأولى.

***

(١) progressiste. (٢) emancipation.
(٣) retrograde. (٤) aggressif.

ولقد عرضنا فى القسمين المتقدمين لمصاعب الاستعمار الفرنسى ولسنا تأخره عن ملاحقة العالم ، وكشفنا عن إفلاس فرنسا كدولة حاكمة ، وقلنا إن هذه الأمور جهر بها كتاب الغرب وسلم بها الفرنسيون أنفسهم أو فريق منهم ، وكنا نقدم للقارىء ما يجول بنفسية الفرنسيين من آمال وسط هزائمهم وبعد أن ظهر للعيان تقصيرهم ، وكنا نرمى بهذا أن نضع الحقائق مجردة أمام القارىء حتى يكون على علم بأقوال الخصم ، وما يدخلها من غرور ووعيد وغايتنا من ذلك أن يفهم العالم العربى أن محاربة الاستعمار تستلزم الوقوف على أساليبه والالمام بطرقه وأن الدول الغاصبة مهما كانت سياستها غاشمة ومع ما بين أيديها من وسائل القمع ، تحاول أن تفرغ هذه السياسة فى قالب يقبله العقل ويسلم به ، فعلى الذين نصبوا أنفسهم للجهاد أن تتسع صدورهم لأقوال الخصم وأن يروضوا أنفسهم على الحقائق وإن كانت مرة ليتسنى لهم تحقيق ما رسموه لأنفسهم ومبادئهم من أهداف .

والدول الاستعمارية لا تفهم ما نقرره لأنفسنا بل لا تسلم به ، وإنمـا لديها المنظمات التى توافيها بكل صغيرة وكبيرة عنا ، وهى لا تنوى أن تتنازل عن أملاكها ومستعمراتها أو تفرط فى حق من حقوقها ، إلا بالقدر الذى تنتزعه الشعوب منها ، وهذه فى تقدمها وسيرها نحو الوعى القوى واليقظة تؤمل فى أن تتشبع بالحقائق ، حتى لا تذهب جهودها وضحاياها هباء ، ثم هى تروم أن تحقق لها مجداً وأن تسير فى طريق التحرر والخلاص وأن تعالج مشاكلها على ضوء العلم ووضع الأمور فى نصابها ، فعلى المتصدرين للحركات العامة أن يهيئوا أنفسهم للقيادة ، ولا يكون ذلك بغير العلم والبحث والدرس ، وتتبع الدول الاستعمارية والكشف عن أغراضها ومراميها والوقوف موقف الحريص على حقوق هـــذه الشعوب بل موقف المتيقظ للدفاع عنها أمام الضمير العالمى .

وقف فى القرن الماضى بعض كتاب الانجليز يتحدثون عن أعباء الرجل الأبيض ومسئولياته إزاء الشعوب المحكومة فقالوا إنه يحمل عبئاً ثقيلا هو قيادة هذه الشعوب نحو الحضارة والتقدم ، وفى نفس الوقت أطلق كتاب أوروبا على دولة آل عثمان اسم رجل أوروبا المريض . فمن كان ينتظر بعد مضى سنوات أن تتبدل أحوال الكون وأن تصبح الأوضاع مقلوبة ؟ فإذا بالأمبراطورية الفرنسية هى الرجل المريض الذى تخشى الدول الغربية وفاته ، وإذا من أعباء الرجل الأبيض ممثلا فى الحكومات الانجلوسكسونية بريطانيا وأميركا ؛ حماية امبراطورية مريضة فى حالة النزع ، والمحافظة على وحدتها ، وأحيانا مجاملتها على حساب حرية الأمم المغلوبة على أمرها .

إن الأسلحة والمعدات الحربية التى تسلمتها من هذه الدول لم تستعملها فى قتال الألمان وتحرير البلاد منهم ، وإنما وجهت إلى صدور الشعوب المظلومة فى مدغشقر والهند الصينية ، وهذا العتاد سيستعمل يوما ضد أمم العروبة فى المغرب ، فما الثمن الذى قبضه الرجل الأبيض ؟ : هو تحطيم السور الفولاذى حول المستعمرات أمام نشاطه وفتح حدودها واعتبارها أسواقاً تجارية له ، وماذا كسبت فرنسا الأم الحنون ؟ كسبت المجد الدائم وهو أن تمر المعمليات بطريق باريس بدلاً من أن تتجه رأساً إلى أراضى المستعمرات ، وفى سبيل ذلك يسلم الرجل الأبيض ببقاء فرنسا مدة أخرى فى شمال أفريقيا محتفظاً لنفسه بحق الرجوع مرة ثانية إليها إما لتحريرها أو للمساعدة فى تهدئتها .

* * *

فى الوقت الذى كان رجال فيشى يفضلون فيه التضحية بأراض من فرنسا محافظة على وحدة أملاكهم الأفريقية ، كان الفرنسيون الأحرار يفكرون تفكيرا استعماريا من نوع آخر ، فقد عقدوا قبل نهاية الحرب مؤتمراً لهم فى مدينة برازافيل بأفريقيه جمع عدداً من حكام المستعمرات تبادلوا الرأى فيما بينهم واتخذوا قرارات بشأن سياسة المستقبل بعد أن استعرضوا مسائل هامة : منها العمل على رفاهية السكان الوطنيين ورفع مستواهم المادى مع تحسين حالتهم الاجتماعية والفكرية ، وعرضوا لمسائل التعليم وأثر الدين وتوزيع العدالة ، ثم بحثوا مسائل الحكم الذاتى والإدارة المباشرة وغير المباشرة ، واتخذت قرارات سرية نحو وحدة الامبراطورية والسير بها فى طريق الاتحاد الفرنسى ، وهذه القرارات هى التى نقلوها معهم إلى الجزائر وأدمجوها فى مشروع الدستور الجديد ، فعلى الذين يدرسون هذا الاتحاد أن يرجعوا إلى بحث قرارات هذا المؤتمر الاستعمارى وسنأتى على شىء من ذلك فى القسم التالى .

أحمد رمزى

فى بلاد العرب :

من دمشق إلى «دير الزور» !

« تحية إلى إخوانى هناك وتلاميذى »

للأستاذ على الطنطاوى

إلى دير الزور ...

استعدوا يا سادة ، فقد أزف الرحيل ، وشدت الأهداج ، فودعوا الأحبة والصحاب إن كنتم تطيقون الوداع ، وخذوا طريقكم إلى (المرجة) ففيها الموعد الفجر ، وأسرعوا لا يشغلكم جمال الغداة ، ولا سِحْر السَّحَر ، وإن ملأ السماء والأرض والنفس خشمة وفرحة وبهاء ، فحرام على ذى الأعمال ، أن يفتنه عنها الجمال ...

ها نحن أولاء فى (المرجة) ، وها هو ذا صوت المؤذن يمشى فى الفضاء مشى البرء فى الأجسام ، والطرب فى الأعصاب ، فيكون لهذه الدنيا نوراً وطهراً وعطراً ، وها نحن أولاء نصلى الصبح فى (جامع يلبُغا) الذى سرق نصفه العثمانيون فجعلوه مدرسة ، كأن الأرض قد ضاقت بالمدرسة حتى ما يتسع لها إلا الجامع ، ولكن اللصوص لم يكونوا حذاقاً ، ولم يستطيعوا طمس الآثار ، فنسوا (المئذنة) لم يسرقوها فلبثت قائمة تشهد عليهم ، كشهادة (منارة سوق الغزل) على أهل بغداد ، أنهم سرقوا (المسجد الجامع) الذى كان قطب الأرض ، وأكلوه ، وادعوه أنهم ما رأوه ..

وها نحن أولاء نخرج فنرى السيارة وعليها الأحمال ، ولكن ما لها لا تمشى ؟ ألم يأن الأوان ؟ ألم يؤكدوا لنا أن الرحلة الفجر ؟ لقد مضت نصف ساعة ، ومضت ساعة ، وملأت الشمس الدنيا ، وأمتع الضحى ، وهى واقفة ، ترقب أحد البكوات حتى يصحو وتفرك الجارية رجليه ويغتسل ويأكل ويلبس ويجىء مبتختراً .. فلماذا منعونا نحن المنام ، وألزمونا الحضور فى الغلس ، فى برد كانون ، وقر الليل ؟ وما هذه الخصومات والمعارك ، وهذه الألفاظ الوسخة التى يقذف بها السائق ومعاونوه فى وجوه الركاب ، لأنهم طالبوا بحقهم وأبوا الظلم ؟ وما لشركة (رِزْن) الإنكليزية تسير سياراتها كما تسير عقارب الساعة ، لا يسبق عقرب ولا يتأخر ولا يقفه شىء ؟ أكتب علينا أن نظل أبداً أهل خلف فى المواعيد ، وكذب فى الأحاديث ، وفوضى فى المعيشة ، لا نحن اتبعنا ديننا ، دين الصدق والنظام ، ولا نحن قلدنا الأوربيين فى فضائلهم ؟ ما قلدناهم إلا فى الرذائل والموبقات !

***

لقد دنا المسير ، و (رغت)[1] السيارات ، فاستنجدوا بقرائحكم لتسعفكم بالقول المحلّى واللفظ المعسول ، واعتصروا العيون واستمطروها الدمع ، فما يحلو بغير الدموع الوداع ، وما وصفه شاعر إلا (زعم ...) أنه بكى ، فكأن الشعراء ... إذا أزمعوا وداعاً وضعوا البصل فى عيونهم ... وإلا فكيف تجود بالدمع عند كل طلب كأنها (حنفيّات) الحمام ، أو كأنها مُقل الحسان ؟

وخذوا مقاعدكم قبل أن يشتد الزحام . ولكن من أين ندخل وهذه السلال والصرر والحقائب بين الأرجل ووسط الممرات ؟ وما هذا الضيق فى المقاعد ؟ هل هى رحلة دقائق من دمشق إلى دمّر ، أو من مصر إلى المعادى ؟ إنها رحلة يوم كامل بليله وأكثر نهاره أفنمضيه محبوسين فى هذا الصندوق ، مقيدين بالأصفاد ، لانستطيع أن نحرك يداً ، ولا نمد ساقاً ، ولا نتلفت ؟ أنقاوم الشركات الأجنبية ونحاربها بمثل هذه السيارات ؟

يا قوم إنكم بمثل هذا تجعلون الناس يترضون عن الأجانب ، ويلعنون لأجلكم كل شىء وطنى !

***

لقد جرت السيارة وباسم الله مجراها ومرساها ، ها هى ذى تخترق شارع فؤاد الأول ، وتقطع شارع بغداد أفخم شوارع دمشق وأطولها ، الذى فتح من ربع قرن ولم يبن فيه إلا خمس بنايات ، لأن البلدية أرادت عمران دمشق ، فوضعت للبناء فيه شروطاً لا يمكن معها البناء ، إلا إذا قامت حرب عالمية ثالثة ، وصار كل الشاميين لصوصاً أى (أغنياء حرب) ...

لقد بلغنا (جسر تورا) فودعوا دمشق بنظرة أودعوها حبة

(١) الرغاء للابل .

القلب ، وقرارة اللب ، فما تلقون إذا فارقتم دمشق مثل دمشق ، وأين ؟ أين مثل فتونها وسحرها ؟ وأين مثل نقاها وطهرها ؟ أين قبة تنطح النجم كقبتها ؟ أين فى الأرض غوطة كغوطتها ؟ أين نهر يسيل شمراً وذهباً كبرداها ؟ أين مثل ربوتها وشاذرانها ومزتها وميزانها ؟ أين فى الدنيا ربيع كربيعها ، وزهر كزهرها ، وثمر كثمرها ، وكروم ككرومها ؟

تزودوا منها بالنظرات تكن لكم فى طريقكم زاداً وفى غربتكم أنساً ...

***

هذه (دوما) قصبة الغوطة فيها خمسة وعشرون ألف ساكن قلّ فيهم من يتفرغ للعناية بدار لذلك ترون دورهم زرية منخفضة السقوف ، ضيقة الأبواب ، وقل فيهم من يعتنى بثوب أو يحرص على علم ، مالهم هم إلا الزراعة فهم أقدر خلق الله عليها ، وأصبرهم على مكارهها ، لأنهم يشتغلون لأنفسهم وذراريهم ، لا لـ (بك) من البكوات ، ولا لخواجة من الخواجات ، وقل فيهم من لا يملك قطعة من الأرض ولو صغرت ، يعيش بها ولها ويموت عنها ، ليس فيهم أسرة يستعبدها الملاك هذا الاستعباد (الحرّ) ... ويظلمها هذا الظلم (القانونى) ... فينظر إليها كما ينظر إلى حميره وأبقاره ، ويعاملها معاملتها ، فيسكنها فى مثل زرائبها ، ويطعمها قريباً من طعامها ، ولا يراها أعلى قدراً منها ، يشغلها السنة كلها تكد وتشقى ، لتقدم له ثمن سكرة من سكراته ، أو ليلة (حمراء!) من ليلاته ، تريق عرق جباهها على أقدام عشيقاته ، وتبذل حياتها ابتغاء مرضاته ، ثم لا تنجو من غضباته ونزواته !

إنها أرضهم هم ، وهم أصحابها ، ولذلك ازدهرت وأينعت حتى صارت أجمل أرض فى الوجود . فانظروا إليها من حولكم ، إلى هذا البحر يموج بالأشجار ، تمايل أغصانها ، وتتعانق أفنانها ، تتوجها إذا جاء الربيع ألوان الزهر ، فتكون ابتسامة الزمان على فم الثرى ، وتثقلها إذا حل الصيف أنواع الثمار ، من المشمش عشرين نوعاً ، حبته كالتفاح استدارة وبهاء لا كمشمش مصر الذى يشبه فى صغره حبّ الخردل ، ومن التفاح أربعين نوعاً ، والكمثرى عشرين ، والعنب خمسين نوعاً معدودة عداً ، والدراق والخوخ والجانرك والسفرجل والجوز واللوز والتين والزيتون أنواع شتى وأشكال ، وإلى السواقى تسعى فيها تحمل الحياة من بردى إلى هذه الأرض المباركة ، يميد على حوافيها الحور ويرقص الصفصاف ، وتنساب عروق البطيخ والشمام والقثاء والخيار ، وتضحك من حولها حقول القمح ، ومزارع (الخضار ...) .

هذه هى الغوطة : بستان واحد ، مساحته أكثر من ثلاثمائة مليون متر مربع ، متصل الظلال ، متلاقى الأغصان ، كل شبر منه ثروة وجمال ، وكنز لا ينفد على الإنفاق .

لقد جازت (السيارة) دوما ، فانظروا إليها فقد كادت تختفى مناراتها ، كما اختفت دمشق إلا جبليها الخالدين ، قريبى الدهر حليفى الخلود : قبة النسر من الأموى ، وهامة الصخر من قاسيون.

وهذى كروم دوما ، يضل البصر فى رجاها[1] ويقصر عن مداها ، فيها (العنب الدومانى) الذى سارت بذكره الركبان ، فمن لم يأكل منه لم يأكل عنباً إلا على المجاز ...

ولكنكم مررتم بالغوطة وكرومها فى الشتاء ، فدهشتم وما رأيتم إلا حطبها ، فكيف لو جزتم بها الربيع فشاهدتم البهى من زهرها ، أو سلكتموها فى الصيف فجنيتم الشهى من ثمرها ؟ إذن لقلتم : لارب إلا الله ، ولابستان إلا الغوطة !

***

لم يبق الآن أمامكم إلا الصحراء ، ولكن هذه الصحراء كانت يوماً من الأيام مهولا ممرعة ، وكان أكثرها منازل عامرة وكانت تفيض بالخيرات وتزخر بالظلال ، أيام الملوك الغرّ المبشمين سادة الدنيا ، بنى أمية ، الذين حملوا راية الإسلام إلى أقصى المشرق وإلى أقصى المغرب ، من أطراف الصين إلى أواسط فرنسا ، فنصبوها على قبة الفلك ، ودعموها بالعدل والنبل والفضل ، فما كانوا فاتحين كالفاتحين ، يغلبون بالقوة ، ويملكون بالسطوة ، فان زالوا زالت آثارهم ، ولكن كانوا مجاهدين ، وكانوا بانين ، وكانوا عبقريين ، فجعلوا هذه البلاد كلها إسلامية عربية إلى يوم القيامة . وكان لهم الفضل على مسلم ، فى هاتيك الأقطار حتى تقوم الساعة ، رحمهم الله وغفر لهؤلاء المؤرخين الذين حاولوا أن يتقربوا إلى أعدائهم باطفاء هذه الشمس التى بهرت العيون ، فجمعوا غبار الطرق وجملوا

(١) الرجا : واحد الأرجاء .

ينفخونه عليها حتى تمزقت صدورهم ، والشمس ساطعة لم تنطفئ ، ومن ذا يطفئ نور الشمس فى رأد الضحى ؟

رحمهم الله ، فقد جعلوا هذه المدينة لما نزلوها سيدة المدائن ، ورفعوا قدرها حتى ذات لها نهاوند ودانت قرطبة وخضعت سمرقند وطأطأت لها القسطنطينية ، فأضعنا نحن من بعدهم عزها . إن الأرض تعمر أبداً وبلادنا تمشى إلى الخراب ، إنكم ستمرون الليلة على المدينة التى قارعت روما يوم كانت روما عاصمة الأرض ، ونازعتها مجدها وسلطانها ، فلا ترون فى مكانها إلا قرية اسمها (تدمر) ، أفرأيتم كيف نمشى إلى الوراء ؟ إن ديار الشام التى يسكنها اليوم بساحلها وداخلها ، وشمالها وجنوبها ، خمسة ملايين كان فيها يوماً من الأيام خمسة وعشرون مليوناً . وكان فى العراق مدينتان متجاورتان ، فى كل منهما مليونان ، وأهل العراق كله اليوم خمسة ملايين . وإن بين هاتين المدينتين اليوم على الطريق جسراً قائماً فى الفلاة ، كان تحته نهر اسمه دجيل ملأ الشعراء بذكره الأسماع ، يسقى مدينة اسمها حربى زخرت بأخبارها صحف التاريخ ، فمحيت المدينة وجف النهر ولم يبق إلا جسر قائم فى الفلاة . وكان فى البصرة عشرة آلاف قناة ، فلم يبق فيها اليوم إلا مائة وثمانون قناة .

نعم لقد عدنا إلى الوراء ولكن عهد التأخر قد انقضى . لقد وقفت القافلة تجمع شتاتها ، وتعد عدتها ، لتمشى فى طريق المجد كما مشى الأجداد ...

لقد عرفتنا المصائب فى فلسطين والمغرب ومصر والشام ، أن الطريق من هنا : إلى الشرق ... من الشرق يطلع فجر الخلاص ، أما الغرب فلا يجىء منه إلا ليل الظلم وسواد الاستعمار ...

هذه حقيقة تدرس فى المدارس الأولية ، ولكن فى الناس جهلاء لم يتعلموها بعد !

***

يا إخواننا . إن هذه السفرة ستعلمكم الصبر . إنكم ستتحدثون حتى تملوا الحديث ، وتسكتون حتى تكرهوا السكوت ، وتأكلون حتى تعافوا الأكل ، وتجوعون حتى تشتهوا الطعام ، وتنامون حتى تشبعوا من المنام ، وتستيقظون حتى تتمنوا الهجوع ، وأنتم محبوسون فى هذا الصندوق ، مصفدون بالأغلال ، فأين هذا من رحلات الأجداد على الإبل ، يستمتعون بالحرية والانطلاق والتأمل؟ تقولون أنكم اختصرتم الزمان ... وما ذا فى اختصار الزمان ، إلا الإسراع إلى القبر ؟

إنكم تشكون والسيارة تمشى لكم على الطريق الآهلة ، وأنتم قعود تأكلون وتشربون ، فتفكروا فى بطل الدنيا سيف الله (خالد) وصحبه : كيف قطعوا هذه البادية على الإبل لا يعرفون على طريق ولا يجدون ماء ولا زاداً كافياً ، والعدو محيط بهم ، فلما وصلوا إلى الشام لم يغتسلوا ويعدوا أرجلهم ... ولكنهم نازلوا جنود سيد الكتائب قيصر ، وانتزعوا منه الظفر ، وأخذوا منه البلاد ، فبقيت خالصة لأمة محمد ، لن تغدوا لغيرهم أبداً ، لا للانكليز ولو غلبوا عليها حيناً ، ولا لليهود ، ولا للامريكان ... أولئك هم الرجال حقاً !

***

وبعد فهذى هى الدير ، تبدو منارتها من وراء البادية ، كما تبدو الميناء من وراء البحر ، فحث المطى يا أيها السائق ، واسقها (البنزين) ، فقد مل السفر ، ونفد الصبر ، واشتد الشوق ...

وأعظم ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام

هذى هى الدير قد وضحت ، أفلا تحسون أنكم مقبلون على مدينة عراقية ، أليس لمنارتها رشاقة مآذن بغداد ، وإن لم يكن لها ثوبها المزركش الذى تخطر فيه ، وتاجها الذهبى الذى تميس تحته أليس فراتها هو الفرات الذى يجرى فى العراق وإن لم تزن كتفيه الروابى المخضرة ، ولم يستنقع فيه النخيل ، ولم تمرح على صفحته الزوارق الشمرية ، ولم يؤكل فى القهوات المطلة عليه السمك المسقوف؟

هذى هى الدير ، فدعونى يا رفاق أفارقكم لأحدث القراء (حديث الدير) ... فان فيهم من لم يسمع من قبل باسمها !

على الطنطاوى

لبنان والعربية

للأستاذ السهمي

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي (رحمه الله) في لبنان وبيروت في عبقرية لبنانية :

بلغ السها بشموسه وبدوره ... لبنان وانتظم المشارق صيته
لبنان والخلد اختراع الله لم ... يوسم بأزين منهما ملكوته
هو ذروة في الحسن غير مرومة ... وذرا البراعة والحجى بيروته

ويروى ياقوت في معجم البلدان لأحمد بن الحسين بن حيدرة مقطوعة فيها هذا البيت في مياه لبنان :

وكيف التذاذي ماء دجلة معرقاً ... وأمواه لبنان ألذ وأعذب

ويذكر شاعرنا أبو الطيب تفاح لبنان في عضدية عبقرية :

حيث التقى خدها وتفاح لبنان (م) وثغرى على حيـاها

ويقول النشاشيبي في بيروت في خطبة(١) :

بيروت مثقفة العرب .

بيروت موقظة العرب من بعد طول هجوعهم .

بيروت منبعث الأضواء والأنوار .

بيروت فلك الشموس والأقمار .

بيروت دار أحمد فارس والأحدب والأسير .

بيروت دار اليازجيين : ناصيف وخليل وابراهيم .

بيروت دار البستانيين : بطرس وسليمان وعبد الله .

بيروت دار أديب إسحاق وأحمد عباس .

بيروت دار الحوراني والشرتوني وصروف وضومط .

بيروت دار شكيب أرسلان وأمين الريحاني ومحيي الدين الخياط ومصطفى الغلاييني .

بيروت هي التي نزل على أهلها ، على كرام ، الأستاذ الإمام محمد عبده (رضي الله عنه) وأملى فيها رسالته البليغة في التوحيد بل معجزته .

في بيروت تثقفت واهتديت واتبعت داعي الإسلام والعربيّة والوطنية ، وجيت جندياً من جنود سيدي [محمد بن عبد الله] عليه صلوات الله .

(١) سنة ١٣٥١ .

المدرسة البطريركية(١) للروم الكاثوليك مدرستي .

ضوأت لي بيروت عن طريق فشيت ، وهدتني بيروت هداها فهديت ، ورحت أقول في قصيدة(٢) :

حنـانيك يا ربعاً به نلت منيتي ... وأبعدت في الشرق الخطير لي الذكرا
إذا النـاس ضلت في مجاهل غيها ... وساءت مساعيها فلا تعرف البرا
فإني بأرض الشام أخدم أمتي ... وأرجو لها في كل واقعة نصرا
أخوض غمار الكون بالعلم والتقى ... ولا أسأل القوم العظام لي الأجرا

بيروت مدينة تهذيبي .

والعربية هي التي يقول فيها النشاشيبي :

اللغة هي الأمة ، والأمة هي اللغة ، وضعف الأولى ضعف الثانية ، وهلاك الثانية هلاك الأولى . وكل قبيل حريص — وقد كان في هذه الدنيا — جد حريص على أن يستمر كونه ، وعلى أن لايبيد(٣) ، فهو مستمسك بلغته للاحتفاظ بكينونته . واللغة ميراث أورثه الآباء الأبناء ، وأحزم الوراث صائن ما ورث ، وأسفههم في الدنيا مضيع .

وإنا أمم اللسان الضادي — لعرب ، وإن لغتنا هي العربية وهي الإرث الذي ورثناه ، وإنا لحقيقون والآباء هم الآباء واللغة هي تلك اللغة بأن نقي عربية الجنس وعربية اللغة ، نقي العربيتين مما يضيرهما أو يوهنهما .

ولو كان المورثون صغاراً ولو كان الميراث حقيراً لوجب علينا إكبارهم وإعظامه ، فكيف والتاريخ يقول : إن الآباء كانوا كراماً ، وإن الآباء كانوا عظاماً . وكان لهم الخلق المتين الجيد ، وكان لهم

(١) درس العربية في هذه المدرسة الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ خليل اليازجي والشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ سعيد الشرتوني والشيخ ابراهيم الحوراني والشيخ عبد الله البستاني .

(٢) سنة ١٩٠٥ .

(٣) يرى الصولي في (أدب الكتاب) أن تكون (لا) مقطوعة من (أن) أجود .

السلطان القوى والسؤدد ، وكانوا الأئمة فى العلم وكانوا الأئمة فى الحكمة . فاقرأ كتب علمهم ، واقرأ كتب حكمتهم .

والزمان يقول : إن العربية خير ما صنعت يداى (وإن الدهر لصنّاع) وإنها لخير طرفة أطرفتها الناس ، والزمان بالخير — وإن جاد — شحيح . فالعربية الصنع العبقرى للدهر ، والعربية هى الدرة اليتيمة أو كنز الزمان ضن به كل الضن ثم سخا .

وإذا كان للنفوس العربية فى الجزيرة وهى نفوس تجسمت من القوة أو تكونت منها القوة ، وهى نفوس تعالت وتعززت فنشأت فى الدنيا ألفاظ العلو والعزة وهى نفوس صفت وصرحت ، وما صفاء سواها وصراحتها إلا كدر ولبس — إذا كان لهذه النفوس فضل على لغتها إذ كانت منجمها الذى منه بدت فلهذه اللغة البينة المحكمة فضل على تلك النفوس ، فقد أعطى بيان اللغة وإحكامها أهل اللغة ما أخذته منهم ، وقد أحسن الألماس(١) المشع إلى منجمه ، فهذا كون ذاك ، وذاك نور هذا .

وإن العربية لو لم تكن الإبداع كله ولو لم تكن الجمال الأجمل، ولو لم تكن اللغة المصطفاة ، ولو لم تك لغة عجباً ، ما اختارها الدهر لقرآنها و [الله أعلم حيث يجعل رسالته] ولم تستطع ألفاظها الاستقلال بمعانيه ، وكل معنى فيه يأبى أن ينزل إلا فى أكرم لفظ ، وكل مقصد من مقاصده لا يقبل إلا أعجب أسلوب . ولن ينزل أهل السماء إلا فى ذروة العلياء . و(الكتاب) — وإن علا — حتى أظل (سدرة المنتهى) قد أدناه وقد جلّاه نور بيانه حتى أرانا إياه ، والشمس قد علت وقد ابتعدت ، وهل يحي وهل يضىء هذى الأرض إلا الشمس .

ويقول النشاشيبى فى رثاء كبير عراقى فى خطبة(٢) :

قالوا : ابكه وإلا غضبت عليك عربيتك .

أعوذ بمحمد ، أعوذ بالعربية من غضب العربية .

وهى لى فى حياتى ومماتى إلا هى ؟

وهل معتصمى وشرفى ومجدى فى الوجود غير عربيتى ؟

وهل سموت وكرمت عند العظماء وعند الفضلاء وعند الملوك إلا بها؟

أنا لا أشترى برضاها هذى الدنيا بحذافيرها (استغفر الله) ولا الآخرة .

أعوذ بالعربية من غضب العربية .

(١) الهمزة واللام فيه أصليتان لا كما ظن صاحب القاموس فعد ذلك لحناً . وقد وجدت الألماس فى فائق الزمخشرى ونهاية ابن الأثير .
(٢) سنة ١٣٤٨ .

أنا خادمها ، أنا عبدها ، أنا عبد لغتها ، أنا عبد قرآنها ، أنا عبد محمدها .

أنا سيد لكل حر سيد بهذه العبودية .

أعوذ بالعربية من غضب العربية .

وقد شاء فى هذا الشهر حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية (الشيخ بشارة الخورى) ووزيره الأكبر حضرة صاحب الدولة الأستاذ (رياض الصلح) وحكومته ، وحضرة أمير النثر والناثرين وسيد البلغاء صاحب (الرسالة) الأستاذ (أحمد حسن الزيات) أن يعطوا خادماً من خدام هذه العربيـة — وهو الذى تلوت قوله آنفاً — (وسامين)(١) فأعطوه . واليقين كل اليقين أنهم نظروا إلى إخلاصه فى حبها لا إلى مقدرته ؛ فالرجل عند التحقيق ليس هناك ، وهو صاحبى ، وأنا من أعرف الناس به . والمنصف يقول الحق ويقضى بالعدل ولو على نفسه [يا أيها الذين آمنوا ، كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم] .

السهمى

(١) راجع الرسالة (٧٢٥) الصفحة (٦٠٠) إن قول صاحبها فى دولة الفضل وسام كبير .

٧ – تفســير الأحلام

للعلامة سيجموند فرويد
سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا
للأستاذ محمد جمال الدين حسن

كلا أيها السادة ، فالوقت مع هـذا لم يحن بعد . فحتى هذا الاعتراض القوى قد ينهار من أساسه إذا صوبنا إليه سهام النقد الحادة . فنحن إذا فرضنا أن هناك نزعات لاشعورية تكمن فى الحياة العقلية ، ثم اتضح أن عكس هذه النزعات بالضبط هو الذى يغلب على الحياة الشعورية ، فليس معنى هذا أننا أخطأنا التقدير ، فربما كان هناك متسع فى العقل البشرى للنزعات المتضادة والمتناقضات تكمن كل بجانب الأخرى . بل من المحتمل أن تغلب إحدى النزعات هو الذى يستلزم أن تكون النزعة العكسية لاشعورية . وعلى هذا فالاعتراضات التى تواجهنا كلها تتلخص فى أن النتائج التى وصلنا إليها فى تفسير الأحلام نتائج معقدة غير مستساغة . فأما كونها معقدة فإن فى استطاعتنا أن نرد على ذلك بأن نلفت نظركم إلى أنكم مهما كنتم مغرمين بالبساطة والسهولة فلن تستطيعوا بذلك أن تحلوا مشكلة واحدة من مشاكل الأحلام ، وعلى هذا يجب عليكم أن تشرعوا فى تهيئة عقولكم من الآن لتقبل نتائج صعبة معقدة . وأما كونها غير مستساغة فإنكم ترتكبون خطأ كبيرا عندما تجعلون من ميلكم للشىء أو عدمه مقياسا تحكمون به على الأشياء أحكاما علمية . فماذا يهمنا إذا كنتم ترون أن النتائج التى وصلنا إليها فى تفسير الأحلام نتائج غير سارة أو حتى على أسوأ الفروض نتائج بشعة تعافها النفس ؟ إن الواجب يقتضى منا أن نطرح الميل والنفور جانبا إذا أردنا أن نقف على الحقيقة فى هذه الحياة . فإذا جاء أحد علماء الطبيعة فأثبت لكم أن الحياة العضوية قمينة بأن تختفى من وجه البسيطة عما قريب ، أيجد أحدكم من نفسه الجرأة على مواجهته قائلا : « كلا ياسيدى هذا لن يكون لأنى أكره هذا المنظر كرها شديدا » ؟ أظنكم لن تقولوا شيئا من هذا القبيل حتى يأتى عالم آخر فيثبت للأول أنه قد أخطأ فى التقدير أو فى الحساب . والواقع أنكم عندما تنكرون كل ما هو بغيض بالنسبة إليكم فإن ما تقومون به هو تكرار لعملية بناء الحلم وليس فهما لمرماه أو وصولا إلى معناه .

وعلى هـذا أظن أنكم ربما تأخذون على أنفسكم أن تغضوا النظر عن الطبيعة الجارحة للرغبات التى تخضع للرقابة فى الحلم ثم تحولون دفة المناقشة إلى أنه من غير المعقول أن نسلم بوجود مثل هـذا الجزء الكبير من الشر فى الطبيعة البشرية . ولـكن هل تحقق تجاربكم فى الحياة صدق هذه العبارة ؟ إنى لن أقول شيئا عن هيئة الواحد منكم فى نظر نفسه . ولكن هل صادفتم من النية الحسنة بين رؤسائكم ومنافسيكم ، ومن الشهامة والكرم بين أعدائكم ، ومن الحسد القليل بين زملائكم ما يدفعكم إلى الشعور بأنه يتحتم عليكم أن تحتجوا إذا قلنا إن الأنانية الوضيعة تلعب دورا كبيرا فى الطبيعة البشرية ؟ أو ولا تعلمون كيف يعجز الرجل العادى أن يملك زمام نفسه فى كل ما يمس حياته الجنسية ؟ أو هل تجهلون أن كل ما نراه فى الحلم من انغماس فى الضلالات أو إفراط فى الشهوات ما هو إلا جرائم تحدث فعلا كل يوم ، يرتكبها الناس وهم فى تمام اليقظة ؟ إن التحليل النفسانى لا يفعل فى هذه الحالة أكثر من أنه يعزز القول القديم لأفلاطون وهو أن الأخيار هم أولئك الذين يكتفون بأن يروا فى أحلامهم ما يرتكبه الأشرار فعلا فى حياتهم اليومية .

والآن دعوا الأفراد وانظروا إلى هذه الحرب الضروس (١) التى ما تزال تدمر أوربا : فكروا فى هذه القسوة والوحشية الطاغية كيف انتشرت فى أرجاء العالم المتمدن . أتعتقدون حقا أن فى استطاعة حفنة من الرجال الفاسقين الذين لا مبدأ لهم فى الحياة أن يقودوا العالم إلى هذا الشر المستطير إذا لم يكن ملايين الناس الذين اتبعوهم شركاء لهم فى الجرم أيضا ؟ أتجدون من أنفسكم الجرأة بعد ذلك على أن تنكروا وجود عنصر الشر فى الطبيعة الإنسانية ؟

أظنكم بعد هذا توافقون على أنه لا حاجة بنا إلى أن نطرح النتائج التى وصلنا إليها فى تفسير الأحلام ، حتى ولو أننا قد لانستطيع أن نمنع أنفسنا من الشعور بأنها نتائج غريبة . وربما كان فى

(١) الحرب العالمية الأولى

إمكاننا فيما بعد أن نصل إلى تفهم معناها عن طريق آخر ، ولكنا في الوقت الحاضر سنكتفي بأن نتمسك بالنتيجة الآتية وهي أن التحريف في الأحلام ينشأ عن الرقابة التي تفرضها بعض النزعات المعروفة للذات على الرغبات التي تجرح الشعور والتي تعتلج في صدورنا أثناء النوم . ومن الواضح أننا إذا سألنا أنفسنا عن مصدر هذه الرغبات التي تستوجب الزجر ولم لا تظهر إلا أثناء الليل ، فسنجد أننا مازلنا في حاجة إلى البحث الطويل وإلى الأجابة على أسئلة كثيرة . على أنه من الخطأ ألا نوجه إلى إحدى النتائج التي تتضح من هذا البحث ماتستحقه من الالتفات . فهذه الرغبات التي تظهر في الأحلام والتي تقلق نومنا تكون مجهولة لدينا ولا نعلم عنها شيئا إلا بعد القيام بتفسير الحلم ، وعلى هذا فهي تستحق أن يطلق عليها « لا شعورية في الوقت الحالي » بالمعنى الذي استخدمنا به هذا الاصطلاح من قبل ولكنا يجب أن نعلم أيضا أنها أكثر من « لا شعورية في الوقت الحالي » لأن الحالم كما رأينا مرارا ينكرها إنكارا باتا حتى بعد أن يقف على معناها عن طريق تفسير الحلم . وهذه الحالة تكرار للحالة التي صادفتنا من قبل عندما كنا نقوم بتفسير زلة اللسان « تفيقوا »[1] حيث أكد لنا الخطيب في حنق أنه لم يشعر نحو رئيسه بعدم الاحترام بتاتا لا في ذلك الوقت ولا في أي وقت آخر . وبالرغم من هذا فقد تجاسرنا على الشك في قيمة هذا التأكيد وفرضنا بدلا من ذلك أن الشاب كان على جهل مستديم بوجود هذا الشعور في نفسه . ونحن نجد أنفسنا في مثل هذا الوضع في كل مرة نقوم فيها بتفسير حلم من الأحلام التي تعرضت لدرجة عالية من التحريف . وعلى ذلك فإن في إمكاننا الآن أن نفرض أن هناك نزعات وعمليات في الحياة العقلية لا نعرف عنها شيئا . وهذا يعطي كلمة « لا شعوري » معنى جديدا فقد أصبح لا داعي كما رأيتم لأن نلصق بها الصفة « في الوقت الحالي » أو « مؤقتا » لأنها قد تعني أيضا « لا شعوريا مستديما » وهذه النقطة قد نعود إلى مناقشتها مرة أخرى فيما بعد .

(يتبع) محمد جمال الدين حسن

(١) روى فرويد قصة هذه الزلة في محاضراته عن « سيكولوجية الأخطاء » فقال : « أقام أحد الشبان حفلة غداء لتكريم رئيسه ، وبعد أن تناول المدعوون الطعام وقف الشاب خطيباً بينهم يشيد بأخلاق رئيسه ، وأخيراً = رفع الكأس في يده ليقول : « أيها السادة إني أقترح على (auf) حضراتكم أن (auf) تشربوا (an-zustossen) نخب رئيسنا » . ولكن لسانه زل فقال : « أن تفيقوا (من الفواق auf-zustossen) وقد أرجع فرويد هذه الزلة إلى أن الشاب كان يضمر لرئيسه رغبة لا شعورية في السخرية منه . ولكن الشاب أنكر ذلك إنكاراً باتاً وقال إن لسانه زل نتيجة لتشابه الكلمتين في المقطع الأخير (zustossen) ولاستخدامه المقطع الأول (auf) قبل ذلك مرتين أثناء الحديث . غير أن فرويد يقول إن الزلة لم تكن نتيجة للتشابه بل إن التشابه كان الوسيلة التي مهدت الطريق لظهور الرغبة اللاشعورية إلى منطقة الشعور .

من قادة الإصلاح فى القرن الثالث عشر :

الشيخ شامل

زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين

١٢١٢ — ١٢٨٧ هـ : ١٧٩٧ — ١٨٧١ م

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

الداغستان :

تشغل بلاد الداغستان معظم القسم الشرقى من بلاد القوقاز ، وتمتد على الساحل الغربى لبحر قزوين . ما بين مصب نهر « ترن » شمالا وشبه جزيرة « أبشرون » جنوباً ، وتحدها قمم جبال القوقاز العالية مثل « البرز » و « قازبك » وممر « دريال » الشهير وبعض بلاد الكرجستان غرباً ، ومجرى نهر « ترن » شمالا وجمهورية اذربيجان جنوباً — هذه البلاد هى التى تسمى بالداغستان ، ومعنى الداغستان : بلاد الجبال . وليست هذه المنطقة كلها جبالا كما يتبادر لأول وهلة ، ولكن طبيعة الجبال هى الغالبة فيها .

كانت هذه المنطقة المجاز الذى يجتازه الفاتحون الآسيويون إذا أرادوا الإغارة على أوروبا وبلاد الروسيين ، ويعبره الروسيون والتتارمن الشمال إلى الجنوب إذا أرادوا التوغل فى آسيا . ولذلك كانت — دائماً — محط أنظار كل الفاتحين ، والغزاة من قديم العصور إلى يوم الناس هذا .

وما كاد المسلمون يبدأون عهد الفتوح أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى وصلت طلائعهم الظفرة إلى هذه البلاد سنة ٢٢ من الهجرة يوم جاء سراقة بن عمرو ، وبكر بن عبدالله ، وعبدالرحمن ابن ربيعة مع إخوانهم المجاهدين . ثم تتابعت الجيوش الإسلامية إلى هذه البلاد ، وتلاحقت وكانت « دربند » — عاصمة الداغستان — ثغراً من ثغور المسلمين التى يرابط فيها فى سبيل الله

أطماع الدول الكبيرة فيها :

استقر الحكم العربى الإسلامى فى هذه البلاد ، وسارت فى طريقها المهيأ لها فى هذه الحياة ، حتى إذا زال عنها سلطان العرب السياسى حافظت هى على تراث العرب الروحى : الإسلام وتعاليم الإسلام ، فكانت تستقل بشئون نفسها حيناً ، ويحتلها فاتح جديد أحياناً . حتى كان أواخر القرن العاشر الهجرى ، فاحتلها العثمانيون فى عهد « مراد الثالث » وهنا بدأت صفحة جديدة من تاريخ هذه البلاد ، فقد نبه احتلال العثمانيين لها أطماع الروسيين من الشمال ، وحفز الإيرانيين من الجنوب ، فصارت مثار أطماع هذه الدول الثلاث ، فكانت تحتلها هذه فترة ، وتلك فترة أخرى . وهكذا إلى سنة ١٢٣٢ هـ — ١٨١٦ م حيث تنازل الإيرانيون عن كل حق لهم بهذه البلاد وحكمها للروسيين ، واحتلها هؤلاء .

أثر هذا الاحتلال الجديد فى أهل البلاد :

وكان طبيعياً أن يكون لهذا الفاتح الجديد أثره وتأثيره فى البلاد وأهل البلاد ، فأخذ يتودد إلى الأهالى ويستميلهم بكل ما وسعته الحيلة من ترغيب وترهيب ، ويظهر أن سياسة الترغيب هذه لقيت نجاحاً إلى حد ما ، وقد صور الشيخ محمد طاهر القراخى الداغستانى هذه الفترة تصويراً دقيقاً إذ يقول : [1]

« وفى هذه الآونة — حوالى سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤م) — زاد اتصال الأهالى الداغستانيين بمستعمريهم طمعاً فيما يملكونه من مال وسلطان ، أو يمنحونه من قلادة أو وسام . وكان من أول نتائج هذا الاتصال أن ابتعد المسلمون شيئاً فشيئاً عن أحكام دينهم الذى أشربوا حبه ، وتغلغل فى أعماقهم ، ونسوا أوامره ونواهيه وأصبحوا مسلمين بأسمائهم فقط . وكانت البلاد فى هذه الفترة خالية من العلماء العاملين ، والمرشدين المخلصين الذين يحسنون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

فانتهز هذه الفرصة بعض الجهال المتزيين بزى العلماء ، وعلى الخصوص قضاة وحكام منطقة « التركستان » وأخذوا يتصلون بالجماهير ليلقوا فى نفوسهم أن سياسة الحكومة القيصرية ، واستعمارها لبلادهم — ولعلهم كانوا يعتقدون ذلك ؟ — هو عين العدل والإنصاف !! .

(١) فى مقدمة كتاب له عن الشيخ شامل وغزواته .

وكان لعمل هذه الطائفة أثره الكبير في وسط الجماهير من المسلمين ، فازدادت صلاتهم بالمستعمر ، وأخذوا يرسلون شبانهم ليقوموا ببعض الوظائف والأعمال والدواوين الروسية ، ثم تطورت الأمور إلى أبعد من ذلك ، وصاروا يحبذون السياسة الروسية التى تنتهجها نحو بعض الممالك الإسلامية ، وجندوا أبناءهم فى الجيوش الروسية الموجهة لغزو بلاد المسلمين » .

مولد الشيخ شامل :

فى مطلع هذه الحوادث وفى هذا الجو المضطرب المتقلب ، ولد شامل سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) فى قرية « كرا » من قرى منطقة « آوار » من بلاد الداغستان ، ونشأ بها كما ينشأ لداته ، وتعلم فى مدارس المساجد المنتشرة فى قرى الداغستان ودساكرها وأخذ بحظ لا بأس به من الدراسات الدينية والعربية ، وكانت الطريقة النقشبندية قد بدأت بالانتشار فى تلك الجهات على يد السيد جمال الدين القموق والشيخ محمد اليراغى ، فانتظم فى سلك مريدى تلك الطريقة الصوفية ، فصار العالم الدينى الصوفى فى آن واحد . ولما بلغ شامل الثلاثين من حياته سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) واستد ساعده . ظهر فى قرية « كرا » العالم المجدد المصلح الشيخ الغازى محمد الكمراوى الذى هاله ماوصلت إليه حال البلاد والعباد من التأخر الدينى ، والفساد الخلقى ، وقام يدعو الناس إلى الرجوع إلى دينهم ، والتمسك بآداب وأحكام الإسلام ، فكان « شامل » من أول التابعين له والداعين بدعوته ، ولازمه ملازمة الظل ، وأصبح أحد مريديه ، وأعوانه المقربين إليه .

واستمرت هذه الدعوة الاصلاحية اللينة المسالمة تسير فى طريقها المسلوكة تلقى القبول والسمع تارة ، والرفض والاباء والسخرية والازدراء تارات .

وفى سنة ١٢٤٥هـ (١٨٢٩ م) قرر (الغازى محمد الكمراوى) على أنه لابد لكل دعوة إصلاحية جديدة من قوة تسندها ، وإلا فلا أمل فى نجاحها ، ولذلك بدأ يجند بعض الذين استجابوا لدعوته ويخوف بهم المخالفين له والباغين عليه . وفى هذه المرحلة أيضاً نجد « شاملا » أحد قواد الفرق التى كان يبثها الغازى محمد ، ويبعثها إلى الجهات للاغارة والتأديب .

وكثرت مصادمات الغازى محمد الكمراوى مع العصاة والمخالفين الخارجين على أحكام الدين . ومع رجال الدولة المستعمرة ، فكان يحالفه الظفر والنصر فى بعض الأوقات ، ويخونه الحظ فى أحيان؛ ولكن « شاملا » فى كل الحالات كان الرفيق اللازم ، والمريد المخلص لأستاذه وقائده . ولما حاصر الروسيون الغازى محمد الكمراوى وأصحابه فى قرية « كرا » فى يوم الاثنين الثالث من جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨ هـ (٢٨ أكتوبر سنة ١٨٣٢ م) كان « شامل » مع الذين لازموه ، ودخلوا معه أحد المنازل فى القرية وتحصنوا فى داخله ، فلما اشتد الحصار ، وضيق الروسيون الخناق قام الغازى محمد ، وقذف بنفسه على الروسيين ، وقاتل حتى قتل أمام باب ذلك المنزل وسيفه فى يده . ورأى « شامل » استشهاد قائده ، فقام فى رفاقه خطيباً ، وقال ما مؤداه : « إذا كان الغازى محمد وقع شهيداً ، فلا ينبغى لنا أن نضيع وقتنا بالبكاء عليه ؛ ولعلنا نسير فى الطريق التى سار فيها ونلحق به ... إن حور الجنة ينتظرن ذهابنا إليهن شهداء أبراراً . فبدلا من أن نموت كما يموت الجبناء فى مكان مغلق مسدد نخرج ونقاتل حتى تأتينا الشهادة ، ونموت كراماً » . ثم شد يده على حسامه ، ورفع صوته بكلمة التوحيد — لا إله إلا الله — وقذف بنفسه إلى حيث الموت الشريف ، أو الحياة الكريمة ، وقاتل « شامل » قتال المؤمن الموقن بما عند الله للمجاهدين من إحدى الحسنيين . وأصيب فى أكثر من موضع واحد من جسمه ، ولكنه كان مؤمناً بالله وطالباً للشهادة فى سبيله ، فلم تخر عزيمته ولا ضعف ولا وهن ، فظل يحارب ويقاوم ، وانجلت المعركة ، ونجا شامل بنفسه ، ولكنه ما كاد يبعد عن هذا الجحيم ، ويسير فى شعب من تلك الشعاب بضع خطوات حتى خارت قواه ، وضعف جسمه ، فلم يستطع مواصلة السير ، وقضى ليلته على قمة جبل هناك ، تحت رحمة المقادير معرضاً لتقلبات الطبيعة القاسية فى تلك الأصقاع .

كان الهواء قاسياً قارساً ، وكان « شامل » عارى الرأس ، مجروح الصدر ، ملطخاً بالدم جميع أجزاء جسمه ، ولكنه لم يك ليشتكى من هذه الحال التى صار إليها أو يتألم ، بل انه كان يشكر الله سبحانه ويحمده على لطفه فى القضاء !! ...

وفى اليوم التالى أتته النجدة ، فجاء بعض أعوانه ، وأركبوه فرساً وساروا به الى حيث أهله وعياله وأسرته .

وبقى شامل طريح الفراش أسير الجراح ثلاثة أشهر كاملة ، لايبرح بيته ، ولا يستطيع الوقوف على قدميه .

(يتبع) برهان الدين الداغستانى

من وراء المنظار

حجرة التحمس !

ما دخلها قط إنسان إلا انقلب بعد دقائق مهما بدا من هدوئه أول الأمر متحمساً من أشد المتحمسين ؛ شهدت ذلك بنفسي وأنا قابع فى ركن منها أتفرج من وراء منظارى على ما لم أستمتع بمثله فى أية دار من دور اللهو ...

هى حجرة فى ديوان إحدى الوزارات كتب على بابها : « المستخدمين » هكذا بالجر ! دخلتها والحر شديد وبنفسى ضيق وضجر فسرعان ما روح عنى الضحك المتصل حتى لقد أنسانى ضجرى كما أنسانى ما جئت له ...

الحجرة صغيرة مزدحمة بالقماطر أو ما يسميه الموظفون بالمكاتب ، وعلى كل قمطر ماعدا واحداً أضابير من الورق يعلم الله مبلغ ماقضته كل ورقة حيث رأيتها من عمر ...

وأمام كل قمطر — ماعدا واحداً غير ذلك الذى خلا من الورق — موظف ، وهم جميعاً فيما يخيل إلى من أعمارهم دون الأربعين وفيهم من هم دون الثلاثين ...

وكان أحدهم يقضم قضمات من رغيف أمامه ويأتدم بقطعة من الجبن ؛ وكان آخر يطالع فى جريدة ؛ وكان ثالث يشرب القهوة ، واشتغل أربعة بأوراقهم ، وبقى واحد لا يعمل شيئاً قط فليست أمامه ورقة وليس فى يده قلم أو صحيفة أو شىء مما يؤكل أو يشرب وكان ينظر فى ساعته بين حين وحين ليرى متى ينصرف ... وفهمت أنه من « المحاسيب » الذين يعينون لا ليعملوا ولكن ليرتزقوا ...

ودخل كهل هادىء الحركة فقصد أحد القماطر ورفع صاحبه رأسه فتجهم وتنكره إذ رآه ، مع أن القادم كان يبسم له ويظهر الاحترام ويختار أرق الكلام ؛ ولكن سرعان ما ارتفع صوته وهو يقسم بالله العظيم ثلاثاً ويهز سبابته كما يفعل الخطيب أنه جاء من أجل مسألته ما لا يقل عن ثلاثين مرة ، ولا يدرى ما يعمل بعد ذلك . وبلغ به التحمس أن أعلن أنه ذاهب من فوره إلى المدير ، وقالها بلهجة من ينذر بالموت كأن الذهاب إلى المدير عنده فيه القضاء على الموظف المسكين ، وخرج من الحجرة ، وما استدار ليخرج حتى أخرج له ذلك الموظف لسانه وضحك هو وزملاؤه ملء أشداقهم ...

ولم يكد يبتعد خطوة حتى دخل شاب يمسح العرق عن جبينه وصفحة وجهه بمنديله ، ودنا من موظف آخر وسأله لعله يذكر موضوعه ، فقال له فى دماثة متكلفة وهو يكتم ضحكه « أيوه ياسعادة البيه ، مر علينا بعد ثلاثة أيام تجد كل شىء على مايرام » ؛ وتحمس سعادة البك تحمساً صامتاً تجلى فى احمرار وجهه وإرساله الزفرات وانصرف ليمر بعد ثلاثة ايام ؛ وتفكه الموظفون بالسخرية من سعادته والتهكم عليه .

ودخل ثالث فسأل أحدهم عن أمر فقال له « عند فتحى افندى فى الحسابات » ، فخرج ثم عاد بعد قليل ليقول إن فتحى افندى لا علم له بالأمر ، فقال له « اترك لى المسألة ومر بعد يومين أو ثلاثاً تجدها خالصة » ففكر صاحبنا فى الأمر قليلا ثم بدا له فتحمس وصاح قائلا « ماهذا ؟ أديوان حكومة هو أم دكان ؟ ودق القمطر بيده قائلا إنه ذاهب إلى المدير ، وانطلق والتحمس ملء بدنه ، وتحمس الموظفون فى الضحك منه ...

ودخل رابع تبدو عليه الرزانة والتؤدة ، فسأل عن عبدالمنعم افندى من يكون فدله أحدهم عليه ، فمشى إليه فى عسر بين القماطر وأخرج علبة سكائره ومد بها إليه يده وألح حتى تناول واحدة ، ثم كلمه فى صوت خافت ، فتظاهر أنه يفكر ثم قال : مر غداً فإن عمر افندى غائب وهو الذى عنده مسألتك . فقال لقد جئت مرتين وعملى فى حضن الجبل وأنا قادم هذه المرة فى « تكسى » وهو عند الباب يدور عداده فهلا صنعت معروفاً فأعنتنى ، فأجابه لا يمكن حتى يحضر عمر افندى ، وانصرف عنه إلى أوراقه ، فهزّ صاحب « التكسى » رأسه مرات وتنهد ثم قال وقد انقلب هدوؤه ثورة ، وإنه ليدق القمطر بيده دقات عنيفة : ماهذا ، مرة عمر افندى فى

البنك ومرة عند المدير ومرة فى أجازة ... هذا لعب ومسخرة وقلة ذوق ... وبدأ التحمس فى جميع حركاته وإشاراته ... وانطلق من الحجرة يتوعد ويتهدد .

وجاء الخادم يطلب عبد المنعم افندى لمقابلة المدير ، فذهب إليه ثم عاد بعد دقيقة ففتش فى قمطر عمر افندى وأخذ منه أوراقاً ، وخرج ثم رجع بعد قليل يقول لزملائه « خلصنا منه يا سيدى ، وأمضى المدير أوراقه وبلاش غلبة ونفخة كدابة »

ودخل بعد لحظة شيخ معمم ذو لحية فحيا بتحية الإسلام ثم ضم أطراف جبته بيده ومضى إلى أحدهم ينفذ فى عسر بين القماطر ، فقال له هل وجدت الورق ؟ فقال : لا زلت أبحث عنه . وما كاد ينطق بهذا حتى صرخ الشيخ قائلا ما هذا ؟ حتى متى تسخر من ذقنى هذه يا ولد ؟ ونهض الأفندى مغضباً يدق القمطر بقبضته ويقول عيب ياسيدنا الشيخ لو لا أنك كوالدى ... ودق الشيخ بقبضته قائلاً العيب أن تكذب وأن تضيع الأوراق وتستخف بمصالح الناس وأوقاتهم ، وعاد الموظف يدق بيده دقات ويقول عيب يا سيدنا الشيخ ، والشيخ يعقب كل دقة منه بدقة من قبضته القوية حتى أيقنت أن القمطر لا شك متحطم ؛ ولكنى لم أحفل بالقمطر وإنما خشيت أن تنقلب الدقات لكمات أولطمات ، فقد بلغ تحمس الشيخ أقصاه وجحظت عيناه واصفر وجهه ودنا من الفتى ولولا أن سحبه إخوانه سحباً من وجه الشيخ لأهوى عليه بكلتا يديه ؛ وخرج الشيخ وهو يستنزل خيبة الله عليه .

وساد فى الحجرة الصمت لحظة ، ولم يفطن الموظفون إلى وجودى إلا وهم فى هذه الحال من الخزى والغم ، فسألنى أحدهم ما طلبى ، فأشرت إلى مكتب عمر افندى ، فقال إنه لن يحضر اليوم ؛ ومعنى ذلك أن أنصرف ؛ فنهضت للخروج وإنى لأقسم للقارىء بمحرجات الأيمان غير متحمس ، أنى ذهبت إلى تلك الحجرة من أجل مسألتى أكثر من خمسين مرة فى مدة سنتين ، وقضاؤها والله لا يستغرق ساعة ؛ ولم أستدر عند الخروج ، بل خرجت بظهرى مخافة أن يسروا عن صاحبهم بحركة منهم يكون فيها الزراية علىّ .

الخفيف

خواطر مسجوعة:

الشعر . . .

إذا جاد الفكر ، بالمعنى البكر ، وكان الترجمان أميناً عادلا ، فألبس المعنى لفظاً معادلا ؛ واشترك القلب مع القلم فيما كتب ، وسرت الحياة فى كل وتد وسبب ؛ فحكى البيان ، حديث الوجدان ، وارتسم الإحساس ، على القرطاس ، وبرز السر المكتوم فى در منظوم ... فذلك هو الشعر ، وذلك هو السحر !

وما لا تنبض بالحس قوافيه ، فهو نظم مزهود فيه ، وما لا يصور حقيقة الحياة ، فهو من البضاعة المزجاة !

وليس بحراً ما لم تسمع تصفيق لجته ، وتسبيح موجته ، ولا بيتاً ما كانت دعامته واهية ، وأركانه متداعية !

والإحسان فى غير ما أطاع ، ليس بمستطاع . فالشعر يقرض قرضا ، وليس يفرض فرضا ؛ فإن اغتُصب ، أخطأ ولم يصب . وما يدعو ولا يدعى ، فهو إلى الاجادة أدعى ؛ فما دعاك فأطعه ، وما لم يدعك فدعه ؛ وإلا فإنك تمانى ما تمانى ، فى اغتصاب الألفاظ والمعانى ؛ مضللا فى الفيافى ، زاعما أنك رب القوافى !

والشعر أنفاس طروب ، أو نفثات مكروب ؛ فآناً تشمه نفحا ، وآناً تحسه لفحا ، وله فى الحالين هزته المؤثرة ، وقوته المبيرة . فكم أيقظ غافياً ، وأسكر صاحياً ! وكم ثورة أقامها ، وثورة أنامها ؛ فجرد سيف الناصر ، وأغمد سيف الغادر . وكم هز بالبيت محفلا ، وأعز به جحفلا ! وكم أعد به جيلا ، وصد به قبيلا ! وكم حمى وأجار ، فى غير تلك الديار ! !

(الزنكلون) **حامد بدر**

تحيـــة بغـــداد

للأستـــاذ أنور العطار

« ألقيت فى الحفلة الكبرى التى أقامتها دار المعلمين العاليــة ببغداد احتفاء بالوفد الثقافى السورى فى آذار (مارس) ١٩٤٧ »

بغداد بالعابق المخضوضر النادى   ردى علىَّ رياحينى وأورادى
وألهميني حر القول ، خالصه   ونضرى فى ثنايا الحفل إنشادى
هبى لى الشـــعر أنغاماً مسلسلة   تهدى إلى الصيد من صحبى وأندادى
الساهرين على عقد قد انتثرت   حباته بين أغوار وأنجاد
تخطفته رباع الأرض واطرحت   نضيده صولة المستأسد العادى
جارت على سلكه نأياً وتفرقة   وروعتــــه بتعذيب وإبعاد
بنى العراق مثال الحب من عقدوا   على هوى العرب أكباداً بأكباد
تمرسوا بالوفاء المحض واتشحوا   من الوداد بألطاف وأبراد
يا نفحة الضاد هبى فى أباطحنا   وزودينا العلى يا نفحة الضاد
عنا لها الدهر مزهواً بها فرحاً   وظل مسترسلا فى ركبها الحادى
لأنت زاد الأولى ازدان الزمان بهم   يا طيبـــه فى اجتناء الحمد من زاد
وأشرقى فى سماء العرب وائتلقى   كالشمس فى موكب بالنور وقاد
صوت العروبة دوى ملؤه أمل   يجيش كالسيل فى رغو وازباد
يهيب بالقوم قد ألوى الزمان بهم   فأصبحوا نهبة للرائح الغادى
إن لم تثوروا على الباغين قد نكثوا   فلستم فى قراع الخطب أحفادى

***

ياجيرة العرب صان الله عقدكم   وأسعدته الأمانى أى إسعاد
يا نسمة من جنان الخلد طيبة   ونفحة من روابى الشام والوادى
يا دمعة الحب تهمى رقة وأسى   كالعامرى بكى فى سفح توباد
فكانت الشعر والأشواق دمعته   تصور الوجد من خاف ومن باد
حىَّ الأخلاء والألاف قد رجموا   ولم يكن طيفهم يوماً بمرتاد
نذراً علىَّ وقد عادت سوانحهم   لأصدحن بنايايَ وأعوادى

***

ياحسن « دجلة » مسكوباً بها « بردى »   غنى لها الكون مياداً بميـّاد
وياسنا « بَرَدى » بالشط منطلقاً   ينساب فى نغمات البلبل الشادى
نهران إلفان ضمّ الحب شملهما   جلا عن الشعر فى وصف وتعداد
يا رشفة منهما بالروح نسألها   تحيى السقيمَ وتشفى غلة الصادى

***

فى ظل بغداد طاف العرب وائتلفوا   وحققوا الوَحدة الكبرى بميعاد
تمازَجوا فى إخاء رائـع عجب   كما تمـازَجُ أرْواح بأجساد
بغداد فى الشام ألحان مرتلة   تلذ ، والشام من أنغام بغداد

***

آمنت بالوطن المنضور جانبه   آمنتُ بالعرب أمجاداً بأمجاد
صاغوا من الخير دنيا لا كفاء لها   يقصها الدهر آباداً لآباد
طافوا على الأرض بالآيات ساطعة   وزينوها بتبيان وإرشاد
هم المنار يسير السالكون به   ويهتدون بنور المرسل الهادى
العرب فى ثورة للمجد شاملة   علياء من صنع أبطال وآساد
حراس وحدتنا الكبرى ومن سفكوا   أرواحهم بورك المفْدِىّ والفادى

***

يا فرحة الملتقى أذكيتنى طرباً   وهجت أحلى المنى فى أرض أجدادى
تركت قلبى مغموراً بنشوته   سكران تصبيه أفراحى وأعيادى

(دمشق)   **أنور العطار**

الأدب والفن في أسبوع

القراءة الأدبية في المدارس :

وافق معالى وزير المعارف على اعتماد الكتب الآتية للقراءة الأدبية بالمدارس الثانوية في العام الدراسي القادم :

« الأيام — الجزء الأول » للدكتور طه حسين بك ، و « الصديقة بنت الصديق » للأستاذ عباس محمود العقاد ، و « نداء المجهول » للأستاذ محمود تيمور بك ، و « الشاعر الطموح » للأستاذ على الجارم بك ، و « عنترة » للأستاذ محمد فريد أبو حديد بك .

وذلك على أن يصرف إلى كل طالب كتاب من هذه الكتب على حسب مايتقرر من طريقة التوزيع ؛ وقد قصد بذلك أن تتصل أفكار الطلبة بالجو الأدبي العام ، فيقرأوا كتباً مؤلفة للجميع لا خاصة بالمدارس ، ولأول مرة تمنح المدرسة تلاميذها كتباً لم توضع عليها العبارة المشهورة المألوفة « قررت وزارة المعارف استعمال هذا الكتاب بمدارسها » ، ولم يثبت على غلافها عديد من أسماء المؤلفين ، ثم أعضاء اللجنة التي راجعت الكتاب ، وقد بلغت هذه الأسماء في بعض الكتب ثلاثة عشر ، وكم ناء بها كتيب صغير !

وسينفذ هذا القرار الأخير القاضي بتقرير تلك الكتب الأدبية العامة لجميع تلاميذ المدارس الثانوية ، بشراء ما يلزم لهم منها ، أى أن وزارة المعارف ستنزل إلى السوق الحرة كأى من الناس فتشترى لتلاميذها هذه الكتب بأثمانها ، فتخرج بذلك على ما تتبعه من طبع الكتب المدرسية المقررة بالمطبعة الأميرية وتسعيرها على حسب نفقات الطبع المرتفعة ، تلك الطريقة التي يستفيد منها المؤلفون ، لا من حيث المكافأة القليلة التي ينالها كل منهم ، بل من طبعها للمدارس الحرة بنفقات أقل من نفقات المطبعة الأميرية وبيعها بالسعر الرسمي المقرر ، مما كان يؤدى إلى كثرة المؤلفين والمراجعين للكتاب الواحد .

ولا شك أن قرار وزارة المعارف الأخير ينطوى على كثير من المزايا الأدبية ، في تثقيف الطلبة ، والخروج بهم عن نطاق المواد الدراسية المحدودة ، وتعويدهم القراءة الأدبية النافعة ؛ وينطوى أيضاً على رغبة مشكورة في تشجيع المؤلفين ، وإن كان الذين اختارت لهم الوزارة كتباً في غنى عن التشجيع ، ولعله كان يصادف موقعه لو كان بينهم من هو أحوج إليه مع جدارته ولا يستطيع أحد أن يقول إن الإنتاج القيم محصور في طبقة معينة من المشهورين أو غيرهم .

قصص من السودان :

لست أدرى أكان مقصوداً ، أم جاء عفواً ، ولكنه على أيهما كان جميلا ، أن يحاضر الأستاذ إسماعيل الأزهرى رئيس الوفد السوداني ، بجمعية الشبان المسيحية ، بعد محاضرة مكرم عبيد باشا في جمعية الشبان المسلمين .

وكان السودان موضوع كل من المحاضرتين ، وكان حسناً ومفيداً أن يتحدث الأستاذ الأزهرى عن السودان حديثاً يتناول فيه مختلف الشئون من ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، ولا أدل على مبلغ الحاجة إلى مثل هذا الحديث مما بدأ به الأستاذ إذ قال إنه اجتمع في مصر منذ قليل بشاعر مصرى زار السودان أخيراً ودار بينهما حديث قال فيه الشاعر إنه عند ما هم بالرحيل إلى السودان جعل يفكر حائراً : بأى لغة يخاطب القوم في السودان ؟ وكيف يتفاهم معهم ؟ ولكنه ما حل بالخرطوم وأم درمان حتى ألفاهم يتكلمون لغة عربية لا تقل إبانة عن لغة شمال الوادى ، بل إنه لقى هناك من الشعراء من طارحوه الشعر وجاروه في ميدان القريض ، ولما عاد إلى مصر كان من نتاجه قصيدة رائعة نشرت بصدر الأهرام . ولم يسم الشاعر ، ولكن كان مفهوماً أنه الأستاذ محمد الاسمر .

كان هذا الاستهلال ذا مغزى ، فإن إخواننا بالجنوب يعتبون علينا الجهل أكثرنا بهم ، وأظن أنا أعتبناهم ، فقد أصبحنا في السنوات الأخيرة غير ما كنا .

وأخذ الأستاذ الأزهرى في حديثه عن شئون السودان . ومما يناسب المقام هنا ما ذكره من الجهود الثقافية التي بذلها المؤتمر السوداني إذ قال إنه أنشأ في خمس السنوات الأخيرة من المدارس الابتدائية بمختلف البلدان السودانية ضعف ما أنشأته الحكومة السودانية منها في خمسين سنة !

ولما كان عنوان المحاضرة الذى نشر بالصحف « قصص من السودان » فقد كنا نتوقع أن نسمع قصصا حقيقية ، ولكن كان المراد من كلمة « قصص » شئوناً تتضمن وقائع تحكى فى سياق الكلام .

أى الجيلين خير ؟ :

دعت مجلة « الهلال » إلى ندوتها ثلاثة من أعلام الأدباء ، هم الأستاذ عباس محمود العقاد واحمد أمين بك والدكتور أحمد زكى بك ، للمناقشة فى هذا الموضوع « أى الجيلين خير .. القديم أم الجديد ؟ » ، ونشرت هذه المناقشة فى العدد الصادر أول الشهر الحالى .

رأى الأستاذ أحمد أمين أن الجيل الحاضر خير فى جملته من الجيل السابق ، وأن مجموعة الأخلاق أرق الآن مما كانت فى الجيل الماضى ؛ ووافقه الأستاذ العقاد على تفضيل الجيل الحاضر فى بعض نواحى الخلق ، ولا سيما الأخلاق التى تتعلق بالحرية الشخصية ، ولكن من المشكوك فيه أن تكافىء قوته ما زاد عليه من الواجبات والتكاليف ، لأن مشكلات الحياة العالمية العامة ، والوطنية الخاصة ، ومعضلات الأخلاق والعقيدة ، التى تواجه الجيل الحاضر ، لم يكن لها نظائر واجهت الأجيال الماضية .

ويرى الدكتور زكى أن الجيل الحاضر من حيث النوع ، ومن حيث الكم أيضاً ، لا يمكن أن يقل عن الجيل الماضى بل يزيد فى العلم والثقافة والحضارة ، ولكنه يرى — من الجهة الروحية — أن فى أرواح القلائل من الجيل الماضى ما هو أرفع وأثمن مما فى أرواح الكثيرين من الجيل الحاضر ، ومثل لذلك بالتضحية فقال « كنا قبلا نضحى لأجل التضحية وحبا فيها ، وطلباً لهدف واحد ، بغير من أو غرور ، ولا نطلب على ذلك أجراً ، بل ننتظر من وراء ذلك الغرم ، ثم تطور معنى التضحية ، فصارت تضحية نرجو بها الثمن ، إما معجلا أو مؤجلا ، ثم تطور معناها مرة أخرى ، فصارت فى هذا العصر تضحية لها ثمن مضمون ... »

وتستمر المناقشة متفرعة من هذه الأصول ، إلى أن يقول الأستاذ العقاد : « وأيا كان الأمر فى الجيلين ، القديم والحديث ، فما لا شك فيه أن الإصلاح الإنسانى ، سواء كان فى أمة واحدة أو فى أكثر من أمة ، متوقف دائماً على التضامن بين الجيلين .

وتنتهى المناقشة برجائهم ألا تخلو الأمة المصرية والأمم الشرقية عموما ، من صالحين بين الشيوخ ، وصالحين بين الشباب ، لتقوم دعائم الإصلاح على هؤلاء وهؤلاء .

وهكذا قال الجيل القديم ـ ممثلا فى أولئك الثلاثة الأعلام ـ كلمته فى المفاضلة بين الجيلين ، ويستطيع القارىء أن يستخلص من جملة آرائهم رجحان كفة الجيل الجديد ، ولكن الجيل الجديد لم يعلن رأيه فى هذا الموضوع فى جلسة ذات محضر ينشر كما حدث فى « الهلال » فليت ثلاثة أدباء من الجيل الجديد يفعلون ، ليسمع الآباء كلمة الأبناء .

سر الزخرفة العربية :

ألقى الدكتور بشر فارس مساء الخميس الماضى محاضرة فى « سر الزخرفة العربية » بالمعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، وكانت هذه أول محاضرة يلقيها بالمعهد بعد تعيينه عضواً مصرياً فيه من الحكومة الفرنسية .

بيّن المحاضر أولا أن الزخرفة العربية فن له ذاتيته الابتداعية ولم يخضع للفن الفارسى الجامد ولا للفن اليونانى المتناهى الوحدات ، لأن الفن العربى زاخر بالحركة والحياة ، وهو إلى ذلك لا تنتهى حدوده ، بحيث لو وضعت بجانب الزخرفة مثيلاتها اتحدت معها .

ثم تساءل : لماذا كان للزخرفة العربية تلك الخصائص ، ولماذا برع المسلمون — من عرب ومستعربين — فى الزخرفة وخصت بهم زخرفتهم ؟

أورد الرأى المشهور القائل بأن الفنانين المسلمين ركزوا جهدهم الفنى فى الزخرفة لما حرم عليهم تصوير كل ذى روح ، ثم فند هذا القول بأنه ليس فى أصول الإسلام رأى قاطع بهذا التحريم ، وعلى فرض أى الأمرين ، الإباحة أو التحريم ، فقد وجدت صور كثيرة ذات أرواح ، إنسانية وحيوانية ، صورت فى العصور الإسلامية .

وانتهى من ذلك بأن أرجع سر الزخرفة العربية وبراعة المسلمين فى أشكالها وألوانها إلى جملة العقيدة الإسلامية فى تفتيشها عن الله وخضوعها لحكمه وتعظيمها له ، فكان الفنانون يتجهون

إليه فيما يرسمون ، وكانوا يحملون برسومهم المساجد والمصاحف ابتغاء الغبطة فى السماء التى هى خير وأبقى من متاع الدنيا .

ولم يكن فن الزخرفة قاصراً على الأشكال والألوان ، بل كان أيضاً فى الخطوط كالخط الكوفى مثلا الذى كان له حظ كبير من الفن الزخرفى تم له من الفكرة الإلهية ، إذ كانت تكتب به آيات القرآن الكريم ؛ وقد انحدر عن هذه الفكرة أيضاً تحسين الخط العربى فى العصور الإسلامية الأخيرة ، فقد كان الخطاطون يبتغون الثواب من الله على كتابتهم المصاحف بالخط الجميل

العامية وبرنامج الإذاعة :

أخذنا على محطة الإذاعة المصرية ـ فى عدد مضى من الرسالة ـ الإكثار من الإذاعة العامية فى التمثيليات والأحاديث ، سواء العامى منها والعربى « المكسر »

وفى الأسبوع الماضى اطلعت على إجابة للأستاذ محمد فتحى بك المراقب العام للاذاعة المصرية ، عن أسئلة وجهتها إليه مجلة « دنيا الكواكب » اللبنانية ، منها هذا السؤال . « نطالع فى الصحف المصرية شكوى مستمرة من ضعف برنامج الإذاعة المصرية ، فما هى الطرق الفعالة لتلافيها ؟ »

أجاب الأستاذ فتحى بأن الجمهور متباين المزاج مختلف الطبقات ، ومن الصعب إرضاؤه كله ببرنامج واحد ، وإن الاذاعة فى بريطانيا واجهت هذه المشكلة وعمدت إلى حلها بأن قسمت الشعب البريطانى إلى ثلاث فئات ، عامة ، ومتوسطة ، وعالية ، ثم خصت كل فئة من هذه الفئات ببرنامج على محطة مستقلة إلى أن قال : « ونحن لو اتبعنا هذه الطريقة لاستطعنا أن نقضى على تلك الشكوى المستمرة قضاء مبرما فاستطعنا إذا وجدنا ثلاث محطات أن نقدم لكل من طبقات الشعب الثلاث برنامجاً خاصاً يتوافق مع مستواه وتفكيره ، حيث نقدم للأولى رقصاً بلدياً وزجلا وحديثاً باللهجة العامية وأحاديث دينية ، بينما نقدم للطبقة الثانية وهى طبقة المثقفين برنامجاً يشتمل على معالجة الحالة السياسية والأخبار الدولية والمواضيع الاجتماعية والأبحاث والروايات الأدبية ، وفى الوقت نفسه نذيع للطبقة العالية برنامجاً يحتوى على موسيقى كلاسيكية وأحاديث وقصصاً لبرناردشو وشكسبير وأعلام الفلسفة »

فترى هذا الحل المترتب على الإمكان يتضمن إرضاء طبقة الشعب بالتحدث إليه باللهجة العامية ، فهل هذه الطبقة تشكو من العربية حتى نترضاها بالعامية ؟ أو من الحق أن الشعب يستثقل العربية الفصيحة ؟ إننا نعتقد أن أسماع الشعب لا تنفر إلا من الأساليب غير البينة والإلقاء الردىء ، وأنه من الممكن أن تجتذب الأسماع بالبيان السهل الواضح والإلقاء الحسن ، وإذا كنا نكتب الحكايات والقصص للأطفال بلغة عربية فصيحة سهلة فيستسيغونها ويقبلون عليها ، أفلا نستطيع أن نخاطب الكبار فى الإذاعة بمثل لغة الأطفال على الأقل ؟ وكيف إذن يكون تثقيف الجمهور ورفع مستواه ؟

على أن للشكوى من برنامج الإذاعة وجهاً آخر غير تباين الأذواق الذى تمنى الأستاذ فتحى وجود ثلاث محطات لمواجهته بتنويع البرامج ، ذلك الوجه هو قصور المحطة ذاتها وضنها على تحسين البرنامج وتجديده ، ويتلخص ذلك فى تكرار التسجيلات بل دوامها وخلودها . . وفى اختيار الأرخص والمرضى عنه ،

ولقد كان من المخجل — على سبيل المثال — أن تريد المحطة إحياء ذكرى شوقى فلا يكون ذلك إلا بإدارة « اسطوانات » قديمة لعبد الوهاب من شعر أمير الشعراء !

المحاضرات بالمصطاف :

حل الصيف ، واشتد القيظ ، واتجهت الأنظار إلى المصايف ، وفى مقدمتها الاسكندرية ، وقرأنا فى الصحف أن بلدية الاسكندرية قد اهتمت بتيسير وسائل الاصطياف فى هذه المدينة وضواحيها ، وأنشأت مكتباً لذلك ، وقد أذاع هذا المكتب بياناً بالحفلات الكبرى التى تقرر إقامتها فى هذا الصيف ، وهى حفلات رياضية وتمثيلية وموسيقية .

قرأت ذلك فى الصحف ثم رجعت البصر إلى القاهرة ، فأسفت لأنها تكاد تخلو فى الصيف من النشاط الفكرى الذى كان يجرى قبل هجوم الحر فى أنديتها ومجتمعاتها ومعاهدها محاضرات ومناظرات فى مختلف الفنون والشئون .

ثم استمعت إلى الدكتور ابراهيم جمعة مدير نشر الثقافة بوزارة المعارف يحدث بالمذياع يوم الاثنين فى « الاصطياف فى الاسكندرية قديماً » سمعته يقول إنه كان بشاطىء الاسكندرية فى



الصداقة والعلاقة :

قال أبو حيان التوحيدى : سألت أبا سليمان المنطق عن الفرق بين الصداقة والعلاقة فقال : « الصداقة أذهب فى مسلك العقل، وأدخل فى باب المروءة، وأبعد من نوازى الشهوة، وأنزه عن آثار الطبيعة، وأشبه بذوى الشيب والكهولة، وأرمى إلى حدود الرشاد، وآخذ بأهداب السداد، وأبعد من عوارض الغرارة والحداثة . فأما العلاقة فهي من قبل العشق والمحبة والكلف والشغف والتتيم والتهيم والهوى والصبابة والتدانف والتشاجى، وهذه كلها أمراض أو كالأمراض بشركة النفس الضعيفة والطبيعة القوية، وليس للعقل فيها ظل ولا شخص، ولهذا تسرع هذه الأعراض إلى الشباب من الذكران والأناث وتنال منهم وتحول بينهم وبين أنوار العقول وآراء النفوس وفضائل الأخلاق وفوائد التجارب، ولهذا وأشباهه يحتاجون إلى الزواجر والمواعظ ليفيئوا إلى ما فقدوه من اعتدال المزاج والطريق الوسط، على أن العشق والمحبة وما يحويهما فيه كلام من نحو آخر .... » .

كيف يسوس الرجل زوجه :

وقفنا فى هذا على كلمة للشيخ الرئيس أبى على بن سينا كأنه كتبها لهذا العصر، وليست هذه الكلمة إلا دلالة على أن ما بين المرء وزوجه إنما هو هو فى كل زمان وفى كل عصر.

قال الشيخ الرئيس :

« جماع سياسة الرجل أهله ثلاثة أمور لا تدعه، وهى الهيبة الشديدة، والكرامة التامة، وشغل خاطرها بالمهم. أما الهيبة فإن الزوجة إذا لم تهب زوجها هان عليها، وإذا هان عليها لم تسمع لأمره ولم تصغ لنهيه، ثم لم تقنع بذلك حتى تقهره على طاعتها فتعود آمرة ويعود مأموراً ... وذلك هو الانتكاس والانقلاب، والويل حينئذ للرجل ماذا يجلب له غرورها وطغيانها ويسوقه إليه غيها وركوبها هواها من العار والشنار والهلاك والدمار. فالهيبة رأس سياسة الرجل أهله وعمادها، وهى الأمر الذى ينشد به كل خلة ويتم بتمامه كل نقص ولا يتم دونه أمر فيما بين الرجل وأهله، وليست هيبة المرأة لبعلها شيئاً غير إكرام الرجل نفسه وصيانة دينه ومروءته وتصديق وعده ووعيده

أما كرامة الرجل أهله فمن منافعها أن الحرة الكريمة إذا استجلت كرامة زوجها دعاها استدامتها لها ومحاماتها عليها وإشفاقها من زوالها إلى أمور كثيرة جميلة لم يكد الرجل يقدر على إصارتها إليها من غير هذا الباب بالتكلف الشديد والمؤونة الثقيلة، على أن المرأة كلما كانت أعظم شأناً وأفخم أمراً كان ذلك أدل على نبل زوجها وشرفه وعلى جلالته وعظم خطره. وكرامة الرجل أهله على ثلاثة أشياء : فى تحسين شارتها وشدة حجابها وترك إغارتها ...

وأما شغل الخاطر بالمهم فهو أن يتصل شغل المرأة بسياسة أولادها وتدبير خدمها وتفقد ما يضمه خدرها من أعمالها. فإن المرأة إذا كانت ساقطة الشغل خالية البال لم يكن لها هم إلا التصدى للرجال بزينتها والتبرج بهيئتها .... » .

الكتابة والحديث :

يقول الكاتب الأمريكى المعروف أوليفار هولمز فى كتابه حديث المائدة : « الكتابة كالرمى بالنشاب، قد تصيب من قارئك موضع الفهم وقد لا تصيبه، ولكن الحديث كالتمرن على الرمى، متى كان الغرض أمامك وفى الوقت متسع ضمنت لنفسك الإصابة »

العصر الرومانى حمامات وأحواض للسباحة، يأخذ الجسم حقه من الرياضة فيها، ثم يستريح فى بعض الحجرات التى زودت بالفرش والكتب، أو فى الحدائق ذات الجواسق الجميلة، أو فى استماع المحاضرات العامة ببعض القاعات التى أعدت لهذا الغرض فى أبنية الحمامات .

فيا ليت بلدية الاسكندرية أو أية هيئة أخرى تلتفت إلى ناحية الثقافة فى المصطاف، فتعيد إليه ما كان فى العصر الرومانى من تنظيم المحاضرات العامة، مستغلة فى ذلك وجود بعض رجال الأدب والفكر هناك، ويا ليتنى أكون معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

« العباس »

أرمنى وقبطى :

جاء فى كتاب مختصر تاريخ الإسلام للحافظ الذهبى :

« وفى سنة ٥١٥ للهجرة مات بمصر الأفضل أمير الجيوش شاهنشاه أحمد بن أمير الجيوش بدر الأرمنى وكانت ولايته ٢٨ سنة على الديار المصرية ، واستولى الآمر على حواصله كلها ولم يسمع فى الدنيا بمثلها كثرة ، فكانت دوابه تقدر باثنى عشر ألف ألف دينار ، وكان ابن المواشى التى له يغل فى العام ثلاثين ألف دينار »

وذكر ابن خلكان أن الأفضل « خلف ألف ألف دينار ومائتين وخمسين أردب دراهم وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج » .

وجاء فى كتاب الذيل لتاريخ الدول « وفى سنة ٧٠٣ قبض السلطان على الوزير علم الدين بن زنبور وصودر بعد الضرب والعذاب فكان المأخوذ منه من النقد مايزيد على ألفى ألف دينار ، ومن أوانى الذهب والفضة نحو ستين قنطاراً ، ومن اللؤلؤ نحو أردبين ، ومن الحياصات الذهب ستة آلاف ، ومن القماش المفصل نحو ألفين وستمائة قطعة ، وخمسة وعشرين معصرة سكر ومائتى بستان وألف وأربعمائة ساقية ، ومن الخيل والبغال ألف ، ومن الجوارى سبعمائة ، ومن العبيد مائة ومن الطواشية سبعون إلى غير ذلك ، وكان علم الدين هذا قبطياً ثم ارتد عن دينه ... » .

الطبيب الكامل :

قال على بن رضوان الطبيب المتوفى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة فى كتابه الأصول :

« الطبيب على رأى بقراط هو الذى اجتمعت فيه سبع خصال

الأولى : أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء حسن الذكاء جيد الروية عاقلا ذكوراً خير الطبع .

الثانيـة : أن يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن والثوب .

الثالثة : أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشىء من أمراضهم .

الرابعة : أن تكون رغبته فى إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة ، ورغبته فى علاج الفقراء أكثر من رغبته فى علاج الأغنياء

الخامسة : أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة فى منافع الناس .

السادسة : أن يكون سليم القلب عفيف النظر صادق اللهجة لا يخطر بباله شىء من أمور النساء والأحوال التى شاهدها فى منازل الأغنياء فضلا عن أن يتعرض لشىء منها .

السابعة : أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال لا يصف دواء قتالا ولا يعلمه ، ولا دواء يعالج الأجنة ، وأن يعالج عدوه بصدق نية كما يعالج حبيبه ... » .

الصحف الأجنبية فى أمريكا :

ظهر من إحصاء أخير أذيع بأمريكا أن عدد الصحف الأجنبية اليومية والأسبوعية والشهرية التى تصدر هناك يبلغ ١٠١٠ صحيفة تطبع فى ٣٩ لغة مختلفة ، منها ١٣٠ صحيفة باللغة الأسبانية و ١١٥ باللغة الألمانية و ١٠٢ باللغة الإيطالية و ٧٩ باليونانية و ٥٦ باللغة العبرية و ٥٤ بالمجرية و ٥٢ بالتشكوسلوفاكية و ٤٣ بالفرنسية و ٤٢ بالسويدية و ١٤ باللغة الصينية و ١٢ باللغة العربية و ٩ باليابانية

وينشر العدد الأكبر من هذه الصحف فى ولاية نيويورك إذ يبلغ مجموع الصحف الأجنبية التى تصدر فيها ٢٩٠ صحيفة وتحتل شيكاغو المكان التالى إذ يصدر فيها ٩٤ صحيفة ومجلة

يقول الأحباش فى أمثالهم :

* إذا قال لك السيد إن نصف الليل هو الظهر فاحلف له أنك رأيت الشمس .
* إذا رأيت الملك راكباً حماراً فقل له ما أجمل هذا الجواد .
* متى رأيت الكلب غنياً فقل له يا سيدى الأسد .
* الوطن قبل الروح لأنه مقر راحتك .
* فرق الذين تريد أن تحكمهم .
* حين تكون البضاعة مرغوبة يكون المشترى أعمى .
* صناعة الحلاقة تتعلم على رؤوس اليتامى .
* الله قريب من رأس الضيف .
* هب ما تملك لمضيفك .



مناظرة لا داعي لها :

أنا ما كتبت كلمتى (إلى علماء الشيعة) لأجدد شقاقا ، ولكن لأحدث وفاقا ، وما أردت أن أثيرها داحسية بين السنة والشيعة ، ولكن أردت أن ننسى أننا كنا سنة وشيعة ونعود أمة واحدة ، تستقى من النبع الصافى ، وترد المورد العذب ، وتسلك الطريق المستقيم ، وتدع السبل المنحرفة ، وتأخذ الدين من الكتاب وما أثر من تفسيره ، والسنة وما صح من أخبارها ، وتعرف لسلف هذه الأمة فضلها علينا وعلى الإنسانية كلها ، وما ظننت أنى قلت شيئاً يسوء مسلماً ، وكيف وأنا أدعو إلى الوحدة ، وأرجو الوئام ؟

لذلك قرأت بعجب بالغ هذا السيل من المقالات الذى اندفق على الرسالة من العراق : مقالة من القرنة بامضاء (عبد الحسين الراضى) يقول فيها . « ليكف (أحمد أمين) عن النبز واللمس يكف السبيتى وغيره » . ومقالة من بغداد بامضاء (عبد الأمير السبيتى) ينكر علىّ قولى إن الشيعة حزب سياسى نشأ لتأييد أحد المرشحين للخلافة ، ويدلنى على كتب سبق أن قرأت أكثرها لأرى « إذا كان الشيعة جمعية سياسية أم أنها أكثر الطوائف الإسلامية تمسكا بمبادىء محمد وأشدها التصاقا بالدين الحنيف الخ » ويسألنى لماذا لم أرد على أحمد أمين لما ألف فجر الإسلام وثرت على السبيتى لما رد عليه . أى لما سب الصحابة والأئمة وطعن فى الصحيحين ... ويقول عنى ما نصه : « لو نظر إلى الكتاب (أى كتاب السبيتى) بغير العين التى نظر إليه بها لرأى المؤلف معتمداً فى كل ما كتبه (فى كل ما كتبه ...) وقاله على كتب معتبرة عندكم معشر أهل السنة (؟!) وعززها بأدلة معقولة (؟!) ثم يسب فى المقال معاوية وأبا هريرة ومروان أكثر مما سبهم صاحب الكتاب . ومقالة من بغداد بامضاء (رشيد عباس الصفار) ينكر على فيها قولى إن الشيعة حزب سياسى ويفيض فى ذلك ، ويطعن فى بيعة أبى بكر ، ويعجب من تسامح إخوانه أهل السنة « فى إطلاق إسم الصحابى بصورة موسعة على كثير ممن يبرأ منهم جل الشيعة ويمقتهم كثير من أهل السنة أمثال ... أبى هريرة الوضاع ومروان بن الحكم عدو الإسلام .. ومعاوية داعى البغى والشقاق والمغيرة .. وعمرو بن العاص وكثير ممن لا يوثق بهم » .. ويقول بأن الشيعة « لا يمكنها الأخذ بمصنفات أهل السنة مع وجود تفاسيرها المعتبرة وأحاديثها المأثورة عن أهل البيت الطاهر الخ » وسبب ذلك « تسامح أهل السنة فى تخريج كثير من الأحاديث فى صحاحهم وغيرها عن كثير من الخوارج والشذاذ والمبتدعة والوضاعين الخ كروان وأبى هريرة والمغيرة الخ » ثم يتكلم عن مسألة سب الصحابة فيقول « ثم على فرض جراءة بعض الشيعة على انتقاص بعض الصحابة أيكون ذلك سبباً لتكفيرهم أو خادشا فى إسلامهم ؟ »

وسائر المقالات لم تخرج عن هذا ، ولا يخلو شىء منها من التعريض بى أو التصريح بغمزى وأنا أسامح من سبنى ، ولن أقول فى الموضوع أكثر مما قلت ، ولا أظن أن هذه المناظرات مكانها الرسالة ، التى أنشئت لغير هذا إنما مكانها (دار التقريب ...) التى (قالوا) إنها فتحت له . وأنا أعلن أنى لم أرد الخلاف ولا الانتقاص، وما أردت إلا الإتفاق بإخلاص . وشرعت طريقاً إليه لا مناص لمن أراده من سلوكه . ولكن ما ذا أعمل إذا كان إخواننا هؤلاء لا يريدون سلوك الطريق ؟!

على الطنطاوى

نسبة خاطئة يكذبها التاريخ :

استوقفت نظرى فى صفحة ٣٤٨ من كتاب القضايا الكبرى للأستاذ عبد المتعال الصعيدى . عند قوله — وكان ابن تيمية يخطب يوم الجمعة ونزل درجة من درج المنبر وقال إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا .

وهذه المسألة ذكرها ابن بطوطة فى رحلته وعنه نقلها المتحاملون على شيخ الإسلام ، وقد قال المحققون إن ابن بطوطة قدم الشام وشيخ الإسلام مسجون فكيف رآه يخطب بل هذا كذب مراد به الطعن على شيخ الإسلام ابن تيمية . وهذا لا يقول به شيخ

الإسلام لأنه من مذهب المجسمة وابن تيمية ينكره أشد الإنكار — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير — ورجائي إلى الأستاذ أن يراجع ذلك ثم يوافينا برأيه السديد الموفق إن شاء الله

عبد الله البكري

إلى الجارم بك :

أوردتم في كتيبكم الأخير « الشاعر الطموح » الأبيات الآتية منسوبة إلى « سيف الدولة » وهي في وصف قوس قزح :

وساق صبيح للصبوح دعوته ... فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم ... فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً ... على الجو دكناً والحواشي على الأرض
يطرزها قوس الغمام بأصفر ... على أحمر في أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل ... مصبغة والبعض أقصر من بعض

والحقيقة أنها للشاعر ابن الرومي وهي من أروع ما أنتجته قريحته في وصف الطبيعة . وقد جاءت في ديوانه الذي عني به الأستاذ كامل الكيلاني .

هذا إلى أن حضرتكم قد ذكرتموها في كتاب المطالعة التوجيهية في باب المقارنات الشعرية مقرونة بنادرة بين ابن الرومي وابن المعتز في المفاضلة بينهما .

« القاهرة » جميل

ذكرى الرافعي :

لما كنت أعرف مكانة الرافعي في الأدب وأعلم بلاءه وجهاده في سبيل الاسلام فقد كنت أنتظر ذكرى وفاته العاشرة وأنا راج أن يكون أصدقاؤه وتلاميذه قد أعدوا لإحيائها عملا لا كلاما فيتداعوا لنشر كتبه التي طال على إهمالها الزمن فيطبع « أسرار الاعجاز » و « أغاني الشعب » و « مجموعة » شعره الكبرى وجزءاً رابعاً لوحي القلم فإن هناك ما يقوم به من مقالاته المبعثرة في كثير من الجرائد والمجلات وكتبه الخاصة إلى أصدقائه ، كنت أرجو أن يكون هذا أو بعضه فإن لم يكن فأحاديث عن فنه وجهاده من مثل الأستاذ شاكر أو الأستاذ الطنطاوي وإنهما ليكتبان الآن في كل شيء وليس فيما يكتبان فيه ما هو أجل من الرافعي ومعانيه : الدين والأدب الفني الرفيع والعزة الاسلامية

فلما جاءت الذكرى كتب الأستاذ أبو رية كلمة يشكر عليها فقد كانت صريحة منصفة إلا أنه لم يشر بشيء عملي مع أنه ذكر اسم الكتاب العبقري « أسرار الإعجاز »

إن الورق رخيص والكتب من كل لون تنشر ويدعى لها ، فهل كل هذه الكتب أثمن من كتب الرافعي ؟ وهل كتبه أهون من أن تصدر مع هذا السيل من الكتب ؟

« الرمل » محمود الطاهر الصافي

إلى الجاحظ :

قرأت ما كتبته في الرسالة تعقيباً على إحدى مقالاتي في البلاغ . والحق معك . فإليك تحيتي وثنائي .

زكي مبارك

حول خطأ عروضي :

أرجو أن تأذنوا لي بهذا التصويب حول ما نشرتم للأستاذ خليل ابراهيم الخطيب عن (الخطأ العروضي الشائع) في العدد رقم ٧٢٥ من الرسالة الغراء ، فقد قال الأستاذ إن قصيدة الأستاذ مختار الوكيل التي مطلعها :

أخي قد شاء رب الكو ... ن أن يجمع قلبانا

قال الأستاذ إن هذا المطلع من بحر الهزج وإن البيت الذي يليه من مجزوء الوافر . والحقيقة هي غير ما بين الأستاذ الخطيب والقصيدة كلها من مجزوء الوافر الذي يجوز فيه تسكين اللام في (مفاعَلتن) فتكون (مفاعَلْتن) كما ورد في قصيدة شاعر النيل حافظ ابراهيم التي مطلعها :

(سكتُّ فأصغروا أدبي) ومنها البيت الآتي :

فهبوا من مراقدكم ... فإن الوقت من ذهب

وعلى هذا لا يقال إن قصيدة حافظ خليط من الهزج والوافر بل هي كلها من مجزوء الوافر (مفاعلتن مفاعلتن) ويجوز فيه تسكين اللام — ولكم يا سيدي ألف شكر .

نظام مدني

(الرسالة) : مطلع القصيدة من بحر الهزج بدليل الكف وهو حذف السابع الساكن في التفعيلة الثالثة . ولم نر فيما قرأنا من الشعر الصحيح النقص في مفاعلتن وهو اجتماع العصب والكف : أي تسكين الخامس المتحرك وحذف السابع الساكن .



إليـــاس

« إلى الذين يجدون سعياً فى سبيل السعادة »

للكاتب الفيلسوف ليو تولستوى

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

يحكى أنه كان يعيش فى بلدة « يافا Ufa » واحد من البشا كرة يدعى « إلياس » ... قضى أبوه نحبه بعد أن متع ناظريه بزوجة ولده — دون أن يخلف له شيئاً من الأرض يأتى له بريع من الرزق يعيش هو وامرأته عليه . فلم يدع له سوى سبعة من الخيول والأفراس وبقرتين وعشرين رأساً من الغنم ...

فشمر إلياس عن ساعد الجد ... وكان ماهراً فى رعاية الحيوان بارعاً فى تربيته ذا جلد ومثابرة ، فراح يتولى ماشيته بعنايته ، ويهيء لها من المرعى والمأوى كل ما يدخل فى طوقه ...

وكان — هو وزوجته — يعملان سحابة يومهما وجنحاً من ليلهما ... ينهضان على تبكير مع الفسق ... وهما آخر من يأوى إلى مضجعه فى المشى . وأقاما على تلك الحال حتى بارك الله فى ما شيتهما ، وضاعفها . فزادت وتكاثرت عاماً إثر عام ، وأتيح لهما وفر فيما يملكان من ثروة ومال ...

وحينما وافت السنة الخامسة بعد الثلاثين على تمها صار لإلياس من الخيول مائتان ، ومن البقر مائة وخمسون ومن الغنم ألف ومائتان ...

فاستأجر رجالا يحملون عنه عبء الرعى ويقومون على معونته ... وأتى بأجيرات من النساء يحلبن له ماشيته ويمخضون ألبانها ويستخلصون منها الزبد والسمن والجبن «والكميس[1]» فأيسر « إلياس » ... وأخصب جانبه وأرغد عيشه ، وراح يعيش فى بلهنية ودعة ... فعظم مقامه بين جيرته ، وذاع شأنه بين من يقطنون فى واديه . وأخذ كل امرىء يغبطه ويتحدث عنه — وفى نفسه حسد — « إن إلياس رجل بخيت ذو جد جلب عليه كل ما يراود أمل الإنسان من رغبات ... فهو — دون ريب — سعيد بهذه الدنيا هانىء بها

تقاطرت على « إلياس » جموع الزوار من كل حدب ... فكان يتلقى كل واحد منهم بالترحيب والتكريم ، وينحر لهم الخراف ويهيىء لهم موائد حافلة باللذيذ الفاخر من الطعام والشراب ويقدم له ما راق لهم من « الكميس » والشاى ...

كان لإلياس ولدان وبنت زوجهم جميعاً ... وحينما كان فى أيام فقره وعسره كان هؤلاء الأبناء عوناً لأبيهم فى رعاية قطعانه وحتى إذا ما زخرت خزائنه بالمال سرت إلى نفوسهم عوامل الفساد والتلف . فأقبل واحد منهم على الخمر يعب كؤوسها حتى يضل منه الوعى ويحمل مخموراً إلى داره . ولم يلبث أن قتل فى عراك بين أبناء الحى من ذوى النفوس الشريرة .

أما الآخر فقد تزوج بامرأة رقيعة خرقاء ، جعلت تسعى بالباطل بين الولد وأبيه حتى أوغرت نفسيهما وأضغنت قلبيهما . فافترقا بعد أن تخلى « إلياس » لابنه عن جواد وقطيع من الغنم

لم ينقض حين على ذلك حتى تفشى المرض بين الماشية ، فأورد كثيراً منها مورد الهلاك والفناء ... وساء الحصاد فى هذا العام ولم تأت الأرض إلا باليسير ... فحصد الموت بعض ما تبقى من الجوع . ثم أغارت قبائل « القرغيز » على أملاك « إلياس » فاستحوذت على البقية الباقية من حيواناته ...

وبين ليلة وضحاها أصبح إلياس ، فإذا بأمواله قد عبثت بها يد الزمان ، وأدبرت عنه الدنيا وهى ساخرة فى حين ضعف فيه جسده ووهنت قواه ... فباع أثاث داره ثم لم يلبث أن باعها هى الأخرى .

وبات هو وزوجته — وكانت تدعى «شام شماجى» — على الطوى وليس لهما من موئل يأويان إليه ، فقد رحل ولدهما وزوجته عن البلدة ، وماتت ابنتهما منذ زمن بعيد . فلم يجد الزوجان إلى جانبهما فى خريف العمر من يسعى عليهما بالقوت ...

(١) شراب روسى يتخذ من لبن الأفراس بعد أن يختمر حيناً .

وكان لهما جار يدعى « محمد شاه » ليس بالغنى وليس بالفقير بل يحيا حياة ذات رخاء ويسر ... فعطف عليهما ورحم كبرهما إذ كان ذا قلب يفيض بالحب وعروق تنبض بالرحمة . فطاف بعقله ما كان عليه « إلياس » من كرم وجود . فقال له : —

تعال وأقم معي يا إلياس أنت وزوجك العجوز ... وما عليك سوى أن تفلح حديقة البطيخ في الصيف ، وفي الشتاء تطعم الماشية وترعاها ... إذا وسع مقدورك هذا !! أما زوجتك الفاضلة « شام شماجى » فسوف تحلب الأفراس وتستخرج لنا من ألبانها « كيسا » طيب المذاق بديع الصنع .

وسأهيء لكما من الملبس والطعام ماتقر به عيونكما وترومانه فإن أعوزتك حاجة بعد ذلك تخبرني بأمرها ، وإني لأعدك بأن أتيحها لك ما وجدت إلى ذلك سبيلا ...

أقبل « إلياس » وامرأته على العمل في خدمة جارهما . ولعلهما صادفا في أول الأمر صعوبة ، وشقت عليهما الخدمة . بيد أنهما لم يمكثا غير قليل حتى تعودا ذلك ، واستقر بهما المقام عنده يعملان له ما يسعهما ...

وقد كان يتسرب الألم والرثاء إلى قلب « محمد شاه » حينما يبصر بهما بعد غناهما العريض وعلو منزلتهما ، ينحدران إلى مثل هذه الحال . لقد حز في نفسه هذا ولكنه أفاد منهما إذ أطلق لهما حرية الأمر، فلم يسعهما سوى أن يتفانيا في خدمته بإخلاص وجد

وذات يوم نزل في ضيافة « محمد شاه » نفر من ذوى قرابته وصديق له من رجال البحر فذبح « إلياس » لهم شاة وسلخها وبعد أن أنضجها على النار ، بعث بها إلى الأضياف فأكلوا منها ما طاب لأنفسهم ...

وبينما هم قعود على البسط الثمينة يتناقلون الحديث ويرشفون كؤس « الكميس » مر بهم إلياس — وقد فرغ من عمله — فلما أبصره « محمد شاه » قال لواحد من أضيافه : « هل لمح طرفك هذا الرجل الذى مر بنا منذ لحظات ؟ ! »

فأجابه الضيف في عجب : « أجل . ! فما الذى يدعو إلى سؤالك هذا ؟ ! »

— « لقد كان أغنى إنسان في هذه الناحية من الأرض ! . إنه يدعى إلياس . أما سمعت بذلك الاسم من قبل ؟ ! »

— « لقد طرقت سمعى أخبار عنه مؤكداً . . إنى لم أره قبل الآن ولكن شهرته ذاعت في كل البقاع ! . »

— « هذا حق.. بيد أنه الآن صفر اليدين ذو متربة وعسر . فهو يقيم معى هنا يعمل في أرضى ويرعى أغنامى ، أما زوجته فتحلب ماشيتى وأفراسى ! . . »

فأدرك الدهش ذلك الضيف ومط شفتيه وهز رأسه وهو يقول : « الأيام دول من سره زمن ساءته أزمان . فبين عشية وضحاها يصير المرء من أعلى عليين إلى أسفل سافلين !

هل ترى المصيبة تقض مضجع هـذا المسكين وتجعله يندب حظه على ماضاع من بين يديه ؟ ! »

— « ومن يدريك ؟ ! إنه يعيش في هدوء وسكينة يحسن القيام بعمله » فعاد الضيف يقول : « بودى أن أتحدث إليه حيناً هو وزوجته ، أفيمكنني هذا ؟ »

— « ولم لا ؟ ! » وراح السيد ينادى على إلياس : « ياأبت . هيا اشرب معنا قدحاً من الكميس . وادع زوجتك إلى هنا كذلك . »

فدلف إلياس مع زوجته إلى الحجرة ... وبعد أن ألقى تحيته على الأضياف جلس على قرب من الباب ، وراح يتمتم بصلات خفية في صوت خفيض ... أما زوجته فتجاوزت المكان إلى ستر في ركن منه حيث جلست خلفه مع سيدتها ...

وقدم « محمد شاه » إلى إلياس قدحاً من أقداح « الكميس » فتناوله ولسانه يلهج بعبارات الشكر والحمد ، وبعد أن تمنى للحاضرين صحة وعافية راح يترشفه على مهل ، ثم وضعه جانباً . فقال له الضيف الذى كان يروم رؤيته . « حسن يا أبتاه . أحسب أن حديثنا سوف يثير في نفسك لواعج الحزن والأسف ويبعث في نفسك ذكرى ما كنت تتملكه من دور وضياع ومواش ذهبت هباء مع الريح .. لعلك آسف وضيق النفس بما أنت فيه الآن !

فوضحت على ثغر إلياس ابتسامة هادئة وقال في صوت رزين « لو أنى أخبرتك ما هى السعادة ، وما هى عثرة الحظ ... لأثار ذلك دوافع الشك في نفسك ! . فيحسن بك إذن أن تسأل زوجتى . فكل ما في قلوب النساء يجرى طلقاً على ألسنتهن ... ولسوف تنبئك عن بينة بجلية الأمر ! .. »

فاستدار الضيف نحو الستار .. وهو يقول : « هلا تخبرينا يا جدتى العجوز ... كيف أن سعادتكم السابقة تقرن بما يكتنفكم الآن من بؤس وشقاء ؟ ؟ »

فارتفع صوت « شام شماجى » من خلف الستار : هذا ما يدور بخلدى ! لقد عشت أنا وزوجى العجوز خمسين عاماً نسعى فى سبيل السعادة وننقب عنها ، فلم ندرك لها أثراً ... ولكنها الآن فى هاتين السنتين الأخيرتين — منذ أن ودعنا الغنى ورفعة الشأن ، وأصبحنا نعمل كأجيرين بلغنا السعادة وعرفناها على حقيقتها وصرنا ننعم بها كل صباح ومساء ... فلسنا نبغى أسعد من أيامنا هذه ! . »

فرانت الدهشة والعجب على وجوه الأضياف وكذلك صاحب الدار الذى قام فحسر الستار عن مكان المرأة العجوز وهى جالسة ، وقد عقدت يديها على صدرها وراحت تتبسم لزوجها فابتسم هو الآخر لها .

وبعد أن مضت برهة من الصمت تعلقت فيها الأنفاس عادت تقول فى صوتها الهادىء : « إنى لا أحدثكم بغير الحقيقة ... وما فى قولى مبالغة بل هو الحق الخالص ... لقد أبلينا ربع قرن من الزمن ونحن نسعى إلى السعادة ... وعلى قدر ما كنا أغنياء كانت محرمة علينا . أما الآن وقد صرنا أجيرين لا نملك من متاع الدنيا شيئاً أحسسنا بالسعادة التى لا نود بديلا منها ... »

فقال لها ذلك الضيف متسائلا : « بالله خبرينا ما هذه السعادة التى تشملك أنت وزوجك فى إعساركما بعد اليسر وإدبار الدنيا عنكما بعد إقبالها عليكما ؟ ! »

— « أصبت ! . حينما كنا أغنياء كان لدينا من المشاغل ما يصرفنا عن ائتناس الزوج بزوجته وتآلف روحينا . وعبادة الله عز وجل ... لقد كان الناس يفدون علينا فنسهر على خدمتهم وتوفير ما يثلج قلوبهم خشية أن تتناولنا ألسنتهم بالسوء ويتحدثون عنا بما نكره ... فإذا ما رحلوا كان علينا أن نراقب عمالنا ومن يقومون على خدمتنا حتى لا تنزع بهم دوافع الشر إلى خيانتنا فيما نعهد به إليهم ...

كما أننا كنا نحاول أن ننقص أجورهم ونفيد منهم أكثر مما نستحق . فارتكبنا الخطيئة الأولى .

ثم إننا كنا — إذا ما جن الليل — نبيت ونحن أيقاظ خشية أن تفترس الذئاب والوحوش بعض الأغنام أو يعمد فريق من اللصوص إلى سرقتها فى غفلة من حراسها . وننهض بين حين وآخر لنطمئن عليها ... وغير ذلك مما كان ينشأ من المشاكل ، ثم أضف إلى ذلك ما كان ينشب بينى وبين زوجى من شجار ونزاع ... فهو يريد شيئاً وأنا أود ما هو ضده فنخطىء ثانية ...

وهكذا كنا لا نكاد نتجاوز صعوبة حتى نقابل أخرى ... ونستدبر خطيئة حتى نواجه ثانية فمشنا لا نجد إلى السعادة سبيلا ! »

— « حسن .. والآن ! . »

— « الآن .. حينما أفيق أنا وزوجى « العزيز » فى الصباح بعد نوم هادىء مطمئن لا ينغصه الخوف ولا الفزع .. نتبادل كلمات الحب وعبارات الود ... وبدأنا نحيا فى هدوء وسلام لا تعكر صفوه تلك الأسباب التى كانت تثير النزاع والشقاق بيننا .

ليس علينا من واجب سوى خدمة ذلك السيد الكريم الذى أحسن إلينا ... فنحن نتفانى فى العمل لصالحه ... حتى لا يحس فى وجودنا مضرة به أو ثقلا عليه ... ونتناول غداءنا هنيئاً مع أكواب « الكميس » ... وقد توفرت لدينا الأخشاب التى نطعمها النار ونستمتع بدفئها إذا ما اشتدت وطأة البرد ويأتينا سيدنا بالثياب ذات الفراء التى تعوزنا .

أما الوقت فقد بتنا نجد فيه ما يتسع لحديث كل منا إلى الآخر فى ود .. و .. غزل .. فنفكر فى أنفسنا ونتعبد متقربين إلى الله نسأله الصفح والغفران عما ارتكبناه من الخطيئات . نعم لقد سعينا خمسين عاماً فى سبيل السعادة فلم نجدها إلا الآن ! . »

فضحك الأضياف .. ولكن إلياس ما لبث أن قال لهم فى صوت ذى جرس هادىء وإن شاعت فيه رنة العتاب :

« ليس ثمت مجال للضحك ! . أيها الرفاق .. فليس هذا الحديث مثاراً للضحك والهزل .. بل عبرة وعظة .. إنها حقيقة الحياة .. لم ندركها إلا حينما توج رأسينا المشيب ..

لقد كنا نحن كذلك سخفاء وحمقى حينما بكينا طويلا على ما ضاع منا من ثروة وعلو شأن ... ولكن الله — تعالت قدرته هدانا الآن إلى الحقيقة .. فما أجلها وما أجلها ..

إنا لا نذكر هذه الحقيقة لكم ابتغاء السلوى والعزاء لنا ولكن نجلوها على أسماعكم لهدايتكم وخيركم ! . »

فقال « الملاح » وقد اغرورقت عيناه بالدموع : « إنك لعلى حق يا إلياس .. إنه حديث الحكمة والموعظة .. وقد جاء ذكره فى الكتب المقدسة التى نزلها الله ليهدى بها عباده .. »

وأمسك الأضياف عن الضحك . واستغرقوا فى فكر عميق .

(القاهرة) مصطفى جميل مرسى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٢٨ - الاثنين ١٦ يونية ١٩٤٧ - السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٠٤٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15em Année No. 728

Lundi — 16 — 6 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٦٦ — ١٦ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

أســـد إفريقيــــة

للأستاذ محمود محمد شاكر

إلى أسد إفريقية الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابى .

السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبعد :

ملأت فضائلك البـلاد ، ونقبت
فى الأرض ، يقذفها الخبير إلى العَـمِى

فـكأن مجدك بارق فى مزنة — قِبَـل العيون ، وغرة فى أدهم
واليوم مقذ للعيون بنقمِـه — لا يهتدى فيه البنان إلى الفم
لم يبق غير شفافة من شمسه — كمضيق وجه الفارس المتلثم

فأنت ، أبقاك الله ومتعك بالعافية ، قد كنت فى تاريخ العرب الحديث نفحة علوية من مجد آبائنا الغرالميامين ، وكنت فى ضمير كل عربى صدى للأمانى البعيدة التى لا تزال ترددها دماؤنا فى أبداننا العربية الحية ، وكنت قبساً من فضائل أسلافنا يحدث عن نفسه بلسان عربى مبين ، وكنت برهاناً جديداً لأهل البغى على أن العربى لا يذل أبداً ولا ينام على الضيم يراد به . ثم كتب الله لك بعد عشـ ين سنة من الأسر أن تعود كما كنت عربياً حراً حمى الأ.مـ. ذكى الفؤاد ، تأنف لأمتك وعشيرتك أن يروا ميسم ذلهم و.مو سهم على جبين أكرمه الله بالنصر مرة ، وامتحنه بالأسر تارة أخرى . فعش فى حمى مصر أيها الرجل أميراً على قلوب مليون نسمة من العرب وأربعمئة مليون من المسلمين ، وجزاك الله عما قدمت للعرب أكرم جزاء وأوفاه .

***

كنت يومئذ فى العقد الثانى من عمرى شاباً ينبض بين جنبيه قلب يتلفت إلى مجد آبائه ويحن إلى تاريخهم حنيناً طويلا كأنه لوعة ثكلى على وحيدها ، وكانت مصر كلها لا تزال ترسل الصرخة إثر الصرخة طالبة أن تنال فى الحياة حريتها التى استلبها البغاة الطغاة شياطين الأرض ، وكانت الدماء فى أبداننا تريد أن تطفئ ظمأ الأرض المصرية بما يجرى على ظهرها من دماء الشهداء حتى تمحو عار الاحتلال عن هذه الأرض المطهرة ، ولكن زعماءنا أبوا إلا السلم وطمعوا أن ننال حقنا بالمفاوضة ، أى بخديعة الغاصب حتى ينخدع لنا فيترك لنا ما سلب .

ثم أصبحنا يوماً فإذا بنا نسمع عن « أسد الريف » الذى هب من غابه ونفض نواحيه وزمجر واجتمع للوثبة ، وإذا هو يضرب يميناً وشمالا لا يدع للأسبان متنفساً حتى اضطرهم إلى أقبح مواطن الذل تحت قدميه ، وأوردهم شرائع العار شلا وطرداً حتى سجدت له تلك الجباه المتغطرسة فى حمأة من الضراعة والذل . كانوا يريدون أن يسوموا أهل مراكش أن يسجدوا لهم فى مثلها ، فأبيت إلا أن تمرغهم أقدارهم تحت هاتين القدمين الطاهرتين النبيلتين ، فأتم لك الله النصر عليهم كما شاء .

ثم أراد الله أن يعرفنا ويعرفك أن أنذل من النذل ناصره على نذالته ، فهبت إليك تلك الدولة الأخرى المعروفة باسم فرنسا، وهى يومئذ ثانية أمم الأرض فألبت عليك جيوشها وجحافلها « ويتانها » ؛ وفزعوا إلى نصرة الأسبان المهزومين ، وظلوا يستجيشون عليك ، أنت الضعيف الفرد ، كل ما آتاهم الله من بسطة فى العلم وقوة فى البأس ، حتى غلبوك على أمرك ، ثم خدعوك ، ثم غدروا بك ، ثم نفوك على عادتهم من فساد الطوية وحقارة الفعل . فأصبح كل عربى على ظهر الأرض يحس أنه الأسير المنفى المغدور به ، وانطوت قلوبنا على بغض لا ينام لهذه الأمم التى لا شرف لها ولا ذمة ولا عهد .

ثم تقضت الأعوام وشارفتُ الأربعين ، وإذا أنت حر طليق فى أرضى وبلادى . فما كدت أسمع ذلك حتى انطوت أيامى وعدت كما كنت فى نحو العشرين ، شاباً يحس دماءه تغلى لهذا النبأ كأننى انطلقت من الأسر وخرجت من المنفى لأعيش حراً طليقاً كما تعيش أنت اليوم فى مصر . ومصر هى أم المروءات ، فإن ساء ذلك فرنسا أم الغدر والخيانة ، فإننا لن نفارق أخلاقنا وأخلاق آبائنا لكى نعينها على آثامها ومساوئها ، بل سنرد عليها بغيها مهما لقينا فى ذلك من سوء أخلاقها وقبح فعالها .

ونحن لا نعلم علماً يقيناً ماذا فعلت بك هذه الأمة الحريصة على ابتذال عرضها بين الأمم ، أيام كنت فى منفاها ، ولكن كفانا طول الاستقصاء أن نعلم أنها حرمت على تلك الألسنة العربية الصغيرة فى أبنائك أن تعرف منطق آبائها وأسلافها ، فقد اضطرتها بجبروتها وقسوتها أن تتجافى عن الكلمة العربية التى تمثل للعربى أمجاد أمته فى ألفاظ من نور هذه اللغة الشريفة . وسيقولون إنك أنت الذى أردت لأبنائك أن ينشأوا على ذلك اللسان الفرنسى ، ولكن كذبوا فما من عربى يطيق أن يدع أبناءه الأحرار فى أسر لغة أخرى غير اللغة الحرة التى عاش عليها آباؤهم وأجدادهم . ولست أشك فى أنهم قد اتخذوا لذلك كل وسيلة حتى لم يدعوا لك حيلة تدفع بها عن قلبك حسرة الأب العربى وهو يرى أبناءه ينشأون غرباء عن لسان أمهاتهم اللائى أرضعنهم بدَرّ عربى حر آب للضيم طالب للعزة والشرف والنبل .

وقد أراد الله غير ما أرادوا ، فها أنت اليوم بين أهلك وعشيرتك من أهل مصر ، وهؤلاء أبناؤك هم أهلنا وإخوتنا ، وهذه مصر بلادهم لهم فيها ما لنا ، فمن قليل يهدم اللسان العربى ذلك اللسان الفرنسى ، ويرتد العربى عربياً كما أراد الله له أن يكون ، كما ردك الله حراً كما أراد لك أن تكون . وأما فرنسا فقد رد الله غيظها فى صدرها حتى يأكل منها ما بقى مما تستطيل به على الناس .

* * *

لا تأس أيها الرجل على ما فات ، فإن فى الذى لقيه الناس من بعدك لعزاء لك عما لقيت فى منفاك ، وإن الذى أنت فيه اليوم لهو نعمة من الله بها عليك لتحمل مرة أخرى سيف الجهاد فى سبيله وفى سبيل أمته التى أزلت بها فرنسا من بطشها ومظالمها ما لا قبل لأحد بالصبر على مثله . وقد ردك الله إليها لترى رأى العين ماذا فعل بعدك هؤلاء القوم بقومك ، ولتشهد مصارع الأحرار من أنصارك ، ولتملأ قلبك من القوة التى تفل الحديد وتنسف الجبال وتجتاح الجيوش — قوة الإيمان بالله الذى لا يخذل من نصره ونصر أولياءه بالحق فى يوم الجهاد .

إن فرنسا لم تدع فى تونس والجزائر ومراكش مكاناً إلا نفثت فيه من سمها ، أو ضربت فيه بأبوتها ، أو تدسست إليه بغدرها وجهالتها . إنها أمة لم ترع ذمة للإنسانية ولا للمروءة ولا للشرف ولا لشىء مما يصير به الإنسان حياً متميزاً من سائر الوحوش والضوارى — أمة تفترى على الناس افتراء مقيتاً ثم تتبجح على الناس باسم الحرية والإخاء والمساواة ، أمة من الأذلاء لم يكد الغازى يغزو بلادها فى الحرب الماضية حتى ألقت سلاحها وسجدت على مواطىء قدميه تمسح عنهما غبار الغزو ضارعة متذللة ، أمة لم تأنف آلاف مؤلفة من أبنائها أن تطلب التجنس بالجنسية الألمانية يوم أصابتها هزيمة واحدة فى أول حرب تهزم فيها ، ولم تستنكف نساؤها أن تفتح الأغلاق للغزاة غير متورعات ولا كريمات .

إننا أيها الأمير نبغض هذه الأمة كأشد ما يبغضها دمك الذى يجرى فى عروقك ، لأننا إخوة جمعتنا رحم واحدة هى العروبة ؛ ونحن لا نخصها وحدها بهذا البغض ، بل نبغض كل أمة على غرارها قد استحلت مرعى البطش واستطابت ثمار البغى والعدوان .

فنحن العرب لم نولد لنعيش، بل ولدنا لنعيش أحراراً فى الدنيا، ولنعلم أهل الدنيا معنى الحرية، وكيف تكون الحرية. ولئن قعد بنا اليوم عجز عن تعليم هذه الناس، فمن قريب سوف يأذن الله لنا بأن نأخذ بالأسباب التى تتيح لنا أن نعلمهم ماخلقنا من أجله، وعن قريب تنقشع عن عيون كثيرة ضلالات كثيرة أوهمتها أن العرب أمة متخلفة قد نفض الزمن منها يديه فصارت كلا وعالة على أهل الأرض.

إن العربى من أمثالك هو الذى سيشهد تراب هذه الأرض فى يوم يرونه بعيداً ونراه قريباً، أن فضائل البشرية كلها لم تزل حية على فطرتها الأولى فى هذه القلوب الزكية المطهرة، قلوب العرب، وأن العالم سيكون أسرع تقبلا للمعانى العربية فى الحرية والإخاء والمساواة من تقبله لتلك المعانى الفرنسية التى تلقفت بالجشع واللؤم والغدر والخداع. وأن العربى هو وحده الذى يستطيع أن يحقق على هذه الأرض معنى الحرية والإخاء والمساواة لأنه حر بالفطرة لم يألف ذلا قط، ولأنه أخ لمن آخاه لأنه لايعرف الغدر، ولأن الناس عنده سواء لأنه لا يفتات على أحد ولايفترى على سواه من الناس.

وأنت أيها الأمير سيف من سيوف الله، ونحن جند من جنود الله فمش بيننا سيفاً مصلتاً مسلولا على أعناق البغاة والطغاة والظلمة، حتى يأتى اليوم الذى كتب الله لك أن تكون فيه ذبحاً لعدونا وعدوك ونصراً لأمتنا وأمتك، ومخرجاً لبلادنا وبلادك من ظلمات الأسر إلى نور الحرية.

والسلام عليك ورحمة الله.

محمود محمد شاكر

تحقيقات تاريخية

للأستاذ أحمد رمزى بك

أفرد الدكتور على إبراهيم حسن فى كتابه « دراسات فى تاريخ المماليك البحرية » باباً عن السياسة الخارجية ضمنه حروب مصر وعلاقاتها مع الدول الأجنبية، وهو بحث شيق دل على سعة اطلاعه وتدقيقه حينما عرض لما يتعلق بدول المغول فى فارس والقفجاق والهند، ولكنى دهشت حينما أفرد قسما لدولة سماها أرمينية وأدخل فى حروب مصر معها فتح ملطية وآمد وغيرهما من البلاد الإسلامية إذ قال فى صفحة ١٦٨ « إلا أن الأرمن قد عاودوا العصيان فأرسل إليهم الناصر حملة وأمر تنكز بالانضمام إليها، فخرج فى أول محرم سنة ٧١٥ وحاصر ملطية ودخلها فى يوم الثلاثاء ٢٣ محرم من تلك السنة.» وفى صفحة ١٦ « توالت انتصارات جند الناصر ففتحوا مدينة عزقية من أعمال آمد فى سنة ٧١٥ ثم فتحوا آمد بعد ذلك وقد ساعدت الأحوال السيئة فى بلاد أرمينية الناصر محمداً على غزوها فقد تولى عرشها الملك ليو الخامس ».

والمعروف أن أرمينية الجغرافية لم يكن لها وجود سياسى فى ذلك الوقت، ولم تكن ملطية ولا آمد تحت سلطان الملك ليو الخامس، وإنما كانت هناك مملكة للأرمن على أطراف بحر الشام وكان صاحبها يطلق عليه « متملك سيس » وقد انحصر ملك الأرمن فى منطقة من السهول حول مدينة سيس تحيط بها الحصون التى أنشأها المسلمون والصليبيون واحتلها الأرمن وتحصنوا فيها، وكانت هذه الإمارة تخضع أحياناً خضوعاً إسمياً لمصر وتحالف المغول إذا جاءوا للفتح وتدارى ملوك الروم من سلاجقة وتركمان، إذن فلا علاقة بين هذه القاطمة والحروب التى قامت فى عهد الناصر فى ديار بكر والجزيرة وأرض الروم وترتب عليها فتح ملطية وآمد وغيرهما فقد حضر أبو الفداء تجمع عسكر مصر والشام فى حلب ولازم الحملة فى خروجها لفتح ملاطية وحدثنا عن المراحل التى قطعها الجيش المصرى من عينتاب إلى نهر المرزبان وصحته مرزمان إلى رعبان فالنهر الأزرق قال « وجعلنا حصن منصور على يميننا » ثم إلى زبطرة حتى حصار ملطية ولم يذكر لنا الأرمن فى طريقه ولا فى عودته كأصحاب دولة وسلطان وإنما ذكر فى ملطية حاكما اسمه جمال الدين الخضر وهو من بيت بعض أمراء الروم. وأماكن هذه المواقع التى مرت بها الحملة فى سيرها وعودتها معروفة على الخرائط وهى بعيدة عن أراضى ملك الأرمن فى سيس. وما قلناه عن ملطية ينصب على آمد الواقعة على نهر دجلة وبينها وبين « ليو الخامس » متملك سيس مراحل وأراضى شاسعة منها ما هو تحت

حكم مصر ، ومنها ماهو على حدودها فى الولايات التى كانت خاضعة أو متحالفة مع خانات أو إيلخانات مغول فارس ، وهى بقاع إسلامية لم يكن للأرمن وملكهم شأن بها . ودليلنا على صحة ما سقناه قول صاحب البداية والنهاية عند ذكره فتح ملطية «وقد كانت ملطية إقطاعاً للجوبان أطلقها له ملك التتار فاستناب بها رجلا كردياً فتعدى وأساء وظلم فكاتب أهلها السلطان الناصر وأحبوا أن يكونوا فى رعيته» . صفحة ٧٣ جزء ١٤ .

وفى أبى الفداء مايشرح شكوى أهل ملطية إذ قال «إن المسلمين الذين كانوا بها اختلطوا بالنصارى حتى إنهم زوجوا الرجل النصرانى بالمسلمة وكانوا يعدون الإقامة للتتر ويعرفونهم بأخبار المسلمين» صفحة ٩١ جزء ٤

ويظهر أن قاضى ملطية وكان أول من تلقى جند الناصر وطلب منهم الأمان لبلده له يد فى هذه الشكوى التى جمل من ضمن ما جاء فيها ما يبرر استفزاز حمية الناصر الدينية وإن كان أبو الفداء يضيف إلى ذلك سبباً آخر هو تعرض أهل ملطية لجند مصر المقيمين فى القلاع الشمالية مثل قلعة الروم وبهنسى وكختا وكركر فى غدوهم ورواحهم . ويذكر المقريزى فى السلوك (صفحة ١٣٤ جزء ٢ للدكتور زيادة) إن التعرض كان ضد الفداوية من أهل مصياب الذين أرسلهم الناصر لاغتيال قراسنقر المقيم بمدينة مراغة وإن الكردى الذى تغلب على ملطية وجبى أموالها قبض عليهم وترتب على ظهوره أن نائب ملطية من جهة جوبان ويقال له بدر الدين ميزامير بن نور الدين خاف أن يأخذ الكردى نيابة ملطية منه فكاتب الناصر واتفق معه على تسليم البلد إليه ، وقد خص فتح ملطية بصفحة فيها تفاصيل عن تسليم المدينة واحتفال نائبها والتشاريف والخلع التى وجهت إلى أعيانها ، ولم نجد فيها ولا فيما لدينا من المراجع إشارة أو كلمة يفهم منها أن ملطية كانت تحت حكم «ليو الخامس» .

ونحن نلتمس للدكتور على إبراهيم حسن عذراً لأن السير وليم موير فى كتابه «تاريخ المماليك فى مصر» ذكر فى الصفحة ٨١ (طبعة مصر مترجمة) «أرسل السلطان الحملات على بلاد الأرمن التعسة وحصرت عساكره ملطية» ، وجاء من بعده الأستاذ أنور زقلمة فوضع كتاباً عن «تاريخ المماليك» طبعة مصر كتب فى صفحة ٦٤ منه «وعاد الأرمن مرة ثالثة للعصيان عام ١٣١٤ فى عهد الناصر فأرسل لهم حملة قوية حاصرت مدينة ملطية» . وفى ذلك مايشعر بأنهم ينقلون جميعاً عن مصدر واحد وصاحب هذا المصدر إما اختلط عليه الأمر ولم يفرق بين ولاية سيس وأرمينية الجغرافية أو فهم من وجود طائفة من الأرمن فى ملطية أنهم أصحاب الأمر والنهى فيها ، أو هو على علم تام بهذه الحقائق ولكنه كغيره من كتاب الغرب الذين لا يملكون التحرر من تقاليد الحروب الصليبية ولذلك ينظرون دائماً بمنظار مكبر إلى كل مايذكر بآثارها ، ولما كانت ولاية سيس من تلك البقايا فهم يحملونها برغم أنف الزمن دوراً مهماً فى التاريخ والحروب والعلاقات السياسية ويضيفون إليها بلاداً إسلامية طال عهدها بالإسلام وأهله ، ويكبر على أنفسهم الاعتراف بأنها ولاية صغيرة فى كيليكية .

وواجب علمائنا فى التاريخ وضع الأمور فى نصابها وإعادة الحق لذويه ، ودولة المماليك من الدول الإسلامية التى لم ينصفها التاريخ وتعرضت لشتى الهجمات من مؤرخى الغرب ، ولكن الدكتور على إبراهيم حسن أنصفها فى كتابه وأنصف مصر ، وكان كتابه من دلائل النهضة القائمة والوعى التاريخى لإعادة القيم الحقيقية لذلك العصر فله عظيم الشكر والثناء

وقد اطلعت بعد كتابة ما تقدم على تحديد نيابة حلب فى عهد الناصر كما جاء فى مسالك الأبصار ونقل ذلك صاحب صبح الأعشى فإذا فيه «ولاية حلب متصلة ببلاد سيس والروم وديار بكر وبرية العراق وتحدها من الشمال بلاد الروم مما وراء البهنسى وبلاد الأرمن على البحر الشامى» ...

ويفهم من ذلك أن بلاد الأرمن يقصد عند ذكرها الأراضى الواقعة على خليج الاسكندرونة والبحر الأبيض المتوسط وهى التى يطلق عليها اسم كيليكية أو ولاية ادنه التركية حالياً والتى يخترقها نهرا سيحان وجيحان من الشمال إلى الجنوب : وعرفت بهذا الاسم فى هذا العصر الذى نتحدث عنه وإلا فهى قديماً بلاد الثغور والعواصم وفيها قبر المأمون بطرسوس وضمت إلى مصر من عهد أحمد بن طولون ولها تاريخ طويل ومعارك وأيام .

ولما استملكها الأرمن بعد الحروب الصليبية تعرضت لهجمات المصريين فانتزع الملك الظاهر بيبرس قلاع بغراس والهنسى ودربساك سنة ٦٦٨ ثم فتح الأشرف خليل بن قلاوون قلعة الروم ٦٩١ وهى نهاية ماوصل إليه ملك الأرمن شرقاً ، وافتتح الناصر الحصون الواقعة فى الشرق من جيحان ، ثم جاء الأشرف شعبان ففتح عاصمتهم سيس وبقية ما حولها من البلاد على يد قشتمر المنصورى نائب حلب وبذلك أصبحت ولاية أدنه بأكلها تحت حكم مصر حتى الفتح العثمانى .

وجاء ذكر الحصون والقلاع التى تسلمها الناصر من ملك الأرمن فى كتب التاريخ وليس بينها خبر عن ملطية أو آمد ، ونظرة بسيطة إلى خريطة مفصلة لتلك المنطقة تجعلنا نتحقق من مواقع القلاع التى ضمها الناصر من بلاد الأرمن وهى تكون مع الأراضى تقريباً مايشبه المثلث قاعدته خليج الاسكندرونة بين بياس وإياس ودامة الهارونية (نسبة لهارون الرشيد) وهى جميعاً شرقى نهر جيحان . ويقول أبو الفداء « وهو ملك كبير وبلاد كثيرة » . ويقول صاحب السلوك « وأقطع السلطان أراضى سيس لنائب حلب ونائب الشام وغيرهما من الأمراء . وأقر فيها جماعة من التركمان والأجناد ، فاستعملوا الأرمن فى الفلاحة وعمل فى كل قلعة من قلاع الأرمن نائب ورتب فيها عسكر »

ولكن الكتب التى أخذت من المصدر نفسه تقول بجلاء عسكر مصر ومنها كتاب الدكتور على إبراهيم حسن الذى يقرر فى صفحة ١٦٩ « ثم جلت جيوش الناصر بعد أن جمعت كثيراً من الأسلاب والغنائم » والحقيقة أن الجلاء كان عن الأراضى الواقعة بين النهرين أى شمال المصيصة وأدنة .

أما ما كان شرق جيحان فهو الذى تناوله الأقطاع ، ودليلنا على ذلك أن ملك الأرمن بعث بمفاتيح القلاع إلى القاهرة : وهى إياس (٣قلاع) والهارونية والنقير وكودا والحيمصة ونجيمة » كما جاءت فى كتاب تاريخ سلاطين مصر والشام . ويضيف أبو الفداء مرفندكار والمصيصة وكوبرا . ويقول «ضرب المسلمون برج إياس الذى فى البحر واستنابوا بالبلاد المذكورة نواباً ...

ومع بقاء ملك الأرمن فى عاصمته سيس حتى عهد الأشرف شعبان تحت حماية ملوك مصر بقيت بلاده معرضة لهجمات التركمان وعسكر ابن قرمان من آسيا الصغرى ، ولذلك نجد أن كتب التاريخ تحدثنا باحتلال جند الناصر لبعض القلاع الواقعة على سفوح جبال طوروس أو التى تعترض الطرق الموصلة للجبال ، نذكر على سبيل المثال قلعة كولاك فى شمالى طرسوس على خط عرض واحد مع الهارونية وهى فى نهاية الغرب من ولاية ادنة ، وهناك «بارى كودوك» افتتحها باى دمير الخوارزمى فى عهد الناصر وهى إلى الشمال من طرسوس ، ومنها « قلعة لؤلؤة » وهى شمالى كولاك .

ولا أجد تفسيراً لاحتلال هذه المناطق غير أن ملك الأرمن سلم بما بين يديه من الحصون التى على الشرق بشرط حمايته من الغرب باحتلال الحصون والمضايق التى يتسرب منها التركمان وعسكر ابن قرمان من الجهة الشمالية والغربية لمهاجمة بلاده .

إن التاريخ علم يتقدم مع الزمن شأنه شأن غيره من العلوم وقد يأتى لنا المستقبل بنصوص تفسر لنا كل ذلك فلا أجزم بشىء نهائى ...

أحمد رمزى

انـــــــذار !

للأستاذ علي الطنطاوي

ركبت مع زميلي في البعثة القضائية السورية الأستاذ محمد نهاد القاسم ، زورقاً في النيل حملنا من (جسر اسماعيل) إلى (مصر العتيقة) بأجرة فاحشة قبضها منا صاحب الزورق ، وبعث معنا شاباً في نحو التاسعة عشرة ، قوى الجسم ، ودبع النفس ، فأعمل المجاديف ساعة كاملة ، حتى هبط الليل ، وغسله العرق ، ونحن لم نصل ، فأشفقنا عليه وجربنا أن نسعده فما أفلحنا ، وكدنا نقلب الزورق به وبنا ، فيسبح فينجو ونلقى نحن حتفنا ، فكففنا ، واكتفينا من الترفيه عنه بعمل بألسنتنا ، والمواساة باللسان أقل الإحسان ... حتى دنا الحديث من أجرته ، فسألناه :

— كم تأخذ ؟

— قال : أربعون قرشاً .

— قلنا : في اليوم ؟

— فصاح مستغرباً : في اليوم ؟ كل ثمانية أيام !

— قلنا : أوليس لك أسرة ؟

— قال : أم أعولها .

— قلنا : أوتكفيك ؟

— قال : تكفيني ؟! أبداً .

— قلنا : فلماذا لا تطلب زيادة ؟

— قال : يضربني عمي أحمد ويطردني ، ويخبر زملاءه فلا يشغلونني وأنا لا أعرف إلا هذه المهنة .

— قلنا : وكم يحصل هو ؟

— قال : هو هو ... كثير ... كثير ... عنده عشرة زوارق تمشي النهار كله ، كل ساعة أجرتها من عشرة إلى عشرين قرشاً

وتركناه وصعدنا إلى البر ، ونحن لا نزال نفكر فيه : شاب طويل عريض ، كيف يعيش مع أمه بخمسة قروش في اليوم ؟ والفرّاش والآذن ؟ كيف يعيشان بثلاثة جنيهات في الشهر ؟ والمؤذن ؟ والإمام ؟ والشرطي ؟ والعسكري ؟ ماذا يصنع هؤلاء ؟ هل فكر فيهم أحد ممن ولّاهم الله أمر هذه الأمة ، وائتمنهم على مالها ، وجعل إليهم المنح والمنع ، والرفع والوضع ؟

هل ساءل واحدهم نفسه وهو يتخير أطايب الطعام من فوق مائدته ماذا يأكل هؤلاء المفلسون ؟

هل فكر وهو ينتقى بهي الحلل من خزانة ثيابه ماذا يلبسون؟

هل خطر على باله وهو يفسد أخلاق أولاده بالترف ، ويتلف صحتهم بالسرف ، أن لهؤلاء بنين وبنات لا تكفى رواتبهم لسد جوعهم بالخبز القفار ، وستر عوراتهم بالخام ؟ رواتبهم لا تكفى للطعام والثياب فكيف إذا ولدت المرأة وجاءت نفقات الولادة؟ فكيف إذا مرض الصبي وأقبلت مصروفات العيادة ؟ فكيف إذا خطبت البنت وكانت تكاليف الزواج ؟ فكيف إذا دخل الأولاد المدرسة وطالبتهم بثمن العلم ؟ . فكيف إذا اشتهوا أن يتشبهوا بأبناء الناس يوماً ... فأرادوا أن يأكلوا الحلوى الحلال أو يطلبوا اللهى المباح ؟؟ أم قد حرمت هذه المتع على الفقراء ، وكتب عليهم أن تكون حظوظهم من دنياهم كحظوظ البهائم : ملء المعدة بأرخص الطعام ، وستر الجسم بأيسر الثياب ، والاستكنان بشر المساكن ؟ وأن تكون معيشتهم أقل من معيشة كلاب الأغنياء ؟

قرأت في جريدة (العلم الأخضر) نقلا عن العدد ٦٧٣ من (مجلة الاثنين) أن (روى) كلب الوجيه الأمثل ... فلان بك ... يفطر كل يوم بكيلو من اللبن ورغيفين من خبز (الفينو) و (باكو) من الشكولاتة ثمنه بين ثمانية قروش وخمسة عشر قرشاً ويتغدى برطل ونصف رطل من اللحم المسلوق مع طبق مترع بالثريد ، وأن له طبيباً خاصاً ... وخادماً أجرته عشرة جنيهات في الشهر عمله أن يصحبه في سيارته الخاصة به ... في نزهتيه اليوميتين وأشياء أخرى من هذه البابة ، يتمتع بها هذا الوجيه الأمثل ، كابه الدلال ، لا يصل إلى مثلها عشرة في المليون من بني آدم الذين يقطنون هذا الوادي ... فلم أجد في العربية على سعتها ، وعلى طول اشتغالي بها ، كلمة تليق بهذا السفيه المبذر الكافر بالنعمة وبالإنسانية وبالوطن ، لأقولها له ... ولم أدر كيف أخاطب هذا المجتمع الذي بلغ الفساد فيه ، والانتكاس في أوضاعه أن صارت الكلاب تأكل (العيش الفينو) وكثير من الناس يتمنون الخبز الأسود ... وتركب السيارات وهم يمشون حفاة ... وتنام على الحرير وهم يهجعون على التراب ... ويقوم عليها طبيب

خاص وهم غرق فى الأمراض ... لا يجدون الطبيب ...

هذه حال لا يرضى بها الله ، ولا العقل ، ولا الشرف ، وأنا أخاف والله أن تفتح علينا باباً من الشر لا يسد وتأتينا إن لم تتنبه لملاجها بالداهية الدهياء، بالشيوعية المدمرة، التى تأكل أخضرنا ويابسنا ، وتمحق غنينا وفقيرنا ، فتكون لنا الراحة الكبرى التى لا ألم بعدها : راحة الموت .

هذه حال لا يمكن أن يحتملها بشر ، فإن كان من بيده الأمر لا يمشون فى الطرقات ، ولا يخالطون الناس ، ولا يعرفون من الدنيا إلا القصر والسيارة والملاهى والرحلات ، فليسألوا : ما بال الفقراء ؟ ماذا يصنعون ؟ وما شأن صغار العمال والموظفين و كيف يعيشون ؟ وليعلموا أن عمر كان يخاف أن تضيع شاة على شاطىء الفرات فيحاسبه الله عليها ، أفلا يخافون أن يسألهم الله عن أمة بقضها وقضيضها ستضيع على شاطىء النيل : سيقتلها الجوع فى أخصب أرض ، والمرض تحت أصفى سماء ، والجهل فى أول دار للعلم والحضارة ؟

لقد كانت مصر طبقات يستعبد بعضها بعضاً ، فسوى بينها الإمام العبقرى الهادى عمرو بن العاص (تلميذ محمد) وقطع هذا النظام الذى وصلته يد الدهر من عهد الفراعنة الأولين ، إلى عهد الإسكندر (تلميذ أرسطو) ، إلى أيام البطالسة والرومانيين ، وأفاض على الناس الهدى والعدل والنور ، فأحبوا لفعله الإسلام ، ودخلوا فيه وتركوا له ديناً كان لهم ، وأقبلوا عليه علماً وعملاً ، حتى كانت مصر مثابة الإسلام ، ومشرق أنواره ، ومورد علومه أفقدر عليها أن تعود القهقرى إلى عهد الجاهلية الأولى ؟ أنرجع نظامَ الطبقات الذى مات ؟ أيكون فيها سادة وعبيد ؟ ويعلو بعض أهلها على بعض كأنما لم يفتح مصر عمرو ، ولم يركز فيها راية محمد ، ولم تكن مصر أم دنيا الإسلام ؟

أنا لا أدعو إلى المساواة المطلقة بين الناس فذلك ما لا يكون ولا يزال فى الناس غنى وفقير ما دام فيهم عامل وخامل ، وذكى وبليد ، لن يكونوا أبداً سواء فى أرزاقهم ومعايشهم إلا إذا استوى الجنسان وتحقق حلم المدافعين عن (حقوق ...) المرأة فانقلبت رجلا ، ونبت لها شاربان و ... لحية !

ولكن أدعو إلى تقريب المسافة بين طبقات الناس ، عاليها ودانيها ، وأن تضمن الحكومة لكل إنسان حقه الطبيعى فى الطعام واللباس والمسكن ، وألا تقر فى موازنتها راتباً لموظف مهما نزلت درجته ، لا يكفل هذا الحق له ولأسرته ، ولو كان كناس الطريق ، أو ناطور المراحيض ، وأن تسوى بين الناس (المساواة الممكنة) التى حققها الإسلام فى أول الدهر فى عهد الشيخين ، والشيوعية فى ذنب الزمان فى أيام ستالين ، وإن اختلف نوعهما ، فكانت تلك مساواة فى السعادة ، وهذه هى المساواة فى الشقاء !

لقد نشأت فى الشام ، وسحت فى البلاد ، فرأيت فى كل بلد أغنياء وفقراء ، وسعداء وأشقياء ، ولكن لم أر أبداً مثل الذى رأيت فى مصر !

فما هذا التفاوت بين البشر فى مصر ؟ ما هذا الوضع الذى يجعل من الناس واحداً يملك مليوناً ومليوناً لا يملكون واحداً ؟ وألفاً يشتغلون لرجل ، والرجل لا يعمل عملا ؟ وإنساناً يظن نفسه من الغنى والكبر إلهاً ، وأناسىّ تحسب أنها من الفقر والضعة بهائم ؟

متى كان هذا فى طبع العربى ؟ متى كان فى شرع المسلم ؟

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟

يا ناس . راقبوا الله ، فإن هذا ظلم ، والله لا يرضى لعباده الظلم ولا يقرهم عليه ، ولكنه يمد للظالم ثم يأخذه ... فاتقوا إخذة الله

يا ناس . اعقلوا ، فإن هذا باب الشيوعية فإن لم تغلقوه دخلت عليكم فأهلكتكم .

يا ناس . ارحموا ، فإن هؤلاء ناس مثلكم ، لا تحسبوهم بهائم لئلا يصنعوا فيكم صنيع البهائم ، فيثوروا عليكم رفساً ونطحاً وعضاً ولدغاً ، فلا تملكوا دفعهم ، ولا النجاة منهم ...

لا ، لا تحقروهم ، فإن الدجاجة إذا هبت تحمى فراخها استمانت فانقلبت صقراً ، والقطة إذا ضويقت وغضبت صارت نمراً والماء إذا اندفع كان سيلا مدمراً ، والهواء إذا انفجر كان إعصاراً مخرباً ، ولولا الضغط ما ثقب المسمار الخشب ، ولا أطلق المدفع القنبلة ، ولا زلزلت الأرض ، ولا انفتحت البراكين ، ولا ثارت الشعوب .

فارحموهم ترحموا أنفسكم ! واعدلوا فيهم تدفعوا عنكم يوماً أسود لا تعلمون إذا حل عم ينجلى سواده ! وقوا مصر إن كنتم تحبون مصر ، جائحة مهلكة ، وداهية مكفهرة ، أولها الشيوعية وآخرها ما لا يعلمه إلا الله ! وهذا إنذار ! !

على الطنطاوى

بين أدب المرأة وأدب الرجل

للسيدة الفاضلة منيبة الكيلاني

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

يقابل هـذا من أدب الرجل فى أبدع صوره وأبهى معانيه قول المعتمد بن عباد وقد حال حاله وتحالفت عليه صعاب الأمور وأخذته الأعادى من كل حدب وصوب ونصح له الناصحون أن يسايرهم ويخضع لهم فانبرى يقول :

قالوا الخضوع سياسة فليبدُ منك لهم خضوع
وألذ من طعم الخضوع على فمى السم النقيع
إن يستلب منى العدا ملكى وتسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم يسلم القلب الضلوع
لم أستلب شرف الطباع أيسلب الشرف الرفيع
شيمَ الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع

هذا الكلام الجيل من لغة التفاخر والعزة والأنفة وكبر النفس ولكنه مع هـذا ليس من لغة الخصومة السياسية وليس من لغة الحرب الشعواء التى تنطوى عليها عبارة « أنت أصغر فى عينى من ذباب » . هذا كلام حرب ذهبت فى ساحتها هذه المرأة وهى تخط بدمها أن أدبها للعقل وأنه أصدق أنباء وأدق تعبيراً وأكثر صراحة .

ومما يقيم الحجة البالغة أيضاً على أن أدب المرأة واقعى صريح دقيق الأداء وأنه للعقل وليس للعاطفة ، فن المدح . فهـذه ليلى الأخيلية ازدهاها حزم الحجاج وشدة بأسه فراحت تؤيده وتصوره أبرع صورة فتقول :

إذا نزل الحجاج أرضاً سقيمة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها
غـلام إذا هـز القناة سقاها
أحجاج لا تعط العصاة مناهم ولا الله يعطى للعصاة مناها

وبذلك خرج أدبها هذا عن كونه مدحاً يسبح فيه بسجايا الممدوح ممـا توفر فيه أو لم يتوفر ، أو مبالغات بعضها آخذ بأعناق بعض ، أو كلاماً معقداً ؛ أقول خرج إلى كلام على قدر المعنى قررت فيه خصيصة الحجاج وامتدحته فى شطر واحد من بيت فقالت : « غلام إذا هز القناة ثناها » . ولم تقل كما قال المتنبى :

لم يخلق الرحمن مثل محمد أبداً وظنى أنه لا يخلق

وأعتقد أن هذا كلام ينطوى على لغة العاطفة وما تحتويه من مبالغات واضحة .

وللقارىء مقارنة أخرى بين شاعر وشاعرة فيها تعزيز جديد لصحة ما ذهبت إليه — من أن لغة المرأة فى استنهاض الهمـة وتحريك الروح الخامد أقوى أثراً ، وأكثر صراحة ، فهذه عفيرة بنت عفان تستنهض الهمة بكلام من الجمر ووابل من الحمم إذ تقول:

وإن أنتمو لم تغضبوا بعد هـذه
فـكونوا نساء لاتعاب من الكحل
ودونـكمو طيب العروس فإنمـا
خلقتم لأثواب العروس وللغسـل
فبعـداً وسحقاً للذى ليس دافعاً
ويختال يمشى بيننا مشـية الفحل

وهـذا لقيط بن يعمر الايادى يحذر قومه أيضاً ويستنهض هممهم بلغة متجاوبة المعانى فخمة الألفاظ إذ يقول :

قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم
ثم افزعوا قد ينال الأمر من فزعا
ماذا رد عليكم عز أولكم إن ضاع آخره أوذل واتضعا

***

وليست السيدة زبيدة وحدها أو عفيرة بنت عفان أو ليلى الأخيلية آيات لإقامة الحجة على أدب للمرأة صراح قراح ، بل هناك غيرهن فى أقوالهن الدقة فى التعبير والصدق فى الأنباء والشرف فى المقصد ؛ فقد كانت السيدة عتبة بنت عفيف الطائى أم حاتم كثيرة المال ، مبسوطة اليد ؛ فلما خشى إخوتها الفقر عليها حجروا مالها إلا قطعة من الإبل ، فنحتها سائلا سألها ، وقالت :

لعمرك قدما عضنى الجوع عضة
فآليت أن لا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهـذا اللائمى اليوم أعفنى
وإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا
فماذا عساكم أن تقولوا لأختكم
سوى عذلكم أوعذل من كان مانعا

وماذا ترون اليوم إلا طبيبة   فكيف بتركى يا ابن أم الطبائما

ولما جيء بسفانة ابنة حاتم أسيرة للنبى صلى الله عليه وسلم انطلقت تقول له من أدب المرأة هذا المقال :

« يا محمد ، هلك الوالد وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب ! فإن أبى كان سيد قومه ، يفك العانى ويقتل الجانى ويحمى الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاه أحد فى حاجة فردّه خائباً ، أنا بنت حاتم الطائى » .

ويكفى هذا الكلام إثباتاً أنه من أدب العقل، وأنه الذروة فى دقة التعبير وصدق الأنباء . إن جواب النبى عليه كان :

« هذه صفات المؤمنين حقاً — خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق » .

٣ — الحلقات المفقودة فى أدب المرأة

هنالك حلقات من الأدب توفرت فى أدب الرجل وفقدت من أدب المرأة فقداً تاماً فجاء أدبها بهذا الفقد أكثر نبلا وأوفر فضلا وأصدق فناً. وليس بضائرها أن يعرى أدبها من هذه الحلقات وأن لا تعرفها أو تدين بها وهى برهان جديد على أن للمرأة أدباً يختلف عن أدب الرجل أشد الاختلاف ، ذلك أن الرجل أفرد فى أدبه باباً للتحذير من المرأة والتنبيه على أنها شيطان رجيم . وتلمس أدب الرجل من هذا المعنى أفانين الكلام وضروبه فزور الأحاديث ونحت الأمثال وقرض الشعر وصفف السجع جاعلا من كل ذلك مثلبة للمرأة ومنقصة لها من حيث بقى كلام المرأة صافياً لا تشوبه أمثال هذه الأكدار .

ولقد تطاول هذا الأدب على الحديث فدس على النبى صلى الله عليه وسلم أن المرأة قرارة اللؤم ودارته ومنبت الشر ونبعته ؛ ولم يكتفوا بهذا على شدة وقعه بل أضافوا إليه أحاديث أخرى استنبطوها من عند أنفسهم .

منها : « أوثق سلاح إبليس النساء » . ومنها : « النساء حبائل الشيطان » و « شاوروهن وخالفوهن » . و « إياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن » . لقد أراد أدب الرجل أن يصف المرأة بمثل هذه الأوصاف على لسان رسول الله

وهذه الأوصاف وإن كانت بعيدة عن الواقع ولا تصبر أبداً على محك المنطق فإنها أبعد ما تكون عن بلاغة الرسول الكريم وماجاء فى أحاديثه صلى الله عليه وسلم عن المرأة .

وعزز أدب الرجل هذه الجهة بأن أورد على لسان أمير المؤمنين على كرم الله وجهه أن قال: لا تطيعوا النساء على حال، ولا تأمنوهن على مال، ولا تذروهن يدبرن العيال . لا دين لهن ولا عقل لهن . ينسين الخير ويحفظن الشر » الخ ...

فإذا عرفنا أن الامام عليه السلام أمير البيان — وأن نماذج كلامه البليغ مثبتة فى نهج البلاغة ، وهى ترتفع فى جملتها عن مثل هذا الشتم أمكن القول بأن هذا أدب من جملة الحلقات التى أراد الرجل أن يستكمل بها فنون القول مما انعدم فى أدب المرأة وأنفت اللجوء إليه . وليس هذا فقط فقد جاء الرجل بما ينسبه إلى العقلاء والفلاسفة والشعراء ليأخذ على المرأة سائر مناحيها ، فزعم أن الأقدمين قد قالوا « لا تدع المرأة تضرب صبياً فإنه أعقل منها » . وأن سقراط رأى امرأة تحمل ناراً فقال : نار تحمل ناراً ، والحامل شر من المحمول » .

هذه نماذج من أقوال الرجال تدون فى كتب الأدب على أنها فن من فنونه ، وعندى أنها فن من فنون القراض والمثقب والمبرد لا أقل ولا أكثر مما لم يرد فى أدب المرأة جميعه .

وليس هذا فقط بل جاء فى هذا الضرب من الأدب كلام وجيع مؤلم ؛ فقد قال أحدهم :

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن   جزوعا إذا بانت فسوف تبين
وإن هى أعطتك الليان فإنها   لغيرك من خلانها ستلين
وخنها وإن كانت تفى لك إنها   على مدد الأيام سوف تخون
وإن حلفت لا ينقض النأى عهدها   فليس لمخضوب البنان يمين

يقابل هذا فى أدب المرأة أدب واحتشام وصمت واحترام ، إذ هو حلقة مفقودة لديها لا تعرفه ولا تحسن صوغه ولا تتقن فنه ، وذلك عندى نقص يفوق كل تمام .

ولم يقتصر هذا اللون من الأدب على مهاجمة المرأة بالتهمة فقط ، بل استهدف القضاء المبرم على خصائصها ؛ فقد جاء على لسان شاعر الفلاسفة أبى العلاء المعرى قوله :

علموهن الغزل والنسج وخلوا كتابة وقراءه
فإن صلاة الفتاة بالحمد والاخلاص تغنى عن يونس وبراءه

إن هذا فضلاً عن كونه وضعاً شاذاً فهو لون من الأدب بقيت المرأة تجهله وستجهله دائماً ما دامت قد خلقت لرسالة فى الحياة سامية القصد رفيعة المجد، وكان عليها أن لا يتجسد عندها هذا الفرق لولا ما تفرع عنه بالفعل، ومن هذا أن القرآن الكريم أباح النظر إلى وجه المرأة فصيروا وجهها عورة، وفرض عليه النقاب حتى أصبح كفها عورة وحتى صوتها، وإن كان فى قراءة القرآن، وتعدى الأمر إلى أكثر من هذا أيضاً فاعتبروا اسمها عورة، وضرب عليها الذل والهوان إلى هذه الدرجة حتى أن المتنبي وهو من نعرف شعراً وأدباً عندما أراد أن يرثى خولة بنت سيف الدولة لم يستحسن أن يورد اسمها الذى كان عورة بل استبدله بوزنه فقال:

كأن مغلة لم تملأ مواكبها ديار بكر ولم تخلع ولم تهب

هذا هو الذى حز فى نفس المرأة كثيراً، فقد أزيحت من المجتمع وضربت عليها الذلة والمسكنة وباءت بغضب على غضب، وحيل بينها وبين ما يقوم حياتها وبذلك هزل أدبها وذبل كيانها وغاض معينها وصوح زرعها، ومع ذلك لم تشحذ من البقية الباقية أدباً استفزازياً أو سلاحاً انتقامياً، بل تجملت بالصبر الجميل، وتذرعت بأن للبلوى حيناً وأن للديجور ليلها انبلاجاً.

وإذا صح أن الشر يستشرى ويتكاثر ويتضاعف وتتفرع عنه فروع فإن هذا الأدب قد استشرى وتكاثر فأورث الأدب العربى والأدباء نوعاً من الثبور كانوا عنه جميعاً فى مأمن وغنى، فلم يعد الرجل يكتفى بواحدة من النساء ولم يعد يفهم من المرأة إلا أنها سائمة. وهذه أمثلة توضح ما جاءت به هذه الحلقات من الأدب المفقودة فى أدب المرأة من وبال على المرأة:

وضع أبو الحسن بن عبدون البغدادى المتطبب رسالة ضافية الذيل يصنف فيها النساء اصنافاً، صنفاً يصلح للخدمة وصنفاً لاحتمال الأذى وصنفاً يموت عند الولادة وصنفاً يقرع بالعصا قرعاً، وإلى غير ذلك مما اعتبر به المرأة حديقة حيوان يجب أن تدرس أوصافها على هذا السبيل المستغرب، وانبرى ابن عبدون هذا فى كتابه رشيق العبارة سجاعاً كأنه يضع فصل الخطاب فى هذا الشتم المقذع حتى إذا انتهى حمد الله وأثنى عليه إذ وفقه إلى ذكر بعض خصائص النساء.

ومثل آخر، فقد خرج دعبل ومعه أعرابى ونبطى إلى موضع يقال له بطياثا من أمصار دجله متنزهين فأكلوا وشربوا

فقال دعبل : نلنا لذيذ العيش فى بطياثا.
فقال الأعرابى : لما حثثنا قدحاً ثلاثا
فقال النبطى : وامرأتى طالقة ثلاثا

وهكذا بلغ من استهتاره أن أضاع امرأته لأجل قافية!

هذه نماذج من أحوال المجتمع لما تفشى فيه أدب ليس للمرأة فيه نصيب، وهذه صور من الأدب الخطر الذى لم تأخذ المرأة بأسبابه فأضحى حلقات مفقودة فى أدبها، وهو فى حد ذاته نقص يفوق كل تمام، وهو البرهان الأكبر على أن للمرأة أدباً غير أدب الرجل وعلى أن أدبها للعقل.

منيرة الكيلانى

في المسائل الفلسطينية :

مشروع التقسيم

للأستاذ فؤاد طرزي

يقول الكولونيل (جول) في كتابه الذي أصدره عن سوريا عام ١٩٤٥ بصدد فلسطين ما يأتي :

« ولو تحرينا الدقة لوجدنا أن اهتمام بريطانية بفلسطين لم يكن في يوم من الأيام ناشئاً عن رغبة في مساعدة اليهود أو تحقيقا لرسالة المسيح ، بل كان نتيجة مباشرة للمناورات الاستعمارية التي ترمي على الدوام إلى خدمة المصالح البريطانية. ففلسطين تقع بين مصر والشام ، وهي على طريق الهند ، فمن المحال أن تغفل قدرها الحكومة البريطانية . وعلى هذا تخلق مشكلة تشيع الاضطراب فيها طريقة نموذجية لتبرير بقاء قوات مسلحة هناك تحافظ على مصالح الامبراطورية » .

وعلى ضوء هذا التفسير العملي الذي يعرضه خبير بريطاني مطلع ، يمكننا تقدير كل ما تضمه بريطانية من حلول لمشكلة فلسطين . فهي ترعى دوما مصالحها في هذه القضية وتنكر مصالح الطرفين المتنازعين بله المصلحة العالمية أيضا ، وتحاول بكل وسيلة أن تمد من أجل المشكلة وتطيل في عمرها لتحتج بها في بقاء قواتها العسكرية المرابطة هناك تحافظ على مناطق نفوذها في الشرق الأوسط بأسره .

ومشروع التقسيم الأخير الذي اقترحته الدوائر الرسمية البريطانية ، ولوحت به مجلة الأيكونمست اللندنية التي تعبر بصورة غير مباشرة عن أراء ١٠ داوننج ستريت ، والذي أيده السير هربرت موريسن أحد الوزراء البريطانيين المسئولين علنا في مجلس العموم ، نقول إن هذا المشروع ليس إلا شكلا جديدا من أشكال أنصاف الحلول التي اعتادت بريطانية أن تقترحها بين آونة وأخرى لتشغل القوم وتكسب الزمن .

وهذا المشروع هو نفس المشروع الذي اقترحه دولة نوري السعيد في الكتاب الأزرق الذي رفعه عام ١٩٤٣ إلى المستر كيسي وزير الدولة البريطانية في الشرق الأوسط . ويتضمن إنشاء حوزة[1] أو حوزات يهودية مع التمتع بحقوق خاصة — على نحو الحقوق التي كانت ممنوحة للموارنة في لبنان — داخل الدولة الفلسطينية، أو دولة عربية كبرى تشمل سوريا وشرق الأردن؛ ولكن السيد نوري السعيد ، كما جاء في مقترحاته ، لا يضمن نجاح فكرة التقسيم إلا إذا طبقت بعد ضم فلسطين إلى دولة عربية كبرى (يقصد سوريا الكبرى) ، لذلك نراه يقول في كتابه المذكور ما يلي بالنص : « ... فإنشاء دولتين أو أكثر مستقلة استقلالا تاما ومتكونة من أقاليم فلسطينية صغيرة يقتضي إنشاء حدود مصطنعة متعددة مع إحداث جيوب يهودية متعددة في الدولة العربية ، ومعنى ذلك إنشاء مجاز دولي واحد على الأقل ويحتمل إنشاء أكثر من مجاز واحد . أما إذا أدمجت فلسطين كلها في دولة سورية واحدة تكون حدود الحوزات اليهودية حدودا إدارية فقط ، وقد تتألف حينئذ المناطق اليهودية من عدة أقضية يتمتع فيها اليهود بحقوق خاصة ، أو أنه يمكن باتفاق يتم بين جميع الفرق تعيين منطقة مجتمعة معينة لليهود تدار إدارة شبه مستقلة . وعلى العرب القاطنين فيها والحالة هذه أن يرضوا بالبقاء تحت هذا الحكم أو أن توجد لهم أرض في مكان آخر » .

والحكومة البريطانية ، في الواقع ، تؤيد هذا المشروع وتضحي في سبيله إذا ما جد الأمر حتى بمصالح اليهود ، لأنها في هذه الدولة الكبرى تستطيع أن تجد لها ثغرة تنفذ منها لتوطيد مركزها في سوريا ولبنان وهما الدولتان اللتان تخلصتا إلى غير رجعة من النفوذ الأجنبي . فبريطانية التي حاولت جاهدة طرد الفرنسيين من الشرق الأدنى تتلهف أن تحل محلهم وتسيطر على جميع سواحل البحر الأبيض المتوسط ، هذا البحر الذي تريده « بحرا انجليزيا » كما أراده موسوليني « بحيرة إيطالية » .

وهذا المشروع أيضا ، كغيره من المشاريع البريطانية ، يدرك الفساد من أوله إلى آخره وتعترضه سلسلة من العقبات التي لا يمكن التغلب عليها .

تخيل أيها القارئ، أن أمامك الآن خريطة جغرافية للبلاد

---

[1] جاء في الكتاب الأزرق أن الحوزة أرض أو منطقة تقرر ضمن دولة أو بلاد تخصص لسكنى شعب خاص فيها .

العربية ، ثم ضع يدك على بقعة صغيرة عليها فى القسم الجنوبى من الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط تحيط بها أراض شاسعة من الأراضى العربية المسلمة تبتدىء من مراكش مخترقة تونس وطرابلس ومنحدرة نحو البلاد العربية الأصلية ثم صاعدة إلى شرقى الأردن وسوريا ولبنان والعراق . وهذه البلاد التى طفت بها والتى تحيط البقعة الصغيرة التى تحت اصبعك تشكل مجموعة قوية من البلاد العربية التى يبلغ عدد سكانها حوالى الخمسين مليون نسمة . وعلى هذه البقعة الصغيرة التى تسمى (فلسطين) ، والمحاطة بالعرب من كل جوانبها ، يريدون إنشاء دولة يهودية مستقلة استقلالا تاما أو استقلالا ذاتيا خارجة عن نطاق الامتداد الجغرافى الذى يحتويها ومنفصلة عن مجموعة البلدان العربية . فهل من المتوقع أن ينجح مشروع كهذا ؟

يقول البريطانيون نعم . ويقول الصهيونيون لا . فهم لا يرضون بهذا الحل المتواضع ولا يقبلون بشبه دولة ضيقة المساحة . وإن أهدافهم قد قرروها فى عدة مؤتمرات من مؤتمراتهم : ففى مؤتمر بلتيمور الذى انعقد فى الولايات المتحدة عام ١٩٤٢ طالبوا بهجرة غير محدودة وبترك الحرية لهم فى التوسع داخل فلسطين إلى ما لا نهاية . وفى المؤتمر الصهيونى العالمى الذى انعقد فى لندن فى أيار عام ١٩٤٥ وضعوا قرارين رئيسيين : إنشاء دولة يهودية خالصة فى فلسطين ، وتخويل الوكالة اليهودية كل الصلاحيات الضرورية لجلب أكبر عدد ممكن من المهاجرين . وفى مؤتمر بازل الأخير طالبوا من جديد بكل هذا .

وإذا كان هناك من بين الصهيونيين من يوافق على مشروع التقسيم فإن الجميع يرومون الامتداد والتوسع لا على حساب فلسطين بل على حساب البلدان المجاورة أيضا ، ولا يمنع ذلك قرار تصدره الحكومة البريطانية تعين فيه حدود الدولة العربية وحدود الدولة اليهودية ، فقد سبق أن أصدرت عدة قرارات توجتها بألفاظ الشرف البريطانى والضمير البريطانى وختمتها بإقرار برلماناتها ، ولكنها لم توف العهد فى أى قرار من تلك القرارات ، فكانت تصدر اليوم لتنقض غدا . وآخر قراراتها مشروع الكتاب الأبيض الذى أقره مجلس العموم عام ١٩٣٩ . كما أن الهدف الصهيونى أبعد من أن يرضى بشبه دولة صغيرة المساحة ، لأن الفلسفة الصهيونية ليست قائمة على أسس دينية أو إنسانية بل على دوافع استعمارية توسعية ، وهذا ما قرره جون هوب سمبسن الذى ترأس وفدا إلى فلسطين لرفع تقرير عنها حيث قال : « إن الحجة الإنسانية والحجة الدينية تفسدهما الحقيقة المؤسفة وهى أن الهجرة اليهودية اليوم لا تتألف من اليهود الذين يرغبون لأسباب دينية فى العودة إلى أرض صهيون ابتغاء إقامة حياة يهودية لا يشوبها الظلم والاضطهاد ، بل هى مؤلفة من أغلبية من اليهود بعيدة عن التعصب الدينى ومتحمسة بروح الوطنية السياسية ومصممة على تحقيق السيادة فى فلسطين أرض العرب منذ ١٣٠٠ سنة على الأقل » .

والعرب يقولون إن إنشاء دولة يهودية فى فلسطين ، يترك فيها الحكم لليهود وحدهم ، منفصلة عن الاتحاد العربى لا يقبله عرب فلسطين ولا عرب الأقطار العربية ، كما أنه يناقض الوضع الجغرافى القائم ، وهذا ما قرره نخبة من أفاضل العلماء والجغرافيين ، فإن أعظم خبير بجغرافية فلسطين وهو السير جورج آدم سمث قد فطن إلى ذلك وشرحه فى مؤلفه المعروف « جغرافية الأراضى المقدسة التاريخية » . فهو يقول فى صفحة ٥٨ من كتابه : «لا يمكن أن تقوم فى فلسطين دولة مستقلة ومنفصلة عما يحيطها ، فالحيوانات والنباتات فيها تمثل عصورا جيولوجية عديدة ، وهى تتصل بسلالات النبات والحيوان فى أراض كثيرة ، وأن الاتصال الجنسى والدينى والثقافى بينها وبين أجزاء البلاد العربية الأخرى سيسحق كل دولة تقام بالقوة وبالطرق الصناعية » .

وهذا ما يقوله السير جون كارستنك أستاذ علم الآثار القديمة فى جامعة ليفربول ومدير الآثار القديمة فى فلسطين فيما بعد : «مادام أن ليس لفلسطين حدود خاصة من جوانبها الثلاثة فليس من الممكن أن تصبح مهدا لدولة مستقلة لا تتصل بالأمم التى تحيط بها ومقرا لعنصر أجنبى غريب » .

وإقامة دولة مستقلة فى فلسطين غير داخلة فى الجامعة العربية يجر إلى نتائج خطيرة يستطيع الباحث بقليل من التبصر أن يراها واضحة فى الأفق . فالجامعة العربية حركة طبيعية تسير بالبلاد العربية نحو التجمع لا التوزع ونحو الانضمام لا التفرق ، ومتى

نشـــيد فلسطين

للأديب حنا فارس مخول

لقد كانت فلسطين مهبط الوحى والإلهام منذ أقدم العصور. فيها وُلد أكثر قادة البشرية، ومنها انبعث نور الهداية إلى سائر أنحاء العالم. ولعل جمالها واعتدالها هما اللذان مهدا لهذا الوحى واستنزلا ذلك الإلهام ...

وفلسطين دون غيرها هى قبلة أنظار الطامعين، والكعبة التى يقدسها أتباع الديانات السماوية الثلاث. وهى على كل حال بلاد عربية فوق كل اعتبار، إنها عنق الجامعة العربية الذى ضيق عليه الخناق، ولكنها مع كل هذا بدون باعث للنشاط، وبدون محرك للهمم، وحافز للعمل ... إنها بدون نشيد!

أجل ليس لنا — والله — نشيد نردده فيذكى الحمية فى نفوسنا، وينفض عنها غبار الخوف، وصدأ الخمول، ويرسم لنا هدفاً معيناً تجاهها، يلخص واجبنا تجاه الوطن والمواطنين ... والإنسانية!

يقولون: إن نشيد «المارسيليز» هو الذى قهر أوروبا لا نابليون، وأن النشيد الاسكتلندى هو الذى قضى على نابليون لا ولنجتون ... ولكن أين منا النشيد الذى يشعرنا بأننا أمة تحيا وتستحق الحياة؟!

إن شعراءنا — وهم كثر بحمد الله — قد قصروا هممهم على الغزل والتشبيب والتغنى «بيوم النصر» ... يوم نصر أعدائنا، وفشل قضيتنا!!

إن شعراءنا فى واد، ونحن فى واد ... ليس فيهم من حاول شيئاً من هذا سوى المرحوم ابراهيم طوقان ... ونشيد طوقان على علاته هو خير نشيد لنا فى الوقت الحاضر، ولكن فيه مواقف ضعف تحول دون صلاحيته لأن يكون النشيد القوى المنشود!

إنه كان يناجى موطنه ويتمنى أن يراه فى علاه يبلغ السماك..

موطنى

الجلال، والجمال، والسناء، والبهاء فى رباك

ما بلغت هذه الحركة غايتها ووجد فى قلب الوطن العربى حاجز يقف دون اتمام مرحلة التطور كان عليها إما أن تقف، وهذا لا يمكن أن يتصور ونحن أمام ظواهر طبيعية لا تعرف الأناة، وإما أن تعبر هذا البرزخ الاصطناعى فى صميم تكوينها الجغرافى فتحدث مأساة عنصرية جديدة من المآسى التى زخر بها التاريخ، لأن الصهيونيين سوف لا يسلمون بالأمر الواقع ويندمجون فى الشعب العربى بل سيقاومون ما يرى العرب أنه مسألة حياة أو موت بالنسبة لهم

إن تقسيم فلسطين مشروع خائب، وقد سبق السير رونالد ستورس الزمن وصرح بذلك أمام لجنة التحقيق الانكلوامير كية التي ألفت أخيرا، والسير المذكور من أشد انصار الحركة الصهيونية وقد ظل حاكما للقدس مدة اثنى عشر عاما، فإذا تكلم لمصلحة العرب فإن لكلامه قيمة.

قال: «إن كل حل يقسم فلسطين بين العرب واليهود لا يمكن أن ينشر لواء الأمن والسلام فوق ربوع الشرق الأوسط، بل على العكس سيحكم عليه باضطرابات مستمرة لا تنقطع، وسيؤدى إلى أعظم مأساة عرفتها تلك البلاد. إن فلسطين قد ساهمت مساهمة فعالة فى حل مشكلة الحرب ضد السامية فقبلت ما يقارب الثلاثة أرباع المليون من المشردين فى حين أن بريطانية وأميركا اللتين تحملان على عاتقهما تدبير الملجأ لليهود لم تساهما مثل هذه المساهمة. إن المشكلة الفلسطينية يجب أن تعتبر منتهية ويجب أن يشترك العالم بأسره فيساهم فى قبول البقية الباقية من المهاجرين. لقد أيدت الحركة الصهيونية طيلة حياتى، وقد آن الأوان أن أقول إنى لا أزال أؤيدها ولكن لا على حساب العرب. وإن الذى أقرره هنا هو ثمرة تجاربى الخاصة التى حصلت عليها فى اثنى عشر عاما قضيتها حاكما للقدس».

إن فكرة التقسيم مشروع فاشل، وإن الحل الوحيد للمشكلة هو أن توقف الهجرة فى الحال وأن تمنح فلسطين استقلالها وتنضم إلى الجامعة العربية ويعيش اليهود فيها كما يعيش إخوانهم فى البلاد العربية الأخرى كأقلية لها ما للأكثرية من حقوق وواجبات، وبعد ذلك يشترك العرب جميعا مع العالم فى تحمل نصيبهم عند إيجاد حل لمشكلة الاضطهاد العنصرى.

(بغداد) فؤاد طرزى

والحياة ، والنجاة ، والهناء ، والرجاء في هواك

هــــل أراك

سالماً منعماً وغانماً مكرماً

هل أراك . فى علاك . تبلغ السماك ؟

مــــوطنى

ولـكن فى ثمنيه شيئاً من التساؤل وضعف الأمل ... لقد أظهر حبه له ، ورسم خطوط هذا الحب بعبارات عاطفية وشعور فياض ، ولـكن ليس هذا دستوراً نعمل بمقتضاه ... إننا نريد الشاعر الذى يقول : سأراك . بل يجب أن أراك فى علاك تبلغ السماك ! لا : هل أراك ؟ ! إننا نريد الشاعر الذى يطمئن إلى عودة هذا الوطن الجريح إلى أبنائه ، بكل شبر فيه .. بصميمه ...

وقد حاول طوقان ذلك،فوعده بتناسى الأشخاص والأحزاب

مـــــوطنى

الشباب لن يكل همه أن تستقل أو يبيد

نستقى من الردى ولن نكون للعدى كالعبيد

لا نريد

ذلنـــا المؤبدا وعيشنا المنـكدا

لا نريد . بل نعيد . مجدنا التليد

مــــوطنى

الحسام والـــيراع لا الـكلام والنزاع رمزنا

مجدنا وعهــــدنا وواجب إلى الوفا يهزنا

عـــزنا

غاية تشرف وراية ترفرف

يا هناك . فى علاك . قاهراً عداك

مــــوطنى

أجل إن طوقان وعده بتناسى الأشخاص والأحزاب ، والعمل فى سبيله حتى يستقل ، ولـكن ليس يكفى أن نستقل داخلياً ، فالنشيد القومى يجب أن يشعر المواطن بالطموح وواجب التقدم ، ويبشره بالمستقبل اللامع والمكانة المحترمة فى قافلة الإنسانية .

إذن لا نريد نشيداً يشعرنا بالعبودية — ولو فى معرض الإباء — ويروى لأبنائنا بعدنا قصة ذلنا — غير المؤبد — وعيشنا المنـكد ... لا نريد نشيداً يصلح ليومنا ، ولا يصلح لغدنا !! إننا بحاجة إلى نشيد يهز الأعطاف دون أن يدمى القلوب ، ويجرح العزة ... نريد نشيداً يتفجر قوة وحمية ... نريد نشيداً كمعلقة عمرو بن كلثوم أو قصيدة بشر بن عوانه ... نريد القوة لأننا فى عصر القوة !! ويجب أن نشعر بأننا أمة فوق الأمم ، أو فى طليعة الشعوب ، والمـاضى يشهد ، والحاضر يبشر ، ونور الشيوخ ، ونار الشباب يثبتان ويؤكدان !!

وقد كانت مصر شعرت بالحاجة إلى نشيد قوى ، فـكانت مسابقة ، وكان نشيد ! ! وفلسطين هى النقطة الحساسة فى جسم البلاد العربية ... فهل نتوجه بندائنا إلى والد العرب الذى ولدوه ، إلى الجامعة العربية ، أم إلى الهيئة العربية العليا فى فلسطين؟ لعلهما تشعران بالمسئولية فتعملا على تحقيق هذه الأمنية ! !

***

وفلسطين فوق هذا لا علم لها ، وإن شئت تفصيلا فقل : ليس لسكانها الأصليين ، ليس لعربها علم ... لأن اليهود الطارئين — وهم قلة بحمد الله — لهم نشيدهم القومى « الهاتكفا » ، ولهم علم يرفعونه فى جميع المناسبات ... أما نحن فنزين دورنا ومحالنا التجارية وأنديتنا و ... بالأعلام العربيـة فى أعيادنا القومية . ولا أقول بالعلم العربى — لأننا لم نتخذ حتى الآن علماً واحداً فى جميع أقطارنا ... إننا نرفع العلم المصرى أو العراقى أو اللبنانى أو الـسورى أو أى علم من أعلام الدول العربية ، ولنا الشرف فى ذلك لأن العرب فى القطر الواحد إخوان العرب فى القطر الثانى ، فأى علم عربى هو علمنا ... ولـكننا على كل حال وحدة نريد استقلالها . ووضعها الشاذ يستدعى حشد جميع بواعث الهمم لمجابهة الموقف الرهيب . فلماذا لا يكون لنا علم نرمز به إلى آمالنا وأهدافنا ، يرف فوق رءوسنا ، وبه — بعد الله — نعتصم ، والأقلية الطارئة علينا ، لها علم ؟!

أنـكون كالقرعاء التى تباهى بشعر ابنة أختها — على خشونة المثل — ؟ لا — والله — بل يجب أن نتساوى مع العرب المستقلين فى جميع بلدانهم ، ولن نرضى أن نـكون عالة عليهم فـكفاهم من همومهم ما يثقل كواهلهم !

وإذن فلنتقدم إلى المسئولين بهذا الاقتراح،أو — إن شاءوا — فبهذا النداء ، راجين أن يحققوا آمال ما يزيد على المليون من عرب فلسطين ، والملايين من عرب العالم ولهم الشكر المقدم !

حنا فارس مخول

قادة الإصلاح في القرن الثالث عشر :

الشيخ شـــامل

زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين

١٢١٢ – ١٢٨٧ هـ : ١٧٩٧ – ١٨٧١ م

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

شامل تحت قيادة حمزة بك :

وبعد أن استشهد الغازي محمد الكمراوي في معركة يوم ٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨هـ اجتمع العلماء والأعيان ، وأصحاب الشأن في ولاية «آوار» وانتخبوا حمزة بك خلفاً للغازي محمد الكمراوي وقائداً لحركة الاصلاح الدينية ، وحاملاً لعلم الثورة الوطنية ، وسلك حمزة بك طريق سلفه من أخذ الناس باللين والهوادة ، ودعوتهم بالحسنى إلى اتباع أحكام الدين ، ورعاية آدابه ، فأخذ يطوف القرى والدساكر مرشداً ناصحاً ، يدعو إلى دين الله والعمل به ، ولكنه أيقن – كما أيقن سلفه من قبل – أن الدعوة التي لا تظاهرها القوة وتسندها ، حقيقة بالفشل ، فبدأ يجمع المتطوعين ، وينظم صفوفهم ، ويوجههم إلى المعاندين الذين كانوا يحولون بين الدعوة الاصلاحية وذيوعها ، وهنا أيضاً نجد شاملا يشد أزر حمزة بك ويعضده ، ويلازمه في جميع حملاته التأديبية ، ومعاركه الحربية التي خاضها ، فإنه كما كان القائد المحنك ، والمريد المطيع لدى الغازي محمد الكمراوي ظل كذلك مع حمزة بك أيضاً حتى قتل هذا غيلة بينما كان ذاهباً لأداء فريضة الجمعة في قرية « خنزاخ » في أواخر سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) .

شامل في قيادة الحركة الدينية الوطنية :

بعد اغتيال حمزة بك في أواخر سنة ١٢٥٠ هـ اتجهت الأنظار إلى شامل ليقوم بقيادة الحركة التي بدأت من نحو خمس سنوات بقيادة الغازي محمد الكمراوي ، ولكن شاملا لم يكن بالرجل الطامع في قيادة أو رياسة ، وحسبه أن يقوم بواجبه كيفما اتفق ، بل كان بوده أن يظل بعيداً عن مشاغل القيادة ومشاكل الرياسة ، وما يتصل بها من مطامع ومتاعب ، ولذلك ثار وغضب لما فوتح في أمر اسناد الرياسة إليه ، ولكن إصرار العلماء والأعيان وأصحاب الشأن في منطقة « آوار » مهد الحركة الثورية وإجماعهم على ضرورة قيامه بقيادة هذه الحركة – جعل شاملا يستجيب لصوت الواجب ، ورضي أن يتولى الامامة – كما كانوا يسمونها – بعد سلفيه الغازي محمد وحمزة بك .

إن تولي شامل قيادة الثورة الوطنية الدينية في الداغستان كان نقطة التحول في هذه الحركة ، فقد تبدل فيها كل شيء وتغير ، وانتشرت روح الحركة والنشاط في كل اتجاه ، وظهرت نواحي العظمة والعبقرية في هذا القائد الجديد سريعاً ، فدبت الحركة وظهر النشاط في الثورة والثوار ، واشتعلت نار الحماسة في صدور أولئك الجبليين من أهل القرى والأكواخ ، وتحولت الثورة التي سارت خمسة أعوام في بطء وهوادة إلى حرب منظمة ، وقيادة محكمة وجنود مدربين ، وأنظمة مالية وقضائية كأحسن ما تكون الأنظمة المالية والقضائية في البلاد ، وأنشأ الإدارة المدنية في كل مدينة أو قرية وقعت تحت سلطانه .

كان كل شيء قبل تولي شامل الرياسة يسير على الفطرة والطبيعة الهادئة البدائية ، لا أثر للنظام والإحكام فيه ، كان واجباً على المتطوع أن يكفي نفسه ويمونها بما هي في حاجة إليه من غذاء وكساء وسلاح ، فوق ما يصاب به في نفسه وماله ، وما يلحقه من جراء اشتراكه في الثورة من متاعب وخسائر .

ولم يكن لهؤلاء المتطوعين نظام يسيرون عليه ، وتدريب يعدهم للأعمال الحربية ، فكان كل واحد منهم يقوم بما يستطيعه تحت مسئوليته وعلى حسابه ، وعلى الوجه الذي يتراءى له

وكما لم يكن هناك – قبل رياسة شامل – نظام للمتطوعين وتدريبهم فإنه لم يكن عندهم ما يسمى بالإدارة المالية المنظمة لحركة الثورة ، فكل شيء كان يسير – كما قدمت – حسب الظروف ، وعلى أساليب فطرية أولية ، لا أثر فيها للدقة ، ولا للنظام والأحكام .

فلما تولى شامل قيادة الثورة أنشأ – أول ما أنشأ –

بيت المال على حسب نصوص الشريعة الإسلامية ، وعين لهذا البيت الجباة والأمناء والعاملين ، وجعل للمتطوع حقا معلوماً فى الغنائم ، فكان يخمس كل ما يصل إلى يده من أموال الأعداء ، فيضم خمسه إلى بيت المال ، ثم يقسم الأخماس الأربعة الباقية بين المجاهدين المحاربين ، وأحيا بذلك سنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين فى قسمة الغنائم بين بيت المال والمجاهدين تطبيقاً لكتاب الله الكريم وعملا بما جاء به « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير » (٤١ – ٨) .

فكون بذلك أساس النظام الاقتصادى ، وأمن الناحية المادية فى الثورة ، كما أغنى المجاهدين المتطوعين ، وسد حاجتهم بما ينالونه من الغنائم ، ولم يكتف بذلك بل وجه نظره إلى نظام الجيوش وتدريب المتطوعين على نظم القتال والحروب ، كما عنى العناية البالغة بأمر أسلحة هؤلاء المتطوعين ، وعمل على إبلاغها إلى الحال التى تصلح للقتال بها مع جيوش الروسيين ذات العدد والمدد .

ومع أن هم شامل كله أو جله كان منصرفاً إلى الناحية الحربية وإعداد المحاربين ، وتهيئة كل الأسباب التى تمكنهم من القيام بواجبهم الوطنى على الوجه الأكمل ، فإنه مع ذلك لم يكن ليهمل النواحى المدنية والعمرانية ، فقد كان معنياً جداً بتوطيد نظام القضاء الشرعى فى تلك البلاد ، فكان يعين فى كل قرية يستولى عليها قاضياً شرعياً يفصل بين أهلها فيما يعرض لهم من أحكام دينهم ، ويقيم حدود الإسلام ، وينفذ أحكامه فيهم .

وليس هذا فقط ، فقد كان يوجه إلى الأقاليم والمناطق التى تخضع له « نواباً » عنه يقومون بالإدارة المدنية فى تلك الجهات ويشرفون على جميع شئونها . وكانت مهمة هؤلاء النواب فى أقاليمهم شبيهة بمهمة المحافظين والمديرين ، فكانوا مسئولين عن جباية أموال بيت المال ، وتنظيم حركة المتطوعين ، والمحافظة على السلام والأمن العام ، وحماية السلطة القضائية ، وتنفيذ أحكام القضاة ، وعلى العموم فقد كان هؤلاء « النواب » يقومون فى أقاليمهم بمهمة الحكام لهم ما للحكام من إشراف على مصالح الإقليم ورعاية حقوق الناس وصون أموالهم ونفوسهم ، وتنفيذ الأحكام التى يصدرها القضاة الشرعيون .

وإذا نحن تركنا الناحية المدنية من إنشاء بيت المال وتنظيم الإدارة وما إلى ذلك ، ووجهنا نظرنا إلى الناحية الحربية وأثر شامل فيها . وجدنا الفرق كبيراً والبون شاسعاً بين العهد الذى سبق شاملا والعهد الذى نشأ بعد تولى شامل للقيادة . فالثورة فى عهد الغازى محمد الكمراوى وحمزة بك كانت أشبه ما تكون بتلك الحركات السلبية التى تظهر فى كل بلد على أثر احتلال جديد من فاتح أجنبى ، تظهر هنا مرة ، وهناك مرة أخرى ، وتظهر فى آن لتختفى فى أحيان ولكن الحال فى عهد شامل من سنة ١٢٥٠ – ١٢٧٦ هـ (١٨٣٤ – ١٨٥٩ م) تغيرت تغيراً كبيراً ، فقد أصبحت الثورة حركة عامة شاملة ، وأصبح لها قيادة رسمية ومقر يصرف الأمور ، ويوجه الحركات ، ويتلقى الأنباء ، ومعتقلات لإيواء الأسرى ، وسجون لحبس الخارجين على أحكام الشريعة ، أو من صدرت ضدهم أحكام قضائية .

وأنشأ الشيخ شامل حكومة وطنية فى الداغستان . كانت فى كثير من الأوقات – مدى ربع قرن – تبسط سلطانها على أغلب البلاد الداغستانية ، وتنفذ فيها أحكام الشريعة الإسلامية .

وإن مما يبعث على العجب والإعجاب معاً أن يستطيع الشيخ شامل الصمود أمام قوات القيصرية الروسية خمسة وعشرين عاماً ونيفاً يناضل فى سبيل دينه ووطنه من غير أن يكون له سند يسنده ، أو معين يعينه غير إيمانه بالله ، وقوة عزيمته ، وصبره ومصابرته على المكاره والشدائد فى سبيل الله . وإذا كان فى هذا الصبر وذلك الصمود أمام قوات تلك الأمبراطورية العظيمة مدى ربع قرن ما يثير الإعجاب ويبعث على العجب ، فإن ما سجله التاريخ لهذا المجاهد البطل من انتصارات باهرة على كبار القواد الروسيين فى معارك مشهورة فاصلة – نعم إن تلك الانتصارات العجيبة تعيد إلى الذهن ذكرى فتوحات الغزاة المسلمين فى عصر ظهور الإسلام وانتشاره والصدر الأول من حياة المسلمين .

على أنه – رحمه الله وأحسن إليه – لما اضطر إلى التسليم آخر الأمر لم يرض أن يسلم نفسه إلا على شرط أن يسلم هو ومن معه

من قواده ومرافقيه إلى خليفة الإسلام والمسلمين فى القسطنطينية .

ولا يتسع هذا المقال الوجيز الذى أكتبه بمناسبة ذكرى وفاته السادسة والسبعين لذكر كل ما ينبغى ذكره من أعمال هذا المجاهد العظيم ، ولذلك سأقتصر على بعض الخطوط والظلال التى تصوره بصورة إجمالية، وتعطى القارىء فكرة عامة عنه ، كما أذكر بعض الأعمال والحوادث الهامة التى وقعت فى عهده ملتزماً فى ذلك غاية الإيجاز :

١ — على أثر تولى شامل قيـــادة الثورة وقيامه ببعض الاصلاحات والتنظيمات أوعزت الحكومة الروسية إلى أحد صنائعها شمخال[1] غمزانش ، وكلفته الاتصال بشامل بقصد استمالته إلى جانب الروسيين ، وإغرائه وإطماعه فى إمارة الجبل ، فاتصل الشمخال بالشيخ شامل ، وطلب منه أن يتوجه إلى مقر والى القوقاز فى مدينة « تفليس » حتى يعينه هذا الوالى الروسى أميراً على بلاد الداغستان ، إلا أن الشيخ شامل كان يعتبر نفسه أميراً وإماماً لبلاد الداغستان بمبايعة الداغستانيين له وتوليتهم إياه بعد اغتيال المرحوم حمزة بك سنة ١٢٥٠ هـ ولذلك لم يعر هذا العرض التفاتاً وضرب به عرض الحائط . وفى سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) تكررت هذه المحاولة لاستمالة الشيخ شامل ، وإنهاء حال الثورة فى بلاد الداغستان ، فقد اتصل القائد الروسى الجنرال « كلك » بالشيخ شامل وعرض عليه الذهاب إلى « تفليس » لمقابلة والى القوقاز ، وأكد له أن الوالى سيعينه أميراً على جميع المسلمين فى الداغستان ، ورفض الشيخ شامل هذا العرض أيضاً لأنه كان يعد نفسه أميراً منتخباً من الأهلين بكامل حرياتهم ، فلم يرض لنفسه أن يتلقى الإمارة من يد عدوه ومستعمر بلاده ، وعقد العزم على مواصلة القتال حتى يقضى الله أمره ، ثم تكررت هذه المحاولة سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) من جانب الروسيين ولكنها فشلت أيضاً .

٢ — فى أوائل سنة ١٢٥٨ هـ انتصر الشيخ شامل على القائد الروسى الجنرال « كرف » انتصاراً باهراً . فى معركة فاصلة حاسمة واضطر هذا القائد الروسى إلى الانسحاب العام ، ولجأ إلى قلعة « شورا » الشهيرة . وكان لهذا النصر وقعه الحسن بين إخوان شامل ومريديه ، فاقترحوا عليه أن يبعث وفداً من قبله لمقابلة خليفة المسلمين السلطان عبد المجيد خان فى القسطنطينية ، وبعد إلحاح شديد نزل شامل على إرادة أعوانه ، وألف وفداً من ثلاثة أشخاص اختارهم لهذه السفارة بينه وبين الخليفة ، وحملهم عريضة كتبها باسمه واسم اخوانه المجاهدين الداغستانيين إلى مقام الخلافة العظمى . ولسنا ندرى مضمون هذه العريضة ، و الغاية المرجوة منها ، ولكنها على كل حال لا بد أن تكون عرضاً لأحوال المسلمين فى الداغستان ، وربما كانت متضمنة طلب العون والمساعدة المادية أو الأدبية على الأقل من خليفة المسلمين .

وسافر هذا الوفد إلى بلاد الجركس فى طريقه إلى القسطنطينية ثم جاوزها إلى بلاد « أبازه » على ساحل البحر الأسود ليركبوا من هناك أحد المراكب البحرية إلى عاصمة الخلافة . إلا أن أخبار هذا الوفد كانت قد سبقته ، فوجد العيون والأرصاد فى كل مكان فلم يستطع أعضاؤه ركوب البحر لأن عيون الروسيين كانت ساهرة ، وأخيراً استطاع أحد الأعضاء « الشيخ الجركوى » أن يتسلل إلى أحد المراكب بدعوى أنه من الحجاج القاصدين إلى الديار الحجازية وحمل بين طيات ثيابه عريضة الشيخ شامل ، وأوصلها إلى رجال ديوان الخليفة غير أنه لقى مطلا وإهمالا غريباً ، ووعوداً كاذبة . وقضى نحبه بعد مرض يسير قبل أن ينال رد الخليفة على عريضة قائده وإمامه الشيخ شامل . وبذلك أسدل الستار على هذه الرواية

(يتبع) **برهان الدين الداغستاني**

(١) لقب يطلق على بعض حكام الأقاليم والرؤساء هناك .

ليالى الحصاد

[إلى أستاذنا صاحب الرسالة الذى وصف الحصاد
فلم يدع فضلا لنثر ولا لشعر]

للأستاذ محمود الخفيف

طربت فأشرعت مزماريه   أدير إلى الريف ألحانيه
أغنى بأيامه الضاحكات   وليلاته الحلوة الساجيه

وإنى لأهفو إلى ذكره   وأملأ قلبى من سحره
أعيش أوبقاتى الماضيات   وأنهل لذاتها ثانيه

وإنى على البعد غِرِّيده   يجدد لحنى ترديده
أغنى بما قر فى مسمعى   أرجع أصداءه الغاليه

أرقرق فى اللحن ضوء القمر   وسحر العشايا ونفح البُكر
وفيض المنى من ليالى الحصاد   وروح الهناءة والعافيه

ليالى الرضا والصبا والوداد   ورجع الهوى فى أغانى الحصاد
على الأرض منها غناء يروق   وفى الجو أطيافها شاديه

هلم فما الليل ليل الرقاد   ولا قامه قائم من مهاد
هلم نجدد عهود الهوى   ونغنم صبابته الباقيه

هلم فقد طاب ليل الحقول   ولذ السرى بين تلك السهول
وأطلق فيها نسيم العشاء   أوائل أنفاسه الصافيه

دعانى فتى مستفيض الجذل   تهلل فى مقلتيه الأمل
تريك إلى وجهه نظرةٌ   دلائل عيشته الراضيه

تحدث عيناه عن حبه   وما أودع الحب فى قلبه
وتجلو أحاديث أحلامه   كما رقت النسمة الوانيه

مشينا ... يغنى وأصغى له   فيطرح قلبى أثقاله
يغنى بحاضره المستهام   وأذكر أيامى الماضيه

تحلق للسمر الحاصدون   وصفق للزامر السامرون
وطافت بهم نفحات الشباب   فلم تخل من مرح ناحيه

يردد ياليل شادٍ هنا   ويهتف ذو صبوة ها هنا
وهذى الطبيعة يقظانةٌ   كأن لم تبت ليلة غافيه

طربت لصوت سرى من بعيد   رخيّ الهتاف شجيّ النشيد
تهلل فى خاطرى لحنه   وندى بشكواه أجفانيه

جليلة، هاتى شكاة هواك   صفى كيف كان تجنى فتاك
غناؤك فى الليل حلو الصدى   تطوف به النسمة الساريه

على القرب لحن ولحن بعيد   وشاد تحدى وشاد يجيب
ويهتف زمارة ها هنا   وأخرى تجاوبها شاديه

وكل فتى بات يشكو الهوى   وبرح الضنى والنوى والجوى
أغانيهمو من مراح الشباب   وأحلام أيامه اللاهيه

وكم صاح من طرب سامر   يغنى له حاصد شاعر
وكم فصل اللحن إنشاده   ورتل أرغوله القافيه

أطل على الأفق ملك السماء   ندىّ المحفة كابى الضياء
على ذهب الحقل من تحته   جرى ذوب فضته الكابيه

وقاموا صفوفاً إلى السنبل   تندى وأحصد للمنجل
ولذ التسابق للحاصدين   سيوف مناجلهم ماضيه

تجز المناجل سُوق الحصيد   وفى الليل يسرى رنين الحديد
وخشخشة ها هنا وهنا   تموّج نائية دانيه

ومن كل صوب وركن غناء   ورجع يروق بأقصى الفضاء
وقد رقرق الفجر أنفاسه   ولاحت خيوط له قانيه

تورّد فى الشرق لون الشفق   وهل به النور ثم اندفق
وسالت على حُزم الحاصدين   خيوط مذهبة جاريه

هنا وهناك يُرى الحاصدون   أطلت ذكاء وهم قائمون

تعقيبات

مسابقة في غير ميدان :

اختار المجمع اللغوى للمسابقة الأدبية التى يجريها للعام المقبل موضوعين : أحدهما «الحياة الأدبية فى المدينة على عهد الأمويين» وثانيهما « كتابة بحث عن مهيار الديلمى » الشاعر المشهور .

والحياة الأدبية فى المدينة موضوع أخلقه كثرة الكلام فيه والحديث عنه ، وفيه من البحوث القديمة والحديثة والدراسات المطولة والمدرسية شىء كثير جداً ، وكله ميسر للقارئين جداً ، ومهيار الديلمى شاعر كبير حقاً ، ولكن حسبه حظوة أن قامت دار الكتب بطبع ديوانه الضخم طبعاً فاخراً ، وقررت الوزارة دراسته فى مدارسها وسار من أشعاره وأخباره كثير فى ألسنة الناس وإنما الشأن فى مسابقة كالتى يجريها المجمع أن تكون فى موضوعات يرود فيها الباحث مجاهل جديدة ويكشف فيها عن آثار لا تزال مطمورة ، وعندنا فى الأدب العربى عصور مغلقة أمام الباحثين ولا تزال ثروتها الفكرية مدفونة وهى تنتظر الجهد لكشفها وإخراجها ، فمثلا الأدب المصرى حتى فى أزهى عصوره لا نعرف منه إلا شذرات طفيفة ، والأدب الأندلسى لا نقف فيه إلا على جملة أخبار محفوظة ، والأدب العربى فى شمال إفريقية من عهد عقبة بن نافع إلى اليوم لا ندرى فيه كثيراً ولا قليلا ، فكان الأجدر بالمجمع أن يجمل ميدان المسابقة فى تلك الميادين التى يجدى فيها السباق على الأدب والبحث ، أما المسابقة فى البحث عن مهيار وعن الحياة الأدبية فى المدينة فإن من اللائق أن تكون مسابقة لتلاميذ المدارس إذ يراعى نحوهم تيسير البحث عليهم …

فهل لرجال المجمع أن يعيدوا النظر فى اختيار الموضوع ، وأن يراعوا فى ذلك إيثار النواحى التى لا تزال مجهولة غامضة …

هذه الألفاظ الأثرية :

فى العدد الذى وصل أخيراً من مجلة « الغرى » التى تصدر فى النجف مقال بعنوان « أسماء منتخبة لمعان مستحدثة » بقلم الشيخ أحمد رضا ، مهد له الشيخ بمقدمة قال فيها : « عهد إلى المجمع العلمى العربى وأنا من أعضائه الأقدمين بتأليف معجم لغوى يلائم روح العصر تنسيقاً وترتيباً ويكون جامعاً لمتن اللغة دون شروح أو تعاليل لأنها ليست من هم الطالب المعجل الذى يطلب معنى الكلمة العربية كما سمعت من العرب ، وليس من همه أن يبحث عنها كيف استقرت على صيغتها المسموعة عنهم ، وإنما ذلك شأن الباحثين المتخصصين فى فلسفة اللغة وتطورها فأنجزته والحمد لله حاوياً للمواد الواردة فى أشهر كتب الأئمة … ثم رأى المجمع أن أوجزه بكتاب مختصر يكون نجدة للناشئين المتأدبين ولا سيما الطلاب فى المدارس ، فقصدت إلى ذلك وألحقت ما أثبت عليه بأسماء منتخبة لمسميات حديثة تراءت لى أثناء مراجعاتى اللغوية»

ثم أورد الشيخ بعضاً من هذه الأسماء التى انتخبها وهى «الدرمك» للدقيق المحوَّر الأبيض المعروف بالفاخر ، و« الدغرى مصدر دغر » للحرب المفاجئة المعروفة بحرب الصاعقة ، و «المدغرة» للحرب المضوض التى شعارها دغرى ، و «المربقة» للساندوتش ، و «الدلق» للروب يلبسه القضاة والمحامون ، و «النيم والنامة » للبيجامة ، و « الربيدة » للدوسيه ، و « التلآء » للجواز المؤقت … إلى آخر الألفاظ التى أوردها الشيخ وكلها من هذا القبيل …

وكل هذا عناء لا طائل تحته ، والواقع أن رجال اللغة عندنا يشقون على أنفسهم كثيراً ويتحملون كل هذا العناء استجابة

ورافت أهازيجهم فى الصباح   وطابت منى الرزق والعافيه

ألا كم سهرت بتلك الرحاب
وكم أسكرتنى الليالى العذاب
وكم ذقت فيها كؤوس الهوى
على عفة صنتها ، غاليه !

ليالى المنى والصبا والوداد
ورجع الهوى فى أغانى الحصاد
على الأرض منها غناء يروق   وفى الجو أطيافها شاديه

الخفيف

لفكرة متسلطة على أذهانهم وهى التدليل على أن اللغة العربية غنية بمادتها بحيث تكفى ألفاظها لكل معنى مستحدث وفى كل غرض جديد، فهم يرجعون إلى القواميس يلتقطون منها تلك الألفاظ المجفوة الميتة ويضعونها للمعانى الحديثة فى حياة الناس، وما مثلهم فى ذلك إلا كمثل رجل ينزل إلى السوق إلى اليوم فيصر على أن يتعامل بالدراهم وبالدنانير التى ضربت على عهد الرشيد، ويزعم للناس أن الدرهم لا يزال درهما، والدينار لا يزال ديناراً!

فالأمر فى وضع الألفاظ اللغوية وانتخابها ليس مجرد إيجاد تلك الألفاظ فحسب، بل إيجاد الألفاظ التى تصلح للحياة، فيتفاهم بها الناس فى أحاديثهم، ويتعامل بها الكتاب والشعراء فى ألفاظهم وتعابيرهم، ومن من الكتاب والشعراء يطيق ذوقه أن يستعمل الدرمك، والدغرى والمدغرة والدلق والمربقة ...

فلعل رجال اللغة يقدرون هذا ويصرفون إليه جهدهم، وإلا فليوفروا على أنفسهم وعلى الناس العناء والشطط ...

الشيوعية فى هوليود:

فى الأنباء الواردة من أمريكا أن اللجنة الفرعية التى تألفت من أعضاء مجلس النواب هناك للتحقيق فى الأعمال التى يقوم بها غير الأمريكيين اكتشفت «أن الشيوعية قد تأصلت جذورها فى هوليود وفى صناعة الأفلام..»

وقد أدلى المسترجيمس مكدويل عضو اللجنة بأن الشيوعيين موجودون فى جميع فروع صناعة الأفلام، فنهم مهندسو المناظر، ومنهم الفنانون، ومنهم المصورون والمخرجون، ومنهم الكتاب والمؤلفون، وقد كشف التحقيق عن وجود حلقة من الشيوعيين تتسرب إلى داخل البلاد عن طريق المكسيك ...

وهكذا أصبحت هوليود مدينة الحب والجمال، والفن والمال وهى أيضاً مباءة للنزعات السياسية والاتجاهات المذهبية، كأن السياسة الملونة تأبى إلا أن تمكر كل مورد، وتستغل كل أسلوب للتأثير فى أذهان الناس.

ما أشبه استغلال الدعاية الشيوعية لهوليود بالمؤامرة التى صنعها الألمان فى الحرب العالمية الأولى فى مصانع الذخيرة للحلفاء ومحاولة حشو القذائف بالرمل، إنه فى الواقع استغلال خطير، لأن هوليود كما معروف تتسلط على العالم بفنها، وبأفلامها، وإن مما يؤلم أن يصير الفن أداة للسياسة، وأن يصبح سلاحاً للدعايات الذهبية مهما كان لونها، ومهما كان هدفها، إنما الفن صوت الإنسانية الخالص من شوائب الأغراض، فمتى يمضى الفن إلى هذه الغاية مترفعاً عن أوضار الدعاية ومآرب السياسة ...

الشعر والغناء:

يشتغل المطرب المعروف محمد عبدالوهاب فى هذه الأيام بتلحين قصيدة «مضناك جفاه مرقده» للمغفور له أحمد شوقى بك، وهذه القصيدة التى عارض بها أمير الشعراء قصيدة الحصرى المشهورة: «ياليل الصب متى غده..»

وإن مما يدعو إلى الاغتباط أن يتجه كبار المطربين والمطربات عندنا إلى الغناء فى الشعر الرفيع، واختيار القصائد الممتعة والمقطوعات الرائعة لتشنيف الأسماع وإشباع العواطف، فقد كان الغناء عندنا ابتذل فى الكلام التافه الرخيص والتعابير العامية المكشوفة، وكنا كلما شكونا من هذا وطالبنا أهل الطرب بالترفع عن هذا التخنث احتجوا بأن هذا هو الذى يطلبه الجمهور ويفهمه ويقبل عليه، فلما غنى عبد الوهاب فى شعر شوقى، وغنت «أم كلثوم» سلو قلبى. لم يطرب الجمهور، بل لم يطرب العالم العربى أجمع مثل ماطرب لهما فى هذا، حتى أصبح العامة يستظهرون هذه القصائد والمقطوعات ويرددون نغماتها فى غدوهم ورواحهم، ولا شك أن لهذا أثره الطيب فى تقويم الألسن وتهذيب العواطف

حدثنى الشيخ محمد الخضرى رحمة الله عليه قال: لقد سمعت عبده الحمولى يغنى فى حشد يبلغ الألوف، فرأيته يتلاعب بألبابهم ويهز عواطفهم، ولكنه من الأسف كان يغنى فى كلام مبتذل، فهجمت عليه فى عنف وقلت أيها الرجل: إن قيادة هذه الجماهير فى يدك، وأنت تستطيع أن تسير بهم فى طريق الخير والتهذيب فلملك تفعل ...

وهكذا يجب أن نفهم أن الغناء أسلوب من أساليب التهذيب وأنه فى هذا أداة ساحرة مؤثرة، ولهذا يعنينا أن نسجل هذا الاتجاه الحميد الذى يتجه إليه المطربون عندنا بالغناء فى الشعر الجميل ...

«الجاحظ»

الأدب والفن في أسبوع

التربية ورفع المستوى الاجتماعي :

أقامت الجامعة الأمريكية في مساء الخميس حفلتها السنوية النهائية لتوزيع الأجازات العليا على الطلبة المنتهين في قاعة يورت التذكارية . وكان من مواد هذه الحفلة بحث قيم للدكتور جون س . بادو رئيس الجامعة الأمريكية بالقاهرة في « التربية ورفع المستوى الاجتماعي » أبان فيها ما يسود العالم من القلق الاجتماعي، وما يشاهد في مصر من سوء الحالة المعيشية ، وذكر أن ما تبذله الحكومة من العناية لحل المشاكل الاجتماعية يجب أن تؤازره الطبقة المتعلمة التي تتخرج في المدرسة ، فيجب أن تعنى المدرسة بتلك المشاكل أجل العناية ، فتربي في تلاميذها الوعي الاجتماعي ليحفزهم إلى تحمل نصيبهم في دفع البؤس عن مواطنيهم ، وليكون هدفهم المساهمة في رفع مستوى المجتمع المصري إلى مستوى أعلى وأفق أوسع ، لأن هذا هو مقياس نجاح التربية لا جواز الامتحانات ونيل الشهادات . ومن واجب المدرسة أن تحمل المسئولية الاجتماعية من أهم ما تعنى به من التربية في مناهجها ، فيوجه المدرسون إليها عنايتهم ضمن ما يعنون به من المواد الدراسية ، وذكر كيف استطاع أحد أساتذة اللغة اليونانية أن يجعل من دراسة الآداب اليونانية القديمة حافزاً للاهتمام بمشاكل المجتمع وحاجياته ، لأنه كان يربط قصص الماضي وأساطيره بالوقت الحاضر ومشاكله .

ونقول إن هذا المثل الطيب ينفع احتذاؤه نفعاً كبيراً في دراسة الأدب العربي الحديث في مدارسنا عند البحث في سير رجاله وآثارهم في النهضة الحديثة وخاصة ما واجهوه من المشاكل التي لا تزال نواجهها أو نواجه أمثالها ، فنخرج بذلك عن النطاق المضروب حول « التاريخ الموجز لحياة الشخصية ، ومعرفة أسماء أهم آثارها ، ثم حفظ شيء من نظمها أو نثرها » .

ولا شك أن ذلك يبعث في الدراسة الأدبية الحركة والحياة ، إلى ما يؤتيه من الإلمام بالمسائل القومية ، وما يحققه من الوصول إلى هدف التربية في الوعي الاجتماعي .

توفيق الحكيم يرد الوسام الفرنسي :

ذكرت « أخبار اليوم » أن الأستاذ توفيق الحكيم أرسل إلى سفير فرنسا كتاباً يرد به إلى فرنسا وسامها « أوفيسيه دا كاديمي » الذي منحته إياه الجمهورية الفرنسية في أول مارس سنة ١٩٣٨ تقديراً للأدب ، لمناسبة ترجمة بعض كتبه إلى الفرنسية ؛ ونشرت نص هذا الكتاب ، وهو يتضمن أنه حمد لفرنسا ذلك التقدير ، ثم شاءت الأيام أن تفجعه في عاطفة الإعجاب التي يكنها لها . فالأدب من أهم خصائصه « الحرية والإنسانية » ، ولم يكن يتوقع أن فرنسا تعتدي على الإنسانية إلى حد حبس الطعام عن أفواه جياع لا حول لهم ولا طول ... وكان حظ الحرية مماثلا ، فقد غضبت فرنسا لأن مصر تركت للأمير عبد الكريم حرية اختيار نزوله ومقامه ، وهو ليس بمذنب ولا بمجرم ، إلى أن قال :

« فما معنى الأدب إذن في رأي فرنسا ... إذا لم يكن للحرية والإنسانية عندها من معنى ... » ؟

وقد أحسن الأستاذ الحكيم بذلك ، وكان فيه لبقاً واعياً ... فإنه لم يخسر إلا شيئاً تافهاً لا قيمة له ، إلى جانب ما كسبه من إرضاء شعوره ، فضلا عما يجره هذا الصنيع من جميل الذكر ، وما يحدثه من حسن الأثر !

ألا ليت « المتفرنسين » كلهم توفيق الحكيم !

الأدب المصري القديم :

نشرت مجلة « مسامرات الجيب » مقالا للعالم الأثري المعروف الأستاذ سليم بك حسن بعنوان « أدبنا المصري أقدم أدب في العالم » تضمن معلومات مهمة ، منها تصحيح لبعض القضايا الأدبية المشهورة ، مثل الدرامة التمثيلية التي تعزى نشأتها إلى بلاد اليونان ، وكذلك القصص الخرافي ؛ فينفي سليم بك أولية اليونان في ذينك الفنين ، ويقول بأن الأدب المصري القديم أول

أدب ظهرت فيه الدرامة التمثيلية والقصص الخرافى ، ويقول « كان المصرى أول من قص القصص ، ومنه تعلم العالم القصص وفنونه فلا تكاد تقرأ فى كتاب من الكتب الغربية قصصا إلا وتجد أنه يرجع إلى أصل مصرى قديم مع بعض التغيير والتبديل حسبما تقتضيه البيئة والأحوال ، ولا أدل على ذلك من أن بعض قصص ألف ليلة وليلة مصرية فى عنصرها الأصلى . وقصة يوسف عليه السلام تجد مثيلتها فى القصص المصرى القديم وهى قصة الأخوين » .

فإذا كانت لنا تلك الأوليات فى فنون القصص ، إلى أدبنا العربى وفنونه ، فقد جمعنا المجد من أطرافه .

شيء جديد :

لم أجد لهذا « الشيء » اسما فيما نعرف من أنواع الأدب ، فهو ليس بنظم لأنه لا يخضع لوزن ، ولم يكتب كما يكتب النثر ، بل وضع فى هيئة الشعر ، يشغل السطر منه فراغ بيت موزون ، ويتحد كل سطرين فى قافية ، ويأخذ كل أربعة أسطر حيزا محدودا ، ليتكون من الجميع « رباعيات » فهو كلام مقاسٌ مقفى ... فماذا يكون ؟

هو « رباعيات عمر الخيام بقلم توفيق مفرج » وقع فى يدى هذا الأسبوع ، وكنت قرأت عنه فى بعض الصحف الكبيرة ثناء وحمدا ، فجعلت أقرأ ما احتواه ، فإذا هو على النسق الذى قدمت صفته ، وهاك « الرباعية » الأولى :

« انهض ! فالصباح قد قذف بالشمس إلى الفضاء
فهرب الليلْ ، واختفت نجوم السماء
والشعاعْ ، يتساقط كنصال السهام
فيصيبُ أعالى الحصون ، والجبال ، والآكام »

وقد استرعى نظرى ضبط آخر كثير من الكلمات بالسكون كما فى هذه السطور ، فلم هذا التسكين ؟ أهو لضرورة وزن يخضع لتفاعيل جديدة ؟

لقد قرأنا ترجمات لرباعيات الخيام نظمها السباعى ورامى والزهاوى وغيرهم ، نظما عربيا معقولا ، فما هذا الذى صنعه صاحب (أحدث ترجمة !) لرباعيات الخيام ؟

عدت إلى صدر الكتاب فلمحت أربعة أبيات ... معذرة ! أربعة أسطر ، يهدى بها الكتاب ، ونصها :

« إلى التى على (كذا) البيت بالحب والهناء
إلى المرأة الفاضلة جنة الأرض والسماء
إلى زوجتى التى أوحت إلى الشعر والغناء
أقدم هذا الكتاب ميثاقا للحب والوفاء »

إذن فالرجل يعد هذا شعرا ... ليس فحسب ، بل شعرا وغناء !

وعلى هذا النمط من « الشعر » ترجم رباعيات الخيام . ولا شك أن له أن يفعل ، تمتعا بحق « الحرية الشخصية » ولكن الذى لا يجوز السكوت عليه هو تورط كبريات الصحف فى المجاملات على حساب الأدب ، إلا أن يكون الزملاء يكتبون عن الكتب من بعيد دون تجشم قراءتها ومعرفة أى شيء هى ...

قروى فنان :

هو عبد الغفار دراج من قرية « جاجون » بمركز دسوق ، قال محرر جريدة « النداء » إنه سمع به ورأى له صوراً بارعة ، فقام برحلة إلى قريته (جاجون) والتقى به هناك فى (الجرن) وأراد المحرر أن يتحقق صدق ما بلغه عن فن عبد الغفار فدفع إليه صورة جلالة الملك وطلب منه أن ينقلها أمامه ، فجلس عبد الغفار إلى « طبلية » وبدأ العمل ... ورسم صورة الملك كما رسم غيرها رسما جيدا ؛ وقد رأينا مجموعة من تصويره منشورة بالنداء ، منها صورة جميلة لقروى شيخ جلس القرفصاء يدخن فى (الجوزة) وأمامه إبريق الشاى على موقد وبجواره جرة ودجاج وباقى أمتعة بيته ، وقد بدا الهدوء والدعة على وجه الشيخ العائد من حقله ليستمتع بالراحة فى بيته ويرسل متاعبه مع دخان النرجيلة إلى الفضاء

وعبد الغفار لا يقرأ ولا يكتب ، وهو فى الثامنة والثلاثين من عمره ، وقد هوى الرسم من صغره ، وبدأ بمحاكاة صور المجلات التى كانت تقع فى يده ، ثم أخذ يرسم القرويين من أبناء بلده ويبيع لهم الصورة بقرش .

وقد رأى صاحب « النداء » أن يضمه إلى قسم التصوير بالجريدة ... وهكذا يبدأ « الأستاذ عبد الغفار دراج » مرحلة جديدة من حياته ، فيصبح فنانا صحفيا ... يقوم دليلا حيا على ما فى ريف مصر من مواهب إلى ما فيه من خيرات

النجوى الموسيقية :

النجوى تعريب كلمة (سرناد) ومعناها موسيقى المساء ، والأصل فى هذه الموسيقى أن تكون تأليفا غنائيا غزليا يغنى أو يعزف ليلا تحت نافذة المحبوب أو فى الخلاء القريب من مكان المحبوب .

وقد تحدث عن هذا النوع من الموسيقى الأستاذ عبد الحميد توفيق زكى المشرف على البرامج الموسيقية فى الإذاعة المدرسية ، فذكر أن النجوى دخلت الموسيقى المصرية على ثلاثة أطوار : الطور الأول تلك الأغانى المصرية الحديثة التى منها الجزء الأول من أغنية « عند ما يأتى المساء » للأستاذ محمد عبد الوهاب ، والطور الثانى يتمثل فيما قامت به الجمعية المصرية لهواة الموسيقى من ترجمة بعض المؤلفات الموسيقية العالمية لإدخال أنواع جديدة فى التآليف الموسيقية المصرية ، ومنها النجوى التى مطلعها : « ياليالى كم ينادى عاشق أسير » . أما الطور الثالث فهو محاولة تلحين أغان خفيفة مصرية ذات طابع شرقى ، ومع ذلك تؤلف على القواعد الموسيقية العالمية ، وقد نجح فى هذه المحاولة اتحاد الموسيقيين الجامعيين .

ثم قدم الأستاذ مغنيا قال إنه سيصاحب بالغناء قطعة من النوع الأخير عنوانها «ذكريات» إذا أصغى إليها المستمع ، بغض النظر عن مصاحبة الغناء لها ، أحس المعنى الذى تعبر عنه . ثم عزفت الموسيقى ، وغنى المغنى ، ولكننا لم نستطع أن ننفض السمع عن الغناء ، لنعيش لحظة فى جو الذكريات ، لأن المغنى كان صاخبا كالحاضر ، فجعلنا نتطلع إلى المستقبل الذى يعقب انتهاءه .

أفلام ثقافية عربية :

كانت إحدى شركات السينما العربية قد اتصلت بإدارة الثقافة بالجامعة العربية ، بغية الظفر بتأييد الجامعة الأدبى فيما يتعلق بالأفلام الثقافية العربية المؤلفة والمعربة ، مما سوف تخرجه تلك الشركة .

وقد عرض ذلك الطلب على المكتب الدائم للجنة الثقافية بجلسته الأخيرة ، فوافق على توصية الدول العربية الأعضاء بتيسير عرض ما عسى أن تنتجه تلك الشركة من أفلام ، على شريطة أن تعرض الشركة ما تريد تشجيعه من الأفلام عرضا مفصلا على الإدارة الثقافية ، لتتولى عرض مايصلها من الشركة على المكتب الدائم لاتخاذ ما يراه بشأنها .

مطبوعات الدول العربية :

كانت وزارة المعارف العراقية قد اتصلت بالأمانة العامة للجامعة العربية،بشأن طلب بعض الأشخاص والهيئات الحصول على المطبوعات الرسمية التى تصدرها حكومات الدول العربية الأعضاء كالإحصاءات والنشرات ، وكثير من هؤلاء الطالبين قد يكونون غير معروفين لديها حتى تجيب طلبهم .

وقد عرض هذا الموضوع على المكتب الدائم للجنة الثقافية فاستقر الرأى على وجوب استفسار الوزارة التى يطلب منها مثل هذه المطبوعات ، عن مكانة الطالب ، من مفوضية البلد الذى ينتمى إليه .

وقرر المكتب أيضا أن توصى الأمانة العامة وزارات معارف الدول الأعضاء ، بتبادل الكتب والمطبوعات الرسمية الخاصة بالإحصاء والتعداد وما إلى ذلك ، فيما بينها .

« العباس »



فى اللغة ، تذكير مؤنث :

عمل حضرة صاحبة الجلالة (فوزية) وصاحبات السمو والنبل وسائر ذلك القبيل الكريم فى (مبرة محمد على الكبير) ونظائرها — هو عمل رجال بل عمل أبطال ؛ فقول جرائد ومجلات (فلانة عضوة فى المبرة ، وهن عضوات فيها) — شىء نكر ، وإزعاج عظيم لأرواح الراقدين فى (الجزيرة) من العرب الخلص فى الجاهلية والاسلام ، فما أنث العضو فى وقت من الأوقات أحد . وأبشع من تأنيث هذا المفرد تأنيث مجموعه . فاستعذ بالله من كلامهم وقل — إما شئت أن تقول — : فلانة عضو فى المبرة وهن أعضاء فيها . وقس على هذا العمل أشكاله ، وصف أهله بأوصاف الرجال ، فقل : محامى فلان فلانة ، ولا تقل : محامية ، وفلان طبيب فلان أو طبيب دار الشفاء[1] وفلانة أستاذ تلك المدرسة أو الكلية أو الجامعة ، وإذا حكم القضاء أن يجئن إلى القضاء بعد حين طويل (طوله الله) أو قصير (لا سمح الله) فقل : فلانة هى القاضى فى دار القضاء ، وكانت فلانة هى القاضى فى تلك الدعوى . وإياك وأن تقول : كانت القاضية ... وفى دار الندوة أو مجلس النواب يوم يجىء ذاك الأجل — ونراه بعيدا وإنهن ليرينه قريبا — هى نائب بين النواب لا نائبة ، والنائبة فى الكتاب والحديث — مصيبة ...

فإذا لغوت (أى تكلمت) بمثل ذلك وسطرت أحسنت ولم تسىء ، وسلكت سبيل أهل التحقيق . قال الإمام صاحب (المخصص) :

« ومما وصفوا به الأنثى ولم يدخلوا فيها علامة التأنيث وذلك لغلبته على المذكر — قولهم : أمير بنى فلان امرأة ، وفلانة وصى بنى فلان ، ووكيل فلان . وكذلك يقولون : مؤذن بنى فلان امرأة ، وفلانة شاهد بنى فلان . ولو أفردت لجاز أن تقول : أميرة ووكيلة ووصية ، وأنشد قول الشاعر :

فليت أميرنا وعزلت عنا مخضبة أناملها ، كعاب

وربما أدخلوا الهاء فأضافوا ، فقالوا فلانة أميرة بنى فلان ، وكذلك وكيلة ووصية . وسمع من العرب وكيلات ، وهذا يدل على وكيلة ، قال عبد الله بن همام السلولى :

فلو جاءوا ببرة أو بهند لبايعنا أميرة مؤمنينا

وقال : هى عديلى وعديلتى بدليل ما حكاه أبو زيد من قولهم عديلات » .

فدع الجائز (ولو أفردت لجاز) ودع القليل (وربما أدخلوا الهاء) وذكرْ ، ذكر فى كل حال ، ولا تؤنث ، وأرض الجماعة بما لا يغضب اللغة .

أعط — يا أخا العرب — ما أعطت العربية ، وامنع ما منعت فإذا أنت عادل حق عادل فى أحكامك وكلامك ...

السهمى

(١) فى (صبح الأعشى) : « وفيها أى دلى — بتشديد اللام — (أو دهلى) » ألف مدرسة ، منها مدرسة واحدة للشافعية وباقيها للحنفية . وبها نحو سبعين بيمارستانا وتسمى بها دور الشفاء » (قلت) هذه التسمية الهندية : دار الشفاء خير من البيمارستان أو المارستان كما كنا نقول من قبل وخير عندى من المستشفى كما يقولون فى هذا الزمان .

أمانة النقل :

كنت أقرأ فى كتاب (عثمان بن عفان) الذى أصدره فى هذه الأيام الأستاذ صادق ابراهيم عرجون المدرس فى الأزهر الفصل الذى عقده لتحقيق مقتل عمر ، فأجد كلاماً أحس أن فيه رائحة من كتابى ، ولا أجد الدليل عليه ، حتى إذا بلغت آخر الفصل ألفيته يقول : « وقال الأستاذان الفاضلان مؤلفا كتاب سيرة عمر » ويسرد ما علا صفحة من كلامى . فتألمت لا لأنه أخذ من كتابى ولم يعز إلى[1] فقد غصب كثيرون من هذا الكتاب ، وجعلوه نهباً مقسما وحمى مستباحاً ، وفيهم من يعد من كبار المؤلفين ، ولا لأن اسم كتابى ليس (سيرة عمر) ولا يعرف أحد من القراء من هما (الأستاذان الفاضلان) مؤلفاه . بل لأنى رأيت أن أمانة النقل قد فقدت حتى من الأزهر . وقد كنا نعده دارها ومستقرها ، ونرى أهله أهلها ، يحرصون عليها ، ويعرفون لها قدرها ، هذا والكتاب مع ذلك كتاب جيد جداً فى بحثه وأسلوبه . أشهدها شهادة لله وللعلم .

على الطنطاوى

(١) ولم يسم ، ولم يذكر الكتاب فى ثبت المصادر ...

الهزج والوافر :

اطلعت على ما علقت به (الرسالة) فى هامش البريد الأدبى على كلمة الأستاذ نظام مدنى فى العدد (٧٢٧) فى صدد بيت الأستاذ الشاعر مختار الوكيل وهو قوله :

أخى قد شاء رب السكو ن أن يجمع قلبانا

وتقول (الرسالة) إن « مطلع القصيدة من بحر الهزج بدليل الكف وهو حذف السابع الساكن فى التفعيلة الثالثة . ولم نر فيما قرأنا من الشعر الصحيح النقص فى مفاعلتن وهو اجتماع العصب والكف : أى تسكين الخامس المتحرك وحذف السابع الساكن » .

هذا ما عقبت به الرسالة ، ولتقرير الحقيقة نقول :

صحيح أن الوافر لا يدخله الكف وهو حذف السابع (المتحرك) إلا أن الوافر نفسه يدخله من الزحاف المركب (النقص) وهو اجتماع العصب والكف أى إسكان اللام وحذف النون من مفاعلتن ، ثم إن النقص لا يدخل إلا على الوافر فقط كما نص على ذلك العروضيون .

فبيت الأستاذ الشاعر صحيح ، وتعقيب الأستاذ المعقب أيضاً صحيح ، وغاية ما فى الأمر أن استعمال الزحاف المركب — على صحته — قبيح للشعراء المحدثين . والسلام ...

(الزيتون) **عدنان أسعد**

(الرسالة) لا زلنا نقول إن الكف وهو حذف السابع (الساكن) إنما يدخل مفاعيلن فى الهزج ولا يدخل مفاعلتن فى الوافر . وإذا أجازه العروضيون قياساً فقد منعه الشعراء سماعاً . وإذن يكون الفارق بين مجزوء الوافر وبحر الهزج هو حذف النون من مفاعيلن أو تحريك اللام فى مفاعلتن ؛ فحيثما وجدت النون محذوفة فهو الهزج ؛ وحيثما وجدت اللام متحركة فهو الوافر ... وإذا اتفق فى القصيدة كلها أن دخل مفاعلتن العصب فسكنت اللام ولم يدخل مفاعيلن الكف فبقيت النون حملت على الهزج ، لأن هذا الوزن أصيل فيه . والشعراء المحدثون يخلطون بين البحرين فيجمعون بين مفاعيلن المحذوفة النون وبين مفاعلتن المفتوحة اللام

حول خطأ عروضى شائع :

ذكر الأستاذ خليل ابراهيم الخطيب فى العدد ٧٢٥ أن قصيدة الأستاذ مختار الوكيل التى مطلعها :

أخى قد شاء رب السكون أن يُجَمِّعَ قلبانا

مزيج من الهزج والوافر ، وقد بين الأستاذ نظام مدنى فى العدد ٧٢٧ أنها من مجزوء الوافر ولكن الرسالة علقت على هذا القول بأنها لم تر فى صحيح الشعر دخول النقص على الوافر ، ولكنى وجدت فى قصيدة جزيرة المشاق من ديوان الشوق العائد للأستاذ على محمود طه هذين البيتين :

ليالى الصيف فى كَبْرى أم الفتنة فى البحر
تنفَّسَ جوه عطراً بفضضه سنا البدر

فإما أن يجوز دخول النقص على الوافر وإما أن تصبح قصيدة الأستاذ على محمود طه هى الأخرى مزيجاً من الهزج والوافر وللرسالة جزيل الشكر .

محمد الأنور الحلبى

(الرسالة) البيت الأول من الهزج قطعاً لحذف السابع الساكن من التفعيلة الثالثة ، والبيت الثانى من مجزوء الوافر قطعاً لتحرك الحرف الخامس فى التفعيلة الأولى والثالثة .

حجرة التحمس :

سيدى صاحب — من وراء المنظار —

... ما إن قرأت مقالتكم (حجرة التحمس) وأنا مضطجع فوق حشيتى المتواضعة بقاع الريف ساعة القيلولة حتى انتفضت واقفاً وأمسكت بقلمى لا لأشكرك على تصور الواقع من حياتنا المقلوبة الأوضاع فى شتى مظاهرها فأنت فى غنى عن شكر أمثالى الذين تحصرهم القربة بحدودها الضيقة فى كل مجال ! وإنما لأقول لك يا سيدى الفضال إن هؤلاء هم الموظفون الذين تشفق عليهم الدولة وترثى لحالهم فتتدفق عليهم العلاوات والدرجات وتبتكر القوانين التى تقرب إليهم آمالهم ورغباتهم — أما المعلم الأولى الذى يسوس الأطفال الصغار (عفاريت الإنس) فى نهاره ، ويقود الكبار فى مكافحة أميتهم فى ليله ! هذا المعلم الذى يضع بيده الحجر الأول فى تربية الأمة وتنشئة أجيالها القادمة تقف له الدولة بالمرصاد فتحرمه من كل ما تبذله لهؤلاء الموظفين وأمثالهم صغاراً وكباراً ! !

ترى متى يعرف لصاحب الفضل فضله ، ويعطى لكل ذى حق حقه ، على أسس المساواة والعدالة بين الجميع ؟ !

(دميرة) **خورشيد عبد العزيز**



ماء الحيـــاة . . !

[مترجمة عن الإنجليزية من كتاب
[Grimm's Fairy Tales

للأستاذ ماجد فرحان سعيد

فى قديم الزمان عاش ملك أضناه المرض حتى يئس من الحياة ، وكان له أولاد ثلاثة ، خرجوا إلى حديقة القصر ، وطفقوا يجهشون بالبكاء ، حزناً عليه . وبينماهم كذلك ، جاءهم شيخ وقور ، بلغ من العمر عتياً ، وسألهم عن سبب كآبتهم ، فأعلموه أن والدهم مشرف على الموت ، وما من حيلة تنفع فى شفائه . فقال الشيخ : « لكم فى شفائه ، طريقة واحدة فقط ، وهى أن تسقوه من ماء الحياة » .

ذهب الولد الأكبر إلى والده الملك ، وطلب إليه أن يأذن له بالبحث عن ماء الحياة ، إذ هو المنقذ الوحيد من دائه العضال . فقال الأب : « لا بد لك يا بنى من تجشم الصعاب والأخطار فى سبيل الحصول عليه ؛ فأرح نفسك من هذا العناء » ولكن الابن ظل يلح عليه حتى أذن له . فذهب فى طريقه ، وهو يقول فى ضميره : « إن أحضرت الماء ، فسأكون حتما أعز إخوتى لدى والدى ، وسيوصى لى بالمملكة من بعده » . وظل يهيم على وجهه ، حتى التقى به قزم وسأله : « إلى أين أنت ذاهب يا أخى ؟ » . فأجابه الأمير بلهجة تنم عما فى نفسه من الكبرياء : « هذا لا يعنيك !! » وتابع سيره . ولكن دبيب الانتقام دب فى صدر القزم . وبينما كان الأمير يجوس خلال ممر ضيق ، لاحظ أنه كلما تقدم فى الممر أخذ الممر يضيق به أكثر فأكثر ، حتى انتهى إلى نقطة لم يستطع فيها الحراك ... وانتظره والده طويلا ولم يرجع . وطلب

الزعيم « شكوكو » : [مهداة إلى أستاذنا الخفيف]

إن المتجول فى أحياء القاهرة يرى باعة يحملون تماثيل للمغنى الشعبى الهزلى « شكوكو » فكأن الشعب المصرى يريد أن يقول بلسان الحال : إن زعماءنا خطبوا طويلا فنسى الشعب ما قالوا ، وغنيت أنت فحفظ الناس ما قلت وصنعوا لك التماثيل .

غن . وأسمعه أنغام الحرية ليصنع تماثيله للشهداء .

وردد على أسماعه ألحان الاتحاد ليؤلف بين الزعماء .

وابعث فيه سحر سلطانه ليفخر بأنه سيد الملوك والرؤساء

وهزه بأنين أحزانه ليتحرر من هذا البؤس وهذا الشقاء .

وإنى أقسم لئن فعلت لتكونن أخطر على انجلترا وعلى أوضاعنا المقلوبة من ألف زعيم . لقد أكرمك الشعب يا صاحب التماثيل ، فهل أنت ممن يعرفون الجميل؟ **فتحى السمان محمد**

إلى مؤلفى الكتب المدرسية :

لمناسبة انعقاد المؤتمر الثقافى العربى الأول بلبنان فى ٢ سبتمبر القادم للبحث فى توحيد اتجاهات الثقافة العربية والعناية بموادها وأساليب تعليمها فى نواحى اللغة العربية والمواد الاجتماعية فى مراحل رياض الأطفال والتعليم الأولى والابتدائى والمتوسط والثانوى .

يسر الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية أن تدعو حضرات المؤلفين ودور النشر والمكتبات فى جميع الأقطار العربية إلى الاشتراك فى هذا المعرض ، بأن يرسلوا إليها :

أولا — نسختين من الكتب المؤلفة فى اللغة العربية بفروعها المختلفة لمراحل التعليم المتقدمة الذكر بما فى ذلك الكتب المختصة بتيسير الكتابة والنحو البلاغة وغيرها .

ثانياً — نسختين من الكتب الموضوعة فى مواد التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية فى هذه المراحل التعليمية .

ثالثاً — الوسائل العلمية لتعليم فروع اللغة العربية المختلفة ووسائل لايضاح لمادتى التاريخ والجغرافيا كالمصورات والخرائط والمجسمات والأجهزة التى من صنع لأفراد ودور النشر والشركات .

وترجو إدارة الثقافة أن يصل إليها ذلك قبل منتصف شهر يوليو (تموز) سنة ١٩٤٧ وأن يرسل باسم مدير الادارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية بشارع البستان بالقاهرة .

وسترد المعروضات لأصحابها بعد انتهاء المؤتمر عن طريق الادارة الثقافية ، إلا إذا شاء المؤلف إهداء النسختين أو إحداهما لادارة الثقافة بالجامعة العربية لحفظهما لديها تسجيلا لحركة التأليف المدرسى فى هذه المواد ، ورغبة فى التعريف بها ، وإشاعة الانتفاع منها فى أوسع نطاق .

الأمير الثانى من والده أن يأذن له فى البحث عن الماء ، إذ قال فى نفسه : « إن يكن أخى قد مات ، فسأرث المملكة بدلاً منه » . وظل يستعطف والده حتى أذن له فى الذهاب . فسار هذا فى أثر أخيه ، والتقى بالقزم نفسه . فابتدره القزم بالسؤال : « إلى أين أنت متوجه أيها الشاب ؟ » . فأجابه الأمير : « ليس من شأنك أن تعرف هذا أيها القزم الحقير !» . ومضى فى طريقه . فاستعمل السحر معه ، وكانت عاقبته وخيمة كعاقبة أخيه من قبله ، إذ وصل إلى أخدود ، أراد أن يتقدم فيه فلم تطاوعه قدماه .

ولما لم يرجع الولد الثانى ، اضطرب فكر والده عليه . فتوسل الأمير الصغير إلى والده أن يسمح له بالذهاب ؛ فرأى الوالد نفسه مضطراً على إجابة طلبه . وعندما التقى القزم بالأمير الصغير ، وسأله عن طريقه ، أجاب : « إننى أبحث عن ماء الحياة ، إذ به وحده يستطيع والدى أن ينقه من علتـه » . فقال له القزم : « وهل تعرف مكان وجوده ؟ » فأجاب الأمير : « كلا ! » . فقال القزم : « إذاً سأدلك عليـه لأنك سلكت معى سلوكا لائقاً ، مغايراً لسلوك أخويك المتعجرفين . إن ماء الحياة يتفجر من النبع الذى يجرى فى ساحة القلعة المسحورة ، تلك القلعة التى لن تستطيع اختراقها ، إن لم أعطك قضيباً من الحديد ، ورغيفين من الخبز . أما القضيب ، فاطرق به ثلاثاً على باب القلعة الحديدى فيفتح لك . وفى المدخل سترى أسدين فاغرين شدقيهما تستطيع أن تأمن شرهما ، بأن ترمى لكل منهما رغيفاً . ثم أسرع وأحضر قليلا من الماء قبل أن تعلن إشارة الوقت الساعة الثانية عشرة . إياك أن تتأخر ! لأنك إن فعلت فسيوصد الباب ولا تستطيع الخروج !» .

فشكره الأمير ، وأخذ منه القضيب والرغيفين ، وجعل يطوى الأرض حتى حطت به النوى إلى القلعة المسحورة ؛ فعمل بموجب إشارة القزم . ودخل من الباب إلى قاعة جميلة واسعة ، حيث كان يجلس عدد من الأمراء المسحورين ؛ فنزع الخواتم التى تحلى أصابعهم ؛ وأخذ سيفاً مرهف الحد ، وقليلاً من الخبز المطروح هنالك . ثم دلف إلى الغرفة المجاورة ؛ وإذا به أمام فتاة فاتنة تتموج كالطيف ، نظرت إليه من وراء جفون ترتعش بالميل والانعطاف ؛ ثم أخبرته أن مملكتها ستؤول إليه ؛ وإذا ما رجع إليها بعد سنة كاملة ، فسيزف إليها ويعيش معها سعيداً موفوراً .

ثم دلته على موقع النبع الذى يجرى منه ماء الحياة . ورأى فى الغرفة المجاورة سريراً مريحاً استاق عليه لأنه كان متعباً ؛ واستسلم لنوم هادىء عميق . ولكنه استفاق على صوت الساعة ، عندما أعلنت الثانية عشرة إلا الربع ؛ فأسرع إلى النبع ، وملأ كوباً صغيراً كان موجوداً هناك بالماء . ثم أسرع الخطو إلى الباب ؛ وما كادت رجله تطأ العتبة ، حتى دقت الساعة معلنة الثانية عشرة تماماً ؛ فأوصد الباب بقوة عظيمة جداً ، أطارت قطعة من كعب حذائه وهو خارج .

وبالرغم من كل هذا ، فقد كان مسروراً لنيله أمنيته . فعاد أدراجه إلى القصر ، والتقى فى الطريق بصاحبنا القزم . غير أنه لم يكن راضياً عن الرجوع إلى القصر دون أخويه ؛ ولذا سأل القزم أن يدله عليهما . فأجابه قائلا : « إن أخويك محصوران بين جبلين عقاباً لهما على كبريائهما ؛ أولم تسمع أن عاقبة الكبرياء وخيمة ؟!» فألح الأمير على القزم بتلبية طلبه حتى فعل ذلك» إلا أنه حذّر الأمير من أخويه ، إذ يضمران له السوء ولا يقيمان للأخوة وزناً .

وعندما رجع إليه أخواه ، أخذ السرور يتموج على قسمات وجهه ، فقص عليهما تفصيل ما حدث . وركب كل من الأمراء الثلاثة جواده ، حتى وصلوا إلى مملكة كبيرة ، أضنى الجوع والحرب السواد الأعظم من سكانها ، وأيقن ملكها أن لا مهرب له من الاغتيال . فذهب الأمير الصغير إلى هذا الملك ومد إليه يد المعونة فاستطاع الملك أن يسد جوع السكان ، وأن يرد الأعداء على أعقابهم خائبين . وبعد أن تم له ذلك أخذ الأمير السيف وما بقى من الخبز وركب مع أخويه حتى وصلوا إلى مملكتين أخريين ، فعمل فيهما الجوع والحرب فعلته الشنعاء كما فى المملكة الأولى . وبالطريقة نفسها رد الأمير عادية الدمار عن هاتين المملكتين .

ثم ركبوا السفينة يؤمون مسقط رأسهم . وفى ذات ليلة ، انثالت على أحد الأخوين الأكبرين الخواطر السود ، إذ قال للآخر : « لقد حصل أخونا الصغير على ماء الحياة ؛ وهذا يعنى أن والدنا سيورثه المملكة ، وسيقضى على حظنا وأمانينا !! » . فاضطرمت فى صدريهما فكرة الانتقام ، وتآمرا على اغتيال أخيهما . وبينما كان نائماً فى ذات ليلة ، أفرغا ماء الحياة من كوبه ، وملآه بدلا من ذلك بماء شديد الملوحة . ولدى أوبتهم لقصر أبيهم تناول

الأمير الصغير الكوب ، وقدمه لأبيه ؛ وما كاد الوالد يرشف جرعة منه حتى اشتدت عليه وطأة المرض ، وساءت حالته ، وبينما الوالد كذلك جاء الولدان الآخران وأخذا يتقولان على أخيهما ويتهمانه بتسميم الماء . ثم قدما لأبيهما ماء الحياة الحقيق ؛ وما كاد يرشف قليلا منه حتى تماثل ، وأخذ وجهه يتلألأ بالنضارة والنشاط كأنما عاد إلى صباه . وذهب الأخوان الأكبران إلى الصغير وخدعاه بقولهما : لقد حصلت فى الحقيقة على ماء الحياة ولكن بما أنك فرطت فى الحيطة والحذر ، فلقد أفرغنا الماء من كوبك دون أن تدرى ؛ وزيادة على ذلك فسيحاول أحدنا فى غضون هذه السنة أن يستولى على قلب أميرتك . ولكن حذار من أن تخوننا ؛ وإلا فلن نتردد فى القضاء عليك ! وإنك تعلم أننا لا نوعد إلا تحقق الوعيد ! ! » .

وما كان من الأخوين إلا أن أوغرا صدر والدهما عليه حتى أصدر الحكم بقتله ؛ فأمر صياده الخاص بتنفيذه ، وبعد أن توغل الأمير والصياد فى الغابة ، لاحت أمارات الحزن على محيا الصياد فسأله الأمير عما به ؛ فأجابه الصياد : « من المفروض على أن لا أجاهرك بالسر ؛ ولكنى أرانى مدفوعاً إلى الإفضاء به ، من تلقاء عاطفتى وشفقتى عليك ! » . فقال له الأمير : « قل بشجاعة ماتشاء فليس عليك من بأس ! » . فأجابه الصياد ، مصعداً زفرة عميقة : « لقد عهد إلىَّ والدك الملك بقتلك ! » . فاعترى الحزن الأمير آنئذ ، وقال والخوف يكاد يعقل لسانه : « أناة أيها الصياد ! إن روحى عزيزة على ، فارحمنى يرحمك الله ! » . وقرت فى نفسه فكرة التنكر بزى الصياد ، ففعل . وقفل الصياد راجعاً إلى القصر ؛ أما الأمير فتوغل فى الحرج ...

وبعد مدة قصيرة ، وردت ثلاث عربات مثقلة بالذهب والحجارة الكريمة إلى قصر الملك ؛ وقد بعثها الملوك الثلاثة للأمير الأصغر ، اعترافاً بفضله عليهم عند ما أعطاهم السيف الذى هزموا به الأعداء ، والخبز الذى ردوا به عادية الجوع الفاتك . وتجاوبت فى نفس الملك آنئذ أصداء فكرة فقال : « لعل ابنى يكون بريئاً !؟ » وعض بنانه من الندم على إعدامه . ولكن الصياد كان فى حضرته فصرخ بحدة قائلا : « إن ابنك لا يزال حياً يا مولاى ، إذ لم يطاوعنى قلبى على تنفيذ أمرك ! » . وقص عليه ما جرى . فسرى عن الملك ، وتقشعت آخر سحب الكآبة عن وجهه ، وأمر بأن ينادى فى طول البلاد وعرضها بأنه قد سمح لابنه بالعودة إلى كنفه.

وفى ذلك الحين كانت أميرة القلعة المسحورة ، قد أمرت أن تفرش الطريق إلى قلعتها بالذهب الخالص الوهاج ؛ وأمرت حشمها أن يسمحوا بالدخول فقط لمن يمشى على الذهب ، وأن يرجموا كل من يطرق جانب الطريق . وعندما حان الوقت الذى ذكرته الأميرة لعريسها المنتظر ، طافت فى نفس الأمير الأكبر الذهاب إلى القلعة ، والإعلان بأنه عريس الأميرة . فامتطى جواده يؤم القلعة ؛ وعندما وصل على مقربة منها ، ورأى الطريق الذهبية أشفق أن يمشى عليها ؛ ولذا جنح إلى الجهة اليسرى وعند ما وصل إلى الباب أشار الحراس عليه أن يعود أدراجه . وبعد ذلك ، ركب الأمير الثانى فى طريقه إلى القلعة . وعندما خطا جواده على الطريق بقائمتيه الأماميتين خشى أن يمشى فوقها ، ولذا جنح إلى الجهة اليمنى ولدى وصوله إلى الباب ، رفض الحراس أن يدخلوه، وأمروه أن يرجع من حيث أتى : وأما الأمير الصغير الذى ظل طوال هذه المدة يجول فى الأحراج مهدهداً آماله بالصبر ، فتذكر أن الوقت قد أزف ؛ ولذا ركب جواده ومشى على الطريق الذهبية وعندما بلغ الباب انفتح له على مصراعيه ، واستقبلته أميرة القلعة بكل ترحاب . وبعد مدة قصيرة احتفل بزواجها احتفالا رائعاً ؛ ثم أخبرت الأميرة زوجها أن والده قد عفا عنه ، وأنه جد مشتاق لرؤيته : فذهب فى الحال إلى أبيه ، وقص عليه كيف خانه أخواه وكيف هدداه بالقتل إن باح لأحد بشىء مما فعلاه . ولما اطلع الملك على جلية الأمر عزم على معاقبة الأخوين . فلما علما بذلك لم يبق أمامهما إلا أن يهجرا البلاد إلى غير رجعة

القدس كلية تراسانطا **ماجد فرحان سعيد**

الكتب

الايمـان والروح

[تأليف السيد أحمد عبد المنعم الحلوانى]

لم أكد أقرأ كلمة إهداء هذا الكتاب،وهى بالطبع فاتحته ، حتى لقيت موجة من الروحانية تجتاح نفسى ، وحتى تبين لى أن مؤلفنا بلغ مستوى صوفياً لا يبلغه السالك هوناً . قال المؤلف :

الإهداء : إلى الذى أحبه روحى وعقلى ومخى وعظامى ودمى،

وأهتف باسمه ما تردد فى نفس من ذات روحى ومن أعماق نفسى

وله محياى ومماتى ، وفى جاهه وكنفه أعيش ، وبسابغ كرمه أحيا

إلى ملك الملوك السبوح القدوس،ربنا ورب الملائكة والروح

وإلى الذين يحبونه فيحبوننى وأحبهم بحبه ، وفى ظلاله نحيا فى الحياتين حياة السعداء ، ونصل إلى روح الحقيقة فنجتلى من نورها بهجة الجمال ورحيق الوصال .

ويبسط المؤلف منهجه فى التفكير فيقول إن من عادته أن يدون أفكاره ويبحث معتقده فى شىء بنفسه أولا ، ثم يبدأ فى القراءة لغيره ، ثم يمحص ما يقرؤه لئلا يفوته الانتفاع بما لم يصل إليه فكره ، وحتى يوازن بين ما وصل إليه وما وصل إليه غيره ، ويجتهد أن يصل إلى الصواب ما استطاع .

ويذكر أنه لم يرد بكتابه كتاب علم جاف ، بل أراد به كتاب إيمان وروح .

وهذا المنهج -- وقد التزمه المؤلف بالفعل — منهج بالغ السلامة ، وحقيق بأن يفيد كل قارىء ويظفر برضاه .

وقد بدأ المؤلف بالحديث عن المعرفة الفطرية وكيف يستدل على وجود الله من صنعه سبحانه ، ثم تحدث عن أن الإنسان بطبعه متعبد يطلب معبوده ؛ وقد ضمن حديثه لفتة طيبة عن كيف أن الإنسان لا يملك جسده .

وفى فصل عنوانه « الحب نعمة وجمال » أذكرنا مؤلفنا بروائع الصوفية الأسلاف فى المحبة والشوق . وتلا هذا فصل فى التوحيد عنـوانه « الإيمان بالغيب » ومن بعده فصل جمع فيه المؤلف أسباب انحراف الناس عن الحق وقد عرض بعده لحكمة إرسال الرسل ، وتكلم عن عناية الله بخلقه ومنابع الهدى وموارد الفكر الإنسانى . وأردف هذا ببحث عن الروح ، خلص منه إلى نتيجة تنزل على اللباب من التصوف الصحيح. ثم كتب عن المواهب والاكتساب والفيض الإلهى كتابة طواها على توجيهات خلقية عميقة الوقع فى النفس .

وأورد المؤلف بعد هذا مجموعة من الشعر المرتجل لصوفى صالح هو « الشيخ على عقل » وهو شعر فيه قوة إيمان وحرارة قلب ، وفيه حب لسيدنا رسول الله (ص) وفيـه وعظ مؤثر . وإننا لنستسنى قيمة هذا الشعر إذا عرفنا أن الشيخ يرسله فى مجالس الذكر إرسالا يتعب الراغبين فى متابعته من الكاتبين .

ويمضى السيد الحلوانى فيكتب عن النوم والأحلام وتعبيرها والعوالم غير المنظورة ، وهو فى كتابته يحمل على الشعبذات والأباطيل حملا ، ويبدى نفوراً شـديداً من كل ما قد يرده الاسلام الحق .

فأما الفصلان الأخيران من الكتاب فمن الساعة الرهيبة ساعة النزع الأخير ، وعن حياة الروح بعد الموت ، وهما فصلان يهزان الأنفس الزائغة ويفتحان الأعين الغافلة .

وكتابة المؤلف ليست من طراز ما يكتبه بعض محترفى التصوف مما لا يصلح إلا للعقول البسيطة والقلوب الغريرة . هى كتابة متعالية حقاً فى فكرها وإن تكن متواضـعة أحياناً فى مظهرها . وهى كسائر الانتاج الصوفى الناجح ، سرح ما أجدر الضاحى فى معترك الحياة أن يتفيأ ظله ، وحرم آمن ما أحوج الخائف من الشهوات المجنونة أن يقصد إليه .

هذا ، وقد قدم الكتاب بكلمة بليغة الدكتور عبد الوهاب عزام ، وهو ما هو فى خدمة قضايا الايمان والروح .

لبيب السعيد

نائب المشيخة اليومية بالدقهلية

مطبعة الرسالة

العدد ٧٢٩ — الاثنين ٢٣ يونية ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٠٥٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15em Année No. 729

Lundi — 23 — 6 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٢٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٤ شعبان سنة ١٣٦٦ — ٢٣ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

مناكفة المــــرأة

للأستاذ عباس محمود العقاد

« النك » عند العامة هو معاودة المرأة الكلام الذى تقصد به الإساءة وتغمغم به غالباً كأنها تزعم أنها تخاطب نفسها وهى تخاطب من تعنيه ويستمع إليها فى تلك اللحظة . وأكثر ما يكون « النك » من قبيل الغمز أو التصريح الذى تجرح به غرور الرجل أو تتناول به موضع الضعف منه وهو يتحاشى أن يصاب فيه ، ولا سيما أمام المرأة التى يهمه أن يظهر لها فى مظهر القوة والرجاحة على الأقران .

والعامة يحكون بكلمة « النك » صوت المرأة وهى تلح فى تلك الغمغمة كأنها تعاود الطرق أو الدق على نغمة واحدة لا تسأمها وهى موجبة للسآمة .

ولهذا تتفق الكلمة وما يقابل معناها فى بعض اللغات الأوربية ، لأن صوت الطرق أو الدق واحد فى جميع الآذان . فيقول الإنجليز مثلا نج «Nag» ليعبروا بها عن مناكفة النساء من هذا القبيل .

ويظهر أن المادة فى اللغة العربية تتسع لكثير من الكلمات فى هذا المعنى وما قاربه من معانى الدق والوخز والمناكفة . فإذا صح أن الكلمات كلها ثنائية فى نشأتها الأولى ثم زيد عليها حرف أو حرفان للزيادة فى معناها فمندنا من هذه المادة ومن هذا الباب كلمات « نكأ ونكت ونكث ونكز ونكش ونكف » متقاربة فى معنى الوخز والتجريح كأنه يأتى من الضرب بأداة تحدث ذلك الصوت المكتوم .

والنك قديم فى العالم كقدم لسان المرأة . ما نظن أن أذن آدم أخطأته من لسان حواء ، ولا نظن أنه يضل سبيله بين الألسنة والأسماع حيث يوجد الرجال والنساء .

فمن «النك» كلام امرأة الأخطل وهى تذكر زوجها القديم وهو يجيبها بذينك البيتين :

كلانا على هم يبيت كأنما ... بجنبيه من مس الفراش قروح
على زوجها الماضى تنوح وإننى ... على زوجتى الأخرى كذلك أنوح

ومن النك كلام الأعرابية التى كانت تحدث صاحبها عن زوجها الأول ويسألها بماذا تذكره من أحواله التى لا تنساها . فلما قالت إنه خرج ذات يوم فرمى وطرد وقنص وعاد وعليه الغبار والدم «فضمنى ضمة ، وشمنى شمة ، فليتنى مت ثمة »ذهب الأبله يحكيه وعاد وعليه الغبار والدم ، فضم وشم ، فتمنت الموت ثم ، ولكن من الأسف والغم ، وتركته وهى تقول : ماء ولا كصداء !

ومن « النك » كل ما حكاه أجواد العرب وشعراؤهم عن تبكيت نسائهم لهم وملامتهن إياهم على تضييع المال وعجزهم عن محاكاة الأنداد والأمثال .

ويلتبس «النك» بأسلوب آخر من أساليب المغايظة النسائية وهو أسلوب التدلل والاستزادة فى مقام الرضى والمحبة ، وقد عناه

الشاعر بقوله :

أحب اللواتى فى صباهن غِرة وفيهن عن أزواجهن طماح
مسرّات حب مظهرات عداوة تراهن كالمرضى وهن صحاح

ولكنهما — وإن اختلفا — يدلان على أن المرأة لا تحب أن تريح إذا استطاعت أن تتعب وتغيظ !.. فهى فى « النك » أو فى الدلال على هذه الحال .

***

وإذا كان « النك » قديماً فى الزمان فهو كذلك شائع فى كل مكان ، وهو فى البلاد التى بلغت فيها المرأة غايتها من حرية الزواج والطلاق لا يقل عنه حيث لا تملك المرأة حقاً من حقوق الزواج والطلاق .

فلا عجب أن يكون موضع بحث متجدد بين علماء الأوربيين بل بين علماء الأمريكيين فى الشمال وفى الجنوب ، حيث أصبحت المرأة غنية عن «النك» بسرعة النظر فى أمر الطلاق ،فلو شاءت لطلبت الطلاق واستغنت به عن المناكفة واللدغ باللسان ... ولكنها تشاء حيناً ولا تشاء فى أحيان . لأن مضغ الكلام لذة تطلب لذاتها كمضغ اللّبان !

وآخر ما قرأناه من البحوث فى هذا «النك» الذى لا يفرغ ولا ينتهى بحث طريف نشرته « خلاصة المجلات » الأمريكية Magazine Digst وأثبتت به أن لغة «النك» واحدة فى جميع اللغات ، وأن العلم بأسبابه يفيد فى بلادنا كما يفيد فى جميع البلاد .

فن أسبابه « الجوع الجنسى » وقد يتعرض له الزوجان وهما صحيحان وكلاهما صالح للزواج والنسل ولكنهما لا يتلاءمان فى خصائص البنية الجنسية أو فى خصائص المزاج .

ومن أسبابه « زواج الحب » كما يسمونه إذا كان قصارى مايعرفه الزوجان من الحب أن يحب أحدهما الآخر ، ثم لا يصنعان شيئاً غير قضاء الوقت فى هذا الحب المتبادل .

ويقول الكاتب فى شرح هذا السبب إن المهم فى الحب بين الزوجين أن يشتركا فى حب أشياء كثيرة ، لا أن يحب أحدهما الآخر وكفى .

فالزوجان اللذان يشتركان معاً فى حب الموسيقى أو حب الرياضة الخلوية أو حب الحدائق والأزهار أو حب المطالعة والتعليق على الشئون العامة أقدر على اجتناب « النك » من زوجين يجمعهما الحب ويسأمانه بعد عشرة قصيرة أو طويلة . فينفد ما بينهما من دواعى القرب والاتصال .

وقد يدوم حب المصلحة أو حب التفاهم بين الزوجين الذكيين لأن المصلحة والذكاء شيئان يقبلان الدوام ، أما الحب وكفى فقلما يدوم أو يطول به الأجل ، وقلما يسلم البيت الذى يقوم عليه من آفة « النك » بعد شهور ، أو بعد سنين .

ومن أسباب « النك » سوء الحالة المالية ، وقد يكون الخلاف على التصرف بالمال عرضاً لداء آخر فى نفس المرأة ، وهو عرض الشعور بالنقص أو الشعور بالحرمان .

وإذا أصيبت المرأة بشعور النقص لسبب من أسبابه الكثيرة فقد تظهر هذه الآفة منها فى مظاهر شتى بعيدة كل البعد من مظاهرها المألوفة .

قد تظهر منها مثلا فى فرط النظافة أو فرط الحركة والاهتمام بالتنظيم والترتيب ونقل الأثاث والتنقل بين المساكن لغير سبب مفهوم .

وقد تظهر منها فى التوجس والعبادة وتصديق الخرافات وخوف العقاب على المحرمات أو ماتتوهم أنه من المحرمات. فلا تزال « تنك » فى موضوع من هذه الموضوعات ، وهى تغالط نفسها فى الحقيقة ولا تقبل التسليم بينها وبين ضميرها بالسبب الصحيح ، ولو عرفت السبب الصحيح .

والفراغ طبعاً من أسباب « النك » التى لا تفرغ ؛ لأنه يملأ الوقت ويثير الحس ويعوض الزوجين عن الشواغل والأعمال التى تقضى فيها أكثر الأوقات .

وسوء الصحة من أقوى هذه الأسباب . فإن الشكوى من عادات المرأة المتأصلة فى طباعها ، فإذا تحركت فيها بواعث الشكوى من المرض أو الاعتلال فوق هذا الباعث الأصيل غلبتها الطبيعة والعلة معاً فعجزت عن السكوت والتمست لها متنفساً فى الإعادة والإبداء والمناكفة والإيذاء .

وقياساً على هذا يحسب « للنك » سبب يتكرر كل شهر مرة ، ويتساوى فيه جميع النساء . ولا بد فيه من نوبة غم أو لغط أو صياح تخلقها المرأة خلقاً إن لم تسعفها بها الحوادث والمناسبات

وقلما تتوانى الحوادث والمناسبات عن الإسعاف بمثل هذه النوبات فى وقت من الأوقات .

***

هذه جملة صالحة من أسباب « النك » عند جميع النساء فى جميع البلدان ، وبين جميع الأجناس .

ونحن نعرفها فنستفيد ولا شك من هذه المعرفة كما نستفيد من كل معرفة .

ولكن هل معنى ذلك أننا نقضى على الداء إذا عرفنا حقيقة الداء ؟

كلا . فمهما يطل الكاتبون والقائلون من « النك » فى هذا الموضوع فالنك نفسه باق إلى آخر الزمان ، ما بقى للمرأة لسان وللرجل أذنان تسمعان أو لا تسمعان .

عباس محمود العقاد

القسم الرابع :

فرنسا ومستعمراتها

للأستاذ أحمد رمزى بك

« فكرة الاتحاد الفرنسي قديمة : عبر عنها جبريل هانوتو بقوله : وحدة الامبراطورية وحدة الارادة والتشريع والعمل ، وحدة الشعور والارادة الحرة . ليست بالعنف والقوة والفتح ولكن باللين والترغيب تتم الوحدة الفرنسية » .

وتتميز آراؤه بخطورتها على الأمم المغلوبة وأثرها فى نفوس الفرنسيين وسرعة تغلغلها فى أوساطهم

جبرييل هانوتو من كبار رجال فرنسا ، ظهرت مزاياه وشخصيته فى أعماله وكتابته وأقواله ، فإذا هو يؤثر فى جيل بأكمله من الناس ، كتب كثيراً عن تاريخ فرنسا وأمجادها ، وعرف الناس ما لم يعرفوا عنها ، وكتب عن تاريخ الأمة المصرية ، وأشرف على إخراج كتاب على الأسلوب الذى يروق له وللمستشرقين ، وهو رجل دائم الإنتاج ، لم يترك عملا من أعمال الخلق إلا كتب فيه ، ولا نشاطاً إلا جال فيه وصال . كان من أولئك الذين يعملون بالمثل اللاتينى القائل :

« إنى بشر مثلهم ، ولن أترك (ليكون غريباً) عنى عملا من أعمال البشر » !

فكان من الطبيعى والضرورى أن يلفت الاستعمار الفرنسى أنظار الشيخ ، ولذلك كتب فيه وأطال ، وهو القائل فى كتاب له عنوانه « من أجل الامبراطورية الفرنسية » :

هل ترغب فرنسا أن تحيا حياة الأمم الفتية الناهضة ؟ أم ستلحق بغيرها من الأمم الفانية التى ذهبت ريحها ؟

هل ستفنى كما فنيت بيزنطة ؟ وهل تتبع قرطاجنة وتلقى مصيرها ؟

إذا عاشت فرنسا بعظمتها وقوتها وأمجادها ، وهذا ما لا أشك فيه (هذا قوله هو) فلتكن متجهة بنشاطها وفكرها وعبقريتها إلى مستعمراتها

هناك تبرز شخصيتها الخالقة وتنمو علائقها مع تلك العائلة التى جمعتها حولها : عائلة المستعمرات الفرنسية

كانت صيحة وبرنامجاً قذف بهما هذا الشيخ الفانى فتلقفهما رجال الاستعمار ، قال هذه الكلمة بعد أن أمضى السنين يدرس ويبحث ويقيد ويسجل

وخطر هانوتو أنه رجل من رجال الفكر والدهاء ، يجمع بين البحث والعلم والفلسفة ، ينظر للاستعمار نظرة المحلل الطاغية الذى لا تتطرق الرحمة إلى قلبه

أتدرى بمن أشبهه ؟ بهذا الفريق أو الرعيل من دهاة العرب الذين نبغوا فى العصر الأول من الهجرة ، فقادوا الحركات الكبرى أو مهدوا لها بفكرهم وعقلهم : هذا الفريق الذى فيه معاوية وعمرو بن العاص ، إننا لن نجد اليوم بين مجموعة الدول العربية من تسمو به كفايته إلى هذا الفريق من السلف الخالد .

أما هانوتو فكان داهية من دهاة الفرنسيين ، تلمس روحه وأنفاسه فى كل جهة بدون أن تظهر شخصيته ، فهو من أولئك الذين يضعون الخطط لبلادهم لسنوات بعيدة ، ويرسمون لحكوماتهم برامج السير مع الأمم التى نكبت بالاستعمار ، وهو مثل من كثير غيره ، ولكن لكثرة ما قرأت عنه أرانى فى حل إذا وضعته فى صف دوفرين السفير البريطانى فى اسطانبول وملنر صاحب المشروع المشهور ، وكلاهما من دهاة الاستعمار

البريطانى الذين وضعوا الخطط الطويلة المدى لبلادهم ، ولا نزال نحن بمصر نجاهد للخروج من نطاق تقرير دوفرين عن الشئون الدستورية ، ونكافح للخروج من دائرة ملنر فى الناحية السياسية.

ولا تعجب من تقرير ذلك ، فإن الاستعمار الأوربى فى نكباته ومصائبه لا يعد شيئاً بجانب مقدرته على التطور والظهور بألوان مختلفة ، وهو أكبر نشاط إنسانى قام به البشر منذ الخليقة إلى اليوم ، بل هو دعامة المدنيـة الحالية ومظهر قدرتها وتفوقها ، بل لا نبالغ إذا قلنا إن مظاهر الترف ومستوى الحياة لدى جماعات من الأوربيين سوف تنهار أو تهبط بتفكك الروابط مع المستعمرات، ولذلك نجد الدول الأوربية أشد تمسكا بهذه الروابط من أى عهد مضى . ونرى أنها تجتهد أن تسالم الحركات القائمة وتسايسها وتخضع لبعض مطالبها ، حتى تحتفظ بما لها من سيطرة على هذه الشعوب

وهذا الاتجاه هو أخطر ما يواجه الأمم الإسلامية الناشئة ، لأننا لن نتغلب على الاستعمار إلا إذا فهمنا هذا النوع من العمل الإنسانى ، ولن نصل إلى الخروج عن نطاقه إلا إذا بعث الله لنا من أنفسنا رجالاً أقوياء أشداء يدفعون عنا ويلاته بعزيمتهم وقوتهم ولهم من الفكر والمضاء فى الحق ما يمكنهم من نقلنا من حالتنا التى نحن فيها إلى حالة تقرب من المنطق والمعقول ، أو تكون أقرب إليهما من الحالة التى نعيش فيها اليوم .

وأعود إلى هانوتو فأقول إنه قد لا يكون أول من نادى بفكرة الاتحاد الفرنسى ، فقد يكون هناك غيره ممن تقدمه ، ولكنى أعجب به من ناحية أنه من فلاسفة ومفكرى الاستعمار ، الذى لمسوا تقدم الدنيا وتنبهوا لما قد تأتى به الأيام ، فتقدموا بآراء ومشاريع وأفكار لم تكن بعيدة عن الحقيقة .

ثم هو مع دهائه وفكره وبصيرته لم تشغله مظاهر الدنيا والثراء وحب النفوذ ، كما شغله حب بلاده ورغبته فى بقائها ، فتحكم على ربوع المستعمرات وفى رقاب أهلها ، وهو حينما يكتب وينشر آراءه وسمومه لا يهمه شخصه : وإنما يؤمن بشىء واحد هو بقاء سيطرة فرنسا على مستعمراتها .

فهو يؤمن بأن بقاء الجماعات متوقف على الأنظمة (١) التى تربطها ، وهذه يجب أن توضع على أسس صالحة قوية ، بل إن الأنظمة هى روح الجماعات ، بقدر صلاحها تصلح الجماعة ، وإذا فسدت انهار كيان الجماعة .

ولهذا فالإمبراطورية فى نظر هؤلاء كائن حى يجب أن يعيش وينمو ، وإن قوته مستمدة من الأنظمة التى تربط المستعمرات بالوطن الأم ، وإن أنظمة الحكم يجب أن تطرد مع الزمن حتى لا يعتورها ويصيبها الجمود ، وهو علة المجتمعات والداء العضال الذى يصيب الامبراطوريات ويقضى عليها كما قضى على ملك روما وبيزانطة وغيرهما .

فهذه الفلسفة الاستعمارية لم تقف عند حد النظريات ، بل أخذت تحلق فى العلاقات بين الدولة الحاكمة والأمم المغلوبة ، وتتخذ طريق التجربة والاستقراء فى مختلف النواحى

وحقيقة للعالم هى : أن السيطرة الأوروبية سواء كانت فرنسية أو غيرها سادت العالم وشعوبه واحتلت المكان الأول وفرضت إرادتها أينما حلت ، إلا فى الجهات التى ساد فيها الإسلام فهناك واجهت المصاعب واضطرت أن تسير على حذر وعلى قدر ، ولذلك تلق الإسلام والعرب أكبر الطعنات فى التاريخ ، وفى سبيل هدمه أعطى ذلك اللون البراق للمدنيات القديمة التى انقرضت فى مصر وبابل وأشور وفارس ، وهذا يفسر لنا تهجم هانوتو وغيره على العرب وطعنه على تاريخهم ووصفه للاسلام بأنه عدو للعلم والمدنية .

لأن الضعف يوجد تسليما وخضوعاً ، وهذا ما تم فى ربوع أفريقية السوداء ، أما حيث ساد الإسلام فقد وقف المسلمون يقارعون الاستعمار وجهاً لوجه ، وبقى خطر الدعوة المحمدية ماثلا أمام المستعمرين ، ولذلك كثر أعداؤنا لأننا أقوياء : والقوى يخلق أعداء لنفسه ، ومن هؤلاء جبريل هانوتو الذى تولى يوماً الإمام محمد عبده دفعه عن الإسلام فى كتاب له مشهور ومواقف مشهودة أمامه .

ويذكرنى هذا بما قرأته فى مقدمة كتاب الإسلام وسياسة الخلفاء الذى كتبه أريكو انساباتو « يقف العالم الإسلامى فى مواجهة أوروبا موزعاً بين أملاك الدول المختلفة والقوميات الحديثة يقاوم بشدة وعنف وعناد معتمداً على وحدته الدينية وصبغته العالمية التى تعطى لحركاته مظهراً ينفرد به عن غيره »

(١) Institutions

فالسياسة الاستعمارية وقفت إزاء المسلمين حائرة ، وهى التى انتهت إلى اعتبار الإسلام عدواً لدوداً للاستعمار الأوروبى ووصفته بالرجعية والتأخر لأن قناته لم تلن لجبروت الدول الاستعمارية .

وعلى هذا رسمت الخطط لاستبعاد الإسلام ما أمكن من المناطق التى قد يسود فيها : وفى هذه الناحية بالذات ظهرت قرارات لمؤتمر برازافيل تتفق مع قرارات حكومة السودان بشأن التضييق على حرية العبادة ومنع تغلغل الإسلام فى إفريقيا الوسطى وهذا مما جعل للاسلام قضية سوف نعرض لها يوماً لعرضها على الضمير العالمى .

ولم تكن فرنسا بحاجة إلى إعلان الاتحاد الفرنسى والدعوة إليه لو كان الأمر متعلقاً بالمستعمرات الإفريقية وحدها ، أما والأمر متعلق بشمال إفريقية حيث يسود الإسلام ، ولذلك قامت أمامها العقبات وحشدت القوات .

وقد كان من أيسر الأمور عليها فرض الثقافة واللغة والدين والأسماء الفرنسية وإيهام الجنود السود أن آباءهم من بلاد الغال وأنهم فرنسيون دماً وروحاً وفيهم من يصدق ويتحمس لذلك .

أما والإسلام والعروبة بالمرصاد ، هنا يبدو الاتحاد متردداً يسير بخطوات وئيدة ، ويستنير بآراء هانوتو وغيره ، وفى ذلك يقول صاحب كتاب الإسلام وسياسة الخلفاء : « إن للاسلام سياستين : واحدة استعمارية تتعلق بالمستعمرة ، وأخرى عالية تتبعه وتلاحقه فى مشارق الأرض ومغاربها » . وهما يلتقيان فى ناحية واحدة وهى إبعاد الأخطار ما أمكن ؛ تلك الأخطار التى يسببها للدول الأوروبية وجود ملايين من المسلمين على الأرض ، يمثلون فى إفريقية خطراً لا يستهان به نظراً لازديادهم عاماً بعد عام .

فى القرون الماضية فقدت فرنسا مستعمراتها لأن البحر كان فاصلا والمسافات بعيدة ، واليوم تحاول فرنسا فرض إرادتها على أقطار شاسعة ، فإذا بالإسلام أبعد غوراً من البحار والمحيطات : وهى لن تقدر عليه لأنه من نور الله .

ولذلك ستسير شعوب الجزائر وتونس ومراكش نحو التحرر والخلاص برغم المصاعب التى تقيمها فرنسا وحكوماتها المختلفة واتحادها ووحدتها : لأنها شعوب عربية إسلامية قوية لا تلين .

لقد استعرضت فرنسا أنواع الاستعمار المختلفة فبدا لها الاستعمار السوفييتى الروسى بلون خلاب ، وخيل إليها أنه قد قضى نهائياً على نفوذ الإسلام من ربوع آسيا الوسطى ، وفى هذا خطأ كبير فارادت أن تستعين بأساليبه فى هذه الناحية وفى بعض النواحى الأخرى ، ولذلك ترغب أن تؤسس اتحادها على شكل يشبه اتحاد روسيا وسنعرض بعد قليل للاتحادين فى مقال لاحق بإذن الله .

أحمد رمزى

وقفة على الفسطاط !

للأستـــاذ على الطنطاوى

قرأت فى مذكرات حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على المطبوعة فى مصر فى ٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ ﻫ أنه كان يتولى رياسة لجنة حفظ الآثار العربيـة ، فقررت اللجنة سنة ١٣٢٩ ﻫ (إصلاح جامع عمرو وتجديده اهتماماً به من جهة أنه أول مسجد أسس فى الإسلام بمصر ، وأنه مشرق أنوار العلوم الإسلامية بمصر منذ القدم) ، ولئلا (نعاب بقلة الاكتراث بمفاخرنا التاريخية) .

واهتم بذلك الأجانب ، وكتب إليه أساتذة كبار محبذين ومشجعين ؛ وكاد يتم الأمر لولا أن أكثر الأعضاء المسلمين فى اللجنة غابوا عن الجلسة التى عينت لإتمام المشروع فصارت (الأغلبية) للأجانب .

قال الأمير : « فلما بدأت فى تبادل الآراء مع الأعضاء فى مسألة إصلاح الجامع ، قام هرتس باشا — مهندس الأوقاف إذ ذاك — وسألنى : ما ذا تعملون في حيطان سـور الجامع ؟ فقلت : حيث أن السور متهدم متخرب ، وأنه جدد مراراً ، ولم يبق له منظر جذاب ، نريد أن نعمل سوراً جيداً فخماً يتناسب واسم الجامع . فأظهر أسفه لهذا العمل ، وقال ، أننا إذن سنكسر ما فيه من طوب أحمر أثرى ، وأن هذا خسارة لا تعوض ، لأنها آثار قديمة ستتلف بهذا العمل !

وبعد ذلك سأل مسيو ديمول الممثل الألمانى لصندوق الدين قائلا : ما ذا تعملون فى البواكى ؟

ثم سأل المستشرق السويسرى بورك هارت : ما ذا تعملون فى عمدان الجامع ؟

وبعد ذلك قام السيوفارنال الممثل الإنكليزى لصندوق الدين وسأل : ما ذا تعملون فى البوابة الكبيرة ؟ »

وذكر الأمير جوابه لـكل منهم ، وهو جواب مقنع ، ولـكن القوم لم يقتنعوا !

قال : « ثم زاد امتعاضى وقلت لجميع الجالسين : أما يندى جبينكم خجلا من هذا الوضع أيها الجماعة ؟ إن الدين الإسلامى لا يسمح لغير المسلم أن يتدخل فى أمور مساجد الله ، والحـكومة المصرية سمحت وتساهلت إلى حد أن تتدخلوا فى شـؤون نحو مائتين وخمسين مسجداً فى مصر دون حق شرعى ، والمسلمون لما أرادوا تعظيم شأن جامع مَن أدخل الدين الإسلامى فى بلادنا ، تحجمون وتوقفون عملنا ، وعلى هذا إنى متنازل عن رياسة هذه اللجنة ... » . وتنازل الأمير ، ووقف العمل !

***

قرأت هذا ، فأحببت أن أزور الجامع ، ولم أكن زرته ، وهو قريب من الروضة حيث أقيم ، فسألت فوجدت أنه لا يصل إليه ترام ولا سيارة ، مع أن كل مكان فى مصر (إلا هو) تمشى إليه سيارة أو ترام ، فذهبت أخوض فى التراب ، فى طرق مهملة ، ومسالك معطلة ، حتى وصلت إلى الجامع ، وهو قائم كالشيخ المريض المدنف ، وسط العشش و (الفواخير) و (الجيّارات) والجبانات !

قلت : أهذا هو جامع عمرو ؟ قالوا : نعم . قلت : وهذه هى (الفسطاط) ؟ قالوا : نعم !

الفسطاط ، أول بلدة للمسلمين فى مصر ، يهملها المسلمون حتى تعود مقابر للنصارى ؟

الفسطاط ، منزل الفاتحين الذين نشروا فى مصر حضارة الإسلام ، يمحى منها كل مظهر للحضارة ، فلا يكون فيها إلا (الفواخير والجيارات) ، وتذهب منها معالم الحياة ، فلا تكون إلا داراً للموتى ؟

هل يدرى هؤلاء الذين يروحون ويغدون على هذه البقعة المتروكة ، وهل يدرى أولئك الذين لم يزوروها ولم يروها أنه من هنا سطع النور الذى أضاء مصر بضوء الإسلام ، ومن هنا انبجس المعين الذى روى العطاش من أبنـاء مصر وإفريقية ، ومن هنا مشت الراية الإسلامية حتى رفرفت على نصف دنيا الماضى من البحر الأحمر إلى ما وراء البيرنة ، ومن هنا خرج الصوت الذى ألغى نظام الطبقات ، وساوى بين الناس فى مصر ، وأعطاهم الحرية فى دينهم ودنياهم ، وأنها هنا ولدت مصر زعيمة العروبة

ومثابة الإسلام ؟ فمن الذى كاد لهذه البقعة الطاهرة حتى صارت أوحش بقعة فى مصر وأحطها وأبعدها عن الحضارة والنظافة والبهاء ؟ ما الذى صرف الناس عنها ، فلا يؤمها مصرى ليذكر مشرق شمس الهداية منها على بلاده ، ولا يستطيع أن يصل إليها سائح ليرى فيها آثار أمجد ذكرى فى تاريخ مصر ؟ أيتخرب المسجد ويهمل الحصن ولا تشفع لهما روعة البطولة ، ولا خشمة الإيمان ، ولا عظمة العلم ؟ !

أما والله الذى لا إله إلا هو ، لو كانت هذه الآثار لغيرنا ، لأمة تحس وتشعر وتقدر أمجادها ، لجعلت بقاعها كلها كعبات يحج إليها ، ومنابر تتلو على الناس سور البطولة فيصغى إليها الناس كأنها القرآن ، ولخلدت كل مكان مرّ منه عمرو ، وكل طريق سلكه ، وكل قلعة افتتحها ، من العريش إلى الفرما إلى أم دُنين (قرب حديقة الأزبكية) ، إلى ساحة المعركة فى عين شمس ، إلى ميدان الوقعة الكبرى ، التى كان فيها النصر عند حصن بابليون (قصر الشمع) عند جامع عمرو ، ولعبدت هذا الطريق ، طريق الفتح ، وظللته بأشجار الثمار ، وكنّفته بالورد والفل ، ولجعلت فى كل قرية وكل بلدة مدرسة باسم عمرو ، تعرف الناس بعمرو ، والدين الذى جاء به عمرو .

إن فتوح المسلمين أعجوبة التاريخ ، ومعجزة الدهر ، ولكن ليس فيها ما هو أعجب من فتح مصر ، فقد حيَّر من الوجهة الحربية العسكريين ، وأدهش بنتائجه المؤرخين .

لقد كان جيش عمرو يوم صدم مصر ، أربعة آلاف ، وما أربعة آلاف فى جنب مصر وملك مصر ، ولو أطبق عليهم أهلها بأجسادهم لطحنوهم ، ولو ضاربوهم بالحجارة لقتلوهم ، ولو حصروهم من بعيد لأهلكوهم ، ولكن أربعة آلاف فتحت مصر ، فتحتها بعبقرية قائدها ، فتحتها بخلائقها وبإيمانها . ومن كان معه الإيمان لا يقف له شىء .

ولقد فتح مصر من قبله فاتحون ، العرب (الهكسوس) أبناء الجزيرة ، والفرس ، واليونان ، والروم ، فكان فى مصر غالبون ومغلوبون ، غرباء حاكمون ، ومصريون محكومون ، ولبث الفتح ما لبثت القوة ، فلما زالت زال ، وعادت البلاد لأهلها فلما فتحها عمرو ، صارت لقومه إلى آخر الدهر .

ولقد دأب الروم وهم آخر من حكمها عاملين بالترغيب والترهيب ، يستخدمون العطايا والمنايا ، لحمل المصريين على مذهب فى النصرانية غير مذهبهم فما استطاعوا . وهم جميعاً أهل دين واحد ، واستطاع عمرو أن يدخلهم بطوعهم ورضاهم فى الإسلام ، فيكونوا هم أهله ، وتكون بلادهم بلاده ، وهذه هى طريقة الفاتحين المسلمين ، لم ينقلوا الإسلام إلى البلاد التى فتحوها ، ولكن نقلوا أهلها إلى الإسلام[1] : أراهم فضله ، وأذاقهم عدله ، أعطاهم الحرية فى عباداتهم ، وأعاد لهم بطريركهم بنيامين الذى طرده الروم ، ورفع المظالم عنهم ، ومنع بعضهم أن يستعبد بعضا ، وحفر لهم الخليج فى سنة واحدة ، من النيل إلى البحر الأحمر ، استعملهم فيه بالأجرة لا بالسخرة ، وجعله لهم لا لغيرهم ، فكان للخير والبركات ، لا كقناة السويس التى هى فى أرضنا وليست لنا — فكانت هذه الأعمال خطباً ومحاضرات فى الدعوة إلى الإسلام ، ما سمعها المصريون حتى انقلبوا جميعاً مسلمين ، وكذلك تكون الدعوة : بالأعمال لا بالأقوال .

***

لقد رأيت مرة رواية مسرحية فى جمعية إسلامية مثّل فيها الممثل عمراً . رجلا قميئاً ثعلبياً محتالا يتدسس فى القوم ، ويسترق الأخبار ، ويوقع الشر ، ويتعمد الكذب ، فعلمت أن هؤلاء الذين هداهم الله بعمرو ، لا يعرفون من هو عمرو !

أولا تخبرونى من قال لكم إن عمراً كان بهذه الخلائق ؟ ما الذى غركم بتمثيله ؟

أليس على الممثل أن (يندمج فى دوره) ويفهمه ويستعير روح من يمثله ؟ فهل تستطيعون أن تمثلوا أبا جهل فى فضائل جاهليته ، قبل أن تقدموا على تمثيل عمرو فى عبقرية إسلامه ؟

لقد كان عمرو شريفاً فى الجاهلية والإسلام ، وكان صادقاً صريحاً ، وكان شاعراً فصيحاً ، وكان أبياً عزوفاً لا يرضى بالدنية من عمر ، وهو من هو ، ورد عليه الكلمة بمثلها حين راسله فى أمر خراج مصر ، وكان فقيهاً فى دينه ، أسلم طائعاً مختاراً ، فتوافقت على ورود شرعة الإسلام يومئذ عبقريتا عظيمين من عظماء الناس كلهم لا العرب وحدهم . وماردين من مردة القيادة

(١) الكلمة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد كنت عقدت عليها فصلا فى الرسالة فى السنة الماضية .

والحروب ، سيد القواد خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، هداه إلى الإسلام نطق سديد ، لم يدخله فيه طمع ولا طبَع ، ولم تدفعه إليه رغبة ولا رهبة ، وكان صادقاً في إسلامه ، قوياً في إيمانه ، حتى ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم حَطم رب من أرباب الباطل ، فاختاره لهدم سواع ، وأقره على إمارة سرية فيها سادة الإسلام ومشايخه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، وجعله رسوله إلى ملك عمان ، وأمينه على الصدقات فيها ، وشهد له « أنه من صالحى قريش » ، وقال فيه : « نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله » ونظر إليه عمر ، فقال : « ما ينبغى لأبى عبد الله أن يمشى على الأرض إلا أميراً » وقال قبيصة بن جابر : « صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا أبين قرآناً ، ولا أكرم خلقاً ولا أشبه سريرة بعلانية منه » وكان عمر إذا رأى رجلا عيياً يتلجلج في كلامه يقول : « أشهد أن خالق هذا وخالق عمرو ابن العاص واحد »[1] .

وكان مشهده يوم بلغه انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملأ الأعلى ، مشهداً يلين القلوب الجامدة ، وما يفجع ولد بأبيه ، أو محب بحبيبه ، فتكون لوعته عليه ، وحسرته لفقده ، أشد من حسرة عمرو ولوعته .

وكان يوم الردة سيفاً من سيوف الله التي رجعت الإسلام إلى موطنه بعد ما كادت تشرده عنه الخطوب ، وأعز الله به الدين ، وقمع الثائرين . ثم رمى به الصديق الروم ، وقدمه على (من هم أقدم منه سابقة وحرمة)[2] وجعله أحد القواد الأربعة ، فتجلت عبقريته حتى رجع الثلاثة إلى رأيه ، وبلغ الرأى أبا بكر فأقر ما رأى ، وكان في اليرموك ثانى الأبطال ، بعد نابغة المعارك خالد ، وكان بطل أجنادين ، فضرب الله به أرطبون الروم بأرطبون العرب ، فكان أرجح منه في الميزان ، وكانت عبقريته أبقى على وجه الزمان ، حتى قال عمر : غلبه عمرو ، لله عمرو !

أما النبل في سلائقه ، والسمو في خلائقه ، وقوة جنانه ، وفصاحة لسانه ، فاسألوا عنها كتب الرجال ، فما يتسع لها المقال .

***

(١) تخريج الأحاديث في الإصابة لإمام الحفاظ ابن حجر

(٢) من كلام أبى بكر له في وصيته العجيبة التي تشهد لنا أننا نحن أهل البطولة وأهل الحضارة لا هؤلاء الغربيون !

هذا هو عمرو وما عرفتموه ، فرأيتم ما كذبه عليه المؤرخون يوم التحكيم ، ولم تقرأوا الحقيقة التي رواها المحدثون[1] وهم أوثق نقلا ، وأصدق قولا ، وسمعتم أنه من دهاة العرب ، فحسبتم الدهاء لا يكون إلا بالكذب والاحتيال والدس والوقيعة . لا يا سادة إن من تخرج في مدرسة محمد ، وكان رسولَ رسولِ الله ، لا يكون دساساً ولا كذاباً ، « إن المؤمن لا يكذب » ، هكذا قال الرجل الذى قال : « ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام »[2] محمد رسول الله !

هذا هو عمرو . أى فاتح صنع مثلما صنع عمرو ؟ أى قائد كان أعظم بركة في ظفره من عمرو ؟ أى مصلح كان أبقى أثراً في إصلاحه من عمرو ؟

إنه ما شهد في مصر مسلم أنه لا إله إلا الله ، ولا قام متبتل في صلاة ، ولا قعد واعظ في مصلاه ، ولا قاض إلى منصته ، ولا مدرس إلى أسطوانته ، ولا عمل مصرى من خير إلا وعمرو شريكه في ثواب عبادته ، لأنه السبب في هدايته ، ومن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة !

عمرو بنى جامع ابن طولون ، وشاد الأزهر ، وعمر هذه المدارس ، وأقام هذه المساجد ، وأنشأ كل مظهر للاسلام في مصر . ما كان لولا عمرو !

عمرو هو الذى رد برابرة الشرق في عين جالوت ، وبرابرة الشمال في المنصورة ، وكان له فضل كل نصر ، كتبه الله للاسلام في مصر !

هذا هو عمرو ، فهل تلبى مصر في إصلاح جامعه دعوة الأمير؟ وهل أعيش حتى أرى هذه البقعة أزهى بقعة في مصر وأبهاها ، يعمر فيها الجامع حتى يصير أزهر ثانياً ، وهو (كان) أول أزهر في مصر . تمتد من حوله الشوارع الفساح ، والحدائق والجنات ، وترجع هاتيك المآثر ظاهرة ، ومن حولها القصور العامرة ، ومنازل الكبراء ، ومراكز الجمعيات الإسلامية ، والقوضيات العربية .؟

هل ترجع للفسطاط عهودها الخاليات ؟

على الطنطاوى

(١) انظر القواصم والعواصم للقاضى أبى بكر ابن العربى

(٢) الاستيعاب للحافظ الأندلسى ابن عبد البر

من البطل فوزى القاوقجى

إلى الشـــاعر على محمود طه

« كان الأستاذ الشاعر على محمود طه قد حيا بطل العروبة القاوقجى بقصيدة من عيون الشعر نشرتها البلاغ ، فلما قرأها القائد الشجاع تحركت فيه بلاغة البطولة فبعث إلى الشاعر الكبير بهذه الرسالة » :

تحية عربية . وبعد فقد قرأت قصيدك ، وأطربنى شعرك ، وسألت نفسى ، هل أنا جدير بمثل هذا التكريم يزجى إلى شعراً حراً ؟ وأعدت تلاوة القصيد فإذا بى أجد فى كل بيت روح معركة ، أو صدى حق ناقم ، أو صورة نضال باسل ، وأيقنت أن هذا المجد يضفيه على مثل هذا الشعر العبقرى أجدر به أن يدخر ليوم الفصل ، يوم المعركة الكبرى لانقاذ فلسطين كلها ... يومئذ « لا يبرح الباغون فيها » ، ويومئذ يقول شاعرنا الكبير مايشاء

أخى ؛ ما أشبه هذه الأمة بالكنز الدفين ، تراكمت فوقه على ممر السنين طبقات من تراب تملوها أشواك وأعشاب ذهبت بمعالمه وعفت آثاره ، يوم توارى وجه الأمة الصحيح ، وغر الأجنبى العدو ، هذا الوجه السطحى المصطنع للأمة ، فاستهان بها ، واستحوذ على القادة يأس ، فضلوا هم عن حقيقة أمتهم ، ولم ينفذوا إلى غورها حتى ظن الظانون أنها مسكنة قد ضربت عليها ... رأيت كيف يبسط الظلم على هذه الأمة جناحيه ، ويطلق يديه فى بلادى فيستنزف ثروتها ، ويوهن أخلاقها ، ويدوس كرامتها . ورأيت كيف يتزاحم وجوه وأعيان وسراة ، بالمناكب على أبواب المستشارين ، وكيف تمرغ على أقدامهم بعض الجباه تستجدى العطف من الطاغية والرحمة من الضارى ، فثارت نفسى أولا ، وأوحت إلى الثورة ... ولكن أين العدة ؟ وأين التكافؤ بيننا نحن الضعاف القلة . وبين العدو الكثير ؟

ورحت أفتش عن القوة ، وأسأل أين تكون المعجزة . واستلهمت التاريخ وبطولة الأجداد ، ثم اهتديت إلى أن الوجه الصحيح لهذه الأمة قد توارى تحت كثيف من غبار الدهر . فأخذت أنتزع الأعشاب وألتقط الأشواك وأزيح التراب حتى تجلى لى ذلك الكنز الثمين ، ورأيت وجه الأمة الصحيح ، إنه هو الشعب العربى ، إنه هو المادة الأصيلة التى صنع منها بناة الأمبراطورية العربية أركان مجدها . مددت يدى نحو الكنز وتناولت حفنة واحدة من أبناء هذا الشعب ممن يصدق فى كل واحد منهم قولك :

حوارى على كفيه قلب ... أبى غير الشهامة والكرامه

وأيقنت أن فى هذه الحفنة من القوة المدخرة ما تسقط معه حجة التكافؤ مع الخصم . فثمة شىء يقال له إيمان وكرامة لا يستقيم معه حساب العدد والعدة . ولكننى تلفت يومذاك أنشد القدوة فى هذه الدنيا . تطلعت نحو الترك ... هذا عظيم .. ولكنه وجد بقايا جيش وأنقاض مملكة ، أى وجد مادة الجهاد ميسورة ؛ وأما نحن فلا شىء عندنا . وأخيراً لذت بالتاريخ العربى وإذا بى أجده حافلا غزيراً. فهنا خالد ، وهناك أبو عبيدة ، وهنالك أسامة ، وكل شبر من بلادنا ينطق بآثارهم ، وأين سرت تقاطع آثارنا آثارهم ، فسمعت فى ضميرى أصواتهم تهيب بى إلى الواجب . وبهذه الحفنة التى احتفنتها من الكنز كنت أثب من قطر عربى إلى قطر عربى آخر ، وأكون حيث تقضى النجدة العربية أن أكون . ولطالما قطعت المفازات . واجتزت السباسب ، وخضت فى لهيب من الصحراء يشوى الوجوه ! وطالما وجدتنى فى متاهات البادية قد استبد بنا العطش ، ننشد أثراً ينم على الحياة فلا ماء ولا ظل ولا أنيس إلا هذا القرص الشمسى ، ويا له من أنيس ، يبعث بالأشعة لتسلق الرؤوس ، وما عرفت أن الأشعة ذات ثقل تنوء به المناكب إلا فى تلك البوادى ، وما عرفناها تأكل الظهور أكلا إلا فى تلك الأيام ، حتى لكأننا نعيش فى أتون يتسعر لظى ... أما خيولنا ، فكانت تقاسمنا الضراء والبأساء . ولطالما مدت أعناقها تنشد ظلا أوماء ! لقد جفت مشافرها وضمرت أجسامها ضمور أجسامنا . وكان الفرسان وهم يسبحون فى اللهيب خرساً لاينبسون بشكوى، ولايكادون يقتربون بعد ذاك الجهد من مواطن القتال ويزدلفون من ساحة الجلاد حتى تفتر شفاههم وتنبسط أساريرهم وتتردد أهازيجهم . وترى الفارس منهم كما وصفه المتنبى:

قح كأن صهيل الخيل يقذفه ... عن سرجه مرحاً بالعز أو طربا

ويتبينون فى الأفق سواداً عظيما ، إنه جيش العدو العرم فما تهن عزائم الحفنة ، وإنما تمتد أعينهم امتداد بنادقهم نحو العدو . ويسود صمت ، ليس صمت رهبة ، ولكنه إيذان للبنادق بأن تتكلم . ثم تنفجر القنابل فالسماء تمطر ناراً . وتنشب المعركة

ويستحر القتال ، وأين تطلعت تجد ناراً ولهيباً ، وسواداً وغباراً ، والمركة يمن فيها كأنها إعصار فيه نار ، وعدتنا هى عدتنا . أما الخصم فقد امتلأت يداه بأدوات القتال ، ومع ذلك لا يلبث أن ينفد صبره ، ويرتقب دنو الظلام لينجو بنفسه . وما يكاد الظلام يرخى سدوله حتى يلوذ به ، ويتستر وراءه . وتقف رحى المعركة ، ونتعقبه ، ثم نعود إلى الساحة نتفقد شهداءنا ونحصى قتلاهم . فإذا النسبة بين شهدائنا وقتلاهم ، هى النسبة بين عددنا الضئيل ، وعددهم الجسيم .

وهنا تنطلق الأنشودة الشعبية التى طالما هزت مشاعرنا :

يا دار لنا حقك علينا

وهنا نشعر بأننا قد دفعنا قسطاً من حق الوطن ، وأن الجثث المتناثرة فى ساحة المعركة هى الإيصال الشرعى . وكم من أقساط دفعناها فى ميادين سورية وجبال فلسطين وبطاح العراق .

وهل الدار إلا الوطن العربى ؟ وهل الحق الذى لها علينا إلا الجهاد فى سبيل إنقاذها ؟

***

لقد مرت بى الطائرة فى سماء فلسطين ، ثم أنزلتنى فى مصر العربية ، ورأيت فيها ما رأيت . فما استطعت أن أخاطبها بغير أنشودتنا فى المعارك :

يا دار لنا حقك علينا

وشاء الزمن المعادى أن يحيينا ، فد الله فى العمر ، ويممت شطر الشام ، البلد العربى السيد المستقل ، فما كدت أكحل العين برؤية الراية العربية خفاقة ، وما كدت أرى ابتسامة العز ترتسم على أول وجه لقيته حتى نسيت كل ألم أصابنى فى هذه الدنيا وما عانقت أخاً إلا أحسست أننى أضم إلى صدرى هذه الأمة كلها . وماذا كنت أسمع فى ساعات اللقاء من إخوانى المجاهدين الذين رافقونى فى ساحات النضال ؟ هذا مجاهد يقول وهو يعانقنى لا تنسنى هذه المرة ، وآخر يقسم إنه منتحر إذا لم يرافقنى فى معركة فلسطين المقبلة . وهذا شيخ آخر يقول وهو يعانقنى : لقد غدوت شيخاً ، ولكن لدى ثلاثة أولاد ، وهؤلاء سيؤدون الواجب الملقى على ، فينوبون عنى ... الأول فتح عينيه على أصوات مدافع ميسلون ، والثانى خرج إلى هذه البسيطة يوم كانت دمشق تلتهب بنار قنابل الفرنسيين فى أوائل الثورة ؛ أما الثالث وهو صغير ،

فقد ولد يوم الجلاء على أصوات الزغاريد وصيحات الابتهاج ؛ لقد أحسست وأنا أستمع إلى هذا الشعور أن دينا جديداً وواجباً جديداً ملقيان على كاهلى ...

وهذا ما حبب إلى الحياة ، لا خشية الموت ، وطالما اندفعت نحوه ، وقد تخطانى كثيراً وبالغ فى التخطى ، وأنشبت أظفاره فى جسمى فى تسعة وأربعين مكاناً ... ولم يظفر بأمنيته . ولكننى أحببت هذه الحياة لأتمكن من أداء الأقساط الباقية والمستحقة .

إن سعادتى وافتخارى بانتسابى إلى هذا الشعب العريق لا حد لهما . ولهذا الشعب نذرت دمى متطوعاً مبتهجاً

هذا ما أوحت به إلى قصيدتك وإنى أودعك مردداً قولك الحق :

هو السيف الأصم إذا تغنى صنى متجبر ووعى كلامه ...

المحب

فوزى القاوقجى

---

٨ – تفسير الأحلام

للعلامة سيجموند فرويد
سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا
للأستاذ محمد جمال الدين حسن

الرموز فى الأحلام :

رأينا أن التحريف الذى يعوقنا عن الفهم الصحيح للأحلام ينشأ عن النشاط الذى تبذله الرقابة للتغلب على الدفعات اللاشعورية لرغبات لا تقرها الذات ، بيد أننا لم نجزم بأن الرقابة هى العامل الوحيد المسئول عن التحريف ؛ والواقع أن دراسة أخرى للأحلام تربنا أن هناك عوامل غيره تشترك فى هذا التأثير ، بمعنى أنه حتى على فرض أن الرقابة رفعت عن الأحلام فإننا مع ذلك لن نتمكن من الوقوف على معناها ولن يأتى المحتوى الظاهر مطابقا للمحتوى الباطن .

وهذا العامل الآخر الذى يتسبب فى غموض الأحلام والذى يساعد على زيادة التحريف ، يتجلى لنا عندما نلاحظ أن هناك ثغرة فى طريقتنا التى استخدمناها فى التفسير . فقد سبق أن سلمت لكم بأن هناك حالات قد لا يجد فيها الأشخاص الذين نحللهم أفكارا مترابطة لديهم لبعض عناصر الحلم . ومن المحقق أن هذه الحالات لا تقع بالكثرة التى يزعمونها فنى معظم الأحيان قد نتمكن من الوصول إلى تبيان الأفكار المترابطة بالكد والمثابرة ، ولكن هناك مع ذلك بعض حالات معينة يخفق فيها الترابط اخفاقا كليا ، أو نجد أن الشىء الذى نستخرجه أخيرا بالعنوة ليس هو ما نحن فى حاجة إليه . وهذه الحالة عندما تقع أثناء العلاج بالتحليل النفسى فأنها تدل على مغزى معين لا يهمنا فيما نحن بصدده هنا ؛ ولكنها تقع كذلك فى أثناء القيام بتفسير أحلام الأشخاص العاديين أو عندما نقوم بتفسير أحلامنا الخاصة . فإذا اقتنعنا فى مثل هذه الحالات بأنه لا فائدة ترجى من الحث والإلحاح ، فإننا قد نكتشف أخيرا أن هذه الحالات المتشابهة تظهر على غير ترحيب منا كلما كانت بعض العناصر الخاصة تحت الاختبار ؛ ومن ثم نبدأ فى إدراك أن هناك قاعدة جديدة تعمل عملها بينما كنا نظن فى مبدأ الأمر أننا صادفنا فقط حالة شاذة أخفقت فيها طريقتنا فى التفسير .

وهذا يؤدى بنا إلى محاولة تفسير هذه العناصر « الخرساء » والاستعانة على ترجمتها بالرجوع إلى مصادرنا الخاصة . ولا شك فى أننا سندهش كثيرا عندما نجد أننا سنتمكن ، فى كل مرة نقدم فيها على هذه الطريقة ، من الوصول إلى معنى مقنع بينما يظل الحلم مفككا لا معنى له ما دمنا لم نعقد العزم على استخدامها . وتجمع كثير من أمثال هذه الحالات المتشابهة يشد من أزرنا إذ أننا قد أقدمنا على التجربة فى مبدأ الأمر فى تهيب ووجل .

وبهذه الطريقة سنصل إلى ترجمة ثابتة لسلسلة من عناصر الحلم ، كما هو الحال فى الكتب العامية عن الأحلام حيث نعثر على مثل هذه التراجم لكل شىء يحدث فى الحلم تقريبا . ولعلكم لم تنسوا بعد أننا عندما كنا نطبق طريقة الترابط المطلق لم نكن نقابل مثل هذه التراجم الثابتة لعناصر الحلم .

أظنكم ستقولون الآن إن هذا النوع من التفسير يبدو لكم أنه أقرب إلى الشك وأكثر تعرضا للنقد من طريقة الترابط المطلق السابقة ، ولكن مهلا ! فنحن لم نفرغ بعد كل ما فى جعبتنا ؛ فنحن عندما يتجمع لدينا من التجارب الواقعة عدد لا بأس به من أمثال هذه التراجم الثابتة ، فإنه يتحقق لدينا بصفة قاطعة أنه كان فى إمكاننا فعلا أن نملأ هذه الثغرات فى التفسير إذا رجعنا إلى مصادرنا الخاصة ، وإننا كنا فى الحقيقة سنصل إلى معناها فى غير ما حاجة إلى الأفكار المترابطة للشخص الحالم .

وهذا النوع من العلاقة الثابتة بين عنصر الحلم وترجمته يطلق عليه علاقة « رمزية » أما العنصر نفسه « فرمز » للفكرة اللاشعورية التى يعبر عنها الحلم . تذكرون أننى سبق أن قلت لكم عندما كنا نبحث فى العلاقات المختلفة بين عناصر الحلم والأفكار الباطنة التى تستتر وراءها أن هناك ثلاثة أنواع من هذه العلاقات وهى : الاستعاضة بالجزء عن الكل ، والإشارة أو التلميح ، والتمثيل البصرى . وقد قلت لكم عندئذ إن هناك علاقة رابعة ولكنى لم أبين لكم نوع هذه العلاقة ، أما الآن فإننى أقدمها إليكم وهى « الرمزية » . وهذه العلاقة يرتبط بها كثير من النقط الهامة التى تصلح للدراسة ، وعلى هذا فسنوجه إليها التفاتنا قبل أن نضع أمامكم ملاحظاتنا الخاصة عن الموضوع . فالرمزية قد تكون

أهم جزء فى نظريتنا عن الأحلام .

نرى قبل كل شىء أن الرمزية بما أنها علاقة ثابتة لا تتغير بين الرمز والفكرة التى يرمز إليها ، فهى بذلك تحقق على نحو ما الفكرة القديمة والفكرة العامية عن تفسير الأحلام ، وهى الفكرة التى بعدنا عنها كثيرا فى طريقتنا فى التفسير . فالرموز قد تجعل من السهل علينا فى بعض الأحيان أن نفسر الحلم دون استجواب صاحبه الذى لا يستطيع فى الحقيقة أن يدلنا بأية حال من الأحوال على ماهية هذه الرموز . فإذا قدر لنا أن نقف على معنى الرموز التى تظهر كثيراً فى الأحلام ، وأن نلم بشىء عن شخصية الحالم والظروف التى تحيط بحياته ، والتأثيرات العقلية التى أعقبها حدوث الحلم ، فإننا غالبا ما نجد أنفسنا فى مركز يسمح لنا بتفسير الحلم فوراً ، أو قل ترجمته من أول نظرة . ومثل هذه المهارة بلاشك ترضى غرور الشخص الذى يقوم بالتفسير كما أنها تستأثر بإعجاب الحالم ، فثمت فرق شاسع بين هذه الطريقة السهلة وبين الطريقة الشاقة التى تعتمد على استجواب الشخص الذى رأى الحلم . ولكن حذار من الاندفاع وراء هذا الرأى ، فالشعوذة ليست جزءا من العمل الذى نقوم به ، كما أن هذه الطريقة التى تعتمد فى التفسير على معرفة بالرمزية ، لا تستطيع بأية حال من الأحوال أن تحل محل طريقة الترابط المطلق أو حتى تقارن بها ، فهى متممة لها والنتائج التى تستخلص منها لا تصبح ذات فائدة إلا إذا طبقت بالاشتراك مع الترابط المطلق . وفضلا عن ذلك فيجب أن لا يغيب عن بالكم أنكم لا تقومون فقط بتفسير أحلام الأشخاص الذين تعرفونهم حق المعرفة ، بل المفروض أنكم كقاعدة عامة لا تعلمون شيئاً عن آثار اليوم السابق التى حركت الحلم وأن الأفكار المترابطة للشخص الحالم هى المصدر الوحيد الذى نستطيع أن نحصل منه على معرفة ما نسميه بالحالة العقلية .

ومما يستحق النظر بوجه خاص أن هناك معارضة قوية ضد هذه الفكرة القائلة بوجود علاقة رمزية بين الحلم واللاشعور ؛ فكثير من الأشخاص الذين اتصفوا بحصافة الرأى وممن سايروا التحليل النفسى فى كثير من النقط الأخرى قد عادوا فتنصلوا من آرائهم عند هذه النقطة . وهذا السلوك قد يستغرب كثيرا عندما نتذكر شيئين اثنين ، أولا أن هذه الرمزية ليست ملكا للأحلام ولاهى وقف خاص عليها ، وثانيا إن استخدام الرموز فى الأحلام ليس من اكتشافات التحليل النفسى ولو أن هذا العلم لا تعوزه الاكتشافات الغريبة . وإذا كان لأحد فى العصر الحديث أن يدعى الأسبقية فى هذا المضمار ، فهو بلا شك الفيلسوف « شرنر » وقد جاء التحليل النفسى فعزز اكتشافه ، وإن كان قد عدل فى بعض النقط الهامة .

أظنكم ترغبون الآن فى معرفة شىء عن طبيعة الرمزية فى الأحلام وتودون الاطلاع على بعض الأمثلة . وإنى ليسرنى أن أقدم لكم كل ما أعلم عن هذا الموضوع ، ولكنى أعترف أمامكم أن معلوماتنا فى هذا الشأن أقل مما كنا نرغب فيه .

العلاقة الرمزية فى أساسها علاقة مقارنة ولكنها ليست مقارنة من أى نوع كان ، فنحن نشتبه فى أنها تخضع لشروط معينة ولو أننا قد لا نستطيع أن نحدد بالضبط نوع هذه الشروط . فليس كل ما يمكن مقارنته بشىء أو حادث ما يظهر فى الأحلام على شكل رمز له ، كما أننا نجد من ناحية أخرى أن الأحلام لا تستخدم الرمزية لأى شىء كان بل تستخدمها فقط لعناصر خاصة من الأفكار الباطنة ؛ أى أن هناك تحديدا من الناحيتين . ويجب علينا أن نسلم كذلك بأننا لا نستطيع فى الوقت الحاضر أن نحدد بالضبط معنى الرمز كما نتصوره ، فهو يبدو أحيانا كاستعاضة عن شىء أو تمثيل له ، بل كثيرا ما يقترب جدا من الإشارة والتلميح . وقد يكون من السهل علينا فى بعض الأحيان أن نتبين على الفور المقارنة التى بنيت عليها الرموز ولكن هناك حالات أخرى نحتاج فيها إلى البحث والتدقيق لمعرفة العامل المشترك الذى يدخل فى هذه المقارنة المفروضة . وهذا العامل قد يظهر لنا إذا أعدنا النظر مرة أخرى ، كما أنه قد يظل محجوبا عنا إلى الأبد وإذا كانت الرموز عبارة عن مقارنة فعلا ، فإن مما يستلفت النظر حقا أن هذه المقارنة لا تتضح لنا من عملية الترابط المطلق ، وأيضا إن الحالم لا يعرف عنها شيئا وإنما يستخدمها فى غير وعى منه ، بل إنه ليذهب إلى أكثر من هذا فيأبى أن يعترف بها عندما نوجه نظره إليها . ومن هذا ترون أن العلاقة الرمزية عبارة عن مقارنة من نوع خاص طبيعته غير واضحة لنا تماما ، وربما كان فى استطاعتنا فيما بعد أن نعثر على بعض الأدلة التى تلقى قليلا من الضوء على هذه الصفة المجهولة .

(يتبع) **محمد جمال الدين حسن**



بين معمم ومقبع ومطربش !!

الحر شديد تلفح زفراته الوجوه ، والترام مزدحم بالناس قعوداً ووقوفاً ، وما منهم إلا من ملأ الفتور بدنه كأنما أخذتهم جميعاً سنة فهم صامتون مطرقون . وليس ما يدب فيه النشاط والقوة إلا هذا الترام السريع الذى ينحدر إلى القاهرة من مصر الجديدة منطلقاً كالسهم ، يهز ركابه الوسنانين هزات قوية تنفض عنهم بعض فتورهم وتكاد تلق بالجالسين منهم على أطراف المقاعد إلى أرض العربة فى منعرجات الطريق ...

وفى زاوية من العربة جلس ثلاثة : معمم على أحد المقاعد يواجهه على المقعد المقابل مقبع ومطربش .

أما المعمم فهو فى حدود الأربعين أنيق الثياب جداً ، نظيفها كأنما هو قادم بها من فوره من دكان الخياط . ولست أدرى ما ذا يصنع يوم العيد ليشعر الناس أنه « غيَّر » ملابسه ؛ ممتلىء البدن ، أبيض الوجه فى حمرة ، متورد الوجنتين ، تنبئك ملامح وجهه بأنه فكه خفيف الروح ، وتحدثك عيناه ولفتاته ونظراته فيمن حوله — على الرغم من الفتور الذى لحقه كما لحق غيره — أنه « ابن بلد » بأوسع معنى لهذه الكلمة .

أما المقبع فهو عُتُلٌ فى نحو الستين ، ثقيل الظل جامد الطبع فيما يبدو من ملامحه وهيكله جميعاً ، وبخاصة حاجباه الكثيفان ومنخاراه الواسعان وعيناه الضيقتان وفمه الذى ما إن رأيته حتى جزمت بأنه لم يبتسم مرة فى سنواته الستين ، ولو طلب إلى أن أؤدى يميناً عن هذا لأديتها فى غير حرج .

أما الطربش فأرجو أن تعفينى من وصفه فذلك هو أنا صاحب المنظار ...!

وحدث بين هؤلاء الثلاثة ما بعث الركاب جميعاً من سِنتهم وما أضحكهم على الرغم من الحر والغبار وجهد اليوم ...

مد المقبع إحدى رجليه فوضعها على المقعد حتى مس حذاؤه ملابس المعمم أو كادت ، فنظر إليه هذا نظرة استنكار عله يسترد رجله ويبعد ذلك الحذاء الذى خيل إلى لكبره أنه مركب من مراكب الأطفال ؛ ولكنه لم يتحرك ؛ فقال له المعمم : « من فضلك يا خواجه » وأشار إلى حذائه ؛ فنظر إليه المقبع متثاقلا وقال : « لا ... أنا حر » ونطق الحاء خاء فازداد ثقلا على ثقل .

وازداد وجه المعمم حمرة ورأيته أخذ يتحمس ، ولكنها حماسة من يعرف كيف يسلك فى مثل هذا الموقف ما يشاء كله من مسلك :

— أنت حر فى بيتك ولكن هنا لا ... ونطق المعمم كذلك الحاء خاء كأنما هو حيال نص لا يملك له تبديلا ...

ولم يلتفت المقبع إليه فازداد جموداً على جمود !

ولم يرع هذا المتل إلا رِجلا الشيخ جميعاً تمتدان فتستقران لا على المقعد ولكن فى حجره وقد ضغط الشيخ بنعليه على بطنه وهو يقول « أنا كمان حر » وأصر على جعل الحاء خاء .

وضحكت حتى تندت عيناى وضحك من شهدوا المنظر جميعاً وطار عنهم فتورهم ؛ ونهض المقبع كأنما لدغته عقرب ، وهو يرطن بلغته ، وكأنما فمه بالوعة غصت بالماء وقد انتفخ شدقاه فازداد غلظاً على غلظ .

ونظر إلىَّ المعمم وهو بين الضحك من فعلته وما أثارته من ضحك عام وما كللت به من نجاح أعجبه ، وبين الغيظ مما رطن به المقبع ، وقال لى « ترجم حرفياً ما يقول لألقى به تحت الترام » فأحجمت وما زدت على أن ضحكت . فقال الشيخ وقد حبس ابتسامته وبدا الجد فى وجهه : « أتمتنع عن ترجمة ما يقول هذا الخنزير ؟ . أهذه غيرتك على كرامة بنى وطنك ؟ » .

ورأيتنى على رغمى قد دخلت خصما ثالثاً فى القضية !

ونظرت إلى الشيخ وقلت : أفتراني يرحمك الله أتبين شيئاً مما يقول ؟ ومع ذلك فهل تظنه يتدحك ويثنى عليك ؟

وأعجب الشيخ ردى فابتسم أو كاد ثم عاد إلى عبوسه وتقطيبه ، على أنه ما لبث أن ضحك مع من ضحكوا لهذا الرد .

ورأيت أنى أحرجت الشيخ إذ حرمته مما أراد أن يتعلل به من جهله بما يقول خصمه وكفى الله المؤمنين القتال ... وصار لزاماً أن يلقى بذلك المقبع تحت الترام وإلا فقد قبل شتائمه

وانقذ المقبع من الموت المحتم تحت عجلات الترام أو قل أنقذ الشيخ من حرجه وقوف الترام على آخر محطة بحيث لم تعد عجلاته تفعل شيئاً !

فادة الإصلاح فى القرن الثالث عشر :

الشيخ شامل

زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

٣ — كان الحاج جبرائيل من أهل قرية « جرقط » صانعاً ماهراً يجيد صنع كل ما تقع عينه عليه ، وفى ذات يوم من الأيام قصد إلى ساحل البحر الأسود ، وركب إحدى البواخر ، وتوجه إلى الحجاز ، وأدى فريضة الحج ، ثم رجع إلى مصر وأقام بها فترة رجع بعدها إلى القسطنطينية ومنها إلى بلاده الأصلية فى الداغستان حيث كان الشيخ شامل فاتصل به وعرض عليه خبرته ومهارته الصناعية ، واقترح أن يقوم بصب المدافع وصنعها محلياً ، ومقاتلة الروسيين بنوع أسلحتهم ، وأظهر شامل — رحمه الله — خوفه من الفشل فى هذا المشروع ، وعارض فيه بادىء ذى بدء؛ ولكنه — تحت تأثير الالحاح والاغراء — قبل المعاونة والمساعدة ورضى بالمساهمة فى هذا المشروع ، وقدم كل عون ممكن لهذا الصانع الماهر الوطنى المخلص ، وقام الحاج جبرائيل بأول محاولة لصنع المدافع ، فجمع بقايا المدافع المحطمة التى تركها الروسيون فى بعض المعارك السابقة ، وأذابها ، ثم صب منها مدفعاً جديداً ، ولكن هذا المدفع لم يقو على تحمل أول تجربة أجريت له ، فتحطم بعد قذف القنبلة الأولى منه ، وكان فى هذا الفشل الحافز الذى حفز شاملا واخوانه والحاج جبرائيل ومهارته ، وأعيدت المحاولة، ونجحت ، ومن يومئذ أصبح فى امكان الشيخ شامل وجنوده الاعتماد على قوة المدفعية ومقابلة الروسيين بنفس سلاحهم الذى يقاتلونهم به .

وكان لصنع المدافع فى بلاد الداغستان ونجاحها ، واستعمالها فى المعارك التى وقعت بعد ذلك أثر كبير سواء فى تقوية الروح المعنوية بين المجاهدين المسلمين أو فى إيقاع الخوف والرعب فى قلوب أعدائهم من الروسيين ، وأهل البلاد الضالعين مع الروسيين . وكان ذلك حوالى سنة ١٢٥٩ ﻫ و سنة ١٨٤٣ م .

٤ — كان الشـيخ شامل — من يوم صنع المدافع فى الداغستان واستعمالها فى الحروب — يسير من نصر إلى نصر ، وذاعت شهرته ، وقويت شوكته ، وهابه خصومه بعد أن أوقع بهم فى عدة معارك فاصلة ، كان لها وقع عظيم فى نفوس الفريقين المتحاربين ، ولجأت القوات الروسية إلى قلاعها وحصونها .

فى هذه الأثناء كان زعماء الجراكسة وأعيانهم يرسلون الرسل والكتب متتابعة بدعوة الشيخ شامل إلى بلادهم . لمساعدتهم على رفع نير الاحتلال الروسى عن رقابهم ، مظهرين الطاعة والاخلاص له ولدعوته الدينية الوطنية التى رفع رايتها فى ربوع بلاد الداغستان .

وفى أوائل سنة ١٢٦٢ ﻫ (١٨٤٦ م) عزم الشيخ شامل على اجتياز الحدود والذهاب إلى بلاد الجركس ، فجمع جمعاً عظيما من الجند الخيالة والرجالة وأخذ معه سبعة مدافع ثقيلة ، ومقداراً وافراً من المهمات والأسلحة الحربية ، واجتاز نهر « ترن » ونزل فى بلاد « قبرطاى » الواقعة فى الشمال الغربى للداغستان ، وأخذ ينشر تعاليمه ومبادئه عن طريق الوعظ والارشاد ، وأقبل عليه الأهلون مرحبين وأظهروا استجابتهم لدعوته وموافقتهم لها، وبينما كان الشيخ شامل يقوم بهذه المهمة وينظم الحياة الدينية والمدنية فى تلك البلاد . جاءه النذير بأنه وقع فى كمين دبره له الروسيون . إذ قطعوا عليه خط الرجعة ، وسدوا المسالك وأقفلوا الجسور التى تصل ما بين بلاد الداغستان وأقاليم الجراكسة ، فأسرع شامل بالعودة من حيث أتى ، وبعد تصادم قوى بينه وبين الروسيين وتراشق بالمدافع استطاع الشيخ شامل أن ينقذ قواته ويجتاز بها نهر « ترن » ، ورجع إلى بلاده منهوك القوى ، بعد أن خسر فى هذه الرحلة كثيراً من قواته ومهماته ، وكاد يصاب بهزيمة منكرة لولا حزمه وقوة احتماله ، ولولا مهارة الحاج يحيى قائد المدفعية فى جيش شامل الذى استطاع أن يستخدم ما معه من المدافع الثقيلة أحسن استخدام فى الوقت المناسب .

وانطلقت وأنا أدير فى رأسى هذه القضية الصغيرة التى فسرت لى تفسيراً عملياً معنى الحرية ، وظللت ساعة لا تبرح خيالى رجلا الشيخ يضغط بنعليهما على بطن ذلك القبع الذى ظن أنه لا يزال لقيمته ما كان لها قبل من هيبة !

الخفيف

٥ — كان لهذه الحادثة أثر بعيد فى المعارك التى تلتها ، فقد قويت الروح المعنوية فى الجيوش الروسية المحاصرة فى القلاع المتناثرة هنا وهناك ، فقاموا بعدة كرات على قوات شامل ، ووقعت بين الفريقين مصادمات عنيفة ، وأخذت الحرب فى بلاد الداغستان صبغة رسمية ، واسترعت اهتمام العالم أجمع ، وحشدت القيصرية الروسية أعظم قوادها ، وأرسلت إلى الميدان جوعاً كبيرة من خيرة جنودها ونظم كبار شعرائها القصائد الطوال فى دعوة الناس إلى الجهاد فى الداغستان ولكن شاملا كان مع كل ذلك — كالعهد به — يعمل فى صمت وهدوء وبنفس الايمان والثقة بالله ، وبنصره لعباده المخلصين .

ولما رأى مبلغ ما كان لصنع المدافع من نفع وتأثير حربى أخذ يشجع كل تفكير فى صنع شىء جديد يمكن الاستعانة به فى مقاومة العدو ، وفى سنة ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩ — ١٨٥٠ م) تمكن الصناع الداغستانيون من صنع البارود فى بلادهم ، وأعدوا كل ما يلزم لهذه العملية من آلات وممدات ، وأصبح فى امكان المجاهدين المسلمين استخدام البارود فى حروبهم ضد الروسيين من ذلك التاريخ ، كما يستعملون المدافع المصنوعة فى بلادهم وبالأيدى الداغستانية من نحو ثمانية أعوام .

٦ — اتسع نفوذ الشيخ شامل فى جميع بلاد الداغستان ، وسارت بأخباره الركبان ، وكثرت مصادماته الناجحة ضد الروسيين ، وفى أوائل فصل الخريف . فى اليوم العاشر من المحرم سنة ١٢٧٠ هـ (١٣ أكتوبر سنة ١٨٥٣ م) قام الشيخ شامل بحركة جريئة أوقعت الرعب فى قلوب حاميات الروس فى بلاد القوقاز كلها ، ففى ذلك اليوم ساق سيلا عظيما من قواته ومدفعيته ، واجتاز بها حدود بلاد « الكرج » وحاصر قلعة « زنطة » حصاراً محكما قوياً ، واضطر حاميتها إلى التسليم فى النهاية ، ثم بعث البعوث والسرايا إلى القرى المتناثرة فى تلك الجهات ، فأغارت عليها ، وأخذت الأسرى وغنمت الأموال الكثيرة . ثم رجع إلى مقر قيادته فى داخل حدود الداغستان بعد أن قتل من الأعداء نحو (٢٠٠٠) قتيل وأسر نحو ٨٩٤ أسيراً ، وغنم من الأموال والأسلحة مقداراً عظيما . وكان بين الأسرى الجنرال « جوجوزه » قائد حامية « زنطة » وبين السبايا زوجته وبنته وكثيرات غيرهن من كرائم العقيلات ، وبنات الأشراف .

بقى هؤلاء الأسرى عند الشيخ شامل نحو تسعة أشهر ، وجرت المخابرات والمفاوضات بين الشيخ شامل والقيادة الروسية العليا لمبادلتهم بالأسرى المسلمين الذين كانوا فى أيدى الروسيين .

وفى النهاية تم الاتفاق بين الطرفين على طريقة هذا التبادل ومكانه ، فقد اتفق الفريقان على اختيار موقع « أنصنفر » على ضفة نهر « مجك » . كما حصل الاتفاق على مبادلة الجنرال « جوجوزه » بابن الشيخ شامل جمال الدين الذى كان رهينة فى أيدى الروسيين من نحو ستة عشر عاماً ، ثم مبادلة كل مسلم بروسى ، وجعل لكل أسير زائد وللسيدات والأولاد من السبايا فداء محدود ، وفى أواخر سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) تم هذا التبادل فى « انصنفر » على ضفاف نهر « مجك » ، وأخذ المسلمون أموالا كثيرة فداء الأسرى الزائدين والسبايا من النساء والأولاد . وكان يوماً مشهوداً عم فيه البشر بين الجميع .

٧ — بعد تبادل الأسرى فى أواخر سنة ١٢٧٠ هـ تحاجز الفريقان بعض الشىء ، وخمدت نار الثورة الوطنية ، والحركة الدينية الاصلاحية التى أشعلها الغازى محمد الكمراوى منذ نيف وخمس وعشرين سنة ، وكانت هذه الحادثة أشبه بهدنة غير رسمية بين الفريقين . كان قد مضى على نشوب هذه الثورة فى تلك البلاد أكثر من ربع قرن من يوم أن رفع الغازى محمد الكمراوى علم الثورة ، وكان مضى عليها أكثر من عشرين عاماً من يوم تولى الشيخ شامل قيادتها .

فلما رجع أولئك المجاهدون إلى قراهم وضياعهم بعد طول الغياب عنها ، والتنقل بين مختلف البقاع وتلك البلاد الجبلية الوعرة رأوا ما عم قراهم من الخراب والدمار ، وما حل بأهليهم من الفاقة والفقر وسوء الحال الاقتصادية ، لأن أكثر القرى كانت قد خلت من الرجال الأشداء القادرين على الأعمال الزراعية ، وتولى هذه الأعمال الشاقة النساء ومن هم فى حكم النساء من الشيوخ الفانين والأولاد الضعاف ، فساءت حال الزراعات ، ونقصت الحاصلات وانتشر الفقر والضيق .

ثم إنهم نظروا فوجدوا أنهم فى ثورة متصلة الحلقات من نحو

ربع قرن من غير أن تمتد اليهم يد بالعون والمساعدة من خارج حدودهم ، ومن غير أن يستطيعوا حتى الاتصال بخليفة المسلمين ليعرضوا عليه حالهم ، وما يعانونه من الشدة وسوء الحال .

لابد أن هؤلاء المجاهدين — أو أغلبهم — فكروا فى هذا كله ، فرأوا سوء الحال المنذر بأسوأ مصير ، فوهنت عزائمهم وتراخت وبدأ الناس يتسللون من حول شامل شيئاً فشيئاً ، ثم بدأت الحرب المعروفة بحرب القرم بين الروس والحلفاء : (الأتراك والانكليز والفرنسيين) . فى النصف الثانى من سنة ١٢٧٠ ه ، واستمرت إلى النصف الثانى من سنة ١٢٧٢ ه ، ولكن الشيخ شاملا لا يستطيع انتهاز هذه الفرصة المواتية . لما قدمنا من الأسباب ، ولم يستطع الحلفاء ، مد يد المساعدة للشيخ شامل لأن الطريق بينه وبينهم كانت مقفلة تماماً .

أقول هذا على الرغم مما جاء فى « لاروس » فى أثناء ترجمة الشيخ شامل من « أن الحلفاء لم يقصروا فى تقديم المونة إلى شامل ، اذ كانوا يقدمون إليه ما يحتاجه من لوازم حربية » .

أقرهذا لسببين اثنين: الأول ان الطريق بين الحلفاء والشيخ شامل كانت مغلقة تماماً من جميع الجهات ، فلم يكن من الممكن الاتصال به من الخارج .

والسبب الثانى هوأن الذين أرخوا لثورة الشيخ شامل وذكروا دقائقها ، وتتبعوا تفصيلاتهالم يذكروا شيئاًعن هذا العون المزعوم . على أنه لو كان حديث هذا العون صحيحاً لرأينا شيئاً من الحياة والانتعاش فى الثورة إبان حرب القرم ، ولكن على العكس من ذلك تماماً نجد شيئاً من الهمود والخمود يعم أرجاء البلاد طول تلك المدة . إذا صرفنا النظر عن بعض الحوادث المتفرقة التى وقعت هنا وهناك فى فترات متقطعة . مما لابد من مثله بين فريقين طال أمد القتال بينهما أكثر من خمسة وعشرين عاماً .

٨ - لما انتهت حرب القرم ، ووقع الروسيين شروط الصلح مع الحلفاء فى باريس فى ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ م و ٢٢ رجب سنة ١٢٧٢ ه تفرغوا لقتال شامل ، ووجهوا كل همهم للقضاء عليه ، وانهاء حال الثورة فى جبال القوقاز التى طال عليها الأمد ، ولهذا نجد الروسيين يجهزون قوة عسكرية كبيرة مكونة من نحو (٦٠٫٠٠٠) رجل ويرسلونها إلى القوقاز ، ثم تتابعت حملاتهم العسكرية بعد ذلك كما نشط جواسيسهم ودعاتهم لاستمالة بعض القبائل والأعيان إلى جانب الروسيين بما كانوا يشترونه من الأموال الطائلة . فلما كان أواخر سنة ١٢٧٤ه .(١٨٥٨م) كان كثير من أهل الجهات النائية قد خرج على الشيخ شامل ، وأخذ يقوم ببعض الخدمات للقوات الروسية ، كشق الطرق وحراستها وما إلى ذلك ، وفى شهر رجب سنة ١٢٧٥ ه (فبراير سنة ١٨٥٩م) جاء الروسيون بقوة كبيرة ، وحاصروا شاملا وأنصاره فى مقر قيادته فى قلعة « بكى درغية » .

ضيق الروسيون الحصار على شامل وأصحابه ، وقاتلوه قتالا شديداً إلا أنهم لم ينالوا منه نيلا لحصانة القلعة وشدة دفاع المجاهدين وبعد نحو أربعة أشهر من هذا الحصار تراجع الروسيون وفكوا الحصار عن القلعة ومن فيها ، فانتهز الشيخ شامل هذه الفرصة ، وخرج مع جميع أصحابه ، ونقل كل ما أمكن نقله من المدافع والمهمات والأرزاق ، وذهب إلى قرية « ايشجيلى » ورابط فيها إلا أن الروسيين لاحقوه هنا أيضاً ، وهاجموه وأحاطوا به ، وبعد أن استمر القتال بين الطرفين نحو شهرين اضطر الشيخ شامل — تحت تأثير قلة رجاله وسلاحه الذى بقى لديه — إلى الانسحاب من هنا أيضاً ، واتجه بأهله وعياله ومن رافقه من مخلصى أصحابه إلى قلعة « غونيب » الحصينة ، وتحصن فيها ، كان ذلك فى أول المحرم سنة ١٢٧٦ ه (٣١ يولية سنة ١٨٥٩ م) .

٩ — تحصن الشيخ شامل بقلعة « غونيب » الحصينة ، ثم لحق به بعض المجاهدين المخلصين حتى بلغ عددهم نحو ثلثمائة رجل من المحاربين غير النساء والأطفال من آل شامل .

ولكن ما ذا عسى أن يصنع هؤلاء الثلثمائة رجل أمام هذه الجيوش الجرارة التى أحاطت بالقلعة إحاطة السوار بالمعصم ؟ فى هذه الأثناء صدرت إرادة قيصر الروس إلى قائد قواته فى القوقاز بضرورة القبض على الشيخ شامل حياً مهما كلف ذلك من ثمن .

ولهذا أخذت القوات الروسية تضيق الخناق على قلعة « غونيب » وفى الوقت نفسه طلب قائد الحملة الروسية من الشيخ شامل التسليم ، ووعده بالابقاء على حياته هو ومن معه من المجاهدين ، والنساء والأطفال .

(البقية فى العدد القادم) برهان الدين الداغستانى

وإذا أتى يوما..

مترجمة عن فوده بروك

للأستاذ محمد على مخلوف

فى الربوة الغنـــاء قد أبصرتها يوماً تســـير
يهفو النسيم بثـوبها فتثور كالطفل الغرير

هى فى الخمـــائل زهرة رفت ، فحياها الربيع
تصبو القلوب إلى الجما ل وتفتدى الحسن البديع

وقفت ترجى أن يعو د مع المساء حبيبها !
ترنو إلى الشمس الـكئيـ ـبة والحنين يذيبها

وتقول : مالك لا تعو د فتطارد الحزن العميق ؟
هل عاقك الداء الممض أو انحرفت عن الطريق ؟

أو قد مللت وحطمت يمناك مصباح الغرام ؟
أنسيت أنى فى انتظا رك–يا حبيبى–منذ عام ؟

عد يا حبيبى ... إننى دون العذارى لا أخون
قلبى يعيذك أن تكو ن مصدقاً فيه الظنون

هذا جمـــالى ... منحة عظمى حبتك بها السماء
فذق النعيم ... فطالمـــا قد ذقت فى الحب الشقاء

عينى يلوح الصفو فيـ ـها مثل مرآة الأمل
ثغرى ترف على لما ه العذب أزهار القبل

عد يا حبيبى ... فالحيا ة قصيرة أســبابها
سلب السعادة من يديـ ـنا خلسة ســلابها

لـكن من تهواه آ ل مغضباً ألا يعود
كم بات يبكى من نوا ها . والنجوم له شهود

قد سار لا يدرى أينـ ـعم أم يعذب فى الحياه !
لفت أعاصـــير الزما ن شبابه ولوت خطاه

فى مجهل العيش الجديـ ـب رمت به كف القدر
والبؤس ليـل مظلم لا نجم فيـــه ولا قمر

بين الضباب ، أقام ينـ ـشد حلمه ... بين الضباب
ظمآن يشرب فى صحا رى الوهم من نهر السراب

هيهات أن يتفاهم الـ ـعشاق إن صدق الوداد
فالحب إما صح بيـ ـن اثنين لجا فى العناد

« والعقم فى دنيا الهوى الـ ـعذرى غاية كل جود »
فإذا قضيت وما قضيـ ـت لبانة نلت الخلود

خفت لمخدعهـــا وأد معها من البلوى تسيل
لم تلق فى الروض البهـ ـيج حبيبها النائى الجميل

نضت الثياب الحمر ... آ ه من الثياب وما تبيح
وتخاذلت فوق الفرا ش كأنها ظبى جريح

حنت إلى الماضى البعيـ ـد ... وأين ماضيها البعيد ؟
وأذته أحداث الليـــا لى ، وهو فى الدنيا وليد

دب السقام إلى الجميـ ـلة فامحى طرس الشباب
يا رحمتا للحسن يهـ ـوى مثلما يهوى الشهاب

راحت تقول لأختهـــا والليل قد أرخى السدول
إنى سأقضى ... فاحفظى أختاه عنى ما أقول :

إن عاد يوماً ذلك الـ ـقاسى وسأل : أين « مارى » ؟
قولى له ماتت ... وكا نت لشمسها الغيم الموارى

وإذا شدا يوماً بألـ ـحان الصبابة أو ترنم
قولى له : إنى بصر ت بطيفها حياً وسلم

لا تسأليه كيف يشـ ـدو فى حبور وابتهاج
عما قليل سوف يصمـ ـت حين ينطفىء السراج

قالت لها ... وإذا أتى يوماً إلى الروض النضير
وجثا هنـــاك على بسا ط العشب يستاف العبير

ماذا أقول ؟ أأسكب الـ ـعبرات للذكرى الحزينه ؟
أم أجمل الزهرات إكـ ـليلا يزين به جبينه ؟

قالت لها ... غنى له أنشودة القلب الكسير
فإذا بكى ... قولى : لقد ذكرتك فى النزع الأخير

قالت : فإن نسى الغرا م وعهده ماذا أقول ؟
قالت لها : قولى له كل النجوم إلى أفول

وإذا أراد زيارتى لا تصحبيه إلى المقابر
فلعـــله يفضى إلـ ـى بما يكن من الخواطر

وإذ رأيت بنـــانه مرت على خصل جميـله !
قولى له ... يا طالمـــا داعبت «مارى» فى الخميله

وقضت ... وعاد ... يجن من هول الفجيعة فى فتاته
ما زال يلثم قـــبرها حتى تخلص من حياته

(القاهرة) **محمد على مخلوف**

خواطر مسجوعة :

العبقرى المجهول ...!

كأنك سائلى أيها الفطِن ، عن كائن لم يكن ... أو كأنك تقول : من العبقرى المجهول ؟ وما هو يا صاحبى سوى إنسان ، محتجب فى عالم النسيان ، غفل عنه التعداد ، ولم تشعر له الدنيا بميلاد ، فضاع فى أمته ، وحار فى منبته ، كشباب أذبله اليأس ، أو عقل سلبته الكأس ، أو روض فى مجهل ، أو علم فى سفر مقفَل ، أو بدر حجبه السحاب ، أو نضار غطّاه التراب ، أو در فى صدف ، لم يُكتشف ، أو سر خطير ، فى ضمير ، أو غناء ، فى أذن صماء ، أو بذر طيب ، فى واد مجدب ، أو عقد مضىء فى جيد أمَة سوداء ، فهى برغم ضوئه كالليلة الليلاء ...!

يعيش فى هذه الدنيا حراً مقيداً ، أبياً مهدداً ، بريئاً مظلوماً ، حياً معدوماً ، لا يلقى إليه العالم بالا ، وإن أضفى عليه من أدبه جمالا ، صنيعه مجحود ، وفضله محسود ، كالوردة ذات الشذى ، لم تسلم من الأذى ... ! !

ولن يؤثر قوم المادية الفانية ، على الروحية الباقية ، إلا إذا رضوا أن يعيشوا مع الماشية ، سواسية ! ولن يسود الناس ، من يقتل الإحساس ، ويطفىء النبراس ، ويبنى على غير أساس !

وليست الحياة أن تتنفس كما تتنفس الآلة بضغط البخار ، وإنما الحياة أن نشعر بأننا نحيا حياة الأحرار ... وكلما سما الشعور ، امتد أفق النور ، والقضية بالعكس ، إذا انحدر الحس . فإن نصيب الأصم من الغناء ، كنصيب الأعمى من الروضة الغناء ، ونصيب المزكوم من العطور ، كنصيب الأمى من هذه السطور !

والشعب الذى له من الحياة نصيب ، لا يهون فيه أديب ، وإنما يهون فى شعب محتضر ، كما تهون الدنيا على المنتحر !

(الزنكلون) **حامد بدر**

الأدب والفن في أسبوع

رسالة الأدب وجائزة فؤاد الأول :

كتب « ا . ح » مقالا بمجلة « الصباح » عنوانه « الأدباء المعاصرون فى مصر — وهل فهموا رسالتهم الفكرية ؟ » قال فيه إن بعض كبار كتابنا من المشتغلين بالأدب والتأليف ، ثار فى الأيام الأخيرة ، لحرمان الأدباء من جائزة فؤاد الأول الأدبية .ومن حق كل متفوق أن يحنق لذلك ، بعد أن منح الجائزة رجال القانون والعلوم .

ولـكنه يرى أن تلك الثورة لا تمنع من تقرير حقيقة اجتمع الرأى عليها « وهى أن أدباءنا على كثرة ما ألفوا من كتب ، وما أصدروا من مؤلفات ، لا يزالون بعيدين عن فهم رسالتهم الحقيقية فى المجتمع »

ويحدد الـكاتب رسالة الأدب التى يرى أن الأدباء لا يزالون بعيدين عنها ، فيقول : إن الأدب هو الحياة ، وكل أدب لا يصور حياتنا ، ولا يتصل بها اتصالا يهدف إلى تجديدها ، من حيث التنبيه إلى ما فيها من أخطاء ونقص ، والدعوة إلى إصلاح عيوبها أو التحذير من أخطاء هذه العيوب — هو أدب زائف لا يمس حياتنا ، ولا يؤدى الخدمة المنشودة منـه ، إنه يكون أدباً غير متفاعل مع عواطفنا ، قليل الاهتمام بهمومنا ومشكلاتنا الروحية »

ثم يتساءل : هل فى كتب الأدب الـكثيرة التى أنتجها رجال الفـكر فى مصر ما حقق رسالة الأدب على هذا الأساس ؟

وهو يرمى إلى أن أكثر تلك الـكتب ألف فى البحوث الأدبية عن آداب العصور الماضية ، وأن توجيه أكبر الجهد إلى ذلك دون ابتكار أدب تجد فيه الأمة ما يحفز همتها للنضال من أجل الحرية أو إرشادها إلى الطريق القويم الذى تسلـكه فى الحياة — إنما هو قصور فى تأدية رسالة الأدب على حقيقتها ، وعندما نستطيع إنتاج أدب يتسم بالخلق والابتكار ، ويعالج مشا كلنا الـكثيرة ، ويصحح أوضاع حياتنا المقلوبة ، ويتجـه بمجتمعنا نحو الرقى عندئذ نستطيع أن نغضب إذا حرم أدباؤنا من أى جائزة رصدت للمتفوقين منهم فى أى فرع من فروع رسالتهم السامية ...

وهذا الذى كتبه كاتب الصباح « كلام جد » عبر فيه عما يشعر به الـكثيرون ، فإننا إذا أحصينا إنتاجنا الأدبى المعاصر نجد أكثره إما دراسات لأدب العصور العربية الماضية ، وإما دراسات ومترجمات من الآداب الأجنبية ، فأما الأدب الذى يصور حياتنا ويعبر عن ذات أنفسـنا فهو قلة ، مع أنه هو الأدب الأصيل ، وما البحوث والدراسات إلا خدمة له ، وليست الترجمـة إلا « استيراد » له من الخارج .

وقد كان لنا العذر فى قلة إنتاج الأدب الأصيل فى الصدر الأول من هذا العصر ، لأنه كان عصر نهضة ، والنهضة تحتاج إلى كثرة النقول ودراسة الآثار ، لنتزود منها ونبنى على نافعها ، أما الآن فلا عذر لنا فى كثرة الدوران حولها ، وإهمال أنفسنا ، فلا نبنى لزماننا كالذى بنى أسلافنا لزمانهم ...

هذا من ناحية الموضوع العامة ، أما ناحيته من حيث استحقاق جائزة فؤاد الأول الأدبية فثمة أمران يرجحان كفة الأدب الأصيل : الأول هو ما قدمناه من بيان أهميته ، الأمر الثانى يمكن استخلاصه من المرسوم الملكى الصادر بإنشاء جوائز فؤاد الأول وفاروق الأول ، فقد جاء فيه : « يشترط فى الإنتاج الذى يقدم فى المسابقة فى كل عام أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار [ويهدف خاصـة إلى ما يفيـد مصر] والانتاج القوى » والشرط ينصب على الآداب والعلوم والقانون ، وجميعها لا بد أن تهدف إلى ما يفيد مصر ، ولا شك أن الأدب الذى يعالج مسائل مصر ويصور حياة مصر وينبعث من البيئة المصرية ، هو أقرب الآداب إلى فائدة مصر .

وصحيح أن المرسوم نص على أن جائزة الآداب تشمل « الآداب البحتة مثـل الأدب القصصى ، الأدب التصويرى ، الأدب الاجتماعى ، الشعر ، البحوث الأدبية (النقد ، البحوث اللغوية الدراسات الإسلامية الأدبيـة) والتاريخ والجغرافيا والفلسـفة والآثار »

ولـكنه إلى تقديمه الآداب البحتة ، قيد الجميع بأن تهدف خاصة إلى ما يفيد مصر . وستجتمع لجنة جائزة الآداب وتنظر فى

كل ذلك لتقرر منح الجائزة لمن يستحقها فى العام القادم بعد أن أجلتها هذا العام ، ولا إخالها إلا مرحبة بمعرفة اتجاه الرأى الأدبى العام،وتقدر ما يبدَى من الآراء التى يراد بهاوجهة الأدب الخالصة

قضاة الغرام :

أرادت مجلة « الاثنين » أن تستفتى الأدباء فى مشكلة من أهم المشاكل التى تشغل بال الرأى العام فى هذه الأيام ... هى مشكلة غرام ! فقد ساءت العلاقة بين شــاب وفتاة ، وتكرر وقوع الاعتداء من أحد الطرفين على الآخر ، فأصبح الأمن بذلك مهدداً فى عالم الغرام ... ولم يستمن الفتى بخبراء ، ولم ينتظر قرار هيئة مستشارين ، بل أسرع فى كتابة العريضة ورفعها إلى «الاثنين» يقول إنه أحبها ، وأحبته ، وهو رقيق الحال معتز بكرامته ، وهى ربيبة نعمة وجاه « واعتدى المال على الفقر مرة واثنتين وثلاثاً ، وثارت الكرامة وتطلبت الاعتذار ... ولكن الفتاة لم تعتذر ، لأنها لم تتعود الاعتذار . وإنه لفى حيرة لا يدرى أيكون أكثر شقاء بالصفح والغفران ، أم بالقطيعة والهجران ... »

وتلفتت « الاثنين » -- أو الاثنان -- حولها ، تبحث عمن ينظر القضية . ومن لها غير الأدباء ؟ أليسوا أساة القلوب وقضاة الغرام ؟ ومتى تلجأ إليهم إن لم يكن هذا وقتهم ! وفيم تحكمهم إن لم يحكموا فى هذا الأمر الجلل ؟ أفى كهربة خزان أسوان ولا يتصل لمثل هذا بهم شغل ؟ أم فى مسائل تتصل بأدبهم ولكنها تشق على الأذهان الناعمة ... ؟

وأصدر الأدباء ، فلان وفلان وفلان ، حكمهم ، فمنهم من رأى أن كل شىء يهون إلا الشرف ، ومنهم من قال : لغة الحب الضنى ! ومنهم من أنشد : « ليس لمخضوب البنان يمين »

وهكذا عولجت المشكلة وانتهت القضية واستتب الأمن فى عالم الغرام !

ولكن هل ينبغى أن تقصر العناية على هذه المشاكل « الحيوية » ؟ وهل يصح ألا يدعى الأدباء إلى غير ذلك مما يهم الناس ... ؟

باسم أدباء العرب :

من الانباء الأخيرة أن أحد أعضاء المؤتمر الدولى لنادى القلم المجتمع فى زوريخ ، اقترح اتخاذ قرار بالثناء على الشعب اليهودى والإيحاء باللائمة على خصوم الصهيونية والرغبة فى معاملة الوطن القومى لليهود على قدم المساواة مع سائر دول العالم ، فقابلت كثرة المؤتمر هذا الاقتراح بالتصفيق

غير أن الأستاذ كميل أبو صوان مندوب لبنان (وهى الدولة العربية الوحيدة الممثلة فى المؤتمر) قد احتج على هذا الاقتراح باسم الأدباء العرب ، مما أدى إلى نقاش عنيف بين أعضاء المؤتمر انتهى برفض الاقتراح لأن قانون المؤتمر يحرم التعرض لأية مسألة سياسية

وهذا -- دون شك -- عمل رائع من الأستاذ كميل أبو صوان ، ومما زيد روعته أنه أدى إلى رفض الاقتراح الذى أريد به تأييد الصهيونية .

الفنيون وتيسير الكتابة العربية :

لما كان تيسير الكتابة العربية موضوع مسابقة جائزتها ألف جنيه ، وقد دخل فيه نحو مائتى متسابق بينهم فنيون وفنانون لهم قيمتهم ، وهم مختلفون فى منازعهم ، حتى إن مجمع فؤاد الأول للغة العربية القائم ببحث هذا الموضوع ، تلقى رسائل فيه من أمريكا ومن روسيا ومن الهند وغيرها من سائر الأقطار والأصقاع ، ولأهمية هذا الموضوع وخطورة أثره ، رأى المجمع ألا تنفرد لجنة تيسير الكتابة العربية بالحكم على هذه المشروعات ، وأن ترجىء نظرتها حتى تسمع رأى حكام فنيين فى الخط وفى الطباعة ، فقد يعجب اللجنة مشروع يصعب تنفيذه فى العمل ، فتبطل قيمته ، وتنعدم جدواه ، وقد يروق اللجنة مشروع من وجهته العامة ولكنه فى أداء مقتضيات الكتابة العربية ناقص أو عسير التحقيق ، ورأت اللجنة أن أعضاءها وإن كان لهم بصر بالكتابة العربية ، وسابق نظر فى المشروعات والمقترحات التى بسطت للتيسير ، فإنهم ليسوا بالفنيين المتجردين لشــئون الخط والطباعة

لذلك كله قرر مجلس المجمع ، فى جلسته التى ختم بها دورته الماضية ، تأليف لجنة من فنيين فى الخط وفى الطباعة اختار لها المدير العام لمصلحة المساحة رئيساً ، ويتكون أعضاؤها من كبير الخطاطين بمصلحة المساحة ، والأستاذ سيد ابراهيم الخطاط ،

والشيخ محمد فخر الدين بك، ومدير المطابع والتوريدات بمصلحة السكة الحديد، ورئيس مطبعة دار الكتب، والأستاذ شفيق متري صاحب دار المعارف. وضم إليهم الأستاذ شارل كونتز مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة باعتباره فنياً في الخطوط السامية وأحد الذين تتبعوا تطور الكتابة العربية، ليقارن بين الخطوط المقترحة وبين الخطوط السامية

وتعقد هذه اللجنة بدار المجمع اجتماعات أسبوعية توالى فيها النظر في المقترحات المقدمة. وينتظر أن تقدم تقريرها في هذه المهمة إلى المجمع قبل انتهاء عطلة الصيف حتى يستطيع المجمع أن ينظر فيها في مقتبل دورته القادمة ...

المؤتمر الثقافي العربي :

عرف القراء مما كتبناه في عدد مضى من الرسالة أن اللجنة الثقافية بالأمانة العامة للجامعة العربية دعت إلى عقد مؤتمر ثقافي بلبنان في سبتمبر القادم تنفيذاً لسياسة التعاون الثقافي بين الدول العربية. ونذكر اليوم، إلى ما بيناه فيما مضى، أن المؤتمر سينعقد في فندق بيت مري الكبير ويبدأ في اليوم الثاني من سبتمبر ويستمر إلى التاسع منه، وسيكون تحت رعاية فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية، أما رئيس المؤتمر فهو وزير التربية الوطنية (المعارف) اللبنانية، ويرأس معاليه أو من ينوب عنه حفلات الافتتاح والختام والمحاضرات العامة. أما الاجتماعات التي تخصص لمناقشة مقترحات اللجان الفرعية الفنية وأخذ الآراء فيها، فينيب معاليه عنه في رياستها رئيس اللجنة الفرعية المختصة لعرض وجهة نظر اللجنة وتوجيه المناقشات واتخاذ القرارات ...

وقد نشرت بعض الصحف أن المؤتمر ستشترك فيه بعض السيدات المثقفات. وقد عرفنا أن الأمانة العامة لم تتلق بعد أسماء سيدات لهذا الغرض، ولكن إذا رأت إحدى الهيئات الرسمية أن يكون من ممثليها سيدات فإنها لا تمانع في ذلك، كما أنها لا تمانع في حضور سيدات مثقفات من غير الهيئات الرسمية جلسات المؤتمر مستمعات كغيرهن من الرجال ...

وقد تلقت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية من جامعة فؤاد الأول أن مجلس إدارتها وافق على إيفاد حضرتي الدكتور محمد عبد المنعم الشرقاوي والأستاذ أحمد محمد الشايب لحضور المؤتمر الثقافي، وتلقت من وزارة المعارف العراقية أن ممثلي العراق في المؤتمر هم الدكتور جواد علي والدكتور مصطفى جواد والأستاذ إبراهيم شوكت، ويمثل فلسطين السادة وصفي العنبتاوي والدكتور إسحاق الحسيني والأستاذ أحمد خليفة من كبار رجال التعليم بحكومة فلسطين ...

والمفهوم أن قرارات المؤتمر سترسل إلى الدول العربية للعمل على تنفيذها، وأنه وإن لم يكن هناك إلزام رسمي بذلك إلا أن الفكرة العامة من حيث الرغبة في الاتحاد والتقارب الثقافي بين الأمم العربية، تكسب تلك القرارات نوعاً من الإلزام الأدبي ...

مؤتمر الآثار العربي :

وقد عرف القراء أيضاً نبأ انعقاد مؤتمر للآثار العربية بسورية قبل انعقاد المؤتمر الثقافي بلبنان ...

ونضيف إلى ما سبق أن مؤتمر الآثار سيعقد بدمشق ويبدأ في الثالث والعشرين من أغسطس القادم وينتهي في آخره، بحيث يبدأ على أثره المؤتمر الثقافي بلبنان في أوائل سبتمبر كما تقدم

وسيكون مؤتمر الآثار العربي تحت رعاية فخامة رئيس الجمهورية السورية، ويرأسه معالي وزير المعارف بسورية ...

ويمثل جامعة فؤاد الأول في المؤتمر الدكتور زكي محمد حسن والدكتور أحمد بدوي، ويمثل دار الآثار العربية بالقاهرة الدكتور محمد مصطفى أمين الدار، ويمثل العراق السادة فؤاد سفر وطه باقر وبشير فرنسيس ... وقد أبرقت وزارة المعارف السورية إلى الإدارة الثقافية بأن مندوبها الرسمي الأول هو الأمير جعفر الحسني، وأن المندوب الثاني هو السيد سليم عادل ...

« العباس »



رحلة الدكتور عزام إلى الهند :

ابتداء من العدد المقبل سننشر المقال الأول من رحلة الهند للدكتور عبد الوهاب عزام بك ، وهي مقالات تتسم بالبلاغة والجمال والسمو والصدق كـكل ما يكتبه الأستاذ ، فضلا عن ظهورها في الوقت الذي تنشأ فيه بالهند دولة الباكستان الإسلامية. وأكثر الناس لا يعرفون من روح الهند وأسرارها ما يساعدهم على إدراك هذا النظام الجديد وتأثيره في مستقبل الإسلام وأهله .

أدباء العروبة في مجلس الشيوخ :

نشرت الصحف اليومية أن الشيخ المحترم «فريد أبو شادى» طلب إلى مجلس الشيوخ استجواب رئيس الوزراء عن التصرف الذي وقع لحساب جامعة أدباء العروبة .

وقد أشار الشيخ إلى هذه التصرفات في كتابه إلى رئيس مجلس الشيوخ « ... من استغلال النفوذ ، وتسخير مواصلات الدولة ، وإذاعتها لهذه الهيئة المسماة أدباء العروبة » .

ولقد مر الناس على ذلك فكان مجال تعليق ، وموضوع أحاديث ... وإذا كان من حق الشيوخ والنواب مراقبة الحكومة فإن من حق الأمة مراقبة هؤلاء ، ومناقدتهم أحياناً ، ومناقشتهم فيما يند عن المعقول من رقابة أداة الحكم في هذا البلد .

وليس مما يدخل في نطاق المعقول ، ولا مما يستساغ أن يؤخذ على الحكام استغلال نفوذهم في الصوالح العامة ، وإنما يكون ذلك حيث يستغل الحاكم سلطانه في أموره الشخصية ، ومصلحته الفردية

وليس كثيراً على الأدب أن يتوكأ على نفوذ الدولة ، وأن تسخر له مواصلاتها ، وإذاعتها ، ولعل الأقرب إلى الواقع أن نقول : إن المواصلات والإذاعة هما اللتان سخرتا الأدباء في هذه الحفول الأدبية .

ثم إن أدباء العروبة لم يمسوا ميزانية الإذاعة المحدودة ، ولم ينالوا كثيراً من وقتها الثمين الذي تدره الأقدار في مصر لإذاعة « من فوق لتحت » وأمثال هذه الأشياء الرخيصة المريضة التي تبهظ ميزانية الإذاعة ، وتستنفد وقتها .

إن نهوض الفن في الأمم يقترن عادة ببذل عظيم تقدمه الأمة راضية للفن ، وفي التاريخ الأدبي قديمه وحديثه شواهد كثيرة تطالعك في عصور النهضات الأدبية بما كانت تصنعه الأمم للفنون حتى تأخذ سبيلها إلى الرقي ، والحياة .

هذا ما يقع في كل بلاد الله ... أما في مصر فيستجوب شيوخها الحكومة عن التصرفات التي تقع لحساب الجوامع الأدبية

ولقد كنت أفهم أن يتكلم الناس في المادة الأدبية التي قدمتها هذه الجماعة من حيث هي فن ... فأما الفكرة الجليلة التي يضطلع بها الرجل الجليل ابراهيم دسوقي أباظة فإن مكابرتها تعتبر غميزة لثقافة هذا البلد ووعيه وشعوره .

ولقد كنت أفهم أن يستجوب الشيوخ الحكومة عن مدى مساعدتها لهذه الجماعات الأدبية ، وعن الوسائل التي أعدتها الحكومة لضمان حياتها ، فأما هذا الاستجواب فإنه إن دل على شيء فإنما يدل على أننا لا نزال في حاجة إلى جهود كبيرة قبل أن نصل بالأدب في مصر إلى المكان اللائق به .

طاهر محمد أبو فاشا

أمانة النقل :

تحت هذا العنوان قرأت في مجلة الرسالة كلمة للأستاذ علي الطنطاوي عرض فيها لكتاب (عثمان بن عفان) وإني أستميح الأستاذ أن أقول له : إن أمانة النقل لم تفقد من الأزهر ، وإن الأزهر لا يزال دارها ومستقرها ، وإن أهله أهلها ، يحرصون عليها ، ويعرفون لها قدرها ، لأن مؤلف كتاب (عثمان بن عفان) وهو من أبناء الأزهر ، قرأ فيما قرأ كتاباً مطبوعاً ذائعاً بين الناس ، وعلى طرته عنوانه « سيرة عمر بن الخطاب » ... تأليف الشيخ علي الطنطاوي ، وأخيه ناجي الطنطاوي ، ونقل منه إلى كتابه (عثمان بن عفان) في فصل تحقيق مقتل عمر ما رآه عاضداً لرأيه ، مؤيداً لمذهبه ، مصدراً نقله بقوله : « وقال الأستاذان الفاضلان صاحبا كتاب سيرة عمر في تعليقة فاحصة » وذلك بعيد قوله : «وإلى هذا ذهب كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين» فأين وجد الأستاذ فقدان أمانة النقل من الأزهر؟ فهل يفهم قارىء كتاب (عثمان بن عفان) بعد هذا التصريح الصريح باسم الكتاب المنقول منه ، ووصف صاحبيه بالفضل — وهما له أهل — ووصف الكلمة المنقولة بما ينبه على قدرها في موضوعها ، هل يفهم ذلك

القارىء من هذا الصنيع فقدان أمانة النقل من الأزهر ؟

ولعل الأستاذ يقصد :

أولا — إلى اختصار إسم الكتاب من « سيرة عمر بن الخطاب » إلى « سيرة عمر » وهذا اختصار لا يرتفع إلى هذه الجفوة التى اختار لها الأستاذ عنوان كلمته ، لأنه ليس فى الإسلام إطلاقاً « عمر » بالاطلاق، يؤلف كتاب فى سيرته غير عمر بن الخطاب فاروق الإسلام

ثانياً — إلى عدم ذكر اسم المؤلف ، وأنا قد اكتفيت بالوصف المقرون باسم الكتاب ، وهو مبين عند القراء لصاحبه ، ومبدد — فى الأقل — لشبهة فقدان أمانة النقل .

أما أن الأستاذ وجد فى فصل تحقيق مقتل عمر من كتاب (عثمان بن عفان) كلاماً أحس أن فيه رائحة كتابه ، ولا يجد الدليل عليه ، فهذا هـذا منذ عرف الناس العلم والبحث ، ولا ينسى الأستاذ أن كتابه معقود فى أصله على الأنقال التاريخية من مصادرها التى تتداولها الناس أو تحضنها المكتبات العامة والخاصة

وأما أن الأستاذ تألم لأن كثيرين ، وفيهم من يعد من كبار المؤلفين ، غصبوا من كتابه ، وجعلوه نهباً مقسما ، فهذه جناية لم يشهدها الأزهر ، بيد أن الأستاذ جعله سبابة التندم .

هذا وإنى لأشكر للأستاذ شهادته العظيمة لكتاب (عثمان ابن عفان) حسبة لله وللعلم .

صادق ابراهيم عرجون

مسابقة المجمع اللغوى :

قال الكاتب الجليل الأستاذ (الجاحظ) فى تعقيباته البليغة على أحداث الأدب إن المجمع اللغوى لم يصب فى اختيار موضوعىْ المسابقة الأدبية للعام المقبل . وهما (الحياة الأدبية فى المدينة فى عهد الأمويين ، وكتابة بحث عن مهيار الديلمى) لأن هناك من الموضوعات القيمة ما هو أولى بأن يكون ميداناً للمسابقة .

والأستاذ الجاحظ على حق فى هذا القول . غير أنى كنت أوثر أن لا يجيز مع المجمع اختيار موضوع بعينه للمسابقة ، أيا كان شأنه . فأن فى تحديد الموضوع حجراً على حرية الكتاب فى تخير الموضوعات التى يحسنون الكتابة فيها . وهذا الحجر يجعل المسابقة امتحاناً مدرسياً تختبر به معلومات التلامذة من طريق القاطرة (الجاشنى) لا كشفاً أدبياً عن مدى ما وصل إليه الكتّاب فى نواحى النبوغ المختلفة ، حيث تتعدد وجوه الفائدة بتعدد وجوه البحث .

وإلا فأيهما أنفع للمجتمع ، مائة كتاب تكتب فى غرض واحد ، أو مائة كتاب تكتب فى مائة غرض من أغراض الأدب؟

لا شك فى أن تحرر الكاتب فى اختيار موضوعاته أضمن لإجادة الكتابة فيها . فلو أن كتاباً ككتاب (الله) مثلا — وهو ما هو بين الكتب — اقتُرح موضوعه على مؤلفه الأستاذ (العقاد) — وهو من هو بين الكتّاب — لما وصل به العقاد إلى هذه الغاية التى ليس بعدها غاية . وقِسْ على ذلك سائر الكتب التى كتبها كاتبوها مختارين فوصلوا بها إلى حد التفوق

بل إنى لأجد المثل فى نفسى وفى نفس المجمع اللغوى . فقد تفضل المجمع فمنح ديوانى جائزة الشعر الأولى فى هذا العام ، وتفضل الأستاذ الجاحظ فعقب على هذه الجائزة بما أنا مدين له بالشكر عليه ولكنى أشك كل الشك فى أنى كنت أظفر بهذه الجائزة لو أن المسابقة كانت قصيدة واحدة اقترح المجمع موضوعها على المتسابقين . فقد يكون الموضوع غير حبيب إلى نفسى ، فلا يسلس فيه شعرى ولا يتفوق . فليت المجمع الموقر يطلق الكتابة فى المسابقة من قيد الموضوع كما أطلق الشعر . ثم يستعرض كتب العام ، والخمسة الأعوام فما رآه منها بالغاً حد التفوق أجاز كاتبه أو توجه مشكوراً

محمود عماد

مصر ملجأ الأحرار :

كان لهبوط البطل الأمير عبد الكريم الخطابى وادى النيل رنة فرح وسرور شملت البلاد كلها من أقصاها إلى أقصاها — وقد وجد فى رحاب جلالة الفاروق كل عطف وتقدير ، كل ذلك جعله يلهج بالثناء على مصر وأهلها .

ومصر الكريمة وعلى رأسها مليكها الشاب — وقد أعز الله الإسلام بها — ترحب بكل لاجىء عربى كريم ولو كره المشركون ، حيا الله مصر ومليكها .

ذكرتنى هذه المناسبة الكريمة بقصيدة مخمسة طويلة نشرتها مجلة المقتطف سنة ١٩٠٦ لشاعر بغدادى لم يذكر اسمه بل رمز إلى اسمه بحرف ج ... ويغلب على ظنى — من أسلوبها السهل الممتع ، أنها للشاعر العراق المبدع جميل صدقى الزهاوى ، تحت عنوان « أنت يا مصر ملجأ الأحرار » مطلعها :

إن سجع الحمام فى الأسحار   وهبوب النسيم بعد القطار
وبريق النـــدى على الأزهار   وخرير الماء الزلال الجارى
موحيات إلى بالأشـــعار



السيدة أيدس

عن الإنكليزية

بقلم السيدة الفاضلة منيبة الكيلانى

تستدير من حول مقاطعة كنت « Kent » فى انكلترا قطعة من الأرض وتستنيم إلى ساحل البحر فيما يشبه فى علم الجغرافيا الرأس وتقوم عليها قلعة من قلاع القرون الوسطى ونحدق بهذه القلعة آجام تمد الصناعة بالكثير من الأخشاب وتمد الصيد بالوفير من الطيور والحيوان.

وتستدير هنا وهناك برك من الماء اللجينى تضاحك الشمس عامة النهار وتغازلها ساعتى المغيب والشروق بعايصبى بنات الهديل فى أيام الربيع فتتسارع من غصن إلى غصن ترتل النشيد الذى يملأ النفس خشوعاً.

ولفرط ما تشابكت أشجار الكستناء وتعانقت أغصان السنديان فقد أضحى الدرب الذى يسلكه السالك إلى بيت السيدة أيدس تسوده الظلمة حتى قبل أن يحلولك الأفق بوقت طويل وقبل أن يمحو الليل خطوط الشفق. أما القمراء وما فيها من سحر وفتون فما كانت لتعرف هذا الدرب ولا تستطيع أن تنفذ إلى ثناياه مهما كانت أشعتها خارقة، غير أن الصمت والهدوء الذى يستفز الخاطر استفزازاً كانا يعرفان درب منزل السيدة أيدس ويخيمان فيه طويلا ...

ولقد كانت الليلة التى نسجل أحداثها إحدى ليالى نوفمبر وقد انتثر الثلج من ذلك العام، والدرب ساكن هادىء كأنه قد تردى بأكثر من ثوبه المعتاد صمتاً، فما كان ليسمع فيه أبداً غير وقع أقدام الرجل الذى يسلكه فى تلك الساعة وغير نباح كلب ليس بالبعيد، ولقد كان وقع الأقدام لفرط السكون من جهة ولطبيعة الدرب من جهة أخرى يأتى بصدى غريب كأنه وقع لأقدام متأثرة ملحاحة تريد القبض على السالك، وتنفذ السير

شاعر بالعراق ينظم شعرا   فيرى دون نشر ما قال عسرا
فيهادى به على البعد مصرا   حيث يلقى الشعر المهذب نشرا
إن مصراً ريحانة الأمصار

تبلغ النفس عند مصر مناها   طيب الله بالسلام ثراها
بلدة صيب النجاح سقاها   يجد الحر مأمناً فى ذراها
أنت يا مصر ملجأ الأحرار

يا ربوع الهوى عليك السلام   أنت للنفس مقصد ومرام
فى حماك النزيل ليس يضام   لأولى العلم فى ذراك احترام
واعتبار فى الجاه أى اعتبار

(شطانوف) **محمد منصور خضر**

أسأل الرسالة:

نعم أسأل (الرسالة) السؤال الأخير حول «الهزج والوافر» فأقول: هل الوافر يلحق به من الزحاف المركب — صلح أم قبح — (النقص) وهو اجتماع العصب والكف أى إسكان اللام وحذف النون من مفاعلتن، أم لا ؟

... لأن الجواب على هذا السؤال هو مدار البحث والجدل فى أمر منصوص ومتوارد فى كتب الأقدمين من العروضيين.

أنا لا أنكر أن الوافر لا يلحق به الكف — فى حالة الزحاف المفرد — كما تقول (الرسالة) وإنما أقول إن الوافر يلحق به من (الزحاف المركب) النقص وهو اجتماع العصب والكف وهو شرط أساسى فيه على المعاقبة. أما (الهزج) فأمره بسيط، إذ أن أهم ما يميزه عن الوافر هو (القبض) وهو حذف الياء من مفاعيلن أى الخامس الساكن، هذا إذا صرفنا النظر عن الكف فأيما بيت رأيت فيه القبض فاحكم للتو بأنه من الهزج لا الوافر لأن القبض خاص به — ثم يبقى جواب الرسالة على السؤال لفض الإشكال وحسم الجدال. والسلام

(الزيتون) **عدنان أسعد**

(الرسالة) الكف لا يدخل مفاعلتن فى الوافر لا مع العصب ولا بدونه. وإذا أجازه العروضيون قياساً فقد منعه الشعراء عملا والشعر العربى كله جاهليه وإسلاميه بين يدى الأستاذ، فإن وجد شاهدا واحدا صحيحا على وقوع (النقص) فى الوافر تامه أو مجزوئه انحسم الجدل فى الجواز والمنع؛ وبقى الكلام فى الحسن والقبح.

للحاق به ، وكلما أراد الرجل أن يخفف الوطء ويقلل من وضع القدم ألفى أن الصوت لا يخف فإن هناك من الأغصان اليابسة والأوراق المبعثرة وغيرهما مما يقبل الانقصام تحت قدميه المتذعرتين ما يكفى لمضاعفة الصوت . وليس هذا وحده بل إن هذه العقبات قد أكدت على السالك واعترضت سرعته فحدت منها ، ولم يكن شأنه ليحتمل شيئاً من ذلك ...

ولقد بلغ أخيراً دار السيدة أيدس وهو كوخ قد انتبذ مكاناً قصياً فى آخر الدرب ، فلما بلغه استأنى لحظة ثم عبر البقعة المشوشبة مما يلى شباك الكوخ الذى لم يكن عليه ستار فكان النور ينبعث من زجاجه إلى الخارج .

واستطاع أن يبصر بالسيدة أيدس تنحنى فوق الموقد وتخرج منه إبريق الشاى أو شبهه وتؤجج النار ، فساورته بعض الفكر وتردد بين أن ينفذ إليها من الشباك أو أن يعوج إلى الباب فينسل إلى داخل الكوخ من هناك ، وتلبث حيث يقف ، فبان شعره الأحمر وقامته المشوقة وأثوابه المتواضعة ووجهه المكدود الذى يعرب عن أنه من صنف العمال أو الأجراء الذين لا يصيبون من أعمالهم فوق ما يمسك الرمق كثيراً . ولم يفتح عليه تدبره الموضوع من حيث ولوج الباب أو الشباك برأى فقد كان مضطرباً ، ولكنه وطد العزم هذه المرة فجأة على أن ينفذ من الباب فى حكمة وأن يفعل ذلك من دون أن يقرعه وبدون أن يستأذن وهكذا فعل .

ولما سمعت السيدة أيدس تلك الحركة استدارت مسرعة وقالت :

ما ذا : أهذا أنت يا بيتر كروج ؟ لم أسمعك تقرع الباب

قال : إننى لم أقرع الباب يا سيدتى إذ أنى لم أرد أن يسمع ذاك أحد قط

قالت : ولماذا ؟

قال : لقد نزلت بى نازلة ، وكانت يداه ترتجفان ولونه ممتقعاً

قالت : فما ذا صنعت ؟

قال : لقد قتلت يا سيدتى أيدس

قالت : أأنت فعلت هذا ؟

قال : نعم أنا الذى أطلقت الرصاص !

قالت : أو قد مات ؟

قال : لست أدرى .

وسادت لحظات من السكون حيث يقفان من مطبخ الكوخ حتى أنذرهما ابريق الشاى بصوت غليان الماء ، فدلفت إليه السيدة أيدس على غير وعى وأزاحته عن النار قليلا ...

وكانت السيدة أيدس هذه نحيفة يبدو عليها أنها تنازعتها الأسقام زمناً ، وهى صغيرة الحجم سمراء البشرة يكسو وجهها الناشف عدد لا يحصى من التجاعيد الصغيرة ، على أنها وإن لم تكن تتجاوز الثانية والأربعين من العمر فإن الأيام قد قست عليها قسوة أخرجتها من معانى ذلك العمر إلى معان أخرى، إذ أن العمل الذى كانت قد وكلت به فى تلك المقاطعة لم يكن راحماً ولا مجاملاً .

التفتت السيدة أيدس إلى بيتر كراوج وقالت له: وما ذا عساك تريد منى أيها الفتى ؟

قال : هاهم أولاء على أثرى وعجلت إليك لأستخفى عندك ؛ فلعلك مخبئة إياى فى ركن من الكوخ لا تمتد إليه أبصارهم ، حتى إذا ما ولوا الأدبار خرجت من هنا آمناً وانصرفت بعيداً عنهم .

قالت : ومن هم ؟

قال : حراس الغابة .

قالت : ويك ! أو تكون قد قاتلت الحراس وأصبت منهم واحداً ؟

قال : أجل فقد دانيت حروف الغابة أريد أن أنتزع منها ما يمسكنى . فشعر بى هؤلاء العسس وكانوا أربعة وكنت وحيداً ، فلجأت إلى بندقيتى فسويتها إليهم وأطلقت منها رصاصة ثم هربت ، وهاهم أولاء على أثرى كما قلت ، ويغلب على ظنى أنهم منى جد قريبين

ولقد سكتت السيدة أيدس لحظات كأنها تفكر ، وسكت هو كأنه يستعطف ؛ ثم بادهها بالكلام قائلاً : إن كنت يا سيدتى لا تريدين قبول رجائى من أجلى فليكن ذلك من أجل صديقى (توم)

قالت : ولكنك لم تكن من أصفياء (توم) أو المقربين إلى نفسه

قال : بلى لقد كنت ، وهو أوفى أصدقائى ، ولو كان حاضراً لما وسعه إلا أن يذود عنى ويمهد لى من داره ما أشتهى مخبأ ومكاناً

قالت : إننى لا أستطيع أن أنفى هذا ، فقد كان (توم) يمنحك من ظنه فوق ما تستحق فلا تثريب عليك فى البقاء حتى يعود توم على الأقل فيسمع منك ما تقول ، ويقول لك ما يجب أن تسمع ، وسيعود بعد ساعة أو نحوها فما ذا أنت فاعل بعد ذلك ؟

قال : لا أدرى ولكنى لا يزال أمامى متسع من الوقت للتفكير فى الموضوع .

قالت : هنا يصفو لك التفكير (وفتحت له مكاناً فى ركن المطبخ صغيراً) ولن يخطر ببال غرمائك إذا جاءوا أنك ثاو فى

هذا المكان ولا سيما إذا قلت لهم بأننى لم أبصر بك هذا المساء .

قال لها : أنت عظيمة يا سيدتى ، وإننى أعلم أننى لا أستحق منك تلك الرعاية ولا ذلك العطف ، وما كان أسعدنى لو كانت لى أم من نوعك ، إذن لكنت غير ما أنا عليه الآن …

لم تقل السيدة أيدس شيئاً بل أغلقت الباب عليه فأضحى فى ظلام دامس لا ينفذ إليه من نور المطبخ إلا شعاع واهن منحدر من أحد شقوق الباب ، ومن هذا الشق ذاته كان بيتر يرى الوالدة تهيىء عشاء وحيدها (توم) الذى يأتى بعد ساعة من المزرعة التى يعمل فيها . وقد بكَر (بيتر) يصور لنفسه جيئة صاحبه من عمله وما سيكون له من رأى فى الذى اقترفه؛ ولكنه أيقن بأنه لن يلقى عطفاً حبته به أمه أبداً؛ وعلى الأخص فإن الصداقة التى تربطها ليست من النوع الذى يسوغ مثل هذه الأفاعيل وإن كان كل منهما قد شق لنفسه فى الحياة طريقاً يختلف عن الآخر …

أقام بيتر فى زاويته بين الأكياس المكدسة ثم استلقى بينها ، ثم أخذته الأفكار ، ثم سطعت رائحة الطعام من المطبخ تسيل لعابه وتوقظ فيه الجوع ، على أنه انبعث فيه أمل فى أن يطعم بعض هذا الذى يشم عند ما يؤوب (توم) . ولن تنكر السيدة أيدس عليه هذا على وجه التأكيد بعد أن علمت مبلغ جوعه وعرفت بعد الشقة التى وطد العزم على قطعها …

وهنا أخذت الوقائع تتجلى له بصورة مؤلمة ، وهنا أيضاً سمع وقع أقدام أذهلته وأعادته إلى نفسه الخائفة ، فاحتقن وطفت ضربات قلبه إذ لابد أن يكون هؤلاء القادمون هم الحراس الموتورين وقد عرفوا مكمن الجانى فجاءوا يأخذونه من بيت صديقه وهم يعلمون أن هذه الصداقة تبرر العطف عليه . وقد أضاع اتزانه فانكمش فى ركن ضيق من الزاوية انكماشاً ، وأخذ يلوم نفسه على اللجوء إلى هذا الكوخ الذى يرد على بال المتعقبين قبل أى مكان غيره . ثم ارتجف وتحشرجت أنفاسه وازدحمت الزفرات فى صدره ولكن وقع الأقدام تعدى الكوخ ولم يقرع بابه ، وجاء من بعدهم السكون الذى هو فى أكثر الأحوال أبلغ عبارة من الضوضاء

أطلت السيدة أيدس من جانب الزاوية عليه وقالت إنهم جماعة القلمة وقد رأيتهم فى طريقهم يحملون مشاعلهم ، فلعل الصواب أن تنسل الآن من الطريق الماكسة إلى (كنت) حيث تأخذ القطار الذاهب إلى لندن فهذا خير لك وأبقى . وإن القطار ليبرح موضعه فى الساعة العاشرة من هذا المساء …

قال : إن هذا الذى ترينه مصيب ولكنى لا أملك من أجر السفر قرشاً

فلم تقل له شيئاً بل دلفت إلى أحد أدراج خزانة المطبخ وأخرجت له منه شيئاً من المال وقالت هذه سبعة دراهم تعينك على بلوغ لندن وتمنع عنك الطوى قليلا ، فاحتار الفتى كيف يشكرها ولكنها قالت لا تشكرنى فإننى إنما أفعل ذلك من أجل (توم) وهذا يكفى إذ أنه كان يحبوك بعطفه دائماً ، وإننى لأرجو الله مخلصة أن لا تذوق من بعدها محناً أخرى . بل إننى شاعرة ببرد الطمأنينة لأننى أدرى أنه لم يكن أحد ليعلم بأنك قد مررت بهذا الكوخ وهو بعينه السبب الذى يحدونى أن أستحثك على الخروج من هنا قبل أن يعود (توم) ، وإننى لأخشى أن يصحبه أحد أصحابه فينشأ لك طارىء من المحنة أنت عنه فى غنى … ثم إنى أريد أن تعلم أننى لم أكن لأشجع نفسى على مخالفة ضميرى فى عصيان القانون فى إيوائك لأنى أعلم بأن مقاتلة الحرس والدفاع عن النفس دونهم لا تشبه قتل إنسان برىء لا شأن له ، وعلى كل حال فإنى أريد أن أنصرف عن هذا الموضوع وأضرب عنه صفحاً .

وقامت تفتح له باب الكوخ ليخرج ، ولكنها ما كادت تفعل حتى بدأت أصوات الأقدام تسمع بوضوح فى نقطة قريبة .

قالت السيدة أيدس : لعل هذا توم؛ ولكن لا فإن أصوات الأقدام تؤكد بأن العدد أكثر من واحد فخير لك أن تعود إلى زاويتك فإنى أسمع كلاماً . اربض هناك حتى يمروا هذه المرة أيضاً

ذهب (بيتر) إلى حيث كان قابعاً بين الأكياس ، وتدانت الأصوات رويداً رويداً فتصور لحظة أنها ستمر كما حصل فى المرة الماضية ولكنها تلبثت قليلا لتتجاوز القطعة المشوشبة من خارج الباب ، وبعد لحظة سمع الباب يقرع . . إذن هذا توم بعينه .

ارتمد بيتر من الخجل والقلق ، وألصق عينه بخصاص الباب وحدج المطبخ فألفى السيدة أيدس تدلف نحو باب الكوخ وما كادت تفتحها حتى دخل رجل إلى الداخل وسد الباب من ورائه فعرفه بيتر، أنه (فدل) أحد الحراس الأربعة ، فجمد بيتر وتصلبت ساقاه فقد عرفوا مأواه وتأثروه وافتضح أمره فليس هناك من جدوى فى استخفائه أبداً . على أنه لم يعد مستخفياً بعد الذى كان فما باله لم يختر مكاناً أحسن من هذا وأضمن لإفلاته؟ وما باله لم يدفع عن نفسه خيراً من هذا لدفع ، وهنا وهنت ساقاه عن حمله

فجلس على الأكياس إعياء وغماً ...

وكانت سحنة الرجل فى المطبخ تدل على أنه يعالج أمراً صعباً ويلوك كلمة جليلة على النفس المسكينة التى تواجهه فوقف صامتاً يطوى بيدين عصبيتين قبعته .

قالت له : ما ذا جرى ؟

قال : أريد أن أحادثك يا سيدتى

فأرهف بيتر أذنيه وتمنى أن لو استطاع أن يسكت قلبه ليتم له السماع ، ولكن مخاوفه وهنت عند ما تصور أن السيدة لن تفضح أمره مادام قد استشفع لها بابنها (توم) قال : لقد حملت إليك أنباء سيئة ، فانحرفت ، وقالت ما ذا تعنى وأخذت سمتها نحو الباب فتشبث بها الرجل وقال لا تفعلى يا سيدتى حتى أبسط لك الأمر ...

قالت له السيدة أيدس أسرع أيها الرجل فيما تقول ودفعته جانباً ، ولكنه أخذ يتكلم متلعثما مسرعا ويقول: حدث فى أطراف الغابة نزاع ، وذلك أن رجلا من السراق كان يريد أن يصطاد بعض الأرانب ، وكان (توم) مع الحراس ، وهنا كان الظلام حالكا فأطلق السارق بندقيته ولاذ بالفرار .

وأودى التعب بالمتكلم فاستأنى قليلا .. أما بيتر فإنه استحال إلى إنسان من الخشب فى الزاوية التى وقف فيها ، وقبل أن تقول السيدة كلمة خرج الرجل وأشار لجماعته فدخلوا يحملون جثة ووضعوها فى وسط المطبخ .

قالت أيدس : أهو ميت ، وعلمت وقد تبعثر الدمع من عينيها أن نعم . أما بيتر فقد عز عليه الدمع بل استيأس وقنط ورأى أن قد حصحص الحق ولا سبيل إلى الهرب ...

ورأى بيتر أن الحياة جميلة فى تلك اللحظة ولاسيما إذ تكون من مقوماتها فتاته التى يحبها ، ولكن حياته لم تعد بعد اليوم ملكاله بل هى ملك للسيدة أيدس تفعل بها ما تريد ...

كانت السيدة أيدس تجلس على الكرسى المجدول من السعف قرب الموقد وقد أعانها أحد الرجال على الجلوس وتقدم الثانى يصب لها من قارورة صغيرة نوعا من الشراب لعله ينعشها قليلا .

وقالوا لها بعد هذا إنهم لم يروا القاتل ولكنهم استطاعوا أن يظفروا ببندقيته التى أذهله عن أخذها هول الأمر وهى بعينها بندقية بيتر ولعله فعل فعلته غير عامد إذ أنه كان صديقا لتوم .

كان بيتر حينئذ منتصب القامة ينظر من شق الباب فرأى السيدة أيدس تتحامل على نفسها وتقوم على قدميها وتقف على رأس المائدة وتنظر فى وجه الرجل الميت الذى انعكست عليه كل معانى الخلود ، ثم رآها تنظر إلى الرجال الذين تراجعوا للذهاب إلى صميم الغابة للتفتيش عن بيتر الجانى الأثيم . ثم رآها بعد هذا كله تمد يدها إلى جيب صدارها فتخرج مفتاح الباب الذى يتوارى بيتر وراءه ..

لقد سأل الرجل مدام أيدس هل رأت بيتر ذلك المساء فأجابت لا لم أره منذ يوم الثلاثاء ، فقال لها محدثها إذن سنفتش عنه وسنأتيك بمسزجين أيضا فأشارت برأسها بالإيجاب .

قالت السيدة أيدس لفدلر وكان آخر من بقى لديها : ساعدنى على حمله إلى الداخل ، إلى الفراش ، إلى غرفة نومه . وتعاونت هى وهو على وضعه فى سريره وخرج فدلر .

انتظرت السيدة أيدس حتى انعدمت حركة الأقدام فى الدرب خارج كوخها ، وحينئذ جاءت إلى الزاوية التى يستكن فيها بيتر وهنا أخذته الرعدة من جديد ، لقد كان الأمر فوق أن يحتمل وكان الأشهى له أن يموت قبل أن تقع عينه على هذه السيدة ... سمع المفتاح يدور فى القفل ولكنها لم تدخل هذه المرة ، بل فتحت عليه بابه فقط ثم تراجعت وأغلقت عليها الباب الذى يضم توم .

عرف (بيتر) ما ذا يجب أن يفعل فإن الشىء الوحيد الذى أرادته السيدة أيدس هو الشىء الوحيد الذى يستطيع أن يفعله .. فتح الباب بصمت وسكون وخرج ...

منير الكيلانى



اللهم عفوك :

في مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري : « حكى الصابي عن بعض الرسل قال : دعينا إلى باب مسعود ، يعني ابن محمود ابن سبكتكين بغزنة ، فشاهدنا بالباب أصناف العسكر وملوك جرجان وطبرستان وخراسان والهند والسند والترك ، وقد أقيمت الفيلة عليها الأسرة والعماريات الملبسة بالذهب مرصعة بأنواع الجواهر ، وإذا بأربعة آلاف غلام مرد وقوف سماطين وفي أوساطهم مناطق الذهب ، وبأيديهم أعمدة الذهب ، ومسعود جالس في سرير من الذهب لم يوضع على الأرض مثله ، وعليه الفُرُش الفاخرة ، وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر واليواقيت ، وقد أحاط به الغلمان الخواص بأكمل زينة ، ثم قام مسعود إلى سماط من فضة عليه خمسون خواناً من الذهب . على كل خوان خمسة أطباق من ذهب فيها أنواع من الأشربة ، فسقاهم الغلمان ، ثم قام مسعود إلى مجلس عظيم الأقطار ، فيه ألف دست من الذهب ، وأطباق كبار خسروانية ، فيها الكيزان ، وعلى كل طبق زرافة من الذهب ، وأطباق ذهب فيها المسك والعنبر والكافور ، وأشجار الذهب مرصعة بالجواهر واليواقيت، وشموع من ذهب في رأس كل شمعة قطعة من الياقوت الأحمر تلمع لمعان النار ، وأشجار العود قائمة بين ذلك ، وفي آخر المجلس رحى من ذهب تطحن المسك والكافور والعنبر ، وفي ناحية من المجلس بحيرة في جوانبها من الجواهر والعنبر والفصوص شيء يقصر الوصف عنه . وذكر أشياء أخر تحير الأسماع » ...

بر . . وشكرها :

كان عبيد الله بن عباس ابن عم النبي صلوات الله عليه من أكثر الناس جوداً وأعظمهم سخاء وبذلا ، وهو أول من مدّ الموائد على الطرق ، ومن جوده أنه أتاه رجل وهو بفناء داره فقال يا ابن عباس إن لي عندك يداً سابقة وقد احتجت إليها ، فصعد فيه بصره فلم يعرفه ثم قال : وما يدك عندنا ؟ قال الرجل : رأيتك في مرة واقفاً بزمزم ، وغلامك يمتح لك الماء منها ، والشمس قد صهرتك ، فظللتك بطرف ردائي حتى شربت

قال ابن عباس إني لأذكر ذلك ، وإنه ليتردد بين خاطري وفكري ، ثم قال لقيّمه : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم ، قال ادفعها إليه ، وما أراها تفي بحق يده عندنا ...

واحدة بواحدة :

التقى برنارد شو الكاتب الساخر المعروف مرة بالممثل الهزلي المشهور شارلي شابلن ، فقال شو : إنني شديد الإعجاب بك يا مسيو شابلن ولكنني لم أشهد قط فلماً من أفلامك ، فرد عليه شابلن في سرعة قائلا : وأنا كذلك شديد الأعجاب بكتاباتك ولكني لم أقرأ منها شيئاً أبداً .

وكان المرحوم الشيخ عبد العزيز البشري جالساً مع بعض أصحابه فأقبل عليهم صديق فصافحهم جميعاً إلا الشيخ عبد العزيز ، فقال له أحد الحاضرين لماذا لم تسلم على الشيخ فقال : لا مؤاخذة لقد كنت أحسبه امرأة ! فرد الشيخ عبد العزيز : ولكني يا أخي كنت أحسبك رجلا ...

نصيحة للمؤلفين :

قال أبو عثمان الجاحظ : « ينبغي لمن كتب كتاباً أن لا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء ، وكلهم عالم بالأمور ، وكلهم متفرغ له ، ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلا ، ولا يرضى بالرأي الفطير ، فإن لابتداء الكتاب فتنة وعجباً ، فإذا سكنت الطبيعة ، وهدأت الحركة ، وتراجعت الأخلاط ، وعادت النفس وافرة أعاد النظر فيه ، فيتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طبعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ، ويفتهم معنى قول الشاعر :

إن الحديث تغر القوم خلوته   حتى يلج بهم عي وإكثار

ويقف عند قولهم في المثل : كل مجر في الخلاء يسر ، فيخاف أن يعتريه ما اعترى من أجرى قوسه وحده أو خلا بعلمه عند فقد خصومه وأهل المنزلة من أهل صناعته ، ليعلم أن صاحب القلم

يعتريه ما يعتري المؤدب عند ضربه وعقابه ، فما أكثر من يعزم على خمسة أسواط فيضرب مائة ، لأنه ابتدأ الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون أن الصواب فى الإقلال ، فلما ضرب تحرك دمه ، فأشاع فيه الحرارة ، فزاد فى غضبه ، فأراه الغضب أن الرأى فى الإكثار ، وكذلك صاحب القلم،فما أكثر من يبتدىء الكتاب وهو يريد مقدار سطرين ويكتب عشرة ، والحفظ مع الإقلال أمكن ، وهو مع الإكثار أبعد » …

أى الحكمين أقسى :

لما حكم القضاة على سقراط الحكيم بالموت قال لهم : « لقد حكمتم على بالموت لأننى لم أتملقكم ولم أخاطبكم بالكلام الذى تودون سماعه ، ولكننى غير نادم على ما فعلت . حكمتم علىّ بالموت والحق قد حكم عليكم بأنكم أشرار ظلمة » …

المبدأ الأول للحكمة :

قيل لأحد الحكماء : من أى إنسان ينبغى أن تؤخذ مبادىء الحكمة فقال : من الأعمى لأنه لا يضع قدمه على الأرض إلا بعد أن يتحقق موضعه بعصاه …

الأموات يحكمون الأحياء :

يقول جوستاف لوبون فى كتابه روح الاشتراكية : « إذا اجتمع عدد من الناس ليعالجوا مسألة سياسية أو دينية أوخلقية ، فالأموات هم الذين يتباحثون لا الأحياء ، وذلك لأن الأحياء إنما يتكلمون بروح أجدادهم وما سمعوه عنهم ، فليس كلامهم فى الحقيقة إلا صدى لنداء الأموات الذى لا مفر للأحياء من الإصاخة إليه » …

العمل للعمل :

يقول الكاتب الأمريكى أمرسون : « الطبيعة تقول للإنسان اعمل يا بنى . اعمل فى كل حين . اعمل سواء أكنت مأجوراً أو غير مأجور . كل ما عليك أن تعمل وجزاؤك لن يضيع … اعمل مهما كان نوع العمل ومهما فشلت فلا تجبن ولا تيأس . إنك للعمل خلقت وبالعمل ستفوز ، وأقل جزائك على عمل تنجزه أنك أنجزته » …

وظيفة للضحك :

قال المسيو دى فارينى : « إن الضحك احتجاج على عمل مناقض لأصول الاجتماع وتنبيه إلى سلوك النظام المتبع ، فهو إذن ذو وظيفة اجتماعية إصلاحية ، ولذلك انفرد الإنسان به دون الحيوان » .

أيد ثلاثة :

قال يونس النحوى: « الأيدى ثلاثة . يد بيضاء ويد خضراء ويد سوداء ، فاليد البيضاء هى الابتداء بالمعروف ، واليد الخضراء هى المكافأة على المعروف ، واليد السوداء هى المنّ بالمعروف » .

يقول زنوج أفريقيا فى أمثالهم :

* إن ما يقال أمام أسد ميت لا يمكن أن يقال أمام أسد حى .

* الملك محق فى كل ما يقول سواء أكان باطلا أم حقاً .

* قد يكون من الحقيقة قولك إنك قتلت فيلا ، أما أن تقول إنك حملته فكذب .

* العالم يقوم على ثلاثة أشياء : زرع الذرة ، وحصدها ، وأكلها .

* لا يتحول الرغيف إلى تمساح وإن أبقيته فى الماء عشر سنوات .

* إن ما يرضمه العجل هو ما أكلته البقرة .

* من لا يملك شيئاً لا يعاديه أحد .

* لسانك أسد فإن أطلقته قتلك .

* لا تعاشر من لا تعرف طباعه .

* الذكاء أفضل من القوة .

* حب امرأتك ولكن لا تأمن جانبها .

* الرجل الصالح لا يهجر أصدقاءه فى محنهم .

« الجاحظ »

سكك حـــديد الحكومة المصرية

تسيير قطار اكسبريس بين القاهرة ودمياط (رأس البر) عن طريق بلبيس

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه إبتداء من ١٢ ولغاية ٣٠ يونية سنة ١٩٤٧ يسير قطار اكسبريس (درجة أولى وثانية وثالثة وعربة بولمان) بين القاهرة ودمياط (طريق بلبيس) ثلاث مرات فى الأسبوع يغادر القاهرة فى الساعة ٤٥ ٧ ويصل إلى دمياط فى الساعة ٥٠ ١١ أيام الثلاثاء والخميس والسبت ويعود من دمياط فى الساعة ١٥ ١٧ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٢٠ ٢١ أيام الأربعاء والجمعة والأحد
وسيسير يومياً إبتداء من أول يولية سنة ١٩٤٧ لحين صدور إعلان آخر
وذلك وفقاً للمواعيد الآتية :

المحطات		٩٣٩ اكسبريس درجة ١ و٢ و٣ وعربة بولمان	
مصر . . .	قيام	٤٥	٧
بلبيس . . .	«	٤٨	٨
الزقازيق . . .	وصول	٠٨	٩
	قيام	١٨	٩
أبو كبير . . .	«	٤٤	٩
كفر صقر . . .	«	٥٦	٩
السنبلاوين . . .	«	١٧	١٠
المنصورة . . .	وصول	٣٨	١٠
	قيام	٤٥	١٠
شربين . . .	«	١٠	١١
دمياط . . .	وصول	٥٠	١١

المحطات		٩٤ اكسبريس درجة ١ و٢ و٣ وعربة بولمان	
دمياط . . .	قيام	١٥	١٧
شربين . . .	«	٥٨	١٧
المنصورة . . .	وصول	٢٢	١٨
	قيام	٣٠	١٨
السنبلاوين . . .	«	٥٣	١٨
كفر صقر . . .	«	١٦	١٩
أبو كبير . . .	«	٢٩	١٩
الزقازيق . . .	وصول	٥٣	١٩
	قيام	٠٠	٢٠
بلبيس . . .	«	٢٠	٢٠
مصر . . .	وصول	٢٠	٢١

مطبعة الرسالة

العدد ٧٣٠ — الاثنين ٣٠ يونية ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٨٠٥٢

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15em Année No. 730

Lundi — 30 — 6 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٦٦ — ٣٠ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الجامعة الاسلامية هى الغاية

نشأت جامعة الدول العربية ، وكان نشوؤها ضرورياً وإن أشار به (إيدن) . وقامت دولة الباكستان الإسلامية ، وكان قيامها طبيعياً وإن سعى له (مونتباتن) . تلك لأن العروبة فى يقظة ، وهذه لأن الإسلام فى انبعاث . ويقظة العروبة هبّة من الروح العالمى الذى دفع الأقوياء إلى الحرب ، والضعفاء إلى التعاون ، والأشتات إلى الوحدة ؛ وانبعاث الإسلام أثر لتناقض المذاهب وتعارض الشرائع وافتقاد الإنسانية لذلك النظام الإلهى الذى يسدد خطاها ويحفظ عليها قواها . وما كان فضل إنجلترا فى هذين الحدثين العظيمين إلا فضل القابلة : سهلت الولادة ولكنها لم تخلق الوليد . وسيحذو المسلمون فى الصين حذو المسلمين فى الهند وإندونسيا ، فتنشأ الدولة الإسلامية الثانية فى القوة والعدد ؛ ثم تنكفىء تركيا إلى الشرق ، ويرجع ساستها إلى الإسلام ، فيكون منها لكتلة الدول المحمدية رَوح ومدد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، إذ يرون كلمته هى العليا ، وعقدته هى الوثقى ، وحزبه هو الغالب .

فالجامعة الإسلامية ، أو البانِسلامِزْم كما يسميها الغربيون ، هى الغاية المحتومة التى ستتوافى عندها أمم الإسلام فى يوم قريب أو بعيد . ذلك لأنها النظام السياسى الذى وضعه الله بقوله : « إنما المؤمنون إخوة » ، ثم شرع له الحج مؤتمراً سنوياً ليقوى ؛ وجعل له الخلافة رباطاً أبدياً ليبقى . وهذا النظام الإلهى أجدر النظم بكرامة الإنسان ، لأنه يقوم على الإخاء فى الروح ، والمساواة فى الحق ، والتعاون على الخير ، فلا يفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين طبقة وطبقة .

وظلت الجامعة الإسلامية ، فى ظلال إمارة المؤمنين وإمارة الحجيج ، قوية شاملة حتى خلافة المتوكل ؛ ثم وهى السمط فانفرط العقد ، واضطرب اللسان فتفرقت الكلمة . فلما تبوأ الترك عرش الخلافة استطاعوا أن يبرموا الخيط ولكنهم لم يستطيعوا أن ينظموا فيه الحب . فبقى المسلمون عباديد لا ينظمهم سلك ولا تؤلف بينهم وحدة . ثم أدركت الشيخوخة دولة العثمانيين فى أواخر القرن التاسع عشر ، فتعاوت على جسدها الواهن المنحلّ ذئاب الغرب ، فلوح لهم عبد الحميد بالجامعة الإسلامية ذياداً عن ملكه ، فهرّوا هرير الكلاب المذعورة ، وصور لهم هذا الذعر أن الجامعة هى التعصب وسفك الدماء ، فصدقوا وهمهم وكذبوا الواقع . وكان الاستعمار يومئذ قد توقح وفَجر ، فنشأت العصبية الوطنية فى الأقطار الإسلامية لدرء خطره ، أو تخفيف ضرره ؛ والوطنية لا تعارض الجامعة ، ولكنها تفارقها فى الطريق لتلاقيها عند الغاية .

إن أوربا التى مزقتها الأطماع وطحنتها الحروب ، سترحب اليوم بالجامعة الإسلامية ؛ لأنها وحدها تملك غرس الوئام فى النفوس ، وإقرار السلام فى العالم . إنها تقوم على الإيمان المحض ، وتنزل فى خير مكان من الأرض ، وتشمل مئات الملايين من الناس ، وتهيمن على الموارد الأولى للاقتصاد ، وتدين بالآداب السماوية المثلى للاجتماع ، وتشرق أعمالها فى الصفحات العظمى من التاريخ ، فمن المحال أن تظل نهباً مقسما بين فرنسا الحمقاء ، وإنجلترا المتطفلة ، وهولندة الأنثى !

احمد حسن الزيات

رحـــلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

عميد كلية الآداب

— ١ —

كان السفر إلى الهند أمنية تطاول عليها الزمان ، وماطلت بها الأيام . وكدت أظفر بها سنة ١٩٣٩ م ، إذ ندبتنى جامعة فؤاد لتمثيلها فى مؤتمر للمستشرقين كان يقدر أن يجتمع فى حيدرآباد صيف ذلك العام ، ولكن الحرب العاتية التى ثارت حالت دون الأمنية .

وكان شوقى إلى الهند يزداد كلما زادت معرفتى بها ، والتقائى بأهلها ، واطلاعى على لغاتها وآدابها .

فلما دعت الجامعة الملية الإسلامية إلى احتفال لها فى دهلى وجاءت الدعوة إلى جامعة فؤاد ، كما بلغتنى دعوة خاصة ، وجدتها فرصة تغتنم ، لولا أن الوقت كان قد ضاق عن التأهب لمثل هذه الرحلة . فاعتذرت جامعة فؤاد .

ثم جاءت الدعوة إلى مؤتمر العلاقات الأسيوية ، وانتهى الأمر إلى أن ندبتنى الحكومة لشهود المؤتمر رقيباً . وكان هذا الندب قبيل الموعد الذى ضرب للسفر على غير اختيار ، وإنما حددته مواعيد الطائرات . فلبيت على بعد الشقة ، وهيبة الطريق، وضيق الوقت ، استجابة لما فى النفس من تطلع إلى الهند وحرص على زيارتها .

— ٢ —

ذهبنا إلى مطار الماظة والساعة واحدة بعد ظهر يوم الثلاثاء الثامن عشر من آذار (مارس) سنة ١٩٤٧ آخذين أهبتنا للسفر على إحدى طائرات الشركة الإنكليزية . فأخبرنا ، بعد أن حان الموعد ، أن الرياح غير ملائمة ، وأن السفر أرجئ إلى صباح الغد ، وجعلت الساعة الخامسة موعداً لرجوعنا إلى المطار .

وأخذنا مكاننا فى الطائرة والساعة خمس ونصف ، وأغلق الباب ومر بنا أحد ضباط الطائرة يقول : احزموا أوساطكم ، وأشار إلى أحزمة مثبتة على المقاعد .

قلت : إن هذا أوان الحزم . وتوقعت أن تميد الطائرة فى سيرها ميداناً لايثبت فيه على مكانه إلا من احتزم ، فجاشت نفسى

وجرت الطائرة على الأرض فوقفت فسارت فاستقلت صاعدة ، وفى النفس ملؤها هيبة وإعجاباً . ومر علينا الضابط مشيراً أن نحل الأحزمة ، فعرفت أن هذا الحزم احتياط حين صعود الطائرة فحسب ، فسرّى عن نفسى .

وتأملت الطريق بعد حين ، فإذا بيداء متشابهة لا ترى العين من معالمها إلا قليلا ، وتوالت مناظر متقاربة ، وأشباح متشاكلة .

وكرت ساعات بين التفكر والنظر إلى الأرض وكتابة بعض الخاطرات ، حتى اختلف المنظر قليلا ، ولاحت حفرة ضيقة ثم اتسعت ، وبدا عمران وأبنية ، فظننت أنها قرية فى الصحراء ، وشرعت أفكر ما عسى أن تكون هذه القرية الصحراوية ! فقطع علىّ الفكر قناة ماء طويلة متعرجة عرضها فى رأى العين خطوة واحدة ، فعجبت من هذه القناة أيضاً ! ولم أملك أن سألت رفيقاً أمامى : ما تظن هذه ؟ قال : أظنها الفرات . وما فكرت أنا فى الفرات لتوهمى أنا منه جد بعيدين ، وما قدرت أن الطائرة طوت ما بين النيل والفرات فى أقل من أربع ساعات . فرحت بالفرات وأخذت أتأمل قراه وزروعه ، وهجمت الطائرة على ماء وسيع تختلف على المسير أشكاله ومناظره ، فعرفت أنه البطائح التى تسمى فى العراق اليوم « الأهوار » ، وما قدرت من قبل أن هذه « الأهوار » تمتد هذه المسافات الشاسعة وتساير الطائرة قريباً من نصف ساعة .

شغلتنى الأهوار بألوانها وأعشابها وقصبها ، وما يبدو للعين خافتاً من جزرها ودورها ، حتى حومت الطائرة هابطة ، حتى استقرت على أرض البصرة ، وكانت الساعة عشراً بحساب مصر وإحدى عشرة بتوقيت العراق . ليس بين القاهرة والبصرة فى سرعة الطائرات إلا أربع ساعات ! إنها لإحدى الكبر !

اطمأنت نفوسنا بالقرار على الأرض ساعة تغدينا فيها ، ثم استأنفنا الطيران صوب كراتشى ، والمسافة بينهما نحو ألف وأربعمائة ميل . وقد توجهت الطائرة إلى الجنوب الشرقى على طريقها المعتاد ، وبعد برهة أطلعنا ضابط على الخريطة كدأب ضباط الطائرات مع مسافريها ، وأخبرنا أنا نجتاز الآن الرأس البارز فى الخليج الفارسى شرق جزيرة العرب

قلت : كيف وليس هذا طريقنا المخطوط على الخريطة ؟ قال : الرياح غير ملائمة هناك ، فعدلنا إلى هذا الطريق .

ورأيت صخوراً عاتية موحشة اجتزناها ، فسايرنا الساحل حيناً ، ثم عبرنا الخليج ، فسايرنا أكثر الوقت ساحل إيران المشرف على المحيط الهندى ، وهو ساحل ضيق تشرف عليه جبال عالية تفصل بينه وبين سائر الأرض . ولهذا لم يألف الإيرانيون البحر ، ولا مرنوا على ركوبه ، فلم يكونوا فى تاريخهم من أمم البحار ، المولعين بالأسفار فيها .

والساحل متشابه ، لم أتبين من معالمه إلا آثار سيول أو أنهار متمعجة تسيل من الجبال إلى البحر .

وما زلنا بين تأمل فى الأرض التى نطير فوقها ، والجبال التى نحاذيها ونساميها ونعلوها ، والبحر الذى نسايره حتى ستر الليل المشاهد إلا أشباحاً خفية . فكان مسرح الطرف بين الظلام الذى نعلوه ، وبصيص الكواكب التى تعلونا .

ولاحت كرتشى فى ظلام الليل فى أضوائها منتشرة على البر والبحر ، فكانت منظراً عجيباً مؤنساً فى هذا السفر الموحش ، وبشرى بالوصول منيرة فى العين والقلب ، ورأيت على مقربة من الساحل جبلا فى البحر عالياً عليه منارات ومصابيح زاد فى جلال المرأى وجماله .

ودوَّمت الطائرة كثيراً حتى توهمت أنها لا تهتدى إلى مهبطها ، ثم أسفَّت حتى لمست الأرض وزافت [1] حتى استقرت عليها .

ولله ما أجمل أن يحس الراكب وقع عجلاتها على الأرض بعد أن انقطعت بينه وبين الأرض الأسباب ، وتداولته الرياح ساعات طويلة . وكانت الساعة ستاً بتوقيت البصرة ، وثمانياً ونصفاً بتوقيت الهند .

— ٣ —

استرحنا ليلتنا فى فندق قريب من المطار ، وغدونا إلى الطائرة فاستقلت والساعة ثمان وربع تؤم بنا دهلى ، فطرنا فوق صحراء السند ، وأرض أخرى معمورة لم نر فيها إلا قرى صغيرة يكاد البصر لا يدركها .

وقد وجدت فى مذكرتى هذه الجملة :

« نحن الآن على بعد مائة وسبعين ميلا إلى الجنوب الغربى من دهلى ، والارتفاع عن البحر تسعة آلاف قدم ، وعن الأرض ثمانية آلاف وخمسمائة ، والساعة عشر ونصف ، (يا لطيف يا سلام) »

(١) زافت الحمامة : مشت تسحب ذنبها على الأرض .

ولما قاربنا دهلى ، وظننا أن السفرة انتهت ، والمشقة زالت ، وشرعنا نعد الأميال والدقائق ، أخذت طائرتنا ترجف ؛ تهبط فتعلو فلا تستقر فى مستوى . وكان هذا أول ما عهدت من تدثين [1] الطائرات ، فأخذ منى الخوف ، وبلغ منى الدوار ، وكان أمامى رفيق ركب معنا فى كرتشى ، فرأيته أغمض عينيه ، وأعربت صفرة وجهه عما به . وما زالت طائرتنا تهبط كثيراً ، ثم تجهد صاعدة لتبلغ مستواها ، فيهبط بها الهواء كرة أخرى ، حتى مر بى شاب من خدام الطائرة ، فلم أملك أن قلت له : ما هذا ؟ قال : يا سيدى نحن هابطون بعد دقائق قليلة . وأشرت إلى أحد الرفقاء سائلا متململا فقال : نحن فى إقليم جبلى ، والهواء حار ، ومن هذا كان هذا الاضطراب .

هبطت الطائرة فى دهلى بعد أن فعلت بنا ما فعلت ، وختمت رحلتنا بما أرهبنا ...

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

(١) دثن الطائر : طار وأسرع السقوط فى مواضع متقاربة وواتر ذلك (لسان العرب)

شعب واحد، وقضية واحدة!

للأستاذ محمود محمد شاكر

يقول العربي الأول :

وحولي من هذا الأنام عصابة — توددها يخفى ، وأضغانها تبدو
فما العيش إلا أن تصاحب فتية — طواعن ، لا يعنيهم النحس والسعد
إذا عربي لم يكن مثل سيفه — مضاء على الأعداء أنكره الجد
يضارب حتى ما لصارمه قوى — ويطعن حتى ما لذابله جهد

فهذا العربي الذي اكتنفته عصابة شر أخرجت له أضغانها ، قد كاد يمثل لنا أمر العرب كلهم في أيام الناس هذه . فما من أمة من الأمم الغربية وأشباهها إلا أحاطت بنا عداوتها من كل جانب ، تسر ذلك حيناً وتستعلن به أحياناً كثيرة . وليتها رأت ذلك حسبها من وغر الصدور ، بل جاوزت ذلك إلى الاستخفاف بمئة مليون من الناس خلق الله ، تنظر إليهم كما ينظر السيد إلى عبده ورقيقه ، وتعاملهم كما تعامل المرأة الطاغية أمة جعلها الله تحت يدها ، فهي تسومها الخسف كأشد ما يبغى الضعيف حين يستمكن له سلطان وبطش . وقد مضت العبر بأن هؤلاء القوم لا يكادون يفهمون إلا اضطراراً ، وبالقهر والغلبة ، كما لم يفهم السادة يوم استبدوا أن الرقيق لن يصبروا طويلا على الذل ، حتى جاء اليوم الذي حمل الرقيق على المركب الوعر فثاروا واستنقذوا حريتهم قوة واقتداراً . وكذلك نحن لن نبلغ شيئاً في إفهام أولئك القوم أن عملهم سيء العاقبة ، مهما توسلنا إلى إفهامهم بالدعاية والمناشدة ، بل لن نبلغ شيئاً إلا يوم يستوى لدينا بحق معنى الموت ومعنى الحياة الحرة ، فضلا عن معنى الموت ومعنى الحياة الذليلة .

فمن العبث إذن أن ندعو هؤلاء القوم إلى سواء بيننا وبينهم ، لأن القوة قد أسكرتهم فأطاشت حلومهم ، وتركتهم لا يدركون إلا ذلك المعنى الخسيس للحياة ، معنى الفائدة العاجلة بغير نظر إلى عدل ولا نصفة . وهم قوم تقوم حضارتهم على تزييف الشرور حتى تبدو في صورة الخير ، وتدليس شريعة الوحش حتى ترى شريعة إنسان أنعم الله عليه بالعقل والعاطفة ليوازن بينهما موازنة تجلب عليه السعادة في الدارين . ومن العبث أن تحتال عليهم بما يسمونه « السياسة » ، فالقوى وحده هو الذي يعرف كيف يستفيد من « السياسة » أما الضعيف فاعتماده على السياسة وبال مستطير الشر ، يهدمه ويصرعه ، ويمكن لعدوه أن يفترس منه حيث شاء وكيف شاء .

فلا مجاز لنا نحن العرب إلا أن نعرف أنفسنا ، وأن ندرك حقيقة حياتنا ؛ وأن نؤمن بأن القوى لا ينال منا بقوته بل باستسلامنا ، وأنه لا يحيف علينا ببطشه بل بتهاوننا واستصغارنا لشأن أنفسنا ؛ وأن أجهل الجهل أن يظن ظان أن مئة مليون من خلق الله يمكن أن يفنوا على بكرة أبيهم بسطوة ساط أو بغى باغ ، وأنهم هباء لا يزن في ميزان القوة جناح بعوضة ، وأنهم غنم مسيرون يهاهى بهم راع عنيف تسوقهم عصاه إلى حيث أراد . نعم لا معدى اليوم لكل عربي من أن يحس في قلبه مؤمناً بما يحس ، أنه خلق لعصيان أمر الرعاة الطغاة ، وأنه مأمور من عند من خلقه أن يثبت في مكانه لا يطيع عصا الراعي ولا زجرته ولا زئيره ولا إرهابه ، وأنه مكلف يحمل أمانة من لدن دبت على الأرض قدم عربية ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها من عجم ومن عرب .

فالعربي اليوم هو أعظم الناس حملا للتكاليف ، لأنه يحمل وزر ما هو فيه من ضعف ينبغي أن ينفض عن نفسه آصاره ، ويحمل حق أجيال مقبلة توجب عليه أن يعمل ويمهد لها في هذه الأرض ، ويحمل أيضاً أمانة آباء وأجداد وأسلاف مهدوا له هذه الدنيا التي يسكنها من أطراف الهند إلى أقصى مراكش ، ومن حدود تركيا إلى أقصى السودان . هذا ، وهو يعيش في عالم عدوّ له قد قبض على زمام الكون ، واستولى على عناصر القوة ، ونال أسباب السماء وأطاعته نواحي الأرض . فأي تكليف أشق من التكليف الذي يحمله هذا النبيل المسكين الذي يعيش في الدنيا مشرداً مضطهداً مجهولا مهضوم الحق مرمياً بملفقات العيوب ؟

وأول ما يجب على هذا العربي منذ اليوم أن يضع بين يديه صورة أرضه التي توارثها عن آبائه بالحق الذي لا ينازعه فيه منازع إلا مستطيلا أو متهجما : أرض تبلغ مساحتها مساحة قارتين من قارات

الدنيا ، ثم يقول لنفسه : هل يستطيع أحد أن يبيدني ويبيد أهلي وعشيرتي ويستأثر بهذه الأرض يفلحها أو يعمرها أو يقيم فيها للانسانية حضارة أو دولة ؟ وهل يستطيع أحد أن يقسرني قسراً على مالا أريد أن أفعله مما يحب هو أن يتم له ؟ وهل يستطيع أحد أن يأخذ قلبي من بين جنبي ليصرفه في هواه كما يشتهي أو يريد؟ وجواب ذلك كله « كلا ! » ولا ريب . ففيم إذن أخدم نفسي لمن لا يريد إلا إذلالي ، والفت في عضدي ، وأكل أرضي وما أنبتت من نبات وحيوان وإنسان ؟

فهذا شأن الفرد الواحد ، فما ظنك إذن بمئة مليون يكونون على قلب هذا الفرد الواحد ، يداً واحدة ، ورأياً واحداً ، وعملا واحداً ، وإصراراً على أن لا ينازعنا أحد في حق نحن أصحابه وحماته والمكلفون بحياطته ورد العادية عنه ؟ فإذا آمن العربي بهذه العقيدة التي لا مناص له عن الإيمان بها ، فهل يدور في وهمك أن أحداً يجرؤ على غصب العرب على مالا يريدون ، أو حملهم على شيء يصرون إصراراً على أن لا يقبلوه ؟

إن قضية العرب قضية واضحة بينة المعالم : هي أننا لا نريد إلا أن تكون بلادنا جميعاً مستقلة حرة ، لا يحتل عراقها جندي واحد ، ولا تخضع جزيرتها لسلطان ملوك البترول ، ولا ينال نيلها من منبعه إلى مصبه سلطان بريطاني أو غير بريطاني ، ولا تقع شامها ولبنانها تحت سطوة غاصب ، ولا يعيث في أرجاء مغربها فرنسي خبيث القول والفعل مجنون الإرادة . وهذا كله شيء لا يملك كائن من كان أن يجبرنا على خلافه أو على الرضى به.

ونحن العرب قد أصبحنا دولا لكل دولة منا سياسة يخشى أن تكون ناظرة إلى استجلاب منفعة خاصة ببلد دون بلد ، ويخشى أن تكون كلمتنا في قضية العرب لا تزال محصورة في دائرة أصحاب الأقلام دون أصحاب الحكم والسلطان ،ويخشى أن تكون أعمالنا مفرقة لا تجتمع إلى نهاية واحدة في وقت واحد . وإذن فلابد منذ اليوم أن نسن لأنفسنا سياسة جديدة في كل شأن من شئون العرب ، تجتمع بها كلمتنا وأهدافنا وأعمالنا حتى تبلغ الغاية جملة واحدة ، ويداً واحدة وفي وقت واحد . وينبغي أن لا نرضى منذ اليوم أن تفرق قضية العرب ونجعلها قضايا ممزقة : هذه قضية مصر والسودان، وتلك قضية فلسطين ، والأخرى قضية طرابلس وبرقة ، والرابعة قضية تونس ، والخامســـة قضية الجزائر ، والسادسة قضية مراكش ، والسابعة قضية العراق ... بل إن هذه القضايا كلها قضية واحدة لاتنفك منها واحدة عن أختها أبداً

والعمل لهذه القضية الواحدة ينتظم أفراد العرب ، من ملوك إلى وزراء إلى ساسة إلى أصحاب الأعمال إلى جماعات المثقفين إلى عامة النـاس ، ويحمل عبئها كتاب العربية لأنهم هم اللسان الناطق بما يعتلج في صدور هذه الفئات كلها ، وهم المسددون لخطوات الشعب ، وهم بناة المبادىء والمدافعون عنها والداعون إليها ، وهم الذين يحملون الحكومات العربية على انتهاج خطة واحدة ، وعلى الإيمان بمبدأ واحد ، وعلى الوقوف في ساعة العسرة موقفاً لا ترتد عنه قيد أنملة لإيمانها بأن العرب قوة لا تلين لغامز، وبأنهم أهل أرض تقع في قلب العالم لا يطيق معتد أن ينال منها نيلا ، إذا ثبتت له كمادة آبائهم وأجدادهم في الدفاع عن الحوزة والحمى .

ونحن العرب نجهل اليوم أننا قوة كأقوى ما في هذه الأرض ، يجهل ذلك أفرادنا متفرقين . وتجهله حكوماتنا موزعة الأهواء والأهداف ، ويجهله ساستنا بما كتب الله عليهم من محنة هذه السياسة . فنحن اليوم أحوج ما كنا وما نكون إلى معرفة حقيقة هذه القوة ، وإلى إدراك ما تقتضيه هذه القوة أيضاً .

فالرجل الذي يعرف أنه قوي ينبغي أن يجعل قوته عملا ظاهراً لا يرتد مخافة إرهاب أو نكبة أو شر يلاقيه . فإذا شـــاء رجال العرب وأماثلهم أن يصبحوا في تاريخ العرب مجداً لا ينكسف ضوؤه أبد الآبدين ، فليستلهموا تاريخ أسلافهم الذين خرجوا من أرضهم وديارهم شعثاً غبراً جياعاً ، ولكنهم خرجوا أيضاً مؤمنين بأن كلمة الله هي العليا ، وأن حقهم وإن قل ناصره، أقوى من باطل سواهم وإن كثر أعوانه والعاملون له وعليهم أن يزأروا زئير الأسد في غابه ، حتى يستيقظ النائم ، ويتأهب الأعزل ، ويجتمع المتفرق ، وعليهم أن يحاصروا عدوهم بالمدافعة عن حقهم ، قبل أن يحاصرهم بالتهجم على حقوقهم . وعليهم أن يعلموا علم اليقين أن العربي حين يمد يده إلى سيفه ، فهو يمدها إلى قوة زاخرة لا تزال تنحدر إليه منذ آلاف السنين بمدد لا ينضب من العزة والشرف والمجد الذي تناله يد المتطاول .

إننا قوة لن يتجاهلها أحد مهما بلغت قوته إلا كنا شجى في حلقه ، لا مجازاً وبلاغة ، بل هي الحقيقة المجردة عن كل مبالغة

تحيـــة البطلين

للأستاذ على الطنطاوى

إلى البطلين العربيين اللذين اعلما أهل الأرض أن فى الوجود شيئاً أقوى من الحديد ، وأمضى من السيف ، وأحمى من النار وأنكى من القنبلة الذرية ، هو الإيمان

اللذين تخلفا عن بدر والقادسية واليرموك ليظلما فى الغوطة ونابلس والريف ، فيكتبا بالدم على جبهة الثرى ، أن العزيز لا يذل وسليل من حكموا الدنيا لا يحكمه فى بلاده أجنبى ولا غاصب .

اللذين أثبتا للعالمين أن العرب الذين سادوا فى أول الدهر سيسودون فى آخره .

إلى القائدين العبقريين : عبد الكريم الخطابى وفوزى القاوقجى

تقدير الأدب للبطولة ، وتحية القلم للحسام

***

أما عبد الكريم فلم أره ولا أحب أن أراه لتبقى له فى نفسى هـذه الصورة العلوية الخالدة ، لا تفسدها معالم اللحم والدم فى الإنسان الذى يأكل كما يأكل الناس ويشرب ، ويرضى ويغضب ويجد ويلعب ، وليكون اسمه أبداً فى ذا كرتى مع أسماء العباقرة الخالدين ، القادة السادة الهداة ، خالد وعمرو وقتيبة وابن القاسم وابن نافع وطارق ، الذين أفاضوا على الحرب الحق والرفق فجعلوها مقدسة مشروعة ، وأثاروها لله لا للكسب ، وللخير لا للشر ، فاستولدوها الحياة والحضارة والسلام ، وما كانت تلد إلا الموت والخراب والانتقام

وأما فوزى فقد عرفته فى بغداد ، قبل أن تعرف بغداد بطولته ويشهد العراق عبقريته . فكنت أزوره فى داره فى الكرادة أنا وأنور العطار ويزورنا فى مثوانا فى الفندق ، وأضرب معه فى آفاق الأحاديث ، وأراه مسترسلا على سجيته ، منطلقاً مع طبيعته ، وأتحرى خلائقه ، وأتقرى سلائقه ، فأراه يعلو فى نظرى إن طالما نزلت الخلطة بالرجال ، ويكبر إن صغرتهم ، وأنا أشهد أنى لم ألق فى عمرى من (الرجال) ، وقد قاربت الأربعين ، وقد سكنت الشام والعراق ومصر والحجاز إلا (رجالا) لايشغل عدهم أصابع اليدين وأشهد أن من أكملهم رجولة ، وأفتاهم فتوة ، وأظهرهم قوة ، فى جسمه وعقله وقلبه وضميره : فوزى القاوقجى

عظيمان جهلا نفسيهما ، فحسبا أنهما اثنان من الناس خلقا ليعيشا كما يعيش الناس ويموتا كما يموتون ، لا تحتفل بمولدهما الدنيا ولا تضطرب لموتهما الأرض ، ولا يحس بهما التاريخ ، وتلفتا يفتشان عن مهنة يعيشان منها فوجدا فى قلبهما الميل إلى الجندية لأنها مهنة البذل والبطولة والنبل وخوارق العادات ، ولكنهما لم يجدا فى أمتهما الجيش العربى ، فتطوعا لخدمة الجيش الأجنبى ... وتحركت العظمة الفطرية فيهما فكانا ضابطين نابغين ، ولكنها ظلت حبيسة فى سجن الوظيفة ، مقيدة بقيد القانون ، حتى جاء اليوم المقدور ، فنقبت السجن ، وحطمت القيد ، وانطلقت تملأ الأرض ، وتترع الزمان .

أخوان ائتلفا ولم يتعارفا ، وتكلما وما كان بينهما كلام ، وتواعدا وبينهما بحر العرب[1] بعرضه ، على أن يلتقيا فى مصر ، فجاءاها بعد مازرعا طريقيهما إليها مفاخر للعرب وأمجاداً ، وبعد ما حارب هذا بشعب أعزل ، وقبائل بدوية ، دولتين عظيمتين : فرنسا وأسبانيا حشدتا له مائتين وخمسين ألفاً ، ونازلهما فأنزل بهما الهزائم وجرعهما

(١) هو بحر العرب لا البحر الأبيض المتوسط .

إننا قوة سوف تجبر بريطانيا وروسيا وأمريكا وسائر أمم الغرب على أن تعرف أن العرب ، قد أفاقوا فى العصر ، وأنهم قد عزموا على أن ينالوا حقهم أو أن ينتزعوه انتزاعاً من كل من تسول له نفسه أن يهتضم حقوق الناس ويأكل أموالهم ويعيث فى بلادهم فساداً وطغياناً وشراً . إننا نحن العرب أمة واحدة فى دول متعددة ، وسنكون أمة واحدة تحمى حقوق الضعفاء من أى الناس كانوا . إننا نحن العرب أمة قوية وإن ظن الناس بنا الضعف ، ونحن أصحاب هذه الرقعة من الأرض ، سوف تكون خالصة لنا دون الناس لا تشاركنا فيها دولة بريطانية ؛ أو دولة صهيونية أو دولة فرنسية .

وعن قريب سوف تقول حكومات العرب كلمتها ، وسوف يجتمع رأينا على أننا لن نرضى بأن نجعل قضيتنا أجزاء يتلعب بها هذا ويلهو بها ذاك ، إنها قضية واحدة ، يرفعها شعب واحد ، مطالباً بحق واحد ، هو أننا أحرار فى بلادنا .

محمود محمد شاكر

شراب الموت ، وقارع ذلك دولتين عظيمتين : إنكلترا وفرنسا وفل جيوشهما فى الشام وفلسطين والعراق . وبعد ما أثبتا للدنيا أن العربى لا يستعبد ولا يهون .

لقد عاد فوزى إلى وطنه سورية على رغم فرنسا ، فلما لم يرفيها مستشاراً فى دائرة وكانت الدائرة هى المستشار ، ولا شاهد قلمة فرنسية على رابية ، ولا داراً فرنسية فى شارع ، ولا لوحة فرنسية على متجر ، بكى فرحاً ، بكى (الرجل) الذى لم يبك وهو بين شقى الرحى التى تديرها يد الموت . واستقر عبد الكريم فى مصر على رغم فرنسا ، فلما رأى الملك العربى ، والجامعة العربية ، والشعب العربى ، بكى فرحا ، بكى (الرجل) الذى لم تبكه خمس وعشرون سنة فى منفى سحيق وضعته فيه فرنسا التى أقسمت له بشرفها أنها لن تأسره ... فلما تمكنت منه كان وفاؤها له ، على مقدار شرفها ...

لقد شهد الرجلان مئات المعارك ، وحملا مئات الجروح ، ولقيا مئات الشدائد ، وها هو ذا فوزى يفتش عن ميدان جديد للجهاد ، وعبد الكريم يستجم ليعود إلى النضال -- وكذلك تكون الرجال

لم يرض فوزى أن يكون كهؤلاء الذين جنوا على الجهاد لما تسموا كذبا بـ (المجاهدين) ... وما جاهدوا ولكن قتلوا الثورة ، وفرقوا أهلها ، وسرقوا أموالها ، وعادوا اليوم يأكلون ويشربون ، وينعمون ويتمتعون باسم الجهاد الذى لم يكونوا من أهله — فعاف المناصب والرواتب ، وعزف عن الأموال ، وآثر أن يبقى كما كان مجاهداً حقاً ، لا يلقى سلاحه ، ولا يغمد سيفه ، حتى لا يبقى فى الوطن الأكبر شبر واحد يحتله مستعمر — وكذلك تكون الرجال

هذان هما القائدان البطلان ، فتقدما يا أيها البطلان القائدان فهذا هو الجند معداً ، وهذا هو الجيش لا ينقصه إلا القائد ...

هذا الشعب كله جيش معد ، لا يمل الجهاد ، ولا يضن بالضحايا ، ولا يعرف الونى ، ولا يدركه الكلال ، فادعواه باسم الوطن ، باسم الأرض ، باسم العرض ، باسم الدين ، وانظرا كيف يلبى هذا الشعب الدعاء ...

هذا الشعب لا أعنى (كباره ...) الذين فتنتهم المناصب ، ولا تجاره الذين تعبدتهم المكاسب ، ولا فساقه الذين عاشوا لتقليد الأجانب فى البلايا والمصائب ، وكانوا فى جسم أمتهم حيات وعقارب ، ولكن أعنى الشباب ...

إن الشباب هم أرباب المثل العليا ، هم الأطهار ، هم بناة الوطن هم الذين إذا جد الجد سدوا آذانهم عن أصوات المفرقين الهدامين فلم يكن فيهم من حزبيين ، يتقاتلون ليخسر الوطن ويربح الزعماء ولكن عرباً مجاهدين ، كارهين للاستعمار والمستعمرين ، ثائرين على الظلم والظالمين ...

أولئك الشباب الذين تعلموا منكما أيها البطلان كيف يتخذون قضية فلسطين والمغرب عقيدة ويجعلونها لهم دينا ، لا يرون لمن يقر الاستعمار فى بلاده وهو يقدر على دفعه إيمانا ، ولو صلى وصام وحج وزكى ، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

لقد أقسم هؤلاء الشباب ليبذلن الدماء والمهج ، وقاموا للنضال ولكنهم افتقدا القائد فقعدوا . فتقدما للقيادة يا أيها البطلان يا بطل المشرق ويا بطل المغرب

واعلما أنكما حاربتما عدواً قوياً ، بأمة كانت غافلة ، وقد ضعف اليوم العدو ، وتيقظ الغافلون ، فحاربا مرة ثانية وثالثة وتاسعة وعاشرة ، حاربا إذا لم تعطيا الحق كاملا فما فى الدنيا شريف يزدرى الحرب فى سبيل الحق والحرية والشرف ، وقد حارب الفرنسيون لما وطئت بلادهم ، وإن كانوا فى الحرب نعاما تحسن الفر لا أسوداً تجيد الكر ، وحارب الانكليز ، وحارب الأمريكيون ، وحاربت قبائل البوير ، وحارب أهل الحبشة ، وحارب هنود أميركا يوم دخلوها عليهم ... وحاربت كل أمة على ظهر الأرض . وكانت هذه الحرب المقدسة خلقاً فى طبع كل أبىّ شريف لا يكون من يفقده أبياً ولا شريفاً ، لا يكون إلا كلباً ، بل إن الكلب يحارب دون وجاره ، وكل حيوان حى يدافع عن ذماره ، حتى الخنزير البرى ... فهل يريد أنصار المفاوضات والمحادثات أن نكون أقل من الخنازير ؟

كلا ، وأنف الكاره فى الرغام . كلا ، ولكنا أكرم من كل كريم ، وأعز من كل عزيز ، وأسمى من كل بشر أظلته السماء وحملته الغبراء . وإلا فما نحن لأولئك الأجداد ، ولا نحن لرمال الجزيرة ، ولا نحن لمن حملوا نشيد (الله أكبر) ومشوا حتى صكوا

به سمع الزمان ، وراعوا به جن الفلا ، وملأوا به كل سهل وجبل حتى دانت لهم الأرض ومن عليها ، ولا نحن لمحمد .

كلا ، نحن سلائل الفاتحين ، فى عروقنا دماؤهم ، وفى صدورنا قلوبهم ، ولنا عزتهم ، ولئن فقدنا السلاح فما فقدنا العقل الذى يصنعه ، ولا اليد التى تشحذه ، على أنه إذا أعوزنا السلاح أخذناه من يد عدونا وجالدناهم به . وكذلك فعلنا

لن نهاب بعد اليوم غربياً ، ولن نثق به أبداً .

لقد مات العهد الذى كنا نخاف فيه أن يغضب صعلوك من المنتسبين إلى فرنسا فتغضب الامتيازات .

لقد قضى العهد الذى كنا نرى فيه فرنسا وأخواتها أم الحرية والديمقراطية والمدنية وحقوق الإنسان .

لقد أبدت الحقائق وجوهها التى كانت مبرقعة ورآها الناس كلهم إلا هؤلاء العميان الذين طمست أبصارهم وبصائرهم المدارس الفرنسية فى الصغر ، والمواخير الفرنسية فى الكبر ، وهم بحمد الله أقل من القليل .

لقد رأى الناس فرنسا على حقيقتها أمة همجية تمنع الخبز عن الجائعين ليموتوا جوعاً ، وإنكلترا تنصر الصهيونيين على الفلسطينيين والهولنديين على الجاويين ، وأمريكا تقول لصاحب البيت ، أخرج ليدخل اللص ويأخذ دارك . ولكن خسأ اللص وخسأ من ينصره إن دون الحمى آساداً

أنتم أيها الأمير كيون لا تدركون ما هى قوانا لأنكم لا تعرفون إلا المادة . إنكم لم تسمعوا بأخبار الفتوح الأولى فى الشام والعراق ومصر والأندلس ، ولا بأخبار الفتوح الآخرة فى الغوطة والرميثة وجبل النار وريف المغرب ، فاسألوا عنها فارس والروم وإسبانيا وفرنسا وإنكلترا ...

إنكم تحسبون قضية فلسطين كقضية سرقة فى شيكاغو ، تدخلون بالرشاشات فتنهبون المخزن ...

كلا ، والحى القيوم ، لن تكون لليهود دولة فى فلسطين ولن يكون للفرنسيين اتحاد مع المغرب ، حتى لا يبقى فى هذه البلاد كلها حى يمشى . لن يأخذوها حتى يروا ويرى من يميهم يوماً يذهل له كتاب التاريخ ، ويصيبهم من هوله الجنون . يوماً لا ترون فيه تاجراً فى دكانه ، ولا موظفاً فى ديوانه ، ولا تلميذاً أو مدرساً فى مدرسته ، ولا قاضياً فى محكمته ، ولا امرأة فى دارها . وإنما

تروبهم يسيرون إليكم جميعاً يقاتلونكم إن عجزوا عن السلاح بأيديهم ، وصدورهم ، ويستنزلون غضب الله عليكم ، فأبيدوهم يومئذ بقنابلكم الذرية ، إذا محيت الإنسانية من الأرض ، واستبيح قتل الشعوب ، وإذن فستنبت الأرض التى تسقيها دماؤهم أمة جديدة تقاتلكم دون أرضها وحماها .

ويلكم إن الله فى الوجود ، ما استقال ولا أحيل على المعاش؛ وإننا مع الله نستعينه عليكم ، والله أكبر منكم ، هذا نشيدنا الذى يهوّن علينا كل خطر ، ويصغر كل عدو مها تكبر : الله أكبر

لقد علمنا ديننا أن نستوهب الحياة بطلب الموت ، وحبب إلينا نبينا الشهادة . نلاحقها إذا هربت منا ، ونفتش عنها إذا ضلت عنا . فبماذا تخيفون أمة تريد الموت ؟

نحن نريد الموت ونسعى إليه ، قد أعددنا الجيش للجهاد . وهيأنا القوى للجلاد ، فتقدما يا أيها البطلان القائدان ، تقدما فاقتحما النار ، وخوضا البحار ، فإننا معكما لن نرجع ولن نلقى السلاح ولن ندع الجهاد ، حتى لا يبقى فى دنيا الإسلام ، وأرض العرب ، علم لأجنبى ، أو حكم لمستعمر ، والله معنا . والله أكبر!

على الطنطاوى

القسم الخامس :

فرنسا ومستعمراتها

ما بين الاتحادين الفرنسي والسوفيتي

للأستاذ أحمد رمزي بك

ما كنت أعتقد حينما كتبت الكلمة الثالثة عن الاستعمار الفرنسي والتي أشرت فيها إلى ثلاث هيئات اتحادية تقف أمام الأمم الإسلامية وحريتها أن تبرز المتناقضات بهذه السرعة ، فقد وضعت الاتحاد الهندوكي بجوار الاتحاد الفرنسي والاتحاد السوفيتي وقلت عنها إن كلا منها يعطى لنفسه مظهر حركة تقدمية يصبغها بصبغة التحرر ويريد أن يقنع الضمير العالمي أن الاتحاد هو وليد إرادة شعبية ، وأنه في مصلحة الأمم والشعوب الداخلة فيه ، ويعلم القائمون بأمر كل منها أن هذا بعيد عن الحقيقة بعداً تاماً ، ولذلك سيكون كفاح الأمم الإسلامية في طريق الاستقلال والتخلص من هذه السيطرة الاتحادية المفروضة عليهم شديداً في الهند والمغرب ، قاسياً جداً في أواسط آسيا : ولكني مؤمن وواثق بأنهم سيتغلبون لا لأن الحق معهم وكفى ، بل لأن قوانين الكون الملازمة لطبيعة الأشياء وتجارب التاريخ معهم ، وستذهب قوات الطغيان التي تستعبد المسلمين أو تحاول ذلك هباء منثوراً وتندك صروح بنيت على تضليل الناس .

ومن قبيل هذه الثورة القائمة علينا ، البرقية التي جاءت بأن البنديت نهرو يحذر الأمم العربية ويقول « إننا لن نعترف باستقلال أية دولة تقام في الهند ، وسنعتبر الاعتراف من أية دولة أجنبية بهذا الاستقلال عملا لا ينطوى على الصداقة » .

وفي بعض ما ورد بالجرائد المصرية مقال عنوانه « الباكستان خير أم شر » ويقول بأن استقلال المسلمين في الهند يتعارض مع العالمية التي هي من مظاهر الكون . ونحن لا نعارض هذه العالمية ولكننا نفرض استقلال البلاد الإسلامية كشرط أساسي للتعاون الاقليمي ثم التعاون العالمي وإلا تعرضت الجماعات الإسلامية للزوال وضاعت شخصيتها وانهد كيانها .

وأعود إلى فرنسا وأمبراطوريتها ، وما تنويه من فرض الاتحاد والإدماج على شعوب العروبة والإسلام ، بعد أن رأينا رجال الفكر يسبقون التاريخ في هذه الناحيه ويرسمون خطط السيطرة والغلبة ، فقد ذكرنا فيما تقدم إشارة عن مؤتمر برازافيل الاستعماري الذي عقد بإفريقيا عام ١٩٤٤ ، وجمع أساطين الاستعمار ودهاته واستعرض برامج المستقبل ، وأشار بتأكيد سياسة الاتحاد بين فرنسا وما تملكه من الأراضي الواسعة في إفريقيا وآسيا وصهرها في كتلة واحدة .

ويهمنا أن نتتبع المسائل العامة التي دارت المناقشات حولها فقد برزت هناك فكرتان : فكرة التعاون ، وفكرة الإدماج ، ولكل من الفكرتين أنصار وخصوم .

ومعنى التعاون إعطاء الأمم أو الأقاليم شيئاً من الحرية والحكم الذاتي بالتدرج ، ثم دعوتها إلى التعاون مع الدولة صاحبة السيادة في نطاق اقتصادي كما هو الحال في بعض المستعمرات البريطانية . ومعنى الإدماج أن تفرض على الشعوب المحكومة أنواع من الارهاب والترغيب تنتهي إلى إيجاد شعور يقول بأن مصلحة المجموع أن يندمج مع الأمة الحاكمة في جنسية واحدة .

ويقول خصوم التعاون إنه في النهاية يؤدى مع الزمن إلى حياة الدومنيون الاستقلالية ، وهذا لا يتفق مع المنطق الفرنسي الذي يميل إلى المركزية ولا يسلم بتوزيع السلطات ، وفي النهاية يعرض الكيان الإمبراطوري إلى الانهيار .

ويقول منتقدو الإدماج ، إذا سرنا خطوات كبيرة في سبيل ذلك وتكلم خمسون مليوناً لغتنا وأخذوا بثقافتنا ودخلوا مجالسنا النيابية وحصلوا على حقوق المواطنين وضمنا مستقبلنا بين أيدى ناخبين أجانب من شعوب ملونة منحطة ، وقد تغمرنا موجات فكرية وثورية لا نقدر على كبحها ، أو قد تتحالف هذه العناصر مع عوامل الهدم الفرنسية وتميل مع أحزاب اليسار لتفرض إرادتها ؛ حينئذ يفلت الزمام من الأيدى الفرنسية الرشيدة العاقلة وتعرض حياة الأمة إلى أخطار جسيمة .

خرج مؤتمر برازافيل إلى الأخذ بحل وسط يجمع بين التعاون والإدماج : فسياسة التعليم بنيت على إدماج الشعوب في الثقافة الفرنسية ، إذن يجب أن تشتد هذه السياسة التعليمية وأن يكون هدفها إضعاف اللغات القومية وخصوصاً اللغة العربية . وفي المستعمرات الإفريقية تقرر منع التبشير باللغات القومية وجعل

تدريس قواعد الدين الكاثوليكي باللغة الفرنسية .

ولن أطيل على القارىء سرد بقية القرارات فهى مطبوعة إذ ماذا يهمنا من أمر البلديات وطريقة انتخاب المجالس العامة بالمستعمرات وزيادة سلطة الحكام والتصديق على الميزانيات والقروض ، ما دامت السيطرة المركزية لوزير المستعمرات قائمة ومادامت سياسة المؤتمر ترمى إلى تأكيد السيادة الفرنسية وتثبيت الرأى النهائى للجاليات الأوروبية فى مستقبل المستعمرة ، وجعل الكلمة العليا للكولون الفرنسى باعتباره ممثلا للأمة الحاكمة صاحبة الأمر والنهى والسيادة .

فالسياسة التعليمية اتجهت اتجاهاً إدماجياً مسترشدة بالنظم الروسية التى تستعين بالمدرسة على إخراج جيل من الناس يؤمن بالثورة وتعاليمها ، كذلك المعلم الفرنسى من واجبه أن يفرض لغته ليخرج طائفة تفكر فرنسياً وتنطق بلسان فرنسى وتؤمن بعظمة وأهمية الحصول على الجنسية الفرنسية والافتخار بأن الفرد الأسود هو فرنسى أسود ، وأن اللون لا يمنع أنه من سلالة الغالبين سكان فرنسا الأصليين وهذا نهاية مايصل إليه الغرور الاستعمارى

ولكن سياسة الإدماج تواجه الشعوب الإسلامية ، والإسلام والعروبة فى عالم الاستعمار وباء يصعب مواجهته ، ويستعصى التخلص منه ، فهو راسخ فى عقول ملايين من الناس وهو كالنار تحت الرماد ، وقد أمضى الاستعمار مع الإسلام عشرات السنين وكماخيل إلى المستعمرين أنهم فضوا مشاكله وقضوا عليه ، برزت لهم الأدلة على أنهم ما زالوا بعيدين عن زمن القضاء على حيويته ، وأنهم على ما أوتوا من قوة البطش وسعة السلطان ، أعجز من أن يكسبوا أمامه المعركة النهائية والقول الفصل .

من هنا فكرت فرنسا فى إيجاد مركز دائم للشؤون الإسلامية بمدينة الجزائر وأطلقت على هذه الإدارة : وزاة تنسيق الشئون الإسلامية. ولنلاحظ أن الاصطلاح الفرنسى يعتبر المسلمين كطائفة مهما كان عددهم كبيراً أى أن هؤلاء الناس لا يكونون أمة من الأمم وليس لهم وطن ولا رابطة مع الأرض التى يعيشون عليها : فهم رعايانا المسلمون ، وهم مسلمون وكفى ، وهذا رأيهم وهو خطير فى نظرى .

وتولى هذا المنصب فى الجزائر صديقنا الجنرال كاترو وهو الذى عرفناه فى سوريا ولبنان مندوباً سامياً ، ولمسنا فى شخصه اجتماع القائد والسياسى معاً ، وبرهن على أنه صاحب عزيمة ودهاء وفكر ومقدرة ، وهو يتظاهر بأنه صديق للاسلام والمسلمين وأنه يعطف على أمانيهم المشروعة ويدفع الظلم عنهم ، ويمثل فى الوقت الحاضر فرنسا بموسكو عاصمة السوفييت ، قلت دائماً إن رجلا له مزايا كاترو وإلمامه وفهمه لشؤون الدنيا ودرايته بمشاكل الاستعمار لايترك الوقت يمر أمامه من غير أن يشغله ببحث شؤون الإسلام فى روسيا . نعم قد يكون اختياره كسفير لبلاده من قبيل الإبعاد السياسى فى وقت ترفض العقلية الفرنسية وضع العسكريين فى الصف الأول ، ولكن لكاترو منزلته ورأيه وشخصيته . وللاتحاد السوفييتى سياسة مرسومة تجاه المسلمين ، حقيقة إن الناس قلما يتعرضون لها ، ولكن أعين الاستعمار لا تغفل عنها ، لأن روسيا فى توسعها وانتشار نفوذها واجهت المسلمين كما واجهت فرنسا الإسلام من قبل ومن بعد .

ولكن تجارب روسيا مع المسلمين غير تجارب فرنسا ، فالأخيرة تحيا تحت سلطان الحروب الصليبية وتقاليدها إلى اليوم وهى حروب اشترك فيها غيرها من الشعوب وكانت نهايتها محزنة لأن السيوف التى انتصرت هى سيوف المسلمين ، ومع هذا تقلب الكتب الفرنسية الحقائق وتجعل من الهزائم الفرنسية مفخرة للشعب ودوافع للعمل والجهاد ضد المسلمين .

أما روسيا فقد عاشت قروناً محكومة بالمسلمين ولاقت منهم شدة وعنتاً ، وبين الكنيسة البيزنطية والمسلمين عراك طويل ، ولم تبدأ حملات روسيا بجد ضد الأراضى التى يسكنها المسلمون إلا فى عهد كاترين الثانية ، إذ دخلت أقاليم إسلامية كبيرة تحت حكمها ، وكانت أساليب الحكم الروسية سهلة واضحة : ذبح المسلمين وتشتيتهم أو تركهم إذا قبلوا الدخول فى المسيحية ، ولقد دخل ملايين منهم فى الجنسية والديانة ، ومن بقى محتفظاً بديانته سراً أعلن إسلامه بعد ثورة ١٩٠٥ و ١٩١٧ .

ولما اتسع ملك الروس فى آسيا الوسطى وقفقاسيا أخذوا يفكرون فى إيجاد سياسة إسلامية ، وأخذوا يقلدون الدول الاستعمارية الغربية ، ولكن ثورة البلاشفة قضت على القيصرية وأعلنت حقوق الشعوب وحريتها وسمحت للمسلمين بإقامة شعائرهم الدينية بعد أن كانوا محرومين منها ، ثم عادت فأعلنت الحرب على الأديان كلها ، وكان من الطبيعى أن يحارب الإسلام كغيره وهو قوة عالمية ثورية شأنه شأن الحركة الشيوعية إذ يحمل كل منهما لواء العالمية ، وتفنى فيه القوميات والعنصريات والطائفية . فالشيوعية

تحاول التغلب على الإسلام فى الجهات التى ساد فيها ، ولها أساليبها الخاصة فى هذا المضمار ، التى جاءت نتيجة للتجارب التى بدأها لينين فى سياسة التقارب مع الأمم المغلوبة فى ١٩٢٠ و ١٩٢٢ ثم انتهت إلى تحطيم الجمهوريات الوطنية وفرض الأنظمة الشيوعية والدخول فى سياسة اتحادية تخضع أراضى السوفييت كلها لسلطة موسكو المباشرة .

وكان أن واجه الشيوعيون مشكلة حكم إمبراطورية استعمارية تحت نظام جمهورى اشتراكى وخطوا فى السنوات الماضية خطوات جبارة فى طريق استغلال واستثمار أراضى البلاد الإسلامية باسم جديد وأنظمة جديدة ، وفرنسا من ناحيتها تحكم ملايين من الشعوب الملونة والأمم الإسلامية وتحاول أن تحتفظ بسيادة الجمهورية المركزية على أقاليم شاسعة : فهما تلتقيان فى معالجة مشاكل متشابهة تلتقى عند هدف واحد هو المحافظة على وحدة إمبراطورية استعمارية بأى ثمن .

وإذا سرنا فى المقارنة من الناحية الداخلية نجد أن فرنسا تحكم بلاداً لها شخصية أو شبه سيادة مثل مراكش وتونس وبعض أقاليم الهند الصينية ، ولديها بقاع يحكمها أمراء وسلاطين بإفريقيا ، أما الاتحاد السوفييتى فبعد أن حطم ممالك بخارى وخوارزم[١] وحكم الاقطاعيين الذين عاشوا تحت ظلال القيصرية ، عاد فأنشأ جمهوريات ذات سيادة إسمية فى أذربيجان وتركستان وأزبكستان وتاجيكستان والقرغيز ، وأعطى لأقاليم أخرى نظام الحكم الذاتى مثل الداغستان وبشكيريا وغيرها .

وهذه الأقاليم التى عددناها إسلامية وأهلها مسلمون ومعظم أقاليم الإمبراطورية الفرنسية أو أهمها من بلاد الإسلام ويسكنها المسلمون ، ولذلك يحلو لرجال فرنسا أن يقولوا عن بلادهم إنها دولة إسلامية كبرى ، والسوفييت وإن كانوا لا يقرون بالأديان ، فأنهم مع ذلك على اتفاق مع الاستعمار الفرنسى فى مواجهة المسألة الإسلامية باعتبارها معضلة تتطلب الحل ولها مشاكلها ومتاعبها ومضاعفاتها ولذلك تحتاج إلى دراسة وبحث ، ولهذه سياسة خاصة بها : أى أن للاسلام سياسة مرسومة فى كل من روسيا وفرنسا ترمى كل منهما إلى أهداف مختلفة ولكنهما تلتقيان فى نهاية واحدة وكلاهما يسير على منهج الإدماج ونقصد به صهر القوميات فى كتلة واحدة ، ولكن الاتحاد يسير على نمط خاص به ، فهو يفرض اللغة الروسية مع الفكرة الاشتراكية والفلسفة الماركسية ويقدمها فى قالب واحد ، وسار فى هذا أشواطاً حتى فى الجمهوريات المسيحية ، لأن حكومة الاتحاد قررت تشتيت مجلس السوفييت المحلى فى بلاد الكرج (جورجيا) لأنه عارض سياسة الاتحاد وقرر التمسك باللغة القومية وجعل لها المقام الأول فى التعليم وللروسية المقام الثانى ، ثم يتفق مع السياسة الفرنسية فى إحياء لغات اندثرت وثقافات اندرست حين يهاجم الوحدة الإسلامية فى آسيا الوسطى باسم الفن والتاريخ والثقافة[١] .

ويشبه هذا النشاط سياسة فرنسا فى التفرقة بين العرب والبربر حتى تظهر ثقافات متباينة فى كل رقعة ويفقد الإسلام تلك الوحدة التى اشتهر بها وعرفت عنه .

فلهذا وغيره يبدو الاتحاد السوفييتى فى أنظمته وكيانه كوحدة استعمارية تسيطر على أقطار المسلمين وتفرض عليهم حكماً خاصاً كأنموذج صالح لفرنسا يصح أن يحتذى فى أشياء . والفرنسيون أذكياء وأهل منطق ، يعرفون تماماً أن الأنظمة والدساتير لا تبنى الممالك وإنما القوة الدافعة هى التى تحميها : والقوة الدافعة فى أراضى السوفييت هى الحزب الشيوعى الذى يستند على قوته الثورية وأنه حزب عمالى ترتكز عليه الدولة وتخضع لمشيئته ويسيرها كما يشاء .

ولا تملك فرنسا هذه القوة المتصفة بالبطش والفتك ، إذ هى لا تزال تأخذ بأنظمة الدساتير الديموقراطية وتعدد الأحزاب ، وهناك مسائل أخرى تفترق عن السوفييت فيها ، أهمها أنها تحترم الملكية الفردية وتشجع الشركات والأفراد فى تولى الإنتاج الزراعى والصناعى ، بينما الاتحاد السوفييتى لا يعترف بالملكية للفرد وإنما يأخذ بالاشتراكية ويجعل حق الملكية للدولة أو يعترف بالملكية التعاونية ، وقد يلتقى النظامان فيما يخص الملكية بأراضى بعض المستعمرات ؛ إذ يحرم التشريع الفرنسى على الأهالى ملكية الأرض ويسمح بها لشركات الاستثمار وللمستعمرين البيض ، ولا نعرف مقدار حظ المسلمين فى المزارع التعاونية بالروسيا فقد تكون بأكلها فى أيدى الروس فهى لا تختلف إذن عن شركات الاستثمار الكبرى فى المستعمرات الفرنسية ، ولكن الثابت

(١) إمارة خيوة فى عصر القيصرية .

(١) من أكبر وسائل محاربة القومية والإسلام محطة الإذاعة التى بأغانيها ولغتها العامية تتفق مع الاستعمار فى هذه الناحية

لدينا هو أن الأهالى المسلمين محرومون من حق الملكية فى جمهورياتهم فهم إذن كأهل المستعمرات الفرنسية السود فى هذه الناحية . ولم يكن تطبيق النظام الاشتراكى أو التعاونى لصالحهم بل لتقوية الجاليات الروسية وزيادة إفقارهم وضرب الذلة والإملاق عليهم .

هذه نظرات أولية تمكننا من تلمس بعض ما يقال له فوارق وبعض ما يلتقى النظامان الاستعماريان فيه من نواح . ولا نقدم جديداً حينما يتعلق الأمر بالأنظمة إذ هى الأسس التى يقوم عليها الاتحاد ، وفرنسا تقدر الفوارق والاتجاهات فى الاتحاد السوفييتى ولكنها تعجب من الأنظمة كدعامة للوحدة ، فدستور السوفييت يقول :—

« بأن الدولة اتحادية تقوم على أساس الاتحاد الاختيارى بين الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية المتساوية فى الحقوق » .

وهذا نص مشجع لأن تأخذ به فرنسا فى نظامها الجديد خصوصاً وأن معنى الاختيار غير معلوم لدى الروس .

إذ لا يذكر العالم أن إحدى الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى جاءت إلى الاتحاد وانضمت إليه باختيارها ، وإنما دخلت الاتحاد بعد معارك دموية وقتال استمر طويلا ، ولذلك لن يكون هناك اختيار فى الاتحاد الفرنسى كما قلنا .

وينص الدستور السوفييتى على حق تقرير المصير ويعترف لكل جمهورية بأنها ذات سيادة ، ولكنه يقيدها فى المادة ١٤ من الدستور نفسه وفيها كل ما يهدم شخصية واستقلال وسيادة الجمهوريات المقول بأنها مستقلة وذات سيادة . وهذا النص يجعل حق تقرير المصير غير موجود ، ولذلك سنراه فى دستور الاتحاد الفرنسى وستأخذ به حكومة الهند عند مواجهة دولة باكستان الإسلامية ، وستتمسك به كل دولة اتحادية حينما ترمى إلى السيطرة والتحكم فى مصير الأمم الإسلامية .

فمن المفيد أن نعرض هذه المادة مع بعض التفصيل ليستيقظ الغافلون بمصر : فهذه المادة تجمع طائفة من الأمور الهامة الحيوية لكل شعب منها ما هو سياسى وعسكرى واقتصادى ومنها ما هو ثقافى وتشريعى . فإذا بحثت عن الباقى من سيادة جمهوريات الاتحاد المستقلة وجدته ضئيلا بحيث لا يصح أن يقارن بالسيادة التى تتمتع بها أية ولاية داخل نظام الولايات المتحدة الأمريكية .

فإذا سلمنا بأن حكومة الاتحاد ترى أن من حقها عقد المعاهدات وحصر التمثيل السياسى فيها وتسلم قضايا السلم والحرب وتنظيم الدفاع وقيادة القوات المسلحة وحماية سلامة الدولة المستقلة ، فإن هذه المادة تضيف أشياء أخرى تجعل النشاط الاقتصادى بأكمله خارج نطاق الجمهورية المستقلة ، وبهذا يصبح الاستقلال وهمياً ولا فائدة منه ؛ إذ تخضع المشاريع الصناعية والزراعية وإدارة المصارف ووسائل النقل والمخابرات ونظام النقد والتأمين وعقد القروض وكل ما يتعلق باستثمار الأراضى واستثمار الغابات ومساقط المياه فى يد حكومة الاتحاد .

وعلاوة على ذلك يسلب من الجمهوريات سلطتها على كل شؤون التعليم والثقافة ، ويسلبها حقها فى التشريع الداخلى الصرف ، إذ تبقى سلطة حكومة الاتحاد هى العليا فى كل ميادين المعارف والصحة ، ويخضع المحاكم والقوانين من مدنية وغيرها حتى قانون الجنسية وإقامة الأجانب وتنقلاتهم لحكومة الاتحاد ؛ هذا مع قرار الاتحاد بأن لكل جمهورية دستورها الخاص بها ، وهنا تهزأ حكومة السوفييت بالعالم حينما تقول :

إن لكل دولة من الجمهوريات المستقلة مطلق الحرية فى أن تنفصل عن الاتحاد السوفييتى .

ومن قبيل تحصيل الحاصل أن يقرر الدستور السوفييتى أنه فى حالة التعارض بين القانون الخاص بأية جمهورية مستقلة والقانون الاتحادى وجب على الحكومة المستقلة تنفيذ قانون الاتحاد ، فلا توجد هيئة عليا كما هو الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية للفصل فى تنازع الاختصاص أو تفسير الدستور .

من هذا نفهم ولع الفرنسيين بالاتحادية وأنهم بعد أن قلبوا أنظمة الاستعمار وأساليبه من أمريكية وبريطانية وبرتغالية وهولندية وجدوها لا تشفى غليلهم ووجدوا مع اختلاف الأهداف فى نظام الاتحاد السوفييتى ما يصح الأخذ به والسير عليه ، إذ فيه تأكيد لسيطرتهم وإبقاء لحكمهم .

ولذلك لم نخطىء النظر حينما جاهرنا بأن الأنظمة الاتحادية الفرنسية وفى بلاد السوفييت وما يجول بخاطر الهندوس من إنشاء دولة اتحادية بالهند ، أنظمة وأسس رجعية تعسفية ، حينما يتعلق الأمر بمستقبل الشعوب الإسلامية وحريتها ، لأنها تعطى للاستغلال الاقتصادى والسيطرة والتحكم ثوباً جديداً .

أحمد رمزى

اللغة العامية والحروف اللاتينية

للأستاذ السهمي

ذكرنا حديث الاستاذ البارع (الجاحظ) فى الرسالة (٧٢٦) ص (٦٢٦) عن قصة هذه العامية ذات العمى والبكم والصمم بمقال فائق للعلامة اللغوى الكبير الشيخ ابراهيم اليازجى ترجمته أو عنوانه (اللغة العامية واللغة الفصحى) كتبه سنة (١٩٠٢) مظهراً فيه نيات أبناء (جُنْبُل) الخبيثات المخيفات ومذكراً ومنذراً. وقد رأيت أن أروى فى (رسالة العربية) الهادية الكريمة جلا من ذلك المقال المحقق المحكم وهو أكثر من ثلاثين صفحة. وليعلم من يتجاهل أو يجهل أن الذى نزّل وحفظ قرآنه ، حافظ أبد الأبيد لسانه.

قال الشيخ ابراهيم اليازجى :

« نشر بعضهم من سنوات رسائل متتابعة يدعو فيها علماء العربية وكتابها إلى استبدال اللغة العامية من اللغة الفصحى واعتمادها فى الكتب والجرائد وغيرها ورسم لها حروفاً جديدة تكتب بها هى الحروف اللاتينية ... وقد انتهى إلينا بعض ما نشره من تلك الرسائل وفيه أمثلة من حكايات وغيرها باللغة العامية المصرية كتبها بالحروف المذكورة فكانت نوعاً من الكرشونى. (١)

وإذا قرئت جاء لفظها أشبه بلفظ رجل افرنجى يتعلم العربية ولا سيما فى أمر الحركات التى عبر عنها بأحرف المد فإذا نطق بها العربى توهم سامعه أنه يقلد كلام أحد الإفرنج المقيمين فى هذه الديار. وأغرب من ذلك أنه زعم أن تعلم هذه الحروف أسهل تناولا على الأمى من أبناء مصر وأنها أفضل ذريعة لتعميم القراءة فى القطر ... »

« ... على أن الأمر طوى من ذلك الحين ولم يصادف من أحد اهتماماً إلى أن ظهر فى هذه الأيام كتاب ألفه المستر (ولمور) أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية على الطريقة المذكورة جمع فيه ما تسنى له من قواعد اللغة العامية المصرية على وجه يقرب من الأجنبى تناولها والتكلم بها ...

« .. ولكن المؤلف وبعض اخوانه ممن علقوا التعاليق وممن قرظوه فى جرائدهم لم يقفوا عند هذا الغرض من صنيع المؤلف ولكنهم ذهبوا إلى ما وراء ذلك من وجوب نسخ اللغة الفصحى فى البلاد واحلال اللغة العامية مكانها مع كتابتها بالحرف اللاتينى على مثل ما ذهب إليه صاحب الرسائل المقدم ذكرها ».

« ... ويؤخذ من كلام المؤلف وبعض الجرائد الإنكليزية فى القطر الإيماء إلى لزوم ادخال هذه الطريقة فى المدارس أى مدارس الحكومة مع جعل التعليم اجبارياً بحيث أنه لا يمضى زمن قصير حتى يعم استعمالها فى البلاد وتكون الضربة القاضية على اللغة الفصحى وأسفارها ... (١)

« ... ولكن ذلك (الفرق بين العامية والفصحى) وهم دسه على أولئك القوم الجهل بلغة البلاد ؛ لأنهم لو كانوا يعرفون العربية كما يعرفها أهلها لعلموا أن معظم الفرق بين اللغتين مقصور فى الغالب على اهمال علامات الإعراب من اللسان العامى بحيث أصبح مسموع اللفظين متبايناً على الجلة. الا أن هذا إنما تتنكر به اللغة فى سماع الأجنبى لا فى سماع أهلها ... ومن أعظم الشواهد على ذلك أن فى العامة من يقرأون ويسمعون الجرائد وكتب الروايات والأقاصيص الحديثة والقديمة من مثل سيرة بنى هلال وعنترة وألف ليلة وليلة وغيرها ويفهمونها ويروونها مع أن جميعها مكتوبة باللغة الفصيحة ... »

قلت : يدل كلام الشيخ ابراهيم على أن العامة فى مصر كانوا يفهمون اللغة الفصيحة سنة (١٩٠٢) فهل تقهقروا ، هل تأخروا هذا التأخر الفظيع فى الفهم والرواية سنة (١٩٤٧) — بعد هذا الدهر الطويل وبعد هاتين الحربين المدهشتين ، وبعد أن تبدلت الأرض غير الأرض والسماوات — حتى تقول رجال الاذاعة فى العامة والمساكين مقولتهم التى أشار إليها الأستاذ الالمعى (العباس) فى الرسالة ٧٢٧ ونقدها محسناً ومصيباً.

أيتها الحكومة المصرية ، حرمى حرمى فى داريك : دار الاذاعة ودار التمثيل وغيرهما من الدور اللغة العامية ؛ إنك إلا تفعلى تحرجى ... (٢)

« ... وأما مسئلة الكتابة وعدم وجود صور لأصوات الحركات فى رسم الهجاء العربى فما لا يبالى به بالقياس إلى الأمة نفسها إن كان النظر إليها مجرداً ... إن للحركات عندنا مقادير لا تتعداها فإذا رسمت بالحروف كما هو الشأن فى اللغات الأوربية

---

(١) هو العربى المكتوب بالحرف السريانى (الضياء)

(١) قلت : لقد تفاحشت نياتهم المستفظعة. غمر البحر جزيرتهم ! !

(٢) (إنك إلا تفعلى تحرجى) شطر بيت للعرجى (تحرجين) تأثمين

جاء لفظ الكلمات منكراً ، وربما التبس بعضها ببعض فلم يبق فرق بين سلم مثلا وسالم وسليم إذ يكون بعد السين ألف وبعد اللام ياء فى الشكل ، وقد يجىء ما هو أنكر من ذلك كما فى مثل قتل وقاتل لما هناك من الاختلاف الفاحش فى المعنى ، وحينئذ لا يبقى غنى عن وضع علامات تميز الحركة من الحرف فعاد الأمر إلى الشكل وهو يغنى وحده بدون الحروف . وذلك فضلا عما فى التزام التحريك فى الرسم سواء كان بالحرف العربى أم اللاتينى من إطالة هجاء الكلمات واقتضاء الكتابة زمناً أطول إلى ضعف آخر فى الأقل . فجملة ما يقال إن الحركات فى العربية لا تكتب إلا بصورة حركات لأن لفظها ليس لفظ الحروف الكاملة ولا هى داخلة فى بنية الكلمات وإنما الغرض الأصلى منها الانتقال من مقطع إلى مقطع ، لكن غاية ما هناك أنه يمكن استنباط طريقة تمكن الطالع من وضع الحركات على وجه أسهل ؛ وحينئذ لا يشكل إلا الحرف الذى يمكن التباسه ولو على الأجنبى » .

« بقى أنه على تقدير خروج هذا الرأى إلى الفعل فان ما يتخلص منه الأجنبى يقع فيه الوطنى بل يقع فى أشد مضضاً منه على ما سنذكره . ونعنى بالوطنى هنا المسلم الذى هو العنصر الغالب فى البلاد ، فإنه مع تعليمه قواعد اللغة العامية لايستغنى عن تعلم اللغة الفصحى لإحكام قراءة القرآن وتلقى الحديث وفهم نصوص الشرع المبنية عليهما . ولابد لبلوغ هذه المنزلة من قراءة كتب النحو والبيان واللغة وسائر علوم الأدب . وهذه كلها إن لم يتعلمها فى مدارس البلاد لزمه أن يتعلمها فى مدارس أخرى خاصة أو يدرسها فى منزله وكلاهما لا يستطيعه إلا الأغنياء فضلا عما فيه من المشقة وإضاعة الزمن . وكذلك يلزمه أن يتعلم قراءتين احداهما بالحرف العربى لتلاوة القرآن لأنه لا يجوز له أن يكتبه بحرف أجنبى ... والأخرى بالحرف اللاتينى المصطلح عليه فى البلاد لمطالعة ما ينشر فيها من الكتب والجرائد ولدراسة العلوم المصرية التى يرام كتابتها باللغة والحرف المذكورين [(١)] على ما أشير إليه فى التأليف [(٢)] ولا نخال التسليم بذلك كله من الأمور المستسهلة . ومن هنا يعلم المؤلف وغيره أن العربية لا تقاس فى ذلك بالطليانية واليونانية إذ ليس فى هاتين اللغتين شىء من الأمر الدينى الذى أشرنا إليه ، بل فيما حدث أخيراً فى أمر ترجمة الأنجيل إلى اليونانية الحديثة عبرة كافية مع انتفاء المحذور الذى ذكرناه. وبقى وراء ذلك كله ما يترتب على هذا الانقلاب من الخسران الجسيم بضياع ما لا يحصى من كتب العلم والتاريخ وغيرها بحيث يتعذر نقل الكتب بأسرها إلى الحرف الجديد ولا يبقى سبيل للأعقاب إلى تناول ما فيها إذا تغير الحرف الذى يقرأون به » .

« ولذلك فالذى نراه لواضعى هذه الطريقة أن يقتصروا فيها على تعليم الأجنبى لغة البلاد ولا يتجاوزوا إلى ما وراء ذلك من شؤون الأمة فإن محاولة هذا الاحداث فيها ليس فى شىء من الحكمة ولا هو من الأمور التى يساعدها الامكان »

قلت : قد كان لقوم دنلوب فى أيام الشيخ سلطان فعبر فى الجمل الأخيرة عن مراده بهذا التعبير ، والمقصود متضح ، وفحواه أن الإقدام على هذا الاجرام سيدفع الأمة إلى الثورة . وإنا لنعلن أن من يثورون على أجنبين أو أجنبيين وكافرين يريدون سوءاً بلغتهم ، ولغة بلادهم ، ولغة آبائهم وأجدادهم ، ولغة آدابهم ، ولغة علومهم ، ولغة دينهم ، ولغة قرآنهم ، ولغة نبيهم — إن من يثورون على ذلك العدو اللمين سيثورون على عربيين مصريين، وعلى مسلمين مؤمنين ، وعلى أولياء وقديسين ، وعلى من هم فوق الأولياء والقديسين إن أرادوا أن يكيدوا لهذا اللسان المبين كيد الدنلوبيين .

[يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون]

صدق (الكتاب) ومنزله

روى كلام اليازجى عن (ضيائه) : **السهمى**

---

(١) أى اللغة العامية والحرف اللاتينى.

(٢) يعنى الشيخ كتاب المستر (ولمور) وهو المقصود بقوله (ومن هنا يعلم المؤلف)

الفلاسفة الاسلاميون
بين المعتزلة والأشاعرة

للاستاذ علي مصطفى الغرابي

هذه هى المدارس الثلاث « مدرسة المعتزلة والفلاسفة الإسلاميون والأشاعرة » التى حملت لواء التفكير العقلى للثقافة الإسلامية تحت ظل الإسلام وفى كنفه ، ثلاث مدارس كبرى لها مجهود جبار أخرج لنا هذا الكنز الثمين للثقافة العقلية الإسلامية. وكانت غاية هذه المدارس الثلاث واحدة، وهى الوصول إلى معرفة موجد هذا الكون ، وعلاقة موجده به ، وإلى تعليل وقوع الخير والشر فيه ، وكذا علاقة الانسان بهذا الموجد ، وإلى أى مدى تمتد قدرة الانسان ، وهل للانسان استقلال بأفعاله أو هو مظهر من مظاهر قدرة الله لا غير ، ولا شأن له فى نفسه .

هذه هى المشاكل التى تعرضت لها هذه المدارس ، واختلفت حلولها لها تبعا لاختلاف مناهجها فى الوصول إلى هذه الغاية .

وبمقدار قرب المنهج الذى سلكته كل واحدة الوصول إلى غايتها أو بعده من منهج الأخرى كانت أوجه الشبه بينهم قربا وبعداً .

ولأجل أن يكون حكمنا صحيحاً يجب أن نتعرف نشأة كل واحدة باختصار لنكشف عن بيئاتها التى كان لها التأثير على ثقافاتها ، لهذا سنضطر إلى الكلام على نشأة كل واحدة باختصار ولنبدأ أولا بمدرستى المتكلمين لاتصال حياتهما الثقافية اتصالا وثيقاً

نشأة المعتزلة :

فى درس الحسن البصرى الذى جلس يلقى دروسه الشفوية الجامعة بين أصول الدين وفروعه ، وبين الدين من جانب ، والسياسة من جانب آخر . وفى مسجد البصرة ، ومن بين تلامذته ، وفى أواخر القرن الأول الهجرى وأوائل الثانى منه ، نشأت فكرة الاعتزال ، أو بذرت أول بذرة لهذه الدوحة العظيمة التى صارت فيما بعد مدرسة كبرى من مدارس الثقافة الاسلامية

كانت هذه الفكرة فى أول أمرها بسيطة ، خلاف قام بين الأستاذ وتلميذه (واصل بن عطاء) على مرتكب الكبيرة من المسلمين حين جاءه رجل يسأل عن شأن مرتكبها — حيث كانت هناك طائفة تقول « بكفره » وهم الخوارج وأخرى تقول بإيمانه — وهم جمهور المسلمين — وثالثة تركت أمره إلى الله سبحانه ولم تحكم عليه بإيمان ولا كفر ، وقبل أن يجيب الحسن البصرى أستاذ واصل والذى كان يسمى صاحب الكبيرة « منافقاً » أجاب واصل بأنه « فى منزلة بين المنزلتين ، فليس بمؤمن ولا كافر ، لأنه لم يجمع كل أجزاء الإيمان حتى يكون مؤمناً ، ولم يفقد كل أجزائه حتى يكون كافراً ، فالأولى أن يسمى (فاسقاً) لا مؤمناً ، ولا كافراً ، ولا منافقاً ، — وسيبقى هذا الرأى أصلا من أصولهم المجمع عليها . وعندئذ قام واصل إلى اسطوانة من مسجد البصرة وأخذ يقرر على بعض زملائه من تلامذة الحسن بعض أفكاره ، ويقال إن لحسن لما رأى منه ذلك قال . « اعتزلنا واصل » فسموا (معتزلة) لهذا ، وهناك آراء أخرى فى تعليل اطلاق هذا الاسم عليهم ، فى هذا الوقت لم يكن واصل يفكر أن خلافه هذا مع أستاذه سيكون مدرسة من مدارس الاسلام الكبرى وأنه سيتفرع منها مدارس أخرى — على حسب التأثير الذى تأثرت به كل مدرسة من الثقافات الأجنبية المختلفة ، حتى أصبحت طبقات هذه الطائفة (المعتزلة) عشرين طبقة بينها خلاف فى بعض الفروع هو أساس تفرقها ، وإن كانوا جميعاً على أصول سنذكرها فيما بعد .

وإذا بحثنا عن منشأ هذه الفكرة — فكرة مرتكب الكبيرة — نجد أن الخلاف السياسى الذى قام بين المسلمين بعد قتل « عثمان رضى الله عنه » هو السبب فى وجودها حيث أخذت كل طائفة تخطىء الأخرى معتقدة أن الحق فى جانبها ..

إذن كانت مهمة هذه المدرسة فى أول نشأتها الدفاع عن رأى سياسى سببه الخلاف بين المسلمين ، ولما مرنت هذه المدرسة — وبعبارة أخرى مرن أصحابها — وآنست من نفسها القدرة عليه ، وعلى الجدل ضد الخصوم — وإن كانوا من طوائف أخرى لا تدين بدين المسلمين — لما مرنت على هذا قامت بواجبها بجانب الجيش الذى يدافع عن هذه الدعوة الإسلامية بالسيف ، ولكن كان دفاع هذه الطائفة بالحجة والدليل ، دخلت أمم كثيرة تحت لواء الإسلام ، وكانت هذه الأمم أصحاب عقائد دينية وثقافات فكرية ولهم شبه : إما نشأت فى دينهم الجديد وبقيت معهم بعد إسلامهم ، وإما نشأت من مقارنة دينهم الجديد بدياناتهم التى ورثوها عن أسلافهم . ومن يقوم بالدفاع والإجابة على هذه الشبه ؟ قام بهذا المعتزلة ، وأبلوا فى هذا بلاء حسناً ، ولهذا سنجدمن

أصولهم التي لا بد منها لمن يستحق أن يلقب بلقب بـ « معتزلي » (مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) . وأظن أن هذا المبدأ لم تكن له هذه القيمة وهذا الشأن عندهم إلا من وظيفتهم هذه ! ولكن متى يكون الجيش المدافع قوياً أمام من يهاجمه ؟

حينما يكون مسلحاً — طبعاً — بسلاح خصمه ، ولقد كان هذا الخصم مزوداً بالفلسفة الأغريقية التي كانت قائمة على الجدل المنطقي المنظم والعقل الحر ، والتي انتفعت بها جميع الأمم على اختلاف أجناسها وعقائدها ، فبينما نجد اليهود — من عهد فيلون — الذي عاش ما بين سنة أربعين قبل الميلاد وأربعين بعده ، قد مزجوا الدين بالفلسفة حتى ادعوا أن الفلسفة الأغريقية والديانة الموسوية من أصل واحد ، إذ بنا نرى الأفلاطونية الحديثة التي بدأت بتاريخ أفلوطين المتوفى سنة ٢٧٠ م ، تمزجها بالدين المسيحي مزجا ، وإذا بالنساطرة واليعاقبة الذين ورثوا نظريات هذه المدرسة (الأفلاطونية الحديثة) والذين كانوا يقيمون في بلاد فارس والعراق وسوريا حين الفتح الإسلامي ينكبون على دراسة الفلسفة حتى كانوا واسطة في نقلها للمسلمين . وسنتكلم في مقال آخر عن موقف المعتزلة من هذه الفلسفة

علي مصطفى الغرابي

أستاذ في الفلسفة وعلم الكلام ومدرس بكلية أصول الدين

منطق الحاجة . . .

للأستاذ طاهر محمد أبو فاشا

« عند ما تروج الصناعة ، تدفع السوق رجال الأعمال إلى محاسبة العامل « بالقطعة » فيتجاوز هذا طاقته في سبيل كسب مضاعف يدفع ثمنه من صحته وشبابه :

مؤامرة يدبرها الفقر ، والجهل ... على حساب الصحة العامة ... فليسمع المسئولون » .

ذلك الجهاز الآدمي الذي يدور بقوة الحاجة مجهوداً مكدوداً يوشك أن يعطب حتى يزيته الفقر وتسوطه الحاجة ... فينكفئ على رماد الشباب ، وينطوي على أجر الصحة ، وينبسط على ثمن الرغيف.

في هذا البلد نماذج كثيرة لهذه الأجهزة الآدمية ... نماذج حية لا تؤجر على العمل ، ولكن تحاسب على (الإنتاج) . سخرها الفقر ، وتافه الأجر ، وفساد التدبير ، وعقم التفكير ... حتى أصبح العامل آلة مسحورة مسخرة في هدم شبابه من وجه الأصبوحة إلى فحمة الليل . . فإذا أحس الوهن دافعه بالمنبهات ، وأسكته بالدوافع التي تصرخ في جوفه وبيته وولده ، ويستجيب شبابه لإرادته ، حتى يأتي اليوم الذي يسقط فيه البطل الفريس ، فيستنجد إرادته ، ويستعدي صحته .. فتخذله الصحة ، ويسلمه الشباب ، وبذوي المسكين ، وينكر من أمره ذلك الفتور ، ولكنه يخدع نفسه ، ويتحامل عليها ، ويتملل ، ويتمايا ... وهو ماض في عمله ، يسرف في صبابة من الحرارة بقيت في جسمه المنهوك ، ويعاني لدغات الشك ، وتطارده أشباح الرعب والحرمان !

ويذهب ما بقي من هذا العامل إلى الطبيب ، فيطلب إليه هذا ألا يجهد نفسه !

لا يجهد نفسه ؟ !

يا إلهي : كذا يقال للعامل المصدور ، كأنما بيده أن يستريح وأن يجهد ، وكأنه يستطيع أن يكبت صراخ الجوع الذي تصطك به أمعاء عياله !

وهنا يهاجم الخوف الراعب قلب العامل العليل في عنف وشدة ، فيخاف يومه ، ويرهب غده ، ويعيش في جو من الشك ، وترتفع ثقته بالناس ، ويلح عليه الإلحاد بالأوضاع ، والكفر بالحياة ... ثم لا يجد العيان يده التي تنتج الذهب ، وتنال التراب ... وقد تكون يده مبلولة بشيء من المال ، فتجف بعد قليل ، فينظر إلى ما زاد على الحاجة من ملبسه فيستغني عنه ، ثم يتعلل بالغنى عن الضروري فيبيعه ، فإذا لم يجد من أخلاقه ما يباع التفت إلى أثاث بيته فتخفف ، ثم باع ما زاد ... ثم ما لم يزد !

صورة النية لا نجمع عناصرها من مادة الخيال ، ولكن ننقلها من « خريطة » الواقع : أعرف بضع حالات من هذا النوع في هذا البلد ، وما أعرفه ليس كل ما هو كائن ... فما ذا فعل الناس من أجل الناس ، بل ما ذا فعلوا من أجل أنفسهم في وقت يثير فيه البيناوات حروب الأوضاع والأشكال ؟ !

أجيبوا أيها المسلمون الذين يؤدون زكاة الصحة والمال ! !

طاهر محمد أبو فاشا



أنا وكيل نيابة . . . !

أعيد فطنتك أيها القارىء أن تحسبنى ظفرت فجأة بهذا المنصب الخطير الذى يجعل لى من السلطان أن أقبض على من أشاء فى أى وقت أشاء ، فما كنت وربك إلا صاحب هـذا القلم المتواضع وصاحب هذا المنظار اللعين الذى يأبى إلا أن يقع بى على ما لست أحب ... ولكنه عنوان اقتضاه المقام

هـذه مواقف ثلاثة من مواقف التحمس ، ولكنه تحمس رسمى والعياذ بالله ، فيه قبض وتحقيق وحبس ، أو هكذا ظهر لى ولمن شهده من الناس . ولقد سمعت هذه العبارة التى جعلتها عنواناً لكلمتى هذه بنصها وحروفها فى كل من هاتيك المواقف الثلاثة

شهدت الموقف الأول وسمعت هذه العبارة وهممت أن أكتب ولكنى آثرت العافيـة وأنف المنظار فى الرغام ؛ ثم لم يكد يمضى يومان حتى وقع منظارى على الموقف الثانى وسمعت نفس الكلمة ، فجمعت أطراف شجاعتى ، ولكنى ما كدت أشرع القلم حتى عدت فآثرت العافية واستعذت بالله من الشيطان الرجيم ... ويأبى منظارى اللعين إلا أن يرينى الموقف الثالث حيث سمعت العبارة بنصها ، وعندئذ لم يبق لى إلا أن أشهد على نفسى بالجبن أو أكتب ، فآثرت الثانية ، فوالله للضرمع الشجاعة خير من العافية مع الجبن . وما كانت العافية لتدوم يوماً لجبان ...

أما الموقف الأول فكان فى عاصمة إحدى المديريات ، وهناك سيارة عامة كبيرة ، لا يريد سائقها أن يبرح بها مكانها إلا أن تمتلىء بالركاب حسب العدد المقرر ، ولم يكن ينقصه لتمتلىء إلا ثلاثة أو أربعة ؛ وجاء شاب حدث فى نحو الخامسـة والعشرين يخطر فى مشيته خطرة من يريد أن يشعر الناس بعظم مكانتـه ، وكان الوقت موعد الانصراف من الدواوين ، فما أن وضع رجله على سلم السيارة ليركب حتى أهاب بالسائق أن ينطلق بالسيارة ثم أثبت فى وجهه نظرة حادة إذ رأى منه شيئاً من عدم المبالاة ؛ ورد السائق بقوله « حاضر لما يتم العدد » ؛ وثار الشاب وصاح بالسائق : « هيا . اسمع الكلام » ؛ ولم يزد السائق على أن ينظر إليه متعجباً ؛ ودق الشاب بيده على زجاج السيارة وهو يقول فى تحمس شـديد « أتدرى من يكلمك ؟ أنا وكيل النيابة الـ... »

وقال السائق وقد داخله شىء من الرهبة « يا سيدى حاضر كلها نفرين أو ثلاثة »

ووثب الشاب من مكانه ونادى أحد « الكنستبلات » وأمره بالقبض على السائق معلناً له وظيفته . وما كان أشد عجب هذا الشاب وعجب الركاب والسائق قبلهم جميعاً بالضرورة حين سمعوا هذا الشرطى يقول « وإيه يعنى وكيل نيابة ! » ... وكأنما سرت هذه الكلمة عن الناس فانبعثت ضحكاتهم على الفور عالية مجلجلة ...

ونادى الشاب وقد بلغ حنقه غايته أحد العساكر ، وكان هذا يعرفه فأسرع نحوه وحياه التحية العسكرية فأصدر إليه أمره بالقبض على « الكونستابل » بتهمة إهانة النيابة وسبقهما إلى مقر التحقيق ونجا السائق المسكين . وهكذا مصائب قوم عند قوم فوائد.

وأما الموقف الثانى فقـد شهدت شاباً كذلك يثب فى أول ميدان باب الخلق فيدرك الترام ويتعلق به ، ثم يقف بباب الحريم لا يتزحزح ولا ينحرف ، يميل طربوشه ويبرز طرف منديله فيتدلى على صدره ، ويضبط ربطة عنقه ويصف شعر فوديه ، ويرسل النظرات الحادة إلى داخل المكان ، حتى جاء المحصل فنبهه فى هدوء إلى ما لا يحمد من وقفته هذه ، فقال فى غضب وعنف وتحمس شـديد « موش شغلك . . أسكت » ؛ ونفخ المحصل فى زمارته متحمساً كذلك فوقف الترام ؛ واشتدت حماسـة المحصل واستغنى عن التلميح بالتصريح . وجن جنون ذلك الشاب ونزل وأمسك بذراعه وهو يقول « أتدرى من تكلم .. أنا وكيل نيابة » ... وأخذ المحصل شىء من الخوف إذ أشار هذا الشاب إلى أحد العساكر ليقبض عليه . وتدخل بعض الناس ، وقبل الشاب بعـد لأى شفاعتهم وترك المحصـل قائلا له فى كبرياء الظافر الذى يعفو عن قدرة « أما بارد قليـل الأدب ، صحيح » ... وتعلق المحصـل بالترام وهو يقـول إذ يدق كفاً

فترة الإصلاح فى القرن الثالث عشر :

الشيخ شامل

زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

[تتمة]

ولما أبى الشيخ شامل التسليم اقتحم الروسيون الحصن من الخلف ، واستطاعوا التسلل إلى داخله ، فانسحب الشيخ شامل إلى مسجد الحصن وواصل القتال . وهنا طلب الروسيون منه التسليم للمرة الثانية ، ووعدوه — إن هو سلم نفسه — أن يسلموه هو ومن معه إلى خليفة المسلمين فى القسطنطينية من غير أن يصيبهم أذى .

وكان لهذا العرض الأخير فعل السحر فى نفوس المجاهدين من إخوان الشيخ شامل ، فألان من جانبهم ، فأخذوا يحبذون التسليم ، ويلحون على الشيخ شامل أن لا يفوت هذه الفرصة النادرة ، فنزل الشيخ شامل على إرادتهم ، وسلم نفسه مع نحو عشرين شخصاً من صادق أعوانه إلى القائد الروسى الجنرال « باريبا تنسكى » كان ذلك فى اليوم الثامن من شهر صفر سنة ١٢٧٦ هـ (٦ سبتمبر سنة ١٨٥٩ م) .

وبذلك انتهت هذه الثورة الاصلاحية الوطنية التى استمرت أكثر من ثلاثين سنة ، ونقل الشيخ شامل ومن معه من أعوانه وأهله وعياله إلى « بترسبورغ » — لينينغراد — عاصمة القياصرة المقدسة ، وقابل قيصر الروس إسكندر الثانى ، فرحب به القيصر وأكرم وفادته ، وأمنه وجميع من كانوا معه على نفوسهم . إلا أنه — على الرغم من الوعد الذى أعطى للشيخ شامل قبل أن يسلم نفسه — لم يسمح له بالسفر إلى خارج الحدود الروسية وألزمه بالإقامة فى مدينة « كالوغا » مدة ، ثم نقله إلى مدينة « كييف » وظل على هذه الحال نحو عشر سنين .

١٠ — كان الشيخ شامل لا يفتأ يطالب قيصر الروس اسكندر الثانى بانجاز الوعد الذى وعد به قبل أن يسلم نفسه بتسليمه إلى خليفة الإسلام والمسلمين ، ولكنه لما طال به الأمد ، ولم يجد أذناً صاغية . بعث إلى القيصر يطلب منه أن يسمح له بالسفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وبعد أخذ ورد . قبل القيصر أن يأذن لشامل وأصحابه بالسفر إلى الحجاز عن طريق القسطنطينية .

بكف « أنا البارد القليل الأدب؟ »

ولست أدرى أكان (صاحبنا) كما ادعى وكيل نيابة حقاً أم أنه يهوش بذلك على الناس ؟

ويأتى بعد ذلك ثالث المواقف أو ثالثة الأثافى ؛ فنحن فى سيارة عامة فى أحد شوارع القاهرة ، ليس فيها إلا من هو ذاهب إلى عمل أو حريص على ميعاد . وكان فى المقعد الأمامى شاب كذلك تبدو عليه سيماء الهدوء والرزانة فطلب إلى السائق الوقوف بالسيارة لينزل ، فقال السائق « ما فيش محطة هنا » فقال الشاب « محطة إيه ؟ إسمع . نزلنى » ؛ ولم يسمع السائق ولم يقف ؛ فصكه الشاب على صدره صكة جمع فيها كل تحمسه وأفرغ كل غيظه وهو يقول « استنى يا حمار »

ووقف السائق سيارته والتفت نحو الشاب وفى وجهه مثل نظرات الجنون ، فقال له الشاب « إوع تتكلم ... أتدرى من أنا ؟ أنا وكيل نيابة ... تعرف شغلك بعدين »

ووقف المحصل بينهما يخشى أن يفضى الأمر إلى شر خطير والسائق يقول إفرض انك حتى رئيس نيابة ... تضرب الناس بدون سبب ؟ » والركاب يتفرجون وما فيهم إلا من ضاق ذرعاً بهذا الصلف وبهذه الوقفة التى لا يدرى أحد متى تنتهى ؛ وأحسست أنا ثلاثة أمثال ضيقهم وقد شهدت المنظر ثلاث مرات

وكان السائق هو القابض هذه المرة ، إذ أنه لم يجد متنفساً لغيظه إلا أن يقسم يميناً بالطلاق ألا يدع هذا الأفندى إلا فى القسم ولو قطعت رقبته ... ولم يبق محل لشفاعة الشافعين ، بعد أن نطق السائق بهذه اليمين . ومضيا معاً إلى القسم ، ومضينا نحن الركاب يبحث كل منا عن وسيلة أخرى يصل بها إلى حيث يريد

وبعد فانا أؤكد لك أيها القارىء أنى لم أزد شيئاً على ما شاهدت ، وإلا فإنى مستعد أنا الواضع اسمى أدناه لأن أتلقى قرار القبض على بتهمة أنا والله منها برىء وهى « إساءة استعمال قلمى أو على الأصح منظارى ...

الخفيف

وفى سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م أى بعد عشرة أعوام من تاريخ التسليم خرج الشيخ شامل من الحدود الروسية، وجاء القسطنطينية ولقى من السلطان عبد العزيز خان خليفة المسلمين ما هو جدير به من الإعزاز والتكريم ، ثم واصل سفره إلى الحجاز لأداء فريضة الحج .

وهناك ما يبعث على الظن بأن الشيخ شاملا عرج — فى طريقه إلى الحجاز — على مصر، وأنه شهد حفلات الخديو إسماعيل التى أقامها بمناسبة افتتاح قناة السويس ، أو شهد بعضها على الأقل ، ولقى من الخديو إسماعيل ترحيباً عظيما ، وتقديراً كبيراً .

وبعد أن وصل إلى الحجاز وأدى فريضة الحج فى أواخر سنة ١٢٨٦ هـ اختار المدينة المنورة للاقامة، واتخذها موطناً لسكناه

ولم تطل إقامته فى مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فقد فارق هذه الدار الفانية ، وانتقل إلى جوار ربه ، قبيل غروب شمس يوم الأربعاء ٢٥ من ذى القعدة سنة ١٢٨٧ هـ (٢٨ مايو سنة ١٨٧٠ م) ودفن فى البقيع بجوار قبة العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم .

١١ — مات الشيخ شامل بعد أن عاش نحو خمسة وسبعين عاماً ، وبعد أن ملأ الدنيا دوياً ، ونشر قضية بلاده أمام الرأى العام العالمى، وجعل العالم كله يتحدث عن القوقاز وقضية القوقازيين، وإذا كان لم يستطع أن يصل ببلاده إلى ما كان يرجوه لها من الاستقلال والتقدم ورغد الحياة ، فإنه بذل كل ما ملك ، ولم يأل جهداً ، ولم يدخر وسعاً حتى انتقل إلى جوار ربه راضيا مرضياً ، ولكن أثر جهاده وتضحياته ظل خالداً ، وأثمر ثمره ، فقد تنبه الروسيون لما يعانيه أهل القوقاز من المصاعب والمتاعب وما هم فيه من سوء الحال ، وعلموا أن للقوقازيين وللقوقاز قضية لا بد من النظر إليها بعين الاعتبار .

وقدر الروسيون جهاد شامل وبسالته ، فأنشأوا فى « تفليس » عاصمة القوقاز العامة متحفاً عاماً لآثار القوقاز والقوقازيين وأودعوه كل ما عثروا عليه من آثار الشيخ شامل ، كالأسلحة التى كان يحارب بها والأعلام التى كان يحملها جنوده وقواده ، وبعض الوثائق والمستندات التى تبودلت بينه وبين القيادة الروسية فى القوقاز . وكان هذا المتحف ، فى الجملة ، مشتملا على كل ما وجد من آثار شامل .

وقد زار هذا المتحف ووصفه أحسن وصف سعادة رشاد بك المستشار بالمحاكم الأهلية المصرية قبل الحرب العالمية الماضية فى كتابه « سياحة فى روسيا » الذى نشره مقالات متفرقة فى « المؤيد » ، ثم جمعها فى كتاب .

وبعد الانقلاب الشيوعى فى سنة ١٩١٧ م واستتباب الأمر للشيوعيين ، وجهوا نظرهم إلى القوقاز ، وأنشأوا فيه أربع جمهوريات كان أحد هذه الجمهوريات الأربع جمهورية داغستان . وهى جمهورية ذات استقلال ... ذاتى فى شئونها الداخلية ضمن نطاق اتحاد الجمهوريات السوفياتية العام ، وكان من أهم ما عنيت به هذه الجمهورية الناشئة أن أسست متحفاً خاصاً بالشيخ شامل فى مدينة « محاج قلعة » جمعت فيه كل آثار هذا المجاهد العظيم ، والبطل الوطنى المخلص .

ويرى زائر هذا المتحف الآن أعلاماً بالية عليها كتابات عربية واضحة مثل : « لا إله إلا الله . محمد رسول الله » و« نصر من الله وفتح قريب » وما أشبه هذا مما كان يكتب على أعلام الشيخ شامل. كما يرى الكتب والرسائل التى تبادلها مع الروسيين وهى مكتوبة بالخط العربى واللغة العربية الفصحى .

ويرى إلى جانب ذلك كله قطع الأسلحة ونماذجها المختلفة مما كان يستعمل إبان الثورة الداغستانية التى حمل رايتها الشيخ شامل أكثر من ربع قرن . رحمه الله رحمة واسعة ، وأحسن إليه ، وبل ثراه بفيض من رضوانه .

برهان الدين الداغستانى

ذكريني

للشاعر إبراهيم محمد نجا

إلى « الواحة » التى فارقتها نزوعا إلى الجنات الوارفة، والروضات الظليلات، فلما أخفق مسعاى، عدت أبحث عنها فى صحراء الحياة، فما وجدت لها أثراً!

ذكرينى فقد نسيت حياتى   حين ماتت فى مهدها أمنياتى
وأعيدى لى الغناء؛ فقد صر   ت حزيناً مستغرقاً فى شكاتى
إن أتى الليل، فالسهاد موات   أو بدا الصبح، فالملال موات
سئمت نفسى الشكاة، وضجت   من لهيب الحرمان والحسرات
ومشى فى دمى الفناء ودبت   فى حياتى أشباح وادى الممات
أدركينى قبل الممات؛ فإنى   رغم ما ذقته أحب حياتى!

كان قلبى يعيش عيش الحيارى   يقطع العمر هائماً فى الصحارى
ظامئاً يتبع السراب، فطوراً   يتراءى، وتارة يتوارى
ظل حيران مقفر العمر حتى   نضّر الله ليله والنهارا
فتجليتِ واحة تنضج الظـ   ـلّ ونبعاً يشفى الصدى والأوارا
فهفا نحوك الفؤاد مشوقاً   كالمحب الغريب وافى الديارا
فإذا فيك كل ما كان يفنى   فيه أيامه منى وانتظاراً

عاش قلبى لديك عيشاً رغيداً   يتغنى مع الحياة سعيدا
غير أن الملال غشاه يوماً   فاشتهى أن يعيش عيشاً جديدا
وتمنى نهراً كبيراً عميقاً   وسهولاً فسيحة ونجودا
وبساتين يذهب الطرف فيها   أينما شاء لا يلاقى حدودا
فهْوَ ما عاش لا يحس ملالا   أو يرى نفسه تريد المزيدا
هكذا كان الحنين إلى المجـ   ـهول قلبى ألا يطيق القعودا

فمضى يقطع الفضاء الرحيبا   حينما الشمس أوشكت أن تغيبا
فإذا الواحة الحزينة تبكى   ذلك الطائر العزيز الحبيبا
وتناديه فى ابتهال حزين   يجعل القلب موشكاً أن يذوبا:
«عد إلى وكرك الحزين المنّى   إنه لم يزل أنيقاً رطيبا
كيف ترضى بأن تظل بعيداً   كيف ترضى بأن تعيش غريبا؟
آه قد ضاع فى الفضاء ندائى   أيها الغائب الذى لن يؤوبا»

أين تمضى بموكب الآمال   يا شقيق الأوهام، يابن الخيال؟
ذهبت حقبة، ومر زمان   بينما لا تزال رهن الرمال
تارة تهبط الوهاد، وطوراً   تتسامى إلى متون الجبال
أين تمضى، وما ظفرت بشىء   بعد طول المسير والترحال؟!
هذه هوة يروح بها المو   ت ويغدو فى موكب الأهوال!
فانظر الآن كيف ضيعك الشو   ق إلى عالم بعيد المنال!

أيها القلب قد خدعت خداعاً   حينما همت فى الفيافى انتجاعا
وأضعت الشباب منى هباء   أترى ترجع الشباب المضاعا؟
وجعلت الأوهام ينهبن عمرى   فغدا بينهن نهباً مشاعا!
عجباً! كيف تترك الماء صفواً   ثم تطوى إلى السراب البقاعا؟!
كيف تمضى وما ترد نداء؟!   كيف تمضى وما تقول وداعا؟!
عد إلى وكرك القديم مشوقاً   قبل أن تمضى الليالى سراعا

عاد قلبى إلى الوراء حزيناً   يقطع البيد باكياً مستكيناً
ويرد الأوهام عنه فتمضى   ليت قلبى يرد عنه السنينا!
آه! طال المسير من غير جدوى   فاشتهى القلب أن يعود دفينا
وبدا اليأس فى الرمال يغنى   لحنه الموحش الكئيب الحزينا!
وأظل المساء قلبى، فما تسـ   ـمع إلا نواحه والأنينا!
أيها القلب قد تحيرت حتى   صرت يا قلب فى الرمال سجينا!

أنا ما زلت فى ربيع الحياة   كيف أرضى بهذه التضحيات؟!
كيف أحيا هنا مع اليأس وحدى   مبعداً عن مطارح الصبوات؟!
كيف أحيا مقيداً بنواحا   تى، وكيف العزاء عن أغنياتى؟!
كيف أسلو التى أظلت حياتى   بظلال من الهوى ساحرات؟!
بين أحضانها وجدت لروحى   مأمناً من مصارع اللاهفات
وعلى مهدها استراح شبابى   بعد ما هام فى لهيب الفلاة

أين يا ليل واحتى الخضراء؟   أين يا ليل ظلها والماء؟
قد تولى الضياء، وهو أنيسى   كيف أمضى، وقد تولى الضياء؟
أتمنى، فما تفيد الأمانى!   وأنادى، فما يفيد النداء!
أسفاً للشباب ماتت لياليـ   ـه، فمات الهوى، ومات الرجاء!
أسفاً للحياة أمست فناء   قبل أن يدرك الحياة الفناء!
إننى ها هنا سأدفن نفسى   فاسكبى الدمع، واندبى يا سماء

إبراهيم محمد نجا

تعقيبات

المسرحية الشعرية بين شوقي وعبد المطلب :

قال الشيخ محمد رجب البيومى فى الترجمة التى نشرها فى عدد سابق من الرسالة لفقيد الشعر والأدب المغفور له الشيخ محمد عبد المطلب : « وأحب أن أكشف عن حقيقة مطموسة ، فالذائع المشهور أن أمير الشعراء هو أول من كتب الروايات المسرحية الشعرية ، فقد أصدر أولى رواياته (كليوباترة) سنة ١٩٢٨ ، ثم أعقبها بعدة روايات مشهورة ، والواقع أن عبد المطلب قد سبقه إلى ذلك بعشرين عاماً ، فقد نظم فى سنة ١٩٠٩ وما بعدها بضع روايات شعرية ذات فصول ومناظر تمثيلية ، وقد جعلها متينة الحوار ، سريعة الحركة ، حسنة المفاجأة ، وكلها عربية بدوية ، تتخذ أسماء لامعة فى تاريخنا الأدبى كالمهلهل وامرىء القيس وليلى العفيفة ... فليت الذين يرجفون بجفاف الشاعر وجوده يلتفتون إلى هذه الناحية ثم يحكمون » ...

وأنا أحب أن أقول للشيخ رجب ، إنه قد تجافى عن الحقيقة فيما كتب ، فإن الشيخ عبد المطلب لم يسبق أمير الشعراء فى هذا بعشرين عاماً ولا بعشرين يوماً ، وإن رواية « كليوباترة » التى أخرجها شوقى للناس عام ١٩٢٨ م ليست بأولى رواياته ، بل إن أول رواية مسرحية شعرية أخرجها هى رواية على بك الكبير ، فقد ألفها وهو طالب فى باريس عام ١٨٩٣ م ، ثم طبعها الطبعة الأولى بعد ذلك بسنوات وهو موظف بالديوان الخديوى ، وسماها يومذاك «رواية على بك أو فيما هى دولة المماليك» ، ثم أخرج بعد ذلك الرواية التى عرفت فيما بعد برواية قمبيز ، كما ألف عدة روايات شعرية ونثرية لا أذكر اسمها الآن ، وقد كان لشوقى رحمه الله عناية بهذه الناحية القصصية فى صدر حياته ، ثم انصرف عنها إلى القصيد فى فنون الشعر المختلفة ، ثم كان أن رد عليها شيخوخته واستغل فيها الرحلة الأخيرة من حياته مما عرفه الناس عنه ، ولكنهم لم يذكروا فى ذلك جهده الأول .

فشوقى (لاشك) هو أول شاعر عربى مصرى قد راد هذه الناحية أمام الشيخ عبد المطلب وغيره من الشعراء ، وهو لاشك قد تأثر فى هذا بما وقف عليه فى الأدب الفرنسى ، على أنه ليس بأول شاعر عربى قد نحا هذا النحو فى العربية على الإطلاق ، وغاية ما حققته فى ذلك رواية باسم « المروءة والوفاء أو الفرج بعد الضيق لناسج بردها وناظم عقدها الشيخ خليل اليازجى اللبنانى » وهى رواية أتم نظمها سنة ١٨٧٦ م ومثلها سنة ١٨٧٨م وطبعت الطبعة الأولى سنة ١٨٨٤ م ، قال مقدم الرواية : « ... وهى رواية تاريخية تمثيلية شعرية غنائية دل بها على مقدرته فى النظم وسمة معرفته بالأنغام ، وقد اختار موضوعها من أشهر وقائع ملوك العرب فى الجاهلية وأجدرها بالتمثيل . إذ جمعت يوم البؤس والنعيم وظهر فيها الفرج بعد الضيق ، وقد شخص فيها غوائل السكر وقباحة الظلم وإكرام الضيف وكرم الأخلاق عند العرب ومثل فيها المروءة فى قراد الكلبى والوفاء فى حنظلة الطائى والظلم فى النعمان بن ماء السماء ، وأظهر بعد ذلك فضائل الدين المسيحى فى فرضه الوفاء وحب الأعداء ولو تحت السيف ... »

والحقيقة التى لا مناص من الاعتراف بها هى أن الشيخ خليلاً قد راد أمام شوقى الأخذ بتغيير البحور وتنويع القوافى حسب تنويع الفصول والمناظر ، وهى حسنة يذكرها الباحثون لشوقى ، وإنما صاحب الفضل الأول فيها هو الشيخ خليل اليازجى

وتفكهة للشيخ رجب نقول إن الشيخ اليازجى قد ابتدأ روايته بمقدمة شعرية طويلة عنونها بعنوان « خطبة الرواية » ، وضمنها ذكر الفوائد التى تنطوى عليها الروايات التمثيلية ، وما يجب من الشروط فى تأليفها ، وما ذكره الباحثون فى تقسيمها ، وهى « خطبة » طويلة ابتدأها بقوله :

بحمد الله أخلصت ابتدائى ... ومدح أولى الهدى والأولياء
وبعد فإنما المرآة تبنى ... لوجه المرء إذ هو فى خفاء
وأخلاق الفتى أخفى وجوهاً ... عليه فتلك أحوج للمرائى
فأنشئت الروايات ابتناء ... لهذا الأمر يا خير ابتناء
وتلك بطبعها نوعان : إما ... على التاريخ أو ذات ابتداء
فتاريخية تدعى لهذا ... وإنشائية حسب البناء

وإنشائيـة الثنتين أولى بهـذا القصـد من ذات انتماء
لأن بها المؤلف لم يقيـد بتـــاريخ يراعى باقتفاء
وتاريخيـة الثنتين يبنى بهـــا تمثيل حادثه لداء
ويشرط أن يكون بها ندور لموضوع جـدير باعتـناء
وأن تأتى بقبض أو ببسط لنفس الشاهـدين على السواء

إلى آخر ذلك الشعر الذى هو أشبه بشعر المتون

الثقافة المصرية والعنصر المصرى :

وجاء من لندن أن الأستاذ أحمد خاكى وكيل مكتب البعثات أيضاً ألقى محاضرة فى فرع لندن للجمعية الإمبراطورية الملكية تحدث فيها عن المظهر المزدوج للثقافة المصرية فقال : « إن الثقافة المصرية مزيج من ثقافات متعددة مشتقة من مدنيات كثيرة نهضت فى مصر ، ثم اندثرت بعد أن تركت آثارها فى العادات والتقاليد والفكر والفن ، وقد تمخضت هذه الثقافة عن نوع من الثقافة اكتسب الروح المصرية برمتها . . ! ! »

ثم تحدث الأستاذ المحاضر عن المصرى المعاصر فقال : « إنه سليل عنصر عريق متغلغل فى عصور ما قبل التاريخ ، ولم تستطع العناصر المتعددة التى احتلت مصر أن تقضى على شئ من مظاهره ولا ان تستأصل حبه لوطنه وكراهيته للغزاة والفاتحين لبلاده ! »

قالت الوكالة البرقية التى عنيت باذاعة هذا الكلام ، « وقد قوبلت بالضحك ملاحظة أبداها المحاضر وهى أن المصريين استطاعوا أن يمتصوا جميع الأجناس التى جاءت إلى بلادهم ماعدا البريطانيين .. ! ! »

وليس من شك فى أن الثقافة المصرية مزيج من ثقافات متعددة كما قال الأستاذ خاكى ، وهذه حقيقة أصبحت تصدق على جميع الثقافات فى جميع الأمم ، فالثقافة الإنجليزية ، والثقافة الفرنسية ، والثقافة الايطالية ، وجميع الثقافات فى مختلف الأمم كلها أمشاج مختلطة . وعندى أن امتزاج الثقافات لا يتحقق بالغزو والفتح فحسب ، بل هو يتحقق أكثر بالرغبة فى المعرفة واللهفة على تحصيل العلم ، وبالاختلاط لتبادل المنفعة ، ولولا خوف الإطالة لذكرت عشرات الأمثلة التى تؤيد هذا ، على أن هذا ليس موضع النظر ، بل إنى أقصد إلى الكشف عن الحقيقة فيما يعنيه الأستاذ خاكى بقوله « وقد تمخضت هذه الثقافات عن نوع من الثقافة اكتسبت الروح المصرية برمتها » فماذا يريد بالروح المصرية ؟ إذا كان يريد الروح الفرعونية وهو ما يدل عليه كلامه فإن الأمر ليس كذلك ، وليس يستطيع باحث أن يدلل على مظهر هذه الروح فى ثقافتنا الحاضرة ، والحقيقة أن الشعب المصرى القوى بروحه قد امتص الشعب العربى الفاتح ، ولقد زادت مادة هذا الامتصاص عن طاقته حتى انقلبت شخصيته فإذا هى شخصية إسلامية وإذا به يبدو بهذه الروح فى طليعة الشعوب العربية

لقد وقف الشعب المصرى موقف المداوة والمناجزة والنفور من جميع الشعوب التى غزت أرضه واستولت على بلاده . وكانت هذه حاله مع الرومان والفرس والترك والفرنسيين والانجليز إلا مع العرب فإنه لم يلبث أن نظر إليهم نظرة المواطن الأصيل . وسرعان ما اختفت شخصية الشعب المصرى وثقافته تحت شـــدة هذا الاختلاط ، وكان هم مصر أن تجد نفسها فى مقدمة الأمة الاسلامية ، ولقد توالت الفتوح الأجنبية لمصر ولكنه ظل يغالبها بهذه الروح المكتسبة ، وهى الروح التى يجب أن يعتبرها الباحث الروح المصرية وأن تكون مناط الحكم فى هذا المقام .

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

الموشحات :

نشرت « الراديو المصرى » حديثاً فى الوشحات الأندلسية للدكتورة سهير القلماوى، بينت فيه نشأة فن الوشح فى الأندلس، وتتبعت مراحل تطوره المختلفة ، إلى آخر عهد العرب باسبانيا ، ومما يعد جديداً فى هذا الموضوع ما ذكرته من أثر الموسيقى فى فن التوشيح إذ قالت : « وفى عصر ملوك الطوائف برزت مدينة أندلسية بعنيف أثرها فى الحياة الاجتماعية كلها وفى الناحية الفنية منها خاصة ، تلك هى مدينة أشبيلية بما قد عرف عن أهلها من ميل للفن وما قد شهروا به من إتقان لفن الموسيقى وشغف الشعب كله بها ، وأثرت تلك البيئة المفعمة بالموسيقى فى هذا الفن أبلغ الآثار ، فقد قدمت له فنوناً من التجديد والحياة لم يكن ليعرفها شعر حديث ولا قديم »

وانتقلت بعد ذلك إلى ما نشأ عن هذا التأثر من استئثار الموسيقى بالشعر كما استأثر به فن البديع فى المشرق ، وكلف الوشاحون بالموسيقى حتى أغفلوا المعنى فى سبيلها ، ويبلغ هذا الكلف حد التكلف الذى يميل بالموشح إلى الافتعال والتعسف ليخرج أنغاماً وألحاناً ، ولكن سرعان ما تقوم حركة بين الشعراء لمقاومة هذا التكلف ، فيأخذون من هذا التيار ما قد أتاح لهم من مميزات موسيقية تجد فيها المعانى الشعرية حياة جديدة ، وخاصة فن الغزل لملاءمة طبيعته للموسيقى ، ويزدهر الموشح فى الغزل حيناً ، ولكن قوماً يخرجون به إلى المدح والوصف والهجاء والرثاء وسائر أغراض الشعر ، فيحملونه ما لا يطيق ، ويصل التوشيح بذلك إلى طور آخر من أطوار التكلف ، لأن موسيقاه السهلة اللينة المتجددة تلائم أنواعاً من المعانى دون سواها ؛ ولكن هذه المحاولة تنكشف عن كسب جديد لفن الموشح ، فقد فتحت له آفاق الوصف ووصف الطبيعة بالذات على نحو لم يكن يعرفه الشعر العربى، وإذا هذه الطبيعة المتقلبة الفائرة بالحياة لا يلائمها إلا مثل هذا الشعر الفائر القوى بموسيقاه ، وتبدأ حركة شعراء الطبيعة منذ ابن سهل قوية ولكنها تشتد وتزداد على الأيام قوة حتى تصل عند آخر شعراء غرناطة ، عند ابن زمرك ، إلى أقصى درجات قوتها وجودتها »

وتتوالى الأحداث على الدولة العربية بالأندلس فتنتزع منها بقاع يشعر الشعراء بالحنين إليها وإلى عهودهم فيها ، ويمتزج هذا الحنين بالشعور بجمال الطبيعة ، فينفتح باب من الشعر لا يليق به شىء مثل الموشح . وكأن الدكتورة سهير تضيف بذلك موضوعاً للشعر غير الموضوعات المعروفة عند شعراء العرب والتى يقال إن الأندلسيين لم يخرجوا عنها ، وإنما كان تجديدهم فى الوزن والقافية ، ذلك الموضوع هو الحنين إلى الوطن الممتزج بوصف جمال الطبيعة

وأعود إلى ما بدأت به الدكتورة بحثها من الكلام على أولية فن الموشحات : فقد ناقضت ابن خلدون فى نصه على أن المخترع له هو مقدم بن معافر ، وقالت إن الأندلسيين عرفوا قبله تخميس الأبيات فى آخر العصر الأموى وأول عصر ملوك الطوائف الذى عاش فيه المخترع ، ولكنها لم تأت بمثل لذلك تستند إليه مناقضتها ، ولعلها استخلصت ذلك من أقوال بعض المؤلفين ، وقد ذكر ابن بسام فى « الذخيرة » اسماً آخراً لمخترع الموشحات هو محمد بن حمود العمرى الضرير . على أن التخميس لا يلزم أن يكون توشيحاً .

لون من الشعر المصرى :

نشرت « الأهرام » الأبيات التالية للأستاذ محمد الأسمر تحت عنوان « عذراء قنا » :

عذراء من أرض قنا … شريفة المحتلة
ألفيتها عريانة … لم تستتر بحلة
قبلتها فقهقهت … ضاحكة من قبلتى
ولم أزل ألثمها … حتى شفيت غلتى
حبيبتى تلك وما … عنيت غير (قلتى)

وهذه الأبيات الظريفة تمثل الروح المصرية الفكهة ، كما

يمثلها قول الشعبيين فى (القلة) أيضاً :

« جايه من الترعة فى الضحك والسكركرة »

« والبوسة منها حلوة زى السكرة »

وكما مثلها منذ قرون الشعراء المصريون من أمثال البهاء زهير وأبى الحسين الجزار والسراج الوراق ؛ ومما يلاحظ شبه أبيات الأستاذ الأسمر بما كان يقوله الشعراء فى تلك العصور فى وصف الأشياء التافهة كقول أحدهم فى مسبحة :

وسبحة مسودة لونها يحكى سواد القلب والناظر
كاننى عند اشتغالى بها أعـــد أيامك يا هاجرى

ولقد كان بعض المتصدين لتاريخ الأدب يعيبون هذا اللون من الشعر ، لأنه يقال فى الأشياء التافهة ، وفاتهم أن كل شىء يصلح موضوعا للأدب مادام موضع حس الأديب ومناط شعوره.

التغزل فى القدم:

قرأت فى مجلة « آخر ساعة » تحت عنوان « قدم تبتسم » ما يلى :

« تقول فلورا تريستان : لم أر بين الشعراء على كثرتهم من عنى بالتغزل فى قدم محبوبته ... هذا العضو الذى لولاه ما اندفعت صاحبته إليه . ولكن هناك بيتاً واحداً من الشعر قاله فكتور هوجو فى هذا الصدد :

« كانت قدمها تبدو باسمة بالقرب من قدمى »

لقد وجد إذن من تغنى بقدم محبوبته ، ولكن ما أقبح الصورة ! من يتصور قدماً تبتسم ؟ إن نعلا فاغراً فاه قد يستطيع أن يتثاءب ... ولكن القدم لا تبتسم »

وليست الصورة قبيحة ، لأن الشاعر يريد بابتسام القدم أنها مشرقة ناضرة ، والنعل الفاغرة فاها قد يصح تثاؤبها إذا لوحظ فى صورتها التثاقل والتراخى،لأن مدار الاستعارة على ملابساتها، ولكن الصورة ، وإن نفيت عنها القبح ، ليست بشىء

ثم أقول : وكذلك أهمل شعراء العرب التغزل فى القدم ، ولم يخطر ذلك ، فيما وقفنا عليه ، إلا لنصيب بن رباح إذ قال :

تخطو على الأرض، ليت القلب منبسط
تخطو على جانبيه هـذه القدم
إذا مشت تركت أقـــدامها أثراً
فوق الثرى كاد مثل الركن يستلم

وهنالك شىء مثل هذا ، فى الشغف بالقدم ، ولكنه غزل عملى ، إن صح أن يكون الغزل عملا ؟ ذلك أن المأمون قبل قدم جاريته « عريب » فقالت له : والله يا أمير المؤمنين لولا ما شرفها الله من وضع فمك الكريم عليها لقطعتها . وحلفت ألا تغسل هذه القدم إلا بماء الورد وقالوا إنها برت فظلت حياتها لا تغسلها إلا بماء الورد .

مصطلحات المجمع اللغوى :

يتساءل كثير من الناس عن الكلمات العربية التى يضعها مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى العلوم والفنون والشئون المختلفة ، وبين هؤلاء المتسائلين من يتهم المجمع بالكسل والتقصير فى مهمته ، وقد يكون لهم العذر فى ذلك ، لأنهم لا يكادون يرون شيئاً من أعماله وآثاره ، ولكن ليس معنى ذلك أنهم على حق فى كل ما يرمون به المجمع ، فهو يعمل وإن كان بطيئاً متوانياً ، فلم تذهب دوراته الماضية عبثاً ، بل أنتج وإن كان نتاجه يجمع إلى القلة العزلة والانزواء .. بدليل أنه لم يصل إلى أولئك المتسائلين لأنه لم ينشر كما يجب أن ينشر ، وخاصة بعد أن توقفت مجلة المجمع عن الظهور من جراء الحرب الماضية ، ولعلها تستأنف الظهور قريباً ، فقد أعدت مواد العدد الخامس ، ويقال إنه قد بدىء بطبعه .

وضع المجمع مصطلحات عربية تزيد على عشرة آلاف مصطلح فى الكهربا واللاسلكى ، والاقتصاد السياسى ، والطب والرسم والموسيقى والطبيعة والكيمياء والهندسة والقوانين وعلوم الأحياء وفن العمارة والشئون العامة . وقد استخدم بعض هذه المصطلحات فى الكتب المدرسية ، وشاع كثير منها فى البلاد العربية حتى إن وزارة العدل العراقية أدخلت مصطلحات القانون المدنى التى وضعها المجمع فى قانونها الجديد ، ولذلك طبعت هذه المصطلحات مستقلة فى كتيب نشرته فى العراق ...

أما مدى انتشار هذه المصطلحات فى مصر فليس يعدو مجموعة منها (هى ما تم من سنة ١٩٣٤ إلى ١٩٣٩) طبعتها وزارة المعارف وتبيعها لمن يطلبها ، وأكثر الناس لايعلمون بها ، وليس

هناك من الكسب ما يغرى المكاتب ودور النشر بنشرها .

وهناك مصطلحات وضعتها اللجان الفرعية ولم يقرها المجمع بعد ، وقد رأى أن تعرض هذه المصطلحات على الهيئات العلمية المختلفة ، وأن تتلقى اللجان ما يرد من الملاحظات عليها ، وخصوصاً المصطلحات التي وضعتها لجنة المصطلحات الطبية بالمجمع فى علوم التشريح ووظائف الأعضاء والأنسجة وأمراض الجلد وغيرها لأن هذه المصطلحات الطبية التي تبلغ نحو أربعة آلاف مصطلح قد لا يتسع وقت المجمع للنظر فيها ، فيكتفى ببحث اللجنة إياها على ضوء ما تتلقاه من ملاحظات الهيئات العلمية ، للوصول إلى اللفظ العلمى الصحيح ؛ وذلك أن المجمع رأى أن تعرض اللجنة عليه المصطلحات الطبية الشائعة التي تتناولها أقلام الكتاب والأدباء ، أما المصطلحات التي تتعلق بالتفصيلات الفنية فإن لم يتسع لها وقت المجمع يكتفى فيها بعمل اللجنة . ولذلك كتبت اللجنة إلى الهيئات العلمية أنها لا ترى مانعاً من أن يستعمل المؤلفون فى كتبهم هذه المصطلحات بشرط أن ينصوا على نسبتها للجنة حتى لا يظن أنها من قرارات المجمع النهائية ...

التربية الفنية :

نشرت « الأهرام » أن وزارة المعارف تعد مرسوماً بإنشاء لجنة استشارية للفنون الجميلة ، تختص بإنشاء متاحف الفنون الجميلة والإشراف الفنى على تنظيمها وتنسيق معروضاتها واقتناء الطرف وحفظها وترميمها ، وتنظر فى سياسة تعليم الفنون الجميلة فى مصر وفى الخارج وتعمل على الاشتراك فيها ، وتقدم الإعانات للجمعيات الفنية لتشجيعها ، وتنشىء الجوائز والمكافآت للفنانين ، وتعمل على حماية الآثار والمواقع التاريخية والمناظر الطبيعية والميادين العامة وما يقام فيها من نصب وتماثيل ومنشئات تذكارية ، وتضع الاقتراحات والرغبات المتصلة بوسائل تشجيع رجال الفنون من أبناء البلاد ، وتربية الملكات الفنية وتهذيب الذوق عند الجمهور .

وهذا البرنامج الضخم يتلخص فى كلمتين هما « التربية الفنية » وليس هذا التلخيص للتقليل ، إنما المقصود حصر الفكرة للدلالة على عظم شأنها ، فتربية الشعب ، جمهوراً وتلاميذ مدارس ، تربية فنية قوامها إبراز المواهب وتمهيد الملكات وترقية الذوق العام ، ليست بالأمر الهين اليسير الذى تستطيع أن تستقل به اللجنة المزمع إنشاؤها بوزارة المعارف ، بل هو يحتاج إلى جهود أكبر من ذلك ، والمأمول أن تكون هذه اللجنة أولى الخطوات فى هذا الطريق ...

إن هذا الشعب تكمن فيه بذور الفن ، وإننى أعتقد أن الإنسان على العموم فنان بالطبع ، فهو إن لم يكن منتجاً ، متذوق لجمال أى ناحية من نواحى الفنون ، وليس أصلح للناس ولا أنفع لهم من استغلال طبائعهم الفنية فى ترقيتهم وتهذيب نفوسهم ...

ومما يؤسف له أن الحياة الفنية أصبحت عندنا فى غاية الاضطراب والفوضى ، تكثر فيها العناصر الدخيلة التي يعوزها الاستعداد أو تنقصها الدربة ، ومن وراء ذلك ملكات مقبورة ومواهب مهملة ...

وإذا كانت الدولة تنفق مبلغاً كبيراً من المال فى استقدام الفرق الأجنبية لترقية فن التمثيل وإرضاء أذواق الطبقة العالية ، فإن الطبقات الأخرى من الشعب لأحوج إلى هذه العناية بدلا من أن تتركها فريسة للمتجرين بالفنون ، الهابطين بها فى سبيل الإثراء وجمع الأموال ...

وأظن أنه قد مضى ذلك العهد الذى كنا فيه نجمل الأحياء التي ينزل بها (الخواجات) ونزين الطرق التي يسلكونها ، وندع المواطنين تقذى الأتربة عيونهم ، وتملأ روائح العفونة أنوفهم ، ويهاجمهم الذباب من كل حدب وصوب . مضى ذلك العهد ولكننا صرنا إلى حال لا يهتم فيها بالأجانب ولا بالمواطنين !

ولا سبيل إلى تهذيب ذوق الجمهور إلا بالنظافة وتعويده على الإحساس بالجمال ، والشعور بجمال المُحَسَّات طريق إلى إدراك الجمال المعنوى ، وهذه هى غاية التربية الفنية المنشودة ، ومن وسائلها تحقيق برنامج اللجنة الفنية التي تنشئها الآن وزارة المعارف والتي نرجو لها التسديد والتوفيق .

« العباس »



ضمير قلق :

ذلك هو الضمير الثانى الذى نراه اليوم كثيراً فى هذه الجمل (هذه مسئلة لها خطورتها ، وهذا كلام له وزنه ، وهذا فعل له وزره) وما إليها ...

فإن الملكية التى تثبتها إضافة الهاء إلى كلمة خطورة ، وكلمة وزن ، وكلمة وزر سبق أن أثبتتها الهاء المجرورة باللام قبل هذه الكلمات ، فاستغنت الجملة بالجار والمجرور عن هذه الإضافة ، التى هى — ولاشك — سقطة سقطها أحد الكتاب المتأخرين فتبعه فيها كثيرون بدون تحرز .

وإلا فماذا ينقص المعنى إذا كتبت الجمل هكذا (هذه مسئلة لها خطورة ، وهذا كلام له وزن ، وهذا فعل له وزر) ؟؟

لم ينقص المعنى شىء . وما الضمير الثانى المضاف إلا ضميراً قلقاً نابياً ، لا أحسبه عرض لى فى كلام عربى قديم . إلا أن يكون قد عرض لغيرى من القراء الأجلاء فيتفضل بالإرشاد .

محمود عماد

السيد عدنان يجيب :

ما نظن السيد عدنان أسعد يقصد الجد بهذه المجادلة العروضية ، فقد طلبنا منه فى العدد الماضى من الرسالة أن يأتينا بشاهد واحد من الشعر الجاهلى أو الإسلامي على أن الكف يدخل الوافر وحده أو مع العصب ، فماذا صنع ؟ أعياه أن يقع على هذا الشاهد الواحد فى دواوين الشعر الجاهلى والإسلامى فعمد إلى كتب العروض فالتقط منها الشاهد الواحد الذى افتعلوه حين أعجزهم أن يجدوه ، وافتعال الشعر فى شواهد النحو واللغة والعروض معروف ، وجاء به فرحاً يقول : « أكتفى بإيراد شاهدين اثنين لا شاهد واحد — وإن توفرت لدينا الشواهد (!) — أما الشاهد الأول فقد قال الشاعر العربى (؟) :

لسلامة دارٌ بحفير كباقى الخلَق السُّحق قفار

فمن هذا الشاعر العربى ياسيد عدنان ؟ وفى أى عصر كان ؟ ومابقية قصيدته التى منها هذا البيت ؟ وما ميزة هذا البيت على ما (توفر لديك من الشواهد) حتى تشرفه بهذا الاختيار ؟

وأما الشاهد الثانى فلم يأت به لا من الشعر الجاهلى ، ولا من الشعر الإسلامى ، ولا من الشعر العباسى ، وإنما أتى به من الشعر المصرى ، وهو الذى يخلط فيه أهله بين الهزج ومجزوء الوافر ، وكان التنبيه عليه مثار هذه المناقشة !!

بمثل هذا الجدل يا سيد عدنان ، لا يظهر حق ولا ينحسم خلاف ...

أمس بين الإعراب والبناء :

جاءتنا كلمة من بغداد بإمضاء (محمود شبلى أحمد مدرس اللغة العربية) يقول فيها :

« نشرتم فى الرسالة الغراء عدد ٧٢ فى مقالتكم الافتتاحية فى السطر الثامن العبارة الآتية : (ولا أمسٌ ولا غدٌ) ولكن ليعلم أستاذنا الجليل ، أن أمس هى ظرف زمان مبنى على الكسر ، هذا ما ذهب إليه أكثر النحاة ... وأن معنى كلمة أمس هذه تدل على البارحة . أما إذا دخلت عليها أل التعريف ، فإنها تدل على ما قبل البارحة ، أى على الماضى سواء البعيد أم القريب ، على شرط ألا ينسحب معناها إلى البارحة . وما يؤلمنى أن ذلك كيف كان عليكم خافياً وحضرتكم أحد أعلام اللغة العربية فى القرن العاشرين .... » .

نقلنا كلام الأستاذ المدرس بنصه ورسمه لنطمئن حماة العربية على أنها لا تزال والحمد لله بخير ! وبحسبنا أن ننقل للأستاذ المدرس ما يعرفه الدرسون جميعاً من حكم أمس : أمس ظرف زمان؛ فإذا أريد به اليوم الذى قبل يومك بليلة بنى على الكسر ؛ وإذا أريد يوم من الأيام الماضية ، أو كسّر ، أو صغّر ، أو دخلته ال ، أو أضيف ، أعرب بإجماع . تقول آماسٌ ، وأميسٌ ، وليس للمجنون أمسٌ ولا غد ، وأمسُ العرب خير من يومهم

إلى الأستاذ على الطنطاوى :

هالتك ياسيدى الفاضل حالة مصر الاجتماعية فأرسلت إنذارك مدوياً كالصاعقة مزمجراً كالإعصار ؛ هالك ياسيدى هذا التفاوت

الكبير بين البشر فى مصر فى نظرة عامة فكيف بك لو عرفت تفاصيل الجزئيات فى قرى الدوائر الزراعية الكبرى فى بلادنا ؟ إن كل قرية من هذه القرى تكافح الآن دودة القطن بأبنائها وبناتها بين لفح الهجير وإلهاب (الخولى) بعصاه الغليظة لأجسامهم المهزولة المعروقة ...

أتدرى لحساب من كل هذا العذاب ؟ إنه لحساب رجل واحد يملك القرية بقضها وقضيضها ويصيف خارج البلاد دون أن يترك فى قريته أثراً اجتماعياً يعود بالنفع على من يجوعون ليشبع ويعذبون لينعم ! فتابع نذرك يا سيدى لعلهم يتعظون ويعتبرون ...

خورشيد عبد العزيز

(الرسالة) : جاءتنا كلمات كثيرة بهذا المعنى فاكتفينا بهذه الكلمة

إصلاح بيتين لأبي العلاء :

فى العدد ٧٢٨ نشرت الرسالة مقالا للأديبة الفاضلة السيدة منيبة الكيلانى عنوانه : بين أدب المرأة والرجل ؛ ولقد راقنى هذا المقال فتتبعته ، فعثرت فيه على بيتين من الشعر لأبى العلاء المعرى يحتاجان إلى إصلاح : أولهما يحتاج إلى كلمة تتمم نقصه . والثانى به زيادة يجب حذفها ؛ لان النظم من الخفيف ، ولإصلاحها يكونان هكذا :

علموهن الغزل ، والنسج ، والرد ن ، وخلوا كتابة ، وقراءه !
فصلاة الفتاة بالحمد ، والإخ لاص تجزى عن يونس وبراءه

وبالرجوع إلى هذا العدد يتبين للسيدة الفاضلة صحة ما قلنا ، وللرسالة الغراء وافر شكرى .

محمد غنيم

إلى الأستاذ جميل :

قرأنا ملاحظتكم المنشورة بأحد أعداد «الرسالة» الغراء عن الأبيات المنسوبة إلى سيف الدولة إذ حققتم أنها لابن الرومى كما هو مثبت بديوانه ...

ولكن فى قول ابن خلكان فى الجزء الأول من الوفيات ما يلفت النظر ، إذ نسب الأبيات إلى سيف الدولة الحمدانى فى ترجمته له ، وقال أيضاً ما صورته :—

(وقيل إن هذه الأبيات لأبى الصقر القبيصى ، والأول ذكره الثعالبى فى يتيمة الدهر ... وهذا من التشبيهات الملوكية التى لا يكاد يحضر مثلها للسوقة) .

فما رأى الأستاذ فى هذه الرواية ؟؟

(مكة) **عبد المغنى قسنى**

تاريخ النوبة :

يسأل أحد القراء عن كتاب فى تاريخ النوبة ، ونحن نعرف أن للأستاذ محمد كامل حته كتاباً عنوانه (صفحات مطوية من تاريخ النوبة) وهو بالطبع أدرى بمراجع كتابه ، فليتفضل باجابة السائل مشكوراً .



هل كان حلما ؟

للشاعر الفرنسي جي دو موباسان

بقلم الأديب جمال الدين الحجازي

لقد أحببتها بجنون ، وما أدري لماذا يحب الإنسان؟ وما أغرب أن ترى شخصاً واحداً في الحياة يملك عليك مشاعرك ، واسماً واحداً في الحياة تردده شفتاك ، اسماً يتردد باستمرار ويصعد من أعماق النفس إلى الشفاه ، اسماً يردده المرء كثيراً ويتمتم به في كل مكان كالصلاة !

وسأقص عليك قصتنا :

لقد قابلتها وأحببتها ، وهذا كل ما حصل . وكنت طوال العام أحيا بين أعطافها وأتمتع بدلالها ورقتها ، ولم أعبأ آنذاك أكنت في نهار أم ليل ، أكنت حياً أم ميتاً في هذه الحياة ...

ثم ماتت . كيف ؟ ذلك مالم أدرك كنهه ولم أعرف عنه شيئاً ولكني أذكر أنها أتت إلى البيت ذات مساء في ليلة اشتد مطرها وهي تقطر ماء ، فأصابها البرد في اليوم التالي ولزمت الفراش أسبوعاً ...

أما ماذا حصل فلا أذكره الآن ! وكل ما أذكره أن الأطباء كانوا يجيئون ويصفون لها العلاج الذي لم تقو على تجرعه إلا بمعونة صويحباتها . كانت يداها ساخنتين وجبهتها تكاد تتقد من الحرارة ونظراتها حزينة ساهمة ، ولما تكلمت معها أجابتني ، غير أني لا أذكر ما تحدثنا به ، لقد نسيت كل شيء ، أجل كل شيء . ثم ماتت ، وإني لأذكر تماماً نظراتها الساجية وأتذكر قول الممرضة « آه » وعندها فهمت كل شيء . . ولا أعرف شيئاً آخر سوى قول القس لي : أسيدتك ! فظهر لي كأنه أهانها ، وجاءني آخر وكان لطيفاً رقيق القلب وحدثني عنها فذرفت الدمع حزناً ...

وعندما رأيت صويحباتها يسرن مع الجنازة ، وليت الأدبار ، وسرت في الشوارع شارد الذهن ، وفي اليوم التالي ذهبت إلى باريس . ولما رأيت غرفتي هناك ، ورأيت فراشنا وأثاثنا وكل ما تبقى من الأشياء بعد موتها ، وجدتني غارقاً في بحر من الأحزان، فهممت أن أفتح النافذة وألقي بنفسي منها إلى الشارع إذ لم أستطع البقاء طويلا بين هذه الأشياء التي تذكرني بها ، وبين هذه الجدران الأربعة التي ضمتها في يوم من الأيام ... ولما توالت على هذه الذكريات تناولت قبعتي وسرت . وعندما وصلت إلى الباب ومررت بالمرآة الكبيرة المعلقة في القاعة تذكرتها عندما كانت تقف أمامها للتزين ...

وقفت قليلا أمام المرآة مرتجفا وقد تسمرت عيناي في زجاجها ، ولما لمستها وجدتها باردة ، وقد أظلم زجاجها فماد لايعكس .. أتراه أظلم لفقد صاحبته ! ما أسعد الرجل الذي يستطيع أن ينسى كل شيء حوله .. آه كم أقاسي ...

خرجت من منزلي ولم أدر إلى أين ؟ ولم أشعر إلا بقدمي تقودانني إلى المقبرة ! وهناك وجدت قبراً عادياً عليه صليب رخامي أبيض ووجدت هذه الكلمات محفورة عليه :

« لقد أحبت وكانت محبوبة وماتت » إنها في القبر! وألقيت بصري على الأرض وبقيت على هذه الحالة مدة طويلة إلى أن خيم الظلام على المكان . ورغبت في أن أقضي الليل باكياً بجوار قبرها ولكنني خشيت أن أرى فأطرد من المقبرة ، فما العمل ؟ آه إنني لداهية ! لقد أخذت بالتجوال حول مدينة الموتى . سرت هنا وهناك . يا إلهي ما أصغر هذه المدينة إذا قورنت بمدينتنا الأخرى التي نحيا بها ! ومع ذلك فكم يزيد الموتى عن الأحياء ! إننا نقتني القصور الفخمة في دنيانا ، ونشرب الماء الصافي من الينابيع ، ونمتع أنفسنا بشرب الخمور المعتقة ولكن الموت يزيل هذا كله ! وتضمنا الأرض في جوفها ويصيبنا العدم ! !

وفي آخر المقبرة وجدت قبوراً قديمة يدل شكلها على أن الموتى بها قد ماتوا منذ عهد طويل لالتصاق قبورهم بالأرض ، وقد تداعت الصلبان ...

وكنت وحيداً فاستلقيت تحت شجرة خضراء ، وأخفيت نفسي بين فروعها الغليظة ، وهناك انتظرت طويلا كربان تحطمت سفينته ...

لما اشتدت حلكة الظلام ، قمت وسرت بهدوء تام في أرض الموتى وتجولت مدة طويلة ولكنني لم أهتد إلى قبرها ... فسرت ماداً ذراعي ناظراً إلى القبور ، متحسساً بيدي ولكن

دون جدوى لقد تحسست الحجارة والصلبان ، وقرأت الأسماء بأصابعي بتمريرها على الحروف فلم أعثر على قبرها ...

ولم تكن الليلة مقمرة ، وكنت خائفاً جداً ، إذ وجدتني بين صفين من القبور .. قبور فى كل مكان ، ولا شىء غير القبور ! جلست على أحدها متهالكا إذ لم أستطع السير أكثر من ذلك ولأن ساقى لم تقويا على حملى فكنت أسمع دقات قلبي وسمعت صوتاً آخر ، ماذا ؟! إن الصوت غامض غير واضح ، أتراه صوت نفسى فى هذا الليل البهيم ! تلفت حولى ولم أدر كم بقيت على هذه الحالة فتملكنى رعب شديد وأحسست كأننى متأهب للموت .

وفجأة أحسست بأن حجر الرخام الذى كنت جالساً عليه يتحرك !! أجل كان يتحرك ويرتفع ، وقد هالنى ما رأيت ، فقفزت إلى قبر آخر ... وعندها رأيت الحجر الذى كنت جالساً عليه فى القبر يرتفع ويظهر منه الميت عارياً وقد رفع الحجارة بظهره ! لقد رأيته بوضوح وتمكنت من قراءة هذه الكلمات :

هنا يرقد جاكوس أوليفانت الذى توفى عن خمسة وخمسين عاماً . لقد أحب عائلته وكان محسناً شريفاً ومات ... رحمه الله ...

قرأ الميت ما كتب على قبره ، فأخذ حجراً مدبباً من الأرض وأخذ يحك به الأحرف المكتوبة على قبره بعناية وكتب بدلا منها بعظمة كان يحملها بين أصابعه بأحرف مضيئة لامعة ، كتلك التى يكتبها الأولاد على الجدران برؤوس عيدان الثقاب :

« هنا يرقد جاكوس أوليفانت الذى توفى عن خمسة وخمسين عاماً ، لقد تعجل موت أبيه لأنه طمع فى ثروته ، وعذب زوجته وأولاده ، وغش جيرانه ، وسرق كل شىء استطاع سرقته ، ومات بائساً » .

ولما أتم كتابته وقف ثابتاً لا يتحرك وهو ينظر إلى عمله وتلفت حولى فوجدت جميع القبور مفتوحة وقد خرج منها جميع الموتى وأزال كل منهم تلك الأكاذيب التى خطها أقاربه على قبره واستبدلها بالصدق والحقيقة !

كان هؤلاء الموتى يعذبون الناس فى حياتهم ، ويأكل الحقد قلوبهم ، ويسرقون ويغشون ويرتكبون كل خطيئة ... هؤلاء الآباء الطيبون ، هؤلاء الزوجات المخلصات ، هؤلاء الفتيات العفيفات ، كل أولئك كان يكتب على قبره فى وقت واحد الحقيقة ... الحقيقة المفزعة التى كان يجهلها أو يتجاهلها كل إنسان حينما كانوا فى حياتهم الدنيا ...

وقد اعتقدت بأنها هى الأخرى لا بد أن تكون قد كتبت شيئاً على واجهة قبرها . فسرت بين صفين من القبور المفتوحة إلى قبرها غير خائف ، تأكدت من وجودها وعرفتها حالا . وعلى الصليب الرخامى الذى كان مكتوباً عليه قبل قليل .

« لقد أحبت وكانت محبوبة وماتت » .

رأيت مكتوباً بدلها :

« بينما كانت ذاهبة فى يوم ماطر لتخون حبيبها ، أصابها البرد فماتت » .

... وعند مطلع الفجر وجدت ملقى على القبر لا حراك بى .

(القدس) **جمال الدين الحجازى**

الندوة الأدبية

مطبعة الرسالة

العدد ٧٣١ — الاثنين ٧ يوليو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة

والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15em Année No. 731

Lundi — 7 — 7 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليا

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ شعبان سنة ١٣٦٦ — ٧ يوليو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

من تجـــارب المؤلفين

للأســــتاذ عباس محمود العقاد

يكتب المؤلفون عن تجارب الناس فى مناحى الحياة والتفكير. فمن حقهم بل من واجبهم أن يكتبوا عن تجاربهم التى تعنيهم وتعنى القراء، سواء فى حياتهم الخاصة أو فى علاقتهم بأولئك القراء. لأن هذه التجارب أقرب إليهم وأمس بعملهم، وهى — بعد — موضوع كسائر الموضوعات

ومن هذه التجارب التى تتكرر عندى فى السنوات الأخيرة تجربة استهداء الكتب التى يطلبها من لا يستطيعون شراءها

وإنما أكتب فى هذا الموضوع عسى أن أصل منه إلى نتيجة ترضى المؤلفين والقراء، وتعيننى على تحقيق الغرض من كل تأليف، وهو الاطلاع الصحيح

فمن الحقائق التى أعبر بها عن شعور جميع المؤلفين أنهم يحبون أن تصل كتبهم إلى من يفهمها ويتبصر معانيها. ويؤثرون القارىء الواحد من هؤلاء على ألف قارىء يشترون الكتب لأنهم قادرون على شرائها، ثم يتصفحونها تصفح العابر الذى لا ينفذ إلى طواياها، أو يتخذونها زينة على الرفوف. وكأنهم نقلوها من تلك الرفوف إلى عالم القبور

وأقرب الأمثلة إلى تصوير هذه الحقيقة مثل المغنى الذى يصغى إليه سميع واحد من وراء الجدران، ولكنه يرى أمامه فى قاعة الغناء ألف أصم يحملون التذاكر التى اشتروها بأغلى الأثمان. فإن ذلك المغنى ليعنى بذلك السميع الواحد ولا يعنى بمجموع هؤلاء الصم الكثيرين، وإن بلغ منه حب المال أشد ما يبلغه فى نفس بخيل

ولو كان كاتب هذه السطور من الأغنياء لما طبع كتاباً إلا خصص منه نصف النسخ على الأقل للقراء الذين ينقدون ولا ينقدون ... ينقدون المعنى ولا ينقدون الثمن الكثير أو القليل، ولكنى لست من الأغنياء

ولست مع هذا أتولى طبع كتبى بنفسى، بل أكل طبعها إلى الناشرين الموكلين بهذا العمل، كما يفعل معظم الأدباء فى مصر وفى الأقطار التى تأسست فيها صناعة النشر والتأليف

وهنا العثرة كما يقول صاحبنا القديم شكسبير

فإذا جاءنى طلب من قارئ يحب الاطلاع على بعض كتبى ولا يملك ثمنها فليس فى وسعى أن ألبى طلبه على رغبتى فى التلبية إذا تبين لى من لهجة الخطاب أن صاحبه يحسن الكتابة ويحسن الاطلاع. لأن حصتى من النسخ لا تتجاوز بضع عشرات، منها ما أحفظه للمراجعة وإعادة الطبع، ومنها ما أهديه إلى الصحف أو إلى الزملاء الذين يبادلوننى مؤلفاتهم ويحق لهم عندى ما يحق لى عندهم فى عرف الزمالة والمجاملة، وما بقى وهو قليل أرسله إلى من

يصادفه حظ القبول من طلابه الأدباء

والناشرون من جانبهم معذورون إذا نشروا مطبوعاتهم للبيع في الأسواق . لأن صناعة النشر لا تقوم على توزيع الكتب بغير ثمن ، وليس في طاقة الناشر أن يفتح مكتبته لتوزيع نسخة بالثمن ونسخة بالمجان ، وتدبير الوسيلة للتفرقة بين من يطلب فيجاب ومن يطلب فلا يجاب

وتبقى بعد ذلك تلك الحقيقة التي لا شك فيها ، وهي أن فريقاً من القراء يحبون الاطلاع ويحسنونه ولا يملكون ثمن الكتب التي يتشوقون إلى مطالعتها في كثير من الأحيان

فما الحيلة في أمر هؤلاء ؟

أعرف حيلة قد تدل على مثيلاتها وإن لم تكن هي بذاتها صالحة للتطبيق والتعميم في جميع الأحوال

فمنذ نيف وثلاثين سنة طبع العالم المشهور الدكتور شبلي شميل مجموعة رسائله وفصوله وهي شرح بخنر على مذهب داروين وبعض المباحث في عالم النفس والاجتماع . وقدر لها ثمناً مائة قرش لجزأي المجموعة ، وهما مجلدان حافلان

وكنت يومئذ في أسوان ، شاباً ناشئاً أفتتح طريقي إلى الأدب والسياسة بجهد جهيد

فكتبت إليه أقول ما فحواه : انك من دعاة الاشتراكية كما فهمت من مقالاتك وأحاديثك في الصحف والمجلات . ومعنى الاشتراكية أنك تستكثر المال على الأغنياء ، وتود لو يتساوى فيه نصيب المجدودين ونصيب المحرومين . فما بالك أيها العالم الفاضل تضيف نصيب العلم إلى نصيب المال فتجعلهما معاً من حق الأغنياء دون الفقراء ؟ أتظن أن الفقير لا يحق له أن يطلع على كتبك ؟ أم تظن أن بذل الجنيه المصري في كتابين أمر ميسور لكل فقير ؟

وأصاب الخطاب مقنعاً من الدكتور الأريحي ، فجاءتني منه نسخة مهداة ، وقرأت في الصحف أنه خصص مائة نسخة للفقراء من القراء ، ولا أذكر كيف تصرف في تفضيل طالب على طالب من طلابها الكثيرين

إلا أن الدكتور شبلي شميل قد استطاع أن يفعل ذلك لأن الغيورين على العلم والثقافة أعانوه على طبع المجموعة ، واكتتبوا بمبالغ من المال لتيسير الطبع الذي يليق بالكتاب . فنشر أسماءهم وما تبرعوا به في ذيل الجزء الأول وشكر لهم ذلك الصنيع

ولست أقول إن طبع الكتب على هذه الطريقة نظام يتيسر العمل به لجميع المؤلفين ، أو يغني عن طريقة النشر التي جرت عليها أمم الحضارة وفضلتها على كل طريقة أخرى ، مع ما بها من عيوب

ولكني أقول إن الأغنياء الغيورين على الثقافة يستطيعون أن يقيموا المكتبات العامة وأن يشتروا من كل كتاب نسخاً يوزعونها على معارفهم من الأدباء والناشئين النجباء ، وإنهم مطالبون بهذا « الحل » الذي لا حل غيره لمسألة الاطلاع بين القادرين عليه بالفهم والعاجزين عنه بالفاقة . فإن رعاية السادة الأعلياء للأدب والأدباء معهودة في جميع العصور وبين جميع الأقوام ، وهذه هي الرعاية التي تلائم أساليب الزمن ولا تشق على أحد من ذوي الأريحية واليسار

* * *

على أننا في صدد الاستهداء نشير إلى ضرب من استهداء الكتب لا نقره ولا نرضاه ، ولو قدرنا على تلبية الطلب فيه

ذلك هو استهداء الأندية والجماعات ، وهي في هذا الزمن تنتشر بين كثير من البيئات ، وتتمدد في كل حاضرة ، وتضم إليها ألوفاً من المشتركين

فطلب الكتاب بغير ثمن مفهوم من الأديب الفرد الفقير ، ولكنه غير مفهوم من مائة أو مائتين أو بضع مئات يتبرعون بالكثير أو بالقليل لإدارة الأندية وتأثيثها وتزويدها بوسائل الراحة وتزجية الفراغ

فلو أنصف أصحاب هذه الأندية لبذلوا في النسخة الواحدة ثمن عشرين أو ثلاثين نسخة أو أكثر من عشرين وثلاثين !

لأن النسخة الواحدة يقرؤها عشرات بعد عشرات ، وثمن النسخة الواحدة يتعاون عليه عشرات بعد عشرات . فليس الانصاف أن يطلبوها بغير ثمن كما يطلبها الفرد الفقير ، وإنما الإنصاف أن يبذلوا ثمنها على الأقل ، إن لم يتجاوزوا ذلك إلى

على ثلوج (حَزْرين)

للأستاذ على الطنطاوى

قال لى صديق :

خطر لى من سنوات أن أرى لبنان فى الشتاء ، ولبنان فى الشتاء له فتنة الراهبة الصبوح بجلبابها الأبيض الذى لايبدى من جمالها إلا قليلا يثير الرغبة فى الكثير ، كالجرعة من الكأس لا تبل الصدى ولكن تزيد العطش ، والفصل من الرواية لايغنيك عنها ، ولكن يشوّقك إليها ، فرحلت بالسيارة مع جماعة من الإخوان من بيروت إلى عاليه ، حتى إذا بلغناها ، تركنا الطريق المعبد الذى يمرّ على بحمدون وصوفر ، وصعّدنا فى الجبل ، نمشى على غير طريق ، وكان الصعود أول النهار مهلا : وكنا أقوياء أولى نشاط ، فما قارب المساء وجاوزنا قرية (حزرين) حتى توعرت السبل ، وتبددت القوى ، وتشابهت المسالك ، فلم نعد نرى من حولنا على مدّ البصر إلا ذرى متعمّمة بالسحاب ، وتلالا مكسوّة بالثلج ، تبدو القرى فى سفوحها البعيدة ، وكأن بيوتها المتفرقة بمداخنها ، بواخر تمخر العباب ، فجعلنا نفتش عن طريق نعود منه ، فلم نجدَ إلا ثلجاً منبسطاً ، يخفى السبل ويغطى الأرض ، فلا نتبين مواضع الهُوى لنتجنبها ، ولا نرى الحفر لنحيد عنها ، فلم تكن تمر لحظة حتى نقع فى حفرة ، أو نقدم على السقوط فى هوّة ، فآثرنا التفرق علّ واحداً منا يرى منزلا فيدل عليه إخوانه ، وأظلم الليل ، وانفردت فى مهامه الجبل ، واختلطت علىَّ الأرض بالسماء ، والتقى الثلج بالسحاب ، وهبت الرياح متجمدة من القرّ ، كأنها المبارد الخشنة ، تحمل بَرَداً ثقيلا جعل يسّاقط على وجهى ، كالرصاص المندفع من الرشاشات

وألهب الخوف أعصابى وإن كاد البرد يجمد أطرافى ، وصوّر لى الوهم أشباحاً مرعبة تحيط بى ، فكنت أعدو هارباً منها حتى تكلّ قواى ، فأقف لأستريح قليلا ، فأحسُّ كأن جنياً جباراً يسوقنى فأعود إلى العدو … وطال المسير وطال الليل ، وتهت فما أهتدى إلى منزل ، وتاه الفجر فما يهتدى إلى مطلع ، ونفدت قواى وحطمنى الجهد ، فتمنيت الموت وعزمت عليه ، وجعلت

شراء نسخ كثيرة يتداولها القراء ، ويتخذوا من التعاون بينهم سبيلا إلى الاطلاع الذى لا سبيل إليه للآحاد المتفرقين

ويتخيل القارىء ما يكون لو أجيبت الأندية إلى طلبها العجيب من المؤلفين

فقد تتسع المدينة لعشرات من الأندية يؤمها أعضاؤها الذين يعرفون تأسيس الأندية والاجتماع فيها ، وهم على الأغلب من طبقات المثقفين والمكفيين ، ان لم يكونوا من طبقة الموسرين والأغنياء

وقد يبلغ هؤلاء الأعضاء عدة مئات أو عدة ألوف ، وقد يعم الطلب من المدن كلها لا من مدينة واحدة أو مدينتين . فإذا استوفى هؤلاء أو بعض هؤلاء قراءة الكتب بغير ثمن فن الذى يشترى الكتاب ، وعلى من يعول المؤلفون والناشرون ! ولماذا يأبى النادى على مشتركيه أن يطلبوا المرطبات بغير ثمن وأن يلعبوا البليار بغير ثمن وأن يولموا الولائم بغير ثمن ويستثنى الكتب وحدها من هذه القاعدة فيجعلها تبرعاً مباحاً لا يدخل فى الحساب !

إن الاستثناء الوحيد الذى يجوز فى هذه الحالة هو استثناء الأندية الخيرية التى يختلف إليها فقراء الشعب للقراءة وسماع المحاضرات ، ولكن العبء الأكبر فى هذا الاستثناء ينبغى أن يحال على ذوى الأموال قبل أن يحال على ذوى الأقلام ، لأن ذوى الأقلام ينهضون بعبء الفكر ويحتاجون إلى من ينهض بأعباء معيشتهم فى كثير من الأحوال

* * *

هذه تجربة التأليف ، وليست هى بأعجب التجارب ولا بأحوجها إلى التدبر والملاحظة ، ولكنها شىء من أشياء ، قد نعرضها « شيئاً فشيئاً » على شركاء المؤلفين فى مهمة الثقافة والاطلاع ، وهم جمهرة القراء .

عباس محمود العقاد

أفتش عن واد أتردّى فيه ، فرأيت من بعيد نوراً خافتاً ، يحاول أن يخترق حجب الظلام ، فيعجز ويرتجف كأنه مقرور مثلى يقضقض عظامه القرّ ، وأعصابه من التوتر والفزع كالأسلاك المحماة بالنار ، أو كأنه خائف مثلى من الوحدة في هذه الأعالى الموحشة فهو يرتجف من الخوف ، فأسرعت إليه إسراع المشرف على الغرق فى اللجة الهائجة إلى السفينة المنجية يرى ضوءها ، أو إلى الشاطىء الآمن يبصر مناره ، وهبطت وادياً كأنما تعزف فيه الشياطين من أصوات رياحه ، ثم صعدت جبلا كأنه من اسطوانه صرح قائم ، حتى وصلت إلى النور ، فإذا بينى وبينه سور كأنه كان يوماً ... سور حديقة ، فعالجت بابه لأفتحه فإذا هو صدىء المفاصل كأنه لم يفتح من دهور ، فخططت عليه بمنكبى ، ودفعته دفعة الآيس ، فصرّ صريراً مخيفاً ، رددته هاتيك البطاح ، فكان له مائة صدى انبعثت كلها معاً ثم حملتها الرياح إلى بطون الأودية ، وعاد السكون ، فولجت أحسب أن الرحمة فى باطن الباب ، الذى كان فى ظاهره العذاب ، وإذا أنا بشبح أسود يثب إلى وجهى ، ويتعلق بى ، وله صوت لم يقع فى أذنى أفظع منه ، فنظرت إليه وقد شل الفزع أعضائى ، وسمّرت قدماى بالأرض ، فإذا هو كلب ضار ، يهم بأن ينشب فىّ مثل أنياب الذئب الكاسر ، فتبلد حسى واستسلمت للقضاء ، وتوقعت الشر ... ولكنى رأيت الكلب يدعنى ويبتعد عنى ، قد دعاه صوت من داخل البيت فانصرف إليه مزمجراً ثم أقعى غير بعيد . ومشيت إلى البيت فدخلت إلى ردهة دافئة ، فيها كهل وامرأة وشيخان عجوزان ، فسلمت فلم يردّ أحد منهم ، ولبثوا يحدقون فىّ جميعاً بعيون فيها الدهشة والبغضاء ، شاخصة لا تطرف ، كأنهم يرون فىّ مخلوقاً عجيباً انشقت عنه الأرض ، فلما طال ذلك منهم ، ملكتنى الحيرة وأخذنى من الخوف ما لم يأخذنى وأنا معلق بين السماء والأرض ، تائه لا أعرف لى متجهاً ، وهممت بالفرار ثم خفت أن يلحقنى الكلب ، وذكرت الكلب فنظرت إليه فإذا هو رابض يزمجر يريد أن يثب علىّ فيكفّه الكهل بقدمه ، وتجلدت فقلت لهم :

— أنا غريب ضل فى هذه الجبال حتى وقع عليكم ، وأنا أعتذر أن أزعجتكم ، وأرجو أن تمنوا علىّ بقدح شاى أطفىء به حر جوفى الذى ألهبه الخوف ، وأدفىء به أطرافى التى جمّدها البرد .

فنظرت المرأة إلى الكهل نظرة لمحت فيها خليطاً من الحب والبغض ، والشفقة والرهبة ، ولبثت لحظة متسائلة ، فهز رأسه كالموافق ، فقامت تعدّ الشاى ، وألقيت بنفسى على مقعد قريب من النار ، وجعلت أسارق القوم النظر ، فأرى الكهل قوياً متين البناء ، لم يجاوز الخمسين ، ولكن الهم الذى تبدو عليه ظواهره قد شيّخه قبل أوان الشُّيوخة[1] ، وأرى المرأة فى نحو الأربعين ، ذات جمال وادع قد حجبه ستار من الكآبة والغم ، فهو يضىء من ورائه كما تضىء الحلية النفيسة من تحت الغبار المتراكم ، وجاءت بالشاى فشربت وأنا أشعر به أنه يمشى فى عروقى كما يمشى الرىُّ فى النبتة الذاوية تسقيها الماء . ثم قلت لهم : هل تأذنون لى أن أرقد ما بقى من الليلة على هذا الكرسى ؟

فقال الكهل بيده أن لا ، وأشار إلى الخادم الشيخ ، فسلك بى ممرات وجاز أبواباً كأنها ممرات قصر كبير ، لا كوخ منقطع فى رأس جبل لا يبلغه جنّ ولا بشر ، حتى دخل بى بهواً فسيح الجوانب ، تفوح منه رائحة القدم والهجران ، أحسست لما ولجته أنى ولجت جوف مقبرة من المقابر ، فوضع الشمعة التى كان يحملها على الموقد ، وأحنى رأسه وخرج ، وتلفت فرأيت الشمعة قد رسمت ظلالا على الجدران صورها لى الرعب شياطين ذات قرون وأنياب فذهبت إلى الباب أريد الخروج فوجدته مقفلا علىّ ، فلعبت بى ظنون السوء ، وزاد بى الفزع حتى رأيت الجدران تنأى عنى ، والمكان يكبر ، ووجدت أن الأرض تدور بى ، فصرخت ، فعاد الخادم الشيخ فقال : مالك ؟

فاستحييت أن أقول له إنى خائف . فقلت : ألا تتكرم بإيقاد النار ؟

قال : إن الموقد لم يستعمل من عشرين سنة .

قلت : كيف تهملونه عشرين سنة ؟

قال : لقد أهملنا البهو كله ، منعنا هانى أن ندخله بعدها ؟

قلت : بعد من ؟

فانتبه وقد كان غافلا ، ونظر حوله جزعاً يخاف أن يكون قد

(١) الشيوخة هى الشيخوخة .

سمعه أحد ، ثم قال لى :

— تصبح على خير .

وانحنى وخرج مسرعاً .

وغطى التعب أخيراً على مخاوفى، وخفق رأسى، لجئت الفراش لأنام فإذا عليه أرطال من الغبار ، فنفضته فهبت زوبعة محملة تراباً فأغمضت عينىَّ وغصت فى الفراش ، لم أعد أبالى من الونى أن يكون مثواى قبر أو مزبلة أو جحر ثعبان . فلم أكد أغفى حتى سمعت مثل أصوات المدافع ، تدوّى فى أذنى فتبدد النوم من عينىَّ ثم ضعف الصوت حتى سمعت منه وأنا بين النائم واليقظان : هانى . هانى . ففتحت عينىَّ ، فرأيت الفجر قد بدا ، ورأيت الرياح تحرك باب النافذة فيكون منه هذا الصوت ، فأغلقته ، ولكن الصوت لم يبرح يطنُّ فى أذنى ينادى : هانى . هانى . فذهبت إلى آخر البهو ، وهو يلاحقنى ، فعاودنى الفزع فصرخت ، حتى سمعنى أهل الدار كلهم ، وأقبل الكهل مغضباً يقول : ما هذا ؟ قلت : هل فى هذه الدار مَن اسمه هانى ؟ ففتح عينه وقال : ولِمَهْ ؟

— قلت : صوت لا يفتأ ينادى : هانى . هانى .

— قال : سمعته ؟ أنت سمعته ؟ أهو صوت امرأة ؟

وجعل يهزنى كالمجنون .

— قلت : نعم .

فأرسلنى وفتح الباب ، وعدا يخب فى الثلج ...

ولحقته المرأة كأنها تحاول ردّه ، ولكنها وقفت فى الباب ، وألجم الخوف لسانها فلم تنطق ولكن نطقت عيناها ، فأبانتا ، وأطل منهما الحب لحظة ثم ارتد ، كما يرتد عن النور سجين طال عهده بالظلام ... وقرأت فى وجهها صحائف تاريخ لم أفهم منها شيئاً ، فتركتها وأقبلت على العجوز ، وقد انتحت ناحية تبتسم ابتسامة غريبة ، كأنها تقول : أنا أفهم ما لا تفهمون ، وأنتظر من زمان هذا الذى ترونه الآن وتعجبون منه !

فأشرت إليها أسألها .

قالت : سأحدثك . سأشرح لك . إنه تاريخ طويل ختم فى هذه اللحظة . إنها قصة هائلة مشت بأحاديثها الركبان ، وكتبتها الأقلام ، وصورتها (الأفلام) وصارت من روائع الأدب ، لقد مثلت على هذا المسرح قبل أن تمثل فى (السينما)[1] ولكن انتهت الرواية ولم يزح الستار ، فلبث الممثلون حائرين لا يدرون ماذا يصنعون ؟ وعيون النظار تكاد تأكلهم . تصور ثقل هذه اللحظات وشدتها ، إنها لا تحتمل وإن كانت لحظات قصاراً ، فكيف إن دامت عشرين سنة ...

عشرين سنة ونحن نعيش بلا عمل ، ننتظر أن يرخى الستار على هذه المأساة التى مثلناها ، فلم يزح إلا الآن ...

— قلت : وأين ذهب الرجل ؟

— قالت : ذهب يلبى نداءها .

— قلت : وأين هى التى كانت تناديه ؟

— قالت : لقد ماتت !

— قلت : ماتت ؟ وهل يرجع من مات ؟ !

— قالت : نعم إن فى الوجود قوة ترجع الموتى : إنها قوة الحب . فإن كنت فى شك فاستمع قصتها :

(البقية فى العدد القادم) **على الطنطاوى**

(١) مثلت باسم (مرتفعات وزرنغ) . (قالوا) وهى محرفة عن (حزرين)

٢ - رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

عميد كلية الآداب

هذه دهلى الجليلة القديمة ، دهلى ذات الخطوب والغِيَر ، وأم الوقائع والعبر ، وسجلّ الملوك والدول .

دهلى المماليك والتغلقية والخلجية واللودية والتيموريه[1] ، دار قطب الدين ، وظهير الدين ، ونصر الدين ، وجلال الدين ، ومحيى الدين[2] .

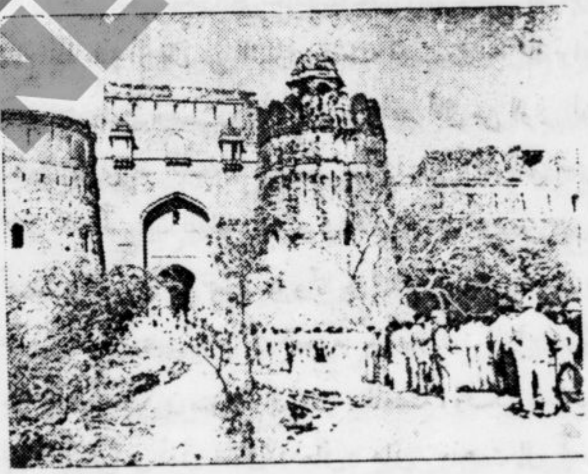
دهلى التى ضمت تراث الأعصار ، من جلائل الآثار ، يكاد القلم يجمح على منطلقاً فى الكتابة عنها ، كما يستنّ الجواد حين يرى حلبة السباق ، أو تمرحه فسحة المروج ؛ ولكنى أؤخر الكتابة عن هذه المدينة العتيقة حتى أفرغ من حديث المؤتمر الذى سافرت إلى الهند من أجله :

دعا « المعهد الهندى للشئون العالمية » إلى مؤتمر للعلاقات الأسيوية ، فأجابت الدعوة أمم آسيا . ودعيت مصر لأنها إحدى الأمم العربية فهى آسيوية وإن كانت أفريقية فى جغرافيتها

وقد دعيت الأمم كلها المستقلة وغير المستقلة . وكانت الأمم التى تجاهد لاستقلالها أحرص على شهود المؤتمر لتعلن عن نفسها ، وتنشر بين المؤتمرين دعوتها . وكان عدد المندوبين مشتركين ومراقبين زهاء مائتين . وقد اختلفت الأمم فى عدد مندوبيها ، وكانت مصر خاصة ودول الجامعة العربية عامة ممثلة باثنين مراقبين ، وكنت ممثل مصر ، وشاركنى نائب القنصل المصرى فى الهند .

وكان موعد المؤتمر الثالث والعشرين من شهر آذار (مارس) الماضى ، ودام اجتماعه عشرة أيام . فاجتمعت هنالك وفود الأمم ، بل حشرت آسيا ألوانها وأزياءها ولغاتها وعقائدها وحضاراتها فى صعيد واحد .

وشهد المؤتمر من الأوربيين والأمريكيين أحد عشر مراقباً .



مدخل برانا قلعة وهى القلعة التى كانت فيها حفلات المؤتمر العامة

وكانت لغة المؤتمر الإنكليزية ، وهى لغة العلم فى الهند اليوم ولغة الخطاب ، يتحادث ويتراسل بها الهنود الذين تختلف لغاتهم . ولم أسمع فى المؤتمر هندياً يخطب بغير الإنكليزية حاشا جوا هرلال نهرو ؛ خطب فى حفلات الافتتاح والاختتام بالأردية والإنكليزية . وكانت رياسة المؤتمر للسيدة ساروجينى نايدو خطيبة الهند وشاعرتها وبحث المؤتمر فى أمور كثيرة قسمت إلى هذه الطوائف :

١ — مساعى الأمم إلى الحرية

٢ — والهجرة ومسائل الأجناس البشرية

٣ — والتطور الاقتصادى والمساعى الاجتماعية

٤ — والمسائل الثقافية

٥ — والمسائل النسائية

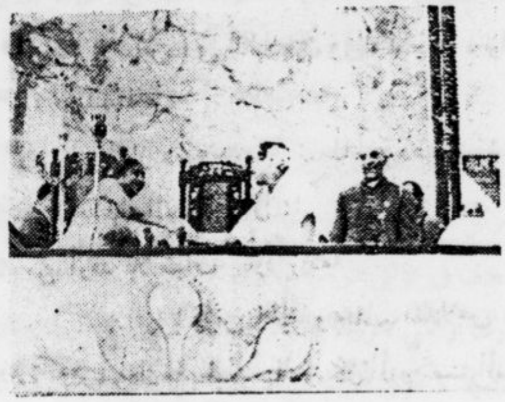
وقد بحثت كل طائفة من المسائل لجنة خاصة من أعضاء المؤتمر ، وسجلت ما انتهى إليه بحثها . وتلى تقرير كل لجنة فى لجنة عامة من الأعضاء ، ووُضع بعد المجادلة فى صيغته الأخيرة .

وكان للمؤتمر ثلاث حفلات للافتتاح والاختتام ؛ شهد حفلتى الافتتاح زهاء عشرة آلاف ، وشهد الحفلة الخاتمة نحو خمسة عشر ألفاً وحضرها غاندى .

(١) أسماء دول تداولت دهلى فى العصر الاسلامى .

(٢) قطب الدين أيبك ، مؤسس دولة المماليك . وظهير الدين بابر ونصر الدين همايون ، وجلال الدين أكبر ، ومحيى الدين أورنك زيب ، من ملوك الدول التيمورية (المغولية)

وكان النظام محكما فى هذه الاجتماعات الحاشدة ، وكانت الصبايا الهنديات يرشدن الوفود إلى مقاعدهم من المؤتمر ، وكنّ فى اجتماعات اللجان العامة كذلك يتولين التنظيم والخدمة .



رئيسة المؤتمر ونهرو وبينهما شهريار رئيس وزراء أندونسيا

وكانت حفلات الافتتاح والاختتام فى قلعة كبيرة قديمة من آثار الدول الإسلامية تسمى « برانا قلعة » أى القلعة العتيقة . وهى بقايا قلعة فسيحة عالية الأسوار رفيعة الأبواب

وقد طبع المؤتمر كثيراً من أبحاثه وفرقها على الأعضاء ، وفيها أبحاث قيمة جديرة بالعناية ، وهى مفيدة فى تعرف مستوى الثقافة فى الأمم الآسيوية وتبين الوجهات الفكرية والنزعات الاجتماعية فى هذه الأمم .

وقد حرص القائمون على المؤتمر ، ولا سيما نهرو ، على أن يشكل معهد آسيوى دائم له فروع فى الأقطار الآسيوية كلها ، ليقوم على الصلات الثقافية والاجتماعية التى عنى المؤتمر بالنظر فيها

وقد نص فى القانون المقترح للمعهد على أن يكون له رئيس وأمينان أحدهما من البلد الذى اجتمع فيه المؤتمر أول مرة والثانى من البلد الذى يجتمع فيه المؤتمر اجتماعه الثانى ، فكان رئيس المعهد ، وأحد أمينيه من الهند ، وأمينه الثانى من الصين ، وهى القطر الذى يجتمع فيه المؤتمر للمرة الثانية سنة ١٩٤٩ م .

والحق أن خطط المؤتمر فى استقبال الوفود وإنزالهم ونقلهم إلى مجامع المؤتمر ، وفى ترتيب اللجان وتوزيع المنشورات ، وفى تنظيم المعارض وزيارة الآثار والمتاحف — كانت خططاً محكمة .

وأحسب القائمين على المؤتمر أرادوا فيما أرادوا من الدعوة إليه ، أن يعظموا شأن الهند ، ويبينوا مكانتها فى آسيا فى طور الانتقال الحاضر ، وفى هذا ما فيه من إعظام شأنهم فى مفاوضة الإنكليز . ولست أدرى أقصدوا كذلك أن يظهروا الهند مظهر الأمة المجتمعة الكلمة ، الموحدة القصد ، ويخفوا جهد الطاقة ما كان يضطرب به الهند من صدام بين دعوة الهنادك ، وهم الدعاة إلى المؤتمر ومعهم قليل من المسلمين ، وبين دعوة الرابطة الإسلامية إلى إقامة دولة إسلامية مستقلة فى مواطن الكثرة الإسلامية .

وقد اهتم الداعون إلى المؤتمر باشتراك الأمم الإسلامية فيه ، وبعثوا رسلا إلى بعضها ليطمئنوا إلى إجابة دعوتهم . وأرسلت طائرة خاصة إلى أندونسيا لتحمل سلطان شهريار رئيس وزرائها . وأحسب لهذا الاهتمام صلة بهذا الاختلاف بين حزب المؤتمر الهندى والرابطة الإسلامية كما أبين من بعد ...

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

فى أساس البلاغة

للأستاذ السهمى

جاء فى (أساس البلاغة) للإمام الزمخشرى فى الطبعتين وفى مخطوطة :

« ... وتقول : بات فلان فى الشفق ، والفلق من الشفق إلى الفلق أى فى الخوف والمِقطرة ، وهى خشبة تُغلق لأرجل اللصوص والدعّار يُقطَّرون فيها ، ومن المجاز قول النابغة :

فإن تبلج فلق المجد عن غرة مواهبه فأنت قسيم ما أفدت »

لم تملق الطبعة الأولى على القول ، وروايته فيها هى :

« فإن تبلج فلق المجد عن غرة مواهبه فأنت له قسيم »

وقالت الطبعة الثانية : « هكذا ورد بكل النسخ فليحرر » .

فيبدو قول النابغة بهذا الرسم كأنه بيت شعر ، وهو ليس كذلك ، إلا أن يعد كل ما يكتب من الأقوال كما يكتب الشعر شعراً[1] ...

كلام الذبيانى هو قسم من خبر هدانى الله إلى مظنته ، ولولا (أبو القاسم) ما اهتدينا . قال الزمخشرى فى إحدى مقاماته :

« ثم خوّلك من جزالة الفضل ما حلّق على هام أمانيك[2] ولم تطمح إليه ظنون عشيرتك وأدانيك » .

وقال الإمام فى الشرح :

« حلق على هام أمانيك نوع من المجاز لا تراه إلا فى كلام من هو من البلاغة بالمنظر الأعلى كما حكى عن النابغة أنه استأذن على النعمان ، فقال له الحاجب : إن الملك على شرابه . فقال النابغة : فهو وقت الملق تقبله الأفئدة وهى جذلى للرحيق والسماع ، فإن تبلج فلق المجد عن غرة مواهبه فأنت قسيم ما أفدت » .

فى هذا الخبر قول النابغة الذى بلبل ناسخى (الأساس) وطابعيه ...

ولما أطلعت الأستاذ (أحمد زكى العدوى)[1] والأستاذ (عبد الرحيم محمود)[2] — وهما من البقية المحققة — على المدية الزمخشرية طربنا كلنا طرباً يعجز القلم عن وصفه . وأبو الطيب المتنبى يقول فى مثل هذه الحال : « رب مالا يعبر اللفظ عنه » .

وجاء فى (الأساس) فى الطبعتين وفى المخطوطة ، والخطب هنا هين ، لا بلبلة فيه ...

« ومن المجاز درع دِرمة : ملساء قد ذهبت خشونتها وقَضَضُ جدتها وانسحقت قال :

يا خير من أوقد للأضياف ناراً زهمه

يا فارس الخيل ومجتاب الدلاص الدرمه

زهمة كثيرة ودك ما يطبخ بها ، ومكان أدرم مستو أملس »

القول شعر حقاً ، ولكنه بيتان لا بيت واحد ، وقد سطرا فى الكتاب كما ترى ، وهما فى مقطوعة رواها أبو على فى أماليه ، وهذا تصوير المقطوعة بكمالها :

يا مُرُّ ، يا خير أخ نازعت در الحَلَمه
يا خير من أوقد للأضياف ناراً جحمه
يا جالب الخيل إلى الخيل تَعادى أضِمه
يا قائد الخيل ومجتاب الدلاص الدرمه
سيفك لا يشقى به إلا المسير السنمه
جاد على قبرك غيث من سماء رزمه
يُنبت نَوراً أرِجا جَرجارُه واليَنَمه[3]

قال أبو على : الحلمة : طرف الثدى . والدرمة : اللينة التى لا حجم لها . وأضِمة غضابى يقال : أضم عليه أضما أى غضب عليه ورزمة : مصوتة » .

فى طبعتى (الأساس) ومخطوطته مشكلات ستُحل بحول الله ومعونته .

السهمى

(١) رأى القراء فى الرسالة (٧٢٨) كيف تبسم (العباس ...) وضحك من ذلك الشىء الجديد ... الخلق ...

(٢) فى الأمانى لغتان مشددة ومخففة ، وقد خفف الإمام كما خفف شاعرنا فى العبقرية الكافورية الأولى :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانيا

(١) رئيس القسم الأدبي بدار الكتب المصرية .

(٢) من رجال الدار ، ومن الأعضاء فى (لجنة إحياء آثار أبى العلاء) ومن الكرام الكاتبين فى مجلس الشيوخ .

(٣) فى طبعة الأمالى فى الشرح — وهو للأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى بدار الكتب المصرية : « هذه الأبيات لامرأة ترثى أخاها كما فى لسان العرب . جحمة متقده . مجتاب الدلاص الدرمة : لابس الدرع الملساء . الجرجار نبت طيب الرائحة . الينمة : عشبة طيبة » .

ســـــعد الله الجابرى

فى ذمة الله

للأستاذ أحمد رمزى بك

رغت الرعود وتلك هدة واجب جبل هوى من آل عبد مناف

غمرتنى موجة حزن وتشاؤم قلما أشعر بمثلها ، حينما حملت إلى الصحف فى عزلتى الريفية نبأ وفاة الجابرى ، وأنا الذى لم أره منذ غادرت أراضى سورية إلا لماماً ، فإذا كتبت عنه بعد وفاته ، فإنما أستعيد ذكرى الأيام التى عرفته فيها فأثرت صداقته فىَّ لا كسياسى أو زعيم أو رئيس حكومة بل كرجل مجاهد شاء وده أن يمدنى فى يوم مضى من بين من يثق بهم ، ممن اتصلوا به وأنسوا بوده ولمسوا شمائله وغمرهم بعطفه وأخوته ومحبته ، فمن أول يوم تلاقينا فيه ، وكان ذلك فى بلدة صوفر من أعمال لبنان عام ١٩٤٠ ، كنت أشعر دائماً فى حضرته بشىء يجذبنى نحوه ويجعلنى أطمئن إليه وأنصت لما ينطق به ، ومرت الأيام والسنوات وهى تحمل بين طياتها الحوادث الجسام وأعمال الجهاد المتتابعة المتلاحقة لإقرار الدستور وعودة الحياة النيابية ثم مفاوضات الوحدة العربيـة التى انتهت إلى ميثاق الإسكندرية ، فإذا هذه المنزلة له فى نفسى تعلو كل يوم وتثبت : فلا تؤثر فيهـا روعة المركز ولا تباعد الأيام لأنها كانت هبة من هبات الله ...

وأذكر أننى حضرت معه فى الطائرة من دمشق وأمضينا أياماً بالقاهرة وأخرى بالإسكندرية ، فإذا بنا نكتشف أشياء فى مصر ، بقيت غامضة عنى بعد أن قضيت عشرين عاماً متغرباً تجاه الاتصال بالحقائق مراً على النفس فى أيام كانت تمر سراعاً وتجعلنا كل يوم أمام جديد ، وسرعان ما أقنعت نفسى بالبقاء فى مصر والتخلف عن العودة إلى دمشق ، وذهبت إلى قصر الزعفران فوجدت الجابرى هناك ، ولمحت فى نظراته أشياء قرأتها على وجهه ولمستها من إشعاع عينيه ودار الحديث عاماً ، ولما استأذنته قلت إنكم تسافرون غداً ، أما نحن فوالله قاعدون ، فتجهم وجهه وقال لى كلاماً لن أنساه ولم يأت الوقت للافصاح عنه .

فأمسكت بيديه وضغطت عليهما وقلت : كتب على الذين آمنوا أن يصبروا ويصابروا ، فبالله عليك لا تجعل لهذا الكلام تتمة لا بالقول ولا بالعمل ، فوعدنى واتجه سعدالله الجابرى اتجاهاً أملاه عليه اجتهاده واتجهت وجهة أملاها الله علىّ ، وجاء موعد سفر الوفد السورى فى اليوم التالى فرافقتــه إلى المطار وبقيت بمصر أنتظر الخروج من وقائع الدهر ، فإذا بالأقدار تدفعنى دفعاً إلى غاية لا أعلمها لأن صروح الحياة الاستقلالية اندكت فى لبنان ، وإذا أنا بين قرارين : الإقدام والسفر ، أو النكوص والبقاء ، وفى الثانى الخير كل الخير وفى الأول مواجهة الأخطار والمستقبل المظلم ، فاخترت ركوب الأخطار وسافرت على بركة الله . وفى ليلة من الليالى الكالحة السواد ، دخلت قبل انتصاف الليل مدينـة دمشق فما علم بمقدمى حتى أذن لى بالدخول عليه . فقال إن مجيئك فى هذه الساعة من الليل لا بد أن يكون لأمر خطير . قلت نعم هو لخدمة أؤديها . قال وكيف تركت بيروت والفرنسيون يمنعون التجول بعد السابعة وأراك تركتها بعد ذلك بزمن طويل، قلت حرستنى سيارتان مدرعتان على كل واحدة منهما مدفع رشاش استلمتنى واحدة من وسط البلد وأخرى من فرن الشباك ، وتركتنى الثانية عند عاليه ، ولازمتنى الأولى حتى ظهر البيدر كأنهما تتوهمان أن طريقى سيكون إلى بيشامون . ولما عرضت عليه ماجئت من أجله قام فوراً إلى قصر رئاسة الجمهورية وأطال المكث هناك ، وتمت مستريحاً لأنى وضعت الأمر بيد رجل إذا اقتنع فعل . وفى الصباح المبكر أعلنى دولة جميـل بك بما طمأن قلبى ، وفى المساء لقيت الجابرى فاذا هو يمزح كعادته ويقول : تصور لو تأخرت مجازفتك دقائق معدودة إذن لضاع الوقت منا .

ثم تغيرت الأيام وتبدلت ، أما سعد الله الجابرى وطائفة من أهل سورية فلم يتبدل لهم موقف معى . لقيته بعد ذلك بمصر فما إن وقع نظره على حتى خف إلى لقياى وأخذنى بالعناق على مشهد من رجال مصر الذين دهشوا من هذا اللقاء . إنهم لن يعرفوا ما كان بيننا فى طريق الجهاد الوعر لتحقيق المثل والأهـداف .

ومات سعد الله وكتب عنه الكتاب وإذا بكثيرين يقولون إنه كان عظيما فى مواقفه الحاسمة وتصريحاته الجريئـة ، أما أنا الذى عرفته قبل أن يعتلى المراكز ويحكم ، فأقول إن مواقفه وتصريحاته

كانت أمراً عادياً يأتيه كل يوم ، كانت جزءاً من شخصيته وفكره وروحه لا يشعر بخطورتها ولا تشغله لحظة واحدة بعد إتمامها وهذا سر عظمته وتفوقه ...

والآن وقد أغمض عينيه واستراح بعد أن كان ملء عين الزمن ، لا يهمني أن أسوق المدح إليه وأن أشيد به وأقول إنه من أولئك الذين جاءت إليهم العظمة تسوقها الأقدار دون أن يكلفوا أنفسهم أن يلفتوا الأنظار إلى أفعالهم وأقوالهم وإشاراتهم ليقر لهم الناس بالعظمة والعلياء ، وإنما هو رجل جاء إلى الدنيا والعظمة والبروز والعلياء عنصر كامن فيه ، تراه فى خلقته ومظهره وحديثه ، فيدفعه إلى الخطير من الأمور فى كل يوم ليعالجه بفكره وعقله وأعصابه وإيمانه ، ويعرف عنه الناس هذا من أهله وعشيرته وقومه وأصدقائه قبل أن تعرفه عنه المناصب العليا وترفعه الزعامة والسياسة إلى مراكز الحكم والاقتدار .

ولقد رأيته سهلا حتى إذا اقتنع بأمر وملك عليه فؤاده وفكره اندفع إليه دفعته التى لا تبالى ، واقتحم العقبة وراء العقبة والناس حيارى من أمره يتساءلون أهى دفعة عن حق وعقيدة وإخلاص أم هى لغاية فى نفسه ؟ أما أولئك الذين عرفوا وفهموا وأحبوا هذا الرجل فلم يكن لهم أن يتساءلوا لأنهم عرفوا البطولة والإخلاص يجتمعان فى قلبه ، ولمسوا المحبة والإيمان يلتقيان فيه ، فهم لن يتساءلوا ، إذ هو فى مخيلتهم كما هو فى نفسه : سيف من سيوف الحق جاء والناس فى حاجة إليه ، فأدى ما عليه ولمع لمعاناً فى حياة أمة لاشك أنها تحن لذكراه وتحمل له أطيبها فى القلوب

فى مدينة حلب ولد ونشأ سعد الله الجابرى فى بيت قديم لمع أفراد منه فى القرن الماضى الهجرى والقرن الحالى وأدوا للدولة العثمانية والخلافة جليل الخدم ، نجد تراجمهم فى أعلام النبلاء وفى تاريخ حلب للبالى .

وحلب قلعة قائمة فى الخطوط الأمامية للعروبة ، ولأهلها المكانة البارزة والمنزلة الراسخة فى تاريخ العرب والإسلام ، أما نحن أهل مصر فقد ارتبطنا بهم منذ جمعنا وإياهم رجل مصر الكبير أحمد بن طولون ، وعدا فترات قصيرة ، اشتركنا مع أهل حلب فى كتابة تاريخ الإسلام لعصور مضت ، وحاربنا الأمم من مختلف شعوب الأرض وهم معنا فى المصاف كتفاً لكتف ، فامتزجت دماء شهدائنا بدماء شهدائهم ، وما من شدة لقيتها قلعة حلب إلا شاركتها فيها قلعة مصر ، وكانت نيابة حلب ثالثة المراكز الكبرى فى الدولة المصرية القاهرة (١) ، وفى تاريخ مصر عدد من ملوكنا بدأوا حياتهم كنواب للسلطنة فى حلب .

فهذه حلب درة فى جبين العرب ، ولأهلها المكانة السامية جزاء ما قدموا فى سبيل العروبة والإسلام ، ولذا لا نعجب أن يكون ابنها البار سعد الله الجابرى فى مقدمة هذا الرعيل من العرب الذين آمنوا بأن الوحدة العربية وجامعة الدول العربية هى حلم من الأحلام بغير مصر العربية ، لأن بلادنا هى قلب العروبة ، بل العروبة ومصر صنوان . وذلك موقف للجابرى وجميل مردم وغيرهما من رجال سورية يجب أن يعرفه كل مصرى ولا ينساه . بل أمانة فى أعناقنا أن نحفظ لهؤلاء القادة الجميل الذى أسدوه إلينا فى وقت كان عدد المؤمنين بمصر يعد على الأصابع وفى زمن كان من يجاهر بعروبة مصر يعد عندنا مارقاً من الوطنية خائناً للقومية المصرية . فلنذكر هذا جيداً ولا ننسه .

لم يكن سعد الله الجابرى ممن تستهويهم القيادة والسيطرة على الجماهير والتحرك من مكان إلى مكان وفى ركابهم « القبضايات (٢) » بل كان رجلا وضع ما يملك من مال وعمل فى خدمة أمته ، معتمداً على ماض ناصع أبيض ، وعلى نفسه الكبيرة وما تحمل من آمال كبار ، وكان فى أدوار حياته مجموعة أعصاب وإرادة تدفعها صراحة متناهية وإخلاص وتفان فى سبيل المصلحة العامة .

وأول ما يبدو فى شخصيته هو توفر عدد من الصفات الممتازة التى يربط بينها نوع من التوازن والانسجام تلمسها من حديثه معك ومظهره وتأنقه وابتسامته ، فهو قد نشأ فى العز والسعة فظهرت أقواله وإشاراته وحركاته طبيعية لا أثر للتكلف فيها ، ولذلك اندثرت من قرارة نفسه ، وتوارت كل آثار مركب النقص الذى يشكو الكثيرون منه ، وتحرر بهذا من طائفة من مواطن الضعف التى لا يقدر على التحرر منها من لم ينشأ نشأته ويذهب مذهبه فى فهم الدنيا .

وكان مؤمناً بحق بلاده وعظمتها ، وهذا الايمان يجعله يستبق الحوادث ويطلب من قومه الاسراع فى السير أو يستحثهم على

(١) هكذا ورد وصف مصر فى الوثائق الرسمية (٢) الفتوات

إبنى !

للسيدة الفاضلة منيبة الكيلانى

لا أدرى لماذا ترجع بى الذاكرة إلى الوراء، إلى يوم فى شارع ضريح الملك فى الأعظمية حيث تقوم « دار لنا بمدرجة الريح » . فى أمسية هادئة ساجية وقد جلست أنظر فى شمعتين اثنتين هما رمز العامين الأولين من عمر « ابنى » ولا أدرى لماذا تستقيم لى نظرة الوراء . وكيف لا أذكر إلا ذلك العيد الذى احتفلت به بين وفاة الوالد وميلاد الولد : شمعتان اثنتان فى ضوئهما الخافت المتراقص ... وقرص من الكعك صغير ، وطفل غرير يزدهيه منظر الشمعتين يريد اطفاءهما ... وأم تنظر كيف تسير فى وادى الزمن مع وحيدها متوجسة متسائلة : ترى كم عيداً تستقبل هى وهو ؟ وعند أية شمعة من شموع حياته تخبو شمعة حياتها ؟ ... هكذا كانت ترتسم الصورة فى ذاكرتى : لون من الليل فاحم ولون مغمور بضوء الشمعتين البرتقالى تخالطه الدكنة فى أكثر حواشيه . . والصمت يحيط بالمكان والمناسبة والنفوس ، فلا موسيقى ولا مهنئون ، وقد انتهى العيد بأن نام « ابنى » فى أول يوم من عامه الثالث من عمره المديد السعيد .

وما أدرى لماذا أستشعر الكآبة العميقة من هذه الصورة فأجاوزها إلى سابقتها وإلى لاحقتها فأنظر إلى اللاحقة .. لا شمع ولا فرح وإنما هى صورة فى القطار يطوى الشقة الشاسعة ... إلى مصر ... يطويها قليلا حتى تنتهى .. وينام « ابنى » فى أول يوم من عامه الرابع من عمره المديد السعيد ! فأحس لذعة فى نفسى ، ولذعة فى هيكلى ، فأشكو الأخرى شكاة مؤزرة بالأولى مؤكدة بها . ثم أشكو الصداع ثم أتخاذل فينظر إلى « ابنى » وأنظر إليه ... ثم يأتى الطبيب يفصل فى شكاتى الأولى بأن أسكن دار الحميات زمناً .. وأن يحاط بى فلا أرى « ابنى » ولا ألمسه ولا أقوم على خدمته أبداً .

وقال قلبى : ودعى أيتها الأم طفلا ، وقال الشيطان ... إلى

الوصول إلى درجة من النظام والرقى والضبط والربط لا يمكن أن تحتملها طاقة الناس فى المشرق الذى بدأ يستيقظ من سنة الكرى عن قرب ويفتح حديثاً عينيه إلى النور . هنا تتلاقى الدوافع النفسية للوصول إلى المثل العليا مع قوة الارادة والشكيمة التى يحملها سعد الله الجابرى ، وتواجه كلها الواقع المؤلم فيبدو أحياناً مندفعاً لا تلاحقه أفكار الناس ولن تقدر أن تلاحقه فهو يحمل قبساً من نور الحقيقة ومن نور الالهام ويشعر بالأخطار القادمة ويريد أن يدعم الأساس ويقوى البنيان وهم تشغلهم حوادث اليوم وتلهيهم مشاكل الساعة فلا يرون ما يراه ولا يتبعونه فى خطواته ، لذلك أصبح الرجل الذى يجاهد ويكافح ولكن فى الطريق الذى اختاره هو لنفسه وأفرغ عليه المبادىء والمقاييس التى فرضها هو على نفسه ، وجعل منها قواعد وحدودا لم يكن يحيد عنها ولا يخرج منها . لما أراد أن يأخذها الناس ويقيدوا أنفسهم بها ، رأوا أنه يحملهم فوق طبيعة البشر وفوق طاقتهم .

إن الذين انتقدوا سعد الله الجابرى فى حياته لم يفهموا هذه الناحية من نفسه الكبيرة ولوفهموها لأدركوا أى خسارة تحتملها الآن سورية والبلاد العربية باختفاء شخصية نافذة مخلصة ، تمتاز بحماستها الهائلة للفكرة العامة واندفاعها لأجل المصلحة العامة

لقد كان سعد الله من بناة الاستقلال السورى ومن الذين جاهدوا فوصلوا إلى مراكز القيادة ، وكانت الدنيا بين أيديهم فاذا هم يخرجون منها وهم أقل ثروة مما كانوا قبل دخولهم الحياة العامة

كثيراً ما كانت تخونه أعصابه ، ولكنى لم أعرف لحظة واحدة خانه فيها إيمانه . كثيراً ما تحمس وانفعل ولكن كثيراً ما تحمل لأن قلبه كان كبيراً وعامراً بالدوافع الكبرى : فهو قد حقق مع زملائه لوطنه مارسمه فى مخيلته من حرية واستقلال ، وكان يؤمل أن ينقل أمته إلى المكانة التى كان يحلم بها . حقق الله آماله من بعده

إنى أعزى الشعب السورى الشقيق وفخامة رئيس الجمهورية ودولة جميل بك مردم وزملاء الفقيد وآل الجابرى وأعد فقده خسارة للعرب ولمصر التى أحبته وأنزلته فى قلبها لما ظهر من حبه لها ولأهلها ، أسمى منزلة وأكراما .

أحمد رمزى

غير لقاء ، وقال آخرون عرفوا بالرأفة والحنان : سنكفل الطفل ونرعاه ، فنذريه معنا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون .

وتجاوبت لغة التشاؤم في نفسي المثقلة بذكرياتها ، واشتجرت في قلبي شجرة طلعها كأنه رؤوس الشياطين ، ولم يبق في حسي إلا بقية الآية : إني ليحزنني أن تذهبوا به ... !

أجل ! . إني ليحزنني أن يذهبوا به .. وإن كان القوم ذوي أطفال ، وإن كانوا ذوي نفوس كريمة وطبع سمح جميل ... !

وأعود من هذا إلى ما سيحس هو به فأقول :

ألا من رأى الطفل المفارق أمه   قبيل الكرى عيناه تنهملان

ولقد ذهبوا به في رأد الضحى بجدائله التي عقصتها له بيدي المتخاذلتين وقلبي المستخذي الخفاق يمد عيني المحمومتين بالدمعة المهراقة التي لا ترقأ . وأضحى كل ألم في كل مفصل له بولدي صلة ؛ فأنا آلم برأسي ألم رأس وألم حس بفراق « ابني » ؛ وأنا آلم بحسي ألماً يكبر عن الألم المألوف لأنه مزيج من ألم الحس المثخن وألم الأم تريد ابنها ترى فيه آلامها الكبار السابقة لينحط هذا الألم بفعل المقارنة إلى ما يجوز استمراؤه وقبوله . فهل أكون عقصت شعره لآخر مرة ؟

وتعظم هذه الآلام وتبسق وتمد ظلالها فتساقط على نفسي الحالة بذكرياتها كسفاً من الليل المفعم بأعاصير الكدر ، وتتزلزل قواعد الصبر في نفسي وتلقي بها الريح في مكان سحيق فأرتد خاسئة الطرف ذاوية ، وأضؤل وأضوى .

وهنا تنفتح عيني على غير إرادة ، وأرفع كفي إلى رأسي المسجور ، لأني أرى في ضنى هذا وبؤسي هذا .. ويأسي هذا « ابني » الذي حملوه مع الحقائب إلى دار الكرام الذين قالوا ذريه معنا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون ... وأدير رأسي رويداً رويداً لأسكب على الوسادة دموعاً ثقالا بعد اليوم ، لا حراراً كما اصطلح عليها ، دموعاً ثقالا من ذوب القلب الحنون تنفض البؤبؤ السقيم فأطرحها على الوسادة طرحاً ، وأراها تتدحرج قطرة قطرة ... وتفرغ عيني منها فأستجلي صورة ابني على مقربة من رأسي . ثم يحتلج في نفسي تسآل هين رقيق .

رققه المرض كثيراً وأمسك عليه الاجابة ، ترى علام خلق الدمع ؟ الأجل أن يضفي على الألم جديداً فأرى من خلال ودقه صورة ابني مترافصة وأراها متحركة وأراها ناطقة بدون كلام ، وأراها ضاحكة تهون على الصعب ، وأراها باكية تشاركني الخطب وتقاسمني الكرب . ولقد أراني الدمع صورة ابني من مشتقات معانيه يزم جبينه وشفتيه شروعاً في جهشة ... وأراني صورة أمي بجانبه صابرة متجلدة كشأنها ، وأراني أمسي داكناً إلا شمعتين ، وأراني غدي في لون الضباب ... ولون الضباب كلون الكفن ! !

ولقد يطلب للمريض في فرش الضنى أن يرقب مواكب المنى تمرمستأنية في وخدها وإرقالها ، مثقلة بأوقارها وأحمالها ... تقبل من الأفق الأيسر وتذوب في الأفق الأيمن مارة عبر جسمه المسجى الضعيف يحدو حداتها فيهيم طرفه الفاتر ونظره الغائر في الحدوج ويستلهم الأحمال ويتنخل ما فيها لأيامه الحسان المقبلة ، وأنا .. أرقب هذه المواكب زاخرة بأمانيها ، ملأى بما فيها ، يقودها الدمرداش من أفق العباسية إلى أفق الزمالك – حيث ابني – فلا أرى ما يستفزني في الأفانين إلا ركوب يستوي على متنه شيء يشع فيمسك الرمق ، يدنو في أخريات الموكب فاذا هو طفل بسام الثغر مصفف الشعر هو « ابني » فأصيح وأريد اللحاق فيقال : لا : أنت رهينة التيفوئيد . أجل لقد ذهب الموكب صداحاً لين اللحن عبق الخطو والحداء . وقد رأيت ابني فيه بسام الثغر مصفف الشعر ... فأبسم لنفسي وأهزأ من دموعي وأجد القدرة على الشفاء . أين الدكتور الدمرداش أشكره على ما أتاح ، وأين زوجي أسأله عن ابني فيقص على الأمر فأرتاح .

لقد قيل لي منذ أيام إن – ابني – عني سأل ، ولا بد أنه ألقى سؤاله ذلك خجلا أحمر الوجنتين ، خائب الشفتين ، فأجابوه بأن أمه في المدرسة . فما أحسن الاجابة ! انني في مدرسة الصبر ، أتعلم الموت كيف يهون ، وفراق الابن كيف يكون . أما أن ابني أحمر الوجنتين خجلا ، خائب الشفتين أملا ، فلك الله يا مناي ، ولي . ما ودعتك أمك وما قلت ، ولا نسيتك أمك ولا سلت .

منيرة الكيلاني

عبرة من كتاب :

حذار يا سيدتى (*)

للأستاذ سعيد الأفغانى

الآن ، وقد بلغت بك نهاية الحديث عن السيدة عائشة ومغامراتها السياسية ، وآثارها القريبة والبعيدة فى حياة المسلمين أودعك موصياً أن تجمل بالك أبداً — كلما قرأت التاريخ — إلى عبره وتجاربه ، فتأخذ من كل شىء أحسنه ، وتربأ بنفسك وبأمتك أن تغامر فى تجربة ثبت ضررها وفسادها ، وخاصة إذا كان الثمن الذى قدمناه فيها دماء عشرات الألوف . وأنا أريد أن أختم كلامى بالنص على عبرتين اثنتين من هذه العبر الكثيرة التى تعرض لقارىء هذا الكتاب ، تنقذاننا مما نحن فيه اليوم من تخبط ، وتنيران لنا طريقاً طالما تعسفنا فى المتاهات دون أن نهتدى إليه.

أما الأولى : فهى أن المرأة لم تخلق قط لتدس أنفها فى المنازعات الساسية . إن لها أن تنصح وتبصر القريبين منها بعواقب الأمور ، وليس لها أن تشارك فى القلاقل والاضطرابات والفتن . إن بيدها مفاتيح خطرة فى التأثير فى نفوس الجماهير وفى استغلال حميتهم ونخوتهم ومشاعرهم ، وهذا السلاح غير حميد فى العواقب ولا يصح استعماله بحال . وقد أبنت لك أنه لولا موقف السيدة عائشة فى أمر عثمان ثم المطالبة بدمه من بعد لتغير مجرى الحوادث فى تاريخنا التغير كله ، ولسارت سيراً مأموناً مطرد الرقى مباركا ، فيه الخير كل الخير للأقطار الإسلامية ...

وكان الله الذى جعل النساء لتنشئة الرجال وتربية الأجيال وإدارة البيوت ، أراد أن يعظ المسلمين عظة عملية لا تنسى ، كلفتهم كل تلك الدماء المهراقة ، وفجعتهم بالألوف من الصحابة الأجلاء المهاجرين والأنصار ومن الفحول المذاويد من أبطال الفتح وأعاظم الفقهاء وأساطين القراء ورؤوس الناس ... ليعلموا : أن لو كان أمر من أمور الرجال الخاصة بهم يقوم بامرأة ، لقام بعائشة أم المؤمنين ، تلك السيدة الحصيفة التى أوتيت من المواهب والذكاء والعلم والبلاغة والصلاح ... ما لم يؤته رجال كثيرون مجتمعين ، والتى جمع الله فيها من المآثر العظام ما تفرق فى العدد المديد من الفحول .

لقد خلدت حرب الجمل مناراً فى تاريخ المسلمين : كلما نزغ بهم نزغ من تقليد أعمى لغيرهم من الأمم ؛ أو مس من رجعية ذميمة ، فهبطوا بالمرأة من الصيانة إلى الابتذال ، أو هموا أن يخرجوا بها عما خلق لها وخلقت له ... قالوا لأنفسهم : أخفقت هذه التجربة فى صدر تاريخنا ؛ فما بنا من حاجة إلى أن نعيدها عبثاً ، أو أن نهرق فى سبيلها ثانية دماء جديدة ونخرب بيوتاً عامرة ... ومن لنا مع هذا بمثل عائشة .

وليذكروا أبداً أقوال عائشة بعد ما عاينت هول ما جرته مغامرتها السياسية على الأمة من ويلات ، إنها قضت عمرها حسرة وندامة ، حتى أذابت الحسرة قلبها وكبدها وحتى قتلها الحزن قتلا . وفى هذه الكلمات البليغات منها عبرة لنا أى عبرة :

« ليتنى لم أخلق » ، « ليتنى كنت شجرة » ، « ليتنى مت قبل يوم الجمل بعشرين سنة » وقد كانت آخر كلماتها التى ودعت بها الحياة قولها : « إن يوم الجمل معترض فى حلقى ، ليتنى لم أخلق »

* * *

إن هناك مجالاً واسعاً لنشاط المرأة حين تجد وقتاً فاضلاً عن شؤن التربية وإدارة المنزل ، تستطيع به أن تملأ الأجواء خيراً ورحمة وإحساناً . هذه وجوه الخير مفتحة الأبواب فى وسع المرأة أن تلجها فتمارس أموراً عظاماً وتبذل مجهوداً مشكوراً يعود على أمتها بما لا يقل عما يأتيه الرجال المحسنون ثمرة وغناء وطيب أثر.

أمامها من ميادين الخير : التمريض وإسعاف الفقيرات من بنات جنسها بالعلاج والدواء والطعام والكساء . وفى مجتمعنا من المحتاجات ما يشغل عشرات الجمعيات الخيرية من النساء ولا يفى بحاجتهن عشرات المستشفيات .

وأمامها أيضاً كفاح الجهل فى بنات جنسها ، فلتنشىء لهن المعاهد ذوات المناهج الصالحة لتنشئة الأمهات على ألا تستعير لها برامج الذكور (ببعض التعديل) فقد ثبت مع الزمن أنا حتى

(*) الفصل الأخير من كتاب (عائشة والسياسة) تصدره لجنة التأليف والترجمة والنشر قريباً

الآن لم نقم التعليم الصالح للبنات [١]

وهناك أمام المرأة العناية بتربية اليتيمات وإنشاء (المياتم) وتمهد أمهاتهن بالرعاية والتوجيه ثم إشاعة الثقافة الصحية بين النساء عامة ...

ويجب أن ينشأ فيهن المتخصصات فى جميع الفروع التى يحتاج إليها النساء والأطفال، وأن يكون منهن العدد الوافى بالحاجة بحيث يسددن عوز النساء فى علاج أمراض العين والأسنان والأمراض الداخلية والجلدية وفى حاجات التوليد .

فإن كان ولا بد من زيادة فإلى المساهمة فى كفاح ما يتفشى فى المجتمع من امتهان المرأة وإشقائها عن طريق البغاء والقمار والخمور وغيرها من المفاسد التى ضاق بشرورها المفكرون فى الغرب والشرق ...

لدى المرأة إذن كثير من أعمال الإحسان تنتظر من يقوم بها ، وفى ذلك الخدمة المخلصة للأمة وإعمار البيوت وإفاضة الخير والسعادة فى المجتمع ...

ونحمد الله على أن فى فضليات نسائنا من تحاول سد هذه الثلمة ، إلا أن نسبتهن قليلة جداً بالقياس إلى اللائى تنكبن الجادة متخبطات على غير بصيرة ، فهجرن بيوتهن وأكلن أمورهن إلى الخوادم ، وطفقن يمارسن مالا يعود عليهن وعلى أسرهن وأمتهن إلا بالضرر الخالص والإفساد الكبير : من إقامة حفلات ساهرة مخجلة ، وغشيان مجتمعات وأندية ، واقتحام أسفار ، وعقد مؤتمرات لا يبلغن فيها أمراً نافعاً ، بل كثيراً ما يرجعن وقد سبقتهن أشأم الحوادث وأسوأ الأخبار ... مما يدع السامع ينشد قول جرير يخاطب الفرزدق :

وكنت إذا حللت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عاراً

(١) ينبغى أن تكون أكثر مواد هذا التعلم بحوثاً واسعة تجريبية فى كل ما تحتاج إليه الأم فى الصحة والدين وشؤون المنزل وتربية البنين وحسن العشرة ... لا خليطاً غير منسجم من نظريات الرياضيات ومعادلات الكيمياء وقوانين الطبيعة . ولنجعل التاريخ الذى يدرسنه مملوءاً بسير الذين ضربوا المثل العليا للبشر فى سمو النفس وابتغاء الخير وخدمة الناس ، وفى الفضائل الحية ممن أشاعوا الرحمة والصلاح والعدل والخير ، وكانوا للانسانية حماتها الأبطال المخلصين من رجالنا ونسائنا على السواء . ولنتجنب شحنه لهن بأخبار القلاقل والاضطرابات والفتن والحروب ومثل الفساد والطغيان .

يقلدن بذلك نساء ضج عقلاء أممهن من أحوالهن [١] وسقط مقامهن فيها من كثرة هذا التبذل والعبث ، وعدن على بنات جنسهن من البريئات بأبلغ الضرر لما لوثن من سمعة المرأة عامة . ليتنا إذا جئنا بالتقليد اخترنا من نقلد ، ففى كل أمة من فضليات النساء النافعات من يحسن الاقتداء به ، ولكننا ننتقى أحط المبتذلات ثم نسبقهن فى الابتذال أشواطاً يخجلن هن أنفسهن من السعى إليها .

وأبعد من هذا ، أننا إذا أممنا فى البيت وما يحتاج إليه تدبيره على خير نسق من علم واسع غزير فى الصحة والأخلاق والتربية وعلم النفس ، وسياسة الزوج والأطفال ، وسياسة المورد والمصرف ورعاية ذلك كله . . وجدنا أن علم ذلك وإتقانه وحسن إمضائه لا يكاد يبقى للمرأة القديرة ذات المواهب الجمة من فراغ أو جهد فكيف المتوسطات بله الضعيفات . إن ما يلزم لتصبح الأنثى امرأة (مثقفة) ليتضاءل أمامه — فى اعتقادى — كل ثقافة ثانية مهما كانت رفيعة مفيدة .

وعلى المرأة الجادة بعد ذلك واجبات عديدة تستطيع أن

(١) وددت لو تفرغ طائفة من علماء النفس إلى دراسة نفسية عميقة للنسوة اللاتى يطالبن بالحقوق السياسية فى أوروبا وأمريكا واللاتى استغرق (نشاطهن) الاجتماعى كل وقتهن ، فلعل فى أعماق نفوسهن هوى سحيقة ومرارات أليمة وعللا وشذوذاً ... وشعوراً صارخاً بنقص ماثل لأعينهن كيفما توجهن ، فآثرن تناسيه والهرب منه بذلك (النشاط الإجتماعى) . والطريف أن هؤلاء لم يكثر عددهن إلا فى هذه السنين الثلاثين الأواخر ، حين فقدت أوروبا الشعور بدفء الأسرة ونعيمها وروحها ، وخلت البيوت من جوها الجميل الجذاب ، جو التآلف والاجتماع والتحاب والتعاطف ، وأصبحت مائدة البيت قلما يجتمع عليها اثنان بعد أن تشرد أفراد الأسرة وتبعثروا فى المطاعم والسهرات . فلو كان بناء الأسرة متماسكا متيناً حبيباً كعهده الأول ، ما كان المطالبات بحقوق الانتخاب والنيابة والوزارة والتمثيل السياسى وما إلى ذلك . وإذا أساغ التصور السليم مثل هذا الشذوذ فى روسيا السوفيتية ، حيث يراد إقامة مجتمع لا بناء للأسرة فيه ، فإنه لا يتخيل بحال امرأة عضواً عاملا فى أسرة ثم تكون مندفعة فى تيارات السياسة وما إليها فى وقت معاً .

ووددت أيضاً لو شرع الفنيون من رجال الإحصاء بدراسة تعرفنا نسبة ربات الأسر اللائى أنعم الله عليهن بالزواج والولد بين الطالبات بحق الانتخاب مثلا ، ثم أحصوا نسبة الجميلات منهن ، ثم .. ثم .. إنى لأخشى أن تكون الكثرة الكاثرة منهن ممن حرمهن الله الجمال والزوج والولد ، فنقمن على المجتمع نظامه ، وعلى الأخلاق قوانينها ، وعلى السعادة وجودها على الأرض ، وآلين على أنفسهن ألا يضعن الحرب حتى يعم العدل وجه الأرض ، وما العدل عندهن إلا هدم الأسر وأنظمة الزواج ، وسلطان الضمير ، ومحو السعادة جملة ...

تشارك فى شرف الخدمة فيها ، على شرط واحد : هو أن تتم كل ما عليها من واجب نحو بيتها وأسرتها أولا ، وإنما يكون التطوع والصداقة والإحسان فيما فضل عنك من مال أو وقت أو جهد .

* * *

هذا ، ولست أقول إن المرأة لا نفع منها فى باب السياسة ، أستغفر الله ، إن منها النفع كل النفع من طريق واحد فقط : هو أن تتحلى بكل فضيلة رسمها لها دينها ثم تنشىء عليها أولادها ، فما فى امرأة فرطت بفضائل دينها من خير قط . والناس على حق حين يهملون كل أدب واحترام إذا رأوا امرأة جامحة على الآداب النسوية التى شرعها الله . والدين للمرأة هو كل شىء فى نظر زوجها وولدها وأسرتها والناس أجمعين ، فإذا جاهرت بشىء من الخروج عليه فقدت كل احترام فى النفوس ، وانتقلت نظرة الناس لها دفعة واحدة من التقديس إلى الزراية .

إن من لم تكن أمينة على دينها لن ينتظرمنها إلا الشر والخيانة لأسرتها ووطنها ، مثلها فى ذلك مثل الرجال : رق دينهم فلما مارسوا الشؤون العامة مالئين الدنيا صخباً بدعوى إخلاصهم ووطنيتهم ، كان بلاء الأوطان منهم وحدهم إذ كانوا لا يخافون الله ولا يرعون لدين عهداً ولا لضمير حرمة ، فانطلقوا يشحنون الأرض خسفاً وكسفاً ونهباً وسلباً واحتكاراً وغلاء وإهداراً للكرامات والقيم وتضييعاً للأمانات والحقوق . وبذلك ضربوا أسوأ الأمثال وأظهروا وطنهم بشر المظاهر ... ومن مات وازعه الدينى ونسى يوم الحساب فلن يرده عن طغيانه رادع من الناس ولا رقيب ...

وأنا على يقين من أن أمهاتهم مسؤولات — إلى حد بعيد — عن هذا الخزى الذى ارتطموا فيه ، إذ أهملن فيهم تربية الوازع وإحياء الضمير وإشعارهم خوف الله والحساب . لقد حرمتهم النشأة الدينية الفاضلة فلم يعرفوا لذتها ، ولم يتعهدن ذممهم وأخلاقهم ففقدوا فى أنفسهم الكرامة الإنسانية ، فلما تغلبوا وسيطروا كانوا فوق الوحوش ضراوة وشراسة وقسوة قلب ، فعم البلاء البلاد والعباد ...

إلى هنا الحد تبلغ جريمة المرأة الناشئة على غير دين ، وتعظم المصيبة بها، وتستفحل آثارشرورهافى مستقبل الأمةوسلامة المجتمع فلها إذن آثار بعيدة فى السياسة ، وهى تسدى لوطنها أعظم الفضل أو تبلغ منه أعظم النكاية ، لا بنفسها مباشرة فقط ، ولكن بنفسها وبما تنشىء عليه أبناءها سياسى الغد من فضائل أو رذائل، وبما تنال ضمير الناشىء ووازعه الدينى من عناية أو إهمال

* * *

ذلك وقد أعان على تردى المرأة فى الخروج على أنوثتها وفطرتها فريق من أشباه الكتاب حملوا أقلاماً ولم يحملوا إخلاصاً ولا أمانة ولا نصحاً . دفعهم الرياء المغشوش على أن يغرقوا فى مجاملة المرأة المشتطة الطائشة ابتغاء العبث بها وبكرامتها ، فحملوها فوق ما تستطيع من السخط على الطبيعة التى فيها لكل كائن عمل خاص . وكان حق المرأة على هؤلاء أن يأخذوا بيدها إلى ما يسعدها من علم وخلق ، وإلى ما يعزها فى المجتمع سيدة بيت ومربية أجيال . وكان من حقها أيضاً على من يزعم نصرتها أن يمسكها عن أن يهوى بها الطيش فى مكان سحيق فتفقد ما لها من حرمة هى ملاك أمرها كله فى المجتمع . ليتنا فى غمراتنا اليوم نسترشد بتجارب الماضى ونسير غير متخبطين : نبصر مواطىء أقدامنا ونتقى المزالق ، ونجند كلا فى ميدانه الذى يصلح له . لقد تداعت علينا الأمم ، وطمع فينا حتى (الصهاينة) من شذاذ الآفاق ، وغزينا فى أخلاقنا وبلادنا وأموالنا ... وليس فى جهودنا فضل ننفقه فى رد العابثين عن عبثهم ؛ فليتق الله حملة الأقلام وليصونوا الشاردات عن القطيع ، وليرجعوا بهن عن طريق وضمن أقدامهن فى أوله وما آخره إلا مستقبل أسود حالك للأنثى أولا ، ثم خراب البيوت وهدم الأسر وارتكاس المجتمع وموت كل كرامة امتاز بها الإنسان من دون الحيوانات الدنيا .

وما الانهيار السريع الذى قضى على بعض دول الغرب العظمى فى مثل لمح البصر بسبب فساد المرأة ، ببعيد فينسى . ولنا فيه درس وموعظة وبلاغ (١)

سعيد الأفغانى

---

(١) أما العبرة الثانية فقد كنا نشرناها فى العدد (٧٠٣) من الرسالة بعنوان (من نكبات الحزبية فى تاريخنا) .

لماذا ينتحر الناس؟

بحث نفسى اجتماعى

للدكتور أحمد موسى

لم يكن الانتحار معروفاً فى مصر قبل ربع قرن ! وكان الناس على الأرجح أكثر قناعة واحتمالا وأرحب صدراً لمقابلة آلام الحياة وأقل تبرماً بها ! أما اليوم ولاسيما خلال العشر السنوات الأخيرة فقد بدت ظاهرة مخيفة ، هى إقدام الكثيرين على الانتحار سواء فى ذلك الشبان والشابات والنساء والرجال دون فرق ظاهر بين متعلم وجاهل وبين فقير وغنى وبين صحيح ومريض وبين متزوج وأعزب .

ولبيان خطورة هذا المسلك ودراسة الدوافع إليه والنتائج المترتبة عليه يجدر بنا أن نلقى نظرة بسيطة على الإحصاء الدقيق المعمول فى أمريكا وأوربا .

وخير ما يمكن أن يدرس هو الإحصاء الذى سجله الدكتور فردريك هوفمان أحد مديرى شركات التأمين الكبرى فى نيويورك ، وهو بحكم دراسته ووظيفته ومدة اشتغاله بالإحصاء أكثر من ثلاثين عاماً يعد من الثقاة فى هذا الموضوع . يقول هوفمان إن عدد المنتحرين بلغ فى سنة ١٩٣٥ سبعة آلاف ، ويقرر بعد عمل المقارنة أن هذا العدد الهائل يعادل ما حصل فى بحر عشر سنوات من سنة ١٨٨٩ إلى سنة ١٨٩٨ ، وهذا دليل على أن ترمومتر الانتحار آخذ فى الارتفاع .

ومع الاعتراف بفضل تقدم الوسائل الاقتصادية وتأمين العمال ومساعدة العاطلين مالياً وإيجاد سبل العمل لأكبر عدد منهم والتقدم العمرانى العام وانتشار التعليم إلى جانب انتشار وسائل التلهية والتسلية ؛ فإن هذا كله لم يكن ليمنع ازدياد الانتحار بين الناس على غير ما كان منتظراً ومأمولا .

هذا ما وقع فى أمريكا ولكنه قد لا ينطبق تمام الانطباق على ما يحدث فى أوربا ، وقد يخالف ما يحصل فى الشرق على وجه الخصوص .

والشىء الذى تجب ملاحظته هو أن الانتحار يكثر عادة فى البلاد المتمدينة عنه فى البلاد المتأخرة ، وفى العواصم والمدن الكبرى عنه فى البلدان الصغيرة والقرى ، أى أن حوادث الانتحار ترتبط ارتباطاً وثيقاً بانتشار المدنية ؛ ولذلك فلا غرابة إذا وجدنا أن الانتحار غير معروف عند السود فى جنوب الولايات المتحدة وفى أواسط أفريقيا . والسبب فى ذلك أن مطالب الحياة فى البلاد المتمدنة أكثر تنوعاً وأشد إلحاحاً منها فى البلاد البعيدة النائية حيث الحياة بسيطة أقرب إلى الفطرة .

وسكان جنوب الولايات المتحدة وإن كان معظمهم من الزراع وعمال مصانع النسيج الفقراء فإنهم يعيشون فى أمان من الانتحار إذ لم تزد نسبة المنتحرين عندهم عن اثنين فى كل مائة ألف من السكان ، على حين قد ثبت أن هذا العدد بلغ ثمانية فى كل مائة ألف فى الأماكن المجاورة حيث توجد المدنية !

والإحصاء العام يدل فى غير شك على أن معظم المنتحرين كانوا من بقاع النصف الشمالى للكرة الأرضية بنصفيها الغربى والشرقى حيث سارت المدنية بخطى أوسع وبسرعة أكبر ، وحيث العوامل الجوية دائمة الانقلاب والتغير والتباين ، وهو نفس الجو الباعث على النشاط والعمل والانتاج ، فكأن الشعوب التى نالت القسط الأوفى من التعليم والثقافة والتى لديها الأسس الاقتصادية ، امتازت أيضاً بزيادة عدد المنتحرين فيها .

وثبت من الاحصاء أن انتحار النساء يكون على أشده بين سن ١٥و٤٥ والرجال بين سن ٢٥و٦٠ ، إلا أن عدد المنتحرات كان دائما أقل من عدد المنتحرين ، لأن المرأة بطبيعتها المولودة معها أكثر جلداً وصبراً واحتمالا لآلام الحياة ، وهى كأم أقل تبرماً بالقدر وأكثر تضحية بنفسها لأولادها ، فضلا عن أن مسئوليتها فى الحياة أقل نسبياً من مسئولية الرجل المولود للكفاح والقوامة على المرأة ، وليس فى مكنته التحرر من واجبات الزوجية أو إهمالها ، كما أن من واجباته الأولى مساعدتها على البقاء وتأدية رسالتها التى خلقت من أجلها وهى الأمومة ، ولذلك فعند ما تصادف المرأة من مرارة العيش قدراً مساوياً لما يصادفه الرجل كالآلام النفسانية أو الجسمانية أو الصدمات الحيوية العنيفة ؛ فإنها لا تفكر فى الانتحار أو على الأقل لا تميل إليه بمقدار قوة ميل الرجل ، لأنها أبهر منه فى إيجاد نوع من السلوى وأكثر رضوخاً للتعاليم الدينية وأميل للانحياز نحو الآمال التى قد تتحقق حيناً وتخيب أحياناً .

نعم إن هناك مشكلة التقدير لهذه المتاعب ، فقد يصيب المرأة ما يصيب الرجل ، وكلاهما يختلف عن الآخر فى التقدير .

ويمكن التأكد من صحة هذه المعالجة بالنظر إلى عدد المنتحرين فى مصر عام ١٩٢٧ مثلا ، فقد بلغ مائة وستة أشخاص بيانها :

السن من — إلى		ذكور	أناث
١٠	١٩	١٠	١٤
٢٠	٣٩	٤٠	١١
٤٠	٥٩	١٤	٦
٦٠	فا فوق	٤	٥

المجموع ٦٨ ذكوراً ، ٣٦ أناثاً .

يضاف إلى ذلك اثنان انتحرا فى سن أقل من العاشرة .

ومن هذا البيان يتضح أن المرأة أقدمت على الانتحار بنسبة أكثر فى وقت كانت فيه أبعد عن الرزانة وأقرب إلى الآمال ، على حين أقدم الرجل بكثرة عند ما شعر بالمسئولية . وكذلك يلاحظ أن عدد المنتحرين قل إجمالا بعد سن الأربعين وتساوى مع الرجل بعد سن الستين . وهذا يؤيد أيضاً أن المرأة أقل اندفاعاً نحو الانتحار من الرجل ، وذلك بالنظر إلى مجموع الرجال ومجموع النساء ولا يختلف هذا عن نتائج الإحصاء فى أمريكا وأوربا .

وقد كثرت حوادث الانتحار فى العهد الأخير بين المتعلمين فى القارتين الأمريكية والأوربية ، ولاسيما بين الأفراد الذين نالوا قسطاً وافراً من المعارف ولم يكن ميسوراً لهم الانتفاع بمعارفهم سواء فى خدمة المجموع أو خدمة أنفسهم ، وكان الباب فى غالب الأحيان موصداً فى وجوههم لتفشى داء المحسوبية الوبيل الذى كان من أكبر أسباب انهيار فرنسا بجيشها الباسل ورجال العلم والعمل فيها . وإن كلمة بيتان فى سبب الانحلال الأخلاقى لأكبر دليل على ما أصاب هذا البلد العظيم من عوامل إخفاء الأكفأ والأحسن والأسمى ، ولو اتعظ الناس فى بلادنا لأعرضوا جميعاً عن تشجيع المحسوبية بل لعملوا على محاربتها ، لأنها تقتل الكفاءات وتثبط العزائم وتحارب العاملين وتدفع ببعضهم إلى الانتحار مللا وضجراً أو رغبة فى نهاية فيها الراحة مهما كانت مرارتها

ولوحظ أن حوادث الانتحار تكثر فى أوقات الأعياد ولاسيما الدينية منها كعيد الميلاد ورأس السنة المسيحية ، وكذلك عقب الامتحانات العامة وخصوصاً فى مصر ، والانتحار سواء بالغرق وهو أكثر ما يلجأ إليه أو بتناول السموم أو بقطع الشريان أو بالرصاص قد كثر فى عهدنا الحاضر كثرة تبعث على القلق وتحفز ذوى الهمم إلى وجوب الدرس والفحص والعناية .

ودلت التجارب على أن حوادث الانتحار منتشرة فى البلدان التى يكثر فيها العاطلون من ذوى النفوس الحساسة والعقول التى تقدر المسئولية ؛ لذلك قامت الحكومات المتمدينة بمحاربة البطالة بمختلف الوسائل ووفق بعضها توفيقاً هائلا إلى ما قبل الحرب الأخيرة

ومن الغريب أن معظم حوادث الانتحار أقدم عليها أفراد من الريف انتقلوا إلى المدن الكبرى والعواصم مأخوذين بسحرها وأضوائها واتساع شوارعها وسهولة العيش فيها ، فإذا ما استقر بهم الحال هبوا سعياً وراء الرزق والعمل ، ولكن سرعان ما يصطدمون بصخرتها القاسية فيفروا من ذلك السحر وهذا الجمال إلى حيث النهاية التى لا عودة بعدها .

والانتحار عمل ناشىء عن اختلال التوازن العقلى واضطراب المجموع العصبى ، فيختل تقدير الإنسان للمسئولية الأدبية والاجتماعية فيندفع إلى تلك الخاتمة الأليمة التى لو ساعدت الظروف الخارجة عن إرادته على منعه لعاد إليه صوابه وندم على ما كان شارعاً فيه

وتكاد كل حالات الانتحار تتشابه من حيث الدافع إليها ، أى أنها تسلط فكرة « التخلص » من متاعب لا نهاية لها ، سواء فى ذلك المتاعب الجسمية أو النفسية ، والجسمية مرضية معظمها ميئوس من شفائه كالسرطان والتدرن الرئوى والأمراض التناسلية ، أما النفسية فهى مع تنوعها لا تحتاج إلى إيضاح كثير ولكنها مع كل حال لا تخرج عن يأس وقنوط لإيجاد حل « معقول » لمشاكل لا حدود لها .

وكم من مرة سمعنا بعض الناس يقول « إن الحياة عندى لا تساوى مليما » أو « إنى أفضل الموت على الحياة » أو « لماذا ولدنا وكل ما فى الحياة عذاب » وهذه الكلمات لا تصدر عفواً ولا يقولها القائل تلهياً وعبثاً ؛ فواجبنا جميعاً يقضى بدرس هؤلاء الناس والعمل على تخفيف آلامهم ، ولا ننسى أن بعض هؤلاء انتحر فعلا بعد أن التمس من الحكومة الأخذ بيده ليتمكن من القيام بواجبات الأبوة لأطفال صغار .

إن مما يؤسف له حقاً أن تكون المدنية السبب الأول لهذا البلاء لأنها هى التى جرت على الناس مصيبة الترف ودقة الإحساس والمبالغة فى تقدير المتاعب ، وقربتهم إلى « النعومة » فأصبحوا خائرى القوى لا يرغبون فى المقاومة بل ويستسلمون لأقل قوة ، فترى البعض يثور إذا ما أصاب مصعد العمارة التى يسكنها أى خلل مؤقت يترتب عليه بذل جهد بسيط فى الصعود إلى الطبقة الرابعة أو الخامسة ، وزاد بالناس التبرم بالحياة إلى حد

الرغبة فى إحداث « ثورة » منزلية إذا ما وجدوا ماء الحلاقة بارداً أو فاتراً أو شربوا الماء وهو فى درجة ترتفع عن الصفر !

لقد فقد الناس الجلد وقوة الاحتمال بفضل المدنية الحديثة واختراع الآلات الميكانيكية التى تؤدى كل عمل ؛ ولذلك فلا غرابة إذا زادت نسبة المنتحرين بين الطبقة المتمتعة بمثل هذه « النعم » أو الراغبة فيها أو الساعية إليها !

ويظهر أن هناك علاقة وثيقة بين الموقع الجغرافى والجو فى بلد ما وبين عدد المنتحرين فيه . فمثلا نجد أن منطقة سان ديجو فى كليفورنيا أكثر من غيرها بالنسبة إلى عدد المنتحرين ، فقد بلغ هذا العدد ٤٦ فى كل مائة ألف ، وبعدها سان فرانسسكو ٣٨ ولوس انجلوس ٣٣ وأوكلاند ٣٠ فقط ، والتباين بين هذه المناطق ظاهر وراجع إلى اختلاف الموقع واختلاف الجو .

ولم يلاحظ أن جمال البقعة أو الوسط مما يخفف من اندفاع الناس نحو الانتحار ، فمدينة واشنطون معروفة بجمالها وبكثرة بساتينها وأنها بلد محوط بالحدائق ، ومع ذلك ازداد عدد المنتحرين فيها عن بايون فى نيوجرسى التى لا تدانيها فى جمال الطبيعة فيها ؛ فنرى فى الأخيرة أن عدد المنتحرين كان خمسة فى كل مائة ألف على حين وصل فى واشنطون ١٨ .

ويظن بعض الناس أن سكان البلدان الحارة هم أقرب إلى الاندفاع العصبى وسرعة الغيظ والغضب لأقل الأسباب أسرع من غيرهم شروعاً فى الانتحار ، وهذا مخالف للواقع ؛ إذ أن نسبة عدد المنتحرين فى إيطاليا والبرتغال وأسبانيا ومصر أقل بكثير عن نظيرتها فى البلدان الشمالية .

وإذا عد الانتحار دليلا على الفشل فى الحياة وعلى اليأس والقنوط فإن البعض يعده أنانية ، وسواء أكان هذا أو ذاك فإن ذلك لا يمنع من درسه والعناية به ؛ لأن الدافع إليه تسلط فكرة واحدة وانحلال قوة التفكير أمامها ، وهذه الفكرة هى « التخلص » من الحياة .

ولا أصدق من موليير عندما قال فى مقطوعته Dépit amoureux أن الموت أشبه شىء بزجاجة الدواء ، يمكن لكل فرد أن يتناول منها فى وقت معين ، فمن اندفع نحوها قبل الأوان فقد اندفع بعد ما فقد عقله (١) !

أحمد موسى

(١) La mort est un remède à trouver quand on veut
Et L' on s'en doit Sevvir le plus tard que l'on peut, uolière. 1656 A,4 Sc 1 Frosine

البحر والقمر

للأستاذ علي محمود طه

« من ذكريات مدينة « كان » بالريفييرا الفرنسية صيف عام ١٩٤٦ وقد أقيمت فى خليجها الفاتن حفلة شائقة للسباحين والسباحات ذات ليلة مقمرة استمرت حتى مطلع الفجر » .

من أين يا « كانُ » هذه الصورُ ؟ … تساءل الماء فيكِ والشجرُ
رؤًى بها بات يحلُمُ القمرُ ! … ألبحر والحور فيه سابحة
دعاه قلب ، وشاقه بصرُ … أطلَّ والضوء راقصٌ غزِلٌ
آلهةٌ هؤلاء أم بشرُ ؟ … يهمسُ فيما يراه من فِتَنٍ
كأنما مسَّ زوحَه الضَّجرُ … يقفز من لجةٍ إلى حجَرٍ
إلّا ومنهُ بثغرها أثرُ … معربداً لا يريم سابحةً
يعجب منها الحرير والوبر … من كل حواء مثلما خلقت
جسما تحامى نداءه القدر … ألقته عنها غلالة ونضَتْ
ولا استوى فى بنائها حجر … فى حانة ما علت بها عمد
سقيفة ، والنسائم السُّترُ … جدرانها الماء ، والسماء لها
حور تلوَّى ، وفتية سكروا … خمَّارُها منشد ، وسامرُها
قد خوَّضوا فى العباب وانتثروا … لم تبق فى الشط منهم قدم
وودَّعوا القلب حينما نظروا … وشيَّعوا العقل حينما شربوا
كأنهنَّ النجوم والزهرُ … والسابحاتُ الحسانُ حولهمو
لونٌ عجيب الرواء مبتكر … يزيد سيقانهنَّ من بهج
ذوب من المغريات معتصر … يضيء ورداً وخمرة وسنى
وثار من حولهن يشتجر … تغاير الموج إذ طلعن به
ينشقُّ عنهن فيه مُنحدَرُ … بهنَّ يلتفُّ مرتقًى ويُرى
ينفتل الغصن آده الثمرُ … منفتلات قدودُهن كما
تحذرهن النهودُ والشَّعرُ … ملوحات بأذرُعٍ عجب
والماء تحت الصدور مستعرُ … والضوء فوق الخصور منهمرٌ
يُرغِى كما راع قلْبَهُ خطرُ … ما زِلنَ والبحر فى توثُّبه
توءمٌ فيه أصدافَها الدُّرَرُ … قد جاوز الليلُ نصْفَهُ فمتى
رماله ، وليثرِ الشجَرُ … فليصخبِ البحرُ ولتئن به
ولينبجسْ من غمامه المطَرُ … ولتعصف الريحُ فوق مائجه
وإن ترامى بمائه الشرر … أقسمنَ لا ينتحين شاطئَهُ
تمازجَ الليل فيه والسَّحرُ … حتى يُرَى وهو فضةٌ ذهبٌ



يا خســــــارة !

المجلس حافل كعهده كل ليلة بالشخصيات من كل نمط ، ففيه القاضى والمحامى والأستاذ والنائب والكاتب والشاعر والصحفى وغير هؤلاء ممن أداروا ظهورهم للعمل وركنوا إلى المعاش أو إلى الراحة ...

يتشقق الحديث حتى لينسى المجلس كيف بدأ ولا أين اتجه ، ثم لا يلبث أن ينتهى بنكتة أو ينقطع بسلام قادم يأبى على عادتنا إلا أن يصافح الجالسين من يعرف منهم ومن لا يعرف فى حماسة وشوق ...

وظل هـذا حال المجلس ساعة ثم انتظم الحديث وأخذ سمته إلى غايته ، واتجهت الأنظار إلى شاب من صحابتى لم أقدمه إلى أحد وإن كان هو يعرف الكثيرين بأسمائهم وأشخاصهم .

أخذ هذا الفتى يتكلم بعد صمت ، وأنصت السمار إليه أول الأمر يتبينون من هذا القادم الجديد ، وإنى لأعلم من قبل أنه سوف يأسرهم بحديثه ، فنى صوته ما ترتاح إليه الآذان من إشباع فى غير غلظ ، ومن رنين فى غير حدة ، وفى منطقه ولهجته من الظرف والهدوء وحسن السياق ما يجذب إليه النفوس من حيث لا تشعر ؛ وفى محياه من الفتوة والقسامة ، وفى عينيه من البريق والدعة ، وفى فمه من الابتسام والسلام ، فى كل أولئك وفى حسن إشارته وإيماءته ما يجعله حِدِّيث مجالس من طراز نادر ..

هو فى الخامسة والثلاثين أو زاد عليها قليلا ، مهندم الثياب فى تواضع يدل على رقة الحال أكثر مما يدل على السعة ، ولـكن خفة روحه وبراعة تحدثه يصرفان الأعين عن ثيابه إلى شخصه ثم عن شخصه إلى حديثه ...

واتجه الحديث بعـد أن انتهى شوط منه إلى السياسة بعد الأدب ، فأعجب هذا الشاب الواسع الاطلاع سامعيه على اختلاف مذاهبهم إذ أشار إلى أن بعض النقص فى كمال هذا الزعيم يعوضه بعض الكمال فى نقص ذاك .

وانتقل الكلام إلى الاقتصاد فأنصت مليا ثم أدلى برأيه فلخص ما سمع من آراء تلخيصاً جيلا فكأنما أتى برأى جديد وهو لم يأت بشىء إلا ما نسقت فطنته وأدت بلاغته ...

ومال الحديث بالسامر إلى قضية المرأة والرجل ، فقال إنه لا الرجال صالحون للحكم على النساء ، ولا النساء صالحات للحكم على الرجال ، وهذه هى القضية التى لا يوجد فيها حكم من غير الطرفين . ولسوف تنعقد جلساتها ثم تؤجل إلى أجل غير مسمى ، وذلك لأن الرجال والنساء لا يرتضون الحكم الأول الذى صدر من الغيب على آدم وحواء ...

وضحك السامرون وخرجوا من الجد إلى المزاح ، وراح كل يدلى بما يحفظ من نكتة أو يذكر من نادرة ، ثم أنصتوا إلى صاحبى الشاب فأضحكهم جيماً بنكاته وأقاصيصه ، وراعهم بمحافظته وسرعة انتقاله من نكتة إلى نكتة وهو ينسبها جيعاً لأصحابها بل ويذكر الصحف التى نشرتها والمناسبة التى أخرجتها .

وبدا لأحد الجالسين فسأل هـذا الشاب ما عمله ؟ وابتسم الشاب ابتسامة عريضة تجلت فيها خفة روحه ولـكن مازجها شىء من الدعابة الناقة وقال أنا ناظر مدرسة ...

وعاد سائله يستفهم أثانوية أم ابتدائية هذه المدرسة ؟

ورد الشاب بقوله « لا يافندم إلزامية بس »

وصاح أحد الجالسين من غير وعى قائلا « ياخسارة » !

وضج بعض الجالسين بالضحك ؛ ونظر آخرون فى ساعاتهم يريدون أن ينصرفوا ؛ وصمت فى غيظ وعبوس شخص كان يناديه تارة يا أستاذ وتارة يا بك ، وانتحى البعض جانباً مزورِّين وهم ينظرون نظرات كريهة إلى هذا الذى أعجبوا به منذ دقائق .

وارتفع صوت أحد الفضلاء يقول للذى أعلن الخسـارة : حسبتك والله تقول «ونعم» ... حتام ياقوم تغرنا الألقاب والرتب؟ وكم عندنا من نظار المدارس الابتدائية أو الثانوية من نضعهم إلى جانب هذا الأستاذ فى سعة اطلاعه ورجاحة عقله ... ألا إن المرء بأصغريه ... ألا إن المرء بأصغريه

أما صاحبى فلم يأبه بما حدث لأنها كما حدثنى ليست أول مرة يلقى فيها مثل ما لقى ، وما زاد على أن ضحك ملء نفسه من المزورين جيعاً وإن كنت أحسست فى ضحكه المرارة والألم ...

الخفيف

تعقيبات

العربية الفصحى والنحو العربي :

الأستاذ أحمد خاكى باحث أديب عرفه قراء الرسالة منذ سنوات بما كان ينشر من بحوث ثقافية تمتاز بالعمق وبالإحاطة ، وهو الآن وكيل مكتب البعثات المصرية فى لندن ، وله هناك نشاط ثقافى جدير بالحمد والثناء . وقد كتب الأستاذ خاكى مقالا فى العدد الخاص الذى أصدره مكتب البعثات عن التطورات والاصلاحات التى نالتها مصر من يدى الملك فاروق ، وقد عنيت جريدة « المانشستر جارديان » بالتعليق على هذا المقال تعليقاً شاملا عرضت فيه لمسألة العربية الفصحى وإصلاح النحو العربى فقالت :

« إن أكبر عائق فى سبيل نشر التعليم بمصر ، وبالتالى فى تحقيق التقدم الاجتماعى فى شتى النواحى ، هو الاختلاف الكبير بين العربية الفصحى واللغة العامية الدارجة ، مما جعل ملايين من الناطقين بالعربية أصلا لا يستطيعون فهم الفصحى إذا سمعوها من أفواه المتحدثين بها فضلا عن قراءتها وكتابتها ... وستكون لجهود العلماء المصريين فى سبيل إصلاح النحو فى العربية آثار بعيدة المدى ، ولكن من سبق الحوادث أن يتكهن المرء بالفائدة التى ستعود على النشء من إصلاح النحو العربى ، وفى وسعنا أن نقول مع ذلك إنه لن تتحقق الآمال المعقودة على هذا الإصلاح إلا بعد أن تقيم مصر نظاماً للتعليم الابتدائى أوسع مدى وأحسن توزيعاً من النظام الحالى ، ولا نزاع فى أن النحو الجديد سيجعل التعليم بين مختلف طبقات الشعب عاماً ميسوراً ... »

هذا ما قالته الجريدة الإنجليزية ، وهو كلام لا جديد فيه ، ولكنه ترديد لرأى طائفة من المستشرقين ، وطائفة من أبناء العربية يتلقون كل كلام وافد من الخارج بالتقديس والتسبيح والواقع أن مسألة إصلاح النحو العربى ، أو على التحديد تيسيره وتسهيله ، حقيقة تملأ أذهان العلماء من أبناء العربية ، وقد أثيرت هذه المسألة منذ سنوات وتناولتها الأقلام والأحاديث بالمناقشة ، وكانت صفحات « الرسالة » مجالا لهذا ، وإذا كان القوم لم يصلوا حتى اليوم إلى طريقة مثلى ، فإن الأفكار متعلقة بالوصول إلى هذه الغاية ، وتعميم النفع بها على أوسع نطاق .

أما مسألة العربية الفصحى فلا زلنا نقول إنها ليست بمشكلة كما يتصورها المستشرقون وأتباعهم ، « وليست بعائق فى سبيل نشر التعليم » كما تقول الجريدة الإنجليزية ، لأن للعربية الفصحى مراتب فى التعبير ، فكما أن فيها المرتبة العالية الصاعدة ، فإن فيها أيضاً المرتبة السهلة القريبة ، فمثلا الصحف العربية تكتب بأسلوب عربى فصيح ، وهو أسلوب لا يتعذر فهمه على العامة وجمهور الشعب ، بل إننا كثيراً ما نجد رجلا أمياً يستحضر قارئاً يتلو عليه الجريدة وهو منصت لما يتلو عليه ، فلا يجد أدنى مشقة فى فهم ما يسمع وإدراك ما ينطوى عليه من التلميحات والإشارات.

ومنذ سنوات مثلت فى مصر روايات شوقى ، وهى بالعربية الفصحى العالية ، فأقبلت عليها جماهير الشعب إقبالا كبيراً ، وكانوا يفهمون قصائدها ومقطوعاتها فهماً طيباً ، وكثير من العامة يحفظون مقطوعات كاملة وأبيات سائرة من هذه الروايات ويفهمون ذلك فهماً لم يعنهم عليه مدرس أو شارح .

إن الصلة بين العامية الدارجة والعربية الفصحى ليست بالبعد الذى يتصوره أولئك الثائرون على العربية الفصحى ، وإن الشعب ليس بمنقطع عن هذه العربية كما يخيل لأولئك الناس ، فإن بين العامية والفصحى صلة وثيقة فى النطق وفى استعمال كثير من الألفاظ والتعابير ، ويمكن أن يكون الاختلاف التام بينهما فى الإعراب ، وهو اختلاف لا تأثير له فى هذه الناحية ، ولا يصح لباحث أن ينسى فى هذا المقام أن القرآن الكريم وهو أفصح ما نزل فى العربية يتلى على جموع الشعب ليل نهار ، وأن خطب الجمعة تلقى فى كل أسبوع بالعربية الفصحى ، وأن عامة الشعب يؤدون صلواتهم ويرددون أورادهم وكلها بالأسلوب العالى الرفيع ، وأن خطباء المحافل فى الوعظ والارشاد وفى التأبين والرثاء ، وفى الدعايات الانتخابية والسياسية إنما يتحدثون إلى الشعب بهذا النمط من الأسلوب ، وكل هذا مما طبع ذوق العامة بطابع عربى ، وقرب المسافة فى إدراكهم إلى حد كبير بين العامية الدارجة والعربية الفصحى ... فكل الكلام الذى يثار فى هذا

الشأن ، ويصور مسألة العربية الفصحى على أنها معضلة يجب التغلب عليها بالتدلى إلى العامية إنما هو كلام متهم وتصوير مبالغ فيه لا يقوم على إدراك الحقيقة ومعالجة الأمر بنزاهة ...

هل هى أزمة ثقافية :

تقول الأنباء الواردة من أمريكا إن « الفلم » السينمائى هناك يعانى أزمة كالتى فى مصر ، وإن رجال هذا الفن يجتهدون فى التدبير لملاج هذه الأزمة والتغلب على أسبابها حماية لهذا الفن من نكسة تضر بنموه وتقدمه ...

والمسألة ليست مسألة الفن السينمائى فحسب ، بل إنها كذلك مسألة المسرح ، وهى أيضاً مسألة الكتاب ، وكل الوسائل التى تحمل إلى الناس ألوان الثقافة المختلفة . فهناك شكوى عامة من قلة الإقبال على هذه الوسائل والرغبة فى القراءة والاطلاع عما كانت عليه الحال فى الأيام الأخيرة ، أعنى سنوات الحرب الماضية

وعندى أن هذه الحال الطارئة ليست مظهر أزمة ثقافية تدل على انصراف الناس وقلة رغبتهم فى الاطلاع كما يقدر بعض الباحثين ، ولكنها فترة يقف فيها الجمهور موقف التروى والتمهل للاختيار وإيثار النافع وما يجد فيه من الفائدة ما يوازى ، بل ما يزيد ، على ما يدفع فيه من الثمن ...

وهذه لا شك نتيجة طبيعية للحال التى شاهدناها أيام الحرب ولمسنا فيها الرواج العظيم فى جميع وسائل الحياة ، ومن بينها وسائل الثقافة المختلفة ...

فالجمهور أيام الحرب كان يتلهف على كل شىء ، ويرضى بأى شىء ، سواء فى غذائه أو فى ملبسه أو فى ثقافته ، فكان حسبه أن يجد ما يطلب ، لا أن يختار فيما يطلب ، وعلى هذا طعم الخبز المخلوط بالرمل والحصى والتراب ، ورضى الملبس الخشن الغليظ الذى لا يجزىء فى تفصيل الثياب ، وتقبل كل ما يقدم إليه من ألوان الثقافة ما دام يجد فيه تزجية للوقت وتسلية عما يحيط به ، أما وقد زالت دواعى تلك الحال وضروراتها فإن الجمهور اليوم يتخير ، وإنه ليتروى فى هذا التخير ، فهو لا يرضى إلا بالرغيف الأبيض الصالح للغذاء ، ولا يطلب إلا الثوب الجيد الملائم للمقام ، ولا ينشد إلا الكتاب الذى يتحرى فيه النفع والفائدة ، ولا يقبل على أى لون من ألوان الثقافة إلا إذا وجد فيه ما يجزى وما يغنى ...

هذه حقيقة يجب أن يقدرها القائمون على نشر الثقافة ، والذين ينتجون فيها ، ويظهر أن أصحاب المتاجر كانوا أسرع فهماً وأحسن تقديراً لهذه الحال ، فقد أصبحوا يعلنون عن بضائعهم بأنها من « أجود الأنواع وأرق الأصناف » لأنهم أدركوا أن الجمهور الآن إنما يطلب الجودة والرق ... فخير للقائمين بأمر الثقافة أن يدركوا هذه الحقيقة ، وأن يجعلوها مدار المعاملة بينهم وبين الجمهور حتى لا يصدمهم الكساد الذى يحسبونه انصرافاً من الجمهور ، وما هو إلا البوار الذى يصيب كل بضاعة مزجاة

هنرى فورد والشعر :

مات منذ قريب هنرى فورد ملك السيارات ورجل الصناعة كما يصفه الصحفيون ، وقد كتبت عنه جريدة « نهضة العرب » التى تصدر فى المهجر كلمة بهذه المناسبة قالت فيها : « وكان هنرى فورد محباً للشعر ، وخاصة للشعراء الذين جعلوا مثلهم الأعلى وحدة الإنسانية ونشدوا حكومة عالمية تسهم الأمم كلها فى إنشائها ، وكان من مبادئه أن الثقافة والدين يجب أن يسيرا جنباً إلى جنب »

يالله ... هنرى فورد العظيم كان يحب الشعر ! ؟

ولكن ماذا وهب مالك خزائن قارون فى سبيل هذا الحب ، وماذا أجدى من ملايينه فى تشجيع أولئك الشعراء الذين يدعون إلى وحدة الإنسانية ؟ !

ألا ما أكثر المحبين الذين ليس عندهم إلا كلمات الإعجاب والإطراء ...

« الجاحظ »

الأدب والفن فى أسبوع

بين أدبائنا الكبار :

كتب الأستاذ محمود تيمور بك مقالا فى « الهلال » عن « طه حسين » فى باب « صور وصفية لشخصيات لامعة » قصد فيه إلى تصوير حياة الدكتور طه حسين بك منذ طفولته. والواقع أن الدكتور طه لم يغادر فى حياته الأولى « من متردم » بصنيعه فى كتاب « الأيام » وقد جنى هذا الصنيع على الشطر الأول من مقال الأستاذ تيمور ، فهو يبدو لقارىء الأيام وصفاً موجزاً مجملا لتلك الحياة التى فصلها صاحبها وحللها صادقاً مجيداً .

ولكن الأستاذ تيمور أجاد حقاً فى تصوير شخصية « طه حسين » من حيث أنه « مزاج قوى بين حضارتين متغارتين : حضارة الشرق وحضارة الغرب ، وعصارة طيبة من معهدين مختلفين : الأزهر ، وجامعة باريس » كما قال الأستاذ فى مقاله ، وكما قال أيضاً : « وإذا كان طه حسين قد جمع فى شخصه بين الشيخ والدكتور ، فقصارى ما فعل أنه لاءم بين نشاطين من ضروب النشاط الذهنى للانسان ، وكان بهذه الملاءمة نموذجاً مثالياً للأديب الشرقى المعاصر .

« وحسبنا ، لكى تتجلى مزية هذه الملاءمة ، أن نتمثل طه أزهرياً استأثرت به أزهريته ، أو جامعياً لم يفز من الثقافة العربية فى غمارها الملتطم بنصيب .

« فإن الأزهرى أو الجامعى وحده قد يكون له أثره وخطره، ولكنه لن يكون تلك الشخصية المثالية المكتملة التى نسميها طه حسين » .

وختم الأستاذ تيمور مقاله بالإشادة بأسلوب الدكتور طه حسين الذى عده مظهراً رائعاً من مظاهر ازدهار البيان العربى فى الوقت الحاضر .

وأخلص من هذا كله إلى كلمة صريحة: هى أن الأستاذ محمود تيمور ، وهو بصدد التصوير الوصفى لشخصية طه حسين وأدبه ، قد أعطى له كتابه بيمينه ... وأهمل شماله إهمالا تاماً ، فهل يعتقد فيه وفى أدبه الكمال المطلق الخالص ، أو هو يجامله ، وهل تتفق هذه المجاملة مع رسالة الفن والأدب التى نعتقد أن الأستاذ تيمور من أخلص الناس لها ؟

ولعله ذهب فى ذلك مذهب الدكتور طه الذى جرى عليه أخيراً فى الكتابة عن بعض المعاصرين ، ذلك المذهب الذى يكاد يخرج عن نطاق النقد ذى الكفتين ...

وإذا كان كبار أدبائنا من طبقة الكهول قد رضوا لأنفسهم (ولا أقول للأدب) هذه المجاملات ، فما أظن أن هذا مما ينبغى أن يتأثرهم فيه الجيل الجديد .

أقدم مسرحية :

أثبتنا فى عدد مضى من الرسالة ما قال به الأستاذ سليم حسن بك من أن المصريين الأولين هم أول من كتب الدرامة التمثيلية والقصة الخرافية ، لا اليونان كما هو شائع .

ولا بد أن يكون للدرامة التمثيلية مسرح تمثل عليه . ويدلنا على هذا المسرح مقال بجريدة « المصرى » عنوانه « مصر أول من أقام المسرح فى العالم » قال كاتبه : « كان الشائع أن الإغريق هم الذين أوجدوه (يعنى المسرح) ولكن الحقيقة المكتوبة على ورق البردى وعلى جدران المعابد المصرية القديمة أنارت السبيل للمؤرخين وأثبتت أن المصريين لا الإغريق هم أول من أقام المسرح فى العالم » .

وذلك أنه كان فى التاريخ المصرى القديم أشياء لم يفهم لها المؤرخون تعليلا مقبولا ، مثل الساحات الواسعة أمام المقابر والأهرام وبعض المعابد . فلما أصبح من المستطاع قراءة اللغة الهيروغليفية أسفر البحث عن أن تلك الساحات كانت مسارح .

وقد وقف الباحثون على بعض المسرحيات التى كانت تمثل بتلك المسارح ، منها « مسرحية الأهرام » وتعد أقدم مسرحية فى العالم ، لأن بعض نصوصها يرجع إلى سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد ، وموضوعها جزء من العقائد المصرية القديمة يدور حول صمود روح المتوفى وبعث الجسد الميت . والأدوار الرئيسية فيها هى « أوزوريس » وهو رمز للجسد الميت ويؤديه أحد الكهنة و « حورس » ويمثله رئيس الكهنة أو فرعون نفسه ؛ وتظهر فكرة المسرحية عند ما يقف الكاهن أمام جسد الميت مخاطباً

روحه قائلا : « أيها الملك أونيس ، إنك لن ترحل ميتاً بل حياً » وذلك عندما يكون التمثيل فى الجزء الخاص بصمود الروح . أما فى الجزء الخاص بالبعث فيقول الكاهن للجسد الميت « انزع لفائفك وانفض عنك الرمال ، ثم ألق عنك الحجارة ، هيا ... قياماً أيها الجسد المسجى » .

وقد أثبت البحث أن المصريين القدماء استخدموا الأقنعة و (الماكياج) فى تمثيل الشخصيات المختلفة أو فى أدوار الحيوان

تمثيلية عربية :

ومن المعروف أن العرب لم يكن لهم شغل بالتمثيل ، ولم يلقوا إليه بالا ، ولكنى وقفت على خبر غريب أتى به صاحب « العقد الفريد » فى (أخبار الممرورين والمجانين) بالجزء الرابع .

ذلك الخبر هو ما أعنى بالتمثيلية العربية ، وذلك أنه كان فى زمن المهدى رجل صوفى ، وكان عاقلا عاملا ، وكان يتلمس السبيل إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فكان يركب قصبة فى كل جمعة يومين : الاثنين والخميس ، فإذا ركب فى هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حكم ولا طاعة ، فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان ، فيصعد تلا يتخذه مسرحاً . ثم يبدأ فينادى بأعلى صوته : هاتوا أبا بكر الصديق . فيتقدم إليه غلام ويجلس بين يديه ، فيقول : جزاك الله خيراً أبا بكر عن الرعية ، فقد عدلت وقت بالقسط ، وخلفت محمداً عليه الصلاة والسلام أحسن الخلافة ، اذهبوا به إلى أعلى عليين . ثم ينادى : هاتوا عمر . فيجلس بين يديه غلام فيقول : جزاك الله خيراً أبا حفص عن الإسلام ، قد فتحت الفتوح ، ووسعت الفىء ، وسلكت سبيل الصالحين ، وعدلت فى الرعية ، اذهبوا به إلى أعلى عليين بحذاء أبى بكر . ثم يأتى عثمان ، فيقول له : خلطت فى تلك السنين ، ولكن الله تعالى يقول : « خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم » اذهبوا به إلى صاحبيه فى أعلى عليين . ثم يتقدم على بن أبى طالب ، فيقول له : جزاك الله عن الأمة خيراً أبا الحسن ، فأنت ولى النبى ، بسطت العدل ، وزهدت فى الدنيا ، واعتزلت الفىء ، فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر ، وأنت أبو الذرية المباركة وزوج الزكية الطاهرة ، اذهبوا به إلى أعلى عليين الفردوس .

ومما يقول لمعاوية : أنت الذى جعل الخلافة ملكا ، واستأثر بالفىء ، وحكم بالهوى ، واستبطر بالنعمة ، وقام بالبغى ، اذهبوا به فأوقفوه مع الظلمة ويقول ليزيد : أنت الذى قتلت أهل الحرة وأبحت المدينة ثلاثة أيام ، وانتهكت حرم رسول الله ، وآويت الملحدين ، وتمثلت بشعر الجاهلية :

ليت أشياخى ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل

وقتلت حسيناً ، وحملت بنات رسول الله سبايا على حقائب الإبل ، اذهبوا به إلى الدرك الأسفل من النار . وهكذا يتتابع أمامه الخلفاء حتى يأتى دور عمر بن عبد العزيز ، فيقول له : جزاك الله خيراً عن الإسلام ، فقد أحييت العدل بعد موته ، وألنت القلوب القاسية ، وقام بك عمود الدين على ساق بعد شقاق ونفاق اذهبوا به فألحقوه بالصديقين .

ولما بلغ دولة بنى العباس سكت ، فقيل له : هذا أبو العباس أمير المؤمنين . قال : فبلغ أمرنا إلى بنى هاشم ، ارفعوا حساب هؤلاء جملة ، واقذفوا بهم فى النار جميعاً .

وإذا كان لا بد لهذه التمثيلية من اسم كسائر التمثيليات ، فليكن اسمها « مسرحية الخلفاء » أما مؤلفها ومخرجها وممثلها فلم يسمه الرواة ، واكتفوا بأنه رجل صوفى عامل عاقل وإن كان ذكره ورد فى أخبار المجانين !

التعاون الإذاعى العربى :

كانت بعض الصحف اللبنانية قد رددت فكرة التعاون الإذاعى العربى بإيجاد برامج عربية مشتركة ، كأن تخصص جميع محطات الإذاعة العربية يوماً فى الأسبوع مثلا لتنقل إلى مستمعيها برنامج محطة عربية واحدة .

وقد قيل إن مديرى الإذاعات العربية ينتظرون سنوح الفرصة لهم لعقد مؤتمر إذاعى كبير يدرسون فيه المسائل الإذاعية ، من حيث البرامج المشتركة وتقريب الفنون والثقافات العربية بعضها إلى بعض بوساطة المذياع .

ولما كان من أهداف الجامعة العربية الثقافية تنوير الجمهور العربى ورفع مستواه الثقافى بالوسائل العامة كالصحف والسينما والإذاعة - فقد فكرت الإدارة الثقافية بالجامعة فى الإذاعة العربية العامة ، فوجدت أنه وإن لم يكن ميسراً لها فى الوقت الحاضر إنشاء محطة عربية كبرى تضم هيئات أدبية وفنية من كافة الدول الأعضاء بالجامعة ، إلا أنه يمكن تنظيم إذاعتين شهريتين : إحداهما

للثقافة والأخرى للتسلية ؟ تذيعهما كل من المحطات العربية مرة كل شهر .

وعرضت الفكرة على ممثلى الدول العربية فصادفت ارتياحاً وموافقة منهم جميعاً ، وفوتحت فيها محطة الإذاعة المصرية فرحبت بها ، ولكنها اشترطت أن تقوم الأمانة العامة للجامعة بالنفقات اللازمة للتسجيل وغيره . ولم تجتز الفكرة هذه المرحلة ، ونرجو أن تسرع إلى الظهور ، فلا أقل منها فى تحقيق التعاون الإذاعى العربى .

معهد عربى بأمريكا :

من أنباء نيويورك أن إدارة « معهد آسيا » بها قررت إنشاء فرع يسمى « معهد الدراسات العربية » إلى جانب فروع المعهد الحالية وهى « المعهد الإيرانى » و « المعهد الصينى » و « المعهد الهندى » .

وقد اختير الأستاذ اسماعيل راغب الخالدى مساعداً لمدير المعهد الجديد ، وسيقوم فى هذه الأيام برحلة إلى الأقطار العربية ، لعرض هذا المشروع على حكوماتها ، وليجتمع بالأدباء العرب البارزين ممن يهمهم تحقيق هذه الأمنية . وسيعنى « معهد الدراسات العربية » بدرس حاضر العالم العربى من جميع نواحيه العلمية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وسيعمل فيه نخبة من الأدباء والمختصين العرب والأمريكيين .

وهذا المعهد الجديد ، المأمول له التمام والنجاح ، سيكون صفحة جديدة تضاف إلى صفحات الجهود المجيدة التى يقوم بها مهاجرو العرب لإعلاء شأن الأدب والثقافة العربية ونشرهما فى العالم الغربى ، تلك الجهود التى توازن ما يقوم به الغربيون من نشر ثقافاتهم ببلاد الشرق ، وهى جهود توسع آفاق الدراسات العربية وتكسبها صفة العالمية أو تزيد فيها .

بالعربى :

يعجبنى من القائمين بأمر الإذاعة إفساح صدورهم للنقد ، وإعلانهم الترحيب به والانتفاع بالحق الممكن منه . وقد عددت من هذا القبيل ما أفضى به مدير الإذاعة الجديد إلى بعض الصحف من أن اللغة العربية فى مقدمة ما تعنى به إدارة الإذاعة من وجوه الإصلاح ؛ وهذا على أثر ما كتبناه عن الإذاعات العامية وعن عدم الاهتمام بلغة الأحاديث وصحة النطق .

سرنى ذلك الذى أفضى به الأستاذ محمد قاسم بك وبعث فى نفسى الأمل ، ولكن فى ليلة من الليالى الفائتة سمعت محدثاً فى المذياع عن (الكتلة الاسترلينية) فأصغيت لعلى أفهم شيئاً فى هذا الموضوع الذى لا أرانى أجهل شيئاً أكثر منه ... سمعت المتحدث يقول : إذا أراد أحد أن يرسل نقوداً إلى قريب له فى بلد من غير بلاد الكتلة الاسترلينية ، فإنه يسأل ، فيما يسأل عن قرابته ويطلب منه أن يحدد مداها . ثم يقول : (يعنى بالعربى أريبه أوى ولا أرابه كده من بعيد ...) .

يا سبحان الله ! كأن أخانا كان يتكلم بلغة أعجمية ، فلما أحس أنها غير مبينة أراد أن يعبر بكلام عربى مبين ، فأتى بما بين القوسين !!!!

مأدبة وأدب :

دعا الدكتور زكى المحاسنى وقرينته الأديبة السورية المعروفة السيدة وداد سكاكينى ، طائفة من رجال الأدب والصحافة ، إلى مأدبة شاى ، فى دار الاتحاد العربى .

وقد قصد الداعيان أن يهيئا فرصة اجتماع أدبى ودى بين أصدقائهما من أدباء سوريا وأدباء مصر ، قبيل انتهاء إقامتهما فى مصر التى ختمت بنيل الأستاذ المحاسنى دكتوراه الآداب من جامعة فؤاد الأول .

وما فرغ الجميع من المأدبة حتى ائتلف منهم مجلس أدبى تناقلوا فيه الطرف وتناشدوا الشعر ، ومما كان أن السيد نزار القبانى أنشد قصيدة من شعره كان يقف فى بعض أبياتها على كلمات بالسكون ، فلم تعجب هذه الطريقة الأستاذ خليل بك ثابت ، وسأل الشاعر : لم لا تضبط الكلمات بحركاتها وتقف عند آخر الشطرات والأبيات ؟ وقال إنه يلاحظ شيوع هذه الطريقة فى الإنشاد بين كثير من شعراء الشباب ، وقد دارت المناقشة فى هذه المسألة بين محبذ للتسكين ومنكر له ، وأهم ما استند إليه مؤيدو التسكين أنه وقوف عند الكلمات التى يعمق إحساس الشاعر بمدلولها ، وكان من رأى المنكرين أن التسكين إخلال بالوزن العروضى وبموسيقى البيت . وأخيراً وفق الأستاذ عادل الغضبان بين الرأيين بأنه يمكن الوقوف الخفيف مع التحريك ، فيؤدى الشاعر غرضه مع الاحتفاظ بسلامة الوزن وموسيقاه .

« العباس »



هذا ضمير مطمئن له أهميته :

كتب الأستاذ الشاعر محمود عماد كلمة بالعدد « ٧٣٠ » ينحى فيها باللائمة على من يستعمل هذه الجمل : « هذا كلام له وزنه ، وهذه مسئلة لها خطورتها ، وهذا رجل له رأيه » وما ماثلها. وحجته فى ذلك : أنه لم يعثر على أمثال هذه التراكيب فى كلام عربى قديم ؛ على أنه قبل إيراده هذه الحجة علل بطلان هذه الجمل : بأن الضمير المجرور باللام فيها يفيد الملكية ، فإعادته مرة أخرى فى الكلمة التى تليه تكرير لا فائدة فيه . وعزا استعمال هذه الجمل فى أساليب الكتاب والأدباء ، إلى سقطة سقطها أحد الكتاب المتأخرين فتبعه فيها كثيرون بغير تحرز .

والذى أراه : أن أمثال هذه التعبيرات إنما ترد فى مقام القصر ، أو التقرير ، ويستدل لهذا بقوله تعالى فى سورة (الكافرون) « لكم دينكم ولى دين » أى أن دينكم مختص بكم لا يتعداكم إلى غيركم ، ولى دين مختص بى لا يتخطانى إلى غيرى ، وعلى هذا يصح لنا أن نستعمل هذه الجمل فى مقاماتها وكفى بالقرآن حجة فى مثل هذا المقام ، ولا أحسب الأستاذ بعد هذا إلا مصدقاً ، ومذعناً ، وراجعاً عن تخطئته ، ولنا عذرنا إن أسعدتنا الرسالة الغراء ، ونشرت لنا هذه الكلمة الموجزة .

محمد غنيم

كلمة أخيرة حول خطأ عروضى شائع :

... لقد أثار نقدى لقصيدة « الأستاذ مختار الوكيل » ؛ التى بعنوان « إلى أخى » ؛ جدلاً بين نفر من الكتاب .

إذ قلت — ولا أزال أقول — بأن القصيدة خليط من بحرين مختلفين ، وهما : بحر الهزج ، ومجزوء الوافر .

ولقد قال بعض المعقبين بخطأ ما ذهبت إليه ، ولكن « الرسالة » تولت الإيضاح ، وأعتقد ، كما يعتقد غيرى ، بأنها أماطت اللثام عن الحقيقة الساطعة ، ودعمت وجهة نظرى ، بالقواعد العروضية المنصوص عليها .

وأما استشهاد أولئك المعقبين بأبيات لشعراء معاصرين فأمر لا يعتد به ..!

ولتسمح لى الرسالة ببعض البيان ... فأقول :

إن النقص (— الذى هو مركبٌ من العصب والكف — كتسكين الخامس المتحرك وحذف السابع الساكن من مفاعلتن فتنقل إلى مفاعَلْتُ) ؛ زحاف مُركب ، يلحق ثوانى أسباب الأجزاء للبيت الشعرى — كما هو معلوم — ويدخل عروضياً على سبيل القياس فقط ، مفاعَلتَنْ ، فى البحر الوافر ؛ فتصبح تلك التفعيلة : (مفاعَلْتَ) كما قدمت سابقاً ، وهذه يقابلها مفاعيلُ ، من التفاعيل المستعملة ، وهى صورة ثابتة لـ (مفاعيلن) التى هى إحدى التفعيلات الأصيلة فى بحر الهزج ؛ ولكنها (أى مفاعيلُ) مصابة بالكف ، والوافر لا يدخله الكف مطلقاً ، فعندها يحمل البيت على الهزج ، لا على مجزوء الوافر ، لأن هذه التفعيلة أصيلة فيه . ولهذا قالت (الرسالة) : إن النقص لا يلحق مفاعَلَتُنْ ، فى الوافر ، فى حالة الشعر الصحيح ، وإنْ لحقها قياساً وظاهرياً . وهو أمر واضح لا غبار عليه .

وإنى لأشكر للرسالة ، حسن إيضاحها .

(المجدل) خليل ابراهيم الخطيب

شخصية عمرو بن العاص :

قرأت للأستاذ الجليل على الطنطاوى مقالا تحت عنوان : « وقفة على الفسطاط » وقد لاحظت أنه انتقد تمثيل شخصية عمرو كرجل قمىء ثعلبى ... الخ وقال إنا ما عرفنا عمراً وأننا قرأنا ما كذبه عليه المؤرخون يوم التحكيم ولم نقرأ الحقيقة التى رواها المحدثون فى مثل « كتاب القواصم والعواصم للقاضى أبى بكر ابن العربى » .

فهلا كان من الواجب على حضرته أن يوضح شيئاً مما فى هذا الكتاب ؟ أم رأى أنه يجب أن يكون لدى كل إنسان نسخة من القواصم والعواصم ؟!

أفيدونا أفادكم الله . وللأستاذ الطنطاوى تحياتى وإجلالى .

(قوص) محمد محمد حسن الديب

نشيد فلسطين :

اطلعت على مقال للأستاذ حنا فارس مخول حول نشيد فلسطين القومى فى عدد الرسالة ٧٢٨ — وقد رأيت ولا عجب كلمة تثار حول النشيد القومى ...

ولا أدرى كيف نسى الكاتب أن هناك أناشيد فلسطينية ونشيداً قومياً واحداً نشرته صحيفة (الوحدة) فى أحد أعدادها (الممتازة)، والنشيد قوى السبك، متين الأسلوب لا ينقصه سوى التلحين ... وواضعه شاعر فلسطينى هو الأستاذ محمد حسن علاء الدين ...

وفى كتابى (شعراء فلسطين العربية فى ثورتها القومية) يرى الأستاذ الفاضل أكثر من نشيد واحد يتغنى به أبناء هذا القطر. فأرجو ألا يتسرع فى الكتابة عن موضوع يجهل عنه الكثير. إذ بتسرع كهذا يرسم للأقطار الشقيقة صورة أدبية نائية عن الصواب.

ابراهيم عبد الستار
رئيس نادى الإخاء العربى بحيفا

حول تاريخ النوبة :

إذا كان القارىء الفاضل يسأل عن كتاب فى تاريخ النوبة فقد أجابته «الرسالة» الغراء حين أشارت إلى كتابى «صحائف مطوية من تاريخ النوبة» ولست أعرف كتاباً صدر فى هذا الموضوع غير هذا الكتاب.

أما إذا كان يريد المراجع، فهذه هى الكتب التى رجعت إليها :

١ — مصر والسودان فى نظر العلم والتاريخ للدكتور أحمد فؤاد.

٢ — العقد الثمين لأحمد باشا كمال.

٣ — تاريخ السودان لنعوم بك شقير.

٤ — الأثر الجليل لأحمد بك نجيب.

٥ — تقارير مصلحة الآثار عن حفائر النوبة.

٦ — دليل المتحف المصرى.

٧ — الخطط المقريزية.

٨ — البيان والإعراب للمقريزى.

٩ — الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك.

١٠ — مذكرات لم تنشر للمؤرخ البحاثة الأستاذ سليمان عيد الرحمن كبير محضرى محكمة الإسكندرية الوطنية عن القبائل العربية فى وادى النيل.

هذه هى المصادر التى رجعت إليها عند ما وضعت كتابى منذ أربعة عشر عاماً، مضافاً إليها دراساتى الشخصية لآثار بلاد النوبة وحفائرها التى تمت قبل تعلية خزان أسوان الأخيرة.

وثمة مراجع أخرى ظهرت بعد ذلك يجدر بالباحث أن يطلع عليها، وأهمها مؤلفات المرحوم عبد القادر حمزة باشا والأستاذ الكبير سليم بك حسن عن تاريخ مصر القديم.

وقد يعتبر كتابى «صحائف مطوية من تاريخ النوبة» أحد المراجع التاريخية فى هذا البحث رجع إليه الأستاذ عبد الله حسين المحامى عند وضع كتابه عن السودان، ومعالى الأستاذ مكرم عبيد باشا فى بحثه القيم الذى يعده الآن للطبع عن «الوحدة الطبيعية الوطنية لوادى النيل».

وللرسالة الغراء، أصدق الشكر وخالص التقدير.

محمد كامل حتة

إلى الجاحظ :

حينما نشرت مقالى عن عبد المطلب توقعت أن الأستاذ الجاحظ سيعقب عليه، لما أعرفه من إلمامه الواسع بتاريخ أدبنا المعاصر، ويسرنى أن أعلن فى اغتباط زائد — كالدكتور زكى مبارك — أن الحق كل الحق فيما كتب، راجياً أن يسعدنى دائماً بتعقيبه المفيد، وسلام عليه.

محمد رجب البيومى



القطة الصـــغيرة

للاديب مصطفى محمود

أرسلت القطة الصغيرة مواء ضعيفاً وهى تتنقل بين الكراسى وتتمسح بالأرجل وتتلقف الفتات المتناثر تحت الموائد ، فقد كان اليوم يمثل وليمتها الأسبوعية الفاخرة ، فالكازينو النيلى الجميل كان عامراً زاخراً برواده شأنه دائماً فى ليالى الأحد ... والفضلات كانت ترى هنا وهناك فى كثرة ووفرة . فأقبلت عليها تلتهمها فى شهية ونهم حتى أتخمها الشبع فتكاسلت فى مشيتها تداعب الأرجل وتتسمع إلى أحاديث الناس وترقب جموعهم العديدة فى فضول . وطال مكثها تحت إحدى الموائد دون أن تظفر بعناية أو اهتمام أو حتى بلقمة صغيرة تلق عفوا فرفعت عينيها الخضراوين لترقب ما يجرى على هذه المائدة الغريبة :

كان سطح المائدة نظيفا خاليا إلا من فناجين للقهوة وحقيبة من الجلد وقد جلس إليها رجلان قد خيم على وجهيهما العبوس وبدت عليهما سيماء رجال المال والأعمال ... وأنشأ يتبادلان حديثا جديا ... قال الأول وهو يعض شفتيه .

— إن كرم اسحق قد قـدم للمناقصة بسعر خمسة قروش ومليم للقطعة

— ومليم

— سيفوز بها ما فى ذلك شك

— وحليم سمعان

— خمسة قروش وأربعة مليات

— عجيب ... لست أدرى كيف يفيد كرم اسحق من هذا المشروع بهذا السعر الضئيل

— خامات الجيش

— فعلا ... خامات الجيش

— لن يقل مكسبه الصافى عن خمسة آلاف جنيه

— ونحن نبيت ونصحو على خمسمائة جنيه فى الشهر .

— لقد فعلت كل ما بوسعى

— والنتيجة أننا لا زلنا نحيا كمتسولى التجار

— إن مفاجأة كرم اسحق لم تكن فى حسابى

— عليه اللعنة

وهنا رشف الرجل الأول رشفة من القهوة ثم أبعد الفنجان قائلا

— قهوة رديئة

— ومع ذلك فالمكان مزدحم ... والإيراد حسن

— مشروع ناجح ... لقد فكرت فيه من قبل، وكان فى نيتى أن أهيىء فيه حماما للسباحة فإن هذا يدر أرباحا حسنة فى الصيف حيث يقل مرتادوه فى حر النهار

— وهو يصلح « كباتيناج » فى أمسيات الشتاء الباردة

— أو « كباريه »

— إن المكان صالح للاستغلال فى كل أوقات السنة .

وسكت الرجل الأول ثم عاد يداعب مقبض الحقيبة الجلدية وقال متململا

— إن الجو راكد

— والمكان مزدحم

— وهذه الحيوانات القذرة لاتنقطع عن التمسح بالأرجل . يا للقذارة .

وركل القطة الصغيرة فى قسوة فولت هاربة ثم هب فى ملل ودفع الحساب واختفى مع زميله .

وراحت القطة تمسح رأسها المرضوض فى الأرض وتموء فى ألم ثم لجأت إلى مكان متطرف منعزل من الكازينو حيث يجلس على مائدة صغيرة فتى وفتاة ورفعت إليهما رأسا مريضا فألقى إليها الشاب بقطعة من الخبز وراح يدللها ويداعبها بقدمه ... فارتاحت القطة إلى هذا الحنان ولذ لها أن تستمع إلى الحديث الخافت وترقب العيون المتناجية . قال الشاب .

— إن الجو قطعة من السحر

— حقا ... ؟ إذن لن نجلس هنا مرة أخرى

— لماذا

— لأنك تذوب فى سحر الجو وتنسانى

— أيتها الحبيبة أنسيت أنك جزء من هذا السحر

— جزء ،

— بل كل هذا السحر

— إن حبك على شفتيك دائماً

— إن قلبي لا يسعه ولذلك يفيض على شفتي

— ألا تخونك شاعريتك أبدا

— إنها ليست شاعرية بل شعور والشعور الصادق لا يخون ،

ولمعت عينا الشاب وهو يتكلم ثم رفع كأس البيرة ورشف منها رشفة طويلة ثم عاد يقول .

— إن هذه البيرة جميلة ... جميلة كشفتيك

— بودي لو أعرف كم من ألوان البيرة تتذوق شفتاك

— مها تذوقت فأنت اللون الوحيد الذي يسكرني

— إنك دائما تجيد الكلام ... إني أحبك ... ولكني أخشى على ثروتك التي تتبدد في سبيلي

— أيتها الحبيبة ... دعي شئون المال ... وهل يذكر المال والجمال معا ... إن المال هو العبد الذي يجود بكل شيء ... والجمال هو السيد الذي يرخص في سبيله كل شيء ... والحب ... الحب هو النافذة الوحيدة التي يطل منها الإنسان على الجمال ... إني أدفع مالي وروحي ونفسي لتظل هذه النافذة مفتوحة أمامي إلى الأبد.

— آمين !

— بثينة !

وتلامست الأيدي واقترب الوجهان وامتزجت الخطوط النالية في لحظة من الحنان الغامر فانسحبت القطة الصغيرة في سكون بعد أن أدركت أن هذين المخلوقين في حالة لا تسمح لهما بالالتفات إلى أي شيء ... وسارت تتثاءب وتتمطى بين الموائد ، ثم اجتذب انتباهها مائدة يجلس عليها شيخان قد ملأت وجهيهما التجاعيد وألقت عليهما الشيخوخة ظلا من الهدوء والوقار ... فجلست غير بعيدة ترقب ما يدور بينهما وتتبع الحديث دون أن تفهم شيئا .

قال الشيخ الأول

— لقد رسب محمد في الحساب ... لا أدري متى يلتفت هذا الولد إلى دروسه ... لقد يئست من إصلاحه

— إن أولاد هذا الزمن جميعهم على شاكلته ... ولهم العذر، إن مباهج هذا العصر وشواغله أكثر مما كان في أيامنا

— أيامنا ... ما أجملها ... لم يكن هناك من المباهج إلا خيال الظل ... واللونابارك .

— والموالد ... هل نسيت أنك كنت من هواة الموالد .

— حقا ... وأذكر أنك وشيت بي يوما أيها اللعين ... وكانت « علقة » لا زلت أذكر أوجاعها .

— أرأيت أن ابنك له عذره

— ولكن هذا الكلب لا يصلي !

— ومن يصلي الآن غيرنا ؟

— وهو لا يفتأ يجادلني في الجنة والنار

— إن الحرية تؤدي إلى الحرية

— ما ذا تعني ؟

— فلسفة العجائز

— يعلم الله إلام نسير

— إن العالم بخير ... وكفى ... أما نحن فنسير إلى القبر

— إلى القبر ؟

— نعم ... أكنت تظن أنك تسير إلى « لونابارك » آخر

— لا ... إنه القبر أيضا ... من يدري فقد يكون مكانا طيبا

— إنه راحة على أي حال

— راحة ...

واستبدت بالشيخ سبحة فلسفية ... فأرسل نظره إلى الأفق البعيد ... ثم أوغل في التفكير ... وثقلت أجفانه ... فمال برأسه ونام ... شأن العجائز ينامون في كل مكان ... ونظرت القطة إلى سكونه وأنفاسه البطيئة ... ثم انسحبت في اشمئزاز وهي لا تدري ما شأن هؤلاء الأموات بهذا المكان ... وأدارت رأسها فوجدت أن الكازينو قد خلا تقريبا إلا من أشباح قليلة متناثرة . ومن هذه الأشباح ... رجل جلس منفردا في نهاية المكان وهو يكتب ثم يمزق ما يكتب ... بأصابع عصبية ثائرة ... فاقتربت منه في حذر ثم لمست قدمه ... فانتفض غاضبا ودفعها بعيداً في قسوة ... وعاد يكتب ويمزق ... وتناثرت بعض القصاصات تحت مصباح منعزل ... فاقتربت القطة تتذوقها وتقلبها ... وتتأمل الخطوط السوداء العجيبة التي تملؤها ... وقرأت بلا وعي أو فهم (إن الحياة التي أحياها ... خاوية ... باردة ... مظلمة ...

إنى لا أجد نورا ضعيفا أسير فيه ··· ولا أشعر بلذة أعيش من أجلها ··· ولا بمخلوق واحد يهمنى أمره ··· فالناس تتجنبنى وأنا أتجنبهم ··· وقد أسمعهم يهتفون « ما أجمل هذا » فأدير عينى فلا ألمس فيما يشاهدون جمالا ··· فأدرك أننى ميت فى عالم حى ، وأشعر بالعذاب والنقص والحرمان وألوى وجهى لأنتحر ··· ثم أعود فأجبن وأتردد وأرجع آملا أن أعيش كما يعيش الناس . ولكنى الآن سأختار المكان الذى يناسبنى ··· نعم سأنتحر ... لن أتردد هذه المرة ··· بل إنى لأشعر أننى قد مت من زمن طويل وأننى أسير كالآلة الصماء ··· فماذا يضيرنى إذا أرقفت هذه الآلة البغيضة ··· لن أشعر بأى شىء أكثر مما أشعر به ··· نعم سأنتحر ··· سأنتحر هنا فى هذا البحر الساكن الداكن ··)

وانتهت القصاصة عند هذه الكلمات ولم تجد القطة العابثة أى شىء يثير اهتمامها فى هذه الأوراق المزقة فغادرتها وهى ترمق الرجل التعس الأحمر العينين وهو يغادر المائدة ويسير إلى الخارج فى عزم وتصميم ··· ولم تعرف أين ذهب فأمره لم يكن يهمها فى قليل أو كثير .

وأدارت القطة عينيها مرة أخرى فى المكان فوجدت أنه قد خلا إلا من جماعة الندل والخدم ··· وهؤلاء لم يكونوا يوما على علاقة طيبة معها ··· فآثرت الاكتفاء بهذه السهرة الممتعة وولت وجهها شطر بيتها الدافىء اللين .

وفى الطريق شاهدت رجلا نحيلا ضئيلا يجلس فى ركن مظلم ، ودهشت عندما وجدته يلقى إليها بقطع كبيرة من الخبز واللحم . ولكنها لم تجد غضاضة فى أن تنتقى اللحم وتترك الخبز وراحت تدور حول قدميه وقد رفعت ذيلها فى سرور ··· ثم انطلقت تموء حينما وجدته يقوم ويتركها ··· ولكنه كان فى نفسه يحفظ لها جميلا كبيرا فقد أوحت له فى هذه الجلسة الهادئة بقصة لم يكن يحلم بها ··· فبينما ذهبت تتنقل من مائدة إلى أخرى ترك عقله يسير فى خطواتها ··· ورأى الحياة من عينيها كالكرة المضاءة تدور حول محورها ··· وقد راح كل إنسان يرى منها وجها لا يراه الآخر ··· شاهد فى هذه الساعات القليلة ما كان يحتاج لسنين ليفهمه ··· شاهد نظرات الناس إلى الحياة ··· وقد تباينت واختلفت ، وكأن كلا منهم يحيا فى عالم من صنعه ومن خلقه .

مصطفى محمود

مطبعة الرسالة

العدد ٧٢٢ — الاثنين ١٤ يوليو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٠٣

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

Lundi — 14 — 7 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

15em Année No. 732

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ شعبان سنة ١٣٦٦ — ١٤ يوليو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

٣ – رحلة إلى الهـــند

اليهود فى المؤتمر الآسيوى

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

كان بين وفود المؤتمر وفد من اليهود فيه ثمانية رجال وامرأتان. ليس بينهم من ولد فى فلسطين أو نشأ بها إلا رجل وامرأة ...

وقد رأى ممثلو مصر والجامعة العربية أن يكونوا لهم بالمرصاد حتى لا يتخذوا من المؤتمر فرصة لنشر دعوتهم، وتزيين أباطيلهم فعملنا على أن يعرف المؤتمرون أنهم لا يمثلون فلسطين. فقال مندوب الجامعة العربية فى كلمته إنه يمثل دول الجامعة، وإن لم يكن فى فلسطين دولة فممثل الجامعة العربية يمثلها. ثم ذهبنا إلى رئيسة المؤتمر فقالت إنها تعرف بأن هؤلاء اليهود إنما يمثلون الجامعة العبرية، وأن فلسطين إنما يمثلها مندوب الجامعة العربية. وقالت إنها أمرت أن يسجل هذا فى سجلات المؤتمر. وأعربت عن حبها العرب وإعجابها بهم ...

وكذلك حرصنا على أن ترد على اليهود كل كلمة يتحدثون فيها عن حقوق لهم فى فلسطين أو أعمال لهم فيها ...

وقد نشروا فى بعض جرائد الهند مقالات عن صلتهم بآسيا ومكانتهم فى فلسطين فنشرت بالإنكليزية كلمة وقعتها أنا ومندوب الجامعة العربية هذه خلاصتها بالعربية.

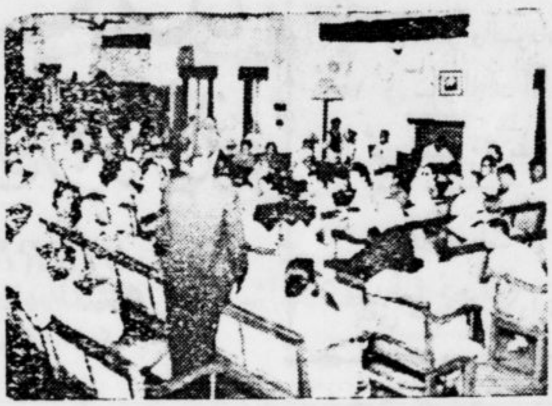
اطلعنا على بيان فى الجرائد نشره بعض اليهود المشتركين فى مؤتمر العلاقات الآسيوية. وقد حاول ناشرو البيان أن يحرفوا الحقائق، ويصوروا فلسطين بغير صورتها.

قالوا: « إن الأوربيين يكرهون اليهود لأنهم يمثلون روح آسيا، وأن الأوربيين فى بغضهم اليهود إنما يعربون عما يكنونه من الكراهة والاحتقار للأمم الآسيوية التى يمثلها اليهود »

والحق أن هؤلاء المدعين أنهم من آسيا وأنهم يمثلون روحها إنما جاءوا إلى فلسطين أوشاباً من أمم أوربيـة مختلفة لا يحملون روح آسيا ولكن يحملون كل ما فى الروح الأوربى من بغى وعدوان وظلم، فما هم إلا جماعة أوربية تحاول اغتصاب قطر آسيوى ويزعمون « أن العرب استفادوا كثيراً من أعمال اليهود فى فلسطين »

ونحن لا نريد أن نفصل اليوم ما أصاب العرب على أيدى اليهود الوافدين على بلادهم، وحسبنا أن نقول إن أعمال اليهود هناك تقصد إلى أن يحولوا العرب من سادة فى بلادهم إلى عبيد، ومن ملاك إلى عمال لا يملكون شيئاً. وكل أمم الأرض تعرف حرص اليهود على أن ينفعوا أنفسهم وقلة مبالاتهم بمنافع غيرهم، فإن ظن اليهود أن لهم على العرب فضلاً فالعرب فى غنى عن هذا

الفضل ، وأعظم فضل لديهم أن يتركهم اليهود أحراراً فى وطنهم وأن يحرموهم من هذه النعم التى يعنون بها .



الدكتور عبد الوهاب عزام يتكلم فى اللجنة الثقافية

ويقول أصحاب البيان :

« إنه ليس بين اليهود فى فلسطين حتى جماعات الإرهاب ، من يريد أن يسلب العرب بلادهم »

فإن لم تكن هجرة اليهود إلى فلسطين الصغيرة أفواجاً تضيق بها البلاد ، وإصرارهم على أن تستمر الهجرة حتى تكون لهم الكثرة فيها ، ومحاولتهم أخذ الأرض من العرب بكل وسيلة ظاهرة وخفية — إن لم يكن هذا سلباً لبلاد العرب فكيف يكون سلب البلاد من أيدى أهلها . إن دعوى اليهود أنهم لا يريدون أن يحلوا محل العرب فى أرضهم لا قيمة لها ما دامت أفعالهم تكذب هذه الدعوى تكذيباً صريحاً بيناً لا خفاء فيه ، ما ذا يقصد إذن بهذه الهجرة التى يصرون عليها بكل الوسائل وهم يعلمون أن فلسطين مزدحمة بأهلها وقد رمى إليها اليهود نصف مليون زادوها ازدحاماً ثم هم لا يكفون عن الهجرة ؟ ألهذه الهجرة غرض سوى غلبة العرب على أرضهم ، وإخراجهم من ديارهم ؟ إنهم بتجاراتهم وصناعاتهم ، وهى لخير اليهود وحدهم ، يبغون أن تكون لهم الكثرة فيتسنى لهم بهذا وذاك أن يسيطروا على البلاد . ثم هم مع هذا يزعمون أنهم محسنون إلى العرب .

ينبغى أن نذكر اليهود بتاريخ العرب — وهم بسجاياهم أحرار كرام لا يستعبدون ولا يستعبدون ، ولا يبخلون أن يشركوا الناس فى خيراتهم — هؤلاء العرب كانوا على مر العصور حماة اليهود . لجأ اليهود إلى ظل العلم العربى حيثما كان . وقد دخلوا إسبانيا فى كنف العرب ، فلما أخرج العرب منها خرجوا ، ويوم قامت للعرب دولة فى فلسطين كان اليهود مشردين فى الأرض وكانت معابدهم مزابل ، فطهر العرب معابدهم ، ومكنوهم أن يرجعوا إلى فلسطين ، وأن يعيشوا أحراراً فى رعاية العرب وسماحة الإسلام . وهكذا أحسن العرب إلى اليهود على مر العصور واختلاف الأقطار . فلما رأى اليهود المحن تتوالى على العرب ، والمصائب تحيط بهم بأيدى الأوربيين جاءوا فى ظلال الأعلام الأوربية باغين على بنى عمومتهم ، ناسين كل فضل لهم ، يجزونهم شر الجزاء بما أحسنوا إليهم كل الإحسان . لقد جاءوا معتزين بوعد بلفور ليكونوا أعواناً لأعدائهم على أصدقائهم . فخسروا آخر صديق لهم على وجه الأرض ، إنهم لم يأتوا إلى فلسطين بروح الآسيوى المعترف بالفضل ، المقر بالحق ، المؤثر للعدل ، بل جاءوا فى ظلال الأعلام الأوربية أعواناً لبغى أوربا يجدون فى ضعف العرب فرصة ليسلبوهم أرضهم وديارهم ، ثم يدعون أن الأوربيين يكرهونهم لأنهم آسيويون حملوا إلى أوربا روح آسيا .

وقال أصحاب البيان آخراً : « إن يسيراً أن نجد الحل السلمى الملائم » ...



نهرو قائماً للخطابة وغاندى قاعداً وبجانبه عبد الغفار خان الذى يسمى غاندى الحدود

نعم نحن نعرف الحل العادل الملائم . وقد دعونا إليه ونادينا به واقترحته جامعة الدول العربية فى مؤتمر لندن . هذا الحل هو أن يعيش الناس فى فلسطين كما تعيش الأمم كلها فى هذا العصر . وأن تكون فلسطين لمن فيها اليوم ، ويكف سيل الهجرة المتدفق ويعيش العرب واليهود على النظم الديمقراطية التى تسيطر على العالم كله . يقبل العرب هذا ويتجاوزون عن كل ما وقع ، ويعدون اليهود الذى هم فى فلسطين اليوم وقد جاءوا إلى البلاد فى السنوات

هـــــذه بلادنا

للأستاذ محمود محمد شـــاكر

هذه بلادنا : العراق ، وسورية ، ولبنان ، وفلسطين وشرق الأردن ، وجزيرة العرب ، واليمن ، ومصر والسودان ، وبرقة ، وطرابلس ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش — هذه بلاد العرب التى ينطق أهلها اللسان العربى ويدين أكثرهم بالإسلام ، فهيا من أجل ذلك جبهة واحدة ممتدة من الشرق إلى الغرب ، وتملأ رحابها أكبر قارة على وجه هذه الأرض . وهى جميعاً أرض بكر لم ينبش العلم ذخائرها المدفونة تحت ثراها الغنى، ولم تنل يده إلا قليلا مما تقله أرضها من حيوان ونبات ، ولم تنفطر روحها بعد عن الإنسان الجديد الذى انساح فيها من قبل يوما ما ، فملأها عدلا وكانت ملء جنباتها ظلماً وعدواناً وبغياً وكفراً بالله ثم بالطبيعة البشرية المطهرة من أدران الحقد والأثرة والجشع وقلة الإنصاف .

فلنلق نظرة عليها جميعاً بلداً بلداً ، لنرى ما ذا فعل الله بأهلها ، وماذا كتب عليهم ، وماذا قدر لهم .

فالعراق أغنى مشارف الجزيرة العربية وأكرمها تربة ، وقد نزلت عليه بريطانيا محتلة وسامته الخسف سنين حتى عقدوا معه معاهدة لم تمنع بريطانيا من التدسس بسلطانها إلى جميع مرافقه، فهو لا يستطيع أن يؤدى حق أرضه عليه كما يجب ، وسلطان بريطانيا هناك سلطان جائر عنيف لا يزال كما كان على أول عهد الاحتلال ، ويخشى أن يزداد فيه سلطانها وسلطان شريكتها ووارثتها أمريكا ، بما جد من شئون النفط والبترول وما إليهما .

وأما سورية ولبنان ، فقد جلت عنهما فرنسا جلاء تاماً على أثر الأحداث العالمية التى جاءت مع الحرب الماضية ، فاستردتا استقلالهما بغير قيد ولا شرط . ولكن يخاف عليهما ما يخاف على سائر البلاد العربية من تسرب السلطان البريطانى والسلطان الأمريكى ، وطغيان هذا السلطان بالضرورة الملحة الملزمة ، إذا قدر لهما أن تظلا محاطتين من جميع النواحى بالمواقع التى فيها لهذا السلطان أثر قوى .

وأما فلسطين، فهى الأرض المظلومة المضطهدة التى أراد بغى بريطانيا وأمريكا أن يجعلاها وطناً لأعوانهم من نسل إسرائيل ، ومعنى ذلك أن تصبح فلسطين كهف الجشع البريطانى الأمريكى ، يعمل له وفيه جيل من خلق الله الذين عرفوا بالخسة وقلة المبالاة وعدم الورع فيما يأتون وما يذرون ، وهم ولا ريب يؤيدون سياسة بريطانيا وأمريكا فى فرض سلطان القوة وسلطان المال على هذه البقعة من الأرض المقدسة ، وعلى كل مكان آخر يحيط بها من قريب أو بعيد .

وأما شرق الأردن ، فقد كفتنا المعاهدة التى عقدت بينه وبين بريطانيا أن نقول فيه قولا يصفه بأفضل مما وصفته هذه المعاهدة ، وهو أنه أرض بريطانية فى قلب البلاد العربية

وأما جزيرة العرب ، فقد تدفق عليها سلطان بريطانيا وأمريكا من كل مكان ، لأنه فرض أن آبار البترول تكاد تكون حقاً خالصاً لهما ، يدفعان فى سبيل أخذه مالا قليلا زهيداً ، ثم ينقلانه إلى بلادهما ليكون ذخيرة من ذخائر القوة التى تحرك الآلات ، وتنتج المصنوعات وتمد أمريكا وبريطانيا بكل أسباب القوة والغلبة فى هذه الدنيا الجديدة التى لا حظ فيها إلا للقوى الناصب. واستقلال جزيرة العرب أصبح اليوم مهدداً بتغلغل نفوذ ملوك البترول الذين يخدمون ولا شك سياسة بلادهم على أى وجه كانت هذه السياسة .

الأخيرة من أقطار أوربية مختلفة — يعدون هؤلاء الأوربيين المعتدين المغيرين شركاء لهم فى فلسطين ، ويقبلون أن يقيموا معاً دولة على أسس ديمقراطية .

فهل يقبل اليهود هذا ؟ كلا إن الحل السلمى الملائم عندهم أن يوالوا الهجرة إلى فلسطين بغياً وعدواناً حتى يكثروا العرب ، ثم يقيموا بكثرتهم دولة يهودية كما يشاؤون . هل هذا حل سلمى؟ كلا إنه الوسيلة لإزالة السلم فى الشرق الأدنى ، وإشعال الفتن والحروب فى هذا القسم من العالم بل فى آسيا والعالم كله ...

إن خيراً لليهود أن يعدلوا عن هذه المطامع الظالمة ، ويعترفوا للعرب بحقهم الحاضر وفضلهم الماضى ، ويعيشوا فى سلام وأمان فى رعاية العرب فى فلسطين وغيرها » .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

وأما اليمن فلبريطانيا هناك بعض السلطان ، ويخشى بعد قليل أن يتدسس إليه سلطان أمريكا أيضاً وتصبح اليمن مضطرة إلى الخضوع لما خضعت له جاراتها العربية من سلطان هؤلاء الأقوياء .

وأما مصر والسودان ، فمن الذى يجهل سلطان بريطانيا فى أحد شقيه ، وهو مصر ، إنه سلطان قد ظلت السياسة البريطانية تمهد له منذ ستين عاماً بكل أسلوب من أساليبها فى اتخاذ الصنائع ، وإضعاف الأخلاق ، وابتزاز الأموال ، وفتح أبواب الهجرة لصعاليك الأمم ، وقذف الأرض بكل سخافة من سخافات المدنية ، وحجبها عن كل جد وكل عمل يراد به خير هذه البلاد . وأما السودان ، فلم يزالوا به حتى كادوا ينتزعونه جملة واحدة ، وحتى قسموه إلى جنوب وشمال ، وحتى حرموا على أهل الشمال أن يخالطوا أهل الجنوب ، وحتى حرموا على أبنائه أن ينالوا قسطهم من العلم والحرية والتجربة فى هذه الدنيا المملوءة بالعلم والحرية والتجربة .

وأما برقة وطرابلس فقد انتهت بهما الحرب إلى أن صارتا تحت سلطان بريطانيا المباشر ، ولا يدرى أحد ماذا يجرى فيهما هناك الآن على وجه التحقيق ، ولكنهما على كل حال تحت سلطان بريطانيا وشريكتها أمريكا .

وأما تونس والجزائر ومراكش فهى أسوأ بلاد العربية كلها حالا بوقوعها تحت سلطان فرنسا . وفرنسا هذه أمة أهل جبروت وحماقة وجهل ، فهى تتخذ العسف وتصطنع القسوة فى كل عمل تعمله فى تلك البلاد . ولكن ليس يدرى على وجه التحقيق ما الذى تضمره بريطانيا وأمريكا لفرنسا وحكمها فى تلك البلاد . أتريد حقاً أن تؤازر فرنسا مرة أخرى على استعادة بعض مجدها وسلطانها فى هذه الدنيا ، وبذلك يزداد طغيانها وبغيها على أهل تونس ومراكش والجزائر ؟ أم تراهما يريدان أن يحتالا حتى يزيلا فرنسا عن تلك البلاد ليفرضا معاً عليها سلطاناً بريطانياً أمريكياً — إما متعاونتين وإما منفصلتين ؟ ومهما يكن من شىء فالذى فيه هذه البلاد اليوم ، أو الذى يخشى أن يقع عليها غداً هو أن السلطان الأجنبى هو السائد فيها قوة واقتداراً .

فأنت ترى غير مرتاب أن هذه الأمة العربية التى تعيش فى كل هذه البلاد العربية ، قد أصبحت هدفاً لأطماع دولتين متحدتين فى أغراضهما وأهدافهما : هما بريطانيا وأمريكا . فهل يشك فى هذه الحقيقة أحد ؟ كلا ولا ريب ، وإذن فنحن أمة واحدة مقسمة اليوم إلى أمم متعددة تواجه فى الميدان جبهة واحدة لها أغراض لا تختلف ولا تفترق . وهذه الجبهة الواحدة لم تزل تتعاون بأسلوب بعد أسلوب فى تنفيذ أغراضهما فى كل بلد من بلادنا ، وتتآزران على فرض سلطانهما مجتمعاً أو مفترقاً ، وتتوسلان إلى ذلك بالوسائل التى تتاح لكل منهما فى كل بلد من هذه البلاد

فالآن وقد تبين أننا أمة واحدة مقسمة إلى أمم ، وأننا نلقى عدواً واحداً هو بريطانيا وأمريكا مجتمعتين يضربان بسلاحهما غدراً هنا وهناك وثمة بلا رحمة ولا شفقة ولا إنسانية ، فقد أصبح لزاماً علينا وفرضاً لا مخلص لنا منه أن ننظر إلى الحقيقة الواحدة التى لا يختلف عليها إلا من نزع الله من قلبه البصيرة الهادية إلى سبل الرشاد ، ألا وهى الاتحاد التام فى لقاء هذا العدو .

ومنذ سنوات أجمعت طائفة من أمم العرب على تكوين الجامعة العربية ، واشترطوا فى الأمة التى تصير عضواً فى هذه الجامعة أن تكون مستقلة . ومعنى ذلك هو الاستقلال المعترف به دولياً ، لا الاستقلال الحقيق ، فإنهم لو طلبوا ذلك لما كان فى الجامعة العربية عضو واحد من هذه الأمم التى ذكرنا . فالجامعة العربية كما هى الآن لا تفى البتة بحاجة العرب ، ولا تقوم على الأساس الصحيح الذى ينبغى أن تقوم عليه . نعم إن الجامعة العربية لم تقصر فى الدفاع عن حق العرب جميعاً تقصيراً تلام عليه ، وهى تبذل غاية جهدها فى صد عدوان المعتدين عليها ، وتبذل أقصى جهدها فى أم المشاكل العربية ، وهى مشكلة فلسطين التى سوف تكون يوماً ما ، أول شرارة تنطلق فى تاريخ العرب الحديث لتنير لنا الطريق السوى الذى ينبغى للعرب أن يسلكوه .

ولكن لا بد منذ الآن أن تعمل الجامعة العربية على ضم سائر البلاد العربية الأرض واللسان ، لتكون شعوب هذه البلاد كلها جبهة واحدة ، ذات سياسة واحدة ، وأهداف واحدة ، وقيادة واحدة ، حتى نلقى فى الميدان ذلك العدو الواحد المتآزر على هلكة العرب ، وهو بريطانيا وأمريكا . وإنه لا معنى لأن

تبقى فلسطين وتونس ومراكش والجزائر وبرقة وطرابلس غير ممثلة فى جامعة الدول العربية تمثيلا صحيحاً كسائر الدول العربية ، فإن مهمة الجامعة هى أن تعمل على أن تجعـل هدفها الأول أن تتخذ كل وسيلة لضم شتات العرب فى هذه الدنيا ، كما فعل اليهود من أهل الأجناس المختلفة فى توحيد قيادتهم وجعل قضيتهم قضية واحدة ، وهم معتدون على أرض ليست لهم ، ونحن أهل أرض واحدة نملكها نحن العرب ملـكا لن ينازعنا فيه أحد .

وليس من الرأى ولا من الحـكمة أن نترك هذا العدو الواحد يلقانا فى أكثر من جهة واحدة وهو صاحب القوى الطاغية الباغية ، وأن نظل نحن متفرقين ليس يجمعنا نظام واحد تحت قيادة واحدة تعمل لهدف واحد هو تحرير البلاد العربية كلها جملة واحدة من هذا النير المضروب علينا . وكما قلت من قبل إننا شعب واحد ، وقضيتنا قضية واحدة ، فلا معنى لأن نجعل هؤلاء يتلعبون بنا ، ويقسموننا ويفرقون بين قلوبنا ، ويشغلوننا حيناً بهذه القضية ، ثم يعملون فينا حتى نيأس ، فإذا بقضية أخرى تستنفد جهودنا ، ثم أخرى ثم رابعة . كلا ! هذا فساد فى الرأى وضلال قديم قد جربناه فألفيناه وبالا علينا ونقضاً لقوانا وتمـكيناً للعدو من أنفسنا

إنه لابد من تجديد النظر فى شأن الجامعة العربية ، فإن العرب قد هبوا بعد هذه الحرب من رقدة طالت عليهم ، وهم مقبلون على العالم شعثاً غبراً كما أقبل آباؤهم من قبل ، وهم ينظرون إلى مدنية عظيمة قد بلغت غايتها وهى اليوم فى سبيل الانحدار إلى الهوة العميقة التى طمرت فيها مدنيات سالفة لم تـكن أقل منها شأناً ولا أضعف خطراً . وينبغى أن تعلم جامعة الدول العربية ، أو الجامعة العربية ، أن عملها ليس سياسة محضاً بل هو أيضاً حض وتحريض وبعث لهذا الجيل من الناس المعروف باسم العرب ، حتى تتم يقظته وحتى يعرف أى شىء يستقبل وأى شىء يستدبر ، ليرث هذه المدنية التى أوشكت أن تزول عن وجه هذه الأرض .

إنه قول جرىء ، ولـكنه حق ملء السمع والبصر ، حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلنأخذ أهبتنا قبل أن تأتى الساعة التى نضطر فيها إلى العجلة التى كان لنا عنها مندوحة ، إن كل عربى قد فرض عليه واجب هو أقدس الواجبات فى هذه الدنيا — ألا وهو الأمانة التى يرث بها الأرض ويكون فيها خليفة يصلح فيها ولا يفسد ولا يسفك الدماء ولا يأكل حقوق الناس بالبغى والعدوان . والجامعة العربية إذا بنيت على هذا الأصل وقامت على هذه الفكرة ، فقد أدت للبشرية أكبر خير أدى إليها على وجه الدهر ، وقد استنقذت حضارة الإنسان من الهلاك المحقق على يد الجنس الأوربى ، بل لعلها لم توجد فى هذا الوقت من هذا العصر إلا لتؤدى هذه المهمة وحدها بعد أن تجمع شمل العرب وتقف بهم صفاً واحداً يقاتل طغيان عدوها المستبد الذى يلقاها بسلطانه الجائر ، ويقاتل أيضاً ذلك السلطان الذى انفجر من ملتقى القارتين ، أوربة وآسية ، لـكى يكون دماراً لنفسه وللحضارة الأوربية الفاسدة الضحلة .

ونحن العرب — فيما أرجو — لن نباع منذ اليوم فى سوق الرقيق التى يسمونها « هيئة الأمم المتحدة » ، فقد عرفنا بالتجربة كيف فعلت هذه الهيئة فى مسألة فلسطين وسواها من عربدة القوى الذى أطارت صوابه نشوة السلطان المسكر .

محمود محمد شاكر

على ثلوج (حزين)

للأستاذ على الطنطاوى

— ٢ —

قال :

بدأت هذه القصة منذ أربعين سنة ، ولم تكن هذه الضهور [1] موحشة مقفرة كما تراها اليوم ، ولم يكن القصر مهجوراً خرباً ، بل كان حافلا بالأنس ، فياضاً بالنعيم ، يمرح فيه الصبا ، ويضحك الطهر ، وإن كان قد خلا من هيبة السلطان ، وهجره الجند والأعوان ، بعد ما قضى بـ (مذبحة عين داره) [2] الأمراء التنوخيون سادة الجبل ، ودالت دولتهم وذهبت أيامهم ، فلم يبق لسيدى الشيخ ناصر رحمه الله (مشيخة) بعدهم على هذى البقاع ، وكان هو (شيخها) وحاكمها — فما خلا من النبل والفضل ، ولا هجره العافون ولا الوافدون ، بل كانوا يؤمونه أبداً فينصرفون وقد حفِل وطاب كل واحد منهم بمايشتهى ومايريد من مال الشيخ ومن طيب قلبه ، ونبل نفسه ، وإشراق وجهه ، فكان مجده فى عزلته أكبر من مجده فى إمْرته .

وكانت ربة القصر قد مضت جميلة طاهرة كزنبقة الجبل ، شابة ناضرة كطلائع الربيع ، وكانت تنشر عطر الحب أينما سارت فتترك حبها فى كل قلب ، فلما تولت أبقت فى كل قلب أعطر الذكريات ، وأحرّ اللوعات ، ورعى سيدى الشيخ عهدها ، وحفظ ودّها ، فلم يحلّ محلها من قصره أو فؤاده امرأة غيرها ، ووقف نفسه على ولديها : علام وليلى ، فكان لهما من بعدها أباً وكان لهما أماً ، ولم يكن فى القصر امرأة إلا أنا ، وكنت غضة الإهاب ، ريّانة الشباب ، فكنت أقوم على خدمتهما وتربيتهما .

وكنا نعيش سعداء لاندرى ما الهموم ، ولا نسأل عن الغد ، كنا كالمسافر يقف على العين الباردة ، يتمتع بالماء العذب ، والظل الظليل ، ثم يسير لا يحمل معه قربة من ماء ، ولا يتزود زاداً ، لأنه لا يعلم أن الطريق أمامه شمس كله وعطش وجوع وضلال ، ولا بدّ له من سلوك هذا الطريق ...

كانت حياتنا كالبركة الساكنة ، ولكن الأيام ألقت فى بركتنا حجراً كبيراً ، أزعج سكونها ، وعكر ماءها ، فلم تصفُ من بعدُ أبداً ، وكان الحجر الذى رمتنا به الأيام غلاماً قذراً حمله سيدى من أزقة بيروت ...

وهنا تبدأ القصة التى أروى لك مقاطع منها ، لأنها لا تروى كلها : ومن يستطيع أن يروى قصة حب ، بكل ما فيها من عواطف وأفكار ، وآلام وآمال ؟

إن النفس البشرية أعمق من البَحْر ، فمن دخل البحر غرق فيه فلم يخرج منه ليخبر عما رأى ، ومن وقف على الشاطىء لم يلمس منه إلا الزبد الذى يحمله إليه الموج ، وإن أعظم القصص التى كتبها الأدباء ، لم تكن إلا زبداً يلقيه الموج إلى الشاطىء ، أما اللجة الكبرى فلم يصل إليها قلم أديب ، ولا غاص على جواهرها ، ولا وصل إلى عجائبها .

هل رأيت الأفق عند الغروب ، والشمس تلونه كل لحظة بلون ، تخلق فيه عجائب لم تعرفها الأرض ثم تبيدها وتأتى بغيرها ، وتخط فيه خطوطاً سحرية بألوان ما عرفها الفنُّ ثم تمحوها وترسم سواها ، كذلك النفس البشرية ، إنها تبنى وتهدم فى (الثانية) من الأفكار والعواطف ، والخواطر والتأملات ، مايعجز أدباء الأرض جميعا عن حبسه فى القرطاس . فكيف يصف حياة امتدت أربعين سنة ، من عجز عن وصف حياة ثانية واحدة ؟ وكيف يصورّ ألوان النفس الخفية من لم يستطع أن يصورّ ألوان الأفق الظاهرة ؟

إن الأدباء لم يأخذوا من قصص الحياة إلا حوادثها ، وما الحوادث ؟ ما خطرها ؟ إنها جسم القصة ، فهل رأيت محباً يقتل حبيبته ثم يعانق جسدها يحسب أن الجسد هو الحبيبة ؟

هذا ما يصنعه الأدباء !!

* * *

أروى لك حوادث هذه القصة وأدع لك أن تفهم ما وراءها ، وأن تلمس بيد بصيرتك روحها حتى لا تكون جسما بلا روح ،

---

(١) الضهور جمع ضهر : وهوظهر الجبل من عامى لبنان الفصيح .

(٢) يسأل عن خبرها الرجل الذى لم يبق من سلالة الأمراء التنوخيين إلا هو وآله فهو ذو الامارتين : إمارة الأدب وإمارة النسب ، صديقنا أبو قيس عز الدين علم الدين التنوخى .

وأن تسمعها بأذن نفسك لا بأذن رأسك ، فإن النفوس متشابهات وربّ إشارة أو كلمة أدلّ عند النفس من كتاب ضخم عند العقل .

بدأت حوادث هذه القصة يوم عاد سيدى الشيخ من بيروت راكباً فرسه ، إذ لم تكن قد وطئت حرم الجبل الأشم هذه السيارات ... وقد لفّ عباءته على غلام وضمه بين يديه لا يبدو منه إلا رأسه ، فلما وصل كشفها عنه فإذا غلام (شحاد) عمره نحو عشر سنين ، وسخ الجسم ، قذر الأسمال ، فقال لنا :

— إنى وجدته فى رأس بيروت يهم بأن يلقى نفسه فى البحر فحملته معى

وجعل الولد يتفلت منه كأنه قط وحشى يريد أن يفرّ من الصياد ، فشد يده عليه ، ودفعه إلىّ وقال لى :

— خذيه فأطعميه .

ويا ليته تركه يرمى بنفسه فى البحر ، أو يا ليته خلّاه ليهرب ولا يعود ، إذن لما شقينا به ولما شقى بنا أربعين سنة كوامل ، لم نستمتع فيها بشباب ، ولم نعرف فيها السعادة ولا الاطمئنان .

وسحبته من ذراعه ، وهو يحاول التملص منى ، ويعضّ يدى ، وينطحنى ويثبت قدميه مستعصما بالأرض كالتيس العنيد ، حتى بلغت به المطبخ ووضعت له الطعام فأكل أكلَ من لا يخشى الفزر [١] ، فلما شبع عدت به إليه — وكان يحدث الولدين ويدفع إليهما هداياه التى طلباها منه : القيثارة للصبى والسوط المرصع اليد للبنت — فلما رأته ليلى ، قالت :

— بابا . إنه قذر .

ورحمته . أما علام فقد أبغضه منذ اللحظة الأولى .

فقال لى سيدى الشيخ :

— خذيه فاغسلى جلده ، وألبسيه .

ففعلت فرأيته قد استحال إنساناً آخر ، وخيل إلىّ أنى لمحت على وجهه وميض نبل قديم ، فلما أنعمت النظر فيه وجدته قد انطفأ وعاد وجهاً عادياً لغلام وضىء رائع المحيا .

وعدت به إلى الشيخ ، فسرّ به وقال :

— لقد أسميته (هانى) وجعلته منى كولدى .

ونظرت إلى الولد فأبصرت عينيه تلمعان ، ثم رأيته يسرع إلى الشيخ فيخبىء وجهه فى طيات جبته ويبكى ، يعبر بالدمع عن الشكر الذى يقصر عن التعبير عنه اللسان .

وكانت ليلى ترمقه باسمة ، أما علام فكان يملأ قلبه البغض ويجلّل وجهه الغضب .

***

ومرت الأيام ، وألفته ليلى إذ كان فى مثل سنها وألفها ، أما علام فلم تزده له الأيام إلا كرهاً ، وكان الشيخ قد اشترى لكل من الثلاثة فرساً . فأقبل علام يوماً على هانى وكان يساير بفرسه ليلى ، فقال له آمراً :

— انزل عن الفرس وهاته ، فإن فرسى قد أصابه العرج .

فأبى ، فسبّه وأخذ الفرس منه قسراً ، وآلمه عدوانه عليه ، وأنساه كرم الوالد أصله ، وأنه لقيط من الطريق ، وأن (علام) هو الولد والوارث والفرس فرس أبيه ، وأنه أكبر منه سناً ، وأقوى ساعداً ، فهجم عليه يريد أن يسترجع الفرس منه فضربه علام على وجهه وصدره ، ثم أخذ حجراً ضخما فرماه به ، فشجه وكاد يقضى عليه ، لولا أن أقبلت ليلى تدافع عنه بسوطها ، تنزل به على وجه أخيها حتى حجزته عنه ...

فى هذه اللحظة ولد المخلوق الجبار الذى اسمه الحبّ .

أشفقت عليه ، وشفقة الفتاة على الفتى الجميل بذرة الحب تختفى فى قلبها ، فلا تحسّ هى بها ، كما تختفى حبة الصنوبر الصغيرة فى حَدور الجبل تطؤها الأقدام ، وتتجاوزها الأبصار ، ولا يدرى بها أحد ، ثم لا تلبث أن تكون شجرة باسقة الفرع ، ممتدة الأصل ، شامخة الهام .

وجعلت تواسيه فيعرض عنها ، يستحى برجولته (الصغيرة) أن تراها كليمة مهزومة ، وهى تلح عليه ، حتى قالت له :

— هلم نقطف (أزهار الجبل) .

فأبى . فرفعت ذيلها وانحنت له متشبهة بالعقائل على عادتهن فى تلك الأيام ، فاستلّت بدلالها غضبه ، وابتسمت فأنارت بابتسامها قلبه ، فأطاعها وغلبت أنوثتها رجولة الرجل ... ولا تزال المرأة غالبة ما حاربت بالأنوثة ، فإن زهدت فيها وحاولت أن تجارى الرجل فى ميدانه ، وتسابقه فى حلبته ، وتقاتله بسلاحه ، اصطكت ركبتاها ، وكلّت قدماها ، وعجزت يداها ، وسقطت .

(١) الفزر من العامى الفصيح وفى الشمائل : (كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر) .

ومسحت دمه ، وعصبت جرحه ، وأركبته فرسها ، ومشت به الهوينى ، تلقى فى أذنه كلاماً من كلام الطفولة العاشقة ، يرفعه فى عين نفسه ويحقق فيه عندها ما تتمناه هى فى رجل أحلامها ، ولكل بنت حلم ولو كانت بنت عشر ، ولا يخلو حلم بنت من رجل ، ولو كان (رجلا) ابن عشر ! حتى إذا اقتربا من هذه الصخرة التى تراها قائمة على شفير الوادى ، كأنها قلعة من قلاع الجن ، أمامها خندق لا تبلغ قرارته الشياطين ، ولا تصل إلى ذروته المردة ، قالت له :

— اسمع ما أنت بالوضيع ولا اللقيط ، أنت سليل الأمراء التنوخيين ، أنت الذى نجا يوم (عين دارة) وهذا قصر أجدادك .

فنظر مشدوهاً ، وقال : هذه صخرة !

— قالت : كلا . أنعم النظر إنها قصر أجدادك ، وهذا الفارس الأسود بالباب يمنعك من دخوله فخذ هذا السيف واعد إليه فاقتله ، اعْدُ ... اعْدُهْ ...

— قال : هذا سوط !

فصاحت متحمسة ، وضربت الأرض دلالا بقدمها ، وانتثر شعرها الذهبى ، وزادها الغضب جمالا على جمالها ، فأراه غضبها الصخرة قصراً ، والسوط سيفاً ، وأى رجل لا تخدعه الجميلة عن الأوهام حتى يراها حقائق ، ولا يندفع من أجلها إذا دفعته إلى المهالك ؟

وعثر به الفرس ، وكاد يهوى إلى الأعماق المظلمة ، ولكنه قفز إلى الأرض ، وانطلق يقارع بسوطه الهواء ، وهو يرى أنه يجالد الفارس الأسود ، حتى إذا قتله ... مسح سيفه من دمه ... ووضع قدمه على عنقه ... وصرخ بها صرخة الظافر ، فأقبلت إليه وقالت :

— أنت الملك ، وأنا أمتك .

— قال : بل أنت مليكتى .

وانحنى أمامها فقبل يدها ، وذهب يقطف زهور الجبل ليصنعها لها تاجاً ...

ونما الحب الوليد فجأة ، فكانت له قوة هذه الصخرة وسموها ، وله طهارة هذه الثلوج ونقاؤها ، وله خلود هذه الجبال وبقاؤها .

***

قال صديق :

وسكتت العجوز حيناً ، ثم قالت لى :

— انظر إلى ما تحت قدميك .

فنظرت وإذا أفتن منظر وقعت عليه عينا سائح وأبدعه .

قالت :

— هذا هو المشهد الذى كنت تراه فى ظلام الليل أسود مخيفاً ، يبعث الرعب ، ما تبدل ، ولكن غابت عنه الشمس فاستحال جماله قبحاً ، وكذلك الدنيا : تكون فى عين سوداء وفى عين بيضاء ، وتكون يوماً حلوة حبيبة ، ويوماً مرة كريهة ، ولقد اسودت دنيانا منذ مات سيدى الشيخ ، وغربت عنها شمسه المضيئة فشملها الظلام ، وذهبت منها حلاوة نفسه ، فصارت مرة لا تطاق .

تبدلت هذه (الدنيا) مذ مات ، وشب الصغار ، فلم يعد فى القصر ثلاثة أطفال يلعبون قد ساوى بينهم كرم الوالد ، بل سادة وخدم ، وظالم ومظلومون ، صار علّام سيد القصر ، فكشفت منه السيادة عن نفس عبد ، وأظهر السلطان منه طبع سوقة ، فاستبد بأخته واستأثر بالخير من دونها ، وجعل هانى خادم الاصطبل ، وسائس الخيل ، يمسك له فرسه ، وينحنى له ليضع نعله الدنسة على كتفه ليركب ، ويعدو معه فى ركابه ، ويذيقه ألوان الذل ، ويتعمد أن يحمله صنوف الأذى ، وهو صابر من أجل حبه ، وهى ترى هذا فيقطع نفسها حسرات ، ويمزق فؤادها أن ترى حبيبها و (مليكها) ذليلا ممتهناً ، ولا تدرى ما اللذة ولا تعرف طعم الحياة إلا إذا غاب الأخ ، فهرعت إلى الصخرة تسبقه أو يسبقها إليها ، فألقت بنفسها بين ذراعيه ، ما تبالى حطة منزلته ولا وساخة بزته ، لقد كانت هذه الصخرة ملاذهما ، وعش هواهما ، يستندان إليها ، فإذا الصخرة التى كانت صماء خرساء ، قد عاشت بالحب ، وعدّتها حياته الخالدة ، فصارت قلباً كبيراً أحنى من قلوب الأمهات ، ولساناً أحلى من ألسنة العشاق ، وعز كل شىء حواليها وغلا ، فالشمس عندها أضوأ فى عينيهما من شمس القصر ، والليل أعذب ، والورد أعطر ، والثلج أطهر ، وكان يحسّ وهو معانقها أن هذه السفوح المتسلسلة إلى سيف البحر ، وهذه القرى المنثورة على السفوح ، وهذه الأحراج المطيفة بالقرى ، وهذه السواقى المنبثقة من الأحراج ، وهذه الذرى العالية ، وهذه الحدور المتتالية وهذا البحر المعظم الذى يمتد حتى يصعد إلى السماء أو تنزل هى إليه ، فيكون البحر سماء والسماء ماء — كل ذلك ملك له وحده!

ويشعر بالقوة قد ملأت نفسه حتى كادت تتفجّر نشاطاً واندفاعاً ، وبالعاطفة يكاد يتمزق من طغيانها قلبه ، وأنه لم يعد

يحتمل السكون والانطواء على نفسه بعد ما حركه الحب ؛ فهو يريد أن يصنع المعجزات ، أن يزيح الجبال ، أن يكون قائداً فيفتح بجيشها الأرض ، أن يكون شاعراً فيملأ بتقديسها الأسماع ، أن يكون كاتباً فيخلدها بروائع الآداب : بكل مقالة هي أعظم من قلعة يشيدها ملك ، وأمتن منها بناء ، وأعلى ، وأبقى على وجه الدهر ، تتخرب القلاع وهي باقية ، وتنسى أسماء الملوك ، وأسماء قائليها درر في صحائف التاريخ ، وجمال للماضي ...

وتنالها من خمرة الحب مثل نشوته ، وتغيب معه في سكرة الغرام ، فتهمس وشفتاها على خده :

— هل في الدنيا أسعد منا يا هاني ؟ هل في الوجود متعة أعظم مما نحن فيه ؟

— فيقول : نحن الوجود يا ليلى ، نحن المحبة والمحبة سرّ الوجود . هذه الصخرة ما رست هنا منذ الأزل إلا لنأوى إليها ، هذه السفوح ما بسطت إلا لنطل عليها ، والقمر ما طلع من وراء الأفق إلا لينظر إلينا ، والنجوم ما أطلت من فُرج السماء إلا لتناجينا ، والفلك كله يدور من حولنا . نحن قطب الوجود ، أنا وأنت يا ليلى . لقد كنا متحابين من قبل ان نلتقى ، وقبل أن نولد ، وسنبقى متحابين بعد أن نموت ، وهذا هو الحب .

الحب أن يعرف الحبيبةَ قبل أن تقع عليها عينه ، ويسمع باسمها أذنه : يعرفها في سبحات التأمل في ليالي الوحدة ، في ثوران الميل في أعصاب الشباب ، في خفقات القلب للجمال ، في تطلع الفكر للمجهول ، في فراغ النفس ، في صراخ الأعصاب ، في كل فرحة ، وفي كل ألم ، وكل ذهول . هذا هو الحبُّ الضالُّ الذي لا يعرف طريق الحبيب

ليس الحب ضمَّة ولاشمَّة ولاقبلة ، الحب أن يرى المحبوبة فيحس في نفسه جوعاً سماوياً إليها ، رغبة جامحة في أن يفتح قلبه ويضمها فيه ويضمه عليها ، الحب أن تفنى هي فيه ، وأن يفنى هو فيها ، أن لا يفرق بين الحبيبين الزمان ولا المكان ولا الميول ولا الأهواء ، فيكون أبداً معها ، هواه هواها ، وميوله ميولها ، ويكون في رأسه صداعها ، وفي معدته جوعها ، وفي قلبه مسراتها وأحزانها ، وأن تكون له ويكون لها ، وأن يدخلا معاً مصنع القدرة الإلهية مرة ثانية ويخرجا وقد صارا إنساناً واحداً ، في جسمين اثنين . فأين تروى جرعات اللذائذ الحسية هذا الظمأ الروحي ؟ ! إنها كالخل للعطشان ، يشربه فيحرق أمعاءه ، ويزيد ظمأه .

— فتقول له : يا ليتنا نموت الآن يا هاني ، حسبنا هذا من العمر . أو يا ليت الزمان يقف فلايدور أبداً ، ولا نعود إلى القصر ولا نرى الناس .

— فيقول : ما الناس ؟ وما القصر ؟ كله باطل ! كل ما عند الناس أوهام ! الحق هنا ، هذا وحده الحق ، هذا هو الواقع ، هنا الدنيا !

ويعجز النطق ، وتضيق اللغة ، فيتكلمان باللغة التي يفهمها البشر كلهم ، لأن لغة البشرية ليست لغة أمم ولا أقوام ، اللغة التي ليس فيها إلا كلمة واحدة ولكن معانيها أوسع من كل ما حوت المعاجم ، اللغة التي لا يفهم الرجل عن المرأة ، ولا تفهم المرأة عن الرجل ، إلا بها : لغة القبل !

وتكون وسوستها الخافقة أبلغ من كل ما قال الشعراء

(البقية في العدد القادم)

علي الطنطاوي

٩ – تفســير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

الرموز فى الأحلام :

والأشياء التى تمثل فى الحلم بالرموز ليست كبيرة العدد ، وهى تنحصر فى : جسم الإنسان كمجموعة ، والآباء ، والأبناء ، والإخوة ، والأخوات ، والولادة ، والعرى — وثمت شيء آخر[١] . والتمثيل النموذجى الوحيد ، أى الذى يتكرر ظهوره باستمرار ، لجسم الإنسان كمجموعة هو « المنزل » ، كما يقرر ذلك الفيلسوف « شرنر » الذى أراد أن ينسب إلى هذا الرمز دلالة شاملة فوق ما يستحقها . والناس يرون فى أحلامهم أنهم يهبطون الدرج الخارجى للمنزل وقد انتابهم شعور من الفرح أحيانا ومن الفزع أحيانا أخرى . والمنزل إذا كان أملس الحائط فهو يرمز إلى رجل ، أما إذا كان يحتوى على بروزات وشرفات تصلح للتعلق بها فهو يرمز إلى امرأة . والأب والأم يظهران فى الحلم على شكل « إمبراطور » و « إمبراطورة » أو « ملك » و « ملكة » أو أية شخصية عظيمة أخرى . أما الأبناء والإخوة والأخوات فإنهم يعاملون فى الحلم برقة أقل ، فيرمز إليهم « بحيوانات صغيرة » أو « حشرات » . والولادة تمثل غالباً بإشارة إلى « الماء » ؛ فنرى أننا إما نقع فى الماء أو نخرج منه ، أو ننقذ أحداً من الغرق أو ينقذنا منه ، أى أن العلاقة بين الأم والطفل تبدو فى صورة رمزية . أما الموت فيمثل بالاستعداد للقيام « برحلة » أو « سفر » بالقطار ، بينما ترمز « الملابس » و « البزة الرسمية » إلى العرى . وهنا ترون أن الخط الذى يفصل بين التمثيل الرمزى والتمثيل التلميحى يميل إلى التلاشى .

ونحن لا يسعنا بجانب هذا الفقر فى الإحصاء إلا أن نعجب أيما عجب عند ما نرى أن أشياء كثيرة من التى تنتمى إلى أفق آخر من الأفكار تمثل بعدد وافر من الرموز ، وهـذه الأشياء التى أعنيها هى كل ما يختص بالحياة الجنسية من أعضاء التناسل والعمليات الجنسية والجماع . فكمية فائقة من الرموز فى الأحلام عبارة عن رموز جنسية ، ومن هنا يختل التوازن إذ أن الأشياء التى تعالجها الرموز قليلة العدد بينما الرموز نفسها عديدة بشكل غريب ، بحيث يمكن لكل من هذه الأشياء القليلة أن يعبر عنه برموز كثيرة متماثلة تقريباً من الوجهة العملية . ولذا فإننا عند ما نقوم بتفسير هذه الرموز فإن هـذه الخاصية تتسبب فى جرح الشعور العام لأن هذه التفسيرات كلها تعتبر واحدة إذا قسناها بالأشكال المختلفة التى تمثل بها فى الأحلام . وهذا من غير شك لا يسر كل من يقدر له أن يعرفه ، ولكن ماذا فى وسعنا أن نعمل ؟ .

ولما كانت هذه هى المرة الأولى التى أتكلم فيها عن الحياة الجنسية ، فإننى أجدنى مديناً لكم ببعض الشرح عن الخطة التى سأتبعها فى معالجة هذا الموضوع . فالمحلل النفسانى لا يرى أى داع لأن يخفى شيئاً أو يلمح إليه بطريقة غير مباشرة ، وهو لا يجد غضاضة فى الاهتمام بمادة غزيرة كهذه المادة ، وإنما هو من الرأى القائل بأن من الأصوب والأفضل لنا أن نسمى الأشياء بأسمائها الحقيقية آملين بذلك أن نأمن جانب التأويلات المختلفة . ولئن كنت أتحدث إلى خليط من الرجال والنساء ، فلن يغير هذا من الموقف شيئاً . فليس هناك من العلوم ما يمكن معالجته بطريقة تصلح لفتيات المدارس ، كما أن النساء الموجودات قد عبرن بحضورهن إلى هـذه القاعة تعبيراً ضمنياً عن رغبتهن فى المعاملة كالرجال سواء بسواء .

والجهاز التناسلى للذكر يمثل فى الحلم برموز كثيرة قد نستطيع أن نتبين فى معظمها وجه المقارنة بوضوح . فمثلا العدد المقدس « ثلاثة » عبارة عن رمز للجهاز بأكمله . أما الجزء المعروف منه وهو ما يهم الجنسين على السواء ، أعنى القضيب ، فيرمز إليه أولا بأشياء تشبهه فى الشكل أى طويلة منتصبة مثل « العصا » و « المظلة » و « الأعمدة » و « الأشجار » وما شابه ذلك . كما أنه يرمز إليه كذلك بأشياء لها مثله خاصية الاختراق ، ومن ثم إيذاء

---

(١) الأعضاء التناسلية . المترجم

الجسم أى الأسلحة المدببة من أى نوع كانت مثل « المدية » و « الخنجر » و « الرمح » و « السيف » . والأسلحة النارية أيضاً « كالبندقية » و «الطبنجة» و «المسدس» يستخدم كثيراً لما لها من شكل يجعلها رموزاً صالحة للاستعمال . فنجد أن المطاردة بواسطة رجل مسلح بمدية أو بندقية فى آخرها حربة تلعب دوراً كبيراً فى أحلام القلق للفتيات الصغيرات . وربما كان هذا الرمز أكثر الرموز ظهوراً فى الأحلام ، وها أنتم الآن تستطيعون ترجمته من تلقاء أنفسكم . والاستعاضة عن القضيب بأشياء يفيض منها الماء مثل « الصنبور » و « الينبوع » وكذلك الاستعاضة عنه بأشياء لها القدرة على الاستطالة مثل « المصابيح التى تعلق على بكرة » و « الأقلام التى ينزلق فيها الرصاص داخل وخارج الغلاف » تعتبر من الرموز السهلة الفهم . ومما لا شك فيه أيضاً أن «المطرقة» و «قلم الرصاص» و «مبرد الأظافر» و « البنة » وغير ذلك من « الأدوات » عبارة عن رموز جنسية مذكرة من السهل جداً معرفة وجه المقارنة بينها وبين القضيب .

ولهذا العضو صفة خاصة (وهى جزء من ظاهرة الانتصاب) تمكنه من القيام من تلقاء ذاته غير مكترث بقانون الجاذبية ، وهذه الصفة تؤدى إلى أن يرمز إليه فى الحلم «بمنطاد» أو «طائرة» وأخيراً فقط « زبلن » . بيد أن الأحلام لها طريقة أخرى أشد غرابة فى الرمز إلى الانتصاب وذلك بأن تدمج العضو الجنسى فى الجزء الرئيسى من الشخص بحيث يرى الحالم «أنه نفسه يطير» . أرجو أن لا تقلقوا لسماعكم لأول مرة أن الأحلام الجميلة التى نعرفها كلنا والتى نرى أنفسنا نطير فيها ، يجب أن تفسر على أنها تهيج جنسى أو أحلام انتصاب ، فهذا التفسير قد أثبته أحد علماء التحليل النفسى وهو «ب . فيدرن» بشكل لا يدع مجالا للشك . هذا علاوة على أن « مورلى ڤولد » وهو رجل يثنى عليه كثيراً لأحكامه الرزينة ، قد أجرى تجارب كثيرة على أوضاع اصطناعية للأيدى والأقدام فوصل إلى نفس النتيجة مع العلم بأن نظرياته كانت تبعد فى الواقع كثيراً عن نظريات التحليل النفسى (بل لعله فى الحقيقة لم يكن يعلم شيئاً بالمرة عن هذا العلم) كما يجب عليكم أن لا تفكروا فى المعارضة باعتبار أن المرأة ترى أيضاً أنها تطير فى الحلم ، فالأفضل لكم أن تتذكروا أن الغرض من الأحلام هو إشباع الرغبات ، وأن الرغبة فى أن تصير رجلا كثيراً ما تقابل فى المرأة سواء شعرت بها أم لا . وفضلا عن ذلك فإن الشخص الذى له إلمام بعلم التشريح لن تستطيعوا التمويه عليه إذا قلتم له إنه من المستحيل على المرأة أن تحقق هذه الرغبة عن طريق إحساسات تشبه إحساسات الرجل ، لأنه يعلم أن الجهاز التناسلى للمرأة يحتوى على عضو صغير يشبه القضيب ، وهذا العضو الصغير ، المسمى بالبظر ، يلعب فى الطفولة وفى السنوات التى تسبق المباشرة الجنسية نفس الدور الذى يلعبه القضيب .

وهناك رموز جنسية مذكرة يصعب فهمها قليلا مثل « الأفاعى » و « الأسماك » ومثل الرمز المشهور « الثعبان » . كما أن من الصعب علينا فعلا أن نتكهن بالسبب الذى من أجله تستخدم « القبعات » و « المعاطف » بنفس الطريقة ، غير أن معناها الرمزى لا ريب فيه من غير شك . وأخيراً فإن لنا أن نتساءل إذا كان من الممكن أن نعتبر تمثيل القضيب بأحد الأعضاء الأخرى مثل اليد أو القدم تمثيلا رمزيا ؟ أظن أن سياق الحوادث وما نصادفه من الرموز المؤنثة المقابلة لذلك سيضطرنا إلى الاعتراف بهذه النتيجة .

أما الجهاز التناسلى للأنثى فيرمز إليه بكل الأشياء التى تشترك معه فى صفة الإحاطة بفراغ أو التى تصلح للاستعمال كأوعية مثل «الحفرة» و «الجب» و «المغارة» وكذلك «الجرة» و «الزجاجة» و « الصناديق » من مختلف الأحجام والأشكال ، و « الخزانة » و « الأدراج » و « الجيوب » وما شابه ذلك . و « السفن » أيضا تدخل ضمن هذا الاعتبار . وكثير من الرموز حرية بأن تشير إلى الرحم أكثر من أى عضو تناسلى آخر ، مثل «الدولاب» و « الموقد » وأهم من ذلك كله « الحجرة » . والتمثيل الرمزى بالحجرة هنا يرتبط مع التمثيل بالمنازل ، بينما « الأبواب » و « البوابات » تمثل الفتحات التناسلية . وهناك أيضاً مواد من أنواع مختلفة ترمز إلى المرأة « كالخشب » و « الورق » والأشياء المصنوعة منهما مثل « الكتب » و « الموائد » . أما من عالم الحيوان « فالقواقع » و « أم الخلول » يجب أن تدخل على أى حال ضمن الرموز المؤنثة التى لا يخطئها الظن . وأما من أجزاء الجسم نفسه « فالفم » يمثل الفتحة التناسلية ، بينما نجد أن

« الـكنائس » و « المعابد » بين الأبنية عبارة عن رموز للمرأة .

ومن هذا ترون أن هذه الرموز كلها ليست على درجة واحدة من سهولة الفهم .

والنهود كذلك يجب أن تدرج ضمن الأعضاء الجنسية وهى تمثل « بالتفاح » و « الخوخ » و « الفواكه » على العموم . أما شعر العانة فى الجنسين فيرمز إليه فى الحلم « بغابة » أو « أيكة » . وترجع العلة فى تمثيل الجهاز التناسلى للأنثى غالباً « بأصقاع » تحتوى على غابات وصخور ومياه إلى طبيعته التبوغرافية المعقدة ، بينما التركيب الميكانيكى الدقيق للجهاز التناسلى للذكر يؤدى إلى الرمز إليـه بكل الأنواع المعقدة والتى لا يمكن وصفها من « الآلات » .

غير أن هناك رمزاً آخر للجهاز التناسلى للأنثى يستحق الذكر هنا وهو «صندوق الجواهر» بينما «الجواهر» و «الـكنوز» تستخدم فى الحلم كرموز تمثل الشخص المحبوب ، و « الحلوى » تقوم غالباً مقام اللذة الجنسية . أما التلذذ الجنسى الناتج عن اللعب فى الأعضاء التناسلية للشخص نفسـه فيرمز إليه بأى نوع من أنواع « اللعب » ومن بينها (اللعب)[١] على البيان . والتمثيل الرمزى « للعادة السرية »[١] « بالانزلاق » و « التزحلق » وأيضاً « بجذب فرع من الشجرة » يعتبر تمثيلا نموذجياً . ومن الرموز التى تستحق النظر أيضاً « سقوط أو اقتـلاع الأسنان » ومعناها المبـدأى من غير شك هو الخصى كعقاب للادمان على العادة السرية . ومن الغريب أن عملية الجماع نفسها تمثل فى الحلم بدرجة أقل ممـا كنا نتوقع بعد كل هذا ، ولـكننا نستطيع أن نذكر هنا أنواع الرياضة ذات النغم المطرد مثـل « الرقص » و « ركوب الخيل » و « التسلق » ، وكذلك « تعرض الإنسان للشدائد » كأن تدهمه مركبة كما أن فى إمكاننا أيضاً أن نضيف إلى ذلك بعض الأشغال اليدوية وكذلك التهديد بالأسلحة من غير شك

(يتبع) محمد جمال الدين حسن

(١) آثرنا استعمال الترجمة الحرفية لـكلمة « Play » فقلنا اللعب بدلا من العزف حتى لا نبعد عن الغرض الذى أراده فرويد من إدخالها ضمن أنواع اللعب الأخرى .

(١) الـكلمة المستعملة فى الأصل هى « onanism » ومعناها « الأونانية » أو سفم أو نان وهى أن يجامع الرجل المرأة ثم يفضى إلى الخارج لمنع الحمل . وسميت بذلك نسبة إلى « أونان » ابن النبى « يهوذا » وهو أول من مارس الجماع على هذه الطريقة كما يقال غير أن هذه الكلمة شاع استعمالها خطأ فى بلاد كثيرة بمعنى التلذذ الجنسى الذاتى (auto-etotism) بأنواعه المختلفة وأهمها النوع المعروف بالعادة السرية (masturbation) وقد نبه « هافلوك أليس » فى سفره العظيم « دراسات فى سيكولوجية الجنس » إلى هذا الخطأ فقال فى ص ١٦٣ من الجزء الأول للكتاب الأول ما يأتى : « يجب أن لا تستعمل « الأونانية » فى هذا المعنى إطلاقا ولو لسبب واحد فقط وهو أن طريقة « أونان » لم تكن للتلذذ الجنسى بل كانت مثلا من الأمثلة المتقدمة لعملية إخراج القضيب قبل الإنزال أو (Coitus interruptus) . » اهـ لذا آثرنا استعمال كلمة « العادة السرية » لأنها تؤدى المعنى الذى يريده فرويد أكثر من « الأونانية » .

رأى الأكثرية

فى السياسة الشرعية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

ذكر صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ رزق الزلبانى فى مقال له (السياسة الدستورية الشرعية) نشر فى عدد صفر سنة ١٣٦٦ هـ من مجلة الأزهر حكما فى رأى الأكثرية لا يصح أن يترك من غير أن تبين حقيقته الدينية ، لأنه يتعلق بأمر له خطره فى نظام الحكومات الدستورية الحاضرة ، وقد أخذت به الحكومات الاسلامية فى هذا العصر ، فتألف فى كل حكومة منها مجلس نيابى يقوم نظامه على الأخذ برأى الأكثرية ، وقد رأى فضيلة الأستاذ أن هذا يخالف السياسة الدستورية الشرعية ، لأنها توجب رد المتنازع فيه بين أولى الأمر إلى الكتاب والسنة ، ولا توجب الأخذ برأى الأكثر كما توجبه الحكومات الدستورية فى عصرنا ، ثم ذكر أن ما درجت عليه الشريعة من ذلك أدنى إلى الصواب ، وأجدر بتحقيق المصلحة واتفاق الكلمة ، لأن الأكثرية قد تكون من حزب واحد ينصر بعض أفراده بعضاً فى الحق وفى الباطل ، فمتى شاء زعماء الحزب تقرير أمر ولو بباعث المصلحة الشخصية تبعهم الباقون من أعضائه ، فيصبح ما قرروا واجب الاتباع لأنه رأى الأكثر ، وإن كان ظاهر الضرر قبيح الأثر ، فتضيع المصلحة العامة ، وتتزعزع ثقة الأمة بأمثالهم ، وتجد الفتنة والتفرق طريقها إلى النفوس ، وفى ذلك الخطر كل الخطر ، وفى الرد إلى الله والرسول اطمئنان كل نفس وراحة كل ضمير ، وضمان وحدة الأمة وسيرها على صراط مستقيم .

ولا شك أن ما ذهب إليه فضيلة الأستاذ من رد المتنازع فيه بين أولى الأمر إلى الكتاب والسنة هو ما جاء فى قوله تعالى فى الآية — ٥٩ — من سورة النساء (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) وقد ذكر المفسرون أن ذلك خاص بأمور الدين ، فهى التى يرجع فيها عند التنازع إلى كتاب الله عز وجل ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ما دام حياً ، فإن مات ردت إلى سنته ، فإن لم توجد فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله فسبيلها الاجتهاد ، وقيل الرد إلى الله ورسوله أن يقولوا لما لا يعلمون : الله ورسوله أعلم .

فأما أمور الدنيا فقد فوض الأمر فيها إلينا ، نحكم فيها بما فيه مصلحتنا ، ونرجع فيها إلى ما يراه أولو الأمر فينا ، كما قال تعالى فى الآية — ٨٣ — من سورة النساء : (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فأدخل هنا أولى الأمر فيما يجيئهم من أمور الأمن والخوف ، لأنه من أمور الدنيا ، قال المفسرون : أولو الامر هم ذوو العقول والرأى والبصيرة ، أو أمراء السرايا والبعوث .

وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فى الآية — ١٥٩ — من سورة آل عمران ، فقال (وشاورهم فى الأمر) وقد اختلف العلماء فى المعنى الذى من أجله أمر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم ، مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحى عليه ووجوب طاعته على الخلق كافة فيما أحبوا أو كرهوا ، فقيل هو عام مخصوص ، والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد ، وذلك فى أمر الحرب ونحوه من أمور الدنيا ، لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه ، وقيل إنه أمر أن يشاورهم فى أمر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شىء ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم شاورهم فى أسرى بدر وهو من أمر الدين ، وقد اتفق العلماء على أن كل ما نزل فيه وحى من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشاور فيه الأمة ، وإنما أمر أن يشاور فيما سوى ذلك من أمر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك

وقد مر النبى صلى الله عليه وسلم على قوم يؤبرون نخلهم ، فقال لهم . لو تركتموه لصلح . فتركوه ففسد ، فأتوا إليه فأعلموه بفساده ، فقال لهم . أنتم أعلم بأمور دنياكم

فهناك إذن أمور كثيرة لا يجب على المسلمين أن يرجعوا عند التنازع فيها إلى الكتاب والسنة ، وهى أمور الحكم التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيها ، لأنها هى محل الشورى ، وهى التى تؤلف المجالس النيابية فى الحكومات الدستورية للرجوع إليها فيها ، أما أمور الدين فشأنها فى ذلك

شأن القوانين الوضعية ، ولا شك أن وجود القوانين الوضعية لا يمنع من تأليف المجالس النيابية فى الحكومات التى تأخذ بها ، فكذلك لا يمنع وجود القوانين السماوية من تأليف المجالس النيابية فى الحكومات التى تأخذ بها ، لأن المجالس النيابية ليست محاكم تنظر فى مسائل القوانين السماوية أو الوضعية ، وإنما هى رقيبة على حكوماتها ، تمنحها ثقتها إن عدلت فى الحكم ، وتعزلها من الحكم إن جارت فيه

وقد سار النبى صلى الله عليه وسلم على الشورى فى حكمه ، حتى قالت عائشة رضى الله عنها : ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك أنه فى غزوة الأحزاب أراد أن يصالح عُيينة بن حصن والحارث بن عوف على ثلث ثمار المدينة ، فعرض ذلك على سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة سيدى الأوس والخزرج ، فقالا له : يا رسول الله ، إن كان أمراً من السماء فامض له ، وإن كان أمراً لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمعاً وطاعة ، وإن كان إنما هو الرأى فما لهم عندنا إلا السيف . فقال لهما : لو أمرنى الله ما شاورتكما . ثم اختار ما أشارا به ، ورجع عما أراده من ذلك الصلح

وإذا كان الإســـلام قد جاء بالشورى التى تقوم عليها الحكومات الدستورية فى عصرنا ، فقد جاء أيضاً بالرجوع إلى رأى الأكثرية عند اختلاف أهل الشورى ، وبهذا لا يكون هناك خلاف فى هذا الأمر بين السياسة الدستورية الشرعية وغيرها من السياسة الوضعية ، بل تتفق السياستان فى الأخذ برأى الأكثرية فيما ثبتت فيه الشورى من أمور الدنيا كلها ، ومن بعض أمور الدين على ما ذهب إليه بعض العلماء فيما سبق

وقد أتى الإسلام بالأخذ برأى الأكثر فى غزوة أحد فى السنة الثالثة من الهجرة ، وذلك حين اقترب المشركون من المدينة فنزلوا بذى الحليفة ، فجمع النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال لهم : إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن هم أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها

فقال رجال من المسلمين ممن كان فاته يوم بدر : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا . وقال آخرون : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فو الله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يا رسـول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا !

فانقسم المسلمون بذلك إلى فريقين : فريق على رأيهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيهم شيوخ المهاجرين والأنصار ، يرون البقاء فى المدينة ، وفريق أكثرهم من الشبان الذين لم يحضروا غزوة بدر ، وأرادوا أن يعوضوا ما فاتهم منها بغزوة أحد ، يرون الخروج من المدينة إلى العدو

وقد نظر النبى صلى الله عليه وسلم فرأى الأكثرية فى جانب الذين يرون الخروج من المدينة ، فلم ير إلا أن يترك رأيه إلى رأيهم ، وإن كان يرى أن رأيه هو الأرجح ، لأنه قد أمر بالشورى ، والشورى تقتضى أن يأخذ برأى من يستشيرهم إن اتفقوا عليه ، فإن اختلفوا فيه أخذ برأى أكثرهم ، حتى تمشى الشورى على قاعدة مطردة ، وتجرى على منهاج معروف ، تجتمع عليه كلمة الأمة ، ولا تكون الشورى معه سبباً لانقسامها واختلافها ، وقد عمل النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك بقاعدة ارتكاب أخف الضررين ، لأن ضرر مخالفة رأى الأكثرية فى الخروج من المدينة أشد من مخالفة رأيه فى البقاء فيها . وقد بعث صلى الله عليه وسلم معلماً ومرشداً ، فضرب بهذا مثلا فى حكم الشورى ، ليأخذ المسلمون به بعده ، وتكون القاعدة فيه الأخذ برأى الأكثر عند الاختلاف فى الرأى

فكيف مع هذا يرى فضيلة الأستاذ أن الأخذ برأى الأكثر ليس من السياسة الدستورية الشرعية ، وفى الإسلام مجال واسع للأخذ برأى الأكثر ، وذلك فى كل ما يؤخذ فيه بالشورى من أمور الدنيا ، ومن بعض أمور الدين التى لا يوجد فيها نص قاطع من الكتاب أو السنة ، ولا شك أن تقييد الأخذ برأى الأكثر بذلك لا شىء فيه ، لأن المجالس النيابية فى الحكومات الحديثة لا يصح لها أن تتدخل فى كل شىء من أمور الدولة ، بل تقف سلطتها عند حدود لا تتعداها ، ولا تطغى بمجاوزتها على غيرها من السلطات التى تتألف منها الحكومة

وأما ما ذكره فضيلة الأســـتاذ من ضرر الأخذ برأى الأكثرية عندما تكون من حزب واحد فهو أمر قد يعرض لهذا النظام ، ولا يصح أن يؤخذ به ، كما لا يصح أن يؤخذ كل أمر نافع بسوء استعماله . بل يجب أن يعالج هذا فيه بما يصلحه

عبد المتعال الصعيدى

الفلسفة العربية وكيف تدرس

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

تعم الشرق العربى نهضة تشمل مختلف نواحى الحياة من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية . ولكى نسير بهذه النهضة إلى الأمام يجب أن نقيمها — ونحن فى بدايتها — على أسس وطيدة تلائم استعداداتنا العقلية وتقاليدنا الإجتماعية . وذلك يلزمنا بأن نتوجه إلى حضاراتنا العربية نبعث تراثها من جديد ؛ ونستكشف من بين ثنايا مخلفاتها مقوماتنا النفسية ، واتجاهات ميولنا الفكرية ، ومعاييرنا الخلقية ، وعاداتنا الإجتماعية . فيجب علينا أن نجد فى بحث تراثنا العربى لانترك فيه علماً أو فناً من غير أن نستوفى دراسته ، ونسرع فى نشر أبحاثه فى جميع أنحاء العالم العربى ، حتى يدرك كل عربى ما هى المبادىء المقومة لفكره ، وما هى الاتجاهات الثابتة التى ينزع إليها دائماً عقله ؛ فيأخذ فى تنمية مواهبه ، ويشغلها بالموضوعات التى تتفق مع نزعاته الفكرية الصحيحة ؛ وكل ذلك يؤهل الشعوب العربية لأن تقوم وتؤسس حضارة عالية تنشأ فى أحضان الأصول الروحية الشرقية وترتق بنضوج الخصائص الرئيسية لعقليتنا العربية ...

علينا إذن نحن العرب واجب مقدس نحو مستقبلنا الحضارى ، وهو أن نتعاون جميعاً على تحليل علوم العرب وآدابهم وفنونهم إلى عناصرها الأولية ، قاصدين معرفة محتوياتها وأصولها وبواعثها ومناحى مذاهبها . وأحسب أن تحقيق ذلك يتطلب دراية واسعة وفهماً عميقاً لكل التيارات الثقافية التى أثرت فى العقلية العربية ، حتى يمكننا أن نميز بين ما هو أصيل فى الحضارة العربية وما هو دخيل عليها ، ولذلك قبل أن نقدم على مثل هذه الدراسات ، يجب أن نتزود بالزاد الثقافى الذى يمدنا للاشتغال بتراث العرب ، وأن نحدد لمختلف العلوم والآداب والفنون البرامج الثقافية التى تعين كل باحث فى تفهم مادة بحثه . وفى هذا المقال سأحاول أن أضع البرنامج الثقافى الذى أرى أنه يفيد كل من يرغب فى الإشتغال بالفلسفة العربية ...

نشأت هذه الفلسفة فى بيئة ثقافية معقدة أشد التعقيد ، وتطورت فى ربوع شعوب متباينة الإتجاهات ، وتأثرت بحضارات متعارضة النزعات . فلقد كان العالم العربى يمتد من غرب الهند شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً ، ويضم بلاد الأندلس والمغرب ومصر والشام وشبه جزيرة العرب والعراق وفارس وما وراء النهر ، فتلاقت ثقافات هذه البلاد وتمازجت ، كما تسربت إليها الأفكار الهندية ، وتأثرت بما ترجم من التراث اليونانى إلى اللغة العربية ، وأخذت عن الدين الإسلامى ، وعرفت تعاليم الدين المسيحى وتعاليم الدين اليهودى . فنبت التفكير الفلسفى العربى من فلسفة وتصوف وعلم كلام وترعرع فى كنف ذلك المجمع الثقافى والمتحف الحضارى ، ونحن لا ندرى إلى الآن أى هذه الثقافات كان أقوى تأثيراً من غيره فى الفكر العربى ، وإلى أى حد كان أخذ العربى ومحاكاته لثقافات غيره من الشعوب ، ولا نعرف ما هو نصيبه الحق فى تراثه الحضارى ...

لكي نكشف عن حقيقة هذه المسائل العويصة ، يجب أن نسترشد بكل ما يقال إنه من العوامل التى أثرت فى كل من الفلسفة والتصوف وعلم الكلام إذ قد تدلنا على قسط كل ثقافة فى الحضارة العربية ، وتحدد لنا نصيب الفكر العربى فيها .

أولا : يلاحظ على الفلسفة العربية أن هناك من لم يقتنع بوجودها ، ويشك فى قدرة العقلية العربية على التفلسف ، ويرى أن الفلسفة العربية ما هى إلا خليط مشوه من الأفكار اليونانية لا نصيب فيها للفكر العربى ؟ وأن هناك من يدعى بأن للعرب إضافات مبتكرة تشهد بأن الفكر السامى فى قدرته أن يضع نظريات ويقيم كليات ، وأن هناك من يقول بأن هذه الإضافات ليست مبتكرة وإنما هى مأخوذة من الأفكار الهندية والفارسية ولكى نتوصل إلى الرأى الصواب ؛ يجب قبل أن نشتغل بهذه الفلسفة ، أن نجيد فهم الفلسفة اليونانية ، ونتتبع تاريخ تطورها من يوم ظهورها إلى أن ترجمت إلى اللغة العربية ، وأن نعرف مراحل تطور الفكر الفارسى من قبل نهضة زرادشت إلى أن استولى العرب على بلاد فارس ، وأن نلم بكل الديانات الهندية من هندوسية وبوذية سواء فى أصولها أو فى صورها التى وصلت إلى العرب . وبعد أن نحيط علماً بكل ذلك يمكننا أن نبحث فى الفلسفة العربية ، وأن نحدد موقف العقلية العربية منها .

ثانياً : أما عن التصوف فتضاربت الأقوال شتى المذاهب فى نشأته وتطوره ، فمن يرى أنه هروب من ارتباك الحياة السياسية وانحطاط الحياة الاجتماعية ، ورجوع الحياة الصوفية القديمة التى كانت فى الهند وفارس ، ومن يرى أنه محاكاة للرهبنة المسيحية ، وأنه استمد تفسيراته للأحوال الصوفية من أفكار الأفلاطونية المحدثة ، ومن يرى أن دين الإسلام برىء منه ، لأنه دين جاف لا يلين للعواطف الصوفية ، بينما يستند الصوفية دائماً فى أقوالهم إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . فكل هذه الآراء تجبرنا وتلزمنا بأن نلم بالأصول الثقافية التى دعت إلى ظهور التصوف وساعدت على نموه ؛ وأن نعرف قبل أن نقبل على دراسته تاريخ الإسلام السياسى وأثره فى الحياة الصوفية ، وتعاليم الدين المسيحى ونظم رهبنته ومدى نفوذه فى العالم العربى ، ونظريات الأفلاطونية المحدثة ، ودين الإسلام وروح تعاليمه فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وتاريخ التصوف الهندى والفارسى .

ثالثاً : إن كان هناك من يؤكد بأن نشأة علم الكلام دعت إليها الحياة العربية ، وحاجتها للدفاع عن تعاليم الإسلام ، ومقاومة كل الحركات التى ناهضت الإسلام ، وعملت على تقويض نفوذه وهدم تعاليمه ؛ إلا أن هناك أيضاً من يعتقد أن علم الكلام كان مجرد محاكاة للجدل اللاهوتى المسيحى ، وأن حججه وبراهينه كلها مأخوذة من الفلسفة اليونانية . ولكى نمتحن هذه المزاعم يتطلب منا أن نحيط علماً بمختلف التيارات الثقافية التى ناهضت الإسلام وتعاليمه ، وبنوع الجدل اللاهوتى الذى كان يدور بين المسيحيين ومدى شيوعه فى المملكة العربية ، وبالفلسفة اليونانية وطرق إقامتها للحجج وأسلوب جدلها المنطقى وروح براهينها .

نستنتج مما تقدم أن الباحث فى الفكر العربى لن يصل إلى شىء ذا خطر علمى ، ما لم يمون نفسه بالزاد الثقافى الذى يحتاج إليه ، حتى يكون دقيقاً عميقاً فى أبحاثه ، صادقاً مصيباً فى أحكامه ولكى نسهل عمل كل من يرغب فى أن يشتغل بهذا الفكر ، نخطط له برنامجاً ثقافياً ، عليه أن يستوعبه قبل أن يبدأ فى تناول أى بحث فلسفى عربى أياً كان نوعه ، ويتلخص هذا البرنامج الثقافى فى الخطوات الآتية : —

١ — أن يبدأ الباحث بدراسة تاريخ الفكر الفارسى ، وتاريخ الفكر الهندى فى أصولها ، ثم على حالتيهما اللتين وصلتا للعرب .

٢ — ثم يدرس الفلسفة اليونانية دراسة تفصيلية فى مختلف أطوارها ، منذ نشأتها إلى يوم أن نقلت إلى اللغة العربية .

٣ — ثم يدرس تعاليم الديانات السماوية الثلاث ، وهى الإسلام والمسيحية واليهودية ، ويدرسها أولا فى أصولها ، ثم على حالتها التى كانت عليها فى العصور العربية .

٤ — أن يتتبع تاريخ الإسلام السياسى ، ومدى أثره فى الحياة الثقافية .

وبعد أن يعطى الباحث هذه العلوم حقها من الدراية والفهم ، يسمح لنفسه بأن يتناول الفكر العربى بالبحث ، لأنه فى ضوء ثقافته هذه ، يمكنه أن يتتبع نشأة كل أنواع هذا الفكر ، ويتلمس أماكن ظهورها فى مختلف البلاد العربية ، ويدرك أدوار تطورها ، بل يمكنه أن يعين العوامل التى أدت إلى رقيها أو التى عاقت تقدمها ، وأن يوضح مكانة العقلية العربية ومدى تفاعلها مع الثقافات الأخرى . وكل ذلك يساعده مساعدة فعالة فى شرح تفاصيل الفلسفات العربية شرحا وافياً دقيقاً غير متأثر فى أحكامه بأى عاطفة سوى حب الحقيقة ، كما يساعده فى تحديد عناصر الحضارة العربية ومقومات روحها الحق .

عبد العزيز محمد الزكى

ليسانيه فى الفلسفة

هذه الألفـــاظ الأثرية

للأستاذ أحمد رضا

تحت هذا العنوان كتب (الجاحظ) فى مجلة الرسالة الغراء كلمة وصف بها ما اخترته من الأسماء للمعانى المستحدثة الطارئة . فقال إنها ألفاظ أثرية مجفوة ميتة ، ولم أهتد إلى وجهة نظره فى توجيه هذا النعت .

ألأن هذا المختار غير مألوف فى الذوق عنده أو عند أدباء هذا الدور من هذا العصر ؟؟ ولماذا ؟ والألفة الذوقية وحدها لا تكون ميزاناً للوضع والاختيار ، وإلا لما كان من حاجة إلى الوضع ، ولا سيما إذ كانت الكلمات المختارة فصيحة فى أصلها جارية على ألسنة الفصحاء زمن ازدهار اللغة ونموها .

وربما كان المألوف لك عامياً صرفاً أو أعجمياً ، فهل تفضله لمجرد الألفة وأنس الذوق به على الصحيح الفصيح لأنه غير مألوف ؟ والألفة وأنس النفس إنما يكونان بطول الصحبة وكثرة المزاولة لحيث تكون كانتا .

أو لأن هذا المختار ألفاظ نابية فى السمع لتعقد تراكيبها ، وسماجة لفظها ، وتنافر حروفها ؟ ولست أشعر بشىء من ذلك فيما اخترته ولا نبه الناقد إليه .

انتقد [الدَّرْمَك] للدقيق المُحَوَّر وهو لفظ فصيح استعمله فصحاء العرب بل جاء فى كلام أفصح من نطق بالضاد ، فقد قال صلوات الله عليه فى وصف الجنة « وتربتها الدَّرْمَك » وفسره ابن الأثير فى النهاية بالدقيق الحوَّارى .

وأنكر [الدَّغْرى] للحرب المفاجئة . وقد وردت فى كلام فصحاء العرب من غير استغراب ولا استهجان ولا نكير « قالت امرأة من العرب لولدها : إذا رأت العين العين فدَغْرى ولا صَفّ » تقول إذا رأيتم عدوكم فادغروا عليهم أى اقتحموا بغتة واحملوا ولا تصافُّوهم [كما فى اللسان والأساس والتاج] .

ثم هل ترى فى مادة (دغ ر) أو تركيب دغر شيئاً من تنافر الحروف ونبوّ المخارج أو ما ينفر منه السمع ، وهل فرق بينها وبين مثيلاتها كالدغم والرغم والوغم والوغر والرغد ، فهل رأيت أحداً يشكو منها ، أو يتأفف من مكانها فى اللغة ؟

أنكر إطلاق [الدَّلَق] على ثوب القضاة والمحامين ، والدلق دويبة كالسَّمور تتخذ جلودها للفراء ، واستعير لثوب القضاة لأنه يعلّم به ، قال فى صبح الأعشى : الدلق ثوب متسع الأكمام طويلها ، مفتوح فوق كتفيه بغير تفريج ، سائل على القدمين ، يلبسه القضاة فى الدولة الأيوبية ، وهذا الذى أطلقناه على الروب .

فما ينكر من هذه الكلمة ؟ وهل مثلها إلا مثل الفلق والأرق والعلق والدمث فى هذا الشأن ، أوليست هى أولى بالاستعمال (وإن كانت معربة فى الأصل عن الفارسية) من الروب من حيث أن قدماءنا استعملوها ونحن نجرى مجراهم ؟

وننكر للربيذة وهى فى كتب الأئمة قمطر السجلات (أى المحاضر) وقد كان مجمع نادى العلوم فى مصر وضع لها (الملف) ولكننى اخترت الربيذة لأنها أخص بالدلالة على المراد ، فهل الدوسيه الأعجمية خير منهما ، وهل التجافى عنهما وعن أمثالهما واللجوء إلى الكلمات الأعجمية الغريبة عن لغتنا ، يبلغ بنا الآمال فى تهذيب لغتنا ، وتطهيرها من الأدران .

وجئت بالكِنْف لجزدان الطبيب ، وقد استعمله الراعى العربى فى أداته التى يضع فيها مبراته ومقصه ، والصائغ لأدواته ، والتاجر للخفيف من متاعه، وها أنا أريده هنا لمقص الطبيب وسكينه وملقطه وقطنه ، فأى محذور فى ذلك سوى أن ذهن منتقدى الفاضل ولسانه لم يألفه مع أنه كلمة مفردة ثلاثية ساكنة الوسط وحروفها معدودة من الدرجة الأولى فى استعمال حروف الهجاء العربية .

وانتقد إطلاق الشوذر والعلق على القميص بلا كمين ، وقد نص الأئمة على أن الشوذر برد يشق ثم تلقيه المرأة فى عنقها من غير كمين ولا جيب ، وأن العِلْقة قميص بلا كمين ، أفلا تكون إحدى اللفظتين خيراً من الشورت التى هى غريبة عنا وعن لغتنا ؟

وكذلك القنع للطبق الذى توضع فيه الفاكهة على الموائد ، (وقد أقره المجمع العلمى العربى الدمشقى واختاره على القناع لتقليل الاشتراك) وجاء فى الحديث أتيته بقناع من رطب ، قال فى النهاية ويقال القنع بالكسر والضم ، وقال الأئمة القُنع الطبق من عُسُب النخل تحمل عليه الفاكهة .

وقد كنت عارضت بعض ما وضعه مجمع اللغة العربية بمصر فى الأوضاع العامة بعد أن فسح المجال مدة سنة لمن يريد ذلك من الباحثين فى اللغة ، فاخترت مثلا الطِرْز وزان علم على الطَرَز وزان قلم للبيت الصيفى (الفيلا) والجناح مكان الشقة ، والحيفة

موضع البراءة وكلمات أخر ، فرد على فيها اللغوى النحرير الأب أنستاس الكرملى ، وناقشنى غيره فيها وفى غيرها نقاشاً لم يكن اعتباطاً بل كان مستنداً إلى الحجة والبرهان(١) وحبذا مثل هذا الجدال الذى يمحص الحقائق ويرشد إلى الصواب . وأرى فى مزيد إيضاح لهذا البحث :

إن كل عربى غيور على أمته ولغته ينظر ما آل إليه أمر اللغة الفصحى فى العصور المتأخرة حتى أواخر القرن الثالث عشر يجدها قد انهزمت انهزاماً مؤلماً أمام طغيان اللغة العامية المستعجمة منذ استولى سلطان الأعاجم على الدولة وملكوا قيادها . وإنما الرعية على دين ملوكها . حتى تعدى ذلك إلى المؤلفين من هاتيك العصور فتجد فى النجوم الزاهرة مثل قوله « وعندما يعزلونه من الوزارة يصبح يأخذ غلامه الحرمدان ويروح يقعُد فى ديوان الإنشاء » ونجد فى نشوار المحاضرة ، من الكلمات الطارئة الأعجمية التى حلت محل مرادفاتها من الفصيح ما تنوسى معها الفصيح ولم يبق مألوفاً ، كالدقدان والكردناج والشامرغ والسكردان وغير ذلك ثم ما نرجو من زمن أو دولة زمامها بيد طرنطاى ومنكوتمر أن تنهض باللغة وتطهرها من مثل هذا الفساد وترجعها إلى ما كان عليه أولها من بلاغة فى الأسلوب ، وفصاحة فى الكلمات وعذوبة فى اللفظ ، ورشاقة فى المعنى .

آلم ذلك الكرام البررة أهل الغيرة على لغة الكتاب والسنة ، لغة البيان والبلاغة التى خص الله بها هذه الأمة النجيبة فكانت مفخرة من مفاخرها ، وآية فى إعجازها وإيجازها وبراعة أسلوبها ، آلمهم ذلك وهم يرونها فى هزيمة شنعاء أمام هذه اللغة الفاسدة القائلة فحاولوا تطهيرها من هذه الأدران ، وكانت محاولتهم تعلو وتنحط وتذكو وتخبو ثم تتراجع بتأثير الزمان والمكان والأحوال الطارئة ، إلى أن قيض لها ثلة من الأبرار الأطهار من رجال مصر فى أخريات القرن الهجرى الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر للهجرة ، ودعا المرحوم عبد الله فكرى فى سنة ١٨٨١ إلى إنشاء مجمع لغوى فحالت دونه الثورة العرابية ، ثم دعا إليه ثانية فى سنة ١٨٩٣ فلبى دعوته العلماء البررة كالشيخ محمد عبده والشنقيطى والمويلحى وفتح الله وحفنى ناصف فلم يوفقوا كل التوفيق ، وقام نادى دار العلوم بالعبء ، حتى التأم السعى بنشاط الدولة المصرية لهذا الأمر ، فتألف مجمع اللغة العربية بمصر ، ونشطت قبل ذلك الحكومة الفيصلية بالشام ، فكان المجمع العلمى العربى ، وشمرت اللغة العربية منذ سرت هذه الروح الطيبة فى علماء سائر الأقطار العربية وعلى الأخص مصر والشام بانتعاش سيرجع بها إلى سيرتها الأولى إن شاء الله لولا مايعترض ذلك من تفنن بعض أدبائنا وتعلقهم بالأساليب الأجنبية التى لا تتمشى مع استقلال اللغة ومميزاتها القومية الخاصة ، ولست أعنى بذلك أننا نجمد على القديم ، بل علينا أن نماشى التطور الذى لا يدفع بنا إلى نكران ميراثنا ، بل يعيننا على تحسينه وتهذيبه بما لا يذهب بمقوماته وخصائصه ، وهل يتم لنا ذلك ما لم نتقن لغتنا وخصائصها ، بياناً وأسلوباً ، ونعرف ما كان عليه قومنا الأولون فى نهضتهم الأولى ونجرى على سننهم .

نعم إن اللغة العربية غنية بمادتها بحيث تكفى ألفاظها لكل معنى مستحدث وفى كل غرض جديد ، كما يقول المنتقد الفاضل ، فهل اختيار الأسماء لهذه الطوارىء المستحدثة يؤثر فى أصل معناها المراد ، وإلام يرجع الناشد لهذا فى اختياره ؟ أإلى الكلمات القديمة التى استعملت زمن العرب ، وفى العصور الأولى ، عصور النهضة وقد نعى ذلك المنتقد الفاضل علينا وضرب لها مثلا بالدراهم والدنانير المضروبة زمن هارون الرشيد؟ أو نصوغ لها ألفاظاً جديدة تكون من ضرب هذا العصر وليست من لغة القواميس العتيقة ؟

وهل ضر الدينار العراقى اليوم كون اسمه ديناراً لأن الموضوع له حديث والاسم قديم من ضرب زمن الرشيد ؟

نعم ، إن على من يعنى بهذا الأمر ، وهو من أهله ، إذا سنح له الاختيار ، أن يختار الأخف الأعذب من الكلمات العربية التى هى أقرب فى معناها الأول الذى وردت به عن العرب إلى معناها المستحدث ، الذى يراد وضعها له . فإذا أغلق عليه ذلك ، ولم يوفق له ، ابتغى ناحية النحت والاشتقاق والتعريب فى الوضع ، ولا يتعدى فى ذلك كله طريقة الاقتراح ، فلا يبت فى شىء ما لم يقره أحد المجامع اللغوية ، التى لها القول الفصل ، فإن خرج الأمر عن هذا وعمل كل أديب أو من يشدو شيئاً من الأدب على ذوقه كانت هى الفوضى وأشكل الأمر ، والله الموفق للصواب .

النبطية : جبل عامل (لبنان) **أحمد رضا**

عضو المجمع العلمى العربى بدمشق

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ج ١٦ : ١٨ ورد الكرملى ج ١٦ : ٣٨ وجوابى له ج ١٧ : ١٨٥ .



طلاب لهو وطلاب قوت وطلاب موت

كل أولئك رأيتهم فى ليلة واحدة وفى شارع واحد لعله أكبر وأحفل شوارع عاصمتنا ، وكل أولئك قل أن يخلو منهم شارع من الشوارع الكبيرة فى عاصمتنا العظيمة ...

أما طلاب اللهو فهم أنماط حسب ما يبتغى كل لنفسه مما يلهو به أو يزجى به فراغه ، وأكثرهم بادون للأعين فى غير حاجة إلى منظار فالشوارع بهم مكتظة ، ومنهم فريق هم طلاب اللهو الخفى والعياذ بالله لا يكاد يتبينهم المنظار حتى يرتد عنهم فراراً أو يختفوا هم عنه ...

وأما طلاب القوت فهم كذلك طوائف وأنماط من الخلق ، ولكن دع عنك أصحاب الملاهى والمتاجر ، فهؤلاء فى الحق طلاب ذهب لا طلاب قوت ...

وإنما أعنى بطلاب القوت أولئك الذين « يسرعون » من بنين وبنات وفتيان وكهول بأوراق « اليانصيب » أو بالصحف أو بصناديق مسح الأحذية أو بصناديق الحلوى أو أدوات الحلاقة أو السكائر أو غيرها ؛ ثم أولئك الذين لا تجد فى أيديهم شيئاً من هذا وتراهم يتساقطون على الموائد تساقط الذباب ، أو يقعون على مقربة منها إقعاء القطط وغير القطط من الدواب ينتظرون لقمة أو يفتشون فى قمامة أو يلتقطون ما يلقى من أعقاب السكائر ...

وطلاب القوت هؤلاء وبخاصة من يطلبونه بغير عمل قذى فى العيون بأسمالهم وأذى للنفوس بألفاظهم ومماركهم وصخبهم ...

ولكن أكبر ظنى أن ولاة الأمر قد اقتنعوا أنهم زينة ينقص بغيرهم جمال العاصمة نقصاناً كبيراً ، أو لعلهم أيقنوا أنهم باتوا بحق من ميراثنا القومي ومن تقاليدنا الأهلية ، فلو خلت الشوارع منهم بمعجزة من المعجزات لبثت الحكومة عيونها وأرصدت أعوانها حتى يأتوا بهم طائعين فيعود للعاصمة جمالها الذى غاضت بشاشته ورونقها الذى انطفأت بهجته ...

وأما طلاب الموت فأحسب ذهنك أيها القارىء قد وثب إلى أولئك الجنود الذين كانوا يدبون بالعاصمة كالجراد المنتشر ، ولكنى لست أقصد هؤلاء فقد أراحنا الله سبحانه من عفاريتهم الحمر والسمر والسود إلى غير رجعة إن شاء الله ...

وإنما طلاب الموت هم أولئك العظام الملقاة على طوارى الشارع ، والذين يعدون فى الأحياء وهم من الموتى لولا أنفاس ضئيلة فى صدورهم تتردد ...

رأيت خمسة من هؤلاء على مسافات متقاربة ، أما أولهم فقد تكور فى ثيابه كالقنفذ وبجانبه زجاجة لعله كان يدور بها فى نهاره على المستشفيات وتحسبه فى الثمانين وقد لا يزيد عن الأربعين .

وأما ثانيهم ففلام فى نحو الخامسة عشرة بسط إحدى ذراعيه على الأرض ووضع الثانية على بطنه ، حيث موضع الألم أو موضع الجوع وفى وجهه الذابل المتجه إلى السماء صفرة الموت وفى ساقيه أو فى عظمتيه الممدودتين فقاقيع حمراء مخيفة تشيع فى صفرتها ، ولقد حسبت أنه لن يرى وجه النهار ...

وأما ثالثهم فكهل ضرير ناحل البدن ، خائر القوة تدور حول صدغيه من أسفل ذقنه إلى قمة رأسه لفائف بيضاء تحتها قطع من القطن ، ولعله قدم بها من إحدى « العيادات الخارجية » واستلقى هنا يطلب الراحة لبدنه بالموت ...

وأما رابعهم فشيخ تدل لحيته البيضاء ويداه المعروقتان وجبينه المغضن على أنه جاوز السبعين ، وقد ألقى عصاه بجانبه ووضع تحت رأسه بعض العلب من الصفيح لعله كان يلعق ما ترك فيها من طعام .

وأما خامسهم فقد آلمنى مرآه أكثر مما فعل مرأى سابقيه جميعاً فهو مقطوع اليدين والرجلين كأنه بقية تمثال قديم ، ولست أدرى كيف يتحرك المسكين وكيف يأكل إن وجد ثمة من أكل ! .

وقلت لصاحبى ، وقد زفرت زفرة طويلة أيرى الناس هؤلاء كما أرى ؟ فضحك وليس المجال مجال ضحك وقال أف لمنظارك ، فأجبته بل أف لهؤلاء الذين يملأون الصحف بأسماء المؤسسات والمبرات ، والذين يتكلمون كثيراً عن أوجه الإصلاح وأنماط المشروعات ...

ومضيت وأنا أسأل نفسى فى أى بلد من بلاد العالم يجتمع فيه شارع واحد بين اللاعبين بالذهب وبين الذين يعيشون كما تعيش الكلاب والقطط ، والذين يطلبون الموت فلا يظفرون حتى بالموت ؟ ...

الخفيف

في سيدي بشر

للأستاذ خليل شيبوب

سلوتُ أحلامي وآمالي   فأكسبتني راحةَ السالي
وحينما عدتُ إلى العقل لم   أجد بديلَ الحال من حالي
ما قيمةُ العقل أراني به   أهتاجُ بالتفكير بلبالي

إن الورى حربٌ على جانحٍ   كما يريدون إلى السِّلْمِ
كلامُهم أسخفُ من صمتهم   يجري على ألسنةٍ عُجْمِ
هذا وذا ويلٌ ألا إنهم   كالبَبَّغاوات بلا فهْمِ

يا خلجات الصدر طال الأسى   وطال هذا الدقُّ في صدري
إن كنتِ آليتِ لتحصينَ لي   عمري لقد أفسدتِ لي عمري
فعلتِ في صدريَ بالدقِّ ما   تفعله القطرةُ في الصخرِ

نزلتُ سيدي بشر مستشفياً   مما بصدري من أسىً نازلِ
في جنةٍ صيَّرتُها عُزْلةً   ليس بها غيريَ من آهلِ
طريدةُ الجناتِ يثوي بها   طريدُ همٍّ لازبٍ قاتلِ

ينعشها البحرُ بأنسامه   تهبُّ والشاطئ منها بعيدْ
هنالكَ الأقوامُ قد آثروا   عيشَ اصطخاب وزحامٍ عهيدْ
وههنا الأمنُ لمستنجدٍ   بالأمن من ذاك الصراع العتيدْ

صحراء إلا أن واحاتها   معروشة الأشجار بين الرمال
مِثْلَ بقايا الحبِّ في مهجة   أحرقها اليأسُ وكرُّ الليال
قد حفلتْ بالحسن داراتُها   واتسقتْ في صدرها كاللآل

تطيفُ بي منعرجاتُ اللوى   كل كثيبٍ معقلٌ ناهضُ
والرمل معقودُ الثَّنايا بهِ   يستمسك الرافعُ والخافضُ
ألقي بجسمي فوقه متعباً   يثورُ فيه قلبيَ النابضُ

قلبي أداريهِ هنا ما كفا   عليهِ وهو الهادئ الوادع
أخشى عليه رَجعات الهوى   إنَّ الهوى أقتلُهُ الراجع

يلتزم الصَّمْتَ ولكنني   روَّعَ لي صمتُهُ الرائع

ألم تزلْ تذكرُها بعدما   عرفتَها في الحب خوّانهْ
حبيبةٌ كانت وزالت وهل   تدومُ للإنسانِ إنسانهْ
والحب لو صفّيتَهُ وازناً   لرجَّح الزائفُ ميزانَهْ

يا هذهِ لو ينفعُ العقل في (م) الهوى لحكمتُ لك العقلا
وهبتك العمرَ فلم تُحسني   أخذاً له بل زدتِه خَبْلا
وإنَّ حسنَ الأخذِ فضلٌ وما   عرفتِ يوماً ذلكَ الفضلا

لاحقني طيفُكِ في عزلتي   ماذا يريدُ الطيفُ من ناسي
ألا أرى لي راحةً بعد ما (م) اعتصمْتُ بالبعدِ عن الناس
إن ضلالي ليَ عينُ الهدى   ووحشتي مبعثُ إيناسي

ياليلَ سيدي بشر رفرفْ على   وجهي بشفٍّ من نسيم البحار
ينتعش القلبُ به بعد ما   أوقدَ فيه اليأسُ أتونَ نارْ
روائعُ الأمواج والرمل في   برديه تشفي من لهيب الأوارْ

ترمقني هذي النجومُ التي   فوق بعين الشاهد المشفِق
والأفق مبهوتُ الحواشي به   يختلطُ الأسودُ بالأزرق
والغيمُ قد راحت جماعاته   طرائدَ المغرب والمشرق

وخيَّم الصمتُ فلا نبأةٌ   إلا قطارٌ صافرٌ يعبرُ
له صدًى في الرمل ترجيعُه   هريرُ كلبٍ جاثمٍ يخفر
وغارت الأعلام في حلكةٍ   تحدجها العينُ ولا تبصر

ثم تراءى قمرٌ طالعٌ   في الشرق خلفَ الغيم مستهلاَ
أكدرُ إلا أنهُ كلما   علا صفت صفحتُه وانجلى
وفضَّض الرمل بأضوائه   فرقَّ ثوبُ الليل مسترسلا

يا ربِّ هذي ساعةٌ سرها   يملأْ نفسي فيضُه الغامر
يكاد ينشقُّ بها الغيبُ لي   عما حواه العالم الآخرُ
إن كان نام الكون حولي فهل   يكفيكَ منه قلبيَ الساهرُ

خليل شيبوب

تعقيبات

واحد منه ثلاثة :

كتب إلى أديب فاضل يقول : « رأيتك أيها الجاحظ فى عدد الرسالة السابق تحمل على جريدة المانشستر جارديان فيما زعمته من أن أكبر عائق فى سبيل نشر التعليم بمصر ، وبالتالى فى تحقيق التقدم الاجتماعى فى شتى النواحى ، هو الاختلاف الكبير بين العربية الفصحى واللغة العامية الدارجة ، ثم دعوتها إلى الانحدار بالفصحى إلى مدارج العامية ، ولكنك تغاضيت عن رأى مماثل أبداه الأستاذ أحمد أمين فى مقال كتبه منذ شهور بمجلة المستمع العربى التى تصدر فى لندن ، وزعم فيه أن جمهور الشعب فى مصر لا يصل إليه الأدب .. الذى يثقفه ويعلى مستواه ويرق ذوقه ويهذب عواطفه ، وذلك لأنه ليس عندنا أديب للعامة وإنما كل أدبائنا للخاصة ، والسبب فى ذلك — كما يقول — هو وجود لغتين : لغة عامية ولغة فصحى . وأننا إلى الآن لم ننجح فى التوفيق بينهما . فماذا تقول أيها الجاحظ فى هذا الرأى الذى يراه شيخ من شيوخ الأدب فى مصر ؟ ! وكيف تسكت عن هذا الرأى يخرج من مصر ولا تسكت عنه إذ يأتى من أوروبا ؟ ! »

وأنا أحب أن أقول « للأديب الفاضل » قبل كل شىء إن الأستاذ أحمد أمين ليس من شيوخ الأدب ، وإن من الظلم أن نحشره بين الأدباء ، وإنما هو رجل باحث يتحلى بصبر العلماء ، فغاية ما تؤهله إليه مواهبه أن يعكف على مراجعة آراء السابقين ، فيقابل بينها ، ويرتبها ، ويعلق عليها بما يبدو له فى ثناياها ، وإنه ليظلم مواهبه ويتكلف الشطط إذ يزج بنفسه فى مضمار الأدب ، وإنه ليخرج على طبيعته خروجاً متكلفاً إذ يمضى على طريقة الأدباء فيمد بصره إلى « النظر فى النجوم » ، أو يجلس لمداعبة « صندوق الكتاكيت » ...

وإذا كان الأستاذ أحمد أمين يقول إن وجود لغة عامية ولغة فصحى هو العائق فى سبيل توصيل الأدب إلى العامة ، وأن الواجب ، كما يفهم من قوله ، أن نوفق بينهما ، فإنى لا أناقشه فى هذا الكلام ، ولكنى أسأله أن يتقدم فيأتى لنا بأسلوب خليط من العامية والفصحى لنرى أى شىء يكون هذا الأسلوب الخليط ، ولعله يوفق فى هذا فيكون صاحب طريقة فى الأسلوب تؤثر عنه ، وتعرف فيما بعد بالطريقة الأحمدية الأمينية ، كالطرق الجاحظية والعميدية والفاضلية التى عرفت فى أساليب الجاحظ وابن العميد والقاضى الفاضل ...

ألا رحم الله الرافعى ونضر قبره ، فقد كشف عن العلة فى هذا الرأى المريب إذ قال فى إحدى مقالاته : « إنى لا أعرف من السبب فى ضعف الأساليب الكتابية والنزول باللغة دون منزلتها . إلا واحداً من ثلاثة ، فإما مستعمرون يهدمون الأمة فى لغتها وآدابها لتتحول عن أساس تاريخها الذى هى به أمة ولن تكون أمة إلا به ، وإما النشأة فى الأدب على مثل نهج الترجمة فى الجملة الإنجيلية والانطباع عليها وتمويج اللسان بها ؛ وإما الجهل من حيث هو الجهل أو من حيث هو الضعف ، فإنه ليس كل كاتب ببليغ ، ولا كل من ارتهن نفسه بصناعة نبغ فيها وإن هو نسب إليها وإن عد فى طبقة من أهلها ، والكتابة صناعة لها أدواتها ، وفيها النمط الأعلى والأوسط وما دون ذلك ... أفمن الرأى أن نعين المستعمرين على خصائصنا ومقوماتنا أو نتخذ فى اللغة أدياناً شتى ، أو نجعل قياس العلم من الجهل فى بعضه والضعف عن بعضه ، وإلا فماذا بقى بعد هذه الثلاثة مما ينفسح له جانب العذر إذا نحن قلنا بمذهب جديد فى اللغة ... !!

« أحسب إخواننا فى مصر أنهم كانوا يحسنون اليوم شيئاً من الكتابة الفصيحة لو لم يكن فى العصر الذى خلا من قبلهم أمثال السيد جمال الدين ومحمد عبده وعلى يوسف والبارودى والمويلحى وغيرهم ممن دفعوا الاستعمار عن اللغة ببلاغتهم وردوا أساليب السياسة اللغوية بأساليب الفصاحة ، وأشرعوا دون الميراث العربى أقلامهم ، وحاطوه بألسنتهم ، وحفظوه بعقائدهم حتى أمنوا عليه أن ينقص أو يمحق » ...

وبعد ، فتلك هى العلة ، وذلك هو الأصل فى هذه الدعوى المريبة ، وإن من دلائل الريبة أن تظهر هذه الدعوة وتتطاول بها رءوس دعاتها فى وقت يجاهد فيه أبناء العروبة لدعم الروح العربية وتآلفها وإقامتها رباطاً وثيقاً بين أبنائها وأقطارها فيأبى هؤلاء إلا أن ينقضوا ذلك الرباط بالدعوة إلى العامية ... والأمية ...

على أنى لا أتهم الأستاذ أحمد أمين ، ولكنى رأيته ينادى بدعوة مريبة فكان لابد أن أكشف عن الأصل فيها . وإنى لمنتظر من الأستاذ الفاضل أن يقدم لنا نمطاً من ذلك الأسلوب الذى يراه فى التقريب بين العربية والعامية …

الفن للاشتراكية !!

تقول برقية من موسكو : إن الحزب الشيوعى قد قام بحملة فى الأشهر الأخيرة لتخليص الفن السوفيتى من آثار البرجوازية الغربية ، وتقول البرقية : إن هذه الحملة قد كللت بالنجاح ، فأصبحت الكتب والروايات والمراقص ودور الأوبرا والسينما وغيرها من معارض الفن مصبوغة بصبغة الجهاد الاشتراكى ، فهى لا تعرض إلا إلى إظهار سمو المواطن الروسى والدعاية للسياسة الشيوعية فى تذليل مصاعب الإنتاج والحياة المنزلية والشئون الدولية ، فإن جاوزت هذا الهدف فإلى إظهار الأخطاء التى ارتكبت فى معالجة هذه المسائل فى دول الرأسمالية .

وقد ذكرنى هذا الصنيع بما عمدت إليه النازية المتلربة فى ألمانيا من قبل ، إذ أصدر « جوبلز » أمراً يحرم به على النقاد الحكم على الآثار الأدبية ، وطلب منهم أن يقفوا فى عملهم عند عرض الموضوعات وبسطها دون التعليق عليها أو إبداء الرأى فيها ، وقال فى تعليل هذا الصنيع : « إن الفن لا يفقد شيئاً إذا ما بعد أولئك النقدة الأغرار من الميدان ، إذ العظمة الزائفة تسقط من غير أن يسقطها النقد ، أما أصحاب العظمة الحقيقية فيجب أن يسمح لهم بحرية الابتكار والاحتفاظ بكرامتهم الفنية » ، والواقع أن ذلك الداعية النازى لم يكن يقصد بهذا العمل إلى حماية « أصحاب العظمة الحقيقية » وإنما كان يقصد إلى وضع الإنتاج الأدبى تحت سيطرة السياسة ، وتسخيره للدعاية النازية …

وهذه محاولات باطلة ، لأنها مصادمة للأدب فى طبيعته ، ومصادرة له فى مهمته ، فإن الأدب — كما يقول مكسيم جوركى أديب روسيا الشيوعية — يجب أن يتلمس الإنسانية من جميع أطرافها ، وأن يخاطبها بالإخلاص المنبثق من أعماق الروح الطاهرة ، وأنت إذا ما نظرت ملياً إلى هذا الاتجاه ظهر لك الغرض الخطير الذى يقصد إليه الأدب ، وهو الذهاب بسائر الفروق ووجوه الخلاف والنزاع القائم بين الناس وإنقاذ الإنسانية من شر هذا التنازع ، والتغلب على قوى الطبيعة الغامضة المرهوبة ، ويوم يحقق الأدب ذلك يصبح دين الإنسانية جمعاء . ديناً يشمل كل ما حوت الكتب المقدسة فى عبادات الهند القديمة ، وفى كل ما جاءت به التوراة والإنجيل والقرآن …

وماذا يصير إليه الأدب أو يمكن أن يكون إذا ما عمدت كل حكومة فى كل دولة إلى جعله أداة مسخرة لأغراضها ، وحتمت على الأدباء أن لا يتكلموا ولا ينتجوا إلا فى حدود مرسومة وأغراض معلومة مثل رجال السياسة ، إنه لا شك سيفقد صفته الإنسانية ، ويصبح مثار الحزازات والخلافات ، ومبعث الأحقاد والعداوات ، وإن يكون الأدب أدباً يومذاك ، ولكنه سيكون الجحيم الذى لا يطاق …

إن روسيا لا تخدم حياتها الفنية بهذا العمل ، ولن تستطيع إذا ما أصرت على هذا الصنيع أن تجعل أدبها صلة تربطها بالعالم الإنسانى ، وعن قريب سيفقد الأدب الروسى الروح الإنسانية التى تجعله قريباً إلى كل نفس ، حبيباً من كل قلب ، وإنها لخسارة على روسيا لا يعوضها أى نظام اشتراكى أو شيوعى فى الأرض …

الفن للفن ، تلك هى الحقيقة الأزلية التى كان بها الأدب صورة للطبيعة الإنسانية ، أما الفن للاشتراكية أو لأى نزعة سياسية . فذلك لا يكون إلا فى تقدير الجشع السياسى ، على أنه تقدير لن يثبت أبداً

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

بشار في الإذاعة :

أذاعت محطة الإذاعة موضوعاً عن « بشار بن برد » أعد على النسق الذي تسميه « برامج خاصة » والذي يقوم على الرواية والتمثيل ..

وكانت المحطة قد أعلنت عن هـذا الموضوع على أنه فاتحة برامج من نوعه تصور رجال الأدب والشعر الماضين ، ولا بد أنها أرادت بذلك أن تجدّ في عهدها الجديد ، وتقدم للمستمعين من محبي الأدب مادة نافعـة تستعين على جذبهم إليها بحسن العرض في هذا النسق التمثيلي الإذاعي ؛ وهي رغبة محمودة ، ولـكن هل تحقق المرجو منها ؟

بدأ (الراوية) يحدث عن نسب بشار ، واستمر يسرد بعض أخباره وقام الممثلون والممثلات في أثناء ذلك بتمـثيل كل حال تنبيء عنها تلك الأخبار التي اختارها واضع البرنامج من أخبار بشار المنتثرة في كتب الأدب ...

وهـذا الذي اختير وتألف منـه الموضوع لم يكوِّن لبشار الشاعر هيكلا حياً ، ولم يعط صورة صادقة لحياته وشعره ، بل كان أهم ما قام عليه البرنامج أن بشاراً نشأ صبياً يقول الشعر في شتم الناس فيضربه أبوه بالعصا ، وكبر وهو يهاجي الشعراء ، ثم يهجو الخليفـة ووزيره ، مما أدى إلى اتهامه بالزندقة وضربه بالسوط حتى يموت . ويلخص (الراوية) حياة بشار بقوله في آخر البرنامج : وهكذا قضى حياته بين العصا والسوط !

وقد تعودنا أن نسمع اللحن أي الخطأ في نطق الـكلمات العربية من إذاعتنا ... ولـكن كنت أتوقع أن يتجنبوا هـذا ويتحروا الضبط ويلتزموا صحة النطق في مثل هـذا الموضوع الأدبي العربي البحت ، ولـكنهم لم يفعلوا ... ولو تجاوزنا عن لحن الرواية وغيره فلا يصح التجاوز في ذلك لبشار نفسه ، فلا يليق به أن يلحن وألا يحسن ضبط شعره ، فقد آذى أسماعنا الذي مثله أو مثل به — بقوله في صوت مجاجل :

(ويحك) بضم الحاء .. وكررها في مواقف مختلفة متعددة ولما أنشد هذه الأبيات :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافى قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها وما خير سـيف لم يؤيد بقائم

نطق كلمة (نصيحة) في البيت الأول بالنصب ، ولفظ كلمة (الغل) في الثالث بفتح الغين .

وأكتفي بتلك الأمثلة ، وهي قليل من كثير ، لأذكر بعض الملاحظات في التأليف والتمثيل ، فقد ذكر أن « عبدة » صاحبة بشار أتت إليه في خمس نسوة يطلبن منه شعراً يندبن به قريباً لهن قد مات . والذي نعلمه أن عبدة كانت إحدى القيان المتأدبات اللاتي كن يقصدن بشاراً ليسمعن شعره ، وكن يمابثنه ويغنينه ؛ ولعل هذا كان فرصة يحسن انتهازها في موضوع الإذاعة لتقديم إحدى المغنيات لتغني قطعة رقيقة من شعر بشار .

ولم يكن من السائغ أن يرفع النسوة الخمس أصواتهن بضحكة مفردة وقد جئن حزينات على فقيدهن يطلبن شعراً لندبه .. ولم يكن من المفهوم أن يقول أحد الذين جاءوا يشكون بشاراً إلى أبيه لهجائه إياهم : « فقه برد أعيظ لنا من شعر بشار » قبل أن يقول لهم برد : إنه أعمى وقد قال الله تعالى (ليس على الأعمى حرج) وما أظن هذا الممثل كان يعي ما يقول !

وبعد فإذا كانت « البرامج الخاصة » التي تريد محطة الإذاعة أن تذيعها عن أعلام الأدب ، ستكون على هذا المنوال ، فخير لها وللأدب ألا تستمر فيها ، بل يجب إعدام (تسجيل) بشار وعدم تـكرار الإساءة بإذاعته

هنا كما هناك :

كتب الأستاذ فرج جبران إلى « الأهرام » من امستردام يصف زيارته للمعهد الشرقي في ليدن الذي يشرف عليه بعض المستشرقين ، فقال « وفي هذا المعهد يجد الزائر نفسـه محاطاً بالـكتب العربية ، ويسمع هؤلاء الأساتذة يتكلمون العربية ، ويسألونه عن أحدث المؤلفات التي ظهرت وعن أخبار المؤلفين المصريين وغيرهم من أبناء العروبة » ثم قال إنه يقصد إلى أن يوجـه انتباه ولاة الأمور في مصر إلى مجهود ضخم هو وضع « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » الذي شرع فيه

المستشرقان ونسنك ومنسج ، ولكنه لم يتم إلى اليوم لأن إتمامه يحتاج إلى معاونات مالية وأدبية منتظمة ، وقال الكاتب : «وإن هذه المستعمرة العربية التى تعمل هنا فى صمت دون أن يسمع عنها أحد لتتطلع إلى مصر ، رافعة لواء الأدب العربى فى الشرق، لكى تقدم لها يد المعونة »

وعلقت « الأهرام » على ذلك بدعوة وزارة المعارف إلى الاهتمام بهذا المشروع عن طريق مجمع فؤاد الأول للغة العربية « لأن وضع مثل هذا المعجم المفهرس داخل فى اختصاصه وفقاً لأحكام المرسوم الملكى بانشائه »

ولا أظن أن لدى المجمع من الجهد والمال ما ينفع فى ذلك المشروع ، على أن الأعمال الداخلة فى اختصاصه إنما يقوم هو « لا غيره » بها ، وفى المجمع نفسه مشروعات وأعمال لم تتم بعد، رغم مضى الزمن الطويل عليها ، كالمعجم الوسيط ، ومعجم فيشر ، ولا يتوقع تمامها للتقتير عليها فى الجهد والمال

وفى غير المجمع أعمال أدبيـــة معطلة شملها بطء الأداة الحكومية ، كالكتب العربية التى كان يقوم بإحيائها القسم الأدبى بدار الكتب المصرية

فهنا كما هناك ، بل أكثر ، وإن كان لما هنا لون خاص ، يكسبه من التراخى مع وفرة الوسائل .

هل فى مصر أديبات ؟ :

وجهت بعض المجلات اللبنانية هذا السؤال إلى قرائها ،فعلق عليه كاتب فى مجلة « صوت المرأة » بأن هذا السؤال يحمل فى طياته الشك فى وجود أديبات بلبنان ، وقابل السؤال بسؤال مثله : هل فى لبنان أدباء ؟ وهو يقصد بالأدباء الذين يشك هو أيضاً فى وجودهم بلبنان — الثالثين الذين ذكر وصفهم ، وقد نقلته « الكاتب المصرى » فى عددها الأخير ، كما نقلت عن مجلة « المرأة » الدمشقية ما كتبته بها « نديمة المنقبادى » فى مثل ذلك قالت : « فالمجهود الأدبى يقوم الآن فى كافة نواحيه على الرجل وحده ... أما المرأة فى بلادنا فما أعتقد أنها سارت فى ذلك شوطاً بعيداً أو قريباً ، وإذا حدث أن ظهرت مؤلفات أدبية لبعض الكاتبات فهى من الندرة بحيث تعد فى يسر وسهولة»

وأنا أيضاً أسأل : هل فى مصر أديبات ؟

أستطيع أن أعد نحو ثلاثين أديباً فى مصر لهم شأن وأثر فى العالم العربى ، فهل لدينا أديبات من هذا الطراز ؟ كدت أرجع عن هذا السؤال لأنى ذكرت واحدة . . . ثم ذكرت أخرى (على سبيل جبر الخاطر) ولكنى أصررت عليه لأن هاتين اثنتان وأنا أسأل عن « أديبات » وأقل هذا الجمع ثلاث . . . فهل من مجيب ؟

الاتحاد الثقافى المصرى :

وأخيراً حل « الاتحاد المصرى الانجليزى » وتقرر أن يقوم على أنقاضه « الاتحاد الثقافى المصرى » وهى فكرة موفقة من غير شك ، ولكننا لا نحب أن يعقب إشادتنا بفكرة الاتحاد الثقافى الجديد ما أعقب الإشادة بفكرة ذلك الاتحاد المنحل . .

والذى أعقب ذلك أن ارتمى بعض كبار المصريين من المستوزرين و « المتمهدين » فى أحضان الانجليز ، فكان ما كان.

أما الذى نريده الآن فأن لا تعلو القيمة ثقافتنا ... عندنا قوم يروجون للثقافة الفرنسية ، وآخرون للانجليزية ، وغيرهم لغيرها؛ وهم يستهلكون أنفسهم فى ذلك غير مرتكزين على قاعدة من الثقافة العربية

نريد أن تكون ثقافتنا هى ذات الحجم الأكبر الذى تنجذب إليه الأجرام الصغيرة .

الطالب يساهم فى بناء عالم جديد :

نظمت جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة مؤتمراً للطلبة اشتركت فيه وفود الطلاب التى تمثل فروع الجمعيـة فى الأقاليم . وكان موضوع هذا المؤتمر « الطالب يساهم فى بناء عالم جديد » وقد ألقى الأستاذ محمد شفيق غربال بك وكيل وزارة المعارف كلمة فى حفلة افتتاح المؤتمر ، أشاد فيها بفكرته ورجا أن تتسع فى المستقبل حتى تشـــمل طلبة سائر الأقطار العربية ليتحقق بينهم التعاون الثقافى المنشود :

وفى اليوم التالى ألقى الدكتور ابراهيم سلامة محاضرة فى موضوع « الطالب يساهم فى بناء عالم جديد — فى محيط الأسرة والنادى والجماعة » بين فيها واجبات الطالب فى الأسرة من النواحى الاقتصادية والثقافية ، بأن يكون منتجاً ، فطالب الآداب — مثلا — يمكن أن يشتغل بالصحافة ، ويمكن الصحف أن تستعين به فى تكوين معلومات تحفظ لديها (أرشيف) عن العلماء

والسياسيين وغيرهم من كبار الرجال .

ومن واجب الطالب أن يذيع فى الأسرة مايتلقاه فى المدرسة والجامعة من ألوان الثقافة والمعرفة ، وعلى الطالب والطالبة أن يسهما فى تربية الذوق الفنى فى الأسرة بإشاعة الهوايات الطيبة فيها كالرسوم والموسيقى ، حتى لا تشترى الأسرة السرور الرخيص من السوق فى أفراحها ومجتمعاتها ، وحتى لا يندفع الشاب إلى دور الملاهى اندفاعه الخطر على الأسرة من الناحيتين الخلقية والاقتصادية .

ثم قال الدكتور إن الطالب يمكنه أن يحدث فى النادى تفكيراً جديداً فى عالم جديد ، من حيث إزالة الفوارق لأن النادى تسوده الديمقراطية ، والديمقراطية الحقيقية أساسها نبل العمل لا نبل الوراثة ؛ ومن حيث الاحترام المتبادل بين الأعضاء المشتركين فى الفكرة والغاية ؛ ومن حيث المساهمة العقلية التى تتاح لها الفرصة فى النادى أكثر من المدرسة ، لأن عضو النادى يجد لذة فى إظهار المعرفة ، بخلاف ما يكون فى الجامعة حيث تدفعه المنافسة إلى الأنانية .

وقد عرض الدكتور سلامة لمسألة تعدد النوادى ، فتساءل: هل الأوفق أن يكون النادى لأبناء الثقافة الواحدة أو لأبناء الثقافات المختلفة ؟ ثم قال : تلك مسألة خطيرة لأنها أسفرت فى بلادنا عن تمزيق لا ينفع عالم اليوم ولا يمكن أن ينفع عالم الغد . وظهر هذا التمزق فى الأحزاب السياسية ، وجبر السياسيون هذا النقص بالبرلمانات ، فلا بد لنا إذن أمام تمزق النوادى من عمل اتحادات جامعة لكل مجموعة منها ابتغاء الانسجام وتكوين الوحدة التى تعتبر أساساً للقومية والعالمية ...

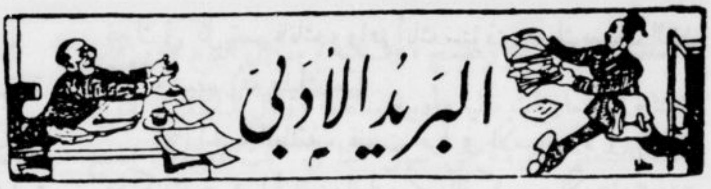
وانتقل بعد ذلك إلى واجب الطالب فى محيط الجماعة فقال : يخرج الطالب من الأسرة إلى النادى ومنه إلى الجماعة وهى هنا الوطن والقومية ، انتظاراً لإعداد النفوس للعالمية ، والطالب فى غمار الجماعة لا بد من أن يلتزم مبادىء ثلاثة :

(١) أن يلحم الاتصال بقومه وأن يعتز بمصريته ويعتقد أنها مدنية ككل الدنيات وأنه ليست هناك مدنية واحدة نموذجية تفرض فرضاً على مدنيته ، ومن هنا يتكون رأى عام للقومية السياسية والقومية الخلقية .

(٢) روح النظام ، والنظام أحياناً معناه الحرمان ، فتمثل غيرك فى كل تصرفاتك ، واعلم أنك ستؤذى غيرك بعملك الضار كما أنه سيقع إثمه عليك حتما .

(٣) الحرية المطلقة ، فلست حراً فى الأسرة ولا فى النادى ولكنك حر فى الحياة ، والعلوم تحرر الفكر من الأوهام ، ومتى تحرر الفكر تحرر الخلق ، ومتى شاعت الحرية أتى اليوم الذى يؤمر فيه الجندى بقتل أخيه الجندى فلا يفعل ، لأن الحرية التى فهمها ستضع عقله فى رأسه لا فى رأس السياسيين الذين يجرونه إلى الحرب كما تجر السائمة إلى المجزرة .

« العباس »



الفروسية :

قال الإمام شمس الدين أبو عبد الله المعروف بابن القيم (إمام الجوزية[١]) فى كتابه (الفروسية) :

الفروسية أربعة أنواع :

أحدها ركوب الخيل والكر والفر بها. الثانى الرمى بالقوس. الثالث المطاعنة بالرماح . الرابع المداورة بالسيوف .

فمن استكملها استكمل الفروسية . ولم تجتمع هذه الأربعة على الكمال إلا لغزاة الإسلام وفوارس الدين وهم الصحابة (رضى الله عنهم) وانضاف إلى فروسيتهم الخيلية فروسية الإيمان واليقين والتنافس فى الشهادة وبذل نفوسهم فى محبة الله ومرضاته، فلم تقم لهم أمة من الأمم البتة ، ولاحاربوا أمة إلا قهروها وأذلوها وأخذوا بنواصيها ، فلما ضعفت هذه الأسباب فى من بعدهم لتفرقها فيهم وعدم اجتماعها دخل عليهم من الوهن والضعف بحسب ما عدموه من هذه الأسباب ، والله المستعان !

قلت : لكل وقت سلاح و « السلاح ثم الكفاح »[٢] ولكل وقت فروسية حاشى فروسية اليقين والإيمان فإنها لكل زمان ، والمدرسة العظمى (الجامعة الكبرى) لهذه الفروسية وتحصيلها وحذقها انما هى مدرسة [القرآن] . وقد كان أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم (رحمه الله) يقول لقائده قتيبة بن مسلم :

« خذ أهل عسكرك بتلاوة القرآن ، فأنه أمنع لهم من حصونك » .

وكان التالون يفقهون ما يتلون ، فيجسرون ويقدمون ذلك الاقدام ، وتفر الجن وتهرب الغيلان من قدامهم .

ثم صرنا — نحن معشر الخلف الصالح — نتلو (الكتاب) كتلاوة صاحب النخعى .

« قال رجل لابراهيم النخعى : إنى أختم القرآن كل ثلاث ليال .

قال : ليتك تختمه كل ثلاثين وتدرى أى شىء تقرأ ... » .

***

يا أيها العرب ، يا أيها المسلمون ، اقرأوا القرآن ، افهموا القرآن فهما صحيحاً عربياً لكى تبلغوا السماء قوة وفروسية وسطوة وعزة وسلطاناً وهناءة وسعادة ومجداً [أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها] !!!

السهمى

إلى الأديب محمد الديب :

يا أخى . أنا لا أوجب على كل قارىء أن يكون عنده نسخة من كتاب (العواصم من القواصم) ولكن أوجب على كل قارىء للرسالة فى مصر أن يكون عنده الداعى إلى البحث عن الرجل الذى جعله ينطق العربية ، ويدين بالإسلام ، وجعل بلاده (بلد الأزهر) و (مقر جامعة الدول العربية) ، وصاحبة اليومين الخالدين فى إنقاذ الحضارة الإنسانية : (يوم عين جالوت) و (يوم المنصورة) ، والذى لولاه لكانت مصر اليوم مثل إيطاليا أو اليونان ، وأن يعرف هذا الرجل على حقيقته لا من كتاب العواصم والقواصم وحده ، بل كل كتاب ذكر فيه ثم يوازن ويحقق ويميز الصحيح من الموضوع ، وأن يؤلف عنه فى مصر من الكتب بمقدار ما ألف عن شكسبير فى إنكلترا ، ونابليون فى فرنسا ، وإن لم يكن لهما فى الدنيا درهم من كل قنطار من أثره الخيِّر فيها ، وأن يكون (يوم الفتح) ، أعظم عيد وطنى فى مصر بلا استثناء ...

أما كتاب العواصم (وما فيه إلا صفحة عن عمرو ، فيها تحقيق خبر التحكيم) ، فإنك حين تريد الاطلاع عليه حقيقة لا تجد أسهل من الوصول إليه ، لأنه مطبوع مملوءة بنسخه المكتبات . والسلام عليك أيها الأخ ورحمة الله وبركاته .

على الطنطاوى

---

(١) المدرسة الجوزية فى دمشق بجنب قصر آل العظم فى البذورية جددت بناءها بعد احتراقها جمية الإسعاف الخيرى فى دمشق

(٢) وقالوا أيضاً : « قد يجبن الشجاع بلا سلاح ، ويشجع الجبان بالسلاح » .

إلى الأستاذ محمود عماد :

جاء فى كلة الأستاذ محمود عماد فى بريد الرسالة (٧٣٠) قوله (وما الضمير الثانى إلا ضميراً قلقاً نابياً) على نصب (ضمير) وتأكيد النصب بالصفتين ، مع أن الصواب الرفع لأن الاستثناء يمنع عمل (ما). ولولا أن الأستاذ حريص على تصحيح كلام الناس ماصححت له هذه الكلمة . ولعلها من سبق القلم . وله تحياتى

(ع)

مازال الضمير قلقا :

قلت فى كلمتى (ضمير قلق) المنشورة فى العدد (٧٣٠) من الرسالة الغراء ، إن الضمير الثانى المضاف الذى نراه هذه الأيام فى مثل قول القائل (هذه مسألة لها أهميتها) إنما هو ضمير قلق يفيد ملكية سبقه إليها الضمير المجرور باللام قبله . وقلت إنى لم أر مثله فى كلام عربى قديم ، إلا أن يكون غيرى قد رآه فيتفضل بالإرشاد

وقد انبرى للارشاد الأستاذ محمد غنيم فقال إن هذا الضمير مطمئن (له أهميته) واستشهد على اطمئنانه بالآية الكريمة (لكم دينكم ولى دين) .

والذى رأيته بعد هذا الإرشاد أن الضمير مازال قلقاً ، ودليلى على قلقه قول الأستاذ نفسه ، تفسيراً للآية (أى أن دينكم مختص بكم ، لايتعداكم إلى غيركم ، ولى دين مختص بى لايتخطانى إلى غيرى) .

فإن الاختصاص الذى أشار إليه الأستاذ فى الآية غير ملحوظ فى قول القائل (هذه مسألة لها أهميتها) ، وإلا فهل هو يعنى أن هذه المسألة مختصة وحدها بأهميتها ، وأن أهميتها لا تتعداها إلى غيرها من المسائل ، كما أن الكافرين مختصون وحدهم بدينهم ، لايتعداهم دينهم إلى الرسول الكريم؟ إن كان هذا ماعناه فاجدواه وقصاراه ؟ إن عمل الضمير فى الجملة غير عمله فى الآية . فلم يقصد من الجملة إلا أن المسألة لها أهمية مطلقة ، أى أنها مسألة مهمة فحسب ، لا قصر أهميتها هى عليها ، وعدم إشراك غيرها معها فيها ، كما قصرت الآية دين الكافرين على الكافرين .

فالضمير العصرى يفيد الملكية المكررة ، وضمير الآية يفيد القصر بعد الملكية . ولهذا مازال الضمير العصرى قلقاً فى رأيى ، وما زلت أرجو التدليل على اطمئنانه وصحته بمثال آخر من القرآن الكريم ، أو الكلام العربى القديم ، على أن يكون المراد بالمثال (الوصف) الذى أريد وحده فى الجمل العصرية ، لا (القصر) الذى لا موضع له فيها على الإطلاق .

محمود عماد

سؤال :

طالعت فى عدد الرسالة الأخير ذلك البحث القيم للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد تحت عنوان (من تجارب المؤلفين) فرأيته قد جاء فيه بكلمة (الغيورين) مرتين . فقال أولا : (إن الدكتور شبلى شميل قد استطاع أن يفعل ذلك لأن الغيورين على العلم والثقافة أعانوه على طبع المجموعة) وقال ثانياً : (ولكنى أقول إن الأغنياء الغيورين على الثقافة يستطيعون أن يقيموا المكتبات العامة) .

والذى تعلمناه أنه يشترط فى الصفة التى تجمع هذا الجمع أن تكون مما لا يستوى فيه المذكر والمؤنث مثل جريح وصبور وغيور . فإنه يقال رجل جريح وامرأة جريح ، ورجل صبور وامرأة صبور ورجل غيور وامرأة غيور . فهل عند الأستاذ الكبير وهو الحجة فى الأدب غير هذا فنستفيده منه ونشكره عليه ؟

(الزقازيق) محمد عبد المقصود هيكل



قصـــة الهواجس

للأديب مصطفى محمود

انفض الأصدقاء والصديقات وخلا « الصالون » إلا من سيدة البيت التى جلست منزوية فى أحد الأركان وكأنها ما زالت تتحدث إلى صديقة وفية لم تشأ أن تتركها كما تركها الآخرون فجلست إليها تبادلها الهمس وتسر إليها كوامن الأشجان ... ولم يكن الحديث إلا حديث النفس تهمس به فى ساعات الوحدة فتكشف به ما انطوى فى أعماقها البعيدة .

هتف بها ابليس وقد وجد طريقه إلى عقلها الواعى

— ألست جميلة ؟

فرفعت رأسها إلى المرآة لتتأمل السحر الأسود الذى يكمن فى عينيها الواسعتين والعقيق الذى يحتل شفتيها الرقيقتين وهتفت فى ألم .

— نعم جميلة ... رائعة !

فأردف ابليس وقد وجد طريقه ممهداً

— وهذا الجمال ألا يذبل ؟

فقطبت حاجبيها وامتلأ جبينها بالتجاعيد وغاضت الدماء من خديها وطالعتها مثات من الصور البشعة ولم تجب ، فاسترسل ابليس وقد شاع الحزن فى نبراته

— نعم إنه يذبل ... ويترك وراءه الأسى والأحزان .

ثم صمت فترة وتركها بين أشتات الهواجس . ثم عاد يقول :

— ولكنك جميلة الآن ... ألا ما أجمل هذه الكلمة « الآن » إنها الكلمة الوحيدة التى تحوى كل شىء ... فما أشد غفلة الإنسان حينما ينسى بهجة الحاضر ويتعزى بلذائذ الأوهام .

— جميلة ... وما الجمال ، ولماذا خلق ؟

— الجمال ولماذا خلق ؟ . وهل خلق الجمال إلا لاجتذاب الفراش

— الفراش ... يا للشرير ... حقاً لقد ذكرتنى أنه لا يفتأ يتهافت على كما يتهافت على النور الساطع ... ولكن هناك زوجى ... زوجى دائماً

— آه ، هذا الفراش المجوز الذى فقد جناحيه ، يا للمأساة كم أضحك حينما أراه يتودد إليك وأسمعه يفتح فمه الواسع الخالى من الأسنان ويقول « أحبك » ... كم يبدو بشعاً قبيحاً ثقيل الظل ... أليست هذه سخرية مريرة من سخريات الحياة ، أين هو من فهمى وصبحى وصفوت من هؤلاء الشباب ذوى الخدود الوردية والدماء الحارة .

— والضمير ... أنسيته ؟

— هذا المخلوق الهزيل الذى لا ينى يحدثنا بالأباطيل ويهرب بنا من الواقع ليجد كنفاً أميناً فى أحضان الخيال والوهم ... إنه ألذع السخريات التى ابتكرها العقل ليحارب بها فطرة الجسم وطبيعته ... انى أربأ بك عن الخضوع لهـــذا المرض الذى يسمونه الضمير .

— مرض ؟! ... يا للبشاعة !

— نعم إنه مرض عقلى ... يقضى على كل راحة ولذة وصفاء وهناء فى الحياة

وسكت الشيطان بعد أن أوقعها فى أحابيله وتركها نهاب الوساوس وتتقلب بين نوازع الشر وتبحث فى أعماق نفسها المضطرمة عن الملاذ الأمين الذى تسكن إليه وترتاح إلى نجواه .. وأخيراً جاءها صوت الخير رقيقاً ملائكياً .

— أنت أيتها الباحثة عن اللذة ... هل وجدت لذة فيما سلف من أيامك .

— لا ... ما وجدت إلا الألم

— وحينما كنت تبلغين أمانيك

— كانت تبدو هزيلة أمامى وتفقد سحرها الماضى فلا يسعنى ابقاء على اللذة وخيالها الحبيب إلا الاستسلام إلى أمانى ورغبات جديدة .

— وهكذا ظلت حياتك رغبات وآمال كاذبة ، ولذة مفقودة لا تورث إلا الألم والحسرة .

— نعم هكذا ظلت دائماً ... رغبة جائعة نهمة لا تشبع .

— ولن تشبع

— نعم لقد بدأت أرى أنها لن تشبع

— وهكذا الحياة ... آلام تتفاوت مقاديرها ... فحسب العاقل أن يخرج منها بالقليل من الألم .. أما اللذة فهى غاية الأحمق ولن يحصل منها إلا على غاية الألم .

— لقد فهمت الآن .. فهمت الآن ... ما أجمل كلامك .. انك حكيم

وسكت الخير قانعاً وانطوى فى أعماق النفس بينما أخرج ابليس لسانه السليط وعاد يقول :

ولكن بالرغم من كل هذا الكلام فهناك لذة ... وأولى بالضعيف أن يقول :

« إننى بائس » من أن يقول : « إن الحياة مليئة بالبؤس »

نعم صدقينى يا سيدتى إن الحياة مليئة باللذة وهى تنتظر إيماءة من رأسك الجميل لتقدم إليك الحب ، تحية الجمال ، واللذة ثمرته اليانعة النضة. فلا ترددى وتذكرى أن الزمن يرسم خطوطه الكريهة على الوجه الجميل ، وينزع السواد عن الشعور الفاحمة ويطفىء بريق الحياة من العيون المليئة بالحياة .

— كفى أيها الشرير ... كفى

— ويقوس الظهور التى لم تتعود ذل الإنحناء ويقتل الأصدقاء ويشتت الأحباء ، ويقدم الصاب والعلقم فى كؤوس الوحدة والسأم والمرض وأخيراً يفتح لنا باب القبر على مصراعيه ويهيل علينا التراب ... ذلك التراب الذى كنا نطؤه بأقدامنا .

— رفقاً بالنفس الضعيفة يا رسول السوء .

— وهو لا يرحم ... فأولى بنا ألا نرحمه ... وأن نقتله كسباً ولذة وحياة فعقارب الساعة لن تقف دقيقة واحدة من أجلنا والشمس لن تقف عن دورتها يوما لتعطينا فسحة للتفكير .

— أنت ... أنت هو العذاب والجحيم نفسه فكفانى من لهيب ألسنتك يا هاتف الشر .. فلو لم تتكلم لكنت الآن سعيدة قانعة راضية .. أما الآن .. فالويل لى من جحيم النفس .. الويل.

— عجباً من هذا الإنسان ومن منطقه الأعرج ... أدفعه إلى اللذة فيقول إننى ابليس اللعين ... ويسمع هاتفاً آخر يدفعه إلى الألم والعذاب والحرمان فيقول هذا ملاك الخير .. أليست هذه كبرى مهازل العقل .

وسكت ابليس وهو يبتسم ويرقب الصراع الأليم والعذاب يتجسمان فى ملامح المرأة التعسة والدموع تطفر من عينيها والعناء النفسى يبدو فى أصابعها الشاحبة الباردة وهى تتصلب وترتعد فى عصبية وسمعها تهمس وهى تبكى .

— حقاً ما أضعف الإنسان يشقى فى الحياة ويعانى حتى إذا ما سكن وهدأ واستقر .. شقى فى نفسه .

وتيقظ الخير من نومه العميق فقال فى نبراته الحزينة .

— نعم ... لقد أدركت الآن لم أجر ورائى مواكب الألم والحرمان لأنى أفضلها على مواكب الوهم .

وسكت هاتف الخير وهاتف الشر وغرقت أصوات النفس فى أصوات الحياة حينما امتلأت الحجرة بأشباح صغيرة .. وقامت المرأة المعذبة تمسح دموعها وتستقبل لوناً جديداً من ألوان الكفاح والعناء .

ومرت الأيام والشهور وتزوجت الشابة الجميلة من شاب جميل ... فهل ماتت الهواجس ... وهل حصلت النفس على راحتها ؟ لا يا سيدى ... إن قصة الهواجس قصة حية خالدة ما خلدت النفس فيها هى صاحبتنا التعسة فى « صالون » آخر ربما كان أبهى وأجمل من زميله القديم ولكنها لا ترى هذا الجمال ولا تشعر به بل ترى بعين النفس وفى مرآتها عشرات من أشباح النساء الجميلات تلتف كالأفاعى حول الزوج الجميل .. وتسمع صوت ابليس يصرخ .

— إنه لم ينم هنا البارحة وتعلل بالأسباب والمعاذير ... ولكن من يدرى فى أى أحضان قضى تلك الليلة ... يا لك من ساذجة ... لماذا لا تقابلين الخيانة بالخيانة ... إن أمين يتمنى لو ..

وتكاد تضعف وتخضع حينما تسمع صوت الخير يهتف .

— يا للمسكين . لقد بات ليلته مسهداً يفكر فيك ويستعجل أنوار الصبح ليلقاك ... يا له من زوج وفى .

وتحار الزوجة التعسة وتتعذب ، وليست هذه هى المرة الأولى التى تحار فيها وتتعذب ... فقصة الهواجس تكون حياتها كما تكون حياة كل انسان وحياة كل نفس فما أشقى نفوسنا نحن البشر وهى تتمزق تحت ضغط القوى الهائلة التى ركبت فيها .

مصطفى محمود

العدد ٧١٢ — الاثنين ١١ يونيو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة

والرواية

فهرس العدد

٢٩٠٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15em Année No. 733

Lundi — 21 — 7 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ رمضان سنة ١٣٦٦ — ٢١ يوليو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الأدب بين الوجدان والتفكير

للأستاذ عباس محمود العقاد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد . إن القارىء يفهم من بعض الكتب الحديثة أن الأدب فن ، والفن يختص بالوجدان، فعلى ذلك ماذا يكون حكمنا على الإنتاج الذى يغلب عليه الطابع الفكرى ؟ أرجو أن أقرأ ردكم على صفحات الرسالة ، ولكم وافر الشكر والسلام . فتحى السمان محمد

***

إذا قلنا إن الأدب « يختص » بالوجدان فنى هـذا القول جانب كبير من الصواب .

ولكننا إذا قلنا هذا وسكتنا عليـه فقد يفوتنا أكثر الصواب ، وكأننا لم نقل شيئاً يجمع الفائدة من المعنى المقصود فى هذا الباب .

فأى وجدان هو هذا الوجدان الذى يعتمد عليه الأدب أو يعتمد عليه الفن أو الفنون على التعميم ؟

إن الإنسان الهمجى له وجدان وشعور ، ولكن وجدانه يكتفى بما يكفى غريزة الحيوان أو يزيد قليلا على غريزة الحيوان .

والإنسان « الصوفى » له وجدان وشعور ، ولكنه إذا عبر عن وجدانه وشعوره دق تعبيره على عقول الكثيرين أو الأكثرين فليس شرط الوجدان أن يكون مقصوراً على أجهل الناس وأعجزهم عن التفكير .

لأننا لا نرادف بين معنى الجهل ومعنى الوجدان فى اللغة ولا فى مصطلحات الفنون والعلوم .

***

هذه حقيقة من الحقائق التى يحسن بنا أن نحضرها فى أخلادنا حين نعرض لحديث الفن والوجدان .

وحقيقة أخرى ينبغى أن نحضرها فى أخلادنا أبداً لأن إغفالها يفسد كل تعريف مفيد فى هذا الباب ، وهى أن الأدب الرفيع لم يخل قط من عنصر التفكير ، وشاهدنا على ذلك أدب الفحول من شعراء الأمم العالميين ، ومنهم أمثال شكسبير وجيتى والخيام وأبو الطيب .

ونخص الشعراء بالذكر لأن صدق هذه الملاحظة فيهم يجعلها أقمن بالصدق على الأدباء الناثرين .

فأغانى شكسبير مثلا سلسلة من الأفكار التى يمتزج فيها الفهم بالشعور ، ودع عنك قصائده التى نظمها فى الروايات أو أجراها على ألسنة الرجال والنساء . فإن شعر الأغانى أحق شعر أن يقصر على « الوجدان » إذا صح ما يفهمه بعضهم من الأغراض الوجدانية وخلوها من التفكير .

وقصة « فاوست » الكبرى — وهى أعظم أعمال جيتى — هى فلسفة الحياة والبقاء ، وفلسفة الخير والشر ، وفلسفة المعرفة والضمير .

وليس فهمها بأيسر من فهم قضايا المنطق أو معادلات الرياضة والكيمياء

ورباعيات الخيام يصح أن تسمى « فكر الخيام » لأن الرباعية منها تدور على فكرة أو خلاصة أفكار ، ولا يمنعها الشعور أن تكون شعور إنسان من المفكرين .

والحكم على المتنبي ميسر لمن يقرأ العربية وحدها ولا يقرأ غيرها من اللغات .

وليس في قصائد المتنبي قصيدة واحدة يقول القائل إنه أهمل الفكر فيها ، أو إنها وجدان بغير تفكير .

ومن أمثلة ذلك هذه « القضية » التي صاغها في بيت من الشعر حيث يقول :

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا

أو هذه القضية التي صاغها في هذا البيت :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

أو هذه التقسيمات الوافية التي يقول فيها .

تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع

ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع

فإن التفكير إذا ذهب في هذا المعنى إلى غايته لم يأت فيه بمزيد بعد الجهل والغفلة والمغالطة في الحقائق . وهي شروط صفاء العيش في حكمة هذا الحكيم ، أو في شعور هذا الإنسان .

وندع الشعر إلى الغناء والموسيقى ، وقد يخلوان من اللفظ ولا يخلوان من التفكير .

فنشيد الرعاة وجدان .

وألحان فاجنر وجدان .

ولكن الفرق بين الوجدانين كأبعد فرق بين شيئين بوجدان في طبيعة إنسان .

* * *

ومن الحقائق التي تحضر في هذا السياق أن نقص الفكر ليس بزيادة في الحس والوجدان ، وأن زيادة الفكر لا تمنع الإنسان أن يحس وأن يتسع وجدانه لأوسع آفاق الحياة .

فقد ينقص فكر الإنسان وينقص حسه على السواء ، ومزية الإنسان دائماً أن يحس أنه يفكر وأن يفكر أنه يحس ، وأن يكون نصيبه من الإنسانية على قدر نصيبه من الفكر والإحساس ، فليس هو بإنسان كامل إذا خلا من التفكير ، ولا يكون الأدب كاملا وهو يعبر عن إنسان ناقص في ألزم مزاياه

* * *

وللأدب بحوث غير بحوث العلم والدراسات الاجتماعية أو الاقتصادية .

فهل تحسب هذه من الأدب أو لا تحسب منه لأنها تحتاج إلى التفكير ؟ وهل يمكن أن يتم بحث بغير تفكير ولو كان من البحوث في الشعر والإحساس ؟

فالبحوث الأدبية أدب وليست علماً بالمعنى المعروف للعلوم التجريبية ، لأن البحوث العلمية تتفق في النتيجة ولو جرت على أيدي مئات من العلماء . وقد يبحث ألف ناقد في ديوان واحد ثم يخرجون منه وكل منهم ينقض أقوال الآخرين أو لا يلتقي بهم في موضع لقاء . وإنما يفعلون ذلك لأن الباحث منهم يعتمد في فهم المعنى على مرجعه من الإحساس ، فيفهم الإحساس على وجه ويفهمه غيره على وجوه . ولا يقال من أجل ذلك إنهم ينبغي ألا يفهموا أو لا يفكروا لأنهم يحسون !

وبعد ، فإن الإحساس طبقات وليس بطبقة واحدة بين جميع الناس .

وكل طبقة من هذه الطبقات فهي لغز مغلق بالنسبة إلى من يقفون دونها ولا يرتفعون إليها ، فإذا عبر أحد منها عن شعوره ولم يفهمه الذين يقصرون عنها ويهبطون دونها فليس ذلك بمخرجه من أفق الشعور الذي هو فيه ، ولكنه يخرجهم هم من ذلك الأفق الرفيع .

ولعلنا بحاجة إلى التنبيه إلى سخافة شائعة في مصر والشرق بين أدعياء الإحساس ممن لا يحسون ولا يفكرون ، وهي اعتقادهم أن الإحساس والتخنث مترادفان . ويوشك أن يموت الإنسان عندهم من فرط الإحساس ، لأنه يحس في زعمه بمقدار ما يتراخى ويتخاذل ويئن وينوح !

وأحوج ما يحتاج إليه هؤلاء المتأنثون « مزعج » قوي ينقذهم من « فرط الإحساس » على مذهبهم الذي لا فرق فيه بين فرط إحساسهم وبين الموت ... أو الإغماء على أهون تقدير :

٤ ـ رحلة إلى الهند

المسلمون والمؤتمر الآسيوى

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

عميد كلية الآداب

فى الهند اليوم حزبان يسيطران على شئونها : حزب الرابطة الإسلامية « Muslim Leeg » وحزب المؤتمر « All India Congress » . والأول يمثل مسلمى الهند إلا قليلا . والثانى يمثل الهنادك وقليلا من المسلمين . وكان الحزبان على وفاق ، كلٌّ يسير فى طريقه غير محادّ الآخر . وكان زعماء الرابطة ، ومنهم السيد جناح ، عاملين فى حزب المؤتمر .

وقد حدثت شئون انتهت إلى القطيعة بين الحزبين سنة ١٩٣٧ وأبانت عن اختلافهما كل الاختلاف على الهند بعد استقلالها . أتقوم فيها دولة واحدة أم دولتان إحداهما إسلامية فى أقاليم تسمى باكستان ، والأخرى هندوكية فى أقاليم أخرى تسمى هندوستان .

ولست فى مجال الإبانة عن هذا الخلاف ، فقد تكلمت فيه من قبل ، ونشرت فى الصحف ما يغنى عن إعادة القول ، وحسبى أن أقول هنا : إن المؤتمر الآسيوى دعا إليه معهد يسمى « المعهد الهندى لشئون العالم » ، وهو ذو صلة وثيقة بحزب المؤتمر . وكان لهذا الحزب الإشراف على المؤتمر الآسيوى والسيطرة عليه ، فرأت الرابطة الإسلامية أن تقاطعه .



الكاتب يوقع لبعض الصبايا الهنديات فى المؤتمر

وكانت وفود الدول الإسلامية فى حرج من هذه المقاطعة ، وكثيراً ما سئلوا : ألم تعلموا أن المسلمين قاطعوا هذا المؤتمر ؟ ألا تعطفون على مسلمى الهند ؟ الخ .

وقد اختلفت الإجابة عن هذه الأسئلة ، واتفق المسئولون على أنهم يهتمون كل الاهتمام ، ويعطفون كل العطف على مسلمى الهند .

وقد انتهى الجدال إلى الإجماع على أن قدوم الوفود الإسلامية إلى الهند فى ذلك الحين ، وشهودها هذا المؤتمر ينفع مسلمى الهند ولا يضرهم ، إذ يبصر البلاد الإسلامية بأحوال الهند ، ويعرفهم بحقيقة الأمر فيما شجر من خلاف بين المسلمين والهنادك .

ونشر بعض الوفود الإسلامية كلمة أعربوا فيها عن رأى الوفود الإسلامية كلها ، هى أن اشتراكهم فى المؤتمر لا يدل على تأييدهم حزباً من أحزاب الهند ، وأن هذا المؤتمر كما دُعوا إليه

صفعة على القفا هى « جرعة » نافعة ناجعة فى علاج هذا الداء . صفعة على القفا بقلم الكاتب ، إن لم تكن بالقلم المعهود فى لغة الأكف والأقفاء !

ونخلص من هذا جميعه إلى قول واحد يجمل جميع الأقوال فى الفن والأدب ، وهو أن الفن والأدب وجدان ولكنه وجدان إنسان ، ولا يكمل الإنسان بغير ارتفاع فى طبقة الحس وارتفاع فى طبقة التفكير ، فلا يخلو الأدب المعبر عنه من هذا وذاك ، ولا يقاس نصيبه من الحس بمقدار نقصه فى التفكير ، ولا يقال إنه أحس تماماً لأنه لم يفكر تماماً ؛ بل يقال إن التمام فى مزاياه الإنسانية أن يتم له الحس ويتم له التفكير .

عباس محمود العقاد

وشهدوه ليس سياسياً .

وكان من الداعين إلى المؤتمر والمناصرين له جمعية علماء الهند ، وقد حرصت طائفة منها على الاتصال بالوفود الإسلامية والتحدث إليهم فى الخلاف بين الرابطة والمؤتمر ، ثم دعوا وفود البلاد الإسلامية إلى حفلة فى فندق كبير حضرها مولانا أبو الكلام آزاد وزير المعارف فى الحكومة الموقوتة ، وشهدها كذلك جواهرلال نهرو رئيس هذه الحكومة ، ووزعت على الحاضرين صحيفة كبيرة بالأردية فيها ترحيب بالوفود وبيان لمكانة جمعية العلماء فى الهند وتاريخها فى الجهاد للاستقلال ، ورسالة صغيرة بالعربية فى هذا المعنى .



الدكتور عبد الوهاب عزام مع السيد محمد على جناح رئيس الرابطة الاسلامية في داره بدهلي الجديدة

وبعض المعاهد الإسلامية كالجامعة الملية الإسلامية فى دهلى ضالعة مع المؤتمر أيضاً ؛ ولكن الجمهرة العظمى من المسلمين يؤازرون الرابطة الإسلامية .

وقد حرص القائمون على المؤتمر الآسيوى ، لهذا الخلاف بينهم وبين الرابطة ، على أن تشترك الحكومات الإسلامية فيه ، وأرسلوا دعاتهم إلى بعض الأقطار ليعملوا على استجابة المسلمين دعوتهم ، ولا سيما البلاد العربية .

وقد حرصنا على لقاء زعماء الرابطة لنزيل استياءهم من حضورنا المؤتمر ، ولنعرف حقيقة الخلاف بينهم وبين حزب المؤتمر .

وقد زرت رئيس الرابطة فى داره أنا والسيد تقى الدين الصلح مندوب الجامعة العربية والساعة إحدى عشرة ونصف من صباح يوم . فتكلمنا عن اشتراكنا فى المؤتمر ، فسأل هل قرأت جريدة الفجر « Saun » — وهى لسان الرابطة باللغة الأنكليزية — ثم تناول عدداً منها قرأ فيه شيئاً عن اشتراك الوفود الإسلامية فى المؤتمر وتقدير مسلمى الهند نواياهم ، واعترافهم بأن شهود المؤتمر عسى أن يكون خيراً : وقال إن هذا ينهى الكلام فى هذا الموضوع .

وقد تحدث عن مؤتمر إسلامى يجتمع فى الهند أو حيث يشاء المسلمون ويتناول البحث فيه شئوناً إسلامية كثيرة ولا سيما شئون مسلمى الهند . وتحدثنا فى أمور كثيرة كلها متصلة بالشئون الإسلامية ، وانتهى حديثنا والساعة واحدة وربع على أن نلتقى يوم السبت الآتى .

ولما التقينا فى الموعد حدثناه عن عبد الغفار خان زعيم ولاية الحدود ، والذى يتقيَّل غاندى ويصاحبه كثيراً حتى سمى غاندى الحدود . وكان عبد الغفار قد حدثنى مرة والمؤتمر على مائدة حضرها نهرو وبعض أعضاء المؤتمر ، ومرة أخرى حيث يقيم مع غاندى فشكا من الرابطة وقال إنه كتب إليهم طالباً أشياء يسيرة تكفل له إذا قامت دولة باكستان فلم يظفر منهم بجواب . وقال إن الإنكليز اضطهدونا فاستنجدنا الرابطة فلم تبال بنا ، وتطوع حزب المؤتمر لنصرتنا والدفاع عنا فكان ميل الناس من ولايته إلى حزب المؤتمر طبيعياً . فنقلت هذه الشكوى إلى السيد جناح آملا أن أقرب بينهما . فقال السيد جناح إنه لم يتلق رسالة ما من عبدالغفار خان وإن الحوادث التى يشير إليها الخان كانت سنة ١٩٢٩ ولم يكن للرابطة إذ ذاك قدرة على النجدة ولم تكن بلغت من الشأن والنظام مابلغت . ثم قال ومع هذا كافحت كثيراً من أجلهم حتى نالوا ما نالوا من النظام الذى يتمتع به الأقليم اليوم . وقال فليدخل عبد الغفار خان فى الرابطة ثم يطلب ما يشاء . ولست مسيطراً على الرابطة ولكنى واحد منها فلا أستطيع أن أمنح

القسم السادس :

فرنسا ومستعمراتها

للأستاذ أحمد رمزي بك

بدأ الفرنسيون تنفيذ برنامجهم الإصلاحي على مراحل في مراكش ، فقد نقلت إلينا الأنباء البرقية طرفاً من أخبارهم وهي تتلخص في بعض تغييرات إدارية أدخلوها ذراً للرماد في العيون فقالوا إن الوزارة ستتألف من عشرة وزراء مراكشيين وعشرة من الفرنسيين واختير مستشار فرنسي يبحث القوانين واللوائح قبل عرضها على السلطان ، وصرح فرنسي مسئول بأن فرنسا تريد تحويل مراكش إلى دولة ديمقراطية حديثة كما ترغب بإخلاص في زيادة مسئولية المراكشيين في حكم أنفسهم . وهذه نواح جديرة بالبحث والتأمل .

ولقد كنا أول من أذاع شيئاً عن اجتماع الدار البيضاء الذي حضره روزفلت وجيرو وديجول الفرنسيين وقلنا إن أراضي تونس والجزائر ومراكش كانت وديعة بيد الحلفاء ، وقد أعيدت للسلطات الفرنسية بعد أن تعهد رجالها لروزفلت أن تسير هذه البقاع في ركب الحضارة نحو الحرية وتقرير المصير ؛ ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، وإنما تحت ستار الإصلاحات الجديدة وتحويل مراكش إلى دولة حديثة وزيادة مسئولية المراكشيين في حكم أنفسهم ، تقدم فرنسا للعالم المتمدين مشروعاً استعمارياً له خطورته لأنه ضربة جديدة موجهة إلى استقلال مراكش وحريتها ومستقبلها ، ولذلك لم نستغرب أن رفض الأحرار المراكشيون هذه السياسة ونددوا بها وقالوا عنها « إنها تريد أن تغتصب البقية الباقية من مظاهر وجودهم . ونحن الذين تابعوا قضية المغرب من يوم أنزل الحلفاء جنودهم ، وأنصتوا طويلا إلى أقوال قواد الحلفاء وبعض رجال السياسة الذين تحدثوا عن مستقبل هاتيك البلاد وعرفوا الكثير من تحمس رجال فرنسا وتمسكهم بوحدة أمبراطوريتهم ورفضهم الدخول في أي حديث يشتم منه طلائع الحرية والاستقلال لشعوب المغرب ، ولم نتردد في أن نجهر بالقول

أو أعد بما لم تأذن به .

وحدثته في تقسيم الهند وفي انحياز إقليم في باكستان إلى دولة هندوستان أو العكس ، وفي دعوة المؤتمر والرابطة في ولاية الحدود الشمالية الغربية . فقال إنه لا يملك أن يمنع الناس من الانحياز إلى الجانب الذين يرغبون في الانحياز إليه ، وإنه يعترف لأهل هذه الولاية بحقهم في الانحياز إلى هندوستان إن أرادوا . ولكن الرأي في هذا الأمر ليس لعبد الغفار خان وأمثاله ولكنه لجمهور الناس . هم الذين يفصلون في انضمامهم إلى أحد الجانبين .

وتكلمنا عن مصر والسودان ، فقال لا ترجعوا عن مطالبكم في السودان قيد شعرة . وانتقل الحديث إلى فلسطين فوكد حق العرب فيها وأوصى بألا تكون موضع مساومة .

وعُدنا إلى الحديث عن مؤتمر إسلامي فاستحسن الرأي وقال سننظر أيكون في كراتشي أو دهلي أو مكان آخر .

ورجع إلى حديث عبد الغفار خان فوكد ما قاله من قبل غاضباً متحدياً . وفي ختام الحديث قال أبلغ رئيس الوزراء النقراشي باشا أني لا أزال أذكر حديثه الودي وحفاوته بي ومبالغته في إكرامي حينما مررت بالقاهرة ؟

ثم سأل كاتبه هل أعدّ رسالة عزام باشا ، فعرض عليه صحيفة مرقومة[1] فأخذ عليه بعض الغلط وردّها إليه فأصلحها . وقد حمل هذه الرسالة السيد تقي الدين الصلح مندوب الجامعة العربية في المؤتمر .

وقد تحدث عن باكستان في المرتين حديث المجاهد الموفي على غايته ، الواثق بظفره . وكان في حجرته لوح صغير عليه خريطة باكستان الغربية والشرقية من الذهب أو مذهبة .

وهو رجل طويل نحيف معروق يجلل رأسه شعر أشمط يوحي إلى محدثه العزم والمضاء بكلماته وإشاراته .

وقد جزى الله جهاده وإخلاصه هو وأنصاره أن ظفروا بما أرادوا وبلغوا ما رجوا والله ولي توفيقهم .

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

---

(١) مرقومة : مكتوبة بالرقم وهي كلة وضعتها للآلة الكاتبة المسماة تايبرايتر .

لإخواننا أهل المغرب[1] أن الخطر الذى يبدو لنا هو أن نوفق فرنسا لإقناع العالم أن سياسة الاتحاد الفرنسى مشروع إنسانى يدعو إلى رفع مستوى الشعوب ويعد تنفيذه تحقيقاً لما وعدوا به روزفلت فى اجتماع الدار البيضاء أو أنه مرحلة فى طريق الرقى الاجتماعى .

ومراكش ليست دولة فى مجاهل الدنيا حتى تدرب على حكم نفسها . وقد عاصرت القرون وكانت أمجادها وبطولتها مضرب الأمثال ، فهى دولة مستقلة ذات سيادة وصولة وتاريخ وشخصية قبل أن تعرف فرنسا شيئاً من ذلك ، وهى أمة موحدة قبل أن تحقق فرنسا وحدتها الإقليميــة فى قارة أوروبا ، ولإخواننا المراكشيين جولات فى إفريقيا وفى القارة الأوروبية ، وبين ملوك مراكش وملوك فرنسا مكاتبات ومعاهدات قديمة عامل فيها كل واحد الآخر معاملة الند للند .

لهذا كله دهشنا من موقف فرنسا ورجالها بعد سنة ١٩١٢ وموقفها اليوم فى سياسة المقيم العام التى يريد أن يفرضها على دولة قائمة ذات سيادة وسلطان وشخصية دولية . وكنا نؤمل أن تغير دروس الماضى بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم بعد الحرب العالمية الثانية ، شيئاً من أساليبهم وعقليتهم ، ومراكش بلاد لم تفتتح وإنما تعاهد سلطانها معهم وحالفهم على شروط معلومة ، فإذا هم ينتزعون البلاد انتزاعاً ، ويصبح المقيم العام سلطاناً وحكومة ، يجمع السلطات كلها بين يديه من تنفيـذ وتشريع وقضاء ، ويسيطر رجاله على الشئون المالية والاقتصادية والإنشائية ، ويضع يده على الحبوس والأوقاف ، وينتزع أملاك الدولة فيوزعها على المستعمرين من الفرنسيين .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ضربت بالمواثيق والعهود التى أخذتها الدول عليها عرض الحائط ، فهى لم تحترم ما جاء باتفاق الجزيرة سنة ١٩٠٧ ، ولا ما جاء بالاتفاقات التى أعقبت حادث أغادير المشهور ، وكلها تنص على احترام سيادة سلطان مراكش ووحدة بلاده وبقائها بلاداً مفتوحة لتجارة الدول وميداناً للنشاط الأممى .

ولقد رأينا الأسلوب الفرنسى فى حكم البلاد التى نكبت به ينتزع السلطات جميعاً من أيدى الحكام الوطنيين فتصبح الحكومة المراكشية التى يطلق عليها إسم « المخزن » صورة لا تملك من الأمر شيئاً . وإذا بدار المقيم العام بيدها السلطات الفعلية : يتولاها بواسطة مستشاريه على الطريقة الفرنسية المباشرة التى رأيناها فى سوريا ولبنان أيام الانتداب . فتصور هذه الدار تتولى الأمن العام والجمارك والضرائب وتدير الأوقاف وتفتح المدارس وتغلق الكتاتيب ، وبيدها التشريع والبرق والبريد ، وتسيطر على النقد ووسائل المواصلات ، وتمنح الأراضى لمن تشاء وتوزع الثروة على شركات الاحتكار والاستثمار .

هذه هى مناطق القانون العام أى التى يسود فيها الحكم المدنى . أما المناطق العسكرية فهى تخضع لجبروت الجيش وضباطه السياسيين ، فهناك يجمع القائد الفرنسى كل السلطات فى يده ولا مرد لحكمه : إذ تكفى إرادته لنزع الأملاك وتنفيذ حكم الإعدام والسجن ونقل قرى بأكلها وإخلائها من السكان ، ولا يمكن مراجعة حكمه أو الاعتراض عليه أمام سلطة مدنية ، وأهالى البلاد من المسلمين حيارى بين براثن الاستعمار الفرنسى فى مراكش ، هم فى حالة حرب منذ عام ١٩١٢ لا يرتفع عن كاهلهم سوط الأحكام العرفيـة ولا يشعرون بالراحة يوماً ، تؤخذ أولادهم للحروب ، ويرسل بشبابهم إلى المعتقلات والسجون .

لقد آن للعالم المتمدين أن يفهم حقيقة الحال فى أفريقيا الشمالية ، وحسناً فعل المجاهدون المراكشيون من المبادرة إلى أمريكا وتعريف العالم بقضيتهم لأنها قضية عادلة : فهم لن يقبلوا أن يدخلوا اتحاداً فرنسياً يفرض عليهم فرضاً ، وقد شرحنا أساليبه ومراميه وأهدافه ويؤكد سيطرة فرنسا وتدخلها فى شؤون بلادهم أجيالا من الزمن لا تزال فى عالم الغيب أو المستقبل .

إن كفاح أهل مراكش سيكون طويلا وصعباً لا هوادة فيه ، لأن بلادهم موطن الثروة المعدنية ، وإليها تتجه أنظار الاستعمار الفرنسى للحصول على المواد الخام من البترول والفحم والحديد ، وهذا الاستعمار يفرط — كما قلنا — فى ولايات من أوروبا ولا يتنازل عن شمال أفريقيا ، وهو يعلم تماماً أن أى تساهل أو اعتراف من جانبه باستقلال أو حكم ذاتى يمنح لأهل البلاد المراكشية معناه انهيار الامبراطورية الفرنسية بأكملها فى أفريقية الشمالية

فعلى الذين يتصدرون الحركة الاستقلالية فى مراكش أن

(١) عدد الرسالة ٧٢١ الاثنين ٢ يونية ١٩٤٧ نهاية القسم الثانى

لسان الدين بن الخطيب

الصفحة الأخيرة من حياته

للسيدة الفاضلة منية الكيلانى

مد الليل أروقته السوداء فى غرناطة الأندلسية العظيمة ، واتشحت سماؤها المرصعة بالنجوم الزاهرة تلك الليلة بالغمام ، وتضاحك البرق من عربدة الرعد المدوى ، وتهادى الثلج نازلا بأناة و كرم يكسو بالبياض كل ملون... ويترا كم طبقات بعضها فوق بعض ، وخلت الدروب من كل صوت ونأمة ...

وسرت عدوى السكون العميق إلى قصر ابن الخطيب الباذخ فما كان يسمع فيه شىء مما اعتاد أن يزخر به القصر العتيد من صوت القيان أو نداء المزاهر ، وما كان يرى فى أكنافه الرحيبة من وراء الكُوى ، إلا ضوء واحد يمرق من نافذة فى غرفة رب القصر ، وإن كان قد انتصف الليل من وقت طويل .

وهدر الرعد من جديد ، ففتحت على ابن الخطيب بابه فتاة فى مقتبل العمر وانزاحت من الباب رفيقة إلى حيث يجلس الكهل ، وتقدمت إليه تحييه وتقول له فى دَل :

— أوَ لا تزال يا عماه مسهد الجفن تكتب والناس رقود ؟

فيرفع ابن الخطيب رأسه ويمد بصره إلى ابنة أخيه ، وقد أضنى عينيه ضوء الشموع وصفحة الكتاب ويقول لها :

— إن الذى ميزنى يا بنتاه عن الناس الذين تسمين ، إنما هو هذا السهاد وهذا الاعتكاف ، وما بلغ امرؤ يا بنتاه فى غطيطه ما يبلغ الساهر فى سبيل العلم ، ولو درى أولئك السادرون فى غوايابهم أية لذةٍ أطعم ، وأية سعادةٍ أذوق ، لاستبدلوا بالفراش المحابر ، ولأرغلوا فيما أنا فى سبيله ... ألا يستوى جاهل وعالم ، وساع إلى الراحة ومتشبث بأذيال العلم ... وهذه غرناطة تعلم أن شيخها يسهر والناس من حوله نيام ، فيصيب من سهره ما يعجزه عن النائمين والغافلين ...

ثم يعود الشيخ إلى نفسه فيستدرك ويقول :

— وأنت يا ابنتى ما بالك بارحت الخدر وأنت إلى الرقاد أحوج من شيخ غرناطة ؟ ... أهو حلم لذيذ أرسلك إلى عمك تقاسمينه خبره ؟ فتجيبه : لقد أيقظتنى جلجلة الرعد ، فما استطعت من بعد اليقظة إغفاءة !

وتجلس الفتاة ، فيسألها عمها أن تكتب له الصحائف الباقية من كتابه « الأصول لحفظ الصحة من الفضول » . فتكتبها وهو يمليها عليها ... وتنتهى فتعلق الفتاة عليه بأنه عمل متعب قد يؤذى صحته الغالية . فيقول لها : « يا بنتاه ، العجب حتى مع تأليفى لهذا الكتاب الذى لم يؤلف مثله فى الطب ، فإنى لا أقدر على مداواة داء الأرق الذى بى » . فتقول مجيبة : « ولكنه يا عماه أرق مفيد على كل حال ، وهل تنكر فضل الأرق الذى خرجك فى الفلسفة والطب والتفسير والحديث والفقه والتاريخ وعلوم العربية من شعر بارع ونثر بديع ؟

يفهموا أن العراك سيكون شديداً وقاسياً ، وعليهم أن يكتسبوا المعركة الخارجية ، وهى معركة الدعاية لقضيتهم فى أمير كا وفى بقية أنحاء العالم ، عليهم أن يظهروا مساوىء الاستعمار وأضاليله ، وأن يجعلوا الدعاية قائمة فى كل مكان ، وأن تمتاز بالثبات والرسوخ والهدوء والمداومة .

ففى مصر لا يكفى شعور الناس بالعطف على قضيتهم ، بل يجب إبرازها كل يوم فى ثوب جديد على صفحات الجرائد والمجلات ، بل نريد أن نسمع رأيهم وصوتهم ، ونرى مناظر بلادهم ومساجدها وأسواقها ، ونقرأ لأدبائهم وزعمائهم كل يوم ، ونود أن نشاركهم أفراحهم وأيامهم ، ونسمع أغانيهم ، ونرتل شعرهم ، ونظهر على مطبوعاتنا صور معاهدهم ورجالهم ومظاهر الحياة عندهم إننا فى حاجة إلى أن نتعرف على أهل المغرب ، لأننا فى مصر نحن أهلها أقرب أهل الشرق إليهم .

لقد تلاقت النفوس قبل اليوم ، وارتبطنا بهم بروابط لا تنفصم عراها ، لأن فى مصر أسراً بأكلها تنحدر من تلك الأصول العربية التى جاءت من أرض المغرب

إننا لا تطمئن نفوسنا قبل أن ينال المغرب استقلاله ويحصل على حريته

أحمد رمزى

فيبتسم الشيخ ابتسامة استكبار وتيه ... ولم تكن الفتاة مجاملة ولا مراوغة فى هذا الذى قالت ، فقد عرفته الليالى طالب علم ورجل جد ، وعرفه أساتيذ غرناطة ذكى الفؤاد ، واعى البصيرة ، سديد التفكير .

ويغرق لسان الدين فى فكرة طارئة ، وتسهم مقلتاه الزرقاوان فى غير وعى ... فتقول له ابنة أخيه : « ولقد فرغت يا عم من مطالعة ما زودتنى به من كتاباتك ، فراقنى منك شعر الغزل الجيل فى هذه الموشحات التى رصعتها بما يعيا به الصاغة الماهرون ، وأعجبنى كلام الأتقياء ، ولكننى وجدت فى رسائلك التى تتندر بها على الحال الاجتماعية سجعاً غريباً ، وإطالة لا عهد لك بمثلها ، فقد أطلت فيما كتبت وأطنبت فى التصوير إطناباً خيل إلىّ معه أنك قد ملأت من الفكرة الصغيرة صفحات ، فهل ستنسيك السياسة ذياك الأسلوب والنغمة التى فتنت بها غرناطة وأرقصت عذاراها زمناً ؟

وهنا يتبسم لسان الدين مرة أخرى ، ويهيب بفتاته أن تعود إلى مخدعها ، فقد انقطع الرعد ، ولم يبق من الليل إلا رمق ، وإنه ليرى أن السهاد قد يضر جمالها الضحيان ... وإذ تذهب يقيم لسان الدين يفكر ، ويعمل الرأى فى هذه الأحداث التى توالت دراكا ، ويبحث هذه القلاقل السياسية التى أوشكت أن تودى بأدبه الغض وخياله الرائع ... لقد صدقت بنت أخيه ، فإن السياسة التى فتنته قد انبرت تخرس تلك النغمة السائغة المنسابة التى أرقصت عذارى غرناطة زمناً ، وهذه فتنة لا يدرى هو أيضاً كيف استحوذت عليه ، فتبدل بالعلم والأدب السياسة ومشتقاتها ، وأقام برهة يتفكر فى عواقب الأمور وما قد تجره عليه من وبال ، ووقر فى نفسه أن ينتقل إلى الهامش إن هو استطاع إلى ذلك سبيلا

ثم يعود فيمد بصره فى الماضى ، حيث كان السلطان أبو الحجاج يوسف يعطف عليه ، ويقرب مجلسه ، ويستأنس برأيه ، وقد اختصه بكتابته ، وأجرى عليه صنوف الرفد والعطاء ، فأنتج ما شاء له الإنتاج ، وأبدع ما وسعه الإبداع .

ثم يموت أبو الحجاج يوسف ، فيخلفه ابنه محمد بن أبى الحجاج وهو الفتى الذى خدمه ابن الخطيب أصدق خدمة ووفاه أقصى حقوق الولاء ، فجزاه معروفاً بمعروف وخيراً بخير ، وأبقاه فى مكانه وضاعف له الرعاية ، ولكن الفتنة الراقدة تململت ، وحبب الناس لأخى الملك الجديد أن يناوئ أخاه ويزعج نفسه ، فهو لا يدرى كيف يأخذ ولا ما ذا يصنع . وقد قال له هذا الأمير الحق أن يتبين له وجهاً من الرأى ودرباً من الرشاد ينفذ منهما إلى صرع الباطل والحسد الأثيم ، ولابد لابن الخطيب من نصيحة يسديها لمولاه ضحى الغد ، وهو الذى عرف عنده أصالة الرأى وسداد الفكر ، فما ذا تجدى عليه هواجسه من السياسة ومشتقاتها ومغبتها ، وهى مفروضة عليه يحتمها الولاء والوفاء لمن والاه ووفاه حقوقه .

هنا ينبلج الصبح ويقطع على لسان الدين التأمل رسول الملك فقد جاءه يخبره بأن الملك يريد البراح بعد أن أخفقت كل محاولة فى تحسين الحال ، فيخف إليه ابن الخطيب تاركا المهاة فى خدرها والكتب فى أدراجها وبيارحان المملكة ... وقد تقطع قلب لسان الدين لكلمة وداع لابنة أخيه المساعفة وكلمة وصية بكتبه فما أفلح

ولم يكن الهروب لينجى ابن الخطيب ، فقد وقع فى قبضة السلطان الجديد ، وأراد التنكيل به لولا أن سلطان المغرب الذى شغف بأدبه وعلمه يحميه من البطش ، ويمهد له من مدينة فاس أرضاً صالحة خصيبة تواتى قريحته ، فيرسل زفرته الخالدة :

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلماً فى الكرى أو خلسة المختلس

وتلقفها ابنة أخيه ، وتقرؤها على أترابها ، وتتيه بها إعجاباً وفرحاً .. فلقد أرقص لسان الدين عذارى غرناطة من جديد .

هنا يتأزم الوضع فى غرناطة تأزماً جديداً ضد لسان الدين ، ويعمل العلماء والفقهاء من أعدائه ضده ويرسلون فيه هجر القول ويرمونه بكل نقيصة ، ويروجون فيه أنه كافر ، وهم إذ يفعلون ذلك ينتقمون لمنازلهم التى احتلها هو فى قلب السلطان الماضى ، وينافقون للسلطان الحاضر ، وكلا الأمرين يؤتى بالثمرة المحرّمة ، التى يريدونها .

وأمر ما لقى لسان الدين من هذه البلوى أن يقود هذه الفئة المعادية والفتنة العمياء تلميذه ابن زُمرك وهو الذى نشأ وترعرع على يديه .. فقد وكل هذا المخلوق المنحوس قلمه فى شرح وتبسيط كفر لسان الدين الذى علم الله أنه منه براء .

١٠ – تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

الرموز فى الأحلام :

ولكن يجب أن لا تظنوا أن هذه الرموز سهلة الاستعمال أو سهلة الترجمة فنحن أينما تلفتنا عثرنا على ما لم نكن نتوقع . فقد لا تصدقوا مثلا أنه لا يوجد فى الغالب حد فاصل بين الجنسين فى هذا التمثيل الرمزى ، فكثير من الرموز تقوم مقام الأعضاء الجنسية على العموم ، سواء أكانت للذكر أم للأنثى مثل طفل « صغير » أو ابن أو ابنة « صغيرة » كما أننا قد نجد فى حالات أخرى أن أحد الرموز التى تشير فى الغالب إلى عضو جنسى مذكر قد استخدم فى هذه الحالة للدلالة على عضو مؤنث أو بالعكس . وهذا القول قد يظل غير مفهوم حتى نستطيع أن نحصل على بعض المعلومات عن نضوج التفكير الإنسانى فيما يختص بالعلاقات الجنسية ، فهذا الغموض قد يكون فى كثير من الأحيان غموضاً ظاهرياً فقط وليس حقيقياً ، وعلاوة على ذلك فإننا نجد أن أشد هذه الرموز لفتاً للنظر مثل الأسلحة والجيوب والصناديق لا تستخدم أبداً للدلالة على الجنسين .

والآن دعونى أقدم لكم بياناً موجزاً مبتدئاً بالرموز نفسها بدلا من الأشياء التى ترمز إليها ، لأطلعكم على المصادر التى اشتقت منها هذه الرموز الجنسية فى الغالب ، وسأضيف إلى ذلك بعض الملاحظات خصوصاً عن تلك الرموز التى يصعب فيها تحديد وجه المقارنة بينها وبين الأشياء التى ترمز إليها « فالقبعة » مثلا أو أغطية الرأس على العموم تعتبر من الرموز الغامضة ، وهى فى العادة رمز مذكر وإن كانت تجىء من الحين للحين كرمز مؤنث . و « المعطف » بالمثل يدل على رجل ولو أنه قد يدل فى بعض الأحيان على الأعضاء الجنسية عموماً من غير تمييز ، ولكم

ويعود لسان الدين — وهو لا يدرى بما حدث ، ويجتمع الفقهاء والعلماء يقررون مصير لسان الدين . ولا بد من الفتيا وقد أقام لسان الدين ينتظرها فى السجن الذى زجوه به حتى إذا جاءته كانت تحتم قتله .

عرف لسان الدين أن الأمر قد تم ، وأن السهم قد نفذ ، وأن لا مرد لأمر الله ، فحنّ من بين مصائبه وآلامه وإحنه وسلاسله وأغلاله إلى نظرة فى كتبه ، وإلى كلمات يريد أن يضيفها على آخر كتاب لما يكمله . وتلهف إلى جامع غرناطة وجامعتها ، حيث كان يلقى دروسه قبل أن يقرر كفره .

وقطع هذه التأملات جلجلة السلاسل ، وجاءه قوم غلاظ يحملون المشاعل يتقدمهم رجل فيه بسطة فى الجسم لا قبل للسان الدين وهو فى الثالثة والستين من العمر بمثلها . تقدم هذا العملاق من السيامى الشيخ الفيلسوف الطبيب العالم الفقيه الشاعر الأديب يزيح لحيته التى وخطها الشيب ، فلم يبق من سوادها إلا ما بقى من سواد تلك الليلة .. يزيح لحيته ليمهد لقبضته الخشنة القوية من عنقه مكاناً يخنقه منه ، ووضع ركبته على صدر الرجل وأخذ عنقه وتحسس فيه البلعوم فقبض عليه قبضة شديدة منكرة تزايلت لها وتلاينت وتقلص وجه الرجل واختلفت سحنته ورفس من احتباس النفس رفساً شديداً فارحمه . واحتقن الدم احتقاناً مروِّعاً وجحظت عيناه جحوظاً غريباً كأنها تفتش عن الكفر الذى رمى به ... ثم تخافتت نفسه ... وفاضت روحه التى ملأت الأندلس أدباً وعلماً وفناً

وزفت بشرى خنقه إلى من حكم بقتله ، فأمر بإخراج جثته وإحراقها علناً ... وهكذا كان ... فما بقى للسان الدين غير اسم عظيم وتراث خالد .

وعرفت ابنة أخى لسان الدين هذا ... فاتشحت بالبياض حداداً (١) ... وخرجت هى وأترابها حيث أحرق ... وهناك قرأت عليهن قوله :

لم يكن وصلك إلا حلماً فى الكرى أو خلسة المختلس

وأسكبت على الأرض التى قد يكون فيها شىء من رماده دمعات من مقلة زرقاء .

منيبة الكيلانى

(١) حداد الأندلسيين البياض ، وحداد المشارقة السواد .

أن تتساءلوا عن السر فى هذا . أما « ربطة الرقبة » فباعتبارها شيئاً يتدلى إلى أسفل ولا ترتديه النساء فهى بلا شك رمز مذكر بينما « الملابس الداخلية » أو « الكتان » على العموم يمثل الأنثى . و « الملابس » و « البزة الرسمية » كما قلنا تمثل العرى أو جسم الإنسان . و « الأحذية » (والشباب) تمثل الأعضاء التناسلية الأنثى . و « الموائد » و « الخشب » قلنا عنها إنها رموز محيرة ولكنها مع ذلك رموز مؤنثة ؛ ومن المحقق أن « عملية تسلق » السلالم أو الأماكن الوعرة عبارة عن رمز للعملية الجنسية . وقد نلاحظ إذا دققنا النظر أن اطراد النغم أثناء التسلق هو النقطة المشتركة بين العمليتين ، وربما أيضاً ازدياد اللهفة الذى يصحبهما ، واحتباس النفس كلما أوغل المتسلق فى الصعود .

رأينا أن « الأصقاع » تمثل الأعضاء التناسلية للأنثى ، والجبال والصخور عبارة عن رموز للقضيب . و « الحديقة » وهى رمز يتكرر ظهوره باستمرار تشير إلى الجهاز التناسلى للأنثى بينما « الفاكهة » تقوم مقام النهود لا الطفل . « والحيونات المتوحشة » تدل على الأشخاص المنفعلى الحواس ومن ثم على الدوافع الشديدة والعواطف الآثمة . و « النور » و « الأزهار » تمثل الأعضاء التناسلية للأنثى ، وعلى الأخص وهى عذراء . وبهذه المناسبة أذكركم بأن النور فى الحقيقة عبارة عن أعضاء التناسل فى النبات .

ونحن نعلم من قبل كيف تستعمل الحجرات كرموز ، وقد نستطيع أن نتوسع قليلا فى هذا التمثيل فنقول إن : « النوافذ » و « الأبواب » (وهى المداخل إلى الحجرات والمخارج منها) قد تعنى فتحات الجسم ، ومما يتفق مع هذا التمثيل الرمزى أن الحجرة تكون « مفتوحة » و « مغلقة » . والمفتاح » الذى يفتحها هو من غير شك رمز للقضيب .

هذه مادة لا بأس بها تصلح لدراسة الرمزية فى الأحلام ، وهى ليست مادة كاملة ، فقد نستطيع أن نتوسع ونتعمق فيها معاً . ولكنى مع ذلك أظن أنها قد تبدو لكم أنها أكثر من اللازم وربما لا تجوز لديكم القبول فيتساءل الواحد منكم قائلا : « أترانى حقاً أعيش وسط رموز جنسية ! ؟ أكل هذه الأشياء التى تحيط بى ، والملابس التى أرتديها ، والأدوات التى أستعملها عبارة عن رموز جنسية دائماً ولا شىء غير ذلك ؟ » . وهناك فى الواقع أسباب وجيهة تدعو إلى هذه الدهشة والتساؤل ، وقد يكون أول هذه الأسباب هو : كيف ندعى أننا استطعنا الوصول إلى معنى هذه الرموز التى تظهر فى الأحلام فى الوقت الذى نقول فيه إن الحالم نفسه لا يستطيع أن يمدنا عنها بمعلومات تذكر ؟

وجوابى على ذلك أننا نستق معلوماتنا من مصادر كثيرة مختلفة : نستقيها من الأساطير والخرافات ، والملح والنوادر ، وقصص الأولين ، أى نستقيها مما نعرف عن أقوال وأغانى الشعوب المختلفة والعادات والأخلاق التى كانوا عليها ، ومن طريقة استخدامهم للغة فى الشعر وفى الكلام الدارج . ففى كل من هذه المجالات المختلفة نعثر على نفس الرموز ، وقد نستطيع فى كثير منها أن نقف على المعنى المراد فى غير حاجة إلى دراسة سابقة لها . فإذا نظرنا إلى هذه المصادر المختلفة كل على حدة فسنعثر على كثير من الرموز التى تطابق ما يظهر فى الأحلام مما يضطرنا إلى الاقتناع بصحة طريقتنا فى التفسير .

قلنا إن جسم الإنسان كما يقرر « شرنر » كثيراً ما يرمز إليه فى الأحلام بمنزل ، فإذا توسعنا فى هذا التمثيل الرمزى قليلا ، فإن النوافذ والأبواب والبوابات تقوم مقام فتحات الجسم ، والجدر كما قلنا إما أن تكون ناعمة ملساء ، أو تحتوى على بروز وشرفات تصلح للتعلق بها . وهذا التمثيل الرمزى نفسه نراه فى اللغة الدارجة ، فنحن مثلا نتكلم عن « سقف من الشعر » ، كما إننا نقول عن شخص ما إن « طابقه الأعلى » ليس على ما يرام(١) . وفى علم التشريح كذلك تسمى فتحات الجسم « بالبوابات »(٢)

وقد ندهش لأول وهلة عندما نجد أن الآباء والأمهات يظهرون فى أحلامنا كملوك وملكات ، ولكنا نجد شبيها لهذا فى (الحواديت) . ألا نشعر عند ما نسمع كثيراً من (الحواديت) التى تبدأ بالكلمات : « يحكى ذات يوم أن ملكا وملكة » أنها

---

(١) الزميل القديم يلقب فى ألمانيا « بالبيت القديم » (altes Haus) والاصطلاح « ضربة واحدة على سقفه » (einem aufs geben) يقابل عندنا الاصطلاح « ضربه على أم رأسه » .

(٢) الوريد « البابى » يحمل الأغذية من الأمعاء إلى الجسم عن طريق الكبد . و « البواب » (pyrotus هو المدخل إلى الأمعاء الدقاق كما أن فتحات الجسم تسمى باللغة الألمانية Leibespforter ومعناها الحرفى هو « بوابات الجسم » .

تعنى بكل بساطة « يحكى ذات يوم أن أبا وأما . » ؟ كما أننا نجد الأطفال فى الحياة العائلية يلقبون بالأمراء على سبيل المزاح ، والأكبرفيهم يلقب بصاحب السمو . والملك نفسه يدعى أبا الشعبة ، وكذلك نجد الأطفال فى كثير من الممالك يتحدث الناس عنهم كحيوانات صغيرة ، فيقولون مثلا : « ضفدع صغير » أو « حشرة صغيرة » كما فى ألمانيا .

والآن دعونا نعد مرة ثانية إلى التمثيل الرمزى بالمنزل . إذا كنا فى أحلامنا نتخذ من البروز التى فى المنازل حوامل نتعلق بها الا يذكرنا هذا بقول عامى معروف جدا فى اللغة الألمانية للدلالة على المرأة ذات الصدر الناضج وهو : « لأن لها شيئاً يستطيع المرء أن يتعلق به » (١) (Die hsf efwas zkm anhalfen) بينما هناك قول عامى آخر للدلالة على نفس المعنى وهو : « أن هناك كثيراً من الخشب أمام منزلها » . (Die haf viel holz vovdem hanse) كأنما كان هذا القول على بالنا عند ما قلنا فى تفسيراتنا إن الخشب يرمز إلى المرأة أو الأم .

وهناك شىء آخر يجب أن يقال بخصوص الخشب ، فليس من السهل أن نرى على الفور كيف صار استخدامه للدلالة على المرأة أو الأم ، ولكن المقارنة بين عدة لغات قد تفيدنا فى هذه الحال . يقال إن الكلمة الألمانية holz (خشب) مشتقة من نفس المصدر الذى اشتقت منه الكلمة الإغريقية التى معناها المادة الخام . وهذا مثل لعملية ليست نادرة الحدوث ، وهو أن اسماً يدل على المادة على العموم قد صار استخدامه أخيراً للدلالة على مادة معينة فقط . والآن لعلكم تعرفون جزيرة « ماديرا » (Madeira) التى تقع فى المحيط الأطلنطى والتى أطلق عليها البرتغاليون هذا الاسم عند ما اكتشفوها لأنها كانت فى ذلك الوقت مغطاة بغابات كثيفة ، إذ أن كلمة Madeira فى اللغة البرتغالية معناها الخشب . ولكنى أحسبكم لن تغفلوا عن أن تلاحظوا أن كلمة Madeira ما هى إلا صورة منقحة من الكلمة اللاتينية Madeira التى تدل أيضاً على المادة عموماً . ولكن Madeira مشتقة من Mafer ومعناها الأم . والمادة التى يصنع منها أى شىء يمكن أن ينظر إليها على أنها قد تسببت فى ولادة هذ الشىء . وعلى هذا فنحن فى استخدامنا الخشب كرمز للدلالة على المرأة أو الأم إنما نحيى هذه الفكرة القديمة .

والولادة يعبر عنها غالباً بأشارة إلى الماء ، فإما أننا نغوص فيه أو نخرج منه ، أى أننا نلد أو نولد . وهذا الرمز يجب أن لا ننسى أنه يشير إشارة مزدوجة إلى الحقائق الثابتة فى نظرية التطور . فالثدييات البرية ، التى نشأ عنها الجنس البشرى ، لم تهبط من كائنات تسكن الماء فحسب ، بل إن كل ثديىّ ، أو كل كائن حى ، قد أمضى الفترة الأولى من حياته فى الماء — أى كجنين فى السائل الأمنيونى الذى يملأ رحم الأم وبذا يكون عندالولادة قدخرج من الماء . وأنا لا أقرر أن الحالم على علم بشىء من ذلك ، بل إننى على المكس أصرح لكم أنه لا حاجة به إلى هذا العلم ، فهو فى الغالب يعلم شيئاً آخر مما كان يحكى له وهو طفل ، ولكنى أقرر كذلك أنه حتى هذا لا دخل له فى تكوين الرموز . فالطفل تقول له مربيته إن طائراً كبيراً (أبو حديج) هو الذى يقوم بإحضار الأطفال ، فإذا سأل : ومن أين يأتى بهم ؟ قيل له من البئر أو من (الفسقية) أى من الماء مرة أخرى . وقد حدث لأحد مرضاى الذين قيلت لهم هذه الحكاية وهم أطفال (وقد كان فى هذا الوقت « كونتاً » صغيراً) أن اختفى طيلة بعد الظهر وأخيراً وجد راقداً على حافة البحيرة التى فى القصر وقد انحنى وجهه الصغير على صفحة الماء الرائعة وأخذ يحدق فى لهفة علّه يستطيع أن يلمح الأطفال الذين فى قاع الماء .

وفى الأساطير التى تروى عن ولادة الأبطال ، وقد قام « أو . رانك » (O. Knka) بدراسة وافية لها ، نجد أن التعرض للماء والنجاة منه يلعبان دوراً كبيراً . وقد أدرك « رانك » أن هذا يرمز إلى الولادة بطريقة شبيهة بالطريقة المستخدمة فى الأحلام . فالشخص الذى يرى فى الحلم أنه ينقذ أحداً من الماء ، يجعل هذا الأحد أماً له ، أو أماً على أية حال . وفى الأساطير نجد أن من تنقذ طفلا من الماء تعتبر نفسها أمه الحقيقية . وهناك نادرة تروى عن طفل ذكى من بنى إسرائيل ، وهى أنه عند ما سئل من تكون أم موسى ، أجاب على الفور : « الأميرة » . فقيل له : « كلا إنها التقطته من الماء فقط » . فأجاب : « هذا ما تقوله هى » . وقد دل بذلك على أنه قد وقع على التفسير الصحيح للأسطورة .

(يتبع) محمد جمال الدين حسنه

(١) ونحن فى الواقع نقول : « فلان متعلق بفلانة » فكأنما الحلم يجسم هذه الفكرة .

من ذكرياتي في بلاد النوبة :

إلى عنيبـــة ! !

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

ماكاد القطار يتحرك من أسوان متجها إلى الشلال . حتى أحسست وزملائي براحة لا تدانيها راحة ، وهدوء لا يماثله هدوء فقد مكثنا بأسوان خمسة أيام بلياليها على الرغم منا . إذ أننا لم نجد أمكنة في الباخرة التي ستقلنا إلى ذلك المكان النائي البعيد في بلادنا المصرية .

وعجيب أن نشعر بالراحة والطمأنينة ، ونحن في طريقنا إلى بلدة لا نعرف عنها شيئا ، ولا ندري من أمرها إلا ما رغب عنها مما استمعنا إليه من أفواه المتحدثين — ولكن هذا دائما شعور كل مسافر ، فإنه يود أن يصل إلى غايته بأي ثمن .

ولا يمكنني بوجه من الوجوه أن أعبر عن مقدار الرهبة التي سيطرت علينا ، والخوف الذي ملأ قلوبنا عندما وصل القطار إلى الشلال . وعندما شارفنا النيل ، باتساعه وروعته ... ووقف القطار وزكت أنوفنا رائحة الشواء المعجيب .. شواء السمك ، والطعمية وألوان مختلطة من الأطعمة الملونة بالتراب ، والرمال التي تهب مع الريح من فوق السفح والجبل من هنا وهناك ..

وركبنا الباخرة البطيئة (توشكى) وهي إحدى البواخر المصرية التي استولت عليها الحكومة السودانية ظلما سنة ١٩٢٥ ، وأخذنا أماكننا في ثلاث مقصورات متجاورة ، وسارت الباخرة في الثانية مساء رويداً رويداً ، تشق صفحة الماء في بطء ، وكأنما هي شيخ محطم أثقلته الخطوب ، وآدته فوادح الزمن ، فمضى يعدو ، ويجمع قواه المتهدمة ، ويلهث ويحشرج ، ومع هذا تخونه دائما قواه ، ولا يحصل من هذا كله إلا على ما يكفيه ليسير بطيئا ، متئد الخطا ، كأنما يجر وراءه جبال الدنيا بأرسان من حديد .. !

يا لله : إننا لا نرى من هنا أو هناك ، سوى جبال شامخة ، بينها تلول من الرمال .. ما أروع هـذا المنظر العجيب .. جبال سمراء ، وأخرى حمراء قانية ، وبينها رمال منسابة متحدرة ، تخالها أنهارا من الذهب الوهاج . !

وهنا وهناك على الشاطىء من الجانبين نُجوع تختلف باختلاف طبيعة الأرض ، فهذا نجع يرتفع عن شاطىء النيل بمتر واحد أو مترين على الأكثر ، ويحتضنه الجبل في حنان ودعة ، كما يحتضن الأب الرحيم ولده في حرارة الشمس اللاذعة خشية أن تفتك به ، وتضربه ضربة لا يفيق منها مدى الحياة .

وهذا نجع آخر يسير مع الشاطىء في تتابع وتناثر .. بيوت متواضعة متفرقة إن صح أن نسمى هـذه الأكواخ المتواضعة بيوتا وتسير مع الشاطىء ألف متر أو تزيد ، بيد أنها ليست عريضة عامرة بالسكان ، آهلة بالناس ، ولكنها ضيقة لا تكاد ترى فيها أثراً من آثار الحياة ، اللهم إلا أشباحا هزيلة ضعيفة ، تبدو عليها آثار الفاقة ، وسيما الضنى واللوعة ، والأسى والهمود .

وهذا نجع ثالث تخاله ميتا لا يتنفس فيـه حي ، ولا يعيش فيه مخلوق ، ولكن الباخرة إذا وقفت ، وارتفع صفيرها في الجو ، انبعث الرجال والنساء من كل حدب وصوب ، يتلقون (القافلة) المائية . التي تسير في عرض النيل على بركة الله ، تحمل لهم الزاد والمؤنة ، والكسى والمتاع .. إنهم ينتظرونها مرة في كل أسبوع قادمة من الشلال ، ومرة أخرى قادمة من حلفا ، وفيها البريد .. حتى إذا ارتفع في الهواء لها دخان ، وعلا لهـا صوت ، انطلقت الحناجر مدوية من هنا وهناك ، في فرح ومرح وبشر وسرور ، فهذا موعد الرسائل من الأحباب والأزواج ... والآباء والأعمـام .

أجل فأهل هذه النجوع بحيون وأكثرهم نساء مترملات أو في حكم المترملات ، فهن لم يفقدن العائل بالموت ، ولكنهن فقدنه بالبعد والفراق ، وطول المسافة التي يضل فيهـا الرسول ، والنوى الذي يكاد تتقطع معه سبل الوصل واللقاء ..

وهذا نجع رابع — ومثله كثير — مرتفع جدا ، فهو على ارتفاع خمسين مـترا تقريبا من سطح النيل ، على ربوة مرتفعة صخرية ، عليها المساكن شامخة على الرغم من حقارتها ، عزيزة مع ما هي فيه من ضآلة الشأن ، وقلة القيمة . إن الباخرة لتقف أمام هذه النجوع كأنما هي سائلة حقيرة تستجدي الأكف ،

وتطلب من الناس المعونة والاحسان . !

يا لله ! ما أعجب هؤلاء الذين يقبلون من فوق الجبل من الرجال والنساء ، والبنات والأولاد الصغار في سرعة عجيبة ، يقفزون فوق الصخور ، على مسافات شاسعة ، بسرعة توقعك في الحيرة والخوف ، تظن بأن أحدهم سينحدر إلى الهوة العميقة لاقيامة له منها ، ولكن شيئا من هذا لم يحصل . وكأنما بينهم وبين هذه الصخور المحدبة الدقيقة عهد وميثاق ، لا تؤذى أحدا منهم أو تناله بمكروه . وما أعجب مظهرهم وهم يفدون زرافات ووحدانا في ثياب بيض ، وعمائم مثل الثياب . تتماثل كلها في طرازها وهيئتها وحيا كتها . وما الثوب إلا قميص له جيب واسع ، وأكمام فضفاضة ، والعمامة مكورة في ضخامة تأبى القلة ، وتأنف من البخل والتقتير ، ومن تحت العمامة ترى هذه الوجوه السود ، وتلمع تلك الأسنان الناصعة البياض ، وتلك العيون الحوراء . وتلوح من جيب القميص ، تلك الصدور السود .. ومن أسفل القميص تلك الأرجل المفلطحة .. إنه لمنظر يستهوى الأفئدة . ويسبى العقول ، وخاصة تلك السذاجة التي تدفعك دفعا لاحترام هؤلاء ، أو بالحرى الرثاء لحالهم ، والإشفاق بهم ، والعطف عليهم أجل . فانك إذا تفقدت أحوالهم ، واطلعت على مواردهم ، أخذ العجب منك كل مأخذ ، وملك الدهش عليك عواطفك . ووجدت نفسك متسائلا في إلحاح : من أين يعيش هؤلاء ؟

ولن تجد جوابا شافيا على تساؤلك ، سوى الإيمان المطلق والتسليم المطلق . الإيمان بالله الخالق الأكبر ، والتسليم لله الذي لاينسى ، ومحال أن ينسى عبدا خلقه وسواه ، وشق سمعه وبصره ، فخالق الكون كفل الرزق والحياة لكل فرد من الناس ، مادام له عمر ممدود ، وأجل محدود ، كائنا من كان ، صدق الله العظيم . « وفي السماء رزقكم وماتوعدون »

وكأني بهذا الشيخ المقبل من نجع (السبوع) لناية في نفسه ، فاهي ياترى هذه الناية ؟ إن منظره ليثير في النفس عوامل الأسى واللوعة ، والشفقة والحزن .. إنه قد جاوز الثمانين دون ريب .. أحناه الدهر فكأنما هو قوس متحرك . يتوكأ في بطء شديد على عصاه . وكأنما هذه العصا رجل ثالثة يدب بها على الأرض ، لارتيابه في رجليه واعتقاده أنهما لم يحملاه إلى ما يريد ، ومع ذلك فهو يهرول بشدة ، ولكنه لايبلغ السرعة التي يريدها ويتمناها ، فإن أنفاسه منقطعة ، وعبئه شديد الوطأة ، أليم الخطر ..

ويلاه .. لقد وصلت الباخرة ورست على الشاطىء أمام نجع (السبوع) ووصل الشيخ المتهدم إلى المرفأ ، وجلس متكئا على عصاه أيضا ، واعتمد برأسه عليها في اطمئنان عجيب .. ولكنه لم يسافر ؟ ولم ينزل إليه من الباخرة أحد ؟ حتى أن من نزل لم يعرج عليه .. ترى أكان ينتظر بريدا ؟ أم تموينا ؟ أم عزيزا لديه من ولد أو حفيد ؟ لم يبد عليه شىء من ذلك ، بيد أن ملامحه كانت تنطق بشىء خفى غريب ، ذلك أنه يأنس بالباخرة ، وأصوات من فيها ، ويطرب بذلك الهرج الذي يحدثه الركاب حينما تقف بين حين وحين . إنها تذكره بعهد الشباب والصبا ، يوم أن كان يقفز هنا وهناك دون حاجة إلى سند أو معين ولا افتقار إلى تلك العصا اللعينة التي تضيق عليه الخناق فهي تلازمه في كل مكان وزمان .. ومن يدرى فربما تذكره هذه الباخرة بابن له افتقده في ميعة صباه فهو يحن إليها كلما ترسو ، فيقبل وكأنما ليلقى فيها ابنه الراحل ، وفلذة كبده العزيز .. وارتفع صفير الباخرة وأخذت تبتعد عن المرفأ ، فجمع الشيخ أطراف نفسه ، وقام متحاملا عليها ، وعاد كما جاء ، ولا يزال ببصره عالقا بالباخرة ومن فيها وكأنما يودعهم الوداع الأخير .

عبد الحفيظ أبو السعود —

للعبرة والتاريخ

نهاية دجال

للأستاذ حسني كنعان

ظهر منذ سبعة عشر عاماً فى غوطة دمشق ، إحدى جنان الدنيا ، رجل أمى يدعى « طه أبا الورد » تخرج فى « الطريق » على بعض مشايخ الصوفية ، ثم جمع حوله فئة من القرويين الجهال وقطاع الطرق . فتزيا بزى العلماء وأخذ يخرق عليهم وينشر عن نفسه الدعاوى المضللة فى قرى الغوطة على يد طائفة من الأتباع الذين أذاعوا عنه الأخبار الملفقة كادعاء أنه هو النبى المنتظر فى آخر الزمان الذى يطهر البشرية من أدرانها وأوشابها ، وأنه من الملهمين الذين يوحى إليهم ، وأنه يبرىء المرضى ويحيى الموتى ويطعم الجائعين ، فأصبح فى قريته « عربين » مليكا غير متوج ، وشاد مسجداً فى ضاحية القرية وجعل فيه « زاوية » له بين الخمائل الوارفة ومنحدرات السواقى والأنهار وبين الورود والرياحين، ونصب فيها كعبة مزوقة يتوسطها صندوق من زجاج فيه حجر أسود . وجعل الطواف حولها يغنى عن شد الرحال إلى الكعبة فى مكة ، فجازت هذه الشعوذات على بعض القرويين السذج ولقيت عندهم سوقاً رائجة ، ونال صاحبنا بمر الأيام شهرة فائقة وصيتاً بعيداً تجاوز الغوطتين الشرقية والغربية إلى جبال القلمون ، وأقبل عليه الناس زرافات ووحداناً وقدموا إليه الهدايا والأموال فغنى بعد فقر ، وأثرى بعد إملاق .

وعلم بأمره علماء دمشق فثارت ثائرتهم ، وذهبوا إليه فى قريته يستطلعون طلعة ليقفوا على خبره ، ولكنه كان يتظاهر أمامهم بالورع والتقوى ، ويدعى أنه استطاع أن يجعل من اللصوص وقطاع الطرق قوماً متعبدين متنسكين بعد أن استتابهم وأصلحهم ولم يستطع أحد من الوافدين على هذا « المخلوق » أن يقف على جلية أمره .

وبدا لى أن أزوره فى يوم جمعة . وكان رسولى إليه من أشد أتباعه تعصباً له ، وكان لا يألو جهداً فى أن يحدثنى — ونحن فى طريقنا إليه — عن معجزاته وخوارقه ، ويحذرنى من الظهور أمامه بمظهر غير لائق بمقامه الرفيع أو الشك فى أعماق نفسى بصدق دعوته ونبوءته ، لأن الرجل يعرف خفايا القلوب وأسرار النفوس، فإذا لقى أمامه إنساناً جاحداً أو كافراً مسخه قرداً أو ابن آوى ، ثم قال لى : أنت رجل « ابن حلال » حسب ما يبدو لى فافهم ما قلت لك . فأجبته ضاحكا : لا تخف ، فأنا لم أقصد صاحبك إلا من أجل أن أهتدى بهديه وأطهر نفسى مما علق بها من الرجس ، فبرقت أسارير صاحبى واطمأن إلى وطمع فى رضا سيده عنه وتقريبه إليه . ولما بلغنا المكان الأقدس سمعنا أصوات المؤذنين تتجاوب بها المآذن ، وشهدنا زحاماً عظيما على بابه ، فشق لى صاحبى طريقاً للوصول إلى المصلى فدخلته ورأيت الناس ما بين قائم وقاعد ومتوضىء ، ودنا وقت الخطبة ، فخرج على القوم شيخهم غائر العينين ، وتراكض القرويون إليه يقبلون يده فحسبته صاحبهم وهممت أن أفعل فعلهم لولا أننى سمعته يقول : استعدوا فنبيكم قادم ، فأدركت أنه أحد صحابته المقربين ، وما لبث الشيخ أن أقبل على مهل ، وروائح الند والكافور والطيب تضوع من أردانه ، فخر القوم سجداً وبكياً ، فرأيت عملا بوصية ديدبانى أن أفعل فعلهم ، ولم أدر ماذا كانوا يقولون فى سجودهم غير أننى سمعت رجلا إلى جانبى يقول : « يا أبا الورد ، يا منير الظلمة فى اللحود ، ويا منقذ الصحب فى اليوم الموعود ، كن لنا شفيعاً للغفور الودود » ! وقد طال سجودهم ولم يرفعوا منه رؤوسهم إلا بعد دقائق عشر ، ولما نهضوا تقدم فوج النسوة يلثم الأيدى الشريفة ، وتبعهن الرجال وأنا فى مؤخرتهم ، ومذ وقع بصره على وصافحت عيناه عينى حدجنى بطرف موقر وأدرك بثاقب بصره أننى ما أتيت متجشما المصاعب إلا من أجل الوقوف على جلية أمره ، فتظاهر أمامى بالورع والسذاجة وأبدى لى الاحترام ورحب بى ، وصعد المنبر وأخذ يتدفق فى خطابه تدفق السيل وأورد من الأحاديث العجيبة ما لم يسمع به إنسان ، ولو أن « سيبويه » سمعه لفضل الموت انتحاراً ..

وبكى المستمعون ما وسعهم البكاء ، وبدا لهم بثوبه الأبيض الناصع الحريرى ، وعمامته الضخمة المكورة على رأسه والمنتهية بعذبة طويلة كأنه ملاك من الملائكة .. واختتم خطبته ونزل إلى الصلاة وهم يتسابقون إلى التمسح به والسعيد منهم من حظى بلمس

طرف ردائه ، ووقف للصلاة وسبحته الطويلة تهتز على صدره ، ويبدو الكحل فى عينيه خطوطاً سوداء براقة ، وما كاد يقرأ الفاتحة حتى اهتز القوم طرباً لبراعته بالتلحين والتطريب حتى كدت أحسب أنه يغنى «العتابا» أو «الميجانا» ، وانبعثت من حناجرهم الفولاذية الصرخات المدوية ، وأخذوا يبكون فى الصلاة ويجهشون فى البكاء ويقفزون فى الهواء قفزات بهلوانية ويقلدون أصوات الحيوانات فكنت لا أسمع إلا الثغاء والمواء والعواء والجئير والزئير والهدير . ففت فى ساعدى وأسقط فى يدى وهممت أن أنملت من بين الصفوف هارباً ولكنى خشيت سوء العاقبة ، وقضيت الصلاة بعد ساعة شعرت فيها أن الأرض قد دارت بى مما عرانى من الإعياء والتعب ، فلقد كان يطيل ركوعه وسجوده ويتنطع ويتقعر فى القراءة ، وتلمست طريقاً للخلاص متسللا من بين الصفوف دون أن يشعر بى أحد ناجياً بنفسى ، وفور وصولى إلى دمشق أذعت فى الصحف نبأ ماسمعت وما رأيت محذراً أولى الأمر والرأى العام من خطر هذا الأفاك الأثيم ، فلم تلق صرخاتى آذاناً صاغية ولا قلوباً واعية لأن الحكومة الفرنسية كانت تشجعه وتشجع أمثاله وتلقى لهم الحبل على الغارب وبقى هذا الطاغية يعبث بعقول السذج البسطاء من اتباعه فيسلبهم العقل والمال والعرض منذ بدء العهد به حتى يومنا هذا . وقد مد الله ليتيح له فرصة التوبة ولكنه لم يتب برغم بلوغه الستين من العمر ، فأخذه أخذ عزيز مقتدر ، وألقى الرجل منذ أيام فى غياهب السجن بين جدران حاشرة لا يرى فيها نور الشمس ، وها هو ذا اليوم يدان بفضيحة جديدة تثبت سطوه على أعراض النساء اللواتى كن يستسلمن له ، فضيحة جرت فضائح ، كان لها ريح خبيث ، ودوى مزعج ، وصور لا يستطيع أن يرسم أفحش منها إبليس نفسه

ولقد ثار العلماء وأعلنوا البراءة منه ومن أمثاله ، ونرجو أن يكون مصيره عبرة لكل ممخرق يريد أن يخدع الناس باسم الصوفية والدين ، فحسب هذه الشريعة البيضاء النقية ، ما أصابها من سواد ، وما مسها من عكر !

دمشق حسنى كنعان

كتاب مقاييس اللغة (*)

لابن فارس

للأستاذ حامد مصطفى

تكثر المخطوطات العربية فى مكتبات أوربا كثرة تدعو إلى الإلتفات إلى هذه الثروة العظيمة من أدب العرب وتاريخ العرب وعلوم العرب . ومهما كانت الوسائل التى اجتمعت بها هذه الثروة فى خزائن الكتب الغربية فإن هناك ما يبرر الإرتياح إلى انتقالها إلى تلك البلاد . ذلك أن النهضة العلمية التى قامت فى أوربا على أثر اختفاء نور الحضارة العربية كانت مأخوذة بالحرص على أسباب النهضة ومقومات الثقافة فوجدت فى هذه الكنوز العربية ما يغذى الحركة العلمية ويؤلف عنصراً مهماً من عناصر البحث فأقبلت عليها درساً واهتماماً وحاطتها بكل أسباب العناية والحفظ. هذا على حين كانت العقلية العلمية فى الشرق على الضد من ذلك : فتن وقلاقل وغزوات وانشغال بهذه الحوادث عن العلم والأدب والفنون ، فهجر العلماء والأدباء مواطنهم وفقدوا خزائن كتبهم بسبب هذه الهجرة (١) واغتصبت منهم أحياناً فأحرقت أو رميت فى الأنهار . وما أصاب خزائن الكتب العربية لم يكن إلا بقايا هذه الكتب التى بعثرت فى الأرض فأخذت من أيدى الصبيان والجهلة أو استخلصت من لهيب النيران .

وربما كان أول البلاد التى فقدت ثروتها من الكتب العراق وسورية وأحسنها حظاً فى هذا مصر ، والحوادث السياسية والاجتماعية هى التى تؤول أسباب فقر ذينك البلدين من الثروة العلمية وحسن حظ هذه منها . على أن الأيام قد عادت بنا إلى الأمل بإمكان العثور على بعض من الكتب القيمة التى لم يكتب لها حظ الطبع والانتشار . ففى بعض المكتبات الشخصية فى العراق يمكننا أن نجد مخطوطات تعد فى طليعة الكتب العربية أثراً وفائدة ، منها كتاب العين للخليل بن أحمد وكتاب المحيط للصاحب بن عباد ، والمجمل لابن فارس وغيرها ومن بين هذه كتاب المقاييس فى اللغة لابن فارس . ولا بد من الكلام على شىء من سيرة ابن فارس مع الكلام على مؤلفه الذى نحن فى عرض ذكره . فهو أحمد بن فارس الرازى . ينسب إلى الرى . عاش فى أواسط القرن الرابع الهجرى ومات سنة ٣٩٥ عاصر الصاحب بن عباد وابن جنى وأخذ عنه بديع الزمان الهمذانى الأسلوب المعروف بأسلوب المقامات . وفى عصره ظهر مؤلفو المعاجم الأولى مثل الصاحب بن عباد صاحب المحيط والجوهرى صاحب الصحاح والأزهرى صاحب التهذيب . . وكان أديباً حسن الأدب والشعر ومن شعره قوله :

وقالوا كيف أنت فقلت خير … تقضى حاجة ويفوت حاج
إذا ازدحمت هموم القلب قلنا … عسى يوماً يكون لها انفراج
نديمى هرتى وسرور قلبى … دفاتر لى ومعشوق السراج

وقوله :

إذا كان يؤذيك حر الصيـ … ـف وكرب الخريف وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيـ … ـع فأخذك للعلم قل لى متى

ومن لطيف نظمه قوله :

يا دار سعدى بذات الضال من إضم … سقاك صوب حيا من واكف العين (١)
إنى لأذكر أياماً بها ولسنا … فى كل إصباح يوم قرة العين (٢)
تدنى مشعشعةً منا معتَّقة … تسحها عذبة من نابع العين (٣)
إذا تمززها شيخ به طرَق … سرت بقوتها فى الساق والعين (٤)
والأبريق ملآن من ماء السرور فلا … تخشى توله ما فيه من العين (٥)
وغاب عُزّالنا عنا فلا كدر … فى عيشنا من رقيب السوء والعين (٦)
يقسم الودّ فيما بيننا قسماً … ميزان صدق بلا بخس ولا عين (٧)
وفائض المال يغنينا بحاضره … فنكتفى من ثقيل الدين بالعين (٨)

(*) (الرسالة) : نجد فى هذا العدد إعلاناً عن صدور الجزء الأول من هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ محمد عبد السلام هارون المدرس بجامعة فاروق

(١) من ذلك أن أسامة بن منقذ (٥٨٤) فقد فى طريقه من مصر إلى الشام أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة .

(١) السحاب ينشأ من جهة القبلة (٢) عين الإنسان (٣) ما ينبع من الماء (٤) الركبة الطرق ضعف الركبتين (٥) تعب يكون فى المزادة والتوله التسرب (٦) الرقيب (٧) الميل فى الميزان (٨) المال الحاضر

والمجمل المجتبى تغنى فوائده حفاظه عن كتاب الجيم والعين

ولست تجد شيئاً عن ابن فارس أكثر من مثل هذه الأخبار المتناثرة شأنه من هذا شأن كثير ممن يترجم من رجال اللغة خاصة ، ومن مؤلفاته عدا كتاب المقاييس كتاب المجمل وهو أشهر كتبه ، أخذه سماعاً عمن تقدمه من علماء اللغة الذين يثق بهم . وكتاب متخير الألفاظ ، وكتاب فقه اللغة ، وكتاب الصاحبى فى اللغة صنفه للصاحب بن عباد وهو مطبوع بمصر (١) ، وكتاب نقد الشعر وغيرها من الكتب المفقودة أو الموجودة فى بعض المكتبات المصرية والأوربية . وكتاب المقاييس من أهم مؤلفات ابن فارس فى اللغـة . وقد ذكره له السيوطى فى كتابه المزهر وياقوت فى معجم الأدباء . ولم يذكره له صاحب وفيات الأعيان من المتقدمين ولا الأستاذ جرجى زيدان من المتأخرين فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ، وإنما عرض له فى الجزء السابع من مؤلفه هـذا فى مناسبة الكلام على بعض المكتبات العربية فى العراق . وكتب الأستاذ عبد القادر المغربى فى مجلة المجمع العلمى العربى أنه عثر على نسخة من كتاب المقاييس وذكر أوصاف هذا الكتاب ورسمه وحجمه ولكن هذا الوصف لا يصدق على النسخة التى نكتب هذه الكلمة عنها وربما كانت النسخ التى رآها ليست كتاب المقاييس أو أنها إيجاز له . فقد قال أنها تبلغ ٧٧٩ صفحة وهى بقطع دون المتوسط وخطها من النسخى الحسن الصغير الحروف وفى الصفحة الواحدة ٢٧ سطراً . على حين أن النسخة التى نتكلم عليها تقع فى ١٢٠٠ صفحة من القطع الكبير فى كل صفحة ٢٧ سطراً يبلغ السطر بين ١٦ - ٢١ كلمة بخط نسخى جميل .

وفيما يلى فاتحة الكتاب وخاتمته لتمتاز بهما النسخة الحقيقية من هذا الكتاب الجليل :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله وبه نستعين . وصلى الله على محمد وآله أجمعين . أقول وبالله التوفيق . للغة العرب مقاييس صحيحة وأصول تتفرع منها فروع . وقد ألف الناس فى جوامع اللفظ ما ألفوا ولم يعربوا فى شىء من ذلك عن مقاييس ولا أصل من تلك الأصول والذى أومأنا إليه باب من العلم جليل وله خطر عظيم . وقد صدرنا كل أصل بأصله الذى يتفرع منه مسائل حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل ويكون المجيب عما يسأل عنه مجيباً عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه . وبناء الأمر فى سائر ما ذكرناه على كتب مشتهرة عالية تحوى أكثر اللغـة . فأعلاها وأشرفها كتاب أبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد المسمى كتاب العين . أخبرنا به على بن إبراهيم القطان بعد أن قرأ عليه قراءة . قال حدثنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم المدنى عن أبيه إبراهيم بن إسحاق عن ميدان بن كبرة الأصبهانى ومعروف بن حسان عن الليث . ومنها كتابا ابن عبيد فى غريب الحديث ومصنف الغريب حدثنا على بن عبد العزيز عن أبى عبيد . ومنها كتاب المنطق . أخبرنى به أبى ووالدى فارس بن زكريا عن أبى نصر ابن أخت الليث بن إدريس عن الليث عن ابن السكيت . ومنها كتاب أبى بكر بن دريد صاحب الجمهرة . أخبرنا به أبو بكر محمد بن أحمد الأصفهانى على بن أحمد الساوى عن أبى بكر . فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيها . ومنها استنبطنا كتابنا هذا مقاييس اللغة وما بعد هذه الكتب فمحمول عليها وراجع إليها حتى إذا وقفنا على شىء فيها نسبناه إلى قائله إن شاء الله فأول ذلك كتاب الهمزة ٢٢٠

وخاتمة الكتاب تنتهى هكذا :

« قال الشيخ الإمام الأجل السعيد أبو الحسين أحمد بن فارس وأجزل له الثواب . قد ذكرنا ما شرطنا فى صدر الكتاب أن نذكره وهو صدر من اللغة صالح فأما الإحاطة بجميع كلام العرب مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى أو نبى من أنبيائه عليهم السلام بوحى الله تعالى وعز إليه ... والحمد لله أولا وآخراً وباطناً وظاهراً والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الطيبين الطاهرين أجمعين والحمد لله رب العالمين . تم على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى رحمة ربه الغنى خليفة بن يوسف النجفى فى يوم الجمعة ١٨ رجب المرجب من شهور سنة ١١١٧ (كذا) وألف ٢٢

والطريقـة التى اتبعها ابن فارس فى تأليف هذا الكتاب الطريقة الأبجدية . وذلك أن المؤلف أراد أن يتجنب العيوب التى

---

(١) وفى أوله ترجمة نفيسة لابن فارس بقلم ناشره الأستاذ محب الدين الخطيب

تعرض لها الخليل فى ترتيب كتاب العين ووقع معه فيها أكثر مؤلفى المعاجم اللغوية حتى ظهور الصحاح للجوهرى. مثل الهروى وأبى عمرو الشيبانى فى كتابى الجيم والجمهرة لابن دريد والأزهرى فى التهذيب وابن سيده فى كتابه المحكم.

والترتيب الذى اتبعه ابن فارس فى المقاييس هو الترتيب الأبجدى الذى يلتزم إحداث كتب بعدد الحروف الأبجدية ثم إنشاء أبواب تحتها بعدد هـذه الحروف ناقصاً ما سبق منها ترتيبـه : ترتب الـكلمات فيها على الأصل الثلاثى بحسب ترتيبها الهجائى، ينقص من هذه الأبواب بطبيعة الحال مالا وجود له من الأصول فى اللغة ومما لا يراه المؤلف صحيحاً (وقد شرطنا فى أول كتابنا هذا أن لا نقيس إلا الـكلام الصحيح). مثال ذلك كتاب الهمزة. فانه يبدؤه بالهمزة ومضاعف ما بعدها وهو الباء مثل الأب وأتّ وأثّ وأجّ وأح حتى يستوفى جميع الحروف، ثم يحدث باباً للثلاثى الذى أوله همزة مثـل أبتَ وأبث وأبدَ وأبر .. الخ وباباً للثلاثى الذى أوله الهمزة والتاء وما يثلثهما مثل أتل وأتمَ. الخ وباباً للثلاثى الذى أوله الهمزة والثاء والراء وما يثلثهما مثل أثرَ وأثلَ وأثمَ وأثن وأثوى. وباباً للثلاثى الذى أوله الهمزة والجيم وما يثلثها مثل أجح وأجد وأجر وأجص وأجل ... الخ وهكذا يجرى المؤلف حتى يستوفى حرف الهمزة وما يكمل معـه الأصل الثلاثى متبوعاً بغيره. وبعد أن يفرغ من باب الهمزة ينشىء كتاب الباء ويستوفيه على النحو الذى استوفى فيـه كتاب الهمزة. وكذلك يفعـل حتى يأتى على عدد من الـكتب بعدد حروف الأبجدية متروكا منها ما لا أصل له فى اللغة. والطريقة التى يسلـكها فى شرح الألفاظ هى الطريقة القاموسية التى تعطى لـكل لفظ ما له من معنى معْ شىء من الشواهد وتصنيف المعانى ما وجد إلى التصنيف سبيلاً. وبذلك فهو يجمع بين طريقة المعجم الخالصة وطريقة فقه اللغة. مثال ذلك قوله فى أول كتاب الباء بت. الباء والتاء له وجهان وأصلان أحدهما القطع والآخر ضرب من اللباس. فأما الأول فقالوا البت القطع المستأصل، يقال بتت الحبل وأبتت. ويقال أعطيته هذه القطعة بتاً بتا والبتة اشتقاقه من القطع غير أنه مستعمل فى كل أمر يمضى ولا يرجع فيه : يقال انقطع فلان عن فلان فابتتّ وانقبض. قال شمر

لخـل فى جشم وابتت منقبضاً بحبله من ذرى الغر القطاريف

قال الخليل أبتّ فلان طلاق فلانة أى طلاقاً بائناً .. الخ

وكذلك كلما جاء على أصل من الحروف تتبع له أصوله وإن لم يجد له أصلا أو لم يره نبه على ذلك بمثل قوله : بخ الباء والخاء قد روى فيه كلام ليس أصلا يقاس عليه وما أراه عربياً وهو قولهم عند مدح الشىء بخ وبخبخ فلان إذا قال ذلك مكرراً له. وإذا شذ عن الأصل لفظ عرف بهذا الشذوذ بمثل قوله : وقد شذ عن هذا الأصل كلمتان : قولهم للرجل العظيم الخلق أبد. قال شمر : ألد يمشى مشية الأبد

حامد مصطفى
عضو فى مجلس التمييز الشرعى



من وراء المنظار

ولكنني كسبت القضية!

هي قضية أعرضها عليك يا قارئي العزيز بعد أن كسبتها على حد تعبير حضرات المحامين ...

وأحب أن تعلم قبل أن أحدثك عن القضية أنني رجل لا أطيق أن أرى مخلوقاً في موطن من مواطن الضعف أو المذلة ، ولقد يجبهني شخص بما لا أحب فأفضل ذلك على أن أراه يستعطف ويبكي ؛ ولقد أحب من أحد تلاميذي أن يكلمني في شيء من الجرأة وأن يجهر لي بالقول ، ولا أحب منه أن يستخزي ويضعف ويستكين ...

ومن أراد أن يزحزحني عن شيء عقدت العزم على ألا أتزحزح عنه ، ومن أراد أن يستلب مني أي شيء عزيز علي إن كان ثمة عندي ما يستلب ، فليأت إلي ثم فليتصنع الضراعة وليظهر التفجع والتوجع فإنه إذ ذاك يراني تراجعت تراجعاً عجيباً ثم ليجهش إجهاشة واحدة فعندئذ يراني قد سلمت تسليماً ...

وليغفر لي القارئ إسرافي هذا في الحديث عن نفسي فما كنت لأفعل لولا أنه يتصل بسبب قوي من قضيتي التي أريد أن أتحدث عنها ...

دخلت على أحد ذوي قرباي في بيته وهو ممن يشغلون أحد المناصب الكبيرة ، فلمحت في وجهه من أمارات الغضب والتكره ما لم أر مثله من قبل في هذا الوجه السمح ، وما كاد يراني حتى ابتدرني بقوله : أدخل هذه الحجرة فستجد سيدة مع زوجتي فأخرجها وإياك أن تبطيء أو تتهاون .

فدخلت الحجرة مندهشاً ، فإذا بي تلقاء سيدة في حدود الأربعين غارقة في دموعها كما يقولون ، وبقطار منديلها الدمع وتمسح عيناها سحاً وتجهش حتى لا تكاد تبين الكلام ، وإلى جوارها ابنة لها في نحو الخامسة عشرة حسناء رائعة لولا ذبول وصفرة في محياها ونحول في بدنها ، وطفلان أحدهما في العاشرة أو فوقها قليلاً والثاني طريده في العمر ، وكانت البنت تجهش لإجهاشات أمها والطفلان ينظران في دهشة وألم ويمسح كبيرهما عينيه بمنديله .

وعلمت أن زوج السيدة مختلس ، وأن التحقيق أدانه ، وأن زوجته باعت حليها وأدت عنه ما اختلس ، وأنها علمت أنه سيطرد من عمله وأن قريبي هو الذي أعدمذ كرة يقترح فيها هذا الطرد ؛ وأخرجت السيدة صورة طفلين آخرين من أولادها وقالت ما ذا نصنع جميعاً وإلى أين نذهب ؛ ثم أجهشت إجهاشة طويلة استفرغت فيها كل ألمها ووضعت بنتها وجهها بين كفيها وشهقت شهقة طويلة

وما وقعت والله عيناي على صورة الطفلين الصغيرين ، وما سمعت بكاء الأم وبنتها حتى انخلع قلبي وأحسست بالدموع تتساقط على وجنتي ساخنة وأنا لا أدري ماذا أقول ، وما أحسبك أيها القارئ إلا تحبس دمعك في جهد الآن أو لعلك تسخر مني وتضحك من ضعفي سامحك الله ...

واستبطأني قريبي فناداني ، فخرجت إليه وأنا على هذه الحال ، ورحت أتوسل إليه أن يخفف العقاب ، قائلاً ما ذنب هؤلاء وأين تذهب هذه البنت ؟ وكيف تطعم الأم هؤلاء الصغار ؟

ونظر إلي طويلاً وهو يتفكر ثم قال : « ولكنه مختلس وإنه يسلب حق المجتمع ، إنني تلقاء اختلاس محض ... ألم يكن يعلم هذا المختلس السافل أن له زوجة وبنتاً وأطفالاً ؟ »

وقلت ناشدتك الله أن تعفيني من سماع هذا كله — ماذا يصنع هؤلاء وما جريرتهم ؟

وتنهد وقال أنت لا تصلح أن تكون قاضياً . فقلت يرحمك الله ما سألت أحداً أن يجعلني قاضياً ، ولو أعطيت أضعاف ما أعطى أجراً على عملي ما قبلت أن أكون قاضياً وإلا فقد أطلقت كل مستعطف ودفعت ما أقبض من أجر لكل باك متوسل .

وضحك قريبي وقال : لم أرفع المذكرة إلى الوزير بعد وسأقترح خصم نصف مرتبه وإنذاره بالرفت ...

وأسرعت إلى الحجرة فما كدت أفضي إليها بهذا النبأ حتى أقبلت علي تريد أن تقبل يدي ، فحلت بينها وبين ذلك في رفق ثم سألتها كيف تعيش الشهر بنصف المرتب ؟ فقالت « وعد إخوانه إن وصل الأمر إلى هذا أن يجمعوا له إعانة ... ولكني لن أرضى بهذا وسوف أبيع صيوان الملابس . »

وخرجت ولست أنسى أبداً نظرة الشكر في عينيها وعيني بنتها ، وعدت إلى قريبي فنظر إلي يسخر من ضعفي وأعاد على قوله : أنت لا تصلح أن تكون قاضياً . . وابتسمت وأجبته ولكنني كسبت القضية .

وإياك أن تسخر من ضعفي أيها القارئ ، وخير ما أرجوه لك أن تكون ضعيفاً مثلي وإن لم تبلغ في الضعف حد البكاء .

الخفيف

تعقيبات

جناية أدبية :

لكل شيء في مصر حمى يرعى من رادع القانون أو زاجر الضمير أو حرمة التقاليد إلا مسألة الملكية الأدبية ، فإنها لا تزال كالكلأ المباح ينتهبه الناهبون تحت سمع الناس وبصرهم في غير تحرج ولا تأثم ، وكأن أثر الفكر ، وهو الغالي العزيز ، كتب عليه في هذا البلد أن يكون كالطفل اللقيط ، يصح لأي عقيم من الناس أن يتبناه ...

على أني قد أستسيغ انتهاب الأثر الفكري يتأتى من جاهل يريد أن يتحلى بالانتساب إلى العلم ، لأنه يكون كجرم الجائع إذ يسرق ليأكل ، ولكن كيف يستساغ هذا الجرم من عالم يجب أن يتحلى بأمانة العلم وكرامة العلماء ، وبخاصة إذا وقع من الحي نحو الميت ، ومن الصديق مع الصديق ، وكان الأمر في هذا معلوماً لسائر الناس ؟

وهذه قصة من قصص الجنايات الأدبية التي تقع كثيراً في مصر ، ولكنها غريبة في أطوارها مريبة في تفصيلها ، وإن الأمر فيها ليتجاوز كل ما ألف الناس في هذا السبيل .

يرجع الفصل الأول من هذه القصة إلى أكثر من عشرين عاماً مضت ، إذ كان أستاذنا وصديقنا الأستاذ محمود مصطفى رحمة الله عليه قد تملكته الرغبة في نقل كتاب قصص إلى اللغة العربية بأسلوب جزل يقوي ملكة الأنشاء في الشباب ويقوم ألسنتهم في التعبير ، وما كان الأستاذ محمود مصطفى يعرف لغة أجنبية ، أو قل إنه كان لا يدرك من ذلك القدر الذي يعينه على النقل والترجمة ، ولكنه رأى أن السيد مصطفى لطفي المنفلوطي وهو أيضاً لم يتعلق بلغة أجنبية قد نقل إلى العربية عدة روايات عن الفرنسية وغيرها ، إذ كان يعتمد في هذا على مترجم ينقل له نقلا حرفياً ، ثم يأخذه فيصقله صقلا عربياً مبيناً ، بعد أن يتصرف فيه على هواه ويجري به في السرد كما يرى ، ومن ثم قوبلت روايات المنفلوطي هذه بالارتياح والتقدير من ناحية أسلوبها العربي ولكنها قوبلت بالاستنكار من ناحية ارتباطها بالأصل الأجنبي ، حتى قال أحد الأدباء إن من الخطأ والإسراف أن يسمى المنفلوطي عمله هذا نقلا وترجمة وإنما الأحرى أن يسميه مسخاً وتشويهاً .

ثم كان أن نهض الأستاذ الزيات (صاحب الرسالة) بترجمة « رفائيل » و « آلام فرتر » عن الفرنسية بأسلوب عربي هو أسلوب الزيات ، وفي رعاية دقيقة للأصل الأجنبي مكنه منها حذقه للغة الفرنسية ، فقوبل هذا العمل ببالغ التقدير والثناء في الدوائر الأدبية ؛ وكان هو الباب الذي دخل منه « الزيات » إلى ما بلغ من مجد أدبي .

وعلى نهج الأستاذ الزيات أراد أن يسير الأستاذ محمود مصطفى في تنفيذ رغبته ، وأن يراعي في نقل الكتاب الذي يريد نقله دقة الارتباط بالأصل الأجنبي حتى يتقي ما وجه إلى المنفلوطي من نقد وأن يكسب ما كسب الزيات من تقدير ، وقد كان واختار « يوميات الفيلسوف القانع » واعتمد على الأستاذ أسعد عبد الملك — وكان زميلاً له في وزارة المعارف — في نقل هذا الكتاب نقلا حرفياً ، ثم ترك أهله وداره وسكن مصر الجديدة ليتفرغ إلى صقل الكتاب في الأسلوب الذي يريد ، وقد تم له ما أراد وظهر الكتاب في طبعته الأولى وعليه اسم الأستاذ محمود مصطفى — وفيه أسلوبه وروحه وجهده ، وإلى جانبه اسم الأستاذ أسعد عبد الملك الذي نقله عن الفرنسية نقلا حرفياً ... وكان الأستاذ محمود مصطفى شديد الاعتزاز بهذا الأثر ، وكان يحدثني كثيراً عما لاقى فيه من العناء ، وقال لي : لا تحسب يا فلان أن الترجمة الصحيحة عمل سهل ، بل إنه عمل أشق من التأليف ...

وفي هذه الأيام ظهر كتاب « يوميات الفيلسوف القانع » في طبعة ثانية ، ولكنه يحمل اسم الأستاذ أسعد عبد الملك وحده ، ويعلل حضرته هذا الاستئثار بملكية الكتاب بأنه أولا رأى أن أسلوب الكتاب في طبعته الأولى أشبه بأسلوب الجاحظ وابن المقفع وكتاب الصدر الأول فعمد إلى تبسيطه وحذف ما فيه من كلمات وتعبيرات رآها غريبة عميقة مما لا يناسب روح العصر كما يقول ، ومن جهة ثانية لأن الأستاذ محمود مصطفى نزل له عن الإسهام في الترجمة بعقد مؤرخ في ٥ — ٩ — ١٩٢٧ م .

أما مسألة تغيير الأسلوب فإنها جناية على الأستاذ محمود مصطفى لأنه مسخ لجهده ، وجناية على الكتاب لأنه حط من قيمته ، على أني قابلت بين الطبعتين فلم أر هذا التغيير إلا في كلمات وتعبيرات كان الأستاذ محمود مصطفى يشرح معناها ، فحسبها

صاحبنا غريبة لا تلائم العصر .

وأما مسألة العقد فقد حدثني الأستاذ محمود مصطفى رحمه الله أنه لما فرغ من الكتاب اتفق مع زميله على أن يتقاضى منه قدراً من المال وينزل له عن الحق المادي فيه ليتولى هو تصريفه وجمع نقوده لأنه لا يصبر على المساومات المادية ، وقد كان هذا شأن الأستاذ محمود مصطفى في جميع ما ألف من الكتب ، وهب أن الأستاذ مصطفى نزل عن حقه الأدبي فهل يكفي هذا العقد لنقل هذه الملكية ، وهل يصح يا أخي لدور النشر التي تشترى حق تأليف الكتب من المؤلفين أن ترفع أسماءهم من عليها وتدعى أنها من تأليفها وعبقرية أموالها ؟ !

إنه في الواقع عمل غير مستساغ ، إنها تجارة بأكفان الموتى إنها جناية أدبية أضع تفاصيلها تحت الأنظار ليرى الناس فيها رأيهم أستاذي يا صاحب الرسالة . أرجو ألا تغير حرفاً من هذا الكلام فيما يخصك أو يخص غيرك ، فإنه حق الأدب والتاريخ ، وإني لأكتب للأدب والتاريخ ، وقد عاش الأستاذ محمود مصطفى يقاسي أهوالا من الجحود ، وأنا لا أرضى — وأنا تلميذه الوفي — أن يلاحقه هذا الجحود في قبره ، نضّر الله قبره ، ورحمه رحمة واسعة ...

ولكنها الأوضاع المقلوبة :

كتب صديقنا الأديب الأستاذ «وديع فلسطين» في جريدة الأنذار التي تصدر بإقليم المنيا يقترح على جامعة فؤاد الأول أن تأخذ بتلك السنة التي استنتها الجامعات الغربية بمنح الأفذاذ من العلماء والساسة درجة الدكتوراه الفخرية دون أن تكلفهم إعداد رسالة خاصة أو أداء امتحان شفهي كما يحدث مع سائر الذين يظفرون بالدكتوراه .

وبعد أن سرد الأديب أسماء بعض العظماء الذين منحوا الدكتوراه الفخرية من الجامعات الغربية والأمريكية مثل الرئيس ترومان والمستر مارشال والمستر بيفن والدكتور تشارلس واطسون والدكتور فارس الخوري ممثل سوريا في مجلس الأمن قال : « أما في مصر فلا نكاد نشعر بأن جامعاتنا تقدر هذه الدرجة الفخرية ، ولذلك لم تمنحها إلا إلى أفراد لا يتجاوز عددهم ثلاثة أو أربعة مع أن في مصر عشرات من الأدباء والعلماء والساسة الذين يخلق أن تفكر الجامعة في منحهم الدكتوراه الفخرية أمثال الأساتذة عباس العقاد وفؤاد صروف وأحمد أمين وأحمد حسن الزيات وأنطون الجميل باشا وخليل ثابت بك وخليل مطران بك ومحمود تيمور بك وإسماعيل صدقي باشا وعبد العزيز فهمي باشا ، فإن جميع هؤلاء وغيرهم يستحقون عن جدارة أن تكرمهم الجامعة هذا التكريم الرمزي بأن تمنحهم شهادة الدكتوراه الفخرية اعترافاً منها بالخدمات الجليلة التي أسداها كل منهم في ناحية من نواحي الحياة العامة » .

وهذا اقتراح حميد في ذاته ، وأنا أرجو أن تأخذ الجامعة بهذا التقليد ، لا لأن الدكتوراه سترفع من قيمة هؤلاء الأساتذة ، بل لأنه سيكون دلالة على أن الجامعة عندنا قد نضجت وأنها تحسن تقدير القيم الفكرية وتعترف للموهوبين بمواهبهم ، وإلا فإن هؤلاء الأساتذة قد أخذوا مكانتهم في تقدير الأمة وفي تقدير الأجيال القادمة ، ولن تستطيع أية دكتوراه في العالم أن تفرض لإنسان مكانة في هذا وإن فرضت له مكانة في وظائف الدولة وأفسحت له مكاناً في مكاتب الحكومة ...

ولكني أرجو أن لا يتم هذا التقليد في هذه الآونة ، لأننا في وقت أفسدت فيه السياسة الحزبية عندنا كل تقدير وكل تصرف ، ولعل لنا في مسألة اختيار الأعضاء لمجمع فؤاد اللغوي أكبر عبرة ، فقد رأينا كيف يختار فلان وفلان أعضاء في هذا المجمع ، على حين ينسى ويهمل الذين هم أهل لهذا من العلماء والأدباء ، ولولا أن أكون عياباً — كما يقول شيخنا الجاحظ — لضربت بالقول رأس فلان وفلان ممن لا يصح أن يكونوا من أهل هذا المجال قلامة ظفر ، ولكن السياسة الحزبية أصرت على أن تربطهم رغم العلم والأدب بهذا المجال .

وكذلك الشأن لو أن الجامعة أخذت بهذا التقليد المقترح ، فإني أتوقع أن تجرى الأمور على ما عرفنا وألفنا ، وسينال الدكتوراه الفخرية كل من هو على شاكلة فلان وفلان ، ولن ينالها أولئك الأدباء والعلماء والساسة الذين ذكرتهم .

يا سيدي . اترك الملك للمالك كما يقول أبناء مصر ، وأنشد مع المتنبي :

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا
بها نبطي من اهل السواد يدرس أنساب أهل الفلا

فنحن في كل أمورنا ما زلنا نأخذ بهذه الأضحوكة ، نجعل تدريس أنساب العرب لكل نبطي أعجمي من أهل السواد ، ونعوذ بالله من انعكاس الأوضاع ، وانتكاس الأوجاع .

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

بين الشباب والشيوخ :

مسألة الشيوخ والشباب فى الأدب بمصر ، مسألة قديمة ، ظهرت بوادرها منذ سنين ، إذ هبّ بعض أدباء الشباب يعلنون أن الشيوخ يستأثرون بمجالات الأدب ، ويتجاهلون الشبان ، ويسدون عليهم الطرق ؛ وقامت إذ ذاك معركة كان هجوم الشباب فيها عنيفاً ، ودفاع الشيوخ متثاقلا غير مكترث ... وسكن عجاجها ، ولكن دواعيها وآثارها بقيت كامنة ، تبدو فى أحاديث المجالس وخاصة بين الشباب ، وتحجم عن الظهور فى كتابة منشورة ، لأن فرقاً من الشباب قد انطووا تحت ألوية الأدباء الكبار ، وخاصة من رأوهم بحيث يقدمون ويؤخرون ، وينفعون وقد يضرون ... ومن الشباب من لم يستطع أن يعلن ثورته ، لأن المشرفين على النشر من الشيوخ لا يمكنون له ، إما مجاملة ، أو لأن ما يكتب يندّ عن الأسيقان

استقرت الحال على ذلك ، ودامت الهدنة طيلة السنين الماضية ، ولكنها الآن أعيدت جذعة ... فمن أثارها ؟ أهو الدكتور طه حسين بك فى « هلال » يونية الماضى ، أم الأستاذ سيد قطب فى « العالم العربى » هذا الأسبوع ؟

قال الدكتور طه فى مقاله بالهلال : إن الشباب يقولون للشيوخ أفسحوا لنا الطريق إلى الأدب والعلم والفن ، والشيوخ لا يصدون الشباب عن أدب أو علم أو فن ، وتساءل : أليس من الممكن أن يكون ما ينفسه الشباب على الشيوخ إنما هو ما قد ينتجه الأدب والعلم والفن من إقبال الناس على الشيوخ أكثر مما يقبلون على الشباب ؟ وقال إن الشهرة لا تكتسب إلا بالعمل الشاق ، والمال يسعى إلى العاملين وهم أشد ما يكونون ابتذالا له واستهزاء به . والشيوخ فى طريقهم إلى الراحة الموقوتة أو الدائمة ، والشباب فى طريقهم إلى أن يأخذوا مكان الشيوخ ، والذوق كل الذوق الا يتعجل الأبناء مصارع الآباء ، والخير كل الخير أن تقوم الصلات بين الأجيال على المودة والحب لا على التنافس الذى يحفظ القلوب ويفسد الضمائر

مرّ هذا الكلام عابراً سالماً أربعين يوماً ، ولكن الأستاذ سيد قطب عده اعتداء على دولة الشباب ، فأعلن بدء المعركة بين الشبان والشيوخ فى العدد الأخير من مجلة العالم العربى ، قال إنه يواجه الدكتور وسائر الشيوخ بالحقيقة التى يحسها الشبان ويرددونها فى ندواتهم ومجامعهم : « إن هذا الجيل من الشيوخ قد تخلى عن أمانته ، لا لذلك الجيل من الشبان فحسب ، ولكن للوطن ، وللمجتمع ، وللانسانية ، وأخيراً للضمير الأدبى كله »

وبين هذا التخلى عن الأمانة بأن شيوخ الأدب لم يرعوا قضايا الوطن المعلقة فى خلال الحرب الماضية ، وإنما انصرفوا إلى الدعاية لقضية المستعمرين فى الإذاعة والصحف والكتب ابتغاء الذهب ، وإيثاراً للذائذ الخاصة على مصائر الأوطان ومصالح الأقوام .

ولما وضعت الحرب أوزارها لم يكونوا فى نصرة الشعوب العربية التى نهضت تطالب بحقها ، ولم يكونوا في الميدان القومى ، بل كانوا فى ميدان الحزبية أبواقاً لها ... ولم يناضلوا لتحقيق العدالة الاجتماعية إلا قلة منهم استجابت فى تخاذل لهتاف الشعب ، واندفعت الكثرة وراء أرستقراطية مصطنعة تتظاهر بها ، ووراء رخاء مادى تناله من ذوى السلطان والثراء ، ثم قال : « هجرتم صحفكم الأدبية العلمية النظيفة ، ورضيتم صحفاً أخرى ، وواعدتمونا هناك ، حيث لقيناكم وبجواركم الأفخاذ العارية والموضوعات القذرة » وقال : « إننا لم نجد عندكم الضمير الأدبى الذى كنا نتخيله فى الأساتذة الوقرين . فأنتم لا تحاولون أن تبرزوا على المسرح إلا أذيالكم وبطانتكم ، والذين يؤدون لبعضكم خدمات شخصية قد لا يؤديها الرجل الشريف ! .. وإننا معذورون إذا شككنا فى شهادتكم لبعض الناس ، وفى إغفالكم لبعض الناس ! »

وهذه التهم التى وجهها الأستاذ سيد قطب إلى شيوخ الأدب صحيحة فى جملتها ، وإن كان قد بالغ فى بعضها واشتط فى بعض ..

ولكن هل هى القضية بين الشبان والشيوخ فى الأدب ؟

لقد كان كلام الدكتور طه فى هذه القضية ، أما الغارة التى شنها الأستاذ قطب ، فليس من العدل أن يُخص بها الشيوخ دون

الشبان ! لأنها قضية الوطن مع الأدباء عامة شيخهم وشابهم ، وإن كانت تبعة الشيوخ فيها أكبر ، بحكم الإقبال عليهم فى الأعمال التى أخذها عليهم ، وبحكم مكانهم والثقة بهم . ولم يكن فيما قاله من قضية الشبان والشيوخ فى الأدب إلا ما جاء فى الفقرة الأخيرة من أن الشيوخ لا يبرزون على المسرح إلا أذيالهم وبطانتهم ، وأنهم ينحرفون فى شهادتهم لبعض الناس وفى إغفالهم لبعض الناس ولكن كيف فات الأستاذ قطب أن هؤلاء الذين يسميهم أذيالا وبطانات من الشبان الذين يقود المعركة باسمهم ضد الشيوخ ؟

الاتحاد الثقافى المصرى :

عرف القراء مما كتبناه فى العدد الماضى من الرسالة ، أنه تقرر أن يقام الاتحاد الثقافى المصرى على أنقاض الاتحاد المصرى الإنجليزى المنحل

ونضيف الآن إلى ذلك أنه تجرى الآن تصفية أمتعة الاتحاد القديم ومحتوياته ليأخذ كل عضو لا يرغب فى الانضمام إلى الاتحاد الثقافى — ما يستحقه نقداً أو عيناً ، وفى جملة هذه الأشياء مكتبة الاتحاد ، وهى مكتبة قيمة تحوى عدداً كبيراً من المؤلفات العربية والإنجليزية ، وأكثر هذه المؤلفات تتناول الموضوعات المصرية من مختلف نواحيها ، وكانت الفائدة الوحيدة التى جنتها مصر من ذلك الاتحاد ، استفادة الشباب المثقفين المصريين الذين انضموا إليه من تلك الكتب

وقد أثير موضوع مكتبة الاتحاد قبل نشأة فكرة الاتحاد الثقافى ، من حيث مصيرها والأسف عليها ، فلما استقر الرأى على تكوين الاتحاد الثقافى ، هشت نفوس الآسفين لملاءمة المكتبة لفكرة الاتحاد الجديد ... ولكن التصفية ستحتم عرضها للمزايدات والمساومات ... وهنا تبدد أمل النفوس الهاشة ، ولا يزال الأمر موضع التفكير

ونحن نعلم أن بين الأعضاء المصريين من كانوا يهبون المئات والآلاف لحفلاتنا الأعزاء ... ولإنشاء نادى الملمين الذى انكشف بعد الجلاء عن عراء ... ولما أضيفت إلى (الملمين) ميم (المعلمين)(1) كانت كيم المساكين ، ومن أولى بالعراء من المساكين ؟

فهلا تفضل أولئك الواهبون بأقل مما كانوا يهبون لإنقاذ المكتبة ؟

ولكن الأمل ضعيف فى هؤلاء ، فما لهم أحب إليهم من العلوم والآداب والفنون ، ولا أحسبهم سينضمون إلى الاتحاد الثقافى ، ولا بأس بذلك فحسبنا الشباب المثقفون ومن فى حكمهم من الشيوخ ، أما المكتبة فيمكن فداؤها بجزء من ألف الجنيه التى كانت الحكومة تمنحها سنوياً للاتحاد القديم ، وستستمر على منحها للاتحاد الثقافى الجديد .

هذا وستدعى الجمعية العمومية من الأعضاء المصريين إلى الاجتماع فى أوائل أكتوبر القادم ، لتكوين الاتحاد الثقافى . والفكرة السائدة أن أعضاء مجلس الإدارة سيكونون جميعاً من المصريين ، وأن غير المصريين الراغبين فى الانضمام إلى الاتحاد يعتبرون أعضاء منتسبين .

بقى أمر نحب أن نفضى به إلى المشرفين على تكوين الاتحاد الثقافى ، ذلك أنه ، وقد هدأت الحالة النفسية التى نشأت مما حدث فى الاتحاد القديم والتى كان من نتيجتها الشعور الحاد بالمصرية ، يجب أن نشرك شقيقاتنا العربيات فى الاتحاد الثقافى ، ويكون اسمه « الاتحاد الثقافى العربى » لأن العرب جميعاً يتجهون إلى الوحدة الثقافية ، بل هى واقعة فعلا ، وجميع الآراء متفقة على تنمية هذه الوحدة ، وأنها ألزم أنواع التعاون العربى لصالح جميع الأمم العربية .

الشعر والصور :

تتحايل مجلات اللهو والتسلية بشتى الحيل والمبررات على نشر صور النساء المغرية بأوضاعها المثيرة ... فهذه ذات نظرة فاتنة ، وهذه ترجل شعرها بطريقة مبتكرة ، وهذه تداعب كلبها ، وهذه صاحبة أجمل (مايوه) وهذه تبدو فى (مايوه سنة ١٩٤٧) وهذه لا يرضى عنها الشيخ أبو العيون ...

ولم يقتصر على ذلك نشاط الصحفيين المشتغلين بهذا النوع من الصحافة ، بل امتد إلى الشعراء يستعينون بهم على جديد فى ذلك المضمار ...

(1) كان نادى الملمين فى يد الانجليز ، فلما جلوا عن القاهرة سمى (نادى المعلمين) .

— ما رأيك يا أستاذ فى هذه الصورة ؟

— وجه حالم .. يوحى بالشعر !

وينزل (الوحى) على الشاعر فيكون « جوازاً » لنشر الصورة ... وقد أكثرت تلك المجلات فى الأسابيع الأخيرة من نشر هذه الصور مع أشعار الشعراء ، وقد لا يرى فى ذلك بأساً من ينظر إلى المسألة من الناحية الفنية البحتة ، ولكن الواقع أن ما ينشر من الشعر على هذه الطريقة لا يرضى الخاصة ولا يعجب العامة ، لأنه مصنوع لا يعبر عن عاطفة ولا ينبىء عن إحساس ، إنما يقال بدافع الرغبة فى شىء ينشر ، فهو أشبه بتصريحات بعض الكبار للصحفيين التى تكذب فى اليوم التالى ، لأنهم ارتجلوها ثم رأوا أنها لا تليق بهم !

ذكرى محمد عبده :

احتفل فى هذا الأسبوع بذكرى المغفور له الشيخ محمد عبده فنشرت الصحف وبعض المجلات كلمات تناولت صاحب الذكرى من نواحيه المختلفة .

والشيخ محمد عبده حقيق بالذكرى ، والناس فى حاجة إلى دروس من حياته ، فقد كان من أوائل المجددين فى العصر الحديث . جدد فى الفكر الإسلامى ، وكان ممن حرروا الكتابة العربية من تكلف السجع ، فقد عدل عما بدأ به من التزامه ، فأرسل كتابته طليقة منه ، فساهم بذلك فى رق الأسلوب الكتابى وخلوصه من أغلال الصنعة ؛ وقد كان الفضل فى ذلك لتوجيه أستاذه السيد جمال الدين الأفغانى الذى كان يدعو تلاميذه إلى صرف الجهد عن الزخارف اللفظية فى الكتابة إلى تأدية المعانى والأفكار مع إحكام التعبير ...

ومن آثار الشيخ محمد عبده الأدبية « شرح نهج البلاغة » و « شرح مقامات بديع الزمان » وكتابته فى مؤلفاته ورسائله الخاصة تضعه فى صفوف البلغاء من الكتاب . وتمام صفاته الأدبية براعته فى الخطابة ، فقد كان من خطباء الثورة العرابية البارزين الذين قادوا الجماهير وغرسوا فى النفوس بذور القومية المصرية ...

ذكرى حافظ :

فى مثل هذا اليوم الذى يصدر فيه هذا العدد من الرسالة أى فى (٢١ يولية سنة ١٩٣٢) نعى حافظ إبراهيم ، فنحن اليوم فى ذكراه الخامسة عشرة ، وليت شعرى ماذا يفعل قومنا فى إحياء ذكرى هذا الشاعر الذى قاوم الاحتلال بشعره ، والذى وضع سيفه فى الجندية المغلوبة على أمرها ، وشهر سيفاً آخر لم يكن إلا شعره ، ووجهه إلى صدور المحتلين .

ما أحوجنا اليوم وفى هذه المرحلة التى تمر بها قضية الوطن قاصدة نحو تمام التخلص من احتلال وادى النيل — إلى ذكرى شاعر النيل وإلى شعره الوطنى الذى عبر به عن آلام بلاده وآمالها داعياً إلى الجهاد لتحريرها وإصلاح عيوبها ورفعة شأنها .

وما أحوجنا اليوم ، وفى هذه الآونة التى اتجهت فيها الأمم العربية نحو الوحدة والتضامن فى الدفاع عن حقوقها إلى ذكرى حافظ إبراهيم الذى دعا إلى الوحدة العربية ، وقال الشعر فى شئون الشرق والإسلام ، وغرد فى حفلات التكريم العربية الجامعة .

وما أحوجنا اليوم ، وقد استراح شعراؤنا من الوطنيات والقوميات و « المناسبات » وتعلقوا بذيل فكرة « الفن للفن » إلى الانتفاع بذكرى حافظ إبراهيم .

« العباس »

هوى وفقر

للمرحوم التيجاني يوسف بشير

سما بالهوى فقرى ومن لك بالهوى
سماوى معنى كله أبداً نبـــل
هوى ساوقته النفس والشعر فانتمى
إلى القلب واستولى مقاوده العقل
وهبت له نعمى الحياة وزدته   ذخائر أسرار المفاتن من قبل
وهبت له الدنيا فأثرى ولم أهـ ب   له التبر منها إن مشرعه ضحل
عجبت لها كم ذا أروح وأغتدى   على ظمأ ، يروى سواى ويبتل
وما بى ما أملت منها وإنما   تخيرت من دنيا الصبابة مايحلو
ولى فى كنوز الروح سلوى وغنية
بحسبى لا خلف لدنيها ولا مطل
غفرت لها أنى شقيت وأنها   يصح بها مرضى النفوس وأعتل
وهل كان ما أسموا نضاراً وفضة   وما كاثروا الدنيا به وهم قل
وما وهموا فيه الزمان ولم يزل   يقدس من رحمانه العلم والجهل
سوى الترب وطأناسوانا فصكه   دنانير لم يأخذ بناصرها العدل
ضللنا وسامرنا خداعاً وبهرجاً
ونـكب عن نهج الحقيقة من ضلوا

جراح !

الأستاذ محمد برهام

ياويح نفسى . هل عمرى سأقضيـــه
على الأسى ، وشـــبابى الغض أطويه ؟
يقال لى « كل ما فى الـكون مبتسم »
فما لعينى أصابت ظلمة فيـــه ؟
لا الخرد الغيد تسبينى ملاحتها   ولا الرياض بمرأى الطرف تسبيه
أعمى وماهو أعمى ، غير أن رؤى   عن الجمال ، ودنيا الحسن تقصيه
ليت الذى سر من دنياه ينصت لى   حتى أقول الذى عندى وأمليه
أمشى وئيداً بأعصاب محطمة   ومن يرانى خطوى ليس يرضيه
يترحم الخطو تصميراً ، فيظلمنى   بالقول يطلقه ، والذنب يلقيه
ترى رديئاً ، ولو لم تقض عن عجل   لـكنت بالخير لا بالسوء ترميه
ذهن ملول ، فإن يوكل له عمل   يروح ينقضه طوراً ، ويبنيه
يستحسن الليل مالم يستسغه ضحى   والرأى يرجع عنه ، ثم يبديه
إنى أطل بمنظار برمت به   على الوجود وصرف الدهر مهديه
قد أعجز الـكون فى شتى محاسنه   عن أن يسوق لعينى أى ترفيه
حاولت تحطيمه لـكن حلو كته   أخشى تدور على جهدى فتفنيه
فما حياتى أسواناً ومغترباً   إن العليل جوار الناس يشفيه
دعنى من الناس أدناهم وأبعدهم   كل أقل شكاة منك تؤذيه
فداو نفسك بالسلوان عن أمل   ظللت عمرك مخدوعاً ترجيه
واهاً لدمع يد الآلام تدفعه   إلى الأمام ، وكف الحزم تثنيه
هو الصديق الذى أشكو فيرحمنى   ويعلم السر فى همى ويخفيه

أحلام وردة

الأستاذ أحمد عبد الحفيظ سلام

هات يا صبح ورقرق   فى ريـــاضى نسماتى
وابعث الأضـــواء ترقص   حول غصنى ومضـــاتى
وانـثر الطـــل على كأسى   وتـــوج ورقاتى
إننى نضرت من فجـــر   حيـــاتى أمنيـــاتى
ريثما أنساق من مهـد   ى إلى شـــمر فتاتى

أيهـــا الجدول وافِ الروض   بالرى النمـــير
واقذف الموجات فى شـــطى   ولطف من هجـير
واسـق أغصـــانى وسلـ   ـسل نفحاتى وعبـــيرى
إننى رقشت من أضـ   ـواء أحلامى مصـــيرى
ريثما اهتز من ســـحر   الهـــوى فوق الصـــدور

خضبى يا شمس من لألائـــك   البـــاهى وشـــاحى
والثمينى يا فراشـــا   تى بأهداب الجنـــاح
واسكبى الأنفاس فى ثغرى   كأنفـــاس الصباح
كى أغنى فى هوى أطيـا   فك البيض الوضـــاح
زهرة يروى شذاها   صدر أصحاب الجـــراح

غنى يا طـــير وردد   نغمـــة المشاق غنى
واملأ الـكون فإنى   منـــك قد ألهمت فنى
حينما تهتز بالألحان   يا صـــداح دعنى
أنظم الفن الذى   ينساب من وحى المرن
كى يدوى غنـــوة   فى عالم الأحباب منى



أسف واعتذار :

منذ أسبوعين انتقلت إلى الإسكندرية ، وكان يشرف على تحرير الرسالة صديقنا الأستاذ على الطنطاوى ؛ ولكنه اضطر فى آخر الأسبوع الماضى أن يعود فجأة بالطائرة إلى دمشق . ففى هذه الفترة التى ارتفعت فيها الرقابة منى ومنه عن المجلة نشرت فى (تعقيبات) كلمة ينكرها الذوق والحق فى صديقنا الأستاذ الجليل أحمد أمين بك . وليس فى موضع الإنكار النقد فى ذاته ؛ وإنما موضعه ذلك التهكم الكاذب الذى لا يجوز فى رجل يعد عاملا من عوامل النهضة الفكرية ، ومفخرة من مفاخر مصر الحديثة

فنحن نأسف لنشر هذه الكلمة بهذا الأسلوب . ونعتذر لصديقنا الأستاذ من خطأ لم نكن طرفاً فيه ، ولم يكن فى مقدورنا تلافيه ....

رئيس التحرير

إلى الأستاذ (أبو بكر النمرى) :

أرسلت إلىّ ردك الطويل على تعليقى القصير فرأيت ألا أنشره حتى لا يتشكك القراء فى نيتك حين يرونك تنقل الحديث من الأدب إلى الدين ، وتثير الجدل بين عيسى ومحمد . ولا أدرى مالك ولهذا كله وأنا حين أشرت فى كتابى (دفاع عن البلاغة) إلى غثاثة الترجمة الأمريكية للتوراة والإنجيل لم أكن بسبيل البحث فى رواة العهدين مَن هم ، ولا فى اللغة الأصلية (للأناجيل) ما هى ، ولا فى الترجمات المختلفة للكتابين المنزلين أيها أبلغ ؛ إنما كنت بسبيل التدليل على إفساد الترجمة الحرفية الركيكة لبلاغة الأصل ، فضربت المثل بهذه الترجمة المتداولة بين الناس للتوراة والإنجيل ، وهما فى اعتقادنا من كلام الله أنزلهما على موسى وعيسى بلسان قومهما فى صورة من صور البلاغة تناسب المتكلم الأعلى . والترجمة الأمريكية وهى التى قصدناها ليس فيها من العربية غير الألفاظ ، أما أسلوبها فقريب من أساليب اللغات على الرغم من أن الذين نقحوها كانوا من أفاضل الأدباء النصارى .

ذلك أصل الموضوع ، وهو بهذا التحديد لا يقبل الجدل ، لأن قضية الترجمة الحرفية صادقة ، ولأن الترجمة الأمريكية ركيكة . أما نقل المسألة إلى جهة الخلاف بين الأديان ، وتعارض ما تعتقدونه مع القرآن ، فذلك موضوع رجاله من غير أهل الأدب ، ومجاله فى غير الرسالة .

(صاحب دفاع عن البلاغة)

من يكون إذن ؟

قرأت للأستاذ إحسان عبد القدوس مقالا بمجلة المصور العدد ١١٨٧ — مقالا تحت عنوان (بنات الصيف) ولست أجد وصفاً لذلك المقال غير أنه دعوة خليعة ماجنة ، وتحلل خلقى يدنى من النهاية ، وخروج على تعاليم الإسلام الحنيف وآدابه ، فقد قال حضرته بالحرف الواحد : لست من الهاتفين فى موكب الفضيلة ، ولست من أنصار الشيخ أبى العيون ولا من دعاة الحشمة ... الخ (كذا والله) ولست أدرى ماذا يكون الإنسان إن لم يكن من الهاتفين للفضيلة أو من أنصار الشيخ أبى العيون أو دعاة الحشمة ؟ ؟ !

محمد محمد حسن الديب

إلى الشيخ أبى العيون :

يا سيدى : قرأت حديثك المنشور بمجلة آخر ساعة ، ورأيت صورتيك الملفقتين مع هذا الحديث .

فأما الحديث ، فلا غبار عليه ، ولا شِيَةَ فيه .

وأما الصورتان ، فعليهما ما عليهما ، وفيهما ما فيهما !

وأنا أعرف أن الصورتين ملفقتان . وذلك واضح لكل ذى عينين ؛ ولكن ذلك لا يغير من الأمر شيئاً .

فإن كنت يا سيدى لم ترض بما كان فعلّمهم أن يوقروا رجال الأزهر ، ويرعوا حرمات الدين .

وإن كنت يا سيدى — ولا إخالك — قد رضيت بهذا الأمر ؛ إيثاراً لذيوع الاسم ! وطمعاً فى بعد الصيت ! فوا أسفاه ! ثم وا أسفاه !

ابراهيم محمد نجا

العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية

١ — طرائف !!

طالعت العدد — ٥٦ من اقرأ « طرائف من الصحافة » للكاتب الصحافى محمد العزب موسى وبرزت لى من بين سطور الطرائف واللطائف « سخائف » لا تقل عن أختها طرافة ، أورد منها على سبيل المثال لا الحصر « سخيفتين » اثنتين فى الأخلاق واللغة ...

أما التى فى الأخلاق فهو قوله فى ص ٩٣ :

قالا « أمعك الآن مال فى الجيب الوقور »

قلت « نعم »

قالا « إذن هيا »

هيا إلى امرأة عجوز تعيش فى بار متواضع غير معروف لا تبيع فيه غير النبيذ الرخيص . . فدلفنا إلى بارها . وشربنا ثلاث زجاجات من النبيذ القاتل ... »

وكنا نظن أن الحديث الشريف « وإذا بليتم فاستتروا » له عند الأستاذ فى مجال الصحافة والتأليف مقام واحترام . ولكن المؤلف وهو الذى يبدأ اسمه بلفظة « محمد » يأبى الاعتراف بحديث محمد . . ولا يجد غضاضة فى عرض الحرام فى كتاب يطالعه من الشباب وغير الشباب ألوف وألوف ...

وأما الثانية — وهى فى اللغة — فكثيرة الوقوع فى أنهر الجرائد والمجلات الإخبارية التى لا تعنى بالأصل والصواب وإنما تقذفها إلى القراء وفيهم السذج البسطاء — قذفاً جريئاً بلا تحقيق ولا تدقيق ، من ذلك ما وقع فى ص ٢٤ :

« كان أصحاب الصحف أخلاطاً من الناس وكانوا (ثقاة) فى الجهل . . الخ » فالأستاذ يجمع (ثقة) على (ثقاة) بالتاء المربوطة شأنها شأن (الدعاة والسعاة والبغاة . .)

٢ — المرأة والمساواة :

اطلعت فى العدد — ٧٢٨ من الرسالة الغراء على مقال « بين أدب المرأة وأدب الرجل » للكاتبة العراقية الفاضلة منيبة الكيلانى ، وليس بودى أن أتعرض للمقال فى قليل أو كثير وإنما أستسمح الكاتبة الفاضلة فى أن أقتطف من مقالها الماتع بعض أبيات لشاعرة من شواعر العرب لأقدمها إلى بنات الجنس أولئك اللائى يطلبن المساواة مع نقص الأداة ...

تقول الشاعرة عفيدة بنت عفان :

وإن أنتمو لم تغضوا بعد هذه
فكونوا نساء لاتعاب من الكحل !
ودونكموا طيب العروس فإنما
خلقتم لأثواب العروس والغسل !!
. . . . . . الخ

أقول إلى بنات الجنس أهدى هذين البيتين على لسان شاعرة لا شاعر يؤخذ كلامه على الظن والاتهام . . وهى بعد أبيات صريحة تقرر حقيقة المرأة ووضعها فى الأسرة الإنسانية إزاء الرجل

ثم يأيها الدافعون عن حقوق المرأة من الرجال . . خذوا الحكمة من شعر الشاعرة ، فعند « جهينة » الخبر اليقين ...

٣ — فى قصيدة :

فى مجلة « العالم العربى » العدد الثالث لشهر يونيو الجارى قصيدة للشاعر السودانى المرحوم التيجانى بشير بعنوان « فى محراب النيل » فيها هذا البيت :

واستفاقوا يا نيل منك لنغنا م شجى من الهى ربابك

والقصيدة من الخفيف ، والبيت بصورته مكسور ، وأغلب ظنى أن الصواب فى الأصل ... فحبذا لو انبرى من إخواننا السودانيين من يدلنا على الصواب ، إحقاقاً لشاعرية الشاعر ، ودفعاً للشك العارض غير المقصود . والسلام

(الزيتون) **عدنان**

الى الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى :

اسمح لى يا سيدى الدكتور بتقديم الأسئلة الآتية وأنت أهل لأن تجيب عليها بما يشفى الصدور :

١ — يذكر « التنويم المغناطيسى » محاطاً بالغموض والإبهام فهل هو علم ثابت الأساس أم شعوذة وإبهام وما مدى اتصاله بعلم النفس .

٢ — هل هناك من خطر فى تعلمه وإن كان هناك خطر فما هو ؟ وهل يتعارض والدين ؟

٣ — ألا ترى أنه يمصف باليقين بنتائجه الخارقة المدهشة ؟

هذه أسئلة نرجو أن يجيب عليها الدكتور مشكوراً

« ج ع م »

كوستى السودان



أسطورة من روائع الأدب الروسى :

العمل والموت والمرض (*)

للفيلسوف الروسى العظيم ليو تولستوى

للأستـــاذ مصطفى جميل مرسى

« هذه قصة الإنسانية من قديم الأزل ... وقصة البشرية منذ فجر التاريخ ... تتجلى لنا فيها النوازع التى تضطرب بين أنفس البشر ، والعواطف التى تمور فى قلوبهم ، والنزوات التى تختلج فى أفئدتهم ...

تناولها تولستوى بيراعته البارعة الملهمة ، وعقله الفذ الجبار — وقد راعه ما بلغته حال العالم من شر وفساد — فتلمس بين تجاربه البعيدة فى الحياة ، ودراسته العميقة للنفوس وحياً طريفاً صاغ منه هذه القصة الرائعة ... التى تتمثل فيها — على بساطتها — الدعوة إلى « الحب والخير » ... وهى دعوة طالما نادى بها تولستوى... بل ظل ينادى بها حتى أدركته منيته وقد بلغ الثمانين ... » « م . جميل »

إنها لأسطورة من تلك الأساطير التى يؤمن بها « هنود جنود أمريكا » ... ويتناقلونها خلفاً عن سلف !.

حينما فطر الله البشر — كما يقولون — جعل الإنسان فى غير حاجة للعمل والسعى !. فما تعوزه دار يؤوى إليها ولا ثياب يُلقيها على جسده يتقى بها لفحة الحر ونفحة القُر ... بل ما كانت تضطرب فى نفسه رغبة إلى طعام ولا شراب !. فامتدت بهم الحياة مئات من السنين .. لا يعرف المرض إليهم سبيلا ..

فلما تجلى «الله» تعالى على الكون — بعد أن تصرمت حقب ودهور — لينظر خلقه كيف يعيشون .. ألفاهم — وقد حسب أن السعادة ضاربة بينهم أطنابها — يتشاجرون ويتضاربون . وراح كل منهم يعنى بنفسه دون رعاية لأخيه ... فساءت حالهم وفسدت دنياهم وحاق الشر بهم ...

(١) من كتابنا « روائع الأدب الروسى » يصدر قريباً

فحدث « الله » نفسه ، وهو يتدبر صلاحية لهذه الحال : « إن الذى أوردهم هذا المصير تفرقهم ، وعيش كل منهم على حدة ! » فهيأ الله أمور الحياة ، وجعل من المستحيل على الإنسان أن يحيا دون أن يجد ويعمل !

فسخر عليهم الحر والبرد حتى يسعوا فى طلب اللبس وبناء السكن !. وسلط عليهم الجوع حتى يفلحوا الأرض ويبزوها ما ركزت فيها الطبيعة من خيرات ورزق ويخرجوا منها الثمرات فيتخذوا فيها غذاءاً لهم ...

وانثنى «الله» يفكر : «إن العمل سوف يوحد بينهم ويجمع شملهم ، فلن يستطيع كل منهم أن يعتمد على نفسه فى صنع آلته وحمل أخشابه وبناء داره وغرس حقله وجنى محصوله ونسج ثيابه بعد غزلها ... وتهيئة طعامه !. إن ذلك سوف يجعلهم يدركون أنه ما دام الاخلاص سيدهم والود رائدهم فى تعاونهم على العمل !. فسيضاعف الله ما يأتيهم به من الخير والنعم . ويعيشون فى رغد وبلهنية ... وسوف يزيد ذلك من وحدتهم وتضامنهم فى الحياة ! ... »

***

دارت عجلة الزمن ، وتقضت الدهور سراعاً بعضها إثر بعض ... وعاد « الله » يقلب النظر فيما صارت إليه حال الخلق ... ويرى إن كانوا فى عيشهم سعداء أم ما برح الشقاء ينغص حياتهم ... فوجدهم فى حال أشد سوء مما كانوا عليه ... فقد أقاموا يعملون معاً — كما أرادهم « الله » فليس لهم من سبيل فى الحياة غير ذلك — بيد أنهم تفرقوا شيعاً وأحزاباً وانقسموا على أنفسهم جماعات تحاول كل منها أن تحرم غيرها من العمل وتعوقها عنه حتى تنفرد به وحدها !. .

فراحوا يهدرون أوقاتهم فى نزاع لا نفع فيه وينهكون قواهم فى صراع لا طائل منه .. فاضطربت أمورهم واختلت حالهم ! ..

فلما رأى « الله » ذلك السوء الذى انحدرت إليه حال الخلق عزم على أن يهىء أمور الحياة بحيث أن المرء لا يلم بالحين الذى توافيه منيته فيه . فيفاجئه الموت على غرة منه فى أية لحظة . ثم أوحى بذلك إلى الخلق .. وقال يحدث نفسه :

« إذا علم كل منهم أن الموت سوف يخترمه فى أى حين ..

داخلت قلبه الخشية ، وأشفق أن يضيع ساعات العمر فى شغب وعراك لا يرتد بفائدة عليه ! . »

***

فلما آب « الله » — بعد أن طويت صفحات كثيرة من الزمن — ليراجع النظر فى أمور الخلق ، وكيف يعيشون .. ساءه أن يرى الشر قد اتسعت هوته واستفحل شأنه ! فقد أفاد هؤلاء الذين وهبتهم الطبيعة قوة وجبروتاً من الحقيقة الأبدية التى سنها الله للبشر ، ألا وهى أن الإنسان عرضة للموت فى أى حين . فسخروا أولئك الضعفاء وسلطوا عليهم نقمتهم ، فقتلوا منهم كثيرين وراحوا يهددون الآخرين بالموت ..

أصبح هؤلاء الأقوياء ينعمون هم وذريتهم دون أن يعملوا شيئاً ... ثم ما لبثت السآمة أن تسربت إلى نفوسهم من البطالة والعطل أما أولئك الضعفاء فلا يبرحون يعملون فوق طوقهم ويتلمسون شيئاً من الراحة فلا يجدونها ويتنسمون ريح السكينة فلا يصادفونها ..

فأخذ كل فريق يضج بالشكوى ويحمل ألواناً من البغضاء وصنوفاً من الحقد للفريق الآخر .. فازدادت الحياة سوءاً على سوء وتتابع الشقاء شراً إثر شر ! .

فلما أحاط « الله » علماً بما حاق بالخلق ، عقد العزم على أن يرأب الصدع ويقيم الأود .. فأخذ يتلمس وسيلة أخرى لذلك .. فلم يلبث أن سلط عليهم الأمراض والعلل .. وجعلها تشيع بين الناس فلا تذر واحداً منهم ! ..

وظن « الله » أن البشر إذا ما اعتقد كل منهم أنه عرضة لأن يخر صريع المرض ضجيع الفراش ، فلسوف يدركون ما على الأصحاء من واجب الرحمة والعطف ، ومد يد المعاونة إلى من برحت بهم العلة واشتد عليهم السقم ، إذ أنهم — بدورهم — سيقعون يوماً ما فريسة للمرض ! . وحينئذ يلقون من جانب الآخرين شفقة ورحمة وعوناً . ! ومضى « الله » !

***

حتى إذا عاد لينظر حال الخلق ، وقد تفشى بينهم المرض .. رأى أن السوء قد استفحل أمره واستشرى شره ... فالمرض — وقد ظنه « الله » جامعاً لهم موحداً بينهم — أدى إلى تفرقهم وتنافر بعضهم ....

فأولئك الأقوياء الذين يسخرون غيرهم من الضعفاء فى العمل اضطروهم أيضاً إلى رعايتهم والعناية بهم حينما تنشب فيهم العلة أظفارها ! .. بيد أنهم لا يسمون إلى معاونة الضعفاء إذا ما مرضوا بل يبالغون فى إرهاقهم ، فلا يتيحون لهم فترة من الراحة للعلاج والشفاء ! .

وجعلوا لهم بيوتاً حقيرة فى عزلة عنهم ، يعانى فيها هؤلاء الضعفاء سكرات الموت ، ويلفظون بين جدرانها أنفاسهم الأخيرة بعيداً عن القوم المنعمين ، حتى لا يكدر منظر هذه المجموع التعسة الشقية — وقد أصابها المرض — متعة الأثرياء وبهجتهم ! ... وحتى لا تتسلل إلى أجسادهم العدوى من هؤلاء المرضى المكروبين ..

فقال « الآله » يحدث نفسه — وقد نفض يديه من أمور الخلق « إن كانت هذه الطرائق والأسباب لا تجعل من البشر من يفطن إلى مستقر سعادته .. فلندعهم يدركونها من بعد ما يعانون منها ما يعانون ! . »

وخلى الله بين الناس وبين أنفسهم ! .

***

عاش الناس حقباً طوالا فى بلاء مع أنفسهم ، قبل أن يدركوا أنه ينبغى عليهم أن يكونوا جميعاً سعداء ...

ففى القرون الأخيرة تجلى الخلق عن فئة من البشر ..

يعلمون حق العلم أنه يجب ألا يكون العمل كشبح مخيف لبعض الناس ، وكغنيمة خالصة للبعض الآخر ... بل يجب أن يكون مدعاة للتعاون لصالحهم ، ومبعثاً لخيرهم وإسعادهم ، وسبيلا لوحدتهم وتضامنهم ! ..

ويعلمون أن الموت ، وهو سيف مسلط على قارب العباد فى غير معياد ! .. لا يلائمه إلا العمل الحكيم ، فواجب كل إنسان أن يستفيد من سنوات حياته وأيامها وساعاتها بل ولحظاتها التى يوهب إياها .. فيبذلها فى الخير والحب والتأليف بين القلوب !

ويعرفون أيضاً أن المرض — بدلا من أن يكون سبباً للتفرقة وأداة للتنافر بين الناس — يجب — على الضد من ذلك أن يؤدى إلى تهيئة المجال للمحبة والمودة ، والتعاطف والإيناس ...

« طنطا » مصطفى جميل مرسى

العدد ٧٣٤ – الاثنين ٢٨ يوليو ١٩٤٧ – السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

ظهر في مكاتب العراق ومصر

كتاب
مشاكل الفلسفة

تأليف برتراند رسل

وتعريب الأستاذين

محمود إبراهيم محمد ، عبد العزيز الرسام

الأستاذ بدار المعلمين ببغداد — أستاذ علم النفس بدار المعلمين ببغداد

وبالكتاب مقدمة تحليلية عن حياة المؤلف وآرائه الاجتماعية والفلسفية .

يطلب من مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة

ومكتبة العراق ببغداد

الطبعة الأولى أو شكت على النفاذ

الثمن

ربع دينار عراقي — ٢٥ قرشاً مصرياً

اطلب من دار الرسالة

ومن جميع المكتبات العربية

١ — تاريخ الأدب العربي

٢ — في أصول الأدب

٣ — دفاع عن البلاغة

٤ — آلام فرتر ....

٥ — رفائيل ......

مطبعة الرسالة :

تقدم كتاب

احمد عرابي

الزعيم المفترى عليه

للأستاذ

محمود الخفيف

الكتاب الذي بدأ نشره في الرسالة

وأوقفته الرقابة أثناء الحرب

يبين في صراحة وجرأة

حقيقة الثورة العرابية

والحركة القومية ... ودسائس انجلترة

وعدوانها الفاجر على مصر

الحرب والاحتلال ، تفصيل لمحاكمة عرابي ونفيه ، عرابي في منفاه ، الزعيم العائد ... الخ ...

أكثر حقائقه لم تنشر من قبل

بحث يستند على وثائق خطية هامة

يقع في ٦٠٠ صفحة — ثمنه ٥٠ قرشاً عدا البريد

يطلب من مجلة الرسالة

أخرجته إخراجاً فنياً :

مطبعة الرسالة

15em Année No. 734

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi — 28 — 7 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٤ « القاهرة في يوم الاثنين ١٠ رمضان سنة ١٣٦٦ — ٢٨ يوليو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

أحمد عرابي المفترَى عليه

ذلك عنوان الكتاب الفريد الذي أخرجه للناس في هذا الأسبوع صديقنا الكاتب الشاعر المؤرخ الأستاذ محمود الخفيف، عن زعيمنا الوطني الأبي المجاهد المظلوم أحمد عرابي. وهذا الكتاب هو الحق الذي اختفى منذ خمسة وستين عاماً لم يظهر في خلالها على لسان ولا قلم، حتى ظهر أخيراً على ضوء هذا اليراع النبيل رائع البيان ساطع الحجة. والحق كالصبح لابد أن ينبلج مهما تطاول الليل واحلولك ظلامه.

استبهمت معالم الحق في قضية الضابط الفرنسي (دريفوس) اثنتي عشرة سنة حتى جلاه الكاتب الجريء إميل زولا، فأجبر القضاء العسكريَّ على رد اعتباره، وإطلاقه من إساره.

واستعجمت مذاهب العدل في قضية عرابي ثلثي قرن حتى أبانه الكاتب النزيه محمود الخفيف، فإذا عرابي زعيمنا الصادق، وقائدنا الشجاع، وموقظنا المبكر!

تاريخ عرابي هو تاريخ الثورة الوطنية، والنهضة القومية، و(المسألة المصرية)، والنكبة الإنجليزية، وقضية الوادي كله. فإذا كُتب على النهج الواضح، والمرجع الثقة، والاستقصاء المحيط، والتمحيص الكاشف، والاستنتاج الصحيح، والتحليل الدقيق، والتعليل الصائب، والتبويب المحكم، كان لمصر من هذا التاريخ نور يضيء لها جوانب الطريق إلى (مجلس الأمن)؛ لأن عرابي هو اليد البريئة التي سخرها القدر لكشف الستار عن مأساة الاحتلال، والنقراشي هو اليد الجريئة التي يهيئها الله اليوم لإرخاء السِّتر على فصلها الأخير. ومن المحال أن تدرك مرامي الرواية إذا نمت عن بعض الحوادث أو غبت عن بعض الفصول.

والأستاذ الخفيف قد اجتمعت له في هذا الكتاب أولئك المزايا؛ فهو من حيث المادة لم يدع مصدراً يعول عليه من المؤلفات والمذكرات والمقالات والوثائق والرسائل والأحاديث إلا استمد منه بعد النظر النافذ والموازنة العادلة. ومن حيث الطريقة قد اتخذ المنطق ميزاناً يأخذ به ويعطي، فهو يروي بالنص الصريح، ويدَّعي بالدليل الناهض، ويُقنع بالحجة العالية، ويدافع بالحق المبين، ويستقري فيحسن الاستقراء، ويستنتج فيجيد الاستنتاج؛ ثم جعل همه منذ اللحظة الأولى تبرئة الجندي الثائر، فسلسل الوقائع والفصول سَلسلة المقدمات الصحيحة، ثم خرج منها بالنتيجة التي لا موضع فيها للشبهة. ومن حيث الأسلوب قد اختار اللفظ السائغ، والنظم المتسق، والسياق المطرد، والمعرض الجذاب، حتى ليستولي على القارئ العجلان فيمن فيه لولا أن الكتاب سبعمائة صفحة والقيظ مقلق والصيام مرهق، ولكنه على كل حال لن يفتح كتاباً غيره حتى يفرغ منه!

إن هذا الكتاب أول كتاب في بابه. ولعله هو وكتاب (الله) للأستاذ العقاد كتابا السنة؛ لأنهما على اختلافهما في الموضوع والوضع خطَوا بالكتاب المصري خطوة سديدة، وأضافا إلى الأدب العربي ثروة جديدة.

احمد حسن الزيات

٥ – رحلة إلى الهـــند

غاندى فى دهلى وفى المؤتمر

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

عميد كلية الآداب

(تتمـة)

ارتقب الناس قدوم غاندى إلى دهلى أثناء اجتماع مؤتمر العلاقات الآسيوية ، فإن حدثاً عظيماً كهذا يعوّل عليه الهنادك فى الإبانة عن حضارتهم ومكانتهم ، والتمهيد لدولتهم فى آسـيا وفى تأييد آسيا لهم فى العمل للهند المستقلة — لايغيب عنه الرجل الذى يدعوه الهنادك « أبا الأمة » والذى هو أعظم زعيم سياسى ودينى بينهم .

وكان غاندى قبل اجتماع المؤتمر يطـوّف فى أقليم بهار ، وهو إقليم فى شرق الهند غربىّ بنغالة ، ثارت فيه فتنة بين الهنادك والمسلمين ؛ والمسلمون قلة لا حول لها هناك فصال عليهم الهنادك ، وفتكوابهم وقتلوهم قتلا عاماً لايفرق بين رجل وامرأة ، ولا بين صغير وكبير . وكان لهذه المذابح دويها فى أرجاء الهند ، وأثرها فى هَيج الشر بين الفريقين ، وقد هاجر كثير من مسلمى بهار فراراً بأنفسهم ويأساً من أن يعيشوا فى ذلك الإقليم بعد ما شهدوه من هول تلك الوقائع . ورأيت للمهاجرين محلّة فى كراتشى كأنهم لم يشعروا بالأمن إلا فى أقصى الغرب فى ولاية السند ، حيث للمسلمين الكثرة والغلبة ، وهاجر جماعات منهم إلى أقاليم أخرى .

ذهب زعماء المسلمين والهنادك إلى بهار حين ثارت الثائرة ، وطوّف غاندى فى أرجائه يسكن الهياج ، ويطفىء الثائرة ، ويحاول أن يصلح ما أفسدته البغضاء والعدوان والقسوة والفظاعة فلبث أشهراً يجول فى الإقليم .

ثم جاء إلى دهلى أيام المؤتمر ونزل فى محلة الكنّاسين وهى تسمى بهنكَى كولونى (مستعمرة الكناسين) . وفيها دور صغيرة نظيفة بُنيت لهؤلاء الساكين وهم من المنبوذين . ولغاندى مسكن بينهم فى دار لها فناء واسع فى صدره معبد صغير وحجرات من الحصير نزل غاندى فى واحدة منها ونزل فى حجرة بجانبها عبد الغفار خان زعيم ولاية الحدود الشمالية الغربية الذى يسمى غاندى الحدود .

وكان الناس يجتمعون إلى غاندى كل مساء قبيـل الغروب ليشهدوا صلاته ويسمعوا خطبته .

وقد ذهبت مرة فرأيت إلى يمين الداخل جمعاً حاشداً وقوفاً وغاندى على منصة مشرفاً على الحاضرين وإلى يمينه عبد الغفار خان حاسر الرأس كعادته ... فانتبذت مكاناً أرى وأسمع ، سمعت صبية هندية تنشد أناشيد بلغات مختلفة منها سورة الإخلاص بالعربية . وسمعتها تقول فى أناشيدها راما كريم ، راما رحيم . بهذين اللفظين العربيين .

وراما أحد الأبطال أو الآلهة فى الدين الهندى .

وهذه الأناشيد من كتب مقدسة مختلفة للهنادك والمسلمين والفرس القدماء الخ ويريد غاندى أن يقرّب بين الناس ما استطاع باقتباسه فى صلاته من كتب مختلفة .

وقد عارض بعض الحاضرين يوماً فى تلاوة آى من القرآن . فترك الصلاة فى ذلك اليوم .

ولما جاء للصلاة يوماً آخر قال إنه تلقى رسالة تطالبه بأن يكف عن تلاوة القرآن فى صلواته أو يترك معبد بلميكى (حيث يقيم) وسأل الحضورأفيهم من ينكر عليه تلاوة آيات من القرآن ، فرفع نفر أيديهم قائلين إنهم لن يمكنوه من الصلاة إن تليت آيات من القرآن فترك الصلاة وصمت قليلا وقال إن الصلاة ذكر الله لتطهير القلب ويستطيع الإنسان أن يصلى صامتاً .

ثم قال فى خطبته التى يلقيها بعد كل صلاة : إنه ليس بالرجل الذى يحجم عما يراه واجباً ؛ ولكن دعوته إلى ترك العنف أوحت إليه أن يترك الصلاة إذا اعترض عليها أحد ولو كان صبياً واحداً . ولكن هذا لا ينبغى أن يؤول بالجبن . إنه ترك الصلاة ليتجنب الجدال والعنف . إن العنف من عمل الشيطان وقد جاهده طول عمره

ثم قال : على الذين ينكرون صلاتى ألا يشهدوها ، فإن شهدوا فليقتلوه إن شاءوا . إنه لن يقلع عن ذكر رام ورحيم وهما عنده

إله واحد . وإنه يموت مطمئناً ذاكراً هذين الإسمين .

إن كف عن ذكر رام ورحيم فكيف يستطيع أن يلاقى الهنادك فى نوكالى والمسلمين فى بهار ، وهنادك نوكالى ومسلمو بهار قتلوا واضطهدوا فى بعض الفتن .

ولما هم بالإنصراف تنازع الحاضرون فخطب فيهم قائماً خمس عشرة دقيقة وقال فيما قال : إن الغضب لا يجدى نفعاً ؛ وإن عليهم أن يفكروا كيف يداوون جروح البنجاب [1] دون أن يؤذوا أحداً . فإن هذا ليس من دينهم .

وانصرف غاندى إلى حجرته ، وتدخلت الشرطة لحفظ السلام . وكان ذهابى إلى مُقام غاندى فى مساء الخميس ١٠ أبريل . انتظرت بعيداً حتى فرغ من صلاته وحديثه ؛ فجاءنى عبد الغفار خان وشاب من أنصاره اسمه محمد يونس ، ودعوانى إلى الدخول على غاندى فى حجرته ؛ فوجدته قاعداً على الأرض مستنداً إلى الجدار وعليه إزار قصير ، عارى الصدر والظهر . فتحدث عن اللغة العربية وقال إنه حاول أن يتعلمها . وإنها لغة واسعة جداً ، وقال ضاحكا إن للجمل فيها مائتى اسم . وقال إنه قرأ القرآن بالأنكليزية وبالأردية وإنه يؤثر قراءته بالأردية لأن بها كثيراً من الكلمات العربية . فهو يقرأ فيها كلمات من القرآن يجد فيها روحه .

وسألته : أ كشفت فى تجاربك الطويلة بين البؤساء عن دواء ينقذ الإنسانية من البؤس ؟

قال : لم أ كشف عن هذا الدواء ، ولكنى أعدت الكشف عنه ، هذا الدواء هو الحق وتجنب العنف . الحق هو الدواء . قلت إن المسلمين كذلك يجلون الحق ويقدسونه حتى يسموا الله تعالى — كما سماه القرآن — الحق . قال أعلم هذا .

ثم قال إنه يتكلم كثيراً ولا يجد من يصغى إليه . ولذا يود أن يطيل معنا الحديث ولكنه على موعد .

***

وشهد غاندى المؤتمر مرتين ، شهد إحدى جلساته وحفلة الختام وتكلم فى المرتين فى اتفاق أمم آسيا وفى توحيد العالم كله .

عبد الوهاب عزام

(١) أظنه يعنى الحوادث التى قتل فيها بعض الهنادك فى البنجاب .

صفحة سوداء :

الاستعمار الهولندى

يعتدى على جمهورية إندونيسيا الحرة

للأستاذ أحمد رمزى بك

قضى الأمر ووقعت الواقعة ، وسالت الدماء فى ربوع أندونيسيا ، بعد أن خُيل إلى كثيرين أن دعائم الاستقلال قد وطدت وأن أعلام الحرية قد رفعت ، فإذا نحن بعيدون عن ذلك اليوم . ونأسف مرة أخرى أن يقع بعض ما تنبأنا به ، فقد جهرنا بالقول : إن الدول الاستعمارية أشد اليوم تمسكا بسلطانها من أى وقت مضى، وإنها تسالم الحركات القائمة وتسايسها وتخضع لبعض مطالبها لكى تتم أهبتها وتستعيد قوتها ثم تضرب الشعوب القائمة ضربات حاسمة ؛ وإن أوروبا تنتظر حتى تضمد جراحها وتجمع شملها وسيكون لها مع الأمم الناهضة موقف جديد . فعلينا أن نستعد لذلك اليوم .

وفى حديث طويل مع ويلكى الأميركى الذى جاب العالم والتقيت به فى منزل قنصل أميركا حينما أتى بيروت صارحته بما أعتقد وقلت له : إن كيان الدول الصغيرة واستقلالها مثل بلجيكا وهولندة والبرتغال يستندان على المستعمرات ، وأن اليوم الذى تنال فيه الشعوب المظلومة المغلوبة على أمرها ، شيئاً من الحكم الذاتى أو التمتع ببعض ما يتمتع به الإنسان فى القرن العشرين من حرية واستقلال ونهضة ، تزول فيه هذه الدول الصغيرة من الوجود وتصبح إما ولايات أو مدناً ساحلية ، لأن بقاءها يعتمد على حكمها للمستعمرات واستغلالها لأراضيها وتحكمها واستبدادها بملايين من عباد الله ، فهل فى نظام العالم الجديد ما يسمح بتحقيق هذه الأهداف ؟ فلم أسمع جواباً من الزعيم الأميركى .

ولقد مضت ست سنوات على هذا اللقاء ، وانتهى عهد روزفلت وويلكى وهما فى مقدمة الرجال العالميين الذين سيذكرهم هذا الكوكب المسمى بالأرض ، لأجيال قادمة ، وتبدلت فى أثنائها

شؤون الـكون وتغيرت وانهارت مبادىء وأفكار وآراء وأنظمة بنيت على الطغيان والجبروت ، ولـكن مظاهر الطغيان والجبروت لا تزال قائمة وطيدة الأركان فى بقاء هذه الدول الصغيرة تحكم الأمبراطوريات الضخمة وتتحكم فى مصير الشعوب المظلومة ، وأغرب المتناقضات وأبلغها بروزاً هو أن العالم الذى قام يحارب الطغيان والظلم يقر بحق هذه الدول الصغيرة ويعترف بسيادتها على هذه البقاع ولم يقف ليحول دون تعديها . لمـاذا ؟

لأن مثـل هولندة كمثل الطفل المدلل وسط الديمقراطيات الـكبرى لأسباب كثيرة وعوامل متعددة سوف نكشف الغطاء عنها . مثلها كمثل الطفل المدلل الذى لا يعجبه شىء ؛ فهو لا يرضى بما تقدمه إليه أميركا وبريطانيا من مزايا هو لا يعجبه الحيوان الأليف يلهو به ويلعب لأن جمعيات الرفق بالحيوان تخيف الدولتين إذا ما عُذب الحيوان الأليف ، أما إذا عذب الإنسان فليس هناك جمعيات تثور وتحتج .

هذا الطفل المدلل لا يرضى أن يلعب بالدبابات والأسلحة ومدافع التوى إلا إذا كانت حقيقية وهو لا يجمعها من الديمقراطيات ليلهو بها ويلعب أو ليضعها فى متحف الأسلحة . هو بطل صغير يرضيه شىء واحد هو التحكم والسيطرة على ثمانين مليوناً هم سكان أندونيسيا ، يريد استعبادهم واستغلال أراضيهم . أما هذه الأسلحة فليست ليلعب بها الطفل المدلل أو يستعملها للزينة والصيد والقنص وإنما يسره ويضحكه ويسليه أن توجه هذه الأسلحة إلى قلوب أهل أندونيسيا ليفنى جوعهم ويجعل منهم يوم نادوا باستقلالهم ، عبرة لمن اعتبر .

هذا الطفل المدلل على الديمقراطيات لم يجد من يقف أمام عبثه ولعبه ، لم يجد من يمنع جنوده وطائراته من المرور ، ولا من يمنع مدرعاته وسفنه المحملة بالعتاد من الوقوف فى البحر . فلماذا لا يحارب ؟ ولم لا يفرض إرادته على جاوة وسومطرة وبقية جزر الهند الشرقية ؟ هـذا ما تنبأنا به من قبل . ولـكن هنا يبرز الإسلام فى هذه البقاع كقوة مقاتلة مكافحة لا تلين . ما أتعس الاستعمار ورجاله حينما يواجهونه ، تفنى حيلهم وعلومهم وقوتهم أمام هذه الصخرة التى لا تلين . وسنرى من جهاد أهل أندونيسيا صفحة من الجهاد والـكفاح فى سبيل العقيدة يبرزفيها ما يجمع بين الموت والبطولة وهما أعظم ما أخرجتـه النفس البشرية فى هـذا الـكون وأعظم ما ورّثه الإسلام أهله من عظمة وجمال من يوم أشرقت شمس الرسالة المحمدية .

فتحية منا إلى الشهداء الذين سقطوا فى ميدان الحق . إنهم الطليعـة الأولى الذين ستتبعهم الجموع ، إذ بموتهم واستشهادهم سيكون الخير كل الخير ، لا للعالم الإسلامى وحده ، بل سيضربون بموتهم مثلا خالداً للعالم كله ولشعوبه التى تئن تحت الظلم والطغيان . اننا ننحنى أمام هذه الطليعة ونحيى الدماء التى سفـكت فى سبيل الحق ، ونصلى صلاة الغائب عليها فى مساجدنا الجامعة ونهتف من أعماق القلوب ونقول إنها حية إلى الأبد فى قلوبنا .

***

وغريب أمر المستعمرين ! إنهم شرذمة واحدة تسـير على خطوات منظمة . انظر إلى القائد الذى يقول لجنوده : « إنـكم لا تعادون الشعب الأندونيسى ، بل تعملون على تحريره من الطغيان والإرهاب » إنه نبوليونى التفـكير ، لأن السر عسكر بونابارت خاطب جنوده بهذا الأسلوب وخاطب به أهل الإسكندرية ، ولم يمنع هـذا التحرير من الظلم أن أصاب مصر ما أصابها على أيدى جنوده ، ولا يزال لدينا مائة وثمانون أثراً إسلامياً ومسجداً خراباً من هـدم جنوده غير الدماء التى سفكوها والحرم التى انتهكت على أيديهم .

ضع هذا التصريح بجانب منشور الطليان حينما دخلوا طرابلس وحينما بدأ بادوليو وجرازيانى حملاتهما على أهالى برقة وليبيا ، وتساءل هل كان القتل والتشريد وإفناء السكان إلا لتحريرهم ؟ إنهم شرذمة واحدة تسير على خطوات منظمة : لله درهم ! ولـكن مضى الوقت الذى كان يصدق فيه الناس هذه الأقوال .

إن أنظار العالم بأكله تتجه اليوم إلى أندونيسيا وكفاحها وهو لا شك كفاح مجيد ؛ وسوف تتحطم مرة أخرى أصنام الطغيان وتبرز فى العالم القيم الحقيقية المستمدة من روح الشعوب المجاهدة مها لاقى الأحرار من عنت .

إننى أحييكم من صميم القلب أيها الزملاء فى القتال ، أيها الرفاق فى السـلاح ، إنكم بمعارك اليوم وبافتدامكم وضحاياكم تفتحون طريق الحياة للعالم الجديد ، فطوبى لـكم !

أحمد رمزى

شهر النصر

للأستاذ محمود محمد شاكر

كان محمد صلى الله عليه وسلم ، قبل أن ينبأ رجلا من العرب ، ثم كان أول ما بدىء به من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك . ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء . ومن يومئذ صار هذا الرجل من العرب رسول الله الذى وجبت على الناس كافة طاعته والامتثال لأمره فيما نهى عنه وما أمر . وذلك أول الإسلام الذى نفض العرب من بواديهم حتى ملأوا الأرض عدلا وإيمانا وتكبيراً باسم الله العلى الأعلى .

وقد فجئه الحق وهو بغار حراء فى يوم الاثنين لثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، فيومئذ نزل أول القرآن إذ قال له الملك : (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : « لقد خشيت على نفسى ! » فقالت خديجة : « كلا ، والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » . فكان كما قالت رضى الله عنها ، فلم يخزه ربه الذى أرسله بالحق ليهدى الناس إلى صراط مستقيم . وذلك أول الإسلام .

ثم كانت سنة ثنتين من الهجرة ، ففى يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان كانت غزوة بدر الكبرى ، وهى الوقعة العظيمة التى فرق الله فيها بين الحق والباطل ، وأعز الإسلام ودمغ الكفر وأهله ، وكانت فيصلا فى تاريخ الإسلام . ويومئذ حقق الله للمؤمنين ما وعدهم إذ يقول : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن كثيراً من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر القوم الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) ثم قال الله تعالى يمن على المؤمنين ما أكرمهم به : (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون)

فكانت بدر الكبرى هى المنة العظمى على البشر جميعاً ، إذ أتاح الله يومئذ للمسلمين أن يسيحوا فى الأرض ، وأن ينصروا الله وأن يجعلوا كلمته هى العليا ، وأن يردوا العرب إلى شريعة أبيهم إبراهيم عليه السلام وهى الحنيفية السمحة ، فانكشفت خلائق العرب بنبلها وكرمها وعدلها وصفائها حتى لم يبق على ظهر الأرض من بلغته الدعوة ، أو من رأى هؤلاء الأحرار المؤمنين حتى تبع قبلهم وآثرهم بالحب ، فمكن الله للعرب أن يفتحوا الأرض ويثلوا العروش ويملكوا ما أظل ملك كسرى وقيصر فى ثمانين عاماً ، وأقاموا حضارة قامت على العدل والمساواة والإنصاف والتسامح ، وعلى رعاية أهل الأديان وحياطتهم ، وعلى رد بغى الباغين وعدوان المعتدين من أى ملة كانوا .

كان الإسلام فيصلا حقاً فى تاريخ الأديان ، وكان أول أمره فى يوم الاثنين لثمانى عشرة ليلة خلت من رمضان ، وكانت غزوة بدر الكبرى التى نصر الله فيها أهل الإسلام من العرب فى يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان . ثم شاء الله أن يدور الزمن دورته على مجد العرب وحضارة العرب . وأن تكون مصر والسودان مناط آمال العرب فى هذا العصر ، وشاء ربك أن ينعقد إجماع مجلس الأمن على أن تعرض قضية مصر والسودان فى يوم الثلاثاء بعد أن تخلو من رمضان ثمانى عشرة ليلة من سنة ١٣٦٦ من الهجرة ، وهو اليوم الموافق للخامس من أغسطس سنة ١٩٤٧ من ميلاد المسيح عليه أفضل الصلاة والسلام . إنها إن شاء الله بشرى الحق بأن الله قد كتب لقضية مصر والسودان أن تخرج من معمعة مجلس الأمن مؤيدة بنصر الله (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) . فهذا شهر مبارك قد عود الله فيه

العرب والمسلمين أن ينصرهم على عدوهم ، وأن يمكن لهم فى الأرض ، وأن يؤيدهم بالنصر فى ساعة العسرة حيث هم قليل مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس ...

ولا يستهينن أحد بخطر هذه القضية ، فإن مصر والسودان هى قلب إفريقية أولا ، ثم هى قلب العالم العربى ، ثم هى قلب العالم الإسلامى كله . فالنصر الذى سوف تناله إن شاء الله على بريطانيا هو نصر لهذه الثلاثة واجتماع لكلمتها ، وتاريخ جديد لحياة إفريقية وحياة العرب وحياة الإسلام .

إنها ساعة فاصلة فى تاريخنا ، فعلى كل مصرى سودانى أن يعد عدة الجهاد ، وأن يملأ منذ اليوم كنانته ، وأن ينصر هذا الوفد الذى سافر إلى أمريكا بيده وقلبه ولسانه . وهذا فرض واجب لا يكاد يسقط عن أحد منا من ذكر أو أنثى . فإننا فى ساعة يصنع فيها التاريخ ، وإن يخطىء المخطىء المتعمد ، أو يولى المقاتل المهيب إلا كان ذلك فتاً فى أعضاد المجاهدين الذين رموا بأنفسهم فى وطيس المعركة .

ونحن نناشد زعماء الأحزاب الذين تعودوا الخلاف والنزاع أن يكفوا غرب ألسنتهم عن إخوانهم الذين سبقوهم اليوم إلى جهاد عدوهم ، وأن يوجهوا قدرتهم على الطعان إلى نحور القوم الذين اغتصبوا حقنا وآذونا وضربونا بالذل والهوان أكثر من ستين عاماً ، ولم يرعوا فينا شيئاً من إنسانية أو شرف . وكل كلمة تنال من وفدنا إلى أمريكا هى ضرب من التخذيل يسوء مصر والسودان ، ويسر بريطانيا التى تحاول اليوم أن تملأ الدنيا علينا كذباً ، فلا نكونن إذن حرباً على أنفسنا ، وعوناً على اهتضام حقها ، ونصراً لأعدائنا على أنفسنا .

* * *

وحقيق بمصر والسودان فى هذه الساعة الفاصلة التى شاء الله أن يوافق تاريخها الساعات الفاصلة فى تاريخ العرب والإسلام حقيق بها أن تتوجه إلى الرجل العربى الشريف الأصل الكريم المحتد الطاهر النسب ، والذى إن شاء كان النصر الأعظم الحاسم لقضية مصر والسودان ، وكانت كلمته القضاء الفصل والحجة الدامغة لأباطيل بريطانيا ودعواها ، الرجل الذى هو ثانى اثنين فى السودان ، فشق الانجليز ما بينهما بالدسيسة والوقيعة والتخذيل حتى فرقوا بين الأخوين .

فإلى الرجل الذى مثلت بريطانيا بجثمان أبيه الطاهر ، وإلى الرجل العربى المسلم الذى يؤدى حق ربه وحق عباده خاشعاً متخشعاً لله ، وإلى المصرى السودانى الذى أراد الله أن يمتحنه بأعظم المحن فى هذه الساعة الفاصلة فى تاريخنا ، وفى هذا الشهر المبارك من شهور الإسلام — إلى السيد المهدى :

إنك أيها الشريف رجل من العرب ثم رجل من المسلمين قد أكرمك الله وأيدك وبارك لك وأعانك ، والرجل العربى المسلم لا يتخلف عن نصرة الحق بل هو كما قال له ربه : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » . والرجل العربى المسلم لا يلدغ من جحر مرتين ، وبريطانيا قد لدغتنا جميعاً مراراً كثيرة . أليس زعمها أنها حريصة على استقلال السودان وكفالة حرية أهله فى تقرير مصيرهم ، هو نفسه ما كان يوم دخلت مصر زاعمة أنها لا تريد استعماراً ولا اعتداء ، وأنها إنما تريد تثبيت العرش صدقة وتبرعاً ، فإذا استتب عادت إلى بلادها وجلت عن بلادنا ؟ فهل فعلت أيها السيد الشريف العربى المسلم ؟ إنى لأنزهك عن أن تخدع بكذب بريطانيا فهى أكذب من هذه الحياة الدنيا وأغدر .

وخلائق الدنيا خلائق مومس للمنع آونة وللإعطاء
طوراً تبادلك الصفاء ، وتارة تلقاك تنكرها من البغضاء

فهذه بريطانيا العدو المحتال الذى من شيمته أن يوقع بين المتحابين ليحطم بأسهما جميعاً . وهذه مصر التى ربطها الله بالسودان منذ أقدم الأزل والتى هى قطعة من السودان يراد بترها منه ، فإلى أيهما أنت أقرب ، وفى هوى أيهما أنت أرغب ؟

إننا ندعو الله الذى هدانا وهداك إلى الإسلام أن يهديك إلى الحق ويسددك وينصرك ، وأن يوفقك إلى ما يتمناه قلب كل مصرى وسودانى : أن تكون ناصر الإسلام وقاهر الأعداء ومحق الحق ومبطل الباطل ، فتضع يدك فى يد أخيك السيد الميرغنى وتخرجا على بريطانيا مرة أخرى واحدة تعلنان أن مصر والسودان أمة واحدة وأن بريطانيا كاذبة فيما ادعت علينا وعليكم ، وأن لا حياة لأحدنا إذا اقتطع عن صاحبه . افعل هذا أيها السيد الشريف العربى ، تكن أعظم مجاهد فى تاريخ إفريقية وتاريخ العرب وتاريخ الإسلام . افعل هذا فى شهر رمضان الذى أنزل

فيه القرآن ، والذى نصر الله عباده ببدر وكانوا يومئذ مستضعفين فى الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس . افعل هذا أيها الشريف العربى تنل بكلمة واحدة مجد الأبطال ومجد الملوك ، ويصبح اسمك هدى ومناراً لكل عربى وكل مسلم ما بقى على الأرض عربى أو مسلم . إننى أدعوك باسمى وباسم الصداقة التى كانت بينك وبين أبى رحمة الله عليه . أدعوك دعوة رجل صائم لله وأدعو الله أن يهديك ويؤيدك بنصرك ويمكن لك ، وفى هذا الشهر الطاهر المبارك يرجو المسلم أن تستجاب دعوته : فاللهم أعنا وانصرنا بالهدى . اللهم خذل عنا أعداءنا . اللهم أنقذنا وارحمنا وكن عوناً لنا ولإخواننا فى الدين والعروبة .

أيها الشريف العربى ، إننا وقوف نترقب ، ونتوق ، ونتلهف . وظنى فيك أنك فاعل ما أراد الله من نصرك لأهله ، وأنت أهل الخير ومعدن الكرم وابن الصناديد الأماجد من بنى قحطان . والسلام عليك أيها الرجل سلام أخ وابن أخ .

محمود محمد شاكر

صور مشهودة :

من صميم الواقع ...

للأستاذ محمد سليم الرشدان

عرفت أديباً ذائع الصيت ، طوّف فى بعيد الأقطار وقريبها ، فأفاد من ذلك علماً فى خلائق الناس ، إلى جانب ما هو عليه من سمة اطلاع ورجاحة عقل . وعرفته كذلك عصامياً ابن نفسه ، لم يعتمد على مال يسنده ، ولا جاه يرفده . نخاض ميدان الحياة دائباً صابراً ، وانتهى إلى ما أحب دون ما صخب أو جلبة ، ودون أن يظهر عليه أثر من خيلاء الفوز ببلوغ الغاية .

وعرفته إلى جانب ذلك كله مؤمناً — مفرط الإيمان — فى مبادىء اختطها لنفسه ، ومقاييس وقف عندها لا يعدوها مهما يحوطه من ظروف . وربما خطر لى أن أتهمه بأنه يحمل ذلك عن طريق تربيته الأولى ، فهى أصداء تتجاوب فى قرارة نفسه ، وامله لا يقوى على دفعها ومغالبتها ، بل ربما ضاق بها أحياناً ، فى إحدى هذه الفترات التى أبصره فيها ساهماً واجماً كأنما هو يلمس مكانها من نفسه (كلما عاد إلى تلك النفس) فيقف عند حدود ما أتهمه به ! وهو مع ذلك لا يتنكر لها ، ولا يتبرم بملازمتها ، حين يرى هذا الإجماع من إخوانه وأخدانه على استهجانها واستثقال ظلها ، فى هذا الزمن الذى تغيرت فيه مقاييس الناس واعتباراتهم !

أجل . كذلك عرفته منذ كشف لى عن دخيلة هذه النفس الغامضة ، وطالما سمعته يتحدث إلىّ بصوته الخفيض كلما جلسنا على انفراد ، فيقول : أتدرى — ويحك — من هى فتاة أحلامى التى لم أجد لها شبيهاً منذ شرعت أبحث عنها ؟! فأبتسم فى وجهه وأنا أعلم من هى ، فقد حدثنى عنها طويلا — وإن اختلفت أساليب حديثه — ولكنى لم أجد بداً من أن أسترسل فى مجاملته فأقول : ومن أين لى أن أدرى — ياحفظك الله — من تكون ! فتبدو على محياه سمات الرضوان لهذا (الجهل) ، الذى سيمكن له من أن يطيل فى الوصف ما شاء خياله الجامح ، ويقول : إنها — يا أخى — فتاة قد أصابت حظاً من العلم ، يكفى لأن يجعل منها أماً صالحة وقد تقول إن هذا أمر ميسور يتفق فيه الفتيات جميعاً ؟! غير أن فتاتى يجب أن تكون إلى جانب ذلك ، ربيبة بيت ما يزال يتفيأ ظلال الدين والتقوى ، ويتقلب ذووه على مهاد وثير من الفضيلة والخلق العربى الكريم . ولابد من أن يكون لها إخوة كذلك ، ألمس فى نفوسهم جانباً من هذه الأخلاق ، وأتحسس مدى رجولتهم وأنفتهم . فأنا مؤمن بالقول المأثور : « تكاد المرأة تلد أخاها .. » ولا يعزب عنك بأننى شديد الحرص على أن يكون هذا (الخال) الذى أتخيّره لابنى ، موضع اعتزازه حين ينصرف إلى أترابه ولداته . ولست أبالى من هذه الفتاة بعد ذلك ، أن تكون كيف شاءت ، فحسبى أن تستوفى جمال النفس وجمال الخلق ، فتجمع الكمال من أطرافه . علم تزينه الفضيلة ، وخلق يجمله النظام والتدبير . وهل سعادة العيش إلا بذلك ؟!

ولا أعترض ما يقول ، فطالما ألفيته شديد الغيرة على هذه الصورة الجميلة التى رسمها فى خياله وحاطها بسياج من أحلامه الذهبية . وما أزيد على أن أقول : وأين تراك واجداً هذا ؟ وهل تظن هذه المتعلمة ستضع نقاباً على عينيها فلا تبصر من آثار هذه المدنية شيئاً ؟! أم تتوهمها (وقد تعلمت) لم تقرأ شيئاً من هذه المجلات الداعرة التى تعرض عليها ألواناً شتى من ضروب العبث

فى كل أسبوع ، وتربها مختلف الأوضاع فى التبرج والعرى ! ثم هى إن زارت (دار الخيالة) ولو لماماً ، أفلا نظنها تقتبس منها ما يشوه عليك هذه الصورة الشعرية الفاتنة ؟! ولا يكون من صديقى إلا أن يحدجنى بنظرة ملؤها الأنكار وهو يقول : ستكون حيث وصف لك ، ما دامت قد نشأت فى ذلك البيت الذى عينته

هذا الحديث لم يكن جديداً علىَّ من ذلك الصديق ، ولكن الذى كان جديداً أن أراه قد أقبل على يوماً ، وجهه يتهلل بشراً ويتدفق سروراً وهو يبادرنى قائلا : ألم أقل لك إنك تسرف فى تشاؤمك حين تزعم أن الذى أبحث عنه ليس فى عالم الحقيقة ؟! لقد وجدتها على ما خيَّلت ووصفت ، وكأنما كنت أستلهم الغيب حين تحدثت لك عنها ، فما تزيدت فيما قلت شيئاً !! يا لله ما أعجب !! أتظن ذلك من ضروب المصادفة وليس غير !؟

ولا يكون منى إلا أن أشاطر هذا الصديق سروره حين أعلم أنه تقدم فطلب يدها ، ثم أجابه إلى ما طلب ذلك الصهر الذى لم يدع صفة من صفات الكمال إلا نسبها إليه ، ومما حدثنى به عنه أن قال : ليتك كنت معى ، فتسمع إلى رجل يحدثك بقلبه ولسانه (وقليل ما أولئك) ، تراه وأبناءه جميعاً يلبون داعى الله إذا نودى للصلاة فى أوقاتها ، فيتسابقون إليها من صغير وكبير !! ثم إنهم لا يصيبون من طعام أو شراب ، ولا يأتون عملا صغر أم كبر ، إلا متأدبين بآداب الإسلام مقتفين سنة نبيه الكريم !! وما لك لا تراه نسيج وحده بين أهل هذا الزمان ، حين أقسم لك جاهداً : أننى رأيته يدعو أبناءه ليتعطروا قبل الصلاة من يوم الجمعة ، بعد أن يأخذوا زينتهم يأتسون بالنبى فيما كان يصنع . أرأيت ! ! بل أنى لك أن تكون رأيت أحداً من مثله ؟ !

وقال صديقى متحدثا عن هذا الصهر التقى كذلك : وقد أحببت — يا أخى — أن أحتاط للأمر . فحدثته أننى رجل كثير الخصوم ، وإن كنت لا أعرف معظمهم !! فهم يخاصموننى لوجه الشيطان ! وينتقصوننى بما يفثأ سخيمة نفوسهم المضطرمة حسداً وغلا ... فقال الرجل النبيل : وهذا مما يزيد قدرك فى نفوسنا ! فذو العلم والفضل محسود من صغار النفوس ، يتلمسون له العيوب ليجذبوه إلى حضيضهم الذى ترَدوا إليه ، ورضاء الناس غاية لا تدرك ...

فقلت — منشرحاً لما أصاب صديقى من نعمة الاستقرار — إذن يوسعى أن أقول مع الشاعر :

فألقت عصاها واستقرَّ بها النوى
كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

قال أجل . بوسعك بوسعك ! وإننى منصرف إلى أهلى أزف إليهم البشرى ...

وانقضت أيام بعد ذلك . ثم لقيت هذا الصديق (مصادفة) فى ندى ، فإذا هو قد غاض من وجهه ذلك البشر ، وإذا هو ساهم مطرق حائر . فقلت له : ويحك ماذا ألمَّ بك ؟ ألم تعثر على ضالتك المنشودة ؟ فماذا ترتقب بعد ذلك !! قال لا أرتقب شيئاً ، فقد أضللتها ثانية ، ولن أنشدها (من هذا السبيل) بعد اليوم !! قلت وكيف ؟ لعلك انتهيت إلى غاية غير التى توخيت ؟! قال أجل انتهيت إلى شر غاية ! وإن كنت تعدنى بأن لا تجادلنى بسبب ما صرت إليه فيما أحدثك به حدثتك . قلت أعدك ! قال : فاعلم إذن أن الرجل قد نكث العهد وخاس بالوعد !! قلت : التقى النقى (بقية السلف الصالح) كما قلت ؟! قال : إياه عنيت . وكان هذا بعد أن أذعت بالخبر فى أهلى ، ولقيت العنت فى إرضائهم ، ورد ما يعترضون به علىَّ !! واعلم أننى من جراء ذلك تنازلت عن يقين طالما حرصت عليه أشد الحرص ، وهو الإنكار على (أبى العلاء المعرى) مدلول بيت من أبياته ، وأنا — بعد اليوم — ممن يرون رأيه . فلا تعجب إن سمعتنى أردد بلسان الإيمان قائلا ما يقوله عن يقين وتجربة ، « وحسبك بالمجرب من عليم !!.. » .

وهنا ألفيت مدخلا عليه ، فإذا أنا أطمئن فى جلستى ، استعداداً لجدال طويل ، وذلك على نحو مما تعودت أن أصنع معه حين أجادله . ولكنه أدرك ما عزمت عليه ، فإذا هو يبادرنى بقوله : ماذا ؟ أنسيت ما اشترطت عليك ؟ !

وما نسيت ، ولكننى أحببت أن أتأول ، فلا تفوتنى لذة المناقشة فى هذا التقلب الذى صار إليه ، فقلت : إننى لم أنس ، غير أنى ... فقال مقاطعاً حانقاً : ولا هذه (الغير) تجوز لك ، فانته عند حدودها قبل أن توغل !!

فعزَّ علىَّ أن أضيف إلى ما انتهى إليه سوء العشرة ، فقلت: أفعل! وانتهيت كما أحب . وفى النفس حاجات ...

(القدس) **محمد سليم الرشدان**

ماجستير فى الآداب واللغات السامية

من وحى الصوم :

عشــــاق الطعام ! !

للشيخ محمد رجب البيومي

النهار طويل ممل ، والقيظ لافح محرق ، وقد هجم رمضان على الناس بلا هوادة ، فجفف الحلوق وطوى البطون ، وأخذنا نتلمس الليل فلا نكاد نظفر به لقصر مدته ، وسرعة دورته ، وكم امتدت الأيدى إلى عقارب الساعات تستحثها السير ، وتسألها العجلة ، فتمضى بطيئة ثقيلة ، وما تتم دورتها المحددة حتى تهن العزائم بعد قوة ، وتستسلم الأجسام الفتية إلى الضعف والإعياء

ولقد بينت فى العام الماضى على صفحات الرسالة كيف وقف فريق من الأدباء موقف العداء الصريح من هذا الشهر الكريم فأوسعوه ما لا طاقة له باحتماله من الذم والقدح ، وأريد اليوم أن أرفه عن القراء بحديث قوم أخلصوا لبطونهم واسترسلوا مع شهواتهم فهم يتفقدون الطعام فى كل زمان ومكان ، حتى إذا اشتموا رائحته سقطوا عليه كالضوارى الفاتكة ، وما أجمل أن نشيد بذكرهم فى هذه الآونة ، لنعتاض عن الطعام بالحديث عن أبطاله الأفذاذ وفرسانه المغاوير .

وإن تك قد منعت لقاء ليلى ففى أخبارها أرج يفوح

ونحب أن نعلن أن التفنن فى المأكل والمشرب ليس مذمة تشين صاحبها ، فقد أباح الله لنا أن نأكل من الطيبات ما لذ وراق « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » كما حرص عز وجل على أن يسهب فى غير موضع من القرآن فى وصف ما بالجنة من فاكهة ولحم طير وخمر ولبن وعسل . لما يعلمه جل ذكره من لهفة ابن آدم على الطعام ، وتطلعه إليه فى شوق وانكباب .

ونحن نرى رجال الصوفية وهم المثل الأعلى فى التقشف والزهد لا يتحرجون من الطعام الكثير متى وجدوه ، فقد كان عمر بن الفارض رضى الله عنه بطيناً سميناً يأكل ويأكل حتى يلفت إليه الأنظار . وكان إبراهيم بن أدهم يتفق معه فى مذهبه ، فقد دفع إلى بعض إخوانه دراهم عديدة وقال : خذ لنا بهذه زبداً وخبزاً وعسلا . فقال يا أبا إسحاق : بهذا كله ؟ فقال إبراهيم ابن أدهم : ويحك ، إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال ، وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال .

كما روى عن سفيان الثورى قصة عجيبة فقد جلس على مائدة مليئة وفوقها حمل شهى ، فأخذ يأكل مع أصحابه بنهم؛ فقال صاحب المنزل · ياغلام ارفع المائدة إلى الصبيان ، فرفع الحمل إلى داخل البيت. فقام الثورى يعدو خلفه . فقال صاحب المنزل إلى أين يا أبا عبد الله ؟ فقال آكل مع الصبيان . فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل ثانية إليه

ولقد طالعت فى كتب المتصوفين اصطلاحات عجيبة تدل على كلفهم بالمأكل والمشرب . فالحمل عندهم هو الشهيد بن الشهيد ، والقطائف هى قبور الشهداء ، والفالوذج هو خاتمة الخير ، واللوزينج هو أصابع الحور ، وهذا قليل من كثير جداً ذكره الثعالبى فى كناياته ، والأصفهانى فى محاضراته فليرجع إليهما من شاء

وإذن فالكلف بالطعام ليس بمذموم على إطلاقه ، ولكن لكل شىء نهاية ، فإذا أدى الكلف إلى النهم والشره فذلك ما لا يطاق معه صبر واتئاد . وأذكر أن صحابياً جليلا — أظنه ابن عباس — دخل عليه سائل نهم فأكل أكلا عنيفاً ، فجعل ينظر إليه فى تعجب ، حتى إذا خرج من عنده قال لخادمه إياك أن تدخله مرة أخرى ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء

ويعجب المطلع على الأسفار الأدبية حين يجدها متخمة بأخبار الكثيرين ممن أطاعوا شهواتهم فجن جنونهم بالطعام ، ينصبون له الحبائل ، ويتصيدونه من مظانه ، باذلين ما يملكون من جهد فى تحقيق رغبات أمعائهم ، سالكين شتى الطرق المباحة والمحرمة ، لا يزعهم وازع من خلق ، ولا يقف أمامهم زاجر من ضمير ، حتى كان من أحدهم أن رفع يده إلى السماء — حين قيل له هذه ليلة مباركة — فقال: اللهم اجعل التخمة دائى وداء عيالى . وسلك نهجه شره آخر فقال: اللهم إنى أسألك ميتة كميتة أبى خارجة ، أكل حملا وشرب معسلا ونام فى الشمس ، فلقى الله شبعان ريان دفآن ملآن ! !

ومن المدهش الغريب أن يجاوز النهم طبقات العامة والدهماء إلى الملوك والخلفاء ، وخاصة رجال العصر الأموى فقد أطلقوا العنان للذاتهم ، ونضدوا الموائد الدسمة لرغباتهم، وكان كل خليفة ينظر إلى طعام من قبله فيزيد عليه متفنناً متخيراً ، وكأن الطعام قد صار كل شىء فى الدولة ، فهو الميدان الأول للتنافس والمباهاة !

وقد انتقلت حمى الجشع والنهم من الخلفاء إلى الأمراء والحكام فى هذا العصر الشره ، فكان عبيد الله بن زياد يأكل قبل غدائه أربع خرادق أصبهانية . وكان الحجاج بن يوسف ينسج على منواله ، قال سلم بن قتيبة : عددت للحجاج أربعاً وثمانين لقمة ، فى كل لقمة رغيف من خبز ، وفى كل رغيف ملء كفه سمك شهى . وكم تندر العرب بنهم خالد القسرى وعبد الله ابن المغيرة الثقفى ، مما يؤكد لنا أن الناس على دين ملوكهم فى كل زمان .

ونبدأ بمعاوية ، فنذكر أنه كان ذا أنياب حادة ، وأضراس مفترسة ، تأتيه المائدة محملة مثقلة فترجع خاوية خالية . وكانت الوفود تترى عليه من القبائل النائية فتعجب لما تشاهد من طعامه وشرابه ، وتتحدث بذلك فى شتى الأصقاع ، حتى قال فيه الوليد بن عقبة :

إذا ماخرجنا من دمشق فلا نعد لها أبداً ما دام فيها الجراضم

وأهل اللغة يقولون الجراضم هو الواسع البطن الكثير الأكل

ثم نثنى بهشام بن عبد الملك فنسجل له مهارته النادرة فى هذا المضمار ، فقد خرج للتنزه ذات يوم فرأى راهباً يتحنث فى بستان له ، فدخل عليه فأخذ الراهب يجمع له من الفاكهة ما يقدم عادة للملوك والخلفاء ، وهشام يأتى على ما يجيئه غير مقتصد فى نهمه ، ثم قال له : أتبيعنى هذا البستان ؟ فسكت الراهب ولم يجب ، فقال له : مالك لا تجيبنى ؟ فقال وددت لومات الناس جميعاً غيرك ، قال : لماذا ويحك ؟ فقال الراهب : عسى أن تشبع !

أما الوليد بن يزيد فلم يكتف بالبطولة فى ميدان الطعام بل ضم إليها بطولة أخرى فى ميدان الشراب ، قال ابن أبى الزناد كنت عند الوليد ذات مساء فدعا بالعشاء فتعشينا ثم جاءت المغرب فصلينا ، وجلس ثم قال اسقنى ، فجاءوا بإناء مغطى وجىء بثلاث جوار فصففن بينى وبينه حتى شرب ودهش . فتحدثنا واستسقى ، ثم ما زال كذلك حتى طلع الفجر ، فأحصيت له سبعين قدحاً من الشراب ! !

وقد يظن كثير من القراء أن هذه الأخبار ملفقة مصنوعة قد ألصقت بأصحابها إلصاقاً لما يرون من غرابتها العجيبة ، وأنا لا أرتاب فى صحتها لحظة واحدة ، لأننا نشاهد فى عصرنا الذى نعيش فيه من يزيدون شراهة ونهماً عمن ذكرنا من الخلفاء ، فعندك « فقهاء »(1) الريف يجلسون على الموائد المتعددة فى ساعة واحدة دون ملالة أو سأم ، وكأنهم يرحمون الخدم فيغسلون الأطباق غسلا لا يحتاج معه إلى تنظيف وتجفيف . ورحم الله الأستاذ الشيخ عبد العزيز البشرى فقد ذكر فى الجزء الثانى من المختار ما رآه بعينه من الجشع والشره دون أن يخبره به مخبر ، وهو عندنا صدوق مصدق . ولم لا أعلن القراء أنى شاهدت نهما يأكل من سفط مملوء بالخبز اللين والجبن — وكنا نركب القطار من المنصورة إلى الزقازيق — فما كدنا نقطع الطريق حتى كان صاحبنا قد ترك الوعاء خالياً مما فيه ، وكان يستعين على أداء رسالته الجسيمة بالشراب المثلج بين الفينة والفينة حتى وفق فى مهمته أكبر توفيق ! ! فهل نشك بعد ذلك فيما تروية الكتب من أنباء؟

أما الطامة الكبرى فهو سليمان بن عبد الملك فقد فاق من تقدمه فى مضماره ، وتحدث الناس بنهمه كما يتحدثون عن معجزة خارقة أخذت بمجامع الألباب ، وهم يروون له قصة عجيبة نسمعها فتدعنا فى حيرة منها ومنه ، وما ظنك بمن يأكل فى مجلس واحد جدياً مشوياً وخمس دجاجات وقصعة كبيرة من الثريد ثم يقعد ليشتكى الجوع ! ! ولقد كان جشعه هذا سبب موته ببطنته ... قال أبو الحسن المدائنى أقبل نصرانى إلى سليمان بن عبد الملك وهو بدابق بسلتين ، إحداهما مملوءة بيضاً والأخرى مملوءة تيناً ، فقال قشروا ، فجعل يأكل بيضة بيضة ، وتينة تينة ، حتى فرغ من السلتين . ثم أتوه بقصعة مملوءة مخاً بسكر فأكله فأتخمه ، فرض ومات صريع الطعام ! !

ونعرج على خلفاء العصر العباسى وأمرائه فنذكر أنهم ضربوا فى هذا الباب بأوفر سهم ، ويكفى أن نعلن أن الواثق والمتوكل والمستعين والمنتصر والمعتمد لم يكن يعنيهم من أمور الدولة ومشاغلها غير الطعام والشراب . وكانوا إذا فرغوا من الموائد انتقلوا إلى الحديث عنها مع من يلوذ بهم من الأمراء والسمار ، حتى ليجوز لنا أن نسمى هذا العصر عصر الموائد والولائم — كما يقول الأستاذ العقاد — وهل رأيت قبل المتوكل على الله خليفة غضب على سميره ونفاه من مجلسه لأنه لا يتفنن فى الطعام ؟ وهل رأيت أسفاراً ضخمة كتبت فى هذا الموضوع بذاته فى غير زمان بنى العباس ؟ فقد ظهرت ثلاثة كتب فى فن الطبيخ وحده وضعها أحمد بن يوسف الكاتب ، وجحظة البرمكى ، وإبراهيم بن العباس الصولى ، « وخفت مذمة النهم لأنه أصبح قدرة وعلماً وظرفاً ، وكأنه فى ذلك كله أقرب إلى الفخر منه إلى

(1) فقيه القرية : هو مقرئها الذى يحفظ القرآن .

الملامة ، وربما كان الخليفة وجلساؤه يتواعدون إلى الموعد ، ومع كل منهم طعامه يتفكهون باستعراض ألوانه والمقابلة بين صناعاته وطعومه[1] »

وتسألنى لماذا أولع المؤلفون بتسجيل نهم الأمويين ومذمتهم دون العباسيين مع أن بنى أمية لم يبلغوا شأوهم فى هذا المضمار ؟

والجواب أن خلفاء العصر الأموى مبتدعون مخترعون ، لحقت عليهم الملامة والمذمة دون من ترسموا خطواتهم ، لا سيما وقد حكموا الناس بعد الخلفاء الراشدين مباشرة ، وهم كما نعلم أهل تقشف وورع فكانت عورتهم واضحة ، وسبتهم بلقاء ، وليت شعرى أين الأرض من السماء ؟!

هذا ولن يتعجب أحد من ميتة سليمان بن عبد الملك بسبب بطنه ، فكثير من الآكلين يرون من الفخر أن تحين آجالهم فى معركة حامية تستخدم فيها الأنياب والأضراس ، وتدور رحى الخضم والمضغ ، وهنا تكون الشهادة فى ذمة الشره والنهم ، وإن قائلهم ليصيح :

ألا ليت لى خبزاً تسربل رائباً وخيلا من البرنى فرسانها الزبد
فأقضى فيما بينهن شهادة بموت كريم لا يعد له لحد ! !

وخيال هذين البيتين يعطيك فكرة حميدة عن النضوج الذهنى لعقلية قائلها ، ويخبرك أن بين المنهومين من صقله الطعام ، وثقفه الشراب فأتى فى شعره بالتركيب المتسق والمعنى البارع ، والعقل السليم فى الجسم السليم !!

وأنت لو نظرت إلى أجوبتهم المسكتة ، وردودهم المفحمة لعلمت أن وراء هذه البطون المكتظة عقولا فذة مفكرة تقتحم مناظرها وتستحوذ على الإكبار والإعجاب ، ودونك فاستمع هذه النادرة :

كان للمغيرة بن عبد الله الثقفى وهو على الكوفة جدى يوضع على مائدته فلا يأكل منه ، فتقدم أعرابى وتعرق عظامه ، فقال : يا هذا أتطالب هذا البائس بذحل ؟ هل نطحتك أمه ؟ فأجابه على البديهة ؟ وأنت شفيق جداً عليه هل أرضعتك أمه ؟

وهذا الجواب من الابداع بمكان وهو ينفى تهمة البلادة التى تلصق بهذه الطائفة إلصاقاً ، مع أن الذكاء والغباء لا يأتيان من القناعة أو الشراهة ، بل هما مما ركب فى النفس يوم أن ذرأها الله وإلا فلدى قصة عجيبة تدل على ذكاء لماح ونضوج فذ ، وما أظنها تدع للقارىء شكا فى صحة ما أقول :

استضاف أعرابى صديقه وكان نهماً أكولا ، فقدم إليه لحلا من الأوز ، وكانت الأسرة جميعها تأكل معه ، فأخذ الضيف الرأس وأعطاها لصاحبه ، والعجز فأعطاه لامرأته ، والجناحين فأعطاهما لابنيه ، والساقين فأعطاهما لابنتيه ، ثم هجم على الباقى فما ترك منه شيئاً !! وحين اختلى الرجل بزوجته صمم على أن يكثروا من اللحم ما دام الضيف على هذا الجانب من الشراهة . فأحضر على المائدة فى المرة الثانية خمس دجاجات ، وانبرى الضيف للقسمة فقال أأقسم بالشفع أم بالوتر ؟ فقيل له بالوتر ، فأعطى الرجل وامرأته دجاجة وقال ثلاثة ثلاثة (١) وأعطى الولدين دجاجة وقال ثلاثة ثلاثة ، وأعطى البنتين دجاجة وقال ثلاث ثلاث ، ثم أشار إلى نفسه وأخذ دجاجتين وقال ثلاثة ثلاثة ! ! وهنا صاحت المرأة : نريد القسمة بالشفع ، فأعطى الرجل وابنيه دجاجة وقال أربعة أربعة ، وأعطى المرأة وابنتيها دجاجة وقال أربع أربع ، ثم أشار إلى نفسه وأخذ ثلاث دجاجات قائلا أربعة أربعة !! فأكل الجميع فى وجوم ثم انصرف الضيف بعد ذلك مشهوداً له بالبراعة والتوفيق ! !

(البقية فى العدد القادم) **محمد رجب البيومى**

(١) ابن الرومى للأستاذ العقاد

(١) أى أن الرجل وامرأته اثنان والدجاجة الثالثة ... وهكذا .

هـــوى المرأة

للآنسة نعمت أحمد فؤاد

ليس جمال الرجل هو كل شيء فى عين المرأة ، بل هناك صفات أخرى فيه تستهويها وتستبيها ، فالقوة ، قوة الروح ، وقوة الجسم تأسرها وتروعها ، واللفظ العذب المشرق يحلو فى سمعها ويسرى فى دمها غبطة ، فتنتشى منه وتسكر .

ولعل الرجل الفنان هو أحب الرجال إلى المرأة وآثرهم عندها .

إن العلوم من صنع العقل ، وهى حظ مشترك بين الجميع ، ولكن الفنون هبة من الله يمنحها بقدر .

ولكم رأينا من النساء المترفات من تهجر زوجها الطبيب أو العالم ، وتعلق بموسيقار أو رسام أو شاعر .

إن نفس المرأة تفيض رقة لهزج القيثار ، وتلوين الريشة ، وترنيمة الشاعر ... هذه الروائع الخالدة التى أبدعتها السماء ، فجاءت فى صفاء جمال البدر ولألاء النجوم ، وباركتها يد الله وكأنها صيغت من القطر حين ينزله من الغمام .

هذا هو التاريخ اسمعه مى يحكى لنا ولع الغانيات ببشار ابن برد الشاعر .

لم يكن بشار وسيما تأخذه العين ، بل كان كما وصفه الأصمعى ضخما عظيم الخلق والوجه مجدوراً طويلا جاحظ المقلتين قد تغشاهما لحم أحمر ، فكان أقبح الناس عمى وأفظعهم منظراً ، وكان إذا أراد أن ينشد ، صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ، ثم ينشد فيأتى بالعجب !

كان بشار بمجلسه الذى كان يسميه « الرقيق » ، وقد مد بساط الراح وحوله ندامى شرابه وعشاق شعره .

كانت ساعة أصيل تودع الشمس فيها الأرض ، وتمنيها الأمانى أن ترسل إليها البدر يرفدها بنوره حتى تطالعها هى فى صباح الغد الجديد . وراحت الشمس ولم تخلف وراءها فى الأفق غير ألوان منها الأحمر والأصفر والأزرق كأنها تستعرض ألوان الزهر الذى تصنعه بحرارتها ، وتعد له فى الحياة ...

ودارت الكئوس على الرفاق حمراء من لون الخمر كأن الورد أراق فيها شرابه فتضرجت ، وارتفع الصخب حتى كاد يغطى رنين الأوتار ، إذ وافى المجلس غانيات خمس كما يوافى الأمل دنيا موعود ، فخشعت الأصوات وكأنها اطمأنت ، وسكنت الضجة حتى وضح عزف المزاهر ، واستوت القادمات مجلسهن حول بشار ، ثم اندفع المغنى يردد قول شاعرنا :

أيها الساقيان صبا شرابى واسقيانى من ريق بيضاء رُود
إن دائى الظما وإن دوائى شربة من رضاب ثغر بَرُود

وأخذ الشادى يترفق باللحن تارة فتستنيم القلوب من النشوة ، ويشتد به أخرى فتعصف بها الرغبة ويُسمع لها وجيب .

هذا وبشار فى شغل بضيفاته يميل على هذه ويداعب تلك ، ويهمس فى أذن الأخرى ، ويُسر إليها حديثاً لا يسمعه أحد ، ولكنها تضحك فيفتضح المعنى وينكشف السر . وإذ تستجيب له الغانيات ويتهافتن عليه ، تتمنع واحدة منهن وتزور عنه فى كبرياء يمازجها دلال آسر ... ويرتسم العجب على وجه بشار من أهوائها ، فيقبل على غلامه يسأله عنها فيعلم أنها « عبيدة » .

كانت الفتاة كاملة الصغو للمغنى تكاد تشرب النغم وكأنها لا تروى على كثرة العب وطول الرشيف ، حتى إذا انتهى المغنى أخذت عبيدة تعيد النغم بعده وتقلده تقليداً تاماً راع الجمع وأثار دهشتهم . وبشار فى هذه المرة لا يتلاهى عن الغناء ، بل ينصت ذاهلا بحواسه كلها ، حتى ليخيل إلى من يراه أن بصره ذهب فى هذه اللحظة فقط استجابة لرغبته فى أن يكون له عوضاً عن البصر سمعان .

وتفرغ عبيدة من الغناء وتومئ إلى صاحباتها أن يتهيأن للخروج فيلبين دعوتها ، وتخلف وراءها بشاراً غريقاً فى لجج النشوة ، تائهاً عن نفسه وعن الوجود ، حتى إذا استفاق من غشيته ولم يجد الشادية ، انطوى على نفسه ، شارد اللب ، موزع القلب ، يعبث بعود ريحان فى يده يخط به على الأرض تارة ، ويعبث بوريقاته تارة أخرى ، ثم يسنح له خاطر ، فيضغط على وريقات العود ويعتصرها فى كفه ، فتحتضر المسكينة ولا ذنب لها .

ويتقدم إليه هشام بن الأحنف راويته يسأله بمن يا ترى يهذى فيتمتم :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة   والأذن تعشق قبل العين أحيانا

ويكمل بشار القصيدة ويأمر راويته أن يكتبها ويسلمها لغلامه ليبلغها عبيدة التى هشت له ، وكانت تزوره مع نسوة يصحبنها ، فيأكلن عنده ويشربن ، وينصرفن بعد أن يحدثها وينشدها ، ولا تطمعه فى نفسها .

وظل الحبيبان يتزاوران تارة ، ويتبادلان الرسائل أخرى ، حتى شاع الخبر ورقى إلى أهلها ، ففزعوا إلى محتسب الجند بالبصرة وأعلموه نبأ بشار ، فأخذ هذا يضيق عليه الخناق ويراقبه ، فامتنع عن عبيدة ، وأسلم نفسه للجوى والسهاد ... وهل غيرها عزاء للمحبين ... ؟

وإنه لذات يوم مع راويته هشام بن الأحنف يملى عليه شعر هواه ، إذ أتته امرأة فقالت : يا أبا معاذ ! عبيدة تقرأك السلام ، وتقول لك : قد اشتد شوقنا إليك ، ولم نرك منذ أيام . فقال : عن غير مقلية والله كان ذاك ... ثم قال لراويته هشام : خذ هذه الرقعة واكتب فيها ما أقول ثم ادفعه للرسول :

عبدَ إنى إليك بالأشواق   لتلاقٍ وكيف لى بالتلاق ؟
أنا والله أشتهى سحر عينيـ   ـك وأخشى مصارع العشاق
وأهاب الحرسى محتسب الجنـ   ـد يلف البرىء بالفساق

أعلمت لما ذا أرسلت إليه عبيدة ؟ لم يكن الشوق وحده هو الذى دفعها ، بل أرادت أن تراه لتفضى إليه بالنبأ الخطير ...

إن أهلها عملوا على أن يزوجوها برجل من عمان لتخرج عن البصرة ليخفت الحديث الذى سار بين الناس وتناقلته مجالسهم .

ويذهب القوم ليحتفلوا بزفاف عبيدة ويشهدوا رحيلها مع زوجها إلى عمان ، ويبقى شخص واحد !

نحن هنا (بالرقيق) أيضاً ، ولـكن لا كئوس ولا أوتار ولا ندامى !

إن شاعرنا اليوم كاسف البال ملتاع الفؤاد ، قد اجتمع عليه الوجد والبعد والأسى ثلاثتهم ، وخيم على البيت الصاخب الـكآبة والسكون ... سكون عميق لم يشقه إلا صوت بشار يسأل هشاماً ابن الأحنف : وهل رضيت عبيدة بالخروج مع زوجها إلى عمان ؟

نعم رضيت ، ولعلها على مقربة من عمان الآن ! فينكب بشار على نفسه ، ويتمتم فى صوت خفيض :

هوى صاحبى ريح الشمال إذا جرت   وأشفى لقلبى أن تهب جنوب
وما ذاك إلا أنها حين تنتهى   تناهى وفيها من عبيدة طيب

نعمت أحمد فؤاد

الأشغال الشـــاقة المؤبدة

للاديب فؤاد الســيد خليل

قالت : ما هى مدة الأشغال الشاقة المؤبدة ؟ قال : خمس وعشرون سنة ، ينقص ربعها للذين يحافظون على النظام والطاعة فى السجن ، فهل تريدين ارتكاب جناية ؟ فابتسمت وقالت : لقد ارتكبتها وقضى الأمر ! قال : أعوذ بالله ! ما ذا فعلت ؟ قالت : تزوجت ! وعلى الرغم من محافظتى على النظام والطاعة ، وتبرعى بما هو أكثر من النظام والطاعة ، لم تنته مدة عقوبتى بعد نيف وعشرين سنة ، ولا أظنها تنتهى أبداً ! قال : وما هو أكثر من النظام والطاعة ؟ قالت : العناية والتضحية والتشجيع ، ألم تستقل مرتين وتعرض حياتنا كلها للشقاء فشجعناك ! قال : إنما كنت أعرضها للسعادة ! قالت : هذه أمنية ! قال : على كل حال كانت محاولة لم تنجح ، وشكراً لك . وما هى الأشغال الشاقة التى تفعلينها ؟ ألا يقوم الخدم بأعمال المنزل ؟ قالت : أيقومون بها دون مساعدتى بل اشتراكى الفعلى ؟ ومع ذلك فهذه أمور يسيرة ! قال : أعندك بعد هذا ما يسمى أشغالا شـــاقة ؟ ! قالت : نعم ! الفكر ، والصبر ، والقهر ! قال : لا تبالغى ! قالت : إنك لا تنكر أننا لا نبلغك « كوارثنا » إلا بالتدريج ، وبعد أن ننتهى من علاجها إن استطعنا ، وإنك قد تأتى من الخارج ، أو تصحو من نومك ، فلا تعلم كيف قضينا النهار أو الليل فى قضايا وإسعاف وتمريض ! قال : ولا تنكرى أننى لا أبلغكم مصائبى أبداً ، وأننى أعمل كالرجل الذى كان إذا أراد أن يدخل منزله ركع وقال للتعب والهم تفضلا فانزلا ! فإذا خرج من عتبة داره ركع ثانياً وقال لهما اركبا الآن يا ابنىْ الزمان ! قالت : ولكننا نقرأ كل شىء فى وجهك ونخبرك به ! فهل استطعت أنت مرة أن تقرأ ما نخفى عنك ؟ قال : أشهد أننى أمىٌّ فى قراءة الوجوه الناعمة ! خبرينى بما عندك ، وبالتدريج من فضلك . قالت : ابنك الكبير لم يكتب إلينا منذ بضعة شهور . قال : لأننا نكتب إليه ، ونسأل عنه ، ونحبوه عطفنا قبل أن يحتاج إليه ، فهل تحبين أن نضطره إلى الكتابة ؟ قالت : وهذا الطفل لا (يتعاطى) إلا الماء والشاى والبطيخ ! قال : أخشى أن يأتى يوم تشتكين فيه من أنه (يتعاطى) كل شىء ! قالت : لا تمزح ، فإنى لم أبلغك إلا أخف الأخبار ! قال : فما الأخبار الثقيلة ؟ قالت : هذه البنت تلزمها عملية جراحية وقد تموت فيها . قال : الأعمار بيد الله ، والحكومة (الله يسترها) تنقل الموتى من الموظفين وعائلاتهم إلى بلادهم على نفقتها ، أما الأحياء فإنها تتركهم إلى أن يموتوا ! قالت : فما ذا كنت تريد ؟ قال : كنت أفضل أن تنقل الأحياء كل عشر سنوات (بدل وفاة) ولا تتركهم يموتون من الحر والقهر ! قالت : وإذا ماتوا ؟ قال : تدفنهم حيث يموتون ، فليسوا خيراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قالت : لا تخرج عن الموضوع ، فقد تشفى البنت و ... قال : وهذه مصيبة أخرى ! قالت : ألا تنظر أبعد من أنفك ؟ ! ألا تعلم ما يلزم لكل فتاة ؟ إنه هم ثقيل . قال : لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . قالت : فإنى لم أبلغك بعد أثقل الأخبار ! قال : هاتى أثقل ما عندك ! فابتسمت بحرارة وهى تقول : ابنك الثانى رسب فى الامتحان كما تعلم و ... قال : نعم ، وسينجح فى الملحق . قالت : كلا ! إنه يأبى أن يذاكر ولا يريد أن يدخل المدارس ! قال : لاشك أنه جُنّ ! قالت : لم يجن بعد ، ولكنه فى دور المراهقة ، وأنت تعلم خطورة هذا الدور عليكم معاشر الذكور . قال : إننى لا أعلم هذا الدور على التحقيق يا عزيزتى ، لأننى ولدت بعده ! قالت : لا يغرنك أن عصمك الزواج المبكر ، فإن بعض الشيوخ يموتون وهم لا يزالون فى دور المراهقة ! قال : أتمنين أنه (كالحصبة) لا بد أن يمر به كل إنسان ؟ قالت : نعم ، وهو على الكبار أخطر ! قال : فما العلاج ؟ قالت : للصغار الرياضة وللكبار الزواج . قال : فهل تنصحين لى إذن بأن أتزوج ؟ فابتسمت وقالت : نعم ! إذا مت أنا ووجدت من ترضى بك ! قال : أرجو إذن أن تموتى الآن أو لا تموتى أبداً ! قالت : أسأل الله أن أموت قبلك ! قال : بل أسأليه أن يعيش أحدنا حتى يربى الأطفال . قالت : وبم أربيهم أنا إذا بقيت لا قدر الله ؟ قال : بالمعاش ! قالت : وكم يكون هذا المعاش ، ومن يستطيع الحصول عليه ؟ ! ألم تقرأ أن والدة كاتب النيابة الذى قتله (الخط) فى العام الماضى لا زالت تسعى للحصول على معاش ابنها بدون جدوى ! قال : أعجزت النساء أن يلدن من يستطيع حل هذه المشكلة ؟ قالت : إن النساء لم تعجز ، ولكن

خواطر مسجوعة :

المــــــــرأة

هى الناعمة الجبارة ، واللينة القهارة ، ذات الأدوار الغريبة والأطوار العجيبة ...

أردت وصفها فأبدت زيفاً ، وتنكرت كماً وكيفاً ؛ والمرأة إن تنكرت عكرت . وإن تغيرت حيرت . وإن ألغزت أعجزت .

فمعذرة يا قارئى إن بحثت عن حقيقتها فلم أجد ، ورسمت صورتها فلم أُجد ؛ فليست لها صورة واحدة ، بل صور متعددة . وكلما زادت معرفتى لها ازداد الإشكال تعقداً ، وزادت الأشكال تعدداً ؛ وأى قيس لم تخامره فى ليلاه الحيرة ، وأى رجل لم تساوره على أنثاه الغيرة ؟ ! وإذا كان ذلك شأن من أبلى وتعلم ، فما بال من لم . . ؟ !

رأيت المرأة كالضلع على اعوجاجها حانية ، وعلى صنوها صلبة قاسية !

رأيتها — إن أخلصت — رحمة ، وفضلا من الله ونعمة ، ورأيتها — إن تنكرت — ليلا مظلماً ، ولغزاً مبهماً !

ترضى فتظهر الجميل ، وتقنع بالقليل ، وتستر العيب ، وتؤمن بالغيب ، وتشفى العلة ، وتروى الغلة ، وتنير الظلام ، وتنيل المرام .

وتغضب فتكدر الصفاء ، وتجلب الشقاء ، وتقبح الحسَن ، وتضرم الفتن ؛ وتعمد إلى التدمير والتخسير ، فتبدد الكثير واليسير

وللمرأة مقدرة فى حروبها ، وقوة لا يستهان بها ؛ تحسبها عزلاء وكلها أسلحة ، وكلما حاربت كانت هى المفلحة . وهل ترى سلاحاً أقطع من دموعها الكذابة ، وكلماتها الخلابة ؟ !

تحسن المظاهر ، والله أعلم بالسرائر ؛ فتبكى إذا شاءت ، وتضحك كلما أرادت !

تذهب إلى المناحة كمحزونة ثكلى ، وتعود إلى الزفاف كعروس تجلى ! وقد تراها فى المرقص راقصة لاعبة ، وفى المعبد عابدة راهبة !

تتقن المصائد ، وتتفنن فى المكائد ؛ ومن عجب أنها على قسوتها مرحومة ، وعلى جنايتها مظلومة ، وعلى رقها مرهوبة ، وعلى إساءتها محبوبة !

تبذل الجهود لأجلها ، ويستهان بالصعاب فى سبيلها . ساكنة وهى الحركة ، آمنة وهى أصل المعركة . فهى فى خدرها ذات قيادة ، وصاحبة سيطرة وسيادة ! توقظ الهمة ، وتحيى العزمة ، وتفتق الذهن ، وترفع شأن الفن ؛ وهل ننسى ما لها من الأثر الهام ، فى الوحى والإلهام ؟ وأهم من ذلك وأعم ، أن كل عبقرى ولدته أم ؛ فللوالدة فضل المولود ، بل عليها قوام الوجود ...

حامد بدر

الرجال عجزوا ! قال : كان خيراً لنا والله أن ندفع ما ندفعه فى المعاش لإحدى شركات التأمين على الحياة ! قالت : ولم لا تنشأ شركة للتأمين على المعاش ؟ قال : كيف ذلك ؟ قالت : تؤلف شركة يرأسها (خواجه) أو على الأقل (باشا) تحصل للمستحقين على معاشهم فى مقابل نسبة مئوية من المعاش . وأؤكد أنها ستحصل على أى معاش قبل مضى شهر على تاريخ الوفاة . قال : توجد الآن طريقة أخرى ، فقد سمعت أن أحد المحالين على المعاش أمكنه الحصول بسرعة على معاشه بواسطة صديق له من صغار الموظفين أهدى إليه (صفيحة ملوحة) ! قالت : إنها تشنيعة من تشنيعاتك ! قال : من يدرى ، فلعل ما خفى أعظم ! قالت : وما السبب ؟ قال : كثرة اللوائح والتعليمات وقلة المرتبات . قالت : فما العلاج ؟ قال : أما عن المستقبل ، فالعلاج عدم التوظف وعدم الزواج ! قالت : وعن الماضى؟ قال : إنى أرى أن كثرة اللوائح والتعليمات والتعقيدات لا لزوم لها ، فإن أية مصلحة حكومية فى أى بلد يمكنها صرف المكافأة أو المعاش فى بضعة أيام ، كما تفعل شركات التأمين ، بغير أن تلزم الموظف أو أسرته بالجرى سنين فى وزارة المالية ! قالت : وكثرة الموظفين وقلة المرتبات ؟ قال : على الحكومة إبقاء الموظفين اللازمين وزيادة مرتباتهم وفصل الباقين ! قالت : وما ذا يصنع الباقون ؟ قال : صحيح ... وما ذا يصنع الباقون ؟ يهاجرون ! قالت : إلى أين ؟ قال : إلى السودان ! قالت : إنهم لا يستطيعون ! قال : فإلى انجلترا إذن ! قالت : فإن لم يستطيعوا يهاجروا إلى روسيا ! قال : هذا إذا لم تهاجر روسيا إليهم !

فؤاد السيد خليل

تعقيبات

الانتحار فى مصر :

فى عدد سابق من الرسالة كتب الدكتور أحمد موسى مقالا عن الانتحار كظاهرة اجتماعية نفسانية قال فى مطلعه : « لم يكن الانتحار معروفاً فى مصر قبل ربع قرن ، وكان الناس على الأرجح أكثر قناعة واحتمالا وأرحب صدراً لمقابلة آلام الحياة وأقل تبرماً بها ، أما الآن ولاسيما خلال عشر السنوات الأخيرة ، فقد بدت ظاهرة مخيفة هى إقدام الكثيرين على الانتحار ، سواء فى ذلك الشبان والشابات ، والرجال والنساء ، دون فرق ظاهر بين متعلم وجاهل ، وبين فقير وغنى ، وبين صحيح ومريض ، وبين متزوج وأعزب ... »

وهذا كلام يحتاج إلى تصحيح ، والصواب أن يقول : إن الانتحار لم يعرف فى مصر كظاهرة اجتماعية قبل نصف قرن ، ولم تتمثل هذه الظاهرة للعيان إلا بعد أن اتصلت مصر بأوربا ، وأخذت تعب من شرور المدنية الأوربية أضعاف ما تقتبس من خيرها ، وكان هذا الداء الوبيل ضمن الشرور التى أصابت المجتمع المصرى وتأصلت فيه .

والطريق الذى وصل منه هذا الداء إلى مصر هو الأدب ، أدب القصص الأوربى وما يحمل من انتحار أبطال تلك القصص وبطلاتها ، ثم ما كان يصوره ذلك الأدب من حوادث الانتحار على المسرح ، وقد وجد هذا النبات الغريب فى بيئتنا تربة خصبة وعوامل للنمو مما خلفته العصور المظلمة فى نفوس المصريين فنما وفرع ، ولعل أوضح آثار هذا الداء هو ما بدا بين تلامذة المدارس الراسبين فى الامتحان من الإقبال على الانتحار بكثرة مخيفة أفزعت أولياء الأمور ، وقد صور المغفور له أمير الشعراء هذه الظاهرة وندد بها فى قصيدة من أروع قصائده إذ يقول :

كل يوم خبر عن حدث ... سئم العيش ومن يسأم يذر
عاف بالدنيا بقاء بعد ما ... خطب الدنيا وأهدى ومهر
حل يوم العرس منها نفسه ... رحم الله العروس المحتضر
ضاق بالعيشة ذرعاً فهوى ... عن شفا الناس وبئس المنحدر
راحلا فى مثل أعمار المنى ... ذاهباً فى مثل آجال الزهر

إلى أن يقول :

لامه النـــاس وما أظلمهم ... وقليـل من تغاضى أو عذر
قال ناس صرعة من قدر ... وقديماً ظلم النـــاس القدر
ويقول الطب بل من جنة ... ورأيت العقل فى الناس ندر
ويقولون جفـــاء راعه ... أب أغلظ قلباً من حجر
وامتحان صعبته وطأة ... شدها فى العلم أستاذ نكر
لا أرى إلا نظاماً فاســـداً ... فكك العلم وأودى بالأسر

ولما نظم حافظ ابراهيم قصيدته المعروفة فى شكوى الحياة ، وقال فيها عن نفسه :

سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما ... وعدت وما أعقبت إلا التندما
سلام على الدنيا سلام مودع ... رأى فى ظلام القبر أنساً ومغنما
أضرت به الأولى فهام بأختها ... وإن ساءت الأخرى فويلاه منهما
فهبى رياح الموت نكباء واطفئى ... سراج حياتى قبل أن يتحطما !

انتقدته الصحف ونددت بهذه الروح ، وقالت إحدى المجلات الأدبية : حرام على حافظ ابراهيم أن يصور اليأس لأبناء مصر بهذه الصورة ، وأن يكون لهم قدوة فى التلهف على الموت ومفارقة الحياة ، لأن هذا مما يحبب لهم الإقدام على الانتحار .

ولا شك أن ظاهرة الانتحار فى مصر قد تطورت فى مظاهرها وفى أسبابها ، فبعد أن كانت محصورة فى استعمال الشنق أو تجرع المواد السامة ، أصبحت تتم بفنون مختلفة لإزهاق الروح ، وبعد أن كانت قاصرة على التلاميذ الراسبين ، غدت نهباً لكل أسباب المضايقة ونكد الحياة ، وقد دل آخر إحصاء عن حوادث الانتحار والشروع فيه بمصر فى عام واحد على أن الإقدام على هذا الجرم الشنيع يرجع إلى عدة أسباب تبلغ فى النسبة المئوية ٨٦ بدافع المرض المزمن ، و ٥٤ بسبب الفقر المدقع ، و ٣٠ من جراء الشقاق العائلى ، و ٢٤ من المتاعب الزوجية ، و٢٣ لسوء المعاملة ، و١٧ من أثر الحزن ، و١٦ بدافع الكوارث المالية ، و ١٢ لأسباب غرامية ، و ٩ ستراً للعار وخوفاً من الفضيحة . وعلى أى حال فإن هذا المرض ليس من طبيعتنا ، ولكنه لعنة لحقت بنا من لعنات المدنية الأوربية . وما أكثرها

هذه الألفاظ الأثرية أيضا :

لا أريد أن أدخل فى مناقشة مع الأستاذ أحمد رضا عضو المجمع العلمى العربى الدمشقى ، لأنى على يقين من أنه هو ومن يلف لفه من اللغويين يمسكون أنفسهم بفكرة لا يريمونها ، وهى أن القواميس قد جمعت من الألفاظ ما يكفى لكل معنى مستحدث فغاية البراعة فى التقديم هى أن يبذل الرجل منهم جهد الطاقة ليظفر بكلمة مهما كانت مجفوة ميتة ، ثم يكرهها إكراهاً على أداء معنى حادث ولو لأدنى ملابسة ؛ وإنى إذ أطلب منه ومن أصحابه الاتجاه إلى ناحية أرحب فى توفير مادة اللغة ، فإنى أكلفهم خطة شديدة .

غير أنى أعود إلى هذا الموضوع لأقول لحضرته فى كلة قصيرة إننى لا أقول إن « الألفة الذوقية وحدها تكون ميزاناً لوضع الكلمات اللغوية واختيارها » كما فهم من كلامى ، ولكنى أقول إن اللغة لا شك ظاهرة اجتماعية تتطور بتطور الحياة ، وأرجو أن لا يغضبه هذا التعبير ، وهى بهذا المعنى تتأثر بالظواهر الاجتماعية الأخرى ، وتكون صورة لأفكار أهلها وأذواقهم وما يناسب اتجاهاتهم وميولهم نحو الحياة ، ولهذا تموت من اللغة ألفاظ وتعابير وتستحدث ألفاظ وتعابير ، ولولا أن تكون اللغة مطواعة قابلة بمادتها لهذا التطور ، فإنها لا بد أنها تختنق ، ولهذا السبب كم اختفت لغات ولغات !

ولقد ماتت من اللغة العربية ألفاظ كثيرة ، ماتت لأنها فقدت ما يصلها بحياة الناس من الجرس والأداء والمعنى ، ثم بقيت محفوظة فى المعاجم كأنها قطع الآثار فى المتاحف ، وهى لا شك عربية أصيلة ، وقد تكون وردت فى أمثال من فصيح الشعر والنثر ومأثور الكلام ، ولكنا لا نستطيع أن نبعث فيها الحياة مرة أخرى ، وإلا لظلت هى حية على رغمنا ، فالدرمك والدغرى والمدغرة والدلق والمربقة ألفاظ عربية لا أمارى فى عربيتها ، ولكنها ماتت منذ زمن قديم ، وليس فى طبيعتها دلالة الحياة ، أو على الصحيح ليس فى طبيعتنا نحن ما يهيئ لها الحياة ويقدر لها التداول فى الألسن والسير فى أساليب الكتاب والشعراء والخطباء وهم صيارفة الكلام .

ولعل الأستاذ يعرف أن جماعات وأفراداً من الأفذاذ المخلصين قد وقفوا جهودهم على هذه الخطة التى ينتهجها فى خدمة اللغة بإحياء الألفاظ المجفوة الميتة ، ولكنهم لم يجدوا كثيراً ، فنادى دار العلوم والمجمع اللغوى القديم الذى تألف برياسة السيد البكرى ، والمغفور لهما فقيدا اللغة أحمد تيمور باشا ، وأحمد زكى باشا ، وغير هؤلاء جميعاً قد جهدوا جهدهم فى اختيار ألفاظ قديمة لتأدية المعانى المستحدثة ، وأرادوا مدافعة الدخيل من أسماء المخترعات والمكتشفات بإحياء ألفاظ قديمة نسيها الزمان ، فما أجدى هذا العناء كما يجب .

اختاروا « البرندج أو الأرندج » لبوية الأحذية ، و« الوهين » لمقدم الفعلة ، و « الدريئة » للهدف الذى يتعلم عليه الرمى ، و « الطريخ » لسمك السردين ، و « الطيلسان » للشال ، وهو الكساء المعروف ، كما اختاروا عشرات من أمثال هذه الكلمات ، فأين هو الكاتب أو الشاعر أو الخطيب الذى استعمل هذه الكلمات حتى من بين أولئك الذين أضنوا أنفسهم فى إخراجها واختيارها ، وهكذا سيكون الشأن فيما اختاره الأستاذ رضا من الدرمك والدغرى والقنع ، فسيظل الأدباء يؤثرون عليها فى التعبير: الدقيق ، الفاخر ، والحرب المفاجئة ، وطبق الفاكهة ...

وبعد ، فلا يحسب الأستاذ أنى أسد هذا الطريق من بابه ، أو أنقضه من أساسه ، أو أنكر إحياء الألفاظ العربية ، ولكنى أنشد الألفاظ التى تصلح للحياة حتى يمكن أن نحيا ، ولى فى هذا رأى قد أذعته فى « الرسالة » منذ عشر سنوات فى مقال بعنوان « مهجور اللغة » ، ولولا ضيق المقام ، وأن القدر لى فى هذا الباب أن يكون « تعقيبات » خاطفة ، لمددت القول فى تلك الناحية إلى الغاية .

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

مصر وسودانها وشعراؤها :

غنت أم كلثوم « أغنية السودان » في المذياع يوم الاثنين ، بعد أن قدمت لها بكلمة رقيقة قالت فيها : إنه في هذا الوقت الذي تعرض فيه قضية الوطن على مجلس الأمن أردت أن أقدم هذه الأغنية التي تعبر عما يجيش في نفوسنا نحن أبناء الوطن .

و « أغنية السودان » التي غردت بها أم كلثوم هي أبيات مختارة من قصيدة « اعتداء » التي قالها شوقي في تهنئة سعد زغلول بنجاته من حادث إطلاق الرصاص عليه ، وذكر فيها من المسائل الوطنية مسألة السودان .

ومنذ شهور اختيرت لعبد الوهاب أبيات من قصيدة « شهيد الحق » التي قالها شوقي في ذكرى مصطفى كامل وجاء بها ذكر السودان في البيت التالي :

وأين الفوز ؟ لا مصر استقرت على حال ولا السودان داما

فأخذ هذا البيت ضمن أبيات تندد بما كان في ذلك الوقت من اختلاف الأحزاب وانقسام الزعماء ، وسميت أيضاً « أغنية السودان » ثم غير هذا الاسم فكان « وحى السودان » ثم سميت « إلام الخلف » ثم طويت ...

أما أغنية أم كلثوم فقد لوحظ في اختيارها أن يكون ذكر السودان فيها أكثر مما كان في أغنية عبد الوهاب ؛ ويخيل إليّ أن الذي قام باختيارها بحث في شعر شوقي حتى عثر على قصيدة « اعتداء » فتنفس الصعداء وشعر بلذة الظفر ، إذ وجد بها عدة أبيات في قضية السودان . ولكن كيف يستخلصها ؟

بدأت الأغنية هكذا :

وفي الأرض شر مقاديره لطيفُ السماء ورحمانها

وموضع هذا البيت هناك في قصيدته حيث التعبير عن الارتياح لسلامة الزعيم ولطف الله بالبلاد ؛ فنقل البيت كارهاً متبرماً ليكون مطلع الأغنية ! فتبدأ به جثةً مسلوبة الروح ... ويأتي بعده خمسة أبيات هي خمسة أشلاء متقطعة الأوصال فاقدة الحياة..

ثم يأتي ذكر السودان ، وأصله في القصيدة هكذا :

ويا (سعد) أنت أمين البلا د قد امتلأت منك أيمانها

ولن ترتضي أن تقد القنا ة ويبتر من مصر سودانها

وحجتنا فيهما كالصبا ح وليس بمعييك تبيانها

فيحذف البيت الذي فيه (سعد) ويبدأ البيت التالي بـ « ولن نرتضي » بتحويل تاء المضارعة إلى نون ، ولا أدري من يكون المخاطب بقوله « وليس بمعييك تبيانها » بعد حذف (سعد) ؟

ولا أريد أن أطيل بالاسترسال في بيان الاضطراب والتشويه والمسخ في هذه القطعة ، وإنما أريد أن أخلص إلى أمرين :

الأول : أن اختيار الأبيات على هذا النحو من قصائد قيلت في حوادث ماضية ، لمجرد التشابه بينها وبين حال حاضرة ، إنما هو عبث بالآثار الأدبية وجناية عليها ، ليس بالتشويه والمسخ فحسب ، بل كذلك بعدم الالتفات إلى الدقائق الفنية التي تدل على الفوارق بين حال وحال .

الأمر الثاني ، هو أنه ما دامت الرغبة متجهة إلى غناء قطعة موضوعها « السودان » فلم الالتجاء إلى تلك الطريقة ؟ أذلك لاعتبار اقتصادي ؟ أم أن مصر أقفرت من شاعر ينظم في السودان قطعة مناسبة تغنيها أم كلثوم أو عبد الوهاب ؟

أيصح أن نبتغي الغناء بما يجيش في صدورنا نحو وطننا في الوقت الذي تعرض فيه قضيته على مجلس الأمن ، فلا نجد شاعراً يغنينا عما قيل منذ نحو ربع قرن وقد تطورت الأفكار وجدت أحداث؟ فأين شعراؤنا من قضايا الوطن الحاضرة ؟ ألا يشعرون بها ؟ وأين التعبير عن هذا الشعور ؟

لقد كان الشعراء يحفزون الهمم ويغذون المشاعر ، أما الآن فالناس يتحفزون ويتوثبون وهم لا يحسون للشعراء بوجود ... إنهم يلتهبون عند ما تغنيهم أم كلثوم لشوقي من قصيدة « سلوا قلبي » :

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

رأينا الجمهور يفور حماسة من هذا البيت وهو ليس نصاً فيما يريد ... مما يدل على أنه يتلمس الوقود تلمساً ... فلم لا يستجيب

الشعراء لمشاعر الأمة ومطالبها الوطنية ؟

إن من نكد الأيام على هذه الأمة المسكينة أن الفنون فيها إنما تستعمل لإثارة الغرائز وجلب ما يملأ البطون . أما الشعور بالصالح العام فليس حظ الفن منه بأكثر من حظ السياسة ... فلك الله يا مصر ...

حول معجم الحديث :

أتينا فى العدد الأسبق من الرسالة ، على فحوى ما كتبه الأستاذ فرج جبران إلى الأهرام فى شأن « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » الذى شرع فيه بعض المستشرقين بليدن ولكنه لم يتم إلى اليوم لأن إتمامه يحتاج إلى معاونات مالية ودعوته إلى تقديم يد المعونة إليهم لكى يتسنى لهم إتمامه .

وقد نشرت الأهرام تعليقات على هذا الموضوع تدور كلها حول الإشادة بعمل أولئك المستشرقين والثناء على مجهوداتهم فى خدمة لغتنا وديننا . إلى آخر ما طالما سمعناه من هذا الكلام ومللناه

وأقول أولا إن ما تضمنته كلة الأستاذ فرج جبران من أن مصر كانت قد ساهمت قبل الحرب فى دفع النفقات اللازمة لإتمام هذا العمل — لم أجد له أصلا فى الجهات ذات الشأن فى مثل هذا ، التى رجعت إليها للتحقق من صحته . ويعزز عدم صحته ما ذكره الأستاذ فؤاد عبد الباقى فى الأهرام من أنه راجع مقدمة الجزء الأول ، فلم يطلع فيها على ما يدل على تلك المساهمة . ومما ذكره الأستاذ فؤاد أن الدكتور منسنك أراد قبل أن يبدأ فى وضع المعجم إشراك أكبر هيئة إسلامية فيه فقدم إلى الأزهر نموذجاً منه لأخذ رأيه فيه فألف لجنة قامت ببحثه وقررت ألا فائدة ترجى منه .

إننا لا ننكر المجهودات القيمة التى قام بها المستشرقون فى خدمة اللغة العربية والتاريخ العربى الإسلامى ، والتى لم يطلبوا مساعدة مالية فيها من الحكومة المصرية ولا من غيرها ، ولكنا منذ نحو نصف قرن من الزمان نتلق هذه المجهودات وننظر فيها وننتفع بها ؛ وأكثرها ، بل كل النافع منها ، ما يتعلق بالترتيب والتنسيق ، ومن أهم ذلك الفهرسة ، أى أن جهودهم النافعة مما لا مشقة فى اكتسابه ، فهل تعلمنا ذلك منهم بعد كل ما تقدم ؟ وهل أصبحنا نستطيع أن نقوم مثلهم بتلك الأعمال ؟ إذا كان الجواب نعم فيجب أن نضع حداً لتلك الطريقة التقليدية فى التنويه بكل ما يرد من الخارج ، وإن لم يكن كذلك ففيم جهدنا طوال تلك السنين ؟

فليصنع القائمون بذلك المعجم ما يصنعون من إتمامه أو تركه حسبما يتفق لهم . أما ما يرجى أن نساعد به من مال أو جهد فاستغلاله فى بلادنا تحت أعيننا فيما نراه مفيداً خير على أى حال من الرمى به إلى ما وراء البحار ...

رفض تمثيلية :

نشرت « أخبار اليوم » أن محطة الإذاعة رفضت تمثيلية معربة من مسرحية (كنديدا) للكاتب الإنجليزى برناردشو وأتت بنص التقرير الذى رفضت به ، وأهم ما فى التقرير من أسباب رفضها أن فيها سخرية بالقسيس زوج (كنديدا) وأنها تصور التهتك النفسى لزوجة تفاضل بين زوجها الطيب وعاشقها، وأنه ليس من الوفاء لوطننا أن نواصل الترويج لآداب الأمم الأجنبية فى وقت نحن أحوج فيه إلى تغليب شخصيتنا الفكرية.

ولا شك أن تغليب شخصيتنا الفكرية على المترجمات مطلبنا القومى فى الأدب والفن ، ويسرنا أن تعمل إذاعتنا على تحقيقه بالإكثار من إذاعة تمثيليات مصرية بلغة عربية فصيحة من إنتاج أدبائنا الناضجين .

ولكن « التغليب » ليس معناه رفض المترجمات كلها وعدم الانتفاع بالجيد منها ، وهل نفهم من ذلك التقرير أن محطة الإذاعة لن تذيع بعد ذلك تمثيليات مترجمة كتلك التى يقوم عليها الركن الثقافى لهيئة خريجى القسم الإنجليزى ؟

إن مسرحية كنديدا يمدحها النقاد من الأدب العالمى ، ويقولون إن برناردشو خرج فى هذه القصة على مألوف عادته فى تناول الموضوعات الوقتية وحاول أن يرسم فيها شخصية المرأة الخالدة .

على أنه ، بغض النظر عن هذه التمثيلية بالذات ، لا يجوز أن تختط هذه الخطة التى يرمى إليها تقرير الإذاعة ، فلا ينبغى أن يكون العمل على إبراز شخصيتنا الأدبية مدعاة إلى إغفال الروائع العالمية .

أسرار المطبوعات واستيرادها :

كتبت دار النشر العربية ببيروت إلى « الأهرام » كتاباً

أشارت فيه إلى ما قررته الحكومة المصرية من تقييد الاستيراد ، وقالت إن هذا القرار يطبق على استيراد المطبوعات من البلاد العربية ورجت فيه رفع هذا الحظر ذاكرة أن ما تصدره البلاد العربية كلها إلى مصر من المطبوعات لا يعدل واحداً فى المائة مما تصدره مصر إلى لبنان وحده . وقال المسئولون بوزارة المالية فى ذلك إنه رؤى وقف الإصدار والاستيراد مؤقتاً ريثما تنتهى اللجنة المختصة من وضع القواعد الجديدة التى تقيدهما .

وهذا الذى أجاب به المسئولون لا يزيل الباعث على شكوى دار النشر البيروتية ، فهو يدل على وقف الإصدار والاستيراد ، وهى تشكو من تقييد الاستيراد . ولا شك أن الوقف أو التقييد فى استيراد وإصدار المطبوعات يثير شكوى دور النشر فى البلاد العربية كلها.

وللمسألة وجه آخر غير الناحية المادية التى تقلق لها دور النشر ، ذلك الوجه هو الرباط الفكرى بين البلاد العربية التى تعد من هذه الناحية على الأقل أمة واحدة ، يهيأ لها زاد ثقافى واحد. ولا يجوز مطلقاً أن توهن الاعتبارات الاقتصادية من هذا الرباط فيجب ألا يشمل أى إجراء من وقف أو تقييد فى الإصدار والاستيراد — ما تتبادله بلاد الأمة العربية من جرائد ومجلات وكتب . ولا ينبغى أن يكون هذا موضع بحث لجنة أو رهن الفراغ من عمل لجنة ، إلا أن يكون كذلك إرسال ما يصدر فى القاهرة من صحف ومجلات إلى الاسكندرية أو أسيوط ... إنما هى مسألة بدهية يبت فيها بالفور ولا تحتمل التسويف .

الأدب اللبنانى فى مصر :

تضمن كتاب دار النشر العربية ببيروت الذى أشرنا إليه ، موازنة ما تصدره البلاد العربية كلها إلى مصر من المطبوعات بما تصدره مصر إلى لبنان وحده ... ولا يسعنا إلا الإغضاء عن حصر اهتمامها وقلقها فى تقييد ما تستورده مصر من المطبوعات لأن ما تصدره مصر لا يعنيها فى محيطها التجارى ، ولكن تلك الموازنة تنطوى على أمر وثيق الصلة بما يردده إخواننا أدباء لبنان من أن مصر تهمل الأدب اللبنانى ، وأن الكتاب اللبنانى كاسد فى السوق المصرية ، وأن الأدباء المصريين لا يكترثون به ، على عكس ما يلقاه الكتاب المصرى فى لبنان ...

ومن ذلك كلمة لأديب لبنانى هو الأستاذ سهيل إدريس فى مجلة العالم العربى ، قال فيها : « إن الكتاب اللبنانى يموت فى السوق المصرية ، ويهمل فى الوسط الأدبى ، ولا يتناوله الكتاب المصريون بالنقد أو التعريف ، على الرغم من أنه يضاهى — فى كثير من الأحيان — الكتاب المصرى روعة أدب وسمو فكر وإتقان إخراج ... حتى لقد أصبح الشعور العام فى لبنان أن هناك مؤامرة على الكتاب اللبنانى يدبرها الأدباء المصريون ! »

وجاء فى رد محرر العالم العربى « إن حظ الكتاب المصرى فى هذا ليس خيراً من حظ الكتاب اللبنانى . فحركة النقد هامدة ومعظم الذين يتولونها لا يصلحون لها . وفوق ذلك فكثير ممن يتولونها يرونها وسيلة لإرضاء الأصدقاء والتشهير بالأعداء ، وكثيرون لا يتحركون للتنويه إلا تلبية لأغراض ورداً لخدمات »

ولكن فى ذلك ما يدل على أن حظ الكتاب المصرى خير من حظ الكتاب اللبنانى ... وإنما يتساوى حظاهما إذا جاء المؤلفون اللبنانيون إلى مصر فى أثر كتبهم وطافوا بالصحف والمجلات واصطنعوا بها ما يصطنع المؤلفون المصريون من أصدقاء التنويه .. ولن يفعلوا . قلنا ما علينا ، فهل نقول ما لنا .. ؟

إن المؤلفين اللبنانيين لا يرضيهم أن ينقد أدباء مصر مؤلفاتهم نقداً حراً ... ويرون فيه غضاً من شأنهم ، والمصريون أهل حساسية و (ذوق) وهم حريصون على مودة إخوانهم فى العروبة على أن هذا وذاك إنما هو نظر فى واقع ... أما ما يجب أن يكون فلا شك أنك تعرفه .

« العباس »

رسالة حائرة :

الرســالة الأولى ..

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

إليــك بعثت ألحانى   وفيك نظمت أشعارى
ليعلم قلبــك الحانى   بأحــلامى وأسرارى
لعلك تعطفين على   محب نــازح الدار
ترقرق دمعــه نغماً   على أوتار قيثــار

حيــاتى كلها حلم   بأفــق غـير منظور
تذيع طيوره سَحَراً   عنــاق الظل والنور
نعيش به كما نهــوى   مع الأملاك والحور
يزف الحب ســاحرة   إلى أحضان مسحور

أحب الحــب لكنى   أعيش بغــير ما حب
شكا قلبى الذى يحيا   على الحرمان والجدْب
وما عندى سوى دمع   به أبكي على قلبى
إليــك بعثت شكواه   وشكوى الروح يا ربى

خلقت الحب فى الدنيا   جِناناً ذات أفيــاء
ونيراناً بها تحيــا   قلوب ذات أهواء
فإن آك طائعاً فاجعــل   نعيمى حب عــذراء
وإن آك عاصياً فاحْرقْ   بنــار الحب أحشائى

أحب الدمع أشربه   بكأس مواجعى خمرا
أحب الليــل أسهره   لأنظم لهفتى شــعرا
وحيداً بين أحلام   تمــر بخاطرى تَمرًّا
وأطيــاف تراقصنى   على ألحــانىَ السكرى

وقالوا إنه غــنى   وأنَّ بغــير ما جدوى
وضاع شــبابه فى الشو   ق ، والأحلام ، والنجوى
دعونى ! إننى لا أمـ   لك النسيان والسلوى
حيــاتى كلها ألم   وعمرى كله شــكوى

أنا المحروم ... لــكنى   أغذّى بالخيــال دمى
ظمئت ، ولم أجد ماء   فهِمت إلى السراب فمى !
وغنيت الجمال ، فلم   أجد إلا صدى نغمى
فغنى اليــأس فى قلبى   على قيثــارة الألم

أنا الحيران فى الدنيا   كطير ضل عن فننــه
يهيج الفجر صــبوته   ويذكى الليل من شجنه
هبيه عشك الحانى   رديه إلى وطنه
ويكفيك الذى لاقى   من الحرمان فى زمنه

أنا الروح الذى يهفو   إلى دنيــاك مسحورا
هبيه فراشة حيرى   تؤمل عندك النــورا
وضميه إليــك يَبُحْ   بسر ظل مستورا
ليفرح فرحة الزهر   عليه الطلُّ منثورا

أنا يا روح أيــامى   خيــال خافق القلبِ
أوقّــع لحن أحلامى   على قيثــارة الحب
تعالَىْ واسمعى لحنى   تعالى واجلسى قربى
لنحيا مثلما كنا   معاً فى عالم الغيب

تعالى يا منى عمرى   ويا أحــلام أيامى
تعــالى يا هدى روحى   ويا روح الهــوى السامى
تعالى ؛ فالربيع البِــكـ   ـرُ نادانى بأنغــام
فغنى الحب فى نفسى   وغنت كل أحــلامى

تعالى إن لى قلباً   يهيم كعطر أزهارِ
وروحاً صيغ من نور   وهذا النور من نار
فإن شئت أكن نوراً   كنور الكوكب السارى
وإن شئت أكن نارا   تطوف بحسنك العارى

فنون علمتنيها   خيــالاتى وأفكارى
نعمت بها وحيداً فى   عشياتى وأسحارى
فكانت نور أيامى   وكانت روح أشعارى
فنــون أنت غايتها   وما هى ؟ تلك أسرارى !

سأحيا طول أيامى   أناجى حبــك النائى
بلحن هاجه دمعى   فراح يبث أهوائى
لعل هواك يغمرنى   بفجر منه وضّاء
وإلا عشت منفرداً   بشجوى بين صحرائى



طرائف :

قرأت نقداً أو تمليقاً أو تصويباً أو أى شىء آخر عن كتابى (طرائف) . وما كنت أحب أن أتناول الموضوع من جديد . غير أنه يحلو لى أن أشكر « الذى فكر فى أن يصفنى بالكاتب الصحفى » على هذا الوصف الجميل ثم أقول : إن الكتاب كله « سخائف » ما فى ذلك من شك . والأسخف منه أن يمضى الكاتب فى قراءة « سخائف » ويقينى أنه وهو الرجل الفاضل المتدين المتفقه فى اللغة ما كان يجدر به أن يحمل نفسه عناء القراءة ثم الكتابة لو كان لديه « فسحة » من الفضل والأدب والدين

فالمفكر العميق لا يمضى فى قراءة البسائط . ورجل الدين المتملق باذا بليّم فاستتروا ، ليس له أن يقف أمام أبواب الحانات وأن يتسكع مع « الثقاة » و « السماة » و « البغاة » وإنما عليه أن يمر باللغو كريماً . وقد همس الدين بأذنه هذه الهمسة اللطيفة الطيبة

وليس اسمى « محمداً » وإنما اسمى محمود . فلعل فى هذا التصويب ما يطمئنه على أن اسم محمد من الفضل بحيث لا يقع فى أمور اشمأز لها الناقد أو الملق أو المصوب أو الشىء الآخر .

وماذا أفعل — وقد ازدحمت أخطاء المطبعة — مع ما أنا عليه من أخطاء ، وتكاتفت كلها متعاونة متآزرة حتى ظهر الكتاب على هذا النحو من السخف وضلال الرأى وقلة الحيلة .

والكتاب فيه أكثر من مائة وعشرين صفحة . لم يقع أخو القلم إلا على « غلطة » قد تكون صحيحة منى أو مطبعية من العمال ولكنها واحدة لى لا على . وأحب أن أقول له إننى « بالذات » قد أحصيت أكثر من ألف غلطة بعد أن طبع الكتاب ، فلو أراد صديق الرغبة فى النقد إلى آخره أن يقف على هذا العدد فأنا على استعداد لأضع أصبعه عليها عند ما يريد .

محمد صاحب الرسالة « عليه السلام » لا محمد صاحب السخائف « عليه اللعنة » كان رقيق العاطفة ، واسع الفكر ، كريم الملاحظة ، وكان فى يده السيف يستطيع أن يضرب به عنق من يخرج على أصول الدين ؛ ولكن الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه كان يتناول الأمور بما هو عليه من رقيق العاطفة وواسع الفكر ، وكريم الملاحظة ، فكان يعالج هذه الأمور بروح عالية ، روح العالم بالآداب والأخلاق وما انطبعت عليه النفوس من خصائص ومميزات .

أما محمد صاحب « السخائف » كما أرادته دار المعارف فلا يخرج عن كونه بشراً ، له من الأخطاء فى السلوك والمعاملة وفى اللغة والأدب ما يجعله دائماً بشراً ، لا ملاكا ولا قريباً من ملاك . وكنت أحب أن أكون فناناً ، أو مفتناً حتى أشكره على حسن الظن بأن يعقد مقارنة فى الهواء بين الفن ، وبين سخائف ، ولكن شاء القدر أن يسلبنى كل شىء حتى صحيح الاسم . ولذلك قصة لا تخلو من السخافة كنت أود أن أرسلها على صفحات الرسالة . ولكن ما العمل وكتاب الرسالة خطباء منابر ، ورجال دين وفقه وعلم لا ينفع معهم ارتفاع صوت مدنى سخيف اسمه :

محمود العزب موسى

ما جرى من أرى !

من الظواهر الطبيعية فى مصر أن المحسن لا يجد من يقول له متطوعاً « أحسنت » بينما يجد المسىء فوراً من يقول له « أسأت » وهى ظاهرة لا تشجع على الإحسان ، لولا أن المحسنين يستمدون الشجاعة من أنفسهم ، ويرون دليل إحسانهم أن أحداً لم يقل لهم أسأتم

لبثت أربعين عاماً أقول الشعر فى مصر ، لم أظفر خلالها بمن تبرع بتسجيل إحسان لى فى صحيفة ، حتى كدت أحسبنى مسيئاً لولا إيمانى بتلك الظاهرة ، ولولا أن المجمع اللغوى سجل لى هذا الإحسان .

واليوم ، حين يتوهم منى الخطأ ، أسمع كلمة « أخطأت » مريعة مجلجلة . ولا خطأ هناك ، وإنما سقطت كلمة (أرى) من هذه الجملة (وما أرى الضمير الثانى إلا ضميراً قلقاً نابياً) فقرئت (وما

الضمير الثاني إلا ضميراً قلقاً نابياً) والصواب فى الحالة الثانيـة رفع الضمير كما قال الأستاذ (ع) ولـكن ما حيلتى ولم أكن أقدر أن ستسقط (أرى) فيجرى منها ما جرى ؟؟

وسائر الغلطات النحوية التى تقع فى عبارات الـكتاب فى الصحف ، مردها إلى وجه كهذا الوجه والأصـل فيها صواب الـكتاب ، لأن قواعد النحو ميسرة للجميع .

على أنى كنت بسبيل أن أشكر للأستاذ (ع) تصويبه ، فهو وإن لم يفدنى فقد يفيد غيرى ، لولا غمزة خبأها الأستاذ فى قوله ، إنه ما عمـد إلى تصحيح كلامي إلا لأنى حريص على تصحيح كلام الناس .

أما تصحيحه كلامى فقد بينت نصيبه منه ، وأما تصحيحى كلام الناس فذلك ما لا أعرف لى منه نصيباً . فقد ظللت طول حياتى الأدبية منصرفاً إلى شعرى وحده ، بعيداً عن المجادلات والمساجلات التى هى سبيل الشهرة فى مصر وأنا أزهد الناس فيها وما أثرت اليوم موضوع (الضمير القلق) لأخطىء به شخصاً بعينه ، ولـكن لأتعرف مع القراء وجه الصواب فيه ...

محمود عماد

أفى مصر أيضا ... !؟

لقد قرأت فى العدد ٧٣١ من الرسالة الغراء كلمة للأستاذ الخفيف سطرتها يراعته السيالة من وراء منظاره الذى حمله وأخذ يطوف به بين مجاهل حياتنا الاجتماعية باحثاً مستقصياً عن جراثيم أمراضنا الاجتماعية ، إلى أن هداه بحثه واستقصاؤه إلى مرض خطير ألا وهو مرض الجنون بالألقاب والرتب .

نعم لقـد أقبلت على قراءة كلمـة (ياخسارة) بشراهة ونهم كعادتى فى تتبع إنتاج الأستاذ الخفيف — ولا سيما من وراء المنظار — وما أن انتهيت من قراءة الكلمة حتى شعرت بوخزات الأسى والألم تحز فى نفسى ، وقلت سائلاً مستفهماً أفى مصر أيضاً ينظر إلى المعلم الإلزامى تلك النظرة المزرية لأنه معدوم السلطان ولأنه لا يحمل لقباً من تلك الألقاب البالية . . !؟

أفى هذا المجلس الذى يضم القاضى والمحامى والأستاذ والنائب والـكاتب والشاعر والصحفى هؤلاء النخبـة الممتازة من سواد الأمة ومثقفيها يزدرى المعلم الإلزامى ويضحك منه ويزور عنه رغم علمه وثقافته وسعة اطلاعه التى قرها له الجميع . . لا لسبب إلا أنه معلم إلزامى !! قلت فى نفسى « ياخسارة » أن تكون فى مصر مثل هذه المجالس . . « وياخسارتين » أن يكون الجالسون فيها أمثال أولئك الذين فتنوا بزيف الألقاب والرتب .!

البصرة — عراق

أحمد سالم الفرج

ما زال الضمير مطمئنا :

فى العدد الأسـبق من الرسالة الغراء لم يقنع الأستاذ محمود عماد ما سقته من القرآن الـكريم دليلا ناهضاً على أن تـكرير الضمير المفيد للملـكية صحيح ، وأنه يراد به مع ذلك القصر ، أو التقرير كما فى قوله تعالى : « لـكم دينـكم ولى دين » وقول المصريين : « هذه المسألة لها أهميتها » ولجأ فى رده إلى أن هناك فارقاً بين الآية التى أوردتها ، والمثال المصرى ؛ إذ فى المثال المصرى يسبق الضمير صفة ، والآية ليست كذلك ؛ فإن كان ، ولا بد من إصابة الهدف فما على المرشد أو المجيب إلا أن يتوخى ذلك ، ولا يتعداه ؛ إذ له أهميته ؛ وعلى هذا فما زال الضـمير المصرى قلقاً ؛ وخاصة أن الآية تفيد القصر بعد الملـكية ، والمثال المصرى يفيد الملـكية المـكررة ؛ مع أن الإضافة فيهما واحدة تفيد الملـكية الخاصة ، وهى تطابق : القصر ، أو التقرير والتفرقة بين الآية والمثال دعوى لا دليل عليها .

وتوضيحاً للمقام نود أن نعرض على الأستاذ ما فيه المقنع ، وها نحن نفتح المصحف فى المرة الأولى فنقع على هذه الآية فى سورة البقرة : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم » وفيها ما ينشده السائل : أى تلك أمة قد مضت لها كسبها ، ولكم كسبكم ؛ إذ أن ما مع الفعل يؤولان بمصدر . ونفتحه مرة ثانية فتصادفنا هذه الآية من السورة عينها : « الذين ينفقون أموالهم بالليـل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، ونعيده مرة ثالثة فتطالعنا هذه الآية من سورة الشورى : « وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب

وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لاحجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير » ، وهنا أتوهم أن الأستاذ سيعيد ما سبق أن قاله : من أن المراد من المثال الوصف ، وليسمح لى أن أقول له : إن هذا يعد تحكما ولا أدل على هذا من أننا لو قلنا : « هذه المسألة لها أهميتها » على سبيل التعريف لظلت المسألة كما هى ، فتمسكك بالوصف ليس وراءه كبير فائدة ، وإنما الذى يتمسك به هنا هو تكرير ضميرين : كلاهما يفيد الملكية ، وأحدهما ليس له فائدة فى رأيك ، وذا — فى الواقع — هو محل النزاع بدليل ماعلقت به فى العدد ٧٣٠ من الرسالة .

على أن أمثلتك التى أوردتها اتفق للضمير وما يليه أن يقع صفة ؛ وأنت لو أوردتها على أن يكون الضمير وما يليه خبراً لما كان هناك بأس ؛ وبهذا وضح لنا أن التمسك بالوصف لا يجدى

وإلى هنا صارت الأمثلة على اختلافها تتفق والآيات القرآنية السابقة ، واللاحقة ومفادها كما قلت هو : القصر ، أو التقرير ؛ فمنذ ما نقول : « هذه المسألة لها أهميتها ، أو هذه مسألة لها أهميتها » أو يقول القرآن الكريم : « فلهم أجرهم » إنما يراد أن هذه المسألة بالذات ، أو المعينة فى ذهن القائل مختصة وحدها بأهميتها ، وكذلك أجر المنفقين بالليل والنهار سراً وعلانية ، والملومين عند الله — مقصور عليهم لايتعداهم إلى غيرهم ، ولعلنا أن نكون قد وفينا المقام حقه ، وفى هذا القدر كفاية .

محمد غنيم

إلى الأستاذ محمود الحفيف :

كان قارئاً للقرآن يطوف بالبيوت وكان له من وراء ذلك أجر ، فكأنما سدت فى وجهه أبواب العمل فلم يجد إلا هذا . رزقه الله ولدين وبنتاً ، فعلم الأكبر ما استطاعت ذات يده أن تمده حتى حاز كفاءة التعليم الأولى وعين مدرساً بالمدارس الإلزامية . كان يضع فيه أمله فى المستقبل ليكون عوناً له ولزوجته وولده الثانى وابنته — على عادية الزمن .

زوجه وأنفق فى سبيل ذلك كل ما يملك ، ولكنه للأسف لم يعش طويلا إذ سرعان ما مات كمداً وأسى فقد هجره ولده بعروسه وتنكر له . ياترى هل خلت الدنيا من الوفاء حتى بين الولد ووالده ؟

واليوم سمعت الابن الأصغر — وهو لم يتعد الثانية عشرة من عمره — يقرأ القرآن فى بيت بجوارنا حتى يستطيع أن يعين والدته وأخته على الحياة بذلك القليل الذى يجود عليه به الناس .

هذا طالب قوت بالريف وليست القاهرة وحدها المليئة بهم فما أحوج الريف إلى نظرة من منظارك .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(أجا) **محمد محمد حسن الديب**

نشيد فلسطين أيضا :

إلى الأستاذ ابراهيم عبد الستار :

لست أنكر شاعرية الأستاذ محمد حسن علاء الدين ، ونشيده الذى نشرته « الوحدة » الغراء ، لا شك فى قوته ، ولكنه لم يلحن ، ولم ينشد ، ولم تقره لجنة مسئولة ، فليس يكفى أن يشهد له أديب أو أن تقدمه جريدة . وإنما المعروف فى مثل هذا الموقف أن يعلن عن مسابقة فى الموضوع . ثم تؤلف لجنة من أعلام الأدب للنظر فى الأمر ، تقرر النتيجة على مسئوليتها هى ، لا على مسئولية شخص أو صحيفة .

أما أن فى كتابكم «شعراء فلسطين العربية فى ثورتها القومية» غير نشيد واحد فليس كافياً ، لأن هذه الأناشيد محلية ، وليس فيها واحد يردده جميع أبناء القطر ، فكيف يكون أحدها نشيدنا القومى المنشود ؟!

وأما أننى أجهل الكثير عن الموضوع — كما حكمتم — بدليل أن فى كتابكم المذكور غير نشيد واحد ، فأمر يتوقف على شهرة الكتاب إلى حد بعيد ...

وأخيراً أرجو أن تطمئنوا إلى أن لا خطر من الصورة الأدبية التى أرسمها للأقطار الشقيق — لا الشقيقة كما كتبتم ؛ إذ أن هذه الأقطار أعضاء فى جسم الوطن العربى الكبير الذى أصبح بلدنا موضع الخطر فيه ، وليس عربى عن أخيه بغريب !

(البقيعة — عكا) **حنا فارس مخول**

الكتب

من وراء الأفق

(تأليف الأستاذ محمد عبد الغنى حسن)

للأستاذ على متولى صلاح

تفضل الصديق الشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فأهدى إلىَّ ديوانه « من وراء الأفق » الذى ضمَّنه بعض قصائده التى قيلت فى مناسبات شتى أغلبها فى التغنى بمفاتن ما جاس الشاعر من بلاد أوربا حيث كان يطلب العلم فى ربوعها وهو بعد فى فورة شبابه ، واكتمال قوته ، وازدحام قلبه ونفسه بالصبوة واللهفة والحب

والأستاذ محمد عبد الغنى حسن شاعر منذ باكورة صباه ، وقد عرفته لأكثر من عشرين سنة ، وعرفت شعره كله منذ بدأ يقول الشعر على وجه التقريب إلى الآن ، وتبينت فى وضوح وجلاء ملامح نفسه ، وحركات قلبه ، وعرفت طابعه فى الشعر ، وميسمه فيه ، حتى لأكاد أرده إليه ولو لم يكن اسمه إلى جانبه !

وقد عجبت أن أغفل الأستاذ الكثير من شعره الذى نشره على الناس ولم يضمه إلى ديوانه هذا ، على أنه لا يقل عنه شأناً ، ولا يقف دونه عند الموازنة ، إن لم يكن خيراً منه وأعلى كعباً إلا أن يكون أراد لهذا الديوان معنى خاصاً ، وأراد له طابعاً خاصاً لا يحب أن يعدوه أو يحيد عنه أو ينحرف عما يبتغيه له ...

وشعر ديوان الأستاذ عبد الغنى يمتاز بسهولة عجيبة ، وسلاسة لا نكاد نظفر بها فى شاعر آخر ، فاللفظ يطاوعه ولا يكاد يعصى له أمراً ! والكلمات تواتيه هينة لينة يجر بعضها بعضاً إليه حتى لا أحسبه يحمل مشقة أو مجهدة فى ذلك ، وأنا أضمه فى هذه الخاصة إلى شاعر العراق الكبير الأستاذ جميل صدقى الزهاوى .

وشعر الأستاذ على وجه العموم يمتاز إلى ذلك بجو « الإشراق » الذى تراه وهاجاً فى كل قصائده ، وإنك لتحس هذا « الإشراق » يفيض عليك من كل جوانبك وأنت تقرأ شعره ، وإن هذا الجو المشرق ليرسل إلى نفسك نشاطاً وقوة ، وإنه ليحمل إليك لذة ونشوة ، وإنك لتقرأ وتقرأ فلا تمل ولا تكل ولا تحس رغبة فى الانصراف عنه أو التحلل منه ، وأحسب أن مرد ذلك إلى طبيعة الشاعر نفسه ، فإنك لتجد ذلك كله وأنت جالس إليه وهو متنقل بك فى حديثه هنا وهناك ، فلا سأم ولا ضيق ولا ملال ...

وأغلب ظنى أن الأستاذ عبد الغنى تأثر إلى حد كبير — وخصوصاً فى صدر حياته — بشوقى ، ألمح هذا فى جلاء ووضوح فى قصائده التى نظمها أول ما نظم الشعر ، وقالها وهو بعد طالب مبتدىء ، وألمحه فى التزامه ما كان يلتزم شوقى من الاستفهام فى مطلع قصائده ، والإكثار من سوق الحكمة فيها ، واتخاذ أغلب البحور والقوافى التى كان يتخذ ، واستعمال بعض ما كان له من عبارات ولازمات ، وإنك لتحس هذا التأثر واضحاً جلياً فى إحدى قصائده « شباب » التى مطلعها :

يا شباباً بارك الله لكم   وتولتكم رعايات القدر

وفى « فى نعش الامتيازات » التى يقدم لها بكلام شوقى نفسه فى سينيته التى عارض بها البحترى فيقول الأستاذ عبد الغنى « تحررت مصر من قيود الامتيازات الأجنبية وأصبح الدوح حلالا على بلابله بعد أن كان محرماً عليها وحلالا للطير من كل جنس » وهذا الكلام كما قال شوقى هو :

أحرام على بلابله الدو   ح حلال للطير من كل جنس ؟

وفى « مهرجان النيل » وفى « إلى الجبل الأشم » التى يقول فيها :

زمان الفرقة النكراء ولى   وزال عن العروبة الانقسام

ويقول فيها :

سلوا عنهم أبوة آل حرب   وما لأب على الدنيا دوام !

فإن شوقى يبدو هنا للعيان ! وليس يعيب الشاعر أن يتأثر شاعراً آخر ، وأن يتخذه رائداً له وإماماً ، وأن يجعله عمدته فى قراءته ، وإنما العيب أن يفنى فيه ، وتمحى ذاته وشخصيته ، ويكون وكده أن ينهج نهجه ، ويحذو حذوه . ويلوك كلامه !! وليس الأستاذ عبد الغنى ممن انتهى إلى ذلك ولكنه تأثر فأسرف فى التأثر كثيراً !

وفى الديوان قصائد ينبغى الوقوف طويلا عندها ، والتنويه كثيراً بها ، فهى جديرة بذلك حقاً ، ولست أحصيها فذلك أمر يطول ، إنما أنا أقدم للقارىء نماذج من جمال شعر الأستاذ يجد الكثير منه لو قرأ الديوان كله ! فمنها قصيدة « ذكريات نهر » التى يقول فيها :

ألفيت فى واديك أنسا ... وصفاء عيش ليس ينسى
أمسى طوته يد الغيو ... ب فمن يرد إلى أمسا ؟
أودعت تلك الذكريا ... ت لديك بالكتمان رمسا
فاحفظ وديعتك التى ... خلست من الأيام خلسا ...

خلت الحياة على ضفا ... فك لا تزول ولا تضيع
فإذا الحياة قصيرة ... وإذا البطىء بها سريع
وإذا الليالى الذاهبا ... ت هناك ليس لها رجوع
لا دام – يا نهر – الشتاء ... بها ولا بقى الربيع ...

وقصيدة « تحت ظل الصنوبر » التى يقول فيها :

سلى وادى الأحلام كيف قطعته ... وكيف أثارته العواصف من بعدى
تفرقت الأحباب وانفض عقدهم ... وصرف الليالى لا يدوم على عقد
وأصبح ماضينا خيالاً وأمسنا ... مناظر لا تشفى الفؤاد ولا تجدى
قنعنا بذكراها وفى القلب حسرة ... وفى النفس لوعات تزيد على العد
سلى شجرات الغاب ماذا أصابها ... فعيت وصارت لا تميد ولا تبدى
كأن لم يباكرنا النسيم بظلها ... وينفح بأنفاس ألذ من الند
بشاشة هذا العيش ولى زمانها ... وأصبحت من نار القطيعة فى وقد
ومن عجب يلقى المحبون سلوة ... بشعرى ... وأشقى دونهم فى الهوى وحدى

وقصيدة « بقية الكأس » التى يقول فيها :

يا خائن العهد عهدى فى الهوى باق ... تنبيك عنه صباباتى وأشواقى
أخلفت بالصد ميثاق الهوى زمناً ... لكننى فى الهوى أحكمت ميثاقى
لم يبق لى من تعلات تعللنى ... إلا خيالك فهو الدائم الباقى

يا مستخفاً بمشتاق تؤججه ... حرارة الشوق لا تهزأ بمشتاق
دارت عليه بكأس الهجر ساقية ... كما يدور بكأس الخمرة الساقى
فما له من حلاوات الهوى بدل ... وما له من مرارات الجوى واقى

فى ذمة الله ليلاتى التى سلفت ... واخضبت بالهوى فيهن أوراقى
كم لألأت بمنانا أى لألأة ... وأشرقت بهوانا أى إشراق
ما بالنا اليوم ؟ لا بيض المنى بقيت ... على الحب ولا ليل الهوى باق

وفى الديوان إلى ذلك نواح أخرى من خصب وجمال ، وفيه كذلك مآخذ يسيرة وهنات هينة ، سأكشف عن هذه وتلك فى المقال الآتى إن شاء الله .

(للكلام بقية) على متولى صلاح

رمضـــــان

(تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان)

كتب الأستاذ محمد سعيد العريان الحلقة الأولى فى سلسلة جديدة اسمها « مكتبة الشعب » يقوم بإصدارها الأساتذة محمد ثابت ومحمد عبد الهادى البيومى وأحمد يوسف ، ويقصدون منها إلى تقديم زاد ثقافى مناسب للجمهور الذى لا يرتفع مستوى إدراكه إلى كتب الخاصة ومجلاتهم ، بحيث يجد فى هذه الثقافة الميسرة ما يغنيه عما يكتب لمجرد التسلية واللهو .

وهذه الحلقة الأولى التى بدأ بها الأستاذ العريان موضوعها « رمضان » وقد تناول فيها رمضان من جميع نواحيه : الأحكام الدينية والعادات والصور الشعبية ، فجمع فيها بين الدين والفن والاجتماع بأسلوب سهل ممتع جذاب .

عباس حسان خضر



اشـــــتراك فى الأثم ...

للشاعر الفرنسى القصصى بول بورجيه

بقلم الســـيد كمال الحريرى

لقيت فى ميلان على رصيف المحطة « آدم ريموند » ، بينما كنت أصعد إلى قطار من تلك القطر التى يتبجح الإيطاليون بتسميتها « البرق » . تصور أن هذه القطر لا توصلك فى أقل من سبع ساعات إلى بلد لا يستغرق الوصول إليه أكثر من خمس . ماذا ، أتتسخط أنتذمر ؟ ؟ إنك إن تفعل يجيبوك بابتسامة رقيقة لا تقاوم « ذلك هو الحظ الإيطالى ! أيسخرون من أنفسهم أم يستهزئون بك ؟ ؟ مهما يكن من الأمر فأنت مجبر على أن تغتفر لهذا القطار « البرق » استراحاته المستمرة على طول الطريق ليتسلم حزم البريد من كل محطة . ومع ذلك ففيم الحنق والإنكار وأنت فى رحلة لذيذة إلى « جه ن » لمشاهدة « القصر الأحمر » و « القصر الأبيض » ؟ ذلك أنى كنت أقصد « جه ن » ، حين دلفت إلى « آدم ريموند » وكان قاصداً إليها أيضاً فسألنى :

— أترغب فى مرافقتى يا صديقى ؟ فأجبته وأنا أتقدمه فى صعود القاطرة « ليس أحب إلى من هذا » مع أنى لم أكن مخلصاً فى قولها ، لا لأن شخص « ريموند » كان مقيتاً إلى ، فهو فتى رقيق الحاشية ظريف الطبع ، ما أنكرت منذ العشرين عاماً التى مرت على تعارفنا شيئاً من علاقاتنا الودية معاً ، رغم اختلافنا فى الذوق والنزع . زد على ذلك أنه حدِّث بارع ظريف الحوار له من ثروته الفائضة عن حاجاته ما يسمح له بالارتحال والسياحة . ولقد ساح فعلا فى بلاد كثيرة وشاهد ممالك مختلفة . على أنه مهما كان من شأنه فهو « باريسى » ، وعند ما لا يستطيع المرء أن يختلس من شتائه غير عشرين يوماً يخصصها للاستجمام فى حمامات إيطاليا ، يتخوف ويتهرب من كل مُلاقاة من شأنها أن تقذفه ثانية إلى « باريسه » المتروكة .

قص على « رايموند » قصة كانت من التأثير على بحيث أريد أن أقصها بدورى . لأنها تتعلق بسلسلة من « حالات الضمير » وبالرغم مما قاله عنها « باسكال » فإن كل ما فى الحياة الإنسانية من خير وجمال إنما يصدر عن هذه « اليقظات الوجدانية » وعما تؤدى إليه من حلول . لقد كان رفيقى يسرد على هذه الحكاية ، على حين يطوى القطار المسافة من « نوفى » حتى « سمبيه دارينا » فى هضاب مرتفعة متموجة على طول الوادى الضيق الذى تتلوى فيه « سكرفينا » الموحشة ، ولقد كنا نتبادل على مصادفات الطريق كثيراً من المناسبات والأحاديث ، حين طرح على هذا السؤال العارض البسيط :

— أين تنزل فى « جه ن » ؟

فسميت له فندقاً خارجاً بعض الشيء عن منطقة أشباهه من فنادق المدينة . كنت أفضله لبستانه الفينان الواسع .

فقال « رايموند » :

— يؤسفنى إذاً أننا سنفترق . فكر يا صديقى فى أن هذا الفندق يثير فى نفسى ذكرى مؤلمة ، وإنى لأتطير أبداً من العودة إلى مكان جرى لى فيه حادثة مكروهة مزعجة . حادثة ؟؟ إن هذا التعبير مجاوز حده . ولكن مع ذلك ...

وسكت قليلا ثم قال : أتحب أن أذكر لك هذه الحادثة ، خصوصاً وأنى أرغب فى معرفة ما عساك تفعله لو كنت محلى آنذاك ؟ لسوف أبدل لك أسماء أبطال القصة ، وبهذا لا تعلم عن هويتهم شيئاً . ثم ساق لى رايموند القصة فقال :

مضى على هذه الواقعة التى أنا بصددها خمسة عشر عاماً ، وكان ذلك لأول زيارة أزور فيها « جه ن » . هبطت إذاً ذلك الفندق الذى ذكرته أنت ، لنفس الأسباب التى حببته إليك . وكان الوقت خريفاً . وأؤكد لك أنى زرت يومئذ جميع القصور والكنائس الشهيرة : قصر الفنان فانديك ، قصر ده برينيول ، سان بالبى ، به ران ، وكنيسة « سانت أسطفانو » و « سانتاماريا » وتماثيل « ده سانت لورانزو » . من هذا تعلم أنى جوَّاب بحق ، وفى المساء بينما كنت جالساً إلى عريشة أنيقة من عرائش بستان

هذا النزل ، أدون بعضاً من مشاهداتى وتأثراتى اليوميـة ، إذا برنين صوت نسائى على بضع خطوات منى فى ممشى من مماشى البستان ، يهزنى من محلى . لقد كانت غادة تتكلم وهى تظن نفسها على التأكيد منفردة وفى نجوة من الآذان المتطفلة، وبجانبها فتى يمشى متمهلا مترفقاً . وكانت جـل الحوار التى يرددانها دارجة كثيرة الاستعمال مما يؤكد أنهما فى حداثة الحب .

— كانت تقول « آه يا حبيبى العزيز . ما كنت لأجسر حتى على الحلم بهذا : أن أكون هنا بجانبك إزاء هذا البـحر وتحت هذه السماء وأمامنا ساعات طويلة للمتعة واللذاذات ؟؟ عشرون ساعة ، لأن القطار لن يبرح « جه ن » قبل الظهر !

فأجابها صاحبها :

— أما أنا فلست أقل منك سعادة وسروراً ، لأنى لم أكن أحلم أن باستطاعتك الإنطلاق حرة إلى هنا ... ولـكن ليكن رائدنا الحيطة ، ولنعد إلى النزل ، فإنه آمن لنا من هذا البستان المـكشوف الذى ربما نلتقى فيه أحداً يعرفنا ، فسألته :

— ومن يكون إذاً ؟ إنه لمن الممتع اللذيذ أن أنشق هذا النسيم المنعش وأشهد مغيب الشمس الجميل بصحبتك .

فقال الشاب :

— ومع هذا لقد كنت أحسن صنعاً ، منذ هنيهة لو أنى حين نزولى الفندق ، اتبعت فـكرة البحث فى قائمته عمن فيه من السواح . فأجابته الغادة بغنة العتاب الرقيق :

— يا ضنين ! أتراك تأسف على عدم اختلاسك منى هذه الخمس دقائق ؟ آه لو كنت مشغوفاً بى كل الشغف ، ما تماقلت كل هذا التماقل ، ولما عرفت لك كل هذه الفطنة والحذر .

فأجابها رفيقها :

— ولـكن ذلك كله من أجلك يا حبيبتى . وإنما أبغى بكل جهد مستطاع أن أجنبك المخاوف والمتاعب

فتنهدت الفتاة قائلة :

ليأت من يريد أن يأتى ، إنى من الغبطة والإنتشاء بالسعادة بحيث يستوى عندى كل شىء . أسمعت ؟ ؟ كل شىء لا يهمنى . ومر العاشقان بدون أن يلمحا شخصى . وأترك لك الآن الحكم على مبلغ اضطرابى ومبعث ارتجاجى . لقد عرفت فى شخص هذه الصبية المستهامة التى لم تستطع أن تحبس لسانها عن الجهر بسعادتها وهواها ، امرأة صـديق من أعز أصدقائى وأخلص خلصائى . واسمح لى أن أطلق عليه سياقاً للقصـة « شارل روتيه » واسم امرأته إن أحببت « مرغريت » أما شريكها فى هذا الموعد الغرامى لدى هذا الفندق المتطرف الضائع « بـ جه ن » فقد كان مجهولا عندى . ولا بأس أن تعلم أيضاً ، أنى أثناء ذهابى فى صباح تلك الملاقاة للبحث فى شباك البريد عما لى من رسائل ، تسلمت من نفس صديقى « روتيـه » فى باريس ، رسالة يقص علىّ فيها أن قرينته تستفيد من سياحتها القصيرة بإيطاليا عند ابنة عم لها دعتها إليها كى تقضى خمسة عشر يوماً فى « فلورنسا » و« روما » ولقد سمى لى فى رسالته اسم هـذه « الابنة العم » بلهجة الامتنان والشـكران على ما قدمته لامرأته الحبيبة من متعـة وسرور . لم تكن عائلة صديقى « روتيه » معدودة من العوائل الواسـعة الثراء ؛ فهو نفسه كان فى مفتتح مهنة المحاماة التى بدأ يلمع فيها نجمه ويعلو . أما ابنة العم فهى على العكس من ذلك : كان إيرادها فى السنة مائة ألف فرنك . ولقد كنت أعلم كل هذه التفاصيل باعتبارى كنت شاهداً لزواج صديقى « شارل روتيه » وأذكر يومئذ أنى سرت وابنة العم هذه فى مركب القران وقد عقدت ذراعى بذراعها . دخل المحبان بهو الفندق منذ زمن ، حيث أخذا هناك لا شك يتناولان الغـداء على انفراد فى جو من الإيناس المسكر الخطر ، الذى خطره وحده يخلق اللذة والمتعة فى الملاقات المستورة . أما أنا فـكنت ما أزال فى البستان جالساً إلى المنضدة الصـغيرة محدقاً فى دفترى المفتوح ، غارقاً فى لجج التفـكير . وبعد أن ثبت لدى انهيار بناء تلك العائلة ، سأشعر بعض الألم أكثر من شعورى بعاطفة السخرية . ولـكن أليس من السخر ما هو الألم بجسما ؟ إن التناقض الظاهر بين حضورى مراسيم حفلة الزواج تلك ، وهذا الموعد الغرامى ، أفعم قلبى منذ ذلك الحين مرارة غريبة النية . أضف إلى هذا أن « روتيه » كان عنـدى صديقاً عزيزاً . وهو يعبد امرأته التى تزوجته بالرغم من إرادة والديها . كما أنى كنت أعرف تمام المعرفة أن شارل كان يرهق نفسـه فى العمل كل الإرهاق من أجل ترفيهها وتدليلها ، وأنه وهو العقيم الذى لم يرزق ولداً كان توأماً

إلى النسل . وأظنك لو جمت كل هذه الأسباب جملة ، قدرت الإضطراب النفسى الذى أوقعنى فيه ذلك الإكتشاف الفاجىء : اكتشاف المرأة المعبودة المقدسة تخون زوجها هذه الخيانة النكراء . ترى كم مضى من الزمن على أولى هذه المغامرات ؟ ثم أين التقت بهذا الفتى الذى لا أذكرانى شاهدته أوصادفته عندهم ؟ وأخيراً ما هو الدور الذى تلعبه « ابنة العم » فى هذه المأساة ؟ أترى «مرغريت» متواطئة معها ، أم أن الزوجة الخائنة استطاعت أن تجد الوسيلة لخداع ابنة عمها ، كما خادعت زوجها ؟ وهل تكون هذه الملاقاة هى الأولى التى بات العاشقان فيها الواحد للآخر؟ من يدرى لعل هذا الولد الذى يهفو صديقى إلى إيجاده مدفوعا بغريزة الأبوة النبيلة ، أن يتولد ويتخلق هنا فى هذا المنزل الذى أرى من خلال أغصان أشجاره واجهته المضيئة بالنقوش والمثقبة بالنوافذ والشبابيك ؟! ثم أى نافذة من تلك النوافذ هى التى تنفتح على الغرفة التى يأوى إليها الزوجان غير الشرعيين ؟ ! كل هذه الأسئلة كانت تخطر على ذهنى دفعة واحدة ، ثم تتجمع كلها حول هذا السؤال الأخير . عجباً ما هو واجبى أنا ؟ ... هناك حكمة هندية تعلمها جيداً كما أعلمها تقول : لا ينبغى أن تضرب امرأة حتى بزهرة . إن فكرة الشرف والفروسية التى انغرست فى أعماقنا منذ عصور بعيدة كانت من التمكن «والتسلط» على ، بحيث أخذت أردد فى نفسى : إن واجبى هو التزامى حدود الصمت والكتمان ... السكوت ؟ الكتمان ؟ ... ورحت أتخيل « شارل روتيه » كما اعتدت رؤيته غالباً منذ زواجه ، مكباً على أضابير « زبائنه » يستقبلنى فى غرفة أعماله ، بهذه الكلمات أو ما يماثلها : ليس لدى من الوقت ما يمكننى من مصالحتك . إنى لأغص بالأشغال وأرهق بالدعاوى . ومصالحى وأعمالى تزيد وتطرد يوماً فيوماً ، وثروتى الصغيرة تنمو معها أيضاً . ومع ذلك لا شىء يُعجز الإنسان حين يكون له شخص حبيب إليه . كنت أتمثل وجهه وكأنه قناع جمدته المشاغل وحضرته المتاعب ، تضىء من خلاله ابتسامة سعيدة راضية .

يا للجمود ! أفى الوقت الذى ينصب صديقى جسمه ويقتل نفسه بالإنكباب على العمل المرهق ، ليؤمن لامرأته أسباب ترفها وبذخها ، تسلم هذه الأخيرة زمام فؤادها وعواطفها إلى شخص آخر ؟ ! إنها لتنفق على تجملها وتزينها مالا مكتسباً بعرق جبين زوجها . وكل ذلك كى تعجب رجلا غيره وا أسفاه ! وأنا نفسى، هل يجمـل بى أن أسمح باستغلال أتعاب صديق النزيهة الشريفة على هذه الصورة المخزية ، من قبل هذه السارقة الخبيثة بعد أن سمعت ماسمعت ورأيت مارأيت ؟ أأصمت فلا أنطق ؟ ولكن ذلك اشتراك فى الاثم ! ومرت على الذاكرة عهود صداقتى الطويلة الذى مع شارل : فتمثلته فى سن العاشرة ، بقميصه الدرسى المشابه لقميصى ، وتمثلت ملاهينا وألعابنا آنذاك . ثم تخيلته فى الخامسة عشرة وأنا معه فى سفرة قصيرة لعطلة قضيتها عند أهله فى الريف . لقد كنا طالبين داخليين بمدرسة « لويس كراند » ترى أكنا سعداء ذلك الصيف بانصرافنا عن مرج المدرسة البارد الضيق ، إلى سهل «لوار» الأخضر المرع ؟ ثم تصورت صديقى فى العشرين من عمره يمارس معى خدمته العسكرية ، وكيف كانت بعد ذلك حياتنا فى الحى « اللاتينى » ونحن نتابع دراستنا معاً فى كلية الحقوق . كل هذه الصحبة الطويلة التى استمرت ما بيننا أربعين سنة ، والتى هى بالأخوة أشبه ، ثارت بى وتمردت على هذا الاشتراك فى الجرم . وفى الحق أن صمتى لا يمكن أن يوصف بأقل من ذلك . فلو فرضنا أن العاشقين اقترفا إثماً أو أتيا منكراً « ونزهتهما الحمقاء فى البستان تبرر ذلك وتؤيده » ... فهل أجد الجرأة على أن أقول لشارل : « لقد كنت أعلم كل شىء من قبل ؟ ... لئن جبهته بذلك القـول ألا يسخط لأنى لم أنذره من قبل ؟! ولكن كيف لى بإنذاره وإعلامه ؟. أفى الممكن الوشاية بامرأة ؟ أمن اللائق والذوق فضحها وإشهار أمرها ؟ كان لزاماً على إعلام صديقى شارل برسالة عن كل شىء . ولكن أليس يجدر بقلمى أن ينكسر بدلا من كتابته ما فاجأت به امرأته ؟ وأخيراً أبى حاجة إلى أن أزيدك كلمة على ما ذكرت؟ ... وأظنك الآن فهمت لماذا يثير هذا الفندق الذى أمضيت فيه تلك الأمسية فريسة لتقريع الضمير ، ذكرى اليمة لا تطيقها نفسى أبداً . إن مجرد شعورى بأن الخيانة وقعت على بضع خطوات منى ، وإن مارى كانت بين ذراعى حبيبها ، فى غرفة ربما تكون ملاصقة لحجرتى ، كان يضيف إلى هذا الاضطراب النفسى عذاباً جسميا كاد يطغى فيتحول إلى آلام لا تحتمل .

البقية فى العدد القادم

كمال الحريرى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٣٥ — الاثنين ٤ أغسطس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٠٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

15em Année No. 735

Lundi — 4 — 8 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ رمضان سنة ١٣٦٦ — ٤ أغسطس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

ملاحظـــات وردود

على تأملات ونقود

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

كتب الأستاذ إسماعيل مظهر فى مجلة « المقتطف » فصلا افتتاحياً ضمنه بعض « التأملات والنقود » حول موضوع كتابنا عن « الله » ثم ألحقه بتذييل عن المصطلحات والأسماء التى « لا يوافق عليها »

وفى هذا وذاك مجال للمناقشة والتعقيب من قبيل التصحيح أو التوضيح .

وهذا بعض ما رأينا أن نناقشه من تلك النقود والملاحظات

***

انتقد الأستاذ مظهر ترجمة الأنيميزم animism بالاستحياء وقال ان حقيقتها الفكرة الروحانية واستشهد على ذلك بمعجم من المعجمات الإنجليزية

ونقول إن هذه المصطلحات لا يرجع فيها إلى المعجمات العامة وإنما يرجع فيها إلى معنى المذهب الذى تدل عليه

فكلمـة « الأنيميزم » لها معان كثيرة تختلف باختلاف العلوم التى تدخل فيها ، وهى فى علم وظائف الأعضاء غيرها فيما وراء الطبيعة وغيرها فى علم أصول الإنسان

والمعنى المقصود هنا فى مذهب تيلور أن الهمجى كان يؤله الأشياء والظواهر الطبيعية لأنه كان كالطفل الذى يضرب الباب إذا اصطدم به لأنه يحسبه فى حكم الأحياء . ونحن لا نقول إن الطفل يضرب الباب لأنه يؤمن بالفكرة الروحية وإنما نقول إنه يضربه لأنه يؤمن بالاستحياء ، أو لأنه « يستحيى » الأشياء التى ليست لها حياة

وانتقد الأستاذ مظهر ترجمتنا البوليثزم Polytheism بتعديد الآلهة وقال : « هو الإشراك أو الشرك وهو اصطلاح قديم جار على الألسنة وتضمنته المؤلفات العربية من أقدم عصور البحث الفلسفى فيها »

نقول نعم ... ولكننا لا نقول إن القبائل الهمجية كانت تؤمن بالشرك لأن الإيمان بالشرك يقتضى الإيمان قبل ذلك بوحدانية الله . ولا معنى لأن تصف إنساناً بأنه مشرك قبل أن يظهر على الكرة الأرضية دين يدعو إلى التوحيد ، أو يدعو إلى الإله الواحد الذى يدعو إلى غيره أولئك « المشركون »

وفرق بين كلام الكاتب العربى عن المشركين بعد ظهور الإسلام وبين كلام المؤرخ الذى يرجع إلى أطوار العبادة من التعديد إلى الترجيح إلى التوحيد . فلو قال ذلك المؤرخ إن الهمج أشركوا قبل أن يؤرخ لنا ديانات التوحيد لكان كلامه هذا خطأ فى التاريخ وخطأ فى التعبير

وانتقد الأستاذ مظهر بعض الحروف كقولنا الشيشيميون بدلا من « الخيخيميون » كما يرى . أو كقولنا كرونوس بدلا

من أخرونوس إلى أمثال هذه التصحيفات فى رأى الأستاذ

وجوابنا عن ذلك إن كتّاب العربية يكتبون «ارشميدس» كما يكتبون « أرخميدس » أو يكتبون أرشميد وأرخميد بغير سين وإنهم يكتبون كرستوف كولمبس كما يكتبون خرستوف كولمبس أو كولمب فى الحالتين

وأن العرب أخذوا من الفارسية « خسراو » فجعلوها كسرى مع وجود الخاء فى اللغة العربية

وإن كرونوس بذاتها لا يصح أن تترجم أخرونوس فى المقام الذى ترجمت فيه ؛ لأنها تتصل بمعنى الزمان ونحن نقول اليوم « كرونومتر » ولا نقول « أخرونومتر » كما يريد الأستاذ

ويعيب الأستاذ مظهر ترجمة الديالكتك Dialectic بالثنائية ويفضل ترجمتها بالجدلية

وهو فى ذلك على خطأ عظيم من جهة اللفظ ومن جهة المعنى؛ لأننا رددنا ديا « Dia » إلى معناها الأصيل وهو التثنية ومنها الآن كلمة Deux بالفرنسية و Two بالإنجليزية

ولأن مذهب كارل ماركس وهو « الديالكتك » يقوم على أن المادة ثنائية الخصائص تشتمل على الخاصة ونقيضها ، ولا يقوم على أن المادة جدلية أو يجادل بعضها بعضاً فى أطوارها المتتابعة

وقال الأستاذ مظهر فى مفتتح كلامه : « ما من شىء فى دنيا الفكر ينبغى أن تحدد معانيه تحديداً دقيقاً إذا أردنا أن نأمن العثار ونطوى مراحل الجدل كتحديد المعنى الذى ندركه من كلمة الله والمعنى الذى ندركه من الألوهيــة أو الربوبية ... ولكن ينبغى أن نتواضع على تفرقة بينهما فى الاستعمال ، وأود لو أننا ندرك إذا قلنا الله إنه موضوع مرده إلى الدين ، وأن ندرك من القول بالألوهية والربوبية أنه موضوع مرده إلى الفلسفة والتأمل »

وقد كان خليقاً بالأستاذ مظهر أن يرجع فى هذا إلى غرضنا من الكتاب

فنحن قد أردنا به أن نبين كيف وصل الإنسان إلى الإيمان بالله ، ولم نرد به أن نبين كيف وصل إلى مجرد الربوبية ، لأنه قد وصل إلى الإيمان بالربوبية منذ آمن بالطواطم أو منذ آمن برب ما من الأرباب قبل عصور التاريخ

وقال الأستاذ مظهر عن كلمة الوجود ينتقد قولنا « إننا نعطى الوجود ألزم لوازمه إذا قلنا إنه غير المعدوم » فعقب على ذلك قائلاً : « ذلك قول غير مستقيم ذهناً لأن الوجود يقابله العدم ولا يقابله المعدوم »

نقول نعم ... ولكننا إذا قلنا الشبيبة قصدنا بذلك الشبان؛ وإذا قلنا العلم قصدنا بذلك المعلومات ، وإذا قلنا : هذا الوجود . قصدنا بذلك هذه الموجودات

ومن أعجب العجب قول الأستاذ مظهر إن الوجود يتوقف على إحساس من يحسونه . فهل معنى ذلك أن الشىء لا يكون موجوداً لذاته إلا إذا وجد من يحس أنه موجود !

وانتقد الأستاذ مظهر قولنا إن الوعى الكونى هو علة البحث عن العقيدة ، ثم استشهد بكلام « أوغست كونت » حيث يقول: « إن الاعتقاد فى إرادات أو ذوات عاقلة لم يكن إلا تصوراً باطلا نخفى وراءه جهلنا بالأسباب الطبيعية . أما الآن وكل المتعلمين من أبناء المدنية الحديثة يعتقدون بأن كل الحوادث العالمية والظاهرات الطبيعية لا بد من أن تعود إلى سبب طبيعى ، وأنه من المستطاع تعليلها تعليلا مبناه العلم الطبيعى فلم يبق ثمت من فراغ يسده الاعتقاد بوجود الله ، ولم يبق من سبب يسوقنا إلى الإيمان به »

ونلاحظ أولا أن الأستاذ مظهر يترجم auguste باوغست فلماذا ترجمها هكذا وليس فى الفرنسية حرف الغين !

ثم نلاحظ أن الأستاذ قد أغفل الجانب المهم من الفلسفة الوضعية كلها وهو أن كونت لا ينفى وجود ما وراء الطبيعة ولا ينفى ضرورة الاعتقاد ، ولكنه يقول إن العقل قاصر عن معرفة غير المحدود وأنه ينبغى من ثم أن يتخذ له عقيدة إنسانية تؤمن بالإنسان وتنوط الثواب الأعظم بإسداء الخير إلى بنى الإنسان

وقد وجد بعد كونت فلاسفة يعلمون مالم يكن يعلمه فى زمانه ، ولم يكفوا عن البحث فيما وراء الطبيعة ، ولم يذهبوا إلى ذلك السخف الذى ذهب إليه حين وقع فى ذلك التناقض الذى لا تقبله العقول فضلا عن وجدان الدين

فأى تناقض أسخف من تناقض القائلين بأننا نترك الإيمان بغير المحدود لأنه غير محدود ؟

أى كائن أحق بالإيمان به من الكائن المطلق الكامل ؟ فلماذا يكون سبب الإيمان الوحيد هو السبب المبطل لكل إيمان ؟

القسم السابع :

فرنسا ومستعمراتها

الاعتداء على الجزائر

للأستاذ أحمد رمزى بك

« يا ويلاه ! إن المصائب والنكبات وامتحان الدهر ليست وحدها العائق الذى يعترضنا فى الحياة بل إن أعمالنا وجهودنا نفسها كثيراً ما تكون حرباً علينا » « فاوست »

ليذكر العرب جميعاً والعالم الإسلامى وسائر أمم الأرض أن فرنسا اعتدت بلا مبرر ، بل بسبق إصرار وتربص على حرية الأمة الجزائرية ، وكان ذلك بغير إعلان حرب ولا إخطار للدولة صاحبة السيادة ، وإنما جمعت وحشدت الجنود وأنزلتها فى يوم ١٩ يونية سنة ١٨٣٠ عند الصباح فى مرسى سيدى فرج ، حيث انسحبت قوات والى الجزائر من البرج القائم حقناً للدماء وإثباتاً للتعدى أمام طوفان الفرق التى جاءت من فرنسا بمدافعها وعتادها الحربى.

هذا اليوم يجب أن يبقى خالداً فى ذكريات كل فرد منا ، مهما كانت ثقافته ومهما كانت آماله ، ولأهل الجزائر أن يرفعوا أيديهم بالاحتجاج على هذا العدوان ، وأن تنصت السموات العلا إليهم ، وتستمع الأرض ومن عليها لشكواهم وآلامهم

وليتخذ أبناء العروبة هذا يوم حداد لهم يقفون دقائق معدودة تحية للمجاهدين والمقاتلين الذين جادوا بأرواحهم دفاعاً عن حريات الأمة الجزائرية فى كفاحها الطويل وجهادها ، وليبق هذا اليوم الأسود قائماً بيننا حتى يصفح الله عن شعبه وأرضه ويرد إليه حقه ، وإلى أن تعود الحياة والنور إلى الشعب الجزائرى على الثرى الذى حمل أمجاده والذى هو له وحده .

كان هذا الاحتلال نكبة كبرى على العروبة والإسلام ، لا للحوادث التى تمخض عنها من ضياع استقلال تونس ومراكش ، ولا للحوادث الكفاح والقتال والتصادم التى دامت سنوات عديدة ، ولا لما أثاره من المعارك والمقاتل والأيام المشهودة ، وإنما كان

فإذا كانت المعرفة العلمية قاصرة عن الإحاطة بغير المحدود على زعمه فيجب أن يكون هناك سبيل إلى الشعور به من غير المعرفة العلمية ، وهو سبيل الإيمان

والمسألة ليست من البساطة والسهولة بحيث يقول الأستاذ مظهر إن علم التطور « أثبت أن الإنسان نتيجة مترتبة على النواميس القديمة الأزلية وأن حدوثه ليس أكثر من توليف جديد حدث فى جواهر المادة »

فكيف أثبت علم التطور أن الإنسان توليفة جديدة فقط حدثت فى عالم المادة ؟

هل أثبت علم التطور حتى الآن علة الفرق بين أصغر الخلايا الحية وبين الذرة المادية ؟

وإذا كان علم التطور لم يثبت ذلك فكيف يجزم بالرأى فى حقيقة الإنسان كله وهو أعلى ما شهدناه من ظواهر الحياة ؟

وإذا كان علم التطور قد أثبت ذلك فلماذا لا يخرج لنا خلية حية تنشطر وتلتئم وتتوزع وتتجمع وتدخل فى الرحم بدلا من خلية الإنسان أو خلية الحيوان فينشأ منها مولود جديد على مثال أمه وأبيه ؟

إن أجهل همجى لهو أصدق شعوراً بالعالم من الفيلسوف العصرى الذى يحصر مسألة الحياة هذا الحصر المعيب . لأنه على الأقل يدرك للكون عظمة ورهبة يخفيان على الفيلسوف الذى يظن أن الآزال والآباد كانت فى انتظاره حتى يظهر فى سنة ١٨٠ أو ١٩٠٠ أو ٢٠٠٠ فيضع الكون كله فى تلك العلبة الصغيرة ويغلقه هناك بالمفتاح الأخير

على أننا ندع الخوض فى هذا النهار فقد عرفنا كيف كان وقوف الأستاذ مظهر على الشاطىء بين الماء والرمال ، ونرجع إلى المصطلحات والنقود فلا نزيد على ما تقدم إلا أن نرجو الأستاذ ومن ينقدون على غراره أن ينقدوا بعد أناة طويلة . فقد تبين مما تقدم أننا لم يفتنا شىء مما يقع فى خواطرهم ، ولكنهم هم قد يفوتهم شىء كثير مما توخينا ...

عباس محمود العقاد

محنة إزاء ما تبينه العالم من صمت المسلمين وجمودهم وتفرق كلمتهم .

لقد كشفنا هذا العدوان الفرنسي أمام الدنيا وشعوبها . كنا قوة تخشاها أحداث الزمن ، فإذا نحن لا شيء . كان العالم يحسب ألف حساب للروح التي تفيض حماسة وقوة ورفعة ، تلك الروح التي أفرغتها تعاليم الإسلام على الأفراد والجماعات والشعوب ، فإذا هذه الروح لا وجود لها ، إنها قد ماتت ولم يعد لهـا بقاء ولم تقم لها قائمة ، ولهذا حمل أهل الجزائر عبء القتال وحدهم ، وكان عبئاً ثقيلا عليهم . حقا إنهم ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، ولكن للطاقة البشرية حداً ، إنهم دافعوا دفاع المستميت حتى ألقوا في النهاية أسلحتهم .

هذه ناحية جديرة بالبحث والتحقيق ، نقول ماذا دهى العالم الإسلامي وأهله ؟ ماذا أصاب هذه الشعوب التي عهدناها في التاريخ زاحفة على الأخطار تتلقاها بصدور ملأها الإيمان ، لا تلين يوم ترجف الراجفة ولا تخضع ولا تستأمن ، وإنما تقوم للأحداث وتقعد . أين ذهبت تلك الحيوية التي كانت تتبع الرادفة بالرادفة ، وتهز بعزائم أهلها الدنيا ، وتواجه بصدور أهلها طوفان الحوادث فتعلو عليه والنصر من كل جانب يواتيها ؟

ولقد افتتحت هذا المقال بجملة من فاوست قالها جوته الشاعر الألماني ، وهي تلخص حال المسلمين في افتتاح القرن الماضي ، إذ كانت قد خفتت منذ سنوات وقرون أصوات المعارك الزاحفة ، وانهدت صروح الممالك القوية ، وتفككت عرى الدنيا الإسلامية حينما أطلت طلائع القرن التاسع عشر علينا ، فأصبحت المدن التي كانت عامرة أنقاضاً ، وهبط عدد المسلمين في مصر وفارس وسوريا والمغرب ، وضعف شأن المسلمين في كل جانب ، ومنذ ابتداء القرن الثامن عشر لم يبق لهم إلا دولة آل عثمان التي وصلت جحافلها إلى فينا مرتين ، ثم إذا هي تواجه الهجمات المتتالية في جبهة البلقان والمجر ، وتدافع ببطولة واستماتة ؛ فمن كان بوسعه أن يخترق حجب الغيب قبل وقوع هـذا الحدث الأعظم بثلاثة قرون ، ويجاهر المسلمين بأن مصائب القرن التاسع عشر وأرزاءه كانت نتيجة للأخطاء التي ارتكبها أسلافهم بحروبهم وسياستهم وتفرق كلمتهم ؟

لم يبق من شك في أن الحروب التي شنها سليم الأول على مصر وإيران أضعفت الكيان الإسلامي كقوة فعالة ، ولا سيما إذا حللنا على ضوء المنطق الأسباب التي دفعته إليها ، فقد كانت مشاكله مع الدولتين من الأمور التي كان بوسعه حسمها بدون أن يتورط في معارك مع دول إسلامية هي بطبيعتها حليفة له . فكان من أثر حروبه أن زالت من الوجود دولة مصر التي كسبت الحروب الصليبية في مواجهة أوربا ، وناهيك بذلك مفخرة لها .

إن الضربة التي وجهت إلى مصر في سنة ٩٢٢ هـ ، كانت ضربة ضد العروبة والإسلام ، إذ كان من أثرها أن انهار ركن من دعائم دنيا المسلمين كان له المقام الأول في الدفاع عن أراضيهم وصد أعدائهم ، وسرعان ما ظهرت للعيان فداحة هذا الرزء حينما لم يمض نصف قرن حتى أعقب ذلك هبوط سريع في عدد السكان ، ونقص في العمران الذي كان قائماً بأراضي مصر والشام ، بل إن أثر الفتح العثماني كان شديداً حتى على الحركة العلمية والأدبية التي كانت سائدة بمدارس القاهرة ودمشق ، فلم نعد نسمع بمصر عن رجال من أمثال ابن خلدون والسيوطي والمقريزي وغيرهم من أئمة الدين والفقه والشريعة ، ثم انظر إلى أثر هذا العدوان ضد بلاد الإسلام في العقلية الأوربية نفسها ، فهـذه جمهورية البندقية استمرت في علاقات حسنة مع مملكة مصر طول القرون الوسطى . وإنك إذا ذهبت إلى المدينة وزرت قصر الدوجات ، تجد في إحدى قاعات العرش رسماً كبيراً يمثل سفراء إيران بين يدي عاهل البندقية ، إن هذه الصورة توحي بأشياء كثيرة ، فإن هذه الجمهورية بعد زوال مصر أخذت تبحث عن حلفاء لها من بين المسلمين .

والمعروف أن دوج البندقية كان عدواً للأتراك العثمانيين ، فهو يضع في مواجهة العالم اعتزازه بتحالفه مع أعداء الدولة العثمانية من المسلمين ، وليس أبلغ للدلالة على تفرق كلمة المسلمين وتشاحنهم بعد حروب سليم من هذه الصورة القائمة حتى اليوم ، درساً وعبرة لمن يريد أن يعتبر .

وما يقال عن إيران ينصب على سلطنة مراكش ، فهي قد عاشت أكثر من ثلاثة قرون في شبه عزلة تامة نتيجة للسياسة العامة التي وضعها سليم بضرورة فرض سيادة الخاقان الأعظم على بلاد المسلمين وممالكهم ، وهي سياسة لم تكن تسمح بإيجاد علاقات واضحة صريحة مع دولة مراكش المستقلة ، ولم يكن من نتيجتها سوى توالي المحن والنكبات ، وتحضير الظروف وتوطئة الأحوال الملائمة لذلك الهجوم الفرنسي الذي تمثل في الاعتداء على القطر الجزائري الشهيد

قارن هذه السياسة المبنية على الدعوة إلى السيطرة العامة والخضوع لسلطان الخلافة مع المرونة التى أظهرها ملوك مصر ابتداء من الملك الظاهر بيبرس مع خانات التتار والقبيلة الذهبية وأصحاب عروش القفجاق فى روسيا ، تجد أنهم نقلوا هذه البلاد من الوثنية إلى الاسلام .

أما السياسة العثمانية فلم تنجح مع أنها كانت قريبة منهم لأنها جاءت لملوك هذه البقاع وفضلت فرض نوع من الوحدة والسيادة عليهم ، وكان هؤلاء فى عنفوان قوتهم فرفضوا الإذعان لسلاطين آل عثمان ، وكانت دولة الخلافة فى إبان مجدها وفتوتها فتمسكت بسياستها ، وبعد قرنين ضعف الجانبان ، ودخل خانات القرم طوعا تحت كنف السلطان الأعظم ، فإذا هو عاجز عن حمايتهم ، وإذا بالقوى تتجمع ضد الدولة العثمانية . وكان أول من جاهر بالعصيان جماعات القوزاق الذين خضعوا لها واستأسد حكام موسكو فأصبحوا بعد ضعفهم وخضوعهم لملوك المسلمين أباطرة وقياصرة ، وكانت قلاع العثمانيين على نهر الدنيبر فى شمالى رومانيا وفى وسط بلاد المجر كافية لصد جموع أوروبا مجتمعة ، ولكن ماذا تفعل الجحافل العثمانية وقد امتدت الجبهة شرقاً وظهر عدو جديد هو الروسيا التى أخذت تكتسح الأمارات الإسلامية حتى وصلت إلى شواطىء البحر الأسود الذى عرفته القرون بحيرة اسلامية ؟

لقد ظهرت للعيان أخطاء قرنين من الزمن لأن حلفاء الدولة العثمانية الطبيعيين هم سكان نهر الفولجا المسلمين وأمراء القرم وهم الذين كان بوسعهم دفع الشر إبان قوتهم ، وكان المنطق والعدل والأخوة تملى بتقوية هذه الأمارات وتشجيعها بدلا من مناوأتها ، فإذا هى أول ضحايا الزحف المسكوبى وإذا بالجبهة العثمانية تنهار بسرعة وإذا بجهود السلطنة والخلافة ينصرف من يوم حصار فينا إلى عهد حملة نابوليون ١٨١٢ فى صد الهجمات المضادة التى شنتها أوروبا . فإذا وقفت فى صدها ، عالجها الذئب الروسى الآسيوى مستعيناً بمن كانوا حلفاءها ، لقد كانت محنة كبرى ولكنها من صنع أيدينا قبل أن تكون من عمل أعدائنا . فالويل لنا إذا تكررت مرة أخرى .

فهل كان من حرج على سلاطين آل عثمان لو اتبعوا أساليب وسياسة سلاطين القاهرة فى علاقتهم مع مسلمى الفولجا والقرم ؟ لقد أثبتت الأيام أن ملوك مصر كانوا أبعد نظراً وأكثر انتباهاً .

ولذلك لم تكسب الدولة العثمانية كثيراً فى سياستها الإسلامية وجاء اتساع رقعة أراضيها فلم يمكنها من أن تصير دولة متماسكة قوية ومع خدماتها الجلى للاسلام جاء وقت كانت هى وحدها الدولة الإسلامية التى تتلقى الصدمات التى يوجهها أعداء الإسلام وخصومه إلى أممه . وفى غمرات هذه الحالة جاءت حملة فرنسا على القطر الجزائرى فإذا القوى مبعثرة والأيدى مغلولة وأراضى المسلمين الشاسعة خالية من السكان .

نذكر هذا ونكرره إزاء الصيحات التى نسمعها نحو الوحدة وتأليف دولة موحدة إسلامية . ونحن نبادر إلى القول بأن المتناقضات لا تزال قائمة فى داخلية العالم الإسلامى ، هذه المتناقضات التى أورثتها لنا الأطماع والحزازات والعقد النفسية ، فلنحذر من الوقوع فى أخطاء السلف ، لأن هذه الأخطاء قد تكون أكثر وبالا علينا من المصائب والنكبات التى يسببها الأعداء لنا .

وكلمة هادئة نسوقها هنا وهى : أننا من دعاة حرية الشعوب الإسلامية ولكن مع الإسراع فى الأخذ بمدنية القرن العشرين ومع العمل على نقل الشعوب إلى وعى قومى صحيح مبنى على العلم والنور وفهم الحقائق والتثبت منها ، بحيث لا يمكن التأثير عليها وقيادتها إلى أعمال تحمل من المبدأ جراثيم الفشل وتنتهى إلى نكبات ومحن تضعف من شأن المسلمين ، فعلى ضوء تجارب الماضى ودروسه القاسية تبنى وتؤسس دعائم المستقبل ، فنحن طلاب حرية وتقرير مصير واستقلال كل شعب داخل نطاق حدوده القومية والتاريخية ، ولسنا من أنصار الفكرة العثمانية التى رأينا أثرها بعد ثلاثة قرون ممثلة فى ضياع شمال إفريقية ، وإنما ندعو إلى تأسيس علاقات جديدة بين الوحدات العربية والإسلامية تنمو على ضوء التجارب مع الزمن نحو التحالف والتكاتف والتعاون ، حتى يعاد العمران وتنشأ المواصلات وتختفى الأنقاض والخرائب وتحطم أغلال الجهل التى أورثتها لنا أجيال عشنا منها تحت كنف الاستعمار والاستعباد .

هذه ناحية هامة أعادتها إلينا ذكرى احتلال الجزائر وما لمسناه من خمود أية فكرة عليا للدفاع عن هذا القطر الشهيد ؛ فلننظر من ناحية أخرى لهذا الحدث الكبير فى تاريخنا لنعرف الدوافع الكامنة وأثرها .

لقد رأينا جيوش المسلمين تسير لتحرير العالم ، حتى إذا انتهت إلى أسبانيا عبرت جبال البرانس ودخلت فرنسا بقيادة عبد الرحمن

ابن عبد الله الغافقى فى سنة ٧٣٢ ميلادية .

وكانت انتصاراته سهلة على حكام البلاد فوصل زحفه إلى وادى نهر اللوار ، ولكن فى وسط الوديان الشاسعة بين بلدتى تور وبواتييه ، حيث المروج الخضراء ، التقت جموع العرب لأول مرة مع جموع عنصر أوروبى مقاتل هم الجرمان وعلى رأسهم شارل مارتل ، ودرات رحى معركة قال عنها كتاب أوروبا « هى المعركة الفاصلة بين الإسلام وأروبا المسيحية على زعامة التمدن » .

ولم تكن هذه المعركة بين الإسلام والمسيحية لأن أغلب مقاتلة الجرمان كانوا وثنيين ، ولكن الدعاية والرغبة فى التهويل والتفخيم أسبغت على هذه المعركة ثوباً فضفاضاً ،لأن نتيجتها كانت انسحاب العرب من وسط فرنسا إلى جبال البرانس ، فقالوا هنا التقت أوربا وآسيا ، وفى هذه المعركة انهزمت قوى الإسلام . ومن الغريب أن يذكر بعض المؤرخين أن بين من حارب فى صفوف المسلمين أمراء مسيحيين .

لقد شاءت الروح الصليبية السائدة فى أوروبا أن تجعل من معركة تور وبواتييه ، ابتداء الهجوم المضاد على المسلمين ، لا فى فرنسا وحدها بل فى أسبانيا ، واستمرت هذه الدعوة القائمة على الكراهية والإفناء سائدة لمدة ثمانية قرون وهى تلاحق العرب حتى صُفيت الشكلة الإسلامية فى بحر من الدماء والمذابح فى أسبانيا وغادر آخر ملوك غرناطة ساحل الجزيرة الخضراء .

ولقد ظن المسلمون أو خيل إليهم أن نكباتهم قد انتهت وأن جحافلهم قد آن لها أن تستريح وكانوا فى ذلك من الواهمين . لأنه لم تمض ثلاثة قرون حتى لاحقتهم الحروب فى عقر ديارهم ، وقذفت فرنسا التى حكمها العرب وفتحوا ديارها بحملة قوامها أربعة وثلاثون ألفاً من خيرة جنودها وحملوها على أسطول عدته اربعمائة سفينة أنزلت مع الحملة مائة وعشرين مدفعاً تجرها الخيل .

ولم تكن هذه أولى الحملات بل تقدمتها محاولات أخرى لقيت فيها مدينة الجزائر الكثير من عبثهم وهدموا أحياء منها ، ويذكر التاريخ مثل هذه الهجمات على مدن السواحل الإفريقية كلها حتى مدينة الأسكندرية وبيروت وسواحل الشام أصيبت فى عهد الدول العثمانية وقبلها بشىء من هذا العدوان على أيدى قراصنة الأوروبيين .

ومع ضعف المسلمين وتفرق كلمتهم تمكن أهل المدن الساحلية وهم أهل الثاغرة والرباط من رد هذه الحملات إلى البحر والمحافظة على السواحل الإسلامية واسترجاع المناطق التى سيطر العدو أحياناً عليها ، ولعل هذه الانتصارات السهلة هى التى جعلت أمراء المماليك بمصر يستصغرون شأن حملة نابليون ، وجعلت أهل الجزائر يستصغرون شأن الحملة الفرنسية عليهم ، وكانوا فى هذا من المخطئين فدفعوا الثمن غالياً بهزيمتهم وموتهم وأضاعوا البلاد من أيديهم .

وبهذه الحملة انتقلت حلقات الهجوم المضاد لمارك تور وبواتييه إلى الشاطىء العربى وبدأت حرب الموت والفناء تشنها قوة تعتقد أنها تستعيد مجد روما على الرمال التى حملت أعلام روما القاسية ، وتستوحى فى قتال المسلمين ذكريات الحروب الصليبية ومعارك لويس التاسع فى إفريقيا ، وهكذا شاءت فرنسا أن نعيش نحن معاشر العرب بأفريقيا الشمالية فى غمرات الهجوم المضاد الذى بدأه الجرمانى شارل مارتل علينا .

ولم يكن هناك ما يبرر هذا العدوان فقد نقرأ الكثير مما ذكره المؤرخون عن حادث إهانة الوالى حسين باشا للجنرال دوفال قنصل فرنسا حينما قدم عليه للتهنئة بعيد الفطر سنة ١٢٤٣ هجرية وما سبق هذا من النزاع على الديون التى ماطلت فرنسا فى دفعها لحكومة الجزائر ، والدور الذى لعبه كل من يعقوب كوهين بلرى وميخائيل أبو زناك اليهوديين فى هذه القضية ، وهل ترفع إلى مجلس الجزائر ، أو إلى محاكم باريس التجارية للفصل فيها ؟ ثم احتجاج القنصل ومغادرته البلاد ومن معه من التجار الفرنسيين ، وما قيل من أن هذا القنصل تعمد إيجاد هذا الحادث بتوجيه عبارة غير لائقة للوالى حينما طلب إليه إجابة صريحة من حكومته فرد عليه أنه ليس من عادة ملك فرنسا أن يكاتب من هو دونه بغير واسطة فأثار بقوله غضب الوالى .

إذ ما الفائدة فى تعرف أسباب العدوان بين القوى والضعيف والنية مبيتة والاستعداد قائم ، ولم يكن اختيار الجنرال لرأسها وهو عسكرى إلا توطئة وتحضيراً للأعمال الحربية القادمة .

ووقعت الواقعة فى التاسع عشر من يونية سنة ١٨٣٠ إذ أقدمت فرنسا بغير إعلان حرب ولا إخطار للدولة صاحبة السيادة أو إنذار للوالى فأنزلت عساكرها فى مرسى سيدى فرج ، وهى بقعة خالية من الناس ، لا يحرسها غير قوة صغيرة من الجنود فى برج قائم رأت أن تنسحب بغير قتال حقناً للدماء أمام طوفان الفرق النازلة من الأسطول بمدافعها وعتادها الحربى .

فلنذكر جيداً هذا اليوم ولا ننسه ، لأنه يحمل ذكريات

العدوان الفرنسى على الأرض الأفريقية على بر الجزائر الشهيد .

وبعد مائة عام ، أى فى ١٩ يونية ١٩٣٠ احتفلت فرنسا بهذا اليوم فأثارت بعملها حمية شرذمة من أباة الجزائريين وأحرارهم وخرجوا من ديارهم يجوبون الممالك ، حتى لا يروا بأعينهم فى ديارهم وأوطانهم ذل يوم يحتفل فيه الغاصب ويرفع أعلامه على أنقاض الوطن الجريح والشعب الشهيد ، فلقينى جماعة منهم فى مدينة استانبول ، وذكروا لى مشاهد عما يلقونه من عنت وما صارت إليه أوطانهم ومرابعهم ، وهى البلاد العزيزة التى حملت أعلام المرابطين والموحدين وقبائل المسلمين من العرب والبربر ، وكانت لهم السيادة والقيادة والحول والقوة أيام كانت ترتج أمام أمجادهم وعزائمهم جحافل الفرنجة وتخشاهم الدنيا .

وجاء منهم فريق إلى مصر ، فأمضى أياماً من غير أن يسمع لهم صوت أو أنين ، ولما جاء الفوج الثانى أرجعهم بوليس مصر وشرطة الموانى بحجة أن مصر لم تكن موقعة على جوازات سفرهم . وضحكت من الأيام التى جعلت بوليسنا حريصاً على تنفيذ تعليمات حكومة الاستعمار الفرنسية متيقظاً ألا يدخل مصر العربية من هم من أقرب الشعوب إلينا وألصقهم بنا ، ومن يحملون تأشيرة مصرية قانونية ، ولا أدرى من الذى لفت الأنظار إليهم ، ومن حال بينهم وبين مصر ، ومن أعطى التعليمات بإبعادهم .

وارتجت مدن الجزائر فى يونية ١٨٣٠ ، وقامت القائمة فيها ، والوالى يجمع جنده ويحشدهم ويرسل إلى البلاد والأقاليم يدعو للجهاد والدفاع ، ويطلب النجدة من وهران وقسنطينة ، وخرجت الجموع لمهاجمة معسكر الفرنسيين ، فاقتحموا المراكز الأمامية أمام تراجع الجنود الفرنسية ، حتى إذا صاروا تحت مرمى المدفعية حصدتهم بنيرانها حصداً ، فاختلت صفوفهم ، وأخلوا الأماكن التى احتلوها ، وتعقبهم الفرنسيون ، وكانت هذه أول ملحمة على أرض الجزائر فى يوم ٢٥ يونية ١٨٣٠

وكانت قوات والى الجزائر محتشدة داخل حصون فى ناحية أبى جارية ، فخرجت منها للقتال والتحمت مرة ثانية مع الفرنسيين فلم تصبر على النيران ، وارتدت وأخلت هذا المعسكر فاحتله العدو ثم تقدموا منه واحتلوا بساتين المدينة وأطرافها وبدأوا حصارها .

وبعد أيام أخذوا فى إطلاق نيران المدفعية فأصابت قذائفها برج مولاى الحسن وكانت فيه مخازن البارود . فأصابتها قنبلة سببت انفجاراً هائلا ، فاندك البرج على من فيه ، وتطايرت حجارته ، وتهدمت عدة منازل ومات خلق كثير تحت الأنقاض

وبهذه النائبة اهتزت أركان المدينة وفقدت روح المقاومة واستولى الرعب والقلق على السكان فقرر الوالى تسليم المدينة .

وفى صباح يوم ٦ يولية ١٨٣٠ الموافق ١٣ المحرم ١٢٤٦ دخلت جيوش فرنسا من الباب الجديد وأنزلت الأعلام العثمانية من القصبة والأبراج ورفعت الرايات الفرنسية واحتلت الجنود القصبة والقلاع والشواطىء وزالت من الوجود حكومة الجزائر الإسلامية .

وتم العدوان على الأرض التى أمضت فرنسا السنين تحلم بوضع اليد عليها بعد أن فقدت أملاكها فى الهند وأميركا وجزائر المحيطات ، ولم يرد فى ذكر شروط الهدنة والتسليم نص على الاحتفاظ بحقوق الأهالى وتقرير مصيرهم سوى النص الاستعمارى الذى وضعه نابليون فى مصر وهو : احترام الديانة المحمدية وعدم التعرض لنساء المسلمين .

وهو النص الذى ما انفك دعاة الاستعمار يرددونه فى كتبهم وأبحاثهم وخطبهم دليلا على روح التسامح ، ويقولون وماذا يريد المسلمون وقد تركنا لهم حرية التدين وحفظنا لهم أعراضهم ، كأن حياتهم وقف على هذا لا تتعداه أو كأنهم أهل آخرة لا تشغلهم أمور الدنيا فلا تهمهم العاجلة ما داموا قد ضمنوا الآجلة وأخذوا بأيديهم مفاتيح الجنان .

ويقول مؤرخو المسلمين : اهتزت لهذه النائبة المشارق والمغارب وكانت من أعظم النوائب . والحقيقة أن العالم الإسلامى الذى عهدناه يهتز لما يحدث فى كل ركن منه لم يتحرك لهذه الكارثة ولا لما تلاها من نكبات وإنما تحرك القطر الجزائرى وحده أمام العدوان وقامت قبائله ورجاله يذودون عن حياضهم وانضموا تحت لواء الأمير عبد القادر ، يكتبون بدمائهم ملحمة من ملاحم الحروب القاسية ، فى تاريخ الإسلام الذى واجه الحقائق وقال :

« لقد تبينت ما قدر لى وها أنذا مستعد للاقدام » .

ولكن بعد مضى قرن من الزمن يقف أهل الجزائر مرة أخرى للامتحان أمام فرنسا ويرددون هذا القول لقد عرفوا وتبينوا ما كتبته لهم الأقدار فهل هم على عهد الإقدام قائمون ؟

هذا ما ستفسره الأيام .

وسنرى فى القسم التالى ما كان من هذه الواقعة الخالدة

أحمد رمزى

عشرة أيام في الشام (*)

للأستاذ على الطنطاوى

يمضى المسافر أياماً طوالا لا يقطع فيها إلا أذرعاً من طريقه، ثم يجتاز الفراسخ والأميال فى ساعات، ويعيش المرء سنين لا يفهم فيها من أسرار الحياة، ولا يرى من معالم الكون إلا الأقل، ثم يرى فى لحظة أخفى المعالم، ويفهم أعمق الأسرار، وكذلك كان شأنى:

سرت على طريق العمر قريباً من أربعين سنة، فلم أدرك من حقائق الحياة حولى، ولم أعرف من خلائق الناس، مثل الذى أدركته وعرفته فى هذه الأيام العشرة التى (طرت) فيها فجأة إلى دمشق، ثم عدت طائراً منها، وعلىّ دين أكاد أعجز عن قضائه، وورائى عدو ألحّ على بإيذائه وهجائه، وذو سلطان غضبان علىّ لا أعرف السبيل إلى استرضائه، ولكنى مع هذا عدت رابحاً لأنى تعلمت فصولا من كتاب الحياة كنت أجهلها، وهذا قليل من كثير مما تعلمت:

— ١ —

كان أقصى علمى بالصديق أنه الذى يألفنى وآلفه، ويأنس بى وآنس به، ويسأل عنى إن غبت، ويزورنى إن حضرت، ويستقبلنى إن زرته، ويصغى إن حدثته، وكنت أعتز بصداقات رجال أحسبنى نلت بهم ما تمناه المأمون وهو خليفة وعجز عنه، وماعدّه الأولون ثالث المستحيلات، وحشروه مع الغول والعنقاء ولم أحتج إلى واحد منهم كى أجربه، فلما كانت هذه التجربة (تجربة دخول الانتخابات) رأيت أكثر هذه الصداقات كأنها بقايا ثلوج الشتاء، تحت شمس الصيف، سرعان ما يذهب بياضها ونقاؤها، ثم تذوب ثم تجرى على التراب فتكون سواقى عكرة تنحدر إلى الحضيض، بعد أن كانت فى العلاء. ما بقى بين يدى من هذه المودات، إلا كالذى يبقى من هاتيك الثلوج على صخور الجبل!

لقد تنكر لى رجال كانوا رفاقى فى السفر وفى الحضر، وإخوانى فى الصبا والشباب، وأعرضوا عنى إيثاراً للراحة، أو هرباً من إغضاب الحكومة، أو فراراً من المشاكل، وحبسوا عن مساعدتى أقلاماً لهم والسنة طالما شددت أزرها، ودافعت عنها بقلمى ولسانى، وأمسكوا عن نصرتى أكفاً طالما امتدت إليها — مصافحة مؤازرة — كفى. وقالوا، ما لنا وللمرشح نساعده على الحكومة، ونقويه عليها، وهى ذات السلطان، وبيدها العطاء والحرمان؟

ونسوا أنى موظف فى الحكومة، لست عدواً لها، ونسوا عهود الإخاء، وأيام الصفاء. هذا وما سقطت السقطة التى لا يرجى لها قيام، ولا كنت تاجراً أفلس، ولا موظفاً عزل، ولا صحيحاً أزمن، ولا حكم على بسجن أو نفى، وبقى عيالى من بعدى أمانة عند الصديق، وإنما هى تجربة هينة، فكيف لو كان شىء من ذلك؟ وعلى من أعتمد بعد اليوم؟

سأعتمد على الله ثم على هؤلاء الذين وجدت من إخلاصهم، وحبهم، وعطفهم علىّ، أيام العسرة، ما هو أثمن عندى من النيابة والوزارة، ومناصب الأرض كلها. ولن أنسى أبداً أن هؤلاء هم الذين أبقوا على القليل من ثقتى بهذا الإنسان وأنقذونى من أن أكفر به كفراً مركباً تركيباً مزجياً كحضرموت... لا يستطيع أخونا عبد المنعم خلاف أن يحله أو يزيله ولو أنزل عليه فى دينه الجديد كتاب آخر؛ وأن أومن بأن الكلاب والحمير أوفى من الناس وأحفظ للوداد.

— ٢ —

وكنت أحسب كل متظاهر بالتقى تقياً، وكل لاهج بذكر التصوف صوفياً، وكل مزهد فى الدنيا زاهداً، وكل داع للعبادة عابداً، وأحبهم جميعاً وأراهم أهل الدين، وأرباب الإخلاص، ولا يبلغ وهمى أن يكون فى الألف منهم مراء واحد أو خداع، فلما جربتهم وجدت...

لا أحب أن أقول ماذا وجدت منهم، لأنى أظلم العلماء إذا أخذتهم بجريرة نفر تسلطوا على (رابطة العلماء) التى هللنا لظهورها وباركنا يوم إنشائها، وسيروها على هواهم، وكفوا أيدى العلماء الأجلاء من أعضائها

(*) تتمة قصة (ثلوج حزرين) فى العدد الآتى إن شاء الله.

ولكن أقول إن الصالح المصلح ، والعالم العامل ، هو من يجعل هواه تبعاً لحكم دينه ، ويضيع منفعته إن كان فيها مضرة أمته ، ويؤخر نفسه ويقدم من هو أصلح منه ، ويحكم الشرع فى دقيق أمره وجليله ، وظاهره وخفيه ، أما تكوير العمة ، وتطويل اللحية ، وحسن الكلام ، وسائر هاتيك المظاهر ، فهو آخر ما يستدل به على الصلاح وهو أهون شىء عند الله الذى لا ينظر إلى الصور وإنما ينظر إلى السرائر ، وعند الناس .

— ٣ —

وكنت أكبر هؤلاء الذين وقفوا أنفسهم على الجمعيات الخيرية ، وقصروا عليها جهودهم وآثروا خدمة أمتهم على راحتهم ، وأراهم مثلا فى الاخلاص من أعلى الأمثال ، لأنى لا أسمع عنهم إلا الرغبة فى إعلاء كلمة الله ، واحقاق الحق ، وإذاعة الخير ، فلما بلوتهم فى هذه الأيام العشرة وجدت أكثر الجمعيات يسيرها رجل أو رجال ، يستبدون بها ، ويسمون لها أعضاءها ممن يعرفونهم موافقين لهم ، ووجدت فى هؤلاء ، على إخلاص بعضهم وأمانتهم ...

أأقول ماذا وجدت ، فأضع فى أيدى خصوم الإسلام سلاحاً جديداً يقاتلون به أهله ؟ أم أسكت عن بيان الحق ؟

المسألة مشكلة ...

وأنا أسأل الله أن يعجل اليوم الذى نجد فيه رجال هذه الجمعيات قد نسوا نفوسهم وأهواءهم فجعلوها كلها جمعية واحدة ، لها فروع وأقسام ، اذ لا يعقل أن تتعدد الجمعيات ما دامت تزعم أن غايتها واحدة هى خدمة الحق والخير ، وأن يكون القائمون على هذه الجمعية أمناء يعلمون أن لكل مسلم حقاً فى أموالها يحاسبهم يوم القيامة على كل قرش منه أنفقوه فى غير وجهه ، وعلى كل مقعد للجمعية قعدوا عليه لغير مصالحها ، ودار لها أقاموا فيها ساعة لغير خدمتها ، وسيارة لها ركبوها من غير ضرورة لركوبها ، وراتب أخذوه لأنفسهم أو أعطوه موظفاً أقاموه ، ما دامت المصالح العامة تسير بغير هذا الوظف ، وتضمن بغير هذا الراتب.

فهل نرى هذا اليوم ؟

إذا لم أره ، فحسبي أنى قد رأيت حقيقة هذه الجمعيات وكنت لا أرى من قبل إلا الستار اللماع الذى يخفيها

— ٤ —

وكنت أقرأ مهاترات الصحف الحزبية فى مصر والشام ، وما تسوق من تهم ، وما تصب من فرى ، فأرى المبالغة ظاهرة، ولكنى أقول أنه لا دخان من غير نار : ما كنت أظن أن القحة فى الشر تبلغ برجل أن يفترى كذباً يعلم أنه لن يصدقه أحد ، ولا يقبله عدو فضلا عن صديق ، وأحسن الظن بالبشر ، فاحسب أنه لا يزال فى نفوسهم بقية من الوفاء والحياء ، فهم يقدرون الاخاء، ويستحيون من اختراع الكذب المحض ، فلما قرأت ما كتب فى الصحف عنى وعن غيرى وجدتنى قد وضعت ظنى الحسن فى غير موضعه وأنا رجل فىَّ نقائص كثيرة ، وعيوب جمة ، ويستطيع من يكتب عنى أن يعرض لها ، فيكون قد نال منى وبلغ ما أراد من هجائى ، اما أن تبلغ بكاتب قلة الفهم ، والجهالة بأصول الشتم ، إلى أن ينسى عيوبى كلها ثم لا يلقى إلا أشياء أنا أبعد الناس عنها يلصقها بى فيضحك الناس عليه ، فهذا يدعو إلى الأسف على ضياع (فن الهجاء) فى هذه الأيام .

لم نجد هذه الصحف ما نقوله عنى إلا أن تعرض تعريضاً غامضاً بسيرتى فى العراق ، وتقول أنى أسأت بقلمى لوطنى لأنى انتقدت فى الرسالة ما كان فى احتفال الجلاء من تكشف وبلاء ، وتنقل عن مجلة تصدر فى دير الزور أنى كنت من صنائع الفرنسيين

أما سيرتى فى العراق ، فإن هؤلاء يعلمون أن الرسالة تقرأ فى العراق أكثر من جرائدهم ، وأنا أستحلف فى الرسالة كل من يعلم عنى مخزية فى العراق أن ينشرها فى الصحف أو يبعث بها إلى هؤلاء الخصوم . وماذا صنعت فى العراق ويحكم ؟ هل فجرت؟ هل سرقت ؟ هل كنت جاهلا فى العلم الذى أدرسه ، أومهملا فى العمل الذى أمارسه ؟ وهل كان فى كل من قدم العراق مدرساً ، من هو أحفظ لوده ، وأكثر (بعد الدكتور زكى مبارك) كتابة عنه منى ؟

أما صلتى بالفرنسيين فمن كان يعلم أنى عرفت فرنسياً غير من كان معلماً أو مستشاراً فى الوزارة فليقل ، ومن كان يعلم أنها خلت سنة مدرسية من نقلى مرتين لخلافى مع الوزارة — وكانت الوزارة

هي المستشار ، أو يعلم أني مدحت فرنسياً بلسان أو قلم أو أعنته بيد أو يعرف رجلا كتب في سب فرنسا مثل الذي كتبت ، حتى يوم سقطت باريز وكانت الحرب مستعرة ، والفرنسيون حاكين؛ فليقل أما أني أسأت لوطني في الرسالة فهذا هذيان لا يقبل من محموم .

وهل جرى قلم كاتب في القديم والحديث ، بوصف محاسن الشام ، وتمجيد أيامها ، وتصوير جهادها ، بمثل ماجرى به قلمي في الرسالة منذ سنة ١٩٣٣ إلى اليوم ، وفي فتى العرب ، واليوم ، والف باء ، والزهراء ، قبل أن تنشأ الرسالة ، وهذا كلام ما كنت أظن أني سأقوله يوماً من الأيام ، ولكني اضطررت إليه ، وأنا أعتذر إلى القراء ، وأستغفر الله ، ولن أعود إلى مثله

— ٥ —

وبعد فأنا رجل قاض وأديب ، ولكني لم أكن أعرف قبل هذه الأيام قيمة ما أنا فيه ، ولقد حمدت الله أن انتهت هذه الأزمة وعدت قاضياً أقول الحق أيا كان أثره ، وأديباً يشرك قراءه في نعيمه وبؤسه ، وخواطر نفسه ، وحديث يومه وأمسه ، لا يكتم عنهم أمراً ، ولا يمسك سراً ، ونجوت من السياسة وشرورها .

ومالي وللسياسة ؟ وما لبست لها لباسها ، ولا أعددت لها سلاحها ، ولا عرفت مسالكها ، ورب جاهل جال في الطرقات ، وصاح في المواكب ، وولج وخرج ، وخالط الكبار والصغار ، وصحب الأعلياء والأدنياء ، وعرف لسان كل مخاطبه بلسانه ، أقدر على السياسة مني ومن كل أديب في الدنيا وكل عالم . ورب رجل مثل هذا لا يموت حتى يصير اسمه ملء الأسماع ، وملء الصحائف ، ويكون علماً في طريق التاريخ ، وآلاف مثلي في (أخصاصهم) لا يدري بهم أحد !

ولكني راض بما أنا عليه ، قانع به ، لا أبتغي أكثر منه ، وهل أبتغي أكثر من مرتب كاف يريحني من الكدح للعيش ، والسعي للخبز ، وعمل لا يأخذ من وقتي وذهني إلا الأقل ، أقوم به بما أستطيع من الأمانة ، فآخذ الراتب بما يمكن من الحل ، ثم أتصل بقراء أشاركهم أفراحي وأتراحي ، وبصحب آنس بهم ويأنسون بي ، وأهل أخلص لهم ويخلصون لي ؟

فما ذا بعد هذا ؟ وهل النائب أو الوزير أو الرئيس ، أسعد نفساً ، وأهدأ بالا مني ؟ وهل السلطان أكبر من الأديب ؟ هل النعمان أعظم من النابغة ؟ وسيف الدولة أجل من المتنبي ؟ والخديو عباس أخلد من شوقي ؟ وهل يبني الحكومات ويهدمها ، وينشئ الممالك ويدمرها ، ويرفع الأمم ويخفضها ، إلا الأديب ؟

فمالي وللسياسة ، وأنا قد تشرفت بأن أسير في ذيل ركب الأدباء ، إلى سوح الخلود ؟

***

لقد كانت تجربة لن أعيدها ، ولو جرتني إليها كل حروف الجر . لقد كانت تجربة تعلمت منها دروساً جمة ، أهمها أني لست مخلوقاً للسياسة ، إن السياسي هو الذي يقول للحمار : أنت غزال بأذنين طويلتين ! وأنا لا أقول للحمار ، إلا يا حمار ، فإن غضب فدونه (بردى) !

(القاهرة) **علي الطنطاوي**

حجـــة تأريخيـــة

للدكتـــــور جواد على

نعم حجة تاريخية من تلك الحجج التى يتذرع بها المدّعون ولـكنها من أوهى ماعرفه المؤرخون. فلسطين وطن العبرانيين! فيها نشأ هذا الشعب وإليها يريد العودة بعد هجرة طويلة تزيد على عشرين قرناً . يريد أن يستردها وأن يكون فيها ثقافة يهودية ووطناً يجمع شمل يهود العالم .

لا أعتقد أن رجلا صاحب منطق يجازف بشخصيته فيقول مثل هذا القول ؛ لأن نبش المـاضى السحيق والحـكم عليه معناه تغيير خارطة العالم وتوزيع الأراضى على شكل جديد . ولو أخذنا بهذا المبدأ لوجب علينا ردّ دعوى الصهيونية مقدماً لأن الأرض التى يقال لها عند اليهود « أرز أسرائيل » « Erety israel » أى «أرض إسرائيل» لم تكن أرض إسرائيل بل كانت « أرض الـكنمانيين » و « أرض الفلسطينيين » قبل أن يتبرع متعصبو التوراة بمنح هذه الأرض إلى الإسرائيليين باسم « إله إسرائيل » وقبل أن تعرف عند العبرانيين المتأخرين باسم « أرض الميعاد » « the Promised land » .

وكلة « فلسطين » نفسها حجة قوية تطمن مزاعم الصهيونيين فى الصميم وتردّ دعواهم ، لأنها تشـــير إلى نسبة الأرض إلى شعب قديم كان يسكن فى هذا الموضع قبل مجىء العبرانيين وكان يقال له « الفلسطينون » « Philstines » وقد عرفت الأرض التى كانوا يقيمون بها والتى هى السهل الساحلى فى الأغلب فى التوراة باسم « فلسطيا » « Philistia » نســبة إلى هذا الشعب[1] ثم أطلقت على كل الأراضى التى أقام بها الإسرائيليون فيما بعد .

وقد ذكرت فلسطين فى النصوص العبرانيـــة بلفظة « Pêlishtim » باشتيم » و « بلشتيم » « Pêlishtiyyim » وقيل « لفلسطية» وهى المنطقة التى كان يقيم فيها «الفلسطينون» « Pelesheth » « بايشيت » وقيل للفلسطنيين « Pelishti » « بلشتى »[1] وتقابلها فى النصـوص المصرية « Perusit » و « Pelista. »[2] .

(1) Hastinqs Dictionary of ute Bible, P, 724
التوراة ص ١٥ : ١٤ و ٢٣ : ٣١ مزامير ٦٠ : ٨ر١٠٨ : ٩ أرميا ٢٥ : ٢٠ .

ولابد أن تكون للفلسطينيين قوة وشكيمة دفعت اليهود إلى تسمية « أرز كنمان » أى « أرض كنمان » كما كانت تعرف فى الأسفار الأولى للتوراة باسم « فلسطين » حتى تغلبت على كلة « أرز إسرائيل » أى أرض إسرائيل . والأرض الموعودة . وقد أطلقها الـكتاب اليهود المتأخرون الذين دونوا الأسفار المتأخرة فشاعت بين الشعوب الأخرى منذ ذلك الحين . وقد ذكر المؤرخ « هيرودوتس » أن العرب كانوا قد تمـكنوا من الدخول إلى منطقة « فلسطية » قبل أن يتمكن من ذلك الإسرائيليون وأنهم كانوا فى تلك المنطقة فى أيامه[3] .

لم يترك البشر الأولون الذين سكنوا هذه المنطقة قبل العصور التأريخية آثاراً يمكن التعرف منها على طبيعتهم . وكل ما يمكن أن يقال عنهم إنهم كانوا يسكنون المغـاور والـكهوف ويظهر أنها أصبحت فى العصور التاريخية تحت نفوذ «الأكاديين» كما يتبين ذلك من النقوش[4] .

وفى الألف الثالث قبل المسيح كان يقيم فى فلسطين شعب لا نستطيع أن نعرف عن هويته شيئاً ؛ إذ أن العظام التى عثر عليها فى المغاور والـكهوف وفى الحفريات التى أجريت فى منطقة « جيزر » كانت فى حالة تلف شديد . والظاهر أن ذلك الشعب كان من شعوب البحر الأبيض المتوسط . ولعل « الحوريين » « horitcs » الذين ورد ذكرهم فى التـوراة هم من نسل هذا الشعب القديم[5] . ويظهر مما ورد فى التوراة كذلك أن « الحوريين » هم سـكنة منطقة « أدوم » و « جبل سـمير » وأنهم من نسل « عيسو » « Essou » الذى هو جدّ الأدوميين « Edonite » وأنهم كانوا من سكنة الـكهوف فى المنطقة التى أطلق عليها اليونان اسم « troglsdytes » والتى كان يسكنها العرب فى أيام «سترابو» ولذلك سماها «troglodyte Arabians»

(1) Hastiuhs Dictionary of the Bible, P 24
(2) Breasted, Ancient Records lv, 274 ff and Aistory
(3) Enex, Biblica, P, 3550,
(4) Patou, history of Syria and Palastinc hastings' Dictionary of the. Bible, P, 673
(5) التكوين إصحاح ١٤ آية ٦ ، Robinoan' BR P, 2 129,
W. M. müller Asien und Eurofa, 148.

أو « العرب سكنة الكهوف »(١) والذين كان يقال لهم « Erembi » في اليونانية القديمة. ويرى « سترابو » أن هذه الكلمة تصحيف « Arambi » أى « Arabi » بمعنى «عرب» و « عربى »(٢) .

وفى حوالى سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد لعبت الشعوب السامية دوراً هاماً فى فلسطين ؛ وقد عرف هؤلاء باسم « الكنعانيين » «Canaanites» والذين يقال لهم « العموريون » «amorites» كذلك . وقد أطلقت التوراة وجميع الكتاب على أرض فلسطين اسم « أرض كنعان » وقد عرفوا فى النصوص المصرية باسم «Kinahhi» و« Kinahri » . ويرى بعض العلماء أن «العموريين» أقدم من الكنعانيين ، وأن الكنعانيين هم فرع منهم بدليل تشابه اللهجات والأسماء وعدم تمييز التوراة فى كثير من المواضع بين الجنسين(٣) .

وكان « حورابى » من ملوك العموريين فى العراق . وهم الذين سكنوا سهل « شنعاد » ويرى بعض العلماء أن العموريين هم من أسلاف العرب لوجود تشابه كبير فى طرق الحياة والأسماء واللغة فيما بين العرب والعموريين(٤) .

ويرى العلماء أن الكنعانيين والعموريين ظلوا محافظين على خصائصهم الجسمية وإن كانوا قد بدّلوا ديانتهم فاعتنق قسم كبير منهم الديانة اليهودية ثم اعتنقوا بعد ذلك الديانة المسيحية وتثقفوا بالثقافة الآرامية التى تغلبت على اليهودية أيضاً . ولما تحررت فلسطين من ربقة البيزنطيين وعادت إلى أصحابها الشرعيين كان أكثر هؤلاء قد تثقفوا بالثقافة العربية الآرامية فحاربوا فى صفوف المسلمين ضد أبناء دينهم البيزنطيين ، ثم اعتنق أكثرهم الديانة الإسلامية وتكلموا باللغة العربية . وأما الذين فضلوا البقاء على ديانتهم وهى المسيحية فإنهم تكلموا باللغة العربية التى تكلموها قبل الإسلام ولا زالوا يتكلمون بها حتى اليوم ، وقد شاركوا إخوانهم فى تقدم بلادهم وفى تقدم الخلافة الإسلامية ولم

(١) Strabo The Geography. tranoslated by hamilton Sordon 1912 - in Three vols. vol, P, 210
(٢) Strapo p qel 1p, 66
(٣) müller, asien and Europe, S—205 patou Early history of Syria and palastine p 63
(٤) زيدان . العرب قبل الإسلام ص ٤٩
Ency Brita xxl p, 651 art Son Kiug p 140 Dassud p 103 Babylonion Expedition qolz

يكن الدين ليميز بين الطرفين . ولما وقعت الحروب الصليبية اشترك هؤلاء مع إخوانهم المسلمين فى مقاومة الغزاة وأبلوا فى ذلك بلاء حسناً ولا يزالوا يحاربون من أجل فلسطين .

ويمكن ملاحظة الخواص والمزايا الجسمية واللغوية والصور الكنعانية العمورية حتى الآن بين السكان الفلسطينيين الأصليين وهم القرويون والفلاحون الذين يمثلون أقدم شعوب فلسطين والذين لم تذهب عنهم مميزاتهم التى ورثوها عن ألوف من السنين وقبل مجىء المهاجرين من اليهود بكثير . والذين لم تتمكن السنون من تغييرهم على الرغم من الحوادث الدامية الطويلة التى جرت على هذه البلاد(١) .

وبالنظر إلى اتصال فلسطين بمصر اتصالا طبيعياً أصبحت مقدراتها ومقدرات مصر مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً كلياً . وهذا أمر هام يجب الالتفات إليه لأن عدم الاهتمام به معناه تجاهل أمر طبيعى من الأمور المفروغ منها . وقد خضعت فلسطين قبل هذا العهد الذى نتحدث عنه إلى الأسر الفرعونية المختلفة . وقد دخلت فى أيام « تحتمس الثالث » « حوالى سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد » وفى أيام « أمنهوتب » « أمنحوتب الثالث » حوالى سنة ١٤٥٠ قبل الميلاد » فى حكم المصريين تماماً وأصبحت من المقاطعات الفرعونية يحكمها ملوك محليون يخضعون لفرعون وللحكام الذين يعينهم عليهم(٢) .

وقد شغل الفرعون « امنحوتب الرابع » بالاصلاحات الدينية التى حاول إدخالها إلى الشعب المصرى ومن جملة ذلك عقيدة التوحيد عن إدارة أملاك مصر والشؤون الداخلية المصرية فانتهز أعداؤه هذه الفرصة وثار الحكام فى الداخل والخارج على « أمنهوتب » لأنه جاء فى نظرهم ببدعة جديدة وأخذت الممتلكات المصرية فى الخارج تستقل الواحدة بعد الأخرى ومن جملتها مدن فلسطين(٣) .

وتتحدث ألواح « تل العمارنة » عن شعب أخذ يهاجم أرض فلسطين اسمه « Khabiri » « خبيرى » وقد ارتأى قسم من علماء التوراة أن هذا الشعب هو «العبرى» أو «العبرانيون»

(١) Hastngs Dictionary of the Bible p 673 Ency Bibl p, 3550
(٢) hastings Dictionary of the Bibla p 673
(٣) Breasted. history of Egypt. paton. histoay of Syria ond palastiee

أُمَّان

للسيدة الفاضلة منيبة الكيلانى

لا أدرى أين قرأت أن أجمل منظر فى الدنيا هو منظر الأم الشابة ، وهوقول ينطبق على الواقع كثيراً ؛ غيرأنى فى الوقت ذاته أرانى أتصور أن أقبح منظر فى الدنيا هومنظر الأم الشابة أيضاً !

***

هذه الفتاة الشابة الجميلة تمر من هذا الشارع كل يوم فى ردائها الأسود الجميل فتثير على جانبى الطريق جدالا بين الناظرين إليها ، فى قامتها الأنيقة وانسدال السواد عليها ، وفى عينيها الباهرتين وتجللهما بالصمت المبين ، وفى شعرها الذهبى الرائع وإهمال تنسيقه على نحو ما يليق به . تثير جدالا بين الناظرين إليها فينبرى دعى يقول بأن هذه الفاتنة احتسبت أباها أوماتت عنها أمها فهى تتشح بالسواد على أحدهما . ويقول دعى آخر إن ظهور الحزن عليها وتطامنه فى عينيها الساجيتين ليوحى بأنها احتسبتهما جميعاً . ولا ترجح كفة أحد ؛ فإن السر لا يطفو على الوجوه جميعاً ، وإن القلب لا ينضح بما فيه دائماً ، فتسير الغانية من دارها إلى حيث تريد ، وتعود إلى دارها من حيث انتهت لا يجد فى استشفاف أمرها جديد . والراجح فى الظن أن الغانية جاءت هذا البلد وافدة من مواطن الذكريات لتطوى ماضياً بأحداثه الكثيرة طى السجل للكتاب ، ولتجد فى هذا المنهج ذى الوتيرة الجديدة المحدودة بلسما للجرح فى صيدلية الزمن ، فإن فيها أنجع الأدوية لأخبث الجراح .

وما كان ليفوتها أن تلج بيت الله فى أيام الآحاد تنفض فى ساحته الكبرى خلجات الضمير وتمد بصرها راجية راحة النفس وطمأنينة الحس ، وتسأله العون وتسترفده الرعاية ، فقد ذهب

غير أنه لا توجد هنالك أدلة مقنعة تؤيد أن « الخبيريين » هم « العبرانيون » بالذات(١) . ولو أن جماعة من علماء اليهود تحاول البرهنة على ذلك لتظهر أن اليهود كانوا قد دخلوا أرض فلسطين منذ هذا العهد .

والذى يظهر من التوراة أن « العبرانيين » كانوا أرقاء فى مصر ثم خرجوا منها هاربين حوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد تحت قيادة زعيم لهم هو « يشوع » « Joshua » الذى حل محل « موسى » وخلفه ، وهو ابن « نون » من سبط « إفرايم » الذى عبر الأردن وقاد جماعة « إسرائيل » إلى « أرض الموعد » وحارب شعب كنعان ست سنين وأخذ أرضهم وقسمها بين الإسرائيليين . وسقطت على يديه أسوار أريحا وست أمارات صغيرة ، غير أن الإسرائيليين لم يتمكنوا من فتح كل فلسطين ومن التغلب على الأمارات الوطنية وعلى مقاومة كل الكنعانيين(٢) .

ويفهم من الكتابات القديمة للتوراة أن من الأسفار المكتوبة قبل الأسفار التى أخذنا منها روايتنا الأولى أن الإسرائيليين عبروا إلى حدود فلسطين ولم يكن على رأسهم قائد أو زعيم بل تقدموا على هيئة قبائل متفرقة ثم صاروا يهاجمون المدن الفلسطينية الضعيفة من جهات مختلفة ولم يتمكنوا من الاستيلاء إلا على نواح قليلة من فلسطين ، وهذا ما يلائم ماجاء فى نصوص « تل العمارنة » كل الملاءمة(١) .

لم يتمكن الغزاة من الاستيلاء على كل فلسطين ولم يتمكنوا من احتلال السهل الخصب المهم المسيطر على البحر الأبيض المتوسط وهو سهل « فلسطية » نسبة إلى سكانه القدماء وهم « الفلسطينيون » « Philistines » وظل الفلاحون والقرويون القدماء على تقاليدهم القديمة وفى محلاتهم مثل « الجبعونيين » « Gibeanites » الذين كانوا يقيمون فى مدينة « جبع » « Gileon » والذين ظلوا يقاومون الإسرائيليين مع أن مدينتهم هذه لا تبعد سوى خمسة أميال تقريباً عن جنوب القدس والتى تقع فى موضع « الجب » فى الوقت الحاضر ، وقد اشتركت مع الملوك « الكنعانيين » فى محاربة « الإسرائيليين » ومهاجمتهم مراراً عديدة ؛ وقد اضطروا إلى مغادرة وطنهم بعد أن دخلت فى حوزة « البنياميين » غير أنهم لم يذهبوا بعيداً عنهم واضطر العجزة منهم إلى اعتناق الديانة الإسرائيلية غير أن كثرتهم ظلت تحارب الإسرائيليين .

جواد على

(١) Eneh. Bibl. p, 1984. hastinqs . p, 673
hommel A h T - 130, Kohut, memorial Studies p 110

(٢) Èney Bibl p 1717

(١) hastmqs p 704 Stenuig DB 764

الراعى فيدلها ذهابه من حال إلى حال ...

ألا من يكون راعيها الذى تشكو خلو مكانه إلى الله آسى القلوب المحطمة التى لا تُشعب؟ ومن يكون راعيها هذا الذى تلتق بطيفه فى ساحة الله الكبرى فتنعم بالذكرى تحيط بالطيف، وبأنغام الأرغن والصلاة الصاعدة إلى ملكوت السماء تحيط بالذكرى.

ثم تخضل عينان من دون العيون بأدمع قليلة بالغة السخونة.. ثم تنفرج شفتان من دون الشفاه بصلاة قصيرة . . . ثم تنهنه الدمعة .. وتطبق الشفتان، ثم تستدير القامة الفارعة الجيلة فتيمم شطر الباب ثم تمتد اليد بالصدقات للفقراء والمساكين؛ ثم يتكرر المنهج اليومى محاطاً بالذى يقول أنها احتسبت أباها، والذى يقول أنها فقدت أمها أو فقدتهما جميعاً.

وإنه ليوم من أيام الآحاد فى الربيع الباسم وقد انتثرت فراشات الحقول وحمل النسيم رسائل الفل والياسمين وجاءت الساعة التى تقف فيها الغانية فى ساحة الله بقلب رققته الذكرى المفعمة هذه المرة بمعانى الربيع، وانكفأت الحسناء كعهدها كل مرة ولكنها ساقها التوت وسقطت على الأرض سقطة غير متوقعة، فأنهضها رجل بجانبها ورافقها حتى الباب ... ثم تمنى لها العافية وانصرف.

ورآها مرة أخرى فسأل عنها، ثم كان طريقهما واحداً فتحادثا. وقد يلذ للانسان أن يتحدث عن نفسه، وقد يلذه أن يسمع .. فتحدثت وسمع ... ثم تحدث فسمعت . . . وقد تقابلا من بعد فعرف منها ما استعصى على المدعى من قبل وما كان خليقاً به وبغيره أن يستعصى عليه؛ فقد عرف أنها أرملة، وأن الذى فقدت هو زوجها الذى بنت به فى الربيع الخامس عشر من عمرها والذى تخلو بطيفه فى ساحة الله الكبرى على نغم الأرغن وصلاة الكاهن خلوة الروح .. بالروح! . وقالت له فيما قالت إنها أم لابنة أيضاً. وكان الرجل يصغى لها وهو يرتشف الكلام ارتشافاً ويسكر من جرسه سكراً لا يعرفه إلا صرعى العواطف المؤججة. وأحيط قلب الرجل بشفاف من حسنها واخلاصها وعرف أنه باخع نفسه على آثارها إن هو لم يخط الخطوات الأخرى فى إخراجها من دنياها السابقة إلى دنياها اللاحقة، وينعم بها ويبذل لها النعيم المقيم. وفاتحها فى الأمر ففاتحة الخائف المترقب رفضاً أو إعراضاً وأعاد عليها المفاتحة صابراً متفائلا، ثم أعاد حتى انتهى معها إلى خاتمة البداية.

فمهدت له زورة فى دارها يحتسيان فيها الشاى ويبحثان الموضوع بحثاً جدياً جديداً.

وكان هذا — فرأى الرجل أن يحمل لابنة الحبيبة هدايا يمقدمها معاهدة التحالف وحسن الجوار، فقد تحدجه الطفلة غيرى. وقد يحز فى قلبها اللدن الغرير أن تجد رجلا يحل من قلب أمها الحلوة الشابة مكاناً ما. ودخل الرجل خميلتها موقراً بهداياه لابنتها، هدايا من الألاعيب لبنات خمس أودونهن قليلا . . . وحفت للقائه .. ثم كان كلام وحديث، ثم عرض هداياه وسأل عن الطفلة فأخبرته أنها فى حاشية الحديقة تلهو وتلعب، وأن من الخير له أن يذهب بالهدايا إليها ويفاجئها بها فإن هذا قد يكون أدعى لبهجتها وسرورها. ففعل الرجل هذا وانتهى إلى الطرف الذى أشارت إليه الأم وهتف باسم الطفلة فردت عليه كاعب على العشب فى السابعة عشرة من عمرها وقد استلقت تردد طرفها الأزرق البهى فى أكناف كتاب، وانبهر الرجل واساقطت اللعب من يده، وفهمت الفتاة القصة وتضاحكت من فعلته؛ ولكن لغة أخرى تتحدث بغير اللعب ... لأن لغة الكلام انتهت رسالتها. ووقفت الأم الشابة الحلوة ترقب قيام المعجزة.. وتمددها وطغيانها وجذبها القلبين على طرف الحديقة.. فلم لا تأتى هى بمعجزة أكبر ولم لا تقول ما يخشع له الطرف وقد رأت ابنتها تستملح الفتى ورأت هذا ينعقد لسانه ويزوغ طرفه ... دلفت الأم تجمع اللعب وقالت وهى تعود إلى البناية ... سأحتفظ بهذه اللعب ملهاة لأطفال ستلهون بهم كثيراً. وانقلبت مسرورة فقد أسعدت قلبين وقد سعدت بالتضحية سعادة لا يعرفها إلا ذوو القلوب الكبرى التى تستطيب الحرمان لتذود عن غيرها الحرمان. فكان منظر هذه الأم الشابة أجمل منظر فى الدنيا ... أجمل منظر فى الدنيا فى ثوبها الأسود وقامتها الهيفاء ... وعينيها الصافيتين وفعلتها السامية ... وستنعم كل يوم بدموعها وتضحيتها لأنها أحيت قلبين وجمعت نفسين ..

***

وهذه فتاة شابة دون الجميلة قيل لها إنها جميلة عشى من هذا الشارع كل يوم فتثير على جانبى الطريق جدالا بين الناظرين إليها فينبرى مدع يقول بأن هذه الفتاة أجنبية جاءت هذا البلد مع الحرب كأنها علة من عللها ... فركنت إلى هذا المنزل الذى تديره

هذه البدينة الأجنبية لصلة بين الاثنتين . ويقول مدع آخر بل هي من أهل البلد تنهز مع الغواة بدلوهم وتسوم سرح اللهو حيث أساموا ، فتعود فى أخريات الليالى حينا وفى أواسطها أحيانا أخر ، وتحتسى الخمر حتى تتقطع أحشاؤها وبغيض ماؤها ، ثم تستدرك الفائت على يد الطبيب ، ثم توغل فى حركات منعكسة بعضها عن بعض لا ينتظمها تدارك ولا يخترمها نظام فيضل الدعون . . . لأن السر لا يطفو على الوجوه جميعاً ... وإن القلب لا ينضح بما فيه دائما . فتذهب الوجناء من نزلها حيث تربد وترجع إلى نزلها لا يجد فى استشفاف ما بهـــا جديد ، ويرجح أنها جاءت هذا البلد وافدة تتبدل زماناً ومكاناً ما كانا بالمساعفين ، وقد قيل لها إنها جميــلة . وإنها مرهفة الحس عصبية كنود بينها وبين أن يجهز عليها الموت شعرة ... وبينها وبين الجنون شعرة . وبينها وبين الانهيار شعرة ... شعرات ثلاث بينها وبين الحياة فلتمرح ولتطرب . فهى جميلة قصيرة العمر لو شاءت ... مديدته لو شاءت ، فحملت هذا فى رأسها وحملته فى قلبها وفكرت بهذين جميعاً فأولدتهما أفانين من الأعمــال وضروبا من الأقوال . وخيل إليها أن الناس كلهم خاطبون وأن دنياها ملئت بالمدلهين . هذا بينه وبين الانتحار بسببها قليل ... وهذا خطبه فى رفضها ودلالها جليل ... فلتنأ بنفسها عن المــاضى نأياً ولتطو ذكريات حبها وزواجها ... وولادة طفلين حبيبين ... وأمومة ... وفشلا وطلاقاً جاهدت من أجله واستحقته استحقاقاً ... طى السجل للكتاب . ولتمش فى هــدأة الليل البهيم فى ثوب أسود حتى لا يراها الشيطان الذى استأجرها لرواحه ومغداه ، ولتسر طويلا ، ولتعبر النهر خائفة مذعورة ، ولتنظر من ورائها ومن جانبيها وليرها القمر الآفل خيالها المعقب المتأثر الملحاح المستهزىء ، ولتسر من شارع إلى شارع لا ترى إلا النوافذ المغلقة ولا تبصر إلا السكون المتمطى ، ولتغذ السير حافية إن أرادت ، منتعلة إن شاءت ، ولتمش فى نفس المســالك التى مشت فيها سيارة الخاطب الموهوم ، أو الـكاذب المشئوم ، ذلك الذى اتخذ منها ملهاة واتخذت منه مدلها ممعنا فى الغرام ، ولتسمع ضحكاتها من الســيارة التى مرت فى دماغها ، ولتذهب إلى ساحة كبرى ليست من سوح الله لا لتنفض همومها وآلامها ، بل لتقف وقفة المدان تستنزل عليها اللعنة الـكبرى باردة فى هجمة الليل وهدأة الظلام . لتذهب فقد أخذ مدى عينها يستوعب بنية سوداء فى المبنى المحيطة بها تحدق بها حديقة ساهمة هاجمة . . والسكوى راجعة إلى طبعها السادر الحالم فى أخريات الليالى لا تفضى بأسرارها . وهنا ؟ هنا . رأت نفسها غير مرة على متن سيارة إلى جانب قريب أو خاطب . . فى ألوان زاهيات لا تقربها من الأمومة أبداً . . فهى توكل السيدة البادنة ربة المنزل بخصائص الأمومة التى برئت منها . . وتنساب هى مع مقتضيات الحديث من جانبها . . جادة أو هازلة حتى تنقضى الزيارة المبتورة بأن حمل للطفلين عن الأم المحمولة على غارب الهوى . فا كهة يطعمانها عن غير يدها وغير قلبها . فلتقف هنا . . ولتنتظر نزول اللعنة فى منبلج الفجر . !

وجاوزت السياج وارتقت إلى السكوة ارتقاء مزعجاً ، فالسكوة لا تريدها ، ونظرت على خيوط الشفق البيضاء الأولى بين الأطفال الهاجمين فى ذلك الملجأ . . طفلين . . هما الوحيدان اللذان فيهما معنى اليتم . . وما هو باليتم من فقد الأبوين بل من فقد العطف والحنان عند هذه الأم الأغلف قلبها فلا يعقل . . الصم آذانها فلا تسمع . العمى عيونها فلا تبصر ، وطفلاها اللذان حملتهما كرهاً ووضعتهما كرهاً . . فى ملجأ الأطفال الغاملين العاثرة جدودهم . . الطائشة حيلتهم . . صبرهم هباء . . وأفئدتهم هواء

وتشرق الشمس فتتمطى هــذه الأم مفيقة من الحلم الذى أسرى بها ليلا من المنزل إلى الملجأ . . . من حيث لم تبرح فراشها وإن الأمس بشرابه وسهره وألحانه ودعاباته قد أورثها صداعاً لا بد له من الطبيب والحبيب والقريب والخطيب ، ولا بد من صحب ولدات يرون هذا فيغبطون أو يرثون ، ولا بد أن تبدأ عند ما تساعفها أصابعها الواهنة فى خنق شىء . . . هو حب الطفلين . . وإنكار عطفها أو علاقتها بهما . . . للخطيب الموهوم ليتم أقبح منظر فى الدنيا منظر أم شابة مؤتزرة بتضحيتها ، لأنها ضحت بقلبين ، وقربت طفلين للصنم الذى خيل إليها أنه يهب الخير ويتم النعمة . . . وستبقى هــكذا ما بقى خبالها وخيالها ورجالها .

الأم الشابة ! أجمل منظر فى الدنيا . . وأقبح منظر فى الدنيا . . لا أدرى أين قرأت هذا ، ولـكنى قرأته وعرفته . . وآمنت به . . فلتنظر الأم أين هى ؟ أهى أجمل منظر ؟ أم أقبح منظر ؟ أما الوسط فى هذا فحال !

منيبة الـكيلانى

من وحي الصوم :

عشاق الطعام !!

للشيخ محمد رجب البيومي

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

النهار طويل ممل ، والقيظ لافح محرق ، وقد هجم رمضان والعاشق النهم لا يعذر فى محبته . فكم من أكول هده العشق ، وبراه الوجد ، ثم هو لا يقدر على التصريح بما يختلج فى صدره لما وقر فى نفسه أن القلب لا يتسع للطعام والغرام ، وقد يكون نبيهاً فطناً ، فيحاول أن يوفق بين نهمه وولهه فيأتى بما يسميه البديعيون حسن التعليل ، كأن يقول :

وإن طعاماً ضم كفى وكفها لعمرك عندى فى الحياة مبارك
فمن أجلها أستوعب الزاد كله ومن أجلها أهوى يدى فأدارك

وأنا لا أدرى لماذا تنكر الصبوة من هؤلاء ؟ ولهم عيون تنظر وقلوب تخفق !! ويخيل إلىَّ أن كراهية الناس للأكول جعلتهم يستنكرون جميع ما يأتيه ، ولو كان عادياً مألوفاً ، وإلا فهل من المنطق الصحيح أن يقول الشاعر فى صديقه النهم :

ويعجبنى من جعفر أن جعفراً ملح على قرص ويبكى على جُمْل
فلو كنت عذرى العلاقة لم بيت سميناً وأنساك الهوى كثرة الأكل

ثم ما هى العلاقة بين الحب والامتناع عن الطعام ؟ الحق أن هذا منطق غريب !

ومن جماعة الشرهين من يستغل ذاكرته القوية فيشحنها بشتى الأخبار والأحاديث فإذا استضافه إنسان أخذ يعرض معلوماته عرضاً ، فما يدع صغيرة أو كبيرة مما اختزنه فى رأسه إلا كررها مثنى وثلاث ورباع ، فيضيف إلى ثقل بطنه ثقل حديثه ، وهنا يتضاعف البلاء ، وتتعدد الكارثة ، وفى هذا الطراز المتكلم يقول حميد بن الأرقط :

يسطرون لنا الأخبار إن نزلوا وكلما سطروا للقم تمكين
باتوا وقصعتنا الصهباء بينهم كأن أيديهمو فيها سكاكين

والغريب أن ألسنتهم تنعقد غب الطعام فما يكادون ينطقون بكلمة واحدة ، بعد التشدق والتفيهق ، وكأن ازدحام المعدة قد عطل مجرى التفكير ، وأوقف دولاب النطق — وقتاً ما — فغدا الأكول صنما لا يبين ، وصدق عليه قول القائل :

أتانا ولم يعدله سحبان وائل بياناً وعلماً بالذى هو قائل
فما زال منه اللقم حتى كأنه من العى لما أن تكلم باقل
تجهز كفاه ويحور حلقه إلى الزور ماضمت عليه الأنامل

ومن اطلع على هيئة هؤلاء فى أثناء تناول الطعام أخذ منه العجب كل مأخذه فإن الدم ليحتقن فى وجوههم فتربد ، وإن أيديهم لتسرع فى القذف واللقم ، وإن أعضاءهم لا تستقر على حال من القلق ، حتى يبلغوا ما يريدون

« امتنع الحارثى عن مؤاكلة صديقه الأسوارى فقيل له فى ذلك ، فقال : ما ظنكم برجل نهش قطعة لحم فانقلع ضرسه وهو لا يدرى ! وكان إذا أكل ذهب عقله ، وجحظت عيناه ، وسكر ، وسدر ، وتربد وجهه ، وغضب ، ولم يسمع ولم يبصر ، فلما رأيته وما يعتريه ويعترى الطعام منه صرت لا آذن له ... الخ »

وقد أجاد ابن الرومى حين شبه هؤلاء بمن أصيبوا بالحمى فهم معها فى تغير دائم ، وانفعال مستمر ، اسمعه إذ يقول :

تعلوه حمى شره ناهض لكن حمى هضمه صالب
كأنما الفرّوج فى كفه فريسة ضرغامها دارب
ذى معدة تملها لاحس وتارة أرنبها ضاغب

وابن الرومى أقدر من غيره على الإجادة فى هذا الفن فقد كان كما يقول صاحب زهر الآداب منهوماً شرهاً ، وكان جشعه من أسباب حتفه ، وله فى المآكل وصف طويل ، فهو إذن ينطق عن خبرة وابتلاء ، ولا يعرف الشوق إلا مَن يكابده ، وأنت ترى وصفه للمنهومين ينبىء عن حصافة ، ويخبر عن دقة ووعى كقوله :

ألم تره لو شاء بلع تهامة وأجبالها طاحت هناك بلا أرش
على أنه ينمى إلى كل صاحب ضروساله تأتى على الصلب والهش
تخبر عنها أن فيها تثلما وذلكمو أدهى وآكد للجرش
ألم تعلمو أن الرحى عند نقرها

وتجريشها تأتى على الصلب والهش

وهو فى قوله هذا متخصص متفنن يغوص على المعنى الخفى ويأتى بالتعليل المطابق فيشبه الأسنان المثلمة بالرحى المجرشة ، فى القدرة على الطحن والهضم ، وهو يذكرنى بابن هانىء الأندلسى

فله فى هذا الباب كلام جيد . وإن كان إلى الوضوح أقرب منه إلى التعمق . ولكنه يلذ القارىء ويمتعه . ويوقفه على الحقيقة سافرة فى سهولة ورقة كأن يقول :

ياليت شعرى إذا أوحى إلى فمه أحلقه لهوات أم ميادين
كأنها وحثيث الزاد يضرمها جهنم قذفت فيها الشياطين
لف الجداء بأيديها وأرجلها كأنما افترستهن السراحين
وغادر البط من مثنى وواحدة كأنما اختطفتهن الشواهين
أين الأسنة أم أين الصوارم أم أين الخناجر أم أين السكاكين
تبارك الله ما أمضى أسنته كأنما كل فك منه طاحون

ونحب أن نمان أن ابن هانىء كان قنوعا راضياً ولكنه يصف حالة رآها فقط دون أن ينطق عن ذات نفسه كان الرومى ذلك الذى يرضى بالبطنة الممرضة والكظة القاتلة ، مملا نفسه زوالها بعد يوم فيقول مخاطباً لائمته فى شرهه :

دعينى قسطنطين آخذ شهوتى وتبشمنى أنى بذلك راضى
فأكثر ماألقى من الزاد كظة مدى يومها واليوم أسرع ماض

ويخيل إلىّ أن الكظة لو استمرت معه طيلة حياته — لا يوماً واحداً كما يزعم — ما رجع عن نهمه العجيب !!

ويطول بنا البحث لو تقصينا ما ورد عن هؤلاء من النوادر وما قيل فيهم من رائع الشعر . ولكن أحب أن أنصفهم بعض الشىء فأعلن أن شرههم هذا غريزة نفسية ركبت فى طبائعهم فهم معذورون حين يهجمون على الموائد ، وماذا عسى أن يصنعوا وأمعاؤهم تتلوى كالأفاعى القاتلة . لذلك نجد الكثيرين منهم يعلنون عن أنفسهم بالقول حتى لا يفاجئوا الناس بشرههم الجشع قبل التمهيد له . وأظرف ما قرأت فى هذا الموضوع ما حدث به معبد بن خالد الجدلى قال : خطبت امرأة من بنى أسد فى زمن زياد فجئت لأنظر إليها وكان بينى وبينها رواق فدعت بجفنة عظيمة من الثريد مكللة باللحم فأتت على آخرها وألقت العظام نقية ، ثم دعت بشن مملوءة لبناً فشربته حتى أكفأته على وجهه وقالت : ياجارية ارفعى السجف فإذا هى جالسة على جلد أسد ، وإذا شابة جميلة ، فقالت يا عبد الله ، أنا أسدة من أسد ، وعلىّ جلد أسد ، وهذا طعامى وشرابى ، فعلام ترى؟ فإن أحببت أن تتقدم فتقدم ، وإن أحببت أن تتأخر فشأنك ، فقلت أستخير الله فى أمرى وانظر ، قال فخرجت ولم أعد !!

ولعمرى إن هذه المرأة وأضرابها جديرات بالعطف والإشفاق ! ومن يدرى لعلها تكون خفيفة الظل فكهة الروح كالتى قالت لزوجها وقد أكلت حملا سميناً ، وأراد أن يتغشاها فلم يصل إليها مهلا فبينى وبينك بعير ! !

على أن الرجل لا يرحم امرأته إذا كانت مصابة بهذا الداء الفاجع ، وقد رأينا فى كتب الأدب أمثلة عديدة من الهجاء الفاحش الذى صب فوق رءوس النهمات الشرهات من الزوجات ، بل قد تجاوزهن إلى الأمهات على ما لهن من حرمة التربية والرضاع وحسبك أن يقول المجيف فى هجاء صاحبة الفضل الأول عليه

يا ليتما أمنا شالت نعامتها إما إلى جنة إما إلى نار
ليست بشبعى وإن أسكنتها هجراً ولا برِيّا وإن حلت بذى قار
تلهم الوسق مشدوداً أشظته كأنما وجهها قد ساح فى القار

وأمثال هذه الطعنات الجارحة لا تحصر فى طيات الأسفار !

***

وبعد فالطعام كما يقول الأستاذ البشرى فن جميل . وأبطاله النوابغ فنانون مطبوعون ، وقد جحدهم الناس ، وأنكروا ما لبطونهم من مواهب نادرة ، فلا أقل من أن ننصفهم بعض الشىء فنستغفر الله لهم فى شهر طالما حاربهم فى حياتهم ، ثم هاهو ذا يذكرنا بهم فى سباتهم العميق ...

(الكفر الجديد) **محمد رجب البيومى**

يوم (١٧) رمضان :

يوم بدر

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

سوف تبقى على مدى الأيام   شرعة الخير ... شرعة الإسلام
أنت بعث من البلى ، وشفاء   لصدور مليئة بانسقام
وهدى يمحق الضلال ، ونور   سرمدى يشق قلب الظلام
وصعود إلى العُلا ، وسمو   عن حياة الشرور والآثام

* * *

يا رعاك التاريخ يا يوم بدر   أنت فى الدهر غرة الأيام
أنت معنى الكفاح فى الحق،لا فى   باطل موهوه بالأوهام
أنت بدر وافى الظلام ،فولَّت   من سناه كتائب الإظلام
إنما أنت يقظة بعد نوم   وصفاء فى الأفق بعد قتام
إنما أنت قوة بعد ضعف   وحياة من بعد موت زؤام
إنما أنت عودة النور والآ   مال ، بعد الظلام والآلام
فيك أصغى الزمان،والتفت الده   ر إلى ساحة الوغى والصدام
حيث جند الضلال قد جاء يبغى   نصرة الشرك بالقنا والسهام
والنبى الكريم بين صحاب   كل فرد كالصارم الصمصام
لم يروا فى الحياة إلا حطاما   فاشتروا دينهم بهذا الحطام
كبَّروا ثم أرقلوا بقلوب   ونفوس إلى الحمام ظوامى
وتلاقى الجمعان أى تلاقِ   أرأيت الأسود فى الآجام ؟
فتعالى الغبار ، وانعقد المثـ   ير فوق الرءوس مثل الغمام
لو رأيت السيوف تلمع فيه   خِلْتَ ناراً تطايرت فى قتام
وأمد الله النبى بجيش   من جنود مسوَّمين كرام
لم ير المشركون غير سيوف   تتهاوى بالهام بعد الهام
عن يمين وعن شمال ضراب   وطعان من خلفهم والأمام
ففريق على الرمال صريع   وفريق تساق كالأغنام
وفريق مشردون حيارى   فى فجاج الصحراء مثل النعام
قنعوا بالهوان والذل عقبى   ورضوا بالنكوص والإحجام
هدّ ركن الضلال ، وانصدع الشر   ك ، وباءت فلوله بانهزام
واستفاض الرشاد ، وانقشع البغـ   ى ، ودالت عبادة الأصنام
واستقام الإسلام حصناً قوياً   ثابت الركن ، مستقر الدعام
ومضى يفتح الممالك باسم الا   ه ، لا باسم سلطة وانتقام
أينما سار فالحياة رخاء   فى سلام ، وعزة فى وئام

* * *

يا لقومى مما أرى فى زمان   حائر الخطو ما له من زمام
لا أرى فيه للهدى من سبيل   لا ، ولا للرشاد من أعلام
قد بغى أهله كأسد ضوار   هيجتها الرعود فى الآكام
وأحالوا الحياة حرباً ضروساً   طال فيها تناحر الأقوام
تلك حرب الضلال ... سيان فيها   — لو علمنا — مهاجم ومحام
أرهقتنا ! لا بارك الله فى جنـ   د ، ولا قادة ، ولا حكام
نحن لم نشعل الضرام ... لعمرى   كيف نكوى بنار هذا الضرام ؟ !
زعموها قد أطفئت ، ولظاها   لم يزل يستكن تحت الحطام !
قد أضرت بنا سنون عجاف   صيرتنا خطوبها كالحطام
قلق دائم ، وهم مقيم   وغلاء فى ملبس وطعام
قد شكونا لهم بقلب حزين   وبكينا لهم بجفن دام
وانتظرنا ، فما أفادت شكاة   لا ، ولا أجدت الدموع الهوامى
ورجونا الغيث الكثير ، ولكن   قد رجوناه من سحاب جهام
ورأينا الأحكام تترى ، ولكن   أين تنفيذ هذه الأحكام ؟
تلك فوضى قد أحدثوها ، ولكن   ألبسوها زوراً لبوس النظام
ضاق صدرى بما أحس ، ولكن   فى فمى الماء يا أولى الأفهام !

* * *

يا لقومى ! لقد تغير قومى   ورماهم زمانهم باصطلام !
غيروا قوة بضعف ! وعزاً   بهوان ! وصحة بسقام !
واستعزوا بغيرهم ، فقضى للغيـ   ر عليهم بالعسف والإرغام
ورماهم من شره بدواه   قاتلات ... شلت يمين الرامى

فأقاموا على الهوان، وساروا   في طريق الحياة كالأيتام
ونسوا مجدهم، وكان حياة   وضياء، بعد الردى والظلام
أين مجد الإسلام ضخما عريضا؟   أين بنيانه المتين السامى؟
لا تقولوا مضى إلى غير رجعى   لا، ولا تسمعوا لقول النيام
وأعيدوا ذكراه فى كل يوم   فقليـل ذكراه فى كل عام
واستعيدوه مثلما كان صرحا   محكم الخلق أيما إحكام
ودعوا اليأس والتعلل بالوهـ   ـم، ولا تركنوا إلى الأحلام
أتريدون عزكم بالتمنى؟!   أتريدون مجدكم بالكلام؟!
تعست أمة تحاول بالقو   ل بلوغ المنى، ونيل المرام
إنما منطق الضعيف ضعيف   وكلام القوىّ حد الحسام
فاتركوا الضعف، وارفعوا الذل عنكم   واهجروا الآن مضجع النوام
واعملوا؛ إنما الحياة كفاح   وجهاد فى ساحة الأيام
وامسحوا عنكم الفتور، وبثوا   فى النفوس القوى، وفى الأجسام
انزعوا اليأس، حطموا الخوف، هبوا   هبـة الأسد روعت فى الموامى
واهزؤوا بالخطوب إن عبس الدهـ   ـر، ولا تعبؤوا بكيد الخصام
واحملوا مشعل الهداة، وسيروا   فى طريق الحياة نحو الأمام
وليكن حكمكم بما حكم اللـ   ـه، ودستوركم هدى الإسلام

***

سوف نبنى صرح السلام مكينا   مستقراً ... والويل للهدام
سوف نمحى الأخلاق من نزوة الشر   (م) وبغى الهوى، وجهل الطغام
ونعيد الحيـاة روضا جميلا   يتغنى بزهره البسام
ثمر يانع، ودوح ندى   وارف الظل، ريّق الأنسام
ونضم القلوب بعد انفصام   ونلم الصفوف بعد انقسام
ونعيد المجد القديم كما كا   ن، وأنف الطغيان تحت الرغام
ولنـا الدين غاية وطريق   وإمام ... أنعم به من إمام
ولنا الله ... ناصر ومعين   وهو نعم النصير، نعم الحامى

ابراهيم محمد نجا

أنغـام الحب

ومنه الحب عبقرى الأغانى

للأسـتاذ أنور العطار

عش بقلبى كما تعيش الأمانى   وأثر خاطرى ونضّر جنانى
وأعدنى كالناى أسكره اللحـ   ـن ففنى فى رقة وحنان
تتهادى ألحانه مشجيات   ومن الحب عبقرىّ الأغانى
يا هواى الذى أناجيه لهفا   ن ويا منيتى ويا سلوانى
أمن العدل أن يبيت أخو الحـ   ـب صريع الهموم والأشجان
ينهب الشوق عمره غير وان   ويُقضى الحياة فى الهجران
يهب القلب للهموم توالى   والأسى والدموع والأحزان
ويبيت الحبيب يغمره الصفـ   ـو وبحبوحة النعيم الدانى
وهو الحب خافق غير مرتا   ع، وقلب مؤجج الخفقان
وخدود مجرحات دموعاً   وخدود نواضر الألوان
وعيون من المسرات ملأى   وعيـون مخضلة الأجفان
ها هنا البشر سائغاً مستطابا   وهنا الشجو خالدا غير فان

***

يا هواى الذى أغنيه أحلى   ما تغنت بلحنه شفتان
طف بقلبى كما تطوف البشاشا   ت وجدد على المدى ألحانى
لك من مدمعى ينابيع تهمى   بغزير من ماء قلبى قان
لك من خاطرى نشيد رقيق   طافح بالهيـام والتحنان
لك من روحى اللهيف نزوع   كنزوع الغريب للأوطان
لك سر مغيب فى جنانى   لك شدو مفجر من بيانى

***

لك يا ملهمى الأناشيد بكراً   أتغنى برائعـات المعانى
ويجوز الخيال أخبية الوهـ   ـم ويمشى على ثغور الأمانى

أنور العطار

تعقيبات

تراث المعرى :

منذ ثلاث سنوات تألفت فى وزارة المعارف لجنة من الأساتذة الأفاضل : ابراهيم الأبيارى وعبد السلام هارون ومصطفى السقا وعبد الرحيم محمود وحامد عبد المجيد لتقوم على بعث تراث الشاعر الفيلسوف أبى العلاء المعرى ونشره مصححا ، وشرحه شرحاً يقربه من الأفهام ، وهو عمل جليل أشدنا به على صفحات الرسالة من قبل ، وباركنا ما بدا من أثر ذلك فى همة اللجنة وعنايتها .

وإنى لأشهد الله أن أعضاء اللجنة الأفاضل قد تجردوا لمهمتهم فى عزيمة صادقة ، وعكفوا عليها فى صبر العلماء وشغفهم بمكاره الدرس والمراجعة ، فانفردوا فى غرفة منعزلة بدار الكتب المصرية بين أكداس من المخطوطات ومجفو الطوامير يراجعون ويحققون ويبذلون ماء عيونهم لإلقاء النور على ذلك التراث المدفون ، فكأنهم جماعة العلماء الذين يعكفون على الأبحاث الذرية فى أمريكا ...

وقد استطاعت اللجنة أن تخرج فى هذه المدة كتاب « تعريف القدماء بأبى العلاء » ، والجزأين الأول والثانى من « سقط الزند » وما له من شروح ، وهى الآن بصدد إخراج الجزء الثالث منه ، وستتمه بجزء رابع يتضمن فهارس كاملة ، ثم تأخذ بعد ذلك فى إخراج ديوان ، « لزوم ما لا يلزم » وما عليه من الشروح ...

ولكنى ألاحظ أن اللجنة تمضى بطيئة فى أداء مهمتها وإنجاز عملها ، وقد سألت فقيل لى إنها تحتاج إلى أكثر من عشر سنوات للفراغ من هذا العمل إذا سارت بهذه الخطوات ، ومعنى هذا أنها ستخرج ذلك التراث للجيل القادم ، على أن اللوم فى هذا البطء لا يرجع إلى اللجنة ، بل إنها نفسها تشكو ذلك وتحرص على أن تسير فى عملها بخطى واسعة ، وإنما اللوم على نظام دار الكتب ، لأن المطبعة لا تسعف اللجنة فى إنجاز الطبع والإخراج بحجة كثرة العمل ، وذلك فى الوقت الذى تجد فيه هذه المطبعة الوقت الواسع جداً لإخراج مؤلفات مدير الدار ومؤلفات المؤلفين الذين يتاجرون بمؤلفاتهم مع أن الواجب يقضى بأن تخصص مطبعة الدار لإنجاز مطبوعات الدار .

ومسألة أخرى تدعو إلى العجب ، وهى أن ما تخرجه اللجنة من آثار المعرى تضع وزارة المعارف يدها عليه وتنقله إلى مخازنها ولا تسمح إلا باهدائه لذوى الجاه فى الدولة ممن لا يعنيهم المعرى وتراثه فى كثير ولا قليل ، فكأنى بالوزارة قد قررت بعث تراث المعرى لتنقله إلى قبر جديد .

كلا ! إن هذا التصرف ليس بالعمل الذى يؤثر فى خدمة الأدب ، وقد أحسنت الوزارة من قبل يوم أن قامت بطبع ديوان حافظ إبراهيم وعرضه للبيع بنفقات الطبع ، فهل لها أن تؤثر هذا الصنيع فى بعث تراث المعرى ونشره والإفادة به ؟! .

ولكنهم المعلمون :

نشرت إحدى الصحف خبراً زعمت فيه أن المعلمين ألفوا عصابة من بينهم لبيع أسئلة الامتحانات العامة ، وأن التحقيق كشف عن أمور خطيرة من أعمال هذه العصابة ، ولما كانت تلك الصحيفة قد هولت فى إيراد الخبر وتهجمت به على كرامة المعلمين ، فقد أذاعت « جمعية المعلمين » بياناً على الصحف ترد على هذا التهجم وتقول « وما كان للصحيفة المذكورة أن تتسرع بهذا الاتهام حتى ينتهى التحقيق وتظهر براءة البرىء إن كان بريئاً وذنب المذنب إن كان مذنباً ... »

وأنا لا يعنينى هنا تلك الواقعة ، ولا تصحيحها ، ولكنى أشهد الله أنى لا أفهم « براءة البرىء إن كان بريئاً » ولا أعرف ذلك فى أسلوب عربى إلا أسلوب الصحف التى تقول : « وتزوجها زوجها وعاشرها معاشرة الزوجية .. »

ولو أن هذا التعبير وقع من جماعة المهندسين مثلا لأغضينا عنه ، وقلنا إنه أمر ليس من صميم صناعتهم فلا لوم عليهم ولا بتغينا له أوجه التأويل ، ولكنهم المعلمون وصناعتهم العلم ، وهم الذين يتعهدون أبناءنا فى تعليم اللغة والبيان ، فياضيعة الأبناء المساكين ، وياضيعة اللغة والبيان ، إذا كانت لغة المعلمين من نحو « براءة البرىء إن كان بريئاً .. »

كان آباؤنا أبر وأكرم :

نشرت مجلة « المسامرات » فى عددها الأخير صفحة مصورة عن إنشاء بيت فى لندن لتأجير ما يلزم للعرائس من الثياب ليلة الزفاف نظير مبلغ خمسة جنيهات وذلك تخفيفاً عن الفتيات الرقيقات الحال واللائى لا يستطعن الحصول على الثياب اللائقة بهن نظراً لشدة قيود التموين التى لا تزال قائمة فى انجلترا ، وقد أشادت المجلة بهذا الصنيع كما أشادت به المجلات والصحف الإنجليزية وقالت إنه عمل مشكور أعاد الإشراق إلى وجوه العرائس وأدخل السرور والانشراح على قلوبهن .

قلت أين هذا من مآثر آبائنا السابقين ومكارمهم التى من هذا القبيل ، فقد كانت أبر وأكرم ، وكان عملهم مما يدل على عراقة الروح الإنسانية فى نفوسهم .

فمن ضمن وثائق الأوقاف الإسلامية وثيقة بوقف خيرى فى مكة المكرمة لإعارة الحلى وأدوات الزينة للفقراء ومتوسطى الحال فى الأعراس والأفراح بحيث يستعيرون منه ما يلزمهم حتى تظهر العروس فى المظهر اللائق جبراً لخاطرها ثم يرد مكانه بعد مضى مدة الفرح المعتادة ، كما كان فى مكة أيضاً وقف لإعارة المفروشات وأدوات السفر فى إقامة الولائم والحفلات .

وذكر ابن بطوطة فى رحلته وقفاً فى دمشق اسمه وقف « الزبادى »[1] وهو مكان توجد فيه الأوانى الفاخرة من الصين وقفها أصحابها بحيث إذا كسر خادم آنية فى مطابخ سيده وخاف أن يضربه السيد أو يحسم ثمنها من أجرته قصد إلى ذلك المكان وسلم الآنية المكسورة وتسلم بدلها صحيحة ، وقد علمت أن فى فاس وقفاً مثل هذا الوقف ، وكذلك فى تونس .

ومن ألطف ما يتصل بهذا وقف فى فاس خصص ريعه لمن وقع على ثيابه زيت من الفقراء أو مادة ملونة تذهب ببهجته وجدته كالحبر ، فيأخذ منه نقوداً ويشترى ثوباً جديداً مماثلا لذلك الثوب الذى كان يلبسه

وفى تونس وقف لتزويج الشابات الفقيرات ، وآخر لختان الأولاد الفقراء وإعطائهم كسوة ودراهم وثالث لتوزيع الحلوى على المحتاجين بالمجان فى شهر رمضان

(۱) وهى السلطانيات بلغة أهل الشام

وفى مراكش مؤسسة اسمها « دار الذمة » عليها أوقاف كثيرة ، وهى دار تقصد إليها النساء اللائى يقع بينهن وبين أزواجهن نفور وليس لهن عائلات ، فيقمن فيها آكلات شاربات متمتعات بكل وسائل الرفاهية حتى يذهب ما بينهن وبين أزواجهن من الجفوة ويعدن إلى دار الزوجية .

وفيها أيضاً مكان اسمه « سيدى فرج » عليه أوقاف كثيرة تدر الأموال الوفيرة ، وقد أوقفها أصحابها لإيواء المجاذيب ولتجهيز الموتى من الفقراء وتكفينهم ، وشراء ملابس توزع على الفقراء فى أول الشتاء .

وروى الكاتبان الفرنسيان الأخوان « جان وجيروم تارو » فى رحلتهما إلى مراكش أنهما شاهدا هناك مؤسسة لا يوجد مثلها فى الدنيا ، وهى دار كبيرة فسيحة تتسع لستة آلاف ممن أصيبوا بمحنة العمى من الفقراء ، فيقيمون فيها يأكلون ويشربون ويقرأون ، ولهم أنظمة وقوانين يسيرون عليها ، وتشرف على شئونهم إدارة كبيرة تدبر لهم كل وسائل الراحة والرفاهية ...

وفى أوقاف مصر وقف لسكنى الأيامى الفقيرات ، ووقف آخر لكسوة أولاد الفقراء ، وثالث لإطعام الكلاب التى ليس لها أصحاب ...

فهذه ، وأمثالها كثير ، مما يطول سرده وعده ، من مآثر آبائنا الكريمة ، وأريحيتهم النبيلة ، التى كانوا يبذلونها استجابة لداعى الإنسانية ، وتلبية لنداء الخير والمروءة ، وما كانوا يرجون عليها أجراً إلا ثواب الله وحسن جزائه ، فكل ما يجرى الآن من صنائع المدنية الحديثة فى الترفيه عن الفقراء وإدخال السرور على نفوسهم لا يعدل قليلاً من ذلك الذى كان .

والواقع أن روح الإنسانية التى تملكت آباءنا السالفين ، ووصلت قلوبهم بقلوب الفقراء ، هى التى وقت المجتمع الإسلامى على تطاول العصور من الهزات الاجتماعية العنيفة ، ومن الثورات التى تصطدم بها النفوس المحرومة على أهل السعة وأصحاب الأموال ، وليس من المعقول أن يثور الفقراء أو ينقموا السعادة على الأغنياء ما داموا يجدون فى أموالهم الحق المعلوم للسائل والمحروم ...

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

عام التوائم :

توالت على الصحف أنباء ولادة التوائم فى أنحاء البلاد ، وأفاضت الصحف فى الكتابة عن أحوال هذه الولادات ، لما فيها من غرابة وطرافة

وقد لاحظت اقتران هذا الإخصاب فى الولادة ، بإخصاب آخر فى التأليف ، واسترعى نظرى إعلان أحد المؤلفين عن كتابين أخرجهما معاً ، وزاد انتباهى إعلان آخر مماثل .. فقلت فى نفسى : نحن حقاً فى عام التوائم !

ومما يدل على الإخصاب فى التأليف هذا العام أن «الأهرام» هالها ما يرد إليها من المؤلفات ، ولعلها ضاقت بإلحاح أصحابها فى طلب التعريف والتنويه بها ، فكتبت يوم الثلاثاء بعد ثبت طويل من الكتب التى عرفت كلا منها بكلمة — كتبت بعد ذلك تعتذر من عدم استطاعتها التعريف بكل ما ورد إليها ، فقالت إن عدد المؤلفات قد زاد فى هذا العام زيادة لم نعهدها فى السنوات الماضية فقد بلغ ما تلقته الأهرام فى ثمانية الأشهر الأخيرة ٣٨٢ كتاباً بمعدل ٥٠ كتاباً فى الشهر تقريباً ، واعتذرت من التأخير فى الإشادة بكل هذه الكتب ، ووعدت بأنها ستواصل التعريف بها ما استطاعت !

وقد لاحظ بعض الكتاب أن النساء المنجبات هن من الطبقة الفقيرة ؛ ولا عجب فى هذا فالطبقات الدنيا هى العاملة المنتجة المنجبة فى المجتمع . ويلاحظ أيضاً أن أكثر تلك الكتب الوفيرة تدل على أن أصحابها من فقراء الفكر .. وكثير من هؤلاء يوالى الواحد منهم إصدار المؤلفات فى أوقات متقاربة ، والذى أفهمه فى فن التأليف أن الشارع فيه تقوم بذهنه فكرة الكتاب ، يباشرها زمناً ، يقضيه فى التفكير فيها ، وتحقيق مادتها ، وتحين الفرص التى تتيح ما يخدمها ، فى أثناء المطالعات والتأملات ؛ حتى إذا نضجت على مهل ، أخرجها للناس كتاباً سوياً . فيكون كالوليد الذى تتغذى أمه وهى تحمله جنيناً بغذاء كامل ملائم للحامل ، وتتبع فى حياتها النظام النافع للحمل ، وتقضى المدة اللازمة قبل أن تضع حملها

وقد أفضى طبيب « ملوى » بأسباب وفاة ثلاثة من الأربعة التوائم التى ولدتهم أمهم هناك ، فقال إن أهم تلك الأسباب رداءة تغذية الأم وهى حامل ، فهل نأخذ العبرة من هذا للتأليف ، مع فرق واحد ، هو أن الوليد السقيم قد تجدى عليه العناية والمعالجة ، أما الكتاب الملفق المرتجل فهو مع الموت فى مهده على ميعاد ..

مطايبات (أبو النواس) :

جاء فى العدد الخاص (بالفرفشة) من مجلة الاثنين ، فصل فى (الفرفشة عند العرب) احتوى على بضع حكايات قدم لها بما يلى : « كان العرب يتذوقون النكتة ويجزلون العطاء لقائلها ، وقد حفلت كتب الأدب العربى القديم بألوان طريفة من الفكاهات ويرى القراء طائفة منها فيما يلى » والقارىء المستنير يتوقع أن يطالع بعد هذه المقدمة ملحاً وطرائف من التى حفلت بها كتب الأدب العربى حقاً ، والتى هى جديرة أن يزود منها عدد خاص بالفكاهة أو (بالفرفشة) كما أطلقوا عليه ؛ ولكن الحكايات التى أتى بها إنما هى من التى يتبادلها العامة ، ويحصلونها من الكتيبات التى وضعها لهم بعض الوراقين ، وخاصة ما كان منها عن (أبو النواس) كما يسميه العوام ؛ وإلا فقل لى أى كتاب من كتب الأدب العربى القديم حكى عن الرشيد أنه أراد أن يفاجىء أبا نواس بزيارته فى داره فاختبأ أبو نواس وراء الباب وأزعج جواد الرشيد وهو يهم بالدخول ، فسقطت عمامة الرشيد ، فتطير من ذلك وأمر بضرب عنق أبى نواس ، فيضحك أبو نواس معللا ضحكه بأنه يقتل بغير سبب ، فيقول له الرشيد :

— إنما أقتلك لأنك مشئوم الطالع . . فقد « اصطبحت » برؤيتك فسقطت عمامتى !

— وأنا اصطبحت بوجهك ففقدت حياتى ، فأينا أكثر شؤما ؟

فهل كان من طبيعة العلاقة بين الرشيد وأبى نواس ، وهل

يليق بهما ، أن يحدث بينهما هذا الذي يشبه لعب الأطفال المسمى « استغماية » ؟ وهل كان خلفاء المسلمين يقتلون للطيرة وشؤم الطالع . . ؟ وهل يصح أن يساق هذا الكلام المسف المبتذل على أنه فكاهات مختارة من الأدب العربي ؟!

لقد كان يمكن تحقيق الرغبة في الإضحاك بإيراد طائفة من فكاهات الأدب العربي « الحقيقية » التي يزخر بها « الأغاني » و« العقد الفريد » و« عيون الأخبار » و « ذيل زهر الآداب » وغيرها من كتب الأدب . وكان يمكن بهذه الفكاهات الجمع بين (الفرفشة) والمتعة الفنية ، وكان كل ذلك خيراً من حكايات (أبو النواس) التي لا منفعة فيها إلا أن تفغر أفواه الفارغين ...

شخصية الفنان :

نشرت بعض الصحف البيروتية خبر حادث أسفت له ، وأشارت إلى سوء موقعه من النفوس ، ذلك أن الأستاذ محمد عبد الوهاب كان في مجلس في (عاليه) ضم نخبة من رجال السياسة والأدب ، وفيهم الأمير مجيد أرسلان وزير الدفاع في لبنان ، الذي طلب من عبدالوهاب أن يغني ، فرفض . واختلفت الروايات فيما حدث بعد هذا الرفض ، فقيل إنه حدثت مشادة تخللها اعتداء ، وقيل إن الوزير نهض واقفاً كأنه يهم بالاعتداء . . . وتدارك الحاضرون الموقف فانتهى بسلام . وكذبت الحكومة اللبنانية « أن وزيراً حاول ضرب الأستاذ محمد عبد الوهاب في عاليه » وقالت إنه خبر عار عن الصحة . ونفي الحكومة ينصب على الاعتداء ومحاولته ، أما الاجتماع وما كان فيه من طلب الغناء ورفضه فلم يكذب خبره . وهذا الجزء من الخبر هو الذي يتعلق به موضوعنا . أما الإساءة إذا كانت قد وقعت فاليقين أن إخواننا اللبنانيين قد عالجوا أمرها على خير ما يرجى .

أما الذي أرى إليه فهو « شخصية الفنان » التي حققها عبد الوهاب برفضه إجابة طلب الغناء ، فهو اعتزاز في موضعه ، وحفاظ على كرامة الفنان أن يكون طوع إشارة وزير أو كبير . وقد مضت العصور التي كانت الفنون فيها تعيش في ظلال الكبراء ، وصار الفنان (من موسيقي وأديب وغيرهما) يستمد عزته من فنه ومن جمهوره ، كما تستمد الحكومات الدستورية سلطانها من أممها . .

تلك هي روح العصر في الفن ، وهي أثمن ما كسبناه ، وهي تتمثل في أولئك الأعلام الذين برزوا في حياتنا الفنية بأنواعها ، نهضوا على سوقهم ، ومشوا بجهودهم إلى غاياتهم مسددين ، ويسير الجيل الجديد على أثرهم في هذا السبيل ، من الشعب نحو الشعب ، يرعى الجميع جلالة الفاروق .

أبو زيد الهلالي :

كتب إليّ الأستاذ عبد الحميد يونس ما يلي :

« طلب المدير المنتدب للإذاعة المصرية في عهدها القومي إلى الأدباء والكتاب أن يشاركوا بأفكارهم وأقلامهم في تدعيم هذه المؤسسة الثقافية العظيمة التي بلغ من خطورتها في توجيه الرأي العام أن احتفلت بها الهيئات الدولية العليا ، وقد رأيت أن أتقدم إلى هذه الإذاعة بنصيب متواضع من الجهد الفني ، هو تقريب الآثار الشعبية المعروفة إلى جمهور الخواص . وبدأت بحلقة من حلقات سيرة أبي زيد الهلالي ، ولأمر ما انصرف المعنيون بإخراج هذه الآثار عن اللغة الفصحى إلى اللغة العامية مع أنني كتبتها باللهجة الفصيحة لحكمة ظاهرة ، وهي جعل الخواص والأوساط يتذوقون هذه الآثار الشعبية التي يحفظها العامة عن ظهر قلب ، ثم أخرجت هذه الحلقة دون أن يصلني كتاب واحد من الإذاعة اللاسلكية القومية التي تشرف عليها الدولة المصرية ينبئني بقبولها أو رفضها أو يدعوني على الأقل إلى مشاهدة إخراجها وإقرار هذا الإخراج . وقد حضرت التجربة النهائية اتفاقاً محضاً ، وكنت بين المخرج وأعوانه كالمتطفل على مأدبة لم يدع إليها . وعند التسجيل سحب الصوت من الغرفة التي أجلس فيها عمداً . وعلمت بعد ذلك أن القصة التي قدمتها قد حورت في موضعين تحويراً يمس أثراً محفوظاً لدى الشعب ، قد وقف في تطوره عند صورة متبلورة بعينها ، كما أن الحوار حمل أفكاراً وصوراً لا يمكن أن أقرها بحال . فاضطررت إزاء هذا كله إلى أن أطلب ، بما لي من حق ، الاستماع إلى التسجيل الكامل ، ولولا

وساطة بعض أصدقائى ممن أحترمهم وأوقرهم لوقفت إذاعة هذه الحلقة واحتكمت إلى القضاء ، وبخاصة لأنهم جعلوا المؤلف غيرى واكتفوا بأن ذكروا أننى قدمت « المادة العلمية » كما يفعل رجال الدعاية الزراعية مثلا . والإذاعة وإن غيرت هـذا الوضع بعض التغيير ، إلا أن الأمر لا يزال على حاله من حيث تحوير القصة وتحميل النص مالا يحتمل ...

ولعل هـذا يدعوك إلى تنبيه الإذاعة اللاسلكية فى هذا العهـد القوى إلى احترام المؤلفين ومحاولة القضاء على ما يشبه الاحتكار الثقافى والفنى لفرد أو طائفة .

وأملى أن ينال هذا الموضوع ما يستحق من عنايتكم وعناية الرسالة الغراء »

وقد أصغيت إلى هذه التمثيلية وقت إذاعتها يوم الثلاثاء ، فسمعت أصواتاً تتصايح بلغة لست أدرى ما هي بالنسبة إلى قصة أبى زيد الهلالى ، فلا هى لغة جمهور المستمعين العامية ، ولا هى لغة «شعراء الربابة» التى هى أقرب إلى الفصحى من لغة التمثيلية، ولا هى لغتنا العربية الفصحى ؛ وإنما هى من لغة بعض القبائل البدوية المعاصرة . ولم هذا وقد وضعها مؤلفها معربة فصيحة ؟ يقولون فى مثل هذا : إنه تهيئة للجو الفنى فى القصة .. فهل يطابق هذا الحوار الذى وضع لقصة أبى زيد الهلالى لغة القبائل العربية بنجد فى القرن الخامس ؟ وما أظن لغتهم فى ذلك الوقت كانت قد بعدت كثيراً عن الفصحى

على أننى سمعت فى تمثيـــل القصة غناء ينصت إليه أمراء القبيلة ، فيدخل عليهم أفراد من القبيلة يصيحون بهم : أتنصتون إلى الغناء والطرب والشعب يهلك من الجوع ؟ وسمعت أحد أفراد القبيلة يحاول أن يبيع ابنته ليقرى ضيفانه ، فيعلم بذلك أمير القبيلة فلا يمنح الرجل ما هو فى حاجة إليه ويطلق الفتاة ، بل يتزوج منها فيعترض عليه أبو زيد ويعلن أن الوقت وقت شدة وعسر ولا يليق أن ينفق فى الأفراح بل يجب أن ينفق فى مصلحة الشعب ورخائه .

وليست تلك الأفـكار الاشتراكية مما يتفق والروح السائد فى زمن القصة ؛ وتصرف أمير القبيلة مع والد الفتاة ليس من النخوة العربية ، فهل يتفق هذا مع الجو الفنى للتمثيلية الذى يعملون على تهيئته بتلك الأصوات المنكرة .. ؟

وأكبر الظن أن ذلك مما يقصده الأستاذ عبد الحميد بقوله إن القصة حورت وحمل الحوار أفكاراً وصوراً لا يمكن أن يقرها ، ويبدو من تغافلهم عنه فى أثناء الاخراج أنهم كانوا يخفون عنه مايصنعون بقصته حتى ينتهوا ويضعوه أمام الإفساد الواقع .

ومن عجيب الأمر أن ينزل الكاتب المبين منزلة صاحب « المادة العلمية » الذى لا يقتدر على التعبير فيقدمها لمن يصوغها فى أسلوب صحيح ..

وبعـد فهل تتفق دعوة مدير الإذاعة الأدباء إلى المشاركة بأفكارهم وأقلامهم فى تدعيم الإذاعة المصرية فى عهدها القوى مع هضم حقوق المؤلفين والتصرف في إنتاجهم بما لا يقرونه ؟ أوليس من حق الأدباء أن تعاملهم الإذاعة — فى التقدير الأدبى على الأقل — معاملة الفنين ومن دونهم من الملهّين ... ؟

« العباس »

البريد الأدبي

القرآن والفرقان :

اطلعت في العدد الأول من مجلة « لواء الإسلام » على مقال رصين للأستاذ الكبير عبد الوهاب حمودة بعنوان « التعريف بالقرآن » جاء فيه قوله « وللقرآن أربعة أسماء . هي القرآن والذكر ، والكتاب ، والفرقان . »

ونحن نوافق الأستاذ في الأسماء الثلاثة الأولى ، ولكنا نخالفه في الرابعة وهي كلة « الفرقان » بمعنى القرآن إطلاقاً ، لأن من معانيه الذكر ، ودليلنا في ذلك قوله تعالى وهو أصدق القائلين « شهر رمضانَ الذى أُنزلَ فيه القرآنُ هدى للناس وبينات من الهدى و(الفرقان) . » وقوله تعالى « وإذ آتينا موسى الكتاب و(الفرقان) . . »

ثم إن الأستاذ زيادة في الإيضاح يقول مستشهداً : ثم نزل لفظ (الفرقان) في سورة (الفرقان) في قوله تعالى : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » فلو صح ما ذهب إليه الأستاذ في معنى الفرقان لصح وجود سورة باسم سورة (القرآن) . ولكان القرآن ما نزل على العالمين إلا ليكون نذيراً لا غير .

ثم إن الآية « ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان » تنفي ما ذهب إليه الأستاذ في معنى الفرقان على أنه القرآن نفياً لا يأتيه الشك من بين يديه ولا من خلفه . ويكون الفرقان بمعنى الذكر الذى يفرق بين الحق والباطل من الأقول والأفعال .

وللأستاذ في الختام ، وافر التحية والسلام ....

(الزيتون) **عدنان أسعد**

١ — إلى سائليّ :

كتب إليَّ الأفاضل : السيد (سعيد أحمد) من القنيطرة ، والسيد (نهاد عيسى) من حيفا ، والسيد (حنا نصار) من طبريا وشافهني آخرون ممن ألتق ، وكلهم يسأل عن « فصول الأدب في فلسطين » ولماذا توقفت عن متابعتها ؟ !

وجوابي إلى هؤلاء السادة : أنني سأتابع هذه الفصول حين يتسع المجال في (الرسالة) الزاهرة ، فتنشر فصلين وجهتهما للادارة . وذلك ليتسق نظام الحديث .

٢ — الحاصرة :

كتب الأديب « فلسطيني » في بريد الرسالة الأدبي . يرتأي أن نستبدل بالزنزانة (الحاشرة) . وكتبت آنذاك — وقد توهم بعض إخواني أنني ذلك «الفلسطيني» — أنفي ذلك الوهم ، وأبين أن (الحشر) في اللغة هو : (الحشد والجمع) ومن ذلك (يوم الحشر) . ولا يكون بمعنى : (الحبس والتضييق) إلا في مدلول الكلمة العامي عند أهل فلسطين ... ومن هنا كان خطأ اللغوي « فلسطيني » ! ولعل الكلمة التي تؤدي المعنى المراد — هاهنا — هي : (الحاصرة) ....

وفي عدد الرسالة الأخير رأيت الأستاذ حسني كنعان يستعمل هذه ال(حاشرة) بمدلولها العامي في فلسطين ، في موضوعه القيم : « نهاية دجال » ولذا رأيت أن أعود ثانية فأنبه إلى ذلك

٣ — أروقة سود :

جاء في بداية موضوع السيدة الفاضلة منيبة كيلاني (لسان الدين بن الخطيب) ما يلي : « مد الليل أروقته السوداء في غرناطة ... » . والمعروف أن (سوداء) وصف لمفرد مؤنث ، ووصف الجمع منه (ومن جمع التكسير) هو (سود) .

فنقول في الإفراد : ليلة سوداء ، كما نقول : حية رقطاء .

ونقول حين الجمع : ليال سود وأيام بيض وحيات رقط ...

ولعل هذا لا يغيب عن الأديبة الفاضلة .

(القدس) **محمد سليم الرشدان**

١ — إلى الأستاذ محمود شاكر :

في مقال الأستاذ الكبير « محمود شاكر » « شهر النصر » أورد الأستاذ آيات من كتاب الله جاء فيها سهو بين . وتلك الآيات هي قوله تعالى « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن كثيراً من المؤمنين » والصواب « وإن فريقاً من المؤمنين



اشتراك في الإثم

للشاعر القصصي (بول بورجيه)

بقلم السيد كمال الحريري

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وفي الصباح صحت عزيمتي، على الكتمان. لا، أبداً، لن أفضح امرأة صديقي، ولن يعلم صاحبي عن خيانتها شيئاً. فما هو أول زوج ولا آخر زوج تخونه زوجه، ويعيش مع ذلك هادئاً قريراً. شارل صديقي، يذهب في حب امرأته، أنزه المذاهب وأقربها من التقديس، لذلك سيكون في إطلاعه على خزيها وشنارها. وضع للسلاح في يده ليقتل نفسه به. فمن الخير إذاً أن يجهل الأمر كل الجهل. أما فيما يتصل بي، فإني أرجو أن أتناسى مشهد هذه المصادفة الغريبة، ولا سيما أن «مرغريت» لم ترني أبداً، وتجهل اطلاعي على أمرها، وسوف تجهله إلى الأبد.

إنها ستسافر كما قالت لصاحبها في قطار ما بعد الظهر، وإذن فمن الحتم عليّ أن أرحل بقطار معاكس لقطارها يبرح «جه ن» في نفس الساعة. ولقد عولت على تأخير ذهابي إلى المحطة كيلا أتعرض لملاقاتها هناك برغم تحقق من أنها ستأتي المحطة بمفردها، فليس من الجائز أن تكرر مخاطرة الأمس الحمقاء فتبرز للملأ مع عشيقها. على أني لم أقدر نشوة الخطر الخبيثة التي تدفع بالمحبين إلى أن يقتحموا كل خطر مهما كان نوعه أو زمنه. ذلك أن في المرأة التي تستهيم بصاحبها وتتدله بهواه فتهبه سراً جسمها وقلبها شهوة طاغية للظهور في ملأ من الناس، مستندة إليه، معقودة الذراع بذراعه، كأنها تبغي الإعلان للناس عن أنها امرأته الشرعية؛ ترى لماذا تفعل هذا؟ إني لا أستطيع لذلك تفسيراً. ولكنه يقع غالباً. والمآسي العرضية التي تقوض سعادة الأمر بنسبة ٩٩

لكارهون» وسهو آخر في قوله تعالى «ويقطع دابر القوم الكافرين» والصواب «ويقطع دابر الكافرين» بإسقاط لفظ القوم وفقنا الله للصواب.

٢ — إلى الشيخ محمد رجب البيومي:

في مقالك — عشاق الطعام — أوردت ما نصه «وأذكر أن صحابياً جليلا — أظنه ابن عباس — دخل عليه سائل نهم فأكل أكلا عنيفاً فجعل ينظر إليه في تعجب. حتى إذا خرج من عنده قال لخادمه: إياك أن تدخله مرة أخرى فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول. المؤمن يأكل في مع واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء». وأحب هنا أن أذكر للحقيقة — أن ذلك الصحابي هو ابن عمر لا ابن عباس — كما ذكرت أنت — وذلك كما جاء في رواية البخاري «عن نافع قال: كان ابن عمر لا يأكل حتى يؤتى بمسكين يأكل معه. فأدخلت رجلا يأكل معه فأكل كثيراً. فقال: يا نافع لا تدخل هذا عليّ. سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء»

وأنت ترى — أيها الزميل — أن لفظ مِعًى ورد هكذا في الرواية الصحيحة بكسر الميم وفتح العين منوناً مقصوراً فأنى لك مخالفة الرواية المشهورة؟ أفتنا وفقك الله.

(دميرة) علي زين العابدين منصور

الأشغال الشاقة المؤبدة:

جاء في كلمة للأديب فؤاد السيد خليل بالعدد (٧٣٤) من الرسالة الغراء «أن الأشغال الشاقة المؤبدة مدتها خمس وعشرون سنة، ينقص ربعها للذين يحافظون على النظام والطاعة في السجن»

وتحديد العقوبة بهذه المدة خطأ كثير الشيوع. والصحيح أن الأشغال الشاقة المؤبدة ليست محددة بمدة معينة، وإنما تكون إلى نهاية حياة المجرم.

على أن نظام الإفراج الشرطي يجيز الإفراج عن المحكوم عليه بهذه العقوبة إذا أمضى في السجن مدة لا تقل عن عشرين عاماً، وكان خلالها حسن السير. لذلك رأيت التنويه، إرضاء للقانون، وتكديراً لخواطر المجرمين ...

محمد محمود عماد

فى المسألة ليس له من سبب إلا ما ذكرت . مع أن شدة الحذر واليقظة من الزوج كافية لمنع حدوثهما . وأحسن مثال على ذلك واقعة صديق ، على أنى فى تلك الليلة المؤرقة خرجت باكراً من الفندق وفى نيتى ألا أرجع إليه إلا متأخراً حين تكون مرغريت قد غادرته إلى المحطة ، فبعد أن جلست فترة فى المدينة ذهبت فى الساعة العاشرة إلى زيارة «القصر الأحمر» «باله روج» لمشاهدة لوحات الفنان « فانديك » وأدع لك أن تحكم على مقدار ذهولى ودهشتى حين طرق مسمعى مجدداً ، فى صالة هادئة من صالات ذلك المتحف ، جرس الصوت نفسه الذى هزنى وزعزعنى البارحة مساء تحت أشجار البستان . لقد كانت هى نفسها هناك . نعم ورغم تخوفى واحتسابى من ملاقاتها ولو بمفردها . حبذا لو كانت حقاً وحدها ! ذلك أن صوتاً كان يحاورها ، هو صوت رفيقها فى أمسية البارحة . وكنت أمام لوحة المركيزة « باؤل » المشهورة . ألا تذكرها ؟ إنها تمسك بكفها البيضاء قرنفلة حمراء وترتدى فستاناً أخضراً غامقاً . كان العاشقان يدنوان منى شيئاً فشيئاً . وكنت أحس ذلك من وضوح حديثهما بالتدريج فى أذنى . فهما يتخاطبان الآن بصيغة الجمع « Vous » وكان هذا التحفظ القليل منهما ، تنبها لمن عساه أن يسمعهما أو يعرفهما من الأصدقاء والمعارف . عند ذاك يكون فى مقدورهما تبرير نزهتهما المنفردة مع بعضهما بانتحال مصادفة ملاقاتهما فى بهو المتحف . وسكتا على حين غرة ، ولكنى بفضل حاسة السمع اليقظة التى ترهف فى مثل هذه اللحظات ، ميزت وسوسة هامسة فيا بينهما ، لقد خافا فجأة من صوتهما ، لأن مازى أبصرتنى . ولا ريب عندى فى أنها أسرت حينذاك لعشيقها هذه الكلمات المخيفة الهائلة لديها « صديق لزوجى » ومع ذلك لم تغادر الصالة بل كانت خطواتهما تقترب قليلا قليلا منى ، ووقعها على بلاط الصالة ، يحمل صمت الأصوات أكثر وضوحاً وجلاء . هناك تساءلت وعيناى مثبتتان فى اللوحة ، وذراعاى معقودتان إلى صدرى فى تأملة غارقة : أليس الأولى بى الزوغان عنها وتجنب محنة ملاقاتها المربكة ؟؟

ليس من المعقول على أى حال استمرارى هكذا جامداً دون حراك ، لأنى بذلك ، أتخذ هيئة من يراها فعلا ، ويتظاهر بعدم رؤيتها ، وتلك وقاحة بلا مراء ، ذلك أن عدم إرادتى النظر إليها هو الاقرار بأنها تصاحب رفيقاً . أما إذا حييتها فلسوف أفسح لها المجال لكى تشرح موقفها وتتملل بعذر من واجبى التظاهر بتصديقه ومع أنى فكرت وقدرت كل هذه الحلول لموقفى ، فأنى لم أرم مكانى . ووقف الحبيبان أخيراً ورائى . لا جرم أن المرأة كانت تتساءل عما إذا كنت أمثل دوراً . وعلى أى حال لم ترد أن تكون هى البادئة بالاقتراب منى . غير أنها اجترأت أخيرا اجتراء المرأة التى تبغى حماية هنائها . فجهرت بصوتها لكى تضطرنى إلى الالتفات إليها . قالت لصاحبها :

— إنك لعلى حق ياسيدى ، فهذه الصورة من أروع وأبدع الصور فى الرواق كله ، ولن أنسى لك جميل تعريفى بها وإظهارى على جمالها . وإنى لجد سعيدة بالمعاونة الطيبة التى جمعتنى بك ، وآمل أن القاك فى باريس … أما الآن فينبغى لى أن أعود سريعة إلى المحطة كى لا يفوت موعد القطار … لقد كان من المحال ألا أسمع صوتها ، ولكنى لم أحرك حركة ولم أنقل قدماً ، ولم أكلمها كلمة . فترددت « مرغريت » لحظة ، ثم ابتعدت ، وكأنها هى أيضاً لم تبصرنى « مع أن خطابها المرتفع لم يكن موجهاً إلا إلى » . واقتفى الفتى أثرها بعد بضع لحظات كنت أثناءها ما أزال على هيئة استغراق الذاهل غير المعقول فى صورة «لادام» الرسام « فانديك » ولما ابتعدت خطوات حبيب مدام ردتيه عن الصاله ، واستأنفت سيرى المتاد ، انتابتنى نوبة من الندم والألم من الصعب وصفها : إنى بتظاهرى عدم مشاهدة مرغريت ، عرفتها بجلاء بأنها آثمة ودللتها على جرمها . ولا ريب فى أن أول عمل سيقوم به الفتى حين رجوعه إلى الفندق ، هو مراجعة قائمة النازلين فيه . وماذا بعد عثورها على اسمى إلا أن يستخلصا أمر اكتشافى وجودهما فى هذا الفندق ! أن عدم التفاتى إليهما فى صاله « القصر الأحمر » ، يعنى أنى لم أجد فى مرافقتهما مفاجأة غريبة ، وإلا كانت الباغتة دفعتنى إلى بعض الحركات أو الإشارات ، وإذاً فالنتيجة المنطقية هى : إنى لا أستطيع أبداً الاستمرار فى تظاهرى أمام امرأة « شارل » أنى أجهل علاقاتها بعشيقها . هى تعلم إنى أدرى لها عشيقاً وهى تدرك أنى أعلم من هو جيداً . ليت شعرى كم ضيقة هى

المسافة التى تفصل الواحد منا عن الآخر فى العالم ... لقد كنت أشفق كل الإشفاق من اشتراكى فى الإثم ، وإذا بى الآن أحشر نفسى فيه حشراً . والمجرم حين يستوثق من معرفتنا بجرمه ومن حمايتنا إياه بسكوتنا عنه ، له كل الحق أن يعتبرنا متواطئين معه على الجرم . لقد كان الحزم والحكمة يقضيان على أن أشترك « فى الملهاة » التى دعتنى إليها جملتها . فلو كنت ملتفتاً إليها ببساطة ، لقلت لها : أهى أنت يا مدام ؟؟ حينئذ كانت تعرفنى بصاحبها ، معلنة مصادفته فى « جه ن » ، ولكانت أنبأت بذلك زوجها بكتاب ، كما كان فى مقدورى أن أكتب أنا إليه أيضاً . على حين أنها الآن ملزمة بالسكوت أمام زوجها كيلا يناقض قولها ما لعلنى أتحدث به أنا إليه « هذا إذا كان فى عزمى أن أتكلم » لسوف تسمم هذه الرعونة التى ارتكبتها أنا ، علاقاتنا إلى الأبد . فهذا الحزم فى غير موضعه منى ، هو أشد شىء يدعو إلى الاتهام . لهذا كان من أثر هذا الموقف الخاطىء ، أن بات من المحال على الرد على كتاب صديقى شارل ، طيلة الأيام التى استغرقتها سياحتى . ولعلها المرة الأولى منذ طفولتنا التى لبثت فيها مدى أسبوعين دون إنبائه بصحتى وأخبارى أو استنبائه عن صحته وأخباره . وحين حللت باريس ، بقيت أسبوعين أيضاً دون أن أكلف نفسى زيارته مع ثقتى بأن ذلك التغيب هو أشد مخالفة للصواب من مسلكى فى رواق « القصر الأحمر » فليس من المعقول أن لا يندهش شارل من انقطاعى عن زيارته ، فلا يستفسرنى عن الأسباب التى كنت مصمماً على كتمانها عنه ، وإذاً فأى معنى لتأخرى عن زيارته !

كل هذا كنت أعلله وأستخلصه ، ولكن التفكير فى أنى سأشترك فى قذف الخس شتيمة يمكن لرجل أن يتعرض لها فى عرضه كانت تثنى خطاى إلى أن كنت ذات يوم فى منزلى ، أفكر فى الوقت الذى يجب فيه استئناف علاقاتى مع أسرة « شارل » وإذا بخادمى ينبئنى بأن سيدة ترغب فى لقائى فأمرته أن يدخلها . وإذا بى أبصر « مرغريت روية » تدخل غرفة الاستقبال . وكانت أول كلمة لقيتنى بها « إنى هالكة » ولم تزد عليها شرحاً أو تفسيراً . ثم انفجرت كالمجنونة قائلة : المصادفة وضعت سرى بين يديك ، وأنا أعلم أنك لم تش بى إلى « شارل » وبسبب هذا وحده كان انقطاعك عن زيارتنا . ولكن بين جنبيك قلباً نبيلا ، يرثى لحال امرأة تعسة ... أعيد عليك القول بأنى من الهالكات ... نعم وإنى حامل ... لم تكن الشقية تطلب منى الاشتراك السلبى فى الإثم فحسب ، بل الاشتراك الإيجابى أيضاً . فلقد عادت من إيطاليا منذ ثلاثة أيام موقنة من أنها حامل لشهر ... وينبغى لى إضافة ما أقرت به أيضاً خلال العبرات والشهقات ، قالت : إنها من حين تملقها بصاحبها أخذت تنتحل الأعذار باختلال صحتها كى تعيش بعيدة عن زوجها . ولقد تهددتها هذه الأمومة الآثمة فى الوقت الذى كنت فيه أنا صديق بعلها الوفى وخله الأمين ، هناك فى النزل ولماذا ؟ لكى أكتفى فقط بما رأيته وسمعته ... أما هى فقد فكرت بالفرار مع عشيقها ، وحاولت أن تسلكه فى طريقها بأساليب شتى ، لم تزدها كلها إلا معرفة بالعواطف الكاذبة التى يكنها لها ذلك الرجل . حتى الانتحار فكرت فيه ، لولا أن غريزة صون الحياة ردتها عن فكرتها . لأجل هذا جاءت إلى فى نوبة من نوبات هواجسها وهذيانها تستجدى عطفى وتستنجد رحمتى .

ماذا ؟.. آه ! ما أوهى ذلك الحاجز الذى يفصلنا عن الجريمة ؟ لقد أتت تبتهل إلى أن أرافقها إلى طبيب ، لتستعطفه وتتوسل إليه بماذا ؟ بمساعدتها فى الإجهاض ... أترانى محتاجاً إلى أن أحدثك عن جوابى ونصيحتى لها ورجائى أن تحفظ شبابها وتبقى على ذلك الطفل الذى تحمله فى أحشائها ؟! لقد سمعتنى أردد فى إلحاح :

— الأولى بك إن كنت ترجين لأمرك خلاصاً أن تعترفى « لشارل » بكل ما حدث ... وبهذا تحتفظين بطفلك وثروتك ، وتجدين الوسيلة إلى طلاقك ، ذلك خير من تحمل جريرة القتل ، وبينما كنت أكلمها هكذا ، كانت أمارات الهدوء تعاودها قليلا قليلا . فانسحبت من عندى بعد إذ أعطتنى موثقها من أنها لن تقترف جريمة الانتحار ولا قتل طفلها . وفى الغد وضعت حداً لترددى فى الذهاب إلى منزل « شارل » صديقى . فلم تحن الساعة العاشرة . حتى كنت عنده ، بعد وثوق من لقائه فى ذلك الوقت لقد أشعرنى استقباله الفرح لى بأنه كان فارغ

البال من المأساة الأليمة التي كان منزله لها مسرحاً . قال لى بلهجة المعاتب وهيئة الداعب .

— إنك لا تستأهل منى أن أعرفك بعد الآن . مامعنى هذا التصرف الغريب ؟ إن « مرغريت » لم تعد من هناك ، بل آبت من « إيطاليا » مبتهجة بسياحتها ...

ولـكن قل لى بحقك ، ما الذى حدث لك أنت ؟؟. أظنها مغامرة غرامية جديدة ... لعمرى أليس فى نيتك الاستقرار والانتظام فى حياتك ...

ومع ذلك فالسعادة فى الزواج ... نعم وكل السرور والنعيم فيه ، ثق بذلك وصدقنى يا صاحبى ... أما أنا فلن أعيد عليك الأسباب التى ادعيتها لذلك الزوج المخدوع تبريراً لسكوتى وغيابى عنه ... وفى مساء ذلك اليوم كنت أتمشى معه بجانب امرأته ، التى كان فى وجهها الساكن الجامد ماينم على أنها نسيت تماماً نوبة الألم التى جازتها وهول الخطر الذى كان يتهددها ... على أنى فهمت أى حل حلت به عقدة هذه المشكلة المؤسية ... وذلك أنى كنت عند صديقى «شارل» بعد شهر من زيارتى الأولى ، وكنا ندخن منفردين ، حين بدرنى قائلا :

— إنى لجد مغتبط يا صديقى : لقد كاد حلمى أن يتحقق ... فأنا آمل بعد مدة أن أغدو أباً ... لوليد ستكون لا شك أنت « إشبينه » ...

لم تـكد تمضى على هذا ثمانية شهور ، حتى ولد ذلك الطفل الذى أخبرنى أبوه « المدعى » عن زنته البالغة . فقال فى كبرياء وافتخار . لم يخطر لى وقتئذ أن أسخر منهما

— نعم يا صديقى ، إنه يزيد كيلو غراماً عن وزن الطفل العادى . ثم إنه ولد قبل الميعاد المنتظر لولادة الأجنة ... ستة شهور ونصف فقط ... أليس ذلك عجيباً !؟ لقد تملكنى الخوف منه بادىء الأمر ، ولـكن الطبيب طمأننى ، وهوطبيب من النوع الممتاز ، عرفت « مرغريت » عنوانه على سبيل الصدفة بواسطة إحدى صويحباتها لدن عودتها من « إيطاليا » ... « واحفظ عنى يا صديقى ... لقد تألمت المسكينة بالوضع أشد الألم ، حتى أنى لم آمل أن أصبح أباً ... بيد أن ذلك لم يكن له كبير خطر ... لأن الطبيب عرف كيف يعتنى بها الإعتناء المطلوب ... وبينما كان شارل يفضى إلى بسعادته الـكاذبة ، كنت أذوب خجلا وألماً فى نفسى . وفى الواقع لم أ كن واحداً من أولئك الذين ائتمروا به حتى يثبتوا فى ذهنه الوهم الفاحش الخادع الذى سيعيش ويموت على ضلاله وبطلانه ؟!.

على أنى علمت من ذلك أن مرغريت حين بارحت منزلى ، ذهبت من فورها إلى طبيب من الأطباء ، وعرضت عليه عملية الإجهاض ، ولـكن الطبيب نصح إلى « زبونتـه » المرتاعة بالعودة إلى زوجها ، وبأن تلزم نفسها حين تقترب ولادتها بإقناعه بتاريخ لحملها منه ... يكون ... بعد ذلك مقارباً للحقيقة . أ كنت على حق أم فى ضلال بعيد لعـدم إفشائى الحقيقة فى حينها ؟؟ . أمصيباً كنت أنا بالسكوت أم مخطئاً ؟ ! إنى وقد تعاقبت على هذه الحادثة سنون عدة ما أفتأ أتساءل وأقاول نفسى بكل هذه الأسئلة . ولـكن دون أن أظفر لها بجواب ... ترى هل أصبت أو أخطأت بغمسى فى ماء «التعميد» لذلك الطفل الذى أنا أعرف الناس بأبيه ؟! ... لم تمض خمسة شهور على ولادته حتى وجدت أمه الوسيلة إلى إفساد ما بينى وبين زوجها ، الذى لم أحر أنا منع نزاعى معـه ، لأن التردد على ذلك المنزل كان يسبب لى كثيراً من الغصص والندامة .

ولعلك تفهم جيداً علة عدم مرافقتى لك إلى ذلك المنزل ... فى « جه ن » . أمن اللازم اعترافى أنا الآخر بأن عدم حلولى فى ذلك الفندق مراعاة لشعور صديقى رايموند ؟ ... ومع ذاك لم أنفك أسائل نفسى منذ ذلك الحين ، ترى ما عسانى كنت فاعلا لو أنى مكانه ؟ ! . تجاه صديق صـدوق ، يعد الصمت عن مثل هـذه الجريمة ، جريمة أبلغ وأنـكر ، كما يعد إفشاؤها فظاعة ما بعدها من فظاعة .

وفى هذا ، ما يبرهن ، على أنه يجمل أحياناً ، أن يجهل المرء أسرار غيره ، إن آمن شىء وأسلم عاقبة فى هذه الحياة الدنيا ، أن تغمض عينك فلا ترى ، وتسد أذنك فلا تسمع شيئاً عن مثالب ونقائص الآخرين . ذلك السبيل الأوحد ، كى يظل الإنسان على خالص طهره ونقائه . ولـكن هل ذلك مستطاع ؟ .

حلب — **كمال الحريرى**

مطبعة الرسالة

العدد ٧٣٦ — الاثنين ١١ أغسطس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٥١١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 736
Lundi — 11 — 8 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ رمضان سنة ١٣٦٦ — ١١ أغسطس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

نحن والظالم أمام القضاء !

كان يوم الثلاثاء الماضى يوماً مشهوداً فى تاريخ مصر ؛ رددت ذكره الألسنة والأقلام فى كل لغة وفى كل أرض ، وستردد ذكراه الألسنة والأقلام على مدى الأحقاب فى كل عهد وفى كل معهد ! فى ذلك اليوم وقفت مصر كلها ممثلة فى النقراشى، بجانب انجلترة كلها ممثلة فى كادوجان ، أمام العالم كله ممثلا فى مجلس الأمن؛ نَدّعى نحن ونثبت ، وتغالط هى وتروغ ، ويوازن هو بين حجج الإنسان يبسطها لسانٌ فيْصل ، وحجج الذئب يؤيدها نابٌ أعصل ، والناس فى مشارق الأرض ومغاربها يتتبعون المحاكمة ويترقبون الحكم ليروا بالتجربة أيخضع الأقوياء كما زعموا لسلطان العدل والعقل ، أم يظلون كما كانوا يحافظون على الموضوع ولا يغيرون إلا فى الشكل !

قضية وادى النيل قضية الحق الذى لا يمارى فيه إلا الذين يتكئون على الباطل ، ويعيشون على الحرام ، ويتسمون على الظلم؛ وقد جعلها النقراشى بأدلته الواضحة ، وحججه الملزمة ، من بدائه المعقول ، فلا يمكن أن تُؤتى من جهة القانون والمنطق ؛ إنما يجوز أن تؤتَى من جهة السياسة التقليدية القائمة على تبادل المنفعة وتقارُض المعونة ، ويومئذ يعلم المؤمنون بتقدم العقل ، والمتفائلون بتغلب العدل ، أن العالم يكابد اليوم خدعة أخرى ، وأن (هيئة الأمم المتحدة) لم تزده إلا اسماً جديداً للاستعمار فى أخسّ معانيه وأقبح صوره

كان النقراشى بإجماع المنصفين عظيما فى موقفه ، رائعاً فى بيانه ، بارعاً فى خطته ، صريحاً فى طلبه ، موفقاً فى عرضه ؛ فإذا لم يستطع صديقنا الأستاذ الجليل فارس الخورى رئيس مجلس الأمن أن يعصم البصائر من الزيغ ، والضمائر من الخدَر ، فلن نقول يوم يعمى أعضاؤه عن الحق أننا أسأنا الدفاع ، أو أضعنا الفرصة ، أو تنكبنا الطريق ؛ ولكننا سنقول تعلقنا بالخيال وتركنا الواقع ، وتدرعنا بالحق وأهملنا القوة . سنقول للنقراشى يوم يجعلون الحق دَبْر آذانهم : أرِهم أننا أقوياء كما أريتهم أننا محقون . وقل لهم إن شعباً كان تاجه الشمس ، ولا يزال علَمه الهلال ، ومن بين يديه كتاب الله ينطق بالحق ، ومن خلفه دول العرب والإسلام تمده بالقوة ، لا يفشل من ضعف ، ولا يخذل من قلة .

— ولكن ما بالك تتسلف الخذلان وتتوقع الجور وتغلو فى التشاؤم وسوابق الأقضية فى مجلس الأمن تقوى الثقة به وتنعش الأمل فيه ؟ ألم تسمع بما قضى به على الروسيا فى إيران ، وعلى انجلترا وفرنسا فى سورية ولبنان ، وعلى هولندة وأندونوسيا فى ساحة الميدان ؟

— بلى قد سمعت . ولكن لا تنسَ أن الذى تصرف كان الهوى لا القانون ، وأن الذى تعفف كان العجز لا العدالة . فهم إذا اختلفوا حكموا على أنفسهم ، وإذا اتفقوا حكموا على الناس !

احمد حسن الزيات

فى المـاضى

للأستاذ محمود محمد شاكر

كنت أتمنى أن يكون لى مكان هـذا القلم الأصم قلم حى نابض يصحبنى حيثما سرت ، ويلهمه الله من دقة الحس ما يجعله يتلقف كل خاطرة تومض فى أعماق نفسى ، ويشعر بكل هاجس يمتلج فى سر ضميرى ، وإلا فإن الكاتب ذا القلم أعجز من أن يطيق لمّ هذا الشعث المنثال المتتابع من الخواطر والهواجس التى تنتابه وتعتريه وهو يرى أو يسمع أو يفكر . وفى هذا اليوم بعينه كنت أشد الناس ضراعة فى التمنى أن لو أتاح الله لى مثل هذا القلم النابض الحى حتى يأخذ عنى وعما يحيط بى ، ويسجله قبل أن تمسحه عن قلبى يد الدقائق والساعات التى جعلها الزمن رصداً على الأفكار تمحوها بالنسيان ، أو تطمسها بالفتور ، أوتسفيها بتراب الحوادث التى تجد فى كل لحظة من لحظات العمر .

***

خرجت أنا وصديقان لى ، هما الأستاذ علاّل الفاسى الزعيم المراكشى الصابر على لأواء الجهاد فى سبيل بلاده ، والأستاذ يحيى حقى القصاص المبدع فى زمن ليس للابداع فيه قيمة ولا قدر ، وكان الذى دعانا إلى هذا الخروج فنان كهل قد ودع الصبا ولكنه تشبث بعطره ونفحاته وتوهجه ، فلا تزال تشم من فنه حين يتحدث عنه شذاً لطيفاً من عنفوان الصبا والشباب ، وذلك الفنان هو الصديق الأستاذ حسن فتحى المهندس الذى أبى أن يتعبد للهندسة ، بل أرادها أن تكون عبداً له يخدم فنه الذى يعيش فيه ويعيش به .

كان يوم الأحد السادس عشر من رمضان سنة ١٣٦٦ يوماً قائظاً ومداً يجعل العرق ثقيـلا كثيفاً يضجر النفس ويأخذ بالأنفاس ، فلما ركبنا السيارة ، وتخففنا من بعض ثيابنا ، واستقبلتنا لفحات الهواء السخن ، انتعشت القلوب ودبت فيها الحركة ، على سكونها وفتورها من شدة الصيام وحاجة الأبدان إلى الماء فى مثل هذا اليوم . وعندئذ بدأ الفنان يتحدث عن الوجه الذى يقودنا إليه ، فطاف علينا من حديثه مثـل الظل ، حتى نسينا أننا فى رمضان فى يوم قائظ تحت الشمس . إنه ماض بنا إلى أثر عربى قديم فى ناحية « بيت القاضى » يقال له « قاعة محب الدين الشافعى » وتعرف أيضاً بقاعة « كتخدا » . فلما أوشكنا على دخول القاهرة القديمة شممت روائح مصر الإسلامية ، وتمثلت لعينى خوالى أيامها ، ورأيت كأن هذه الجموع التى تسير فى الطرقات كأنما انبعثت من الماضى البعيد بلباسها وشمائلها وآدابها رائحة غادية تحت عينى . وكان حديث الفنان يحيى هذه الصور فى نفسى حياة جديدة ، حتى كدت إخالنى أحدثها وأسمع رجع حديثها ، وأرى الثياب الفضفاضة ، والعمائم البيض ، واللحى المرسلة ، والسمت الوقور ، والمشية الهـادئة ، وكأن كل شىء قد انقلب فجأة فصار ماضياً لم تمسخه يد الحضارة الغربية الحديثة ، ولم تمح من بهائه وروائه ذلك الجمـال الوديع اللطيف المطمئن القانع بالحياة كما شاء الله أن تـكون .

ثم نزلنا من السيارة ، وفتح لنا باب القاعة التى صارت فى عداد الآثار ، فما كادت قدمى تطأ بلاطها الضخم حتى أحسست كأن قلبى ينتفض من فجاءة الذكرى ، وكأنى دخلت دارى التى ألفتها وعشت فيها ، وسمعت فى أرجائها غمغمة الحديث وقهقهة الضحكات ، والتى سعيت فى نواحيها طفلا وشاباً وكهلا حتى نشأت لهـا فى قلبى مودة لا تبليها الغربة ، ولا تطمس آثارها الرحلة فى أرجاء الدنيا ، وتطارح الزمن المشتت المفرق بين الأحباب والأحباب . ففى هـذا المكان عهدتنى أجلس على أريكة موشاة بالثياب المطرزة ، وأستقبل هذه « الفسقية » الجميلة التى أراها فى وسط القاعة ، مزينة أرضها بالرخام الملون المرسوم على أشكال تستريح إليها العين راحة لا يعدلها شىء من متاع هذه الأرض . ومن هذا المكان عهدتنى أرى تلك الحلية الهائلة التى كأنها محراب الدهر ، مصنوعة منمقة ، قد أجلها وأدقها الصنع الماهر الذى لم يعبأ بالزمن كيف يمضى ويتصرم ، بل كان كل همه أن يتقن الفن الجميل الثابت الذى يريك الإبداع فى صورة حية باقية تشعرك بأن الحياة هى الاستمتاع بفن الحياة لا بأشياء الحياة . ومن هذا المكان كنت أرسل طرفى إلى القبة العالية التى تتوسط السقف كأنها هامة مفكرة كل أفكارها أحلام جميلة سامية لم تتدنس بالمطامع الدنية التى يكدح فى سبيلها الإنسان على أديم هذه البسيطة

وجعل صديقنا الفنان يحدثنا وهو يتدفق من نواحيه عن روعة هذا الذى نرى وعن جلاله وعظمته ، وعن هذه الضخامة الهائلة فى البناء ، وكيف استطاع بانيها الفنان أن يحفظ النسب بين ضخامتها وبين سائر ما فى القاعة كالأبواب وغيرها حتى لا يشعر الإنسان بالرهبة والمخافة والارتياع ، بل يشعره بأنه مالك هذا كله والمستولى عليه والمستمتع به ، فهو يروض الفخامة والضخامة حتى تكون أليفة مستأنسة محبة إلى رائيها وصاحبها ، فجعل الأبواب بين بين لا تطول قامة الرجل إلا قليلا ، ولم يجعلها هى أيضاً عالية ضخمة فخمة ، فيحس المرء عندئذ بالقلة والذلة والغربة والوحشة فى البيت الذى هو سكن النفس ومكان ارتياحها ؛

وكنت أسمع هذا ونحواً منه ؛ ولكن لم يأخذنى منه شىء ، فإنى كنت أسمع همسات من هنا وهنا ومن ثم ، هى همسات الآباء والأجداد تذكرنى بما أضعناه من فن نحن أنشأناه وتمهدناه وقمنا عليه وأتقنا دقيقه وجليله ، ثم رحنا نستعير أشياء الناس نتشبع بها ونتصنع ، على غير هدى ولا بصيرة ولا فن ، وأكاد أقول ولا حياة ، فنحن أحياء ولا أحياء ، لأننا نستعير حياتنا ولا ننشئها إنشاء ، ونتزين بزينة مسلوبة نحن فيها كالصعلوك الأشعث الأغبر فى ثياب ملك . كنت أسمع حديث الأسلاف ، وأسمع فى صوت صديقنا الفنان وهو يشرح ويبين بكاء وحسرات وتنهدات وآلاماً كأنه وقف يؤبن أعز أحبابه متجلداً خاشعاً بين أقوام لا يحسون ما يحس ولا يشعرون بما يشعر به . إنه خليق أن ييأس ، ولكنه يجاهد حتى ينتزع الأمل من بين دواعى اليأس ، يريد أن يستنقذ الدرة المضيئة قبل أن تلفها الأمواج الطاغية العاتية وتذهب بها إلى حيث لا رجعة .

كنت كالمأخوذ لا أريد أن أفارق هذا الملك الذى أعيش فى رحابه . إنها قاعة صغيرة ، ولكنها قد اتسعت حتى رأيتها تشمل كل هذه الأرض المصرية لأن كل شىء فيها منتزع من طبيعة الأرض وجوّها وسمائها وأيامها ولياليها واختلاف فصولها ، ومن طبائع أهلها وشمائلهم ونوازع قلوبهم ومن كل شىء يقول أنا مصرى عربى . وأخيراً فارقتها على رغم ، ولم أدر حتى انتهينا أو انتهت بنا السيارة إلى قاعة أخرى أو أثر آخر بنى بعد جيل من زمان هذه القاعة ، فكان الفرق بيناً . فقد أخذ الضعف يغزو القوة ، ولكن القوة أبت إلا أن تتبدى كما هى برغم هذه الطوارىء التى تنتابها أو تعمل فيها . فههنا أثر الضعف الإنسانى إذا بدأ الإنسان يشعر بأنه غير حر وغير مريد للحرية ، وأنه مروع فى حياته بشىء لا يملك له دفعاً ولا رداً ، فهو يتخاذل وكذلك يتخاذل فنه ويتخاذل بناؤه . وهو حائر لا يدرى ما يأتى وما يذر ، فإذا فنه حائر لا يدرى ما يأتى وما يذر ، وهو مختلط الإرادة ، وإذا فنه مختلط يأخذ بأسبابها الأولى ولكنه لا يلبث أن يحيد عنها إلى شىء ليس منه ولا من خاص طبائعه . ومع كل ذلك فإن النفحة الخالدة لا تزال عالقة به تحمله قوة صريحة مصممة مريدة للبقاء .

ثم خرجنا إلى آخر أثر زرناه وهو « بيت السحيمى » ، وهو بيت كامل — لا قاعة ولا جزء من بيت — وأخذنا نطوف فى أرجائه ونواحيه ، فهذه غرفة الضيوف ، وهذا مصلى الرجال ، وهذا مكان الطعام ، وهذه غرفة استقبال النساء ، وهذه غرف النوم ، وهذا مصلى النساء ، وكلها موزعة على مساحة الأرض فى الطابق الأسفل والأعلى على نظام هندسىّ فيه شىء من التحرّر من أسر الهندسة الدقيقة ، فتكاد تشعر بأن بانيه لم يكن يبالى أن يتقيد بشىء ، بل يريد أن يكون حراً طليقاً يفضى من مكان إلى مكان كما يشاء له هواه . وكنت كلما دخلت منها مكاناً أحسست بشىء فيه ينادينى ، فلما دخلنا القاعة الأولى هتف بى الهاتف إلى الصلاة ، فقمنا نصلى ، فكأنى ما صليت فى دار قط سوى هذه الدار . إن فى روح البناء إسلامية عجيبة ، فيه ورع وصدق ومحبة وتخفف من ثقل هذه التكاليف الداعية إلى الكدح والطمع والعدوان ، وفيه ألفة لم أحس بمثلها قط ، ولم أشعر إلا يومئذ أن أصدقائى الذين معى هم أصدقائى لا معارفى ، ألقاهم بوجه وأستدبرهم بوجه ، ولم أجد إلا يومئذ تلك اللذة المنعشة بالأخوة تجمع بين الرجلين على اختلاف الدار والنشأة ، وخفق قلبى خفقة كأنه يقول لهلال الفاسى : مرحباً بك من أخ جمعت بينى وبينه أخوة هذا الدين النبيل الذى جعل أهله أمة واحدة فكانت خير أمة أخرجت للناس .

ومضينا نطوف بالدار العجيبة ، فكأنى كنت أسمع حس أهلها وهم يتنادون ، وأراهم وهم يتسمون وأشهد إماءهم وعبيدهم

وهم يطوفون عليهم ، وأرى الضيوف وهم يتسامرون . فلما دخلت غرفة استقبال النساء ، ورأيت الذوق اللطيف والنوافذ عليها المشربيات الدقيقة الصنع ، والخزانات القائمة فى الجدران بنقشها البديع ، ورأيت « الصفّة » التى يلمع رخامها وتتحلى بزينة من رسومها الدقيقة وأعمدتها القائمة كأنها ساق غانية راقصة ، ورأيت ذلك الزجاج الملون بالألوان الهادئة الناعمة ، وهذا الجو الساطع بالغنى والنعمة ، الساكن بالوقار والطمأنينة ، الناعم بالرقة والجمال؛ عندئذ أخذنى مثل الحلم فرأيت ربة الدار فى حليها الأنيق وثيابها الموشاة ، وضفائرها المرسلة . ووجه ينير فى جنبات هذه القاعة بالنبل والكرم والحفاوة بضيوفة من الأصحاب والأحباب ، وسمعت حديثهن المتخافت باللفظ المرقق والصوت الناعم المنغم ، وانتهت إلى ضحكاتهن الحيية التى كأنها ابتسامة مشرقة من وراء نقاب . رأيت الماضى ينبعث كله بفضائله ورذائله ، ورأيتنى أعيش ساعة أتنسم نسمات من حياة أجدها فى دمى ، كما يجدها كل مصرى وعربى فى دمه ، ولكننا كدنا ننساها بطول الترك وقلة العمل على استحيائها واستنقاذها واستمدادها ، حتى نتعلم منها كيف نكون أحراراً فى التعبير عن سر طبائعنا الكامنة فى أعماق قلوبنا وضمائرنا . إن هذا الفن الذى أوحت به حضارة لها أصول لا تزال قائمة فى نفوسنا ، وفى تربة أرضنا ، وفى جو سمائنا — ينبغى أن ينبعث جديداً مرة أخرى بما يلائم حاجتنا ، وبما يعيننا على تمييز أنفسنا بين الناس فلا ندخل فى غمار حضارات الأمم التى لا يجمع بيننا وبينها وطن ولا خلق ولا دين ولا أدب ولا جنس ولا دم ولا شىء مما يتقارب به الناس أو يختلفون ، وتمنيت عندئذ أن أفيق من أحلامى فأجدنى قد رجعت إلى دارى فإذا هى تنفحنى بهذه النفحات التى تحيى النفس لأن فيها شيئاً من سر هذه النفس . فلما خرجنا من بيت السحيمى حقق الله طرفاً من هذه الأمنية .

لقد حملنا صديقنا الفنان إلى داره ، وهى فى عمارة كسائر عمارات القاهرة في ظاهرها ، وهو يسكن منها شقة كسائر الشقق التى يسكنها سائر المصريين ، بيد أن المصريين يعيشون عبيداً لهذه الهندسة الغربية الغريبة عن بلادهم ، ويسكنون فيها إلى أنماط من الحياة ليست لهم وليسوا منها فى شىء . أما هو فما كاد يفتح لى الباب حتى هبت تلك النفحة المسكرة من الماضى المنبعث حياً نابضاً كأحسن ما تنبض الحياة . لقد رفعت هذه الأبواب الحديثة الثقيلة ووضعت مكانها الستائر من النسيج العربى الشرقى بألوانه وتقاسيمه وفنه ، ووضع مكان بعضها أبواب مشبكة ، وأقيمت هنا وهنا المشربيات الدقيقة ، وبسطت الأرض بالبسط العربية الرسم المصرية الصنع ، وهذه الأرائك والمناضد والقناديل وكل شىء يجمل البيت عربياً هادئاً مطمئناً فى وسط هذه المممة الطاحنة الفوارة التى تسحق طبائعنا ، وتمسخ قلوبنا ، وتحيل أذواقنا ، وتجعلنا عالة على الأمم ، نأخذ منها عارية لا تزيدنا حضارة بل تزيد بؤساً وشقاء وحيرة ونفوراً وقلقاً فى هذه الحياة وفى هذه الأرض ، وفى هذه الطبيعة التى تكتنفنا من حولنا ، وفى هذه الطبائع التى تستولى على دخائلنا وضمائرنا .

هذا بيتى ! هكذا قال لى قلبى ، فاطمأننت وكان الصوم والتعب قد بلغا منا جميعاً ، فآوينا إلى مضاجعنا ، فلما قمنا إلى إفطارنا ، وأضيئت القناديل (بالكهرباء) ورأيت ظلال المشبك على الجدران وطالعتنى المشربية من ناحية البيت ، رأيتنى أحيا فى هذا الغموض الهادىء بقلب جديد نابض مؤمل فى الحياة ، مستبشر راض عنها غير يائس منها . وتمنيت لكل مصرى أن يقضى فى الماضى يوماً من كل أسبوع حتى يجدد حياته ، وحتى يتاح لنا بذلك أن نجدد لأنفسنا فناً وعيشة وسيرة وحضارة ليست مسلوبة ولا منتزعة ولا مستعارة من أحد من خلق الله ، بل هى فننا نحن وعيشتنا نحن وحضارتنا نحن ، تألفها نفوسنا وقلوبنا ، ويعرفنا الناس بها وتكون علماً علينا ، وتدل على أننا نصنع الفن فنجيد ، ونبنى الحضارة فنبدع كما أبدع آباؤنا رضى الله عنهم . يوم واحد تعيشه فى الماضى وتحس أنك قد عشته وتمليت بالعيش فيه ، لهو ذخيرة لا تنفد تعينك على فهم طبيعة الأرض التى تسكنها ، وعلى الوصول إلى كنه ما تنطوى عليه نفسك ، وهو بعث للهمة الراقدة وإحياء للقوة الكامنة ، وتحرير لنا من أسر التعبد للمدنية الغربية على غير هدى وفى غير طائل . يوم فى الماضى يحرر المرء من أسر الحاضر ، فإذا نالت النفس حريتها فهى خليقة أن تعرف طريقها إلى تحرير أمة من استعباد أمة أخرى ، أرادت أن تفرض عليها إرادتها وحضارتها معاً . ونحن مقبلون على اليوم الذى ينبغى أن تملأ فيه قلوبنا حرية مستمدة من أصولنا البعيدة ، لا حرية مستعارة من الأمم المعاصرة ، فلنرجع إذن إلى الماضى قليلا ، ففيه المدد الذى لا ينفد والمعين الذى لا يغيض .

محمود محمد شاكر

على ثلوج (حزين) (*)

للأستاذ على الطنطاوى

— ٣ —

ولو استجاب لهما السكون فثبت الفلك ، ووقف الزمان ، لكانا أسعد سعيدين عرفهما الأرض ، ولكن هيهات ... فالفلك دوار ، والزمان سيار ، والأيام لا تستقر على حال ، ورب يوم يحمل محض السعادة ، يتبعه يوم يحمل محض الشقاء ، ورب فرح بالولادة والموت مترقب على بابه ، ومسرور بالوصل والهجر متربص على أعتابه ، ولو كشف للناس الغطاء لضحك باك ، وبكى ضاحك ، واستحالت مآتم أفراحاً وأفراح مآتم .

لقد غابا عن الدنيا فى عناق لذيذ تهون معه الدنيا وما عليها ، وتدنو به الآمال حتى لا مأمل بعده إلا أن يدوم ، ولكن الدنيا لا يدوم فيها شىء .

لقد وقف هذا الطفل الجبار ، الذى ولد بلا حمل ، ونما بلا زمن ، يعبث بهما ، هذا الطفل الذى اسمه الحب ... فلما شبع من العبث ، نام ، وترك الفتاة لشياطين اللهو والترف والغنى تلعب بها ، كما تلعب بكل فتاة فى الدنيا ، نام فى صدرها الحب أو شبع .

ولقد كانت تستطيع أن تجمع الحب والغنى ، والعاطفة والمال ، لولا أن هذا الطفل كان (على جبروته) أعمى لا يبصر ، أمسك بيد ليلى فانقادت له وهى لا تشعر ، ثم جرها وهو يتلمس طريقه فى الظلام حتى إذا وقعت يده على أول رجل لقيه ، عقد قلبها بقلبه ، عقداً شيطانياً بلا شرع ولا عقل ، وقال لها : هذا هو الحبيب .

وكان أول رجل لقيه هانى ، هانى الذى لا يستطيع أن يصعد إليها ليعقد له عليها عقد الشريعة والعرف ، ولا تقدر أن تنزل هى إليه ، ولولا أن سيدى الشيخ رحمه الله أشفق عليه فحمله معه ، ما علقت به ولا علق بها ، ولا كان هذا القيد الذى ألقاهما معاً فى جحيم الدنيا .

(*) انظر العددين ٧٣١ ، ٧٣٢ .

أفرأيت كيف يعلق القدر سعادة الناس وشقاءهم بأوهى الأسباب ؟ .

حكمة إلهية تخفى عن أفهام البشر !

* * *

هذا هو الحب : ثوب براق تحمله المرأة وتمشى حتى تلقى رجلا ، فتخلعه عليه فتراه به أجمل الناس ، وتحسب أنه هو الذى كانت تبصر صورته من فُرَج الأحلام ، وتراها من ثنايا الأمانى

مصباح فى يد الرجل ، يوجهه إلى أول امرأة يلقاها ، فيراها مشرقة الوجه بين نساء لا تشرق بالنور وجوههن ، فيحسبها خلقت من النور وخلقن من طين ، فلا يطلب غيرها ، ولا يهيم بسواها ، لا يدرى أنه هو الذى أضاء محيّاها بمصباح حبه .

خدعة ضخمة من خدع الحياة ، خفيت عن المحبين كلهم من عهد آدم إلى هذا اليوم .

هذى هى حقيقة الحب ، فلا تسمعْ ما يهذى به المحبون !

* * *

لقد قبضت ليلى على الحاضر ، وهى عند الصخرة ، واطمأنت عليه ففكرت فى المستقبل ، فقالت لهانى :

— ماذا تنتظر يا هانى ؟ اذهب فاضرب فى الأرض وعد إلىّ غنياً قوياً ، فاحملنى معك إلى حيث تشاء .

— قال : كيف أفارقك يا ليلى ؟ كيف أعيش بعيداً عنك وأنت حياتى ؟ ولكن تعالى نذهب معاً .

ولو سمعت هذه الكلمة قبل لحظات ، قبل أن يشبع هذا (الطفل الجبار) وينام ، لوثب قلبها إلى لسانها ليقول نعم ؛ ولانطلقت معه إلى البحار لتخوضها ، والجبال لتقطعها ، ولكنها سمعتها والحب شبعان نائم ، فقالت له :

وكيف نعيش يا هانى ؟ ومن أين ننفق ؟ أننام على بلاط الشارع ؟ .

وتصور هذا المصير الذى لا يرضاه لها ، فذابت كبده رقة عليها ، وقال لها :

— إذن أبقى معك ، وأحتمل كل شىء من أجلك .

وسكتا ، وتكلم فى أذنها شيطان اللهو والترف ، وغمز

فؤادها فنظرت تحتها ، فرأت أضواء تلمع فى أوائل الليل تبدو من (عاليه) من بيت فارس أفندى طنوس الذى عاد إليها من أمريكا وفى جيبه نقد جديد لم يألفه أهلوها ، وعلى جسده ثياب لم يلبسوها ، وفى رأسه أفكار لم يعرفوها ، ولمحت بريقاً وحركة فعلمت أنها حفلة من حفلاته الراقصة التى أرقصت أحاديثها صبايا الجبل وشبابه ، وأغضبت مشايخه وكهوله ، فاستطارت قلبها الرغبة فى رؤيتها ، وقالت :

– هذا ما أبتغى، هذا ما أريد ، فتعال ، تعال نرها من قريب

وسحبته من يده وانطلقت به ، يقفزان كغزالين روعهما الصياد ، لايشعران بقسوة الحجر ، ولا بصعوبة المنحدر ، ولا ببعد الطريق ، حتى وصلا (عاليه) وكانت دار فارس افندى التى بناها على الطراز الأمريكي أول دار فيها . فوقفا على صخرة أشرفا منها على الدار ، وطفقا ينظران .

رأيا الأبهاء قد حفلت بنساء يلبسن الثياب الكواشف من الحرير ، ورجال يلبسون السراويل الضيقة من (الجوخ) ، وهم يرقصون متخاصرين حيناً متباعدين حيناً ، ينقلون الخطا على رنات العيدان ، وسجحات المزامير ، ورأت الرجال يأخذون بأطراف أنامل الفتيات وهم يحنون لهن رؤوسهم ، ويبدون إعجابهم فتخيلت نفسها فى هذا النعيم ، وتصورت هؤلاء الرجال ذوى السراويل الأمريكية الضيقة ينحنون لها ، وقابلت فى أعماق سرها بينهم وبين هانى ، ثم طردت هذا الخاطر ، وأبعدته عن حسها وحسبت أنها تخلصت منه ، لم تدر أن (السوسة) بدأت تنخر جذع السنديانة الضخم !

– قالت : هلم ندخل .

– قال : ومن أين ندخل يا ليلى ؟

– قالت : أريد أن ندخل . أريد أن ندخل

وألحت إلحاح الولد المدلل ، فأطاعها ، وهل يخالف العاشق معشوقه ؟ إنه لايستحق اسم العاشق حتى يرى كل نزوة للمعشوق حكمة بالغة ، وكل رغبة فرضاً لازباً ، وكل نقيصة كمالاً مابعده من كمال

وتسلق الجدار ، وهبط بها ، فلم تكد تستقر على أرض الحديقة ، حتى أحس بها كلبان كأنهما ذئبان ، فوثبا إليها فأنشبا فيها أنياباً من حديد ، ولم يستطع هانى دفعهما عنها ، وأسرع القوم إلى الصوت ، فرأوا المشهد ، رأوا فتاة ناضرة الصبا ، نقية الثياب ، وفتى قذراً ، فحملوها مكرمين ، وأمروا الخدم بالقبض على (اللص) ، فأمسكوا به ونزلوا عليه ضربا حتى هدوه ...

ثم جاؤوا به إلى البهو ، وكانت على كرسى والخادمات يعالجن جروح قدميها ، فاقترب منها فسألها أن تعود معه ، فاعتذرت بعجزها ، وزجره القوم ، فقام بينهم فاستنزل اللعنة عليهم ، وأوعدهم أنه سيرجع فيهدم هذه الدار على رؤوسهم ، وبصق على الأرض وذهب . وبقيت هى فى الدار التى كانت تحن إليها

* * *

لا ، لا تلمها إن فكرت فى الترف ، ومدّت عينيها إلى متع المال ، وهى عند الصخرة ، محراب الحب الأقدس ، وجرت هذا البلاء على حبيبها ، فإنه لابدّ للحبيبين من مشغلة فإن لم يجداها ، وظلا متعانقين العمر كله والحب بينهما ، فإنه يختنق .

وكيف يعيش الحبيبان إن اقتصرا على حديث الحب ؟ وهل فى لغة الحب إلا : (أحبك) و (أحبكِ) ؟ كررها عشرين مرة ثم ... وهل فى دنيا الحب إلا العناق والقبل ؟ فهل تمضى الحياة تقبل وتعانق ؟ ألا تملّ ؟ ألا تكل ؟ ألا تجوع ؟ ألا تظمأ ؟ إن حياة كهذه خير منها السجن ، وأحلى منها الموت ، وأولى بالعاشق أن يفر منها ولو إلى سقر .

* * *

ذاقت ليلى فى هذه الدار لذة الغنى ، وعرفت متعة الترف ، واستمرأت الرقص والغناء ، وتخطرت فى الثياب الغاليات ، وأصغت إلى حفيف الحرير من أردانها ، وإلى منمقات الألفاظ من القوم العلية من حولها ، فتملك شيطان الترف روحها فأفسدها كما تفسد جراثيم السل أجساد الأصحاء ، وشغلها بفقاقيع البحر عن جواهره ، وأبداها لها تلمع فى أشعة الشمس فحسبتها أكرم من الجواهر وأغلى ، وزاغت من بريقها عيناها فلم تعد ترى وجه الحب ، ولم تعد تذكر الحبيب ، ولبثت شهراً كاملا تتقلب فى الحرير ، وتمشى على الذهب وهو ينام على الجمر ، ويخطو على الشوك ، حتى تمّ شفاؤها ولم يبق بدٌّ من عودتها إلى المنزل ، فحملتها العربة الفخمة ، تجرها الجياد المطهمة حتى بلغت بها الباب ، فنزلت منها ، وأقبلت على دنياها التى لم تكن تعرف غيرها ولا تطمح إلى سواها ، فرأتها

٢ – حجة تاريخيـــة

للدكتـــــور جواد على

لم يتمكن الغزاة أو المهاجرون الجدد من احتلال كل فلسطين فظل ساحل «فلسطية» بأيدى الفلسطينيين الذين جاءوا إلى هذا المكان من الخارج . ويقال أن أصل هؤلاء من «جزيرة كريت» وقد نزلوا فى أيام الكنعانيين . وظلت أماكن أخرى بأيدى أصحابها القدماء ، وقد كان الكنعانيون على ما جاء فى التوراة منقسمين إلى أحد عشر سبطاً أو أكثر وكان من أشهرهم « اليبوسيون ، والعموريون ، والجرجاشيون والجوبون والفرذيون والعرقيون والسينيون والإروادون والصماديون والحمائيون(١) . وقد اشتركت كل هذه الأسباط فى مقاومة العبرانيين واتحدت مع الأمارات الأخرى فى طرد العبرانيـين وفى الدفاع عن أرض فلسطين من هجمات الأمم القوية كالأشوريين والبابليين . وقد عثر فى هيكل الكرنك فى أرض الصعيد على جدول مثلث لمدن كنعان يتضمن ذكر ١١٢٨ و ١١٩ مدينة يظن أنها المدن التى افتتحها « تحتمس الثالث » قبل أيام يشوع أى قبل مجىء الإسرائيليين(١)

كان الإسرائيليون على جانب عظيم من البداوة عند دخولهم « أرض كنعان » وكانوا فى درجة واطئة من الحضارة والثقافة بالنسبة إلى الكنعانيين ولذلك تأثروا عند مجيئهم إلى هذه الأرض بالثقافة الكنعانية ولاسيما أولئك الذين قيل لهم «الإسرائيليون» وهم الذين سكنوا فى الشمال واتصلوا بالفينيقيين وتأثروا بهم وعبدوا الإله « بعل » بدلا من إلههم « يهوه » إله التوحيد . أما أولئك الذى سكنوا المنطقة التى عرفت فيما بعد باسم « مملكة يهوذا » فإنهم ظلوا على فطرتهم الأولى وعلى جانب من البداوة وقد كان هذا الاختلاف الثقافى من عوامل الإنقسام الذى حدث فى أيام الملك « رحبعام » .

قيل لليهود « العبرانيون » « hebrew » وفى اللاتينيـة

(١) الاصحاح العاشر آية ١٥ — ١٩
Ency. Bibl, P, 640 ff - müller, asien and Europa, S 206

(١) قاموس الكتاب المقدس حـ ٢ ص ٢٧٠ .

ضيقة مقفرة ، وأحست بأن قلبها قد بقى فى تلك الدار ، فتمسكت بأسعد (ابن فارس أفندى) الشاب المهذب الأنيق الذى رافقها إلى منزلها ، تتذكر به الشهر الذى مضى كأنه رؤيا منام .

وإنها لفى هذا الشعور ، وإذا بهانى قد وقف أمامها بثيابه الوسخة ثياب الأصطبل ، فابتعدت عنه ، وضمت إليها ذيل ثوبها الأبيض ، ولم تكن تعرفه من قبل إلا فى هذه الثياب ، ولكن الحب كان (صابوناً) يزيل أوضارها ، وطيباً يذهب ريحها ، وصبغة زاهية تفيض عليها ، فأين الحب الآن ؟ إنه نائم لم يفق بعد فى قلبها ؛ لذلك أنكرت هذه الثياب ، وفرت منها ، وأبدت الترفع والاستعلاء ، ولم تذكر إلا أنها ابنة صاحب القصر ، وأنه صبى لقيط سائس خيول يقابل أدبارها ، ويرفع أقذارها ، وتألمت لدخوله عليها أمام أسعد ، ورأت فى ذلك صغاراً لها فى عينه وخافت أن يظن أنها ليست من طبقة الأكابر المتمدنين …

غضبت لعدوان هانى على كرامتها ، وتخطيه قدره إلى محاذاتها ، ولم ير هو فيها إلا الحبيبة قد لبست هذه الثياب التى تكشف مفاتنها التى يعبدها ، وأبدت أعضاءها التى يقدسها ، لتريب عنها ، فغضب للحشمة الجبلية أن يذهب بها هذا التكشف ، وللحب أن يهينه هذا العبث ، وقال لها :

— ما هذا ؟

— قالت : وأنت من أذن لك أن تدخل علىّ ؟

— قال : أنا … من أذن لى … يا ليلى ؟

— قالت : لا أسمح لك أن تنادينى باسمى لقد عدوت حدّك .

ودخلت الخادم فقالت لهانى :

— امسك عربة أسعد أفندى .

— فصاح بها : ليمسكها هو .

وخرج مغضباً .

وقال أسعد : أنا لا أفهم ما صبرك على هذا الخادم القذر .

الخادم القذر ؟ لقد كانت هذه الكلمة صرخة عالية أيقظت الحب النائم ، فقالت له :

— أنا لا أسمح لك ، إنه صديقى ، لا أسمح لك ، أخرج من دارى ، أخرج .

وتركته حيران مشدوهاً ، وانطلقت إلى (صخرة الملتقى) .

(البقية فى العدد القادم) **على الطنطاوى**

« hebraeus » وقد أخذت هذه الـكلمة من « عبراية » « ebráyà » الآرامية . وهذه من « عبرى » . « ibri » أو « عبريم » « .ibrim » الواردة في التوراة(١) والتى كانت تطلق بصورة عامة على « بنى إسرائيل » « B'nê israel » أى « أبناء إسرائيل »(٢) .

وقد أطلق الـكنعانيون كلمة « العبرانيين » على المهاجرين الذين كانوا يدعون أنهم من صلب « إبراهيم » « إبرام » لتـكون لهم علامة فارقة ولتدل على أنهم من الشعوب الغريبة الطارئة على الـكنعانيين(٣) .

أما النظرية اليهودية فتقول أنهم إنما سموا « عبرانيين » لعبورهم نهراً أو قطع حد » أى عبورهم من جهة إلى جهة أخرى ... عبرها — ناهار « êber han — nàhàr » أى « عبـور النهر إلى الجهة الثانية منه » ويظن أن المقصود من « النهر » نهر الفرات الذى عبره عند « حاران » « haran »(٤) .

ويقال للأرض التى خرج منها إبراهيم وناحور « nahor » « آرام النهرين » « Aram - Naharain »(٥) . ويرى العـالم « سايس » « Sayce » أن معنى الـكلمة « تجار » لأنهم كانوا يعبرون نهر الفرات لأغراض تجارية »(٦) .

ويرى بعض العلماء أن كلمـة « عبرانيين » من « عابر » « Eber » وهو حفيد « سام بن نوح »(٧) . ولعابر على ما جاء فى جدول أنساب التوراة أولاد ولهؤلاء أولاد أيضاً وقد تـكونت من ذريتهم قبائل وعشائر . ويرى بعض علماء التوراة أن هذه الأسماء هى أسماء مواضع جغرافية تقع فيما بين النهرين وأن الموطن الأصلى التى انحدرت منه الشـعوب السامية هو منطقة « أرآرات » « Ararat » انحدرت منه إلى شمال العراق ثم إلى الجنوب فسائر الانحاء(٨) .

على كل فقد رأيت أن موطن العبرانيين على ما جاء فى التوراة وهو كتاب اليهود المقدس كان خارج فلسطين وأن « إبراهيم » الخليل وهو الجد الأعلى للعبرانيين لم يكن من أهل فلسطين بل كان من العراق على ما جاء فى التوراة(١) ثم انتقل إلى أرض كنعان فسكن بين الـكنعانيين حيث تـكونت له ذرية . ثم استرق المصريون الإسرائيليين إلى أن تمكنوا من الخروج من مصر بزعامة « عيسـو » حيث اتجهوا نحو الشرق إلى أراضى كنعان

وتفند أسـفار التوراة دعوى اليهود فى أرض كنعان أو « أرض فلسطين » كما دعيت فيما بعد . فسكانها القدماء على ماجاء فى التوراة هم الـكنعانيون وذلك قبل مجىء العبرانيين بآلاف الـسنين . واليهود حسب رواية اليهود هم مهاجرون جاءوا إلى أرض فلسطين وعاشوا مدة عيشة « عشائرية » إذ كان يحكم كل عشيرة منهم « قاض » هو شيخ العشيرة وحاكمها ؛ ولذلك عرف الدور الأول من أدوار اليهود فى فلسطين باسم « دور القضاة »

وأما الذين جاءوا من مصر وهم من نسل « يعقوب » فإنهم كانوا قد استعبدوا فى أيام الفراعنة بعد أن غادر « يعقوب » أرض فلسطين ونزح إلى مصر حيث تكاثرت ذريته هناك وتولوا مراكز سامية ولم يفكروا فى العودة إلا بعد أن ساءت حالتهم هناك وبعد أن استرقهم الفراعنة ؛ عندئذ فكروا فى الهجرة إلى مكان جديد فلم يجدوا محلا آمناً غير فلسطين(٢) وقد جاءوا بعدد قليل وعلى دفعات فلم يتمكنوا من الدخول إليها عنوة ولم يتمكنوا من قهر أهل أرض كنعان والتغلب على الـكنعانيين ويظهر ذلك بكل وضوح من أقوال التوراة .

ووردت فى التـوراة بعض الشهادات التى تفند مزاعم الصهيونية تماماً فما ورد فيه أن الشعب الذى يسكن فى هذه الأرض كان على جانب عظيم من الحضارة وأن العبرانيين كانوا على العكس على جانب كبير من البداوة . « ومتى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى خلف لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب أن

(١) Ency Bibl P 1984

(٢) المصدر نفسه .

(٣) Ges — Gesch der hebr Sprache und Schrift S' qf Kautvgch in Riehms HWB.

(٤) التكوين سفر ١١ آية ٣١

(٥) التكوين سفر ٢٤ آية ٤ ، ٧ ، ١٠ .

(٦) Hastings P 201 Sayce Exp T Xv III 1907 P 233

(٧) Hastings P 201 Ency Bibl P 1984

(٨) ency Bibl P 1984

(١) التكوين إصحاح ١١ آية ٢٧ وما بعد Ency Bibl P' 24 التـكوين إصحاح ٢٥ آية ١٨ وما بعد ، التـكوين إصحاح الثانى عشر آية أو ما بعد . التـكوين الإصحاح السابع عشر آية ٨ وما بعد .

(٢) Nevill Barbour, Nisi Domimi p, 14

يعطيك إلى مدن عظيمة جيدة لم تبنها وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها ، وآبار محفورة لم تحفرها ، وكروم وزيتون لم تغرسها ؛ وأكلت وشبعت ، فاحترس لئلا تنسى الرب الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية »(١) .

فهذه شهادة عبرانية واردة فى أقدس وأقدم كتاب عند العبرانيين وهو الكتاب الذى استشهد به اليهود فى إثبات حقهم فى فلسطين ؛ هى شهادة تتكلم بكل وضوح عن بداوة العبرانيين وانحطاطهم بالنسبة إلى « الكنعانيين » سكان فلسطين القدامى .

وهناك شهادة أخرى تلفت الأنظار حقاً وهى تشرح لنا حالة اليهود عند محاولتهم الدخول إلى فلسطين ودرجة انحطاطهم وحالتهم البدائية وقلة عددهم كذلك ومقدار تفوق الشعوب الأصلية على اليهود . فها هو إله إسرائيل يخاطب «موسى» فيقول « ارسل هيبتى أمامك وازعج جميع الشعوب الذين تأتى عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين ، وارسل أمامك الزنابير فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك ، لا أطردهم فى سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية ، قليلا قليلا أطردهم من أمامك إلى أن تثور وتملك الأرض»(٢) .

فهذه شهاده تشرح حالة اليهود عند مجيئهم إلى فلسطين وقلة عددهم وانحطاط مستواهم الثقافى والمدنى بالنسبة إلى شعوب فلسطين وهى شهادة لا تصلح أن تكون حجة فى صالح اليهود .

لم يتمكن اليهود من تثبيت أقدامهم فى المناطق التى استولوا عليها من فلسطين إلا بعد مدة طويلة ولم يكن ذلك إلا بعد اتخاذ طرق مختلفة منها التزاوج ومنها التبشير بالديانة اليهودية ولم يتمكنوا من تشكيل حكومة بالمعنى الحديث المفهوم من كلمة « دولة » إلا لمدة قصيرة جداً وتحت عوامل ضغط شديدة ؛ ولم تعمر هذه الدولة طويلا بل عاشت منذ عهد « شاوؤل » فى سنة ١٠٢٠ قبل المسيح وهو أول ملك تولى الملك عند العبرانيين وانتهت مع حكم سليمان حوالى سنة ٩٣٠ قبل المسيح أى أنها عاشت فقط بجهود شاوؤل وداود وسليمان . فلما مات سليمان وانتقل الملك إلى ابنه « رحبعام » وكان ضعيفاً انقسمت المملكة إلى قسمين مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل(١) .

هذا هو عمر الدولة العبرانية الموحدة التى يتغنى بها الصهيونيون . ومما يستحق الالتفات كذلك أن ملوك هذه الدولة لم يكونوا ليتمكنوا من تكوين دولتهم هذه لولا المساعدات الخارجية التى كانت تصل إليهم من الأمراء الفلسطينيين عن طريق التقرب والصداقة . فهذا « داود » وكان من قواد الملك شاوؤل ينتهز الفرصة فيتحالف مع ملوك الفلسطينيين للايقاع بالملك شاوؤل ليتولى بنفسه الحكم ، فلما تولى الحكم لاقى مصاعب كبيرة فى سبيل التوفيق بين « إسرائيل » ويهوذا ، لما كان بين الطرفين من تباعد بسبب الاختلاف فى درجة الثقافة والحالة الاجتماعية ؛ ولم يتمكن داود من تعمير قصره فى القدس إلا بمساعدة الفينيقيين والفلسطينيين بل حتى والعرب الذين كانوا على اتصال باليهود كما يفهم ذلك من التوراة وكذلك فى أيام سليمان .

وإذا استعرضنا تأريخ المملكتين الصغيرتين اللتين تكونتا فيما بعد نجد أن العبرانيين لم تكن لديهم فكرة « حكومية » بل كانت عندهما فكرة « دينية » هى الغالبة على كل شىء وكانت هى من عوامل انقسام العبرانيين كذلك . ولذلك نجد قتلا واغتيالا وثورات على الملوك وطلب نجدات من الأمراء الوطنيين ومن الحكومات التى كانت فى العراق أو فى سوريا أو فى مصر للاستعانة بها على محاربة ملوكهم . وكان رجال الدين فى طليعة الثائرين على الحكام عند ظهور أقل شىء منهم يدل على أنهم يريدون الانتقاص من نفوذهم أو ميلا إلى التجدد أو الأخذ بأساليب الثقافة التى كانت عند الكنعانيين أو الفينيقيين ، حتى آل ذلك إلى سقوط مملكة إسرائيل وعاصمتها « السامرة » « Samaria » سنة ٧٢٢ ثم سقوط القدس على أيدى البابليين سنة ٥٨٦ قبل الميلاد .

جواد علي

---

(١) التوراة سفر التثنية إصحاح ٦ آية ١٠ فما بعد
Nisi Dominus p, 12

(٢) التوراة سفر الخروج إصحاح ٢٣ آية ٢٩ وما بعد .

(١) راجع شهادة الدكتور حتى أمام لجنة التحقيق الأمريكية الأنكليزية بتاريخ ١١ كانون الثانى سنة ١٩٤٦ بواشنطن .

الخـــلان والزمان

بين أبي فراس والبارودى

للأستاذ محمد محمد الحوفى

تمهيد:

١ — نفسية الأديب هي الشاعرة أو الناثرة ؛ فهى أحق بالدراسة حين نريد أن نفهم الآثار الأدبية للشاعر أو الكاتب .

٢ — المقارنة المفصلة الشاملة بين الآثار الأدبية طريقة طريفة مشوقة ، تميز الجيد من الردىء ، وترينا نوع العلاقة بين الأديب اللاحق والأديب السابق .

٣ — وعن طريق هـذا الأدب النفسى المقارن ، سنعمد إلى تفهم أبى فراس والبارودى إذ وجدنا بينهما تشابهاً عجيباً فى نواح كثيرة .

٤ — أبو فراس الحمدانى : من آل حمدان ملوك حلب ، ولد ٣٢٠ هـ وتوفى ٣٥٧ .

ومحمود سامى البارودى : من سلالة المماليك بمصر ، ولد ١٢٥٥ هـ وتوفى ١٣٢٧ .

الخـــلان

تركت أبي طفلا وكان أبي[1] … من الرجال كريم العود ناضره

هذا بيت لأبى فراس ، وهو صورة لقلب آس دامع ، ودليل على يتم مبكر شعر بهوله ذلك اليافع ؛ فماذا عسى أن يكون هذا اليتم فى نفس أبى فراس وفى تفكيره وفى عبقريته ؟

خلفه أبوه فى الثالثة من عمره ، فشب أبو فراس فى حضانة أمه ، وتلقن منها ذكريات العزة والبسالة التى أثرت عن أبيه .

وما ظنك بطفل أول ما يدرك يعرف أن أباه إنما عاش محارباً ومات محارباً ؟ إن هـذا الناشىء لا بد أن ينطبع على شيمة أبيه فينشأ بازلا باسلا ، ولا سيما أنه فى بيئة بنى حمدان ، وطابعهم كلهم النزال والصيال .

ثم ما ظنك بصبى يتيم ينشأ فى وسط أبناء عمه من الأمراء الذين لم ييتمهم الزمان ؟ إنه يرى هؤلاء الأبناء من حوله مدللين مكرمين مغمورين بعطف آبائهم ، محظوظين برعايتهم ، ويرى الناس يجاملون أولئك الأبناء ، ويعطفون عليهم ؛ رعياً لمكانة آبائهم ، وتزلفاً لهؤلاء الآباء الأمراء .

أما أبو فراس فمن يعوضه عطف أبيه ، وأى الناس يلاعبه ويناغيه ، فى حين أن لا أب له يتزلف إليـه الناس بالعطف على ابنه .

وإذن فقد نشأ أبو فراس شاعراً بنوع من النقص — والشعور بالنقص أول مراتب الكمال — فلا بد أن تدفعه الطبيعة إلى استكمال ما نقص ، فينشأ فارساً أى فارس .

ولا بد كذلك أن يعتز بكرامته وشرفه ، ويفخر بنفسه وأهله وأبيه حتى إنك تراه لا ينسى هذا الفخر ، وإن كان يعانى كرب الأسر .

فها هم أولاء آباؤه مغاور ، يقدمون حين يحجم القساور ، ومن ورائهم شهب ثواقب ، وهو أثقبهم شهاباً ، وأحماهم ضراباً :

أنا ابن الضاربين الهام قدما … إذا كره المحامون الضرابا
ألم تعلم ومثلك قال حقـا … بأنى كنت أثقبها شهابا

وها هو ذا يستحث سيف الدولة على فدائه ، بأنه نسيج وحده فى المعالى ، وفى الذود عن حمى أسرته :

متى تخلف الأيام مثلى لكم فتى … شديداً على البأساء غير ملهد ؟!
فإن تفتقدونى تفتقدوا لعلاكم … فتى غير مردود اللسان ولا اليد
يطارد عن أحسابكم بلسانه … ويضرب عنكم بالحسام المهند

ثم يستحثه بأن الإسلام لا يستغنى عن حراسته :

فإن لم يكن ود قريب نمده … ولا نسب دون الرجال قراب
فأحوط للاسلام ألا يضيعنى … ولى عنك فيه حوزة ومناب

وهو يقرع عشيرته بأنه بازلها الذى يحميها ، وهو ذؤابة أشرافها وأعاليها :

تمنيتم أن تفقدونى وإنمـا … تمنيتم أن تفقدوا العز أصيدا
أما أنا أعلى من تعـدون همة … وإن كنت أدنى من تعدون مولدا

وهو سيد قومه وعمدتهم :

منعت حمى قومى وسدت عشيرتى … وقلدت أهلى من هـدى القلائد
خلائق لا يوجدن فى كل ماجد … ولكنها فى الماجدين الأماجد

وإنه فى أسره ليحزنه أن تمر به الليالى آمنة ساكنة لا يغير فيها ولا يجير :

تمر الليالى ليس للنفع موضع … لدى ولا للمعتفين جناب

(١) شطر البيت على هذه الصورة غير مستقيم لا فى الوزن ولا فى المعنى فليراجع (الرسالة)

ولا شد لى سرج على ظهر سابح   ولا ضربت لى بالعراء قباب
ولا برقت لى فى اللقاء قواطع   ولا لمعت لى فى الحروب حراب

***

وهكذا تجد ديوانه مليئاً بشعر الفخر والاعتزاز بالكرامة ، وهـذا كما قلنا طبيعة نشأها فيه اليتم المشعر بالنقص ، الحافز إلى الكمال .

***

وقد جر أبو فراس البلاء على نفسه بسبب عبقريته الحربية : فالناس فى كل زمان يحقدون على المباقرة ، ويتمنون لهم كل فاقرة . وإن عشيرة أبى فراس وأقرانه ليعجبون ! ما لهذا اليتيم يبز أبناء عمه ممن تربوا فى رعاية آبائهم ، وتلقوا عنهم دروس النزال والصيال ، ثم ما له يخنق صيتهم بصيته ، ويعفى على آثار سيوفهم بصليته ، مع أنه — إلى يتمه — ليس أغناهم مالا ؟!

لابد إذن أن يأكل الحقد صدور هؤلاء الناس ، وأن يفرحوا بكل سيئة تصيب أبا فراس .

كما جر أبو فراس على نفســه البلاء بسبب فخره وتعاليه ، وغلوه فى اعتداده بنفســه ، فالناس إن حقدوا على المباقرة فهم أحرى بالحقـد على المتحدثين عن أنفسهم ، الفُخُر بأعمالهم وأحسابهم ، ولا سيما إذا كان الفخر من مثل أبى فراس ، هذا اليتيم الذى لم يسمع من أبيه كلمة مجد أو عزة ، وأى الناس لا يحقد عليه ، ولم يدع لغيره فضلا ، وكرر دعواه بأنه سيد عشيرته ، والمع شهاب فى سماء أرومته .

وقد كان أسر أبى فراس محكا ميز أصدقاءه الأوفياء من غيرهم فقد حسب الذين كانوا يداورونه أن لا فداء له ، ولا غناء فيه ، فـكشفت هذه الشدة خفاياهم ، وكذبت ألسنتهم ومراياهم .

وبعـــد :

فليس بدعا من أبى فراس بعد ما قدمنا أن يشغل بالتحدث عن الصداقات والصحاب والحساد والمرائين ، فى كل مناسبة ، ولا سيما مدة أسره . وقد قرر هو بعد التجربة أن الدنيا خلو من الصديق الوفى الذى يرضيك ما ظهر منه وما خفى .

وهاهو ذا قد خبر أصحابه ، فرأى أنهم كلهم عبيد المنفعة ، وأنهم يضرون ولا ينفعون ، حتى أصبح الخليل هو من يبتعد عنك حتى لا يضرك :

تناسانى الأصحاب إلا عصيبة   ستلحق بالأخرى غداً وتحول
وإن الذى يبقى على العهد منهم   وإن كثرت دعواهم لقليل
أقلب طرفى لا أرى غير صاحب   يميـل مع النعماء حيث تميل
ومنها نرى أن المتارك محسن   وأن خليـلا لا يضر خليـل
تصفحت أقوال الرجال فلم يكن   إلى غير شاك فى الزمان وصول
أكل خليل أنكد غير منصف   وكل زمان بالـكرام بخيل ؟!

والناس فى نظره ذئاب فى ثياب فلا تتخيل أن كل اللاطفين صحاب

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه   ومن أين للحر الـكريم صحاب
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم   ذئاباً على أجسادهن ثياب

وهو يتحسر فى أسره على صاحب فرد ، لا يريم عن وده ، وإن تنكر الزمان واشتد :

أما ليلة تمضى ولا بعض ليلة   أسر بها هـذا الفؤاد الموجعا
أما صاحب فرد يدوم وفاؤه   فيصفى لمن أصفى ويرعى لمن رعى
وفى كل دار لى صديق أوده   إذا ما تفرقنا حفظت وضيعا

وليس بدعاً كذلك من أبى فراس وقد شام الغدر فى الناس أن يكون أول ما يمتدح به الوفاء ، فهاهو ذا يقول لصاحبه أبى الحصين وقد كان من أوفيائه :

أبا حصين وخير القول أصدقه   أنت الصديق الذى طابت مخابره
أين الخليل الذى يرضيك باطنه   من الخليل الذى يرضيك ظاهره

وكذلك يمتدح نفسه بأنه يسارّ صديقه بعيبه ، ويجهر أمام الناس بفضله وحبه :

وإذا وجدت مع الصديق شكوته   سراً إليه وفى المحافل أشكر

ويقول لأبى زهير ابن عمه :

ابن عمى إنى على شحط دار   والقريب المحل غير قريب
صادق الود خالص المهـد أنـــس فى حضورى محافظ فى مغيبى

وفى توديع أبى الحصين صديقه يقول :

يامن أصافيه فى قرب وفى بعد   ومن أخالصه إن غاب أو شهدا
أضحى وأضحيت فى سر وفى علن   أعده والدى إذ عـدنى ولدا

وليس معيار الصداقة عند أبى فراس وعند أحرار الناس ، أن يغدق الصديق على صديقه عطاياه ، أو يطره إطراء عندما يراه

العلاقات الدبلوماسية الجديدة

بين أيندونيسيا وهولندا

(بمناسبة عرض القضية على مجلس الأمن)

للأستاذ محمد جنيدى

فى ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ — أعلن الأندونيسيون استقلالهم السياسى التام وقيام حكومة جمهورية ترعى كيان الوطن . وتحفظ حقوق الشعب . وانتخب الزعيم الأندونيسى الشهير الدكتور سوكارنو رئيساً للجمهورية . ثم ناشد الدول العظمى الاعتراف بها كدولة مستقلة ذات سيادة تامة .

إذن ... لقد دخلت أيندونيسيا فى عهد جديد . فقد تحررت من الحكم الهولندى ومن الاحتلال اليابانى .

وفى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٥ — تدفقت القوات الانكليزية التى تمثل القوات المتحالفة إلى أندونيسيا لتجريد أسلحة القوات اليابانية وتسريح المعتقلين الأوربيين . وتولى قيادتها اللورد مونتباتن . وقد انحشرت القوات الهولندية فى القوات الانكليزية لتقوم باستعادة أيندونيسيا وإرجاعها إلى حظيرة الاستعمار الهولندى . وقد دارت رحى الحرب بين القوات المتحدة والفرق الأيندونيسية المجاهدة . واستمرت هذه الحرب دائرة حتى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٦ — ذهب خلالها ثلاثة ملايين أيندونيسى

وفى سبتمبر سنة ١٩٤٦ — ظهرت القوات الهولندية فى بعض المدن الأيندونيسية ، فعبثت بالسلام ؛ ثم اصطدمت مع القوات الأيندونيسية فى معارك عنيفة لم تنته حتى الآن . وأن معارك (موجوكارنو) الأخيرة تدل على أن الحكومة الهولندية تريد خلق اضطراب فى أداة الحكومة الأيندونيسية فى جميع ولاياتها ومناطقها وإساءة سمعتها فى الدوائر السياسية العالمية ومضى الزمن مسرعاً طاوياً فى أعماقه الصفحة الأخيرة من صفحات الاستعمار الغربى .

وهناك الرقباء ومندوبو الدول الشرقية والغربية يراقبون ثم يقررون دقة السياسة السلمية والحربية الأيندونيسية ، وانتشار الروح الديمقراطية بين الشعب وانتظام الحياة الاقتصادية فى أنحاء

ولكن هو الذى يصون الغيب ، ويصفو على البعد والقرب ، والأصدقاء بهذا المعنى أعزاء قلة ؛ ومن ينبئك عن حقيقة الصحاب غير أبى فراس وقد خبرهم :

أعيا علىّ أخ وثقت بوده   وأمنت فى الحالات عقبى غدره
وخبرت هذا الدهر خبرة ناقد   حتى أنست بخيره وبشره
لا أشترى بعد التجارب صاحباً   إلا وددت بأننى لم أشره
ويجىء طوراً ضره فى نفعه   جهلا وطوراً نفعه فى ضره
وأحب إخوانى إلىّ أبرهم   لصديقه فى سره أو جهره

وإنه ليعرف الصداقة والعداوة تعريفاً جديداً استمده من تجاربه ، كما يعرّف « القريب » و « الغريب » :

أشد عدويك الذى لا تحارب   وخير خليلك الذى لا تناسب
لقد زدت بالأيام والناس خبرة   وجربت حتى هذبتنى التجارب
فأقصاهم أقصاهم من إساءتى   وأقربهم مما كرهت الأقارب
ولا أنس دار ليس فيها مؤانس   ولا قرب أهل ليس فيهم مقارب

وتباً لهؤلاء الحساد الكلاب ، يتلفتون ليتا كدوا أن أبا فراس غاب ، ثم يسلقونه بألسنة حداد ؛ ولكنه يعتبر هذا شرفاً له ؛ فإنما يحسد ذو النعمة :

ومضطغن لم يحمل السر قلبه   تلفت ثم اغتابنى وهو هائب
تردى رداء الظل لما لقيته   كما يتردى بالغبار المناكب
ومن شرفى ألا يزال يعيبنى   حسود على الأمر الذى هو عائب
رمتنى عيون الناس حتى أظنها   ستحسدنى فى الحاسدين الكواكب
ولست أرى إلا عدواً محارباً   وآخر خير منه عندى المحارب
فهم يطفئون المجد والله واقد   وهم ينقصون الفضل والله واهب
ويرجون إدراك العلى بنفوسهم   ولم يعلموا أن المعالى مواهب

وقد كان حرصه على غيظ الحساد مشجعاً له على تجلده فى الأسر :

وإنى لجزاع ولكن همتى   تدافع عنى حسرة وتغالب
ورقبة حساد صبرت اتقاءها   لها جانب منى وللحزن جانب

(يتبع) محمد محمد الحوفى

الجمهورية . فتضطر الحكومة الهولندية إلى إشعار ممثلها الدكتور فان‌موك بإجراء محادثات سياسية مع زعماء الجمهورية للوصول إلى نتيجة مرضية لها . وفى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٥ اجتمع ممثلو الجمهورية الأيندونيسية مع ممثلى الحكومة الهولندية بمدينة جاكرتا (بتافيا) وترأس مندوبى الحكومة الأيندونيسية الدكتور أمير شريف الدين رئيس الوزارة الأيندونيسية الحالى واشترك معه الدكتور محمد حسنى نائب رئيس الجمهورية والدكتور أحمد سوبارجو وزير الخارجية الأيندونيسية السابق والحاج أغوس سالم وزير الخارجية الأيندونيسية الحالى كما رأس مندوبى الحكومة الهولندية الدكتور فان موك . وحضر معه المستر فاندرفلاس ، والمستر ايدنبورخ ، وحضر الاجتماع أيضاً المستر مارلاى ممثلا للورد مونتباتن .

بحث فى هذا الاجتماع الحالة السياسية الأيندونيسية . ثم عرض الدكتور فان موك (الحكم الذاتى) لأيندونيسيا فرفضه المفاوضون الأيندونيسيون . وانفض عقد الاجتماع .

وفى ١٦ نوفمبرسنة ١٩٤٥ — طلب ممثل الحكومة الهولندية من الحكومة الأيندونيسية الدخول فى مفاوضات أخرى لبحث المسائل السياسية المعلقة بين أيندونيسيا وهولندا . واجتمع ممثلو الحكومتين الأيندونيسية والهولندية . وكان رئيس ممثلى أيندونيسيا الدكتور سودان شاهرير رئيس الوزارة الأيندونيسية السابق ، ورئيس ممثلى هولندا الدكتور فان موك . وفى هذا الاجتماع عرض الدكتور فان‌موك نظام (الدومنيون) لأيندونيسيا فرفضه ممثلو الحكومة الأيندونيسية .

ومضى الزمن مسرعاً طاوياً فى أعماقه الصفحة الأخيرة من صفحات الاستعمار الغربى .

وفى يناير سنة ١٩٤٦ — أثار الدكتور مانوليكى مندوب أوكرانيا المسألة الأيندونيسية فى مجلس الأمن الدولى شارحا لمندوبى الدول المتحدة حالة الجمهورية الأيندونيسية ومدى اشتداد القتال فيها بين القوات الهولندية والبريطانية متحدة ، والقوات الأيندونيسية ، وطلب إرسال لجنة تحقيق دولية إلى أيندونيسيا للوقوف على حالة الجمهورية الأيندونيسية ، والتحقيق عن أسباب القتال . فرفض ممثلو هولندا وبريطانيا طلبه ، كيلا ينكشف عملها الحربى . ثم أسدل الستار على المسألة الأيندونيسية . وقد استفادت أيندونيسية من عرض أوكرانيا لمسألتها فائدة كبرى إذ عرف العالم ماذا يجرى فيها ، وما هو موقفها ، وسياستها السلمية ، إزاء العدوان الاستعمارى المتحد .

وفى فبراير سنة ١٩٤٦ — بعثت الحكومة البريطانية سفيرها فى موسكو السير ارشيبالد كلارك كير إلى أيندونيسيا للاشتراك فى المباحثات السياسية بين ممثلى هولندا وأيندونيسيا

وفى ١٠ فبراير سنة ١٩٤٦ — عقد ممثلو الحكومتين اجتماعا بدار السير ارشيبالد بجاكرتا . وفى هذا الاجتماع قدم الدكتور فان موك المشروع الذى وضعه مشتركا مع المستر اتلى فى لندن إلى ممثلى الحكومة الأيندونيسية . ويحتوى على خمس عشرة مادة وهو مشروع يخول لأيندونيسيا إنشاء (كومونويلث) على غرار الحكومة الأسترالية ؛ فرفضه ممثلو الحكومة الأيندونيسية قائلين لممثلى هولندا (إننا لن نقبل غير اعتراف حكومتكم باستقلال الجمهورية الأيندونيسية التام) ثم انفض الاجتماع وأسفر عن رفض الحكومة الأيندونيسية لمشروع الحكومة الهولندية .

ومضى الزمن مسرعا طاويا فى أعماقه الصفحة الأخيرة من صفحات الاستعمار الغربى ...

وفى ٣٠ مارس سنة ١٩٤٦ — تقدم الدكتور فان موك مقترحات أخرى لرئيس الحكومة الأيندونيسية .

وفى أول إبريل سنة ١٩٤٦ — رد الدكتور شاهرير على مقترحات فان‌موك بشأن العلاقة الجديدة بين هولندا وأيندونيسيا ثم سافر وفد دبلوماسى أيندونيسى إلى‌هولندا مكون من الدكتور سواندى رئيساً والدكتور سودارسونو والدكتور عبد الكريم فرينغديغديفو أعضاء لشرح غاية استقلال الجمهورية الأيندونيسية للحكومة الهولندية . وقد كانت الحالة السياسية فى هولندا مضطربة فى ذلك الظرف ، لسياسة الحكومة الهولندية المتطرفة إزاء الحكومة الأيندونيسية ، فالشعب الهولندى يريد السلم والاتفاق مع الشعب الأيندونيسى ولكن المستعمرين الرأسماليين منهم أمثال المستر (وولتر) وزير المستعمرات الهولندية السابق يريدون التشدد فى بقاء السيادة الهولندية على أيندونيسيا . بعد

أن أعلنت للعالم حريتها واستقلالها ..

هذه مراحل المباحثات السياسية بين أيندونيسيا وهولندا وقد ظهر منها أن الحكومة الهولندية قد عرضت على الحكومة الأيندونيسية المستقلة أنواعاً من الحكومات بعد أن يئست من الوصول إلى استعادة سيادتها على أيندونيسيا ... وهذه الحكومات هى .. (١) الحكم الذاتى (٢) الدومنيون (٣) الكومونويلث وقد رفضتها أيندونيسيا لأنها متمسكة باستقلالها التام .

ومضى الزمن مسرعاً طاوياً فى أعماقه الصفحة الأخيرة من صفحات الاستعمار الغربى ... وفى ١٧ نوفبر ١٩٤٦ اجتمع ممثلو الحكومة الايندونيسية والهولندية واشترك معهم ممثل الحكومة البريطانية اللورد كايرن . وفى هذا الاجتماع اتفق الطرفان الايندونيسى والهولندى على عقد اتفاق سياسى بين حكومتيهما يوضح علاقة كل منهما بالأخرى . ثم وضعا مواد الاتفاق ، وعرف هذا الاتفاق باسم (اتفاقية لنجرجاتى) وهى تحتوى على سبع عشرة مادة ونحن نقدمها للقارىء العربى ليعرف مدى السيادة الايندونيسية على إيندونيسيا وعلاقة إيندونيسيا بهولندا فى المستقبل .

نص الاتفاق السياسى بين إيندونيسيا وهولندا

المتفق عليه فى ١٧ نوفبر ١٩٤٦

المادة الأولى : تعترف الحكومة الهولندية بسلطة الحكومة الجمهورية الايندونيسية على جزيرة جاوا وسومطرا ومادورا وتضم المدن التى تحتلها القوات المتحدة والقوات الهولندية الداخلة فى نطاق هذه الجزائر إلى الحكومة الجمهورية الايندونيسية قبل أول يناير ١٩٤٩

المادة الثانية : تتعاون الحكومتان الهولندية والايندونيسية على إنشاء دولة حرة ذات سيادة تامة تسمى (دولة إيندونيسيا المتحدة)

المادة الثالثة : تتكون دولة ايندونيسيا المتحدة من جميع أراضى جزر الهند الشرقية ما عدا الأراضى التى تقرر ذلك . فستنشىء لها علاقة خاصة مع الحكومة الايندونيسية وهولندا .

المادة الرابعة : تنشأ دولة إيندونيسيا المتحدة على النظام الديمقراطى .

المادة الخامسة : القسم الأول . إن قانون دولة إيندونيسيا المتحده تقرره هيئة خاصة لتنظيمه . حسب القواعد الديمقراطية الصحيحة . وهذه الهيئة مكونة من ممثلى الحكومة الايندونيسية وأعضاء الولايات المنضمة فى الدولة الايندونيسية المتحدة ، وملاحظة ما يشير إليه القسم الثانى من هذه المادة .

القسم الثانى : إن إنشاء هذه الهيئه يكون باشتراك ممثلى الحكومة الجمهورية وممثلى الولايات . ويسمح أيضاً بالاشتراك فى هذه الهيئة لطبقات الشعب التى لم يتم لها وكلاء يمثلونها فى هذه الهيئة .

المادة السادسة : تتعاون الحكومتان الايندونيسية والهولندية على إنشاء رابطة بينهما وتحل وصية المملكة الهولندية السابقة المكونة من هولندا ، سورينام ، كاراكاو ، الهند الهولندية وتجزأ إلى قسمين :

١ — هولندا ، سورينام ، كاراكاو .

٢ — إيندونيسيا المتحدة .

المادة السابعة : القسم الأول . لتوثيق العلاقات بين المملكة الهولندية ودولة إيندونيسيا المتحدة يكوّن كل منهما مجلساً خاصاً

القسم الثانى : إن الوسائل لإنشاء دولة إيندونيسيا المتحدة تشترك فى القيام بها الحكومة الجمهورية والحكومة الهولندية .

القسم الثالث : إن العلاقات بين دولة إيندونيسيا المتحدة والحكومة الهولندية ستكون فى الدفاع والتمثيل الخارجى . وإذا احتاجت الظروف ستكون أيضاً فى الاقتصاد والثقافة والمالية .

المادة الثامنة : لتمثيل العلاقات بين هولندا ودولة إيندونيسيا المتحدة يشكل مجلس فيه مظاهر التعاون بين الحكومتين .

المادة التاسعة : تنشأ هيئة عالية من ممثلى دولة إيندونيسيا المتحدة وممثلى الحكومة الهولندية للعمل لتقدم الدولتين .

المادة العاشرة : أن تعاون الدولتين — الهولندية وإيندونيسيا المتحدة — يشمل :

(ا) ضمان كل دولة القيام بواجبها إزاء الأخرى .

(ب) تنفيذ إجراءات الدولتين — الهولندية وإيندونيسيا

(ج) ترتيب كيفية تبسيط الإجراءات إذا كانت هيئة

التعاون لم تتوفق إلى الموافقة فى قرارها .

(د) تنظيم كيفية مساعدة الحكومة الهولندية لدولة إيندونيسيا المتحدة .

(هـ) إن أصول معاهدة التحالف تعرض على هيئة الأمم المتحدة للتصديق عليها .

المادة الحادية عشرة : إن نظام التعاون يضمه مجلس مكون من مندوبى الحكومة الهولندية ودولة إيندونيسيا المتحدة .

القسم الثانى : إن هذا النظام ينفذ مفعوله حينما يصدق عليه مجلس نواب الدولتين

المادة الثانية عشرة : إن الحكومة الجمهورية الإيندونيسية والحكومة الهولندية تبذلان جهودهما لإنشاء دولة إيندونيسيا المتحدة قبل أول يناير ١٩٤٩ .

المادة الثالثة عشرة : تسعى الحكومة الهولندية بضم دولة إيندونيسيا المتحدة إلى منظمة الأمم المتحدة .

المادة الرابعة عشرة : تعترف الحكومة الجمهورية الإيندونيسية بأملاك الأجانب الموجودة فى نطاق دوائرها الجمهورية ، ولإعادتها إليهم تشكل لجنة من الطرفين — الهولندى والجمهورى — للنظر فيها .

المادة الخامسة عشرة : لتغيير وضعية المملكة الهولندية تعدل الحكومة الهولندية تنظيماتها فى الهند الهولندية مؤقتاً حتى يتم التعديل ، وتقرر وضعية هولندا الجديدة .

المادة السادسة عشرة : بعد إبرام الاتفاق ينقص الطرفان قواتهما العسكرية ، ويجتمعان لتعيين سبيل النقص ووقته . وكذا يبحثان مسألة التعاون العسكرى بينهما .

المادة السابعة عشرة : القسم الأول : للتعاون المشترك بين الحكومة الهولندية والحكومة الجمهورية الإيندونيسية ، ينشأ مجلس مكون من ممثلى الحكومتين وهيئة سكرتارية .

القسم الثانى : إذا حدث خلاف بين الحكومة الهولندية والحكومة الجمهورية الإيندونيسية تعرضانه على المحكمة العدلية العليا .

هذه خلاصة مشروع (اتفاقية لنجرجانى) وقد حدثت مناقشات حادة فى الدوائر السياسية الإيندونيسية والهولندية حولها وحاول الهولنديون نقضها ؛ لأنهم غلبوا فى ميدان السياسة واستمروا فى التشبث ببعض المواد والتفسيرات فى هذه الاتفاقية التى تركز سيادتهم فى إيندونيسيا رغم أن الدولة المراد إنشاؤها (دولة إيندونيسيا المتحدة) مؤقتة لنهاية عام ١٩٤٨ .

وفى ٢٥ مارس ١٩٤٧ ، وقع مندوبو الحكومة الهولندية والإيندونيسية على اتفاقية لنجرجانى رسمياً . وقد وضحت موادها العلاقات السياسية والاقتصادية الجديدة بين إيندونيسيا وهولندا ؛ فالمادة الأولى منها تشير إلى أن الحكومة الهولندية تعترف بسلطة الحكومة الجمهورية الإيندونيسية على جزيرة جاوا وسومطرا ومادورا . ومعنى هذه المادة أن الجمهورية الإيندونيسية دولة حرة مستقلة استقلالا تاماً . فبعثت مندوبيها السياسيين إلى ممالك الشرق والغرب لعقد العلاقات السياسية والاقتصادية ، رغبة منها فى تركيز أساس السلام العالمى ، وإنعاش الحياة الاقتصادية المالية ، واشتركت الحكومة الإيندونيسية فى المؤتمرات الدولية لبحث الوسائل المنتجة لتثبيت دعائم السلام فى المعمورة .

وفى يونيو ١٩٤٧ عقدت الجمهورية الإيندونيسية مع الحكومة المصرية معاهدة إخاء وتجارة مؤقتة . وتدل هذه المعاهدة على حرية الجمهورية الإيندونيسية التامة . وسوف تظهر الأيام وقرارات مجلس الأمن مقدرة الجمهورية الإيندونيسية فى الاحتفاظ باستقلالها ، ومركزها الدولى الجديد .

محمد جنيدى



شيخ وشيخ

هأنذا فى الريف أضع على أننى منظار القرية ، وقد تركت فوق مكتبى فى « الرسالة » منظار القاهرة حتى أعود إليـه بعد حين . وكان أول ما وقع عليه فى القرية منظارى الجديد بعض ما صنع هذان الشيخان فى ضحى يوم من أيام رمضان .

أما أولهما فشيخ من حيث الاصطلاح والملابس ، فقد لبث فى الأزهر من عمره سنين ولا يزال فى القرية يضع على رأسه عمامة هى كل حجته على العلم والورع وإن كانت بعض وسائله إلى المال والشبع . وأما ثانيهما فشيخ من حيث العمر فقد تخطى السبعين منذ سنتين وبعض سنة كما ذكر لى حين حدثنى عن سنه ...

جلست أمام دارى عند مخرج القرية إلى الحقول وأنا أعجب كيف يغدو الفلاحون إلى أعمالهم صابرين ، وقد قضى الصوم والحر على كل ما كان من نشاط فى بدنى فما أتحرك لـكي أبقى فى الظل إلا فى مشقة وجهد . وبينما كنت أتفكر فى أمر هؤلاء المساكين إذ أقبل على أحدهم فسلم وجلس القرفصاء إلى جانب كرسيى وأسـند إلى الحائط ظهره ، ونظرت إليه فإذا هو من فرط نحوله وشحوبه أشبه شىء بعود الذرة جف فاغتدى عوداً من الحطب .

وتـكلم فقال : « لن ينقذنى من الشيخ فلان إلا أنت ؛ فقد اضطرتنى الحاجة إلى أن أقترض منه منذ شهرين جنيهين ونصف جنيه على أن أعطيه وفاء لدينى أردباً كاملا من القمح الجديد . ولمـا كنت أستطيع أن أبيع الأردب اليوم بخمسة جنيهات فقد ألححت عليه أن يأخـذ ثلاثة جنيهات ؛ ولـكنه تمسك بأردب القمح كاملا . وها هى ذى ثلاثة جنيهات ونصف أرجو منك أن تتوسط لدى الشيخ ليقبلها » ومد الرجل إلىّ يده بالنقود وهى ترتعش ، ولمحت فى وجهـه من السخط المـكظوم ما زاده بؤساً على بؤس ... ولـكننى أخذت منه قيمة الدين ورددت إليه جنيهاً ، فنظر إلىّ دهشاً وسكت .

ومضيت إلى الشيخ وفى خاطرى خيال « شايلوك » يهودى شكسبير ، وسلمت وقلت إن فلاناً ذو عسرة ؛ وقد توسل إلىّ أن أؤدى عنه ما عليه لك من دين . ومددت إليه يدى بجنيهين ونصف جنيه لحسب . فما إن عدها حتى اصفر وجهه وتنكره لى كأنى أشتمه ، ثم أخـذته حيرة من أمره وتمتم وعبس وتأفف ودس المـال فى جيبه وهو يلعن هؤلاء الفلاحين الذين لا أمانة لهم ولا عهد ولا ذمة . وتعجبت أو تظاهرت بالتعجب وقلت متجاهلا ، ها هو ذا دينه يؤدّى إليك . فنظر إلى نظرة كلها لؤم وخبث يتبين ما إذا كنت أعلم شيئاً عن قصة أردب القمح . ثم تركته فى غيظه وألمه ينتفض انتفاضة من لدغته عقرب ويقسم أغلظ القسم أن لن يعين أحداً من هؤلاء الفلاحين ناكرى الجميل بعد اليوم ...

ومررت أثناء عودتى بدار عم محمد النجار فأبصرته فى مدخل الدار وبين يديه أدوات عمله وبعض أشـياء من الخشب كان يصلحها ؛ فسلمت على الشيخ فنهض للقائى فى خفة ودعانى إلى الجلوس ، فجلست بجانبه على حصيرة وهو يكرر فى بشاشة وترحاب قوله « رمضان كريم » وإنه ليعلم أنى أحبه كما أعلم أنه يحبنى ويأنس إلىّ ؛ وقلما رآه أحد من القرية يقبل على امرىء أو يهش له كما يقبل علىّ ويهش لى ، وذلك أن هذا النجار الشيخ على فاقته الشديدة يظن الظنون بمن يراهم أكبر منه قدراً أو أكثر منه مالا لأنه يكره أشد الـكره أن يتـكبر عليه أحد مهما بلغ من جاهه أو ثرائه ، والويل كل الويل لمن يغلظ له فى القول من أعيان القرية فإنه عند ذاك ينقلب من شيخ وديع هادىء إلى نمر شرس هائج لا يخيفه شىء ، وقد أحس الشيخ أنى أكبره وأحب حديثه فخفض لى جناحه وبسط لى مودته .

ونظرت إلى وجهه المسنون وإلى عينيه البراقتين وهو يصلح بعض أدوات الزراعة وكأنما يزداد هذا المحيا بشاشة ونضرة كلما علت بصاحبه السن ، وأراد أن يعتذر إلىّ من عدم انصرافه عن العمل احتفاء بى كما كان ينبغى فى رأيه فقال إنه يصلح هـذه الأشياء الزراعية الصغيرة بغير أجر فى رمضان من كل عام ليغنم الثواب مضاعفاً على الصوم ، وهو لا يحب أن يخلف الوعد ، فما قليل سيأتى أصحاب هـذه الأدوات لأخذها ؛ وأثنيت عليه

« أدب العروبة فى الميزان »

للأستاذ على متولى صــلاح

ما حق الأدب على الدولة ؟ وما ينبغى أن تقوم الدولة به للأدب من نصر ومعونة وتأييد ؟ ذلك هو السؤال الذى نبدأ به كلامنا عن « أدب العروبة » الذى أخرجته للناس جماعة « أدباء العروبة » التى تنعقد رياستها للوزير الأديب الشاعر الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة باشا .

يحسب أنه قد مضى الزمن الذى كان الأدب فيـه فى نظر البعض نافلة لا ضرورة إليها ، وترفاً لا تدعو إليه حاجة ، وأبهة وبلهنية يزجى بهما الفراغ !

نعم ، عرفت الدول وعرف الناس أن الأدب لسان الكون وتعبيره ، وترجمانه وتفسيره ، وأن الناس شعروا قبل أن يتكلموا ، وتغنوا قبل أن ينطقوا !

وعرفت الدول وعرف الناس أن الحياة لن تكون — إن هى خلت من الأدب — إلا بيداء مجهل ، وصحراء لاحة ، وجحيما لا ظل فيه ولا ماء !

عرفت الدول وعرف الناس ذلك وصار الـكلام فيه معاداً مكرراً فهل أدت الدولة ما لهذا الأدب من حق ؟ وهل قامت بما ينبغى له من واجب ؟

عندما نهض الوزير الأديب الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة باشا بإنشاء هذه الجماعة العاملة ورعايتها — ولأول مرة فيما أعلم ينهض وزير قائم فى الحـكم برياسة جماعة أدبية — شـاعت حولها الشائعات ، وكثرت التخرصات والتقولات ، وقالوا : وزير يستخدم مرافق الدولة ويستغل منشآتها لمنفعة جماعة هو رئيسها !

وقالوا : لقد انتفعت هذه الجماعة بسبل المواصلات يستعملها أفرادها بغير الجعل المقرر والأجر المرسوم !

وقالوا لقد أضفى الوزير على أفرادها الفراغ الشامل والتحلل الـكامل من واجب « الوظيفة » ، وآثرهم بالدرجات والعلاوات ينعمون بها ويرفلون فى واسع رزقها ! وقالوا انتفعت بالإذاعة تسير معها حيث تسير ، وتمضى معها أنى تمضى !

وأنا أفترض أن كل ذلك قد وقع ، بل قد وقع فى صورة كريمة مسرفة ، وأتساءل بعد ذلك : هل أدت الدولة ما للأدب عليها من حق ؟ وهل قامت الدولة بما ينبغى أن تقوم به له من نصر ومعونة وتأييد ! والجواب الذى لا جواب سواه عندى هو

ماوسعنى الثناء ، فقال إنه يحمد الله على العافية وأنه يرى أعظم أنعم الله عليه أنه لم يقف مرة واحدة موقف الحاجة من أحد ، وأنه لا يذكر لأى امرىء يداً عليه حتى أولاده الأربعة الذين يعيشون كل فى داره عيشة هى أوسع من عيشته . ونظر إلىّ مبتسما وقال : إن خـير ما أدعو لك به وأنا أحبك أن يديم الله عليك العافية وألا تحتاج يوماً إلى إنسان ...

وبينما كان يتحـدث إلى النجار وهو يصلح تلك الأدوات الزراعية إذ دخل عليه رجل فسلم وقال : ياعم محمد ... علمت أنك تبيع فجلك المزروع فى جهة كيت فجئت لأشتريه ... وتفـكر النجار الشيخ قليلاً وقال : كم تدفع ثمناً له ؟ فقال الرجل : ستة جنيهات . فنظر إليه النجار وقال انتظر قليلا . وطلب النجار إلى أحد المارة أن يرسل فاطمة بائعة الفجل ، فلما حضرت قال لها ، هذا الرجل يشترى الفجل بستة جنيهات وقد بعته لك ، فما رأيك هل تبيعينه إياه ؟ لقد صرت صاحبته وليس لى فيه شىء وإن لم أقبض منك ثمنه بعد . فقالت المرأة بعته إياه . وتناول النجار الجنيهات الستة ، فأخذ منها أربعة هى ما اتفق مع المرأة عليـه ثمناً لفجله ودفع لها جنيهين ...

وازداد فى قلبى قدر هـذا النجار الشيخ ، وظللت لحظة أقلب نظرى فى محياه الأبلج السمح وهو منكب على أدوات الزراع يصلحها فى نشاط وهمة ؛ وانصرفت وأنا أدير فى رأسى قصة القمح وقصة الفجل ، أو قصة الشيخ الذى تعلم وبأ كل الربا أضعافاً مضاعفة ، وقصة النجار الذى لم يعرف غير أدوات تجارته ويتصدق بعمله على الزراع فى رمضان ويأبى أن يكون وقد أربى على السبعين كلا على إنسان .

الخفيف

«لا» ... ذلك أن للأدب على الدولة حقاً أخطر من هذا كله، وأجل من ذلك كله ... إن على الدولة أن تمين الأدباء بالمال تعفيهم به من تكاليف العيش وضرورات الحياة ليفرغوا للأدب وللفن ... وإن على الدولة أن تريح الأدباء «الموظفين» من أعباء وظائفهم الثقيلة التى تقتطع أعمارهم وتقتل مواهبهم وتميت أرواحهم، أو على الأقل أن تجعلهم فيما ينبغى لهم من أعمال تتفق وميولهم وتمكنهم من الإنتاج الأدبى النافع، فلا يعيش الأستاذ مصطفى صادق الرافعى حياته فى زاوية من زوايا محكمة طنطا! ولا يقضى الأستاذ محمود عماد عمره فى ركن منزو من أركان وزارة الأوقاف!

وإن على الدولة أن تبتاع ما ينتج الأدباء من مؤلفات بأثمان طيبة كريمة وتنشرها على الناس غذاء لأرواحهم وعقولهم فترفع بذلك الذوق العام، وتربى ملكة تذوق الفن الرفيع بين أفراد الشعب، وتباعد بينهم وبين الأدب الرخيص المائع الذى يسرى فى نفوسهم سماً وميوعة وانحلالا ..

وإن على الدولة أن تيسر للأدباء سبل الانتقال لا فى أرجاء بلادهم فقط بل فى البلاد الأخرى وبخاصة البلاد العربية الشقيقة ليستزيدوا من أدبها ويتعرفوا إلى إخوانهم الأدباء فيها وليكونوا سفراء الفن والحق والجمال إلى أبنائها ..

إن على الدولة للأدب أن تفعل له هذا وأكثر من هذا، وإن الأدباء لحريون منها بالعناية والرعاية والالتفات، فإذا نهض وزير أديب يعرف حقوق الأدب ببعض هذا الذى يجب على الدولة أن تنهض به، صاح به الصائحون من كل جانب، ورفعوا عقائرهم يضجون بالشكوى من المال المضيع، والاستغلال القبيح، والظلم الفادح!

إن هذا الوزير الأديب نهض كريماً مشكوراً يؤلف جماعة منهاجها «أن تعمل على نهضة الأدب بإيقاظ الذهن العربى وحسن توجيهه لأبعد آفاق المجد والسؤدد وتشجيع نوابغ المفكرين النابهين من رجال القلم، وتجد فى توثيق الأواصر بين الأدباء فى مصر ثم توثيقها بينهم وبين أدباء العالم العربى والجامعة لا تحتكر الأدب العربى بل هى تغتبط وتبتهج بكل من يدعون للنهوض به أفراداً كانوا أو جماعات وتمد يدها مخلصة لكل جمعية تنحو نحوها وتسير على نهجها بعيدة عن السياسة والحزبية بعدها عن الأغراض الذاتية»(1) وجمع حوله طائفة من كرام الأدباء والشعراء لهم نشاط ملحوظ وآثار عديدة ومشاركة خصبة فى الأدب والفن؛ وأقاموا عدة مهرجانات أدبية لمناسبات قومية ووطنية وأدبية صرخ فيها شعراؤهم، وخطب فيها خطباؤهم. فاستوى ذلك كله كتاباً سموه «أدب العروبة» كان مجموع نتاجهم فى عام!

هذا الكتاب هو ما نقدم للحديث عنه بهذا الكلام، ونحن — فى كلمات متعاقبة — عارضون هذا الكتاب عرضاً عادلا منزها عن الهوى، ناقدون ما احتواه نقداً مبرأ من الغرض ودخائل النفوس، لنجلو للناس بذلك آثار أول جماعة أدبية فى مصر رأسها وزير قائم، وأديب حاكم، لم تشغله حكومته عن الالتفات الكريم إلى الأدب والأدباء.

على متولى صلاح

---

(1) ما بين القوسين من كلام معالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة باشا

أشواق على السين :

في الربيــــع

للأستاذ محيي الدين صابر

« رف فجر ، وتندت أرض ، وتحركت حبة ، وهبط عصفور ... وعبرت نسمة ... وأنصت شاعر ! ! »

رفَّ فجرٌ تمثر النور والعط   ر عليــــه كأنه مخمور !
شرقت صفحتاه بالشمس والظل   يغنــــى نور ويرقص نور
والأمانى فى أفقه يتــــواثـ   ـبنَ كما خفَّ فى الرُّبى عصفور
والأغانى فى معبر النسم السا   رب ، همس مصبغ مسحور
إنه البعث راجفاً ، ينفض القيـ   ـد حياة ، يمتدُّ فيهـا الربيع!

***

وتندت أرض وأرعشها الخصـ   ـب ابتعاثاً كأنه محمــوم!
زخرت بالحياة ، وامتلأت دفـ   ـئاً كما تحمل السلاف الكروم
واستفاقت ، تناغم الفجر فاندا   ح حنين فى صدرها مكتوم
وسرى من فؤادها العاشق البكـ   ـر ، حديث معطر منغوم !
إنه البعث راجفاً ، ينفض القيـ   ـدَ حياة ، يمتدُّ فيها الربيع !

***

وصحت حبــــة ، ودغدغَ جفنيـ   ـها ظلام من حولها مرطوب !
فاستجاشت تستلفت النور فارفضـ   ـخيال فى ذاتها ، مشبوب !!
واستطالت فى الأفق ، فهى حياة   وظلال مصبوغة وطيوب !
بين أفنانها أهازيج ... منهن   شفاه مخمورة وقلوب ! !
إنه البعث راجفاً ، ينفضُ القيـ   ـدَ حياة يمتد فيها الربيع !

***

واستوى . بلبل على غصُن رخـ   ـو .. فهزته خشمة وسجود
نشوة كله ... وفى العش دنيا   زحمت أفقها الرؤى ووجود !
منشد كله لهـــاة إذا غنى   وحلم فوق الرُّبى ممدود ! !
وهو كالنـــور كله فى جناحـ   ـين : انطلاق وسبحة وشرود !
إنه البعث راجفــــاً ينفض القيـ   ـدَ حياة يمتدُّ فيها الربيع ...

***

شهد الغصن أنه راقص الحس ... فيصغى فى نشوة أو يميل
ملأت نفسه على العش نجوى   قصــة بها غرام ... جميل ..
قصة العش كل حين ، وفى كل   مكان ... على الحياة دليل ! !
فى جناح الفراش ، أو وجنة الزهر ، ومن حيث للرعاة سبيل !
إنه البعث راجفـاً ينفض القيـ   ـدَ حياة ... يمتد فيها الربيع ...

***

وَسرت نســــمة تسرب فيها   جدول فضٌّ ذاته ... أو غدير !
جرْجرَت نفسها على الزهر فى كل   رباة ... فوقفــة أو عبور . !
لملمت كل خاطر وَخيال هو فى المرْ   ج . دافق مفجـــور ..!
ومشت تنقل الحيـاةَ على كلّ   طريق فكله معمورُ ... !
إنه البعت راجفـاً ينفض القيـ   ـدَ حياة يمتد فيهـا الربيع

***

وتلاقت .. مواكب : فحبيب   ينثر الشوقَ فى يديه حبيب !!
وغريب مشى الحنين .. بعطفيـ   ـه خشوعاً يأسو هواه غريب !
إنها صحوة الحيــــاة ... ففيها   كلُّ معنى من روحها مسكوب
هكذا عاد فى الرَّوابى حديثٌ   كلما آبت الروابى يؤوب .!
إنه البعث راجفاً ، ينفض القيـ   ـدَ حياة يمتد فيها الربيع . .

***

وعلى صــــخرة تجللها العشـ   ـب على الدرب شاعر مسكين!
عبرته الرعاة . . فهى تغنــــى   من بعيد كما استدارت ظنون
وهو ، والناىُ فى يديه ، وفى عيـ   ـنيه جوع وفى الضلوع حنين
ظامئ الحس للحيــاة وللنـو   ر وللغيب وهو فيه دفين . !
إنه البعث راجفـاً ينفض القيـ   ـدَ حياة يمتد فيها الربيع ...

***

أيها الضاربون فى وحشــة الليـ   ـل ... أماناً ، فللصباح رجوع!
أيهـا الراكبون فى وقدة البيـ   ـد ... احتمالا . قدامكم ينبوع!
أيهـا الراجفون فى غضبة البحـ   ـر ... سلاماً ، فللرياح هجوع
أيهـا الصاعدون قد دنت القمـ   ـة بشرى ، غداً يجىء الجميع!
إنه البعث راجفـاً ينفض القيـ   ـدَ حياة يمتد فيهـا الربيع ...

***

هكذا يطلق الربيعُ المعانى   وهى فى قبضة الشتاء تنوح ...
رُبَّ معنى يستنبت النور منه   وهو معنى بين الظلام جريح !

الأدب والفن في أسبوع

اتهام الأدباء :

كان الاتهام فى هذا الشهر بمجلة الهلال من نصيب الأدباء ، فقد كتب بها الأستاذ طه خطاب طه بعنوان « أتهم الأدباء » فوجه إليهم أربع تهم :

١ – تمرغهم فى أحضان السياسة الحزبية وتقلبهم مع الوزارات مما انحدر بأدبهم إلى درك التنابذ والتراشق بألفاظ الشتم والسباب .

٢ – الأنانية والاحتكار والقضاء على روح الطموح عند الأدباء الناشئين خشية المنافسة فى الصيت والكسب .

٣ – استغلال الشهرة فى نشر المقالات الهزيلة وإذاعة الأدب الهش الذى خلا من العمق وإعمال الفكر .

٤ – الانحدار بأخلاق الجمهور إلى المنحدر المائل ، بنشر الصور المثيرة والقصص المغرية .

وأنا أخالف الأستاذ طه فى بعض هذه التهم ، وأوافقه فى بعض ، فاشتغال الأدباء بالسياسة الحزبية لا يعيب أدبهم ، ولو نالهم رشاش من إسفاف الأحزاب عندنا ، وهو لون من جهاد الأقلام على أى حال ، على أن الأدباء ليسوا جميعاً مشتغلين بالسياسة بل أكثرهم منصرفون عنها ، أما المتلونون مع الوزارات فما هم بالعدد ولا النوع الذى يؤبه له ، فلا ينبغى أن يوصم بفعلهم مجموع الأدباء ؛ وأما التراشق بالشتائم فقد كان فى أوائل هذا الجيل مستشرياً فى الأدب البحت أكثر مما هو فى السياسة اليوم وقبل اليوم ، بل هو يكاد ينعدم الآن بين خواص الأدباء .

وأؤخر التهمة الثانية لطول الكلام عليها ، كما كان يفعل أسلافنا من الأزهريين فى الشروح والحواشى ، فأقول إن التهمة الثالثة صحيحة لاصقة ... فإن كبار الكتاب قد استغلوا حقاً رواج أسمائهم فأجازوا بها الهذر وجعلوه مقالات تنشر ويؤجر عليها

ولكن التهمة الرابعة يا سيد طه ، هشة ... فالذين ينشرون الصور المثيرة والقصص المغرية قوم تميزهم من الأدباء ثرواتهم التى أصابوها من هذا الذى تعيبه !

ثم أعود إلى التهمة الثانية ، وهى المسألة العويصة فى هذه القضية ، إذ تختلط فيها الحقائق بالتهم الباطلة ، يقول الشبان إن الأدباء الكبار يحتكرون سوق الأدب حتى أنهم لا يمكنوننا من عرض بضاعتنا ، ويقول الكبار إنا لا نحتكر وإنما يقبل علينا الناس ، وقد تعبنا حتى وصلنا إلى هذه المنزلة . وتسأل الشبان إيضاحاً فيقولون إن الأدباء الكبار يشرفون على النشر ونقدم لهم فلا ينشرون لنا ويؤثرون علينا الأسماء المشهورة . وهذا حق يقارنه حق آخر : أن كثيراً من الناشئين يريدون أن يزاولوا الأدب بالإنتاج فحسب ... أى من غير درس ولا تحصيل ولا تخرج !

أما إيثار الأسماء المشهورة فهو ضعف بشرى عام ، مصدره الرغبة فى الرواج ، وهو فى الأدب وفى غيره ، وهو عند غيرنا كما هو عندنا ، والسبيل إلى التغلب عليه هو جهاد الناشئين الشاق الدائب . على أنه مما ييسر عليهم هذا السبيل أن هؤلاء الذين اغتروا بشهرتهم قد بدأت عروشهم تهتز لعكوفهم على لذة الكتابة الهينة اللينة وثقلهم بما يصيبون منها . ولكن المعضلة يا سيدى اللبيب الفطن هى : من يحل محلهم ؟ أو بعبارة أخرى هل هناك ثوار يقدرون على البناء إن قدروا على التقويض ؟

إخوانى الشبان ، لقد غضب بعضكم منى لأقل من هذا ، وستتم بهذا غضبتكم ، ولكنى أقول لكم مخلصاً صريحاً : إنكم

كلُّ شىء يهتز من رعشة الحس   وينساب بين جنبيه روح . !
ومشت يقظة تلفت فيها   ملء روحيها الربى والسفوح !
إنه البعث راجفاً ينفضُ القيـ   ـدَ حياة يمتدُّ فيها الربيع ...

***

هكذا تجمع الحياة ... معانيها ... وينمو من القديم ... جديد ..!
أبداً تصعد الحياة فما تنفـ   ـك صيرورة لها وصعود ...
إنها رغبة تضج بجنبيها ... وشوق يلح فيه الخلود ... ،
وامتداد ... وليس فيه حدود ... وانطلاق وما عليه قيود ... !
إنه البعث راجفاً ينفض القيـ   ـدَ حياة يمتدُّ فيها الرَّبيع ...

« باريس » محيي الدين صابر
السوربون

عُزّل ، فتسلحوا بالجد لتكسبوا المعركة ، كما تسلح وكسبها شيوخنا فى شبابهم إذ أجلوا شيوخهم عن الميدان .

وقد ترى أن ندع لغة السلاح والقتال ونتكلم بروح المودة نحو الأساتذة والآباء فنقول : تزودوا أيها الشباب لتأخذوا أماكنكم بجوار آبائكم ، لتحسنوا خلافتهم وقيادة جيلكم .

دفاع عن الكسل :

ظهر فى هذا الأسبوع مقالان فى الدفاع عن الكسل لكاتبين كبيرين هما الأستاذ عباس محمود العقاد والفيلسوف الصينى « لن يوتانج » الأول فى مجلة « الهلال » والثانى فى « المختار من ريدرز دايجست » .

ولعل ذلك الدفاع من فعل هذا الحر الذى يغرى بالكسل ، وإن كان لم يمنع من النشاط فى الدفاع عنه !

دافع الأستاذ العقاد عن الكسل ، فكان من أحسن ما جاء فى دفاعه قوله : « وإذا كان الأخيار فى هذه الدنيا هم القلة النادرة وكان الأشرار فيها هم الكثرة الغالبة ، فهل يكون ترك الأعمال فى جملته إلا تركا للخير القليل والشر الكثير ؟ وهل يكون الكسل إلا « عملا » يرجح فيه الكسب على الخسارة ، ويرى فيه الاطمئنان والأمان على الخوف والبلاء ؟

« قال أستاذ يدعى النشاط : إن العصفور المبكر يلتقط الدودة قبل إخوانه ... فأجابه تلميذ قليل الادعاء : ولكن الدودة المبكرة هى التى تموت فى منقار ذلك العصفور » .

وقد ذكرنى قول الأستاذ الكبير « فحسبى الآن أن أرضى بالدفاع عن الكسل كلما أفرطت الحركة من غير بركة ، كما تفرط فى هذا الزمان » بما كتبته فى الأسبوع الماضى عن نشاط كثير من الناس فى تأليف الكتب ، وذكرت ما سمعته مرة من أحد « الناشطين » فى التأليف ، وقد قلت له : إنى أراك تنفق أكثر وقتك فى زيارة دور النشر للحث على إنجاز طبع كتاب أولعرض كتاب آخر ، فمتى تؤلف هذه الكتب ؟ قال فى استهانة يطل من ثناياها الزهو : إننى أفرغ من الكتاب فى ليلة واحدة !

ألا ليت هؤلاء المؤلفين ، وأمثالهم فى غير التأليف ، يسكنون فما فى حركاتهم من بركة ...

أما الكاتب الصينى فقد جاء فى المقال الذى اقتطفه « المختار » من كتاب له ، فصل عنوانه « فن الكسل » بدأه بقوله « الثقافة بنت الفراغ والراحة . وأهل الصين يرون أن أحسن الناس ممارسة للكسل هو أحسنهم ثقافة ، ويبدو لهم أن هناك تناقضاً بين كثرة العمل والحكمة » وأحسبه يقصد بممارسة الكسل إراحة الذهن ليهضم على مهل وليسلم من الكد فيقوى على التفكير السليم وهو يرى أن من الفن الجميل أن تعرف كيف تدع الأعمال فلا تنجزها ، وأن تعرف كيف تصرف وجهك عن كل شىء لا ضرورة له .

ويقول « لن يوتانج » إن رذائل أهل أمريكا هى عند أهل الصين : قدرتهم على العمل ، ودقتهم فى أدائه ، وشدة حرصهم على النجاح ، ثم يوازن كسل الصينيين بنشاط الأمريكيين موازنة غريبة ظريفة ، لأنه يخالف فيها المقررات الاجتماعية المتفق عليها ، فالأمريكى يرى أن « مقاربة الإتقان ليست بكافية ، أما الصينى فهى عنده كافية كل الكفاية . لأنه يعتقد أن القدرة على العمل لا تدع لأحد فراغاً يروح فيه عن نفسه ؛ وأنها ترهقه بحرصه على إتقان الشىء الذى يعمله وضرب مثلا محرر مجلة أمريكية يقتل نفسه حرصاً على أن لا تظهر فى مجلته أخطاء مطبعية ، أما الصينى الحكيم فيسره أن يتيح لقرائه أن يستمتعوا بالرضى عن أنفسهم حين يعثرون على بضعة أخطاء يهتدون إليها بأنفسهم ، وأعظم من ذلك أن المجلة الصينية تستطيع أن تبدأ فى نشر قصة مسلسلة ، ثم لا تكاد تبلغ منتصف القصة حتى تسقطها من حسابها . ولو حدث مثل ذلك فى أمريكا لكان بلاء ماحقاً على المحرر » .

فهل لأستاذنا رئيس تحرير الرسالة أن يخفف من « أمريكيته » فى الحرص على خلو الرسالة من الأخطاء المطبعية ... ويأخذ بالحكمة الصينية فى ذلك . على أن لا يكون هذا فى باب « الأدب والفن فى أسبوع » ! !

ووسوس الشيطان فى صدرى ، لأصطنع « فن الكسل » فلا أكتب هذا الأسبوع ولا أعنّى نفسى بجمع الرحيق من هنا وهناك ، وأقضى الوقت فيما يوحيه إلى ذلك « الفن الجميل » ولكنى لم أستطب ذلك لأسباب أهمها شعورى باللذة من انتظام العمل الذى تستريح إليه نفسى . ومن هنا أدركت أن المسألة ليست مسألة حكمة أو قانون يوضع للجميع ، وإنما ذلك يتبع الأمزجة والطبائع ، فالكسل الذى يتمتع به الصينى لا يحب الأمريكى الخلود إليه لأنه يتمتع بالحركة الدائبة . بل يختلف أفراد

الأمة بل الأسرة الواحدة فى الميول والنزعات ، وكما تعمل عوامل البيئات فى اختلاف الأجناس والأمم ، تعمل مفرزات الغدد فى اختلاف الأفراد .

النهوض بالمسرح :

أثيرت مسألة المسرح المصرى فى الأيام الأخيرة ، إذ أبدى بعض رجاله والمهتمين به ألمهم وجزعهم مما وصل إليه ، وعملت بعض الهيئات الفنية على الدعوة إلى النهوض به ؛ فقد كتب الأستاذ يوسف وهبي بك نقيب الممثلين فى مجلة « دنيا الفن » مقالا بعنوان « المسرح المصرى يحتضر » قال فيه إن حالة المسرح المصرى اليوم هى بلا شك حالة النزع ، وألقى تبعة تدهوره على الحكومة لأنها أهملت إعانة الفرق المسرحية ، وقصرت عنايتها على الفرقة المصرية التى وصفها بأنها « أشبه بمؤامرة على الفن المسرحى المصرى » .

وأعلن اتحاد الفنيين المصريين دعوته إلى مؤتمر للمسرح المصرى يعقد بالقاهرة فى منتصف سبتمبر القادم ، تشترك فيه الهيئات الحكومية وكبار المشجعين للفنون الجميلة والمشتغلين بها فى مصر والعالم العربى .

والواقع أن المسرح فى مصر يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة ، فقد انفضت فرقه ، ولم يبق له إلا الفرقة المصرية التى ترعاها وزارة الشئون الاجتماعية ، وهذه الفرقة تضم صفوة الممثلين والممثلات فى مصر ، والحكومة تسخو عليها ، وهى مع ذلك تتعثر فى خطواتها ، ويظهر أنها قد استمرأت التوانى والتثاقل فى ظلال الحكومة فجعلت تعيش الزمن الطويل على بضعة روايات قد حفظ الممثلون أدوارهم فيها ومل الجمهور مشاهدتها ، وهى هى فى الشتاء وفى الصيف ، فقد لاحقتنا بها فى مصيف رأس البر ثم فى الإسكندرية ، فكان من الطبيعى ما منيت به من الإخفاق وفى يوم الأحد تضمن برنامج الإذاعة تمثيل الفرقة المصرية رواية لويس الحادى عشر بمسرح الهمبرا بالإسكندرية ، فإذا بنا نسمع فى الموعد المحدد لهذه السهرة تمثيلية « الموت ياخد أجازة » وهى من « مسجلات » الفرقة أيضاً ، وإذا بنا نسمع صوتاً فى أثناء الفصل الثانى يرتفع قائلا : (عاوزين نسحر !) وهذا يدل على ضيق النظارة بالتمثيل وقد يضاف إليه حر المكان الذى لا يطيقه الوافدون من شاطىء البحر ... وقد انقطع التمثيل فترة ، ثم استؤنف !

والذى نراه من أسباب هذه الأزمة المسرحية :

١ – ضعف حركة التأليف المسرحى ، فأكثر الروايات التى تعرض إما مترجمة أو مقتبسة ، والجمهور متعطش إلى المسرحيات المصرية القوية التى يرى فيها صورة نفسه .

٢ – إهمال الفرق الأهلية الذى أدى إلى قعودها عن العمل فانعدمت المنافسة بين المسارح .

٣ – عدم وجود المسارح الملائمة وخاصة فى الصيف ، وهذه القاهرة العظيمة ليس بها مسرح صيفى واحد وحبذا لو أنشىء هذا المسرح الصيفى وبجانبه آخر شتوى على أرض ثكنات قصر النيل التى اختلفت الآراء فيما يشغلها .

٤ – ارتفاع أسعار دخول المسارح الذى صرف الناس عنها إلى (السينما) .

وإقالة المسرح من عثرته إنما تكون بتلافى أسبابها ، ونرى من الأسباب المتقدمة أن أكبر الجهد فى إزالتها إنما يرجى من الحكومة ؛ ومادامت الدولة تعترف بأن المسرح اراق من وسائل التثقيف والتنوير فلابد أن تبذل ما فى وسعها لإحيائه وتمكينه من تأدية رسالته . وهى تنفق الكثير فى استقدام الفرق الإيطالية والفرنسية والإنجليزية للتمثيل بالأوبرا لفائدة الطبقات العالية ، فحق سائر الشعب عليها أن تيسر له موارد هذا الفن ، فتحقق « تكافؤ الفرص » فى التثقيف العام كما تعمل على تحقيقه فى التعليم المدرسى .

« العباس »



في أعقاب الثورة المصرية

(تأليف الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك)

وقف بنا صاحب العزة الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعي بك منذ عام عند المرحلة الثامنة من مراحل تاريخنا القومي الحديث ، بعد أن وضع بين أيدينا المجلدين العاشر والحادي عشر من معلمته التاريخية ، وهما اللذان صور فيهما ثورة سنة ١٩١٩ أصدق تصوير ، وما كان له أن يدعنا عند هذه المرحلة الخطيرة من تاريخنا حتى يظهرنا على ماوقع في أعقاب هذه الثورة من احداث ، وما تقلبت فيه من أطوار

انفجرت براكين الثورة المصرية في عام سنة ١٩١٩ فانبعث فيها غضب أربعين سنة ذاقت فيها البلاد من ظلم الإنجليز ألواناً وأنواعاً ، وقد وقفت الأمة في هذه الثورة صفاً واحداً كأنها بنيان مرصوص إذ كان الغرض الذي تجاهد من أجله واحداً وهو إسعاد مصر وتحريرها . وبحسبك أن تعرف أن هذه الثورة قد هزت أركان الأرض ، والتفت إليها الدهر ، وعلى زمجرة رعودها استيقظ الشرق كله ليأخذ في الحياة حقه ويسترد منها ملكه

ظلت هذه الثورة بروعتها وجلالها عامين كاملين ثم دب إليها داء الشرق المستعصي على الدواء — داء التفرق — فانتقل الجهاد من الميدان القومي إلى الميدان الشخصي ، وبعد أن كانت البلاد في ثورتها تسير على نهج مســــتقيم لا عوج فيه فإنها قد انقلبت في أعقاب الثورة تعتسف في سيرها ولا تهتدّى إلى طريق يجمعها وظلت أكثر من خمس سنين على اعوجاجها ثم فاءت إلى رشدها فجمعت شملها ولـكنها لم تلبث غير عامين حتى عاودها داؤها فافترقت — ولا تزال وا أسفا ! !

وهذا الذي قد أصاب البلاد بعد ثورتها من فرقة واختلاف قد تولى بيانه ودراسته مؤرخ هـــذا العصر الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعي بك في مؤلفه الجديد (في أعقاب الثورة المصرية)

ظهر الجزء الأول من هـــذا الكتاب وقد بدأه حضرة المؤلف بتفصيل القول في الانقسام الداخلي الذي أصاب البلاد في سنة ١٩٢١ وما جرى على أثره وانتهى إليه ومضى يتحدث عن الوفد الرسمي وما ثار حوله من خلاف كبيرأدى إلى خذلان الأمة وضعفها ، وتكلم بعد ذلك عن تصريح ٢٨ فبراير الذي استخلصه ثروت باشا من الإنجليز وتأليف حزب الأحرار الدستوريين ؛ ثم أشار إلى العقاب التي أقيمت في سبيل ثروت باشا فأودت بوزارته وذلك بعد أن قامت لجنة الثلاثين بوضع مشروع الدستور المصري ، وواصل الحديث عن وزارة نسيم باشا وما كانت تحاوله من مسخ مشروع الدستور وإلى كفاح جميع الأحزاب في هذا السبيل حتى ظفرت البلاد بدستورها بعد أن حذف منه كل ما يتصل بالسودان ، وأخذ يتقصى ما توالى من الحوادث بعد ذلك من تأليف حزب الاتحاد في سنة ١٩٢٥ والانتخابات التي أجرتها حكومته ، وما انتهى إليه الأمر من ائتلاف الأحزاب في سنة ١٩٢٦ والانتخابات التي دعا إليها هذا الائتلاف وتأليف الوزارات الائتلافية ، وزارة عدلي باشا في يونية سنة ١٩٢٦ ووزارة ثروت باشا في ابريل سنة ١٩٢٧ ، وظل يساير الحوادث ويعللها إلى أن مات سعد في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧

هذه لمحة دالة على بعض ما جاء في هذا الكتاب الذي نتحدث عنه اليوم . وليس الشأن في عرض الحوادث وإيراد الوقائع لأن ذلك أمر يسير على من يتتبعها أو يتطلبها وإنما الشأن كل الشأن في تعليل هذه الحوادث والحكم عليها بالحق والعدل من غير مجاملة ولا خوف رضى الناس عن هذا الحكم أو غضبوا

لقد كانت الحقبة التي بين سنة ١٩٢١و١٩٢٦ من أصعب الحقب التي مرت على البلاد ، فيها اجتازت القضية المصرية أشق مراحلها وأوعرها وذلك بما تجلى فيها من الصراع الداخلي بين زعماء البلاد وقادتها ، وكان منشأ الخلاف التنازع على رئاسة المفاوضات واستمر لهيب هذا الخلاف حتى شمل البلاد جميعاً فانقسمت الأمة

شيعاً وتفرق جمعها بدداً ، والتنازع ولاريب يؤدى إلى فشل الأمة وذهاب ريحها ، ثم امتد هذا الخلاف إلى الدستور وكيف تحكم البلاد ، وقد كان كل حزب يعمل فى هذه الحقبة لنفسه ، ولا يريد إلا أن تكون البلاد تحت حكمه

من أجل ذلك كله وغيره كان تاريخ هذه الحقبة ثقيلا لا تنهض به إلاالنفوس الكبيرة التى لاتؤثر على الحق شيئاًولاتهاب فى سبيل الجهر به أحداً ، وهذه الصفات لا تتوافر إلا فى مثل المؤرخ الجليل عبد الرحمن الرافعى بك ذلك الذى قضى ما قضى من عمره المبارك فى سبيل خدمة بلاده بإخلاص وأمانة

ولا ريب فى أن مؤرخنا الجليل قد أدى فى هذا الجزء مايؤدى المؤرخ الصادق الأمين فأخرجه فى أصدق رواية وأوفى بيان وأحسن معرض وهى شنشنته التى عرفناها منه فى سائر المجلدات التى تتألف منها موسوعته التاريخية العظيمةوقد بلغت اثنتا عشرة مجلدة

وإن مثل هذا العمل العظيم ليوجب على كل مصرى أن يسدى له من أجله أطيب الثناء وأجل الحمد .

ابن وضاح

عثمان بن عفان

(تأليف الأستاذ صادق إبراهيم عرجون)

هذا كتاب لم يزل موضعه خالياً فى المكتبة العربية حتى جاء الكاتب النابغة الشيخ صادق ابراهيم عرجون الأستاذ بكلية اللغة العربية فملأ هذا الفراغ . ومنذ قرون طويلة والراغبون فى المعرفة يتلفتون ذات اليمين وذات الشمال ليجدوا مخرجاً يطمئنون إليه فيما أحاط بالخليفة الراشد عثمان بن عفان من فتن وأحداث ، وقد كانوا يجدون الكلمة والكلمتين فى الفينة بعد الفينة ولكن ذلك لم يكن يروى غلة المتعطش إلى وجه الحق فى هذه الأحداث فيبقى حائراً مبلبل الفكر ، مضطرب الرأى ، يضرب على غير هدى ، ويخبط فى ظلمات مضلة ، مما حدا بالعلماء من قديم إلى أن يغلقوا باب الخوض فيما كان بين الصحابة من خصومات ومقاتلات (رحمة بالناس أن تزل بهم قدم الشبهات ، أو ينفلت من يدهم معيار التقدير للحوادث وبواعثها ، والأشخاص ومقاصدها ، فلقنوا تلاميذهم ، وأخذوا عليهم أن يلقنوا تلاميذهم جيلا بعد جيل هذا المبدأ . وأول التشاجر الذى ورد تمكينا لحسن الظن بأولئك الأسلاف الذين بنوا أضخم بناء فأحسنوا تشييده ، ووطدوا تأسيسه ، فعجز الخلائف عن حراسة هذاالبناء العظيم بأعمالهم ، ولم تبق لهم إلا ألسنة لو أطلقت من عقلها بغير رقابة لقالت فى السابقين الأولين [1] » بيد أن هذا الحجر على العقول والأفكار لم يمنع أن يقول الناس وأن يتقولوا وأن يخوضوا فى هذه المعتركات بما شاء لهم العقل والهوى ، والإيمان والكفر، فكان من الحتم أن يتناول الباحثون هذه المسائل بشىء كثير من البسط والإيضاح حتى تطمئن العقول إلى الرأى السديد ، وتبصر الحق واضحاً جلياً ، وكان الأستاذ عرجون أبلغ من تصدى لموضوع عثمان بن عفان فأخذ المسألة من جميع أطرافها ، وتناولها من ألفها إلى يائها كما يقولون ، فدرس درساً مستفيضاً ووازن بين الروايات وأحسن وزنها وأخرج للاسلام وللعربية هذا الكتاب . وقد حاول المؤلف القضاء على كثير مما وقر فى أذهان الخاصة والعامة مما يقدح فى سلامة تصرفات ذى النورين ، وقد وفق فى كثير . وأنه ليحسن الحجاج ، ويوفق فى الجدل ، ويرمى برأيه غير هياب ولا متردد ، إقرأ إن شئت قوله ص ٨٦ (لقد وقع فى أوهام كثير من الناس ، وتحدر إلى منازل التاريخ ، ولقن شباب المسلمين فى المدارس، ومعاهد التعليم، أن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان ضعيفاً فى موقفه إزاء هذه الأحداث العاصفة ، أو كان مستضعفاً يساق إلى ما يراد . وهذه غلطة تاريخية خطيرة فى حق ثالث عظماء الإسلام ، يجب على كل مسلم سليم العقيدة صحيح الفهم لتاريخ الإسلام أن يعمل على تصحيحها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فما كان أيسر على عثمان — لو أراد — أن يصنع صنيع يزيد بن معاوية فيتخذ له ولاة من نظائر زياد (كذا) وابنه عبيد الله ، أو مثل صنيع عبد الملك بن مروان وابنه الوليد فيحكم فى رقاب المسلمين أشباه إخيفش ثقيف ممن استباحوا البلاد وأذلوا العباد حتى تدين له الدنيا ويصفو له الملك) ثم يردد هذا المعنى فى موضع آخر فيقول (وهل كان عثمان رضى الله عنه عاجزاً أن يتخذ لنفسه « حجاجاً » يجعله جلدة ما بين عينيه

(١) عثمان بن عفان ص ١٥

ويسلطه على أبشار الأمة بسياط القهر والجبروت ، ويطلق يده في دمائها يعب منها ما يشاء حتى تخضع وتذل ، وحوله من ذؤبان العرب ، وفتيان أمية ، من يستطيع أن يصطنع منهم العدد الكثير ممن غلظت أكبادهم ، وقست قلوبهم ؟) . وهكذا يمضى المؤلف قوياً متحمساً يدفع عن عثمان ما « وقع فى أذهان كثير من الناس »

ولا يمكن من يكتب عن هذا الكتاب أن يتجاهل أسلوب المؤلف فيه ، هذا الإسلوب الناصع الديباجة ، القوى الأسر ، العربى الرصين ، وإن ذلك تجده فى كل صفحة من صفحات الكتاب

هذا وإننا لنقف قصيراً مع المؤلف فى هذا النهج الذى انتهجه ، فقد جعل اللبنة التى أقام عليها بناء كتابه دراسته لأخلاق عثمان الشخصية ، وذلك حين يقول : (وقد تأكد عندى أن أعدل ميزان لوزن الرجال وتقدير أعمالهم ، ومعرفة الصحيح من الزائف فيما ينسب إليهم ، وكتابة سيرهم كتابة تقربها من الحق والإنصاف إنما هو دراسة أخلاقهم الشخصية ، وتعرف أحوالهم فى حياتهم حتى يمكن الباحث أن يصنع من هذه الدراسة « صنجة » يزن بها كل ما يصادفه فى طريق البحث من رأى أو مذهب أو رواية (١)) ثم أن هذه « الصنجة » قد حررت الميزان فى كثير إلا أنها لم تنفع فى بعض الأحايين ؛ فإن المؤلف درس أخلاق عثمان الشخصية ، واتخذ منها أساساً يبنى عليه حياته العامة ، فكان متجهه دائماً تبرير أعمال عثمان ، والتماس الصواب ولو كان بعيداً . وهذا وإن أرضانا كمسلمين فإنه لا يرضينا كباحثين متطلبين لوجه الحق فى أحداث التاريخ . وإنه ليسر كل مسلم أن لا يجد مطعناً فى أعمال صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن كيف وليس أحد معصوماً إلا الأنبياء ، على أن الباحث حين يصل به البحث إلى أن يأخذ على عثمان شيئاً لا يكون بذلك قد أغضب العقيدة الصحيحة ، ولا يكون إسلامه مدخولا) وإن له فى ابن عمر رضى الله عنه لأسوة حين سئل عن فرار عثمان يوم احد فأجاب « أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له » وهذا المذهب الذى ذهبه الأستاذ فى التأليف جعله يبرر أعمالا لا يطمئن المنصف إلى تبريرها ، فأى وجه للصواب فى موقف عثمان من جهجاه الغفارى الذى يقول الأستاذ فى تبريره » ولين عثمان وحلمه أطمعا جهجاها الغفارى فى أن يأخذ من يد عثمان وهو على المنبر عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كان يخطب بها فيكسرها) ؟ وهل تساس الجماهير بمثل هذا الحلم ؟ ان قائلا لو قال : كان هذا منتهى الضعف من عثمان رضى الله عنه ، وكان بعيداً كل البعد عن سداد السياسة الرشيدة الحازمة ، لو قال ذلك لم يبعد عن وجه الحق . كما أن المؤلف أطال الدفاع عن عثمان فى إيثاره أقاربه ، واختصاصهم بعطفه وبره دون أهل السابقة من الإسلام ، ولكنه مع ذلك لم يقرطس الهدف ، ولم يبلغ الغاية . ولا يزال هذا الأمر يحيك فى النفس . وقد أعجبنى من المؤلف أنه قدم بين يدى القول فيما كان بين على وعثمان اعتذاراً عن معالجة هذا الموضوع ، والأخذ فيه « هذا الفصل لم يكن القلم فيه بليل الريق ، طيع القادة ، ولكنه كان وقافا ، كثير التلفت ، كثير الحذر ، وأنا اشهد الحق أنى عذرت قلمى ، وعذرت نفسى ، فإن عذرنى الناس فنعما هى ، وإن أبوا فما أحب أن أرضيهم بسخط الله تعالى وسخط البحث ، وإن من حق البحث على الباحث أن يترفق به فى المضايق ، وأن يتئد معه فى الخطو عند المزالق ، وأن يتثبت عند اشتجار الآراء ، واختلاف المذاهب ، وتضارب الروايات » (١)

ومهما يكن من شىء فلا يسعنا إلا أن نشهد للمؤلف الفاضل بالبراعة ، وقوة الحجة ، وسداد المنطق ، وهى فضائل شاعت فى أكثر فصول الكتاب ، وحسب مؤلف فى هذه الفتن العمياء من تاريخ الإسلام أن يكون هذا نصيبه ، وأنه لنصيب قل من الرجال من يظفر به .

على العمارى

(١) ص ١٦٤

(١) ص ١٦٤



خير الأمور الوسط :

حكمة تناقلتها الأجيال جيلا بعد جيل، وهي محتفظة بصدقها، سعيدة بذيوعها على كل لسان وفي كل مجال، ولكن الدكتور أمير بقطر جاء أخيراً وتنكر لها ونقضها من أساسها؛ فزعم أن « شر الأمور الوسط » وأن الناس جروا في حكمهم على غير الرأي الرشيد، وأنها حكمة وليدة الضعف والاستخذاء وفتور الهمة، وراح يحكم حكمه القاسي على هذا « الوسط » الذي وصفه الحكيم بأنه « خير الأمور » في مقاله الذي نشر في عدد سابق من مجلة الهلال الشهرية فيقول :

« إن أسهل الأشياء وأقلها خطراً وأسلمها عاقبة، الوسط، ولكنه أقلها إنتاجاً وأبخسها ثمناً، وأسرعها زوالا، وأخفها أثراً في النفوس. وما الرجل الوسط المسالم إلا ذلك الخامل الجبان الذي يخشى النقد ويتفادى الهجوم والدفاع ويسعى إلى السهل » .

من ذلك الطرف الذي نقلناه من صلب كلام الأستاذ في تجريح « الوسط » يفهم القارئ أنه حمل الكلمة على غير معناها اللغوي المقصود، وسار بها في غير وجهها، وحملها وزر المعنى العامي الذي تداولته الألسن في معنى الوسط، فظنوه القناعة من السعي والعمل والجد والدأب بما دون الكمال. ولعمري! إن طالباً ينال في درجات علومه ٦ من ١٠ وهي الدرجة المتوسطة ليس هو بخير التلاميذ.. بل إن خيرهم لهو صاحب العشر الكاملة

وهل يجترئ مجترئ على تسمية الرضا بما دون الكمال « خير الأمور » ؟!.. هذا ما لم يقل به أحد.

فللوسط إذن معنى لغوي حقيقي غير المعنى الذي تبادر إلى ذهن الدكتور.

الوسط محركة من كل شيء خيره وأعدله، قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » والمقام هنا مقام التمدح بالكمال

ويؤيده قوله تعالى في آية أخرى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » فهذه الأمة التي حكم الله بأنها خير الأمم هي التي جعلها أمة وسطاً .

ومما يدل أيضاً على أن الوسط غير ما فهمه الأستاذ قوله تعالى في سورة القلم « قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون » وأوسطهم الذي وقف منهم موقف النصح والإرشاد هو خيرهم وأعدلهم من غير شك .

وهذا ابن الرومي يقول في رثاء أحد أولاده :

توخى حمام الموت أوسط صبيتي ... فلله كيف اختار واسطة العقد

ولم يرد ابن الرومي أن يخبرنا أن ولده المتوفى هو الثاني أو الثالث ... وإلا كان مضحكا ! . ولكنه يريد أن يقول إن الموت اختار خير صبيته، ولذلك شبهه بواسطة العقد، والموت نقاد

فلعل الأستاذ الدكتور بعد الذي أوضحناه يعيد للحكمة اعتبارها بعد أن جرحها وتنكر لها، والرجوع إلى الحق فضيلة والسلام .

مصطفى محمد ابراهيم

المدرس بالمدرسة السعيدية الثانوية

الأدب بين مصر ولبنان :

علق « العباس » في العدد ٧٣٤ من هذه المجلة على كلمة لي نشرت في الجزء الرابع من مجلة « العالم العربي » تحدثت فيها عن عدم احتفال الأدباء المصريين بالأدب اللبناني. ولست أود هنا أن أثير الموضوع إثارة جديدة على الرغم من أنه ينبغي أن يُثار دائماً لمصلحة الأدبين جميعاً — وإنما يهمني أن أتناول عبارة وردت في تعليق « العباس » هي قوله :

« إن المؤلفين اللبنانيين لا يرضيهم أن ينقد أدباء مصر مؤلفاتهم نقداً حراً ... ويرون فيه غضاً من شأنهم، والمصريون أهل حساسية و « ذوق » وهم حريصون على مودة إخوانهم في العروبة » .

وهذا — في الحق — كلام عجيب في مخالفته للواقع وفي منطقه. فأين الدليل على أن المؤلفين اللبنانيين لا يرضيهم أن ينقد أدباء مصر مؤلفاتهم نقداً حراً ؟ وأي أديب لبناني يحترم نفسه

وأدبه غضب وثارحين نقد أحد المصريين كتابه ؟ أيكفى « العباس » أن يُلقى القول إلقاء دون ما حجة أو برهان حتى يصدقه الناس ؟

وأية تهمة يلصقها « العباس » بالأدباء اللبنانيين ، أهم سذّج إلى هذا الحد حتى لا يقدروا النقد النزيه ؟ وهل بلغ بهم ضيق الصدر والفكر أن ينكروا النقد الخالى من شوائب الأغراض ؟

ثم إن « العباس » يُطلق الكلام إطلاقاً دون ما تمييز ودون ما تفهم لنتائجه ، فإن القارىء يدرك من عبارته أن المصريين حين يودون نقد كتاب لبنانى ، فينبغى أن يهاجموه ويجرحوه ، سواء أ كان أهلا للجرح والمهاجمة أم كان أهلا للاطراء والثناء ...

وانظر ما أعجب هذا المنطق فى قول « العباس » : إن المصريين أهل حساسية و « ذوق » وهم حريصون على مودة إخوانهم فى العروبة » فأى شأن للعروبة هنا ؟ أترى اللبنانيين يتنكرون للعروبة إذا نقد المصريون أدبهم ، بل حتى إذا هاجوه مهاجمة ؟ ومن ذا الذى يقول إن العروبة تقتضى المصريين أن يُراعوا اللبنانيين فى أدبهم أو أن يداجوهم أو أن يسكتوا عنهم إذا كان فى الأدب ما يستحق النقد ؟

القضية ليست قضية « حساسية » و « ذوق » و « مودة فى العروبة » ! بالأمس كان إخواننا المصريون يعللون عدم اكتراثهم للأدب اللبنانى بضعف الدعاية لهذا الأدب ، ثم بارتفاع أسعار مؤلفاته ثم بكثير من التعليلات الأخرى ...

وها أن « العباس » اليوم يطلع بتعليل جديد : هو أن اللبنانيين لا يرضيهم أن ينقد المصريون مؤلفاتهم نقداً حراً ... وغداً يأتى من يقول غير ذاك وهذا ...

الواقع أنه يجب أن نتكاشف ونتصارح : إن إخواننا الأدباء المصريين مقصرون فى حق آداب البلاد العربية الأخرى ، فى لبنان وسوريا والعراق وفلسطين ، خلافاً لموقف هذه البلاد من أدبهم ... ويجب أن يعترفوا بهذا التقصير ، فهذا وحده يدعوهم إلى تلافيه وإلى سد نقصه ...

(بيروت) **سهيل ادريس**

الاستعمار الثلاثى :

لعل قراء الرسالة جميعاً قرأوا أو سمعوا بخبر تلك البدعة الفرنسية الجديدة التى ابتدعوها لنا فى السنوات الأخيرة ، وهى انتخاب ملكة الجمال فى مصر ، فى حفل عام ...

وكان آخرها ما أقيم بأحد (المراقص المشهورة) فى آخر ليلة من الشهر الأفرنجى المنصرم ، وفى منتصف شهر رمضان !

ولا نود أن نخوض هنا فى حديث دينى ، فلم يكن شهر رمضان لمثل هذه الحفلات ، ولكنه كان لشىء أكرم من هذا.

ولقد قام بتنظيم هذه الحفلة ، كما لعلك قدعلمت ، معهد كليتيا للتجميل من باريس ، ومعامل عطور لانسيل من باريس أيضاً !

ولماذا كان من باريس ؟

ولماذا لم يكن من لندن أو نيويورك ؟

لعل هذه القوى الثلاث — باريس ولندن ونيويورك — اتفقت فيما بينها على أن تضطلع كل واحدة منها بناحية من النواحى الاستعمارية التى تجيدها .

أما نصيب باريس فكان فى هذه الحفلات .

وهذا هو نفس ما حذر المارشال بيتان — مرشال فرنسا الجريح — أبناء بلاده منه ، وهو ما ادعى أنه كان السبب فى تدهور الفرنسيين وانحلالهم وهزيمتهم الشنيعة ، ودعاهم إلى التمسك ببعض الأخلاق !

والذى يعنينى من كل هذا ، ويؤلمنى ، هو أننا نحن الشرقيين دائماً ميداناً هؤلاء الغربيين وحقلهم الذى يجرون فيه تجاربهم ، بل مطاياهم وحميرهم !

فيا أيها الشرقيون عامة ، احذروا الاستعمار الأوروبى الثلاثى : السياسة الإنجليزية ، والقرض الأمريكى ، والجمال الفرنسى ! وبهذا وحده تفلحون ...

حسين الغنام

تطبيع واضح :

ظهر المقال الثانى من عشاق الطعام بالعدد الأخير من مجلة الرسالة الغراء مبتدئاً بهذه الفقرات « النهار طويل ممل ، والقيظ لافح محرق ، وقد هجم رمضان » وهذا كلام ليس فى موضعه ، وإنما هو تطبيع ، أفسد التركيب ، ورَكّك السياق .

محمد رجب البيومى



قصة إسلامية :

شيخ الأندلس

منقولة عن الإنجليزية

بقلم الأديب وهبي إسماعيل حقي

« مهداة إلى صديقي وأخي السيد محمود على عمرو مع تقديري وإعجابي ... ... »

كان الشيخ إدريس بن أحمد يقيم في إحدى المدن الأسبانية الجميلة التي يزدان بها شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، ذلك البحر الذي كان يحق أن يطلق عليه في ذلك العهد « بحر المسلمين » فقد كانت مياهه تتدفق في أراض إسلامية ، وكانت أعلام المسلمين تخفق على شاطئيه بالعدل والحرية والإخاء والمساواة ، وتملأ القلوب هيبة وتوقيراً للمؤمنين الذين عمرت أفئدتهم بالثقة بالله فلكوا الدنيا ودان لهم العالم .

وكان منزل الشيخ في الجانب الساحلي من تلك المدينة كعبة القاصد وملاذ المحتاج ، وقد كان الشيخ واسع الغنى وافر الثروة ، وقد اصطلح الناس على تسميته شيخ الأندلس لغناه الفاحش وثرائه العريض ولم يكن قد ورث الغنى عن آبائه ولا عن أجداده ولا كان من الذين ولدوا وفي أفواههم ملعقة من ذهب كما يقول المثل ، ولكنه جمع هذه الثروة بجده وكده حتى أضحى الذهب يسيل من بين أصابعه

ولد إدريس من أبوين فقيرين في جزيرة العرب ، ونشأ في ظلال الحاجة وتربى في ربوع الفاقة ، لكنه نشأ قوى الإيمان ، صادق العزيمة ، متين الخلق ، وخاض معترك الحياة ، لا يعرف الملل ولا يتطرق إليه اليأس حتى وصل إلى قمة المجد في الغنى والجاه ولكن في غير وطنه ؛ فقد أبى الحظ أن يبتسم له في جزيرة العرب ، وضن عليه حتى بلقمة الخبز يتبلغ بها ، فكان ينتقل بين المدن والقرى يبحث عن عمل يستدر منه قوت يومه ، ولكن نحس الطالع كان يلازمه أينما حل ، وسوء المصير كان يتعقبه حيثما سار ، ومع ذلك لم يدع اليأس يتسرب إلى قلبه وكان دائماً يردد في ثقة المؤمن ، وإيمان الواثق قول الله تعالى « ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » وكان يحس في ترديدها برد الراحة واطمئنان القلب ، وهدوء البال ، وينسى ما يلاحقه من فشل ثم يبدأ جهاداً جديداً ، وهو أتم ما يكون يقيناً أن الله سيجعل بعد عسر يسراً .

ولما طرق كل المناطق في جزيرة العرب ، وانسدت في وجهه كل أبواب الرزق ، شخص إلى الشام ليجرب حظه هناك ، ولينتظر قضاء الله فيه ... ولكن الدنيا وانته في « سوريا » وتحول فيها مجرى حياته ، فقد كان يؤدي صلاة الظهر في أحد مساجد دمشق فلما قضيت الصلاة ، وانتشر الناس في الأرض ، ولم يبق في المسجد إلا أفراد معدودون ، انزوى في ركن من أركانه بجوار أحد الأعمدة ، وغرق في بحر من التأمل والتفكير ، فاسترعى نظره رجل إلى جواره ، مهيب الطلعة ، طلق المحيا ، جسيم وسيم ، فانتقل إلى جواره ، وبعد أن حياه قال له :

— من أي بلاد الله أنت أيها الشيخ ؟ فليس على وجهك طابع هذه البلاد ؟ . فقال له إدريس :

— إني من بلاد الحجاز يا سيدي ، وقد صدقت فراستك .

— ولماذا نزحت إلى هنا ؟

— لأبحث لي عن عمل أرتزق به

— أتجيد القراءة والكتابة ؟

— ما أنا بقارىء ولا كاتب .

— وماذا تمتهن إذن ؟

— إنني ماهر في تربية الخيول وركوبها ، وحاذق في الرماية وإصابة الهدف .

— عجيب جداً ! كيف تكون كما تقول ولا تجد لك عملا ؟

— هي إرادة الله يا سيدي ، وليس هذا عملا من محاً عندنا ؛ وعلى المسلم أن يرضى بما قسم الله له ، وأن يكد ويسعى في طلب

العيش من وجه حلال ، وما وراء ذلك فالأمر موكول فيه لله عز وجل .

— اسمع يا أخى !.. إننى غريب عن هذه الأوطان ، وقد جئت هنا للتجارة ، وسأرجع إلى « الأندلس » وطنى ومسقط رأسى بعد أيام قلائل ، وسأكون سعيداً إذا رافقتنى إلى بلادى وقبلت أن تعمل معى .

— إنى أقبل شاكراً ، ولكن أى عمل تكل إلى أداءه ؟

— قد سمعتك تقول آنفاً إنك فارس مبدع، وراشق ماهر. سيكون هذا عملك ، لأنى سأنيط بك حراستى فى حلى وترحالى .

— ستجدنى إن شاء الله صابراً ، ولا أعصى لك أمراً .

— ذلك ما كنا نبغى .

ولم تمض إلا أيام تعد على أصابع اليد حتى كان إدريس يرافق القافلة الصغيرة إلى بلاد الأندلس ، ويقضى النهار فى حث الإبل على مواصلة السير . فإذا ما جنَّ الليل . . . وادلهمت جوانب الكون ، حطوا رحالهم ، ونصبوا خيامهم ، وامتشق إدريس ورفاقه سيوفهم ، وقضوا الوقت فى حراسة المتاع ، والحفاظ على التاجر .

وبعد رحلة شاقة ، وسفر ، بلغت القافلة مرفأ على الشاطىء الإفريقى المواجه لبلاد الأندلس ، اعتاد التاجر أن ينتقل منه إلى الشاطىء الآخر ، وكان إدريس — طوال هذه الرحلة — مثالا للرفيق المخلص ، والحارس الأمين ، دائب السهر على خدمة سيده ، مجداً فى تهيئة الراحة له ، حتى انتزع إعجابه ومحبته ، ونال رضاه وتقديره ، ولقد كان للبيئة الإسلامية التى تربى إدريس فيها كبير الفضل فى غرس الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة فى نفسه ، فنشأ مخلصاً أميناً ، وفياً كريماً ، فانطوت القلوب على محبته ، وامتلأت النفوس له احتراماً .

ولقد تهيأت الفرصة التى تجلى فيها إدريس على حقيقته ، وطبعت فى قلب سيده حبه فى أعنف مظاهره ؛ فقد حطت القافلة الرحال على نصف ميل من المرفأ فى ليلة اعتكر ظلامها ، وخبا نجمها ، وجعلت خيمة التاجر فى الوسط ، وأحاطتها بسائر الخيام وكان عليها أن تعسكر فى هذا المكان أسبوعاً كاملا إلى أن تعود السفينة التى تتنقل بالمسافرين من شاطىء إلى آخر ، وكان التاجر قد طال غيابه عن أهله ووطنه ، فحمل فى عودته كثيراً من التحف النادرة ، والهدايا الثمينة ، والأوانى الذهبية ، ليتحف بها ذويه وعشيرته الذين برح به الشوق إليهم ، وكانوا جميعاً يقضون النهار فى الراحة ورعى الدواب ، ويقضون الليل فى السهر والحراسة .

وإنهم لفى أصيل يوم من الأيام يتأهبون لعملهم الليلى إذ لاح لهم عن بعد نقطة سوداء ، فوق صفحة الماء ، كانت تزداد كبراً ، كلما ازدادت منهم قرباً ، ولقد تبين فيها حراس المرفأ سفينة صغيرة ، « للقراصنة » فبذلوا جهدهم لإبعادها عن الشاطىء ، ووزع الضباط رجالهم على الساحل ، ليتبادلوا الحراسة طول الليل ، وكذلك فعل رجال القوافل الذين كانوا فى انتظار السفينة لتقلهم إلى الشاطىء الأسبانى عند ما علموا أن المركب « للقراصنة » وأنهم سينالون منهم لا محالة ....

وقد أمر التاجر رجاله أن ينظموا خطط الدفاع والمقاومة ، وأن يتبادلوا مع إدريس المشورة والحراسة ، وكان الظلام قد أسدل ستراً كثيفاً على الخيام ، ولف الكون هدوء شامل ، عند ما فوجىء القوم بضجة وجلبة على الشاطىء ، وعلموا أن القراصنة أقرب إليهم من حبل الوريد ، فقد أرسوا سفينتهم ، ونزلوا إلى الأرض فى مكان لم يقدر الحراس أنهم يستطيعون النزول فيه فأهملوا حراسته .

كان إدريس قد غادر موضعه إلى ظاهر الخيام ليقضى حاجته ، وترك رفاقه يحرسون المتاع ، وقد أخذوا الأهبة وأعدوا الاستعداد، ولكن القراصنة كانوا حريصين على أن يصلوا إلى أغراضهم عن طريق الحيلة من غير أن يستعملوا سلاحاً ، أو يريقوا دماء ؛ فهم يعلمون أن المسافرين يكثرون من الأتباع لحراستهم ومرافقتهم ، وأن هؤلاء الأتباع يستهويهم المال ، فنادى رئيس القراصنة وقائدهم قائلا :

— أيها الحراس ! يا من ترافقون القوافل من أجل المال ! إنى أعدكم أننا سنشاطركم متاع هؤلاء التجار إن أنتم ألقيتم السلاح وعاونتمونا فى حزم وحمل الأمتعة إلى الشاطىء وسنتحملكم على سفينتنا إلى حيث تريدون .

(يتبع)

وهبى إسماعيل حقى

عضو البعثة الألبانية بالأزهر الشريف

مَطْبَعَةُ الرِّسَالَةِ

العدد ٧٣٧ – الاثنين ١٨ أغسطس ١٩٤٧ – السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

15 em Année No. 737

Lundi — 18 — 8 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٧٣٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ شوال سنة ١٣٦٦ — ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

بين الروحانية والمـــادية

للاســـتاذ عباس محمود العقاد

« ... وعلى سبيل الاستفسار أوجه إليكم الأسئلة الآتية بعد قراءة ردكم على نقد الأستاذ اسماعيل مظهر لكتابكم عن الله راجياً أن تتفضلوا بالإجابة عنها فى الرسالة الغراء :

١ - أليس هناك وجه من الصواب فى وجوب التفرقة بين الوجود والموجود وبين العدم والمعدوم فى الكتابات الفلسفية ؟ فإن الكاتب الأديب قد يجوز له أن يستعمل إحدى الكلمتين بمعنى الأخرى من قبيل التجوز المقبول فى الكتابة الأدبية . ولكن هل يقبل ذلك فى لغة العلم والفلسفة ؟ .

٢ — هل من الضرورى أن يخلق العالم الطبيعى خليقة حية ليقول إن النواميس المادية تتسلط على الحياة ؟ ألم يصنع العلماء مادة البروتو بلاسم التى هى مادة الحياة ولا يبقى إلا الزمن لتشبه هذه المادة المصنوعة مادة الحياة ؟ ألا يحق لنا فى العصر الحاضر بعد كشف الذرة أن نقول إن العلم قد وضع سر المادة فى أيدى العلماء ... الخ الخ » .

الإسكندرية — صابر . م

***

أما فى مسألة الوجود والموجود والعدم والمعدوم فالأديب المستفسر قد عكس الأمر فطلب فى لغة العلم والفلسفة ما يطلب من الأديب ، أو طلب من الأديب ما يطلب فى لغة العلم والفلسفة

وقد جرت المناقشة فى هــذا الموضوع من قبل بين الرازى والصابونى فقال الإمام الرازى فى مناظراته : « إن كان غرضك إظهار الفرق بين التكوين والمكون بحسب اللفظ والعبارة فإنه يقال كوّن يكون تكويناً فهو مكون وذاك مكون ، فالتكوين مصدر والمكون مفعول ، والفرق بين المصدر والمفعول معلوم فى اللغات . إلا أن الفرق الحاصل بحسب اللغات لا يوجب الفرق فى الحقائق والمعانى . ألا ترى أنه يقال عدم يعدم عدماً فهو معدوم ، فالعدم مصدر والمعدوم مفعول وذلك لا يوجب الفرق بينهما فى الحقيقة » .

فالفلاسفة هم الذين سوغوا استخدام كلمة الوجود بمعنى الموجودات ، ولم يمتنع ذلك فى اللغة لأن شواهد هذا الاستخدام متكررة فى كل مقام .

***

وقد نجارى الأديب المستفسر على رأيه فى خلق الخليقة الحية فنقول إن العالم الطبيعى لا يطالب حتماً بخلقها فى المعمل ليجوز له أن يقول إنها قوة مادية وليس فيها زيادة على القوة المادية .

ولكنه يطالب حتماً بمعرفة العلة التى تفرق بينها وبين الذرة المادية ليقول إن هذا الفرق من المادة وليس من شىء غيرها . أما أن يجزم بمصدر هــذه العلة وهو لا يعرفها ولا يستطيع أن

بصفها فهذا هو الادعاء بعينه وليس هو العلم الطبيعى المزعوم .

وإذا كانت المصانع قد أخرجت مادة البروتو بلاسم التى هى مادة الحياة كما يقول الأديب المستفسر فهذه المصانع قد أثبتت أن للحياة سراً غير سر المادة ولم تثبت أن الحياة كلها من المادة وإليها ؛ لأن البروتو بلاسم الذى أخرجته المصانع لا يتغذى ولا يتجدد ولا يتحرك كما تفعل الخليقة الحية . فهو إذن « بروتوبلاسم ناقصاً الحياة » ... وبقى السؤال قائماً كما كان : ما هى الحياة ؟ .

أيقول الأديب المستفسر إنه من فعل الزمن الطويل ؟ لقد قال ذلك فعلا حين قال إنه لا يبقى إلا الزمن لتشبه المادة المصنوعة مادة الحياة » .

فمن الواجب أن نذكر هنا أننا نسأل : ما هى الحياة ؟ ولا نسأل فى كم من الزمن نشأت الحياة ؟ .

وهى سواء نشأت فى دقيقة واحدة أو فى عشرين مليون سنة شىء له حقيقة ، فما هى هذه الحقيقة ؟

على أن الزمن الطويل عنصر داخل فى تركيب المادة التى نعرف ما بينها من الفروق والمشابهات .

فلماذا نعرف الفرق بين الحديد والنحاس وقد مضى على تكوينهما ألوف السنين ، ولا نعرف الفرق بين البروتوبلاسم الحى والبروتوبلاسم الذى تخرجه المعامل ويصنعه العلماء ؟

أقل ما ينبغى للعالم الذى يصون كرامة علمه أن ينتظر ويؤجل حكمه ، لا أن يجزم بحقيقة شىء لا يعرفه ولا يستطيع أن يعلل الفرق بينه وبين غيره من الأشياء .

* * *

ومن الادعاء البعيد أن يقال إن كشف الذرة قد وضع سر المادة فى أيدى العلماء ، أو قد خولهم أن يفسروا كل ظاهرة من ظواهر الوجود بالقوانين المادية

فإن أسرار الذرة قد صنعت نقيض ذلك على خط مستقيم ، وقد عمدت إلى الحتمية Determinism للأسـباب المادية — أو القوانين المادية — فعصفت بها عصفاً لم يستقر لها من بعده قرار .

وليس هذا الكلام مستمداً من مذاهب الفلاسفة أو مذاهب رجال الدين أو فروض الأدباء والهواة فى المسائل العلمية ، ولكنه مستمد من مباحث أقطاب العلم الطبيعى الذين أسسوا قواعد البحث فى الطاقة الذرية وفى تركيب المادة وقوانين الإشعاع .

فالعالم الكبير ماكس بلانك Blanck صاحب نظرية الكوانتم التى بنيت عليها المباحث الذرية ، وصاحب جائزة نوبل للعلوم الطبيعية فى سنة ١٩١٨ يقرر أن حركات الكهارب لا يسيطر عليها قانون معروف ، وأنك لا تستطيع أن تتنبأ عن اتجاه الحركة التالية لكهرب من الكهارب حول النواة ، وهذا هو عنصر المادة الأصيل يغلب فيه القول بالمشيئة على القول بالحتمية المادية . فكيف يمكن أن يقال مع هذا أن كشوف الذرة قد أبطلت القول بالإرادة الإلهية ووضعت سر الكون كله فى أيدى العلماء ؟

إنها لم تضع سر الذرة نفسها فى أيديهم وهى أصغر ما فى الكون من مادة ؟ فكيف تضع فى أيديهم سر الكون كله وتنفى منه فرض المشيئة الإلهية التى تسيطر على كل « حتمية مادية » كان يدين بها العلماء قبل الآن ؟

والعالم الكبير هيزنبرج Heisenberg متمم بحوث بلانك وصاحب جائزة نوبل للعلوم الطبيعية عن سنة ١٩٣٢ يعلن نقض « الحتمية المادية » ويقرر أن التجارب الطبيعية لاتتشابه فى النتيجة وإن اتفقت الأدوات واتفقت المواد واتفق المجربون . فكيف يقال إن « دور » المشيئة قد بطل كل البطلان ولم يبق للكون من أسباب غير ما يزعمونه من النواميس ؟

والعالم الكبير إدنجتون Eddington من أكبر الباحثين فى الكهرباء والطبيعيات يعقب على هذا فيقول « إننى لا أحسب أن هناك انقساماً ذا بال فى الرأى من حيث تداعى الأخذ بمذهب الحتمية المادية . فإن كان هناك انقسام فهو الانقسام بين الآسفين لتداعيه والمغتبطين بتداعيه . والآسفون بطبيعة الحال يرجون له عودة ولا يستحيل أن يعود . ولكننى لا أرى سبباً لتوقع عودته فى أى شكل وفى أية صورة » .

وهؤلاء جميعاً علماء طبيعيون ، وهم جميعاً مختصون بالموضوع الذى يحكمون فيه وهو تركيب المادة . بل هم جميعاً من مؤسسى البحوث فى هذا الموضوع .

فأيسر ما يؤمن به الرجل المحقق بعد هذا أن المسألة جليلة

القسم الثامن :

فرنســـا ومستعمراتها

الأمير عبد القادر الجزائرى

زعيم وأمير وجندى وقائد ثورة

للأستـــاذ أحمد رمزى بك

« إذا صقلت بارق سيفى »
« وأخذت بالقضاء يدى »
« رددت الانتقام على أعدائى »
« وفرضت القصاص عليهم »

نشيد موسى النبى فى سفر التثنية

رأيت كيف تلقى العالم الإسلامى بوجوم أنباء الاعتداء الفرنسى على الجزائر ، وكيف احتلت فرنسا السواحل والناس فى شغل عن هذا كأن الأمر لا يعنيهم ، فألقى عبء الجهاد على أهل الجزائر يقاتلون ويقتلون ويشردون ، والقطر الجزائرى ساحل ممتد الأطراف على مسافات شاسعة ، فأصبح لكل مدينة على البحر جبهة قتال قائمة بذاتها .

ففى جهة مدينة الجزائر ، زحف القائد الفرنسى إلى الداخل واحتل مدينة البليدة وقدم أهلها الطاعة بين يديه ، ولكن دعوة الجهاد والدفاع عن الوطن انتشرت بين القبائل فى الجبال المحيطة فتجمعت الجموع وزحفت إلى القتال ، وفى اليوم الثالث من احتلال المدينة اقتحمت قوات المجاهدين أسوار البليدة ، وهزمت جنود فرنسا ، فاضطر القائد العام أن ينسحب مع من بقى من جنده عائداً إلى الجزائر ، حيث دعى إلى بلاده فآثر أن يعيش باسبانيا ، وجاء قائد آخر ، أخذ يدبر الأمور لإتمام الاحتلال ، تارة بالسيف وأخرى بالخديعة وبذل الوعود .

فى هذه الأثناء اتجهت الأنظار إلى سلطان مراكش واجتمع أهل العقد والحل من سكان الجزء الغربى وأرسلوا وفداً إليه يطلبون معونته فأجابهم إلى مطلبهم وبعث بأمير من أولاد عمه ، فلقيه الناس بالطاعة ، ووصلت طلائعه إلى ناحية مليانة شرقاً ، ولكن فرنسا أسرعت وكلفت ممثلها لدى البلاط الشريفى أن يحتج على هذا التدخل ، فاضطر سلطان مراكش أن يسحب جنوده ، وأن يستدعى ابن عمه إليه ، ويترك أمر الجهاد لأهل البلاد .

***

كانت الدعوة إلى الجهاد عامة يشعر بها الناس كافة من عرب وبربر ، ومن أهل الحضر وأهل الجبال والبادية ، وكانت الحرب فى كل ناحية قائمة ، ولكن كانت تنقص الدعوة القيادة المنظمة التى تجمع الشمل وتنظم الجهود ، وتحرك المشاعر ، وتدفع هذه القوى الروحية نحو الغاية الكبرى .

ولقد شاءت العناية الإلهية أن تختار هذا القائد من جهة وهران على الحدود المراكشية ، ففى سنة ١٨٣٢ قامت سرية من المجاهدين عقد لواؤها للسيد عبد القادر بن زيان ، بحركة كشفية حول أرباض المدينة ، وفى موضع يقال له خنق النطاح ، التقت السرية بفصائل العدو ، واشتبكت معها فى معركة تعرضية ، وفى اليوم التالى أدركتها حشود المجاهدين ، فدخلت القتال متراصة

مهولة بعيدة الأغوار ، وأنها ليست من المسائل التى يفض فيها الإشكال بكلمة وتصرف الاعتراضات فيها بجلسة مريحة بين المحابر والأوراق أو بين المصانع والأنابيب .

وإذا كان هناك فرض أرجح من فرض فى مجال المباحث العلمية الحديثة فذلك هو الفرض الذى يعزز الإيمان بالمشيئة الإلهية لأن هذا المجال قد رجع بأصل المادة كلها إلى الاختيار ، ورجع بالقوانين المادية كلها إلى سلطان غير سلطان القوانين المدعاة .

فإن لم يكن ترجيح فليكن تريث وانتظار .

أما الجزم بالمزاعم المادية بين هذه الكشوف المتجددة فهو « إيمان مقلوب » ... لأن إيمان المعاند يقوم على أسباب أقوى من الأسباب التى يقوم عليها هذا الإيمان المقلوب ... أو هذا الإنكار الجازم بلا أسباب ! !

عباس محمود العقاد

زاحفة ، فانتصرت انتصاراً باهراً ، وفر العدو منهزماً متراجعاً إلى مدينة وهران .

وفى وسط المعركة ظهرت مخايل النجابة والبطولة والقوة والفتوة على الشاب عبد القادر بن السيد محيى الدين الذى ما انفك مع والده يحرض المسلمين على الجهاد ويبوىء المقاتلين مقاعد للقتال . كان فى الخامسة والعشرين من عمره ، وقد عرف الناس فيه الحزم والعزم والعقل السليم والصبر فى القتال ، فجاءت المعركة فإذا بالشجاعة وقوة البأس تظهران عليه ، وهو يخترق الصفوف ويباشر القتال بيديه لنصرة دين الله . وبينما هو يخوض وسط المعمعة تحامل عليه فارس من فرسان فرنسا برمحه فإذا بالطعنة تمر تحت إبطه الأيسر ، فشد عليه عبد القادر بعزمه وقوته وهوى بسيفه على الفارس ، فإذا بالسيف يقطع كتف الفارس نصفين ، فكانت آية من آيات الله تناقلها الناس وسرى ذكرها بينهم .. وتلقى جواده ثمانى طعنات ثم أصيب بالرصاص تحته فنزل وترجل واستمر يقاتل فى مواجهة العدو وهو على قدميه ثابتاً فى مواقعه حتى جاء النصر من عند الله ، وتقهقر العدو منهزماً لا يلوى على شىء ، وبات المسلمون ليلتهم بين التهليل والتكبير .

هذه بداية القائد الشاب بطل الاستقلال الجزائرى وصاحب المواقف الخالدة بين سنتى ١٨٣٢و١٨٤٧ ، الذى تمثل فى عبقريته عراك أمة وكفاح شعب يقاتل فى سبيل مثله العليا والذى أمضى ستة عشر عاماً فى الحروب لم يدع فيها القتال والتصادم والكر والفر دفاعاً عن حومة الدين وعن حرية الوطن الشهيد .

ظهرت فيها صفاته وميزاته للقيادة والزعامة وضرب للناس مثلا بتمسكه بالمبادىء والأهداف التى قام من أجلها ، فأسبغ عليها عملا متواصلا لا يحيد عنه ولا يرجع ، وبرزت نفسه القوية التى لا ترهبها الأهوال والنكبات ولا تغيرها الانتصارات المتتابعة ولا تنقص من حماسها النكبات والهزائم .

ستة عشر عاماً من المعارك المتواصلة لا تتخللها غير فترات قصيرة من السلم والراحة أفردها للتنظيم والإنشاء والدعوة إلى الله والعمل لبناء دولة ناشئة ألقيت أعباؤها عليه بأكلها ، إذ واجه مشاكل السياسة مع مصاعب الحروب ، وعالج الهزائم والدسائس ، بنفس عاليـة فيها قبس من أخلاق السلف الصالح وفيها تلك النواحى القوية التى أفرغها الإسلام على قواده وزعمائه من قوة أمام الأخطار وصلابة فى الحق وتمسك بالعروة الوثقى ، مع تواضع وصبر على المكاره وحوادث الزمن .

كان هذا فى وقت عصيب واجهت فيه الجزائر أكبر محنة فى تاريخها يوم دعيت وحدها للدفاع عن أراضيها ، ويوم ضعفت النفوس وتفرقت القوى ، وبين عناصر متشاحنة وقبائل متنافرة وهنا ظهرت شخصية عبد القادر كمنشىء دولة ، وقائد جيش ، وزعيم أمة .

إن عظمة عبد القادر لا تظهر فى انتصاراته وحدها وإنما فى تغلبه على متاعبه وفى شجاعته وسط الهزائم والدعوة إلى الانشقاق والخيـانة وفى مواجهة دعاية الويل والهزيمة ، وزمرة المنافقين والمطففين ومن لازمهم ، هنا تعلو حيوية عبدالقادر على الحوادث حينما نراه مجاهداً لا تهمد عزيمته وسط الأخطار وأمام مكائد العدو والبحر مغلق أمامه والعالم الإسلامى يغط فى نومه ، فلا يخفف عنه إلا ذكر الله والدعوة إليه وإيمانه بأن إرادة الشعب الجزائرى قد تمثلت فى إرادته وأن الله قد اختاره لعمل كبير هو إنقاذ هذه الأمة وقيادتها إلى الجهاد فى سبيل الله .

تقلب صـفحات تاريخه وتسمع أقوال الخصم عنه وتنصت لنظمه وشعره وتقرأ رسائله فتلمس رجلا قد أوتى حظاً من الإيمان والثقة بالله مما جعله فوق المستوى العادى للرجال . كان ممن اختارهم المولى جل وعلا لعمل خالد فقد كان يعلم بأن أمامه دولة قوية قد أفرغت فى القتال كل قوتها وصممت على فتح بلاده واستعانت بما أخرجه الفن والعلم فى الحروب وقد خرجت من تجارب حروب ومعارك ، ومع ذلك وقف وقفته وكان يشعر بأن أعداءه فى داخل بلاده لا يقلون خطراً عن أعداء الوطن ، فتقبل بالرضا حكم الأقدار وقاد بلاده هذه السنين وهو واثق من نفسه لا معين ولا حليف له ولا أمل لديه إلا همة السـيوف التى خرجت من أغمادها ووقفت معه .

ثم فى وسط المكائد والهزائم والدعوة إلى الهزيمة تعلو قوة عبد القادر فتتخاذل من الهزيمة قوة وتدعو إلى الله وتعمل على جمع

الشمل فيقود الأمة الجزائرية إلى كفاح طويل إلى المجد .

ذلكم هو بطل الاستقلال الجزائرى وأول مسلم تلقى بصدره حلقات الهجوم المضاد الذى شنه الغرب علينا لانتزاع أراضينا .

حينما أكتب عنه أستعيد ذكرى حادثين أثراً فى حياتى ، أما الأول فصورة زيتية للأمير عبد القادر رأيتها فى السوق الخيرية التى أقيمت بحديقة الأزبكية لنصرة المجاهدين من أهل طرابلس لما اعتدت إيطاليا على أراضيهم ، رأيته على جواده وقذائف المدافع تنفجر من حوله فوقفت مأخوذاً وكنت فى العاشرة فإذا بصاحب المؤيد المرحوم الشيخ على يوسف يحدثنا عن بطل الجزائر ؛ ومن ذلك اليوم انطبعت فى نفسى صورة القائد الزعيم وحرصت أن أقرأ عنه وأتعرف إلى معاركه وأيامه .

أما الحادث الثانى فيوم وقفت على قبره تحت قبة سيدى محيى الدين بن عربى بمدينة دمشق ، لقد كان الشوق إلى زيارة الضريحين شديداً طوال سفرى من أنقرة ، ولما تم اللقاء وقفت أمام هذا القبر استمطر الرحمة على بطل الاستقلال . ومرت أمامى صفحات الجهاد وأسماء البلاد : الجزائر ، وهران ، قسنطينة ، تلمسان ، المعسكر ، مستغانم ، البليدة ، مليانة ، وذكريات المعارك الخالدة فى رأس العين وخنق النطاح ووادى الزيتون وغيرها من مواقفه .

وفى باريس صورتان كبيرتان تمثلان عراك الأمير وجنود فرنسا تقتحم الصفوف أعرفهما : قيل أن الأمير وقف أمامهما عند زيارته للعاصمة الفرنسية وقال أراكم تمثلون جنودنا منهزمة ، فهلا نظرتم ورسمتم المعارك الكبيرة التى ولى فيها جنودكم الأدبار؟

وفى قصر العجزة حيث متحف الجيش الفرنسى تجد الآثار والأعلام والأسلحة من بقايا حروب عبد القادر لقد كنت ألمسها ثم أقبل يدى التى لمستها وأنحنى أمامها وأقول هل أعيش لأرى الجزائر حرة وقد خلعت استعبادها وأسمع أناشيد الأمير من مقصورته اليائية ترتل فى مدارس القطر الشهيد :

ونحن لنا دين ودنيا تجمعا ولا فخر إلا ما لنا يرفع اللوا
وإنا سقينا البيض فى كل معرك دماء العدى والسمر أسعرت الجوى

***

أريد أن أشرح معاركه وأكتبها ليقرأها أبناء مصر العربية ويروا آيات المجد والبطولة ولكن الزمن يسير بخطوات سريعة ، وأريد أن أحدثهم عن يوم تجمعت فيه أحكام القدر فألقى البطل سلاحه واستأمن للخصم على أن يذهب للاسكندرية فخنثت فرنسا بأيمانها ومواثيقها وعهودها وقادته أسيراً إلى فرنسا حيث أمضى مع والدته العجوز وأهله خمس سنوات فى الأسر يحن فيها إلى البلاد التى أراد دفع الشر عنها ، ثم أطلق سراحه فإذا طريقه إلى دار الخلافة حيث يلقى السلطان عبد المجيد العثمانى ، وبعد إقامة يسيرة فى بروسة ، يذهب إلى دمشق ، وهناك يعيش حتى يرقد رقدته ليترحم عليه محبوه . أما أنا فقد قرأت حين وقفت على ضريحه قوله تعالى : « وكأين من نبى قاتل معه ربّيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله يحب الصابرين » . آل عمران

ذلك لإيمانى أن أمة تنجب عبد القادر لن تموت بل ستبعث بعثاً يهز الأرجاء ؛ لأن الدرس الذى ألقاه علينا كان درساً يحرك النفوس ويدفع للعمل لقرون قادمة : إنه قوة من قوى الذات الإلهية التى بعثها لخير الناس ، ولما خطه تعالى فى سجل القدر من أن تحيا الأمة الجزائرية لتعود إلى أيامها الأول ، أيام المرابطين والموحدين .

أحمد رمزى

على ثلوج (حزِرين)

للأُستاذ على الطنطاوى

— ٤ —

انطلقت إلى (الصخرة) حين لم تجد فى دنياها كلها ، أحنى عليها منها ، وأروح لقلبها . لقد كانت ملاذها والحبيب راض مواصل ، والقصر عامر زاهر ، أفلا تكون مثابتها وقد غضب الحبيب ، وأقفر القصر ، ولم يبق لها فى الوجود غيرها ؟

ولمن تلجأ وقد فقدت صدر الأب الذى كانت تهرع إليه كلما دهتها من الحياة دهياء لم تستطع احتمالها ، فتخفى وجهها فيه ، وتبثه شكاتها ألماً خفياً ، ونشيجاً خافتاً ، فيمسح دمع عينها ، ويرقأ جرح قلبها ، ويرجع إليها سكينة النفس ، وفرحة الحياة . وفقدته إلى الأبد ، حين احتوته تلك الحفرة الضيقة على شفير الوادى ؟

ولمن تلجأ وقد أغضبت الحبيب ، الذى نما حبه فى فؤادها ، وخالط لحمها وعظمها ، ونشأت عليه ، وعاشت به ، وكان منبع ذكرياتها ، ومجمع آمالها ، وغذاء روحها ؟

ولمن تلجأ وما فى القصر ملجأ ولا ملاذ … لقد أقفر من بعد سيده ، وضل طريقه إليه المجد ، وانصرف عن أبوابه العافون والزائرون ، حين انصرف عن مطالب النبل إلى مطارح الهوى ومشارب الخمر ، سيده الجديد .

انطلقت إلى الصخرة ، وقد علمت لما تيقظ فى نفسها الحب أن كل مافى الدنيا من متع المال ونعم الغنى ، هو للمحب كأحلام النائم ، لا يجد فى يده إذا صحا حبه شيئاً منه ، وأنها كوائد الرؤى يفيق الرائى فلا يلقى لها فى معدته أثراً ، ولا فى جوارحه خبراً وماذايفيد العاشق فَقد الحبيب أن يخطر بغالى الثياب ، وأن يأكل أطايب الطعام ؟ وهل تدفىء الثياب قلباً فيه رغبة إلى دفء القلب المحب ؟ وهل تشبع الموائد نفساً فيها جوع إلى ثمر الثغور ، وظمأ إلى رحيق اللمى ؟

ولقد علمت الآن أن صخرة منقطعة مع الحبيب أجمل من قصور الأرض ، وساعة معه أطول من مدى الدهر ، ونومة على فخذه أحلى من نوم على وسائد الحرير بريش النعام على سرير الذهب وشمة منه واحدة أطيب من انتشاق العطور ، وأن خفقات قلبه عند العناق أعذب من رنات العيدان ، وعبقريات الأغانى …

ولما دنت من الصخرة نعش نفسها نسيمها ، وشفاها مرآها وأحست بعد حياة (الحضارة …) فى عاليه ، أنها كالغريق يخرج من الماء وينشق الهواء ، ونظرت إلى قصر فارس افندى فلم تره إلا نقطة ضائعة فى هذه السفوح التى تمتد وكأنها لا آخر لها حتى تتصل بالبحر ثم يصلها البحر بالسماء … فأحست أن قد صغر مكانه فى قلبها كما صغر منظره فى عينها . ولم تعد تذكر إلا أماسى الحب وليالى الوصل ، عند هذه الصخرة التى قدسها الحب

ووجدت هانى قائماً ، فأسرع إليها وأسرعت إليه ، وألقت بنفسها بين ذراعيه ، ما أحست وسخ ثيابه ، ولا شمت قبح ريحه إذ لم يدع لها الهوى أنفاً يشم ، ولا عيناً ترى …

وسكرت من رحيق الغرام ، وخيل إليها السكر أن لها هذه الدنيا كلها التى تبصرها تحت قدميها ، وأنها أسعد فتاة فيها . وأنها قد أمسكت بكفها الأمانى ، وقبضت على الأحلام . .

فانتصبت والهواء ينثر الحرير الذهبى من شعرها ، ومدت يديها وصاحت نشوى :

— املأ يدى من (أزهار الجبل)

فراح يقطفها ويملأ منها يديها .

***

وهبط الليل رفيقاً حانياً ، فأحاطها بذراعى أم حنون وردّ عليهما كل همسة حب كان قد سمعها منذ مر على الدنيا ، وكل وسوسة قبلة وطلع الهلال رقيقاً زاهياً فعرض عليهما كل مشهد غرام رآه منذ ولد القمر ، وكل منظر هوى ؛ فلم يجدا فى حديث الليل ، وصور القمر ، إلا تاريخهما هما ، وقصة حبهما ، وأفقر قصة فى الحياة قصة الحب ، فهى تتكرر دائماً بمشاهدها وفصولها ، لا يتبدل فيها إلا أشخاص الممثلين .

قصة ألفها هذا الطفل الجبار فضاق به الخيال ، وقعد به العجز ، فلم يستطع خلال ألف قرن من الزمان ، أن يزيد عليها شيئاً أو ينقص منها شيئاً ، فهى تمثل فى غابة بولونيا وفى مسارب هايدبارك كما كانت تمثل فى مغارات سرنديب ، وكهوف بابل .

وهو أبداً يعبث بالحب ويسيّره على هواه ، ويضيق عليه دنياه حتى يجد صدر الحبيب يسند إليه رأسه أوسع من رحب الفضاء وأفسح من جو الأمانى ، ويسوّد عليه عيشه فلا يبيض إلا إن بدت فيه طلعة الحبيب ، ويزهده فى المجد والجد ، فلا يجدّ إلا لوصوله إليه ، ولا يرى مجده إلا فى رضاه عنه ... حتى إذا ملّ العبث ، عاد فنام ...

* * *

وعادت ليلى إلى القصر وقد نام الحب فى صدرها كرة أخرى واستيقظت فيه شياطين اللهو والترف . وجاء أسعد يزورها واشتهت أن تلبس الثياب التى أهداها إليها . ما آثرت جمال الثياب على متع الحب ، ولكنها كانت كالغنى يأكل الحلوى حتى يشتهى الزيتون ، ويسكن القصر حتى يستحلى الخيمة ، ويركب السيارة حتى يتمنى ركوب الحمار ... هذه هى النفس البشرية ، يطغيها الغنى وينسيها لذةَ النعمة وجودُها ، ولا تعرفها إلا عند فقدها..

لبست الثياب ونظرت فى مرآتها ، ومرآة الحسناء من أدوات شيطانها ، فرأت فى مكانها فتاة من فتيات بيروت ، وأعجبها جمالها وهذا الصدر البادى إلى سفح النهدين ، وملتقى الثديين ، وذراعاها إلى الكتفين ، ونظرت إلى ثيابها الجبلية التى نضتها عنها ، والتى تستر كل شىء إلا الوجه ، كما ينظر المرء إلى دودة كانت عالقة به وتخلص منها ، وأحست فى نفسها الشوق إلى الاطراء الذى ألفته فى (عاليه) أدناها ، وترقبت قدوم أسعد ، واستطالت الوقت فى انتظاره . .

ثم رأته يفتح الباب ويدخل ، فتهيأت لاستقباله ونظرت فإذا القادم هانى ..

وعاد الخصام ولكنه كان شديداً عنيفاً هذه المرة .. قال لها :

— ثقى يا ليلى أنك لا تحبينه ، وإنما تحبين مظاهر الترف

— قالت : وأنت ما شأنك بذلك ؟ ولماذا تدخل نفسك فيما لا يعنيك ؟ . .

وامتد الجدال وأطلق لسانه فى أسعد .

— فصاحت به : هو خير منك على كل حال . إنه خير ممن يسأل الصدقة بيد قذرة ..

خدعتها ظواهر الحب الناعمة فنسيت الرجولة الخشنة الكامنة وراءها ، فلم تقدرها ولم تحسب حسابها ، لعبت بالقنبلة لما غرها بريقها ولمعانها ، فلمست زرها فتفجرت ، لقد انقلب لما سمع هذه الكلمة من سبع الملعب (السرك) الأليف ، إلى أسد الغاب الضارى ، لم يعذرها ، ولم يضع نفسه فى مكانها فينظر ماذا يصنع وهو فى مثل حالها النفسية ، وهاله أن تترفع عنه وكان يراها مثله، لم يجد نفسه دونها لأن الحبّ سوّى بينهما ، والحب (مذ كان الحب) مظهره البذل وحقيقته الأخذ ، ورداؤه الإيثار ، وجسمه الأثرة ، وكان يحتمل منها كل شىء إلا أن تمسّ رجولته ، كالمرأة تحتمل من الرجل كل شىء إلا أن يحقر جمالها وأنوثتها ، ولم يعد يرى أمامه الفتاة التى ألبسها حبه ثوب الملَك ، وحوّطها بهالة التقديس ورآها مثال الجمال وغاية الآمال ، ولكن امرأة من النساء تهينه ، وهو الرجل المعتد برجولته ، وهو الذى لم يحمل المهانة من أخيها إلا حباً بها ، واشتعل دمه ناراً ، وجنّ قلبه فى صدره ، وأراد أن يتكلم فشعر كأن لسانه قد وقف ، وحلقه قد جف ، ولم يع على نفسه إلا ويده ترتفع وتهوى على وجه ليلى بلطمة دوّت فى أذنيه كأنها طلقة مدفع ، فصحا فجأة ، وهاله ما فعل ، فانطلق هارباً إلى الإصطبل ، وخلا بنفسه يفكر فيما صنع .

لقد أفرغ غضبه فى هذه اللطمة فلم يبق فى قلبه إلا الحب ، وما يتبع الحب من تقديس ؛ فكيف فعل هذه الفعلة ؟ وهل فعلها حقاً ؟ هل لطم محبوبته التى يشترى اللمسة منها بالحياة ، ويدفع عنها بروحه مسّ النسيم ، وشعاع الشمس؟ أيكسر الوثنى صنمه ، ويبصق المجوسى على ناره ؟

وصارت يده أكره شىء إليه ، هذه اليد التى هدمت مستقبله ، وطوّحت بأمانيه . وملكته نوبة هياج ، فضرب يده بالنافذة ، فحطم زجاجها ، وأطار شظاياها ، وغسل كفه بالدم

قالت العجوز :

وسمعت الضربة فاسرعت إليه ، وقلت له :

— ما هذا ؟ ماذا صنعت بنفسك ؟

وخرجت لآتيه بضماد ، وإذا أنا بليلى ، تدخل علىّ بثياب المدنية ، متوثبة فرحى ، تقول :

— اسمى ، اسمى البشارة ...

— قلت : أى بشارة ؟

— قالت : لقد خطبنى ، إنه سيتزوجنى .

— قلت : من ؟

— قالت : أسعد ، لقد أعلن خطبته لى الآن ، وقال : إن أباه موافق وأخى …

— قلت : وهل تحبينه يا ليلى ؟

وسكت ، وحبست أنفاسى فى انتظار جوابها ، لأنى أعلم أن هانى يستمع إليها ، فأحببت أن أذكرها بحبها . ولكن الحمقاء اندفعت بلا وعى ، تصيح :

— إننى أحبه ، أحب الأرض التى يمشى عليها ، أحب الهواء الذى ينشقه ، أحب …

وسمعت الباب يصفق …

— قالت : ما هذا ؟

فلم أشأ أن أخبرها ، وتريثت وسألتها :

— أتحبينه أكثر من هانى ؟

فتنبهت كأنها كانت فى حلم وأفاقت منه على الحقيقة ، وتصورت حياتها بغير هانى فلم تجد فيها شيئاً جميلا ولا بهياً ، وهل الحياة إلا الذكريات والآمال ؟ وهل لها ذكرى حلوة إلا معه ، وهل لها أمل إلا فيه ؟ وإذا هى تركته وتزوجت أسعد فهل يترك حبه قلبها ؟ هل يذهب من ذاكرتها ؟ ألا تذكرها به صخرة الملتقى كلما نظرت إليها ، والليل كلما اشتمل عليها ، والقمر الذى كان يرعاهما ، والسماء التى كانت تصغى كواكبها لنجواهما ، والبحر الذى كانت تستمع أمواجه إلى أحاديثهما ، والتلول والوهاد ، والنسيم العليل ؛ والثلج وأزهار الجبل . ؟

والتفتت إلىّ فجأة ، وقالت :

— كلا ، لست أحبه ، أحب هانى . إن هانى هو حياتى ، إن الفقر معه هو الغنى ، والجوع معه هو الشبع ، والسجن معه جنة الأرض .

— قلت : فلم إذن ، زعمت أنك تحبين أسعد ؟ لقد سمع هانى منك تلك الكلمة ، وفتح الباب ، وألقى بنفسه يائساً فى خضم الليل …

— قالت : ما ذا ؟ ! أسمعنى هانى ؟ !

وشخصت لحظة وقد جد تفكيرها ، فما يسيل ، ووقف عند هذه النقطة فما يتحرك .

أهى تحب أسعد ؟

فما هذه الكلمة التى نطق بها لسانها فى غيبة قلبها ، وزورها على نفسها تزويراً ؟ :

أهى تحب أسعد ؟ ومن أسعد ؟ وما ذا بينه وبينها ؟ ما يربطه بها ؟ وهل تنسى هانى وعهود الطفولة ؟ ألم ترضع هواه مع اللبن وليدة وتنشأ عليه ؟ ألم تسلك معه طرق الحياة سهلها ووعرها ؟ ألم تأكل معه على مائدة الحياة حلوها ومرها ؟ ألم تشاركه أفكار الحياة خيرها وشرها ؟ أفتهدم سعادتها كلها بكلمة رعناء … أنفخة فى الهواء تقتلع صرحاً ممرداً ثابت الآساس ، رفيع الشرفات ؟

ووثبت إلى الباب ، ففتحته واقتحمت الظلام .

***

وكانت ليلة قارسة البرد ، عاصفة الريح ، جنت فيها الطبيعة فهى تضرب بيديها ، وتنثر البرد والثلج ، وتلطم الوجوه والبنى . فخرجنا وراءها نناديها … وهى تعدو متحدرة ، تثب على الصخور وتقفز إلى الأعماق ، تنادى : هانى . هانى . فيضيع صوتها فى عويل الرياح ، وعزيف العواصف ، ثم انقطع الصوت وخفى الشخص ، وضاعت منا ، فلم نجدها …

ورأينا أخاها مقبلا سكران ، فخبرناه ، فقال :

— سأشرب كأساً أخرى على هذه البشرى . وقهقه كأن إبليس يضحك بفيه ، وأمّ القصر ، ولبثنا نفتش حتى بدا الصباح فإذا هى ملقاة فى حفرة ، قد علاها الثلج ، فتعاونا حتى حملناها إلى دار أسعد فى عاليه ، لتلاقى ناساً يعتنون بها ، وطبيباً يداويها …

أما هانى فلم يعد ولم نسمع عنه خبراً …

(البقية فى العدد القادم) **على الطنطاوى**

العيد!

للسيدة الفاضلة منيبة الكيلانى

تمر أيام العام مسرعات والناس فى شؤونهم الخاصة من زحمة العيش وتلمس الرخاء ، والضيق والرغبة فى الفرج ، والسقام وأمل الشفاء ، ويأتى العيد فيكون بين المعيد ووسادته ليلة العيد حديث ونجوى ؛ فبين معيد ووسادته من ثورات النفس ودوار الرأس وجهد الخاطر الكليل ما بين معيد ووسادته من بسمة الأمل وهشة الرجاء وتطلق الوجه . ولقد تنحبس العبرة طول العام من نكبة نازلة فلا ترسل إلا فى مقدم العيد مطلقة غير مقيدة ، فتأخذ فى العيد روعة وشكلا ليسا من شأنها ولا من شأن الأيام الأخرى . وهكذا تصبح جهشة العيد جهشة مزلزلة ، وتغدو دموع العيد جد حرار . ولقد تبقى البسمة خامدة كابية طوال العام أيضاً لا ترى ما يرسلها مجلوة مشرقة حتى يأتى العيد ، فإذا البسمة تاج على الثغر — كالجديد من الأكسية — تتحدث للوسادة عن النصر الذى أحرز ، والعمل الذى أنجز

هذه بسمة العيد ليست من ابتسامات العام ، وهذه جهشة العيد ليست من دموع الحول ، إنما هى فى الحالتين محصّل ما فى العام كله من شدة ورخاء ، وعذاب وهناء ، وعزة وشقاء ، تجتمع فى العيد كما تجتمع أضغاث المنى على الثغر الحالم ، وأضغاث المال فى ثوب جديد وكساء جديد ، كذلك مشاعر النفس وأضغاث خويصاتها تتجمع لتبرز فى العيد فى فرح جديد وحزن جديد .

وضجعة الإنسان ليلة العيد وسهوم فكره ، واتساع مخيلته وشرود ذهنه ، تتسع وتقصر ، وتكبر وتضيق ، بمقدار ما توافر لديه من أسباب وعلل تجتمع كلها فى حقيقتين أساسيتين فيهما جواب هذا التساءل الذى يدور على الخاطر ويلم بالنفس : وهو لماذا تتطرى نفس وتبتهج للعيد ، وتأسى نفس وتضيق له ، وتذرف فيه الدمع ويحلو لها الصمت والأشجان ؟

تتسع مادة الحوار بين المرء ووسادته ليلة العيد بسمة الجواب على هذا السؤال . والواقع أنه سؤال فى منتهى الوجاهة وخفة الظل : لماذا تأسى نفس وتفرح نفس وليس بين النفسين إلا قربى وأوجه شبه ... هذه نفس تذرف الدموع ، وهذه نفس توزع الابتسام ؟

العيد يفرض على المعيدين مشاعر خاصة هى التى تملل هذه الظاهرة ... ظاهرة الحزن الجديد والفرح الجديد ...

العيد يقوم من جهة بدور المدسة الكبيرة تتراءى ما بعدها من المرئيات كباراً غلاظاً باذخة الأطراف شامخة الهامات ، ويقوم العيد من جهة أخرى بعقد مقارنات سريعة عاطفية بين المرء والمرء وبين المرء ونفسه ، فمقارنة بين خائب ومصيب ، وبالغ ومقصر ، ومقل ومكثر ، وغنى وفقير ، وجائع وشبعان ، تنتهى بهذا الإحساس الذى نحن بصدده من الشعور

يصاب الإنسان بما يصاب به من لغوب هذه الحياة ووعثائها ، فإذا وافى العيد ، وكانت النعمة التى لديه لا تزدهيه فى سائر الأيام ازدهته فى ذلك اليوم ، لأنه ينظر إليها من خلال العيد فيراها كبيرة باذخة فيرتاح لها ويبتهج ، أما إذا كان ما بين العيد والمعيد حزن وألم ، فإن هذا العيد لن يُرى صاحبه إلا ألماً كبيراً .

أما المفارقات ، فأمرها أشد ووقعها أمض ، مقارنات يعقدها العيد بين شخص وشخص ، وبين شخص ونفسه ، فى زمنين مختلفين ، هذان أليفان آض ما بينهما كلاماً فى غير دقة ، وسلاماً فى غير رقة . وهذه قلوب كانت تحن ، فأضحت تئن . وهذه مسكينة كانت فى العيد السالف فى كلاءة أبوين ، فصارت فى هذا العيد سطراً فى كتاب اليتم ... وهذه أم كان لها فى العيد السابق فتى يملأ دنيا أحلامها بأشتات المنى فاحتسبته وأقامت تندب ذكراه . وهذا أب اغتالت المنية وحيده فتركته لا يقدر على شىء ، وهذا فتى فى ميعة الصبا كان وثيق التركيب جيل الظهر ، ولكن العيد وجده فى مخالب المرض ينفث نفسه وينتظر رمسه . وهذه أمّة كانت بالأمس الدابر تملأ حيزاً ومكاناً ينظر إليها الناس أمة فأصبحت أَمَة ... كل هذه مقارنات يأتى بها العيد بين شخص ونفسه فى زمنين مختلفين تملؤها غصة وشكاة ودموعاً .

ولقد تكون المقارنة بين شخص وشخص ، فينظر الطفل الفقير وقد عرف الفقر وعرفه طوال العام ، ينظر إلى الثوب المتواضع الذى أنفقت فيه أمه جهد شهر فى الخدمة ... ويقارنه بالثوب المترف الفاخر الذى يرتديه غيره من الأطفال فيستشعر

لأول مرة فى العام خفقة الألم . وينظر الجائع وقد عرف الجوع وخبر بلواه إلى الشبعان الذى عرف التخمة وخبر بلواها ، فيناله من مقارنة العيد ألم جوع وألم غضاضة ، وينال الآخر لذة شبع ولذة مكاثرة !

وينظر اليتامى فى الملجأ إلى هيا كل أجسادهم رممدهم ، وقد كانت ثياب هذه الهيا كل طول الحول قطعاً من فضل المحسنين ، وهذه المعد طول العام وعاء للخيرات ... ولكن العيد يرسل إلى هؤلاء مقارنة بينهم وبين سواهم ممن رداؤهم قطعة واحدة من يد محسنة واحدة ، فتأسى الأنفس وتذكر فى سبيل المقارنة ما فاتها .

هكذا تتقد اللوعة ؛ وهكذا تزداد الشكاة فى العيد ، وأولئك النلف قلوبهم لا يعلمون أن فى الناس من يذوق طعم الموت وهو حى . وهكذا يجد الواحد منا كيف تتعاقب الأيام بالسراء والضراء فيفيد من هذه وهذه أن الأمور لا تقيم على حال ، وأن وراء الشدة رخاء ، وبعد العناء عزاء ، وأن العيد إن أساء فقد يحسن ، وأن الصبر أجدر من حلم ضائع ورشاد سليب وفؤاد هواء ، ثم يجد الواحد فوق ذلك — وقد خبر النعمة والنقمة — كيف يسلف اليد المحسنة والساعدة المسعفة ، وينتزع من أحاديس نفسه وخلجاتها ما يشغف به القلب الذى أضاع الشغاف ، والفؤاد الذى برحت به النوب وتخارمته الأوصاب ، وكل إحسان فى العيد عيد فى الإحسان ، فالمصافحة والابتسامة والقبلة والدرهم وبطاقة العيد والهدية والزيارة والتفقد والتسآل وعيادة المريض والإشراف على موطن الألم من المتألم ، وكفكفة دمعة الباكى ومسح رأس اليتيم كل أولئك كجرعة الماء فى المهمه القفر . وإن كانت ماء فهى لذى غلة به إليها تحنان ، وله إليها تشوف ونزوع ؛ وهى فى مفهوم الصحراء المهلكة ذهب وفضة وخيل مسومة وأنعام وحرث . والقلوب بالفة ما بلغت من الاختلاف والتمايز لا يؤلف بينها ولا يجمع شتاتها ولا يجعل منها وحدة رصينة مثل رباط الشفقة وصلة الشكلة ، فلقد يصرف فى سبيل توثيق صلة من صلات الود ما يصرف من وقت ومادة . ثم لا تتوثق هذه الصلة كما تتوثق أخرى لم يصرف فيها إلا تفقد وتسآل واشتراك فى محنة .. وهذا العيد يتيح هذه الفرصة ويمكن لمن يريد أن يشترى قلوب الناس . أن يشتريها بأثمان بخسة لا يستطيع أن يحصل عليها فى الظروف الاعتيادية ، لا تنى هذه الفرصة إلا مرتين فى العام توضع فيهما هذه القلوب البشرية الخفاقة بالمزاد العلنى يشتريها من كان لديه المال الكافى من العطف والرعاية والحنان ، وإنه فى الحق لنصيب عظيم أن تشترى قلباً بابتسامة وقلباً بتفقد وقلباً بمصافحة وقلباً بهدية وقلباً بدمعة وقلباً بزيارة ... وهذه القلوب مهما ضعفت ومهما كانت ذاوية نحيلة ، ومهما كانت منذرة بالفناء فهى تدوم على الأقل خفاقة للعيد القادم يوم تعرض قلوب جديدة بآمال جديدة وآلام جديدة تبتغى شارياً جديداً بعطف جديد وهكذا ...

ولى كبد مقروحة من يبيعنى بها كبداً ليست بذات قروح

هذا نداء يجسمه العيد .. وفى الطوق والإمكان أن يلبيه كل ذى كبد فيعود بكبد صحيحة وكبد مصححة يبسم لها لأنه صححها وتبسم له لأنها تعترف بالفضل ، وما بين الابتسامتين من معانى الجمال ما لا يقوم له شىء ويعود معنى ...

ولى كبد مقروحة من يبيعنى بها كبداً ليست بذات قروح

معنى جديداً كالعيد الجديد بين كل اثنين من العيدين مؤداه :

كلى بكلك ممزوج ومتصل والحادثات التى تؤذيك تؤذينى

لكن مقياس العيد مقياساً أكبر من مقياس المادية .. فلا تقل وقد أدبر العيد كم ثوباً جديداً لبست ، بل قل كم قلباً اشتريت ، وكم كبداً صححت ، وكم ثغراً بالابتسام ملكت ، وكم دمعة حارة من دموع العيد كفكفت . فذلك أقمن بالإنسانية وأدعى للفخر وأجلب للبهجة وأكثر اتساقاً مع معنى العيد .

منيبة الكيلانى

حول التنويم المغناطيسى (*)

للاستاذ أحمد فؤاد الأهوانى

١ — يذكر التنويم المغناطيسى محاطاً بالغموض والإبهام. فهل هو علم ثابت الأساس، أم شعوذة وإبهام؟ وما مدى اتصاله بعلم النفس.

٢ — هل هناك من خطر فى تعلمه، وإن كان هناك خطر فما هو؟ وهل يتعارض والدين؟

٣ — ألا ترى أنه يعصف باليقين بنتائجه الخارقة المدهشة؟

(ج. ع. م)

كوستى السودان

التنويم المغناطيسى ظاهرة طبيعية لا تعد من الخوارق، فهى كالنوم الطبيعى، إلا أن النوم المألوف يحدث من الإنسان لنفسه والمغناطيسى يحدث بتأثير شخص آخر. ويسمى النائم فى عرفهم «الوسيط» إذا كان متصلا بالمنوم اتصال تجارب وعمل. ويتم النوم المغناطيسى بشروط، الشرط الأول قابلية الشخص أو الوسيط للنوم، إذ ليس كل شخص قابلا للنوم المغناطيسى. ومما يذكر فى هذا الصدد أن المشتغلين بالتحليل النفسانى ونعنى بهم فرويد ومدرسة شاركو فى فرنسا بدأوا حياتهم الطبية فى العلاج بطريقة التنويم المغناطيسى، ولكنهم عدلوا عنها لأسباب منها أنه ليس جميع المرضى يخضعون للنوم، ومنها عدم جدوى هذه الطريقة

وهناك بعض الناس يسهل تنويمهم وخضوعهم، وهؤلاء يكونون خير وسطاء.

وأول من اهتدى إلى التنويم المغناطيسى هو العالم «مسمر» وكانت تسمى طريقته بالمسمرزم Mesmerism نسبة إليه. واشتهر أمره فى القرن الثامن عشر، واختلف الناس فى أمره، وافتتنوا بأعماله، فكلفت الحكومة الفرنسية العالم الكيميائى لافوازييه أن يبحث هذه الظاهرة العجيبة فى ضوء العلم. واستمر افتتان الناس والعلماء بهذا الفن حول قرن من الزمان حتى أصبح مألوفاً وعرفوا أنه لا يثمر نتيجة فى العلاج من الأمراض العصبية، فانصرفوا عنه فى أواخر القرن الماضى كما ذكرنا، وأخذوا بطريقة التحليل النفسانى.

والشرط الثانى استعداد المنوم وقوة تأثيره، وهذا الاستعداد منه طبيعى موهوب، ومنه صناعى مكسوب: ويكسب المرء قوة التأثير بتدريب نفسه فى إلقاء الصوت النافذ الذى يشبه الأمر الصارم، وفى حدة النظر، وحسن الهندام، وبالجملة اكتمال الشخصية فى جميع نواحيها بحيث تصبح قوية، فما لا يتسع المجال لتفصيله ...

والشرط الثالث المعرفة بالأساليب الصناعية فى التنويم، كالجلسة الخاصة، والوقفة المناسبة، وتوجيه النظر بالعين أو بالكرة المغناطيسية، وإحداث السحابات المغناطيسية وهى المرور باليدين من أعلى إلى أسفل بالقرب من جسم الوسيط مبتدئا برأسه.

واعلم أن التنويم المغناطيسى يحدث حولنا دون أن ننتبه إليه ودون أن يعرف المنومون والمنومون ماذا يجرى منهم. فالأم تهدهد طفلها، وتربت على جسمه بيديها، وتغنى له وتأمره بعد ذلك بالنوم فينام. وكثيراً ما تلاطف قطة فى دارك، فتهدأ، وتغمض عينيها، وتخضع لك مادمت تمر بيدك على جسمها. ولهذا كان من الجائز وليس من الغريب تنويم الحيوان. وقد رأيت فى السينما ذات مرة شخصا ينوم دجاجة بأن يجمعها على الأرض ويخط أمام منقارها خطا مستقيما فإذا بها تذهب فى النوم.

وللنوم درجات أعلاها التخشب

وهم يدربون الوسطاء على قراءة الفكر وهى ظاهرة مألوفة معروفة، فينقل المنوم مايريد من أسئلة إلى الوسيط كما ينقل إليه الإجابة أيضاً. وهؤلاء هم طائفة المشعوذين الذين يوهمون المتفرجين أن فى مقدرة الوسيط أن تسبح روحه فى عالم الغيب فيطلع على المستقبل المخبوء ويعرف أسرار الناس وما تخفى الصدور. وهذا كله وهم وخداع، إذ ليس فى قدرة الوسيط أن يعلم إلا ما يعلمه له المنوم وينقله إليه.

أما النظرية القائلة بأن التأثير الحادث فى التنويم المغناطيسى يرجع إلى اتصال الروح بالروح، فهى نظرية لم يقم عليها دليل ثابت أو برهان قوى برغم على الاعتقاد به، أما النظريات التى يأخذ بها العلماء المتثبتون إلى أن يظهر ما يبطلها أو يكون أقرب

(*) وجه إلينا هذا الأستاذ الكريم الأسئلة المرقومة فى عدد الرسالة ٧٢٣

منها إلى التفسيرات العلمية ، فهى أولا صدور « سيال » Fluid مغناطيسى بين المنوم والمنوم ، ولم يصلوا إلى كنه هذا السيال ولهذا عدل عن الأخذ بهذا التفسير جمهرة العلماء . ونظرية ثانية حديثة تشبه المخ البشرى كأنه « بطارية » كهربائية ، أو كجهاز الارسال والاستقبال مثل المذياع ، فكأن ما يحدث بين المنوم والوسيط هو تبادل الرسائل على أمواج الأثير . وأنا شخصيا أميل إلى الأخذ بهذا التفسير .

ولا نزاع فى أن فن التنويم فيه عنصر مادى وآخر معنوى . فالعنصر المادى هو ذلك الذى بسطناه من قبل كالنظرات والسحابات ...

وأستطيع أن أشبه جسم الانسان بزجاجة ، وما فيه من لحم وعظم ودم ببرادة الحديد . فإذا مر قضيب المغناطيسى بهذه البرادة انتظمت فى داخل الزجاجة وتأثر بالجاذبية . كذلك جسم الإنسان يتأثر بالتيارات المغناطيسية التى يوجهها المنوم توجيها صناعيا فتنتظم ذرات جسمه . ويقال فى هذا الباب إن المرء إذا أراد أن يكسب جسمه قوة مغناطيسية فعليه أن ينام ويجعل رأسه إلى الشمال ورجليه إلى الجنوب ، والشمال كما نعلم هو القطب المغناطيسى للأرض ..

وليس فى تعلم التنويم أى خطر ، وإنما الأولى أن نسأل ما هى الثمرة التى نجنيها من تعلمه ، وهل تستحق أن ينفق فيها المرء الجهد والزمن ؟ ونقول إن للتنويم ثمرتين ، الأولى فى العلاج من الأمراض العصبية ، والثانية فى معرفة المستقبل . وقد ثبتت عدم جدوى التنويم فى العلاج كما ذكرنا ، ولم يثبت أن الوسطاء يعلمون الغيب . وقد نشط العلماء خلال الحرب الأخيرة يجرون تجارب حديثة تختص بفوائد التنويم ، منها الاستغناء فى العمليات الجراحية عن التخدير بالعقاقير ، والاستفادة من التنويم المغناطيسى وما يحدثه من تأثير . ولا تزال هذه التجارب فى البحث .

الخلاصة أن التنويم المغناطيسى علم وفن ، له أعظم الصلة بعلم النفس بل هو فرع منه ، وهو على التحقيق فصل من باب الايحاء ؛ فإذا كان العلم بالنفس يتعارض مع الدين ، فالتنويم المغناطيسى يتعارض بطبيعة الحال . غير أنه لا وجه للتعارض بين علم النفس والدين ، بل العلم بها مطلوب للوصول إلى اليقين ، وفى ذلك قال تعالى «وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون» .

ويمكن أن ننقل القضية إلى ميدان أوسع فنقول : هل يتعارض العلم إطلاقا مع الدين ؟ وهذا بحث شغل أذهان الباحثين خلال القرن التاسع عشر ، ثم خفت حدة الخلاف وتم الوفاق أخيراً بين العلم والدين . وهذه النزعة التى نشاهدها الآن فى أوربا وأمريكا حيث يسود العلم تبين لنا اتجاه الناس نحو الدين بعد موجة الإلحاد والزندقة .

ومع ذلك يقول بعض العلماء إن التقدم فى علم النفس ، وبخاصة فى أحد فروعه وهو التحليل النفسانى ، من الأسباب القوية التى تصرف الناس عن الإيمان ، لأن هذا العلم يستند إلى المبدأ القائل بالحتمية النفسية determinism psycholog igue ، أى اتصال سلوك الفرد بأسباب محتومة تستقر فى نفسه منذ الصغر وبحكم البيئة . فإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغى أن نحاسب السارق أو القاتل ، لأن الأسباب الدافعة للمجرمين فى اعتدائهم لا بد أن تمضى إلى نهايتها فتحدث نتائجها ولا يستطيع المجرم أن يتخلص منها . ولكن هذا بحث آخر لا يدخل فيما وجه إلينا من أسئلة فنكتفى بهذا القدر وفيه الكفاية .

(رأس البر) **أحمد فؤاد الأهوانى**

«طاعة» الشـام !

[مهداة إلى الأستاذ شفيق جبرى]

للأستاذ على حيدر الركابى

أستاذى الفاضل :

نشرت لكم مجلة (العالم العربى) كلمة بعنوان (طاعة الشام) فى عددها الصادر فى اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٩٤٧ فقرأتها ووقفت أمامها حائراً بين الرد عليها والسكوت عنها . كان يدفعنى إلى الرد أنكم عالجتم موضوعاً خطيراً ومثيراً ، ووجهتم إلى بلدكم الذى هو بلدى تهماً لا يقبلها ذو كرامة . وكان يدفعنى إلى السكوت أنى نشأت على الإعجاب بكم واحترام علمكم والثقة بآرائكم وقات فى نفسى إن أستاذنا الكبير لا ينطق عن الهوى وإن له من سعة الاطلاع وكثرة التجارب وعمق التفكير ما لا يبقى معه مجال لاعتراض معترض . وأخيراً ترجح عندى التريث حتى تظهر نتائج الانتخابات العامة فى سوريا وهى أكبر محك للشعب : فإذا رافق الانتخاب ضغط وتدخل وسكت عن ذلك أهل الشام سلمت بنظرية أستاذى الكبير ولزمت الصمت وكلى خجل من طاعة الشام ، وإذا حال أهل الشام دون الضغط والتدخل وتقدموا إلى الانتخاب بحرية وميزوا بين الصالح والطالح كتبت الرد .

وظهرت النتائج الباهرة فإذا بى أتناول القلم لأكتب هذا الرد . ولا أخفى عنكم ياسيدى أننى فى سرى كنت أتوقع شيئاً مما حدث وأدعو الله أن يحققه . فإذا تجرأت الآن على مخاطبتكم على صفحات (الرسالة) فإنما أفعل ذلك بدافع من حبى للشام واعتزازى بأهله وشعورى بواجب الدفاع عنهم بالحق كما أنى من جهة ثانية واثق من رحابة صدركم :

زعمتم يا سيدى أن فى خلق أهل الشام « طراوة وتميعاً » جعلتهم يشتهرون بالوداعة وبالطاعة والمتابعة . واستشهدتم على ذلك بعبارات قالها بعض رجال التاريخ العربى ثم فتشتم عن سبب هذه (الطاعة) فوجدتم السر فى « طبيعة بلاد الشام ... هوائها ومائها وسمائها وأرضها » ولجأتم إلى (أميل لودويغ) لدعم رأيكم وخرجتم من ذلك كله بأن طمنتم رجولة الشام وأهلها وأشرتم إلى اغتيالات مصر وثورات العراق بما يفهم منه ضمناً أنكم آسفون إذ لم تحذ الشام حذو شقيقتيها . وكان بودكم أن تطيلوا البحث لولا أن « المجال لا يتسع للتبسط فى الكلام على طبائع أهل الشام » ولولا أن لطف الله و « اقتصرت من هذه الطبائع على واحدة » لقرأنا لكم عن قومكم مالا يبقى ولا يذر ! وختمتم بحثكم بكلام عام عن « تشتت أخلاقنا » وضربتم مثلا عليه تعدد النزعات السياسية بيننا .

أما استشهادكم بالأقوال التاريخية فلا أود أن أتعرض له بأكثر من كلمة : ذلك أن كلام القادة والولاة والمؤرخين الذين نقلتم عنهم إما أن يكون وصفاً واقعياً وفى هذه الحالة يكون منطبقاً على عصر القائل وليس شرطاً أن يكون الخلق الموصوف باقيا حتى العصر الحاضر ، وإما أن يكون الوصف ذاتياً أى أنه وصف للصورة التى كونتها فى نفس القائل تجاربه الشخصية والتى حملته على أن يستخلص حكما عاماً من حوادث خاصة وفى هذه الحالة لا يصح الاستشهاد به .

أما نسبتكم طاعة أهل الشام إلى اعتدال مناخهم : ورقة طباعهم إلى جمال بلادهم فإنه يحوى فى طياته جزءاً من الحقيقة لا كلها . ذلك أن الطبيعة يا سيدى — وسيد العارفين — ماهى إلا عامل واحد من العوامل التى تؤثر فى طباع الناس . ومعاذ الله أن أتعدى على علمكم وفضلكم فأروح أعدد تلك العوامل أو أشير إلى علماء الاجتماع وكتبهم؛ ولا أسمح لنفسى إلا بأن أذكركم — بكل تواضع — بأن الأحداث الخطيرة التى تتعرض لها الأمة ذات أثر قوى فى تكوين طباع أفرادها ، وهو أثر لا يقل عن أثر الطبيعة نفسها لا بل قد يفوقه . ومن هذه الأحداث الحروب والكوارث الوطنية والحكم الأجنبى والأزمات الاقتصادية الخ . ولعلكم تعترفون كذلك بأن الثقافة وانتشار التعليم من العوامل الرئيسية . وعلى هذا فإن طبيعتنا الحلوة إن ولدت فى أمزجتنا اعتدالا وفى شمائلنا رقة فإن تلك الأحداث قد أوجدت فينا إلى جانبها قوة الشكيمة وصلابة العود وإن انتشار التعليم قد خلق فينا وعياً وقدرة على التمييز .

وليس مثلكم من يحتاج لأن تضرب له الأمثال عن صلابة

عود أهـل الشام وأنتم فى طليعة موكب الـكفاح والوطنية . ولا أحب أن أحيلـكم على كتـّاب من أبناء فرنسة سجلوا لنا الفخار واعترفوا لنا بقوة العزيمة . بل أدعوكم إلى رحلة زمنية ومكانية نبدأ فيها بالغليان الفكرى الذى ولد ثورة العرب على العثمانيين والذى كان من أقطابه أبناء الشام البررة الذين أدوا ضريبة الدم على مشانق (جمال باشا السفاح) . ثم نسير فى ركاب (فيصل) من الحجاز إلى الشام لتشاهدوا الشاميين فى عداد أعوانه وجنوده . ونستقر بعد ذلك فى ربوع الشام نفسها حيث قام مُلك عزيز قوى عقد العرب عليـه آمالهم . وما كان لينهار لولم تتآمر الدول المعظمة عليه . ولعلـكم لم تنسوا (ميسلون) وروابيها المخضبة بدماء الأبطال وأنتم تمرون بها فى طريقكم إلى مصيفكم الهادىء فى (بلودان) وننتقل بعد ذلك فى (حلب) وجوارها أيام الزعيم (هنانو) وفى (دمشق) و (الغوطة) و (جبل الدروز) ونحيى معاً التربة التى قدستها أرواح شهدائنا . ثم نتجول فى شوارع مدننا وأزقة قرانا ، فى سهولنا الخصبة وجبالنا الخضراء ونستمع إلى قصص البطولة والمجد المسطرة على كل حجر وفى كل شبر من الأرض — سطرناها فى كل يوم من أيام استعبادنا البغيضة لنسمع الملأ بأننا لا ننام على الضيم . ألا يسعدكم أن تعيشوا ثانية — فى الخيال — تلك الأيام الخمسين التى أضربت فيها البلاد من أقصاها إلى أقصاها حتى أذلت الشامخ وأنزلته من عليائه ليمد لها يد الصداقة . ألا يثلج قلبـكم أن ترتقوا ثانية — فى الذهن — منبر الجامعة السورية لتؤبنوا (هنانو) بمرثية دكت عرش الغاشم وأذنابه ؟ وهل تسمون الإعراض عن مغريات المستعمر فى ذلك الإضراب المخيف أو استجابة الشعب لصرختكم المدوية طاعة ووداعة ؟ وتلك السجون التى ملئت فيما مضى بأحرارنا ، وهذه القلاع الحصينة المشرفة على عاصمتنا وسائر مدننا ، هـل أقامتها فرنسة خوفاً من طاعتنا ووداعتنا ؟ وهذه المخازى الجنونية التى تركت فرنسة لنا أثرها الوحشى فى دار (البرلمان) وفى غيرها من دورنا العامة والخاصة هل تعدونها وثيقة اعتراف منها بأننا كنا طائعين وادعين ؟ وذلك الجلاء الذى تم وهذا الاستقلال الذى ننعم به وهذه المكانة الدولية المرموقة التى باتت فخراً للعرب كافة هل هذا كله من صنع الطاعة والوداعة ؟

كلا يا سيدى ! لقد خانتكم الذاكرة وما أسعفكم التعبير ، ثم أخطأتم فى الحساب فما كانت ثورة واحدة بل ثورات ...

لا إخالـكم تنـكرون ذلك ، وأغلب ظنى أنـكم تأخذون على أهل الشام طاعتهم لحكامهم بعد الاستقلال لا قبله وأنـكم ترون هؤلاء الحـكام « على مقدار من الجهل وكره العلم لا بأس به وحصروا مرافق الدولة فى حزبهم وأصحابهم وحبسوا وظائفها على صنائعهم وعبثوا بالقانون وبددوا بيت المال » . إن كان هذا قصـدكم وإن صح أن هؤلاء الحـكام كما ذكرتم أفما أقنعتـكم الحوادث أن الشعب لم يقف منهم موقف الطاعة والوداعة ؟ لقد رفض الشعب اتفاق (بفن بيدو)[1] وغضب على المرسوم (٥٠)[2] وطالب بتعديل قانون الانتخاب وتأهب للوثوب فيما إذا وجهت الانتخابات توجيهاً خاصاً فانتصر على طول الخط إذ اضطرت الحـكومة بعد تبنى الاتفاق المذكور إلى نبذه والالتجاء إلى مجلس الأمن ، كما أرغمت على سحب المرسوم (٥٠) وعدل مجلس النواب قانون الانتخاب فأصبح على درجة واحـدة ، وأخيراً جرت الانتخابات فإذا بها تخلو فى الغالب من الضغط والتدخل ، وإذا بنتائجها تدل على أن الشعب لم يكن طائعاً وادعاً . لم تـكن هناك طاعة عمياء بل تمرد واع على كل باطل وقد بلغت البلاد بفضل ذلك درجة من التقدم فى تطورها السياسى لم تبلغه كثير من الدول التى سبقتها إلى الاستقلال .

هذا ما قام به الشعب . أما رد الطعن على هذه الحـكومة فى مجالسنا الخاصة وفى مقاهينا فيتلاشى هذا الطعن كما يتلاشى دخان المقاهى فى الفضاء » فهو من عمل الخاصـة لا العامة — الخاصة التى لا تمثل حقيقة الشعب فى خوفها على تعكير صفو حياتها ، فى تأنيها وبطئها ، فى أبراجها العاجية الرفيعة ، فى أهدافها المجهولة وغاياتها الحائرة ، فى تذمرها (النظرى) وملّها الأرستقراطى ، فى هروبها من الواقع وهجرها ميدان العمل ، فى أثرتها وشذوذها .

---

(١) هو اتفاق عقدته بريطانية مع فرنسة فى لندن فى أواخر عام ١٩٤٥ وقررتا فيه مصير سورية ولبنان دون استشارتهما وأقامتا لها فى البلدين حقوقاً وامتيازات . ولم ينفذ هذا الاتفاق قط .

(٢) هو تشريع حاولت الحـكومة إصداره فى خريف عام ١٩٤٦ ويتضمن منحها سلطات دكتاتورية كتعطيل الحريات العامة ووضع القيود الثقيلة على الصحافة .

في تفرقها وتناقضها .

هل يرغب أستاذنا الفاضل في أن يثور أهل الشام وأن يقتتلوا من أجل سواد عيون هذه الخاصة المترفعة ؟ أفلا يرى الصلاح كل الصلاح — بعد الاستقلال — في ذلك التطور الطبيعي وذلك التدرج المحمود وتلك الحركات الشعبية السليمة التي أوجدت لنا مجلساً جديداً للنواب يمثل الأمة تمثيلا هو أقرب ما يكون إلى الكمال ؟ إلا يحوى هـذا الوضع في طياته ضماناً كافياً للمستقبل الذي سنتخلص فيه من تلك الأخطاء في الحكم التي أشار إليها والتي لا ينكر وجودها - أو جلها — والتي لا تنفرد بلاد الشام فيها ؟ وما الذي جنته مصر من اغتيالاتها غير فقد رجل مثل (أحمد ماهر) لا يعوض ؟ وما الذي جناه العراق من ثوراته الداخلية غير الخسارة في الأموال والأرواح ؟ .

وتقولون إن في الشام نزعات « فهذا شيوعي وهذا نازي وهذا فاشستي وهذا فرنسي وهذا إنكليزي وهذا تركي وهذا سعودي وهذا هاشمي ، كل واحد على قدر مصلحته وبحسب منفعته ! » وهذا لا ينكر؛ ولكن الشكوى من هذه النزعات ليست منحصرة في حدود الشام بل تكاد تكون عامة في جميع البلاد العربية . لا بل في جميع بلاد العالم . ثم إن أهل الشام جديرون بكل تقدير وإعجاب لأنهم في الانتخابات الأخيرة أبعدوا عن الندوة النيابية بعض الأشخاص المعروفين بالنزعات المتطرفة فأصبحت دائرة نشاطهم محدودة . هذا فضلا عن أن مكانتهم في مجتمعهم كانت وما تزال ثانوية وأثرهم في محيطهم كان وما يزال وسيبقى ضئيلا

سيدي الكريم :

أرى أن الوقت قد حان لإنهاء هـذا الكلام الذي آمل أن تكونوا قرأتموه بما عرف عنكم من بعد عن الغضب وتشجيع للشباب وحب لكل ما يتصل بالفكر . وإني أرجو في الختام ألا تحرموا وطنكم من ثمرة علمكم وأن تعملوا على قتل النزعات المتباينة بإرشاد أهل الشام إلى الطريق السوي الذي ترون لهم فيه الخير والفلاح .

واقبلوا أصدق عبارات الإعجاب والاحترام .

بغداد **علي حيدر الركابي**

١٤ ـ ٢٩ .

خواطر مسجوعة :

الحـــب ...

(إلى من آمن بالحب ، ومن كفر به)

الحب كما عرفت ، فإن لم تكن على حقيقته وقفت ، فقد استرحت، وأمنت ، وخير لك أن تظل كما أنت . فإن قالوا لك إنه رتبة سامية ، وحياة ثانية ، فقل لهم إنه عنيف جبار ، وشواظ من نار . وإن قالوا إنه أوحى وألهم ، وعلم الإنسان ما لم يعلم ، فقل إنه قرين القلق ، وخدين الأرق ، بل الشغل الشاغل ، والداء القاتل !

فمن عرف الحب طاهراً قاهراً ، بات حائراً ساهراً ، يناجي من حبيبه روحاً دانياً ، وشبحاً نائياً ، قانعاً من الحب بروحه لابذاته ، ومن الحب بنيرانه لا بجناته وربما زعم أن هذا لا يكفيه ، فاستزاد ربه على ماهو فيه ، فقال يامن خلقت قلبي رقيقاً ، وأصليته حريقاً ، أردتني صباً ، فزدني حباً ، وهبني جنوناً هو عندي الهدى ، وفي غيره يضيع العمر سدى ...

هكذا ترى الولهان متفلسفاً في خباطه ، أو مسرفاً في اغتباطه ، فإن خير بين سهاد الشجي ، ورقاد الخلي ، آثر الأول ، كارهاً أن يتحول . ولو وهب أيامه للصبر ، وصحب أوهامه إلى القبر ، فإن ذهبت مذهبه ، وأعجبك ما أعجبه ، وآمنت بأن حياة الحب فناء في رضاه ، فانشد إن شئت في ذلك الموت تلك الحياة . وإن شئت فاهزأ بالحب والمحبين ، ودعهم في نارهم معذبين وحسبك دنيا محدودة الأبعاد ، تمرح فيها فارغ الفؤاد ، ضاحكا بملء شدقيك لا لك ولا عليك !

ولست بشارح لك حقيقة الحب ، فالحب يعرفه من أحب . وإن قدر لك الحب ووقعت ، عرفت ما من شرحه امتنعت !

حامد بدر

واضع علوم البلاغة

رأى ابن خلدون فيه

للأستاذ على محمد حسن العمارى

تهيأ للبحث التاريخى أن يهتدى لمولد كثير من العلوم ، وأن يتعرف على واضعيها ؛ فهو يعين أول من تكلم فى النحو ، ويؤكد أن الخليل بن أحمد الفراهيدى هو واضع علم العروض ، وأن أبا معاذ الهراء أول من أفرد الصرف بالتأليف ... وهكذا . ولكن أصحاب تأريخ العلوم لا يتفقون على رأى فى واضع علوم البلاغة ، ولعل منشأ ذلك كثرة الكاتبين فيها فى أزمنة متطاولة ، كما أن تأخر التقعيد فيها وظهورها أول الأمر فى مظهر النقد الأدبى جعل الأنظار تتجه وجهات مختلفة ، وسنقدم بين يدى بحثنا كلمة عن نشأتها :—

تكاد تتفق كلمة العلماء على أن القول فى البيان كان مبكراً ؛ فالخليل المتوفى سنة ١٧٠ ﻫ تحدث عن الاستعمال المجازى والجناس والمطابقة ، وتلميذه سيبويه المتوفى سنة ١٧٧ ﻫ تكلم عن التقديم والتأخير ومجاز الحذف ؛ ثم استفاضت هذه البحوث فيما كتبه الجاحظ (٢٥٥) وأبو هلال (٣٩٥) وابن رشيق (٤٤٧) فكتبوا كتابات ذات بال ولكنها كانت مختلطة بالمباحث الأدبية. فلما جاء عبد القاهر الجرجانى (٤٧٤) وضع كتابين (أسرار البلاغة) و (دائل الإعجاز) وتحدث فى الأول بإفاضة عن مباحث علم البيان ، ومال قليلا إلى بعض مباحث البديع ، وخص الثانى بمباحث علم المعانى . وهذان الكتابان من أحسن ما كتب فى هذين العلمين إلى يوم الناس هذا ؛ فشواهدهما كثيرة ، وأسلوبهما من أقوى الأساليب وأنصعها ، وفيهما ميل واضح إلى التقعيد والتقنين . ونستطيع أن نقول أن مباحث العلوم الثلاثة قد تميزت بعد عبد القاهر ، فابن المعتز (٢٩٦) ألف كتاباً فى البديع ذكر فيه سبعة عشر نوعاً منها مباحث علم البيان ، وأبو هلال ذكر خمسة وثلاثين نوعاً من البديع وبذلك أصبح لهذا العلم كيان مستقل ، وأما البيان فقد أفاض فيه عبد القاهر فكان صاحبه ، وكذلك علم المعانى إذا أضفنا ما كتبه العسكرى ، ولو أن علوم البلاغة وصلت إلينا على الحال التى كانت عليها فى عهد عبد القاهر لكانت ذات غناء وجدوى ، ولكنها مُنيت بالقيود والأغلال فظلت سجينة فيها حقباً طوالا ، وكان ذلك على يد العالم الجليل أبى يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ﻫ فوضع كتابه « مفتاح العلوم » وكان صاحب فلسفة فأخضع علم البيان لذهنيته الفلسفية ، وقد نظر فيما كتب السلف من بحوث فنظمها فى قواعد جافة كمواد القانون ، ومنذ ذلك الحين ودراسة البلاغة لا تعدو هذه الدائرة التى صب فيها السكاكى مباحث البيان والمعانى والبديع ، وكذلك التأليف لم يعد أن يكون اختصاراً أو شرحاً أو تحشية على المفتاح أو ما تفرع منه . ونستطيع أن نستثنى بعض كتب قليلة ككتاب الطراز فإن صاحبه لم يطلع على شىء مما كتبه السكاكى فيما يحدثنا عن نفسه .

نستطيع أن نتبين بعد هذا من غير كبير عناء أن صاحب علمى المعانى والبيان هو عبد القاهر وأن صاحب البديع هو عبدالله بن المعتز ، وقد يعيننا على ذلك أمران :

(١) ما كتبه العلوى فى مقدمة كتابه الطراز « وأول من أسس من هذا الفن قواعده وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده ، ورتب أفانينه الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبدالقاهر الجرجانى »

(٢) ما كتبه السكاكى فى فصل أخير من كتابه بعد أن تحدث عن عمله فى علمى المعانى والبيان قال « هذا ما أمكن تقريره من كلام السلف رحمهم الله فى هذين الأصلين ، ومن ترتيب الأنواع فيهما ، وتذييلها بما كان يليق بها ، وتطبيق البعض منها بالبعض ، وتوفية كل ذلك حقه على موجب مقتضى الصناعة » ثم قال « وعلماء هذا الفن — وقليل ما هم — كانوا فى اختراعه ، واستخراج أصوله ، وتمهيد قواعدها ، وإحكام أبوابها وفصولها ، والنظر فى تفاريعها ، واستقراء الأمثلة اللائقة بها ، وتلقطها من حيث يجب تلقطها ، فعلوا ما وفت به القدرة البشرية إذ ذاك »[١]

وإذا أردنا أن نعرف من هم السلف الذين قصدهم السكاكى هدانا البحث فى كتابه إلى أن عبد القاهر هو المقدم فيهم ، وعليه اتكأ السكاكى فهو يصرح فى موضع من كتابه بفضل عبد القاهر

(١) المفتاح ص ١٧٠ الطبعة الميمنية .

فيقول عند اختلافهم على أن الاستعارة مجاز عقلي أو لغوي « ومدار ترديد الإمام عبد القاهر قدس الله روحه لهذا النوع بين اللغوى تارة وبين العقلى أخرى على هذين الوجهين جزاه الله أفضل الجزاء فهو الذى لا يزال ينور القلوب فى مستودعات لطائف نظره لا يألو تعليما وإرشادا »(١) وهو يترسم خطاه فى مواضع كثيرة حتى لينقل سطوراً من كتبه بنصها ، وأن تأثره به لبعيد المدى وسنفرد هذا ببحث خاص إن شاء الله .

كل ذلك لا يدع عندنا مجالا للشك فى أن عبد القاهر صاحب الفن وممهد قواعده ومهذب مسائله . لكن ابن خلدون هذا الألمعى النابغة جاء برأى فى مقدمته أضل بعض الكاتبين بعده ، وهو رأى ذو خطر لأنه يسلب الإمام الجرجانى كل أثر فى وضع هذه العلوم قال : « وأطلق على الأصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان ، وهو اسم الصنف الثانى ، لأن الأقدمين أول من تكلموا فيه ، ثم تلاحقت مسائل الفن واحدة بعد أخرى ، وكتب جعفر ابن يحيى والجاحظ وقدامة وأمثالهم إملاءات غير وافية فيها ، ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً إلى أن محض السكاكى زبدته وهذب مسائله ورتب أبوابه على نحو ما ذكرناه آنفاً من الترتيب ، وألف كتابه المفتاح فى النحو والصرف والتعريف والبيان(٢) » .

ولننظر أولا فيما فعله السكاكى حتى نكون على بينة . نظر فيما كتبه المتقدمون فوجد أبحاثاً فى النظم والتشبيه والاستعارة وغيرها من مباحث الفن ، ولكنها لا ترجع إلى ضوابط وقوانين ، فكان كل همه أن يقصّد هذه المسائل ويخترع لها الاصطلاحات العلمية ، وهذا المسلك واضح كل الوضوح فى عمل السكاكى وفى قوله ، فهو فيما نقلنا آنفاً يقول : « وتوفية كل ذلك حقه على موجب مقتضى الصناعة » . ويقول فى موضع آخر : « ثم ما لهـذا العلم من الشرف الظاهر ، والفضل الباهر ، لا ترى علماً لقى من الضيم ما لقى ، ولا منى من سوم الخسف بما منى ، أين الذى مهد له قواعد ورتب له شواهد ، وبين له حدوداً يرجع إليها ، وعين له رسوماً يعرج عليها ، ووضع له أصولا وقوانين ، وجمع له حججاً وبراهين وشمر لضبط متفرقاته ذيله ، واستنهض فى استخلاصها من الأيدى رجله وخيله(٣) » .

(١) ص ١٥٧ الطبعة السابقة (٢) ص ٥٥٢ طبعة التجارية

(٣) المفتاح ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

ومع أن صدر هذا الكلام متابعة للإمام عبد القاهر فى حديثه عن الضيم الذى لحق هذه العلوم — ولا يزال يلحقها إلى عصرنا هذا — إلا أن آخره يدلنا على النهج الذى سلكه السكاكى . وقد تدهش حين تسأل السكاكى ما هى هذه المتفرقات التى لم يشمر لها أحد ذيله ؟ فيجيبك بأنها علم أصول الفقه ، وعلم الحد ، وعلم الاستدلال . وفى ذلك يقول : « علم تراه أيادى سبا ، فجزء حوته الدبور ، وجزء حوته الصبا ، انظر باب التحديد — فإنه جزء منه — فى أيدى من هو ؟ انظر باب الاستدلال فإنه جزء منه فى أيدى من هو ؟ بل تصفح معظم أبواب أصول الفقه من أى علم هى ؟ ومن يتولاها ؟ »(١) .

ولا عجب ، فهو يتحدث فى كتابه عن تكملة علم المعانى ، فيذكر باب الحد وباب الاستدلال ، وفى ذلك يقول « الكلام الى تكملة علم المعانى وهى تتبع خواص تراكيب الكلام فى الاستدلال . ولولا كمال الحاجة إلى هذا الجزء من علم المعانى ، وعظم الانتفاع به لما اقتضانا الرأى أن نرخى عنان القلم فيه . اعلم أن الكلام فى الاستدلال يستدعى تقديم الكلام فى الحد »(٢) ولكنه يشعر أن صاحب علم المعانى لا حاجة به إلى هذا المنطق ، وأنه لن يتقبل كلامه بالقبول فيقول « وكأنى بكلامى هذا — وأين أنت من تحققه ؟ — أعالج من تصديقك به ، وبقينك لديه باباً مقفلا ، لا يهجس فى ضميرك سوى هاجس دبيبه ، فعل النفس اليقظى إذا أحست بنبأ من وراء حجاب »(٣) . ونخلص من كل هذا إلى أن السكاكى رأى علوم البلاغة غير مضبوطة فضبطها ومتفرقة — فى نظره — فجمعها ، وإن كان لم يلحق بكتابه علم أصول الفقه ، والنظرة الفاحصة تدلنا على أن ابن خلدون لم يرد برأيه أن يعطى السكاكى أكثر من هذا ، فإنه أجمل القول فى أول الفصل ، وتحدث عن رءوس مسائل علوم البلاغة ثم قال :—

« وترتيب الأبواب على ما ذكرته آنفاً » وهو إنما تحدث عن تمييز هذه العلوم وضبطها ، وحينئذ تسقط حجة الذين يستدلون برأى ابن خلدون ، فلا وجه له ، ولا حجة فيه غير ما ذكرنا ، لكنهم يقولون إن إهماله لعبد القاهر يدل على أنه لا يراه واضعاً لعلوم البلاغة وإلا لذكره مع أصحابه . وهل يراه دون

(١) المفتاح ص ٧٨ ، ١٧٩ .

(٢ و٣) ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

جعفر وقدامة والجاحظ فى أمر هذا الفن ؟ وللاجابة عن هذا افترض أن ابن خلدون لم يطلع على جهود عبد القاهر فى علم البيان والمعانى ويؤكد هذا الافتراض عندى أمور : —

١ — أن كثيراً من أصحاب التراجم لم يترجموا له ؛ فابن خلكان لم يذكره فى كتابه « وفيات الأعيان » وياقوت لم يترجم له فى معجم الأدباء مع أنه ترجم لنكرات كثيرة ، بل لم يذكره فى كتابه إلا عرضاً عندما ترجم لمحمد بن الحسين الفارسى فقال « ثم استوطن جرجان وقرأ عليه أهلها منهم عبد القاهر وليس له أستاذاً سواه »[1] . وكذلك لم يذكره فى معجم البلدان مع أنه نزل جرجان وذكر جماعة من جلة علمائها .

٢ — والذين ترجموا له كالحافظ الذهبى فى تاريخه « دول الإسلام » وكالسبكى فى طبقات الشافعية الكبرى » وكصاحب « شذرات الذهب » وصاحب « فوات الوفيات » والسيوطى فى « بغية الوعاة » لم يذكروا أنه واضع هذه العلوم ، بل لم يذكروا كتابيه فى البلاغة ، ولم يشيروا إلى شىء فيهما .

٣ — ويحيى بن حمزة بن على العلوى أمير المؤمنين صاحب كتاب الطراز (٦٦٩ — ٧٤٩ هـ) — وهو الذى ذكر أن عبد القاهر صاحب هذا الفن — لم يطلع على كتابيه وفى ذلك يقول « وله من المصنفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الإعجاز والآخر لقبه بأسرار البلاغة ، ولم أقف على شىء منهما مع شغفى بحبهما ، وشدة إعجابى بهما ألا ما نقله العلماء فى تعاليقهم منهما » وهو بعد قريب عهد بعبد القاهر ، وفى مكنته أن يبعث من يجوب الآفاق يبغيهما له .

ويبدو أن الكتابين كانت لهما شهرة فى بلاد المشرق ، ومن ذلك أمكن السكاكى والزمخشرى وهما من جرجان ، أن ينتفعا بهما ، كما أمكن سعد الدين التفتازانى وغيره من علماء البلاغة المشارقة أن يتتلمذوا على عبد القاهر فى البلاغة ، أما ابن خلدون فقد انتهى به المطاف إلى مصر ولم يجاوزها إلى المشرق إلا فى رحلته إلى تيمورلنك وهى رحلة قصيرة ولذلك لم يتهيأ له أن يطلع عليهما ، وقد يقال أنه رأى شيئاً منهما فى كتب العلماء ولا سيما الإيضاح للخطيب القزوينى فقد أشاد به ولكننا نقول أنه لم يكن يعرف حقيقتهما ، ولو عرف لكان له مسلك آخر فى تاريخ علم البيان .

ولعل السر فى خمول الكتابين أن الأمام لم يخرج من بلده على عادة العلماء فى الرحلة ، كما كان لشهرته « بالنحوى » أثر فى ذلك ، فقد طغى نحوه الواسع العريض على بلاغته .

وإنا لنأخذ على ابن خلدون أن نسب تهذيب البديع إلى السكاكى ، والحق الذى لا يمارى فيه أن المصطلحات البديعية عرفت فى كتاب ابن المعتز كما عرف كثير منها فى كتاب « الصناعتين » لأبى هلال العسكرى .

على محمد حسن العمارى
المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

(١) ج ١٨ ص ١٨٧ ط . دار المأمون .

سمو

للآنسة « دنانير »

أحبك للفن ، يسمو هواك بنفسى نحو الرحاب العُلى
فيدنى إليها معانى السماء وينأى بها عن معانى الثرى
سموت بقلبى وروحى فراحا يفيضان بالشعر ، شعر الهوى
ونضرت عيشى فأمسى غضيرا ترف عليه زهور المنى
ورفرف فى القلب حلم سعيد جميل الخيالات حلو الرؤى
وقد كنت فى وحشة لا ترى لى
أليفـاً يبدد عنى الأسى
فلا النفس يسعدها فيض حب
ولا القلب يسطع فيه السنى
إلى أن تجليت روحاً مشعاً كنجم تلألأ لابن السرى
فتضـوأت أيامى الحالكات وأفعمتها بذكى الشذى
وأحييت نفسى بأسمى هوى هو الخلد أو نفحات السما
وأرويت روحى بصوب الحنا ن كالروض أرواه صوب الحيا
ومن عجب أننى ما رأيتـك لكن أحسك روحاً هفا
يحن إلىَّ ويحنـو علىَّ وينساب حولى هنا أو هنا
إذا ما صحوتُ ، إذا ما غفوتُ
إذا ضجَّ يومى وليلى سجا
رقيقاً شفيقاً كنور الصباح زكياً نقياً كقطر الندى
فيا أيها الروح ، ما أنت ؟ قل لى
أأنت من الله روح الرضى ؟
وهل أنت ظل الأمان الظليل دنا لىَ من سدرة المنتهى ؟
ترى شعَّ نور الإله بنفسى ليجلو الطريق ويهدى الخطى ؟
وهل للملائك ألحان حب فأنت بقلبىَ رجع الصدى !
فإنى أحسك روح الرضى وظل الأمان ، ونور الهدى
وأصـغى لدقات قلبى فأسمـ ع لحناً طهوراً بعيد المدى
يوقعه حبـك المستفيض فيذهلنى وقعه المشتهى
وتغمرنى سكرات التجـلى كأن الإله لعينى بدا
إخالك صورة حب كبير جلاها لعينى وحى السما
تهيم روحى لصوفية وتنفض عنها غبار الثرى

رمضان

للأستاذ محيى الدين صابر

رمضان ... والأيام تذكر ... كيف الرفاق عليك والسمر
صور من الماضى أجمّعها ... فتكاد تنطق فى يدى ... الصور
وأكاد ألمح فى معارفها ... كوناً من الأشواق ... ينفجر !!
وأكاد أسمع جنـة رجفت فى روحها للغيب ... تنحدر ...
تلك المعانى كلما بليت ... فنسيتهن ... يثيرها ... قدر
رمضان ... ما أحلى وأعذبه عهداً .. وقد تستروح الذكر ..
فكأن يومك من ... تألقه تسبيحة ... أو خاطر عطر
المؤمنون عليك : مبتهج يلقاك بالتقوى ... ومصطبر
يغشون إن هرم النهار بهم زمناً تزيف ... وراءها زمر
وتجمع الصبيان واحتشدوا وترقبوا مسراك وانتظروا
فكأنهم صاموا ... وما فعلوا لكنهم بجلاله ... شعروا
حتى إذا قرع الأذان مضوا فتصايحوا فى الحى وانتشروا
والخير أفسح فى النفوس مدى يهواه من عجزوا ومن قدروا !
والليل كم طاف الجلال به فخـلا على محرابه ... السهر
من ضارع لله مبتهل للنـور فى أعطافه ... أثر
أو سامر نثر الحياة به ... فناً ليوم الفن يدخر
أما المآذن فى جلالتها فكأنها الآيات والسور
يغشى الأذان بهن ممتلئاً عذباً ... فما ناى ... وما وتر ؟
ومسحر طرب ، يهب له من ضجعة الأحلام ... مستحر
تتجاوب الطبلات بينهم فى الليل ، كالدعوات تنتثر
صحبى هم ... إن رغوا قدست نفسى ولف رحابهـا طهر
ألقاهم فى الليل ... منطلقاً وعلى الطريق إذا هم عبروا
ونقص ما تأتى الحياة به ونقول ... ما نبقى ... وماتذر !!
ونرى الحديث يكاد أكثره بين الصدى والطبل ، ينطمر
رمضان ... ذلك فى مفاتنه فكأنه — مما حلا — ظفر
والعيش ذلك ... فى ملاعبه كالخمر تحت الكرم تعتصر
واليوم ... ما رمضان ؟ أبصره فكأنه فى خاطرى ... خبر !!
أذهلت فيه ... فيومه سفر طولا وما فى ليله قصر
وأكاد أنكره — على ورعى — وتكاد عنه النفس تعتذر !!
رمضان كيف يصوم مغترب لولا التقى ... ونوازل أخر
مضت الحياة ... وكلها نتن واليوم ... إن حياتنا ... عبر !

تعقيبات

الدكتور عبد الوهاب عزام بك :

ذلك رجل جمّله الله بالتواضع ، وكمّله بالعلم ، وزينه بكل فضيلة ، وما ذا ترى فى رجل له فى الناس ألف صديق وليس له فيهم عدو واحد ؟ !

شاعر عربى ينفح شعره بأنفاس الإنسانية ، وأديب كاتب تتجلى فى نثره نفحات العبقرية ، وعالم باحث لا يزدهيه الفخر بغزير علمه ، ولا يدخله الغرور بجزيل فضله ، ولكنه دائماً موطأ الجانب ، يلقى إليك بما عنده وكأنه يأخذ منك ويتلقى عنك ، ثم هو بعد ذلك يتوجه بالشكر إليك ...

ذلك هو عبد الوهاب عزام الذى وقع اختيار أولى الأمر عليه أن يكون وزيراً مفوضاً لمصر فى المملكة العربية السعودية ، وإنه لاختيار موفق كسبت به تلك « الوزارة » ، ولن يخسر به الأدب والعلم شيئاً إن شاء الله ؛ ذلك لأن الرجل أديب بطبعه ، وإنسان متفتح الإنسانية ، فصلته بالأدب هى صلة النفس ، فحال أن تنفك أو تضعف بحال من الأحوال .

إننى لن أكتب عن عبد الوهاب عزام اليوم كما أعرفه ، ولكنى أقتصد ذلك لفرصة قادمة ، وأكتفى اليوم بهذه التحية القصيرة ، وإنها لتحية للأدب والفضل والإنسانية فى شخصيته النبيلة ...

هذه المؤتمرات :

فى ٢٣ أغسطس الحالى يعقد فى سورية « مؤتمر الآثار بالبلاد العربية » الذى قررت عقده جامعة الدول العربية . وقد رشحت وزارة المعارف ثلاثة من أساتذتها لتمثيلها فى هـذا المؤتمر . وفى ٣ سبتمبر القبل يعقد المؤتمر الثقافى الأول الذى قررت جامعة الدول العربية أيضاً عقده فى لبنان ، وقد اختارت الوزارة ستة من كبار أساتذتها لحضور هذا المؤتمر

ولعل القراء يذكرون أنى عرضت لهذه المؤتمرات التى تدعو إليها الجامعة العربية من قبل ، وأشدت بما تؤدى إليه من الفوائد والآثار الطيبة ، ولكن الذى يهمنى أن أشير إليه هنا هو أن الجامعة تجرى فى التدبير لعقد هذه المؤتمرات على نهج الحكومات والوزارات التى تأخذ نفسها بالأوضاع الرسمية ، وكنا نحسب أن الجامعة ستجعل من عقد مؤتمراتها واجتماعاتها مجالا يتلاقى فيه رجالات العرب ومفكروهم وأساتذتهم لا أن تكون مجالا لموظفى الحكومات فحسب ، وإلا فإنها ستكون عديمة الجدوى قليلة الفائدة ...

لقد كان الواجب على الجامعة أن تترك الحكومات وموظفيها جانباً ، وأن تعتمد فى مؤتمراتها على رجال الفكر الأحرار فتتيح لهم الفرصة للبحث والمناقشة وتبادل الرأى ، فإن هذا هو الأليق بمهمة الجامعة وغرضها فى توثيق الروابط الثقافية ، أما أن تجعل مؤتمراتها قاصرة على موظفى الحكومات الذين تعنيهم الرحلة للنزهة أكثر من الرحلة للعلم فأن ذلك مما يذهب بقيمة هذه المؤتمرات ، وسيذهب أولئك الموظفون إلى تلك المؤتمرات ، ثم يعودون ليضعوا تقريراً بما رأوا وشاهدوا ، ثم تمضى الأيام وتمضى ولن يرى ذلك التقرير ضوء النهار ...

وكم ذا بمصر من المضحكات !

فى القرن الرابع للهجرة جاء المتنبى إلى مصر مادحاً لكافور الأخشيدى ، مؤملا أن يجد مقاماً طيباً فى رحاب المصريين ، ولكنه سرعان ماضاق بهذا المقام فهرب ناجياً بنفسه ، وقد أصلى كافوراً والمصريين الهجاء المقذع المرير ...

ويقول مؤرخو الأدب : إن المتنبى كان يطلب ولاية من كافور، فلما أباها عليه لجأ إلى هذا الصنيع الذى صنع ، والواقع الذى يدل عليه شعر الرجل غير هذا ، إنه ضاق بمصر وبالمصريين ، لأنه رأى الأوضاع فيهم مقلوبة : رأى أعجمياً يدرس أنساب العرب فقال :

وكم ذا بمصر من المضحكات (م) ولكنه ضحــك كالبكا
بها نبطى من اهل السواد يدرس أنســاب أهل الفلا

ورأى عبداً خصياً ناقص الرجولة يحكم رجالا من المصريين اكتملت لهم كل صفات الرجولة فقال :

لا شيء أقبح من فحل له ... تقوده أمَة ليس لهــا رحم

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأمم!

وقد كان في إقليمنا واعظ يعظ الفلاحين فيقول : أيها الناس إياكم وتعاطي الحشيش ، فإنه ضار مهلك ، لا أقصد الحشيش الأخضر الذي تأكله البهائم ، وإنما أقصد الحشيش الذي مثل هذا ... ثم يخرج من لفائف عمامته قطعة من ذلك المخدر القاتل فيطلعهم عليها ...

ورد كل هذا على ذهني وأنا أقرأ كلة للأستاذ أحمد الصاوي محمد في « أخبار اليوم » حمل فيها على معالي وزير المواصلات لأنه يشجع جماعة من الشبان الأدباء على إظهار مواهبهم ، ويسهل لهم سبيل الظهور بآثارهم ، والأستاذ الصاوي يعلم علم اليقين أن التشجيع في الأدب حافز الظهور والنهوض ، بل حافز الخلق والإبداع ، وأن أرباب الأقلام يطالبون الدولة بأداء هذا الحق ويقدرونه واجباً من واجباتها ، وأن الأمر في هذا كما يقول أبو حيان التوحيدي : « ولا بد من فتى يعين على الدهر ويجم راحلة الأمل » ! بل إن الناس جميعاً يعرفون أنه لولا تشجيع سيدة بارة كريمة لما كان هذا القلم الذي ينكر اليوم على وزير ما يبذله في تشجيع شبان أدباء ...

أنا لا أريد أن أدافع عن معالي الوزير ، فللوزير قلم مبين ، ورأي مكين ، ولا أريد أن أدافع عن « أدباء العروبة » ، فكل منهم قادر على أن يدافع عن نفسه وعن جماعته ، ولكن الذي يهمني أن يقحم الأستاذ الصاوي في هذه الجملة بموظف صغير — على حد تعبيره — هو الأستاذ محمود السيد شعبان الذي يشرف على تحرير مجلة سكة الحديد لأنه ينشر فيها مقطوعات شعرية في الغزل ووصف المرأة ...

وليس في هذا موضع للمؤاخذة من الناحية الخلقية ولا من الناحية الاجتماعية ، فإن جميع الصحف والمجلات تنشر شعر الغزل والتشبيب ، والإذاعة الحكومية تذيع على الناس صباح مساء فنوناً من المغازلات والمعابثات ...

والفن الصحفي يقضي بأن تحلى المجلة العلمية بهذه الطرائف الفنية لتخفف ما فيها من ثقل المسائل العلمية وتلطف ما بها من جفاف النظريات !

ولكن العجيب بعد هذا كله أن يكون الأستاذ الصاوي هو الذي ينكر هذا ويندد به وأكثر الموضوعات التي يطرقها هو الحديث عن المرأة في شتى صورها ومغامراتها

دع إنكار هذا لغيرك يا أخي ، دعه لسماحة الشيخ الصاوي شيخ الطرق الصوفية ، أما أن تتصدى أنت لذلك ، فإنه يكون منطق الأعجمي الذي يدرس أنساب العرب ، وواعظ قريتنا الذي ينهى عن الحشيش !

الكاتب المنشئ والكاتب الحاسب :

كتب الدكتور زكي مبارك في جريدة البلاغ مقالا أشار فيه إلى الموازنة الأدبية التي عقدها الحريري في إحدى مقاماته بين الكاتب المنشئ والكاتب الحاسب ، وقال الدكتور : إن الفكرة في هذه الموازنة جديدة عند الحريري فما سبقه إليها باحث من المسلمين

قلت هذا حكم يحتاج إلى التحرير والتصحيح ، فإن الفكرة في الموازنة بين الكاتب المنشئ والكاتب الحاسب قديمة في الأدب العربي ، وتسبق الحريري بأجيال وأزمان ، فقد كان الكتاب الحاسبون يعرفون بكتاب الخراج ، وقد أشار عبد الحميد الكاتب في رسالته التي توجه بها إلى الكتاب إلى هذا المعنى إذ يقول : « ولا تضيعوا النظر في الحساب ، فإنه قوام كتاب الخراج » . والواقع أن الحريري وجد مادة متوفرة لتلك المناظرة التي عقدها ، حتى الأوصاف التي خلعها على الكاتب المنشئ والأخرى التي وصف بها الكاتب الحاسب قد أخذها كلها عن الكتاب السابقين وليس له فيها من فضل إلا المقابلة والمزاوجة وإيثار السجع في التعبير

ولقد كان رجال الأدب والعلم ينظرون إلى الكتاب الحاسبين نظرة إغضاء على العموم ، وكانوا يعتبرون علم الحساب من العلوم التي لا تحتاج إلى موهبة خاصة أو فطرة سمحة ، وكانوا يسمونه علم الصبية ، ولا يحسون على الأخذ منه إلا بقدر ما يعين على معرفة التقسيم في علم الفرائض . وقد ظلت آثار هذا الرأي بادية بين علماء الأزهر إلى عهد قريب ؛ وكل ما أريد أن أشير إليه هو أن الحريري لم يكن المبتدع لهذه الفكرة ولا أول من جال في مجالها كما ذكر الدكتور ...

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

الفن والبيئة المصرية :

جاء فى مجلة المصور ما يلى : « كان من مظاهر عناية جلالة الملك بالفن والفنانين أن أمر جلالته بتخصيص قطعة أرض مجاورة لقصر القبة العامر ، مساحتها نحو ثلاثة أفدنة ، لينشأ عليها مبنى للصغار الذين يظهرون نبوغاً فى فن الرسم والنحت وما إليهما . ويرى جلالته أنه ينبغى تنشئة جيل جديد من الفنانين الذين لم يتشبعوا بعد بالفن الأجنبى ليجىء فنهم مصرياً خالصاً من وحى طبيعة مصر وبيئتها »

وهذا الرأى السامى الذى ارتآه جلالة الملك يتضمن لفتة ألمعية بارعة إلى ناحية من أبرز نواحى النقص فى الفنون عندنا ، بل لعلها علة القصور فى جمهرة الفنانين ، وهى الانشغال بالتقليد والاقتباس عن الإحساس بالبيئة وتأمل الطبيعة والأحوال المحيطة ، وليس هذا فى الرسم والنحت فحسب ، بل هو فى سائر الفنون . فترى الروح الغربية تغلب فى الرسم والموسيقى والتمثيل وتمتد إلى الأدب ، ولم يقف ذلك عند حد الاستفادة من الفنون الغربية بما يجدد فنوننا ويسير بها نحو التقدم ، بل إننا نستنفد طاقتنا فى أكثر النواحى الفنية ، فى كل ما هو بعيد عن مجتمعنا وعالمنا ونفوسنا .

وما أظن أن لدينا من المرسومات والمنحوتات المصرية البحتة فى هذا العصر ما يصح أن يكون إنتاجاً كافياً لأن يقال إن فى مصر للرسم والنحت فناً مصرياً له مقوماته وشخصيته

وهذه الموسيقى التى يقال إنها موضوعية أو تعبيرية ، تسمع القطعة منها فلا تحمل إلى إحساسك أى شىء من موضوعها ، وهى وغيرها أصوات متشابهة ، قليل منها ما تستريح إليه الأذن ، وأكثرها ما تستريح منه بوقف المذياع ! وذلك لأنها محاولات تقليدية لم تبلغ أن تكون فناً أصيلا يعبر عن الذات ويصور الإحساس . ولقد كانت لأسلافنا موسيقى نسمع عن تأثيرها البالغ ما يؤسفنا لحاضرنا فى هذا الفن ، كموسيقى الفارابى التى أضحك بها وأبكى ، ثم أنام بها الحاضرين وانصرف ...

وأدبنا أيضاً لا يصدر أكثره عن بيئتنا وحياتنا ولا توحيه طبيعتنا . فالشعر « يستغرب » ، والقصة لا تزال غربية ، وحتى الأفكار الاجتماعية تقتبس ، وإلى جانب هذه الروح الغربية تغلب أيضاً الروح العربية السلفية ، فأدبنا يقضى أكثر أوقاته إما فى الماضى ، أو فى الغرب .

وأصل الداء فى كل ذلك أننا ننسلخ عن بيئتنا ونقتلع أرواحنا من منابتها الأولى ، ويتمثل هذا فى الناشئ الذى يتعلم فى (كتاب) القرية ، ثم فى مدرسة المركز الابتدائية ، ثم فى الثانوية بعاصمة المديرية ، ثم فى جامعة القاهرة أو الأسكندرية ، وقد يذهب إلى ما وراء البحار ؛ وهو فى كل مرحلة من هذه المراحل يبتعد عن القرية بعقله وروحه بمقدار ما انقضى من الزمن وما بعد من المسافة ، فإذا رجع إليها وشعر بالفارق بينه وبين أهله وأهلها لم يطب له المقام فيها ... فيهجرها ...

وليس لهذا النقص فى فنوننا إلا علاج واحد ، هو الذى أشار به الفاروق ، وهو أن نعيش فى مواطننا ونحس بما يضطرب فى عالمنا ونستوحى طبيعتنا ، ليكون فننا صورة لنا وعنواناً علينا ، ويكسب بذلك الروح الذى يكون به فنا حياً .

السجل الثقافى :

رأت المراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف أن كثيراً من الهيئات الرسمية والحرة تقوم بنشاط ثقافى متصل لا يعرف عنه إلا القليل ، ولو عرض هذا النشاط متجمعاً واضحاً لكان دعاية قوية لمصر ، ولكان مادة نافعة تمكن الدارس من متابعة سير تلك الهيئات وإنتاجها وتوجيهها فيما يزيد الانتفاع بها ؛ فتقرر إنشاء قسم بها للقيام بتجميع نشاط الهيئات الثقافية ، وسمى « إدارة التسجيل الثقافى » وعمل هذه الإدارة تسجيل مظاهر النشاط الثقافى فى البلاد من كافة جوانبه ، عدا الجانب الذى تضطلع به معاهد التعليم وفق برامجها الرسمية ، ليجتمع للباحثين فى شئون الثقافة العامة أسباب العلم بما بلغته البلاد من التقدم العلمى ، ومدى وعيها الثقافى ، وما ينتظر أن تبلغه على الأيام فى هذا السبيل ، ليؤدى ذلك إلى غايتيه الطبيعيتين :

الأولى تعريف ضيوف مصر والمهتمين بشئونها من الأجانب ، المكانة التي بلغتها مصر من الثقافة العامة .

الثانية إعداد البيانات والوثائق التي تحتاج إليها الحكومة ، والهيئات العلمية ، والمثقفون في البلاد ، لتدعيم النهضة الثقافية ، وتوجيهها الوجهة الكفيلة بتحقيق مصلحة البلاد ، وتكميل النقص فيها ، ومدها بأسباب القوة والاستمرار ، حتى تكون مشروعات البلاد وبرامجها الثقافية العامة مستندة إلى أساس ، قاصدة إلى هدف .

ولتحقيق هذين الغرضين كان أول ما تهتم به إدارة التسجيل الثقافي إصدار « سجل ثقافي » سنوي يصف مظاهر النشاط الثقافي خلال عام ويبين اتجاهات هذا النشاط ومراميه ، وسيشتمل هذا السجل على أبواب النشاط الثقافي في البلاد ، وما أدته كل هيئة من الخدمات الثقافية خلال العام ، سواء في ذلك الهيئات الرسمية والهيئات الشعبية ، كمجمع فؤاد الأول للغة العربية ومايشبهه من المجامع ، ودور الكتب في القاهرة والأقاليم ، والمتاحف العامة والخاصة ، والجمعيات الثقافية ، والجامعة الشعبية ، والأندية العلمية ، والمعارض ، والإذاعة ، والمسرح ، والسينما ، وحركة النشر والطباعة ، والصحافة ، والمحاضرات ، والتعاون الثقافي ، وما يتصل بذلك من ألوان نشر الثقافة .

وقد استقر الرأي على اعتبار العام الثقافي من أول يناير إلى آخر ديسمبر ، ويصدر « السجل الثقافي » السنوي بعد إتمام تجميع مواد العام الثقافي ، ويقدر لذلك نحو ثلاثة أشهر بعد انتهاء العام .

وقد تكونت الإدارة من الأستاذ محمد سعيد العريان رئيساً ، والأستاذ عبد الحميد يونس وكيلا ، والأساتذة كامل حبيب وعباس خضر وأنور المعداوي أعضاء فنيين . وابتدأت العمل في مكانها الجديد الذي اختير لها بميدان الخديوي إسماعيل بعيداً عن الديوان العام للوزارة وضغط أصحاب الحاجات الذين تزدحم بهم مكاتب الموظفين وردهات الديوان .

المؤتمر الثقافي :

عرف القراء مما كتبناه فيما مضى أن اللجنة الثقافية بالجامعة العربية دعت إلى عقد مؤتمر ثقافي بلبنان في الأسبوع الأول من سبتمبر القادم تنفيذاً المعاهدة الثقافية المعقودة بين دول الجامعة العربية .

وسينظر هذا المؤتمر في وضع حد أدنى مشترك لمواد الدراسة في المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية في البلاد العربية ، وذلك في اللغة العربية والجغرافية والتاريخ والتربية الوطنية ، كما سيعنى بمعالجة طرق تعليم اللغة العربية . ومنذ قليل فرغت اللجنة المؤلفة بوزارة المعارف المصرية لتيسير تعليم اللغة العربية ، من مهمتها ووضعت تقريرها ، ولكنها رأت عدم إذاعته انتظاراً لما يسفر عنه بحث المؤتمر الثقافي في هذا الموضوع .

وكانت لجنة المؤتمر التحضيرية قد وجهت إلى الحكومات العربية أسئلة في المواد التي هي موضوع نظر المؤتمر ، بقصد إثارة النقط التي ستبحث ، ليبدي المختصون آراءهم فيها . وقد تلقت اللجنة أبحاثاً كثيرة من الهيئات والأفراد واختارت ما رأته صالحا منها ، ووضعت تقارير عما تضمنته هذه الأبحاث .

ومن الأسس المبدئية التي وضعتها اللجنة التحضيرية لأبحاث المؤتمر بيان العيوب الحالية في طرق التدريس والمناهج ، واقتراح ما يراه الباحث من وسائل النهوض بها وخاصة في تيسير القواعد وتيسير الكتابة ووضع خطة نافعة لتدريس تاريخ الأدب ونصوصه

أما في الجغرافيا فيعنى بجغرافية البلاد العربية خاصة ليقف أبناء كل من البلاد العربية على أحوالها المختلفة من طبيعية وعمرانية واقتصادية ، ويستعان في ذلك بالمصورات والأفلام والرحلات

وأما التاريخ فتتجه العناية فيه إلى التاريخ العربي والروابط التاريخية بين البلاد العربية في العصور المختلفة

وفي التربية الوطنية سيكون أول أغراضها إعداد المواطن العربي المستنير ليكون مواطناً صالحاً في مجموعة البلاد العربية كما هو مواطن صالح في أمته ، ويهتم بالوسائل التي تكفل تدريبه كالرحلات والجماعات المدرسية

وقد تلقت الأمانة العامة للجامعة العربية من الفنادق اللبنانية بيانات للتخفيضات التي قررتها في أجورها لأعضاء المؤتمر ، كما قررت إدارات السكك الحديدية المصرية واللبنانية والفلسطينية

تخفيضات مختلفة فى أجور السفر للأعضاء ، وكذلك بعض شركات الطيران والسيارات .

وقد أذاعت وكالة الأنباء العربية من بيروت أنه سيشترك فى المؤتمر الثقافى العربى أربعون سيدة عربية .

السينما والأهداف القومية :

من أنباء أمريكا أن دعاة صهيونيين قد اتفقوا مع جماعة من الممثلين والممثلات المشهورين للاشتراك فى أفلام تدور حول الدعاية الصهيونية . وقرأت فى إحدى المجلات الفنية أن صناعة السينما فى إيطاليا تتجه فى الوقت الحاضر إلى معالجة الموضوعات التى ترى إلى النهوض بالأمة من كبوتها ، وإلى خلق مجتمع جديد يتمتع فيه الفرد العادى بحقوقه كاملة .

فهل يمكن أن يعمل القائمون بصناعة السينما فى مصر أفلاماً من هذا القبيل للدعاية لقضيتنا متخذين مما يدور حولها الآن فى مجلس الأمن من عراك ونقاش ، مادة لعملهم ، وإن فى مناظر وفدنا هناك فى اجتماعاته ودعاياته ومواقف رئيسه الخطابية فى المجلس لمجالا واسعاً لذلك ، وقد أنهت إلينا الأنباء أن مندوبى شركات السينما قد نشطوا فى التقاط الصور فى مختلف الأوضاع ، فما نصيب فننا السينمائى من هذا كله ؟ وما جهده فى خدمة هذه القضية ؟

ومن يدرى فقد ينشط الإنجليز فى الدعاية ضد قضيتنا بالأفلام أيضاً . فهل نقف أمام ذلك مكتفين بأضعف الأيمان ..؟

إننا نتخذ السينما اليوم ملهاة فارغة ، أى أنها تسلى الشعب وتروح عنه ولكنها لا تحمل إليه شيئاً ذا بال ، ولكن الشعب لن يصبر طويلا على هذه الحلوى ، فإن وعيه القومى يفتح شهيته لغذاء نافع ، وغاية الرجاء أن يصاحب هذا الوعى نضج السينمائيين والتفاتهم إلى مقتضيات الأحوال .

إننى لست متشائماً ، فالزمن مع الوعى يحقق ما نصبو إليه ، وقد مضى ما يكفى من الزمن واكتملت يقظة الوعى ، فالتحول المنتظر وشيك الوقوع .

الأدب بين مصر ولبنان :

قرأت الكلمة التى كتبها من بيروت الأستاذ سهيل إدريس ونشرت فى العدد الماضى من الرسالة ، والتى عقب فيها على ما كتبته فى العدد (٧٣٤) حول ما يعتب به علينا إخواننا اللبنانيون من إهمال مؤلفاتهم فى مصر . وأجمل ردى على تلك الكلمة ، أو ما أود أن أقوله فيما تضمنته ، فيما يلى :

١ — كتبت فى الموضوع واحداً وثلاثين سطراً ، أكثرها فى بيان تقصير لأدباء المصريين فى حق المؤلفات اللبنانية ، وذكرت فى ثلاثة أسطر ما مجمله أن المؤلفين اللبنانيين لا يرضيهم أن ينقد أدباء مصر مؤلفاتهم نقداً حراً . ففصل الكاتب هذه الثلاثة الأسطر وجال حولها جولة أثارت غباراً أوثر أن أكتفى بالقول أنه حجب عن العيون كيفية تناولى للموضوع ...

٢ — قال إننى أطلقت القول دون أن آتى بمثال لمن غضب من النقد . والحمد لله ، لقد كفانى الأستاذ نفسه هذا الأمر ، إذ حمل علىّ هذه الحملة لمجرد تلك اللفتة الرفيقة التى جاءت بعد كلام شديد فى الإنحاء على الأدباء المصريين ، وقد كفانى الأستاذ بذلك أيضاً مؤونة الخروج عن منهجى فى عدم التجريح بذكر الأسماء .

٣ — كنت أرانى أستحق نفحة طيبة من رُبَى لبنان ، بدل هذا الذى ساقه إلىّ الأستاذ سهيل ، أو يجانبه على الأقل ..

وبعد فأستشمر « الحساسية والذوق والمودة » وأبعث إلى الأستاذ سهيل إدريس ببيروت — تحية :

« العباس »

لقد شغل العرباني الجرماني العلامة (كرنكو) اللغويين والأدباء أكثر من عشرين سنة بنقده ما نقده ، ولم يزل يشغلهم .

السهمى

خير الأمور الوسط ... أيضاً

كتب الدكتور أمير بقطر مقالا فى مجلة الهلال عنوانه : (شر الأمور الوسط) وأخذ يندد بأوساط الأمور ويعتبرها (أقلها إنتاجاً ، وأبخسها ثمناً ، وأسرعها زوالا ، وأخفها أثراً فى النفوس) فجاء الأستاذ مصطفى محمد إبراهيم وكتب كلمة فى العدد (٧٣٦) من الرسالة الغراء ، يحتفظ لهذه الحكمة بكيانها واعتبارها ؛ فحمل كلمة الوسط على أنها خير الأشياء وأعدلها .

ويؤسفنا أن نقول أن كلا من الدكتور العلامة ، والأستاذ الفاضل قد تنكب الجادة ، فليس المراد من الوسط فى هذه الحكمة وسط كل شىء وإلا كان العرب الذين أجروها على ألسنتهم بُلهاً مغفلين ، وليس المراد من الوسط (من كل شىء خيره وأعدله) وإلا كانت الكلمة متهافتة فتئول حينئذ إلى هذه الركاكة (خير الأمور خيرها) وهو ما نبرىء العرب من التورط فيه .

وإنما قصدت العرب من الوسط هنا معنى أدبياً هو الحد بين الإفراط والتفريط ، ولذلك يقولون : الفضيلة حسنة بين سيئتين ، والجود مثلا وسط بين البخل والإسراف ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، وليس الطالب الذى ينال ٦ من ١٠ حائزاً على الوسط الذى قصدوه . ولو أردنا أن نضرب المثل بالطالب لقلنا إن من الطلاب من يعتدل فى استذكار دروسه فيعطى الدرس حقه ويعطى نفسه حقها ، ومنهم المسرف الذى يعمل الليل والنهار ، ومنهم المكسال وخير الثلاثة المتوسط .

ونحن إذا رجعنا إلى أقوال العرب وجدنا فيها ألف دليل على هذا الذى ذهبنا إليه .

فالشاعر يقول :

فرط التناهى غلط   خير الأمور الوسط

ومن أمثالهم : (لا تكن حلواً فتسترط ، ولا مراً فتعقى)



فى اللغة فعلاء :

نبه الكاتب الباحث الأستاذ الفاضل محمد سليم الرشدان فى الرسالة الغراء (٧٣٥) على وصف الكاتبة الفاضلة الكاملة السيدة منيبة الكيلانى الأروقة -- وهى جمع -- بالسوداء -- وهى مفردة -- فى مقالها (لسان الدين بن الخطيب) .

فى (إرشاد الأريب) لياقوت فى سيرة أبى العلاء :

قال الشيخ أبو العلاء (رضى الله عنه) : لزمت مسكنى منذ سنة (٤٠٠) واجتهدت أن أتوفر على تسبيح الله وتحميده إلا أن أضطر إلى غير ذلك . فأمليت أشياء ، وتولى نسخها الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى هاشم — أحسن الله معونته — فألزمنى بذلك حقوقاً جمة وأيادى بيضاء ، لأنه أفنى فى زمنه ، ولم يأخذ عما صنع ثمنه ، والله يحسن له الجزاء ، ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء .

وفى رسالة المنيح لأبى العلاء (رسائل أبى العلاء ص (١٦) ونهاية الأرب ج ١٤ ص ٢٦٥) :

وكم فى أديم الخضراء ، من أشباح مضيئة زهراء .

وفى (المخصص) ج ١١ ص ١٧٢ :

الرُّغل : حمضة تتفرش وعيدانها صلاب ، ورقها نحو من ورق الحاجم إلا أنها بيضاء ، وهو أجود الحمض . وقيل هو ذو قضبان ، له ورق(١) مثل الأظافير خضراء غبراء . وقيل : هو بقلة ليست بشجرة »(٢) .

إذا قال هذان الإمامان ما قالاه فللسيدة منيبة ، ولكل أديب وأديبة ، الإئتمام بهما ، ولن يضل — إن شاء الله — مهتد بهديهما

(١) الورق مجموع . روى المصباح للأخطل .

فكأنما هى من تقادم عهدها   ورق نشرن من الكتاب بوالى

(٢) وصف الجمع بمفرد فى (الكشاف) ج ٢ ص ٣٨٣ وفى (شرح ديوان الحماسة) ج ٤ ص ١٢٠ وفى رسالة الصاحب فى (إرشاد الأريب) ج ٦ ص ٢٩٧ .

أى تلفظ ، وقول مطرف ابن الشخير : (الحسنة بين السيئتين ، وخير الأمور أوساطها) .

فلا حاجة بنا — إذن — إلى حمل الوسط على معناه فى قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » كما لا حاجة بنا إلى التنبيه على أن الدكتور بقطر ذهب عليه معنى الوسط ، وفهمه فهماً حسابياً ! !

على العمارى

المدرس بالأزهر الشريف

نعم الضمير مطمئن :

قرأت كلمة الأستاذ الشاعر محمود عماد بعدد الرسالة الغراء ٧٣٢ رداً على الأستاذ محمد غنيم وفيها يقرر أن الضمير الثانى فى « هذه مسألة لها أهميتها » — وما شابهها — لا يزال قلقاً واستدل على قلقه بتفسير الأستاذ غنيم للآية الكريمة . وطلب الاستشهاد بمثال آخر من القرآن أو من مقول العرب .

فإليه أبعث بهذه الأمثلة مقرراً ما قاله الأستاذ غنيم ، وهو أن الضمير مطمئن له أهميته ، ومثل هذا التعبير إنما يرد فى مقام التقرير لأن المسألة لها أهميتها فى ذاتها وهذه الأهمية مقصورة عليها لا تتعداها إلى غيرها .

يقول الله تعالى « لنا أعمالنا ولكم أعمالكم » ويقول : « لهم أجرهم عند ربهم » ويقول : « وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم » .

ويقول ابن الرومى :

لها أجرها إن أحسنت فلنفسها ... وميزانها يوم القيامة أرجح

ويقول مهيار الديلمى :

لى عفتى عنـــه وما نال له ... وخيرنا من عارك العيش الخشن

ويقول :

له خصبه دونى ولى نوطتى به ... وعون أيامه وهو مجدب (كذا)

ويقول :

تحل بها يا سعد فهى قلادة ... يزيّن فيها فاخرَ الدر ثقبه
لها حسنها . لكن أريدك شافعاً ... وخير شفيع لى إلى الجسم قلبه

وعلى هذا فالتعبير بهذه الأمثلة صحيح وسليم . وما أظنه إلا مقراً بأن الضمير له اطمئنانه وأهميته .

(القاهرة) **كمال الخولى**

تصحيح بيت :

فى العدد ٧٣٣ من الرسالة الغراء كلمة للأديب عدنان أسعد من قصيدة للشاعر السودانى المرحوم « التيجانى يوسف بشير » نشرت فى مجلة « العالم العربى » بعنوان « فى محراب النيل » وهو

واستفاقوا يا نيل منك لنَغَما ... م شجى من آلهىّ ربابك

إذ قال إنه مكسور لأنه ظن أن لفظة « إلهى » التى وردت فى البيت منسوبة إلى « الإله » والصواب أنها منسوبة إلى « الآلهة » لا إلى « الإله » كما جاء فى الديوان وبذلك يكون البيت بصورته صحيحاً

وهناك الكثير من الأبيات وردت فى ديوان الشاعر السودانى ضمنها هذه الكلمة مثل :

والأخ الحبر . . والفتى الآلهى النفـ ... ـس خلو من الحجا والضمير

(اسكندرية) **محمد مفتاح الفيتورى**

إلى الأستاذ (الجاحظ) :

ورد فى تعقيباتكم فى عدد الأسبوع (٧٣٥) من الرسالة تحت عنوان « ولكنهم المملون » ما يلى :

« ولو أن هذا التعبير وقع من جماعة المهندسين مثلا لأغضينا عنه وقلنا أمر ليس من صميم صناعتهم فلا لوم عليهم ولابتغينا له أوجه التأويل ... » .

ولم أجد يا سيدى سبباً يدعوك لتختار جماعة المهندسين وترميهم بعدم الدقة فى التعبير والجهل بقواعد اللغة وتقول (أمر ليس من صميم صناعتهم) . إن المهندس أكثر الناس دقة فى اختيار ألفاظه ومعانيه — ويزداد عنهم إيضاحاً بالتجائه إلى المعادلات والأعداد . وبمصر مهندسون يغارون كل الغيرة على على مهنتهم ولغة بلادهم .

أنا معك يا سيدى فى أن نهضتنا الهندسية حديثة وأنه لم يتم للآن الاتفاق على بعض مصطلحات العلوم الحديثة ولكن أود إحاطتك علماً بالمجهودات التى تبذلها نقابة المهن الهندسية وجمعية المهندسين الملكية فى هذا الباب .

ختاماً إن كنت قد أسأت فهم قصدك فلى منك بيان .

المهندس وحيد مصطفى



قصة إسلامية :

شيخ الأندلس

منقولة عن الانجليزية

بقلم الأديب وهبي إسماعيل حق

— ٢ —

وجدت هذه الدعوة طريقها إلى بعض الآذان ، وتهامس كثير من الخدم وقبلوا أخيرا وأعلنوا الموافقة وعمد كل فريق منهم إلى سيده فشد وثاقه وأحكم قيده ، ثم تفرغوا إلى الأمتعة يسلبون وينهبون ما تصل إليه أيديهم .

ولما عاد إدريس وسمع صيحات الخيانة تتردد فى جنبات المعسكر ، انتقى سيفه ، واستعد للنزال ، فاعترضه أحد الخدم وقال له :

— لا تضيع الوقت يا إدريس ، فهذه فرصة قل أن تسنح . إن القراصنة عاهدونا عهدا وثيقا أننا سنقتسم وإياهم كل ما نسلب ولم يدعه إدريس يتم حديثه فبادره بقوله :

— بماذا تنطق يا هذا ؟ وماذا تريد أن تقول ؟

— أقول إن الظروف قد هيأت لنا أن نسلب متاع هذا التاجر ، ونختص بها دونه ، وسنتنزل لك عن نصفها ، ونشترك جميعا فى النصف الآخر ... وها نحن أولاء قد أحكمنا قيد سيدنا ؛ فلا تتردد وسارع إلى معونتنا ...

لم يكن لدى إدريس سوى عمل واحد لإجابة ذلك الخادم ، فإنه لم يكد يتم جملته حتى كان السيف قد فلق هامته ، فسقط على الأرض تتفجر الدماء غزيرة منه ، ثم دلف إدريس إلى إحدى الخيام فوجد سائر الخدم منهمكين فى كسر الصناديق ، وتفريغ الأوانى الذهبية ، وربطها استعدادا للرحيل ، فلما وقع عليه نظرهم حسبوه قد خف لمساعدتهم ، فقالوا فى لفظ واحد :

— مرحبابك يا إدريس ! ستكون الجمال هنا بعد قليل ، فلم يمهلهم إدريس إلا ريثما لفظوا تلك اللفظة ، فأمسك بسيفه وأجهز على ثلاثة منهم فى طرفة عين ، فلاذ الباقون بالفرار ...

ولما لم ير إدريس سيده ولم يسمع له صوتا ، انتقل إلى خيمته الخاصة فوجده ملقى على وجهه فى أحد الأركان . وبجواره واحد من المتمردين والسيف فى يده ، فقال له ذلك المتمرد حين رآه بعد أن ركل التاجر برجله :

— ماذا يجب أن نعمل يا إدريس لنتخلص من هذا التعس؟

تأثر إدريس من الحالة التى وصل إليها سيده ، ومن الخيانة التى بدرت من أتباعه ومن هذه الوحشية والقسوة التى عاملوه بها ؛ إنهم قد شدوا وثاقه ، وأحكموا قيده ، وطرحوه أرضا ، وشهروا عليه سيوفهم ... إن إدريس مسلم ، ودينه لا يبيح له أن يتخلى عن أداء واجبه وإن عرض عليه نصف المتاع ثمنا لتخليه .

حقا إنه وحده فى هذا المكان أمام زملائه الذين سولت لهم أنفسهم أن يتألبوا على ولى نعمتهم .

وحقا إن سكوته سيجعل منه بعد ساعات معدودات غنيا كبيرا ، وثريا عظيما ، وليس بالهين عليه أن ينقذ سيده ، كما أنه ليس بالهين عليه أن يقف مكتوف اليدين لا يعمل عملا ...

إن ضمير المسلم يهيب به أن يعمل على انقاذ سيده وأن يرعى حقه عليه ، وأن يكون وفيا له ، أمينا مخلصا ، وأن يربأ بنفسه ، وينأى بدينه عن أن يتسفل إلى هذا الدرك من الانحطاط الخلق . وهذا ما كان من إدريس فقد وثب على الخادم الذى يحرس التاجر وثبة النمر ، وجرده من سيفه ثم أطاح برأسه ، وبسرعة البرق حل قيود سيده ، وعاونه على النهوض .

أما بقية الأتباع فقد كانوا فى شغل عن ذلك كله بحزم الأمتعة فى الخيام الأخرى . ففاجأهم إدريس وصرخ فيهم صرخة قوية نبهتهم إلى الخطر الداهم ، فلما هموا بالقضاء عليه رأوا بجانبه سيدهم وبيده سيفه البتار . فغشيهم من الهم ما الله به عليم . وقبل أن يثوب إليهم رشدهم ، أعمل إدريس وسيده فيهم سيفيهما فسقط اثنان منهم يتخبطان فى دمائهما . فلما رأى الباقون ذلك ولوا مدبرين . وتركوا كل شىء على ما كان عليه .

فى الصباح الباكر لاح فى وسط البحر على مد البصر ، مركب القراصنة يمعن فى الهرب ، وهو مشحون بما سرقوه من

أموال ومتاع . وكانت جثث القتلى والجرحى متناثرة حول الخيام فى منظر رهيب ترتجف لهوله القلوب ، ولم ينج من التجار سوى سيد إدريس ، فقد كتب الله له السلامة على يد رفيقه الأمين وحارسه المخلص الذى أبى عليه دينه وأبت مروءته أن يترك سيده فى محنته . كان إدريس مؤمناً حقاً ، طبعه الإسلام بطابعه ، فنشأ متواضعاً جم التواضع ، كبير النفس ، عالى الهمة كثير الوفاء ، شديد الإخلاص أحرص على تعاليم النبى محمد صلى الله عليه وسلم من حرصه على حياته ، فكان يرى أنه لا يليق بالمسلم أن يلوث سمعة الإسلام بالجبن أو الخيانة ، أو القعود عن نصرة الضعيف ... وكان يرد على ثناء سيده عليه بعد تلك الليلة بقوله :

— إننى يا سيدى لم أقم إلا بما يجب علىَّ كإنسان مسلم يعلم أن الله يجزى المحسن بإحسانه ، ويعاقب المسىء بإساءته ، وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا .

كانت تلك الفرصة هى التى ولدت فى التاجر الثقة بإدريس ، وأعلت منزلته فى قلبه ، حتى أصبح لا يعمل إلا بمشورته ، ولا يصدر إلا عن رأيه ، وكان الرجل من كبار التجار فى الأندلس، له القصور الشامخة ، والمزارع الواسعة ، والحدائق الغناء ، والبساتين الزهراء ، يحوطه جيش من الخدم والحشم ، ويتمتع بتقدير الناس ومحبتهم

ولما استقر المقام بالتاجر فى بلده بين أهله ، أقام حفلا كبيراً ، شكراً لله على سلامته ، ودعا إليه سراة القوم وعليتهم ، وقدم لهم إدريس منقذ حياته ، وامتدح لهم شجاعته ونجدته ، وقص عليهم قصته ، وقال فى تمام حديثه : « فلولا إدريس لكنت فى عداد الأموات منذ أمد بعيد ؛ فأنا مدين له بحياتى ! » .

جعل كلام الرجل لإدريس مكاناً ممتازاً فى نفوس الناس وقلوبهم ، فكانوا يجلونه ويحترمونه ، ويقدرون فيه أخلاقه الإسلامية الكريمة ، التى فتحت له أبواب السعادة فى مستقبل حياته ، فلقب بشيخ الأندلس ، وصار أغنى أغنيائها .

وفى مكان منعزل عن المدينة وضوضائها ، كانت الساحة الشعبية التى أعدتها حكومة الأندلس الإسلاميـــة ، لإقامة المهرجانات الرياضية والباريات فى الرماية والفروسية ، وكانت الساحة واسعة ، اكتست أرضها بحشيش أخضر جميل ، وقامت فى جوانبها أبنية فخمة فى شكل دائرى ، واجهتها مكشوفة إلى الملعب ليجلس فيها المتفرجون أيام المباريات ، وكانت الساحة مفتحة الأبواب لجميع المواطنين من غير تمييز بينهم فى الجنس أو الدين ؛ فقد كان للأندلسيين ولع شديد بالرياضة على اختلافها ، فكان البرابرة والعرب واليهود منهم والمسيحيون والمسلمون يؤمون تلك الساحة من كل فج فى نشوة الفرح وغمرة السرور .

وكان العلم الإسلامى الوطنى يخفق فى قمة البناء ، ينشر العدل والإخاء ، ويدعو إلى التسامح والمساواة ، وكانت المباريات الرياضية والمهرجانات الشعبية فى المناسبات الدينية ، والأعياد الوطنية ، وكان أعظم تلك المباريات المباراة التى تقام فى أيام عيد الفطر من كل سنة ، فقد كان يتقدمها عرض عسكرى عام ، تتبعه حركات رياضية ماهرة ، وكان نبلاء المسلمين وأمراؤهم يدعون إليها كبار المسيحيين وعيونهم ليشتركوا فى الرماية وسباق الخيل .

وكانت الوفود تتوالى على المدينة من أقاصى البلاد وأدانيها لشهود المهرجانات ، فيقابلهم السكان بالحفاوة والترحيب ويفتحون لهم صدورهم وبيوتهم ، ويقيمون لهم الولائم الفخمة والحفلات العظيمة ، وكانت الحكومة تعد بيوتاً لمن لم يجدوا لهم مأوى . توفر لهم فيها أسباب الراحة ، وتهيىء لهم فيها طيب الإقامة .

وفى إحدى السنوات كان شهر رمضان يقترب من النهاية ، حين أخذت المدينة زخرفها وازينت ، وشرع السكان يتأهبون لاستقبال الوافدين عليهم من أعالى البلاد وأسافلها لحضور المباراة الكبرى ، وكانت عادتهم قد جرت بأن الغرباء عن المدينة يكتبون إلى أصدقائهم فيها أنهم سينزلون ضيوفاً عليهم مدة المهرجان ليعدوا لهم أماكن لإقامتهم ، وكانت برامج المهرجان تذاع بين السكان قبل إقامته بأيام معدودات ، وبينها أسماء المشتركين فى المباريات الرياضية ، وركوب الخيل ، واللعب بالسيف والرمح ، وإصابة الأهداف بالسهام . لم يبق على العيد إلا يوم وبعض يوم ، وليس لأهل المدينة حديث إلا حديث المباراة ، ومن اشترك فيها من المسلمين والمسيحيين الذين استعدوا لنزال إسحاق بن إدريس ، ذلك الشاب العربى المسلم الذى توالى انتصاره فى عامين متتابعين .

إن القارىء ليذكر أن إدريس بن أحمد قد أصبح أقرب المقربين إلى ذلك التاجر الأندلسى الذى التحق بخدمته فى سوريا ورافقه إلى بلاده ، وخلصه فى الطريق إليها من براثن موت محقق ، ولقد نعم إدريس بجواره بضع سنوات كان فيها موطن سره ، وموضع إعزازه وإكباره ، فلما وافته منيته ولم يكن قد أعقب ذرية تؤول إليها ثروته الطائلة أوصى بها لمنقذ حياته إدريس وفاء لحقه واعترافاً بفضله ، فأصبح إدريس منذ ذلك التاريخ صاحب غنى وجاه عريض . ولقد شكر لله هذه النعمة العظيمة ، فكان ينفق

بسخاء على المعوزين وذوى الفاقة ، وكان يحج كل عام إلى بيت الله الحرام ، ويهدى لأهل الحرمين الشريفين ، ويتنازل لهم عن كثير من الأموال . وقد رزقه الله فى الخامسة والأربعين من عمره طفلا جميل الصورة ، لطيف التكوين ، ورث عنه صفاء العقيدة ، وحدة الذهن ، ونقاوة الضمير ، فاهتم بتربيته وتنشئته على الأخلاق الإسلامية الحميدة ، وعلمه ركوب الخيل والرماية ، فشب نبيل الطباع ، نادر المروءة ، كريماً سخياً . فلما استوى عوده ، واشتد ساعده ، أضحى مضرب المثل فى الفروسية وركوب الخيل . وكان أبوه إدريس قد بلغ من الكبر عتياً ، فعلق على ابنه كل أمل له فى الحياة ، واتخذ منه دعامة قوية ، وعدة صالحة للمستقبل

ولقد نال إسحاق فى سنتين متعاقبتين جائزة البطولة الذهبية فى المباراة الكبرى ، وتردد اسمه فى هذه السنة على كل لسان ، وتساءل الناس متشككين : أيحوز قصب السبق مرة ثالثة وقد احتشد له كبار الرماة من المسيحيين الذين برعوا فى ركوب الخيل وقد هرعوا لنزاله من مناطق شاسعة البعد ؟

حل اليوم الذى تختم به المباراة الكبرى ، وتخفق فيه قلوب المتنافسين رغبة فى الفوز ، ورهبة من الفشل ، وبدأ الناس يفدون إلى الساحة مبكرين ، وقد أخذوا زينتهم ، ولبسوا أبهى حللهم ؛ وكانت السيدات يتباهين بجمال زينتهن وحسن هندامهن وهن فى الطريق إلى مقصوراتهن الخاصة بعيدات عن الرجال ، وكان للنساء الأندلسيات ولع بشهود المباريات ولا يشتركن فى اللعب . وكان للخليفة وكبار الحاشية مقصورات خاصة بهم فى أبنية الملعب .

ولما دقت الساعة العاشرة ، وكانت الساحة غاصة بالرجال والنساء والأطفال يستمعون لأنغام الموسيقى ، ركب المتبارون جيادهم وأخذوا يقطعون الساحة ذهوباً وجيئة ، وهم يتيهون فى ملابسهم الوطنية الزاهية ويتأهبون لاستقبال الخليفة وبدء المباراة .

وما هى إلا دقائق معدودة ، حتى قرعت الطبول إيذاناً بقدوم الخليفة ، فاشرأبت الأعناق ، وشاهد الحاضرون كتيبة من الفرسان تتقدم الموكب ، وكلهم من زهرة الشباب العربى المسلم ، ترقص الخيل تحتهم ، وتلمع السيوف فى أيديهم ، ثم وليها الرجالة وهم من خيرة رجال الحرب ، يحملون الأعلام الوطنية الإسلامية ، وعلى صدورهم الأنواط التى فازوا بها فى المعارك التى خاضوا غمارها وخرجوا منها ظافرين . ثم لاح الخليفة يحيط به الأمراء وكبار رجال الحكم والأمن على خيل أشد بياضاً من الثلج ، وملابسهم وسيوفهم ناصعة البياض ؛ وكان الخليفة يلبس فوق رأسه عمامة كبيرة مرصعة بالجواهر ، وتعلوها ريشة طويلة ذات ألوان عديدة أكسبتها رونقاً وبهاء . وقد استقبلت الجماهير الخليفة أروع استقبال وهتفت له فى حماسة بلغت عنان السماء وهى تردد : « الله أكبر ، الله أكبر » ، وقذفت السيدات بالمناديل المعطرة فى أرض الملعب احتفاء بقدوم الخليفة . رد الخليفة تحية الجماهير بأحسن منها ، ثم أخذ مجلسه وجمل المشتركون فى المباراة يمرون أمامه فى شبه عرض عسكرى يتقدم الأسن منهم ليحيى الخليفة بانحناءة بسيطة ، ثم الذى يليه فى السن ، ورئيس الملعب يقدمهم له بأسمائهم ، فلما كان دور إسحاق — والخليفة يعرفه لأنه فاز بالبطولة مرتين — قال له جلالته : كيف أنت يا إسحاق هذا العام ؟ أخشى أن يعدوك النصر ، فإنك أمام أشهر الرماة وأمهرهم ! فانحنى إسحاق قليلا ثم قال : إننى يا مولاى بحسن تأييد الله ، وجميل رعايتكم بخير والحمد لله ، وأملى فى الفوز كبير ، ما دمتم عنا راضين ! (يتبع) وهبى إسماعيل حقى

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات فى الرسائل البرقية

أن الاعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى بأجمعه هو دعاية هامة واسعة النطاق قد هيأتها المصلحة للمعلن الذى يرمى إلى رواج أعماله وللتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته .

وقد راءت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذة الرسائل زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيهاً مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنيهاً وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيهاً فضلا عن تخفيض معين فى المائة إذا بلغ المراد نشره مليوناً أو أكثر من الاعلانات

انتهزوا هذه الفرصة ولا يفوتكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل

ولزيادة الايضاح اتصلوا : —

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة

العدد ٧٣٨ - الاثنين ٢٥ أغسطس ١٩٤٧ - السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٠١٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 738

Lundi — 25 — 8 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ شوال سنة ١٣٦٦ — ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

عبر لمن يعتبر

للأستاذ محمود محمد شاكر

في اليوم الخامس من أغسطس ١٩٤٧ ارتفعت مصر والسودان بقضيتها إلى مجلس الأمن تطلب النصفة من بريطانيا التي اعتدت على استقلالها واحتلت أرضها من منبع النيل إلى مصبه ، ووقف رئيس وفد مصر والسودان محمود فهمي النقراشي باشا يميط اللثام عن السياسة البريطانية منذ سنة ١٨٨٢ ، وكان لابد له من أن يكشف طرفاً من سوءات هذه الدولة التي قام كيانها على استعباد الشعوب وإذلالها واهتضام حقوقها . وكان الذي كشفه شيئاً ضئيلا إذا قيس بما كان يمكن أن يقال أو يكشف من الأساليب الخبيثة التي دأبت بريطانيا على التذرع بها إلى عدوانها الوحشي على الأمم في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر الميلادي . وكان رئيس وفد مصر والسودان يذكر الماضي ويروي عن التاريخ أصدق رواية في أعف لفظ ، فأبى له أدبه أن يصف أفعال بريطانيا باللفظ الذي ينبغي أن توصف به ، والذي سوف يصفها به التاريخ بعد أن تسقط هذه الدولة من عداد الدول التي يكون لهـا في هذه الأرض سلطان يقوم على القوة الناشئة ، والدعاية الكاذبة ، وعلى التضليل والافتراء والعبث بعقول الناس .

ولم يكد النقراشي يفرغ من عرض قضية بلاده على أعضاء مجلس الأمن ، حتى هب مندوب بريطانيا السير ألكسندر كادوجان يروي لمندوبي مجلس الأمن تاريخ هذا العدوان البريطاني رواية ملفقة مبتورة حشوها العبث بالتاريخ ، والاستهانة بالجنس البشري ، والاستخفاف بعقول الذين يسممون روايته المدلسة عن تاريخ حقبة من الدهر يستطيع كل مندوب ممن يسمعونه أن يفتح بعدها أي كتاب من كتب التاريخ الصحيحة ، فيعرف مقدار السخرية التي سخر بها هذا الرجل من سامعيه . وكان يسوق هذه الرواية المزيفة بأسلوب الواثق المطمئن بل بأسلوب الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ولا ريب في أن السير ألكسندر كادوجان هو أول من يعلم أن الذي يقوله باطل كله ، ولكنه رجل من ساسة بريطانيا — أي رجل من أعظم الممثلين الذين يجعلونك تحس أن المسرح قد انقلب تحت عينيك حقيقة واقعة .

ونحن لن نعلق على ما قاله النقراشي باشا ولا على ما قاله السير كادوجان ، فالحق أبين من أن يحتاج إلى إيضاح لمن أراد الحق والتمسه وحرص التثبت منه ، ولست أظن أن أحداً من مندوبي أمم مجلس الأمن يخفى عليه وجه الحق في الذي سمع من الرجلين . فإن كان بناء مجلس الأمن قائماً على العدل والإنصاف وإيتاء كل ذي حق حقه ، فقد نالت مصر إذن حقها من غاصبها كاملا غير منقوص ولا مشروط بشرط . وإن كان مجلس الأمن هو سوق

الرقيق الحديثة التي أنشأتها الأمم الغالبة لكي تبيع خلق الله وتشتريهم على الهوى فإن مصر والسودان سوف تعلّم هذا المجلس علماً جديداً لم يكن يتوقعه من أمة ضعيفة أضعفها الاستبداد البريطاني على مدّ خمس وستين سنة — لأنها أمة قوية قد علمها هذا الاستبداد أن الحقوق تنال بالجهاد المر ، وبالدم المهراق ، وبالإيمان الذي لا يتضعضع .

ولقد كان فيما قاله النقراشي وفيما قاله كادوجان عبر لمن أراد أن يعتبر ، ونحن العرب أحوج الناس اليوم إلى الاستفادة من العبر المواضي ، فإن جهاد مصر والسودان حلقة من حلقات الجهاد الذي كتب علينا منذ احتلت بلادنا بريطانيا وفرنسا وسواهما من الأمم التي استمانت على ضعفنا وغفلتنا بقوتها ويقظتها وجشمها الذي لا يشبع ولا ينطفيء .

فأول هذه العبر أنه ينبغي للمجاهدين في سبيل بلادهم أن يحذروا كل الحذر من الخوف، فإن الخوف آفة الجهاد ، وما ساور الخوف قلباً إلا انتزع منه البصيرة التي هي رائد كل مجاهد . وما نفى الخوف امرؤ من قلبه إلا زلزل بجرأته قلب خصمه وجعله يضطرب بين يديه وإن كان أقوى منه بأساً وأشد صولة . وقد نفى النقراشي الخوف من قلبه ، فوقف كادوجان بين يديه مضطرب الحجة حتى لم يجد لنفسه مناصاً من أن يلجأ إلى الأكاذيب القديمة التي ألفتها بريطانيا وبرعت في تزويقها وتزويرها تريد بذلك أن تسحر عقول الناس . ولو كان الساسة العرب قد حرصوا على أن يكون هذا موقفهم في كل أمر وفي كل عهد وفي كل ساعة ، لما أتيح للاستعمار البريطاني والفرنسي أن يبقى ضارباً بجذوره في بلادنا إلى هذا اليوم من أيام الناس . فهذه جرأة اللسان ، فعلى ساستنا منذ اليوم أن يتبعوا ذلك بجرأة أخرى هي جرأة العمل ، ولو فعل الساسة أفعالهم بجرأة وشمم وإباء على الضيم ، لما رأينا اليوم بلداً كمصر والسودان يعج بالمستهترين من الأجانب والمشردين وصماليك الأمم ، يستولون على أمواله وأراضيه وأخلاق بنيه باسم حرية المهاجرة وحرية التجارة وحرية العمل . لقد أظلهم الاستعمار البريطاني بظله وحاطهم بحمايته حتى بات المصري والسوداني غريباً في بلاده ، يأكله كل طاريء ، ويدعه جوعان عريان منبوذاً في بلاده وتحت سمائه .

وعبرة أخرى هي أن التساهل مخافة العواقب شر كله . فقد رأى بعض ساستنا أنهم إنما يفعلون خيراً كثيراً لبلادهم إذا تساهلوا لبريطانيا في بعض الحقوق ، ظناً منهم أن ينالوا من وراء ذلك حقوقاً أخرى هي أولى بالتقديم والنظر والاهتمام ، فكانت العاقبة أن دخلنا مع بريطانيا في الدائرة المغلقة التي يسمونها « المفاوضة » . فإذا نحن نضيع حقوقنا كلها جملة واحدة ، وإذا بريطانيا تريد أن تحتج علينا اليوم بما تساهل به أولئك الساسة في في حقوق بلادهم ، فتأكل علينا حقنا كله حين تريد أن تمنعنا من أعظم الحقوق البشرية وهي الحرية . وتريد أن يقطع قلب مصر بقطع السودان عنها ، لأن قوماً من الساسة غفلوا زمناً طويلا عن رفض كل اتفاق لا يشمل السودان كما شمل الجزء الشمالي من وادي النيل وهو مصر ، فارتضوا أن يملقوا مسألة السودان ويأخذوا من عبث بريطانيا مازورته لهم وخدعتهم به ثم هي اليوم تمن علينا أنها أعطتنا تلك الفضلات التي لا يعبأ بها إلا الذليل الخانع المقيم على الضيم

وعبرة ثالثة هي أن زعماء الثورة على العدو ينبغي أن يظلوا أبداً زعماء الثورة ، لا رؤساء حكومات تحت ظل حماية مقنعة تسمى استقلالا كذباً وتضليلا في العرف الدولي . فكان ينبغي لهؤلاء الزعماء أن يظلوا بمنجاة من إثم الحكم تحت ظل الاستعباد البغيض وأن يكونوا دائماً أيقاظاً لا تنيمهم شهوة الحكم ، وبذلك يضمنون لبلادهم أن تظل يداً واحدة على العدو ، وأن تظل يقظة متنبهة لا يخدعها لفظ «الاستقلال» عن الخبث الذي انطوى عليه وأن يصارحوا الشعب دائماً بالحقيقة التي لا تستر ، وهي أنه صار « مستقلا » في العرف الدولي ، وأن يكشفوا له ما استطاعوا عن خدع الاستعمار الذي يعبث بهم . وإلا فأي خديعة كانت أكبر على هذا الشعب من خديعة الناشئة في المدارس والبيوت ، وهم يقرأون ويسمعون أن مصر دولة مستقلة وهي اليوم تقف لتقول للناس على رؤوس الأشهاد في مجلس الأمن أن الاستقلال الذي ضمنته بريطانيا ! ! كان استقلالا مزيفاً ، لأن الجنود البريطانية كانت لا تزال تحتل بلادنا ولأن السفير البريطاني كان ينصب الحكومات المصرية ويقيلها كما يشاء وتشاء دولته المستعمرة لبلادنا . لقد ظن أولئك الرجال أن هذه سياسة وكياسة وحسن

تدبير ، فإذا هي غفلة وحماقة وسوء تقدير . ولولا يقظة هذا الشعب الأبي الكريم ، لما استيقظ هؤلاء الزعماء البتة ، ولمضوا إلى الغاية في التنازع على الحكم وشهوات الحكم وفتن الحكم ، فالشعب هو الذي انتهى بنا إلى مجلس الأمن لا الزعماء ولا أولئك الساسة .

وعبرة رابعة هي أنه ينبغي لزعماء الثورة أن لا يقبلوا البتة مفاوضة الغاصب على حق من حقوق البلاد ، فإن حقوق الحرية مترابطة لا ينفك بعضها من بعض ، ففيم يفاوض الإنسان إنساناً قد سلبه حقوقه ؟ إنها كلمة واحدة : « هات حقي » ، ولا تدع المطالبة بالحق كاملا حتى يتركه لك أو تموت دونه . وما دام الغاصب لا يستطيع أن يفني شعباً بأسره ، فالشعب هو الظافر المنصور في النهاية ، مهما لقي من عذاب وتنكيل واضطهاد وبؤس . ولو كان هذا من فعل مصر والسودان منذ سنة ١٨٨٢ لما انقضت سنوات بعد سنة ١٩١٩ سنة الثورة ، حتى كان الغاصب قد أسلم إلينا حقوقنا كاملة بلا معاهدة ولا مفاوضة . ولكن زعماء الثورة رموا بأنفسهم في المفاوضات ، فكانت العاقبة أننا بقينا نفاوض بريطانيا سبعة عشر عاماً ، فإذا هي تعطينا معاهدة سنة ١٩٣٦ تحت الضغط والقهر والتهديد ، وإذا هذه المعاهدة احتلال تام ، ولكنه سمي في العرف الدولي « استقلالا » .

وعبرة خامسة هي أن الذين يدخلون المفاوضات ويعقدون المعاهدات تحت ظلال السيوف ، وبضرورة التهديد والقهر ، كان ينبغي عليهم أن يكونوا ناساً غير زعماء الثورة ، أما زعماء الثورة حين يفعلون ذلك ، فهم بين رجلين : إما مدلس كذاب يخدع الناس ويقول للناس هذه معاهدة الشرف والاستقلال ، وهي ليست سوى معاهدة للاحتلال الدائم ، وإما رجل ضعيف الرأي منخوب الفؤاد يوقع على المعاهدة ثم لا يجرؤ أن يقول لشعبه إن هذا الذي وقعت عليه احتلال لبلادكم فاحذروه وارفضوه وثوروا في وجهي ووجه من رضيه معي . وهذا الثاني لن يستطيع أن يقول ذلك ، فهو مضطر إذن إلى التلفف والتلفيق والسكوت وادعاء الشجاعة حين يقول . « هذه معاهدة لولا القهر والتهديد لما وقعتها » ، ويقولها في غمرة تلك الأمواج الهائلة من الخداع والأكاذيب التي اصطلح على نشرها بين الشعب الغافل المنكوب زعماء من أنفسنا ، وساسة من أخبث ساسة بريطانيا في هذا القرن . يا له من عبث أيها الساسة المخادعون ! وتبت أيديكم يوم وقعتم وثيقة أراد بها الغاصب إذلالكم وإذلال بلادكم فقبلتموها ، وهو اليوم مصر على أخذ بلادكم بما جنت أيديكم من شرور تلك المعاهدة الخبيثة التي زعمتم أنها فرضت عليكم فرضاً . وقد كانت لكم مندوحة عن قبولها لولا الضعف والخور والجبن وشهوة الحكم التي استولت على قلوبكم .

وعبرة سادسة هي أن بريطانيا وكل دولة مستعمرة من هذه الدول الأوربية لا تتورع عن اتخاذ كل وسيلة تبلغ بها غايتها ، فمن أجل ذلك ينبغي للشعب أن يعرف منذ الساعة الأولى رجاله ورجال عدوه ، وأن يسم الخونة بسمة لا تزول ، وأن يتناقل هذا التاريخ عاماً بعد عام وجيلا بعد جيل في البيت والمسجد والمدرسة والمجالس ، فهذا وحده هو الكفيل بأن يعرف الشعب حقيقة كل زعيم تسول له نفسه أن يستغل غفلة الناس أو ذعرهم أو لهفتهم فيغرر بهم في مزالق السياسة الاستعمارية ، فإن مصر والسودان ظلت أعواماً تأبى أن تعترف باتفاقية سنة ١٨٩٩ التي فرضتها بريطانيا على مصر والسودان على يد رئيس وزراء كان خليقاً أن يخون بلاده ، ثم جاء الموقعون على معاهدة سنة ١٩٣٦ فقبلوا أن يكون لهذه الاتفاقية الباطلة التي لم تعترف بها مصر قط — ذكر في معاهدتهم الوبيلة الخبيثة . فلو كان الشعب يومئذ على ذكر لما كان من شئون الخونة السابقين وما فعلوه ، لما جازت عليه الكلمة الملعونة في معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ولثار يومئذ على هؤلاء الزعماء لأنهم أهدروا كل جهاده الماضي ، وكل ما أراق من دماء وأضاع من جهود ، وأنفق من سنين بنص موبوء في معاهدة موبوءة .

ولن نفرغ من ذكر العبر الكثيرة التي توحي بها هذه الساعات في المعركة الفاصلة بيننا وبين بريطانيا في مجلس الأمن وفي كل عبرة من هذه العبر خير كثير يرجى أن لا يفوت العرب إذا حذروا وانتبهوا وآثروا السلامة مما وقعنا نحن فيه .. ومن حسن الحظ أن أكثر زعماء العرب اليوم من مراكش وتونس والجزائر وليبية وفلسطين والعراق هم اليوم أشد إحساساً من أسلافهم بالتبعة الملقاة على كواهلهم ، وأقوى إيماناً بالحقوق الإنسانية من بعض زعمائنا في الماضي ، ولكن ينبغي لهم أن

القسم التاسع :

فرنســـا ومستعمراتها

للأُســـتاذ أحمد رمزى بك

قال ضابط البحرية الياباني :

« إنك لم تفهم بعد الدرس الذى تلقيناه من أجدادنا بهزيمتهم وموتهم : إنه درس صبر وعناد ويقظة واحتراس ومكر وخديعة . لكى ننتصر على أعدائنا ذهبنا لمدارسهم وكانت عقولنا لا تهضم تعاليم الغرب وأساليبه . فشعرنا بحاجتنا إلى عقلية أوروبية فأقدمنا بكل صعوبة وألم وحسرة على التحرر من أشياء عزيزة علينا للحصول عليها . ولكن هذا التغيير كان لازماً نعم لأجل الخلاص لأجل إنقاذ الوطن لكي ننتصر على الأعداء فى الميدان » .

(من كتاب المعركة)

كفاح الجزائر أمام جحافل فرنسا

إننا لا نحاول سرد حوادث هذا الكفاح ، لأن من السهل تتبع معاركه وأدواره وحلقاته من كتب التاريخ فى مختلف اللغات ولذلك سنكتفى بإعطاء فكرة إجمالية ، أو رسم صورة عامة من التى يراها واقف على مرقب أو مركز للرصد من على رابية عالية تشرف على الحوادث والتطورات وعلى مواقع القتال . ونرجو أن نوفق فى إخراج التاريخ صورة حية وذكرى لمن شاء أن يتذكر من دروسه وتجاربه وعبره حتى لا نتكرر الأخطاء مرة أخرى فى تاريخنا وكفاحنا .

كانت حكومة الجزائر الإسلامية من الحكومات التى ليس لها شبيه أو مماثل فى التاريخ إذ كانت تابعة للدولة العثمانية ولكنها تتمتع بسيادة وحرية ، وكانت خارجة على القانون الدولى والعرف السائد بين الأمم الأوروبية ومع ذلك فهى تفرض الأتاوات على دول الغرب وتتقاضى رسوم المرور فى عرض البحر ، وإلا هاجمت أساطيلها المراكب البخارية ، وأحياناً تغور هذه الدول ومرافئها ، ولهذا سالمتها الحكومات المختلفة وأذعنت لقبول ما تفرضه هذه الحكومة عليها ، فكانت فرنسا ترسل إليها هدايا معلومة مالية أحيانا وأخرى معدات وآلات حربية ، وكان هذا شأن بريطانيا معها والدانيمارك ومملكة صقلية والبرتغال والسويد والنرويج حتى ولايات ألمانيا والولايات المتحدة خضعت لهذا النظام العجيب الذى فرضته حكومة قليلة العدد ولكنها كثيرة البطش .

وكانت قواتها المسلحة تتراوح بين ١٥ و ٢٠ ألف مقاتل من الجنود الأتراك أو أبناء هؤلاء من أمهات وطنيات وكان ينضم إليها رجال من قبيلة زواوه وهى التى حرفها الفرنسيون فأصبحت فرق الزواف المشهورة التى قامت على متطوعى هذه القبيلة وبقايا جند حكومة الجزائر النظامية .

وعلى هؤلاء الجنود اعتمد الدفاع عن المدن الساحلية عند

يجتنبوا كل الاجتناب أن يقبلوا مفاوضة الغاصبين أو معاهدتهم أو الدخول معهم فى حديث السياسة والكياسة واللباقة ، فإن هذا وإن أفاد قليلا ، فإنه شر مستطير على مستقبل الشعب فى الشئون السياسية ، وفى النواحى الأخلاقية وحسب هؤلاء الزعماء العرب ماجربته مصر من مطاولتها والمد لها أكثر من تسع وعشرين سنة باسم المفاوضات والمعاهدات ، حتى فقد الشعب كثيراً من إيمانه بحقوقه ، ولولا أن الله أتاح لنا هذه الحرب الأخيرة لتنفض عن عيوننا النوم والتخدير الذى أصابها باسم المفاوضة لظللنا إلى اليوم نياماً تجرنا بريطانيا وراءها طمعاً منا فى أن ننال شيئاً من حقوقنا بمفاوضتها ومعاهدتها

أيها الزعماء العرب لا تخونوا بلادكم : أى لا تفاوضوا بريطانيا أو سواها من الدول المستعمرة ولا تعاهدوها ولها فى بلادكم ظل من سلطان ، ولا تخافوها ولا تخشوا لها بأساً ولا قوة واحرصوا على أن تبقى شعوبكم عالمة بحقيقة ما يحيط بها بكل أسلوب تستطيعونه ، وإياكم والحكم فإنه الفتنة المبيدة والآفة الحالقة والبلاء المبين . لقد كان لكم فينا عبرة فاعتبروا ، وقفوا منذ اليوم أيقاظاً لا تغفلون ، فرب ساعة سوف تأتى علينا وعليكم فنناديكم للجهاد ، فهبوا معنا واحذروا أن يكون بينكم زعيم يسول لكم أن الخير فى الرضى والتراضى والتساهل ، فإن ذلك هو الوبال ، وهو آخرة العرب إن فعلتم . إن مصر والسودان قد بدأت أول الجهاد ؛ فاستعدوا أيها العرب !

محمود محمد شاكر

مهاجمة الفرنسيين ولما ثبتت قواعد حكمهم جندوا من الأسرى أول فرقة وطنية للاستعانة بها .

أما فى الداخل فقد قامت قوة الدفاع على جماعات المقاتلة من رجال القبائل وهم مشاة وفرسان على طريقة حروب البادية ، ولما اشتدت المعارك فكر الأمير عبد القادر فى إدخال النظام العسكرى الحديث مقلداً المحاولات التى حاولها كل من محمد على والسلطان محمود العثمانى ، ولا شك فى أن هذه المحاولات قد بهرت أنظاره وتطلع إليها وحاول تقليدها .

وفى سيرة الأمير ذكر ابتداء هذه الحركة وانتشار الدعوة إلى مجنيد الأجناد وتنظيم العساكر تحت اللواء المحمدى وإيجاد دفاتر لقيد الجنود الذين بدأوا تدريبهم وأتموا تعليمهم ورسم الذين حملوا السلاح منهم ، كما فيها وصف كامل لأصناف الفرق من مشاة وفرسان ومدفعية وطريقة التعبئة والسير والنزول فى المعسكرات ويظهر أن هذه القوة مع اهتمام الأمير عبد القادر بها لم تكن هى التى يقع عليها القتال وحدها وإنما كان الكفاح موكولا إلى رجال القبائل وكانت هى بمثابة قوات ثانوية مساعدة ومكملة .

أما الفرنسيون فكانوا على علم تام بطبيعة الأرض الجزائرية من ناحيتها الجغرافية والطبوغرافية ولديهم الخرائط المفصلة عنها ، فقد أثبتت المراجع الرسمية أن نابليون الأول أرسل ضابطاً فرنسياً إلى الجزائر عام ١٨٠٨ وكلفه أن يدرس بالتفصيل مشروع الحملة الفرنسية ووضع الخطط العسكرية الشاملة ، وقد قام هذا الضابط بمهمته وصحح المواقع على الخرائط ورفع تقريراً وافياً عن الشاطئ الإفريقى والأماكن التى تصلح لإنزال الجنود وأشار إلى الطرق والآبار والوسائل التى تؤدى إلى حشد القوات وربطها والسير فى حلقات الحملة ، ولم يكن لدى الفرنسيين عند عدوانهم سوى إخراج هذا التقرير من ملفات وزارة الحربية وتقييد ما فيه وهذا ما حدث فى عدوان سنة ١٨٣٠ . إذ أنزلت الفرق فى الأماكن المختارة فى هذا التقرير وتحت تجارب حملة مصر عند احتلالها مدينة الإسكندرية واختيارها منطقة العجمى التى تشبه سيدى فرج

ولم يكن الفرنسيون على جهل بأساليب القتال لدى المسلمين ، فهم قد حاربوا المماليك فى معركة أمبابة ورأوا ما يمكن أن تقوم به أساليب القرون الوسطى أمام جنود معبأة على الطرق الحديثة ، ثم هم لم يهملوا تتبع التطور الذى أدخل على أنظمة جيوش المسلمين ، فقد كان من ضباطهم وقوادهم من رافق حملات مصر ضد الوهابيين وكانوا فى الصفوف الأولى يقيدون حركات المصريين ودفاع الوهابيين ويكشفون عورات الجانبين ثم يستفيدون من كل ذلك فى حروبهم بالجزائر .

واختير للقيادة البرية الماريشال بودمون وهو من رجال سنة ١٨١٥ أى من الضباط الذين قاتلوا فى معركة واترلو وحضروا معارك نابوليون فأسندت إليه آمرية حملة بنيت على تقرير ضابط من ضباط نابوليون ، وكان على الأسطول الأميرال دوبريه ولكل منهما طابعه الخاص ورغبته فى الانفراد والتسلط فما لبث أن دب الخلاف بينهما ولولا تعليمات الحكومة الصريحة أنه إذا اختلف الرأيان،فضل رأى المريشال وأسندت إليه القيادتان البرية والبحرية لاستفحل بينهما النزاع ولفشلت الحملة .

ولعل أعظم ما ساعد الفرنسيين على التغلب هو أعمال المدفعية التى تجرها الخيول فقد امتازت منذ الساعة الأولى كما ذكرنا بقوة نيرانها وتوفيقها فى إصابة الأهداف وسرعة حركتها ، فكانت أول عامل من عوامل النصر لديهم ، كانت كمدرعات هتلر وفرقة البانزو الألمانية فى الحرب الأخيرة ، وهى الميزة التى كانت لدى الفرنسيين على جند حكومة الجزائر وعلى العرب المجاهدين ولولا هذه القطع من المدفعية لكانت الحرب بين الفريقين على مستوى واحد من تكافؤ فرص وتكافؤ معدات القتال .

فلننظر إلى ساحل ممتد مئات الأميال عليه مدن ومرافق متعددة ويتكون الداخل من سلاسل جبال ووديان ورمال تصلح للحروب ويسمح للقبائل والعشائر التى تسكنها أن تتولى عملياتها بكل سهولة ضد الجيش المهاجم سيما وهى من جماعات ألفت الحروب على هذا الميدان نزلت قوات فرنسا بمعداتها الثقيلة ومهماتها الأوربية لتواجه أهل البلاد ولديهم ثلاثة أصناف من المقاتلة . جند حكومة الجزائر وحكام المقاطعات الجند النظامى الذى أنشأه الأمير عبد القادر ثم العمود الفقرى للقتال وهم رجال القبائل الذين لبوا دعوة الجهاد .

هذه هى حرب الجزائر التى اشتدت وطأتها على أربعين ألفاً من الجنود الأوروبيين اصطلوا بمعاركها ومشوا إليها تحت وهج

الشمس، فتغيرت سحنتهم وتبدلت لديهم ملابس الميدان وأصبحوا مع الزمن كقطيع منفصل عن العالم لا يعرف سوى الحرب والدمار وإسالة الدماء على الأرض الإفريقية . هذا جيش إفريقيا الفرنسي الذي ولد ونشأ وترعرع فى معارك الجزائر وحروبها القاسية .

ودارت رحى الحرب سنوات والهزائم تتوالى والمصاعب تتضاعف وليس لدى الفرنسيين الخبرة الواسعة بالإدارة والحكم فهم تارة يجنحون إلى الشدة ويقنعون أنفسهم أنها هى الحزم وأخرى يتقربون زلفى إلى الأهالى ، وفى أوقات يقدم قوادهم على عمليات حربية فيها المجازفة والتسرع فترتد عواقبها وخيمة عليهم

من وسط هذه النكبات ظهرت فكرتان : الأولى إنشاء فرق من الجنود الوطنيين لخدمة فرنسا والثانية إنشاء المكاتب العربية التى أطلق عليها فى النهاية اسم المكاتب الوطنية .

وقد ظهرت بوادر النجاح فى الناحيتين إذ بالاعتماد على الفرق الوطنية المقاتلة وبعد احتلال مدينتى بون ووهران واتباع خطة الدفاع أمكن إنقاص القوات الفرنسية من ٣٧ إلى ١١ ألفاً فعد هذا نجاحاً للقيادة .

أما المكاتب العربية فهى التى وضعت سياسة التخريب والتشريد وهى إحراق المناطق المزروعة ومصادرة قطعان الماشية التى تملكها القبائل العاصية والاستحواذ على الأطفال والنساء كرهائن والفتك بهم إذا استمرت الحرب وأخيراً تطور هذا النشاط إلى القمة واتجه إلى بذر الشقاق بين عناصر وطوائف الأمة الجزائرية ، وخلق قضية العرب والبربر فكسبت هذه المكاتب فى هذا النشاط من المعارك أضعاف ما كسبته فرنسا بقوة السلاح .

وكان الأمير عبد القادر أول ضحايا عمل هذه المكاتب ، فإن قواد فرنسا حاولوا كثيراً أن يعقدوا اتفاقاً معه ولما توصلوا لذلك واعترفوا باستقلاله وإمارته ، سلطوا مكاتبهم عليه ووجهوا المطاعن بواسطة وكلائهم وخدامهم فقالوا إنه حالف الكفار وأعداء الدين فأصبحت بيعته باطلة ووكالته على الناس غير قائمة ، وعرفت هذه المكاتب السياسية أن تجعل بين أبطالها من هم من رجال الدين والطرق والزعامة ، وجندت من يتظاهر بالجهاد والوطنية ، وأصبحت مع الزمن من أخطر المنظمات الاستعمارية وأشدها وطأة بما تملك من الوسائل والقوى الخفية مما يعجز الناس عن تصديقه

ولقد عشنا فى كثير من بلدان الشرق ورأينا أمثال هذه المنظمات تعمل فى هدم الكيان الإسلامى والاستقلالى ، ورأينا أناساً يقودون المظاهرات الوطنية ويخطبون فى الجماعات ويجاهرون بمبادىء متطرفة ، ويكتبون عن أنظمة للحكم يسارية أو نازية ثم يكتشف بعد زمن طويل وبعد فوات الفرص ، أنهم مقيدون كخدم لهذه المنظمات الخطرة يتلقون وحيها ويعملون بأوامرها ، وقد وصل بعضهم إلى المال والمركز والجاه تحت ستار التضحية والعمل والاخلاص فطوبى لهم .

ولهذا يجدر بالأحزاب والمتصدرين للجهاد فى سبيل المثل العليا أن يرقبوا الأنصار والاتباع قبل الخصوم والأعداء وأن يقوموا من بين وقت لآخر بغربلة صفوفهم وإجراء حركة تطهير لأن الدول الاستعمارية وطدت سلطانها بهذه المنظمات وبمن يتبعها من الرجال المنبثين فى كل جهة والذين يشايعون الاستعمار وتلعنه ألسنتهم ويتظاهرون بالتطرف لإخفاء حقيقة أمرهم .

ولقد تمكن الأمير عبد القادر من إيجاد دولة عربية مستقلة عاهدت الفرنسيين على السلام واحتفظت بقواها كاملة بعد أن حققت ما ترمى إليه بانتصارها فى ميدان القتال ولكن الدولة التى عاهدها كانت تفكر قبل أن توقع على المعاهدة فى نقضها فما أن وقعت عليها حتى بدأت ترسل النجدات تترى وأخذت تثير القبائل عليه

ويقول الفرنسيون فى ذلك « إننا لم نعقد مع أمراء المسلمين معاهدة وإنما عقدنا هدنة لكسب الوقت حتى يتم تحطيم الجبهة الشرقية ثم نعود إليهم فى وهران » .

هذا ما حدث فإن ضعفهم تحول فجأة من جبهة الأمير عبد القادر إلى جبهة قسنطينة على حدود تونس حين عبأت فرنسا قواتها بكاملها وزحفت على المدينة فى هجمتين فشلت فى الأولى فبراير ١٨٣٧ وكان ذلك قبل التوقيع على معاهدة تفنا مع الأمير ونجحت فى الثانية بعد نقل حاميات الغرب فاقتحمت المدينة المحصنة فى أكتوبر سنة ١٨٣٧ .

ومن ذلك يتضح أن قواد فرنسا بعد أن أدركوا فداحة حرب الجزائر أخذوا ينسقون بين خططهم الحربية فوضعوها على مراحل إذا أتموا مرحلة انتقلوا لغيرها ، ووضعوا المبدأ الثابت وهو شراء النصر والغلبة بأى ثمن حتى لا تفقد فرنسا هيبتها العسكرية ،

ولذلك وصلت جيوشهم إلى ٥٦ ألف مقاتل فى سنة ١٨٤٠ ، واستدعت فرنسا بعض الكتائب الممتازة من أصناف القناصة التى كانت تعد من قبيل فرق الكوماندو فى العصر الحاضر مع اختلاف التدريب أى زهرة الجيوش الفرنسية .

أما الأمير فقد آمن بعد مفاجئة الفرنسيين لعاصمته ، بالفرق الكبير « بين الجنود المنتظمة والجنود المتطوعة » ولذلك انتهز فرصة المعاهدة وعزم على إنشاء جيش نظامى حديث : « فعقد مجلساً عاماً من رجال الدولة وأعيان الرعية وخطب فيهم خطبة أوضح فيها فوائد العسكر النظامى ومنافعه وأخبرهم أنه اعتزم على تنظيم عدد منه ، فأجابه الجميع ... ونودى أنه صدر أمر مولانا ناصر الدين بتجنيد الأجناد وتنظيم العساكر ... فمن أراد الدخول تحت اللواء المحمدى ويشمله عز النظام فليسارع إلى دار الأمارة والعسكر ليقيد اسمه فى الدفاتر الأميرية » .

ومع انتصارات فرنسا فى جهة قسنطينة أخذت تظهر بين جنودها آثار الحروب الإفريقية ومتاعبها ، فقد برهنت سنوات السلم ، ازدياد حوادث العصيان بين الجنود الأوروبيين ومخالفة الأوامر وعدم الإذعان للقواعد المعمول بها فى الفرق الفرنسية بأوروبا نتيجة لاختلاف البيئة والجو ، بل إن مضى السنوات أظهر اختلاف الأنظمة الصحية ، وأساليب التغذية وتموين الفرق مما أدى كما قلنا إلى الاستهانة بتطبيق القواعد العسكرية وظهور حوادث العصيان ، وأعقب ذلك نكبة مليانة التى ظهر للعيان ضعف قوة القتال لدى الفرق الفرنسية الصميمة وفقدان الروح العسكرية ودرجة الضبط والربط التى عرفت عن الجيش الفرنسى إزاء هذه النكبة اضطرت فرنسا إلى تغيير قيادتها العامة فى الجزائر برمتها وأجبرت على إدخال أنظمة جديدة للجيش وإلى العمل على رفع مستوى الحياة فى الثكنات والمعسكرات والتشديد فى المحافظة على روح المقاتلة والكفاح فى المستوى المعتاد بعد أن هبطت هبوطاً ملموساً فى المعارك الأخيرة .

ولم يستفد الأمير عبد القادر من هذه الفوضى الضاربة أطنابها لما ينقصه من خبرة وإلمام بأساليب الأوروبيين وأنظمتهم وإلا لضربهم ضربة مميتة .

ومن كل ذلك نخرج بنتائج مؤلمة :

إن جهاد أهل الجزائر كان مجيداً ومشرفاً لهم ولكنه لم يكن موحداً تتولاه هيئة قيادة عامة كان جهاداً مرتجلا ولم يكن هناك ارتباط أو تفاهم أو تآزر بين مختلف الجهات .

إن الأمير عبد القادر بقى وحده يجاهد فلم تصله أية مساعدة من تركيا أو مصر .

إن عبقريته ظهرت فى المعارك التى انتصر فيها ولكن لم يدعمه أحد من القواد أو الفنيين أو الأوروبيين .

إن متاعب العدو ومشاكله بقيت مكتومة عن علم الأمير وقواده .

إن المكاتب العربية التى أنشأتها فرنسا كانت على علم تام بمشاكل الأمير ومتاعبه ، وكانت تزيدها وتحركها وتشعل نيرانها إذا همدت .

إن السلم الذى حصلت عليه فرنسا كان هدنة لكى تتمكن من توجيه ضرباتها من جهات أخرى ثم تعود إلى الجهة التى سالمتها لتقضى عليها .

فى وسط هذه الحروب تبدو حكمة الضابط اليابانى أنه أخذ العقلية الأوروبية لأجل الخلاص لأجل إنقاذ الوطن لكى ينتصر على الأعداء .

أحمد رمزى

على ثلوج (حزرين)

للأستاذ على الطنطاوى

— ٥ —

أقامت ليلى فى دار أسعد شهرين محمولة على الأكف، مفدّاة بالأرواح، قد هيئت لها كل أسباب الرفاهية، وأحيطت بكل مظاهر الترف، وسيق لإسعادها كل ما وصلت إليه الحضارة، وأبدعه العقل، فلا ترى إلا جميلا، ولا تشم إلا طيباً، ولا تسمع إلا ساراً، ولا تأكل إلا لذيذاً، ولكنها لم تكن سعيدة ... ولم تر حسن ما هى فيه، لأنها افتقدت النور الذى ترى به جمال الدنيا حين افتقدت الحبيب

ولم يكن لها ما تشكو منه، فقد أعطاها أسعد كل شىء، ولم يطلب منها شيئاً. وكان يسرّها محضره، ويهزّها كرمه، ويعجبها أدبه، ولكنها لا تحسّ الفراغ فى نفسها لغيبته، ولا تجد الخفقان فى قلبها لحضوره، ولا يحملها حديثه على أجنحة الخيال، إلى العالم المسحور الذى كانت تحملها إليه أحاديث هانى، على جفوتها وفراغها ...

ولقد أحب أن يتم عليها سعادتها بالبحث عن هانى، فبعث الرسل ينفضون الأرض، ويفلّون المدن، ويبحثون فى الهضاب والشعاب، فلم يقعوا له على أثر، وطفقت ليلى تفكر فيه حتى خدر فكرها وكلّ، وانطوى على هذه (الفكرة) الواحدة، فلا يعنى بغيرها، ولا يفرغ لسواها، وأدركت أن هذا العالم الذى بدا لها أول مرة بهياً فاتناً: عالم الذهب والحرير والزهر والعطر، جميل، ولكنه كجمال الدمية الفنية، لها المقلة الساحرة، والقامة الفتانة، ولكنها باردة ليس فيها روح، وهل روح الحياة إلا الحب؟

جز بأجمل البقاع، واسمع أحلى الأغانى، وشمّ أطيب العطور، وافتقد الحبيب لا تحس لذلك لذة، ولا تجد طيباً ...

... ولكن الأيام تبدل كل شىء، وقد بدل ليلى كرّ الأيام، فلم يجف الجرح فى قلبها، ولكن مسّ الحنان قد راضه على السكون، ولم يذهب الحب من نفسها، ولكن عرفان الجميل، قد ألقى عليه غطاء فأخفاه، ولم تنس حياة القصر وساعات الصخرة، ولكن غياب هانى قد حملها على الأنس بهذه الحياة الناعمة المرفهة التى نشأت عليها وتعودتها، هذه هى معيشتها لا معيشة هانى، الذى ألقته المقادير أمامها، وقد ولد فى غير بيئتها، وجبل من غير طينتها

ويا ليتها لم تكن عرفت هانى، ويا ليت أسعد كان السابق إليها، إذن لوجدت السعادة كاملة، لا ينقصها شىء، ويا ليت الحب، هذا الطفل الأعمى، لم يكن رماها بهانى، بالغلام القذر الذى جىء به من أزقة بيروت، فتعلقت به، كما يتعلق المرء بكأس الخمر، تهرى أمعاءه، وتشتاقها نفسه، بل هو القدر، القدر الذى جعل جسدها منعماً فى هذه الجنة، وقلبها معذباً فى ذلك (الاصطبل)، وكتب عليها أن تعيش مع أسعد، ويكون حبها لهانى

ولم يكن أسعد وأخته، يدعانها لحظة كيلا ينبثق جرح قلبها، وكانا يطرفانها أبداً بأجمل الطرف، وأرق الأحاديث، ويجددان لها كل ساعة مسرة، ولكنها كانت، كلما خلت بنفسها، أو لمحت الصخرة من بعيد، ذكرت ليالى الحب عند الصخرة، وعادت تفكر فى هانى: أى أرض تحمله، وأى سماء تظلله، وهل هو حى لا يزال، أم قد طواه الثرى؟ ويا ليتها تستيقن موته، فتستريح إلى اليأس، وتتعزى بالعجز ...

وكان أسعد يوماً من أيام النقاهة إلى جانبها، وقد أضجعها على أريكة فى الحديقة، تضحى بشمس الصباح تظلها بواسق الصنوبر، وتحف بها فواتن الأزهار، وقعد على كرسى صغير، ينظر إليها كما ينظر الوثنى إلى صنمه، يطل قلبه من عينيه حباً، ويقف لسانه هيبة، وتنقبض يده إكباراً فلا يمسّه إن مسّه إلا بأطراف الأنامل، وكان يتأمل شفتيها، حتى إذا تحركت طالبته شيئاً جاءها به قبل أن يتم اللفظ، ويلحظ عينيها حتى إذا مالت إلى شىء حمله إليها قبل أن يرتد الطرف، وطفت عليها عاطفة الشكر وعرفان الجميل، فأمرّت أصابعها على شعره فأحسّ رجفة الكهرباء العلوية، التى لا تمشى فى سلك ولكن تسير فى الأعصاب، ولا تضىء البيوت ولكن تنير القلوب، ولا تحرك

الآلات ولكن تحرك السكون ، الكهرباء التي اسمها الحبّ ، وتجرأ فقال الكلمة التي كان يرددها في نفسه على عدد الدقائق والثواني ولا يجرؤ أن يقولها ، قال لها :

— هل تقبلين بي يا ليلَ زوجاً ؟

وسكت يرقب الكلمة التي تعرّفه مصيره في هذه الدنيا ، إما إلى جنة الحب ، أو إلى نار الهجران ، وسكتت ليلى لحظة ولكنها لم تذكر ماضياً ولم تفكر في مقبل ، وإنما نظرت إلى الحاضر وحده ، واستجابت لندائه ، كما تفعل كل امرأة في الدنيا وقالت :

— نعم .

وتم الزواج !

***

ومرت سنوات طويلة ، ناعمة هادئة ، كأنها مياه البحر في خليج جونيه ، واستقر الجرح في قلب ليلى ، حتى ظنته قد قد التأم ، ومنعته عناية أسعد ومحبته أن ينفجر أو يتسع ، واتصلت المودة بينها وبين أسعد ، والمودة إن اتصلت بين الرجل والمرأة لا تلبث أن تصير حباً ، وكاد يجيء الحب ، لولا أن عصف البحر في الخليج فجأة ، وماج واضطرب ، حين دخل الخادم يعلن قدوم هاني .

انفجر الجرح ، وعاش الماضي ، ونظرت ليلى إلى حاضرها الذي كانت تأنس به وتطمئن إليه ، فوجدته يتهدم ويكاد يضمحل حين داهمه هذا الماضي بسيله الدفاع ، فتمسكت بأسعد الذي هو رمز هذا الحاضر ، كما يتمسك الغريق ببقايا الزورق وهتفت به أن يمنعه من الدخول . فأبى أسعد ، وحسب لغروره وجهله بطباع المرأة ، أن الحبّ قد مات ودفن ، لا يدرى أنه دفن في القلب ، ودفين القلب يحيا إذا ناداه الماضي ، وأذن له بالدخول ، وقام لاستقباله ، وبقيت ليلى جالسة ، ساكنة الجوارح وقلبها في زلزال ، معرضة عنه وكل شعرة في جسمها تنظر إليه وتحس به ، قد شحب لونها ، واصفر وجهها حتى لم يبق فيه قطرة واحدة من الدم ، ورفعت إليه عينيها أخيراً ، فوجدته قد عاد بأبهى حلة ، وأكمل زينة ، تبدو عليه مظاهر الغنى ، وعلائم الثروة ، وتخاطبت العينان في لحظة ، فألقتا ألف سؤال وسمعتا ألف جواب ، وزوتا قصصاً وساقتا أخباراً ، ولم يدر حديثهما أحد ، ثم أغضت ، وأخذها مثل الدوار .

وسمعت وهي غيبتها أطرافاً من الحديث ، فعلمت أن هاني قد عاد من أمريكا غنياً ، وأنه اشترى قصر أبيها ، وصار مالكه .

وكان لكل كلمة يقولها ، وحرف ينطق به ، معنى في نفسها ، لا يدركه الزوج ولا ينتبه له ، لقد كان يفهم معاني الكلمات في المعجم وهي تفهم معانيها في القلب المحب ، وفي الماضي المبعوث ، وتحس أن الحديث بينه وبينها ؛ وإن كان الذي يرد عليه زوجها ، ثم غشي عليها فلم تعد تشعر بشيء .

***

وذهب هاني إلى القصر ، وقعد على كرسي سيدي الشيخ رحمه الله وراح ينظر حوله : لقد خرج من القصر أجيراً ذليلا ، وعاد إليه سيداً مالكا ، وصار علام تحت يده ، يجرّعه إن شاء المرّ من كأس الانتقام ويجزيه بالسيئة قدمها له عشراً ، وحالفه الحظ ، وسعى إليه المال ، ولكن ما فائدة هذا كله ، وفي نفسه هذا الفراغ الذي لا يملؤه مال ولا قصر ، ولا تسدّه لذة الانتقام ، لقد ذهبت نشوة الظفر وعلم الآن أنه لن يسعده شيء مما على ظهر الأرض إلا هذه المرأة التي اسمها ليلى . وقد صارت ليلى لغيره ... فلن يسعده شيء !

وعرض ماضيه كله ، فتمنى أن تعود أيام الفاقة والعوز ، وأن يعود خادماً ذليلا يحيا بقربها ، لقد كان في الحنان الذي ينبثق من عينيها ، والفتون الذي يبدو في صوتها وحديثها ، والعطر الذي يشمه من جسدها الغالي ، ما يغنيه عن المال والجاه فهل يغنيه الجاه والمال اليوم عن حنانها وفتونها ؟ لقد كان يفرّ إلى الصخرة الجامدة ، فينسى القصر وعذابه ، فهل ينسيه القصر ونعيمه اليوم تلك العشايا الحبيبة عند الصخرة ؟

لقد ضرب في الأرض ، وخاض البحار ، وذهب إلى أميركا ليعود بالمال الذي يشترى به قلبها الذي صبا إلى المال ، فماذا ينفعه الآن إن اشترى القصر وخسر القلب ؟ ألهذا كدّ ونصب ؛ وحمل الجوع والتعب ، وسامر طيف الحب في ليالي الغربة ، وتجرع مرارة الهجر في دار النوى ؟

إن كانت هذه هي الغاية ، فيا ضيعة المسعى ، ويا ضلّة المطاف

(الخاتمة في العدد القادم)

علي الطنطاوي

٣ - حجة تاريخيـــة

للدكتـــور جواد على

وبعد سقوط القدس على أيدى البابليين عام ٥٨٦ قبل الميلاد سبى « نبوخذ نصر » العبرانيين وأخذهم معه إلى العراق إلى أرض بابل وتعرف هذه الحادثة فى التاريخ العبرانى باسم «السبى» وقد استولى « نبوخذ نصر » أربع مرات على القدس ، المرة الأولى فى أيام الملك « يهوياقيم » سنة ٦٠٢ قبل الميلاد[١] وكان هذا الملك ملك « يهوذا » وهو ابن « يوشيا » وأخو «يهوآحاز» الذى خلفه فى الملك وكان اسمه « الياقيم » فنيره فرعون « نخو » إلى يهوياقيم عند ما أجلسه على الكرسى[٢] وكان تحت الجزية لفرعون أربع سنين[٣] .

ثم سارت عليه جيوش ملك بابل نبوخذ نصر فاستعبده ثلاث سنين « ثم عاد فتمرد عليه فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين وغزاة الآراميين وغزاة الموآبيين وغزاة بنى عمون وأرسلهم على يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب الذى تكلم به عن يد عبيده الأنبياء[٤] .

ثم ما لبث أن أخذه نبوخذ نصر وقيده بسلاسل من نحاس ليرسله إلى بابل[٥] ثم تولى ابنه « يهوياكين » مكانه وفى أيامه تقدمت جيوش « نبوخذ نصر » للمرة الثالثة ودخلت القدس وأخذ الملك وأمه وعبيده وخصيانه وأكثر اليهود أسرى إلى بابل ومعه ما كان عنده من خزائن وما كان فى الهيكل من أموال وقد فسرت التوراة ذلك لأنه عمل الشر وعصى أو أمر ربه وسار على خطة أبيه[٦] وعين نبوخذ نصر « متنيا » عم « يهوياكين » بدلا منه وسماه « صدقيا »[١] .

وفى أيام هذا الملك كذلك تقدم نبوخذ نصر هو وجيشه وحاصروا القدس ثم قبضوا على الملك وأخذوه أسيراً إلى بابل وقيدوه بسلسلتين[٢] ثم أحرقت القدس والهيكل فى السنة التاسعة عشر من حكم « نبوخذ نصر » وأخذ ما كان قد تبق أسرى إلى بابل .

وعين البابليون « جدليا بن اخيقام بن شافان » على من تبقى من اليهود وقد جاء هذا الملك نداءاً إلى البقية الباقية من اليهود وناشدهم فيه بوجوب الإخلاص لملك الكلدانيين وامتثال أمره ، ولما قتل خافه كل من فى المملكة فهرب كل اليهود إلى مصر حيث فضلوا البقاء هناك[٣] .

ولما قضى الفرس على مملكة البابليين دخل اليهود فى حكمهم وأصبحوا لهم أتباعاً . وغدت فلسطين جزءاً من مملكتهم والواقع وكما تحدثنا التوراة أن العبرانيين كانوا ضد أى نوع من أنواع الحكم وأنهم لم يرتضوا أن يكونوا لهم مملكة لأن صفة البداوة كانت هى الصفة الغالبة عليهم ، وأنهم حتى فى أيام مملكة شاوؤل وداود وسليمان وهى المملكة التى يتغنى بها الصهيونيون لم يكونوا ينظرون إليها نظرة ارتياح وأن عهدهم لم يكن يخلو من اضطراب وثورات ولذلك كانوا عرضة للخضوع إلى الحكم الأجنبى .

ولذلك لم يكن ملوك إسرائيل أو يهوذا فى الحقيقة سوى رؤساء قبائل أو أمراء مقاطعتين صغيرتين تابعتين لحكم الأجانب فحكمهم المصريون وأصبح ملوك المملكتين الصغيرتين «مملكة إسرائيل » و « مملكة يهوذا » يعينون تعييناً حتى أنهم كانوا يتركون أسمائهم ويتناولون أسماءاً جديدة يغدقها عليهم فراعنة مصر . ثم ملوك الكلدانيين فيما بعد وبعد انقراض دولتهم بسقوط « القدس » أصبحوا تحت حكم الدول الأجنبية تماماً . ولم يجد المفكرون من ذلك غضاضة كما نقرأ فى الكتب العبرانية .

ومما يجدر ذكره هو أن العبرانيين لم يكونوا فى يوم من الأيام راضين عن ملوكهم وإذا قرأنا التوراة نرى أن الملوك كانوا عرضة لنقمة رؤساء الشعب والكتاب البارزين وأن الأنبياء كانوا

(١) قاموس الكتاب المقدس ح ٢ ص ٤١٢ .

(٢) الملوك الثانى إصحاح ٣٣ آية ٣٣ وما بعد .

(٣) الملوك الثانى إصحاح ٣٣ آية ٣٥ .

(٤) الملوك الثانى إصحاح ٣٤ آية ٣ وما بعد وأيام الثانى إصحاح ٣٦ آية ٨ وأرس ٢٢ ، ٢٦ ، ٣٦ .

(٥) أيام الثانى سفر ٣٦ آية ٦ ودا سفر أول آية ٢ .

(٦) الملوك الثانى سفر ٢٤ آية ٧ وما بعد . اد سفر ٢٢ آية ٢٤ وما بعـد .

(١) مل سفر ٢٥ آية ٧ .

(٢) مل سفر ٢٥ آية ٧

(٣) الملوك الثانى سفر ٢٥ آية ٢٤ وما بعد .

يتنبأون دائماً بحلول غضب الله على هؤلاء الملوك ، ولم يظهروا كراهية للملوك الفاتحين وهذا ما يفند رأى الصهيونية فى الدولة اليهودية القديمة .

ويلاحظ أيضاً أن العبرانيين القدامى قد استعانوا بالعرب وبغيرهم فى الدفاع عن أرض فلسطين فلما حاصر الملك «سنحريب» مدينة القدس فى أيام « حزقيا » «Hezekiah» لم يتمكن اليهود من حماية أنفسهم تجاه الأشوريين فاستعانوا بالعرب وطلبوا منهم المساعدة لخلاص القدس وقد سجل سنحريب فى أخبار حملته لسنة ٧٠١ قبل الميلاد . وكان اسم الأمير العربى الذى لبى نداء الوطن فدافع عن اليهود وقاوم الأشوريين مقاومة عنيفة أزعجت الملك « سنحريب » هو الملك العربى « مصترى » وملك آخر عربى كذلك هو ملك مقاطعة «ملوخا» وبفضل هذه المساعدة الثمينة تمكن العبرانيين من الوقوف أمام الأشوريين .

وقد دافع العرب مراراً كثيرة عن أرض فلسطين فى أيام الأشوريين والبابليين واليونان والرومان وقد تكبدوا من جراء ذلك خسائر فادحة ومما يذكر هو أن اليهود كانوا بالنظر إلى عدم استطاعتهم الوقوف أمام الأجانب قد اضطروا إلى الاتفاق مع الأمارات العربية لاستئجار جيوش عربية لتتولى الدفاع عما تبقى من الأراضى فى أيدى العبرانيين . ولم يبق بالطبع بعد السبى فى فلسطين جاليات كبيرة من اليهود ، بل أصبح اليهود أقلية خاضعة لحكم الأكثرية تسكن فى أماكن معينة تحت حماية الفرس فاليونان فالرومان ثم البيزنطيين .

ولما احتل البابليون فى عهد ملكهم نبوخذ نصر القدس كان العرب فى ذلك العهد يمتلكون أكثر أراضى فلسطين مثل أرض موآب وأدوم وفلسطين الجنوبية وكانت عزيمة العبرانيين خائرة والنبى « أرميا » يحذر الناس من المقاومة ويطلب منهم الاستسلام(١) وكانت نتيجة ذلك تخريب بيت المقدس والهيكل وأخذ اليهود أسرى إلى بابل ، ومنذ ذلك العهد فقد اليهود عملياً كل كيان لهم فى فلسطين .

أما العرب فقد دافعوا دفاعاً مجيداً أزعج نبوخذ نصر وجعله

(١) أرميا سفر ٢٠١ آية ٣ فما بعد و ٢٥ آية ٩ فما بعد و ٣٢ آية ٦ فما بعد .

يقرر الزحف على البادية والحجاز بإشارة من أرميا وكانت المعارك شديدة بين الطرفين .

وقد تولى العرب منذ هذا العهد حتى الآن أمر الدفاع عن أرض فلسطين فكافحوا الحكم الرومانى وحاربوا البيزنطيين ولما قامت جموع العرب فى الحجاز تحت راية الإسلام تحرر البلاد العربية اشتركت القبائل العربية وأكثرها من كلب ولخم وجذام ومن استعرب من سكان فلسطين مع المسلمين فى مقاتلة البيزنطيين إخوانهم فى الدين ، لأنهم كانوا يشعرون بشعور قوى وبشعور الرابطة التى كانت تربطهم بشبه جزيرة العرب وتقدمت الجيوش الإسلامية فى أراضى سورية وتمكنت من طرد الروم(١) . وفى ذلك دليل كاف فى دحض حجج الصهيونيين .

وقد كان المسلمون والنصارى سكنة فلسطين يحاربون سوية جيوش الصليبيين الذين حاولوا باسم الدين احتلال فلسطين ولم يشترك أى يهودى فى مقاومة هؤلاء الغزاة وقد اشترك العرب مسلمون ونصارى فى مكافحة العثمانيين وتحرير فلسطين من حكمهم وفى النهضة العربية فأى حجة تاريخية يتذرع بها الصهيونيون إذاً فى حقهم التاريخى القديم فى فلسطين وهم لم يقاتلوا فى سبيل الأرض المقدسة ولم يحاولوا الوقوف أمام الأشوريين والبابليين والرومان عند ما كانوا يدخلون القدس ويخربون الهيكل وبيت داود .

وقد ادعى الصهيونيون بأن العبرانيين كانوا يحنون دائماً إلى العودة إلى « أرض إسرائيل » وأنهم ما فتئوا يتذكرون أرض الأجداد والآباء وأنهم يريدون إحياء ثقافتهم فى تلك الأرض الموعودة ولكن التوراة والتواريخ تكذب أقوالهم هذه أيضاً ، فإن العبرانيين الذين كان البابليون قد أخذوهم أسرى إلى بابل ثم سمح الفرس لهم بالعودة إلى أرض فلسطين بعد انقراض حكومة بابل ، فى أيام « كورش » فضلوا الإقامة فى أرض العراق على الذهاب إلى «أرز إسرائيل» ولم يلب نداء زعماء اليهود وأنبيائهم غير القليل ، لأنهم وجدوا أنفسهم فى أرض طيبة وفى موطن ملائم وقد بقوا فى العراق حتى الآن(٢) وقد تولى بعضهم مناصب

(١) راجع كتب الفتوحات الإسلامية والجزء الثانى من كتاب « دراسات إسلامية » للمستشرق « بيكر » فى بحث فلسطين .

(٢) Nisi Dominus P. 15.

عالية فى الحكومة ، كما أن اليهود الذين هاجروا إلى مصر فراراً من حكم نبوخذ نصر فضلوا البقاء فى مصر على الذهاب إلى فلسطين وفى ذلك دليل على عدم صحة أقوال الصهاينة فى وجود الحس السياسى والوطن القوى عند العبرانيين .

وأما النداء الذى وجهه الملك « كورش » إلى رؤساء إسرائيل والنداء الذى وجهه الأنبياء فإنه لم يكن ذا طابع سياسى بل كان يحمل الطابع الدينى المعهود فاليهود الذين ذهبوا إلى القدس لبناء « الهيكل » والذين ساعدهم « كورش » بتقديم كل المساعدات اللازمة والذى أمر بإعادة ما كان قد أخذه « نبوخذ نصر » من ذهب وفضة من خزائن الهيكل لم يحاولوا تكوين مملكة سياسية بل ذهبوا لبناء « بيت الرب إله إسرائيل »[1] ولذلك كانت الحكومة التى كونها العبرانيون فى القدس حكومة دينية تحت حكم الفرس ومما يذكر أن « عزرا » الذى فوضه الملك « ارتحشتا » أمر قيادة رجال السبى وإعادة بناء الهيكل اتخذ كل وسائل القوة لإجبار اليهود على العمل بشرائع الرب وعلى العبادة والتوبة[2] وقد كان من نتيجة ذلك اعتناق جماعة من الفلسطينيين ديانة العبرانيين .

ومع ذلك فإن الأرض التى نزل بها اليهود بعد السبى كانت صغيرة جداً أصغر من أرض « مملكة يهوذا » الصغيرة ذاتها مركزها القدس وتمتد فى الشمال إلى حدود « الرملة » وإلى « حبرون» فى الجنوب . وإلى حدود الأردن فى الشرق والسهول فى الغرب[3] .

وكانت منطقة « السامرة » التى لا تبعد إلا قليلا عن مدينة « نابلس » مأهولة بسكان من العراق كان الأشوريون قد نقلوهم إلى هذا المكان ومن السامريين الذين لم يعترفوا بزعامة رجال الكهنوت فى القدس واختلفوا عنهم . ثم أصبحوا من أشد الناس خصومة لهم ، فقاوموهم وحاربوهم مع أنهم من أصل عبرانى وهذا ما يدل على أن اليهود لم يكونوا على رأى واحد حتى فى إحياء الهيكل وإعادة الدولة اليهودية بشكل جديد سماه « المستر لويد جورج » والتقرير الذى وضعته اللجنة الملكية التى أرسلت فى عام ١٩٣٦ للتحقيق فى حوادث فلسطين « بأول وطن قومى

(١) راجع أسفار عزرا .
(٢) عزرا إصحاح ٧ آية ١٢ فما بعد .
(٣) Nisi Dominus. P, 15

لليهود » « A firit Jewish national Home »[1] .

ومما يذكر أن اليهود الذين عادوا من السبى ما كادوا يشرعون ببناء السور والهيكل وتحصين القدس حتى ثار سكان فلسطين عليهم وهم الأكثرية فأعلنوا الحرب واشترك فى ذلك «سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيون والأشدوديون»[2] وجشم العربى وبقية شعوب فلسطين[3] .

بنى السور وتحصن العبرانيون فى القدس وتكون مجتمع يهودى صغير فى هذه البقعة بجهود « عزرا » و« نحميا » وقد أمر « هذان الزعيمان بأن تكون القدس مستعمرة يهودية بكل معنى الكلمة تتكلم اللغة العبرية وتحترم « الشبات » « السبت » وتحتفظ بقوانين العنصرية فأمر العبرانيين الذين تزوجوا بزوجات أجنبيات من الوطنيات بطلاقهن على الطريقة التى اتبعت فيما بعد وبعد ألفى سنة فى قوانين « نورنبرك »[4] .

لم يستطع هذا « الوطن القوى » الذى خلقه « عزرا » و « نحميا » ولم تتمكن القوانين الصارمة التى فرضها على العبرانيين من خلق ذلك الوطن فظل صوت اليهود خافتاً لم يرتفع فى فلسطين على الرغم من المساعدات القيمة التى قدمها لهم « ملوك الفرس » الذين تجاهلوا رغبات الأكثرية من الوطنيين ولم يبذل العبرانيون أنفسهم لخلق ذلك الوطن لأنهم لم يفكروا تفكيراً سياسياً بل كانت كل جهودهم متوجهة نحو الاحتفاظ بديانة إله إسرائيل ، ماخلا فترات قام بها بعض الزعماء بالدعاية إلى العنصرية لم تلاق غير رواج مؤقت .

جواد على

(١) Mr Slod George, Quoted in the Royal Commission Repot «1939» P. 24. Nisi Dommiminus, P, 16.
(٢) نحميا إصحاح ٤ آية ٧ فما بعد .
(٣) نحميا إصحاح ٦ آية ١ فما بعد .
(٤) Nini Dominus. P. 14'

مـكتبة الأطفال العربية

بعض الاختبارات الشخصية والملاحظات التوجيهية

للأستاذ كامـل كيلانى

زعموا أن ثلاثة أمراء إخوة أشقاء ، خرجوا يتنافسون فى مهر بنت عمهم السلطان ، بعد أن تواعدوا على الاجتماع آخر العام فى مكان بعينه ليروا : أيهم ظفر بأنفس هدية للأميرة . فلما التقوا رأوا أحدهم قد ظفر بمنظار سحرى يرى فيه الناظر كل مايدور بخلده ، ولو كان فى أقاصى الدنيا . وظفر ثانيهم ببساط سحرى يحمل راكبه محلقاً به فى كل جو من الأجواء فيبلغه غايته فى لحظات يسيرة وظفر ثالثهم بتفاحة شافية تبرىء من السم وتعيد الحياة إلى من أشرف على التلف . ونظروا فى المنظار فإذا الأميرة على فراش الموت تحتضر . فأسرعوا إلى البساط ، فإذابهم عندها فى الحال . وأدنوا التفاحة منها ، فشفيت على الفور . وحاولوا أن يعرفوا : أيهم صاحب الفضل فى شفائها فلم يهتدوا إليه . فلولا المنظار لما عرفوا مرضها الخطير ، ولولا البساط لهلكت قبل أن يصلوا إليها ، ولولا التفاحة الشافية لما كان لوصولهم فائدة . فإذا نقصت واحدة من هدايا الأسطورة ضاع كل أمل فى شفاء الأميرة. ولعل فى هذه القصة مثلا دقيقاً يوضح ما يجب على من يتصدى للكتابة للأطفال أن يهدف إليه ويجعله نصب عينيه وحفل أذنيه

***

إن تحبيب الكتاب إلى نفس الطفل هو أول الوسائل لتمكينه من القراءة . ومتى ظفر بهذه الغاية ظفر بالمنظار السحرى الذى يرى صاحبه كل ما يريد أن يراه . أما الأسلوب القصصى الساحر فهو بساط الريح الذى يتنقل بالقارىء إلى أبعد الآفاق الفكرية فى لحظات يسيرة ، ويطير به على أجنحة الخيال البديع محلقاً به فى سماء الحقائق ، دون أن يلحق به كلالا ولا جهداً . أما التفاحة الشافية فتتمثل فيما تتركه القراءة النافعة من آثار نفسية رائعة ، تشفى سموم الجهالة وتبرىء من النزعات العارمة التى تعجل بصاحبها إلى الهلاك وتقذف به إلى الهاوية . ولنقف عند أول هذه الأهداف الجليلة لحظة قصيرة ، فما تتسع هذه الوجازة الخاطفة لغيرها لنقف عند الخطوة الأولى ، وهى تحبيب القراءة إلى الطفل ، وتمكين الفصحى من نفسه ، وحمايته مما كان يغمرنا من البيان المشوه المضطرب ، وتجنيبه ذلك الشر المستطير من سيل العامية الجارف الذى كان يغرقنا فى مستهل نشأتنا الثقافية ، ولا يزال يغمر الكثيرين من ناشئة اليوم ورجال الغد ، فيقضى على مواهبهم البيانية — أو يكاد — فى زمن حداثتهم . ولنعد لهم بياناً عربياً خالصاً يطبع الطفل على الفصحى منذ طفولته الباكرة ، حتى إذا كبرت سنه صارت له الفصحى — كما كانت لغيره من أسلافه العرب فى عصور القوة الأولى — سليقة وطبعاً، وأصبح البيان العربى متأصلا فى نفسه عادة وملكة . وبرىء من العجمة المتفشية بين شباب العصر وفتيانه .

***

أما السبيل إلى هذا الحلم الجميل ، فتحقيقها ميسور غير مستحيل .

إننا إذا راقبنا كلام الطفل وهو فى مستهل طفولته ، رأيناه يلجأ — كما قلت فى بعض المناسبات منذ عشرين عاماً — إلى تكرار الجمل إذا قص علينا خبراً ، كأنما يتثبت من معانيها فى ألفاظها المكررة . فلماذا لا نكتب له وهو فى هذه السن محاكين أسلوبه الطبيعى فى تكرار الجمل والألفاظ لتثبت المعانى فى ذهنه تثبيتاً ؟ ولماذا لا نكرر له الجمل برشاقة ليسهل عليه قراءتها ؟ ذلك أجدر بنا وأليق فإن لكل مقام مقالا .

ومن الحقائق المعروفة أن الطفل — فى هذه المرحلة — ملول يتهيب الكتاب ، فلننتزع من نفسه هذا الملل ، ولنحبب إليه الكتاب بكل وسيلة ، ولنبسط له الأسلوب تبسيطاً مكثرين من الصور الجذابة الشائقة التى تسترعى انتباهه ، لنشعره أن الكتاب تحفة تهدى إليه إهداء ، وليس واجباً يكلفه تكليفاً . فإن الطفل — إذا ساء ظنه بالكتاب — صعب اجتذابه إليه بعد هذا .

وقد وفق أكثر من تصدوا لتأليف كتب الأطفال توفيقاً عجيباً فى تبغيض القراءة إلى نفوسهم وتنفيرهم من المطالعة ، فأصبحوا يمقتون الكتاب أشد المقت ، ويهربون من قراءته ، لأن المؤلفين لم يراعوا سن الطفل وميوله ورغباته . ولم يزالوا أو هم

— على الحقيقة — عجزوا عن النزول إلى مستواه ، ومخاطبته باللغة التي يفهمها وترتاح إليها نفسه . ومن الإنصاف أن نقرر — بصراحة — أنهم لم يضعوا كتبهم على نسق خاص أو منهج بعينه ، وأنهم في تأليفهم لم يتشبعوا بفكرة فنية تنتظم الكتاب وتؤلف بين أجزائه . لأنهم يقنعون بتصيد موضوعات الكتاب — كيفما اتفق لهم أن يتصيدوها — فيخرج الكتاب خليطاً مضطرباً لا تؤلف بين أجزائه فكرة بعينها ولا يتناسب أسلوبه مع مدارك الأطفال .

***

إن الطفل ميال بطبعه — إلى الحكايات والقصص ، وهو — بفرزته — مفتون برؤية الصور الجذابة فلنختر له منها ما يناسب سنه ، ويتفق وميوله ورغباته وتفكيره . أما الفكرة التي انتظمت مكتبة الأطفال فهي « التكرار » يكثر في أولها ثم يقل شيئاً فشيئاً — كلما تقدم الطفل في القراءة حتى يصل إلى قراءة الأسلوب الوجز الذي لا تكرار فيه بلا مشقة ولا إعنات .

وقد تدرجت بالطفل في هذه المكتبة حتى يكون آخر جزء من كل مجموعة ممهداً لقراءة أول جزء من أجزاء المجموعة الأخرى. فإذا أتم هذه المكتبة اسلمته إلى مكتبة الشباب ، وكانت له جسراً يسهل العبور إلى ما تحويه من كتب الأدب ودواوين العرب في سهولة ويسر .

وإنما عمدت في الأجزاء الأولى من مكتبة الأطفال إلى التكرار عمداً بعد أن أقنعتني التجارب العملية والاختبارات الشخصية أنه أصلح أسلوب يلائم الطفل الناشىء ويشجعه على القراءة . ولا غرو في ذلك فإن الطفل الناشىء لا يقرأ الكلمة إلا بجهد كبير . ولا يتم السطر إلا بشق النفس . فلنقتصد جهدنا في استعمال الألفاظ الجديدة . ولنؤلف من الألفاظ القليلة التي يقرؤها الكبير في بضعة أسطر — عدة صفحات كاملة لندخل في روعه أن القراءة ليست صعبة كما يتوهم ، وليست شاقة مضنية ، كما ألفها في الكتب الأخرى ، بل هي سهلة ميسورة ، وهي — إلى سهولتها ويسرها — ممتعة شائقة ، تملأ نفسه بهجة وانشراحاً ، وثمة يشعر الطفل بثقة في نفسه إذ يرى أنه يقرأ صفحة كاملة بجهد يسير ، فهو لن يتم قراءة السطر الأول حتى يسهل عليه قراءة السطر الثاني والثالث والرابع وهكذا ، لأن الألفاظ لا تكاد تتغير في الجمل إلا بمقدار يسير .

***

وقد جعلت نصب عيني قصة الرجل الذي كان يحمل الثور صاعداً به درج سلم عال وهابطاً به دركه ، دون أن يبدو عليه شيء من آثار التعب والجهد . فلما سئل في هذا قال: لقد تعودت حمل الثور منذ ولادته كل صباح وما زلت أكبر ويكبر الثور معي ويزداد نمونا كل يوم زيادة قليلة مضطردة ، حتى اكتمل نماؤنا . ولم أشعر أن وزن الثور قد زاد يوماً عما كان في سابقه ولم أحس له ثقلا إلى اليوم .

***

كانت هذه القصة نواة صالحة لمكتبة الأطفال . فبدأتها بتسلية الطفل متدرجاً به تدرجاً بطيئاً لا يكاد يشعر به ولا يحس له أثراً ، مستعيناً على هذا الغرض بالصور الملونة الجذابة والشكل الكامل والألفاظ السهلة . حتى إذا اطمأن الطفل إلى الأسلوب السهل ، وامتلأت نفسه ثقة بقدرته على القراءة ، انتقلت به إلى المرحلة التالية ، فمزجت له التسلية بالفائدة ثم لا أزال أنتقل به خطوة بعد خطوة حتى يرى في فنون المعرفة وحدها متعة وتسلية ، لا يعدلها شيء من فنون المتع وضروب التسلية . ولم أقصر في تحبيب الفصحى إليه وتعويده النطق بالصحيح من الألفاظ ، وتدريبه على الأخذ بالصحيح من الآراء ، فإن الخطأ اللفظي كالخطأ المعنوي إذا انطبع أحدهما أو كلاهما في ذهن الطفل منذ القراءة الأولى صعب اقتلاعه ، في قابل أيامه . ولا معدى لنا عن ترغيبه — بكل ما نملك من الوسائل — في الأسلوب الرائع والمثل الصالح جميعاً . فلا نتسمح قط في عبارة واحدة تقلل من شأن لغته ، أو تصغر من جلال القيم الأخلاقية .

***

إن تحبيب الكتاب وتخير الأسلوب الصالح وتثبيت الفضائل في نفس الطفل ، هي الأهداف الثلاثة التي ترمى إليها مكتبة الأطفال ولابد من اجتماعها لبلوغ الغاية المرجوة ، كما اجتمعت هدايا الأمراء الثلاثة لشفاء الأميرة . فإذا نقص واحد منها تهدم البنيان كله ، وذهبت جهودنا على غير طائل . وهذه هي الحوافز



شرف . . . !

مشى العمدة فى جلبابه النظيف المهندم وعلى رأسه طربوشه الطويل الأقم ، وفى يده عصاه الغليظة المحلاة بالذهب ، ومن خلفه بعض وجوه القرية وبعض خفرائها ، وإنه ليحرص أبداً أن يسير ومن ورائه عدد من الناس ليوقع الرهبة فى نفوس من يمر بهم من أهل قريته ، وما يلمح أحد من أهل القرية هذه « الزفة » إلا نهض محيياً بتكلف أكثر مايستطيع من التأدب والخشوع ، فإن كان من ذوى المكانة جرؤ على أن يضيف إلى عبارات تحيته : « تفضل يا حضرة العمدة ... شرفنا يا سعادة البك » وقنع من حضرة العمدة رداً على تحيته وعلى دعوته بإشارة خفيفة من يده علامة على الرضاء لا تكاد ترى ، أو بتمتمة خافتة على شفتيه لا تكاد تسمع ؛ وإن كان من عامة الناس فما يستطيع إلا أن ينهض خاشعاً إذا أبصر العمدة من بعد ، ثم يظل فى خشوعه لا يلتفت يمنة ولا يسرة ولا يرفع رأسه حتى يمر به العمدة فيرفع يده إلى رأسه فى ضراعة ، ويرد فى اهتمام تلاحظه فى نغمته تحية الإسلام التى قد يلقيها إليه أحد من فى ساقة هذا الركب ، ثم يجلس بعد أن يمر به الركب كله ، وفى خياله شارب العمدة وعبوس وجهه وطربوشه الأقم الطويل وعصاه المذهبة الغليظة ، وحسبه جرأة أنه استطاع أن ينظر إلى ذلك الشارب الهيب ، وإن كان ذلك بعد أن يمر به العمدة أو يكاد فيلمح طرفى شاربيه وهو ينظر إليه من وراء ظهره ...

لم يبق على أذان المغرب إلا ساعة أو بعضها ، ويرى الناس وكأنهم سكارى مما فعل بأبدانهم وأرواحهم الحر والصيام وامتداد النهار وشدة الغلاء ، وطول انقطاع ماء الرى حتى هلكت الذرة الوليدة أو كادت ، وتفتحت بعض لوزات القطن المحترق قبل أوانها ووقفت سوقه فلا تنمو

ووقف العمدة وركبه عند أول السكة الزراعية فى مفرق

التى دفعتنى إلى تأليفها .

وقد سألتنى بعض المجلات كيف أؤلف مكتبة الأطفال ، وكيف أتدرج فيها من السهل إلى الصعب فقلت لسائلى : إن إحساس الطفولة عندى كامن مذخور ، فأنا أستحضره فى كل لحظة ، ولدى من وسائل الاختبار والتطبيق لكل ما أكتبه فى هذه الناحية أولادى وهم ذوو أسنان مختلفة وقد استطعت بفضلهم على توالى السنين أن أتدرج فى هذه القصص من السنة الأولى الابتدائية إلى السنة الرابعة الثانوية .

وقد كنت أروى القصة للصغير منهم — حين أؤلف لصغار الأطفال — فإذا انتهيت من روايتها سألته أن يقصها علىّ ، ثم دونت ما علق بذهنه منها واسترعى انتباهه من حوادثها . فأثبته وأغفلت منها ما أغفله . ثم سألته أن يقرأها أمامى بعد كتابتها ، لا تبين مدى ما ظفرت به من نجاح أو إخفاق . فإذا سألنى عن معنى كلمة مما يدق عليه فهمه فسرتها له . فإذا أصعب عليه التفسير ، استبدلت به كلمة أخرى أسهل وأيسر ، ثم أثبت التفسير الأخير الذى استقر فهمه عليه .

هذا هو المنهج الذى أخذت به نفسى فى تأليف مكتبة الأطفال فإن وفقت فى هذه الخطوة — وأرجو أن أكون — فقد أديت بعض ما يجب أداؤه لهذا الجيل الناشئ الذى نعلق عليه أكبر الآمال .

ولا أكتم أننى طالما عجبت فى مستهل نشأتى كيف تنكبت كتب المطالعة العربية سبيل الكتب الأجنبية التى وفق الكثيرون من مؤلفيها إلى تحبيب لغتهم إلى نفوس الأطفال بقدر ما وفق مؤلفونا إلى تبغيض القراءة العربية إلى نفوس الناشئة .

وطالما شكوت لبعض أترابى من الطلبة ونحن بالسنة الأولى الابتدائية متبرماً بما فى أيدينا من كتب المطالعة العربية مقابلا بينها وبين الكتب الأجنبية الجذابة الفاتنة . وطالما أجابنى صاحبى مستهزئاً ساخراً : « وما بالك لا تؤلف خيراً من هذه الكتب؟ » وطالما أجبته واثقاً : ذلك عهد على أوفى به إن شاء الله متى كبرت سنى ، وبلغت مبلغ الرجال »

ولعلى بما ألفت من أجزاء مكتبة الأطفال — خلال هذه السنين العشرين ، قد وفيت بهذا النذر ، وحققت منه بعض ما أريد .

كامل كيلانى

الطرق بين قريته وقريتنا وبعض القرى المجاورة ، وهو مكان به عدد من الدكاكين وكثير من الناس ، وما أن وقع بصره على رجل من أهل قريته حتى ناداه فى عنف ، فخف المسكين إليه وهو يتمتم فى صوت سمعه بعض الناس : « يا نهار اسود ... ياخرابى » ويحاول أن يبلع ما أبقى الصيام والقيظ فى فمه من ريق فلا يجد شيئاً ، ووقف المسكين بين يدى حضرة العمدة ، فهل رأيت العصفور الهزيل بين يدى صقر جارح ؟ وراح العمدة ينهره فى صوت كالرعد أكبرظنى أن المسكين لم يسمعه من فرط رعبه .. يا كيت وكيت ويابن كيت وكيت ... من هاتيك الألفاظ التى تجرى بها ألسنة العمد وأصحاب السلطان فى القرى ، وأمسك العمدة هذا المسكين باحدى يديه وصفعه بالأخرى مرتين على وجهه الصفار فى عنف وغلظة ، فما تركه حتى سقط المسكين على الأرض يعفره التراب ، فركله العمدة كما يفعل بكلب حقير !

ولم أدر سبباً لهذا الضرب ، غير أنى أحسست بالدم يصعد حاراً قوياً إلى وجهى ، وطاف برأسى فى مثل لمحة الطرف طائف مما نلوكه نحن المتعلمين من ألفاظ الحرية والديمقراطية والدستور ومجلس الأمن وأضرابها مما نخادع به أنفسنا ، وهممت أن أنقض على هذا الصقر ، وأبعثها حرباً بين الأسرتين والقريتين حتى ولو كان المضروب من أكبر المجرمين ؛ وما كدت أسمع ممن حولى أنه من المساكين المسالمين ، حتى انتفضت انتفاضة المحموم ، وخطوت أوقد نار الحرب علّى أطفىء بها نار غضبى !

ونهض المسكين يبكى ويئن ويضع يديه على وجهه مكرراً قوله : « أمرى إلى الله ... أمرى إلى الله » ! وكأنما عز هذا على أحد حاشية العمدة فنهره قائلا : « إخرس يا حمار .. بوس يد العمدة وقل له ضربك شرف ياسعادة البك ، وبذلك يصفح عنك »

وسبقنى إلى حيث يقف العمدة وحاشيته شاب يلبس جلباباً أبيض ، ويضع طربوشاً فوق رأسه ، علمت أنه أخو المضروب ، فالتفت إلى ذلك المتكلم الأخير قائلا : « بل اخرس أنت ياسافل » ومرق مروق السهم إلى العمدة ، فوقف يعترض طريقه فى جرأة قائلا : « لماذا تضرب أخى يا حضرة العمدة ؟ » ... وأخذت العمدة أول الأمر ربكة من هذه الجرأة التى لم ير مثلها قط فى سنوات حكمه الثلاثين ، ولكنه نظر إلى هذا الطربش فى استهزاء كما ينظر المرء إلى مجنون لا يحاسب على قوله أو فعله ؛ ولكن هذا الطربش أخذ يقول فى عبارة فصيحة : « ما هذا الجبروت ؟ إلام الظلم ؟ الناس سواسية كأسنان المشط ... نحن فى عهد الدستور ... قضية الحرية تعرض على مجلس الأمن ... يا ناس كفى ظلماً واستعباداً لخلق الله ... فيم هذا الضرب وهذا الجبروت » ! !

وتقدم المضروب بدوره ، فازداد الناس عجباً إذ سمعوه يتوثب أمام العمدة قائلا : « إيه الجبرؤوت ده ... دا ظلم ... داجبرؤوت ! »

ودفعهما أعوان العمدة من طريقه ، ومضى العمدة وهو يلعن الدستور والحرية ، ويسخر فى صوت مسموع من هذه البدع التى أفسدت الناس ، وبكظم غيظه من هذا المعلم الإلزامى الثائر الذى غضب لضرب أخيه ، والذى يفسد هو ونظراؤه القرى !

واستمر المعلم الجرىء النبيل يرفع صوته متحدياً معلناً أنه سيرفع إلى النيابة شكواه واستشهد بى وبغيرى ، فقبلت أن أشهد مغتبطاً ، وأنا أقول لنفسى : هؤلاء هم الذين يصلحون القرى لا الذين يفسدونها ، وما يفسدها إلا أمثال هذا المتجبر الطاغية الذى يعيش بجهله وجاهه فى القرن الماضى .. ومضيت إلى دارى قرير النفس - وقد ذهب عنى الغضب — وأنا أقول : لن يكون لمصر دستور بالمعنى الصحيح ، حتى يتعلم أبناؤها ، ولن تقوم الديمقراطية الحق إلا على أساس من العلم !

أما الذين رفضوا أن يؤدوا الشهادة ، فقد انقلبوا إلى دورهم وهم يفكرون فيما سوف يحل بهذا المعلم الإلزامى من نكال أقله تقليع زرعه أو حرقه ، وإهلاك ماشيته بالسم ، ومطاردة أهله وذوى قرباه ، إلا أن تعصمهم من عذاب هذا الطاغية رحمة من الله ! !

(الشهداء) الخفيف

---

١١ – تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد
سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا
للأستاذ محمد جمال الدين حسن

الرموز فى الأحلام :

والقيام برحلة بعيدة يعبر فى الأحلام عن الموت . وبالمثل جرت العادة أن تقول المربية للطفل عندما يسأل عن مقر شخص مات من زمن وأحس الطفل بفقده أن هذا الشخص قد « سافر » . وهنا أقرر كذلك أننى أعنى إن هذا الرمز يرجع مصدره إلى هذا الرد الملتوى على سؤال الطفل . فالشاعر يستخدم نفس الرمز عندما يتحدث عن الآخرة فيقول : « هذا العالم المجهول الذى لا يؤوب منه المسافر أبداً » ؛ وكذلك من المألوف فى حياتنا اليومية أن نتحدث عن « الرحلة الأخيرة »(١) كما أن الشخص الذى له إلمام بالطقوس الدينية القديمة يعرف بلا شك كيف كان الناس يحملون على محمل الجد هذه الفكرة عن رحلة فى أرض الأموات ، كما هو الحال فى المعتقدات المصرية القديمة . ولما كانت القبور تشيد الآن بعيداً عن منازل الأحياء ، فقد صارت « الرحلة الأخيرة » للميت حقيقة واقعة .

والرموز الجنسية ليست قاصرة على الأحلام فقط ؛ فكلكم يعرف أننا نطلق على المرأة كلمة « شنطة »(٢) عندما نريد أن نحتقرها ، ولكن ربما لا يعلم الناس أنهم بذلك يستخدمون فى حديثهم رمزاً جنسياً . ونحن نقرأ فى كتاب « العهد الجديد » أن : « المرأة هى الوعاء الأضعف » وفى الكتب المقدسة لبنى اسرائيل ، وهى تمتاز بأسلوبها الذى يقرب جداً من الأسلوب الشعرى ، نعثر على كثير من التعبيرات التى تحتوى على رموز جنسية ، والتى لم يفسرها الناس دائما على الوجه الصحيح . أما فى الآداب العبرانية التى جاءت بعد ذلك ، فالمرأة تشبه غالباً بمنزل ، بينما الباب يمثل الفتحة التناسلية ؛ وعلى هذا نرى الرجل يتشكى عندما يكتشف أن المرأة لم تكن عذراء فيقول أنه « قد وجد الباب مفتوحاً » وفى هذه الآداب نرى أيضاً أن « المائدة » يكثر استعمالها كرمز للدلالة على المرأة ، فتقول المرأة عن زوجها : « لقد مددت له المائدة ولكنه قلبها . » ويقال عن الأطفال العرج أن عاهتهم ترجع إلى أن الرجل قد « قلب المائدة . »

وعلماء الكلام يعضدون الاعتقاد بأن السفن فى الأحلام تمثل النساء . فهم يؤكدون أن كلمة Schiff (سفينة) كانت فى الأصل اسما لوعاء من الخزف ، وتؤدى نفس المعنى الذى تؤديه كلمة Sshaff (دن أو وعاء من الخشب) . وأما كون « الفرن » يمثل المرأة أو رحم الأم ، فتفسير تعززه الرواية الأغريقية عن « بيرياندر » وزوجته « ميليشيا » ، وذلك أن الطاغية ، كما يروى « هيرو دوتس » ، بعد أن قتل امرأته بدافع الغيرة ، وكان قد أحبها حباً جارفاً ، ناشد خيالها أن يخبره بشىء عن نفسه ، وعند ذلك أثبتت المرأة الميتة شخصيتها بأن ذكرته بأنه . أى « برياندر » قد « وضع خبزه فى فرن بارد » وقد عبرت بهذه الصيغة المستترة عن حادث لم يكن أحد على علم به . وفى كتاب للكاتب « راف . راس . كروس » (anthrobophyteia) يدعى « F. S. Kraus » وهو موسوعة لا غنى عنها لمن يريد أن يلم بكل ما يخص الحياة الجنسية عند الشعوب المختلفة ، نقرأ أن الناس فى حى خاص من المانيا يقولون عن المرأة عندما تضع طفلا أن « فرنها قد تفتتت أجزاؤه » . وأشعال النار وكل ما يتعلق بذلك تتخلله كثير من الرموز الجنسية ، فاللهب دائما يمثل القضيب ، بينما الموقد أو المدفأة تمثل رحم المرأة .

وإذا كان قد اتفق أن أخذكم العجب لكثرة وقوع « الأصقاع » فى الأحلام كرمز للدلالة على الأعضاء التناسلية للانثى ، فإن فى استطاعتكم أن تعلموا من أساطير الأقدمين كيف كانت « أمنا الأرض » تلعب دوراً كبيراً فى أفكار الناس ومعتقداتهم ، وكيف كان فهمهم للزراعة كله محدداً بهذا الرمز . وإذا كانت الحجرة فى الأحلام تمثل المرأة ، فإنكم قد تميلون إلى إرجاع هذه الحقيقة إلى الكلمة الألمانية Frauenzimmer (ومعناها الحر فى حجرة المرأة) التى تستخدم فى اللغة العامية للدلالة على المرأة (Frau) ، أى أن المرأة تمثل بالمكان المخصص لها لتشغله : ونحن كذلك نتحدث عن « الباب العالى » ونقصد بذلك السلطان وحكومته ، كما أن كلمة « فرعون » التى كان يطلقها قدماء

(١) ونحن نقول في النعى : « انتقل فلان الى جوار ربه » . والانتقال والارتحال واحد .

(٢) اللفظة المستعملة عندنا هى « برميل »

المصريين على الحاكم معناها « الفناء الأعظم » (الفناء الذى يقع بين بوابتى المدينة كان يستعمل فى الشرق قديماً كمكان للاجتماع مثل الأسواق فى العصور الكلاسيكية) ولكنى أحسب أن هذا الاشتقاق سطحى جداً ، وإنما يتهيأ لى أن الأكثر احتمالا هو أن الحجرة قد صار استعمالها كرمز للدلالة على المرأة لما لها من خاصية الاحتواء بداخلها على بنى الإنسان . وقد سبق لنا أن رأينا المنزل يستخدم فى نفس المعنى ؛ وإذا رجعنا إلى الأساطير والشعر فإن فى استطاعتنا أن نعتبر المدن ، والقلاع ، والقصور ، والحصون رموزاً أخرى كذلك تمثل المرأة . وهذه النقطة من الممكن البت فيها إلى رجعنا إلى أحلام الأشخاص الذين لا يتكلمون الألمانية أو يفهمونها . وقد حدث فى السنوات الأخيرة أن أغلب مرضاى كانوا من الأجانب ، وانى لأحسبنى أتذكر أن الحجرة كانت تبدو فى أحلامهم أيضاً للدلالة على المرأة ولو أنه لا توجد فى لغتهم العامية كلمة تقابل كلمة Frauenzimmer عندنا. وهناك دلائل أخرى على أن الرمزية تتجاوز حدود اللغات وهى حقيقة سبق اثباتها قبل الآن على يد الباحث القديم « شوبرت » (Schubert) عام ١٨٨٢ . ومع هذا فإنه لا يوجد بين مرضاى من يجهل اللغة الألمانية جهلا تاماً ، وعلى هذا فإننى أترك هذه النقطة ليبت فيها أولئك المحللون الذين فى استطاعتهم أن يجمعوا شواهد من بلاد أخرى لا يتكلم أهلها إلا لغة واحدة فقط

والرموز المستعملة للدلالة على العضو الجنسى المذكر لا يوجد بينها رمز لم يجر استعماله فى معرض المداعبة أو الحديث المبتذل ، أو فى الأسلوب الشعرى خصوصاً عند القدامى من الشعراء الكلاسيكيين ونحن لا نعثر هنا على الرموز التى تقع فى الأحلام فقط ، بل على رموز أخرى كذلك مثل « الأدوات » المستعملة فى أنواع العمل المختلفة وأهمها « المحراث » . وفضلا عن ذلك فيدان الرموز المذكرة ميدان متسع إذا نزلنا إليه تعرضنا لكثير من المناقشات والجدل ، وعلى هذا فسنتجنب ذلك خوفاً من ضياع الوقت . ولكنى أريد فقط أن أوجه بعض الملاحظات إلى الرمز الذى يظهر كثيراً قائماً بذاته ؛ أعنى العدد « ثلاثة » . فهذا العدد تحيط به هالة من القداسة لا نستطيع أن نقرر بعد إن كانت ترجع إلى دلالته الرمزية ، ولكن يبدو أنه مما لا شك فيه أن الأشياء الطبيعية المثلثة الشكل مثل عود البرسيم تستخدم كشعار لدلالتها الرمزية . وزهرة الزنبق الفرنسية بأجزائها الثلاثة يقال انها ليست إلا صورة تنكرية للعضو الجنسى المذكر ، وكان الناس فى العصور القديمة يعتقدون أن « الأيقونة » منها هى أقوى الوسائل التى تدفع عنهم الشر والأذى ، والدليل على ذلك أننا نجد فى هذا العصر أن الطلاسم التى تجلب الحظ السعيد ما هى إلا رموز تناسلية أو جنسية . دعونا ننظر فى بعض هذه الطلاسم التى تصنع على شكل (دلاّيات) من الفضة وهى : عود البرسيم ذو الأربع ورقات ، والخنزير ، وعش الغراب ، وحدوة الحصان والرجل الذى يكنس المدفأة ومعه سلمه ، أما عود البرسيم ذو الأربع ورقات فقد حل محل العود ذى الثلاث ورقات الذى كان فى الواقع أنسب للغرض المطلوب وهو الرمزية ، وأما الخنزير فرمز قديم للاخصاب ، وعش الغراب يمثل القضيب من غير شك ، بينما حدوة الحصان ترسم المنحنى الذى تتخذه الفتحة التناسلية للأنثى . وأما « الرجل الذى يكنس المدفأة » بسلمه فينتمى إلى هذه المجموعة لأن وظيفته تقارن دائماً بعملية الجماع فى الأحاديث المبتذلة . وقد تعلمنا من الأحلام كيف يظهر هذا السلم كرمز جنسى ، وهناك تعبيرات فى اللغة تدل على ما لكلمة « Steigen » (يصعد) من الدلالة الجنسية المطبقة مثل قولهم Den Fruen nacheteigen (يجرى وراء المرأة) . وهكذا الحال أيضاً فى اللغة الفرنسية حيث نجد أن كلمة La marche معناها « درجة » وأن الرجل العجوز المتهتك يطلق عليه : un vieux marcheur ورعا كان هذا الترابط بين الأفكار يرجع إلى أن عملية الجماع عند الحيوانات الكبيرة تستلزم أن يمتطى الذكر أو يركب على الأنثى .

أما تمثيل العادة السرية رمزياً بوساطة جذب فرع من الشجرة فليس مما يتفق مع الأوصاف العامية المبتذلة لهذه العملية فحسب ، بل إن له كذلك أشباهاً فى الأساطير . ولكن الغريب الذى يلفت النظر حقا هو تمثيل العادة السرية أو على الأصح الخصاء كعقاب للادمان عليها ، بسقوط أو اقتلاع الأسنان ؛ لأننا نجد فى القصص الشعبية مقابلا لذلك لا يمكن أن يلم به إلا قليل من الحالمين . فانى أظن أنه ما من شك فى أن « الختانة » وهى عادة عند كثير من الشعوب ، تعتبر معادلة أو بديلة من الخصاء . وقد وصل إلينا منذ عهد قريب أن بعض القبائل الشاذة فى أستراليا تمارس الختانة كطقس للدلالة على البلوغ بينما بعض القبائل الأخرى التى تجاورها قد استبدلت هذه العادة بعادة أخرى وهى اقتلاع إحدى الأسنان .

(يتبع) محمد جمال الدين حسن

حيفا تحت أضواء القمر

للأستاذ حسن البحيرى

إذا نظرت عيناك من بسط الغمض
مصابيح (حيفا) وهى باهرة الومض
رأيت السنى لف الدجى ورأيتها   نجوم سماء قد نثرن على الأرض
وإن جلت بالطرف اللموح وأنت من
ذرى (الكرمل) الشم الشعاف على نهض
وشارفت أرجاء (الخليج) بظلها   وأمواجه بين التبسط والقبض
وقطر السنى ينهل من قر الدجى   فيغسل وجه الماء بالذهب المحض
تصورته صبحاً ... (وحيفا) وسحرها
بقية ليل عند شاطئه الفضى
بقية ليل قد تجمع نجمها
مضى الليل عنها .. وهى بالنجم لم تمض!

(حيفا)   **حسن البحيرى**

مناقشة هادئة:

إلى أبي العلاء ...

للشيخ محمد رجب البيومى

ألف دقيقة أم ألف عام   كأنك لم تزل تبدو أمامى
أراك تسير بين الناس مثلى   فأسأل هل فررت من الحمام
وأقسم قد لمحتك ذات يوم   فسرت إلى لقائك فى اهتمام
وجئتك والسرور يقيم نفسى   ويقعدها على غير انتظام
فأوقفنى جلالك فى ذهول   فلم أفطن لإلقاء السلام
ولو أنى ملكت زمام نفسى   لأديت التحية باحترام

لدى إليك أسئلة فأسرع   بأجوبة تبل بها أوامى
علام لزمت بيتك وهو سجن   حمدت بظله طيب المقام
سخطت على الورى فمكثت فيه   ورحت تصب نقدك كالسهام
رأيت الذئب يقرب من أخيه   فما لك قد بعدت عن الأنام

عذرتك حين ضقت بأم دفر   وصرت تحن للموت الزؤام
فلو سلمت لك العينان حيناً   لهمت بحبها كل الهيام
فمن ذا يكره الدنيا وفيها   تطالعه الطبيعة بابتسام
لئن تك قد فقدت ضياء عين   فضوء حجاك كالبدر التمام
أنار لك الطريق فسرت فيه   وذو العينين يخبط فى الظلام

أراك تخالفنى فى كل رأى   فهل لك من سبيل للوئام
تعاف المال وهو أعز شىء   حرمت لأجله طيب المنام
ويؤلمنى خصامك للغوانى   فما الداعى إلى هذا الخصام
لعلك رمت منهن اتصالا   فشلك ليس يخلو من غرام
فلما أن صددن وضقت ذرعاً   بهن سلكت خطة الانتقام
رأيت الغيد منية كل فرد   وإن أبدى السلو على الدوام

تبعت الوهم فاستحدثت رأياً   خلطت به الحلال مع الحرام
فهالك أن ترى القصاب يجرى   دم الشاة الضعيفة فى الرغام
فهبها لم تكن ذبحت عياناً   أما سيفوتها ليث الحمام
رويدك لست أرحم من إله   تخيرها غذاء للأنام

نقمت على الزواج وأنت أدرى   بحكمته فما هذا التعامى
وقلت لئن رزقت فتى سأجنى   عليه بتركه بين الطغام
حنانك، عله يغدو مليكا   يتيه على الجبابرة العظام
فتاك دعامة لك كيف تبنى   خلودك فى الحياة بلا دعام
جنيت عليه حين سرى لهيفاً   بظهرك يشتكى حجب الظلام

قضيت العمر فى شك ممض   تفتش عن مصيرك فى الرجام
تمر عليك روحك حين تمضى   فتسأل هل تؤول إلى انعدام
شكوك حيرتك فكنت تصلى   بها ناراً مؤججة الضرام
فليتك قد أرحت النفس منها   ولم تنظر إليها باهتمام

تعقيبات

لصوصية أدبية :

كان صاحب مكتبة ... فى بيروت قد انتهب ديوان « الجداول » للشاعر المعروف الأستاذ إيليا أبو ماضى فطبعه وباعه وربح منه دون أن يرجع إلى صاحبه أو يستأذنه أو يرد عليه شيئاً من الربح ، فعمد الشاعر إلى مقاضاته وعهد إلى أحد المحامين فى بيروت برفع دعوى عليه أمام المحاكم ولكن المحكمة ردت الدعوى لأن القانون لا يتضمن نصاً بشأنها ولكن الأستاذ الشاعر كلف محاميه باستئناف النظر فى مقاضاة هذا السارق الجرىء .

وكان أن عمد ناشر عراقى إلى هذا الصنيع عينه ، فأخذ ديوان « الجداول » نفسه وطبعه طبعة ثانية وباعه وربح منه دون أن يرجع إلى صاحبه أو يستأذنه أو يرد عليه شيئاً من الربح فعهد الشاعر إلى أحد المحامين فى بغداد لمقاضاة هذا السارق الجديد ...

ثم كان أن غنى الموسيقار المصرى الاستاذ محمد عبد الوهاب مقطوعة فى إحدى رواياته من شعر إيليا أبو ماضى دون أن يستأذنه أو يرجع إليه فغضب الشاعر أبو ماضى لهذا الغبن وأعلنها حملة شعواء فى جريدته « السمير » التى يصدرها بنيويورك على لصوص الأدب والمنتهبين للآثار الفنية فى غير تورع ولا رعاية للعرف والقانون والذوق ، وقال إنه سيحاسب الموسيقار المصرى ويقاضيه قانونياً على استثماره لشعره كما يحاسب صاحب مكتبة العرفان ، إذ قد حان الوقت لوضع حد للصوص الأدب فى كل مكان كما يقول .

وقد تناولت مجلة « كل شىء » البيروتية هذه القصة وأوردت طرفاً من فصولها نقلا عن « السمير » ثم علقت عليها قائلة :

« إن صاحب الجداول واحد من كثيرين يُغْزون فى عقر كتبهم كل وقت فى العالم العربى ، وليس من المعقول أن يكون للاشياء المادية حرمة وحصانة لا تتمتع بهما القضايا المعنوية ومسائل الفكر وليس من المعقول فى شىء أن يحكم القاضى على سارق سطل الحليب بستة أشهر يقضيها فى السجن ولا يجد فى القانون ما يحكم به على سارق نتاج الفكر ومستثمره دون إذن صاحبه ورضاه . بل ليس من المنطق فى شىء أن يحكم على سارق الكتاب كقطعة مادية من الورق بالسجن ولا يحكم على سارق الكتاب كقطعة معنوية من الفكر والرأى والبحث » ...

والواقع أن هذه السرقات التى نحن بصددها ليست بسرقات أدبية ، فالسرقة الأدبية على ما هو مألوف أن يأخذ الشخص أثر غيره وينسبه لنفسه ، وهؤلاء الثلاثة قد نسبوا إلى الأستاذ أبو ماضى شعره وأثره ولكنهم انتفعوا بما أخذوا وربحوا منه مادياً ولم يشركوه فى هذا الربح ، بل إنهم ربما فوتوا عليه بهذا العمل ربحاً أكبر وأجزل حتى لو أشركوه معهم ، وإذن فالسرقة سرقة مادية كسرقة المتاع .

وليس من قصدى أن أكيِّف هذه السرقة من الناحية القانونية ، ولكنى أقول إنها على أى حال لصوصية جريئة يجب أن يعاقب مقترفوها كما يعاقب سارقو المال والمتاع ، وإذا كانت قوانين الدول العربية كلها قد أغضت عن اعتبار هذه المسألة وتقديرها فإن من الواجب على الأدباء ورجال الفكر فى العالم العربى أن يفزعوا لحماية أنفسهم وصيانة آثارهم بأن يتداعوا لوضع مشروع يدفع عنهم هذا الاستهتار ، ويقرر عقاباً رادعاً لأولئك المستهترين أو فليتوجهوا إلى الجامعة العربية لإنجاز ما هى بسبيله من وضع قانون عام فى الشرق العربى لحماية الملكية الأدبية .

لا تنتظروا حتى ينتصف لكم رجال القانون أيها الأدباء ، بل بادروا أنتم بالانتصاف لأنفسكم ، فنحن فى زمن يدفع فيه كل إنسان عن نفسه .

ذممت الخمر ثم غرست كرماً … مددت ظلاله من ألف عام

فها هو شعرك الجذاب يتلى … فيفعل بالنهى فعل المدام

علام قد التزمت به قيودا … ألم تك فى غنى عن الالتزام

تحاول أن تفوق الناس طراً … وتلك طبيعة الرجل الهمام

بيان يرتقى بالروح حتى … يطير جناحها فوق الغمام

تكاد إذا رقيت به مريضاً … تسرى عنه آلام السقام

رهين المحبسين وددت أنى … بلغت بمدحتى حد التمام

ولكنى ختمت القول عجزاً … فما أدنى ابتدائى من ختامى

محمد رجب البيومى

أليس من العجيب أن ترجع الجامعة العربية إلى رجال القانون وإلى موظفى الحكومات العربية فى وضع القانون الذى تريده لحماية الملكية الأدبية ولا ترجع إلى الأدباء وهم الذين يعرفون الأبواب المفتوحة للسطو على هذه الملكية ؟!

يا قوم حسبكم :

فى أواخر القرن الماضى كتب الشيخ أحمد فارس الشدياق وصفاً للبيئة المصرية وطبيعتها قال فيه : « وإن من خصائص البيئة المصرية البارزة أن الطربوش فيها يضيق ويضيق ثم يضيق ، وأن البرنيطة فيها تتسع وتتسع ثم تتسع » .

والمعنى المقصود فى هذا التعبير الطريف أن المصريين مغفلون بلهاء ، فهم يعيشون فى بلادهم غرباء ، على حين ينعم الأجانب الوافدون بكل ما فيها من خيرات ومبرات ...

ولقد مضى أكثر من نصف قرن على هذا الكلام ولقد تطورت الدنيا وتنورت الأذهان وأصبحت كل أمة تبحث عن نفسها وكل فرد يعمل على تقويم شخصيته ، ولكن يظهر أن المصريين لم يتحرروا بعد من تلك الطبيعة القديمة ، فهم لا يزالون يؤثرون أن يعيشوا فى بلادهم غرباء ، ولضيوفهم كرماء ، أو قل أرقاء ، ومصداق ذلك ما بدا من بلدية الإسكندرية الكريمة الموقرة إذ قررت إقامة تمثال فى حديقة مكتبة الإسكندرية الجديدة للشاعر اليونانى قسطنطين كفافى ...

وقد يعنيك أن تسأل : ومن يكون ذلك الشاعر اليونانى وماذا أسدى للثقافة وأجدى على مصر أو بذله فى خدمتها حتى تؤثره بلدية الإسكندرية بذلك التخليد على أبناء مصر من العظماء والأفذاذ ولكنك لا تلمس أى مبرر من تلك المبررات ، ولعل الأمر لا يخرج عن اقتراح تقدم به عضو يونانى فى القومسيون إكراماً لواحد من بنى جنسه فسارعت البلدية بالموافقة على ذلك نزولا على قاعدة : كرماء لضيوفنا !

لقد أذيع أن رابطة أدباء الإسكندرية غضبت لهذا التصرف العجيب واحتجت لدى وزارة الداخلية على قرار البلدية « بإقامة تمثال لشاعر يونانى لا أثر له فى خدمة القضية المصرية ولا الثقافة المصرية ولم يكتب كلمة واحدة لمصلحة مصر قديماً أو حديثاً »

وقالت فى احتجاجها « لقد كان الأولى بالبلدية أن تقيم فى ساحة مكتبتها تمثالا لشوقى أو حافظ أو البارودى أو المنفلوطى أو مصطفى صادق الرافعى أو غيرهم ، فإن لديها الكثير الثمين من تراث عظماء المصريين قديماً وحديثاً الذين حملوا لواء الاستشهاد فى سبيل مصر وإذاعة فضل بلادهم وهم أولى بالتخليد وأجدر بالتكريم .. »

ونحن على يقين من أن وزارة الداخلية ستتلافى هذا القرار ، ولكننا نرجو أن لا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل الواجب أن نؤدب تلك البلدية الغريبة عنا ، والتى لا تحترم كرامتنا ، ولا تعتز بقوميتنا ، فكأنها بلدية أثينا لا بلدية الإسكندرية ..

فيا قوم حسبكم ، اتقوا الله فى وطنكم إن كنتم مواطنين ، واتقوا الله فى مصر التى آوتكم إن كنتم وافدين ..

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

اجترار :

من نحو أسبوعين كنت قريباً من المذياع ، فاسترعى انتباهى أحد المذيعين يقدم الأستاذ على الجارم بك ليلقى قصيدة « السودان » فتوقعت أن يكون الأستاذ الجارم قد حفزت شاعريته قضية الوادى الماثلة فى مجلس الأمن ، فاستجابت بقصيدة جديدة لدواعى الظروف القومية الحاضرة . وأصغيت إليه وهو يقول بإلقائه المرنم الجميل :

يا نسمة رنحت أعطاف وادينا فنى نحييك أو عودى فحيينا

واستمر فى إنشاد القصيدة ، ينتقل من التغنى بالنسمة التى هبت من جنوب الوادى فأثارت شوقه إلى السودان ، إلى الحديث عن الرحيل فى القطار إلى أسوان ، ومنه إلى الباخرة النيلية ، ثم إلى القطار فى صحراء العتمور ، حتى يصل إلى الخرطوم ، فيشيد بأهلها الذين تجمعنا بهم شتى الروابط .

قصيدة جميلة ولا شك ، ولكن هل توصف بالبلاغة التى قال البلاغيون إنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ؟ والسؤال بعبارة أخرى : هل هذه القصيدة تطابق مقتضى الحال الحاضرة بمعنى أنها تعبر عن قضية السودان كما هى مثارة الآن من حيث وحدة الوادى ، وإنكار الإنجليز لها ، وحجتنا ، وأباطيلهم ، ومن حيث شعور الشاعر إزاء ذلك وتصوره له ؟

إنها ليست كذلك ، ولكن الجارم شاعر بليغ ، فما السر إذن ؟

السر أن القصيدة قديمة ، قالها الجارم منذ سنين فى أثناء زيارته للسودان ، وألقاها فى نادى الخريجين بالخرطوم ، وذهب كاتب هذا إلى السودان على أثر ذلك ، فسمع حديث هذه القصيدة هناك ، وحسن وقعها من نفوس إخواننا السودانيين وترديدهم لأبياتها .

وقد يمكن أن يمر الإنسان بأمر إذاعتها فى الوقت الحاضر من الكرام ، ملتمساً له أدنى الملابسات ، وملتمساً للشاعر عذراً من الرغبة فى التمتع بالكسل ...

ولكن حدث فى يوم الأحد الماضى أن سمعت بالمذياع نفس القصيدة مرة أخرى بنفس الصوت والإلقاء ، صوت الجارم وإلقائه الجميل ، وقد تكون أذيعت فى وقت آخر ولم أسمعها ، وقد تكون سجلت ، وستتكرر إذاعة المسجل .

وقد نستسيغ تكرار المسجلات الغنائية ، ولكن لم تكرر إذاعة هذه القصيدة ، وهى على ما ذكرنا من القدم وعدم ملاءمة الحال الحاضرة ، ولم تغن ، ولم « يغردها » فتحى بك ..؟

أراك تهم أن تقول غردها الجارم !

الشعر وقضية الوادى :

وقد كان لقضية الوادى فى بعض شعراء الشباب بعض العزاء ، فقد أذاع الأستاذ محمود حسن اسماعيل قصيدة ذات نبض وحياة ، عنوانها « النيل ، على ضوء قضية الوادى » ويشتغل الآن عبد الوهاب بتلحينها لغنائها وتسجيلها للاذاعة

وإذا كان العيد ، كما قالت الكاتبة البليغة السيدة منيبة الكيلانى فى مقالها بالرسالة ، يأتى « فيكون بين المعيد ووسادته ليلة العيد حديث ونجوى ؛ فبين معيد ووسادته من ثورات النفس ودوار الرأس وجهد الخاطر الكليل ما بين معيد ووسادته من بسمة الأمل وهشة الرجاء وتطلق الوجه » فيختلف الشعور به باختلاف الأفراد ، وإذا كانت الأمم فى ذلك كالأفراد ، فإن شعور الأمة بالعيد الفائت كان مشوباً بالتطلع إلى ما عساه أن يتم فى قضيتها الحاضرة ، ولم يعدم هذا الشعور من يعبر عنه ، فقد قال الأستاذ فريد عين شوكة فى قصيدة له بالأهرام :

بلية من بلايا الاحتلال وما لديه إلا جنايات وإرهاق

وحسبه ما دهانا من معاهدة بها قيود ثقيلات وأطواق

رمت بنا فى لظى حرب مروعة ما كان فيها لنا عير ولا ناق

حتى إذا وضعت أوزارها جحدت جهودنا فى سبيل النصر أرفاق

وأنكروا مااحتملنا فى تحالفهم وكم بلينا وذقنا مثل ما ذاقوا

بل يدعى القوم أن كانوا لنا وزراً من الغزاة ! فيا للحق يهراق

يامصر ، ماالعيد إلا أن يطالعنا يوم الجلاء له حسن وإشراق
وأن يوحد وادي النيل مملكة يضمها علم للنيـــل خفاق

زيتون في قرطاس من الشعر :

كتب الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فى أخبار اليوم مقالا طريفاً بعنوان « زيتون فى قرطاس من الشعر » قال فيه : إنه ضاقت به الحال فى بعض سـنوات الحرب العالمية الأولى ، فاضطر إلى بيع بعض ما لديه من الـكتب بالأقة ، وكان فى جملة مابيع النسخ الباقية عنده من مؤلفاته ، واتفق يوماً أن اشترى من بقال زيتوناً ، فلما أفرغه فى البيت وجد قرطاس الزيتون منزوعاً من ديوانه الذى كان فيما بيع بالأقة !

ثم قال : « من ذلك اليوم بدأ رأيى يتغير فى الأدب وقيمته وما قيمة أدب مصيره إلى دكاكين البقالين ومن إليهم ؟ ومازلت أكتب وأنشر ، وإن لى لنصيبى من الغرور الذى لاتطاق الحياة بغير قدر كاف منه ، ولـكنى حلت شيئاً فشيئاً حتى صرت أشبه بنجار لا يأسف على حجرة جلوس أو مائدة باعها ، وقد خلت نفسى من ذلك الشعور (بالأبوة) لما أكتب ، فليس يعنينى مصيره » إلى أن قال بعد ما أبان أنه غير راض عما كتبه : « وأتعجب كيف كتبت هذا التخريف ؟ وأتساءل : لماذا عجلت ؟ لم لم أنتظر حتى أنضج ؟ »

ورجل كالمازنى له ماضيه فى الأدب ، من حقنا أن نتعقبه ، فلا ندعه يقول ما يقول عن نفسه دون أن نتبين وجه الحق فيه وإن ما كتبه وألفه أصبح جزءاً هاماً من أدب العصر ، فإذا تخلى عن « أبوته » فإن له أقارب آخرين من حقهم أن يروا فيه وفى أبيه المتخلى ما يرون ...

ولـكن ... أرانى أنزلق إلى فخ .. وهاهو ذا « المكار » يبتسم ، فقد أوشكت على الوقوع !

لقد ذكرت ما كان قد قاله له الأستاذ العقاد ، بصدد براءته من شعره ، وكنت قد تحدثت عن ذلك فى عدد مضى من الرسالة قال العقاد إن المازنى مكر بإنـكار الشاعرية على نفسه ليتسابق إليه الناس ويضعوه فى مكانه من الطليعة ، ولـكنه انتظر عاقبة مكره دون جدوى حتى الآن ...

فهل هى « مكرة » أخرى .. ؟ على أن الأستاذ المازنى ليس بحاجة إلى هذا المكر بالإضافة إلى ما سلف من أدبه ، ولعله يشعر بالحاجة إليه الآن .. فقد نضج قبل اليوم بزمان ، ولم يعجل كما يقول ، وليته يعود إلى ما يدعيه من « العجلة وعدم النضج » وإن كنت أود ألا يعود إليه الزيتون الأسود فى قرطاس من شعره

ظرف بعض الأدباء :

اعتاد لفيف من الأدباء أن يتلهوا بالتفكير فى أشياء يتوقعون أن تستملح وتستطاب وتعد من طرائف الأدب وفكاهاته . وتلقفها منهم بعض المجلات الفكاهية فتنشرها ليضحك منها من تضحكه أمثالها

رأينا مرة أنهم ألفوا « رابطة الفضوليين » ومرة أخرى كونوا « جماعة الثقلاء » واشترطوا للدخول فى هذه وتلك كذا وكذا من الشروط التى تقطر ، بل تنهمر ، ظرفاً .. وهى تنطبق طبعاً على حضرات المؤسسين

والناس يقرؤون هذا كله على أنه من نتاج أفكار الأدباء الظرفاء ، وأنهم أبطاله ، أى أنهم ظرفاء ، وفضوليون وثقلاء ..

وآخر ما أسفر عنه ذلك الظرف « عيد ميلاد فقير الحرب » ومن يكون فقير الحرب عند فقراء الأدب غير « الأديب » المحلى بأل التى هى هنا لجنس الأدباء ؟ ! ومن قول أحدهم فى تكريمه « عيد ميلاد فقير الحرب هو عيد ميلاد الأدباء جميعاً » وعلى هذا المعنى دار المحتفلون حول أنفسهم ... ثم نهض الفقير صاحب العيد — ممثلا فى أحد الأدباء الظرفاء — يعبر عن فقره ويتحسر على سوء حاله ! وكان هذا سمر الأدباء في رمضان فى « أحد مقاهى الحى اللاتينى القاهرى » الذى استحق أن ينشر بإحدى المجلات فى عدد خاص بالعيد ..

لا أنكر على أحد أن يمرح ويتفكه بما يريد ، ولـكن ما كل شىء ينشر ، وهذا الذى رآه الناس منشوراً يلصق بالأدباء سمة التسكع ويوىء إليهم بشىء من الازدراء . ومن عجيب المفارقات أن أكثر هؤلاء الأدباء ليسوا من الفقراء ، فمنهم الموظفون ذوو الدرجات العلى ، ومنهم صاحب العمل الناجح ، وفيهم ذو الفن المربح ؛ وليس كل من فاته الثراء الطائل بفقير ، وإذن فما الأدب

والفقر شقيقان » كما قال أحدهم . والفقراء المتسكعون حقيقة هم الأدعياء المتلصقون بالأدب

على أن ذاك الذى يشغل به أولئك الأدباء أنفسهم ليس فيه قطرة من ماء الظرف ، وإن كان به ماء آخر ينفع فى هذا الصيف القائظ .

أول صندوق للبريد :

كتب الأستاذ حبيب جاماتى بمجلة المصور فى « تاريخ ما أهمله التاريخ » يقول إن أول صندوق للبريد أنشأه المهدى الخليفة العباسى ، وذلك أنه رغب فى استماع شكايات رعاياه دون أن يكون بينه وبينهم وسيط ، فكان يفتح أبواب قصره فى أيام معينة من أيام الأسبوع ليدخلها من يريد بلا استئذان ، ليمثل بين يديه ويخاطبه فى الأمر الذى يشكو منه . ولكنه رأى أنه قد يكون هناك من وقع عليهم ظلم أو من يعانون فقراً ولا يجرؤون على الدخول عليه خشية أن تعقد ألسنتهم الرهبة فلا يستطيعون الإفضاء بشكواهم ، فعول على تسهيل الأمر عليهم بتيسير أسباب الاتصال به بطريق الكتابة ، فأمر أن يوضع على كل باب من أبواب القصر صندوق كبير مثقوب من أعلاه مثبت إلى الحائط بمسامير ، لكى يضع فيه كل صاحب شكاية شكايته مدونة فى رق أو قرطاس ، واحتفظ هو بمفاتيح تلك الصناديق ، فكان يفتحها كل يوم بنفسه ثلاث مرات ، ويطلع على الشكايات ، ويفحصها واحدة واحدة ، وينصف أصحابها بقدر ما يستحقون الانصاف

فكان هذا أول صندوق للبريد فى التاريخ ، وكان المهدى أول من أنشأه

والأستاذ حبيب جاماتى يكتب كثيراً من المعلومات التاريخية الطلية ، ويجلوها ويشوق إليها بأسلوب سهل نير ، تحت عنوان « تاريخ ما أهمله التاريخ » ولكن هل هذه المعلومات أهملها التاريخ ؟ ومم استقاها إذن ؟ ! ألا يوافقنى على ضرورة تغيير هذا العنوان ؟

السينما بمناسبة « المنتقم » :

كان إنتاج السينما قد كثر بمصر فى أثناء الحرب الماضية ، وعلى كثرته قلت فيه القيم الفنية ، وكان ذلك انحداراً بالفن المصرى الذى نشأ من قبل ، وكان فى نشأته خيراً مما صار إليه أخيراً

وأبرز عيوب الفلم المصرى ، من حيث التأليف والإخراج ، خلوه من الفكرة ، وقصوره فى تصوير النواحى المختلفة للحياة المصرية ، وعدم طواعية الأبطال للطبيعة البشرية ، فالبطل مثلا هو أبو زيد الهلالى الذى لا يهزم ولا يخطىء ، وتكييف الحوادث بحسب ما يريد البطل الأول من المظاهر الاجتماعية ، والاعتماد فى التأثير على مؤثرات تهريجية لا على الإبداع الفنى

وقد كان الناس فى خلال الحرب ، وخاصة العمال الذين نالهم رخاء ، يبتغون التسلية والترفيه ، ولكن حال الجمهور تغيرت بعد الحرب ، لتنبه الوعى القومى ، وارتفاع نسبة المستنيرين حتى بين العامة ، فهز كتفه إزاء البضاعة المعروضة وأعرض عنها إعراضاً أيقظ أولئك المنتجين من أحلام مكاسبهم ، فقبضوا أيديهم ، وكفوا عن الإنتاج

وكان ذلك بشيراً بتطور جديد فى هذا الفن ، يلتمس فيما يجد من الأفلام . وعلى ذلك اهتممت بمشاهدة رواية « المنتقم » فوجدتها محاولة ليست بذات نصيب كبير من التوفيق ، إذ لم تتغلب على أكثر ما ذكرت من العيوب العامة الحاضرة ، ففكرتها تافهة وهى تقوم على شخص اعتدى عليه فتشبع بفكرة الانتقام ولكنه يقتنع أخيراً بأن التسامح كريم

ومعمل الأدوية الذى بدأت به ودارت عليه حوادث الرواية ليس من الصور المصرية ، والأشخاص بها ليسوا من البشر فالخيرون هم الخير كله والشريرون هم ذات الشر ، وأراد البطل أن يكون أرستقراطياً حتى بعد أن عمى وخرج من العمل فكان له ما أراد . ولكن الرواية مع ذلك اعتمدت على الفن المعبر فى هدوء وانسجام وخلت من المؤثرات التهريجية ، وهذا هو فى رأيى ما يحسب لها فى التطور الجديد المتوقع لفن السينما

ولا شك أن هناك نواحى أخرى لرواية « المنتقم » ليس هنا مكان التعرض لها ، وإنما قصدت إلى بيان عيوب فى بناء قصة السينما على العموم بمناسبة عرض « المنتقم » وبيان موقف هذا الفلم من تلك العيوب ، لتبين الطريق نحو ما يرجى من التطور الجديد.

« العباس »



فى التصوف الإسلامى وتأريخه :

أطالع مؤلفاً اسمه (فى التصوف الإسلامى وتأريخه) للعلامة (نيكولسون) عربه[1] وعلق عليه العالم (أبو العلا عفيفى) أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول فأجد هذا القول :

« ... ولكن صاحب الفهرست يخبرنا أن أستاذه (أى أستاذ معروف الكرخى) كان يدعى فرقدا السَّنجى وأن فرقدا هذا قد أخذ عن الحسن البصرى الذى أخذ عن مالك بن أنس » .

ويعلق الأستاذ المعرب على (السنجى) كما ورد فى المتن بهذه التعليقة :

« لا يعرف ضبط هذه الكلمة على وجه التحديد فقد تكون نسبة إلى سنج بالفتح أو سنج بالكسر » .

وقد رأيت أن أتقرب إلى فضل هذين العالمين برواية هذه الأسطر عن (اللباب فى تهذيب الأنساب)[2] و (تاج العروس فى شرح القاموس) ، جاء فى (اللباب) :

« السبخى : بفتح السين والباء الموحدة وفى آخرها خاء معجمة ، هذه النسبة إلى السبخة وهى معروفة ، والمشهور بهذه النسبة أبو يعقوب فرقد بن يعقوب السبخى العابد من أهل إرمينية[3] وانتقل إلى البصرة وكان يأوى إلى السبخة بها فنسب إليها ، روى عن الحسن وغيره ، روى عنه العراقيون ، توفى قبل سنة (١٣١) ولم يكن بالحافظ للحديث » .

وقال صاحب التاج :

« السبخة محركة ومسكنة أرض ذات نز وملح ج سباخ ، والسبخة ع (أى موضع) بالبصرة منه فرقد ابن يعقوب العابد توفى سنة (١٣١) وفى الحديث أنه قال لأنس وذكر البصرة : إن مررت بها ودخلتها فإياك وسباخها ، وهى الأرض التى تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر » .

وكان السبخى الصوفى هذا يحرم طيبات ما أحل الله لعباده فلا يأكل الفالوذج ولا يلبس الخز ، قال ابن الجوزى فى (صيد الخاطر) :

« دخل فرقد السبخى على الحسن وهو يأكل الفالوذج ، فقال : يا فرقد ، ما تقول فى هذا ؟ فقال لا آكله ، ولا أحب من أكله ، فقال الحسن : لعاب النحل بلباب البر مع سمن البقر هل يعيبه مسلم » .

وقال ابن أبى الحديد فى (شرح النهج) : « جاء فرقد السبخى (١) إلى الحسن ، وعلى الحسن مطرف خز ، فجعل ينظر إليه ، وعلى فرقد ثياب صوف ، فقال الحسن : ما بالك تنظر إلىّ وعلىّ ثياب أهل الجنة ، وعليك ثياب أهل النار ، إن أحدكم ليجعل الزهد فى ثيابه والكبر فى صدره فلهو أشد عجباً بصوفه من صاحب المطرف بمطرفه » .

[ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم] .

السهمى

(١) التعريب هو للفظة وللمقالة وقد أخطأ من قصره على الأولى .

(٢) الأنساب للعلامة السمعانى واللباب مختصرة للعلامة المؤرخ ابن الأثير عنيت بنشره (مكتبة القدسى فى القاهرة) .

(٣) فى معجم البلدان : إرمينية بكسر أوله ويفتح وسكون ثانيه وكسر الميم وياء ساكنة وكسر النون وياء خفيفة مفتوحة — اسم لصقع عظيم واسع فى جهة الشمال ، والنسبة إليها أرمنى على غير قياس بفتح الهمزة وكسر الميم ، وحكى اسماعيل بن حماد فتحهما معاً .

(١) جاء السبخى فى صيد الخاطر وشرح النهج وغيرهما كما جاء فى مؤلف نيكولسون .

سؤال وجواب :

كتب إلى من بغداد أخى الأستاذ على حيدر الركابى يقول : « ما هدفك من سلسلة « مرتفعات وذرنج » تقدمها للعربية باسم « ثلوج رحزرن » ؟ هل هى قصة وقعت بالفعل فأردت تدوينها ؟ لقد أغنتك عن ذلك الكاتبة الأنجليزية برونتى التى أصبح لكتابها شهرة عالية ، ومركز ثابت فى الأدب وترجم إلى العربية — أم أنت اطلعت على الأصل مترجماً فأجبت بأسلوبك ال ... أن تشوق قراء العربية إلى قراءته ؟ »

وأنا أقول إن شيئاً من ذلك لم يكن ، وإنما رأيت القصة فى السينما فهزتنى وأثرت فىّ فجمعت ما بقى فى ذهنى من حوادثها وشرعت أكتبها على هذا الشكل الذى شعرت أنا (والحق يقال) أنى لم أوفق فيه لأنى أضعت جوهر القصة فى هذا الاختصار الذى لا بدّ منه ، وأنه كان خيراً لى وللأدب لو أفضت هذه الصور والأفكار على قصة أخرى .

هذه هى الحكاية . أما القصة وترجمتها فأحسبك تصدقنى إذا أكدت لك القول بأنى لم أسمع بها إلا منك ، وأنك جعلتنى أخجل من تقديم صورة مشوهة لقصة تقول إنها عظيمة وإنها معروفة ، وعلى كل حال فما أخذت من القصة إلا بعض حوادثها أما الصور والخواطر ، فهى لى وحدى ، لى جمالها وعلىّ قبحها ، ما أخذتها من أحد .

ولك من أخيك أوفى شكره وأجل تحياته ...

على الطنطاوى

هل هى : فلا شيب الله قرنه ؟!

نقل الأساتذة . أحمد أمين بك ، وجاد المولى بك ، وعلى الجارم بك ، والسباعى بيومى ، وأحمد زكى صفوت فى كتاب (المطالعة التوجيهية) الذى قررته وزارة المعارف لطلبة السنة النهائية بالمدارس الثانوية كلمة الخوارزمى المشهورة على هذه الصورة

« من روى حوليات زهير ، واعتذارات النابغة ، وأهاجى الحطيئة ، وهاشميات الكميت ، وقلائص جرير ، وخمريات أبى نواس ، وتشبيهات ابن المعتز ، وزهديات أبى العتاهية ومراثى أبى تمام ، ومدائح البحترى ، وروضيات الصنوبرى ، ولطائف كشاجم ، ولم يخرج إلى الشعر ، فلا شيب الله قرنه »

وفسروها بقولهم « أى فلا عاش حتى لايشيب ، يدعو عليه أن يموت شاباً !! » فقلت له إن هذه الجملة قد وردت محرفة ثم خرج الشرح وقد وردت هذه الجملة فى (ثمار القلوب للثعالبى) « فلا أشب الله قرنه » وجاء فى لسان العرب بعد أن بين معنى الشباب « وأشبه الله وأشب الله قرنه بمعنى » وفى محيط المحيط للبستانى « . وأشب الله الغلام جعله يشب ، وأشب قرنه أطال عمره ، وهو من باب الكناية لأنه إذا شب قرنه وهو مساو له فى العمر شب هو أيضاً ، ويقال للغلام فى الدعاء عليه : لا أشب الله قرنك أى لا جعلك تشب ، ومنه قول الحريرى فى مقاماته للغلام الذى استشاره — قبح الله ظنك ولا أشب قرنك . وفى الأساس لجار الله الزمخشرى « وأشب الله تعالى قرنك وأشب فلان تبين إذا شب بنوه »

هذا وإنى بعد — أن أوردت ما أوردت من بيان لأرجو إلى حجة العرب وإمام الأدب السيد النشاشيبى أن يتفضل فيدل الأدباء على الصورة الصحيحة لكلمة الخوارزمى هذه لأن فى رواياتها اختلافاً كثيراً ، ففى كتاب (المطالعة التوجيهية) « وقلائص جرير » وفى ثمار القلوب « ونقائض جرير والفرزدق » وفى هذا الكتاب كذلك زيادة « وقلائد المتنبى » وله منا ومن أهل الأدب جميعاً خالص الشكر وأطيب التحية .

(المنصورة) **محمود أبو ريّة**

الزنزانة وأسماؤها :

كانت لهذه الكلمة المسكينة اسم واحد متواضع معروف فأطلق عليها النابغة الأستاذ الطنطاوى فى مقاله الرائع عن (الرب) المرشد الحجيرة . ثم اقترح أديب فلسطينى أن تسمى الحاشرة فاستعملت هذا الاسم فى مقالى خاتمة دجال ، وقد بين الأستاذ الرشدان فى العدد الأخير من الرسالة خطأ استعمال هذا الاسم وقال بلزوم الاستعاضة عنه بالحاصرة لصحة مدلوله على المعنى المقصود . وأنا أخشى غداً أن ينبرى أديب آخر ويرى لزوم إطلاق الحاصرة ، أو الصاهرة ، على هذه الكلمة ، ولهذا أرى تثبتاً من الأصح أن نحيلها على المجمع اللغوى فى القاهرة ، فيكون مصيرها مصير كلمة « السندوتش » التى كان الناس يشكون من ثقلها على المسامع ، فلطفها المجمع وهذبها ، فأصبح يطلق عليها (شاطر ومشطور وبينهما الكامخ) وبذلك نكون قد انتقمنا من هذه الكلمة شر انتقام جزاءاً وفاقاً على ماشغلت من بال الأدباء والنحاة وأكلت من أوقاتهم ...

حسنى كنعان

تصحيح :

وردت فى المقال المنشور بالعدد الماضى من الرسالة عن الروحانية والمادية للأستاذ العقاد كلمة الخليقة الحية ، وصوابها الخلية الحية وكلمة Blanck وصوابها Planck



قصة إسلامية :

شيخ الأندلس

منقولة عن الانجليزية

بقلم الأديب وهبي إسماعيل حق

— ٣ —

ولما تم تقديم الجميع للخليفة ، وقف اللاعبون فى صفوف منتظمة ، ودقت الطبول تعلن بدء المباراة .

وكان عدد المتبارين قد بلغ نيفاً وسبعين فارساً ، فكانت المباراة فى الدفعتين الأوليين شاقة ومرهقة ولم يفز فيها سوى عشرة منهم لهم الحق فى التسابق الأخير وهو أعنف أدوار المسابقة وأصعبها ؛ فقد ركز عمود فى وسط الساحة بالغ فى الارتفاع ، وثبت فى طرفه الأعلى بأسلاك قوية تمثال طائر كسى جسمه بالحرير الذى جعل النسيم يداعبه فيتحرك ذات اليمين وذات الشمال .

وعلى كل من الفائزين فى الأشواط الأولى أن يسدد سهامه إلى ذلك الطائر من مسافة معينة ، ويحوز قصب السبق من يوقعه على الأرض فى إحدى ضربات ثلاث ، وقد تقدموا جميعاً ما عدا إسحاق فإنه قد بقى للنهاية بحكم قانون اللعب لإحرازه البطولة فى عامين سابقين . وكان كل من يتقدم منهم يتبادل التحية مع الجماهير الحاشدة فى الملعب وهو عظيم الأمل فى الفوز ولكن التوفيق خالفهم جميعهم ، ورجعوا منكسى الرءوس يتصببون عرقاً .

ولما تقدم إسحاق وحيا الجماهير وحيته ، شمل الساحة سكون مطبق ، ورنت إليه الأبصار واشرأبت الأعناق فى تلهف ورغبة فلما أخذ مكانه وأرسل أولى سهامه إلى الطائر تابعته الأنظار وشايعته القلوب حتى استقر فى صدر الطائر وأماله إلى الخلف كثيراً فترنح الطائر للسقوط ثم أخذ مكانه الأول ولكن من غير جناحين فقط على الأرض ، فارتفعت الأصوات فى الفضاء بالتهليل والتكبير ، وتعالت بالدعوات لإسحاق . فاهتزت جوانب الملعب ، ثم عاد إليه الهدوء بعد قليل ، ولما صوب إسحاق سهمه الثانى اهتز العمود فى عنف وتقطعت أسلاك كثيرة وتمايل الطائر إلا أنه لم يسقط . فهتفت الجماهير فى صوت واحد :

— مرحى ! مرحى ! يا إسحاق ، أحرص هذه المرة فأنت البطل .

استعد إسحاق ، وسدد سهمه الأخير إلى الهدف فى عناية وإحكام فطار فى الهواء ثم نفذ إلى رأس العمود فأتى على بقية الأسلاك وهوى الطائر إلى الأرض وافترش مساحة صغيرة فى الساحة ، فدوى الهتاف فى جميع الجوانب : « الله أكبر الله أكبر ولله الحمد » فرد إسحاق تحية الجماهير بكلتا يديه ثم تقدم إلى مقصورة الخليفة وانحنى أمامه ، فهنأه الخليفة وقدم له القدح الذهبى جائزة الفوز فى ذلك العام ، فانحنى الشاب ثانية ، ثم استأذن الخليفة وانصرف شاكراً ، ثم التف حوله جمع غفير من أصحابه والمعجبين به وخرجوا إلى المدينة وهم ينشدون الأناشيد الوطنية الجميلة ابتهاجاً بهذا النصر العظيم .

أصبح الشيخ إدريس طاعناً فى السن ، قد وهت قوته ونالت منه السنون ، فضعفت حركته ، وتحللت أوصاله وصارت العزلة محببة إليه ، فابتنى لنفسه منزلا صغيراً أنيقاً فى ظاهر المدينة حيث الهدوء التام وأحاطه بحديقة جميلة زاهرة ، وعاش فيه عيشة وادعة هانئة .

واقد كان حريصاً على أن يشهد المهرجان فى هذا العام ليقوى روح ابنه المعنوية . ولكن قعد به عن ذلك ضعف الشيخوخة ولقد سرى إليه نبأ انتصار إسحاق بأسرع من البرق . ووفد عليه كثير من الناس يهنئونه قبل أن يعود ابنه . وقد تحامل على نفسه ومشى إلى باب الحديقة ليستقبل ويودع المهنئين ولينتظر ابنه فجاء فى رهط من إخوانه تتقدمهم هتافات وجلبة . فلما بلغوا سور الحديقة ترجلوا عن جيادهم وتقدم إسحاق إلى أبيه فقبل يديه كلتيهما . ثم عانقه عناقاً حاراً وطبع الوالد على جبهة ابنه قبلة تفيض عطفاً وحناناً . وتقدم رفقاء إسحاق فقبلوا يد الشيخ

وقدموا له التهنئة ، ثم تبعوه إلى موائد الشاى والمرطبات فنالوا منها ماطاب لهم . وقبل أن ينصرفوا قام إدريس وشكر للحاضرين صادق تهنئتهم ، ودعاهم لحفلة عشاء ساهرة ، اعتاد أن يقيمها كلما فاز ابنه فى مساء يوم المهرجان . فقبل الحضور الدعوة شاكرين وخرج إسحاق يودعهم إلى الباب ، ثم رجع والمؤذن ينادى لصلاة الظهر فأسرع مع والده إلى المسجد ، ولما رجعا إلى البيت انفرد الرجل بابنه وجلس إلى جانبه وقال له :

— إنك تعلم يا بنى أنى قد بلغت من الكبر عتياً ، وأننى هامة اليوم أو الغد ، فقد انطفأت شعلة القوة فى نفسى ، وسرى الضعف فى أعضائى ، وخطوت إلى النهاية خطوات فسيحة وأصبح لا أمل لى فى الحياة إلا أن أراك رب أسرة ورأس عائلة وإن ابنة الشيخ عبد الكريم ذات نسب ودين ، وليس لها من يدانيها جمالا وأدبا ، وقد حزمت الأمر أن نعقد لكما فى نهاية هذا الأسبوع والله أسأل أن يكتب لكما التوفيق ...

عقد الحياء لسان إسحاق فلم ينبس ببنت شفة . ولكن بسمة لطيفة ارتسمت على شفتيه تعبر عن سروره وفرحه . ثم دخلت أمه العجوز فضمته إلى صدرها ضمة قوية وطبعت على وجنتيه قبلة حنان وعطف ثم جعلت يده بين يديها وأخذت تمر بهما عليها مراً لطيفاً وقالت :

— بنى العزيز ! نهنىء أنفسنا بفوزك . ونسأل الله أن يحرسك ... إن عمك الشيخ عبد الكريم كان هنا قبل أن تعود وقبلنا دعوته لك لتتناول الشاى عنده بعد عصر هذا اليوم وقد دعا كثيراً من أصدقائك لتأنس بهم . وكثيراً من أصدقائه وأصدقاء والدك لتتعرف عليهم . وإنه أقام هذا الحفل ابتهاجاً بنصرك فاستبدل ملابسك وتهيأ لتلبية الدعوة . ولا تنس أن ترجع قبل غروب الشمس لتستقبل المدعوين للعشاء عندنا .

— أشكرك يا أماه ! وسألبي دعوة عمى . ولكنى لا أملك العودة فى الوقت الذى تحددينه . فذلك موكول للظروف ، فقد لا ينتهى الحفل قبل أن تغرب الشمس !

قد يكون ذلك يا بنى ولكن عمك الشيخ عبد الكريم سيكون فى منزلنا فى نفس الوقت أو بعده بقليل لأنه مدعو للعشاء هو الآخر ...

استبدل إسحق ملابسه . وأعد جواده ، ثم أخذ طريقه إلى منزل الشيخ عبد الكريم فى قلب المدينة . . وكان الشيخ عبد الكريم من سراة القوم والمقدمين فيهم ، ومن ذوى المكانة فى الدولة ولم يبق له من ذريته إلا فتاة جميلة الطلعة لطيفة التكوين ناهزت سن البلوغ ، ولقد كانت الصلة بين الرجل وبين الشيخ إدريس من أوثق الصلات وأقواها وازدادت قوة وتوثيقاً بخطوبة الفتاة لإسحاق بن إدريس ، فأصبحت الأسرتان شريكتين فى السراء والضراء ، وكان الشيخ عبد الكريم يولم كل عام فاز فيه إسحاق بالبطولة وليمة يدعو لها كبار القوم وأشرافهم .

وصل إسحاق منزل الشيخ عبد الكريم فوجدهم فى انتظاره فتقدم إلى المدعوين وحياهم وتقبل تهانيهم شاكراً . ثم التفوا حول الموائد يأكلون ويشربون مما لذ وطاب من الحلوى والشراب وبعد أن فرغوا قام بعض المدعوين من شباب العرب بألعاب رياضية فى الفروسية ولعب السيف وركوب الخيل ... ثم تفرق الجمع شاكرين للداعى دعوته مكررين لإسحاق التهنئة ، واستأذن إسحاق بدوره وأكد على الشيخ عبد الكريم ألا يتأخر عن اللحاق به . ثم ركب جواده ولوى عنانه إلى بيته .

كانت أشعة الشمس على قمم الجبال قد اصطبغت بلون الذهب وكانت الطيور تروح جماعات إلى أوكارها على رءوس الأشجار عند ما كان إسحاق فى طريقه إلى منزله عائداً من حفل الشيخ عبد الكريم ، فما إن بلغ مقابر الخلفاء فى سفح الجبل حتى ركض جواده فى منعطف الطريق . ثم وثب وثبة عالية فى خوف وفزع وكاد إسحاق يسقط لولا أنه فارس ماهر ...

ولما هدأت ثائرة الجواد ، وخفت حدة جموحه تلفت إسحاق حوله فرأى رجلا منبطحاً على الأرض وبيده مقود حمار ، فأيقن أن كلا من الحمار والجواد قد ارتاع لرؤية الآخر فجأة ، فشرد الحمار وجمح الفرس . ووقع الرجل على الأرض .

تقدم إسحاق إلى الرجل وهو يهم بالنهوض وقال له معتذراً :

— لا بأس عليك أيها السيد الفاضل . أرجو ألا يكون قد أصابك مكروه .

فرد عليه الرجل فى كثير من العنف والجفوة فقال :

— هل كنت أعمى أيها النبى الأحمق ولم تر أى شىء

أمامك !؟. فقال له إسحاق فى استعطاف ولين :

— يلوح لى أنك غريب عن هذه الديار ، فهل أنت آت من بعيد ؟

— وما شأنك بى أيها المغرور ؟ إنه يهمنى أن أقول لك : إن هذه السكرة التى غمرتكم سينمحى أثرها عما قريب ، وسيعلم أولئك الحاكمون من المسلمين أن وراء الأكمة ماوراءها ، وحينئذ ستفيقون من غفلتكم ، ويثوب إليكم رشدكم . وتخف وطأة غروركم .

— هون عليك ياصاحبى ، ولا تغضب إلى هذا الحد ، وإنى أكرر لك المعذرة ، وأرجو أن تعتقد أن ذلك وقع رغم إرادتى فاغفر لى هذا الخطأ ... ثم مد يده إلى جيبه وأخرج كيساً به شيء من النقود وقال له : هاك هذه النقود ، لتجبر بها ما أصابك ولتتبلغ بها فى سفرك .

— إنك مجنون ياهذا ! فقد ظننتنى من مواطنيك الأندلسيين تستهويهم فضلات المسلمين ، ألا فاعلم أننى من بلاد يبصق أهلها على الذهب إذا مسته أيد مسلمة .

فاستثار قول الرجل غضب إسحاق فقال له :

— أمسك عليك لسانك أيها الرجل واجعل لهذا الهذيان حداً

— أينا يهذى يا هذا ؟ بحق « ثجوف » — إله رومانى — لم يصادفنى من هو أكثر قحة منك .

سر فى طريقك ياصاح ولا تستثرنى بأكثر مما فعلت ، فلولا أن دينى قد أوصى بابن السبيل خيراً لكان لى معك شأن آخر ولقطعت لسانك الذى تلفظ بهذا الهراء .

— يالك من نذل جبان ، أتتجاسر إلى هذا الحد أيها الصعلوك العربى ؟ إن كان يجرى فى دمك نخوة الرجال فترجل عن فرسك لأريك أينا يقطع لسان الآخر ! !

— لا تفه بأكثر من هذا ، وانتظرنى ليصفى كل منا حسابه مع صاحبه ... ثم شرع فى النزول عن ظهر الجواد ، لكن الخائن لم يمهله حتى تستقر رجلاه على الأرض ، فقد سدد إليه سهما طائشاً نفذ إلى صدره ، وأصاب منه مقتلا فخر صريعاً تنزف منه الدماء غزيرة ، وهكذا مات إسحاق فى ميعة الصبا ، وريعان الشباب .

بهت القاتل وتسمرت رجلاه فى الأرض ، فلم يكن فى حسابه أن يموت غريمه هذه الميتة الوحية ، ولم يعد للأمر عدته . فتملكته الحيرة واستبد به الارتباك ولم يدر ماذا يفعل لينجو بنفسه . وبينما هو فى حاله تلك يتلفت ذات اليمين وذات اليسار إذ أقبل من بعيد خادم إسحاق ، وكان قد تأخر عنه قليلا ، فلما رآه القاتل يجرى نحوه ، أيقن أنه إن أدركه فسيقضى عليه لامحالة فأطلق ساقيه للريح وأسرع إلى المدينة ...

كانت الشمس قد توارت بالحجاب . وكان الظلام يتكاثف رويداً رويداً ، حين كان الشيخ إدريس قد بدأ يساوره القلق لتأخر إسحاق فى العودة بما لم يسبق له من قبل وهو يعلم أن هذه الليلة بالذات يجب أن يبكر فيها ليشترك مع أبيه فى استقبال الضيوف . ولما استبد به الانتظار وقارب وقت المغرب أن ينتهى طلب إلى خادمه أن يعد له الماء فى الحديقة ليتوضأ . ثم خرج إلى باب الحديقة ونظر هنا وهناك لعله قادم من بعيد ولكنه رجع كئيباً كاسف البال . ومع ذلك لم يدر بخلده أن ابنه فى هذه اللحظة يسبح فى بحر من الدماء عند مقابر الخلفاء فى سفح الجبل فلما أخذ مكانه ليتوضأ قال له خادمه :

— ستؤدى الصلاة هنا أم فى المسجد يا سيدى ؟

فأجابه الشيخ الكبير :

— سأصلى فى المسجد يا بنى إن شاء الله — مع الإمام . ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة » وقوله عليه صلوات الله وسلامه « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » ولم يكد الرجل يتم حديثه حتى لاح لهم شبح يجرى خلف سور الحديقة مسرعاً إليهم . فسأل الرجل خادمه قائلا :

— يمكنك أن تتبين هذا الذى يسرع الخطا إلينا ؟

— لا ياسيدى . ولكن حركاته وملامحه ترشد إلى أنه ليس من أهل هذه البلاد .

— إنه يجرى فى ارتياع واضطراب كأن خطراً داهما يتعقبه

(البقية فى العدد القادم)

وهبى إسماعيل حقى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٣٩ — الاثنين اول سبتمبر ١٩٤٧ — السنه الخامسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٠١٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 736

Lundi — 21 — 9 — 1947

بدل الاشتراك عن سنة

ص

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٧٣٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ شوال سنة ١٣٦٦ — أول سبتمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

عود إلى الردود والنقـــود

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

يرى الأستاذ إسماعيل مظهر مرة أخرى فى المقتطف أن ترجمة « أنيميزم » Animism بالاستحياء خطأ لأنها ترجمت فى بعض المعجمات العامة بالفكرة الروحانية.

والأستاذ مظهر يعلم ولا شك أننا لم نكن نعجز عن مراجعة المعجمات كمراجعها . ولكننا فضلنا كلة الاستحياء لأن المعجمات لا تفسر المعانى الفلسفية ، ولأن كلة الاستحياء أدل على المعنى المقصود من الفكرة الروحانية فى هذا المقام .

فالفكرة الروحانية تلتبس بالمذهب المعارض للفكرة المادية فى تفسير الطبيعة أو تفسير التاريخ ، وكلتاهما لم تكن تخطر للهمجى على بال ، وإنما كان يؤله الظواهر الطبيعية لأنه كان ينظر إليها كما ينظر إلى الأحياء .

وليست ترجمة « أنيميزم » بالحياة خطأ من الوجهة اللفظية فضلا عن الوجهة المعنوية أو الفلسفية . لأن كلة أنيما Anima هى أصل كلة أنيمال Animal ونحن لا نترجم هذه الكلمة بذوات الأرواح بل بالأحياء أو الحيوانات . ولو ترجمناها بذوات الأرواح لأخطأنا فى رأى الدينيين ورأى الماديين على السواء ، لأن الدينيين لا يقولون بالروح فى الحيوان ، والماديين لا يقولون بالروح على الإطلاق .

وليس بصحيح ما قاله الأستاذ مظهر من أن كلة « أنيما » anima تعنى الروح فى أصل وضعها مستشهداً على ذلك باستخدامها بهذا المعنى فى كتب أرسطو وغيره .

وإنما الصحيح أن أصل معنى « أنيما » anima هو الهواء . ثم استعيرت لمعنى الحياة أو الروح لأن الأقدمين كانوا يربطون بين التنفس والحياة ، وهكذا نشأت كلمات الروح والنفس والنسمة فى اللغة العربية .

***

ويرى الأســـتاذ مظهر مرة أخرى أن كلة پوليثيزم Polytheism لا تترجم إلا بكلمة الشرك ولا تصح ترجمتها بتعديد الآلهة .

والصحيح أن ترجمتها بالشرك هى الخطأ وأن ترجمتها بتعديد الآلهة هى الصواب .

لأن الشرك يقتضى الإيمان بإله واحد يعتبر الإيمان بإله غيره مشاركة له ملكه .

والذين عددوا الآلهة قبل التوحيد لم يجعلوا بعضها شريكا لبعض فى الملك ، بل ربما اتخذوا إلهاً للبحر وإلهاً للشمس وإلهاً للغاب ولا مشاركة بينها فى عمل من الأعمال !

ومن الخلط المعيب أن نقول أن الشرك يفيد معنى البوليثيزم

Polytheism لأن الذى يعتقد بإلـهين إثنين مشرك ولا يقال فيه إنه Polytheist وإنما يقال فيه إنه ديالست Dualist كما يعلم الأستاذ .

***

وخذلت المعجمات الأستاذ مظهر أكثر من مرة فى هذه المناقشة لأنه راح يعتمد عليها فى تفسير كلمة الديالكتيك Dialectic التى ترجمناها بالثنائية ويأبى الأستاذ مظهر إلا أن تترجم بالجدلية ... ولا جدل هناك حيث استخدمت الكلمة فى مذهب هيجل أو مذهب كارل ماركس أو ما شاء الأستاذ مظهر من المذاهب الفلسفية .

فهيجل يقول بالفكرة ونقيضها فى الثنائية المثالية وكارل ماركس يقول كذلك بالشيء ونقيضه فى الثنائية المادية .

ومعنى « الاثنينية » ظاهر فى المذهبين بل فى كل اصطلاح يرجع إلى « الديالكت » حتى الديالوج الذى يجرى الآن على كل لسان ...

وكل أولئك يوحى إلى الذهن أن أصل كلمة اللهجة والحوار ملحوظ فيه الكلام بين اثنين .

ومهما يكن من هذا أو ذاك فالثابت قطعاً بغير جدال أن الأثنينية مقصودة فى ديالكتيك هيجل وماركس، وأن الجدل غير مقصود فيهما إلا فى المعجمات العزيزة عند الأستاذ إسماعيل مظهر ... والتى يوجد عندنا منها بحمد الله عدد لا يقل عن الموجود منها فى مكتبة الأستاذ العامرة أو مكتبة المقتطف الفيحاء .

وقال الأستاذ مظهر : « إن الذهاب إلى أن مذهب كارل ماركس هو الديالكتيك أمر لم يقل به غير الأستاذ العقاد على ما أذكر وبقدر ما يتسع له علمى ... على أنى أكاد أجزم به ، ذلك بأن مذهب كارل ماركس هو المادية الجدلية ... وشتان بين المذهبين ... » .

والذى قلناه نحن هو « أن مذهب كارل ماركس وهو الديالكتيك يقوم على أن المادة ثنائية الخصائص تشتمل على الخاصة ونقيضها » .

فأين هو الخطأ فى هذا الكلام ؟

الخطأ على ما يظهر فى طريقة الكشف عن الكلمات فى المعجمات ، وهى تقتضى الكشف عن الديالكتيك فى حرف الدال ، والكشف عن المادية فى حرف الميم ... وشتان بين الحرفين ! !

وقد عاد الأستاذ مظهر إلى مسألة الوجود والموجودات فأعاد ما قاله الأديب المستفسر « صابر . م » فى عدد مضى من الرسالة فقال — أى الأستاذ مظهر — « إن ذلك قد يقبل فى غير لغة العلم وفى غير لغة الفلسفة لأن هذه اللغة لا تتجوز فى تحديد المعانى الدقيقة لكل لفظ ... » .

فلا نزيد على أن نعيد له ما بدأناه فى الجواب على الأديب المستفسر من كلام الإمام الرازى حيث قال فى المناظرات : « إن كان غرضك إظهار الفرق بين التكوين والمكون بحسب اللفظ والعبارة فإنه يقال كوّن يكوّن تكويناً فهو مكون وذاك مكون فالتكوين مصدر والمكون مفعول . والفرق بين المصدر والمفعول معلوم فى اللغات . إلا أن الفرق الحاصل بحسب اللغات لا يوجب الفرق فى الحقائق والمعانى . ألا ترى أنه يقال عدم يعدم عدماً فهو معدوم ، فالعدم مصدر والمعدوم مفعول . ذلك لا يوجب الفرق بينهما فى الحقيقة » .

ونظن أن الإمام الرازى مفسر القرآن ومفسر مذاهب الفلاسفة يعرف فى اللغة والفلسفة ما يجوز وما لا يجوز .

***

وقال الأستاذ مظهر يعنينا : « أما كلامه فى مذهب التطور فظاهر من عباراته التى ساقها أنه لم يفرق بين البحث فى التطور والبحث فى نشوء الحياة ، إن الأمرين مختلفين جد الاختلاف » .

وهذا كلام لا يجاب عليه إلا بالإيجاز ... ولكن بلغة التحدى التى تبتدىء من الخط الثلث إلى « بنط ٨ » فى المطابع المصرية .

فنقول للأستاذ مظهر : أذكر لنا عالماً واحداً من علماء التطور ، أو كتاباً واحداً من كتب التطور ، أو صفحة واحدة من صفحات كتب التطور ، أو سطراً واحداً من سطورها — يفصل بين التطور وبين نشوء الحياة فى مذهب الماديين .

ونحن فى الانتظار ولا نزيد .

ثم قال : « أما قول الأستاذ أن أجهل همجى لهو أصدق

رجل فى ملابس النساء !

للأستاذ على الطنطاوى

قرأت فى (أخبار اليوم) أن الشرطة عثرت على (فلان) قتيلا فى داره ... وقالت عن هذا القتيل أنه كان يلبس ملابس النساء ، ويفضلها على ملابس الرجال ، لأن أمه لما ولدته كانت ترجو أن يكون بنتاً لذلك دعته (فلانة) وألبسته ملابس البنات ونشأته على ذلك ، وقالت الجريدة أنه كان غنياً واسع الثروة فأراد يوماً أن يؤلف لجنة فى (حزب سياسى) للسيدات يكون هو رئيسها فأوفدت إليه الشرطة من يهدده بالاعتقال والنفى إلى الطور إن هو فعل .

***

قرأت هذا فوقفت عنده وفكرت فيه ، فوجدت الجريدة قد ساقت هذا الخبر لتعجب الناس من أمرين هما : لبس الرجل لباس المرأة ، ودخوله فى لجنة السيدات — وما فى واحد منهما عجب ، ولا أدرى ماذا وجدت فيه الجريدة حتى عجبت منه الناس وما دمنا لا ننكر على المرأة أن تلبس لباس الرجل ، وتستعير سراويلاته (بنطالونه) ، وتجز شعرها تشبهاً به ، وتتخذ مثل قميصه وردائه ؛ فلما ذا ننكر على الرجل أن يلبس ثيابها مرة واحدة ؟

ولماذا ننكر عليه دخوله مرة واحدة فى لجنة السيدات ، ولا ننكر على السيدات دخولهن فى لجان الرجال ومشاركتهم فى أعمالهم ، من سوق السيارة إلى تدريس الجامعة وأيهما أعجب وأغرب ، وأبعد عن سنن الله ومألوف الناس ، أأن يرأس رجل لجنة السيدات فى حزب من الأحزاب ، أم أن تقعد آنسة جميلة على منبر التدريس مثلا ... تعلم شباباً كباراً ... علماً لم تختص هى به ، ولم تنفرد بحمله ، ولم ينقرض الرجال حتى لم يبق لتدريسه إلا هى ، وليست أصلح له ولا أقدر عليه من رجال هم مستعدون للقيام به ، راغبون فى أدائه ؟

فلماذا نستضعف الرجل فنحمل عليه ، ونظلمه هذا الظلم البيّن ، ونهاب الجنس (المخيف) أن نقول لأهله كلمة ، أو نشير إشارة ؟

وأين المساواة بين الجنسين التى ندعو إليها دائماً ، ونتجمل بترديدها ، ونتباهى بها ، ونحن لا نفهم معناها ، ولا ندرى علام تدل وإلام توصل ؟

***

وهل انفرد هذا الرجل وحده بلبسه غير لباسه ، وتزييه بغير زيه ؟ ألسنا نرى كل يوم أناساً يتزيون بزى الصالحين ، ويحملون سبحات المسبحين ، ويقومون فى المساجد مع المصلين ، ثم لا تعاملهم إلا غشوك ، ولا تخبرهم إلا وجدتهم طلاب مراتب ورواتب ، أو باغى منافع ، ولا تراهم إلا متزلفين لكل صاحب سلطان ، خاضعين له ، يؤثرون رضاه على رضا الله ، ويخافون غضبه أكثر من غضب الله . إذا رأوا الحرام منه خرسوا عنه ، وإن رأوا المكروه من غيره أقاموا الدنيا عليه ...

ومشايخ طرق ظاهرهم مع مريديهم ظاهر الفقراء الزاهدين ، وحقائقهم مع أهليهم وإخوانهم ، حقائق الفساق الذين ينتهكون كل حرمة ، ويبتغون كل لذة ، ويعيشون حياة ليس فيها شىء لله ولا للشرف .

أولسنا نرى كل يوم عملاء للأجانب ، كالذين ذكرهم الأستاذ رمزى بك ، يدرسون على حساب الأجنبى فى مدارسه ، ويتربون على يديه ، ويسبحون بحمده ، يتوجهون أنى وجههم ، ويعملون له فيما استعملهم ، ويعرفهم الناس هم وآباؤهم من قبلهم صنائعه وعبيده ، يلبسون فجأة ثياب الوطنيين المخلصين ، أو دعاة الدين

شعوراً بالعالم من الفيلسوف المصرى الذى يحصر الحياة هذا الحصر العجيب ... فهل نصدق حقيقة أن أجهل همجى هو أصدق شعوراً بالعالم من بلاس و كونت وكانت وداروين وبرجسون » .

وعندنا نحن أن الأستاذ مظهر بحاجة إلى مراجعة برجسون وداروين وكانت ولابلاس ليعلم أنهم لايحصرون العالم ، ولايختمونه فى علبة صغيرة ، كالعلبة التى يملكها الأستاذ مظهر على ما يظهر ، ونفضل له أن يملأها بالوهم — من أى صنف من الأصناف — ولا يملأها « بعلم » لم يستند إلى علم ولا إلى فلسفة ولا إلى عقيدة ... اللهم إلا المعجبات وأشباه المعجبات !

عباس محمود العقاد

الصالحين ، ثم يدخلون (بأمر الأجنبي) الحزب أو الجمعية ، فلا يلبثون أن يكونوا هم أربابها ، وأن يقصوا عنها أصحابها ، ثم يصرّفونها لمصلحة الأجنبي ، يخدمونه وهم يسبّونه ، قلوبهم وأيديهم معه وألسنتهم عليه ، وعملهم لمصلحته وإن كانت ظواهرهم لمحاربته ؟

أولسنا نرى أغبياء جهلاء يلبسون ثياب العلماء الأذكياء ، وأدنياء يزهون بحلل الأعلياء ، وأعداء يرتدون أردية الأصدقاء ؟

فلماذا نفرد هذا القتيل المسكين بالملامة ، ونخصه بالنقد ؟

***

وهل كل من حمل شارب الرجل ، ولبس لباسه ، كان رجلا ؟ لو كان هؤلاء ... كلهم رجالا فهل كان يمكن أن تبقى بلاد العرب إلى اليوم مجزأة مقطعة ، تفصل بينها حدود وأعلام ، يطؤها الأجنبي ويتحكم فيها ، ويستغلها ويستعبد أبناءها ؟ إن الرجال حقاً هم الأربعون الذين كانوا مستخفين في دار الأرقم في أصل الصفا ، فلم تمر عليهم ثلاثون سنة حتى فتحوا نصف الدنيا ، لا هؤلاء الأربعمائة مليون الذين ناموا منذ ثلاثمائة سنة حتى جرأت عليهم نصف شعوب الدنيا ؟ لو كان هؤلاء رجالا حقاً واجتمعوا على الأسطول الأنكليزي لحلوه حملا على أكتافهم ، ولو نفخوا كلهم نفخة واحدة لطيّروا الجيش الأنكليزي المرابط عند القناة ولو بصقوا كلهم بصقة واحدة لأغرقوا يهود العالم ...

ولكنهم أشباه الرجال ، ولبسهم لباس الرجال لا يقل عجباً وغرابة ، عن لبس هذا القتيل لباس النساء ...

***

ولماذا ننكر عليه أن يكون رئيس لجنة السيدات ال(حزبيات) ولا ننكر على السيدات أن يؤلفن هذه اللجنة ؟ وما للسيدات وأعمال الأحزاب ؟ إنه إن دخل فيها فهذا عمله ، وهذا مكانه ، ليس هو الطارىء الواغل فيه ، ولكن السيدات المحترمات ... فهن أولى بالإنكار ، وأحق بالمنع ، لا احتقاراً لهن وزراية عليهن بل إكراماً لهن ، وترفعاً بهن أن ينزلن إلى هذه المنزلة ، وينحططن إلى هذه الدركة ، وهل جنى الرجال من الحزبيات في بلادنا خيراً حتى يجنيه منها النساء ؟ هل رأينا فيها إلا الفرقة والانقسام ، واستغلال نفر منا إخلاص المخلصين ، واندفاع المندفعين ، وطمع الطامعين ، للوصول إلى كراسي الحكم ، والتمتع بأموال الدولة ؟ وماذا يرى المراقب البعيد ، من تبدل الحكومات في هذا الشرق العربي ، وتعاقب الأحزاب عليها ، إلا تبدل الوجوه ، وتغيّر الأشخاص ، أما الأسلوب فهو واحد ، والسياسة واحدة ، يتبدل الوزّان ويبقى الميزان ؟ والميزان مختل ، والقب مائل ، والصنجات ضائعات !

***

أو لسنا جميعاً مثل هذا القتيل نلبس لباساً لم يفصّل لنا ، ولم يقس علينا ، ولكنه خيط لغيرنا ، فأخذناه كما هو بلا إصلاح ، ومشينا فيه كما يمشي الطفل بحلة أبيه يتعثر بها فيسقط ، فيضحك أهله عليه ، ويسلّيهم بفعله

لقد أخذنا هذه المدنية كما هي ، لم نحكم فيها عقولنا وشرائعنا وطبائع بلادنا ، ولوازم معيشتنا ، كما تفعل كل أمة في الدنيا ، فتستوي الأمم في أصول الحضارات ، وأسس المدنيات ، ولكنها تختلف في التفاصيل ، فلا تبنى البيوت وتخاط الثياب في البلاد الباردة كما تبنى وتخاط في البلاد الحارة ، ولا تخطط المدن في شعاف الجبال كما تخطط في السهول أو على سواحل البحار ، ولا تكون الأطعمة في حدود القطب كما تكون في خط الاستواء ، وما يسوغ ويقبل في بلد قد ينكر ويردّ في بلد ، وما يحسن في لسان من أساليب البيان يقبح في لسان ، وما يجمل في أذن من ألحان الغناء يبشع في أذن ، ليس في الدنيا بلدان متحضران تستوي فيهما هذه الدقائق كلها ، وإلا لما كان معنى لاختلاف الحضارات ، وتمدد الثقافات ، وتكلف مشاق الرحلات ، ولكان السائح الذي يرى فرنسا كأنه رأى ألمانيا ، والذي يبصر أمريكا كأنه أبصر روسيا ، وليس في الدنيا حضارة أصيلة إلا ولها طابع خاص بها ، فما هو طابعنا نحن في حضارتنا الجديدة ؟ ما هو الثوب الذي نلبسه ؟

ادخل أي دار من الدور ، وسر في أي شارع من الشوارع ، في مصر أو الشام أو العراق ، تجد الجواب ، تجد في الدار الواحدة غرفة مفروشة بالبساط والوسادة وفيها فراش على الأرض ، وغرفة فيها أحدث ما صنع من الأرائك والكراسي والناضد ، ودقق في هذه الغرفة تجد فيها خليطاً من الذوق الفرنسي والإنكليزي ، وفي صدرها مرآة من أسلوب عهد لويس الرابع عشر ، وأمامها نضد على الطريقة الأمريكية ، وتجد بين الأم وبنتها في اللباس

والعادات والأفكار قرناً كاملا ، وتجد بين الدار وأختها فرقاً هائلا ، فى العمارة والفرش والذوق والترتيب ، مع أنك تدخل بيوت عمارة يسكنها إنكليز أو فرنسيون ، فتحس على اختلاف الغنى والذوق ، أن لها طابعاً عاماً يبدو على كل منها ، وإن تفاوتت درجات ظهوره وخفائه ؛ وتجد فى الشارع ألواناً من الألبسة والأزياء ، يحسبها الغريب أزياء عيد المساخر (الكرنفال) ، وادخل المدارس تجد فى المناهج ، وفى المبادئ العلمية والسياسية والاجتماعية التى تعرض على التلميذ ، وفى آراء المدرسين ومذاهبهم (كرنفالا) آخر ، ولكنه أغرب وأشد اختلافاً ، وأكبر ضرراً ، وفى المبادئ الحقوقية فى التشريع ، وفى المذاهب البيانية فى الأدب ، وفى الصحافة وفى السينما وفى كل شىء (كرنفال) ضخم ، ليس له يوم واحد ينقضى بانقضائه ، ولكنه دائم باق لا انقضاء له

وأنا لا أدعو لنبذ الحضارة الغربية ، بل أدعو إلى أخذ ما ينفعنا منها ، وأن لا نأخذها أخذ العامى للراد (الراديو) ، لا يفهم منه إلا أنه يأتيه بالأصوات ، فيفتحه على مصراعيه ، ويزعج به الجيران ، ويكره إليهم الحياة بجواره ، بل أخذ العالم الذى يعرف وجوه استعماله ، ويدرك تركيبه ، فيصلحه إذا فسد ، ويكمله إذا وجده ناقصاً ، ويصنع مثله أو يخترع أحسن منه ، أى أن نتعلم علومهم ، ونتقن فنونهم ، وندرس أخلاقهم ، ثم نرى ما يزيدنا منها قوة ، وسعادة للفرد منا والجماعة ، وسهولة فى العمل ، ولذة فى المعيشة ، فنأخذه كما هو ، أو نعدله حتى يصلح لنا ، وأن ننقله إلينا ، ونجعله ملكا لنا ، لا أن ننتقل به إلى أمة غير أمتنا ، وطبيعة غير طبيعتنا ، وأن ننظر ما فعله أجدادنا فى أول العهد العباسى ، مع الحضارة الفارسية مثلا فنصنع مثله ، إنهم أخذوا كل نافع فى الطعام والشراب واللباس والمسكن وفنون القول وطرائق الفكر ، ولكنهم لم يصيروا به فرساً ، بل جعلوا به الفرس عرباً ، أما أن نأخذ النافع والضار ، والجليل والحقير ، بلا فهم ولا علم ، فهذا تقليد كتقليد القردة …

* * *

وبعد ، فلما ذا ننكر على هذا الرجل أنه فقد عزة الرجولة ، واتخذ لباس المرأة ، ولا ننكر على الكثرة الكاثرة من هذه الأمة أنها فقدت عزتها ، واعتدادها بنفسها ، وكبرياءها القومية ، وشعورها أنها أمة هى أعظم الأمم فى الجاهلية وفى الإسلام ، وأنها إن قدر عليها أن تذل حيناً ، فما من أمة إلا وقد ذلت مرة ، ولكنها لن تذل مرة أخرى ، ولن تعود إلى الغفلة والمنام …

إن رأس أدوائنا هو هذا اللطف ، والحرص على أن نكون مؤدبين ، لا نؤذى محدثنا أو جليسنا . هذا اللطف وهذا الإكرام للضيف هو الذى جرأ علينا الأجانب ، جنوداً وتجاراً ، حتى ملكونا بجيوشهم ومعاملهم وشركاتهم ومتاجرهم ، ولا خلاص لنا ، أعنى لا خلاص لمصر من هذا كله إلا بأربع خلائق يجب على كتابها وصحفيها ومدرسيها وصانعى أفلامها أن يعلموها الناس وأن يخلقوهم بها ، هى حب المال أولا ، وحب المال إن زاد كان مذمة للفرد ونقيصة ، ولكنه لا يكون للشعب إلا خيراً ، وما أفلح شعب لا يحب فى مجموعه المال . وحب الأسفار ثانياً …

كونوا كاخوانكم الشاميين ، هل طلع كوكب إلا على نفر منهم؟ اقتحموا البحر والصحراء ، إلى أمريكا شمالها وجنوبها ، وأفريقية أدناها وأقصاها ، والهند واليابان وأوربة ، وما نزلوا بلداً إلا كانوا من كبار تجاره ، ومن وجوه سراته ، عاشوا تحت كل نجم ، وجابوا كل أرض ، وخالطوا كل أمة …

وترك هذا اللطف ثالثاً ، وتعود الشدة فى الحق ، والثقل على العدو ، والمزاحمة على العيش ، وأن يحس كل مصرى بعد هذا كله ، بل قبل هذا كله ، أن البلد بلده وأنه أحق به من كل خواجة وكل دخيل ، وأن له هو طيباته وخيراته ، وأنه أكرم من هذا الدخيل (كائناً من كان هذا الدخيل) أصلا ، وأعز نسباً ، وأبين لساناً ، وأقوم ديناً ، وأجل أثراً فى الدنيا ، فلا يطاطىء رأسه لأحد ، ولا يحنى هامته لإنسان ، ولا يرضى بالدنية من مخلوق فى الدنيا .

بهذه الأخلاق ننقلب أمة أخرى ، ويرى هؤلاء الأجانب ماذا يصنع الأسد الجريح ، إذا برىء ، بالثعالب التى كانت تلعق من دمه .

والويل يومئذ للثعالب !!

(القاهرة) علي الطنطاوى

القسم العاشر :

الاستعمار الفرنسى
فى الجزائر العربية

يولية ١٨٣٠ – يولية ١٩٤٧

« نحن نقص عليك نبأهم بالحق » قرآن كريم

للأستاذ أحمد رمزى بك

إنه نبأ هذه الأمة الجزائرية العربية التى تسكن أرض الجزائر ولها على هذا الوطن الحق الطبيعى التاريخى الثابت الذى لا تضعفه أقاويل فرنسا وادعاآتها لأنه منبعث من ثنايا القرون العديدة التى أمضتها هذه الأمة على أرضها وهى تتمتع بكامل شخصيتها وميزاتها لا يشاركها فيها أى مشارك ولا ينازعها فى أمجادها أى منازع .

إنها قضية تسعة ملايين نسمة من المسلمين تحاول فرنسا أن تجعل منهم قطيعاً فى بلادهم وعلى الأرض التى حملت تاريخ آبائهم وأجدادهم : أتدرى أنهم محرومون من كل حق سياسى أو اجتماعى أو ثقافى ؟ وأنهم لا يستطيعون أن يجهروا بأقوالهم ومشاعرهم ؟ لأن حرية القول وحرية الاجتماع وحرية الصحافة بل حرياتهم الدينية محرمة عليهم .

ولكى تحتفظ فرنسا بإدارتها الاستعمارية وجبروتها تلجأ إلى فرض نوع من الرقابة البوليسية لا يقل عن أشد أنواع الجستابو الذى فرضته ألمانيا النازية والجيبيو الذى فرضته روسيا السوفيتية على أراضيها : إنها تجعل من إدارة الأمن العام والمكاتب الوطنية أداة للارهاب والتشريد والتجسس وكبت الحريات لدرجة أنها تصرف خمس الميزانية على هذه الأداة البوليسية الجبارة .

تصور حكومة تشترى كيانها وحكمها وإدارتها بأن توزع خمس أموالها على هيئة بوليسية للقمع والارهاب . ماذا يبقى لها أن تفعله في ميادين الحياة العامة ونشر التعليم والصحة ؟ وهى مضطرة أن تحتفظ بجانب هذا بمبالغ للصرف على الجيش والقوات المسلحة الأخرى ؟

لقد عرفنا شاتينيو Chatégneau سكرتيراً عاماً لمفوضية فرنسا بسوريا ولبنان ولمحنا فى أحاديثه وأقواله الرجل الفرنسى المتمسك بمبادىء الثورة الفرنسية وتقاليدها المنبعثة مما أعلنته عن حقوق الانسان . كان يصرح بهذا وبلاده تحت الحكم النازى وسيطرة جيش الاحتلال ودارت الأيام فإذا به يشغل مركز الحاكم الفرنسى العام : إنه ممثل الجمهورية فى بلاد الجزائر وهاهوذا قد لبس لباس الاشتراكية وجاهر بحقوق الأمم المظلومة ولكنها فى نظره وفى عقيدة أمثاله من اليساريين من اشتراكيين وشيوعيين قاصرة على الأمم الأوروبية وحدها . أما شعوب الشرق وأمم الاسلام فهى فى الجزائر أو شمال أفريقية وفى بخارى وأواسط أسيا سواء فى تحمل الضغط والخضوع لسيطرة الاستعمار الفرنسى أو السوفييتى .

ماذا يقول حاكم الجزائر الاشتراكى ! إنه يقرر فى خطابه الذى ألقاه يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٥ فى المجلس المالى الجزائرى « إن تضخم أرقام الميزانية راجع إلى زيادة عدد الموظفين فى إدارة الأمن العام . »

أى أن حكومة الجزائر الاستعمارية الرجعية التعسفية والتى يوجد على رأسها حاكم اشتراكى ، تشترى وجودها بثمن باهظ من حياة الشعب الجزائرى ، إذ تفرض عليه الجهل الدائم لتعيش مع جيش موظفيها ، إنها تترك الأمراض تسرى وسط جماعاته والمنون تأكل من أطفاله لكى تعيش هى مع جيش من الموظفين الفرنسيين يخدمون مآربها ويؤكدون سلطانها وجبروتها عليه .

وفى الوقت الذى تصرف فيه فرنسا على بوليسها وعيونها هذه الثروة الطائلة من أموال الشعب الجزائرى ، نجد أن ما خصصته من هذه الميزانية للصحة العامة لا يتجاوز أربعمائة وثلاثين مليونا من الفرنكات وما أرصدته منها للتعليم أقل من ذلك بكثير .

لذلك انتشرت الأمراض بين طبقات الأمة وضج المستعمرون حينما تبين لهم أن نسبة القادرين على حمل السلاح من الجنود الوطنيين قد هبطت لأن الأحوال الصحية لم تعد تسعف الأتون الفرنسى بالآلاف المؤلفة من أبناء العرب الجزائريين لدفعها إلى جوفه فى حملاته الاستعمارية وليحولها إلى أشلاء وهيا كل عظمية إنه يطلب المزيد من ضحاياه .

فهذه القوة الجبارة التى تسمى إدارة الأمن العام ، أداة استبدادية نجدها فى تحفز دائم واستعداد قائم للانقضاض على الشعب الجزائرى ، إذا تحرك أو أظهر امتعاضاً إنها تمكن المستعمرين

من إبعاد أمة بأسرها عن دفة الحكم وعن تولى المصالح العامة فى بلادها ، أى تجعل من شعب يزيد تعداده على تسعة ملايين نسمة غريباً فى بلاده ،طريداً فى وطنه منبوذاً على الثرى الذى حمل سطوة آبائه وأجداده ، بل تفعل أكثر من هذا إنها تقيم بينه وبين العالم سدا لا يجعله يبصر شيئاً مما وراءه لأنها تعزله عن الدنيا كما يعزل الموبوء والمجذوم كيلا يرى نور العالم . ألا فليعلم العالم أجمع أن أهل الجزائر محرومون فى بلادهم من قراءة الجرائد العربية التى تأتى إليهم ، وأن لدى المكاتب العامة قواعد لا تسمح لها أن تعير الوطنيين حتى الكتب الفرنسية التى تتحدث عن الحرية وآمال الشعوب .

فهل رأيتم سدا كهذا السد ؟ .

أما فى الميدان الاقتصادى فما من شعب من شعوب الدنيا تحمل ما تحمله الشعب الجزائرى منذ وضعت فرنسا قدمها فى شمال أفريقيا . إنها أخذت تنهب الثروة الوطنية وتصادر أملاك الأهالى وتجعل أراضى الحكومة والدولة وخيرات الأمة وقفا على المستعمرين الفرنسيين ومن لاذ بهم من طريدى الجنسيات الأخرى ...

ولقد نقل صاحب كتاب تحفة الزائر فى مآثر الأمير عبدالقادر وأخبار الجزائر . أن قائد الجنود الفرنسية رتب مجلسا من رؤساء الجند لضبط الخزائن من الأموال والمهمات الحربيـة والذخائر فتحصل من ضبطها على ما قيل من الذهب والفضة وقيمة الجواهر ٥٢٧ و ٦٨٠ و ٤٨ فرنكا من الذهب ، ومن الحنطة والشعير ٣ ملايين ومن المدافع والبنادق والبارود والقنابل وغيرها مع ثمن الأملاك الأميرية ٥٠ مليونا .

فهذه الثروة الطائلة التى وقعت غنيمة بأيديهم عند الفتح ، علمتهم طريق الاستحواذ على غيرها فإذا هم من يولية ١٨٣٠ إلى ١٩٤٧ يسيرون على هذا المنوال من المصادرة والاغتصاب حتى انتهوا بأن فرضوا الفقر والفاقة والإملاق على شعب بأسره .

وهـذه الثروة الطائلة قد غطت ما تكلفته الحملة الفرنسية الأولى من أعباء مالية علاوة على ضياع الديون التى كانت فرنسا مدينة بها لحكومة الجزائر الإسلامية .

أما مصادرة أملاك الوطنيين فسياسة وضعتها فرنسا وقلدتها فيها إيطاليا وإسبانيا وهى تتلخص فى تحديد منطقة خصبة من الأراضى ونزع ملكيتها اغتصابا ونقل سكانها بالقوة منها .

وقد عمدت فرنسا لأول مرة إلى هذه السياسة فى أقاليم القبائل وفى جهة قسنطينة كعقاب أنزلته بالسكان الجزائريين عقب ثورة عام ١٨٧١ ، إذ نزعت ملكية ما مقداره خمسة ملايين من الأفدنة المصرية ، منها مليون فدان من أجود الأراضى الخصبة شردت أصحابها وجعلت هذه الأراضى لإسكان المهاجرين الفرنسيين خصوصا أهالى الألزاس واللورين ، وهم الذين طلب باسمهم الكردنيال لا فيجرى تسليمهم هذه الأراضى وإخراج الأهالى الوطنيين منها بدون أن يعوض أصحابها بشىء .

وقد سارت حكومة الاستعمار على طريقة فرض الغرامات الباهظة وتحصيلها بالشدة المتناهية فأخذت ملايين الفرنكات من أهالى المقاطعات التى قامت بثورة القبائل وعرف الوطنيون الذلة والمسكنة وبيع الأراضى والدور فى سبيل عتق رقابهم .

ولا يزال بعض الإخوان المغاربة الذين لقوا الويل على أيدى فرنسا يحدثون أهل الشام بهذه الكوارث ويقولون لهم أنتم بخير ما دمتم بعيدين عن حكم فرنسا المباشر وهو الذى يمثله قاضى الصلح الفرنسى وحارس الأحراش فالثانى يكتب المخالفات والأول يصدق غيابيا عليها فما يشعر صاحب الملك الوطنى ألا والتنبيه بنزع الملكية يلاحقه فلا يقدر أن يفلت من يدى القضاء إلا وهو مجرد من كل ما يملك .

وبهذه الأساليب والقواعد التعسفية خرجت أحسن وأخصب الأراضى الزراعية وأجودها من أيدى الوطنيين وأصبحت تحت يد المستعمرين الفرنسيين ونزلت نسبة أملاك الجزائريين إلى ٣٦ ٪ من الأراضى الزراعية التى كان يملكها الجزائريون إرثا عن آبائهم وأجدادهم .

وأدخل الفرنسيون فلاحة الكروم التى شغلت أكثر من ستة ملايين فداناً وهى كروم مخصصة لأنواع الأنبذة فهبطت مساحات الأراضى المخصصة للحنطة والمحاصيل الحيوية لمعيشة السكان الوطنيين وتعرضت مناطق الجزائر لأخطر المجاعات التى انتابت أفريقيا فى العصور الحديثة نتيجة لتلك السياسة الاستعمارية التى انتزعت من الأهالى أخصب أراضيهم وجعلت منهم عمالا أجراء يعملون لدى الكولون الفرنسى لقاء دراهم معدودة فى أراضى كانوا يملكونها فى الأمس القريب .

فالبلاد الجزائرية التى كانت قبل ١٨٣٠ تكفى سكانها من محاصيلها الزراعية وتصدر من خيراتها الشىء الكثير ، قد أصبحت فى موقف اقتصادى يجعلها عالة على غيرها فى إطعام سكانها وإعاشتهم ، لأن الاقتصاد الزراعى والإنتاجى الذى فرضته فرنسا عليها لا يتفق مع حياة السكان الوطنيين ومصالحهم وموارد رزقهم وتنظيم أمور معاشهم فهم فى فقر مدقع واحتياج دائم ويموت من هؤلاء الآف كل سنة بسبب الإملاق والمرض وسوء التغذية .

وقد مات فى سنة واحدة حسب التقارير الفرنسية ما يقرب من نصف مليون جزائرى إبان المجاعات التى انتابت بلاد الجزائر فى إحدى سنوات القرن الماضى ولم تحرك هذه النكبة أحداً من الأجانب الذين لم يشعروا بها وكانوا فى رغد من العيش دائم .

إن قيام سلطة حكومية فرنسية بالجزائر أمضت أكثر من مائة عام ، لا يهمها شىء من أمور المواطنين أمر لا يقبله نظام العالم الجديد ولا يمكن أن يسلم به دعاة الحرية ومن يتبجحون بمبادىء رفع الظلم عن الشعوب المغلوبة على أمرها . فهذه حكومة تفرض الامتيازات وحقوق الإنسان لفريق من السكان تمنحه كل الخيرات والباقى منهم أى تسعة أعشار السكان وهم أهل البلاد مجردون من كل حق لهم بل تطاردهم سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وتسير بهم نحو التشريد والإفناء .

وفى سبيل إبقاء هذه الحالة تحرم الحكومة الجزائرية الفرنسية؛ أهل الجزائر من حق التعليم وما يتبعه من حق النفوذ الإجتماعى .

فهى منذ سنة ١٨٣٠ أبطلت كافة المؤسسات الثقافية والتعليمية التى كانت قائمة بمدينة الجزائر وفرضت سياسة الجهل المطبق ومحاربة اللغة العربية ، لغة البلاد الرسمية واعتبرتها لغة أجنبية، بل ذهبت لأكثر من ذلك إذ حرمت تعليم القرآن الكريم فى الكتاتيب إلا إذا علمت معه الفرنسية فكم عدد هذه التى بوسعها أن تعلم لغة أجنبية فيها ؟ كان هذا القانون بمثابة حرمان الأهالى من تعلم الكتاب الكريم ولا يوجد ما يشبه هذا القانون سوى الإجراءات التعسفية التى فرضتها حكومة فرديناند وإيزابلا على أهالى غرناطة المسلمين عندما أوقعهم سوء الحظ تحت بطش قوم نزعت كل عواطف الإنسانية من قلوبهم .

ولعل أعظم ما تمتاز به الإدارة الفرنسية بالجزائر هو محاولة نشر الجهل وتعميم الأمية بين طبقات الشعب الجزائرى حتى لا تقوم له قائمة أو يشعر بشخصيته ووجوده .

فقد صرح عميد الجامعة الجزائرية أمام لجنة الإصلاحات الإسلامية فى يناير سنة ١٩٤٢ بمدينة الجزائر « أن بين ١٫٢٥٠٫٠٠٠ طفل وطنى فى سن الدراسة ١٠٠٫٠٠٠ فقط خصصت لهم ٦٩٩ مدرسة ، وأن عدد الأوربيين حسب الإحصاء ٩٠٠٠٠٠ وعدد أبنائهم الذين يتمتعون بالتثقيف والتعليم الابتدائى ٢٠٠٫٠٠٠ طفل خصصت لهم ١٤٠٠ مدرسة »

هذه أرقام تتحدث بنفسها عن سياسة فرنسا إزاء رعاياها المسلمين بالجزائر ولو شئنا أن نقيس حالتهم فى درجات التعليم العالى والثانوى لرأينا العجب العجاب ، فإن النسبة لا تتعدى فيها عشرة فى المائة بأى حال من الأحوال ، ولم نكن نصدق شيئاً من ذلك حتى عاينا هذا بأنفسنا فى بعض المعاهد الفرنسية التى تفرض لأبناء المسلمين نسبة معينة لا تتعداها مهما كانت ظروف أهليهم

وذلك لكى يقترن الإسلام بالجهل وتلصق بالمسلمين ظلماً وصمات التعصب والتأخر وعدم الرقى والخروج عن ركب الحضارة فى القرن العشرين .

هذه سياسة أمة تقول أنها أعلنت حقوق الإنسان وبشرت العالم بدين جديد بمبادئه وبالحرية والعدالة والمساواة ، وأنها هدمت بثورتها صروحاً للاستبداد ويزيد الفرنسيون على ذلك قولهم أنهم حملوا أعلام الحرية والرقى والسعادة إلى بلاد الجزائر ، ولقد رأيت فيما تقدم البراهين القوية على سيطرتهم وجبروتهم وإفلاسهم فى حكم الجزائر .

ليس لدينا للآن دليل قاطع على توجه العالم نحو المثل العليا بل إن موقف مجلس الأمن إزاء قضايا مصر وفلسطين وأندونيسيا ليس مشجعاً ولعل انقسام الكرة الأرضية إلى معسكرين من أسباب هذه الرجعية القائمة فى أنحاء الدنيا .

ولكن الشعوب مهما كانت الظروف القائمة عليها أن تشق طريقها إلى حياة النور وأن تعمل لتتغلب على المصاعب القائمة حتى تفرض شخصيتها وآمالها وأهدافها على العصر الذى تعيش فيه .

سيكون الطريق وعراً أمامنا والعقبات صعبة فى صعودنا نحو الحرية والعدالة ولكننا لن نرجع عن طلب معاملة الند للند وأن يعتبرنا العالم مجموعاً حياً راقياً ؛ تملك من حق الرعاية والمعاملة ما يملكه أى مجموع أوربى راق يسير نحو التطور . إننا نفضل أن نفنى جميعاً من أن يحاول العالم إرضاءنا بالعرض دون الجوهر أو يلهينا بالاقوال دون الحقائق . إننا نأخذ عقلية أوروبا لنتغلب على جبروت أوروبا .

أحمد رمزى

الخمرة النصرانية ومجالسها في العصر العباسي

للأستاذ شكرى محمود أحمد

اشتهرت الخمرة النصرانية بالجودة والقدم ، كما عرفت برائحتها الذكية وطعمها اللاذع ، فتغنى الشعراء بذكرها ، وفتنوا بنعتها ، فوصفوا الكأس والنديم والنقل والزهر والتحايا (١) والصبوح والغبوق وكل مايتعلق بمجلسها من عزف وزف وغناء وقيان وسقاة وتهتك ومجون ، وما يتبع ذلك من حوادث مشهورة ، وأخبار مذكورة وقصائد طريفة ونموت جميلة حفلت بها كتب الأدب والسير والشعر .

وقد نعتت الخمرة بالقدم ، فهى تذكر نوحاً حين شاد الفلك ، بل هى ترب الدهر فى قدمها ، عاشت معه ، ودرجت فى حجره ، حتى لو أنها احتبت بين الندامى لقصت عليهم قصة الأمم ، وروت لهم حوادث التاريخ . . . وهى عجوز قد علت على الحقب حتى عكفت عليها بنات الدهر ، وعجمت الغير حتى اختمرت بخمار الشيب وهى فى رحم الكرم ... ثم هى شقيقة النفس تنفى الهم وتذهب الحزن فتجعل السقيم صحيحاً ، والقبيح جميلا ، والصغير كبيراً ..

وربما عبدها بعضهم ، فأثنى عليها بآلائها ، وسماها أحسن أسمائها ، ونزهها عن الغر الفدم الذى لا يعرف لها قدرها ، وخص بها السادة الكرام من كل مطير الكف يطرب للندى ...

وكانت الخمرة عندهم لذة العمر وغاية الغايات ، لا تطيب لهم الحياة إلا بها ، ولا يصفو العمر إلا بين كأس وعود وقينة . . . وقد رضى أبو نواس من الدنيا بكأس وشادن . . وكان النغم عنده أن يتمتعه السكر ، والغرم أن يلقى صاحياً .. بل تمنى بعضهم سكرة شيطانية قبل موته تترك الصبيان خلفه يتصايحون : يا سكران . ثم يغسل بالخمر ، ويكفن بأوراق الكرم ، ويدفن بعد ذلك إلى جنب كرمة لتروى عروقها عظامه ، وتحمل أقداح الخمر حول قبره ..

***

عرف النصارى بتعتيق الخمر ، كما عرفوا بنظافة الآلة وجودة الشراب ، وجمال الحانات ، وتزيين مجالسها بأصناف الزهر والنقل ، ووصفوا بحسن الخلق ولين الجانب ، ولطف المساومة وصباحة الوجوه وجمال القسمات ، لذلك كان الشعراء والمجان وأهل التهتك والتطرح يقصدون الأديار فى الليل والنهار ، ويختلطون بالرهبان والراهبات وفتيان الأديار ، ينادمونهم ويشربون على وجوههم ، فيطربون ويلذون ...

وكان الخلفاء أنفسهم يستقدمون من اشتهر من بينهم وعرف منهم لذلك لما أراد الواثق بالله الخليفة العباسى أن يعقد حانتين له ولأصحابه ، إحداهما على شاطىء دجلة والأخرى فى دار الحرم (١) « أمر أن يختار له خمار نظيف ، جميل المنظر ، حاذق بأمر الشراب ، ولا يكون إلا نصرانياً من أهل قطربل ، فأتى له بنصرانى له ابنان مليحان ، وبنتان بهذه الصفة ، فجعلهم الواثق فى الحانتين ، وضم إليهما خدماً وغلماناً وجوارى رومية . وأخدم النساء فى حانة الحرم ، والرجال فى حانة الشط » . (٢)

أما بيوت الشراب التى كانت تخزن فيها الخمور فلم أجد من وصفها لنا غير أحمد بن جعفر بن شاذان فى كتابة « أدب الوزير » قال :

« وينبغى لبيت الشراب أن يكون له بابان واسمان و كوتان ، فأما الباب الواسع ففى يسار القبلة من قبل ريح الجنوب ، وأما الباب الضيق فمن قبل الشرق عن يمين القبلة من قبل ريح الشمال » .

« وينزه بيت الشراب عن كل ريح كريه وكل قذر ، وليكن بين كل وعائين من أوعية الشراب ذراع ولتكن مواضع الأوعية

---

(١) التحايا جمع تحية وهى الرياحين والزهور التى كانت تزين بها مجالس الشراب وكانت تسمى أيضاً العمارة والعمار ومنه قول الأعشى :

فلما أتانا بعيد الكرى ... سجدنا له ورفعنا العمارا

وكانوا إذا دخل عليهم داخل رفعوا شيئاً من الريحان وحيوه به ، والنابغة فى مدح آل جفنة :

رقاق النعال طيب حجزاتهم ... يحيون بالريحان يوم السباسب

ويوم السباسب عيد للنصارى وهو يوم الشعانين .

(١) تقع دار الحرم بالنسبة إلى خطط بغداد فى هذا العهد فى محلة « الدهانة » وكانت فيها القبة المعروفة بقبة الحمار .

(٢) مسالك الأبصار ص ٣٩٣

جافة ، فإن كانت ندية فلتفرش بالآجر أو الحجارة ، وتقدير المعصرة أن يكون طولها ضعف عرضها ». (١)

وقد كان الرهبان أنفسهم يعصرون الخمرة ، ويحفظونها فى مخازنها التى كانت فى الغالب تحت الأرض ، وقد وصف الشعراء الهينمة حول الدنان وتلاوة المزامير والإنجيل ، ومن ذلك قول أبى نواس :

وخمر كمين الديك أصبحت سحرة … وقد همّ نجم الليل بالخفقان
ندبت لها الخمار فانصاع مسرعاً … إلى عدد من أكؤس ودنان
دراسته الإنجيل حول دنانه … بصير ببزل الدن والكيلان (٢)

وفى مثل هذا المعنى قال عبد الصمد بن بابك :

هينم القس حولها وتغنى … بمزاميــر دنها الزمار
ثم لما انتمت إلى دين عيسى … شد فى حقو كأسها زنار

ومن طريف ما جاء فى وصف الجودة بالقدم قول شهاب الدين التلمفرى ، فقد جعلها تروى حديث آدم وابليس ، وما كان بين سليمان وبلقيس ، وأن الرهبان يتلون الأناجيل لها إذا حضرت ، ويسبحون ويقدسون بأعظم ما يكون التسبيح والتقديس ، قال :

عج حيث تسمع أصوات النواقيس
من جانب الدير تحت الليل بالعيس
مستخبراً عن كميت اللون صافية … قد عتقتها أناس فى النواويس
مرّ الزمان عليها فهى تخبر عن … ما كان من آدم قدماً وابليس
ترى الرهابين صرعى من مهابتها … إذا بدت بين شماس وقسيس
تتلى الأناجيل تعظيما إذا حضرت … لها بأشرف تسبيح وتقديس
لها أحاديث ترويها إذا مزجت … فى كأسها عن سليمان وبلقيس
يسعى بها من نصارى الدير بدردجى
يميس فى فتيــة مثل الطواويس

وامتاز سقاة الخمر من النصارى بحسن صفتهم ، ونظافة آلتهم ، وطهارة دنانهم ومبازلهم ، لأنهم انفردوا — فى الغالب —(٣)

(١) أدب الوزير ص ٣٩ ، ٤٠

(٢) ديوان أبى نواس طبعة آصاف ص ٣٤٢

(٣) ربما كان الساقى من غير النصارى ، بل ربما كان مسلماً . جاء فى الشابشتى ورقة ٢٠ ، ٢١ « ذكر أبو الشبل البرجى قال : صرت وأنا مخمور إلى قطربل ، فدعونا خماراً فقلنا : ائتنا ببنت عشر قد أنضجها الهجير فجاء بها ، فقلنا : اسقنا ، فسقانا . فقلنا : اسقنا واشرب ، فقال : أنا مسلم وكان يهودياً قد أسلم » .

بعصرها وتعتيقها ، لذلك أقبل عليهم المجان والخلفاء ، حتى صارت الأديرة مطارح أهل اللهو ، ومواطن ذوى الخلاعة ، كما أصبحت ملتقى العشاق ومأوى الفساق ، لأن مجالس الشرب واللهو كانت تعقد فى الرياض والبساتين فى جوار الأديرة وخلف البيع والمعابد ، لأن الحانات كانت ملاصقة لها .

حدثنا العمرى فى مسالكه قال : « كان بالكوفة رجل أديب ضعيف الحال ، مهما وقع فى يده شىء من المال أتى به ديرحنة فيشرب حتى يسكر ثم ينصرف ، وهو القائل :

هى البكور إلى بعض المواخير … مالذة العيش عندى غير واحدة
مهل القياد ، مَن العزه المدابير … لحامل الذكر مأمون بوائقه ،
من النصارى ببيع الخمر مشهور … حتى أحل على دير ابن كافرة
واعتم فوق دجى الظلماء بالنور (١) … كأنما عقد الزنار فوق نقا ،

وربما أثرت هذه المجالس المرحة والحياة الناعمة برهبان الدير ومن فيه ، فتركوا ماهم عليه من نسك وعبادة وزهد ، وانغمسوا فى ملاذهم ، وتبعوا أهواءهم ، فخلعوا العذار ، ونهزوا مع الغواة بدلائهم ، وأساموا سرح اللهو كيفما شاؤا .

وقد اشتهر من هؤلاء قس كان بالحيرة ، ذكر خبره الخفاجى وياقوت ووصفه بعضهم قائلا :

إن بالحيرة قساً قد مجن … فتن المجان فيــه وافتتن
هجر الإنجيل من حب الصبا … ورأى الدنيا متاعاً فركن

وكان لهذا القس قلاية فى ظاهر الكوفة ذكرها محمد بن عبد الرحمن الثروانى ، وطلب أن يكون ريحانه من قلاية هـذا القس قال :

خليلى من تيم وقيس هديتما
أضيفا بحث الكأس يومى إلى أمسى
وإن أنتما حييتمانى تحيــة … فلا تعدوا ريحان قلاية القس (٢)

وكانت هذه الأديار تقصد فى الليل والنهار ، ويقدم إليها أهل الطرب والمتعة من الأماكن البعيدة فى السفن والسميريات أو على الخيول . وهناك يختلطون بالرهبان والراهبات ، يشربون معهم ويتغزلون بهم ، وربما صرعوا الراهبات بالخمر ، فيبدلن الخفر

(١) مسالك الأبصار ص ٣١٢

(٢) شفاء الغليل ص ١٦٢ ومعجم البلدان ج ٧ ص ١٤٣

بالتهتك ، والحياء بكشف النحور والسيقان . وفى مثل هذا يقول جحظة البرمكي الذى لا يريد أن يبقى فى حانة واحدة يقضى فيها لذته بل يريد أن ينتقل من البردان إلى أوانا ثم إلى دير الملث . وهو لا يكفيه دن (١) من الخمور بل دنان . . ودنان . . قال :

أيها الحاذقان بالله جدا   وأصلحالى الشراع والسكانا(٢)
بلغانى — هديتما — البردانا   وأنزلا لى من الدنان دنانا
وإذا ما أقمت شهراً تماماً   فاقصدا بى إلى كروم أوانا
واحطظا لى الشراع بالدير بالملث   لعلى أعاشر الرهبانا
وظباء يتلون سفراً من الانـ   جيل با كرن سحرة قربانا
لابسات من المسوح ثياباً   جعل الله تحتها أغصانا
خفرات ، حتى إذادارت الـكأ   س كشفن النحوروالسيقانا(٣)

وقريب من هـذا قول أبى نواس وقد خرج إلى دير نهرازان(٤) فى بعض أعياده مع جماعة من عصابته ، لـكنه لم يصرع راهبة بل كان « يلهو » بظبى من ظباء الدير كان يدير عليهم الخمر — قال :

بدير نهرازان لى مجلس   وملعب وسط بساتينه
رحت إليـه ومعى فتيـة   نزوره يوم شعانينه
بكل طـلاب الهوى فاتك   قد آثر الدنيـا على دينـه
وجىء بالدن على مرفـع   وخاتم الملج على طيـــنه
وطاف بالـكأس لنا شادن   يدميه مس الـكف من لينه
فـلم يزل يسـق ونلهو به   ونأخـذ القصف بآيينه (٥)

وربما هاجت بهؤلاء المجان طربات ، وثارت بهم نزوات ، وهم ينزفون الدنان ، على غناء القيان ، وعزف الأوتار ، ونقر الدفوف ، وحث الـكئوس ... وربما ذكروا الصـلاة وهم فى حالهم هذه ، وقد فاتهم أوانها ، فيسرعون إليها متعثرين كأنهم يقلعون أرجلهم من طين . . وفى مثل هذه الصفة يقول إسماعيل ابن عمار الأسدى يذكر سكرة له بدير اللج مع صحب من عصابته ومعهم سعدة والزرقاء « سلامة » وربيحة ، وهن جوار مغنيات كن لابن رامين مولى عبد الملك بن بشر بن مروان وهى أبيات ظريفة منها :

ما انس سعدة والزرقاء يومهما   باللج ، شرقيه فوق الدكاكين
تغنيانا، كنفث السحر تودعه   منا قلوباً غدت طوع ابن رامين
نسقى شراباً كلون النار عتقه   يمسى الأصحاء منـه كالمجانين
إذا ذكرنا صلاة بعد مافرطت   قمنا إليها ، بلا عقل ولا دين
نمشى إليها بطاء ، لا حراك بنا   كأن أرجلنا يقلعن من طين
أو مشى عميان دير لادليل لهم   سوى العصى إلى عيد الشعانين
أهوى ربيحة إن الله فضلها   بحسنها ، وغناء ذى أفانين (١)

وربما سكر هؤلاء المجان مع قسيس الدير ، وقد شعطت يداه وأرعشه الإدمان ، فيبكى ويغنى ، ويشرب دمعه وخمره ، تمده أريحية مخمورة ، وعاطفة مسجورة ، وفى مثل هذه الحال يقول جحظة فى دير المذارى الذى فى سامراء ، وفيها أبيات وجيمة تنتفض ألماً ورقة ، قال :

ألاهل إلى دير المذارى ونظرة   إلى الخير من قبل الممات سبيل
وهل لى بحانات المطيرة سكرة   تملل نفسى ، والنسـيم عليل
إلى فتية ما شتت المذل شملهم   شـعارهم عند الصباح شمول
وقد نطق الناقوس بعد سكوته   وشمعل قسيس ، ولاح فتيل
يريد انتصاباً للقيام برغمه ،   ويرعشـه الادمان فهو يميل
يغنى وأسباب الصواب تمده   وليس له فيما يقول مثيـل :
(الأهل شم الخزامى ونظرة   إلى الخير من قبل المماتسبيل)
وثنى يغنى، وهو يلمس كأسه،   وأدمعه من وجنتيه تسـيل :
(سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتى   ويحدث بعــدى للخليل خليل)
سقى الله عمراً لم تكن فيه عُلقة   لهمّ ، ولم ينكر علىّ عذول(٢)

---

(١) الدن : الراقود العظيم يكون من الفخار أو الصلصال فى أسفله كهيئة قونس البيضة ، له عسعس ، لا يقعد إلا أن يحفر له فى الأرض . قال ابن دريد : الدن عربى صحيح . وأنشد « وصلى على دنها وارتسم » وقد نقله عنا الغربيون ببعض التحريف فقالوا « Tonne » ثم عاد المعاصرون منا فأخذوه من الغربيين فقالوا « طن » ، ويراد به برميل ضخم يسع من السوائل ألف كيلو غرام ، وكل ما يزن ألف كيلو غرام يسمى اليوم فى العراق « طن »

(٢) السكان مستعمل اليوم فى عامية أهل العراق بهذا المعنى ، وكل ما يوجه آلة يسمونه سكاناً .

(٣) الشابشتى ورقة ٤٣

(٤) لم أعثر على هذا الدير فى معجم ياقوت ولا الشابشتى ولا العمرى ولم أجد هذا الاسم إلا فى شعر أبى نواس ، ولعله من ديارات الشام .

(٥) ديوان أبى نواس ص ٣٤٧ والآيين فارسى معرب معناه المياسة والأسلوب .

---

(١) معجم ما استعجم ص ٦٤٩

(٢) معجم البلدان ج ٥ ص ١٥٧

وقد كان هؤلاء النصارى يتوسلون بكل ذريعة لاجتذاب المجان ، وأهل اللهو وعشاق الخمور ، وفى طليعة ما يتذرعون به تجويد الشراب واختيار السقاة والمغنين والمغنيات وتهيئة ما يلذ به الشارب والماجن من وسائل التلذذ والطرب ، وربما كانت ابنة القس تدير الكأس على أحلامها ، أو راهبة الدير تبيع لهم الخمور ، وما أطيب الكأس من كف خود رعبوب . . . قال شهاب الدين العمرى فى الدير الأبيض من أديرة مصر :

وكأس المدام علينا تطوف　　بحمراء صـافية كاللهب
يطوف بها من بنات القسو　　س باخلة الكف ليست تهب
مبتلة بين رهبـانها　　لألحاظها فى حشانا لهب
مسيحية طلعت فى المسو　　ح ، كصبح أطل وليل ذهب (١)

وربما جرت فى مجالس الخمرة أمور مما « يحسن » الظن عندها كما يقول ابن المعتز « فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر » ،وقد يبلغ الفسق منتهاه فى غالب الأحيان ، فلا رادع للقوم من دين ، ولا وازع لهم من أخلاق ، يحتسون الخمور على أصوات العود والناى ، وتبلغ الفوضى بهم غايتها ، فلا تجد إلا قبلاً وعناقاً ، وانسان سوء « خلف » انسان ... قال جحظة فى دير الزندورد (٢)

سقياً ورعياً لدير الزندورد وما　　يحوى ويجمع من راح وغزلان
دير تدور به الأقداح مترعة ،　　بكف ساق مريض الجفن وسنان
والعود يتبعه ناى يوافقه ،　　والشدو يحكمه غض من البان
والقوم فوضى ترى هذا يقبل ذا　　وذاك انسان سوء خلف انسان (٣)

وحدث أن مر الشاعر الكندى المنبجى بدير مار ماعوث فاستحسنه ورأى غلاماً فى رهبانه جميلا يلثغ بالسين يجمله ثاء

(١) مسالك الأبصار ص ٣٨٣

(٢) كان دير الزندورد بالجانب الشرقى من بغداد ، وكانت أرضه مزروعة بالفواكه والأترج والأعناب . أما موقعه بالنسبة لخطط بغداد اليوم فيقع فى محلة البتاوين والسعدون . وكان بستان الأرفلى ومدرسة الراهبات من ضمن أراضيه ، واليوم أصبحت محلة معمورة . وقرب تمثال عبدالمحسن السعدون كانت كنيسة للنصارى هدمتها أمانة العاصمة قبل عشرة أعوام تقريباً .

(٣) معجم البلدان ج ٥ ص ١٤٤

قال : « فشددت سميريتى إلى جانب الدير ، واشتريت شراباً من الرهبان ، وبت هناك منادماً لذلك الغلام . فلما أردت الرحيل أنشدته :

ومورد الوجنات من رهبانه　　هو بينهم كالظبى بين ليوث
ذى لثغة فتانة فيسمى الطا　　ووس حين يقول بالطاووث
حاولت منه قبلة فأجابنى :　　لا والمثيح وحرمة الناقوث
حتى إذا ما الراح سهل حثها　　منه العسيرَ بكأسه المحثوث
نلت الرضى وبلغت قاصية المنى　　منه برغم رقيبه الديوث (١)

وإذا أردنا استقصاء ما كان يدور فى الديارات من تهتك وتطرح ومجون لعز الطلب واحتاج ذلك إلى كتاب فى أجلاد

(بغداد)　　**شكرى محمود أحمد**
مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) مسالك الأبصار ص ٢٦٢ ومعجم البلدان ج ٥ ص ١٧٦

الخـــلان والزمان

بين أبي فراس والبارودي

للأستاذ محمد محمد الحوفي

— ٢ —

وبعد فلو أننا قدمنا ذلك الشعر باسم البارودي ، لم نتجن على الحقائق ، ولم نسيء إلى أحد الشاعرين : فإن هذه المعاني التي عرضناها لأبي فراس في موضوع الصداقة — هي بعينها المعاني التي قالها البارودي ، والتي سنعرض شيئاً منها كذلك .

كيف اتفق البارودي مع أبي فراس في الحكم على الناس ؟

وليس الجواب عن هذا السؤال عسيراً ، إذا عرفنا أن البارودي كان كأبي فراس — عبقرياً في الحرب وفي السياسة وفي الشعر . حارب غير مرة فظفر ، ولجيء إليه عند الأزمات السياسية فصفى الماء العكر ، وتعهد الشعر العربي فأجدّ بعد أن نخر .

والناس كما أسلفنا — في كل زمان يكيدون للنابغين كيداً ، ويتربصون بهم الدوائر حقداً ؛ والحق أن أبصر الناس بالناس هم العباقرة ؛ لأنهم هم الذين يتلقون حقدهم ، وتنكشف أمامهم خبايا نفوسهم .

فالبارودي إذ يتحدث عن الصحاب ، إنما يصدر عن تجربة .

ثم كان عصر البارودي مشجعاً بمحنه وفتنه على تمييز المخلص في صداقته من المخادع ؛ إذ كانت الفتن الداخلية السياسية على أشدها ، وكان المقربون من الخديو غرضاً يرميه الوشاة بخزعبلاتهم ، وكان بعض هؤلاء المقربين يشي ببعض ، فيتهم أحدهم الآخر بممالأة الشعب ، وتحريضه على الثورة ، أو حثه على إحراج الخديو ، وكان الإنجليز يتسقطون الأخبار ليعرفوا حركات الزعماء ونواياهم ، فكثرت الدسائس والوشايات واستطاع شانئو البارودي أن يدسوا عليه ، وأن يلقوا عليه مع سائر الزعماء تبعة الثورة العرابية .

ثم كان نفيه — كأسر أبي فراس — آخر محك للصداقة ، وأصدق معيار لمن يدعون الوفاء ، حيث تراجع عن صداقتهم المدعون ، وكشفت المحن ضمائر المستورين .

وليس يفوتنا هنا كذلك أن من أسباب كثرة الحساد للبارودي ، غلوه هو أيضاً في الفخر ، وشدة غروره بنفسه وبنسبه ، وقد كان في عصره كثيرون غيره ، يرون أنهم أعرق منه أصلا ، وأشرف محتدا ، فلابد أن يوغر صدورهم نخره .

وكما خبر أبو فراس الناس خبرهم البارودي حتى مله الاختبار ، فرأى مودتهم كذاباً ، وقلوبهم ليست مثل ألسنتهم ، فيئس من العثور على صديق صدوق !

ولقد بلوت الناس في أطوارهم ... وملت حتى ملّني الإبلاء
فإذا المودة خـــلة مكذوبة ... بين البرية والوفاء رياء
كيف الوثوق بذمة من صاحب ... وبكل قلب نقطة سوداء
لو كان في الدنيا وداد صادق ... ما حال بين الخلتين جفاء
فانفض يديك من الزمان وأهله ... فالسعي في طلب الصديق هباء

والناس أعداء في الغيب ، ولكنهم عند الحضور صحب :

أنا في زمان غادر ومعاشر ... يتلونون تلون الحـــرباء
أعداء غيب ليس يسلم صاحب ... منهم وإخوة محضر ورخاء
أقبح بهم قوما بلوت إخاءهم ... فبلوت أقبح ذمـــة وإخاء
وأشد ما يلقى الفتى في دهره ... فقد الكرام وصحبة اللؤماء

وهذه نصيحة يوجهها إليهم عن تجربة :

بـلوت سرائر الإخوان حتى ... رأيت عدو نفسي من حبيبي
فلا تأمن على سر صحابا ... فإنهم جـــواسيس العيوب

ويحرص البارودي على أن يعرفك أنه خبر الصحاب وجربهم ، فقلما يذكرهم إلا يذكر أنه ابتلاهم :

بلوت إخاء الناس دهراً فلم أجد ... أخا ثقة يرعى مغيبي كمحضري

ويقول :

بلوت بني الدنيا فلم أر صاحباً ... يدوم على ود بغير تـكلف

ويقول :

بلوت بني الدنيا فلم أر صادقاً ... فأين لعمري الأكرمون الأصادق

ويعتبر البارودي كذلك شرفاً له أن يحسد .

ليضن بي الحساد غيظاً فإنني	لآنافهم رغم وفي أكبادهم وقد
أنا القائل المحمود من غير سبة	ومن شيمة الفضل المداوة والضد
فقد يحسد المرء ابنه وهو نفسه	ورب سوار ضاق عن حمله العضد
فلازلت محسوداً على المجد والعلا	فليس بمحسود فتى وله ند

ونفسه تواقة إلى خل وفي يشكو له فيسمع ، ويحن إليه فينمو إحساسه ويترعرع .

فمن لي وروعات المنى طيف حالم	بذي خلة تزكو لديه الصنائع
أشاطره ودي وأفضي لسمعه	بسري وأمليه المنى وهو رابع

وما أشد حاجة الإنسان إلى خلّ رضي ، يعاشره على سجية :

متى يجد الإنسان خلا موافقاً	يخفف عنه كلفة التحفظ
فإني رأيت الناس بين مخادع	لإخوانه أو حاسد متغيظ

الدهر

قلنا إن والد أبي فراس خلفه في الثالثة ، فشب يتيما يرى كلا يفخر بأبيه وينال حنانه إلا نفسه . أين أبي ؟ولماذا قتل وحده في الحرب دون آباء هؤلاء اللدات ، ولم أعجلته المنية قبل أن أملى به عيني ، وألمس عطفه علي ؟ يا لك من دهر !!

وقلنا إن نفس أبي فراس كانت طموحاً عالية ، وإنه شمخ على أسرته وسائر الناس ، فكرهوا منه ذلك ، ولا سيما أنه ليس لديه من الأموال ما لدى غيره من الأمراء ، فانصرف عنه الناس إلى أقرانه من أسرته فأحس أن أخلاق الصحاب نفعية ، لا تصمد عند الشدائد ، وقوى هذا الإحساس حينما أسر فتفرق من حواليه مدعو صداقته ، وأمعن الحساد في شماتتهم به .

وما دام الدهر خلواً من الأخلاء والأوفياء ، مليئاً بكيد الحساد والشامتين ، فهو دهر ثقيل ، يلعنه صاحبه في كل مقال

ونقول هنا كذلك : إن أبا فراس نشأ فوجد ابن عمه سيف الدولة أمير حلب وهو فيها صاحب العز والغلب ، مهيب جانبه من الروم والعباسيين وسائر دويلات العرب . . . وأبناء العمومة في مرتبة واحدة يرى كل منهم نفسه نداً للآخرين ، له محامدهم ، وفيه أمجادهم .

ونظر أبو فراس إلى ابن عمه ، فرأى نفسه وإياه في مرتبة واحدة ، وقارن بين حاله وحال سيف الدولة فلمس فروقاً شاسعة: أمير مملك يحتفى به ويخشى منه ، وأمير يتيم فقير ، لا سلطان له على الناس حتى يرهبوه ولعل أبا فراس فكر في فضائل سيف الدولة ، وأسباب سيادته على قبيلته ، فوجد الفضائل عنده هو أتم ، وأن سيف الدولة فيه من المعايب ما ليس في نفسه .

ولعله كذلك ذكر أن أباه — وقد كان عم سيف الدولة — كان هو الأحق بالإمارة من ابن أخيه ، فتقاليد الحكم أن يلي الملك أكبر رجال الأسرة وأقربها إلى أصولها .

وما دام والد أبي فراس كان أحق من سيف الدولة ، وما دام أبو فراس يرى في نفسه المثل العليا للشجاعة والكرامة والمجد — فلابد أن يكون قد حدث نفسه بأن تئول إليه المملكة ، بعد وفاة سيف الدولة .

أقرر هذا معتمداً على شعر أبي فراس نفسه ، ومستعيناً بسياق الحوادث التاريخية وإن لم تصرح .

وما كان لإنسان عادي ، لا يترقب الملك أن يقول :

عليَّ طلاب العز من مستقره	ولا ذنب لي إن حاربتني المطالب

أيكون للعز مستقر — عند الأمراء — غير الملك ، وإذا لم يكن الملك فلمَ يقول : « ولا ذنب لي إن حاربتني المطالب » ، إنه يريد بمحاربة المطالب ، مقاومة الظروف وعجزه عن التربع على الإمارة في حلب ، ووقوف الحساد في سبيل غايته .

وما كان لغير طامع في الإمارة أن يقول :

يصان مهري لأمر لا أبوح به	والدرع والرمح والصمصامة الخذم
إني أبيت قليل النوم أرقني	قلب تكاثف فيه الهم والهمم

وأن يقول :

ولو نيلت الدنيا بفضل منحتها	فضائل تحويها وتبقى فضائل
ولكن دهراً دافعتني صروفه	كما دافع الدين الغريم الماطل

وأن يقول :

تطالبني بيض الصوارم والقنا	بما وعدت جدي في المخايل

* * *

على أن ما وقع من أبي فراس عقب موت سيف الدولة

يؤيد ما ذهبنا إليه من أن أبا فراس كان يحدث نفسه بالإمارة : فقد خرج الشاعر بحمص على أبى المعالى بن سيف الدولة ، وحاول أن يحل محله ؛ ولكن أبا المعالى وقرعويه هزماه ، ويقال إنه قتل فى هذه المعركة وبعد :

فليس بدعا من أبى فراس أن يردد الشكوى من الدهر ، ويحقد عليه فى كل قول ، بعد أن حاربه فى أبيه ، وفى أصدقائه ، وفى أمانيه

***

وليس الذى لفتنا فى شعر أبى فراس مجرد الحديث عن الدهر، ولكنه تكرار هذا الحديث حتى ليصح أن نسمى شعره كله بالشعر الدهرى ثم اتفاق كل هذه الأحاديث الدهرية على لعنة الدهر ، والثورة على صروفه وظروفه .

فترى أبا فراس يصور الدهر الدافع لطموحه مماطلا يدافع غريمه :

تطالبنى بيض الصوارم والقنا بما وعدت جدى فى المخايل
ولكن دهراً دافعتنى صروفه كما دافع الدين الغريم المماطل

ويقول لسيف الدولة أول أسره :

وما أنا إلا بين أمر وضده يجدد لى فى كل يوم مجدد
فن حسن صبر بالسلامة واعد ومن ريب دهر بالردى متوعد

ويذكر أن أصحابه يوم أسره ، كانوا قد أشاروا عليه بأن يحجم فرفض وأن الدهر هو المسئول عن إخفاقه فى هذا اليوم :

يقولون جاهد . عادة ما عرفتها شديد على الإنسان مالم يعود
فقلت : أما والله ما قال قائل شهدت له فى الخيل الأم مشهد
ولكن سألقاها فإما منية هى الظن أو بنيان عز مشيد
ولم أر أن الدهر من عدد العدا وأن المنايا السود يرمين عن يد

ثم يحاول أن يثبت أمام طعنات الزمان ، وأن تصدق فراسته فيه ، فيقول :

وقور وأهوال الزمان تنوشنى وللموت حولى جيئة وذهاب
وألحظ أهوال الزمان بمقلة
بها الصدق صدق والكذاب كذاب

ويقول :

ومن ورد المهالك لم ترعه رزايا الدهر فى أهل ومال

وقد حالفته صروف الدهر حتى توهمت نفسه أنه لا يعتد لها ، لأنه ألفها :

لا أقتنى لصروف دهرى عدة حتى كأن صروفه أحلافى

ويقول فى هذا المعنى أيضاً :

وخبرت هذا الدهر خبرة ناقد حتى أنست بخيره وبشره

ثم يشرك معه بنى حمدان فى عدم المبالاة بالدهر :

نظرنا إلى هذا الزمان بعينه فهان علينا ما يشت وينظم

ولكنه بعد هذا التجلد للدهر والاستهانة به . يكرر التظلم منه . فالشيب عنده أهون رزايا الدهر :

وقلت الشيب أيسر ما ألاقى من الدنيا وأيسر ما أدارى

وهو فى استعطاف سيف الدولة يعده جنة من ريب الدهر :

فقولا له يا صادق الود إننى جعلتك مما رابنى الدهر مفزعا

ويعجب أن ينكر عليه سيف الدولة شكوى الزمان :

أتنكر أنى شكوت الزمان وأنى عتبتك فيمن عتب

ويستعطف سيف الدولة بأن حوادث الأيام جرحت قلبه :

زمانى كله غضب وعتب وأنت علىّ والأيام إلب
فلا تحمل على قلب جريح به لحوادث الأيام ندب

ثم يشكو تعاون سيف الدولة مع الدهر على اضطهاده :

فيا حكمى المأمول جرت مع الهوى
ويا ثقتى المأمول جرت مع الدهر

ثم يستضعف أبو فراس نفسه - على غير عادته - ما لم يعاونه أصدقاؤه على صد هجمات الدهر ، ولذا يتغاضى عن ذنوبهم ، لكيلا يذروه وحده أمام الدهر :

واعلم إن فارقت خلا عرفته وحاولت خلا أننى غير واجد
وهل نافعى إن عضنى الدهر مفردا
إذا كان لى منهم قلوب الأباعد

(البقية فى العدد القادم) **محمد محمد الحوفى**

أدب العروبة فى الميزان

للأستاذ على متولى صلاح

— ٣ —

ليست علاقة الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة باشا بالأدب قريبة ولا واهية وإنما هى علاقة قديمة وثيقة انحدرت إليه من آبائه وأجداده الذين كانوا يحتفون بالأدب ويحتشدون لأهله ويبذلون لهم المكرمات والمروءات بذل السماح . ولعل من أطرف ما يروى فى هذا الصدد خبر الغرفة التى أقامها الأستاذ إبراهيم دسوق أباظة باشا فى بيته بقرية « غزالة » لحافظ أبراهيم يلم بها بين الحين والحين فيجد العيش اللين ، والرزق الوفير ، والحياة الرتيبة ، والتى أطلق عليها اسم « غرفة حافظ » وجعلها حراماً على سواه ، وما زالت مغلقة إلى الآن لا يغشاها إنسان ؟

ولعل بعض القراء ما زال يذكر المقالات الطويلة والفصول الضافية التى كان يدبجها معالى الأستاذ فى جريدة « السياسة الأسبوعية » فى صدر حياتها وفى « السياسة اليومية » فى أول نشأتها بقلم يشهد له بالبلاغة والبيان ، وأنا أعلم أن شوقى كان يسعى إليه جاهداً بكل رواية من رواياته الأخيرة ويأبى إلا أن يهدى إليه أول نسخة تخرجها المطبعة ! ولعل الكثير من القراء لا يعرف أنه شاعر تلين له القوافى لأنه لم يجتمع له ديوان منشور ، ولأن أغلب شعره إما أن يكون معارضة لطيفة ، أو نكتة طريفة أو جواباً عن سؤال ، أو تزجية بشرى ، أو إرسال تهنئة ، وما إلى ذلك من مختصر القول ومقتضب الكلام ، وأنا أسوق إلى القراء نموذجاً واحداً منه يدلهم على مبلغ أصالته فى الشعر وعراقته فيه قاله فى تهنئة صديقنا الشاعر طاهر أبو فاشا على زواجه منذ أعوام قريبة فى قصيدة طويلة منها :

بنيت بالأمس سراً   شحاً وبخلا وغدراً
هلا دعوت ضيوفاً   لا يسألونك كثرا
غر ميامين جاءوا   دمياط براً وبحراً(١)
إن شئت قدمت فولا   جرى بدمياط ذكرا
« التابعى » (٢) طهاه   فكان فى الصحن تبراً !

(٣) كان معاليه يومئذ يصطاف برأس البر ..
(٢) بائع فول شهير بدمياط

إلى أن قال فى ختامها : —

دفعت بالله مهراً   أم كان شعرك مهراً ؟
أعطاك ربك ألفاً   من البنين وعشراً
وصاغ منك ومنها   صنوين : شمساً وبدراً

فكان أمراً طبيعياً أن ينعقد له لواء رياسة جماعة أدبية كل وكدها خدمة الأدب والأدباء « وبعث مجد الضاد وآدابها » كما يقول ، « وإحياء التراث الإسلامىّ والمفاخر العربية » كما يقول سكرتير الجماعة .

والمتأمل فى منهاج هذه الجماعة وهو منهاج حافل حاشد كما صوره رئيسها وبعض رجالها يجد أن الجامعة لم تحقق أو لم تكد تحقق منه شيئاً ! فمن منهاجها « أن تحيى التراث الإسلامى » وهى لم تصنع فى ذلك شيئاً .

ومن منهاجها « تزويد المكتبة العربية بزاد متصل من الآراء الحرة الكريمة » وهى لم تزود المكتبة العربية بعد إلا بكتابها هذا الذى نحن بصدد الحديث عنه .

ومن منهاجها « النهوض بالفكر الإسلامى والبيان العربى » وهى لم تنهض بشىء من ذلك إلا طيفاً لا يكاد يرى !

ومن منهاجها « تقوية الصلات الفكرية والروحية والثقافية بين مصر والبلاد العربية » وهى لم تصنع فى هذا الصدد شيئاً أصلا..

ومن منهاجها « أن تشعل فى الشعب روح النضال والانتصار وأن توحد له الأهداف والأغراض وأن تفسح له آفاق الحياة وأحلام المجد » ونحن نعرف أن ذلك لا يكون إلا بالأناشيد التى تبعث فى الشعب الحياة والطموح والعزة ، وبالروايات التى تعيد إليه سابق مجده ، وماضى تاريخه ، وتستنفره للجهاد فى سبيل استرجاعه وإعادته ، وبقصص البطولة والتضحية — والتاريخ المصرى ملىء بحوادثهما — تذكى فيه العزائم الواهية ، وتحيى منه موات الهمم . وما نرى جامعة أدباء العروبة فعلت من ذلك شيئاً

ولكن عذرها فى ذلك أنها لم يكد ينقضى على إنشائها إلا عام وهو — عندنا — عذر يشفع لها بذلك ، ولكننا ننبهها إلى ما أخذت به نفسها ، وما عاهدت الله والناس عليه وإنا لمنتظرون على أننا نزيد على أن تضيف إلى منهاجها هذا أموراً هى عسية أن تحلها الصدر من منهاجها إن هى كانت جادةً فى السعى لرفع

شأن الأدب والأدباء ، فعليها أن تمين رقيق الحال من الأدباء وتمدهم بما يمكّنهم من طبع نتاجهم ونشره بين الناس ، وعليها أن تحيى الكنوز الدارسة من كتب الأدب العربى القديم وتعنى بتصحيحها وتنقيحها وإخراجها فى ثوب قشيب فذلك أجدى عليها وعلى الأدب من ألف مهرجان ومهرجان . وعليها أن تعمد إلى أمهات الكتب الأجنبية — وبخاصة القصص الرفيعة — فتترجمها إلى اللغة العربية فتزيدها ثروة وذخيرة . وعليها أن تسعى جاهدة لدى الحكومة لتقرّر ما ينتجه كرام الأدباء فى مكتباتها وفى مدارسها فينتفع الأدباء وينفعون ، أما أن يكون كل عملها الطواف هنا وهناك وإلقاء كلمات مبتسرة ينشئها بعض أصحابها وهم فى القطار ثم تجمع ذلك فى كتاب تذيعه على الناس دليلا على وجودها وسجلا لمجهودها فذلك عمل ضحْل قليل الغناء ...

وكتاب « أدب العروبة » الذى نحن بصدد الحديث عنه كله — إلا القليل — من عمل أعضاء جامعة « أدباء العروبة » والمتأمل فيهم لا يجد بينهم واحداً من شيوخ الأدب وسدنته القدامى ، وكلهم لم يجاوز بعدُ مرحلة الشباب إلا الصديق الدكتور إبراهيم ناجى والصديق الأستاذ محمد مصطفى حمام فقد أوشكا أن يجاوزاها !

ويتألف الكتاب من الكلمات والقصائد التى ألقيت فى سبعة مهرجانات أقامتها الجامعة فى القاهرة وبعض المدن لمناسبات متفرقة أو للتنويه بشأنها والتذكير بوجودها ، ويفتتح الأستاذ الرئيس كل مهرجان بكلمة منه مختصرة تشرح أغراض الجامعة وتنبه إلى رسالتها وأهدافها ، وتمهد القول لمن يلونه من الخطباء والشعراء ... ويجد القارىء فى الكتاب للأستاذ الدكتور محمد وصفى نائب الرئيس سبع كلمات لكل مهرجان كلمة ، وفى كلام الرجل لازمة خاصة يتميز بها ، فهو يجنح جنوحاً قوياً شديداً تدفعه إليه طبيعته الخاصة حتى لايملك عنه منصرفاً إلى الاستشهاد الدائم بالقرآن الكريم وبالحديث الشريف ، وهذا حسن فى ذاته ولكنه هو كل ما يصنع ! فهو يعمد إلى الآيات الكريمة التى تتصل بسبب قوى أو ضعيف إلى المناسبة القائمة ، ويجدّ فى البحث والتنقيب عنها ، ثم يشرح معانيها التى احتوت عليها جميعاً ويسوقها معنىً معنىً حتى إذا استوفاها جميعاً ذكر نص الآية حتى ليخيل للقارىء أنه أتى بالآية استشهاداً لما قدّم من المعانى ومطابقة له والحقيقة أنه اهتدى إلى الآيات أولا وأعدها للقول وأخذ فى تفسيرها مقدماً حتى إذا أتمّه جاء بالنص !

ولو أننا أخرجنا من كلامه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ما بقى بعد ذلك شىء ؟ فليس له وراء ذلك إنشاء أو ابتداع أو كتابة فهو إلى المفسرين أقرب منه إلى الأدباء ..

وعجيب أن يقول الأستاذ طه عبد الباقى سرور سكرتير الجماعة فى الكتاب ثمانى كلمات ليست بالقصيرة ثم إنك لا تكاد تجد بينها فرقاً يحس أو اختلافاً يشعر به ، فالكلمات متشابهة متماثلة حتى لو أنك وضعت أى واحدة منها تحت أى عنوان منها ما أحسست نبواً ولا قلقاً ولا انحرافاً ! وكلامه — فى عمومه — كلام عام لاخاصة له وأكاد أقول لامعنى له ، فهو يسوق الكلام يجر بعضه بعضاً دون حساب ولا تمهل ولا أناة فيقول فيما أسماه « فلسفة الربيع » « والربيع عصر المودة والسلام والإخاء إذا انطبعت روح الإنسان بتلك المعانى . وعهد حروب ودمار وخصومة وبغضاء إذا ثار فى الإنسان جانب من جوانب الإلتواء » فأى كلام هذا ؟ وأى شىء فيه يجده القارىء ؟ وما علاقته بفلسفة الربيع هذه ؟؟ وهو يقول كذلك إن الإنسان « إن شاء أحال الوجود نعيما وهناء وسلاماً وإن أراد كان الوجود جحيما ورعداً وحرباً » وذلك كلام معاد قريب أين هو من الربيع وفلسفته ؟ وهو يقول مخاطباً القمر معدداً محاسنه « قد تمنى اسمك بنات حواء » وذلك إلى كلام العامة أقرب ، ويقول عنه إنه « يمين أقسم به الدّيان » ونسى أن الديان أقسم أيضاً بالتين والزيتون ؟ ولكنه السجع الذى يريد التزامه فتنبهر أنفاسه وتخرج سجعاته قلقة نابية غير مستقرة .

وكلمات الأستاذ ملأى بالأخطاء اللغوية التى كنا نود لو تنزّه عنها سكرتير جماعة أدبية نريد لها النهوض والسير الحثيث والتقدم المطرد ، فهو يقول مقدماً الكتاب « هذا بعض تراثنا فى عام » والتراث ليس نتاج الأحياء إنما هو ما خلف الأموات . ويقول عن الإنسان أن فيه معجزة كبرى « أودعها الله فى روحه » والصواب أن يقول « أودعها الله روحه » . ويقول عن مهرجان القمر إنه « مهرجان النور والضياء » والله يقول « وجعلنا الشمس ضياء والقمر نوراً » . ويقول مخاطباً الإنسان « فانعم

نشوة الخيام

للأستاذ حسن البحيرى

أدنِ منى ثغرك العذب وقبلنى ودعنى
أشرب النشوة من كأسى : رجاء ... وتمن
فعسى بعد جراحات صـبابانى وحزنى
أن يعيد الوصل أفراح ربيعى فأغنى

ضمنى وارو غليلى يا حبيبى من لماكا
اسنى لم يبق لى فى كرَب العيش سواكا
شفنى وجدى ... ودائى ... ودوائى فى هواكا
آه من نار بجنبىَّ وريتهـا مقلتاكا

هات من جام الصبا بين عمار(١) ورفيف(٢)
خمرة تذهل روحينا عن العيش الزفيف(٣)
قبلما تعصف بالعمر أعاصير الخريف
فنروى زمن الأحلام بالدمع الذريف

عمرنا طيف تهادى من زوال لزوال
وليالينا ظلال تتراءى فى ظـلال
وأمانينا خيـال حاكه وهم خيال
ومجالى عيشنا فى الدهر حال بعـد حال

فارتشف راح الهوى من كأس حي واسعد
لا تقل : لذة يومى أجتليها فى غدى
كم هفت فى العمر لذات وضاعت من يدى
هى بانت وأساها ظل فى قلبى الصدى

يا حبيبى أنا ضيعت ليـالى الخوالى
فى دجى شكى وأطياف ظنونى وخيـالى
حلم فى سانح الأوهام بالصـفو بدا لى
ذبلت زهرة أيامى وحالى فيه حالى

لمحات من سنى ثغر أمانى الكذاب
ضيعت عمرى فى الوهم وأودت بشـبابى
فأنا فى بحرها اللجى .وصـول المذاب
لم أنل إلا الصدى منها وبراق السراب

ما كفانى أنها ضاعت ليـالى سدى
بين أسداف وأوهام ضـلال وهدى
ما الذى نلت — على الأيام — من دهر عدا ؟
غير برق فى أضاليل أمانى بدا ؟

(١) الريحان . (٢) السوسن . (٣) السريع .

ولا تشق » والصواب أن يقول « فانعم ولا تشق » بحذف الياء وليس هذا تطبيعاً لأن السجعة التى تليها « وسبّـحْ بحمد ربك الأعلى » فيوقعه السجع فى هذا الخطأ غير المقبول . ويقول فى وحي الهجرة « إننا فى مطلع عهد جديد وسعيد يهاجر فيه العالم الإسلامى للمرة الثانية إلى حياة الحرية والعزة والقوة ومن نذره وبوادره هذا المهرجان » والنذر — وهى لغة الإنذار والإبلاغ — لا تكون إلا فى التخويف ومنه قوله تعالى « فكيف كان عذابى ونذر ؟ » ويقول « ولقد كانت القبائل العربية قديماً تتناظر وتتبارز بالبيان واللسان » والمبارزة لا تكون إلا فى الحرب . ويقول متمماً هذا الكلام « فإذا غلب شاعر قبيلة شاعر القبيلة الثانية » والأولى أن يقول « فإذا غلب شاعر قبيلة شاعر القبيلة الأخرى » حيث لا ثالثة لهما . ويقول فى عيد الفاروق « فى مثل هذا الشهر من العام الماضى احتفل أدباء العروبة بعيد الربيع » . والصواب أن يقول فى مثل هذا الشهر من السنة الماضية ، فالفرق بين العام والسنة لا يخفى على أديب .

كثير جداً أن تحتوى كلمات سكرتير جماعة أدبية على أمثال هذا الخطأ ، وأنا أرجو جاهداً من معالى الأستاذ الرئيس أن يراجع هذه الكلمات قبل نشرها وإذاعتها على الناس — وهو الأديب العالم المدقّـق الذى لا يجوز عليه هذا الخطأ — حفاظاً على قدر هذ الجماعة وسمعتها بين الناس ؛ وصيانةً لعرضها أن يثلمه إنسان فشمر الفتى عرضه الثانى كما يقول إسماعيل صبرى

(المنصورة) على متولى صلاح

فأدر كأس شمول الصـــفو فالصفو يدال
والليالى لم يدم فيها لذى وصل وصال
كم أتاها قبلنا أنضاء أوهام وزالوا
لا همو داموا ... ولا بعض رجاء العمر نالوا !

صب من خمر ثناياك سلافاً وحـــبابا
وأذب لذة روحينا بكأسينا شرابا
واسقنى واشرب على شدو المنى تبراً مذابا
حسبنا ما ضاع من ماضى ليالينا تبـــابا

كم حبيبين أضاءا الروض فى حضن التصابى
بشباب حرك الطير إلى نجوى الشـــباب
فانتشى الزهر ... وهام النهر رقاص العباب
وهفا الغصن على مضجع أحلام عذاب

ثم غابا كنجوم الصبح من أفق الوجود
ما درينا أين قرا من دنى النأى البعيد
ذهبا فى غمرة الأيام كاللحن الشرود
أو كما تذهب فى الإعصار أنفاس الورود

شعلة النبراس فى حلكة آلام الحياة
تلتظى بين أعاصير الشجون العاصـــفات
يتلالا نورها لمحاً بدنيـــا التائبات
ثم تلقيه يد العُدم بوادى الذكريات !

يا حزيناً عاش من دنيـــاه فى بحر الدموع
تائهاً بين أواذى هـــلوع وولوع
حائراً فى غلس اليـــأس بخفاق وجيع
ضل عن شاطئه فى زورق الوجد المروع

كفكف الدمع على مافات من بيض الأمانى
وادفن الأنة فى النشوة واصدح بالأغانى
واغتنم ما غفلت عن صفوه عين الزمان
لا تصوح فى بوادى الوجد أزهار التدانى

حسبنا أن صبانا والهوى يملك يدينا
ما علينا لو نهبنا العمر سكراً ؟ ما علينا ؟
هاتها حتى يوافينا الردى فى سكرتينا
قبلما تذوى أزاهير الصبا من جنتينا

من رأى ماذا وراء الغد فى لوح الغيوب ؟
أو درى ما خطت الأقدار فى سفر الخطوب ؟
كلنا نخبط فى تيه من الشك المريب
خبط غشواء ضلول ... فى دجى قفر جديب !

لا يرد الشجو من أعمارنا ما ذهبا
لا ! ولا يمحو الأسى من غيبنا ما كتبا
فانس ما ولى ... ودع للغيب ما قد حجبا
واحسها صرفاً ... وأغرق فى طلاها النصبا !

(حيفا) **حسن البحيرى**

تعقيبات

فارس الخورى الشاعر :

استفاض الحديث فى مصر وفى الشرق العربى ، بل فى العالم أجمع عن فارس الخورى ممثل سورية فى مجلس الأمن ورئيس المجلس فى دورته الحالية ، واستفاض الثناء عاطراً فى جميع الدوائر على ما أبدى فى هذه الرياسة من أصالة وكياسة ، وشهدت البرقيات التى أذيعت فى العالم بأنه « خير من رأس المجلس إلى الآن ، وأنه يدير دفة الاجتماعات بدقة فائقة تتلخص فى التقليل من الكلام والإكثار من العمل وحسم الأمور حتى استطاع أن يعمل فى ثلاثة أسابيع ما لم يستطعه أحد من رؤساء المجلس السابقين .. » .

وفارس الخورى — بارك الله فى حياته — فى الثامنة والستين من عمره الآن ، وهو من الرعيل الأول من رجال الوطنية فى سورية . وكان محامياً فى دمشق ، وكان أستاذاً فى كلية الحقوق ، وكان وزيراً مراراً ، ورئيس وزارة ، ورئيس المجلس النيابى ، ولكن قلَّ من أبناء هذا الجيل من يدرى أن هذا السياسى المحنك كان فى مطلع حياته من الشعراء النابغين والكتاب البرزين ، وأنه فى مطلع هذا القرن ، أى منذ أربعين عاماً ، كان يملأ صحف مصر وسورية بمنظوماته وكتاباته ، وإنى لأذكر له من ذلك تخميساً لنونية ابن زيدون المشهورة نظمه فى سنة ١٩٠٦ وفيه يقول :

الطيف فى النوم يرضينا إذا عبرا
إن عزت العين صرنا نطلب الأثرا
لا تعجبوا إن صبرنا نحمل القدرا
إنا قرأنا الأسى يوم النوى سورا
مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا

نرضى الهوان بديل العز أكله ... والجسم ينحل سقما من تحمله
ونرتضى وشلا عن فيض جدوله ... أما هواك فلم نعدل بمنهله
شرباً وإن كان يروينا فيظمينا

أعرضت عنا وأعرضنا على وصب ... نكتم الناس ما فى القلب من لهب
فما اتخذنا تجافينا بلا سبب ... ولا اختياراً تجنبناك عن كثب
لكن عدتنا على كره عوادينا

ضاقت على رحبها الدنيا فلا سمة ... تحوى فؤاداً وأحشاءاً مقطعة
نأسى إذا الشمس جازتنا مودعة ... نأسى عليك إذا حثت مشعشعة
فينا الشمول وغنانا فغنينا

لاشىء يسكن شيئاً من بلابلنا ... ولا نرجى عزاء من وسائلنا
ظعائن الأنس شالت عن منازلنا
لا أكؤس الراح تبدى من شمائلنا
سيما ارتياح ولا الأوتار تسلينا

وفى سنة ٥-١٩٠ قامت الحرب بين روسيا واليابان ، وحدث فيها ما حدث من الوقائع والفظائع ، ومنيت فيها روسيا بهزيمة منكرة لم تكن فى الحسبان ، فاتخذ فارس الخورى من مشاهد تلك الحرب الضروس موضوعاً لملحمة شعرية تتألف من أربع قصائد ألم فيها بالأسباب التى دعت إلى إشهار تلك الحرب وذكر المعارك والمواقع البحرية والبرية التى جرت بين الصفر والبيض ، وفتح للانفعالات النفسانية والتخيلات الشعرية مجالا رحباً فى الوصف حتى جاءت تلك الملحمة مزيجاً من التقرير التاريخى والخيال الشعرى ، ولما كان ولى عهد روسيا يومذاك قد ولد أثناء تلك الحرب فقد ختم ملحمته متوجهاً إليه بهذه الأبيات :

ها أنت تنمو فى رعاية والد ... حان يذود السوء عنك ويطرد
والبعض من أبناء جيلك لا أب ... يحنو عليهم إن بكوا وتنهدوا
آباؤهم سقطوا بساحات الوغى ... ليوسعوا لك دولة ويمهدوا
فإذا نموا وملكت فارفق ذاكراً ... حق الذين على ولاك استشهدوا
وعساك تنشأ عادلا لا تدعى ... أن الجميع لأجل عرشك أوجدوا
فالملك جسم والعدالة درعه ... درع بمحبوك الحديد مسرد
والملك بستان أعز سياجه ... عدل به ريح المخاوف تركد
يتوقع الإصلاح منك وليتنا ... نحيا لنعرف ما يجىء به الغد

ولقد تمت الأمنية للشاعر ، فعاش — بارك الله فى حياته — حتى رأى ما جاء به الغد ، وعلم ما كان من مصير القيصر وولى العهد ، فتغيرت الدنيا وتبدلت الأوضاع ، فقامت دولة مكان دولة وظهرت شريعة على أنقاض شريعة ، ولكن غريزة الوحش فى الإنسان لم تتغير ، فما زال يستعمل نابه وظفره فى قتل أخيه

الإنسان ، وماذا كانت تلك الحرب « الروسية اليابانية » أيها الشاعر إلى جانب ما شاهدت ورأيت بعد ذلك من أهوال حربين عالميتين لا تزال آثارها ماثلة للعيان ، أنت اليوم أيها الشاعر رئيس لمجلس الأمن ، فقل لأندادك في ذلك المجلس من ممثلي الدول : أحقاً أنتم أيها الإخوان حراس الأمن ، أم مبررون للظلم وأن الحقيقة المرة هي كما يقول شوقي :

وعصر بنوه في السلاح وحرصه على السلم يجرى ذكرها ويدير
ومن عجب في ظلها وهو وارف يصادف شعباً آمناً فيغير
ويأخذ من قوت الفقير وكسبه ويودى جيوشاً كالحصى وبمير

شيوخ وشباب ...

قال لى الأستاذ العقاد : « إننى لا أفهم معنى لهذا الكلام الذى يقال عن الأدباء الشيوخ والأدباء الشبان ، وإنى لأعجب لفئة من الشبان يتهمون الأدباء الشيوخ بأنهم يظلمونهم ويسدون أمامهم باب الشهرة والظهور ، ويصورون المسألة على أنها حزازة بين الفريقين ، وعداوة بين الطائفتين ، إلى آخر ذلك الكلام الذى يثار ويقال ، والواقع أنه ليس هناك أدب شيوخ وأدب شبان ، وإنما هناك أدب قوة وأدب ضعف ، فالقوة هي عامل الظهور والشهرة ، وضمان البقاء والخلود ، ولن يتأتى هذا إلا بالدراسة والاطلاع وبذل الجهد فى ذلك إلى آخر ما تحتمله الطاقة ، ولكن إخواننا الشبان يحسبون أن من الكفاية فى إدراك هذا قراءة كتاب أو كتابة مقالة فى صحيفة ، وهذا هراء فى التفكير ، وهراء فى التقدير .. » .

« لقد كنا شباناً ، فما وجدنا من أخذ بأيدينا ، أو أفسح لنا الطريق ، ولكننا صعدنا وشققنا طريقنا بدافع القوة والجهد ، ولا زلنا إلى اليوم على هذا ، فأدباء الشيوخ أشد شغفاً بالقراءة والدراسة وبذل الجهد ، وهم يسيطرون على الحياة الأدبية لأنهم يواجهون الحياة الأدبية بما تستحق من حشد القوة وطول الصبر وخير للأدباء الشبان أن يدركوا هذا ، وأن ينصرفوا إلى تقويم شخصياتهم ، وأن يدخروا لأنفسهم قوة من المحصول الثقافى يمكنهم أن ينالوا بها الشهرة التى يريدون .. » .

وإنى — وأنا من فريق الشبان — لأوافق الأستاذ الكبير على ما قال ، فالقوة هى ضمان الشهرة والبقاء ، فإذا ملكها الشبان فلن يكون الشيوخ عائقاً أمامهم ، ولكن يظهر أن إخواننا الشبان لا يدركون المسألة على حقيقتها ، ولا يحبون أن يدركوها على حقيقتها ، ويحسبون أن فى استطاعتهم الصعود إلى القمة بخطوة قدم ، ويحسبون أن هؤلاء الشيوخ قد بلغوا ما بلغوا من المجد والشهرة بمثل هذه الخطوة ! !

كلا أيها الإخوان ...

لقد حدثنى الأستاذ المازنى قال : لقد قرأت كتاب الأغانى فى مطلع حياتى ، وقد عمدت إلى فك أجزائه إلى ملازم ليسهل علىّ حملها أينما سرت ، وقد عنيت أثناء القراءة بتصحيحه وإكمال القصائد التى فيه ، ونسبة الأبيات المجهولة إلى قائليها والاستدراك على تراجم الشعراء ، وكنت أكتب هذا كله فى ورق أبيض وألحقه بالمطبوع ، ثم جلدت الكتاب فكان فى ضعف حجمه ، وكانت هذه النسخة عزيزة على نفسى ، ولكنى فقدتها فى محنة من محن الدهر ، فأورثتنى حسرة لا تزال عالقة بقلبى إلى اليوم .

حدثنى الأستاذ المازنى بهذا الذى صنعه فى مطلع شبابه ، وكنت منذ أيام أتحدث إلى أحد الشبان الأدباء عن كتاب الأغانى هذا فشمخ على قائلا إن من العبث ضياع الوقت فى كتاب الأغانى وغيره من تلك الكتب القديمة البالية التى أصبحت لا تجدى ...

مرة أخرى أقول لكم : كلا أيها الإخوان ، إن الأمر أشق مما تقدرون ، فاصرفوا هذا التمرد إلى ما يجدى من الجهد النافع .

سؤال :

فى العدد السابق من الرسالة قرأت فى مطلع المقال الخامس من تلك السلسلة التى يدبج حلقاتها الأستاذ على الطنطاوى بعنوان « على ثلوج حزرين » ما يلى :

« أقامت ليلى فى دار أسعد شهرين محمولة على الأكف ، مفداة بالأرواح ، قد هيئت لها كل أسباب الرفاهية ، وأحيطت بكل مظاهر الترف ، وسيق لإسعادها كل ماوصلت إليه الحضارة وأبدعه العقل ، فلا ترى إلا جميلا ، ولا تشم إلا طيباً ، ولا تسمع

الأدب والفن في أسبوع

أدب الأعداء :

لقد بلغت قضيتنا الوطنية مرحلة دقيقة خطيرة ، وأنا أكتب هذا يوم الثلاثاء الذي حدد لاستئناف النظر والمناقشة فيها ، وقد ظهر من اتجاهات مندوبي بعض الدول في الجلسات الماضية أن الأمر لايجري على مقتضى الحق والعدل ، وأن مدّ الدعاية وأمواج الحجج تتناثر عند صخور مجلس الأمن التي تمثل الأغراض الاستعمارية وما يتصل بها من المصالح المشتبكة .

وقد أدركنا أن أكبر جهادنا هو العمل داخل بلادنا ، فدعا بعض الزعماء وقادة الرأي إلى عدم التعاون مع أعدائنا ومن يعاونهم ، وتوثيق العلاقات مع الذين يناصروننا ، وقد شعر الجميع بالارتياح لما فعلته الحكومة إذ منحت بولندا مهلة ستة أشهر بعد الميعاد المحدد لدفع ثمن الأقطان المبيعة لها من مصر . وجاء في بيان لحافظ رمضان باشا بالأهرام إلى أبناء وادي النيل : « أريد أيها المواطنون الأعزاء أن نجابه الحقيقة وننظر إلى مصلحتنا دون أي اعتبار آخر وألا نمد أيدينا ولا نتعاون إلا مع الدول التي تناصرنا في قضيتنا أمام مجلس الأمن » وجاء في حديث له بأخبار اليوم : « ونحطم (قوقعة) الخوف التي وضعتنا فيها سياسة بريطانيا فننشىء علاقات وثيقة ثقافية وسياسية بكل الدول التي أعانتنا في مجلس الأمن ، فنوفد إليها كتابنا ، ونشجع شبابنا الذين يطلبون العلم فيها » .

ومن التصرفات الموفقة في هذا الصدد ما صنعه الأستاذ علي الغاياتي إذ رد الوسام البلجيكي الذي كان يحمله إلى وزير بلجيكا المفوض في مصر ، على أثر موقف التحيز الذي وقفه الممثل البلجيكي مع أمثاله في مجلس الأمن ضد القضية المصرية .

أريد أن أخلص من هذا كله إلى أمر يدخل في هذا الباب الأدبي ، أريد في هذا الظرف الحرج أن نقطع علاقاتنا الأدبية والثقافية بالإنجليز ومن يساعدهم ضدنا في مجلس الأمن وفي غيره وننشئ هذه العلاقات أو ننميها مع الدول التي تناصرنا .

حذار أن تقول ماشأن الثقافة والأدب بالخصومات السياسية والنازعات الوطنية ، فنحن الآن في انفعال شديد وثورة عنيفة لحريتنا وكرامتنا ولا نستطيع أن نسمع هذا الكلام ، وقد ورد في الأنباء الأخيرة أن صحفاً في لندن وباريس توجه حملة من السباب والشتائم إلى المستشرقين البريطانيين والفرنسيين لمقالات نشرتها لبعضهم بعض الصحف العلمية والأدبية يشيرون فيها بوجوب اتباع سياسة أميل إلى التسامح مع الأمم العربية ، ونحن في موقف المدافع عن حريته وكرامته ، فأحرى بنا أن نضحي حتى بالفائدة الفكرية التي تتوقع من استمرار اهتمامنا بآداب أعدائنا

أحدد ما أرمي إليه بألا تنشر الصحف والمجلات في هذه الآونة ، آونة جهادنا الحاضر ، مترجمات ولا دراسات ولا أي شيء آخر من آداب تلك الأمم . وأنا لا أنكر فائدتها وروعة كثير منها . ولكن يجب أن ننظر إلى الحقائق الآتية :

١ — الأدب الحر لا يتفق مع إهدار الحرية والكرامة ولا يجوز أن نرضع أدبنا من أثداء الذين يتعاونون على محاولة قتل حريتنا وكرامتنا ، ويجب أن نشعرهم بتقلص قيمتهم الأدبية عندنا نتيجة سوء سياستهم معنا .

٢ — البلاد في حاجة إلى أقلام الذين يبذلون أكبر جهودهم في تلك الآداب ، ليكتبوا في مسائلها ومشاكلها بعد أن يعودوا إليها بأفكارهم وعواطفهم ، وتكون هذه فرصة حسنة للشعور

إلا ساراً ، ولا تأكل إلا لذيذاً ، ولكنها لم تكن سعيدة ، ولم تر حسن ما هي فيه ، لأنها افتقدت النور الذي ترى به جمال الدنيا حين افتقدت الحبيب » .

وأنا أحب أن أسأل الصديق الفاضل : مادامت ليلى في هذه الحالة النفسية « لم تر حسن ماهي فيه » إذن كيف كانت « لاترى إلا جميلا ، ولا تشم إلا طيباً ، ولا تسمع إلا ساراً ، ولا تأكل إلا لذيذاً » ؟ .

هذا السؤال الذي بدا لي ، وإني لفي انتظار الرد من الصديق الكريم .

« الجاحظ »

بذاتيتنا ، والتأمل فى أنفسنا ، والعيش فى محيطنا وتركيز أدبنا الذاتى وتنميته وتوفيره .

٣ – يجب أن يكون العمل الوطنى السلبي شاملا لجميع النواحى ، فلا يتخلف فيه الأدب . وفى ذلك تقوية للروح الوطنية وإشراع لشعور العزة والكرامة .

مناهج اللغة العربية :

كانت وزارة المعارف قد ألفت لجنة لدراسة وسائل النهوض باللغة العربية والعمل على توحيدها فى مصر والأقطار الشقيقة . وقد انتهت هذه اللجنة من مهمتها ووضعت تقريراً سيكون موضع نظر المؤتمر الثقافى الذى سيعقد بلبنان فى اليوم التالى لصدور هذا العدد من الرسالة

وقد بين ذلك التقرير أهداف تعليم اللغة العربية فيما يلى :

(١) أن نجعل الطلاب قادرين على القراءة الصحيحة فى سهولة ويسر وأن يفهموا ما اشتملت عليه الكتب من أفكار ومعان

(٢) تمكينهم من التعبير عما يجول فى نفوسهم ويقع تحت حواسهم بعبارة عربية صحيحة

(٣) أن تكون دراسة العربية وسيلة صحيحة للثقافة وتوسيع المدارك وتنمية الذوق السليم وتزويد الطالب من المعلومات القيمة لا أن تكون محض دراسة لألفاظ وتراكيب ومفردات عمادها الزينة والزخرف الشكلى

(٤) أن يتصل الطلاب اتصالا وثيقاً بالحياة الأدبية والعلمية المحيطة بهم وأن يسايروا النهوض الأدبى الحديث

(٥) أن تكون الدراسة مثيرة لروح الشوق إلى القراءة والاستزادة من الثقافة والوقوف على ماجاء به الكتاب والمفكرون فى العصور المختلفة

ويقول التقرير « إن مناهج قواعد النحو والصرف والبلاغة أكثر مما يحتاج إليه الطلبة ولا تلائم استعدادهم ولا تنهض بلغتهم وإنه لو اكتفى من القواعد بما هم فى أشد الحاجة إليه مع كثرة المران عليه كان أولى »

والواقع أن أصل الداء فى المناهج ، فمنهج الأدب الحالى – مثلا – غير صالح ، فالطالب فى السنة الأولى الثانوية يبدأ دراسة الأدب ببحث طويل فى معنى الأدب والأسلوب الردىء وغير الردىء ، وهو يحفظ من ذلك ما يلقنه الملمون من العبارات التى لا يفهم معناها مهما بذل المعلم من الشرح والإيضاح ، وفى السنة الثانية يدرس العصر العباسى الثانى ، فيقال له إن النهضة العلمية التى كانت فى صدر الدولة نضجت فى العصر الثانى وأثرت فى الأدب ، وهو لا يعلم شيئاً عن هذه النهضة لأنه سيدرسها فى السنة الثالثة ! ويقال له إن الكتاب استعملوا الجناس والطباق وغيرهما من المحسنات البديعية التى سيدرسها فى السنة الرابعة ! ويشغلون الطالب بالمعلومات التاريخية الكثيرة عن الأدب نفسه ، فيحفظ النصوص كما يحفظ شرحها دون فهم حتى للشرح ، ليدون ما حفظ فى ورقة الامتحان .. وترى أسئلة الامتحان فيهولك منها سؤال فى النقد أو الموازنة تراه أعلى من مستوى الطالب العقلى .. مع أن الأمر أهون مما تظن ، فالطالب يحفظ الإجابة عن ظهر قلب !

وهذه أمثلة يسيرة نسوقها إلى المؤتمر الثقافى وهو يتهيأ للانعقاد ، لننبه إلى أن « القدر المشترك » فى التعليم بجميع المدارس العربية ، ليس وحده الجدير بالبحث ، بل يجب الاهتمام أيضاً بنوع القدر ومقدار نفعه وصلاحيته . ويجب أن توضع المناهج المصرية خاصة موضع التفنيد ، لأن أكثر الشقيقات تتجه إليها وتأخذ بها ، ونخشى أن يتكون « القدر المشترك » من معظمها .

المساهر :

قرأت فى كتاب « أبو الهول يطير » الذى أخرجه أخيراً الأستاذ محمود بك تيمور ما يلى :

« تضم مدينة نيويورك وحدها سبعمائة مبنى بين مسرح للتمثيل ودار للسينما إلى جانبها ثلاثمائة وألف من أندية الليل تلك التى يسمونها بالفرنسية (الكباريهات) ولعلنا لا نخطىء إذا سميناها المساهر »

وكلمة « المساهر » هذه عذبة خفيفة وتنطبق حقاً على هذه الأندية الليلية (الكباريهات) التى يسهر فيها الناس ليستمتعوا بمختلف ألوان اللهو والمرح من رقص وغناء وموسيقى وغيرها وسيجرى المسهر على اللسان كما جرى المسرح والمرقص

وقد ذكرنى ذلك بما كان قد كتبه الزميل « الجاحظ » فى

تعقيباته بصدد وضع الألفاظ للأشياء والمعانى المستحدثة ، إذ قال على ما أذكر إن الأمر فى وضع الألفاظ ليس مجرد العثور عليها بل هو الاهتداء إلى الكلمات التى تصلح للاستعمال وتشق طريقها فى الحياة بأقلام الكتاب والشعراء . والحق ما قال .

حول السجل الثقافى :

كتب إلى أديب ظريف بتوقيع « البسام » يقول :

« قرأت ما كتبته عن السجل الثقافى فأكبرت هذا العمل الجليل الذى شرعت وزارة المعارف تقوم به ، وهو إصدار سجل سنوى يصف مظاهر النشاط الثقافى خلال عام ويبين اتجاهات هذا النشاط ومراميه . ولا شك أن هذا السجل سيكون له من الأثر والشأن ما ذكرت ، ولكنى وقفت عند نقطتين فى هـذا الموضوع : الأولى فى قولك « وعمل هذه الإدارة تسجيل مظاهر النشاط الثقافى فى البلاد من كافة نواحيه عدا الجانب الذى تضطلع به معاهد التعليم وفق برامجها الرسمية » وبما أن السجل السنوى أول ما تهتم به الإدارة المنشأة كما ذكرت ، فمعنى ذلك أنه سيهمل فيه الجانب الذى تضطلع به معاهد التعليم وفق برامجها الرسمية ، فلم هذا ؟ ولم لا يكون السجل شاملا للنشاط الثقافى بمعاهد التعليم ؟ وقد قلت إن الغرض الأول منه تعريف ضيوف مصر والمهتمين بشئونها من الأجانب المكانة التى بلغتها مصر من الثقافة العامة . أفليست المعاهد الرسمية مما يهمنا التعريف بما بلغته من المكانة الثقافية ؟

« النقطة الثانية هى ما يفهم من سياق الكلام وعلى الأخص العبارة السابقة التى بينت فيها أول غرض من السجل : (تعريف ضيوف مصر ... الخ) من أنه سيكون مقصورا على وصف النشاط الثقافى وبيان اتجاهاته ومراميه فى مصر فحسب ، فلا يشمل سائر البلاد العربية ، مع أن الوحدة الثقافية العربية هدف يرمى إليه الجميع ، بل هى واقعة فعلا من قديم العصور ، وهى أقوى لبنة فى بناء الجامعة العربية ، وإنى لأستبعد أن تغفل ذلك وزارة المعارف وهى التى تعمل على تنمية التعاون الثقافى بينها وبين الشقيقات العربيات ، بل أقول بصراحة أكثر إنى أشك فى صحة ما ذكرت فى هذا الصدد ... فهل أنت واثق منه ؟ وإذا كنت كذلك فما رأيك ؟ »

وأقول لك أيها « البسام » إننى لم أكن إلا مقررا للواقع الذى وقفت عليه وموضحا للفكرة التى قصدت إليها وزارة المعارف من السجل الثقافى الذى تعمل فى إعداده ، وأنا واثق من كل ما ذكرته . وقد ارتحت إلى وجاهة اعتراضك رغم ما تعمدته من المماكسة بين « العباس » و « البسام »

ولا إخال وزارة المعارف غافلة عما أثار ذلك الاعتراض ، ولعلها تنظر إلى الموضوع من وجه غير الذى ننظر منه إليه ، فلست أملك مع هـذا إلا أن أدع الأمر لأهل الاختصاص فى الوزارة ليجيبوا بما عندهم

تصويب :

فى العدد الماضى جاء عنوان الموضوع الأول فى هذا الباب « اجتراء » وصحته « اجترار » .

« العباس »



المنشيء والحاسب ، أبو حيان والحريري

قرأت فى الرسالة الغراء (٧٣٧) كلمة الأستاذ (الجاحظ) : (الكاتب المنشيء والكاتب الحاسب) وما رواه فيها من قول للدكتور زكى مبارك . ولقد أنصف الأستاذ الجاحظ ، وجار الدكتور مبارك — وإن لم يكن الظلم من شيمته — بما أراد أن يعطى (ابن الحريرى) أكثر من نصيبه ، وحسبه نصيبه . وفى (الإمتاع والمؤانسة) حديث عن تينك الصناعتين ورد فيه كلام لرجل اسمه (ابن عبيد) نبح فيه البلاغة والمنشئين والمعلمين والنحويين ، وعظم وكبر صنعة الحساب . وقد فرفر أديبنا العبقرى أبو حيان قائله فرفرة ، وفند باطله ، وأعلن من فضائل البلاغة والإنشاء ما أعلن وأغلب الظن أن صاحب (المقامات) أطلع على ذلك الحديث فنتش أشياء من معانيه ومن ألفاظه قال ابن الخشاب البغدادى فى رسالته فى نقد (المقامات) :

« وقد كان ابن الحريرى (عفا الله عنه) مكباً عليها ، صارفا مدة مهله فيها ، ينقح فيها اللفظة بعد اللفظة ، ويستشفها فى كل لحظة ، فهى بنت عمره ، وبكر دهره . ولقد خطف أكثرها من مواضع ، يدل تهديه إليها على فضل بارع . ولم يكن (رحمه الله) مدفوعاً عن فطنة ثاقبة ، وغريزة فى التلفيق مطاوعة مجاوبة » .

ولن يقلل ذاك النتش من فضل (أبى محمد) ولن يصغر هذا الخطف من مقداره . يقول أبو حيان فى كتابه :

« ولما عدت إليه (إلى الوزير) فى مجلس آخر ، قال : سمعت صياحك اليوم فى الدار مع ابن عبيد ، ففيم كنتما ؟ قلت كان يذكر أن كتابة الحساب أنفع وأفضل وأعلق بالملك ، والسلطان إليه(١) أحوج ، وهو بها أغنى(٢) من كتابة البلاغة والإنشاء والتحرير ، فإذا(٣) الكتابة الأولى جد ، والأخرى هزل » .

« قال : ... فما كان الجواب ؟ قلت : ما قام من مجلسه إلا بعد الذل والقماءة ، وهكذا يكون حال من عاب القمر بالكلف ، والشمس بالكسوف ، وانتحل الباطل ونصر المبطل ، وأبطل الحق وزرى على المحق ... » .

ومما قاله أبو حيان لابن عبيد : « وكفى بالبلاغة شرفاً أنك لم تستطع تهجينها إلا بالبلاغة ، ولم تهتد إلى الكلام عليها إلا بقوتها ، فانظر كيف وجدت فى استقلالها بنفسها ما يقلها ويقل غيرها ، وهذا أمر بديع وشأن عجيب ... » .

والحديث التوحيدى المذب هو فى الجزء الأول من (الامتاع والمؤانسة) فى الصفحة السادسة والتسعين وما بعدها .

السهمى

(١) قلت : ربما كانت (إليها) .

(٢) قلت : اليقين أنها (أعنى) بالعين المهملة لا بالغين المعجمة وإن كانت من الشاذ ، وفى كتاب سيبويه : (وهم ببيانه أعنى) وقد ذكره الزمخشرى فى (المفصل) وفى (الأساس) .

(٣) عندى أنها (فإن) .

تصويب :

جاءت همزة هذا المصدر (الائتمام) فى الكلمة (فعلاء) فى (الرسالة الغراء) ٧٣٧ - همزة قطع ، وهى همزة وصل .

إلى الأستاذ (الجاحظ) :

أنا أذكر أن فى الكتاب الجليل (الفرج بعد الشدة) للقاضى التنوخى قصة وقعت لبعض وزراء العهد العباسى الأول مع كاتب متعطل ركب معه حراقته فى دجلة ... فيها تصنيف الكتاب وصفاتهم وما ينبغى لكل منهم ، ولم يقتصر فيها على الكاتب المنشيء والكاتب الحاسب ، بل عدد أنواعاً كثيرة وساق أوصافاً جمة ، وليس تحت يدى الكتاب حتى أدل على موضعها ، فليرجع الأستاذ (الجاحظ) إن شاء إليه . يجد فيها ما يضيفه إلى (تعقيباته) ، ويضمه إلى حسناته .

(على)

الخلان والزمان :

فى العدد (٧٣٦) من الرسالة الغراء مقال بعنوان (الخلان والزمان) للأستاذ الحوفى لفت نظرى فيه أخطاء وقع فيها الكاتب فى روايته لأبيات الشاعر الأمير أبى فراس ... فرأيت إتماماً للفائدة المرجوة من هذا الموضوع الجليل أن أنبه إلى مواضع تلك الأخطاء وأن أرجع الرواية إلى أصلها .

١ — روى الكاتب أن أبا فراس قال :

منعت حمى قومى وسدت عشيرتى ‏ ‏ ‏ ‏ وقلدت أهلى من هدى القلائد

وصحة رواية الشطر الثانى هى :

وقلدت أهلى غر هذى القلائد



قصة إسلامية :

شـــيخ الأندلس

منقولة عن الانجليزية

بقلم الأديب وهبي إسماعيل حقي

(تتمــة)

ثم إن الرجل الغريب دلف إلى الحديقة بعد أن طرق الباب بيد مرتعشة طرقاً مضطرباً ، ولم يتمهل حتى يؤذن له ، وأسرع إلى حيث الشيخ يتوضأ لصلاة المغرب — وقد ارتسمت على صفحة وجهه دلائل الخوف وعلامات الفزع — فركع بين يديه ، وظل الكلام يتعثر فى حلقه لحظة ، ثم استطاع أخيراً أن يتمتم بهذه الكلمات المتقطعة المضطربة :

— أيها الشيخ الرحيم ... إنى غ ... غريب عن هذه الأوطان ... وأنا الآن ... بعيد عن أهلى وعشيرتى ... و... و...

فقال له الشيخ :

— اعتدل فى جلستك يابنى وتريث قليلا حتى تهدأ أعصابك ويعود إليك اطمئنانك ، فأنت الآن فى بيتى ، وسنحول بينك وبين كل مكروه ، فلا تخف ، وقل ما تريد ...

— ارحمنى يرحمك الله ! اسبل علىّ ستراً من حمايتك بمكانة محمد عندك ، إنى برىء فديتك لمعونتى ... لجأت إليك ، فكن بى رحيما ...

هزت كلمات الرجل أوتار قلب الشيخ إدريس ، وتأثر بالغ الأثر لهذا الغريب الذى يذوب قلبه فرقاً وقال له :

— إنك آمن الآن يا بنى ! فاطمئن ولا تخف ، فإن المسلم

وهو أوضح وأفصح فقد جاء مفسراً لبيت قبله هو :

فإن عدت يوماً عاد للحرب والندى وبذل اللهى والمجد أكرم عائد

ثم عطف فقال :

منعت حمى قومى وسدت عشيرتى وقلدت أهلى غر هذى القلائد

٢ — روى قوله :

(ومنها) نرى أن المتارك محسن وأن خليلا لا يضر خليل

وصحة هذا البيت هكذا :

(وصرنا) نرى أن المتارك محسن وأن خليلا لا يضر (وَصول)

يقول : أصبحنا فى زمن نرى فيه أن الصديق الذى لا يضر ويؤذى محسن وفىّ وصول للعهد أمين فى الصداقة .. ومما يؤيد هذه الرواية أن الشاعر قال بعد ذلك :

تصفحت أحوال الزمان فلم يكن إلى غير شاك فى الزمان وصول

فجاء بالجناس بين القافيتين (وَصول ووُصول) وأبو فراس كثير التجنيس فى شعره كمثل قوله :

ولا برقت لى فى اللقاء قواطع ولا لمعت لى فى الحراب حراب

٣ — روى قوله :

وإذا وجدت مع الصديق شكوته سراً إليه وفى المحافل أشكر

وصحة هذا البيت :

وإذا وجدت على الصديق شكوته سراً ولكن فى المحافل أشكر

٤ — روى :

أشد عدويك الذى لا تحارب وخير خليلك الذى لا تناسب

وصحة الشطر الثانى : وخير خليليك بالتثنية . ٥ - روى قوله :

تردى رداء (الظل) لما لقيته كما يتردى بالغبار المناكب

والصحيح كلمة (الذل) مكان الظل ، وهو أوضح وأبلغ وأنفذ للمعنى . يقول : إن حاسده اللئيم الجبان يوغل فى شتمه وانتقاصه ويغرق فى ذمه واغتيابه ، حتى إذا لاح له انخلع قلبه وامتقع لونه واعتقل لسانه فتردى رداء الذل ، ولبس ثوب التملق ، فتوسل وتمدح . فلا وجه لكلمة (الظل) إلا إذا أراد الكاتب الفاضل أن يتمحل أوجه البلاغة ويتعسف طرائق البيان . فالمعنى الواضح البين خير وأبلغ من المعنى الغامض المبهم ٦ — وقد افتتح الكاتب الفاضل مقاله ببيت رواه لأبى فراس جاء على هذه الصورة :

تركت أبي طفلا وكان أبي من الرجال كريم العود فاخره

وقد نبهت « الرسالة » أن الشطر الأول غير مستقيم لا معنى ولا وزناً ، ولم أعثر على صحته ، ولكن لعل الشطر الأول أن يكون هكذا (وقد فقدت أبى طفلا وكان أبى) ، فيصح النظم ويتسق المعنى

(طرابلس الشام)

محمد على عطاوى

لا يغلق بابه فى وجه من به استجار ، وهذا ملجأ حصين ، ستقر به عينك ، وسيهدأ فيــه بالك ، ولـكن هل لديك ما يمنع أن تطلعنى على ما حدث لك ، ولم ينتظر إجابته بل التفت إلى خادمه الذى لم يزل واقفاً وبيده إبريق الماء وقال له :

— هات له شراباً رطيباً ، فهو فى حاجة إلى مايهدىء أعصابه ، فذهب الخادم ، وعاد وناول الغريب الشراب فروى ظمأه واستطاع بعدئذ أن يهمس هذه الكلمات :

— أعرنى سمعك أيها الشيخ الـكريم ... وارحم غربتى وضعفى ، فليس لى فى هذا البلد مساعد ولامعين ... فـكن مساعدى ومعينى ... منذ قليل كنت فى طريق المدينة فقابلنى جماعة من شباب المسلمين ، وكنت وحيداً ، فأخذوا يسخرون منى ويستهزئون بى ، فلما لم أرد عليهم قذفونى بسيل من الشتائم مقذع ، فقطع الشيخ حديثه بقوله :

— ترى من كان هؤلاء الأشقياء ؟ فإن الإسلام يعلمنا كيف نحافظ على شعور الناس ، ويحثنا أن نعاملهم بالحسنى ، ولا نعرض لهم بأذى . فقال الرجل :

— هذا ما حدث يا سيدى ، ولا أدرى له تعليلا ... فلما استنكرت فعلهم ، ورجوتهم أن يكفوا عن هذا السباب استشاطوا غضباً ، وازدادوا فى إيلامى ، وبلغ ببعضهم أنه أخرج مدية وهم أن يطعننى بها ، فدفعنى حب البقاء أن أدفع الأذى عن نفسى ، فقذفت بسهمى فى ثورة غضبى وشدة هياجى فطاش وأصاب من أحدهم مقتلا ، وها أنتذا قد علمت أننى لم أبيت لأحد منهم سوءاً ، ولم أقصد أحداً بضرر ، ولم يكن فى حسابى أن السهم سيصيب منهم مقتلا ... وقد لذت بالفرار لأنجو بنفسى ، ولأنقذ حياتى من خطأ لم أتعمده ، فرمت بى المقادير إليك ، ولعل من سعد طالعى أنى وقفت لمن ينصر المظلوم ويأخذ بيد الضعيف

ظن الشيخ أن الذى سمعه من الرجل هو الواقع ، فتحركت فى نفسه عوامل الشفقة ، وثارت فى قلبه نوازع الرحمة ، ولم يخطر له ببال أن الدم الذى سفكه ذلك الخائن إنما هو دم ابنه البرىء ، فأخذ يلاطف الرجل ويتبسط معه فى الحديث ، ليذهب ما ألم بقلبه من فزع ورعب ، وما تملكه من اضطراب وخوف ، وكان مما قاله له :

— إنك وإن لم تكن مسلماً ؛ فقد أوصانا نبينا بأن نعامل مخالفينا فى الدين بالحسنى ، وأن نرعى الأخوة فى الإنسانية حق رعايتها ، فـكن على يقين أنك بلغت مأمناً ، وأنه بعون الله لا تستطيع يد أن تمتد إليك بسوء ، واعلم أنك الآن فى حماية قوية ، فقد عاهدتك عهداً غير منكوث ، أنى لن أسلمك أبداً ولو حملت فى سبيل ذلك السلاح ... ولـكنه رأى فى وجه الرجل أمارات الشك ، وأن به ميلا إلى عدم التصديق فقال له فى رنة التأكيد :

— كن واثقاً بى فالمسلم إذا عاهد وفى ، وإذا أؤتمن أدى ، وإذا قال صدق ، فانحنى الغريب حتى بلغ رِجْلَ الشيخ فقبل أطراف أصابعها ، فجذبها الشيخ بقوة وقال له :

— إننى يا بنى لم أفعل شيئاً أستحق عليه هذا منك ، ولم أزد على أنى أجرت من استجار بى ، وأى مسلم يقعد عن ذلك ؟ ثم التفت إلى خادمه وقال له :

— اصحبه إلى حجرة النوم التى أعدت للاضياف ، ووفر له وسائل الراحة ، فإنه شديد الحاجة إليها ، ثم ابتسم للرجل وقال له:

— فى رعاية الله وحفظه ، رافقتك السلامة ، وصحبك الهدوء والاطمئنان .

أخذ المدعوون يفدون إلى بيت إدريس زرافات ووحدانا ، تملو وجوههم نضرة السرور ، وترتسم على شفاههم بسمة الفرح ، وكانت الأنوار تتلألأ ساطعة فى أبهاء البيت وطرقات الحديقة وامتلأ البيت ، واكتظت الحديقة بالحاضرين ، وجلسوا جماعات جماعات ، يتناول حديثهم شتى الأمور فى الأدب والتطورات السياسية ، والمعارك التى يخوض جيش المسلمين غمارها لإخضاع الثائرين المتمردين ، والملح المضحكة ، والطرف المستملحة ، والـكل ينتظر عودة إسحاق بفارغ الصبر . وكان الشيخ إدريس أشد الحاضرين قلقاً ، وأكثرهم لهفة ؛ فقد بدأ يتوجس خيفة من تأخر ابنه الذى لم يسبق له مثيل ؛ فإنه لم يتأخر فى المدينة إلى مثل هذا الوقت من الليل ، وخشى أن يكون قد أصابه مكروه فإنه يعلم أن عليه فى هذه الليلة أن يستقبل المدعوين فى منزله من علية الناس وأشرافهم . فلم يستطع الرجل الثبات فى مجلسه ، فـكان يكثر من الخروج والقيام والقعود ، والذهاب إلى الباب والعودة منه ينتظر عودة وحيده .

وحانت صلاة العشاء ، فقام أحد المدعوين وأذن لها ، وبعد أن فرغوا من صلاتها عادوا إلى أماكنهم ، وقبل أن يتشعب بهم الحديث فاجأهم صراخ وصياح خارج المنزل لم يلبث أن صار بينهم مصدره ، وكان خادم إسحاق الذى رافقه إلى منزل الشيخ عبد الكريم هو مبعث البكاء والصياح فدخل عليهم وقال لسيده إدريس فى تأثر بالغ وهو يبكى ، ولا يكاد يتبين السامع شيئاً من كلامه لاختناق صوته ، وإلحافه فى البكاء والنشيج :

— ألهمك الله الصبر يا سيدى … ؛ فقد مات وحيدك … وسندك إسحاق …

لم يكد الخادم يتم عبارته حتى ارتسم الهلع على وجوه الحاضرين ، واستبد بهم الحزن ، وفارقهم الوقار ، وتخلت عنهم الشجاعة ، فعلا نشيجهم وتصعدت زفراتهم واستسلموا للحزن عميق

أما الشيخ إدريس فقد كاد يصعق فى مكانه ؛ لأن الخبر قد نال منه أشد منال ، ووقع على قلبه وقوع الصاعقة ، وأخيراً بعد جهد جهيد استطاع أن يستند على خادمين وخرج إلى الحديقة ، يتبعه الأضياف ليروا جثة إسحاق التى وصلت منذ لحظات .

تقدم إدريس إلى ابنه المسجى ، وبيد مرتعشة رفع الغطاء الأبيض ، فرأى وجه ابنه ، ذلك الوجه الذى كان منذ قليل يزخر بماء الشباب ، رآه أصفر شاحباً ، قد ذوى جماله ، وغاضت ملاحته وغارت عيناه . وقد كانتا تشعان بالفرح والتحفز والسرور ، فانطفأ بريقهما ، وخبا ضياؤهما ، وانطبقت جفونهما .

رد الوالد الغطاء على وجه ابنه ، والحزن يفتت كبده ، ويذيب فؤاده ، ولكنه تحامل على نفسه وتمالك أعصابه وردد فى ثقة واطمئنان قول الله عز وجل « إن لله وإنا إليه راجعون » . « كل نفس ذائقة الموت » . « فصبر جميل والله المستعان » . ثم التفت إلى القوم الذين جعلوا يتقدمون لتعزيته وقال لهم : ماذا يملك الإنسان غير أن يستسلم للقدر المحتوم ، والقضاء النافذ . إن قلبى يعتلج بالأسى والحزن لفراق ولدى الوحيد ، ولكنها إرادة الله ، الذى لا راد لما قضاه .

تراءى العالم للشيخ إدريس شديد الظلام ، وأخذ الألم يحز فى نفسه ، ولكنه صبر للبلاء ، وصمد للقضاء . وانفرد بالخادم الذى كان يرافق إسحاق وقال له :

— قص علىّ يا بنى ماجرى لكما كما وقع ، ولا تستر عنى شيئاً من الحقيقة ، وقل من ذا الذى فعل هذا بسيدك إسحاق؟ فقال الخادم:

— أننى قد تأخرت عن سيدى إسحاق قليلا ، لأنه أسرع بجواده ، ورأيته من بعيد يتحدث إلى رجل غريب ، لكنى لم أسمع ما دار بينهما ، إلا أننى رأيت سيدى بعد قليل يحاول النزول عن جواده ، وقبل أن يتمكن من ذلك ، قذفه الغريب بسهم قاتل ، فسقط على الأرض مضرجاً بدمائه ، واختفى القاتل بعد أن أدركه ، فانتفض الشيخ انتفاضة شديدة كأنما لدغه عقرب ، وقال والدمع ينهمر من عينيه : هذا ابتلاء من الله وعلينا أن لا نسخط على قضاء قضاه .

وأخذ الحاضرون يعزون الشيخ إدريس ، ويسألون له الصبر ثم ينصرفون إلى بيوتهم والهم يعتلج فى قلوبهم والأسى يحز فى نفوسهم . ثم اجتمع الأقارب والأصدقاء من الرجال والنساء حول القتيل يبكون شبابه الغض ، وفتوته الناضجة ، وخرج كثير من أصدقائه يفتشون فى طرقات المدينة وأحراشها عن القاتل الأثيم !

فى الحجرة الأولى عن يمين الداخل إلى المنزل كان اللاجىء المسيحى يرجف خوفاً وهلعاً ، كلما تعالت أصوات البكاء والعويل ، وتنثال عليه الأفكار السوداء والخواطر المثيرة ، ويقول فى نفسه : ماذا أعمل إذا كانت تلك مناحة القتيل وقد زجت بى المقادير إلى بيته؟ ثم يعاوده شىء من الهدوء ويقول: لو أن الأمر كذلك لدخل علىّ أهله ولمزقونى شر ممزق منذ أن وصل القتيل إلى البيت .

ظلت الأفكار المضطربة تنتاب ذلك اللاجىء شطراً كبيراً من الليل ثم تأكدت مخاوفه وأسرعت خفقات قلبه ، عندما عالج الشيخ باب حجرته ثم فتح مصراعيه ، ودخل عليه وبيده مصباح مضىء . ثم ابتدر الغريب وقال له :

قل لى بربك يا صاح ! أكان الرجل الذى قتلته منفرداً أم كان فى جماعة من أصحابه ؟

— لا لا ! إنه لم يكن وحيداً يا سيدى ، بل كانوا أربعة ، وقد استثارونى فاستعملت السلاح دفاعاً عن نفسى ، … وإنى أستحلفك بالله أن لا تسلمنى إليهم فإنى برىء ، برىء .

— لا تخش شيئاً فلن أسلمك لأحد ، ولكن هيا اتبعنى قليلا .

قام الرجل متثاقلا . وتبعه متعثراً فى مشيته وكأن رجليه تعجزان عن حمله وكان كلما تقدم وراء الشيخ خطوة ، اعتقد أنه يقترب من الموت خطوات ، وظل كذلك حتى وصل إلى الحجرة التى نقل القتيل إليها ، فدخلها وراء الشيخ فوجد بجانبه أربعة يرتلون آى الذكر الحكيم ، فتقدم إليهم الشيخ وفتح لهم باباً داخلياً وطلب إليهم أن يلجوه ، وأن ينتظروا ريثما يسترجعهم ،

ثم طلب إلى الغريب أن يتقدم إلى سرير القتيل ثم رفع الغطاء عن وجهه وقال له :

— هل هذا الرجل هو الذى أصابه سهمك ؟

عرف الرجل فى المسجى على السرير ضحيته ، فاصفر وجهه ، وتصبب عرقه ، وجف ريقه ، وتلاشت الكلمات فى حلقه ، والتاث عليه مسلك القول ، فقال له الشيخ فى هوادة ورفق :

— قل الحقيقة ولا تخف يا بنى . فليس عليك من بأس ، فقال الغريب بصوت متقطع كأنه خارج من جوف بئر :

— ن ... ن ... نعم هو يا سيدى ، ولكن بحق نبيكم محمد ارحمنى واشفق على ؛ فإنى لم أقتله متعمداً ، أنا برىء ، إن هذا الشاب قد ابتدأنى بالشتائم وقد دافعت عن نفسى ...

— لا بأس . لا بأس فلترجع إلى حجرتك ثانياً ؛ فقد بقى من الليل وقت ليس بالقصير ؛ وأنت فى حاجة إلى قسط من الراحة كبير وفى الصباح الباكر إن شاء الله ندبر وسيلة لإنقاذك .

ثم ودع القاتل عند باب حجرته وتمنى له ليلة هانئة . ثم انثنى إلى حجرة القتيل وجلس إلى جواره مع القراء يسترحمون له بتلاوة القرآن . بينما أغلق القاتل عليه بابه واستسلم للتفكير فى مصيره وما سيأتى به الغد من أحداث .

نادى المؤذن لصلاة الفجر ، فقام الشيخ إدريس وجدد وضوءه ، واستقبل القبلة ورفع يديه إلى السماء وقال :

« اللهم لا رادّ لقضائك ، ولا سخط على بلائك ، ابتليت فرضينا ، وأمرت فأطعنا ، فالهمنا جميل صبرك ، وثبت قلوبنا على طاعتك ، فلا عون إلا بك ، ولا ملجأ إلا إليك ، إنك أرحم الراحمين ، وأعدل الحاكمين » . ثم صلى لربه فى خشوع واستسلام ولما انتهت صلاته ، أمر أحد رجاله أن يعد أسرع جياده ، وينتظر به على باب الحديقة ؛ ومعه إبريق ملىء بالماء . ثم أخذ كيساً ووضع به مبلغاً من المال ، وأحضر سلة وشيئاً من طعام وفاكهة ووضعهما فى السلة ، وذهب إلى حيث الخادم ينتظر بالجواد ؛ وأمره أن تأتيه بالضيف من حجرته .

قضى القاتل ليلة ليلاء لم يغمض له جفن ، ولم يهدأ له بال ، ولم يسكن له خاطر ، فما أن طرق الخادم بابه حتى أيقن أن ساعته قد دنت ، وأن حينه قد حان ، وتلك آخر لحظاته ، فجثا على ركبتيه ، وصلى على طريقته المسيحية صلاة الوداع لحياته ؛ ثم قام وتابع الخادم وهو يترنح كالسكران من هول مايلاقيه . فلما وصل وجد مضيفه وحاميه ممسكا بعنان الفرس ، متكئاً على جدار الحديقة فما أن أبصرهما حتى صرف الخادم ثم وجه الكلام إلى القاتل فقال :

— أيها الشقى التعس ! ألا فاعلم أن الذى استقر سهمك فى صدره هو ابنى ووحيدى وأنه لم يكن متجنياً عليك ، ولم يبتدرك بإساءة !! إنك لا تستطيع أن تتخيل أى دور لعبت فى تدميرى ، وتحطيم قلبى أنا ذلك الشيخ الفانى ، لقد هدمت بنيانى ، وقوضت أركانى ، وقتلت كبدى . إن الصراع الناشب فى نفسى ، لا يقدر قدره ولا يبلغ مداه ... هذا وحيدى وسندى فى الحياة جثة هامدة بين عينىّ ، تنادينى روحه من عليائها أن أنتقم له ، وهذا قاتله بين يدى ، وفى حوزتى ، ولكن يمنعنى من الثأر منه ذلك العهد الذى قطعته على نفسى أن أحميه ... كان إسحاق رطيب الغصن ، ناضج الشباب وكنا نبنى عليه صروح الآمال ونعلق عليه كل رجاء لنا فى الحياة ، ولكنك هدمت صروحنا وقطعت رجاءنا ... إن الدم يغلى فى عروقى غضباً عليك ، وإن نوازع الشر تصرخ بى أن أثأر منك ، لكن صوت الضمير يملأ نفسى ، ويغمر قلبى ، إنى عاهدتك باسم الله وبمكانة محمد نبيه ، أن أحميك من كل شر ، وأن أدفع عنك كل سوء ، وقد استجبت أخيراً لنداء ضميرى ، فإنى لا أحب أن يقال : إن مسلماً استهان باسم الله وبكرامة محمد نبيه ، فأخلف وعده ، وغدر فى عهده ولوث سمعة المسلمين .. هاك خير جيادى ، وهذه سلة فيها طعام وفاكهة ، وذى نقود قد تحتاجها فى سفرك . وإن إسحاق كان أحب إلىّ من حياتى ، ولكنى عفوت عنك « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » وتعاليم الإسلام أحب إلى قلبى ، حتى من نفسى ...

وهبى اسماعيل حقى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٤٠ب – الاثنين ٨ سبتمبر ١٩٤٧ – السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٠١٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 740

Lundi — 8 — 9 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٤٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ شوال سنة ١٣٦٦ — ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

القـــوة هى الحق !

القوة هى الحق وما سواها باطل . فإذا رابك هـذا القول فعارضتـه بآية من القرآن فى الرحمة ، أو بحديث من السنّة فى العفة ، أو بمأثور من الحكمة فى البر ، أو ببيت من الشعر فى العدل ، قلت لك ويداى مشبوكتان على صدرى : صدق الله العظيم ، أو برّ النبى الكريم ، أو أحسن الواعظ الحكيم ، أو أجاد الشاعر النابغ ؛ ولكن للطبيعة طغياناً تكسِر الأديان من غُلوانه ولا تمحوه ، وللحياة سلطاناً تكف الآداب من عاديته ولا تزيله . وما دام الغربيون يحنون إلى حياة الغاب ، ولا يعترفون إلا بالظفر والناب ، فإن كلمتى الحق والعدل تظلان مرادفتين لكلمتى الضعف والعجز ، يجأر بهما المظلوم ويتصامُّ عنهما الظالم !

على أن العـدل والبر والإحسان وأخواتها من مهجورات الفضائل ، إنما يُفهم التعامل بها بين الفرد والفرد ، أو بين الأسرة والأسرة ، لأن الأمر بينهما يقوم أكثره على عواطف الصداقة أو القرابة ، فمظهره الإيثار والتسامح والتعاون . أما التعامل بها بين الشعب والشعب ، أو بين الدولة والدولة ، فإنما يقوم على جلب المنفعة أو دفع المضرة ، فمظهره التفارس بالغيلة والحيلة الماثلتين فى بأس الجيوش ومكر الساسة !

ماذا بيننا وبين انكلترا أو فرنسا أو أمريكا من أسباب المودة ؟ هل بيننا وبينها إلا ما يكون بين حيـوان جائع تحت كفيه حمَل ، وأسد مسعور بين فكيه ناب ؟ كيف ننشد الحق والعدل فى دول الغرب وكل واحدة منها قد جعلت قصدها ووكْدها أن تنفرد بخيرنا أو تشارك فيه ؟ إنها عصبة من دول الشيطان تعاونت على الإثم والعدوان وتحالفت على العرب والإسلام والشرق !! جرّبوا آثار القوة فيهم فلم تفدهم التجربة ، وأصابهم الطغيان النازى فى أنفسهم وأموالهم فلم تعظهم الإصابة ، ووقفوا أمام جبار المحور ضعافاً ضارعين ست سنين طوالا ثقالا يطلبون من الله أن يسعفهم بالحق ، ومن القانون أن يؤيدهم بالعدل ، ومن العالم أن يرفدهم بالإحسان ، حتى إذا رأوا القدرَ القاهر يسلب القوة العارمة ، ويعطل الآلة الحاطمة ، استطالوا على الله ، واستهانوا بالقانون ، واستكبروا على الناس ، وقال كل منهم: أنا اليوم وريث هتلر وخليفته ! هاهم أولاء ، لاتزال وجوههم محمرة من لطمات هتلر ، وأشلاؤهم مبعثرة بقذائف هتلر ، وبلادهم مخربة من قنابل هتلر ، وتراهم مع ذلك يجلسون فيما سموه مجلس الأمن جلسة النخّاسين فى سوق الرقيق ، يساومون فى حريات الأمم ، ويزايدون فى حقوق الشعوب ، وحجتهم العالية أن بلادهم تزخر بالحديد والنار ، ونفوسهم تجيش بالطمع والاستعمار !

القوة هى الحق وما سواها باطل . فمن عاش فى البَرّية حمَلا أكلته الذئاب ، ومن سار فى القافلة أعزل سلبته اللصوص

احمد حسن الزيات

اتقوا غضبة الشعب!

للأستاذ محمود محمد شاكر

أجلت قضية مصر والسودان فى مجلس الأمن إلى يوم الثلاثاء التاسع من سبتمبر سنة ١٩٤٧ ، بعد أن تمتعت بريطانيا بالخذلان الذى كان مثله أبعد شىء عن بالها منذ عشر سنوات وحسب . فقد تعودت بريطانيا أن تأمر أو تدسّ فيطاع أمرها أو دسُّها ، وتخرج ظافرة من كل معركة تدور بينها وبين أمة من الأمم التى ابتليت بشرها الذى لم تنطفىء له جمرة منذ نجمت قرون هذه الدولة فى تاريخ العالم الحديث . ونحن نسأل الله أن يتمّ الخيبة على هذه الدولة الطاغية بانهيار نظامها الاقتصادى ، ليخلص العالم من الأخطبوط الفاجر الذى ضمّ فى أحشائه وبين جوارحه دولا برمّتها من الهند إلى العراق إلى مصر والسودان إلى جنوب أفريقية — إلى عالم كان يتمدّحُ شعراؤها بأن الشمس لا تغيب عن ملكه ، وأنها هى التى حملت أمانة الجنس الأبيض و (عبء الرجل الأبيض) فى تحضير الأجناس الملونة ، أى استعبادها وظلمها ، وإغراء فرنسا وبلجيكا وهولندة وسواها من أقزام الدول باستعباد جزء من هذه الشعوب ، تسومها الخسف بكل نذالة تدخل فى طوق هذه الأمم .

إن مجلس الأمن هو اليوم بين اثنتين : إما أن يُشهد العالم كله على أنه أقيم على حق ، وأنه حافظٌ وازعٌ ينهى الطغاة عن الإيغال فى طغيانهم ، وإما أن يشهد العالم كله على أنه سوق حديثة للرقيق والنخاسة أقيمت لتتاجر بعباد الله بلا حياء ولا ورع . فكان تأجيل قضية مصر فى هذه المرة ، بعد المناقشات التى دارت فيه دليلا على أن مصر والسودان قد استطاعت شيئاً ما أن توقظ طرفاً من ضمير هذا المجلس ، ومن ضمير الأمم التى اشتركت فيه ، واستطاعت أيضا أن تجعل بريطانيا مغمورة فى ركام الفضائح والفظائع التى ارتكبتها فى مصر والسودان ، والتى تصر على المضى فى ارتكابها بكل جرأة لا تستحى .

ونحن نحب أن نثنى ثناء خالصاً من قلوبنا على الرجل المصرى السودانى ، الذى لم يزعزعه تهديد بريطانيا وترويعها ، ولم ينل من قلبه الخوف ، ولم تثنه عن الهدف الأعظم حِيَل ولا أشراك ولا جدال ولا تغرير ، فانطلق يبين عن أهداف مصر والسودان وعن حقوقها وعن البلاء الذى نزل بها بياناً شفى صدور المصريين والسودانيين جميعاً . إننى لم أعجب بهذا الرجل لأنه سياسى بارع ، ولا لأنه قانونى ضليع ، ولا لأنه خطيب مفوّه ، ولا لأنه رئيس حكومة — كلا بل لأنه أول رجل بعد أن ذهب مصطفى كامل — وقف وحده فى عرين الأسد البريطانى ليسمع الدنيا كلها أن هذا الأسد البريطانى قد اعتدى عليه وبغى وطغى وظلم وتجبر ، وفعل الأفاعيل الخسيسة التى أراد بها استعباد مصر والسودان . إنه الرجل المسئول الوحيد الذى قام فى مجلس دولى يطعن بريطانيا العظمى ! طعنا متداركا غير راحم ولا مشفق ولا هياب ، وهو يعلم أنه يطعن بهذا الطعن دولا كثيرة من أعضاء هذا المجلس . لقد كان محمود فهمى النقراشى رجل مصر ، لأنه كان وطنياً يتكلم بلسان الجروح التى مزقت جسد أمته ، لا بلسان السياسى المحتال الذى يريد أن يرضى هذا ويتجنب غضب ذاك . وهذا وحده هو السر الأعظم الذى جعل قضية مصر والسودان أعظم قضية عرضت على مجلس الأمن وأخطرها ، وهذا وحده هو الذى أوقع التخاذل فى الصفوف التى جمعتها بريطانيا ، وظنت أنها سوف تنصرها فى باطلها نصراً مبيناً ترجع بعده مصر والسودان خاشعة خاضعة تحت ظلال الخذلان الذى أمّلت بريطانيا أننا سوف نمنى به .

لقد ضرب النقراشى مثلا خالداً فى تاريخ مصر الحديث ، فدل بذلك على أنه رجل يركن إليه فى ملمّات الأحداث . فقد مرت على مصر والسودان حقبة كان الذى يقول فيها بمثل الذى قاله النقراشى فى مجلس الأمن يعد رجلا مخبولا خيالياً تسخر منه الصحف والمجلات ، وتزدريه جماهير من المخدوعين ، ويتخذ هدفاً لكل دعابة تجرى بها ألسنة الهازلين من أحلاس النوادى والقهوات . إن هذا الرجل جدير بأن يرفع اسمه منذ اليوم إلى حيث لا تنال مكانه أسماء الدجالين والمخادعين والمنافقين الذين ظهروا فى تاريخ السياسة المصرية منذ سنة ١٩١٩ إلى يوم الناس هذا . فحسبه فخراً ومكانة أن يكون هو الذى استطاع أن يجمع إرادته وعزمه وحزمه ، فلم يصرفه خوف أو إغراء عن تحقيق كلمة

مصر والسودان الخالدة ، وعن إعلان هــذه الـكلمة فى أرجاء الدنيا ، وهى : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » .

***

ويقابل هذا الرجل الصادق رجال آخرون من صنائع بريطانيا — كانوا من صنائعها القدماء منذ تحركت مصر والسودان فى سنة ١٩١٩ تطالب الدولة الباغية باستقلالها ، وتريق دماءها وتبذل مهجها ، ويأتى أحدهم فيكون سيفاً مسلولا على أعناق إخوانه المصريين يتعسف بهم عسف الجبار المارد ، وإن كان هو فى نفسه ليس بجبار ولا مارد إلا كما كان أبو حية يسمى قضيب الخشب الذى يحمله سيفاً هندوانياً — وإنما كان جبروته وتمرده يومئذ من جبروت بريطانيا وتمردها — فهو دميــة تلعب بها لا أكثر ولا أقل .

لقد قام النقراشى يعلن ملأ الأم فى نواحى الأرض ، أن هذه ساعة فاصلة فى تاريخ مصر والسودان ، وأنه قد عزم على طرد الانجليز من بلاده ، وأنه لن يقبــل مهادنة ، ولا مفاوضة ولا مراوغة بعد اليوم ، وأن بلاده توشك أن تنفجر ، وأن البلاء على الأبواب لن يمنعه ضغط الدول الأعضاء فى مجلس الأمن ، وأن مصر والسودان قد أبت إلا طرد بريطانيا من بلادها كلها بلا مهلة ولا تريث ولا مواعيد . ووقف مندوب بريطانيا يصر إصرار البغاة الطغاة على أن المعاهدة تخول له احتــلال أرضنا ، ويستدل مرة بعد أخرى بالذى كان فى مفاوضات صدقى — بيفن وكأنه يريد أن يقول إن صدقى قد قبل ما يأبى هذا الرجل — يعنى النقراشى — فينكره ويرفضه ، ويكذب على مصر والسودان فيدعى أنهــا تريد طرد بريطانيا وجلاءها جلاء تاماً ناجزاً عن أرض وادى النيل كله ، على غير ما تدل عليــه مفاوضات صدقى — بيفن .

وفى خلال ذلك يقف صدقى باشا الذى اتخذته اليوم بريطانيا حجة على مصر ، ليقول إن خــير الوسائل لنيل حقوق مصر والسودان من بريطانيا هى المفاوضة ، كأن هــذا الرجل لم يعلم بعد أنه ظل يروح ويغدو ويتلاعب هو وتتلاعب بريطانيا ، وكانت العاقبة أن أفضى الأمر به إلى الاستقالة ، بعد التــكذيب الخبيث الذى كذبت به بريطانيا كل شىء قاله فى تفسير بروتوكول السودان . لقد كان العذر متسعاً لامرئ سواء إن قال بمثل الذى يقول به . ومتى يقول هذا الرجل هذا الـكلام ؟ يقوله فى ساعة الحرب التى شنتها مصر والسودان على بريطانيا !

إننا لا نبالى كثيراً ولا قليلا بما يقوله هذا الرجل وأمثاله ، وليس من همنا أن نقف عنده لنفنّــده ، بل همنا أن نبين أن وراء كلامه معنى آخر ، هو أن بريطانيا لما أحست بتباشير الخذلان الذى سوف تناله فى مجلس الأمن ، وعرفت أنها لن تستطيع أن تواجه العالم بالأباطيل التى كانت تواجه بها المفاوضين فيرهبونها ويخشون بأسها ، فلجأت عندئذ إلى قدماء صنائعها فى وادى النيل ليخذلوا قلوب الناس ويخوفوهم ويوقعوا بينهم بيغونهم الفتنة ، ويكون ذلك فتاً فى عضد النقراشى ، وتمهيداً لانقلاب يحدثونه مرة أخرى بالقهر والتهديد ، وبخيانة من يستحلى موارد الخيانة لبلاده — لمال يناله ، أو جاه يحرزه ، أو أبهة يختال فيها ، أو أمل يمنى بإدراكه على يد بريطانيا صاحبــة النعم الجزيلة والآلاء التى لا تنفد !

إن بريطانيا تبذل الآن كل جهدها فى ردّ مصر والسودان عن الطريق الذى لا طريق غيره لمن أراد أن ينال حقه ، وأن يجعل هذا الحق ذِكراً مذكوراً فى قلوب الأبناء والأحفاد حتى لا تنطمس معالمه ، وحتى لا ينخدع الناس عنه بقليل مدلس عليهم كما حدث فى تاريخ مصر والسودان منــذ سنة ١٩٢٤ إلى هذا اليوم ، حتى بلغ البلاء أن صار الناشئة يقولون : « مصر والسودان دولة مستقلة » ، وكلهم يعلم ويرى ويشهد بعينيه الغزاة فى ثيابهم يروحون ويغدون فى الشوارع والطرقات ، ويغشون دور الملاهى ويقيمون المدارس المادية لروح مصر والسودان فى قلب بلادنا ، ويحمون لصوص الأجانب ، وينصرونهم على أبناء البلاد بكل ما استطاعوا .

ومصر والسودان لن ترتد مرة أخرى إلى طريق « المفاوضة بين مصر وبريطانيا » ولن ترتد إلى تعليق مسألة السودان وجعلها مسألة قائمة على حيالها ، ولن ترتد إلى الاعتراف بالورقة الباطلة التى كتبت فى ســنة ١٨٩٩ لتشرك بريطانيا مصر فى حكم السودان . فإذا كان صدقى باشا قد علم من الثقة الذى أوعز إليه أن هــذه الخطة هى الباقية ، وأنها هى التى سنصير إليها بعد

انهزامنا فى مجلس الأمن ، وأنه لا محيص لمصر والسودان من المفاوضة قبل الجلاء عن وادى النيل كله — فقد كذب الذى أوعز إليه بذلك . وليعلم صدقى باشا أن الرائد لا يكذب أهله ، وأننا نحن أصدق حديثاً من الذين يعتمد هو على حديثهم ، فمصر والسودان قد علمت اليوم علماً ليس بالظن أن مفاوضات صدقى — بيفن ، كانت زلة وقى الله شرها ، وأن الله سخر النقراشى ليقيل مصر والسودان من تلك العثرة المردية ، وأن مصر والسودان قد عزمت أمرها على أن لا تضع يدها فى يد بريطانيا ما دام لها على أرض وادى النيل ظل تستظل به أفاعيها ، وثعالبها ، ووحوشها — وصنائعها أيضاً .

وخير لصدقى باشا ومن كان على شاكلته أن يعلم أشياء كثيرة ، فلا يغرر بنفسه فى مهالك بريطانيا التى تطأ بأقدامها كل من يخدمها إذا رأت فى ذلك خيراً ينفعها . خير له أن يعلم أن الزمن الذى كان هو فيه أحد أبطال السياسة ، قد انقلب كله وذهب وعفّى عليه الذى عفى على مآرب كثيرة . وخير له أن يعلم أن الجيل الذى يعيش فى هذه الأيام غير الجيل الذى كان يرهب سوط الجلاد ويخاف وسْمَ السياط على أبدانه ، وخير له أن يعلم أن العلْمَ القليل الذى كان يناله الرجل فيتبجَّح به ويخيل إليه أنه صار عقلا وحده ، قد حل محله عقل كثير لا قبل لأحد بدفعه بعد اليوم . وخير له أن يعلم أن الذرة التى تتوهج اليوم بالإخلاص لمصر والسودان ، خير من كل الدُرّ القديم الذى زيفته بريطانيا وملأت قلبه نعمة وجاهاً وسلطاناً ، وخير له أن يعلم أن دَمَ أى صعلوك مصرى سودانى مخلص لبلاده ، قد صار أكرم على مصر والسودان من دماء السادة الذين سادوا بالخيانة والنفاق والخداع . وخير له أن يعلم فى أول ذلك كله وآخره أن احتقار مصر والسودان ، وازدراء هذا الشعب النبيل ووصمه بأنه لم يبلغ بعد المرتبة التى تخوّله أن يتبوأ مكانه فى العزة والكرامة — لن ينفع بعد اليوم صاحبه والمتحدّث به ، والعامل على تثبيته فى أذهان من يحدثهم . وخير له أن يعلم أنه لا يزيد على أن يكون فرداً من أفراد هذا الشعب لا أكثر .

ليس من همى مرة أخرى أن أتناول قول صدقى بالنقد أو التفنيد ، ولكن كل همى أن أذلّ ناساً من خلق الله الذى نبتت لحومهم ، وجرت دماؤهم ، وامتلأت بيوتهم خيراً من ماء النيل الذى يجمع مصر والسودان ، على أن شعب مصر والسودان قد حزم أمره على أن يستأصل شأفة الماضى كله ويقطع دابر المنافقين المختالين بغير سلطان أتاهم ، وأنه قد أجمع عزمه على أن يحطم سلاسل الاستعباد كلها ، وأنه لن يقف دون غايته لرهبة أو رغبة ، وأنه عرف أن الساسة قد خدعوه زمناً طويلا ، فأيما سياسى من القدماء ، ممن كان من صنائع بريطانيا أو من المخدوعين بشرف بريطانيا ، تسول له شياطين نفسه بعد اليوم أن يظن أنه أهدى من النقراشى وأعظم وأقدر ، وأنه بالغ مالم يبلغه النقراشى بالمفاوضة والمساومة على حقوق مصر والسودان فمصيره أن ينال من بأس هذه الأمة الناهضة المتدفقة العارمة شراً كثيراً كان أحوط له أن يلوذ منه بملاذ كريم ، هو أن يستظل بظل الأمة التى ولدته وأنشأته وكرمته بالانتساب إليها فإذا أبى أحدهم إلا أن يطلب لنفسه مجداً بدعوة بلاده إلى المفاوضة أو خيانة بلاده بقبول عون بريطانيا له حتى يبلغ الوزارة كما بلغها بعضهم من قبل على أسنة الحراب البريطانية ، فإنه سيعلم يومئذ أن الشعب المصرى السودانى أشد منه ومن بريطانيا بأساً وقوة ومصابرة على الجلاد ، وسيعلم أنه قد قدر فخاب فامتحن امتحاناً شديداً كانت له عنه مندوحة .

أيها الساسة القدماء ! احذروا غضبة الشعب ، فلكل شعب غضبة كالنار المشعلة تأكل الأخضر واليابس ، وهذا أوان غضبة مصر والسودان بعد أن يبس الثرى بيننا وبين بريطانيا ...

محمود محمد شاكر

٦ ـ رحلة إلى الهنـــد

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

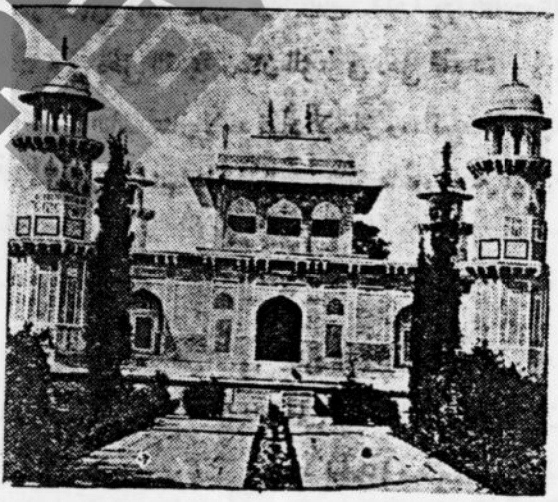
— ١ —

أعود إلى الحديث عن مدينة دهلى ، بعد أن ذكرت طرفاً من أخبار المؤتمر الآسيوى . دخلت دهلى وملء نفسى ما قرأت وسمعت من تاريخها وأحداثها وآثارها . ولم يسعف الزمان ولا الحال بإطالة المقام فيها والتردد فى نواحيها ، واستقصاء مشاهدها وآثارها . وإنما كانت جولات سريعة فى أرجائها . ووقفات قصيرة على بعض مشاهدها .

مدينة دهلى اليوم قسمان : دهلى الجديدة التى خططها الإنكليز على نظام حديث ، وجعلوا فيها دوراً للحكومة ومساكن لكبار الموظفين وهى مدينة واسعة الشوارع والحدائق يحيط بكل دار فيها حديقة كبيرة ، ودورها فى الأكثر ذات طبقة واحدة ، وفيها من الأبنية الفخمة الرائعة دار الحكومة ودار النيابة . ومسكن نائب الملك هناك وما يتصل به من أعظم الأبنية وأوسعها وأجلها ظاهراً وباطناً ...

وأما دهلى القديمة فهى على خط ٧٧° من الطول الشرقى و٢٨° من العرض الشمالى فهى تقارب عرض القاهرة ولكنها أشد منها حراً . وقد لقينا من حرّها فى شهرى مارس وأبريل أشد مما نجد فى القاهرة فى الصيف المعتاد .

وتقع دهلى فى الزاوية الجنوبية الشرقية من إقليم البنجاب على الضفة اليمنى لنهر جمّنة . وكانت ألحقت بهذا الإقليم سنة ١٨٥٨ م . وهى اليوم فى ولاية منفصلة . ومن العجيب أن هذا الفصل بين دهلى والبنجاب يخرجها من دولة باكستان ، وهى المدينة التى بقيت زهاء ثمانية قرون حاضرة دول إسلامية ، وفيها من الآثار الإسلامية ما يصلها بتاريخ الإسلام دهوراً . وكثير من المدن التى تحفظ الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامى ليست داخلة فى الباكستان مثل أجرا ولكهنو وأحمد آباد وعليكره .



صورة مسجد الجمعة فى دهلى

ودهلى ذات تجارة واسعة ، وهى ملتقى طرق حديدية كثيرة وقد اتخذ الإنكليز من دهلى الجديدة وهى متصلة بالقديمة عاصمة للهند فى هذا القرن وكانت العاصمة كلكتا . ولكن دهلى ليست كبرى مدن الهند ؛ أكبر منها كلكتا وهى كبرى المدن الهندية ثم بمباى ولاهور .

— ٢ —

والبقعة التى تشمل دهلى الحاضرة وما حولها قامت فيها مدن عدة باسم دهلى فحول دهلى الحديثة أطلال ست مدائن سميت بهذا الاسم ، تنتشر فى خمسة وأربعين ميلا مربعاً .

وتاريخ المدينة الحاضرة يبدأ من القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) أسسها الملك الكبير المعمّر الذى ترك فى الهند آثاراً لا تضارعها آثار فى الهند ولا غيرها ، شاهجهان ابن جهانكير بن أكبر بن همايون بن بابر . خامس الملوك العظام من هذه الأسرة العجيبة التى نشأت ستة ملوك كبار على نسق واحد سيطروا على الهند مائتى سنة وأورثوا أعقابهم دولة بقيت مائة وخمسين سنة أخرى .

بنى شاهجهان المدينة الحاضرة وسمّاها شاهجهان آباد وكان طولها على ضفة النهر ميلين ونصف .

ولا تزال قطع من أسوارها قائمة يجتاز السائر فى المدينة أبواباً فيها منها باب أجمير فى الجدار الغربى من السور وباب كشمير فى الجدار الشمالى وقد اجتزت هذا الباب كثيراً بين الفندق الذى نزلت به فى دهلى القديمة ومكان المؤتمر فى دهلى الجديدة ، ويرى خارج هذا الباب تمثال لأحد قواد الإنجليز ومدافع قديمة هى من بقايا الحروب التى شهدها هذا السور وآخرها ثورة سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) .

— ٣ —

وأعظم ما يرى السائر فى الجادة الكبيرة التى تخترق المدينة فى جانبها الغربى من الشمال إلى الجنوب بناءان عظيمان رائعان : المسجد الكبير الذى يسمى مسجد الجمعة (جمعة مسجد) والقلعة الحمراء (لال قلعة) منظران يفصلهما الطريق فيحتار الطرف بينهما ، القلعة ذات الأسوار العالية والأبراج العظيمة والهندسة المحكمة الجميلة ، والجامع الكبير الرائع ذو القباب الثلاث البيضاء والمنارتين . وكلا البناءين الخالدين مبنى بالحجر الورد وهو يغلب فى أبنية السلاطين التيموريين ويجلب من أجْرا . وهما نضيران لم تغيّر منهما الأحداث ، ولم تنل منهما الغِيَر ثبات الحق على كر العصور ، والمجد المؤثل على مرّ الدهور .

دخلت الجامع مغرب يوم الخميس ٢٦ ربيع الثانى (١٩ آذار) يوم بلغت دهلى . صحبنا إليه الصديق القديم السيد محمد الفاروق فأدينا به صلاة المغرب ، ثم صلينا الجمعة التالية .

وهذا الجامع بناه شاهجهان بين سنتى ١٠٥٨ ، ١٠٦٠ هـ بعد أن بنى القلعة بسنتين وهو على ربوة تزيده جلالا ورفعة . له بابان كبيران أحدهما يقابل القبلة والثانى إلى يسار الداخل من الباب الأول . والمسجد كله شكل مستطيل طوله نحو ثمانين متراً وهو يزيد على عرضه قليلا . وصحنه فسيح جداً مستطيل فيه ثلاثة صفوف من عمد الرخام الأبيض وجدرانه مغشاة بالرخام كذلك وله محاريب أوسطها أكبرها . ومنبره دَرَج من الرخام قليلة . وكذلك المنابر التى رأيتها فى أجْرا ولاهور ليس لها ما يُعهد فى البلاد العربية والتركية من الضخامة والارتفاع والحواجز على جانبى الدرج . والنقش والحِلَى .

وأما جمال النقش ، والانسجام بين الرخام الأبيض والأسود فى أرضه ، والحجر الأحمر والمرمر الأبيض فى الجدران فلا أطيل الحديث فى تفصيله .

ويصعد إلى المسجد عند بابيه الكبيرين بدرج هائل لم أر نظيرها فى الطول . فهو يهبه مدرّجاً عظيما يتسع لآلاف الناس .

وإجمال الكلام أن هذا المسجد من أكبر مساجد المسلمين وأجلّها وأجملها ، وكان شاهجهان يؤدّى الصلاة فى مسجد فى القلعة ويخرج أحياناً ماشياً للصلاة فى هذا المسجد الكبير ولاسيما صلاة الجمعة

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

ما أعرفه عن فارس الخورى

للأستـــاذ على الطنطاوى

أقيمت فى ردهة المجمع العلمى العربى فى دمشق ، من نحو عشرين سنة ، حفلة لتكريم حافظ ابراهيم حضرتها أنا وأخى سعيد الأفغانى ، وكنا يومئذ فى مطلع الشباب ، نقصد هذه الحفلات لننتقد الخطباء ، ونبتغى لهم المعايب ، فمن لم نعب فكرته عبنا أسلوبه ، ومن لم ننتقص إنشاءه انتقصنا إلقاءه ، وخطب كثيرون فى الحفلة ، وقال فيها حافظ بيتيه المعروفين :

شكرت جميل صنعكم بدمعى   ودمع العين مقياس الشعور
لأول مرة قد ذاق جفنى   على ما ذاقه طعم السرور

ولم يسلم من ألسنتنا ... وكان فيمن خطب رجل قصير القامة ، عظيم الهامة (جداً) ... أبيض الشعر ، ألقى قصيدة لا أزال أذكر أن مطلعها ، كان :

ليالى التصابى قد جفانى حبورها   ولمتى السوداء أسفر نورها
ومن لى بإنكار الحقيقة بعد ما   تجلّى على وجهى وفودى نذيرها
تذكرت أيام السرور التى مضت   فياليت شعرى هل يعود سرورها
لدن لى مع الأصحاب منهم مسدّد   وحظى من ريم الكناس غريرها
أسفت على عهد الشباب ولم تعد   تثير فؤادى مقلة وفتورها
وأدنتنى الأيام من هوّة الونى   فأصبح منى قاب قوس شفيرها
وكادت صروف الدهر تطوى صحائفى   وهل بعد هذا الطىّ يرجى نشورها

إلى أن ...

وتخلص إلى لقاء حافظ ، وقال إنه جدد له عهد الشباب ... وهى قصيدة طويلة لا أرويها[1] ، وكان صوته قوياً على انخفاض مدوياً على وضوح ، كأن له عشرة أصداء تتكرر معه ، فتحسّ به يأخذك من أطرافك ، ويأتى عليك من الأقطار الأربعة ، فتسمعه بأذنيك وقلبك وجوارحك ، بل تكاد يدك تلمس فيه (شيئاً) ضخماً ... على صحة فى المخارج ، وضبط فى الأداء ، وقوة فى النبرات ، وثبات فى المحطات ، واعتداد بالنفس عجيب ، تشعر به فى هذا الصوت الذى يكون له هذا الدوّى كله ، وهو يخرج من فم صاحبه باسترسال واسترخاء ، لا يفتح له شدقه ولا يحرك لسانه ، ولا يمد نفَسه ولا يجهد نفسه ، وأنسانا بهذا الصوت وهذا الإلقاء ، أن ننقد القصيدة ، أو نجد لها العيوب ، وملك به قلوبنا وقلوب الحاضرين ، فصفقنا له حتى احمرت منا الأكفّ .

وقلت لسعيد : من هذا ؟

قال : هذا فارس الخورى .

وكنت قد سمعت باسم (فارس الخورى) قبل ذلك بزمان ، سمعت به مذ كنت تلميذاً فى السنين الأواخر من المدرسة الابتدائية أيام الملك فيصل (١٩١٩) ، وكنا نعرفه علماً من أعلام السياسة ، ور كنا فى وزارة المالية ، ولكنى لم أره قبل هذه الحفلة .

ومرت الأيام ، وخرجت من الثانوية ، واشتغلت بالسياسة (كما كان يشتغل لداتى يومئذ) ، وصرت سنة ١٩٣١ ، رئيس اللجنة العليا لطلبة دمشق ، ومحرراً فى الجريدة الوطنية الكبرى جريدة (اليوم) التى كان يقوم عليها الكاتب الوطنى الخطيب الأديب ، الذى علمنا تقديس الشرف ، وتقدير الرجولة ، عارف النكدى ، وكانت اللجنة تأتمر بأمر الكتلة الوطنية ، التى كان لها (فى تلك الأيام) قيادة الأمة ، وكانت هى وحدها تحمل لواء الجهاد ، والعمل على الاستقلال ، فكنت اتصل بكبار رجالها ، وكنت أحضر بعض مجالسهم ، وهناك عرفت فارس الخورى من قرب ، فرأيت فيه رجلا وديعاً ظريفاً ، حليماً واسع الصدر ، ولكنه كان (مع هذا كله) هائلا ، مخيفاً ، تراه أبداً كالجبل الوقور على ظهر الفلاة لا يهزّه شىء ولا يغضبه ولا يميل به إلى الحدّة والهياج ، يدخل أعنف المناقشات بوجه طلق ، وأعصاب هادئة ، فيسدّ على خصومه المسالك ، ويقيم السدود ، من المنطق المحكم ، والنكتة الحاضرة والسخرية النادرة ، والعلم الفياض ، والأمثال والحكم والشواهد ، ويرقب اللحظة المناسبة حتى إذا وجدها ضرب الضربة الماحقة وهو ضاحك ، ثم مدّ يده يصافح الخصم الذى سقط ... لا يرفع صوته ، ولا يثور ولا يعبس ولا يغضب ، ولكنه كذلك لا يفرّ ولا يغلب .

(١) وهى فى الكتاب الذى لم يعمل وفى لشوقى ولحافظ ، حتى بالأدب ، مثله : (ذكرى الشاعرين) للأستاذ أحمد عبيد طبع (المكتبة العربية فى دمشق) .

وما رأيته يناقش أحداً إلا اشبهته بأستاذ يناقش تلميذاً مدّللا غبياً ، فأنت تلمس فى لهجته ولحظته وبسمته وكلمته ، صبره عليه ، وتملكه منه ، واشفاقه عليه .

***

ثم كنت تلميذه فى السنة الأخيرة من كلية الحقوق (١٩٣٢) وكان يدرس علم المالية ، وأصول المحاكمات المدنية ، يلقى درسه إلقاء لا تدرى أأنت تعجب وتطرب ، لفصاحة لهجته ، أم لغزارة مادته ، إلقاء غيرِ محتفل به ولا متجمع له ، وكانت له عادة (لازمة) هى أن يأخذ قلماً رصاصياً طويلا ، فيقيمه على قاعدته وهو يسقط وهو يداريه ويداوره حتى يستقر ، ولا يكاد ، ولا يبصر ذلك ولا يلقى باله إليه ، كأنه يكره أن تبقى يده بلا عمل فهو يشغلها به ، أو كأنه يرى هذا الدرس لا يستحق انتباهه كله ، ولا يملأ هذا الرأس النادر ... فيأخذه على أنه لهو وتسلية ، وكنا نورد عليه فى آخر الساعة أسئلة من كل فنّ ومشاكل فى كل موضوع فيجيب عنها كلها ، بتحقيق العالم ، أو ببلاغة الأديب ، أو بنكتة الشاعر ، ومن أجوبته الحاضرة ، ونكته السائرة ، أن طالباً (ثقيلا ...) سأله :

— ما فائدة هذه الحروف اللثوية ، ولماذا نقول ثاء ، وظاء ، فنخرج ألسنتنا ، ونضطر إلى هذه الغلاظة ؟

فقال له على الفور ، وقبل أن يتم سؤاله :

— لا فائدة لها أبداً ، وسنتركها ونجدد فنقول (كسّر الله من أمسالك) .

فسكت الثقيل خزيان .

ومن عجائب حلمه ، وسعة صدره ، ووقاره الذى لا يحركه شىء ، أنى أقبلت عليه مرة ، بعد الدرس ، وكانت لى عليه جراءة فقلت له أمام الطلاب :

— يا أستاذ . ما هذا القرار السخيف الذى وضعته البلدية ، لتقسيم أرض الدرويشية ؟ أليس من العار أن يصدر عن بلدية دمشق هذا الجهل وهذا الظلم وهذا ...

فى عشر مترادفات من هذا النمط ، ساق إليها نزق الشباب فلما انتهيت منها قال لى ، والابتسامة لم تمح عن شفتيه :

— أنا الذى وضع صيغة هذا القرار !

وراح يشرح لى مزاياه ، ولكنى لم أفهم منها شيئاً ، وشعرت من الخجل كأن دلو ماء حار صبّ علىّ ، وقد مرت على ذلك الآن خمس عشرة سنة ، ولا يزال صوته (يدوّى) فى أذنى ، فأشعر بالخجل من هذا الموقف .

***

وخرجت من الكلية وكنت أراه فى الترام ، أو ألمحه فى الطريق ، فأجد من إيناسه وسؤاله عنى ، وحفاوته بى ، ما يملأ نفسى شكراً ، وهذه مزية من مزاياه ؛ يشعر كل من يلقاه أنه صديقه الأوحد ، وأنه أقرب الناس إليه ، وأنه لا يشتغل إلا بذكره ومعرفة أمره ، والعناية به ، وكنت أزور المجمع العلمى العربى ، وهو من كبار أعضائه ، فأراه أحياناً فى مناقشات أدبية أو لغوية ، فإذا هو فى مجال العلم والحفظ ، كما كان فى مجال الرأى والفكر ، وإذا هو متسلط غلاب فى مصاولات الأدب واللغة ، كما كان الغلاب المتسلط فى مصاولات السياسة .

ومرت الأيام وصار رئيس مجلس النواب ، فكانت رياسته عجباً من العجب ، وكان الوافدون على دمشق ، لا يريدون إذا رأوا جامع بنى أمية ، والربوة وقاسيون ، إلا أن يروه على منصة الرياسة ، ليحدثوا قومهم إذا رجعوا إليهم بجليل ما رأوا وما حضروا كان النواب بين يديه (ولا مؤاخذة يا سادتى النواب) كالتلاميذ بل إن أكثرهم كانوا تلاميذه فعلا ، وكان يصرفهم تصريفاً لا يوصف ولا يثبت على الورق ، وما هم بالذين يصرفون أو يسيرون وإن فيهم لكل باقعة داهية ذرب اللسان حديد الجنان آفة من الآفات ، يطيح بالحكومات ، وينسف الوزارات ، ولكن الحدأة تسطو على العصافير ، فإن قابلت النسر المضرحىّ عادت هى عصفوراً ...

وكانت تشتبك الآراء ، وتتداخل المقترحات ، وتشتد المنازعات ، وتثور الحزبيات ، فما هى إلا أن يتكلم ويلخص الموقف ، ويفسر الأقوال ، ويبيّن المقاصد ، حتى يقرب البعيدين ويجمع الشتيتين ، ويصب على جمرة الغضب سطل ماء ، ويستل الرأى الموافق من بين الآراء المشتبكة ، سلّ الشعرة من العجين ، ويعرضه للتصويت ، وكان له فى هذا العرض (فنّ) ، ما تنبه له الناس إلا بعد حين ، هو أن فى النواب ، من لا يشتغل حتى ولا يرفع

اليد ، ولا ينال الأمة منه إلا حضوره الجلسة ، وقبضه الراتب ، وكان يعرف هؤلاء ، فتارة يقول (الموافق يرفع يده) ، فيكونون مع المخالفين ، وتارة يقول (المخالف يرفع يده) فيكونون مع الموافقين يكفّ بذلك من جوح الأكثرية ، ويقوم من اعوجاجها ...

***

وغضب منى سعدالله الجابرى مرة ، وكان رئيس وزارة ، وهو رجل حلبي لا يعرفنى ، فاضطررت أن استشهد بعض من يعرفنى من رجال الكتلة ، فما رأيت أقرب إلىّ من فارس بك ، وكان رئيس المجلس ، وقطب رحى السياسة العليا ، وكان كثير المشاغل ضيق الوقت ، ولم يكن بدّ من أن أسأله موعداً ، ولكنى كنت فى عجلة من أمرى ، فذهبت إليه بعد العصر فى ساعة ينام فيها أكثر الناس ، فحاول الشرطى أن يردنى ، فنهرته ورفعت صوتى فسمعنى فخرج إلىّ ، مبتسما ، وقال له :

— هذا الشيخ على ! ألا تعرفه ؟ إنه دائماً مشاغب !

وأدخلنى ، فرأيت المنصب لم يبدل منه شيئاً . إنما يبدل المنصب من يكون أقل منه فيكبر به ، لا من يكون أكبر من مناصب الأرض كلها ، وقديماً قيل : السنبلة المملوءة تنحنى ، والفارغة ترفع رأسها .

ودخلت عليه فى مكتبه وهو رئيس وزارة ، فما وجدت إلا أستاذنا فارس الخورى ، الأستاذ العالم الأديب الحاضر الجواب ، الصائد النكتة ، وكنت أظن أنى سأجد دولة الرئيس فارس بك الخورى الذى لايكلم إلا بعريضة ، ولا يخاطب إلا بالبروتوكول !

***

وفارس الخورى واحد من المشيخة الأجلاء الذين تعتز بهم دمشق ، والذين إن فاخرت انكلترا بتشرشل ، وعمله عمل الشباب وهو فى سن الشيوخة ، فإن كل واحد منهم تشرشل لنا ، لا نفخر بأنه بقى شابا فى عمر الشيوخ ، بل بما جمع إلى ذلك من العلم والفضل ، والثقافة والعرفان ، كالشيخ عبدالمحسن الاسطوانى علامة الشام الذى لا يزال موظفاً له همة الشباب ، وهو (حفظه الله) فوق التسعين ، والشيخ كرد على أبى النهضة الأدبية فى الشام ، الذى يعمل اليوم دائباً على المطالعة والبحث والتأليف ، كما كان يعمل منذ خمسين سنة ، عندما كان محرراً فى (المؤيد) ، وفى (المقتطف) من قبله ، وكان يصدر مجلة (المقتبس) من بعده ، فكانت دعامة ضخمة فى صرح نهضتنا الأدبية والعلمية ، والشيخ الذى لا يزال شاباً يمشى عشرة أميال ، وهو يقر أنه فى الثمانين ، والذى لا يُدرى أذهنه أفتى أم روحه أم جسمه ، الذى يكتب اليوم وقد كان يكتب من نصف قرن : المغربى ، والشيخ القوى الأمين ، الذى كان فى أول سنة من هذا القرن الهجرى قاضياً فى دوما ولا يزال عالماً عاملا نشيطاً كيوم كان فى دوما : سليمان الجوخدار وهذا الشيخ (الخورى)[1] الذى شهدت بعبقريته الدنيا ، وأكبرته الأجيال[2] على اختلاف ألوانها وألسنتها وبلدانها ، ورأت فيه (شخصية) ضخمة ، لا توزن بها (شخصيات) هؤلاء الذين ألقت إليهم قوة دولهم مقاليد الأرض ، وحكمتهم فى رقاب البشر ، واعترفوا بأنه حمل مع عبء الثمانين[3] حمل رياسة مجلس الأمن فكان خير رئيس له وأقواه . هذا ، وليس وراءه أسطول منه جاءت هيبته ، ولا قنبلة ذرية قامت عليها سطوته ، ما وراءه إلا أمة صغيرة كبّرتها عبقريته ، ودولة ضعيفة قوّتها (شخصيته) ، حتى كان صوتها أعلى الأصوات ، وكلامها أبلغ الكلام ، وخطبته عنها هى نقطة التحول فى مجرى الرأى فى مجلس الأمن ، كما قال الأستاذ الصاوى فى (أخبار اليوم) .

ولقد عجب الذين لايعرفون فارس الخورى لما سمعوا أنه لم يقرأ خطبته من كتاب ، ولا تلاها من ورقة ، بل ارتجلها ارتجالا ولم يكن فى يده إلا بطاقة فيها (خرابيش) بالقلم الرصاص ، رآه النقراشى وهو يخطها فحسب أنها مذكرات له فى مسائل عادية من مسائل الحياة ، فلما رأى أنها هى الخطبة العظيمة التى هزت أضخم هيئة دولية فى الأرض ، بلغ عجبه من هذا الرجل ، وإعجابه به ، أبعد حدوده ...

أما نحن فلم نعجب ، لأن الشيء من معدنه لا يستغرب ، وهذا الرجل الذى بدأ يتعلم الانكليزية قبل أن يولد أكثر أعضاء الوفد المصرى فى مجلس الأمن ، والذى أعطاه الله هذا الذهن العجيب ، فجعله لغوياً أديباً شاعراً حقوقياً مشاركا فى كل فروع الثقافة ، وأمدّه بمنطق سديد ، وعقل نادر المثال ، ورزقه ذكاء

---

(١) وآخرين لم أحصهم

(٢) الجيل : الأمة فالعرب رجل والترك جيل ، والانكليز جيل ، قبح الله هذا الجيل . (٣) لا الثمانية والستين .

ما أعرف أحدٌ منه ولا أمضى ، وبديهة غريبة ، وجمل له مع ذلك كله ، هذا الرأس الكبير ، وهذه الشيبة المهيبة ، وهذا الصوت المدوّى الملىء بالعظمة والثقة بالنفس والتعالى ، وهذا الصدر الواسع ، وهذا الحلم مع القوة ، وهذا الحزم بلا عنف ، هذا الرجل لا يستكثر عليه أن يرتجل خطبة باللغة الانكليزية ، وأن يحوّل بها أفكار وكلاء الدول فى مجلس الأمن .

* * *

وبعد فلا يحسب القارئ أنى غلوت ، أو بالغت ، فما ذكرت إلا ما أراه حقاً ، وما فى الأمر مجال لرغبة تدفع إلى المدح ، ولا رهبة تمنع من القدح ، فأنا لا أرهب الرجل ، ولا أرغب فى شىء منه ، وربما مرت هذه المقالة فلم يقرأها ، وإنما أريد المشاركة فى تأريخ سيرة عظيم من عظماء العرب .

(القاهرة) **على الطنطاوى**

القسم الحادى عشر :

فرنســـا ومستعمراتها

الاستعمار يواجه الاسلام فى الجزائر

للأســـتاذ أحمد رمزى بك

« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير » . (آل عمران)

« ولنبلونكم بشىء من الخوف والجـوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . (البقرة)

« قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » . (الأنعام)

تبرز للعالم قوة الإسلام وعظمة الرسالة المحمدية ، فى هذه الآيات البينات التى دعت المسلمين إلى الصبر والمصابرة للوقوف أمام حوادث الدهر بشجاعة وثبات فلا تلين قناتهم وتذهب ريحهم وإنا لنبعث بها تحية لإخواننا المسلمين بالجزائر الذين وقفوا أمام فرنسا وجبروتها . ولئن كانت صفحات كفاحهم السياسى والحربى فى الجزائر أمرها معروف تداولتها الأيام ، فإن كفاحهم الدينى فى وطنهم وثباتهم معجزة من معجزات الله ، لأن فرنسا فى معاهدة ١٨٣٠ مع حاكم الجزائر تعهدت كما قلنا باحترام الدين الإسلامى وشعائره ، وأخذت على نفسها المواثيق بأن تترك للمسلمين أوقافهم وعوائدهم ثم عقدت عدة معاهدات واتفاقات مع الأمير عبد القادر الجزائرى وغيره من الزعماء وفى نصوصها جميعاً : العهود والمواثيق على إقرار هذه المبادىء وهى حرية العقيدة وترك أمور الدين الإسلامى وشعائره بيد أهله .

ولكن هذه المعاهدات وما تحمله من أيمان ووعود وما أعقبها من تصريحات رسمية صادرة من الحكومة الفرنسية وممثليها ، ثم من الأمبراطور نابليون الثالث نفسه عند زيارته للأقطار الجزائرية كل هذا لم يمنع الاستعمار أن يبسط يده على كل شىء فى هذه البقعة العزيزة علينا ، وكان من جملة ذلك أن مدت فرنسا يدها إلى الدين الإسلامى وإلى الأوقاف الإسلامية ، تراث القرون الماضية ومفخرة المسلمين : لأنها أوجدت ووقفت وبقيت الأزمان واحترمها ملوك المسلمين وأمراؤهم لما يعلمون من أنها أرصدت للصرف على المؤسسات الإسلامية ، وهى هذه المدارس والمساجد الجامعة ، التى تحرص على تثقيف أبناء الأمة وتثبيت قواعد الدين ، وتلقين الناس تعاليم الشريعة الغراء .

فما الذى حدث فى الجزائر ؟

ذكر الدكتور أريكو انسابانو الإيطالى فى كتابه الإسلام وسياسة الحلفاء (ص ٧٠) ما يأتى بالنص :

ارتبطت الحكومات الأوروبية فى بعض الجهات باحترام أملاك الأوقاف وما أرصد من الأملاك على الزوايا والطرق الصوفية وهذا شرط خطير يحسن بإيطاليا أن تفكر طويلا قبل أن تأخذ به لما ينتج عن احترامه من نتائج وخيمة . سبق لفرنسا أن تحملتها فى الجزائر ، لأنها حينما أعطت هذه المواثيق والعهود لم تكن لديها فكرة واضحة تماماً عن أهميـة أوقاف المسلمين وأثرها فى إبقاء قوتهم الدينية فكان من نتيجة هذه السياسة المرتجلة أن ارتكبت فرنسا سلسلة من الأخطاء للخروج من هذه السياسة التى فرضتها على نفسها فاضطرت أن تناقض ما أخذت به نفسها وتعهدت للمسلمين باحترامه .

وقد هاجم المستعمرون نظام الأوقاف فى شمال إفريقية عامة ، قالوا إنه نظام رجعى يمنع تداول الثروات ، والقصد من ذلك

حرمان المسلمين من أملاكهم ، ونسبوا إليه أنه نوع من الاستغلال لعمل الإنسان لأنه يفرض الجبر وذلك حينما رأوا الطلبة والمريدين يتلقون العلم فى الزوايا والمدارس الإسلامية ، ويعملون فى زراعة الأراضى الملحقة بالمعاهد ، وكانوا يطلقون على هذا العمل التعاونى الإنسانى اسم المعونة ، ولما ازدهرت أملاك الأوقاف وزاد خيرها ، استكثروا هذا الخير عليها وحاربوها باسم الحرية والعدالة والمساواة ، وهم يعلمون أنهم يقصدون أولا وآخراً هدم قواعد الدين وإفقار أهله ، وهذا ما وصلوا إليه حينما شردوا الطلبة ونزعوا أملاك الأوقاف .

ولم تكن هذه الأوقاف مرصدة للعلم وحده وإنما كانت لوجه الله ، للسائل والمحروم وفى هذه الناحية بالذات يقول صاحب كتاب « التشريع الإسلامى الجزائرى صفحة ١٨٠ ما يأتى : « إن خمسة أعشار الأراضى الزراعية فى الجزائر كانت أوقافاً ، وأن فرنسا حينما صادرت هذه الأملاك ، بسطت يدها على الدين الإسلامى ، وجعلت آلافاً من الأهالى الذين كانوا يعيشون فى تلك الأراضى ، جماعات تتجول لطلب العيش فأصبحت تسمى بفيالق الفقراء » .

والحكومة الفرنسية تمثل فكرة لادينية ، لاييكية ، ومعنى هذه السياسة فى العرف الذى نادت به فرنسا هو : الكنيسة الحرة تتعاون مع الدولة الحرة .

وتفسير ذلك أن تمتنع الحكومة عن فرض إرادتها على أنظمة الكنيسة وقرارات رجال الدين ، فيبقى الفاتيكان يقوم برسالته الدينية والسياسية ، بحرية أوسع مما كان فى السابق .

ولما انتقدت سياسة فصل الدين عن الدولة صرح المسيو Thégard فى مجلس الشيوخ « أن هذا الفصل طلاق ولكنه يلزم الطرفين بالعيش تحت سقف واحد ، مع تعاون وتفاهم أوثق مما عهداه قبل صدور حكم الطلاق » .

وقال المسيو Mèline « إن الكاثوليك سيكونون أكثر كاثوليكية تحت هذا القانون ، لأنه يؤكد سلطة البابا ويحترم ممثليه ويترك لهم الحرية أن يقفوا للدفاع عن أعمالهم أمام ممثلى الجمهورية » .

وليس هناك أصرح من هذه الأقوال لترك شؤون الله لله وشؤون قيصر لقيصر ، فما الذى هيأته حكومة الجمهورية التى فصلت الدين عن السياسة ، لرعاياها المسلمين الذين اعترفت لهم بحقوقهم الدينية كاملة .

يقول صاحبا كتاب « بحث التشريع الجزائرى » صفحة ٦٣٢ لارشير Larcher دركتنفالد Decténvald .

« إن الأوقاف الإسلامية التى تتولاها الدولة يصرف دخلها على ناحيتين :

الدين الكاثيليكى : ٧٩٠٫٠٠٠ فرنكا .

« الإسلامى : ٣٣٧٫٠٠٠ «

والاعتراض الأساسى هو كيف تتولى دولة ينص دستورها على فصل تام بين شئون الدين والدنيا ، إملاك دين لم يكن له بها صلة فى يوم من الأيام ، فعلى أية قاعدة بنيت هذه السياسة ؟

والاعتراض الثانى هو إذا فرض أن رأت الدولة أن تتبرع من أموالها بهذه المبالغ وهى دولة لادينية ، فالمعروف أن اتباع الديانة الكاثوليكية لا يصلون إلى عشر السكان المسلمين ولكنهم يتمتعون بما يزيد على ضعف المبالغ المخصصة للشئون الدينية لمن هم أكثر من عشرة أضعافهم . فأى قاعدة إنصاف أخذت بها ؟

ويهون الأمر لو كان هذا تبرعاً ولكن يؤخذ من أملاك وأموال وأوقاف المسلمين وهى مرصدة ومحبوسة على هذه الناحية منذ قرون طويلة الأمد ولم يتعرض لها أحد من الدول التى تعاقبت على حكم الجزائر . وهذه ثالثة الاعتداءات التى لا يبررها منطق للآن .

ويفسر لنا كيف ضعفت الحياة الدينية فى الجزائر وفى ذلك يروى لنا « البير ديفوكلى » albert devaucl فى كتابه المؤسسات الدينية فى العاصمة الجزائرية أن مدينة الجزائر كانت تحوى ١٧٦ مسجداً فى سنة ١٨٣٠ ، ولا يوجد فى القطر الجزائرى بأكمله غير ١٦٦ مسجداً جامعاً كما ذكر ذلك صاحب « بحث التشريع الجزائرى » ولا نشك فى أن هذا العدد سيهبط إذا دام حكم فرنسا جيلا آخر .

ولبيان هذه السياسة التعسفية إزاء المسلمين وشريعتهم ودينهم يحسن أن نشرح هذه الفكرة من مراجع الاستعمار الفرنسى نفسه :

فقد جاء فى كتاب جورج هاردى Georges Hardy « نظرياتنا الاستعمارية الكبرى » « أنه فى المناطق التى لم يسدها الإسلام قط أى فى أفريقيا السوداء يجب أن تحاط الأديان

والمذاهب الإفريقية بما يكفل حمايتها وبقاءها وفى مناطق البربر يجب منع تعليم اللغة العربية منعاً باتاً ؛ وعدم تشجيع نشر المكاتب القرآنية ، ومنع نصب القضاة الإسلاميين والحيلولة دون تنفيذ شريعة الإسلام .

أما فى الجهات التى ثبتت قواعده فى ربوعها فلا مانع من تركه يعيش ولكن فلنحترس من الاهتمام بأمره أو إظهار الإعجاب به »

فهذه أصول السياسة الإسلامية الفرنسية وهى تحول دون انتشاره فى أفريقيا وتعتبر القبائل من أهل الجزائر ومراكش غير مسلمين ، وتحاول أن تحد من أثر الإسلام فى المناطق الإسلامية الصميمة .

فلننظر إلى ابتداء هذه السياسة وما تركته فى نفس الشيخ محمد بيرم التونسى صاحب كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار الذى طبعه سنة ١٣٠٢ هجرية عن زيارته لمدينة الجزائر فى رحلته عام ١٢٩٥ هجرية وقد مضى على ذلك سبعون عاماً تقريباً إذ قال :

« إن الدول الفرنسية هى القائمة بمصاريف إقامة الجوامع وما فيها من قراءة الأحزاب أو كتب الحديث لأنها استولت على جميع الأوقاف واقتصرت فى كل بلد على عدد مخصوص من المساجد تقوم به وغيره تصرفت فيه بما ناسبها وحرمت المستحقين من مالهم كأوقاف الحرمين » .

وذكر كيف أقدمت الهيئات التبشيرية عند وقوع المجاعة الكبرى فى الجزائر، على تنصير عدد من أولاد الأعراب وغيرهم من المسلمين بنات وأطفالا ، وأن بعضهم منهم لما كبروا وعلموا بأن أهلهم مسلمون فروا إلى أهليهم .

وأشار إلى بقية من علوم السلف كانت تدرس فى قسنطينة وتلمسان والجهات الجنوبية ولكن القلق كان شاملا أفاضل العلماء فقد تقابل مع الشيخ على الخفاف المفتى المالكى بقاعدة الجزائر وهو من تلامذة علامة القطر الإفريقى الشيخ إبراهيم الرياحى ، وله فضائل كاملة وتقوى وسكينة واطلاع فى الفقه والحديث ، ولما أنس بمؤلف الكتاب فاتحه فى أمر الهجرة إلى بلاد الإسلام فأخبره أن مثله نادر الوجود وأن بقاءه فيه لتعليم الناس دينهم ، أنفع له وأثوب عند الله من خروجه بنفسه ، وترك تلك الأمة المسلمة خالية من مثله ، بل ربما كانت هجرته سبباً فى خروج غيره ؛ فتحرم عامة المسلمين ممن يلقنهم تعاليم الإسلام وعقائد الفقه ، وقد ورد فى كتب الشريعة ، أنه إذا تعذر على ولى الأمر فداء الأسارى من يدى العدو فليؤخر بينهم العلماء » .

***

فهذه حالة الجزائر من ناحية من أهم النواحى التى فهمنا ، ناحية العقيدة الإسلامية وفيها عبرة وتذكرة لمن يريد أن يفهم حقائق الإسلام فى قطر من أعز الأقطار الإسلامية ، وأقربها إلينا وأبعدها أثراً فى تاريخ أفريقيا العربية التى لن تموت وفيها دعائم الإسلام قائمة .

وإننا لنعدها معجزة أن بقيت هذه الدعائم فى أفئدة ملايين من الناس بعد سنوات الضغط السياسى والمحاربة التعسفية التى أشرنا إليها ، ولكن الذى نخشاه هو أثر سياسة الافقار التى فرضتها فرنسا على رعاياها المسلمين فهذه أبعد غوراً من أى أساليب الإرهاق التى رآها العالم وهى التى ورد وصفها فى محكم الآيات الواردة بالقرآن بقوله تعالى : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس » فقد أصيب المسلمون فى نكبتهم بالاستعمار الفرنسى بهذه النوائب : قلة الغذاء ، وكثرة المرض ، وسكنى المنازل التى لا تليق بالإنسان . ثم دهمتهم فى السنوات الأخيرة نكبات القحط المتتالية ، وتفشت فيهم الأمراض القاتلة .

فهناك تفعل قلة الغذاء أو عدم تنظيمه ماتفعله فى كافة بلدان الدنيا التى أصيبت بحكم الأوربيين حتى أصبح الكلام هنا إعادة لما سبق ذكره وتأثير هذا كبير فى تكاثر السكان وتناسلهم ، وفى إخراج جيل من الأجناس البشرية ضعيف لايقوى على البقاء أو الصمود أمام تفوق الأجناس الأوروبية من الناحيتين : العقلية والبدنية .

ويسكن لدينا عدد من السكان فى أكواخ من صفائح الغاز الفارغة ولكن فى الجزائر يعيش أكثر من نصف مليون مسلم فى أحياء برمتها أو مدن قامت على هذا النوع من المساكن ولهذا لا نعجب أن نسمع إن أكثر من ٤٠٠٠٠ جزائرى مصابون بالسل وهو يعادل عدد المصابين به فى فرنسا وسكانها يقرب من أربعين مليونا ، ولما كانت الوقاية الصحية غير متوفرة لدى الأهالى وليس لديهم أية خدمات لحمايتهم فقد انتشرت الأمراض الزهرية

١٢ - تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

(تتمة)

الرموز فى الأحلام :

أظن هذه الأمثلة كافية لوضع حد لهذا الموضوع ، وهى ليست إلا أمثلة فقط ، فنحن نعرف أكثر من هذا كثيراً فيما يتعلق بالرموز . وإن فى استطاعتكم أن تتصوروا كيف تكون مجموعة من هذا النوع أكثر دسامة ، وأدعى إلى الاهتمام إذا قام بجمعها أشخاص خبراء فى دراسة الأساطير ، وحياة الإنسان ، وفلسفة اللغات ، والقصص الشعبية ، لا أشخاص مثلنا قليلو العناية بما يدرسون . غير أننا نجد أنفسنا مدفوعين إلى الاعتراف ببعض النتائج التى لا يمكننا أن نستنفد كل ما فيها ، ولكنها مع ذلك تمدنا بالكثير الذى يتطلب الروية والتفكير .

فنحن نواجه قبل كل شيء بالحقيقة الماثلة أمامنا وهى أن الحالم يجد تحت يده أسلوباً رمزياً للتعبير ، لا يعلم عنه شيئاً بل لا يستطيع أن يتعرف عليه وهو يقظان . وهذه الحقيقة لا يعادلها فى الغرابة إلا أن تكتشف فجأة أن الخادم التى عندك تفهم السنسكريتية فى الوقت الذى تعلم فيه أنها قد نشأت فى قرية بوهيمية ولم تتعلم قط هذه اللغة . وليس من السهل أن نوفق بين هذه الحقيقة وبين نظرياتنا فى علم النفس ؛ وكل ما نستطيع قوله هو أن معرفة الحالم بالرمزية معرفة لا شعورية تتصل بحياته العقلية الباطنة ، ولكنى أحسب أنه حتى هذا الفرض لن يساعدنا كثيراً فنحن إلى الآن لم نفعل أكثر من أن فرضنا أن هناك نزعات لاشعورية تكون مجهولة لدينا لبعض الوقت أو على طول الخط ؛ ولكن المسألة الآن أكثر اتساعاً ، وعلينا فى الواقع أن نعتقد فى وجود معرفة لاشعورية ، وارتباط لاشعورى بين الأفكار ، ومقارنات لاشعورية بين الأشياء المختلفة يمكن بموجبها لكل فكرة أن تستبدل دائماً بأخرى . وهذه المقارنات لا تنشأ من جديد فى كل مرة ، بل هى رهن الإشارة ، صالحة لكل وقت ، وهى نتيجة استخلصناها من التشابه الذى نجده بين الأشخاص المختلفين ، حتى على الرغم من تباين لغاتهم أيضاً .

ما هو المصدر الذى نحصل منه إذاً على معرفتنا بالرمزية ؟ إن استعمال اللغة فى الحديث لا يشمل إلا جزءاً بسيطاً فقط ، بينما الأمثلة المتعددة فى المجالات الأخرى تكون فى الغالب مجهولة لدى الحالم ، وقد عانينا نحن أنفسنا فى مبدأ الأمر مشقة فى تنظيمها والمقارنة بينها .

ونقطة ثانية هى أن هذه العلاقات الرمزية ليست صفة خاصة بالحالم أو بعمل الحلم ، وهو السبب فى التعبير بها ، لأننا اكتشفنا أن نفس هذه الرموز مستعملة كذلك فى الأساطير و« الحواديت » وفى الأقوال المأثورة والأناشيد ، وفى الأحاديث الدارجة والخيالات الشعرية . فميدان الرمزية ميدان غريب الاتساع ، وليست الرمزية فى الأحلام إلا جزءاً صغيراً منه ، وحتى إذا عالجنا الموضوع بأكمله من ناحية الأحلام فقط ، فلن يكون فى ذلك نفع ما .

انتشاراً اجتاح قرى برمتها .

إن أعظم صورة تقدمها فرنسا بعد حكم دام أكثر من قرن من الزمن ، هو مواكب النساء والرجال والأطفال الذين لا يجدون من الكساء إلا ما يسترهم يسيرون نحو بقايا الأطعمة ومزابلها يلتقطونها لسد رمقهم ؛ بعد أن حرمتهم حكومة الاستعمار من زعمائهم وقادتهم ومدارسهم وأوقافهم ، وفرضت عليهم الذلة والمسكنة وحرمتهم من كل مميزات الشخصية : الدين واللغة والتوجيه ؛ لقد بقى لهم شيء واحد هو : الإسلام والإيمان بالله .

« قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » .

ولقد يضحك الاستعمار من هذا الخضوع والاستسلام ، ويرى فيه أن الأمة التى كانت ترج البحر الأبيض المتوسط قبل احتلال فرنسا قد رقدت رقدتها النهائية وأصبحت فى ذمة التاريخ بعد أن أدت رسالتها ، ولكنه مخطئ لأن الأمة الجزائرية ستحطم هذه الأغلال ، وستخرج من هذه الظلمات بقوة تبهر فرنسا والكولون الفرنسى ، لأن النيران المتأججة لا يزال بريقها وإشعاعها تخفيه تحت الرماد أمة إذا تحركت وثارت ستهز هذا الركن هزة عنيفة لا تقدر على الوقوف إزاءها قوات الظلم والتعسف .

أحمد رمزى

فكثير من الرموز التى تقع باستمرار فى نواح أخرى ، يندر ظهورها فى الأحلام أو ينعدم بالمرة . ومن ناحية أخرى نجد أن الرموز المستعملة فى الأحلام لا تمر بنا فى كل مجال آخر ، ولكنها كما رأيتم ، موزعة هنا وهناك . ومن هنا يتولد لدينا الإحساس بأننا نعالج أسلوباً قديماً فى التعبير قد بطل استعماله ، ولم تبق منه إلا نتف بسيطة متناثرة ، واحدة هنا فقط ، وأخرى هنالك فقط ، وثالثة فى مجالات متنوعة ، ربما على أشكال مختلفة بعض الاختلاف.

وثمة نقطة ثالثة ، فلا شك أنكم ستدهشون لأن الرموز التى تقع فى المجالات الأخرى التى ذكرتها لكم ، ليست قاصرة على المواضيع الجنسية فقط ، بينما نجد فى الأحلام أن الرموز يقصر استعمالها فى الغالب على تمثيل الأشياء والعلاقات الجنسية . وهذه النقطة من الصعب تعليلها . أيحق لنا أن نفرض أن الرموز التى كانت فى مبدأ الأمر ذات دلالة جنسية ، قد صار استعمالها أخيراً بشكل آخر ، وأن من الجائز أن يكون هناك ارتباط بين ذلك وبين الميل عن الأسلوب الرمزى فى التعبير إلى أساليب أخرى ؟ أظن من الواضح أننا لا يمكننا الإجابة عن هذه الأسئلة إذا اقتصرنا على معالجة الرمزية فى الأحلام فقط ، وكل ما نستطيع عمله الآن هو أن نتمسك بما افترضناه من أن هناك علاقة خاصة قريبة بين الجنسية والرموز الحقيقية

وهناك دليل هام فى هذا المعنى قدمه إلينا أخيراً الباحث فى فلسفة اللغات « إتش . سبيربر » (H. Sperber) ، (وهو يعمل مستقلا عن التحليل النفسى) وهو أن الحاجات الجنسية كان لها النصيب الأكبر فى نشأة وتطور اللغات . فهو يقول أن الأصوات الأولى التى نطق بها الإنسان كانت وسيلة للمناجاة والاتصال بينه وبين الجنس الآخر ، ثم تطور الحال فيما بعد وصارت عناصر الحديث تصاحب أنواع العمل المختلفة التى يقوم بها الرجل البدائى . فكان الناس يبذلون الجهود المشتركة فى القيام بهذا العمل وهم يدندنون بأصوات وترانيم منغمة تسبغ على العمل طابعاً من الاهتمام الجنسى . ومعنى هذا أن الرجل البدائى كان يجعل العمل مستساغاً بأن يزاوله كما لو كان مساوياً أو بديلا من النشاط الجنسى . ولذا فالكلمة التى كان ينطق بها أثناء العمل المشترك كانت تحمل معنيين ، أحدهما يدل على العملية الجنسية والآخر على العمل الذى صار مساوياً لها ؛ إلى أن جاء الوقت الذى انفصلت فيه الكلمة عن دلالتها الجنسية وصار استخدامها محصوراً فى الدلالة على العمل . وعلى ممر الأجيال حدث نفس الشىء لكلمة جديدة لها دلالة جنسية ، فصار استخدامها للدلالة على نوع جديد من العمل . وبهذه الطريقة برزت عدة كلمات أصلية كانت كلها ذات مصدر جنسى ، ولكنها فقدت جميعاً معناها الجنسى . فإذا كان هذا القول الذى ألممنا بطرف منه هنا صحيحاً ، فإنه يفتح أمامنا على الأقل وسيلة لفهم الرموز فى الأحلام، فنستطيع أن ندرك السبب فى أن الأحلام ، وهى تحتفظ ببقية من هذه الصفات البدائية ، تحتوى على عدد من الرموز الجنسية أكبر من المعقول ، وأن الأسلحة والأدوات على العموم تمثل الذكر ، بينما المواد والأشياء التى يجرى عليها العمل تمثل الأنثى. ومعنى ذلك أن العلاقات الرمزية عبارة عن مخلفات هذا التشابه القديم بين الكلمات ، فالأشياء التى كان لها فى يوم ما نفس الاسم الذى يطلق على الأعضاء التناسلية ، تستطيع أن تظهر الآن فى الأحلام كرموز لها .

والنقطة الرابعة التى أود ذكرها تكر بنا راجعين إلى المكان الذى بدأنا منه ثم تسلك بنا نفس الطريق الذى سلكناه . فقد قلنا أنه حتى على فرض أن الرقابة رفعت عن الأحلام ، فإننا سنلاقى مع ذلك صعوبة فى التفسير ، لأننا سنواجه فى هذه الحالة بمشكلة اللغة الرمزية المستعملة فى الأحلام والتى تتطلب منا ترجمتها إلى اللغة المستعملة فى حياة اليقظة . وعلى هذا فالرمزية تعتبر عاملا ثانياً قائماً بذاته فى تحريف الأحلام ، وهو يقف جنباً بجنب مع الرقابة ولكن النتيجة الواضحة هى أن الرقابة تجد أن من الملائم لها أن تنتفع بالرمزية ، بما أنهما يخدمان نفس الغرض ، أى خلع هالة من الغرابة والغموض على الأحلام .

وأما إذا كانت ثمت دراسة أخرى للأحلام لن توصلنا إلى معرفة عامل آخر يشترك فى التحريف ، فهذا ما سوف نراه قريباً. ولكن يجب أن لا أدع موضوع الرمزية فى الأحلام قبل أن أمس مرة أخرى الحقيقة المبلبلة وهى أن الرمزية قد نجحت فى إثارة معارضات قوية بين أشخاص مثقفين على الرغم من أن تفشيها فى الأديان والأساطير ، والفنون واللغات ، مما لا يقبل الشك. أليس من المحتمل إذاً أن السبب فى ذلك يرجع هنا أيضاً إلى الصلة التى بينها وبين الجنسية ؟

محمد جمال الدين حسن

مع ميخائيل نعيمه

فى (زاد المعاد)

للأستاذ مناور عويس

« غداً ستغمرنا لجة العدم بأحزابنا وأوصابنا ، بجائعنا ومتخومنا ، بفقيرنا وموسرنا ، بوجيهنا وحقيرنا ، وستقوض الأيام أركان ما شدناه من البنايات السياسية والاقتصادية فلا يبقى إلا الخالد والجميل والحق فينا ... ومن ذا الذى يبقى ليخبر عن الخالد والجميل والحق فينا إن لم يكن ابن الأدب والفن ؟ ! »

« نعيمه »

لك الله يا ميخائيل كم لك على من يد بيضاء !

فى الثالث والعشرين من حزيران سنة ١٩٤٧ فجعنى الموت بابن أخى « جمال نورى عويس » فرحت ألتمس العزاء فى الشعر العربى القديم منه والحديث — فقد كان الأدب وما زال هو الملجأ والمعاذ الذى أهرب إليه فى الأزمات والملمات — فماذا وجدت ؟ وجدت شعراً مفجعاً مؤثراً غير أنه فردى لا يصلح لكل إنسان ولا يسمو به فوق المكان والزمان ، اللهم إلا رائعة رهين المحبسين الخالدة وهل أعنى سوى « غير مجد » ؟

وإذا بيدى تمتد إلى « زاد المعاد » فأفتحه وإذا بى أقع على هذه الآيات فى الموت والحياة :

« وعندى أن من ينوح على ميت إنما ينوح على الله ، ومتى كان الله فى حاجة إلى نوحكم ونوحى ؟ أو ليس الله حياً من الأزل وإلى الأبد ؟ إذن كل ما ينبثق منه يحيا بحياته مهما تبدلت أحواله وكيفما تغيرت أشكاله ، والذى يقول إن الأموات بادوا واندثروا إنما يقول إن الله الذى كان وما يزال حياً فيهم قد باد واندثر .

والذى يؤمن بأن الموت رب الحياة أحرى به أن يعبد الموت ويكفر بالحياة ، والذى يبصر فى الموت نهاية الحياة إنما هو ضرير لا يبصر الحياة ولا الموت ! ...

فما بالنا ونحن الذين حصرنا الزمان بين المهد واللحد نقبّل على المهد ونهرب من اللحد ، وما المهد إلا طريق اللحد وبابه ؟ !

ما بالنا نلثم اليد التى كتبت الفاتحة ونعض اليد التى خطت الخاتمة ، واليد التى خطت الخاتمة هى عين اليد التى كتبت الفاتحة ؟ إن تكن خاتمة العمر شراً فالفاتحة التى تؤدى إليها شر مثلها . وإذ ذاك أحرى بنا أن ننوح على من يولد قبل أن ننوح على من يموت .

أترونى أكلكم بالأحاجى ؟ وبماذا عسانى أكلكم إن لم يكن بالأحاجى ؟ وتقاليد الناس قد جعلت من وجودهم سلسلة كل حلقه فيها أحجية ؟ أجل . إنها لأحجية أن تفصل بين الحياة والموت وهما متصلان اتصال النهار بالليل ، واليقظة بالمنام ، والزهرة بالثمرة ، وقطرة الطل بقطعة الجليد . إنها لأحجية أن تميت نبات الأرض وطيرها وحيوانها لتحولها لحماً فى جسدك ودماً وعظماً وأن تدعو موتها حياة وعندما تحول الأرض جسدك نباتاً وطيراً وحيواناً أن تدعو ذلك موتاً لا حياة ! إنها لأحجية أن تأكل الموت فى كل ما تأكل وتشربه فى كل ما تشرب وتلبسه فى كل ما تلبس . وأن تنام وتقوم وإياه . وأن تشتهيه فى كل شهوة من شهواتك . وأن تباركه فى كل ذلك باسم الحياة . ومن ثم أن تلعنه عندما يأكلك ويشربك ويلبسك ويشتهيك ! ... الخ

قرأت هذه الآيات التى تزخر بالإنسانية والفلسفة والشعر والمنطق فإذا بى أحس بدبيب التعزية يسرى فى نفسى وإذا بالثورة التى كانت تمتلج فى روحى قد استحالت هدوءاً وسكينة واستسلاماً فخرجت بالنتيجة الآتية :

إن الأدباء صنفان : صنف يرهقك بآرائه وآراء غيره الجافة التى تعتمد على البحث والاستقراء دون أن يعطيك شيئاً من روحه ووجدانه ، وصنف يقدم لك روحه ووجدانه طعاماً شهياً بأسلوب سهل واضح لا غموض ولا أنانية فيه . ومن الصنف الثانى شاعر الإنسانية الشاملة ، شاعر المحبة ، شاعر الحياة وكاتبها الكبير الأستاذ ميخائيل نعيمه ! ..

فأنت تقرأ حين تقرأه فلسفة عميقة ومنطقاً سليماً وأدباً رائعاً دون أن تحس بإرهاق فى عقلك أو توتر فى أعصابك ، فأنت معه فى بستان حافل بكل ما يعجب ويطرب ويلذ ...

فبينما ترى الصنف الأول من الكتاب يمتح من معين غيره ترى الصنف الثانى يستقى ويسقى من نفسه وروحه ، ومن يستوح نفسه يستوح أرواح الناس جميعاً ؛ الأول يكتب فى كل شىء

ولا يكتب فى شىء ؟ الأول بحاثة والثانى صاحب رسالة ، الأول تقرأه مرة وقل أن تحس بحاجة للرجوع إليه ، والثانى لا تستغنى عنه لأنه منك وإليك ! ... الأول أنانى محدود الآفاق ، والثانى واسع شامل عميق كالحياة ، الأول يشبه البركة الراكدة ، والثانى يشبه الأوقيانوس !

فالأديب الذى لا يكفكف عبرة ، ولا يكشف غمة ، ولا يحل عقدة هو أديب حظه من البقاء قليل ونصيبه من الخلود هزيل ..

قدّر لى أن أنشأ نشأة ريفية صميمة ، فقد تفتحت عيناى على تلك الجبال التى تغزل بها سليمان فى نشيده الخالد : « شعرك كقطيع الماعز الرابض على جبال جلعاد » هذه الجبال جبال جلعاد أو جبال عجلون — كما تدعى اليوم — هى مجلى هواى ومرتع صباى ... كنت أفارقها — مرغماً — العام والعامين — طالباً أو مسترزقاً — وأعود إليها مستروحاً مستجما — لأغتسل من أدران المدنية وأتطهر من أقذار المدنية ، ولقد كنت أشعر شعور الحاج أقبل على الأماكن المقدسة ، فمن مشاعر غريبة مبهمة وأحاسيس غامضة من الحنين والشوق والحب والشعر والدين ، إلى عواطف متضاربة من الفرح والحزن ، والعبوس والابتسام .

كنت أقف إزاء هاتيك الجبال الأزلية ، التى شهدت فجر الخليقة وستشهد غروبها ، خاشعاً مبهوتاً ، وأهبط إلى تلك الأودية العميقة الرهيبة فأحس بحاجة ملحة إلى السجود والتعبد ، كما كنت أشعر بإشراق فى روحى وفرح وحشى فى قلبى لا يعرفه إلا ابن الطبيعة ، الذى ألف ولولة الرياح وهزيم الرعد وانفجار الصبح ولمع البروق ! ... ولطالما أحسست وأنا أسير بين تلك الجبال الحبيبة التى عرفت طفولتى وصباى وشهدت ملاعبى وهواى بالحاجة إلى نظم الشعر أو كتابة النثر فكانت تعجزنى الأداة وغلبة الإحساس الطاغى على التفكير والتركيز ، فتسيل عواطفى من عينى ، وتستحيل الفكرة فى رأسى إلى نوع من الشرور والذهول ، ولست أدرى أكانت دموعى دموع الفرح بعد طول الفراق ، أم دموع الأسى على هاتيك الأيام والليالى التى بدّدتها فذهبت إلى غير رجعة ؟ !

ظل ذلك شأنى إلى أن قرأت هذه الآيات من خطاب « نعيمه » إلى أبناء بلدته « بسكنتا » إثر عودته من أمريكا :

« يا أبناء بسكنتا يا لحمى ويا دمى !

منذ عشرين عاماً أدرت وجهى إلى البحر وظهرى إلى صنين واليوم صنين أمامى والبحر ورائى . وأنا بين الاثنين كأنى فى عالم جديد وكأنى ولدت ولادة ثانية .

ما أنا بالنبى يصنع العجائب ، غير أنى منذ عدت إليكم والعجائب تكتنفنى ، فكأننى فى عالم مسحور . أنظر إلى الجبال التى كنت أتسلقها فإذا بها تتسلقنى ! وإلى الأودية التى كنت أهبط إليها وإذا بها تهبط إلى أعماقى ! وإلى البساتين والكروم والحقول التى كنت أمشى فيها وإذا بها تتمشى بين جنبات ضلوعى ، وكأن كل غرسة فيها غرست فى داخلى . وكأن كل يد تعمل فى تربتها تعمل فى تربة نفسى ! ...

أكاد لا ألمس حجراً إلا تفجرت منه سيول من الطهر والجمال ! أكاد لا أسمع زقزقة عصفور إلا سمعت فيها أجواقاً من الملائكة ترنم بصوت واحد « قدوس . قدوس قدوس . ! » أكاد لا أرفع بصرى إلى نجم إلا تدلت منه سلالم سحرية . هى سلالم المحبة التى تربط كل مافى السماء بكل ما على الأرض ! ...

ومن ثم فكيفما انقلبت تجمهرت على ذكريات ما كان من حياتى قبل هجرتى . فهى تثب علىّ من جوانب الطرق ، وشقوق الصخور ، وخطرات النسيم ، وقطرات عيون بسكنتا الكثيرة »

فأى امتزاج فى الطبيعة هذا الامتزاج ؟ ! وأية صوفية ، وأية روحانية تطالعك من هذه الفقرات ؟ !

إن الشعور الطاغى الذى كان « سديماً » فى صدرى قد جمله نعيمه شموساً وأقماراً وأرضاً ، والأفكار المشوشة ، والحنين المبهم والشوق المحرق ، قد حوله نعيمه بمقدرته الفنية إلى أدب رفيع وفن رائع !

إن ما كنت أحس بالرغبة للتعبير عنه ولا أستطيع إليه سبيلا بغير الصمت والخشوع والدموع ، قد عبر عنه نعيمه بأسلوب الملهمين وأصحاب الرسالات الروحية الخالدين!

فالكاتب الذى ينطق بلسانك ويشرح ما يكنه جنانك هو أديب وأى أديب ! ...

والأديب الذى يجد الناس فى أدبه بلسما لجراحهم ومتنفساً لخواطرهم ومعبراً عن أحاسيسهم ومشاعرهم هو أديب فيه نبوة وفى أدبه قدسية ! ...

يافا

منور عويس
مدرس الأدب العربى بكلية ترا سانطة

أدب العروبة فى الميزان

للأستاذ على متولى صــــلاح

– ٣ –

من كتاب هذا الكتاب الأستاذ كامل محمد عجلان، وأشهد أن لهذا الأستاذ قلماً، وأن له كتابة تنبىء عن مستقبل وتبشر بآمال، وأحسب أن مرد ذلك لا إلى أنه يتولى تدريس علوم البلاغة فى الأزهر، ولكن لأنه أديب مطبوع له قلب وفيه خيال زادتهما الدراسة عمقاً وأصالة وصقلا، أنظر إلى قوله عن الربيع إنه « أنفاس الجنـة وريش حمائمها، ونثار الملائك، وغراس القدرة، تطله العناية لتمسح بمراياه لنوب الحياة المكافحة، وهو خطوط رقمها الله معالم، وصوى تهتف بالقلوب وتنزع عنها لباس الجمود فتسيل إيماناً بالجمال الذى يرقص الإنسـان على هدهدات الظلال وميسات الغصون وتغاريد الطيور وخرير الماء . »

هذا كلام له قيمة وله وزن عندما توزن الأقوال، وهذا كلام أديب أصيل فى الأدب يعرف كيف يصوغ الألفاظ وكيف يصطفيها. وفى الكتاب أربع كلمات أخرى عن الربيع لأدباء آخرين لا توزن جميعها بهذه الكلمة إذا وضعت معها فى ميزان!

وانظر إليه وهو يخاطب القمر فيقول له « ما أنت يا قمر؟ أنت راهب الأحلام وسواق الأمانى تلقيها فى قلوب الحيارى وتشمشع بها عواطف العاشقين، وتداعب بها الساهدين فتكون برداً على أفئدتهم الهواء، وسعيراً إذا طال أمد الحبيب، وشدت الأضالع بالأنفاس المبهورة والزفرات الأسيفة.

يا ابن السماء: إذا غابت عنا شموس الفتنة أرسلتك صفحة تنشر سحرهن وتفتن العابد وتسل عليه من سيوف الأحلام ما يبعث اليقظة الثائرة تهز القلب وتراود الواهى بين الحنايا فينقاد ويعود إلى محاريب الجمال وملاعب الصبوات » . أين من هذا الكلام الجميل كلام صاحب له فى القمر أيضاً يقول فيه « ..هات الناى فصلاتنا اليوم ألحان، وشرابنا رحيق من كوثر الإيمان طوبى للقمر إنه آية فى الفرقان، ويمين أقسم به الديان تسبح فى الأكوان، تنادى هيا أيها الإنســـان، أعبد الله لا تكن قرين الشيطان، فحياة القلوب فى عبادة الرحمن. » هذا كلام مرصوص كالبنيان، ليس وراءه قلب ولا وجدان، ولكنه السجع الذى شغف به وعبده الكثير من أدباء هذا الزمان!!

والشعراء فى كتاب « أدب العروبة » هم الكثرة الغالبة فيه حتى كان يمكن أن يسمى هذا الكتاب « شعر العروبة » ووكيل الجماعة الأستاذ محمد عبد المنعم إبراهيم له فى الكتاب سبع قصائد لكل مهرجان قصيدة! ولقد قرأتها جميعاً فى أناة ومهل، وقرأتها أكثر من مرة، وفتشت جاهـداً على أجد فيها شعراً جميلا يستحق النشر والإعلان بله التنوية والإشادة فما وجدت والله من ذلك شيئاً! فشعره — ولا حياء فى الحق — ليس فيه سمة واحدة من سمات الشعر إلا أنه موزون مقفى! أستغفر الله فقد انحرف عن استقامة الوزن فى بعض شعره كقوله فى قصيدة الهجرة: —

هيا اترعى وامنحى الظمأى حلاوتها

هاتى لنا الدنيا ... هاتى لنا الدينا

فالشـطر الثانى غير مستقيم الوزن، وكقوله فى قصيدة مهرجان الفيوم:

بشراً عبقريا بأنى أغـنى فأشيع النبوغ فى الأكوان!

فالشطر الأول غير مستقيم الوزن، وكقوله فى قصيدة مهرجان المنصورة:

الشـعر جند لا سبيل لصده لا يختشى ناراً أو يخاف أسوداً

فالشطر الثانى غير مستقيم الوزن كذلك.

وشعر الأستاذ فوق بعده عن الرنين والإيقاع والموسيق، وفوق أنه لا يعنى مطلقاً باختيار ألفاظه بل يسوقها سوقاً من أى واد يتفق له ساعة ينظمها فهو لا يحفل بالمعانى ولا يقف عندها ويتأنى لها حتى تخرج للناس شيئاً يمكن أن يقال عنه شعر، فهو يقول عن القمر مثلا إنه:

عطوف حدبه وسـع البرايا ويشقى هديه الجفن القريحا!
ويسهر دائباً طول الليالى ويكبح سحره البحر الجموحا!

فهل يشـقى القمر الجفن القريح؟ وهل يكبح القمر البحر الجموح؟ أم هو كلام موزون وكفى؟! ويقول عنه أيضاً إنه: —

صموت لا تزعزعه العوادى وكان بصمته معنى فصيحا « كذا »
ويغضى عن عيوب الناس طراً ويفسح للمحاسن كى تفوحا

فما للصمت وللموادى ؟ أو ما للقمر وللموادى ؟ وما إغضاء القمر عن عيوب الناس طراً ؟ هذا خلط من القول يجب أن يوارى.

ويقول فى مهرجان الهجرة عن صاحبها عليه السلام :

مواكب الخير فى دنيا وآخرة   كانت لدعوته العليا ميادينا
حتام نشكو الضنا والسعد فى يدنا   يكفى جميع الورى طراً ويكفينا؟

فإن كلمة « السعد فى يدنا » هذه أقرب إلى كلام العامة من الناس ، وهل كانت مواكب الخير فى الدنيا والآخرة يوماً ميداناً لدعوة ؟

ويقول فى مهرجان الفيوم عن مصر :

قد بنينا الحياة علماً ومعنى   لزكاة الأرواح والأبدان

إلى أن يقول عن مدينة الفيوم :

هاهنا السحر ، هاهنا الشعر والآ   داب والدين والمنى والأمانى !

فأى حشد من الكلام هذا ؟ وأى شعر فيه ؟

ويقول فى مهرجان « الفاروق » : —

بالعدل والخلق والإيمان منزله
قد جاوز النجم والأقمار والشهبا « كذا »

قد كنت أعلم أن الشمس عالية   مهما الخيال ارتقى للشمس ما اقتربا
جمت كل معانى المجد قاطبة   العدل والملك والأخلاق والحسبا

فهذا كلام عام لا سمة فيه ولا معنى له إلى أنه ركيك العبارة فاسد التركيب .

ويقول مخاطباً الناس منبهاً لهم إلى ارتياد الجمال :

تخذوا الجمال إلى الكمال وسيلة   وتفيئوه بأقدس النظرات
ومُذْ اطمأنت للجمال نفوسكم   ووصلتم الحسنات بالحسنات
ترثون كنز الأنبياء فضائلا   وتبادلون الطهر خير صلات !

أنا أرجو القراء الكرام أن يدلونى على معانى هذه الأبيات ومدى ارتباط بعضها ببعض فقد عييت بفهمها وإدراك ما يقصد الشاعر إليه فيها . ولا أسرف أكثر من ذلك فى سوق النماذج من شعر الأستاذ فكلّ شعره من هذا الطراز هلهلة وتفككا واضطراباً ، وسيجد القارىء مصداق كلامى إن هو اعتمد على الله واحتسب عنده تعالى ساعة يقرأ فيها قصائد الأستاذ فى الكتاب ! ولست أحصى كذلك أخطاءه اللغوية والنحوية فيبدو لى أن الأستاذ لا يأبه كثيراً لذلك ويجد الأخطاء اللغوية والنحوية من الهنات الهينات التى لا يقام لها وزن كبير ! وهل يحفل بالأخطاء النحوية واللغوية من يقول مخاطباً القمر « وأرجع مجدنا الضخم الفسيحا » بهمزة القطع مع أنه قرأ قول الله تعالى « فإن رجعك الله إلى طائفة منهم » وقوله تعالى « قال رب ارجعون » بهمزة الوصل ؟ ثم هو يعكس الأمر حسب هواه أو حسب هوى الوزن الشعرى فيقول « هيا ارعى وامنحى الظمائى حلاوتها » بهمزة الوصل والصواب أن يقول « أرعى » بهمزة القطع فيركب السيئتين معاً ؟

وهل يعنى العناية الواجبة بلغته من يقول « لكنه وهب الحياة خلوداً » والله تعالى يقول « رب هب لى من لدنك ولياً » ويقول « ووهبنا له » أومن يقول مثل عبارته عن القمر « ولكن يضرب المثل النصوحا » أو عبارته عن القمر أيضاً إنه « يفسح للمحاسن كى تفوحا » ؟ أو يقول عنه أيضاً : —

ولو شاء لستكان إلى قعود   ولم يسمع لعاوية نبوحا « كذا »

أنا أطلب إلى معالى الرئيس الشاعر الذواقة أن يوارى هذا الكلام ولا يأذن بنشره على الناس ، أو أن يلزم أصحابه التجويد والأناة والمهل إن كان بهم طاقة على ذلك وإلا فليس الشعر هزلا وليس الشعر كلاماً يلقى على الناس دون حساب ودون ضابط فيكون شعراً بإذن الله !

ولو شاء الأستاذ لرأى فى صديقنا الدكتور إبراهيم ناجى من أصالة الشاعرية وسمو الخيال وموسيقى اللفظ ما لو نهج فيه نهجه لكان مثله من الشعراء المجيدين ولكن الله يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور !

وللأستاذ الدكتور إبراهيم ناجى فى الكتاب ثلاث قصائد فقط لا تعدل قصائد الأستاذ محمد عبد المنعم ابراهيم السبع واحدة منها والدكتور ناجى شاعر بالفطرة وشاعر باللفظ وبالمعنى وبالخيال الفسيح البعيد ، وبالموسيقى التى تشيع فى جو قصائده . والقصائد الثلاث التى احتواها كتاب « أدب العروبة » لا تعبر عنه تمام التعبير ولا تدل عليه تمام الدلالة فأنا أعرف له الكثير من الشعر العذب الرصين السائغ السامى ولكننى لست إلا بصدد الكلام عن كتاب « أدب العروبة » فأنا أعرض نماذج من شعره فيه ليرى القارىء معى ما أرى من جمال الشعر وسمو الخيال ،

فهو يقول عن نفسه فى قصيدة « الربيع » : —

إنى فراش خميلة قد جنَّ فى عرس الربيع الضاحك المختال
خلق الربيع له جناحىْ نشوة وسقاه كأسىْ فرحة وخيال
حسن وقفت على سناه مباليا وأنا الذى ما كنت قبل أبالى
غنيته حتى إذا حجب النوى أنواره وجبينه المتلالى
غنيته فى القلب محتفلاً به مترقباً عود الربيع التالى ...

ألا ترى أن ذلك شعر يوشك أن يكون غناء ؟ وأن له جرساً وموسيقى ورنيناً ؟

ويقول فى قصيدة الفيوم هذه الأبيات البديعة حقاً يخاطب مصر : —

تالله لو فى الخلد كنت بموضع أو فى المجرة مصبحى ومهادى
لرنت لشطيك النواظر من عل وهفا إليك من الجنان فؤادى

إلى أن يقول : —

خير الوثائق ما كتبت سطوره بدم الضحايا المحض لا بمداد
تمليه إملاء القوى محطماً بيديك أنت مذلة الأصفاد !

ويقول فى مهرجان « الشرقية » من قصيدة عنوانها « المجد الحق » ما يأتى : —

أين الغزاة الألى مروا بنا زمراً وأين بالله تيجان ودولات ؟
مروا ومصر على التاريخ باقية كصفحة حولها للنور هالات
يد تخط وأخرى غير وانية لها على الدهر توكيد وإثبات
هذا هو المنطق العالى وأعجبه محض من الزور وشته الضلالات
ومسرح فى الليالى لا جديد به لكن يمادعليه الذئب والشاة !

أو لرأى فى صديقنا الشاعر المرح الطروب الأستاذ محمد مصطفى حمام مثلا عالياً فى هذا اللون الطريف من الشعر فى عبارة رنانة أخاذة وموسيقى تأخذ بمجامع القلوب ، انظر إليه وهو يقول فى « فلسفة الربيع » هذا الكلام الجميل السهل : —

لى وللناس فى الربيع معانى ولنا فى الربيع أحلى الأمانى
فربيع الحياة عصر التصابى وشباب الأرواح والأبدان
وربيع « الجيوب » إحراز مال وامتلاء بالأصفر الرنان !
وربيع « الموظفين » علاوا ت ورزق يأتى بغير أوان !
وربيع الأديب لقيا عروس زفها الشعر من عذارى المعانى
كم لهذا الربيع فلسفة تحـ ـلو وكم للربيع من ألوان !

فهو يصدر فى شعره هذا عن طبيعته المرحة الطروب ، وهو الذى لا تفارق الابتسامة ثغره ، ولا النكتة حديثه ! وانظر إليه وهو يقول فى قصيدته « مناجاة القمر » هذا الشعر الجميل : —

يا بدر ... يا سلوة للقلب شافية إذا ألح عليه الهم والضجر
ويا رقيباً على العشاق مؤتمناً السر عندك مكنون ومدخر
ويا حسيباً جرت أسطار صفحته بالخير والشر مما قدم البشر
يامن تموت وتحيا ... ثم لا هرم يبدو عليك ولا ضعف ولا كبر
يا من تعيش بأعمار مجددة وكل يوم ترى الأعمار تهتصر
ياقيصراً عرشه الدنيا وما وسعت وجنده الأنجم الوضاءة الزهر
يا صورة من جمال الله مشرقة والشاعر الحق تسبى لبه الصور!
دعنى أسامرك فى جد وفى هذر ففى لياليك يحلو الجد والهذر
كم ليلة لحت فيها شاحباً أرقاً كأنما شفك التطويف والسهر
أو ضقت بالظلم يغشى الأرض قاطبة
أأنت مثلى طريد الظلم يا قمر ؟

وبعد : فإن كتاباً يضم بين دفتيه أمثال هذين الشاعرين يجوز أن يتخرص عليه المتخرصون ويأفك به الأفاكون ، ويقولون طبعوه فى مطبعة حكومية ؟ ألا ليت المطابع الحكومية تخرج للناس — على نفقتها لا على نفقة المؤلفين — كل يوم كتاباً هكذا فذلك أجدى على الناس وعلى الدولة مما تخرج من إحصاءات وأرقام ومناشير لا غناء فيها ولا طائل وراءها ...

على متولى صلاح

٢ — من ذكرياتي في بلاد النوبة :

فى البـــاخرة!!

للأستاذ عبـــد الحفيظ أبو السعود

وتحدث بعض الناس عن عنيبة مادحاً ، فهذا تاجر — أخنى عليه الدهر ، فاضطر ليعمل ساعياً فى بعض مصالح الحكومة — يحدثنا فوق ظهر الباخرة حديث الخبير العليم ، عن أحوال عنيبة وظروفها ، وما ينعم به موظف الحكومة ، والمدرس خاصـة ، بشتى ضروب النعم ، ومختلف لذاذات الحياة . وأن عنيبة باريس بلاد النوبة عامة ! وأنها جنة الصعيد على الإطلاق ، جواً ، ومنظراً وبعداً عن الحشرات والأمراض .. !!

ووقع هـذا القول من نفوسنا موقعاً جميلا ، فـماذا يبغى الإنسان من دهره غير حياة هادئة وادعة ، يجد فيها لذاذة العيش ، وراحة البال ؟ !

وهذا رجل آخر يذكر لنا وفرة الطيور ، وكثرة اللحوم ، ورخص الخضر ، وبعض أنواع الفاكهة ، وأنه على اسـتعداد ليوفر لنا كل ما نحتاج إليـه ، ويورد لنا كل ما نريد ، دون أن نحرك ساكناً ، أو ننقل قدماً ، وأن الدجاجة الكبيرة التى تساوى فى القاهرة ثلاثين قرشاً ، بثمانية قروش ، والزوج من الحمام بسبعة قروش ، والرطل من اللحم الضأن بسبعة قروش أيضاً ، وثمن أربع بيضات قرش واحد ! !

وكانت هذه الأثمان تسترعى انتباهنا ، وتستوجب دهشتنا ، وكان معنا فى الباخرة مهندس ميكانيكى ، وقاض شرعى منقول هو الآخر إلى عنيبة ، فأخذ كل منا يعلق على هذا الكلام القريب من كل نفس فى هـذه الأوقات ، وفى عينه فرحة ، وفى وجهه دلائل الدهش والاستغراب ! فكلنا ذاق مرارة الجشع . وقسوة الطمع ، وارتفاع الأثمان إلى أضعاف ما يجب أن تكون عليه ، ولا يزال علمنا بأثمـان الحاجيات ، ليس ما تسعره الحكومة وتفرضه ، وإنمـا ما نشترى به بالفعل ، من أيدى التجار . الذين لا يخافون الله ، ولا يخشون عين الحكومة ، ولا سطوة القانون .! مكثنا نضرب مع أولئك الذين يدعون أنهم على علم ببواطن الأمور فى عنيبة ، وكأنمـا فهموا منا هذا الإحساس ، فسمعنا ما جعل الشك يدب إلى نفوسنا فى هذه الأحاديث ، وأن ما يقال ليس هو الحقيقة والواقع ، وإنما أراد هؤلاء الانتفاع منا فأعرضنا عنهم ، وبخاصة وأن واحداً من الزملاء كان ناقماً أشد النقمة على هذه الرحلة ، ويرى فيها شؤماً أى شؤم ، وعذاباً أليماً ، وانتقاماً ليس بعده انتقام ، وتوهيناً للقوة ، وتشتيتاً للشمل الجميع ... !

ولهذا كان يناهض كل مادح لعنيبة مناهضة قوية ، ويعارضه فى شدة وقسوة ، فهو يريد أن يعيش فى القاهرة بنصف مرتبه ! ولا يحب أن يأكل زوجاً من الحمام فى عنيبة ، ويأكل فى القاهرة أو فى بلدته نصف حمامة فقط ! ولا يحب أن يأكل فى عنيبة رطلا من اللحم ويأكل فى القاهرة أو فى أى بلدة أخرى ربع رطـل فحسب ! ولا يريد أن يدخر فى عنيبة ثلاثة أرباع راتبه الشهرى ، ويحب أن ينفق كل مليم من دخله فى القاهرة أو أى بلدة أخرى ! !

وهكذا مضى يناقش ويناضل فى قوة كل من يثنى على هذه البلاد بقليل أو كثير ، وكأنما كل مادح فى عنيبة هو الذى قضى عليه أن ينقل إليها ، ليلقى فيها عناء الوحـدة القاتل ، ومرارة التعذيب الأليم ... ! !

ولهذا فإن هذا الزميل ، كان يأنس بفريق آخر من الناس ، زَمَّ شفتيه عنـد ما علم أننا ذاهبون إلى عنيبة ، ونظر إلينا نظرة رثاء وإشفاق ، ورأى أننا مشردون منفيون لا محالة ، ولا بد أننا قمنا بحركة سياسية لم ترض القائمين بالأمر ، فحكموا علينا بذلك الحكم القاسى ، الذى لا مرد له ، وأننا سنلقى هناك صحراء جرداء ولن ننعم فيها بشىء ، لأنه ليس فيها شىء ينعم به إنسان . سوى الجبال والرمال ، والعقارب ، و (الطربشة) وهى نوع من الثعابين يتحوَّى عند ما يشعر بإنسان قادم نحوه ، ثم يقفز إليه ، فإذا عضه ، فلا علاج أبداً غير قطع هـذا الجزء اللدوغ فى الجسم ، وصب زيت مغلى على موضع الجزء المقطوع ؟!!.

استمعنا إلى هـذا ، فأدركتنا الرهبة ، وملأتنا الخوف ، واقشعرت منا الأبدان ، واصطكت الأسنان ، وجحظت العيون ، ونظر بعضنا إلى بعض نظرات تنم عن الجزع والهلع ، واللوعة والاضطراب . وكدنا جميعاً نوافق الزميل الناقم ، وخيل إلينا أن خير طريق نفعله ، وأفضل حل نرتضيه لهـذا المأزق الذى نحن

فيه ، هو القناعة بوظيفتنا فى القاهرة ، ومركزنا الذى ارتضيناه ثلاثة أعوام ، وألفنا كل ما يحيط به من بيئة وأساتذة وتلاميذ ، وأنه لا داعى لهذه الترقية التى ستلقى بنا فى أحضان العقارب الشائلة ، والثعابين الرقط ، وسط تلك الصحراء الجرداء ... علينا إذن أن نلوى وجوهنا ثانية نحو القاهرة ، ولتأخذ وزارة المعارف معنا ما شاءت من الإجراءات ، وليفعل الله بعد ذلك ما يريد ... !!

ولكن صوت الواجب هز المشاعر ، ودوى فى الآذان ... الواجب الإنسانى ، وواجبنا كوطنيين مثقفين ، نعمل على رفعة الوطن ، عن طريق تنوير الأذهان ، وتثقيف العقول ، وغرس الفضائل ، ونشر المعارف بين مختلف الطبقات ، وليس بين الطلبة والتلاميذ فحسب .. هذا الواجب الذى أشربته قلوبنا ، وجرى فى أبداننا مجرى الدم فى العروق ... نحيا به ، ونعمل له جادين غير هازلين ، راضين غير كارهين ، مخلصين غير متوانين ولا متكاسلين ... هذا الواجب ارتفع صوته قوياً ، فبدد هذه الأوهام ، وجعل منا قوة دافعة ، وعزيمة وثابة ، فانصرفنا عن هذا الفريق المثبط للهمم ... حتى ذلك الزميل الثائر أفاق إلى نفسه واعتقد أن فى الأمر مغالاة ... !

يا لله ! كيف تضاربت أقوال الناس إلى هذا الحد عن بلاد يدعى كل منهم أنه رآها وخبر أحوالها ، وعاش فيها حقبة من الزمان ؟ ! فتى نرى بأعيننا خبر ما سمعنا لنحكم لها أو عليها ، فأنا بطبيعتى لا أثق كثيراً بما أسمع ، وخاصة وقد لدغت بضع مرات من هذا السبيل ، على أننى بحمد الله مؤمن كل الإيمان ، فأرجو ألا يتحقق فى قول الرسول الكريم : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ...

وخيل إلى أن الأمر كما يقول أخى جمال ؛ حينما علم بنقلى إلى عنيبة .

— إن كل ما تسمع من مدح وافر ، وثناء مستطاب ، على جميع بلاد الوجه القبلى ومديرية أسوان خاصة ، فهو من قبيل التعزية والتسلية . وتخفيف الألم ، والبلاء . كما يقول الناس للرجل المرزأ ، ما فى رزئه من فضل وخير ، وثواب وأجر ، لأنه لا يرى فى رزئه غير وجهه المظلم ... وهذا كله لن يغير من أثر الرزء شيئاً ، مالم يكن هناك الاستعداد الكافى لتقبله والرضاء به ..!!

ودخلت إلى مقصورتى ، متزايل الأعضاء ، وقلت فى نفسى :

— صبراً يارب ، فنى سبيلك لا فى سبيل المال فحسب ، خرجنا إلى هذه البلاد النائية ، حقاً إننا خرجنا للمنصب والجاه ، والمال والثراء ، ولكن هذا كله سعى وراء الرزق والقوت يا مولاى ، وأنت سبحانك أدرى بخفايا النفوس ، ومكنونات الأفئدة ؛ وبواطن الأمور ، ولقد اقتضت إرادتك تفضلا منك ، أن تجزل الثواب والأجر لمن جاهد فى سبيل العيش والرزق والقوت ، فأجزل لنا من لدنك العطاء . إنك على كل شيء قدير .

ووقعت من نفسى هذه العبارات موقعاً جميلا ، فأحسست ببرد الراحة ، ولذة النعيم ، ومتعة الهدوء ، كأنما أزلت بهذا مابينى وبين الله من جفاء ، سببه الاعتراض على مجارى القضاء ، وتصاريف الأقدار !!

ها هى ذى الساعة تعلن العاشرة مساء ، ولما تصل الباخرة إلى عنيبة .. إنها الآن فى طريقها إلى (إبريم) ، وربما تصل عنيبة فى منتصف الليل ، أوبعد ذلك بقليل ، فاللهم اكتب لنا السلامة والعافية ، والنجاة من هذه الأخطار ...

النيل جميل ، قد انبسطت صفحته فى رحابة رائعة ، ولقد يتسع أحياناً حتى لا نكاد نرى له شاطئاً ... وقد أخذت أنوار الباخرة تنشر على صفحته الرجراجة ثوباً من النور يأخذ بمجامع القلوب ... والهواء عليل ، ينعش الأفئدة ، ويشرح الصدور ، على الرغم من أننا كنا فى السابع والعشرين من نوفبر ١٩٤٦ ، وقد تركنا القاهرة خلفنا يفتك بردها بالأبدان والجسوم ... والجبال مطبقة علينا أحياناً من الجانبين ، وفى أحضانها نخيل يغمره الماء إلى منتصفه أو يزيد ... ذلك النخيل الذى كان فى يوم من الأيام عماد ثروة طائلة ، وغنى لهذه الربوع والنجوع ولكن مياه الفيضان أضرت به ، فذوى منه الكثير ، وجف الكثير ، ولم يبق منه إلا القليل ، طغت عليه المياه ، فحرمته متعة الحياة !!

لا يزال ضجيج الباخرة ، وخرير المياه المنسابة من بين أجزائها الثلاثة ، يدفع عن عينى لذيذ النوم .

وأخيراً هاهى ذى عنيبة بمبانيها الفاخرة ... مبانيها الحكومية التى تضم عشرات الموظفين ، وها هى ذى الباخرة تقف فى المرفأ بعد الواحدة والنصف بقليل . أى بعد ست وثلاثين ساعة من حين قيامها من الشلال ...

عبد الحفيظ أبو السعود

من أناشيد الحرية والوحدة:

١ – نحن والانجليز

للأستاذ أحمد أحمد العجمي

هـؤلاء الإنجليز   غصة الشعب العزيز
شعب وادي النيل من فجر الزمان   مصر والسودان فيه توءمان
يشهد التاريخ أنَّا أخوان   ولدينا العزم في كل مكان
لنريق الدماء   في سبيل الجلاء
ولملء الفضاء   بدم الإنجليز
هـؤلاء الإنجليز   غصة الشعب العزيز !

إن الاستقلال حق أبلج   تفتديه بالحياة المهج
ولكم في مصر ظل سمج   فدعوها واخرجوا منها اخرجوا
قبل يوم النضال   ليرى الاحتلال
في قبور الوبال   جثث الإنجليز
هـؤلاء الإنجليز   غصة الشعب العزيز

قد مسنا الغدر والمكر الوضيع   يا ذئاباً لبست ثوب القطيع !
فنصرناها على «الليث الصريع»   اذ كرى للشرق حقاً لن يضيع
يا لئام الأنام   يا عداة السلام
يا دعاة الخصام   أيها الإنجليز
هـؤلاء الإنجليز   غصة الشعب العزيز

يا خصوم الشرق والغرب معا   يا عبيد المال أنى لمعا
يا سراباً كاذباً مهما ادعى !!   يا سموماً وسموماً زعزعا
الجلاء الجلاء   إن صوت الدماء
ناطق بالفداء   يسحق الإنجليز
هـؤلاء الإنجليز   غصة الشعب العزيز

٢ – وحدة وادي النيل

سحر الشرق صدى ألحانها !   وكوى الغرب لظى نيرانها
وحدة النيل تعالى صوتها   كالجبال الشم في رجحانها
وحد الله حماها مثلما   وحد النيل ذرى شطآنها
مصر والسودان شعب واحد   وبد لا شك في سلطانها !
تقهر الجبار مهما غره   قوة حمقاء في عدوانها
ليس للسودان إلا مصره   ولمصر الحق في سودانها !!
يا دعاة لانفصال جائر
كيف فصل العين عن إنسانها ؟
نحن من بيض وسمر كالظبا   وجياد السبق في ميدانها
جمعتنا روضة واحدة   فاح طيب النصر من ريحانها
وحدتنا من قديم لغة   كوضوح الشمس في تبيانها
ولنا دين يؤاخي أمة   بالهدى والطهر في إيمانها
وصلات نشأ التاريخ في   ظلها ينهل من شريانها
استوى الغابر والحاضر وال   ـمقابل المشهود من أعوانها
ولنا النيل حبانا جنة   يغرق «التاميز» في خلجانها !
ولنا الفاروق، يعلو تاجه   أمم العالم في تيجانها
هو كالنسر جناحاه هما   مصر والخفاق من سودانها
كيف لا نصرع أعداء الحمى
وسنجني النصر من خذلانها ؟
ولنا القوة والحق معاً   وأماني مصر في ريعانها
صوتها في «مجلس الأمن» له   قوة ترنو إلى أقرانها
وحدة تعبر لجاً حالكاً   سدد الله خطى ربانها !!

أحمد أحمد العجمي

الأدب والفن في أسبوع

الأدب في الإذاعة :

نشرت مجلة الهلال مناقشة عنوانها «هل أدت محطة الإذاعة رسالتها ؟» دارت في ناديها بين «محمد توفيق دياب بك ومحمد فتحي بك والأستاذة مفيدة عبد الرحمن والدكتور نور الدين طراف» وقد بدأ فتحي بك الحديث بأن الإذاعة تؤدي غرضين، غرض التثقيف وغرض التسلية والترفيه عن المستمعين ، ثم اقتصر الحديث بعد هذا على الناحية الثقافية بمعناها الأعم الشامل للأدب والسياسة والصحة والنسائيات وغيرها . وأكتفي هنا بالكلام على الناحية الأدبية في هذه المناقشة ، فأورد أهم ما قيل فيها وأناقش ما يستدعي النقاش

قالت الأستاذة مفيدة : الواقع أننا لا نقدر مدى استماع الجمهور وفهمه لما يسمع، فليست إذاعة أقوال هؤلاء الأدباء معناها الثقافة » ثم قالت : « قد جرت عادة الله تعالى في بث الموعظة أن يسوقها في قالب قصصي محبب إلى نفوس العامة قبل الخاصة. والقرآن الكريم وما سبقه من الكتب المنزلة ملآى بأمثال ذلك، فقد ورد فيها من قصص المتقدمين ما فيه عبرة وعظة ، مع أن هذه الكتب لم تنزل لسرد القصص والحكايات بل نزلت لإرشاد الناس لما فيه خيرهم ونفعهم ، فحبذا لو اهتدى أدباؤنا الأفاضل بهدى القرآن في وضع الموعظة في مثل هذا القالب » ومما قاله توفيق دياب بك : «فأنا أخالف الأستاذة مفيدة نوعاً مافيما ذهبت إليه ، لأنني عرفت من تجاربي ومما سمعته من كثيرين من طبقات مختلفة كالمترددين على المقاهي والأندية العامة أن كثيراً من الجمهور ينتظرون أحاديث الأدباء ، وقد يعلو المتحدث بلغته بحيث ترتفع عن مستوى عامة الجمهور ، ولكنهم يتابعون موضوعه ويفهمونه ، وذلك لكثرة سماعهم القرآن وخطب المساجد وكلام الفصحاء ، فارتفع مستوى فهم الجماهير حتى سبقت أفهامهم معرفتهم بالقراءة والكتابة ... »

وكان فتحي بك قد قال موضحاً مسألة نجاح الإذاعة في تحقيق الغرض الثقافي . « لا شك في أنها خدمت الثقافة خدمة كبيرة، ومثال ذلك أن كثيراً من الأدباء الكبار كطه حسين بك وتوفيق دياب بك والأستاذ العقاد وغيرهم كانوا معروفين في العالم العربي لدى طائفة خاصة من القراء . ولكن الإذاعة زادت أسماءهم لمعاناً وزادت الجمهور تعريفاً بهم ! » وهذا كلام يقف أمامه صف طويل من علامات التعجب والاستفهام ، فهل خدمة الإذاعة للثقافة هي التعريف بطه حسين والعقاد وتوفيق دياب ؟ وهل زادت التعريف بهم حقاً ! يا أخي ... قل غيرهم !

وقد رد توفيق دياب بك على ذلك بقوله : « هل أعتبر هذا الكلام منّا على الأدباء؟» وتساءل الدكتور طراف : «هل تذيع المحطة لهؤلاء الأدباء بقصد إشهارهم أو لأنهم أصلا مشهورون ..؟»

ومما قاله فتحي بك : « أنا أقصد الثقافة بمعناها الأعم ، ولكني ضربت مثلا بالناحية الأدبية فقد أصبح الجمهور يتذوق كثيراً من ضروب الأدب التي لم تكن معروفة لديه »

فما هي ضروب الأدب التي أحدثتها محطة الإذاعة ولم تكن معروفة لدى الجمهور ؟ إن ما تذيعه من ألوان الأدب هو الأحاديث الأدبية القليلة، وبعض القصص القصيرة، وقراءة بعض الشعراء شيئاً من أشعارهم ، وقراءة بعض المذيعين فصولا من الكتب ، وإلقاؤهم بعض قصائد شوقي وحافظ في المناسبات ؛ فأي هذا لم يكن معروفاً في جوهره لدى الجمهور ؟ لقد كان يمكن أن تحدث الإذاعة ضرباً جديداً من الأدب لو أنها أذاعت تمثيليات قصيرة باللغة العربية بدل التمثيليات العامية التي تذيعها أو إلى جانبها ، فكانت تحدث في الأدب « فن التمثيلية الإذاعية » ولكنها تخلفت فسبقتها في هذا الفن بعض محطات البلاد العربية الأخرى التي لا تستطيع المحطة المصرية أن تقف إلى جانبها في المفاخرة بما قدمته للجمهور من ضروب الأدب التي لم تكن معروفة لديه

الأدب والمجتمع :

كثيراً ما أشعر بعد الكتابة في موضوع، أنني لم أوفه حقه وأني قصرت في بيان أمر ، وأنه فاتني أن أذكر شيئاً .

من ذلك ما كتبته غير مرة للتنبيه على ضرورة اتجاه الأدب إلى المجتمع لتعرف أدوائه وتصوير أحواله ، وعلى ما ينبغي من تأثر

الأدباء والشعراء وانفعالهم وغضبهم على الأمور الواقعة والأحوال الراهنة ، وتعبيرهم عن ذلك كله بطارقهم الفنية .

خلت بعد ذلك كأن أصداء تقول لى : أتريد أن يكون الأدباء وعاظاً يجاهرون بالأمر والنهى ، ويسوقون النصائح المجردة والمواعظ السافرة ؟ أو تريد أن يتحول الأدباء جميعاً إلى باحثين اجتماعيين يدرسون الظواهر ويضعون النظريات ؟

كان ذلك قائماً بنفسى وأنا أقرأ فى مجلة « الإصلاح الاجتماعى » فصلا عنوانه « تجنيد الأدب فى ميدان الإصلاح » دعا كاتبه الأدباء إلى أن يتركوا الأبراج العاجية ويجندوا أنفسهم فى الحرب الاجتماعية المعلنة على الفقر والمرض والجهل ، وبين كيف يعمل الأديب فى هذا الميدان بأنه « لا يكشف النقاب عن مهمته وغرضه ، ولا يجهر بنصح أو إرشاد ، ولكنه بأسلوبه الفنى يعرض عليك من صور الحياة وحقائق المجتمع وحالات الناس مما تتأثر به نفسك فى غير تصريح أو مجاهرة ، فإذا أنت منفعل بما صوره لك وعرضه عليك ، وإذا أنت قد أسلمت عنانك لهذه الصور الفنية وأوليتها عواطفك من حب أو كره ، ومن رضا أو اشمئزاز » قرأت هذا فوجدته مطابقاً لما أريد من بيان . ويقول كاتب المقال بعد ذلك : « وربما قيل إن الحرية والانطلاق روح الأدب ، فليس لنا أن نقسر الأديب على شىء بعينه ولا أن نوجهه إلى ميدان خاص ، وإلا خرجت آثاره الفنية ضرباً من التكلف والتعمل لا قيمة له ونحن لا نريد أن نكره الأدباء على الانقياد لخدمة مبدأ من المبادىء خدمة متكلفة ليست منبعثة من صميم النفوس والوجدانات وإنما ندعو الأدباء إلى أن يوجهوا أنظارهم وجهة المجتمع المصرى وأن يتدبروا أحواله الاجتماعية ويفكروا فيها ويشغلوا أنفسهم بها ، فإن فعلوا ذلك فإنهم لا محالة يتأثرون ومن ثم يواتيهم الوحى الفنى عن تأثر وانفعال ، فتخرج آثارهم الفنية الاجتماعية طبيعية لا تكلف فيها ولا تزوير »

على أنى أسمع أصداء أخرى تشير إلى مسألة ثار فيها الجدل واعتركت حولها الأقلام ، وهى : هل الأدب للأدب أو الأدب للحياة ! وأضع بإزاء ذلك ما أراه من أن الأدب المحلق فوق الحياة إنما هو كمال فكرى ، أما مطلب الحياة من الأدب فهو من الضرورات . ولا شك أننا الآن — من حيث الجهاد الخارجى والإصلاح الداخلى — أحوج إلى أن يكون أدبنا لحياتنا أكثر ما يكون ، وله أن يقضى بعض الوقت فيما يطيب له من ذرى الفن ومواطن الفكر .

السجل الثقافى :

ورد إلىّ الكتاب الآتى من الأستاذ محمد سعيد العريان مدير إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف ، وفيه البيان الكافى لما توقفنا عنده من أمر السجل الثقافى فى العدد الماضى :

عزيزى الأستاذ العباس

قرأت ما كتبته من قريب فى الرسالة تنويهاً بالسجل الثقافى الذى اعتزمت وزارة المعارف أن تصدره فى كل عام لتسجل به مظاهر النشاط الثقافى فى مصر ؛ فشكرت لك هذا .

ثم قرأت ما اقتبست لقرائك من رسالة للأديب « البسام » يعترض فيها على هذا السجل من ناحيتين :

الأولى : أنه يقتصر على وصف مظاهر النشاط الثقافى خارج جدران المدارس على حين كان الواجب أن يشمل هذا السجل كل مظاهر النشاط فى المدرسة وخارج المدرسة .

الثانية : أنه يقتصر على وصف مظاهر النشاط الثقافى فى مصر دون غيرها من البلاد العربية التى تجمعها وحدة الثقافة منذ مئات السنين .

وقد عقبتَ يا صديقى بما عقبتَ على رسالة الأديب «البسام» وأحسبك قد وافقته على اعتراضه من ناحيتيه ، ولكنك تركت « لأهل الاختصاص فى الوزارة أن يجيبوا بما عندهم » .

وأرى من حقى — أو من حقك وحق القراء علىّ — أن أردّ اعتراض الأستاذ البسام واعتراضك ؛ فنحن لم نقصد قط حين أخذنا الأهبة لإصدار السجل الثقافى أن نحصره فى هذا الحيز المحدود ، ولم يخف علينا قط ما يجمع بين البلاد العربية من وحدة الثقافة التى تأبى القيود والحدود ولا تعترف بهذه الفواصل الصناعية التى تجعل البلاد العربية المتحدة بلاداً ذات أسماء وعناوين — لم نقصد إلى شىء من هذا ، ولم يخف علينا شىء من هذه الحقيقة ، وقد قصدنا أن يكون السجل الثقافى الذى يصدر عن وزارة المعارف فى مصر صورة صادقة التعبير عن كل مظاهر النشاط الثقافى فى تلك الوحدة الثقافية التى نسميها البلاد العربية .

أما إغفال تسجيل النشاط الثقافى فى نطاق المدارس فلأن

ثمة هيئة أخرى فى وزارة المعارف تقوم عليه وتمنى به وتمد المدة له ؟ فليس من حسن التدبير أن يتكرر العمل ، ولذلك تركنا للقائمين على شئون « تقويم التعليم » أن يمضوا فيما هم بسبيله لنفرغ نحن للجانب الآخر من جوانب النشاط الثقافى .

وأما أن يشمل السجل كل مظاهر النشاط الثقافى فى البلاد العربية جميعاً فهدف نقصد إليه وغاية نتنورها على بعد ، ولكنا لا نريد أن نبدأ العمل قبل أن تتجمع لنا أسبابه ؛ ومن أجل ذلك قصرنا برنامجنا — الآن — على تسجيل مظاهر النشاط الثقافى فى مصر حتى تتهيأ لنا الأسباب الكفيلة بتمام العمل على الوجه الذى يتمناه كل مثقف من أبناء العربية فى أى بلادها .

فهذا ما أردت أن يعرفه قراء الرسالة عن هذا الأمر ، ولعل فيه بلاغاً ، وإنى لأشكر لك ولصديقك ما أتحتما لى من فرصة لبعض الحديث عن هذا العمل الذى آمل أن يبلغ مبلغه من النفع العام إن شاء الله .

كبار الكتاب والسينما :

تضمنت الكلمة التى كتبتها فى عدد مضى من الرسالة بعنوان (السينما بمناسبة « المنتقم ») بيان عيوب فى بناء قصة السينما المصرية كخلوها من الفكرة وقصورها فى تصور النواحى المختلفة لحياتنا . ويظهر من هذه العيوب أنها ترجع إلى ضعف التأليف أو قل عدم التأليف لأن أكثر الروايات محور عن أصول غربية ، يفقدها « التصرف » قيمتها الأصلية ، فتجىء لا شرقية ولا غربية

وعندى أن الذين يستطيعون أن يجبروا هذا النقص هم الأدباء الذين يلتفتون إلى هذه الناحية ويدرسون دقائق التأليف للسينما ، بمعاونة مخرجين لهم ذوق أدبى ومشاركة فى الأدب إلى جانب حذقهم فى الإخراج

وقد أثارت هذا الموضوع مجلة « الاستديو » فكتبت بعنوان « أعلام الكتاب فى مصر : لماذا لا يكتبون للسينما ؟ » قالت : « تحمل القصة السينمائية فى مصر طابع الضعف فى التأليف والتفاهة فى الفكرة والعجز فى إحكام العقدة الروائية ووسائل حلها . ولما كان كبار الكتاب والأدباء هم عماد القصة فى كل عصر وجيل فما يثير الدهشة حقاً أن أعلام الكتاب فى مصر قد أعرضوا إعراضاً ظاهراً عن إمداد السينما بوحى أقلامهم » ثم ذكرت المجلة بعد ذلك أنها استطلعت آراء بعض الكتاب والمخرجين فى أسباب ذلك الإحجام ، ونشرت هذه الآراء .

يرى الأستاذ محمود تيمور بك أن رجل الشارع الذى أوتى حظاً محدوداً من الثقافة لا يستسيغ ولا يقبل على ما يكتبه أعيان الكتاب له ، ولكنه يقبل على روايات الكتاب الماديين المؤلفة أو المترجمة لأنه يجد فيها متعته الحلوة وغذاءه المستساغ

وقال الأستاذ المازنى « إن السينما المصرية تعتمد على عنف الحوادث وعلى المواعظ والخطب المنبرية وعلى الغناء والموسيقى إلى آخر هذا . وهذا كله لا يتفق مع فن القصة ، وما دام رجال السينما يطلبون هذا فمن البعيد جداً أن يجدوا فى كاتب يحترم فنه استعداداً لوضع قصة لهم على هذه القواعد »

وقال الأستاذ زكى طليمات : « سيعمل كبار الكتاب للسينما يوم يصبح المنتجون والمخرجون فى عقلية تماثل عقلية كبار الكتاب »

ويستبين من هذه الأقوال أن المنتجين والمخرجين يرون أن الجمهور إنما يقبل على الأفلام المنيفة الحوادث المفعمة بالمواعظ والخطب المنبرية والأغانى ، والتى تعتمد مع ذلك على إثارة الغرائز ، والكتاب يترفعون عن هذه الصغار

ولا شك أن إقبال الجمهور هو أهم شىء فى هذا الموضوع ، ولكن هل الجمهور لا يريد حقاً إلا هذا الذى يقدمونه له ؟ وهل يعرض حقاً عن إنتاج فنى نظيف يحمل إلى عقله ووجدانه غذاء خفيفاً إلى جانب المتعة التى ينالها من أسباب الدعة والتسلية والطرب والتفكهة ؟ وهل قدم له شىء من هذا فأعرض عنه ؟

إن الإنسان ، كما قلت فى مناسبة سالفة ، فنان بالفطرة ، فهو إن لم تتح له وسائل الإنتاج فى الفنون وأدواته ، فنان « مستهلك » . فمجاراة الجمهور فى ميله إلى هذا الهرج إما أن تكون — مع حسن الظن — غفلة عن استغلال ميله الفطرى إلى جمال الفن أو عجز عن تهيئته له ، وهى — مع سوء الظن — تجارة من أرذل التجارات ...

جربوا أيها المنتجون ... وإذا أردتم ألا تغامروا قبل أن تستوثقوا ، فقدموا للطفل الذى اعتاد أن يفرح بـ « عرائس المولد » لعبة من اللعب ذات الفكرة ، وانظروا هل يعرض عنها ...

« العباسى »



١ — الى الأستاذ يوسف أسعد داغر :

إذا كنت قد تأخرت فى الكتابة عن كتابك الذى أهديته إلىّ (فهارس المكتبة العربية فى الخافقين) فما تأخرت إهمالا ، ولكنى أردت أن أكتب عنه كتابة علمية تليق بهذا السفر القيم الذى أقرر جازماً أنها لم تصدر المطابع العربية فى هذه السنة كتاباً علمياً خيراً منه ، وأنا حين أنشر هذا الاعتذار ، أنشر معه إكبارى لهذا الجهد (الهائل) الذى بذاته فى تأليفه ، وأتمنى أن يكون هذا الكتاب فى مكتبة كل عالم وكل أديب .

٢ — سبق قلم :

جاء فى الخبر الأول من أخبار بريد « الرسالة » ٧٣٨ كلمة :

« الحسن البصرى الذى أخذ عن مالك بن أنس »

وذلك سبق قلم ، لأن الحسن إنما أخذ عن أنس بن مالك الصحابى لا عن مالك بن أنس الإمام الذى جاء بعده بأزمان .

٣ — جد أم هزل ؟

أما (سؤال) الأستاذ الجاحظ ، فى العدد الماضى ، فما أخذته إلا على أنه هزل ، وما أعتقد أن المراد من جملتى يخفى على عامة القراء ، فضلا عن مثل الجاحظ ، أولم يسمع الجاحظ رجلا يقول : « إنى لأرى كل جميل ، وآكل كل طيب ، ولكنى لا أشعر بمسرّة » ؟ إن لم يكن قد وجد رجلا هذا حاله ، فليعلم أنى ذلك الرجل .

على الطنطاوى

الى الأستاذ السهمى :

اليوم (٢٥ أغسطس) وأنا فى أقصى الشمال من لبنان ، فى بلدة الأرز « بشرّى » ، مثوى العبقرى الملهم (جبران) — وصل إلىّ (السمير الحبيب) مجلة « الرسالة » الزاهرة (عدد ٧٣٧) متأخرة عن ميقاتها ، فطالعنى بين طيّاتها ما كتبه إمام العربية الأكبر ، أستاذنا الجليل « السهمى » — ومنذا الذى يجهل « السهم » صنو « النشاب » ؟! — معلقاً به على ما نبهت إليه فى بريد (الرسالة) الأدبى ، مخطئاً قول كاتبة فاضلة : « مد الليل أروقته السوداء ... » وقد حملنى على أن أبتغيها : « أروقته السود ... » (حِوَلا عن « السوداء ») ما أجده فى كتاب الله إذ يصف ما هو من مثل ذلك على نحوٍ منه فيقول : (جدد بيض ...) ويقول : (غرابيب سود ...)

وما أجده كثيراً فى شعر الجاهليين والمخضرمين ، مما لا سبيل إلى الوصول إليه ، وأنا (فى هذا المنعزل) بعيد عن كتبى ... على أننى استظهر من ذلك أمثلة تتقدم فيها (الصفة) أو يستعاض بها عن الموصوف . ومنها قول الطرماح :

وتجرّد الأسروع واطّرد السَّفا
وجرت بجاليْها الحداب القَرْدَد
وانساب حيات الكثيب وأقبلت
وُرق الفراش لما يشبّ الموقد

***

وكنت أصادف كثيراً ، من مثل ما أشار إليه أستاذنا الجليل — وهو أن يجيء « فعلاء » المفردة وصفاً للجمع فاخاله انحرافاً عن الجادة ، ومسايرة للعامية ! ولكننى — وقد سمعت ما أورد — أشكر له حسن توجيهه ، وكريم تعهده ، وسهره على سلامة هذا اللسان الخالد . ليبقى مبرءاً من كل شائبة ، منزهاً عن كل خطل ...

وله منى تحيات أرق من نسائم (صنين) مفعمة بأريج الصنوبر والأرز ...

(بشرى — لبنان الشمالى) **محمد سليم الرشدان**

الى الأستاذ « الجاحظ » :

فى « تعقيبات » الرسالة الغراء عدد ٧٣٩ نسب الأستاذ « الجاحظ » إلى الأستاذ العقاد أنه قال له فى صدد الكلام على أدب الشيوخ وأدب الشبان « لقد كنا شباناً ، فما وجدنا من

أخذ بأيدينا ، أو (أفسح) لنا الطريق ... »

وأنا قد لا أخطىء الصواب إذا قلت إن نسبة هذا القول إنما كانت فى المعنى المفهوم وليست فى اللفظ المرقوم ... إذ لا يخفى على الأستاذ العقاد خطأ استعمال (أفسح) من الفعل الرباعى دون الثلاثى وهو الأصل ؛ فإنه يقال (فسح له فى المجلس ...) ولا يقال أفسح له فيه ...

عرزال

حول الزنزانة وأسمائها :

فى جزء الرسالة الـ ٧٣٨ البارز نهار الاثنين ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ سنتها الخامسة عشرة كلة للاستاذ حسنى كنعان بخصوص الزنزانة وما أراد لها الأدباء من الأسماء ، وقد خاف الأستاذ الجليل أن يصل بها المطاف إلى ما وصلت إليه كلة « السندوتش » فى المحفى العلمى . وعلى كل ما تحمل كلة الأستاذ فى طياتها من التهكم فإنها تدل على إهمال الأدباء لمقررات المحفى الملكى . والذى أراه أن تبقى الكلمة بلفظها أو يستبدل بها (سجن عارم) .

فقد جاء فى القسم الثانى من كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى ما حرفه :

قال أبو الحسن المدائنى : « أسر (زيد عارم) غلام مصعب ابن (عبد الرحمن) بن (عوف) وبنى له بناء ذراعين فى ذراعين وأقيم فيه ، وكان ذلك البناء فى السجن ، فقيل : «سجن عارم» .

فمن هنا نرى أن الكلمة عرفت من صدر الإسلام وأنها تؤدى المعنى كاملا . فأما أن نصير إليها ، وأما أن نبقى على الزنزانة إذ لا خوف منها على اللغة إن شاء الله .

روكس بن زائد العزيزى

معلم العربية وآدابها فى كلية تراسانة فى القدس

١ — استدراك :

جاء فى كلة « نعم الضمير مطمئن » بعدد الرسالة ٧٣٧ البيت الآتى :

له خصبه دونى ولى نوطتى به وعون أيامه وهو مجدب

ولما كان الشطر الثانى خطأ أشارت الرسالة إليه بكلمة « كذا » والصواب :

له خصبه دونى ولى نوطتى به وعون على أيامه وهو مجدب

فلزم التنويه . وللرسالة مزيد الشكر ووافر التحية .

٢ — « بلهاء لا بلهاء » :

كتب الأستاذ الجاحظ فى تعقيبه « يا قوم حسبكم » بعدد الرسالة (٨٣٨) : « والمعنى المقصود فى هذا التعبير الطريف أن المصريين مغفلون بلهاء » والصواب بله بزنة (فُعْل) وهو جمع مطرد فى كل وصف يكون المذكر منه على أفعل . والمؤنث منه على فعلاء فيقال : رجل أبله . وامرأة بلهاء وفى الجمع بُلْه وفى الحديث : « أكثر أهل الجنة البله » .

كمال الخولى



قبلة الملكة

للقصصى الفرنسى ج هـ روسنى

بقلم الأديب كمال الحريرى

هذه هى عشر سنوات ، وانا راسخ الجذر فى هذا المكان البائس « ل » مقيم فى هذا المنفى لا أريمه .

ومع ذاك ، فكل الناس كانوا يحسبون حساباً لمواهبى وخصالى ، وكلهم كان يقدر أنى سأبلغ أرقى المناصب ، وأنال أرفع الوظائف التى لا تطاولها إلا رتبة الملك حتى أشد أعدائى ، وشر خصومى كانوا لا يغمطون مؤهلاتى . ولكن هذا كله وا لهفتاى ، لم ينجنى من الحكم على بالتعفن فى هذا الجحر الضيق الذى يسمونه « ل » ولذلك قصة عجيبة عالية ، تتلخص فى أن امرأة كانت سبب نكبتى ، وهذه المرأة هى الملكة

لقد كنت فى التاسعة عشرة من عمرى ، فى فتوة ساخرة . وكان من عادتى ، أن أغازل عرائس أحلامى ، ما بعد الظهر من كل يوم ، فى حديقة الملك الوسيمة الملتفة الأدغال ، تحت الجبال الشامخة . مشيت فى ذلك اليوم طويلا ، تحت ظلال الزيزفون التى كانت تنمو فى أرض تغذيها سـ ـواق عذبة صافية ، وتحوطها مروج من الأعشاب السندسية الخضلة الندية ، تعزلها عن أشجار الغابة وأدواحها . وانتهى بى السير ، إلى بساط من الأرض مفروش بأشجار من الحور ، كانت ذوائبها تتراقص وتنثنى الواحدة نحو الأخرى . وهناك بين تلك النهيرات ، كان نهير ، يفترش ماؤه فيتحرك إلى بحيرة صغيرة ، تحفها شجيرات من قصب الخيزران المزهرة .

كانت أشباح الغموض والسكون ، تخيم على تلك البقعة الموحشة ، إلا ما كان من خرير ماء النهر وهو يجرى فى الأعماق ، أو التماع قصور من غيوم السماء كانت ترتسم على مخروفة من أشجار الأرز .

وفى هذا المكان جلست غارقاً فى لجة من الأحلام والأخيلة بدأت مشاعرى تطغى علىّ وتنتشر فى ذهنى ، فرحت أمتع النفس والحواس ، بصفاء هـذه النزهة . وأنا متخيل بروعة الأصيل ، غارق فى سـحره الجميل . ولكن قلقاً مباغتاً ، انبثق فى نفسى فجأة . سمعت على أثره لصدرى خفقاناً طغى على هدير النهر خفقة مجذاف كأنها تبرر لى هذا الاضطراب والارتعاد فلم ألبث أن تواريت فزعاً مضطرباً خلال دغلة من الدغلات . وانقطعت خفقة الجذاف على الماء . فساد السكون والغموض ، يخيمان على المكان وروعة أشعة الأصيل ، تسترسل من خلال الغصون فتلمح على ضوء شعاع متسلسل بين فجوات الأوراق ، بطة لماعة تمخر الماء ثم تلتها أخرى ذات طوق نحاسى وتغريد حلو . ثم أخذت تتعالى مجدداً ، خفقات الجذاف وبعدها ارتسم أمامى على عطفة الشاطىء مقدم زورق للصيد ، نهضت فوقه ، فتاة رائعة الجمال ، تتوهج على يديها أشعة من دماء صيدها للطيور . كان فى عينيها نفاذ وحدة وعلى فمها فتنة سماوية وكانت يداها البضتان ، تحركان المجاذيف فى مشقة وإعياء بينما رغاء الزبد يتفجر كقطع الثلج أو نثار اللؤلؤ خلف الزورق السحرى . أما أنا فقد اهتز كيانى من الحنان والأسف ، وانثالت على لسانى الدعوات .

وبالغت فى التستر والتوارى . وقد كتمت أنفاسى وكاد الاضطراب يبلغ بى درجة الإغماء . ذلك أنها إنما كانت هى .. هى الملكة التى كنت أهيم بها فى الخفاء ، والتى ما زلت منذ بعد هذه الظهيرة أحلم بها الأحلام السعيدة البهيجة أثناء نزهتى .

وكان فى نهاية الزورق ، صبى صغير منتصب ، هو الأمير الجميل د هـ ت ابن أخت الملكة .

كان ممسكا بسكان الزورق ، بينما خالته الملكة سابحة فى أجواء أحلامها وقد مال عنقها الذى يشبه عنق الإوزة إلى الجانب ، وامتدت ذراعاها الناعمتان الحريريتان إلى الأمام . كانت تجذف على ضوء الأصيل الأصفر إيه يا إلهة الملاحة ، يالك من حلم عجيب وسمعت فجأة صرخة داوية ، ثم أبصرت بالزورق يتقلب على الماء والأمير الصغير يسقط فى النهر فى حين تعلقت فيه الملكة الملتاعة

الجزعة ، بغصن غليظ من أغصان الحور .

ووثبت إلى الماء بقفزة ، وقبضت على الغلام الذى كاد ينجرف مع التيار ، فوضعته على الشاطىء الأمين ، ثم جدفت بالزورق نحو الملكة . لقد لمست ذراعاى جسمها الذى خلق فقط لكى يضمه أبناء الملوك . أما هى فقد كانت شاحبة الوجه مرتجفة الأوصال . لم تنطق أولا بحرف ، وإنما لبثت ترمقنى بعينيها الساحرتين الفزعتين غير أنها حين أحست بنفسها منتصبة على قدميها فوق الشاطىء ، قذفت بنفسها هلعة فزعة على الأمير الصغير المسكين ، الذى كاد يغمى عليه من روعة الحادث . ثم عانقته بحنان حافل فزع ، وقالت لى : إنه مدين لك بحياته فاطلب منى ما شئت تلقنى أول الملبيات . فصحت : أتعطينى كل شىء ؟ ثم عرانى اضطراب وحشى ثائر ، وماد بأعطافى جنون مضطرم جياش . أما هى فقد شدهت لصرختى وجعلت لحاظها تتلاقى مع لحاظى . ثم أسبلت أجفانها حياء وتضرج وجهها بجمرة الخجل

لقد كنت كما أسلفت ، فى ريعان الصبى ، ولى محيا فتان الملامح ،وكانت الملكة تعرفنى جيداً ، لأنها طالما أبصرت نظراتى تتعلق بمفاتنها . وعلى هذا فقد فهمتنى . ولحظت أنا فى نظراتها الثابتة فىّ ، شيئاً من ارتجاف جعلنى أكثر جنوناً بها ، وأشد نشوة وتلذذاً بفتنتها النبيلة ودمها الملوكى . ثم أخذنى ميل لذيذ مشتعل لانتهاك حرمة هذا الجمال الملوكى ، فظللت مرتجفاً هلوعاً. ثم استأنفت قولى : أتقولين إنك تمنحينى كل شىء ، دون أن ترجعى عن كلمتك ؟ ... فأشارت برأسها بالإيجاب ثم اصطبغ محياها بدم الخفر . واستقلتها حمياً من النشوة . وقلت لها ، أرغب منك قبلة . فأجابتنى بلهجة العاتب . أى جنون هذا ؟ . لعمرى أن صغر سنك وحده . هو الذى يبرر هذه الإباحة الفاجرة . ولكنها فى الحق ، كانت تشاطرنى اضطرابى وتقاسمنى شعورى: إذ راحت تتمعن فى جسمى الذى التصقت عليه ملابسى المبللة ، وتنظر إلى نظرات مبهمة غريبة . وعندئذ ، بلغت بى الجرأة حداً كنت بعده موطناً العزم على عدم النكوص ولو أمام خشبة المشنقة .. وهتفت بها مجدداً : اذكرى أنك قطعت على نفسك عهداً .. وقبل أن تتمكن من الدفاع عن نفسها ، تقدمت إليها فى جرأة ، وأمسكت برأسها اللالائكى بين كفى ثم أهويت بفمى الحران اللهفان إلى فمها. وحينئذ.. وبعد قبلتى المديدة العميقة شعرت بشفتيها الشهيتين الحلوتين ، تجيبان قبلتى فجأة ، وتنحيان على شفتى بلثمات عنيفة حارة ضاغطة . لم يدم ذلك إلا كلمحة البرق ، ولكن هذه اللحظة على قصرها ، كانت من النفاذ والتأثير فى مشاعرى وحواسى ، بحيث أن فمى لن ينسى أبداً لذاذة هذه القبلة . وحين دفعتنى الملكة أخيراً عن نفسها ، كان أحد نبلاء الحاشية يتقدم نحونا تحت ظلال الحور ..

نمى الخبر إلى الملك ، فعرف كل شىء ، وتحتم على الملكة أن تفسر له جلية الخبر . ومع أنها على التحقيق ، قد أسقطت من فضيحتها (اشتراكها الآثم لحظة فى مبادلتى القبلة) إلا أن ذلك ، لم يقلل من عزم الملك على نفيى وتشريدى .

لم أكن أملك ثروة ، وكانت وسائل مرتزقى متعلقة كلها بأسباب الملك ، الذى قضى بنفيى ، فأبحر بى إلى هذا المكان «ل» الذى شغلت فيه أولا وظيفة « سكرتير » ثم وظيفة قنصل .

إن الملك رجل حقود ، لا يعفو عن زلة فلست آمل أن يغفر لى جريمتى مطلقاً . وعلى هذا ، فقد قضى علىّ أن أدفن فى هذا المكان إن لم ينقذنى موت حاكمى وسيدى الملك

إنه ليعرونى الندم فى بعض الأحيان ، فآخذ نفسى باللوم الشديد على ما ورطنى فيه جنونى . ولكن تأتينى هنيهات ، أشعر فيها بشفتى الملكة كأنها حاضرة تنطبع على فمى وحينئذ لا آسف على شىء فى الوجود

لقد حدث لى ما يلى خاصة فى أمسية عيد الصمود وذلك إنى فى ذاك اليوم ، تلقيت من العاصمة التى فيها الملكة ، هدية غصناً رطباً مزهراً من أغصان الخيزران (ذلك النبات الذى كان يحف بالبحيرة التى أنقذت من مائها الملكة) فعرفت أن هناك شخصاً حبيباً لم ينسنى بعد ... واختلجت لهذه الذكرى شفتاى اختلاجة الوله والمرارة ...

(حلب) **كمال الحريرى**

مطبعة الرسالة

المدد ٧٤١ - الاثنين ١٥ سبتمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٥٢١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 741

Lundi — 51 — 9 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤١ « القاهرة في يوم الاثنين ٣٠ شوال سنة ١٣٦٦ — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الأستـــاذ فارس الخورى

أو عبقرية البيان

للأستـاذ عباس محمود العقاد

نكتب عن عبقرية البيان عند ما نكتب عن الأستاذ الجليل فارس الخورى مندوب شقيقتنا سورية فى مجلس الأمن ، لأن الرجل ولا شك من أصحاب هذه العبقرية فى طرازها الرفيع ، ومن فرسان ميدان الخطابة فى عالم السياسة وفى عالم الثقافة على الإجمال .

وعبقرية البيان معادن وألوان يعلو بعضها فوق بعض درجات .

فهى على صورتها الشائعة لا تعدو أن تكون ذرابة فى اللسان وانطلاقاً فى القدرة على مجرد الكلام .

ولكنها إذا بلغت ذروتها العليا لم يغنها هذا الزاد وحده من أزوادها الكثيرة ، ومنها ملكة التعبير الصحيح ، ونصاعة الحجة ، وحضور البديهة فى مواقف الارتجال ، والإتيان بجوامع الكلم فى مواضعها ، لقوة التوفيق بين المعانى الراجحة والألفاظ الواضحة ، أو قوة التوفيق بين الفكر واللسان .

وكل ما قرأناه من كلام الأستاذ الجليل ، أو قرأناه من الكلام عنه ، يدل على هذه العبقرية فى أرفع طراز عُرف به خطيب من خطباء هذا الزمان .

فاقتياد أعنة الكلام — ولو فى لسان غير لسانه العربى — سليقة فيه منذ صباه إلى أيام كهولته — أو شيخوخته — التى نسأل الله أن يبارك فيها .

كتب عنه زميله الكبير الأستاذ خليل ثابت بك فقال إنه لم يكن يعرف التركية فتعلمها بعد إتمام دراسته وملك ناصيتها حتى استطاع أن يخطب بها فى المحاكم وفى المجالس النيابية ، ولم يكن يعرف الفرنسية فتعلمها بعد أن جاوز الخمسين وأصبح من خطبائها المعدودين . وهذا عدا الإنجليزية التى تعلمها فى أيام دراسته بالجامعة الأمريكية فى بيروت .

والبديهة الحاضرة فى الأجوبة المسكتة ملكة لازمة من ملكات هذه العبقرية ، وهى عنده على قسط واف فى مقام الجد ومقام الفكاهة .

روى عنه تلميذه الأستاذ على الطنطاوى فى مقال كتبه بالرسالة أن تلميذاً من تلاميذه فى كلية الحقوق سأله يوماً : ما فائدة هذه الحروف اللثوية ، ولماذا نقول ثاء ، وظاء ، فنخرج ألسنتنا ونضطر إلى هذه الغلاظة ؟

فما هو إلا أن سمع السؤال حتى أجاب متهكما : لا فائدة لها أبداً ... وسنتركها فنقول : كسر الله من أسنانك ! !

ومن أصغى إلى هذا الخطيب المطبوع وهو يتكلم علم أن أداة البيان قد تمت له حساً ولفظاً كما تمت له بداهة ومعنى . فصوته من تلك الأصوات « الفنية » كما يقولون فى اللغات

الأوربية ، لا تحس فيه جهداً ولا حاجة إلى الجهد ، لأنه يملأ عليك جوانب السمع كأن له عشرة أصداء تتكرر معه كما قال الأستاذ الطنطاوى فى وصفه وهو يلقى قصيدته الرائية التى استقبل بها حافظ ابراهيم رحمه الله .

ومن تمام ملكات التعبير فيه أنه يقتدر على المنظوم اقتداره على المنثور ، ولا شك أن الشعر يدخل أحياناً فى عداد ملكات الخطابة من حيث هو إبانة وتعبير ، وقد أسلس له قياده بهذا الزمام فجاءت له فى تلك القصيدة أبيات من عيون الكلام كقوله :

أحافظ حييت الشام تحية يفوق عبير الروض منها عبيرها
وألبستها ثوباً من الحمد دونه حدائقها فى زهوها وزهورها
وطوقتها بالحب والعطف ربقة قلادة أسر لا يفادى أسيرها

وهو نفس فى الشعر يقصر عنه كثير من الخطباء ، وكثير من الشعراء .

على أنه يرتفع بك إلى الذروة من ملكات هذه العبقرية حين يفرغ الحجة الدامغة فى جوامع الكلم التى تملك السمع والعقل دفعة واحدة ، بغير إعنات ولا مشقة على سامعيه .

فليس أسهل ولا أقوى من تفنيده لدعوى المندوب البريطانى حين زعم أن معاهدة سنة ١٩٣٦ معاهدة صحيحة لأنها أبرمت باختيار الطرفين . فلا حاجة — كما قال — إلى دليل على بطلان هذه الدعوى . لأن أمة من الأمم لاتقبل احتلال الأجنبي لبلادها وهى مختارة راضية .

وليس أجمع ولا أمنع من قوله فى هذا الصدد : أن تلك المعاهدة لا تنطوى على التزام تتقيد به بريطانيا العظمى . وإنما هى تفويض من ملك مصر إذا شاءت بريطانيا العظمى أن تنزل عنه فليس فى عملها هذا مناقضة لحرمة المعاهدات .

نعم فهى إذا لم تشأ فإنما تفعل ذلك لأنها ذات غرض ترمى إليه ، ولا تفعله لحرمة فى تلك المعاهدة تحرص عليها .

ويندر أن تتم أداة العبقرية البيانية هذا التمام لغير الأفذاذ النابهين . ففى عصرنا هـذا لا نعرف مثلا لهذا الأداة التامة بين فرسان المنابر السياسية غير رجلين اثنين : أحدهما باقعة النال لويد جورج الوزير الإنجليزى المشهور ، والآخر زعيمنا العظيم سعد زغلول رحمه الله

هما أيضاً كانا يملكان الحجة المسكتة فى مقام الجد والفكاهة

كان لويد جورج يخطب عن أعماله التى ينوى القيام بها إذا ظفر بكرسى النيابة ، فتصدى له فحام سليط اقتحم الجمع بلوثة الفحم والشحم فى ثيابه ، فسأل الخطيب ليحرجه : دعنا من كل هذا وقل لنا ماذا تنوى أن « ترخص » لنا من ضرورات المعيشة؟

فما هو إلا أن سمعه حتى أجاب بكلمة واحدة : الصابون !

فكان الحرج والسخرية من نصيب السائل دون المسؤل

وكان بعض « المتطرفين » يتعمدون إحراج سعد فى سياق الكلام عن خزان جبل أوليا ، بالسودان : فسألوه : هل هو ضار أو مفيد ؟

فما زاد على أن قال : هو مفيد مع اتحاد المالك ...

فلم يجرؤ على الاعتراض أحد يطالب بوحدة مصر والسودان

***

ويتشابه هؤلاء العباقرة الثلاثة فى خاصة معهودة بين كثير من أصحاب العبقرية البيانية ، وهى اتصال عقولهم بعقول سامعيهم فى عالم العيان

فهم لا يعنون بالتأليف عنايتهم بالخطاب والحديث . لأن عبقريتهم تتصل بالنفوس فى عالم العيان كما قلنا ، أو حين تتلاقى الحياة بالحياة ، ولم تخلق للاتصال بها فى عالم الفكر المجرد أو من وراء الحجاب

فعبقرياتهم جميعاً أكبر من آثارهم المكتوبة أو المطبوعة . ولولا مذكرات للويد جورج لكان بيانه كله مما أثر عنه فى المجالس والمحافل ، وفى المساجلات والمحاورات

وليس لسعد زغلول ولا لفارس الخورى — فيما نعلم — مؤلفات تضارع ما طبع عليه كلاهما من الألمعية والفطنة ، وما حصله كلاهما من المعرفة الواسعة والخبرة الصادقة . لأن طبيعة البيان الناطق أن يمتلىء بالحياة حين يتصل بالأحياء .

أطال الله فى حياة العبقرى العربى الجليل ، وكثر الله من أمثاله بالثناء اللثوية التى تخرج من جوانب الثلاثة جميعها لا كما أرادها تلميذه المجول !! . ونفع الضاد وأهلها بهذا البيان الساحر الذى يقل نظيره بين الخطباء المفوهين ، من فرسان المنابر العالميين .

عباس محمود العقاد

٧ – رحلة إلى الهنـــد

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

وأما القلعة ، فساحة واسعة جداً وأسوار عالية مشرفة من بعض جهاتها على نهر جمنة وتشـتمل على مسا كن ودواوين ومقصورات وقنوات . لا يحيط بها الوصف إلا في كتاب كبير مصوّر يكتبه خبـير بالعمارة فحسبي أن أعرض على القارىء مايدركه الزائر غير الخبير في زيارة قصيرة عاجلة

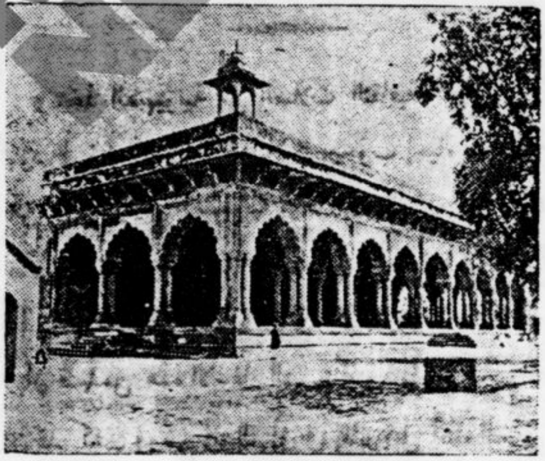
يلج الداخل الباب الكبير إلى دهليز فيه حوانيت للتجار ثم يدخل إلى ساحة يرى فيها ثكنات بناها الإنجليز وهي باعترافهم دمامة بين هذا الجمال ، وعرّة وسط هذه الغرر .

ثم يجتاز إلى أبنية كثيرة لا أستطيع أن أذكرها على الترتيب . فأذكر الديوان العام ، وهو مجلس السلطان لعامة الرعية للنظر في المظالم أو غيرها من الأمور العامة . وهو دكة من الرخام عليها سقيفة يحملها عمد من الحجر الأحمر قد أبدع الصناع في أشكالها ونقوشها [١] وسمته مائة قدم في ستين . وكان فيه عرش الطاووس (تخت طاووس) وهو عرش يظلله ذنبا طاووسين ألوانهما من الجواهر المختلفة وفيه من دقائق الصنعة والأحجار الكريمة ما يشهد للصناعة والفن في ذلك العصر . وقد قوّمه من رآه من الخبراء بستة ملايين جنيه وقد حمل هذا العرش فيما نهب من ذخائر دهلي ونفائسها نادرشاه القائد العظيم الذي ملك على إيران بعد زوال الدولة الصفوية واستيلاء الأفغان عليها ، فأخرج منها الأفغان ومد فتحه صوب الشرق إلى الهند .

وفي القلعة ديوان أصغر من هذا وأجل منحوت كله من المرمر يسمى الديوان الخاص وفيه من النقش والتطعيم بالأحجار الكريمة ما يفتن الناظر ، بجمال الشكل ، ودقة الصنع . وقد بلغ فن العصر المغولي ذروته في هذا الديوان . ولا أنسى هذا البيت الفارسي الذي يزين هذا الجمال بجودة خطه وتذهيبه ، ويعرب عن هذا الجلال بمعناه . وهو منقوش في أكثر من موضع من الديوان :

أجر فردوس برروى زمين است همين است وهمين است وهمين است

(إن يكن الفردوس على الأرض فهكذا وهكذا وهكذا) .



الديوان الخاص في قلعة دهلي

وهناك بناء فيه حجر جميلة يسمى رنك محل (المحل الملون) وهو مزين بالنقوش محلي بالأشكال . ولكن ذهب الزمان بأكثر طلاه ويمتـــد منه إلى بناء آخر مجرى للماء رخاميّ يمثل قاعة ترقرق الماء عليه .

وأبنية أخرى منها البرج المثمن وكان يجلس السلطان في شرفته كل صباح فيشرف على الجمهور وكانت هذه عادة سلاطين المغول

ومنها الحمام (غسل خانه) وهو حجرات ثلاث في إحداها حوض صغير يخرج منه بخار معطر وفي الأخريين أحواض للاغتسال من المرمر بينها مجار أنيقـة للماء الحار والبارد وفي إحداها قطعة من المرمر كبيرة كانت مصلى للسلطان بعد الفراغ من الاستحمام .

ورأينا حجرات هناك لجلوس السلطان ونومه وفي إحداها وسائد وملابس كأن شاهجهان لا يزال بها . وليس بها إلا الأثر والذكر ويد الزمان الأعسر .

وهناك مسجد صغير يسمى موتي مسجد (مسجد اللؤلؤة) بناه أورنك زيب ابن شاهجهان وهو كاسمه لؤلؤة كبيرة ولكنها من المرمر الأبيض . ويخيل لرائيه أنه قطعة واحدة كبيرة من المرمر فصلتها يد النحات الصنع قباباً وعمداً ومحراباً ومنبراً .

(١) وكان سقفه وجدره منقوشة بالذهب

٤ ـ حجة تاريخية

للدكتور جواد على

وتتخذ الصهيونية من الصلات الثقافية التى كانت تربط اليهود على زعمها بفلسطين دليلا على وجوب إحياء تلك الثقافة. ونحن لا ننكر على الصهيونية قولها هذا ولكن الثقافة اليهودية لم تظهر بفلسطين وحدها ولم تقتصر على هذه البقعة فقط. والواقع أن أكثر فصول التوراة كانت قد كتبت فى الأرض المقدسة. غير أن قسما من هذه الأسفار التى يتألف منها الكتاب المقدس كان قد كتب ووضع فى العراق فى إقليم بابل أثناء السبى مثل سفر حزقيال « Egebiel » وربما « مراثى أرمياء » « Samentatious » و « التثنية ويشوع كذلك وبعض أجزاء من المزامير »[١].

(١) Hastings Dictionary of the Bibli. P. 96

ويقوم « التلمود » عند اليهود مقام « الحديث » عند المسلمين وبموجب هذا الكتاب يحكمون. « والتلمود البابلى » « Babli » هو المعول عليه عند اليهود حتى اليوم. على حين أنهم لا يعملون « بالتلمود اليورشلجى » أى التلمود الذى وضع فى فلسطين. وضعه أحبار العبرانيين وعلماؤهم فى منطقة « طبريا » « Tiberias » على الأخص[١].

وقد وضع التلمود البابلى فى العراق فى وادى الفرات وقد اشترك فى وضعه وإتمامه جماعة من أحبار بابل استمروا على ذلك حتى أوائل القرن السادس للميلاد. وعلى التلمود البابلى الطابع العراقى الخاص الذى يتجلى فى نزعته العقلية الحرة وفى استعمال الرأى والقياس والاستنباط[٢] على عكس التلمود الفلسطينى الذى يمثل عقلية الفلسطينيين القدماء فى محافظتهم وميلهم إلى الأخذ بالحديث والأخبار. وهذا مما يدل على أن الثقافة العبرانية القديمة التى تريد الصهيونية إحياءها لم تكن ثقافة « عبرانية » خالصة نقية من كل شائبة بل كانت متأثرة بالمحيط. فهى عراقية تمثل

(١) Hastings, P. 891. Bacherin J E. XII. 26

(٢) Hostings. P. 891

ويقال أن السلطان بناه حين شغلته شئونه عن الذهاب إلى المسجد الجامع لكل صلاة.

وفى ساحات القلعة أحواض فسيحة تقوم وسطها مقصورات للجلوس وقنوات من الحجر جميلة يجرى فيها الماء رقراقاً. ومنها نهر بهشت (نهر الجنة) وهو يجرى على ضفافيه الأزهار والأشجار وفى قاعه صور من الأزهار جميلة تكاد تهتز وتنمو حين يجرى الماء عليها. وهذا النهر يبتدىء عند منظرة جميلة مزينة مشرفة عليه وعلى هذا الجمال المفصل فى أرجاء القلعة.

ولا أنسى رباعية فارسية رأيتها فى إحدى الحجر وأعجبنى موضعها بين هذا الجلال والجمال. فأردت إثباتها فلم أجد قلمى. ولم يكن لى بدّ من نقلها. فقلت لرفيق الأستاذ اشتياق حسين عميد كلية الآداب بجامعة دهلى وقد تفضل باصطحابى فى زيارة القلعة:

سأكلف نفسى، وأمتحن ذاكرتى بحفظ هذه الرباعية ... فوعيتها حتى رجعت إلى الفندق فكتبتها وهى:

أى باى ببندوقفل بردل هشدار — دوخته چشم وباى در كل هشدار
عزم سفرمغرب وروى درمشرق — أى رآه رويشت بمنزل هشدار

وترجمتها: يا من فى رجليه قيد وعلى قلبه قفل انتبه، يا من أغمض عينه وقد وحلت رجله انتبه، تريد السفر إلى المغرب ووجهك إلى المشرق أيها السائر وظهره إلى الغاية انتبه

هذه بقايا مما وعيت من هذه الآثار الجليلة الجميلة فى زيارتى القصيرة، وقد بقيت فى النفس كما تبقى أبيات وأشطار وقواف من قصيدة بليغة حفظت ثم نسيت، أو كما تبقى الصور مبعثرة بعد حلم جميل طويل، أو كما تضطرب فى النفس ذكريات السعادة بعد انقضائها.

ومن شاء أن يعرف تفصيل هذه الأبنية وصورها ففى كتب الآثار وصفها وتاريخها وصورها. ومن شاء أن يستمتع بها رأى العين فليس عجيباً أن يذهب إلى الهند ليراها

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

عقلية العراقيين فى العراق وهى فلسطينية تمثل عقلية سكان فلسطين فى فلسطين وهى مصرية تمثل طبع قدماء المصريين فى مصر .

ثم إن الكتب الخمسة الأولى من التوراة وهى التى يقال لها « أسفار موسى » وهى التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية » كانت قد نزلت على موسى وموسى لم يكن قد دخل فلسطين[١] فتكون هذه الكتب قد نزلت خارج الأرض المقدسة

وقد جاءت فى الكتاب المقدس بعض الاصطلاحات والكلمات الآرامية التى تدل على تأثر العبرانيين بهذه اللغة التى أصبحت اللغة اليومية لليهود منذ أيام السبى ، والتى حلت محل « العبرانية » التى هجرها سواد الشعب وفضل الآرامية عليها ، فاقتصر أمرها على رجال الدين وطبقة الكهنوت فقط وقد ترك الشعب اليهودى العبرانية مختاراً مفضلا « السريانية » لغة الثقافة التى شاعت فى كل أنحاء الهلال الخصيب حتى أن أسفار العهد الجديد القديمة كانت قد دونت بهذه اللغة .

وقد استعمل علماء اليهود ومثقفوهم هذه اللغة فى كتاباتهم كما استعملوا بعد ذلك اللغة اليونانية التى دخلت إلى فلسطين وسوريا مع اليونانيين فألف بهذه اللغة المؤرخ اليهودى « يوسفوس » « جوزيفوس » « Josephus Flavius » المتعصب لقوميته وهو من مواليد القدس فى القرن الأول للمسيح والذى خلد تاريخ قومه فى كتبه المهمة التى ألفها فى تاريخ « الآثار اليهودية » و « الحروب اليهودية » والذى يعود إليه الفضل فى أكثر ما نعرفه عن تاريخ اليهود مما لم يرد فى التوراة إلى القرن الأول للمسيح . لم يجد هذا المؤرخ اليهودى المتعصب لقوميته غضاضة من استعمال اللغة اليونانية فى تدوين تاريخ قومه ، مما يدل على أن العبرانيين لم يكونوا يستعملون تلك اللغة إلا بصورة محدودة ضيقة ، وعلى أنهم لم يكونوا يعنون بها العناية اللازمة ، وأنهم لم يكونوا يعتبرونها لغة ثقافة أو لغة أدب وكتابة وإنما هى لغة دين ، على عكس ما يدعيه الصهيونيون فى دعواهم الحديثة .

وقد استخدم اليهود بعد انتشارهم فى الأقطار الخارجية اللغات المحلية ، حتى فى الشروح الدينية والتفاسير فكتبوا باليونانية واللاتينية والعربية فى القرون الوسطى ولا سيما فى الأندلس حيث كانوا يكتبون كتبهم باللغة العربية ولكن بأحرف عبرية كالذى فعله الفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون ، مما يدل على أن العبرانيين كانوا يفكرون فى كل مكان نزلوا به بعقلية ذلك المكان ولو جمعنا ما أنتجه العقل اليهودى منذ أيام السبى لوجدنا أن اليهود كانوا قد ساهموا فى الثقافة العالمية جماء فكونوا ثقافات مختلفة وكانت لهم ثقافة دينيـة هى الثقافة التى كونها الأنبياء وشرّاح التوراة والتلمود ومعنى هذا أن الثقافة اليهودية كانت ثقافة عالية ولم تكن ثقافة إقليمية اقتصرت على فلسطين ، وأن من الممكن لليهود تكوين ثقافة يهودية فى الأقطار التى يسكنون فيها على نحو ما هو جار فى الوقت الحاضر .

وقد ذكر المؤرخ اليهودى « سيمون دبنوف » « Simon Dabnow » وهو أعظم المؤرخين المحدثين على الإطلاق أن اليهود كانوا قد تأثروا إلى حد كبير بثقافة البابليين وأن فى الكتاب المقدس فصولا كثيرة أخذت من الثقافة البابلية[١] كما يظهر ذلك من المقارنة بين الكتابات المسمارية وما ورد فى التوراة[٢] .

ظل اليهـود يغادرون فلسطين للسكنى فى الخارج فى أيام الفرس وفى أيام اليـونانيين والرومان وعلى الرغم من الحركات اللاسامية التى كانت تظهر فى الأمبراطورية البيزنطية الرومانية فإن اليهود فضلوا البقاء فى الخارج . ولم يظهروا أى رغبة فى العودة إلى هذه الأرض . ولم يبـق فى فلسطين فى العصور المسيحية غير بعض الجاليات التى سكنت فى منطقة الجليـل و « طبرية » على الأخص . ومما يلاحظ أنهم ساعدوا الجيش الفارسى الذى جاء سنة ٦١٤ للميلاد لفتح سوريا وفلسطين ولطرد اليونانيـين . فساعدوهم فى فتح القدس وفى مقاتلة إخوانهم المسيحيين الذين كانوا من اليهود قبل نشر الدعوة المسيحية .

ولم يترك كتاب اليهود من بعد « يوسفوس » أى أثر يشير إلى وجود جاليات يهودية كبيرة فى فلسطين ، ولما فتح الفرس فلسطين وعذبوا المسيحيين وأخذوا معهم الصليب المقدس وساعدوا الجاليات اليهودية الصغيرة التى كانت هناك لم نسمع من أخبار اليهود فى الأراضى المقدسة ما يدل على أنهم كانوا أصحاب كلمة مسموعة وأن عددهم كان محسوساً بينما كان عددهم كبيراً فى روما وفى فرنسا وفى المدن اليونانية والمصرية وكانت حالتهم المالية حسنة جداً كذلك .

---

(١) Hastings, P, 97.

(١) Simon Dubnow, weltgeschichte. des Judischen. Nolkes. Bd. 1. S , 3 oo

(٢) نفس المصدر جـ ٢ ص ٢٤٧ .

ولما استعاد القيصر هرقل « فلسطين » من أيدى الفرس لم تبق فى أيدى الروم أمداً طويلا إذ ضجر سكانها من حكم اليونان وفاوض العرب النصارى المسلمين لتخليصهم من أيدى المستعمرين وقد كانت غالبية السكان فى هذا العهد من القبائل العربية المتنصرة مثل جذام وكلب وقضاعة ولخم وغسان وكانت مخيمة ومستقرة فى كل أنحاء سورية كذلك[١] .

وقد فصلت كتب « المغازى والفتوحات » كيفية دخول الجيوش الإسلامية أرض فلسطين وكيف سلم « بطريرك » القدس مفتاح المدينة إلى الخليفة عمر صلحاً . ولم تشر إلى اليهود مما يدل على أن الأراضى المقدسة كانت خلواً منهم ، وهناك إشارة مهمة وردت فى كتاب « ثيوفانس » « .Theophane » وهو من خيرة الكتاب اليونانيين المطلعين على شؤون فلسطين فى هذا العهد وهى ضد مزاعم الصهيونيين تماماً . إذ يقول هذا الكاتب الذى عاش فى هذا العصر « لم تكن حكمة الخلفاء هى التى فتحت أبواب سوريا وفلسطين لجيوش المسلمين بل المسيحيين العرب الذين كونوا قوة عظيمة تقدمت فى طليعة الجيوش الإسلامية تقاتل الجيوش اليونانية مع أنها كانت تدين مثلها بنفس الدين »[٢] .

وليست لدينا معلومات حسنة عن علاقات الرسول بهذه القبائل ، والظاهر أنها كانت سيئة فإن معركة « مؤتة » تشير إلى أنهم كانوا يحاربون إلى جانب البيزنطيين[٣] .

غير أن الأوضاع تبدلت فيما بعد منذ معركة « تبوك » فانحازوا إلى جانب إخوانهم فى الجنس المسلمين وصاروا يقاتلون إخوانهم فى الدين البيزنطيين .

وقد أظهر الآراميون وطنية عظيمة وحماسة كبيرة للجيوش الإسلامية ، فإنهم ساعدوهم مساعدة كبيرة ، وحاربوا فى صفوفهم مع أنهم كانوا من المسيحيين .

وقد ذكر « البلاذرى » أن المسلمين حينما حاصروا « قيصرية » وكان سكانها من السامريين وهم فرع من أصل يهودى ولكنهم يختلفون عن سائر اليهود ويكرهونهم خرج يهودى كان يقيم فى المدينة واسمه « يوسف » إلى المسلمين وأرشدهم إلى موضع نفق سرى يؤدى إلى المدينة فدخل منه المسلمون .

---

(١) Becker islam Studien Bol 1 , S , 80

(٢) Becker islam vol, 1. S, 80

(٣) نفس المصدر ص ٨٧ .

وقد أسلم من أسلم من أهل فلسطين وظل من أراد الاحتفاظ بدينة وقد عاملهم المسلمون معاملة حسنة وعاشوا مع المسلمين إخوانا وأعواناً حتى أنهم اشتركوا معهم فى محاربة « الصليبيين » وقد لاحظ العالم المتخصص بفلسطين « جيمس فرازر » أن ملامح الفلسطينيين القدماء الذين كانوا يقطنون هذه البلاد قبل مجىء العبرانيين لازالت ظاهرة على الفلاحين المسلمين والمسيحيين على حد سواء وإن هؤلاء الفلاحين هم من أقدم السلالات البشرية التى كانت تقيم فى الأرض المقدسة وهم أنفسهم الذين يحاربون الصهيونية فى الوقت الحاضر دفاعاً عن أرضهم وأملاكهم .

وعندما استولى الأسبان على أرض الأندلس وأجبروا المسلمين واليهود على حد سواء على اعتناق النصرانية أو مغادرة البلاد فضل أكثرهم الهجرة إلى فرنسا وإيطاليا وشمال إفريقية ولم يذكر منهم أى أحد أرض فلسطين ولو كان اليهود يعطفون على الوطن القومى وعلى إعادة ملك سليمان لكانوا قد فضلوا الذهاب إلى أرض « الميعاد » حيث كانوا يعيشون عيشة راضية . نعم لقد كانوا يعلمون أن أرض فلسطين هى أرض مقدسة كما هى أرض المسيحيين المقدسة وأرض المسلمين . ولكنهم لم يكونوا يشعرون بهذه القومية الاعتدائية المتطرفة التى دعا إليها الصهيونيون .

جواد على

مســـتقبل الأدب

للأســتاذ على الطنطاوى

تزدحم المساجد قبيل الامتحان بجماعات الطلاب ، يتحلقون فيها حلقاً ، يطالعون ويقرأون ، وقد مررت مرة بحلقة فيها نفر فهمت من كلامهم أنهم من طلبة العربية والأدب ، فى المدارس العالية ، فقعدت قريباً منهم استمع إليهم ، وكان واحد منهم يقرأ فى كتاب ، فما رأيته سلمت له خمسة أسطر متتابعات ، وما مرّ على خمسة أسطر إلا رفع فيها منخفضاً ، وخفض مرتفعاً ، وحرف الكلم عن مواضعها ، وأزالها عن منازلها ، ولم يدع لغوياً ولا نحوياً ولا عالماً بالعربية من لدُن أبى عمرو إلى الأشمونى، إلا نبش قبره وبعثر عظمه ، ولعن بجهله أباه وأمه . أما الطلاب الحاضرون فكان منهم من يتنبه للّحنة الظاهرة ، ظهور البهتان فى (القبس) ، فيردّه عنها ، ويغفل عن الخفية ، وسائرهم فى عمى عن ظاهرها وخفيها ، ودقيقها وجليلها ، فضاق صدرى ، حتى خفت أن يتفجر بغضبة للعربية ، لا أدرى ما عاقبتها فحملت نعلى وخرجت هارباً أسى ...

وذهبت فسألت المدرسين فعلمت أن هذا القارىء ليس بدعاً فى الطلاب وليس المتفرد فى هذه (العبقرية) فى الجهل ، وهذا (التبريز ...) فيه ، وإنما هو النموذج الصادق لأكثر طلاب المدارس فى هذه الأيام ، واجتمعت بعد ذلك بكثير من طلاب المدارس العالية ، فما كدت أجد فى أكثرهم من يشبه أو يدانى أصحابنا يوم كنا فى أوائل الدراسة الثانوية ، لا أقول هذا فخراً بأصحابنا ، ولكن تذكرة لهؤلاء ، وحثاً على الجد فى طلب العلم ، وبياناً لما هبطوا إليه ، وما رضوه لأنفسهم من ترك العلم اعتماداً على شهادات ينالونها ، أو كراسىّ يركبونها ، أو وظائف[1] يقبضونها ، حتى صارت الشكوى من الضعف فى العربية عامة فى مصر والشام والعراق ، وحتى صار من أبواب التسلية للأدباء ، أن يفكروا فى (تيسير ...) تعلم العربية ، بقلب قواعدها ، وتنكيس أوضاعها ، وابتداع البدع فى نحوها وصرفها ، أو بهدم بنيانها ، وصرم نظامها ، بـ (تسكين أواخر كلماتها) ، و(ترك إعرابها) ، أو بنسفها من أساسها ، وقلعها من جذورها ، باستعمال الحروف اللاتينية أولا ، والكلمات اللاتينية ثانياً ، وما لا يعرفه إلا الله ثالثاً ... وما إلى شىء من ذلك حاجة ، ولا له فائدة ، وما باللغة تعسير حتى نبتغى لها أوجه التيسير ، ولكنْ فى العزائم خور ، وفى الهمم ضعف ، وفى الشباب انصراف عن العلم !

هذى الحقيقة ، وإلا فهل صلحت اللغة برسمها[2] وعلومها هذه القرون الأربعة عشر ، وصبرت على حكم الأتراك أولا ثم الفرس ، ثم المغول ، ثم المماليك العبيد ، ثم الأتراك أخيراً ، ورأت عصور الانحطاط ، وعهود التخاذل ، وكانت فى كل ذلك ظاهرة ظافرة ، حتى لم يخل عصر من مؤلفين فى النحو والصرف والبلاغة والأدب ، وحتى وضع القاموس أشهر معاجمنا فى عهد العثمانيين ، وألف شرحه الجليل بعد الألف للهجرة ، وحتى كان طلبة العلم فى الدهور كلها عاكفين على النحو والصرف والبلاغة ، إن لم ينالوا ثمرتها فقد حفظوا قواعدها ، وإن لم يبلغوا مرتبة الأدب ، فقد أحاطوا بعلوم الأدب ... هل صلحت اللغة هذه القرون وبدا الآن فسادها ؟ وهل استسهلها الفرس والروم والأتراك والهنود حتى ظهر منهم علماء أجلاء فيها ، ولم تصعب إلا على أبناء العرب الأقحاح ، بعد ما طلع فجر النهضة ، وبدا النور ؟ وما لشبابنا وحدهم دون شباب العرب فى كل العصور ، هم الذين عجزوا عن تعلمها والتمكن منها ؟ أهم أقلّ ذكاء ، وأضعف عقلا ، منهم جميعاً ، ومنا لما كنا فى مثل أسنانهم قبل عشرين سنة ؟ لا ، بل هم أذكى منا ، ووسائل التعلم فى هذه الأيام أكثر ، وطريقته أسهل ، وربّ بحث كنا نتصيد مسائله من متفرقات الكتب نرى الآن مجموعاً فى كتاب واحد ، ينادى : من يقرأ فىّ ؟ فما لهم يستصعبون العربية ؟

وهل العربية أصعب عليهم من الكيمياء ، والجبر والهندسة وهذه الألسن التى يزحم بعضها فى رأس الطالب بعضاً من تعددها وما لأكثرها من فائدة تلمس ، أو عائدة تحس : اللاتينية التى أخذناها تقليداً بلا علم ، والسريانية والعبرية والفارسية والتركية دعك من الفرنسية والانكليزية وما لست أدرى ماذا أيضاً ؟ أهذه

(١) الوظائف الرواتب .

(٢) أى خطها وكتابتها .

العلوم وهذه الألسن كلها سهلة جميلة ، كأنها قصة من قصص الغرام ، يشربها الطالب مع الماء ، ويأكلها مع الحلوى ، والصعوبة كلها في العربية ؟

وإذا كانت هذه العلوم وهذه الألسن صعبة كلها فما هو السهل الذى يذهب الطالب إلى المدرسة ليتعلمه ؟ ولماذا نفتح المدارس ونرهق الأمة بنفقاتها ، ونحمل خريجيها على أعناق الناس حملا ، بما حصلوا من العلم ، وما نالوا من الشهادة ؟

لا ، ليس فى العربية صعوبة ، ولا فى كتابتها وعلومها تعسير ، هذه ضلالة يجب أن ينتهى حديثها ، وأن لا نعود إلى إضاعة الوقت ، وإفساد النشء ، فى الكلام فيها ... ويجب أن نحببها إلى الطلاب ، ونرغبهم فى مطالعة كتبها ، حتى يألفوها ، ويسهل عليهم فهمها ، ولقد كنا فى المدارس الابتدائية نقرأ الكتب العلمية الكبيرة حتى إنى قرأت (حياة الحيوان للدميرى) — وقد وقع فى يدى اتفاقاً — قبل أن آخذ شهادتها ، وقرأت (الأغانى) كله — متخطياً أسناده ، وما لا أفهم منه — فى صيف السنة الثانوية الأولى ، وكنا يومئذ نحسن المراجعة فى الخضرى وفى المغنى ، وكان فينا من ينظم ويكتب ، وعندى مقالات كتبتها فى تلك الأيام ، قد لا ترضينى أفكارها ولكن أسلوبها يرضينى اليوم ، ولرفيق أنور العطار شعر (قاله فى ذلك العهد) جيّد ، منه قصيدة (الشاعر) التى نشرتها كبرى المجلات الأدبية يومئذ (الزهراء) ، وهى فى نحو ستين بيتاً ، أحفظ منها قوله ، وما ذلك من خيارها فكلها خيار :

كتب البؤس فوق خديه سطراً تتراءى الآلام فى كلماته
للهوى قلبه ، وللشجو عينا • وللعالمين كل هباته
وهو نهب لحادثات الليالى وحلال للدهر قرع صفاته
يتلقى بصبره نزوة الدهر ويشكو لربّه نزواته

وكنا نختلف إلى بعض العلماء ، نسمع دروسهم العامة فى المساجد ، ودروسهم الخاصة فى البيوت فما أكملنا الدراسة الثانوية حتى قرأنا مع علومها ، النحو على المشايخ والبلاغة والفقه والأصول والحديث ، وحضرنا كتباً فى التفسير والكلام والتصوف ، وعرفنا عشرات من أمّات(1) كتب العلم ، قرأنا فيها أو تصفحناها أو رجعنا إليها ، وحفظنا أسماء مئات من أعلام الإسلام ، من الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين والمفسرين والفلاسفة والقواد والأدباء والشعراء ، حتى صارت أسناد الحديث والأدب مألوفة لنا ، لكثرة من عرفنا من رجالها ، ومن لا نعرفه نرجع إلى ترجمته ، وكنا فى الثانوى نرجع إلى الإصابة وأسد الغابة والاستيعاب ، وتهذيب التهذيب ، وتهذيب الأسماء واللغات ، وابن خلكان والفوات ومعجم الأدباء ، وطبقات السبكى وتاريخ الخطيب وابن عساكر ، والديباج المذهب ، وطبقات الحنفية والبغية ، وتاريخ الخلفاء ، والقفطى وابن أبى أصيبعة ، وهذه الكتب كلها — وأخرى نسيتها — فى مكتبتى وكانت تحت يدى من تلك الأيام ... وإن زادت الآن (بحمد الله) كتباً كثيرة ...

وقد نبغ فى صفنا (فصلنا) جماعة من الأعلام ، هم فى الشام اليوم واسطة عقد الثقافة ، والحلقة التى كانت مفقودة فوجدت فيهم والطبقة التى ليس لها جمود الشيوخ وإن كان لها بحثهم وتحقيقهم وليس لها نزق الشباب وخفتهم ، وإن كان لها نشاطهم ، كسعيد الأفغانى الأديب المحقق الضليع ، وأنور العطار الشاعر العَلَم ، ومحمد الجيرودى الأديب العالم الذى جمله أدبه وعلمه نابغة المحاماة فى دمشق ، وجمال الفرا ووجيه السمان ، الأديبين الأصيلين اللذين غلبت عليهما الطبيعة وعلومها . وقد نبغ فى الصف الذى أمامنا طائفة أخرى من الأعلام . كأسعد الكورانى نابغة المحاماة فى حلب ووكيل وزارة العدل اليوم ووزيرها أمس ، الذى ظهرت عبقريته طالباً ومحامياً وموظفاً ، وزكى المحاسنى الأديب الشاعر ، الذى لم يمنعه سنه وقدمه أن يعود فى الكبر طالباً ، والذى نال بالأمس شهادة الدكتوراه وكان ثامن دكتور فى الآداب خرج من الجامعة المصرية ، وجميل سلطان الشاعر المصنف ، وعبد الكريم الكرمى (أبو سلمى) الشاعر الأديب ...

وما كانت تمر سنة لا ينبغ فيها نابغون فى الأدب والعلم ، وممن نبغ فى صفنا فى كلية الحقوق ضيف مصر الآن العالم البحاثة مصطفى الزرقا ، وهو اليوم من أساتذة الكلية البرزين .

ثم شح الينبوع ، ثم جفّ أو كاد ، حتى ما نجد فى السنين الطوال كاتباً ينبغ فى الشام ، أو شاعراً يظهر ، أو محققاً يرى ، وما زال الأمر إلى تخلّف . ولقد اشتغلت بالتعليم دهراً فى الشام والعراق ولبنان فما فارقت فوجاً من الطلاب إلا استقبلت أضعف منه ، حتى انتهى بى الأمر ، أن دعيت من سنتين إلى تدريس الآداب لطلاب السنة الأخيرة من مدرسة ثانوية ، فدخلت فوجدت رجالا كباراً ، لهم طول وعرض ، وأناقة فى الثياب ، ولباقة فى

(1) قالوا : الأمهات للناس والأمات للأشياء .

الخطاب ، وسمت ووقار ، فهبتهم وأعددت العدة لتعليمهم ، وحشدت كل ما أعطيت من قوة وعلم ، على ضعف قوتى وقلة علمى ، ومضيت على سننى حتى جاء موعد سؤالهم ، فإذا هم من أئمة الجاهلين ، وإذا هم لا يحسنون قراءة بيت ولا فهمه ولا إعرابه ، ففررت منهم ، حين وجدت أنى إن كلمت ثيابهم وهيئاتهم منعتنى جهالتهم ، وإن خاطبت جهالتهم منعتنى هيئاتهم

فالحكاية ليست حكاية كتابة تسهل ، ولا قواعد تيسر ، ولا أغراض خبيثة تحقق من وراء هذه الستر اللماعة ، ولا سموم تقدم فى هذه الكأس البراقة ، ولكنها مشكلة المعلم أولا ، والتلميذ ثانياً .

وما دام المعلمون ، أى أكثر من عرفت من معلمى العربية ، أصحاب شهادات لا علم ، خطفوا مسائل فى المدارس خطفاً ، وحفظوها حفظاً ، ومنهم من تعلمها فى ديار الغرب ، وجاء منها بدكتورات حرب[1] وما دامت دروس العربية تلقى بالعامية ، وما دام مدرس الأدب يتكلم ساعة عن أبى تمام وأدبه وما قيل فيه ، ولكنه لا يفهم بيتين من شعره ، ولا يحسن شرحهما ، ويعلم الأدب وهو ليس بأديب ، وما دام يتصدر للامامة فى (فن القول) من لا يدرى ما يقول — فمن أين يتلقى الطالب العربية ؟

فهاتوا المعلم القوى فى علوم اللغة ، صاحب الاطلاع فيها ، والذوق فى فهمها ، يصلح هو فساد المناهج ، ويقوم اعوجاج الكتب ، وييسر عسر اللغة ، (إن كان فيها من عسر !) وهذا المعلم لا يوزن بميزان الشهادات وحدها ، إلا إذا جاء وقت لا تعطى فيه الشهادات إلا لأربابها ، وتكون شهادة حق لا شهادة زور ، ففتشوا أنتم الآن عن ميزان آخر !.

أما التلميذ فيجب أن نحبب إليه المطالعة ، ونعرفه قيمة العلم ونذيقه لذته ، ولا يكون ذلك ما دامت المجلات والمطابع مفتحة أبوابها ، لكل هذيان وعبث صبيان .

وبيان ذلك أن فى نفس كل ناشىء فى الأدب حباً للظهور ، وهوى للنشر ، فلا يجد أن جدّ إلا ليلاقى اسمه على رأس مقالة فى مجلة ، أو على غلاف كتاب ، ولقد كان الواحد من أصحابنا يتمنى أن ينشر ما يكتبه بعد طول الكد ، ومتابعة السهر ، فى جريدة محلية ، ثم يرتقى إلى المجلة الصغيرة ، ثم يتدرج حتى يصل إلى مثل الرسالة أو الثقافة . هكذا كنا ، وهكذا كانت لهذه المجلات هيبة فى نفوسنا ، فلا نقدم عليها إلا بعد الاستعداد ، ولا نقدم لها إلا ما نعتقد أنه جيِّد ، فتبدلت الحال ، وعلا الشباب بالغرور ، أو هبطت هذه المجلات ، حتى صرنا نرى الغلام المبتدىء ، يكتب مقالته الأولى فلا يراها أقل من أن تنشر فى الرسالة مثلا ، مع مقالة العقاد والزيات ، ولا يعدم بعد إدمان القرع للأبواب من يفتح له باب مجلة من هذه المجلات .

هذا الشاب الذى يرى أنه وصل إلى الغاية بلا تعب ، ونال ما يطلب بلا مشقة ، لا يجد بعد ذلك ما يدفعه إلى سهر الليالى ، وتقريح الجفون ، فى مسامرة الكتب ، والازدياد من العلم .

فليس الخطب خطب ضعف الطلاب فى علم من العلوم ، ولكنه خطب الأدب : إنها إن استمرت هذه الحال ، ومات هؤلاء الكتاب البلغاء ، وكل حى إلى ممات ولو طال به الأجل ، فإنكم ستتلفتون تفتشون عن كاتب بليغ ، أو شاعر مفلق ، فلا تجدون ... فأعدُّوا من الآن شباباً تدخرونهم لذلك اليوم العصيب ، وإلا فعلى اللغة والادب والبيان السلام !

على الطنطاوى

(القاهرة)

(١) دكتور حرب على وزن (غنى حرب)

الشطار والعيارون

للأستاذ شكرى محمود أحمد

فى المجتمع العباسى طبقات غريبة ظهرت فى فترات مختلفة من الزمن ، نشأت وتجمعت بسبب عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية ، ولكل طبقة منها اسم خاص بها ، ولها تنظيمات وعادات تنفرد كل طبقة بها دون غيرها . وربما كان لبعضها لغة خاصة . فمن هذه الطبقات الشطار(١) والعيارون(٢) والطرارون(٣) والظرفاء والفتيان(٤) واللعابون(٥) والمخنثون(٦) والحرافيش والساسانيون والزواقيل ، وغيرهم وقد ذكر الجاحظ منهم طبقات كثيرة .

وكانت هذه الجماعات أخلاطاً من مولدى العرب والفرس والترك والروم والبربر والديلم والنبط والجركس والأكراد والكرج وغيرهم من الأقوام الذين زخر بهم المجتمع العباسى . وقد تغلبت على هؤلاء اللغة العربية ، وكان للساسانيين لغة خاصة بهم ذكرها الثعالبى فى اليتيمة والخفاجى فى شفاء الغليل .

والذى يعنينا من هذه الطبقات هم الشطار والعيارون ، وقد سجل كثير من مؤرخى الإسلام أخبارهم وأعمالهم وما قاموا به

(١) الشاطر : الذى أعيا الناس حيلة ومكراً .

(٢) العيار الذى لا هدف له فى الحياة ، وعندى أن العيار من عائر وهو المتردد ومنه سهم عائر الذى لا يعرف راميه ، وشاة عائرة مترددة بين الصفوف .

(٣) الطرارون الذين يطرون الدروب ويحتالون على الناس لأخذ ما عندهم ، ومنهم نساء ، وكان فى بغداد سجن الطرارات .

(٤) الفتيان من الفتوة ، جاء فى تعريفات الجرجانى : الفتوة فى اللغة السخاء والكرم وفى اصطلاح أهل المعرفة هى أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة .

(٥) اللعابون ويسمون أيضاً اللعابة وهم طائفة كانت تتخذ المجون والهزل والرقص حرفة لها . جاء فى شرح النهج لابن أبى الحديد ج ٢ ص ١١٧ « وقال عكرمة : ختن ابن عباس بنيه فأرسلنى فدعوت اللعابين ، فلعبوا فأعطاهم أربعة دراهم .

(٦) المخنثون : كان هؤلاء فى الحجاز قبل الإسلام ، وانتشر فعلهم بعد ذلك فى الأمصار ، كانوا يفسدون النساء يتوسطون بينهن وبين الرجال وكان أحسن المغنين منهم .

من قطع الطرق ونهب الأموال وقتل الناس وغير ذلك ، ومن هؤلاء المؤرخين ابن الأثير والمسعودى والطبرى وأبو الفداء وابن الفوطى وابن الجوزى فى المنتظم وتلبيس إبليس والتنوخى فى الفرج بعد الشدة والأربلى فى خلاصة الذهب المسبوك والبيرونى فى الجواهر والبيهقى فى حكماء الإسلام وغير هؤلاء من المؤرخين .

وقد ظهر الشطار والعيارون فى مختلف الأمصار الإسلامية ، فهم يعرفون فى العراق باسم « الشطار » وفى خراسان يسمونهم « سرابدران » وفى المغرب يطلق عليهم اسم « المقورة » ، وسماهم ابن بطوطة « الفتاك » .

كانت هذه الجماعات ترتزق باللصوصية والنهب وقطع الطرق والتحيل على الناس ، وفى الغالب باغتصاب الأموال وفرضها على المدن والمحلات أو الأغنياء . فقد ذكر ابن الأثير « أنهم قسطوا على الكرخ خاصة مائة ألف دينار »(١) ، أو أنهم كانوا يهاجمون بيوت الأغنياء ويأخذون ما فيها من المال والجواهر ، جاء فى المنتظم « .. وكبست دار تاجر فأخذ منها ما قيمته عشرة آلاف دينار »(٢) .

وفى كثير من الأحوال كان يستفحل أمرهم ويستشرى بلاؤهم حتى تعجز الحكومة عنهم ، وربما استعانت بهم فى الحروب كما حدث فى الفتنة بين الأمين والمأمون والمستعين والمعتز ، قال ابن الجوزى « كان طلاب السلطة يستعينون فى حروبهم ببعضهم على بعض ويمدون بالآلاف ، فقد كان مع أبى دلف عشرون ألفاً منهم »(٣) . يستخدمهم لأغراضه ويسخرهم فى أعماله

سبب ظهورهم :

إن الاضطرابات السياسية التى مرت على العراق تركت أثرها فى الحياة الاقتصادية حيث كسدت الأعمال ، وغلت الأسعار وقلت الأقوات ، فاضطرب نظام الحياة ، وانتشرت المجاعة بين الناس ، وكان الحكام أنفسهم يخزنون الأقوات والحبوب ، لذلك تعمد العامة والسوقة إلى الارتزاق بمختلف الطرق وشتى الوسائل

(١) ابن الأثير ج ٩ ص ١٢٢ ، ١٦٢ .

(٢) ابن الجوزى المنتظم ج ٨ ص ٧٢ .

(٣) ابن الجوزى تلبيس إبليس ص ٣٩٢ .

حتى انتظموا جماعات كثيرة لمناوأة أصحاب المال من التجار وغيرهم، فهم طبقات ضاقت بهم سبل الحياة، وسدت عليهم أبواب العيش، فتوسلوا بطرق الفوضى والاغتصاب للانتقام من مجتمعهم.

وفى كتاب الفرج بعد الشدة قصص كثيرة تصف هؤلاء الشطار والعيارين وكيف انتظموا فى هذه العصابات. ونقل لنا على لسان كردى من هؤلاء التقى به فى الطريق بين واسط والبصرة «.. قلت له: يا هذا كيف بلغت هذه الحال؟ قال: نشأت فلم أتعلم غير معالجة السلاح، وجئت إلى بغداد أطلب السلطان فما قبلنى أحد، فانتظمت إلى هؤلاء وطلبت الطريق، فلو كان أنصفنى السلطان وأنزلنى بحيث استحق من الشجاعة لانتفع بخدمتى وما فعلت هذا..»(١).

وقد كان هؤلاء الشطار والعيارون ينقمون على الدولة والسلطان أشد النقمة، لأنهم أحرجوهم فأخرجوهم، وتركوهم يقطعون الطرق ويسلبون الناس أموالهم، ويصبون الفزع فى قلوبهم، ففى قصة ابن حمدون اللص تظهر شدة نقمة هؤلاء على السلطان وقد ذكرها التنوخى، قال هذا اللص: «.. يا هذا! لعن الله السلطان الذى أحوجنا إلى هذا، فإنه قد أسقط أرزاقنا فاحتجنا إلى هذا الفعل، ولسنا فيما نفعل ارتكاب أمر أعظم مما يرتكبه السلطان.. أنت تعلم أن ابن شيراز فى بغداد يصادر أموال الناس ويفقرهم حتى يأخذ الموسر المكثر فلا يخرج من حبسه وهو يهتدى إلى شىء غير الصدقة، وكذلك يفعل البريدى فى واسط والبصرة والديلم، ويتجاوز ذلك إلى الحرم والأولاد ... فاحسبونا مثل هؤلاء»(٢)

وربما هاجم هؤلاء الشطار والعيارون المحلات والقرى فنهبوا النساء والصبيان علانية وجعلوهم رهائن عندهم، ففى أخبار سنة إحدى ومائتين يذكر أبو الفداء «... وفيها اشتد أذى فساق بغداد وشطارها حتى قطعوا الطريق وأخذوا النساء والصبيان علانية، ونهبوا القرى مكابرة، وبقى الناس معهم فى بلاء عظيم، فتجمع أهل بعض المحال ببغداد مع رجل يقال له خالد بن الدريوس وشدوا على من يليهم من الفساق والشطار فمنعوهم وطردوهم»(٣)

(١) الفرج بعد الشدة ج ٢ ص ١٠٧.
(٢) الفرج بعد الشدة ج ٢ ص ١٠٨.
(٣) المختصر فى أخبار البشر ج ٢ ص ٢٢.

ولقيت بغداد من هؤلاء الشطار والعيارين أشد أنواع العذاب والإرهاق، وقد كانت تدافعهم بمختلف الطرق فما أغنى ذلك عنها شيئاً، ففى سنة سبع عشرة واربعمائة كان «العيارون يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره كما يفعل السلطان بمن يصادره، وعمل الناس الأبواب على الدروب فلم تغن شيئاً»(١).

وكان الشاطر إذا شاخ وعجز عن العمل ربما تاب فتستخدمه الحكومة فى مساعدتها على كشف السرقات، وكان فى خدمة الدولة العباسية جماعة من هؤلاء يطلق عليهم اسم «التوابون» ولكن هؤلاء كانوا فى الغالب يقاسمون اللصوص ما يسرقونه ويكتمون أمرهم(٢).

وكثيراً ما كان الوزراء والحكام وأصحاب السلطة والنفوذ يقاسمون الشطار والعيارين الأموال، ففى حوادث سنة ست وثلاثين وخمسمائة يذكر ابن الأثير: «.. وفى هذه السنة وصل السلطان إلى بغداد فرأى تبسط أمر العيارين وفسادهم ما ساءه فأعاد بهروز إلى الشحنكية فتاب كثير منهم، ولم ينتفع الناس بذلك لأن ولد الوزير وأخا امرأة السلطان كانا يقاسمان العيارين فلم يقدر بهروز على منعهم»(٣).

وقد ذكر ابن بطوطة استفحال أمر الشطار والعيارين على عهده «القرن الثامن» وأشار إلى اجتماعهم على الفساد وقطع الطرق وهجومهم على مدينة بيهق فملكوها وملكوا غيرها، فجندوا الجنود وركبوا الخيول، وجعلوا أحدهم سلطاناً عليهم، وانحاز إلى هذا السلطان العبيد، فمن رأى فيه شجاعة أمره وأعطاه مالا وفرساً(٤).

وكان لهؤلاء الشطار والعيارين عيون على الناس من النساء والرجال يتبعونهم فى الحانات والقصور والصيارف والجوهريين، فإذا رأوا من قد باع شيئاً تبعوه وأخذوا ما معه(٥).

رأيهم فى أعمالهم:

الذى يظهر لنا من دراسة حياة هذه الجماعات أن أعمالهم هذه

(١) ابن الأثير ج ٩ ص ١٤٦.
(٢) المسعودى ج ٢ ص ٣٣٥.
(٣) ابن الأثير ج ١١ ص ٤١.
(٤) ابن بطوطة ج ١ ص ٢٣٥.
(٥) المنتظم ج ١٠ ص ١٠٥.

كانت موجهة إلى أصحاب المال والأغنياء الذين يكدسون ثرواتهم ويخزنون أموالهم ، ويتركون العامة فى عوز وفاقة ، لذلك لم يتعرضوا لأصحاب البضائع القليلة ولم يعرضوا لامرأة ولا إلى من يستسلم إليهم ، وكانت هذه صفة ابن حمدون الشاطر والبرجمى العيار (١) .

ولم يكن هؤلاء الشطار والعيارون يعدون اللصوصية جريمة وإنما هى صناعة يحللونها لأن ما يستولون عليه من أموال التجار الأغنياء زكاة تلك الأموال ، فقد ادعوا أنهم فقراء فإن أخذوا تلك الأموال كانت لهم مباحاً ، وهذا التعليل يسرده لنا ابن سيّار الكردى ويذكر خبره التنوخى قال : « كنت مسافراً ببعض الجبال فخرج علينا ابن سيار الكردى ، فقطع علينا وكان بزى الأمراء .. فقربت منه أنظر إليه وأسمع كلامه فوجدته يروى الشعر ويفهم النحو ، فطمعت فيه وعملت أبياتاً مدحته بها ، فقال : لست أعلم أن هذا من شعرك ، ولكن اعمل لى على قافية هذا البيت ووزنه شعراً الساعة وانشدنى بيتاً ، فعملت فى الحال أجازة له ثلاثة أبيات . فقال لى : أى شىء أخذ منك لأرده عليك ؟ فذكرت له ما أخذ منى فرده إلىّ . ثم أخذ من أكياس التجار التى نهبها كيساً فيه ألف درهم فوهبه لى . فجزيته خيراً وردته إليه ، فقال لى لِمَ لا تأخذه ؟ فوريت فى كلامى ، قال : أحب أن تصدقنى ، فقلت : وأنا آمن ؟ فقال : نعم ، قلت : لأنك لا تملكه وهو من أموال الناس أخذته منهم الساعة ظلماً فكيف يحل لى أخذه ، فقال لى أما قرأت ما ذكره الجاحظ فى كتاب اللصوص عن بعضهم قال : « إن هؤلاء التجار لم تسقط عنهم زكاة الناس لأنهم منعوها فصارت أموالهم بذلك مستهلكة ، واللصوص فقراء إليها ، فإن أخذوا أموالهم كان ذلك لهم مباحاً لأن عين المال مستهلكة بالزكاة . ثم قال لى : خذ الآن الكيس فأخذته وساق القافلة » (٢) .

بلاؤهم فى الحروب :

كان للشطار والعيارين فى الحروب والفتن المحل الأول والشأن الكبير ، ففى الفتنة بين الأمين والمأمون لما عجزت جنود الأمين عن الدفاع استنجد بالعيارين والشطار فى الدفاع عن بغداد ، فنظمهم نظام الجند على كل عشرة منهم عريف ، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب ، وعلى كل عشرة نقباء قائد ، وعلى كل عشرة قواد أمير . وكانوا يقاتلون عراة فى أوساطهم الميازر ، وقد اتخذوا لرؤوسهم دواخل من الخوص سموها الخوذ ، ودرقاً من الخوص والبوارى قد قرنت وحشيت بالرمل والحصى ، وساروا للحرب يضربون المأمونية بالمقلاع والحصى (١) ، وفى هؤلاء يقول الشاعر :

خرّجت هذه الحروب رجالا … لا لقحطان ولا لنزار
معشر فى جواشن الحصر يعدو … ن إلى الحرب كالليوث الضوارى
ليس يدرون ما الفرار إذا الأبطا … ل عاروا فى القنا للفرار
واحد منهم يشد على ألفـ … ـين عريان ما له من ازار
ويقول الفتى إذا طعن الطعـ … ـنة : خذها من الفتى العيار

ومن ظريف بلائهم فى هذه الفتنة ما ذكره ابن الأثير قال : إن قائداً من أصحاب طاهر من أهل النجدة والبأس خرج يوماً إلى القتال ، فنظر إلى قوم عراة فقال لأصحابه : ما يقاتلنا إلا من نرى ؟ استخفافاً بأمرهم واحتقاراً لهم ، فقيل له : نعم ، هؤلاء هم الآفة ، فقال لهم : أف لكم حين تنهزمون من هؤلاء وأنتم فى السلاح والعدة والقوة وفيكم الشجاعة ، وماعسى يبلغ كيد هؤلاء ولا سلاح معهم ولا جنة تقيهم ... وتقدم إلى بعضهم وكانت فى يده بارية مقيرة وتحت إبطه مخلاة فيها حجارة فكان الخراسانى كلما رمى بسهم استتر منه العيار فيقع السهم فى باريته أو قريباً منها فيأخذه العيار ويصيح دانق — أى ثمن السهم دانق قد أحرزه — فلم يزل كذلك حتى فنى مهام الخراسانى ... ثم حمل عليه العيار ورماه بحجر من مخلاته فى مقلاع فما أخطأ عينه ، ثم خر وكاد يصرعه ، فانهزم وهو يقول : ما هؤلاء بناس (٢) .

وحدث مثل هذا من العيارين والشطار فى حرب المستعين والمعتز سنة ٢٥١ هـ إذ حوصر المستعين بالله ببغداد مثل حصار الأمين فاستعان بالعيارين وفرض لهم الأموال وجعل عليهم رئيساً اسمه بينونه (٣) .

ومن العيارين رجال خلدهم التاريخ وكتبت حولهم القصص الشعبية مثل الزيبق وقصته مشهورة معروفة تقرأها العامة كما تقرأ قصة أبى زيد الهلالى وقصة عنترة وغيرهما من القصص الشعبية .

(١) التنوخى ج ٢ ص ١٠٨ وابن الأثير ج ٩ ص ١١٥ .
(٢) الفرج بعد الشدة ج ٢ ص ١٦ .

(١) المسعودى ج ٢ ص ٢١٨ .
(٢) ابن الأثير ج ٦ ص ١١١ .
(٣) ابن الأثير ج ٦ ص ٢٤٤ .

الـــدولار

للأديب عمر حليق

الدولار ورقة خضراء اللون تطبع بطريقة سرية من مركب كيماوى غريب . ويبلغ طولها ٦ر١٤ انشاً وعرضها ٦١ر٢ انشا . ويبلغ سعر الدولار (ذهب معدن) ٣٥ بالماية من سعر أوقية الذهب . وتطبع الحكومة الأمريكية من الدولارات ٢٤٨٢٠٠٠ دولار يومياً ، وتجمع الحكومة كذلك من الأسواق دولارات بالية تعادل قيمتها مبلغ الدولارات المطبوعة يومياً .

وينفق الأمريكيون كل يوم ٤٣٧ مليون دولار لتسيير أعمالهم وحياتهم اليومية . ويشكو الأمريكيون كل يوم أن الدولار أصبح لا يساوى قيمته الشرائية كما عهدوه فى السنين الماضية . وتبلغ هذه القيمة ٥٨ بالماية من قيمة دولار سنة ١٩٣٩ .

ومع ذلك فإن الدولار هو اليوم أهم وثيقة مطبوعة عرفها تاريخ العلاقات السياسة . هو سلاح مارشال فى محاربة التوسع الشيوعى وسلاح رجال الأعمال فى (وال ستريت) للتسرب إلى معاقل الإشتراكية فى أوروبا لحفظ النظام الإقتصادى المطلق الذى تؤمن به الرأسمالية الأمريكية .

والدولار الأمريكى هو أساس بلية بريطانيا وأزمتها الاقتصادية وهو الشبح المخيف الذى يقلق مضاجع القارة الأوروبية المحطمة .

وقد لعب الدولار فى الأيام الأخيرة دوراً هاماً فى سياسة العالم . فقد كانت قلته فى بريطانيا داعياً لهـا لانتهاج سياسة مالية جديدة متباينة جوهريا مع سياستها التقليدية فى الداخل والخارج .

فالدولار مثلا هو العقبة الكبرى فى سبيل اتفاق أمريكا وبريطانيا وفرنسا حول مستقبل فحم الرور الألمانى .

والدولار هو السوط الذى جمع أقطاب الساسة والاقتصاد فى أوروبا على طاولة واحدة لأول مرة فى تاريخ أوروبا الحديث . على هذه الطاولة التقى الجائع مع الاستعمارى ، والشيوعى مع المحافظ المتيد والاشتراكى مع أولئك الذين يميلون إلى أقصى اليمين .

ولم يحتج الدولار لأكثر من إشارة متواضعة فى اليونان لأن يسقط الوزارة الملكية بعد أن ثبت لرؤساء بعثة ترومان التى تشرف على انفاق مساعدة أمريكا لليونان بأن الحالة السياسة والاقتصادية هناك تتطلب حكومة اميل إلى الوسط منها إلى اليمين المتطرف .

وليست قيمة الدولار مردها إلى قيمة الذهب الأصفر الذى فى استطاعته ابتياعها ، فليس هناك من يبادل الدولار بالذهب سوى تجار المجوهرات وأطباء الأسنان الذين يستبدلون الأسنان المتعفنة بأخرى ذهبية ولكن قيمة الدولار تعود إلى كمية البضائع والسلع التى يستطيع ابتياعها فى أسرع وقت ممكن — والعالم بأسره فى حاجة إلى السلع والبضائع . فالدولار إذن سيد الموقف فى العالم .

وللدولار قوة سحرية فى توفير الفحم والوقود السائل

أزياؤهم :

ذكرنا زيهم وسلاحهم فى الحروب وأما فى السلم فقد وصفه لنا ابن منظور قال « خرج أبو نواس إلى مصر فى زى الشطار وتقطيعهم بطرة قد صففها ، وكمين واسعين ، وذيل مجرور، ونعل مطبق» (١) . وكان للشطار مئزر يأتزرون به على صدورهم يعرف بأزرة الشطارة(٢) . وكان لهم سراويل يلبسونها تشبه سراويل الفتوة(٣) . وكانوا يخرجون إلى الأسواق ومحلات الجوهريين بثياب التجار فلا يعرفهم الإنسان حتى يأخذوه(٤) .

هذا مجمل ما استطعنا أن نقف عليه من أخبارهم وأعمالهم معتمدين على أهم المصادر التى ذكرت تاريخهم متفرقاً هنا وهناك فإن فاتنا شىء من أمرهم فمعذرة .

(بغداد) شكرى محمود أحمد
مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) أخبار ابى نواس ج ١ ص ٢٣٥ .
(٢) الأغانى ج ٦ ص ٩١ .
(٣) جرجى زيدان ج ٥ ص ١٥٣ .
(٤) المنتظم ج ١٠ ص ١٠٥ .

والآلات ووسائل النقل ولقد جمعت الولايات المتحدة الأمريكية فى يدها الدولار وقوة الدولار السحرية وما يعادله من سلع ومنتجات ذلك لأن الحرب المنصرمة تركت أمريكا فى حالة عكس ما تركت به أوروبا — بلد يضيق به إنتاجه الصناعى بسبب التضخم فى الإنتاج الذى جاء وليد توسع المجهود الحربى وما استلزمه من صناعة موسعة على نطاق لم يعهده التاريخ .

ولكن المصيبة أن موارد العالم — خارج أمريكا — من الدولارات شحيحة خفيفة . ومع أن أمريكا منحت العالم الخارجى ٢٠ بليوناً من الدولارات فى شكل هبات ومساعدات وقروض إلا أن ما بقى لدى العالم الخارجى من هذا المبلغ الضخم لا يتعدى خمسة — أربعة بلايين دولار لا غير ! ولا يزال استنفاد الدولارات جاريا بسرعة فائقة .

وتبتاع أمريكا من العالم الخارجى كل شهر ما مقداره ٨٠ مليون دولار ولكنها تبيعه ما تبلغ قيمته بليون و ٨٠٠ مليون دولار !

وإزاء هذا الموقف الخطير وجدت أمريكا نفسها أمام أمرين

(١) إما أن تستمر فى هذه الحالة فتزداد غنى على حساب أوروبا المحطمة وهذا بالطبع يضعها فى موقف الرأسمالى الجشع ويدفع أوروبا والعالم من دورانها إلى أحضان الاقتصاد المنظم والمساواة الاقتصادية — الشيوعية .

(٢) وإما أن تستنبط الولايات المتحدة طريقة عملية لإعادة قوة أوروبا الاقتصادية والتجارية لتستطيع أن تزيد من تصديرها إلى الولايات المتحدة فتحصل على دولارات أكثر تستورد بها من الولايات المتحدة بضائع وسلع فيستفيد الإنتاج الأمريكى ويظل على مستواه الضخم ويساعد على استيعاب المال وتقوية الصناعة وإبقاء الإنتعاش التجارى على حالته السليمة .

واختارت الولايات المتحدة الطريقة الأخيرة ولوحت لأوروبا به بما دعته « مشروع مارشال » .

وبقى سؤال واحد على ألسنة ساسة الدول : هل توافق السلطة التشريعية الأمريكية (الكنغرس) على مشروع مارشال هذا فتزداد قوة الدولار السحرية فى السياسة الدولية أم ينتصر أنصار العزلة فى أمريكا وتبقى للدولار سلطته الاقتصادية المجردة من بلاغة السياسيين وألاعيبهم الشيطانية وتظل الولايات المتحدة سيدة العالم فى الحياة المادية البحتة أم أن يزداد العم سام خيلاء فيضم إلى الاقتصاد مزامير المظمة السياسية ..

وهل السياسة غير ضباب التمويه الذى ينشره الاقتصاد ليعمى الأبصار عن قساوة الإقتصاد المجرد .

وهل فى (البرجماتزم) Pragructisem الأمريكى مجال أخصب لهذا الدور الذى يحلو للدولار الأخضر أن يلعبه وأوروبا والقسم الأكبر من العالم معها يعانى آلاماً حادة فى المعدة ودواراً شديداً فى التفكير السياسى .

عمر حليق

أدب العروبة فى الميزان

للأستاذ على متولى صلاح

(تتمة)

الشعراء الثلاثة الذين سنتكلم عنهم اليوم هم — دون شك — من شعراء الطليعة والصف الأول فى جامعة أدباء العروبة ، وهم الجوهر والنواة فيها ، كانوا معها أول ما نشأت ، واستمروا على عهدهم لها إلى يومنا هذا يصدحون فى كل مهرجان ، ويتبارون فى كل ميدان ...

هؤلاء هم الأساتذة : أحمد عبد المجيد الغزالى ، والعوضى الوكيل ، وطاهر محمد أبو فاشا .

وثلاثتهم نشأوا نشأة واحدة ، ونهلوا وعلوا من معين واحد وتفيئوا ظل دوحة واحدة ، فكان الصراع بينهم دائماً وكانت المنافسة بينهم أبداً .

والناظر المتأمل فيهم ، الفاحص عن طبيعة قلب كل منهم وحركات نفسه وصور وجدانه يجد بينهم — إلى ذلك — اختلافاً كبيراً .

فأولهم « الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى » شاعر نشهد بأنه شاعر مجيد فيه طلاوة ولعبارته إشراق . والخصلة التى تبدو فيه واضحة وضوحاً قوياً حتى تكاد تلازمه فى كل ما يكتب هى أنه لا ينسى نفسه أبداً ! لا تنسيه إياها المناسبة أيا كانت ، ولا ينسيه إياها مقتضى الحال كيفما كان ، فهو يفتأ يتحدث عنها ويتكلم فيها حتى تحسبه يوشك أن يقول للناس : هأنذا ...

وليس مما يؤخذ على الشاعر أن يصور للناس نفسه ، وأن يطلع الناس على عواطفه إذا كان يصور نفسه مندمجة فى الشىء الذى يتناوله بالكلام ، ويطلع الناس على عواطفه متأثرة بالموضوع الذى يتحدث عنه فيكون بين نفسه وبين موضوع الحديث كمال الاتصال إن جاز أن نستعمل هذا التعبير هنا !

أما أن يترك الشاعر الموضوع الأصلى إلى الحديث عن نفسه وعن عاطفته فى أمر لاعلاقة للموضوع بهما فذلك ما نأخذه على الشاعر والأستاذ يقف فى مهرجان الفيوم فلا يتحدث عنها بشىء ولا يسوق من تاريخها الحافل أو ماضيها المجيد شيئاً ، إنما يقف فيسرد على الناس قصة غرامه الشخصى فى غزل يخاطب فيه حبيبة بعينها اعتقادى أنها المقصودة بكل ما قال ، ويترك الناس حيارى لا يدرون ما يقول أو فيم يقول ، ويناديها وهى فى ديارها إلى جانب النيل ويصيح لها قائلا : —

أنا أشدو لها جراحى شعراً ... فعساها تضمد الأشعارا
وعساها فى جانب النيل تصغى ... لنشيد يشع نوراً ونارا

ثم يشكوها فى صراحة إلى عذارى الفيوم فيقول : —

يا عذارى الرياض من كل شاد ... أنا أشكو إلى العذارى العذارى

وهو فى مهرجان المنصورة يخلص مجلا مسرعاً من الحديث عنها ولا يكاد يبدأ الحديث عن سيرتها حتى يعبرها غير وان ليتكلم عن قلبه وعن وجده بما لا علاقة له بالموضوع القائم فيقول:

يا لقلبى لما اطمأن به الركـ ... ـب وألقى هنا عصا الترحال
شاركتنى ضلالة الحب قلبى ... فتبارى ضلاله وضلالى
وانتبذنا هنا مكاناً قصياً ... وشكوت الهوى له وشكا لى

وأدع ما قاله فى مهرجان الزقازيق فقد يكون حديثه عن نفسه هناك متلائماً مع طبيعة الموضوع لأن الزقازيق مهد أحلامه كما يقول ومعهد صباه الأول .

والأستاذ الغزالى يخاطب الطيور فى قصيدة « الربيع » بقوله :

يا طيور الروض غنينا النشيدا ... وانثرى فوق الربى زهر الربيع

وأنا لا أعلم كيف تنثر الطيور الأزهار فوق الروابى ؟

ويخاطب الأزهار — فى نفس القصيدة — بقوله : —

إيه يا زهر الربيع الباكر ... يا متاع القلب يا أنس الأمانى

وكلمة « يا أنس الأمانى » هذه عامية ولا معنى لها ومتى كان للأمانى أنس ؟

ويصف مهده وهو يتكلم فى مهرجان القمر فيقول : —

أقضى الليالى أنات مرددة ... والشاهدان علىّ النجم والسهر

والنجم وحده هو الشاهد . أما السهر فهو العلة والداء ولكنه الاضطرار !

ويفاضل الأستاذ بين بلدة « غزالة » وبين « بغداد » مفاضلة فيها تعسف شديد وإسراف بعيد ليته مدحها بغير ذلك .

ومفاضلته كذلك بين « الدسوق » وبين « الرشيد » مفاضلة على غير وجهها ، فهذا وزير له صولة القلم وصلصلة البيان ، وذاك خليفة له أبهة الخلافة وجلال السلطان ! فإن كانت الجامعة بينهما عند الأستاذ هى الأدب فالدسوق آدب من الرشيد وأوفر منه

مشاركة فيه . ولم يعز إلى الرشـيد إلا أبيات قليلة لا تبلغ عدد أصابع اليد على أنها لم تثبت له بل نحاها بعض الرواة شاعراً آخر من شعراء الأندلس .

والأستاذ الغزالى نفســه هو الذى ذكر الرشيد عند ذكر الفاروق فى قصـيدة عيد الجلوس فقال عن لواء الفاروق بعـد كلام آخر : —

فيردّ الليـالى الغر للشر ق ويحيى أيامه والرشـيدا

وقال قبل ذلك عن هذا اللواء : —

يا لواء الفاروق عشت مليـاً نحن نفـدى لواءه المفقودا

والمليّ الزمان الطويل والله يقول : (واهجرنى ملياً) وكان الأولى أن يقول « يا لواء الفاروق عشت دواماً » . ويقول عن خمرة الربيع : —

فاسقنيها فى ربيع الزمن خمرة من ربها العذب أوامى

والأوام حر العطش وكيف يتأتى هذا من الرى العذب ؟ ويقول عن قلبه وهو يخاطب القمر :

قلبي الذى بات يصلى منك جمرته وقد حبته بلذع دونه سقر

والحباء العطاء وأحسبه لا يكون إلا فى الخير لا فى اللذع الذى هو شر من سقر !

وللأستاذ شعر كثير حسن وأبيات فيها جمال وصـفاء ، وليست الهنات التى قدمنا بمانعتنا أن نقول فيه ما قلناه أولا من أنه شاعر مجيد فيه طلاوة ولعبارته إشراق

وثانيهم الأستاذ العوضى الوكيل وهو شاعر هادىء وديع حالم وإن كان قصير النفس غير مكثر فى القول ، والخصلة التى تغلب على جميع ما ينظم هى الأنين والبكاء بلا انقطاع ! فهو يقف فى مهرجان « الفيوم » فيقول بعد بيت واحد من القصيدة : —

على شفتى من خمرة الحب نشوة تلهب ترنيمى بهـا وغنائيا

وإن كانت النشوة التى هى السكر فى اللغة لا تكون على الشفة وهو يناجى القمر فى قصيدته عنه فينحرف مسرعاً لينذب صباه ويبكيه فيقول : —

له حسرات ملأن الضمير ووجد تلهب حتى استعر

ويصف شـعره فى مهرجان الزقازيق فى صراحة ووضوح فيقول عنه : —

ليس شعرى من الكلام ولـكن هو من لهفتى ومن إطراقى

ويبتدىء قصيدته بمهرجان المنصورة ببكاء ليس وراءه بكاء وإن كان المقام لا يقتضى بكاء بل إشادة وتغنياً بالمجد والنصر وأمجاد التاريخ ، فيقول فى مطلعها : —

هو الوجد ما تخفى بنفسك أو تبدى
هو الوجد فاذكر مالقيت من الوجد

ونهنه ترانيما بقلبك أوشكت تفيض كنهل الدموع على الخد .

وهذه ظاهرة تستوجب التسجيل فى شعر الأستاذ العوضى الوكيل فإن كان يود أن تـكون بشعره هذه المسحة دائماً وإن كان يأبى إلا أن يكون شعره على هذا اللون غير مستمد ذلك من طبيعته الخاصة — وهو ما أكاد أقول به وألمحه بين ثنايا كلامه — فإنى أشير عليه بأن يعالج الخلوص من ذلك والتحلل منه .

وللأستاذ فى الـكتاب ست قصائد الـكثير منها جيد حسن الديباجة أضمه مع شعر الأستاذ الغزالى فى ميزان ، إلا أن قصيدته فى « الربيع » ضعيفة مفـكـكة مختلطة المعانى مهلهلة النسج كان الأولى به ألا ينشرها فى الـكتاب فهى دون شعره الآخر بمسافة بعيدة ، يقول فى مطلعها : —

أى صديقى الربيع ... عدت وعدنا
فامض فى الـكون كيف شئت وأنى

وأنا أفهم أن الربيع يعود كل عام مرة ولـكن من أين يعود الشاعر ومتى يعود ؟

ويقول فيها يخاطب الربيع معدداً محاسنه : —

قد عمرت الحياة ركناً فركنا وغمرت القصيد وزناً فوزنا

والوزن ليس هو الشـعر وليس هو الـكلام الذى يقول الأسـتاذ إن الربيع يغمره إنما هو الميزان الذى يوزن به الشعر ويقاس به . وفى قصيدة القمر يخاطبه فيقول له : —

جلست معى أيهذا القمر وأحليت من عيشتى ما استمر

يقصد ما مذاقه مر ، وذلك الفعل « استمر » لا يؤدى هذا المعنى وإنما يؤديه الفعـلان مرّ وأمرّ ، تقول مرّ الشىء وأمرّ الشىء صار ذا مذاق مر ، هذا إلى أن كلمة « عيشتى » خشنة جافة لا تجوز فى شعر .

وفى قصيدة الفيوم يقول عنها : —

تخيلتها معنى فلمـا رأيتها حسبت كأنى جئتها اليوم ثانيا

والبيت فى ذاته حسن المعنى إلا أن كلمة « معنىّ » بعـد

« تخيلتها » حشو اضطر إليه الشاعر فالخيال لا يكون إلا معنى أبداً ، ويقول عن الفيوم أيضاً : —

هدانا إليها في السباسب طيبها   على أن برح الشوق قد كان هاديا

والمح هنا شبح بيت شوقي : —

ألمّ على أبيات ليلى بى الهوى   وما غير أشواقى دليل ولا ركب

أو شبح البيت القديم : —

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه   فطيب تراب القبر دل على القبر

ويخاطب معالي الأستاذ الرئيس فى نهاية قصيدة المنصورة قائلاً : —

جملت لأيام العروبة رونقاً   يجمله الفاروق ذو العزم والأيدى

والأيدى بالياء صوابها الأيد بحذفها والأيد القوة ولعله تطبيع وجملة ما يقال فى الأستاذ العوضى الوكيل — رغم ماقدمنا — أن به إحساساً وأن له قلباً ، ولو استطاع التغلب على نزعته الحادة وجنوحه الشديد إلى البكاء والأنين لخطا خطوة فسيحة نحو مكان كرام الشعراء .

وثالثهم الأستاذ طاهر محمد أبو فاشا وهو شاعر اكتملت له أدوات الشاعر جميعاً ، فبيانه جزل ضخم ممتاز ، وخياله قوى رائع ، والموسيقى تضطرب فى شعره اضطراباً ، أسمع إليه وهو ينفح عن الفن ويحمل منه عصب الحياة وروحها فيقول : —

ربما استغنت الحياة عن العـ   ـلم على رغم ما جنى العلماء

وعلى الفن وحده عاش أجدا   دك دهراً وهم به سعداء

إن من أطلقوا العقول علينا   لست تدرى أأحسنوا أم أساءوا

والذى ظنها تراباً وماء   هو فى نفسه تراب وماء !

ويقول فى نفس القصيدة عن «الشاعر» هذا البيت الرائع :

ذو بيان لو عاقرته الندامى   لتناهت عن شربها الندماء

وأسمع إليه وقد وقف فى الزقازيق يقص أخبار أيامه الأولى بها :

من ترى أيقظ الخواطر حولى   وأثار المطوى من صفحاتى ؟

وأعاد الأيام والمعهد السا   مق مروج بالنجوم الهداة

الفحول الأعلام أمثلة الزهـ   ـد وشيخانه المدول الثقاة

ورفيق كأنه هامش الشر   ح إذا صات يمضغ القافات

حنبلى كأنه الجمل الأو   رق صخابة كثير اللتات

السراج العليل يشهق فى محرا   به والبلى يروح ويأتى

ونشيج مفلفل لاذع الطعـ   ـمة يشوى أصابعى ولهاتى

يتصبى المجاورين فتنصـ   ـب عليه كالفاتحين الغزاة

اترك المتن واطو حاشية السـ   ـعد وأدرك شيخون قبل الفوات

أنا من مازن ومازن منى   والليالى القمراء من صدحاتى

وللأستاذ طاهر فى الكتاب ثلاث قصائد فقط خيرها قصيدته فى الزقازيق تلك التى قدمنا بعضاً منها وقد بلغ فيها الذروة ، وتليها قصيدة الفيوم وقد كان فيها الشاعر المنافح عن الشعر المبين عن فضله واصالته فى الحياة . وهو يقول فيها عن قافلة الشعراء وهى تسير : —

لو تحس البيداء من سار فيها   لتغنت من شجوها البيداء

والشجو فيما تقول به اللغة الهم والحزن فكيف تتغنى البيداء من هذين ، أو كيف يركبها الهم والحزن وقافلة الشعراء تسير بها ؟ وثالثتها قصيدته فى « هلال المحرم » وهى دون الأوليين ولم ترقنى كثيراً .

والأستاذ طاهر أبو فاشا شاعر يبشر بآمال كبار ، ولو سألنى سائل من تراه أشعر شعراء جامعة أدباء العروبة لقلت غير متردد إنه طاهر أبو فاشا ، ولولم يكن لجامعة أدباء العروبة إلا فضل إبراز مواهب هذا الشاعر وإظهاره لكفاها ذلك فضلا ..

فليمط الأستاذ طاهر باله إلى الشعر أكثر من هذا ، وليخلع رداء الكسل والراحة ، ولينفق للشعر جهداً أضخم مما ينفق اليوم ، وليعتزل وليخل إلى نفسه يتأمل ويتصور ويقول ، وأنا الزعيم له أن يتبوأ الصدر فى شعراء هذا الزمان .

وبعد : فتلك كلمات جلونا فيها بعض الكتاب والشعراء من جامعة أدباء العروبة أملاها علينا الحق الذى لا يداخله هوى ، والعدل الذى لا يخالطه غرض ، وكشفنا فيها عن مجهود هذه الجماعة فى عام وإنه لمجهود يسير ضئيل نرجو أن يتضاعف ويزيد .

وإن جاز لنا أن نقترح على معالى الأستاذ الرئيس أمراً فهو أن ينظر فى تعديل تشكيل هذه الجماعة حتى يتمكن كبار الكتاب والشعراء من الانخراط فى سلكها ، وأن يعدل منهاجها حتى يكون أوفى بالغرض الذى أنشئت الجماعة من أجله وهو فى كلمتين خدمة الأدب ، وخدمة الأدباء .

ونحن إذ ننتظر منه ذلك نزجى إليه — مرة أخرى — الثناء مضاعفاً والمدح مكرراً ، ثناء الأدب لمناصره ، ومدح الفن لمؤازره . والسلام .

رأس البر   **على متولى صلاح**

ليـــل وقلب ...

هو الليل يا قلب ، فانشر شراعـــك ، واعبر خضمَّ الظلام العميقْ
وجذِّفْ بأوهامكِ الراعشـــات فى زورقٍ ما به من رفيق
وإنك كالليل ، شيء كبيرٌ ...   بعيد القرار ، سحيقٌ سحيق
وفيك كألغازه المبهماتِ   أفانين من كل لغز دقيق
هواجس مختلفاتٌ رؤاها   تهوم طوراً وطوراً تفيق

ولليلِ يا قلب أىُّ امتدادٍ   يحيط بهذا الوجود العظيمْ
سرى واحتوى الكونَ فى عمقه   فلفَّ البحار ولفَّ الأديم
وكالليل أنت ، حويت وجوداً   من العاطفات كبيراً جسيم
ففيك السماء وفيك الخضم   وفيك الجديد وفيك القديم !
وتنتظمُ الكونَ فى خفقةٍ   وأنت بجنبى هنا لا تريم !

ودونك يا قلب هذا الفضاءَ   تجوز به السحُبُ العابره
مراكب تمخر إثر مراكب تـــدفعها قـوةٌ قاهره
كأنى أرى فى شُكول السحاب   نواتىَّ أبصـــارهم حائره
أضلوا المنارَ ، فهم تائهون   يغذّون فى اللجج الكافره
كذلك أنت ببحر الحيـــاة توهان فى ظلم سادره

ورجرجة النجم كم ساجلتك   بصدر السماء خفوقَ الحنينْ
أبالنجم ما بك من لهفـــة   أبالنجم مثلك شوق دفين ؟
أتجهش فى قلبه الذكرياتُ   وتأخذ منه بحبل الوتين ؟
فـــا باله قلق خافق   يراعى الدُّجى فى سهوم حزين
لعلَّ حبيباً له قد هـوى   وبات كخدنك فى الآفلين

وأصغ معى فى سكون الرياض   وقد لفَّها غسقُ الغيهبِ
طيور توشوش جنح الدجى   وتكشف عن همها المختبى
فهذا الخريف تدب خطاه   ليعصف بالزهر المعجب
ويخنق ألحانَ أشواقها   ويلوى بترجيعها المطرب
وكيف تغنى لزهر ذوى   بروض سليب الحلى مجدب

وأنت ... وأنت تخاف الخريفَ   وتشفق من ريحه العاتيه
تخاف على زهرات الصبى   تبددها كفه القاسيه
فلا نورَ يشتاقُ طلَّ الصبـــاح ويوحى بأنغامك الصاديه
تخاف تزايـلكَ الملهباتُ   وتخمدُ أشواقُـك الطاغيه
ويفرغ نايُـك من لحنـــه   ويثوى حطاماً بأضلاعيه

وسمتَ عوالمَ يا قلب ماجت   بجم الطيوف وشتى الصُّور
أحاسيس حيرى تهيج وتطفى   هياج العبـــاب إذا ما غمر
وأخرى تهب هبوبَ النسيم   تنفس فى جانحيه الزَّهر
وتظلمُ يا قلب حتى كأنك ليــل بصدرى الكظيم اعتكر
وتشرقُ حتى إخال الضياءَ   بأقطار نفسى منك انتشر

وتخصب طوراً فكلك حبٌّ   يعانق قلب الوجود الرحيب
تفيض سلاماً كأن يد الله مرت عليك بنفح رطيب
تحب العدو وتحنـــو عليه   وخنجره منك دام خصيب !
وطوراً تفيض سوى من رواســب كره عمى وبغض رهيب
كأن أكف الشياطين غلغلن فيك فأنت مجوف جديب ...

فيا قلبُ ، يا أحد الأصغرين ، كيف اتسعت لهذا الوجودِ
وكيف احتمالك هذا الزحام من خلجات كثار العديد
تحب وتبغض حراً طليقاً   فلا من سدود ولا من قيود
تصد نداء المحب القريب   وتهوى نداء العدو البعيد !
فيا لك أعمى يقوِّد زمامى   كما شاء ، فمل اللجوج العنيد !

هو الليل ياقلب ، فانشر شراعـــك ، واعبر خضم الظلام العميق
وجذف بأوهامك الراعشـــات فى زورق ما به من رفيق

(نابلس)   **فدوى عبد الفتاح طوقان**

الأدب والفن في أسبوع

جدل في الجامعة :

كان الأستاذ محمد أحمد خلف الله المعيد بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول — قدم رسالة للحصول على «الدكتوراه» موضوعها « القصص فى القرآن » وقد أعدها بإشراف الأستاذ أمين الخولى ومعاونته وألفت لجنة من الأستاذين الشايب وأحمد أمين بك للنظر فى صلاحية الرسالة للمناقشة ، وكتب كل من الأستاذين تقريره عنها ، أما الأستاذ أحمد أمين فقال إنها لا تصلح لضعف منهجها العلمى ، وأما الأستاذ الشايب فرأى أن بها مايمس الناحية الدينية ، لأن صاحبها يقول فيها إن القصص القرآنى لم يراع الحقيقة التاريخية وإن المقصود منه غرض فنى فلسنا ملزمين بتصديق حقائق هذا القصص ، وإنما نقدر فيه الغاية الفنية . ويقول إن القصص مستمد من مصادر أخرى غيرعربية كالتوراة والأدب اليونانى والأدب الفارسى ، وإن فيه أساطير لا أساس لها . لذلك رأى الأستاذ الشايب أنه لا يجوز أن تعرض رسالة تتضمن هذه الآراء للمناقشة فى لجنة الدكتوراه .

وعلم الأستاذ الخولى بفحوى تقرير الأستاذ الشايب ، فرد عليه بتقرير قال فيه إنه متضامن مع مقدم الرسالة فى كل حرف منها وإنه لا ينبغى الوقوف أمام حرية الفكر . وهذه التقارير كلها لدى العميد تنتظر اجتماع مجلس الكلية .

وتتحدث البيئات الجامعية فى هذه المسألة ، وأقوم ما يقال فيها أن « الدكتوراه » إجازة من إجازات الدولة التى دينها الإسلام ، فكيف تمنح لمن يرى هذه الآراء فى القرآن ؟

افتتاح المؤتمر الثقافى :

افتتح المؤتمر الثقافى العربى الأول فى اليوم الثانى من سبتمبر الحالى بفندق بيت مرى بلبنان ، وقد افتتحه رئيس الجمهورية اللبنانية بخطاب ترحيبى أشاد فيه بفكرة المؤتمر وماضى العرب فى خدمة الفكر والثقافة ، وتلاه وزير المعارف اللبنانية ومندوبو البلاد العربية بكلمات افتتاحية نوهوا فيها بجهود لبنان فى ميدان الثقافة ونشر اللغة العربية وآدابها ، كما نوهوا بأهمية هذا المؤتمر وما يرجى منه من إنهاض الآداب العربية ورفع مستوى الثقافة وتوحيد أهدافها ببلاد العروبة . وألقى بعده الأستاذ على الجارم بك قصيدة خصصتها بكلمة تراها بعد هذا .

وقد ألفت لجنتان عامتان ، الأولى للمواد الاجتماعية يتفرع عنها لجنة للتاريخ برياسة الدكتور جواد على (العراق) ولجنة الجغرافيا برياسة الأستاذ وصفى المنبتاوى (فلسطين) ، ولجنة التربية الوطنية برياسة الدكتور قسطنطين زريق (سوريا) .

واللجنة العامة الثانية للغة العربية ، ويتفرع عنها لجنة الأدب برياسة الأستاذ أحمد أمين بك (مصر) ، ولجنة اللغة والقواعد برياسة الأستاذ محمد بهجت الأثرى (العراق) .

وتواصل اللجان اجتماعاتها بفندق بيت مرى الذى تقول الأنباء إنه تحول باجتماع المؤتمر فيه إلى قصر للعروبة تخفق على أبراجه رايات الدول العربية التى تبدو بالليل بين الزينات والأنوار

ولم يشترك فى المؤتمر من النساء سوى ثلاث لبنانيات ، وقد ظهر أن ما أذيع قبل من أن أربعين سيدة عربية سيشتركن فى المؤتمر مصدره أن هؤلاء السيدات هن زوجات الأعضاء اللائى جعل لهن ما لأزواجهن من تخفيض فى نفقات السفر والإقامة مع دفع رسوم المؤتمر .

قصيدة الجارم :

سمعنا هذه القصيدة ، قبل أن تنشرها الأهرام ، من الإذاعة المصرية فى مساء اليوم الذى ألقيت فيه بالمؤتمر ، وكان المذيع فى حديقة الأندلس يذيع من هناك حفلة ساهرة ، فلما انتهى المطرب أعلن الانتقال إلى « الاستديو » فسمعنا المتحدث يقول : ألقى الأستاذ على الجارم بك اليوم قصيدة «العروبة» فى المؤتمر الثقافى بلبنان وقد استطعنا الحصول عليها ، ويقرؤها عليكم الآن عبد الوهاب يوسف ... وابتدأ إنشاد القصيدة ، وإذا الصوت صوت المذيع الذى سمعناه من حديقة الأندلس وهو عبد الوهاب يوسف ! فهل انتقل المذيع على الأثير من الحديقة إلى «الاستديو» ليلقى قصيدة الجارم !

المسألة يا سيدى بسيطة ... الجارم بك قال هذه القصيدة فى مصر ودفع نسخة منها إلى محطة الإذاعة فسجلتها بإلقاء عبد الوهاب يوسف قبل ظهر ذلك اليوم ، ثم أذيع «المسجل» فى المساء على النحو الذى وصفت ...

وبعد فأعدّى عن هذه «الطريقة التمثيلية» لأقول إن سياق القصيدة يدل على أن الشاعر استوحاها فى لبنان كما فى قوله عن نفسه :

بدت له جارة الوادى الخصيب ضحا
كل الأحبة فى لبنان جيران

ويمكن أن يقال إنه ، وهو فى مصر ، تمثل لبنان وقد تعاهدها أى أنه جرى على (الطريقة التمثيلية) .

أما القصيدة ذاتها فهى سبعة وثمانون بيتاً ، نحو نصفها فى الهوى والغيد وذكريات الشاعر فى لبنان وتحسره على أيام فى عهد الشباب ، وقد أجاد فى ذلك إجادة شيخ يتلفت قلبه إلى ما بلغه وما لم يبلغه من لذات الشباب وأمانيه . يقول :

أين الصبا؟ أين أوتارى وبهجتها   طوت بساط لياليهن أزمان
أرنو لها اليوم والذكرى تؤرقنى   كما تنبه بعد الحلم وسنان
هبنى رجعت إلى أوتارى رنتها   فهل لشرخ الصبا واللهو رجعان
لا الكأس كأسى إذا طاف الحباب بها   بعد الشباب ، ولا الريحان ريحان

ثم انتقل الشاعر من هذا الغزل (السلفى) إلى العروبة فأشاد بمجد العرب وخص كلا من فلسطين ومصر وموضوع المؤتمر ببضعة أبيات ويظهر أنه كان قد استنفد طاقته فجاء كلامه فى الأغراض الأخيرة عابراً قليل الحرارة ، وهذا كل ما قاله فى قضية مصر :

ومصر والنيل ماذا اليوم خطبهما ؟   فقد سرى بحديث النيل ركبان
كنانة الله حصن الشرق يحرسه   شيب خفاف إلى الجلى وشبان
أبوا على القسر أن يرضوا معاهدة   بكل حرف بها قيد وسجان
وكم مشوا للقاء الموت فى جزل   والموت منكمش الأظفار خزيان
لكل جسم شرايين يعيش بها   ومصر للشرق والإسلام شريان

والشاعر من (الشيب) ولكنه لم يخف إلى الجلى ، ولست أقصد أن يمشى للقاء الموت فى الميدان ، وإنما أعنى جلى الشعر . أفتكون هذه الأبيات هى كل بلائه فى هذه الجلى ؟ كان يجب عليه وقد تصدى لقضية مصر أن يشتم الإنجليز بسبعة أو ثمانية أبيات على الأقل ، ولست أدرى كيف يتهيأ لشاعر مصرى أن يقول شعراً فيما نحن فيه الآن دون أن يمس هؤلاء الأعداء بحرف!

ذكرى شوقى فى (الأوبرج) :

منذ أسابيع أقرأ فى بعض الصحف والمجلات أن حفلا سيقام فى « الأوبرج » لتخليد ذكرى شوقى ، وأن هذا الحفل أجل إلى ١٢ أكتوبر القادم بعد أن عين له ١٤ سبتمبر الحالى ، وأنه سيشترك فى الحفل الأدباء والشعراء والطربون والمطربات والموسيقيون والراقصات والملهُّون والملهيات(١) .

وأخيراً قرأت فى مجلة « الاستديو » ما يلى :

« يتساءل الوسط الفنى عن معنى إقامة حفلة تخليد ذكرى شوقى بك فى الأوبرج وتحديد أسمار لها ... ويقولون : هل أصبحت ذكرى شوقى وسيلة للاتجار والكسب ؟ » .

ولى فى هذا الموضوع نظرتان : الأولى فى هذه الطريقة الجديدة فى إحياء الذكرى التى ستصبغ الحفل بصبغة اللهو والطرب ، وإذا كان لابد من الطرب فمن المقبول أن يكون إلى جانب الكلمات والقصائد غناء بعض قطع من شعر شوقى وتمثيل فصل من إحدى رواياته ، ولكن ماذا فى هز الأرداف وتحريك البطون وما إلى ذلك من تخليد ذكر شوقى ؟!

النظرة الثانية فى تسعير حضور هذا الحفل بأسمار (الأوبرج) إن الذين يرتادون (الأوبرج) ويدفعون أسماره أكثرهم لا يهتمون بالأدب والشعر ، وعلى خلافهم أكثر الذين يعنون بشهود الحفلات الأدبية .

وعلى ذلك نسأل : هل ستكون حفلة ذكرى شوقى لتمجيده وتقدير شعره ، أو ستكون حفلة طرب ولهو ذات غلة وإيراد ... يخرج منها الجمهور وليس بنفسه من شعر شوقى عُشر مقدار مابها من « الاباريق » و « البسطجية اشتكوا » ... أما تصور حركات الخصور والقدود فإنه يُعفّى على كل أثر للأدب ...

مالك الحزين :

من أبرز الصفات الشخصية فى الأستاذ أحمد أمين بك — الحزن ، ترى سماته بادية عليه ، وتلمس آثاره فى تفكيره وكتابته ، وتمتزج تلك السمات بالوقار والاتزان ؛ ولكن الذى يجالس الأستاذ ويخالطه ، أو يتأمل فيما يكتب من خواطره ، يدرك أنه يضيق بما يغلب عليه من الحزن ، ويعمل للتحرر منه باستجلاب المرح .

وقد كتب الأستاذ كثيراً فى أسباب حزنه ، فبين أنها ترجع إلى نشأته وأحوال أسرته ، وقال فى إحدى المرات إنه رضع اللبن الحزين فامتزج الحزن بدمه . وأخيراً كتب بالهلال مقالا عنوانه

(١) أقصد بالملهين والملهيات (المنولوجستات) .

« كيف تتغلب على الأحزان ؟ » ذكر به عدة وصفات للتغلب على الحزن ، منها الفلسفة القائلة بأن ما يحدث فى العالم من كوارث أمور لابد منها ، وظواهر طبيعية للعالم الذى نعيش فيه كشروق الشمس صباحاً وغروبها مساء ، فيجب أن نوطن أنفسنا على استقبال الأحداث ، وإذا مرنا على ذلك أنفسنا لم نحزن ، ومنها نصيحة علماء النفس بألا يطيل الإنسان التفكير في أسباب الحزن كما نفعل فى سياسة الطفل إذا بكى بتوجيه نظره إلى لعبة أوحلوى لينصرف عن بكائه ويلتفت إلى الشيء الجديد ، ومنها حديث النفس بأن لا فائدة للحزن إلا أن يضعف الجسم ويفسد الصحة ، وأن الزمن سيمسح الهموم أو يضعف شأنها ، فلماذا لا نساعده ونخفف الأحزان عنا فى الحاضر ؟

وصف الأستاذ كل ذلك لمقاومة الحزن ، وأبان « كيفية استعماله » ، وكان ذلك من نتاج ما أسميه « مركب الحزن » ، وإن كنت أود للأستاذ الجليل أن يكون هو قد انتفع بهذا العلاج ، وألا يكون كالك الحزن الذى رأى الرأى للحمامة ولم يره لنفسه ... كما قال بيدبا الفيلسوف ...

جوائز الآداب والاجتماع :

يذكر القراء أنه صدر مرسوم ملكى فى العام الماضى بإنشاء جوائز فؤاد الأول وجوائز فاروق الأول ، وخصصت الأولى للآداب والقانون ، والعلوم الرياضية والطبيعية والفلكية ، ونص المرسوم على أن تشمل الآداب التاريخ والجغرافيا والفلسفة والآثار ، إلى جانب الآداب البحتة .

وخصصت جوائز فاروق الأول لعلوم الحياة ، والعلوم الكيميائية ، والعلوم الجيولوجية .

وقد رأت وزارة المعارف أخيراً أنه لم يرد فى المرسوم ذكر علم الاجتماع وعلم النفس والتربية ضمن المواد التى تمنح الجوائز عن الإنتاج فيها ، مع خطر قدر هذه العلوم وتقدم البحث فيها فى العصر الحاضر عامة وحاجة مصر إلى التزود منها بصفة خاصة فى عهد التطور الاجتماعى والنهضة التعليمية التى تجتازه البلاد الآن ...

لذلك رأت الوزارة أن تخصص إحدى جوائز فاروق الأول للعلوم الاجتماعية على أن يضم إليها التاريخ والجغرافيا والفلسفة والآثار ، لأن هذه المواد تجرى طرائقها على أساليب البحث العلمى المنظم ، فهى بذلك أقرب إلى العلوم .

وبذلك يصبح التاريخ والجغرافيا والفلسفة والآثار معدودة من العلوم الاجتماعية ، وتخلص جائزة الآداب للآداب البحتة مثل الأدب القصصى ، والأدب التصويرى ، والأدب الاجتماعى ، والشعر ، والبحوث الأدبية (النقد ، البحوث اللغوية ، الدراسات الإسلامية الأدبية) .

وقد رفع مشروع مرسوم بهذا التعديل إلى مجلس الوزراء فأقره

« العباس »

البريد الأدبي

تحقيقات :

جاء فى مجلة أسبوعية تصدر بالقاهرة كلة عن حادث دبلوماسى وقع بين الحكومة المصرية وفرنسا وذكرت المجلة أن أسباب هذا الحادث تتلخص فى أنه عندما كان للحكومة الفرنسية مفوضية لم يكن من حقها تعيين ملحق عسكرى بها ، لأن المفوضيات ليس لها قانوناً هذا الحق ... وعندما رفعت فرنسا تمثيلها السياسى من مفوضية إلى سفارة أصبح من حقها أن تعين ملحقاً عسكرياً ، وأنها اتصلت بالسفارة البريطانية قبل الحكومة المصرية فكان هذا الاتصال من أسباب وقوع الحادث المشار إليه

ولا نعرف من المراجع التى بين أيدينا وجود هذا التمييز بين السفارة والمفوضية وليس فيها أى نص أو عرف أو قاعدة تحول بين أية بعثة دبلوماسية مهما كانت درجتها من أن تعين بين أفرادها ملحقاً عسكرياً بشرط أن يكون معتمداً لدى الدولة الموجودة البعثة بأراضيها وباستشارة وإذن هذه الدولة ، ولا يوجد ما يمنع هذا الملحق العسكرى من أن يكون معتمداً لدى عدة دول أخرى ، ولم ترد فى هذه المراجع أية تفرقة فى صفة البعثة السياسية ودرجتها إذا كانت مفوضية أو سفارة ، أو كانت يرأسها سفير أو وزير مفوض أو قائم بالأعمال .

ولا نعرف تفاصيل هذا الحادث وإنما يهمنا ألا تقع الصحافة المصرية فى خطأ واضح ، يؤخذ علينا .

أما موضوع الملحق العسكرى فى مفوضية فرنسا بالقاهرة أو وكالتها السياسية كما كانت تسمى قبل سنة ١٩٢٣ ، فقديم وكان يطلق عليه اسم ضابط الاتصال Officier de Siaison أو ضابط ارتباط إذا استعملنا الاصطلاح العسكرى التركى بلغة عربية ، وكان هذا الضابط يمثل جيش الإحتلال الفرنسى بسوريا ولبنان لدى جيش الاحتلال البريطانى بالقاهرة ، وكان هناك ضابط ارتباط فرنسى بمدينة القدس معتمداً لدى قوات بريطانيا بفلسطين وهذه المعلومات أعرفها من خدمتى بهذه البلاد .

كما أعرف أن أول من شغل هذا المنصب بمصر ضابط اسمه الليوتنان دى جاناى ثم ماجور مشاة ثم الكابيتان بيشو ، وهو ممن اشتركوا فى حملات الفرنسيين بسوريا وله مؤلف لشرح هذه العمليات الحربية ثم الكابيتان دى كارد .

وفى عهده ألغى هذا المركز العسكرى بناء على طلب السلطات العسكرية البريطانية فى مصر وفلسطين ، ولم تبد قيادة قوات الاحتلال الفرنسية اعتراضاً على هذا الإلغاء ، ولما قامت الحرب الأخيرة كانت من أسباب إعادة هذا الاتصال العسكرى على نمط أوسع بين الجانبين فجاء إلى بيروت كولونيل بريطانى على رأس بعثة ، غادرت سوريا ولبنان عقب إعلان الهدنة مباشرة ويفهم من كل ماتقدم أن الدولتين كانتا تتبادلان هذا النوع من الضباط طبقاً لروابط التفاهم والتحالف وتغير الأحوال السياسية بينهما .

وطبيعى أن هذا الوضع تغير تماماً بالنسبة لمصر بعد استقلالها وبعد إتمام الجلاء وعليه فليس من حق فرنسا أن تعين ملحقاً عسكرياً بالبعثة التى تمثلها بالقاهرة سواء كانت سفارة أو مفوضية قبل أن تستأذن الحكومة المصرية فى إنشاء هذا المنصب ودون أن تستشيرها فى التعيين ، لأن الضابط الذى يشغل وظيفة الملحق العسكرى سيكون معتمداً لدى وزارة الدفاع المصرية وأمام قيادة الجيش المصرى صاحب الولاية على شئون الدفاع عن الأراضى المصرية بأكملها ، ولا شأن للسفارة البريطانية أو السلطات العسكرية الأجنبية بهذا الشأن بعد اليوم .

أحمد رمزى

مخطوط غريب لابن خلدون :

أعلن الأديب المغربى عبد العزيز بن عبد الله بجريدة « العلم » الغراء الصادرة برباط الفتح أنه عثر فى مكتبة النقيب مولاى عبد الرحمن بن زيدان بمكناس على مخطوط غريب فى التصوف الإسلامى لأبى زيد عبد الرحمن بن خلدون ألفه على ما يظن بالديار المصرية ، وحرر فيه فصولاً جامعة عن التصوف وتاريخه وتقسيماته وغايته ومذاهب المتصوفة ونظريات ابن عربى وابن سبعين وغيرهما فى وحدة الوجود والنسبة وغير ذلك .

هذى طبيعة العرب :

قرأت فى الرسالة الزاهرة قصة (شيخ الأندلس) التى نقلها عن الإنجليزية الأديب الفاضل وهبى اسمعيل حقى ولم أكد أنتهى من قراءتها حتى وثبت إلى ذهنى قصة عربية واقعية قريبة الشبه من هذه القصة ، وهى أن ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك حينما كان مختفياً من العباسيين أول قيام دولتهم ، وضيق عليه العباسيون الخناق ، خرج هارباً إلى الكوفة ، ولكنه لم يكن يعرف بها أحداً ، فوجد داراً رحبة منيفة فلجأ إليها ، وطلب من صاحبها حمايته ، فأجابه إلى طلبه ، وهيأ له من داره مكاناً جميلا ، وأغدق عليه من نعمه ، وأحاطه بكل ألوان العطف ، وضروب الكرم ، ولم يسأله من هو ، ولا ممن يخاف ، ولكن إبراهيم لاحظ عليه أنه يركب كل يوم ثم يعود غضبان أسفاً كأنه يطلب شيئاً فاته ولم يجده ، فسأله فى ذلك فقال له مضيفه : إن ابراهيم ابن سليمان بن عبد الملك قتل أبى وقد بلغنى أنه مختف من السفاح وأنا أطلبه لعلى أجده ، حينئذ صعق ابراهيم وأيقن من الهلاك ، ولكنه تشجع وعرف الرجل بنفسه فلم يصدقه بادىء ذى بدء ولكنه أكد له الخبر فقال له الرجل : أما أبى فسيلقاك غداً فيحاكمك عند ما لا تخفى عليه خافية وأما أنا فلست مخفراً ذمتى ولا مضيماً نزيلى ولكن اخرج عنى فإنى لا آمن نفسى عليك ، وأراد أن يصله فأبى .

عصام الدين عبد الحميد الهنامى

حول المسرح الشعبى :

١ — المسرح الشعبى بحالته الراهنة مستكمل من كل الوجوه فالممثلون مختارون من طبقة ممتازة ... والمعدات والإضاءة لا بأس بهما بوجه عام ... وقد حصرت عدد الممثلين والممثلات فاذا به يربو على العشرين وشاهدت ملابس منوعة الأشكال والهندام تناسب المقام الذى يمثل فيه الممثلون ... وتكييف الأضواء وخشبات المسرح تعد باتقان عظيم يلفت النظر ، غير أنى أظن أن الغرض الأهم من المسرح الشعبى قد ضاع بين كل ذلك ... وإلا فأية فائدة تعود على المتفرجين من روايات مقتضبة وفواصل غنائية قصيرة تمر فى وقت لا يساوى ربع الوقت الذى يمر فى إعداد المسرح وتجريب الأضواء وارتداء الملابس وكثرة حركات الممثلين هنا وهناك ... إننا كنا نتأفف من طول الانتظار فى فترات الراحة ... حتى ظننا أننا لن ننتهى من البرنامج الموضوع إلا فى الصباح .

٢ — ابتدأت الحفلة فى الساعة السابعة مساء وعُرض على الشاشة دوران غنائيان من روايتين معروفتين ... ثم عرضت ثلاث روايات تمثيلية قصيرة هى « بلال وخضرة أو مصر والسودان — عمدة ميت خلف — ملاك الخير وملاك الشر » وأخيراً وفى الساعة التاسعة والنصف أعلن المذيع أنه انتهى الليلة وأنه سيزورنا قريباً وكأنه أحس بهول الخبر على آذان السامعين ! نخفف من وقعه بتأميلهم فى زيارة قريبة ... ولو جمعنا اللحظات التى تفرّج فيها أهل القرية على الممثلين وهم على خشبة المسرح لهالنا حساب الزمن ... وأؤكد لكم أنه لم يستغرق فى كل هذه الروايات الثلاث إلا خمسين دقيقة .

٣ — هذا المجهود العظيم الذى حُشِد له بعض كبار رجال الإدارة مع عدد من الخفر ورجال الشرطة ... وهذا الإعداد الهائل من سيارات وممثلين وموظفين وهذه الأجور المرتفعة التى تدفع لكل لوازم المسرح ... أيضيع كل ذلك نظير هذه الفائدة القليلة فى هذا الزمن الوجيز ؟ لقد كان أهل القرية فرحين ... وتمنوا أن يجدوا فى هذه المناسبة ترفيهاً يخفف عنهم آلامهم فى سهرة طويلة ... ولكن سرعان ما خاب ظنهم بانتهاء الحفلة بهذه السرعة .

٤ — لماذا لم تعد الوزارة أشرطة سينمية كما تحب ... وتعرض منها ما تشاء فى سيارات متنقلة كسيارات الدعايات الصحية وتوفر هذا المال الذى ينفق فى إعداد المسرح وحمله وتنقلات الممثلين ! والأشرطة تؤدى الغرض وتحقق غاية الوزارة ؟

٥ — لا أكتم إعجابى بالموضوعات التى اختيرت للتثقيف ولا أكتم إعجابى كذلك بالأسلوب السهل الذى يؤدى به الممثلون أدوارهم وحبذا لو اختارت الوزارة روايات أوسع من نظير ما مُثّل عندنا أو عند غيرنا .. وحبذا لو اختيرت بعض الأغانى الشعبية والحماسية وزيد من فتراتها فالأغانى تفعل فى النفوس فعل السحر وهى فى نفوس الريفيين أجدى فى الإصلاح .

أحمد حامد سويدان

الكتب

أحمد عرابي
الزعيم المفتري عليه

[تأليف الأستاذ محمود الخفيف]

بقلم الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

هذا كتاب كان من الواجب أن يكتب من يوم أن تيقظ فينا الوعى القومى ، ونهضنا ننشد حريتنا المسلوبة وكرامتنا المثلومة ونطلب لنا مكانة لائقة بين أمم العالم ، وكان من الواجب أن يُكتب ذلك الكتاب بتلك الروح الحارة الدافقة التى تجلت فى أسلوب مؤلفه الفاضل الأستاذ محمود الخفيف ، وفى قوة عرضه للمواقف التاريخية التى اقترنت بسيرة ذلك الزعيم الوطنى العظيم ، وصارت من شواهد التاريخ المصرى فى أظهر وأحرج مرحلة من مراحله الحاسمة ، ثم ما تخلف وراء ذلك من نتائج وآثار لا تزال مظاهرها ماثلة للعيان ...

ذلك لأن التاريخ — حتى فى عصور الإنسانية المظلمة — لم يعرف زعيما مثل أحمد عرابى اصطلحت قوى الشر وتعاونت المآرب المتهمة على تشويه سيرته وتسوىء سمعته وتسفيه آرائه ، فقد حاول الإنجليز جاهدين ، وحاول صنائعهم وأحلافهم من الكتاب والصحفيين المأجورين أن يحطموا كيان هذا الزعيم تحطيما ، وأن يشوهوا مقاصده تشويها ، وأن يقلبوا الحق فى أغراضه الوطنية الشريفة إلى ما يروق لهم من باطل مزور ، ثم اتخذوا من الحكم عليه فى ذلك دليلا فى الحكم على سائر المصريين حتى استطاعوا فى جرأة ووقاحة أن يلفقوا على التاريخ المصرى تلك الفرية الشنيعة ، وهى أن عرابيا كان خائنا لوطنه ، وأنه كان السبب المباشر فى ذلك الاستعمار الذى ضرب على مصر طوال تلك السنين ، وأن المصريين ليسوا بأهل لأن ينالوا الحرية وأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم ، وهى القالة التى لا يزال الاستعمار يرددها على سمع العالم إلى اليوم ! !

وإن من المؤلم حقاً أن هذه الفرية صارت هى « الحقيقة » التى تلقن لأبناء المصريين فى مدارس المصريين ، وما تزال سيرة عرابى ومقاصده ومواقف الثورة العرابية عامة تدرس فى مدارسنا مشوهة ملفقة ويلقنها أبناؤنا كما صنعها الإنجليز وأعوانهم .

فأحمد عرابى « زعيم مفترى عليه » من غير شك ، كأخس وأشنع ما يكون الافتراء ، ولقد استطاع الأستاذ محمود الخفيف أن يدفع هذا الافتراء بقوة الحجة وسلامة المنطق وسلاسة البيان ودلالة الروايات الثابتة والوثائق الصحيحة ، فجاء كتابه هذا إنصافاً للحق والتاريخ ، وجهداً للوطن ولمصر ، وتصحيحاً لخطأ غرسته الدعاية المغرضة فى الأذهان ، ودرساً وطنياً قومياً لأبناء هذا الوادى وإنهم اليوم لأشد ما يكونون حاجة إليه ، ولهفة عليه ، ويقينى أن هذا الدرس سيظل « إنجيلا » يرتله المصريون جيلا بعد جيل ما دام فيهم روح الاعتزاز بكرامتهم وبقوميتهم .

تناول المؤلف فى كتابه سيرة عرابى ، فدرج معه وهو طفل فى القرية ، وسايره حتى شب ودخل فى غمار الحياة ، ثم انتقل معه إلى ميدان الجندية ، وأخذ يتتبع خطوات ذلك الجندى المتمرد على الظلم ، الغاضب لكرامته وكرامة قومه ووطنه ، حتى استطاع أن يحطم معاقل الطغيان ، وأن يأخذ الأمر بين يديه فأصبح « رجل الأمة » و « ملاذ البلاد » ، ثم يوضح لك بعد ذلك ما اعترض « أمانى المصلح » من « مراوغة وتربص » و « إعنات وإحراج » و « بغى وعدوان » ، وبعد أن يمثل أمامك تلك المشاهد بجميع مجاليها وما اكتنفها من « دسائس ومخاوف » ينتقل بك إلى صميم المأساة ، فيحدثك عن « مأساة الأسكندرية » وما وقع فيها من « العدوان الفاجر » ، ثم يسير بك مع « عرابى بطل الجهاد » ومواقفه فى « كفر الدوار » و « التل الكبير » ، وأخيراً ينتهى بك إلى نهاية المأساة الأليمة ، وما تم فيها من سجن العرابيين ، ثم ماجرى من المهازل فى محاكمهم ونفيهم إلى سرنديب ،

وحياتهم فى ذلك المنفى السحيق ، وفى الخاتمة يقف مع الزعيم الوطنى فى أيامه الأخيرة بعد أن عاد من المنفى حتى قضى نحبه « وأصبح فى ذمة الله ودخل فى سجل التاريخ ولم يكن لدى أولاده من المال ما يكفى لتجهيزه ودفنه ، فاضطروا إلى عدم إعلان نبأ وفاته إلى اليوم التالى حتى قبضوا معاشه » ، ثم شيعوه إلى مقره الأخير ، فلم يمش فى جنازته رجل رسمى واحد أو يحضر مأتمه ، وإنما شيعته أمة أبية ، وشعب تنطوى جوانحه على الوفاء لرجاله العاملين .

وأنت تستطيع أن تسمى هذا الكتاب سيرة زعيم وتاريخ ثورة بما تضمنه من تحقيق تاريخى صحيح وعرض دقيق لجميع الوقائع والمشاهد ودراسة لجميع الوثائق والمقابلة بين مختلف الروايات والآراء والوصول من وراء ذلك إلى الحقيقة التى تبدو لك ماثلة واضحة ، وتستطيع أيضاً أن تسميه قصة من قصص البطولة المجيدة والوطنية الصادقة بما تجلى فيه من سلاسة العرض وروعة الأسلوب وحبكة الفصول والمشاهد وتصوير الوقائع والمواقف بجميع ظروفها وملابساتها ، حتى إنك لتضع يدك فى صفحات الكتاب على أجسام حية من الأشخاص ، وما أدى كل منهم من دور فى تلك القصة للحق أو للباطل ...

وكنت أود أن أنقل لك شيئاً من فصول هذا الكتاب على سبيل التمثيل ، ولكنى رأيت أنى سأنقله كله ، وأحسب أن القراء قد وقفوا على نمط منه نشر فى « الرسالة » من قبل ، وكله نمط واحد ، وسلسلة متصلة الحلقات ، وغاية القول فى هذا الكتاب الجليل أنه ليس من الكتب التى تقرأ ثم تنسى وتهمل ، ولكنه وثيقة تاريخية ناصعة الصفحات فى الدفاع عن القضية المصرية وكرامة المصريين ، وإن المؤلف الفاضل ليضعها بين يدى أبناء وادى النيل فى وقت هم أشد ما يكونون حاجة إليها بما يكتنف قضية بلادهم من أخذ ورد فى مجال الاحتكام الدولى والجهاد الوطنى ، وسيرى المصريون فى هذا الكتاب كيف سرقت بلادهم تحت عين الشمس ، وكيف زور تاريخهم بين سمع الدنيا وبصرها ، وكيف تعاونت قوى الشر والاستعمار على تلويث كرامتهم وكرامة زعمائهم الأبطال ، وإن الكتاب بما تضمن من هذه الحقائق الوطنية سيظل سفراً فريداً خالداً ، وسيصبح — كما قلنا — « إنجيلا » يرتله أبناء مصر جيلا بعد جيل .

محمد فهمى عبد اللطيف



داخل أسوار الفقر

للأستاذ على حيدر الركابى

كانت حياتها مثل نفسها ، واضحة المعالم وخالية من العقد وكانت لهذه الحياة البسيطة حدود ضيقة عاشت فى داخلها ولم تكد تحس بما وراءها .

ما عرفت لها أماً بل عرفت نفسها أماً لإخوتها الصغار ترعاهم وهى لا تكبرهم إلا قليلا وتقوم على خدمة أبيها . انصرفت إلى أداء واجبها نحوهم جميعاً بكل ما أوتيت من إخلاص وقوة ومعرفة . أما الإخلاص فلم يكن من النوع الذى تعرفه المعاجم أو يعرفه الناس فى مجتمع أرقى بل كان شيئاً مبهماً موروثاً تحركت به غريزة هذه الفتاة الريفية وما كانت لتستطيع تفسيره بالألفاظ حتى لو أرادت ذلك ، بل كان يدفعها دفعاً عفوياً نحو الحدب على إخوتها لأنهم أضعف منها ولأنها أكبرهم ونحو خدمة أبيها لأنه أبوها ، وحسبها أنه أبوها تبذل له الطاعة من جهتها ويتولى من جهته حمايتها من أخطار مجهولة . أما القوة فبدأت ضئيلة ثم نمت بنموها وهى فى الحالين قوة فتاة ريفية سليمة الجسم أما المعرفة فهى مزيج ابتدائى من عادات وتقاليد انتقلت إليها شيئاً فشيئاً من أبيها أو جاراتها أو عابرى السبيل تلتقط من هذا كلمة ومن ذاك أخرى فتتشكل من مجموع ما التقطت فلسفة ابتدائية للحياة أساسها القناعة والتسليم . ولما عجزت تلك (المعرفة) العجيبة عن مقاومة المرض الذى نزل باخوتها ثم الموت الذى اختطفهم الواحد بعد الآخر عملت تلك الفلسفة فى نفسها عملها فطأطأت رأسها للقدر المحتوم وإن دهشت إذ لم يصبها ما أصابهم وأرجعت ذلك إلى عوامل مختلفة ، ولم يكن ليخطر فى بالها أنها إن سلمت فلم يكن ذلك إلا بفضل من الله وحده .

كانت حياتها مع أبيها فى عرف الناس حياة بؤس وشقاء ولكنها ما كانت لتفكر فى ذلك لأنها لم تعرف غير البؤس والشقاء : فى قلبهما ولدت وعليهما فتحت عينيها ثم فى كنفهما نشأت وترعرعت . فكانت حالة البؤس والشقاء هى الحالة الطبيعية ، وأما ماسواها فشاذ . ولم يكن بها تطلع لسواها أو قدرة على المفاضلة بينها وبين سواها . كان السواد هو اللون الطاغى على كل ما يتصل بها من مسكن وملبس ومأكل فإذا دخل على هذا السواد بياض فهو ضئيل ولا يبدل ألوان حياتها القاتمة بما هو أزهى بل جل ما يتوصل إليه هوان يحولها أحياناً إلى لون الرماد !

وكما يعيش الموسرون فى عزلة غافلين عن كل شىء خلا مالهم الموروث أو الكنوز ورفاههم المستقر ، كذلك عاشت هى فى عزلة تامة غافلة عن كل شىء خلا فقرها الموروث وضنكها المستقر

ثم دخلت حياتها حالة جديدة رافقها من الأوجاع والظواهر الجسدية ما أفزعها ولكنها ما لبثت أن اطمأنت إليها إثر ماتولتها به إحدى جاراتها من شرح وإرشاد ثم نسيتها تماماً حين انتقلت من دار أبيها إلى دار بعلها فغابت تلك الآلام الجسدية فى نوع جديد من النشوة ما عتم أن احتل مكانه التقليدى بين معالم حياتها الرتيبة.

لم تكن دار أبيها داراً بالمعنى المعروف عند الناس بل كانت بقية من بناء متهدم فى طرف القرية ليس له مالك على ما يظهر ، أو إن كان له مالك ، فلم يكن له به حاجة أو اهتمام . ولم يكن انتقالها إلى دار زوجها عرساً بالمعنى المألوف لأن أباها كان غريباً عن تلك القرية فلم يكن له فيها أهل أو عشير ولم تسمح لها حياة الكدح بأن يكون لها صواحب وأتراب ، وكان زوجها كذلك غريب الدار . فلولا بعض الجيران وبعض رفقاء الزوج ولولا عدد من الناس لا يكاد يتجاوز أصابع اليد لما ارتدى ذلك الانتقال طابعه الخاص ، ولولا محاولات قامت بها بعض جاراتها بدفع من قوة أجيال من التقاليد الموروثة لما أزهرت حياتها قليلا للمرة الأولى والأخيرة ولما اطرحت ألوانها الباهتة إطراحاً قصير الأمد

ولم تكن دار زوجها كذلك داراً بالمعنى المعروف بل كانت واحدة من تلك الأكواخ الضيقة الحقيرة يبتنيها العمال الزراعيون فى أطراف المزارع ليكونوا على مقربة من الحقول التى يعملون فيها مأجورين ، يبنونها بأيديهم من التراب المجبول بعرقهم فلا يكلفهم البناء مالا . وكما يعيش النمل فى حفر يستقطعها من أرض الله

كذلك يعيش هؤلاء العمال فى تلك (الحفر) الطينية المسماة بقرى العمال يستقطعونها من أرض المالك ، وكما يروح النمل ويغدو بصمت وإصرار حاملا إلى تلك الحفر المؤن التى تقيه عاديات الزمان كذلك يروح هؤلاء العمال ويغدون بين الحقل والكوخ صامتين صابرين ساعين إلى الحصول على قليل من الزاد يتبلغون به ولا يكاد يقى أجسامهم المكدودة عاديات الزمان ، وكما يعمل النمل بإخلاص منصرفاً بتمامه عن العالم الخارجى الذى لا يعرفه ولا يفهمه كذلك يفنى العمال فى عملهم ولا يكادون يحسون بما هو خارج عن عالمهم، وكما ينظر العالم الخارجى إلى النمل فيراه مخلوقاً أسود ضعيفاً وحقيراً لا يستحق الاهتمام كذلك ينظر هذا العالم إلى سواد العمال وحقارتهم وضعفهم فيشيح عنهم بوجهه ، وكما أن النمل لم يلق الاهتمام إلا عند طائفة العلماء وهو اهتمام نظرى لا يجنى منه النمل نفعاً بل يعود نفعه على العالم والتاريخ كذلك اهتم بعض العلماء بشئون العمال اهتماماً نظرياً لا ينفع العمال أنفسهم فى قليل أو كثير بل يعود نفعه على العلم والتاريخ ودوائر الإحصاء . وأخيراً ، كما يعبث طفل بحفرة للنمل فيهدمها بقدمه ويسلط عليها الماء أو يعمد رجل إلى هدم الحفرة ليتخلص من تلك الحشرات البغيضة كذلك تعبث قوى الطبيعة بالأكواخ فيجرفها سيل أو يغمرها فيضان وتهدمها ريح أو تدكها صاعقة ، هذا إذا لم يتعمد هدمها السيد المالك نفسه فيجليهم عنها لسبب من الأسباب المتصلة بمصلحته هو التى ليس لها أدنى علاقة بمصلحتهم هم .

وما كانت هذه الأمور — كلها أو بعضها — لتشغل حيزاً من تفكيرها بل راحت تخدم زوجها بدفع من الغريزة ذاتها التى حملتها على خدمة أبيها قبله ، فهو رجلها وهو المكلف بحراستها من الأقطار المجهولة وهى امرأته وعليها له واجبان: الخدمة والطاعة. لم تكن حياتها عند زوجها إلا امتداداً لما اعتادته فى حياتها عند أبيها من جهد متصل وحرمان متأصل وبؤس وشقاء مقيمين . ومع ذلك فقد دخل على حياتها الثانية عنصران جديدان أولهما ذلك الحب الذى يولد فى قلب كل فتاة ليلة زفافها ولا سيما حين تكون فى سن مبكرة وحين يكون الزوج أول رجل عرفته ، وثانيهما الأوجاع التى كانت تتحملها من جراء ضرب زوجها إياها ضرباً قاسياً فى أكثر الأيام عقب عودته من الحقل فى المساء. ولكن بهجة ذلك الحب وأوجاع هذا الضرب ما لبثتا أن استقرتا فى حياتها استقرار العادة المألوفة فتحول الحب بلذته وبما يخلفه من الآم فى الحمل والوضع ، إلى عمل رتيب آلى مثل طهى الطعام وغسيل الملابس وكذلك الضرب ولا سيما أنها باتت تتلقاه بشىء من القناعة لأنها أحست بأن الدافع إليه لم يكن رغبة من رجلها فى الإساءة إليها بل كان ناشئاً عن عوامل مستقلة عنها فما كانت هى إلا أداة طارئة للتنفيذ ، مما أكد لها ذلك أن الضرب لم يبدل شيئاً من العلاقة الاعتيادية القائمة بينهما وأنه كان فى الغالب حين يفرغ من ضربها يتركها برهة تكفكف دموعها ثم يعود إليها ليجرها ، ثم ليطرحها إلى جانبه فى فراشهما الحقير المشترك . ولو أوتيت ثقافة ووعياً لعلمت أن ما أحست به بغريزتها هو الواقع ، وأن ضرب زوجها لها ما كان إلا انتقاماً لا شعورياً من مجتمع ظالم لم يعترف بوجوده كانسان فثار فى نفسه وأراد أن يؤكد وجوده بشكل من الأشكال ، وهو إلى جانب ذلك انتقام لا شعورى من نظام مقلوب لم يعترف له بالقوة والرجولة فثار كذلك وأراد أن يدال على أنه قوى وأنه رجل .

قضت مع زوجها أعواماً لا تعرف لها عداً أو حصراً لأن الزمان وأقسامه لا يدخل فى حساب من كانت حياتهم تسير على وتيرة واحدة لا فرق بين يومها وأمسها ولا يجىء غدها غاية تحرك شوقاً أو تحيي أملا . كان يمكن أن تعرف تلك السنين من عدد أطفالها وأعمارهم ولكن هذا كان متعذراً لأنها ولدت له عدداً كبيراً من الذكور والأناث اختطف الموت أكثرهم وأبقى بعضهم كما اختطف قبلهم إخوتها وبقيت هى . ولم يترك موتهم أثراً عميقاً فى نفسها وإن حزنت عليهم الحزن الشكلى التقليدى . كذلك فعلت حين أدركت أباها الوفاة . ولم يكن هذا وليد نقص فى حبها له أو لهم بل كان منشؤه ازدحام حياتها بأسباب الحزن والشقاء وهى عوامل لا تؤدى إلى كبير تعلق بالحياة أو عزوف عن الموت ، وفى دنيا رتيبة قاتمة يحتل الموت مكانه التافه بين سائر عناصر تلك الحياة التافهة .

وانتقلت مع زوجها وأطفالها من مكان إلى آخر فى الأرياف تبعاً لأهواء السادة مالكى الأرض والأرواح وسعياً وراء الرزق وهى إذ لم تختلف حياتها بين مكان ومكان ، لم تحزن لفراق كوخ ولا فرحت لاستقبال كوخ فالكل عندها طارىء وعابر والكل عندها موقت ما دامت صلتها بالأرض وأهلها صلة عابرة ولا تربطها بها أو بهم تلك الروابط الضرورية الثابتة التى تجعل من الأرض وطناً وتخلق فى نفوس سكانها عاطفة حب الوطن .

وفى مساء يوم مشئوم غادر رجلها الكوخ ولم يعد وآوت هى إلى فراشها وضمت إليها أطفالها تتولى فى غيابه حراستهم من أخطار مجهولة . وتملكها الشك حين تقدم الليل دون أن يعود ثم استولى عليها الخوف حين سمعت فى جوف الليل طلقات نارية وفى الصباح جاءها وكيل مالك الأرض وأبلغها مقتل زوجها إثر شجار نشب بين بعض الفلاحين وأن القتلى دفنوا حيث وجدوا وأن لا حاجة لإبلاغ الشرطة ما دام عدد القتلى من الطرفين متساوياً فلماذا تحشر الحكومة فى الأمر فتزعج وتنزعج وإن عليها أن تخلى الكوخ فوراً لمن سيحل فيه محلها . قال الوكيل كلمته هادئاً وانصرف مطمئناً وكأنه ما أتى ليخرب بيتاً بل ليوجه تعليماته اليومية حول سقاية أو زرع . لم يكن هناك قانون أو نظام أو عرف أو تقليد يرغم مالك الأرض والأرواح على أن يحول جزءاً يسيراً من ماله الوفير عن سبل صرفه — أو كنزه — الاعتيادية ليعوض به على أسرة بائسة فقد معيلها ، ولم يكن هناك قانون أو نظام أو عرف تقليدى يرغم الفلاحين على أن يمدوا يد المساعدة إلى أسرة كهذه ولا سيما أن ما يملكونه لا يكاد يسد الحد الأدنى من حاجاتهم البسيطة . ولكن المسألة ليست مسألة عرف أو نظام بل هى مسألة شعور الإنسان نحو أخيه الإنسان وهو شعور تسمو به نفوس الفقراء غالباً ولا تستطيع أن تسمو به النفوس الفقيرة قط

وهكذا غادرت الكوخ مع أطفالها مزودة بما جمعه لها الفلاحون زملاء زوجها الراحل من زاد حقير ومال قليل وتوجهت نحو المدينة البعيدة حيث قيل لها أنها قد تجد عملا تتعيش به وتنفق منه على أولادها . كانت الرحلة طويلة وشاقة أدمت على خشونتهما قدميها . ولكن عطف عليها مرة سائق يقود سيارة للشحن رق لحالها وأطفالها فأركبهم جميعاً وجنبهم تعب الرحلة الأخيرة . ودخلت المدينة على ظهر تلك السيارة فلم تحس بأنها دخلتها لأن الراحة النسبية خدرت أعصابها المرهقة فنامت ملء جفونها ولم تستيقظ إلا على صوت السائق يدعوها إلى النزول فنزلت وسحبت أطفالها لا تدرى إلى أين .

مرت فى رحلتها بمزارع غنية وحدائق غناء وقصور متكئة على تلك المزارع والحدائق ومرت بها على الطريق سيارات تخمة بحمولتها الثمينة من رجال أو نساء استدارت وجوههم وتكورت بطونهم ، وهنا فى المدينة سارت لأول مرة بين الأبنية الجميلة وفى الشوارع العريضة المستقيمة وعلى بعد خطوات من معالمها البارزة وعلى مسمع ومرأى من شبابها المتحمسين وقادتها المصلحين ولكنها لم تكد ترى شيئاً أو أحداً لأن انتقالها هذا إلى المدينة لم يكن ليختلف عن تنقلاتها السابقة مذ غادرت بيت أبيها فهى تسير منذ الأزل باحثة عن رزق ومأوى وهى عالمة بأن رزقها الكفاف أو أقل وأن مأواها خرابة أو كوخ — أو ما هو دونها. أما تلك الدور والأبنية التى مرت بها فليست منها فى شىء ولم تخلق لها ولا صلة لها بأهلها فدنياها غير دنياهم وقومها غير قومهم . كانت هذه الحقائق مستقرة فى أعماقها دون أن تتكلف عناء التفكير فيها ولذلك لم تكن لتشعر نحو هذه المجموعة الأجنبية من الناس بكره أو حسد فلو دعاها داع إلى الثورة عليها لما لبث الدعوة ولاتهمت الداعى فى عقله .

وكما عاشت فى غفلة عن القصور وسكانها وعن المدينة وأهلها كذلك أغفلها هؤلاء جميعاً وتابعوا حياتهم اليومية وهم قانعون بأنهم إنما يستوفون حقهم المشروع لأنهم الفئة التى اختارها الله وخصها من دون غيرها بالنعم والميزات . أما تلك الجموع الفقيرة التى تتدافع بالمناكب لتطعم من فتات موائدهم الزاخرة فهى فى نظرهم سوائم لا تستحق غير الفتات . إن هؤلاء السادة الأكارم أشبه بالدول المعظمة فى هيئة الأمم المتحدة . فى أيديهم الحل والعقد وفى جيوبهم مفاتيح الثروة المغلقة أبوابها فى وجه غيرهم ، وكل ما يجرى فى العالم يجرى بدفع منهم ولتأمين مصالحهم هم ، وحدهم لا شريك لهم ثم إن هؤلاء السادة الأكارم يتمتعون بما تتمتع به تلك الدول المعظمة من حق (الفيتو) وحق الاحتفاظ بسر القنبلة الذرية والدولار !

ولكن ، إنى لمثلها أن يعى شيئاً من ذلك ؟ ...

لاقت فى المدينة إعراضاً لأن الناس لا يستخدمون أماً مثقلة بعدد من الأطفال ولا سيما إذا كانت ريفية جاهلة قذرة . كانت تطوف فى النهار على البيوت طوافاً مضطرباً فتعرض خدماتها وتتلقى الرفض مصبوباً فى قوالب مختلفة بعضها جميل وجلها بشع مخيف . وكانت تجود عليها بعض البيوت بشىء من الطعام أو اللباس أو بدراهم معدودات أما الليل فكانت تختار له جانباً من طريق تأوى إليه مع أطفالها فإذا ما ناموا ظلت هى ساهرة تحرسهم من المارة والهوام حتى إذا تقدم الليل ونقص عدد العابرين وغلبها التعب

والنعاس استلقت على الأرض إلى جانبهم وأحاطتهم بذراعيها ثم استسلمت مرغمة للنوم . ولحظت بعد حين أن بعض المارة يتصدقون عليها بدراهم يلقونها بين يديها دون أن تسألهم ذلك لقد أدهشها الأمر فى البداية ، ولكنها ما لبثت أن قنعت بأن الاستجداء هو العمل الوحيد المفتوح بابه لها فامتهنته وراحت تطلب الصدقة نهاراً من سكان البيوت وليلا من المارين . وفزعت من الشتاء حين دهمها بمطره وبرده فراحت توزع نهارها بين السؤال وبين البحث عن مكان تقضى فيه الليل بسلامة نسبية . ولكن الرطوبة الشديدة والبرد القارس لا يرحمان الفقراء الذين لا يعرفون دفء المسكن والملبس والمأكل وليس فى مقدورهم الاستعانة بطبيب أو اللجوء إلى مستشفى ففقدت بالبرد أحد أطفالها وواريته التراب فى طرف المدينة دون أن تعلم بأن الدين فرض على الناس عند الوفاة طقوساً وصلوات .

الدين ؟ وما الذى تعرفه هى عن الدين سوى أنه لفظ يفيدها فى القسم أحياناً هو وعدد من الألفاظ الأخرى كاسم الله والنبى وبعض الأئمة والأولياء حفظتها بالسماع دون أن تعلم أن لهم فى الكون وظيفة تنفع فى غير الإيمان والدعوات . كان هذا كل ما تعرفه عن الدين ، هذا وما سمعته من أبيها وزوجها عن زيارة يقوم بها الناس إلى بعض الأماكن المقدسة حيث يتعبدون ويدعون الله فيستجيب لدعواتهم . كانت تود أن تقوم بمثل هذه الزيارات لعل الله يمن عليها بما يساعدها على تربية أطفالها ولكن أنى لها ذلك وهى ما تزال تذكر رحلتها الأخيرة إلى المدينة بخوف ولا تحس بشجاعة كافية تدفعها إلى المخاطرة برحلة جديدة نحو المجهول .

وانقضى الشتاء نخفت آلامها بعد أن كاد البرد فى شدته يقضى عليها وبعد أن كادت تعتقد أن الموت أدركها ذات ليلة فبكت وضمت إليها من تبقى من أولادها وأسلمت نفسها إلى غيبوبة طويلة أفاقت منها صحيحة قوية وأطفالها من حولها ينتظرون قيامها وقد أضناهم الجوع . ولم تدر مدى الزمن الذى انقضى وهى فى حالة الإغماء ولكنها تعلم أنها بقيت لأولادها وتغلبت على الشتاء . ورأت الربيع فظنت أن قد زالت الأخطار ولكن يد الموت امتدت من جديد وتناولت من بين يديها ولداً آخر كان يهذى فى ساعاته الأخيرة وكانت حرارة رأسه كحرارة الجمر ...

وأقبل الصيف فانتعشت قليلا وراحت تغسل أولادها وملابسهم فى النهر دون أن تخشى عواقب البرد واستمرت تعيش عيشتها البسيطة قانعة بالقليل الذى تجود به أكف المحسنين فإذا ما هل شهر رمضان لم يكن له عندها سوى معنى واحد وهو أن عدد المتصدقين قد يزداد فى الشهر المبارك ولعلها تستطيع بهذه الزيادة أن تبتاع لأولادها مزيداً من طعام أو تحصل لهم على لباس يحل محل الأطمار أو الخرق التى لا تكاد تستر أجسامهم .

وأقبل العيد فقضت ليلته فى طواف الشارع على عادتها وقد انتصبت فى جلستها على الأرض تحرس أطفالها النائمين حولها ، ولماذا لا تقضى ليلة العيد على حافة الطريق وهى واحدة من لياليها لا تفضلها فى قليل أو كثير ؟ لأى سبب من الأسباب يسهر أطفالها ولم يكن ليؤرق جفونهم شوق إلى مفاجآته ؟ إن أملاً ضعيفاً ليداعب خيال هذه الأم فتتمنى أن يأتى لها العيد بما لم يحققه رمضان لكى تبتاع لأولادها بعض ما يحتاجون . ولم تكد عيناها تذوقان لهم النوم فى تلك الليلة : لم يؤرقها ذلك الأمل ولا أقض مضجعها هم فالهموم لا تقض مضجع من لا يعرف غير الهموم ، والأمل لا يؤرق من لا تحقق له الحياة أملا واحداً ، بل هى لم تنم لأن الشارع لم ينقطع ضجيجه فى تلك الليلة وظل زاخراً بجمهور من الناس يهرعون إلى الأسواق فى آخر لحظة ليكملوا نواقص العيد الذى لن يكون عيداً إذا لم تزدحم مائدة الأسرة بكل ما يفرضه العرف ، وإذا لم ينل جميع أفراد الأسرة نصيبهم القرر من الهدايا . إنهم يتضاحكون ويتدافعون فى تلك الساعات الأخيرة ليحفظوا لصغارهم وكبارهم بهجة العيد . وما يكاد ينقطع عن الطريق سيلهم الصاخب حتى تقذف البيوت بأفواج جديدة من الناس وهم الأتقياء المتعبدون الذين يتسابقون إلى بيوت الله فى الساعات الأخيرة من تلك الليلة الفضيلة ليكونوا فى طليعة المؤمنين الذين يستقبلون فجر العيد بالصلاة والدعاء .

لو شاء إنسان أن يزور الدائرة الرسمية المختصة متسلحاً بعزم العلماء وبصبرهم ، ولو شاء أن يبحث بين أكداس الأوراق والملفات عن سجل هذه الأم وأطفالها — إذن لوجدهم فى عرف الحكومة ، فى عداد الأحياء من بنى الإنسان الذين يحملون أسماء ولهم جنسية ودين .

بغداد

علي حيدر الركابي

مطبعة الرسالة

العدد ٧٤٢ – الاثنين ٢٢ سبتمبر ١٩٤٧ – السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

٢٩٥٢٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 742

Lundi — 22 — 9 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ ذى القعدة سنة ١٣٦٦ — ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

قولوا استعدوا ولا تقولوا اتحدوا!

يسئ إلى كرامة مصر من يزعمون أن فيها اليوم جماعةً وفُرقة ، ثم يحاولون أن يجمعوا المتفرق ويضموا الشتيت بدعاء داع أو سعي ساع أو إذاعة مذيع !

إن فى هذا الزعم اتهاماً لبعض قومنا بالمقوق وقذفاً لهم بالخيانة . ولا يجوز فى الطبع ولا فى الشرع أن نفترض الجريمة ثم نرتب على افتراضها ما ترتب على الأمر الواقع . قولوا استعدوا وانظروا يوم الاستعداد من يتلكأ . وقولوا انفروا وانظروا بعد النفير من يتخلف ! أمّا أن تقولوا اتحدوا وائتلفوا وسووا الصفوف ، ثم تنتظروا أن يقبّل زيد رأس عمرو ، ويرد عمرو قُبلة زيد ، فذلك هو الهزل فى مقام الجد ، والعبث فى موقف الخطورة !

ليست الأحزاب السبعة أو الثمانية هم جميع الأمة ؛ وليست الزعماء التسعة أو العشرة هم كل القادة ؛ وليست الأمة بأضعف غريزة من النحل التى تدفع عن بيوتها الزنابيرَ ؛ فكيف تنتظر أن يقول لها هذا الحزب أو ذاك الزعيم دافعى عن أرضك التى منها تأكلين ، وعن مائك الذى منه تشربين ؟ !

هذا يوم الفصل بين الاحتلال والاستقلال أو بين العبودية والحرية ؛ فمن تخلف فيه أو خذّل عنه قوتل مقاتلة العدو ، أو عومل معاملة المريض !

هذا يوم جهاد البغى والجور والاستعمار ؛ فمن لم يكن لنا فيه فهو علينا ؛ ومن لم يقم للدفاع معنا فليس منا . والخارج علينا لغُلول فى نفسه ، والمتخلف عنا لنكول فى طبعه ، لا يردهما إلى الطريق قول معروف ولا عذل منكر

اقرعوا الطبول يا دعاة الجهاد تجدوا الأمة برجالها ونسائها أمامكم ، تضمر فى قلوبها الضغينة ، وتظهر فى أيديها القوة ، لتجرد عدوالله وعدوكم من الباطل هنا ، كما جرده النقراشى من الحق هناك!

إن الذين يظهرون الأمة فى هذا المظهر الكاذب من الشقاق والافتراق والتخاذل فريق من الكتاب والساسة ، يقولون فنسمع ، ويكتبون فنقرأ ، حتى إذا اقتربت الساعة وجدّ الجد وحق الجهاد رأيت الأمة صحيحة الكيان قوية البنيان سليمة الوجدان ، لا تطيع غير رجل واحد هو القائد ، ولا تعرف غير عدو واحد هو الإنجليز !

قولوا استعدوا ولا تقولوا اتحدوا ؛ فإن الأمر بالاتحاد يتضمن اعترافاً بالتفرق ؛ وفى ذلك تزييف للحقيقة ، وإيهان للعزيمة ، وإغراء للعدو !

إن من يزعم أن فى الأمة المصرية تفرقاً لأن صاحب العزة رئيس التحرير ، أو صاحب السعادة رئيس الحزب ، يريد أن يعارض ليضمن نفوذه ، أو يخالف ليثبت وجوده ، كمن يزعم أن فى الجامعة العربية تصدعاً لأن صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله يريد أن يشرك سورية فى صداقته لبريطانيا ليرتفع عرشه شبرين ، ويتسع تاجه إصبعين ! كِلا الزاعمين ينكر الأمتين المصرية والأردنية ، ولا يزال يقول كما قال الأقدمون : إن أهواء السادة هى مصالح الأمة ، وإن إرادة الملوك هى شرائع الممالك !

لا يا سادة ، قولوا استعدوا ولا تقولوا اتحدوا ، فإن الاتحاد قائم بإرادة الأمة ؛ وإن النصر مكفول بمشيئة الله !

احمد حسن الزيات

مؤتمر المستضعفين

للأستاذ محمود محمد شاكر

كانت جلسة مجلس الأمن فى يوم الأربعاء ١٠ سبتمبر ١٩٤٧ هى الحكم الفاصل فى قدر هذا المجلس وفى بيان قدرته على فض النزاع الذى ينشب بين الدول صغيرها وكبيرها . وكان ظن الذين دعوا إليه وأنشأوه — أو كانت دعواهم — أن هذا المجلس قد أنشئ ليكون فيصلا فى الخصومات التى يخشى أن تفضى إلى حرب ، وأنه هو المهيمن على السلام وحفظه فى هذا العالم المائج المتدافع . فجاءته قضية مصر والسودان ، وليس فى قضايا الدنيا كلها ما هو أوضح منها وأبين ، ووجه العدل فيها ظاهر لكل ذى عينين عمشاوين فضلا عن عينين بصيرتين ، ومع ذلك كانت كل جهود هذا المجلس العجيب أن يقول للمتخاصمين : اذهبا فاطلبا شيئاً تصطلحان عليه ! وليس فى الدنيا ما هو أعجب من هذا ، متخاصمين أعجزهما أن يجدا للصلح مكاناً بينهما ، فيقول لهما الحاكم الوازع : اذهبا فاطلبا صلحاً ! !

ونحن لا نريد أن نطعن فى هذا المجلس ، ولا أن نقول إنه شىء لا قيمة له ولا غناء فيه ، ولا أنه أوشك أن يصبح سبباً فى فساد العالم ودافعاً جديداً لتقريب ساعة الحرب ، ولا أنه كشف عن قدر من العجز يحل للناس معه أن يطلبوا حله ويسرّحوا وفود الأمم المشتركة فيه إلى بلادهم ، لا نريد شيئاً من هذا ، بل نرى أنه مجلس لا بد من بقائه على ما هو عليه ، ولا بد من ذهاب كل دولتين متخاصمتين إليه ، فإنه يتيح المظلوم أن يفضح ظالمه ويكشف عن آثامه التى يسترها عن العالم بالأكاذيب والتمويه . ولكن كل ما نريده هو أن يتفضل هذا المجلس بأن ينفى عن نفسه نقيصة الغش والخداع ، فإنه أنبل وأعظم من أن يرتضيهما لنفسه ، فقد زوّر عليه الذين أنشأوه فوضعوا له اسماً لا يناسب جلالة قدره ولا حقيقة معناه ، وألصقوا به شيئاً ليس من الإنصاف أن يلصق به ، وهو المحافظة على الأمن العالمى الذى يقتضى أول ما يقتضى أن تتساوى الدول المشتركة فيه فى السيادة على الأرض التى يشملها اسم الدولة ، حتى لا يقع التنازع بين سيادة وسيادة ، فيختل التوازن ويصير الأمن العالمى مهدداً بالزوال .

ونحن نقترح أن يسمى هذا المجلس « مجلس الأجاويد » ، وقد اخترت هذه التسمية لقصة سمعتها : فى الشطر الجنوبى من وادى النيل المعروف عندنا باسم « السودان » ، والمعروف عند بريطانيا وأشياعها باسم السودان المصرى الإنجليزى ، ألف الناس إذا تخاصموا أن يلجأوا إلى جماعة من أصحاب الرأى يسمونهم « مجلس الأجاويد » ، فيأتى المتخاصمون فيذكرون أسباب خصامهم ، وتنظر الجماعة فى أمر هذا الخصام ، ثم ترى رأيها فتقول لأحد المتخاصمين : أكرمنا وانزل عن كذا ، وتقول للآخر : وأنت فأكرمنا أيضاً وانزل عن كذا . ولا تزال تأخذ من هذا ومن ذاك ، فإن قبل المتخاصمان أن ينزل كل منهما عن شىء وينزل خصمه عن مثله ، فذاك ، وإلا رفعت الجماعة يدها عن الأمر كله وقالت للمتخاصمين : لقد نفضت يدى ، فاذهبا فاصنعا ما تشاءان !

فمجلس « الأجاويد » هذا أشبه شىء بمجلس « الأمن » ، لولا أن الأول طابق اسمه مسماه ، وأن الآخر كذب اسمه على مسماه ، فمن الحسن كل الحسن أن يغير هذا المجلس اسمه ويبقى هو ، لأنه مكان يتاح للدول فيه أن يعرف بعضها بعضاً على حقيقته بغير تدليس ولا تجمل ولا مواربة . وهذا فى نفسه غاية مطلوبة ومنفعة لا مراء فى أنها خير ينبغى الحرص على إدراكه وتحصيله ، بل نقول أكبر من ذلك : إن تسريح وفود الدول المشتركة فى هذا المجلس شر ينبغى اتقاؤه ، لأنه يحول بين الدول وبين إدراك هذه الغاية المطلوبة والمنفعة العظيمة .

وندع مجلس « الأجاويد » وما وحل فيه من عجز وضعف واحتيال على تفادى الحزم ، ومن فراره عن وجه الحق فيما يعرض عليه من الخصومة ، فإنه لم يخلق لمثل ما نطالبه به حين نذكر حقوق مصر والسودان أو سواهما من أمم الأرض . ندعه لننظر فى خاصة أمرنا نحن دون أن نعبأ شيئاً بما فعل هذا المجلس ، أو بما سوف يفعله .

وملخص تاريخ القضية المصرية السودانية ، كما يعرفه كل أحد ، هو أن مصر والسودان كانت فيما قبل سبتمبر سنة ١٨٨٢ دولة واحدة لها حدود معروفة معترف بها فى المحافل الدولية كلها

لا ينازعها فيه منازع . وفى سبتمبر سنة ١٨٨٢ اتخذت بريطانيا ما كان من أمر الثورة العرابية التى قام رجالها للمطالبة بحقوق الشعب الدستورية ، ذريعة للتدخل فى شئون مصر الداخلية ، وكانت نيتها مبيتة على العدوان على استقلال مصر والسودان ، وإخضاع هذه الدولة للسيطرة البريطانية الاستعمارية التى كانت يومئذ فى عنفوان شدتها . فتم لبريطانيا ما أرادت ، وانتهكت حرمة الشرائع الدولية ، وادعت أنها أرادت تثبيت عرش خديوى مصر فى ذلك الوقت محمد توفيق . ولما رأت أن الدول الأوربية المستعمرة قد بدأت تناوئها ، زعمت أنها لن تلبث إلا قليلا حتى تجلو عن أرض مصر والسودان مرة فى أقرب وقت مستطاع ، حددته أحياناً وتجاهلت تحديده أحياناً أخرى . وظلت تماطل وتتعسف وتؤول ، وتكذب وتفترى على مصر والسودان أخس افتراء ، وهى فى خلال ذلك تهدم كيان هذه الدولة المصرية هدماً تاماً بحجة الإصلاح حيناً ، وبحجة المحافظة على «حقوق» الأجانب فى مصر وعلى مصالحهم .

فلما جاءت الحرب العالمية الأولى ، انتهزت بريطانيا هذه الفرصة وأعلنت الحماية على مصر والسودان دون أن تعبأ شيئاً بحقوق شعب مصر والسودان ، وهى مطمئنة إلى سكوت الدول الحلفاء على فعلها فى هذه الساعة الحاسمة من تاريخ العالم . ثم انتهت الحرب وهب الشعب المصرى السودانى يطالب بريطانيا باستقلاله ، ولكن بريطانيا لم تلبث أن وجدت منفذاً لتفريق كلمة هذا الشعب ، فلوحت للزعماء بأنها تريد إنصاف مصر والسودان ، وظلت تستدرجهم حتى قبلوا مبدأ مفاوضة بريطانيا فى حقوق مصر الطبيعية ، فأقبل هؤلاء الزعماء على مفاوضة بريطانيا منذ ذلك الوقت ، فكانت زلة وخيمة العواقب فى تاريخ مصر والسودان ، ولو لم يكن لها من الشر إلا أنها أفضت إلى تعليق مسألة السودان فى كل المفاوضات إلى سنة ١٩٣٦ ، لكان ذلك حسبها من البلاء الذى ليس بعده بلاء .

ولما حدثت مفاوضات سنة ١٩٣٦ الخبيثة ، وانتهت بمعاهدة الاحتلال التى فرضت على مصر فرضاً تحت ظل الاستبداد والتهديد والتخويف ، وقعت زلة أخرى أكبر من زلة المفاوضات نفسها ، وهى ذكر الورقة الباطلة المعروفة باسم اتفاقية سنة ١٨٩٩ ، فكان ذكرها كأنه اعتراف بشرعيتها ، واجتماع كل هذه الأخطاء واحتشادها منذ سنة ١٩٢١ إلى هذا اليوم ، هو الذى مكّن لبريطانيا أن تقف فى مجلس الأمن لتتكلم بالكلام الذى لا معنى له إلا أنه تزوير للحقائق ، ولكنه تزوير اعتمد على هذه الأخطاء نفسها . فلولاها لما كان لبريطانيا كلام يقبله عقل عاقل ، ولشق عليها أن تدلس فى الحقيقة البينة ، وهي أنها دولة معتدية حكمها كحكم سائر الدول المعتدية فى الدنيا . ومع ذلك ، فإن شيئاً من هذا لم ينفع بريطانيا ، فالدول قد علمت ولاريب أن بريطانيا معتدية بعد أن كشف النقراشى القناع عن الفضائح التى كانت مكتومة عن الناس وعن الدول ، وبعد أن أبان فارس الخورى عن أساليب بريطانيا فى قهر الدول الضعيفة وابتزاز حقوقها .

فلما أحجم مجلس الأجاويد عن أن يقطع برأى فى مسألة مصر والسودان ، وخاف أن يمس كرامة بريطانيا الدولة الشريفة النبيلة إذا هو حكم لمصر والسودان بالحق ، وتنزه عن وصف بريطانيا العفيفة الطاهرة بأنها دولة معتدية على حقوق الدول المسالمة — رجعنا من حيث بدأنا فى سنة ١٨٨٢ ، أى أننا وقفنا وحدنا لنقول للعالم مرة أخرى ، هذه دولة معتدية ، فلا بد من رد اعتدائها ودفع عدوانها وبغيها بأى وسيلة تتاح لنا . فينبغى إذن أن ننذر بريطانيا إنذاراً لا رجعة فيه ، بأن تسحب جنودها من كل بقعة كان يرفرف عليها علم مصر والسودان فى سنة ١٨٨٢ دون نظر إلى معاهدات سابقة أو عرف جار ، أو اتفاقات باطلة . فإذا فعلنا فقد نبذنا إليه على سواء ، وأعذرنا أنفسنا أمام هذا العالم الجشع من الدول المستعمرة .

ونحن شعب لا طاقة له بحرب بريطانيا بالسلاح ، لأنها ظلت خمساً وستين سنة تنزع من أيدينا كل سلاح ، وتضعف جيشنا بكل أسلوب ، وتحيط بنا من كل مكان ، حتى لا نجد لأنفسنا منفذاً نستطيع أن نستجلب منه السلاح الحديث الذى يعيننا على حربها . هذا حق ، ولكنه على وضوحه ليس بشىء ، فإن الأمة التى تريد استقلالها وتحرص عليه لن تمنعها قلة السلاح من أن تفعل شيئاً كثيراً تستطيع به أن تنال ما تريد . وبريطانيا لن تستطيع أن تفنى هذا الشعب المصرى السودانى إذا هب لقتالها مجرداً من كل سلاح إلا سلاح العزيمة والتضحية وبذل المهج

وإرخاص النفوس والدماء في سبيل الوطن .

وبريطانيا ترى أن من مصلحتها أن يستقر السلام في هذا الشرق الأدنى ، وهي تتخذ هذا حجة لبقائها في مصر والسودان وفلسطين والعراق ، فينبغي أن نبحث عن الأسلوب الذي يفسد عليها هذا السلام الكاذب الذي تنتهك هي حرمته باحتلال أرض هذه الشعوب ، والعالم العربي كله يعلم أن مصر والسودان هي قلب بلاده . فإذا ظل هذا القلب ضعيفاً مأسوراً في قيود الاستعمار فالعالم العربي عاجز عن أن يفعل شيئاً في سبيل النهضة التي تجيش بها صدور أبنائه ، وهو أيضاً عرضة للبقاء الطويل تحت نير الاستعباد الأوربي الفاجر المتعصب ، وهو أيضاً لحم على وضم ينال منه كل طارىء وأفاق ما يشاء ، ويصب عليه من ازدرائه واحتقاره ما تسول له نفسه الخبيثة ، لأنه يعلم أنه قوي في حماية هذه الدول الطاغية المستعمرة جميعاً . فلزام إذن على هذا العالم العربي كله أن يهب هبة واحدة للجهاد — من أقصى مراكش إلى حدود العراق بغير استثناء — متخذاً كل وسيلة من المقاطعة إلى المحاربة الظاهرة والخفية جميعاً .

وهذا العرض السامي يتطلب منا أن نجمع شملنا ، لا في مصر والسودان وحدهما ، بل في كل مكان من هذا العالم العربي ، وفي كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي . وينبغي أن يتجرد منا جميعاً رجال يجوبون هذه الدنيا لتأليب الشعوب العربية والإسلامية على عدوان هؤلاء المتدين ، ولعقد المودة بيننا وبين الشعوب التي أظهرت مودتها لنا ودفاعها عنا . وينبغي ألا يفزعنا شيء فاننا ما كولون ، والمأكول لا يبالي أن يأكله هذا أو ذاك ، وجرأته هي وحدها الكفيلة بأن تضمن له ضرباً من الحرية في الاختيار . ومع ذلك فعسى أن يحدث شيء لم يكن أحد يتوقعه ، فننال حقنا كاملا دون أن نطوق أعناقنا بمنة يمتنها علينا شعب أو دولة . وحسبنا أن بريطانيا تريد أن يستقر هذا الشرق وهذا العالم الإسلامي حتى توغل هي في عدوانها ، فلنمنعها هي وأشياعها مما يريدون

هذا العمل الجليل لا يغني غناءه إلا إذا تعاونت الحكومات العربية والإسلامية معاً وتعاونت شعوبها أيضاً مع هذه الحكومات تعاوناً شاملا كاملا لا ثغرة فيه . فأول ما ينبغي أن تقوم مصر والسودان فتدعو إلى عقد مؤتمر عام لكل الشعوب الصغيرة المجاهدة في سبيل الحرية والاستقلال ، وأن يتولى هذا المؤتمر العام تحديد الخطط التي ينبغي أن نسير عليها حتى نبلغ هذه الغاية التي تقض مضجع بريطانيا ورأس أشياعها أمريكا فلنسارع إلى دعوة هذا المؤتمر العام إلى عقد أول اجتماع في أقرب فرصة مستطاعة ، فإن الإرجاء مفسدة للجهود وإضعاف للقوى وإضاعة للوقت ، والإسراع لا يضر بل هو أنفع شيء ما دام الهدف الأسمى هو أن نزعج بريطانيا وأمريكا أولا ، وأن نتفق على الخطط العامة التي تكفل لنا نيل حقنا من هذه الشعوب المستعمرة العادية على استقلالنا وحريتنا .

وهذا المؤتمر لا يتعارض قط مع عمل الجامعة العربية ، لأنه محدد الهدف ، ولأنه يقوم على أساس واحد هو الاتفاق على أساليب الجهاد كلها ، وعلى حشد القوى التي تعين عليه ، وعلى اختيار الفئة الصالحة للتجول في أرجاء العالم لإثارة الشعوب العربية والإسلامية ودعوتها إلى أخذ حقها دون مساومة أو مفاوضة ، وعلى تحديد أعمال القائمين بالدعوة في كل مكان ، وعلى التمهيد لعقد الصلات بيننا وبين الشعوب التي تناصرنا على نزع ربقة الاستعمار عن أعناق الأمم المستضعفة في كل مكان ، مهما اختلفت ألوانها أو أجناسها أو أديانها .

إن هذا المؤتمر ضرورة لازمة ألجأتنا إليها بريطانيا وأمريكا وأشياعهما من الدول الشريفة النبيلة التي قامت لنصرة الحق والعدل والمساواة ! وبريطانيا وأمريكا وأشياعهما لا يريدون أن يدركوا أن هذه ساعة حاسمة في تاريخ العالم العربي والإسلامي ومن يعيش معهما من الأمم التي وقعت تحت سيطرة الاستعمار ، وهم يماطلون ويراوغون ويتملصون من الفروض التي كتبوها على أنفسهم في ميثاق الأمم المتحدة ، وهم يأبون أن يعترفوا بأننا شعوب تريد أن تعيش حرة لأن هذا هو حقها في الحياة ، فينبغي إذن أن نجيش كل قوانا وأن نمد المدة لإقناع هاتين الدولتين ومن يلوذ بهما بأننا قوم نأبى أن نعيش عبيداً في دنيا لم يخلقها خالقها إلا لتكون أرضاً للأحرار ، وأننا أمم لها من الحقوق مثل ما لبريطانيا وأمريكا وأشياعهما ، وأن الله لم يخلق هؤلاء الناس ليسودوا العالم ويستعبدوا أهله بالظلم والعدوان والكذب والتغرير

إننا لا نريد عدوانا على أحد ، ولكننا قد أبينا أن نقبل العدوان من أحد كائناً من كان ، وبالغاً من القوة والبطش والجبروت ما بلغ . وقد أعذر من أنذر .

محمود محمد شاكر

مقالة الخوارزمى فى الشعراء

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

الى العالم الأديب الكبير الأستاذ الشيخ محمود أبو رية

يا سيدى ، جواب سؤالكم هو فى كتابكم ، فى الكتاب فصل الخطاب ، فمم تسألون ؟ وما المسئول بأعلم فى شيء من السائل ، وهو فضلكم أراد مراده ، وفى القاهرة « أدام الله عمرانها بالمسلمين » [(١)] وفى مصر مصدر المدنية وموئل العربية فى القاهرة وفى مصر ألف مالك .

هذا الضعيف لا يعرف للمقالة إلا تلك الرواية فى (ثمار القلوب) وقد اطلعتم عليها ، وأشرتم فى الكتاب إليها . وهى خير رواية ، والثعالبي أصدق رواتها ، فهو يقيد هنا ما سمع ممن قال لا ما قرأ فى الصحف ونقل إليه النقلة . وكل قد أخذ منه ، ثم مشى إليها النقص والزيادة ، وجاء تحريف الناسخ والطابع . ولم تنج رواية (الثمار) من ذلك البلاء . وخدمة للعلم والأدب إذاعة المقالة فى (الرسالة ، رسالة العربية) وتحقيقها كيما يتلقاها صحيحة متلقيها .

قال الإمام أبو منصور الثعالبي فى (ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب) :

« ... وعهدى بالخوارزمى يقول : من روى حوليات زهير ، واعتذارات النابغة ، وأهاجى الحطيئة ، وهاشميات الكميت ، ونقائض جرير والفرزدق ، وخمريات أبى نواس ، وزهريات أبى العتاهية ، ومراثى أبى تمام ، ومدائح البحترى ، وتشبيهات ابن المعتز ، وروضيات الصنوبرى ، ولطائف كشاجم ، وقلائد المتنبي ولم يتخرج فى الشعر فلا أشب الله (تعالى) قرنه » .

هذه هى (المقالة) وهذا قولى فيها .

الفرزدق :

هذا عندى مزيد ، زاده النساخ ، ولم يذكره أبو بكر ، ولم ينقله أبو منصور ، واجتزأ الخوارزمى بنقائض جرير كما اجتزأ بقصائد لمن سماهم ، ولو ذكر الفرزدق لذكر الأخطل ، ولم يدع هماماً استهانة به فقد قال « والفرزدق فى الفخريات »[(١)] فى معرض التفخيم فى إحدى رسائله . وقد تكون (نقائض جرير) كتاباً على حدة ، فهناك نقائض الثلاثة وهى معروفة ، وهناك (نقائض جرير والأخطل) « تأليف الإمام الشاعر الأديب الماهر أبى تمام » ذكرها البغدادى فى خزانته ونسب المؤلف إلى حبيب ، وطبعت[(٢)] سنة (١٩٢٢) .

زهريات أبى العتاهية :

هى زهديات أبى المتاهية ، وهذا واضح .

لم يتخرج فى الشعر :

هى لم يخرج فى الشعر ، وما قصد الخوارزمى إلا هذا المعنى ، و « خرج فلان فى العلم وفى الصناعة إذا نبغ » كما فى الأساس وغيره ، وخرّجه أدّبه وعلمه فتخرج أى تأدب وتعلم ، وشتان ما متخرج وخارج ، ويقال : خرج فلان فى الشعر أو فى غيره لا خرج إليه كما ورد فى إحدى الروايات .

قلائد المتنبي :

لا ريب فى أن أبا بكر سمى أبا الطيب فى المقالة فقد كان من مكبريه ، وكثرة تمثله فى الرسائل بشعره وحله فيها أبياته واقتباسه من معانيه كل ذلك من أدلة الإكبار ، فقد روى الثعالبي فى كتابه (الإيجاز والإعجاز) هذا الخبر ، وربما كان سمعه منه :

« كان أبو بكر الخوارزمى يقول : أمير الشعراء المصريين أبو الطيب ، وأمير شعره قصيدته التى أولها (من الجآذر فى زى الأعاريب) وأمير هذه القصيدة قوله :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى
وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى »

---

(١) ابن خلدون فى مقدمته فى أثناء الحديث عن القاهرة وعظمتها . وهو دعاء كل مسلم فى العالم فى كل وقت .

(١) ص١٨٣ طبع الجوائب .

(٢) « عنى بطبعها لأول مرة عن نسخة الآستانة الوحيدة (الفذة) وعلق حواشيها الأب أنطون صالحانى اليسوعي » .

ومن ذكر شعراء درجت أشعارهم قبل أن يدرجوا « يموت رديء الشعر من قبل أهله » وترك المتنبي فقد ضل ضلالا مبيناً ، بل قد كفر. والإشكال عندي هو في (القلائد) فهي في هذا المقام مبهمة ، فقد ذكرها الخوارزمي وعني بها قصائد المتنبي المشهورة « وما الدهر إلا من رواة قلائدي » أم ذكر السيفيات أو الكافوريات فبدل المبدل ، وقد يفضل الكافوريات مفضلون وربما كان أبو بكر منهم ، وهي وحي مصر ، أوحتها إلى المتنبي وقد كبر (احمد) وتمرن واختبر ، وشاهد ما لم يشاهده من قبل ، وعلم ما لم يكن يعلم ، وجاء إلى مملكة كبيرة يسوسها ملك عظيم شهم (١) .

يدبر الملك من مصر إلى عدن ... إلى العراق فارض الروم فالنوب
إذا أتتها الرياح النكب من بلد ... فما تهب بها إلا بترتيب !

ويظاهره وزير كبير عالم ، ذو خلق عال ، عنده أدب الدرس وأدب النفس ، روى ابن خلكان : « ذكر الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب (أدب الخواص) كنت أحادث الوزير أبا الفضل جعفرا ، وأجاريه شعر المتنبي فيظهر من تفضيله زيادة تنبه على ما في نفسه خوفاً أن يرى بصورة من ثناه الغضب الخاص عن قول الصدق في الحكم العام ، وذلك لأجل الهجاء الذي عرض له به المتنبي » .

وقال صاحب الوفيات بعد أن سطر تلك الأبيات : « وبالجملة فهذا القدر ما غض منه ، فما زالت الاشراف تهجى وتمدح » .

وأغلب ظني أن شاعرنا نوى هو وفاتك الملقب بالمجنون أمراً حال القضاء دونه ، ثم هلك فاتك وهرب المتنبي ، وراح يقول : « وماذا بمصر » فاهاًلفيه (٢) ! فاهاًلفيه !

فالكافوريات هن نبات العقل والعلم الكثير ، والسيفيات بنات الشبيبة والنشاط والنفس القوية . ولما أراد ابن أبي الحديد أن يؤلف كتاباً في حل قصائد للمتنبي اختار السيفيات (٣) لخطرها البارع في اعتقاده .

وعندي لك الشرّد السائرات (م) ... لا يختصصن من الأرض دارا
ولى فيك ما لم يقل قائل ... وما لم يسر قمر حيث سارا
وما تسع الأزمان علمى بأمرها ... ولا تحسن الأيام تكتب ما أملى

و « وعلى قدر أهل العزم » عند طائفة هي أعظم قصائد المتنبي ، وهي سيفية .

أنا موقن أن الخوارزمي سمى المتنبي ، وذكر عبقريات « سيفيات أو كافوريات » له ولا أستبعد (القلائد) وليس لدى اليوم الحكم الجزم .

فلا أشب الله تعالى قرنه :

قد نجت في (الثمار) من كل تصحيف وتطبيع ، روايتها في (الأساس) صحيحة ، وفي (أساس البلاغة) أشياء ، هذه فيه هي من السالمات ، ومن أدب الزمخشري أن يؤيد ما يورده بأقوال مأثورة ، أو أمثال مشهورة أو سجعات يتأنق فيها .

ولما كان الحريري قد أورد تلك الجملة في (البكرية) قال الشريشي شارحاً : « قوله أشب قرنك يدعى بذلك للصبي أن يكبر وتطول قامته كما تقول للصبي في ضد ذلك : لا كبرك الله ، ويقال شب الصبي يشب بكسر الشين شباباً بفتح الشين وكسرها إذا طال ونمى جسمه ، وأشبه الله وأشب قرنه أي جعله أسود الذؤابة والقرن الضفيرة وهي الذؤابة ، وقيل القرن جانب الرأس » .

وإذا صح تفسير الشريشي أو صح ما نقله الاستاذ (المحمود) وهو الأصح ، ومثله في الشرح المختصر (١) للمقامات فالكلمة (أشب) لا (شيب) وروى الجملة (التاج) كما أوردها الذين سماهم الأستاذ في كتابه ، وهذا ما جاء فيه : « الشباب الفتاء والحداثة كالشبيبة ، وقد شب الغلام يشب شباباً وشبوباً وشبيباً ، وأشبه الله ، وأشب قرنه بمعنى ، والأخير مجاز ، والقرن زيادة في الكلام » (٢) ومراد (التاج) بقوله : « والقرن زيادة في الكلام »

(١) الشهم : السيد النجد النافذ الحكم في الأمور وقال الفراء : الشهم في كلام العرب الحمول الجيد القيام بما حمل الذي لا تلقاه إلا حمولا طيب النفس بما حمل (التاج) .

(٢) فم الحية أو فم الداهية ، ونصبه على إضمار فعل .

(٣) أورد فصولا مما حله في كتابة (الفلك الدائر على المثل السائر) وقد نحت هذه الفصول ونشرتها في (مجلة المجمع العلمي العربي) الغراء ، الجزء (٩) المجلد (١٤) سنة ١٣٥٥

(١) قال : أي لا أطال عمرك وهو من باب الكناية لأنه إذا لم يشب قرنه وهو تربه لم يشب هو أيضاً

(٢) وقال محمد بن حبيب : زمن الغلومية سبع عشرة سنه منذ يولد الى أن يستكملها ثم زمن الشبابية منها الى أن يستكمل إحدى وخمسين سنة ثم هو شيخ الى أن يموت ، وقيل : الشاب البالغ الى أن يكمل ثلاثين وقيل ابن ست عشرة الى اثنتين وثلاثين ثم هو كهل (التاج)

— وقد جاء هذا فى اللسان أيضاً — أن العرب تزيد فى كلامها فى أشياء منه تقوية وتفنناً ، فأشبه الله كاف فى الدعاء له ، وأشب قرنه كما فسروا — توسع فى القول ، ولكل لغة سنن وأساليب ، وفى (الصاحبى) لابن فارس و (فقه اللغة وأسرار العربية) للثعالبى و (المزهر) للسيوطى أمثلة لذلك .

نقائض جرير :

هى (نقائض جرير) لا قلائص جرير ، وقد اطلع الشيخ ابراهيم اليازجى — كما أوقن — على رواية للمقالة فى غير (ثمار القلوب) وأخذ منها لكتابه (نجعة الرائد) ما رأى أخذه ، وهو يذكر فى النجعة نقائض جرير ، وهذا ما سطره :

« وتقول شعر فلان أحسن من حوليات زهير ، وأحسن من حوليات مروان بن أبى حفصة ، وأحسن من اعتذارات النابغة ، وحماسيات عنترة ، وهاشميات الكميت ، ونقائض جرير وخمريات أبى نؤاس ، وتشبيهات ابن المعتز ، وزهديات أبى العتاهية وروضيات الصنوبرى ، ولطائف كشاجم ، وهذا أحسن من ابتداءات أبى نواس ، ومن تخلصات المتنبىء ، ومقاطع أبى تمام »

كان العلامة الشيخ ابراهيم اليازجى يجمع لمصنفه عدته (مادته) من كتب اللغة والأدب فرأى فى كتاب ابتداءات أبى نؤاس ، وفى كتاب تخلصات المتنبىء ، (والظاهر أنه وجد الاسم مهموزاً أوهمزه هو) وفى كتاب مقاطع أبى تمام فنقل أمثال ذلك وهو تعب مشغول البال ورتب منقوله كما رتب ، ولو روّأ فى أمره لربأ بنفسه عن تسطير هذه الخربشات والتخاليط ، فما ابتداءات أبى نؤاس ؟ ما هى ؟ وهل فضيلة المتنبى فى تخلصاته ؟ وهل مزية حبيب فى مقاطعه ؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله ! إنا لله وإنا إليه راجعون !

ومثل تخليط اليازجى فيما نقل تخليط الخوارزمى فى قوله الذى رويته قبل : (إن أمير القصيدة البائية البيت : أزورهم) .

آمنا بالقصيدة وعبقريتها ، وبوصف لظباء الفلاة فيها ، وبسائر معانيها ولكننا لا نرى (أزورهم) أفضل أبياتها بل لانراه يضارع الأبيات البارعات فى القصيدة ولو تضاعفت تلك المقابلة التى لم تسلم من كلام النقدة ، وقد كان ابن نباتة السعدى أبرع من غيره وأحذق حين قرأ هذا البيت :

إذا ما مررت فى آثار قوم تخاذلت الجماجم والرقاب(١)

فوقف عنده وأطال تأمله ثم قال :

« نحسن أن نقول ولكن مثل هذا لا نقول » .

إن (السعدى) لا يحفل بالخزعبيلات ، بالترهات ، بالبديهيات وابن نباتة هو صاحب البيت المشهور « ومن لم يمت بالسيف » .

طولت فى الجواب ، ولم أجب ، ولم أقدم ثمراً من غير (الثمار) وإذا لم أعلم — يا أخا العرب — فماذا أعمل . وأنا عائذ بالله وبالتى سماها السلف الصالح نصف العلم(٢) والسلام .

محمد اسعاف النشاشيبى

(١) أخذه الخوارزمى فقال :

وكنت إذا نهدت لغز قوم وأوجبت السياسه أن يبيدوا
تبرأت الحياة إليك منهم وجاء إليك يعتذر الحديد
وطلقت الجماجم كل قحف وأنكر صحبة العنق الوريد

قصة طويلة ...

(٢) قال عبد الله بن عمرو بن العاص العريان المصريان (رضى الله عنهما) : من سئل عما لا يدرى فقال : لا أدرى . فقد أحرز نصف العلم

تعليق مختصر على خبر

للأستاذ علي الطنطاوي

هذا الخبر الذى جاء فيه أن معيداً فى كلية الآداب ، أعدّ أطروحة ينال بها لقب (دكتور)[١] فلم يجد لها موضوعاً إلا (القصص فى القرآن) ولم يجد ما يقوله عن القصص فى القرآن ، إلا أنه أساطير الأولين ... وأنه كذب مفترى ، وأنه مستمد من التوراة ، ومن أدب فارس ويونان ، وأن الأستاذين الأحمدين الفاضلين ، حكما بردّ الأطروحة وإسقاطها ، واختلفا فى تعليل الحكم ، فكانت العلة عند الأستاذ الأمين الجهل ، وعند الأستاذ الشايب الكفر ، وعندنا أنهما معاً ، لأن هذا لا يجيء إلا من ذاك

وفى الخبر أن الذى أشرف على إعداد الأطروحة ، وأعان عليها ، شيخ بعمامة بيضاء من أساتذة الكلية ، وأن هذا الشيخ عزّ عليه إسقاط الأطروحة فغضب (والغضب لله وللحق من الفضائل) وقال : « إنه متضامن مع مقدم الرسالة في كل حرف منها ، وأنه لا ينبغى الوقوف أمام حرية الفكر » .

***

ولو انتهت القصة عند ردّ الأحمدين ولم يكن صاحب الأطروحة مدرساً ، ولم يدخل نفسه فيها هذا الشيخ لينصر الكفر ، ويدفع عن الإلحاد ، ويؤيد الجهل ، لقلنا شاب أراد أن يتعجل (الشهرة) قبل أوانها ، ورأى طريق العلم والتحقيق طويلا ، فسلك طريق جهنم وأراد اجتياز الصراط فسقط ... وسكتنا ، ومرّت الحادثة كما مرّت أحداث أمثالها وشرّ منها ، ظنّ محدثوها أنهم هدموا الإسلام ، ونسفوه نسفاً ، وصرفوا الناس عنه صرفاً ، والإسلام لم يشعر بها ، ولم يحسّ بوقعها ، ولم يزد عليها إلا قوة وانتشاراً ، ولكن دخول هذا الشيخ فى المجادلة على صدق القرآن وكذبه وكون طالب الأطروحة موظفاً رسمياً ، ومعيداً فى الكلية ، أمر لا يسكت عنه ... وهذا الذى نقوله اليوم أول الغيث .

***

ومقالنا اليوم هو تذكير لهذا الشيخ بأنه ليس من أصحاب العقول الكبيرة ، والبحث العلمى ليكفر إذا كفر عن بينة ، وما به إلا أنه رأى أديباً زلّ من عشرين سنة ، وأى أديب لا يزلّ ؟ فقال كلاماً مثل هذا ... فملأ اسمه الدنيا ، وشغل الناس ، فأحب أن يكون مثله ، وشتان ما بين الرجلين . وإلا فهل ثبت له بعد البحث والتحقيق ... أن قصص القرآن مأخوذ من التوراة ومن الأدب الفارسي واليونانى ، وأن فيه أساطير لا أساس لها ، وهل وقعت له النسخة المخطوطة بخط مؤلف القرآن الذى هو الله – إذا كان فضيلة الشيخ لا يزال يعتقد أن القرآن من عند الله – فعضّ عليها بالنواجذ ، ليفضح المؤلف ، ويكشف عن سرقاته ، ويشفى غيظه منه . أستغفر الله ، وتعالى عما يقول الكافرون علواً كبيراً .

ولندع الدين ما دمت يا مولانا الشيخ تحسب أن الخروج عليه مدنيـة وتقدم ... وأن الأخذ به رجعية ، وأنك أعلنت الكفر ، وجهرت به ، واخترته والعياذ بالله لنفسك ، ولنأخذ العلم والمنطق والتاريخ ، فهل فى العلم والتاريخ شيء يؤيد ما جاء فى الخبر أن الأطروحة اشتملت عليه ، وما أعلنت أنك مع المؤلف فى كل حرف منه ؟ وبأى دليل من أدلة العلم ، وفى أى كتاب من كتب التاريخ ، ثبت لك ولصاحب الأطروحة أن الله قد اقتبس قرآنه من أدب فارس ويونان ، ومن كاذب الأساطير ؟

وإذا لم يكن القرآن كتاب الله ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا من جهة فارس ولا من جهة يونان ، وكان من تصنيف محمد ، وكان قد اقتبسه من التوراة ، ومن آداب الأمم ومن أساطيرها ، فكيف خفى ذلك على أسلافك من أنصار حرية الفكر ، من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة وكل عدوّ للاسلام خصيم للقرآن – فلم يؤلف فيه أحد ولم يثبته حتى جاء تلميذك هذا فكتبه لتكافئه الدولة على كفره بدينها الرسمى ، وطعنه بقرآنها ، بإعطائه شهادة الدكتوراه ، وتسليمه أبناء المسلمين ليلقنهم هذه الآراء ، على أنها علم وفضل ، وأن الذى لا يحفظها ، ويعيدها يوم الامتحان ، يرسب فى صفه إن طفا الطلاب؟

وحرية الفكر ؟ ما حرية الفكر يا هذا ؟ كيف تفهمها ؟ أ كلما طاف برأسك طائف من هوى ، أثبته على الورق ، وخرجت به مزهواً على الناس ، وقلت ، هذى حرية الفكر ؟

(١) وقد عربه بعضهم بـ (العليم) ، وبعض العجمة أفصح من بعض التعريب!

أما إنه ليجىء فى فكرى أنا الآن كلام عنك ، لولا أنى لم أعرض هذه المقالة على الأستاذ الزيات ، وأنى أخاف أن يغضب إن حططت عليك بثقلى — افلته ، فما تركتك تستطيع أن تمشى فى الجامعة ، أو تتراءى للطلاب ... فارتقبه فكل شىء له أوان ... وما أنت بمعجز الله فى الجامعة وقد أهلك فرعون وهامان وأبا جهل ...

ومالك تكره أن أبيّنك بعلم ، وتسب أنت الله عدواً بغير علم ؟ ولا تحب أن أقول فى كتابك الذى لفقته كلة الحق ، وتقول أنت فى كتاب الله كلة الباطل ؟ وما لك لا تجرؤ أن تقول لواحد من هؤلاء الكتاب ، أخرج كتاباً تلقاه الناس بالقبول : إنك تكذب ، وتنسب الكذب إلى الله المنتقم الجبار ؟

أغرك ويلك حلمه عنك ، وأنه مدّ لك حتى صرت تعطى الدكتوراه وأنت لم تأخذها ، وتمنح العلم وأنت لا تملكه ، وتؤلف فى البلاغة ، وما أنت منها فى شىء ، ولا أثر عنك بيان غطى على بيان الجاحظ وأبى حيان والرافعى والزيات ، ولا أنت صاحب شعر ولا نثر ، وقصارى أمرك أنك أدخلت على طلاب لا يفهمون من البلاغة إلا بمقدار ما يفهم من الصحافة صاحب (القبس) ، فخرقت عليهم ، وزعمت لهم أنك إمامها وأنك مؤذنها وخطيبها ، ورأيتهم صدقوا قولك فزدت فادعيت أنك بانى مسجدها ورافع منارتها ، ولو أنت ادعيت النبوة فيهم ، ماوجدت منهم من يكذبك أو يكفر بك ، ما داموا يأخذون منك الدرجات فى الامتحان ، ثم يخرجون كما دخلوا لا أنت علمتهم ولا هم تعلموا منك ... وكيف يتعلمون وقد جعلت دروس البلاغة عياً ، والفصاحة عامية وكانت دروسك ذلك الخزى ... الذى نشره فى الرسالة الأستاذ المهارى فكان تسلية لقراء الرسالة وفكاهة ضحكوا عليك به شهراً ؟

لقد كان كفراً مبتكراً منك حين زعمت فى تلك الدروس ... أن الله قال لمحمد يا أخى ، فكيف قعدت بك القريحة اليوم ، فلم تأت إلا بكفر عتيق قيل فى مصر من عشرين سنة ، وقيل فى مكة قبل الهجرة ، فكان سخرية الأولين والآخرين ؟ ولقد بعثت يومئذ من يدافع عنك فى الرسالة ، فلم يبلغ به أدبه مع الله ودينه ، ولا علمه وبلاغته ولا معرفته بتصريف الكلام ، إلا أن يحتج على جواز زعمك أن الله قال لمحمد ، يا أخى ، بقول الحمّار لحماره ، يا أخى ... ولم أردّ عليه لأنى لم أكن أعرف ، قبل أن أسمع ردّه هذا ، شيئاً من لغة الحمارين والحمير ... ولا قواعد المناظرة فى لسانهم .

* * *

وبعد ، فما أريد اليوم الرد على هذين الرجلين ولا تأديبهما إنما أردت تنبيه رجال المعارف فى المملكة التى دينها الرسمى الإسلام وعميد الكلية العربى المسلم الذى اسمه الدكتور عزام ، إلى هذين المدرسين اللذين يعلنان الكفر بالله ، والطعن فى القرآن ، والإهانة لكل مسلم يرى فى مصر دار الأزهر ، ومثابة العلم ، ومنزل الملك الصالح الفاروق ، وهما يأخذان أموال الأمة ليلقنا أبناء مصر وأبناء الشام والعراق والحجاز واليمن والمغرب ، وكل بلد يبعث بأبنائه إلى هذه الجامعة مثل هذه الكفريات ، التى يعتقدانها ويكتبانها ويصران عليها ولا يخافان فيها الله ولا الحكومة ولا العلماء ولا العامة ..

وأنا أرقب ماتصنع وزارة المعارف ، ومايصنع الأزهر وعلماؤه ، لأستخير الله فيما أصنع أنا بعد ، وما يصنعه هذا القلم الضعيف فى نفسه القوىّ بالله وبدينه وبقرآنه .

وما بسيفى أضرب ، ولكن بسيف محمد !

(القاهرة) **على الطنطاوى**

٨ ـ رحلة إلى الهنـــد

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

قطب منارة (منارة قطب)

على عشرة أميال إلى الجنوب من دهلى بين أطلال دهلى الغابرة يقوم مسجد قوّة الإسلام . ومنارة قطب (قطب منارة) . بناهما قطب الدين أيبـك . وكان قطب الدين هذا مملوكا للسلطان محمد الغورى الذى مدّ فتوح الغزنويين فى الهند حتى فتح شمالىّ الهند كله . واتخذ مدينة دهلى داراً للولاية . وولّى قائده قطب الدين على ، فتح من الهند .

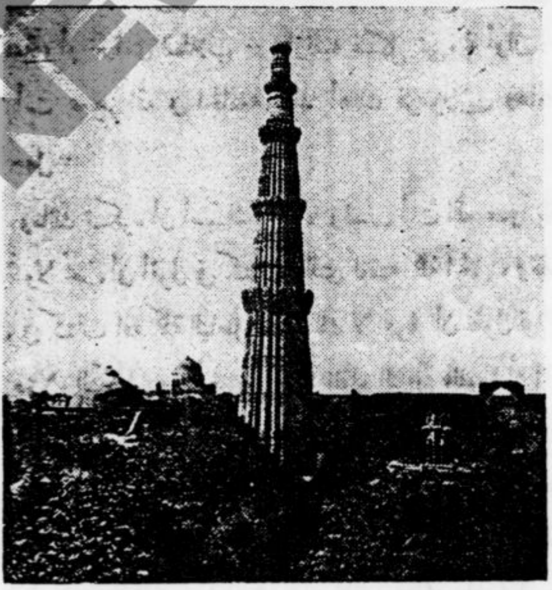
فلما توفى الغورى سنة ٦٠٢ هـ استقلّ هذا الوالى بما وليه من الهند ، وتملّك عليه . وهو أول ملك مسلم ينشأ ملـكه داخل الهند ويقتصر على أرض هندية . فأول دولة فتحت الهند وهى الدولة الغزنوية نشأت فى أفغانستان وكانت غزنة دار ملـكها . ثم غلبها عليها الغوريون فاتخذت لاهور داراً . والدولة الغورية نشأت فى إقليم الغور من أفغانستان ثم غلبت الغزنويين على البلاد واقتفت آثارهم فى فتح الهند .

فالدولة التى أقامها قطب الدين أيبك – دولة المماليك – أول دولة إسلامية نشأت فى الهند .

وكانت دهلى دار سلاطينها وسلاطين أربع دول أخرى توالت بعدها حتى فتحها بابر مؤسس الدولة التيمورية سنة ٩٣٢ هـ وقد تسلطت دولة قطب الدين هذا زهاء ثمانين عاماً .

وكأن قطب الدين أراد أن يثبت سلطان الإسلام فى الهند ويظهر عظمته بإقامة الأبنية الضخمة الرائعة . فأنشأ هذا المسجد وسماه « قوّة الإسلام » . وأقام فيه هذا البرج العجيب المسمى منارة قطب . وهو فى رأى الخبراء بالعمارة أعظم برج فى العالم .

أدع البرج إلى أن ألق نظرة جامعة على هذا الجامع الفسيح . لا تزال بقايا الأسوار والعَمَد والقباب تحدّد مساحة الجامع . وقد زاد فيه من بعد شمس الدين التتمش الذى تولى الملك بعد قطب الدين (٦٠٧ – ٦٣٣ هـ) وعلاء الدين الخلجى (٦٩٥ – ٧١٦ هـ) حتى صار فيما أظن أوسع جامع فى العالم .



منارة قطب (قطب منارة) فى دهلى

وإليك صورته الحاضرة كما يراها من يدخل من الباب الشرقى المقابل للقبلة تدخل من باب فى بقايا سور إلى ساحة واسعة تمشى فيها قليلا ثم تصعد دَرَجاً إلى مستوى آخر فترى ذات اليسار المنارة وقبة جميلة على باب من أبواب المسجد ، ويقال أنها سميت « قبة الإسلام » وبها سمى هذا المسجد « قبة الإسلام » لا قوة الإسلام .

ولـكن لا يلتفت الداخل إلى هذه القبة فيسير إليها يهبط على الدرج الذى تحتها إلى المدخل فيستغرق فى تأمل علوها وجمال هندستها ونقوشها لا يستطيع أن يفعل هذا قبل أن يطمح ببصره معجباً مرتاعاً إلى هذه المنارة الشاهقة العجيبـة . وسأحدث القارىء عنها بعد طواف سريع فى هذا المسجد العظيم ؛ بل هذا المجد الأبىّ والمآثر الخالدة التى تأبى أن تُقِرّ للخطوب على كثرة ما نالت منها .

وإذا نظر الداخل إلى اليمين رأى كومة من الحجر هرميّة هى أساس خَـرِبٌ لمنارة حاول أن يناظربها منارة قطب علاء الدين الخَـلْجى حينما زار فسحة الجامع . ولم يتهيأ له إكمال المنارة . وفى الساحة قبور لم أعرف عنها شيئاً .

ويمشى الزائر إلى المصلى فإذا ساحة فيها ثلاثة أروقة ذات طبقتين على عَمَد صغيرة . وإذا تأمل النقوش على هذه العَمَد رأى صُوَر حيوان وناس . وقد نقلت العمد من معابد هندية قديمة . وفى جهة القبلة من المصلى عمود من الحديد قطعةٌ واحدة طوله ثلاثة وعشرون قدماً . ومحيطه قدمان وهو من أقدم الآثار الهندية فى دهلى أو أقدمها عليه كتابة تشيد بمآثر أحد أمراء الهند القدماء . وتاريخه يرجع إلى سنة ٤٠٠ ق م .

ويمضى بعد هذا العمود جهة القبلة إلى عقد رفيع جداً يُفضى إلى القسم القبلىّ من الجامع وقد هُـدِمت جُدُره .

ويتزل السائر جهة الشمال إلى الساحة التى زادها على المسجد شمس الدين التتمش وهى مساحة لا بناء فيها اليوم . وينظر شطر القبلة إلى حجرة عالية سقطت قبتها وفى وسطها ضريح رهيب هو ضريح ايلتتمش . وفى الحجرة ثلاثة محاريب أكبرها أوسطها وعلى المحاريب آيات من القرآن منحوتة بخط واضح . فى وسط المحراب الكبير « إنه لقرآن كريم — الآية » وعلى حافته : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل — الآية »

قد قرأتها ومن معى من وفود المؤتمر يتعجبون من مصرى يقرأ خطاً أثرياً فى دهلى ، حتى عرفتهم أنه كتابى ولغتى .

وبعد ساحة التتمش ساحة زادها السلطان علاء الدين الخلجى . وليس بها إلا حطام البناء الشامخ أتحت عليه يد الزمان .

ثم منارة قطب إحدى عجائب الأبنية فى الهند بل العالم كله منارة جليلة رفيعة تعلو فى الجو ٢٣٤ قدماً بعد أن سقطت ذروتها . وهى خمس طبقات تنتهى كل واحدة بشرفة دائرة حول المنارة . ولها درج واسع صعدت فيه إلى الشرفة الأولى مائة وخمسين درجة .

والمنارة فى شكل مخروطى . والطبقة الأولى لها واحد وعشرون ضلعاً تختلف أشكالها بين مدور على هيئة نصف دائرة يليه محدد على شكل زاوية قائمة . وهكذا على التوالى . والطبقة الثانية كل أضلاعها مدورة . والثالثة أضلاعها على زاوية قائمة ثم طبقة ملساء والخامسة مضلعة تضليعاً خفيفاً يكاد لا يرى

شاد المنارة قطب الدين إيبك حوالى سنة ٦٠٠ من الهجرة وكان لا يزال نائباً عن السلطان محمد الغورى وأتمها مملوكه وصهره وخليفته إلتتمش الذى ذكرناه آنفاً . وقد تصدعت طبقتها العليا بصاعقة فى القرن الثامن فى عهد فيروز شاه فرممها ثم سقطت هذه الطبقة فى زلزال سنة ١٨٠٣ م . وقد رأينا على مقربة من الجامع برجاً صغيراً مستطيلا له أربعة أركان بينها أبواب علوه نحو خمسة أمتار . وقيل لى أنها صنعت فى عهد الانكليز لتوضع على المنارة تكملة لها . فلما وضعت ألفيت غير ملائمة لها فأنزلت .

وحول المنارة كتابة عربية منها آيات من القرآن وقد جعلت نطاقات جميلة زادت فى جمال المنارة وجلالها . وقيل لى إن الكتابة قد نحتت على أحجام مختلفة ونِسَب متعددة تجعل الرائى يراها فى حجم واحد ما بعد منها وما قرُب . كلما بعدت الكتابة زاد حجمها على نسبة بعدِها .

وألوان المنارة تتوالى فى طبقاتها من أحمر إلى ورد إلى أصفر قاتم يلائم زرقة السماء فى فن الجمال .

والخلاصة أن فى هذه المنارة من إبداع الهندسة ، وإتقان الصنع ، وجمال الشكل وفخامته ، وحسن النقش والخط ما يسير رائيها طائفاً ، أو بعكسه واقفاً ، يصعد الطرف ويصوبه فى إعجاب بل دهش من هذا الأثر الخالد الذى جعله المسلمون فاتحة آثارهم العظيمة فى الهند . فكان جديراً أن يكون عنواناً لكتاب الحضارة الزاهرة الذى خطه تاريخهم فيها .

عبد الوهاب عزام

مدى الثقة فى هيئة الأمم المتحدة

لا جدال فى أن ديباجة ميثاق هيئة الأمم المتحدة لا تكون بذاتها جزءاً منفصلا بل تندمج مع الميثاق نفسه فى مقاصده ومبادئه .

وتقول الديباجة : « نحن شعوب الأمم المتحدة وقد آلينا على أنفسنا أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التى فى خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية مرتين أحزاناً يعجز عنها الوصف وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للانسانية وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال وللنساء وللأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية وفى سبيل هذه الغايات اعتزمنا أن نأخذ أنفسنا بالتسامح وأن نعيش معاً فى سلام وحسن جوار وأن نضم قوانا كى نحتفظ بالسلم والأمن الدولى وأن نكفل بقبولنا مبادىء معينة ورسم الخطط اللازمة لها ألا تستخدم القوة المسلحة فى غير المصلحة المشتركة .. الخ »

ولقد أخذت هذه الديباجة من صدر الدستور الأمريكى وكتبها المرشال سمطس رئيس حكومة جنوب أفريقيا وقصد بعبارة « نحن شعوب الأمم المتحدة » الإشارة إلى أساس الحكم الديمقراطى وهو رغبة الشعوب التى تنطق باسمها الحكومات المختلفة ...

ومن أهم مقاصد هيئة الأمم المتحدة : حفظ السلم والأمن الدولى وإنماء العلاقات الودية بين الأمم وتحقيق التعاون الدولى على حل المسائل الدولية .

والقارىء لمبادىء الميثاق يحس بأنها فى جملتها تطابق مبادىء عصبة الأمم القديمة ، غير أن الميثاق كان صريحاً وقوياً فى تقريره لمبدأ المساواة فى السيادة بين الأمم كبيرها وصغيرها وهذا المبدأ من أهم الحجج التى استندت إليها مصر فى دعواها لدى مجلس الأمن .

والمعروف أن الميثاق قد دخل فى دور التنفيذ منذ يناير سنة ١٩٤٦ ومعنى ذلك أن عمر الميثاق أقصر جداً من أن يحتمل حكماً عليه بالنجاح أو بالفشل .. غير أننا لا نهتم فى الحكم بالمقاييس الزمنية وسننظر من زاوية أخرى وهى كمية العمل : ولقد جاء فى تقرير المسيو تريجف لى السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة فى تقريره السنوى إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ما يأتى :

« إنه على الرغم من أن ١٦١١ إجتماعاً من التى عقدت حتى نهاية ٣٠ يونيو من عام ١٩٤٧ دلت على الاعتماد على الهيئة الدولية. فإن الحالة الدولية لم تتحسن فى خلال العام »

ويبدو أن هذه الاجتماعات الكثيرة قد طويت فى زمن قصير جداً ، وكان يمكن توزيعها على سنوات معدودة لو أننا قارناها بعدد الاجتماعات فى عصبة الأمم الماضية . ولعله يكون من المناسب ألا يفوتنا تعليل هذه الكثرة بالسياسة الملتوية التى تجرى عليها هيئة الأمم المتحدة والتى لا تتسم بميزة الصراحة وحسن النية ... ولقد اكتوت مصر — وما زالت — بسياسة المساومات والمصالح التى يجرى عليها مجلس الأمن والتى تتطلب عادة وقتاً طويلا فى أخذ ورد كما فى البيع المعتاد ومهما كان الأمر فسنسجل على هيئة الأمم ما لاحظناه فى عملها ، ومقدار التطابق بين ما هو على الورق وما خرج إلى حيز التنفيذ ، وسنرى التيارات المختلفة التى تسرى الآن فى أروقة هذه الهيئة ، وهل هذه التيارات فى جانب الميثاق أم أنها هادمة له ؟

ولا يخفى أن الإيمان بميثاق هيئة الأمم قد خفت حدته وأصبح الكتّاب يشبهونه بميثاق الاطلنطى الذى غرق فى المحيط ومازال الغواصون يبحثون عنه فى القاع حتى إن برناردشو الكاتب الإيرلندى الساخر قد لاحظ أن الرئيس روزفلت وهو المقترح للميثاق نسى أن يضع إمضاءه عليه !

ومن الواضح أن إيمان الشعوب بالميثاق هو القوة الحقيقية التى يرتكز عليها فإذا ما قل هذا الإيمان ولو بمقدار ذرة نزلت حتما قيمة الميثاق مهما كانت عظمة ما فيه من مبادىء ...

وستكون المسألة فى نظر الشعوب عوداً لقصة عصبة الأمم التى دمغها المؤرخون بالفشل ونعتوها بالتهريج الدولى .

إن ميثاق الهيئة جميل جداً .. تقرأه فيحملك إلى عالم تتمتع فيه حقاً بحلاوة المعانى الإنسانية .. إنه يكرر دائماً فى فقراته مايؤكد فى الذهن بأننا على وشك تحقيق أسرة عالمية حقة يسودها حكم القانون الدولى .. وهذا الميثاق كان حجة فى يد أغلب الفقهاء

الذين يعترفون بوجود قانون دولى وكان فى الوقت نفسه ضربة قاصمة لمن أنكر ذلك منهم وعاش فى تشاؤمه وشكه من وجود عالم دولى يكون أسرة واحدة لها قانون محتوم .

هذا الميثاق يعيبه أمر جوهرى . فهو ما زال على الورق لم ينتقل بروحه بعد إلى ميدان التطبيق . ولقد دل العمل على أن هناك بوناً شاسعاً بين المكتوب والمعمول به . وكل الظواهر الدولية التى يلمسها القارىء حجة قوية فى يده تؤيد ما نقول .. على أنه يهمنا كثيراً أن نبين علة وجود هذه الشقة أو الفارق الملموس الذى أشرنا إليه وقد تخلبنا بعض البوارق العارضة التى تبدو فى المحيط الدولى . وهذه قصيرة العمر أشبه شىء بحبب الماء سرعان ما يتلاشى .. لذلك ستكون نظرتنا ممتـــدة إلى الماضى تصل به ما هو كائن فى زماننا هذا . لأننا نعلم أن القصة الإنسانية بطيئة السرد تتشابه حوادثها . وقليلا ما تتغير . والتاريخ يعيد نفسه دائماً ...

ولقد رأينا أن النقص ليس فى الميثاق نفسه بل فى تطبيقه والفشل فى التطبيق نتيجة لوجود عاملين هامين يبرزان جلياً لكل من يتتبع أعمال هيئة الأمم المتحدة . وقد توجد عوامل ثانوية أخرى غير أنه لا شك أن تضارب المذاهب المختلفة فى العالم وتفشى وباء عدم الاكتراث بين الدول هما أخطر الفواتك بالميثاق

وإذا كان العامل الأول وهو تضارب المذاهب يبدو للقارىء جديداً فى السياسة الدولية لم نألفه مثلا منذ ربع قرن ! إلا أننا كما قلنا لا نقف أمام الأمور العارضة ، ونرى بحق أن تضارب المذاهب من ديمقراطية وشيوعية وفاشية هو صورة جديدة لما هو راسخ فى التاريخ السياسى لسياسة توازن القوى منذ القرن السابع عشر ... والمعروف أن سياسة توازن القوى برزت جلية فى صورة شديدة الوضوح أثناء القرن التاسع عشر ، وخاصة منذ هزيمة نابليون فى واترلو .. إذ أن كل ما عقد بعد ذلك من مؤتمرات كان لتقسيم أوربا تقسيما روعى فيه إيجاد التوازن بين القوى المسيطرة على السياسة الأوربية حينذاك ، ومما لا شك فيه أن إضعاف فرنسا كان نتيجة لهذه السياسة .. على أن هذا لا يهمنا تقريره بالقدر الكبير الذى نلاحظ به نتائج التمسك بهذه السياسة . والملاحظ أن سياسة التوازن أدت إلى حروب كثيرة فى القرن التاسع عشر . كما أن هذه السياسة هى التى جرت إلى الحرب العالمية الأولى متخذة فى أثناء ذلك كله صوراً مختلفة من سياسية إلى اقتصادية إلى اجتماعية .. وكانت صورتها الأخيرة فى الحرب العالمية الثانية بارزة جلية فى ناحيتها الاجتماعية من التضارب بين نظم الحكم المختلفة .. فترددت قوية كلمات الديمقراطية والنازية والشيوعية والفاشية والدكتاتورية .

ولقد قضى على أكثر هذه النظم كنتيجة محتومة لفوز غريمتها من النظم الأخرى ولم يبق ظاهراً فى محيطنا الدولى الآن سوى نظامين قويين هما الديمقراطية والشيوعية . وانقسمت تبعاً لذلك دول العالم إلى معسكرين متقابلين يتقاسمان النظر فى المسائل الدولية . وخلاصة القول أن مصير العالم الآن تتنازعه كتلتان : الكتلة الشرقية ومقاليدها بيد روسيا والكتلة الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة .. ويقف الميثاق بينهما .. فإذا ما أراد أحد الطرفين أن يأخذ بتطبيق نص فى الميثاق لم ينس أن هناك فى الجانب الآخر غريمه يتربص به الدوائر الأمر الذى جعل نظرات كل من الطرفين فى تفسير الميثاق مغرضة لا تتوائم مع التفسير الصحيح بقدر ماهى مشبعة بالحذر والشك من الطرف الآخر

ففى مسألة إيران قامت الكتلة الغربية بتطبيق مبادىء الميثاق خير تطبيق . فقالت : إن وجود جنود دولة أجنبية فى أراضى دولة عضو فى الهيئة مما يخل بمبدأ المساواة فى السيادة المنصوص عليه بين الدول . وقال مستر بيفن فى أثناء نظر المسألة أمام مجلس الأمن :

« إن الحكومة البريطانية لتأسف لأى اتفاق يبدو كأنه قد انتزع من الحكومة الإيرانية كرهاً فى وقت كانت فيه الحكومة السوفيتية لا زالت تحتل جزءاً من الأراضى الإيرانية فإنه لم يكن مستساغاً أن تجرى مفاوضات بين دولة عظمى ودولة صغيرة أو أن يشرع فيها أو أن تسعى فيها دولة عظمى فى الحصول على مزايا من دولة صغيرة متوسلة فى ذلك باحتلال أراضى هذه الدولة احتلالا عسكرياً »

(البقية فى العدد القادم)

عبد الحميد عثمان عبد المجيد
كلية الحقوق

ليلة الماشوش وليلة الكفشة

للأستاذ شكرى محمود أحمد

اختلف المؤرخون فى أصل لفظة الماشوش وضبطها كما اختلفوا فى نسبتها إلى طائفة معينة ونحلة مخصوصة . وقد نسبت هذه الليلة إلى النصارى كما نسبت إلى بعض أصحاب البدع من المسلمين ، فمن هذه الملل والنحل : النصارى والفرس والساسانية والقرامطة والبابكية والصفاة والمازرية والقلم حاجية والصابئة والزيدية والشبك والنصيرية والكاكائية ، وربما نسبت إلى غير هؤلاء . وسميت عند النصارى وبعض فرق المسلمين بليلة الماشوش ، وعرفت عند غيرهم بليلة الكفشة . وربما كانت هذه الليلة فى الأصل فارسية ثم انتقلت إلى غيرهم من الأقوام والمذاهب.

جاء ذكر هذه الليلة فى شعر أبى نواس وشعر ابن مقرب وشعر الفقيه عمر الأندلسى صاحب الموشحات ، وذكرها عدد كبير من المؤرخين كالبيرونى فى الآثار الباقية والشابشتى فى الديارات وياقوت فى معجم البلدان والعمرى فى مسالك الأبصار وصفى الدين بن عبد المؤمن فى مراصد الإطلاع والمقرى فى نفح الطيب والكتبى فى عيون التواريخ والبغدادى فى مختصر الفرق بين الفرق وغير هؤلاء الأعلام .

وأقدم من استعمل هذه اللفظة فيما وصل إلينا من النصوص التاريخية والأدبية هو أبو نواس فى القصيدة البهروزية ، وهذه القصيدة مثقلة بالغريب والألفاظ الفارسية والسريانية . قال فى بهروز المجوسى :

حانى وصل أبناء القسوس نجيب الفرس بهروز المجوسى
نقى فى الولادة عن مشوش ترخصه النصارى للقسوس[1]

قال أبو عبد الله حمزة بن الحسن الاصفهانى جامع شعر أبى نواس وشارحه فى تفسير كلمة مشوش : الماشوش لفظة سريانية ، ومعناها الاجتماع ، ويزعمون أن للنصارى ليلة يجتمع فيها العزاب من القسان والرهبان لافتضاض الأبكار ، والفرس يسمونها شب كامذاران «أى ليلة المذارى» ثم قال «والنصارى لا تعترف بذلك »[1] . فقد نص الاصفهانى على أن هذه الليلة للنصارى والفرس دون غيرهم من الطوائف ، وسماها أبو نواس والاصفهانى « مشوش » لكن الأب أنستاس الكرملى زعم أنها ليلة « الحاشوش » بالحاء المهملة ، وهذا خطأ منه ، وزعم أنها من وضع نصارى العرب ، ومعناها المتألم والمفمول والمنفعل ، ويشيرها إلى الجمعة التى تألم فيها المسيح أو جمعة الصلبوت[2] ، وهذا خطأ أيضاً .

وعندى أن هذه اللفظة مشتقة من الكلمة الأرمية «مشوشا» وهى اسم فاعل من الفعل « مَش » بمعنى مس ولمس وجس ، وهذا قريب من المعنى الذى ذكره حمزة الأصفهانى من اجتماع الرجال والنساء على الفجور .

وقد أخطأ الكرملى أيضاً فى قوله : أن البيرونى أقدم من ذكر هذه الليلة[3] وذلك لأن وفاة البيرونى كانت فى شهر رجب من سنة ٤٤٠ للهجرة ، بينما كانت وفاة أبى نواس على الترجيح فى سنة ٢٠٠ للهجرة ، ووفاة حمزة بن الحسن الأصفهانى شارح الديوان كانت على الترجيح فى سنة ٣٦٠ للهجرة لأنه ذكر فى آخر ما كتبه من تأليفه وهو كتاب « سنى ملوك الأرض والأنبياء » تاريخ جمادى الآخرة من سنة ٣٥٠ هـ وقال « وهو وقت الفراغ من إتمام هذا الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه »

ولكن النصارى ينكرون وجود هذه الليلة ويدعون أن كتاب المسلمين افتروها عليهم ، ونسبوها إليهم ، وألصقوها بهم وهم برآء منها . قال الأصفهانى « والنصارى لا تعترف بذلك[4] » لكن حبيب زيات شاء أن ينقل هذا النص بتحريف مقصود « قال والنصارى لا تعرف بذلك[5] »

(١) هذه القصيدة غير موجودة فيما طبع من شعر أبي نواس فى الدواوين ، وهى موجودة فى المجلد الثالث من ديوانه المخطوط فى المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٤٨٣١ ورقة ٣٤٧ وهي فى الأصل عشرون بيتاً ووجدتها مطبوعة فى كتاب الفكاهة والائتناس المطبوع فى القاهرة سنة ١٣١٦ ص ٧٨ ، ٧٩ .

(١) المصدر نفسه .
(٢) مجلة لغة العرب ج ٥ سنة ١٩٣١ ص ٣٦٨ .
(٣) مجلة لغة العرب ج ٥ سنة ١٩٣١ ص ٣٦٨ .
(٤) ديوان أبى نواس ج ٣ ورقة ٣٤٧ .
(٥) الديارات النصرانية فى الاسلام ص ٣٩٧ .

لكن الحوادث التاريخية والروايات الكثيرة تثبت على أن للنصارى ليلة عيد يجتمع الرجال فيها بالنساء ثم يطفئون الأضوية ويستبيح الرجال النساء ، وهذه هى المظان التى ورد فيها ذكر هذه الليلة .

١ — قال أبو نواس فى القصيدة البهروزية :

نقى فى الولادة عن مشوش ترخصه النصارى للقسوس

وقد مضى شرح كلمة مشوش فى أول هذا الموضوع .

٢ — قال الشابشتى فى الكلام على دير الخوات[١] « دير الخوات بعكبرا وهو دير كبير عامر تسكنه نساء مترهبات . . وعيده الأحد الأول يجتمع إليه كل من يقرب إليه من النصارى والمسلمين . وفى هذا العيد ليلة الماشوش ، هى ليلة تختلط فيها النساء بالرجال فلا يرد أحد يده عن شىء ، ولا يرد أحد أحداً عن شىء[٢] »

٣ — مثل هذا القول ما ذكره ياقوت فى معجم البلدان[٣]

٤ — جاء فى مراصد الاطلاع فى الكلام على دير الخوات « وفى هذا الدير ليلة الماسوس — وهو تصحيف — ثم يذكر هذه الليلة[٤] » .

٥ — جاء ذكر ليلة الماشوش فى كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار فى الكلام على دير الخوات[٥]

٦ — جاء فى دستور المنجمين « أنها ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم لطلب عيسى عليه السلام ، ثم يتهارجون كيف اتفق فى الظلام[٦] » .

٧ — ذكر البيرونى هذه الليلة فى كتابه الآثار الباقية قال « وأما ليلة الماشوش وهى ليلة جمعة زعم الذاكرون لها أنهم يطلبون فيها المسيح ، وقد اختلفوا فيها ، فبعضهم قال إنها ليلة الجمعة التاسعة عشرة من صوم إيليا ، وبعضهم قال إنها الجمعة التى صلب فيها المسيح وهى جمعة الصلبوت ، وبعضهم قال إنها جمعة الشهداء ، وهى بعد الصلبوت بأسبوع ، والترجيح للقول من بين الثلاثة الأقوال[١] »

فلا مجال إذن لنكران هذه الليلة وقد مر ذكرها فى هذه المصادر الكثيرة ، وربما جاء خبرها فى مصادر أخرى لم نقف عليها

ومن المؤسف أن هذه الليلة الأثيمة انتقلت إلى بعض أصحاب البدع من الفرق الإسلامية تحمل هذا الاسم نفسه فقد جاء فى المقريزى « لما استقام الأمر لقرمط أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ، ويختلطن بالرجال ويتقارن ولا يتنافرن فإن فى ذلك صحة الود والألفة بينهم[٢] »

وجاء فى ديوان ابن مقرب الميونى[٣] هذا البيت :

منا الذى أبطل الماشوش فانقطعت
آثاره وامحى فى الناس وانطمسا

وقال فى تفسير هذا البيت : الذى أبطل أبو شكر المبارك ابن الحسن بن أبى مقرب الميونى .

والماشوش بدعة ابتدعتها القرامطة فى البحرين وجعلوها ديناً لهم ، وهو أن يجتمع الرجال والنساء فى ليلة عندهم معلومة فى السنة ، ويشعلون الشمع ويقومون ويرقصون ويختلطون وفيهم أخوات الرجل وأمه وبناته وعماته وخالاته ، فإذا استكفوا من الرقص أطفأوا الشمع واختلطوا ، وقبض كل رجل منهم يد امرأة وواقعها إن كانت من محارمه أو أجنبية ، فحين ملك عبد الله بن على الميونى البحرين وصارت تلك الليلة ركب أبو شكر المبارك وركب معه غلمانه وهجموا على النساء فضربوهم وسلبوهم ومضوا هاربين . فصار رجل فيهم ضرير يقول « يا مولانا ! والله ما نحن فى شىء مما يضر بدولتكم إنما هذا مذهب نراه فى ديننا » فقال له الأمير : لئن اجتمع منكم اثنان على هذا الأمر لأعملن فيكم السيف لا العصا ، فأمات هذه العادة فى البحرين فما بقيت فيها تعرف[٤]

(١) تسمى أطلال هذا الدير اليوم « تل البنات »
(٢) الشابشتى ورقة ٣٧ ، ٣٨ .
(٣) معجم البلدان ج ٤ ص ١٣٧ .
(٤) مراصد الاطلاع ص ١٧٦
(٥) مسالك الابصار ص ٢٨٢ .
(٦) دستور المنجمين ص ٢٠ .

(١) الآثار الباقية ص ٣١١ .
(٢) المقريزى ص ١٠٥ .
(٣) ابن مقرب من رجال القرن السابع وديوانه مطبوع سنة ١٣١٠ هـ
(٤) المصدر نفسه .

وانتقلت هذه الليلة إلى المغرب وانتشرت بين جماعة الساسانية وذكرها الفقيه عمر الأندلسي صاحب الأزجال في قصيدة مهد لها بنثر وجمل من الجميع مقامة ساسانية قال :

أتذكر في سفح العقاب مبيتكم ثمانين شخصاً من أناث وذكران
وأطفأت قنديل المكان تعمداً وأومأت، فانقضوا كأمثال عقبان
وناديت في القوم : الوثوب فأسرعوا
فريق لذكران وقوم لنسوان

وفي أول هذه القصيدة يقول :

تعال نجددها طريقة ساسان نقص عليها ما تو الي الجديدان (١)

وأخذ بهذه الليلة البابكية وذكرهم السكتبي في الجزء الثاني من عيون التواريخ قال « بقي من البابكية جماعة يقال أنهم يجتمعون كل سنة هم ونساؤهم ، ثم يطفئون المصابيح وينتهبون النساء ، فمن وقعت في يده امرأة فهي له حلال ، ويقولون هذا الاصطياد مباح لهم لعنهم الله » .

وفي مختصر الفرق بين الفرق لعبد القادر البغدادي عن المازرية « لهم ليلة يجتمعون فيها على الخمر والزمر هم ونساؤهم ، فإذا أطفئت السرج استباح الرجال النساء » (٢)

وظهرت هذه البدعة في بلاد الشام عند قوم من أهل جبل السماق سموا أنفسهم بالصفاة قال ابن العديم في أخبار سنة اثنين وسبعين وخمسمائة « أظهر أهل جبل السماق الفسق والفجور وتسموا بالصفاة واختلط النساء بالرجال في مجالس الشراب لا يمتنع أحدهم عن أخته أو ابنته ، ولبس النساء ثياب الرجال »(٣) .

وتسمى هذه الليلة بين عامة أهل العراق اليوم ليلة الكفشة ، وهي أن يأخذ الرجل بناصية المرأة ليواقعها ، وهذه الليلة معروفة بين الكاكائية واليزيدية والنصيرية والشبك والقلم حاجيه ، ومن المؤرخين من ينسبها إلى الصائبة — صابئة البطائح — المعروفين في العراق بالصبة ، ولا أعرف نصيب كل هذا من الصحة لأننا نسمع ذلك شفاها من أفواه المعاصرين .

وفي بعض قرى العراق الشمالية في هذا العصر مذاهب كثيرة لهم أسماء مختلفة ، وتفنن في الفسق والفجور فتتخذ من الليالي التي تصادف مقتل الخلفاء والأئمة أو وفاتهم فيجتمعون خارج القرى رجالهم ونساؤهم على الشرب والزمر والرقص ثم يطفئون الأنوار ويكون بينهم ما يكون . . . وهؤلاء يتخذون القرى النائية على سفوح الجبال مقراً لهم ، ولا تزال حياتهم الاجتماعية غامضة لا يعرف من أمرهم إلا النزر اليسير .

وقد أخبرني بعضهم أن النصارى في عيد رأس السنة في هذا العصر يطفئون الأضواء في منتصف تلك الليلة مدة من الزمن ، فلا يرد أحد يده عن شيء من قبلة أو غمزة أو غير ذلك مما يسمح به الوقت ، فإذا كان هذا صحيحاً فهل يعتبر بقية من آثار ليلة الماشوش أو صورة منها .

شكري محمود أحمد
مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ٣٧ .
(٢) مختصر الفرق بين الفرق ص ١٦٣ .
(٣) زبدة الحلب في تاريخ حلب ص ١٩٣ .

الخـــلان والزمان (*)

بين أبي فراس والبارودي

للاستاذ محمد محمد الحوفي

(تتمة)

ويقرن أبو فراس الدهر بالخلان مكرراً ذلك في غير موضع : فهو يستنكر أن يعاتب أحداً ، لأن العتاب إنما يكون للأوفياء والناس كدهرهم غادرون :

مالى أعاتب مالى أين يذهب بى قد صرح الدهر لى بالمنع واليأس
أبغى الوفاء بدهر لا أنيس به كأننى جاهل بالدهر والناس

والدهر متحالف مع خلانه على الخيانة :

يادهر خنت مع الأصادق خلتى وغدرت بى فى جملة الإخوان

والأيام حية لبست ثوب ناصح :

تصاحبنا الأيام فى ثوب ناصح ويغتالنا منها على الأمن أرقم

ويكرر هذه الصورة فيقول :

تكاثرنا الأيام فيمن نحبه ويختلنا منها على الأمن أرقم

وفى أرجوزته الطردية ، يعرج على الدهر فيرميه بالجور والغدر:

ما أجور الدهر على بنيــه وأغدر الدهر بمن يصفيه

ولايزال الدهر يتمثل لأبى فراس فى كل شىء حتى فى عيادة سيف الدولة فقد أخرّه الدهر عنها :

لقـــد نافسنى الدهر (م) بتأخيرى عن الحضرة

ويزهو بكثرة حساده ، وحقد دهره عليه :

ولم أر مثلى أكثر الناس حاسدا كأن قلوب الناس لى قلب واحد
ألم ير هذا الدهر قبلى فاضلا ولم يظفر الحساد قبلى بماجد !

ولما كان هذا الدهر هو « صهيونية » أبى فراس الذى يبغضها وتبغضه ، وينازعها وتنازعه — رأى أن السلامة والسعادة هى النجاة من غوائل الدهر ، ولذا تراه يدعو لأصدقائه أن يقيهم الله صروفه فهـو يدعو لصديقه وقريبه أبى المشائر ، ألا يمسه الدهر بسوء فى أية حال :

لمـا يا أخى لامسك الدهر إنه هو الدهر فى حاليه بؤس وأنعم

ويدعو كذلك لقريبه أبى زهير بأن يوقى بلايا الدهر :

يا ابن نصر وقيت صرف الليالى وصروف الردى وكر الخطوب

(*) انظر العددين رقم ٧٣٦ ، ٧٣٩ من الرسالة

دهر البارودي

وكما نعى أبو فراس على دهره ، ينعى البارودى على دهره ؛ لأن البواعث متشابهة ، بل هى واحدة : فقد مات والد البارودى وهو فى السابعة من عمره فلما شبّ تلفت حواليه ليدفئ قلبه بحنان أبيه فلم يجده ، فهاج على دهره الذى غال أباه وما كان قد تملّاه .

وكان البارودى سليل المماليك وممتزاً بنسبه كأبى فراس ، وتربى فى المدرسة الحربية ، وطابعها السيادة والعزة يومئذ ، ولذا لم يكن يدخلها غير أبناء الطبقات الراقية ، فقوت هذه التربية الحربية نزعة الكرامة والاعتزاز فى نفس البارودى .

وشعر البارودى أنه فوق أقرانه بعبقريته الحربية : إذ هو أولى من أبلى فى حرب إقريطش ، وفى روسيا ، وسطع نجمه فى سماء القيادة الظافرة .

وأحس كذلك أنه عبقرى فى السياسة : فقد كان أثير الخديو وأمين سرّه ورسوله فى المفاوضات ، وتقلب فى مناصب عالية ، فكان مدير الشرقية ، ثم محافظ العاصمة .

وكذلك فى عهد توفيق عين مدير الأوقاف ، ثم ناظر الحربية مع الأوقاف عند ما ثار الجند على ناظر الحربية عثمان رفقى .

ولأمر ما وشى رياض باشا رئيس الوزارة إلى الخديو توفيق بأن البارودى يحابى الشعب ويؤثر مصالحه على مصلحة الخديو ، فاستقال .

ولما أسندت الوزارة إلى شريف — لم يقبل البارودى الاشتراك فيها حتى ألحّ عليه الخديو توفيق واستسمحه ، ثم استقال شريف ، فرأس البارودى الوزارة وفى هذا الحين قامت الثورة العرابية ، فكان من أمرها أن نفى البارودى مع المنفيين.

وكذلك أحس البارودى أنه عبقرى فى الشعر : إذ كان شعراء عصره أمثال الساعاتى ومحمود صفوت يتكسبون بشعرهم ، وكانوا يقلدون الشعراء المتأخرين فى تكلف المحسنات البديعية التى تنسيهم جمال المعنى ، ولم يبتكر هؤلاء الشعراء المعاصرون للبارودى جديداً ، أو يُحْيُوا من التراث الأصيل تليداً ولكن البارودى جاء فأحيا القديم ، وولد منه الجيل الكريم ، ولم يتكسب مثلهم بشعره ، فعزت منزلته فى نظر الناس وفى نظر نفسه

وبعد : فليس عجيباً أن أدرك البارودى سمو مكانته النسبية والحربية والسياسية والشعرية — أن تحدثه نفسه بأن يستولى على العرش حينما فكر الضباط فى خلع الخديو ، ولا سيما أنه سليل المماليك ، ملوك مصر السابقين .

وإليك هذه الأبيات التى اقتبستها من قصيدة له ، لترى فيها طمع البارودى فى أن يستعيد ملك أجداده :

لكننا غرض للشر فى زمن أهل العقول به فى طاعة الخمل

قامت به من رجال السوء طائفة
أدهى على النفس من بؤس على ثكل

من كل وغد يكاد الدست يدفعه بغضاً، ويلفظه الديوان من ملل

ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت
قواعد الملك حتى ظل فى خلل

وأصبحت دولة الفسطاط خاضعة بعد الإباء وكانت زهرة الدول

إلى أن يقول :

فما لكم لا تعاف الضيم أنفسكم ولا تزول غواشيكم من الكسل

وتلك مصر التى أفنى الجلاد بها لفيف أسلافكم فى الأعصر الأول

قوم أقروا عماد الحق واملكوا أزمة الخلق من حاف ومنتعل

فبادروا الأمر قبل الفوت وانتزعوا
شكالة الريث فالدنيا مع العجل

وقلدوا أمركم شهماً أخا ثقة يكون رده الكم فى الحادث الجلل

***

تلمس فى هذه الأبيات إشارة إلى ضعف الخديو واضطراب أمره ، ودعوة مستورة إلى أن يحل محله شهم أخو ثقة ، يريد البارودى نفسه ، ومن لها غيره ؟ وهو الحربى المظفر والسياسى المحنك والشاعر الأبى ، وهو بعد ذلك سليل المماليك ووارث ملكهم .

قلنا ما تقدم لنخرج منه إلى أن البارودى نشأ يتيما ، ولابد لليتيم أن يحقد على دنياه ، وكان سليل أسرة مالكة اندثرت ، فلا بد أن يذم الدنيا التى أدالتها ، وكان يتطلع إلى إعادة مجدها فلم يفلح ، فنقم على حظه ومماكسة زمانه . . وكان يثق بعبقريته الحربية والسياسية والشعرية ، ومع ذلك أهين كثيره فى الثورة العرابية ، ونفى نفياً قاسياً ، فجرح هذا العقاب عزته وكبرياءه ، فسب دهره الجائر .

وهل رأيت عند أبى فراس أسباباً للنقمة على دهره غير هذه الأسباب التى ذكرتها للبارودى أخيراً ، وسيخيل إليك لقوة الشبه بين الأسباب أننى سأعيد عليك شعر أبى فراس تحت اسم البارودى :

فكما كان الدهر حية رقطاء فى شعر أبى فراس ، يكون فى رأى البارودى ثعباناً لادغاً ، أو ذئباً مراوغاً ، وليس الدهر ملهاة أو ملعبة ، ولكنه أزمات وفجائع ، تبخل بالسعادة على المكدود ، وتجود على الوادعين الرقود :

ألا إنما هذى الليالى عقارب تدب وهذا الدهر ذئب مراوغ

فلا تحسبن الدهر لعبة هازل فما هو إلا صرفه والفجائع

ألا إنما الأيام تجرى بحكمها فيحرم ذو كد ويرزق وادع

ولا عهد للدهر ، يفتك بالآمن ، ويخرس القوالة اللسن :

إن الحياة وإن طالت إلى أمد والدهر قرحانُ لا يبقى ولا يذر

لا يأمن الصامت المصوم صولته
ولا يدوم عليه الناطق البَذِر

ولما كان الدهر فى رأى البارودى مقياس القوة والتأثير شبّه الشعر به فى رفع الوضعاء وإسقاط الشرفاء ، وتراه يكرر الدهر أربع مرات فى كل هذه الأبيات الأربعة :

للشعر فى الدهر حكم لا يغيره ما بالحوادث من نقص وتغيير

يسمو بقوم ويهوى آخرون به كالدهر يجرى بميسور ومعسور

صحائف لم تزل تتلى بألسنة للدهر فى كل ناد منه مهجور

لولا أبو الطيب المأثور منطقه ماسار فى الدهر يوماً ذكر كافور

وكأنما يريد البارودى بذلك أن يعلى الشعر على الدهر ، وأن يغيظ الدهر البغيض بما ينسبه للشعر وحده من فضل وفخر .

وكما يدعى أبو فراس ثباته أمام صدمات الدهر ، وأن عزيمته لا يمسها وهن أو كسر ، وكذلك لا يفوت البارودى هذا المعنى فيقول :

وإنى امرؤ تأبى لى الضيم صولة مواقعها فى كل معترك حمر

أبى على الحدثان لا يستفزنى عظيم ولا يأوى إلى ساحتى ذعر

إذا صلت صال الموت من وكراته وإن قلت أرخى من أعنته الشعر

ويقول وهو أضعف حماسة من سابقه :

فإن تسكن الأيام رنق مشربي ... وتلمن حدي بالخطوب الطوارق
فما غيرتني محنة عن خليقتي ... ولا حولتني خدعة عن طرائقي
ولكنني باق على ما يسرني ... ويغضب أعدائي ويرضي أصادق
فحسرة بعدي عن حبيب مصادق ... كفرحة بعدي عن عدو مماذق
فتلك بهذي والنجاة غنيمة ... من الناس والدنيا مكيدة حاذق

* * *

وكما تجلد أبو فراس أمام ريب الدهر ، ثم عاد فأبدى تخاذله وضعفه يعود البارودى كذلك بعد تشجعه وتأبيه ، فيستسلم للدهر ويقرر أنه اضطر إلى الصبر ، ولولا اللوم لهلع وجزع :

صبرت على ريب الدهر ... ولولا المعاذر لم أصبر

ويعزو إخفاقه إلى عجزه وتخاذل طاقته لا إلى جهالته :

فلا تحسبني جهلت الصواب (م) ولكن هممت فلم أقدر

ويعجب أن يرد الهرمان عوادى الدهر وفى هذا ما يشعر بتهيب البارودى له وحذره من نوازله :

سل الجيزة الفيحاء عن هرمى مصر ... لعلك تدرى غيب ما لم تكن تدرى
بناءان ردّا صولة الدهر عنهما ... ومن عجب أن يغلبا صولة الدهر

* * *

وكما لم ينس أبو فراس الدهر وأحداثه وهو حظ بلقاء حبيبته مشغول بمحادثتها فيقول :

فقالت لقد أزرى بك الدهر بعدنا ... فقلت معاذ الله بل أنت لا الدهر
وقلبت أمرى لا أرى لى راحة ... إذا البين أنسانى ألح بى الهجر
فعدت إلى حكم الزمان وحكمها ... لها الذنب لا تجزى به ولى العذر

فكما ترى فى هذه الأبيات أن أبا فراس أسلم نفسه لحكم زمانه وحبيبته ، واستكان لسطوتها وسطوته — ترى أن البارودى أيضاً خفض جناحيه لعينى حبيبته وخضع لجمالها كما خضع للدهر وقوته ، حيث يقول :

لها لفتة الخشف الأغن ونظرة ... تقصر عن أمثالها الفتكة البكر
ترد النفوس السالمات سقيمة ... وتفعل ما لا تفعل البيض والسمر
خفضت لها منى جناحى مودة ... ودنت لعينيها كما حكم الدهر

* * *

وكما اعتذر أبو فراس عن إخفاقه بأن الدهر حاربه وغالبه فقال :

تطالبنى بيض الصوارم والقنا ... بما وعدت جدى فى المخايل
ولكن دهراً دافعتنى صروفه ... كما دافع الدين الغريم المماطل

يعتذر البارودى كذلك بجبروت الزمان ، ودوائر الحدثان :

فإن كنت قد أصبحت فل رزية ... تقاسمها فى الأهل باد وحاضر
فكم بطل فل الزمان شباته ... وكم سيد دارت عليه الدوائر

وبعد فهذا الذى ذكرناه من دهريات البارودى قليل من كثير اتخذناه شاهداً على اتحاد الفكرة عند البارودى وأبى فراس اتحاداً عجيباً . وكأنما بعث الله فى البارودى روح أبى فراس ، .. فرجّعت ما قاله شاعر حمدان فيما قاله شاعر المقياس ، أو كأنما عاد التاريخ فصار زمان أبى فراس هو نفسه زمان البارودى وصار كذلك ناسه هم الناس .

محمد محمد الحوفى
معهد التربية العالى للمعلمين

رنـــين الذكرى

للأستاذ إبراهيم الوائلي

سلوها : أعند الليل سر لواجد
ولم يك إلا بعض وجدى وأسرارى ؟
وهل فى ائتلاق الفجر معنى بديعه   ولم يك إلا من خيالى وأفكارى؟
وهل عند هذى الطير ترجيع نغمة   ولم يك إلا من ترانيم قيثارى ؟
وهل صخب الأمواج فى كل ساحل
سوى رجع أنفاسى ورنة تهدارى ؟
وهل نسجت كف النسيم ملاءة   على الزهر إلا من روائع أشعارى ؟
وهل رجعت دنيا الغرام لشاعر   صدى وتر إلا تواقيع أوتارى ؟
أتراها لم تعد تذكر أيام اشتياق ؟
والأماسى على النهر ، وأنغام السواقى
وانسياب الموج ما بين رنين واصطفاق
وهى، والشاعر، والحب، وأحلام التلاقى

* * *

سلوها : أفى الدنيا أديب مروع   سوى شاعر ماخان عهداً لليلاه ؟
جفته وفى جنبيه لوعة هائم   أبى البعد إلا أن يضاعف بلواه
يئن وهل يجديه ترجيع أنة   وقد نسيت بنت الفراتين ذكراه
فيا نسمة الفجر الندية هدهدى   رؤاها بطيف المستهام ونجواه
ومرى عليها إن خطرت لعلها   ترق لما يشكو المحب ويلقاه
وقولى لها : ماخان عهدك شاعر   على النيل مشبوب الجوانح أواه
ذكريها حين كنا نبعث الأشواق لحنا
ونبنجوانا على النهر إذا ما الليل جنا
نشرح الحب أقاصيص فيروى الموج عنا
وهزار الروض إن أطرق هجناه فغنى

* * *

سلوها عن الحب القديم وعهده   ففى كل واد من غرامى ترديد
وعن ذكريات الشوق أيام نلتقى   وللنهر ترنيم وللنخل تأويد
وعن كأسنا الأولى وعن رشفاتها   بحيث الربى تزهى وللطير تغريد
وحيث الأمانى كالنسيم طليقة   لها فى ثنايا القلب خفق وتجديد
أبنت الفرات الحر جفنى عالق   بطيفك لو يرتاح للنوم مكدود
وهل يستجيب الطيف إلا لنائم
فكيف وملء الجفن بعدك تسهيد
كم سهرت الليل لا أرقب فى دنياه فجرا
وعلى صفحته الظلماء لا ألمح سطرا
هائماً كالطير قد ريع فلا يبصر وكرا
وعلى ثغرى أنات وفى قلبى ذكرى

* * *

أبنت الفراتين الحبيبين إننى   موزع أفكار ومهدود أوصال
أبيت وليلى أربد اللون قاتم   كليل سجين كبلوه بأغلال
ذكرتك حيث النيل غضبان ثائر   يجيش بآداب ويطغى بآمال
وحيث الشباب الحر ينبض قوة   لتحطيم أصفاد وتقطيع أنكال
وما مصر والتاريخ إلا مواكب   من المجد وثاب الخطا منذ أجيال
يطوف عليها النيل عذباً فتلتقى   جوانحها منه بأبيض سلسال
كم تحدثت إلى النيل وحومت عليه
ولكم رحت مع الطير أناجى ضفتيه
أقرأ الحب سطوراً لألأت فى شاطئيه
وأرى السحر كؤوساً عربدت فى شفتيه

* * *

أبنت الفراتين اذكرى عهد شاعر   تغنى ولولا سحر عينيك ما غنى
ولا تبخلى أن تستجيبى لطيفه   فطيفك حتى الآن ما زايل الجفنا
وهبتك قلباً لم يعد بين أضلعى   سوى وتر يشجى النفوس متى رنا
فما هذه الأنغام إلا بقية   من القلب فى نجواك ذوبتها لحنا
مقاطيع ما راقت لمثلى شاعراً   بعيد المنى لو لم تكونى لها معنى
فيا ليت دنيا الشعر والسحر والهوى
ونجوى ليالينا تعود كما كنا
أترى يرجع ما فات من العيش وراح ؟
ويعود البلبل الصداح خفاق الجناح
حسب أنغامى شجو وأنين ونواح :
وكفى أن يذهب العمر صراعاً وكفاح

(نزيل القاهرة)   ابراهيم الوائلى

تعقيبات

واجبنا في الجهاد الثقافي :

قام الخبير الاقتصادى المصرى فى السودان برحلة إلى بعض أرجاء الشطر الثانى من الوادى فكان مما لاحظه أن وجد المكاتب غاصنة بالمؤلفات الإنجليزية وأن هناك عناية مقصودة بتغذية السودانيين بتلك المؤلفات وبجميع الألوان الثقافية التى تصدر من لندن .. على حين وجد المؤلفات العربية التى تصدر فى مصر قليلة ، بل نادرة ، وأنه ليست هناك أية عناية فى تقديم ألوان الثقافة العربية المصرية إلى أبناء السودان ، مع أنها الثقافة التى تتصل بطبيعتهم وتلائم وضعهم وروحهم .

لم ينشر هذا الكلام فى الصحف ، وإنما حدثنى به « عليم ببواطن الأمور » كما يقولون فى لغة الصحافة ، ولست أدرى هل كتب الخبير الاقتصادى المصرى بهذا إلى الحكومة المصرية أم لا ، وعلى أى حال فانى أرجو أن نتدبر الأمر ، وأن نبذل له حكومة وشعباً وكثيراً من العناية ، لأنها ناحية ترتبط أشد الارتباط بما نجاهد له سياسياً فى دعم وحدة الوادى وجعل أبناء النيل كما خلقهم الله لحمة واحدة ، ونحن نعرف أن الانجليز يتخذون من الثقافة أداة استعمارية يفككون بها روابط الشعوب ، فهم يحاولون أن يغذوا أبناء الجنوب بثقافتهم حتى يكونوا بعد جيل واحد غرباء عن قومهم غرباء فى أوطانهم .

فن الواجب على وزارة المعارف فى مصر أن تتولى تنظيم هذا الأمر ، فتصدر إلى هناك الكتب والمؤلفات وتنشىء المكاتب لتوزيعها وتقديمها ، ولا بأس أن تتحمل الوزارة جانباً من ثمن المؤلفات حتى يستطيع أبناء السودان الحصول عليها فى يسر وسهولة .

هذا واجب على وزارة المعارف ، وهو واجب أيضاً على جميع الهيئات الثقافية فى مصر ، وعلى رجال الفكر والثقافة ، بل إنى أدعو إلى تأليف لجنة من رجال العلم والفكر تتولى العناية بهذا الأمر وتجمع التبرعات الوطنية لتنظيمه والاتفاق عليه .

وأقول الوطنية لأننا بإزاء عمل وطنى يجب علينا الجهاد له كما نجاهد فى ناحية السياسة .

فهيا قبل فوات الأوان ، وقبل أن يفرق الإنجليز بثقافتهم أبناء السودان ..

الاستشراق البريطاني :

قرأت فى الأنباء الخارجية هذا الأسبوع نبأ وارداً من لندن يقول إن ثمة « تعديلات ستحدث فى معاهد تدريس الآداب الشرقية بانجلترا حيث تزداد الرغبة ويشتد الإقبال على هذا العلم الذى لم يكن فيما مضى سوى ميل خاص واتجاه شخص عند بعض الأفراد من العلماء المستشرقين فكانوا يتجهون إلى دراسة علوم الشرق وآدابه استجابة لميلهم الشخصى ، أما اليوم فإن الحكومة البريطانية ترعى هذه الناحية وتشجعها وتبذل المال والمساعدات فى تنظيمها وتوسيع نطاقها كما أن الجامعات والمجامع العلمية تقوم من جانبها بجهد وافر فى هذا السبيل . »

« والفكرة فى الاستشراق الآن عند الحكومة البريطانية هى الوقوف على روح الشرق وتفهم سياساته وعاداته واتجاهاته حتى يكون المستشرقون على صلة متينة مع الأقطار الشرقية التى يتخصصون فى دراسة علومها وآدابها »

« ويتجه الرأى إلى ضم المجامع العلمية وتوحيد جهودها لخلق مركز عام ثابت فى لندن للاشراف على دراسة الآداب والعلوم والفنون وسائر ألوان الثقافة فى القارة الأسيوية ، وقد وضعت فعلا التقادير بما سيكون عليه هذا النظام واعتمد لذلك المال المطلوب .. »

ويقول النبأ « إن هناك لجنة ستعمل على توسيع مدرسة الآثار فى فلسطين وفى بغداد ، وذلك لتهيئة المعلومات اللازمة لعلماء بريطانيا فى العالم العربى ، كما أن هناك اقترحات لإنشاء مدرسة من هذا القبيل فى القاهرة تكون على اتصال وثيق بالمجمع العلمى المصرى ، ومن المحتمل إنشاء مدرستين مماثلتين فى إيران وتركيا .. »

تلك هى خلاصة ذلك النبأ الذى أذيع أخيراً من لندن فلم يلتفت أحد إليه ، ولم يحرك جارحة عند أبناء الشرق مع أنه على

جانب كبير من الخطورة ، لأنه يتضمن السياسة الثقافية التى رسمتها إنجلترا لنفسها نحو الشرق ، ويعلم الله أن إنجلترا لا يعنيها فى كثير ولا قليل الاهتمام بأرباب الشرق وعلومه إلا أن تجعل من ذلك وسيلة إلى غاية أخرى ، وهى الغاية التى يشير إليها ذلك النبأ والمقصودة بتوجيه الاستشراق إلى « تفهم روح الشرق والوقوف على سياساته واتجاهاته .. »

إنها لاشك خطة مدبرة لمعاونة السياسة البريطانية فى اتجاهاتها وإنها لاشك خطة مدبرة للسيطرة على الشرق من الناحية الثقافية وإنها لاشك خطة يعرف كل منا ما وراءها ، ولكن ماذا صنعت حكومات الشرق بإزاء ذلك ، وماذا صنعت جامعات الشرق وجماعاته لوضع سياسة ثقافية تقوم على التعاون والدراسة الشاملة النافعة حتى تقطع على الخطة الإنجليزية « الثعلبية » الطريق فيما تقصد إليه ؟ !

لقد تيقظ كل شعب وكل فرد ، فتيقظوا أيها القوم واتعظوا بما مضى من عبر ، واخرجوا من دائرة « الروتين » الذى كاد يخنقكم .

الكاتب المنشىء والكاتب الحاسب :

... وأعود إلى موضوع الكاتب المنشىء والكاتب الحاسب فأشكر لأستاذى الجليل السيد « السهمى » ما أفادنيه من زاخر علمه ، وللصديق الكريم الأستاذ « على » ما أمدنى به من وافر محصوله ، فوقفنى السيد الجليل على ما تضمنه « الامتناع والمؤانسة » من حديث عن تينك الصناعتين ، وأرشدنى الصديق إلى ما ورد فى « الفرج بعد الشدة » من قصة هى من هذا القبيل .

وقد كنت وقفت على هذا كله وعلى كثير من أشباهه وكنت أعرف أن « للتوحيدى » رسالة اسمها « رسالة العلوم » عرض فيها لهذه المسألة ، وفى « مقابساته » شذرات من هذا القبيل ، ولكنى اكتفيت بالإشارة إلى هذا فيما كتبت به إلى الدكتور زكى مبارك إذ قلت : « إن الفكرة فى الموازنة بين الكاتب المنشىء والكاتب الحاسب قديمة فى الأدب العربى . وتسبق الحريرى بأجيال وأزمان . والواقع أن الحريرى وجد مادة متوفرة لتلك المناظرة التى عقدها حتى الأوصاف التى خلعها على الكاتب المنشىء والأخرى التى وصف بها الكاتب الحاسب قد أخذها كلها عن الكتاب السابقين ، وليس له فيها من فضل إلا المقابلة والمزاوجة وإيثار السجع فى التعبير .. »

ولم أكن أقصد إلا تصويب ما قضى به الدكتور مبارك للحريرى من السبق فى ذلك ، حتى زعم أن « فكرته فى هذه الموازنة لم يسبقه إليها باحث من المسلمين » ، ولم أقصد إلى إيراد كل ما وقفت عليه من النصوص فى ذلك ، لأن المقام لا يتسع له ، ولأن الفكرة فى تلك الموازنة قد أصبحت فى هذا العصر « غير ذات موضوع » كما يقولون فى لغة السياسة ، وليس لما قيل فى هذا من قيمة إلا القيمة التاريخية ، إذ لا يخفى أننا اليوم نقدر لكل علم مرتبته ومقامه وقد انتهينا فى تقسيم العلوم وتقدير مراتبها إلى وضع جديد مغاير لما كان عليه السلفيون .

وبهذه المناسبة أذكر طريقة تاريخية ذكرها الشيخ الجبرتى فى تاريخه ، وهى أنه لما تولى على مصر أحمد باشا المعروف بكور قابله صدور العلماء فى ذلك الوقت وهم الشيخ عبد الله الشبراوى شيخ الجامع الأزهر والشيخ سالم النفراوى والشيخ سليمان المنصورى ، فتكلم معهم وناقشهم ثم باحثهم فى الرياضيات فأحجموا وقالوا لا نعرف هذه العلوم ، فتعجب ، ثم قال : المسموع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع الفضائل والعلوم وكنت فى غاية الشوق إلى المجىء إليها فلما جئتها وجدتها كما قيل : « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » ، فقال له الشيخ الشبراوى : هى يا مولانا كما سمعتم معدن العلوم والمعارف ؛ فقال : وأين هى وأنتم أعظم علمائها وقد سألتكم عن مطلوبى من العلوم فلم أجد عندكم شيئاً وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول والوسائل ، فقال الشيخ : إن غالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشىء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى علم الفرائض والمواريث وعلم الحساب .

وبعد مناقشة طويلة بين الوالى والشيخ دله على والد الشيخ الجبرتى وكان متحققاً بالعلوم الرياضية فوجد الوالى عنده ضالته فقربه إليه وصار يأخذ عنه مسائل تلك العلوم ؛ وكان يقول لم أغنم من مصر إلا اجتماعى بذلك الأستاذ ؛ وكان الشيخ الشبراوى كلما تلاقى مع والد الجبرتى قال له « سترك الله كما سترتنا عند هذا الباشا فإنه لولا وجودك كنا جميعاً عنده حمير . فرحم الله الجميع » إى والله هكذا ختم الجبرتى روايته بهذه العبارة ...

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

أحزبية في الأدب :

من بلائي أني أقرأ أكثر ما يكتب في هذه الأيام ، وخاصة ما يتعلق بالآداب والفنون . وقد وقعت أخيراً في مجلة « العالم العربي » على كلمة في كتاب « أبو الهول يطير » الذي ظهر أخيراً للأستاذ محمود تيمور بك ، بتوقيع (أنور المداوي — من الأمناء)

قال ذلك الذي هو من « الأمناء » بعد أن وصف ما كتبه تيمور في أول الكتاب عن فجيعته في ولده : « ولست أدري ما الذي دفع بيدي — وأنا في دنيا تيمور الحزينة — إلى كتاب « وحي الرسالة » لتقلب صفحاته حتى تقف بي عند صفحة تحمل عنواناً حزيناً هو « ولدي » ، لقد رحت أقارن بين الكلمات هنا وهناك فماذا رأيت ؟ رأيت البون شاسعاً بين آثار الفجيعة في الأديب المصنوع وأثرها في الفنان المطبوع » .

ومجلة العالم العربي كانت قد أعلنت ، بعد أن تنحى عنها الأستاذ سيد قطب ، أن سيشترك في تحريرها الأستاذ محمود تيمور بك ، ثم كتبت على غلافها « يشترك في التحرير : محمود تيمور بك » والمعروف عن تيمور أن مشاركاته في الصحف والمجلات لا تتعدى قصة أو مقالا يكتبه للصحيفة أو المجلة ، وليس الأمر إلا كذلك في علاقته بمجلة العالم العربي ، وقد فهم الناس بطبيعة الحال أنها ترمى إلى الاستعانة باسم تيمور ، فهل البون الشاسع بين أثر الفجيعة ... الخ - تحية لتيمور على حساب النيل من الأقدار !

أو أن البون الشاسع .. الخ بدوة من بدوات « الأمناء » وزفرة من زفراتهم الحرار التي تحتبس بين ضلوعهم من يوم أن ساق إليهم صاحب « دفاع عن البلاغة » قاصمة الظهر في كلمته البالغة الخالدة عند ما تعرضوا لكتابه في مجلة « الكتاب » ؟

ونعرف كثيراً من دوافع النقد في مصر ، ولكنا لم نعهد بينها أن جماعة تنتمى إلى البلاغة والأدب وتتسمى باسم أستاذها ، تضطغن على من يخاصمه هذا الأستاذ ، فتحاول النيل منه بالدعاوى المطلقة والقول الجذاف ، فأصبحنا بذلك أمام حزب كأحزاب السياسة ، يستعمل أدواتها في التشهير بالخصوم ..

ثم ما هذا الذي يقوله ذلك « الأمين » المداوي ؟ إنه يردد ما هرف به بعض العجزة المتخلفين ، إذ قالوا إن الأستاذ الزيات يصنّع في أدبه ، وهم يقصدون ما يتوخاه في كتابته من حسن الصياغة وجمال الديباجة وإجادة الرصف وإحكام النسج . ومن أعجب العجب أن يعاب الكاتب بهذه المزايا ، كأن الركاكة وضعف الأسلوب من أمارات العبقرية والنبوغ ! على أن الزيات يحلى أصالة الطبع ببراعة الصنعة ، وهو في كتابته كالرجل الأنيق المعنى بهندامه وزيه دون إسراف ولا تكلف ؛ وقد أجمل العقاد نعته بقوله : « أنيق في غير بهرجة ولا فضول ، بليغ في غير عسر ولا تكلف » .

على أن تيمور أخذ هو أيضاً منذ سنوات يميل إلى التنميق اللفظي ، وخاصة في هذا الكتاب « أبو الهول يطير » وهذا هو يقول في خطاب ولده في الفصل الذي وازنه الكاتب « الأمين » بمقال « ولدي » :

« تهتاج بين جوانحي رغبة متقدة في الكتابة إليك ، في مخاطبتك ... في فك الإسار عن نفسي التي تنتزي في القيود والأصفاد ! لقد أسكنت هذه النفس قمقما من قماقم « سليمان » وأحكمت سده بالرصاص ، وقذفت به في قاع المحيط ، هنالك تحت أعماق الماء ، حيث يتكدس الظلام والصمت طبقات فوق طبقات » فترى الصنعة بادية في هذا الكلام ، وهي جديرة أن تعد من عناصر الجمال الفني فيه ، فهل معنى ذلك أن تيمور أديب مصنوع ؟

إني لا أناقش هذا « الأمين » وهو لم يأت بدليل يناقش ولا حجة تدفع ، ولكني كنت مدرساً ، وأراني ، في هذا الوطن قد غلبت عليّ طبيعة المدرس ، فجنحت إلى الشرح وإيراد المثال يا بني ، إني آتيك بشيء من مقال « ولدي » فاسمع :

« كنت في طريق الحياة كالشارد الهيمان ، أنشد الراحة ولا أجد الظل ، وأفيض المحبة ولا أجد الحبيب ؛ وألبس الناس ولا أجد الأنس ، وأكسب المال ولا أجد السعادة ، وأعالج العيش ولا أدرك الغاية ! كنت كالصوت الأصم لا تُرجّعه صدى وكالروح الحائر لا يقره هدى ، وكالمعنى المبهم لا يحدده خاطر !

كنت كالآلة نتجتها آلة واستهلكها عمل ، فهى تخدم غيرها بالتسخير ، وتميت نفسها بالدءوب ، ولا تحفظ نوعها بالولادة ؛ فكان يصلنى بالماضى أبى ، ويمسكنى بالحاضر أجلى ، ثم لا يربطنى بالمستقبل رابط من أمل أو ولد ، فلما جاء (رجاء) وجدتنى أولد فيه من جديد » .

فهل رأيت يا بنى أبلغ من هذا فى التعبير عن حال رجل قلق حائر ينشد تجديد حياته بولد ؟

وهاك أثر الفجيعة فى الأديب « المصنوع » :

« إن قلبى ينزف من عينى عبرات بعضها صامت وبعضها معول ! فهل لبيان الدمع ترجمان ، ولعويل الثاكل ألحان ؟ إن اللغة كون محدود فهل تترجم اللانهاية ؟ وإن الآلة عصب مكدود فهل تعزف الضرم الوارى ؟ إن من يعرف حالى قبل رجاء وحالى معه يعرف حالى بعده ؟ أشهد لقد جزعت عليه جزعاً لم يغن فيه عزاء ولا عظة ! كنت أنفر ممن يعزينى عنه لأنه يهينه ، وأسكن إلى من يباكينى عليه لأنه يُكَبِّره ، وأستريح إلى النادبات يندبن القلب الذى مات والأمل الذى فات والملك الذى رفع ! » .

إن كلامك — يا بنى — يدل على أنك قرأت هذا المقال من قبل ، وأن له فى نفسك صدى من قديم ، ويلوح لى أنك ذو فهم ، ولكن تعصبك لجماعتك وتأثرك بجوها يغطيان على بصرك ...

ذكرى شوقى فى (الأوبرج) :

على أثر ما كتبناه فى العدد الماضى عن حفلة ذكرى شوقى المزمع إقامتها فى (الأوبرج) يوم ١٤ أكتوبر المقبل ، نشرت اللجنة المؤتلفة لتنظيم هذه الحفلة بيانا فى الصحف جاء فيه « أما الغرض من إقامة هذا المهرجان فهو تخليد ذكرى أمير الشعراء فعليا بإنشاء قاعة محاضرات باسم شوقى »

واللجنة ترد بذلك على ما وجه إليها من النقد الخاص بتسمير شهود الحفلة بأسمار (الأوبرج) العالية وما فى هذا من الاستغلال المادى لذكرى شوقى ، فاللجنة تقول إنها ستنشىء بما تنله الحفلة قاعة محاضرات باسم شوقى . وبطبيعة الحال لن تنل الحفلة ما يكفى لإنشاء هذه القاعة إلا إذا كانت حفلة (أوبرج) بمعنى الكلمة يشترك فى إحيائها فلان وفلانة كما نشرت بعض المجلات ، أى أن شوقى شاعر مصر الخالد الذى أوفدت البلاد العربية كبار شعرائها للاشتراك فى تكريمه بالأوبرا — سيحيى ذكراه فى آخر الزمن شكوكو وتحية كاريوكا ... !

ولم كل هذا الابتذال والإسفاف ؟ لإنشاء قاعة محاضرات باسم شوقى !

عندنا قاعات للمحاضرات كثيرة ، أعرضت عنها اللجنة وتأبى إلا إقامة الحفلة فى (أوبرج) الأهرام ... حيث تقام حفلات أجمل (مايوه) فى ضوء القمر ، وانتخاب ملكة الجمال ... فما دامت الأفكار قد تطورت إلى هذا الحد ، وأصبحت قاعات المحاضرت (مودة) قديمة .. فلم العناء بإنشائها وتجشم تكاليفها؟!

إن إحياء شوقى نفسه لا يبرر هذه المهازل ، فضلا عن تخليد ذكراه بقاعة محاضرات !

نفهم أن تقام فى (الأوبرج) حفلة لإحياء ذكرى «أسمهان» أما شوقى فمسرح الأوبرا يعرفه ، وقاعة الاحتفال الكبرى بالجامعة وغيرها ترحب بالاحتفال لاحياء ذكراه احتفالا يتمثل فيه الأدب الرفيع والفن المستقيم ...

البعثة الثقافية إلى السودان :

جرت وزارة المعارف فى السنين الأخيرة على دعم العلاقات الثقافية والأدبية بين مصر والسودان ، فأوفدت بعض الأساتذة لإلقاء المحاضرات ، وأنشأت مدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم كما أنشأت مدارس أولية فى جهات مختلفة

وشرعت الوزارة فى استئناف هذا النشاط فى هذا العام ، فأعدت بعثة تتكون من ثمانية أساتذة بعضهم من الجامعة والبعض الآخر من رجال الوزارة ، ومعهم ثلاثون طالباً من طلبة معهد التربية العالى للمعلمين ومعاهد المعلمين الابتدائية ؛ على أن تكون مهمة الأساتذة إلقاء المحاضرات ببعض العواصم السودانية ، ويزور الطلبة مختلف الأماكن هناك . وكان المقرر أن تسافر هذه البعثة فى خلال سبتمبر الحالى ، وأرسلت الوزارة إلى وكالة حكومة السودان بالقاهرة تطلب حجز أماكن لسفرها من الشلال إلى الخرطوم ... وما كان أشد دهشة الوزارة عند ما تلقت من هذه

الوكالة أن الحكومة السودانية لا تسمح بسفر هذه البعثة إلى السودان « نظراً لتوتر الحالة السياسية ! » ولا تزال الجهات المسئولة تبحث هذه المسألة وإن كان قد غطى على أهميتها بيان حاكم السودان بالنيابة الذى تضمن الإصرار على تنفيذ الخطة التى ترمى إلى فصل السودان عن مصر وانفراد الانجليز بحكمه .

والواقع أن الإنجليز ينظرون إلى دعم الصلات الثقافية والأدبية بين شقى الوادى بعين القلق والخوف ، لأن الثقافة العربية الإسلامية المشتركة هى الروح التى تسرى فى « نخلة الوادى » من جذعها بالجنوب إلى جريدها وسعفها بالداتا ، وإخواننا فى الجنوب يقرؤون المؤلفات والصحف والمجلات المصرية بشغف عظيم ، وتعمل الحكومة السودانية جاهدة على نشر اللغة الإنجليزية هناك بمختلف الوسائل ، فلغة الحكومة انجليزية ، والتعليم فى المدارس بالإنجليزية فيما عدا اللغة العربية ؛ ورغم كل ذلك يهتم السودانيون بالدراسات العربيـة اهتماماً كبيراً ، ولكثير من الأساتذة المصريين الذين زاروا السودان وحاضروا فى نواديه أطيب الذكر وأجل الأثر .

فلا عجب أن يخشى الإنجليز خطر البعثات المصرية إلى السودان وإن كانت ثقافية ، بل إن الرابط الثقافى أفعل من الدعاية السياسية فى هدم سياستهم الاستعمارية .

توصيات المؤتمر الثقافى :

اختتم المؤتمر الثقافى العربى بلبنان أعماله فى اليوم العاشر من سبتمبر الحالى . وقد وزعت قرارات المؤتمر التى اتخذت بإجماع الآراء ، ومن أهم ما جاء فيها خاصاً بالتربية الوطنية وجوب بث الروح الوطنى فى نفوس النشء ، وأن يعد الوطن هو الوطن المحلى ، ثم الوطن الكبير الذى يضم الدول العربية ، وأن تكون الدراسات الاجتماعية أساساً لتدريس التربية الوطنية على أن يشمل هذا الأساس إبراز الاتصال الجغرافى التام بين البلاد العربية والتدليل على الدور الخطير الذى قامت به الدول العربية على ممر العصور فى إنشاء الحضارات وتقدم الإنسانية ، والتوسع فى إبراز دور الامبراطورية العربية ، وأن العروبة لم تكن يوماً لدين ما ، بل هى أمانة فى عنق كل عربى ، وأن التعصب لم يعرف فى البلاد العربية إلا فى العصور التى حكم فيها الأجانب

ومن القرارات الخاصة بالجغرافيا ، العناية بجغرافية الوطن المحلى ، ثم جغرافية البلاد العربية واتخاذ قدر مشترك يختاره كل قطر عربى ، وإقامة رحلات بين مختلف الطلبة العرب ليطلعوا عملياً على جغرافية البلاد العربية

ومن القرارات الخاصة بالتاريخ العناية بالتاريخ الوطنى المحلى وصلاته ببقية الأقطار العربية ، ثم تتسع الدراسة على ضوء القدر المشترك من التاريخ العربى وإبراز أبطاله وأمجاده ، والتبسط فى الصلات التاريخية بين البلاد العربية وإظهار أثر الحضارة العربية فى الحضارة العالمية ، وتمجيد الأحداث المظيمة ، وتخليد ذكرى عظماء الشرق العربى سواء بإقامة التماثيل لهم أو تسمية الشوارع بأسمائهم ، وضرورة اتخاذ الطريقة العملية فى دراسة التاريخ .

وقد قدمت هذه التوصيات بعد موافقة اللجان عليها من هيئة المؤتمر العامة للادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، لتعرضها على مجلس الجامعة ، فإذا أقرها أصبحت توصيات لكل بلد عربى أن يأخذ بها بالقدر الذى يرتضيه .

ويلاحظ القارئ أن هذه القرارات أو التوصيات لا تشمل اللغة العربية ، وهى من موضوعات المؤتمر مع التربية الوطنية والجغرافيا والتاريخ ، وقد ترامى إلينا أن القرارات التى أذيعت هى التى وافقت عليها اللجان بإجماع الآراء ، ولم يتم ذلك فيما يختص باللغة العربية .

« العباس »



ذلك نصيبي من التبعة

إني رويت ما وجدت ، ففي ذلك المؤلف في التصوف : « مالك بن أنس » لا (أنس بن مالك) وقد فاتني تحقيق الاسم هناك وضبطه غير فاطن له ، وربما حال دون الفطنة — الفكر وقتئذ في غيره ، وقد يشغل شيء عن شيء ، ولست أجهل إذ أقول هذا القول أن العلماء لا يقبلون مثل هذه المعاذير . ولما أصلح قاضينا الفاضل إصلاحه وأيقن أني أنا الذي تصرف في أسماء الناس وأزمانهم مقدماً ومؤخراً ... حكم أن ذلك الخطأ (سبق قلم) تهويناً للخطب ، وقوله هذا هو من عناية القاضي(١) التي لا تذم . وقد فهم قراء (الرسالة) الفضلاء الألمعيون من نص الحكم ما فهموا . فنصيبي من التبعة — والقصة هي هذه — هو ما أعلنت ، ولغيري قسمته ...

السهمي

يا سيدي : أستغفر الله ، أنت إمامنا ، وبفقه (الإمام) يقضي القاضي ، فإن أهديت إليك فمن عطائك ، وإن أطرفتك فبعض حبائك ... أطال الله بقاءك مرجعاً للأدب ، وذخراً للعرب .

علي الطنطاوي

فعلاء الحائرة :

منذ خمس سنوات كتب الأب أنستاس ماري الكرملي في عدد الرسالة (٤٧٥) وما بعده يخطئ وصف الجمع بفعلاء المفرد ، ويؤكد أنه ليس في الفصيح من الكلام إلا الوصف بفعل المجموع ويسوق الآيات (كأنه جمالة صفر) . (ويوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً) . (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) . (ويلبسون ثياباً خضرا من سندس) . (عاليهم ثياب سندس خضر) ويبني على من يقول : كريات حمراء ، وكريات بيضاء (لأن القول بفعلاء في مثل هذا الموطن لا يجوز البتة ، ولأنه غلط شنيع فظيع ، تلمنه الإنس والجن ، وملائكة السماء ، وأهل النار جميعاً ! !) ولأنه (كفر نحوي عربي لم تنطق به العوام ، ولا الأعاجم ولا الأروام) وحجته (أن الآيات القرآنيـة ، والأحاديث النبوية الصحيحة الرواية ، والمسموع من كلام فصحاء العرب وبلغائهم هي أحسن شاهد) وقد عارضه حينذاك جماعة من الكتاب ممن لم يأخذ أخذه ، ولم يجر في غباره فكان له الفلج عليهم ...

ومضى الزمن على هذه المعركة إلى أن جاء الأستاذ الفاضل محمد سليم الرشدان فكتب في العدد (٧٣٥) من الرسالة الغراء ينبه على هذا الخطأ ، في قول الكاتبة الفاضلة السيدة منيبة الكيلاني : الأروقة السوداء ، فرد عليه أستاذ العربية في هذا الزمان الباحث العبقري (السهمي) في العدد (٧٣٧) ، وقد بدا لي بعد أن قرأت كلمته أن أوجه إليه استفهاماً يجلو هذا الأمر ، غير أني آثرت حتى يكتب الأستاذ الرشدان فأنظر ماذا يكون جوابه ؟ وقد كتب فكان جوابه بالموافقة على ما أورد العالم الجليل إمام العربية الأكبر ، فرأيت أن الأمر لا يزال في حاجة إلى إيضاح ، ذلك أن الأستاذ السهمي أورد نقولا لا تنهض في وجه ما ذكره الأب أنستاس ، فهو :

(أولا) يحتج بكلام أبي العلاء المعري ، وكلام ابن جني ، وقول صاحب الكشاف ، وكل هذا ليس بحجة ، لأن الذي يعوزنا هو شاهد عربي فصيح من كتاب أو سنة ، أو أثر عربي خالص (ولا يهمنا بعد ذلك ضوابط النحاة ، وقواعد الصرفيين وآراء اللغويين ، وتحكمات المتأولين وأرباب الأحكام العربية ، لأنهم لم يستقروا جميع قواعد اللغة المضرية ، وبيدنا شواهد لا تحصى تدل على نقصان ضوابطهم وتتبعاتهم واستقراءاتهم) كما يقول الأب الكرملي ، على أن أستاذنا السهمي لم يعتمد على شيء من ذلك وإنما نقل عن قوم لم يقل أحد بأن ما ينطقون به يجري في العربية مجرى القواعـــد ، أو يكون حجة لمن يحيد عن نهج العرب الفصحاء

(ثانياً) قول أبي العلاء (فألزمني بذلك حقوقاً جة ، وأيادي بيضاء) لا يبعد أن يكون فيه تحريف من الناسخ ، وأن الأصل كان (أيادي بيضا) ، ومثل ذلك يمكن أن يقال فيما نقل عن

(١) في (مجمع الأمثال) للميداني : عناية القاضي خير من شاهدي عدل . قلت : شاهدي مضاف وعدل مضاف إليه هنا لا صفة ، ويجيء العدل وهو مصدر وصفا للجميع ، ويجري مجرى الوصف الذي ليس بمصدر فيجمع ويثنى ويؤنث

صاحب المخصص ، على أن الوصف بمثل سوغ أن يجيء ما بعده مفرداً . وأما قول أبى العلاء فى رسالة النيح (وكم فى أديم الخضراء ، من أشباح مضيئة زهراء) فذلك مالا خلاف فيه ، وقد ذكر هذه المسألة الأب أنستاس ، فقال فى العدد (٤٨٥) (إذا أشير إلى الجمع المكسر بضمير مفرد مؤنث لكونه لغير العاقل أو جاور (فعلاء) وصف مفرد مؤنث يصح أن يكون للمفرد وللجمع على السواء ، فأنت مخير فى أن تنعته بفعل أو بفعلاء ، تقول قنا خطية ملد ، وقنا خطية ملداء لأنك تصف تلك القنا بأنها خطية وبأن هذه الخطية ملد أو ملداء) ، وقال فى العدد (٤٨٦) يرد على بعض من جادله وأورد له كلام الزوزنى (وله فارسية خضراء) أى دروع فارسية خضراء يقول (فهذا كلام لا غبار عليه ، لأن خضراء هنا مجاورة لفارسية ، وفارسية كلمة مؤنثة وإن كان معناها يدل على جمع لأنها عائدة إلى (دروع) ومن الطريف أن نذكر أن الأستاذ الجليل السهمى أشار فى هامش كلمته إلى أن شارح ديوان الحماسة أورد هذه الكلمة مفردة مع جمع ، ولعله أراد هذه الكلمة السابقة عن الزوزنى ، وأن الأب أنستاس بعد أن قال ما نقلته آنفاً قال (ثم من هو الزوزنى ، وأبو الزوزنى ، وجد الزوزنى ، بجانب نص القرآن ، والأحاديث النبوية الصحيحة ، وفصيح كلام البلغاء من العرب ؟)

(وبعد) فإنها لفرصة طيبة أن يقول إمام العربية فى هذه الكلمة ، ولقد تمنيت أن يكون الكرملى حياً حتى نشهد عراكا لغوياً بين عقلين كبيرين ، وأنا ما أردت ببعث هذا البحث القيم إلا أن أقف ويقف قراء الرسالة على الحجة القاطعة التى نرجو أن يطالعنا بها (السهمى) فإن ما ذكره الأب أنستاس ماري الكرملى لا يزال صحيح الأديم ، ناصع الحجة ، موثق البنيان .

على العمارى
المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

أكان معاوية كاتب وحى ؟

جاء بصفحة ٧٥ من كتاب أبى الشهداء للأستاذ العقاد « كذلك ينبغى أن نذكر حقيقة أخرى فى هذا المقام ، وهى أن معاوية لم يكن من كتّاب الوحى ، ولم يسمع عن ثقة قط أنه كتب للنبى شيئاً من آيات القرآن الكريم » وفى صفحة ٢٨ من عبقرية الصديق بصدد حديث الأستاذ عن بعض جوانب عظمة النبى الكريم « واتخذ معاوية كاتب للوحى » فأى القولين أصح ؟ وما هى الحقيقة التى تؤيدها الأسانيد التاريخية ويعتمدها ثقاة العلماء وجهابذة الرواية ؟

على ابراهيم الشربلى
المحامى

بوابة المتولى

نشرت مجلة مسامرات الجيب فى العدد ١١٣ مقالا تحت عنوان « عقائد يشترك فيها الجهلة والمثقفون » جاء فيه هذه العبارة « ... وذلك كاعتقاد العامة فى بوابة المتولى وهى لا تخرج من كونها بوابة من بوابات سور القاهرة سميت باسم الوالى على مصر » .

وللحقيقة والتاريخ أقول أن إطلاق هذا الاسم « بوابة المتولى » على أحد أبواب القاهرة لا يرجع إلى اسم وال تولى ولاية مصر بل إن هذا الاسم إنما هو نسبة إلى متولى الحسبة أو المحتسب . وكانت مهمة المحتسب هى النظر فى الأمور التى تتعلق بالنظام والأمن العام فكان أشبه مايكون بوزير الداخلية فى يومنا هذا .

هذا بجانب أنه كان للمحتسب الإشراف التام على الأسواق يراقب الأسعار ويقاوم الغلاء وجشع التجار ويصادر الأطعمة التى يتطرق إليها الفساد حرصاً منه على الصحة العامة .

ولقد أطلق اسم المتولى على هذا الباب من أبواب القاهرة فى العصر العثمانى وذلك يرجع إلى أن متولى الحسبة فى مدينة القاهرة كان يجلس على مقربة من هذا الباب .

وقد كان متولى الحسبة أو المحتسب عادة شخصية محبوبة من سكان القاهرة لأنه كان يعمل على توفير الأقوات ومقاومة الغلاء ولا شك أن لهذا أثره فى معيشة العامة والسواد الأعظم من أهل القاهرة . وهذا مما جعل الألسنة تلهج فى الغالب بالشكر والدعاء له والصدور تكن له ضروب التقدير والاحترام ، وكان هذا التقدير والتبجيل مما دعى السذج من عامة سكان القاهرة إلى الاعتقاد أن المتولى ملك يهبط من السماء ويقف على هذا الباب فيحل المشاكل والعقد . وهكذا انتقل متولى الحسبة من عالم التاريخ إلى عالم الأسطورة ...

شفيق أحمد عبد القادر
طالب بكلية الآداب بجامعة فؤاد



القبلة ...

للقصصي الاسباني (بلاسكو إيبانيز)

بقلم الأديب فؤاد الونداوى

كان فى أحد السجون — ولنغفل ذكر اسمه — مجرم خطر شرس الطبع غليظ القلب فظ الخلق . ومع أن الإنسان لا يأمل أن يجد فى مثل هذه الأماكن أناساً ورعين يشيع الصلاح فى نفوسهم ، فإن بين الأربعمائة سجين الذين ضمهم ذلك السجن ، كان هذا السجين أكثرهم صلفاً وأشدهم شراسة .

نعته القوم باسم « الذئب » وكان قد قارب الستين من عمره، صرف اثنين وأربعين عاماً منه فى غياهب السجون . فهو منذ شب افتتح حياته بالتنقل من سجن إلى آخر تارة بتهمة السرقة، وطوراً بتهمة القتل وما إلى ذلك من جرائم .

ولئن حاولنا أن نعدد الجرائم التى ارتكبها والآثام التى اقترفها، لشق علينا ذلك . وحسبنا أن نقول بأنه كان قد حكم عليه آخر مرة بالسجن مدة هى أضعاف ما تبقى له فى جعبة الزمن من عمر ، فقد كانت جريمته الأخيرة من أفظع الجرائم وأشدها قسوة ووحشية.

كان وحشاً كاسراً يميل إلى الأذى ويجنح إلى الشر لأتفه الأسباب . ولذلك تحاشاه نزلاء السجن ولم يجرؤوا على الإقتراب منه ، ولكم ركل غير مرة كل من دنا منه ، أو وخزه — على الأقل — بابرة الحياكة التى لا تفارق يده ، فقد كانت حياكة القفافيز مهمته التى تشغله عن كل شىء حواليه .

كان وحشاً ضارياً ، وهو فى وحشيته أشد بطشاً من أولئك القتلة المتعطشين لشرب الدماء ، الذين يحاكون أشرس الكواسر طبعاً وأفظع السباع فتكا .

ولقد اعتاد « الذئب » أن يمضى الأيام والأسابيع ، جالساً فى قاع السجن ، منهمكا فى العمل الذى بين يديه ، وقد انكب عليه بكليته ، فانحنت هامته بعض الشىء من جراء ذلك الإنكباب وكان يكسو رأسه شعر أسود فاحم لم يخطه المشيب ، أما لحيته — التى تركها موظفو السجن وشأنها دون قص ولا تهذيب — فقد كانت كثة شعثاء وكانت عيناه مخيفتين يتطاير منهما الشرر ، ونظراته مفزعة مرهبة تنذر أبداً بالويل والوعيد .

وكان قوى الجسم — رغماً عن بلوغه العام الستين من حياته — مفتول الساعد ، ذا عقل قوى طالما كان مصدراً لرعب الناس وقلقهم

كان دائماً صامتاً ساكناً ، لا يتحدث إلى أحد ، ولا يشارك السجناء فى فكاهاتهم وهزلهم السافل . وكان صمته هذا يبعث بالمهابة والخوف فى قلوب الجميع ، فكان إذا ما رفع بصره وألقى نظره على بعض من حواليه ، ازور هؤلاء بوجوههم عنه ، ورفعوا أبصارهم إلى السقف ، كيلا تلتقى عيونهم بنظراته النافذة المرعبة

وحدث أن تقلد إدارة السجن حاكم جديد ، تحدث القوم عن صرامته وشدة بأسه ، وأوغل البعض فى المبالغة فى وصف حزمه وقساوته ، فطفق السجناء يرمقون الذئب بنظرات شزرة ذات مغزى دفين ، واسترسلوا فى تمتمة خافتة دون ما داع أو سبب

وكان للحاكم الجديد بنت صغيرة جميلة تدعى « أدورا » لم تتجاوز الخامسة من عمرها . وفى أحد الأيام اصطحبها أبوها إلى السجن ، للتفرج على المساجين ، وبينما كان أبوها يقوم بتوزيع الأرزاق على المساجين ، كانت هى تمرح بينهم غير هيابة ولا وجلة تتحدث إليهم بلباقة ورقة ، وتوزع بينهم ابتساماتها العذبة وكلماتها الرقيقة . وكان المسجونون يضحكون لها ويبشون فى وجهها ، وكان بعضهم يرجوها فى أن تشفع له عند أبيها ، بينما لم يتورع البعض الآخر من تعنيفها بقارص الكلام وفاحش القول

وفى زاوية قصية فى السجن ، انتبذ الذئب مكاناً ، وقد أسند ظهره إلى الحائط — بعد أن ترك نصف طعامه إلى جانبه مهملا — واستغرق فى الحياكة بسرعة تدير الرأس .

كان رأسه متدلياً إلى أسفل ، عندما اتجه إليه الحاكم وابنته ولم يرفعه حتى أصبحا على قيد خطوات منه ، فاكتفى بأن حدجها بنظرة من زاوية عينيه . وهمت الطفلة أن تقترب منه فمنعها أبوها فبادرته قائلة:

— أريد أن أدنو منه وأنظر إليه ! فأجابها أبوها بصرامة :

— لا . إنه جد خطر . . إنه مجرم أثيم . . حذار يا بنيتى أن تقتربى منه فقد تصيبك ضربة من يده ...

— أنظر يا أبتى ! انظر إليه . . انظر كيف يحدجنا بنظراته أواه إنه يحوك قفازاً كذلك »

— هو يفعل ذلك دائماً . . لقد حذرنى الحاكم السابق منه

وقال إنه شديد الخطر وقد أمضى معظم حياته فى السجون ، وله فى هذا السجن ثلاثون عاماً » فشهقت الطفلة وقالت :

— ثلاثون عاماً ؟! أواه ! إنه مسكين ... يا له من مسكين !»

وما كاد الذئب يسمع كلمة (مسكين) حتى رفع بصره وعلق عينيه بوجه الطفلة دون أن يتوقف عن الحياكة . وأراد الحاكم أن يصرف ابنته عن هذا الموقف ، ولكنها اندفعت فجأة مسرعة نحو الذئب وهى تهتف : إننى ذاهبة لأقبله » ثم أقدمت على ذلك فى الحال ، فاقتربت من الذئب وطبعت على وجهه قبلة بريئة دون اشمئزاز وخاطبته برقة : إليك هذه القبلة ، ولا تكن مجرماً بعد اليوم ! »

وارتاع الذئب من هول هذه المفاجأة الغريبة ، وكاد يصعق، ولكنه استطاع أن يحبس صوته . فندت من حنجرته آهة تشبه الحشرجة أو هى شبيهة بجرس ذلك الصوت الذى يخرجه الأخرس عندما يحاول الكلام فلا يقدر عليه . وغادر الحاكم وابنته المكان وقبل أن يدركا الباب المؤدى إلى غرفة الحاكم ، التفت المجرم إليهما وشيعهما بنظراته . ومرت الظهيرة وتلتها الأمسية فدلف الذئب إلى زاويته وكأنه وحش يعود إلى وجاره . وتقضت أيام وأعقبتها شهور، والسجن هادىء لا يوحى مظهره بشىء يسترعى النظر . وفى يوم

وفى يوم من أيام « يوليو » هاج البحر وماج ، فاصطخبت أمواجه وكان يسمع لها دوى هائل وصفير مزعج يصم الآذان فى داخل السجن ، فهاج السجناء وشرعوا يحاكون العاصفة بصخبهم وضجيجهم ، وتعالت أصواتهم تعلن التمرد والاستنكار، ثم حل وقت الغذاء فأضربوا عن تناول الطعام ... وأخيراً انفجرت الثورة التى حيكت مؤامرتها فى الخفاء ، وارتفعت أصوات الثائرين فى قاع السجن من كل جانب : فليسقط الرؤساء ... فليسقط الحاكم ... » وهب الحاكم مذعوراً ووثب من غرفته كالنمر المصور ، بعد أن أغلق الباب على ابنته لكيلا تلحق به فتتعرض لسوء ، ثم اتجه إلى ساحة السجن ولكنه ما كاد يدخلها حتى اعترض طريقه وجهاً لوجه ثلاثمائة سجين ، كانوا قد تسلحوا بملاعقهم الخشبية بعد أن سنوا أطرافها ، فندت حادة تبلغ من الأجسام ما تبلغه منها المدى والدبابيس . فشهر الحاكم مسدسه فى وجوههم وأطلق عياراته الستة على المتمردين ، وبينما كانت الرصاصة السادسة والأخيرة تغادر فوهة المسدس ، شاهد غولا حقيقياً مخيفاً ، رجلا أشعث الشعر أغبره كبير الرأس أشبه شىء برأس الدببة ، وهو يناديه بصوت مرتفع: لا تخف ! أنا قادم لنجدتك » .

وأقبل الذئب نحو الحاكم مسرعاً ، فأمسكه من وسطه وقذف به إلى الحائط ، ثم وقف أمامه يحميه بجسمه الضخم من ضربات الثائرين ، وما عتم أن أشهر بيمناه سكيناً لم يعلم أحد من أين أتى به ، وصار يواجه بها الأعداء ويرد ضرباتهم ويطعنهم طعنات نجلا يحسن تصويبها ، فتعدد الصرعى وكثر المصابون وأخيراً خف الحرس لنجدة الحاكم ، وبعد أن انتهى الشغب وساد الهدوء وعادت السكينة وخرج الحاكم سالماً ، سقط الذئب مجندلا على الأرض مثخناً بجراحه ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة . فحمله الحرس إلى مخدع الحاكم وأرقدوه على فراش وثير كان أول فراش اضطجع عليه طيلة عمره البائس .. تمدد الذئب هناك وطفق يدير بصره حوله بلهفة ظاهرة كمن يفتقد شيئاً عزيزاً . وظل مستلقياً على الفراش وهو بين الحياة والموت ، حتى مثل الحاكم أمامه ، فقال بصوت خافت يتضوع أسى ، وهو ينظر إلى ملامح الرجل الذى أنقذ حياته بيده : الطفلة ! الطفلة .. وفطن الحاكم إلى قصده ، ثم فكر ملياً فأدرك السبب الذى حمل الذئب على أن يذود عنه بنفسه ويحميه بجسمه. أجل! إنها القبلة التى دفعته إلى هذا حتماً ! وهرول الحاكم إلى الغرفة التى حبس فيها ابنته ، وقد نسى أن يفتحها بعد انتهاء العاصفة ، فألفى الطفلة تصرخ وتستغيث ، فطوقها بذراعيه وضمها إلى صدره ، وذهب بها إلى الغرفة التى تمدد فيها الذئب وهو يعانى آلام النزع الأخير وكان الذئب يحدق فى الفضاء ، ويرسل نظراته الشاردة ذات اليمين وذات الشمال ؛ إنه لا يزال لديه متسع من الوقت لكى يرى فيه ذلك المخلوق الوحيد الذى حنا عليه ورق له ، لم يزل له من الوقت ما يكفيه لأن يقول لذلك المخلوق المحبوب : أخرى . أجل ! قبلة أخرى ! » رفع الأب ابنته بين ذراعيه ودنا بها من الذئب وسمع الحاضرون صوت قبلة تردد صداها المنغوم فى أرجاء الغرفة . قبلة ملائكية من شفتى طفلة ، طبعتها على ذلك الوجه المغضوض الذى جارت عليه عوادى الدهر وصروف الحدثان ووسمته لمنة المصائب والأهوال بميسمها الذى لا يمحى. وعندما قدم القس ، وأخذ يرتل صلواته أدعيته ، وقد حمل بيديه الزيوت المقدسة ، كان الحاكم والحراس قد جثوا على ركبهم ، أمام الجثة فى خشوع، وقد غشى المكان صمت رهيب . وكانت الطفلة ترتل — بإيعاز من أبيها — بصوتها العذب الطاهر الحنون : أى أبانا الذى فى السموات .. ليتقدس إسمك وليقدم ملكوتك .. »

فؤاد الهنداوى

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات فى الرسائل البرقية

إن الاعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى بأجمعه هو دعاية هامة واسعة النطاق وقد هيأتها المصلحة للمعلن الذى يرمى إلى رواج أعماله وللتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته .

وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذه الرسائل زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيهاً مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنيهاً وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيهاً فضلا عن تخفيض معين فى المائة إذا بلغ المراد نشره مليوناً أو أكثر من الاعلانات

انتهزوا هذه الفرصة ولا يفوتكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل .

ولزيادة الايضاح اتصلوا : —

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — محطة مصر

مطبعة الرسالة

العدد ٧٤٣ — الاثنين ١٩ سبتمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٠٢٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 743
Lundi — 29 — 9 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٧٤٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ ذى القعدة سنة ١٣٦٦ — ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

« سـياسة » أرسطو

للأستـاذ عباس محمود العقاد

السياسة غير كما يقولون

ولكن « سياسة » أرسطو شيء لا يتغير على الزمن ، لأنها تقوم على عمل عقل كبير ، وقد تتغير النظم ، وتتبدل الدساتير ، وتختلف الحكومات ، ويتفاوت الحاكمون ، ويبقى العقل الإنسانى فى عمله دراسة صالحة لكل عقل ، وميداناً فسيحاً لكل مشغول بثمرات العقول

وكتاب أرسطو فى السياسة هو الكتاب الثالث من كتب هذا الفيلسوف العظيم ، التى زفها إلى المكتبة العربية رائد السياسة الديمقراطية فى هذا الجيل ، وأستاذ كتاب مصر فى مطلع القرن العشرين ، العلامة العامل فى شبابه وشيخوخته ، صاحب المعالى أحمد لطفى السيد باشا ، مد الله فى عمره ، وهيأ له من الوقت والصحة ما يعينه على إتمام عمله والاحتفاظ بهمته وجهده

ولا وجه للمقابلة بين مترجمات أرسطو إلى العربية من قبل ومترجماته إليها على يد العلامة الجليل

لأن ما ترجم من أرسطو إلى العربية قبل اليوم إنما هو مقتبسات أو مرويات فى حكم المقتبسات ، تصرف فى نقلها إلى هذه اللغة أناس مشكوك فى علمهم باليونانية ، مقطوع بجهلهم لأسرار العربية ، منصرفون إلى غير الفلسفة أو قاصرون عن التوفر عليها ، فلولا فطنة فلاسفة الإسلام ، أو اطلاعهم على أرسطو فى لغته الأصيلة ، لما وصل إلينا من فلسفة أرسطو هذا النصيب الذى سجلته الثقافة العالمية لثقافة العرب والإسلام .

أما هذه الكتب الثلاثة التى ترجمها الأستاذ الجليل — وهى كتاب الأخلاق ، وكتاب الكون والفساد ، وكتاب السياسة فهى أول شيء يسمى ترجمة للمعلم الأول بمعنى الترجمة الصحيح ، وهى تعريف لقراء العربية بهذا الفيلسوف يضارع ما تهيأ للأمم الأوربية من العلم به فى مجال هذه الدراسات . لأنه تعريف يجمع الشمول إلى التدقيق من جانب المترجم الكبير ، ويؤلف ما تفرق من المقتبسات والمرويات فيقيمها بنية كاملة ، تحيا بأعضائها ، ولا تخفى بأشلائها ، بين الصحائف والأضابير .

وقد اعتمد لطفى باشا فى نقل كتاب السياسة ، كما اعتمد فى نقل الكتابين الآخرين ، على ترجمة « بارتلمى سانتهيلير » أستاذ الفلسفة فى « كوليج دى فرانس » ووزير الخارجية الفرنسية فى وقت من الأوقات ، واعتمد كذلك على مقدمته فنقلها بجملتها ولم يشأ أن يضيف شيئاً إليها من عنده ، وهى فى اعتقادنا تستدعى الإضافة إليها لسببين : أحدهما أن « سانتهيلير » قد ذكر فى مقدمته أن رجل الفكر لا يتجرد كل التجرد من أحوال زمانه وبيئة قومه ، وكان هو نفسه مصداقاً ظاهراً لصحة هذا الرأى الذى لا شك فيه ، فكان فرنسيا قبل كل شيء فى

تدليله وإدلاله بقسط الأمة الفرنسية من ترقية المعارف السياسية والنظم الحكومية . مع أنه قنع بالقليل من حوادث عصر أرسطو التى لها مساس بشخصه وتوجيه ذهنه وشعوره ، فلم يذكر منها الكثير الذى لا غنى للقارئ عن ذكره فى هذا المقام .

والسبب الثانى الذى كان يطمعنا فى مقدمة للكتاب بقلم علامتنا الجليل أن العربية لها كلمة تقال فى فلسفة أرسطو على الإجمال ، لأنها شغلت العرب زماناً طويلا وشغلوا بها أبناء الأمم الأخرى زماناً أطول . وليس أحق من لطفى باشا بأن يقول هذه الكلمة ، وهو يحيى عهد أرسطو فى الشرق العربى من جديد ، ويتكلم باسم جامعة مصر التى تولاها فى صباها ، وباسم النهضة الفكرية التى سايرها منذ نشأتها الأولى .

ويبدو لنا أن الأستاذ الجليل قد حرص غاية الحرص على نصوص الترجمة الفرنسية ، فأتى بها حرفاً حرفاً وكلمة كلمة فى تركيب أسلوبها وترتيب جملها ، ولم يسوغ لنفسه أن ينقل الكلمات والمعانى إلى الأسلوب المعهود فى كلام العرب ، محافظة منه على الأصل الفرنسى فى لفظه ومعناه .

مثال ذلك قوله : « وعنده أن كائناً لا يخصص إلا لغرض واحد . لأن الأدوات تكون أكمل كلما صلحت لا لاستعمالات متعددة ، بل لاستعمال واحد . وعند المتوحشين المرأة والعبد هما كائنان من طبقة واحدة . والسبب فى ذلك بسيط ، وهو أن الطبع لم يجعل بينهم ألبتة من كائن للآمرة . فليس فيهم حقاً إلا من عبد ومن أمة . ولم ينخدع الشعراء إذ يقولون : أجل للاغريقى على المتوحش حق الآمرة ... »

ومثال قوله فى المقدمة : « فقد استطاع أن يجد بين تخالف الخلق الأدبى للناس وبين تخالف أنواع الحكومات المشابهات الأظهر ما يكون والأحق ما يكون ... »

وتقاس على ذلك أمثلة كثيرة فى سائر فصول الكتاب

والذى نلاحظه أنه لم تكن ثمة ضرورة لالتزام النص الحرفى فى ترجمة سانتهيلير لأن الكتاب إغريقى فى لغته الأولى ، ولأنه هو نفسه لم يلتزم نص الكتاب الإغريقى إذا صح ما تأدينا إليه من معارضة الترجمة على الترجمات الإنجليزية المختلفة . فقد حذف بعض الكلمات من أوائل الفصول ، ونقل بعضها على غير معناه الذى يدل عليه السياق . ومن ذلك مثلا أن الترجمة العربية تقول عن الرجل والمرأة :

« ... من الضرورى اجتماع كائنين لا غنى لأحدهما عن الآخر ، أريد أن أقول اجتماع الجنسين للتناسل ، ليس فى هذا شىء من التحكم »

ولا أثر لكلمة التحكم فى ترجمة من الترجمات الإنجليزية الثلاث ، فباركر — عمدة المترجمين — يترجمها بالقصد intention ووليام أليس يترجمها بالاختيار Choice وجويت يترجمها بالغرض Purpose وبين هذه المعانى جميعاً وبين معنى التحكم فرق فى الدلالة له شأنه فى كتاب عن الحكم والحكومات

وقد ترجمت السيادة التى تفرض للاغريقى على البربرى بالآمرة . وهى فى تقديرنا لا تؤدى المعنى الذى ذهب إليه أرسطو حين أراد أن يكون الحاكم إماماً أو زعيماً للاغريق وسيداً للفرس والبرابرة . فإن علاقة الآمرة هى علاقة آمر بأمور ، وهى قد توجد بين الإمام والمأموم وبين الزعيم وتابعيه ، وهى غير العلاقة بين السيد والمسود

ومن خطأ الطبع فيما نظن ما ورد فى الصفحة الثالثة والتسعين عن سكاكين ولف ، وهى السكاكين الدلفية كما هو معلوم .

كذلك نظن — من مقابلة الترجمة العربية — أن سانتهيلير لم يلتزم الحرفية فى التفرقة بين معانى العدل المختلفة فى الكتاب ، وهى معانى الأنصاف أو القسط والعدل والناموس فيما نؤثر لها من ترجمة قياساً على النسخ الإنجليزية ، وتقابل فى اليونانية Dike و diakasterion و Nomos على ما جاء فى الترجمات الإنجليزية التى أسلفنا الإشارة إليها

* * *

فإذا صح ما قدرناه من التزام النسخة العربية لنصوص سانتهيلير ، فقد كان الأستاذ الجليل فى حل من هذا الالتزام ، وفى حل من التقيد بترجمة واحدة فى اللغة الفرنسية ، وهى على ما نعتقد قد اتسعت لغيرها من الترجمات

على أن هذا التصرف كله لا يحجب عنك معالم أرسطو الواضحة من عبارات الترجمة الفرنسية كما نقلت إلى اللغة العربية ، فيخرج منها القارئ فى غير شك وهو يشعر أنه قد تابع أرسطو فى تفكيره ومنهجه وتفصيل معناه فى جميع ما توخاه .

ونلاحظ غير ما تقدم أن اسماً واحداً قد يترجم بلفظين، كترجمة «پرسيا» بإيران في الصفحة الخامسة والعشرين، وترجمتها بفارس أو الفرس في مواضع أخرى من الكتاب، وهي الترجمة الصحيحة لما كان متداولا على ألسنة الإغريق من تسمية الفرس الأقدمين.

***

وقد يسأل سائل: ما لنا وسياسة أرسطو اليوم وقد طرأ علينا في العصور المتتالية من حوادث الأمم وضروب الحكم وعبر التاريخ ما لم يكن يخطر لفلاسفة اليونان، ولا لفيلسوف في الزمن القديم، على بال!

وقد يقال في جواب ذلك أن الزمن — في الواقع — لم يغير كثيراً من جوهر الآراء التي أثبتها أرسطو في كلامه على طبائع الشعوب وما يلائمها من الحكام والدساتير، ولم يغير كثيراً من جوهر القواعد التي بنى عليها تخريجاته في التفرقة بين أنواع الحكومات أو وظائف السلطات أو أسباب الثورات، وأن قيمة الكتاب التاريخية لا يتطرق إليها الشك إذا جاز الشك في قيمته السياسية عند تطبيقه على الوضع الحديث.

ولكننا ندع هذا الجواب ونستغني عنه لأننا نستطيع أن نقول مقالا لا تكثر اللجاجة فيه، وذاك أننا ها هنا أمام ظاهرة عقلية يقل نظيرها في تواريخ بني الإنسان، وأن علماء اليوم، وعلماء الغد إلى آخر الزمان، لا يستكثرون شد الرحال إلى أقصى المعمور ليدرسوا طبيعة حشرة من هوام الأرض، ويستكنهوا حقيقة كائن حي من أحقر الكائنات، فلو مضى القياس على هذا لما كان كثيراً على إنسان أن ينطلق إلى المريخ ليرى عقل أرسطو يتحرك في دخيلة عمله ويسلك سبيله إلى أسرار الحقائق فيبلغ منها غاية ما ترتقي إليه عقول البشر جميعاً، وهو في زمانه لا يتلق معونة ما من أدوات البحث الحديثة، ولا يعتمد على ركن ما من أركان العلم الحديث.

وأي عقل هو عقل أرسطو هذا الذي نراه في دخيلة عمله وحركة تفكيره وبحثه؟ هو عقل لا يفاق عليه إن لم يكن هو أكبر العقول.

ليس بالكثير على كشف خبايا هذا العقل أن نرحل إلى المريخ لنظفر بسره، لو كلفنا الكشف عنه هذه الرحلة، واستطعنا قضاء هذا التكليف.

وعلامتنا الكبير لم يكلفنا بحمد الله الذهاب إلى المريخ، ولا الذهاب حتى إلى أرض يونان وهي في العدوة الأخرى من بحر الروم!.. بل حمل إلينا هذه الذخيرة قريبة منا ناطقة بلساننا، مهيأة لأفهامنا، فأهون ما تستحقه من جهد أن نطلع عليها ونستزيده منها، ونرجو له دوام القدرة على إمداد هذه اللغة ببقية هذا الكنز الثمين، لأنه كنز لم تخل من ذخائره كلها — غير لغتنا العربية — لغة من لغات الحضارة في هذا الجيل.

عباس محمود العقاد

إعـــلان حرب !

للأستـــاذ علي الطنطاوى

كانت برهة ما بين الحربين ، امتحاناً لنا ، معشر العرب ، واختباراً لعزائمنا ، وقد خرجنا من هذه المحنة ناجحين مظفرين وأثبتنا أننا لم نضع إرث الجدود ، ولم نفقد عزة الإسلام ، وأنه لا يزال فى عروقنا دم الأجداد ، ولا تزال فى قلوبنا عزائمهم وأرينا الدنيا كلها أن استماتة المحق تغلب قوة المبطل ، حين حاربنا ونحن شعوب عزل جيوش الدول التى انتصرت فى الحرب الأولى وسكرت بخمرة الظفر ، وحسبت أنها شاركت الله فى ملكه ، وزاحمته على سلطانه ، فقابلتها شراذم منا ، مالها سلاح إلا سلاح الحق وما تنتزعه أيدى عدوها ، وثبتت لها وأرهقتها عسراً من أمرها ، حتى لانت لها ، أو نزلت على مطالبها : حاربنا الإنكليز فى شوارع مصر ، وفى سهول العراق ، وفى ربوع فلسطين ، وحاربنا الفرنسيين فى جنان دمشق ، ورحاب حماة ، وشعاف الجبل وحاربنا فرنسا وأسبانيا معاً فى سوح الريف الأقصى ، وحاربنا الطليان فى طرابلس ، وثرنا على الغاصب فى كل بقعة من أرض العرب ، وما خليناه ليلة من إزعاج ، ولا أرحناه ساعة واحدة ، ولكن كنا نحارب شعوباً لا حكومات ، أما حكوماتنا فكانت علينا مع عدوها وعدونا ، حتى استقر فى أفهام الشعب أن حكومته خصم له ، وحتى صرنا فى الشام إذا أثرنا ثورة أو سيّرنا مظاهرة ، أعملنا سلاحنا فى إخواننا من رجال الشرطة ، كما نعمله فى خصومنا من الفرنسيين ومن كان يناصرهم علينا وقت الثورة من المغاربة والشراكسة والأرمن والسنغاليين ، وحتى كدنا نفقد على طول المدى ، توقير الأنظمة ، وتقديس القوانين ، لأنها من عمل الأجنبى وعمل عبيده ، لا يضعونها إلا لمصالحهم ، وضمان منافعهم إلى أن كان حادث مايو سنة ١٩٤٥ وجُنّ الفرنسيون الجنة الكبرى فأبوا إلا أن يظهروا ديمقراطيتهم ... وعدالتهم ... ومبادىء ثورتهم ... دفعة واحدة ، فضربوا المدينة الآمنة بقنابل الطيارات ، وقذائف المدافع ، من القلاع المنصوبات على الجبال ورموا بالنار ، الأطفال فى المدارس ، والمرضى فى المشافى ، والمحبوسين فى السجون ، وأحرقوا البيوت وهدوها على أهلها ، وقتلوا رجال مصلحة الإطفاء الذين جاؤوا ليطفئوها ، وفعلوا كل ما يليق بحضارتهم وتاريخهم وأمجادهم . . ولا ينتظر غيره منهم .

هنالك رأينا ، أول مرة ، رجال الشرطة والدرك يقاتلون معنا ويدافعون عنا ، ورأينا الرؤساء والوزراء فى صفنا ، يحملون ما حملنا ، وينالهم ما نالنا ، فذكرنا ، وقد طالما نسينا ، أنهم إخواننا ، وأنهم منا .

ولبثنا من ذلك اليوم ، نرى الأدلة متتابعة متتالية ، على أننا قد استقللنا ، ونزح العدو عنا ، وجلا عن أرضنا ، وصار حكامنا منا ، لا أقول إن الحكومات قد صلحت حتى ما نجد لها فساداً ولا نلقى منها ضرراً ، كلا ، ولا خلص رجالها من أوضار هذا الماضى ، ولا أزالوا آثاره ، ولا يمكن أن تزول فى أربع سنين وقد لبث الغاصبون وأعوانهم ، يثبتونها ويبنونها ، دائبين على بنائها عاملين على تثبيتها ، خمساً وعشرين سنة ، ولكن أقول ، أننا (أخذنا) ننزع من نفوسنا تلك الصورة السوداء للحكومة ونفسل عنها صبغة العداوة التى كنا نراها مصبوغة بها ، ونعيد إلى أفهامنا توقير الأنظمة والقوانين ، لأنها (بدأت) تصير من صنع أيدينا ، و(شرع) واضعوها يفكرون فى وضعها لمنفعتنا ، وضمان مصلحتنا ، لا لمنفعة الوزراء الحاكمين ، ولا لمصلحة الغرباء الغاصبين

ثم تتالت الآيات والدلائل ، وكانت جامعة دول العرب ، وكانت المقاطعة القانونية للصهيونيين ، وكان اجتماع ملوك العرب ورؤسائهم ، وكانت رحلة النقراشى إلى أمريكا ، وقوله فيها ما أجمعت الكلمة على أنه لا يقول أكثر منه خطيب متحمس ، ولا مؤرخ حكيم ، ووجد فيه كل مصرى ترجماناً عن أفكاره ، ومعبراً عن مقاصده ، وكان موقف فارس الخورى من قضية مصر ، موقفاً سر كل عربى فى الدنيا ، وكانت فتنة سوريه الكبرى ، وكان رأى الحاكمين فى الشام والمحكومين جميعاً ، ورأى الدول العربيـة كلها (إلا مملكة الأردن) واحداً فيها ، ثم كان هذا الحادث العظيم الذى عقدت له هذا المقال ، والذى سيعقد عليه فى تاريخ العرب ، فصل مترع بالفضائل والأمجاد ، والذى سيكون مواد (الشرق الجديد) كما كانت هذه الحرب الماضية مصرع (العرب العتيق) ... والأيام دول والدهر

ميزان ، فما ترجح كفة إلا لتطيش ، وما يرتفع طائر إلا ليهبط ولقد أشرقت من الشرق شمس الحضارة ، من مصر وبابل والشام، ثم مالت إلى الغرب ، إلى يونان وروما ، ثم عادت تطلع من الشرق مرة ثانية ، من المدينة ودمشق وبغداد والقاهرة ، ثم مالت إلى باريس وبرلين ولندن ، وهذا يوم ثالث ، قد أوشكت أن تشرق شمسه على هذا الشرق ، فينفض عنه غبار المنام ، ويهب ... لقد انقضى الليل ، وأذن المؤذن من ذرى لبنان ... من اللجنة السياسية للدول العربية ، التي قرر فيها رجال مسؤولون ، لا أدباء متحمسون ، وأعلنوا بلسان حكوماتهم ، إنهم سيحلون عقدة فلسطين ومصر ، كما حل الإسكندر عقدته المشهورة : بالسيف !

هذا هو الحادث العظيم ، وقد قرأ القراء تفصيله في الصحف فما أعيده عليهم . . . وهذا أول الجد ، وهــذا الذي كنا نتمنى بعضه فلا نصل إليه ، ونطلبه فلا نجده ، وهذا الدليل على أننا استقللنا ، وعلى أن حكوماتنا منا وإلينا ، وأنها تنطق بألسنتنا ، وأن هواها هوانا ، وأنه لم يبق في رجالها من يصانع عدواً ، أو يخافه ، أو يتزلف إليه . وأن جيوشنا لنا ، تسالم من سالمنا ، وتعادى من عادينا ، وتذود عن بلادنا ، وكل بلد عربي بلد العرب كلهم ، وكل عدو له عدو لهم ، وكل قضية له قضية لهم .

***

إننا نغفر لحكوماتنا ، بهذا الموقف ، كل ما لقينا منها في السنين الخوالي ، ونعده إسلاماً منها بعد كفر ، والإسلام يجب ما قبله ، فليحسن إسلامها ، ولا يكن كلمة تقال باللسان : إنها قد أعلنت الحرب في الخارج ، فلتعلنها في الداخل ، لتمنع المدد عن عدوها ، فما في الدنيا عاقل يحارب عدواً ويدفع إليه ماله ليقوى به على نفسه ، وولده ليربيه على كرهه ، ولتبحث عن الثغور التي تذهب منها أموالنا إليهم ، فتسدها . بالمقاطعة الاقتصادية ، لا بإلقاء المواعظ للترغيب فيها ، والخطب للحث عليها ، لا ، فهذا كلام فارغ ، ولكن بالقوانين الصارمة ، والعقوبات الشديدة ، كما حرمت معاملة الصهيونيين بقانون ، وحدت لهــا الحدود الرادعة ، والعقوبات المانعة .

وبذلك ترتقى صناعتنا ، وتجود أخلاقنا ، لأننا سنضع ما نستطيع صنعه مما نفقده بالمقاطعة ، ونصبر عن باقيه ، وقد صبرنا مدة الحرب عن كثير من الضروري ، وتصبر إنكلترا اليوم عن الخبز المشبع في سبيل وطنها ، ولا تقول شيئاً ، فهلا في مثل هذا قلدناها ؟

على أن في بلادنا (أعنى في بلاد العرب) كل ضروري ، ولا نفقد بهذه المقاطعة إلا قليلا من وسائل الترف ، مما يضر ولا ينفع .

ولتضع الحكومات العربية القوانين الصريحة بإغلاق كل مدرسة أجنبية ، إنكليزية أو فرنسية أو أمريكية ، وإلا ذهب عملنا هباء ، وكان عبثا ، وأخرجت هــذه المدارس من أبنائنا أعداء لنا ، وأعواناً لعدونا ، كما وقع في الشام ، حين تولى ضرب دمشق رجل عربي أبوه شيخ ، اسمه علاء الدين الامام ، عليه لعنة الله

فإذا صنعت ذلك كان علينا ، أن نعلن الهدنة بيننا وبينها ، ونكف في هذه الأيام عن معارضتها ، لنتعاون جميعاً على حرب عدونا وعدوها ، وكان على كل شاب في بلاد العرب كلها ، وكل شيخ ، وكل امرأة ، أن يعلم أنه جندي في هذه الجبهة وأنه يجب عليه أن يعمل فيها شيئاً : يمشى إلى القتال ، إذا جدّ الجدّ ، وجاءت ساعة القتال ، وكان قوياً قادراً ، أو يبذل الفضل الزائد من ماله إذا كان من أصحاب المال ، أو يحارب بقلمه وبلسانه ، إذا كان من أصحاب الألسنة والأقلام ، وعلى كل واحد منا ، وعلى كل واحدة ، أن يحرم على نفسه كل شيء أجنبي ، فلا يأكله إن كان مأكولا ، ولا يشربه إن كان مشروباً ، ولا يمسّه إن كان طيباً ، ولا يلبسه إن كان ثوباً ، ولا يقرؤه إن كان كلاماً ، ما لم يكن علماً خالصاً ، أو أدباً إنسانياً صرفاً ، ولا يتداوى به إن كان عقّاراً ، ما لم يكن مضطراً إليه ولا يجد ما يسد مسدّه ، ولا يرسل ابنه إلى مدرسة أجنبية ، ولا يدعه يذهب في السياسة والاقتصاد مذهباً أجنبياً ، وأن نمحو أسماءهم من شوارعنا وميادينا ، ونطمس ذكرهم من مدارسنا وبرامجنا ، إلا ببيان حقائقهم ، وهتك السُتر الخادعة عنهم ، وأن نداوى نفوسنا من هذا السل القاتل الذي هو احتقار نفوسنا ، وتعظيم الغربيين ، وأخذ كل ما يأتى منهم أخذ الضعيف ، وأن نوقن أننا أقوياء حقاً ، أقوياء بماضينا

ورثة فلسطين :

حجج تاريخية

للأستاذ نقولا الحداد

استأذن حضرة الدكتور جواد علي أن أعلق شيئاً على مقاله القيم في عدد ١٥ سبتمبر من الرسالة تعليقاً يضيف حججاً إلى الحجج التاريخية ضد ميراث اليهود من فلسطين .

ذكر حضرة الدكتور « أن أسفار التوراة الخمسة الأولى المنسوبة لموسى نزلت على موسى إذ لم يكن موسى قد دخل فلسطين

وأمجادنا ، وبما تركنا في الدنيا من أثر خيّر نبيل ، وأقوياء بعَددنا وبعزائمنا ، وبأن الحق معنا ، وأن البلاد بلادنا ، وأن فلسطين لنا ، لن يغلبنا عليها ، (شحاد) صهيوني ، ولا محتال انكليزي ، ولا لص أميركي ، لا والله ولا الجن ولا العفاريت ، إننا والله سنمضي إليها على كل سيارة وكل قطار وكل دابة ، ونمشي على أقدامنا إن عز الظهر ، ونملأ إليها كل طريق ، ونسلك إليها كل سبيل ، حتى نترعها رجالا ، إن أعوزهم السلاح ، فما يعوزهم النبل ولا الإقدام ، رجالا لا يحبون الحياة الذليلة ، ولا يهابون الموت الشريف ، ولا يتزحزحون ولا يريمون ، ما دام في صدورهم قلوب تخفق ، وفي صدورهم نَفَس يطلع وينزل .

***

فيا أيها الحاكمون ، يا من صرخوا من قمم لبنان هذه الصرخة المدوية ، اثبتوا واعلنوا الحرب ، إذا لم تعطوا الحق إلا بالحرب : حرب الكلام وحرب المال وحرب الدم والسنان ، وسيّروا جيوشكم ، فنحن وراءكم ، ونحن أمامكم ، ونحن معكم ، ما نحن للجزيرة ، ولا نحن لهذا الماضي ، ولا نحن لمحمد ، إن وقفنا أو ارتددنا ، حتى نطهر فلسطين من كل رجس صهيوني ونطهر من أنجاس الاستعمار كل بلاد العرب ، ونعيد الحضارة والعزة إلى الشرق ، على رغم أنف الظالمين !

(القاهرة) **علي الطنطاوي**

أي أنها نزلت خارج الأرض المقدسة » . طبعاً لأن موسى لم يدخل الأرض المقدسة أرض الميعاد مع شعبه الإسرائيليين الخارجين من أرض مصر . بل مات وهو يشرف على تلك الأرض التي تدر لبناً وعسلا ولم يدخلها مع شعبه لأن الله أبى عليه دخولها لذنب أتاه .

والحقيقة أن موسى لم يكتب حرفاً واحداً من هذه الأسفار الخمسة وإن كانت تنسب إليه . بل كتبت بعد رجوع بني إسرائيل من سبي السبعين سنة في بابل . فقد سباهم نبوخذ ناصر سبياً جارفاً سنة ٥٨٦ قبل المسيح . فبقوا في بابل سبعين سنة واطلع حكاؤهم الأسلاف والخلفاء منهم على أساطير أشور وبابل وشرائع البابليين والأشوريين ولا سيما شريعة حمورابي العربي الذي فتح ما بين النهرين وحكمه هو وخلفاؤه نحو قرن من الزمن .

ولما فتح كورش الفارسي ما بين النهرين أطلق سراح اليهود فعادوا إلى البلاد التي سُبوا منها وشرع حكاؤهم (حاخاماتهم) يكتبون تاريخ قومهم وأساطيرهم وشرائعهم ممتزجة بأساطير بابل وأشور بل ممسوخة منها . وإذا قارنت الشريعتين الحورابية والإسرائيلية كما هي في سفر تثنية الاشتراع لا تجد إلا فرقاً قليلا بينهما .

وكان موسى قد خرج بشعبه من أرض مصر سنة ١٢٥٠ قبل المسيح فبين الخروج من مصر والعودة من سبي بابل نحو ٧٣٤ سنة . وفي هذه الأثناء لم يكتب حرف واحد من التوراة لأن الكتابة الهجائية لم يكن الفينيقيون قد استنبطوها بعد أو أنها لم تكن قد شاعت في اللغات السامية أو الآرامية بل كانت الكتابة السامية مقصورة على رسوم الأشياء المراد التعبير عنها كرسم رجل للرجل والعين للعين . وهذه الكتابة مقتصرة على النقش في الألواح الحجرية أو الآجر المشوي . وهذه لا تحتمل كتابات التواريخ والشرائع المطولة .

وإذا طالعنا أساطير البابليين وتاريخهم القديم وجدنا تشابهاً كلياً بين تلك الأساطير وقصة التكوين في التوراة وقصة الطوفان وغيرهما ، الأمر الذي يؤكد لنا أن حكاء اليهود اقتبسوا كثيراً من البابليين وزجوه فيما كان أسلافهم يتناقلونه من تاريخهم وأساطيرهم . حتى أن قصة الخليفة في سفر التكوين واردة

مرتين متواليتين فى الأصحاحين الأولين بأسلوبين مختلفين الأمر الذى يدل على أنهما أُخذا من مصدرين مختلفين .

هذا من حيث نزول الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى . وما نسبت إليه إلا لأنه كان زعيم القوم الأكبر الذى قادهم من أرض مصر فى برية سينا نحو ٤٠ سنة إلى أرض كنعان حيث كان يمنيهم بأسلاب الكنعانيين وبطردهم من بلادهم وامتلاك أرضهم وماشيتهم وأثاثهم كما علّم الاسرائيليات قبل الخروج من مصر أن يستلفوا حِلِىّ المصريات قبل الهرب . كذا كانت تعاليم موسى لشعبه — أنه يحل لهم مال كل أجنبى عنهم لأنهم شعب الله الخاص حسب تعليمه .

أما أن اليهود ورثة فلسطين فمسألة لا تحتاج إلى كثير تحقيق فإن مجموع ما أقامه اليهود فى المنطقة التى كانت قديماً تسمى فلسطين (وهى القسم الغربى من جنوبى فلسطين الحديثة) لم يزد عن ثلاثة قرون . وفيما سوى ذلك كانوا مشردين فى الشرق والغرب بسبب فتوحات الدول المحيطة بهم من كل ناحية . وقد هاجر بعضهم عن طريق آسيا الصغرى إلى أوروبا وبعضهم هاجروا عن طريق البحر الأبيض المتوسط إلى نواح مختلفة . وتغلغلوا فى أوروبا التى كانت فى تلك الأزمان وثنية تعبد الأصنام المنحوتة . فلما اختلطوا بأولئك الأقوام وعرَّفوهم بديانتهم رأى عقلاء الوثنيين وحكماؤهم أن ديانة اليهود معقولة أكثر جداً من ديانتهم لأنهم فهموا أن إله اليهود شخصية حية غير منظورة وليس صنماً منحوتاً من جامد ينحتونه . فتهوَّد كثير منهم فى جميع أنحاء أوروبا وغربى آسيا . ولما جاءت النصرانية اكتسحت الوثنية ولم تكتسح اليهودية اكتساحاً مطلقاً لأنها مستندة إلى نبوآتها .

فجميع اليهود الذين فى أوروبا وغربى آسيا هم من السلالات الآرية وليس فيهم قطرة من السلالات السامية . هم آريون أكثر من هتلر وكان بولس الرسول مؤسس النصرانية يهودياً إغريقياً من أثينا . يدل على آريتهم بياض بشرتهم الناصع وصفرة شعورهم وزرقة عيونهم خلافاً للساميين المتازين بسمرتهم وسواد أحداقهم وسواد شعورهم . فما يهود أوروبا من ورثة فلسطين بتاتاً .

أما ورثة فلسطين القديمة والحديثة الحقيقيون فهم سكانها الحاليون الذين كان بعضهم يهوداً والكنعانيون والحيثيون والجزريون والفلسطينيون القدماء والصيدونيون وغيرهم من عبدة البعل ، فلما جاءت النصرانية تنصر معظمهم من يهود ووثنيين . ثم جاء الاسلام فأسلم معظمهم واستعربوا كلهم . هؤلاء القيمون الآن فى فلسطين الحديثة هم أهلها وورثتها . وأما اليهود المهاجرون من أوربا وغيرها إلى فلسطين الكبرى التى نشأت من بعد الحرب الكبرى الماضية فليس لهم قلامة ظفر فيها . هم غرباء عنها ودخلاء فيها .

وقد استدل علماء اليهود من التوراة والتلمود أنهم لا يمكن أن يرجعوا إلى أرض آبائهم ما لم يجدوا تابوت العهد المفقود . ذلك أنه لما غزا نبوخذ ناصر أورشليم أسرع أشميا وأخذ جميع محتويات الهيكل وخبأها فى بعض مغاور جبل نبو جنوبى أورشليم وكان تابوت العهد أهم تلك الكنوز لأنه يحتوى على اللوحين الحجريين اللذين كتب الله أو بالأحرى يهوه رب الجنود (كما تسميه التوراة) وصاياه العشر بأصبعه .

ولذلك جاءت بعثة أثرية يهودية من أميركا بعد الحرب السابقة إلى فلسطين وجعلت تنقب فى مغاور جبال بنو عسى أن تعثر على تابوت العهد الذى لو وجدوه لكان أعظم أثر تاريخى . ولكنهم بعد تنقيب طويل شاق لم يجدوه فيئسوا وعادوا بخفى حنين . لذلك لا يحق لهم أن يعودوا إلى أورشليم لأنهم لم يحققوا وعد التلمود أو التوراة . ولن يعودوا .

ليتهم وجدوا ذلك التابوت لكنا نتمتع برؤية خط الله على اللوحين الحجريين وآثار أصبعه الكريمة ... وكنا نعرف بأى حرف كان الله يكتب .. وأية لغة كان يهوه رب الجنود يكلم موسى أبالعبرية كما يدعى اليهود أم بالسريانية كما يدعى بعض النصارى — حقاً إنه لأثر تاريخى عظيم . لو وجد !

نقولا الحداد

فى العراق الشقيق

للأستاذ محمد هاشم عطية
أستاذ الأدب العربى بدار المعلمين العالية ببغداد

لا شك أن معظم المصريين لا يعرفون شيئاً يذكر عن التقدم الاجتماعى فى هذه البلاد الشقيقة التى استطاعت فى مدى قصير من الزمن أن تصل إلى درجة من النهوض لا ينبغى الاقتصار فى تقدير قيمتها على ما ينشره بعض الصحف المصرية من التعليقات التى لا تكاد تعبر عن الحقيقة الراهنة لما أصبح يتمتع به ذلك القطر الشقيق من نمو متواصل فى أكثر مرافق الحياة ولقد كنت منذ عدة سنين أتوق إلى زيارة العراق رغبة فى الوقوف على ما عسى أن يكون باقياً من آثارها التى طالما قرأنا عنها فى كتب الأوائل خلال تلك العهود الزاهرة من خلافة العباسيين فى بغداد ومن المحقق أن كثيراً من الكتاب والمؤلفين فى مصر وغيرها من البلاد العربية مدين إلى حد غير قليل لما أخرجته المطابع فى مستهل هذا القرن من ذخائر العربية ونفائسها فى الأدب والشعر لمؤلفين وشعراء عاشوا فى بغداد وغيرها من المدن العراقية فى تلك الأزمان البعيدة وأن أساتذة هذه المدرسة القديمة كانوا أئمة العالم الحديث فى البلاد العربية وحتى فى غيرها من البلاد المتمدنة فى أوقات مختلفة ، ومن هنا كان ما تصنعه العراق اليوم من رغبتها فى الاستعانة بمصر واستقدامها لكثير من كبار الأساتذة المصريين لتنظيم نهضتها الثقافية على نحو ملائم لما يتبع من المناهج والأساليب الدراسية فى مصر هو بمثابة استقضائها لدين قديم للسلف من أبنائها فى أعناق مصر الحديثة وغيرها من بلاد الشرق العربى ومن الظواهر البارزة التى تشاهد دائماً فى الأوساط الراقية والمجتمعات المختلفة ما يبديه العراقيون من حبهم لمصر وشدة تعلقهم بمحاكاتها فى كل ما بلغته من أسباب النظام والتقدم . ولا تكاد تختلف مناهج الدراسة العالية والمتوسطة عن أمثالها فى مصر إلا فى بعض مسائل خاصة بما تقتضيه حالة الإقليم من ناحية القوانين الضرورية للبلاد وأكثر الكتب المقررة للدراسة الثانوية والمتوسطة هناك مقتبسة من الكتب المقررة فى المدارس المصرية أو مشابهة لها ولا تختلف عنها إلا فى العناية بتدريس تاريخ العراق القديم وأدبها الحديث الذى يمتد من الوقت الحاضر إلى نحو ثلثمائة سنة أما المدارس والمعاهد العالية من الحقوق والطب والهندسة والزراعة والتجارة ودور المعلمين العالية والمتوسطة فيشترك فيها الطلبة والطالبات غالباً وعليها إقبال شديد أدى فى العام الماضى إلى استقالة عميد إحدى الكليات لعجزه عن مقاومة الضغط الشديد على كليته وتحققه من عدم كفاية بنايات الكلية على سعتها لمواجهة هذه الحالة بما يضمن انتظام سير العمل فى الكلية وفى هذا العام سيضعون مشروع الجامعة العراقية موضع التنفيذ وإن كان العمل جارياً فى المعاهد الفنية والكليات العالية على غرار الأنظمة الجامعية على السواء ويلاحظ أن الطلاب والطالبات يهتمون بالتحصيل والمذاكرة من أول أيام الدراسة ولا يشغلهم فى الغالب عن ذلك شىء فليس لهم موسم للمذاكرة يبدأ فى شهر أبريل على أحسن التقديرات ، ولذا يظن أن نهضتهم الثقافية ستبكر كثيراً عن الموعد المنتظر لها ومما هو جدير بالذكر أن القوانين العراقية تحرم على الأجانب بلا استثناء أن يتمتعوا بالإقامة الدائمة فى البلاد ولذلك لا تكاد تمثر فى الأراضى العراقية بصقلبى ولا رومى من أولئك الأشتات والأجناس المختلفة وهى بالضرورة تحرم على كل أجنبى أن يتملك شبراً من أرض عراقية ولا يسمحون لرءوس الأموال الأجنبية أن تغزو بلادهم ويرون أن تسير نهضتهم الاجتماعية معتمدة على كفايتهم الخاصة ومقدرتهم الحاضرة متريثة بطيئة تنضج مع الزمن خير من أن تتحكم فيها الأيدى الأجنبية برءوس أموالها التى يعتبرون دخولها إلى بلادهم تنازلا تدريجياً عن التحكم فى مواردهم وثروتهم والقضاء على كل مشروع من شأنه ترقية مرافق الدولة وإعدادها لحياة طليقة من سيطرة الأجنبى كما هو الشأن فى غير العراق من الأقطار الكبرى فى البلاد الشرقية

ولقد شاهدت أن العراقيين يشعرون شعوراً تاماً بشدة الحاجة إلى رفع مستوى الحياة العامة فى بلادهم فهم مع إبائهم وما يتمتعون به من الشمائل البدوية كالكرم والشجاعة لا يرفضون الاستجابة لدعاء المصلحين من قادتهم وزعمائهم ولا يحاولون أن يفتروا

بالماضى أو يزهون بالألقاب ولا يعتمدون فى تدبير أمورهم على الإجراءات المطولة المعقدة من تأليف اللجان واستقدام الخبراء الماليين لكل ما دق أو جل من الأمور وإن كانوا لا يحجمون فى الوقت نفسه عن الاستفادة من المدنيات المختلفة واقتباس الوسائل النافعة فى تسوية مشاكلهم المهمة ومشروعاتهم الكبيرة مما يجرى عليه العمل فى مصر وغيرها من بلاد أوروبا وأمريكا ولقد نبههم معالى الأستاذ رضا الشبيبى من كبار رجالهم ومصلحيهم فى مقال له إلى الطريقة المتبعة عندهم فى إحصاء السكان وأنها غير دقيقة ولا كفيلة بحماية خراج الدولة فى وقت اشتدت حاجتها فيه إلى المال ويستوجب العمل من جميع طبقات الشعب على تزويد خزانة الحكومة بالأموال مساعدة لها على النهوض بما تضطلع به من الأعباء وفى اليوم التالى مباشرة ظهر فى الصحف بلاغ من الحكومة بأنها ستوفد قريباً بعثة إلى مصر للتخصص فى عملية الإحصاء ودراسة أحدث الأساليب المتبعة فى ذلك

وسمعت من السيد هاشم الألوسى المدير العام للتعليم الابتدائى أن وزارة المعارف تعد مساكن صغيرة مستوفية لجميع الشرائط الصحية للمدرسين الذين لا يجدون فى القرى البعيدة مساكن منظمة وأنهم يعنون أشد العناية بصحة أولئك المعلمين والطلاب ووضع جميع التدابير لوقايتهم من آفتين تتفشيان غالباً فى تلك الأماكن النائية .

وهناك ظاهرة اجتماعية تستحق التنويه وهى ما يسمونه عندهم بالقبول وهو عبارة عما يتبادلونه بينهم من التزاور والسمر فى المنازل فى أيام الأسبوع فى أكثر البيوت الكبيرة فى الغداة أو فى العشى على حسب المألوف من عادتهم فى ذلك ، وكثيراً ما شهدت غداة الجمعة فى دار صاحب المعالى صبحى الدفترى أحد عظمائهم وهى تضم طائفة كبيرة من رجالات العراق وأدبائهم ومشايخهم يقضون وقتاً طويلا فى الحديث والمطارحة مع أدب تناول ورقة حاشية وحفاوة مضيف ويمثلون فى ذلك أرقى مايتطلبه المجتمع المتمدن من مظاهر الاحترام والذوق وكذلك الحال فى كثير من البيوتات الأخرى كدار الصدر والشبيبى وحمندى والشواف وغيرهم مما كان يوجد مثله فى القاهرة منذ نحو ثلاثين سنة فى دار آل سليمان وعبد الرازق وكانت هذه المجالس أشبه بالمدارس العاليـة لتخريج المواهب وتلقيح العقول بثمرات التجاريب كما هى الآن فى بغداد .

ولقـد مكننى صديقى الأديب الكبير والشاعر الموهوب السيد حسين بستانه وهو أحد الأساتذة الذين تخرجوا فى دار العلوم العالية فى مصر وينهضون الآن بأعباء تدل على مبلغ ما لديهم من الكفاية والثقة مكننى ذلك الصديق الذى لا أنسى ما حييت فضله وأدبه ووفاءه من زيارة المشاهد المقدسة فى النجف الأشرف وكربلاء فى رحلة ممتعة سأفرد لها مقالا آخر إن شاء الله تعالى

ولا يمنعنى ذلك من القول بأنه ستمر فترة غير قصيرة إلى أن تتخلص بغداد الجديدة مما يتخلل بنيانها فى كثير من الأحياء من الكهوف الغامضة والدروب الضيقة التى لا تخلو من أقذار متراكمة ومسارب عفنة لا يخفى ما لها من الآثار المضرة بالصحة العامة بين سكان العاصمة العراقية وخاصة فى أيام الصيف حين يشتد القيظ وتتصاعد الروائح الكريهة من هذه الأزقة ودورات المياه التى لا تزال فى حالة بدائية لا يمكن التخلص منها إلا بإنشاء مشروع المجارى على نحو ما هو متبع من ذلك فى القاهرة وغيرها من المدن الكبرى فى البلاد المتمدنة مع العناية باستخدام الأجهزة الحديثة الضرورية لصيانة المنازل والسكان من الأضرار المحققة من هذه الأوضاع الحالية لدورات المياه والمغاسل وهى من ألزم الأشياء للحياة

ولا أستطيع أن أزعم أن الطبقات الفقيرة فى مصر أحسن حالا منها فى بغداد فهى متشابهة فى رثاثة الثياب ووسخ الجلود وفيما يختلف على كل منهما من الجهل والفقر والمرض مما يحاربه الناس فى القطرين بتنميق المقال أكثر مما يحاربونه بالفعال

وفى الربيع الماضى زار الوفد السودانى مدينة بغداد وقد كانت هذه الزيارة فرصة جديدة أتاحت لنا أن نشعر من قريب بشدة حدب العراقيين على القضية المصرية وعطفهم على أمانى إخوانهم المصريين ولقد لقى الوفد ورئيسه الوطنى العظيم من الترحيب والحفاوة ما لا مزيد عليه من سمو الوصى المعظم ورجال الحكومة وطبقات الشعب على اختلافها وأقيمت لهم عدة مآدب وحفلات كان آخرها ما قام به الأساتذة المصريون الموظفون فى الحكومة العراقية وقد ألقيت فى هذه الحفلة القصيدة الآتية التى

يكون من المناسب نشرها الآن في مصر على صفحات الرسالة الغراء وهذه هي القصيدة :

حيّ وفد السودان ياصاح بالشعر وجدد لهم حسان الأماني
واسقنا شربة من النيل أحلى من رحيق معتق في الدنان
هي من كوثر يصفقها الساقي شفاء لمهجة الظمآن
فبأعلى الشطين ساجعة الأيك تناغي الأليف في أسوان
وهي نشوى تقول مفصحة الشدو هتوفاً بأعذب الألحان
نحن شعب فسائلوا النيل عنا كيف أفتوا بأننا شعبان
واسألوا الدهر والقرون الخوالي فسيشهدون أننا أخوان
وحدة في الحياة والدين والرأي وفضل الحجا وحسن البيان
قد بنتها طبيعة النيل صرحاً شامخ الفرع راسخ البنيان
لم يعبها أن قد أصاب مغير من شباها بحده والسنان
كان منها مكان ناطحة الصخر بقرن عضب ورأس هدان
فأقامت على الشناءة تنمى لا وناة ولا ذلول العنان
تعصف الحادثات من جانبيها في الصفا الصم من ذرى ثهلان
أيها الرائح المجد رويداً إن لقيت الأعلام من كردفان
فاحبس الدمع أن يفيض من الشوق وخل الفؤاد للخفقان
وتخطر فوق الأصيل ندياً من نشر الربا وطيب المجاني
واقض حقاً لآل دنقلة الغراء واشك الهوى إلى الندمان
وابتغ الصحب في الندى حلالا وانثر اللفظ سائغاً والمعاني
قل لأشياخهم وقل لشباب كعوالي أسنة المران
أننا مثل ما عهدتم ولاء ووفاء ما أشرق الفرقدان
ليس منا من ليس يغضب أن يدعى لضيم أو يرتضي بالهوان
نرقب النجم أن يضيء سحيراً من أعالي النيلين حتى الأداني
شارفاً بنشر البشائر بالوادي مهلا بنوره للعيان
في ظلال الفاروق والتاج يزهي باتحاد الإخوان بالإخوان
في ذرى ملكه ومن هو كالفاروق في عدله وفي السلطان
قد حبتكم بغداد حين نزلتم في حمى فيصل العظيم الشأن
والعراق الشقيق رحب بالوفد وحيا بقلبه واللسان
ولعمري لحبة القلب أنتم ولأنتم إنسان عين الزمان
فهنيئاً لكم بما قد حبيتم ثقة الشعب وحي هذا الأوان
وعليكم من كل قلب سلام مثل نور الربيع في نيسان

محمد هاشم عطية

رسائل حائرة :

الرسالة الثانية ...

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

[كتبت تقول : « لا أحب أن ألعب بالقلوب ؛ حتى لا يلعب أحد بقلبي . » فإليها حديث القلب في هذه القصيدة] :

هل تظنين أنني أتمنى أن أرى قلبك الرقيق مُعنّى؟!
لا وحبيك . ما تمنيت إلا فرحة تحتوي صباك وأمنا
وربيعاً يمس قلبك بالحب (م) فيمضي مرفرفاً يتغنى
يرسل اللحن في أغانيه حباً ويذيع الهوى غناء ولحنا
أنا يا منيتي بقلبك — لو تد رين حبي — أبر منك وأحنى
أنا أفديك يا حياتي بروحي وهي أسمى من الوجود وأسنى
أنا أهواك راضي النفس حتى لو يكون الهوى شقاء وحزنا!
كفراش يهفو إلى النار ظمآ ن، وإن كان في اللهيب سيفنى!
لا تخافي قلبي ؛ فما هو إلا طائر هزه الجمال فغنى
عبر العمر تائهاً في الصحاري ورأى واحة الغريب فحنا
لا تخافي حبي ؛ فحبي بذل ووفاء ، وليس غدراً وضنا
واقبليه مني ؛ فحبك يسري في مسرى الدماء ، أو هو أدنى
وافهميني ، فلو فهمت شعوري ألف الحب بيننا حيث كنا
كلما برح السهاد بنفسي قلت : زدني! ودع فتاني وسني
وإذا قرح البكاء جفوني قلت : لا بلل البكا لك جفنا
وألاقيك يا شقيقة نفسي هادئ النفس ، وادعاً ، مطمئنا
وبقلبي — لو تعلمين — من الوجـ ـد تباريح لفحها ما تأنى
وأرد الكلام خشية أن يبـ ـدر منه ما يكشف المستكنا
وأسميك في الرسائل أختي وأنا أقصد الحبيبة ضمنا
يا حياتي إني وضعت حياتي بين عينيك ضارعاً أتمنى
فاجعليني كما تشائين إني أنا أرضى به ، وأنعمت عينا
اجعليني في الحب — إن شئت — حراً
واجعليني — إن شئت — في الحب قنا
وارحميني ، أو عذبيني ؛ فإني قد رأيت العذاب للفن خدنا
حسب نفسي تجارب تملأ النفـ ـس حياة ، وتملأ العمر فنا
وكفاني أن أرسل الشعر من قلـ ـبي ، فيصغي الوجود قلباً وأذنا
وسواء لدي أصبحت قيساً قيس ليلى في الحب أو قيس لبنى

شيء من الصراحة

للأستاذ علي العماري

في عدد مضى من الرسالة كتب الأستاذ الفاضل الشيخ على الطنطاوى مقالا بعنوان (مستقبل الأدب) تناول فيه بشيء من الحسرة والألم ضعف الطلاب في هذه الأيام ، ولاحظ أن بعض الذين على أبواب التخرج منهم لا يستطيعون أن يقرأوا أربعة سطور دون أن يخطئوا عشرة أخطاء ، وأن الألسنة غير مستقيمة ، وأن معين النبوغ جف أو كاد .

وأحب أن أقول للكاتب النابغة — في شيء من الحسرة والألم أيضاً — أن كل ذلك صحيح ، وأن الذى يعانى مهنة التعليم اليوم يجد ما يفتت الكبد ، ويبكى العيون ، ولكن لا يكفى أن نبكى على ما يهدد الأدب من تدهور وانحطاط ، بل لابد لنا أن نقدم — مخلصين — رأياً في علاج هذا الضعف ، ولا قدرة للطبيب على العلاج الناجح المفيد إلا إذا استطاع أن يشخص الداء ، ولكن كيف نقول فيما يعيث في مدارسنا ومعاهدنا ، وقد نشأنا على حب المداراة ، وستر العيوب ، ؟ إننا — إذن — في حاجة إلى شيء من الصراحة ، كما أنا في حاجة إلى من يأخذ عنا غير غاضب ولا متسخط ، ولقد عالج الأستاذ الفاضل مشكلتين: مشكلة ضعف الطلاب في القراءة ، ومشكلة الضعف العام في اللغة العربية ، وتكاد الأسباب تكون متداخلة ، غير أن للضعف في القراءة أسباباً خاصة

والذى نشاهده في معاهدنا ، ومدارسنا ، العالية ، والمتوسطة هو عدم العناية بدروس المطالعة ، وهذا الإهمال في درس المطالعة ليس مقصوراً على التلميذ ، بل هو إهمال عام ، فالإدارة والمدرس ، والتلميذ ، كلهم ينظرون إلى هذه المادة على أنها مادة إضافية ، ولا يزال قاراً في الأذهان أن درس المطالعة هو درس « اللعب ، والراحة » فنجد أن واضع الجدول يعطى هذه المادة لمدرس مادة أساسية ، كالنحو أو البلاغة ، وذلك لكى يستعين بها في إتمام دراسة مادته ، وأن المدرس لا يعنيه من هذا الدرس إلا أن يستعين به في مادته ، ولعل من أوضح الدلالة على الاستهانة بمادة المطالعة ، إنا لا نجد طالباً يرسب فيها في الامتحانات العامة كأن كل الطلاب يقرأون صحيحاً ، وأن المدرس الذى يعمد إلى إسقاط طالب يعد بين إخوانه وبين تلامذته من الثقلاء المتعجرفين ، ويصبح مادة للتندر والتفكه ، والتلميذ نفسه لا يكاد يحسب حساباً للامتحان في هذه المادة ، لما ألقاه الزمن في نفسه من أن النجاح فيها مضمون على كل حال ... وإذا رجعنا إلى الدراسة نفسها وجدنا الإهمال فيها ظاهراً ، فقليل من الطلاب بل أقل من القليل من يستحضر نسخة من الكتاب المقرر ، بل إن بعضهم يكون الكتاب في يده ولكنه يكسل عن فتحه والمراجعة فيه ، وكثير من المدرسين لا يزيدون في الدراسة عن القراءة العابرة — إذا قرأوا — ، وإنى لأذكر أنه كان مقرراً في الكليات التى تدرس اللغة العربية كتاب الأمالى لأبى على القالى ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب زهر الآداب للحصرى ، ومقدمة ابن خلدون ، وأذكر مع ذلك أن ما قرىء من هذه الكتب لا يتجاوز مائة صفحة في أى سنة من السنوات ، وفي أى فرقة من الفرق ، وليس عجيباً بعد هذا أن نجد بعض المتخرجين لا يعرف شيئاً عن هذه الكتب إلا أنه حصل عليها من غير مقابل ، بل لقد رأيت واحداً يبيع كتاباً منها فسألته لم يبيعه ؟ فأجاب لأنه لا يفكر في أن يفتحه يوماً من الأيام ! وهو الآن من المعدودين عند السادة الرؤساء !

وإذا تجاوزنا القول في المطالعة إلى القول في المحفوظات وجدنا الأمر أدهى وأمر ، وذلك لأن في الطلاب انصرافاً غريباً عن الحفظ والاستظهار ، على أن من يحفظ منهم لا يحفظ راغباً مستلذاً من منثور العرب ومنظومهم ، وإنما يحفظ ليدخل الامتحان وكفى ! !

حتى هؤلاء الذين يحفظون للامتحان قلة ، وإنما الشأن في طلاب اليوم ترك الحفظ جملة وتفصيلا ، وليس بعجيب أن تجد طالباً في المرحلة الأخيرة من الأقسام الثانوية وهو لا يكاد يقرأ ثلاثة أبيات تباعا ، وإنى لأعرف صديقاً ينظم الشعر ، وقد تخرّج منذ سنوات وهو إلى الآن لا يستطيع أن ينشدك شيئاً من الشعر القديم ! !

وكثيراً ما نصادف — في الامتحان — بعض طلاب لا يحفظون شيئاً أبداً ، حتى إن بعض الممتحنين يتندر بهم قائلاً ألا تحفظ شيئاً من المواليا أو الزجل ؟ ! كما لاحظت أن بعضاً

يحفظون قصيدة واحدة تظل معهم سنوات ينشد منها فى الامتحان كل عام ... ومع كل ذلك فلا تكاد تجد رسوباً فى هذه المادة أيضاً ، ومن الحق أن نذكر أن وزارة المعارف قررت كتباً لهذه المادة ، ولكن الحق أيضاً أن نذكر أن عدداً قليلا جداً من يعنى بالاستظهار والتفهم . .

وإن أكبر الضرر فى هذا السوء الذى نشاهده فى معاهد التعليم يرجع إلى اشتغال المتعلمين بالشئون العامة وإلى مصانعة الرؤساء لهم ، واعتمادهم عليهم فيما يحاولون من أمور ، فقد أصبح الطلاب يعتقدون أن فى يدهم الحل والعقد ، وأنهم يستطيعون أن يقيموا وأن يقعدوا ، وتراهم يتدخلون فيما يعنيهم وما لا يعنيهم

أنا لا أدعو بطبيعة الحال إلى إبعاد الطلاب عن القضايا الوطنية الكبرى ولكن أدعو إلى أن يعرفوا حدودهم ، ومدى ما ينبغى أن يتدخلوا فيه ، وأن يكون للرؤساء ضمائر ، وأعين بصيرة فلا يساعدونهم على الفوضى ؛ ولا يستغلونهم فى أغراضهم الشخصية ، ولا يجعلونهم كالجماهير التى يقول فيها شاعرنا شوقى

والجماهير مطايا المرتقى للمعالى وجسور العابرين

فإذا انتظم الطلاب فى دروسهم وجدوا دراسة ضحلة لا تفيد علماً ، ولا تنتج أدباً ، وقد ظهرت فى السنوات الأخيرة (مودة) جديدة كانت أضر على العلم من كل ما منى به ، فقد لجأ أكثر المدرسين إلى تلخيص الكتب ، وما على المتعلم بعد ذلك إلا أن يحفظ هذه القواعد القليلة حتى يجوز الامتحان ، وكفى الله المؤمنين القتال . . تلك حال نشاهدها فى الأزهر ونشاهدها فى وزارة المعارف ، ونشاهدها فى المدارس العالية ، والكليات .

فى المدارس الثانوية كتب لا بأس بها فى البلاغة العربية ولكن أكثر المدرسين لا يدرسون هذه الكتب ، بل يعطون تلاميذهم ملخصات فى كراسات يحفظونها ولا يتذوقون شيئاً من دراسة البلاغة ، وفى مدرسة عالية همها تخريج مدرسين للغة العربية يترك الطلاب كتاب الأشمونى ليقرؤا ملخصاً له وضعه أحد الأساتذة كأنهم فى مدرسة ابتدائية ثم هم يمتحنون فى هذا المختصر ، وليس الشأن فى الأزهر بأحسن من هذا فقد هجر الطلاب الشروح والحواشى واعتمدوا على المختصرات ، لينعموا بما فيها من ورق أبيض صقيل ، ومن اختصار يساعد على الحفظ وعلى الامتحان .

نعم إن بعض الكتب فى حاجة إلى التهذيب والتنقيح ، ولكنه ليس هذا التهذيب الذى يخرجنا من شر ليوقعنا فى شرور ، وليس أجدى على اللسان من هذه الدراسة المتعمقة ، وإن احتاجت إلى كثير من الجهد والوقت .

ولقد دلتنى مشاهداتى على أن للدروس الخصوصية أثراً بالغاً فى ضعف التلاميذ ، فقد أصبح مفهوماً عند أولياء الأمور أن التعاقد على درس خصوصى معناه التعاقد على نجاح التلميذ ، ولعل من الطريف أن أذكر أنى كنت مع أحد المدرسين فى المدارس الابتدائية يوماً فجاءه تلميذ يساومه على درس فقال الأستاذ للتلميذ: قل لأبيك أنى لا أضمن نجاحك ثم عد ، فخرج التلميذ وقال لأبيه، ولكنه لم يعد ! !

ومع هذا الضعف الظاهر فى اللغة العربية نجد أن النتائج فيها حسنة ، حتى أصبح التلاميذ لا يرهبون الامتحان فيها ، وبالتالى لا يعطونها العناية الكافية ، وإذا تطرقنا إلى الامتحانات فإننا نذكر — مع المرارة العميقة — أنها فقدت رهبتها فى بعض دور التعليم ، وكيف لا ؛ والنتيجة فى بعضها — مع هذه الفوضى — تبلغ ثمانين فى المائة ؟

أما دراسة اللغات الأجنبية فى المدارس فتنال أكبر قسط من العناية ، ولا شك أن هذا سبب ظاهر فى ضعف التلاميذ فى اللغة العربية .

فليس عجيباً بعد كل هذا أن نرى المتخرجين ضعافاً ، لا يكادون يقيمون ألسنتهم وأن نفقد فيهم النبوغ والعبقرية ، وأن ننادى أولياء الأمور بأن الإصلاح فى أيديهم وهم عليه قادرون، وأن الدعوى بأن اللغة العربية عسيرة تحتاج إلى تسهيل ، ومعقدة تحتاج إلى تيسير ، إنما هو هروب من الحقائق الدامغة التى لا يجهلها أحد ممن يتصلون بشئون التعليم

لتكن العناية بدروس المطالعة هم المدرس والتلميذ وليكن الإشراف عليها إشرافاً صحيحاً حازماً ، ولتمط ما هى جديرة به بين العلوم من جهد ووقت ورعاية ، وليفهم كل تلميذ أن أول واجب عليه أن يقرأ قراءة مستقيمة، وأن اللغة العربية هى مجده ومجد آبائه ، وليلزم التلاميذ فى كل معاهد التعليم بقسط كبير من مأثور العرب يحفظه فى كل عام ، ويمتحن فيه ، ويسأل التلميذ فى الفرق العالية عما فى محفوظه من أسرار بلاغية ، ومزايا أدبية . .

حول جدل فى الجامعة

قرأت اليوم وأنا بريف الشرقية حديثاً للأستاذ الفاضل « العباس » تحت عنوان « جدل فى الجامعة »

ولما كان هذا الحديث يخصنى لأنه يدور حول رسالة قدمتها كتبت هذا إليكم رجاء التفضل بنشر هذه الكلمة ليقف القراء على جلية الأمر وليعرفوا الخطأ من الصواب .

وقبل أن أبدأ الحديث ألفت الذهن إلى أنه ليس من الحق فى شىء أن الأستاذ أحمد أمين قد عاب الرسالة لضعف فى منهجها ولا لإنكار ما فيها من حقائق علمية ، ولقد كان كل ما صنعه أن لفت ذهن الجامعة إلى أن مناقشة الرسالة قد تثير ضجيجاً لما فيها من أفكار وآراء .

يتلخص موقف الأستاذ أحمد أمين فى هذه المسألة وهو فى هذه يعتبر متضامناً مع الأستاذ الشايب ومن هنا يكون حديثى مع واحد منهما حديثاً مع الآخر .

وإذا كان الذى يهم الجمهور من هذه المسألة هى المسألة الدينية فقد قصرت حديثى عليها ليرى القراء أن ما قلته فى الرسالة هو الذى يتفق مع الدين ويجرى ومقاصده .

وأحب أن يعلم القراء أنى قد التزمت فى هذه الرسالة أمرين

الأول : — ألا أثبت حقيقة ينكرها الدين وسجلت ذلك فى الرسالة حيث قلت فى ص ٢١ ما نصه [وأعتقد أن من حقنا أن نقف وقفة قصيرة نشرح فيها هذه العلاقات لنقدر ما فى القرآن من معان تاريخية تقديراً لا ينكره الدين] انتهى بنصه .

الثانى : — أنى التزمت فى استنباط ظواهر القصص القرآنى طريقة الاستقراء ومن هنا كانت كل حقيقة أدبية أثبتها مستمدة من القرآن الكريم . ولقد سجلت ذلك أيضاً على نفسى حيث قلت فى الرسالة ص ٢٣ « والآن نستطيع أن ننتقل إلى الجو القرآنى لنبحث ما فى قصصه من أشياء تاريخية . وقبل البدء ننظر فى اعتراض قد يستثار ذلك لأن ما قررناه من صلة بين التاريخ والقصة يعتمد على ظاهرات فى القصص لوحظت حديثاً وقررت على أنها بعض التقاليد الأدبية التى تصور ما للقاص من حرية والقرآن أقدم من هذه الملاحظات للظواهر وهذه المقررات للتقاليد على أنها لو كانت قديمة لا تلزم القرآن فى شىء إذ لكل قاص مذهبه وطريقته ولكل خالق حريته فى الخلق والابتكار ولن يقرروا ما فى القرآن من قيم إلا واقع أدبى التزمه القرآن نفسه أو على أقل تقدير حرص عليه وهو قول له وجاهته فيما نعتقد ثم هو يلزمنا أن نبحث طريقة القرآن من واقعه العملى »

وعلى هذين لا يتصور متصور أن يكون القصد من الرسالة الخروج على الدين أو القول بما ينكره .

ولقد قلت فى الرسالة إن قصد القرآن من قصصه لم يكن إلا العبرة والعظة وليس منه مطلقاً تعليم التاريخ أو شرح حقائقه ومن المعروف دينياً ألا نستنتج من نص قرآنى أمراً لم يقصد إليه القرآن .

على أن هذا القول قد قال به الأستاذ الإمام ، وقد نقله عنه صاحب المنار فى مواطن كثيرة من كتابه فقد جاء فى الجزء التاسع ص ٣٧٤ طبع سنة ١٣٤٢ هـ ما يأتى « إن الله تعالى أنزل القرآن هدى وموعظة ، وجعل قصص الرسل فيه عبرة وتذكرة لا تاريخ شعوب ومداثن ولا تحقيق وقائع ومواقع »

وجاء فى الجزء الثانى ص ٢٠٥ طبع سنة ١٣٥٠ هـ ما يأتى « فإن قيل إن التاريخ من العلوم التى يسهل على البشر تدوينها والاستغناء بها عن الوحى فلماذا كثر سرد الأخبار التاريخية فى القرآن وكانت فى التوراة أكثر ؟

والجواب ليس فى القرآن شىء من التاريخ من حيث هو قصص وأخبار للأمم أو البلاد لمعرفة أحوالها ، وإنما هى الآيات

وعلى الرؤساء أن يواجهوا الأمور بصرامة وحزم فيأخذوا البرى بالمجرم حتى تستقيم قناة الجميع ، ولا نكون متعنتين إذا طالبنا وزارة المعارف بأن تحرم الدروس الخصوصية على كل مدرسيها مهما كانت الأسباب الداعية لذلك ، كما تطالب المدرسين بأن يدرسوا الكتب المقررة ، وأن يزيدوا عليها ، وأن يدعوا هذا التهوين من شأن اللغة العربية وآدابها . . . حينئذ نقف فى أول الطريق لنمضى إلى الغاية ، وسنبلغ الهدف إن أخلصنا لواجبنا ، وراعينا حق الله والوطن واللغة فى هؤلاء الأبناء .

على العمارى

المدرس بالأزهر

والعبر تجلت فى سياق الوقائع بين الرسل وأقوامهم لبيان سنن الله تعالى فيهم إنذاراً للكافرين بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وتثبيتاً لقلبه وقلوب المؤمنين به (وسترى ذلك فى محله إن شاء الله تعالى) ولذلك لم تذكر قصة بترتيبها وتفاصيلها وإنما يذكر موضع العبرة فيها» انتهى بنصه .

على أن هذه المسألة قديمة ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه . ولقد نتج عن ذلك طريقتان فى التفسير طريقة السلف وطريقة الخلف .

أما الأولون فيذهبون إلى أن كل ما ورد فى القصص القرآنى من أحداث قد وقع .

وأما الآخرون فلا يلتزمون هذا وعلى طريقتهم جرى الأستاذ الإمام وهذا هو نص المنار فى وصف هذه الطريقة عند تفسيره لقصة آدم من سورة البقرة .

« وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف فى التمثيل فيقال فيه إن القرآن كثيراً ما يصور المعانى بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو بأسلوب الحكاية لما فى ذلك من البيان والتأثير فهو يدعو بها الأذهان إلى ما وراءها من المعانى » ص ٢٨٠ ج ١ طبع سنة ١٣٤٦ ﻫ

ويمضى صاحب المنار فى شرح هذه الحقيقة إلى أن يقول : قال الأستاذ الإمام ما مثاله . وتقرير التمثيل فى القصة على هذا المذهب هكذا . إن إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة فى الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه . الخ

القول إذاً بأن بعض القصص القرآنى قصص جيء بها لتمثيل المعانى قول معروف لدى رجال الدين وطريقة معروفة لدى المفسرين ، وجرى عليها إمام من أئمة الدين هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

جريت أنا على هذه الطريقة يدفعنى إليها غرض دينى هو تخليص القرآن من مطاعن الملاحدة والمستشرقين . وتفسير المسألة يرجع إلى أن هؤلاء يبحثون عن العلاقة بين القصص القرآنى والتاريخ اتفاقاً واختلافاً وينتهون من ذلك إلى أن فى القرآن أخطاء تاريخية .

أما موقفى فيتلخص فى أن الدراسة على هذا الأساس خاطئة لأن القصص القرآنى لا يدرس على أساس أنه قد جاء لتعليم التاريخ أو شرح حقائقه وذلك حيث قلت فى ص ٥ [كما نجد المستشرقين يلجون من نفس الباب فيطعنون على النبي والقرآن حين يوردون بعض الإعتراضات وحين يذهبون فى فهم القصص القرآنى مذهب أصحاب التاريخ فيبتعدون بذلك عن المذهب الحق فى فهمه وهو أنه قصص وقصص دينى يقصد منه غير ما يقصد من التاريخ .] مذهب الأستاذ إذا هو الذى يجنبنا كل هذه الأشياء ومن أجل هذا اعتمدته وجريت عليه .

ومن أجل هذا قد ينال القارىء العجب من أن يقف الأستاذان منى هذا الموقف . لكن للمسألة سراً قد يتضح لدى القارىء بعد قليل .

وتبقى بعد ذلك مسألة الأساطير .

وهى مسألة حلها القدماء من المفسرين وهو حل يجرى مع ما يقول به الأستاذ الإمام فى تفسير القصص القرآنى .

لقد فهم الرازى ما يقول به المحدثون من الأدباء من أن الأسطورة أداة من أدوات التعبير لا تقصد لذاتها وإنما تقصد لما تمثله من المعانى وتدعو إليه من الأغراض وذلك حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) من سورة يونس إذ قال [واعلم أن هذا الكلام يحتمل وجوها الأول أنهم كلما سمعوا شيئاً من القصص قالوا ليس فى هذا الكتاب إلا أساطير الأولين ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها] .

وهنا نحب أن نلفت الذهن إلى أن القرآن يعنى من الأسطورة القصة التى لم ترد فى الكتب السماوية السابقة عليه وليست بحال من الأحوال القصة التى لا أصل لها ولا القصة المخترعة ومن أجل هذا كانوا يقولون أساطير الأولين اكتتبها . أن لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين .

على أن المسألة كما وضحت فى الرسالة تتفق وما قال به علماء أصول الفقه .

قال هؤلاء بأن فى الأديان السماوية عناصر خالدة ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والمناسبات وهذه هى التى بقيت فى الإسلام . وفيها عناصر تتغير بتغير الظروف والبيئات وهى التى خالف فيها القرآن غيره من الديانات .

وقلت بأن المسألة الأدبية تجرى على هذا الأساس . عناصر

مدى الثقة فى هيئة الأمم المتحدة

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

وقامت الكتلة الشرقية بدورها بتطبيق مبادىء الميثاق خير تطبيق حين عرضت مسألة مصر وذكرت الكتلة الغربية بقولها السابق فى مسألة إيران والذى يبدو أنها نسيته . ولعل القارىء يتساءل: لم عارضت الكتلة الغربية مطالب مصر مع وضوحها واتفاقها مع نصوص الميثاق . والجواب عن ذلك هو الخشية من ترك فراغ فى مصر قد يمتد إليه النفوذ الروسى الزاحف إلى البحر الأبيض المتوسط. وفى سبيل ذلك يضحى بالميثاق وترفض مطالب مصر العادلة . . وهذا أمر مؤسف حقاً يذكرنا تماماً بما كان يسود القرن التاسع عشر من سياسة توازن القوى ومناطق النفوذ . . . تلك السياسة الخرقاء التى سببت الحروب المتتالية والتى يخيل إلينا أنها ستكون سبباً لحرب ذرية فى المستقبل .

ويمكننا ملاحظة الظاهرة المتقدمة فى مسألة أندونيسيا ، فقد صرح أحد السياسيين من الكتلة الغربية بأن السبب فى معارضة أمريكا وانجلترا لمطالب أندونيسيا هو الخوف من تفشى روح القومية إذ المعتقد أن سكان المستعمرات — إذا ما استقلوا — لا يستطيعون دفع تيار الشيوعية وحدهم .

وكذا الأمر فى مسألة اليونان . فالمعروف أن الكتلتين تتصارعان هناك بشكل واضح سافر . والإضرار والمشاكل التى تنتج من هذا التنافس يقع عبؤها كله على كاهل الأمة اليونانية المسكينة التى راحت تتمزق وتأكل بعضها بينما غيرها يتميز ليبتلعها . والعلاج فى نظرنا هو أن تترك هذه الأمة مرة لا تعبث بها واحدة من الكتلتين وبقيننا أنها ستلم ما تبعثر منها ، وتنهض فتضمد جراحها وتزيل ما كان على بصرها من غشاوة مصطنعة ثم تمضى حرة لتقرر مصيرها بنفسها . ثم إن المرء ليتساءل عن مصير معاهدات الصلح ، فالحرب قد وضعت أوزارها منذ زمن طويل والصلح لم يعقد بعد . أليس هذا مما يرثى له ؟ إن العجب فى هذه الأعجوبة يزول حتما إذا ما أرجعنا العلة إلى هذا التنازع البغيض بين الكتلتين فحكومات الدول المهزومة لابد أن تكون على شكل معين حتى ترضى كلا من الطرفين ومستحيل أن يكون أساس كل من النظامين جد مختلف عن الآخر ثم يتفقان على أمر معين . .

وقد عرفنا الآن أن سياسة توازن القوى ما زالت باقية فى ميدان السياسة الدولية وأنها مازالت تنفث سمها القاتل فى نواحى المعمورة مما يجعلنا نخش على هيئة الأمم من سريانه فيها فلا يتركها إلا جثة هامدة .. وبذلك تذهب كما ذهبت عصبة الأمم من قبل دليلا صارخاً على غباء البشرية وتأخرها فى فهم المعانى الإنسانية

خالدة ثابتة كالأشخاص والأحداث وهذه قد بقيت فى القصص القرآنى كما كانت فى قصص غيره من الكتب السماوية .

وعناصر يجوز عليها التغيير والتبديل كالمسائل التى يدور حولها الحوار .

وهذا هو الأمر الواضح تماماً من صنيع القرآن .

وأعتقد أن الأمر الذى وقع فى الدين ليس من الغريب أن يقع مثله فى القرآن .

هذه هى نظريتى فى القصص وهى نظرية تعتمد على طريقة الخلف ومذهب الأستاذ الإمام .

وهذه هى نظريتى فى الأساطير وهى تتفق وما ذهب إليه الرازى وتجرى مع مذهب الأستاذ الإمام والمذهب الأدبى فى أن الأسطورة أداة من أدوات التعبير . ثم هى على التفسير الذى جرينا عليه تشبه إلى حد كبير التفسير الذى جرى عليه الفقهاء فيما يخص الأديان .

وليس من الحق فى شىء أن نجيز فى الدين مالا نجيزه فى الأدب مع أنه الأمر الذى قال به المفسرون وجروا عليه فى تفسير القرآن .

المسألة لا تحتاج هذا الضجيج . لكنها العصبيات فأساتذة الجامعة يتعصبون ويتحزبون كما يتعصب ويتحزب رجال السياسة .

وإذا كان الأستاذ الخولى قد رفض رسالة الأستاذ المحاسنى فيجب أن ترفض رسالة خلف الله .

هذه بعض مسائل الرسالة نشرتها لأنها تهم القراء أما ما بقى فستعلمونه فى القريب العاجل إن شاء الله .

محمد أحمد خلف الله

إن سياسة توازن القوى هى سياسة الأقوياء من الدول وليس من الإنصاف أن تلقى وزر الـكارثة كلها على عاتق هذه الدول بل إن للدول الصغيرة أيضاً نصيبها فى ذلك وهو ما نسميه : سياسة التهاون أو عدم الاكتراث — وهو العامل الثانى الذى أشرنا إليه فى بدء الحديث .

إن كل دولة عضو فى هيئة الأمم لابد أن تحترم الميثاق وإن وجودها كعضو شاهد عليها بوجوب الرضوخ التام لأحكامها . ولـكن الشواهد تدل كلها على عكس ذلك تماماً .

ففى الشكوى التى تقدمت بها حكومة الهند إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة تتهم فيها حـكومة جنوب أفريقيا بمعاملة الرعايا الهنود معاملة تقوم على التفريق بين الأجناس وحرمانهم من التمتع بالحقوق المدنية والعامة . . دافع المرشال سمطس هذه التهمة عن حكومته بأن المسألة المعروضة تدخل فى الاختصاص الداخلى لـكل دولة ، ومن ثم فلا اختصاص للجمعية العامة فى هذا الشأن وفقاً للمادة الثانية فى فقرتها السابعة وبذلك غلب الناحية القانونية على الناحية السياسية وطلب إحالة الأمر للفصل فيه إلى محكمة العدل الدولية .. غير أن وجهة نظره لم تقبل داخل الجمعية . ذلك أن مندوبى الدول قد غلبوا الناحية السياسية على الناحية القانونية وأصدروا توصية لرفع القيود ومعاملة الهنود معاملة لا تقوم على التفريق . ولـكن هل نفذت هذه التوصية ؟

إن من المؤسف حقاً أن يكون المارشال سمطس هو الذى كتب بيده ديباجة الميثاق التى تعتز بكرامة الأفراد وأقدارهم وبالحقوق المتساوية للرجال والنساء على السواء .. ثم يكون هو أول الهادمين لها ! .

ولـكن أسفنا يبلغ أوجه حين نعلم أن توصية الجمعية العامة لم تنفذ هى أيضاً ! وليس لهـذا الأمر الخطير من سبب سوى التهاون وعدم الاكتراث بالميثاق والهيئة معاً .

على أن فى مسألة الشقيقة أندونيسيا مثلا واضحاً لهذا الهوان الذى يلاحق الميثاق . وقد أصدر مجلس الأمن قراره بوقف القتال ولـكن هولندا لم تذعن للمرة الأولى . فأصدر قراراً ثانياً . ولـكن هيهات وما زال العالم ينتظر قراره الثالث . فما أبخسها من أوامر

ومهما كان الرأى فلن تكون سياسة التهاون وعدم الاكتراث هذه هى الأولى أو الأخيرة فى نوعها . بل إن سوابقها جلية فى عصبة الأمم السابقة . إذ أن إيطاليا قد ضربت عرض الحائط بميثاق العصبة واعتدت على اثيوبيا أشنع اعتداء وكان اعتداؤها بمثابة مسمار يدق فى نعش العصـبة التى تهاون أعضاؤها بدورهم فى تطبيق الجزاءات الاقتصادية والسياسية المنصوص عليها . ولقد انسحبت إيطاليا وألمانيا إثر ذلك وكونتا ما سمى فى الحرب الأخيرة بدول المحور .

إننا نخشى أن يعاد تمثيل هذه المهزلة مرة أخرى فتنسحب بعض الدول من هيئة الأمم لسببين لا ثالث لهما : إما أن تـكون دولا قوية تحس بأن الميثاق قيد يحد من أطماعها وهو لا يعدو أن يكون قيداً معنوياً ليس له القوة المادية التى تحسب لها ألف حساب

فلم لا تفلت إذن من هذا القيد الأجوف الواهى ؟ . ولم لا تحطمه إن أبدى مقاومة ؟

وإما أن تـكون دولا ضعيفة خاب ظنها فى عالم سعيد بجانب الميثاق فلم تجد بجانبه أمناً أو استقراراً بل أصابها ظلم وجور . . فأرادت أن تنطوى على نفسها وأن تعيش فى عالمها وحدها كمن ينأى بنفسه عن جيرة السوء وصحبة الأشرار .

ولقد تردد فى بعض الآونة أن مصر تريد أن تنسحب من الهيئة إن لم تقدر مطالبها حق قدرها .. وحق الانسحاب لم يمنع منعاً باتاً بل صار فى ميثاق الهيئة « رخصة » لا تستعمل إلا فى حدود معينة وعند قيام المسوغ لذلك ، وقد كان هذا الحق مطلقاً كل الإطلاق فى عصبة الأمم ومن مسوغات حق الانسحاب التى أوضحها مؤتمر سان فرنسيسكو ما يلى .

« إنه إذا أحست دولة من الدول فى ظروف استثنائية ألا مناص لها من الانسحاب وإلقاء عبء حفظ السلم والأمن الدولى على عاتق الأعضاء الآخرين فليس مما يدخل فى أغراض الهيئة أن ترغم مثل هذه الدولة على الاستمرار فى هذا التعاون فى داخل الهيئة ومن البدهى أنه لا مناص من انسحاب الدول بعضها إثر بعض أو من حل الهيئة بأية صورة أخرى إذا هى انتهى أمرها بأن خيبت آمال الإنسانية بأن تكون قد عجزت عن حفظ السلام أو بأن كان حفظها للسلام على حساب القانون والعدل »

ولا يفوتنى فى ختام هذا المقال أن أشير إلى نواحى نقص أخرى فى الميثاق ولها أهمية عظمى تتعلق بحق الاعتراض (الفيتو) وبوليس الأمن الدولى . وقد تساعدنا الظروف فنتناولها بالبحث فى مقال آخر إن شاء الله تعالى .

عبد الحميد عثمان عبد المجيد

٣ — من ذكرياتي في بلاد النوبة :

في جنح الليل !

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

ألقت بنا الباخرة إلى مرفأ عنيبة ، وسط ضجيج الحمالين ، وصيحات الركاب ، وضوضاء البحارة ، الذين شرعوا بمساعدة الحمالين ينزلون أمتعتنا ، وأمتعة فضيلة قاضي عنيبة المنقول من إسنا إلى هذه البلدة النائية ، والبضائع الكثيرة المرسلة إلى المدرسة من خضر ، وفاكهة ، وبعض العلب والصفائح المليئة بالمسلى وغيره ، مما لا يكاد يوجد منه شيء في عنيبة ، ويجلبه المتعهدون من أسوان وغيرها من بلاد الصعيد الوفيرة الخيرات ..

ولم نجد في الحمالين شهامة ونجدة ، ونشاطاً وإسراعاً إلينا ، كما نجد هذا في حمالي القاهرة أو مديريات الوجه البحري ، وبعض مديريات الصعيد مما يلي القاهرة ، حتى ليهرع إليك عدد من الحمالين قد لا يكون إليك حاجة بهم ، ومع هذا يكاد كل منهم أن ينتزع أمتعك منك ، ويحملها عنك ... وإنما وجدنا فيهم تباطؤاً وكسلا ، وتوانياً ، جعلنا نصرخ فيهم ، ونشتد معهم في المعاملة ، ونقسو عليهم في القول ، وهم يتهربون ، ويتسللون لواذاً ، وكأنما نريد أن نستغلهم استغلالا ، وأخيراً قالوا لنا : دعوا أمتعتكم ، واذهبوا إلى المدرسة ، وسنوافيكم بعد مدة ، عندما ترحل الباخرة .. !!

ونظر بعضنا إلى بعض نظرات ملؤها الدهش والعجب ، والحيرة والارتباك ، إذ كيف ندع أمتعتنا على الشاطئ بين فئة لا ندري من أمرها شيئاً ؟ ! وكأنما زاد مخاوفنا ظلام الليل ، الذي لم تجد معه أضواء الباخرة شيئاً ، بل كانت هذه الأضواء مع قوتها ضعيفة واهنة ، وكأنها أشعة خافتة لنجم كليل !! وكانت أمواج النيل الصاخب ، تضطرب في عنف ، وترتفع إلى حيث نقف مع الجموع المستقبلة للباخرة وتقبل منا الأقدام ، في ثورة خانقة ، وغيظ صارخ ، فتبلل أحذيتنا ، ولكننا من فرط ما نحن فيه من دهشة وعجب واستغراب ، لا نكاد نشعر بهذه الأمواه ، ولا نحس لها أثراً ؟ !

وضاقت صدورنا . لأننا وقد أثقلتنا هذه الأحمال والأمتعة ، لا نجد من يسرع في حملها حيث نريد .. وتطلعنا حوالينا ، فلم نجد إلا النيل شرقاً ، رحباً مخيفاً ، والجبال غرباً ، بشبحها المظلم القاتم ، وكأنها حراس علينا ، تشرع في وجوهنا أسلحة لا نطيق لها صبراً ، ولا عليها احتمالا ، فبقينا هكذا مدة ، ثم عارض بعضنا في هذا ، وسكت البعض الآخر مقتنعاً بهذه المعارضة ، ولكننا في النهاية لم نجد مناصاً من الرضوخ لهذه الرغبة ، والنزول على هذه الإرادة مكرهين ، فلقد اتجهت إلينا الأنظار متعجبة دهشة ، وكأنها تقول : علامَ التشكك والارتباك ، وعلام الخوف والاضطراب وهذه البلاد لا موضع فيها لخائن الأمانة ، أو ناكث للعهد ، أو خافر للذمة ؟!! وكأنما كانت هذه النظرات ألسنة ناطقة ، لا نظرات صامتة ، فسرعان ما شعرنا جميعاً بالتخاذل والخجل ، ومضينا إلى حيث نريد ..

سرنا على الميناء متجهين إلى المدرسة كما أشار لنا بعض الواقفين ، وميناء عنيبة جسر ممدود إلى داخل النيل ، نهايته على الشاطئ الأصلي للنيل ، فإذا جاء الفيضان ، وارتفعت مياه النيل خلف الخزان في نوفبر تقريباً من كل عام ، وجدت الميناء عبارة عن لسان طويل جداً ، ممدود حوالي ثلاثمائة متر ، وعرضه متران تقريباً ، فإذا ما زاد الفيضان ، غمر هذا اللسان ، ورست البواخر على الشاطئ الجديد ، الذي يظل الماء عنده إلى أوائل مايو ، ثم يأخذ في الانحسار مرة أخرى حتى يصل إلى الشاطئ القديم ، فيضيق النيل كثيراً . وحول الميناء شاهدنا بضع عوامات ، وعلمنا أنها كلها تابعة لوزارة الأشغال (مصلحة الميكانيكا والكهربا) ، وأن منها ما يستعمل كـ (عنبر) صغير به مضخات لرفع مياه الشرب من النيل إلى محطة الطلمبات الخاصة بهذه العملية في مستعمرة عنيبة . ومنها ما يستعمل كمنازل صغيرة لغير المتزوجين ، ومنها ما يستعمل للصيانة ، فيكون أشبه بمصنع صغير متنقل ، وهذا لا يرسو في عنيبة دائماً ، وإنما ينتقل بين محطات المركز كبلانة والدكة وغير ذلك .

كان الظلام حالكا ، والسكون شاملا ، ولم يكن هناك أثر لشعاع من النور ، وخاصة وقد صفرت الباخرة ، وأطفأت مصابيحها الأمامية (الكشافات) التي لا تضيئها إلا عندما تريد الإرساء في محاط المركز .. أما عندما تسير فلا تستطيع أن تنير

هذه المصابيح ، لأنها بانعكاسها على الماء ، واضطراب صفحة الماء، تدع الربان لا يستطيع أن يتبين طريقه ، ولا يعرف كيف يسير !

مضينا نضرب فى الرمال على غير هدى ، لا نكاد نرفع رجلا حتى تنوص أخرى ، الأمر الذى أوهن قوانا ، وأضعف عزائمنا، فقطعنا المسافة من الميناء إلى المدرسة فى ساعة ونصف تقريباً ، بينا هى لا تتجاوز الألف متر .

وشعر كل منا بتقصير المدرسة فى حقنا ، فكان الواجب . يقضى بأن ترسل فى انتظارنا أحد فراشيها ، وهم كثر على ما سمعنا، كدليل على الأقل يكفينا مؤنة السؤال عن الطريق وسط هذا الظلام الحالك ، الذى لم يجدنا معه السؤال شيئاً ، إذ أن كل شخص نسأله لا يحرك ساكناً بل يكلمنا فى هدوء وسكون وهو جالس دون مبالاة ، مما جعلنا نغلظ القول لبعضهم ، وكدنا نعتقد أن كل الأهلين على هـــذا الوضع من الخمول المعيب ، والكسل الأليم .

ودفع هذا الوضع الشاذ بعض الزملاء إلى الصراخ وسط هذه الفلاة القاتمة ، بألوان من السباب والغيظ ، والنقمة والثورة، ولكن الصوت كان يتردد صداه فى وحشة مرهقة ، وكأنما نحن نسير فى مقبرة مهجورة تعبث فيها الجن ، ومردة الشياطين فساداً ، وتنكيلا بالناس ..!!

وأخيراً وصلنا إلى المدرسة بعدما أرشدنا خفير المستشفى الذى اضطر لذلك اضطراراً حينما كدنا نضل الطريق نهائياً .. وفتحت لنا المدرسة أبوابها ، وكنت لا تسمع فيها حركة ولا صوتاً ، على الرغم من نوم التلاميذ ، وكثرة عددهم ، الذى يربي على خمسمائة تلميذ . واستقبلنا مشرفان فاضلان ، وجدنا فى سماحتهما ولطف حديثهما ما هوّن علينا ما قاسينا من مصاعب ، فى هذه السفرة الشاقة ، والرحلة المضنية ، وخاصة وأن أكبر مسافة قطعتها قبل أن أنقل إلى هذه البلاد ، هى المسافة ما بين القاهرة والإسكندرية ، والتى لا تتجاوز الأربع الساعات ..

وجال معنا المشرفان قليلا فى أنحاء المدرسة ، بالقدر الذى يسمح لنا بتعرف ما حولنا ، ورؤية المكان الذى سنبيت فيه ، لنكون على خبر به ، وبينة من أمره وبخاصة وممنا صبى صغير هو نجل أحد الزملاء ، وقد سمع هذا الصبى عن عقارب عتيبة فى الباخرة ما جعله ينكمش فى نفسه طوال المدة ، ولا يكاد يضع رجليه على الأرض ، خشية أن يناله مكروه ، فبقى شارد الطرف ، حائر الفكر ، مضطرب الشعور ، لا تكاد تكلمه حتى تدرك مبلغ ما يعانيه من حيرة وارتباك ... وكان الظلام ناشراً لواءه على المدرسة كذلك ، وكانت هذه المصابيح الهوائية الضئيلة ، تبعث الضوء خافتاً باهتاً ، وكأنما هو خائف مضطرب، يخشى صولة الظلام القاهر ، ووحشة الليل المخيف ...

والمدرسة كما علمنا لا تضاء بهذه المصابيح الهوائية المنتشرة فى كل ناحية من نواحيها ، والتى تشتعل بزيت النفط ، بل تضاء بالكهرباء فلها مولد كهربى خاص ، إلا أنه يدور قبيل الغروب من كل يوم ، ويتوقف عن الإدارة فى الحادية عشرة مساء ، إلا إذا دعا الداعى ، لأن يبقى مدة أطول ، ساعة أو ساعتين حسب الحاجة إليه ، بأن أقيمت فى المدرسة حفلة للسمر ، أو لتوديع بعض الزائرين ، وانتظار الباخرة التى ستقلهم إلى الشلال، إذ أن ميعاد بعض البواخر وهى السريعة ، الواحدة والنصف صباحاً ، أو الثانية أحياناً ، ولكن لابد للمسافر من أن ينتظرها ابتداء من الثانية عشرة أو قبل ذلك ، فربما تدفعها الريح مسافة تتقدم بها ساعة أو ساعتين !! أقول وفى هذه الظروف تبقى الإنارة حتى تنتهى الحفلات ، أو المناسبات ، ثم تشعل المصابيح على الأثر ..

وما كاد يستقر بنا المقام ، حتى جاء الحمالون ، ومعهم أمتعتنا ، يحملونها على الحمير النحيفة العجفاء ، فكان هذا دليلا عملياً ناطقاً بالأمانة الشاملة فى هذه البلاد !

عبد الحفيظ أبو السعود

الأدب والفن في أسبوع

« التيسير » بدار الكتب :

انتهز حضرة صاحب المعالى عبد الرزاق السنهورى باشا وزير المعارف ، فرصة وجوده بأمريكا فى وفد مصر إلى مجلس الأمن ، فزار بعض الجامعات الأمريكية ، واتصل بأساتذتها ، وفاتح بعضهم فى دعوتهم إلى زيارة مصر ، فأبدوا ارتياحهم إلى ذلك ، ووعد بأنه سيهتم عند عودته إلى مصر بتوجيه الدعوة الرسمية إليهم . وزار معاليه أيضاً مكتبة « الكونجرس » التى تعد أعظم مكتبة فى العالم ، وقد تحدث إلى مراسل الأهرام عن هذه المكتبة فقال : « تحوى هذه المكتبة سبعة ملايين مجلد ، وقد أصبحت كعبة المنقبين والعلماء ، وتهيء لرواد الكتب من أسباب التيسير ما لا تهيئه لهم أية مكتبة أخرى فى القارتين »

وليت معاليه يدعو بعض موظفى مكتبة « الكونجرس » لزيارة دار الكتب المصرية، ليقفوا على ما تهيئه لروادها من أسباب التيسير التى منها : « فى الخارج » و « لدى الموظفين » و « فى الطبعة » و « مفكوك » و « فى الغارة » ويأتى أحد هذه الأسباب على « سند الاستعارة » إلى طالب الكتاب بعد وقت يدهش الأمريكى ، الذى يعيش فى عالم السرعة ، للبراعة فى تضييعه ! ويظهر أن دار الكتب قد وصلت إليها عدوى « الأداة الحكومية » لا فى البطء وحده بل كذلك فى الوساطة والتوصيات ، إذ أصبح من اللازم لكى تحصل على الكتاب المطلوب أن تستعين بصديق من موظفى الدار ...

وبعض تلك الأسباب : « أسباب التيسير » عجيب ، فقد طلبت كتاباً فى أيام متباعدة ، وفى كل مرة كانت تزحف إلى كلة « مفكوك » على سند الاستعارة ... فلم يظل مفكوكا ؟ أما مسألة « الغارة » فهى أعجب العجب ! فقد أودع هذه الغارة كثير من الكتب خوفاً عليها من الغارات الجوية ، وانتهت الحرب ، وأضيئت القاهرة ، وأزيلت المخابئ وألغيت وزارة الوقاية ... كل ذلك والكتب نائمة فى « الكهف » وما تزال فى سباتها !

ولكنى أخشى ، من حضور الأمريكيين إلى دار الكتب المصرية ، أن يتحدثوا عن مصر عندما يعودون إلى بلادهم فيضموا موضوع « التيسير بدار الكتب » إلى « كرم الضيافة » و « الآثار القديمة » و « الشوارع الكبيرة التى جدت بالقاهرة » التى جرى على الإشادة بها من زار مصر قبلهم من الغربيين الجاهلين ، كأنهم لم يروا فى هذه البلاد شيئاً يعجبهم غيرها !

كان وأخواتها :

هكذا سمى العدد الخاص الذى ظهر أخيراً من مجلة « الإثنين » وقال المحرر مقدماً هذا العدد : « إنه كان فى النية أن يكون خاصاً « بكان » وأخواتها ، فاحتجت « إن » وأخواتها ، فلم يسع التحرير إلا إجابة طلباتهن » .

وكانت إجابة تلك الطلبات أن جمل « لإن » وأخواتها ما « لكان » وأخواتها فى هذا العدد من حق ... هو أن يبدأ بكل منها أو يتضمنها عنوان موضوع من الموضوعات التى اعتادت المجلة أن تنشر أمثالها .. ومن هذه العناوين « كنت أدخن السجاير اللف » و « إن مع العسر يسرا » و « لست ملاكا » و « بات على الرصيف » .

وقد ذكر فى هذا الصنيع بما كان يفعله كتاب العصور المتأخرة من استعمال الاصطلاحات النحوية فى كتاباتهم وما كانوا يتجشمونه من الإتيان بكلام يتكون كله من الحروف المعجمة ، أو يخلو من حروف معينة ، وغير ذلك من ضروب الرياضات الكلامية التى كانوا يتوفرون عليها لإظهار التمكن وإحراز السبق

ولا شك أن عدد « كان وأخواتها » بذل فيه جهد فى اختيار العناوين المبتدئة والمتضمنة إحدى تلك الأدوات ، ولكن ما محصل كل هذا ؟ !

على أن فيه غير العناوين جهداً آخر « ليته » لم يكن .. هو صفحة عنوانها « لكن فى تاريخ البشرية » حوت وقائع من التاريخ تغير فيها مجرى الأمور وكانت « ولكن » نقطة التحول ، مثال ذلك : « غزا الاسكندر أفريقيا وآسيا ، وأصبح سيد العالم وهو فى شرخ الشباب وعنفوان الجمال ، وأراد أن يجمع الشرق والغرب تحت تاج واحد ، ويصهرهما فى حضارة واحدة ... ولكن ... فى يوم من أيام القيظ نزل الاسكندر للاستحمام فى مياه نهر بارد ، فأصابته حمى قضت على حياته » .

وبقية الأمثلة على هذا النسق من حيث موقع « ولكن »

فيها ، وقد قدم لها كاتبها بأن « لكن » من أحرف العطف التى « تشرك ما بعدها فى حكم ما قبلها » . فلكن هنا — مع أنها قد تسللت إلى العدد الخاص « بكان » و « إن » وأخواتها — ليست من أحرف العطف ، لأنها مسبوقة بالواو وداخلة على جملة ، فهى حرف ابتداء ، وهى لم تشرك ما بعدها فى حكم ما قبلها .

وفى العدد مقال للأستاذ محمد توفيق دياب بك عنوانه « إن من البيان لسحراً » قال فى مفتتحه : « وأخذت فى التروية والتفكير : إن من البيان لسحراً ... من عسى أن يكون قائلها الأول ؟ وأجابت الذاكرة : إنه الرسول الكريم قالها إعجاباً بقصيدة إسلامية ألقاها بين يديه حسان بن ثابت » .

والذى نعرفه أن الرسول الكريم قال هذه الحكمة لعمرو ابن الأهتم عند ما علل مدحه الزبرقان بن بدر وذمه له فى مجلس واحد لاختلاف الباعث — بقوله وقد رأى كراهة ذلك فى وجه الرسول : « يارسول الله ، رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الثانية »

وساق الأستاذ دياب مثلا للبيان الساحر بعض قصيدة ابن الرومى التى رثى بها ولده « محمداً » من قوله :

توخى حمام الموت أوسط صبيتى فلله كيف اختار واسطة العقد

وقال الأستاذ : « وكان محمد ولده الأوسط بين أخوين » ؛ وهو يريد بهذا تفسير « أوسط صبيتى » ؛ وإنما يريد ابن الرومى أن الموت أخذ خير أولاده ، ولو كان المراد المتوسط بين أخوين ، لكان الكلام تافهاً لا يليق بابن الرومى .

وقد عنيت بكل ذلك ، لأن « الاثنين » مجلة منتشرة ، وأحب ألا يستقر فى الأذهان إلا الصحيح من مسائل اللغة والأدب .

موسم الأوبرا والفرق الأجنبية :

تعمل الآن الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى فى إعداد رواية « الناصر » لتمثيلها على مسرح الأوبرا فى مفتتح الموسم القادم ، وقد ألف هذه المسرحية الأستاذ عزيز أباظة باشا تحقيقاً لرغبة ملكية سامية فى أن يظهر على المسرح عصر من أزهى عصور العروبة والإسلام .

والعصر الذى تعرض الرواية صوراً منه ، هو عصر العرب الذهبى بالأندلس ، عصر عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله ، ويقع فى القرن العاشر الميلادى ، أى فى العصور الوسطى ، إذ كانت أوربا يسودها الجهل والفوضى وكل مساوئ الحكم الإقطاعى ، على حين كانت الأندلس ، فى طرفها الجنوبى الغربى ، قد سعدت بالعرب فازدهرت فيها العلوم والآداب والفنون ، وانتشر العدل وعم الرخاء .

وتعاون وزارة المعارف ووزارة الشئون الاجتماعية الفرقة المصرية على إعداد هذه المسرحية ، لتهيئ لها أسباب النجاح ، ولتظهر المجد العربى على المسرح فى المظهر اللائق به .

وهذه الرواية فاتحة طيبة لموسم التمثيل بالأوبرا ، نود أن تعقبها وتشغل الموسم كله فى هذا العام مسرحيات عربية تمثلها الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى وبعض الفرق المصرية الراقية التى تشكو التعطل . أعنى ما يأتى :

١ — يطلب من الكتاب الذين عرفوا بالإجادة فى التأليف المسرحى أن يغذوا المسرح بقصص تصور واقع حاضرنا وسالف مجدنا ، وفى توجيه الطلب إليهم تقدير لهم يحفزهم على الإنتاج ، ولا بأس بقبول الجيد مما يقدم من غيرهم ، ويتكون من ذلك ومن بعض المسرحيات المصرية القديمة مواد (لتموين) الموسم .

٢ — تشغل الموسم كله فى مسرح الأوبرا ، الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى ، وتدعى للعمل به كذلك الفرق الكبيرة التى عانت الكساد فى السنوات الأخيرة ، وكان المكان ، أى المسرح ، من أسباب هذا الكساد ، فنهيئ لفرقنا مجال العمل ، ولفننا فرصة الازدهار .

٣ — وعلى ذلك ، ومراعاة للظروف السياسية التى نحن فيها ، لا يكون ثمة أى داع لمجىء الفرق الأجنبية إلى هذه الديار فى هذا العام على الأقل ، وخصوصاً الفرق التى تأتى من بلاد الأعداء ومعاونيهم علينا ، وحسبنا ما كان من « تمثيلهم » فى مجلس الأمن ... ولست أدرى كيف لا تحول « قيود » الظروف الحاضرة « الصعبة » دون استيراد هؤلاء !

وما أحوجنا الآن فى جهادنا الحالى إلى المبلغ الضخم الذى ينفق على الفرق الأجنبية لننتفع به فى مساعدة الفرق المصرية بجزء منه وصرف الباقى لتقوية الجيش .

أما حضرات السادة ذوو الأذواق العالية التى لا يرضيها إلا الفن الغربى .. فيجب عليهم أن يعيشوا معنا ، ويحسوا إحساسنا ، ويصحبونا إلى مشاهدة تمثيلنا والاستماع بفننا .

وقد كنت أجمل المطلب الرابع تخفيض أسعار دخول الأوبرا ، لتتاح الفرصة لأكبر عدد ممكن من طبقات الشعب — لولا أننى قرأت فى إحدى المجلات أن ذلك قد تقرر فعلا .

توصيات المؤتمر في اللغة العربية :

أتيت في الأسبوع الماضي على أهم توصيات المؤتمر الثقافي ، في التربية الوطنية ، والجغرافيا ، والتاريخ . ولما كانت توصيات اللغة العربية لم تذع ، فقد ظن أن المؤتمر لم يتخذ قرارات في شأنها ، وقد أشرنا إلى ما ترامى إلينا من هذه الظنون

والواقع أن لجنة اللغة العربية كانت تأخرت في إعداد تقريرها ، فترتب على ذلك تأخر طبعه عن جلسة المؤتمر الختامية ، فتليت توصيات اللغة العربية من نسخة مكتوبة باليد ، ووافق عليها المؤتمر كما وافق على توصيات المواد الاجتماعية التي كانت قد طبعت ، فأرسلت الأخيرة إلى إدارة الصحافة بالجامعة العربية ، فوزعتها على الصحف ، ولم ترسل توصيات اللغة العربية من لبنان إلى حين كتابة هذا ، ولعلها في الطريق

وقد اطلعت على نسخة مخطوطة من هذه التوصيات ، وهي مفصلة شاملة لمناهج السنوات المختلفة بالتعليمين الابتدائي والثانوي في مواد اللغة العربية. ونقتطف منها بعض التوصيات العامة فيما يلي :

افتتح تقرير لجنة اللغة والقواعد ، بأن المؤتمر يرى أن قواعد اللغة العربية ، من نحو وصرف وإملاء ، تحتاج إلى تيسير وتبسيط يقربانها من مدارك الطلاب ، على ألا يمس ذلك بحال من الأحوال جوهر اللغة

وجاء في تقرير لجنة الأدب أن الغاية من التثقيف الأدبي في المرحلة الابتدائية تنشئة الطلاب على الأخلاق السامية والروح الوطنية والشعور العربي ، مع تربية ذوقه الفني ، وتنمية ملكة التعبير فيه ، وتزويده بطائفة من المعلومات تزيد في ثقافته العامة.

وفي التعليم الثانوي يجب أن ينظر إلى الأدب نظرة واسعة ، بحيث لا يكون مقصوراً على الشعر والنثر الفنيين ، بل يتناول أيضاً الموضوعات الفكرية والعقلية المصوغة صياغة أدبية مثل مقدمة ابن خلدون ورحلات ابن جبير وابن بطوطة ورسالة حي ابن يقظان وبعض كتابات الغزالي وبعض قطع تاريخية من الطبري والفخري ونحو ذلك . وفي المرحلة الأولى من دراسة الأدب يكون الاعتماد على نصوص أكثرها من الأدب الحديث ، وأقلها مما يقرب من هذه النصوص في السهولة من الأدب القديم . ويكتفى من تاريخ الأدب في هذه المرحلة بما كان تعريفاً موجزاً بقائل القطعة وما كان لازماً لفهمها . وفي المرحلة الثانية تختار نصوص أدبية مرتبة حسب العصور من الجاهلي إلى الحديث ، يراعى في اختيارها دلالتها على روح عصرها وتصويرها لخصائصه الفنية ، مع مناسبتها لاستعداد الطالب وفهمه ، وتكون دراسة الأدب مستمدة من هذه النصوص

ويرى المؤتمر أنه يجب ألا نتقيد في التعليم الثانوي بالبلاغة الشكلية النظرية ، وأن نعود بالنقد إلى وظيفته الأساسية ، وهي تذوق الأدب ، وفهم نصوصه ، وإدراك صوره ومعانيه ، والقدرة على محاكاته . والطريق الطبيعي إلى ذلك هو العناية بالنصوص نفسها ، وفهم المراد منها ، ومناقشة أفكارها ، وتبين ما فيها من جمال أو نقص ، وتعرف ما بينها وبين شخصيات منشئيها من صلات ولاحظ المؤتمر أن تسمية الإنشاء باسم « التعبير » أفضل لما في هذا من توسيع لمدلوله ، وخروج به عن دائرة الشكلية والتكلف ، وتنبيه إلى نواح من النشاط تساعد على نمو الملكة المعبرة المبتكرة عند التلميذ

ويوصي المؤتمر بأن يعطى للغة العربية — وهي عماد الثقافة القومية — أكبر مقدار ممكن من زمن الدراسة في مناهج التعليم

ونكتفي الآن بهذا القدر ، على أن نأتي في الأسبوع الآتي بما يراه المؤتمر من الطرق والوسائل لتوفير القدر المشترك من الثقافة العربية بين ناشئة العرب .

« العباس »

الكتب

عرض ونقد :

أخي إبراهيم

(تأليف الآنسة فدوى طوقان)

بقلم الأستاذ إبراهيم محمد نجا

هذا كتيب لطيف الحجم ، جم الفائدة ، كتبته الشاعرة النابهة الآنسة فدوى طوقان ، عن أخيها شاعر فلسطين ، وفقيد الشعر العربي الأستاذ إبراهيم طوقان .. والذين قرؤوا رثاء الآنسة فدوى لأخيها إبراهيم ، قد لمسوا من غير شك في هذا الرثاء مبلغ ما تكنه الآنسة لأخيها الشاعر من الإعجاب والتقدير ، وعرفوا مقدار ما بينهما من ألفة الروح ، وقرابة العاطفة ، فوق ما بينهما من ألفة الأخوة ، وقرابة الدم .

والذين يقرؤون هذا الكتيب يلمسون فيه كذلك كل هذه المعاني والمشاعر في صورة قوية واضحة ؛ فقد شاءت الآنسة أن تصدر كتابها بهذه الأبيات الحزينة المتفجعة التي تصور الحزن والإعجاب معاً تصويراً قوياً مؤثراً :

أي لحون رعن سمع الزمن بعثتها من نبضات الفؤاد ؟!
أودعتها الروح تناجي الوطن فيها ، فتهتز الربا والوهاد !
ثم تراميت صريع الوهن مخضب الروح ، سليب الضماد !
وامتنع الشدو كأن لم يكن وجذوة القلب استحالت رماد!

ثم أخذت تعرض صوراً من حياة أخيها في مراحلها المختلفة بأسلوب يستدر الدمع ، ويستثير الشجون ! وهي في أثناء ذلك تأتي بنماذج من شعره ، لا تعرض لها بالنقد والملاحظة ، وإنما تذكر دواعيها ومثيراتها ، ثم تدع للقارئ أن يحكم عليها . أما هي فمعجبة بشعر أخيها كل الإعجاب ، مؤثرة لشخصه كل الإيثار .

وأشهد أني بعد أن قرأت هذا الكتاب — وفيه نماذج كثيرة من شعر إبراهيم — قد أصبحت أكن لهذا الشاعر من الإعجاب والتقدير مثل ما أكنه لكل شاعر موهوب .

وما أندر أصحاب المواهب في هذا الزمان ! وأصبحت كذلك أجد لفقده من الأسف والحسرة مثل ما أجد لفقد الشابي والهمشري والتيجاني والملوف وبليبل وأمثالهم من الشعراء الذين فقدناهم ، وهم في ريعان الشباب ، ومعقد الأمل ، ومناط الرجاء . وإن كان بعض هؤلاء لم أعرف عنه ، ولم أقرأ له إلا بعد موته بسنوات .

ورأيي الصريح في إبراهيم أنه يمتاز في شعره بدقة الوصف ، والإحاطة بالتفاصيل ، دون أن يضطره ذلك إلى الإسفاف والتبذل في الألفاظ أو المعاني . وقد أعانته على ذلك قوة روحه الشاعرة ، ووفرة ثروته الأدبية . كما يمتاز برقة الألفاظ في مواضع الرقة ، وجزالتها في مواضع الجزالة ، وجمال التخيل ، وطرافة المعاني في كثير من القصائد .

وقد مهدت له براعته في الوصف سبيل البراعة في الشعر القصصي كما يظهر ذلك جلياً في قصيدته الرمزية القصصية الرائعة « مصرع بلبل » . وفي يقيني أن إبراهيم لو مد في عمره لأتى بالمعجب المطرب في هذا الفن من فنون الشعر الحديث .

ولكنه في شعره الغزلي في حاجة إلى شيء من قوة الانفعال ، وفورة العاطفة ، فقد سيطرت على هذا الشعر رقة الشعور ، ووداعة العاطفة ، وهدوء النفس . ويبدو ذلك واضحاً في قصيدتيه « ملائكة الرحمة » و « في المكتبة » . ولولا ما في هذا الشعر من براعة الوصف ، وطرافة المعاني ، وجمال الأسلوب ، لما استحق إبراهيم أن يعد من شعراء الغزل في هذا العصر .

أما شعره في الوطنيات والموضوعيات — على حد تعبير الآنسة فدوى — فهو شعر قوي الألفاظ والمعاني على السواء ، وإن كان بعض هذا الشعر تفوته جزالة الألفاظ ، ونخامة الأسلوب ، مثل قصيدته « الشاعر والمعلم » التي يقول في مطلعها :

شوقي يقول وما درى بمصيبتي « قم للمعلم وفه التبجيلا » !

وقصيدته التي يقول في أولها :

أنتم المخلصون للوطنيه أنتم الحاملون عبء القضيه

وقصيدته التي يقول فيها :

إن قلبي لبلادي لا لحزب أو زعيم

ولست أدري لماذا تذكرني هذه القصيدة بمقطوعة البارودي التي يقول فيها :

أنا فى الشعر عريق لم أرثه عن كلاله
كان إبراهيم خالى فيه مشهور المقاله

وهناك فن من فنون الشعر لا أجد إبراهيم يفرده بالحديث، ويختصه بالقول، وإنما يلم به فى قصائده إلماماً، ويعرض له عرضاً، ذلك هو تحليل النفس البشرية وسبر أغوارها، وتصوير حالاتها المختلفة، وتجاربها المنوعة، مع أن هذا الفن من فنون الشعر أدل على عمق إحساس الشاعر، وكثرة تجاربه، وسعة أفقه، من غيره من فنون الشعر المختلفة. والشعراء بعد ذلك درجات فى شعر الحالات النفسية، فمنهم من يقف عندما يخص نفساً دون نفس، أو طائفة من النفوس دون طائفة ومنهم من يوفق إلى ما يمس النفوس البشرية كلها فى أحوالها المختلفة.

ولعل إبراهيم قد صرفه الحديث عن آلام وطنه عن تعمق النفس البشرية. وآلام الوطن لا تحتاج لإحساسها إلى التعمق والإستقصاء؛ لأنها تغلى فى النفوس، وتجيش فى الصدور، ولكنها فى حاجة إلى من يحسن تصويرها، والتعبير عنها، والتأثير بها. ومهما يكن من شىء، فإن إبراهيم طوقان موهبة من المواهب الفنية، يعظم فيها الرزء، ويجل عنها العزاء، ويعز فيها العوض.

وإذا كان لى بعد ذلك أن أدل الآنسة الفاضلة على شىء، فإنما أدلها على أنها قد عرضت حياة أخيها عرضاً موجزاً يوشك ألا يسمى ترجمة حياة. فإن كان ذلك ضرورة من ضرورات النشر، فهل لها أن تتناول هذه الحياة بمقالات تفصل فيها ما أجملت، وتوضح ما أبهمت، وتذكر ما لم تذكر؟!

وشىء آخر أحب أن أدل الآنسة عليه، هو أنها قد تركت بعض جوانب من حياة أخيها دون أن تعرضها، فعلت ذلك عن عمد وإصرار، كما يبدو من إهمالها الحديث عن « سيئات! » هذا الغرام الذى قام بين أخيها وبين فتاته أو فتاة الجامعة الأمريكية ببيروت، مع أنها لم تهمل الحديث عن حسنات هذا الغرام ... حسناته الأدبية طبعاً!! ومع أنها ذكرت أن لهذا الغرام سيئات، ثم قالت: « أما السيئات، فليس هذا بموضع تدوينها »! لماذا؟ ألأن هذه « السيئات » سيئة إلى الحد الذى يجعل القلم الأنثوى يتصبب « مداداً!! » حين يخوض فى حديثها؟

على أن الذى أفهمه أن على الآنسة أن تكون مؤرخة فى كتابتها قبل أن تكون شيئاً آخر، وأن التاريخ الأدبى يقتضيها إذا ذكرت ناحية من النواحى الظاهرة أو الخفية فى حياة من تكتب عنه، أن تقول فيها ما يغنى وما يفيد. ومن يدرى، فقد تكون النواحى الخفية فى حياة الشاعر أدل على معرفة نفسه، وأبعث على فهم شعره من غيرها من النواحى الظاهرة.

وبعد، فالرأى أن الآنسة الفاضلة قد دلت بكتابها على أنها تملك موهبتى الشعر والنثر معاً؛ فقد أجادت فى حديثها عن أخيها حديثاً ممتعاً حزيناً مؤثراً! وأجادت كذلك فيما اختارت له من النماذج الشعرية التى نثرت بعضها فى أثناء الكتاب، وجعلت بعضها الآخر فى آخره. فهل لها أن تعنى بطبع ديوان أخيها إبراهيم طبعاً يليق به، وتروج له؟ إنها حين تفعل ذلك تقدم خدمة كبيرة، لا أقول لأخيها فحسب، وإنما أقول للشعر العربى أيضاً. رحم الله شاعر فلسطين إبراهيم طوقان، ومد فى حياة فدوى طوقان شاعرة فلسطين.

ابراهيم محمد نجا



تفرعن ، فرعون :

خمنت (الاثنان) الغراء في الجزء ذي الرقم (٦٩٢) — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٧ — أن الفعل (تفرعن) هو من كلام العوام ، فأنزلته في تضاعيف عباراتها في مقالة من مقالاتها وسط أقواس[1] أربع أو أهلة معرفة قراءها بما فعلت أن المقام اقتضى استعمال هذا العمل على عاميته مبالغة في التبيين واستقصاء ، وإنها بحاله لعليمة . فإن كانت (الاثنان) خمنت ما خمنته أو استيقنته فلتعلم — غير مأمورة — أن (تفرعن) فعل صحيح فصيح وعربي بحت قد نجلته العربية في (الجزيرة) ولو وضعته في مصر أو في الشام أو في العراق أو في المغرب الأقصى ما أنكرناه ولتقبلناه بقبول حسن كما تقبلنا سواه ، وهي العربية المتبحبحة المتصرفة في كلامها ، ولها لأمتها أن يتصرفوا ولا يقفوا . وإنه لما جاء (فرعون) اسمه إلى (الجزيرة) وتحدث الأقوام بما تحدثوا به اشتق منه (التفرعن) و (الفرعنة) ولم يسلم هو فراح (فرعون) عند العرب صفة صرفوه فيها ومنموه علماً فـ « كل عات متمرد فرعونٌ » كما في اللسان والتاج ، وفي الأساس: « فيه فرعنة ، قال:

وقد يكون مرةً ذا فرعنهْ .

وقد تفرعن علينا فلان ، وما هو إلا فرعونٌ من الفراعنة ، ومن المجاز : تفرعن النبات إذا طال وقوى » .

وخير لغاته هي ما نطق بها (الكتاب) أي بكسر الفاء وفتح العين ، وحكى ابن خالويه عن الفرّاء (فرعون) بضم العين وفتحها ، وهي لغة نادرة كما في التاج .

والاشتقاق من أسماء الأعلام في الجاهلية والإسلام كثير .

وقد يغني فعل أخذ من اسم عن كلام طويل ، فمن ذلك ما أورده الإمام الزمخشري في (أساس البلاغة) : « وتجاحظ فلان في كلامه »

وما ذكره في شرح لإحدى مقاماته :

« ابن الفرات هو علي بن محمد بن الفرات وزير المقتدر ، وكان كريماً سخياً سرياً يتبرمك في أيام وزارته »

(١) في الصحاح : القوس يذكر ويؤنث فمن أنث قال في تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس

وهذان الفعلان (تجاحظ وتبرمك) المأخوذان من ذينك الاسمين فيهما من المعاني ما فيهما ، والأمثلة من هذا القبيل جمة .

ذكرني (الاثنان وفرعون) بخبر في (روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار)[1] وبأبيات لأمير الشعراء (أحمد شوقي) — رحمه الله — في قصيدة عظيمة عبقرية . جاء في الروض :

« حضر مجلس (الإمام) الأعمش قوم ليسمعوا الحديث ، فقال : ما اليوم ؟

فقال رجل منهم : الاثنين . فقال (الإمام) الأعمش : الإثنان[2] ، ارجعوا فأعربوا كلامكم ثم اطلبوا الحديث » .

قال أمير الشعراء :

زمان الفرد يا (فرعون) ولى ... ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض ... على حكم الرعية نازلينا
(فؤاد) أجل بالدستور دنيا ... وأشرف منك بالإسلام دينا[3]

السهمي

أدب العروبة في الميزان :

كانت الجولة الأخيرة للأستاذ علي متولي صلاح بين دفتي الأثر القيم لجامعة أدباء العروبة تعقباً لآثار ثلاثة من شعرائها ، كاتب هذه السطور ، والأستاذين العوضي الوكيل وطاهر محمد أبي فاشا .

وأحب أن أناقش ما جاء في ثنايا مقاله من هنات أخذها علي مشكوراً في رفق وهوادة .

يقول الأستاذ (أما أن يترك الشاعر الموضوع الأصلي إلى الحديث عن نفسه وعن عاطفته في أمر لا علاقة للموضوع به فذلك ما نأخذه على الشاعر) .. وقد استشهد على ذلك بقصيدتي في الفيوم ، قائلا إنني لم أسق (من تاريخها الحافل أو ماضيها المجيد

(١) ربيع الابرار للزمخشري وروض الأخيار لمحمد بن قاسم بن يعقوب ...

(٢) اللسان : والإثنان من أيام الأسبوع والجمع أثناء على ماحكاه سيبويه ، وحكى مطرز عن ثعلب : أثانين .

(٣) في هذه العبقرية بيت بارع أسرف أدباء وأديبات في ظلم قائله وظلمه من سوء فهمه ، ولم يزل يظلم ، وقد أنصفه (صاحبي) في إملاء من أماليه في وقت ، والبيت هو هذا :

شباب قنع لاخير فيهم ... وبورك في الشباب الطامحينا

من الأديبات الطالبات الفاضلة الآنسة حواء إدريس .

شيئاً) وإننى (سردت على الناس قصة غرام شخصى فى غزل أخاطب به حبيبة بعينها) ..

أما أننى جانبت الموضوع فى مهرجان الفيوم فهذا ما يصعب أن أوافقه عليه ..

فإن موضوع الفيوم متعدد الجوانب ، متشعب الاتجاهات . (والتاريخ الحافل والماضى المجيد) أحد هذه الجوانب . ورياض الفيوم وجناتها مضطرب واسع لخيال الشاعر ..

وما الذى يزعجك يا سيدى من أن يتكفل النثر (بالجانب التاريخى الحافل والماضى المجيد) تاركا للشعر أن يصور جمال الطبيعة فى الفيوم ، وأنا أحيل الأستاذ متولى على قصيدتى مرة أخرى ليقتنع بأننى لم أشذ قيد أنملة عند تناول الموضـوع من هذه الناحية .

أما عن قصيدتى فى المنصورة ، فالمنصورة كما يسميها أستاذنا الكبير الزيات صاحب الرسالة بلد السحر والفتنة والجمال فلا تثريب على الشاعر من أن يتأثر بهذه الأجواء الساحرة الفاتنة على أننى لم أفرط فى قصيدة المنصورة فى الاستطراد فى ذكر (الناحية التاريخية والمـاضى المجيد) .

ثم ليسمح لى الأستاذ أن أتحداه فى غير هاتين القصيدتين وموضوعهما من الشعر كما قدمت — أن يذكر بيتاً واحداً خارجاً عن الموضوع فى سائر القصائد الأخرى فى الكتاب .

أما أننى أتغزل فى حبيبة بعينها ، فليتفضل الأستاذ بمراجعة ما تحت يده من دواوين الشـعراء فى عصور الأدب العربى وأنا الزعيم له بأنه سيجدهم جميعاً مفهومين جداً وهم يتغزلون فى واحدة بعينها وأن الأدب العربى لم يسجل عليهم فى هذا الصدد عيباً أو نقيصة . أما بقية المآخذ فسأجمل الرد عليها إجمالا .

فعدم علم الأستاذ بكيفية نثر الطيور للأزهار فوق الروابى فلست مسئولا عنه فقد رأيتها بعينى رأسى وعليه أن يغشى إحدى جنات المنصورة ليرى مارأيت . أما ان كلمة أنس الأمانى عامية ولا معنى لها فحينما يحرمه الله تحقيق أمنيـة له — لا قدر — ثم يشاء له تحقيقها حينئذ سيستشعر أنس هذه الأمنية لقلبه وعواطفه — أما أن البيت :

أقضى الليـالى أنات مرددة والشاهدان على النجم والسهد

لا يكون السهد شاهداً مع النجم وهى حالة يعانيها من كتبت عليه المحنة فلم لا تـكون هذه الحالة نفسها شاهداً ؟

أما المفاضلة بين « غزالة » و « بغداد » وبين « الدسوق » و « الرشيد » فقد فهمها منهما غريباً لا يتسق مع ما ترى إليه الأبيات من تشبيه يلتقى فيه البلدان والرجلان عند هدف التمجيد والتـكريم والاشادة بمن يعمل على رفع شأن الأدب ورعاية الشعر .

أما أن كلمة « ملياً » فى البيت :

يا لواء الفاروق عشت مليا نحن نفدى لواءه المقصودا

كان الأولى أن يكون موضعها « دواما » لأن معنى الأولى الزمن الطويل بدليل الأيه (واهجرنى مليا) فلعل الأستاذ يوافقنى على أن كلمة « مليـا » تتساق فى الجرس أكثر من « دواما » والزمن الطويل لا تلتمس له النهاية التى حددها الأستاذ متولى ،

أما المأخذان الأخيران فى عدم تأتى حر العطش من الرى العذب فى البيت :

فاسقنيها فى ربيع الزمن خمرة من ريها العذب أوامى

وعدم تصور حباء اللذع وأنه لا يكون إلا فى الخير لا فى اللذع فى البيت :

قلبى الذى بات يصلى منك جمرته وقد حبته بلذع دونه سقر

فحر العطش يتأتى من الرى العذب من هذه الخمرة التى تغرى دائماً بالعلل والنهل فكلما روى الشارب ظمىء .

أما أن العطاء لا يكون فى اللذع فلذع القلوب واكتواؤها بنار الحب شىء يلذ العاشقين يتمنونه ويغرمون به .

بقى أن أعقب على مآخذ للأستاذ الناقد على نتاج الجامعة الذى يقول أنه ضئيل ويسير وهو مأخذ يدعو إلى الدهشة والعجب فما الذى كان يتوقعه الأستاذ من مجهود للجامعة أضخم من هذا فى عامها الأول فقد افتتحت الجامعة فروعاً عدة فى مختلف أنحاء القطر شهدتها جموع كثيرة وأذاعها الأثير على سائر أقطار الشرق والعروبة ثم أخرجت الجامعة للناس كتاباً قيما يضم الرائع من الشعر والنفيس من النثر للأساتذة العقاد ، ناجى ، غنيم ، رامى الخ

أما اقتراح الأستاذ على معالى رئيس الجامعة فى تعديل تشكيل هذه الجامعة واقصاء بعض القائمين بأمر الدعاية والعمل لها ، فقد أعلن معالى الرئيس غير مرة أن هؤلاء القائمين بالنشاط الموفور لخدمة الجامعة ليسوا من كبار الـكتاب أو الشعراء فى البلد وإنما هم أناس قدموا أنفسهم وأوقاتهم لخدمة الجامعة ونشر أغراضها ومبادئها مستمدين العون من قادة الفـكر والبيان فى مصر وسائر أقطار العروبة .

أحمد عبد المجيد الغزالى



قصة مصرية :

أحزان غالية

للأستاذ نصرى عطا الله سوس

«... كان لها قلب ، وكان قلبها»
«المتمسك بالحياة سر ما تعانيه من عذاب»

كان الصمت الموحش الرهيب يخيم على قاعة المسرح المزدحمة بالجماهير التى توافدت لرؤية رواية «المنبوذ» فى ليلتها الأولى ، وكان الجميع يتتبعون التمثيل بشغف واهتمام وقد ارتسمت على وجوههم أروع العواطف وأعمق الانفعالات ...

ولم يكد يهبط الستار على الفصل الأخير وتضاء الأنوار حتى بدد وحشة الصمت دوى الهتاف والتصفيق الذى تجاوبت به أنحاء القاعة الواسعه ، وارتفع الستار مرة أخرى وقدم الممثلون للجمهور فروض الشكر والامتنان ، ثم هبط الستار مرة ثانية ، ولكن حماسة الجمهور لم تفتر بل ظل يهتف ويصفق فى نشوة وذهول كأنه يأبى الرجوع إلى عالم الواقع الذى انتزعته منه تلك المسرحية الرائعة ساعات خالدات ...

ولم تقل نشوة الممثلين ، وموظفى المسرح ، ومؤلف الرواية نفسه عن نشوة الجمهور ، فلم يكن بين كل أولئك من يقدر لهذه المسرحية التى تردد مدير الفرقة كثيراً فى قبولها مثل هذا النجاح النادر فى تاريخ المسرح كله ، نعم . إن شهرة المؤلف ومكانة الممثلين لا يتطرق إليهما شك ولكن المشكلة التى عالجها المؤلف فى مسرحية أعلى من مدارك الغالبية من رواد المسرح ؛ والحديث الذى أجراه على ألسنة أبطالها أقرب إلى حديث الفلاسفة والشعراء منه إلى حديث عامة الناس ، كما أنه هاجم أفكارا وعقائد باطلة لها على نفوس العامة سلطان كبير وإن كان لا يشك أحد فى تفاهتها وسخفها ولقد جازف مدير الفرقة بقبول الرواية للتمثيل معتمداً على ما تتمتع فرقته من ثقة وسمعة طيبة وتفنن فى الإعلان المغرى عنها وراح ينتظر النتيجة ... ونجحت الرواية فى ليلتها الأولى نجاحا فاق كل حسبان وتقدير .

ولم تنجح الرواية لقوة موضوعها وكفاءة ممثليها بقدر ما نجحت لأن امرأة شقية كانت تقوم بدور بطلة الرواية . ووفقت فى أداء دورها توفيقاً كاد يرقى إلى مستوى الإعجاز

لم تكن «سميرة» من الممثلات البارزات فقد قضت فى دنيا المسرح أكثر من خمس سنوات وفى العام الأخير فقط بدأ المخرج يثق فيها بعض الشيء ويسند إليها بعض الأدوار الهامة .

ولكن سميرة فى تلك الليلة التى قامت فيها بدور البطولة فى رواية «المنبوذ» لم تكن نفس الممثلة التى عرفها رجال المسرح أو رواده خلال خمس سنوات ! من كان يصدق أن المرأة التى مثلت دور «نبيلة» هى نفسها ذات المرأة المحتشمة الصموت التى ألف الكل رؤيتها فى أوقات فراغها منتحية ركنا قصيا تدخن سيجارتها فى وحدة وهدوء . أجل ، لم يكن هناك من يصدق أن تنقلب سميرة التى يعرف الكل مستوى تمثيلها إلى شعلة من نار تمدى كل من اشترك معها فى التمثيل بالحرارة واللهب . . لقد كانت بمثابة القلب الحار الجياش بالدم الذى يمد بقية الجسم بالوقود اللازم للحركة والحياة .

والسر فى ذلك لم تكن تعرفه إلا سميرة وحدها ، إنها لم تمثل فى تلك الليلة دورا على خشبة المسرح ، بل كانت تعيش ، كانت تحترق . وانتهت الرواية وأسدل الستار ، وانسلت سميرة إلى غرفتها لتستريح ولم تمض دقائق حتى أندفع المؤلف إلى غرفتها وأحتضنها فى حرارة وقبلها مهنئاً فراعه برودة شفتيها وشدة اضطرابها ، وبعد لحظات أقبل مدير الفرقة وهو يصيح فى طرب :

— إنى أهنىء كل منكما بالآخر .. إن روايتك يا أستاذ لن تعيش إلا مقترنة باسم سميرة ، وسميرة لم ترتق إلى هذا المستوى العالى إلا على أجنحة روايتك . . ونظر إليها فى غبطة فأذهله شحوب وجهها وما ينطق به من ألم ...

أما سميرة نفسها فقد كانت فى دنيا أخرى ، كانت ذاهلة عن نجاحها وعن كلمات الإعجاب والتقدير التى تنهال عليها ، وعن حفاوة الجمهور ومقدار تأثره . ولقد بذلت كل ما فى طاقتها لإخفاء ما بها عمن حولها ففشلت ، وحملوها إلى دارها وهى ترتعش كالمحموم .

وفى الصباح لم تقو على مبارحة فراشها..وأرسلت تستدعى طبيباً وفحصها الطبيب فحصاً دقيقاً ولكنه لم يستطع أن يهتدى إلى علة يعزى إليها شحوبها وهزالها ... ولكن وجه المريض يعترف دائماً للطبيب الماهر بكل الأسرار التى يجتهد صاحبه فى

إخفائها ، واستطاع الطبيب الذى عاد سميرة أن يفهم أن سر علتها لا يكمن فى جسدها : إن أعصابها المنهوكة المستنزفة ، وحسرتها الذائبة فى عينيها ، وأحزانها الراقدة فى أطواء صوتها تنطق بأنها تضم ضلوعها على صراع عنيف أو فاجعة دامية لا تريد أن تبوح بها فلم يسعه إلا أن ينصحها بالراحة التامة والتروح إلى مكان آخر لتبديل الهواء ، ووصف لها دواء للاعصاب .

وما أسهل إسداء النصح !! الراحة التامة ؟؟ لقد بكت عندما سمعت هذه الكلمة ، إنها فى حاجة إلى الراحة حقا ، ولكن أنى لها أن تنالها ؟ إن الزمن حكم عليها بالشقاء وأمعن فى إذلالها كأن بينه وبينها ثأراً لا ينقضى — والآن يأتى رجل غريب ويخبرها أن جسدها سليم ويفهمها فى لباقة أنه يدرك أن هناك سراً يهز أعصابها هذه الهزات العنيفة ثم ينصحها بالراحة ! !

وعلى فراش الأوجاع انفسح أمامها المجال للتأمل والتفكير ، وطافت برأسها المعانى ذكرى « المنبوذ » وكلمات الإعجاب وعاصفة التصفيق ... وعلت وجهها ابتسامة شاحبة وأغمضت عينيها وراحت تتذكر ...

أحقاً كانت تمثل دورا على خشبة المسرح ؟ تتكلف العواطف وتتصنع البكاء ، وتفتعل الحزن والألم والتنهدات .. ؟ لقد فعلت ذلك مئات المرات ، أما فى تلك الليلة التى لن تنساها فقد كانت تعرض على الجمهور مأساتها الدامية وذكرياتها الحزينة وكانت فى شبه غيوبة وهى على خشبة المسرح فقد استولت أحزانها وذكرياتها التى ظلت سنين حبيسة لا ترى النور على مشاعرها ولسانها وتدفقت الكلمات من فمها فى ثورة وعنف حاملة فى تضاعيفها لهباً وشواظا من أتون آلامها ... ولم تعد سميرة ممثلة تتحكم فى دورها بل إمرأة شقية تتحكم فيها ثورة آلامها وتنطقها دون وعى بما يعتلج فى صدرها ورأت بعينيها ذهول المشاهدين وسمعت بأذنيها الأنات والآهات وبكاء الباكيات فزاد تأثرها وانفعالها وتمثلت لها حياتها قاتمة الألوان دامية الجراح وأحست نحو نفسها بالشفقة والرثاء ... فكان ما كان آه لو كانت تعرف من يحس نحوها ببعض ما تحسه هى نحو نفسها من شفقة ورثاء لما تألمت كل هذه الآلام ، أو لو يقع لها فى مستقبل أيامها ماوقع لتلك الفتاة التى مثلت دورها على المسرح لشعرت ببعض العزاء وانتظرت فى صبر وأمل

كانت حوادث الرواية تدور حول فتاة جنت عليها سذاجتها وطيبة قلبها ، ظنت أن الشباب طريقا مفروشاً بالورد ولكنها لم تكن قد ادركت بعد أن الشوك يوجد دائماً حيث يكون الورد بألوانه الفاتنة المغرية . وأسلمها العبير فأغمضت عينيها واستسلمت للأحلام .. فجرفها التيار — وأفاقت فجأة لتجد أن ثمرة الغواية تنبض فى أحشائها ، وطاف بخيالها شبح الفتيات اللواتى يتخلص منهن ذويهن ذبحا واغتيالا فكانت صدمة هائلة لم تستطع بعدها ملاقاة أهلها فهامت على وجهها وذاقت صنوفاً من التشرد وعرفت ألواناً من الهوان. وفى دنيا المسرح ألقت عصا التسيار لتكسب قوتها بعرق جبينها... وأيقنت فى قرارة نفسها أن تلك هى خاتمة المطاف : إنها ستظل تمثل وترقص وتعيش حياة الليل الآثمة حتى تنقضى أيامها

لقد أيقنت بعد التجارب المرة أن الرجال ذئاب وأنهم لا يرون فيها إلا متعة ساعة وسلعه يتداولها كل من يستطيع أن يدفع الثمن فعافتهم نفسها وكرهت جسدها الحار المغرى الذى كان يجذبهم نحوها فتمنحه لهم كارهة وقلبها يفيض بالعبودية والهوان — وكانت نفسها تتلوى ألماً وحزناً ولا تجد من تستطيع أن تفضى إليه ببعض ما تحس . إن المجتمع لا يفرق ، بل يدمغهن جميعاً بوصمة العار ويحكم عليهن بأن يعشن منبوذات شريدات طعمة للعار والنار ... ولا يلاحقهن — فى منفاهن — إلا طلاب المتعة العابرة ، والأرقاء الذين يبيعون العمر وينفقون ثمنه فى سوق الشهوات ... وبرغم ذلك لم تيأس ولم تستنزف أوصابها كل ما فى قلبها من طيبة وسذاجة بل كانت تتألم فى صمت وتحلم فى سكون بالحياة الهانئة الوادعة وعاشت على الأمل ومنه كانت تلتمس العزاء وتروى ينبوع الأحلام فى قلبها .

ولم تكذب الأيام ظنها ، فقد ساقت إليها يوما شاباً من أولئك الذين لا يؤمنون بقوانين المجتمع ولا يعبأون كثيراً بعرفه وتقاليده واستطاع أن يستشف من وراء حياتها الصاخبة الصارخة الألوان صفاء قلبها الذى طهرته الآلام ووجد فيها المرأة التى يبحث عنها من زمن فاصطفاها لنفسه وحررها من بيئتها وماضيها وعاش معها كأسعد ما يكون الفنان ، ضاربا عرض الحائط بسخط أهله ونقمة عشيرته وعارفيه ... وأثبتت هى للجميع أن السماء لا توصد أبوابها فى وجه تائب مهما اقترف من رذائل وشرور وأن كل آثام الأيام لا تستطيع أن تخمد تلك الشرارة الإلهية التى تودعها العناية قلب كل بشرى ...

واعجبا لذلك الفتى الذى كتب هذه الرواية ! هل استوحاها خياله أم كتب سيرة حياتها هى بعد أن استوحى الغيب وعرف

مايضمره لها الزمن فى مستقبل أيامها ... لقد ضمنها كل ماوقع لها ، وعبر فيها عن كل أشجانها وآلامها . وآمالها : لقد زلت «سميرة» كما زلت « نبيلة » بطلة الرواية وتشردت مثلها ... وأصبحت ممثلة ... ولـكن السماء لم ترسل لها بعد ذلك الشاب الذى سينشلها من العذاب الذى تعيش فيه ويخلصها من الشرور والآثام التى عليها أن تقترفها كل ليلة لتعيش .

لقد قامت سميرة بدور «نبيلة» ومثلتها وقت سقوطها ومحنتها فعبرت عن مشاعرها وآلامها ، ومثلتها السعادة فعبرت عن أمالها وأحلامها فهل تتحقق الأحلام كما تحققت الآلام ؟

ياله من حلم ذهبى لم يتحقق إلا خيالا ، لقد عاشت مع رجل أحلامها على خشبة المسرح ساعات وسمعته يصرخ فى أهله عندما كانوا يحاولون ثنيه عن عزمه « نعم ... لقد عاشت فى تلك البيئة سنوات ، ولـكن ما ذنبها ؟ لقد وقعت فى الشرك مرة وقبض عليها صياد قاسى القلب وأبقاها فى الأسر سنين فهل يمكن للسنين أن تنسيها حريتها ؟ والآن وقد تحطمت أسلاك القفص الذى احتواها طويلا ... فهى تتطلع نحو السماء فى لهفة وفرح ... ثم تنشر جناحاها وتتجه مسرعة نحو الحرية والنور ... » ويطول الجدل معه فيضيق بهم ويصرخ فيهم ... « لقد قلت لـكم إنى أحبها وهى أيضاً تحبنى ولن أتخلى عنها ... إن الحب معجزة أيها الناس يجعل المستحيل ممكناً . لا ، لا ، لست مخدوعا بل أناموقن أنها عذراء القلب نقية الروح »

يا إلهى ... أيها الغفور الرحيم ، هل سترحمها وترسل لها رجلا مثله تراه بعينيها على مسرح الحياة ؟ أم تطوى العمر وهى تنتظر ؟

وقضت سميرة فى فراشها أياماً طويلة كانت نفسها خلالها مسرحا لمختلف العواطف والانفعالات والأزمات . كانت تسترسل فى البكاء ساعات طويلة حتى تتقرح جفونها وتنام وتستيقظ والدموع على صفحة خديها

وتسرب إلى قلبها اليأس والسخط على الحياة

وأغراها السخط بالتمرد على القدر !

لم يقسو الزمن عليها كل هذه القسوة ... ؟ ألا تكفى سنوات طويلة من الآلام والعذاب كفارة عن خطيئة انساقت إليها دون وعى أو إرادة ؟ آه ... ماذا ينفع الندم الآن ؟

وغاظها موقفها من نفسها : لقد ظلمها الزمن وغدر بها ، فلم تضيف إلى ظلم الزمن لها ظلمها لنفسها ؟ لم كل هـذا البـكاء والندم والألم ؟ هل تستحق هذه كل هذا ؟ !

واختمرت فى رأسها الفكرة وأرادت أن تثأر لنفسها ...

وعندما غادرت فراشها لم تعد تحس أنها نفس المرأة التى مثلت دور « نبيلة » فبكت وأبكت ...

الحياة البوهيمية الصاخبة ، والـكؤوس الترعة ، والليالى الماجنة الحمراء تشفى الجراح التى استعصت على الزمن ..

وأدهش الناس تغيرها ، ماذا جرى لهذه الفتاة المحتشمة الرزينة العازفة عن حياة الليل ؟ لقد كانوا يضربون بعزة نفسها الأمثال فما بالها أصبحت يسيرة المنال على كل من يطمع فيها . ! !

ونجحت سميرة وعلا نجمها

وسرعان ما اشتدت المنافسة عليها وكثرت العروض ، وتشاحن عليها فرسان الليل ، ولم تعد حياتها فى الماضى إلا حلماً باهتا يطارده بريق الذهب الذى تلهو به الآن كما يلهو الأطفال برمال الشاطىء . هاهى تنتقم من الرجال . إنهم يتملقون رغباتها ونزواتها وهى تلهو بعواطفهم وتدوس قلوبهم وتستنزف جيوبهم لتعيش عيشة البذخ والترف وظهر اسمها فى الصحف وأخذت المجلات تتبع أخبارها وتنشر صورها وتتندر بأن ماتنفقه على كلبها المدلل السعيد يكفى عائلة متوسطة الحال ...

هل تستطيع الحياة أن تمنح أكثر من كل هذا النعيم ؟ ليتها عرفت منذ أن طرقت دنيا المسرح ! لقد أضاعت خمس سنوات من عمرها فى الندم والألم منزوية فى ركن مظلم وموكب الحياة يمر بها وهى عازفة عنه كأنه لا يفتنها أو يثيرها

ودارت عجـلة الزمن دورات وسميرة مندفعة فى تيار اللهو الصاخب اندفاعا لم يقو على وقفه ما كان يعتريها أحيانا من ثورة وتمرد وبغضاء للرجال ، لقد كانت منذ مرضها ذاهلة عن نفسها وكانت أعصابها تحت تأثير مخدر قوى هو الرغبة فى الثأر لنفسها .

ولـكن روح القلق التى كانت تستبد أحياناً تغلبت فى النهاية وعادت أيامها نهباً للأسى والوجوم من جديد . إن الحزن يعصر قلبها عصراً وتحن إلى الدموع فلا تسعفها الدموع وتحاول أن تغرق همومها كما أعتادت فى اللهو والصخب ولـكن همومها تعلمت العناد وهزمتها فى النهاية ! إنها تحس الآن ما يحسه الشريد الضال الذى يهيم على وجهه فى الصحراء يبحث فى ذعر عن شىء يهتدى به فلا يجد ، فتزداد روحها وحشة وكآبة وضيقاً بالحياة .

والأمر الذى زادها ضيقاً وألماً عجزها عن أداء أدوارها على

المسرح أداء طيباً ، فقد كانت تروح وتجيء على المسرح كأنها دمية خشبية تنطق بألفاظ لا تحسها ولا تفهم لها معنى وأصبحت حياتها على المسرح كحياتها الواقعية باهتة الألوان مضطربة الظلال وبدأ صاحب الفرقة يتنكر لها فازداد طبعها حدة فكانت تثور لأتفه الأسباب وتصب شتائمها على رؤوس الناس دون حساب .

وهالها ما صار إليه أمرها ، ورأت بعينيها الهوة التى تكاد تنفغر تحت قدميها وسألت نفسها : إنها تحيا هذه الحياة المتشابهة فى ظواهرها ووقائعها من سنوات فما الذى ضاعف بؤسها هذه الأيام ؟؟ ولم تجهد نفسها كثيراً لتجد الإجابة على هذا السؤال ! لقد حاولت أن تقيم من حياة المجون سداً بينها وبين آلامها ولكن المجون لم يزدها إلا شقاء وآلاماً .

وعافت حياة المجون مرة أخرى ، وتلفتت إلى الوراء لتلقى نظرة على الماضى ولكن طريق الرجوع لم يكن سهلا ... كان عليها أن تعيش عيشة التهتك والاستهتار كى تستطيع أن تلبس وتسكر وتقامر حتى لا يقتلها السأم والملل . ولتهرب من مواجهة ضميرها ، نعم ضميرها الذى بدأ يستيقظ ويزلزل كيانها .

وسارت فى تيار الأيام كما تسير ورقة ذابلة على متن الأمواج شاعرة أن قلبها قد مات وأنها لم تعد تحزن وتثور وتفرح وتضحك من كل قلبها كما اعتادت أن تفعل ، لقد طردت قلبها من عالم ذكرياتها وأوصدت دونه الباب آملة أن تجد له مستقراً أهناً من عالم الذكرى والآلام ولكنه ظل شريداً هائماً كسفينة تائهة فى مجاهل المحيطات ، إنها لم تعد تملك من أمر نفسها شيئاً بل أصبحت أسيرة الحياة وعليها أن تمتثل .

وعاشت ... تكفن أيامها ولياليها فى قبور مضيئة لامعة ضاحكة يتقاذفها عاملان : الحياة التى فرضت نفسها عليها ، وروح السخط والاستنكار التى كانت تتسلط عليها أحياناً فتنتزعها من من حياتها وتستخلص منها ضريبة الألم والدموع .

وفى إحدى الليالى كانت كعادتها تلهو وتمرح وتعب الكأس بعد الكأس ولكن الذى يتفرس فى وجهها كان يوقن أنها حزينة : كانت تحس بحنين غامض نحو شيء لا تدرى كنهه وكانت عيناها الملبدتان بالأكدار تستنجدان بالدموع ... وحاولت جهدها أن تقاوم فلم تستطع ، وآثرت أن تنصرف إلى دارها مبكرة وحاولت تنام فلم تستطع .

وانسرقت روحها إلى الماضى وعاد إلى خاطرها ذكرى الليلة التى مثلت فيها دور « نبيلة » لأول مرة ...

وأفاقت ذكرياتها لكن من غفوتها وبدت أمام عينيها أطياف الأمل التى كفت عن التفكير فيها منذ أمد طويل .

وحاولت أن تكتم شجونها فلم تستطع وانفجرت الدموع من مآقيها غزيرة طيمة ، وأحست نحو نفسها باحتقار هائل .

ولم تشعر كم مضى من الزمن وهى تبكى لأنها كانت تجد فى البكاء لذة وسعادة ظلت محرومة منها طويلا . ودهشت عند ما استيقظت فى ظلام الليل كيف استولى عليها النعاس دون أن تشعر وهى جالسة على أريكتها تبكى . واستهواها الظلام والسكون فجلست تفكر وعاودها الشوق الجارف نحو شيء يهز حياتها هزاً عنيفاً ويستحوذ على قلبها وأيامها ولياليها ولا يترك لها وقتاً للتفكير فى نفسها ...

وساءلت نفسها : هل هى جديرة بأن تتمنى وتطمع فى حياة الدعة والسلام بعد أن لطخت حياتها بالأوحال ؟؟ كيف جاز لها أن تنسى قلبها ؟ وكيف أباحت لنفسها ما أباحت وحجبت عن عينيها أنوار الأمل ؟

لقد كانت آلامها منبع شجاها ونوحها ، ولكنها طردتها من حياتها فطردت معها ثروة عمرها التى تسبغ على حياتها أعمق الألوان وأصفاها . لقد كان الألم حقاً ، ولكنه كان محراب روحها الذى فيه تتعبد وتوقد الشموع وتحرق البخور من دمها وأعصابها فتحس أن الأيام ما زالت تحتفظ لها بنضارة قلبها ويقظة ضميرها ، وما أغلاهما من ثروة

وتاقت روحها إلى حياة الماضى ، إلى العزلة والانطواء على النفس . إنها تود أن تفرغ من جديد لآلامها وآمالها تحتضنها وتمنحها دفء قلبها كما يحتضن الطائر فراخه الصغار .

وظلت تفكر وتحلم حتى باغتها النوم مرة أخرى .

ولم تستيقظ إلا قبيل الضحى ...

وتأملت وجهها فى المرآة فراعها انتفاخ عينيها واحمرارهما والألم الممض الذى تنطق به قسمات وجهها . ذلك الألم الذى ظنت إنها قد قطعت بينه وبينها كل السبل .

وتنفست هواء الصباح فى ارتياح كأن ثقلا قد انزاح عن صدرها .. وكانت تحس — للمرة الأولى منذ مرضها — بما يحسه التائه فى الصحراء عندما تلوح له معالم العمران من بعيد .

(شبرا ، مصر) **نصرى عطا الله سوسن**

مَطْبَعَةُ الرِّسَالَةِ

العدد ٧٤٤ — الاثنين ٦ أكتوبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٥٢٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 744

Lundi — 6 — 10 — 1947

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

العـــدد ٧٤٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ ذى القعدة سنة ١٣٦٦ — ٦ أكتوبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الهيضة بالهيضة تذكر :

من ذكريات الطفـــولة

كنت فى الثالثة عشرة من عمرى حين وفد على مصر وباء الهيضة فى سنة ١٩٠٢ ، وكانت قريتنا الصغيرة الفقيرة تنقل خُطاها الوئيدة فى طريق الحياة وادعة بالأمن ، ناعمة بالرضا ، هانئة بالقناعة .

كان المرض قليلا ما يغشاها ، فإذا غشيها غشِى الكهل الضعيف . وكان الموت كثيراً ما ينساها ، فإذا ذكرها ذكر الشيخ الهرم . لذلك كان المرض لندرته مرهوب الإسم ، وكان الموت لوحشته مهيب الصورة . فإذا مرض الصحيح تجمع القوم فى منظرته أو على مصطبته ، يؤانسونه ويمرضونه ويدعون له ؛ وإذا مات المريض لبسوا الحداد عليه العام كله ، فلا يلبسون الجديد ، ولا يحلقون اللحى ، ولا يأكلون الفسيخ ، ولا يصنعون الكعك ، ولا يباشرون المضاجع .

وفى ذات ليلة من ليالى الصيف على ما أذكر ، قيل إن لأسرة فلان قريباً غريباً علموا أنه مريض فذهبوا ليعودوه فعادوا به . وهو يشكو مرضاً لم يشكه أحد من قبل : ظمأ لا ينقعه ماء ، وقىء لا يمنعه دواء ، وإسهال لا يقطعه شىء . وفى الصباح الباكر نعته الناعيات فأجمت القرية على الحزن عليه ، وأقبلت الجيرة على العزاء فيه ، ورسموا المأتم أسبوعاً كالعادة . إلا أن ثلاثة من أسرة الفقيد مرضوا تلك المرضة ، وماتوا تلك الموتة ، فلم يقوضوا سرادق العزاء ، حتى أتى على جميع الأسرة الفناء . وصحا الناس من دهشة الروع وذهول الفاجعة ، فإذا كل غرفة فيها مريض ، وإذا كل ساعة فيها جنازة ! وهان الموت ورخصت الأموات ، فلا يُعاد محتَضر ، ولا يشيَّع ميت ، ولا يُعزى حى . وقال فقهاء القرية إنه الهواء الأصفر الذى أهلك الله به عاداً الأولى فهيهات أن يعصم الناس منه بيوت مغلقة ، أو حصون معلقة . فاستكان القوم للقضاء ، وصفت قلوبهم من الحقد ، وعزفت نفوسهم عن الدنيا ، وانصرف كل امرىء عن عمله فى انتظار أجله .

***

كان الموت الوحِىُّ الذريع يخترم لِداتى فى الحارة واحداً بعد واحد ، فخلت الملاعب من الأطفال ، وأقفرت المكاتب من الصِّبية . وكان شوقى إلى بعضهم يدفعنى إلى أن أزورهم خلسة ، فأجد فيهم من يكابد هول الداء وحده ، فلا أبوه يخفف عن كبده سعار العطش ، ولا أمه تمسح عن ثوبه رجْع القىء ! لقد شغل كل إنسان بنفسه عن غيره ، ولها كل بيت بكبيره عن صغيره .

ولكن (زهرة) اليتيمة زينة الصبايا وبهجة الحارة كانت فى السواد من قلب أخيها ، وفى السواد من عين أخيها . مرَّضتها الأخت حتى أخذتها سكرة الداء ، ومرَّضها الأخ حتى غشيته غمرة

لا هوادة بعد اليوم

للأستاذ محمود محمد شاكر

لا يحل لعربى منذ اليوم أن يرفع يده عن سلاح يمده لقتال عدو قد أحاطت به جيوشه من كل ناحية . ولا يحل لعربى منذ اليوم أن يدع ثغرة من ثغور المدى إلا سدها بنفسه أو ولده أو صديقه . ولا يحل لعربى منذ اليوم أن يضع عن عاتقه عبء الكد والكدح التماساً للراحة أو الدعة . ولا يحل لعربى منذ اليوم أن يتوا كل ويقول لنفسه : لقد تعبت ، وما يضرنى أن أترك هذا لفلان فهو كافيه . ولا يحل لعربى منذ اليوم أن يقول : غداً أفعل ما حقه أن يفعل اليوم . ولا يحل لعربى منذ اليوم أن يخدع نفسه عن حرب دائرة الرحى بيننا وبين اليهود وأشياعهم من أمم الأرض . ولا يحل لعربى منذ اليوم أن يكتم الحق عن أهله أو عن عدوه ، ويقول هذه سياسة وكياسة وترفق . ولا يحل لعربى منذ اليوم أن يمالىء قوماً يكاشفونه بالعداوة والبغضاء ونذالة الأخلاق . ولا يحل لعربى منذ اليوم أن يقبل من رجال السياسة تأجيل شيء من قضايا العرب ، فهى كل مترابط لا ينفك منها شيء عن شيء .

لقد عرف كل عربى وكل مسلم على ظهر هذه الأرض ما آلت إليه القضية المصرية السودانية فى مجلس الأمن ، وعرف كل عربى وكل مسلم ما صارت إليه قضية فلسطين فى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة فهل بقى بعد هذا مجال لناظر حتى يقول : سوف أحتال بالسياسة حتى أنال ما هو حق لى ؟!

إن بريطانيا وأمريكا وسائر الدول التى تدير لهما الساقية ، قد كشفت عن طواياها بما لا يدع لأحد علة يتعلل بها أو يتشبث ، فقد قالوا الكلمة الصريحة الواضحة بأنهم عدوٌّ لنا وحرب علينا ، وأنهم يبغون أن يحطموا هذا الجيل العربى ، وأن يسلطوا على رقابه أنذال اليهود وأوباش الاستعمار ، وأنهم يعتقدون أننا قوم لا نصلح لأن نحكم أنفسنا بأنفسنا ، أو أننا أمم قُصَّر لم نبلغ رشدنا ولا يظن بنا بلوغ الرشد . فهذا ترجمة موقف الدول المادية حيال قضية مصر والسودان وحيال قضية فلسطين .

وسر هذه العداوة — ولا نكتم الحق — هو أن أوربة وأمريكا جميعاً لا يزالون يعيشون فى أنفسهم إذا ذكر العرب ، فى أحقاد صليبية لم تستطع المدنية ولا استطاع العلم ، ولا استطاعت سهولة المواصلات ، ولا استطاعت كثرة الهجرة والرحلة ، أن تنفيها عن قلوبهم ، بل لعلها زادتهم أضغاناً على أضغان ، ولا تزال أوربة وأمريكا تقول : خطر الإسلام وخطر العرب ، كما كانوا يقولون الخطر الأصفر والخطر الأسيوى . وإذا كان بعض ساستنا الذين لقوا ساسة الأوربيين والأمريكيين قد انخدعوا بظاهر من

الموت . وبقيت (زهرة) الجميلة وحدها تنتظر النهاية المحتومة فى حجرتها الموحشة على حصيرتها الخشنة . وكانت عمتها العجوز تزورها الحين بعد الحين لترمقها من بعيد ثم تنصرف . وكنت أكنُّ لهذه الفتاة نوعاً من الحب المبهم يختلط فيه الإعجاب والحنان والعطف . وكان بيتنا يشرب الماء مغلى فلم يصب أحد منا بسوء ، فظننت أن الدواء فى هذا الماء ، فحملت منه قلة ثم دخلت بها عليها . فلما رأتنى افترت شفتاها الذابلتان عن ابتسامتها الحلوة . وأشارت بطرفها إلى الماء فجرَّعتها منه جرعة . ثم جلست بجانبها أرنو إلى العينين الفاترتين وقد كانتا كعينى الرشأ ، وإلى الوجنتين الشاحبتين وقد كانتا فى حمرة الورد ، وإلى الجسد الضارع المشفوف وقد كان فى غضاضة السوسن . ثم وضعتُ القلة مرة أخرى على فمها الجاف فرشفت منها رشفة ، ولكن الماء وقف فى حلقها فلم تستطع أن تسيغه . ثم شخص بصرها ، وحشرج صدرها ، وأخذها فواق ضعيف ، ثم لفها سكون شامل !

لا أزال أذكر هذا المنظر المروع وأتمثله كأنه وقع أمس ! ولا أزال أذكر أن تياراً من الرعب قد اعترانى ، فعقل يدى وعقد لسانى ، فخرجت من الحجرة هارباً بنفسى لا ألوى على شيء ، ولا أخبر أحداً بشيء !

واحسرتا على قريتى الصغيرة الفقيرة ! لقد جثم على صدرها الموت المائت حتى ختم على أكثر الدور ، ونقل نصف أهليها من الدور إلى القبور !

كانت حالنا يومئذ غير حالنا اليوم ؛ فلم يكن هناك مصل يقى ، ولا علاج يشفى ، ولا حكومة تطارد الوباء وتحصره ، ولا أمة تتبع النظام الصحى وتنشره .

احمد حسن الزيات

القول حين سمعوا أحاديث أولئك المرائين المنافقين من ساسة أوربة وأمريكا ، وظنوا أن لين القول دليل على صدق العقيدة ، حتى أجروا فى أحاديثهم ذكر « عطف أمريكا على العرب » و « عطف بريطانيا على العرب » ، فقد ضلوا ضلالا مبيناً . إن أوربة وأمريكا لا تعرف العطف على العرب ، بل هى العدو ، وهى البلاء المصبوب علينا ، وإلا فكيف تعطف بريطانيا على العرب وهى التى لا تزال تفعل الأفاعيل فى مصر والسودان ؟ وكيف تعطف أمريكا على العرب وهى التى خذلت مصر والسودان فى مجلس الأمن ؟ وكيف تعطف بريطانيا وهى التى ورّطت الدنيا كلها فى مشكلة فلسطين ، ثم تجىء فتطلب من هذه الدنيا أن تحل لها المشكلة ؟ وكيف تعطف أمريكا وهى التى تمد اليهود بالمال والقوة والسلاح والدعاية ؟ وكيف وهى التى تبيح لشركات النشر والإذاعة والصحافة أن تدلس وتكذب وتخدع فى شأن العرب ، ولا تجد منكراً ينكر ، ولا لساناً يدافع ، ولا قلماً يشمئز من هذه الوسائل التى تطفح بالغدر والبغى والنذالة ؟ !

إنهم جميعاً يظاهرون علينا اليهود ويظاهرون علينا الاستعمار ، ويفعلون ذلك علانية لا يستخفون ، ففيم نحتال نحن بالمداورة أحياناً خشية أن نثير علينا هؤلاء المظاهرين ، ومخافة أن نُرْمى بالتعصب ؟ فيم نخاف ونحن فى معمعة هذه الحرب التى تشنها علينا بريطانيا وأمريكا بالاستعمار وباليهود ؟ ولم نخاف أن نتعصب لحريتنا واليهود يتعصبون لعدوانهم جهاراً ؟ إن العرب قد عاشوا على ظهر هذه الأرض أكثر من ثلاثة عشر قرناً فكانوا أمة وسطاً لم تظلم ولم تضطهد ، بل نصرت المظلوم وآوت المضطهد ، ورفعت النير عن رقاب الأمم مجوسها ونصاراها ويهودها ، حتى جاء أمر الله وذهبت ريحهم وغلبت عليهم الأمم . فتاريخ العرب كله دليل على أن هذا الجيل من الخلق يأنف أن يظلم وأن يضطهد ، ولكنه يأنف أيضاً أن يقبل الظلم والاضطهاد ، فإذا رد الظلم عن نفسه ودفع الاضطهاد عن حماه ، وحمى حوزته دون عدو باغ ، أو توقى شراً يوشك أن يتوغل فى قلب حياته ، فما يفعل ذلك عن تعصب أو حقد أو جهالة ، بل هو الحق ووسائل الحق !

وإذا كان فيما نفعله ، أو فيما يجب أن نفعله ، شىء يؤخذ على أنه صرامة وشدة وحنبلية متزمتة ، فيما اضطررنا إليه فعلناه . وإليك مثلا هذه الدول العربية التى بدأت تضج ضجيج البعير آذاه العبء الفادح ، من غول الاستعمار الأدبى والسياسى والاقتصادى ، والتى بدأت تعرف أن كل باب من أبواب الحياة قد وقف عليه ديدبان من اليهود أو من الأجانب الطارئين ، ليذودوا العربى عن الانتفاع ببلاده التى هى له ملك متوارث منذ أقدم عصور التاريخ — يذودونه عن الانتفاع بتجارة بلاده ، لأن شياطين التجارة ومردتها فئة من هذه اليهود وهذه الأجانب ، ويذودونه عن الانتفاع بمعادن أرضه ، لأن أبالسة الحديد والنار هم أصحاب المناجم فى أرضه وبلاده ، ويذودونه عن الانتفاع بقوى شعبه ، لأن خزان المال من اليهود والأجانب يضربون العمال بالفقر والذل والبؤس ، ولا يدعون لهم متنفساً ، ولا طريقاً إلى بلوغ المستوى الذى يحق لهم بجهودهم التى يجودون بها ، فتكون لليهودى والأجنبى غنى ومالا وثروة وعجرفة وتغطرساً على هذه الأمة العربية ، ونكبة وبلاء واستعماراً كأنه جوامع من غليظ الحديد مضروبة فى أوتارها الراسخة فى جوف الأرض العربية . هكذا هو ، فماذا تفعل هذه الدول ؟

أليس من الحق لكل بلد عربى أن يسن قانوناً لأهله أو قانوناً لحكومته إذا استطاع — أن يحرم على كل يهودى وأجنبى أن ينشئ شركة إلا إذا كان كل عامل فيها وكل موظف من أهل البلد ، وأن تكون أرباح الشركة لا تزيد على قدر معلوم ، وأن يكون الدخل وقفاً على البلاد التى يستثمر فيها جهوده ، فلا يخرج مالا ولا يختزنه فى مصارف بلاد أخرى غير البلاد التى استوطنها ، وزعم أنه جاء ليسدى إليها خيراً بعلمه أو فنه أو صناعته أو تجارته ؟

أليس من الحق لكل بلد عربى إذا هو رأى هذه الأجانب وهذه اليهود تملأ عليه الجو ، وتأتيه مهاجرة من كل مكان هجرة حرة غير مقيدة أن ينظر لنفسه ومصالحه ، ويعرف أن هؤلاء خطر ينبغى درؤه واتقاؤه بكل وسيلة ؟ فإذا منعنا الهجرة أو قيدناها فأى تعصب فى هذا ؟ وإذا كنا نعلم علم اليقين أن هؤلاء الطارئين هم من حثالة اليهود وحثالة الأجانب ، وأنهم أرذل خلق الله أخلاقاً وأقلهم علماً وأخسهم نفوساً ، فأى تعصب فى أن نقول للعالم كله إننا نأبى أن نؤوى هذه الحثالة القذرة فى بلادنا وبين أهليها ، وأن نمنعهم أن يتدسسوا إلى حمى أعراضنا بنذالاتهم وفجورهم وعهرهم وبالخبث التى انطوت عليه دخائلهم ؟ وإذا كنا نعلم علم اليقين أن هذه الحثالة الخبيثة ، وهذه الرمم الإنسانية تفعل فى شوارعنا وطرقاتنا ما لا تستطيع أن تفعل مثله فى بلاد غير بلادنا التى وقعت تحت بطش الاستعمار قرناً أو بعض قرن ، فأى تعصب فى

أن نسن قانوناً يوجب ترحيل هؤلاء الطارئين ، أو يوجب نزع الجنسية المصرية أو العربية أو السورية عن هذه الفئة التي جاءت دخيلة على بيوتنا وديارنا وأخلاقنا ؟

إن من حق البلاد العربية أن تفعل ذلك ولا تبالى بنقد منتقد ولا هجوم متهجم ، ولا إقذاع مبطل ولا سفاهة مدخول السريرة خبيث الطوية . كلا إنه ليس حقاً لها وحسب ، بل هو فرض لا مناص من أدائه والقيام عليه وحياطته كل الحياطة ، إن هذه اليهود وهذه الأجانب هى ذرائع الاستعمار ، وهى أداة البطش التى سلطها الاستعمار على رقابنا ، وهى الخبيثة الردية التى تفشى داؤها حتى أوهى القوى وأوهن العزائم ، وأكلنا لحماً طرياً وتركنا عظاماً نخرة .

وها نحن الآن مقبلون على حرب بيننا وبين اليهود ، وحرب بيننا وبين الاستعمار ، وكلاهما حرب لا هوادة فيها ولا مفر منها ، فكيف يجوز فى المعقول أن ندع العدو بين ظهرانينا يعيث فساداً وخيانة وتجسساً ، بل يأخذ من أموالنا ويرد على أموال عدونا ، فيضعفنا ويقويه ، وينهكنا وينميه ، ويوهننا ويضريه ؟ إن من القوانين الدولية فى زمن الحرب أن تضع الدولة يدها على أموال أعدائها جملة واحدة ، فتستثمرها فى حقها وبحقها لتكون لها قوة وعتاداً ، ومن القوانين الدولية أن تقبض الدولة على أبناء الدولة المعادية فتأسرهم فى المعتقلات حتى تضع الحرب أوزارها ، خشية أن يفجروا فى الأرض ويكونوا عيوناً عليها ، وبلاء فى داخلها ، و«طابوراً خامساً» فى شعبها . فهل شك أحد فى ذلك أو استنكره أو بغض إلى دولته فعل ذلك ؟ كلا ! وإذن فكيف يجوز للعرب منذ اليوم ، وقد شرعوا فى الجهاد وعزموا على أن يحطموا أغلال الاستعمار ، وأن يقوضوا عرش اليهودية الباغية ، أن يتهاونوا فى الضرب على يد هذه التجارة اليهودية فى قلب بلادهم ، أو أن يهادنوا هذه الشرذمة الوبيئة التى تعيش بين ظهرانيهم ، أو أن يبيحوا لأعوان الاستعمار من شذاذ الأمم والأفاقين أن يسرحوا حيث شاءوا من بلادهم ، وأن يستولوا على ما يشاؤون من أموالهم وأرزاقهم ، وأن يدخلوا فينا ليكونوا عيوناً علينا فى هذه الحرب التى تدور بيننا وبين يهود ، وبيننا وبين الاستعمار والمستعمرين .

ومن الذى حمل اليهود على الهجرة إلى مصر مثلا ؟ أليست هى الفكرة الصهيونية ؟ ومن الذى حمل الأجانب على الهجرة أيضاً إلى بلادنا ؟ أليس هو الاستعمار ؟ فكيف ندع الصهيونية والاستعمار يجوسان خلال الديار ونحن فى معمعان القتال ؟ وأنا أضرب مثلا لم أزل أتتبعه منذ قامت اللجنة التى وكل إليها كتابة تقرير عن فلسطين ، ومنذ رفعت قضية مصر والسودان إلى مجلس الأمن .

فمنذ ذلك الحين وأنا أنظر وأتسمع ، وأتفرس الوجوه ، وأتوسم الشمائل ، فإذا هذه اليهود وهذه الأجانب قد خفتت أصواتها ، ولانت أخلاقها ، وهذبت غطرستها ، وحلت لنا ألسنتها ، وابتسمت لنا وجوهها . ولم أكن أجهل أن ذلك كله نفاق ورياء وخديعة يظنون أنها تخدعنا عن طوايا قلوبهم . فلما كان من أمر القضية المصرية السودانية ما كان ، وظهر من مستور اللجنة المزورة ما ظهر ، إذا هذه الأصوات الخافتة قد صارت نعيقاً ، وإذا الأخلاق اللينة قد صارت عراماً ، وإذا الغطرسة المهذبة قد انقلبت فجوراً متمرداً ، وإذا الألسنة الحلوة قد حارت مراً زعاقا ، وإذا الوجوه المبتسمة قد شاهت بالتجهم وإذا الشمائل المؤدبة قد صارت عجرفة وطغياناً ، وإذا هذه الخلائق الفاجرة تمشى على أرضنا تيهاً وخيلاء كأنها جنس وحده ونحن عبيده وأذلاؤه ، وإذا نظرات الازدراء وكلمات التحقير تقال على مسمع منا ومنظر بلا حياء ولا أدب ولا خلق ، وإذا كلمة « عربى » تتردد مرة أخرى على ألسنة هؤلاء الأنذال الجبناء فى كل مكان بعد سكوتهم عن النطق بها خوفاً وفزعاً ، أن يكون قد دنا موعد نصر العرب فى قضية فلسطين وقضية مصر والسودان هذا كله شىء تتبعته أنا ومن أعرف ، بلا زيادة ولا دعوى كما تفعل هذه الخبائث من يهود وشذاذ الآفاق .

إنها الحرب المبيرة أيها العرب ، فلا تكن يهود التى ضرب الله عليها الذل والمسكنة والتشرد فى جنبات الأرض ، أحمى منكم أنوفاً وأشد منكم حفاظاً ، وأقوى منكم حمية ، وأجرأ منكم قلوباً ولا تكن يهود أيها العرب أشد محافظة على باطلهم منكم على حقكم واعلموا أيها العرب أن الذين بيننا وبين يهود والذى بيننا وبين الاستعمار دم لا تطير رغوته ولا ينام ثائره ، وقد جدت الحرب بكم فجدوا يا أبناء إسماعيل ويا بقية الحنيف إبراهيم ، ولا يهولنكم مال اليهود ، ولا بطش بريطانيا ، ولا مخرقة أمريكا ، فإن الحق لله ، وكلمة الله هى العليا .

محمود محمد شاكر

على هامش المعركة !

للأســــتاذ على الطنطاوى

تحرك الجيش المصرى بعد طول السكون ، وسهر القادة يرسمون الخطط ، ويمدون مناهج القتال ، واستعد الجند وشحذوا السلاح ، وسيقت الكتائب تترا (١) ، فلا ترى إلا جنداً يزحفون إلى ساحة المعركة ، يمشون خائفين وهم الكماة الشجعان الذين ما عرفوا الخوف ، ويتقدمون حذرين وهم الشوس المقاديم الذين لا يرهبون الخطر ، يتلفتون لا يدرون من أين يأتيهم هذا العدو المرعب ، الذى يضرب الضربة ، فيهدم الدور ، ويفتح القبور وهو مختف لا يرى ، فإذا وارى الناس موتاهم ، ومسحوا دموعهم ، وحسبوا أنهم نجوا منه ، رأوه قد ضرب ضربته الثانية ، فى مكان قريب أو بعيد ، لايعلمون كيف يتسلل إليه . لا يقف فى وجهه حصن ، ولا يرده بارود ، ولا ينفع معه رصاص ولا قنابل ؛ ولا يدرون من أين يطلع عليهم : أيهبط من السماء ، أم يخرج من الماء ، أم ينبعث من خلال الظلام ؟ يخشون أن يكون قد امتلكهم وهم لا يحسون ، وقبض على أعناقهم ، يمتص دماءهم ، ويزهق أرواحهم ، ويجرعهم كؤوس الموت ... وهم واقفون يحرسون البلاد منه ، ويمدون العدة للقضاء عليه

وفشا فى الناس الخوف ، وعمّ الذعر ، وعلت الوجوه قترة الجزع ، وشغلت الألسنة أحاديث الخطر ، وملأت القلوب رهبة المصير ولو كانت معركة جنود وعتاد لهانت ولما خاف منها أحد ، لأن هذا الشعب قد تمرس بالمعارك من يوم كان قابعاً فى صحرائه ، يساير الشمس ، ويصاحب الرمال ، ويعانق السيوف ، إلى أن أخرجه محمد ليضيء مصباح القرآن فى المشارق والمغارب ، فينير به الدنيا المظلمة ، والقلوب القاتمة ، وهو إلف المعارك وحليفها ، خاضها وهى تلتهب بنار الهواجر ، عند خط الاستواء ، وهى تتشح بجليد الشتاء على حدود القطب ، ما ردّه عنها الزمهرير ولا ريح السموم ، وواجه الأعداء من كل لون وجنس ولسان ، فما يخاف اليوم انكلترا ولا يخشى أمريكا ، ولكن هذا العدو أنكى من انكلترا نكاية ، وأخفى مكراً ، وأسرع ضرراً . صغير ولكنه يحط النسر من عليائه ، ويلقى الأسد على مضائه ، ويفتك بهذا الإنسان الذى حكم الجو والبحر ، وسابق فى الفضاء الصوت ، وعاند القدر ، فجاء القدر يحاربه بأصغر جندى من جنوده ، بجندى تحمل الآلاف منه — من هوانه — رجل ذبابة ، وهى لا تشعر بما تحمل .. بـ (مكروب الكوليرا)

***

وسمع الناس باسم (الكوليرا) فذكروا (الهواء الأصفر) وذكروا (الوباء) وما يروى التاريخ من أرزائه وبلاياه .

واغتنم الشيوخ الفرصة ليحظوا بالالتفات إليهم بعد طول الاعراض عنهم ، فحدثوا بما رأوا من فظائع الوباء الذى مر على مصر فى مطلع هذا القرن ، والذى جاز بالشام ، فى الحرب الماضية ، ورأيناه نحن ، وبالغوا ، ووصفوا الجثث التى تكاثرت حتى ما تسعها القبور ، والصراخ الذى علا حتى ما تتحمله الآذان ، والآلام التى ازدادت حتى ما يطيقها بشر . فروّعوا الناس وخوفوهم ، على خوفهم ، فما يستقر بهم قرار ...

وقامت الحكومة ، وانبرى الأطباء ، يهدئون الناس ويطمئنونهم ، ويرجعون إليهم ثقتهم بالعلم ، ويضعون لهم المناهج الصحية ، ويدلونهم على وسائل الوقاية : لا تشربوا الماء إلا من الأنابيب ، وإن شككتم فيه فاغلوه ، ثم صبوا عليه ماء الليمون ، ولا تأكلوا الثمار إلا مسلوقة أو مغموسة بالماء المغلى ، ولا تعملوا كذا إلا بكذا ، ولا تصنعوا كيت إلا بكيت . ثم تعالوا نعطيكم الدواء الواقى ، وما بقى من القضاء إلا من قضاه .. ولكن لكل شيء أسباباً ، ولكل مرض علاجاً ، والذى أنزل الداء هو الذى أنزل الدواء .

ونشرت هذه النصائح فى الجرائد ، وعلقت على السيارات ، وقيلت فى (الإذاعات) ، وخطب بها على المنابر ، وأسرع القارئون والسامعون يعملون بها ، وينفذون ما جاء فيها ، وحسب أولو الأمر أنهم قد أسمعوا الناس ، وعلموهم ، ووقوهم أسباب الردى ، ولم يدر أحد بجيراننا الذين يسكنون (عشة حقيرة) خلال قصور الروضة العامرة ، مبنية من جذوع النخل ، مغطاة بالقش وبأنواع

(١) تتراً وتترى أى متتابعين (ومادتها وتر)

اللق (١) ، لها باب صغير كأنه فتحة مغارة ، لا شباك لها ولا نافذة ، ولا ترى الشمس داخلها ، ولا يجاوز الضوء بابها ولا يلجها إلا بمقدار . لا ماء فيها إلا ما يستقونه من ماء النهر فيضمونه فى الجرار المكشوفة يلغ فيها الكلاب ، وتغتسل فيها الآنية ، ويسقط فيها الذباب ، فتزداد أذى على أذاها ، ولا نور إلا نور مصباح زيتى يكاد دخانه المتكاثف يطمس نوره الخافت ، ولا نار إلا نار هذا الحطب الذى يوقدونه فيها ليطبخوا عليه ، فيخرج دخانه من شقوق السقف ، يملأ الحىّ ، ويروع الغريب ، فيظن أن البيت ، (أعنى الكوخ) قد احترق ... تنام فى هذه (العشة) الأم (الشحادة) وأولادها والكلاب والحمار الهزيل ، ومالا يعلمه إلا الله من الفيران والصراصير والخنافس وسائر الهوام والحشرات والدبابات ، لا يكلمون أحداً فى الحى ولا يكلمهم أحد ، قد خرجوا من دنيا الناس ولم يدخل الناس دنياهم . وما دنياهم ؟ إن خيراً منها دنيا كثير من كلاب الأغنياء وخيولهم وقردتهم . وليس فيهم من يقرأ جريدة أو يبصر إعلاناً ، أو يسمع (راداً) أو يحضر وعظ واعظ ، أو خطبة خطيب ، فلم يعلموا بما روّع الناس ، وصدع خوفه قلوبهم ، ولا عرفوا من طرق الوقاية كثيراً ولا قيلا ولو هم عرفوها ، لما استطاعوا أن يصنعوا شيئاً .

***

وأمثال هؤلاء الذين لم يدر بهم أحد كثير كثير .. إن نحن وقينا المرض ، حملوه هم إلينا ، فما أغنى عنا توقينا شيئاً ، وإن اعتصمنا بالعلم والمال ، فما لهم من علم يعصمهم ولا مال .

ولو كنا صدقنا الحملة يوم حملنا على المرض والجهل والفقر لوجدنا فيهم اليوم صحة تعينهم على احتمال المرض ، وعلماً يمكنهم من فهم مناهج الوقاية ، ومالا يقدرهم على تهيئة أسبابها . ولكنا أهملناهم فجئنا نتلق عواقب هذا الإهمال ، فإن أصبنا اليوم بهم فياطالما أصيبوا هم بنا ، وإن شكونا من أذاهم لنا ، فياطالما شكوا هم من أذانا .

وهل شكوا حقاً ؟ وهل تركنا لهم ألسنة تنطق بشكوى ؟ أو أقلاماً تعبر عن نقمة ؟ أما أخرسنا بالجوع ألسنتهم ، وشللنا بالجهل أصابعهم ، وحرمناهم الإنسانية حين جعلناهم حيوانات لا تنطق وما كان الإنسان إلا بالنطق إنساناً !

فانشروا الآن ما شئتم من نصائح ، وأذيعوا ما أردتم من مناهج ، إن أكثر الناس لا يقرؤونها ، وإذا قرؤوها لا يعملون بها لأنهم عاجزون عنها ، فقوموا أنتم أسباب المرض لتقوا أنفسكم واعتنوا بهم ليبقوا فى خدمتكم ، ولكن لا تمنوا عليهم بفضلكم ، ولا تزعموا أنكم أحسنتم إليهم بصنعكم ، لأنكم تطيلون حياتهم فتطيلون معها عذابهم ، ولو تركتموهم يموتون لكان خيراً لهم (هم) وأبعد للمتاعب عنهم .

أما إن الخطر على هؤلاء المساكين منا ، والخطر على الأمة منهم من مرضهم وجهلهم وفقرهم ، أشد من خطر (الكوليرا) فاعملوا على دفعه ، واعلموا أنكم إن لم تحيوهم بما فى طبيعة العروبة من مساواة ، وما فى أحكام الإسلام من عدالة ؛ أوشكتم أن تخالفوا بفعلكم العروبة والإسلام ، وأن تؤيسوهم منهما ، وأن تضطروهم اضطراراً إلى التفتيش عن مصدر آخر للأمل لعلهم يظنون (ظناً كاذباً) أنهم واجدوه فى الشيوعية ، فيكونوا شيوعيين ، ويومئذ تكون الطامة الكبرى ...

***

وانظروا هذا الوباء المروع ، الذى أفزعكم وصدع خوفه قلوبكم ، من أين جاءكم ؟ تقولون : من الهند ... نعم ، ولكن ما جاء به حاج هندى ، ولا تاجر ولا سائح ، ما جاء به إلا هؤلاء الإنكليز ، إنه لا يأتى منهم إلا الكوليرا ، والصهيونية ، وسورية الكبرى ، فاعتبروا ، وصدقوا ، وانفضوا أيديكم منهم ومن مدارسهم ، ومن بضاعتهم ، إن الوباء الذى تنشره المدرستان الإنكليزيتان بجوارنا فى الروضة ، لا يقل عن هذا الوباء الذى تنشره معسكراتهم بجوار القنال ، بل ربما كان شراً منه ، لأن ذاك يقتل الأجساد ، وهذا يفتك بالأرواح ، ويعصف بما فيها من خيرات ، ويذهب بما تنطوى عليه من حب لمصر وللعروبة وللاستقلال ، ويجعل من أبنائها أعداء لها ، فقاطعوا كل شىء إنكليزى . وأقيموا دونه سداً منيعاً ، كهذا السد الذى تقيمونه دون (الكوليرا الانكليزية) ، وقفوا عليه الحراس الشداد ، معهم الأسلحة المواضى ، فلا ينفذ منه شىء إنكليزى قط ، لا رجل ولا كتاب ولا فكرة ولا بضاعة ولا كوليرا ولا

(١) اللق : كل ما تلقيه من حقارته : الزبالة . الفضلات

كلـــــواذى

للأستاذ شكرى محمود أحمد

إحدى طساسيج[١] بغداد المشهورة ، ومواطن اللهو المذكورة ، لها ذكر فى الأخبار والآثار ، بل ربما كانت من أقدم المواضع الأثرية فى العراق .

قال المسعودى فى الكلام على الأمم ولغاتها ومواضع مساكنها ما نصه « الأمة الثانية : الكلدانيون ، وقد ذكروا فى التوراة بقوله عز وجل لإبراهيم « أنا الرب الذى أنجيتك من نار الكلدانيين لأجعل هذه البلاد لك ميراثاً » ... وكانت دار مملكتهم العظمى مدينة كلواذى من أرض العراق ، وإليها أضيفوا ، وكانوا شعوباً وقبائل منهم الأثوريون والجرامقة والأرمان ونبط العراق وأهل السواد ... ثم يحدد مملكتهم هذه فيقول : وكانت بلاد الكلدانيين العراق وديار ربيعة وديار مضر والشام وبلاد العرب واليمن وتهامة والحجاز واليمامة والعروض والبحرين والشحر وحضرموت وعمان ... ثم يقول بعد ذلك : وهذه جزيرة العرب كانت كلها مملكة واحدة يملكها ملك واحد ، ولسانها واحد سريانى وعاصمتها واحدة هى كلواذى[١] .

وقد دلت الحفريات التى أجريت فى هذا الموضع على أنها من أقدم الأراضى المعمورة فى العراق كما سنبين هذا فى موضعه .

اسمها ومعناه :

اختلف المحققون فى شكل اسمها وعدد حروفه ، واختلافهم يدور على الحرف الأول والأخير منها . قال ياقوت فى معجمه : كلواذى بالفتح ثم السكون والذال معجمه آخره ألف تكتب ياء مقصورة[٢] ، وعلى هذا أيضاً صفى الدين بن عبد المؤمن فى كتابه مراصد الاطلاع[٣] .

وجاء فى كتاب محمد بن الحسن الحاتمى الذى سماه « جبهة

(١) مفردها طسوج فارسي معرب أصله تسوه فابدلت التاء طاء والهاء جيما كما هو معروف فى قواعد التعريب ومثله طازج معرب تازه .

(١) التنبيه والاشراف ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٦ .

(٣) مراصد الاطلاع ص ٣٤٤ .

صهيونية ولا سورية الكبرى ...

***

وبعد ، فلا يبلغ بكم الجزع ، فالخطب إن شاء الله يسير ، والسلامة قريبة ، والمرض زائل ، وما أخشى على مصر المرض ولكن أخشى أن تنقشع السحابة ، ويعود الصفاء ، فننسى أن فى مصر ملايين لم تصل إليهم هذه الحضارة ، ولم يستمتعوا بشىء من متعها ، ولم يصبهم من خير مصر إلا الأقل ، وخيرها يصيب كل أجنبى عن مصر ، آكل لخيراتها كاره لها ، مزدر لأهلها ، وإن لهؤلاء حقاً صريحاً ، حقاً أقرته الأديان والشرائع كلها ، والإنسانية ، وقواعد العدالة : هو أن يكونوا أصحاء الأجسام ، متعلمين مايفهمون به الخير من الشر ، واجدين من المال مايشترون به ضروريات الحياة . وننسى أن الله خلق الناس إخواناً ، فلم يخلق بعضهم عبيداً لبعض ، وأن عمرو بن العاص ، أبطل العبودية من مصر وألغى (نظام الطبقات) ، وسوّى بين الناس ، فى العهد الذى نسميه جهلا وغفلة عهد (القرون الوسطى) ، وأنه من العار على الإنسانية وعلى الحضارة ، وعلى مصر ، أن تعود إليه مصر فى (قرن العشرين)

وأن ننسى أن الإنكليز هم جاؤونا بالوباء ، وأنه لا يأتى منهم إلا هذا ..

وأخشى أن نعود إلى معاملتهم وتحسين الظن بهم وبحضارتهم وأن لا نقطع على أنفسنا عهداً جازماً ، مقسمين بقبور اخواننا هؤلاء الذين قضوا شهداء (الكوليرا الإنكليزية) ، وبدماء شهدائنا الذين سقطوا صرعى على ثرى مصر برصاص الإنكليز من يوم وطئوا مصر غاصبين إلى هذه الساعة ، وبأمجاد ماضينا ، وأرواح أجدادنا ، أننا سنقاطع كل شىء إنكليزى ولو كان الخبز الذى نأكله ، والماء الذى نشربه ، والهواء الذى نتنشقه ، وأن نموت أحراراً ، إن لم نجد إلا حياة الذل حياة !

(القاهرة) علي الطنطاوى

الأدب »[١] وابتدأ فيه بالرد على المتنبي أن الصواب فيه كِلْواذ بكسر الكاف وإسكان اللام وإسقاط الياء[٢] .

أما معناه فقد ذكر ابن الإعرابي : الكلواذ تابوت التوراة[٣]

وقال الحاتمي : قلت له — يعني المتنبي — أخبرني عن قولك :

طلب الأمارة في الثغور ونشوة   ما بين كرخايا إلى كلواذ

من أين لك هذه اللغة في كلواذ ؟ أحسبك أخذتها عن الملاحين . قال : وما الكلواذ ؟ قلت : تابوت التوراة ، وبها سميت ، قال وما الدليل على هذا ؟ قلت قول الراجز :

كأن أصوات الغبيط الشادي   زبرٌ مهاريقٌ على كلواذ

الكلواذ تابوت توراة موسى عليه السلام . وحكى في بعض الروايات أنه مدفون في هذا الموضع ، فمن أجله سميت كلواذ[٤] .

موقعها :

قال ياقوت : كلواذى طسوج قرب مدينة السلام بغداد ، وناحية الجانب الشرقي من بغداد من جانبها ، وناحية الجانب الغربي من نهر بوق . ثم قال : وهي الآن خراب أثرها باق ، بينها وبين بغداد فرسخ للمنحدر[٥] . وعلى هذا أيضاً صفي الدين في مراصد الاطلاع ، ولكنه زاد عليه : وهي أسفل من بغداد أحد أبوابها إليه ، وهي قرى كثيرة عامرة[٦] .

وكان محلها في القديم قرية عامرة اسمها مصرانا جاء ذكرها في معجم البلدان ومراصد الاطلاع[٧] . وكان بين كلواذى وقرى بنا فرسخان[٨] وكان من أعمالها قرية صغيرة اسمها الفِرْك ، جاء ذكرها في شعر أبي نواس في هجاء إسماعيل بن صبيح كاتب الرشيد في قوله :

(١) وجدت قسما من هذا الكتاب في إرشاد الأديب في ترجمة الحاتمي ، ومطبوعاً ببغداد في مطبعة الأدب سنة ١٣٢٧ هـ ولم أجد فيه هذا الخبر الذي ذكره ياقوت في معجم البلدان .

(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٧ .

(٣) » » »

(٤) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٧ .

(٥) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٦ .

(٦) مراصد الاطلاع ص ٣٤٤ .

(٧) مراصد الاطلاع ص ٣٧٢ .

(٨) معجم البلدان ص ٢٨٦ .

أحين ودعنا يحيى لرحلته   وخلف الفرك واستعلى لكلواذا

أتته نفحة إسماعيل مقسمة   عليه أن لا يريم الدهرَ بغداذا

نحرفه رده لأقول فقحته   أقم على ولا هذا ولا هذا[١]

وإلى جانب كلواذى قرب نهر تامُرّا[٢] قرية أخرى اسمها الزعفرانية[٣] ، ولا تزال هذه القرية عامرة تحمل هذا الاسم .

ومن أعمال كلواذى قرية باري[٤] ذكرها ياقوت وصفي الدين قد بدىء بإعادة بناء هذه القرية حديثاً باسم « بغداد الجديدة » لأن الشركة المشرفة على البناء لم تعرف اسمها القديم . وقد كانت هذه القرية كثيرة البساتين والمتنزهات يقصدها أهل البطالة واللهو والولعون بشرب الخمر ، وقد ذكرها الحسين بن الضحاك الخليع في قوله :

أحب الني من نخلات باري   وجوسقها المشيد بالصفيح

ويعجبني تناوح أيكتيها   إلىّ بريح حوذان وشيح

ولن انسى مصارع للسكارى ،   ونادبة الحمام على الطلوح

وكأساً في يمين عقيد ملك   تزين صفاته غرر الديح

أما موقعها بالنسبة إلى خطط بغداد في هذا العصر ففي معسكر الرشيد الذي كان يسمى معسكر الهنيدي ومدينة العمال ومخيم الأرمن وحلبة السباق وتل محمد[٥] وتل حرملة[٦] ، وناحية الكرادة . وربما كان هذا الاسم « كرادة » تطوراً لاسمها القديم كلوازى .

التنقيبات في كلوازى : أجريت تنقيبات كثيرة في بعض مناطق كلوازى ، عثر فيها المنقبون على أمور مهمة جداً في تاريخ العراق . وأقدم من قام بالحفريات في أطلالها البحاثة الألماني فلكس جونس سنة ١٨٥٠ وكتب كتاباً باللغة الألمانية عن الحفريات بين النهرين ، ومما عثر عليه في تل محمد ألواح كثيرة من اللبن المشوى كما عثر على كتابة لحمورابي . (ج ٢ ص ٩٥)

(١) هذه القصيدة غير موجودة في ديوان أبي نواس وهي في معجم البلدان في مادة كلوازى .

(٢) يسمى هذا النهر عند مصبه في دجلة نهر ديالى .

(٣) مراصد الاطلاع ص ٢٠٣ .

(٤) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٥ ومراصد الاطلاع ص ٨٥ .

(٦،٥) ليس لهذين التلين ذكر في معجم الأدباء وراصد الاطلاع ، والغالب أن اسمهما مستحدثان .

وهناك تل آخر يبلغ نصف قطره ١٥٠ متراً اسمه تل حرملة يفصله عن تل محمد نهر مندرس وأرض مرتفعة طولها ٦٠٠ متراً وقد اعتبرها هرتزفلد بقايا مدينة مندرسة .

ولما أرادت الحكومة العراقية أن تبنى مدينة للعمال وصغار الموظفين سنة ١٩٤٥ قامت مديرية الآثار العراقية بإجراء التنقيبات فى المنطقة التى بين تل محمد وتل حرملة لمعرفة طبيعة هذه الأرض المندرسة .

وقد أظهرت الحفريات أن تل حرملة يمثل سوراً حصيناً على شكل مربع غير منتظم له باب واحد فى الجهة الجنوبية الغربية وعلى طرفيه أبراج عظيمة هائلة .

وعثر بنتيجة الحفر على معبد كبير طوله ٢٨ متراً وعرضه ١٨ متراً ، على بابه أسدان بحجمها الطبيعى ، كما عثر على معبد أصغر منه طوله ١٥ متراً وعرضه ١٤ متراً وعلى بابه أسدان أيضاً من الطين المشوى . وعثر على عدة أبنية مماثلة ، وعلى بناية واسعة طولها ٢٥ متراً وعرضها ٢٣ متراً ينم شكلها على أنها كانت موضع الإدارة ، وعثر على بنايات صغيرة ينم شكلها على أنها كانت دوائر حكومية وخزائن للوثائق الرسمية .

أما الآثار التى عثر عليها فى هذا التل فأهمها ١٣٠٠ لوحة من مختلف الأنواع والحجوم ، وكلها من اللبن المشوى ، وفى بعضها مستندات يستعملها الكهنة وهى تحمل اسم الإله «خانى» واسم زوجه «نيسابا» كتبت داخل طغراء مربعة الشكل .

وفى إحدى هذه الألواح قائمة بأسماء مدن ، كما عثر على ستة تماثيل من الطين المشوى وهى مهشمة لقدم العهد[1] .

ذكرها وأخبارها : كانت كلواذى ملتقى الفساق ومأوى المشاق ، يجتمع فيها أرباب التهتك والدعارة يعقدون فيها مجالسهم بين رياضها وعلى حفافى أنهارها ، يشربون ويفجرون . يقيمون فيها الشهور بين الدنان والقيان والمعازف ، مقيمين على إطاعة إبليس فى هتك ستر المعاصى واقتراف الآثام .

فهذا أبو نواس قيل له مرة : هل تريد الحج ؟ فأجاب : نعم إذا فنيت لذات بغداد . . وأنى له ذلك وهو فى بغداد التى جمعت الظرف والجمال والمتعة والثراء ... وهب أن بغداد ضاقت به فلم يطق الحياة فيها حتى دفعت به إلى الحج فكيف يتخلص من قطربل وكلواذى ، وهؤلاء شذاذ بغداد ملء السمع والبصر ... وفيهم يقول .

وقائل هل تريد الحج قلت له : ... نعم ، إذا فنيت لذات بغداد
أما وقطربل منى بحيث أرى ، ... فقنة الفرك من أكناف كلواذ
فالصالحية فالكرخ التى جمعت ... شذاذ بغداد ماهم لى بشذاذ[1]

ومن ظريف ما هجيت به بغداد قول بعضهم :

اخلع ببغداد العذارا ... ودع التنسك والوقارا
ولقد بليت بعصبة ... ما أن يرون العار عارا
لا مسلمين ولا يهو ... د ولا مجوس ولا نصارى

فكيف يترك أبو نواس هذه الحياة المرحة ويذهب إلى الحج ؟ . .

ولكن الرشيد لما خرج يريد الحج شاء أن يكون فى ركابه شاعرنا الظريف أبو نواس ، فاصطحبه معه ، وفى مكة نظم أرجوزته المشهورة ، وهى أروع ما قيل فى الزهد أولها :

إلهنا ما أعدلك ... مليك كل من ملك

فلما عاد أبو نواس إلى بغداد أشيع أنه تنسك بعد حجه ، وعكف يكفر عن ذنوبه ، وهذا خبر ظريف ، وكيف يكون ذلك وهو فى بغداد بين عصابته من أحلاس الكأس وفرسان الخمر ، ثم هذه كلواذى وطيزناباذ ، وثلاث قرى بنا قد توزع قلبه بين حاناتها وظبائها ، فكيف يزهد ويرعوى ؟ ويترك هذه الحياة الضاحكة المصفقة ؟ لذلك راح يكذب هذا الخبر — خبر النسك بأبيات ظريفة منها :

قالوا : تنسك بعد الحج قلت لهم : ... أرى وأرجو وأخشى طيزناباذا
ما أبعد النسك من قلب تضمنه ... قطربل فقرى بنا فكلواذا
فإن سلمت ، وما قلبى على ثقة ... من السلامة ، لم أسلم ببغداذا[2]

ومن الغريب أن مطيع بن اياس وهو رأس العصبة الماجنة ، يذم بغداد كما يذم كلواذى ويأسف على عمره الذى زال عنه وأسكنه بغداد ، ثم يدعو على بغداد وكلواذى بالخراب قائلا :

حبذا عيشنا الذى زال عنا ... حبذا ذاك ، حين لا حبذا ذا
زاد هذا الزمان شراً وعسراً ... عندنا ، إذ أحلنا بغداذا

(١) مجلة سومر السنة الأولى المجلد الثانى .

(١) ديوان أبي نواس طبعة آصاف ص ٢٧٢ .
(٢) » » » ص ٢٧٢ .

بلدة تمطر التراب على النا س ، كما تمطر السماء الرذاذا
خربت عاجلا واخرب ذو العر ش بأعمال أهلها كلواذا (١)

كانت كلواذى ميناء مدينة بغداد . ترسو فيها السفن التجارية القادمة من واسط والبصرة(٢) أو القادمة من شمال بغداد فى نهر دجلة أو نهر سامرا ، وقد كانت عامرة على عهد العباسيين تمد بغداد بمختلف المنتوجات الزراعية ، بل كانت من الأسباب الهامة التى جعلت المنصور يختار موضع مدينة السلام بغداد فى هذا المكان .

قال المقدسى إن المنصور انتصح بما أشير عليه فى بناء عاصمة ملكه فى هذا الموضع ، ويذكر هذا الجغرافى أن أصحاب المنصور قالوا له « تنزل فى بغداد فإنك تصير بين أربعة طساسيج ، طسوجان فى الجانب الغربى وطسوجان فى الجانب الشرقى ، فأما اللذان فى الجانب الغربى فقطربل وبادوريا وأما اللذان فى الجانب الشرقى فنهر بوق وكلواذى (٣) »

وبقيت عامرة بقراها مدة طويلة من الزمن ، وقد خربت على عهد ياقوت أى فى القرن السابع الهجرى لأن ياقوت كانت وفاته سنة ٦٢٦ هـ .

كانت أرض كلواذى منخفضة لذلك كانت مهددة بالغرق كلما زادت المياه فى دجلة . ففى سنة إحدى وأربعين وستمائة مثلا زادت دجلة زيادة مفرطة وغرقت مواضع كثيرة فى بغداد فعمل الناس سداً بين بغداد وكلواذى ، وانتقلوا خلف السكر ، وصليت الجمعة على طرف الخندق مما يلى دار المسناة — وهى القصر الموجود فى القلعة حالياً — .

قال ابن الفوطى وفى هذه السنة ٦٤١ هـ احكم السد الذى بين بغداد وكلواذى ، وخرج تاج الدين بن الدوامى حاجب باب النوبى إلى باب كلواذى — هو الباب الشرقى حالياً — وأحكم السكر وبات عليه(٤) »

وقد شهدت كلواذى المعارك بين الأمين والمأمون ، ودارت فيها المعارك بين الجيشين ، قال المسعودى : لما تقدم هرثمة بن أعين إلى بغداد نزل زهير بن المسيب الضبى أحد قواده فى مصراتا

(١) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٧ .
(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٤ .
(٣) لسترنج ص ٢١ .
(٤) ابن الفوطى ص ١٨٦ .

مما يلى كلواذى ، وغشى ما فى السفن من أموال التجار الواردة من واسط والبصرة ، ثم تقدم فنزل كلواذى فتأذى الناس به ، وحمد له خلق من العيارين وأهل السجون والشطار (١) .

وكان الشطار والعيارون يحاربون المأمونية وهم عراة فى أوساطهم المآزر ، وقد اتخذوا لرؤوسهم واوخل (؟) من الخوص سموها الخوذ ، ودرقاً من الخوص والبوارى محشوة بالرمل والحصى ، وقد خرجت العراة ذات يوم فى مائة ألف رجل إلى كلواذى بالرماح والسيوف والقصب والطرادات ونفخوا فى القصب وقرون البقر وزحفوا على المأمونية فى كلواذى حتى أخرجوهم منها(٢)

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٥ ، ٣١٦ .
(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

شكرى محمود أحمد
مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

فلسفة طاغور فى العلم والعمل

للأديب عبد العزيز محمــد الزكى

يعرف عن طاغور أنه صرح فى مناسبات عدة ، أنه ليس بفيلسوف ولم يحاول قط أن يبتدع مذاهب جديدة فى الفلسفة ، وأنه كان يعمل دائماً على إحياء الحكمة الهنـدية القديمة والتعاليم الهندوسية حتى تساير روح العصور الحديثة واتجاهات المدنية الغربية ، ولـكن بدون أن تفقد فى الوقت نفسه شيئاً من أصالة مقوماتها الروحية ، أو تتعارض مع نزعات الهنود الأساسية .

أحسب أن هذا عمل شاق ! إذ كيف يمكن التوفيق بين تعاليم متعارضة ومبادىء متناقضة ؛ فإن تعاليم الهند الروحية تزهد فى متع الحياة ، وتحتقر ميدان المادة والقوة ، وتنفر من الحياة العملية النافعة ، وتكره أن تخوض معترك التوسع الاستعمارى وبسط النفوذ ، ولا تتمسك إلا بالفضائل الخلقية والقيم المعنوية ، وتدفع الهندى لأن يؤمن باتحاد الوجود الشامل ، وتلزمه بأن يسعى لـكى يدرك الله ويلاشى فرديته فيه ، فيشعر بالوحدة المطلقة التى تبعث فى نفسه السعادة والحرية . بينما مبادىء الحياة الغربية ترحب بمختلف متع الدنيا الحسية ، وتحث على كل عمل يجلب أى نفع مادى ، وتشجع على الاندماج فى الحياة الاستقلالية والمغامرة فى ساحة المادة والقوة ، كما لا تتمسك إلا بالفضائل النفعية والقيم العملية ، ولا تكترث للدين بقدر ما تكترث للدنيا؛ فأقبل الغربى على ملاذ الحياة الأرضية إقبالا جنونياً غافلا عن أصول تعاليم ديانته المسيحية التى تنشد الخلاص من الحياة التى تجذبه مفاتنها ، فشمله الطمع والجشع والأنانية ، ووقع فريسة للفوضى والاضطرابات والقلق ، وحرم من الأمن والسلام والاطمئنان .

ويخيل إلىّ أن طاغور لم يفكر فى أن يوفق بين هذه النزعات المتضاربة ، وإنما لاحظ على الغرب شغفاً عميقاً بالعلم وجداً مستمراً ونشـاطاً متواصلا فى العمل فاستحق كل ذلك منه الإعجاب والتقدير . بينما وجد تعلق الهند بالزهد والانصراف عن الحياة شغلها عن كل شىء إلا عن تحقيق الاتحاد بالله والاندماج فى اللانهاية ؛ فأصيبت بالجمود والموت ، وكسيت بصبغة التقاليد العتيقة التى لا تلائم روح الحياة العصرية ، وبدت الهند كأمة كسولة عاجزة فى عالم كله حركة وتغير وتقدم فأراد طاغور أن يبعث حيويتها من جديد ، ويخلع عنها رداء القدم والعجز ؛ وأن يبين لها الوسائل التى تمكنها فى الاندماج فى الحياة العملية ، والمساهمة بنصيب وافر فى تقدم العلم وترقية العمل . وكان طاغور فى ذلك كله حريصاً كل الحرص على المحافظة على الطابع الهندى ، فإن بدت كتاباته كأنها تحث الهنود على كشف القوانين العلمية ، والابتكار فى ميدان العمل ، ومحاكاة الغرب فى مختلف نشاطه الحضارى ، إلا أنه عمد أن لا تكون بواعث الهندى أو غاياته فى بحثه فى العلوم وتجديده فى العمل هى عين بواعث الغربى وغاياته ، كما حرص على أن تستمد هذه البواعث وتلك الغايات من صلب الحكمة الهندية عامة ، ومن أصول الدين الهندوسى خاصة .

ولـكى نفهم كيف استعان بالـكتب المقدسة فى تشكيل دوافع طلب العلم ، وأهداف أداء العمل المستمر المتجدد حسب المزاج الهندى الخالص ، يحسن بنا أن نعرج أولا إلى نظرات الدين الهندوسى — كما فهمه طاغور — إلى النفس الإنسانية التى تكشف المعرفة وتمى العلم ، وإلى الإرادة البشرية التى تنجز الأعمال الدينوية وتتنكر فيها .

أولا : أما عن النفس فيقول طاغور إن الدين الهندوسى يؤكد لنا أن الـكون وحدة شاملة ، تضم كل ما يوجد فيه من جماد ونبات وحيوان وإنسان ، ويتجلى الله فيها جميعاً . وأن النفس الإنسانية جزء من أجزاء الـكون المتعددة المتنوعة التى يتجلى فيها الله ، إلا أن لها استقلالها الخاص ، ووجودها المنفرد ، وكيانها القائم بذاته بالرغم من اتحاد أجزاء الـكون الشامل ، وتجاذبها الشديد. إذ أن استقلال النفس له قيمته ، فمن طريقة يمكن للنفس أن تحقق وحدتها بالـكون فى صورة أروع وأقوى مما لو كانت راقدة فيه غير شاعرة باستقلالها ، فضلا عن أن هذا الاستقلال لا يفصلها تماماً عما فى الوجود ، ولا يقطع صلتها بالحقيقة الـكامنة فى جميع نواحى الـكون ، وفى أعمق أغوار النفس . فهى مرتبطة بالله وكيانها قائم به ، بل إن كمالها لا يتحقق مالم تشعر بحضوره فى دخيلتها ، ولا تفز بحريتها الروحية إلا إذا خضـــعت لإرادته ، ولا تحس بالغبطة إلا إذا اندمجت فيه وأمحت فرديتها فى لانهايته.

وأما إذا شـعرت النفس بنوع من الإنفصال المطلق عن الـكون المتحد الذى يكمن الله فى جميع أشيائه ، فإن مرجع ذلك

إلى حبس حياتها فى حدود فرديتها ، وإلى خداعها بالمظهر الكاذب وإلى استسلامها لإغراء الوهم الباطل الذى يوحى إليها بأنها غاية ذاتها ، ويشغلها عن أى حقيقة أخرى تتعدى هذه الذات ، ويوقعها تحت تأثير شهوات الإنسانية والكبرياء والغرور فتندفع فى طريق الآثام والجرائم التى تحجب عن النفس حقيقتها المستترة فيها ، فتجهل أن الكون تجمع أجزاءه وحدة تامة يتجلى فيها الله ولا تملك أن تحقق كمالها بالاتحاد باللانهاية ، وتفشل فى إحراز حريتها الروحية ، تحرم من الشعور بالحب الذى يفيض بالغبطة والسرور . وإذا أرادت تلك النفس الآثمة أن تحقق كمالها ، يجب أن تخرج ذاتها من حدود فرديتها المتيقة إلى نطاق اللانهاية الفسيح ، وتسمى لأن تتحرر من أسر المظهر ، وتكشف عن زيف الباطل ؛ بأن تفد نفسها لمعرفة حقيقة وحدة الكون عن طريق معرفة قوانين الطبيعة العلمية ، وعن طريق إنكار الذات وفعل الخير وتحذير النفس من الشهوات الدنيئة والرغبات المنحطة وعن طريق ملاشاة قرويتها فى اللانهاية ؛ فيجرى فيها ذلك الحب الذى يجعلها تدرك حقيقة الجوهر الكامن فيها ، وتعلم أنها فى وحدة تامة مع الله والطبيعة ، وتفوز آخر الأمر بكمالها .

يفهم مما تقدم أن معرفة حقيقة اتحاد الكائنات الشامل هو السبيل الوحيد لكمال النفس الإنسانية ، التى لا يمكن أن تدرك هذه الحقيقة الكبرى إدراكا عميقاً صادقاً ، إلا إذا تكشفت لها أولا ما تحتوى عليه هذه الحقيقة الكبرى من حقائق صغرى متعددة ، ينطوى كل منها على أحداث متشابهة لا نهاية لها ، لأن معرفة هذه الحقائق الصغرى ، فضلا عن أنها تغنينا عن جمع أحداث متشابهة تشغل الذاكرة ، ولا تزيد من معرفة النفس شيئاً ، ولا تؤدى إلى معرفة شىء سواها ؛ فإنها تمهد لنا السبل إلى إدراك الحقيقة الكبرى التى تعتبر كل حقيقة صغرى وجهاً من وجوهها . فإن معرفة قانون الجاذبية مثلا ، لا يحوجنا إلى جمع أحداث تماثل سقوط التفاحة من الشجرة ونزول المطر على الأرض ؛ ونضع أيدينا على حقيقة عامة تفتح آفاقاً تقودنا إلى اللانهاية التى تبلغ كل الحقائق الصغرى العامة .

فإن معرفة قوانين الطبيعة على ذلك ، والجد فى الكشف عن ما جهل منها ، أمر ضرورى يمهد لنا إدراك حقيقة اتحاد الطبيعة بالله ، ومعرفة وحدة القانون فى وجوه الطبيعة المختلفة أى أن طلب العلم لا يقصد به مجرد التثقيف وتوسيع أفق المعرفة أو أن معرفة قوانين الطبيعة ليست هى فى ذاتها غاية بحثنا فى العلوم فإن قانون الجاذبية يعنى أكثر من سقوط تفاحة على الأرض ، وأن قانون تطور الأنواع يعنى أكثر من تعاقب المخلوقات ؛ إذ أن معرفة مثل هذه القوانين يفسح لنا الطريق للاندماج فى مكونات الطبيعة والاتحاد بمحتوياتها المتنوعة ، فنحس أن هناك جسما شاملا واحداً عالمياً ، ونشعر أن هذه القوانين الطبيعية تشملنا وترتبط بنا برباط واحد ، وندرك أن أجسادنا وأعضاءنا أشياء عالمية ، وأن البخار والكهرباء من أعصابنا وعضلاتنا ، فنعرف أن هذا العالم جميعه ما هو إلا جسم واحد ممتد لنا .

فالقوانين الطبيعية لا تنفصل عنا ، وتدل على أن هناك صلة وثيقة بين الإنسان والطبيعة ، فهى ملك لنا ، ومعرفتها تمدنا بالقوة المعنوية إذا اتخذناها سبيلا للاتحاد بسائر الأشياء ، وتضعفنا إذا استخدمناها فى مقاومة أغراض الطبيعة فى الحياة . إذ لو انصرف العلم إلى تسخير هذا العالم لخدمتنا ، وبسط نفوذ الإنسان على كل ما يحيط به ، ونصره على سائر العوائق التى تعرقل مكافحته للطبيعة ، أو تحول دون استعباده لشعوب الأمم الأخرى ، لفقد قيمته الحقيقية ، وبعد عن غايته الصحيحة ، وخضع لشهوات الإنسان الدنيئة التى تفسد الانتفاع بالعلم ، وتدفع الإنسان إلى القوة والوحشية والجشع ، فترتكب الجرائم ، وتندلع الحروب ، فيعم الخوف والهلع والقلق والاضطراب ، أما إذا قصد بالعلم الاندماج فى موجودات الكون ، والاتحاد باللانهاية ، والخضوع لإرادة الله ، لتحررت روح الإنسان وأحست حقيقتها فى الحقيقة الكبرى ، فتتمتع بالحب ، وتنعم بالسرور والغبطة .

ثانياً : وما فهمه طاغور عن النفس من الكتب الهندوسية المقدسة ، وكتب حكماء الهند ، يشابه ما فهمه منها عن الإرادة فإن قال إن للنفس وجوداً مستقلا عن الكون المتحد ، فإنه يقول أيضاً إن للارادة حرية السيادة على شئون عالمنا الصغير . وإذا ذكر أن استقلال النفس المطلق وهم باطل ، وفى المظهر ، وأنها جزء من أجزاء الوجود المتحد ، وتسمو وجودها من الله ، فإنه يذكر كذلك أن حرية الإرادة المطلقة وهم باطل ، وفى المظهر ، وأنها لا تعمل إلا فى حدود ، وأنها جزء من إرادة اللامتناهى وملكا له

البقية فى العدد القادم

عبد العزيز محمد الزكى

٣ – مدى الثقة فى هيئة الأمم المتحدة :

حق الاعتراض « الفيتو »

من المبادىء المقررة أن للقانون الدولى أيضاً أشخاصه ورعاياه تسرى عليهم أحكامه التى يخضعون لها ويحترمونها ، وقد تعددت آراء الفقهاء حول طبيعة هؤلاء الأشخاص ، فقالوا بأنهم الأفراد العاديون فى رأى ، وبأنهم الدولى فى رأى ثان ، وبأنهم الأفراد مجتمعين فى دولهم فى رأى ثالث ، وهناك آراء أخرى نضرب عنها صفحاً لنذكر أن الاتجاه الغالب هو أن شخص القانون الدولى هو الدولة ، وما دام الأفراد متساوين أمام القانون العادى كذلك تتمتع دول العالم بالمساواة صغيرها و كبيرها ، فنرى القانون الدولى يعلن ذلك صراحة ، وتأتى المواثيق الدولية فتكرر حق المساواة ، ومن بينها ميثاق هيئة الأمم المتحدة الذى أكد فى ديباجته الإيمان بالحقوق الأساسية للانسان وبكرامة الفرد وقدره ، وبما للرجال وللنساء وللأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية ، والذى جاء ضمن مبادئه أن الهيئة تقوم على مبدأ المساواة فى السيادة بين جميع أعضائها .

ولكن هذه المساواة التى تكلمنا عنها لا تعدو مساواة الدول أمام القانون ، فإذا ما خرجنا بها إلى ميدان الحقائق العملية وإلى حيز الواقع والتطبيق ، نجدها تتلاشى أمام حقيقة لا مراء فيها : وهى أن هناك دولا قوية تهيمن ، وأخرى صغيرة تذعن ، والقوة هنا هى قوة المصالح ، ولم يفت الفقهاء وهم يعقبون على حق المساواة أن يشيروا إلى هذه الحقيقة الواضحة ، ويجدوا لها تطبيقات عدة حتى فى عصبة الأمم نفسها ، حيث كانت الدول الصغيرة تفسح الطريق لسيطرة الدول القوية عليها فى بعض اللجان ، وذلك لشعورها بقوة مصالحها فيما يختص بالغرض الذى أنشئت من أجله هذه اللجان ، وتبدو مظاهر هذه السيطرة مثلا فى مسألة التصويت على القرارات كى تكتسب قوة التنفيذ ، فيكون للدولة القوية صوتان أو أكثر وللدولة الصغيرة صوت واحد ، وقد يشترط لتنفيذ القرارات أن تؤيدها الدول القوية ، ولو كان لكل منها صوت واحد . إن الحديث عن هذه المظاهر يمتد إلى نواح عديدة ... وكلها شاهد على أن نزعة السيطرة والغلبة ، وقد تكون الأثرة ما زالت هى الغالبة فى مجالات السياسة الدولية ، فالعقلية المضحية التى تفهم المساواة على وضعها الصحيح لم توجد بعد ، ولا يخلو ميثاق هيئة الأمم المتحدة من مواضع كثيرة يمكن نقده فيها على ضوء ما تقدم والصورة القوية البارزة لذلك يمكن البحث عنها فى مجلس الأمن وهو الأداة التنفيذية للهيئة .

وسيجد القارىء للميثاق طلبته فى مشكلة التصويت حيث تطرح الدول القوية جانباً مسوح الرهبان لتكشف عن حديدها ونارها إذ أن هذه المشكلة من المواطن شديدة الحساسية التى تثير فى أدق صورها علاقة الدول العظمى بعضها ببعض ثم علاقة الدول العظمى بالدول الصغرى وتكييف تلك العلاقات .

وقد اتفق فى « مبارتن أوكس » على مبدأ إجماع الدول العظمى عند اتخاذ قرار فى أعمال العنف التى تتخذ ضد دولة تقوم بعمل من أعمال العدوان . . ولكن قام الخلاف على إجراءات التصويت فى المسائل الأخرى . . فبقيت المسألة دون حل ، حتى انعقد مؤتمر « يالتا » فى فبراير سنة ١٩٤٥ وقام الرئيس « روزفلت » بإزالة ما كان هنالك من تعارض فى وجهات النظر فوضع اقتراحاً حاز قبولا من كل من « الرفيق ستالين » « وتشرشل » كما عرض على فرنسا والصين فوافقتا عليه . . وتقضى قواعد التصويت التى اجتمع عليها الأقطاب فى يالتا بأن يكتفى بأغلبية سبعة أصوات من أحد عشر صوتاً بالنسبة لجميع قرارات المجلس على أن يكون من بين هذه الأغلبية أصوات الدول الخمس العظمى مجتمعة . . . وهذه القاعدة لا يرد عليها سوى استثنائين : الأول يتعلق بالإجراءات ويكتفى فيها بأغلبية سبعة أصوات دون تمييز بين الأعضاء الدائمين وغيرهم

والثانى يختص بأى نزاع يعرض على المجلس وتكون إحدى الدول الأعضاء طرفاً فيها فيجب عليها الامتناع عن التصويت .

غير أن الخلاف بين الدول قام فى مؤتمر « سان فرنسيسكو » حول هذا القرار وحاولت الدول الصغرى وكانت تتزعمها أستراليا

محاولة صادقة فى سبيل تعديله لأنه يتفرع عن هذا القرار أنه يكفى أن تمتنع إحدى الدول المظمى عن التصويت أو تمارض القرار وهذا هو حق الاعتراض أو الفيتو لكي يستحيل على مجلس الأمن إصدار القرار المراد إصداره ..

ولقد نددت الدول الصغرى بحق الفيتو هذا ووضعته بأنه سيف مصلت فوق الرءوس وأن أحكام القانون والعدالة وحقوق الدول فى الحرية والمساواة والسيادة ستصير كلها كلمات جوفاء يمكن لأية دولة عظمى أن لا تعيرها اهتماماً طالما كان فى يدها هذا السلاح الذى تنهار أمامه جميع الادعاءات .

ورغم هذا الدفاع العادل فقد باءت محاولات الدول الصغرى بالفشل .. واكتفت بتأكيد أصدرته الدول العظمى أثناء المناقشة ومفاده أنها فى استعمال حقوقها فى التصويت سيحدوها دائماً الإحساس بتبعاتها نحو الدول الصغرى وأنها لن تستعمل حق الاعتراض إلا فى أضيق الحدود .

نستطيع أن نفهم إذن مما تقدم أن حق الاعتراض هو — أولا — نص من نصوص ميثاق هيئة الأمم جاءت به المادة السابعة والعشرون ، وأنه — ثانياً — ميزة تعتز بها الدول الكبرى وتحرص عليها أشد الحرص .

ولما كان هذا الحق نصاً من نصوص الميثاق ، فهو — كبقية النصوص — معرض للتفسيرات المغرضة التى تتلاءم مع أهواء كل من الكتلتين ، الشرقية والغربية ، وكان من المحتوم أن يثور حوله الخلاف ويكثر الجدل لا سيما أنه يعد من أهم النصوص بل أقواها على الإطلاق .

استعملته الكتلة الشرقية فى مسألة البلقان وحدها ثلاث مرات ، ولا شك أنها بذلك قد فوتت على غريمتها أغراضها وخططها الأمر الذى أثار حفيظتها ودفعها هى الأخرى إلى استعماله أخذاً بالثأر والانتقام ... ولعله من المؤسف حقاً أن تكون الشقيقة أندونيسيا ضحية للاستعمال السيء لحق الاعتراض مما حرك سخط الضمائر الحرة على الكتلة الغربية التى كانت تلوح به أيضاً أثناء نظر القضية المصرية .

ومهما تكن الآراء فإن من المحقق أن الدول المظمى قد نقضت وعدها السابق ، وأصبحت تستعمل حق الاعتراض طوع الأهواء والشهوات ، ولعل أعظم دليل على ذلك ما حدث ومازال يحدث فى طلبات الانضمام إلى هيئة الأمم ، وكان من جراء ذلك كله أن تعود صيحات الدول — لا سيما الكتلة الغربية — مندّدة بسوء استعمال حق الاعتراض فى اجتماع الدورة الحالية للجمعية العامة . فارتفعت صيحة تقول : إن استعمال الدول الكبرى لحق الفيتو قد شل العمل فى سبيل تحقيق السلام العالمى ، وأن ثمة خطراً من إساءة استعماله مما قد يجعل استتباب السلام مستحيلا .

ومحاولات أخرى تقول إنه ليس من المغالاة فى شيء أن بناء هيئة الأمم المتحدة لابد أن ينهار يوماً ما بفعل الضربات المستمرة التى تصيبه من معول الفيتو ، وأنه ينبغى أن يختار العالم بين هيئة الأمم المتحدة والفيتو إذ لا قبل لنا بهما معاً ولا يبعد أن نفقد الإثنين عما قريب .

ورغم أن الأرجنتين هى التى أثارت هذه القضية فى الجمعية العامة إلا أن الولايات المتحدة هى التى تزعمت الحركة الناهضة ، واقترح « مارشال » وزير خارجيتها فى خطابه الذى ألقاه أن تقوم « هيئة تنفيذية للسلم والأمن الدولى » تتكون من جميع أعضاء الجمعية العامة ، وهذا الاقتراح خطير جداً نستطيع أن نفهم منه أشياء كثيرة .

وتبدو خطورته جلية إذا ماعرفنا أن لمجلس الأمن اختصاصين : يتعلق الأول منهما بحل المنازعات حلا سلمياً أو بعبارة أدق حل المنازعات التى يكون من شأن استمرارها تعريض السلم والأمن الدولى للخطر ، ويختص الثانى بالأحوال التى يقع فيها تهديد للسلم أو إخلال به أو حصول عدوان معين .

وعلى ذلك يكون هدف مارشال أن ينتزع الاختصاص الأول لمجلس الأمن لتقوم به الهيئة التنفيذية المقترحة ، وإذا عرفنا أن حق الاعتراض هو السائد فى جميع أعمال مجلس الأمن بنوعيها استطعنا أن نفهم أن الاقتراح يرمى إلى إبعاد حق الاعتراض عن المسائل التى من الاختصاص الأول لمجلس الأمن والتى يراد إلصاقها بالهيئة المقترحة وهى المسائل المتعلقة بالسلم والأمن الدولى

ثم قصر هذا الحق على الاختصاص الثانى أو ما عبر عنه مارشال بالحالات التى تضطر فيها هيئة الأمم المتحدة إلى اتخاذ إجراءات عسكرية أو اقتصادية . ولعل من المفيد أن نقدم للقارىء بعض فقرات من خطاب مارشال يشرح فيها وجهة نظره فيما يتعلق بهذا الاقتراح حين قال :

« إنه يتسنى بذلك أن نبعد تهديد استعمال الفيتو فى المسائل التى تشير إليها المادة السادسة من الميثاق وهى التى تنص على حل الخلافات حلا سلمياً وإن حق الفيتو قد منع مجلس الأمن من القيام بوظيفته الحقيقية . .

ومن العجيب أن تكون الولايات المتحدة هى التى اقترحت نص الفيتو ، وهى نفسها التى تحمل عليه الآن حملة شعواء . . والتعليل لذلك التناقض قد وضعناه من قبل فى يد القارىء : وهو ذلك التنافس المرذول بين الكتلتين الشرقية والغربية على مصير العالم التعيس . إن نصوص الميثاق لا تفسر أو تطبق حسب مقتضى المنطق والعقل ولكن تجتهد كل كتلة فى أن تفسرها بما يتفق مع مصالحها وينزل بالطرف الآخر أشد الإضرار ، ويعلم الدارسون للقانون أن العلاقات الدولية ما زالت فى دور الطفولة وكان الواجب أن نبعد النصوص الخطرة من تنظيم هذه العلاقات كما نبعد الألعاب الخطرة عن متناول أطفالنا .

لقد قلنا إن حق الاعتراض ميزة تعتز بها الدول الكبرى وتحرص عليها أشد الحرص لأنه بمثابة سلاح فى يدها تمزق به الدول الصغرى كلما احتاجت إلى طعام جديد ، فالولايات المتحدة تريد إبقاءه مع تقييده وتحديده بالحدود التى ذكرناها ، وروسيا السوفيتية تجاهد فى إبقاء النص كما هو دون تغيير أو تعديل ، وبريطانيا — كما جاء على لسان رئيس وفدها فى الجمعية العامة — لن تقترح إلغاء حق الفيتو ولكنها تشعر فقط بأن هذا الحق قد أسىء استعماله ، وليس علاج ذلك تغيير ميثاق هيئة الأمم المتحدة ولكن معرفة ما إذا كان العالم يؤيد بريطانيا فى اعتقادها بأن حق الفيتو قد أسىء استعماله أم لا ؟ !

وبهذه المناسبة نقول إن اقتراح مارشال يقوم بذاته دليلا على أن بناء ميثاق هيئة الأمم لم يقم على دعائم ثابتة ، وأن مجرد الحديث عن تغيير الميثاق أو تعديله مدعاة لأن توزن الثقة به من جديد .

إننا لا نريد بقاء هذا السلاح فى يد خمس دول لترهب به بقية دول العالم بل إن مصير الإنسانية أجل من أن تتحكم فيه شرذمة تنساق وراء أهوائها وشهواتها . والرأى الصائب أن تتمسك الدول بمبدأ المساواة فى السيادة ، وحكم الأغلبية فى تنفيذ القرارات ، وألا تدع لأية قوة سبيلا عليها سوى سلطان القانون والعدالة .

وأكرر فى الختام أن هناك بعض المآخذ الأخرى على هيئة الأمم ويمكن جمعها تحت عنوان « بوليس الأمن الدولى » فإلى اللقاء .

عبد الحميد عثمان عبد الحميد
كلية الحقوق

ألحان ثائرة

« مهداة إلى الصديق القديم محمود فهمى النقراشى »

ألق عن وجهها الغضوب النقابا ... لا تخاصم إلى الذئاب الذئابا
أمِرَ الأمرُ فادّرعهم شيوخاً ... عاقروا الصبر، وادّرعهم شبابا
وأدرك لحنك الذى أيقظ الثو ... رة ، واحفز فى صهده الأعصابا
نحن فى عالم يحيفه الشك ... وضل الصواب فيه الصوابا
أمة تنشد السلام ... فما با ... ل حمام السلام أمسى غرابا ؟ !
أى أمثولة أصم بها الدا ... عى وإن هاج ثائرين غضابا
معبد صور العدالة فى الأر ... ض إلها ، والأمن فيها نصابا . !
ما لرهبانه المجانز كانوا ... أول الملحدين لما أهابا . . . !
ما لألحانه الجميلة باتت ... فوق أطلاله بكا ونُعابا ؟ !
إنما نحن أمة تمضغ الحق ... د فما بالنا نعاف اللُّعابا
وإذا الحق لم يصادف سميعاً ... أوشك الحق أن يحول احترابا

* * *

ليس فى شرعة الطواغيت غير النـــار رباً ، وغيرها محرابا . !
والذى يطلب الحياة سلاماً ... كالذى يطلب الحياة سرابا
ذل من يركب الرجاء وفى كفـ ... ـيه ظفر بذود .. ذل وخابا

طاهر محمد أبو فاشا



من خوف الكوليرا فى كوليرا !

دخلت أزور ابن عم لى فى داره فلقيتنى زوجه فى الدهليز وما وقع بصرها على حتى قالت وهى تضحك : هلم فهذا منظر خليق بأن تراه من وراء منظارك ، ولقد خطرت ببالى الساعة وأنت على السلم ؛ وقادتنى إلى حجرة الطعام حيث كان زوجها يتهيأ لتناول عشائه .

ودخلت فى سكون ولم أحىّ فلم ينتبه إلى ، ونظرت فإذا بالمسكين يجلس إلى المائدة وقد وضع رجله اليمنى فى « حلة » على الأرض عن يمين مقعده تبينت فيها سائلا ما ورجله اليسرى فى « حلة » أخرى عن شماله وهو يغسل يديه فى وعاء على خوان قريب منه وعلى صفحة وجهه سحابة مركومة من الهم ، وضحكت وضحكت زوجته فرفع رأسه وابتسم ابتسامة ضئيلة لم تلبث أن غرقت فى هذا السحاب المركوم ، وأراد أن ينهض فلم يستطع لبعد ما بين الحلتين ، ثم قال فى إشارة حازمة وفى لهجة جازمة : لا تؤاخذنى أرجو أن تغسل يديك فى هذا الوعاء ، ونظر إلى زوجته نظرة عتب وسألها لم تطلب إلى أن أغسل يدى فى الوعاء الخارجى لدى الباب ، وكأنه لم يعجبه ضحكها فى هذا الموطن ، موطن الجد الرهيب فطلب إليها فى شىء من العنف أن تغسل يدها ، وفهِمَتْ أن ذلك لأنها سلمت على ، فشت حمرة خفيفة فى محياها الأبلج ولم تجد بداً من إطاعته إشفاقاً عليه كما قالت مداعبة إياه فى رفق ...

وراحت ربة البيت تشرح لى هذه السوائل التى يغمس فيها رجليه ويديه ، وتضحك إذ تقص على كيف يغسل يديه كلما لمس شيئاً ، وكيف يدعو بائع اللبن وبائع الصحف وغيرهما إلى غسل أيديهم قبل أن يناولوه شيئاً وكيف لا يفوته كلما نقص وعاء الغسيل لدى الباب أن يملأه بالمحلول ...

وينظر إليها زوجها إذ تضحك فيمتلىء غيظاً ويسألها كيف لا تدرك وهى المثقفة المهذبة أن الأمر جد لا هزل ، وفيم هذا الضحك الذى ينطوى على عدم المبالاة والذى يفهم منه أنها لن تعمل فى غيبته شيئاً مما يدعوها إليه من وقاية ؟

ولم تغب عن منظارى بقية « الاستحكامات » فى الحجرة فهذه مضخة قريبة بها من السائل كيت وكيت ، وتلك أخرى بها من المساحيق كيت وكيت ، وثالثة ينطلق منها إذا فتحت غبار كثيف لمطاردة الذباب ، وكم ذكرتنى بشبيهاتها من المدافع التى كانت تنصب لمطاردة الطائرات زمن الحرب . .

ونظر ربُّ الدار فإذا أحد الأطباق يظهر جانب منه من تحت الغطاء القماشى فتأفف ونظر فى وجه امرأته نظرة حنق وسحب القماش فغطى الطبق ؛ وسألته فيم هذا الغطاء ؟ فنظر إلى وكأنه ينظر إلى معتوه ثم قال ، ألا ترى أن ذبابة واحدة كفيلة بأن تقتل من فى المنزل جميعاً بل من فى الحى كله إذا وقعت على الطعام ؟ فقلت : إذا كان هذا مبلغ خوفك من الذباب فى الليل وهذه المدافع من حولك فليلطف بك الله فى النهار !

وضحكت زوجته ضحكة عالية ثم نظرت إليه معاتبة وما تريد إلا أن تسرى عنه وقالت : أتذكر الحرب ؟ صور لنفسك إحدى طوائر الألمان المنقضة وقد هبطت من السماء على دارك فهذا هو شأنه تلقاء ذبابة مسكينة من الذباب .

وما أتمت كلامها حتى نظر إليها وراح يقلد لهجتها ونطقها مستهزءاً وهو يقول : ذبابة مسكينة من الذباب ! المسكين أنت ! لقد كان من المخابىء عاصم من الطائرات وما الذى يعصمنا من ذبابتك المسكينة ؟

وقلت له ما الذبابة بمسكينة ولا زوجتك بمسكينة ، وإنما أنت المسكين فهذا عذاب ليس مثله عذاب ؛ وضحكنا جميعاً وكشف الغطاء عن الطعام ليأكل ، وقمنا نداعبه فوقفت عن يمينه وفى يدى إحدى المضختين وقامت زوجته عن يساره وفى يديها المضخة الأخرى ، وكلما ابتلع لقمة حمد الله ونحن ندعوه إلى الطمأنينة فلن نسمح لذبابة أن تقرب من المائدة حتى يفرغ من طعامه ...

وانصرفت ، وفى نفسى أنى لن أرى من هو أشد من ابن عمى وهماً ؛ ولكن منظارى وقف بى فى صباح اليوم التالى على منظر أنقله للقارىء فى غير نقص أو زيادة :

انحنت عجوز أمام باب إحدى جرائدنا الكبرى وراحت تقىء وفزع الناس بالضرورة وابتعدوا عنها واقترح بعضهم طلب الإسعاف ؛ ومر شاب وجيه المظهر بادى الفتوة كثير الأناقة ،

هـــذا الطوفان ..!

للأديب الطاهر أحمـــد مكي

كنا جماعة ، وكان الحديث عن الأدب ... نقلب الرأى فى طغيان الأدب الرخيص على العالى ، وعدوان العامية على العربية ، واحتلال المجلات الهزلية لعقول الناشئة ، والصحف اليومية لجمهور المثقفين ... وبقاء أدوات الفن الرفيع من مجلات وكتب محصورة فى دائرة ضيقة من الذيوع والانتشار ! لأنها لا تتمشى من الغرائز ، ولا تخضع لرأى العامة ، ولا تهبط لمستوى الدهماء ، ولا تستجلب رضا القراء ، بصورة عارية ، أو مقال مثير !..

وقد فرغت العجوز من قيئها تخيل إليه أنه مس بحذائه هذا القيء بعد أن فطن إلى أنها كانت تقيء ، فكأنما نزلت به صاعقة من السماء ، ونظرتُ فإذا صفرة كصفرة الموت تمشى فى محياه وإذ العرق يلتمع فى جبينه ونظر إلى الناس لهفان كأنما يستنجدهم ، ولبث فى مكانه لحظة لا يدرى ما ذا يفعل ، ثم مر قريباً منه « تاكسى » فاستوقفه ومد يده تخلع حذاءه وجوربه فى حذر بحيث لا يمس إلا وجهه ، ثم مشى حافياً ودخل السيارة وانطلق وترك الحذاء الجميل والجورب الثمين حيث كان يقف ولم يلتفت إليه لفتة كأنما يخشى حتى مجرد منظره !

وكم كان يبعث على الضحك منظر السابلة بعد ذلك إذ يلقون نظراتهم على هذا الحذاء فى تعجب وهم لا يعلمون لم ألقى به هنالك وبما ذا يفسر وجوده ، وكان يمشى بعضهم فى سكون ودهشة بينما كان يستفهم البعض أحد الواقفين ، واجتمع عدد من الخلق فمنهم من ينظر إلى العجوز ومنهم من ينظر إلى الحذاء ، واختلط الأمر على الناس حتى لقد سمعت من كانوا فى مؤخرة الزحمة يقول إنها قنبلة ! ووثق بعضهم من الأمر فراح يصف طولها وحجمها وشكلها ! وهكذا ينقلب الحذاء الجميل المادى إلى نوع مفزع من من المفرقعات !..

وذكرت ليلة الأمس ومبلغ خوف ابن عمي ، وحرت بين البطلين أيهما أولى بالرثاء ، أهو ابن العم أم هو صاحب الحذاء ؟

الحقيف

والناس اليوم فى انحلال خلق ، مصدره قسوة الحرمان فى أيام الحرب وأعقاب الحرب ، واستهتار جنسى مبعثه إطلاق العنان للغرائز ، واستسلام الفتيان للشهوات وتسرب الإباحية إلى العقول واندفاع الصحف التى همها أن تربح عن أى طريق ، وأن تعيش بأى أسلوب ، فى ممالأة هذا اللون من الحياة !

طالع ما تشاء من صحف اليوم ، واقرأ ما تهوى من كتبه ، فلن تجد للعربية فى بلاغتها وروعتها أثراً ولن تشعر بالمتعة الروحية السامية ، التى تطرب لها حين تلتمس القراءة ، فى كتاب قديم ، أو سفر حديث ، من إنتاج أولئك النفر القليل ، من كتاب العربية الأفاضل ، ممن صمدوا أمام التيار ، فلم يجذبهم بريق الذهب اللامع ، ولم يجرفهم تيار المادة الخادع ، فظلوا كما هم ، وكما شاء لهم إيمانهم بالفن ورسالته ، أوفياء بالعهد ، حفظاء للرسالة ، ولو كره الجاهلون وأنصاف المتعلمين !..

إن المطابع قد أغرقت السوق بطوفان من الكتب ، جلها غثيث تافه لأن صاحبه طالب شهرة ، لا يعنيه إلا أن يطبع اسمه فى مكان بارز من غلاف الكتاب ، وسيان لديه أن يرحب به الناس أو يغضبوا عليه ما دام قد بلغ الغاية التى سعى إليها ، فأقحم شخصه فى زمرة المؤلفين !..

ومحاربين تخصصوا فى اقتناص المال من الجيوب ، بالحيلة الواسعة ، والدهاء الماكر ، وحذقوا فن التلصص وأساليبه ، وكان أن لمسوا مركب النقص فى الحياة المصرية ، وما تعانيه الشبيبة من حرمان وكبت ، فطفقوا يغرقون الأنظار بطوفان من الصور العارية ، ويؤججون الشهوات بأبحاث عن الرذيلة الفاتنة ، ومن ثم كتب لهم النجاح ، وإن يكن ثمنه ، فساد ضمائر الشباب ، وإهدار عفاف الفتيات !..

محال أن يوقف هذا الفيض من الانحلال ، أفراد قلائل أو صحف محدودة الذيوع والانتشار ، فعلى الذين يملكون التشريع والتنفيذ ، وقد استعملوها فى كل ما يتصل بعاديات الحياة ، أن يعطوا الناحية الروحية بعض العناية ، فنحتفظ للغتنا سموها ، ولأدبنا روعته ، ولأخلاقنا جمالها ، فنسدى بذلك للعربية ، فضلا لا ينكر ولا يجحد !..

الطاهر أحمد مكي

تعقيبات

عقليتنا المستعمرة !!

فى المؤتمر الثقافى العربى الذى عقد أخيراً فى لبنان ، اقترح أحد الأعضاء أن يرسل المؤتمر بكتاب إلى مجلس الأمن يؤيد به قضيتى مصر وفلسطين ، فنهض له الأستاذ فؤاد أفرام البستانى ورد اقتراحه بأن المؤتمر ثقافى ولا سياسى ، فليس من شأنه أن يرسل بهذا الكتاب ولا من مهمته أن يقتحم هذه الأمور التى هى من شأن رجال السياسة .. فقال الراوى وكاد الأمر أن يتطور أو يتهور . لولا أن الأستاذ إسمعيل القبانى بك رئيس وفد مصر حسم الأمر بلباقتـه فطلب تحويل كافة الاقتراحات إلى اللجان الخاصة ..

وليس هذا بالأمر الغريب ، ولا هو مما يثير الدهشـة ، فإننا أبناء الشرق العربى قد مُنينا بالاستعمار الفاجر دهراً فهدم كياننا ، وحطم قوميتنا ، وحلل شخصيتنا ، وكانت خدعته الكبرى فى ذلك أن أقنعنا بأن الدين شىء لا يتصل بالدنيا ، وأن العلم شأن غير السياسة ، وأن السياسة خطة غير الوطنية ، وأن الوطنية هى أن يجد الإنسان ما يملأ به بطنه .. وهكذا أصبحنا نحيا الحياة ، إذا أخذنا فى ناحية منها فإننا نستدبر جميع النواحى الأخرى ولا يمكن أن نجمع فى ذلك بين طرف وطرف ، وليس رأى أخينا أفرام البستانى إلا أثراً من آثار تلك الخدعة الاستعمارية التى نكبنا بها الاستعمار اللئيم ...

ألا ليت الأستاذ أفرام يقول لنا ما قيمة هـذه الثقافة وما جدواها وما حاجتنا إليها إذا لم تحقق لنا حياة حرة كريمة ، وإذا لم تحقق تلك العقبات التى تعترض طريقنا وتذل أعناقنا ، وإذا لم تفعم نفوسنا بالقوة والشجاعة والبطولة ، وإذا لم تخلق لنا شخصية واضحة وقومية متميزة ، وإذا لم تكن صلتنا بالحياة وطريقنا إلى المستقبل وسلاحنا الذى نكافح به الظلم ، أجل ! ماذا تكون الثقافة إذا لم يكن كل هذا أثراً من آثارها فى حياتنا ونهوضنا وفى نفوسنا وقلوبنا ؟ !

لقد رأينا فى الحرب الماضية كيف كان العلماء يبذلون علمهم ويرهفون قرائحهم فى سبيل نصرة أممهم ، وكيف كان رجال الفكر والفهم يتصدون للدفاع عن أوطانهم ويخاطرون فى ذلك أكثر مما يخاطر الجنود ... بل نحن أبناء الشرق ندرك ونعرف أن الاستعمار لم يكن يسير فى أى بلد من بلادنا إلا وراء خطوات مستشرق يتخذ العلم وسيلة للتحكم أو وراء مستكشف يجعل الإستكشاف طليعة للتملك ، أو وراء مدارس وجامعات ينشئون فيها أبناءنا على هواهم ، ويبثون بها فى نفوسنا من العقائد مثل ما يعتقد « السيد أفرام » من أن الثقافة لا شأن لها بالسياسة ..

إننا نجاهد للتحرر من الاستعمار السياسى والاقتصادى ، وسنفوز بذلك لا شك ، وإن التحرر منها علم الله لأسهل وأيسر من التحرر من استعمار آخر يكرب نفوسنا وينخر فى عظامنا إلا وهو الاستعمار العقلى الذى يجب علينا أن نقاومه ونطارده وأن نعلن عليه حرباً لا هوادة فيها ، فإنه السم القاتل والداء الدفين ..

الآباء والأبناء :

وقع فى يدى تقرير اللجنة الأولى للمؤتمر الثقافى العربى فرأيت فيه اتجاهاً طيباً يدعو إلى الغبطة ويبشر بخير كثير ، فقد أشار « بأن تكون الدراسات الاجتماعية أساساً لتدريس التربية الوطنية ، على أن يشمل هذا الأساس إبراز الاتصال الجغرافى التام بين البلاد العربية وما كان لذلك من دور خطير فى قيام الحضارات وتقدم الإنسانية ، » كما تضمن الإشارة إلى الواجب فى « إبراز دور الإمبراطورية العربية فى التاريخ ، وتوضيح الفكرة فى أن العروبة لم تكن لدين ما ، بل إنها كانت ولا تزال أمانة فى عنق كل عربى ، وأن التعصب لم يعرف فى البلاد العربية إلا فى العصور التى حكم فيها الأجانب » ثم ينوه التقدير « بالأخوة فى العروبة والدعوة إلى التكتل والعمل على التذكير الدائم بمساوىء الاستعمار وضرورة اتخاذ النظام الديمقراطى أساساً فى تنشئة الطالب » .

وبعد أن أشارت اللجنة فى تقريرها هذا إلى ضرورة تدريب

الطلبة على أساليب الحياة المختلفة فى ميادين التعاون الاجتماعى والرياضى والكشفى دعت إلى قيام اتحاد للطلبة العرب ومؤتمرات سلم ومخيمات كشفية ووضع أناشيد مشتركة وتبادل الطلبة العرب بين الأقطار العربية وإنشاء بيوت لهم فى كل قطر عربى .. »

وما أريد أن أورد كل ما تضمنه ذلك التقرير ، فقد تضمن تفاصيل مطولة ، وهى تفاصيل تلتقى كلها فى رغبة واحدة ، هى تقوية الشعور بالقومية العربية فى نفوس أبناء الجيل الجديد حتى لا تكون الوحدة العربية ميثاقاً مكتوباً فى الورق ، بل تكون دماً يتدفق فى العروق .

إنه كلام طيب جداً ، وإنما العبرة بالتنفيذ القريب ، وحين نبدأ أول خطوة فى هذا السبيل نكون فى الواقع قد بدأنا السير لتحرير عقليتنا من إرضاء الاستعمار .

ولماذا ننسى أنفسنا :

اهتمت الصحف المصرية على اختلاف نزعاتها بتتبع « الكوليرا » كما يسمونها الآن أو « الهيضة » كما كانت تسمى من قبل ، واهتمت إلى جانب ذلك بسرد تاريخ ذلك الوباء اللعين فى مصر ، وما كان له من هجمات عنيفة على المصريين ، ثم ما كان لرجال الطب من جهود صادقة فى مدافعته واكتشاف ميكروبه وتحدثت فى هذا عما كان من حضور الدكتور كوخ الألمانى إلى مصر عام ١٨٨٣ على رأس بعثة طبية لاكتشاف هذا الميكروب وعما كان من وصول بعثة طبية أخرى من معهد باستور بفرنسا لمثل هذا الغرض ، ولكن الصحف المصرية جميعها نسيت فى هذا المقام جهداً مصرياً كان من الواجب أن يذكر ، وكان من الواجب أن يرجع إليه رجال الطب عندنا فسيجدون فيه من التجارب المفيدة والخبرة النافعة ما لا يقل عن تجارب بعثة « كوخ » ولا بعثة « باستور » .

ذلك أنه لما تفشى وباء الكوليرا فى مصر عام ١٨٨٣ م وجاءت البعثات الطبية من الخارج لدراسة أحوال هذا الوباء وإثبات تجاربها عنه عكف المجلس الصحى فى مصر هو الآخر على مثل هذا العمل وأخذ أعضاؤه يوالون البحث والتجربة بشأن هذا الوباء ، وانقسموا فى هذا إلى فريقين : فريق يرى أنه يتولد تولداً ذاتياً متى كانت هناك البيئة التى تساعد على وجوده ونموه ، وفريق يرى أنه لا يظهر فى مكان إلا منقولا إليه من مكان آخر وكان على رأس هذا الفريق الدكتور سالم باشا سالم طبيب المعية الخديوية يومذاك ، وقد جرت مناظرات بين الفريقين كانت أعنف وأشد من المناظرات التى قامت بين « كوخ » وأطباء ألمانيا فى ذلك الوقت ، ولكن الأطباء الألمان أخذوا يوالون البحث حتى وصلوا فى هذا إلى ما نفعوا به الإنسانية وكانت حكومتهم تشجعهم على ذلك بألوف الجنيهات ، أما الذى جرى عندنا فإنه بسبيل العبرة ويدعو إلى العبرة ، ذلك أن الخديوى توفيق خشى يومذاك من امتداد المناظرة بين الفريقين فألغى مجلس الصحة وكفى الله الأطباء شر القتال ..

مضى ما مضى ، فلن يجدى التحسر عليه ، ولكن الذى يدعو إلى الأسف أن ما توصل إليه أطباؤنا يومذاك من نظريات وآراء ، وحققوه من تجارب واختبارات قد طوى كله فى مطاوى النسيان ، وذهب فى خبر كان ، ولو كان رجال العلم عندنا يذكرون أنفسهم ويعتدون بشخصياتهم لكان فى رجال الطب من عكف على موالاة ذلك البحث والبناء على ذلك الأساس الذى وضعه الأطباء المصريون فكان حقق لمصر فى ذلك فخراً لا ينسى .

ولكن أين فى أطبائنا اليوم من يذكر ذلك الجهد ؟ أو يكون عنده شيء من خبره ، أليس من العار أن يكون فى مستشفى الأسكندرية غرفة اسمها « غرفة كوخ » تخلد بها ذكرى ذلك الطبيب الألمانى وزيارته لمصر ، ومع هذا فليس فينا من يذكر شيئاً عن أولئك الأطباء المصريين الذين بذلوا من الجهد ، وأبدوا ما أبدوا من علم واسع وخبرة نافعة وتجارب انتفع بها « كوخ » وغير « كوخ » من الأطباء ..

فى ماضينا مواقف لابد أن نبنى عليها حتى ترتفع ، إنها مواقف عظيمة مشرقة يمكن أن نمتز بها بين الأمم ، ولكنا مع الأسف أمة تجهل ماضيها وتنسى نفسها !

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

خلاف بين الأساتذة :

حينما كتبت الموضوع الذى عنونت له بـ « جدل فى الجامعة » بالعدد (٧٤١) من الرسالة — كنت قد سمعت أحاديث عن حال واقعة بين بعض أساتذة كلية الآداب ، قيل إنها أصل الجدل فى مسألة الرسالة المقدمة من الأستاذ محمد أحمد خلف الله للحصول على (الدكتوراه) والتى موضوعها (القصص فى القرآن)

وقد أمسكت عن الإشارة إلى ذلك الذى سمعته لأنى لم أر فيه وقتذاك ما يخرج عن الأمور الشخصية ، وقصدت إلى موضوع الرسالة وما أثير حوله إذ رأيت فيه ما ينبغى من أجله نقل المسألة من حيزها المحلى إلى ميدان الرأى الأدبى العام

ولكن الأستاذ خلف الله أشار فى آخر مقاله بالعدد الماضى الذى أوضح فيه بعض ما تضمنته رسالته بعد أن قرأ « جدل فى الجامعة » — إلى ما كنت قد أمسكت عنه ، وذلك بقوله : «المسألة لا تحتاج هذا الضجيج . لكنها العصبيات فأساتذة الجامعة يتعصبون ويتحزبون كما يتعصب ويتحزب رجال السياسة . وإذا كان الأستاذ الخولى قد رفض رسالة الأستاذ المحاسنى فيجب أن ترفض رسالة خلف الله »

وتفصيل ذلك — حسب ما سمعته — أن الأستاذ زكى المحاسنى كان قد أعد رسالته بإشراف الأستاذ الشايب ، ولما عرضت الرسالة على لجنة من الأساتذة أجازوها إلا الأستاذ أمين الخولى فقد رفضها ، وحدث بعد ذلك أن رفضت رسالة (القصص فى القرآن) التى أشرف عليها الأستاذ الخولى ، وهذا هو صاحبها يعلل رفضها ، وهو يرى بهذا التعليل إلى نفى أن الباعث على هذا الرفض ما تضمنته من آراء متطرفة

والذى نستخلصه من كل ذلك أن هناك خلافاً بين كبار الأساتذة فى كلية الآداب ، وقد كنا نقول إن الألسنة تمتد بالأقاويل والشائعات ، لولا أن عضواً من هيئة التدريس بالكلية يقرر ذلك ..

والمسألة ذات بال وخطر ، لأن ذلك الخلاف يتدخل فى الحكم على رسائل الطلاب ، وهذا هو ما يخرجها عن الحدود الشخصية ، وقد تمتد أثر هذا الخلاف إلى غير الرسائل من تقدير كفايات الطلبة فى الامتحانات !

ولا أتقدم أكثر من هذا ، بل أرجع فأقول : أيمكن أن يقع ذلك من أولئك الأساتذة الأعلام وهم يعلمون أنهم مثل عالية للطلبة الذين يضمون مصائرهم بين أيديهم .. ؟

ولكن ما حيلتى . . وقد غضضت النظر عما سمعت ، فإذا مدرس بالكلية يصرح به . .

القدر المشترك بين ناشئة العرب :

القدر المشترك من الثقافة العربية الذى يقدم لأبناء العروبة فى جميع أقطارها ، هو أحد الغرضين اللذين أعلنت الهيئة التحضيرية للمؤتمر الثقافى العربى أن أعماله تهدف إليهما ، والغرض الثانى هو تحسين طرق تعليم اللغة العربية

وقد وعدت فى الأسبوع الماضى أن آتى بما يراه المؤتمر من الطرق والوسائل لتوفير القدر المشترك . وهاك ما وعدت به :

يرى المؤتمر أن الهدف الذى ترمى إليه دراسة القدر المشترك هو إثارة شعور المشاركة بين سكان الأقطار العربية فى الحضارة والتاريخ ، وفى منزلتهم من النشاط الدولى الحديث

وهذا القدر ينبغى أن يكون فى المرحلة الابتدائية يسيراً ملائماً لمدارك التلاميذ ، وممهداً لقدر أرقى منه فى المرحلة الثانوية

ويمكن توفير هذا لقدر فى المرحلة الابتدائية عن طريق :

١ — الأناشيد : فتختار منها مجموعة تكون موضوعاتها مناسبة لفكرة التعاون العربى والمشاركة فى الشعور ، توقع توقيعاً موسيقياً ، ويحفظها بتوقيعها تلاميذ جميع الأقطار العربية

٢ — المحفوظات : تختار قطع سهلة ، يلاحظ فيها أن تكون مما يشيد بالأخلاق العربية من نجدة وبطولة وما إليهما ، وأن يكون بعضها لأدباء من الأقطار العربيـة المختلفة ، مع تعريف بسيط بهم ، وهذه يحفظها جميع التلاميذ

٣ — القصص : فيختار منها عدد يحقق الفكرة السابقة ،

من تصوير الكرم والإباء وعزة النفس وغيرها ، مما يبعث فى نفوس التلاميذ الإعجاب بتاريخ العرب وأبطالهم قدامى ومحدثين

٤ — المطالعة : فتتناول بعض كتبها فى كل قطر موضوعات تعين على تقوية الروابط العربية ، كوصف بعض المشاهد والآثار القائمة فى مختلف الأقطار العربية ، وكالحديث عن فضائل العرب وفتوحهم ودولهم ، وثقافاتهم وفنونهم

ويلاحظ أن يدرس هذا فى مرحلة التعليم الابتدائى مؤيداً بالصور والرسوم ، أو مصاحباً للموسيقى ، أو قائماً على التمثيل والحوار ، مما هو مقرر فى أساليب التربية

ويوصى المؤتمر أن يسار فى دراسة القدر المشترك فى المرحلة الثانوية على النهج الذى قرر فى مرحلة التعليم الابتدائى ، مع التوسع فى الثانوى بما يقتضيه فى الدراسة واتساع مدارك التلاميذ وآفاقهم

ويرى المؤتمر أن الاتفاق على منهج واحد لا يكفى لتقريب الثقافة والنهوض باللغة العربية إذا لم يعد لتعليم هذا المنهج معلمون على حد كبير من العلم وسعة الأفق والقدرة على التدريس ، ولذا قرر أنه لابد من إنشاء معاهد علمية موحدة النظام فى الأقطار العربية لتخريج ذلك النوع من المعلمين .

ويرى أن القدر المشترك إنما يصلح منهجاً لطلاب الثقافة العامة أما الطلاب الذين يرغبون فى التخصص أو يعدون لتدريس اللغة العربية فيكون لهم منهاج أوسع وأعمق (وأنا لا أدرى لم لا يصلح المنهاج الأوسع الأعمق ليكون قدراً مشتركا بين المتخصصين ومن يعدون للتدريس فى جميع البلاد العربية وخاصة فى المعاهد التى قرر المؤتمر أنه لابد من إنشائها ؟)

ويرى عقد مؤتمرات دورية لمعلمى اللغة العربية تشخص إليها وفودهم من مختلف البلاد للبحث وتبادل الرأى فى أساليب التعليم كى يستفيد بعضهم من تجارب بعض ، وكى يتحدوا فى الوسائل والغايات وينهضوا باللغة العربية وآدابها .

مدى نجاح المؤتمر الثقافى :

وبعد فهذه التوصيات إلى ما عرضناه فى العددين الماضيين من الرسالة ، هى أهم مقررات لجان المؤتمر الثقافى التى وافقت عليها الهيئة العامة للمؤتمر وأوصت بأن تأخذ بها البلاد العربية المختلفة لتوحيد الثقافة بين بنيها ، وكل تلك التوصيات تتجمع فى « القدر المشترك » من حيث التوحيد ، ومن حيث تكوينه من مواد نافعة ، وكان ذلك فى اللغة العربية وفى المواد الاجتماعية لأنها هى التى تتمثل فيها الروابط القومية والثقافية بين البلاد العربية .

ولا شك أن المؤتمر بذلك وضع الخطط الأساسية التى ينبغى أن تسير عليها الثقافة العربية فى المدارس الابتدائية والثانوية ، ولو صرفنا النظر عن المناهج والتفصيلات التى قد يجد فيها متفحص ما لا يروقه ، فإن الذى لا شك فيه أن المؤتمر نجح فى بناء الهيكل العام ، وهذا كسب ليس بالقليل وخاصة إذا لاحظنا أنه البا كورة الثقافية للجامعة العربية ، وقد تم نجاح آخر لا يقل قيمة عن هذا النجاح إن لم يزد عنه ، وهو التقاء هذه الجمهرة العظيمة من رجال الفكر فى الأقطار العربية ، وما شعروا به ، بعضهم نحو بعض ، من المودة والأخوة ، وما لمسوه من التجاوب الفكرى بينهم ، وقد وقفت ، من أحاديث العائدين ، على ما ساد اجتماعات اللجان من روح طيبة فى حسن التفاهم والتوافق على الأغراض ، وعلى ما استقبل به اللبنانيون إخوانهم العرب الوافدين عليهم من الحفاوة والترحيب .

ملاحظات على المؤتمر :

على أن كل ذلك لا يمنع من تسجيل الملاحظات الآتية :

١ — قام برنامج المؤتمر على أن له غرضين : تحقيق القدر المشترك ، والنظر فى الوسائل المؤدية إلى تحسين طرق تدريس اللغة العربية . أما الغرض الأول فقد عرفت جهد المؤتمر فيه ، وأما الغرض الثانى فقد أهمل إهمالا ، وكأنى بالمؤتمر قد ضاق به فرأى فى تثاقل أنه لابد من إنشاء معاهد علمية موحدة النظام فى الأقطار العربية لتخريج معلمين للغة العربية ، وأوصى بعقد مؤتمرات دورية لمعلمى اللغة العربية ، وليس هذا ولا ذاك بجهد ناجز فى « تحسين طرق تدريس اللغة العربية » الذى جعله المؤتمر أحد غرضيه .

٢ — كانت الحفلات التى أقيمت للحفاوة بأعضاء المؤتمر عامرة بنشاط أدباء لبنان الذين أفاضوا وأمتعوا بالشعر والنثر

والزجل ، وكان من الطبيعي أن يحاورهم أدباء مصر ، ولكن الذي حدث أنه لم يعن بتقديم هؤلاء ، واكتفى بنشاط بعض الكبار من وفد مصر ، ولم يخرج عن هذا النطاق إلا الجارم بك

٣ — لم تهيأ لممثلي الصحف الأسباب التي تكفل لهم سرعة الاتصال بصحفهم ، فلم يكن أمامهم إلا البريد الذي يبلغ القاهرة في بضعة أيام . ومن الطريف أن الأنباء التي نشرت عن المؤتمر في خلال انعقاده لم تكن عن طريق المراسلين ، وإنما أخذت أنباء حفلة الافتتاح عن الإذاعة اللبنانية ، أما ما نشر من أخبار المؤتمر بعد ذلك فكانت تتلقاه بالتليفون إدارة الصحافة بالجامعة العربية بالقاهرة ، وتدفعه إلى الصحف فتنشره .

موضوعات السينما والأفلام الخرافية :

قال الأستاذ محمود بيرم التونسي في بيان الموضوعات التي لم تعالجها السينما المصرية بمجلة (الاستديو) : « هي الموضوعات المصرية البحتة ، لأن المشتغلين بالسينما عندنا يأتون بروايات أجنبية ويخلعون عنها القبعات ويضعون بدلا منها طرابيش ولاسات وعمائم ، حتى لقد أفهمونا بالقوة أن حياتنا هي هذه الصالونات والحفلات وأننا نفتح بيوتنا للشبان باسم الخطوبات حتى أصبحنا كذلك فعلا ، والجرم الأول يقع على عاتق السينما المصرية لأنها هي التي فرضت علينا هذه الحياة »

ولفتة الأستاذ إلى تأثير السينما بالإيحاء في حياتنا لفتة بارعة والحق أن أصل الداء في هذه الأفلام هو اختطافها من الأفلام الأجنبية على الوجه الذي صوره بيرم .

وقد كثر النعي على ذلك ، وأفاض النقاد في التوجيه إلى ما يجب أن تعالجه السينما من الموضوعات التي عُدّ منها مواقف البطولة في تاريخنا المجيد ، ولكن من توجه ؟ فيظهر أن بعض الناس قد فهم أن هذه المواقف هي تلك الأساطير والقصص الخرافية التي تقوم على الأعمال الخارقة والبطولة التي لا يغلبها غالب ، فظهرت أخيراً عدة أفلام من هذا النوع ، وليت هذه الحوادث يقصد منها فكرة ترمي إلى هدف يبرر هذا التهريج

وأصل هذه الأفلام هو أصل تلك الروايات التي أفسدت المجتمع ، فإنه يحلو للغربيين أن يعرضوا صوراً وأحداثاً خرافية على أنها تمثل حياة الشرق ، وقد أخذوها حقاً عن أصول عربية وضعت في أزمان غابرة ، ولكنهم حرفوها عن مواضعها ، فجاءت بعيدة عن حياة الشرق حتى في تلك الأزمان

ثم جاء أصحابنا الذين توجههم فلا يأتون بخير ، فحوروا أو ألفوا على ذلك الغرار ... وإنا لنخشى أن يفسدوا الأذواق بهذا العمل كما أفسدوا المجتمع بتلك الروايات

وأصل الداء كله يرجع إلى العجز عن معالجة موضوعات حياتنا ، واستسهال الأخذ والتحوير ؛ والمنتجون يستريحون إلى ذلك ليسره ورخصه وإثارته عواطف السذج والبسطاء . فالسينما المصرية في حاجة إلى أقلام جديدة أكثر من حاجتها إلى وجوه جديدة .

« العباس »



حول جدل فى الجامعة :

تعرض صاحب رسالة (الفن القصصى فى القرآن الكريم) فى كلمته المنشورة بعدد الرسالة الماضي لرأى الأستاذ أحمد أمين بك فى هذه الرسالة ، فرأينا أن ننشر رأى الأستاذ كاملا بنشر تقريره الذى قدمه إلى عميد كلية الآداب وهذا نصه :

حضرة صاحب العزة عميد كلية الآداب .

تحية واحتراماً .

قرأت الرسالة المقدمة من محمد أفندى خلف الله لنيل الدكتوراه وموضوعها « الفن القصصى فى القرآن» والتى تفضلتم فأحلتموها على لقراءتها وإبداء الرأى فيها .

وقد وجدتها رسالة ليست عادية بل هى رسالة خطيرة أساسها أن القصص فى القرآن عمل فنى خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ والواقع وأن محمداً فنان بهذا المعنى

وعلى هذا الأساس كتبت كل الرسالة من أولها إلى آخرها وأرى أن من الواجب أن أسوق بعض أمثلة توضح مرامى كاتب الرسالة وكيفية بنائها .

يرى أن القصة فى القرآن لا تلتزم الصدق التاريخى وإنما تتجه كما يتجه الأديب فى تصوير الحادثة تصويراً فنياً بدليل التناقض فى رواية الخبر الواحد .

مثل أن البشرى بالغلام كانت لابراهيم أو لامرأته . بل تكون القصة مخلوقة مثل : وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت ... الخ ص ١٤ وما بعدها .

الإجابة عن الأسئلة التى كان يوجهها المشركون للنبى ليست تاريخية ولا واقعة وإنما هى تصوير لواقع نفسى عن أحداث مضت أو أعرقت فى القدم سواء كان ذلك الواقع النفسى متفقاً مع الحق والواقع أم مخالفاً له ٢٨

وربما كانت مسألة الجن التى تصور رأى الجاهليين فى تسمع الجن لأخبار السماء ميداناً من الميدان القصصى .

(ابن الخياط)

والقرآن يقرر أن الجن تعلم بعض الشىء . ثم لما تقدم الزمن قرر القرآن أنهم لا يعلمون شيئاً ٢٩ والمفسرون مخطئون حين يأخذون الأمر مأخذ الجد ٣٠ الأنبياء أبطال «ولدوا فى البيئة وتأدبوا بآدابها وخالطوا الأهل والعشيرة وقلدوهم فى كل ما يقال ويفعل وآمنوا بما تؤمن به البيئة من عقيدة ودانوا بما تدين به من رأى وعبدوا ما يعبد من إله ص ٣٧

تصوير أخلاق الأمم كبنى إسرائيل ليس بضرورى أن يكون واقعياً بل يصح أن يكون تصويراً فنياً يلاحظ الواقع النفسى أكثر من صدق القضايا ... الخ ص ٧٥

القصة هى العمل الأدبى الذى يكون نتيجة تخيل القاص لحوادث وقعت من بطل لا وجود له أو لبطل له وجود ، ولكن الحوادث التى ألمت به لم تقع أصلا أو وقعت ولكنها نظمت على أساس فنى إذ قدم بعضها وأخر بعضها أو حذف بعضها وأضيف إلى الباقى بعض آخر أو بولغ فى تصويرها إلى حد يخرج بالشخصية التاريخية عن أن تكون حقيقية إلى ما يجعلها فى عداد الأشخاص الخيالية وهذا قصدنا فى هذا البحث من الدراسة القرآنية ٨١

أخطأ الأقدمون فى عد القصص تاريخاً ٨٣

منهجه هو معالجة القصة من حيث هى أدب ويعنى بذلك خلق الصور والابتكار والاختراع (٨٤) ولذلك لا مانع من اختلاف تصوير الشخصية الواحدة فى القرآن ٨٥

وجود القصة الأسطورية فى القرآن ٨٩

ولعل قصة موسى فى الكهف لم تعتمد على أصل من واقع الحياة ٨٩ بل ابتدعت على غير أساس من التاريخ .

والقرآن عمد إلى بعض التاريخ الشعبى للعرب وأهل الكتاب ونشره نشراً يدعم غرضه ٩٣ كقصة ذى القرنين .

وقصة إبليس من نوع الخلق الفنى الذى يتشبث فيه القرآن بالواقع ١٠٦ عناصر القصة هى العناصر الفنية والأدبية التى اتخذ منها الفنان مادته التركيبية والتى أعمل فيها خياله وسلط عليها عقله ونالها بالتغيير والتبديل حتى أصبحت وكأنها مادة جديدة بما بث فيها من روحه ، وكذلك القصص فى القرآن والبحث عن المصادر فى القصص القرآنى على هذا الأساس .

يجب ألا يزعجنا لأنه الواقع العملى فى حياة كل الفنون والآداب ص ١١٨ وطبق هذا المبدأ تطبيقاً واسعاً

فالقرآن كان يغير فى العناصر ليجعلها ملائمة للبيئة ولطبيعة الدعوة ص ١٢٥ ... وما تمسك به الباحثون من المستشرقين ليس سببه جهل محمد بالتاريخ ... بل قد يكون ذلك من عمل الفنان الذى لا يعنيه الواقع التاريخى ولا الحرص على الصدق العقلى، وإنما ينتج عمله ويبرز صوره بما ملك من الموهبة الفنية والقدرة على الابتكار والاختراع والتغيير والتبديل » ص ١٣٦

ومن هذا القبيل خلق صور الجن والملائكة ١٣٧

تدرج القصص فى القرآن كما يتدرج أدب كل أديب، فالأدباء يلتمسون المتعة واللذة فى كل أمر فنى يعرض لهم ثم يتقدمون خطوة فيبنون الاستمتاع واللذة بالمحاولات الأولى التى تقوم على التقاليد والمحاكاة ثم يكون التخلف شيئاً فشيئاً والدخول فى ميدان التجارب الخاصة ومظاهر ذلك النسخ والتدرج بالتشريع ١٦٩ الخ

ومن ذلك كله نرى أن المسألة — كما قلت — خطيرة ومن المتوقع أن يكون لها صدى كبير سبق أن حدث لأقل من هذا.

فالمسألة فى نظرى يجب أن يفصل فيها رجال الجامعة المسئولون قبل أن يفصل فيها الأساتذة قراء الرسالة من ناحيتها التفصيلية والشكلية. وتفضلوا بقبول فائق احترامي.

أحمد أمين

الى خلف الله العامرى (١)

يا (أستاذ ..) !

لقد أغمدت سيفى، ولويت وجهى عن الميدان، لأنك أصبحت أعزّ علىّ، من أن أجرد فى وجهك سيفاً، أو أثير عليك حرباً، وكيف وأنت رجل خيّر فاضل (لست من الشرّ فى شىء، وإن هان) وأنت تنصف من نفسك، وتنال منها ما لا يناله الخصم العنيد، وتكتب عنها بقلمك ما لا يكتبه العدو اللدود، وكيف وقد صرت أستاذى ... تعلمت منك أشياء كنت أجهلها ..

تعلمت منك كيف يكون العذر أقبح من الذنب، حين قرأت لك ما كتبت تعتذر به من ذنبك، وتعلمت كيف يفهم بعض (العلماء !) من الكلام ما لا تدل عليه ألفاظه ولا يفيده نظمه، ولا يمكن أن يخطر على بال كاتبه. وكيف تبلغ (الفطنة ...) ببعض (الأذكياء ...) أن يريد أحدهم الشىء فينطق بضده، ويعمد إلى تبرئة نفسه فيوبقها

قلت لا فضّ الله فك، وسلمك :

« والآن نستطيع أن ننتقل إلى الجو القرآنى، لنبحث ما فى قصصه من أشياء تاريخية، وقبل البدء ننظر فى اعتراض قد يستثار ذلك لأن ما قررناه من صلة بين التاريخ والقصة يعتمد على ظاهرات فى القصص لوحظت حديثاً وقررت على أنها بعض التقاليد الأدبية التى تصور ما للقاص من حرية والقرآن أقدم من هذه الملاحظات للظواهر وهذه المقررات للتقاليد على أنها لو كانت قديمة لا تلزم القرآن فى شىء إذ لكل قاص مذهبه وطريقته ولكل خالق حريته فى الخلق والابتكار وان يقرر ما فى القرآن من قيم إلا واقع أدبى التزمه القرآن نفسه أو على أقل تقدير حرص عليه وهو قول له وجاهته فيما نعتقد ثم هو يلزمنا أن نبحث طريقة القرآن من واقعه العملى »

انتهى بنصه وفصه، وألفاظه وحروفه، واحلف لقد قرأته خمس مرات متتاليات فلم أفهم المراد منه، لأنه أرفع من أن يصل إليه فهمى، أو يطوله علمى.

ولقد كنا فى الكفر بالدين وحده، فصرنا الآن فى الكفر بالدين، والكفر بالعربية ! أفبمثل هذا الأسلوب تريد أن تكتب عن القرآن ؟ أم هذه هى البلاغة الجديدة، التى هبط بها الروح (الأمين) على قلب أستاذك نبىّ البيان فى آخر الزمان.

هذا كلامك، لا يفهمه الناس، فهل تفهم أنت كلامهم ؟ لنرَ : نقلت من تفسير المنار قوله : « إن الله أنزل القرآن هدى وموعظة، وجعل قصص الرسل فيه عبرة وتذكرة، لا تاريخ شعوب ومدائن، ولا تحقيق وقائع ومواقع ».

فلم تفهم منه إلا أن القرآن ليس بكتاب تاريخ، وإذا كان يروى أخبار الماضين، ولم يكن تاريخاً فما هو إلا قصة، كقصص اسكندر دوماس وتوفيق الحكيم، ودوماس لا يؤخذ من قصصه التاريخ، لأنه لم يكتبها له، ولم يحرص فيها على حقائقه فقصص القرآن كذلك.

(١) واسمه الربيع الذى قال فيه الشاعر :
شهدت بأن الله حق لقاؤه — وأن الربيع العامرى (فهيم) !

أرأيت؟ فلماذا تتعب نفسك فيما لم تخلق له؟ وهل تظن أنك تفهم كلام الله، وأنت لم تفهم كلام (عبده)؟

***

ثم قلت: على أن هذه المسألة (أى مسألة كون قصص القرآن صحيحا أو اسطورة) قديمة — ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه — ولقد نتج عن ذلك طريقتان فى التفسير طريقة السلف وطريقة الخلف، أما الأولون فيذهبون إلى أن كل ما ورد فى القصص القرآنى من أحداث قد وقع وأما الآخرون فلا يلتزمون هذا (أى لا يقولون بأن كل ما ورد فى القصص القرآنى من أحداث قد وقع) وعلى طريقتهم جرى الأستاذ الإمام»

مسكين أنت يا أيها الأستاذ الإمام، لقد صرت عند هذا (العامرى) إماماً فى تكذيب القرآن، وفى الكفر بالرحمن، ومساكين أنتم يا أيها الأصوليون ..

وكل شىء إلا الأصول من فضلك! مالك وللاصول؟ ولماذا تهرف بما لا تعرف حتى تطلق الألسنة بغيبتك؟ ومن قال لك إن الأصوليين يعدون القصص من المتشابه؟ وهبهم قالوه أفتدرى أنت ما المتشابه؟ وفى أى كتاب رأيت هذا؟ ومن أى عالم سمعته؟ أو ما كان خيراً لك لو اشتغلت فيما تحسن، وتركت لغيرك التدليل على أن قصص القرآن أساطير كأساطير هوميروس، وروايات كروايات دوماس، ما دام غرضك كما تقول (غرضاً دينياً هو تخليص القرآن من مطاعن الملاحدة والمستشرقين)؟ ولا والله، ما غرضك إلا (الشهرة ...)، ولن أكون عوناً لك عليها بعد اليوم!

على الطنطاوى

هل كان معاوية كاتب وحى؟

ذكرت فى كتابى (أبطال الفتح الإسلامى) فى ترجمة الإمام على كرم الله وجهه أن كتبة النبى صلى الله عليه وسلم كانوا ثلاثة وأربعين منهم أبو سفيان وابناه معاوية ويزيد وقد سرد هذه الأسماء كثير من المؤرخين كابن كثير وغيره، ولكن ابن أبى الحديد، ذكر فى شرحه لنهج البلاغة أن ما عليه المحققون أن معاوية بن أبى سفيان لم يكن من كتبة الوحى، بل كان هو وربيعة التميمى لا يكتبان للنبى صلى الله عليه وسلم إلا مكاتبات الملوك ورؤساء القبائل. أما كتبة الوحى فكانوا على بن أبى طالب وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهم»

المنصورة **محمود نصير**



قصة من الأدب الروسي :

« الحمى »

للكاتب الروسي أنطون تشيكوف

للأستاذ مصطفى جميل مرسى

١٨٦٠ – ١٩٠٤

« هذه صورة وليست قصة !.. تمتاز بألوان من الوصف الدقيق وتزخر بصنوف من التصوير البارع ... يعرضها تشيكوف — ذلك الكاتب العظيم — بريشته الفنانة وقلمه الصنع ... فيبدع الوصف ويجيد التصوير وتجيء آية بينة واضحة على قدرته البيانية وقريحته الخصبة وعبقريته في رسم المشاعر الإنسانية ، والإحساسات النفسية ...

فهو يجلو لنا صفحة رائعة شائقة من حياة مخلوق من البشر ... أصابته حمى «التيفوس» ، فخر صريعها ... وراح يعاني آلامها وبلواءها ... وأحسب أن هذا لا يتيسر إلا لمن كابد تلك الآلام ، وثقلت عليه وطأة المرض ... فاشتد تأثره به .! وأخرج لنا هذه الصورة المجلوة الحقة التي لا يداخلها باطل .. ولا تخالجها مبالغة !... » « م جميل »

كان القطار ينساب بين الربوع في سرعة وفي صخب ، بعد أن خلف وراءه « بتروغراد » وغايته « موسكو » ! ... وفي إحدى عرباته جلس الضابط « كليموف » وهو شاب تجلت على سيمائه آيات العناء والألم ! .

وكان رفيقه — الذي قعد مواجهاً له — رجلا طاعناً في السن ! . حليق الذقن ... تلوح عليه دلائل الثراء والعيش الرغد . ويخيل إلى المرء أنه من أبناء « فينلندا » أو « السويد » .... لم يبرح طيلة السفرة ... يدخن « غليونه » ، وينفث هباءه في الهواء ! ... وكان ثرثاراً مهذاراً ، نهماً إلى الحديث ، شرهاً إلى الكلام ... لا يفتأ يلفظ بهذره حول معنى واحد ... دون تنويع ولا تبديل ! ...

— « ها ! . إنك ضابط ! . كذلك لي أخ ضابط ؛ بيد أنه نوبي يجوب البحار ! . . ألا خبرني ما الداعي لذهابك إلى « موسكو » ؟ ! . »

— « إن لي مقاماً هنالك ! ! . »

— « ها ! ! أما تزوجت بعد ؟ ! »

— « كلا ... إني أعيش مع خالتي وأختي ! . »

« إن أخي ضابط كذلك ، غير أنه متزوج ... وقد أنجبت له امرأته ثلاثة أطفال ... ها ! ! . »

وكان الرجل الفنلندي ينظر — خلال ذلك — في بلاهة وغرابة ... وترتسم على شفتيه ابتسامة تعبر عما يختلج في نفسه من جذل ومرح ، حينما يهتف : « ها ! ! . »

أما كليموف — وكان يشعر بدوار وصداع في رأسه ، ويحس بفتور ودعث في جسده — فقد برم بالجواب على أسئلته ... وراح يحمل عليه في قلبه إصراً وبغضاً ! ... وتراود نفسه رغبة جامحة في أن يختطف غليونه ... ويلقي به تحت المقعد ، ويأمر « الفنلندي » نفسه بالبحث عن عربة أخرى . !

وقال يحدث نفسه — وقد ضاق به ذرعاً « ما أفظع أولئك « الفنلنديين » وأبغضهم إلى النفس ! . إنهم أوغاد مذقو الخلق ، أولو خسة وذوو سفه ... لا يأتون إلا كل تافه غير محمود من الأفعال ... وما خلقوا إلا ليموقوا العالم فحسب ! . فما أدرى مكرمة ذاعت لهم ، ولا حسنة أثرت عنهم ! . »

وزاد إحساس الضابط الشاب بما يكتنفه من وعك وكآبة وألم ! . فعلا وجهه شحوب وامتقاع ... وسرى الجفاف والظمأ إلى حلقه فلذعه لذعاً شديداً ، وضاقت رأسه — وقد ثقلت تحت وطأة الصداع — بما يضطرب فيها من أفكار سوداء تجول بخاطر معربدة صاخبة على غير هدى ... ثم لا تلبث أن تفيض على ماحوله من مقاعد وأناس يلوحون في حلكة الظلام ! ...

ويطرق سمعه — في عنف — خليط من الهرج والمرج ... يترامى إليه من بلبلة الأصوات وضوضاء العجلات ، وصفق الأبواب وهدير الأجراس وصفير القطار وضجيج الناس وعجيجهم في كل محط يقف به ! .

وكان الزمن يمضي متباطئاً على مهل حيناً ، ومسرعاً على عجل حيناً آخر ! ... ولاح لكليموف وكأن القطار يقف كل دقيقة في محطة ! . وتمر به القطارات الأخرى سراعاً يلاحق بعضها بعضاً بينما قطاره يتهادى في سيره ويدوى ويجلجل ! ...

إن مسمع تلك الجلبة وذلك الصفير .. ومرأى هذا الفنلندي

وهذه الحلقات من الدخان ينفثها من غليونه فى الهواء ... كل ذلك يمازج مع الكآبة السوداء التى تمتديه فى إبهام . وتمخض عنه كابوس مخيف يجثم على صدره ، ويكاد أن يزهق أنفاسه ! .

وبينا هو فى غمرة ذلك العذاب الأليم ، ورفع رأسه المصدع ونظر من خلال عينيه الذابلتين ... إلى المصباح ! . وقد راح يرسل ضوءاً واهناً متراقصاً لا يثبت على شيء . ويعقد الظلال ، ويشيع جواً من الرهبة والغموض ! !

وود « كليموف » لو يرفع صوته بطلب شربة ماء ... ولكن لسانه جمد ... فقد يبس ريقه وجف حلقه من حرقة الصدى ! . كما أن قوته وهت عن أن تجيب « الفنلندى » إلى ما يسأله إياه ، وتستمع إلى ما يهذى به .

لحاول أن يمدد جسده على المقعد حتى تداعب عينه سنة من النوم ... ولكن النوم أبى عليه أن يأخذ بمعاقد أجفانه . وظلت تلك الكآبة القاتمة والخواطر السوداء والصور الغريبة تعبث به وتعيث من حوله ... فى حين أن ذلك «الفنلندى» نام ملأ جفونه ما حلاله النوم ، وعلا شخيره ؟ . ثم أفاق من نومه وأشعل غليونه وطفق يحدثه ويردد « ها ! ! . » ثم لم يلبث أن غط فى النوم من جديد ! وتحامل « كليموف » على نفسه فى « سبيروف » لو نهض يسعى فى طلب الماء ! . فامتد طرفه إلى فريق من الناس يجلسون إلى مائدة حافلة بالطعام ، ويأكلون فى شراهة وعجلة ... فتمتم وهو يحاول أن ينأى بأنفه عن رائحة الشواء ويشيح بوجهه عن مرأى أولئك القوم وهم يلوكون الطعام فى أفواههم المكتظة : « كيف يأكلون ؟ ! »

ثم لمح بعد ذلك امرأة وضيئة تتحدث إلى رجل عسكرى يضع على هامته قلنسوة حمراء .. وتبتسم له ، فيفتر ثغرها عن أسنان كالدر المنظوم ... ولكن أثارت تلك الابتسامات وتلك الأسنان اللؤلؤية وتلك السيدة الوضيئة ذاتها عاصفة من السخط والحنق فى نفسه ! .

وإذا ما أدرك بغيته من الماء ! . قفل راجعاً إلى مجلسه ... فألفى « الفنلندى » قد استوى على كرسيه يدخن ، فلما أبصره « الفنلندى » قال له فى شيء من العجب : « ها ! ! أى محطة هذه ؟ ! » فأجابه كليموف فى صبر نافذ وقد استلقى على مقعده وضم شفتيه حتى لا يتسلل إلى حلقه دخان الغليون الحاد اللاذع : « لست أدرى ! . »

— « متى نصل إلى مدينة « تفر » ؟ ! ... »

— « لست أدرى ! ومعذرة إن كنت لا أستطيع الكلام إنى مريض ضيق الصدر ! ! ... »

فطرق « الفنلندى » حافة النافذة بغليونه ! . وطفق يحدثه عن أخيه البحار فلم يعره « كليموف » أدنى التفات ولم يكترث له بل راح يفكر فى فراشه الوثير اللين ... وإبريقه البلورى ذى الماء العذب القراح ... ويتصور فى خياله أخته « كاتى » التى تعرف وكيف تروض نفسه وتخلع بزته وتحنو عليه وترنو إليه ! . ثم ترسمت على شفتيه بسمة شاحبة ، حينما تذكر خادمه الجندى « بافل » وهو ينزع حذاءه الضخم فى رفق ... ويضع الماء على المنضدة فى هدوء ! ... وخيل إليه إنه ما يكاد يستلقى على سريره ويجرع بعض الماء يطفئ به غلته ... حتى يزول عنه ألمه ، ويبرأ من سقمه ! ويغط فى نوم هادئ ! ...

عادت تلك الأصوات تختلط فى سمع كليموف فى هرج ومرج وراح يطرق أذنه فى عنف هدير الأجراس وصفير القطار ... وضوضاء العجلات ، وهى تنساب صاخبة على القضبان ! .

فدفن كليموف وجهه — وقد تملكه اليأس وألح عليه الألم — فى وسادة المقعد ... ثم أمسك برأسه بين يديه ... وثانية راحت تطوف بفكره خواطر عن أخته « كاتى » وخادمه « بافل » ... ولكن أخته وخادمه اختلطا — هذه المرة - فى الصور التى تهيأ له والأشباح التى تتمثل لوهمه ... ولفحت وجهه حرارة زفراته التى تردها عليه الوسادة ... وقد دفنه فيها ! .

وتسرب الوهن إلى عظامه فشقت عليه الحركة .. وتسلل من النافذة تيار هوائى بارد ، فأصاب ظهره ... بيد أنه لم يحرك ساكناً وأبى أن يغير الوضع الذى استقر عليه جسده ... ثم لم يلبث أن غاب فى سبات قلق مضطرب ، سعى إليه فغل أطرافه وأغمض أجفانه ! ! ...

فلما ثاب إلى رشده — بعد أن تقضى زمن طويل — رأى النهار بازغاً ، والشمس تبعث فى أوصال الكون ضياءها ! ...

وكان السفر يهمون بارتداء معاطفهم ، ويتهيأون لمغادرة القطار ... حتى إذا وقف فى الوضع الذى أعد له .. أسرع الحمالون فى مآزرهم البيضاء ، وأرقامهم النحاسية الصفراء ... إلى الركب يحملون عنهم متاعهم وحقائبهم ...

فألقى « كليموف » معطفه على منكبيه فى حركة آلية ...

وغادر القطار !. وأحس — وهو يسير — أنه ليس هو. بل مخلوق آخر !. غريب ... وأحس أن حرارة القطار ما زالت ناشبة فيه ... وأنه ما برح مصحوباً بذلك الصدى في حلقه ... والأشباح من حوله ... والكآبة في نفسه ... وهي التي جميعاً حرمت جسده لذة الرقاد وحبست عن عينه نعمة النوم ...

واستقل عربة — كانت واقفة خارج المحطة — بعد أن وضع أمتعته إلى جواره في تلك الحركات الآلية ... وتقاضاه السائق « روبلا وخمس وعشرين كوب » حتى يبلغ به دارة في شارع « بوفارسكا » ... فأذعن لما أراده عليه ، ولم يساومه وهو يعلم حقاً أن ثمت زيادة في الأجر ... بيد أن النقود لم تكن ذا قيمة لديه في ذلك الحين ! ...

فلما بلغ بيته .. تلقته خالته بالترحاب ! . وقابلته أخته وهي غادة هيفاء شارفت ربيعها الأول من العمر .. فحيته بإيماءة رقيقة وهي ممسكة بقلم تخط به في كراسة معها .. فتذكر أنهـا تتهيأ لامتحان تنال به إجازة التدريس ..

ولكنه لم يرد تحيتها ولا أجاب على أسئلتها !. بل راح يلهث من الأتون الذي يضطرم في صدره .. وانطلق على غير هدى ولا بصيرة .. يجتاز الحجرات إلى حجرته .. فارتمى على فراشه يئن ويتأوه

وتراءت لخياله من جديد تلك الأشباح والصور التي لزمته في القطار !. الفنلندى وغليونه .. الجندى ذى القلنسوة الحمراء !. والسيدة ذات الثنايا اللؤلؤية .. ورائحة الشواء .. وضياء المصباح الواهنة .. المتراقصة .!! فأفقدته صوابه وسلبته رشده وجعلته لا يبصر ما حوله ولا يسمع تلك الأصوات القلقة على مقربة منه.!

فلما أفاق من غشـيته .. ألفى نفسه مضطجعاً في فراشه .. عارى الجسد أو شبه عار !. ولمح خادمه «بافل» ، وذلك الأبريق البلورى ذا الماء العذب .. بيد أن هذا لم يخفف من حدة مرضه ، ولم يجلب عليه راحة أو سكينة ..

فبارحت أطرافه واهنة مُتيبسة يشق عليه تحريكها. ولسانه قد تشقق من جفاف .. حتى عكدته وعلاه الطلا[1] .. وراحت ترن في مسمعه قهقهة ذلك الفنلندى وقولته : « ها !! . »

وقام إلى جوار فراشه رجل بدين عظيم الهامة ذو لحية سوداء إنه الطبيب !. ينظر إليه في إمعان وتأمل ، ولم يلبث أن نبس في صوت ذى قهقهة وتشدق : « حسن !. حسن .. يا صغيرى رائع .. رائع .. لقد برأت تماماً !.. »

فأثارت طريقة الطبيب في النطق ، وضغطه مخارج الحروف حنق كليموف .. وأغضبته دعوته له بـ « يا صغيرى » ، وأسخطه ذلك التلطف البغيض الذى يبديه نحوه . فلما تمم قائلا: « ما الذى يدعوك إلى مناداتى بـ « يا صغيرى » ؟. وما علة تلك الإلفة التى تحدثنى بها ؟. عليك اللعنة !. » راعة من صوته جرس أجش صمق !. كاد أن ينكره !!.

كان الوقت يكر في سرعة ينزعج لها القلب ، كزمن القطار !. فقد كان ضوء النهار يغمر الغرفة ويسطع في أرجائها .. ثم هاهي ذى عتمة المساء تخيم وتشيع في أنحائها !. ولكن الطبيب لم يبرح الغرفة ، بل ظل فمه يتشدق بتلك الألفاظ البغيضة الثقيلة في كل حين !.

وعاد يتراقص أمام ناظره في فضـاء الحجرة العريض صف غير ذى نهاية من الوجوه والسحن .. « بافل » .. الفنلندى .. القائد « ناروشفتش » .. والضابط « مكسيمنكو » .!. وذو القلنسـوة الحمراء ... السيدة ذات الثنايا اللؤلؤية ... الطبيب المتفيهق !. كلهم يتحدثون ويلوحون بأياديهم ! ويا كلون في نهم

ولم يلبث « كليموف » أن أبصر — في بياض النهار الآفل — كاهن الكنيسة الأب « ألكسندر » في مسوحه الدينية ... يقبض بين أنامله على الصليب !.. ويتمتم بصلوات وأدعية !.. وقد تجلت عليه دلائل لم يرها « كليموف » من قبل .. فشردت عن وجهه تلك الإبتسامات والضحكات التى طالما طالعته مترسمة عليه .. وتبدت عليه سيماء الرزانة والرصانة !.. وأخذ يرسم على كليموف علامة الصليب !..

وفى الليل .. كانت تتسلل حوله أشباح وظلال تغدو وتروح في إبهام وغموض ... وكانت أخته راكعة إلى جواره !.. تردد صلاة خفية في صمت وخشـوع .! وترفع طرفها — في هيبة ورغبة — إلى السماء حيناً تطلب الرحمة من الله ... وإلى صورة « القديسين » أحياناً تسائلهم العطف والشفاعة ..

ما أن تنسم « كليموف » البخور والأرج — وهو يتضوع في جو الغرفة — حتى صاح — وقد استفزه ما استقر في بطنه « إحملوا هذا البخور اللعين بعيداً ! . »

بيد أنه لم يكن ثمت من يجيبه .. وكان يترامى إلى سمعه من بعيد صوت الكهنة ، وهم يرتلون أناشيد « الوداع » .. وصدى خطوات تهرول على درجات السلم بين صعود وهبوط ! .

---

(١) عكدة اللسان أصله ، والطلا ياش يعلوه من مرض أو عطش . « جيل »

حينما خفت وطأة الحمى عن كليموف . وانثنى عنه هذيانه !. كانت غرفته عاطلة من البشر .. وراحت أشعة الشمس تفيض من خلال النوافذ ، وتسيل من بين السدول والأستار !. وراح يتراقص على مياه الإبريق البلورى شعاع مرتعش من النور دقيق براق كالسيف المسلول ... وطرق سمع « كليموف » صليل العجلات وصرير العربات وهى تدرج فى الطريق، فأدرك أنه خلو من الثلوج ..

فراح يمد طرفه إلى ذلك الشعاع .. ثم يقلبه بين أثاث الغرفة ومتاعها .. ونوافذها وبابها . ولم يلبث أن راودت نفسه رغبة ملحة فى الضحك .!!. فأخذ صدره يهتز وخصره يرتج من الضحك العذب البهيج الذى راح يحتاج جسده من هامة رأسه حتى أخمص قدمه.. وهو لا يدرى لذلك سبباً سوى الشعور البالغ من السعادة والارتياح ، والاحساس السابغ من البهجة والمراح..

وتملك كليموف شوق فائق إلى الناس والحركة والحديث ، غير أنه لم يقو على تحريك أى عضو من جسده لما يعتريه من وهن وضعف ! كان منشرح الصدر طلق المحيا لتنفسه الهادىء طيب النفس طرب الفؤاد لضحكه وبشره !. ووجود ذلك الإبريق البلورى ذى الماء العذب الفرات .. وشعاع الشمس المرتعش ، وأستار النافذة المزركشة المزينة بشتى الألوان..

ولاح له فيما بين جدران غرفته كون فاتن رائع .. أبدع الخالق صنعه !وحينما ولف الطبيب إلى غرفته ملك الصبيحة تمثل فى ذهنه ماهو عليه من علم وبراعة فى التشخيص ، ودماثة ورقة فى المعاملة وحسن وظرف فى المعاشرة .. ما أجمل الناس جيعاً !. ما ألطفهم!!

قال الطبيب « رائع !. رائع .. لقد تماثلت يا » صغيرى « للشفاء .. وكدت أن تبرأ وتعاودك عافيتك !.. »

فأصغى الضابط الشاب إلى فيهقته فى النطق ..وهو يضحك جزلا .. ثم هاجته ذكرى ذلك « الفنلندى » .. والسيدة ذات الثنايا اللؤلؤية .. والقطار .. فانقلب ضحكه إلى قهقهة ..

ثم لم يلبث أن طلب بعض الطعام والسجائر .. وقال فى إلحاف « أيها الطبيب !. دعهم يحضرون لى خبزاً وسردينا وملحاً .. » فأبى الطبيب عليه ذلك !. وصدع «باقل» بأمره .. ولم يسع فى طلب الخبز لسيده .. فطفق « كليموف » يصرخ ويصيح كالطفل حينما لا يجاب إلى بغيته .. فقال له الطبيب وهو يضحك مداعباً : « إسكت .. أيها الوليد الصغير .. » فلم يسع كليموف سوى أن يشاركه ضحكه ! ولما غادره الطبيب أغرق فى وسن هادىء عميق ... أفاق منه بعد حين ومازال هذا الإحساس المفعم بالمرح ، الفياض بالسعادة . يتملكه ويتسلط على نفسه .. وقد جلست خالته بجانب فراشه ... فابتدرها قائلا فى بهجة وبشر :

« أه .. يا خالتى !. ما الذى كنت أعانيه ؟!.. »

— « تيفوس ! ... »

— « أحسبه كذلك ! بيد أنى الآن فى تمام الصحة أين كاتى؟»

— « ليست بالدار ! ... لعلها ذهبت لزيارة إحدى لداتها بعد فراغها من الامتحان ! . »

ومالت المرأة العجوزة — وهى تقول ذلك — نحو جوربها كأنها تبغى إصلاحه بيد أن شفتيها أخذتا ترتعدان ! . فأشاحت بوجهها بعيداً ... وبغتة راحت تجهش بالبكاء وتنشج بالنحيب . لقد نسيت فى غمرة حزنها وحسرتها ما أمرها به الطبيب فقتأت تصيح : « آه ... كاتى ! كاتى ! ... لقد ذهب عنا ملا كنا ... لقد رحلت ! . » وأطرقت برأسها إلى الأرض ، وهى تتأوه من البث والأسى ... فحملق كليموف فى شعرها الرمادى .. لا يحير فهما لما تقول ، فسألها وقد تولاه الانزعاج ... لكاتى ... « ولكن أين ذهبت يا خالتى ؟؟!!. »

فأجابته العجوز بين دموعها التى راحت تنهمر على وجنتيها ، وتكاد أن تخنق صوتها : « لقد أصيبت منك بالتيفوس ! ... وماتت ! وواريناها الترب فى اليوم السابق على البارحة ! »

على الرغم من فجاءة وهول ذلك النبأ المفزع المروع ... فما استطاع « كليموف » أن يقمع تلك الغريزة الحيوانية ، التى جنحت بالضابط الناقه إلى الضحك والمرح ! فراح يصيح ويقهقه ويشتكى الجوع ... حتى إذا انقضت سبعة أيام ... اعتمد كليموف على ساعد « باقل » وخطى وئيداً حتى دنى من النافذة ... حيث قام ثمت يسرح الطرف فى مسارى الربيع الطلق الضاحك وهو ينفث فى الأرض الحياة والخضرة ! وقد علت شمس الضحى فى السماء تكاللها الغيوم والسحب .وطرق سمعه صليل العربات تخيل إليه أنه فظيع حاد!

حينئذ صدع قلبه الأسى وأمضه الكمد ... وأحس بوقع الفجيعة عليه أليما عنيفاً ... فطفق ينتحب فى وله ومرارة ويغمغم شارد اللب كاسف البال ... وقد دفن رأسه بين راحتيه ... « كم أنا شقى ! ... ياربى ... كم أنا شقى ! ... »

وودع بهجته ومرحه ... وانثنى يضطرب فيما كان يكتنفه من سآمته للحياة وضجره بالعيش . وقد ضاعفتهما فداحة تلك الخسارة التى لا تعوض ! ...

(طنطا) **مصطفى جميل مرسى**

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

دليل تليفونات القاهر طبعة يناير ١٩٤٨

يمكنكم أن تحجزوا الأماكن التي تختارونها للاعلان عن أعمالكم فى دليل تليفونات القاهرة الذى سيصدر فى شهر يناير سنة ١٩٤٨

والإعلان فى الدليل المذكور له مزايا خاصة إذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون استئجارها بأسعار زهيدة .

ولزيادة الايضاح اتصلوا : —

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة

العدد ٧٤٥ – الاثنين ١٣ أكتوبر ١٩٤٧ – السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٠٢٩

[illegible]

15 em Année No. 745
Lundi — 13 — 10 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر المالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ ذى القعدة سنة ١٣٦٦ — ١٣ أكتوبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

أســــاطير الآخرين

للأستاذ عباس محمود العقاد

« .... الزهاوى يعتقد أن الله هو الأثير

ما لِـكل الأكوان إلا إلٰـه واحد لا يزول وهو « الأثير »

أرجوا أن أقرأ رأيكم فى ذلك على صفحات الرسالة أو الهلال وأشكرك سلفاً . . . »

موصل . عراق **لؤى النورى**

***

لا أدرى ماذا قصد الزهاوى فى هـذا البيت بكلمة الإله وماذا قصد بكلمة الأثير

فإذا كان يقصد بإله الأكوان خالق الأكوان فليس فى جميع التعريفات التى عرّفوا بها الأثير ما يسوّغ نسبة الألوهية إليه ، وإنما يجوز أن يسمى الأثير بالمادة الأولى — أو الهيولى — على رأى الأقدمين — فى بعض تلك التعريفات

ولم يثبت للأثير وجود فضـلا عن أن يقال أنه موجـد الوجود ، وخالقه الوحيد !

فهو فرض عقلى عند الرياضيين والطبيعيين :

فرضوه ليعللوا به ما يستعصى عليهم تعليله ، كانتقال الجاذبية بين الكواكب ، وانتقال الضوء فى الفضاء

وقال به « نيوتن » قديماً لأنه لم يستطع أن يفهم كيف يجذب الكوكب كوكباً آخر فى هذا الفضاء مع امتناع الواسطة بين الكوكبين ، وقد سمى هذه الواسطة فى بعض كلامه بالروح Spirit ليستريح إلى تعليله للجذب والانجذاب

وقال به المحدثون ليعللوا به مسير الضياء فى أجواز الفضاء

وقال ماكسويل العالم الطبيعى الكبير « إن أنواعاً من الأثير اخترعت لتسبح فيها الكواكب ، ولتنشأ منها أجواء كهربائية ودفعات مغناطيسية ، ولتنقل الإحساس من جانب الجسد إلى جانب آخر ، حتى ازدحم الفضاء مرات بهذا الأثير »

وعقّب جيمس جينس على ذلك فى كتابه عن الكون الخفى فقال : وخلاصة ذلك أن لدينا أنواعاً من الأثير بمقدار ما لدينا من مسائل غير محلولة فى علم الطبيعة !

والذى يبدو لنا أن هذه الفروض قد بنيت على خطأ فى فهم الفضاء أو المكان . لأنهم اعتقدوا أن الفضاء خلاء ، وأن الخلاء عدم ، فوجب أن يملأوه بالأثير

وقد اتفق جلة الفلاسفة الأقدمين على أن الفضاء ليس بخلاء أو ليس بعدم ، لأنه يقاس ويقدر ، ولأنه يحتوى الموجودات يقال شبر من الفضاء ، وذراع من الفضاء ، ولا يمكن أن يقال أن عدماً أطول من عدم ، وأن هـذا العدم أقل من ذلك ونحن نعيش فى الفضاء ويحتوينا الفضــــاء ، والمعدوم

لا يحتوى الموجود

فالفضاء ليس بعدم وليس بخلاء

وكان أسلم من فرض الأثير أن يقال أن مادة الفضاء لا تزال قيد البحث والاستفسار . فإن ذلك أسلم علماً وعقلا من الجزم بنفى الحركة فى الفضاء ، ما لم يكن مملوءاً بما يسمى الأثير

وقد حاولوا أن يجدوا للأثير هذا خاصة تميزه من الفضاء بحركة أو كثافة أو تقدير فلم يجدوا تلك الخاصة فى تجربة واحدة من تجاربهم الكثيرة

فليس للأثير سرعة تزداد أو تنقص بمرور الأجسام فيه ، وليس فى الحالات التى تعرض للمادة كلها حالةٌ تتناوله بشىء من التغيير !

ومؤدّى هذا أن الأثير والفضاء مترادفان ، فلا فرق بين قولك أن الضوء يسير فى الفضاء وقولك أنه يسير فى الأثير

وقد نبه اينشتين إلى ذلك فقال فى تعقيبه على نظرية لورنتز Lorentz عن المغناطيسية الكهربائية والأثير إنما هم اسمان لمسمى واحد !

وقد انتهى الرأى باينشتين إلى تقرير فرضه الجديد الذى يلاقى به مذهب الأقدمين فى حقيقة الفضاء ، وهو فرضه المشهور عن الجوهر الفضائى أو جوهر الفضاء Space Substance

فألقى فى شهر يونية من سنة ١٩٣٠ محاضرته التاريخية بجامعة نوتنجهام ، وأجمل فيها أطراف هذه النظرية التى يوشك أن يستخرج منها العلماء صلة علمية بين تركيب الفضاء وتركيب المادة ، وهى ليست بالصلة البعيدة بعد ما عرف عن حركة الضوء فى الفضاء ، وعن رجوع المادة كلها إلى الإشعاع

ولا نعتقد أن الأستاذ الزهاوى كان يمحص ما يسمعه عن الأثير وأقوال العلماء فيه ، وفى أمثاله من الفروض العلمية

ومن أمثلة ذلك أنه يقول فى رسالة نشرت له حديثاً فى مجلة الكاتب المصرى أن « اينشتاين يحسب أن الفضاء خاصة من خواص الجسم ثم يدعى أنه عدم محض ، والمشاهد أن الفضاء يقاس بالمتر والأقدام ويطول ويقصر بين سديم وآخر وشمس أخرى ، والشمس وسياراتها على التفاوت فكيف يقاس العدم ؟»

ولا ندرى أين قال اينشتين أن الفضاء عدم . وإنما المعروف أن مذهب النسبية يعلل انحناء الضوء بالقرب من الأجرام السماوية بانحناء الفضاء نفسه ، فكيف يقول بعدم الفضاء من يقول بانحنائه ، ثم يقول بأنه جوهر لعله أصل الجواهر جمعاء .

وقد أشار الزهاوى قبل ذلك إلى مذهب اينشتين فى هذا فقال أنه : « فتح باباً جديداً فى الفلسفة جعل العلماء يفكرون فيها تعليلا لغوامض الكون على أن أكثر قضاياها لا يرضى لمنطق وأن أرضى الرياضيات على زعمه . أما كون النور فى قرب الأجرام يسير فى خط منحن عليها فصحيح ، ولكنى لا أرى أن السبب هو انحناء طريقه فى الفضاء ... »

وقد كان خليقاً بما رواه عن اينشتين أن يصحح فهمه لمذهبه فى الفضاء وفى الأبعاد على العموم ، ولكننا نحسبه طالع بعض كلامه على نسبية الأبعاد ونسبية السرعة فيها فخطر له أن القياس النسبى ينفى الوجود الحقيقى ، ويجمله كله مسألة تقدير واختلاف ... وإنما كان اينشتين يفرق بين تقدير الفضاء فى الهندسة الاقليدسية وتقدير الفضاء فى رأى ديكارت وتقدير الفضاء إذا أخذ فيه بمذهب البعد الرابع، وهومذهب اينشتين نفسه فى المكان والزمان

وعلى هذا القياس ربما طالع الأستاذ الزهاوى بعض ما كتب عن الأثير وامتلاء الأكوان به فقال إنه هو الوجود الثابت فى جميع هذه الأكوان ، وأن ما عداه من الوجود فرض من فروض الأديان

وقد تخلى عنه الأثير آخر الأمر فإذا هو الفرض الذى ابتدعه الخيال ، وإذا به فى رأى العلماء هو والفضاء سواء

وغاية ما يقال إذن فى هذا الإله الذى خلقته فروض الخيال أنه أسطورة من أساطير الآخرين ...

عباس محمود العقاد

فعـــلاء

للاستاذ « السهمى »

أشكر لسيدى الكاتب الألمى والأستاذ الباحث المتفنن السيد على العمارى تشريفه إياى بما أمرنى به وإحسانه إلى بالبامى من عطفه على وقوله فى ً ثوباً قد ضمت فيه ولم أبن ثم أقول :

لا حيرة بعد اليوم (إن شاء الله تعالى) ولا قلق ، ولا بأس على (فعلاء) ولا على شقيقها (أفعل) ولا على جمعهما ، فهما كما هما ، وجمعهما كما أعربت العربية ونطق (الكتاب) وطريقة (الكتاب) هى المثلى ، « وكلمة الله هى العليا » « ولله المثل الأعلى » وكما أملى (الخليل) على خريجه أو بصَّر ، فقيد (أبو بشر) ذلك بالكتاب فى (الكتاب)[1] وكما قال (أبو العباس) فى (كامله) .

قال (عمرو) فى (البحر) : « وأما أفعل إذا كان صفة فإنه يكسر على فعل ... وذلك أحمر وحمر وأخضر وخضر وأبيض وبيض وأسود وسود ... والمؤنث من هذا يجمع على فعل وذلك حمراء وحمر وصفراء وصفر...[2] » .

وقال (محمد بن يزيد) فى (الكامل) الذى لم يتنقصه الدهر. وسأروى قوله بكماله على طوله حيث[3] هو الحجة التى تشبث بها مانع (فعلاء) وليس له فيه أقل متشبث ، قال :

« قال نبهان بن عَكىّ العبشمى :

يُقر بعينى أن أرى مَن مكانه ذُرا عقدات الأبرق المتقاود[4]

وأن أرد الماء الذى شربت به سليمى وقد مل السرى كل واجد[5]

وألصق أحشائى ببرد ترابه وإن كان مخلوطاً بسم الأساود

(١) (الكتاب) معناه كما نفهم اليوم وكما تقول الفرنج (Livre) مولد

(٢) وقال : وأما الأصغر والأكبر فأنه يكسر على أفاعل ، ألا ترى أنك لا تصف به كما تصف بأحمر ونحوه ... فلما لم يتمكن هنا فى الصفة كتمكن أحمر أجرى مجرى أجدل وأفكل كما قالوا : الأباطح والأساود حيث استعمل استعمال الأسماء.

(٣) حيث هنا معناها مولد .

(٤) (الابرق) حجارة يخلطها رمل وطين (المتقاود) المنقاد المستقيم (المبرد) .

(٥) واجد : من الوجد وهو الحب الشديد (المرصفى) وروى كل واحد وهو المنفرد فى السير المتوحد به ، وروى كل واخد وهو من الوخد

... بسم الأساود : يريد أسود سالخ[1] ، وجمعه على أساود لأنه يجرى مجرى الأسماء ، وما كان من باب أفعل اسماً فجمعه على أفاعل نحو أفكل[2] وأفاكل ، والأكبر والأكابر وكذلك كل ما سميت به رجلا تقول : أحمد وأحامد وأسلم وأسالم . فإن كان نعتاً فجمعه على فعل نحو أحمر وحمر وأصفر وصفر ولكن أسود إذا عنيت به الحية وأدهم إذا عنيت به القيد وأبطح إذا عنيت المكان المنبطح وأبرق إذا عنيت به المكان مضارعة للأسماء لأنها تدل على ذات الشىء وإن كانت فى الأصل نعتاً ، تقول فى جمعها الأباطح والأبارق والأداهم والأساود ، فإن أردت نعتاً محضاً يتبع المنعوت قلت مررت بثياب سود وبخيل دهم ، وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه » .

قوله (إن أردت نعتاً محضاً) يقصد به مثل أسود وسوداء وأدهم ودهماء وأبيض وبيضاء وأحمر وحمراء[3] لا مثل الأسود للحية والأدهم للقيد والأبطح والأبرق المضارعة للأسماء أو التى أصبحت تمد فى الأسماء « تعينت لها الاسمية إذ فقدت الوصفية »

فهذه ليست بنعت محض حتى يسوغ لها أن تجمع على (فعل) إن هذا الجمع للنعت المحض الذى لا رائحة للاسم تشم فيه .. وأما التى نقلت من الوصفية إلى الاسمية فجمعها (أفاعل) لأنها ليست من النعت المحض ولا ينظر إلى أصلها وإن كان أصلها نعتاً وإنما يلتفت إلى ما قد حصل ...

وقول المبرد هذا هو مثل قول سيبويه ، وهو القاعدة فى هذا الجمع ولا منع فيه لوصف مجموع بمفرد ، ولا وجوب وصف مجموع بمجمع ولا جوازه ، وما أظن المبرد زاد شيئاً فى (المقتضب)[4] على ما قاله سيبويه وقاله هو فى الكامل .

هذه هى قصة القضية فى فعلاء وجمعها فهل للمولد — إذا ثبت عنده أن العرب لم يصفوا الجمع بذلك المفرد — أن يقيس وصف جمع على وصف جمع ، وكم قاس فى اللفظ والتركيب وكم

(١) سالخ . نعت به الأسود لأنه يسلخ جلده كل عام ولا توصف به أنثاه (المرصفى) .

(٢) أفكل : إسم لرعدة من برد أو خوف ولا فعل له (المرصفى) .

(٣) تذكرنى حمراء بما فى النهاية : وفى حديث على قيل له غلبتنا عليك هذه الحمراء يعنون العجم والروم ، والعرب تسمي الموالى الحمراء

(٤) قال الزمخشرى : المقتضب لأبى العباس المبرد ، ولله دره من كتاب بعد (الكتاب) قلت : « وهو فى دار الكتب المصرية عمرها الله « ستة مجلدات مأخوذة بالتصوير الشمسى».

ولد ، وثلاثة أرباع اللغة مولد ، ولا سيما(١) إذا لم تجيء نصوص أئمة تمنع .

رأينا الجاحظ فى (الحيوان)(٢) (ج ٢ ص ٢١٢) والمسعودى فى (المــروج)(٣) — ج ١ ص ٣٥ — والزمخشرى فى (الكشاف) — ج ٢ ص ٣٨٣ — والتبريزى فى (شرح الحماسة) فى الطبعتين — ج ٤ ص ١٢٠ ج ٤ ص ٢٤٤ — والصاحب فى إحدى رسائله فى (إرشاد الأديب) والمعرى فى جريدة كتبه فى (الارشاد) وفى (رسائله) وفى (نهاية الأرب) وابن سيده فى (المخصص) وابن طولون فى (اللمعات البرقية فى النكت التاريخية)(٤) — ص ٦٦ — رأينا هؤلاء القوم يصفون وصفهم ، فاستدل المستدل على التجويز ، وقيل : هؤلاء جلهم أئمة ، والأئمة يُتبعون . وإذا حرف نسخ أو طبع أقوالهم فهل حرفت كلها جمع أو جماء ؟

أنا استبعد كثيراً التحريف فى كلام ابن سيده وفى (أيادى بيضاء) إن (المخصص) محقق ، وضبط الشنقيطى إياه محكم ، وعبارة المعرى رواها القفطى فى (إنباه الرواة على أنباه النحاة)(٥) وقد طير همزة بيضاء ناسخ عصرى لكتاب (الإنصاف والتحرى) فجاءت (أيادى بيضا) فهل كان هذا الناسخ ممن يتقززون من الهمز فقصر أو كان مستعجلا أو طوعت له نفسه أن يصحح كلام أبى العلاء ؟.. و (الزهراء والجزاء والأرزاء) هن من مظاهرات (بيضاء) وما جلب تينك السجعتين فى اعتقادى إلا هى .

وأوقن كل الإيقان أن أبا العلاء وصاحب المخصص لم يقولا (زهراء) و (وخضراء غبراء) إكراماً للجوار جوار (مثل) و (مضيئة) فما كان هذا الإمامان يعرفان هذه (الفتوى اللغوية المصرية) هذا الكلام المفتلت ، ولن يعثر على مثله عاثر عند أحد من المتقدمين ولا عند أحد من المتأخرين ، أنه كلام لفته صاحبه

---

(١) هل قول الحريرى (لاسيما وقد أغدف جنح الظلام) تركيب مولد ؟

(٢) حققه وشرحه الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

(٣) ضبطه وعلق عليه الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد .

(٤) فى (مكتبة القدسى فى القاهرة) .

(٥) نسخة مصورة بدار الكتب المصرية نقلت منها سيرة الشيخ فى كتاب (تعريف القدماء بأبى العلاء)

لفتاً ، والعلم ليس بشموذة(١) أو مخرقة(٢) .

من مشاهير(٣) المصريين الذين وصفوا الجمع بفعلاء المفردة الأب أنستاس مارى الكرملى فى مجلته (لغة العرب) كما أشار إلى ذلك الدكتور مصطفى جواد فى مقالة فى (مجلة المجمع العلمى العربى) الغراء .

والشيخ إبراهيم اليازجى فى مجلته الضياء (س ١ ج ٣) قال : « .. وبوده أن يكون فداء عن أياديهم البيضاء وأن لاتمدم الآداب نفحات مكارمهم الفيحاء » .

والأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى إحدى مقالاته فى (الرسالة) الغراء قال : « ... فصرخة واحدة من قلب الأزهر القديم بجمل هدير البحر كأنه تسبيح ، وترد الأمواج نقية بيضاء كأنها عمائم العلماء » .

وقد كتب الأستاذ الرافعى هذه التعليقة على (بيضاء) :

« يرى بعضهم أن مثل هذا الوصف خطأ وأن الصواب أن يقال (بيض) ولسنا من هذا الرأى وقد غلط فيه المبرد ومن تابعوه لغفلتهم عن السر فى بلاغة الاستعمال مرة فى الوصف بالمفرد ومرة فى الوصف بالجمع » .

يظهر أن المرحوم الرافعى لم يتأمل قول المبرد فى الكامل ملياً فجار على هــذا المسكين البرىء وغلطه وجهله . وكلام (أبى العباس) هو ما رويته آنفاً وما كان هذا الإمام فيه إلاموضحاً كيفية(٤) جمع مكسر ومقرراً قاعدته ، ولم يغلط فى توضيحه وتقريره ، ولن يجسر ناح أن يخالفه فيما قال .

لقد كان (أبو السامى) يستعجل فى بعض الأوقات فى رده ويكربل ويكرمل فى نقده ...

إن أول من نبه على ما توهمه خطأ هو الأستاذ (كرنكو) العربانى الجرمانى (رب ذلك الجمع) وهو الذى خطأ الأب أنستاس ونشر التغليط فى مجلة (لغة العرب) ثم كانت تلك الفتنة فى بلاد العرب ...

السهمى

---

(١) فى اللسان والتاج : قال الليث : الشعوذة والشعوذى مستعمل ، وليس من كلام أهل البادية . وفى الأساس : فلان شعوذى ومشعوذ ومشعبذ ... وتقول : رأيته يعوذ ويشعوذ

(٢) فى الصحاح : وأما المخرقة فكلمة مولدة . وفى التبريزية الحريرية : ... أكذب من أبى ثمامة حين مخرق باليمامة .

(٣) جمع مولد .

(٤) الكيفية كلة مولدة .

من شوارد الشــــواهد

للأُستـــاذ على الطنطاوى

سألنى سائل عن بيت :

فما كان قيس هلكُهُ هلكَ واحد ولكنه بنيان قوم تهـــدما

المروى فى عدد الرسالة الأخير، لمن هو ؟ فقلت : لعَبْدة بن الطبيب، واسم الطبيب يزيد بن عمرو، وهو شاعر مخضرم معروف من قصيدته التى يرثى بها قيس بن عاصم المنقرى وقبله :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

تحيَّةَ من غادرته غرض الردى إذا زار — عن شحط(١) — بلادَك سلّما

ففرح بذلك فرح من كان عنده لقيط فعرف نسبه، وكنت قد واليت البحث عن أمثاله من الأبيات الشاردة — التى لا تكاد تجد أديباً ولا متأدباً لا يتمثل بها إذا كتب أو خطب، وقلّ فى المتأدبين من علم أنسابها، وعرف أصحابها — حتى اجتمع لى طائفة منها صالحة، تملأ مجلدة لطيفة، فرأيت أن أنسب بعضها فى الرسالة.

من ذلك :

١ — لا تنهَ عن خلق وتأتىَ مثله عار عليـــك إذا فعلت عظيم

للمتوكل الليثى، وهو شاعر إسلامى، كان يمدح معاوية وابنه يزيد. من قصيدته التى يقول فيها :

للغانيات بذى المجاز رسوم فببطن مكة عهدهن قديم

فبمَنْحر البُدْن المقلَّد من منى حلل(٢) تلوح كأنهن نجـــوم

٢ — أخاك أخاك إن من لا أخا له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

لمسكين الدارى وهو ربيعة بن عامر بن أنيف، قدم على معاوية وسأله أن يفرض له، فأبى، فخرج من عنده وهو يقول :

أخاك أخاك ... (البيت).

وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازى بغير جناح

وما طالب الحاجات إلا مغرر وما نال شيئاً طالب كنجاح

٣ — العبـد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقــالة

لأبى الأسود الدؤلى. وقبله :

أعصيتَ أمر أولى النهى وأطعت أمر ذوى الجهاله

أخطأت حين حرمتنى والمرء يعجز لا محاله(١)

٤ — فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، وكان صديقاً للحسين بن عبدالله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، وكانا يرميان بالزندقة، فجرى بينهما شىء فقال له :

وإن حسيناً كان شيئاً مُلَفَّفاً فكشّفه التمحيص حتى بدا ليا

أأنت أخى ما لم تكن لى حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخاليا

فلا زاد ما بينى وبينك بعد ما بلوتك فى الحاجات إلا تماديا

فلست براء عيب ذى الود كله ولا بعض مافيه إذا كنت راضيا

فعين الرضا ... (البيت).

كلانا غنى عن أخيه حياتَه ونحن إذا متنا أشد تغانيا(٢)

٥ — فإن كنت مأكولا فكن خير آكل وإلا فـأدركنى ولمــا أمزّقِ

لشاس بن نهار من قصيدة قالها لعمرو بن المنذر بن امرىء القيس بن النعمان وهو عمرو بن هند(٣)، وهند أمُّه عمة امرىء القيس الشاعر؛ لما همّ بغزو قومه عبد القيس، فلما سمعها تركهم، وتمثل به عثمان يوم الدار. وبه سمى الممزق (بالفتح) وقيل بالكسر والتحقيق أن الممزق (بالكسر) شاعر آخر متأخر يعرف بالممزّق الحضرمى.

٦ — كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يَضِرها واعياً قرنَه الوعل

(١) الشحط : البعد (٢) ج حلة بالكسر وهى المحلة.

(١) لا محالة أى لابد (والبد المناص والمخلص)، والذى أحفظه (والمرء يعجز لا المحالة) والمحالة الحيلة وهو من أمثال العرب، وأنشد فى اللسان لأبى دواد

حاولت حين حرمتنى والمرء يعجز لا المحاله

والدهر يلعب بالفتى والدهر أروغ من ثعاله

(٢) روى هذا البيت القالى فى ذيل الأمالى لغيره (ص ٧٥) أميرية

(٣) وهو المحرق (الثانى) وهو الملقب بـ (مضرط الحجارة)

للأعشى (١) من قصيدته التي مطلعها :

ودع هريرة إن الركب مرتحل   وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

وقبله :

ألست منتهياً عن نحت أثلتنا
ولست ضائرها ما أطت الإبل (٢)

تغرى بنا رهط مسعود وإخوته   يوم اللقاء فتردى ثم تعتزل

ومنها البيت المشهور :

قالوا: الطراد! فقلنا: تلك عادتنا   أو تنزلون فإنا معشر نُزُل

٧ — عقم النساء فلم يلدن شبيهه
إن النساء بمثله عقم

لأبي دهبل (وهب بن زمعة) الجمحي . مدح معاوية ومدح ابن الزبير وولاه عملا في اليمن ، قاله في ابن الأزرق ، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وبعده :

نزر الكلام من الحياء تخاله   ضمِناً(٣) وليس بجسمه سقم

٨ — وكنا كندماني جذيمة(٤) حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

لمتمم بن نويرة من قصيدته المعروفة في رثاء أخيه مالك وبعده:

فلما تفرقنا كأني ومالكا   لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

وتمثلت بهما عائشة لما وقفت على قبر أخيها عبد الرحمن .

٩ — وما طلب المعيشة بالتمني   ولكن ألق دلوك في الدلاء

لأبي الأسود الدؤلي ، قاله لابنه أبي حرب لما قعد عن الكسب وقال : رزقي يأتيني ، وبعده :

تجئك بملئها يوماً ويوماً   تجئك بحمأة وقليل ماء

١٠ — يا ربة البيت قومي غير صاغرة
ضمي إليك رحال القوم والقربا

لمرة بن محكان ، شاعر إسلامي مقل ، يعد في الأشراف الأجواد وبعده :

في ليلة من جمادى ذات أندية(١)
لا يبصر الكلب من ظلمائها الطُنُبا

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة   حتى يلف على خيشومه الذنبا

قالوا ، وكان الضيف يستبقي معه سلاحه مخافة البيات ، فهو يقول لها ، ضمي سلاحهم إليك فهم عندي في أمان .

١١ — عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

لعدي بن زيد العبادي ، من قصيدته التي مطلعها :

أتعرف رسم الدار من أم معبد   نعم ورماك الشوق قبل التجلد (٢)

١٢ — أريد حياته ويريد قتلي .

وتتمته : عذيرك(٣) من خليلك من مراد .

من قصيدة قالها عمرو بن معد يكرب لقيس بن مكشوح المرادي ، (قالوا) وتمثل به علي بن أبي طالب لما رأى عدو الله عبد الرحمن بن ملجم المرادي .

١٣ — إذا لم تستطع أمراً فدعه   وجاوزه إلى ما تستطيع

لعمرو أيضاً من قصيدته التي مطلعها :

أمن ريحانة الداعي السميع   يؤرقني وأصحابي هجوع

١٤ — ألا ليت اللحى كانت حشيشاً
فنعلفها خيول المسلمينا

لابن مفرغ الحميري ، واسمه يزيد بن ربيعة ، شاعر إسلامي أولع بهجاء آل زياد بن أبي سفيان ، وهو جد السيد الحميري ، قاله في عبّاد ابن زياد وكان عظيم اللحية .

١٥ — وإني لعبد الضيف ما دام نازلا
وما فيّ إلا تلك من شيمة العبد

كذلك هو على ألسنة الناس ، وروايته :

وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

للمقنع الكندي وهو محمد بن ظفر بن عمير وسمي المقنع لأنه كان لجماله يخاف العين فيتخذ اللثام ، شاعر إسلامي مقل ، معدود

---

(١) وفي (المؤتلف والمختلف) للآمدي ذكر لسبعة عشر شاعراً كلهم يعرف بالأعشى ، وإن أطلق الاسم انصرف إلى الأعشى الكبير ميمون

(٢) الأثلة الأصل ونحت أثلته قال في حسبه ، وأطت صوتت وفي حديث أم زرع (فجعلني في أهل صهيل وأطيط) أي خيل وإبل .

(٣) الضمن الزمن وزناً ومعنى ، والضمانة الزمانة .

(٤) جذيمة (كسفينة) الأبرش ابن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ملك الحيرة وأخباره مع الزباء ونديميه معروفة مشهورة . وحسب قوم أن الزباء هي زينب (زنوبيا) ملكة تدمر ، وليست بها ، وأظن أن قصة الزباء مصنوعة موضوعة .

---

(١) جمع ندى على الشذوذ لأنه (في القياس) جمع لما كان ممدوداً مثل كساء وأكسية   (٢) ويروى البيت لطرفه

(٣) العذير : النصير والعاذر وهو منصوب بتقدير الفعل (اطلب) وقد نسبه في اللسان لعلي بن أبي طالب وإنما تمثل به علي .

فى الأجواد والأشراف ، والبيت من قطعة له هى :

يعاتبنى فى الدين قومى وإنما ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
أسدّ به ما قد أخلّوا وضيقوا ثغور حقوق ما أطاقوا لها سدا

إلى أن قال :

وإن الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمى وفرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا
وإن زجروا طيراً بنحس تمرّ بى
زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا[1]
ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وليسوا إلى نصرى سراعاً وإن همُ دعونى إلى نصر أتيتهم شدّاً
لهم جُلُّ مالى إن تتابع لى غنى وإن قل مالى لم أكلفهم رفدا
وإنى لعبد الضيف .. (البيت)

١٦ — تمتع من شميم[2] عرار نجد
فما بعد العشية عن عرار

للصمة بن عبد الله القشيرى ، شاعر إسلامى غزل مجيد ، من أبياته المعروفة ، وقبله :

أقول لصاحبي والعيس تهوى بنا بين المنيفة فالضمار

وبعده :

ألا يا حبذا نفحات نجد وريّا روضه بعد القطار
وأهلك إذ يحل الحى نجداً وأنت على زمانك غير زارى
شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سرار

وروى : غبّ القطار . وروى : شهور قد مضين .

١٧ — كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

(منسوب) لمضاض بن عمرو الجرهمى[3] ، من قطعة (زعموا أنه) قالها يتشوق بها إلى مكة لما أجلت خزاعة قومه عنها ، وبعده :

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالى والجدود العواثر
وأخرجنا منها المليك بقدرة كذلك يا للناس تجرى المقادر
فصرنا أحاديثاً وكنا بغبطة كذلك عضتنا السنون الغوابر
وبدلنا ربى بها دار غربة بها الذيب يعوى والعدو المكاشر
فسحت دموع العين تبكى لبلدة بها حرم أمن وفيها المشاعر

١٨ — وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر .

لأعرابى ، نظر إلى امرأته فرآها تتجمل وهى عجوز ، فقال لها :

عجوز تُرَجّى أن تكون فتية
وقد لحب[1] الجنبان واحدودب الظهر
تدس إلى العطار سلعة أهلها
وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

فأجابته ببيتين ، وجمت عليه نسوتها فضربنه

على الطنطاوى

(١) من أمور الجاهلية زجر الطير ، والتفاؤل بها أو التشاؤم (إن طارت يميناً أو شمالا) ، وهو السانح والبارح ، وقد أبطل ذلك الإسلام فيما أبطله من ضلالات الجاهلية .

(٢) الشميم كالشم . والعرار : نبت فى البادية طيب الرائحة

(٣) وما هذه لغة جرهم — ولا هذا شعرها إن كان لها (فى عربيتنا هذه) شعر .

(١) أى ذهب لحمهما ، ورجل ملحوب قليل اللحم .

هزيمة الكوليرا!

للدكتور مصطفى الديواني

أثبتت محنة الكوليرا الأخيرة شدة تعلق الانسان بالسلامة وطول البقاء. فهذه الاستفهامات التليفونية التى توجه إلى طبيب العائلة — والتى لا تقف عند حد — تملأ الطبيب ثقة بنفسه وغروراً بمركزه كحصن الأمان يلجأ إليه عند الملمات ومنطقة النجاة تلقى للتائه فى اليم الخضم ليصل بوساطتها إلى الأرض الطيبة عساه أن يدب عليها من جديد ويسعى فيها متمتعاً بشمسها وقمرها وليلها ونهارها ولذائذها وطيب ثمارها.

إن الكوليرا عنيفة فى هجومها، لا تعرف سناً أو جاها أو مالا. تغزو الأكواخ والقصور سواء بسواء وسيان عندها مزهو فى دمقس وغارق فى بالى الاسمال. ولقد كانت فيما مضى فتاكة لا تبقى ولا تذر ولكن اشكروا طبيب المعمل فقد روضها كما تروض الأسود والفيلة الضخام ثم سلم رسالته إلى طبيب العلاج ليطبقها على الضحايا من عباد الله فنال الشكر والحمد والثناء لنفسه وبقى طبيب المعمل فى ركنه يوالى أبحاثه فى صمت وسكون. لقد حضر لكم الطعم الواقى مثلا وهو أكيد فى مفعوله إذ يولد مناعة لا تزيد مدتها عن الخمسة شهور ويأخذ الشخص الكبير منه ½ سم ثم ١ سم من اسبوع أى ٤٠٠٠ مليون ثم ٨٠٠٠ مليون جرثومة. أما الأطفال الذين تتجاوز أعمارهم السنتين يأخذون ¼ ثم ½ سم والذين تقل أعمارهم عن العامين يلزمهم ⅕ ثم ⅖ سم بعد اسبوع. ولا تتولد المناعة بعد حقن الطعم قبل عشرة أيام على الأقل ولذا يجب اتباع الاحتياطات اللازمة طوال هذه المدة ولا يغرينا الشعور بالسلامة الكاذبة على التراخى فى هذا السبيل.

أما عن العلاج فقد دق لكم الطب فى ميدانه أسافين عدة جعلت مقاومة المرض مائعة مراوغة بعد أن كانت كالصاعقة تضرب ضربتها بلا تردد وبلا انذار.

إن قرص السلفاجوانيدين مثلا من وسائل العلاج الحديثة ولما أذيع أخيراً عن تأثيره فى سير المرض تهافت الناس على اقتنائه بدرجة جملته يكاد يختفى من الأسواق فى ساعات وهذا خطأ فادح لا أقرهم عليه فلو تركوه بوفرته السابقة لكفى وزيادة. فالمريض يلزمه للعلاج مائة وأربعون قرص تقريباً ولو (لا قدر الله) بلغت الإصابات الألف عداً لكان الموجود من الدواء يكفى وزيادة ويتعاطى منه المريض عادة ستة أقراص كل ٤ ساعات لمدة ثلاثة أيام ثم مرتين فى اليوم لمدة ثلاثة أيام أخرى. وقد وجد أن نسبة الوفيات فى الحالات التى عولجت بالسلفاجوانيدين حوالى الواحد فى المائة على حين أنها بلغت فى الحالات الأخرى التى حرمت منه حوالى ٣٨ فى المائة، أما الحالات التى عولجت بمركبات السلفا وبحقن البلازما أى Plasma فى الوريد بقصد مقاومة الجفاف الذى يقاسى منه هؤلاء المرضى فنسبة الشفاء مائة فى المائة. ولقد ثبت أن هذه الطريقة الأخيرة تؤدى إلى نتائج رائعة. ولكن إياكم أن تتهافتوا على شراء هذه المادة كما فعلتم بالسلفاجوانيدين فهى غالية الثمن إذ يبلغ سعر زجاجتها حوالى الاثنى عشر جنيهاً ولن يلجأ إليها إلا إذا جد الجد لاسمح الله. وحرام أن تحرموا منها من هو أحق بها منكم أعنى الذى أصابته لوثة الميكروب. والرأى العلمى السائد أنه متى توفرت هذه المادة فلن نسمح لجرثومة الكوليرا أن تعصف ببنى البشر من الآن فصاعدا

فنصيحتى أن نقابل الوباء بشجاعة وجنان ثابت فإن الكوليرا كمرض فتاك فى طريقها إلى المؤخرة بعد أن عمل الطب جهده. ولكن يجب ألا ننسى فى غمرة الفرح بنشوة الانتصار أن نشكر ذلك (النبى) المرسل الذى خلقه الله ثم سواه فصار طبيباً. انحنوا معى لطبيب المعمل الذى يسهر الآن ليأخذ بيدكم مجتازاً بكم ذلك الجسر الضيق الذى يصل السلامة بالفناء مخاطراً بحياته دون أن يبالى بالخطر المحدق به. وكل ما يطلبه منكم أن تتمسكوا بأصول الوقاية فى المنزل والشارع وهو مطلب لو تعلمون سهل بسيط. وليكن رائدكم الثبات فإن الحكومة ساهرة بشكل يستدر الإعجاب. وهى تبذل جهداً كبيراً كان يمكنها توفير بعضه لولا أنها تعامل شعباً نصفه جاهل وربعه غافل. أعانها الله.

دكتور مصطفى الديوانى

من أدب السودان :

الشرارة الأولى . . .

للأستاذ عثمان طه شاهين

أخذت المدينة بأجمعها تستروح النسيم العليل ودلف إبراهيم — كعادته — إلى الشاطئ ليلقى بنفسه فى أحضان الطبيعة من عناء يومه المنصرم وليستقبل الحياة الجديدة فى غده السعيد ، بيد أن إبراهيم لم يستطع أن يتخلص من تأملاته إلا قليلا إذ كانت روحة شاردة كأنها تريد أن تبحث عن سر الصمت العجيب الذى يلف الكون والناس والأشياء ، فأخذ يتجه ببصره إلى الأنوار الجميلة التى تبعثها قصور المدينة وطرقاتها ، مودعة النهار ، مستقبلة الليل كما يستقبله الأحياء ...

جلس إبراهيم على مقعد خشبى تجاه الشاطئ يرقب المياه المصطخبة ويتمثل الحسن الرائع الذى سكبته الشمس على الشاطئ وهى تكاد تودع يومها المكدود ، والناس من حوله فرحون مستبشرون ضاحكون عابثون فى أغلب الأحيان ، ولكن صاحبنا شارد اللب ، ساهم الطرف ، والرؤى والأشباح تتراءى أمام ناظريه فى هذه اللحظة السعيدة ، وكل ما فى الوجود ينبئ عن شئ جديد ... أخذت الشمس تبتعد شيئاً فشيئاً وأخذ الأصيل يفقد بهجته ورواءه ، وجيوش الظلام مسرعة ، ملحفة فى الإسراع ، والناس فرحون مستبشرون يودعون الأصيل الحبيب كما ودعوا نهارهم الذى كانت فيه بقية من قيظ وسحابة من عبوس ، وأخذ إبراهيم يبعد نفسه عن المقعد الخشبى الذى ألف الجلوس عليه عند الشاطئ ليستقبل الليل ...

آوى إلى غرفته يطلب الراحة والاطمئنان وترددت فى نفسه هذه الأحاسيس المتباينة من أضواء الحياة ومساربها وأخذ يستعيد الصور الجمة المتباينة ليبتعد بها عن عالم المحسوس ... أخذت الخليقة تسلم أنفاسها لسلطان الكرى ، وأخذت جيوش الظلام تتسلل إلى المدينة رويداً رويداً حتى لفتها بالغطاء الوحش الكئيب ، وأضواء المصابيح تبدو خافتة باهتة أمام هذا السكون ، وإبراهيم يتطلع من نافذته ليبصر السكون ، والسكون — من حوله — صامت لا يبين ، والأغصان هادئة ساكنة والدجى مهود وسنان . يسرح الطرف ناظراً إلى بعيد ، محاولا سبر المستقبل ومعرفة الغد القريب ، بيد أن المستقبل عالم مجهول . وأحداث الماضى تتراءى ماثلة للعيان ، وسر الحياة عنده لغز حار فيه الفلاسفة والمصلحون ، والرؤى والأشباح ومعالم الحياة والفكر تتراءى أمام ناظريه فى كل عين .

والناس فرحون مستبشرون إلا قليلا وتزدحم أمام صاحبنا الأفكار ويستعرض تاريخ العالم وقصة الإنسان ، فهذا عبقرى أعجبت به الإنسانية وأحبه طلابه المخلصون ، وهذا شاعر غنى على قيثارته فأودع الحياة أناشيدها الملوية الرفيعة فتغنت بها الأجيال ، وهذا فنان سكب روحه فجاءت صورة أو تمثالا ينبئ عن قصة الإيمان بالفن والجمال والجلال ، وهكذا تزدحم الرؤى والأشباح وصاحبنا لا يكاد ينام .. والظلام يمعن فى قسوته وجبروته ، والإنسانية قد أسلمت أنفسها لسلطان الكرى ، وصاحبنا ينصت إلى نداء الظلام والناس من حوله غافون نيام ...

يغمض الفتى عينيه لينام ويدثر نفسه علها تجد الراحة من فرط عالمها الخارجى الذى اضطربت فيه طول النهار ولكن الأشباح ما فتئت تتراءى أمام ناظريه فيحدق فى الظلام من جديد ويفكر فى حقائق الأدب وروعة الفكر وجلال الأداء ؛ وساعات الليل تكاد تتعثر عرجاء ، مثقلة الخطى غير ناظرة إلا إلى المحبين ، والظلام من حوله يلف الكون فى صمت عميق والإنسانية بين أحضان الكرى ؛ والأشباح تتراءى أمام ناظريه من جديد ، فينظر — فى سر وإيمان — إلى أرباب العلم وأساطين الفن ويقدر الجهد المبذول ، ويكبر معالم التضحية والصبر والإيمان ، والناس من حوله هادئون نيام ، والوجود يلقى نظرة صادقة على صعود الحياة وأحلامها الوادعة ، وعمود الفجر يكاد أن ينشق ليسفر الصبح عن نبأ جديد !؟

أخذ الطفل الكبير ينظر إلى الأم التى جاءت لتستقبله كما يستقبل الفرد صباحه الجديد ، وتلهف القلب لرؤيته حتى بدا جلال الكون متمثلا فى روعته البهية ، وأخذت تنشد موسيقى الحنان الأبدى التى تدخرها كل أم لطفلها الحبيب قائلة فى صوت

خفيض : الأمهات من حولى ينعمن بأطفالهن والقلوب عامرة برؤية الأطفال عند كل صباح ، وأنا وحدى أتلفت إليهن ، فرحة بك ، ذاكرة لك ، ولكنك لست بجانبى ... والعصافير تغرد فوق الأغصان ، والطيور تشقشق فرحة بربيع الحياة الندى ، والطبيعة توحى بالروعة والجلال ، وخرير الجداول ينقل إلى سمعى موسيقى الحياة الناعمة ، وعند طرفى المدينة ألمح شآبيب النور الحى ، ولكنك عنى بعيد !؟

أتذكر يا طفلى الوحيد يوم ودعتنى متجهاً صوب الشمال ، أتذكر يوم خلفت قلبى الثاكل الآمل ؟ فالقطار الذى تحرك بك ليقلك إلى وطنك الروحى الأصيل كان بداية عهد جديد فى حياتى نحوك ؛ فنى الصباح الباكر أصحو على موسيقى ذكراك الحبيبة وأتلمس أخبارك فى كل آن ، وأنا اليوم أحب الحياة لأنك وهبتها لى ، وهل الحياة إلا فى طفلى وهل طفلى إلا عند الحياة ؟.. كان بكاء الطفولة فيك يؤلمنى ويقض مضجعى ، وكان مرح الطفولة فيك يملأ قلبى حباً بالحياة وتعلقاً بها ، وأنا الناظرة إليك من أقصى الجنوب يتلفت قلبى إليك ليدرك حياتك بين اللدات والأتراب ، فإذا رسائلك تحمل إلى فرحة الروح والحس والشعور فأزداد إيماناً بالحياة وتعلقاً بالوجود .

إذا ما دعا داعى الحى بأن فيه أحداً قد ذاق المصاب ذكرتك يا بنى واتخذت المصاب مصابى والعلة علتى وأحاطت بى الهموم والأحزان ، وإذا ما أذن مؤذن الحى بأفراح الشباب تهللت أساريرى مرتجية لك مثل ما للداتك الكرام ، وإذا ما عاد أترابك حاملين لأمهاتهم أفراح الشمال تلقيتهم فرحة لأنى أجد فيهم ريح طفلى الكبير ، ولكن دعنى أعرف جوانب الحياة وجوانب الروح فيك ، ودعنى أتحسس ما تريده فى الغد السعيد ..

جلس إبراهيم على مقعده الخشبى تجاه الشاطىء يرقب الناس فى صمت وسكون وإطراق ، وأحاديث الأم تداوده وتلح عليه وتملأ القلب فيه والشعور والإحساس ؛ والناس من حوله فرحون مستبشرون يستقبلون الحياة فى لذة ونشوة وسرور ، والأمواج تقذف الشاطىء ثم ترتد عنه فى حياء وخجل ، والبساط الأخضر مورق على ضفاف الوادى متحدث فى صمت وسكون ، والفتى تتداوده أحاديث الأم والقلب والروح ...

جد الفتى خطاه المتثاقلة إلى الدار ، وأخذت الرؤى والأشباح تستعيد صورتها السابقة من جديد ؛ ولجأ إلى كتاب مسطور يتحدث إليه عن الشعر والعلم والفن ولكن جوانب نفسه تزحمه ولا تترك له بقية لنظرة فى كتاب ، فيهرب إلى فراشه عله يدفن رأسه فيه لينام ساعة من ليل ، ولكن الرؤى والأشباح ما فتئت تطارده فينهض ليقرأ فى صفحة الكون من جديد ...

والظلام المطبق يكاد أن ينجلى شيئاً فشيئاً ، والأصوات الخافتة التى تزحم أنفاس البشر أخذت تتأهب للمسير ، والأشجار المورقة ترسل موسيقاها الخافتة فى هدأة الليل البهيم ، وهمسات الدوح البعيد تستدعيه ليعمل مع العاملين ، ونقيق الضفادع يملأ أذنيه فلا يكاد يترك له بقية عابرة من ليله المنقضى .. ألمت بفتانا إغفاءة الفجر ، وأدرك عند ما استيقظ — أن المدينة أخذت كعادتها تزدحم فى ميدان الحياة العابرة ، وأن لهذه الفنون — التى جذبته بسحرها الرائع وجلالها المكنون — أرباباً عبدوها وقدسوها فكانت متعة للناظرين ، ولكن دقات الزمان ما فتئت تضرب على أوتار الحياة فتوهنها وما برحت تبدد أمامها آثار القوة والعظمة والطموح وهكذا تتجدد الإنسانية وتفنى العصور ويولد الكون من جديد ...

وأخذت الإنسانية تضطرب فى حياتها التى اعتادت منها أن تعيش وانقضت سحابة النهار كما انقضت بقية الأخوات ، والشاطىء الحبيب يستدعيه ليجلس على مقعده الخشبى ليرقب الأشياء والناس ولكن جوانب النور أخذت تتراءى لديه من بعيد ، وفقد الشاطىء بهجته ورواءه ، والفتى ساهم الطرف ، شارد اللب ، ينظر حوله فلا يرى إلا الوجوه التى أخذت تضحك منذ أن استقبلت الحياة وعرفت الوجود ، فإذا بنشيدها ينقلب أسى وحديثها يصير همساً وضحكاتها المرتفعة تغدو عبوساً مطرقاً ، والشمس تنحدر للمغيب وجوانب الحى تتهيأ لاستقبال الليل كما استقبلت أحاديث النهار ، بيد أن القمر يبسط أشعته الفضية الزاهية على الربى والبطاح فيملأها حياة وجمالا وجلالا ، والنجوم الخفرات تتداعى من فرط استحيائها وجيوش الظلام تكاد تولى هاربة .. وحديث الأم يطرق الآذان من جديد فيصيخ إليه إذ يقول : ومن قدر السماء يا بنى أن تبسم الأمهات لأطفالهن

حـــــول الفن القصصى في القرآن الـــكريم

أبدأ اليوم بعرض وجهة نظرى فى مسألة من أخطر مسائل بحثى وهى مسألة الأسطورة . وأرجو ألا يزعجنا هذا اللفظ ونقع فى أخطاء وقع فيها غيرنا حين ظن أن معنى الأسطورة الكذب والمين أو الخرافات والأوهام ، فذلك ما لم يقصد إليه القرآن الكريم .

ليست الأسطورة فى حس القرآن الكريم إلا ما سطره الأقدمون من أخبارهم وأقاصيصهم بذلك تنطق آياته وإلى ذلك فطن المفسرون .

قال الله تعالى [وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا .) وقال تعالى (قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين .).

وجاء فى الطبرى ج ٩ ص ١٤٢ (والأساطير جمع أسطر وهو جمع الجمع لأن واحد الأسطر سطر ثم يجمع السطر أسطر وسطور ثم يجمع الأسطر أساطير وأساطر وقد كان بعض أهل العربية يقول واحد الأساطير أسطورة . وإنما عنى المشركون بقولهم أن هذا إلا أساطير الأولون أن هذا القرآن الذى تتلوه علينا يا محمد إلا ما سطره الأولون وكتبوه من أخبار الأمم كأنهم اضافوه إلى أنه أخذ عن بنى آدم وأنه لم يوجهه الله إليه .).

ثم جاء فى الكشاف ج ٢ ص ١٠٣ (أساطير الأولين . ما سطره المتقدمون من نحو الحديث عن رستم واسفنديار جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة) .

وجاء فى المنار ج ٩ ص ٦٥٣ عنـد تفسيره لآية الأنفال « إن هذا إلا أساطير الأولين » . أى قصصهم وأحاديثهم التى سطرت فى الكتب على علاتها وما هى بوحى من عند الله . قال المبرد فى أساطير هى جمع أسطورة كأرجوحة وأراجيح وأثفية وأثافى وأحدوثة وأحاديث وفى القاموس الأساطير الأحاديث لا نظام لها . .

قال المفسرون كان النضر بن الحارث .. كأنهم يعنون أن أخبار القرآن عن الرسل وأقوامهم اشتبهت عليه بقصص أولئك الأمم فقال أنه يستطيع أن يأتى بمثلها فما هى من خبر الغيب الدال على أنه وحى من الله . ولعله أول من قال هذه الكلمة فقلده فيها غيره ولم يكونوا يعتقدون أنها أساطير مختلقة وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذى افتراها فإنهم لم يكونوا يتهمونه بالكذب كما نقل عن كبار طواغيتهم ومنهم النضر بن الحارث وقد قال

وقد بسمت للوليد الجديد يوم ميلاده وابتسم له اليوم عند الشباب وفى الأفق البعيد تتبدى أنوار العدالة والحق فتنعكس صفحاتها المشرقة على جبين الحياة فتزيدها نوراً على نور ، وتبعث الحضارة بما فيها من قوى روحية سامية ، ذلك لأن الحياة هى فى حقيقتها تلك اللحظات الروحية الرفيعة ؛ والفنون وأنماط المعرفة تملك التعبير الصحيح عن خير ما فى الإنسان من رقة ونبـل وإحساس ، وهل حياة المعرفة والفن إلا نوعاً من التضـحية والقلق يدفع بصاحبه للبحث وراء المجهول ...

وفى ثنايا الليل يظل صاحبنا باحثاً عن الحكمة ، ناظراً فى دنيا العلم ، مطرقاً مستغرقاً ؛ وهل عادت الروح من جديد تجاه الشرق لتجد عالم الهدوء والاطمئنان أم تبدت حياة الآلة كالحة فى نظرة الفتى الذى أجهده طول السهاد ؟! وأنغام الموسـيق تتهادى فى ضوء القمر ، والزهور الندية ترسل العطر لأبناء الإنسان ، وأذان الفجر يكاد أن ينادى بالصلاة والدعاء ، والمدينة أخذت تتأهب للحياة من جديد ، وجيوش الظلام أخذت تولى هاربة ولكنها لن تعود ...

واليوم تنبعث من جوانب المدينة أنغام الخلود ، وأضـواء الشمس تتساقط من خلال الأشجار ، وعبير الأزهار بداية الربيع الساحر ، والأم فرحة بطفلها الذى يستقبل الحياة ، وحفيف الأشجار وهمسات النور المنبعث وأسارير الطبيعة تنبىء عن بداية الفوز ؛ والثغاء يملأ جنبات الوادى ، والرعاة يهدهدون القطيع فرحين مستبشرين ، والوليد الجديد فرحة القلب عند الأم الرؤوم .

عثمان طه شاهين
ليسانسيه فى الفلسفة

تعالى فى ذلك فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . بل كانوا يوهمون العرب أنه اكتتبها وجمعها كما فى آية الفرقان وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . أى ليحفظها »

يجب إذاً ألا تزعجنا هذه اللفظة فنجرى فيها وراء الخيال ونعتقد أنها الأكذوبة أو الخرافة وإنما يجب أن نقف منها عند المدلول الذى فهمه المفسرون والمعنى الذى قصد إليه القرآن .

وأعود فأقول إنى أعرض لهذه المسألة الخطيرة مسألة الأسطورة وآمل أن يتفضل علينا أصحاب العقول الراجحة والقلوب المستنيرة — من الذين يعرفون الدقائق الأدبية ويفقهون المسائل القرآنية - بالمشاركة فى البحث حتى يفطن كل منا إلى حقيقة موقفه إن كان حقاً يحرص على الروح العلميـة فى بلدنا العزيز .

إنى لأقدر منذ اللحظة الأولى أنه من الجائز أن أكون قد أخطأت القصد أو ضللت الطريق وأن يكون الأستاذان الفاضلان أحمد بك أمين وأحمد الشايب قد أصابا ولكنى لم أتبين بعد جانب الخطأ أو وجه الإصابة ومن هنا كتبت ما كتبت وآمل أن نصل إلى الحق المبين .

ولعل نقطة الخلاف فيما بينى وبين أستاذى الفاضلين تضيق وتتضح حين نشرح الصنيع الأدبى أو البلاغى فى الأسطورة شرحاً موجزاً ولذا نقول .

الأسطورة كما يعرفها الأدباء فى صنيعهم البلاغى وسيلة قوية فعالة من وسائل تجسيم المعانى وتمثيلها لتتضح وتبين . وهى من هذا الجانب تعتبر أداة من أدوات التعبير يعمدون إليها أحياناً للتعبير عن المعانى الفلسفية أو كل معنى دقيق عميق .

الأسطورة فى هذا الوضع تشبه اللفظة المفردة إلى حد كبير . وإذا كان من حق الأديب أن يعمد إلى المفردات فيحملها من العواطف والمعانى ما يريد فكذلك من حقه فى الأساطير .

وإذا كان الأديب يخرج أحياناً بالألفاظ المفردة عن معانيها الحقيقية إلى أخرى مجازية فكذلك يفعل بالأساطير .

وإذا كان التاريخ الأدبى يدلنا أحياناً على أن هذه المعانى المجازية قد أصبحت حقائق عرفية أو شاع استعمالها حتى لينسى الناس الدلولات الأصلية أو الأولى فكذلك يدلنا فى الأساطير .

وإذا كان الأديب حين يخرج بالألفاظ المفردة عن معانيها الحقيقية يبقى على مادتها فكذلك يفعل بالأساطير إذ نراه يبقى منها على جسم القصة أو هيكل الحكاية . وكل ذلك واضح بين فى الصنيع الأدبى بحيث لا يحتاج منا إلى دليل .

ولعلك تعجب معى حين تعلم أن شيخاً من شيوخنا الأقدمين قد فطن إلى هذا الصنيع الأدبى فى القصص القرآنى قبل أن يفطن إليه أساتذتنا من الجامعيين .

فلقد فطن الرازى إلى هذا الصنيع الأدبى من اعتماد القرآن على الأسطورة عند شرحه لمواقف المشركين .

قال رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله» من سورة يونس ما يأتى (الأول. أنهم كلما سمعوا شيئاً من القصص قالوا ليس فى هذا الكتاب إلا أساطير الأولين . ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها) .

فنحن نلحظ أن الرازى هنا يفرق بين شيئين .

الأول . هيكل القصة أو جسم الحكاية .

الثانى . ما فى القصة من توجيهات دينية نحو قواعد الدعوة الإسلامية ومبادىء الدين الحنيف .

والرازى يلحظ أن الأمر الأول وهو هيكل القصة أو جسم الحكاية هو الذى أدخل الشبهة على عقول المشركين ومن أجل هذا قالوا عن القرآن إنه أساطير الأولين .

والرازى يرى أن القوم قد جانبوا الحق وبعدوا عن الصواب حين نظروا من القصة إلى هذا الجانب . ذلك لأنه ليس الجانب المقصود من القصة وليس الأمر الذى يقصد إليه القرآن الكريم حين يحدث ويقص .

ويؤكد الرازى هذا الأمر فى مناسبات أخرى حين يجمل أحياناً كلمة « بالحق» التى ترد كثيراً فى القرآن بعد بعض القصص وصفاً لما فى القصة من توجيهات دينية . فهو مثلا يقول عند تفسيره لقوله تعالى « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت

به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » ما يأتى (أما الحق فهو إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة .) .

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين » ما يأتى (اعلم أن قوله تلك إشارة إلى القصص التى ذكرها ... أما قوله بالحق ففيه وجوه . أحدها أن المراد من ذكر هذه القصص أن يعتبر بها محمد صلى الله عليه وسلم وتعتبر بها أمته فى احتمال الشدائد فى الجهاد كما احتملها المؤمنون فى الأمم المتقدمة) .

وإذا وصلنا إلى هذه النقطة وعرفنا أن الصنيع الأدبى أو البلاغى فى الأسطورة هو الأمر الذى فطن إليه الرازى وقال بوجوده كان علينا أن نرصد الفوائد التى نجنيها أو المضار التى نزيلها حين نتابع الرازى فى رأيه ونفسر بعض القصص القرآنى فى هذا التفسير البلاغى أو الدينى القديم .

أما الفوائد فهى رد عادية المستشرقين والملاحدة حين يوجهون الطعن إلى النبى والقرآن الكريم . ذلك لأنهم يقولون بما قال به المشركون من قبل من أن القرآن قد جاء بالأساطير . ولعل هؤلاء أقوى سنداً وأثبت حجة حين يوردون الدليل تلو الدليل على ما ورد فى القرآن من أساطير .

لن نقول لهؤلاء إلا ما قاله الرازى لأسلافهم منذ قرون . ولن نطلب إليهم إلا أن يفرقوا بين أمرين جسم القصة أو هيكل الحكاية وما فيها من توجيهات دينية نحو الدعوة الإسلامية ومبادىء الدين الحنيف . ولن نقول لهم إلا أن الأمر الأول كان وسيلة لا غاية وأنها وسيلة غير مقصودة لذاتها من القرآن الكريم. ولن نقول لهم إلا أن الأمر الثانى هو المقصود بالذات وأنه الحق الذى ليس بعده حق فيما يخص دعوتنا الإسلامية وشرعنا الحنيف.

إن تمسكنا بالرأى الذى يقول أن جسم القصة أو هيكل الحكاية حق ثابت بعد أن ثبت لدى العلماء الدارسين أنها من الأساطير أمر يعرض القرآن لشر عظيم .

وإن قولنا بالتفرقة بين الأمرين جسم القصة وما فيها من توجيهات هو الذى يتفق والصنيع الأدبى وهو الذى يرد عن القرآن عادية الملاحدة والمستشرقين .

هذه أخطر نقطة فيما بينى وبين أستاذى من خلاف . أعرضها عليكم وعلى قراء مجلتكم وعلى الرأى العلمى . وإنى ليدفعنى إلى القول بهذا الرأى حرصى أولا على سلامة القرآن الكريم من عبث الملاحدة والمستشرقين . وحرصى ثانياً على ألا نتخلف فى الدراسة الأدبية فنعجز عن فهم أبلغ نص نعتز به وهو قرآننا الكريم .

إن فهمى الأدبى لما فى القرآن من قصص يعتمد أحياناً على أساس من الأساطير يقوم على أساسين كما رأيت .

الأول تلك اللفتة الكريمة من الرازى وهى لفتة أدبية نحرص عليها ونعتز أن صدرت عن شيخ من شيوخنا الأقدمين .

الثانى ذلك الصنيع الأدبى الذى يجرى العمل فى القصة الأسطورية منذ القديم .

وليس فى هذا وذاك ما يضر الدين أو يؤذى قرآننا الكريم

إن المسألة أخطر وأعمق من أن يتناولها غير الباحثين الذين يفطنون إلى الدقائق الأدبية ويفقهون المسائل القرآنية وإنى لآمل أن يوفقكم الله إلى تسديد خطوات الباحثين فنحل تلك المشكلة الجامعية التى يتخوف فيها بعض رجال الجامعة من بعض رجال الدين

محمد أحمد خلف الله
كلية الآداب — جامعة فؤاد



ذات صباح

أوشكت أن تنشق على الأفق الشرقى كلة الصباح الوردية عن جبين الشمس ، وأنا جالس فى مصلى على حافة ترعة كانت تفهق بذلك الفيض الحبشى الذى حمله النيل من هضبات وادينا الحبيب ؛ وكانت تحجبنى عن الطريق المريض على الضفة الأخرى للترعة أغصان الصفصاف المتهدلة التى تمس الماء فتبدو كأنما تحنو على هذا النضار الغالى ؛ وجلست بحيث أتبين المارة فى يسر من خلال الصفصاف الحانى ولا يكاد يتبيننى أحد إلا فى مشقة ...

ورحت أرقب طلوع الشمس على الأفق ، ولعلى إنما طلبت الفضاء فى السماء حيث غطت الفضاء على الأرض عيدان الذرة وقد استطالت واستغلظت على سوقها وأخرجت سنابلها ، وعيدان القطن وقد طالت فروعها وتدلت زهراتها ، فلم يبق أمام ناظرى على الأرض إلا ذلك الطريق القريب على الضفة الأخرى للترعة تتقاطر فيه أسراب الصبايا عائدات بجرارهن من الترعة الكبيرة فى هذه البكرة الرخية ، خفيفات تماوج قدودهن المشوقة الناهدة تحت الجرار الثقيلة الطافحة بالفرات العذب الذى يجرى به النيل ...

وجاءت فتاتان فآثرتا أن تملآ جرتيهما على مقربة من المصلى فكنت أراهما من حيث لا ترياني ، أما إحداهما فما لبثت أن عرفتها فهى بهيجة بعينها ! ... بهيجة تلك البنية الريفية التى ما كنت ألقاها وهى بين العاشرة والثانية عشرة إلا استوقفتها وضاحكتها والتى كنت أحدث نفسى يومئذ بما سوف يكون لها من فتنة وسحر ...

وها هى ذى فى الثامنة عشرة أو فوقها قليلا شمس يضىء جبينها الأبلج كما تضىء شمس الأفق ، قد أفرغت فيها الطبيعة الريفية سحرها إفراغاً كما يصنع الفنان بدميته حين يريد أن يبلغ بها منتهى قدرته ؛ وملأت ناظرى من خصرها الدقيق وردفها الملىء وصدرها الناهد ؛ وشمرت عن ساعديها وكشفت عن ساقيها لتنزل على حجر فى الماء ، فما حسبت ساقيها وذراعيها لولا تحركها وتثنيها إلا صنعة فنان بالغ فى تسوية مرمره ليتحدى به الطبيعة أما وجهها فما تغنى اللغة عنه فلن يتصور جماله إلا أن يرى ...

وأما صاحبتها فسمراء لعوب فى وجهها وفى هيكلها وفى حديثها ما نسميه خفة الروح ، وهى لا تفتأ تضحك وتداعب رفيقتها ولا تزيد بهيجة على أن تبتسم ابتسامة طفيفة لا تلبث أن تنطفىء ...

وحيرنى هذا الهم فى وجه بهيجة ، فعلى فمها الرقيق وفى عينيها الواسعتين الزرقاوين الطويلتى الهدب ، خيال الألم والحزن الدفين ، وفى خديها شىء من الشحوب لولا تلك الحمرة الشديدة التى تمتاز بها صفحة هذا الوجه ...

وقالت فاطمة — وهذا اسم صاحبتها كما تبينت — تحدث بهيجة وهى فوق الحجر يغطى الماء ما فوق خلخالها قليلا : أأدفعك يا بهيجة فى الماء فتغرقين وتلتهمك الجنية ؟ وقالت بهيجة ليتنى أغرق فلن ينجينى إلا الموت !

وعجبت مما أسمع وازددت تطلعاً إلى معرفة ما يحزنها فما أشد ما يؤلم النفس مرأى الجمال الحزين ، وأنصت إلى فاطمة وقد ألقى فى روعى أنها سوف تكشف هذا السر ...

وقالت فاطمة ، وقد خرجت صاحبتها من الماء بعد أن ملأت الجرتين وجلست مستندة إلى جذع شجرة : فيم هذا الهم يا أختاه وغداً ليلة الحناء ؟ وحاولت بهيجة أن تبتسم ، فما افتر ثغرها الجميل حتى انطبق ، وامتلأت مقلتاها الساحرتان بالدمع ، وتسايل الدمع فجرى فوق خديها ، ثم دفنت وجهها فى كفيها وأجهشت إجهاشة كادت تطلق الدمع من عينى ... وما أيسر ما ينطلق دمعى فلا أمسكه إلا بجهد ...

وأمسكت فاطمة عن الضحك وراحت تهدهد صاحبتها وتقول : لعل الخير فيما تكرهين ، وما عيب حسن وهو ابن الجمل والناقة ، فى بيته الخير وزوجات إخوته من أحسن البيوت وإن لم يكن جميلات ، وسوف تكونين أنت زينة الدار ... وبأى شىء يمتاز إبراهيم عنه ؟ وكيف تقوى الواحدة منا على مخالفة أبيها ؟ رأى أبوك أن يزوجك من حسن فهل تعصينه ؟ وما

فلسفة طاغور في العلم والعمل

للأديب عبد العزيز محمـــــد الزكى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

ويفسر طاغور إنفصال إرادة الإنسان عن إرادة الله إنفصالا ظاهرياً غير مطلق ، بأن الله قد منح الإنسان بدافع من حبه له حرية التصرف فى شئون العالم ، كما يمنح الأب لابنه مقداراً من المال ، ويترك له حرية التدبر فى حدوده ؛ فهذا المال ما زال ملكا للأب وإن وهبه لإبنه ، وأخرجه من نطاق إرادته . وكذلك المال بالنسبة للانسان ، فأن حرية إرادته دائماً ملكا لله ، وأنه أغدق بها عليه ، وأخرجها من نطاق إرادته ، وترك له حرية العمل فى حدودها ، وفى مجال الشئون العالمية .

فالإرادة عند طاغور حرة من جهة ، ومقيدة من جهة أخرى فهى أولا حرة من حيث أن الله وهبها السيادة على الأمور المتصلة بعالمنا الصغير ؛ حتى يمكن أن تخضع لقانون إرادته الكبير طائعة مختارة ، وبدون فرض أو إلزام ؛ وحتى تتحد باللانهاية ، وتتفق حريتها الكاملة إللا محدودة ، التى لا تتم إلا بتوافق إتحاد إردتين حرتين . وهى ثانياً مقيدة من حيث أن الله جعلها محدودة ، وخاضعة لقانونه ، إذ لو منح الإنسان إرادة غير مقيدة بقانونه ، وتعمل بدون حدود ، لفقدت قدرته كل معنى لها ، ولتعذر عليها أن ترتقى وتكمل ، لأن القوة لا تنمو وتتطور وترتقى وتكمل ، إلا إذا كانت تعمل فى حدود ؛ أى أن الإرادة التى تعمل فى حدود ، يمكنها أن تتقدم فى الرقى إلى أن تكمل ، بأن تخضع لإرادة الله إللامتناهية ، وتندمج فيها ، وتصبح هى وإرادة الله إرادة واحدة تملك حرية مطلقة غير محدودة

أما عن الإرادة التى تتخدع بحريتها المحدودة ، وتندفع فى تيار الإنفصال ، وتتمرد على إرادة اللانهاية ، بدافع من الإنانية والغرور والكبرياء وحب السيطرة والعناد والجشع وحب التدمير ، وبدافع من جهل حقيقة وحدة الكون الكامنة فى الطبيعة الإنسانية ؛ فإنها ستعيش أبداً فى حدودها الملوثة بالشهوات ، وستظل أسيرة المظهر وسجينة الباطل ، فتقع فى الخطايا ، وترتكب الآثام والذنوب ، وتجلب على نفسها العار والمزلة ، وتضطر فى النهاية إلى أن تتراجع شيئاً فشيئاً عن مسلكها الخاطىء ، وترجع إلى منبعها اللانهائى الذى فصلت منه بأرادة الله ، وتخضع إرادتها الفردية للارادة الكبرى ، بأن تظهر طبيعتها الكامنة فى النفس الإنسانية ، وتشعر أن الوجود كله وحدة كاملة ، وتدرك أن وجودها

جدوى البكاء وقد صرت فى عصمته ؟

وأثار كلام فاطمة حزنها كله فاسترسلت فى بكائها وصحب هذا البكاء أنين متقطع ، كأنما كان ما ألقى فى سمعها من كلام طعنات خنجر شاعت فى جسمها ففى كل موضع منه طعنة ...

ونظرت فى وجه فاطمة تحسب أنها من أعدائها ، ورأيت فى وجهها كأنها تريد أن ترى فاطمة ما تعتزم عليه من عصيان ...

ولمحتنى فاطمة من خلال الصفصاف فغمزت صاحبتها وهمست فى أذنها ؛ ومسحت بهيجة عينيها بذيل ثوبها الأبيض الذى سحبته من تحت ردائها الخارجى الأسود ، وأصلحت الفتاتان جرتيهما ووضعتاهما على رأسيهما ، ومر رجل فأعانهما على حمل جرتيهما وانطلقتا صوب القرية ...

ولاحظت على بهيجة أنها لا تكاد تقوى على حمل جرتها ، فكانت خطواتها أثقل من خطوات صاحبتها ، وكان عودها اللدن يتثنى من إعياء لا من عجب تحت جرتها الثقيلة ، وما زلت أتبعها بنظراتى حتى غيبتها عنى فى منعطف عيدان الذرة ...

وبقيت ساعة يكرب نفسى ما يحزن بهيجة ، كما تكدر خاطرى طيوف منكرة سوداء من السم والحريق والقتل وإتلاف الزرع من جرائم الريف يمثلها لى هذا السبب الذى سمعته بأذنى ؛ وطاف برأسى الطلاق والنفقة والهجر والخصام وبيت الطاعة والمعارك بين الأسر ، بل ما روعنى من صور الخيانة والفجور وغيرها من أفعال الظلام ، وما تجره فى أعقابها من شر وانتقام . كل أولئك مثلته لى ثورة بهيجة ...

الخفيف

الفردى فى اتحاد تام مع هذا الوجود الشامل ، وبذلك تحقق حريتها الكاملة ، مثلها فى هذا مثل البرعم ، فإن كانت حرية البرعم لا تتحقق إلا بظهور الزهرة الكامنة فيها ، فإن كمال حرية الإرادة لا ينال إلا بمعرفة الحقيقة الكائنة فى أعمق أعماق النفس ، وإدراك اتحادها بالجوهر الثابت الذى يشتمل سائر الأشياء . وذلك لا يكون إلا بخضوع إرادة الإنسان لسلطان إرادة الله اللامتناهية عن طريق العمل الدائم المتجدد فى مختلف نواحى نشاط الإنسان ، وعن طريق فعل الخير وأفكار الذات ، وعن طريق ملاشاة فرديتنا الإنسانية فى الله ، والإيمان العميق بحقيقة وحدة الوجود الشاملة ...

وقد يرى لى بعض الهنود أن اعتزال الحياة ، وتجنب المجتمعات واحتقار الأعمال الدينوية ، وهجرة الأهل ، والتجول فى الغابات وسكن الكهوف والمغارات من خير السبل لتحقيق حرية الإرادة الكاملة ، وتخليص الروح من العوائق المادية التى تحول دون إنطلاقها فى اللانهاية غير مقيدة بأى قيد . غير أن طاغور ينكر على هؤلاء الهنود أنه يمكنهم بهذا السلوك ، أن يفوزوا بحريتهم الكاملة فى الحياة ، لأن النفس مهما كانت طهارتها لا تستطيع أن تعيش حرة على إحساسات ومشاعر وأفكار محبوسة فى داخلها لا تشغل بموضوعات خارجية ؛ وأن الإرادة مهما بلغ تحررها من الشهوات والرغبات ، ونالت من حرية روحية ؛ بأنها لا تحقق حريتها الكاملة فى الحياة ما دامت هذه الإرادة تنفر من العمل ، ولا تقبل أن تؤدى أية مهمة فى العالم الإنسانى ، غير أن تقطع علاقاتها بكل ما فى الأرض ، ناشدة بذلك تحقيق إدراك وحدة الوجود الشاملة الكامنة فى قرار الطبيعة الإنسانية .

وقد يتمادى بعض القوم ، ويظنون أن الخوض فى الحياة يسبب للانسان آلاما متنوعة ومتاعب جمة ، تقلق النفس ، وتدب فيها الخوف ، وتملؤها بالحزن كما يزعمون أن الموت نهاية الحياة فيكفى أن تقوم بأعمال تسد رمقنا ، وتبعد عنا قساوة الجوع والعطش ؛ إذ ما فائدة عمل متواصل يتجدد فى حياة يهددنا فيها الموت فى كل لحظة ! وطاغور لا يغفل ما فى الحياة من آلام قاسية ، ومتاعب مضنية ، قد تكشف عن خيبة الإنسان فى عمله وتبين له نقصه فى المعرفة ، وتشعره بضعف فى إرادته ؛ إلا أنه يقرر إنه إذا نظر إلى أعمالنا الفردية من ناحية محدودة ، يكون وقع الآلام قاسى على النفس ، أما إذا نظرنا إليها من ناحية أعم وأوسع ، فنشمل ما يقصد بها من تحقيق المثل الأعلى لكمال الحياة تشعر بالسرور ، وتذهب وطأة هذه الآلام عنا حين نعرف أن أعمالنا ترمى إلى غاية سامية يهون فى سبيلها المتاعب . كما يمكن أن نتجنب الفشل فى العمل بالمصابرة فى التدرب عليه حتى تتقن أدائه ؛ وأن نصلح ما نقع فيه من إخطاء با كمال نقصنا فى المعرفة ، وبالتزود بنور العلم ؛ وأن تقوى ما فى إرادتنا من ضعف بمحاربة الباطل والشر فى داخل نفوسنا وخارجها . وذلك كله يعمل على تقدم الحياة الإنسانية ورقيها . وقدرة الحياة على التقدم لدليل قاطع على كذب حس قوم يمعنون فى التشاؤم ، ويعتقدون أن الحياة شر فى شر ، وأن المؤمن فيها لا يجلب إلا الآلام والمتاعب . ولذلك يرى طاغور أن التشاؤم ليس إلا مجرد مظهر عاطفى أو عقلى ينبذ ما فى الحياة من سرور وقدرة على التقدم ، فيحدث قوى من الحزن المصطنع الذى يظمىء بدوره النفس إلى الاستزادة من التشاؤم ، ويبعث فيها اليأس والقنوط ، فتوقع الفشل فى كل عمل وتتوهم الموت فى المخيف المرعب فى كل خطوة ، فلا ترى فى الحياة إلا آلام وموت بينما يمكن التغلب على أسباب الآلام كما سبق أن ذكرت . أما الموت فما هو إلا حقيقة سلبية ، وليس حقيقة أخيرة فى الوجود ، وإنما الحقيقة اللانهائية فهى وحدة الكون الشاملة ، وما هو كذلك إلا حدث من أحداث الحياة التى يعد الموت جزءاً منها ، ولا يعبر عن حقيقتها إنما يعبر عن حقيقته فقط فلا يجب أن يفزعنا كل هذا الفزع ونقصر فى العمل ، ونهمل التجديد فيه ونقنع فيه بذلك العمل الذى تقرره لنا الطبيعة كما تعمل الحيوانات من أجل الطعام والشراب .

ليس هناك إذاً باعث جدى يمنع الإنسان عن العمل ؛ فإن الفشل سبيل إلى النجاح ، والألم وجه من أوجه السرور ، والنقص هو الذى يدفعنا إلى الكمال ، ويجعلنا عظماء فى الحياة . فلا يجب أن يفزعنا الألم والحزن ، ونتجنب العمل المتعب ، فإن حرية الروح فى تحمل المتاعب . وعلى الذين ينشدون تحرير أرواحهم ، ويريدون الحياة فى اللانهاية ، أن يزاولوا أعمالا مستمرة جدية ومجدية ، وأن يخلقوا ميادين متعددة للعمل ، ويجتهدوا فى ترقيتها وتوسيع نطاقها ، وألا يقنعوا بالأعمال البدائية التى تقررها لهم الطبيعة . فإن الاستمرار فى العمل يحرر قوى الإنسان ، ويعينها

القدرة على التجديد فيه . فإن الرجل الذى يحول غابة موبوءة إلى حديقة جميلة ، قد حرر قواه واستطاع أن يعطى هذه الحديقة جمالا يعبر عن جمال روحه ؛ أما إذا تعذر عليه أن يعطيها هذا الجمال ، فقد فشل فى تحرير روحه من الداخل ، وخاب فى التعبير عنها بالعمل ، وعليه أن يستمر فى مزاولة عمله والتدرب عليه حتى يحرر قواه فيتمكن من أن يظهر طبيعته فى مختلف نواحى النشاط الإنسانى . إلا أن هذا الإظهار لا يتم ما لم يتحرر العمل نفسه من ضغط الحاجة من ناحية ، ومالم يتميز كوسيلة يقصد بها وجه الله ، ومالم يرفض النظر إليه كغاية فى ذاته ، وينتظر من ورائها نفع قروى نحسب من ناحية أخرى . لأن الحرية الصحيحة لا تكتسب فقط بالعمل بل يشرط فى اكتسابها حرية الإنسان فى عمله ولا يساق إليه بحكم ظرف عارض مثل الفرق أو الجوع ، فإنه حين ذاك يعمل وفق المصادفة والإتفاق ، ويصير عمله نوعاً من التدبير الوقتى المصطنع الذى لا بد أن يتركه بعد أن يزول أو يتغير هذا الظرف العارض . فوق أن ضغط الضرورة يعوق النفس عن إظهار حقيقة طبيعتها فى العمل . ولذلك لا يجب أن يكون باعثنا على العمل الفرق أو الجوع ، وليكن دائماً دافعنا إليه حب الخير وتأديتنا له لوجه الله . فإن الذى يهب حياته لتحقيق فكرة سامية يقصد بها خدمة الوطن أو خير الإنسانية ، لا يبالى عادة بكل ما يقابله من عقابات ومتاعب وآلام ، بل يرحب بأن يضحى بحياته ، ويقدم على الموت فى سبيله تحقيق ذلك الخير الذى سيعم الجميع لأن أداء مثل هذه الأعمال الخيرة تعطى للحياة قيمة عليا ، يتلاشى فيها كل الحقائق المتناقضة ، أو يحرر بها الروح تحرراً كاملا من كل ما يتصل بالحياة ، ولا تدرك إلا حقيقة خالدة ، هى حقيقة وحدة الكون الشامل الذى يتجلى الله فى جميع أجزائه .

وأخيراً نلخص كل ما سبق فى أن طاغور لم يجد صعوبة فى التوفيق بين طلب العلم وأداء العمل وبين ما فهمه من تعاليم الهندوس . فرأى أن العلم من أروع الوسائل التى تقربنا من الطبيعة أو تساعدنا على الاندماج فى الكون والاتحاد بالوجود ، لأن القوانين التى يتوصل إليها العلم هى فى الأصل صور صغرى للحقيقة الكبرى ، وتبين أن هناك صلة عقلية وثيقة بين الإنسان والطبيعة ، وأنها فى اتحاد تام مع الأشياء . فالتزود بها ، والبحث عنها ، والاستمرار فى المزيد من الكشف عنها أمر ضرورى لكل فرد يريد أن يبرز الحقيقة الكبرى الكامنة فى نفسه ، ويدرك وحدة الوجود الشاملة . أما عن العمل فهو من أهم الوسائل التى تحرر قوى الروح ، وبعبر عن طبيعتها ، ويظهر أفكارها ومشاعرها وإحساساتها ، فتتحقق حريتها الكاملة فى الحياة ، وتفوز بالعيش فى اللانهاية .

عبد العزيز محمد الزكى

ليسانيه فى الفلسفة

تعقيبات

حتى الأستاذ الطناحى :

أعرف الصديق العزيز الأستاذ « طاهر الطناحى » أديباً محققاً يجمع فى ثقافته وفى كتابته بين طلاوة الحديث وعراقة القديم ، ولكن يظهر أن الحياة الصحفية تتعجله فى بعض الأحيان فيهفو، وقديماً قالوا لكل عالم هفوة ، وهو حكم يجرى على سائر العلماء .. حتى الأستاذ الطناحى .

شوقى . . . وليالى سطيح :

فقد كتب الأستاذ فى العدد الأخير من « الهلال » مقالا تحدث فيه عما كان « بين شوقى وحافظ » من منافسات ومدافعات فى ميدان الشعر وفى ميدان الحياة ، قال فيه :

« .. وكانت لشوقى بدوات وغفلات أغضبت حافظاً وحركت فى نفسه نزوة الشباب ، حتى إنه لما أنعم الخديوى عباس على حافظ برتبة البكوية وأقيمت له حفلة تكريم ترأسها شوقى صامتاً ولم يهنىء صديقه ببيت واحد ؛ ولم يفت ذلك حافظاً ، فحملها له مع ما حمل من أشياء ، ولما وضع كتابه « ليالى سطيح » تناول فيه ديوان « الشوقيات » الأول ونقده نقداً لاذعاً .. »

ثم أورد الأستاذ بعد ذلك ما قاله حافظ فى « ليالى سطيح » عن الشوقيات ...

قلت : هذه رواية تحتاج إلى تحرير وتصحيح ، فإن حافظاً قد أخرج « ليالى سطيح » للناس ، وقال فيها ما قال عن شوقى والشوقيات عام ١٩٠٨ م . أما حفلة التكريم التى أقيمت له لمناسبة الإنعام عليه برتبة البكوية ، والتى ترأسها شوقى صامتاً ، فقد كانت عام ١٩١٢م ، أى بعد ظهور « ليالى سطيح » بأربع سنوات ، وإذن فالحكم الذى انتهى إليه الأستاذ فى هذه الرواية غير صحيح ، لأنه بناه على مقدمات مغلوطة التاريخ .

مال واحتجب :

تلك واحدة ، وهناك ثانية ، فقد أورد الأستاذ فى مقاله الرواية التالية فيما كان « بين شوقى وحافظ » فقال :

« وحدث أيضاً أن أقيم مرقص فى قصر عابدين ذات ليلة ، فحرك هذا المرقص من شاعرية شوقى ، فقال فى وصفه قصيدته التى مطلعها :

مال واحتجب وادعى الغضب

فاتخذها حافظ وقتئذ وسيلة للتهكم والاستخفاف ، وسار يوماً فى نزهة مع صديقه المرحوم عبد العزيز البشرى بجزيرة الروضة وجعلا ينظمان قصيدة هزلية فى معارضة هذه القصيدة ، كان أحدهما يقول شطراً والآخر يقول شطراً ، ومطلعها :

شال وانخبط وادعى العبط
ليت هاجرى يبلع الزلط

إلى آخر تلك القصيدة التى بلغت ستين بيتاً .. »

قلت : وهذه أيضاً رواية تحتاج إلى تحرير وتصحيح ، فإن شوقى قد نظم قصيدته « مال واحتجب » فى وصف « البال » الذى أقيم فى قصر عابدين عام ١٩٠٤ م ، وكان هذا « البال » يقام كل عام ، وكان شوقى يصفه كل عام ، أما معارضة حافظ لهذه القصيدة ، فإنها ترجع إلى تاريخ قريب ، وهو يوم أقام أدباء العربية مهرجان المبايعة بأمارة الشعر لشوقى عام ١٩٢٧ م .

ذلك أن صديقنا الشاعر المرحوم محمد الهراوى كان يرى أن لقب « أمارة الشعر » بدعة ، وأن لكل شاعر مكانته ووضعه وامتيازه فى عالم الشعر ، فلما توجهت الدعوة لإقامة ذلك المهرجان لشوقى ، أخذ الهراوى يحرض أصدقاءه من الشعراء على مقاطعة ذلك المهرجان ، وعلى عدم مبايعتهم لشوقى بلقب الأمارة ، وكان يعمل مع حافظ فى دار الكتب فتحدث معه فى هذا الشأن ، كما تحدث مع الشيخ عبد المطلب ، وفى ليلة اجتمعوا ومعهم لفيف من أصدقاء الهراوى وأصدقاء حافظ وأمضوا سهرة صاخبة فى مقهى فى نهاية العباسية بشرب فيها من شرب ، وطرب من طرب ، واستخفهم التهكم على شوقى ، فأخذ حافظ ينشد :

شال وانخبط وادعى العبط

وأخذ الحاضرون يجيزون على هذا النمط حتى بلغوا بالقصيدة ستين بيتاً ، كما يقول الأستاذ الطناحى ، وكان الهراوى رحمه الله يقيد ما يقال ...

وفى الصباح اجتمع حافظ والهراوى ومن معهما فى دار الكتب وأنشد الهراوى هذه الأبيات :

إن شوقى شاعر كلنـا أجلّه
غير أنّا معشر ليس يرضى ذله
وهى « جمهورية » لا ترى محـله

أما حافظ ، فإنه أخذ ينشد الحاضرين ما أعده لمبايعة شوقى بأمارة الشعر ، فعجب الحاضرون ، وصاح فيه الهراوى : أين ما اتفقنا عليه ؟ ! فقال حافظ : أجل ، إننى عند ما اتفقنا عليه بالنسبة لكم ، أما بالنسبة لى ، فإنى لا أستطيع أن أتخلف عن مبايعة شوقى فى ذلك المهرجان ، لأننى رجل جبان ... !

رحم الله حافظاً ، وطيب ثراه ، فوالله لقد كان شجاع الرأى والقلب ، جرئ الضمير والجنان ...

بين شوقى وحافظ :

والواقع أن ما كان « بين شوقى وحافظ » قد صوره حافظ فى شعره وفى نثره وأفصح عنه ، على حين كان شوقى يطوى ذلك فى نفسه ، ويصوب إلى منافسه الضربات العملية لا الكلامية .

كان حافظ فى بداية الأمر يضع شوقى أمامه ، ويشهد له بالسبق ، فتراه حين يتقدم لمدح الخديوى فى عيد الجلوس عام ١٩٠١ م يقول :

ما ذا ادخرت لهـذا العيد من أدب ؟
فقـد عهدتك رب السـبق والغلب
لم يبق (أحمـــد) من قول أحاوله
فى مدح ذاتك ، فاعذرنى ولا تعِبِ

ثم يأتى العيد الثانى فيبقى حافظ على عهده فيقول :

يا ليـلة ألهمتنى ما أتيه به على حماة القوافى ، أينما تاهوا
إنى أرى عجباً يدعو إلى عجب الدهر أضحره والعيـد أنشاه
قل الألى جعلوا للشعر جائزة فيم الخلاف ؟! ألم يرشدكم الله ؟
إنى فتحت لها صدراً تليق به إن لم تحـاولوه فالرحمن حلاه
لم أخش من أحد فى الشعر يغلبنى إلا فتى ما له فى السبق إلاه
ذاك الذى حكمت فينا براعتـه وأكرم الله والعباس مثواه

بل لقد رضى حافظ لنفسه أن يتشبه بشوقى ، لا أن يقف معه فى ميدان المنافسة ، فتراه يمدح الخديوى فى عيد الفطر فيقول :

مطالع سعد أم مطالع أقمار تجلت بهذا العيد أم تلك أشعارى ؟
إلى سدة العباس وجهت مدحتى بتهنئة شوقيّة النسج معطار

ولكنا بعد ذلك نرى حافظاً يتغير على شوقى ، ويلق به إلى الخلف ، ويعلن عليه هذه الغارة الشعواء إذ يقول فى مدح الخديوى:

طف بالأريكة ذات العز والشان
واقض المناسك عن قاصٍ وعن دان
يا عيـد ... ليت الذى أولاك نعمته
بقرب (صاحب مصر) كان أولانى
صـفت القريض ، فمـا غادرت لؤلؤة
فى تاج كسرى ، ولا فى عقـد بوران
شكا عمان ، وضج الغائصون به على اللآلى ، وضج الحاسد الشانى
كم رام شأوى فلم يدرك سـوى صدف
سامحت فيــه لنظـــام ووزان

عابوا سكوتى ، ولولاه ما انطقوا ولا جرت خيلهم شوطاً بميدان
اليوم أنشدهم شـعراً يعيد لهم عهـد النواسى أو أيام حسان
أزف فيـه إلى العباس غانية عفيفة الخدر من آيات عدنان
من الأوانس جلاها يراع فتى صافى القريحة صاح غير نشوان
ما ضاق أصغره عن مدح سيده ولا استعان بمدح الراح والبان
ولا استهل بذكر الغيد مدحته فى موطن بجلال الملك ريان

وهـكذا أخذ حافظ يغمز شوقى ويقرصه فى كل مناسبة ، وكان من ذلك حملته عليه فى كتابه « ليالى سطيح » ، وله شعر فى هجائه ، يعف القلم عن إيراده ...

خلاف بين طبيعتين :

وهذا الذى كان « بين شوقى وحافظ » لا يمكن أن نسميه « خصومة » ، وإنما هو مظهر لخلاف بين طبيعتين ...

فقد كان شوقى فى ميدان السباق كالجواد الحر ، يغار من ظله ، ولا يطيق أن يرى أحداً يلحق بغباره ، ومن المعلوم أنه كان يعيش فى رحاب الخديوى ، وكانت له عنده حظوة بالغة ، وكلمة نافذة ، ومشورة مسموعة ، ولكنه لم يحاول أن ينفع أحداً من الأدباء والشعراء بجاهه هذا ، بل إنه كان يدس الدسائس ولا يتورع عن الأساليب النابية فى قطع الطريق على كل متقدم ، وبهذا الدافع وقف لحافظ — وهو الذى كان يخافه — بالمرصاد ، فسد فى وجهه باب الخديوى ، وقطع عليه الصلة بالخلافة العثمانية ، وساعدته الأقدار فحرمت حافظاً أكبر عطف بموت الأستاذ الإمام ، فلم يجد حافظ أمامه إلا الشعب ، فعاش للشعب وبالشعب

تلك كانت طبيعة شوقى ، أما حافظ فكان أوفى منه إنسانية

وأسمح طبعاً ، لقد كان يحمل بين جنبيه قلباً يود لو يسع فيه كل محروم ومظلوم ، ويود لو يستطيع أن يوزعه على الجميع ، ثم لا يبقى له منه شيئاً ...

أذكر أني كنت معه في مرة أنا والمرحوم صديقنا الأستاذ ابراهيم الجزار الممثل ، وكان ابراهيم يجيد إلقاء الشعر كأروع ما يكون ، فطلب منه حافظ أن يلقي عليه بعض ما يحفظ ، فأخذ ابراهيم يلقي عليه قصيدته التي قالها في مبايعة شوقي بالإمارة ، وأخذ حافظ يهتز مجاوباً لنغمات الإلقاء ومقاطعه ، وبعد الإنشاد أخذنا نسأله عن رأيه الحقيقي في شعر شوقي ، فما تكلم عن شوقي الشاعر ، ولكنه أخذ يتكلم عن شوقي الرجل فقال : « إن شوقي رجل نذل » ، وقص علينا كيف جاء المرحوم الشيخ عبد المحسن الكاظمي إلى مصر غريباً طريداً ، فطمع أن يكون له في رحاب الخديوي متسعاً ، ولكن شوقي خشي منافسة الشاعر العراقي ، فسد عليه الباب وقطع عليه كل رجاء ، وكفر في هذا بأخوة الأدب ، وأخوة العرب ، وبالواجب نحو رجل شطت به الدار ، ووجد السيد عبد المحسن في الأستاذ الإمام حمى ، ولكن الحمام لم يمهل الأستاذ الإمام ... وهنا تهدج صوت حافظ ، ودمعت عيناه ، ولم يستطع أن يتم الحديث ...

لهذا كانت نزوات حافظ تثور على شوقي ، ولهذا كان يناله بقارص الكلم أحياناً في شعره وكثيراً في مجلسه ، ولكنه رحمه الله كان يحب خليل مطران كل الحب ، ويثني عليه كل الثناء ، ذلك لأنهما كانا متوافقان إنسانية وأريحية ، كما كان يثني على أحمد محرم وأحمد الكاشف وأحمد نسيم ويذكرهم بالخير ، فهل كان يبلغ به التهافت بعد ذلك أن يجحد شاعرية شوقي بجانب هؤلاء ...

كلا ! إن حافظاً لم يجحد شوقي من ناحية شاعريته ، ولكنه — كما قلنا — كان يجحده من ناحية إنسانيته ...

نفي شوقي عن مصر ، فشمت فيه أولئك الذين كان يقف في طريقهم . أما حافظ ، فقد جزع عليه غاية الجزع ، واشتد الحنين بشوقي إلى النيل ... فأرسل بهذه الزفرة الحارة :

يا ساكني مصر إنا لا نزال على عهد الوفاء — وإن غبنا — مقيمينا
هلا بعثتم لنا من ماء نهركم شيئاً نبل به أحشاء صادينا
كل المناهل بعد النيل آسنة ما أبعد النيل إلا عن أمانينا !

فأجابه حافظ بتلك الزفرة الصادقة :

عجبت للنيل يدري أن بلبله صاد ويسقي ربى مصر ويسقينا
والله ما طاب للأصحاب مورده ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا
لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه وقد نأينا ، وإن كنا مقيمينا !

ألا رحم الله الشاعرين الكبيرين ، فقد نأيا عنا بجسمهما ، ولكنهما بيننا ملء السمع والبصر بروحهما وبفنهما ، وكم بيننا من الحاضرين بأجسامهم ، ولكنهم في الغائبين النائين ...

« الجاحظ »

أنوار الجحيم ...

من عذيري من الهوى والتصابي بعد ما أبلت الغواني شبابي ؟
إنني اليوم بين أهلي غريب لم أجد لي مواسياً في مصابي
كلما أترع الأسى لي كأساً قلت حسبي ما ذقته من عذاب
خطرات في شرة وعرام تتنزى ... قد حطمت أعصابي
هي كالنار في الهشيم ... وكالإعصار يجتاح ناضرات الروابي !
غادة تأسر النفوس بدل مستبد على النهى غلاب
عشت في ظلها الظليل وأفضت بي إليها يوماً مطايا الرغاب
وترشفت من لماها رحيقاً قدسياً ما صب في أكواب
أين منه ما أحرزته بنات النحل أو ما عصرت من أعناب ؟
ورأيت الجمال فيها يغني وغناء الجمال أصداء غاب
توقظ المغنيات من ذكرياتي وتغشي وجوهها بالضباب
في الضحى والمساء أزجي إليها صلوات العبيد للأرباب
كطيور قد حلقت ... تتناجى بأغاريدها الرقاق العذاب !
كل سرب يمر يتلوه سرب والهوى طائر مع الأسراب
يا غناء قد ضاع في مجهل الليل ضياع الوفاء في أصحابي
أنت عندي أشلاء حب عزيز دنست طهره معاني التراب
وحطام من ذكريات غوال أنا منها في موعد كذاب !
دفنتها الهموم في ظلمة الفكر فلاحت مركومة كالسحاب
ما بقائي وقد مضى أحبابي وصحا القلب من خمار الشباب

محمد علي مخلوف

الأدب والفن في أسبوع

شوقي وحافظ :

تقع ذكرى أحمد شوقي أمير الشعراء في هذا الشهر (أكتوبر) فقد توفي في اليوم الرابع عشر من سنة ١٩٣٢ وقد بدا الاهتمام بهذه الذكرى في عدة مظاهر، منها تلك الحفلة التي قالوا إنهم سيقيمونها في (أوبرج) الأهرام، والتي عرف قراء الرسالة أمرها مما كتبناه عنها في عددين ماضيين، وقد علمت أن هذه الحفلة لن تتم على الوضع المزري الذي رسموه لها، فقد عارض بعض أعضاء اللجنة في ذلك الوضع، وأباه كذلك بعض الشخصيات الكبيرة التي طلب إليها أن تشترك أو تشرف على الحفلة، وقالوا جميعاً كما قلنا إنه لا يليق أن يحتفى بذكرى شوقي احتفاء لاهياً مسمراً (بالأوبرج).

ومن مظاهر الاهتمام بذكرى شوقي، العدد الخاص الذي أصدرته زميلتنا مجلة «الكتاب» وقد جمعت بين ذكرى شوقي وحافظ في هذا العدد، لأنهما توفيا في سنة واحدة إذ كانت وفاة حافظ في اليوم الحادي والعشرين من شهر يولية سنة ١٩٣٢، فتكون قد مضت خمسة عشر عاماً على وفاة الشاعرين اللذين اقترن اسماهما في الحياة وفي الخلود.

وقد قصرت «الكتاب» أبوابها على البحث في شعر شوقي وحافظ، والتزمت في كل بحث الموازنة بين الشاعرين في مختلف نواحيهما؛ وقد صدر العدد بفصل للأستاذ عادل الغضبان رئيس التحرير عنوانه «متحف» ذهب فيه إلى أن الشعر، وهو أحد الفنون الجميلة، له كما لها متاحف، وإن كانت قطعه لا تضمها الغرف والأبهاء، وإنما تعرض في «الديوان» فديوان الشاعر هو المتحف الذي يمنيه.

وأخذ الأستاذ في الدلالة على الموسيقى والتصوير في ديواني شوقي وحافظ، فبين الارتباط بين الأصوات والمعاني في قطع من شعرهما، وقد أفرط في ذلك كما صنع في بيت حافظ التالي الذي يصف به هيجان البحر :

عاصف يرتمي وبحر يغير أنا بالله منهما مستجير

فقد جمل يبين دلالة الحروف على صوت العاصفة ودوي البحر والفزع إلى الله، فقال : «فصوت العاصفة تتخيله الأذن في الصفير المنبعث من اجتماع الصاد والفاء بعد الألف في كلمة (عاصف) ولا فضل للشاعر فيها إلا أنه اختار فأحسن، ورنة الضربة تدوي في المقطع الأخير من (يرتمي) كأنه صدى ثقل من الأثقال ارتطم بألواح السفينة ثم إن هدير الأمواج وهي غائرة تحمله إلى السمع هذه الغين وهذه الياء الممدودة بعدها في كلمة (يغير) فهما صوت البحر الثائر الخائر مثلا بمثل ونغمة الأمل والدعاء تتصاعد من اللام الثانية في كلمة (بالله) ومن حرف المد في كلمة (مستجير)».

وقد أمعن الأستاذ في ذلك حتى خلته يريد أن يجمع خصائص حروف الهجاء في متحف ... وقد ذكرني هذا الصنيع بنادرة يحكونها عن حافظ، إذ قال مرة لأحد علماء الدين : بلغني أن هناك مؤلفاً في «الوضوء» يقع في عدد من المجلدات الضخمة وإنه ليسهل على المرء أن ينغطس في الماء سبع مرات ثم يقوم إلى الصلاة، ولا يتعب نفسه بقراءة هذا الكتاب! وعلى هذا تستطيع أن تؤكد للأستاذ عادل أنك مقتنع بأن البيت يدل على كل شيء دون حاجة إلى ما أسهب فيه من بيان أصوات الحروف ونغمات المدود ...

وقد أحسن الأستاذ بالاستعانة بريشة الرسام إلى جانب قلمه في تجلية بعض الصور التي اشتمل عليها ديوانا شوقي وحافظ، ولكن الصورة التي رسمت بإزاء بيت حافظ :

واسقنا يا غلام حتى ترانا لا نطيق الكلام إلا بهمس

لم تكن موفقة، فهي تمثل الشُّرَّاب والساقي في أزياء من العصور القديمة، وبأيديهم آنية قديمة، كأن قائل البيت أبونواس لا حافظ إبراهيم، على أن أشخاص الصورة يبدون في غاية الوقار كأنهم في حلقة درس لا في مجلس شراب ..

الآراء القديمة في شوقي وحافظ :

الأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور طه حسين بك والأستاذ إسماعيل مظهر والأستاذ محمد توحيد السلحدار بك ، كان لكل منهم رأى قديم فى شعر شوق وحافظ ، فهل ظلوا على آرائهم أم جلا لهم الزمن آفاقاً جديدة ينفذ فكرهم منها إلى رأى جديد ؟ سألتهم مجلة « الكتاب » هذا السؤال فأجابوا :

قال الدكتور طه إنه لم يغير رأيه فيهما ، ومما قاله عنهما : « وإذا لم يبلغا من التفوق ما كنت أحب لهما وأتمنى للشعر العربى الحديث فقد لا ينبغى أن نلومهما فى ذلك وأن نذكر قول عمرو ابن معدى كرب :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرَّتِ

فلم يكن هذان الشاعران إلا مرآتين صادقتين للعصر الذى عاشا فيه ، وقد أديا إلينا ما ألهمهما هذا العصر فأحسنا الأداء » .

ويحضرنى — لذلك — رأى للدكتور طه حسين فى كتابه « حديث الأربعاء » مؤداه أننا لا نعد الشاعر شاعراً إلا لأنه يعبر عن بيئته ويصور عصره فيحسن التعبير والتصوير . ورأى الدكتور طه فى شوق وحافظ أنهما لم يبلغا من الشعر ما يحب . فأى الرأيين ما زال يرى ..؟

ورأى الأستاذ مظهر القديم أن خيال الشاعرين أرضى وأن نزعاتهما أرضية على خلاف طاغور شاعر الألوهية . وقال إنه لا يزال عند هذا الرأى ، وهو يرى أن الشعر ليس اللفظ ولا الوزن ولا القافية ولا الموضوع ولا الأداء ، لأن هذه أعراض ، وإنما الجوهر أثره فى نفسك ، وقليلا ما يخاطب الروح أو النفس شعر شوقي وشعر حافظ ...

ومجمل رأى السلحدار بك الذى نشره منذ تسعة وثلاثين عاماً ، أنه يرجح كفة حافظ على شوق ، لأن الأول شاعر الجلال ، والثانى شاعر الجمال ، والجلال فوق الجمال ؛ ولأن ملكة اللغة العربية كانت راسخة فى حافظ أكثر من رسوخها فى شوق ؛ ولأن شعر حافظ بما فيه من نفحات القوة والقومية شاف للنفس ، أما شعر شوق فكان شعر الرفاهة والنعيم ؛ ولأن حافظاً أكثر كناية عن وجدانه فى شئون وطنه ؛ وشوق أبعد منه عن ذلك . وقال إن الشاعرين قرضا بعد ذلك شعراً كثيراً فى نحو ربع قرن ، وإنه لا يصح الجواب عن السؤال بغير مراجعة هذا الشعر ، ولا تسعد الحال على ذلك إلا فى مدى طويل ، ولكنه مع ذلك يجيب بقوله : « أغلب الظن أن حافظاً ظل يقول أكثر شعره فيما يتعلق بالشئون القومية ، ولم يستمر فى محاولته التخلص من أغلال طريقته القديمة ، أما شوق فلولا تهكم بعض أئمة الأدب القديم على قصائده فى صباه عقب عودته من أوربة لكان التجديد أظهر فى شعره »

أما الأستاذ العقاد فقد قال إنه دون فى مذكراته اليومية قبل نيف وثلاثين سنة أن اسم الشاعر بلغتنا يشير إلى تعريفه ، فليس الشاعر من يزن التفاعيل ، وليس بصاحب الكلام الفخم واللفظ الجزل ، ولا من يأتى بروائع المجازات وبعيد التصورات ، إنما الشاعر من يشعر ويُشعِر . وكان بهذا المقياس يقيس شوقياً وحافظاً ، فقال عن حافظ : « يعجبنى منه ذاك الجلال ، وإن كنت أعتقد أن الجلال الظاهر لا يتطلب من شعرائه سمواً فى المشاعر أو أفضلية لها على شعراء الجمال » إلى أن قال « وأما فيما عدا ذلك فشعر حافظ ، كما قال فيه الدكتور شميل — ولم يرد أن يطريه — كالبنيان المرصوص متين لا تجد فيه متهدماً ، فهو يعتمد فى تعبيره على متانة التركيب وجودة الأسلوب أكثر من اعتماده على الابتداع أو الخيال »

وقال الأستاذ الكبير إنه كان يعيب « رسميات » شوق دائماً أو تقليدياته . ثم قال إن هذا الرأى فى الشاعرين لم يتغير كثيراً ، ولكنه يرجع فيهما إلى مقاييس أعم وأوسع ، وأجمل هذه المقاييس فى ثلاثة ، أولها أن الشعر قيمة إنسانية وليس بقيمة لسانية ، وثانيها أن القصيدة بنية حية وليست قطعاً متناثرة يجمعها إطار واحد ، وثالثها أن الشعر تعبير وأن الشاعر الذى لا يعبر عن نفسه صانع وليس بذى سليقة إنسانية . ثم قال : « وإذا عرضت الشاعرين — شوقياً وحافظاً — على هذه المقاييس الثلاثة صح أن تقول : إن حافظاً أشعر ولكن شوقياً أقدر ، لأن ديوان حافظ هو سجل حياته الباطنة لا مراء . أما ديوان شوق فهو (كسوة التشريفة) التى يمثل بها الرجل أمام الأنظار »

رأى المازنى :

والأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى هو الباقى من نقاد شوقى القدماء ، وقد تفقدته بينهم فى « الكتاب » ولكنى وجدته فى « الهلال » أعنى وجدت مقالا له عن شوقى ، أما هو نفسه فلا أتمثله إلا جالساً إلى مكتبه فى « معمل مقالاته » يكتب .... ويكتب . هذه مقالة لأخبار اليوم ، وثانية للمسامرات ، وثالثة للاثنين ، ورابعة للبلاغ ، وخامسة للمصرى ، و ... الخ ويخيل إلى أنه يكتب مقالات (جاهزة) لتدفع إلى من يطلبها دون انتظار

والمقالة التى كتبها للهلال عن شوقى ، هى وإن كانت من (الموصى عليه) إلا أنها على كل حال من نتاج « المعمل » فهى متأثرة بجوه الذى تسوده سرعة الإنجاز ، فالأستاذ ليس متفرغاً لإنضاج رأى جديد فى شعر شوقى ، بل لتذكر رأيه القديم ... فلا بأس بأن يملأ بعض الصفحات ببعض الحوادث والنوادر التى جرت بينه وبين شوقى ، حتى إذا جد الجد فاقتضى الحال أن يقول شيئاً فى شعر شوقى قال : « وما زال رأيى فى شعره كما كان .. وهو أنه كان فى صدر حياته أشعر منه فى أخرياتها ، ولكنه فى العهد الأخير كان أبلغ عبارة وأعلى بياناً » وليس هذا هو رأيه الذى كان .. لأن المازنى هو أحد أستاذى المذهب الجديد الذى عارض شوقى والذى نراه فى كلام العقاد الأستاذ الآخر للمذهب الحديث. وقال إن شوقى « اقتنع بأن نظم القصائد على الطريقة القديمة التقليدية عبث وباطل ليس بجدى ، فتحول إلى وضع الروايات الشعرية التمثيلية » فهل وضع الروايات الشعرية يقتضى أن نظم القصائد عبث وباطل ؟ وهل تحول شوقى عن نظم القصائد ؟ والأستاذ نفسه يقول بعد ذلك إنه « لم ينقطع عن نظم القصائد المألوفة » فكيف يتفق هذا وذاك ؟ وقال الأستاذ المازنى إن شوقى مدين لخليل مطران بك لأنه « أول من أدخل شيئاً من التجديد على الشعر فى مصر وتبعه شوقى » وقد أسرف القوم فى الإشادة بتجديد مطران ، وما نراه يفترق كثيراً فى التجديد عن شوقى وطبقته ، بل تجديد شوقى أظهر فى التمثيليات لا من حيث النوع فحسب بل كذلك فى المنحى الشعرى .

وبعد فالمازنى رجل له ماضيه فى الأدب ، كما قلت فى مناسبة سابقة ومن حقنا بل من واجبنا ألا نغفله ...

إمارة الشعر :

رأت مجلة « الهلال » بمناسبة ذكرى شوقى أمير الشعراء أن تستفتى القراء فيما يلى :

(١) من هم الشعراء الخمسة الأول بين شعراء العرب الأحياء فى مصر وسوريا ولبنان والعراق وشرق الأردن والحجاز ؟

(٢) من هو أجدر الشعراء بلقب الإمارة الآن ؟

فأولاً — هل إمارة الشعراء منصب شاغر نشعر بضرورة ملئه ؟ وهل دولة الشعر فى حاجة إلى أمير ينظم أمورها ويقوم على شئونها ويحفظ الأمن فى أرجائها ويحمى ثغورها وأطرافها ويدفع عنها وباء الكوليرا .. ؟

لقد كان إطلاق لقب « أمير الشعراء » على شوقى حادثاً فذاً ، لم يسبق له نظير فى تاريخ الشعر العربى رغم أحاديث المجالس التى كان يسأل فيها عن أشعر الشعراء ، ولم يكن أشعر الشعراء إلا قائل بيت أو بيتين أو أبيات وقعت فى نفس المجيب عن السؤال موقعاً حسناً ، على أنه لم يصر لقباً لأحد ، كما أنه ليس لهذا اللقب نظير فيما نعلم من الأمم الأخرى ، وإطلاقه على شوقى كانت الدعاية أهم أسبابه . فلم نتشبث به الآن ؟

وثانياً — لو سلمنا بلزوم أمير للشعراء ونظرنا فى طريقة استفتاء الهلال فيمن هو أجدر بلقب الإمارة الآن — لوجدنا هذه الطريقة غير سليمة ، لأن الذين سيجيبون الاستفتاء وينتخبون أمير الشعراء أقلهم من يقرأ الشعر ويتذوقه ويعطى (صوته) راشداً ، والأكثرون ليسوا كذلك ، بل منهم من لا حظ له إلا سماع أسماء المشهورين من الشعراء ، فهل تؤدى حكومة هؤلاء ، إلى حكم مقبول ؟ والشعر الآن يتجه اتجاهات جديدة لا يستطيع فهمها وتقديرها إلا خواص الأدباء ، فكيف يحكم فيها عامة القراء ؟

ويأخذ الكثيرون على قانون الانتخاب العام أنه يجعل للأميين حق الانتخاب ، والواقع أن هؤلاء الأميين يستطيعون تقدير كفايات أعضاء البرلمان أكثر مما يستطيع كثير من قراء الصحف والمجلات تقدير الجدارة بلقب أمير الشعراء .

« العباس »



فرعون :

للكلمة فى الرسالة ٧٤٧ : فرعون بكسر الفاء وفتح العين وبضم الفاء وضم العين ، وبضم الفاء وفتح العين ، وهاتان لغتان نادرتان . والاثنان هو — كما يقول أبو زياد — أو هما — كما يقول أبو الجراح — من حزب همزة الوصل .

(س)

إلى الأستاذ العمارى

قرأت فى العدد ٧٤٣ من الرسالة الغراء كلمة قيمة للأستاذ على العمارى بعنوان « شىء من الصراحة » بحث فيها مشكلة الضعف الذى عم الطلاب فى اللغة العربية ، وأسبابه التى أدت إلى التواء ألسنتهم ، والعلاج الذى يراه لهذا الداء الذى يهدد كيان اللغة الوطنية التى نعتز بها .

وإنى أوافقه فيما يراه . ولكن الأستاذ قد ذكر أن « فى مدرسة عالية همها تخريج مدرسين للغة العربية يترك الطلاب كتاب الأشمونى ليقرءوا ملخصاً له وضعه أحد الأساتذة كأنهم فى مدرسة ابتدائية ثم هم يمتحنون فى هذا المختصر »

ولا شك أنه يعنى بهذا « كلية دار العلوم » وأحب أن أبين للأستاذ أن أساتذة دار العلوم ما زالوا يشرحون « حاشية الصبان على الأشمونى » ويكلفون الطلاب باستذكارها ، ومعظم أسئلة الامتحان تطبيق على مسائل فى الحاشية .

وإنى إذ أقرر هذه الحقيقة لست ممن يدعو إلى دراسة الحواشى وضياع الوقت فى مناقشات لفظية عقيمة ، فإن قيل إنه لابد من ذلك لكلية اختصت بدراسة اللغة العربية . أجبنا إن أرادوا هذا فليرفعوا عن كاهل الطالب فى دار العلوم ما لا صلة بينه وبين علوم اللغة من مثل « الطبيعة والكيمياء واللغة العبرية ، واللغة الفارسية » لأن لهذه العلوم كليات اختصت بها ، والطالب قد درس ما يكفيه من بعض هذه العلوم فى المرحلة الثانوية .

محمد هاشم عبد الدايم

حول قصيدة :

نشرت « الرسالة » فى عدد مضى مقالة للأستاذ محمد هاشم عطية بعنوان « فى العراق الشقيق » . وفى آخر المقالة قصيدة للأستاذ ألقاها فى الربيع الماضى ترحيباً بالوفد السودانى عند زيارته لبغداد ؛ قال فيها :

واسألوا الدهر والقرون الخوالى   فسيشهدون أننا أخوان

والبيت مكسور

وتخطر فوق الأصيل ندياً   من نشر الربا وطيب المجانى

والبيت مكسور « وفوق الأصيل » تعبير لا يسوغه الذوق والبيت لا تجمعه مناسبة بين ما قبله وما بعده من الأبيات .

فهنيئاً لكم بما قد حبيتم   ثقة الشعب وحى هذا الأوان

فقوله « وحى هذا الأوان » تكملة للبيت لا غير دون نظر إلى المعنى أو الأسلوب أو المقام .

ويقول فى تصوير عمل المستعمر بوحدة النيل وعجز ذلك عن التفرقة بين مصر والسودان :

كان منها مكان ناطحة الصخر   بقرن عضب ورأس هدان

نعم فلم يصنع المستعمر شيئاً وكان كناطحة الصخرة الصماء بقرنها ؛ فالشطر الأول قوى وسليم ؛ أما الشطر الثانى فلا أدرى ما فائدته ، فالماشية مثلا تنطح بقرونها ورأسها ، ووصف القرن بعضب والرأس بهدان لا يجدى شيئاً . وشتان بين البيت وقول الشاعر :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها   فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وقوله بعد البيت — ببيت واحد — :

تعصف الحادثات من جانبيها   فى الصفا الصم من ذرى ثهلان

يدل على ضعف قوة هذه الوحدة أمام الحوادث ، وما كان أغناه عن ذلك .

وبعد فليس فى القصيدة إلا الوزن والألفاظ ، وما كان أغنى الأستاذ عن أن يعد نفسه فى زمرة الشعراء .

محمد عبد المنعم خفاجى

مكتبة دقهر :

من محاسن المصادفات أنه فى الوقت الذى كتب فيه الأستاذ (العباس) كلمته اللاذعة من بعض عيوب دار الكتب المصرية

(عدد ٧٤٣) وافانا البريد الأمريكي — ضمن رسائله — بتقرير هام بالنسبة لنا عن مكتبة بلدة أمريكية صغيرة تدعى (دنفر Denver) . ووجه الأهمية فى هذا التقرير أنه يوضح لنا بجلاء كيف أمكن لبلدة صغيرة كهذه أن تؤسس لها مكتبة ناجحة ومن ثم يساعدنا على استنتاج أن علة جود دارنا ونشاط دور الكتب الأمريكية مثلا ليست — كما يعتقد الكثيرون — راجعة إلى الفرق الواضح بين مصر وأمريكا من حيث عدد السكان أو الثروة العامة أو ما شابه ذلك بقدر ما هى راجعة إلى الفرق بين نظام ونظام وبين اتجاه واتجاه .

ذلك لأن مهمة دور الكتب عندهم بصفة إجمالية ليست مجرد « إعارة الكتب » لمن يستطيع أن يستعيرها كما هو حادث لدينا بل تيسير الثقافة بصفة شاملة تيسيراً جدياً ومجدياً للمواطنين جميعاً كباراً وصغاراً على اختلاف ظروفهم وأمزجتهم وحالاتهم المادية والثقافية . بمعنى أن دارنا تعرض كتباً لا يستفيد منها غير الأدباء غالباً بينما دورهم تعرض مراجع من كل لون وفن بحيث يمكن أن يستفيد منها الزارع والموظف والتاجر والتلميذ والكاتب والشاعر والفيلسوف وذو الثقافة المحدودة والمليونير والفقير والرجل والمرأة إلخ . وبمعنى أن دارنا تترك كل فرد لنفسه يتخبط — إن استطاع — فى طريقة البحث بينما دورهم تتعاون معهم تعاوناً وثيقاً فتهيء لهم طرق التحصيل المثمر كما تنظم مناظرات فى كل أنواع « المعرفة » ومحاضرات مشوقة للأطفال وأحاديث مناسبة للسيدات وتصدر نشرات سنوية وأحياناً نصف سنوية عن جهودها ونظمها وتطوراتها وما يوجه إليها من نقد وما تتوخى إصلاحه .. إلخ .

ولعل هذا كله راجع إلى سبب أصيل هو شغفهم — دوننا مع الأسف الشديد — بتثقيف أنفسهم فى شتى مرافق الحياة بدليل لا يقبل الجدل وهو أن دورهم لا تعتمد على الحكومة كدارنا بل على المواطنين أنفسهم فهم الذين يتولون وحدهم شؤونها من إنفاق أو إدارة أو إشراف . والنتيجة المنطقية التى لا مناص منها أن نشاطنا الثقافى يخضع حتما للاجراءات الحكومية بقدر ما تسمح به « الميزانية » و « اللوائح » حتى لقد أصبح من الأمور العادية التى نسمعها بغير دهشة أن كتاباً (كالأغانى) مثلا لا تزال بقية من أجزائه « تحت الطبع » بالدار منذ سنوات طويلة ... وكتاباً مثل (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) لا يزال دون طبع إطلاقاً فيما عدا جزءاً واحداً منه ... وكم من كتب قيمة لم تطبع بعد أو لم تجلد بعد أو لم تصحح بعد وهكذا !

يمكن أن يقال إذن أن معظم الفرق بيننا وبينهم بهذا الصدد لا يمت إلى اختلاف عدد السكان أو الثروة العامة أو نحو ذلك بصلة كبيرة . وإلا فإنه من غير المعقول أن تقارن — من هذه النواحى — بين عاصمة عظيمة كالقاهرة وبلدة صغيرة جداً مثل (دنفر) فهذه بلدة لا يكاد يدرى بها أحد إذ لا يزيد تعدادها الآن عن ١٥٨٠٠٠ نسمة وليس لها ميزة معينة ولا شهرة خاصة ورغم هذا فقد استطاعت مكتبتها — حسب ما جاء بالتقرير الذى أسلفت الإشارة إليه — فى فترة قدرها حوالى ٤٠ سنة بعد إنشائها أن تمحو الأمية والجهالة من البلدة وضواحيها محواً تاماً ولا تزال عاملة إلى الآن على نشر المزيد من الثقافة والمعرفة بمنتهى الجد والنشاط . ويكفى شاهداً على مقدار تقدمها أن كل ثروتها عند افتتاحها عام ١٨٤٢ كانت ٣٥ مجلداً فبلغت اليوم ٥٠٠٫٠٠٠ مجلد تقريباً أى ما يعادل ثلاثة أمثال عدد المواطنين جميعاً .

وليست العبرة بكثرة ما فى المكتبات من مجلدات وإنما بمقدار تداولها والاستفادة منها طبعاً .. ولهذا نجد أن أهم الأقسام فى هذه المكتبة وأضخمها جهداً هو قسم التوزيع كما نجد أن أبرع أعماله هو توصيل الكتب بواسطة سيارات معدة لهذا الغرض إلى القاطنين فى الضواحى أو القرى المجاورة وإلى الفلاحين فى مزارعهم وإلى العمال فى مصانعهم وإلى المرضى فى المستشفيات ... إلخ . وعلى ذلك يندر — كما يؤيد التقرير — أن تدخل منزلا هناك دون أن تجد فى أوقات الفراغ رب البيت يقرأ ما يزيده خبرة أو متعة .. وربة البيت تقلب بين يديها (كتالوجات) عن فنون الطهى وألوان الطعام .. والأطفال يستمتعون بكتب مزدانة بصور هزلية طريفة ترمز إلى معان مختلفة .. والخدم يطالعون قصصاً وإرشادات صحية . ونحو ذلك .

ومن طريف ما يذكر عن هذه المكتبة أن أغلب وظائفها — كمعظم المكتبات الأمريكية — مقصورة على النساء ولهن نصف كراسى المجالس العليا التى تتولى الإشراف عليها وكثيراً ما يظفرن بكرسى الرياسة !؟

عبد الفتاح البارودي



كتـــاب « الله »

(تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد)

بقلم الأستـــاذ محمود عماد

حاولت أكثر من مرة أن أكتب كلمة عن كتاب (الله) ولكني ما كنت أهم حتى أحجم . لأن غرض الكتابة لا يعدو تقديم المؤلف ، أو تقديم الكتاب . أما المؤلف فهو غنى عن التقديم لأنه (العقاد) ، وأما الكتاب فأنى أرى كل تقديم له تأخيراً . اذ هو ليس من الكتب التي تلم بها الكلمة العابرة ، وتضع منها أمام القارىء صورة مصغرة .

وإذا كانت كل أوراق مغلفة تسمى كتاباً ، فأن هذه الأوراق شيء أجل من كتاب . إنها حادثة من حوادث القلم التي لا تقع فى عالم التأليف إلا فى آماد متباعدة .

ولو أن هذا الكتاب ظهر فى بلاد غير مصر لكان له فيها دوى يزلزل آلاف الكتب عن رفوفها . ولكنه ظهر فى مصر فكان حسبه أن يجد له بين كل ألف رف مكاناً واحداً ، وأن يكون هذا المكان هو أهدأ أمكنة المكتبة حركة ، حتى يأذن الله فيقيض له مترجماً يترجه إلى لغة أجنبية . عند ذلك يحدث الدوى ، وتكون الزلزلة . اذ يرى فيه العالم أول كتاب تقصى تاريخ العقيدة البشرية ، من عهد الطوطمية إلى عهد التوحيد ، مستهديا بالعلم والفلسفة والألهام ، مذ طور الخلية حتى طور العقل

وهى رحلة طويلة شاقة إلا على قلم رحال متقص كقلم العقاد الذى حقد فى فناء كتابه مؤتمراً من فلاسفة الأمم ، شرقيها وغربيها ، قديمها وحديثها ، تبوأ فيهم العقاد مكان الصدارة ، وأخذ يناقش كل فيلسوف رأيه ، نقاش الخبير بكل رأى ، فيخذل هذا حتى لا يجد له من ناصر ، وينصر ذاك حتى لا يتصدى له خاذل . ثم يخلص إلى رأيه الخاص ، بطالعك به واضحاً مشرقاً كالشمس تخلصت من السحب ، فى عبارة غنية ، وحجة حاسمة ، ومنطق مستقيم . وهى صفات التفوق .

قلت إن كتاب (الله) لا يلخص ، ولكنه يقرأ . فليقرأه من يريد أن يعتز بالعبقرية الشرقية ، والبيان العربى.

وما كتبت هذه الكلمة تقديماً للكتاب ، ولكن لأجد بها فرجة فى جو (الرسالة) الفسيح من شعور مكبوت يغالبنى منذ قرأته . بل هو يغالبنى كلما قرأت محضر ساعة من ساعات العقاد التى يجلسها بين كتبه . تلك الساعات الحافلة التى أقول فيها بحق :

عبـاس طرت إلى السماء ... ولمست ذرات الضيـاء
ونفذت قبـــل إلى طبا ... ق الأرض من يبس وماء
لم تحتجب عنك الكثا ... فة ، لا ولا دق الصفاء
أفأنت روح خالص ... أم أنت سر الكهرباء ؟
كلا ، فأنك مثل هذ ... ا الناس محدود البناء
يعروك ما يعروهمـــو ... من راحـــة أو من عناء
فبم اهتديت إلى الذى ... ضلوا واحصيت الخفاء ؟
هـــذا بأنك شاعر ... والشعر يعرف ما يشاء
والشعر يبدو فى النظ ... يم أو النثير على السواء
ســـاعاتك الغر السوا ... ع من نفاذ وامتـــلاء
جثم الزمان بها كما ... جلس الوليد القرفصاء
وتحـــدثت فيها الحيا ... ة بغـــير لبس والتواء
أكبر بساعتك التى ... وسعت نواميس البقاء
فى أى حجم صيغ (عقر ... بها) وفى أى استواء ؟
أتراه فوق الأرض ركـــ ... ـب أم على وجه السماء ؟
يا ليته قيست به ... أعمارنا قبل الفناء
فأذا بها تضفو كأعما ... ر النجوم على الفضاء

محمود عماد



قصة تاريخية :

الجـــزاء !!

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

قال موسى بن نصير : « إنها يا صاحبي محنة أحاطت بى من كل جانب ، ولقد بلغ عنت الخليفة بها فوق طاقتى ، وفوق ما يحتمل الرجل الحر الكريم . عزلنى من كل أعمالى فأذعنت ، وجردنى من كل مالى فخضعت ، وأتهمنى بالغدر والخيانة فى مال المسلمين فصبرت ، وأهاننى ... أجل ! أهاننى فاحتملت الأهانة بالتوجه إلى الله تعالى أن يثيبنى عليها ثواب الصابرين ، وإن رجائى فى الله العظيم ، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، فقد فرض علىَّ الخليفة غرماً باهظاً من المال لا أملك منه درهماً واحداً ، ثم كانت الداهية الدهياء ، فإنه يطلبنى اليوم ليجز رأسى بالسيف وقد جئت إليك وأنا بين شق الرحى ... »

« وا أسفاه أيها الصديق ، أيكون هذا جزائى من خليفة المسلمين ومنزلتى فى القوم بعد أن بذلت مابذلت من دمى وجهدى ، وخضت المعارك وروحى على يدى حتى فتحت تلك الفتوح العظيمة وضممت الأقطار الشاسعة إلى دولة الخلافه ؟ ! لقد طلعت بدعوة الإسلام على الملوك من مغرب الشمس وكانوا لا يعرفون مكانها إلا فى الشرق ، ولقد وقفت بلواء الخلافة فى صميم أوربا وهجمت على ملوكها فى عقد دارهم ولولا أن استرجعنى الخليفة الوليد بن عبدالملك لبلغت فى ذلك النهاية ، وبسيفى جلبت إلى ساحة الخلافة كل ما جمع الملوك على طول السنين من النفائس والثروات ، وما حشدوا من العديد والعدات ، ثم أرى هذا كله يطوى فى مطاوى الجحود والنكران ، وتذهب به دسيسة رخيصة من كاشح حقود ، أو عدو كنود ؟ ! »

« اصغ لى أيها الصديق ، فإنه ليس شأنى ولكنه خطر يتهدد سمعة الخلافة ويقف فى طريق الفتح الإسلامى ، فلن يقدم قائد بعد اليوم كما أقدمت فى فتح الفتوح ما دام الجزاء كما ترى ، ولو أنى أعرف فى جهادى وفى تصرفاتى شبهة أستحق عليها اللوم أو نقصاً يوجب المؤاخذة لأسلمت عنقى لسيف الجلاد راضياً مطمئناً قبل أن أسمع قضاء الخليفة علىَّ بذلك ، فأنا كما تعرف لست بالرجل الجبان ، ونحن رجال السيف ، لا نقدر طول الحياة بطول أيامها ولا نحرص عليها لما فيها من المفاتن والزينة والراحة والرفاهية ، وإنما هى حياتنا تقدر بالأعمال العظيمة ، ونمضى فيها على الخروج من شدة لمواجهة شدة أقسى وأصعب ، وإنى على ثقة من طهارة صحيفتى وبراءة ذمتى ، وسأقف بين يدى الله وكتابى بيمينى فى صفوف المجاهدين الأبرار ، ولكنى أطمع أن لا أخرج حتى أرى صحيفتى بيضاء أمام الناس وأمام التاريخ ... »

« رحماك يا صاحبي ، لقد شمت بى العدو ، وفرح فى العاذل ، وطمع فى من لا يدفع عن نفسه ، وتوجع لى الصديق ، وفجع بفاجعتى الأهل والولد ، وإنى لأعرف منزلتك من سليمان بن عبد الملك ، وأقدر فيك الشهامة والمروءة ، وأعتز بحرمتى عندك فبك أستجير من بطشه ، وألجأ إليك فى تخليص عنقى وتطهير سمعتى ، ورفع ذلك الغرم الثقيل الذى سيضطرنى إلى التكفف وسؤال العرب فى تحمله عنى ، وهل تحسبنى أحتمل الحياة وأنا أرى كرامتى تبتذل بالسؤال والتكفف ؟ »

قال يزيد بن المهلب : « هون عليك أيها الصديق ، فإنها سحابة صيف عن قريب تقشع ، وما أنت فى محنتك بأول مثل بين الناس ولا بآخر مثل سيكون بين الناس ، فهكذا الأمر فى صحبة الملوك ، وقديماً قيل : إن صاحب السلطان كراكب البحر إن نجا من الغرق لم ينج من الخوف ، وإنى لأعرف فى سليمان بن عبد الملك العناد والإصرار على الرأى ، ولكنى باذل جهدى عنده وثق أنها ذمة العرب لا نخرمها أبداً ، وعهد الآباء لا نخونه ولو طاح العنق ، ولقد نزلت بساحتى ، فإنى شريك لك فيما تعانى من محنة ، وإنى لأضع نفسى وولدى ومالى بين يدى الخليفة افتداء لك ، وأنت آمن فى جوارى إن شاء الله »

قال موسى : « إنها يد أحفظها لك ، ومروءة أقدرها فيك

وإنى على يقين من نجح مسعاك ، لما أعرفه من منزلتك عند الخليفة وقربك من قلبه واحترام رأيك عنده ، والخير فى التعجيل »

قال يزيد : « ما كنت أنتظر حتى تتحدث إلىَّ فى شأنك فقد كنت أتحدث اليوم إلى الخليفة فى هذا الشأن ، وإنى لذاهب لساعتى لأعاود معه الحديث ، وسأخبره أنك استجرت بى ونزلت بساحتى وأنى قد أجرتك وتحملت عنك ، ولكن ماذا أقول لك ؟ لقد سقطت فى تبصر الأمر سقطة هى التى جبلت عليك كل هذا فقد كنت تعرف أن سليمان بن عبد الملك كان ولى العهد لأخيه الوليد بن عبد الملك ، وأن الوليد كان قد بلغ الغاية فى حياته ، يتوقع الناس له الخروج من الدنيا بين كل صباح ومساء ، ولكنك وقفت على الولاء له ، والارتفاع بمكانته ، وأمهلك سليمان على أن تكون له يوم يجلس لشئون المسلمين وأن تدخر الفخر بفتوحاتك الكبيرة لعهده فأبيت ، فأحفظته بهذا عليك ، ولم تقصر فى العناد معه مما مكن للحقد فى قلبه ، على أنك من ناحية أخرى قد أغضبت مملوكك طارقاً بن زياد يوم صفعته بالصوت ، فكان بالوقيعة بك عند سليمان »

قال موسى : « مهلا يا صاحبى ، فليس هذا وقت تعديد ولا تأنيب ، لقد كنت أعلم الأمر فيما أوضحت ، وكنت أعرف أن شمس الغد ستشرق على سليمان فى أبهة الخلافة والأخذ بالسلطان على المسلمين ، ولكنى أعرف أيضاً أن من الواجب علينا أن نقدر لكل إنسان يومه ، وأن نحترم لكل سلطان عهده ، وليس من الحق فى الإسلام ولا من الخير للمسلمين وجامعتهم أن نضع المصالح العامة موضع الزلفى للأهواء والأغراض ، وليس من اللياقة أن نحلس مع الوريث نرتب شأن التركة وصاحب المال حىٌّ يتنفس ! ! كان ذلك رأيى حتى لا أتهم بالضعف فى خلقى ورجولتى ، وهبنى أخطأت ، فما أنا بمعصوم »

قال يزيد : « إننى ما قصدت بما قلت لك تعديداً ولا تأنيباً وإنما قصدت أن أكشف لك عن السر وأن أرى ما عندك » .

فتململ موسى فى مكانه ، وجرض ريقه على غصص ، ثم قال : ترى ماعندى ؟ وماذا تحسب أن يكون عندى وأنا على هذه الحال؟ إن الإنسان ليرى الرأى القويم السديد فى شأن غيره أما فى شأنه هو فأنه يرتبك ويتبلد حتى لا يدرى مصدر الأمر من مورده ، فما ظنك بى وأنا رجل اعتدت طول حياتى أن أفكر فى شئون الحرب والفتح ، وفى شئون من هم تحت طاعتى من الجند وحولى من الأعوان ، ولم أكن أجد الفرصة التى أفكر فيها لنفسى ، فلا تسألنى الرأى فأنى لا أملك الآن معياره ، وقديماً قالوا : إن من الحزم فى الرأى أن يكون ميزاناً لايزن كاملا لناقص ولاناقصاً لكامل ... » .

قال يزيد : « إننى لم أزل أسمع أنك من أعقل الناس وأعرفهم بمكايد الحروب ، وأبصرهم بطبائع أهل السلطان ، وأقدرهم على مداورة الدنيا والتصريف لأحداث الحياة ونوازل الدهر ، وإنى والله لأعجب منك كيف وقعت فى يد هذا الرجل بعد ما ملكت الأندلس ، ومددت بينك وبين هؤلاء القوم الأقطار الشاسعة والبحار الزاخرة ، وتيقنت بعد المرام عليهم واستصعابه ، واستخلصت بلاداً أنت اخترعتها وبسطت سلطانك عليها ، وجعلت الإدارة فيها لولدك وهم طوع يمينك ، ثم ملكت رجالا لايعرفون غير خيرك وشرك وحصل فى يدك من الذخائر والأموال والمعاقل والرجال ما لو أظهرت به الامتناع لكنت اليوم على رأس دولة يتعاظمون هيبتها وخطرها ، وما انتهى بك الأمر إلى هذه الحال فتضع عنقك فى يد من لا يرحمك ! ألا ليتك والله فعلتها يا أخى ! »

فصاح موسى من قرارة نفسه : « كلا ، كلا ، الويل لى لو فعلتها ! والويل لى لو فعلتها !! وهل كنت تحسبنى يا فتى المهلب أروم خطة لنفسى أو أبنى دولة لولدى ، ألا بعداً لى من رحمة الله إن هجس هذا الخاطر بقلبى مرة ، ألا سحقاً لى لو نزعت إلى هذه الشنعاء ، وشققت عصا الطاعة على خلافة الإسلام ، وشطرت الأمر فى الحكم إلى شطرين ، يقف كل من صاحبه بالمرصاد ، فما هى إلا مراوغات ومصاولات حتى ينقض الأمر من أساسه ، ويذهب سلطان الدين ، وتدول دولة المسلمين ، فالويل لمن يفعلها فيفتح باب الطريق إلى الهلاك والفناء ... يا ابن المهلب : إنها كلة الله كنت أسير بها فى الآفاق ، وأمهد بها لسلطان الإسلام ، وأقوى بها رابطة المسلمين ، وأمكن بها لنفوذ الخلافة وهيبتها ، وما كنت أرجو من وراء ذلك مكانة زائفة ومنزلة زائلة ، ولكنى كنت أطمع فيما هو أغلى وأعظم ، كنت أطمع فى ثواب المجاهدين عند الله ، وما أحسبه سيحرمنى من الجزاء وإن حرمته عند صاحب السلطان » .

قال يزيد : « طوبى لك يا ابن نصير ، فاطمئن فى مكانك وإنى

لقاصد إلى الخليفة فى شأنك ، ثم عائد إليك » .

***

ورجع يزيد بعد أن تكلم مع الخليفة فى شأن صاحبه ، رجع وعلى شفتيه كلام ، وبين جوانحه هم ممض ، وكان صاحبه فى انتظاره على أحر من الجمر ، وجلس الصديقان متقابلين ، يريد موسى من صاحبه أن يتكلم ، ويريد صاحبه ألا يتكلم ...

ومضت فترة كأنها الدهر ، ثم انفرجت شفتا يزيد عن صوت خافت يقول : « لا عليك يا صاحبى فإن الله يتولاك فيما بقى ، ويعلم الله أنى بذلت ما فى طاقتى وأكبر مما فى طاقتى ، وقدمت نفسى ومالى فداء لك عند سليمان ، وإنى فى ذلك لصادق ، وأعلمته أنك نزلت بجوارى ولذت بكنفى واستجرت بحماى وهو يعرف ذمة العرب فى ذلك ، ولـكن غضب الملوك أعمى ، قد يحتدم عن غير سبب ، ويمضى إلى النهاية لا يقف به سبب ، ولقـد أصر سليمان على موقفه منك ، وأصررت على موقفى منه ، وما زلت به حتى وهبنى دمك وحياتك ، ورضى بأن يرفع السيف عن عنقك ولـكنه أبى أن يخفف العذاب عنك وأن يكف الإهانة والتشهير بك حتى تدفع ما فرضه عليك من الغرم كاملا غير منقوص ، وترد إليك ما أخذت من مال المسلمين كما زعم » .

فصاح موسى صيحة مغيظة : « أوهكذا صنع ، أو هكذا أبى وأصر ؟! إنا لله ، أف لها من دنيا تافهة وحياة رخيصة ذليلة ، بل أف لجبابرة الملوك ، ما أغدر وما أخون ، بل ما أصغر وما أحقر وهبنى يا صاحبى أذنبت ، وجئت بالشنعاء التى لا تجوز ، فأى رجل هذا الذى لا يسعنى بحلمه وهو الذى يسع الخلائق بحكمه ، ألا ليتنى صرت إلى باطن الأرض قبل اليوم ، ولعل الله منّ على بطعنة فارس فى حومة الوغى فصرعت مصرع الأبطال ، ولـكنه قدّر على كل هذا العناء .. »

« رحماك يا فتى المهلب ، وإنى لشاكر لك مسعاك ، وحافظ يدك الغامرة ، فقد أوفيت لى بحق المرؤة ، ونهضت نحوى بعهد العرب وذمتهم ، ولـكنها لحاجة منى ، والمكروب لجوج ، والنفس فى حومة الأسى لا يربطها تفكير ولا رأى ، وماذا تحسبنى بمستطيع أن أصنع ، وليس فى يدى شىء من المـال ، وليس لى فى العرب القبيل الذى يحمل عنى ذلك الغرم الفادح ؟ »

قال يزيد : « إنى لأعرف ذلك ، وإنه ليكرب نفسى ، ولقد مررت فى عودتى إليك من عند الخليفه بأحياء العرب وتحدثت إليهم فى الأمر ، فتحملت عنك « لخم » تسعين ألفاً ذهباً ، ووهبتك من مالى ما زاد على النفقة ، ودفعت بذلك إلى الخليفة حتى يرفع عنك العذاب والإهانة انتظاراً لوفاء ما بقى من الغرم المفروض ، وما أحسب أن رؤساء العرب سيردونك إذا قصدتهم وهم الذين يعرفون لك ما أسديت فى الفتح والجهاد ، والله يتولاك فى كشف هذه الغمرة ... » .

وسمع موسى من صاحبه ما تكلم به ، فلم يرد بكلمة ، ولم يزد على أن تمتم تمتمة غير مفهومة ، ثم صعّد من أعماق نفسه آهة محترقة .

***

وأصبح الصباح على موسى بن نصير ، وهو يطوف بالقبائل ، ويتنقل بين أحياء العرب ، ومعه جند الخليفة والموكلون بتعذيبه ، وذلت نفس القائد المظيم الذى فتح الأمصار ودوخ الأقطار ووقف بكلمة الإسلام فى قلب أوروبا حتى بلغت به الحال أن يسأل الناس ما ينجى به نفسه ويخفف من العذاب فى جسمه .. قال غلامه الذى وفى له من دون الناس ، ولازمه فى حالى نعمته ونقمته : « لقد كنت أطوف مع الأمير موسى بن نصير فى أيام محنته على العرب ، فواحد يجيبنا وآخر يحتجب عنا ، ولربما دفع إلينا الدرهم والدرهمين رحمة بنا فكان الأمير يفرح بذلك ... ولقد كنا أيام الفتوح العظام بالأندلس نأخذ الأسلاب من قصور الإفرنج وخزائن الملوك فننفصل منها ما يكون فيها من الذهب وأشباهه ونرمى به ، ولا نأخذ إلا الدر الفاخر .. ولقد رأيت الناس جميعهم يتحرقون على أن يكونوا فى خدمة الأمير أيام دولته ، ثم رأيتهم ينفضون عنه جميعهم أيام محنته .. ولقد نزلنا بوادى القرى نسأل العرب ، فعزم رجل كان من قبل فى خدمة الأمير على أن يسلمه لحتفه ، ففطن لذلك الأمير ، فذلّ له ، وقال . يا فلان : أتسلمنى فى هذه الحال ؟ فقال له اللئيم : « لقد أسلمك خالقك ومالكك الذى هو أرحم الراحمين » ، فدمعت عينا الأمير ، وجعل يرفعهما إلى السماء ضارعاً خاضعاً وهو يزم شفتيه ويتمتم بكلمات غير مفهومة فما سفرت تلك الليلة القاسية الحالكة إلا عن قبض روحه » ..

محمد فهمى عبد اللطيف

مطبعة الرسالة

العدد ٧٤٦ – الاثنين ٢٠ أكتوبر ١٩٤٧ – السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٠٣١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 746

Lundi — 20 — 10 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٤٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ ذى الحجة سنة ١٣٦٦ — ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الطابور الخامس فى حرب الكولرا

عبأت الحكومة المصرية لجهاد الكولرا الإنجليزية قُوى الدولة ، وتجهزت للقائها بأحدث الأسلحة من عزل وحصار وعلاج وتلقيح وتطهير ودعاية . وكان المرجوّ من كل أولئك أن يموت الداء الوليد فى مهده ، وينكفئ الوباء العنيد عن قصده ، وترفض مخاوف الموت عن البلاد فى مدى أسبوعين كما وعد بذلك أولو الأمر فى أول الأمر . ولكن شهراً يوشك أن ينصرم والعدوى السريعة لا تزال تسْرى ، والعلة الثقيلة لا تزال تستشرى ، والموت بمنجله الحاصد لا يزال يسبق الآجال فى كل بقعة ! فماذا نملل هذه الهزيمة وأسباب النصر موصولة ونتائجه مكفولة وطرائقه مؤدية ؟ نعللها بأن فى صفوف العدو طابوراً خامساً يهيئ للمرض الوقود ليشتمل ، ويشحذ للموت المناجل ليحصد ! ذلك الطابور الخامس هو أطباء وزارة الصحة ! ومن الإنصاف ألا نعمم الحكم ؛ فإن من هؤلاء فريقاً لا يزالون أوفياء للانسانية خلَصاء للمهنة ، لم يفجُروا فى يمين أبقراط ولم يخرجوا عن قانون ابن سينا . ولكن هذا الفريق لم يعرفوا أسفاه الإقليم الذى نعيش اليوم فيه !

أكثر هؤلاء الأطباء منهومون بالمال ، يتهالكون على جمعه ، ويتنافسون فى ادّخاره . وهم فى سبيل تحصيله يسْفهون الحق ، ويغفلون الواجب ، ويجهلون الرحمة ، وينكرون الحسنى ، ثم يخفون اللقاح عن الفقير ليظهروه بالثمن للغنى ، ويصعّبون الدخول فى المستشفى ليسهلوا الدخول فى العيادة ، ويكلون تطبيب المرضى لأجلاف الممرضين وجفاة الخدم ، ليلعبوا النرد فى القهوة ، أو يلهوا بالورق فى النادى ! ومن جرّاء هذا الإهمال والاستغلال والعنت استحب الناس المرض على الصحة ، وفضلوا الحلاق على الطبيب ، وضنوا بمرضاهم على المنازل فلم يبلغوا (المركز) عنهم ، حتى لا يموتوا وحَداء فى وحشة ، ولا يدفنوا غرباء فى مهانة .

هؤلاء الأطباء وأشباههم من غير الموظفين تعرفهم الحكومة بالسماع والخبرة . ولولا سوء رأيها فيهم ، وترجيحها ما شاع فى الناس عنهم ، لما جعلت ألف جنيه مكافأة لكل من يبلغها أن طبيباً تاجر بلقاح أو لقّح بأجر .

وإنك لتعجب أن يكون فى الناس من لا يشغل باله فى سورة الوباء إلا بالثراء ، ومن طبيعة الإنسان إذا اكتنفته ظواهر المرض ومظاهر الموت أن يخشع قلبه وتزهد عينه ؛ ولكن عجبك ينقضى إذا حشرك الله فى زمرة هؤلاء الذين يعيشون على حساب المرض والموت ، فجملك طبيباً أو ممرضاً أو حانوتياً أو نحو ذلك ؛ فيومئذ تشعر بحكم الإلف والعادة أنك أشبه بخدمة الموائد فى حفلة العرس ، أو بحملة القماقم فى موكب الجنازة ، لا يعنيك من الأمر غير الأجر ، ولا يغنيك عن شأنك شؤون الناس .

على أن فى الطبابة جزءاً من النبوة وشطراً من الحكمة ، وعلى هذا الشطر وذلك الجزء يعوّل الناس فى إيقاظ الضمير الإنسانى فى هؤلاء الأطباء فيعودون كما كانوا رسل سلامة وملائكة رحمة .

(المنصورة)

احمد حسن الزيات

حـــديث الدولتين

للأستاذ محمود محمد شـــاكر

الآن حصحص الحق ، ولم تبق فى نفس ريبة تحجبها عن رؤية الحقيقة سافرة بينة واضحة تكاد تنطق وتقول هأنذا فاعرفونى؛ فهذه بريطانيا أم المكر والدسائس قد دخلت أرض فلسطين العربية ليقول قائد جيشها يومئذ حين وطئت قدماه المدنستان هذه الأرض المطهرة : « هذه آخر حرب صليبية » ، فكان ذلك إعلاناً عما اعتمل فى نفوس أولئك الغزاة من سخائم الحقد والضغينة والعصبية الجاهلية الموروثة ، ثم لم تلبث هذه الدولة أن نكثت عهودها للعرب ، وكانت قد قطعت هـذه العهود على نفسها لتستجر معونة العرب لها فى الحرب العالمية الأولى . ولم يكن ذلك فحسب ، بل إنها كانت تكيد للعرب من وراء حجاب فقطعت عهداً آخر يناقض عهودها للعرب ، وكان هذا العهد لرجل غير مسئول من الأفاقين الصهيونيين المتعصبين. فلما دخلت فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى أظهرت أنها دولة لا تستطيع أن تنقض عهدها فإن العهد هو شرفها الشامخ الباذخ النقى الطاهر، فمن أجل ذلك أصرت على أن تحمى اليهود الذين جاءوا من أرجاء بلاد الله ليحتلوا أرض فلسطين . وظلت وكالات الأنباء تطمس حق العرب فيما تنشره الصحافة ، وتجلو باطل اليهود جلاء منيراً حتى انخدعت الدنيا كلها بالترهات التى تحوكها هذه الشركات الصهيونية .

وثار العرب يطلبون حقهم ويريدون طرد هؤلاء الدخلاء من أرض الآباء والأجداد ، فوقفت بريطانيا تذود عن باطل اليهود فتفتك بالعرب فتكا وحشياً ، تعذب طلاب الحق وتهينهم وتشردهم لا ترعى حرمة لطفل ولا شيخ ولا امرأة ، وضربت الغرامة على القرى والدساكر والبلاد لأهون سبب ، وهى فى أثناء ذلك ترخى للأفاقين من اليهود وتغريهم بالعرب وتمهد لهم فى الحكومة حتى يستولوا على السلطان ، وتحميهم من شر العرب وبأسهم ، وتسلطهم على رقاب المسلمين والنصارى أهل فلسطين. وجعلت صحفها وشركات أنبائها تذيع على العالم الأكاذيب ، وتصور العرب فى صورة المعتدين الباغين ، وتسمى الأحرار من أبناء إبراهيم وإسماعيل عصابات ولصوصاً وفتاكا ، وترميهم بالبهتان والكذب ، وتستر عن العالم كله فظائع ما ترتكبه فى حق الأحرار المجاهدين .

وظلت بريطانيا على ذلك الطغيان الفاجر تعمل بالدسيسة والوقيعة والكذب والتغرير ، حتى جاءت الحرب العالمية الثانية ، فقام الأبالسة من رجال السياسة البريطانية يفتلون فى الذروة والغارب من هذه العرب حتى لانوا وانخدعوا بأن بريطانيا سوف تنصفهم وتعطيهم حقهم يوم تضع الحرب أوزارها ، وهى فى خلال ذلك تجند اليهود فى جيوشها وتزودهم بالسلاح وتدخلهم فلسطين وتظهر الكراهة لما تفعل ، وتبطن الغدر فيما تريد ، فاحتشدت من اليهود جيوش جرارة فى فلسطين باسم الديمقراطية والدفاع عنها ، وباسم الاضطهاد الذى أنزله النازيون بهم فى أوربة، وبغير ذلك من الأسباب الكثيرة التى تملقت بها السياسة البريطانية.

ووضعت الحرب أوزارها ، واشتد ساعد اليهود ، وهم أهل المال وحراسه ، فأعانوا بريطانيا ، ثم لم يلبثوا أن كشفوا القناع فى أمريكا وهم فيها القوة الظاهرة فى انتخاب رئاسة الجمهورية ، وأصحاب الشركات والأموال فى نواحى الاقتصاد الأمريكي ، وهم شياطين الصحافة والمسئولون عن إعلاناتها وشركات أنبائها ورجال تحريرها ، فإذا أمريكا تندفع فى طريق الصهيونية غير عابئة بالحق الظاهر ، ولا بمصالحها فى بلاد العرب ، ولا بكرامتها بين الأمم ، ولا بسمعتها فى دواوين التاريخ . وإذا هى أشد بغياً على العرب من بريطانيا ، وإذا صحافتها أشد جلافة من الهمجى الذى لم يهذبه تأديب ولا تثقيف

هـكذا كان أمر بريطانيا وأمر أمريكا ، وإذا هيئـة الأمم المتحدة ترسل لجنة إلى فلسطين لتضع تقريراً ، وإذا هذا التقرير فجور ليس بعده فجور ، ولا عجب فإنها لجنة كانت من أول أمرها ضالعة مع اليهود ، فقسمت أو أشارت بأن تقسم فلسطين قسمة جائرة بين العرب واليهود . أما العجب العجاب فهو أن نرى بريطانيا العظمى ذات السلطان والبأس والبطش ، تذل لعدوان اليهود على جنودها وعلى جلد ضباطها وشنقهم واختطافهم وتعذيبهم ، ثم يأتى قرار التقسيم الذى اقترحته اللجنة ، فإذا بريطانيا تزعم أنها سوف تجلو عن فلسطين وتدع العرب واليهود

لكى يحلوا هذه المشكلة المستعصية على ساسة بريطانيا العظمى أيضاً !! ...

فماذا تريد بريطانيا بهذا الانسحاب المفاجىء بعد أن كانت هى سر النكبة التى نزلت بساحة العرب مسلمهم ونصرانيهم فى فلسطين وفى سائر بلاد العربية ؟

لا جرم أنها تريد أن يقع القتال بين العرب واليهود ، وتخرج هى سالمة من هذا الصراع ، وهى فى خلال ذلك سوف تعطى اليهود من المونة والسلاح ، ويجهد أسطولها خفية فى تهريب الأفاقين إلى فلسطين .

أما أمريكا فهى تضحك الثكالى بسياستها فى هذه المشكلة ، فهى تلجأ إلى هيئة الأمم المتحدة ويقوم مندوبها فى اجتماع اللجنة الخاصة ببحث مشكلة فلسطين ، ويكشف القناع عن سياسة هذه الدولة الحدثة فى السياسة ويقول إن حكومته تؤيد مشروع تقسيم فلسطين ، وتؤيد سياسة الهجرة التى اقترحتها لجنة التحقيق فى تقريرها ، وليس هذا فحسب ، بل تتبرع هذه السياسة الأمريكية فتقترح تجنيد قوة دولية من المتطوعين بواسطة هيئة الأمم المتحدة ، لكى تتولى الاشراف على تنفيذ قرارات الجمعية العمومية .

فماذا تريد أمريكا بهذا التدخل المفاجىء ، بعد أن كانت بمعزل عن الغلو فى السياسة الاستعمارية ، ولها مصالح كثيرة فى بلاد العرب تعمل جاهدة على تثبيتها وتوطيدها ؟

لا ريب فى أنها تريد أن تحل محل بريطانيا فى حمل خبائث الاستعمار بعد أن شاخت أم الخبائث ، ولا ريب فى أن نفسها تسول لها أن اليهود أهل جد وعمل وإتقان وأصحاب مال وافر وأنهم إذا تم لهم إقامة دولة يهودية فى قلب البلاد العربيـة ، فذلك إيذان باستيلائهم على الميادين الاقتصادية كلها ، وأن يهود إذا فعلت ذلك ضمنت لأمريكا الحق الأول فى السياسة الاقتصادية فى الشرق الأوسط كله . وإذن فأمريكا تريد أن تلتمس أسباباً للتدخل فى مسألة فلسطين ، فهى تؤيد اليهود مستهينة بمصالحها فى بلاد العرب ، لكى يقع القتال بين العرب واليهود ، وتنتهز هى الفرصة فتعين اليهود بالمال والسلاح والرجال ، ثم تلعب هى وبريطانيا لعباً خبيثاً فى هيئة الأمم المتحدة لكى يجندوا جيشاً دولياً لتنفيذ مشروع التقسيم بالقوة ، ويكون قوام هذا الجيش من أهل العصبية الصهيونية الذين استشرى أمرهم فى بلاد أمريكا . ويومئذ تدخل أمريكا الشرق الأوسط كله بصك توقعه لها هيئة الأمم المتحدة — أى سوق الرقيق الدولية

وإذن فالأمر كما ترى بين كإسفار الصباح ، وهو أن هاتين الدولتين الاستعماريتين تتخذان أسلوبين مختلفين فى الظاهر متفقين فى الباطن ، يفضى إلى حمل العرب على قتال يهود . ونعم ما أرادا

ونحن العرب نقبل منهما هذا التحريض الخبيث ، لأننا نريد أن نقاتل اليهود قتالا لا هوادة فيه ، فإن دماءنا ليست أغلى من حريتنا وشرفنا وديننا . ولعل أمريكا قد سمعت لأولئك الأفاقين اليهود الذين يزعمون لها أننا نهدد على غير طائل وإنما هى جعجعة ولا طحن لها ، فآثرت أن تكشف سوءتها وقبيح نيتها للعرب وتصالح اليهود وتتملقهم وتحطب فى حبالهم . فلتعلم أمريكا ولتعلم بريطانيا أنا لسنا كاليهود ولسنا كسواهم من الذين يجرؤون لأنهم يحملون أسباب الغدر والخيانة والإبادة ، فلو لقوا أعداءهم وجهاً لوجه لفروا واندحروا صاغرين . إن العرب ليريقون دماءهم فى سبيل الحرية والشرف والنبل وإن كانت كثرة السلاح مما يعوزهم ، وفرق بين النذل الجبان والشريف الشجاع ، فهذا يكون أقل السلاح حصناً له وحافزاً ومحرضاً ، وذلك إذا رأى حملة صدق انتثرت نفسه وطار قلبه وألقى عدته وسلاحه وأغمض فى الأرض هارباً . فهذه يهود وهذا نحن أيها المخدوعون ...

إن بريطانيا وأمريكا وصحافتها قد استعلنت لنا بأحقادها فلنعلن نحن أحقادنا . وإن يهود قد استغرت بقوتها وبمعونة بريطانيا وأمريكا ومظاهرتها لعدوانها علينا ، فلا تأخذنا بعد اليوم رحمة بيهود ، فقد رحمناهم يوم اضطهدوا ، وآويناهم أيام شردوا ، وأفسحنا لهم بلادنا وقد طردتهم الأمم المسيحية القديمة طرد الكلاب الجربى ، ولكنهم أنكروا ذلك ونسوه ، وعضوا اليد التى مسحت آلامهم وجروحهم على مر العصور . ونعم ما فعلت يهود ، فإنها قد أيقظتنا من غفلتنا ، ويسرت لنا أن ننقذ العالم عاجلا أو آجلا من عربدة هذا الجيل الذى طهر الله أسلافه ، وصب لعنته على الأخلاف لعنة باقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها ...

محمود محمد شاكر

من شوارد الشـــواهد *

للأُستاذ على الطنطاوى

١٩ — ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعتنى
يمينك فانظر أىّ كف تبدّلُ

لمعن بن أوس المزنى ، شاعر مخضرم مجيد معمّر ، من قصيدته التى يقول فيها :

لعمرك ما أدرى وإنى لأوْجَل على أينا تأتى المنيّة أوّل
وإنى أخوك الدائم العهد لم أخن إنَ أبزاك[1] خصم أو نبا بك منزل
أحارب من حاربت من ذوى عداوة وأحبس مالى إن غرمت فأعقل
وإن سُؤتنى يوماً صبرت إلى غد ليعقب يوماً منك آخرُ مقبلُ
ستقطع ... (البيت) .
وفى الناس إن رثّت حبالك واصل وفى الأرض عن دار القِلى متحوّل
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حدّ السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

وهى طويلة جيدة ، ومنها البيت السائر :

إذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبـــل

٢٠ — فهبك يمينى استأكلت فقطعتها
وجشمت قلبى صـــبره فتشجعا

لدعبل يعاتب مسلم بن الوليد ، من قصيدته التى يقول فيها :

أبا مَخْلدَ كنا عقيدى مودة هوانا وقلبانا جميعاً معاً معا
فصيّرتنى بعد انتكاثك[1] متهما لنفسى عليها أرهب الخلق أجمعا
غششت الهوى حتى تداعت أصوله بنا وابتذلت الود حتى تقطعا
وانزلت من بين الجوانح والحشى ذخيرة ود طالما قد تمنعا
فلا تَلْحيَنّى ليس لى فيك مطمع تخرّقت حتى لم أجد لك مرقعا
فهبك ... (البيت) .

٢١ — فإما أن تكون أخى بحق فأعرف منك غثّى من سمينى
وإلا فاطّرحنى واتخذنى عدواً أتّقيك وتتّقينى

للمثقِّب العبدى[2] ، وبعده :

فما أدرى إذا يممت أرضاً أريد الخــير أيهما يلينى
أ الخــير الذى أنا مبتغيه أم الشر الذى هو يبتغينى

٢٢ — إن القلوب إذا تنافر ودها
مثل الزجاجة كسرها لا يشعب

لصالح بن عبد القدوس ، من قصيدته الطويلة فى الحكم ، ومطلعها :

صرمت حبالك بعد وصلك زينب والدهر فيــه تصرم وتقلب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه واجهد فعمرك مرّ منه الأطيب

وبعدهما البيت السائر :

ذهب الشباب فما له من عودة وأتى المشيب فأين منه المهرب

ومنها :

لا خير في ود امرىء متملق حلو اللسان وقلبه يتلهب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

٢٣ — تمسك إن ظفرت بذيل حر
فإن الحرّ فى الدنيا قليـــل

من شعر الفقهاء ، وهو لأبى اسحق ابراهيم بن على بن يوسف الشيرازى الفيروز آبادى العالم العَـلَم المعدود من أعلام الملة وقبله :

سألت الناس عن خل وفى فقالوا : ما إلى هذا سبيل !

٢٤ — إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا
من كان يألفهم فى المنزل الخشن

لابراهيم بن العباس الصولى ، الكاتب الشاعر ، وقبله :

(*) قد أجد البيت الواحد منسوباً لأكثر من شاعر ، وأجد أبياتاً متداخلات «لاتحاد الوزن والروى» وهن من قصائد مختلفات ، فأرجو من وقف على نص فيه تصحيح نسبة بيت مما ذكرت أن يرشد إليه .

(١) أى عدا عليك وقهرك .

(١) انتقاضك وتحولك (٢) سيأتى ذكره .

أولى البرية طراً أن تواسيه
عند السرور الذى واساك فى الحزن

٢٥ — حسن قول (نعم) من بعد (لا)
وقبيح قول (لا) بعد (نعم)

للمثقب العبدى وهو عائذ بن محصَن بن ثعلبة[(١)] ، شاعر جاهلى قديم كان فى زمن عمرو بن هند وعمر حتى أدرك النعمان ابن المنذر ، سمى المثقب (بالكسر) لبيت قاله وهو :

ظهرن بكلّة وسدلن رقماً وثقّبن الوصاوص للعيون

من قطعة له يقول فيها :

لا تقولن إذا ما لم ترد إن تتم الوعد فى شىء : (نعم)
حسن قول (نعم) ... (البيت)
إن (لا) بعد (نعم) فاحشة فبـ (لا) فابدأ إذا خفت الندم
وإذا قلت (نعم) فاصبر لها بنجاز الوعد إن الخلف ذم
أكرم الجار وراع حقّه إن عرفان الفتى الحقَّ كرم
إن شر الناس من يمدحنى حين يلقانى وإن غبت شتم

٢٦ — مَنْ ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

للحريرى ، من المقامة الشعرية ، وأول المقطوعة :

سامح أخاك إذا خلَطْ منه الإصابة بالغلطْ
وتجافَ عن تعنيفه إن زاغ يوماً أو قسطْ
واعلم بأنك إن طلبت (م) مهذباً رمت الشطط

٢٧ — وإن امرءاً يمسى ويصبح سالماً
من الناس إلا ما جنى لسعيد

للمعلوط بن بَدَل القُريعى[(٢)] وقبله :

متى ما يرى الناس الغنىَّ وجارُه فقير يقولوا عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن أحاظ[(٣)] قسمت وجدود
إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً فمطلبها كهلا عليه شديد
وكائن رأينا[(٤)] من غنى مُذَمَّم وصُعلوك قوم مات وهو حميد
وإن امرءاً ... (البيت) .

(١) وقيل اسمه شاس بن عائذ وقيل غير ذلك .
(٢) روى الأبيات حبيب فى الحماسة ولم يسمه وسماه صاحب اللسان
(٣) لا يجمع فى القياس حظ على أحاظى .
(٤) أى كثيراً ما رأينا .

٢٨ — نوائب الدهر أدبتنى وإنما يوعظ الأديب

لسليمان بن وهب ، وزير المهتدى قاله فى نكبته ، وبعده :

قد ذقت حلواً وذقت مراً كذاك عيش الفتى ضروب
ما مر بؤس ولا نعيم إلا ولى فيهما نصيب

٢٩ — اخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجأ

لمحمد بن بشير الرياشى ، شاعر عباسى ماجن ظريف هجاء ، لم يفارق البصرة ولم يتكسب بشعره ، وقبله :

كم من فتى قصرت فى الرزق خطوته
ألفيته بسهام الرزق قد فلجا (١)
لا تيأسن — وإن طالت مطالبة —
إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
إن الأمور إذا انسدت مسالكها
فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا (٢)
اخلق بذى الصبر ... (البيت)

٣٠ — من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور

لسَلْم الخاسر ، ابن عمرو بن حماد ، وسمى الخاسر لأنه باع (كما قالوا) مصحفاً كان له واشترى بثمنه طنبوراً ، أخذه من قول (أستاذه) بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

٣١ — فلا وأبيك ما فى العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

رواه أبو تمام فى الحماسة ، ولم ينسبه ، وقبله :

وأعرض عن مطاعم قد أراها فأتركها وفى بطنى انطواء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء
فلا وأبيك ... (البيت)

٣٢ — يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما يشاء

لقيس بن الخطيم الأوسى ، شاعر فارس قتل على جاهليته من قطعة له يقول فيها :

وما بعض الإقامة فى ديار يهون بها الفتى إلا بلاء

(١) ظفر وفاز
(٢) انقفل ، وروى يفتق بدل يفتح

وبعض خلائق الأقوام داء   كداء البطن ليس له دواء

يريد المرء ... (البيت)

وكل شديدة نزلت بقوم   سيأتى بعد شدتها رخاء

ولا يعطى الحريص غنى لحرص   وقد يَنْمي[1] على الجود الثراء

غنى النفس ما عمرت غنى   وفقر النفس ما عمرت شقاء

٣٣ — أضاعونى وأى فتى أضاعوا

ليوم كريهة وسداد ثغر

للعرجى ، وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، شاعر إسلامى حجازى كان ينحو منحى ابن أبى ربيعة فى غزله ، قاله لما حبس ، وبعده :

وصبر عند معترك المنايا   وقد شرعت أسنتها لنحرى

أجرر فى الجامع كل يوم   فيا لله مظلمتى وقسرى

كأنى لم أكن فيهم وسيطاً   ولم تك نسبتى فى آل عمرو

عسى الملك المجيب لمن دعاه   سينجينى فيعلم كيف شكرى

فأجزى بالكرامة أهل ودى   وأجزى بالضغائن أهل وترى[2]

٣٤ — أشاب الصغير وأفنى الكبير(م)

كرّ الغداة ومرّ العشى

للصلتان العبدى[3] ، وهو قثم بن خبيه من عبد القيس ، شاعر إسلامى خبيث اللسان ، وبعده :

إذا ليلة هرّمتْ يومها   أتى بعد ذلك يوم فتى

نروح ونغدو لحاجاتنا   وحاجة من عاش لا تنقضى

ويسلبه الموت أثوابه   ويمنعه الموت ما يشتهى

تموت مع المرء حاجاته   وتبقى له حاجة ما بقى

٣٥ — لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة

لقد سرنى أنى خطرت ببالكِ

لابن الدُّمَينة ، عبيد الله بن عبد الله الخثعمى ، والدمينة أمه ، شاعر إسلامى غزل مجيد ، من قصيدته التى أرويها كلها لنفاستها :

قفى يا أميم القلب نقض لبانة   ونشك الهوى ثم افعلى مابدا لك

(١) ينمو (واوى ويائى)

(٢) راجع قصة أبى حنيفة وجاره ، وقصة المأمون فى سداد (بالفتح) وسداد (بالكسر) وهما مرويتان فى أكثر كتب الأدب

(٣) وهو غير الصلتان الضبى ، وغير الصلتان الفهمى ، الذى روى الجاحظ بيت : (العبد يقرع بالعصا) له ، والصحيح أنه لأبى الأسود

سلى البانة الغيناء بالأجرع[1] الذى   به البان هل حييت أطلال دارك

وهل قمت بعد الرائحين عيشة   مقام أخى البأساء[2] واخترت ذلك

وهل هملت عيناى فى الدار غدوة   بدمع كنظم اللؤلؤ المتهالك[3]

أرى الناس يرجون الربيع وإنما   ربيعى الذى أرجو نوال وصالك

أرى الناس يخشون السنين وإنما   سنيّ[4] التى أخشى صروف احتمالك[5]

ومنها :

ليهنئك إمساكى بكفى على الحشى   ورقراق عينى رهبة من زيالك

ولو قلت طأ فى النار أعلم أنه   هوى منك أو مدن لنا من وصالك

لقدمت رجلى نحوها فوطئتها   هدى منك لى أو ضلة من ضلالك

أبينى : أفى يمنى يديك جعلتنى   فأفرح أم صيرتنى فى شمالك

لئن ساءنى ... (البيت)

تعاللت كى أشجى وما بك علة   تريدين قتلى ؟ قد ظفرت بذلك

٣٦ — ولى كبد مقروحة من يبيعنى

بها كبداً ليست بذات قروح

له[6] — من قصيدة له فيها إقواء . وبعده :

أبى الناس ويْبَ الناس لا يشترونها

ومن ذا الذى يشرى دَوَىّ بصحيح[7]

٣٧ — كل امرىء صائر يوماً لشميته

وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

لذى الأصبع العدوانى ، واسمه حرثان بن محرب ، من قصيدة له طويلة[8] أولها :

يامن لقلب طويل البث محزون   أمسى تذكر ريا أم هارون

(١) الأجرع المكان السهل المختلط بالرمل والغيناء الوارفة الظل

(٢) أي البائس الفقير

(٣) المتساقط

(٤) يخلط الناس فى الاستعمال بين العام والسنة ، وهما مترادفتان ولكن ليس فى اللغة كلمتان بمعنى واحد (انظر فى كتاب الصاحبي وكتاب الفروق اللغوية) ولابد من اختصاص كل لفظة بشىء لا تدل عليه الأخرى ، فالسنة فى الأصل للشدة والقحط والعام لليسر والرخاء (اقرأ آيات سورة يوسف) والسنة عند العرب مرادفة الشدة والبلاء تقول أصيبوا بالسنين وأصابتهم السنة ومن تتبع كلام العرب وجد ذلك مستفيضاً وقد نبه عليه شيخنا المغربى فى الرسالة من أمد بعيد

(٥) ارتحالك

(٦) رواية القالى وياقوت

(٧) ويب الناس ويح الناس والدوى الشديد المرض

(٨) القصيدة فى الأمالى (الجزء الأول)

رأي الأكثرية

في السياسة الشرعية

للدكتور السيد محمد يوسف الهندي

أثار الأستاذ عبد المتعال الصعيدي فى مقال له نشر فى العدد ٧٣٢ من «الرسالة» مسألة الأخذ بـ«رأى الأكثرية فى السياسة الشرعية» وهى مسألة تنطوى على مقارنة النظام الديمقراطى البرلمانى الحديث مع النظام التشريعى والحكومى الإسلامى من ناحية الطبيعة والوضع والروح جميعاً ، فأول ما يجب أن يلاحظ فى هذا الصدد أن النظام الأوربى إنما هو وليد ظروف تختص بالمجتمع الغربى وغنى عن القول أن المجتمع الغربى لا يبتنى على أساس غاية دينية تنسى المؤمنين بها والعاملين فى سبيلها جميع الفوارق البشرية كالإقليمية والطائفية والوطنية والقومية وكذلك يعدم فى أى مجتمع غير إسلامى مبادىء تضمن للناس العدالة فى معاملاتهم بعضهم مع بعض وتكفيهم التناحر فيما بينهم لأغراض دنيوية ، فإذاً الاختلاف الناشئ بين أفراد المجتمع الغربى هو فى الحقيقة اختلاف المصالح المادية بين مختلف طبقات الشعب التى لا تزال فى حالة حرب مستمرة تبعث كل واحدة منها على حشد القوة (وهى ترتكز فى العدد) ضد الأخرى ، ومن المعروف أن النظام السياسى إنما يصطبغ بصبغة المجتمع الذى ينشأ منه ، وعلى ذلك فالنظام الديمقراطى الحديث ليس إلا وسيلة لتسوية الاختلافات الناشئة عن الطموح إلى أغراض مادية لا تسوية حاسمة على أساس المبدأ والحق بل تسوية تمكن فريقاً من الشعب من إدارة الشئون لصالح «زبائنه» فقط وكذلك يكون الحكم سجالا بين مختلف أحزاب الشعب الذى لا يزال من حيث المجموع قلقاً غير مطمئن إلى التوازن والعدل الاجتماعى ، أما المجتمع الإسلامى فبالعكس يبتنى على مبادىء يتلقاها الشعب من الله ويتعهد على نفسه كل فرد من الشعب على السواء بتطبيقها على أعماله وتنفيذها فيما بين الناس بما فيها من صالح الإنسانية وضمان الحق والنصفة فى المعاش والمعيشة . فالمجتمع الإسلامى موحد الكلمة ، موحد الإيمان

ومنها :

ولى ابن عم على ما كان من خلق ... مختلفان فأقليه ويقلينى

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا ... فخالنى دونه بل خلته دونى

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب ... عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

ولا تقوت عيالى يوم مسغبة ... ولا بنفسك فى العزاء تكفينى

فإن ترد عرض الدنيا بمنقصتى ... فإن ذلك مما ليس يشجينى

٣٨ — فإن تكن الأيام فينا تبدلت ... ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل

فما لينت منا قناة صليبة ... ولا ذللتنا للتى ليس تجمل

لإبراهيم بن كنيف النبهانى ، من شعراء الحماسة ، من قطعة له ، منها :

تعز فإن الصبر بالحر أجمل ... وليس على ريب الزمان معول

فلو كان يغنى أن يرى المرء جازعاً ... لحادثة أو كان يغنى التذلل

لكان التعزى عند كل مصيبة ... ونائبة بالحر أولى وأجمل

فكيف وكل ليس يعدو حمامه ... وما لامرىء عما قضى الله مزحل

فإن تكن ... (البيتين) .

ولكن رحلناها نفوساً كريمة ... تحمل ما لا يستطاع فتحمل

وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا ... فصحت لنا الأعراض والناس هزّل

٣٩ — وإنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشى على الأرض

لحطان بن المعلّى ، شاعر إسلامى من شعراء الحماسة ، من قطعة له يقول فيها :

أنزلنى الدهر على حكمه ... من شامخ عال إلى خفض

وغالنى الدهر بوفر الغنى ... فليس لى مال سوى عرضى

أبكانى الدهر ويا ربما ... أضحكنى الدهر بما يرضى

لولا بنيات كزغب القطا ... رُددن من بعض إلى بعض

لكان لى مضطرب واسع ... فى الأرض ذات الطول والعرض

وإنما أولادنا ... (البيت) .

لو هبت الريح على بعضهم ... لامتنعت عينى من الغمض

علي الطنطاوي

بالمبادىء الحقة وفوق كل شيء موحد الشعور بالمسئولية لدى العليم الحكيم فى حق الأفراد ومجموع الأمة ، فأى مجال فى مجتمع مثل هذا أن ينقسم إلى أحزاب متعارضة الهوى فى الدنيا وما فيها مفرضة متحيزة فى نواياها وأعمالها ؟ ولا يعدم المتتبع لأحكام القرآن والسنة ما يقنعه بأن النظام الإسلامى السياسى إنما هو مؤسس على التعاون والتضامن والتآزر الفعلى بين المسلمين كافة فى السلم وفى الحرب من غير فرق وأنه لايعترف بحال من الأحوال بوجود معارضة مستقرة التى هى من أهم مظاهر الديمقراطية البرلمانية

وإنما مرد هذه الميزة للنظام الإسلامى إلى أن الاتفاق على الشريعة التى هى قانون الحياة بأوسع معانيه ، سابق على تكون الهيئة الاجتماعية والسياسية بين المسلمين بل هى منشأها وقوامها بحيث ينزل المسلمون جميعاً بمنزلة لجنة تنفيذية لا غير ، ومن المعروف أن المعارضة لا مكان لها فى لجنة تنفيذية قط ، أما الحال فى الغرب فعلى العكس تماماً لأن هناك تكونت الهيئة الاجتماعية أولا على أساس بعض المصالح المشتركة بطريق الارتقاء غير الشعورى ثم هى أقبلت على التشريع لافتقارها إلى وضع حدود للأعمال الإنسانية التى لم تزل ولا تزال معرضة للافراط والتفريط ولما لم يكن لها مستند إلى المصدر الأعلى اندفعت بطبيعة الحال إلى التعويل على العقل الذى قلما يتخلص تماماً من أسر الهوى فتعذر عليها « الاتفاق » فى التشريع لكون أفرادها كثيرى الهوى شتى المسالك نتيجة لعدم ارتباطهم بحدود من الله فإذا فشلت الهيئة الاجتماعية الغربية فى تحقيق « الاتفاق » « استكانت » إذ ذاك « إلى الاختلاف » واهتدت إلى إيجاد نظام للتشريع يؤدى إلى حفظ السلام وسير الأعمال غير معرقلة مع عدم اقتناع عدد غير قليل بما ينتج منه وهذا النظام هو النظام الديمقراطى الحديث . .

ولا يخيل إلى القارىء أن باب التشريع قد أقفل فى الشريعة الإسلامية فإن الشريعة الإسلامية بصفتها نظاماً دائم النمو والاتساع تتضمن فى ذاتها الطرق المسنونة والأساليب الواضحة لكفاءة الأحوال المتجددة والظروف الطارئة على ممر الأيام والعصور ولكن مهمة التشريع عند المسلمين إنما تقتصر على تطبيق المبادىء المنصوصة عليها على الأحوال غير المحسوبة لها .

وهذه المهمة لا تتأدى إلا على أيدى العلماء المروفين بالفقه فى الدين والصدق والتقوى فى أعمالهم الحائزين على ثقة الناس فى أمانتهم فيعتبر الإسلام هذه المهمة من اختصاصهم ولا يسمح بالتدخل فيها لكل من يفوز بكثرة الأصوات سواء وجدت فيه المؤهلات الخاصة والشروط اللازمة أم لا كما هو الحال فى النظام الديمقراطى الأوربى ...

ويتضح مما قيل آنفاً أن الاختلاف الناشىء بين العلماء المسلمين الثابتين على التقوى إنما هو بمثابة مناقشة علمية أكاديمية ناشئة عن النيات الخالصة والتحريات الصادقة ولا يشوبه شيء من الهوى أو رعاية مصالح الناخبين فى أى قطر مخصوص ومثل هذا الاختلاف لا شك أنه رحمة من حيث أنه يؤدى إلى تثبيت الحقائق الإسلامية وسير الأمور حسب مقتضى القانون الإلهى فى جميع الأزمنة والعصور ...

وما عدا القياس والاجتهاد هناك طريقة أخرى للتشريع فى الإسلام ألا وهو الإجماع ومبناه أن الإيمان والعمل بالإسلام يخلقان فى المسلم ملكة تدفعه إلى الاتجاهات التى تتفق هى والروح الإسلامى وإن لم ينص القرآن والسنة على شيء فى صددها

فهذا فيما يتعلق بالأمور الدينية مع فهمنا الدين بأوسع معانيه وأشملها أى النظام الذى يسيطر على جميع الأعمال الفردية والاجتماعية مما لها شأن أدبى وأخلاقى ...

أما المسائل من قبيل تأبير النخل فلا شأن للاسلام أو أى نظام تشريعى بها لأنها من اختصاص الفنانين ومدارها على التجربة والمشاهدة لا غير ...

فلم يبق الآن إلا بعض أمور أسميها أموراً إدارية محضة مثل الحرب والسلم والخوف والأمن وهى التى يرجع فيها إلى أولى الأمر وأولوا الأمر يقضون فيها بمشورة الناس .

فلا شك أن الإسلام يقدر رأى الأكثرية حق قدره إذا صادف الحق ووافق المبدأ ، ولكن طبيعة النظام الإسلامى تأبى أن تكون للأكثرية أهمية كبرى فى التشريع لأن مصدر السلطة عند الغربيين هو الجمهور وهذا القول يستلزم أن يكون التشريع دائماً حسب إرادة الناس وهم مختلفون فى أهوائهم أما فى الإسلام فمصدر السلطة ليس إلا الله والتشريع لا يكون إلا

وفقاً لمشيئته والمسلمون كلهم سواء فى ابتغاء مرضاته ... ثم التشريع لا يحتل المكان الأول فى النظام السياسى الإسلامى لأن الإسلام فى نفسه شريعة كاملة أما أمر التفريع والاستنباط بالنظر إلى الأحوال المتجددة فهو موكول إلى نزعته وليس لكل ذى حنجرة أن يصوت فى كل ما يعنيه أو ما لا يعنيه وصفوة القول أن الجمهورية فى الإسلام ليست كالديمقراطية فى الغرب التى مدارها ، بعبارة حكيم الشرق الدكتور محمد إقبال رحمه الله على « تعداد الناس لا على وزنهم » ...

السيد محمد يوسف الهنرى

حول مؤتمر الآثار بدمشق

للأستاذ مصطفى كامل إبراهيم

لعل من أهم الخطوات الثقافية الموفقة التى كانت باكورة نشاط اللجنة الثقافية بجامعة الأمم العربية هى عقد مؤتمرى الثقافة والآثار .

ومؤتمرات الثقافة ليست جديدة على العالم العربى فقد كانت فى الجاهلية تنتظم فى أسواق الجزيرة العربية ، ثم كان الخلفاء والأمراء والسلاطين يقيمون شيئاً مثلها فى بلاطهم وتحت رعايتهم، يجتمع فيها مشهورو أصحاب الأقلام وأمراء الشعر والعلم والفن من بلدان العالم الإسلامى ، وطالما اشترك الخلفاء أنفسهم فى النقاش وتذوقوا لذته ..

على أن دراسة الآثار القديمة لم تكن لتهم القوم كثيراً فى الإسلام فقد كان يخشى المتحدث فى مدنيات الفراعنة أو الأكاسرة أن يتهم بالمروق ، أو أن يعمد منافسوه إلى أن يلصقوا به جريمة الإلحاد أو الردة أو الزندقة . وقد كانت الأخيرة فى فترة ما من حكم العباسيين جريمة تدنى رقبة صاحبها من سيف الجلاد ، مما صرف علماء المسلمين على الدراسة التفصيلية فى تراث الوثنيين فى مصر ، والمجوس بفارس ، والمسيحيين فى مصر والشام .

ثم كان لابد لهذا الإهمال من نتائج : فقد امتدت أيدى العبث والتدمير والسطو والتبديد إلى تراث القدماء ، واستمرت هذه الحال المؤلمة إلى آخر الزمان ، فلم يتردد بدر الجمالى — مثلا — وزير المستنصر الفاطمى فى سنة ٤٨٠ ﻫ (١٠٨٧) م من أن يستخدم بعض أحجار جبانة الجيزة من حول الأهرام ابناء استحكاماته ولا زالت أحجار السورين بابى النصر والفتوح تحمل رسوماً وكتابات هيرو غليفية . وفى العصر التركى تمكن عثمان كتخدا (الكخيا) من الحصول على قطعة من الحجر « الديوريت » الأخضر مما خلفه قدماء المصريين فاستعملها عتبة لمسجده فى ميدان « الأوبرا » . وليس أعجب من أن تتواتر الشائعات فى سنة ١٩٤٧ — نرجو أن تكون كاذبة — عن فكرة صهر ذهب « توت عنخ آمون » لتغطية النقد المصرى ، وما هو بكاف ولا بعشرة أمثاله .

والشيء الذى لا شك فيه ، هو أن العرب فى وسط الجزيرة سكنوا وادياً غير ذى زرع أحاطت بهم بيئة خالية من الخير ورغد العيش والاستقرار ، فنشأوا نشأة خشنة وعاشوا خلوا من شارات الفن ومخايل المدينة ، لعدم حاجتهم إليها .— والحاجة تفتق الحيلة — أو لانصرافهم إلى النضال فى سبيل العيش والتقاتل القبلى . ولما جاء الإسلام بخيره وبركته وأخرج العرب من الظلمات إلى النور ، صرف القوم إلى الفتح وتوطيد دعائم الدين الحنيف ، فلم يذق العرب حلاوة الاستقرار الحقيقى والانصراف إلى التعمير الفنى إلا أبان حكم دولة بنى أمية ، حيث رأوا لزاماً عليهم أن يأخذوا بأسباب المدنيات التى ألفوها أمامهم فى الأمم المغزوة ، فبدأ الفن يلتمع فى جبين الإسلام .

وها هى دمشق الحبيبة التى أشرق من جنباتها القبس الأول من نور الفن الإسلامى فأضاء الشرق والمغرب ، وخلق أصولا وقواعد ترسم الغربيون خطاها ونسجوا على منوالها لا يتركونها إلا ليعودوا إليها حتى يومنا هذا . ها هى دمشق تحتضن مؤتمر الآثار العربى وتحله أجمل قصورها « قصر العظم » ، تحت رعاية فخامة رئيس الجمهورية السورية الذى أضفى على المؤتمر عنايته مما كان سبباً قوياً فى نجاحه .

ويجدر بنا أن ننوه بمجهود المنظمين وهم نخبة من أساتذة الآثار المبرزين وعلى رأسهم الدكتور زكى محمد حسن ، والدكتور أحمد بدوى . أما حضرات المندوبين فقد حاضروا فى موضوعات شيقة عن تراث العرب نرجو أن يتم طبعها قريباً ليفيد منها العالم العربى

التواق إلى هذه العلوم التي ظلت ردحاً من الزمن وقفاً على المهتمين من علماء الأجانب ، يكتبونها بلغتهم وكما تمليه عليهم اهواؤهم أما فقهاء الآثار من العرب فقد كانوا — سامحهم الله — لا يكتبون إلا بلغة من اللغات « الحية » . أما العربية فكانت لا تحظى منهم إلا بجهد ضئيل .

أما المعرض الفريد الذي أقامه الأستاذ حسن عبد الوهاب بصوره — وهي كلها من روائع فنه — فقد أخرج بها زوايا مفصلة هامة للآثار الإسلامية أبرزتها في غاية من الفخامة والجلال .

ومما يثلج صدورنا نحن العرب أن نرى اليمن الشقيق يطرح اليوم سياسة العزلة والانطواء على النفس وأن نرى عاهله المعظم ، جلالة الإمام يحيى حميد الدين ، يدفع ببلاده العريقة في تيار النشاط الدولي ، فيضم جهد اليمن إلى جهود شقيقاته فيشتد ساعد العرب وتقوى الأسرة العربية ، وها هو نجله سمو الأمير سيف الإسلام عبد الله وساعده الأيمن الأستاذ العالم السيد علي ، نزيل القاهرة الآن ، دائبي النشاط فيما يفيد العرب ومما يذكر لجلالته بالثناء أنه سمح ، لأول مرة ، لعالم عربي هو الأستاذ نخرى بزيارة «مأرب» (مدينة سبأ) وطن الملكة « بلقيس » وتصوير آثارها والكتابة عنها .

وللعرب اليوم أن يطمئنوا على تراثهم القومي في الوطن الكبير ، وقد أصبحت أمانة الآثار ، والحمد لله ، معظمها في أيدي العارفين بها من أبناء العروبة ، يرون فيها العزة القومية ويضنون على تراث الأجداد ، وكنوزهم أن تذهب هباء ، أو تتسرب التحف النادرة إلى متاحف الأمم الأخرى ... يتلقفونها تلقف القناصة من زواحف الأجانب وتجار المسروقات ، ممن حذقوا في التلصص وأجادوا صناعة التهريب ، فتذهب في غفلة من العرب في عصور الاضمحلال السياسي — وهو أصل البلايا — والجهل بقيم الأشياء .

ولما كانت دراسة التاريخ تعتمد اعتماداً كبيراً على دراسة الآثار ، فإن الرواية تظل حائرة قلقة غير مستقرة ، تنهال عليها المطاعن ، وحتى يقرها ويؤيدها السند الأثري ، فقد أقر المؤتمر نشر الثقافة الأثرية بين أبناء الوطن العربي ، واقامة المتاحف ، وتبادل الأساتذة والقاء المحاضرات ، وعرض الصور ، مما يساعد العرب على استيعاب هذه العلوم القديمة الحديثة فلا يمرون بها مرور العاهل الكريم . ولا شك بأن نشر الثقافة الأثرية على هذا الوجه يتيح فرصاً عظيمة لتوثيق روابط الألفة بين أبناء العروبة في مختلف الأقطار ، وسرعان ما يصبح الوطن العربي الكبير حقيقة ماثلة في قلب كل عربي

والآثار فضلا عن أنها كنوز مادية . وتراث قومي يعيد ذكرى أيام المجد وعظمة الماضي فهي خير حافز لهمة الجيل الجديد ، تنفخ فيه من روح السمو والعزة الوطنية ما يجعله يعمل جاهداً لاسترداد مجد الأيام السالفة وعظمة الأجداد .

وقد أسهمت مصر بكثير من أبنائها في هذا المؤتمر فكان هناك مندوبون عن الجامعتين وبعض الهيئات . إلا أننا لم نر من يتكلم باسم إدارة حفظ الآثار العربية وهي التي تقوم بالحفظ والترميم والعناية بالآثار الإسلامية ، ليس في مصر فحسب بل في بعض الأمم العربية الأخرى وهو عمل خطير الشأن يرتكز على العلم والدراية ، وكذلك معهد الآثار بالجيزة فلم يشترك أحد من طلبته في نشاط المؤتمر .

أما شمال أفريقيا فلها العذر وكفاها ما بها وأعانها الله على ما رزئت به من بلية الاستعمار ، الذي جمع عليها القحط والبغي والاضطهاد

وبعد ... فإننا نرجو مخلصين أن توضع قرارات المؤتمر موضع التنفيذ ، حتى إذا جاء موعد انعقاد المؤتمر التالي ، وقد اتفق عليه أن يكون بالقاهرة ، وجد المؤتمرون أمامهم ثمرات ما عملوا فينصرفون إلى الاستزادة ، والله يجزي العاملين .

القاهرة

مصطفى كامل ابراهيم

وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

صور وانطباعات :

الجيـــل الملهم

للأستـــاذ مناور عويس

« هلمى معى من لبنان ياعروس ، معى من لبنان ! ...
انظرى من رأس أمانه ، من رأس شنير وحرمون ،
من خدور الأسود ، من جبال النمور ! ...
تحت لسانك عسل ولبن ، ورائحة ثيابك كرائحة لبنان ! ...
ينبوع جنات ، بئر مياه حية وسيول من لبنان ! . .
طلعته كلبنان ، فتى كالأرز ! ...
أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق ! ... »
« نشيد الإنشاد »

الملك الشاعر الحكيم يتغزل بحبيبته فلا يجد شبيهاً لها أجمل من لبنان .. فما سر لبنان ؟ وما هذا السحر الذى اتشح به لبنان منذ أقدم العصور حتى الآن ؟

الشعراء والفنانون ينشدون جمال لبنان ، والأنبياء يتغزلون بجمال لبنان ، والرعاة والفلاحون ينظمون العتابا والموال فى حب لبنان ! ...

« إذا ذكر لبنان تواردت على الذهن مواكب من الصور والأخيلة والأشباح والأحلام ، وانتشرت فى الأنف روائح الصنوبر والبخور والصعتر والفل والياسمين ، وانتصبت أمام الأعين غابات من الأرز والبلوط تعدو فيها الأسود والنمور والظباء ! »

فينيقياه ، عشتروت ، جبيل ، الأرز ، صور ، بعلبك ، حرمون ، قاديشا ! ... يا لها من أسماء صغيرة لها فى النفوس الشاعرة فعل الصهباء ، ففى ذكر هذه الأسماء تلخيص لتاريخ الإنسان القديم وأديانه ، « فعلى شواطئ لبنان ازدهر العقل البشرى وترعرع ، وعلى شواطئ لبنان استيقظت الروح فى الإنسان فعبد الله فى صورة عشتروت » . وفى غابات لبنان مثلت أروع أدوار الحب بين الآلهة كما تخبرنا بذلك الأساطير المصرية والفينيقية ، وفى جبيل تلك البلدة الصغيرة اليوم الواقعة بين طرابلس وبيروت مثلت أفجع مأساة للحب بين (إيزيس) و (أوزايرس) . ومن أمام الأرز الخالد ، الرافع رأسه نحو السماء ، الهازئ بالزمن ، الضاحك من الإنسان وغروره ، أجل من أمام الأرز مرت جيوش رعمسيس ، وجحافل المقدونى ، وأبطال بومبى ، ومساعير معاوية ، وقوات السلطان سليم ، وعسا كرابراهيم باشا .. مرت كلها من أمام الأرز مطأطئة الرؤوس خاشعة الأبصار ، حكمت البلاد ودوخت الأمصار ، عمرت ما عمرت وخربت ما خربت ، ثم مضت لسبيلها :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
جليس ولم يسمر بمكة سامر !

وظل الأرز رافعاً رأسه نحو السماء يبتسم ابتسامته الأزلية !

وهذه صور التى كانت فى ما مضى سيدة مدن فينيقيا ، صور التى وقفت فى وجه الاسكندر العظيم وأرغمته وجنوده على تحمل البرد والحر سبعة أشهر خارج أسوارها ، تراها اليوم قرية صغيرة أقرب إلى الخراب منها إلى العمران (فسبحان من رد عامرها خراباً وجعل أنسها وحشة) وأدال منها إلى سواها !

وهذه مدينة البعل التى شهدت عظمة فينيقيا واليونان والرومان ومجد العرب والترك ، ما تزال أعمدتها شاهدة على تفوق العقل البشرى وجبروت الإنسان !

أى مدينة الشمس ! لقد وقفت إزاء آثارك خاشعاً لدى روعة الفن ، حالماً بأشياء غامضة لذيذة كالأمانى ، ناعمة كأنفاس الربيع !

ثم هذان الشيخان الأزليان اللذان كلل الثلج هامتيهما ، واللذان كانا وما زالا رمزاً لعظمة لبنان وروعته وجلاله !

حرمون وصنين ! من وقف أمامهما ولم يحس بقرارة نفسه بالهيبة والوقار ؟ من شهدهما ولم يشعر بالخشوع والتأمل العميق؟!

وكل من أسعده الحظ بزيارة « بشرّى » حيث الأرز الخالد ، وحيث يرقد رقدته الأبدية فقيد الشعر والفن جبران خليل جبران ، ومشى بضع خطوات إلى الجنوب أشرف على واد عميق رهيب ، وهوى سحيقة تبعث الرعب والخشوع فى أقصى القلوب وتذكر الإنسان بالموت والفناء .

هذا الوادى هو وادى (قاديشا) أو وادى القديسين ، وقد دعى كذلك لأن النساك والمتعبدين فى عصور المسيحية الأولى اتخذوا مناوره معابد ، وكهوفه صوامع يتعبدون فيها ويتهجدون حيث الوحدة الشاملة المغبوطة ، والسكينة الخالدة ، التى لايكدرها

غير هدهدة المياه المنحدرة من فوق الصخور على حصباء الوادى !

فينيقيا ، عشتروت ، جبيل ، بعلبك ، حرمون ، صنين ، الأرز ، قاديشا ... كلها أسماء تفيض شعراً وإلهاماً وتاريخاً ، إنها مصدر وحى للأديب لا ينفد ، ومورد عذب للفنان لا ينضب ، فقل أن تجد شاعراً أو كاتباً شرقياً كان أو غربياً يخلو شعره أو نثره من وحى هذه الأسماء الملهمة ، ذلك لأن لبنان فى نظر الشعراء والكتاب – الشرقيين منهم والغربيين – « غابات مسحورة تفوح منها روائح معطرة بأنفاس عشتروت وبعل وغيرهما من آلهة الفينيقيين وأبراج وقصور من المرمر والنحاس ، وأسود ونمور وظباء وأيائل وصوامع وهياكل وأنبياء وقديسين ! »

فهذا « لامرتين » شاعر فرنسا العظيم يزور لبنان ويستلهم أرزه فيوحى إليه بآيته الباقية ما بقى الشعر الفرنسى ، وأعنى بها (سقوط ملاك) . وهذا (رينان) الفيلسوف الشهير يأوى إلى أحد أديرة لبنان ليكتب كتابه الخالد « ابن الإنسان » ، وكذلك (شاتوبريان) و (هنرى بوردو) صاحب القصة الشهيرة « تحت ظلال الأرز » ، وهى قصة واقعية معروفة ، بطلها فتى مسلم من طرابلس ، وبطلتها فتاة مسيحية من بشرى ومسرحها الأرز ... وللشاعر الإنجليزى (شلى) مأساة شعرية رائعة عن موت (أوزايرس) وبعثه فى مدينة (جُبَيْل) اللبنانية ، وكذلك الشاعر الخالد وليم شكسبير وغيرها كثيرون

فلبنان شاعر وملهم الشعراء ، وأبناء لبنان شعراء بالفطرة ، « وكيف لا يكونون شعراء إذا سكنوا لبنان وتكحلت عيونهم ببهاء صنين ، وتنشقوا عطر الأزهار المنتشرة فى أودية الجبل ووهاده ، ونظروا إلى البحر الأزرق والسماء الصافية الأديم ، وأشرفوا على تلك القمم المزينة بالمعابد والقباب والأجراس ، وتظللوا بظل الأرز الخالد المرتفع فى الفضاء كأنه صلاة تصعد إلى العلى ؟! »

لقد طبع لبنان أهله بطابعه الخاص ، ففى أخلاقهم رقة نسيمه وصلابة أرزه ورسوخه ، وفى أدبهم ما فى لبنان من عذوبة وجمال وسحر وروعة ... لقد جرى حبه فى قلوبهم مجرى الدم ، فهذا شاعرهم داود عمون يوصى قبل موته بأن يجعلوا من ثلج لبنان كفنه ، وفى ظل الأرز ضريحه :

يا بنى أمى إذا حضرت ساعتى … والطب أسلمنى
فاجعلوا فى الأرز مقبرتى … وخذوا من ثلجه كفنى !

طالما تنافس الشعراء والكتاب قديماً وحديثاً فى وصف لبنان وتصوير جماله ، فلا ترى شاعراً زاره أو مر به إلا ألهمه من الشعر أطيبه ومن النثر أطربه . فالمتنبى شاعر العظمة الذاتية والطموح يمر بلبنان فلم يثنه طموحه ولم تنسه مطامعه أن يصف وعورة مسالك لبنان وصعوبة قطع عقابه :

وعقاب لبنان ، وكيف بقطعها … وهو الشتاء وصيفهن شتاء ؟ !

ويزوره شوقى لأول مرة فيروعه فيهتف :

لبنان والخلد اختراع الله لم … يوسم بأزين منهما ملكوته !

ولحافظ ومطران والرصافى والزهاوى وغيرهم من كبار شعراء العربية فى لبنان ما يسكر ويرقص ... ومن أروع الشعر ماخاطب به الشاعر العبقرى الياس أبو شبكة لبنان :

لبنان ! ياريف السماء وثغرها ! … فى كل شبر من ترابك ملهم !
ما أنت بالبلد اليتيم وإنما … فى كل عين لا تراك تيتم !

أما شعراء المهجر وعلى رأسهم جبران ونعيمه والقروى والريحانى وأبو ماضى وفرحات والمعلوف وغيرهم ممن لا تحضرنى أسماؤهم الآن ، فقد جعلوا من لبنان وطناً روحياً يحجون إليه بأرواحهم ويلهجون به فى يقظتهم ومنامهم ، فأبدعوا لنا من تغنيهم بلبنان والحنين إلى لبنان أدباً جديداً وروحاً جديدة لم نعهدها فى الأدب العربى من قبل ، فرفعوا بذلك رأس الضاد عالياً ، ولفتوا أنظار الغرب إلى هذا الشرق الحالم المتأمل الذى تتلمذوا عليه فى ما سلف من الزمان وقبسوا من أنواره ، والذى سوف يعودون إلى أحضانه حينما ترهقهم هذه الحياة المادية التى يرزحون اليوم تحت أعبائها الثقيلة ... !

فبلد تحج إليه قلوب الناس من جميع أقطار المسكونة ، وتحلق فوقه أرواح الشعراء والملهمين من جميع الأمم والأجناس ، بلد ينجب الأبطال والباباوات والقياصرة العظام ، وينشىء الفلاسفة الأفذاذ والشعراء والكتاب والفنانين والقديسين ...

بلد من أبنائه ميخائيل نعيمه وجبران والريحانى وى لاشك فى أنه بلد جدير بكل عربى القلب واللسان أن يحبه ويكبره ويتعلق به ، لأنه من البلاد العربية كالقطب من الدائرة ، وكالقلب من الجسم ... فحيا الله لبنان وأبناء لبنان !

(يافا) **منور عوبس**
مدرس الأدب العربى بكلية تراسانطه بيافا

٤ – من ذكرياتي في بلاد النوبة :

جغرافيــة البــلاد

للأستـــاذ عبد الحفيظ أبو السعود

وما كدنا نقيم بالمدرسة ، ونزاول عملنا فيها ، ونتصل بهذه الحياة الجديدة ، ونتعرف إلى الأهلين في هذه البلاد ، ونجوب أنحاءها ، ونشاهد آفاقها – ما كدنا نفعل ذلك ، حتى أدركنا قيمة المعرفة ، ومنزلة الترحال ، والانتقال من مكان إلى مكان ..

لقد شعر كل منا بالتقصير في حق بلاده ، والتفريط في مصلحة وطنه ، لأنه لا يكاد يعرف شيئاً عن هذا الوطن ، الذي تقله أرضه ، وتظله سماؤه ، وينشق عبير روضاته ، وينعم بثماره وخيراته ...

أدركنا هذا ، وشعرنا به وتمثل لنا حينئذ نشاط الأجانب ، وقيمة الرحلات عندهم ، وأثرها في حياتهم ، وكيف أنهم ارتفعوا بها قدراً ، وعظموا بها منزلة ، وخلدوا بها ذكراً ، وبعدوا شأواً ودفعتهم إلى العمل المنتج ، والسعي الحثيث !.

وهالنا ألا يكون نصيبنا من جغرافية بلادنا سوى معلومات ضئيلة ، لا تنبض بالحياة ، ولا تكاد تنهض على قدمين ، أو تقوم على ساق ، لأنها تنبت في حجرات الدراسة فحسب ، ولا تنال حظها من واقعية الحياة !!

ويقيني أنه واجب على المثقف إذا حل ببلد ، أن يعطيه شيئاً من اهتمامه ، وجانباً من عنايته ، فيدرسه دراسة توقفه على جميع ما يعنيه ، من مختلف نواحيه ، بحيث يجيب إجابة حسنة إذا سئل عنه وخوطب بشأنه ..

وإذا فهم الإنسان البيئة الجديدة التي يحيا فيها ، أمكنه أن ينتج على خير ما يحب ، وأن يؤثر فيها كما يريد ، دون أن تتكاءده عقبة ، أو تقف في سبيله صعوبة ، أية كانت ... ومن الخطأ أن يترك بيئة دون أن يحدث فيها أثراً يذكره به أهلها ، ويحيا به في ذكراهم على الدوام .

لهذا كله ، عنيت بدراسة بلاد النوبة ، ولن يكلفك معرفة جغرافيتها ، أكثر من نظرة فاحصة إلى خريطة الوجه القبلي ، وبخاصة مديرية أسوان ، لتدرك أن الجزء المزروع شريط ضيق على شاطيء النيل ... بيد أن هذا الشريط يكاد ينعدم تماماً ، ويتلاشى في المسافة ما بين الشلال وحلفا ، وهذا الجزء نفسه هو بلاد النوبة ، إحدى مناطق القطر المصري ، وهي جزء من مديرية أسوان ، غير مطروق .. ولذا فبلاد النوبة قليلة السكان ، لاتحظى بإقبال المصريين ، مثقفين أو غير مثقفين ، ولا بإقبال أهلها أنفسهم على العمل فيها ، والانتفاع منها !!

وحدود هذه المنطقة الشلال شمالا ، وأدندان جنوباً ، وهي آخر الحدود المصرية كما قضت بذلك السياسة الغاشمة ، سياسة الاحتلال المقيت . ومن الشرق والغرب على السواء ، سلاسل جبال تختلف ارتفاعاً وضخامة ، وصحارى منبسطة واسعة ، لايكاد يقيم فيها الإنسان ، اللهم إلا الجزء الواقع على النيل مباشرة فيضم نجوعاً كثيرة متناثرة على الشاطئين ، وهي مثال الفقر والحاجة ، ورمز البؤس القاتل ، والشقاء الأليم .. وهي مع هذا عنوان التضحية ، والتفاني في حب الوطن ، حيث مسقط الرءوس مهما اشتد البلاء ، وتمادى القدر في الغلواء !!

والمسافة من الشلال إلى وادي حلفا ، حوالي ثلاثمائة وخمسين كيلو متر ، مقسمة إلى أربع وأربعين محطة تقريباً ، تقف الباخرة البطيئة (البوستة) في كل منها ، تحمل البريد ، والبضائع والركاب ، منها وإليها ، ولا تقف الباخرة السريعة إلا مرة واحدة في عنيبة ..

وإذا كان هذا الاسم (بلاد النوبة) يلقى في روع الإنسان حين يسمعه ، أو يقرأ عنه أن سكان هذه البلاد نوبيون جميعاً ، فإن الحقيقة غير هذا ، والواقع يخالفه .. ذلك لأن هذه البلاد تنقسم إلى ثلاث مناطق تختلف كل منها عن الأخرى تمام الاختلاف ، وتباينها إلى حد كبير .

فالمنطقة الأولى من الشلال إلى المضيق ، وهي خمس عشرة محطة : الشلال ، دهميت ، الأمباركاب ، خور رحمة ، أبو هور ، مرواو ، مرية ، قرشة ، جرف حسين ، كشتمنة ، الدكة ، العلاقي ، قورته ، السيالة ، المضيق .

وللشلال شهرة بالملاحة ، فأكثر الملاحين الذين يشتغلون في

البواخر النيلية بوجه عام ، تجارية وحكومية ، وشراعية ، من هذه البلاد الصغيرة المسماة بالشلال !!

وإنك لتعجب أشد العجب حينما ترى أبناء هذه البلدة يثبون فى البواخر وثبا ، ويقفزون هنا وهناك ، وكأنما ولدوا على ظهور هذه البواخر ، وعلى صفحات النيل ، وبين موجاته العاتية ، وتياره الجارف ، ومع هذا فلا ينالهم أذى ولا يلحقهم مكروه !!

بيد أن الألم يحز فى نفسك حزاً ، حينما تراهم يرتدون الأسمال البالية ، التى لا تكاد تستر شيئاً من أبدانهم وأجسامهم ! تلك الأجسام الهزيلة الضعيفة ، التى لا تكاد تقوى على الحركة والحياة ، فلقد اجتمع عليها المهلكات الثلاث : الفقر والمرض والجهل ... وما أكثر هؤلاء الصبية فى محط الشلال ، حيث القطر الحديدية ، والبواخر النيلية ..

وفى الدكة مشروع للرى ، ولهذا فقد اشتغل كثير من أهلها بالزراعة ، وقد شعرت وزارة المعارف بازدياد حركة التعليم فى هذه البلاد فأنشأت فى الدكة مدرسة ابتدائية ، حتى تقاوم الجهل وتثقف العقول ، وتنير الأذهان والفهوم ..

وكذلك فى كل من العلاقى ، والسيالة ، مشروع للرى ، بعث النشاط نسبياً فى أهل هذه البلاد وما جاورها ، وجذبها إلى موطنها الأصلى ، بدل التشرد فى كثير من بلاد القطر ، سعياً وراء الرزق والقوت ، ومزاولة أعمال ومهن ، اشتهرت بهم ، واشتهروا بها ، ولكنها لا تناسبهم الآن ، أو بالأحرى لا يرضى عنها الجيل المتعلم الجديد ، الذى تعلم واكتملت ثقافته ، واتسعت مداركه ...

والمنطقة الثانية من السبوع ، إلى كرسكو ، وهى ست محطات : السبوع ، وادى العرب ، شاترمة ، المالكى ، السنقارى كرسكو ، وليس فى هذه المنطقة مشروعات للرى ، ومع هذا فأهلها يزرعون المساحات القليلة الضئيلة على جانبى النيل ، ويجدون فى هذا مشقة لا تكاد توصف ، ويكفى أن تدرك ، أنهم يجلبون (الطمى) من النيل عند ما ينحسر الماء ، ويضعونه فوق السفح الصخرى إلى حد يكفى لنمو النبات ، ثم يرفعون الماء بالدوالى والنواعير ، ويبذلون فى ذلك جهداً لا يقاس به جهد إنسان والغنى القادر فيهم من يصلح بهذه الطريقة بضعة قراريط !!

بيد أن بلدة المضيق ، خليط من العرب أهل المنطقة الثانية ، ومن النوبيين الشماليين ، أهل المنطقة الأولى ، ولهذا نجد لغتهم خليط من العربية و (الرطانة) النوبية ، وكذلك بلدة كرسكو على هذا الوضع لوقوعها بين المنطقة الثانية ، والمنطقة النوبية ... منطقة أهل الجنوب ..

وأما المنطقة الثالثة فهى أحسن حظاً من هاتين المنطقتين ، وأرغد عيشاً ، وأكثر ثراء وغنى ، وهى أربع عشرة محطة : أبو حنضل ، الديوان ، الدر ، توماس ، قتة ، إبريم ، عنيبة ، الجنينة ، مصمص ، توشكى ، أرمنا ، أبو سمبل ، بلانه ، أدندان .

وفى كل من توماس ، وعنيبة ، وبلانة ، مشروع للرى ، إلا أن بلانة أخصب بلاد النوبة ، وأنضرها زراعة ، وأوفرها محصولا ، وأسبقها فى ميدان التقدم الزراعى الذى ينتظر هذه البلاد ، بجانب التقدم الصناعى الذى سيجرفها جرفاً إن شاء الله ، ضمن ما يجرف من بلاد القطر ، الغنية بالمعادن الدفينة ، والثراء المقبور !!

ولكل منطقة من هذه المناطق الثلاث ، اسم خاص بها ، فالمنطقة الأولى منطقة (الكنوز) أو منطقة (نوبىّ الشمال) . والمنطقة الثانية منطقة وادى العرب . والثالثة منطقة (نوبىّ الجنوب) .

ولكل منطقة من هذه المناطق كذلك عادات وتقاليد خاصة تغاير تمام المغايرة المنطقة الأخرى ، وهذا مما يجب أن يدخل إلى حد كبير فى حساب الباحث ، إذ أن واحداً من الكنوزيين ، أو أهل الشمال ، لو أراد أن يكلم آخر من نوبيى الجنوب ، فإن أحدهما لن يفهم شيئاً مما يقول صاحبه ، فلكل لهجة خاصة ، أو ما يسمونه (رطانة) ...

ولن يحاول ساكن المنطقة الثانية — منطقة العرب — أن يفهم من أحدهما شيئاً ، لأنه لا يعرف شيئاً من (الرطانة) وإنما هو يتكلم اللغة العربية التى دخلها قليل من اللحن والتحريف وإن كان يحتفظ باللهجة الجميلة ، ذات الجرس الموسيقى البديع ! غير أن اللغة العربية تجمع بين هؤلاء الإخوة جميعاً ، ولكنها عربية غير سليمة بطبيعة الحال ، وكثير من الصبية والصغار لا يعرفون العربية ، ولا يرضون بالرطانة بديلا ، وكذلك أكثر

الغزل فى شعر المرأة ...

للشيخ محمد رجب البيومى

— ١ —

من الأدب النسوى :

شعر المرأة فى مجموعه قليل ضئيل فأنت تجد الموسوعات الأدبية تزخر بأشعار الرجال فى شتى المواضيع ، دون أن تطالع للمرأة غير البيتين أو الثلاثة فى الفصل الطويل ، ولا يرجع ذلك إلى غبن أو تقصير فى جنب المرأة كما قد يتوهم فريق من الناس ، بل لأن المؤلف يحرص على أن يختار لقرائه أنفس ما وقعت عليه عينه من رائع الشعر ، وبديع القول ، والمرأة وإن أجادت فى كثير من الأغراض فالرجل بلا شك أكثر منها إجادة ، وأكمل توفيقاً ، فالمؤلف إذن معذور مشكور ...

والغزل بنوع خاص لم يظفر بنصيبه الذى يستحقه من المرأة بل كان عنصراً عزيز المنال ، قد قامت دونه العوائق ، وتكاثفت أمامه السدود ، وذلك طبيعى للغاية إذا نظرنا إلى البيئة الشرقية التى ترعرعت فيها الفتاة العربية ، وعلمنا أن من الواجب الأكيد على الشاعرة أن تقف إزاء عواطفها القلبية صامتة مفحمة مهما اعتلج صدرها بالشوق ، واستعر فؤادها بالحنين ، وإلا فنحن نرى من الفتيات من نظمن القلائد البديعة فى مختلف أغراض الشعر ما عدا الغزل ، فقد أمسكت حواء عنه ، ولم تحلق بجناحها الشاعر فى أجوائه الفسيحة . فهل كان ذلك عن عىّ أو قصور؟ ! أو أن الرقابة القاسية من الأهل قد أخرست الألسنة الشادية ، وألجمت الطيور الصادحة ، رغم ما نعرفه فى المرأة من شعور دافق وإحساس مشبوب ...

ونحن نعلم جيداً أن بثينة صاحبة جميل ، وأمَيْمة فاتنة ابن الدمينة ، وليلى معبودة قيس ، قد كن شاعرات مجيدات ، فليت شعرى أين ما نظمنه من الغزل الرقيق ؟ مع ما يعترف به التاريخ من تفانيهن فى العشق ، وجنونهن فى الحب ، اللهم إلا أن تجد لكل واحدة مقطوعة ضئيلة لا تتناسب مع ما يتأجج فى صدرها من لهيب !

وإذا كان ابن الأيك يجنح إلى الترنم فى خلسة مواتية مهما نصبت حوله الشِّباك الوثيقة ، وقامت فى وجهه الموانع المتزاحمة فإن الأسفار الأدبية قد حفظت لنا جمرات مشبوبة من غزل المرأة الرائق وهى — على قلتها — تعطيك فكرة تامة عن القيمة العقلية للمرأة ، وتوقفك على كثير من الانفعالات النفسية التى تكابدها الفتاة إذا احترقت فى سعير الغرام

والواقع أن المرأة لم تلج باب الغزل صريحة سافرة بل تلثمت بكل ما ملكته من براقع وخمور ، فكان غزلها فى الغالب تلميحاً يهديك إلى الطريق ويحملك تسير فيه وحدك دون أن يرافقك فى خطواتك ، وقد تجد من يسلبها الوجد رشادها الناصح ، فتنطق بما يجيش فى صدرها واضحاً سافراً دون أن تتلثم بلثام واحد دلها من شعورها الدافق ، وغرامها المتقد ما يبرر لها الغزل والتشبيب

وصاحبة التلميح أريبة ذكية تعرف من أين تؤكل الكتف فقد استغلت عنصر الحنين إلى الوطن أتم استغلال ، فاعتمدت

النسوة اللاتى لم يغادرن بلادهن ، إلى مختلف بلاد القطر . فهؤلاء لا يتكلمن بالعربية على الإطلاق ، لأنهن لا يكدن يعرفن عنها شيئاً أكثر مما يعرف عنها أهل القطبين !!

ومن العجيب أن التنافس شديد فى العلم والمعرفة ، والرقى إلى المناصب السامية ، والتخلص من ربقة الماضى الأليم — بين أهل الشمال وأهل الجنوب من النوبيين فحسب ، أو بالحرى بين المنطقة الأولى والمنطقة الثالثة ، ويظهر ذلك جلياً بين تلاميذ مدرسة عنيبة ، فى بدء العام الدراسى عند الدخول أو الالتحاق بالمدرسة ، ثم يزداد وضوحاً فى حجرات الدراسة مما يشحذ الهمم ويلهب القرائح ، ويدعو إلى التفوق والنهوض ..

ويلاحظ أن تلاميذ المدرسة من أهل الشمال ، أكبر سناً من تلاميذها من أهل الجنوب ، وربما يكون مرجع هذا إلى أن قرب المدرسة من أهل الجنوب يساعدهم على الالتحاق بها فى سن صغيرة .

كما تبدو هذه المنافسة بين الكبار فى شتى النواحى ، ومختلف مظاهر الحياة ، مما قد نعرض له فى سياق الأحاديث .

عبد الحفيظ أبو السعود

عليه فى التنفيث عن صدرها ، والتعبير عن خوالجها ، لما تعلمه من الصلة الوثيقة بينه وبين الغزل ، وهى بذلك قد أخمدت الفتنة الثائرة ، وأغمضت العيون المتنمرة ، ثم — هى فى الوقت نفسه — قد أفهمت حبيبها كل شىء . فأدرك من حنينها الذائب ما يتقد فى أحشائها من شوق . وهـذا فى الواقع مطلب عزيز ، تبذل العاشقة جهدها الجاهد فى تحصيله ، فلم لا تصل إليه من أقرب طريق ؟ ؟

ونحن نعلم عاشـقات مدنفات قد اشتهر فى الملأ شوقهن العارم ، فما احتمله قريب أو صديق . بل عمد كل والد إلى فتاته فحملها إلى وطن غريب ، وعقد قرانها فى بلد نازح ، وهنا ترسل النائية حنينها إلى مسارح الصبا وملاعب الشباب ، وأنت حين تقرأه لا تجده غير غزل مقنع قد أهدى إلى الحبيب الأول ففهم منه كل شىء ، ولك أن تعتبر من هذا النوع قول القائلة :

ألا أيها الركب اليمانون عرّجوا علينا فقد أضحى هوانا يمانيا
نسائلكم هل سال نعمان بعدنا وحب إلينا بطن نعمان واديا
فإن به ظلا ظليلا ومورداً به نقع القلب الذى كان صاديا

فهـل صحيح أن الشاعرة تقصـد ماء نعمان ، وظله الظليل ومورده الرائق ؟ ! لو كان ذلك وحده ما أحسست بهذه الحسرة المتأججة ، واللهفة المشـتعلة ، وما اهتدت الشاعرة إلى قولها الرائع « به نقع (القلب) الذى كان صادياً ! »

ونظائر هذه الأبيات لا تندرج تحت حصر ، وهى تدلنا على فطنـة المرأة ، وذكائها اللماح ، وتؤكد لنا أن الحب كالزهرة الناضرة ، لابد أن يعبق أريجها فى كل مكان تحل به وهل كان الحنين غير عبير فاتن ينعش الأفئدة ويبهج النفوس ؟!

وكثيراً ما تفر المرأة من الحنين إلى الـكناية والرمز ، وهى فى ذلك تقتدى بالرجل فتسير وراءه خطوة خطوة ، ولـكن أى رجل تتبع ؟ ؟ إنها تعـمد إلى شاعر سـدت أمامه المسالك ، وصلصلت فى كفه القيود ، فتتجه معه فى اتجاهه ، ما دامت ظروفه القاسية كلابسانها المنيدة ، وإذا كانت المرأة تعتقد فى قرارة نفسها أن الرجل أحزم منها وأعقل ، فإنها تسلك طريقه مطمئنة إلى السلامة واثقة بالنجاة ...

ولعل أصدق مثال نقدمه للقارىء ، هو حميد بن ثور الهلالى فقد كان ممن برح بهم العشق فأرسل قصائده الغزلية سافرة عارية

ولـكن الحاكم يقف فى وجهه منذراً مهدداً ، فيمنعه من التفريد الساحر ، وهنا يلجـأ الشاعر إلى الـكناية المقبولة فيتغزل فى السرحة مطنباً فى محاسنها الفاتنة ، ولعمرى لقد وفق فى اختياره فالسرحة ذات منظر جذاب ، وثمر شهى ، ونسيم منعش مريح وكل ذلك مما يذكر العاشق المدنف بمعبودته فيتمثلها أمام عينه إذ يقول :

أيا طيب رياها ويا حسن طعمها إذا حان من شمس النهار شروق
وهل أنا إن عللت نفسى بسرحة من السرح مسدود على طريق

ومهما يكن من شىء فقـد نفث الشاعر عن صبره . ولم يجعـل لأحد سلطاناً عليه ، ثم هو قد فتح الباب على مصراعيه لعلية بنت المهدى شقيقة الرشيد . فقد علقت غلاماً لها يسمى طلا ونظمت فيه من الرقائق الأنيقة ما هو جدير بأمثالها من المثقفات الناعمات ، ولـكن هرون يقف أمامها وقفة تحدى بها الفن تحديا صارخاً ، فلجأت إلى التغزل فى السرحة مقتدية بحميد إذ تقول

أيا سرحة البستان طال تشوق وما لى إلى ظل لديك سبيل

ثم تطنب فى وصفها الساحر فتجلس على ناصية الإبداع والافتتان وذلك منها غير كثير ...

وفى رأيى أن هـذه الحيطة جيلة مقبولة تسير مع الأخلاق النبيلة فى مهيع واحد ، وإن كان من الشاعرات السـذج من تبالغ فى الحذر والحيطة ، فتعلن لك أنها تتقى الله عز وجل وتأتمر بأمر العفاف ، ثم تعتقد أنها قد أمنت بذلك ما عسى أن يوجه إليها من ملامة أو نقـد ، فتصرح بما يثير حولها الشـكوك ، ويجعلها مضغة ملوكة فى الأفواه ، ودونك قول أم ضيغم البلوية

وبتنا خلاف الحى لا نحن منهمو ولا نحن بالأعـداء مختلطان
وبتنا يقينا ساقط البرد والندى من الليل بردا يمنـة عطران
نذود بذكر الله عنا من الصبا إذا كان قلبانا بنا يجفان
ونصدر عن أمر العفاف وربما نقعنا غليل القلب بالرشفان

وأنا لا أدرى ماذا يفيدها ذكر الله بعـد أن نقعت غليل القلب بالرشفان ؟ وماذا يغنى العفاف بعـد أن باتا فى مكان قاص خلاف الحى ؟ ، اللهم إن هذا احتراس أدى إلى افتضاح ولـكن فيه رائحة الطمأنينة على كل حال ...

ومن العاشقات من تصرح للمـلأ بتقوى الله عز وجل واستحياء بمض العواقب ، ولـكنها تعتصم بالعقل فلا تتورط

فيما تورطت فيه أم ضيغم ، بل تسير فى سبيلها المملوء بالشوك بيقظة محاذرة ، تتجنب العوائق ، وتتجافى عن المزالق حتى تنتهى من المسير بسلام ، والتفت مى إلى عاتكة المرية إذ تقول :

وما طعم ماء أى ماء تقوله ... تحدر من غر طوال الذوائب
بمنعرج من بطن واد تقابلت ... عليه رياح الصيف من كل جانب
نفى جرية الماء القذى عن متونه ... فما إن به عيب يتاح لشارب
بأطيب ممن يقصر الطرف دونه ... تقى الله واستحياء بعض العواقب

ثم صارحنى رأيك هل لاحظت عليها تورطاً وانزلاقاً كأم ضيغم أو وجدت فى قولها ما تشم منها رائحة الريب الآثم ، الحق أنها كانت لبقة ماهرة فيما نظمته ؛ وأنا لا أدرى لماذا تذكرنى أبياتها بأبيات أخرى تتفق معها فى الطريقة ، وتخالفها فى التفكير .

ونحن لايهمنا أن يكون الإطار من نوع مألوف بل نحرص على أن تكون الصورة جديدة والريشة بارعة كما جاء فى قول ضاحية الهلالية :

وما وجد مسجون بصنعاء عضه ... بساقيه من صنع القيون كبول
قليل الموالى مستهام مروع ... له بعد نومات المشى عويل
يقول له السجان أنت معذب ... غداة غد أو مسلم فقتيل
بأكثر منى لوعة يوم راعنى ... فراق حبيب ما إليه سبيل

فأنت ترى أن الطريقة الأولى هى الطريقة الثانية ولكن معنى عاتكه مكرر معاد(١) أما أبيات ضاحية فذات تصوير مبتكر وأنت لا تستطيع أن ترجع بها إلى قائل متقدم ، مهما أتعبت نفسك فى التنقيب ، ثم هى تصور لك جزع المرأة من السجون ورهبتها من القيود ، وليت شعرى إذا لم نلمس إحساس المرأة من شعرها العاطفى فمن أى نبع دافق نستقيه ؟ أما قوة النسج فبارزة بوضوح فى كلتا المقطوعتين

(يتبع) **محمد رجب البيومى**

(١) لا تكاد الصورة الوصفية لماء فى قول عاتكه تخرج عن قول كعب بن زهير

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول
شجت بذى شبم من ماء محنية ... صاف بأبطح أضحى وهو مشمول
تنفى الرياح القذى عنه وأفرطه ... من صوب غادية بيض يعاليل

صــــــور

(هى من وحيها وفيض هواها)

للأســتاذ أنور العطار

أنت دائى ما أنكرتك الجروح … لا ولا عقك الفؤاد الذبيح
طائف منك مر بالقلب هيما … ن ، فجن الهوى وضجت قروح
وتملت منك كيف أنوح

أنت وهم حلو يلذ ويغرى … أنت كالخمر فى الأضالع تسرى
أنت سر الهوى تغنى بك القلـ … ـب ، وشعر أربى على كل شعر
وصلاة تروق قلبى وفكرى

أنت دوح يموج بالأطياب … فتنة العين مطمح الآراب
يتغنى بك المشــوق المعنى … ويناجيك بالأمانى العذاب
وأغاريد قلــبى المطراب

أنت طيف الهوى وأنغام حبى … ونصيرى على اغتمامى وكربى
وسميرى فى وحدتى واعتزالى … وأليفى إذا تبــدد صحبى
أنت راحى وأنت ريحان قلبى

أنت لحن جم المناغم بكر … ملؤه روعة وسحر وشعر
وسراب إذا تلفت أبغيـ … ـه انثنى ضائعاً وولى يفر
واعترانى عليه حزن وذعر

صــور يغمر العيون سناها … وأمانى لا يحــد مــداها
نغمات تظل تعزف فى النفـ … ـس ، ويبقى على الليالى صداها
هى من وحيها وفيــض هواها

فلسطين رمز جهاد العرب

للأســـــتاذ ابراهيم الوائلى

فلسطين لا زعزعتك الخطوب … ولا أرهقتك ثقال النـَّوب
ولا أرهنتك عوادى الزمان … إذا ما دجا أفقها واضطرب
ولا فلَّ عزمك طول الـكفاح … فانك رمز جهاد العرب
وقفت ومثلك لا يستكين … مناضــــلة حين جدَّ الطلب
وأزمعت ألا ترى غاصباً … يجوس لديك خلال الرحب
ولا طامعاً أشــــعبى الرجاء … يظن بأن سينال الأرب
و كيف يكون — وفيك الأسود … غضاباً وواديك واد أشب
وخلفك جيش يخوض الدماء … ويسبح فى موجها المصطخب
ودنيا سواء لديها النسيم … ندىُّ الذيول ، وحرُّ اللهب

* * *

فلسطين ما كنت مأوى الدخيل … ولا طعمة الشره المغتصب !
ولست ملاذ الشريد الذليل … ولا مسرح اللاجىء المغترب !
غزاك من النفر الصاغرين … طريدون لم يجدوا مضطرب
عصائب قد أمعنوا بالنفاق … ونفث السموم وبث الريب
أرادوك ملجأ شــــذاذهم … على غير ما صلة أو سبب

* * *

فلسطين أين دماء الشباب … تذوب على سفحك المختضب ؟
وأين الرؤوس تقود النضال … وتسحق من كبرياء الذنب ؟
ومالك والدم يجرى بها … سجل يفاخر حتى الشهب
وتاريخك الناصع المستفيض … يطاول من قال أو من كتب
طويت السنين ثقال الخطى … وما كان حظك غير الوصب
وقمت بما يقتضيه الفخــــار … فإما الممات وإما الغلب
وما قدر حى يحب البقاء … ودنيـــاه حافلة بالسغب

* * *

فلسطين يا صرخة الثائرين … على الظلم حين طغى واستتب
ويا غضبة رددتها العصور … لتعلم صهيون كيف الغضب
حملت اللواء على منكبيك … خضيباً وقلت : حذار الهرب
وكنت الدؤوب وهل فائز … بنيل الحقوق سوى من دأب
جهادك لحن بثغر الخلود … يرن صداه وراء الحقب
ودنيــاك محمرة الجانبين … من الدم كالشفق الملتهب

* * *

فلسطين جرحك ملء القلوب … وذكراك ماثلة عن كثب
فزعن لصوتك إذ تصرخين … وما هان أن تتعالى الندب
فنحن سواء بحمل الخطوب … ويجمعنا حولهن النسب …
جراح ولكنها فى الصميم … وداء ولكنه فى العصب
فساس على غير ما نبتغى … وندعو ولكن بمن لم يجب
ونزجى العتاب وهل نافع … مع المستبد سلاح العتب ؟

وكم ذا تملمنا بالوفاء عهود ... مبطنة بالكذب ؟

فشأن السياسة نهب الشعوب ... ودنى الجريمة عمّن نهب

* * *

يقولون : فى الكون حرية ... وفجر تألق خلف الحجب !

وحرب أثيرت لنشر السلام ... وذاك هو الأمل المرتقب

وما السلم إلا خيال بطوف ... وحلم تباعد ثم اقترب ...

وقد سخروا «الذر» حتى استجاب ... وذل لهم كل ما قد صعب

ولو صدقوا بالذى يدعون ... لما بقيت جذوة فى الحطب !

* * *

أفيقوا دعاة الخصام البغيض ... ولا تبعثوا كامنات الريب

فللعرب موطن آبائهم ... وللسامريين عجل الذهب

ديوان شعر (*)

للاستاذ بدر شاكر السياب

« إلى اللائى استعرن منى ديوانى ليقرأنه
فبات متنقلا ما بينهن ، ونال من عطفهن
ما حرمته . . . أقدم هذه القصيدة »

ديوان شعر ، ملؤه غزل ... بين المذارى بات ينتقل

أنفاسى الحرى تهيم على ... صفحاته ؛ والحب والأمل

وستلتقى أنفاسهن بها ... وتحوم فى جنباته القبل

ديوان شعر ، ملؤه غزل ... بين المذارى بات ينتقل . .

* * *

لما يعين (١) النوح والشكوى ... كل تقولى : من التى يهوى ؟

وسترتمى نظراتهن على الـ ... ـصفحات بين سطوره نشوى

ولسوف ترتج النهود أسى ... ويثيرها ما فيه من بلوى

ولربما قرأته فاتنتى ... فمضت تقول : من التى يهوى؟

* * *

سيرين ما لاقيت فى حبى ... فيصحن : ياللعاشق الصب .!

ولقد تسيل دموعهن على ... جنباته ، موصولة السكب

يا ليت قلبى من قصائده ... لترى الحسان الغيد ما قلبى

سيرين ما لاقيت فى حبى ... فيصحن : يا للعاشق الصب..

* * *

ديوان شعرى . . رب عذراء ... أذكرتها بحبيبها النائى

فتحسست شفة مقبلة ... وشتيت أنفاس وأصداء

فطوتك فوق نهودها بيد ... واسترسلت فى شبه إغفاء

ديوان شعرى . . رب عذراء ... أذكرتها بحبيبها النائى

* * *

يا ليتنى أصبحت ديوانى ، ... أختال من صدر إلى ثان . .

قد بت من حسد أقول له : ... يا ليت من تهواك تهوانى !

ألك الكؤوس ولى ثمالتها ... ولك الخلود وإننى فان ؟

يا ليتنى أصبحت ديوانى ، ... أختال من صدر إلى ثان

* * *

كم غادة شاهدت مخدعها ... ومضيت تسهر ليلها معها !

قد هزها شوق لمتسف ... أمسى هواه يسيل أدمعها

فمضت تذيع إليك قصتها ... وتبث هما فل أضلعها . .

كم غادة شاهدت مخدعها ... ومضيت تسهر ليلها معها !

* * *

ستعيش بين النور والعطر ... وتفر من صدر إلى صدر

فترى الثغور تميد ، هامسة ، ... ما فيك من فتن ومن سحر

والنهد يرمى الظل فيك على ... روض الخيال ومرقص الشعر

ستعيش بين النور والعطر ... وتفر من صدر إلى صدر

* * *

يسمعن فيك أغانى الريف ... مترنماً بحسانه الهيف . . .

الماء يشكو للجرار هوى ... والنخل فى صمت وتعزيف

والليل والأنسام عاطرة ... والزورق الغافى المجاديف

تلق مسامعها إلى الريف ... يشكو غرام حسانه الهيف

* * *

سأبيت فى نوح وتسهيد ... وتبيت تحت وسائد الغيد

أو لست منى ؟ إننى نكد ... ما بال حظك غير منكود ؟

زاحمت قلبى فى محبته ... وخرجت منها غير محمود

أأبيت فى نوح وتسهيد ... وتبيت تحت وسائد الغيد ؟

* * *

ديوان شعر ، ملؤه غزل ... بين المذارى بات ينتقل

أنفاسى الحرى تهيم على ... صفحاته ، والحب والأمل

وستلتقى أنفاسهن بها ... وتحوم فى جنباته القبل

ديوان شعر ملؤه غزل ... بين المذارى بات ينتقل

(*) من ديوان (أزهار ذابلة) الذى سيتم طبعه قريباً .

(١) من وعى يعى



هكذا تكون الشرطة !..

يا سيدى ! بالباب عسكرى يقول إنه يريد أن يسلمك محضراً !

بهذا النبأ المزعج دخل علىّ الخادم فى نحو الساعة الثامنة من مساء ليلة قريبة وأنا جالس إلى مكتبى أفتش فى المراجع دون أن أقع على طلبتى حتى ضاق صدرى ، فلم يسر عنى ما بى إلا هذا النبأ البهيج ! ووثبت من فورى أتلق البشرى ، فلقد والله زادنى الخادم غيظاً على غيظى بابتسامته البلهاء التى شفع بها هذا الخبر الأسود كما لو أنه جاء ليبشرنى بما تنبسط له نفسى !

ومشيت وأنا أسأل الخادم ، أو على الأصح أصيح به محنقاً — فقد خيّلت إلىّ أعصابى المكدودة أنه يشمت بى إذ يبتسم أو يظن بى خوفاً — أى محضر ؟ ولم أخرج من دارى نهارى كله ولا أذكر أنى فعلت بالأمس ولا قبل الأمس شيئاً يستوجب المحضر ، ولا أنا — ولله الحمد — ذو سيارة حتى أدوس بها أحداً أو أخالف بها نظام المرور ، ولست ممن يعودون إلى دورهم بعد منتصف الليل ... ولا ... ولا ...

ومضيت إلى الباب الخارجى فما راعنى إلا عُتلّ أبرز ما فيه شارباه وأنفه وطول قامته ، حتى لقد ذكرنى ذلك العملاق بتلك الصور الكاريكاتورية التى ترسمها بعض المجلات لبنى جنسه ، وأشهد والله بعد رؤيته ما فيها شىء مما كنت أظنه من مبالغة !

— ما ذا تريد يا شاويش ؟ وليصدقنى القارئ أنى أتأدب حتى فى خطاب من يسلمنى محضراً

— مى محضر يا أفندى من فضلك وقع عليه بالاستلام !

— ابن هذا المحضر ؟

— لا أعرف

— ما موضوعه ؟

— لا أعرف

هـذه والله — فى غير تحريف — إجابة الشاويش الهمام لم أصنع بها شيئاً إلا أنى عربتها ! وحبست ضحكى تأدباً علم الله وبنفسى أن أقهقه لولا أنى لا أحب أن أسىء حتى إلى مثل هذا العتل وقلت : إذا كنت لا تعرف صاحب المحضر ولا موضوع المحضر ... فلم اخترت هذا البيت بالذات ؟

— قالوا عند المزلقان ...

ومددت يدى أتناول الورق منه ، فدفعه إلىّ بعد تردد وحذر؛ وألقيت نظرة فإذا هو لفلان فى بيته المرقوم بكيت ويقع كذلك عند مزلقان وهو بشأن سيارة لم يعننى أن أعرف موضوعها ؛ وتبسمت وقلت للشرطى ليس المحضر لنا ، ورحت أصف له موضع البيت المقصود ، وأذكر له اسم الشخص المطلوب ، وحسبت أنه سوف يحمد لى هـذا الإرشاد ؛ ولكنى نظرت فإذا به يداعب شاربه ويرمينى بنظرة اشتركت فيها عيناه وأنفه وغلظه وجهله ، وإنه ليبتسم ابتسامة أسمج من هيكله ، وكأنما يريد أن يذكرنى أنه من رجال البوليس، وهل يضحك أحد أو يعكر رجال البوليس ثم قال : وقع على الورق يا أفندم ... ما فيش لزوم للزوغان !

ورأيت أنى أكون أجهل منه لو ناقشته بعد ذلك ، فهممت أن أوقع لمجرد التخلص منه ، وليفهمه رؤساؤه بعد ذلك خطأه ، ولكنى عدت أؤكد له أنى لست الشخص المطلوب ، وهو ينظر إلىّ ويصب علىّ سماجته كلها ، حتى ضقت به فقلت لن أوقع ، وإذا ذاك تراجع وطلب إلىّ أن أدله على البيت المكتوب فى الورق ... فتنفست الصعداء وقلت :

— أتعرف بيت محمد باشا محمود ؟

— محمد باشا محمود ؟ ومين محمد باشا محمود ده ؟ ومين يا أفندم اللى يعرفنى بالكلام ده ؟ !

وجذبته من ذراعه وسرت معه خطوات حتى وقفت به فى الشارع المجاور ، وهو شارع الفلكى ، وقلت له : أنت الآن تتجه « بحرى » فأين يدك اليسرى ؟ ومد إلىّ يده اليسرى فى سذاجة ، فقلت : تظل ماشياً فى هذا الشارع إلى أن تجد بيتاً كبيراً يقف ببابه ، ويقع عن شمالك ، عسكرى مثلك ، فاسأله أين البيت المطلوب ... وانطلق العملاق يتمتم بكلمات ولعله كان يستنزل لعنة الله على من كلفوه ما لا يطيق ؛ وعدت إلى مكتبى ومراجعى وأنا أقول لنفسى: هذا وأمثاله هم حفظة الأمن والنظام ، وهذا وأمثاله من يستلم المرء محضراً حقاً إذا انتهرهم أو ضاق بهم فدفعهم من طريقه أو من مدخل داره ... هـذا وأمثاله وليسوا بالقليلين هم شرطتنا ... ألا متى يفهم القائمون بالأمر ، حفظة الأمن الكبار ، حفظهم الله ، أن تغيير هذا الصنف كله بات من أوجب الواجبات ؟

الخفيف

تعقيبات

الأصدقاء والأعداء :

نشرت الجريدة الرسمية للحكومة البلجيكية قانون جمعية تألفت أخيراً باسم « جمعية الصداقة المصرية البلجيكية » ، وقالت إن غرض هذه الجمعية « توثيق الروابط الثقافية والاقتصادية بين مصر وبلجيكا » ، وذكرت أن من أعضائها « أحمد صديق باشا ، وعزيز أباظه باشا ، والمسيو هنرى أردن مدير شركة ترم القاهرة ، وحضرة سكرتير المفوضية المصرية ببروكسل » ... إلى آخر من ذكرت من ذلك الخليط ..

ومنذ أيام قليلة كانت لنا قضية أمام مجلس الأمن ، هى قضية الحياة والحرية والكرامة ، ووقفنا فى المجال الدولى نتبين العدو من الصديق ونفتش عن أولئك الذين عاشوا طول الزمن يغترفون من فيض الكرم المصرى ويقتاتون بدم الشعب الطيب الوديع ، فهالنا أن نرى « بلجيكا » فى صف الأعداء ، تأبى علينا الحياة والحرية والكرامة ، وتملن على مطالبنا حرباً شعواء فى غير خجل ولا حياء ، وهى التى تكسب من مال مصر كل عام ما يقدر بنصف دخلها أو يزيد .

فى الشدة عرفنا العدو من الصديق ، وأصبح من الواضح أين نتوجه بعواطفنا وإلى من نبذل صداقتنا ، وبالأمس حمدنا لأديب مصرى أن ألقى بوسام فرنسى من صدره إنكاراً لدولة أنكرت علينا حقوقنا ، ولكن يظهر أن عندنا جماعة من محترفى « الصداقات » وهم فى هذا السبيل لا يبالون مصريتهم ولا يراعون عواطف الشعب الذى ينحدرون منه وينتسبون إليه !

يقول الفلاحون عندنا فى أمثالهم : « ليس بعد حرق الزرع جيرة » ، فماذا يكون بيننا وبين بلجيكا من الروابط « الثقافية والاقتصادية » ولماذا نحرص على تقوية هذه الروابط بعد الذى كان من موقف تلك الدولة تجاه قضيتنا ، وتجاه حريتنا ، وبعد أن كفرت بأفضال مصر واستخفت بكرم المصريين وكرامتهم ؟؟

كلا أيها السادة ، إن الكرامة المصرية أصبحت لا تحتمل هذا التهافت ولا تطيق تلك « الصداقات الرخيصة » التى تجلب لأصحابها ما تجلب من « الأسهم والسندات » ولكن على حساب الأمة المسكينة والشعب المنكوب !!

لازاريت .. والأزهر :

أذكرنى الكلام الذى يجرى الآن عن الحجر الصحى ووقاية البلاد من الأمراض الوافدة بكلمة لها صلة بهذا الموضوع .

ذلك أن جمهورية « فينسيا » كانت أول دولة أقامت محجراً صحياً ببلادها عام ١٤٠٣ م وأسمته « لا زاريت » ، ثم كان أن أخذت الدول الأوروبية عنها هذا النظام .

ولما هجمت « الكوليرا » على مصر عام ١٨٣١ م كان الوالى على مصر محمد على باشا ، فأمر ذلك المصلح الكبير بادخال نظام « الكورنتينة » فى مصر ، فجمع قناصل الدول وألف من بينهم لجنة لوضع النظام الخاص بهذا الغرض ، وفى عام ١٨٣٢ م بنى أول محجر صحى فى الشاطئ بالأسكندرية ، وعرف هذا المكان باسم « مزربطه » أو « الأظاربطه » نسبة إلى كلمة « لازاريت » التى أطلقت على أول محجر صحى أنشأته جمهورية « فينسيا » ..

ويقول «لاروس» فى معجمه الكبير — مادة لا زاريت — « إن بعض الأفرنج يرون أن كلمة لازاريت مأخوذة من كلمة الأزهرية لأن الأزهر فى مصر ملجأ للعميان والشيوخ المتقاعدين »

ولست أدرى هل هذا هو مبلغ العلم عند هؤلاء الأفرنج ، أم هى روح التعصب والشنآن لا تفارقهم حتى فى التحقيق العلمى ، فإن كلمة « لازاريت » معروفة الأصل واضحة النسب ، فهى كلمة لاتينية معناها « المجذوم » ، وقد كانت الدولة الرومانية تبالغ كثيراً فى الحجر على المجذومين ، وكان عقاب المجذوم الذى يخرج من نطاق الحجر هو القتل السريع ، وكان أن أطلقت هذه الكلمة على نظام الحجر الصحى الذى أخذت به الأمم فيما بعد ..

على مبارك باشا :

أشار الدكتور زكى مبارك فى مقال له بالبلاغ إشارة عابرة إلى على مبارك باشا فقال : « والحقيقة أن على مبارك باشا من مديرية الشرقية ... وقد كان عظيما ، والذى يعرف تاريخه هو

الدكتور ابراهيم سلامه ، فقد نال بالحديث عن مذاهبه التعليمية إجازة الدكتوراه من باريس ... » .

وأنا رجل شرقاوى ، وكان يهمنى أن يكون ذلك الرجل العظيم من مفاخر إقليمى ، ولكن الحقيقة أنه من الدقهلية ، وقد قرر هو هذه الحقيقة فى الترجمة التى كتبها لنفسه فى الخطط التوفيقية فقال : « إن قرية برنبال الجديدة هى مسقط رأسى ، وبها نشأت ، وكانت ولادتى سنة ١٢٣٩ ﻫ كما أخبرنى بذلك أبى وأخى الأكبر ، وأصل جدنا الأعلى من ناحية الكوم والخليج وهى قرية على بحر طناح .. » ، ومن المعروف أن قرية برنبال الجديدة تقع على البحر الصغير تجاه كفر علام بمديرية الدقهلية ..

ومما يذكر بهذه المناسبة أن على باشا مبارك فر من قريته وهو صغير فأصيب بالكوليرا وسقط فى الطريق ، وكانت فاشية فى مصر يومذاك ، فحمله أحد الفلاحين إلى منزله وتولى علاجه والعناية به ، وقد كتب الله له السلامة من ذلك الوباء اللعين ...

وهناك مسألة يجب أن يتدبرها الذين يكتبون عن على مبارك باشا ، ويدرسون آثاره ويحكمون عليها ، وهى أنه رحمه الله كان يصنع فى مؤلفاته صنيع السيوطى من قبل ، فكان يعتمد إلى حد بعيد على تلاميذه ومريديه وأصدقائه فى وزارة المعارف ، ويقولون إن للمغفور له عبد الله فكرى باشا جهداً فى « الخطط التوفيقيه » ، وقد استطاع على مبارك باشا بهذه الطريقة أن يؤلف كثيراً حتى فى الموضوعات التى لم تكن لها صلة بثقافته ، وإن الكشف عن هذه الحقيقة ليجعلنا نتدبر كثيراً فى الحكم على مؤلفات ذلك الرجل العظيم وما خلف من آراء وآثار .

هذه كلمة عابرة فى الرد على إشارة عابرة ولعل الوقت يسمح لى بالكتابة عن ذلك الرجل فقد جمعت عنه من المعلومات الشىء الكثير ...

إمارة الشعر :

لمناسبة ذكرى المغفور له شوقى بك عاد إخواننا الصحفيون يتحدثون عن إمارة الشعر ، وفتحت مجلة « الهلال » فى عددها الأخير باب الاستفتاء لقرائها فيمن هو أجدر بلقب الأمارة الآن ؟

وكأنى بأخواننا هؤلاء يحسبون أن إمارة الشعر يمكن أن تفتعل افتعالا وتقترح اقتراحاً وأنه لابد للشعراء من أمير كما للصحفيين نقيب وللمحامين عميد وللعمال « كومانده » وللتجار « مرنجار » ...

وكأنى بأخواننا هؤلاء يحسبون أن شوقى صار أميراً للشعراء لأن فريقاً من أدباء العربية احتفلوا به لهذا الغرض ، ولأن حافظاً بايعه بالأمارة فى ذلك الحفل ، ولأن الصحف أخذت تخلع عليه هذا اللقب فى كل مناسبة ...

كلا أيها الإخوان ، إن شعر الشاعر وحده هو الذى يضمن له الأمارة ، ويضمن له الخلود على الزمن وهو مرتبة أكبر من كل إمارة وما هو فوق الأمارة ...

لقد كانت بدعة اقتضتها ظروف الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر منذ نصف قرن ، فقد كان المصريون يرون أن الأتراك قد استأثروا دونهم بالألقاب الفخيمة والرتب العالية ، فكان من مطالبهم أن يكون لهم نصيبهم من هذا ، وكانت فى نفوسهم لهفة على أن تكون أسماؤهم مقرونة بالألقاب والنعوت الكبيرة ، وكان لهذه اللهفة صداها فى دولة الأدب ، ولما كان شوقى شاعر القصر فى تلك الأيام فقد درجت الصحف يومذاك على تلقيبه بشاعر الأمير ، ولما كان حافظ فى الجهة القابلة له فقد لقبوه بشاعر النيل ، وهكذا شاعت الألقاب بين الشعراء والكتاب ، فلقبوا الخليل بشاعر القطرين ، واسماعيل صبرى بأستاذ الشعراء أو بشيخ الشعراء ، وعبد المطلب بشاعر العروبة والبداوة ، وولى الدين يكن بأمير الشعروالنثر ، وجاء صديقنا الأستاذ أحمد رامى فى عقاب ذلك ففاز من التركة « بشاعر الشباب » وهى الرتبة التى لا يزال يحملها إلى اليوم ... وكان المرحوم الشاعر أحمد نسيم لا يجد من يخلع عليه اللقب المناسب فكان يرسل بقصائده إلى الصحف بعد أن يكتب لها مقدمة ثناء طويلة يخلع فيها على نفسه ما شاء من ألقاب ، أقلها شاعر الوطن ... ولما مات شوقى وحافظ وقف يقول :

ولو شئت كانت لى زعامة شعرهم ... وكنت لمن يأتم خير إمام

شوارد تزرى بالحطيئة هاجياً ... وتعيى جريراً فى مديح هشام

ولكن عهد الحطيئة وجرير كان قد انقضى ...

وكانت فى نفس شوقى رحمه الله لهفة إلى نيل رتبة الباشوية ، كما كان المتنبى يتلهف على الفوز بالولاية ، ولكن الظروف لم تسعفه ، فقد أبعد الخديوى عن مصر ، وأبعد شوقى نفسه عن

مصر ، وتبدلت الأحوال والأوضاع ، وخبا أمله فى تلك الرتبة ، فأراد أن يعوض هذا على نفسه برتبة الأمارة فى الشعر ، فكانت الصحف التى تنطق باسمه تخلع عليه هذا اللقب دائماً ، ثم كانت حفلة المبايعة المعروفة ، وكان شوقى شاعراً كبيراً حقاً فضمن لنفسه هذه الأمارة ، وضمن لنفسه الخلود وهو أكبر وأعظم من كل أمارة ...

إمارة الشعر بدعة انتهت بانتهاء ظروفها ... وليست هذه البدعة بالشيء المعروف فى الأمم الأخرى ... ولم يكن هذا بالأمر المألوف بين شعراء العربية من قبل .. فلم يبايع أحد البحترى بأمارة الشعر ، ولم تقم له حفلة لذلك ، ولكنه كما يقولون أخمل بشعره سبعين شاعراً فى عصره فلم يذ كرهم ذاكر ..

« الجاحظ »

الأدب والفن فى أسبوع

أدب القوة :

سأل مندوب (المسامرات) الدكتور عبد الوهاب عزام بك عما ينصح به الشباب فى ميدان الأدب لمواجهة نهضة مصر الحديثة ، فأجابه :

« أدعو الشباب إلى أدب القوة ، والقوة النفسية التى تسمو بالإنسان عن الدنايا وتدعو إلى الإقدام فيمضى فى هذه الحياة مجاهداً يشق طريقه إلى غايته ، يذلل الصعاب ويقتحم العقبات . وأدعوهم إلى أدب النجدة والمواساة والإيثار الذى يحدوهم إلى العمل للجماعة وتأدية الواجب ، والاغتباط بفعل الخير دون ابتغاء منفعة أو جاه أو سمعة .

وأحذرهم من الأدب الضعيف الداعر الذى يسف بالنفس إلى الدنايا ، ويقعدها عن الجهاد ، ويخيفها من كل مشقة ويجنح بها إلى الدعة والعكوف على اللذة والإخلاد إلى البطالة والتسكع »

وهذا الذى أجاب به الدكتور عبد الوهاب عزام ، برنامج للأدب المنشود ، موجز فى كلماته ، ولكنه واف فى مراميه ؛ فهو يدعو إلى أدب القوة فى هذا الوقت الذى اقتنع الجميع فيه بضرورة القوة للحصول على الحياة الحرة الكريمة ، وقد زأرت آساد العرب وتحركت نحو هذه الحياة فى الطريق إلى فلسطين ، ولا شك أن الخيول العربية الآن فى جميع أقطار العروبة تملك اللجم ويتحفز فرسانها للوثوب ، وغايتهم القضاء على الدخلاء فى جميع البلاد العربية بادئين بالصهيونيين ...

وهنا أتخذ سمة الباحث فى الأدب من حيث تفاعله مع الأحداث وروح العصر ، فأقول إن الأدب لابد أن يستمد من هذه الروح ويدفع تلك الحركات ، لأن وجدان الأمة العربية يزخر بمشاعر القوة والنجدة ، ووظيفة الأدب الأساسية أن يعبر عن الشعور ويستملى الوجدان .

ثم أتخذ سمة الباحث فى الاجتماع فأقول إن الأمة تتكون من الأفراد ، فلكى تكون قوية يلزم أن يكون أفرادها أقوياء ؛ وقوة النفس هى أصل القوى ، لأنها ، كما قال الدكتور عزام ، تسمو بالإنسان عن الدنايا وتدعو إلى الإقدام واقتحام العقبات ، وتدعو إلى النجدة والإيثار والعمل للجماعة . والأدب يتفاعل مع كل هذا ، فيتأثر به ويؤثر فيه ، وبذلك يكون أدباً صادقاً .

والشباب مناط الآمال وذوو الأحاسيس المتوثبة والمشاعر الملتهبة ، فلا يصح أن تستنفد قواهم العواطف الخائرة ، فلا تبقى بها أثارة للقدرة على الكفاح للجماعة أو حتى للذات ، فيدفع هذا الضعف إلى الدعة والكسل أو محاولة الوصول عن طرق هينة وإن كانت غير لائقة .

النشيد القومى للعرب :

وبعد فهذه الجيوش العربية تزحف إلى فلسطين ، والآمال تسايرها ، والقلوب تخفق لها ، وإنك لتلمح بين سطور أنبائها فى الصحف أبياتاً من الشعر يهتز لها فؤادك ، وإن كانت لا تزال شاردة لم يقيدها وزن ولا قافية .

فمن لهذا الشعر ينظمه نشيداً للوطن العربى العام ؟ نشيداً واحداً يتغنى به أولئك الأبطال الزاحفون فى سيناء وفى صحراء العرب وبادية الشام وربى لبنان ، وينشده الناشئون فى معاهدهم وملاعبهم ، ليقوى « عضلات » نفوسهم ، وينفى عنها « الترهل » فهيا فحول الشعر ، ضموا لنا ذلك النشيد .

ذكرى شوقي في نادي الخريجين :

أكتب هذا يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر أكتوبر ، وهو اليوم الذى نعى فى مثله الشاعر الخالد أحمد شوقى بك،وكانت الليلة الماضية ليلة الذكرى ، لا فى (الأوبرج) فقد أعلن أن حفلته أجلت إلى أجل غير مسمى نظراً للظروف الصحية الحاضرة ! بل كانت الذكرى فى شقة بالعمارة رقم ٢٨ بشارع شريف باشا ، حيث نادى الخريجين المصرى .

وكان حفلا صغيراً أقامه النادى فى خجل من عدم استطاعته التوسع فى البرنامج،ولكن تفرد هذا الحفل بمصر فى ليلة ذكرى شوقى أمير شعرائها ، وشعور هؤلاء الشبان الذين أقاموه بضآلة مجهودهم فى هذا المقام الجليل ، كل هذا يجعل لهذا الحفل معنى جليلا هو معنى الوفاء الذى لا يغض منه جهد المقل

بدأت الحفل بكلمة للأستاذ مصطفى حبيب تحدث فيها عن ذكرى شوقى من حيث أثرها فى النفوس ، ومن حيث مكانة صاحبها الأدبية والوطنية ؛ وتيمن لافتتاح الموسم الثقافى فى النادى بهذه الذكرى . وتلاه الأستاذ محمد فتحى بك فقرأ من شعر شوقى قصيدة « يا نائح الطلح أشباه عوادينا » التى قالها وهو بالأندلس فى الحنين إلى مصر ، وقد ذكرتنى قراءة فتحى بك بما يقولون من أن أحد العمال بمطبعة الأهرام غيّر مرة فى برنامج الإذاعة كلمة « يقرؤها فتحى بك » فجعلها « يفردها » ولم أكن أصدق هذا وكنت أرجح أن « يفردها » فى أصل البرنامج ، ولكنى اقتنعت أمس بأنها فعلة ذلك العامل لأنى وجدت فتحى بك لا يفرد وإنما يقرأ كما يقرأ الطالب فى كتاب المطالعة بفارق واحد وهو أن فتحى بك قليل الخطأ فى ضبط الكلمات .. ولكن لم اختار «نائح الطلح» وهو الطائر الذى ينوح فى وادى الطلح ؟ ألأن الطيور على أشكالها تقع ؟

أعود من هذا الاستطراد إلى برنامج الحفل : غنى أحد الشبان أغنية « أنا أنطونيو » فأجاد وأطرب ، ثم عرض مشهد من مسرحية « كليوباترا » لشوقى ، مثله ثلاثة من الخريجين : آنسة وشابان أحدهما السيد حسن ابن المرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى ، وقد أحسنوا أداء أدوارهم ، وبرعت الآنسة وهى تمثل مناجاة كليوباترا لنفسها فى المعبد بعد هزيمة جيوشها ، إذ كانت تؤدى الشعر بنبرات تمثل معانيه أحسن تمثيل . وقد ألقى أحد الشبان قصيدة تدل على أنه مبتدىء فى معالجة القريض ، ولكن كان لابد منها لتنويع هذا البرنامج الصغير فى مادته الكبير فى معناه . وكان هذا التنويع يقتضى كلمة دراسية فى شوقى وشعره ، ولكن النادى لخريجى قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب . وما يعرفونه عن شوقى قليل جداً بالنسبة لما يعرفونه عن شكسبير مثلا ! ! !

ولا تذهب فى هذا العجب ... فقد قلت إنه جهد الوفاء ذو المعنى الكبير وإن كان قليلا . أكثر الله خيرهم على كل حال ...

سجع الزعماء :

قرأت فى مجلة « المصور » للكاتب الفكه الذى يطلق على نفسه (الملحوس) ما يلى : « من أضحك الأشياء وأدعاها إلى السخرية فى هذا البلد ذلك الأسلوب (المسخرة) الذى تحرر به الأحزاب والزعماء والقادة بياناتهم الكبرى الخطيرة للشعب وللأمة ... ذلك السجع الممقوت الكريه الثقيل الظل الذى يملأ أعمدة وصفحات كاملة بأسرها فى الجرائد ! » .

ومفهوم أن النثر المصرى من كتابة وخطابة قد تحرر من السجع أومن التزامه ، فقد يأتى بعض الكتاب بشىء منه لاقتضاء حال من تهكم أو دعابة وقد يجرى به القلم لاتساق لفظ وانسجام جرس . وكل هذا بعيد كل البعد عن ما كان فى العصور المتأخرة من التكلف الممقوت .

ولكن فى السنوات الأخيرة جنح بعض الزعماء السياسيين إلى السجع وطول النفس فيه فى خطبهم وكتاباتهم ؛ ويبدو لى أن ذلك يرجع إلى ما يريدون أن يظهروا به من القدرة البيانية وما يرمون إليه من التأثير فى نفوس الجماهير .. والحق أن كثيراً من هذا السجع محكم مجوَّد ، ولكنه على أى حال ترقيش وتزويق فى الكلام ، يساير التهريج فى السياسة ، بل هو من أدواته .. والعمل الصالح كالجمال الطبيعى لا يحتاج إلى الأصباغ والأدهان !

أو كما قال (الملحوس) إن هذا السجع (موضة) بطلت ، كما بطلت تلك الزعامات ، وصار روح العصر شيئاً آخر ..

التعليم الجامعي والأدب :

كان موضوع المناقشة فى « ندوة الهلال » هذا الشهر : « هل أخفق التعليم الجامعي ؟ » وانتهت المناقشة إلى « أن جامعتنا استطاعت أن تخرج فنيين ممتازين فى مختلف ميادين الحياة . كما نجحت فى تزويد المجتمع بخريجات كان لهن أثر كبير فى تطور النهضة النسائية ، ولكنها أخفقت فى خلق الروح الجامعية فى نفوس الطلبة ، وأهملت فى تربية نزعة الاستقلال فى التفكير وحب الكشف والابتكار فى خريجيها . ولم تعن بالنواحى الرياضية وتحبيب الطلبة فى الدراسة الجامعية » .

وقد لمست المناقشة الناحية الأدبية لمساً خفيفاً ، وذلك أن الأستاذ شفيق غربال بك لما سئل : هل أضافت الجامعة جديداً إلى الإنتاج العلمى والأدبى ؟ أجاب : « إن الجامعة لا زالت فى المهد بالنسبة لغيرها من الجامعات الأجنبية ، ولكنى أعتقد أن هناك تجديداً وإضافات فى النواحى الأدبية ، وأظن أن الكردانى بك يوافقنى على هذا أيضاً فى الناحية العلمية » فرد الكردانى بك « هل تعنى أن الجامعة خرجت علماء لهم فى ميادين الاكتشافات والاختراعات جولات ؟ » فقال شفيق بك : [لا . . إننى أقصد أن الجامعة خرجت « فنيين » ممتازين فى كل الميادين . ولكننى لم أتكلم عن « العلماء »] .

ولا أدرى أيقصد شفيق بك بهذا التفسير الناحيتين العلمية والأدبية ، أم يخص به الناحية العلمية ؟ على أن الخلاصة التى انتهى إليها النقاش تعمم هذا الحكم كما رأيت .

والذى نراه أن الجامعة — بعد الطبقة التى خرجتها الجامعة القديمة والتى رأسها الدكتور طه حسين — لم تخرج مبتكرين فى الأدب ، ولم ينتظم سلك أعلام الأدباء أحد خريجيها بعد ، وإن كان بين هؤلاء الخريجين أدباء يدخلون فى « فنيين ممتازين » .

القصة المصرية :

وجهت مجلة « المسامرات » إلى « لفيف من أعلام الفكر والرأى » السؤال التالى : هل نجحت القصة المصرية فى تثقيف الشعب ؟ فأجاب معظمهم بإثبات نجاحها ، قال الأستاذ العقاد : والقصة المصرية على وجه العموم قد نجحت نجاحاً ملموساً وشقت طريقها إلى الجودة والكمال فى كثير من الاتجاهات وإن كان هناك بعض الاتجاهات التى لم تقتحمها بعد ، وكلى أمل فى أن تصل قريباً إلى القمة مؤدية رسالتها على خير الوجوه » وقال الأستاذ المازنى : « لقد نجحت نجاحاً كبيراً والدليل على ذلك كثرة الإقبال عليها وكثرة ماينشر منها » وقال الأستاذ بيرم التونسى : « إن معظم القصص المصرية التى ظهرت حتى الآن فى غاية الإتقان مما يبشر بمستقبل حسن للقصة المصرية » وقال الدكتور زكى مبارك : « لقد نجحت القصة المصرية بكل تأكيد لأنها فتحت آفاقاً من الخيال ، وراضت الجمهور المصرى على الذوق الفنى ، وأعطت المصريين فرصة للرحلات الفنية إلى الشرق ، وخلقت أبواباً من الثروة الفكرية والعقلية عند فريق من الجماهير »

وخالفهم العشماوى باشا فقال : « لاتوجد عندنا قصة مصرية بالمعنى المفهوم لتثقيف الشعب » وقال : « لقد لقيت الأمرين عند ما كنت وزيراً للمعارف ، إذ احتجنا إلى قصص مصرية قوية لتمثيلها فى المدارس أو توزيعها على التلاميذ فكنت أكثر من عمل المسابقات لعلها تغرى الكتاب على الاهتمام بهذا النوع من التأليف . ولكن لم يكن يصلنا فى كل مسابقة إلا القصص التافهة البعيدة كل البعد عن الواقع » .

وأقول إن ما نراه من القصص الضعيفة أو المنقوشة من القصص الغربية ، لا ينبغى أن تطغى النظرة إليه على النتاج القصصى القيم الذى يدل على تقدم فن القصة عندنا فى العصر الحديث تقدماً نلمسه فيما نشر من القصص فى الصحف والمجلات والكتب الخاصة ، ولقد قامت «الرواية» التى أدغمت فى «الرسالة» بمجهود كبير فى هذا السبيل ، والرجوع إلى مجموعاتها يقفك أو يذكرك بذلك المجهود ، وإنك لترى فيها إلى جانب المترجمات قصصاً مصرية تمد من ثروتنا فى هذا الفن الحديث ، كيوميات نائب فى الأرياف التى كان يكتبها بالرواية تباعاً الأستاذ توفيق الحكيم والتى جمعها بعد ذلك فى كتاب .

أما ما ذكره سعادة العشماوى باشا من أنه لم تقدم إلى مسابقة وزارة المعارف إلا القصص التافهة البعيدة كل البعد عن الواقع ، فرجعه أن كتاب القصة الناضجين يتجنبون النزول إلى مثل هذا التسابق ، إما استكباراً ، أو لأنهم يتوسمون أن فهم الطليق لا يرضى الهيئات التعليمية التى تتوخى الوقار والتزمت فيما يقدم إلى الطلاب ، ومنهم من يسىء الظن بالمحكمين ، على أن وزارة المعارف اتجهت أخيراً إلى الاختيار مما فى السوق فى مثل هذا بدلا من تلك المسابقات .

« العباس »



١ — بيان :

قد يكره الكاتب رجلا ، فيستغل المناسبات لهجوه والتسميع به ، وقد ينكر الكاتب رأياً فيكتب فى رده ، وينال بالضرورة من صاحبه ، أى إن من النقد ما يراد به هجاء شخص بعينه ، ومنه ما يراد به رفع فرية فى العلم ورد أذى عن الناس .

وأنا ما كتبت الذى كتبته لأنال من الشيخ أمين الخولى (لأستاذ فى كلية الآداب) وما بينى وبينه صلة ولا معرفة ولم أر وجهه إلا مرة واحدة منذ أسبوع ، فلا يعقل أن يكون قصدى تحقيره هو بالذات أو ذمه والقدح به ، فإذا فهم أحد من الذى كتبته أننى أرمى إلى هذا فأرجو أن يصحح فهمه ، وأن يعلم أنى لا أبخس عالماً قدره ولا أجحد فاضلا فضله .

ولكن قصدى مما كتبت الدفاع عن الدين والعلم قد وقفت على هذا قلمى ولسانى ، وإن كان فى الدنيا من يخطر على باله أنه يستطيع أن يكفنى عنه ، أو يمنعنى منه بشكوى أو دعوى أو بترغيب أو ترهيب أو بافتراء أو ببذاء ، فإنه يمنى نفسه المحال .

٢ — تعليق :

أصاب أستاذنا (السهمى) بقوله فى مقالة (فعلاء) ، « هؤلاء جلهم أئمة » ولم يقل ، كلهم . وفيهم ابن طولون (محمد بن على) الدمشقى الصالحانى[١] ، وهو مؤرخ دمشق فى القرن العاشر الهجرى وله المصنفات القيمة وله تاريخ الصالحية المخطوط فى المكتبة الظاهرية فى دمشق ، ولكنه (كما يبدو من أسلوبه) عامى العبارة ، ركيك الأسلوب ، ليس من البلاغة فى شىء ، ولا استئناس فى كلامه بله أن يحتج فى اللغة به ، أو يشار إليه

ولعل الأستاذ السهمى ظن القراء كلهم من (بنى سهم) ، وحسبهم يجارونه فى العلم ، ويعاشونه فى الفهم ، فأشار إشارة العالم ولم يشرح شرح المعلم ، حين قال :

« وكما أملى الخليل على خريجه أو بصر ، فقيد (أبو بشر) ذلك بالكتاب فى (الكتاب) ... قال (عمرو) ... »

وهل فى القراء من يعرف أن اسم سيبويه عمرو بن عثمان ابن قنبر ، وأن كنيته أبو بشر أو أبو الحسن ، وأن كتابه هو المقصود إن أطلق (الكتاب) وأنه معقود بلفظ الخليل وإملائه ، أو بدلالته وإرشاده .

ودعوى الأستاذ (فى فعلاء) صحيحة ، وإن لم يجىء عليها (فى مقالته) بالبنية الشرعية

على الطنطاوي

خبر :

جاءنا بيان طويل خلاصته : أن الاتحاد العام للهيئات الإسلامية (وفيه جماعة الإخوان المسلمين ، وجبهة علماء الأزهر ، وجمعية الشبان المسلمين ، وشباب محمد ، وأنصار السنة ، والجمعية الشرعية ، وجمعية مكارم الأخلاق وغيرها) . قرر مجلسه الأعلى فى اجتماعه فى ١١/١٠/١٩٤٧ فى دار جمعية الشبان المسلمين . ما نصه :

« رفع التماس إلى حضرة صاحب الجلالة الملك ، ودولة رئيس الوزراء ، ووزير المعارف ، ومدير الجامعة ، وكلية الآداب ، ومشيخة الأزهر رجاء إجراء تحقيق عاجل مع المدعو محمد خلف الله المعيد بكلية الآداب وأستاذه أمين الخولى عما نسب إليهما من الطعن فى القرآن فى الرسالة المقدمة من الأول وتأييد الثانى له فيها وتقديمهما إلى المحاكمة إن صحت التهمة »

ورفع الكتاب وقدم إلى السدة الملكية والمراجع المسؤولة ، ورفع علماء الأزهر كتاباً مثله

خشية الالتباس :

إن محمد أفندى أحمد خلف الله المعيد بكلية آداب القاهرة وصاحب بحث « الفن القصصى فى القرآن » الذى تناولته « الرسالة » بالنقد والتفنيد شخص آخر غير محمد خلف الله أحمد أستاذ الأدب العربى بجامعة فاروق الأول بالاسكندرية ، وخريج دار العلوم وجامعة لندن ، وصاحب الكتب والبحوث المعروفة فى الدراسات النفسية والأدبية والنقدية !

(١) كذا تنسب معشر الدمشقيين إلى الصالحية ، والقياس الصالحى

إن هذا التشابه فى الاسمين قد اضطرنى أن أنبه إليه مراراً فى الصحف اليومية فى مناسبات سابقة ، ولكنه فى الموقف الحاضر يوشك أن يشوه بعض ما يعرف القراء عنى من التزام لجادة الحق والعلم والدين فى كتبى ومقالاتى

محمد خلف الله أحمد

رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب
بجامعة الاسكندرية

تكذيب خبر :

جاء فى كتاب (المستشرقون) لنجيب العقيقى فى طبعته الثانية (ص ٩٨) أن المستشرق ا . ج . أبرى « عاون فى كتاب داود شلبى فى الطبخ الذى كتب سنة ٦٢٥ هجرية » . إن هذا الخبر مغلوط من عدة جهات . فإن اسم الكتاب المذكور هو كتاب الطبيخ لا الطبخ ، وليس من تأليفى ، ولم يكتب سنة ٦٢٥ هـ ، إنما هو تأليف محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم الكاتب البغدادى ألفه قبل استيلاء هولاكو على بغداد بـ ٣٣ سنة أى سنة ٦٢٣ بحث فيه عن الأطعمة التى كانت مستعملة ببغداد . وجدت نسختة الخطية فى خزانة كتب أياصوفيا باستنبول وكان فيها أغلاط فصححتها وعلقت عليها حواشى ونشرتها سنة ٣٥٣ هـ = سنة ١٩٣٤ م بالموصل . ولم يمسنى فى تصحيحها أحد قط . واسم المستشرق المذكور هو أربرى aorberry وليس أبرى . ولم أكن اسمع به إلا بعد طبع كتابى بثلاث سنوات إذ تلقيت منه كتاباً يطلب فيه منى إذناً بترجمة الكتاب إلى الإنكليزية وكتابه محفوظ عندى « وهو مؤرخ بـ ١٨ — ١١ — ١٩٣٧ وصادر من المكتب الهندى بلندن » .

فعسى أن يصحح العقيقى كل هذه الأغلاط إذا تيسر له طبع كتابه طبعة ثالثة إن شاء الله .

(الموصل) **دكتور داود الجلبي**

بوابة المتولى :

قرأت ما نشر بالعدد ٧٤٢ من الرسالة الزاهرة ، تعليقاً على مقال بمجلة مسامرات الجيب عن بوابة المتولى ، وتعقيباً عليه أقول إن هذه البوابة شيدها « بدر الجمالى » مكان بوابتين ، شيدتهما إحدى قبائل البربر ، وهى قبيلة زويلة ، وهذا سر شهرة البوابة باسم « باب زويلة » .

أما سبب تسميتها « بوابة المتولى » فلأن متولى حسبة القاهرة كان مقره عند مدخل هذه البوابة .

القاهرة **عيسى متولى**

عدد سكان العالم ومذاهبهم :

يستفاد من إحصاء قام به « مكتب الأنباء الكاثوليكية » أن سكان العالم يقدرون الآن بمليارين ومائة واثنين وعشرين مليوناً ، وهم موزعون على الوجه التالى : ٣٩٩ مليوناً من الكاثوليك و ٣٩٣ مليوناً من الكونفوشيين و ٢٩٦ مليوناً من المسلمين و ٢٥٢،٤٦٠،٠٠٠ من الهندوكيين و ٢١١،٢٠٠،٠٠٠ من البروتستانت و ١٦١،٨٠٥،٠٠٠ من الأرثوذكس و ١١٥،٨٢٨،٠٠٠ من الروحانيين و ١٦،٨٩١،٠٠٠ من اليهود

تصحيح :

جاء فى قصيدة « رنين الذكرى » المنشورة فى العدد ٤٢٤ فى بيت :

ذكرتك حيث النيل غضبان ثائر
يجيش بآداب ويطغى بآمال

والصواب . « آراء » بالراء .

جاء فى افتتاحية العدد ٧٤٤ من الرسالة :
(وأقبلت الجيرة على العزاء فيه) والصواب : للعزاء فيه

وجاء فى الصفحة نفسها : (ولها كل بيت بصغيره عن كبيره) والصواب : ولهى كل بيت الخ فإن الفعل لهى بالياء معناه سلا وأضرب والفعل لها بالألف معناه لعب . وقد نبه إلى هذا التطبيع الأديب محمد أبو سريع حسين بمعهد القاهرة فله الشكر

نشر فى هذا العدد فى ص ١١٤٩ مقال (الجيل اللهم) ، وصوابه كما هو واضح : (الجبل الملهم)



أسطورة من الصين :

ملك المـــوت !

للكاتب الإنكليزي فيليب بنيث

بقلم الأديب يوسف يعقوب حداد

كان يعيش فى مدينة « جيستيان » من أعمال الصين ، رجل يدعى « يوآن — كوانلو » وكان « يوآن » هذا رجلا فقيراً معدماً ، وكان فقره يحول بينه وبين الزواج من امرأة تقاسمه حلو الحياة ومرها ...

وشاءت الظروف أن يعرف ابنة جار له ، وأن يحبها وتحبه ، وكان والدها من أثرياء البلدة ووجهائها فلم يكد يعرف ما بين ابنته وبين الفقير من حب وهيام ، حتى ثار وغضب ، ومنع ابنته عن الاتصال بحبيبها . فقالت الفتاة إنه لا يريدها على حرام ، إنما يريد الزواج منها على سنة الله ، فلم يزدد الأب إلا غضباً وثورة ، إذ لم يكن يرغب فى أن يزوج ابنته من رجل فقير ينغص حياتها ويشقيها ، ومن كأس البؤس والحرمان يسقيها .

وصدمت الفتاة فى حبها صدمة عنيفة ، وطُعن قلبها الرقيق طعنة قاتلة ، فأصابها السقام ، ولم تلبث طويلا حتى قضت نحبها .

ولم يكن حبيبها بأقل منها تأثراً بالصدمة ، ولكنه كان أكثر احتمالا لها ، فظل هائماً على وجهه ، مضطرب المشاعر ، شارد اللب ، شاخص البصر إلى الأفق كأنه ينتظر أن تعود حبيبته إليه !

وفى ساعة متأخرة من بعض الليالى ، كان « يوآن » خارج منزله ، ينظر بعينين حالمتين إلى بدر التم كأنما يسأله عن حبيبته ، وطالت وقفته حتى كلت عيناه من النظر إلى القمر ، وتعبت ساقاه من كثرة الوقوف ، فدار على عقبيه ليعود إلى منزله . وبينما هو يدور فى منعطف الطريق ، رأى رجلاً غريب المنظر ، عجيب الظهر يحمل فى إحدى يديه منجلا حاد الشفرة ، وفى الأخرى قنينة محكمة السداد ، ولأول وهلة عرف فيه يوآن ملك الموت الذى يقبض الأرواح ويحصدها بمنجله . فارتاع قلبه وارتعدت فرائصه ، ولكنه تمالك وتقدم من ملك الموت ، وقال له بلهجة الصديق والودود :

— أظنك يا صاحب السعادة قد تأخرت فى العمل وتعبت ، والليلة باردة جداً ، وبيتى على خطوات من هنا ، فهلا جئت معى إليه ؛ لتشرب شراباً ساخناً يعيد الدفء إليك ؟

فنظر ملك الموت إلى « يوآن » بعينيه الغائرتين نظرة فاحصة ثم سار معه إلى بيته دون أن ينبس ببنت شفة .

وسخن يوآن شيئاً من الخمر ، وقدمها إليه ، فجرعها ملك الموت فى دفعة واحدة ، وطلب المزيد ، تقدم إليه يوآن كأساً أخرى فشربها دفعة واحدة أيضاً ، وهكذا ظل يطلب المزيد ، ويوآن لا يستطيع أن يخالف له أمراً ، أو يرفض له طلباً ، حتى ثمل ، وأثقل السكر جفنيه ، فانطرح على الأرض وغرق فى سبات عميق

فقام « يوآن » بعد أن تأكد من استغراق ملك الموت فى النوم إلى القنينة ، وعالج سدادها حتى تمكن من فتحه ، وكم كانت دهشته عظيمة وفرحته أعظم ، حين خرجت روح حبيبته منها !

قالت له روح حبيبته : كبله يا حبيبى بالقيود حتى لا يتمكن منا ويحصد روحينا مرة أخرى .

فأسرع يوآن إلى ملك الموت بالسلاسل حتى شله عن كل حركة ، وأسرعا بالفرار .

وظل العاشقان زمناً يعيشان معاً ويتناجيان ، إلا أن يوآن ما كان ليستطيع رؤية حبيبته إلا كما يرى الإنسان ظله على الأرض وما كان ليستطيع أن يضمها إلى صدره إلا كما يضم الإنسان قبضة يده على الهواء . لهذا لم يستطع أن يطفىء جذوة الحب المتقدة بين جوانحه ، أو يروى غليله بالضم والعناق .

وفى ذات يوم — قالت له روح حبيبته :

— آه لو ملكت جسدا ، فأية سعادة كنت أتمتع بها إلى جانبك وبين ذراعيك ... آه لو كنت أملك جسدا ، لكنا تزوجنا ، فأكون لك نعم الزوجة المخلصة ، والحبيبة الوفية .

ثم قالت بعد تفكير طويل ، والسعادة تملأ نبرات صوتها :

— اسمع يا حبيبى . فى المدينة المجاورة بنت جميلة من بنات الأمراء ، مطروحة على فراش الموت . إننى أراها الآن وروحها تحشرج فى صدرها وأهلها من حولها وقد ملأ الحزن قلوبهم ، ستموت هذه الفتاة الجميلة بعد ساعات . فلو استطعت أن تأتينى بجسدها لاستطعنا أن نحقق أحلامنا وأمانينا ونقهر ملك الموت ، سنتزوج وسنعيش فى غنى وجاه وسعادة .

أسرع يوآن إلى بيت الفتاة ، فوجدها قد ماتت منذ هنيهة . وأهلها لفرط حزنهم عليها يكادون أن يقتلوا أنفسهم ، فانتهز يوآن هذه الفرصة ، وتقدم من والد الفتاة ، وقال له :

— فى مقدورى يا سيدى أن أعيد الحياة إلى إبنتك .

فصاح الوالد بدهشة : وكيف تستطيع ذلك ؟!

فقال يوآن :

— لا تسألنى كيف ... ولكنك إذا رضيت بالشرط الوحيد الذى أشرطه عليك ، رددت الحياة إلى ابنتك .

فقال الأب متلهفاً : قل بالله عليك ، ما هو هذا الشرط ؟

فقال يوآن :

— هو أن تزوجنى منها .

فقال الأب بفرح عظيم : هى لك فأحيها .

عندئذ نادى يوآن روح حبيبته ، فجاءت وانسلت إليها من إحدى أذنيها ، ففتحت الفتاة عينيها كأنها مستيقظة من النوم لا من الموت .

وزفت إليه فى الحال ، وانقلب المأتم إلى حفلة عرس بهيجة ويوآن يكاد يطير لشدة فرحه وسعادته بحبيبته وزوجته !

(البصرة — العراق) **يوسف يعقوب حداد**

مطبعة الرسالة

العدد ٧٤٧ — الاثنين ٢٧ أكتوبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٠٣٣

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 747

Lundi — 27 — 10 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ ذى الحجة سنة ١٣٦٦ — ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

القرآن والنظريات العلمية

للأستـــاذ عباس محمود العقاد

« ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، إن الأستاذ مصطفى صادق الرافعى رحمه الله ، يقول فى الطبعة الثانية من كتابه إعجاز القرآن فى هامش صفحة ١٣٢ تعليقاً على الآية القرآنية : ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ...

« فجاءت العبارة فى الآية الكريمة كأنها سلالة من علم تتسع لمذهب القائلين بالنشوء ، ولمذهب القائلين بالخلق ، ولمذهب القائلين بانتقال الحياة إلى هذه الأرض فى سلالة من عالم آخر ... » .

فإن كانت نظرية دارون صحيحة فإنى أريد أن أعرف رأيكم فى الكيفية التى يقبل بها القرآن الكريم أن يكون الإنسان من سلالة القردة ، وأرجو أن أقرأ ردكم على صفحات الرسالة الغراء ، ولكم جزيل شكرى والسلام » .

« مخلص »

***

والذى نلاحظه « أولا » أن رواية مذهب دارون على هذا الوجه غير صحيحة . فإن دارون لا يقول بتسلسل الإنسان من القرد ، ولا يلزم من مذهبه أن يكون كل إنسان منحدراً من القردة فى أصله القديم .

وكل ما يلزم من مذهبه أن الإنسان والقردة العليا تلتقى فى جذر واحد ، وأن بين الإنسان والقردة العليا حلقة مفقودة لم توجد إلى الآن .

أما الآية القرآنية فهى لا تثبت المذهب ولا تنفيه ، ومن الخطأ البين فى اعتقادنا أن نجعل تفسير القرآن تابعاً للنظريات العلمية التى تنقض اليوم ما تثبته بالأمس ، والتى يجرى عليها الجدل بين المدارس العلمية — أو الفلسفية — على أسس شتى لم يتفق عليها العلماء .

ومن أمثلة ذلك ما ذهب إليه بعض المجتهدين المحدثين فى التوفيق بين القرآن الكريم ومبادىء مذهب النشوء والارتقاء .

فالنشوئيون يقولون بتنازع البقاء ، وهو مطابق للآية القرآنيـة : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

ويقولون ببقاء الأصلح ، وهو مطابق للآية القرآنية : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

ومن المشاهدات التى سجلها النشوئيون ماهو صحيح لا ريب فيه ، ولكن المذهب يشتمل على نتائج وتخريجات كما يشتمل على مبادىء ومشاهدات ، وكل ما جاء فيه من قبيل النتائج والتخريجات فهو فى حكم الفروض التى تحتمل النقض والإثبات ، ولا يصح أن نفسر القرآن الكريم وفقاً لها وهى لا تزال فى طور التدليل والترجيح .

والنظرية السديمية مثل آخر من هذه الأمثلة فى محاولات التوفيق بين القرآن الكريم والفروض العلمية .

فمن علماء الطبيعة — والفلك خاصة — من يرى أن المنظومات الفلكية نشأت كلها من السديم الملتهب . وأن هذا السديم تختلف فيه الحرارة فيتشقق ، أو ينفصل بعضه عن بعض من أثر التمدد فيه ، فتدور الأجرام الصغيرة منه حول الأجرام الكبيرة ، وتنشأ المنظومات الشمسية وما شابهها من هذا التشقق وهذا الدوران .

فإذا ببعض المجتهدين المعاصرين يعتبر هذا القول فصل الخطاب فى نشأة الأجرام السماوية ، ويقول إنه هو المقصود بالآية القرآنية : « أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون » .

ولكن النظرية السديمية لم تنته بعد بين علماء الطبيعة إلى قرار متفق عليه .

فهل كان الفضاء كله خلواً من الحرارة ، وكانت الحرارة الكونية كلها مركزة فى السدم وما إليها ؟

ومن أين جاءت الحرارة للسدم دون غيرها من موجودات هذا الفضاء ؟ ألا يجوز أن يظهر فى المستقبل مذهب يرجع بالحرارة إلى الفضاء فى حالة من حالاته ؟ أليس خلو الفضاء من الحرارة — إذا صح هذا الخلو — عجباً يحتاج إلى تفسير ؟ أليس انحصار الحرارة فى السدم دون غيرها أحوج من ذلك إلى التفسير ؟

فالقول المأمون فى تفسير الآيه القرآنية أن السماوات والأرضين كانت رتقاً فانفتقت فى زمن من الأزمان . أما أن يكون المرجع فى ذلك إلى النظرية السديمية فهو المجازفة بالرأى فى غير علم وفى غير حيطة ، وبغير دليل .

وأظهر من هذا وذاك جدالهم القديم حول دوران الأرض وثبوتها ، أو حول استدارة الأرض وتسطيحها .

فقد تعسف بعضهم فى تفسير آى القرآن الكريم لجزم بكفر القائلين باستدارتها ودورانها ، وجعل القول بثبوتها وتسطيحها حكماً قاطعاً من أحكام الدين .

فما قول هؤلاء الآن وقد أصبحت استدارة الأرض مشاهدة من مشاهدات العيان ؟ وما قولهم وقد أصبح دورانها مسألة من مسائل الحساب الذى يحصى كل حركة لها كما تحصى حركات كل قطار ؟

وهكذا يخطئون فى النفى كما يخطئون فى الإثبات كلما علقوا آيات القرآن بهذه النظريات العلمية ، أو الفروض الفلسفية ، التى تختلف الأقوال فيها باختلاف الأزمنة أو اختلاف الأفكار .

وقد تكون محاولات التوفيق مأمونة معقولة كقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله فى تفسير الطير الأبابيل بجراثيم الأمراض التى تسمى بالميكروبات .

فالميكروبات موجودة لا شك فيها والإصابة بها محققة كذلك فى مشاهدات مجربة لا تقبل الجدال . فإذا قال المفسر كما قال الأستاذ الإمام أن هزيمة أصحاب الفيل ربما كانت من فعل هذه الجراثيم فذلك قول مأمون على الجواز والترجيح ، ولكنه غير مأمون على الجزم والتوكيد ، لأن الحفريات التاريخية قد تكشف لنا غداً عن حجارة من سجيل أصيب بها أصحاب الفيل فجعلتهم كعصف مأكول .

ومهما يكن من فروض العلماء فى مختلف الأزمنة فإن القرآن الكريم لا يطلب منه أن يتابع هذه الفروض كلما ظهر منها فرض جديد ، وكل مايطلب منه أن يفتح باب البحث لمن يؤمنون به فلا يصدهم عن طلب الحقيقة حيثما سنحت لها بادرة مرجوة ، وقد توافر ذلك فى آيات القرآن الكريم كما لم يتوافر قط فى كتاب دينى تؤمن به الأمم ، فليس أكثر من الحث فيه على التفكير والاعتبار وطلب الحقائق من آيات خلق الله فى الأرض والسماء : « إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

وحسب المسلم أن يعمل بما علمه كتابه فى هذه الآية وماجرى مجراها ليعطى العلم حقه ويطلب الحقيقة من حيث يطلبها الفكر الإنسانى فى عجائب خلق الله بين الأرض والسماء .

أما مدلول الآية كما أشار إليه الرافعى فهو يتسع — كما قال — لجميع المذاهب فى خلق الإنسان . وسواء قطعنا الصلة بين الإنسان وسائر الأحياء العليا والدنيا أو ربطناها فذلك لا ينفى أنه فى أصله

لو أقر المجمع !..

للأستاذ على الطنطاوى

أديت أمس حسابى فى المطعم وتهيأت للخروج ، فسمعت من ورائى لهجة غريبة ... فتلفتّ فرأيت على مائدة قريبة منى ، عراقياً بسيدارة ، ومعه شامى بعمامة مطرّزة ، ونادل المطعم قائم أمامهما ، والعراقى يقول له :

— ماعون باچيلا على تِمّن ، وصَمّونَه .

والنادل مبهوت ، يقول :

— إيه ؟! إيه ؟!

فيقول الشامى : العمى ! شو ما بْتِفهم عربى ؟ بدُّو ماعون ما بتعرف الماعون ؟ يعنى طبق غسيل ، وصابونِه

— النادل : ليه بَأَه ؟

— الشامى : ليش ؟! بَرْكى بدّو يتغسل !

(وينضحك من نكتته)

— النادل : يتغسل ! بعيد الشرّ ، عاوز تؤول يشّطّف .

— الشامى (مغرقاً فى الضحك) : يشّطّف ! يا عيب الشوم ، شو ما بتستحى انْتِه ؟

— العراقى : والله ، مادا أفْتَهِم ، حشَى غريب هْوايَه ، يا بَهْ ، ما تِحْشى عربى ؟!

— النادل : ما تحكى عربى ، يا خويا ؟ !

— الشامى : اسكان عَمْ يحكى أرناؤوطى ؟! هذا عربى !

— النادل : أمّال بؤول إيه ؟

— الشامى : بؤول بدّو كوسا محشى ومهوايه ، يعنى مروحة

* * *

ولم أستطع أن أتقاعس أكثر من ذلك ، وخفت أن يفضحنى الضحك ، فخرجت وأنا أسائل نفسى : ماذا يكون لو أقر مجمع اللغة (العربية ...) اقتراح الأستاذ فريد أبو حديد بك ، الذى يدرسه الآن أعضاؤه ؟

والذى يقول فيه « فلو كانت العامية لا تزيد على أنها استخدمت أداة للتعامل فى الأسواق والحياة اليومية لكان أمرها هيناً ، ولكنها منذ برهنت على صلاحها للتعبير الأدبى صار من الممكن أن تنطلق فى سبيلها متباعدة عن الفصحى حتى ينتهى بها الأمر إلى الاستغناء عنها ، بل إن جمال أساليب التعبير العامى إذا بلغ مداه كان أجدر أن يسترق القلوب لأن تلك الأساليب أقرب إلى النفوس والأفهام من الفصحى لشدة اتصالها بحياة الكافة .

ولقد كان من أكبر ما عمل على تقويض أركان اللاتينية ظهور كتاب مبدعين فى اللغات القومية الأوربية ، وقد كانت تلك اللغات عامية فى وقت من الأوقات بالنسبة للغة اللاتينية ، فقد ظهر دانتى فى إيطاليا ، وكتب روائع قومه بلغته (إلى أن قال) ولكننا لا نخشى على العربية الفصحى أن يكون مآلها هو مآل اللاتينية لعدة أسباب :

١ — إن العامية لم تستطع إلى الآن (تأمل) أن تتسامى إلى آفاق الفكر العليا ، فإنها لم تزد بعد (تأمل) على أن تكون وسيلة للتعبير الساذج والأحاسيس الابتدائية ، ولم يظهر فيها بعد (تأمل) أمثال النوابغ الذين أنتجوا روائعهم الخالدة ، بلغاتهم الأوربية الحديثة الدارجة .

٢ — إن الفارق بين العامية والفصحى لم يبلغ شيئاً يقرب من الفارق بين اللغات الأوربية الدارجة وبين اللاتينية ، فما زال التفاهم ممكناً فى سهولة بين المثقف وغير المثقف بلغة سليمة بسيطة فصحى .

غير أننا لا ينبغى أن نتجاهل الخطر الماثل فى لباقة اللغة

من سلالة من طين . وقد جاء فى القرآن الكريم « وجعلنا من الماء كل شىء حى » ولم يقل أحد أن خلق الأحياء جميعاً من الماء يمنع تسلسل الإنسان من مادة الطين ، فإن الأصل لا ينعدم إذا خرجت منه الفروع على التسلسل والتدريج ، أو خرجت منه دفعة واحدة بغير تسلسل ولا تدريج . وحذار أن نقف فى هذه المسألة كما وقف المجادلون من قبل فى مسألة الأرض واستدارتها ودورانها ، فإنهم يدعون لأنفسهم ما لا يجوز لأحد أن يدعيه باسم العلم أو باسم الدين ، وفوق كل ذى علم عليم .

عباس محمود العقاد

العامية ، وصلاحيتها كأداة للتعبير الأدبي فهو إن كان اليوم محدوداً فقد يكون غداً أقوى وقد تصبح أقدر على الأداء الأدبي السامي من الفصحى إذا فتن الشباب المثقف بالإنتاج الفكرى باللغة العامية ، وعملت أجيال منهم على الارتفاع بها إلى المستوى الأدبي الذى يجعلها لغة فكر وتعبير صحيح » اهـ .

وأفكر ماذا يكون لو فتن الشباب المثقف هذه الفتنة (نعوذ بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن) ، وصار فى الدنيا لغة شامية ولغة مصرية ولغة عراقية ، ونشأ فى كل واحدة منها أدباء وشعراء ، كما هى الحال فى الفرنسية والإيطالية والأسبانية ، وإن بقيت اللغة الفصحى (كما يريد الأستاذ) لغة القرآن والعلماء والمساجد والمعاهد العالية ، وماذا يصنع إذن صاحب المطعم الذى كنت آكل فيه آنفاً ؟

إنه لا بدّ له من ترجمان ، عارف بهذه اللغات ، واقف عليها ، متخصص فيها ، عالم بدقائقها وسنن أهلها فى كلامهم ، ليفهم النادل أن الماعون فى بغداد هو الطبق فى مصر ، والصحن فى الشام ، وأن التشطيف فى مصر غسل الوجه واليدين ، ولكنه فى الشام غسل الـ . . . أعنى الاستنجاء ، وأن الصمّونة فى بغداد هى رغيف الخبز الأفرنجى ، ويسمى فى دمشق الأفرنجونى ، والباچيلاّ الفول والتمّن الرز ، وأن الـ (هْواية) فى العراق ، صفة للشىء الكثير ، وهى فى غوطة دمشق الصفعة على الوجه ، وأنك إذا (بسطت) رجلا فى الشام ومصر فقد سررته ، وإذا (بسطته) فى العراق فقد ضربته ، والمبسوط المضروب (عَلْقة) ، وهى فى الشام (قَلَقة) ، والتقليع فى الشام الطرد من الدار ونحوها وفى مصر نزع الثياب وأن التقفيل فى مصر إغلاق الباب وله فى الشام معنى هو أخبث من أن يشار إليه ، و(هُون) فى الشام هنا ، وفى العراق (هنانا) ، والهون فى مصر هو الهاوون الذى يدق به واسمه فى الشام الهاون ، هذا عدا عن الكنايات السائرة والمجازات المشتهرة ، وهى كثيرة فى كل بلد لايعرفها إلا أهله يلحنون بها فى أحاديثهم ، ويسخرون بها من الغريب ، وعدا عن اختلاف النطق وما ينشأ عنه من اختلاف المعنى ، فن المصريين من يميل بالسين إلى مخرج الزاى ، ومن هنا سارت النكتة فى دمشق عن مدرس مصرى جىء به إلى مدرسة بنات ، فقال لإحداهن مؤنباً :

— إيه الأسباب التى منعتك من إعداد الدرس ؟

وفى العراق يجعلون القاف جيما معطشة ، وقد سألت حوذياً يوم وصلت بغداد ، أن يأخذنى إلى ضاحية نزهة ، فقال :

— تروح باب شرجى ؟

فكدت أبطش به ، وما يريد إلا (الباب الشرقى) وهو من متنزهات بغداد .

وليس يجىء هذا الترجمان إلا من مدرسة ، فلابدّ لنا إن أقر المجمع اللغوى هذا الاقتراح من أن ندرّس هذه اللغات الشرقية الحية فى مدارسنا الثانوية ، وننشىء لها قسما فى كلية الآداب ، أو أقساماً لأن اللسان الشامى سيكون فيه لغات متعددات ، فلغة دمشق ليست لغة حلب ، وهى تخالفها فى معانى المفردات ، وفى تركيب الجمل ، وفى طريقة النطق ، ولغة حلب غير لغة حمص ، ولغة حمص غير لغة حماة ، وكلها تخالف لغة دير الزور ، وهذه تخالف لغة البادية ، فصار عندنا فى الشام لغات فى كل منها لهجات ، فلهجة أهل دمشق غير لهجة أهل الغوطة ، ولهجة هؤلاء ليست لهجة جبل القلمون ، وفى القلمون عشرون لهجة تختلف اختلافاً بيناً ، وفى كل منها شعر ··· وأدب ··· إى والله وموسيقى ··· وقس على ذلك ألسنة لبنان وفلسطين والعراق ومصر والسودان والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش ، واجمع هذه الألسنة بما فيها من اللغات واللهجات ، تجدها تحتاج إلى عشرة أساتذة لهم كراسى فى الجامعة ، وتحتمل عشرة دبلومات ، يكتب صاحبها على بطاقته (فلان ، دبلوم اللغات العراقية) أو (دبلوم اللهجات اللبنانية) ··· ودبلوم فى أصول هذه اللغات ومصادرها ، ودبلوم فى نحوها وصرفها المقارن .

وعندئذ يكون شكوكو من أمراء الشعر الذين تدرس آثارهم فى الجامعة ، واسماعيل ياسين من أمراء النثر ، ويكون من تعبيرات النقد الجديد ، أن نقول للكاتب المعقد الذى لا يفهم « إنه يكتب بالعربى » كما يقال فى أوربة عن الكاتب الفرنسى المحدث إذا أغرب وعقد ، أنه يكتب باللاتينى .

وعندئذ ينشأ فى كل لسان ، تراجمة يترجمون إليه الآثار العربية لتحفظ فى المدارس ، ويربى بها النشء على البلاغة كما ترجمت إلى الفرنسية آثار دانتى وفرجيل ، فنحفظ الطلاب فى دمشق قول المتنبى ، مترجماً هكذا :

بين السياسة والأدب :

انجلترا فى مرآة حافظ

للشيخ محمد رجب البيومى

كشر الشر عن أنيابه ، وبدت بريطانيا للعالم أجمع فى صورة مخزية منكرة ، فهى تهدر على الملأ حقوق الإنسان ، وتئد الحرية القومية بما تستطيع من قوة وجبروت ، ولولا أن وجدت مصر من مجلس الأمن منبراً تذيع عليه فظائع الاستعمار ، وشنائع الاحتلال ، لالتبس الحق بالباطل الصراح ولوُجدَ فى الناس من يغتر بتمويه إنجلترا الكاذب ، ويصدق ما تخلعه عن نفسها من حلل النزاهة والوفاء .

ولقد مددت يدى إلى ديوان حافظ إبراهيم لأطالع فى هذه الآونة الحرجة ما سبق أن هتف به شاعر النيل فى أذن هذه الدولة الصماء ، ولأشهد فى مرآة شعره صورتها الصادقة التى رسمها الشاعر الكبير ، ومما حمدت الله عليه أن وجدت هذه العجوز الشوهاء قد بدت كالحة عابسة تبعث فى النفس اشمئزازاً وفى الصدر انقباضاً حتى إنك لا تستطيع — مهما تجلدت — أن تديم النظر إليها بضع لحظات متواليات !!

والحق أن شاعر النيل كان ذا سلاح باتر ضرب به رقبة إنجلترا ضربات متلاحقة ، وشهره فى وجه الاستعمار مبارزاً مصاولا ، وما زال يواصل كفاحه الدائب ، ونضاله المستميت ، حتى تيقظ الشعور الهاجع ، وتنبه الإحساس الغافل ، فهبت مصر جميعها تثور للكرامة الذبيحة ، وتثأر للحرية الجريحة ، وهاهى ذى تواصل ثورتها الصاخبة فى قوة وإيمان حتى تنقشع السحب وتتبدد الظلمات .

أما كيف استطاع الشاعر أن يؤدى رسالته على وجهها الصحيح ، فهذا ما سأبسط أسبابه القراء فى جلاء ووضوح ...

***

نشأ حافظ رحمه الله تواقاً للأدب ، حريصاً على التحليق فى أجوائه الشاسعة . وكان البارودى قد نال من نباهة الذكر ، وبعد الصيت ما جعل شاعر النيل يتخذه مثلا أعلى فى الحياة ، ولئن كان سامى قد ركز بناء مجده على البلاغة والفروسية ، فإن حافظ يستطيع أن يملك زمام البيان باطلاعه المتواصل ، كما يقدر

على أدّ أهل العَزْم ِ يتجى العزايم
و يتْجى على أدّ الكرامْ المكارمْ

وقول شوقى فى الأزهر ، يصير :

أوم بمّ الدنْيِه وسلّم عَ الأزهر
ورشّ على ادْن الزمان الجُوهر(1)

بدلا من :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم

و :

قم فى فم الدنيا وحىّ الأزهرا وانثر على سمع الزمان الجوهرا

ولا شك أن هذه الترجمة (أجدر أن تسترق القلوب) — كما قال الأستاذ أبو حديد بك فى تقريره .

وعندئذ تطبع الرسالة أربعة آلاف فقط ، وأخبار اليوم عشرة آلاف ، وينشأ فى كل بلدة جريدة صغيرة تنطق بلسان أهلها ، ولا يبعد أن تشتد الحماسة لهذه اللغات كما اشتدت بتركيا الجديدة الحماسة للسانها ، فيؤذن بها على المنائر ، ويخطب بها على المنابر ، ويترجم القرآن إلى كل واحدة منها .

وعندئذ لا تستطيع الدول العربية أن تجتمع فى جامعة ، ولا أن تتحد فى شعور ، ولا أن تسوق جيوشها إلى فلسطين موحدة القيادة ، لأن الصلة الوحيدة بينها هى هذه العربية ، فإن انقطعت لم يصل بينها شىء ، ولا الدين ، لأنها إن ذهبت العربية ذهب معها القرآن فلم يبق دين .

وبعد فلن يكون شىء من هذا ، ولو قال به المجمع (ولن يفعل) لما سمع منه أحد ، لمكان القرآن من هذه العربية ، ولأن الله تكفل بحفظ القرآن ، ولكنا أردنا أن نسلّى القراء فى أيام العيد التى لا عمل فيها يشغلهم كما أراد الأستاذ أبو حديد أن يسلّى أعضاء المجمع ، الذين جعل الله أيامهم كلها ... أعياداً ...

(القاهرة) على الطنطاوي

(1) هذا ... فإذا أخذ بالاقتراح الثانى ، وكتبناها بالحروف اللاتينية ؟

على الالتحاق بالمدرسة الحربية ليكون فارس الحومة ، وقائد الكتيبة ، ومن هنا ترك الشاعر المحاماة ، والتحق بالمدرسة الحربية ، وإن أمله ليصور إليه أنه سيكون في يوم من الأيام خليفة لرب السيف والقلم محمود سامي البارودي ! !

ظن حافظ أنه سيستفيد من المدرسة الجديدة استفادة يخدم بها وطنه المريض ، ولكن صدره قد انقبض في حسرة وغيظ إذ رأى بعينيه أن المستر براين الإنكليزي قد صفد المدرسة بأغلال وثيقة من الذل والعبودية ، فلا يدرس بها غير التمرينات الآلية التي لا تنشيء جيشاً ، ولا ترفع أمة ، أضف إلى ذلك ما كان يبديه القائم بأعمال المدرسة من ازدراء بالغ للعقلية المصرية واحتقار شديد للطلبة المنتسبين ، مما جعل الشاعر يؤمن في قرارة نفسه — عن مشاهدة شخصية — أن الإنجليز جميعاً من هذا الطراز الدخيل ، فهم يضمرون السوء للشعب ، ويهوون به إلى أسفل دركات الانحطاط .

خرج حافظ من المدرسة بعد انتهاء سنواتها التعليمية ثائراً ناقماً ، وما ظنك بشاعر مرهف الإحساس ، يرى أعداءه الألداء يتحكمون في أمته أبشع تحكم ، والشعب سادر في غفلته فلا يكاد يفكر في إزالة الكابوس الجاثم فوق صدره ؟ وكأن الظروف التي جمعت حافظاً بفريق من المستعمرين في المدرسة الحربية قد هيأت له أن يعيش في جوهم المريض مرة ثانية ، فقد سافر إلى السودان في الحملة العسكرية التي ذهبت من مصر بقيادة اللورد كتشنر لاسترجاعه من أيدي الثائرين ، وكان في النهاية ما خاف حافظ أن يكون ، فقد اهتبلت إنجلترا الفرصة ، ورفعت علمها الإنجليزي مع العلم المصري على مدينة الخرطوم ، ومن ثم بدأ الشاعر يخط الصحيفة الأولى في كتاب نضاله السياسي فقد أرسل اللحن الأول من قيثارته الحزينة ، يندد بخيانة الإنجليز وينبه الشعب المصري إلى ما يهدده من الخطر الداهم بعد استلاب السودان ، وذلك إذ يقول

رويدك حتى يخفق العلمان ... وننظر ما يجرى به الفتيان

فما مصر كالسودان لقمة جائع ... ولكنها مرهونة لأوان

أرى مصر والسودان والهند واحداً ... بها اللورد والفيكنت يستبقان

وأكبر ظني أن يوم جلائهم ... ويوم نشور الخلق مقترنان

وطبيعي أن يبث الشعور الوطني في زملائه الضباط ، فيؤلف منهم زمرة تناوىء الغاصبين ، وتتمرد على قيادتهم الغاشمة .

ولم يلبث كتشنر أن وقف على حركته الوطنية ، فتربص به الدوائر ، ونصب له المكايد الخاتلة ، وإذ ذاك لجأ الشاعر إلى أستاذه الإمام ، فكتب إليه من خطاب طويل « ولقد قعدت همة النجمين ، وقصرت يد الجديدين ، عن إزالة ما في نفس ذلك الجبار العنيد (يريد كتشنر) فقد نما ضب ضغنه علىّ ، وبدرت بوادر السوء منه إلىّ فأصبحت كما سر العدو وساء الحميم ... »

وكأن الله عز وجل قد أراد الخلاص للشاعر من أقرب طريق فأحيل إلى الاستيداع ، وغادر الخرطوم إلى القاهرة ، بعد أن ثكل وظيفته الحكومية وضاقت سبل العيش في وجهه ، ولم يرغير الشعر صديقاً وفياً ، يبثه نجواه ، ويستطلعه خبيئة سره إذ يقول :

سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما ... وعدت وما أعقبت إلا التندما

لحا الله عهد القاسطين الذي به ... تهدم من بنياننا ما تهدما

إذا شئت أن تلقى السعادة بينهم ... فلا تك مصرياً ولا تك مسلما

سلام على الدنيا سلام مودع ... رأى في ظلام القبر أنساً ومغنما

وواضح أن اختلاط الشاعر بالمحتلين فترتين متعاقبتين قد حول صدره أتوناً ملتهباً يشتعل بالغيظ ، فهو وحده بين شعرائنا السياسيين ، قد لمس عن كثب شنائع الاحتلال ، ولكنه اضطر مرغما أن يكبت عواطفه — وقتاما — غب قدومه إلى القاهرة كيلا يقف المعتمد البريطاني في وجهه وهو يبحث عن عمل حكومي يرتزق منه ؛ وأنى للشاعر أن يصبر على الضيم والذلة ، والشعب في شر حاله ، تنتهب أمواله ، وتغتصب خيراته ، فلا أقل إذن من أن يواسيه بعزاء دامع يفصح عن إحساسه ، وينطق عن شعوره ، كأن يقول :

أيشتكي الفقر غادينا ورائحنا ... ونحن نمشي على أرض من الذهب

والقوم في مصر كالإسفنج قد ظفرت ... بالماء لم يتركوا ضرعاً لمحتلب

فقد غدت مصر في حال إذا ذكرت ... جادت جفوني لها باللؤلؤ الرطب

إذا نطقت فقاع السجن متكأ ... وإن سكت فإن النفس لم تطب

وقد رأى حافظ أن يتوجه في محنته إلى الخديوى ، فيخلع عليه بروداً ضافية من مديحه الرائع عسى أن ينقذه من وهدة التعطل والبطالة ، ولكن مدائحه الرنانة قد تلاشت في مهب

الريح ، ومضى الشاعر يطرق أبواب العمل باباً باباً ، والأيام تمر ثقيلة بطيئة فى غير طائل ، والحاجة ماسة والحظ شحيح !!

ويشاء الله أن ييأس من العمل الحكومى يأساً تاماً ، فينقلب إلى ثائر هائج ، يحارب الاستعمار بما فى يراعه من قوة وبيان ، وهنا تئن القيثارة الحزينة ، فتهز الأوتار هزاً عنيفاً ، وتخرج الصحف على الشعب ملتهبة بزفرات حافظ ، فلا تكاد تمر بها الأعين القارئة ، حتى تشعل جمر الغضب فى الصدور ، وينظر القراء فيجدون مشاعرهم الكظيمة مبسوطة فى شعر حافظ السياسى ، فيتغنون به فى مجالسهم . وينشدونه فى الغدو والرواح حتى أيقظ الهمم الغافية ، وأضاء العقول الدامسة ، فهب الشعب يؤدى واجبه الوطنى — إزاء الغاصبين — بقدر ما يستطيع

على أن حافظاً كان يلمح بصيص الأمل يلوح له فى الاعتصام بحبل الدولة العثمانية ، فهى المملكة الإسلامية التى تتجه إليها أنظار المخلصين من أبناء العقيدة المحمدية ، ومهما قيل عن بغى الخلفاء فهم أهون بكثير من أعداء اللغة والدين والوطن ، لذلك كان الشاعر يمدح سلاطين تركيا بوازع من دينه وعقيدته ، ويشيد بتاريخهم المديد كيلا ينخدع الشعب بدعاية بريطانيا الجوفاء ثم هو فى مديحه لآل عثمان يقصد دائماً إلى هدفه الأصيل ، فينبه الخليفة إلى أفاعى الغرب الخاتلة ، ويحذر الشرق من الاستكانة والخنوع ، كأن يقول فى عيد تأسيس الدولة العلية .

فياشرق إن الغرب إن لان أو قسا   ففيه من الصهباء طبع مذوب

نخف بأمها فى الرأس والرأس تصطلى   وخف ضعفها فى الكأس والكأس تطرب

ويا غرب إن الدهر يطفو بأهله   ويطويه تيار القضاء فيرسب

أراك مقر الطامعين كأنما   على كل عرش من عروشك أشعب

وإذا كان مصطفى كامل قد اتخذ من حادثة دنشواى دليلا قويا يستند إليه فى كفاحه خارج مصر ، فإن شاعر النيل قد شهر هذا السلاح بعينه ليحارب به الأعداء فى الداخل . فقد نظم قصائد عديدة مال فيها إلى السلاسة والوضوح . ليفهمها الشعب المصرى عن بكرة أبيه ، وقد مثل فيها المأساة الدامية تمثيلا يستدر الدموع ويشعل الأفئدة ، ودونك بعض ما يقول :

حسبوا النفوس من الحمام بديلة   فتسابقوا فى صيدهن وصوبوا

والمستشعار مفاخر برجاله   ومماجز ومناجز ومخرب

يختال فى أنحائها متبسما   والدمع حول ركابه يتصبب

رفقاً عميد الدولتين بأمة   ضاق الرجاء بها وعز المطلب

إن أرهقوا صيادكم فلعلهم   للقوت لا للمسلمين تعصبوا

جلدوا ولو منيتهم لتعلقوا   بحبال من جلدوا ولم يتهيبوا

شنقوا ولو منحوا الخيار لأهلوا   بلظى سياط الجالدين ورحبوا

أو كلما باح الحزين بأنة   أمست إلى معنى التعصب تنسب

طاحوا بأربعة فأردوا خامساً   هو خير ما يرجو العميد ويطلب

حب يحاول غرسه فى أنفس   يجنى بغرسها الثناء الطيب

ولقد كان لهذه القصيدة دوى هائل فى المجتمع المصرى ، فقد عارضها كثير من الشعراء ، وبرزت المقالات السياسية مشتعلة بزفرات من أبياتها الدامعة ، مما شجع شاعر النيل على المضى فى سبيله ، فوقف لكرومر الطاغية بالمرصاد يحاسبه الحساب العسير فى قواف تصرخ من الألم والرعب ، وما كاد اللورد يصدر تقريره الخادع عما قدمه للأمة المصرية من إصلاح ورفاهية ، ليبدو فى صورة المنظم البرىء حتى هجم الشاعر على هرائه الكاذب ، ففنده بأسلوبه الرائع وصاح فى وجهه يقول :

تمن علينا اليوم أن أخصب الثرى   وأن أصبح المصرى حراً منعما

إذا أخصبت أرض وأجدب أهلها   فلا أطلعت نبتاً ولا جادها السما

عملتم على عز الجماد وذلنا   فأغليتمو طيناً وأرخصتمو دما

نهش إلى الدينار حتى إذا مشى   به ربه فى السوق ألفاه درهما

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت   حواشيه حتى صار ظلماً منظما

وبعد لأى رأت الحكومة البريطانية أن تدهن الشعب المصرى فاستدعت جبارها العنيد إلى غير رجعة ، وهب حافظ يشيعه بقصيدة فاضحة ، فصلت آثامه المخزية واحدة وراء واحدة حتى ليجوز للمؤرخ المنصف أن يذكرها وحدها كسجل حافل بآثام المعتمد البريطانى ، فقد تعرض فيها الشاعر إلى مواقف كرومر العدائية من الدين الإسلامى ، ومناصرته للحركة التبشيرية المسيحية ، ثم دلف إلى الشركات الأجنبية التى بثها اللورد فى مختلف الجهات الأجنبية ، تمتص الدماء ، وتستنزف القوى ،

٤ — مدى التنفيذ فى هيئة الأمم المتحدة :

بوليس الأمن الدولى

تثور مشكلة الجزاء بوجه عام فى دراسة القانون بفروعه المختلفة ، ولكنها تتخذ صورة خاصة دقيقة إذا ما نظرنا إليها من ناحية القانون الدولى العام حيث تنافرت الآراء حول وجود جزاء له أو عدم وجوده ويتبع ذلك إنكار الصفة القانونية على هذا القانون أو إثباتها له . . . غير أن أغلب الفقهاء يعتقدون بحق أن القانون الدولى له كل مقومات القوانين ومميزاتها وإن كان لا يزال ضعيف الجزاء .

وقبل أن يولد ميثاق سان فرنسيسكو .. كانت أقصى مرحلة من التهذيب وصلتها الجزاءات الدولية — وذلك غير الحرب طبعاً — ما نصت عليه المادة السادسة عشرة من عهد عصبة الأمم البائدة ، وهى قائمة بمفردها تتناول فى أغلبها الجزاءات الاقتصادية وتشير إلى الجزاءات العسكرية باقتضاب دون تفصيل أو إيضاح .

ويعزو بعض الكتاب انهيار العصبة إلى عدم الالتفات جيداً إلى اللون العسكرى من الجزاءات وهذا النقص الأخير قد تداركه ميثاق هيئة الأمم المتحدة وفصله تفصيلا فى أكثر من مادة .

لقد قلنا إن لمجلس الأمن اختصاصين : الأول منهما يتعلق بحفظ السلم والأمن الدولى ويختص الثانى بالأحوال التى يقع فيها تهديد للسلم أو اخلال به أو حصول عدوان معين وهذه الأحوال التى تدخل فى الاختصاص الثانى ليس لها صفات معينة أو حدود تقف عندها ، بل إن مجلس الأمن له مطلق الحرية فى تقرير هذه الحالات الخطيرة (انظر المادة ٣٩) وترتيب الجزاءات لها .

ويمكن القول بأن الجزاءات المنصوص عليها فى الميثاق تتفاوت فى الشدة والطبيعة فهناك ما يسمى بالتدابير المؤقتة (المادة ٤٠) ويوضحها الميثاق بقوله : إنه منعاً لتفاقم الموقف ، لمجلس الأمن قبل تقديم توصيات أو اتخاذ التدابير المنصوص عنها فى المادة التاسعة والثلاثين ... أن يدعو المتنازعين للأخذ بما يراه ضرورياً

وندد بمجلس الشورى الذى أراد كرومر تكوينه من الأجانب والمصريين معاً ، ولم يفته أن يعرج على الأصنام المصرية التى اتخذها العميد وزراء للدولة فكانت رهن إشارته وقيد رغبته ، كما بكى اللغة العربية التى طعنها اللورد فى الصميم حين قرر دراسة العلوم المدرسية بلغته الدخيلة ، وقد عرف كيف يتهكم بالفرعون الناشم حيث قال فى وداعه :

فلم لا نرى الأهرام يانيل ميّداً ... وفرعون عن واديك مرتحل غدا
فودع لنا الطود الذى كان شامخاً ... وشيع لنا البحر الذى كان مزبدا
لقد حان توديع العميد وإنه ... حقيق بتشييع المحبين والعدا
سنطوى أياديك التى قد أفضتها ... علينا فلسنا أمة تجحد اليدا

وفى رأيى أن هذه القصيدة التاريخية قد فاقت قصيدة شوقى فى وداع العميد ، لأن شاعر القصر لم ينطق عن شعور وطنى دفاق وإنما غضب لولى نعمته حين هاجه اللورد فى حفلة وداعه ، فنحت أبياته نحتاً ، وأنت تقرأ ما نسجه أمير الشعراء فلا تحس بهذه اللوعة المتأججة فى شعر حافظ ، بل تجد شاعر القصر قد نسى الغرض الأصيل من القصيدة ، فلم يطنب فيه أطناب شاعر النيل وإنما حرص كل الحرص على أن يندد فى مطلع كلامه بما اقترفه اللورد فى حفلة الوداع فقال :

أوسعتنا يوم الوداع إهانة ... أدب لعمرك لا يصيب مثيلا
فى ملعب للمضحكات مشيد ... مثلت فيه المبكيات فصولا
شهد الحسين عليه لعن أصوله ... وتصدر الأعمى به تطفيلا
هلا بدا لك أن تجامل بعدما ... صاغ الرئيس لك الثنا إكليلا

ومهما يكن من شىء فإن نشأة شوقى الأولى قد باعدت كثيراً بينه وبين واجبه الأقدس . بل قد ورطته أسوء توريط فيما ينبغى أن يبتعد عنه ؛ فقد هجا زعيم الثورة العرابية المفترى عليه لحاجة فى نفسه ، وأحجم عن رثاء أستاذه البارودى ، كما لاذ بالصمت المريب إزاء فجيعة دنشواى ، مع أنها زلزلت العالم أجمع بدويها الرنان ، والأبيات القليلة المذكورة فى الجزء الأول من الشوقيات عن هذه المأساة ، قد قيلت بعد رحيل اللورد كرومر ، وانقضاء عام كامل ، جفت فيه الدماء ، وانقطع الدوى ، وتحدث الناس جميعاً بأن أمير الشعراء مقصر كل التقصير ! !

(البقية فى العدد القادم)

محمد رجب البيومى

أو مستحسناً من تدابير مؤقتة ، ولا تخلو هذه التدابير المؤقتة بحقوق المتنازعين ومطالبهم أو بمركزهم ، وعلى مجلس الأمن أن يحسب لعدم أخذ المتنازعين بهذه التدابير المؤقتة حسابه .

وهناك الجزاءات غير العسكرية (المادة ٤١) وعندها يقرر مجلس الأمن ما يجب اتخاذه من التدابير التي لا تتطلب استخدام القوات المسلحة لتنفيذ قراراته وله أن يطلب إلى أعضاء الأمم المتحدة تطبيق هذه التدابير ويجوز أن يكون من بينها وقف الصلات الاقتصادية والمواصلات الحديدية والبحرية والجوية والبريدية والبرقية واللاسلكية وغيرها من المواصلات وقفاً جزئياً أو كلياً كما تقطع العلاقات الدبلوماسية .

وأما الجزاءات العسكرية (م٤٢) فقد نص عليها الميثاق بأنه إذا رأى مجلس الأمن أن الجزءات غير العسكرية لا تفي بالغرض أو ثبت أنها لم تف به جاز له أن يتخذ بطريق القوات الجوية والبحرية والبرية من الأعمال ما يلزم لحفظ السلم والأمن الدولي أو إعادته إلى نصابه ، ويجوز أن تتناول هذه الأعمال المظاهرات والحصر والعمليات الأخرى بطريق القوات البرية والجوية والبحرية التابعة لأعضاء هيئة الأمم المتحدة وهذه القوات هي « بوليس الأمن الدولي »

وأما تكوين بوليس الأمن وتنظيمه فقد فصل ذلك الميثاق (م ٤٣) بأنه في سبيل المساهمة في حفظ السلم والأمن الدولي يتعهد جميع أعضاء هيئة الأمم المتحدة بأن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن بناء على طلبه وطبقاً لاتفاقات خاصة ما يلزم من القوات المسلحة والمساعدات والتسهيلات اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي وتحدد تلك الاتفاقات عدد هذه القوات وأنواعها ومدى استعدادها وأماكنها عموماً ونوع التسهيلات والمساعدات التي تقدم . كما قضى (م ٤٧) بتشكيل لجنة من أركان الحرب تكون مهمتها أن تسدي المشورة والمعونة إلى مجلس الأمن وتعاونه في جميع المسائل المتصلة بما يلزمه من حاجات حربية واستخدام القوات الموضوعة تحت تصرفه وقيادتها ...

ولما كان هذا التنظيم يستغرق وقتاً طويلا لكي يوجد . فقد نص الميثاق (م ١٠٦) على أن الدول الخمس الكبرى تقوم بالنيابة عن الهيئة بالأعمال المشتركة التي قد تلزم لحفظ السلم والأمن الدولي في فترة الانتقال أي إلى أن يتولى مجلس الأمن تبعاته ...

لقد قدمنا أن حق الاعتراض[1] هو السائد في جميع أعمال مجلس الأمن بنوعيها ، ورأينا كيف استعملته الكتلتان الشرقية والغربية أسوأ استعمال متوخية مصالحها وشهواتها في كل مايدخل في الاختصاص الأول المتعلق بحفظ السلم والأمن الدولي وناقشنا اقتراح مارشال الذي كان بمثابة رد فعل لهذا الاستعمال السيء . . والآن يستطيع القارىء أن يستنتج مصير الاختصاص الثاني للمجلس الذي لن يكون أحسن حالا من سابقه ما دام هناك « الفيتو » وسوء تطبيقه ... ويمكننا أن نقول بملء الفم إن النصوص التي تقتطع جانباً خطيراً من الميثاق والتي تتعلق بمسألة الجزاءات . . قد حكم عليها بالعدم والموت . ففي فترة الانتقال هذه لم تتفق كلمة الدول الخمس الكبرى على فض أي نزاع أو عدوان يخل بالأمن الدولي . وليس ذلك راجعاً لندرة العدوان أو التهديدات الدولية بل يرجع قبل كل شيء إلى الخلاف الناشب بين المعسكرين المعروفين . والمثل البارز لذلك في مسألتي البلقان وأندونيسيا ..

ولندع فترة الانتقال وننظر فيما بعدها .. هل نظمت هيئة الأمم حقاً قواتها ؟ وهل عقدت تلك الاتفاقات التي تحدد هذا التنظيم ؟ ثم ما حال لجنة أركان الحرب الدولية .. أين هي ؟.

والجواب عن كل ذلك حاضر يبعث على الأسف : لم يحدث شيء ، ولن يكون شيء ما دام هذا النزاع المصلحي قائماً بين الدول يدعي كل فريق أن حق الاعتراض عقبة كبيرة في سبيل التنفيذ ، ولكن الحقيقة أن الأهواء والشهوات هي أصل الداء، فهي التي جرت إلى اساءة استعمال هذا الحق بل هي التي خلقته ودفعته إلى الوجود وما كنا في حاجة لمثله ..

إن بوليس الأمن الدولي جيش فوق الجيوش ، وقوة عظيمة تجب جميع القوى وكان أمل الشعوب الصغيرة فيه كبيراً ، لأنه سندها ودرعها في نضالها ضد اضطهاد الدول المستعمرة الظالمة ، وليس غريباً أن تنشر الصحف نبأ النصيحة التي قدمها مسيو تريجفلي سكرتير هيئة الأمم لرئيس وزراء مصر حين تقرر نهائياً

(١) انظر الرسالة العدد ٧٤٤

عرض القضية على مجلس الأمن .. فقد ذكرت أنه أشار عليه بالتريث حتى تتكون قوة بوليس الأمن الدولى .

على أية حال ليس أمامنا سوى الأسف العميق نقابل به مثل هذه الأمور المحزنة ولعله من المفيد أن نذكر شيئاً عن مشروع أمريكى للدفاع المشترك قيل إنه يغنى مؤقتاً عن البوليس الدولى . فقد روت الأنباء أن وفد أمريكا فى الجمعية العمومية لهيئـــة الأمم المتحدة قد أعد مشروعاً بمعاهدة للدفاع المتبادل تسندها قوات الدول الموقعة وسيعرض الوفد هذا المشروع على الجمعية العمومية . وهذه المعاهدة المقترحة يمكن أن تتمخض عن إنشاء قوة بوليس دولية لحماية اليونان فى القريب العاجل من اعتداء يوغوسلافيا وألبانيا وبلغاريا عليها كما أنها تتمشى مع الميثاق وتخضع لمادة معينة منه (م ٥١) تشير إلى أن للدول الحق فى الدفاع الفردى أو الجماعى إذا وقع هجوم مسلح على دولة من أعضاء هيئـة الأمم وذلك إلى أن يتسنى لمجلس الأمن اتخاذ التدابير الضرورية للمحافظة على السلام والأمن الدوليين ، ومن شروط هذا الاقتراح الأمريكى أن هذه المعاهدة مفتوحة لكل دولة من أعضاء هيئة الأمم تريد توقيعها بما فى ذلك روسيا ولكنها تصبح نافذة فى القريب العاجل سواء وقعتها روسيا والدول المرتبطة بها أو لم توقعها ، ولن يكون تنفيذ هذه المعاهدة بما فى ذلك استخدام القوات المسلحة للدول الموقعة موضوعاً خاضعاً لحق الدول الكبرى فى الاعتراض – الفيتو – وتقول المصادر الأمريكية أن هذه المعاهدة تهدف إلى التغلب على عقبتين فى سبيل المحافظة على السلام فى اليونان وغيرها :

أولا : استخدام روسيا لحقها فى الاعتراض على أية محاولة لحماية اليونان من عدوان جيرانها فى الشمال .

وثانياً : العوائق التى يضعها الوفد السوفيتى فى سبيل اتمام اتفاقات حربية بين هيئة الأمم المتحدة والدول الأعضاء بينما كان المأمول أن تنشأ قوة بوليس دولية لتنفيذ قرارات هيئة الأمم .

ويشبه مشروع هذه المعاهدة بروتوكول جنيف فى سنة ٩٢٤ الذى كان يهدف إلى تقوية عصبة الأمم ويبرر العمل الجماعى ضد العدوان تمشياً مع روح ميثاق العصبة .

هذا هو المشروع الأمريكى الذى لم يطرح بعد على بساط البحث ، ورأينا فيه أنه – كما هو واضح – موجه ضـد الـكتلة الشرقية وقد أملته روح التحدى والعداء وكان الأجدر بأمريكا أن تتمسك بنصوص الميثاق بدلا من أن تهدرها وتستبدل بها مشروعات أخرى لن تكون خيراً منها أو أكثر اتساقاً مع الغرض من قيامها ثم إن هذه المعاهدة الدفاعية تدعو للتساؤل : فهى دفاعية ضد من ؟ لا بد لوجود الدفاع من هجوم .. فضد من يوجه هذا الدفاع . . . إن كانت دول العالم أجمع ستنضم إلى المعاهدة ؟

والظاهر أن الـكتلة الغربية تعلم مقدماً أن مشروعها لن يحوز رضا من الـكتلة الشرقية ، ولهذا جعلت المعاهدة مفتوحة للانضمام ، والغالب أن الدول الموقعة ستكون سياستها موافقة لأهواء الـكتلة الأولى ومناهضة للثانية الأمر الذى يؤكد فى الذهن أن هذا المشروع ليس وليد الإيمان الخالص بخير الإنسانية وتقديس المعانى السامية لذاتها . . . وقد نفذت الولايات المتحدة مشروعها المقترح تنفيذاً جزئياً فى نصف الـكرة الغربى حين عقدت معاهدة الدفاع المشترك بين دول الأمريكيتين فى الأسابيع القليلة الماضية . وبعد : فإن حق الاعتراض يجب أن يلغى ، وأن تزيد الثقة المتبادلة بين الدول ، وتعود للمثل العليا قيمتها واعتبارها ، وأن نؤمن من جديد بالعدالة والحرية والمساواة ..

يجب أن تختفى من السطور كلمات الحرب والحياد ، فالجراح التى خلفتها الحرب لم تلتئم ، والمداد الذى كتب به الميثاق لم يجف بعد ...

إننا نخشى على مولود سان فرنسيسكو أن يلحق بفقيد الأطلنطى .. ! !

عبد الحميد عثمان عبد الحميد
كلية الحقوق

مبادئ ماليـــــة فى الاسلام

للأســــتاذ لبيب السعيد

١ — الإسلام دين ودولة ، فهو إذ يشرع لأهله ما يبلغهم السعادة الأخروية ، يعنى كذلك بمصالحهم الدينوية ، ويقرر لها نظما يهدف بها إلى إتاحة الرفاهية قدر المستطاع لكل منهم ، وتحقيق القوة والسيادة لمجوعتهم .

٢ — والمال عصب الحياة ، والشريعة الإسلامية واقعية ، ولذلك أقامت للمال الموازين : عرفت كيف زين للناس حبه ، فتكاثروا به ، وتقاتلوا فى سبيله ، فالتفتت إلى المطامنة من هذا الحب ، وأخذت من فضل هذا لتعالج عدم ذاك ، محققة لكليهما الخير المنوى والمادى[(١)] وعرفت أن القوة والمنعة والأمن لاتقوم إلا على دعامة من المال ، فجعلت لولى الأمر حقا معلوما فى مال كل ذى مال لتقيم به هذه الدعامة .

فرضت الشريعة على الفرد عدة واجبات مالية ليس من همنا الآن تناولها بالبيان الوافى ، ولكننا نعرض لحسب ما يتعلق بها من مبادئ رئيسية ، غير مقتحمين ما للفقهاء فيها من تفاصيل .

٣ — التزم الإسلام العدل الأوفى فى فرض هذه الواجبات فهو فى وضع الخراج مثلا يوجب مراعاة جودة الأرض واختلاف أنواع زرعها وما تسق به[(٢)] .

وهو ينظر من أعسر بخراجه[(٣)]

والجزية التى يفرضها على أهل الذمة هى من الاعتدال بحيث لا تبلغ إلا سبع ما كان يفرضه الرومان مثلا على الأمم التى أخضعوها[(٤)] . وفوق هذا ، فهو يرعى حال من تفرض عليه الجزية إذا كان موسرا أو وسطا أوفقيرمعتملا[(٥)] . ويميز بين أرباب المهن المختلفة ، فالصيرفى والبزاز وصاحب الصنعة والتاجر والطبيب ومن إليهم غير الخياط والصباغ والجزار والإسكاف ومن أشبههم[(١)] ...

وهو لا يوجب الجزية على امرأة ولا صبى[(٢)] ، كما يعفى منها الأعمى والزمن والمفلوج والشيخ الكبير الفانى ولو كانوا موسرين ويضعها عن أصحاب الصوامع إلا إذا كانوا من الأغنياء[(٣)] .

والمبدأ المقرر لدى فقهاء المسلمين أنه « لا يضرب أحد من أهل الذمة فى استيدائهم الجزية ، ولا يقامون فى الشمس ولاغيرها ولا يجعل عليهم فى أبدانهم شىء من المكاره ، ولكن يرفق بهم ويحبسون حتى يؤدوا ما عليهم[(٤)] .

والاسلام يشترط للزكاة نصاباً معينا فى كل صنف وجبت فيه ، وهو ينظر إلى ناقص الملك نظرة خاصة رحيمة ، ويسقط — على الأرجح — الزكاة عن المدبان .

وهو ينكر على الفرد أن يأتى بما يملك فيقول هذه صدقة ، ثم يقعد يتكفف الناس ؛ يمدح القرآن أناسا فيقول : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »[(٥)]

ونبى الإسلام يقدر ما يحيط بالمالك من ظروف لها اعتبارها عند تقدير الزكاة المطلوبة ، فهو يقول للعمال الذين ولاهم على خرص الثمار — وهو الحزر والتخمين لتقدير الزكاة قبل الإثمار ولأمن الخيانة من رب المال — يقول لهم : « خففوا الخرص ، فإن فى المال الوصية (أى ما يوصى به أربابها بعد الوفاة) والعرية (أى مايعرى للصلات فى الحياة) والواطئة (أى ما تأكله السابلة منه ، سموا واطئة لوطئهم الأرض) والنائبة (أى ما ينوب الثمار من الجوائح) »[(٦)] .

وكذلك فى شأن الخراج ، تذهب الشريعة إلىأن لا يستقصى فى وضعه غاية ما تحتمله الأرض لتجعل لأربابها بقية يجبرون بها النوائب والجوائح[(٧)] .

---

(١) أنظر تفسير الفخر الرازى ج ٤ ص ٤٥٣ — ٤٦١ ، فقد أفاض فى هنا إفاضة نافعة .

(٢) الأحكام السلطانية لأبى يعلى الفراء ص ١٥١ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) النظم الاسلامية لحسن وعلى إبراهيم ص ٢٧٥ .

(٥) أحكام القرآن للرازى ج ٣ ص ٩٦ .

---

(١) الخراج لأبي يوسف ص ٦٩ — ٧٢ .

(٢) الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٣٩ .

(٣) أحكام القرآن للرازى ج ٣ ص ٩٦ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٨ ص ١٠٩ .

(٤) النظم الاسلامية ص ٢٧٦ .

(٥) سورة الفرقان — ٦٨ .

(٦) أبو يعلى ص ١٠٤ .

(٧) المصدر نفسه ص ١٥٢ .

٤ — ويقترن بذلك العدل حزم « فى التنفيذ لا هوادة فيه ، ودقة فى القواعد لا تدع سبيلا إلى العبث أو التحايل .

فمن مطل بالخراج ، مع يساره ، حبس ، إلا أن يكون له مال فيباع عليه فى خراجه كالديون(١) .

والأرض التى يمكن زرعها يؤخذ عنها الخراج وإن لم تزرع ، وإذا عجز رب الأرض عن عمارتها طلب إليه أن يؤجرها أو يرفع يده عنها ليتولاها من يقوم بعمارتها . ونذكر على سبيل الاستطراد أن الشريعة تأبى ترك الأرض على خرابها وإن دفع خراجها(٢)

ومن منع الزكاة فلوالى الصدقات أن يقاتله كما قاتل أبو بكر مانعى الزكاة ، بل لقد ذهبت طائفة إلى تكفيره(٣)

والكتاب والسنة ينصان على فداحة إثم مانع الزكاة ، وقد تبرأ منه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله فى سياق حديث : « لا أملك لك من الله شيئاً » ، وذلك — كما يقول ابن حجر — مؤذن بانقطاع رجائه(٤) ثم الشريعة تثنى على مؤتى المال على حبه ، وترغبه فى ذلك ما وسعها الترغيب ، وتمده فى الدنيا والآخرة أحسن الوعود وأبعدها مدى فى نفسه .

وإذا مات من عليه الزكاة بعد وجوبها عليه فإنها تخرج من رأس ماله(٥)

ومن باع ثمرة طابت فعليه زكاتها ، ومن جز زرعه فراراً من الزكاة لم تسقط(٦) .

والتمليك ركن من الزكاة ، فلا يجوز صرفها فى بناء مسجد أو حج أو إصلاح طرق أو نحو ذلك(٧) .

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى وجوب زكاة الفطر على كل مسلم ولو كان جنيناً فى بطن أمه ، وإلى وجوب تزكية السيد عن رقيقه مؤمناً كان أو كافرا لتجارة أو لغير تجارة(٨) .

والشريعة توجب الإنفاق من الطيبات وتنهى عن تيمم الخبيث

(١) أبو يعلى ص ١٥٢ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٥٣ و ١٥٦
(٣) بداية المجتهد لابن رشد ص ١٣٢ .
(٤) فتح البارى ج ٣ ص ١٧٢ .
(٥) أنظر التفاصيل فى أبى يعلى ص ١٣١
(٦) أبو يعلى ص ١٠٧
(٧) الفقه على المذاهب الأربعة ص ٥٠٢ .
(٨) المحلى لأبى محمد بن حزم ج ٦ ص ١١٨ و ١٣٢ .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى حميد »(١) ويقول : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »(٢)

٥ — والأموال التى تدفع يقصد بها دائماً الصالح الأعلى للامة ، والإسلام يتحرى مصارف هذه الأموال أشد التحرى :

فالصلة التى لا تعود بمصلحة على الأمة لا تكون من مالها ، بل تكون من المال الخاص لمن يدفعها(٣) ؛ قال الماوردى : وكان مما نقمه الناس على عثمان أن جعل الصلات من مال الفىء ولم ير الفرق بين الأمرين .

ولا يصح أن يدفع المرء زكاته إلى من تجب عليه نفقته ، ولو أن دفعها فى غيرهم من الأرحام أفضل لأنها تكون صدقة وصلة(٤) .

ويستحب الفقهاء أن لا تنقل الصدقة من بلد المزكى إلى بلد آخر ، لأن «أعين المساكين فى كل بلدة تمتد إلى أموالها ، هذا، مع عدم رؤية الفقهاء بأساً من الصرف على الغرباء فى البلدة»(٥) .

والعشور — وهى شبيهة بما نسميه الآن الضرائب الجمركية — مقصود بها صالح الأمة الإسلامية ذاتها ، فللامام — على مذهب الشافعى — أن يزيد فى المأخوذ عن العشر أو أن ينقص عنه إلى نصف العشر أو أن يرفع العشور كلها عن البضاعة إذا رأى المصلحة فى شىء غير ذلك . والإسلام يقدر أن فرض العشور قد ينقص من واردات بلاد المسلمين فيضارون ولذلك رأى أن لا يزيد أخذ العشور من كل قادم بالتجارة على مرة واحدة فى كل سنة ولو تكرر قدومه إلا أن يقع التراضى على غير ذلك(٦) .

٦ — والشريعة الإسلامية مع تدقيقها فى استيفاء حقوقها المالية على الأفراد ، تحفل بضمائرهم ، وتدعو ولى الأمر إلى الثقة بهم :

(١) البقرة — ٢٦٧
(٢) آل عمران — ٩٢ .
(٣) أبو يعلى ص ١٢٣ .
(٤) نفس المصدر ص ١١٨ .
(٥) نفس المصدر ص ٩٩ والإحياء للغزالى ج ١ ص ١٩٢
(٦) النظم الاسلامية ص ٢٨٥ .

فليس لوالى الصدقات أن يسأل أو يبحث عن شيء ليس تحت نظره ، وإنما عليه أن يأخذ مما يجد ، مما تجب فيه الصدقة[١] .

ويلزم رب المال فيما بينه وبين الله سبحانه باخراج ما أسقطه من أصل الزكاة أو ما تركه الوالى من زيادة[٢] .

٧ — والإسلام لا يجب أن يجد السلطان Sowerainceté باسم الشرع ذريعة لإغرام أى فرد مالا بغير حق ، فيقول الرسول صراحة : « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام »[٣] ، فعلم أنه لا يحل إغرام مسلم شيئاً بغير نص صحيح[٤] .

٨ — والإسلام يصون لمستحقى الزكاة كرامتهم وإنسانيتهم ويأبى أن تذل نفوسهم ، فهو يرغب فى صدقة السر ، ويقرر بطلان الصدقات التى يعقبها المن والأذى ، يقول تعالى فى الصدقات « وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم »[٥] ، ويقول سبحانه : « لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى »[٦] ، ويقول نبى الإسلام : « لا يقبل الله صدقة منان »[٧] .

وهو فضلا عن هذا يعتبر من يأخذ الزكاة صاحب حق فى مال الغنى ، وصاحب الحق إذا تقاضى حقه تقاضاه غير مغض نظره ولا حانياً عوده ؛ قال تعالى : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »[٨] .

٩ — والشريعة تعين للزكاة مصرفاً يجمع سائر الأبواب التى يتعين الإنفاق فيها لصالح الفرد والجماعة والدولة والدين ، والتى يستريح للانفاق فيها ضمير المزكى . قال تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

وهذه الأبواب جميعها ظاهرة الحكمة ، وفيها تكافل وتعاطف ناصمان ، وفيها تأييد عملى حازم لمبادىء الحرية والإخاء والمساواة ، وفيها رفق عال وتقدير للمجاهدين وحفظ لمجد الدولة .

(١) أبو يعلى ص ١٠٧ .
(٢) أبو يعلى ص ١١٠ .
(٣) من خطبته فى حجة الوداع
(٤) المحلى ج ٦ ص ١١٧ .
(٥) البقرة — ٢٧١ .
(٦) البقرة — ٢٦٤ .
(٧) نقلا عن الاحياء للغزالى ج ١ ص ١٩٣
(٨) الذاريات — ١٩ .

وربما كان جديراً بالذكر أن الغزالى يحبب أن يطلب المتصدق لصدقته من تزكو بهم الصدقة ، وهم عنده المتجردون للآخرة ، وأهل العلم ، والصادقون فى تقواهم ، والمخفون حاجتهم ، والمبلون أو المحبوسون بمرض وذوو الأرحام[١] .

١٠ — وتختط الشريعة فى محاربة الفقر مذهباً وسطاً ، لا يضار منه الغنى ولا تفوت بسببه المصلحة على فقير ، فهو يحدد مقادير الزكاة تحديداً معقولا ، ولا يفرض على الأغنياء أكثر منها إلا أن تحدث أمور توجب المواساة والإعطاء كأن يوجد جائع مضطر أو عار مضطر أو ميت ليس له من يكفنه ولا من يدفنه .

ولقد ذهب أبو ذر إلى عدم جواز ادخار الذهب والفضة ، وروى أبو هريرة أن النبى (ص) لم يحب لنفسه أن يكون له ذهب ، ولكن الرد على هذا أن النبى قدر الواجب من الزكاة فى الذهب والفضة ، فلو كان إخراج الكل واجباً لما كان للتقدير وجه ، وقد كان فى الصحابة ذوو يسار ظاهر مثل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وعلم النبى ذلك منهم فلم يأمرهم بإخراج الجميع[٢] .

١١ — والإسلام يفرض الجهاد بالمال مثلما يفرضه بالنفس قال تعالى : « ... إن يجاهدوا بأموالهم وبأنفسهم ... » ، وجهاد المرء بماله يكون بانفاقه فى إعداد ما يلزمه للجهاد من العدة بمختلف أنواعها ، ويكون أيضاً بانفاقه على غيره من المجاهدين وإمداده بالزاد والعدة . والشريعة تعنف أشد التعنيف كل من نكل من الجهاد[٣] .

١٢ — وهى تفرض على الحجاج الهدايا يوزعون لحومها على الفقراء ، وتوجب على الموسرين نحر الضحايا وإعطاء الفقراء أيضاً منها .

وكذلك كفارات الرُّخَص فى العبادات وكفارات كثير من الأخطاء واجبات مالية ينتفع بها الفقراء الذين لا تبرح الشريعة تنظر فى مصالحهم .

١٣ — ومن المبادىء الإسلامية البالغة الأهمية والتى تُغنى عن التطلع إلى النظم الوضعية أن الشريعة تقتضى الأغنياء من أهل

(١) الاحياء ج ١ ص ١٩٤ .
(٢) أحكام القرآن للرازى ج ٣ ص ١٠٥ .
(٣) راجع : الحسبة فى الاسلام لابن تيمية ص ٧٧ ، ٧٨

حول جدل فى الجامعة

للأستـــاذ عبد الفتاح بدوى

نشر الأستاذ « العباس » مقالا فى « الرسالة » عنوانه « جدل فى الجامعة » وموضوعه رسالة قدمت فى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول لنيل درجة الدكتوراه .

ونشر الأستاذ « محمد خلف الله » مقالا بعده ينفى فيه أن يكون الأستاذ « أحمد أمين » قد عاب الرسالة لضعف فى منهجها أو لإنكار مافيها من حقائق علمية ويقول : إن كل ما صنعه الأستاذ أحمد أمين أنه لفت ذهن الجامعة إلى أن مناقشة الرسالة قد تثير ضجيجاً لما فيها من أفكار وآراء .

وليس يعنينا ضعف منهج الرسالة فليس الناس ولا أهل العلم خاصة قوامين بالقسط على الرسائل التى تقدم فى الجامعة فذلك شأن الممتحنين من دون الناس جميعاً

ولكن الذى لنا وللعلماء خاصة هو القيامة على الحقائق العلمية وعلى الحقائق الدينية ننفى عنهما الخبث وندافع عنهما كل من يحاول عليهما العدوان .

ولقد دلنا الأستاذ « خلف الله » بمقاله على أن فى الرسالة التى تقدم بها إلى الجامعة أحداثاً خطيرة فى العلم وفى الدين ، ودعانى مقاله هذا إلى البحث عن تقرير الأستاذ أحمد أمين وإلى البحث عن غير ذلك التقرير ، وما دمنا نملك هذا المقال فإننا نملك باباً وسيعاً من المناقشة والحساب فى مسائل علمية ودينية لها أكبر الخطر ويترتب عليها أعظم النتائج العلمية والأدبية والاجتماعية والقانونية إلى أن نحصل على أشياء أخر غير المقال .

يقول الأستاذ « خلف الله » : ومن المعروف دينيا ألا نستنتج من نص قرآنى أمراً لم يقصد إليه القرآن ... وهذه الدعوى هكذا تهجم عارم على العلم وعلى القرآن جميعا ، ودلالة صريحة على أن من يدعى هذه الدعوى يستبيح للناس أن يقولوا عنه أنه لا يعرف شيئاً من المنطق ؛ والمنطق ميزان المعقول ، وهو لا يعرف قواعد اللغة ، ولا يتكلم بكلام الناس ، ولا يصح أن تكون له رسالة يتقدم بها إلى الجامعة أو إلى سواها لأنه ليس من أهل العلم فى شىء .

أليس القرآن الكريم كلاماً له الدلالات المنطقية الثلاث المطابقية والتضمنية والالتزامية التى لكل كلام سواء فى ذلك كل أنواع الكلام ؟ فإذا قال القرآن الكريم : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » ألا تفهم منه أن هناك

كل بلد أن يقوموا بفقرائهم وأن يجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم :

فيقام للفقراء بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه ، وباللباس للشتاء ، والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة(١) .

بل لقد ذهب أبو محمد بن حزم إلى رأى لا نحسبه معروفاً جيداً لجمهرة المسلمين قال : « ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير ، وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو لذمى ، لأن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع ، فإذا كان ذلك كذلك ، فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير »(٢) .

ويمضى أبو محمد فيقول : « وله — يقصد المسلم المضطر — أن يقاتل عن ذلك ، فإن قتل فعلى قاتله القود ، وإن قتل المانع ، فإلى لعنة الله لأنه منع حقاً ، وهو طائفة باغية ، قال تعالى : « فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » ومانع الحق باغ على أخيه الذى له الحق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق رضى الله عنه مانع الزكاة ، وبالله تعالى التوفيق » اهـ (١) .

وبعد ، فهل يسع المنصف أن لا يقرر أن المذاهب والمشروعات الاجتماعية الحديثة مع ما فى بعضها من آراء تستحق التقدير ، وتحمل على بعض الأمل فى أن تطب لأدواء الفقر ، لا تتسامى إلى المبادئ الإسلامية فى دقتها وشمولها وعملها المنظم على موازنة الثروات ، والتقريب بين الطبقات ، وإقامة التكامل الاجتماعى ، واحترام الإنسانية ، وتمكين الأمة من حفظ قوتها وشوكتها .

لبيب السعيد

(١) المحلى لابن حزم ج ٦ ص ١٥٦

(٢) المصدر نفسه

(١) المصدر نفسه .

بلداً اسمه « بكة » وأن فى هذا البلد بيتاً ، وأنه وضع للناس ، ثم نفهم الأمر الدينى فوق هذا وهو أن هذا البيت مبارك وهدى للعالمين ؟ أليس لنا ذلك ونحن لا نستطيع أن نفهم هذا الأمر الدينى إلا مع فهم تلك الدلالات ؟ بل أجمع العلماء على أن للقرآن الكريم فوق هذه الدلالات الثلاث التى تجمع عليها عقول البشر لكل كلام دلالة أخرى سامية هى دلالة الفحوى التى يكون مثلها للنثر الفنى أو الشعر البليغ ، وأجمعوا على أن هذه الدلالة مرعية قطعا وإن اختلفوا فى أنه هل تقوم على هذه الدلالة أحكام شرعية أم لا ؛ إننا إذا حرمنا القرآن الكريم دلالاته الالتزامية وهى التى تستنتج من الكلام فقد حرمناه أخص المزايا العقلية لكل كلام وليس يملك هذا الحرمان أحد ، إنما يدعيه من حرم قواعد العقل وخرج من ميدان التفكير ، وإذا كانت الحقائق العلمية التى بنى عليها الأستاذ « خلف الله » رسالته من مثل مقاله هذا فويل للعلم وويل للعلماء.

ويدعى الأستاذ « خلف الله » أن الأستاذ « محمد عبده » قد قال بهذا القول فأى قول هو هذا الذى قال به الأستاذ الإمام ؟ أن كلام الأستاذ محمد عبده مثل كلام كل العلماء أن القرآن الكريم ليس كتاباً أنزل للتاريخ وضبط الوقائع وترتيب الحوادث التاريخية بعضها على بعض ولكنه بالاجماع يستخدم التاريخ ويقص من هذا التاريخ حقائق واقعة ثابتة مرتباً بعضها على بعض ترتيباً لا استنتاج فيه كما يستنتج المؤرخ ولكن ترتيب الحق والواقع وينزل بذلك الواقع المرتب ترتيب الحقائق لهداية الناس وإرشادهم إلى الخير والفلاح

فالقرآن يخالف كتب التاريخ فى أمور ويوافقها فى أمور ؛ فالمؤرخ قديرى من واجبه أن يتتبع تفاصيل الواقعة : من الأسماء والزمان والمكان والأحداث وتفاصيلها لأن هذا كله قد يعينه على استنتاج الحكم التاريخى الذى يحكم به على الواقعة أو يشبع به نهم العواطف الكثيرة المختلفة من قراءة التاريخى ؛ أما القرآن الكريم فقد لا يعنيه بعض هذا لأنه لا يستنتج الأحكام التاريخيه ولكنه الحكم الفيصل فيها ؛ فقد لا تعنيه الأسماء مثلا فيقول : « قتل أصحاب الأخدود » لأن العبرة التى تترتب على القصة أى الحكم التاريخى لا يتوقف على أسماء هؤلاء الناس ، وليس له بأسمائهم صلة ، وقد لا يهتم القرآن الكريم بالزمان فيذكر قصة « يوسف » عليه السلام وفيها اسم يوسف والمكان الذى كانت فيه القصة ولا يذكر زمانها ؛ وقد لا يهتم بالمكان فيذكر قصة لوط فيبين اسمه وأنه معاصر لإبراهيم ويذكر الحوادث ولا يذكر المكان ؛ وقد لا يهتم القرآن الكريم بالتفاصيل فيذكر قصة يونس عليه السلام وأنه « ساهم فكان من المدحضين » دون أن يدل على تفاصيل المساهمة ولا على نوعها ولا على المساهمين، ذلك كله لأن القرآن يخالف المؤرخ فالمؤرخ قد يتتبع ليستنتج ، أما القرآن فهو منزل بالواقع ، والحكم التاريخى فيه حكم العالم بالحقيقة فهو لا يستنتج ولكن يقرر الواقع ويذكر من الأسماء والأزمان والأمكنة والأحداث ما يعيننا على فهم ذلك الحكم التاريخى وتلقيه بالقبول ، ويتفق التاريخ والقرآن فى أن كلا منهما يرتب الحكم التاريخى على المقدمات التى يذكرها وإن كانا يختلفان فى طريقة ذلك الترتيب ، فالمؤرخ يرتب المقدمات ترتيباً ظنيا خاضعا لآلاف الفروض وأنواع الحدس والتخمين ، فإذا ذكر المؤرخ أسباب سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية كان كل سبب مما يذكر موضع نقاش طويل فى جميع مراحله ؛ أما القرآن الكريم فيرتب المقدمات ترتيباً يقينياً لا شك فيه ؛ فإذا قرأنا قوله تعالى « ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » رأينا المقدمات يقينية الوقوع والحكم الذى رتب عليها هو عين اليقين ؛ فالقرآن مصدر من مصادر التاريخ وليس كتاباً من التاريخ والفرق بينهما واضح كل الوضوح ، وليس فى المسلمين من يقول بغير هذا .

ويقول الأستاذ (خلف الله) : على أن هذه المسألة قديمة ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه ولقد نتج عن ذلك طريقتان . طريقة السلف وطريقة الخلف أما الأولون فيذهبون إلى أن كل ما وردفى القصص القرآنى من أحداث قد وقع . وأما الآخرون فلا يلتزمون هذا وعلى طريقتهم جرى الأستاذ الامام ...

وهذا الذى يقوله الأستاذ خلف الله جرأة أخرى على الأصوليين وتقول مفترى على الإمام محمد عبده . فلسنا نعرف أحداً من الأصوليين ولا أحداً من المسلمين يعتبر القصص القرآنى متشابها ولا نعرف أحداً من الأصوليين ولا من المسلمين لا يقول بأن ما ورد فى القرآن من القصص إنما هو أحداث وقعت وحوادث

هي خلاصة الحقيقة التي وقعت في سوالف الأزمان يسوقها القرآن عبرة وهدى للعالمين ؛ وليدلنا الأستاذ على أصولي لا يقول بهذا أو عي مسلم لا يقول بهذا

وكلام الأستاذ خلف الله افتراء على الأستاذ الامام يكذبه قول الإمام ومنهجه الذى اختطه لنفسه فى صراحة لا شية فيها ولا اختلاط ؛ ونورد هنا نص عبارة المنار وهى على أتم وضوح ليتبين للناس مقدار تهجم الأستاذ خلف الله على العلم وعلى رجال العلم ولنبين له كيف أراد أن يلبس على الناس بأقواله فى مقاله ويقول ما ليس بحق .

قال فى المنار عند تفسير قوله تعالى « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » : تمهيد للقصة ومذهب الخلف والسلف فى المتشابهات : أن أمر الخلقة وكيفية التكوين من الشئون الإلهية التى يعز الوقوف عليها كما هى وقد قص الله علينا فى هذه الآيات خبر النشأة الإنسانية على نحو مايؤثر عن أهل الكتاب من قبلنا ومثل لنا المعانى فى صور محسوسة وأبرز لنا الحكم والاسرار بأسلوب المناظرة والحوار كما هى سنته فى مناظرة الخلق وبيان الحق وقد ذهب الأستاذ إلى أن هذه الآيات من المتشابهات التى لا يمكن حملها على ظاهرها لأنها بحسب قانون التخاطب إما استشارة وذلك محال على الله تعالى وإما إخبار منه سبحانه للملائكة واعتراض منهم ومحاجة وجدال وذلك لا يليق بالله تعالى أيضاً ولا بملائكته ولا يجامع ما جاء به الدين من وصف الملائكة بكونهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد أورد الأستاذ (يعنى محمد عبده) مقدمة تمهيدية لفهم القصة فقال ، ما مثاله : أجمعت الأمة الاسلامية على أن الله تعالى منزه عن مشابهة المخلوقات وقد قام البرهان العقلى والبرهان النقلى على هذه العقيدة فكانت هى الأصل المحكم فى الاعتقاد الذى يجب أن يرد إليه غيره وهو التنزيه فإذا جاء فى نصوص الكتاب أو السنة شىء ينافى ظاهره التنزيه فللمسلمين فيه طريقتان أحدهما طريقة السلف وهى التنزيه الذى أيد العقل فيه النقل كقوله تعالى ليس كمثله شىء وقوله عز وجل سبحان ربك رب العزة عما يصفون وتفويض الأمر إلى الله تعالى فى فهم حقيقة ذلك مع العلم بأن الله يعلمنا بمضمون كلامه ما نستفيد به فى أخلاقنا وأعمالنا وأحوالنا ويأتينا فى ذلك بما يقرب المعانى من عقولنا ويصورها لمخيلاتنا والثانية طريقة الخلف وهى التأويل يقولون : إن قواعد الدين الإسلامى وضعت على أساس العقل فلا يخرج شىء منها عن المعقول فإذا جزم العقل بشىء وورد فى النقل خلافه يكون الحكم العقلى القاطع قرينة على أن النقل لا يراد به ظاهره ولا بد من معنى موافق يحمل عليه فينبغى طلبه بالتأويل : قال الأستاذ (محمد عبده) وأنا على طريقة السلف فى وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وعالم الغيب وأننا نسير فى فهم الآيات على كلتا الطريقتين لأنه لابد للكلام من فائدة يحمل عليها لأن الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى

قال صاحب المنار : وأقول أنا مؤلف هذا التفسير . إننى ولله الحمد على طريقة السلف وهديهم ، عليها أحيا وعليها أموت إن شاء الله تعالى .

فالأستاذ الامام لم يقل إن القصص من المتشابه ولم يقل بذلك مسلم قبله أو بعده والأستاذ الامام يقول : إن الآيات فى قصة الخليقة فى الأرض من المتشابه وفسر ذلك التشابه بأنها لا تحمل على ظاهرها وفسر ذلك الظاهر الذى لا تحمل عليه بأن فيها حوارا وجدلا بين الله تعالى والملائكة والجدل والحوار على ظاهرهما لا يليقان بالله تعالى ولا بالملائكة فيجب تأويل ذلك الجدل والحوار وحملهما على (خلاف مقتضى الظاهر) وبين التأويل الذى يراه لهذا الحوار ولهذا الجدل فى ص ٢٥٤ من تفسير المنار لنفس هذه الآيات فقال : وأما الفائدة فيما وراء البحث فى حقيقة الملائكة وكيفية الخطاب بينهم وبين الله تعالى فهى من وجوه أحدها أن الله تعالى فى عظمته وجلاله يرضى لعبيده أن يسألوه عن حكمته فى صنعه الخ ثانيها إذا كان من أسرار الله تعالى وحكمته ما يخفى على الملائكة فنحن أولى بأن تخفى علينا ثالثها أن الله تعالى هدى الملائكة فى حيرتهم بعد الإرشاد إلى الخضوع والتسليم رابعها تسلية النبى صلى الله عليه وسلم عن تكذيب الناس الخ فأين ما ادعاه الأستاذ خلف الله على الأصوليين وعلى الامام . إن هذا إلا اختلاق .

حسب الرسالة اليوم هذا فإن الحساب بيننا وبين الأستاذ خلف سيطول .

عبد الفتاح بدوى
المدرس فى كلية اللغة العربية

إلى رجال التعليم :

التلميذ مرآة أستاذه

للأستاذ على العمارى

ذكرت فى عدد سابق من الرسالة الغراء بعض الأسباب التى أدت إلى ضعف المتعلمين فى العلوم عامة ، وفى اللغة العربية خاصة ، وما سلكت غير سبيل الحق ، ولا نهجت إلا منهج الصراحة فإنى أعلم أن المداورة والمجاملة وغض الطرف عن العيوب كلها أدواء فتاكة ، تغطى وجه الحق ، وتمكن للداء أن يستشرى ، وإذا كان هذا سبيلى فإنى قائل اليوم قولا أراه مراً جارحاً ، ولكنى لا أجد منه بداً ، وإنى أعلم أنه سيغضب الكثيرين ، وسيدع غير قليل من رجال التعليم يزمون شفاههم ، ويقطبون أسارير وجوههم ، ويهزون أكتافهم ، ويقولون : كذب ورب الكعبة ، ولكنه — أيها الإخوان — الحق الصراح ، والحق مر ، والقول الخالص ، والناس لا يظمأون إلا إلى الآسن المكر ، حين يعذبه النفاق ، ويسيغه فى الحلوق الثناء الكاذب ، والمداهنة البغيضة .

ولست متجنياً ، ولا بعيداً عن الصواب حين أقرر أن من أهم أسباب الضعف فى مدارسنا ومعاهدنا اسناد مهنة التعليم إلى قوم لا يحبون العلم ، ولا يسمون إليه ، ومن خطأ الرأى أن يظن أنى أقصد جميع الأساتذة والمدرسين ، فأنا إنما أشير إلى عدد غير قليل منهم ، وما دام المدرس ضحلا فى مادته ، تافهاً فى معلوماته ، ناقصاً فى عقله ورأيه ، فكيف نطلب من التلميذ أن يكون نابغة فى علم ، أو عبقرياً فى فن ، بل كيف نطلب منه أن يقرأ قراءة صحيحة وأستاذه غير مستطيع ، وفاقد الشىء لا يعطيه كما يقولون ..

كان المعلمون فى الماضى يسهرون الليالى الطوال فى اعداد دروسهم ، ويرجعون إلى شتى المصادر فى مادتهم ، ويعملون آراءهم وعقولهم فى تفهم ما يلقونه إلى الطلاب ، فكان فى معاهد التعليم المجد المحصل ، والذكى النابغة ، ولكننا اليوم نرى مدرسين (على أحدث طراز) لا يعنى أحدهم بدرس ، ولا يتعب نفسه فى المراجعة ، وحسبه أن يدخل على تلاميذه فيلقى إليهم ما سطر فى الكتاب المقرر ، فإذا سئل أعاد (الأسطوانة) ، ونرى آخرين لا يحسنون النطق بالعربية ، وإنما أخذوها من أفواه العامة فهى تطغى على ألسنتهم ، وتشيع فى أساليبهم ، ولأن تكلف أحدهم أن يزحزح رضوى عن موضعه أهون عليه من أن تكلفه أن يلقى درساً بالعربية ، ولو كان يدرس البلاغة أو آداب اللغة العربية ، وليست هذه الحال مقصورة على معهد من معاهد التعليم دون معهد ، وإنما تجدها فى الجامعة المصرية ، كما تجدها فى الأزهر الشريف ، كما تجدها فى المدارس على مختلف أنواعها ، ونوادر المدرسين فى هذا الضعف يخطئها العد وينوء بها الحصر .

دخل أحد المفتشين على أستاذ يدرس آداب اللغة العربية فى فرقة عالية فوجده يدرس لهم الخط العربى ، ويقول عن بعض أنواعه (وقطته أربع وعشرون شعرة من شعرات البرذون) فسأله المفتش ما معنى هذا ، فأعاد الدرس من أوله ، ومر سريعاً على هذه الكلمة ، فسئل مرة أخرى فصنع صنيعه الأول ، ولم يزد ، فقال له المفتش فى أى كتاب راجعت مادتك ؟ فسكت ولم يحر جواباً ، فقال له : فإذا أردت أنا أن أراجعها ففى أى كتاب ؟ فسكت أيضاً . ؟

وحدثنى كبير فى الأزهر قال أن بعض المفتشين فى وزارة المعارف دخل على معلمة تدرس اللغة العربية فسمعها تقرأ قول الله تعالى « إنا أعطيناك الكوثر » فتضم الكاف ، وتميت الواو.

وقد سئل أحد المدرسين فى الأقسام الثانوية بالأزهر عن إعراب هذه الكلمة : لى مسألة لدى على ، فلما وصل إلى حرف لدى قال أنه فعل ماض ، وأصر على ذلك .

ولعل أغرب ما سمعنا فى هذا الباب أن مدرساً فى كلية عالية قال إن قول الله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) نزل على أبى بكر رضى الله عنه ، فراجعه الطلاب فتريث قليلا ، وترك جدالهم ، فلما جاء فى اليوم التالى قال لهم اسمعوا . إن الرجوع إلى الحق فضيلة ، وإنى أطلت الليلة النظر ، وراجعت كثيراً من الكتب ، وبعد البحث والتنقيب ظهر لى أن هذه الآية نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم !!!

صدقنى — أيها القارىء — واعلم أنى — والله الذى لا إله

غيره — أجد ولا أتندر ، وأن كثيرين ممن كانوا فى هذه الفرقة لا يزالون فى أول عهدهم بالحياة ، وأن الأستاذ المدرس لا يزال منتفخ الأوداج ، عالى الهامة ، يغدو ويروح على كليته ، ويأخذ الكثير من المال على جهله وغباوته !!

وقل لى بربك ، كيف يخرج الأستاذ نابغة فى البلاغة وهو لا يكاد يبين ؟ وكيف يصنع تلميذاً يفخر به وهو يجهل البديهات الأولية فى العلم ؟ ومتى استطاع مدرس يقرر أن قصص القرآن من الأساطير ، أن يخرج تلميذاً له فى العلم نصيب .. ؟

هذا عن جهل المدرس ، فإذا أخذنا ندون ما نعرف من اهمال بعض المدرسين وتهاونهم طال بنا القول ، واستفاض الحديث ، على أننا سنجتزىء بقليل من كثير مما نعرف ، ومع ذلك فلسنا نسلم من الألسنة

هذا مدرس لا عمل له طوال العام الدراسى الا أن يتحدث عن نفسه ، فلا يلق فرقة من الفرق ألا أسرف معها فى التمدح بأخلاقه ، والفخر بآثاره وأعماله ، والحديث عن آبائه وأجداده حتى إذا بقى من الزمن خمس دقائق قال اسمعوا سنقول فى العلم ، ويمضى يتحدث عن العلم ولكنه لا يفتح باب العلم إلا ليدخل منه إلى الحديث عن نفسه ..

وهذا آخر تثقل عليه الدراسة ، حتى أن كل يوم منها عنده مثل « سبت الكتاب » فهو يحاول جاهداً أن يميل بالطلاب عن طريق الجد ، فلا يسمع نبأة إلا حدث بها ، وتحدث عنها ، وأطال الحديث ، وهو يوحى بذلك إلى الطلاب أن دعوا العلم والعلماء فإن الوطن يناديكم ، ومطالب الحياة تستصرخكم ، وما فائدة الدرس إذا لم ينتفع منه الدارس ؟ فإن لم يقل ذلك تصريحاً قاله تلميحاً ، ولا عجب بعد ذلك إذا رأينا بعض الأساتذة يفرحون ويطربون حين يرون الطلاب منصرفين عن دروسهم ، ويغتمون أشد الغم إذا رأوهم مقبلين على هذه الدروس .

وهكذا نجد ضروباً وأصنافاً وكلها تتلاقى عند نقطة واحدة، تتلاقى عند الاهمال الذى لا يليق بمن يأخذ على نفسه تبعة تربية النشء ، ولسنا هنا نتحدث عما تبذره مثل هذه الأعمال فى نفوس الناشئين من الأخلاق الذميمة ، وإن كان ذلك عظيما ، ولكننا بصدد الحديث عن ضعف المتعلمين الذى كان من أكبر أسبابه ضعف بعض المعلمين ، واهمالهم وتهاونهم .

ولكن العجب كل العجب من الرؤساء الذين يعرفون كل ذلك ، وما هو أدهى وأمر من ذلك ، ولكنهم حين يملكون الغنيمة لا يوزعونها بالقسطاس المستقيم ، ولا يقصدون بها الجادين العاملين ، وإنما يقصدون المقربين منهم والملتفين حولهم ، وجمهرة هؤلاء من الصف الأخير الذين يريدون أن يكونوا فى الصف الأول بتقربهم من الرؤساء ، والسير فى ركابهم ، ولذلك يكسل الجد ، ويتهاون العامل ، ويسكن المتحرك ، وتخور عزيمة السباق، ولقد قر فى الأذهان — من طول ما لقى المجدون — أن الحظ لا يواتى النابه المخلص ، وقديماً ، قال المتنبى :

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى   بأيسر من أجمع الحظ والفهما

وقال بعض شعرائنا المحدثين ، وقد أخطأه الحظ ، فى توزيع الدرجات الأخيرة ، :

أين الكفاءة لا كفا   ءة غير ما يعلى الهوى
والعلم والإخلاص والتبريز دون المستوى
من رام ريًّا عندهم   فالجهل أعذب مرتوى
وإذا المحكم فى مها   وى الرأى والظلم هوى
فشهادة الحرمان أعدل يوم تختبر القوى

ولا سبيل إلى النهوض باللغة العربية ، وبالتعليم على وجه العموم إلا إذا أخلص ولاة الأمور ، وتنبهوا لما قدمنا لهم فى مقالنا السابق ، وفى هذا المقال من علل وأدواء ، وعملوا — جاهدين مخلصين — على علاجها والقضاء عليها .

على العمارى
المدرس بالأزهر

أُمي

للأستاذ فريد عين شوكة

لا تلمني على بكائي وغمي   أيُّ صبر يُعين في فقد أمي
أي كنز فقدته في نواها   أي خُسر أصابني ، أيُّ غُرم
أين مني حنانها يُسعد الرو   ح ، وينفي عن خاطري كل هم؟
أين مني دعاؤها بركاتٍ   تتوالى من السماء ، وتهمي؟
أين مني سؤالها عن طعامي   وشرابي ، وعن قيامي ونومي؟
أين مني حنينها للقائي   إن تغيبتُ ساعةً دون علمِ؟
أين مني وداعها في رحيلي   بالأماني التي تجدد عزمي ؟
أين مني لقاؤها في إيابي   بالتهاليل ، حين أهتف باسمي ؟
وهي تسمى إليَّ دون اقتدار   بمحيًّا كأنه بدرُ تِمٍّ !
وعيونٍ تألّقَ البشر فيها   كائتلاق السَّنى بأسطع نجم
وفمٍ ينظم التهانيَ حمداً   أنني عدتُ في أمانٍ وسلْم
وتمدُّ اليمين منها فأُطفي   حرَّ قلبي المشوق في فيض لثمي
ذكرياتٌ في خاطري تتهادى   كحبيب الرُّؤى بأروع حُلم !

***

أين مني صدق الفداء ، إذا ما   مسني في الحياة أيسرُ سُقم؟
تسهر الليلَ وهي حولي وَلهَى   تذرف الدمع في خفاء وكتم !
فإذا ما انتبهتُ فهي تُلاقيـ   ـني بوجهٍ مستبشرٍ غير جهم
وتروي جوانحي بأمانيّ   عذابٍ ، تنفي ظنوني ووهمي
وتصومُ النهارَ عن كل زادٍ   غيرَ ما يُمسك الدّماء ويحمي
ومُناها لو أنها تفتديني   بالذي يبتغي الفداء وترمي !

***

أين مني نفسٌ أسرُّ إليها   فرحتي ، أو شكايتي من مُلِمٍّ؟
فترى السعد في هنائي ، وترجو   ليَ في النُّعميات أوفر قسم
أو تُسرّي عني الهمومَ ، فأرضى   بالذي كان من قضاء وحكم
ثم تمضي الأحداث ، والسر خافٍ   فكأني ألقيتُه في خِضَمٍّ

***

هيه يا إخوتي ... ونحن جميعاً   في أسًى لافحٍ للظى مُدلهِمٍّ

كلُّنا في لجيمة الأم يطوى   جانبيه على سهامٍ وكلْم !
كلنا مُترعٌ بما غمرته   من رضاء ومن هناء ونُعْم
لم يكن بيننا أثيرٌ ، ولكن   متساوون في الحنان الأعمِّ
وإذا آثرتْ شقيقاً بعطفٍ   فلسقم ، أو غُربةٍ ، أو عُدم
نظمتْنا عِقداً ، وكانت له الخيْـ   ـط ، فلم يبدُ مرةً دون نظم
لا يرانا الزمان إلا أحبّا   ء ، تلاقوا على ولاء ورُحم
شركاء في السعد والبؤس ، أعوا   ناً على العيش في نضال وحزم
كشديد البنيان كنا ، وكانت   أمُّنا للبناء أثبتَ دعم
نبتغي عندها الرضاء ، ونحيا   طوْعَ إرشادها على غير رغم
يا إلهي ! هوتْ دعامتنا الكبـ   ـرى ، فهل نستقر من غير هدم ؟
يا إلهي ! ندَّ القِراب عن السيـ   ـف ، فكيف احتماله دون ثَلْم؟

***

يا ذوي قربتي ! عزاءً جميلا   في مصاب دهى الظهور بقصم
قد حُرمتم نفساً أبرَّ وأحنى   من شقيق لكم وخالٍ وعم
كم أتيتم رحابها ، فلقيتم   كرماً لا يزال كالبحر يطمي
وحناناً من عندها وزكاةً   في خفاء وفي حياء وبسم
وتبثّون ما بكم ... فتلاقو   نَ لديها عوناً على كل ظلم

***

ويحَ للجارة الوفية ! تبكي   كلما أقبلت فلم تلقَ أمي !
فقدتْ بعدها الوداد المصفّى   والغياث المرجوَّ في كل أزْم
والفؤاد العطوف يحنو ويأسو   إن رماها كفُّ الزمان بسهم
واللسانَ العفيفَ لا يلفظ السو   ء ، ولا يستطيل يوماً بشتم !
والحديث اللطيف يقطُر كالشهـ   ـد ، بريئاً من اغتياب وذمٍّ !
يالها من لجيمة رزأتْها   في سجايا عظيمةٍ أيَّ عُظم !

***

أيها الحزن ! لا عدمتُك حتى   تسحق النار في أتونك عظمي !
أيها الدمع ! لا هجرتك حتى   ينزف القلب في انسكابك دمي !
أيها الصبر ! لا عرفتك حتى   يستوي في جوار أمي جسمي !
لا أُطيقُ الحياة بعد نواها   آهِ ، يا ليت يومها كان يومي

***

يا عوادي الرَّدى فقدتُ رجائي   فهلمّي خذي الحياةَ ... هلمي !

(منوف)   فريد عين شوكة



من وراء المنظار

زهرة وزهرة . . . !

جلست أنتظر فى حجرة مدير المكتب حتى يأتى دورى فيؤذن لى بالدخول على كبير من أصحاب الديوان فى إحدى الوزارات ؛ وكانت الحجرة ملأى بالمنتظرين مثلى ؛ وكلما رن الجرس وأسرع المدير إلى الحجرة المهيبة وخرج منها ، تأهب كل امرئ يحسب أن الإذن له ، فيشير المدير إلى من يعرف ، وينادى اسم من لا يعرف ، فيصلح الداخل حلته وزرها ويعدل رباط رقبته ، وقد ينزع طربوشه ويمسحه بمنديله أو بطرف ردنه ، ويضعه على رأسه فى اهتمام ، ويدق الباب فى احتشام ، ويدخل ثم يخرج بعد حين وعلى وجهه غَـبَرَة أو ابتسامة ... وكان يقع منظارى على هؤلاء ، وأنا أحمد الله أن لم تكن بى حاجة إلى هذا الكبير ، فما جئت إلا لأقدم إليه « كتابى » ...

ودخل أكثر من بالحجرة وخرجوا ، وبقيت سيدة على أحد المقاعد ، حيث وقع نظرى عليها منذ دخلت هذه الحجرة ... سيدة هى الحزن نفسه تمثل إنسية فى ثياب الحداد ! ...

كنت أنظر إلى وجهها الضارع فتنغمز على قلبى وعلى كبدى هذه اللوعة الناطقة فيه ، وكانت تدور طرحة سوداء بهذا الوجه ، وهو فى لون العاج المصفار ، فتزيد بياض صفحته وتبرز معنى الشكل فيه ... وكانت هذه السيدة الحزينة تنظر دائماً إلى الأرض ، فلا تكاد ترفع بصرها حتى ترده إلى حيث كان فى ضراعة وتخشع ، وكم كان يحزن نفسى ما أراه من حمرة فى جفونها كلما التقى بصرى بعينيها الواسعتين الهادئتين ، اللتين أطفأ الحزن والسقم ما كان فيهما من بريق !

وكانت هذه الزهرة الذابلة رائعة الحسن على الرغم من لوعتها وضراعتها ، تروعك ملاحة وجهها بقدر ما يروعك حزنها ... وهكذا جعل الحزن روعتها روعتين ، وجعل ما يحسه القلب حيالها من لوعة كأنما يذوقها مرتين !

وكانت شابة لا تزيد على الثلاثين فيما أحسب ، وفهمت أنها أرملة كبير من أصحاب هذا الديوان ، فعجبت كيف يدعها موظفو المكتب حيث هى فلا يعينونها على ما جاءت له من أمر ، ولو لم يكن زوجها من أصحاب هذا الديوان من قبل ، لكان لها من هذا الحزن الضارع أكبر شفيع ... بل لكان لها من محياها ولم تخلع ثوب الحداد بعد ، ما هو خليق أن يلين لها القلوب ولو كانت من الصخر ...

ولكن ... فيم العجب ، ولو أن زوجها نفسه أحيل على المعاش ، كما يقول أصحاب الديوان ، وجاء بعد يوم واحد إلى نفس الديوان ، لتنكر له من كانوا من قبل يرجون مودته ، والحياء من يحييه ، وكأنما يريد أن يفهمه أنه يتفضل عليه بهذه التحية ، فكيف وقد طواه الموت ؟ !

بهذا حدثتنى نفسى وأنا أنظر إلى هذه التى يغطى السواد جسدها كله ، فلا يُرى إلا وجهها ويداها ، والتى كنت أتخيل أن ما يطرأ على خاطرى من هذه المعانى هو عين ما كان يطرأ على خاطرها فى تلك اللحظة ...

ودخلت بعد حين غانية أخرى فى زينتها ودلها وألوانها ، تخطو خطوات رشيقة سريعة وتتثنى وتتخلج كأنما تمشى لا برجليها وحدهما ، وإنما بهيكلها كله ، وقد فاح فى الحجرة عطورها ، وارتفع بالتحية صوتها ، وهى تقول إنها تريد أن تقابل سعادة البك ...

... وجلست هذه الزهرة الناضرة ، وقد هش لها مدير المكتب ، وأقبل عليها يحدثها حتى ما كان يعى تحيات القادمين ولا نداء الموظفين ، ولا يفطن إلى ما يلقونه إليه من أوراق ! ... حتى الجرس نفسه — جرس الرئيس المهيب — كان يتوانى فى إجابته ، ثم يهرول ليعود بعد لحظة يصور لمحدثته مبلغ ما لدى رئيسه من أوراق ينظر فيها ، وذلك كى يجعل له عليها فضل الحصول لها على الإذن ...

ودخل الحجرة بعض الخبثاء من الموظفين يتظاهرون أنهم قدموا لعمل ... فكانت تناديهم بأسمائهم فيسرعون إليها فتسأل الواحد منهم عما تم فى مسألتها ... فيحدثها فى تظرف واهتمام ، ويصف لها مقدار ما يبذل من جهد وعناية فى هذا الأمر ، وهى تخرج الكلام من فمها تارة ومن أنفها تارة ، ولا تكاد تستقر فى موضعها وتتهددهم ضاحكة أنها سوف تشكوهم إلى سعادة البك

تعقيبات

بأية حال عدت يا عيد ؟ !

خرج شاعر العربية أبو الطيب المتنبي من مصر هارباً فى سبيل آماله ، فأتى عليه عيد الأضحى وهو شريد فى الصحراء ، تملأ نفسه الوحشة ويستبد به الحنين ، فثارت شاعريته بتلك الصرخة الأليمة الخالدة :

عيد ! بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم بأمر فيك تجديد؟!

واليوم ، يأتى علينا عيد الضحية ، ونحن فى حال الشاعر الكبير ، نشيدنا هو تلك الصرخة الأليمة التى هتف بها فى أذن الزمن من قديم ، فكلنا ضحية للمرض القاتل ، والوهم القاتل ، والهم الجاثم ، وكلنا غريب تملأ نفسه الوحشة والفرقة ينشد قول أبى الطيب :

عيد بأية حال عدت يا عيد . .

إن الأمر لله من قبل ومن بعد ، فيا بارىء الناس غوثك ورحمتك بالناس . . فاللهم ! اكشف الضر عن عبادك أجمعين ، وارفع الشر عن جندك المسلمين ، وأدرك بعنايتك الفياضة هذه الأمة الضارعة إليك فيعود عليها هـذا العيد بالخير العام ، والسرور والسلام . .

أدب . . الكوليرا :

فى عام ١٩٠٢ هجم وباء الكوليرا على مصر هجوماً عنيفاً فملأ نفوس الناس بالفزع ، وملأ عواطف الشعراء بالتأثر ، ففاضت قرائحهم بالقصائد فى التنديد على ذلك الوافد الثقيل ، وتطمين الخواطر للأقدار الجارية ، مما لو جمع لكان ديواناً يمكن أن يسمى « ديوان الكوليرا » .

أذكر من ذلك قصيدة للمرحوم الشاعر أحمد محرم نصور حال ذلك الوباء فى تلك الأيام وشدة تأثيره على نفوس الناس ، ويقول فى مطلعها :

ضيف ولكن لا أقول سلام ولرب ضيف ذم منه مقام
ريعت لطلعتك القلوب وهالها هذا التوثب منك والإقدام
تسطو على سرب النفوس وإنما يسطو على سرب الحياة حمام
وتصول ما يثنيك عن آجالنا عذل تؤجج نارة وملام
لو كنت ذا قلب يرق لنادب أمنت بلاءك هذه الأقوام
الله فى أرواحها ونفوسها إن كانت التقوى لديك ترام

وإنهم ليؤكدون لهـا فى ميوعة وخبث أنهم « فى الخدمة » ، وأن « الهانم » لن تعود بعد يومين إلا وقد انتهى كل شىء ... وتنظر إلى هذا فتقول : يا لئيم ! وإلى ذاك فتقول : يا نصاب ! وإلى ثالثهم فتقول : يا مكير ! وتغمز بعينيها وتضحك ... ويتكلمون بالأحداق ، أو يتغامزون بالأيدى ، وينصرفون ليقولوا خارج الحجرة ما يشاءون !

وتنظر المحزونة إليها فيتضاعف حزنها ، وإن صاحب القلب الحزون ليعرف أقصى حزنه حين يجد نفسه وحده بين قوم لاهين ضاحكين ! وأنظر إلى هذه الشكلى لا يعنى بها أحد ، ولا يفكر فى أمرها أحد ، فتشمئز نفسى من لؤم هذه الحياة !

ورن الجرس ، نخف المدير إلى حجرة رئيسه ، ثم عاد يشير إلى صاحبته لتدخل ، ومشت إلى الباب فى خفة كأنما تريد أن تجرى ، ورائحة عطرها تملأ الخياشيم ... ونظرت إلى تلك الزهرة التى لا يفوح منها عطر ، فإذا حمرة توردُ هذا العاج المصفار فى وجهها هى حمرة الغضب ، وإذا بجفونها المقروحة تتندى ، وإذا بها تمسك دموعها فى جهد !

وتمشى إلى مكتب المدير فى أناة وخشوع ، وتقول له فى صوت مختنق متهدج ... إنها تعتذر إذ لا تستطيع البقاء ، فما يزيد على أن يقول لهـا فى سماجة : « على كيفك يا ستى ... الناس لسه منتظرين كلهم أهم ... وأنا أعمل إيه ؟ ؟ »

وانصرفت المسكينة فما بلغت الباب حتى انهمرت دموعها ، فسحت عينيها بمنديلها ، وما فى الحجرة ممن ينتظرون الإذن إلا من تحرك قلبه شفقة عليها ورثاء لها !

ولا أريد أن أذكر للقارىء متى جاء دورى أنا « المؤلف الفاضل » ، أحد حملة القلم المتواضعين الذى ما جئت أرجو فى شىء ، والذى يعرفنى منذ سنوات هذا الكبير الذى لا تخلو من أمثاله وأمثال مديره أكثر الدواوين !

الخفيف

أوقدتها حرباً يشب ضرامها … فتى يغيث الناس منك سلام

شر الضيوف ولا إخالك غيره … ضيف له نفس المضيف طعام

ثم يصف الشاعر موقفه فى هذه الثمرة فيقول :

أتظن أن الخوف يملك منطقى ؟ … نظم القريض إذن على حرام !

أم أنت تطمع أن يدين لحادث … قلم تدين لربه الأقـــلام ؟

أسطو عليك به وأعلم أنه … قدر تطيش لهوله الأحلام

كف الوعيد فإن أنفاس الفتى … معدودة وكذلك الأيام

ولـكل نفس مدة محدودة … ولـكل شىء غاية وتمـــام

ثم يقول :

يا ضيفنا المـكروه يومك بيننا … شهر وشهرك إن تقاصر عام

أنى حللت من المدائن والقرى … حل البلاء وزادت الآلام

يا ضيفنا لو لم تـكن قذراً لمـا … ضربت على الأقذار منك خيام

إن اغتيالك ذا الخصاصة بيننا … عيب بجانبه الـكريم وذام

أم الغنى تخاف ويحك أم ترى … أن الغنى من حقه الإعظام

وأخيراً يختم قصيدته بهذا البيت :

سر أو أقم إن المنون روائح … وبواكر ومن المحال دوام

والقصيدة طويلة ، وقد اقتصرت منها على هذه النماذج ، ولو كان فى المقام سعة لأوردت كثيراً من النماذج من قصائد الشعراء فى التنديد بذلك الوباء ووصف نكبة الشعب فى تلك الأيام وفى هذه الآونة يهجم وباء الـكوليرا على مصر ، ويفعل أفاعيله بأرواحهم ، وفى نفوسهم ، وتتحرك الدنيا كلها لهول الخطب ، ولـكن أحداً من شعرائنا لم يتحرك أبداً ، ولم يثر هذا فى نفسه عاطفة الشعر كما تثيره حادثة غرام ، أو ليلة وصل ، أو هجر غانية تبيع قلبها وجسمها فى كل سوق ، أو صورة مبتذلة فى مجلة ماجنة …

ألا رحمة الله ، ثم رحمة الله ، على شعرائنا الذين كان الشعب يجد نفسه فى عواطفهم وفى قصائدهم ، ورحمة الله لشعراء هذه الأيام ، شعراء القبلة الأولى ، والليلة الحمراء …

الرسائل فى الأدب العربى :

نشر الأديب أحمد محمد عيش فى العدد الأخير من مجلة « الـكاتب المصرى » بعض الرسائل الأدبية التى تبادلها مع الشاعر العراقى الـكبير المرحوم الأستاذ جميل صدقى الزهاوى ، وقدم الأديب لذلك بمقدمة قال فيها :

« … هذا لون من ألوان الأدب الجديد — أدب الرسائل — استحدثناه ، أو بعبارة أخرى نبشنا دفائنه وأحيينا مواته ، ذلك لأن اللغة العربية لم تحظ بهذا اللون الجميل ، اللهم إلا فى النادر القليل ، بعكس اللغات الأجنبية ، فأنها مشحونة بهذا الضرب الرفيع بنماذجه الرائعة وأنماطه العذاب … » .

ومسكين والله هذا الأدب العربى ، كأن الله كتب عليه فى هذه الآونة أن يكون هدفاً للدعوى من كل فارغ الرأس ، ومقصداً للاتهام من كل جاهل ، وأنا لا أحسب أن فى نفوس هؤلاء الشبان ضغينة على الأدب العربى ، ولـكن العلة أنهم يحسبون أن الأدب العربى هو ما يقرؤونه فى الصحف والمجلات ، وما يدرسونه من النماذج الجامدة البالية فى مقررات المدارس ، فإذا ضممت إلى ذلك دعوى عريضة تمتلىء بها الرءوس الفارغة ، وتلتوى بها الألسن المعوجة ، وقفت من وراء ذلك على أصل العلة وموطن الداء … وإنه لداء تفشى بين شبان العصر ، فليس أسهل على الواحد منهم من أن يحمل القلم ، ويتنفج بالدعوى العريضة ، ويمد أنامله فيخط كلمات رشيقة رقيقة يطمس بها تاريخ الأدب العربى من بدايته إلى نهايته ، وينـكر أن يكون هذا الأدب أدباً …

عشت يا سيد عيش … « تستحدث فى الأدب العربى » ما ليس فيه من « النماذج الرائعة والأنماط العذاب » ، ولـكن صدقنى أيها الأخ أن الأدب العربى حافل بالرسائل التى من هذا اللون ، بل إن الأدب العربى يمكن أن يسمى أدب الرسائل والمحاضرات والمطارحات ، بل إن المؤلفات الأدبية والعلمية لم تـكن إلا رسائل يقدمها أصحابها إلى الأصدقاء ، أو يرفعونها إلى الرؤساء ، وأنا على استعداد أن أضع يدك — إذا أردت — على ألف رسالة ورسالة من ذلك اللون الذى تريده فى حديث الـكتاب عن أنفسهم وعن صلتهم بالناس وبالحياة ، ولـكننى أعتقد أنك لا تريد هذا أبداً حتى تظل على الاعتقاد بأنك قد « استحدثت » هذا اللون من الأدب فى الأدب العربى .

قد يكون للأديب « عيش » عذره فيما يقول ، ولـكن ما عذر أستاذنا الدكتور طه حسين الذى يشرف على تحرير « الـكاتب المصرى » فى أن يحمل هذا الفضول على الأدب العربى … فإن كان الدكتور يرى هذا ويعتقده فإننى على استعداد لمناقشته فى هذا الرأى …

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

احتفاء صامت :

هو الاحتفاء بذكرى شوقي ، ولم نفرغ بعد من هذه الذكرى ، وما ينبغي أن نفرغ منها إلا بعد كثير . . وأعني بصمت الاحتفاء بها أنه جرى على الأقلام وبدا على صفحات الصحف والمجلات على نطاق واسع وفي مظهر لم يكن معهوداً من قبل ، على حين لم يقم لهذه الذكرى ما يناسبها من المحافل

لم يخل أكثر الصحف والمجلات في هذا الأسبوع من ذكر شوقي ، كل على طريقتها وحسب مزاج قرائها ، فهذه فصول في دراسة شعر شوقي من نواحيه المختلفة ، وهذه معلومات وطرائف عن شوقي « لم تنشر » وهذه روائع من شعره ، وهذه صور لمنزل شوقي (كرمة ابن هانىء) وغرفه وأبهائه وحديقته وأثاثه ، فهذا سرير شوقي ، وهذا مكتبه ، وعلى ذلك الكرسي الطويل كان يتمدد بعد الغداء ، وكثيراً ما كان يهبط عليه وحي الشعر على هذه الحال ، وفي هذا الكوب كان يشرب ، وهنا كتبه المختارة وعلى هامش صفحاتها أبيات كانت تواتيه فيسرع في تدوينها على أقرب شيء منه . وقد استصحبت عدسة « المصور » إلى كرمة ابن هانىء الأستاذ أحمد رامي الذي وصفته بأنه شاعر الشباب في دولة أمير الشعراء . وهو الآن بعد تلك الدولة « شاعر شباب القرن التاسع عشر » وذلك ليدلها على معالم هناك تعاهدها في صحبة أمير الشعراء ، فأتى لها بطائفة من الصور ذات الموضوع .

وصف شوقي للكوليرا :

وهكذا افتنت صحفنا في الاحتفاء بذكرى شوقي ، حتى أن إحداها ، وهي مجلة الصباح ، أتت بأبيات في وصف وباء الكوليرا الذي كان بمصر سنة ١٩٠٢ من قصيدة لشوقي يهنىء فيها الخديوى عباس بعودته من الخارج ويصف ذلك الوباء ، قال شوقي :

الدهر جاءك باسط الأعذار ... فاقبل فأمر الدهر للأقدار
هل كنت تدفع حاضراً أو غائباً ... عن مصر حكم الواحد القهار
ذاقت نواك وروعت بثلاثة ... بالداء بعد المحل بعد النار
ودهى الرعية ما دهى فتساءلوا ... في كل ناد أين رب الدار
ذكروك والتفتوا لملك مسمد ... ذكر الصغير أباه في الأخطار
فاسى جراحهمو وبل صداهمو ... طيب الرسائل منك والأخبار
لهفي على مهج غوال غالها ... خافي الدبيب محجب الأظفار
خمسون ألفاً في المدائن صادهم ... شرك الردى في ليلة ونهار
ذهبوا فليت ذهابهم لعظيمة ... مرموقة في العصر أو لفخار
فالموت عند ظلال (موشا) (١) رائع ... كالموت في ظل القنا الخطار

خلفاء شوقي :

وكتب الأستاذ سعيد العريان في جريدة النداء فصلا بعنوان « خلفاء شوقي » بين فيه آثار حملات النقد التي وجهت إلى شعر شوقي فقال في هذه الحملات : « قد تركت أثراً في نفوس الشباب من القراء لذلك العهد ، فنزل شوقي عند طائفة منهم دون منزلته ، إذ زعم لهم من زعم أن للشعر مقاييس وأوزاناً فنية لا يقاس بها شعر شوقي ولا يوزن » إلى أن قال :

« وهكذا نشأ جيل من القراء لا يؤمن بشوقي ولا يعتده شاعراً من طبقة الأمراء ، أو لعلي أستطيع أن أقول إن جيلا من القراء قد نشأ غير مؤمن بالشعر في جملته ، لأن الذين حطموا التمثال الجميل الذي كان هؤلاء القراء يتعبدون له — لم يستطيعوا أن يقيموا مكانه تمثالا آخر قد جمع من عناصر الجمال والقوة على مقياسهم ما يحملهم على الإيمان به ، إذ لم يبق في مكان التمثال المحطم إلا أشلاؤه المتناثرة »

والحق — الذي أراه — أن النقد الذي وجه إلى شوقي لو نفضنا عنه الغبار لوجدنا فيه كثيراً من العناصر الصالحة التي نبهت على كثير من الحقائق الأدبية التي انتفع بها الشعر والأدب على العموم في هذا العصر

ومن الحق أيضاً أنه « لم يبق في مكان التمثال المحطم إلا أشلاؤه المتناثرة » فلم يملأ أحد مكان شوقي . وما ذلك — كما أرى —

(١) قرية موشا التي ظهر فيها الوباء

إلا لأن الذين ساروا فى مذهب تنقصهم أدواته ، كما ينقصهم عصره ، فقد صرنا إلى عصر غيره يتطلب جديداً ، والفلك دوار.. ولأن الذين سلكوا غير مسلكه ينقص المجيد منهم الماء الذى يجعل العود أخضر ... وكثير منهم يخبطون ويمتسفون .

الفن القصصى فى القرآن :

كان لما بيناه من أمر رسالة « الفن القصصى فى القرآن » التى قدمها الأستاذ محمد أحمد خلف الله للحصول على الدكتوراه من كلية الآداب — صدى كبير وخاصة فى البيئات الدينية الإسلامية ، لاحتوائها على ما يعد نفياً للصدق التاريخى فى القرآن الكريم . وقد تلقينا كثيراً من الرسائل فى هذا الموضوع ، منها رسالة من « جبهة علماء الأزهر » مصحوبة بمذكرة مرفوعة إلى « حضرة صاحب الجلالة الملك ورجال دولته الأكرمين » وقد وقع عليها رئيس الجبهة الشيخ محمد الشربينى والأمين العام لها الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ، وقد جاء فى هذه المذكرة « ولقد مضى على نشر هذا النبأ وقت يسمح بتكذيبه لو كان كاذباً ، لكن أحداً لم يكذبه ، لا المؤلف ولا المشرف عليه ، ولا عمادة كلية الآداب التى جاء فى الخبر أنها تنتظر بالرسالة حتى ينعقد مجلس الكلية ؛ وذلك يدلنا على أن الأمر خطير يجب الإسراع بعلاجه لأنه وباء جديد أشد فتكا وأفظع أثراً من وباء الكوليرا فى هذه الأيام ، فإنه يجنى على الأرواح لا على الأشباح ويصيب الأمة فى دينها وهو أعز عليها من حياتها »

وقد أرسل مقدم الرسالة إلى صحيفة « الإخوان المسلمون » يقول إنه مستعد لأن يشعل النار بيديه فى رسالته على مشهد من الأساتذة والطلاب إن ثبت أن فيها ما يخالف الدين الذى استمدت أصوله من القرآن ، ومستعد لمساجلة الأستاذ أحمد أمين بك على صفحات مجلة الرسالة التى نشرت تقريره . ولكن الإخوان عقبت على ذلك بقولها : « إذا ثبت أن ما نقل من فقرات عن رسالة (الفن القصصى فى القرآن الكريم) قد ورد فيها كما نقل ، فلا يكفى أن يحرقها مؤلفها بيديه أو بيدى غيره على مرأى ومشهد الأساتذة والطلاب ، بل لابد أولا أن يعلن رجوعه إلى الإسلام ، وأن يجدد عقد نكاحه على زوجته إن كان متزوجاً » وقالت له إن حرق الرسالة لا ينفع « بل يجب قبل ذلك أن تحرق الشيطان الذى ملأ نفسك بهذا الهذيان وأملاه عليك فإذا أحرقت هذا الشيطان فاعتزل كلية الآداب ودكتوراها والزم غرفة تنزوى فيها وتبكى على ما انخدعت به للشيطان وحزبه إلى أن يتوب الله عليك »

وقال لى صديق من الجامعة وقد جاء فى الحديث ذكر هذا الموضوع — : لقد فاتتكم نقطة هى أن الجامعة أرسلت من قبل كتاباً إلى خلف الله تقول فيه إنها موافقة على أن يعد رسالة فى (الفن القصصى فى القرآن) وألق بالاك إلى كلمة « الفن » . أفلا ترى فى ذلك كأنها تكلفه أن يقول إن قصص القرآن « فن » ؟

قلت للصديق الجامعى : ما كان أغنى الجامعة عن هذا الموضوع ! . .

كوليرا الإذاعة :

رأيت غير مرة فى برنامج الإذاعة ما يلى :

« برنامج خاص (الكوليرا) » وانتظرت فى المواعيد المحددة فلم أسمع (الكوليرا) وكانت آخر مرة مساء يوم الخميس الساعة الثامنة إلا ثلثاً ، وقد سمعت بدلا من (الكوليرا) تمثيلية « عذراء الربيع » وليس من القليل أن تقرأ فى البرنامج شيئاً وتسمع من المذياع غيره ! ولكن استرعى انتباهى تكرر وضع « البرنامج الخاص بالكوليرا » فى برنامج الإذاعة مع عدم إذاعته وشغل وقته بأى شىء ولو « تقاسيم نهاوند »

فماذا يا ترى يمنع من إذاعة برنامج الكوليرا ؟

دفعت هذا السؤال أمامى ... حتى وصلت إلى أن برنامج الكوليرا المذكور فى « الحجر الصحى » ولوقوعه فى هذا الحجر قصة :

وضع ذلك البرنامج الأديب الفنان الأستاذ طاهر أبو فاشا وقدمه إلى محطة الإذاعة فأحالته إلى وزارة الصحة للموافقة على إذاعته ، فقالت وزارة الصحة لا بد أن يعتمده طبيب . . وأخذه الأستاذ طاهر إلى أحد الأطباء ، فأقره ، وأعيد البرنامج إلى وزارة الصحة ، فوافقت عليه ، ثم تصرف فى تنظيم عرضه مخرج الإذاعة ، وأعلن عنه ، فطلبته وزارة الصحة ثم قالت

ليس هذا هو البرنامج الذى أقره الطبيب ، ولا يذاع إلا الأول . مع أن المعلومات الطبية هى هى فى البرنامج قبل الإخراج وبعده .

قصة طويلة مملة رغم اجتهادى فى اختصارها ، ولا أدرى ماذا تم فيها ، ولكن مما يدعو إلى الأسف أن يحال دون الانتفاع بالفن ، أو يؤخر ، فى بلاء واقع يشغل بال الجميع هو وباء الكوليرا

والأكثر من ذلك استدعاء للأسف ، هو تثبيط همم الأدباء الذين يرجى أن يقبلوا على الإنتاج للاذاعة ، وحسبهم ما يلاقون من إدارة الإذاعة نفسها من سوء التقدير الأدبى والمادى ، فالأديب الذى يضع عصارة نفسه وفكره فيما يقدم للاذاعة يعد لديها شخصاً ثانوياً بالنسبة للمخرج الذى قد لا يزيد عمله على الترتيب الشكلى ، وإن زاد فلا يتعدى بعض التبديل والتغيير ، فيهتف المذيع باسم المخرج فى البلاء قائلا : « فلان يقدم ... » ثم يجبر خاطر المؤلف المسكين فيذكر بعد ذلك اسمه فى صوت خافت

ولا أنكر أن كثيراً من المؤلفين للاذاعة جديرون بهذا الوضع . . وخاصة مؤلفى الأغانى التى يشكو الجميع من ضعفها وسخفها ، ولكن يجب تهيئة الجو الصالح لكرام الأدباء ، لأن الاستمرار على مثل هذه المعاملة يزيد فى إعراضهم عن الإذاعة

أما التقدير المادى فحسبك أن تعلم من سوئه أن مؤلف التمثيلية أو البرنامج الخاص لا يزيد أجره على ثمانية جنيهات ، وتصور كم قضى الأديب ، وكم بذل من جهد ، وكم استوحى مصادر فنه ، فى هذا النتاج ؟ وقد يكون هذا مقبولا وقد يطلب من الأدباء ألا ينظروا إلى الكسب المادى لولا أن محطة الإذاعة تغدق المال من جانب آخر على الموسيقيين والمطربين والمطربات فقد حسب ما يكسبه أحد الموسيقيين من الإذاعة فبلغ نحو أربعمائة جنيه فى الشهر ، وكيف يصح أن تقول أم كلثوم لمحطة الاذاعة : « أذنت لك فى إذاعة ما لديك من مسجلاتى » فتنال على هذه الجملة آلافاً من الجنيهات .. ويبذل أديب نابغ كطاهر أبو فاشا ما يبذل فى نتاج قيم ، وتحفى قدماه بين محطة الإذاعة وبين وزارة الصحة ، ليحصل على ثمانية جنيهات ..!

ليست آلاف الجنيهات كثيرة على أم كلثوم التى تهدى الطرب إلى القلوب . . . ولكنها جاءت فى طريق المقابلة الذى دفعنا إليه سوء تقدير الأدباء بمحطة الإذاعة ، الذى يحيق ضرره بها ، من حيث قيمة ما تقدمه ، أكثر مما يحيق بالأدباء ، لأنهم يستطيعون أن يعتصموا بالرغبة عن الإذاعة للوقاية من تحيفها لهم .

مخطوطات أندلسية :

تلقت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية من وزير أسبانيا المفوض فى مصر ستة كتب من المخطوطات العربية مصورة ، هدية من مكتبة « الاسكريال » الأسبانية ، وهى :

١ — جزء من مسائل لصفى الدين الحلى « فى الأغلاط الشائعة على الألسن » يبدأ بحرف (س)

٢ — « إصلاح المنطق » لابن السكيت .

٣ — « رسائل فى المنطق والفلسفة والطب » لابن سينا .

٤ — ديوان أبى الحسن الششترى .

٥ — من تراسيل ابن نباتة .

٦ — الكامل للمبرد .

وقد كان لهذه الهدية موقع حسن فى قسم المخطوطات بالإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، لأنه يهتم بجمع المخطوطات العربية الثمينة المبعثرة فى مكتبات الدول الأوربية أو على الأقل الاحتفاظ بصور لها .

وقد جاءت هذه الهدية الثمينة نتيجة لمسعى السنيور جارسيا جومز المستشرق الأسبانى الذى قدم إلى مصر فى العام الماضى وزار الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، فتباحث معه الأستاذ أحمد أمين بك مدير الإدارة الثقافية فى مسألة تصوير المخطوطات العربية الموجودة فى أسبانيا ، ورجاه حث الهيئات الثقافية فى أسبانيا على مد الجامعة العربية بنسخ مصورة من هذه المخطوطات فأبدى المستشرق الأسبانى روحاً طيباً ووعد بالاتصال بالهيئات الأسبانية المختصة .

« العباس »



كرنكو وفعلاء والأب أنستاس :

أشرت فى كلمتى (فعلاء) فى الرسالة الغراء (٧٤٥) إلى تخطئة الأستاذ كرنكو الأب أنستاس فى وصفه الجمع بذلك المفرد وقد رأيت أن أنقل تغليط الغلط وجواب المخطأ .

قال الأستاذ فريتس كرنكو : فى مطالعتى مجلتكم (لغة العرب) بعض الأحيان تستعملون مفرد أفعل المؤنث أى فعلاء فى مكان الجمع كما يفعل كتاب مصر ، فقد جاء فى لغة العرب (٦ : ٢٥٢) الأشجار الخضراء فى مكان الأشجار الخضر .

فرد عليه الأب أنستاس مارى الكرملى قائلا : « من مزايا لغتنا وصف المنعوت المجموع من غير العاقل بصفة مفردة مؤنثة ومنه فى سورة الحاقة : قطوفها دانية أى دانيات . وقوله فى الأيام الخالية اى الخاليات وفى سورة البقرة : إن تبدو الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وهذا لا يحصى لغة العرب مج ٦ ص ٧٨٢ »(١) .

وتخطئة الأستاذ كرنكو هى قول مفلت مجرد ، ولا يعبأ بشىء فى مثل هذه المعانى لا يصحبه نص يبرهن(٢) به عليه أو دليل قوى أو ضعيف .

وقد توهم فاضل كبير درج أن قول سيبويه وقول المبرد يؤيدان المقالة الكرنكوية فكان يحتج بهما فى ردوده الكثيرة على مجادليه ومناظريه . والقولان — كما رأى قراء الرسالة — إنما يشرحان ويقرران أن أفعل وفعلاء يجمعان بكسران — إذا كانا صفتين — على فعل .

من المتقدمين الذين وصفوا الجمع بمفرد الشاعر الأبيوردى قال فى مرثية (الديوان ص ٨) .

ولو أستطيل على الحمام بعزة ... رفعت لها اليزنية السمراء(١)
لتحدبت صيد الملوك على القنا ... حيث القلوب تطيرها الهيجاء

والأبيوردى الأموى شاعر كبير وعالم نحرير ، قال ابن خلكان كان من الأدباء المشاهير راوية نسابة شاعراً ، نقل عنه الأثبات الحفاظ الثقات ، قال أبو الفضل محمد بن طاهر القدسى فى حقه (فى كتابه فى الأنساب) كان أوحد زمانه فى علوم عديدة ، وأليق ما وصف به بيت أبى العلاء (وإنى وإن كنت) قال ابن خلكان : وله تصانيف كثيرة مفيدة وله فى اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق إلى مثلها .

السهمى

حول الفن القصصى فى القرآن الكريم :

(إلى الأستاذ محمد أحمد خلف الله)

سلام الله عليك وبعد ، لقد طلبت المشاركة فى البحث ، وقدرت منذ اللحظة الأولى أنه من الجائز أن تكون أخطأت القصد أو ضللت السبيل ، وهذه روح تذكر فتشكر وسأذكر لك ما أذكر مجادلا بالتى هى أحسن .

وسأضع يدك أول الأمر على تناقض فى مقالك ؛ فإنك قد عنيت فى أوله ببيان أن الأسطورة ليست الكذب والمين ولا الخرافات والأوهام ، وإنه يجب ألا تزعجنا هذه اللفظة فنجرى وراء الخيال ونعتقد أنها الأكذوبة أو الخرافة .

وأنت تريد بذلك طبعاً أن أساطير القرآن الكريم ليست كذباً ولا خرافة وإنما هى صدق وحق ، فما رأيك فى قولك : « إن تمسكنا بالرأى الذى يقول : إن جسم القصة أو هيكل الحكاية حق ثابت ، بعد أن ثبت لدى العلماء الدارسين أنها من الأساطير أمر يعرض القرآن لشر مستطير » فأنت بالمقابلة بين الأساطير والحق الثابت أردت بها غيره وما هو إلا الكذب

---

(١) روى التخطئة والجواب الدكتور مصطفى جواد الأديب اللغوى المشهور فى إحدى مقالاته فى مجلة (المجمع العلمى العربى) الغراء .

(٢) الصحاح : « البرهان الحجة ، وقد برهن عليه أى أقام الحجة » ولم يقل الجوهرى — والحمد لله — هنا شيا . فى اللسان : وأما قولهم برهن فلان فهو مولد والصواب أن يقال أبره ... كما قال ابن الاعرابى إن صح عنه .

قلت : إذا ثبت أن ابن الأعرابى قد روى (أبره) هذه — والعياذ بالله — فهل قالها الأعرابى ؟ وانظر إلى قول اللسان (إن صح عنه) لتعرف قدرها وقدر صحتها . والعجب من أبى القاسم كيف رواها ، ولما احتاج إليها أباها ، وراح يقول فى ديباجه (أساسه) « المبرهنين على ما كان من العرب العرباء » وبرهن فى كلام العلماء والأدباء ولم أجد أبره عند أحد .

(١) اللسان : إنما سميت الرماح يزنية لأن أول من عملت له ذو يزن ويقال رمح يزنى وأزنى .

والمين وبذلك وقع التناقض بين أول المقال وآخره .

بعد هذا أنتقل بك أيها الأخ إلى تفرقتك بين جسم القصة أو هيكل الحكاية وبين ما فيها من توجيه فأقول لك : إن صح هذا من الأفراد الذين يعن لهم المنى فيريدون إيضاحه وبيانه فيجسمونه ويمثلونه ويضمون له الأشخاص والحوار والأصباغ كما فى قصة الأستاذ الخفيف التالية لمقالك « ذات صباح » — فلن يصح فى قصص القرآن ؛ إذ ليس فيه فاصل بين جسم القصة وتوجيهها ، بل هما توءمان ؛ ونحن نفهم فى قصة الأستاذ الخفيف أن « بهيجة » شخصية خيالية للفتاة التى يضحى بها أهلها حين يزوجونها ممن يحبون ونكره ؛ ولكنا لا نفهم فى قصة يوسف عليه السلام أنه وامرأة العزيز شخصان خياليان رمز بالأول للعفة وبالثانية للاستهتار .

فالحوادث والاشخاص فى القرآن الكريم ليسا وضعاً ولا خيالا وإنما هما حق ثابت ولو كان هناك شك فيهما ما خفى مئات السنين حتى ظهر الآن للعلماء الدارسين ! !

وما كنت أحب أيها الأخ أن تقتضب كلام الإمام الجليل الفخر الرازى حين تستشهد بتفسيره فتكون كمن قال .... لا تقربوا الصلاة وسكت . هلا ذكرت لنا — رحمك الله — قوله يفسر الأمور الأخرى :

« وثالثها » أنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر قصص الأولين من غير تحريف ولا تغيير مع أنه لم يتعلم ولم يتلمذ دل ذلك على أنه بوحى من الله تعالى .

وهلا تأملت فى قول الإمام الجليل من غير تحريف ولا تغيير وعلمت أنه يقصد جسم القصة وهيكل الحكاية وهو بذلك يرى رأى المسلمين قاطبة ؟ !

وأخيراً ، لعلك أيها الأخ قصدت حين فرقت بين جسم القصة ومافيها من توجيه ألا تكتفى برد عادية الملاحدة والمستشرقين عن القرآن الكريم بل باقناعهم ليدخلوا فى دين الله أفواجاً حين تبدد شبههم بهذا التخريج الجميل ! !

هلا أدركت — عافاك الله — أنك تضم نصلا إلى حرابهم حين تجعل القرآن عضين ؟ ! كفاك الله شر المقتسمين ، واعلم أن الملاحدة والمستشرقين مع القرآن الكريم :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وإنك مهما بشرت لهم فلن يؤمنوا لك حتى تتبع ملتهم وما أظنك من الفاعلين . وسلام الله عليك .

إتياى البارود

محمد علم الدين
مفتش المعارف

بين الأزهر والجامعة :

أرسل صاحب الفضيلة السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية كتاباً (رسمياً) إلى سعادة عميد كلية الآداب يسأل فيه عما تم فى مسألة رسالة القصص الفنى فى القرآن ، ويقول فيه :

« وإنه ليهمنى أن أقف على حقيقة هذا الموضوع لأن من أخطر الأمور أن تتعرض قداسة القرآن ، وكرامة العقائد لمثل هذه التخرصات » .



قصة من الأدب الروسي : (١)

حبة من القمح كبيضة الدجاج !

للفيلسوف الروسي ليو تولستوي

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

بينما الصبية في لهوهم يعبثون ذات يوم . . . عثر أحدهم في ثلمة في الأرض على شيء عجيب فيه مشابه من حبة القمح .. بيد أنه كبير في حجمه حتى كاد أن يداني بيضة الدجاجة !!.

ومر بهم — وقد استخفهم المرح وتملكهم الفرح بلقيتهم — مسافر من جوابي البقاع .. فلما أبصر ذلك الشيء بين أناملهم ، عوضهم عنه بفلس وحمله معه إلى المدينة .. حيث باعه للملك بمال كثير كعجيبة من العجائب التي تمخض عنها الزمن ...

فدعا الملك إلى مجلسه أهل العلم وأولى الحكمة وأرادهم على أن يأتوه بحقيقة ذلك الشيء ... فانثنى العلماء إلى كتبهم يتصفحونها ، وانقلب الحكماء إلى عقولهم يستحثونها . ولكنهم لم يحيروا لهذا الشيء معرفة لماهيته وإدراكا لحقيقته ! .. حتى كان اليوم الذي طارت فيه دجاجة إلى عتبة النافذة حيث ترك ذلك الشيء العجيب عليها .. فراحت تضرب فيه بمنقارها حتى خلفت ثقباً في جانب منه ! . ويومها أدرك العلماء أن ذلك الشيء ليس إلا حبة من القمح ! .

فلما حملوا إلى الملك ذلك النبأ .. اشتدت حيرته وتزايد عجبه وأمرهم بالبحث في أي حين من الزمن وفي أي بقعة من الأرض . كان الناس يزرعون مثل هذا القمح ! .

فعاد العلماء إلى كتبهم يقلبونها وانثنى أهل الحكمة إلى عقولهم يتروون من جديد .. ولكنهم باؤوا بمثل ما كان نصيبهم في المرة الأولى ! . فذهب إلى الملك وفد منهم .. وقال له :

— « ليس في قدرتنا الإجابة على ما تطلبه مولانا . ! فما حوت كتبنا نبأ عنه .. ولا انتهت عقولنا إلى فهم له .. ولكن في مكنة مولانا أن يسأل الفلاحين لعل بعضهم يعلم عن آبائه .. في أي حين وفي أي بقعة كان القمح يزرع في مثل هذا الحجم . ! . »

فأمر الملك أن ينبعث أعوانه في أرجاء البلاد وينتشروا في مختلف ربوعها . ويأتوه ببعض الفلاحين الذين بلغوا من العمر عتيا . فلم يلبثوا بعد حين أن فازوا ببغيتهم .. فأحضروا إلى الملك رجلا تقدمت به السنين فأحنى ظهره ثقلها .. فراح يتوكأ على دعامتين . معروق الوجه ، شاحب اللون مهدل العارضين متغضن البشرة ..

فناوله الملك حبة القمح ... بيد أن كفافة بصره قصرت به عن رؤيتها ... فراح يتحسسها بين أنامله الجاسية . فسأله الملك :

« هل لك في أن تخبرنا ... أيها العجوز عن المكان الذي كان يزرع فيه مثل هذه القمحة ؟ ! ونبئنا إن كنت قد اشتريت أو زرعت شيئاً مثلها في حقولك ؟ ! ... »

كان بسمع الشيخ وقر جعله عاجزاً عن الإصغاء إلى ما قاله الملك ... بيد أنه لم يلبث أن أدركه في مشقة وجهد . فقال بعد أن مكث حيناً لا ينبس :

— « كلا ... إني لم أزرع ولم أحصد قط مثلها في حقلي . كما أني لم أشتر أبداً شيئاً يشبهها ... وحينما كنا نتبايع القمح كانت حبوبه صغيرة في مثل حجمها اليوم ... غير أنه يجمل بك أن تسأل أبي لعل سمعه قد وعى خبراً عن الفج الذي كانت تزرع فيه ! »

* * *

فبعث الملك برجاله في طلب والد الشيخ ... فعادوا به وهو يمشي معتمداً على عصا غليظة ... فلما ناوله الملك حبة القمح ... قلبها بين يديه ، وراح يمعن فيها النظر ، وقد عجز الكبر عن أن يذهب بحدته ! ... فسأله الملك : « أما في قدرتك أيها العجوز أن تخبرنا عن المكان الذي كان يزرع فيه مثل هذه القمحة ؟ ! وهلا أنبأتنا إن كنت قد اشتريت أو زرعت مثلها في حقولك ؟ »

لم يذهب الثقل بسمع الشيخ ، بل ما زال سمعه خيراً من

(١) من كتابنا « روائع الأدب الروسي » يصدر قريباً . جيل

سمع ولده .. فأجاب الملك فى صوت هادىء رزين :

— « كلا ! . إنى لم أزرع ولم أحصد مثلها فى حقلى ! .. كما أنى لم أشتر شيئاً يشبهها ! . فما كان للنقود تداول فى أيامنا . . فكان كل امرىء يزرع قمحة . . . وما زاد عن حاجته يهبه من فى عوز ! .

لست أدرى أين كان يزرع مثل هذا القمح . . . ولكنى أعتقد أن القمح فى عهدنا كان أكبر حجماً وأكثر دقيقاً منه فى أيامنا هذه . . . بيد أنه — مع ذلك — لم يبلغ حجم هذه القمحة . . وأحسبك واجداً عند أبى فائدة وعلماً عنها ! فسله »

***

فأرسل الملك من يأتى بوالد الشيخ .. فغابو حيناً ، ثم عادوا به إلى حضرة الملك ! . . يسعى فى سيره فى خفة ونشاط له بصر ثاقب وسمع مرهف ... ولسان ينطق فى جلاء !..

فلما مد الملك له يداً بحبة القمح ... تناولها منه ... وراح يقلبها فى راحتيه . . . ويمعن فيها النظر . . ثم لم يلبث أن ارتفع صوته فى هدوء « لم أر مثل هذه القمحة إلا منذ زمن سحيق .. سحيق جداً ! . » وقضم شطراً من الحبة بثناياه ، وأخذ يتذوقها بفمه !! واستطرد فى قوله :

— « إنها نفس النوع ! ... » فسأله الملك :

— « ألا حدثنا أيها الجد الوقور ... فى أى مكان وفى أى زمان ، كان الناس يزرعون مثل هذا القمح . . . وهلا خبرتنا إن كنت قد ابتعت أو زرعت مثلها فى حقولك ؟! .. »

فأجابه الشيخ : —

... كان هذا القمح يزرع فى كل البقاع فى أيامى لقد طعمته فى شبابى ، وأطعمت غيرى منه ! . وطالما زرعناه فى أراضينا . . وحصدناه ... ودرسناه ! ! . »

فقال الملك وقد استبد به العجب وتملكه الفضول : —

« هل كنت تبتاعه ؟! أم كنت تزرعه بيديك ؟! »

فتريث الشيخ حيناً ... كأنه يسبر غور الماضى ، ويستعيد ذكراه — وقد ضرب النسيان عليها سجنه وأرخى دونها سدوله — ثم أجابه : « لم يكن ثمت واحد .. فى أيامى .. يجسر على أن يأتى هذه الخطيئة .. أن يبيع أو يشترى الخبز .. ولم نكن ندرى شيئاً عن هذه النقود التى تتداولونها الآن . . فكان لكل امرىء كفايته من القمح والزاد ! . »

— بالله خبرنى أين توجد أراضيك حيث كنت تزرع فيها ذلك القمح ؟! . »

فتبسم الشيخ وأجابه فى هدوء :

— « كان حقلى هو « أرض الله » الواسعة ... أينما زرعت وحيثما غرست فهذا حقلى ... فكانت الأرض مباحة طليقة بين الناس ! . وما كنت تجد واحداً يجرؤ على القول بأن هذه الأرض ملكه.. بل العمل هو وحده الذى كان ملكا للناس » :

— « هلا أجبتنى أيها الجد الكريم ..إلى سؤالين آخرين؟

أولهما : لماذا كانت الأرض تنبت مثل هذا القمح ، ثم لماذا كفت عن إخراجه الآن ؟ !! . .

وثانيهما : ما العلة فى أن حفيدك لا يخطو إلا على دعامتين وابنك يتوكأ على عصا واحدة . أما أنت فلا تعتمد على شىء ؟! وما الذى جعلك ذا بصر ثاقب وسمع مرهف وصوت واضح جلى تهفو الأذن لسماعه ؟ ! »

فهز الشيخ رأسه ، ومازالت البسمة مترسمة على شفتيه وقال:

— « لقد صار الأمر إلى هذه الحال .. لأن الناس كفوا عن العيش بما تعمله أيديهم ، وراحوا يسخرون غيرهم لعمل ما تعوزهم الحاجة إليه ! .

فى أيامنا الخوالى . . كان الناس يعيشون حسب ما سنته لهم شريعة « الله » .. « العامل بعمله » ! .فلم تملأ الضغائن نفوسهم ولم تفسد الأحقاد قلوبهم .. ولم يكن بينهم من ينظر بعين الحسد إلى ما متع الله به بعضاً منهم ! . . »

(طنطا) مصطفى جميل مرسى

مطبعة الرسالة ٣١١

العدد ٧٤٨ — الاثنين ٣ نوفمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٠٣٥

مجلة اسبوعية لآداب والعلوم والفنون

10 em Annee No. 748

Lundi — 3 — 11 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٧٤٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٦٦ — ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

يا أغنيـــاءنا !

قولوا أسلمنا ولا تقولوا آمنّا

لا أزال معجباً بالحديث الدينى الذى نشرته الأهرام منذ أسبوعين لصاحب السمو الملكى أمير الأمراء محمد على بلّغه الله أنفس العمر . وأشد ما حرك إعجابى به ، وأثلج صدرى منه ، قول الأمير فيه عن نفسه : « إنى أشهد الله على أن كل توفيق أصبته وكل خير نلته ، منذ نشأتى إلى اليوم ، كان مرجعه إلى ائتمارى بأوامر الدين وانتهائى بنواهيه » وقوله عن مصر وأخواتها : « إنهن لو رجعن إلى الماضى العظيم لعلمن أننا لم نأت بخير ولم نظفر بسؤدد إلا برعاية الدين » .

جميل من سمو الولى أن يعتقد الدين ويعمل به ويتعصب له ويدعو إليه فى وقت نسى الناس فيه الله ، فعبد الأمراء الشهوة ، وألّه الأغنياء المال ، واتّبع الزعماء الهوى ، واستجدى الفقراء الحظ . ولكن — وما (لكن) إلا حرف جرىء ملعون يستدرك على كل موجود ما خلا الله — لماذا اقتصر أمير الأمراء من فضائل الإسلام على (المحبة والسلام والصلاة والصيام والعمل والصبر والطهارة) وقد كنا نطمع فى صدق إيمانه وسمو بيانه أن يذكر كذلك الزكاة والإحسان والبر والتعاون ، ليعلم أولئك الأمراء الذين أسلموا ولم يؤمنوا ، وهؤلاء الأغنياء الذين أساءوا ولم يحسنوا ، أن الدين عمل ومعاملة ، وتثقيف وتكليف ، وإيثار وتضحية ؟ نعم كنا نطمع فى سمو الأمير وهو القدوة الحسنى فى قول الحق وعمل المعروف أن يدعو إلى الجهة العملية من الدين عسى أن يستجيب له أولئك الذوات المدللون المرفهون الذين مزهم الوطن كرهاً على بنيه ، وآثرهم الشعب جهلا على نفسه ، فيؤتوا حق الله فى أموالهم لتقوى الحكومة على أن تدفع عنهم الوباء ، ويشجع الفقراء على أن يشغلوا عنهم الموت . وحق الله الذى يشبع الجائع ويكسو العارى ويداوى المريض ويكفن الميت ، ضئيل بجانب حق الشيطان الذى يولم الولائم الفاجرة ، ويقيم السهرات الداعرة ، ويجود على انجلترة الخئون من غير طلب ، وينفق على تركية المفقوق من غير حساب ؛ ولكن حق الله على ضآلته ثقيل لأنه ينفق على العامل والفلاح ، وحق الشيطان على ضخامته خفيف لأنه ينفق فى الميسر والراح !

إن أكثر الكبراء عِقام أو أعزاب ، فلا عيال يكلفون فى الحياة ، ولا أعقاب يرثون بعد الموت . فليت شعرى لم لا يتبنون هذا الشعب الكريم وهو الذى وضعهم فى ركب الحياة على كاهله ، فأقدامه تحفى من الكلال وهم فى دعة ، وجسمه يضوى من الإقلال وهم فى سعة ، ونفسه تضطرب من الأهوال وهم فى أمن ؟ إنهم إلا يفعلوا يندموا ؛ فإن من المشكوك فيه أن يتسع حلم الشعب طويلا لهذا التفريط فى جنبه . وإن من الصعب أن يغمض عن كزازة أغنيائه وهم يرون وباء الهيضة يقطع السبل ويشل الأيدى ويحصد الأنفس فلا يبسطون لساناً بمعروف ، ولا يمدون يداً بمعونة !

إن السيادة لا تكفى للسعادة ؛ وإن المال لا يجزى عن الشرف ؛ وإن الدنيا لا تغنى عن الآخرة .

(المنصورة) احمد حسن الزيات

إنصاف البيت المظلوم (*)

شباب قنع لا خير فيهم

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١ —

شباب قنع لا خـير فيهم   وبورك فى الشباب الطامحينا

قال هذا البيت (أحمد شوقى) رحمه الله ! فى قصيدته الشهيرة (توت عنخ أمون) وقبله :

فغالى فى بنيك الصيد غالى   فقد حب الغلو إلى بنينا

والبيتان فيهما مدح عظيم لبنى مصر ولشبابها محبى الغلو الطامحين ...

فكيف رآه الأديب (محمود) صاحب (كلمات) فى (البلاغ) يوم السبت — ذما ؟

وكيف يكون شاعر مصر والعرب كلهم أجمعين قد هجا شباب مصر وهو يغالى فى بيتيه فى مدحهم ؟

إن البيت الأول يوضح الثانى ، والثانى يوضح الأول ، وإذا فهم البيتان جيداً استيقن أن هناك مدحاً عظيما . وقد قالوا : إذا أردت إعراب بيت فافهم معناه ، وإذا أردت فهم معناه فأعربه ، فتعال إلى إعراب (شباب قنع لا خير فيهم) (شباب) مبتدأ و (قنع) نعت ، وجملة (لاخيرفيهم) خبر المبتدأ .

فإن قلت . قد جاءنى الإشكال لأنى أعربت (شباب) خبر المبتدأ محذوف تقديره هم ، قيل لك : البيت الأول والشطر الثانى من البيت الثانى يظاهران إعرابنا هذا ، ويثبتان أن البيت مدح ، مدح كبير ...

— ٢ —

من لصعب الأشياء فى الدنيا توضيح الواضح .

قلت : إن بيت شوقى مدح ، وقلت ليفهم البيتان جيداً ، وجئت بما جئت به . فبقى الأديب (محمود) حيث تركناه لم يتحلحل ، ووجدناه يقول : « بل القول ذم ، وكأن معنى البيتين هو : فغالى فى بنيك الصيد غالى فقد حب الغلو إلى بنينا الذين هم شباب قنع لا خير فيهم ، وبورك فى الشباب الطامحين » .

فقد حب الغلو إلى بنينا الذين هم شباب قنع لا خير فيهم ما هذه المسلطة(١) ؟ هل لنا شوقى بما حكيت ، هل نظم ما نثرت ، وهل هذا من كتاب (الوشى المرقوم فى حل المنظوم) لابن الأثير(٢) ؟ ...

الذى قلته فى كلمتى السابقة هو كاف شاف ولـكن هـذا الأديب ، حاله تسأل زيادة ، فله ما يريد :

١ — ليس المقام فى قول شوقى مقام ذم ، ولـكل مقام مقال ، وقد جاء البيت يعزز الذى قبله ، وهو بيت حكيم أرسله شوقى مثلا كدأب المتنبى فى حكمه وأمثاله التى تؤيد مقاصده فى أقواله .

٢ — كيف يصف شوقى شباب مصر أنهم مغالون وأنهم قانعون وكيف يقنع المغالى ، وكيف يغالى القانع ؟

دع ميزان الذوق واللغة و (الإعراب) وخذ ميزان العقل وزن ...

٣ — رأى الأديب محمود أن البيت ذم إذ يدعو إلى حب الغلو ، وقال فى كلمته : « وكانت العرب تقول وهى تذم (ما عنده من المغالى إلا الرمى بالمغالى) أى الغـلو والادعاء والتجاوز عن الحد » .

وقد فهم الناقد السجعة كما فهم بيتى شوقى والمعنى الصحيح هو (ما عنده من المغالى إلا الرمى بالسهام) والمغالى جمع مغلاة وهى السهم يغلى به أى يرمى به لا « الغلو والادعاء والتجاوز عن الحد(٣) » .

والقول الذى نسبه إلى العرب هو للزمخشرى ، وهو من سجعات الأساس ، وقد جاء فى هذا الـكتاب : « غلا بسهمه وغالى به وتغالينا بالسهام ، وترامينا بالمغالى ، وتقول : ما عنده من المغالى إلا الرمى بالمغالى ، وتقول : أنا لا أحب الغلو فى الدين ، والغلاء فى السعر ، والغِلاء فى الرمى » .

---

(١) المسلطة : الـكلام على غير نظام .

(٢) قال ابن خلـكان « كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم وهو مع وجازته فى غاية الحسن والإفادة » طبع فى بيروت سنة ١٢٩٨ ومنه نسخة مخطوطة فى دار الـكتب المصرية .

(٣) فى الأساس : جزت المكان وأجزته وجاوزته وتجاوزته وتجاوز عن المسىء ، وتجاوز عن ذنبه . وفى اللسان : تجاوز عن الشىء أغضى ، وتجاوز فيه أفرط .

(*) من كتاب (أمالى النشاشيبى) وهو فى التهيئة للطبع .

بلبـــلة

للأستـــاذ محمود محمد شاكر

لست امرءاً قانطاً ولا متشائماً ولا يائساً من خير هذه الأمة العربية ، بل لعلنى أشد إيماناً بحقيقة جوهرها وطيب عنصرها وكرم غرائزها ، بل لعلنى أشد إيغالا فى الإيمان بأنها صائرة إلى السؤدد الأعظم والشرف السرى والغلبة الظاهرة إن شاء الله ، وأنها هى الأمة التى أرصدها بارىء النسم لرد العقل على هذه الإنسانية المجنونة فى هذه الحضارة الهوجاء . فالعرب مذ كانوا هم الجوهرة التى أطبقت عليها صحراء الجزيرة ، فما زالت تكتمهم فى ضميرها وتحنو عليهم وتمنعهم من كل فساد داخل حتى صفا ماؤهم ورف شبابهم وأضاؤوا من جميع نواحيهم . فلما جاءهم محمد ابن عبد الله بشيراً ونذيراً وهادياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صار كل رجل من صحابته نجماً يهتدى به الضال ويأتم به المسدَّد . ويومئذ تمت المعجزة الكبرى فى تاريخ العالم ، فانطلقت هذه الفئة الصالحة من عباد الله كأنها السيل المتدفع ، وكأنها الرياح العاصفة ، وكأنها الأشعة المتلألئة ، وكأنها قدر الله ، فدكت حصون الروم ، وثلت عروش الفرس ، ودوخت جبابرة الأمم ، حتى ورثوا أرض الله وأقاموا فيها الحق والعدل بالميزان والقسط ، وجاءت سلالتهم فجددت حضارة الدنيا ، وإذا الذين كانوا بالأمس بداة جفاة غلاظاً فيما يرى الناس من أهل الحضارات السالفة ، هم الناس وهم العلم وهم أصحاب الإمرة فى كل فن وعلم وسياسة وتدبير ملك . إنها لمعجزة لم يوفها مؤرخ حقها من المجد والقوة والظهور .

فهذا الجيل من عباد الله مطوى على صلاح كثير وخير عميم وقوة خارقة ، لا أظن أن الزمن قد ذهب بها ومحقها ، فلذلك أرانى وملء قلبى الإيمان بأنه سوف ينتهى إلى الغاية التى كتبت له فى تاريخ هذه الإنسانية . وعسى أن يكون زمن ذلك كله قد أنى وأظل ، فإنى أسمع نشيش الحياة وهى تتخلق فى مرجل الوجود وقد أحاطت به النيران المجنونة المتضرمة من كل مكان . ولكن لابد لتحقيق ذلك كله من عمل يتولاه رجال من هذه الأمة ، فينفخون فى الضرم حتى تستعر النار الخالدة لتنفى عن هذا الجيل كل خبث ألم به من أدران الحضارة التى يعيش فيها عالمنا اليوم . غير أنى أخشى أن يكون الإهمال والعجلة وقلة المبالاة وأخذ الأمور بالاستخفاف ، مما يفضى إلى فوات الفرصة التى أمكنت

ثم إن الغلوصفة ذم فى موطن وصفة مدح فى موطن ، والقائل هنا هو القائل فى (أمين الرافعى) رحمة الله عليهما :

قيل : (غال) فى الرأى قلت هبوه ... قد يكون (الغلو) رأياً أصيلا
وقد يما بنى (الغلو) نفوسا ... وقد يما بنى (الغلو) عقولا

والسرف صفة ذم وقد نجدها فى أقوال مدحاً : « قيل للحسن ابن سهل : لا خير فى السرف ، فقال : لا سرف فى الخير » .

وهل الغلو فى التخلص من الاستعباد مذموم ؟ ونحن معشر المصريين مغالون وحالنا مع هؤلاء الانجليز منذ اثنتين وخمسين سنة معلوم ، فكيف لو كنا من المقتصدين المعتدلين المتسامحين .

كان فاضل معروف من أدباء مدينتنا[1] هذه قال منذ سبع سنين مثل قولك فى ذلك البيت (ما أشبه الليلة بالبارحة) ونشر نقده فى جريدة ، وليم كما تلام الفضلاء الكرام ، وقيل له : أخطأت ، وقد رأينا ذلك الفاضل[1] بعد أن جاء هذا الظلام وفقد الأقوام « الناطق عن خواطرهم[2] » يبكى (أبا على) فى قصائده طويلا ، ويصيح أين شوقى ، أين شاعر الإسلام ؟ !

وإذا طال المراء فى الشىء الثابت وأراد المجادل أن « يطين عين الشمس[3] » جاء قول شوقى :

ومن الرأى ما يكون نفاقا ... أو يكون اتجاهه التضليلا
ومن النقد والجدال كلام ... يشبه البغى والخنى والفضولا

والفتى لا يضع منه رجوعه إلى الحق ، وهو بعد العودة (محمود) والعود أحمد .

محمد إسعاف النشاشيبى

---

(١) أعنى (القاهرة) وقد كتب المقالة قاهريا مصريا .

(١) الأديب الكاتب الشاعر الأستاذ محمد الهمياوى ، رحمه الله !

(٢) قال عبد الرحيم بن على البيسانى (القاضى الفاضل) : « إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس » .

و (أحمد الثالث) فى الشعر هو متنبى الوقت .

(٣) من أمثالهم ، قال الميدانى : يضرب لمن يستر الحق الجلى الواضح .

ويقضى على هذا الأمل الذى يضيء لنا من بعيد ينادينا إلى ما فيه خيرنا وخير هذا الناس

ويخيل إلى أننا نعيش اليوم فى عصر بلبلة واختلاط ، وهذا شيء قد أصاب أمماً كثيرة من قبلنا ، فلم يعقها ذلك عن إدراك الغايات التى حرصت على السعى إليها وعلى بلوغها . بيد أنه لابد لأمة أرادت أن تخلص من هذه البلبلة أن يتجرد من رجالها ونسائها فئة لا ترهب فى الحق سطوة ولا بطشاً ولا اضطهاداً ولا تدخر دون مطلبها جهداً ولا عزيمة ، ولا يثنيها إخفاق ، ولا تلفتها فتنة ، ولا يصرفها الفرح بقليل تناله عن الكدح فى سبيل ما ينبغى أن تناله .

وقد أراد الله لمصر أن تكون فى هذا العصر قدوة العرب ومجتمع أمرهم وكعبة قصادهم ، وهذه البلبلة فى مصر أشد ظهوراً وغلبة منها فى غيرها من بلاد العرب ، فأخوف ما نخافه أن تظل مصر غافلة عن شر هذه البلبلة فتعدى سائر العرب بالأسوة والقدوة ، فينتشر الأمر انتشاراً يعجز المخلصين أن يلموه . فبين ظهرانينا اليوم ألوف من الطلاب العرب قد جاءوا من كل قطر لينهلوا من علم مصر ، ويعودوا إلى بلادهم ليجاهدوا فى سبيلها ، فإذا أعدتهم هذه البلبلة فسوف يحملونها معهم إلى بلادهم فيفرقوا المجتمع من كلمة أممهم ، ويرتكس الأمر حتى يصبح ولا علاج له . هذا ، وأنت لاتعدم صدى البلبلة فى الصحف والكتب والمجلات المصرية التى أخذت تزداد انتشاراً واتساعاً ، فكيف لا يخشى أن يعم هذا البلاء كل بلاد العرب ويتغلغل فى نواحيها ؟ ويومئذ نصبح طعمة للامم الضارية التى تحيط بنا من كل مكان ، وتحد لنا أنياباً عصلا تنهشنا بها يوم يتاح لها أن تنقض على هذه الفريسة التى لا تدفع عن نفسها .

فمن شر هذه البلبلة ، ما نرى من سوء تدبير الأحزاب السياسية المصرية ، فهى قائمة على نزاع دائم فى سبيل الحكم ، يكيد بعضها لبعض ، ويأكل بعضها بعضاً ، ولا يرعى أحد لأحد حرمة . وتنشيء هذه الأحزاب صحافة يكون هم محرريها التشهير بمن يخالفهم فى الرأى والمذهب ، فيدلسون الحقائق ، ويكتمون الحق ، ويفترون على الناس الكذب ، ويلوون ألسنتهم بالحديث ويحرفون أعمال من يعادونهم تحريفاً لئيماً مستهجناً ، كل ذلك ابتغاء مرضاة رؤساء الأحزاب وأصحاب الأمر فيها . هذا ، على أن هذه الأحزاب قد نشأت أو أنشئت بغير أهداف مبينة للناس تعاهدهم على أن تسعى إليها ، وبغير برنامج لإصلاح هذه الأمة التى لم تجد لها نصيراً من أبنائها ، وبغير نظام ينفى عن الحزب الدخلاء والملوثين وذوى الأغراض الخبيثة .

ثم يأتى بعد ذلك نوع من الصحافة يتلبس بالورع ، ويتظاهر بالتقوى ، ويتخشع بالبراءة من التعصب ، ويبدى للناس أنه طالب خير للناس ، وأنه مريد لنفع هذه الأمة وعامل على ترقيتها وتهذيبها وهو فى خلال ذلك يدس لها سماً زعافاً ومنية قاتلة ، شيئاً فشيئاً ورويداً رويداً وساعة بعد ساعة ، حتى لا تمجه الألسنة لأول مذاق ، ثم إذا بان طعمه شيئاً لم تستنكره ، ثم يستمر حتى إذا دام قليلا ألفته وربت عليه ، ثم إذا زادته شيئاً لم يكن إلا طيباً مستساغاً ، ثم إذا الناس يطلبونه أو يخيل إليهم أنهم يطلبونه لأنه مما يتصل بأدنأ الغرائز الحيوانية والشهوات البهيمية ، ويجند لكل هذا الخبث جمع من الكتاب الذين ضلوا عن حقيقة أنفسهم ، وطائفة من الشباب الذين أفسدتهم المدارس الأجنبية والجامعات الغريبة عن هذه الأمة ، وهذا الضرب من الصحافة الخبيثة هو البلاء المستطير الذى لم يجد إلى اليوم من يكشف عن طواياه الخبيثة وأساليبه القاتلة ، وعن دبيبه فى رأى هذه الأمة العربية دبيب الضلالة فى قلب الغرير المفتون .

ثم يأتى بعد ذلك كتاب وعلماء ورجال من أصحاب الرأى ، ليس فى قلب أحد منهم تقوى لله ولا خشية للاثم ولا محبة للحق ، فيرى أحدهم الرأى الفطير فلا يلبث أن يمسك القلم فيجرى السواد على بياض الورق ، فإذا هى مقالة أو كتاب أو رأى أخبث منه صاحبه والناطق به ، فيأخذه المبتدىء المتطلع ، فيمتقده كأنه لقطة نفيسة بغير تحقيق ولا تمحيص ، فإذا سمع رأياً يخالف ما قرأ لهذا الكاتب البليغ أو الأستاذ الكبير أو الفيلسوف القدير ، أنكره وأدبر عنه ، فيزيده هذا الإنكار لجاجة ، وتزيده اللجاجة عناداً ، ويملأه العناد كبراً ، فيعمى عن الحق وهو بين ، ولايزال يهوى فى العناد حتى يصير ذلك عادة فى مسألة بعد مسألة ورأى بعد رأى ، وإذا هو عند نفسه أكبر من أن يأخذ عن فلان لأنه يخالفه فى الرأى .

وتزيد الدولة هذا الأمر ضراوة واستعاراً ، فتولى الأمور غير أهلها ، وتضع الناس فى غير منازلهم ، وتكرم فلاناً بإلحاقه بوظيفة كذا لأنه من أشياع الحزب الذى يتولى الحكم ، فإذا خافت عليه أن ينتزع من مكانه إذا جاءت وزارة أخرى ، ألحقته بعمل لا يقبل العزل . فإذا جاء وزير للمعارف مثلا وله أصحاب من شيعته ممن عرفوا بشيء من الأدب ألحقه بالمجمع اللغوى مثلا

تكريماً له ، فيريد هذا الرجل أن يحقق معنى هذا التكريم على ما خيلت ، فينبرى لإبداء الرأى فيما لا يحسن ، ويكشف عن عورة من الجهل لا تستتر . وليتها كانت رأياً بدا له فكان صاحبه الأول كلا ، بل هو يعمد إلى آراء أماتها الذى أمات الخرافات والأساطير فيخيل إليه أنه وهو الأديب المؤلف الكاتب مستطيع أن يحيى هذه الرمم البالية برأيه وحجته وحسن معرضه ، فكيف تكون مغبة هذا الجهل على شاب ناشئ يقرأ ملفقات السخف المدلس ، وليس عنده قدرة على تمحيصه .

ويأتى آخر يلقيه وزير صديق مثلا على كرسى الجامعة ليدرس العلم لطلاب العلم ، فإذا هو عازم على أن ينشئ علماً جديداً لطلابه ، فيبحث فى تجارب عقله عن أشياء يخيل إليه أنها فن جديد وبلاغة جديدة وعلم لم يصل إلى إدراكه سابق ولن يناله لاحق إلا بالتلقى عنه والوقوف بين يديه . ويخرج هذا الأستاذ جيلا من مساكين الطلاب لا يحسنون شيئاً إلا التعصب له والتسمى باسمه والتشبه به فى فساد الرأى وقلة العلم وضعف الملكة . ويجتمع منهم ومن شيخهم فئة تهجم على العلم بغير علم ، فإذا أراد أحد أن يقف فى سبيلها تناعقت باسم حرية الرأى وحرمة الجامعة . فكيف تكون العاقبة إذا خرج مثل هؤلاء على الشباب الناشئين بأمثال آرائهم المقيتة الجاهلة ، وعلى رأس كل منهم تاج مكتوب عليه « دكتور فى الآداب » أو « دكتور فى الفلسفة » أو « دكتور فى التاريخ » ؟ وكيف يسلط هؤلاء على عقول ناشئة العرب ، يفتنونهم بالألقاب والأسماء ، ويتعاون هذه الفئة المضللة على نصرة بعضهم لبعض ؟

فإذا بقى الأمر على ما نرى فى أمر زعمائنا ، وفى أمر سياستنا ، وفى أمر اجتماعنا ، وفى أمر أدبنا ، وفى أمر صحافتنا ، وفى أمر مدارسنا وجامعاتنا : فكيف نرجو أن نصل إلى غايتنا ؟ وكيف يتاح لهذه الشعوب العربية الكريمة أن تتأهب للمعركة الفاصلة فى تاريخ العرب ؟ وكيف تجتمع كلمة العرب على بلوغ الهدف الأعظم ، وهو هدف يرى إلى إنقاذ الإنسانية كلها من ردغة الخبال التى ألقت بها فيها حضارة ضخمة ، ولكنها قد حشيت شراً كثيراً وخبثاً ؟

ولو شئنا أن نتقصى ظواهر هذه البلبلة فى أشياء كثيرة مما يتعرض لها الشعب مرغماً أو مريداً أو مخدوعاً لأطلنا ، فما من شىء إلا وقد اختلط فيه الأمر على غير هدى . وإذا شئت أن تقدر سوء ما جنينا من شرها ، فجالس من شئت من طوائف الشباب وجاذبهم الحديث ، واستدرجهم إلى المناقشة فى رأى أو علم أو فن ، تسمع العجب العاجب من الخلل فى موازين الأشياء ، والحيرة المطبقة فى تقدير ما يقع تحت أبصارهم وأسماعهم ، والعجز المضطرب عن ضبط الرأى ، والضعف المطلق عن القيام بحق العقل والإدراك وأكبر من ذلك كله أنهم أصبحوا لا يرون صاحب رأى إلا وهو دونهم ، فلا يسلم من انتقاصهم وتقدمهم ، فإذا صححت لهم وأردت أن تقيمهم على الطريق استكبروا وأعرضوا ، فكيف تأتى أنت فتعلم حامل شهادة الحقوق أو الطب أو الأدب أو الفلسفة شيئاً يستيقن هو فى نفسه أنه قد فرغ منه وعلمه علماً ليس بعده إلا العروج إلى سماء الخلود

وكذلك الأمر فى طبقات أخرى من العلماء إلى الأدباء إلى رجال القلم إلى أصحاب الصناعات إلى عامة الناس . وهذا شىء مخوف مدمر للجهود الذى بذلها طائفة من السلف القريب فى تسديد خطى هذا الشعب وترقيته وتهذيبه وتطهيره من الجهل والبلادة والغفلة . وإذا طال ذلك ولم نعالجه فى مدارسنا وجامعاتنا وصحافتنا ، وفى دور التسلية ، وفى أندية المجتمع ، فالعاقبة الوخيمة بالمرصاد لمن أهمل وأضاع وترك الأشياء تمضى فى غير عنان وعلى غير هدى .

ونحن الآن أحوج ما نكون إلى صحافة جديدة حرة لا تخاف شيئاً ولا تخشى ، تدل على مواضع العيب لا للطعن والتشهير وسب هذه الأمة ، بل لعلاجها والدفاع عنها ونصرتها على نفسها . ونحن الآن أحوج ما نكون إلى شباب من الكتاب وشيوخ من المحنكين يخلصون الرأى لهذه الأمة ، فلا يدعون الفرصة تفوت ويحملون الشعلة الجديدة إلى الجيل الجديد الذى لم يلوثه العناد والكبرياء واللجاجة والمراء . ونحن الآن أحوج ما نكون إلى طائفة ممن خبروا الحياة وعرفوها ليكونوا شهداء على مدارسنا وجامعاتنا وصحافتنا ، تستعين بهم الدولة على نهج جديد يمنع عن جماهير الشباب وطوائف الأمة كل ما يزيد هذه البلبلة إخبالا وضراوة

إن الزمن يمضى مضاء حثيثاً كالنار فى الهشيم ، فإن شئنا أن نحيى وأن نستعد للذى أعدنا الله له من الظهور فى الأرض ، وإصلاح ما اختل من شئونها . فعلى كل قادر أن يجمع أمره ، وأن يدعو أصحابه ، وأن يلم الشمث المتفرق ممن يظن فيهم خيراً ، لكى يتعاونوا جميعاً على رد هذا البلاء بالرفق فى مواضع الرفق ، وبالبأس فى مواضع البأس ، وبالبتر حيث لا يجدى شىء إلا البتر بلا هوادة ولا رحمة ...

محمود محمد شاكر

١١ – رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

عميد كلية الآداب

ضريح همايون

إلى الغرب والشمال من دهلى تقوم أبنية كثيرة هى بقايا الأحداث والغِيَر من مقابر الملوك التيموريين . وأعظمها تمثال المجد الماثل على ضريح نصر الدين همايون .

همايون الملك الثانى من هذه الأسرة المجيدة العظيمة التى سيطرت على الهند قروناً . وهو سيرة عجيبة من الهمة التى تحقر الصعاب ، والعزم الذى ينكر الأهوال ، والأمل الذى يكفر بالمستحيل .

أبوه ظهير الدين بابر ورث إمارة فى سمرقند وفرغانة وهو صبى فى الثانية عشرة . فلما غُلب عليهما بعد خطوب طويلة ، وجّه همته إلى أفغانستان ففتحها واستولى على بَدَخشان ثم كابل وقندَهار ومدن أخرى . واستعاض عن الأمارة الصغيرة التى فقدها إمارة أعظم . وأحال الهزيمة انتصاراً ، وزوال الملك وسيلة إلى ملك أكبر ، واليأس من سمرقند يقيناً بفتح كابل . ثم وجّه أمله وهمته وعزمه وعقله وعبقريته فى السياسية والحرب ، إلى الهند فلم يثبت لجيشه جيش ، ولم يقم لدهائه دهاء ، ولم يصدّ تدبيره تدبير . فامتدّ به الفتح شمالا وجنوباً .

ومات بابر بعد خمس سنوات من انتصاره الهائل فى معركة بانى بات التى فتحت له أبواب الهند ، وما رسخت قواعد الملك ، ولا اطّأدت أساطين الدولة ؛ بل ما قرّ عجاج الحروب ، ولا فارق الأسماع صدى السلاح . فورث ملكه ابنه همايون وسنّه تسع عشرة سنة . فاستأنف فتوح أبيه ؛ ولكن شيرشاه أمير بهار استطاع أن يصدّ السيل ثم يردّه صوب الغرب شيئاً فشيئاً حتى اضطَرّ همايونَ إلى السند . ثم أخرجه إلى إيران مغلوباً قد فقد ملك أبيه كله فعاذ بملوك الدولة الصفويّة وبقى همايون خمس عشرة سنة لاجئاً لا ملك له ولا وطن .

ولكن العزيمة التى سخر بها بابر أفغانستان والهند حينما طرد من سمرقند ، سيّرت همايون من إيران إلى الهند ليفتحها ويسترد مُلكه كأنه لم يغلب عليه ، ولم يطرد منه ، ولم يلبث خمسة عشر عاماً بعيداً عنه فى حماية ملوك إيران . فتح دهلى سنة ٩٦٢ بعد ثلاثين سنة من فتح بابر إياها . وبعد سنة مات همايون وسنه خمس وأربعون سنة .

بنى خزانة كتب عظيمة وصعد عليها يوماً فزلّت قدمه فسقط فمات . ومن العجيب أن تاريخ وفاته فى هذه الجملة : « الملك همايون سقط من السطح » (همايون بادشاه أزبام أفتاد) .

حزنت زوجه حميده بانو بيكُم على زوجها بل وَلَهت فخرجت إلى الحج ورجعت مستصحبة مهرة البنّائين والصناع لتبنى لهمايون ضريحاً يكافىء عظمته ، ويمثّل مكانته فى قلبها ، ويخلّد ذكراه على الأرض . وبنت هذا الأثر الرائع . وهو أول نموذج لمقابر الملوك المغول التى افتنّوا فيها من بعدُ حتى بلغ الفن ذروته فى تاج محل .

وفى جانب من حديقة المقبرة دار خربة تسمى عرب سراى (دار العرب) يقال إنها كانت دار الصناع الذين قدموا مع السيدة من البلاد العربية .

كان هذا أول قبر على هذا الأسلوب فى الهند . وأما بابر أبو همايون فلم يدفن فى الهند بل قبره فى كابل .

وقد حدثنى الأديب الكبير سرورِ كويا أستاذ الأدب الفارسى فى جامعة كابل — وقد سعدت بلقائه فى إيران قبل ثلاث عشرة سنة وفى الهند هذا العام — قال كنت فى صحبة الشاعر العظيم الفيلسوف محمد إقبال حينما زار قبر بابر فى كابل . فالتفت إلىّ قائلا : يا سَرْوَر اكتب وأملى علىّ هذين البيتين بالفارسية :

خوشا نصيب كه خاك تو آرميد اينجا

كه اين زمين ز طلسم فرنك آزاد ست

هزار مرتبه كابل خوش است أز دِلى

كه اين عجوزه عروس هزار داماد ست

وترجمتها :

طوبى لك إذ استراح ترابك هنا

فهذه الأرض منزهة عن سحر الفرنج

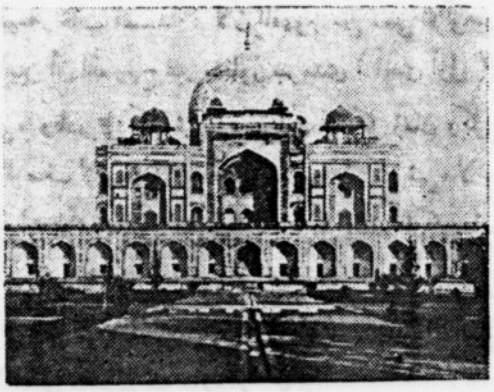
إن كابل خير من دهلى ألف مرة
فتلك العجوز عروس لألف زوج

والشطر الأخير شطر معروف لحافظ الشيرازى فى وصف الدنيـــا .

ورحم الله إقبالا ! كأنه رأى بظهر الغيب غدر هذه العجوز بالمسلمين . فهى اليوم تطردهم وتفتك بهم ولا ترعى عهدهم وقد سيطر عليها سلطان المسلمين ثمانية قرون عدلوا فيها وأحسنوا ورحموا رعاياهم وتركوهم أحراراً فيما يدينون . فبقيت الكثرة لغير المسلمين فى دار الملك الإسلامى حتى زالت دولتهم .

***

تدخل حديقة واسعة جداً فى وسطها بناء تفضى إليه طرق أربعة مبلّطة فيها قنوات وأحواض . وكل طريق يمتدّ بين باب للحديقة وهذا البناء . سرنا من المدخل فى إحدى هذه الطرق إلى دكّة رقينا إليها ست درجات . وفوقها دكة أخرى عظيمة عالية مربعة فى كل ضلع منها خمسة عشر عقداً أوسطها يُفضى إلى خمس وعشرين درجة تصعد إلى القبة الحانية على الضريح — كما يرى فى الصورة —



وعلى الدكة العالية بناء مربّع الجوانب وسطه قبة شامخة من الرخام الأبيض تحيط بها حجرات متواصلة فى هندسة محكمة جميلة . وفى هذه الحجرات قبور قيل لى أنها ستة وخمسون لأمراء الدولة وأعيانها .

ودخلت فإذا قطعة من المرمر جاثمة فى الوسط تحتها رُفات همايون وفوقها قبة تقوم على ثمانية عقود . ولا تبدو القبة عالية من الداخل لأنها قبة مزدوجة أى قبتان إحداهما فوق الأخرى . وهى أول قبة من هذا النوع فى الهند . وقد رأيت فى مسجد الشاه بأصفهان قبة عظيمة فوق القبلة مزدوجة يتردد صدى الصوت تحتها عشر مرات أو أكثر ، ولكن قبة همايون لا تردد الصدى كأنما أخرسها جلال الموت ، أو هيبة المُلك .

خلعت نعلى وخطوت خطوات إلى القبر فوقفت واجماً خاشعاً حيناً ورافعاً بصرى إلى القبة حيناً . قلت : قبر عظيم ولكن ذكرى همايون أعظم . إن عزمك الماضى أيها الملك الهمام ، وهمتك العالية طُويتا فى هذا اللحد ، لا بل هما ملء التاريخ ...

قرأت الفاتحة خاشعاً وخرجت .

ثم صعدت إلى السطح المحيط بالقبة فإذا هذا التناسق الكامل الذى يميز أبنية السلاطين التيموريين كلها . فى كل جانب قباب يصعد إليها دَرَج . وفى الزوايا قبـاب أصغر منها فى تناظر تام وتناسب لا يتسع المجال هنا لتفصيله .

نزلت وخرجت مع الرفاق والتاريخ يمرّ أمامى سريعاً فأرى همايون فاتحاً . وهمايون دفيناً ، وأرى الأحداث تتوالى فتشمل الدولةُ أرجاء الهند كلها ويجمع البـلادَ سلطان واحد لأول مرة فى تاريخها ثم يجزر البحر فتضعف الدولة ويتسلط الإنكليز . وتتوالى الخطوب حتى أرى بهادُر شاه آخر السلاطين من ذرية همايون يحتمى بحرم جده ، بهذه المقبرة وهو يحارب الإنكليز قبل تسمين عاماً فيؤسر وينفى . ويؤخذ من هذا الحرم بنوه الثلاثة مُغل وخضر وأبو بكر فيقتلون صبراً على مشهد من الناس .

قلت : ما دفن هنا همايون وحده ولكن دفن كل تاريخ الدولة التيمورية . فيا لك أول ضريح للدولة العظيمة فى الهند وآخر ضريح .

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

وضع فى المقال الذى فى العدد (٧٤١) صورة ضريح اعتماد الدولة خطأ موضع صورة الجامع الكبير فى دهلى ، وسنعيد نشر الصورة الأولى فى موضعها وننشر صورة الجامع الكبير فى خاتمة المقالات .

الفضـــاء والعدم

للأستـــاذ نقولا الحداد

استأذن الكاتب الكبير الأستاذ العقاد بأن أعقب على مقاله « أساطير الآخرين » فى ١٣ أكتوبر الحالى من الرسالة بكلمة فى موضوع العدم والفضاء.

العدم اسم لغير مسمى. أعنى أنه لا يوجد فى الوجود شىء أو كائن يصح أن يسمى « عدماً » هو فى غير لغتنا « لا شىء » وفى نفسنا هو لا شىء أيضاً . واللاشىء ليس ذاتية حتى يعرف أو يوصف أو « تفسر له ماهية »

أما الفضاء فهو الحيز الذى تشغله أو تشغل بعضه مادة ذات حدود . وأما الخلاء فهو الفراغ بين مادة ومادة . والمادة تحده ولهذا يمكن أن يقاس بمقياس

يستحيل علينا أن نتصور الفضاء فراغاً مطلقاً خلواً من مادة مهما أمعنا فى التصور

لولا وجود المادة لما كان فضاء البتة . هل تستطيع أن تتصور فضاء فارغاً لا شىء فيه . تصور وقل لى ماذا تتصور المادة كثيفة كانت أو لطيفة قضت بوجود الفضاء (الحيز) إنفِ المادة ينتف الفضاء . هذا هو العدم — اللاشىء

فهذا الحيز الذى نسميه فضاء لابد أن يكون مشغولا بمادة حتما . المادة نوعان : كثيفة وهى الأجرام الفلكية التى نحس بوجودها بالحس البصرى . ولطيفة وهى الأشـــعة الموجية الكهرطيسية (الكهربائية المغنطيسية) التى نحس بها بالبصر كالنور أو بالآلات الرصدية المختلفة كأمواج اللاسلكى غير المنظورة

أما أن النور وكل درجة من درجات الكهرطيسية كالأشعة السينية وأشعة ما فوق البنفسجى وتحت الأحمر هى أمواج أو تموُّج فحقيقة لا شك فيها لأن العمليات الامتحانية العديدة لاكتشاف طبيعة النور وحركة اللاسلكى فى الفضاء أثبتت بوضوح أن هذه الأشعة الكهرطيسية هى موجات فى الفضاء

فلذلك تساءل العلماء فيما بينهم : ما هو هذا الشىء التموج ؟

لم يستطيعوا جواباً على السؤال إلا بفرض الأثير . وهو فى نظرهم مادة متناهية فى اللطف تملأ هذا الفضاء . وذرات المادة أو ذريراتها السابحة فى الفضاء الثائرة الحركة فيه تصدم هذا البحر الأثيرى فيتموج وأمواجه تصدم مشاعرنا البصرية والعصبية فنحس بوجود تلك المواد الثائرة . فالكهرطيسية فى نظرهم هى تلك الأمواج الأثيرية . وهى ما يسمونه بالاشعاع Rodiation

ولكن هذا التعليل الكهرطيسية (التى منها النور) لم يكشف لهم بقية أسرار الوجود . فقد رأى العلماء فى سياق أبحاثهم أن هذا الإشعاع ليس مجرد صدم المادة أو ذراتها لبحر الأثير فقط بل هو أيضاً انتثار ذريرات من الجسم المادى فى هذا البحر (ويسميها العلماء فوتونات) وهى من ضرب ذريرات الأثير بعينها . وبعض العلماء يعتقدون أن مادة الأكوان مؤلفة من فوتونات الأثير . أى إن الأثير هو أصل المادة — هو الهيولى

ولهذا وجد العلماء أنفسهم أمام نظريتين مختلفتين بشأن النور وكل إشعاع كهرطيسي : الأولى أمواج أثيرية يحدثها اصطدام ذرات المادة ببحر الأثير . والثانية تدفق فوتونات المادة فى هذا البحر انحلت إليها ذرات المادة ، فجرت فيه كما يتدفق ماء المطر فى البحر فيجرى فيه . وهذا سمى نجايمس تجيز هذا الإشعاع الكهرطيسى Wave Cle مشتقة من Wave و Particle بغية جمع النظريتين فى نظرية واحدة

أعود إلى مظنة الزهاوى إن الله هو الأثير

والظاهر أن الزهاوى بقوله هذا يريد أن يعرفنا بحقيقة الله فى الطبيعة فخاب قصداً . لأن المفهوم من معنى الألوهية عند الكتابيين أن الله روح غير منظور سرمدى (أبدى أزلى) خالق كل شىء وقادر على كل شىء وموجود فى كل زمان وكل مكان وهذا الوصف لا ينطبق على طبيعة الأثير فى كل شىء لا ينطبق عليه فى أن الأثير خالق كل شىء بل كل المادة الكونية مؤلفة منه ولكنه لم يؤلفها هذا فى رأى علماء هذا العصر . وليس الأثير قادراً على كل شىء أو ليس له قدرة ولا قوة بحد ذاته وإنما هو الوسط الذى تتحرك فيه مادة الأكوان

ولو قال إن قوة الجاذبية هى الله أو أنها الأداة التى فى يد الله وبها يحرك الله الأكوان جميعاً ، وكل حركة كلية أو جزئية صادرة من قوة الجاذبية لربما اقترب من الحقيقة لأن الجاذبية قوة سرمدية موجودة فى كل زمان ومكان وبها تتحرك جميع الأكوان عظيمها وصغيرها من أدق الحركات الكونية إلى أعظم حركات الإجرام الفلكية . والله أعلم

نقولا الحداد

الأسطورة والاعجاز القرآنى

للأستاذ محمد أحمد خلف الله

قلنا فى مقالنا السابق إن الأقدمين من المفسرين قد فهموا من الأسطورة أنها ما سطره الأولون من قصصهم وأحاديثهم ونقلنا عن كتبهم من النصوص ما يثبت ذلك . ولعلنا لم ننس بعد ما ذهب إليه الطبرى فى آخر عبارته من القول بأن المشركين ما كانوا يقصدون من وراء كل هذا إلا القول بأن هذه الأساطير من عند محمد لم يجئه بها الوحى ولم تنزل عليه من السماء

وقلنا فى نفس المقال أن الرازى قد فطن إلى الصنيع الأدبى فى بعض القصص القرآنى حين فرق بين جسم القصة وما فيها من توجيهات دينية هى قصد القرآن من قصصه . ولعلنا لم ننس بعد ما ذهب إليه الرازى من أن الأمر الأول هو الذى أدخل الشبهة على عقول المشركين وعلى قلوبهم وأنهم من أجل هذا قالوا بأن ما يجيء به محمد ليس إلا أساطير الأولين . ومعنى ذلك أيضاً أنهم ينكرون أن يكون قد جاء بها الوحى أو نزلت عليه من السماء .

واليوم نريد أن ندرس مع القراء موقف القرآن نفسه من هذه الأساطير

وموقف القرآن يتلخص فى الاجابة عن هذا السؤال . هل نفى القرآن عن نفسه بناءه بعض القصص على الأساطير ؟ .

هذه هى الآيات التى تعرضت لهذه المسألة من القرآن الكريم

(١) قال الله تعالى « ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونه يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين » انعام ٢٥

(٢) وقال تعالى « وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » الأنفال ٣١ ، ٣٢

(٣) وقال تعالى « وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين » النحل ٢٤

(٤) وقال « بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين » المؤمنون ٨١ ، ٨٣

(٥) وقال « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما » الفرقان ٥ ، ٦

(٦) وقال « وقال الذين كفروا أئذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين » النمل ٦٧ ، ٦٨

(٧) وقال « والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين » الاحقاف١٧

(٨) وقال ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » القلم ١٠ ، ١٥

(٩) وقال « ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » المطففين ١٠ ، ١٣ .

هذه هى الآيات التى صور القرآن فيها هذه العقيدة فلننظر لنرى ماذا فيها من حديث ؟ .

أول الأشياء أنها جميعها من القرآن المكى حتى ما نزل فيها من سورة الأنفال المدنية إذ نص القدماء واعتمد ذلك المصحف الملكى على أن الآيات من ٣٠ — ٣٦ من سورة الأنفال مكية . ومعنى ذلك أن هذا القول إنما كان من المشركين من أهل مكة وأنه اختفى بانتقال النبى إلى المدينة ولذلك سر سنقف عليه بعد حين .

وثانى الأشياء أن القائلين لهذا القول هم فى الغالب الذين ينكرون البعث ولا يؤمنون بالآخرة وذلك واضح كل الوضوح من آيات سور . المؤمنون . النمل . الأحقاف . المطففين . ذلك لأن الحديث معهم فى هذه المسألة بالذات .

ثم هو متصل بسبب قوى بالحديث عن الحياة الآخرة فى آيات سور الأنعام والنحل .

ومعنى ذلك فيما نرى أنهم كانوا يعتبرون الأقاصيص التى تجسم عملية الأحياء بعد الامانة والتى تمثلها للناس على أنها قد وقعت . من الأساطير .

وإذا ما ضممنا إلى هذا أمراً آخر هو أن تلك الأقاصيص القرآنية التى يذهب المستشرقون إلى أنها من الأساطير كقصة أهل الكهف تلك التى يسمونها أسطورة السبعة النيام وقصة الذى مر على قرية وهى خاوية « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير . » كان موضوعها البعث وأنها تجسم عملية الأحياء بعد الإمانة وتمثلها للناس على أنها قد وقعت . تبين لنا أن الشبهة قد دخلت على أولئك من الباب الذى دخلت منه على هؤلاء .

ومعنى ذلك أن هيكل القصة لا ما فيها من توجيهات دينية كان العامل القوى فى الذهاب إلى هذا القول من أولئك وهؤلاء .

ومن الصدف الغريبة أن المحدثين من المفسرين يرون أن هذه القصة الأخيرة قصة الذى مر على قرية وهى خاوية قد يكون القصد منها التمثيل . فقد جاء فى المنار ج ٣ ص ٤٩ بعد تفسيره لتلك القصة ما يأتى (ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل)

إن الأمر كما قلت فى مقالى السابق يحتاج إلى النظرة الدقيقة الفاحصة . نظرة العلماء الذين يقفون على أسرار الصناعة الأدبية ويفقهون المسائل القرآنية ويواجهون الحقائق مواجهة العلماء . أما أولئك الذين يفزعون ويهرعون إلى وهمهم كما تحدث متحدث ليقذفوه بالكفر ويرموه بالإلحاد فأولى للقرآن ثم أولى لهم أن أن يختفوا من الميدان .

إن قوة عقيدة المشركين وسعة أفق المستشرقين يضطر اننا إلى أن نتناول المسألة كما يجب أن يتناولها العلماء .

لنستعرض سويا هذه الآيات ولننظر فسنرى

فى سورة الأنعام يذهب المشركون إلى النبى يستمعون إلى القرآن لكنهم بعد الاستماع يجادلونه ويقولون له ما هذا إلا أساطير الأولين . ونعتقد أنهم لم يقولوا هذا القول فى مواجهته وأمام سمعه وبصره إلا وهم يعتقدون أن ما يقولونه الحق وما يرونه الصواب . ومعنى ذلك أن الشبهة عندهم قوية جارفة .

وفى سورة الأنفال يذهبون ويستمعون وبعد هذا وذاك يقولون قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ولا يكتفون فى هذا الوطن بهذا القول وإنما يذهبون إلى أبعد من هذا فى التحدى ويقولون . اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم .

وإذ كنا نعتقد بصدق القرآن فى تصوير إحساساتهم كان لابد لنا من التسليم بأن هذه العقيدة قوية جارفة وتقوم على أساس يطمئن إليه المشركون . ذلك هو ورود بعض الأساطير فى القرآن الكريم .

وفى الأحقاف يقف ولد هو فيما يروى المفسرون ابن أبى بكر من والديه هذا الموقف القاسى المنيف (والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ماهذا إلا أساطير الأولين)

وإذا كنا نعتقد بصدق القرآن فى تصويره لخلجات الأنفس فإن الأمر الذى لا بد لنا منه هو الاعتراف بأن هذا الشخص الذى يضجر من والديه ويتأفف من قولهما ويشك فى عودته إلى الحياة مرة ثانية ويقيم هذا الشك على ملاحظته لظاهرة من الظواهر هى أن القرون قد خلت من قبله ولم يعد إلى الحياة أحد كان قوى العقيدة شديد اليقين فى أن ما يروى له من الأساطير

وهكذا نلحظ أن الشبهة قوية عنيفة وأن القرآن يصورها تصوير الصادق الأمين . ونحس نحن من تصوير القرآن لها أن القوم كانوا صادقين فى التعبير عما يحسون ويشعرون به نحو مايتلى عليهم من آى القرآن الكريم .

والمسألة عقلا لا تحتمل أكثر من فرضين .

الأول أن القوم يقولون هذا القول كذباً وادعاء لتضليل الناس وصرفهم عما يتلو عليهم محمد من آى الذكر الحكيم .

الثانى أن القوم كانوا يعبرون التعبير الصادق عما يدور فى

خلدهم من إحساسهم بأن فيما يتلى عليهم بعض الأساطير .

ونرجح نحن الفرض الثانى ولكن نكتفى فى ترجيحنا له على القول السابق من صدق القرآن فى تصوير إحساسهم من أن الذى يتلى عليهم فيه بعض الأساطير . وإنما سنعمد إلى شيء آخر يدل على صدق عقيدتهم هو موقف القرآن الكريم .

لنستعرض الآيات مرة أخرى فسنرى .

١ — اكتفى القرآن بوصف هذا الصنيع من المشركين فى آيات سور الأنفال والمؤمنون والنمل والأحقاف .

٢ — اكتفى القرآن بتهديد القوم فى آيات سور الأنعام والقلم والمطففين . وهو تهديد يقوم على إنكارهم ليوم البعث أو على صدهم الناس عن إتباع النبى وليس منه التهديد على قولهم بأن الأساطير قد وردت فى القرآن الكريم

٣ — ومرة واحدة رد القرآن عليهم قولهم وهى المرة التى ترد فى سورة الفرقان وهذه هى الآيات . قال تعالى (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما)

وهو رد لا ينفى كما نرى ورود الأساطير فى القرآن وإنما ينفى أنها من عند محمد يكتتبها وتملى عليه ، ويثبت أنها من عند الله . قل أنزله الذى يعلم السر ... الخ .

ويحسن بنا أن نثبت هنا نصاً للرازى فى هذه المسألة فقد قال رحمه الله فى ج ٦ ص ٣٥٤ ما يأتى (البحث الأول فى بيان أن هذا كيف يصلح أن يكون جواباً عن تلك الشبهة وتقريره ما قدمنا من أنه عليه السلام تحداهم بالمعارضة وظهر عجزهم عنها ولو كان عليه السلام أتى بالقرآن بأن استعان بأحد لكان من الواجب عليهم أيضاً أن يستعينوا بأحد فيأتوا بمثل هذا القرآن فلما عجزوا عنه ثبت أنه وحى الله وكلامه فلهذا قال (قل أنزله الذى يعلم السر ...) انتهى .

والذى يحسن بنا أن نلتفت إليه هنا هو أن الرازى يسأل عن كيفية أن يكون قوله تعالى : قل أنزله الذى يعلم السر ... الخ إجابة عن قولهم وقالوا أساطير الأولين ... الخ . ذلك لأن الرد الذى كان يتوقعه الرازى إنما يكون بنفى الأسطورية عن القرآن ومن هنا حاول ما حاول ليجعل إجابة القرآن ملاقية للشبهة .

وأعتقد أن الرازى لم يفطن إلى الصواب فإجابة القرآن هى الإجابة الطبيعية وهى الإجابة التى لا محيد عنها فى هذا الميدان . ذلك لأن مدار الحوار بين القرآن والمشركين لم يكن عن ورود الأساطير فى القرآن وإنما كان على اتخاذهم ورود الأساطير دليلا على أن القرآن من عند محمد لم يجئه به الوحى ولم ينزل عليه من السماء . ومن هنا كانت الإجابة فى محلها وكانت إثبات أن القرآن من عند الله (قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض) ولم تكن الإجابة نفى ورود القصص الأسطورى فى القرآن .

وهذا هو الذى نص عليه الطبرى فيما نقلنا عنه من حديث فى مقالنا السابق . وهذا هو الذى يدل عليه ما ذكره القرآن من قبلهم (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) .

ذلك لأنهم كانوا يستبعدون أن يصدر مثل هذا القصص الأسطورى عن الله . ومن هنا وقفوا موقفهم من النبى وقالوا عنه وعن القرآن ما قالوا .

والآن نستطيع أن نلتفت قليلا إلى الوراء .

لقد رصدنا فى مقالنا السابق ما نجنيه من الفوائد وقلنا إن أهمها تخليص القرآن من مطاعن الملاحدة والمستشرقين .

والآن نعود إلى رصد شيء آخر هو أعز علينا وآثر عندنا من كل ماعداه ذلك لأنه سر قوى من أسرار إعجاز القرآن الكريم

لقد كان هذا الصنيع الأدبى من القرآن — وهو بناؤه بعض قصصه الدينى على أساس من الأساطير القديمة — تجديداً فى الحياة الأدبية عند العرب المكيين . وكان تجديداً لم يعرفه القوم من قبل لبعدهم عن الكتب السماوية ومن هنا أنكروه وقالوا ما قالوا عن النبى وعن القرآن الكريم .

ولقد كان هذا الصنيع الأدبى مما ألفه القوم من الدنيين خاصة أهل الكتاب ذلك لأنه الصنيع الذى جرت عليه التوراة وجاء به الإنجيل ومن هنا لم ينكروه ولم يقولوا فيه مثل ما قال الأولون من المكيين . ولا يزال هذا الصنيع حتى اليوم من عمل الأدباء المجيدين ولا بدع فى أن يكون صنيع القرآن وهو فى أعلى ما عرفت العربية من طبقات البلاغة وأدب القائلين .

وهذا ما نحسب أنه السر الذى أشرنا إليه فى أول هذا المقال من وجود هذه العقيدة بمكة واختفائها بانتقال النبى إلى المدينة

لمعرفة الآخرين لذلك الصنيع .

تلك هي نظرة القرآن في موقفه من حديث القوم عن الأساطير ألممت بها وشرحتها كما فهمتها وأرجو أن أكون في هذا الفهم من الموفقين .

والآن أفلا يزال الأحمدان الفاضلان عند رأيهما من أنا نستحق أن نتهم بالكفر ونرمى بالزندقة ونوصم بالإلحاد .

اللهم إنك لتعلم أنا نحرص على فقه كتابك المعجز ووحيك العربي المبين .

واللهم إنك لتعلم أنا قلنا ما قلنا طلباً للفهم الدقيق لآياتك وحباً في الوقوف على سر من أسرار إعجازك .

واللهم إنك لتعلم أنا نؤمن إيماناً قوياً جازماً بصدق قولك المنزل على نبيك المرسل [ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون] .

ولقد صدقت يا الله فانتصر الحق وآمن بالرأي من لم يؤمن به من قبل ، والسلام .

محمد أحمد خلف الله

كلية الآداب — جامعة فؤاد

بين السياسة والأدب :

انجلترا في مرآة حافظ

للشيخ محمد رجب البيومي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

ونعود ثانية إلى حافظ ، فنذكر أنه استقبل السير غورست خليفة اللورد كرومر بقصيدة حافلة ، نطق فيها بآلام الشعب وآماله وعاوده السخط على العميد الراحل ، فسلقه بلسان حاد قاتل ، ثم انتقل به الحديث إلى عدو اللغة العربية « دنلوب » وما ارتكبته في دار المعارف من حماقة ونزق ، فقال .

رمى دارة المعارف بالرزايا   وجاء بكل جبار عنيـد
بدل بحوله وبتيه تيهـا   ويعبث بالنهى عبث الوليد
فبـدد شملها وأدال منها   وصاح بها سبيلك أن تبيدى

فليت كرومرا قد دام فينا   يطوق بالسلاسل كل جيد
لننزع هذه الأكفان عنا   ونبعث في العوالم من جديد

وقد كان شاعر النيل صادقاً حين عبر في هذه القصيدة عما يضمره المصريون للمحتلين من غضب وغيظ . وكيف نغرت في النفوس جراح دامية لا تكاد تندمل حتى يهيجها الشر مرة أخرى فتنفث ما بها من قيح وصديد ، اسمعه إذ يقول :

جراح في النفوس نغرن نغرا   وكن قد اندملن على صديد
إذا ما هاجهن أسى جـديد   هتكن مرائر القلب الجليد
فتح غضاضـة التاميز عنا   كفانا سائغ النيل السعيد
أرى أحداثكم ملـكوا علينا   بمصر موارد العيش الرغيد
أكل موظف منـكم قدير   على التشريع في ظل العميد
اذ بقونا الرجاء فقد ظمئنا   بمهد الصالحين إلى الورود

وإذا كان اللورد السابق قد ارتكب جرائمه في وضح النهار فإن السير غورست قد تقنع بالمكر والخديعة فأظهر كثيرا من البشر والابتسام ، بينما أخذ ينفث سمومه القاتلة في دامس الظلام ففرق بين المنصرين الوطنيين ، وأعاد النعرة الطائفية جذعة ، ثم اتفق مع أولياء الأمر على محاربة المخلصين من أشياع الحزب الوطني وما لبث المصريون أن عرفوا نيته الخبيثة ، فقام حافظ يندد بهذه الملاينة الماكرة ، وصاح في ذكرى مصطفى كامل يقول :

وللسياسـة فينا كل آونة   لون جديد ورأى ليس يحترم
بينا ترى جرحها تخشى ملامسه   إذا به عند لمس المصطفى فم
تصغى لأصواتنا طورا لتخدعنا   وتارة يزدهيها الـكبر والصمم
فن ملاينة أستارها خدع   إلى مصالبة أستارها وهم
إذا سكتنا تناجوا تلك عادتهم   وإن نطقنا تنادوا : فتنة عمم
ماذا يريدون لا قرت عيونهم   إن الـكنانة لا يطوى لها علم
قالوا لقد ظلموا بالحق أنفسهم   والله يعلم أن الظالمين هم

وأنت ترى شاعر النيل في إبياته المتقدمة غير قاس في هجومه وله العذر في ذلك ، فقد كان قانون المطبوعات قد بعث من مرقده إبان ذلك ، فقيد حرية الرأي والـكتابة ، وعملت وزارة بطرس غالي باشا — بإيعاز من غورست — على محاربة الكرام الكاتبين والشعراء النابهين من أبناء الوطن المخلصين ، ولم تفلح الضجة الـكبيرة التي قام بها الشعب في وجه هذا المشروع الخطير ، فاضطر حافظ إلى الملاينة قليلا بعد أن أصبح القانون ضربة لازب ، وبعد أن حاربه في جد وصرامة فقال .

كانت تواسينا على آلامنا   صحف إذا نزل البلاء وأطبقا
فإذا دعوت الدمع فاستعصى بكت   عنا أسى حتى تغص وتشرقا
كانت لنا يوم الشدائد أسهما   نرمى بها وسوابقا عند اللقا
مالى أنوح على الصحافة جازعا   ماذا ألم بها وماذا أحدقا
قصوا حواشيها وظنوا أنهم   أمنوا صواعقها فكانت أصعقا
وأتوا بحاذقهم يكيد لها بما   يثنى عزائمها فكانت أحذقا
كانت صماما للنفوس إذا غلت   فيها الهموم وأوشكت أن تزهقا
كم نفست عن صدر حر واجد   لولا الصمام من الأسى لتمزقا

وفى النهاية قد لجأ حافظ إلى الصراحة التامة فى موقفه بعد أن عيل صبره، فحذر المصريين من بسمات خورست وندد بوعوده الكاذبة، وارتاب فى ملاينة هذا الثعلب الماكر فهو يقول فى شأنه.

فكم ضحك العميد على لحانا   وغر سراتنا منه ابتسام
فلا تثقوا بوعد القوم يوماً   فإن سحاب سادتهم جهام
وخافوهم إذا لانوا فإنى   أرى السواس ليس لهم ذمام
فما سادوا بمعجزة علينا   ولكن فى صفوفهم انضمام

وقد أراد الله لمصر بعض الخير فمات السير خورست واستراح الشعب من حبائله الصائدة، ولكن حافظا لم ينتظر فى دنيا الحرية كثيراً بعده حتى يواصل حملاته العادلة، بل انتقل إلى العمل فى دار الكتب المصرية، وللوظيفة قيود تكبل بها الألسنة الصارخة لا سيما إذا كان صاحبها ذا ضرورة إلى ما تدره عليه من أجر، فألجم الشاعر فاه عن السياسة، وحطم قيثارته الشادية، وتلك خسارة فادحة غرمها حافظ أكبر غرم، كما قابلها عشاق أدبه الرفيع بهمّ زائد وأسف وجيع.

وقد يقول قائل: لماذا أمسك حافظ وحده عن النظم السياسى كوظف فى الحكومة؟ مع أن زملاءه الموظفين من الشعراء النابهين كعبد الحليم المصرى، وأحمد نسيم، ومحمد الهراوى، وعبد المطلب قد واصلوا العزف على أوتارهم السياسية، دون أن يقف فى طريقهم واقف؟! وأنا أقول إن الرقابة كانت موجهة إليه أكثر من غيره لما يعرفه أولو الأمر من تأثيره القوى فى الجمهور، وإلا فهل كان من المعقول أن تندلع الثورة المصرية، ويُنفى الزعماء، ويعتقل الشباب، وتنشق الكلمة وتختلف الأحزاب؛ وشاعر النيل ساكت عن ذلك كله بإرادته ومشيئته! كلا ثم كلا! بل إنه نظم قصائد حية، ونشرها غفلا من إمضائه كما وزعت بعض المنشورات السياسية تحمل قلائده اللامعة، وجميع ما قاله فى هذه الآونة لم ينشر على الناس عامة إلا بعد استقرار الحالة فى مصر، وقد أشار إلى ذلك ديوانه فى مفتتح بعض القصائد، كما أنه كان ينتهز الظروف التى تحميه من العقاب فينفض ما فى وعائه، واقرأ قصيدته التى قالها فى تهنئة سعد زغلول بنجاته سنة ١٩٢٤ فستجده يقول.

لا تقرب التاميز واحذر ماءه   مهما بدا لك أنه معسول
الكيد ممزوج بأصفى مائه   والختل فيه مذوب مصقول
كم وارد يا سعد قبلك ماءه   قد عاد منه وفى الفؤاد غليل
القوم قد ملكوا عنان زمانهم   ولهم روايات به وفصول
ولهم أحابيل إذا ألقوا بها   قنصوا النهى فأسيرهم مخبول
ولكل لفظ فى المعاجم عندهم   معنى يقال بأنه معقول
نصلت سياستهم وحال صباغها   ولكل كاذبة الخضاب نصول
جمعوا عقاقير الدواء وركبوا   ما ركبوه وعندك التحليل

وهذه نفثة حارة ترى لها نظائر عديدة فى مراثيه الخالدة لزعماء النهضة المصرية، وهى — على كل — قد أفصحت عن لواعجه الكظيمة، وإن لم تكن الغرض الأول الذى قصد إليه الشاعر، وإنما مهد لها فأحسن التمهيد.

هكذا وقد مكث حافظ فى منصبه الحكومى عشرين عاماً خسر فيها الشعر السياسى كثيراً من درره، ثم أحيل إلى المعاش قبل وفاته بأربعة أشهر فقط، وما كاد يستنشق نسيم الحرية حتى نظم فى هذه الأيام المعدودة قصائد عامرة من قوله البليغ، ندد فيها بأساليب الدخلاء، وصنائعهم من المصريين، وقد بلغت إحدى قصائده مائتى بيت!! ولو مد الله فى أجله لبل الصدى ونقع الغليل على أنه — رحمه الله — لم يتعمل مطلقاً فى شعره الأخير، بل كان ينظمه فى سرعة تشبه الارتجال، كقوله فى مخاطبة المندوب السامى.

ألم ترق الطريق إلى كياد   تصيد البط بؤس العالمينا
ألم تلمح دموع الناس تجرى   من البلوى ألم تسمع أنينا

مولد شـــاعر

للآنســـة نعمت فؤاد

أرى خلل الرماد وميض نار   وأخشى أن يكون لها ضرام
فإن لم يطفها عقلاء قوم   يكون وقودها جثث وهام
أقول من التعجب ليت شعرى   أأيقاظ أميـــة أم نيام
فإن كانوا لحينهمو نياما   فقل قوموا فقد حان القيام

بهذه الأبيات سار كتاب نصر بن سيار والى خراسان إلى مولاه أمير المؤمنين مروان بن محمد . وكانت الدعوة للرضا من « آل محمد » تسير بنجاح فى أنحاء دولة العروبة لاسيما فى خراسان موطن الفرس الذين تغلى صدورهم حقدا على بنى أمية . ألم يدعوهم « الموالى » إدلالا عليهم بالسيادة العربية ؟ ألم يقصوهم عن المناصب الرفيعة ضنا بها على غير العرب ؟ لينتقم الفرس إذن وليهتبلوا الفرصة وهاهى ذى قد حانت . إن العرب منقسمون على أنفسهم إلى هاشميين وأمويين كما انقسموا فى السقيفة إلى مكيين ومدنيين فليضربوا هؤلاء بهؤلاء عسى أن يذهبوا جميعاً فينفسح الطريق لعودة المجد السليب .

بث الفرس الدعوة لبنى هاشم عساهم إن آل الملك إليهم عرفوا لهم صنيعهم وأثابوهم عليه نفوذا حرموه ، وجاها ولى حين آذن القدر شمسهم بالمغيب .

وانضم إلى الفرس ربيعة واليمن ولم يبق مع بنى أمية إلا المضريون . وكان مروان خليقا بالقضاء على الثورة والانتصار عليها كما انتصر معاوية على أبطال صفين لولا أنها اندلعت فى كل مكان فهى تمور .

إذن حان القيام كما قال نصر بن سيار فأرسل الخليفة الجيوش إلى أطراف الدولة لتطفىء الفتنة وتقر السلام .

وسار الجيش الرئيسى إلى خوز ستان جيش لهام لا تتبين المين جنوده من العثير المثار . وما إن دخل الأهواز عاصمة خوز ستان حتى ألقى الرعب فى القلوب قبل أن تنتضى السيوف وتفوق السهام وتشرع الرماح .

وسر الخليفة إذ اطمأن على هيبته وسلطانه فى ملكه وفرح الجنود إذ كفاهم الله القتال . ورجع القائد بجيشه بعد أن ترك قوة تقمع من تحدثه نفسه بالوثوب .

ألم تخبر بنى التاميز عنا   وقد بعثوك مندوبا أمينا
بأنا قد لمسنا الغدر لمسا   وأصبح ظننا فيكم يقينا
كشفنا عن نواياكم فلستم   وإن برح الخفاء محايدينا
ضربتم حول قادتنا نطاقا   من النيران يعيى الدارعينا
على رغم الروءة قد ظفرتم   ولـكن بالأسور مصفدينا

ولعل القارىء قد نظر من وراء هذه الأبيات الحزينة روح قائلها اليائس ، ولا جرم فهى زفرة حارة صعدت من صدر ضيق يشعر أنه فى عهده الأخير

ولا نختم هذا البحث دون أن نشير إلى الأبيات التى مدح بها حافظ أخلاق الانجليز أثناء قيام الحرب العالمية الأولى فقد خدع رحمه الله — وكان طيب القلب — بما كانوا يصفون به أنفسهم من دفاع عن الحرية ، وتضحية فى سبيل المبادىء الإنسانية ، فقال يخاطب السلطان حسين كامل .

ووال القوم انهمو كرام   ميامين النقيبة أين حلوا
وليس كقومهم فى الغرب قوم   من الأخلاق قد نهلوا وعلوا
فما درهم حبال الود وانهض   بنا فقيادنا للخير سهل

وما لبث الشاعر أن أدرك خطأه الواضح . حيث صدق دعايتهم الجوفاء ، فانبرى يشهـد بأخلاقهم مستغفرا عن ذنبه السالف وآخر ما قاله فى ذلك .

لا تذكروا الأخلاق بعد حيادكم   فمصابكم ومصابنا سيان
حاربتمو أخلاقكـم لتحاربوا   أخلاقنا فتألم الشعبان

ثم استسلم رحمه الله إلى نومه الطويل

(وبعد) فقد كان الأولون من المؤرخين ، يذكرون الحادث السياسى مشفوعا بما قاله الشعراء فيه ، وقد رأينا كثيراً ممن أرخوا فترة الاحتلال الداجيه قد تنكبوا عن هذا الطريق ، فلم يسجلوا ما ناح به الشعراء فى هذه المحنة القاسية ، على ما فيه من ترويح للباحث ، وإمتاع لروحه الملول ، ولك أن تقدر سرور القارىء حين يرى بجانب تاريخ كرومر نفثة حارة لشاعر قوى كمحمد حافظ ابراهيم .

(الكفر الجديد)

وكان « هانىء » ممن بقى فى الأهواز من الجنود . وتاقت نفسه يوما إلى الخلوة فى ناحية من المدينة يتملى الذكريات ويحيا فى الشام بفكره ساعة أو بعض ساعة يستجلى منازل صباه ، ومغانى هواه ، وتربة آبائه وأجداده عل الذكرى تفيض على قلبه سلاما يهدهد حنينه ويفثأ لوعته .

وأطاعت « هانىء » قدماه حتى انتهى إلى النهير الذى تقع عليه مدينة الأهواز والذى يصب فى شط العرب . فرآه أبيض الصفحة صافيا تتهامس موجاته ويميل النسيم بأغصان الشجر عليها فتخالها تسترق السمع .

ويسير « هانىء » مع النهر فى اتجاهه مأخوذا بسحره ، طروباً من الأغنية الرائعة التى تتألف من هسيس النهر ، وهفهفة النسيم ، ومنامسة الشجر .

وسار « هانىء » بضع خطوات ثم وقف فجأة مبهوتا أو كالمبهوت ! أى فتاة هذه التى راعته هذه الروعة ؟

إنها فارسية صغيرة لم تتجاوز بعد عامها العشرين قد أخذت مكانها تحت شجرة فينانة على شاطىء النهر . وكانت بنت الفرس تتألق فى ثوب أرجوانى جميل قد أرخت غدائر نصف منحلة كليل امرىء القيس إذ كانت تتهدل على كتفيها تارة ويلقى بها النسيم على صدرها تارة أخرى فى حركة تشبه موج البحر .

ورجعت الفتاة إلى قريتها « استانة أثار » ومعناها بالفارسية باب النهار وصاحبنا فى إثرها لا يلوى على شىء وهناك عرف أن اسم فتاته « جلبان » ومعناها بلغة قومها « غصن الورد » .

لكأنما وضع لها هذا الاسم الجميل بعد ما تفتحت من كمها فهذه القامة الفارعة أشبه شىء بالغصن الريان ، وهذا الوجه المشرق الذى يتورد إلى كل من لاقاه هو فى جمال الورد يجذب إليه الفراش من كل لون .

ولم يمض على زواج « هانىء » من جلبان شهور حتى دعى إلى الانضمام إلى الجيش المحارب .

ولبى الفتى العربى داعي الوطن وداعى العصبية التى طالما نخرت على الفرس .

والتقى الجيشان عند نهر الزاب وكان قتال ... قتال رهيب يحضأ فى ناره الفرس الذين هزمهم العرب فى القادسية واليرموك فأرادوه ثأراً يبرىء النفوس التى تتمزع من الغيظ ، ويغسل العار.

وعثر جد أمية لما أراد الله أن يذهب بدولتهم وطاحت الحرب بمروان ورجع جنود الأمير عندما أصبحت المقاومة عديمة الجدوى وآب هانىء إلى عروسه كاسف البال تعس النفس لهزيمة العرب فوجدها جذلة لظفر الفرس فخورة بنصرهم .

ولما كان القلب لا يعرف الجنس فى هواه فقد عاش الزوجان فى سعادة لا يرنق صفوها كدر .

وولد لهما فى دولة العباس ابنهما « الحسن » الذى عرفته قصور الرشيد والأمين نديما شاعراً ، وعرفته بغداد طائرها الغرد الذى طالما شدا بحضارتها وشاد بمجدها وصور نعيمها ، وغنى مجالى أنسها . وعرفته البصرة شادياً للعلم والأدب والشعر فى مسجدها ومربدها ثم عالماً شاعراً ، وعرفته مصر شاعراً خلا يفد عليها مادحا للخصيب مدحته البلقاء التى مطلعها :

أجارة بيتينا أبوك غيور   وميسور ما يرجى لديك عسير

تلك القصيدة التى عارضها شاعرنا البارودى بقصيدته التى مطلعها هذا البيت الرقيق الشجى :

تلاهيت إلا ما يجن ضمير   وداريت إلا ما ينم زفير

* * *

هذا هو الحسن بن هانىء الذى كنى نفسه أو حله أستاذه خلف الأحمر على التكنى بكنى اليمن فتكنى أبا نواس .

نعمت فؤاد

من وراء المنظار

عجـــول وأناسى ...!

— يا شيخ ... يا معلم — صلى عا النبى !

— أصلى عا النبى إيه ... اسكت يا عم خليك فى حالك ... !

صاح بالعبارة الأولى رجل فى المدخل الشمالى لميدان السيدة زينب ، ينادى بها فظاً غليظ القلب من بنى آدم كان بالليل يسوق أمامه عدداً من العجول الصغيرة قد سلكها جميعاً فى حبل ، وصار يدفعها بإحدى يديه فى غير هوادة إلى حيث تذبح ، ويهوى على أجسامها لايبالى أين يقع ضربه بحبل غليظ معقد كلما أبطأت ، أو على الأصح كلما جهِدَتْ وتقطعت أنفاسها فاضطرها الإعياء والكلال إلى الإبطاء ...

ورد ذلك الفظ فى غلظة ووحشية يطلب إلى من يسأله الرفق أن يبقى فى حاله فلا يتدخل فى شأنه ؛ وما ملك هذا إلا أن يحوقل ويستغفر الله ويستعيذ به ، ويركن بعد لسانه إلى أضعف الأيمان !

ونظرت فإذا بذلك الغليظ الفظ يزيد الضرب بحبله على أجسام هاتيك العجول الجاهدة ويزيدها دفعاً ولكما ؛ ووقع أحدها على الأرض فجذب الصف كله وجذبه الصف فانقلب على ظهره وزعق زعقة مثلت لى ألمه بصورة لم يكن ليمثلها لى كلامه لو أنه تكلم ! ... زعقة أشبه بزعقة الآدمى يتمنها منه الألم وفمه مزموم ، فهى بين حنجرته وخيشومه ... وكأنما يقول العجل الصغير آه ... وخيل إلىَّ كأنما يدعو العجلُ ضاربه أن يصلى على النبى ! وأهوى الغليظ الجلف بحبله المعقد على العجل المسكين وحده ، وقد تمدد على جنبه وهو يحاول أن يضع صدغه على الأرض فتجذبه العجول وقد اضطرب نظامها ، وإن جسده كله لينتفخ ويهبط فى سرعة من فرط ما يلهث ، وإنه ليحاول النهوض من ألم الضرب فما يزيد على أن يبسط أرجله ويثنيها فى الهواء تارة ، وعلى الأسفلت الجامد جمود قلب هذا الغليظ تارة أخرى ... ثم جذبه الجلف من إحدى أذنيه ومن ذيله جذبة قوية وركله ركلة شديدة ، فوقف على رجليه يلهث ، ومشى مع بقية العجول ، وصاحبه الفظ يمسك بذيله مخافة أن يقع ثانية على الأرض ... !

وتحرك قلبى لما رأيت ، ولكننى لم أستطع أن أصنع شيئاً ، ولا يعيبن القارئ علىّ أضعف الإيمان ، فالرجل غليظ وحبله أغلظ ، وما تملت الملائكة ، أو كانت لى حتى بمخاطبة الغلاظ الجهال طاقة ... ولم يكن على مقربة منى شرطى أستعينه ... شرطى ؟ والله لو وجد لسخر منى أن أدعوه إلى مؤاخذة الرجل على صنعه ، ولظن بعقلى الظنون ...

وأعيذك أيها القارئ أن تعجب أن يتحرك قلبى لمثل هذا المنظر ، فما أحب إلا أن تكون رفيقاً ، وإذا أنت ترفقت بالعجول كنت حرياً أن تترفق ببنى آدم ... ولقد تداعى لهذا المنظر الأليم فى ذهنى معنى ... بل معان ... فكم من الآدميين من يرتبطون هكذا على خسف ويسقطون من كلال وإعياء ، وعلى جنوبهم وظهورهم تهوى أيد خفية بما هو أقسى من الحبل المعقد الغليظ ... أجل كم من آدمى فى الأصفاد والأغلال وإن لم تمض بساقيه سلسلة ، أو يخنق عنقه غُل ... كم من البشر من يساقون كما تساق هذه العجول ليكدحوا فى لظى الصيف وفى زمهرير الشتاء كى يسعد فريق مثلهم من بنى آدم بطيبات الحياة ، وأى فرق لعمرى بين هذا وبين الرق ؟ !

آهٍ لقلبى ... وأفٍّ لمنظارى ... يا عجبا ! ما أسرع ما تمثل لى هذا المعنى الذى طاف بخاطرى ، فإذا هو صورة مجسدة تدب على الأرض ، فها هو ذا عسكرى غليظ شديد يسوق أمامه رهطاً من الغلمان ، قد ربط ذيل هذا فى ذيل ذاك ، أو يد هذا فى يد جاره ، إن لم يكن لهما ذيلان يربطان ، وقد التقطهم جميعاً من الشارع ، وكان ذلك فى نفس الميدان من مدخله الجنوبى ، ولا بد أن قطيع العجول قد مر برهط الصبية قبل أن تقع عينى عليهم بدقيقتين أو ثلاث !

وأخذ العسكرى الغليظ الفظيع يهوى بكفه الثقيلة المعقدة بما يتحلى به من خواتم غليظة على قفا هذا الصبى المهزبل مرة ، وعلى قفا ذاك المريض النحيل مرة ، والويل لمن يلتفت وراءه من

الصبية ؛ وكان هؤلاء المساكين كلما سمعوا وقع الكف الثقيلة المقددة على قفا أحدهم ، رفعوا أكتافهم ونزلوا رؤوسهم ليخفوا أقفيتهم ، والرعب ملء جسومهم ، وحسبهم ما هم فيه من جوع وعرى ومرض وشقاء ...

ولم أطق صبراً فدنوت من هذا العسكرى العاتى ، فليس فى يده حبل أخاف منه ، وإنه لحرى أن يغره تدخلى وجرأتى فيحسبنى من رجال النيابة مثلا أو من أولى الجاه على أى حال وقلت فى لهجة الآمر لا فى لهجة المستفهم « لا تضرب هؤلاء المساكين يا شاويش » .

وصدق ظنى فقد رفع العسكرى يده إلى رأسه بالتحية ، وراح يفهمنى أن هؤلاء هم سارقو الجيوب وخاطفو الحلى ... و ... و ... فقاطعته وأنا أوهمه أنى أحفظ رقمه قائلا « لا تضربهم مرة ثانية » ونظر إلى هؤلاء المساكين وقرأت فى كل وجه من وجوههم الشاحبة معنى أسمى من أن أصفه بالشكر... ووقعت نظراتهم من نفسى موقعاً لن ينهض لتصويره أبلغ الكلام ...

وتدخل شاب حاسر الرأس عليه حلة أنيقة وتحت إبطه مجلات وكتب فخاطب الشرطى فى عنف قائلا : « ألك أولاد يا شاويش ؟ أترضى أن يعامل أولادك هذه المعاملة ؟ » ثم أدار إلى الحديث قائلا « ومع ذلك فنحن كما نزعم أمة متمدنة ... فى أى بلد متمدن يوجد مثل هؤلاء المساكين فى الشوارع على هذه الصورة ؟ وأين ما نسمع عنه من أسماء المبرات وجمعيات الإحسان والخير ؟.. لقد مر بى منذ لحظة قطيع من العجول يدفعه فلاح عات كما يدفع هذا الشرطى الصبية فاشمأزت نفسى لذلك المنظر وتكدر خاطرى ، ثم ما لبثت أن رأيت هؤلاء المساكين.. ألا إن بيننا وبين الرق أجيالا وأجيالا وإنما تخدعنا العمارات الضخمة والسيارات الفخمة والعواصم الكبيرة » .

وانطلق الشاب وقد غاب عن بصره وبصرى الشرطى والغلمان ، وقلت لنفسى ما أوسع الفرق بين مصير العجول ومصير الصبية ، فأنما تساق هذه العجول إلى حيث تريحها سكين الجزار ، ويساق هؤلاء الصبية إلى حيث ينتظرهم العذاب الأليم !

الخفيف

رسائل حائرة :

الرســالة الثالثة ...

للأستـــاذ ابراهيم محمد نجا

حسبتك تعرفين دواء روحى وخلتك تعطفين على جروحى
ولكنى وجدتك لم تبالى بما يلقى أخو القلب الطليح !
بثثتك ما ألاقى من زمانى وبحت بما لدىّ ؛ لكى تبوحى
فكان الصمت والإعراض رداً أقض مضاجعى ، وأمض روحى
عرفتك ... فاذهبى ! وكفاك أنى من الآلام كالعانى الطريح
سأحيا طول أيامى وحيداً على الحرمان ، واليأس المريح
سأجعل هذه الأيام تهوى هُوىّ الصخر من فوق السفوح
وأعزف للفناء نشيد روحى ليحملها إلى الأفق الفسيح !
فإن حمل الفناء حطام روحى فلا تبكى علىّ ، ولا تنوحى
وإن وارى الثرى ذرات جسمى فقرى عند ذلك ، واستريحى
ولا تضعى ورودك فوق رمسى ولا تبكى هناك على ضريحى
فأنت قتلت آمالى جميعاً وبعثرت الشباب بكل ريح !
وأنت جرحتنى فى القلب جرحاً أراه غير مندمل القروح
ولو أنى وصفتك فى قصيدى بما تدرين من وصف فصيح
لقالوا إننى إياك أعنى فمن باغ عليك ، ومن نصيح
ولكنى سأكتم ما بنفسى وأمنعها من القول الصريح
واحفظ فى حنايا القلب شيئاً بعثت به من الوطن الجريح !
رسالتك التى صورت فيها تعارفنا على رغم النزوح
وما أنا قد نسيت جراح قلبى ولا أنا عن جفائك بالصفوح
ولكنى أرق لكل أنثى وإن جارت على الأمل الطموح !
وأدفع عن صباها كل سوء وأحمله بقلب مستريح
سأنسى أننى أفضيت يوماً بأسرارى إلى قلب جموح
سأنسى أننى منيت قلبى بأن يروى من النبع الشحيح!
سأنسى ... ثم أذكر أن يوماً سيأتى قد تطيب به جروحى

ابراهيم محمد نجا

صوت من الشمال...

للأديب أحمـــد هيكل

أِشقـاءنا هذى لحونٌ من الخلد … وشعرٌ كأنفاس الأزاهير والورد
وليست لحونى رجع ناى وإنما … صدى نبض مصر بالمحبة والود
وما هو شـعر بل قلوب تجمعت
أكاليل من آل الشمال لـكم عندى
تحايا أشـقاء تناهى حنينهم … فأضحوا على شوق وباتوا على سهد
تحايا ظماء ربُّهم أن يقبلوا … أشقاءهم ألفاً على الثغر والخد
تحايا الملايين الذين قلوبهم … تكنُّ لـكم حباً هو النار فى الزند
تحايا الوفيين الذين رجاؤهم … تفيؤكم ظل الرفاهة والسـعد
وآمالهم أن تبقوا – الدهر – إخوة … وغاياتهم أن تبلغوا ذروة المجد
أشقاءنا يا من بلادى بلادكم … وخالـكم خالى وجدكم جدى
ويا من رآنا الدهر شعباً موحداً … على حين كان الدهر يلعب فى المهد
ويا من توحدنا : دماء وألسنا … ودينا نُهينا فيه عن فُرقة تردى
ويا من سقانا النيل ماء ووحدة … ستبقى على رغم الدسائس والـكيد
فهيهات أن يقووا على فصم عروة … تناهت بها عقدا يد الأحد الفرد
أشقاءنا إنا على العهد لم نزل … وإعاننا أن الجنوب على العهد
فنحن وأنتم مثل جسم وروحه … يواريهما التفريق فى ظلمة اللحد
ونحن وأنتم كالعيون بياضها … بغير سواد ليس يبصر أو يهدى
أشقاءنا إن الأفاعى توافدت … علينا من «التاميز» سافرة القصد
خذوا حذركم فاللدغ منها سجية … وإن خادعت باللين فى لمس الجلد
خذوا حذركم لا تتركوها سـلاسلا
مسـممة حول الرقاب وفى الأيدى
خذوا حذركم لا تتركوها مقارضاً … فتشطرنا شطرين كالفوم فى الهند
خذوا حذركم لا يقرب النيل سمها
ليبقى على الأحقاب أحلى من الشهد
فنرشف منه السلسل العذب إخوة
يظللنـــا تاج على مفرق المجد

أحمد هيكل

البنفســـج

للأستاذ محمود عماد

لك يا بنفســـج زُرقة … عينى إليها تَسـتريح
من زرقة البحر اسـتعير … تَ أو من الجوّ الفسيح
أو من عيون الراهبـــا … تِ الشـقر ترنو للمسيح
كم قلتَ رغمَ لسانك المقو … د من قول فصيح
وأريجك الوسـنانُ ما … أحناه فى صـدرى الجريح
مالى إذا أسـتافـــه … يعتادنى خـــدر مريح
يسرى بروحى بين أو … دية من الأحلام فيح
فأخالنى البـــدوىَّ طـــا … لع مرج قيصوم وشـيح
أو راوحتـــه من حمى … ليلاه عنـــد الفجر ريح
تدرى بسرى يا بنفـــ … ـــسج من صباى وما تبوح
كنتَ الهـــدية والتحيـ … ـــة فى الدنو وفى النزوح
إنى كبرت ولم تزل … بشـــبابك الغضّ الصبيح
تهواك كل مليحـــة … وشذى هواك بها يفوح
وبصـــدرها العالى تحـــ … ـملك حين تغدو أو تروح
إذ أنت فوق الصدر ريحا … ن وطى الصدر روح
عجبـــاً تصبيت المــ … ـسيح وما تصباك المليح
سيماك تشـــمر بالوقا … رِ الجم والعقل الرجيح
يا راهبَ الزهرِ الوقو … رَ عليـــه قائمة المسوح
فى ديره يَرعىَ عـــذا … رَى الوردِ دامية الجروح
هاتِ اسـقنى من خمر دير … ك فى الغبوق وفى الصبوح

محمود عماد

الأدب والفن في أسبوع

الناصر :

مسرحية شعرية وضعها الأستاذ عزيز أباظه باشا ، وأخرجها الأستاذ زكى طليمات ، وافتتحت بها الفرقة المصرية موسم التمثيل بالشتاء على مسرح الأوبرا الملكية .

تتكون المسرحية من أربعة فصول ، يظهر على المسرح فى الفصل الأول عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموى بالأندلس ، وقد عقد مجلساً حضره الوزراء والقواد والعلماء والأمراء والشعراء ، لاستقبال الوفود التى بعث بها إليه ملوك البلاد الأوربية ، ليخطبوا وده ويؤكدوا حسن علاقاتهم به ، ولبعضهم إلى هذا مطالب كايفاد طبيب معالج أو قائد مدرب يشبه ما يقال له اليوم « البعثة العسكرية » أو « الخبراء العسكريون »

وتتلخص حوادث الفصول الثلاثة الأخر ، فى علاقة حب بين « الحكم » ولى عهد الناصر وولده الأكبر وبين فتاة من نسل أحد ملوك اسبانيا الذين تغلب عليهم الناصر ، وهى تعيش فى كنف الخليفة كابنة له وتدعى (شفق) وتحاول جارية أخرى اسمها (منى) من بنى جلدتها أن توغر صدرها على الدولة العربية لتشاركها فى العمل لصالح قومهما بالتجسس ونقل أنباء جيش الناصر إليهم ، فمرة تنصاع لها ، ومرة تغلب جانب الوفاء لحبيبها ولى العهد وأبيه الخليفة الذى يتنباها ورعاها

وفى خلال ذلك تظهر منافسة بين ولدى الناصر : الحكم وعبد الله ، لأن الثانى ينفس على أخيه إيثار أبيه إياه وتقديمه عليه ، فلا يجد وسيلة لنقل ولاية العهد إليه إلا الاتصال بدعاة الفاطميين فى الأندلس الذين يغشون القصر لملاقاة عبد الله ، فتكشف أمرهم « الزهراء » الجارية التى فتنت الناصر وملكت هواه ، فتحاول إصلاح عبد الله ، ويبلغ الأمر مسمع الخليفة فيأمر بقتله . أما الجاريتان شفق ومنى فيجرى الأمر بينهما على ما تقدم ، حتى يبلغ (الزهراء) أن أخبار الجيش تتسرب إلى الأعداء ، فتبلغ الناصر ، فيهم باتهام ولده الحكم ولى العهد وقائد الجيش ، ولكن تسرع شفق فتعترف بأنها الخائنة التى استغلت حب الحكم فى انتزاع الأسرار منه وإيصالها إلى الأعداء ، فيوبخها الناصر ، ويبكتها الحكم ، ثم يتركانها تبكى وتنتحب ... فتأتى إليها منى ، ويحتدم الجدل بينهما ، شفق تبدى الندم على الخيانة ، ومنى تحاول أن تغير شعورها ، ولكنها تيأس منها فتطعنها بخنجر وتتركها تتلوى وتهوى ... فيقبل الحكم ويبدى جزعه ، ويأتى الناصر ، ويستحث الحكم على النهوض للسير بالجيش المعبأ إلى ميدان القتال ، فيتثاقل ، فيؤنبه الناصر ويبدى استعداده لقيادة الجيش بنفسه وهو فى الشيخوخة ، فينهض الحكم من جوار جثة حبيبته ، ليذهب إلى ملاقاة الأعداء . وتلتقى الستارتان .

فترى من حوادث المسرحية أن الخيط الذى ينتظمها واه ، وهذا الخيط هو حب الحكم لشفق ، والظاهر أن الهدف عرض صفحة مشرقة من التاريخ العربى الإسلامى فى الأندلس ، فيمكن أن يقال إن مسرحية « الناصر » هى مجموعة من المناظر المتخيلة فى عصر عبد الرحمن الناصر ، ويكون هذا القول أدق من أن تكون قصة أو رواية ذات حبكة ، ولها محور تدور عليه الوقائع التى تعبر عن الغرض منها ، فهى من هذه الناحية تختلف عن مسرحيتى « قيس ولبنى » و « العباسة » اللتين وضعهما المؤلف من قبل .

وكذلك تختلف مسرحية « الناصر » عن المسرحيتين السابقتين فى أسلوب الحوار ، فقد عدل الشاعر فى هذه المرة عن الأسلوب الخطابى المطول إلى المخاطبة بالقدر الطبيعى المعقول وإلى اللباقة وبراعة اللفتة ، مما بعث الحياة فى الحركة على المسرح . وقد تجلت إنسانيته فى المواقف التى أنطق فيها أشخاصه بالألم من ألوان فى الحياة يبدو فى ظاهرها النعيم ، كحياة الخصى فى القصور الخالية من الزوجة والأبناء ، وكعيش الجوارى فى ظلال النعمة السابغة ، محرومات من الحرية والكرامة ... وسمت شاعريته على لسان « شفق » وهى تتذكر معاهد صباها فى ديار قومها وتقارنها بحياة الذل والإسار فى ديار الغالبين ، وأجادت أمينة رزق فى تمثيل ذلك كل الإجادة .

والمسرحية جيدة من حيث هى شعر ، وقد نجحت بعض

النجاح فى تحقيق الغرض منها ، وهو إظهار صفحة مشرقة من مجد العرب بالأندلس ، ولم أقل بتمام نجاحها فى هذا ، لأنها لم تستكمل عرض عناصر ذلك المجد ، فقد كان عصر عبد الرحمن الناصر العصر العربى الذهبى بالأندلس الذى يماثل عصر الرشيد بالمشرق ، ولم تقم «ذهبية» ذلك العصر على القوة العسكرية فحسب بل قامت ، إلى جانبها ، على التقدم فى العلوم والفنون والآداب ، والحديث عن شغف الناصر بها وارتقائها على يديه مأثور مستفيض. ولكن مسرحية «الناصر» قليلة الحظ من هذه العناصر ، وبعض هذا القصور يرجع إلى الإخراج وبعضه إلى التأليف ، فقد كان يمكن أن يعرض شىء من النقوش والتماثيل التى كانت يتحلى بها قصر الزهراء والقصر الكبير فى قرطبـــة ، والتى أفاض المؤرخون فى الحديث عنها والإشادة بفخامتها ودقائق صنعها . وقلّت الموسيقى ، وأهمل الغناء كل الإهمال ، وقد قدمت إحدى الجوارى المهداة إلى الخليفة ووصفت بأنها تجيد الضرب على الطريقة العربية ، وكانت الزهراء مغنية ، ولكنا لم نسمع من الزهراء ولا من تلك الجارية شيئاً ... هذا واسم الفرقة التى تقدم المسرحية «الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى والغناء !» .

وقد أثر عن عبد الرحمن الناصر الشغف بالعلوم والولع باقتناء الكتب ، ولكنك تراه على مسرح الأوبرا يتلقى هدية من ملك الروم هى كتاب فى النبات ، ولا يظهر من الاهتمام أكثر مما تظهر وأنت تساوم أحد الباعة الطائفين بالكتب على المقاهى ..

وقد وقع المؤلف أو المخرج ، لا أدرى أيهما ، فى أمر شائع فى التمثيل المسرحى والسينمى عندنا ، وهو تهيئة (أدوار) لبعض الممثلين والممثلات اشتهروا بها وعرفوا بالظهور فيها ، (والدور) هنا أعد لأمينة رزق ، أعد لها لكى تبكى وتصرخ وتنتحب .. ندماً على الأثم الذى اقترفته . وقد بالغت فى ذلك حتى جاوزت الحد

وقد نقل إلينا التاريخ من وصف عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ، أنه كان تقياً ورعاً ، ولكنا رأيناه على مسرح الأوبرا على خلاف ذلك ، رأيناه يغازل الزهراء جارية أبيه مغازلة جريئة حتى اضطرت إلى زجره والعنف فى مخاطبتــه ، ورأيناه يناضب أخاه ويعارض فى ولايته للعهد ، ويخرج عن طاعة أبيه ، دون أسباب تتفق ووصف المؤرخين له .. ويبدو لى أن المؤلف كان هنا فى مأزق ، لأنه مضطر بحكم الغرض أن يظهر شأن الناصر فى مظهر حسن ، وهذا المظهر لا يتفق مع إيراد أسباب معقولة للخروج عليه ، فضحى بعبد الله !

وقد رأيت فى آخر حوادث المسرحية اعتراف «شفق» بجريمتها وهى نقل أسرار الدولة إلى الأعداء ، فلم يقبض عليها ، ولم يحقق أمرها ، ولم يبحث عمن تتصل بهم ، بل وبخها الخليفة وانصرف وعاتبها ولى العهد ومضى .. ثم طعنت بخنجر وأقبل ولى العهد ، فجعل يتوجع لها ويتفجع ، ويطيل فى التعبير عن ألمه وعاطفته بصوت جامد لا تخالطه نبرة حزن . . وكل ذلك دون أن يسألها عمن طعنها ودون أن يبحث عن القاتل الأثيم ، ويقبل الناصر ويرى القتيل ولا يسأل أيضاً ولا يبحث عن اليد الخفية المتصلة بالأعداء ! وتلتقى الستارتان ...

غزل علية :

قرأت فى العدد الأسبق من الرسالة مقال الشيخ محمد رجب البيومى الذى عنوانه «الغزل فى شعر المرأة» وهو المقال الأول فى هذا الموضوع الجدير بالبحث ، ويدل بدء تناوله للموضوع على ما يرجى من التوفيق فى السير فيه .

وقد وقفت فى هذا المقال عندما عرض لغزل علية بنت المهدى إذ قال إنها اقتدت بحميد بن ثور الهلالى فى التجائه إلى الكناية فى الغزل عندما تعذر عليه ، كما تعذر عليها ، الغزل الصريح ، ولذلك تغزلت ، كما تغزل ، فى السرحة ، قال الشيخ رجب : «فقد علقت (علية) غلاماً لها يسمى طلا ونظمت فيه من الرقائق الأنيقة ما هو جدير بأمثالها من المثقفات الناعمات ، ولكن هرون يقف أمامها وقفة تحدى بها الفن تحدياً صارخاً ، فلجأت إلى التغزل فى السرحة مقتدية بحميد إذ تقول :

أيا سرحة البستان طال تشوقى ... ومالى إلى ظل لديك سبيل»

فالشيخ رجب يرى أن علية تكنى بالسرحة عن طل ، وليس الأمر كذلك ، إنما صحفت «طل» بنقط الطاء فصار «ظل» وتشوقت إليه تحت السرحة ، قال أبو الفرج فى الأغانى :

«حجب طل عن علية فقالت وصحفت اسمه فى أول بيت :

أيا سروة البستان طال تشوقى ... فهل لى إلى ظل لديك سبيل»

ومن صنيع علية فى مثل هذا أنها كانت تقول الشعر فى

غلام آخر يقال له « رشأ » وتكنى عنه بزينب . . . . ومن قولها فيه .

وجـد الفؤاد بزينبـا وجـدا شـديداً متعباً
أصبحت من كلفى بها أدعى سـقيما منصبـاً
ولقد كنيت عن اسمها عمداً لكى لا تغضبـا
وجعلت زينب سـترة وكتمت أمراً معجبـاً

وقالت فى موضع آخر :

خبأت فى شعرى اسم الذى أردته كالخبء فى الجيب

سفير الفن المصرى :

أرسلت إحدى شركات السينما نسخة من الفلم المصرى (سفير جهنم) إلى نيويورك لكى يعرض هناك . وهذا حسن لأنه خطوة فى سبيل ما يرجى للفلم المصرى من الرواج فى البلاد الأجنبية وأخذ مكانه فى فن السينما العالمى .

ولكن ... قال النبأ : وعرض (سفير جهنم) على الرقابة الأمريكية لكى تجيز عرضه . وجلس الرقيب يشاهد الفلم ، حتى جاء منظر ترقص فيه هاجر حمدى ، فإذا الرقيب يصيح : قف . ثم يأخذ رقم المنظر . ويمضى العرض . . ومرة أخرى يصيح الرقيب : قف . ثم يأخذ رقم منظر آخر . ثم يأمر بقص المنظرين ويقول فى تقريره عن المنظر الأول : « يحذف منظر الفتاة التى ترتدى ملابس الرقص وترقص بطريقة فاضحة » ويقول عن المنظر الثانى : « تحذف الحركات التى تأتيها الفتاة بجسمها فى أثناء الرقصة » .

وتحذف الرقابة الأمريكية المنظرين الفاضحين المخلين بالآداب واللذين مرت بهما رقابة الأفلام بالقاهرة مر الكرام . .

ورقابة الأفلام المصرية لم تخص (سفير جهنم) بالكرم والتسامح ، وإنما يعم « فضلها » سائر الأفلام . وليس الأمر مؤسفاً من ناحية الآداب العامة فحسب ، وإنما هو مؤسف أيضاً من الناحية الفنية . . ذلك أن القوم عندنا يسترون العجز فى الفن بالاستثارة المخزية والإضحاك الفارغ ، وإنك لتراهم يعلنون فيقولون شركة كذا تقدم فلاناً وفلانة فى فلم كذا . . فالمقصود هو فلان الذى يضحك (الطوب) وفلانة التى ...

أما الفلم وقيمته الفنية فشىء يأتى فى المرتبة الثانية على أحسن تقدير .

ولا أنسى منظر إحدى الملهيات وقد قامت فى الحفل تؤدى مهمتها ، ولأمر ما لم تكن فى تلك الليلة (متجلية) فأعدى جودها الجمهور ، فران عليه الفتور ... وما أن حركت الفتاة جسمها فتثنت وهزت ما برز منها ، حتى صحا النائم وتنبه الغافل . وشارك الرقص التصفيق (على الوحدة !)

فهذه الفتاة لما لم تستطع التأثير بالفن لجأت إلى غير الفن مثلها فى ذلك مثل كثير من الأفلام !

وانظر . . . لقد كنا ندعو إلى عدم محاكاة الأجانب فى استهتارهم وتبذلهم ، فإذا نحن نسبقهم حتى يخشوا على أخلاقهم منا ! وإذا نحن وهم كما قال أبو نواس :

وكنت فتى من جند إبليس فارتمى
بى الحال حتى صار أبليس من جندى

الراجع فى هبته :

قال النبى صلى الله عليه وسلم : الراجع فى هبته كالراجع فى قيئه .

وهذا التشبيه من روائع البلاغة النبوية ، ومساقه هنا الآن لمناسبة رجوع البدراوى باشا عن تبرعه بأربعين ألف جنيه لإنشاء معمل أمصال الكوليرا .

« العباس »

الكتب

١ – أنات غريب

تأليف الأستاذ حبيب الزحلاوى

يجمع صديقنا الأستاذ حبيب الزحلاوى بين موهبتين ، موهبة النقد ، وموهبة القصة ، والأولى عنده أقوى وأعنف ، ولهذا نجده فى قصصه كثيراً ما ينسى أشخاصه ويقف هو ليتكلم فينصح ويرشد ، ويوجه اللوم والنقد ، ويصف ويمعن فى الوصف ويستخلص لك العبرة والحكمة ، وهو فى هذا أشبه بالأستاذ ميخائيل نعيمه ، وكل منهما ناقد ، وكل منهما قاص …

وهذا اللون من القصص لا يقف بالقارىء عند طرافة الحكاية والسرد القصصى ولكنه يقدم له زاداً موفوراً من المعلومات التاريخية ، والتجارب الخاصة ، والأوصاف التى تتعلق بالطبائع الإنسانية ومظاهر الحياة ، والنقد للأوضاع السائدة بين الناس ، فإذا ما تناول القارىء قصة من هذا اللون فإنه يخرج منها وهو يفكر فيما تضمنته من هذا أكثر مما يفكر فى طرافتها القصصية ورشاقتها فى السرد والحكاية …

وهذه المجموعة « أنات غريب » للأستاذ الفاضل تشتمل على ثمانى قصص ، وكلها أو أكثرها من هذا اللون الزاخر بالذكرى والمعرفة ، فقصة « الدميم » إنما هى درس فى القصة ، وقصة « ذكريات » إنما هى صفحة من تاريخ الثورة السورية وتصوير لذلك النضال المر الذى قام به شباب سورية لتحرير بلادهم من الاستعمار الفرنسى . وهكذا تجده فى قصصه يصعد بك إلى مراقى لبنان ، وينحدر معك إلى ربوع مصر ، ويطوح بك فى مطارح الغربة بأمريكا فيعطيك فى هذا كله صوراً دقيقة محشوة بالأوصاف والمناظر والسمات ، وهو يمزج هذا كله بعوامع الألم فى قلبه ، ومن هنا كانت قصصه « أنات » صادقة ، ولكن صديقنا الزحلاوى يبدو فى هذه الناحية قاسياً كل القسوة على قرائه ، ففى كل قصة من قصصه فجيعة تحطم القلب وتهز الكيان … وجماع القول فى هذه المجموعة القصصية أنها ليست من القصص الذى يقرأ للتسلية وقتل الوقت ، ولكنها تقرأ فتترك أثرها فى نفس القارىء ، وتبقى فيعود إليها مرة … ومرات …

٢ – روح وجسد

تأليف الأستاذ عبد المعطى المسيرى

وهذه المجموعة « روح وجسد » لصديقنا الأستاذ عبد المعطى المسيرى ، وهى تشتمل على اثنتى عشرة قصة وقد أسماها باسم القصة الأولى منها على ما هو مألوف عند كتاب القصة .

والأستاذ المسيرى شاب وهبته الطبيعة أكثر مما وهبه الدرس ، وأخذ عن الحياة أكثر مما أخذه عن الدرس ، وهو يبدو كآلة موسيقية مشدودة الأوتار ، كلما نقرت عليها حادثة من الحوادث ، أوهبت عليها تجربة قاسية مع الناس والحياة ، رددت ذلك فى نغمة مشبوبة بالأسى والشجن ، وهكذا نجد القصة عند الأستاذ المسيرى ، فهو فى قصصه شاعر ، يهتز لكل ما يجرى حوله ، ويقع عليه بصره ، وتبدو عاطفته مرسومة فى تعبيراته وانفعالاته ، وهذا النوع من الكتاب إذا لم ينفعل لم يستطع أن يكتب . لا نجد عند الأستاذ المسيرى الحادثة الضخمة ، ولا الواقعة المروعة ، ولكنها حوادث ووقائع يراها الكثيرون فلا يفطنون إليها ، وإنما يفطن إليها الفنان ، وتهتز بها الأوتار المرهفة المشدودة فإذا هى أنغام تتردد فى الآذان وتؤثر فى كل نفس ، وهذا هو موقع الفارق بين الفنان وغير الفنان . على أنه يتميز إلى جانب هذه « الحساسية الفنية » بروح صوفية شفافة ، وهذا مما يزيد فى توثيق الصلة بينه وبين القارىء ، فأنت إذا ما تناولت هذه المجموعة القصصية فأنك لا تضم دفتيها إلا إذا أتيت عليها كلها ، وكأنك تقرأ قصة متسلسلة الفصول متصلة الحلقات . وستجد فى كل قصة من قصصها مهما كان موضوعها ولونها « روحاً وجسداً » يتقاتلان .

محمد فهمى عبد اللطيف

١ – فهارس المكتبة العربية في الخافقين

تأليف الأستاذ يوسف أسعد داغر

كتاب وضعه أو – جمعه إن شئت – الأستاذ يوسف داغر أمين دار الكتب اللبنانية . تكلم فيه على فهارس الكتب العربية في الشرق عن المطبوعات والمخطوطات ، وعلى فهارس المخطوطات في البلاد العربية وشمال إفريقية والهند . وعلى مجموعات المخطوطات في الخزائن الخاصة الموجودة في سورية وفلسطين والعراق وإيران ومصر . وعلى تزويق المخطوطات وتذهيبها ، وعلى فهارس الكتب العربية في أوروبة والولايات المتحدة وفهارس المجلات الاستشراقية والصحافين المستشرقين . وغير ذلك .

والمؤلف يُشكر على اهتمامه بهذه الموضوعات التي جمعها ودل عليها . ويبدو أنه بذل في سبيل ذلك جهداً محموداً غير أنه يؤخذ على الكتاب أمور .

١ – الفوضى وعدم الترتيب . فالذي شعرت به أن الأستاذ داغر سرد كل ما في قصاصاته (فيشه) دون أن ينقح أو يرتب أو يهذب .

٢ – النقل بلا ذكر المصادر . فقد لاحظت أنه ينقل فصولا برمتها من كتب معروفة ، ولا يذكر أنه نقلها منها وهذا مناف للأمانة العلمية . ففصل المجلات الاستشراقية مثلا منقول من كتاب سوفاجه حرفاً حرفاً . ومع ذلك فلم يشر إلى المصدر ، ولم يشر إلى كتاب رائد التراث العربي ، – وهو اقتباس كتاب سوفاجه باللغة العربية – أيضاً .

٣ – أغفل الأستاذ داغر كثيراً من الكتب المخطوطة التي تكلم كثيرون عليها . وقد لاحظت أنه نقل كل ما جاء في مجلة المجمع العلمي من وصف للمخطوطات . وأغفل كثيراً من المخطوطات التي وُصفت في الرسالة أو المقتطف أو غيرهما .

٤ – في الكتاب أخطاء كثيرة في أسماء المخطوطات ، أو في أسماء الكتب . وهذا يدل على عدم اطلاع الأستاذ داغر عليها ، وقد أورد الأستاذ عمر كحاله في نقده هذا الكتاب في مجلة المجمع العلمي عدداً من هذه الأخطاء .

وأياً كان أمر الكتاب . فإننا نشكر للأستاذ داغر جهده ودأبه على العمل . كما نشكر له تخصيصه ريع الكتاب لصندوق إنقاذ الأراضي في فلسطين .

٢ – مرايا

تأليف الأستاذ عبد اللطيف الضاشوالي

الأستاذ الضاشوالي فنان سوري بارع . برع في الرسم الكاريكاتوري الذي يعبر فيه عن خصائص الرجال وطباعهم ، فهو يبين بخطوط قليلة خفايا نفوس كثيرة . وقد أصدر كتابه الذي أسماه مرايا وكتب عليه :

تريك المرايا الخَلْقَ فيهن ماثلا
وهذي تريك الخُلْقَ والنفس والطبعا

وهذا البيت يدل تماماً على ما في الكتاب ، فالرسوم التي توجد فيه ، رسوم ذات شأن . يعجبك منها براعتها وصدقها ، ويعجبك فيها هذا الوضوح الذي تراه ، وتلك الخفايا النفسية التي يظهرها . لقد أظهر كل رجل كما هو . فهذا بخيل ، وهذا بطل ، وهذا يحلم بالمجلس النيابي ... إلى غير ذلك .

ذيل المؤلف كل رسم ببيت من الشعر أو جملة تفسران الرسم وقد كان موفقاً في هذا التذييل إلى حد بعيد . وإن كان أخطأ في بعضها .

وقد أثبت الأستاذ الضاشوالي أنه عالم نفسي أيضاً إلى جانب كونه رساماً ماهراً .

وشأن آخر للكتاب هو كونه يجمع عدداً من الرسوم لأعظم رجالات سورية . وسيكون هذا الكتاب يوماً مرجعاً يرجع إليه لدراسة هؤلاء الرجال .

(دمشق) صلاح الدين المنجد



تقرير كريم لكتاب قيم :

من التقاريظ التي تفضل بها بعض من رفع لهم محمود بك نصير كتابه أبطال الفتح الإسلامي من العرب والترك . كتاب ورد له من حضرة صاحب العزة الكاتب الفاضل والأديب الممتاز والإداري المصلح حسين بك رأفت مدير الدقهلية .

حضرة صاحب العزة العالم المؤرخ محمود نصير بك

السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد — في هذه الساعات الحاسمة من تاريخ الشرق ، التي تنبه فيها وعيه ودبت فيه روح اليقظة والنهوض ، في هذه الساعات التي هب فيها العرب — موحدة أهدافهم ، متضافرة جهودهم — للعمل على استخلاص حقوقهم واسترداد أمجادهم .

في هذه الساعات وقد بدأ المسلمون يشعرون بأسباب ضعفهم ومدى تخلفهم عن ركب الحياة ويلتمسون السبيل إلى عزتهم وقوتهم .

في هذه الساعات الحاسمة الحالكة ظهر سفرك القيم — أبطال الفتح الإسلامي من العرب والترك — فأضاء المحجة وهدى النجدين

قدمت فيه للناس مثلا عليا يقتدى بها في الهمة والشجاعة والاقدام ، ونماذج حية تحتذى في انكار الذات والإيثار والفناء في العقيدة واعلاء كلمة الله .

بينت لهم أن علة تأخرهم أنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم — كما أعلنت لهم أنكم « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » — « ولينصرون الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

ورسمت لهم كيف أن الرعيل الأول من الخلفاء والقادة والفئة القليلة من الجنود المؤمنين تمكنوا من بسط راية الإسلام على امبراطورية مترامية الأطراف في أقل من قرن من الزمان فبهروا العالم وأتوا بالعجب العجاب .

وإني لأرجو أن تكون هذه الأمثال التي ضربتها للناس نبراساً لهم في ليل الحوادث — وأن يجعلهم الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . إنه هو الهادي ومنه المنة .

وأخصك بشكر عاطر على تفضلك باهدائي نسخة من هذا الكتاب النافع وأزجي لك تحية كريمة مقرونة ببالغ التقدير والاحترام .

حسين رأفت

مدير الدقهلية

الدكتور قاسم غني سفير ايران في مصر :

قدم القاهرة منذ أسبوعين الدكتور قاسم غني سفير الدولة الإيرانية ، فرحب به كثير من الناس على أنه سفير دولة إسلامية كبيرة بيننا وبينها كثير من صلات الماضي والحاضر ولكن قليلا من الناس في مصر يعرفون أن الدكتور قاسم طبيب له في الطب مؤلفات وأديب كبير له في اللغة الفارسية كتب تقر بفضله وتشهد بمكانته بين الأدباء في إيران وكل الدارسين للأدب الفارسي خاصة ، والآداب الإسلامية عامة ، في أقطار الشرق والغرب .

وقد سعدت بلقائه حين قدم القاهرة منذ سنين فعرفت من حديثه اطلاعه الواسع ، وتعمقه في الأدب الفارسي وحبه للأدب العربي والمامه بتاريخه .

ثم جاءت كتبه تترى معرفة بفضله ، شاهدة بعلمه فلقيت اهتماماً واعجاباً من القائمين على درس الآداب الشرقية في جامعتنا .

وكان الدكتور قاسم حين لقيته مهتما بإحكام الأواصر بين مصر وإيران ، راغباً في تبادل الأساتذة بين المملكتين وزيادة التعارف بين المثقفين في القطرين .

على أن الدكتور الفاضل نشأ طبيباً وتولى تدريس الطب في إيران وله في تاريخ الطب كتاب قيم . ولكن الأدب غلب عليه فكثر بحثه فيه وتأليفه .

وفيما يلي كلمة موجزة في سيرته وتأليفاته :

ولد الدكتور قاسم غني من أسرة علوية شريفة في مدينة سبزدار من أعمال خراسان ، وسبزدار هي مدينة بيهق القديمة المعروفة في تاريخ الحضارة الإسلامية .

ثم رحل إلى طهران للدرس ، ثم سافر إلى بيروت حيث لبث سبع سنوات حتى أكمل دراسة الطب فى الجامعة الأمريكية ، ثم أمضى أربع سنوات فى فرنسا للاستزادة من العلوم الطبية :

ولما رجع إلى بلاده مارس الطب فى خراسان سنين ، ثم دخل المجلس النيابى نائباً عن مدينة مشهد ، وبقى نائباً مدة طويلة .

وكان حين اقامته بطهران يدرس العلوم الطبية بكلية الطب ، كما كان يدرس علم النفس فى مدرسة سبهالار التى تسمى « كلية المعقول والمنقول » .

وانتخب للمجمع اللغوى الإيرانى حينئذ

قد اشترك فى الوزارة الإيرانية منذ خمس سنوات فكان وزيراً للصحة ثم للمعارف وعام ١٩٤٥ أوفدته الحكومة الإيرانية ليمثلها فى مؤتمر سان فرنسيسكو فى أمريكا فبقى عامين ونصف عام يمثل إيران فى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة وفى لجنة حقوق الإنسان واللجنة الطبية .

ثم عين وهو فى أمريكا سفيراً لإيران فى مصر فرجع إلى إيران ثم قدم مصر منذ أسبوعين . وقد لقيته منذ قدم مرتين فسمعت فى أحاديثه ما عرفت من قبل من علم وأدب ، واهتمام بالتقريب بين الأمم الشرقية واخلاص فى العمل لاسعادها واعلاء شأنها ومن مؤلفاته :

١ — رسالة عن ابن سينا وفلسفته وطبه وعلمه وهى الرسالة التى قبل بها عضواً فى المجمع اللغوى الإيرانى .

٢ — تاريخ علم الطب ، وفيه بحث مسهب عن الطب الإسلامى

٣ — حقوق الطبيب وواجباته (الأخلاق والطب)

٤ — محاضرات فى علم النفس

٥ — ترجمة بعض مؤلفات أناطول فرنس

٦ — مقالات عن أناطول فرنس والمقارنة بينه وبين بعض أدباء ايران القدماء .

٧ — عصر حافظ الشيرازى — وهو بحث واسع فى أحوال إيران فى القرن الثامن الهجرى ، القرن الذى عاش فيه هذا الشاعر الفارسى العظيم .

٨ — تاريخ التصوف فى الإسلام وهو الجزء الثانى من كتابه عن حافظ الشيرازى بين فيه تاريخ التصوف ومذاهب الصوفية المسلمين إلى عصر حافظ . وهو كتاب جليل فى هذا الموضوع ينبغى أن يترجم إلى العربية .

٩ — واشــــترك مع الأديب الكبير العلامة محمد بن عبد الوهاب القزوينى فى نشر ديوان حافظ بعد تصحيحه ومقارنة بين نسخه ، وكتابة مقدمة للديوان مفصلة وافية

١٠ — واشترك مع الدكتور على أكبر فياض فى نشر التاريخ المسعودى لأبى الفضل البيهقى .

وقد حدثنى السفير الجليل برغبته فى أن يجد بين الحين والحين فراغاً للانتفاع بخزائن الكتب فى القاهرة ومواصلة بحثه فى هذه المدينة العظيمة .

وإنا لنرحب بالسفير العالم الأديب الدكتور قاسم كل الترحيب آملين أن يجد فى القاهرة أهلا بأهل واخواناً باخوان ، وأن تتاح له الفرص للبحث فى مكتبات القاهرة ومواصلة سيرته الجليلة فى الدرس والتأليف .

عبد الوهاب عزام

الكلمة الأخيرة :

كتب سكرتير الأزهر إلى عميد كلية الآداب الدكتور عزام يسأله عن حقيقة ماقيل عن رسالة (القصص الفنى فى القرآن) فأجاب العميد بكتاب نشر فى الصحف ، وأذيع فى الناس ، قال فيه : « وحقيقة الأمر أن طالباً قدم رسالة عن القصص فى القرآن لينال بها درجة دكتور فردتها لجنة الفحص ، فهى رسالة بين طالب وأساتذته عرض عليهم رأيه فعرفوه خطأه ، كما يسأل التلميذ أستاذه أو يعرض عليهم ما بدا له فى مسألة مسترشداً ...

(إلى أن قال) وكاتب الرسالة فيما أعرف عنه وكما يبدو من كتابته شاب مسلم قصد أن يدفع عن القرآن بعض شبه الملاحدة أو رجال الأديان الأخرى فجار به رأيه عن القصد وحاد به اجتهاده عن سواء السبيل .

(إلى أن قال) وأرى أن الأمر لايعدو أن يكون غلطة تلميذ اجتهد وأحسن النية فرد عليه رأيه ولم يؤذن له أن ينشر هذا الرأى أو يتقدم بهذا الكتاب إلى الامتحان » .

(قلت) جزى الله صديقنا الجليل الدكتور عزام خيراً ، فقد

هوّن الخطب علينا حين عرفنا أن صاحب الرسالة[١] ليس إلا تلميذاً مخطئاً ، وكنا قد سمعنا من قبل أنه مدرس فى الكلية ، فكبر علينا أن يكون فى الجامعة التى نرسل إليها أبناءنا ، يقطعون البر والبحر ليردوا معين علمها ، مدرس غاية جهده مثل هذه الرسالة التى امتزج فيها الدين المتين ... بالمنطق السديد ... بالعلم الفياض ... بالبيان العذب ... حتى كانت معجزة العصر ، ونادرة الدهر !

ولكنى أريد أن أسأل الدكتور عن قوله (وكاتب الرسالة فيما أعرف عنه ، وكما يبدو من كتابته شاب مسلم) — هل قرأ كتابته فى رسالته فرآه يبدو منها شاباً مسلماً ؟ أما أنا فقد قرأت الرسالة ، (وصلت إلىّ كما وصل إلىّ تقرير الأستاذ أحمد أمين الذى نشرته فى الرسالة) ونقلت منها صفحات بحروفها .

وأنا أؤكد القول أن ما نقلته منها ، لو قاله معتقداً به أبوبكر وعمر ، لكفر به أبو بكر وعمر ، وصارا به أبا جهل وأبا لهب ، وأنا قاض شرعى أدرى إذا تكلمت عن الكفر والإيمان ماذا أقول ، وأثبته بالدلائل وأؤيده بالنصوص وأناظر فيه من شاء من أهل العلم أن يناظرنى ؛ لست كالأستاذ توفيق الحكيم الذى لبس الجبة فجأة ولاث العمّة ، وتصدّر للفتوى فى ... (أخبار اليوم)!

وعلى ذكر مقالة الأستاذ توفيق الحكيم هذه ، أقول أنى سألت الشيخين الجليلين عبد المجيد سليم ومحمود شلتوت عن صحة ما نسب إليهما فى (أخبار اليوم) عن تبرئة الرسالة وصاحبها من الكفر ، فقال لى الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم حفظه الله « إنه ما اطلع على الرسالة ، وإنما قرأ تقرير الأستاذ أحمد أمين عنها ، ولا شك عنده أن الأقوال التى عزاها فى التقرير إلى الرسالة كفر وأن معتقدها كافر » وأذن لى أن أنشر ذلك على لسانه .

وقال لى الأستاذ الشيخ محمود شلتوت أنه إنما سئل عن المكفرات ما هى فقال فيها ما قاله الفقهاء ولم يُفْتِ فى الرسالة بشىء ، ثم قرأت له بياناً فى الصحف هذا معناه .

فما دام صاحب الرسالة ليس إلا تلميذاً مخطئاً لا مدرساً ولا معيداً ، وما دامت الرسالة قد ردّت وأسقطت ، وعلماء الأزهر وأساتذة الجامعة قد اتفقوا على القول بمخالفتها للاسلام ، وإدارة الكلية منعت (كما قال العميد) نشرها ، فلا داعى عندى لإعادة القول فيها ، وتسخير صحف المجلات ، وأقلام الكاتبين ، وأذهان القارئين ، لإجابة شهوة الشهرة ، وحب الظهور ، فى نفس هذا التلميذ المخطىء .

ورأيى أن خير دواء له الاعراض عن ذكره !

علي الطنطاوى

الى الأستاذ السهمى :

قرأت فى العدد (٧٤٥) من الرسالة الغراء تحت عنوان (فعلاء) كلمة للأستاذ الجليل (السهمى) عن جمع صيغتى (افعل وفعلاء) على (فُعْل) مثل أحمر وحمر وحمراء وحمر ، ونقل ذلك عن (عمرو) فى (البحر) وكتب الأستاذ السهمى فى الحاشية تعليقاً وتكميلا للعبارة المنقولة ما لفظه : « وقال : وأما الأصغر والأكبر فإنه يكسر على أفاعل ، ألا ترى أنك لا تصف به كما تصف بأحمر ونحوه ... فلما لم يتمكن هذا فى الصفة كتمكن أحمر أجرى مجرى أجدل وأفكل كما قالوا : الأباطح والأساود حيث استعمل استعمال الأسماء » .

ومعنى ذلك أن (الأكبر والأصغر) إنما لم يجمعا تكسيراً على فعل كما يجمع (الأحمر) لأنهما لم يتمكنا فى معنى الصفة بل يستعملان استعمال الأسماء فلذا جمعا على أفاعل فقيل فيهما أكابر وأصاغر كما يقال أباطح فى جمع أبطح .

والذى أراه أن الأكبر والأصغر ليسا من الموضوع المبحوث فيه لأن الموضوع هو جمع افعل الذى مؤنثه فعلاء فهو الذى يجمع على (فعل) كأحمر وحمر ، فأما الأكبر والأصغر فهما فى الأصل من قبيل أفعل التفضيل ، وأنثاه فعلى على وزن (حبلى) فقياس جمعه فى الأصل أفاعل نحو أكابر وأصاغر وأفاضل وأكارم وأماجد وأعاظم فى جمع أكبر وأصغر وأفضل وأكرم وأمجد وأعظم ، وليس جمعه كذلك من قبيل الخروج على قاعدة (أحمر وحمر) لسبب استعماله استعمال الأسماء .

فما رأى الأستاذ السهمى فى ذلك ؟

مصطفى أحمد الزرقا

---

(١) نحن فى الشام نسمى رسالة الدكتور الأطروحة .



من مذكرات سجين

للقصصي الكبير فرانسوا كوبيه

بقلم الأديب عبد اللطيف حسين الأرناؤوط

في صباح الغد، ينقضي أمد ستة الأشهر التي حكم علي بقضائها في السجن لسرقتي ألفي فرنك من خزانة المحل الذي كنت موظفاً فيه. في صباح الغد أكون قد كفرت عن خطيئتي وقضيت ما عليَّ من دين للمجتمع الإنساني.

في صباح الغد في الساعة الثامنة سيطرق السجان باب سجني ومعه ثيابي التي خلعتها قبل دخولي السجن. وإني لأذكر تلك الثياب، فإنها كانت جديدة متقنة الصنع على أحدث طراز وسأرتديها غداً وأخرج إلى الطرقات. فمن يظن وأنا في مثل هذه البزة أني خارج من أعماق السجون! سأخرج في الساعة الثامنة وأرى مرغريت كوعدها تنتظرني في عربة أمام باب السجن ...

بين مساء اليوم وصباح الغد سأصير حراً طليقاً وسأكون سعيداً لو أردت، فمرغريت التي ارتكبت من أجلها هذه السرقة تقسم لي في خطاب الأمس أنها ما زالت حافظة لعهدي متمسكة بودي، وأنها ستعيش معي حتى الموت، إذن فسنعيش آمنين بين أحضان باريس العظيمة التي وسعت كل عار وسترت كل ذنب، ومن كان في نشاطي لم يعجزه مرتزق يعيش من ورائه هو وحبيبته ... ولكن لندع عمل المستقبل للمستقبل، ولا نفكر الآن إلا في الغد، وما سيتبلج عنه صبحه، إن مرغريت ستنتظرني في عربة فعندما أرى هذه العربة أمام السجن، أجري إليها، فألمح مرغريت منزوية في ركن منها،

لفظة لازاريت:

قال الأستاذ الجاحظ في العدد الماضي من الرسالة إن بعض الغربيين زعم إن كلمة لازريت الفرنسية Lazaret. (ومعناها المنزل أو المحجر الصحي) مشتقة من كلمة « الأزهر » « لأن الأزهر في مصر ملجأ للعميان والشيوخ والمتقاعدين »

وبعدما أنحى الجاحظ باللائمة على أولئك المتعجلين من الباحثين لتورطهم في أخطاء الاشتقاق، قال إن الأصل اللاتيني لكلمة لازاريت معناه المجذوم وأن الصلة بين الحجر الصحي والمجذوم أقرب وأكثر جلاء منها بين لفظتي « الأزهر » و « لازاريت »

ويخيل إلي أن الاشتقاق — إذا كان هناك اشتقاق — مستمد من اسم « لازر » Lazarus وهو رجل فقير أخذت جميع الأمراض بتلابيبه — ومنها الجذام — وكان طريح الأرض عند باب ثري يريد أن يشبع بطنه الفتات الساقط من مائدة ذلك السري. وقد روى قصة هذا الفقير السيد المسيح كما جاء في إنجيل لوقا إصحاح ١٦ عدد ١٩ — وقال إن كلا من الفقير والغني مات فكان جزاء الأول أن ينعم في حضن إبراهيم وكان جزاء الثاني هاوية العذاب يشتهي حتى أن يبلّ لازر طرف إصبعه بماء ويبرد به لسانه.

وأحسب أن هذه القصة بسبب كثرة تداولها وشيوعها بجميع اللغات ولا سيما اللاتينية واشتقاقاتها، كانت السبب الأول في أن يقترن اسم لازر بالبلايا والأمراض والفقر وتلك هي عين المعاني التي ترمز إليها كلمة Lazare الفرنسية ومنها اشتقت كلمة لازاريت Lazaret.

هذا في ظني مصدر الاشتقاق، وإذا كان عند العليمين شيء فليطلعونا عليه للنفع العام.

وديع فلسطين

المحرر بالمقطم — القاهرة

فآخذ مكانى بجانبها وآمر السائق باحتثاث السير ، وبعد ذلك أمسك يد مرغريت وأنظر إليها فتهتاج السكينة شوقاً ، وترتمى على صدرى باكية ...

ما أعذب القبلة التى تعقب ذلك . وتكون العربة أثناء ذلك قد أوصلتنا إلى منزلنا فنصعد إلى غرفتنا فى الطابق الرابع ، التى تشرف نافذتها على حدائق اللوكسمبرج . ونمد مائدة إفطارنا أمام النافذة حيث تداعب أشعة شمس الصباح آنيتها فتبدو لامعة كأنها تبتسم لملاقاتى ، وبعد أن نتناول طعامنا بين حديث ولعب ، تجىء مرغريت بالقهوة ، فأجلس أحتسيها ، وتجلس هى بجانبى وتسند رأسها إلى كتفى ، فأستنشق عبيرها ، وأستروح أنفاسها ، ثم أقبلها قبلة طويلة .

هذا ما يعده لى صباح الغد ، وهذا ما سألقاه فيه من حرية وسعادة وحب ...

ولكن كل هذا لن يكون ... فسأنتحر بعد قليل .. ربما يسود وجه الصحيفة التى أكتبت عليها هذه الكلمات . فالحبل الذى أعددته من غطائى متين والقضبان الحديدية فى النافذة سميكة !

يجب أن لا أخرج صباح الغد من قبرى هذا إلى الحياة . إذ لو خرجت لارتكبت آثاماً أخرى . فإنى لا أقوى على رؤية مرغريت واقفة أمام حانوت الجوهرى تلتهب نظراتها إلى أساور من ذهب أو تصعد زفراتها وراء قرط من جوهر ، أو تنظر إلى خاتم من ماس ثم ترجع النظر حاسراً إلى أصابعها العاطلة . عند ذلك أقسم بالله أنى أعود فأسرق لأجىء لها بما يرضى نظرتها ويهدأ زفرتها ويحقق رغبتها ... يالله . هل أنا مجرم من أكبر الناس إجراماً ؟ أم أنا مجنون ضل عنى رشادى ؟ لا أعلم غير أمر واحد ، هو أنى أعود فأسرق لأرضى مرغريت ...

يا لها من امرأة . ويا لعظيم حبى لها ووجدى بها منذ أول يوم رأيتها . إنى لأذكر ذلك اليوم وأذكر أنى كنت مع صديقين دعيانى للذهاب معهما إلى (مونمارتر) حيث كانت حفلات العيد قائمة واللهو رخيص ثمنه ، سهل مناله . وكنت متعباً ذاك المساء فرفضت دعوتهما أولا ولكنهما ألحا علىّ فقبلت أخيراً ...

وجئنا (مونمارتر) فكانت مساحاته تموج بآلاف من الخلق ووقفنا أمام أحد مراقصه فرأينا فتاتين ترقصان ، فحادثهما أحد صديقى وجلسنا معهما . وكان مجلسى بجانب إحدى الفتاتين وكانت شقراء الشعر جميلة الوجه محتشمة الحديث فقيرة الهيئة . وحادثتها فكان صوتها جذاباً كعينيها وقال لها أحد صاحبى كلمة غليظة خلال الحديث فلم تجبه إلا بابتسامة مغتصبة تدل على أدب الفتاة وأنها غير راضية لما هى فيه من حال ، ودعوتها لمنزلى ، وقصت علىّ الفتاة باكية — وإنى لأحس حرارة دموعها حتى اليوم — قصة مجيئها إلى هذه الحياة من أحد أبوابها المظلمة وطفولتها البائسة وفقرها المؤلم وإيصاد كل باب رزق دونها وتشريدها أثناء الليل فى شوارع باريس الباردة المظلمة . ثم زلتها الأولى ، واندفاعها فى ذلك التيار الذى طالما حمل فى سيره ضحايا لا عداد لها ، فبكيت رحمة لبكائها ، وعرضت عليها أن تجىء فتعيش معى عيشة الفضل والعفاف فقبلت راضية وسرنى رضاها وأظننى أتيت أمراً لا طاقة لى به إذ ذاك ، فإن ما أتقاضاه من مرتب ما كان يسمح لى بمعاشرة امرأة اللهم إلا إذا كانت امرأة مقتصدة تقنع بالقليل ولا تطلب الكثير ومرغريت يا للأسف ليست كذلك . فقد كانت تختبىء فى قرارة نفسها الفتاة الباريسية التى تشارف فى غدوها ورواحها حوانيت الحلى والحلل ، وتلامس فى سيرها وركوبها السيدات اللائى رزقن الغنى بثمين اللباس وغالى الزخرف وكنت أرجع من عملى ظهر كل يوم فأراها ملازمة لسريرها لا تفكر فيما يقتضيه المنزل من عمل فحاولت أن أصلح من أمرها وأقوّم من خلقها فأجابتنى بقسوة « ماذا تريد ؟ هكذا خلقت فدعنى وابحث عن سواى ، فلن تصلحنى مهما حاولت » فلم أدر كيف أجيبها على قولها ، فإنها لا تبالى بى . وأصبحت لا أستطيع عنها فراقاً ففكرت فى أن أضحى قليلا من راحة فؤادى وأقطع ما بينى وبينها من صلة . ولكنى فكرت أيضاً فى أنها لن تكاد تفارق بابى حتى تعود سيرتها الأولى ؟ من حياة يعلوها العار ، ومن ليل بؤس ليس له نهار ، فعدلت عن فكرتى رحمة بها وحباً لها ، ثم كيف أهجرها وقد تغلغل حبها فى صميم فؤادى وأصبحت أرى ليالى الطويلة الباردة عامرة بمن يسلى وحدتى ويزيل وحشتى ، أأهجرها وأنا أحبها أكثر من أمس وأقل من غد ؟ أأهجرها وهى أول امرأة خفق لها فؤادى وأول من غرام مشت ناره بين أضلاعى !

واشتريت لها كل ما وسمته ثروتى من لوازم النساء. وصحبتها إلى كل مسارح اللهو ومراتع السرور خشية أن تمل مكثها فى المنزل وهى ابنة اللهو والسرور . وضاقت يدى ذات يوم عن قضاء حاجة لها فاستدنت وكان أول ما استدنت .. فأهمنى أمره وأرقنى وقره . . . ولم أبح به لمرغريت . . . وعلام وأنا أتوقع ردها ، « وماذا تريد أن أفعل لك ، دعنى وشأنى ! .. ولينفصل أحدنا عن الآخر » ثم استدنت مرة أخرى . وأنا لا أبوح لها بما فى نفسى من خوف مؤلم من المستقبل المظلم .

وإنى أقول ما سأقول الآن وأنا واثق من صحته . ذلك أن كل الرجال الذين رمت بهم يد الغرام أو يد المرأة إلى مثل موقفى هذا يحاولون خلاصاً من هذا الموقف بغشيانهم ما يسمونه طريق الحظ أو السعد فيقصدون بيوت القمار . أو ساحات السباق . . وذلك أن أحد رفقائى فى عملى كان يغشاها وطالما أسعده الحظ بأن ربح . وكان جالساً أمام مكتبه باسطاً صحيفة تدلى لقرائها بما تراه فى أمر الخيل وأيها السابق وأيها المصلى . وأخذ يناقش آخر فى أمر جواد معلوم ، يرى أنه ولا شك السابق . وأنه لا شك مراهن عليه .

فقلت إذ ذاك : ولم لا أعمل مثل صديقى فربما أسعدنى الدهر فربحت فأسعدت نفسى ومرغريت وضربت بيدى إلى جيبى فوجدت فيه دراهم معدودة . فطرحت فكرة القمار مرغماً .

وذات ليلة ونحن فى طريقنا إلى الملهى وقفت مرغريت أمام حانوت جوهرى ونظرت إلى أساور من ذهب وماس وقالت لى : ما ثمن هذه الحلية ؟

فقلت : إنها تساوى أربعين جنيهاً !

فقالت : إن مثل هذه الأشياء جعلت للأغنياء ولا أدرى لم لم يجعلنى الله من عبادهم … ونظرت إلى دمعة تترقرق فى مآقى عينيها . فكدت أبكى لها ولنفسى . وفجأة طرقت رأسى فكرة القمار فى سباق الخيل ، وفكرة الجواد السابق ، ولكن أين لى المال لأراهن عليه ؟ . .. ولكن المال كثير فى خزانة المحل وأنا الأمين عليه . وما دام المكسب مضموناً مع هذا الجواد ، فلم لا أمد يدى إلى ألفى فرنك أرمى بها فى سوق القمار ثم أربح وأعيدها إلى مكانها الأول واحفظ الربح لنفسى؟ هذا خير رأى ، وأصوب فكر . ولكن ما العمل إذا خسرت ؟ قلت ذلك لنفسى . ونظرت نظرة غضبى إلى مرغريت وهى عالقة بذراعى . ولكن أحمد الله فإنها كانت ملتفتة إلى ناحية أخرى تنظر إلى معروضات المخازن . إذ لو رأت نظرتى لارتاعت ذعراً . . إذا خسرت ؟ نعم إذا خسرت لا شىء غير أن يجىء رجل أو اثنان من الشرطة فيقبضان على باسم القانون ، وأجلس محنى الظهر على مقعد المتهمين فى محكمة الجنايات ، ثم أقضى بعد ذلك جزءاً غير قصير من عمرى فى غياهب السجن ، ذلك إذا خسرت ؟ ولكن أكون بعملى هذا قد قدمت إلى مرغريت برهاناً قوياً ودليلا قاطعاً على حبى لها ؟ وربما أحبتنى إذ ذاك لعلمها إنى أتيت ما أتيت مرضاة لها .

ولكن لماذا هذا الخلط فى الحديث فالساعة أزفت . ولا فائدة من أن أثقل على قارىء هذه الصفحات بتفاصيل ما ارتكبت ولم أقص عليه كيف ارتكبت السرقة ، ولا كيف وقفت تتنازعنى العوامل المختلفة من خوف إلى حزن ، إلى ندم ، إلى أمل إلى فرح ، وأنا فى ميدان السباق . ولا كيف خسر الجواد وجاء مجلياً ، ولا كيف اكتشفت سرقتى ، والقبض علىَّ ، ومحاكمتى ثم سجنى …

الوداع يا مرغريت . إنى أحبك ، وأغفر لك وأعفو عنك . فلربما سالت دمعة من عينيك عندما تقرأين هذه الصفحات المملوءة بذكرك ، كونى فخورة أمام عاشقك الجديد بأن هناك رجلا انتحر لأجلك …

هاهوذا نصف الليل لقد دقت الساعة ، وهأنذا قد أحكمت الحبل إلى النافذة فلأتشجع ولأنهى الأمر ! …

(دمشق) **عبد اللطيف حسين الأرناؤوط**

مطبعة الرسالة :

تقدم هذا الأسبوع

فى ثوب جديد ... وطبع فاخر ... وإخراج فنى

الطبعة الجديدة

من المجلد الأول

من كتاب :

وحى الرسالة

للأستاذ

أحمد حسن الزيات

وتقدم فى الأسبوع القادم

ابراهام لنكولن

للأستاذ محمود الحفيف

بحث واف فى قرابة ٣٥٠ صفحة من القطع الكبير

دراسة مفصلة للحرية والديمقراطية والعصامية فى تاريخ هذه الشخصية العالمية الكبرى لنكولن ابن الغابة ... لنكولن الرئيس ... الحرب الأهلية وكيف حفظ الرئيس بها بناء الوحدة ؟ ... لنكولن المحرر الأكبر للعبيد

يا شباب الوادى

خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم

مصلحة سكك حديد الحكومة

إعلان

تعلن مصلحة السكك الحديدية الجمهور بأن السفر فى قطاراتها غير مقيد بأى شرط فى المناطق التى تسير فيها قطاراتها .

وتنصح المصلحة الجمهور الراغب فى السفر أن يحصل على شهادة تطعيم ضد الكوليرا معتمدة من وزارة الصحة حتى لا يفاجأ فى المستقبل بتعطيل انتقاله إذا ما قررت وزارة الصحة تقييد السفر بضرورة حصوله على هذه الشهادة .

أما السفر إلى الوجه القبلى ابتداء من يوم ٢٧ أكتوبر الحالى فمقصور على حملة شهادة التطعيم المعتمدة من وزارة الصحة .

المدير العام

العدد ٧٤٩ — الاثنين ١٠ نوفمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

15 em Année No. 749

Lundi — 10 — 11 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٧٤٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣٦٦ — ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

حرية الرأى وتبعة الرأى

للأستاذ عباس محمود العقاد

حرية الرأى مكفولة لكل انسان .

ولكن لاحرية بغير تبعة . فكل ذى رأى مسئول وحده عن رأيه ، وعليه وحده أن يحمل جميع تبعاته ، وليس له أن يلقى التبعات على غيره . لأن حريته تنتهى عند انتهاء التبعة التى يحملها باختياره ... فلا اختيار له فى حريات الآخرين .

وذلك هو الحد الفاصل بين الرأى الذى يسأل عنه الباحث أو الكاتب وحده ، وبين الرأى الذى يشرك فيه غيره .

فمن حقه بلا نزاع أن يبدى ما يشاء فى حدود القانون

ولكن ليس من حقه أن يحمل غيره على تزكية رأيه وترويجه أو الاذن بأجازته ونشره ، ولا سيما إذ يكون ذلك « الغير » هيئة رسمية مفروضة بقوة الدولة على جميع أبناء الأمة ، كالجامعة المصرية وما جرى مجراها .

فالجامعة المصرية جامعة حكومة ، ومعنى أنها جامعة حكومة أن الزامها لطلابها هو إلزام يقوم به القانون ، وتحميه الدولة ، وليس فيه للطالب أو لولى أمره خيار كالذى يملكه الطلاب وأولياء الأمور فى الجامعات الأهلية . فهم لا يملكون أن ينتقلوا منها إلى غيرها إذا لم توافقهم دروسها ، وليس فى وسعهم أن يستغنوا عن شهاداتها وإجازاتها ، لأن مستقبلهم فى الوظائف أو المزاولات العلمية مرتبط بها . فليس لأحد أن يطلب من هذه الجامعة أن تجيز دروساً تحتاج إلى احتمال تبعة ، وليس له أن يلقى عليها تبعاته وينتظر منها أن تقرها وتزكيها ، وهو يزعم أنه حر فيما يصنع ، وأنها هى المقيدة أمامه فلا حرية لها فى رفض هذا الصنيع

من شاء أن يقدر حريته فليقدر تبعته قبل تقديره لحريته .

ومن تقدير التبعة أن يفهم ما يجوز له عرضه للاقرار والإجازة ، وما ينفرد به أو يشرك فيه سواه . فإن لم يفهم ذلك فليس هو بأهل لتقدير الحريات ولا لتقدير التبعات .

وقد سبقتنا إلى النظام الجامعى أمم كثيرة ، وسبقتنا إلى حرية الرأى أمم كثيرة ، وترجع تقاليد الجامعات فى بعض هذه الأمم إلى مئات السنين ، وكلها تدين بهذا المبدأ فيما يعرض عليها من الرسائل للاجازة والاقرار ، ولم يقل أحد أنها تصادر حرية الآراء ، أو تحجر على مباحث المفكرين .

فلم نسمع قط أن أحداً تقدم إلى جامعة اكسفورد مثلا ببحث فى ميلاد السيد المسيح هل كان مولداً طبيعياً أو كان مولد خارقة وإعجاز .

ولم نسمع قط أن أحداً تقدم إلى جامعة السوربون ببحث فى تدوين الأناجيل هل هى من كتابة الرسل أو كتابة أناس آخرين مجهولين أو معلومين .

والجامعات الإنجليزية تدرس تواريخ الأديان وتدرس المقابلة بينها ، فلم نسمع قط أن دراستها هذه أجازت لصاحب رأى أن يطلب

منها اقرار قول من الأقوال ، يخالف ما تلتزمه أمام جميع المتعلمين

كذلك تدرس الجامعات الإنجليزية ، كما تدرس الجامعات الفرنسية ، علوماً شتى فى نظم الدول ، وقواعد الدساتير . فلم نسمع قط أن طالباً فرنسياً عرض على جامعة فرنسية بحثاً فى إنكار النظام الجمهورى . وتفضيل النظام الملكى عليه ، ولا أن طالباً إنجليزياً عرض على جامعة إنجليزية بحثاً فى ترجيح النظام الجمهورى على نظام الدولة الملكية . لأن المسألة ليست مسألة حرية وكفى ، بل هى مسألة حرية مقرونة بتبعة . فينبغى التفرقة بين ما تكتبه باسمك على تبعة نفسك ، وبين ما تكتبه ثم تلقى بتبعاته كلها أو بعضها ، على مؤسسات تحميها الدولة وتلقى دروسها على جميع أبناء الأمة ، وهم أحرار أيضاً فيما يقبلون وفيما يرفضون .

***

فلا خلاف على حرية الرأى كائنا ما كان فى حدود القانون وإنما الخلاف فى احتمال التبعة وتقديرها ، وفى موضع التبعة وتمييزه ، وليس بأهل لحرية الرأى ولا بقادر على أمانته من يفوته هذا التمييز .

وكاتب هذه السطور يحرص على حرية الرأى ، ويعتقد أن الحرية الشخصية هى غاية كل تقدم وارتقاء فى تاريخ بنى الإنسان ، وأن مقاومة الرأى إنما تكون برأى مثله ، ومقابلة البرهان إنما تكون ببرهان على قياسه ، وأن المصادرة بالقوة عمل لا يليق بأصحاب الآراء ولا يحسن بهم أن يهيبوا بالحكومة إلى اتخاذه ، إلا أن يكون فى الرأى إخلال بالآداب متفق على تحريمه .

لكننا لا نعطى حرية الرأى كل هذا الحق إلا لأننا ندين بأنه حق ينتهى عند حده ولا يجوز أن يتعداه .

فليقل من شاء ما شاء ما دام هو صاحب التبعة الوحيد فى كل ما يقول :

ولكن هل هو صاحب التبعة الوحيد فيما يلقيه إلى الجامعات الرسمية لتقره باسم الدولة ، واسم الأمة بأسرها من وراء الدولة ؟

هنا محل التقدير والتمييز

وليس بعالم ولا مستحق لأمانة العلم من لا يقدر ولا يميز ، ولا يفرق بين ما يقرره باسمه ، وما يطلب من المشرفين على التعليم فى الأمة أن يقرروه .

وقلما يعنينى هنا أمر رسالة بعينها أو بحث بعينه ، وإنما يعنينى توضيح الحد الفاصل فى مسألة الحرية ، ومسألة التبعة الفكرية ، وهو حد منسى على ما نرى فى حسبان بعض المبتدئين ، بل بعض الأدباء المعدودين .

ولو لم يكن هذا الحد محتاجاً إلى التذكير فى مرحلتنا هذه من الحياة الفكرية لما رأينا رجلا كصديقنا الأستاذ توفيق الحكيم ينساه وهو ينقد الجامعة المصرية لأنها رفضت تبعةً تلقى عليها ، وليس من حقها أن تقبلها باسم الدولة ، وليس من مقتضى رفضها أن تحول بين طالب من الطلاب ، أو مدرس من المدرسين ، وبين إعلان ما يراه بغير واسطتها إذا شاء .

على أننا نهنىء صديقنا الحكيم ولا نقصر القول كله على الأسف لنسيانه أو تناسيه .

نهنئه لأن حرية الرأى كانت رخيصة عنده يوم كان ينعى على الديمقراطية ويشيد بمآثر الدكتاتورية . فإذا عاد يغليها بعد ارتخاص فإنه بالتهنئة من هذه الناحية لجدير .

أما « التقدميون » الذين حنقوا على الجامعة المصرية لالتزامها حدود حقها وواجبها ، فحسبهم من التذكير أن نطلب منهم سطراً واحداً يكتب فى روسيا اليوم نقداً لعقيدتهم فى التفسير المادى للتاريخ ، وهى بعد لم تتجاوز عندهم أن تكون رأى انسان ! .. فكيف بما يعتقد المؤمنون به أنه من عند الله ، خالق كل انسان ، وخالق جميع الأكوان ؟

عباس محمود العقاد

١٢ ـ رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

نظام الدين أوليا وأمير خسرو

وإلى القرب من المقبرة التي بها ضريح همايون مقبرة أخرى بها قباب منثورة أعظمها مكانة عند الناس وأجملها هندسة قبة نظام الدين أوليا.

وهو أعظم صوفية الهند في زمانه، وأكبر أوليائها حرمة عند الناس حتى اليوم؛ اسمه محمد بن أحمد بن علي البخاري، وفدَ أجداده من بخارى إلى الهند فاستقروا في إقليم بدايون حيث ولد هو سنة ٦٣٦ هـ.

وأخذ العلوم العربية عن علاء الدين الأصولي. ثم رحل إلى دهلي فتلمذ للشيخ شمس الملك والشيخ كمال الدين الزاهد.

وسنة ٦٥٥ لحق بالشيخ الصوفي فريد الدين كَنج شَكَر (كنز السكر) المتوفى سنة ٦٦٤ هـ فصار من مريديه المقرّبين واختاره الشيخ خليفة له سنة ٦٥٦ فرجع نظام الدين إلى دهلي إلى أن توفي سنة ٧٢٥ هـ.

وقد ذاع صيته، وعظمت مكانته؛ فجاءه المريدون من كل صوب، واجتمع حوله العلماء والأدباء والموسيقيون، وعظمه المسلمون وغير المسلمين.

وكتب في التصوف والتفسير والحديث ونظم بالفارسية شعراً صوفيّاً، ومزاره اليوم يُقصد من أرجاء الهند، ويعدّه الناس أعظم الأولياء أو من أعظمهم ويسمونه: سلطان الأولياء.

قصدنا إلى مزار نظام الدين فنُزلنا في محلة تزدحم فيها القبور والمنازل، ومررنا خلال قبور تختلف مظاهرها ضخامة وصغراً، وأبهة وحقارة ومعرفة ونكراً وتتفق على المعنى الذي انطوت عليه؛ بل اللفظ الذي تنطق به؛ حتى جئنا حجرة عالية مصنّمة بالرخام والحديد والنحاس سقفها مستطيل مبطّن بالصوف في أشكال جميلة، والحجرة في جملتها هندسة جميلة أو شعر بليغ. هنا قبر الشاعر الكبير المعروف في الأدب الفارسي والأدب الأردي؛ الذي يعدّ أول ناظم باللغة الأردية، وهو أمير خسرو الدهلوي المتوفى سنة ٧٢٥ هـ.

وكان مروري بقبر الأمير خسرو سروراً مفاجئاً، ونعمة غير مرتقبة. فوقفت على قبره وقفة تمنيت أنها طالت وكُرِّرت.

أقف بالقارئ وقفة قصيرة على تاريخ هذا الرجل الكبير قبل أن نزور نظام الدين أوليا:

هو الأمير أبو الحسن بن الأمير سيف الدين الشمسي ولد في الهند سنة ٦٥١ هـ وكان أبوه تركياً هاجر من نواحي بلخ إلى الهند أيام جنكيزخان وتزوج بنت عماد الملك أحد أعيان الدولة في دهلي، ومات وابنه خسرو في التاسعة من عمره فكفله جدّه لأمه.

وكان خسرو ذكياً شغوفاً بالتعلم. فنشأ محبوباً مقرّباً عند سلاطين دهلي، وحظي برعاية سبعة سلاطين متتابعين: من السلطان محمد بن غياث الدين (٦٦٤ هـ — ٦٨٦) إلى السلطان محمد الثاني بن تَغلَق (٧٢٥ — ٧٥٢ هـ).

ونبغ في الشعر فنظم منظومات كثيرة منها ديوانه وسبع منظومات قصصية حاكى فيها الشاعر المعروف نظامي الكنجوي؛ منها قصة ليلى والمجنون، وقصة خسرو وشيرين.

وقد قسّم ديوانه على سني عمره، وسمى كل قسم اسماً يلائمه:

تحفة الصغر: وهي القصائد التي نظمها من سن ١٥ إلى ١٩

وسط الحياة: وهي القصائد التي نظمها من سن ٢٠ إلى ٣٤

غرّة الكمال: وهي القصائد التي نظمها من سن ٣٤ إلى ٤٣

البقيّة النقيّة: وهي مختارات من شعر الشيخوخة.

وقد ألّف من الكتب والرسائل ما يقارب المائة، ويقال إن أشعاره تبلغ أربعمائة ألف بيت، والمجموع منها زهاء مائة وعشرين ألفاً جمعها السلطان الأديب بالسُنقُر من بني تيمور، وكان من المعجبين بالشاعر، وقد فضّل منظوماته الخمس على «خمسة نظامي»، وجرت بينه وبين الأمير التيموري ألُغ بك مناظرات كثيرة في هذا التفضيل.

وكان خسرو من مريدي الشيخ نظام الدين يبالغ في حبّه وإعظامه، ويروى أنه بينما كان خسرو في صحبة السلطان غياث الدين تغلَق شاه في سفره إلى بنغالة جاء نعي شيخه فأسرع

راجعاً إلى دهلى ، واعتزل خدمة السلطان ، وتصدّق بأمواله ، وأقام على مقربة من قبر شيخه حتى مات بعد ستة أشهر ، ودفن بجوار الشيخ الذى أحبه وصحبه فى حياته ، وزهد فى العيش بعد مماته . فكان فى تجاور القبرين لمن يعرف سيرة الرجلين قصيدة صوفية بليغة .

وزرنا ضريح نظام الدين وهو حجرة واحدة حولها سياج من الرخام الأبيض المخرّم فى دقة وإتقان وعليها قبه جميلة ، وعلى جدران الحجرة وعلى المقصورة من بدائع الصنع ، والتحلية مايشغل بصر الزائر حتى فى هذا المقام الجليل المهيب ، ورأينا هناك حلية مهداة من نظام حيدر أباد .

ورأينا أبياتاً فارسية أرّخ فيهـا موت الشيخ بكلمـة « شهنشاه دين » = ٧٢٥

وكذلك قرأت عند قبر أمير خسرو أبياتاً فيها تاريخ وفاته بكلمات فارسية (طوطي شكر مقال) ، وكلمتين عربيتين (عديم المثل) وكلتا العبارتين يدلان على سنة ٧٢٥ هـ .

ورأينا على مقربة من هذه الحجرة قبة كبيرة على قاعة واسعة يقال إن السلطان علاء الدين بناها ليدفن فيها الشيخ فأبى الشيخ أن يكون فيها قبره ، واتخذها مسجداً .

***

وفى جوار الشيخ قبور لأمراء الدولة التيمورية وأميراتها ، عائذات بهذا الجوار الكريم . كل قبر حوله سياج من الرخام أظهرت فيه الصنعة قدرتها وإبداعها كأنما هذا الحجر كان شمعاً فى يد الصانع أو عجيناً .

وشدّ ما أثر فى نفسى بين هذه القبور قبر جهان آرا (زينة الدنيا) بنت السلطان شاه جهان ، وقد بلغ منى بيت بالفارسية منقوش على لوح من الرخام هناك :

بغير سبـزه نبو شد كسى مزاررا
كه قبر پوسن غريبان همين كياه بس است

لايكسُ أحد قبراً بغير خضرة النبات العشب
فكسوة قبور الغرباء هذا العشب وكفى

وبعد هذا البيت باللغة العربية :

الفقيرة الفانية جهان آرا مريدة خواجكان (أى الشيخ نظام الدين) بنت شاه جهان بادشاه غازى أنار الله برهانه سنة ١٠٩٢

وما فصلنا من هذا العالم عالم الأخرى ، وفى النفس ملؤها من ذكريات الدنيا أوينا إلى قاعة فاسترحنا وشربنا الشاى فى ضيافة الشيخ حسن نظامى من ذرية الشيخ .

وقرأت على الجدار أشعاراً صوفية بالفارسية من مأثورات نظام الدين أوليا .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

أســئلة !

للأســتاذ على الطنطاوى

كان حديثَ الناس فى الأسبوع الذى مضى ، وحديثَ الصحف . هذه ال(أربعون الف جنيه) التى تبرع بها البدراوى باشا وشهد عليه بها الشهود ، وجاءته عليها رسائل الشكر وبرقيات التهانى ، حتى إذا شبع من الثناء ، وروى من المدح ، وانتشى من الفخر ، ونال ما كان يريده من تبرعه ، ولم يبق وراءه غنم يناله ، ما بقى إلا الغرم بال(أربعين الف جنيه) عاد فجحد قوله ، وأنكر هبتـه ، وطامن على الشهود ، وكذب الناقلين ، فماد المهنئون له يعزونه ، والمادحون إياه يهجونه ، وانطلقت الألسنة بالوقيعة فيه ، والنيل منه ، وأذهب هذا القدح لذة المدح الأول ، واشتاق إليه لما فقده ، ولكن عزّ عليه أن يشتريه ب (أربعين الف جنيه) ، وأن يؤديها كاملة فيكذب نفسه ، ويثبت قول من شهد عليه ، فافتداها بعشرة آلاف رفعها إلى السدة الملكية ، فردتها عليه ، ولم تقبلها منه . وقالوا ، إنه سيدعى الشعب إلى اكتتاب عام يشترك فيه الغنى والفقير ، يحقق به ما كان التبرع له ، وهو انشاء معمل للّقاح ، يقى الناس من هذا الوباء الذى يحصد بمنجله النفوس ، ويقطع الأعناق ، ويودى بالأسر .

***

انتهيت من قراءة هذا الخبر ، فنشأت فى نفسى أسئلة كثيرة ، أحببت إذاعتها لأنى أتمنى أن أجد مجيباً عليها :

أولها : السؤال عن هذا التفاوت العجيب بين الناس الذى صار شعار الحياة المصرية ، وآيتها ... من أين جاء ؟ وكيف تركه العلماء والمصلحون وأصحاب الرأى ، وذوو السلطان ، ينمو ويمتد حتى يصير كالدوحة العظيمة ، ولم يقطعوه وهو بعد غصن طرى؟

وكيف انتهت الحال إلى أن يكون فى مصر نفر من المصريين والأجانب اجتمعت فى أيديهم الملايين ، وملايين من المصريين دون الأجانب فرغت أيديهم من كل شئ؟ .

وكيف امتد هذا التفاوت إلى غير المال ؟ فكان فى مصر نفر هم أكابر أدباء العربية ، ونفر هم أئمة علماء الإسلام ، ونفر هم أعلام الفلسفة والحقوق وعلوم الطبيعة ، وجماهير لا تحصى ، (إلا فى دفاتر الإحصاء عند الحكومة) ، لا تعرف من العربية ولا من الإسلام ولا من هذه العلوم شيئاً ، بل هى لا تعرف القراءة ولا الكتابة ، وصارت مصر بحيث لو ذهب منها مثنا رجل فقط ، من عشرين مليوناً ، صارت زعامة مصر الثقافية ، بين الأقطار العربية ، خبراً بعد عين .

وكان في مصر ، بل فى القاهرة نفسها العمارة التى تشتمل على خمس عشرة طبقة ، والأكواخ التى لا شباك لها ولا ماء فيها ولا مرحاض ، وفيها أفخم السيارات تسير بجانب عربات الكارو ، تحمل أهل القاهرة من حى إلى حى ، وفيها شارع فؤاد وشارع سـليمان ، وفيها الزمالك وجاردن سيتى ، وفيها مقابل ذلك زين العابدين والدراسة وبولاق ، وفيها فندق شبرد ووراء حديقته أزقة مسدودة لا تراها الشمس ، ولا يمر منها الهواء ، ولا ينيرها الكهرباء ، ولا تعرف الطريق إليها مصلحة التنظيم ..

إن الناس يتفاوتون فى بلدنا ، وفى بلاد الناس كلها ، ففيهم الغنى والفقير ، والعالم والجاهل ، وعندنا العمارات الكبيرة ، والدور الحقيرة ، ولكن المسافة بين عالينا ونازلنا قصيرة متحملة فليس فى دمشق كلها عمارة كال(ايموبليا) ولا كنصفها ، أن أعلى عمارة فيها فى ست طبقات . ولكن ليس فى دمشق أيضاً ، بيوت كبيوت مصر القديمة أو عشش الترجمان ..

وعندنا فقراء ، ولكن فقراءنا لهم ثياب نظيفة تسترهم ، وأحذية تحملهم ، وبيوت تكنهم ، وعندنا مالكون للأرض ، ولكن الناس يملكون معهم ، ليسوا عبيداً لهم ، ولا اجراء عندهم ، ما عندنا هذه (الاقطاعية ...) إلا فى حماة وأمثالها ، وهى مناطق محدودة ، وسائر الأرض مقسمة بين الناس ، يملك الواحد منهم ربع الفدان فما فوقه ، ولا يرى نفسه دون مالك الآلاف ، ولا يذل له ولا يرى له عليه فضلا .

لذلك يعجب الشامى عندما يقدم مصر ، ويرى هذا التفاوت فيها ، ويسأل من أين جاء ؟

وثانيها : السؤال عن الكتاب والعلماء ، لماذا لا يدعون إلى تخليص البلد من هذا الداء العياء ، وتعديل كفتى الميزان وتحقيق طبيعة العرب فى المساواة ، ومقصد الإسلام فى العدالة

لا أريد المساواة المطلقة التي لا تبقى غنياً ولا فقيراً ، فهذا مالا يكون ولا ترضاه سنن الكون ، ولا طبائع الأشياء . لا يكون إلا في أذهان الفلاسفة والشعراء ، وأصحاب الأغراض من الدعاة ، يشعبذون به على الناس ، ويتخذونه سلماً إلى غاياتهم ، ووسيلة إلى أغراضهم ، ولكن أريد المساواة المعقولة ، التي لا ينزل بها انسان إلى منزلة البهيمية في طعامه وشرابه ومسكنه ، ولا يرتقي إنسان إلى منزلة الألوهية ، يدعيها كذباً وبهتاناً كما ادعاها فرعون من قبل ، وأن يكفل لكل مصرى (مهما كانت مهنته ، وكن عمله) طعامه وشرابه وكسوته ومسكنه ، كما يليق بالانسان أن يأكل ويشرب ويلبس ويسكن ، وأن لا يترك في مصر رجل واحد ، يعيش كما تعيش السائمة ، يأكل قريباً من طعامها ، وينام مثل منامها ، في الطرقات ، والحقول ، وعلى الأرصفة ، وفي الأكواخ ؛ وأناس يطعمون كلابهم الشكولاته ، وينفقون أموالهم في المراقص ، ويذيبون ذهبهم في الكؤوس .

فماذا يصنع العلماء والكتاب؟

وثالثها : السؤال ... إذا كان يجوز لمثلي السؤال ، عن الحكومة مالها تقر هذه الحال ، أولا ، في كثير من قوانينها وأنظمتها ، فتجعل المدارس الأولية متفاوتة الدرجات ، ولا تسوق ابن الغني وابن الفقير بعصا واحدة ، وتحشرهم في مدرسة واحدة ، كما تفعل وزارة معارفنا في الشام ؟ ومالها تعنى بالمشروعات الضخمة الكمالية ، قبل اتمام الضروري ، كأن القصد تنويع الحلوى للأغنياء ، قبل تقديم الخبز للفقراء ؟ !

وما لها لا تضع ، ثانياً ، القوانين التي تؤدي إلى إبطال هذا التفاوت ، وإلى رفع المنخفض وخفض المرتفع ، حتى تقترب الدرجتان ، وتتدانى الكفتان ، فتعمل بالإسلام في أخذ الزكاة من الأغنياء ، وردها على الفقراء ، وحينئذ تأخذ هذه (الأربعين ألف جنيه) قسراً بلا رجاء ولا شكر ، أو تعمل عمل الأمم الغربية ، فتكثر الضرائب على الدخل وعلى المواريث وتشرف على المعامل والشركات والمصارف ، ويكون لها الرأى في كل ما يمس المصلحة العامة — وهذه (اشتراكية) ليست من مبادىء الإسلام ، ولكنه لا يمنعها إن دعت إليها ضرورة ، والضرورات لها أحكام ، وتعريف الضرورة وأحكامها ، مبيّن في كتب الفقه ليس هذا موضع بيانه .

ورابعها : سؤال عقلاء مصر وقادتها ، ألا تخافون أن تأتيكم هذه الحال بالشيوعية ؟ ألا ترون بوادرها ؟ ألا تعرفون أخطارها ؟ ألا تقدرون أضرارها ؟ فلماذا تلبثون نائمين ولهيب النار يقترب من منازلكم ، فلا يلبث أن يشملها عليكم ، فيجعلكم فيها كالمحبوس في الجحيم ؟

إن الناس لا يقبلون على الشيوعية عن معرفة بها ، ولا عن حب لها ، ولكن دعاتها رأوا ما هم فيه ، وعلموا أنهم يتمنون أن يجدوا الخلاص منه ولو على يد الشيطان فأوهموهم أن الشيوعية هي سبيل الخلاص ، وأنها طريق السعادة وأنهم إن كانوا دعاتها ملكوا بها قصور الأغنياء ، وحقولهم وسياراتهم ، فلذلك تعصبوا لها ولا يدرون ماذا فيها ، فهم منها كما قال عبد الله بن عمر ، لمن لامه على ترك مؤازرة ابن الزبير في دعوته إلى الإصلاح : أرأيت بغلات معاوية الشهب اللائي يحج عليهن ؟

قال : نعم. قال : ذلك ما يريد ابن الزبير !

إنهم يئسوا منكم ومن دينكم ، فأروهم أنكم معنيون بهم ، وأن دينكم لا يرضى ما هم فيه ، إن الإسلام دين العدالة ، دين المساواة ، دين الخير ، أفيرضى أن يستعبد بعض الناس بعضاً في قرن العشرين الميلادى ، وقد أنكر ذلك عمر في القرن الأول الهجرى ؟

فلماذا لا تأتونهم بحق الإسلام ، لتخلصوهم به من باطل الشيوعية ؟

أما والله إذا صار هذا البلد (لا سمح الله ولن يسمح) شيوعياً فأنتم يا أيها العقلاء ، ويا قادة الرأى ، المذنبون ، لا العامة ولا الدهماء ولا الأغرار من الشباب !

وخامسها : سؤال المصريين جميعاً ، ألم يروا هؤلاء الأجانب ، أصحاب المتاجر والمعامل والمصارف لم تمتد يد منهم بقرش لرد هذا الوباء ، ومساعدة المنكوبين به ، ورفع البيوت التي هدمها ، وإطعام الأطفال التي يتمها ، والنساء اللاتي أيمها ؟ ألم يأن لهم أن يتنبهوا إلى أنهم أحق بخيرات بلادهم ؟ لا بالنهب والسلب والثورة وأخذ المال من أصحابه ، لا ما ذلك أردت ، ولا يريد هذا عاقل ، بل بأن تطرحوا عنكم ثوب الكسل ، وتشمروا عن

ساق العمل، وتنزلوا للميدان؛ وتعلموا حب المال، والرغبة فى الأسفار، وتتقنوا فن الاقتصاد، وصيد الدراهم، والتعاون على الكسب. بذلك تخلص إخوانكم الشاميون من سيطرة الأجانب، وانقذوا بلادهم منهم، ثم ذهبوا فغزوهم فى بلادهم، وانتزعوا أموالهم من أكفهم، وزاحموهم، فى مانشستر ونيويورك وبونس ايرس والكونغو وبومباى وطوكيو، وكل بلد فى الدنيا، ما خلت مدينة من تجار الشام.

إن بعض المراقبين يقولون مازحين: إن الشــاميين يهود العرب!

يهود العرب.. طيب والله!.. وهل نقاوم اليهود إلا بهذا؟ بارك الله فى تجار الشام — وإن كنت (أشهد الله) أكرههم، لما رأيت من طمعهم وجشع نفوسهم. وأتمنى أن أشد أصابعى على أغنياء الحرب منهم، ولكن الحق أحق أن يقال، ولا تنجح أمة إلا بأمثال هؤلاء التجار

هؤلاء الذين يشيدون مجدها، ويثبتون بناءها، ويحفظون مالها. فتى يكون المصريون مثل هؤلاء؟ ومتى أجيء مصر، فلا أرى فيها إلا لوحة عربية، باسم عربى، على مؤسسة عربية؟!

يا مصر، هذا هو الطريق! وهذا والله كلام صديق!

(القاهرة) **على الطنطاوى**

النظرية الحديثــة

فى تفســير الاحلام

للأستاذ عبد العزيز جادو

إن آداب كل أمة توضح بجلاء رغبة الرجل الملحّة، المستديمة، فى تعليق بعض الأهمية على أحلامه وإلباسها بعض المعانى. فمن فجر التاريخ إلى بداية هذا القرن كانت الأحلام تعتبر فى بعض الأحيان كأصوات للالهية الباطنية، وجولات للذات النجومية، وزيارات للروح، وتنبؤات بالمستقبل، أو نتيجة اضطرابات جسمية باطنية.

وفى عام ١٩٠٠ حوّل الأستاذ سيجموند فرويد ما اعتبره خرافات وأوهاماً خاطئة فى تعليل الأحلام إلى «دراسة علمية». فلقد وجد، ككل العلماء، أن الالتجاء إلى الحدس والتخمين عمل محفوف بالمكاره.

وإن رجالاً من أمثال جوليان هكسلى، وهـ. ج. ويلز، وهافلوك إليس، ليدفعون إتاوة لفرويد. كما أن العالم أجمع يقدره حق قدره ويعده من أنبغ النابغين فى جيله.

للأحلام وجهان:

لا يخفى أن لكل قطعة من العملة وجهين، لا نرى منهما إذا وضعت القطعة على نضد إلا الجانب الفوق. كذلك لكل حلم وجهان؛ فالحلم الذى نعيه عند الاستيقاظ هو الرأس أو الوجه، ويعرف فى الاصطلاح الفنى بالمحتوى الظاهر؛ أما الحلم الحقيقى، الذى لا يفسره التحليل أو يوضحه فهو «الخلفى» أو المحتوى الباطن. ومشكلة تحليل الحلم هى أن نرجع إلى الحلم الحقيقى، أى المادة المستترة.

ولكن لم هذه الضرورة لحلم حقيقى وحلم غير حقيقى؟

إن حلماً كهذا الذى تذكره عند استيقاظك من النوم إن هو إلا شيء باطل ملفق، وتمويه مطبق. وإنه لوسيلة لإخفاء القصة الحقيقية. قد تسأل: «لم هذا الإخفاء؟» ونحن لا يسعنا إلا أن ندلى برأينا كاشفين عن السر القناع.

إن للعقل «جزئين» كما هو معروف؛ الواعى والباطن. الأول كتاب قانون للجماعة، وهكذا نسميه، لأنه يحوى جميع النواهى وكل الأوامر، كما يحتوى على قواعد حسن السير والسلوك. وإنه بمثابة مجموع أو حاصل لمبلغ تربيتنا وتهذيبنا من عهد الطفولة وما بعدها.

أما العقل الباطن فإنه يحتوى على نواة الرغبة. ويتبع نظام حفظ الأوراق بالترتيب مع الذات الفيزيقية، على نسق فهرس، يشتمل على فكر وتصورات فى غاية الهمجية — تصورات تدل على الطبيعة الفجة «الخام».

ويمكنك أن ترى بين العقلين خلافاً جوهرياً؛ أحدهما يريد، والآخر لا يريد.. أحدهما ذو الطبيعة الهمجية يلتقى بحاجيات الطبيعة؛ والآخر إنسان متمدن يوفق بين طلبات المدنية.

ومن تعارض هذين العقلين تنشأ الأحلام.

الحوار الداخلى :

قد يتوقع المرء أن يؤثر الحوار الداخلى فى الفرد فيوقظه ، ولكن آلية الحلم جعلت هذا الجدال الداخلى محرفاً فى معناه ، ومشوهاً فى شكله ، لكى يكون النوم باقياً مستمراً ومحفوظاً . والحلم إذ نذكره — أى فى حالة المحتوى الظاهر — إنما يستخدم غرضاً واحداً ، هو قيامه بمثابة حارس للنوم . وإنه ليلجأ إلى أنواع التزويق والخداع لكى يصادف هذا الغرض .

والمحتوى الكامن أو الباطن للحلم ، أى الحلم الحقيقى ، يخدم غاية تختلف تمام الاختلاف عما سبق . فهو يرضى رغبة عقلية داخلية ، يحرك عاطفة خاصة وتحثها لإنشاء تحول كيمى وفزيقى ، أو أصوات متعددة ذات وتيرة واحدة منسجمة أى إنها تسبب قيام غدد معينة بالإفراز ويحدث تغييرات كيمائية مختلفة ، أكثر مما لو كان الشخص قد تناول علاجاً منعشاً عند النوم . وإلى هذا يرجع السبب فى شعور المرء بالراحة عند استيقاظه .

الآن وقد كونا فكرة صحيحة بل صورة ذهنية حية لهذين العقلين المتناقضين ، نستعرضهما وكأنهما غرفتان متلاصقتان ونتخيل حارساً يقف عند المدخل كديدبان ولنسمه « الرقيب » . وهذا مهمته كمهمة الرقباء أثناء الحرب سواء بسواء — يصرحون بنشر أخبار معينة ويمنعون من النشر أخرى . وهذا الرقيب هو الذى جعل للحلم وجهين بطائفة من الحيل كالرمزية ، والتحريف ، والتكاثف ، والعواطف المزيفة ، والاستبدال . وكل هذه ، بطبيعة الحال ، معلومات فنية عالية . وهى مع ذلك يمكن شرحها بسهولة .

إن المرء لفى حاجة ماسة للتعرف على كيفية عمل الرقيب ، وإنا لذلك سنمضى فى متابعة الطرائق المختلفة ، ونعرض أحلاماً رمزية بطريقة التصوير .

الرموز :

الرمز عبارة عن علامة تعنى شيئاً ما . فالدوائر الثلاث المتداخلة معناها التضامن أو التعاون . والبولدوج رمز للمتانة أو التشبث . كما أن الأسد رمز للشجاعة والاقدام . والثعلب رمز للمكر والدهاء . وهذا قليل من كثير لا حصر له ولا عد . وثمة شىء غريب آخر عن الرموز ، هو أنها تحرك العواطف وتستفز الشعور على الفور وبأسرع ما يمكن . يقول الشاعر أو الناثر أو الخطيب « زمجر كالأسد » . كم يكون وقع هذه الجملة فى السامع ! وكم تكون حيويتها وتأثيرها ! أليست أشد وقعاً فى النفس مما لو قال « زمجر عالياً ! » ... ومن ذا الذى لا تهزه الأريحية ولا تأخذه النخوة عند سماع النشيد القومى أو السلام الملكى ! ..

ثم أليس هناك آلاف ممن جندوا أنفسهم واستعدوا للدخول فى غمار المهالك ، واستنفاد آخر قطرة من دمائهم من أجل خفوق قطعة من قماش مصبوغة باللون الأخضر ومرسوم عليها هلال وثلاثة أنجم ؟ لا لأنها تقوم على نصرة المملكة المصرية فحسب ، ولكن لأنها رمز يحرك العواطف ويذكيها حماسة .

وعلى ذلك يمكننا أن نرى أن الرمز ليس إلا مؤثراً آلياً أو ميكانيكياً فى الأحلام لا يقدر بثمن ، لأنه يحرك العاطفة لسعادة جسمية .

أما رموز الأحلام فهى غالباً ما تكون سرية (أو خاصة بالحالم ذاته) ومن ثم فإنك ، أنت نفسك ، عندما تستيقظ من النوم ، ولا تفهم شيئاً من معانى ما رأيت فى حلمك .

دراسة الأحلام :

إن الرموز التى أسلفنا القول فيها هى فى الواقع معروفة وليس هناك من يجهلها . ولكن لرموز الأحلام ميزة الخصوصية والسرية . فمن ذا الذى يعرف تلك الرموز ؟

الخبرة فى تحليل الحلم تعرفنا بالقليل من معانى الرموز ، ولكن أفضل طريقة لدراستها هى دراسة الحالم . والطريقة المتبعة فى ذلك من السهولة بمكان ، وهى أن تستقصى ما يذكرك بالأشياء . مثال ذلك أنى حلمت بامرأة ذات أسمال بالية تقوم بعمل أشياء مختلفة ، فتساءلت عما يذكرنيه امرأة ذات ثوب خلق . وذكرت أنى منذ سنين قليلة كنت فى حفلة رقص تنكرية حيث كانت فتاة ترتدى ثوباً خلقاً ممثلة الفاقة . فكان من الواضح إذن أن الفتاة التى رأيتها فى الحلم تعنى الفاقة . بيد أنى لم أحلم بالفاقة ، لأن هذا قد لا أستسيغه فيزعجنى ويوقظنى من النوم . فيتكرم « الرقيب » مشكوراً ويرينى تلك الفتاة الجميلة ، الرشيقة ، بهيئة مرضية ، ليستدرجنى فى دروبه كيف شاء له الهوى تاركا إياى أغط فى نوم عميق مريح

وثالث بحلم رمزي بسيط :

كان الحالم طفلا فى الثامنة من عمره . رأى أن كلباً وقطاً يتشاجران . كان الكلب أسمر اللون ، وكان القط أحمر اللون . ورأى فجأة أن الكلب والقط قد دخل كلاهما فى الآخر وتكون منهما حيوان فرد فيه شبه من القط ، وفيه شبه من الكلب ، فاستيقظ من نومه باسماً . ولما سئل عن أقرب شجار شاهده أمامه كانت النتيجة أن أمه وأباه كانا يتشاجران دائماً شجار الكلاب والقطط . وفى ذلك اليوم على الأخص كان عراكهما فظيعاً . وكانت هذه آخر معركة رآها قبل أن يرى فى الحلم كلباً وقطاً يتشاجران …

لقد كان أبوه أسمر اللون ، وكانت أمه شقراء . فمن الواضح أن الكلب كان أباه ، وكانت القطة أمه . ولقد كان انزعاجه من رؤية حيوانين يتشاجران لا يقاس بجانب انزعاجه من عراك والديه . إنه يريد أن يقف عراكهما عند حد ، وأن يتصافيا ، لأنه تصورهما وقد امتزجا معاً وصارا وحدة . وإن هذا ليسره فيستيقظ باسماً . وهكذا نرى أن تفسير الحلم بسيط غاية البساطة . ولكنى أرجو أن تدرك تماماً أيها القارىء العزيز أن الحلم لا يوضح ولا يشير إلى ما سوف يفعله أناسه أو ما قد يفعلونه ، ولكنه يبين ما يفكر الطفل فيه . بيد أن هناك ما هو جدير بكل اعتبار ألا وهو أنه ما من حلم إلا ويبين اتجاه الحالم نفسه لا اتجاه أحد غيره . وعلى كل من اشتغل بدراسة الأحلام أن يذكر أن هذه النقطة من الأهمية بمكان .

وبما أنه لا يوجد للان أى حلم يبين بوضوح لأى شخص تركيباً آليا ، بل تراكيب من مختلف الأساليب ، فإننا نخطو إلى أحلام أكثر تعقيداً . وقبل أن نقدم على هذا ، علينا أن نتعرف السبب الذى يجعل الأحلام معقدة أو فيها شىء من التعقيد . ذلك لأنها ذات تحريم جنسى .

التحريمات الجنسية :

لقد هاجم رجال الدين فرويد بسبب اعتماده على الجنس . فرد عليهم ما زحاً ، ولكنه أظهر الناس على بعض الحقائق السافرة وأظهر بالتحليل تسلط الجنس على النفس الداخلية ، وأزال كثيراً من أوهام المتصوفين .

على أن فرويد لم يقل أن كل الأحلام جنسية ، أو إنها يجب أن تكون جنسية ، وكل ما فى الأمر أنه دون فى بيانات صحيحة أن السواد الأعظم ذو طبيعة جنسية . وقبلما نحاول تحريم أو نبذ هذه النظرية التى تحاول الكشف عن الطبيعة الجنسية فى الناس يستحسن أن نرفع النقاب عن المعلومات الجنسية . ولنكن صرحاء للغاية القصوى بدل أن نخفى أنفسنا على طريقة النعامة ، إذ نضع رؤوسنا فى رمال الزمن المرتحل .

إن البيولوجيا تبين بوضوح وجلاء أن هدف الحياة ما هو إلا حفظ الحياة والتكاثر فيها . فبدون النشاط الجنسى ، وبدون الحافز للحياة ، يموت كل شىء ، ولا يبقى شىء .

وإذا كان هذا هو أهم شىء فى العالم ، وهو بالفعل كذلك ، فلم ندعى أنه يقوم بدور بسيط تافه لا يعتد به فى ذواتنا الفيزيقية ؟

إن الحقائق الجنسية أصعب من أن تواجه فى حالة طبيعية . فهى اختبارقاس . ولا داعى لبيان أهمية الجنس ولا للتعريف بأنه أعظم شىء فى الحياة ، إذ أن كثيراً من العقول المفكرة قد أقامت البرهان القاطع على أنها نواة كل سلوك .

عبد العزيز جادو

حول جدل فى الجامعة

للأستاذ عبد الفتاح بدوى

— ٢ —

منذ نشرت مجلة « الرسالة » تقرير الأستاذ أحمد أمين بك عن [الفن القصصى فى القرآن] ، والأستاذ محمد خلف الله يبعث بالمقال تلو المقال تارة يستجدى وتارة يستعدى ، وليس العلم تناصراً ولا استصراخاً فليعلم أن الناس جميعاً علماءهم وفنانيهم لن يغنوا عنه من الحق شيئاً ولا من وقع الحجة وأصابتها مقتله فتيلا وليست شتائمه أساتذته أو غير أساتذته ولا خوضه فى مقاماتهم بالكلام الخبيث ما نعته من صولة البرهان .

ولقد وجهنا إليـه فى مقالنا السابق تهمة أولى أنه يجهل القررات المنطقية التى تجمع عليها العقول ؛ فهل هو مجيب عن هذه التهمة ؟

ووجهنا إليه فى مقالنا السابق تهمة الكذب على الأستاذ الإمام محمد عبده أنه يجرى فى تفسيره على اعتبار أن ما فى القرآن من قصص لا يدل على أحداث وقعت وأقمنا البرهان على كذبه هذا بمـا نقلنا من نص عبارة المنار .

واليوم نقول للأستاذ خلف الله أنه جهل فهم كلام الأستاذ محمد عبده فى الفقرة التى نقلها فى مقاله المنشور فى ص ١٠٦٨ من مجلة « الرسالة » الغراء ، وأنه جهل المنهج الذى يدرس عليه القرآن الكريم .

يدرس القرآن الكريم على منهجين : الأول منهج [الباطنية] وهم فرقة من الملاحدة يعطلون ألفاظ القرآن عن مدلولاتها ، ويسلكون بها سبيلا تخيلية وهميـة توصلا بذلك إلى تعطيل الشريعة الغراء فهم يدعون للألفاظ أو للجمل مراداً عاماً لا ينبنى على أسس علمية وهؤلاء كفار والجرى على طريقتهم كفر وجهالة .

لأن مذهبهم هذا مجرد دعاوى لا تنبنى على شىء من العلم . فهم يقولون مثلا فى تفسير قوله تعالى : [وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين] استقيموا لله وطهروا أنفسكم بالأخلاق الحسنة وكونوا خاضعين ، وليست هناك صلاة شرعية ولا زكاة شرعية ولا سجود ولا ركوع .

والمنهج الثانى : فى دراسة القرآن الكريم منهج المسلمين ، وهو منهج العلم والعقل الذى تقوم عليه نواحى الحياة كلها وليس خاصاً بالقرآن الكريم وحده ؛ ذلك أن الكلام يجب أن يكون لألفاظه مدلولات حقيقية تنصرف إليها تلك الألفاظ ولا يعدل عنها إلا إذا وجدت قرينة تمنع من إرادة تلك المدلولات الحقيقية فأما ترك تلك المدلولات الحقيقية مع عدم وجود تلك القرينة التى تمنع من إرادة الحقيقة فإنما هو فى غير القرآن خبل وجهالة وإذا ادعى شىء من ذلك فى مقام القرآن الكريم فهو خبل وجهالة وزندقة يخرج بها صاحبها عن عداد المسلمين لأنها تعطيل لكلام الله تعالى الذى أنزل لهداية البشر أجمعين .

ومن المسلمين من يقف فى تفسير القرآن الكريم عند هذا الحد لا يتعداه ؛ بل يحمل الكلام على الحقيقة ما أمكن ذلك ثم على المجاز الذى تدل عليه القرينة عند وجودها ، ولا يقولون إن القرآن يشير من وراء هذه الحقيقة أو هذا المجاز إلى شىء من باب الإشارة والإيماء لأن هذه الإشارة وهذا الإيماء لا تدل الألفاظ عليه .

ويقول الصوفيون من المسـلمين إن فى القرآن إشارات وإيماء من وراء تلك الدلائل الحقيقية ، وهذه الدلائل الإشارية الإيمائية ملحوظة عند هؤلاء الصوفيين مرعية لديهم حق رعايتها .

فمذهب الصوفية يخالف مذهب الباطنية كل المخالفة لأن الباطنية يعطلون الألفاظ عن مدلولاتها . فهم لا يعتبرون آدم شخصاً ولا الملائكة موجودات ، ولا الجنة شيئاً ، ولا إبليس حقيقة ؛ إنما يقولون فى ذلك كله ما يقول الأستاذ خلف الله إن القرآن فى ذلك لم يتشبث بالواقع ، أما الصوفية فيقولون بأن كل هذه الألفاظ لها مدلولاتها الحقيقية ثم يشير مجموع القصة إلى أمور أخر كالتى ذكرها الأستاذ الإمام فى قوله : وتقرير التمثيل فى القصة على هذا المذهب هكذا : « إن إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة فى الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه إلى آخر ما قال . فمحال أن يكون الإمام قد قصد إلى تعطيل الألفاظ والذهاب مذهب الباطنية .

وإنى ناقل هنا عبارة الأستاذ الألوسى إذ تشرح هذا المنهج وترى الأستاذ خلف الله أنه كان على جهل حين زعم أن من المسلمين من يرى أن القصص القرآنى لا يتصل بالواقع وكان على خطأ لم يفهم به كلام الأستاذ محمد عبده ؛ قال الألوسى : وأما كلام السادة الصوفية فى القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ، وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان لا أنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن فقط إذ ذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نفى الشريعة بالكلية ، وحاشا سادتنا من ذلك ؛ كيف وقد حضوا على حفظ التفسير الظاهر وقالوا : لا بد منه أولا إذ لا يطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ، ومن ادعى فهم أسرار القرآن قبل أحكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب .

والألوسى فى تفسيره ينهج هذا المنهج أبداً فهو يفسر الأسلوب القرآنى على حقائقه اللغوية فإن قامت قرينة على غير الحقائق انصرف إلى المجاز الذى تدل عليه اللغة ؛ ثم يعقب على ذلك كله بتفسير الصوفية فيقول : ومن باب الإشارة ... ويذكر الإشارات الصوفية فى ذلك المقام .

والأستاذ محمد عبده نهج هذا المنهج نفسه ، واختار لنفسه فى المتشابه منهج السلف والأخذ برأى الخلف فيه عند الإمكان وعند الداعية إليه فى فهم الكلام ثم يذكر مذهب الصوفية وهم من الخلف ويقرر مذهبهم الإشارى كذلك ويصرح فى كثير من كلامه بكلمة الإشارة وبكلمة الإيماء ؛ قال فى ص ٢٦٩ من الجزء الأول من المنار . فإذا صح الجرى على هذا التفسير فلا يستبعد أن تكون [الإشارة] فى الآية إلى أن الله تعالى لما خلق الأرض ودبرها بما شاء من القوى الروحانية التى بها قوامها ونظامها ؛ وجعل كل صنف من القوى مخصوصاً بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعداه ولا يتعدى ما حدد له من الأثر الذى خص به خلق بعد ذلك الإنسان وأعطاه قوة يكون بها مستعداً للتصرف بجميع هذه القوى ....

وقال صاحب المنار فى تلك الصفحة نفسها : « وأقول إن غرض الأستاذ من هذا التأويل الذى عبر عنه بالإيماء وبالإشارة إقناع منكرى الملائكة بوجودهم . وكان مساق هذا الكلام كله بعد عبارة طويلة نقلها من كلام الغزالى فى الإحياء . فهو إذن بيان لمذهب الصوفيين .

فمن الافتيات على الأستاذ محمد عبده افتياتاً جريئاً فيه عدم الاستحياء من الحق ما قاله الأستاذ محمد خلف الله عن الإمام محمد عبده إذ ينسب إليه أنه يرى أن القصص القرآنى لا يلتزم الواقع أو أنه جرى مع أحد هذا المجرى وذهب معه هذا المذهب الذى يدعيه .

ولقد حاولت أن ألتمس للأستاذ خلف الله بعض المعاذير ، ولو أوهاها فى التورط فيما تورط فيه فمنعنى سلوكه ، وحالت بينى وبين ذلك خلائقه ؛ ذلك أننى وجدته مدلساً فى النقل خائناً للأمانة العلمية فهو يكذب فى النقل أو يبتر المنقول ولا يتمه بل يخفى منه ما يبين المراد تمويهاً للحقيقة وإلباساً على الناس .

لقد قال فى ص ١١٢٢ من مجلة « الرسالة » الغراء : ويؤكد الرازى هذا الأمر فى مناسبات أخرى حين يجمل أحياناً كلمة « بالحق » التى ترد كثيراً فى القرآن بعد القصص وصفاً لما فى القصة من توجيهات دينية فهو مثلا يقول عند تفسيره لقوله تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » ما يأتى : (أما الحق فهو إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة) .

وإنى ناقل عبارة الفخر الرازى بنصها شاهداً على تدليس الأستاذ محمد خلف الله فيما ينقل من عبارات العلماء قال الفخر قوله تعالى : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) اعلم أنه تعالى لما ذكر القصص الكثيرة فى هذه السورة ذكر فى هذه الآية نوعين من الفائدة أولها تثبيت الفؤاد على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى ، وذلك أن الإنسان إذا ابتلى بمحنة وبلية ، فإذا رأى له فيه مشاركا خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة إذا عمت خفت ، فإذا سمع الرسول هذه القصص وعلم أن حال جميع الأنبياء صلوات الله عليهم مع أتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه . والفائدة الثانية قوله : وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين . وفى قوله (فى هذه) وجوه

أحدها فى هذه السورة . وثانيها فى هذه الآية . وثالثها فى هذه الدنيا ، وهذا بعيد غير لائق بهذا الموضع ، واعلم أنه لا يلزم من تخصيص هذه السورة بمجيء الحق فيها أن يكون حال سائر السور بخلاف ذلك لاحتمال أن يكون الحق المذكور فى هذه السورة أكمل حالا مما ذكر فى سائر السور ، ولو لم يكن فيها إلا قوله تعالى فاستقم كما أمرت لكان الأمر كما ذكرنا ، ثم إنه تعالى بين أنه جاء فى هذه السورة أمور ثلاثة : الحق والموعظة والذكرى . أما الحق ، فهو إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة ؛ وأما الذكرى فهي إشارة إلى الإرشاد إلى الأعمال الباقية الصالحة ؛ وأما الموعظة فهى إشارة إلى التنفير عن الدنيا ... اه .

فالفخر الرازى ليس فيه شيء مطلقاً لا من قريب ولا من بعيد مما نسبه إليه الأستاذ محمد خلف الله فرية واختلاقاً ، فالفخر يجعل اسم الإشارة راجعاً إلى السورة ، يعنى سورة هود ، ويجعل الحق الذى فيها هو الدلائل الدالة على التوحيد ، ولعل عند الأستاذ خلف الله ، أو الذى كان يشرف معه على رسالته نسخة خطية خاصة من كتاب الفخر الرازى عملت لهما فقط وخط لهما فيها ما يشاءان ؟ ما هذا يا أستاذ ؟ وما هذه الخيانة فى العلم ؟ !

ومثال البتر فى النقل ما قاله الأستاذ خلف الله فى نفس الصفحة إذ نقل قول الفخر الرازى عند تفسير قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) الأول أنهم كلما سمعوا شيئاً من القصص قالوا ليس فى هذا الكتاب إلا أساطير الأولين ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها)

والفخر الرازى قال ذلك ولكنه أتم كلامه فقال فى شرح تلك الأمور « فأولها بيان قدرة الله تعالى على التصرف فى هذا العالم . وثانيها أنها تدل على العبرة . . وثالثها أنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر قصص الأولين من غير تحريف ولا تغيير مع أنه لم يتعلم ولم يتتلمذ دل ذلك على أنه يوحى من الله . . الخ

فكلام الرازى صريح فى أن القرآن لا يذكر القصة لأنه كتاب تاريخ بل يذكرها لما فى ذكرها من الفوائد التى ذكرها وكلام الفخر الرازى صريح فى أن القرآن لم يحرف فى القصص ولم يغير وكان ذلك دليلا على أنه يوحى من الله .

أما دعوى الأستاذ خلف الله فهى أن القصص القرآنى لا يتشبث بالواقع وإذن فلابد له من التدليس فى النقل ليتوهم القارىء أن للكلام الذى يقوله الأستاذ خلف الله أصلا فى كلام السابقين

صارت الصفات التى يتمتع بها الأستاذ خلف الله فى مقاليه فى الرسالة ثلاث صفات الجهل والكذب والخيانة .

وإذا كان للكانون عند العرب ثلاث أثافى فإن كانون الأستاذ خلف الله له أربع أثافى تلك الثلاث التى مضت وسنرميه بالرابعة .

ولقد كان يمكننا أن نرميه بها بادىء ذى بدء بعد أن حصلنا على ما حصلنا عليه ولكنا آثرنا أن نقدم بين يدى ذلك جهله وكذبه وخيانته ، ثم نقيم عليه الحجة والدعوى معاً

لقد وقعت الرسالة فى أيدينا وقرأناها كما قرأها سوانا ولكم الويل مما تصفون . لكم الويل فانتظروه فى الأعداد القوادم وفى ساحات القضاء .

عبد الفتاح بدوى
كلية اللغة العربية

الصـــدق فى الأدب

للأستاذ مهدى القزاز

فى بعض الأوقات تكون قلوبنا عامرة بالعواطف ، مثقلة بالإحساسات ، تتدفق بألوان الشعور ، وتحيا بفيض من الإشراق وتنبض بمختلف الأمانى والأحلام ... تحاول الانطلاق فى أجواء فاتنة تضج بالأنغام والأضواء والشذى والعطر ، لتنغمر فى الوجود الذى يهيىء لها الابداع والخلق والابتكار ، إذا كان لها نصيب من حسن الذوق وبراعة الإنتاج ..

يشعر القلب فى مثل هذه الفترة أن الحياة تتفجر نوراً وجمالا وتتضوع أريجاً مسكراً ، فيختلج ليلهم الأديب الفنان والشاعر الملهم والكاتب الموهوب أروع الصور الذهنية ويضفى على انتاجهم روعة الصدق وحرارة الإخلاص وسمو العاطفة ، فيحيا فى كل أعمالهم وما يفكرون وينتجون ويبدعون ، فيكون لأدبهم وكتاباتهم أثر فى كل نفس وصدى فى كل روح لأنها نتيجة شعور صادق وإيمان عميق بما يكتبون ويفكرون ...

وفى بعض الأحيان تجدب قلوبنا وينتابها التبلد والخمول وتتيه فى ظلمة قاسية من الجفاف والخواء ترقد فيها العواطف وتشيع الكآبة فى النفس وبرين الحزن على القلب فلا يشعر بالنور وتتلاشى فيه الأضواء وتنعدم الأخيلة ، فيحس أن الحياة مغمورة بالضباب فلا ترى العين ولا ينفذ الفكر ولا يومض الذهن وفى مثل هذا العدم يتوقف القلب عن الإيحاء الصادق ولا يوحى إلا بالتافه من الأمور والضحل من الأفكار .

فى مثل هذه الحالات يجب على الأديب الصادق الذى يكتب بعاطفة وشعور يستمدهما من قلبه أن يريح قلمه إلى حين وإلا بدا عليه الاسفاف ظاهراً والاجترار ملموسا والتكلف واضحاً لأن نبضات قلبه يجب أن تبرز دائماً فى كل عمل من أعماله الأدبية وإنتاجه الذهنى فإذا فقدها خلت كتاباته من عنصرها الأساسى وهو (روح الكاتب) .

يقول الأستاذ (توفيق الحكيم) فى كتابه (زهرة العمر) « إن تربية ملكة العقل وحدها لا تكفى عند رجل الأدب والفن إن لم يصحبها إيحاء القلب وإلهام العاطفة وملكة التذوق ... وهو يشترط اشتراك القلب ووحيه فى كل عمل من الأعمال الذهنية والانتاج الفكرى » .

فالقلب ينبوع العواطف والأحاسيس منه تنبعث أحلى الأنغام وأسطع الأضواء وأعذب الألحان وأعمق الأفكار . وفيه تحيا كل القوى التى تسيطر على حياتنا وتجعلها مشرقة وضيئة حيناً وقاتمة مظلمة حيناً آخر . أما العقل فهو القوة التى تنظم ما يجول فى القلب من تيارات وينبض فيه من عواطف وأحاسيس ، وعمله كعمل الفنان أو المصور الذى يضفى بريشته وألوانه على الصور والألحان ما يزيدها عذوبة وجمالا ويعطيها جاذبية وإيحاء يكسبها الخلود .

* * *

يحسب بعض الناس أن الأدب لا يعدو كونه صناعة من الصناعات لا يحتاج إلى فهمه والنبوغ فيه كبير مشقة وعناء إلا ما يحتاجه صاحب المهنة لإتقان إحدى الصناعات اليدوية والبروز فيها والتفنن فى إظهارها للناس بالمظهر الذى يجعلها أكثر اتقاناً وإغراء للشارين . كما يحسبه بعضهم تجارة تخضع لقاعدة العرض والطلب فيفهمون الأديب الناجح بمقدار ثروته وما تدر عليه كتاباته من مال وثراء فإذا أخفق فى جلب الثروة ولم يتمكن من الربح المادى عدوه فاشلا ونظروا إلى كتاباته نظرة عدم اهتمام كما ينظرون إلى بضاعة من البضاعات كسدت ولم يبق لها شار فى السوق .

وبعضهم يرى الأديب الناجح من كثر إنتاجه وتعددت الصحف التى يكتب فيها والتى تنشر اسمه وتنوه بكتبه وآثاره غاضين النظر عن قيمة هذه الكتب والآثار الأدبية من وجهة الجمال والفن والابداع ، وما فى أفكار صاحبها من ابتذال وفسولة .

وهؤلاء الذين فهموا الأدب والأديب هذا الفهم الخاطىء معذورون لأنهم لم يتوصلوا إلى فهم الحياة أو يتذوقوا مافى الوجود من أسرار وجمال وعواطف . ولأنهم يكتبون ويفكرون ويحكمون بعقولهم فقط تاركين قلوبهم هملا لا تحيا فى أعمالهم الأدبية وما يصدرونه من أحكام . كالآلات الميكانيكية تعمل وتنتج فى كل وقت وفق خطة مرسومة لا تحيد عنها قيد شعرة .

وبسبب هذا الفهم المغلوط وانتشاره فى الأدب العربى والأدباء العرب نشاهد كثيراً من الذين يكتبون ويؤلفون تبدو آثار الصنعة والتقليد وبرودة الموت فى إنتاجهم لأنهم يكتبون بدون عاطفة وإحساس بهذا الخارق العظيم فى الحياة وهو القلب ولزوم اشتراكه

أو ظهوره فى إنتاجهم وكل أعمالهم . وذلك لأنهم تعلموا الأدب ودرسوه كصنعة من الصناعات ومهنة من المهن لذلك جمد إحساسهم وماتت عواطفهم فجاء أدبهم صورة تنطق بالفقر من الإحساس والتصوير والابتكار .

وإنى أطالع أحياناً ما يكتبه الكاتبون والأدباء ، وخاصة فى الأدب الوجدانى ، فأرى فى آثارهم صدق الإحساس وحرارة التعبير وشبوب العاطفة ، وهذه هى صفات الأدب الصادر فى صدقه وحرارته وشبوبه عن وجدان حساس تهزه العاطفة فينتفض وتمسه الأزمة فيرتمش . وأطالع أحياناً أخرى آثار بعض الأدباء الآخرين فأرى التكلف فيها واضحاً والاجترار ملموساً والصنعة ظاهرة وهذه هى صفات أدب التصنع الذى لا يثير فى النفس إحساساً ولا يحرك عاطفة ولا يعالج عقدة ، وذلك لأنهم يكتبون كتابة آلية لا تدعوهم إليها دواعى الوجدان أو تثيرهم إحدى الأزمات النفسية فتلهب عواطفهم وتحرك قلوبهم .

وإنى امرؤ أقرأ الأدب بقلبى وعاطفتى وأحكم على صدقه بما يثيره فى نفسى من اهتزازات وأحاسيس تجعلنى أشارك كاتبه فى الشعور والإحساس رغماً عنى لأنه صادر عن قلب حساس يتألم أو ينتشى ، ويصور بصدق ما ينتفض فى القلب من اختلاجات وما يجول فى الذهن من أمانى وآراء . أما الأدب الكاذب فهو الذى لا يثير أدنى شعور ولا يحرك خلجة فؤاد لأنه صادر عن عقل جامد صدىء يتصنع الشعور ويتكلف الإحساس .

إن القلب يجب أن يحيا فى كل ما يكتبه الكاتب والأديب وإلا جاء إنتاجه ممسوخاً وخالياً من كل شعور أو إحساس ، لأنه يكتشف بذلك عوالم مليئة بالجمال حافلة بالمتع والمباهج . حتى الألم عنده له لذة غريبة تكسب أدبه جمالا فنياً رائعاً كجمال تماثيل الفواجع الخالدة . وعندها يكون تفكيره وإنتاجه صادقاً ينقل الصور ويسجل الحوادث ويزيد فى ذخيرة الأدب لوناً يكسبه الخلـــود ...

لذلك يجب على الأديب الحق الذى يحاول أن يكون فى أدبه خالقاً وفى آرائه مبدعاً وفى تفكيره ناضجاً ، أن تكون هناك صلة وثيقة دائمة بين عقله وقلبه وقلمه وبما يفكر ويكتب ويصور ، لأن جميع الأعمال الأدبية والفنية لا يكتب لها الخلود إلا إذا كانت صادرة من قلب ينبض وعقل ينظم وقلم يكتب ويصور .

أما هؤلاء الذين نراهم ، فى كل يوم ، يسودون الورق بهزيل الأفكار وتنميق الألفاظ وبهرجة العبارات بدون أن يكون لإنتاجهم صدى يبعث فينا الروعة التى نشعر بها أو نحسها عندما نطالع أثراً أدبياً أو نرى عملا فنياً اشترك فيه القلب والعقل . أما هؤلاء فسيظلون على الهامش وستذهب كتاباتهم مع الريح .

(بغداد) مهدى القزاز

من صور الطريق

للأستاذ مهدي السامرائي

هذا الطريق المرصوف بالحجارة والقار كم تطأه من الأقدام وكم تمر عليه من الأجسام وكم تسير فيه من النفوس ، كل مهم بشأنه كل سابح في عاله وأحلامه وكل لاه بأمره عن أخيه الذي يسير بجنبه ويعيش وإياه في بلد واحد ووطن واحد .

يكاد يكون هذا الطريق كتاباً مفتوحاً تقرأ فيه تاريخ البشرية من أقدم عصورها حتى أرقى ما وصلت إليه من حضارة وتقدم ، وفيه يشاهد المتأمل كثيراً من الصور الآدمية تعكس له حياة المجتمع الذي نعيش فيه وما به من فوضى واضطراب وما هو عليه من تناقض وتباين .

في بدء هذا الطريق الذي اسلكه كل يوم صورة من تلك الصور التي رسمتها يد الحياة الجائرة بريشة من شقاء وبألوان من فقر وجوع ومرض ؛ صورة لا أبالغ إذا ما قلت رسمها فنان وهو في ثورة جنونية لجاءت فنية رائعة تمثل لنا شقاء البشرية في القرن العشرين .

كان لا يتجاوز العاشرة من عمره كفيف البصر ؛ ذهب المرض بكلتي عينيه فأفقده نور الحياة وتركه يتعذب ويحيا في عالم من الظلام الحالك ويتخبط في ديجور من الفاقة والذل ؛ ولكنه كان يشعر ويحس ويرى بعقله ما لا يراه كثير ممن أوتوا نعمة النظر ؛ أولئك الذين ينعمون في حياتهم ، ويسعدون بأحلامهم وآمالهم لاهين عن أمثاله من بني الإنسان ممن ظلمهم نظام اجتماعي فاسد وفوضى اقتصادية ضاربة أطنابها في طول البلاد وعرضها . كان يحس ويشعر لأنه دقيق الإحساس رقيق العاطفة أوتي من الذكاء حظاً وافراً ، ومن الفطنة قدراً كبيراً فكأنه أوتي حكمة الشيوخ وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره ، ومعرفة الحكماء وهو لم يقرأ كتاباً واحداً . إتخذ من قنطرة بالقرب من (دارهم) ملجأ يلجأ إليه ، وكان يسميها دارنا مفتخراً ولكنها لم تكن في الحقيقة سوى زريبة حيوانات لا تتعدى مساحتها العشرين متراً تضمه هو وأمه وإخوته الخمسة الصغار يضاف لذلك عدد كبير من الدجاج وحمار كان يربط في ساحة الدار .

عند هذه القنطرة كان يرابط طفلنا من الساعة الثامنة صباحاً حتى الثامنة مساء يؤدي واجبه دون ما كلل أو عناء يؤدي واجبه الذي فرضه عليه أبوه المريض وأمه الجائعة يؤديه بنفس معذبة وروح متألمة لأنه واجب بغيض لهذه النفس الأبية وتلك الروح الحساسة . وطريقته في تأدية هذا الواجب كانت غريبة في بابها وبأسلوب مبتكر عجيب لم أشاهد مثله عند مئات بل آلاف أمثاله من المستجدين أولئك الذين يملأون الشوارع والأزقة ويتفننون في أساليب الشحاذة والاستجداء كان إذا سمع وقع إقدام تمر بجانبه قام متثاقلا من جلسته المؤلمة التي يتمثل فيها ظلم الإنسان لأخيه الانسان قام وهو يردد جملتين بلغة انكليزية ركيكة مؤداهما (أنا فقير) (إعطني درهماً) .

كانت هذه طريقته في الاستجداء وطلب المال وكثيراً ما تندر به الصحاب والمارة وأذاقوه من نكاتهم ما يبعث الألم إلى نفسه والعذاب لروحه وكثيراً ما نهره جفاتهم بطريقة تستنزل الدموع من عينيه البيضاوين لأنه يستجدي بلغة الأنكليز لغة الأجانب لغة المستعمرين والمسكين يظن أن استجداءه بهذه اللغة يجلب له عطف المارة ويستدر القروش من جيوبهم ولكنه لا يعلم بأن استجداءه بهذه اللغة يثير فيهم كوامن الحقد ويذكرهم بظلم طال أمده وقيود صدأ حديدها . هو لا يدري أن هذه اللغة تذكرهم بالمذكرات التي كتبها السير هنري مكماهون والتي تمهد بها للعرب ما تمهد ولكنه وقومه لم يبروا بوعودهم ونكثوا بعهودهم وصوروا لنا أبشع صورة من صور أطماعهم . هو لا يدري أن أصحاب هذه اللغة هم الذين وقعوا معاهدة سايكس بيكو تلك الوثيقة المشينة وليدة الأطماع والتي رافقها الريبة بل كانت مثالا بارزاً للختل والخداع والغدر . هو لا يدري أن هذه اللغة تذكرهم بوعد بلفور المشئوم ذلك الوعد الجائر الذي عبد الطريق للصهيونية لكي تغزو فلسطين العزيزة ، هو لا يدري بكل ذلك بل حتى ولا يدري بأن هناك شعباً على ضفاف النيل يئن من ظلم أصحاب هذه اللغة ويعمل ليل نهار للتخلص من تدخلهم في شؤونه وفرض سيطرتهم عليه .

قلت : تعالى يا صغيري فلي معك حديث قصير . قال : وهل أنا ممن يحذقون الأحاديث يا سيدي ألا أعطيتني قرشاً فأنا فقير ؟

قلت : من علمك هذه اللغة الأنكليزية فكأنك تحسنها ؟

قال : تعلمتها منهم أنفسهم عند ما كانت جنودهم تحط رحالها

بالقرب من دارنا ليستريحوا قليلا ثم يستقلوا القطار إلى حيث لا أعلم ...

قلت وهل هم أنفسهم قالوا لك بأنك فقير ؟

قال : هم علموني كلمة فقير ولكنني أعلم بأني فقير وفقير حقاً ولو لم أكن فقيراً لم طلبت منك ومن غيرك القرش أو القرشين كي أسد بهما رمقي ورمق أخوتي ثم سكت سكوناً عميقاً وكأني بأسارير وجهه تصرخ وتصيح فقير ... فقير كلمة كم تحمل حروفها من ويلات وكم تضم تحتها من شقاء وكم يتعذب بها من بشر وهل هو وحده ممن عضهم هذا الوحش بنابه فتله الآلاف بل الملايين من الفقراء يضنيهم الجوع ويؤلمهم العوز وتمرضهم الفاقة والفقر هذا الشبح المرعب هذا الحيوان المفترس ينشب أظفاره فى أجسامهم فيمزقها ويتركها منهوكة القوى ويخلى عقولهم من العلم فيتركها خاوية خالية تعيش فى جهالة القرون الماضية ويسرى فى دمائهم كالميكروب القاتل يميت المئات منهم دونما رحمة أو عطف ولكن « آه من لكن هذه » ولكن هل هناك من يشعر بوجودهم وعذابهم أو يناضل ويكافح باسمهم لأجلهم ؟ هل هناك من تضطرم فى نفسه عواطف النبل الإنسانى ليسعى فى تخفيف الضنك الذى يكتنف حياتهم ؟ هل هناك من يعمل باسم الانسانية لدفع الحيف اللاحق بهم غير طامع فى اسم أو جاه أو مركز أو سلطان ؟ ...

هم ضحايا الطمع والجشع هم قرابين ذوى الكروش المنتفخة والخزائن الممتلئة ، هم أكباش الفداء للمحتكرين والمستعمرين الذين يحترمهم العالم باسم القانون .

***

أثار فى نفسى منظر هذا الطفل ثورة كانت مكبوتة ونيراناً كانت تتأجج كلما رأيت أمثاله من المساكين ممن أصيبوا بعاهة أقعدتهم عن العمل والكفاح أوسدت فى وجوههم أبواب الرزق فالتجأوا لطريق الاستجداء راضين أو مكرهين .

قلت لنفسى ما ذنب هذا الطفل البائس وأمثاله ما جريرتهم وما الذى جنوه ليكون هذا حظهم من الحياة وأى إثم اقترفوه ليجزوا بمثل هذا الجزاء ، وهذا الأعمى الصغير أى حياة حالكة سيقضيها وأى مستقبل ينتظره بل أى عذاب دائم مستمر سيلاقيه فى هذا المستقبل المظلم ؟ وقد أنستنى تأملاتى هذه ذلك الطفل وما كان يطلب ولكننى تنبهت أخيراً على صوته وهو يردد بتلك اللغة الانكليزية الركيكة (أنا فقير) (اعطنى دراهماً) فأخرجت من جيبى مبلغاً زهيداً وضعته فى يده ولكنى كنت فى قرارة نفسى متأكداً أن هذا المبلغ الزهيد أوأى مبلغ ضئيل آخر يعطيه له أمثالى سيزيد من عذابه وألمه وسرف لا يحل مشكلته هو وأصحابه مالم يعمل الناس جميعاً والحكومة معهم عملا جديداً لتحسين وضعهم الاجتماعى والاقتصادى ومالم يعمل الشعب كله والحكومة معه على محاربة المستعمر حرباً عواناً لا هوادة فيها أو وهن .

(العراق) مهدى السامرائى

ساعة مع الحاج أمين

للأديب صبحى ابراهيم الصالح

فى اليوم العاشر من ذى الحجة سنة ١٣٦٥ (الخامس من نوفمبر سنة ١٩٤٦) كنت من فرحى فى عيدين: عيد الأضحى المبارك، وعيد مقابلتى لسماحة المفتى الأكبر!

كانت المقابلة فى ساعة الأصيل، وكنت أقول بينى وبين نفسى:

« يا ليتنى أستطيع أن أجلس إليه وحدى، أو ليت زملائى الطلاب الفلسطينيين الأزهريين — الذين قدمت معهم لزيارة سماحته — يدخلون مُوَحَّد موحد، ليتيسر لى أن أنفرد معه فأفضى إليه بكل ما فى قلبى، هذا القلب الذى لم ينطو لحظة إلا على حب العروبة والرغبة فى الدفاع عن كل شبر من أراضيها، والحماسة فى كره خصومها.

***

وأذنوا لنا بالمقابلة، نخفق قلبى — ونحن نَجوزُ الحديقة فى طريقنا إلى قاعة الاستقبال — فأدركت أنى سأقابل عظيما، لأنى ما عهدت قلبى يخفق لمقابلة إنسان، مثل ذلك الخفقان.

ولم يكن بين زملائى من هو أصغر منى سناً، فتركتهم يتقدمونى ويسلمون على سماحة المفتى ثم يجلس كل واحد منهم حيث ينتهى به المجلس. حتى إذا جاء دورى انحنيت محاولا لثم اليد الطاهرة، فسحبها بلطف. ونظرت حولى فلم أجد إلا مقعداً خالياً عن يمين مقعد سماحته قد تهيب الجميع الجلوس عليه، فتهيبت مثلهم لولا أن المفتى أشار إليه بنفسه، وقال بصوت يسيل رقة وعذوبة:

— « اجلس هنا ... أهلا وسهلا بكم جميعاً ».

ولا تسل عن سرورى بهذه الجلسة المجاورة التى مكنتنى من إطالة النظر إلى ذلك الرجل الربعة القامة، المعتدل الهامة، الصبوح الوجه، المتلألىء الجبين، ذى العينين الزرقاوين البراقتين اللتين ما وقع بصرى على أصفى منهما، ولا أصرح منهما، ولا أشد تعبيراً منهما، والأنف المستقيم، والشفتين المنفرجتين عن ابتسامة مشرقة، واللحية الـكستنائية التى وخطها المشيب فأضفى عليها مهابة على مهابة، ثم زاده فى نظرى جالا — وما فيه إلا جميل — تلك العمة على رأسه كأنها تاج — وإنها لأكرم من التيجان — وهذه الجبة تـكسو بدنه كأنها لباس الملوك — وإنها لأعز من لباسهم — فتمثل لى كل ما فيه أصدق صورة للرجل العربى الفخور بزيه، المعتز به.

***

وكتمت أنفاسى لألتقط الـكلمة الأولى التى كنت أرجو أن تطرب لها أذنى ذلك اليوم كله — بل عمرى كله — وكنت أنتظر أن يجلجل فى القاعة صوت جَهْوَرى رنان، فإذا بى أنصت لصوت خافت كأنه الوسوسة، وحديث هادىء موزون لا تخرج من بين شفتى سماحته كلمة من كلماته إلا بعد أن يتأكد أنه لا يعطى ما يريد من معناها إلا هِيَهْ، مستعيناً على إيضاح فـكرته بحركات من يد محكمة، وإشارات ناعمة: فعلمت أن سماحته يؤثر أن يكون هادىء الحديث، خافت الصوت، قليل الحركات بحكمة الرجل الرشيد، على أن يكون وَحِىَّ الحديث، جهير الصوت، كثير الحركات، بتهور لا يغنى، وحماسة لا تفيد.

تساءل سماحته عن كل فرد منا، وعن الـكلية التى ينتسب إليها، والسنة التى أصبح فيها، والعلوم التى ندرسها، ثم أحب أن يتعرض لقلة المدارس العربية فى فلسطين، وأن يستنهض الهمم إلى المطالبة بجعل المعارف فى أيدى العرب فقال:

— « إن قلة مدارسنا العالية من ويلات الاستعمار ولعناته، فما يريد لنا خصومنا أن نحيا أحراراً كما يحيا الناس، وأن نكون متعلمين كما يتعلمون، وأن نـكون متسلحين كما يتسلحون.

• كنا فى بلادنا قُرحَانا قليلا ما يصيبنا داء، أصحاء نادراً ما يدهمنا وباء: فإذا اعتللنا عرفنا كيف نتناول بأنفسنا الدواء.. ثم ما أصابنا الداء إلا من جراثيم اليهود، ولا دهمنا الوباء إلا من عدوى الانكليز، ولا عافت أنفسنا الدواء إلا لأنهم أرادوا أن

يَدُفُوه بأيديهم وقد كنا ما نزال لا نقبل من الدواء إلا ما كان مدوفاً بأيدينا ؛ لأن مناعتنا أبداً بِحِمْيتنا ، ولأن قوتنا فى كل حين بالاستغناء عن الآخرين » .

ولعلك تحسب أن سماحة المفتى الأكبر كان — وهو يلق هذه الكلمات التى أشعلت صدورنا ناراً — يعمد إلى الخطابة والبيان ، فيرتفع صوته ، ويبدو الانفعال عليه . كلا ... وإنما كان يتحدث هذا الحديث الخطير ، بصوت أنعم من الحرير ، حتى أصبحت أومن بأن الإنسان العظيم يستطيع فى آن أن يكون فى رشاقة الغزال وقوة الأسد الهصور .

ورأيت إلى يدى سماحته فإذا هما كحرير الورد ، وأخذت أطيل إليه النظر من جديد لأرى أين تكمن تلك القوة الهائلة التى جعلته يَلْقَى العقبات الكأداء فيذللها ، وتعترضه الصِّعاب فيقتحمها ، فقاد الثورة الفلسطينية ، وهاجر إلى لبنان ثم إلى العراق ثم إلى إيران ثم إلى ألمانيا ثم إلى فرنسا ثم لجأ إلى مصر بلد الفاروق ... ألا كيف تكمن القوة فى طى الوداعة ، وأنى تختبىء الشدة وراء المسالمة ؟ حقاً إنها قوة الروح ! وما أدراك ما قوة الروح !

***

وكأنما استفزت كلمات الحاج أمين أكبرَ زملائى الفلسطينيين سناً ، فألقى كلمة كان يهتز معها جسده تأثراً ، وتقشعر جلودنا لسماعها حماسةً ، فكان مما قاله :

— « يا سماحة المفتى الأكبر ! إن قلوب المتعصبين اليبيسة ، تريد أن تُبقى أفكارنا حبيسة ! لكن لنا أرواحاً لن يمنعها من الوثوب ، توالى المصائب والخطوب . فسماحتكم رمزنا الذى نلتف حوله ، ونعتصم به ؛ وإنا لنتضرع إلى الله أن يعيدك إلى وطنك مظفراً منصوراً ، لتدخله دخول الفاتحين ، فتجمع الكلمة ، وتضم الشتات ، وتسوى الصفوف ؛ ويومئذ لا تذر على أرض فلسطين من الصهاينة دياراً : فليعيشوا إن شاءوا فى دوية مهلكة أو مدائن عامرة ، وفى مفازة موحشة أو فى ناطحات السحاب ، فلن نسمح لهم بالتوهين والكيد فيما بيننا ونحن ساهرون ، ولا بالتفريد والخداع ونحن أيقاظ مفتحو العيون .

عد إلى موطنك فلسطين — يا سماحة المفتى الأكبر — ولا تخشَ فى الله لومة اللائمين » .

فقال سماحته على الفور :

— « حاش لله — يا أبنائى — أن أعتبر فلسطين وحدها موطناً لى ، فإن الوطن العربى قطعة واحدة ، وما من بلد ينطق أهله بالضاد إلا وهو موطنى ، وموطن كل عربى .

ألا وإن الدول الكبرى التى تستطيع أن تستغنى — لو ارادت بثرواتها وقواها ، واستعداداتها ومواردها — قد أدركت فائدة التعاون ، فانضم بعضها إلى بعض ، وخطب بعضها ود بعض ، وحالف بعضها بعضاً ؛ ألا وأننا أشد منهم حاجة إلى التعاون ، وأقرب منهم سبيلا إلى التفاهم : لأن شعورنا واحد ، وآلامنا واحدة ، وآمالنا واحدة .

وإن العروبة — لتعلق عليكم — يا شبابها الأبرار — أملا كبيراً فى أن تعملوا أنتم فى الحقل الدراسى وفى الحقل الاجتماعى على توحيد الصفوف ، وتكتيل القوى ، حتى لا يمر عربى بفلسطين فيبكى دماً حين يرى المزرعة القَراح ليس عليها بناء ولا فيها شجر فيؤكدون له أنها ليست ملك اليهود ، ويرى المستعمرة المنظمة عليها البناء وفيها الشجر فيؤكدون له أنها من صنع اليهود .

تخصصوا جيداً فى شئون دراستكم ، فإن العلم أقوى سلاح فى هذا العالم بعد الإيمان بالعقيدة والوثوق بسمو الفكرة » .

***

ولاحظنا بعض الزائرين يريدون الدخول ، فرأينا أن نقنع بسماع هذه النصائح القيمة ، فقام أكبرنا سناً فقمنا ، ودنا من سماحة المفتى فدنونا ، واستأذن بالانصراف فاستأذن الجميع ، فقام الحاج أمين — من لطفه — يودعنا إلى الباب ، ويصافح كلا منا وهو يدعو لنا بالتوفيق .

لقد خرجت من حضرته — وإن صورته ماثلة فى عينى وفى أعماق قلبى — شاعراً بأنى أريد أن أقبل على خدمة بلادى بفؤاد مخلص إخلاص فؤاده ، وبضمير نقى نقاء ضميره .

(طرابلس الشام)

صبحى ابراهيم الصالح

خريج كلية أصول الدين بالأزهر

صوت من الريف المريض :

وباء الكوليرا

للشيخ محمد رجب البيومي

« كانت الكفر الجديد من قرى الدقهلية الحزينة التى داهمها الوباء فقد ثكلت مائة نفس فى أسبوع واحد ، وهى لاتزيد عن ثلاثة آلاف ، وقد شاهدت محنتها القاسية، فكان الصراخ الفاجع يشرد نومى ، وقد كنت أتحدث مع الرجل ثم يجيئنى نعيه بعد ساعة واحدة من حديثه ، وما زلنا ننتظر رحمة السماء »

شب تحت الضلوع يعصف بالجسم   كما يعصف اللظى بالهشيم
ذعر الناس فاستهلت دموع   كانهمار الغيوث تحت الغيوم
وأفاق الشعب الجريح كما استيقظ   جفن على صراخ أليم
زار الرعب فى القلوب فجاش الحز   ن يغلى بها كغلى الحميم
الصبور الشجاع غير صبور   والحليم الرزين غـير حليم
جزعت أنفس وطارت عقول   قد دهاها الردى بخطب جسيم
سلمت أمرها إلى الله لكن   هـل يرد القضاء بالتسليم
خطر هب يمحق الناس محقا   كرجوم تهوى وراء رجوم
كلما قد قرأت عنه حديثاً   شب فى أضلعى لهيب الجحيم
قيل لى أنت هالك فتطعم   أى خير يكون فى تطعيمى
أنا أمشى وبين طيات قلبى   خيفة منـه رعدة المحموم
ينفث السم كالأفاعى مجداً   ويبيد الجسوم تلو الجسوم
الشديد القوى صريع لديه   والسليم الصحيح غير سليم
جثث ترتمى كساحة حرب   أسفرت عن فناء جيش عظيم
جنت الأرض فهى تفغر فاها   طمعاً فى ابتلاع عظم رميم
أكلت أهلها ولم تبق شيئاً   ما صنيعى فى الآكل المنهوم ؟
طفت بالريف أجتليه صباحا   وهو دنيا لذاذتى ونعيمى
كان يبدو لناظرى وسيما   كيف أضحى الغداة غير وسيم
لا الأزاهير ذات عرف شذى   لا النواعير ذات صوت رخيم
لا الغوانى الصباح يخطرن فى السـهل ولا الطير بارع الترنيم
إنظر الحقل فالطبيعة فيه   كبنى الإنس أسرفت فى الوجوم
هى والله ذات فكر حصيف   قد هداها فشاركت فى الهموم
النخيل الوفى يخفض عطفيه   كئيباً كبائس محروم
وعلى القطن غبرة سودته   بعد ما لاح ساطعاً كالنجوم
والغراب العجيب يرسل نحوى   نظرات كالفيلسوف الحكيم
خطر هدد الجميع فكل   صارخ من مصيره المحتوم
إن دها منزلا رأيت ذويه   بين فان يمضى وحى مقيم
يهجر الوالد ابنه ثم يعدو   خيفة من أذاه عدو الظليم
وحنان الأم الرءوم توارى   فهى عند المصاب غير رءوم
ترك الزوج زوجه تتلظى   فى جحيم يفوق كل جحيم
فر منها وكان يخشى عليها   قبل هذا الوباء مر النسيم
فادخل البيت لست تبصر فيه   غير أم ثكلى وطفل يتيم
فتح القبر فاطمأنت جنوب   غرقت فى سكونها المستديم
مرض يملأ الخواطر بالوهم   فيالى من خاطرى الموهوم
أنا منه مكبل بقيود   قذفت بى إلى عذاب أليم
حرموا الماء والفواكه ظلما   من مجيرى من ذلك التحريم
قيل لى إن فى المياه سموماً   فكرهت المياه ذات السموم
وكذاك الفواكه الحلوة الطعم   مجـال لكل داء وخيم
عجباً أبغض الرحيق المصفى   وأعاف الجنان ذات الكروم
قيل لى لا تسر جوار صديق   واعتزل فى الأنام كل نديم
إحذر العدوى أن تصيبك من   خل وفى أو من عدو خصيم
فاجتنبت الورى وعشت وحيداً   وتوغلت فى ضلالى القديم
ليت شعرى من أصطفيه لنفسى   إن تخوفت من صديقى الحميم
عشت حتى غدوت مثل المرى   ألزم الدار غارقا فى همومى
يا لحمى تفرى لحوم البرايا   أو ما أتخمت بتلك اللحوم
مهدها الكنج مذبدت فلماذا   تطمن «النيل» ويحها فى الصميم
نزلت فى الوادى كشمطاء لاحت   لعيون الورى بوجـه دميم
وأتتنا مع العدو كما تسمى   الأفاعى مع الظلام البهيم
ليتها أهلكته أبشع هلك   ورمتـه بكل داء عقيم
هكذا الإنجليز جرثومة الشـر ونار مشبوبة اليحموم
رب من للضعيف هاجه الخطـب وما يستطيع صد الهجوم
يكظم الغيظ فى الحياة إلى أن   يتلقى الردى بغيظ كظيم
المناحات لا تزال بسمعى   كدوى الرعود ذات الهزيم
والثكالى يسرن خلف الثكالى   ساهمات وقيت شر السهوم
كلما صاحت الديوك توهمت   صداها صراخ عان كليم
إرحم الناس يا إلهى واكشف   كل سوء فأنت خير رحيم

محمد رجب البيومى



من وراء المنظار

حمـــار آخر ... !

الترام الجاهد يسير محملا ليس فيه ركن أو ممر أو مدخل أو شبر على السلم إلا ويشغله الراكبون متلاصقين متضاغطين كأنما لم يأتهم نبأ هذا الوباء الذي خوف الناس بعضهم من بعض ...

وأنا في مقعدي أسأل نفسي متعجباً كيف ينزل من يريد أن ينزل فضلا عن أن يركب من يريد أن يركب ! ودقت باب الدرجة الأولى يد وحاولت فتحه ولكنه لم يفتح لأن شخصاً كان يسند ظهره إليه ، وهو لا يستطيع أن يتحرك من موضعه إلا أن يتحرك من يقف أمامه ، ولن يستطيع هذا أن يفعل إلا أن يمكنه من يليه ...

واشتد طرق الباب فتضاغط الواقفون ، وانفتح الباب ودخل هذه الحجرة المكتظة فتاتان عجبت وعجب الراكبون كيف خلصتا من الزحام حتى دخلتا الحجرة ، وما أحسبهما إلا استحالتا هواء فنفذتا من بين الأرجل أو من فوق الرؤوس حتى بلغتا حيث وقفتا بين الواقفين .

ووقف الترام فنزل اثنان من الواقفين وقد شقا طريقهما في جهد من جهة السائق ولم يركب أحد ، ثم وقف ونزل ثلاثة ولم يركب أحد ، وبقيت الفتاتان فاستندت إحداهما إلى باب والثانية إلى الآخر .

وكانت إحداهما على جانب عظيم من الملاحة والسحر تحدث أثرها في النفوس بنظراتها وبما يبدو من براعة ذوقها في اختيار ألوانها وأشياء زينتها ؛ وكانت الثانية كأنما تصحبها لتزيد جمالها أو لتنبه عليه فقد كانت بحيث أن انتماءها إلى جنسها مما يجعل أحياناً نعته باللطف نوعا من السخرية ...

وصوبت الحسناء نظرة إلى شاب كان في سمت بصرها فكأنما نفذت نظرتها إلى قلبه وكأنما أراد أن يبرهن لها على أنه جدير منها بهذه النظرة ، فنهض واقفاً ودعا الفتاة إلى الجلوس في موضعه وإنه ليتظرف ويتأنق ويستلين في إشارته وحركته ويلطف في نبرته وعبارته حتى لقد أوشك أن يكون ما ينمت به جنسه من الخشونة ضرباً من التعسف ...

ونظرت الفتاة وقد استقرت في مقعدها إلى صاحبتها مزهوة دون أن تشكر هذا المتظرف المتلطف بكلمة ، وضحكت وقالت عبارة لا هي عربية ولا فرنسية ولا إنجليزية ؛ وضحكت الثانية وأظهرها ضحكها برهاناً آخر على مبلغ ما يكون بين جنسها وبين اللطف من بعد الشقة ... واحمر وجه الفتى حتى كاد أن يقطر منه الدم ، وأشار بيده إلى التي سحرته فتخلى لها عن مكانه إشارة من نسي شيئاً على المقعد فلم تكد تقف حتى انفتل فعاد إلى مكانه وجلس وهو يقول لها في غيظ ابحثي عن حمار غيري فلست حمارا !

واصفر وجه الفتاة بقدر ما احمر وجه الفتى ولم تكن تدري أنه يعرف الطليانية ؛ فقد نظر الفتى الظريف الناعم إلى من حوله وهو يدق يداً بيد ويقول إنها تقول لصاحبتها انتظري ربما يقف حمار آخر فاجلسي ؛ فيكون جزائي على إنسانيتي أن أكون عندها حماراً وأن يكون هذا مبلغ شكرها لي !

وكان حقاً أن نغضب جميعاً وأن يحاول كل منا أن ينفصل من حماريته بكل ما في طاقته ، فقال كهل من الجالسين يخاطب الفتى : « ليس هذا جزاءك على إنسانيتك وإنما هو جزاؤك على مصريتك فإنا في الواقع لسنا كرماء لضيوفنا بل نحن عبيد لهم . أفهم أن تنهض لتجلس مريضة أو عجوزا أو أماً بين ذراعيها طفلها أما أن تقف لهذه ... أرأيت أجنبيا ينهض لمصرية قط ؟ متى نفهم هؤلاء الأجانب أننا سادة في بلادنا وإذا كنا لا نستطيع الآن أن نفهمهم ذلك بأخذ ما في أيديهم مما بنوه في غفلتنا فلا أقل من أن يعلموا أننا صحونا . لا أقل من أن يفهموا أننا لم نعد بدحميرا » .

ونظر هذا الثائر الكهل إلى الفتاة المسيئة وقال لها في مثل شراسة النمر « إنزلي من هنا روحي في داهية » ... وتنمرت اللعونة كأنما تذكرت أيام الامتيازات ورأيتها بجوار الباب كالقطة وجدت نفسها في مأزق فعولت على أن تعض بأسنانها وتخمش بمخالبها ...

ولكن النمر الغاضب جذبها من ذراعها ، ونادى السائق فوقف ، وصرخت القطة صرخة جمت علينا الركاب من العربة الأخرى وأقسم الرجل إن لم تنزل هي وصاحبتها على أرجلهما فسوف يلقي بهما من النافذة ...

الأدب والفن في أسبوع

الثقافة والسياسة في السودان :

اتصل حديث الثقافة المصرية فى السودان بحديث السياسة هناك ، وأخذ هذا الحديث المتصل مكانه فى الصدارة من المسائل العامة التى تهتم بها الدولة والرأى العام فى هذه الأيام ، فلم تكتف حكومة السودان الإنجليزية بمنع البعثة الثقافية المصرية ومراقب التعليم المصرى من الدخول إلى السودان ، بل أرادت إبعاد مدرس مصرى فى مدرسة الملك فاروق بالخرطوم لأنه أرسل برقية إلى رئيس الوزراء تضمنت كلمة «الجهاد» ! وقالت الأنباء الأخيرة إن المسألة سويت بعد أن تعهد المدرس بعدم الاشتغال بالسياسة .

ولن يستطيع هذا المدرس ولا أى مدرس مصرى آخر فى السودان أن يتجنب الاشتغال بالسياسة . . السياسة التى تقلق بال الإنجليز فى السودان ، وهى العمل على وحدة الوادى وإبراز الروابط بين شماله وجنوبه وإحكامها ، ولا يوثق هذا الربط مثل الثقافة العربية الإسلامية التى يشعر سكان الوادى جميعاً بأنهم يرضعونها من ثدى واحد .

والأساتذة المصريون الذين يذهبون إلى السودان هم رسل هـذه الثقافة ، ولذلك يجزع منهم المحتلون ويترقبون الفرص للتخلص منهم .

ولكن ألا يحسن تجنب السياسة التى يستطاع إمساكها بأطراف الأصابع ، أو بعبارة أخرى الأمور التى تؤول بأنها سياسة والتى تفتح منها الأبواب إلى المؤاخذة والتعنت ؟ وفى المهمة الثقافية مجال لخدمة الوطن ، حتى إذا أراد المتعنت بعد ذلك شيئاً كان تعنته أظهر ، مع كسبنا بالعمل المجدى فى الحقل المخصب ، ومع كسب ثقة المخدوعين لإصلاحهم وهدايتهم للسير فى ركب الوادى الموحد .

الغزل السياسى :

نشرت « الأهرام » أبياتاً للأستاذ محمد الأسمر تحت عنوان « الغزل الساسى — إليها » قال فيها :

ما للمليحة غضبى وهى ظالمة	لا تعرف العدل فى فعل ولا كلم
أبعد ما سلبتنى كل ما ملكت	يدى أكون لديها موضع التهم

وقال :

قل للمليحة جاوزت المدى فكفى	أين الوعود، وما غلظت من قسم
كونى كما شئت لا أشكو إلى حد	الله يحكم بين اللؤم والكرم

ولا شك أن هذه المليحة ليست فتاة ممن يتغزل فى مثلها الشعراء ، لأن الغزل هنا سياسى ، وما أظن الشاعر يحب فتاة سياسية ولو كانت خيالية كجاسوسة « المصور » الحسناء .. على أنه يصفها باللؤم ، مما لا يليق بالمحبوب . وما أظن تلك المليحة الدرجة الرابعة التى أخلفته في التنسيق ، فليس الوصف بمنطبق عليها ولا هى من السياسة فى شىء .

فماذا عسى أن تكون تلك المليحة ؟

أتكون انجلترا ؟ لا بد أنها هى ، فهى الغضبى الظالمة التى لا تعرف العدل فى قول ولا عمل ، وهى التى سلبتنا ما نملك وأكلت لحمنا وشربت دمنا ثم اتهمتنا بالتجنى عليها ، وهى التى أقسمت على الود أيام شدتها ، ثم تنكرت لمن كان يألفها فى الموطن الخشن ، فبلغت غاية اللؤم .

ولكن كيف يقول إنها مليحة ، وكيف يضعها موضع الحبيب الذى يتغزل فيه ؟ وما هى — من وجهة نظرنا على الأقل —

وتساءل الناس وتألموا مما علموا وأجبرت الفتاتان على النزول وفى نظرنا أن كلا منهما تنتمى إلى اللطف ظلما ، هذه بوقاحتها ، وتلك بقبحها .

وخجل الشاب الذى استرد إنسانيته حتى ما يستطيع أن ينظر طويلا فى وجه ذلك النمر الناضب ...

وضحك أحد الجالسين يريد أن يذهب عنا الغضب ، وقال أحب أن أعرف منذا يرضى بعد هذا فى الترام أو فى السيارة أو فى المتجر أو فى المصنع أو فى السنما أو فى الشارع أن يكون ال (حمار الآخر) ؟ وضحكنا وضحك حتى النمر الهائج .

الخفيف

إلا عجوز شوهاء شمطاء . ولم يكن بيننا وبينها حب لأنها معتدية علينا منذ خمس وستين سنة ولا تزال فى اعتدائها .

والشاعر — بطبيعة الحال — يريد التهكم ، ولكنه بعد عن هذا الغرض بما أسرف فيه من عبارات الحب .

العربية تزحف :

أذاعت وكالة الأنباء العربية من (كراتشى) أن جلالة الملك فاروق يبدى عناية بالغة بنشاط جمعية أدبية ثقافية جديدة أنشئت أخيراً فى (الباكستان) ترمى إلى جعل العالم الإسلامى على مر الأيام وحدة ثقافية سياسية دينية .

وأذيع أن هذه الجماعة بدأت عملها فى هذا السبيل بالعمل على نشر اللغة العربية ، وقد أنشأت لذلك كلية فى كراتشى أقبل عليها كثير من الكبار فى جلتهم محافظ المدينة .

وكانت الصحف قد رددت أن البابا فى رومة أخذ يتعلم اللغة العربية .

وقرأت فى مجلة « الأديب » أنه قد تأسس فى الأرجنتين « معهد التبادل الثقافى الأرجنتينى العربى » للعمل على تعزيز التبادل بين الثقافتين العربية والأرجنتينية ، وقد أنشأ هذا المعهد مكتبة حافلة بالمؤلفات الثقافية النافعة وأعد برنامجاً لإلقاء المحاضرات فى شتى المواضيع ذات الصلة المتينة بهاتين الثقافتين ، ولترجمة الكتب العربية إلى اللغة الأرجنتينية كى يطلع الشعب الأرجنتينى على ألوان الثقافة العربية والأدب العربى فى شتى عصوره .

ومما يثير العجب والأسف أنه بينما تزحف اللغة العربية هكذا فى آسيا وأوربا وأمريكا إذ تقرأ فى أخبارنا المحلية أن إحدى المصالح الحكومية « بدأت » فى تطبيق قانون اللغة العربيـة فعولت على ألا تقبل ما يكتب إليها بغير اللغة العربية إلا إذا كان مصحوباً بترجمة عربية .

ولا نزال جارين على مقتضيات « كرم الضيافة » التى منها التيسير على الأجانب بالمخاطبة بلغاتهم ، وإراحتهم بذلك عن عناء تعلم اللغة العربية ... ومن المناظر المخزية منظر المصرى يتحدث إلى (الخواجة) الذى يعرف العربية بلغة أجنبية ! والمصريون هم — وحدهم — الذين يشجعون على عدم تعلم لغتهم ...

وتحيتى إلى أسلافنا فى العصور العربية ، الذين كان يفد إليهم الفارسى والرومى وغيرهما ، فيصبح ، بعد قليل ، من شعراء العربية وكتابها ...

تمثال نهضة مصر :

وجهت مجلة « الهلال » إلى طائفة من الأعلام والفنانين هذا السؤال : هل نهدم تمثال نهضة مصر ؟ وقالت إنه « سؤال خطير الغرض منه حفز الهمم لمسايرة التطور الذى انتقلت إليه نهضتنا الوطنية ، فإن التمثال الحالى مع قيمته وبراعة صانعه الفنان الخالد محمود مختار لم يعد يصلح — فى رأى البعض — للتعبير عن هذه النهضة إلا فى مرحلتها الأولى » .

وقد أجاب محمد على علوبة باشا بأنه لا يرى هذا التمثال منذ صنع يمثل الفكرة الوطنية وليس صالحاً ليكون رمزاً لنهضة مصر الوطنية وثورتها على الاحتلال وقيود الذل والاستعباد ، وهو لا يمثل إلا فلاحة ساكنة لا حركة فيها وأسداً متكاسلا لا يكاد ينهض ! ورأى أن يقوم تمثال آخر فى أحد ميادين القاهرة الكبرى يمثل مصرياً وسودانياً قد تكاتفا فى النهوض والوثب وهما يحملان مشعلا أو سيفاً وقد تقدما إلى الأمام فى عزم وقوة هاتفين بالحرية والجلاء والاستقلال .

وقال أحمد راسم بك : « لو أن تمثال نهضة مصر ، كان قد استنفد أغراضه أو أصبح غير ذى موضوع كما يقال لكان من الواجب أن نبقى عليه لقيمته الفنية الخالصة ، باعتباره إحدى التحف التى ابتدعتها عبقرية مثالنا الخالد مختار ، على أن نقيم لتخليد فكرتنا الجديدة ما نشاء من التماثيل غيره » .

وأجاب آخرون بما لا يخرج فى مجموعه عن وجوب الإبقاء على التمثال الحالى ، على أن يقام تمثال آخر يعبر عن النهضة القومية المتوثبة .

والتمثال الحالى الماثل فى ميدان المحطة بالقاهرة يرمز إلى « سكون » مصر ممثلة فى قروية ، إلى مجدها القديم ممثلا فى أبى الهول !

فإذا كانت المسألة هى اعتماد مصر على مجدها القديم فإن هذا التمثال يصلح رمزاً لها فى كل العصور وفى جملتها عهود الضعف

والاستكانة ، أما النهوض فهو شيء آخر قد يصاحب المجد القديم وقد لا يصاحبه .

والملاحظ أن أغلب الذين دافعوا عن « تمثال نهضة مصر » عللوا دفاعهم بأنه صنيعة مثالنا الخالد مختار ، ولم يبينوا لنا مدى تعبيره عن نهضة مصر .

وأنا أخالف الجميع فأرى إزالة التمثال الحالي من مكانه والاحتفاظ به في أحد المتاحف باعتباره نتاج مثالنا الخالد (إن كان لا بد من هذا الاعتبار) وذلك لأنه لا يصح أبداً أن يكون مظهر نهضتنا الاعتماد على المجد القديم ، بل ينبغي ألا يذكر هذا المجد إذا كان كل الغرض منه الوقوف إلى جانبه والركون إليه .

أما التمثال الجديد فليكن كما اقترح علوبة باشا ، أو ليكن على أي هيئة أخرى حسبما يرى الفنانون ، على أن يمثل مصر المتوثبة التي أصرت على أن تعيش حرة كريمة ، وعلى أن يحقق الغرض الأساسي منه وهو أن يبعث في المصري الذي يمر به في غدوه ورواحه شعور العزة بالقومية المصرية .

الفنانون الشرقيون :

جاء في أخبار « آخر ساعة » ما يلي : « ترفض وزارة الداخلية الآن الترخيص لأي فنان شرقي بالإقامة في مصر إلا إذا تعهد كتابة بألا يتعدى الغناء الذي اشتهر به في بلاده . . وهذا نتيجة لشكوى بعض الفنانين والفنانات المصريين » .

وهذا أمر عجيب لعدة أسباب منها :

١ — أنه يخالف اتجاه الوحدة العربية وما تقتضيه من تعاون وتواد .

٢ — الفن المصري يغمر البلاد العربية ، وهي ترحب به ، ولم تمنع إحداها فناناً مصرياً من الاشتغال بها ، تعدى الذي اشتهر به في بلاده أم لم يتعد .

٣ — الحيلولة دون تفاعل عناصر الفن العربية المختلفة وما ينشأ عن هذا التفاعل من الرقي والتقارب .

٤ — السبب أعجب العجب ، وهو شكوى الفنانين والفنانات المصريين من المنافسة ، لأن هذه الشكوى غير لائقة ولم يكن يصح أن تسمع .

٥ — لو فرضنا أن الفنان الشرقي الذي تعهد بألا يتعدى الغناء الذي اشتهر به في بلاده — « تأقلم » وتأثرت نفسه بالإيحاءات المصرية فاستجاب لها وغنى غناء مصرياً — فهل يقبض عليه متهما بهذه الجريمة ويطرد من مصر جزاء وفاقا .. ؟

المسرح أداة ثقافة :

كانت منظمة التعاون الثقافي لهيئة الأمم المتحدة قد عقدت في شهر يوليو الماضي بباريس مؤتمراً لخبراء المسرح . وقد تلقت الجهات المصرية المختصة التوصيات التي قررها هذا المؤتمر ، ويؤخذ منها أنه تقرر اعتبار المسرح جزءاً من الفن كالأدب والموسيقى وسائر الفنون الجميلة ، أي أنه أداة ثقافية لا وسيلة للتسلية والترفيه وحسب .

كذلك تقرر إنشاء معهد مسرحي عالمي ، وتأليف جمعية دولية من المسرحيين النظريين الفنيين والمسرحيين العاملين ، على أن تكون مهمة هاتين المؤسستين النهوض بالمسرح باعتباره أداة ثقافية رفيعة ، مع كفالة أسباب التعاون بين رجال المسرح في العالم ، وأن يكون إعداد الرواية المسرحية على أسس إنسانية ، والمحافظة على هذا الفن العالمي القديم من طغيان السينما عليه ، والعمل على وقف حركة الخروج من ميدانه إلى ميدان السينما .

وفن المسرح جدير بالجهود العالمية وتعاونها على النهوض به ، والواقع أنه ليس فناً من الفنون فحسب ، بل هو مجمع الفنون ، ففيه الأدب ممثلا في القصة ، ومن أدواته الموسيقى والغناء وباقي الفنون الجميلة ، وهو بحكم أنه فن أداة ثقافة ، وهذه هي الحقيقة التي ننشدها في مصر ويعيينا نشدانها ، فالفن عندنا يتخذ أكثر ما يتخذ أداة لهو وتسلية ، وتسميته فناً تسمية ادعائية ، لأن العمل الفني لا يستوي إلا على موضوع ، ولابد أن يكون له هدف ، حتى الفرق الاستعراضية وما يمثل فيها من (اسكتشات) وما يلقى فيها من الفكاهات و (المنلوجات) يجب أن يكون لهذا كله هدف يرمى إليه إلى جانب التسلية والترفيه .

وقد تفشت طريقة التسلية الخالية من الموضوع ، وانتقلت من المواطن الموبوءة إلى ميدان الكتابة ، حتى لنرى بعض الأدباء يكتبون لمجرد التسلية !

وبعد فالمأمول من الجهات الفنية في مصر أن تشارك في ذلك المجهود العالمي ، لتساير النهضة المسرحية العالمية ، ولتجنى بلادنا ثمراتها .

« العباس »

تعقيبات

أم كلثوم ونهج البردة :

نهج البردة للمغفور له أحمد شوقى بك قصيدة معروفة مشهورة قالها فى التوسل ومدح النبى صلوات الله عليه عند ما قصد الخديوى عباس الثانى إلى الحج عام ١٩٠٩ م ، وعارض بها قصيدة البردة — أو البرءة — للشاعر شرف الدين محمد بن سعيد الأبوصيرى ، وقصيدة البردة هذه أشهر من كل تعريف ، فما رزقت قصيدة فى الأدب العربى ما رزقت من الذيوع فى ألسنة الناس ، حتى إنها فى القرى لتعتبر نشيد الوداع الذى يردده « الفقهاء » فى أذن الميت وهو فى طريقه إلى القبر . .

أما قصيدة نهج البردة فلها قصة ، فقد نظمها شوقى فى مناسبة حج الخديوى كما قلنا ؛ وكان يرجو أن تكون هذه المناسبة إلى جانب الاتجاه الدينى فى القصيدة مما يضمن لها الذيوع بين الناس كما ذاعت البردة ، وطبع يومذاك شرح لتلك القصيدة قيل إنه من عمل المغفور له الشيخ سليم البشرى — وهو فى مقامه الدينى ما هو — ليضفى عليها القداسة ، ولكن أهل الخبرة يؤكدون أن ذلك الشرح كان من عمل نجله المرحوم الشيخ عبد العزيز البشرى ، وإن كان الشيخ عبد العزيز ظل ينفى هذه التهمة إلى آخر أيامه . عليه رحمة الله . .

ومهما يكن من شىء فإن نهج البردة لم تبلغ مبلغ البردة فى نظمها ولا فى ذيوعها . .

وفى هذه الأيام اختارت أم كلثوم ثلاثين بيتاً من نهج البردة وغنتها كما سمع الناس ، أقول غنتها والصحيح أن أقول إنها ألقتها ، أو أنشدتها ، لأن أم كلثوم لم توفق فى غناء القصيدة كما هو شرط الفن وشرط الغناء ، وذلك يرجع إلى عدة أسباب :

أولا : لأنهم اختاروا للمطربة ثلاثين بيتا من القصيدة ، ومهما يكن المطرب من قوة الحنجرة وبراعة الصناعة وحسن التصرف فإنه لا يستطيع أن ينهض بهذا المقدار فى الغناء دفعة واحدة وخاصة فى الشعر القوى الرصين .

ثانياً : لأنهم لم يراعوا فى الاختيار درجة صوت أم كلثوم فى مقاماته الفنية ، ومن المعروف أن كل شعر لا يصلح لكل لحن ، وأن كل لحن لا يلائم كل صوت . .

ثالثاً : جعلوا الغناء محدوداً بمدة من الزمن ، ولهذا عمد الملحن إلى إخراجها دفعة واحدة ، ولم يتمكن من خلق فترات موسيقية لاستراحة المطربة إلا مرة واحدة .

وعلى أى حال فإن الملحن لم يكن موفقاً ، لأنه جرى على نغمة واحدة رتيبة ، وهى النغمة التى آثرها الموسيقار رياض السنباطى فى تلحين قصيدة « سلوا قلبى » وقصيدة « السودان » ولهذا شعر الناس بأن أم كلثوم لم تأت بجديد فى قصيدة نهج البردة ، وقد سمعوها وكأنهم كانوا يسمعون شيئاً معاداً فى آذانهم وأكثر من ذلك فإن اللحن كان يتخلى عن المعنى فى كثير من الأحيان .

شيخنا الجارم :

وشيخنا على الجارم بك لم يكن موفقاً فى ذلك الشرح الذى قدم به الأبيات التى غنتها أم كلثوم إلى السامعين ، فقد جرى فى ذلك على ما ألف من الطريقة المدرسية وهى طريقة عقيمة لا تجدى فى فهم الشعر وإظهار جماله ، فقد عمد إلى شرح الكلمات اللغوية على ما هو وارد فى القاموس ، ثم أخذ يورد المعنى على مقتضى هذا التفسير ، فهو مثلا يشرح قول شوقى :

لما رنا حدثتنى النفس قائلة ... ياويح جنبك بالسهم المصيب رمى

فيقول : رنا إليه : أطال النظر — الخ . . كلا . ثم كلا . فإن إطالة النظر هنا تهدم قوة البيت وتقلل من جماله . .

وعجيب من شيخنا الجارم أن يذكر معارضة البارودى للأبوصيرى ، ويذكر مطلع تلك المعارضة ، ولكنه لم يذكر بيتاً واحداً للأبوصيرى ، وهو الأصل والأساس الذى قام عليه كل هذا البنيان .

ويقول شوقى :

يارب هبت شعوب من منيتها ... واستيقظت أمم من رقدة العدم

رأى قضاؤك فينا رأى حكمته ... أكرم بوجهك من قاض ومنتقم

وكان شوقى رحمه الله يشير بكلمة « منتقم » إلى معنى مقصود

فقد قال قصيدته فى أعقاب حادثة دنشواى التى أدمت قلوب المصريين ، وكانت مصر فى ذلك الوقت تسام الضيم والهوان من أساليب الاستعمار ، وكان الخديوى فى ضيق من هذا ما بعده ضيق ، فتوسل شوقى إلى الله فى « الانتقام » من هؤلاء الظالمين المستبدين ، وجمجم بذلك ولم يستطع الإبانة نظراً لصلته الرسمية بومذاك بالقصر ، فجاء الجارم بك بعد طول تلك السنين وجمجم كذلك فى شرح هذا المعنى .

لقد كنت أعتقد أن غناء أم كلثوم لهذه القطعة من نهج البردة إنما هو لإثارة عواطف الشعب بهذا المعنى لمناسبة ما هو قائم اليوم بيننا وبين الانجليز وكنت أعتقد أن الجارم سيعمد إلى الكشف عن هذه الحقيقة ، وإلى تذكير الشعب بتلك الواقعة التى ألمع إليها الشاعر ، ولكنه لم يحوم على ذلك أبداً ، ولست أدرى إذن لأية مناسبة كان اختيار هذه القطعة وتلحينها وغنائها وشرحها ذلك الشرح الجارى .

البصائر للتوحيدى :

أبو حيان التوحيدى شيخ من شيوخ الأدب العربى ، فهو تلميذ الجاحظ غير مدافع ، من بحره اغترف ، وفى طريقه درج ، ولكنه فى آخر حياته ضاق بالناس وبالدنيا لطول ما لقى من عنت الناس وقسوة الحياة ، فجمع كل مؤلفاته وقدمها طعمة للنار ، حتى لا تكون وشيجة بينه وبين الناس بعد مماته ، وحتى يريح عظامه فى القبر من جهل العيابين كما قال ..

ولكنْ المنقبون من العلماء عثروا على مخطوطات لبعض مؤلفات هذا الأديب الثائر فعمدوا إلى تحقيقها ونشرها ، فمن قبل أخرجت له مطبعة بولاق كتاب « الصداقة والصديق » كما طبعت له رسالة صغيرة فى « العلوم » ثم نشر الأستاذ حسن السندوبى له كتاب « المقابسات » وهو من أمتع مؤلفاته ، ومنذ أعوام أخرج الأستاذ أحمد أمين بك والأستاذ الشاعر أحمد الزين كتاب « الإمتاع والمؤانسة » مصححاً محققاً ، وقد حدثنى الأستاذ أحمد الزين منذ سنوات أنه أعد العدة مع الأستاذ أحمد أمين لنشر كتاب « بصائر القدماء وسرائر الحكماء » للتوحيدى ، وأنهما جمعا له كل ما يمكن من الأصول ، وبذلا لتحقيقه وتصحيحه غاية الجهد حتى يخرج على أتم ما يكون ..

أقول هذا بمناسبة ما جاء أخيراً فى بريد سورية من أن الأستاذ إبراهيم الكيلانى قد قدم هذا الكتاب للطبع بعد أن حققه وعلق عليه ، فلعل الأستاذ الكيلانى — ما دام لم يمض فى الطبع — يرجع إلى الأستاذ أحمد أمين فيما حقق من أصول هذا الكتاب وجمع من مصادره ومخطوطاته ولا بأس أن يكون الجهد مشتركا حتى يخرج الكتاب كاملا فى التصحيح والتحقيق ، ولا معنى لأن يطبع الكتاب طبعة فى الشام وأخرى فى مصر وتكون كل منهما تكمل الأخرى ..

اللغة العربية والجنسية الإسلامية :

من أنباء الباكستان ، الدولة الإسلامية الجديدة فى الهند ، أن الرجال المسئولين والهيئات الثقافية هناك قد أخذت تهتم بتعليم اللغة العربية وتوسيع الدائرة فى دراستها نظراً لما يقتضيه وضع الباكستان الجديد من توطيد الصلات بالعالم الإسلامى .

واللغة العربية لاشك دعامة قوية فى بناء الجنسية الإسلامية فما ربط المسلمين ولا أمسك بوحدتهم وبقوميتهم على طول السنين وعلى رغم الحوادث والكوارث مثل اللغة العربية التى توحدت فى كتاب الله عز وجل كما توحدت فى مظاهر العبادة الإسلامية وأدائها ، وليس هناك ما يبعث الروعة ويهز المشاعر مثل نداء المسلمين جميعاً وهم يدخلون الصلاة هاتفين : الله أكبر .

والمسلمون فى الهند أهل غيرة على دينهم ، وهم معروفون من قديم بمواقفهم المشهورة فى جانب الوحدة الإسلامية ولا أظن أن هناك من يجهل جهاد المغفور له محمد على وشقيقه شوكت على ، ولا أظن أن هناك من يجهل جهاد الهنود المسلمين للابقاء على الخلافة الإسلامية حتى تكون تاجاً للوحدة ودعامة من دعائمها .

فهذا الاتجاه الذى تتجه إليه الباكستان اليوم ، وهى فى أول عهدها بالوضع الجديد ، مما يدعو إلى الغبطة والاطمئنان بين المسلمين ، وستكون له أطيب النتائج فى توطيد صلتها بالعالم الإسلامى ، والواجب على الجامعة العربية أن تشجع فيها هذا الاتجاه ، وواجب على مصر خاصة أن تساعدها فى هذا ، وأن تمدها بالمدرسين للغة العربية ، وإنه لأقل ما يجب على مصر فى هذا السبيل

حيا الله « الباكستان » فى عهدها الجديد ووقاها شر الدسائس الاستعمارية ، وصانها مما يحيطها من الزلازل والقلاقل .

« الجاحظ »



الشيخ محمد عبده والطير الأبابيل :

أقول (تعليقاً على المقال القيم « القرآن والنظريات العلمية » للأستاذ الكبير العقاد) : إن الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده لم يقل بأن الطير الأبابيل هي جراثيم الأمراض التي اكتشفت على يد «باستور» وما هذا إلا رأى شاعت نسبته إلى الشيخ محمد عبده منذ أن هاجمه جماعة من العلماء وعدوا له زلات من جملتها هذا الرأى الذى نسبوه إليه فى تفسير سورة الفيل وأخذوا عليه فيه أنه قد ابتدع فى التفسير آراء خرج بها على معانى العربية وأساليبها التى نزل بها القرآن ويفهمه بها العرب الخ . ثم عزا الكثيرون هذا الرأى فى تفسير الطير الأبابيل إلى الشيخ محمد عبده دون رجوع إلى كلام الشيخ نفسه رحمه الله فى تفسيره لجزء عم الذى هو مرجع القضية .

والواقع أنه رحمه الله بعد أن نقل بعض الروايات التفسيرية غير الثابتة فى بيان طريقة انهزام أصحاب الفيل بالطير الأبابيل ، وقول بعضهم إن الطير كانت تلقى الحجارة الصغيرة كالعدس فتقع الواحدة على رأس الرجل من جيش أبرهة فتخرج من دبره قال الشيخ محمد عبده رحمه الله ما خلاصته أن الشىء المروى فى التاريخ هو أن جيش أبرهة تفشى فيه مرض الجدرى وقضى على معظمه وبدده وتلك الروايات المغربة غير ثابتة ، والقرآن فى غنى عن تفسيره بها ، فالمنهج السديد أن يجمع بين القدر الذى حكاه القرآن من الخوارق وبين الروايات التاريخية ، بعد أن تبين أن مرض الجدرى وغيره من الأمراض السارية ينشأ عن عوامل حية هي الجراثيم المسماة بالميكروبات .

وإذا علمنا أيضا أن الطير فى اللغة كل ما يطير بجناحيه كبيراً كان أو صغيراً كالذباب والزنابير فإن المناسب فى تفسير السورة أن يقال : إن الله تعالى أرسل على جيش أبرهة نوعاً من الطيور تحمل حجارة صغيرة ملوثة بجراثيم حمى الجدرى من مكان موبوء بها هدى الله هذه الطير إليه فكانت تلقيها على الجيش فتفشى فيه الجدرى من هذه الحجارة الموبوءة بجراثيم المرض وبذلك يجمع بين ما حكاه القرآن العظيم وبين الواقع التاريخى ، ويكفى لبيان قدرة الله تعالى ونقمته مع التعليل بسبب طبيعى معقول .

فالشيخ رحمه الله لم يفسر الطير الأبابيل بالجراثيم ، وإنما أفاد أن الحجارة التى حملتها الطير كانت ملوثة بالجراثيم ، أما الطير فطير بالمعنى اللغوى غير أنها لا يعرف نوعها .

وبهذه المناسبة أذكر أن من جملة ما يشاع الآن من آراء عن الشيخ محمد عبده رحمه الله أنه ينكر وجود الجن الذين جاء القرآن معلناً وجودهم ، أو أنه يؤولهم بالجراثيم وغير ذلك ، وكثير من الطاعنين يأخذون هذا من الألسنة ثم يناقشون به مع حملهم إياه على الشيخ رحمه الله على أنه رأى صريح له فى تفسير سورة الناس كما ينسب إليه اليوم لغرض ما أنه يرى ويقول بأن قصص الأمم البائدة التى حكاها القرآن إنما هى تمثيل فنى مخترع للعظة ولا تدل على واقع تاريخى ! !

وقد اشتملتنى وبعض هؤلاء قديماً مناقشة حول الشيخ رحمه الله ولما قلت لهم إنه لا يفسر الطير الأبابيل بالجراثيم المرضية ولا ينكر وجود الجن عدوا هذا الزعم منى مخالفاً للحس الظاهر أو دفاعاً غير مشروع حتى أتيتهم بتفسير جزء عم الذى يستندون إليه فقرؤوا بأنفسهم تفسير الشيخ رحمه الله لسورتى الفيل والناس فبهتوا وقد كانوا زعموا أنهم إنما يتكلمون عن اطلاع على كلامه ، فلم يسعهم بعد ذلك إلا أن يقولوا أنهم لم يفهموا كلامه ، وإنما وهموا من نظرة فيه سريعة غير منعمة .

على أنه لا ينبغى أن يتوهم من كلامى إننى أعد الأستاذ الكبير العقاد من هذه الفئة ، فهو فى نظرى — كما هو فى الواقع — ذلك المحقق المجلى الذى لا يشق له غبار ولا نزال ننتفع وستنتفع الأجيال من قلمه ، ولكن لعله اعتمد فى قضية الطير الأبابيل على رواية أحد نسب ذلك الرأى إلى الشيخ محمد عبده أخذاً مما أشيع عنه واشتهر .

مصطفى أحمد الزرقا

الفرق بين سنة وعام :

جاء فى مقال الأستاذ على الطنطاوى [من شوارد الشواهد] المنشور فى عدد الرسالة ٧٤٦ الصادر فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة ، صفحة ١١٤٤ ما أعيد نقله

هنا بالحرف الواحد وهو (يخلط الناس فى الاستعمال بين العام والسنة ، وهما مترادفتان ولكن ليس فى اللغة كلمتان بمعنى واحد — انظر فى كتاب الصاحبي وكتاب الفروق اللغوية — ولابد من اختصاص كل لفظة بشيء لا تدل عليه الأخرى . فالسنة فى الأصل للشدة والقحط والعام لليسر والرخاء — اقرأ آيات سورة يوسف — والسنة عند العرب مرادفة الشدة والبلاء تقول أصيبوا بالسنين وأصابتهم السنة ومن تتبع كلام العرب وجد ذلك مستفيضاً وقد نبه عليه شيخنا المغربى فى الرسالة من أمد بعيد). انتهى كلام الأستاذ الطنطاوى ومن تتبع الكتب يجد

١ — إن السنة لأى يوم عددته إلى مثله فقد يدخل فيه نصف الشتاء ونصف الصيف . وأما العام فلا يكون إلا صيفاً وشتاء — ذيل الفصيح ص ٤

٢ — وقد نقل محمد عبد الجواد ذلك فى الصفحة ٢١ من كتابه البحاثة اللغوية .

٣ — الفرق بين العام والسنة أن العام كالسنة لكن كثيراً ما نستعمل السنة فى الحول الذى يكون فيه الشدة والجدب. ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة ، والعام لما فيه الرخاء والخصب . وقيل سمى السنة عاماً لعوم الشمس فى جميع بروجها والعوم السباحة . ويدل على معنى العوم قوله تعالى وكل فى فلك يسبحون. ص ١٦١ فروق حقى .

٤ — العام أربعة فصول من السنة كاملة متوالية . يبدأ من أول أحدها ويدوم إلى مثله من القابل . وأما السنة فتبدأ من أى يوم اتفق إلى مثله من القابل فربما بدأت من بعض الفصول لا من أوله . وعلى هذا فالعام أخص من السنة فكل عام سنة وليس كل سنة عاماً . مجلة الضياء لليازجى ٧ ص ٣٥٣

٥ — وبعبارة أخرى أن العام هو السنة كاملة تبدأ من أول فصل من فصولها . فإن لم تبدأ من أحد الفصول فلا تسمى عاماً بل سنة وحولا كتاب مغالط الكتاب للأب جرجى جنن البولسى . هذا ما يحضرنى الآن من فوارق بين السنة والعام.

عمان **أحمد الظاهر**
القاضى فى محكمة الاستئناف

إلى الأستاذ (خلف الله) :

فى مقال لك فى « الرسالة » طلبت إلى القراء وكل ذى رأى الاشتراك فى موضوع الجدال حول رسالتك « الفن القصصى فى القرآن » ولما كانت الرسالة — أعنى رسالتك — محجوزة فى يد الحاجزين للنظر ، فقد صار من اللازم الحتم — لاشتراك القراء معك — جوابك على هذين السؤالين ، وهما :

١ — هل تعتبر القصة القرآنية « فناً » من الفنون كالقصص الفنية فى هذا الزمان ؟

٢ — هل تنكر « واقعية » القصص فى القرآن ، وأنها — كما قال الأولون — من أساطير الأولين ؟

وبجوابك على السؤالين يصح النقاش ، وينحسم — من بعد — الجدال ، ولا جدال .

(الزيتون) **عدنان أسعد**

انجلترا فى مرآة حافظ :

تحية ، فقد اطلعت فى العدد رقم ٧٤٧ من مجلتكم الغراء على مقال « انجلترا فى مرآة حافظ » وفيه يشيد الأستاذ الكاتب بوطنية حافظ الصادقة ، وعدائه للمحتل البريطانى وعميد البريطانيين فى مصر بما أورده من شعر حافظ ، ولست أدرى إذا ما كان الأستاذ البيومى قد اطلع على ما كتبه الأستاذ محمود محمد شاكر بعنوان : « أوطان » بمجلة الكتاب وفيه يقطع بأن حافظاً إنما كان يمالئ البريطانيين وعميدهم وأنه لم يكن وطنياً صادقاً فى شعره .

وإذن فلا مناص من أن يبين لنا كل من الأستاذين وهما من كتاب « الرسالة » وجهة نظرهما الصادقة فى هذا الموضوع . ونحن فى الانتظار ، والسلام عليكم ورحمة الله .

أحمد محمد حلمى

إلى رحمة الله :

نعى إلى الرسالة ، وهى على المطبعة الشاعر العالم الراوية البليغ الشيخ أحمد الزين .

ولئن عقدت روعة المفاجأة اللسان ، وحبست لوعة الرزية القلم ، وضاق المجال اليوم عن قيام الرسالة بواجب الوفاء للصديق ، والتأريخ للأدب ، فلن تضيق صفحاتها غداً إن شاء الله .

رحم الله الفقيد ، وعوض على الأدب ما خسر بفقده ، وعلى البيان ما خسر بمنعاه .



طريق الدوفر

بقلم الأديب عبد الكريم محمود

[« طريق الدوفر » كوميدية مسرحية ، ليست بذات الحوادث المعقدة ، بل هى مسرحية بسيطة غاية البساطة تعالج مشكلة من أهم المشكلات ... مشكلة الزواج بأسلوب تهكمى ساخر . وقد لاقت نجاحاً عظيماً عندما مثلت على أحد مسارح لندن ... وهو لعمرى نجاح تستحقه المسرحية ويستحقه كاتبها . أما مؤلفها فكاتب انكليزى يدعى (ميلن Milne) . وهو ما يزال حياً يرزق .]

المستر [لانيمر] كهل أعزب له هواية غريبة حقاً . أنه يسعى إلى أن يحل مشاكل الزواج التى تعترض الشبان .

وعلى باب بيته على طريق الدوفر الذى سكنه على هذا الأساس ... أساس صيد العازمين على الزواج قبل فرارهم — عن هذه الطريق — إلى فرنسا حيث الزواج وشهر العسل ... على باب بيته يقف اثنان ، شاب وشابه ... ليونارد وآن .

إن مجيئهما ليس عن طريق الصدفة بحال من الأحوال بل هو أمر محكم التدبير ؛ فقد رشى المستر (لانيمر) سائق سيارتهما طالباً منه تعطيل السيارة أو التظاهر بأنها عطلت أمام منزله .

إن ليونارد يطرق الباب الآن . وهاهو الخادم (دومينيك) يفتحه له . فيقول ليونارد « أهذا فندق ؟ » فيجيبه دومينيك بالإيجاب .

يدخل الاثنان . وبعد أن يستقرا نستطيع بكل سهولة أن نفهم من حديثهما أن (ليونارد) شخص ترك زوجته (يوستاسيا) ليهرب مع الفتاة (آن) التى تركت هى بدورها أباها .

يستقبلهما المستر لانيمر — صاحب المنزل أو الفندق كما ظناه — بعد ذلك ، فيظهر هذا لنا بمظهر من يفهم السبب الذى قاما من أجله برحلتهما . ثم يبدأ يسأل آن عما تنتويه وتريد فعله ملقياً بعد الأسئلة درساً فى فائدة الأناة والتفكير فى تصرف المرأة قبل أن تقدم على عمل يعد من أخطر الأعمال بالنسبة إليها بل هو — أى هذا العمل — حياتها كلها وغرضها الأسمى الذى خلقت من أجله .

هنا نفهم عقلية ليونارد جيداً ... أننا نراه يفقد أعصابه بسرعة فلا يستطيع أن يحكمها ويتملكها ، ونراه يحاول أن يسحب فتاته آن ليخرجا من هذه الدار التى كرهها . لكن المستر (لانيمر) يكشف أوراقه عندما يبلغ الأمر هذا الحد ، فيصارحهما بأن أمر مجيئهما كان نتيجة لخطة دبرها هو فاحكم تدبيرها ثم تراه يطلب منهما بعد ذلك أن يمكثا أسبوعاً ... أسبوعاً واحداً فقط يختبر فيه أحدهما الآخر ويمتحنه لكيلا يكون اتصالهما بعد ذلك عرضة للانفصال .

تذهب آن بعد هذا الاقتراح إلى الغرفة التى أعدت لها لتنام ويبقى المستر لانيمر مع ليونارد ليكون الأخير مادة جيدة لتهكم الأول وسخريته بعد أن عرف هذا جيداً أخلاق ليونارد . ولكن ليونارد يضطرب وينزعج كعادته فيترك لانيمر متجهاً إلى غرفة نومه .

وما يهل صباح اليوم التالى حتى يصاب ليونارد بالبرد ... وتبدأ آن بعد هذا تشعر بأن الحياة مع فتاها ليونارد لن تكون دائماً بساطاً مفروشاً بالورود ؛ كما أنها تعلم فى الوقت نفسه من حديث يجرى بين المستر لا تيمر والخادم دومينيك أمامها أنها وليونارد ليسا الشخصين الوحيدين فى هذا المنزل العتيد .

والواقع أن هناك شخصين آخرين غير ليونارد وآن على أهبة أن ينتهيا من (أسبوع التجربة) كما يسميه المستر (لانيمر) .

ولكن الذى أدهش ليونارد هو ان ذينك الشخصين لم يكونا إلا (يوستاسيا) زوجته وعاشقها (نيكولاس)

إن منزل المستر لانيمر يؤدى رسالته بالنسبة لهذين الشخصين الأخيرين ؛ لأن الأسبوع ما يكاد يمضى حتى يبرم نيكولاس بيوستاسيا أشد البرم ، ذلك لأنها ذات عادة قبيحةٍ مستحكمة فيها ، تثير النفرة والابتعاد عنها : إن تلك العادة مزيج من الالحاح والعناية الكثيرة غير المستحبة بمن يعيش معها تحت سقف واحد . إن يوستاسيا خير مثال لامرأة تفيض منها

(غريزة الأمومة) فيضاً .

يبرم نيكولاس بها إذن ولما ينتهى بعد أسبوع التجربة ، ولـكنه لا يستطيع أن يتركها وحدها ليرحل فذلك مما تمنعه قوانين منزل المستر لانيمر الخالد .

هذ إلى أن يوستاسيا ونيكولاس يملان فى هذه الاثناء بوجود الشخصين الآخرين فى المنزل .

ولهذا فإن يوستاسيا ما تـكاد تعلم بأن زوجها قد أصيب بالزكام حتى تهرع إليه — بعد ما لقيت من أعراض عاشقها — لترضى عادتها غير المستحبة تلك ... وهى إلى هـذا تنسى كل شيء عن نيكولاس خلال انهماكها فى تحضير الدواء لزوجها .

أما نيكولاس فيبدأ بعد هذا يعجب بـ (آن) التى شعرت بخيبة أمل بعد ما رأت من انصراف يوستاسيا إلى العناية بليونارد . ولهذا نظن نيكولاس أنها فى بداية ميل جديد نحوه . إلا أن أمله يخيب هو الآخر عند ما يعلم أن آن لم تمل إليه إلا لرغبتها فى استدانة نقود تـكفيها للعود إلى منزلها ... وإلى أبيها ذلك الذى تركته هاربة .

هنا يصبح نيكولاس فى حالة غضب شديد فيصمم على الهرب من هاتين المرأتين اللتين آذته وازعجته أولاهما وخيبت أمله ثانيتهما فيتشاور مع ليونارد الذى تعدى المرحلة النهائية لمرضه الخطير ... الزكام !!! وهنا نراهما وكل منهما يبث الآخر أحزانه وآلامه . وفيما هما على هذه الحال إذ تخطر لـكليهما فـكرة ... فـكرة الهرب . فيصمم الأثنان على الهرب إلى فرنسا لقضاء عطلة تزيحهما من عناء المرأتين وخصوصاً ليونارد هذا الذى أرهقته زوجته بعنايتها الـكثيرة ومحاولتها التسرية عنه بقراءة كتب صعبة الأسـلوب جافة البحث كـكتاب (جيبون) عن انهيار الأمبراطورية الرومانية .

ولـكن عقبة واحدة تقف أمامها ... عقبة بغيضة ... ذلك أن ليونارد متأكد تمام التأكيد من أن يوستاسيا — مالم نجد شخصاً آخر غيره ترضى عن طريقة غريزتها — ستحاول أن تتبعه أينما سار .

هاهما يحاولان نتيجة لعزمهما على الهرب اقناع المستر لانيمر بأن يدعى أنه مريض لتنصرف يوستاسيا إليه تعنى بأمره ، لـكنه يرفض . وهاهما يتحولان عنه إلى الخادم دومينيك فيرفض هو الآخر . غير أن طيبة قلب المسـتر لانيمر تدفعه — بعد أن رفض — إلى قبول اقتراحهما لو لا أن الخادم دومينيك يخبره بأن الخادم الآخر جوزيف ... ذلك البطل الملاكم ... مريض

***

ستجد يوستاسـيا إذن من ترضى غريزتها عن طريق العناية به .

والفرصة — إذن — سنحت . يتسلل ليونارد ونيكولاس بحذر . محاولين الابتعاد ليقضيا فى فرنسا عطلة جميلة .

***

من بقى فى الدار بعدهما ؟ المستر لانيمر وخدمه ... وآن ويوستاسيا . وهنا نرى المستر لانيمر ذلك الرجل الذى كرس حياته لمساعدة الغير وحل مشـاكل الزواج . وذلك الرجل الذى ظل بطل القصة حتى النهاية ... نراه يصارح آن بحبه ويقع ضحية لخطة دبرها هو ، لـكن الفتاة الرزينة العاقلة — والتى إن عد المستر لانيمر بطل القصة فلا بد أن نقول أنها البطلة — تبين له أنها ما زالت تعامله وتحبه ... ليس ذلك الحب الجامح المنيف بل تعامله وتحبه كما لو كان أباها .

وهاهى ذى بعد هذا تأخذ حقيبتها لتقول للمستر لانيمر ... وداعاً .

إن المستر لانيمر الآن أمام المرآة يتبين ما عملته يد السنين فى وجهه وتقاطيعه ، فيرى أنه قدر لنفسـه عمراً أقل من الوقع والحقيقة .

يدخل الخادم دومينيك ليرى سيده فى هذه الحال فيبتسم الاثنان ... وفى لحظة نراهما صديقين كأحسن ما يكون الأصدقاء لا رجلين أحدهما سيد والآخر مسود .

طرق على الباب . شخصان جديدان يقفان أمام المنزل . المستر لانيمر ودومينيك يزاولان المهنة مرة أخرى .

عبد الـكريم محمود

(بغداد — دار المعلمين العالية)

العدد ٧٥٠ - الاثنين ١٧ نوفمبر ١٩٤٧ - السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٥٣٩

Lundi — 17 — 11 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

15 em Année No. 750

بدل الاشتراك عن سنة
ـــــــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٥٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ محرم سنة ١٣٦٧ — ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

ذكرى عيد الجهاد الوطنى

لصاحب العزة محمد كامل سليم بك

السكرتير العام لمجلس الوزراء

عيد الجهاد للشعب ، كعيد الميلاد للفرد ، كلاهما حادث ضخم عظيم فى تاريخ الحياة ، وكلاهما جدير بالتحية والتكريم والاحتفال .

فعيد الجهاد للشعب ، إحياء لمولد نهضة ، يبتدىء بها عصر جديد ، وعيد الميلاد ، إحياء لمولد فرد ، يبتدىء به أمل جديد .

وفى الميدين معاً تظهر الحركة والنشاط محل السكون والخمود ، ويبدأ النمو ويطرد التقدم بعد التوقف والجمود .

وهذا ما كان من أمر يوم ١٣ نوفمبر الذى حفظه التاريخ فى سجلات الخلود . تسجيلا لمولد النهضة الوطنية المصرية الكبرى . التى أخذت منذ ذلك اليوم المشهود ، فى النمو والتقدم والتطور على مر الأيام والسنين ، واستيقظ فيها الوعى القوى يقظة ليس بعدها نوم ولا هجوع ولا همود .

فى هذا اليوم التاريخى المجيد ، قامت فى مصر حركة شاملة . تطورت إلى ثورة كاملة ، كانت مظاهرها الأولى ، اتحاداً بديعاً بين جميع رجالات مصر البارزين وغير البارزين وظهور أهل مصر شعباً جديداً متجدداً ، نفض الغبار ، وهب وثار ، واشتعل كالنار ، صارخاً فى صوت واحد بالمطالبة بحقوقه المطلوبة فى الحرية الكاملة والاستقلال التام كتمهيد لابد منه للحياة الرفيعة الشريفة التى ينشدها المصريون والتى لا خير فى الوجود بدونها .

أنجبت مصر فى هذا اليوم زعيما قديراً فذاً ممتازاً فى شخص سعد زغلول ، ورجالا ذوى بأس شديد فى طليعتهم عبد العزيز فهمى وعلى شعراوى ، كان كل منهم جذوة متأججة ، مثلت روح الجيل ، أصدق تمثيل .

ولا يسعنى فى هذا المقام الرهيب ، إلا أن أقدم فى خشوع ، أخلص التحية وأصدق الأجلال ، إلى الشيخ النبيل ، المصرى العظيم ، المجاهد الكريم عبد العزيز فهمى باشا (حفظه الله ورعاه) ، فهو بيننا اليوم يشهد أثراً من آثار أياديه حين نحتفل بعيد الجهاد ، وإنى لأشهد أن هذا الوطنى الصامت ، والعالم المدقق . قد خدم النهضة الوطنية فى فجر نشأتها أجل الخدمات ، وبذل فى سبيلها أوفى نصيب من عقله وعلمه وفضله ، وعاش بنجوة من لغو القول ، زهداً فى مظاهر الحياة الباطلة وزخارفها الزائلة ، وقد أدى رسالته على أكمل وجه .

بعد هذه التحية الخالصة الواجبة على كل مصرى يزجى بها إلى هذا المصرى الأبى العظيم أعود إلى السؤال :

ماذا عمل هؤلاء الزعماء الثلاثة ، وفى أى جو عملوا ؟

وماذا عمل المصريون ، وفى أى جو كانوا يعيشون ؟

ذهب أشبال مصر الثلاثة يحملون رؤوسهم على أكفهم إلى مقر ممثل أكبر دولة فى العالم حينذاك ، فى صبيحة اليوم التالى لأكبر انتصار أحرزته فى تاريخها الطويل ، كانت الجيوش البريطانية فى سكرة الانتصار ، وفرحة السلامة تملأ القاهرة والأسكندرية ، وكل مكان فى أرض مصر ، فى الشوارع والميادين ودور السينما والملاهى والأندية والحدائق والطرقات ، وكانت الأحكام العرفية البريطانية رافعة سيوفها على أعناق المصريين بغير حساب ولا رقيب ، والسجون والمعاقل متعددة مفتوحة الأبواب ، للمغضوب عليهم والمشكوك فيهم من غير سؤال ولا جواب .

وكانت الحماية البريطانية مبسوطة على البلاد رغم انفها ، وبغير اكتراث لشعور أبنائها ، وليس أمام المصريين إلا الخنوع والاستكانة أو الموت والتعذيب فى هذا الجو الخانق ، الصاعق ، الساحق ، ذهب أشبال مصر الثلاثة فى شجاعة الحق وعزم البطولة ، وفى صراحة المؤمن وحزم الرجولة ، وطالبوا بجلاء الجيوش البريطانية عن أرض الوطن ، حتى تتمتع مصر باستقلالها التام .

حركة طائشة خيالية جنونية ، فى نظر الأقوياء المستعمرين المنتصرين المزهوين ، وحركة وطنية جريئة طبعية فى نظر المصريين ، وجميع المنصفين .

فأى النظرتين كانت أصح وأصدق ؟ ولأى فريق كتب التوفيق ؟

لست الآن بصدد تفصيل ما وقع . حسبى أن أذكر أن الإنجليز نكلوا بالحركة الوطنية ونكلت الحركة الوطنية بالإنجليز . فكان صدام وصراع . وكان سجن واعتقال ونفى وتشريد وتقتيل وتعذيب وآلام . وكان ثبات واحتمال وصبر ومثابرة ومقاومة واقدام . وتضحيات جسام . وإذا بهدنة تتخللها محادثات ومفاوضات وإذا بالحماية البريطانية تعترف بأنها علاقة غير مرضية . ثم إذا هى ملغاة بعد قليل وإذا بالاستقلال يعترف به مثقلا بالقيود والأصفاد فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ . ثم استقلال مخفف القيود فى عام ١٩٣٦ .

أدركت مصر كل ذلك بفضل تلك الحركة الطائشة الخيالية الجنونية فى نظر المستعمرين ، أو الحركة الوطنية الطبعية فى نظر المصريين ونظر القدر .

كيف كانت حال مصر حين قامت وتحركت . وحين نهضت وغضبت . وحين فارت وثارت . وحين تغلبت على العقبات وانتصرت .. فى ظروف كاد النصر فيها يبدو محالا أو حلماً من الأحلام .

هل كان لدى مصر طائرات ودبابات ، وجيوش جرارة . ومدافع ولوريات ؟

هل كانت لديها كنوز البحار . أو ذخائر من الحديد والنار وكل أدوات الدمار ؟

كلا .. لم يكن لدى مصر شىء من ذلك على الإطلاق . وإنما كانت عندها ذخيرة لا تنفد من الوطنية وحماستها . والكرامة وعزتها . والشجاعة وغيرتها . والإيمان العميق بعدالة القضية وحق الوطن . يدعم ذلك كله اتحاد رائع وإجماع كامل فى المشاعر والعزمات والايثار .

كان شعب مصر فى ظلال الحماية والاحتلال يعيش أحاداً وأفراداً وشيماً ممزقة . فلما بزغت شمس ١٣ نوفبر فاجأت مصر العالم عامة ، وبريطانيا خاصة بشعب متحد ، لا ثغرة فيه ، نبض بشعور واحد ، لا نشوز فيه ، واتجه فى اتجاه واحد ، لاعوج فيه

بهذه الكتلة المتحدة صمدت مصر للاحداث الجسام . وغالبتها ، فغلبتها . وكان الفضل فى هذا التوفيق راجعاً إلى توحيد الصفوف ، وتوحيد الرأى والشعور فكانت مصر من أقصاها إلى أقصاها تتحرك بكلمة واحدة يلقيها زعيمها الأوحد وأعوانه المتضامنون المتحدون .

كان الأغنياء يبذلون المال سخياً ، متبارين متنافسين لتمويل خزانة الجهاد وشد أزر المجاهدين .

وكانت التضحية وكان الايثار وانعدام الأثرة ، شعار الجميع : كباراً وصغاراً ، رجالا ونساء .

وكان الجيش والبوليس والعمال والفلاحون والطلبة والأعيان والموظفون والمحامون والمهندسون وكل أصحاب المهن الحرة جماعات تفيض صدورها بشعور واحد فى بذل كل مجهود يطلب لانقاذ

الوطن . ولم يكن هناك خلاف بين هذه الجماعات إلا فى الأزياء والأرزاق والأعمار .

وكانت الصحافة والمجلات ، والنشرات الظاهرة والنشرات الخفية تصدر كلها عن وحى واحد ، وليس فيها إلا نداء واحد ، وتوجيه واحد ودعوة واحدة . ولم يكن فى كل ما ينشر ويقرأ إلا ما يزيد لهيب الشعور الوطنى . وإلا ما فيه غذاء لأرواح المصريين .

بهذا شحذت الهمم فى مضاء ، وبذلت الجهود ، فى سخاء واطرد العمل فى اتحاد وانسجام ، وازدادت حماسة الناس بذكريات الماضى واستوحوا قوتهم من رجاء المستقبل .

ذلك كان جو يوم ١٣ نوفبر والأيام والشهور والسنوات التى تلته وتلك هى المعجزة التى أتتها مصر فكانت عبرة العبر : اتحاد فى الزعامة والرياسة والقيادة ، وتوحيد فى المشاعر والصفوف .

لقد جربت مصر الاتحاد . وشهدت خيراته وآثاره . وجنت أطيب ثماره .

وجربت تفرق الكلمة وشهدت ويلاته ومضاره وأخطاره

نالت مصر بفضل الاتحاد الكامل الشامل كل ما أحرزته من فوز . وكل ما نالته من خير حتى اليوم . ولم تنل من الفرقة والحزبية الجامحة الكالحة غير بعثرة الجهود والخيبة والفشل . والآلام والأحزان .

لقد وقعت معجزة ذلك الاتحاد الرائع فى ١٣ نوفبر سنة ٩١٨ على غير انتظار من الأصدقاء والأعداء على السواء .

أفلا تتكرر المعجزة فى ١٣ نوفبر سنة ١٩٤٧ . والأصدقاء يرجونها وينتظرونها ويتحرقون عليها ويعملون لها . والأعداء يخشونها ويحاربونها ويفزعون ويتطيرون منها ويعملون ضدها .

أمعجزة أن يتم اتحاد ؟ والاتحاد واقع فعلا على الأهداف القومية ، ووسائل تحقيقها ، وآية ذلك أن الأحزاب والهيئات جميعاً على اتفاق تام على هذه وتلك إذا أبعدنا التشويه وسوء التأويل .

أليس المانع الوحيد بعد ذلك من عدم اتحاد الرجال هو طغيان الأهواء والأحقاد كثمرة من ثمرات الألفة التى تفرقت . والوحدة التى تشتت . والعلاقات التى تمزقت وعكس الأوضاع بتقديم المصلحة الفردية على المصلحة الحزبية . ورفع المصلحة الحزبية فوق رأس المصلحة القومية .

أوضاع معكوسة . وخطط منكوسة مركوسة ليست فيها ذرة من الخير على الإطلاق ولو استجابوا إلى صوت الضمير والمصلحة العليا للبلاد وحدهما دون سواهما لانقشعت السحب . وزالت الحمى . ولعادت الحال كما كانت فى ذلك اليوم المشهود — عيد الجهاد الوطنى — أصفى وأصح . وأروع وأكمل مما كانت .

وحينذاك تتحقق الحكمة من الاحتفال به والتغنى بمزاياه ، عاماً بعد عام .

فينا كل بواعث النشاط . وأمامنا كل حوافز الأمل . ووراءنا كل نماذج العمل . فلنعمل على توحيد الصفوف أولا وقبل كل شىء . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

محمد كامل سليم

السكرتير العام لمجلس الوزراء

١٣ ـ رحلة إلى الهنــد

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

مشاهد أخرى فى دهلى

ضريح صَفدَر جَنك :

ومن الآثار التى رأيتها فى دهلى ضريح لوزير من وزراء الدولة التيمورية ، وهو آخر ما شاد رجال الدولة من أضرحة كبيرة .

كان صفدر جنك وزيراً للسلطان أحمد شاه (١١٦١ — ١١٦٧ هـ) . وذلك قبل زوال الدولة التيمورية بمائة عام . وقد عجزت الدولة من بعدُ عن رفع الآثار الفخمة ، وتشييد مثل ما شيّدت من قبل إبّان شبابها وقوّتها .

والمزار ، فى جملته ، صورة من مقابر الملوك التيموريين . وكلها تتفق فى القواعد وتختلف فى التفصيل ، فهو كقبر همايون بناء عال عليه قبة ، حولها أبراج ، يقوم على دكة عالية وسط حديقة واسعة . ولكنه أيسر هندسة وأبسط خطة . فليس حول القبة حجرات كثيرة متواصلة كما فى مزار همايون بل يرى الواقف تحت القبة أربعة عقود فى الجهات الأربع يخترقها البصر إلى الحديقة المحيطة بالبناء على ما بالعقود من شبابيك الرخام .

ويمتاز هذا المزار بأربعة أبراج ضخام على زواياه الأربع ، تذكّر بالمآذن الأربع فى أركان مزار جهانكير فى لاهور والمآذن الأربع القائمة حول تاج محل منفصلة عن البناء .

ويقال إن فى المزار بمادّته وهندسته ما يؤذن بشيخوخة الدولة والفنون إذا قيس إلى نضارة الدولة وشبابها ممثّلة فى أبنية همايون وشاهجهان وأكبر .

وسنصف بعض آثارهم فى المقالات الآتية إن شاء الله . ولكن هذا المزار لوزير لا لسلطان فينبغى أن يحسب هذا فى تقويم البناء .

ومن المشاهد التى رأيتها سقيفة جميلة من الرخام لاتدور عليها جدران ولكن تحملها عُمُد كثيرة أجيد نحتها وتشكيلها .

وفوق السقيفة قباب كثيرة من الرخام .

ووسط السقيفة قبر عليه صفائح الرخام ، البيضاء البراقة كقبور التيموريين الأخرى . وفيها كلها روعة وجمال .

والقبر لأمير اسمه ميرزا عزيز كوكل تاش (الأخ من الرضاع) وهو أخو السلطان جلال الدين أكبر من الرضاع ، وابن أتكاخان أحد وزراء أكبر .

وتسمى هذه السقيفة الرواق ذا الأربعة والستين عموداً (جونسته كهمبا) .



يرى بعض الزائرين وبينهم كاتب المقالات

ولما خرجت من هذه السقيفة أبصرت أمامها على الطريق قبوراً فأشار دليلنا إلى واحد منها أخذت الحوادثُ من أحجاره وتراكم حوله غبار العصور فتأملت كتابة عليه فإذا هى :

رشك عرفى وفخر طالب مرد   أسد الله خان غالب مرد

١٢٨٥

قلت : قبر الشاعر غالب ؟ قيل نعم . ومعنى البيت :

مات غيرة « عرفى » وفخر طالب . مات أسد الله خان غالب أى مات الذى يحسده عرفى ويفخر به طالب الخ .

فأما عرفى فهو الشاعر الفارسى عرفى الشيرازى من كبار شعراء الفارسية . رحل إلى الهند واتصل بجلال الدين أكبر وعاش هناك حتى أدركته الوفاة فى لاهور سنة ٩٩٩ وهو فى السادسة والثلاثين من عمره .

وكنت فى لاهور فى شهر نيسان الماضى (أبريل) وكان بها الصديق العالم الأديب على أصغرحكمت وزير المعارف فى إيران قبلا . فقال يوماً فى أحاديثه إن عرفى شيرازى وأنا شيرازى وقد مات هنا . وضحك . قلت يطيل الله عمرك ، ويقيك كل سوء .

وأما طالب فهو شاعر فارسى آخر من شعراء الفرس الذين رحلوا إلى الهند واتصل بجلال الدين أكبر وابنه جهانكير من بعده فحظى عندهما ، وذاع صيته ولقب « ملك الشعراء » وتوفى سنة ١٠٣٥ فى كشمير بعد أن جاوز المائة من عمره .

فهذا البيت الذى نقش على قبر غالب يشير إلى هذين الشاعرين اللذين ذاع صيتهما فى الهند فى القرن العاشر الهجرى .

وأسد الله غالب هذا له شأن فى الأدب الأردى ، إلى مكانته فى الأدب الفارسى . ولا بد من وقفة على قبر هذا الشاعر الذى زرته على غير قصد . وكان علىّ أن أسأل عنه ، وأسمى إليه ، أقضى حقه بوقفة :

وقفة فى العقيق نطرح ثقلا من دموع بوقفة فى العقيق :

هو نجم الدولة ، دبير الملك ميرز أسد الله خان .

وغالب لقبه الشعرى المعروف فى الأدب الفارسى بالتخلّص .

وأصله من تركستان كأمير خسرو الذى ذكرناه من قبل قدم جدّه إلى الهند فى عهد شاه عالم (١١٧٣ – ١٢٠٢) ورحل أبوه عبد الله من دهلى إلى لكهنو ثم حيدر آباد .

وتقلبت به أمور حتى قتل فى إحدى الحروب . وأسد طفل فى الخامسة من عمره . وقد كفل اليتيم عمه نصر الله بك خان . ولما بلغ التاسعة توفى عمه ، فرتب له ملك دهلى إذ ذاك رزقاً شهرياً . ثم ترعرع وتقلبت به الغِيَر ، وذاع صيته فى الشعر ونال جوائز الأمراء وأرزاقهم حتى رجع إلى دهلى وأجريت عليه وظيفة . واستقرهناك حتى أدركه الموت سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) بعد زوال الدولة الإسلامية من الهند .

وكان غالب رضىّ الخلق ، حسن الفكاهة محسناً إلى أصحابه وتلاميذه ، ولكنه كان قلقاً لا يصبر على الأحداث .

ولغالب مذهب فى الشعر أنيق دقيق يحتفل فيه بالمعنى واللفظ وله فى الفارسية ديوان وثمانية مؤلفات بين نظم ونثر وله ديوان باللغة الأردية كذلك وبضعة مؤلفات منظومة ومنثورة .

وقد عنى الناس بديوانه الأردى كثيراً إذ كان الشاعر على قرب زمانه من أوائل المجيدين فى هذا اللسان . وقد شرح ديوانه هذا ثمانى مرات . وهو بعيد الغور فيه كثير من دقائق الصوفية .

وطبع الديوان فى ألمانيا طبعة مصورة جميلة بيعت النسخة منها بخمسة وثلاثين جنيهاً . ثم أعيدت هذه الطبعة فى حيدر آباد فبيعت النسخة بخمسة جنيهات . وأعيدت مرة أخرى فرخص ثمنها قليلا . وللديوان طبعات أخرى رخيصة .

وقد نشرتُ منذ سنين ترجمة غالب وترجمت أبياتاً متفرقة من شعره ، منها :

أرى شبك الأمواج فى كل لجة

بأفواه وحش البحر حيك وقُدّرا

فماذا تلاقى قطرة الماء من ردى

إلى أن ترى فى لجة الماء جوهرا

وهو يشير إلى أن الكمال لا يتاح إلا بعد نصب ومقاساة أهوال

ومن شعره :

وكنا ببرق الطور أولى لو انه   على قدر الأقداح أعطيت الخمر

ويقول فى مضى العمر سريعاً :

أسوم جواد العمر ريثاً وما له   ركاب برجلى أو عنان بأنملى

ونرى فى طبعة برلين مع هذا البيت صورة فرس ينهب الأرض عَدْواً عليه فارس مشدوه ليس فى يده عنان ولا فى رجله ركاب .

ويقول فى البلاغة :

وينفذ فى الألباب سحر بيانه   فأحسب ما قد قاله كان فى لبّى

هذه وقفة قصيرة على قبر أسد الله غالب الشاعر الكبير .

وليت الزمن أمهلنا أياماً فى دهلى لنعود إلى قبره ، أو ساعات فى زيارتنا إياه لنستمد المعانى من هذا الرخام الحانى على رفات الشاعر الخالد كما تنطبق الصدفة على لؤلؤتها ؛ ولكن رحم الله الشاعر القائل :

أسوم جواد العمر ريثاً وما له   ركاب برجلى أو عنان بأنملى

(للحديث صلة)   **عبد الوهاب عزام**

وقع فى المقال السابق أغلاط هى :

مبطن بالصوف	صوابه	بالصدف
تفلَّق	»	تفلق
بالسنقر	»	بايسُنقر

لا يكس أحد قبراً بغير النبات العشب — وكلمة النبات زائدة

لسان السياسة البريطانية

للأستاذ محمود محمد شاكر

دعت السفارة المصرية فى لندن إلى مأدبة عشاء تكريماً لأعضاء الغرفة التجارية المصرية الإنجليزية ، فى يوم الخميس ٦ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، وكان من المدعوين السير ستافورد كريبس وزير التجارة البريطانية ، فقام السير ستافورد وألقى على الحاضرين خطبة من أخطر الخطب التى تناولت شئون مصر السياسية والتجارية ، وقد نشرت الصحف البريطانية هذه الخطبة فى الصدر ، وترجمتها أكثر الصحف العربية ، ومع ذلك فلم أجد أحداً علق عليها بما ينبغى أن يقال فى تفسيرها وتأويل مراميها .

كان من أول مرامى السير ستافورد أن يبين بأجلى بيان أن « التعاون الثقافى » و « التعاون التجارى » بين مصر وبريطانيا كفيلان بأن ينتهيا على مر الأيام إلى حل النزاع السياسى الناشب بين الدولتين ، وهو يرجو أن ينسأ الله فى أجله حتى يرى هذا الحل الموفق بين المتنازعين . وقال إن هذا النزاع بين مصر وبريطانيا ليس سوى « خلاف » يسير فى تاريخ طويل حافل بعلاقات المودة ، وبالذكريات الجميلة بين البلدين فيما يعتقد . وزعم أنه على يقين من أن الصلات التجارية والروابط الثقافية إذا هى سارت على نهج موافق ينفى عنها كل ما يزعج أو يثير الخواطر ، فإنه سوف يعيش بإذن الله حتى يرى حلا موفقاً مرضياً يفض ذلك الخلاف السياسى اليسير ، ويومئذ تخرج الدولتان منه وقد أصبحت الصلات التى بينهما أقوى ، وأصبحت المودة أصدق ، وأصبحت النفوس أسلم . وزعم أيضاً أن هذا الضرب من الصلات والروابط سيظل هو الغالب بين الأمتين على كل خلاف سياسى . ثم امتلأت جوانب هذه الخطبة بإشارات خفية إلى أسلوب بريطانيا فى الاستبداد التجارى الذى اعتصرت به الحياة من أمم كثيرة غير مصر والسودان ، وإلى التهديد اللئم بأن بريطانيا مضطرة إلى تحطيم هذا التعاون إذا أصرت مصر على إنفاذ قانون الشركات الذى أصدرته منذ عهد قريب ، ثم لم ينس السير ستافورد كريبس الوزير البريطانى عادة قومه فى المن الخبيث البغيض المتلفع بالمواطف الإنسانية النبيلة ، فزعم أن عطف بريطانيا على مصر فى محنة الكوليرا كان مبعثه العطف الإنسانى البالغ والرثاء العميق ، لا الدافع السياسى أو الحافز التجارى . وفى الخطبة كثير من أمثال هذه التلفيقات العجيبة .

زعم السير ستافورد أن الروابط الثقافية والتجارية كفيلة بحل ما سماه « خلافاً » سياسياً ، وهو يرمى بهذا إلى تحقير هذا « الخلاف السياسى » الطارىء ، لأن تاريخ العلاقات البريطانية المصرية فيما يدعى حافل بعلاقات المودة وبالذكريات الجميلة ! ! فهل سمعت أذن بأغرب من هذه الدعوى ؟ إن أجل الذكريات بيننا وبين بريطانيا هو احتلالها أرض مصر والسودان أكثر من خمس وستين سنة ، وسعيها الحثيث فى فصم عرى مصر والسودان فصما لا مجاملة فيه ولا هوادة . إن هذا الخطيب السياسى يعلم أنه يلقى خطبته فى دار السفارة المصرية التى دعت لتكريم أعضاء الغرفة التجارية المصرية الإنجليزية ، ولكنه يتجاهل هذا ويستهين بالمنزلة السياسية التى ينبغى أن تكفل لدار السفارة المصرية ، فيقف ليحط من قدر النزاع السياسى بين مصر والسودان وبريطانيا ، ويسميه « خلافاً يسيراً » ، كأن حرية شعب واستقلال أمة ليس شيئاً يقام له وزن بإزاء ما يسميه العلاقات التجارية والروابط الثقافية ؟ ونحن نعجب لِمَ سكت رجال السفارة عن رد هذا التحقير للهدف الأعظم الذى أراقت مصر والسودان فى سبيله ، ما أراقت من دماء ، وجادت فى سبيله بالأموال والأرواح والأبناء ، وصبرت فى الجهاد من أجله على مر الحياة وبأسائها صبراً طويلا كله آلام وتباريح ؟

إن كل حرف فى خطبة السير ستافورد كان كأنه يقهقه ساخراً من هذا الشعب الذى يريد أن يعيش حراً فى بلاده ، فكيف فات من سمع هذه الخطبة من المصريين أن يقف ليعلم السير ستافورد أن النزاع السياسى بيننا وبين بريطانيا هو الحياة وهو الحرية ، وهو الهدف الذى لن تلفتنا عنه مودة نشأت من رابطة ثقافية أو علاقة تجارية ؟

ثم ماذا يعنى السير ستافورد بقوله إن العلاقات التجارية والروابط الثقافية كفيلة بحل هذا النزاع السياسى ؟ إنها كلمة يلقيها وهو يقدر كل ما وراءها من سياسة بريطانيا فى إذلال شعوب الأرض التى وقعت تحت سلطانها الجائر . فعلاقات

بريطانيا التجارية بالبلاد الضعيفة هى أن تجعل رؤوس الأموال المستثمرة فى البلاد فى يد فئة من الخونة أو فئة من الأجانب ، وبذلك تضمن لتجارتها ميداناً هى صاحبة الكلمة الأولى فيه وتضمن أن يكون لهذه الفئة من الخونة أو الأجانب السيادة التامة على الشعب المستذل البائس الفقير الجاهل ، وتضمن أن لا تقوم لهذا الشعب قائمة ما دامت هذه الفئة هى صاحبة القوة المدمرة فى الحياة ، وهى قوة المال ، وتضمن أيضاً ناساً من هؤلاء الخونة وهولاء الأجانب يقولون للبلد الفقير الجاهل البائس الذى سُلب قوة المال : لم لا تفعل أنت مثل الذى نفعل ؟ وهم يعلمون أنه غير مطيق أن يفعل ، لأن قيادة أخطبوط القوة المالية فى أيديهم هم لا فى يد الشعب المسكين . وليس فى الدنيا شىء هو أوضح من هذه السياسة اللئيمة ، فإن مصر والسودان كادت فى بحر سنوات معدودة أن تكون أقوى دولة على شاطىء البحرين الأبيض والأحمر ، وأعظم دولة فى إفريقية ، وذلك فى عهد محمد على ، وأدخلت من ضروب الإصلاح والتدبير فى مجتمعها وفى سياستها وفى صناعتها وزراعتها ، ما لا غناء فى ترديده الآن ، فأبت بريطانيا أن ترى دولة قوية تنازعها سيادة الشرق الأوسط كله ، فألبت عليها الدول حتى حطمت أسطولها فى نفارين ، ثم تخونتها من أطرافها حتى انكمشت فى أضيق رقعة ، ثم انتهت إلى احتلال مصر والسودان مرة واحدة فى سنة ١٨٨٢ . ومنذ ذلك اليوم وبريطانيا تدعى أنها جاءت لإصلاح أمرنا ، فإذا هذا الإصلاح قاصر على أن تطلق يد الخونة والأجانب فى مال مصر وثرواتها ، وأن تحرم الشعب المصرى من كل خير ، وتضطهده وتقاتله بأخبث الأسلحة ، ثم تتركه جائعاً عارياً جاهلا لا يطيق أن يدفع عن نفسه . فأى خير جنيناه من هذه العلاقات التجارية بيننا وبين بريطانيا إلا الذل القاتل والإذلال المهين ؟

وما الذى فعلته بريطانيا منذ سنة ١٨٨٢ لهذا اليوم ؟ إنها لم تأل جهداً فى فتح باب الهجرة للأفاقين واللصوص والمجرمين من كل جنس وملة ، وأطلقتهم على هذا البلد الأمين يعيثون فى أرجائه فساداً ، وحمتهم بامتيازاتها وامتيازات الدول ، ويسرت لهم أن يعيشوا عيشة البذخ والرفاهية إلى يوم الناس هذا . وقد ذكر السير ستافورد أن مصر كانت فى زمن هذه الحرب الأخيرة « تستمتع برخاء غير طبيعى فى عدة وجوه ، على حين كانت بريطانيا على النقيض تماماً ، فقد كانت مجبرة على الإنفاق عن سعة فى الخارج خلال فترة الحرب ، لحماية نفسها وحماية الديمقراطية فى العالم » ، وهو يعلم أحسن العلم أن هذا الرخاء لم تعرفه مصر ولا المصريون ، ولا السودان ولا السودانيون ، بل عرفته الجاليات من الأجانب الذين عاشوا فى مصر أو الذين وفدوا على مصر . وهو يعلم أحسن العلم أن الذين تسميهم بعض الصحف تندراً بأغنياء الحرب ، وترمز إليهم برجل مصرى يلبس لباساً محدثاً عليه ، ليسوا سوى فئة قليلة إذا قيست بالآلاف المؤلفة من الأجانب الذين عقدوا الأموال وجمعوها وصاروا شيئاً بعد أن لم يكونوا إلا حضيضاً موطوءاً ، وأنا أعرف مئات من هؤلاء الأجانب كانوا يعيشون قبل الحرب عيشة الكفاف بل عيشة الصعاليك ، فإذا كلهم قد أصبحوا من الثروة والعزة بحيث إذا رأيت أحدهم ظننت أنه قوة إلهية تمشى على الأرض المصرية لتستذل هذا الشعب المصرى ، وكأنها لم توجد ولم تخلق إلا لهذا وحده . وبقى الشعب المصرى أسوأ حالا مما كان فيما قبل سنة ١٨٨٢ ، فما الذى فعلته بريطانيا ؟ وما دعواها فى إصلاح هذه البلاد ؟ .

وهذا كله بين لكل مصرى ، وهو أشد بياناً ووضوحاً فى عينى السير ستافورد كريبس ، ومغالطته فى الحقائق التى يعلمها لا هدف لها إلا أن تدل على أنه سياسى بريطانى حقاً ؟ !

ثم ما هذه الروابط الثقافية التى يرجو أو يزعم أو يحقق السير ستافورد أنها كفيلة بأن تغطى هذا النزاع بين الدولتين : بين الدولة المتغطرسة المستبدة التى تحتل بلادنا ، وبين الشعب المسكين الذى ظل خمساً وستين سنة يجاهد فى نيل استقلاله والتمتع بحرية الدولة المستقلة؟ لقد أغنانا السير ستافورد عن طلب الدليل بأن ذكر عدد الطلاب الذين أكرمت بريطانيا وفادتهم فى هذه السنة ففتحت لهم أبواب جامعاتها . ولسنا ندرى كيف يرجو السير ستافورد أن يكون هؤلاء الطلبة الذين درسوا فى بريطانيا عاملا فى حل النزاع السياسى بين مصر وبريطانيا ؟ ولكننا نعلم يقيناً أنه ما من شاب نعرفه ذهب إلى بريطانيا وعاد إلى مصر وهو مصرى القلب واللسان ، إلا وهو مظلوم مضطهد فى هوة من هوى النسيان ، وأنه ما من شاب نعرفه منهم عاد إلى مصر وهو يبرأ منها بلسانه وقلبه وجوارحه إلا كفلته بريطانيا ومهدت له حتى يتبوأ المنزلة التى تنبغى لمثله . ونحن لا نحب أن نسمى أحداً

باسمه ، ولكنى أعرف أن آلافاً غيرى يعرفون أحسن مما أعرف ، وعندهم من خبر ذلك أوثق مما عندى . أفهذا هو التعاون الثقافى الذى رمى إليه السير ستافورد ؟

لا ريب فى أن هـذا هو التعاون الثقافى الذى يعنيه ، وهو لا يلقى بالا كثيراً إلى شىء غيره من ضروب التعاون الثقافى لنشر العلم والمعرفة . بل إن بريطانيا نفسها لم تعن منذ دخلت مصر والسودان إلا بهذا الضرب وحده ، وما أظن أحداً يجهل ما كان من أمر البريطانين يوم دخلوا مصر فزقوا مدارسها ، وعملوا عمل الحريص على نزع كل شىء يفضى إلى تعليم الشعب المصرى من يد المصريين ، وأصروا على أن يأتوا بداهيـة من دهاتهم هو دنلوب ، ليضع برامج التعليم المصرى . فكانت العاقبة أننا بقينا إلى هـذا اليوم نرتطم فى الأوحال التى قذفنا بها دنلوب ، ونمىء عن إصلاح التعليم بعد الذى ابتلى به ، وبعد تلك الفئة من الرجال الذين أنشأتهم الثقافة البريطانية وأنشأهم دنلوب على ما يريد وأعطتهم بريطانيا مقاليد التحكم فى وزارة المعارف المصرية .

ولم يقف الأمر عند شأن التعليم بعدئذ ، بل سار على هذا النهج فى كل عمل فى الوزارات المصرية ، منذ كان وزير الاحتلال مصطفى فهمى باشا إلى هـذا اليوم إلا من عصم الله . ومع ذلك فالفساد الذى لحق الإدارة المصرية كلها من جراء هذا الضرب من التعاون الثقافى ، قد تغلغل وضرب بجذوره فى كل شىء حتى فى الاجتماع المصرى . وكل هذا بين لا خفاء فيه . ولنا عودة إليه إن شاء الله .

ثم إن تعجب فاعجب لهـذا الغضب الرقيق والعقاب الحلو الذى جرى على لسان السير ستافورد كريبس من جراء «تهور» الحكومة المصرية فى سن قانون الشركات . إن هـذا القانون لا يكاد يعد شيئاً إذا قيس بقوانين الشركات وغير الشركات فى بريطانيا نفسها ثم فى سائر بلاد العالم ، ولكن السير ستافورد يغضب هذا الغضب الرقيق ويعاتبنا هذا العتاب الحلو ، لأن هذا القانون ينال شيئاً قليلا من الأجانب الذين يعيشون فى مصر . وكيف لا يعاتب ولا يغضب علينا ، والأجانب هم الناس ، وهم مصر ، وهم أصحاب المصالح الحقيقية كما كانت تقول بريطانيا قديماً إن الذى يريده السير ستافورد ، أو الذى تريده بريطانيا ، شىء واضح هو أنه لا يحل للشعب المصرى أن يفكر ساعة واحدة فى أن يسن فى بلاده قانوناً يقيد حرية الأجانب أو يحد من ضراوتهم وفجورهم ، وإلا فعلى هذا الشعب المصرى أن يحتمل تبعة هذه الجرأة وهذه الوقاحة التى تدفعه إلى الحد من سلطان سادته وأصحاب الكلمة العليا فى بلاده . ولذلك رأينا الصحف البريطانية تغمز وتلمز أيضاً حين صدر قانون إقامة الأجانب فى مصر مع أن مثل هذا القانون فى بريطانيا نفسها يجعل الأجنبى يعيش فى أرضها وعليه ملكان يكتبان كل شىء حتى ما توسوس به نفسه . ولكننا لا نستطيع أن نسن فى بلادنا قانوناً كقانونهم وإلا فإننا متعصبون يضطهدون الأجانب ، وهذا التعصب كفيل بأن يقضى على كل نهضة فى بلادنا ، وكفيل بأن يزعزع ثقة الأمم فينا ، وكفيل بأن يمنع عنا مدد بريطانيا الصالحة التقية الورعة ! !

إن هذه الخطبة التى ألقاها السير ستافورد كريبس هى خلاصة موجزة لأسلوب بريطانيا فى إذلال الشعوب ، وإذلال شعب مصر خاصة ، فعسى أن لا يفوت الحكومة المصرية أن توغل فى شرحها وتتحسس سائر مراميها ، لكى تعرف أن ساعة الجد قد دنت ، وأنه ليس بيننا وبين بريطانيا إلا المداوة المكشوفة ، وأن علينا أن نعمل رضيت بريطانيا أو أبت ، وعلينا أن نصابرها وأن نحتمل الضنك والبأساء فى سبيل إنقاذ مصر والسودان من براثن هذا الوحش الضارى .

محمود محمد شاكر

من شــــوارد الشواهد

للأســـتاذ على الطنطاوى

٤٠ — إذا ما غضبنا غضبة مضرية

هتكنا حجاب الشمس أوقطرت دما

للقُحَيف بن خُمَير (أو خمّير)[1] بن سُليم الندىّ (أو البدىّ) شاعر إسلامى كوفى أدرك الدولة العباسية ، أخذه منه بشار فأدخله فى قصيدته ، وقبله :

لقد لقيت أفنـاء بكر بن وائل

وهِزّان بالبطحاء ضرباً غشمشما[2]

٤١ — ومن لم يمت بالسيف مات بغيره

تعددت الأسباب والموت واحـد

لابن نُباتة السعدى[3] الشـاعر عصرىّ المتنبى[4] ، روى ابن خلـكان أنه قال :

كنت يوماً فى دهليزى فدق علىّ الباب ، فقلت : من ؟ قال : رجل من أهل المشرق . قلت : ما حاجتك ؟ فقال : أنت القائل (وذكر البيت) ؟ فقلت : نعم . قال : أرويه عنك ؟ قلت : نعم . فمضى . فلما كان آخر النهار ، دق علىّ الباب . فقلت : من ؟ قال : رجل من أهل المغرب . فقلت : ما حاجتك ؟ فقال : أنت القائل (وذكر البيت) ؟ قلت : نعم . قال : أرويه عنك ؟ قلت: نعم . وعجبت كيف وصل إلى المشرق والمغرب[5] !

(١) والذى فى القاموس غلط

(٢) أفناء الناس وأفناء القوم من لا يعرف من أين جاء ، والمشهور أنه ليس له واحد ولا يوصف به الواحد ، وقيل واحده فنو وفناً ، وهزان قبيلة ، والقحيف هذا من بنى عقيل وهم موالى بشار ، أعنى أنه هو مولاهم والمولى من الأضداد .

(٣) وهو غير ابن نباتة خطيب سيف الدولة المتوفى قبله بسنين ، صاحب ديوان الخطب المشهور الذى لم يؤلف مثله ، والذى كثرت شروحه وآخرها ومن أجودها شرح الشيخ طاهر الجزائرى ، وغير ابن نباتة المصرى المتوفى فى القرن الثامن ، صاحب (سرح العيون) وغيره .

(٤) يقال هو عصريه ولا يقال معاصره .

(٥) قلت : ودعاية الأدباء لأنفسهم قديمة .

٤٢ — والناس ألف منهم كواحد

وواحد كالألف إن أمر عنى

لأبى بكر بن دريد ، الإمام اللغوى ، من مقصورته المشهورة ، التى يقول فيها :

من ظلم الناس تحاموا ظلمه   وعزّ عنهم جانباه واحتمى
من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما   راح به الواعظ يوماً أو غدا
من لم تفـده عبراً أيامه   كان العمى أولى به من الهدى
من عارض الأطماع باليأس رنت   إليه عين العزّ من حيث رنا
من عطف النفس على مكروهها   كان الغنى قرينه حيث انتوى . الخ

وقد عارضها هازلاً محمد بن عبد الواحـد الشاعر المعروف بصريع الدّلاء ، بمقصورة عجيبة ، أسوق أبياتاً منها ، وإن لم تكن من صلب موضوعى ، قال :

مَن لم يرد أن تنتقب نعاله   يحملهـا بكفّه إذا مشى
ومن أراد أن يصون رجله   فلبسها خير له من الحفى
من دخلت فى عينه مسلّة   فاسأله من ساعته عن العمى
من أكل الفحم تسودْ فمه   وصار صحن خده مثل الدجى
من صفع الناس ، ولم يدعهم   أن يصفعوه فعليهم اعتدى
من ناطح الكبش تفجر رأسه   وسال من مفرقه شبه الدما
من طبخ الديك ولا يذبحه   طار من القدر إلى حيث يشا
من شرب المسهل فى فصل الشتا   أطال تَرداداً إلى بيت الخلا
من مازح السبع ولا يعرفه   مازحه السبع مزاحاً بجفا
من فاته العلم وأخطاه الغنى   فذاك والكلب على حد سوا
والدرج[1] يلفى بالنشا ملتصقاً   والسرج لا يلصق إلا بالغرا
والذقن شعر فى الوجوه نابت   وإنما الاست التى تحت الـ(كذا)
فاستمعوها فهى أولى بكم   من زخرف القول ومن طول المرا
فتلك[2] كالدر يضىء لونها   وهذه فى وزنها مثل الخـ ...

٤٣ — إذا لم يكن صدر المجالس سيداً

فلا خير فيمن صدرته المجالس

لابن خالويه الحسين بن أحمد اللغوى النحوى ، وكان له شعر حسن رواه فى اليتيمة ، وبعده :

(١) الورق .

(٢) تلك يعنى الدريدية .

وكم قائل : مالى رأيتك راجلا ؟ فقلت له : من أجل أنك فارس !

٤٤ — مالى سوى قرعى لبابك حيلة

فلئن رددت فأى باب أقرع ؟

لأبى القاسم عبد الرحمن الخطيب الأندلسى الشاعر الصوفى توفى فى مراكش فى أواخر القرن السادس الهجرى . من قطعته المشهورة عند الصوفية ، وهى :

يامن يرى ما فى الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع

يا من يرجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن رزقه فى قول كن أمنن فإن الخير عندك أجمع

مالى سوى فقرى إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقرى أدفع

مالى سوى قرعى ... (البيت)

من ذا الذى أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن عبيدك يمنع

حاشا لمجدك أن تقنط عاصياً الفضل أجزل والمواهب أوسع

٤٥ — إن الثمانين (وبلغتها) قد أحوجت سمعى إلى تُرجُمان (١)

لعوف بن محلّم الشيبانى شاعر مجيد كان نديماً لطاهر بن الحسين ثلاثين سنة لا يفارقه ثم لابنه من بعده . من قصيدة قالها لعبد الله ابن طاهر ، وقد دخل عليه فكلمه فلم يسمع ، فارتجل هذه القصيدة ، وقبله :

يا ابن الذى دان له المشرقان طراً وقد دان له المغربان

وبعده :

وبدلتنى بالشطاط انحنا وكنت كالصعدة (٢) تحت السنان

وقاربت منى خطاً لم تكن مقاربات وثنت من عنان

ولم تدع فىّ لمستمتع إلا لسانى وبحسبى لسان

٤٦ — لا يعرف الشوق إلا من يكابده

ولا الصبابة إلا من يعانيها

للأبله البغدادى محمد بن بختيار من شعراء الخريدة (٣) شاعر مولد رقيق توفى فى أواخر القرن السادس الهجرى ، لقب بالأبله لقوة ذكائه ...

٤٧ — ما أنت أول سار غرّه قمر

شطر بيت للحريرى صاحب المقامات ، وبعده :

ورائد أعجبته خضرة الدمن (١)

فاختر لنفسك غيرى إننى رجل مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى (٢)

٤٨ — منذا يعيرك عينه تبكى بها

أرأيت عيناً للبكاء تعار

للعباس بن الأحنف ، وقبله :

نزف البكاء دموع عينيك فاستعر

عيناً لغيرك دمعها مدرار

٤٩ — قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه

قلت اطبخوا لى جبة وقميصاً

لأحمد بن محمد الأنطاكى المعروف بأبى الرقعمق المتوفى فى نهاية القرن الرابع ، شاعر يغلب على شعره الهزل كابن حجاج وصريع الدلاء ، وقبله :

إخواننا قصدوا الصبوح بسحرة فأتى رسولهم إلىّ خصوصاً

وله فى الهزل قصيدة طويلة ، أولها :

وقوقتى وقوقتى هدية فى طبق

أما ترون بينكم تيساً طويل العنق

٥٠ — والناس من يلق خيراً قائلون له

ما يشتهى ولأم المخطئ الهبل

للقطامى واسمه عمير بن شُيَيم التغلبى شاعر إسلامى متقدم من الفحول ولقب القطامى ببيت قاله ، وقبله :

والعيش لا عيش إلا ما تقرّ به عين ولا حال إلا سوف ينتقل

وبعده :

٥١ — قد يدرك المتأنى بعض حاجته

وقد يكون مع المستعجل الزلل

٥٢ — وربما ضر بعض الناس حزمهم

وكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا (٣)

---

(١) بضم التاء والجيم وفتحهما وبالفتح والضم وهو الأجود .

(٢) الرمح : الزج والقناة والسنان . والصعدة القناة المستقيمة .

(٣) للعماد الأصبهانى الكاتب

(١) إشارة إلى حديث : إياكم وخضراء الدمن . وهو من جوامع الكلم والدمن فى الأصل المزابل .

(٢) إشارة إلى المثل المعروف : لأن تسمع بالمعيدي ...

(٣) وقد روى البيت رواية أخرى .

٥٣ — فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

للمرقش الأصغر، واسمه عمرو (وقيل ربيعة) بن حرملة (١) وقبله :

أمن حلم أصبحت تنكت واجماً وقد تعتري الأحلام من كان نائما

٥٣ — ألهى بني جشم (٢) عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

لِمَـوْج بن قيس بن مازن وهو ابن أخت القطامي شاعر خبيث اللسان ، وبعده :

يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لفخر غير مسئوم
إن القديم إذا ما ضاع آخره كساعد فله الأيام محطوم

٥٤ — لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

لعدي بن زيد العبادي ، من أبيات له يستعطف بها النعمان . وقبله :

أبلغ النعمان عني مألكا (٣) أنه قد طال حبسي وانتظاري

وبعده :

ليت شعري من دخيل يعتري حيث ما أدرك ليلي ونهاري
قاعداً يكرب نفسي بثها وحراماً كان سجني واحتصاري

٥٥ — جاء شقيق عارضاً رمحه إن بني عمك فيهم رماح

لِحجل (٤) بن نضلة الباهلي ، جاهلي ، وشقيق هذا هو شقيق ابن جزء بن رياح (٥) من بني قتيبة بن معن .

٥٦ — عليَّ نحت القوافي من معادنها
وما عليَّ إذا لم تفهم البقر

للبحتري .

٥٧ — يا أيها الرجل المعلم غيره هلاّ لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم

لأبي الأسود الدؤلي ، من قصيدته التي يقول فيها :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم (١)

٥٨ — قومي هم قتلوا أميم أخي فإذا رميت أصابني سهمي

للحارث بن وعلة الجرمي من شعراء الحماسة ، من قصيدته التي مطلعها :

لمن الديار بجانب الرضم فمدافع الترباع فالرجم

وبعده :

فلئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهنن عظمي

٥٩ — أنا ابن جلا وطلاّع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني (٢)

لسُحيم بن وثيل بن عمرو بن جوين بن وهيب الرياحي من قصيدة له طويلة ، وقبله :

أنا ابن الغرّ من سلفي رياح كنصل السيف وضاح الجبين

وبعده :

عذرت البُزْل إن هي صاولتني فما بالي وبال ابنيْ لبون

٦٠ — وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الأربعين
أخو خمسين مجتمع أشدّي ونجذني مداراة الشؤون
سأجني ما جنيت وإن ظهري لذو سند إلى نضد أمين

٦١ — شاور سواك إذا نابتك نائبة
يوماً وإن كنت من أهل المشورات

للقاضي الأرّجاني ، وهو ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد ابن الحسين ، قاضي تُستَر ، شاعر فقيه (٣) وبعده :

فالعين تبصر منها ما دنا ونأى ولا ترى نفسها إلا بمرآة

وله البيت المشهور الذي تقلب حروف صدره فيجيء معك عجزه :

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم

---

(١) وهو أشعر المرقشين وهو عم طرفة والمرقش الأكبر عمه .

(٢) وروايته على الألسنة : ألهى بني تغلب .

(٣) رسالة كالالوكة .

(٤) الحجل في الأصل نوع من الحرباء سمي به .

(٥) عند الآمدي رياح وتصحيحها من الاشتقاق لابن دريد .

(١) ورووا له فيها :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

والبيت الأول للمتوكل الليثي ، والله أعلم .

(٢) جلا اسم من أسماء العرب ، وابن جلا كناية عن الواضح الأمر وطلاع صفة لـ (أنا) والثنايا ج ثنية العقبة في الجبل يريد أنه يطلع في الغارات من ثنية الجبل على أهلها وقوله متى أضع العمامة كناية عن الحرب .

(٣) وهو القائل ، وأظنه لم يجاوز الصدق .

أنا أفقه الشعراء غير مدافع في العصر لا بل أشعر الفقهاء

٦٢ — فألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

لمعقر بن حمار البارقى ، شاعر جاهلى محسن متمكن ، واسمه عمرو ، وفى نسبه اختلاف[١] .

وسمى معقراً لقوله فى هذه القصيدة :

لها ناهض فى الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

٦٣ — فيا شجر الخابور مالك مورقا

كأنك لم تجزع على ابن طريف

للفارعة[٢] بنت طريف بن الصلت الشيبانية ، ترثى أخاها الوليد الشارى البطل الخارجى ، الذى خرج أيام الرشيد فى نصيبين والخابور وتلك النواحى ، من قصيدة لها معروفة ، ومنها :

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قنى وسيوف

حليف الندى ما عاش يرضى به الندى

فإن مات لم يرضَ الندا بحليف

فقدناك فقدان الشباب وليتنا فديناك من فتياننا بألوف

وما زال حتى أزهق الموت نفسه شجى لعدو أو لجىٌّ لضعيف

ألا يا لقومى للحمام وللبلى وللأرض همت بعده برجيف

وللبدر من بين الكواكب قد هوى

وللشمس لما أزمعت لكسوف

وللّيث كل الليث إذ يحملونه إلى حفرة ملحودة وسقيف

عليك سلام الله وقفاً فإننى

أرى الموت وقاعاً بكل شريف[٣]

(القاهرة) **على الطنطاوى**

---

(١) بين الآمدى والمرزبانى (راجع معجم الشعراء والمؤتلف والمختلف) .

(٢) وقيل اسمها فاطمة .

(٣) أقول (تعليقاً على الفصلين السابقين) :

١ — روى فى اللسان بيت :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه

لابن مفرغ ، وهو لأبى الأسود وروى للصلتان الفهمى .

٢ — بيت :

فلا وأبيك ما فى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

الذى رواه أبو تمام ، (وأخذته عنه) ، ولم ينسبه . نسبه الآمدى فى المؤتلف والمختلف لجميل بن المعلى الفزارى .

ليـل الهوى

للأستاذ أنور العطار

اسألى الليـل فهو ينبيك عنى يا غنائى ويا رحيقى ودَنّى
أنت منه هذا الوشاح المحلى بالدرارى ، والشعر واللحن منى
عالم الليل مثله عالم الشعـ ـر غنى بألف فن وفن
أنت منه هذا الجمال الذى يو حى ويذكى الجوى ويحيى ويفنى
وينقّى الأرواح من عنت الإثـ ـم فتهتز كالربيع الأغن
جل من صاغه إطاراً من الحسـ ـن وأحياك للهوى والتغنى
يستعير الجمال منك سناه وتشيد المنى القصور وتبنى
حار فى كنهك المضلل فكرى وشفى غيظه • مرابى وظنى
ضمك الوهم صورة ليس تفنى واحتواك الخيال تمثال حسن
أتمنى وأنت منى الأمانى وأغنى وأنت منىَ لحنى
وأناجى حتى كأنىَ نجوى وكأنى طيف الهوى المتثنى
أى سحر هذا الذى امتلك النفـ ـس فأغرى طرفى وأسكر أذنى
كلَّ نجم عين تصافح عينى كل روح سن تضاحك سنى

إنه الحب عبقرى يغنى ويهد القوى ويوهى ويضنى
ويثير النؤوم فى عالم الغيـ ـب ويحيى الذكرى ويقصى ويدنى
إن شدا كان فرحة لا تبارى وحمى آمناً وجنة عدن
وملاذاً تصبو اللحون إليه من خلىّ حلو المنى مطمئن
وشجىّ كبلبل مستهام يستمد الغناء من كل غصن

فى دنانى بقية من شراب هى قوت الهوى وروح التمنى
ويدى لم تزل على الوتر المطـ ـراب والقلب لا يزال يغنى

طرس وعود ...

للآنسة دنانير

إذا عصفت أشواق روحى إليكم بروحى ، وهاجت عبرتى وأنينى
فزعت بآلامى وحر مواجعى إلى صاحبىّ سرى أبث شجونى
فطوراً على طرسى أريق حشاشة تساقط أنفاساً وخفق وتين
وطوراً على عودى أوقع أنَّة سماوية الأصداء ، ذاتَ رنين
إذا غمزت أوتارَه الخرسَ أنملى تناغت بأشواق لكم وحنينى
نجيَّان أدنى من قريب وصاحب إلىّ ، وأحنى من أخ وخدين

بحث فى الكولرا

للدكتور فضل أبو بكر

هى داء عضال وشر مستطير ، وإحدى ما يسمونه فى الزمان الغابر بالأوبئة الثلاثة : الطاعون ، والحمى الصفراء ، والكولرا ، وهى حقاً ثالثة الأثافى لشدة وطأتها ولما تزهقه من أرواح وقد لقبها الغربيون بالوباء الأسيوى نسبة لوجودها فى بعض المدن والبلاد الأسيوية كالهند ولا سيما مقاطعة الهندستان والبنغال .

تاريخها :

الهند — كما ذكرنا — وطنها الأول إذ توجد فيها بحالة مستوطنة كامنة « Endémigue » وذلك منذ أجيال سحيقة كما جاء ذكرها فى المراجع الهندية القديمة المكتوبة باللغة السنسكريتية لغة قدماء الهنود .

هذا ولما كان البرتغاليون من أسبق الأوربيين فى فن الملاحة والأسفار كان أطباؤهم أيضاً أول من عنى بدراسة الكولرا ووصفها نذكر منهم « جاسبار » و « جوريا » و « جارسيا دى هورتا » سنة ١٥٤٣ .

فتك هذا المرض — فى القرن الثامن عشر — فتكا ذريعاً بالجيوش الفرنسية والانجليزية . غير أنه لم ينتشر بحالة وبائية إلا فى أوائل القرن التاسع عشر . وقسموا هذه الأوبئة — على وجه التقريب — إلى سبعة أقسام بالنسبة إلى تاريخ حدوثها وهى كما يأتى :

الوباء الأول :

من سنة ١٨١٧ إلى ١٨٢٣ بدأ فى الزنجبار وجزيرة موريس والهند الصينية الفرنسية والصين واليابان وبلاد الفرس وبغداد .

الوباء الثانى :

من سنة ١٨٢٦ إلى سنة ١٨٣٧ انتقل من الهند إلى الأفغانستان وتركستان وبلاد العجم كما وصل إلى روسيا وبلغاريا ومن ثم إلى بولندا وبروسيا الشرقية ، وامتد لهبه إلى أوربا الوسطى وفرنسا وانجلترا وترك بفرنسا نحو مائة ألف من الضحايا ولم تنج منه أمريكا الشمالية والمكسيك .

الوباء الثالث :

من سنة ١٨٤٦ إلى سنة ١٨٥١ وقد ظل محصورا فى البلاد الأسيوية وشمال أفريقيا حتى عام ١٨٤٩ وبعد ذلك لحق بالنمسا ، وعم جميع فرنسا ومنها إلى البلجيك وهولندا والسويد والنرويج ثم عرج على اليونان وشمل على وجه الإجمال كل أوربا ووصل إلى شمال أمريكا .

الوباء الرابع :

من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٧٦ منيت به أسيا الصغرى وبعض مدن أوربا كما أعلن ظهوره فى الأرجنتين وفى عام ١٨٦٦ كان بالسنغال وأواسط أفريقيا والحبشة .

الوباء الخامس :

سنة ١٨٨٣ أصيبت به مصر ، وفى أثناء هذا الوباء أحرز العلم نصراً كبيراً على يد خدن من أخدانه وأكبر ركن من أركانه هو العالم الألمانى الكبير « روبرت كوخ » مكتشف مكروب السل المعروف باسمه . اكتشف كوخ مكروب الكولرا لأول مرة فى مصر ، وذهب إلى الهند بعد عام واحد ، وقصد مدينة كلكتا وأثبت للمرة الثانية حقيقة المكروب إثباتاً قاطعاً .

وصل الوباء بعد ذلك إلى جنوب أفريقيا وتمادى إلى أسبانيا وإيطاليا وسواحل البحر الأدرياتيكى .

الوباء السادس :

من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٨٩٦ نشب فى الهند وامتد لظاه إلى روسيا وألمانيا والنمسا وانجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا .

الوباء السابع :

بدأ سنة ١٩٠٠ ، وبعد عام من نشوبه عم جميع بلاد الشرق الأقصى وامتد إلى آسيا الصغرى كما منيت به مصر وروسيا وبولندا وبعد مهادنة لم تدم إلا بضع سنوات شب فى روسيا وتركيا وإيطاليا وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى ظهر من جديد فى روسيا ودام بها بضع سنوات ومات بسببه نحو ٢٠٧٣٨٩ من السكان .

أثر المواصلات فى انتشار الوباء :

إن المواصلات على اختلاف أنواعها من برية وبحرية وجوية

كانت وما زالت ضمن العوامل المساعدة على انتشار الوباء . لهذا كانت الرقابة الصحية على أشدها على الحدود والمرافىء والمطارات حيث المحاجر الصحية ، وتكون الرقابة عليها صارمة عنيفة وقت نشوب الأوبئة فى بقعة من الكرة الأرضية . فقد ارتبطت أجزاء العالم المترامية وقربت المسافات بفضل هذه المواصلات .

فالطريق البرى مثلا ينقسم إلى قسمين : أحدهما شمالى ينتقل بواسطته المرض من جهات الهند والصين إلى روسيا بواسطة بحر قزوين ونهر الفلجا ومن روسيا إلى بلاد البلقان وربما عم كل أوربا.

والطريق الآخر جنوبى بواسطة السهل الواقع بين صحراء سوريا وإيران والذى يرويه نهر دجلة والفرات ، ومن هذا السهل تنتقل العدوى إلى مكة وربما يأتى بها الحجاج إلى مصر وشمال أفريقيا .

والطريق البحرى يساعد على نشر الداء من كلكتا إلى الهند الصينية الفرنسية والصين وميناء سنجابور ، والطريق الآخر من بومباى إلى الخليج الفارسى وآسيا الصغرى وسوريا وتركيا .

طرق الأصابة وانتشار العدوى :

أهم ناشر للعدوى هو الإنسان نفسه ؛ ونقصد به المريض فى طور الأصابة بل والناقه من المرض كذلك مايسمونه : « بحامل المكروب » وهذا الأخير ليس بمريض فى حد نفسه إذ لا يتأثر بالمرض ولا تظهر عليه عوارضه ولكنه جسمه يأوى جرثومة المرض ويضيفها تشهد عليه بذلك إفرازاته من برازية وبولية وأحياناً المصارة الصفراوية كل هذه المواد والسوائل تحوى بعض الميكروبات ومن هنا كان خطر هؤلاء الحملة كبيراً على السكان .

المياه ونقل العدوى :

تلعب المياه دوراً خطيراً فى هذا الصدد ونقصد بها الموارد المذبة من أنهار وآبار وينابيع المستعملة فى الشرب والغسل والطبخ وغير ذلك من الحوائج المنزلية سيما إذا استعملت بحالتها الطبيعية من غير تعقيم ولا تطهير .

تلوث تلك المياه بما يصل إليها من إفرازات المريض أو غسل ملابسه أو مايستعمل له من أوان أو غيرها وكذلك الأمطار وقت هطولها قد تجرف بعض المكروبات وتفضى بها إلى الموارد المذكورة.

الحيوانات ونقل العدوى :

أهم هذه الحيوانات الحشرات وأهمها الذباب الذى يهبط ويحط رحاله على إفرازات المريض يتغذى منهـا ثم ينقلها إلى الأطعمة والمواد الغذائية كذلك نوع خاص من النحل كما أدينت بعض الأسماك والقواقع المائية .

بواسطة المواد الغذائية :

إن المواد الغذائية على اختلاف أنواعها قابلة للتلوث بمكروب الكولرا وذلك بسهولة وبشتى الطرق عن طريق الذباب مثلا أو غسلها وتحضيرها بماء ملوث أو التى يقوم بطبخها بعض المصابين أو الناقهين أو « حاملى المكروب » ، وقد شوهد أن المكروب يمكنه أن يعيش على اللحوم مدة ثمانية أيام وعلى الخبز سبعة أيام وعلى السكر والملح نحو ثلاثين ساعة وعلى الخيار والطماطم نحو ثلاثة أيام وعلى البطيخ نحو ثمانية أيام . أما اللبن فقد يكون أقل تعرضاً للاصابة من غيره وذلك لأنه قابل للحموضة والتخمير ومكروب الكولرا تؤذيه البيئة الحمضية وتودى به إذا ارتفع منسوبها

الانتشار بواسطة الأشياء :

أى جميع الأشياء التى تلامس المريض عن طريق مباشر أو غير مباشر وأهم هذه الأشياء الملابس ، وقد وجد الطبيب « سمطن » سنة ١٨٢١ أن مريضة ماتت من مرض الكولرا وكانت ترتدى قناعاً وقت مرضها وقد احتفظت ابنتها بذلك القناع كتذكار وحفظته فى مكان وبعض مضى عشرة أشهر على ذلك ظنت الابنة أنه ليس هناك خطر أو بأس من ارتداء القناع وقد أصيبت بالمرض على أثر الارتداء من هنا نعلم خطر الملابس الشديد .

الأعمار وأثرها فى الاصابة :

دلت التجارب على أن السن لها دخل فى الأصابة فالطفل الصغير فى طور الرضاعة لا يصاب بالمرض ولا تظهر عليه عوارضه حتى ولو كانت أمه أو مرضعته مصابة بالداء ولكنه قد يصير من جراء تعرضه من « حملة الميكروب » .

كما أن الأطفال أقل قابلية من البالغين والكهول والشيوخ أقل من الكهول ولكن أصابتهم تكون فى الغالب أخطر على حياتهم من غيرهم وذلك لضعف أجسامهم وعجزها عن المقاومة .

عوارض المرض :

هناك فترة قصيرة بين إصابة الجسم بالمكروب وظهور أول العوارض وهى ما تسمى بال « Incubation » تتراوح بين ثلاث ساعات إلى خمس وقد تمتد إلى خمسة أيام ، وإن كان متوسطها لا يعدو يومين ، وقد وضع القانون الدولى للمحاجر الصحية حداً لتلك المدة وقدرها بخمسة أيام تتخذ فى أثنائها جميع الاحتياطات اللازمة .

الطور الأول :

يبدأ المرض بإسهال شديد مسبوق بأوجاع مؤلمة على طول أمعاء القولون نتيجة لالتهابه ويشعر المريض بتعب وفتور عام ويكون لون المواد البرازية مخضراً أو رمادياً .

الطور الثانى :

يبدأ غالباً فى الهزيع الثانى من الليل معلناً ظهوره بألم شديد فى أعلى البطن وأسفل الصدر مع شعور المريض بالبرد الشديد ولاسيما فى الأطراف التى تهبط حرارتها ويشعر المريض بضيق فى التنفس وبشىء من الاختناق لذلك يلهث ويكثر تنفسه ويسرع نبضه ودقات قلبه التى تضعف ضرباتها فى نفس الوقت . أما الاسهال فتشتد وطأته وقد تبلغ كمية المواد نحو ست لترات وهى عبارة عن سائل مبيض أشبه بشربة الأرز من حيث اللون والشكل ويفقد رائحته المألوفة كذلك يتقايأ المريض وقد تبلغ كمية القىء مبلغ البراز. أما البول فيندر وتقل كميته ويصبح التبول عسيراً ومصحوباً بآلام شديدة .

الطور الثالث :

تشتد فيه العوارض المذكورة ويزداد حرج المريض وكربه ويقل البول بل ينعدم إفرازه ويشعر المريض بالاختناق وبالبرد الشديد كما يهبط ضغط الدم ويهزل الجسم وتغور العينان ويصبح الجسم كالعود اليابس الذى جف ماؤه وزالت نضرته . وقد يلاق المريض حتفه فى هذا الطور .

أنواع المرض بالنسبة لحدته وشدة وطأته :

هنالك نوع أخف وطأة مما ذكرنا وهو أقل خطراً بالطبع كما أن هنالك أنواعاً حادة أشد بأساً مما سلف ذكره وقد تودى بالمريض فى مدى يومين ، وصنف آخر أكثر حدة وأشد خطراً من كل ما ذكر وهو أشبه بالذبحة الصدرية ويسمونه « بالكوليرا الجافة » لأنه لا يكون فيه إسهال ولا قىء وهو يصيب غالباً الشيوخ وضعاف الجسم وقد يموت من جرائه المريض بعد يوم واحد أو بعد بضع ساعات .

(البقية فى العدد القادم)

فضل أبو بكر

حول جدل فى الجامعة

للأستاذ محمد أحمد خلف الله

تحت هذا العنوان كتب حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الفتاح بدوى المدرس بكلية اللغة العربية بالأزهر يقول « ولكن الذى لنا وللعلماء خاصة هو القيامة على الحقائق العلمية وعلى الحقائق الدينية ننفى عنهما الخبث وندافع عنهما كل من يحاول عليهما العدوان . » وأنه مادام يملك المقال الذى كتبته فى الرسالة . عدد ٧٤٣ فإنه يملك باباً وسيعاً من المناقشة والحساب فى مسائل علمية ودينية لها أكبر الخطر ويترتب عليها أعظم النتائج العلمية والأدبية والاجتماعية والقانونية إلى أن يحصل على أشياء أخرى غير المقال .

ومناقشة الأستاذ لهذا المقال قسمان مسائل وشتائم فلنبدأ الحديث عن المسائل .

١ — قلت من المعروف دينيا ألا نستنتج من نص قرآنى أمراً لم يقصد إليه القرآن . فقال الشيخ هذه الدعوى تهجم عارم على العلم وعلى القرآن جميعاً وبين ذلك بقوله أليس القرآن الكريم كلاماً له الدلالات المنطقية الثلاث المطابقية والتضمنية والالتزامية التى لكل كلام سواء فى ذلك كل أنواع الكلام .

ولا نفهم كيف يكون لكل كلام دلالات ثلاث تقصد منه مع أن عبارة المتن — الذى يعرف بعلم البيان — « والايراد المذكور لا يتأتى بالوضعية أى بالدلالة المطابقية ويتأتى بالعقلية أى التضمنية والالتزامية . »

ومعنى ذلك كما يلحظ القارىء أن الإيراد البيانى بالتجوز والاستعارة والكناية ... الخ لا يكون إلا ببعض هذه الدلالات . ولذا لا ندرى كيف حكم الشيخ بالدلالات الثلاث لكل كلام .

ثم أين مايقوله البيانيون ورجال البلاغة من حال المتكلم وحال المخاطب والقرائن العقلية وأين السياق والمقام حيث يقولون لكل مقام مقال أين كل هذا يا صاحب الفضيلة أليس كل هذا يدل على أنه لا يصح أن نستنتج من أى نص أمراً لم يقصد إليه القائل .

ثم هذه الآية نفسها التى أوردها الشيخ وهى أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة تدل الدلالة القوية على تأصيل القاعدة التى نقول بها إن لم تكن مؤصلة وإلا فليدلنى الشيخ وقد ماذا يكون موقفه من العلم حين يثبت بقرائن مادية يقول بها علماء الجولوجيا من أن هذا البيت ليس أول بيت وضع للناس من الناحية الزمنية أيصر على موقفه أم يرجع إلى قصد القرآن ويفهم ما فهمه بعض المفسرين من أن الأولية هنا ليست أولية الزمان .

ولو قرأ الشيخ المقال الافتتاحى فى عدد الرسالة الذى نشر فيه مقاله وعنوانه (القرآن والنظريات العلمية) لوجد الضرورة القصوى الداعية إلى تأصيل هذا الأصل فى فهم نصوص القرآن لو كان غير مؤصل فى فهم عبارة كل متكلم . لكنه أصل لا نعرف أحداً يستطيع المشاحة فيه ! ولكن ؟

٢ — وقلت إن القصص القرآنى من المتشابه فقال الشيخ فلسنا نعرف أحداً من الأصوليين ولا أحداً من المسلمين يعتبر القصص القرآنى متشابهاً .. كما يقول فى موطن آخر فالأستاذ الإمام لم يقل إن القصص من المتشابه ولم يقل بذلك مسلم قبله أو بعده ...

ونبدأ مع الشيخ بالعموم الجرىء فى قوله إنه لا يعرف أحداً من المسلمين يعتبر القصص القرآنى متشابهاً ونضع بين يديه ما فى التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط لأبى حيان جـ ٢ ص ٣٨١ طبعة السعادة سنة ١٣٢٨ هـ ونصه [وقال مقاتل المحكمات خمسمائة آية ... الخ والمتشابه القصص والأمثال . وقال يحيى بن يعمر المحكم الفرائض والوعد والوعيد والمتشابه القصص والأمثال .]

ثم نضع قول الطبرى فى جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ٣ ص ١٠٧ الطبعة الميمنية ونصه [والمتشابه هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير فى السورة فقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعانى وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى .]

ثم نضع قول الطبرى فى كتابه مجمع البيان فى تفسير القرآن جـ ١ طبع صيدا ص ٤٠٩ ونصه [والمتشابه ما تكرر ألفاظه كقصة موسى وغير ذلك عن ابن زيد] . وهذا الرأى هو الذى نقله الأستاذ الإمام فى تفسير المنار حيث لم يكتف بما نقله الرازى من أقواله فى المتشابه (أنظر المنار جـ ٣ ص ١٦٥) ولا نطيل بنقله ولعل فى هؤلاء واحداً يكون من المسلمين عند الشيخ ؟

فإذا انتقلنا إلى الخاص وهو نقل الأصوليين أحلنا الشيخ على إيراد الآمدى لهذا الرأى فى كتابه الأحكام جـ ١ ص ٢٣٨ طبعة المعارف ومناقشته له .

كما نضع بين يديه عبارة الشوكانى فى كتابه إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص ٢٨ ونصها (ومثل المحكم الفرائض والوعد والوعيد والمتشابه القصص والأمثال) .

فهل لم يعرف الشيخ واحداً من هؤلاء جميعاً ؟ .

٣ – وقلت إن من المفسرين من لا يلتزم أن كل ما ورد فى القصص القرآنى من أحداث قد وقع بل بعضه أحداث غير واقعة فقال الشيخ :

ولا نعرف أحداً من الأصوليين ولا من المسلمين لا يقول بأن ما ورد فى القرآن من القصص إنما هو أحداث وقعت وحوادث هى خلاصة الحقيقة التى وقعت فى سوالف الأزمان .

وإقحام الشيخ الأصوليين هناك لا معنى له فليسمع كلام المفسرين الذين تحدثت عنهم إذ يقررون أن من القصص القرآنى أحداث لم تقع .

جاء فى ابن كثير ج ١ ص ٥٩٠ بعد تفسيره لقوله تعالى ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ... الخ ما نصه (عن ابن جريج عن عطاء أن هذا مثل) وقد وضع على لفظه مثل رقم ١ وكتب على الهامش بآلة الطباعة هذه العبارة (يعنى أنها ضرب مثل لا قصة واقعة) .

وجاء فى الرازى ج ٢ ص ٣٣٣ نسخة الصالة بدار الكتب وذلك بصدد الحديث عن قصة ابراهيم والطير ما نصه [المسألة الثانية . أجمع أهل التفسير على أن المراد بالآية قطعهن وأن ابراهيم قطع أعضاءها ولحومها وريشها ودماءها وخلط بعضها على بعض غير أبى مسلم فأنه أنكر ذلك وقال : إن ابراهيم عليه السلام لما طلب إحياء الميت من الله تعالى أراه الله تعالى مثالا قرب به الأمر عليه والمراد بصرهن إليك الأمالة والتمرين على الأجابة أى فعود الطير الأربعة أن تصير بحيث إذا دعوتها أجابتك وأتتك فأذا صارت كذلك فاجعل على كل جبل واحداً حال حياته ثم ادعهن يأتينك سعياً والغرض منه ذكر مثال محسوس فى عود الأرواح إلى الأجساد على سبيل السهولة] .

وجاء فى المنار ج ٣ ص ٥٢ بعد تفسيره لقصة الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ما نصه [ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل والله أعلم] .

وقد كرر الأستاذ الأمام تفسير بعض القصص القرآنى على هذا الأساس ويكفى أن نحيل الشيخ إلى الصفحات من ٢٨٠ – ٢٨٢ من الجزء الأول ليعرف أن الأستاذ الأمام قد فسر قصة آدم من سورة البقرة على أنها قصة تمثيلية .

على أننا نستطيع أن نضع بين يدى الشيخ هذا النص القاطع الذى لا يحتمل شكا فى أن مذهب الأستاذ الأمام هو هذا .

جاء فى المنار ج ١ ص ٣٩٩ الطبعة الأولى ما نصه [ومن البديهى أن ذكر القصة فى القرآن لا يقتضى أن يكون كل ما يحكى فيها عن الناس صحيحاً فذكر السحر فى هذه الآيات لا يستلزم إثبات ما يعتقد الناس منه كما أن نسبة الكفر إلى سليمان التى علمت من النفى لا تستلزم أن تكون صحيحة لأنها ذكرت فى القرآن ولو لم يكن ذكرها فى سياق النفى .

قال الأستاذ الأمام ما مثاله . بينا غير مرة أن القصص جاءت فى القرآن لأجل الموعظة والاعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين وإنه ليحكى من عقائدهم الحق والباطل ومن تقاليدهم الصادق والكاذب ومن عاداتهم النافع والضار لأجل الموعظة والاعتبار فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة ولا تتجاوز مواطن الهداية ولا بد أن يأتى فى العبارة أو السياق وأسلوب النظم مايدل على استحسان الحسن واستهجان القبيح .

وقد يأتى فى الحكاية بالتعبيرات المستعملة عند المخاطبين أو المحكى عنهم وإن لم تكن صحيحة فى نفسها كقوله (كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) وكقوله (بلغ مطلع الشمس) وهذا الأسلوب مألوف فأننا نرى كثيراً من كتاب العربية وكتاب الأفرنج يذكرون آلهة الخير والشر فى خطبهم ومقالاتهم لا سيما فى سياق كلامهم عن اليونان والمصريين القدماء ولا يعتقد أحد منهم شيئاً من تلك الخرافات الوثنية .

ويقول أهل السواحل غربت الشمس أو سقط قرص الشمس فى البحر أو فى الماء ولا يعتقدون ذلك وإنما يعبرون به عن المرئى] . انتهى بنصه من حديثة عن قصة هاروت وماروت

وبعد أفلا يرى الشيخ أن الأستاذ الأمام وأن الشيخ رشيد رضا يذهبان إلى أن كل ما ذكر فى القصص القرآنى لا يلزم أن يكون صحيحاً لأنه ذكر فى القرآن بل يكون غير صحيح وإنما ذكره القرآن وهو يعتقد بعدم صحته لأن ذلك هو الأسلوب

العادى فى التخاطب وهو الذى يجرى عليه الأدباء .

على أنى أستطيع أن أذهب مع الشيخ إلى أبعد من هذا فأقول له إن الأستاذ الإمام يفضل هذه الطريقة فى التفسير وهى طريقة التأويل على غيرها .

قال رحمه الله ج ١ ص ٢٧٣ ما نصه (أفلا تزعم أن لله ملائكة فى الأرض وملائكة فى السماء ؟ هل عرفت أين تسكن ملائكة الأرض ؟ وهل حددت أمكنتها ؟ ورسمت مساكنها ؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك ؟ ومن يكون عن يسارك ؟ هل ترى أجسامهم النورانية تضىء لك فى الظلام أو تؤنسك إذا هجمت عليك الأوهام ؟ فلو ركنت إلى أنها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك وأن الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك وبالعبارة التى تلقفتها عنهم كى لا يوحشك بما يدهشك وترك لك النظر فيما تطمئن إليه نفسك من وجوه تعرفها أفلا يكون ذلك أروح لنفسك وأدعى إلى طمأنينة عقلك ؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئاً من وراء حجاب ؟ ووقفت على سر من أسرار الكتاب ؟ فإن لم تجد فى نفسك استعداد القبول أشمة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن بالغيب ويفوض فى إدراك الحقيقة ويقول (آمنا به كل من عند ربنا) فلا ترم طلاب العرفان بالريب ما داموا يصدقون بالكتاب الذى آمنت به ويؤمنون بالرسول الذى صدقت برسالته وهم فى إيمانهم أعلى منك كعباً وأرضى منك بربهم نفساً .

ألا إن مؤمناً لو مالت نفسه إلى فهم ما أنزل إليه من ربه على النحو الذى يطمئن إليه قلبه كما قلنا كان من دينه فى ثقة ومن فضل ربه فى سعة) انتهى بنصه .

والآن ماذا يرى الشيخ ؟ . وماذا يرى غيره من الثائرين ؟

إنا لنمتثل معهم بقول القرآن الكريم (وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين).

ومن هنا سنعرض عن القسم الثانى من مقال الشيخ وهو قسم الشتائم لعله يفقه الحق ويصل إلى الرشد ويقف على أسرار قرآننا الكريم .

محمد أحمد خلف الله
كلية الآداب — جامعة فؤاد

هجرة المختار :

يا صاحب الحوض المطهر..

للشاعر محمد هارون الحلو

هل غير بابك للمؤملى باب   يا خير من تسمو به الألقابُ
شمت بنورك فى البرية آية   هى فى الخلائق سنة وكتاب
كفل الإله لنا بظلك نجوة   من كل مايخشى الورى ويهاب
الكوكب الدرى فى أفق الورى   هذا النبى ، تبارك الوهاب
نزل الأمين عليه يحمل معجزاً   للمرتجين به هدى وثواب
آى من الكلم الجوامع لم يزل   للعقل منها منطق وخطاب
فيض من الألق السنى تفرقت   منه وشائع سحرهن عجاب
ما كان شاعر أمة وقبيلة   هذا الزكى الطاهر الأواب
بل كان ملهم حكمة وشريعة   تسمو بها الأخلاق والآداب
بعث النبى وقومه فى غمرة   وحديثهم فى المرسلين كذاب
ورثوا عن الأشياخ من آبائهم   بهتان ما شبوا عليه وشابوا
اللات والعزى وآلهة الهوى   تسمى لها الأعناق والأذناب
والرأى وهو من الفطانة والحجى   تقضى به الأزلام والأنصاب
والقتل وهو على النفوس محرم   لم يبق منه الثأر ما هو عاب
والخلف داء فى القلوب أصابهم   فى مقتل فغدوا وهم أحزاب
فغدا الرسول عليهم بيقينه   والحق سيف يمينه وقراب
فأضلهم شيطانهم إذ ردهم   فى غيهم خاب الدعى وخابوا
ماضر لو تبعوا الهدى من ربهم   وسعى بهم نحو الفلاح ركاب
قد كذبوه وناهضوه وإنه   فيهم لينبوع جرى وسحاب
يدعو إلى التوحيد وهو جبلة   دانت بها وبنورها الألباب
برهانه نور الكتاب مفصلا   ولهم حجاج خاسر وسباب
أيقر عقل أن تقوم خليفة   وبظلها تتسابق الأرباب
ماغير رب العرش فى ملكوته   بين الخلائق قاهر غلاب
حملوا الأذى عنه وحمل عنهم   ما يحمل النصراء والأصحاب
يتآمرون عليه وهو مناصح   أيفيد نصح فيهم وعتاب
ضاقوا بدين الله وهو مبلج   ضاح يشع ضياؤه الخلاب

نفث النوى ضلالهم فى روعهم   فغدوا وهم ظفر يصول وناب
يتوثبون ودون ما قد قدروا   للقاء أحمد حاصب وشهاب
داروا ببيت المصطفى وحيالهم   دون النبي مسالك وشعاب
واستلأموا كى يقتلوه وما غفى   فى البيت إلا الفارس الوثاب
ينتظرون مع الصباح غدوه   وصباح ليل المشركين ضباب
يا نائماً والروح حارس مهده   وسيوف مكة من فراشك قاب
خفوا إليك يناوشونك بالأذى   يا بئس ما خفت له الأعراب
بكروا على ما بيتوا من أمرهم   وبهم هدير صاخب وَوِثاب
ويتمتمون بحسرة وبخيمة :   هذا عليٌّ دثرته ثياب
وافوا على أمل يقر عيونهم   وغدوا بخزى الخاسرين وآبوا
ومضى رسول الله يطلب غاية   يرعاه من ظل الإله جناب
هل يعلمون بأن دون لحاقه   ووثاقه تتقطع الأسباب !!
ساخت يدا فرس بجد بفارس   القلب منه واجل هياب
ويد النبي تشير : قف متصاغراً   يا أيهذا الواغل الطلاب
وسراقة المصروع يهتف بالهدى   أنت النبي وما يدينك عاب
ولوى العنان وكان أول مؤمن   حملت عليه وصاولته هضاب
وطوى الرسول البيد وهو على خطاً   من غار نور والطريق يباب
أوما إليه المصطفى بتحية   فانهل منه البشر والترحاب
قف بى حيال الغار وقفة خاشع   فالغار فى بطحائه محراب
حشد الملائك حوله مستلئمـ   ـين وهم لدين المصطفين غضاب
وكأن روح القدس فى أجناده   من حوله أسد العرين وغاب
هذا هو الغار المحجب سره   رف الظلام به فما ينجاب
فيه ونور الحق أبلج مشرق   دون البصائر ظله ونقاب
لا يستبين القلب منه مظنة   فيها لسعى الطالبين رغاب
فعشاشة فيها الحمائم فرخت   وعليه من نسج العناكب باب
صور يحار الفكر فى تدبيرها   عجباً وليس له بهن جواب
الله أكبر ذاك نصر محمد   ما فيه شك أو به مرتاب
منعته كف الله من أعدائه   فمضى على التوفيق وهو مهاب
لله درك يا أبا بكر فقد   شدت بك الأوتاد والأطناب
وبك الشريعة قد توطد ركنها   وسمت بها فى المشرقين قباب
مذ جاءك النبأ العظيم وأنت فى   ظل النبي السائغ الجواب
تفدى وتبذل عن يقين صادق   لم يثن عزمك شدة وصعاب

فى الغار كنت المفتدى خير الورى   والقلب ظام والنفوس جداب
حين ابتليت بواثب متربص   والسم منه تقحه الأنياب
والمصطفى حان عليك مطبب   والجرح يلسمه الطهور لعاب
علمتنا معنى الوفاء ولم يزل   لك فى وفاء الصادقين كتاب
هذا الخضم أما له من شاطىء   يا رب ترسو عنده الآراب
فالليل داج والمسالك وعرة   فيها بروع الساخرات عباب
والمرفأ المأمول منه محجب   ووراء عين الناظرين سراب
لولا هدى المولى تبارك وجهه   ما لاح نجم أو أضاء شهاب
فسفينة الملاح يهدى سميها   صوت من الله العلى مجاب
الروح حاديها إلى شط السلا   م فكيف يستبق الخطا جواب؟
هذى مشارف يثرب ائتلقت وأشـ   ـرق بينها للصاحبين رحاب
وسرت مع الصبح المنور نفحة   تهفو بها النسمات وهى عذاب
وغدا النبي ووجهه متهلل   جذل فغمرة ليـله تنجاب
ومواكب البشرى تحف ركابه   وبها قلوب بالنشيد طراب
ونجيبة المختار يحدو خطوها   بين الهتاف الصحب والأحباب
ويرف حول المصطفى نسم وظل (م)   فيه من مسك الربى أطياب
فالسهل بلله الندى برضابه   وسقاه فهو منضر معشاب
والنخل ذو الأكمام مال مصفقا   وله أكف زانهن خضاب
وترى الجحافل والكتائب بالسيو   ف تشابكت منها عليه قباب
والطير باللحن الشجي تسابقت   منها لترجيع الهوى أسراب
عرس به غدت المدينة مشهداً   عجباً تهيم بسحره الألباب
يا قدس هذا اليوم يوم محمد   فيه تجلى الواحد التواب
هى هجرة ميمونة لجلالها   ذات كواهل فى الورى ورقاب
ياصاحب الحوض المطهر هل إلى   ظام بحبك نفحة وشراب ؟
ورد الهوى لو يستباح لظامىء   لذ المدام ورقت الأكواب
أنا من ينالبه الهوى وله به   روح وريحان ند وملاب
نهواك نهوى فى حماك مثوبة   والأمن فى يوم يقوم حساب
لى منك يا جد الحسين شفاعة   ترجى إذا غشى النفوس عذاب
فى يوم تصطفق الجوانح خشية   ويشف عن كشف الغيوب حجاب
صلى عليك الله جل جلاله   ما انهل بالعذب النمير سحاب

محمد هارون الحلو

الأدب والفن فى أسبوع

مات الزين :

مات أحمد الزين ! فكان موته فجيعة الأدب فى الشاعر الكبير ووجيعة القلب فى الصديق الكريم ، ومأساة الأسرة فى العائل الراحل .

أما الصديق الكريم فقد غشينا من الأسى لفقده ما غشينا . وتلاقينا بعد نعيه وكان الواحد منا يقول لصاحبه : مات الزين ! ويكاد يجهش لولا التجلد والتجمل . ونطرق صامتين برهة ... ثم تتلاقى نظراتنا كليلة منداة .. وفى نفس كل منا ما فيها من المشاعر والخواطر ، وكلها تدور حول ذلك الفقيد الذى ظل حياته ينفح بأدبه ويتنافح بجلده ، حتى صرعه الموت ، بعد أن عرقته العلة ، واستنفد العلاج القليل المدخر ، ولم يبق إلا الصغير اليتيم الذى لم يكد يضع قدمه الغضة على عتبة المدرسة ...

صفحة للتاريخ الأدبى :

كان الزين من أعلام الشعر فى هذا العصر ، وكان يستمد شعره من نبع فياض هو نفسه الشاعرة ، وكان يجل فنه ويقدسه ، فلم يقصد به إلى منفعة ، ولم يتوسل به إلى كسب . كان يقول الشعر يصور به نفسه ويعبر عن مشاعره ، فقال كثيراً فى الغزل العاطفى الرقيق ، الذى يدل على عاطفته القوية الصادقة التى تتجلى أيضاً فى رثائه لأصدقائه الراحلين . والمستوعب لشعره يجد العاطفة هى السلك الذى ينتظم حياته ، ومن ذلك قصر مدائحه على أصدقائه من كبار الرجال ، وله خواطر ألمعية فى نقد المجتمع وأحوال الناس ، كان يصوغها صياغة فنية بارعة . ولعل آخر مطولاته القصيدة التى قالها فى ذكرى أحمد تيمور باشا سنة ١٩٤٥ ومطلعها :

ذكرى على صدق الوفاء دليل ... يمضى بها جيل ويقبل جيل

وفيها يقول :

لا تبك من عاش عمراً واحداً ... إن التراب على التراب مهيل
هل عاش أوهل مات لا تسأل به ... فمماته بحياته موصـــول
ما زاد عن تعب الولاد لأمه ... والناس وهو إلى الثرى محمول
ومن البلية أن أكثر من ترى ... فى الناس ذاك العائش المشكول
فاملأ موازين الزمان فلن ترى ... فى الناس ميزان الزمان يميل
تقضى العصور على الرجال بحكمها ... والباقيات الصالحات عدول
تيمور إن نفقد حديثك بيننا ... فصداه فى أفق الزمان يجول

وقال بعد هذه القصيدة قطعاً كثيرة مختلفة لعل آخرها عشرة أبيات مدح بها معالى إبراهيم عبد الهادى باشا ، فى أوائل هذا العام ، منها قوله :

ماذا تزيدك فى العلا أقوال ... من بعد ما شهدت لك الأعمال
عمر تضيق سنوه عن أعماله ... فكأنما أعوامه أجيـــال
ماض ملىء بالجهاد وحاضر ... حفل ، وآت كله آمال
ومواهب جمت لديك لو انها ... فى أمة لم يكفها استقلال
ومواقف أغنى خلود حديثها ... عن أن يقام لخلدها تمثال

وكان صديقاً لمعاليه . ولك أن تعجب من صداقة موظف باليومية لم يبلغ الدرجة السادسة إلا أخيراً لرئيس ديوان جلالة الملك ! ولكن عجبك يتحول إلى الإكبار عند ما تعلم أن فقيدنا كان ، إلى عظم منزلته الأدبية ، كبير النفس ، فلم يكن ليصغرها بطلب شىء لذاته ، وربما رجا لغيره ... ومن هنا ظل شعره بعيداً عن أن يكون سبباً من أسباب الحاجات مع توفر هذه الحاجات !

ولم يكن الزين من المقلدين فى الشعر والمزيفين للشعور ، بل كان صادق الفن ، يصدر عن ذات نفسه ويعبر عن خالص وجدانه ، وكان مرهف الحس دقيق الشعور واضح المعانى ، يؤدى كل ذلك فى ديباجة مشرقة وألفاظ عذبة ، لا تجد له لفظاً مستكرهاً ولا معنى ملتوياً .

وكان يعنى بالتوقيع الموسيقى فى شعره ، يؤلف أجزاءه منسجمة متآخية ، ثم يردده فى تنغيم خاص يطرب له ، ويستدعى به ما بقى من القصيدة ...

وكان رحمه الله يريد أن يجمع شعره فى ديوان ، ولكن شغلته شواغل العيش ثم متاعب المرض ثم عاجلته المنية .. وقد نشر أكثر شعره بالرسالة والأهرام والثقافة ، وقد طبع فى

مستهل حياته الأدبية ديواناً سماه « قلائد الحكمة » أكثره أراجيز تدل على بدء معالجته للقريض كما يدل على ذلك تخميسه لقصيدة امرئ القيس «قفانبك» الذى أخرجه أيضاً فى مطبوع صغير. وأطلق عليه لقب « الراوية لكثرة ما كان يحفظه ويرويه من أشعار العرب. وكان للزين جهد جليل الشأن فى تحقيق الآثار الأدبية وتصحيحها وإخراجها ، وكان يعمل فى ذلك بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، وقد أخرج ستة أجزاء من « نهاية الأرب » وأخرج الجزء الأول من أشعار الهزليين وكان يعمل فى الثانى ، ومن مجهوده فى هذا الميدان خارج دار الكتب اشتراكه مع الأستاذ أحمد أمين بك فى إخراج كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ومعه ومع الأستاذ إبراهيم الأبيارى فى إخراج أربعة أجزاء من كتاب « العقد الفريد » . وقد اشترك الثلاثة أيضاً فى إخراج « ديوان حافظ » بتكليف من وزارة المعارف وأخرج الأستاذ الزين « ديوان إسماعيل صبرى » وقدمه بدراسة قيمة .

وقد تخرج الفقيد فى الأزهر إذ حصل على شهادة العالمية سنة ١٩٢٥ وكان وهو طالب يتردد على الجامعة المصرية القديمة لسماع محاضراتها الأدبية . وفى سنة ١٩٢٦ عين مصححاً بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، وظل بها حتى نقل فى هذا العام إلى المراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف . وقد توفى فى العقد الخامس ، وكانت وفاته يوم الأربعاء ٥ نوفبر سنة ١٩٤٧ .

المأساة :

كان الزين موظفاً باليومية فى دار الكتب المصرية ، لا تحسب فى أجره الضئيل أيام الاثنين (العطلة الأسبوعية فى دار الكتب) والأجازات والأعياد ، وظل مرتبه اليومى يزداد قروشاً طيلة مدة خدمته ، حتى وصل إلى ثلاثة وأربعين قرشاً يعطى منها ثمانية قروش لكاتبه الذى كان يلزم له فى عمله بحكم حالته إذ كان مكفوف البصر . وجاء أخيراً (كادر العمال) فقفزت به أحكامه إلى الدرجة السادسة .. وقد عد من العمال لأنه يعمل باليومية مثلهم !

وعاش الشاعر الكبير صابراً على هذه الحال ، متجملا بالتعفف ، منطوياً على عزة نفسه ، يروح ويغدو وفى وجهه ماء الكرامة والكبرياء ... وظل مع ذلك يصدح على أيكة الشعر ويخرج الأدب المصفى فى هذا البلد الذى يحترق فيه كرام الأدباء وينال خطوة أوليائه المتافون ومن إليهم من سائر الوصوليين ...

ثم داهمه المرض من نحو ستة أشهر ، وتعاوره الأطباء ... هذا يقول : « قرحة المعدة » وذاك يقول له : « داؤك فى الكبد » وثالث يقول بثالث .. وكل يعطى حقناً ويكتب (روشتة) ويأخذ (كشفاً) حتى نفد القليل الذى ادخره من أجرة على تصحيح الكتب التى اشترك فيها خارج عمله الحكومى ، وحتى نفدت أثمان حلى الزوجة .. ثم نفد الرجل .. وخلف ثروة أدبية لا نفع فيها للأيم واليتيم الذى تركه فى نحو العاشرة من عمره . ويقضى قانون الحكومة بمنح الورثة مكافأة تجمع من أجر نصف شهر عن كل سنة من مدة خدمة موظف اليومية !

وبعد فماذا عسى أن يكون مصير ابن أحمد الزين الشاعر الراوية والأديب الكبير ؟

أيتها الدولة . عينك بصيرة وليست يدك قصيره ...

ذكرى شوقى فى الأوبرا :

لعل القراء يذكرون ما كنا قد أخذناه على اللجنة التى ائتلفت لإحياء ذكرى شوقى من اعتزامها الاحتفاء بالذكرى فى (أوبرج) الأهرام ، وتسمير مشاهدة الحفل ، واشتمال البرنامج على رقص و (منلوجات)

وقد حدث بعد تفنيدنا ذلك أن أعاد أعضاء اللجنة النظر فى الموضوع ، واقتضى ذلك تأخير الاحتفاء بالذكرى عن موعدها

وقد استقر الرأى أخيراً على أن تقام حفلة إحياء ذكرى شوقى فى مسرح الأوبرا بدلا من(الأوبرج) وقد عين لإقامة هذه الحفلة يوم ٢٨ نوفبر الحالى .

ويشتمل برنامج الحفلة على شعر من خليل مطران بك والأستاذ محمود حسن إسماعيل والأستاذ على محمود طه والدكتور إبراهيم ناجى والأستاذ طاهر أبوفاشا .

وممن سيلقى كلمات نثرية معالى إبراهيم دسوقى أباظه باشا ومحمد صلاح الدين بك وعزيز أباظه باشا والأستاذ أنور أحمد .

ويتخلل ذلك موسيقى ، وتمثيل من مسرحيات شوقى ، وغناء شعر لأحد الشعراء فى ذكراه .

وقد جرت محادثات أو مفاوضات مع عبد الوهاب وأم كلثوم للاشتراك فى الحفلة بغناء فى شعر شوقى . أما عبد الوهاب فأبى أن يغنى أمام الجمهور ورأى الاكتفاء بتسجيل قطعة تذاع فى الحفلة . فلم تقبل اللجنة هـذا الوضع الذى لا يتفق والوفاء الواجب على عبد الوهاب لشوقى الذى طالما غنى شعره أمام الجماهير

وأما أم كلثوم فكانت قد تمنعت ، ولكن لا تزال المفاوضة جارية معها ، والمأمول أن تساهم فى ذكرى شوقى ، ولو مقابل « سلوا قلبى » و « أغنية السودان » و « ريم على القاع » التى أخذتها بالمجان من ديوان المحتفى بإحياء ذكراه ..

بقى أمران لابد من الإشارة إليهما ، الأول أن الحفلة لا تزال مسعرة ، أى أن مشاهدتها ستكون بنقود تدفع ثمناً (لتذكرة الدخول) ولم تجر العادة بذلك فى الحفلات الأدبية .

الأمر الثانى رياسة « شرف » الحفلة ، المسندة إلى هيكل باشا الموجود الآن فى أمريكا . ولو فرضنا أنه فى القاهرة وسيحضر الحفلة فما أظن أنه يترفع عن الرياسة « الفعلية » لحفلة إحياء ذكرى شوقى ، كما أظن أن « رياسة الشرف » شىء قديم لم يعد الآن مستساغاً .

المازنى يتزوج الأدباء :

كتب الأستاذ المازنى فى « أخبار اليوم » مقالا عنوانه « لو أصبحت امرأة » وما كنت لأتعرض لمثل هذا الموضوع لولا أن كاتبه المازنى ، ولولا أنه يصور طوراً من الأطوار التى يمر بها إنتاج هذا الأديب الكبير . ذلك الإنتاج الذى يخف ولكنه لا يبرد ، فهو دائماً تشيع فيه روح الدعابة والظرف ، وقد تشبع هذا الموضوع الأخير من ذلك ، بل زاد فيه حتى جاوز درجة التشبع ..

نفر المازنى من تصور نفسه امرأة ، فأبعد هذا الانقلاب التصورى عن نفسه ، وحوله إلى الأدباء ، متصوراً أنهم نساء وأنه يختار أحدهم أو إحداهن زوجة . استقبح هذا التصور وجمل يصور قبحه ، فقال عن العقاد : « .. ثم من هذا الذى يطيق امرأة فيلسوفة تأبى إلا الغوص والتعمق فى كل شىء ، وإلا أن تتناول كل مسألة بالعقل والمنطق » ثم انتقل إلى غيره فقال : « أوخذ توفيق الحكيم — أو توتو ، أو فيفى ، أو حكمت ، إذا جملناه امرأة » إلى أن قال « ... وتنقدها كل شهر (مصروف) البيت فتقتر عليك ، وتقدم لك الطعام — إذا قدمت شيئاً — فى (برشامة) » ويدع الحكيم فيقول : « وإن طه حسين لكريم يحب لين العيش وخصبه ، ولكن هذه الرفاهة ستكون على حسابى لا على حساب (حسنية) ! ثم إنه يحب السيطرة والتحكم وإن كان يبدو ليناً ، وأنا أكره أن تحاول امرأة أن تتحكم فى ، صراحة أو مداورة ، فإذا كانت حسنية هذه — كفانا الله السوء زوجتى فسينتهى الأمر بأن أخنقها أو تخنقنى . وحسنية تحب باريس والغرب وأنا أكرههما وأحب الشرق ... الخ »

ولم يخل الموضوع من شىء ، فقـد أشار — كما ترى — إلى صـفات فى هؤلاء الأدباء بهذا المزح الأكثر من اللازم ...

كل ذلك وعنوان المقال « لو أصبحت امرأة » ويظهر أنه وضعه ليسير فى التخيل على أنه هو المرأة ولكنه رجع عن هذا التخيل ونسى العنوان ، أو أبقاه على طريقة لفت الأنظار بالعناوين الشاذة !

ونرجع إلى حيث بدأ ، فنتصور المازنى فى امرأة ! لا عليك من المنظر .. إنه كريم ظريف حلو الشمائل لين الجانب ، ولكن من يتزوج « زيزى » التى لن تفرغ له ، لأنها تكتب فى ٩٩٪ من الصحف والمجلات المصرية ؟ ! إن الحياة مع « زيزى » هذه لابد أن تكون سلسلة من المتاعب والمقالات ..

« العباس »



الطير الأبابيل فى تفسير الأستاذ الإمام :

قلنا فى كلامنا الذى نشر بالرسالة عن القرآن والنظريات العلمية أن محاولات التوفيق « قد تكون مأمونة معقولة كقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله فى تفسير الطير الأبابيل بجراثيم الأمراض التى تسمى بالميكروبات . فالميكروبات موجودة لا شك فيها ، والإصابة بها محققة كذلك فى مشاهدات مجربة لا تقبل الجدال . فإذا قال المفسر كما قال الأستاذ الإمام أن هزيمة أصحاب الفيل ربما كانت من فعل هذه الجراثيم فذلك قول مأمون على الجواز والترجيح » .

وهذا الذى فعله الأستاذ الإمام حين أجاز أن تكون أصابة أحجار الفيل من قبيل الإصابة بجراثيم الأمراض .

وقد كتب الأستاذ الفاضل الشيخ مصطفى أحمد الزرقا إلى الرسالة معقباً على مقالى فقال : « لعله اعتمد فى قضية الطير الأبابيل على رواية أحد نسب ذلك الرأى إلى الشيخ محمد عبده أخذاً مما أشيع عنه واشتهر » .

ولكن الواقع أننا لم نعتمد على الرواية بل اعتمدنا على كلام الإمام نفسه ، ولم ننسب إليه غير ما جاء فى نص تفسيره حيث قال فى الصفحة الـ (١٥٨) من تفسير جزء عم يتساءلون : « فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، فإذا اتصل بجسد دخل فى مسامه فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى بإفساد الجسم وتساقط لحمه وان كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله فى إهلاك من يريد إهلاكه من البشر ، وأن هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه الآن بالمكروب لايخرج عنها ، وهو فرق وجماعات لا يحصى عددها إلا بارئها ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله فى قهر الطاغين على أن يكون الطير فى ضخامة رؤس الجبال ... فهذا الطاغية الذى أراد أن يهدم البيت أرسل الله عليه من الطير ما يوصل إليه مادة الجدرى أو الحصبة فأهلكته وأهلكت قومه قبل أن يدخل مكة » .

إلى أن قال رحمه الله : « هذا مايصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة وماعدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته ، ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعز بالفيل وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسما ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ولا يدرك بالبصر » .

وفى هذا النص يرى الفاضل الأستاذ « الزرقا » إننا لم نعتمد على الرواية المنقولة ، ولم نتجاوز بالنص معناه حين قلنا أن الأستاذ الإمام أجاز تفسير الطير الأبابيل بجراثيم الأمراض التى تسمى بالميكروبات ، وهو تفسير مقبول ولا شك — كما قلنا — على سبيل الجواز والترجيح .

عباس محمود العقاد

بيان :

خاضت الصحف فى الكلام عن رسالة « فن القصص فى القرآن الكريم » قدمها طالب فى كلية الآداب لينال بها درجة دكتور ، وتحدثت بعض الصحف عن حرية البحث وعن أمور تتصل بهذا الموضوع .

وحقيقة الأمر أن رسالة قدمت إلى كلية الآداب فألفت لجنة لفحصها طبقاً للوائح ، فرأت اللجنة أنها لا تصلح أن تكون موضوعاً للمناقشة المعتادة فى درجة الدكتوراه ، فردت الرسالة إلى صاحبها وهذا يقع فى الجامعة كثيراً .

فما كان ينبغى أن تكون الرسالة بعد هذا موضوع جدال فى الصحف ، فرسائل الجامعات التى تقبلها الكلية المختصة وتأذن بالمناقشة فيها ونشرها تبقى سراً بين الطالب وأساتذته ، وكل ما فيها من آراء عرضة للاصلاح والتغيير والحذف ، فإن رفضتها الكلية فهى كورقة امتحان لم ينجح صاحبها .

هذه حقيقة الأمر . ولكن بعض الكتاب ؛ ومنهم الطالب كاتب الرسالة ، خاضوا فى جدال فيها ، وكنت حينئذ غائباً عن مصر فلما رجعت عملت على ألا ينشر شىء فى هذا الموضوع ، وأجبت حضرتى صاحبى الفضيلة وكيل الأزهر وسكرتيره العام مبيناً أن هذه الرسالة لا تجوز المناقشة فيها ولا المؤاخذة بها

ما دامت ورقة امتحان يقدمها طالب لأساتذته منتظراً رأيهم فيها وقد نشر فضيلة السكرتير العام خطابه إلىّ وجوابى له .

رجوت أن ينتهى الجدل عند هذا الحد ، ولكن الطالب كتب مرة أخرى متحدثاً عن الانتكاس فى الجامعة ، وسألت الجريدة التى كتب فيها الطالب كلمته الأستاذ المشرف على الرسالة فكتب كلمة عن حرية الرأى ، وذكر المحنة العقلية والأخلاقية الخ

وقد أسفت الكلية لاشتراك الأساتذة فى جدل فى الصحف حول موضوع من موضوعات الامتحان . والتمست من الأساتذة الذين لهم صلة بهذا الموضوع أن يكفوا عن كل جدل صحفى ، وألححت على الأستاذ الذى أشارت إليه الكلمة التى نشرها زميله ألا يجيب مهما يكن له من حق فى الإجابة ، ومهما يكن عنده من أدلة لتأييد رأيه ونصحته الكلية ألا يدخل فى هذا الجدل ، وعرفته أن ليس من سنن الجامعات ولا من كرامة الأساتذة أن ينقلوا أبحاثهم من الجامعة إلى جدال فى الصحف . فكتب هذا الأستاذ إلى الصحيفة التى وعد بالكتابة فيها معتذراً عن الرد ؛ قائلا إن الجهات الرسمية منعته من الكلام ، والجهات الرسمية التى أشار إليها هى الجامعة ، ولم تدخل جهة رسمية أخرى فى هذا المنع .

وأما الكلام عن الانتكاس فى الجامعة وحرية الرأى فلا محل له فى هذا الموضوع قط . فان كان الطالب حراً فى أن يبدى رأيه فى رسالته فللأساتذة أيضاً الحرية فى أن يبدوا آراءهم فيقبلوا آراء الطالب أو يردوها ؛ هل يراد أن تكون هذه الحرية للطالب دون الأساتذة ، وهل يحق لكل طالب يرفض رأيه فى امتحان أن يشكو من التضييق على الحرية .

الجامعة لم تمنع الطالب من أن ينشر آراءه بعيداً عنها بكل وسيلة يراها ، ولم تزد الجامعة على أن قالت إن البحث الذى فى هذه الرسالة لا يستحق عندى درجة علمية ، وبقيت الحرية للطالب ومن يرى رأيه ، فى أن ينشر آراءه فى كتاب من عنده لا فى رسالة من رسائل الجامعة ، بعد أن أبدت الجامعة رأيها فيها وردتها ، وحينئذ يحتمل وحده تبعة ما فيها من غلط أو ضلال . ومادام هذا فى مقدرة الطالب فلا حق لأحد فى أن يدعى أن الجامعة تمنع حرية البحث .

وبعد ، فالجامعة أعرف بحرية الرأى ، وأدرى بحدود هذه الحرية ، وأبصر بتوجيه طلابها ، وأقدر على نقد ما يكتبون . فالرجو من أنصار حرية الرأى أن يتذكروا هذا ، ولا ينكروا على الجامعة حريتها فى التصرف فيما هو من خصائصها ، فان الجامعة تطالب بحقها فى الحرية أيضاً وتتمسك به قبل الناس جميعاً.

عبد الوهاب عزام
عميد كلية الآداب

من شوارد الشواهد :

إن جميع ما يكتبه الأديب البارع الأستاذ الطنطاوى مما يحرص الأديب الناقد على تلاوته ، لعلمه بأنه لا يكتب إلا طريفاً ممتعاً ولا يكون إلا محسناً مبدعاً ، ومن تلك الأبحاث المفيدة التى ينشرها فى مجلة الرسالة مجلة العلم والأدب والإسلام والعرب مقالته (من شوارد الشواهد) ، التى علق عليها فى الحاشية بقوله : (فأرجو ممن وقف على نص فيه تصحيح نسبة بيت مما ذكرت أن يرشد إليه فقد يعزى البيت إلى غير راويه ، أو ينحل غير بانيه) .

والطنطاوى عهدناه من الحافظين فى الآداب على الأنساب ، وهو ممن لا يرد رجاؤه ، وقد وجد الشاهد (٣٤) معزوا إلى إبراهيم الصولى وهو :

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وهذا البيت المعدود من شوارد الشواهد ، لأبى تمام من قصيدة يمدح بها أبا الحسن على بن مرة ، وأرسلها إليه من سامراء إلى دمشق مع أخيه سهم ؛ ويروى هذا البيت فى غير الديوان (إذا ما أيسروا) ، ويرى مؤلفو كتاب البيان والبديع أن إبراهيم الصولى قد ضمنه أبياتاً منها قوله قبل هذا البيت :

أولى البرية طراً أن تواسيه
عند السرور الذى واساك فى الحزن

وليس هذا البيت للصولى بل هو لأبى تمام أيضاً ، وهو فى ديوانه قبل الشاهد ، وتختلف عنه رواية الديوان قليلا ، فهو فيه :

أولى البرية حقاً أن تراعيه ... عند السرور الذى آساك فى الحزن

وقبل هذا البيت فى الديوان :

لى حرمة بك فاحفظها وجازبها ... يا حافظ العهد والعواد بالمنن

وللصاحب بن عباد تضمين حقيق لهذا الشاهد بقوله :

أشكو إليك زمانا ظل يعركنى
عرك الأديم ، ومن يعدو على الزمن

وصاحباً كنت مغبوطاً بصحبته
دهراً فغادرنى فرداً بلا سكن

وباع صفو وداد كنت أقصره ... عليه مجتهداً فى السر والعلن

كأنه كان مطوياً على احسن   ولم يكن في قديم الدهر أنشدني:

« إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا
من كان يألفهم في المنزل الخشن »

(دمشق)   التنوخي

تذكير:

أنا لم أكن أرى مواصلة الرد على ما جاء في الرسالة (الفن القصصي في القرآن) لأن أرد على هذا الطالب بوهمه أن في رسالته علما وأنه أهل لأن يتكلم بكلام العلماء ، ويجرئ غيره من طلاب الجامعة على ابتغاء الشهرة قبل أوانها بمحاقة أخرى مثل هذه ..

ولكن ما دام قد رد عليه جماعة من أهل الفضل فإني أذكرهم بأمرين ما انتبه لهما واحد منهم .

أولهما : أن هذا الطالب لم يبتكر هذا الذي جاء به في رسالته وعقدها عليه ، بل نقله عن سان كلير المبشر من كتابه الذي وضعه لتكذيب القرآن ، وسماه (مصادر الإسلام) وهو مترجم إلى العربية ومطبوع ، وفي رسالة الطالب نقل منه وعزو إليه كثير

وثانيهما : أن هذا القول يمس جوهر الشريعة ، لأن أدلة الشرع منها ما هو متفق عليه ، وهو الكتاب والسنة والقياس (ولا عبرة بخلاف الظاهرية فيه) والإجماع ، ومنها ما هو مختلف فيه (وهو معتبر في الدين على كل حال) كالاستحسان والمصالح المرسلة وشرع من قبلنا ، وعلى ذلك يكون ما حكاه الله (في قصص القرآن) من شرائع من قبلنا شرعاً لنا ، ويكون ما جاء في كتاب المبشر وفي رسالة الطالب ، هدماً لهذا الأصل من أصول الدين ، ولما بني عليه من أحكام فقهية ، في المذهب الذي هو مذهب القضاء والفتوى في مصر .

علي الطنطاوي

العجول والأناسي:

حضرة العلامة صاحب الرسالة

أرجو أن تضيفوا إلى إمضاء « الخفيف » كاتب المقال بهذا العنوان . لأني مشاطره في تأثره وانفعاله من تصرف البهيم الذي كان يسوق بهائم هي أرأف منه وأعطف . وإني لشريكه أيضاً في الأسى والأسف لبؤس الغلمان الذين كان النفر الشرطي يقودهم كالأغنام ويجلدهم .

مثل هذه القسوة الفظيعة على البهائم نراها كل يوم في شوارع العاصمة حتى في أهم شوارعها وأرقاها (ولا أقول أنظفها لأنها لم تعد نظيفة كما كانت من زمان) . ومثل هذه القسوة الشنيعة التي يقسوها الشرطة على الغلمان البائسين في سوقهم إلى دار الشحنة نرى كل يوم .

فأين جمعية الرفق بالحيوان تثبت وجودها ؟ أم أنها نفقت مع الحيوانات الموبوءة وما بقي إلا ذكر اسمها لكي لا يقال أن مصر خالية من معالم المدنية . وأين جمعية الشفقة على الإنسان ؟ أم أنها لم تولد حتى الآن .

إن هؤلاء الذين يزعم الجاويش أنهم من سارقي الجيوب وخاطفي الحلي قد يكونون كما زعم . وهم مئات الألوف في البلد . فماذا تفعل بهم دار الشرطة ؟ هل تسجنهم ؟ ترحمهم إذا سجنتهم . ولكنها لا تسع جيشا من المتشردين والنشالين . تتهددهم ثم تطلق سراحهم . ويعودون إلى جرائمهم .

والله إنهم ليسوا مجرمين . إنما المجرم هذا النظام الذي حرمهم أسباب الرزق وأسباب التربية والتعليم . علموهم وربوهم ثم اعتقلوهم بذنوب إن أذنبوا .

نقولا الحداد

الأبيات لابن رهيمة وليست لعلية:

في كلمة الأستاذ الفاضل « العباس » تحت عنوان (غزل علية) — الرسالة رقم ٧٤٨ — وردت الأبيات « وجد الفؤاد بزينبا » على أنها للأميرة الشاعرة . والحق أن هذه الأبيات لابن رهيمة المدني وهو شاعر أموي . وقد ذكر ذلك أبو الفرج في أخبار علية ، إذ قال بعد أن أورد هذه الأبيات منسوبة إلى علية: « هكذا ذكر ميمون ابن هرون ، وروايته فيه عن المعروف بالشطرنجي ، ولم يحصل مارواه ، وهذا الصوت شعره لابن رهيمة المدني والغناء ليونس الكاتب ، وهو من زيانيب يونس المشهورات ، وقد ذكرته معها ، والصحيح أن علية غنت فيه لحناً » انتهى قول أبي الفرج .

أما زيانيب يونس هذه ، أو زيانبه ، فقد جاءت كلها في أخبار يونس الكاتب (أغاني جزء ٣) وعددها سبعة ، والشرط فيها أن تكون من شعر ابن رهيمة ، وكان يقولها في زينب بنت عكرمة وقد أباح هشام بن عبد الملك دمه أن هو عاد لذكرها ، وفعل ذلك بكل من غنى في شيء من شعره ، فهرب هو ويونس فلم يقدر

عليهما ، فلما ولى الوليد بن يزيد ظهرا ، وقال ابن رهيمة فى ذلك :

لئن كنت اطردتنى ظالماً لقد كشف الله ما أرهب
ولو نلت منى ما تشتهى لقل إذا رضيت زينب
وما شئت فاصنعه بى بعد ذا لحبى لزينب لا يذهب

هذا وللاستاذ « العباس » أصدق الإعجاب والتقدير لما يعتمنا به فى صفحة « الأدب والفن فى أسبوع » من أدب وفن .

نابلس فدوى عبد الفتاح طوقان

رأيت « الناصر » :

عظيمة وعظيمة وعظيمة ... لقد قامت دليلا ناهضاً على أن العربية تتسع للمسرحية . . لقد جاءت برهاناً جديداً على عبقرية أباظه . . لقد أبانت بجلاء قيمة الفرقة المصرية ... إنه لمن حسن حظ المرء أن يتمتع برؤية الناصر ، إذن سيجد الشعر الممتلىء روحاً المتين نسجاً البليغ تعبيراً . . سيجد التمثيل المكلل بالنجاح المتوج بالفوز المتشع بالبهاء . . سيجد كيف أجاد الشاعر وأجادت « فردوس » وكيف تمكن الشاعر وتمكنت « أمينة » وكيف أبدع الشاعر وأبدع « علام » ... ولن ينسى طلبات ...

وعلى كل حال ... فما لهذا بعثت بكلمتى إلى « البريد الأدبى » فإن لذلك مكانه الخاص الذى يقتضى التفصيل والتحليل والإفاضة أما الذى أريده فهو ملاحظات عابرة خطر لى أن أذيعها أملا فى تدارك الصحيح الممكن منها ...

١ — معلوم أن المسرحية شعرية عربية فصيحة وإذن فمن المناسب جداً أن لا نلفظ « الثاء » سيناً والذال « زاياً » والجيم « كيا » ... الخ

٢ — وإنى إذا كبر تمكن الممثلين من إعراب كلامهم — مع جهل أكثرهم بقواعد النحو — أقول إذا كبر ذلك . فإنى أرجو أن لا نسمع مرة ثانية مثل « فى ظل كرامة » وما شابهها .

٣ — ومع احترامى « لزهراء » وإجادتها التمثيل ... فإن الإنسان ربما لاحظ أن « تكوينها » لا يصلح لأن تكون المرأة التى بُنيت من أجلها « الزهراء » ...

٤ — أما الإخراج فهو ممتاز بالطبع . . ولكنى لا أدرى كيف يحدث جرح من دون إراقة دماء . . لقد طعنت « منى » « شفق » طعنتين قاتلتين ولكنا لم نر أثراً للدماء . . ولا تمزقاً فى الثياب . . . أرى ذلك إنما حدث لأن منى لم تعرف كيف تقبض على الخنجر !! لا أدرى ..

٥ — ولا أدرى ما هى الضرورة التى تدعو « الجاسوس » لأن يلبس « حذاءاً » بحيث تحسبه وقع خطوه إذا ما مشى على خشبة المسرح وقع قائد جيش منتصر .. أظن أن الجاسوس يعنى التستر فى كل زمان ومكان .

٦ — هذا وهناك عادة إخالها جارية فى أكثر بلاد الله .. إذا ما انتهى فصل من فصول « الرواية » أسدل الستار فصفق الشاهدون إعراباً عن إعجابهم فرفعت الستارة ليظهر الممثلون بوضع « طبيعي » يردون فيه التحية ..

ومع أنه من حق الجماهير أن يعبروا عن تقديرهم ومن واجب الممثلين أن يردوا التحية . . إلا أنى أرى أن فى هذا المظهر ما يبعد الشاهدين عن جو « الرواية » ويعيد إلى أذهانهم بأنهم أمام تمثيل بعد أن أنستهم الإجادة ذلك وغمرتهم فى جو جعلهم يتصورون أن « فردوس » هى « منى » حقيقة وأن « أمينة » هى « شفق » واقعاً وأن « فاخر » هو عبد الله صدقاً . . وعليه وعليه فمن المستحسن ترك هذه العادة ..

٧ — أما الروح الشعرى الذى سكبه أباظة فى مسرحيته فلا يخفى على أحد .. ولكن قد يحس الإنسان أن هناك بعض الألفاظ القليلة التى هى أقرب إلى الاستعمال النثرى من قبيل « اكفوا » ومن قبيل « الكوب » وقبيل « يركد قلبى ركداً »

٨ — وإذ أجل تمكن الأستاذ الشاعر من إضفاء الروح الوطنية على مسرحيته . . تمكناً يشعرك أنها متلاءمة مع عصر الناصر ... أقول إذ أجل ذلك فلا يضير أن أشير إلى أن الأستاذ الشاعر قد ينسى « الناصر » فيظهر فى عصر « أباظة » فيدعه يتحمس بالدعوة إلى « جبهة عربية » هذا مع العلم أن « أمية » الأندلس ليست مثل « أمية » الشام فى هذا الموضوع ... أقول هذ مع احترامى « للجبهة العربية » .

٩ — ومعلوم أن ذكر الناصر و « الحكم » يقترن به دائماً بنهضة الثقافة ولكن الأستاذ المؤلف لم يجل لنا هذه الناحية التى تصور مجداً إنسانياً عالياً ، الناحية التى تركت أسبانيا تحتفل بمرور ألف سنة على « الناصر » الناحية التى تركت الغرب يحسدون العرب من أجلها ... لقد دخلت « الأوبرا » وكلى أمل أن أمتع برؤية « المدارس » وألذ بمشاهدة مجالس الأدب ، وأسعد بالنظر



نظـــرات حادة

مترجمة عن كنجسلي جوردون

بقـــلم الأديب سيد أحمد قناوى

استهل « بنيامين هارفورد » حياته كمحام وهو يؤمن تمام الإيمان بهذه العبارة التى طالما طالعها فيما كان يطالع حتى نزلت منه بمنزلة العقيدة الراسخة ، وهى بالنص « الشخصية مصدر للقوة » . فقد كان « هارفورد » مقتنعاً بأنه ذو « شخصية » لها مقوماتها الخاصة وذاتيتها البارزة …

كان « هارفورد » طويل القامة مهيب الطلعة — كما وأنه فى مشيته أدنى إلى الاختيال والزهو … وحق له أن يزهو بعد فعاله الباعثة للدهشة …

خذ على سبيل المثال قضيته الأخيرة . . فقد أفلح فى دفاعه عن « بلنكى لويس » حين اتهم هذا الرجل بقتل أحد رجال البوليس . . وكانت وقتئذ الأدلة موفورة ضد « بلنكى » حتى عده القاضى مداناً ومال المحلفون إلى مشاطرته هـذا الرأى قبل استكمال إجراءات المحاكمة ؛ ولـكن المحامى « بنيامين هارفورد » كان يعلم أن بلنكى برىء . . وذلك بعد ما اختبره اختباراً عاتياً وامتحنه امتحاناً قاسياً بعد أن ركز فيه كل شخصيته وسلط عليه « نظراته الحادة » حتى انتزع منه الاعتراف الأخير الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إذ قال له المتهم المعرض لحبل المشنقة هذه الجملة المؤثرة : « نجنى يا أستاذ . . فلست أنا الذى أرتـكب هذه الجريمة » .

إلى « المكتبات » … ولـكن … ولـكن شيئاً من ذلك لم أظفر به … لقد قصر الأستاذ المؤلف « الناصر » على « الدسائس » وعلى ما يجب أن يكون عليه الملوك إزاء رعيتهم … وأنا لا أنكر فضل كل أولئك على كل من « الملك والرعية فى كل زمان ومكان » … بل إن العناية بذلك فى مسرحية كالناصر ضرورة لابد منها وقد وفق فيها الأستاذ الشاعر أيما توفيق ، توفيقاً لا يقل عن مهارته البارعة فى تصوير الحالة النفسية لشفق والحكم والناصر أجل لقد وفق وأجاد ولـكنى كنت أطمع بالإضافة إلى ذلك بأن أتمتع برؤية النهضة الثقافية بعينى …

تلكم هى بعض الملاحظات العابرة التى خطرت لى فى أثناء مشاهدة « الناصر » للمرة الأولى فى الليـــلة الأولى … وهى لا تغض من عظمة المسرحية . إنها لعظيمة وعظيمة وعظيمة ، ولقد كان من موحيات تلك الليلة أن اقترح على الفرقة القومية بل على وزارة المعارف — رغم جهلى ما بين السينما والمسرح من فروق — أن تجتهد لتخرج المسرحيات الناجحات أمثال العباسة وقيس لبنى والناصر … على الشاشة ، لـكى يتسنى للناس خارج القاهرة مشاهدتها ويتسنى للاجيال المقبلة أن تلذ برؤيتها ويتسنى لتأريخ المسرح العربى أن يلمس مصادره الأولية … (ط)

مذكرات سجين :

كتب إلينا من دمشق أن قصة (مذكرات سجين) المنشورة فى عدد الرسالة الأسبق ، سبق نشرها فى الرواية ، مترجمة ترجمة جيدة بقلم الأستاذ ناجى الطنطاوى .

حول رسالة (القصص الفنى فى القرآن) :

تشرف وفد من علماء الأزهر بزيارة قصر عابدين ورفع إلى السدة الملكية مذكرة علماء الأزهر التى يطلبون فيها :

(ا) تحويل الرسالة إلى فضيلة مفتى الديار المصرية ليقضى فيها من ناحيته باعتباره جهة الاختصاص .

(ب) دعوة كبار العلماء لعقد اجتماع لمناقشة الأستاذ أمين الخولى باعتباره (عالماً) فيما اعترف به من تأييد الرسالة .

(ح) وقف الأستاذ أمين الخولى ومحمد أحمد خلف الله افندى عن عملهما حتى يفصل فى أمرهما .

(ء) عدم تجديد عضوية الأستاذ أمين الخولى بمجلس إدارة كلية أصول الدين والمذكرة موقعة بتوقيع فضيلة الشيخ الشربينى رئيس الجبهة وعضو هيئة كبار العلماء وفضيلة الشيخ الزرقانى سكرتيرها الأستاذ بكلية أصول الدين .

نعم . قال « بلنكى » هذا . . وما كان لإنسان أن يستغفل « هارفورد » أو يقول له غير الحق ! . . والواقع أن دفاع « هارفورد » الحار البليغ مصحوباً بسحر شخصيته القوية ، قد نال من ثبات القاضى ، وزعزع يقين المحلفين ، فإذ بالحكم يصدر آخر الأمر بتبرئة ساحة « بلنكى » ... ويالها من تحية عاطرة تزجى إلى قوة «هارفورد» فلولاها لأدين « بلنكى لويس» حتماً وسيق إلى حبل المشنقة ... وكذلك « هارفورد » يؤمن فى قرارة نفسه أن « بلنكى » لم ينجح بفضل ذلاقة لسانه ولباقة دفاعه ، بل بفضل نظراته الساحقة الحادة التى سلطها على المحلفين وهو يتوجه إليهم بالحديث فإذا هم من سحرها متهاوون متخاذلون

ولقد راح « هارفورد » يفاخر بقوته وهيبته هذه فى النادى الذى يختلف إليه حتى ضاق الأعضاء ذرعا به ونفروا منه وجعلوا يسفهون آراءه .. فلما ألمت آخر الأمر نازلة بأحد أعضاء النادى ، إذا الوحى يهبط على « هارفورد » بالفكرة الرائعة والرأى الباهر فإن هذا العضو قد استهدف للسطو عليه وهو عائد إلى داره ليلا. وما كاد يفرغ من سرد قصته على الأعضاء ويتلق تعازيهم على مصيبته حتى راح « هارفورد » يقهقه عالياً ويقول بلهجة التوكيد

— لو كنت مكانك لما اعتدى على اللص وسلبنى مالى ...

فقال العضو المسروق المسكين : أحقاً ؟ . وماذا كنت تفعل؟ فأجاب « هارفورد » جاداً متفلسفاً : إن اللص مخلوق جبان . . وهو يظفر من « مركب النقص » بحظ كبير . . ومن السهل تخويف مخلوق كهذا بمجرد نظرة من رجـــل يملك قوة الشخصية . . فقال العضو اليائس : — حسناً . . ربما يعتدى عليك فى إحدى الليالى .. وسنرى حينئذ ما يكون ... وفى الحق أن « هارفورد » الذى يؤمن كل الإيمان بقوة شخصيته ، تمنى أن يقع له مثل هذا الحادث ... وأن مصاولة مع لص معتد لهى المحك الواقع والبرهان الساطع ... ولئن خرج من هذه المصاولة فائزاً مظفراً لـكان فيها أبلغ الدليل ، حتى أمام أعضاء النادى الأغبياء ، على أنه حقاً ذو نظرات حادة خارقة .

لـكن هذا اللص المنتظر لم يتفضل بالظهور وإسداء الجميل الذى ينشـده « هارفورد » . . فقد راح يختلف إلى الشوارع المظلمة دون جدوى . . وطالما كان يلمح فى الزوايا والمنحنيات أشباح رجال كامنين متربصين ، ولـكنهم كانوا لا يلبثون أن يختفوا إذا دنا منهم ...

هنالك ضاق « هارفورد » بهذا حتى كان يسير فى جولاته الليلية مفتوح السترة لعل سلسلته الذهبية اللامعة تغرى الطامعين وتحرك الراصدين بل راح يمسك قفازه بيده عسى أن يكون فى تألق خاتمه الماسى ما يدفع اللص المرتقب إلى الهجوم والعدوان .. لـكن عبثاً كان يرجو ويمنى النفس ، فلم يقع شىء مما أراد ... ولما جعل زملاؤه فى النادى يقولون له متهكمين : ألم تقابل اللص الموعود بعد ؟ » فيزيد بذلك « هارفورد » ضيقاً حتى حمله هذا على أن يقوم برحلات خاصة إلى المناطق الخطرة المشبوهة ، بيد أن اللصوص رغم ذلك كله تجاهلوه كل التجاهل ! . .

لـكن « لـكل شىء وقته » « وكل آت قريب » . فقد كان « هارفورد » مؤمناً بهذه الحـكم وأمثالها .. وقد زاد إيمانه بها حين وقع له الحادث السعيد وهو يوشك أن يستسلم للقنوط .. وبينما هو ذات ليلة فى الطريق إلى داره وقد أوشك أن يبلغها إذا شبح يبرز له من أحد الأركان ويعترض سبيله بهذه العبارة : — « ارفع يديك !! ...

تخفق قلب « هارفورد » . . رجاء وأملا ! .. ورفع يديه على الفور فإنه كان قد رسم فى ذهنه خطة العمل سلفاً ، ورأى أن الامتثال لأمر اللص برفع يديه هو مما يتمشى مع هذه الخطة. أما إظهار الشخصية فسأله لها وقتها المرسوم المقدور ! . . وكان اللص كريه المنظر ، بيده مسدس وعلى وجهه قناع . وهو بلا ريب لص حقيق خطير من الطراز الذى يشتهيه « هارفورد » .. ولا يفل الحديد إلا الحديد ..

وقال له « هارفورد » بهدوء .. بل بكل هدوء : نعم ؟ ؟ فبدا كأن اللص بهت بهذه المقدمة . إذ ساد الصمت برهة. فقال له « هارفورد » فى لهجة واضحة المخارج : ماذا تريد يا صديقى الفاضل ؟ . .

ومن عجب أن اللص لاح عليه التردد وكأنه غرق فى ذكريات عميقة فراح يتفرس فى وجه فريسته فى هذه البقعة المظلمة التى اختارها مسرحاً لهجومه .. على أنه أجاب قائلا :

— نقودك ... وساعتك ... وكل ما معك ..

فقال المحامى العبقرى : « يبدو لى أنك تسلم مقدماً بأنى أحمل أشياء ذات قيمة ؟ . . »

فانتهره اللص قائلا : اسرع ! واقفل فمك ! . . . فقال « هارفورد » متجاهلا الأمر :

— وفضلا عن ذلك . فإن اليسر الذى تجنيه بهذه الطريقة ، لا يجلب لك غير الضرر ..

وأدنى اللص وجهه من وجه المحامى فزاد عجباً فيما يظهر ، وهم بالكلام ، ولكنه كف عن اتمام جملته . فاستطرد «هارفورد»: نخير لك يا صديقى أن تكف عن هذه المحاولة . ضع مسدسك هذا ...

ذلك وما برح اللص يزيد تفرساً فى وجه المحامى وكان الضوء لا يساعده على تبين ما كان يريد أن يتبينه ... والواقع أن « هارفورد » نفسه كان يريد مزيداً من الضوء ... فإن نظراته الحادة الأخاذة لا تكاد تظهر قوتها فى مثل هذه الظلمة ، وإن كانت حتى الآن قد جعلت اللص يتردد ...

وما لبث « هارفورد » أن أيقن أن قوته الخارقة أخذت تؤتى ثمارها ..

لقد سمع أن المنومين المغناطيسيين يأمرون « وسائطهم » بأشياء هينة فيفعلونها صاغرين .. وقد قرأ أن الإنسان إذا تفرس فى عينى الأسد محدقاً تراجع « ملك الوحوش » أمامه وذيله منكس بين قدميه . .

وما دام الأسد يفعل هذا ، فمن المحقق أن مثل هذا اللص الحقير التافه سوف يفعله. وهكذا هبط الوحى وتجلت لحظة العمل. فسلط « هارفورد » وابلا من نظراته الحادة على اللص تسليطاً ، وركزها تركيزاً ، واستجمع كل ما يملك من لهجة الأمر والنهى وصرخ فيه قائلا :

— ضع مسدسك وارجع إلى بيتك ! ! وفجأة أضاء اللص مصباحه الكهربائى فإذا ضوؤه يبين مبلغ هذه النظرات الحادة الخارقة التى تشع من عينى « هارفورد » . إذ هتف اللص فى نبرات المأخوذ المرتاع : ويلى !

لا بأس .. أنزل يديك !! . وأطفأ اللص مصباحه . واستدار فى مكانه . وولى الأدبار هارباً حتى اختفى فى غمار الظلام ..

وبعد نصف ساعة كان « هارفورد » يجلس فى النادى ممدود الساقين مشبكا ابهاميه فى صدريته وهو ينظر مزهواً مختالا إلى زملائه الأعضاء الذين استمعوا إلى قصته مرات ..

وأخيراً دفع « هارفورد » صدره إلى الأمام وأخرج من جيبه سيجاراً كبيراً أشعله ونفث دخانه راضياً قرير العين ، واختتم حديثه قائلا :

لقد صدق ظنى .. وتم كل شىء كما كنت أتوقعه .. ومتى كانت للانسان شخصية قوية فإنه يستطيع أن يلزم بالطاعة عصابة لصوص بأسرها ، ناهيكم بلص واحد . فالمسألة إذن مسألة قوة إرادة وشخصية !

ولم يكن « هارفورد » المحامى العبقرى الفذ هو وحده الذى كان يتفلسف ليسمع آذاناً لا تريد أن تستمع إليه ففى نفس هذا الوقت ، وفى مكان آخر أقل أبهة وفخامة من النادى ، كانت امرأة دميمة الوجه متجهمة السحنة تصب جام غضبها على رأس زوجها الذى لم يفلح منذ وقت وجيز فى مهمة السطو الليلة التى اضطلع بها . إذ راحت تقول له . ياللشيطان ! . أتسمى نفسك رجلا وأنت تترك هذا المنحوس يفلت منك . بعد أن وقف أمامك رافع اليدين فى الهواء ؟ فقال « بلنكى لويس » — اللص المقنع — مدافعاً عن نفسه : — لم يكن بإمكانى غير هذا . . فإنى لما سلطت عليه ضوء مصباحى وعرفت من هو ، لم أستطع أن أنسى أنه دافع عنى دفاعه البليغ أمام المحلفين وأنقذنى من الإعدام بتهمة القتل إن لهذا المحامى ما يسمونه « الشخصية » . وكان يعلم مثل غيره أنى قتلت رجل البوليس فعلا .. فليس هو بالمحامى الذى يستغفله الإنسان .. لكنه أخذ يتكلم ويدافع حتى رؤونى . فهل كان يصح بعد هذا أن أسرقه .

عطبرة — سودان   سيد أحمد قناوى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٥١ — الاثنين ٢٤ نوفمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٤١ ٢٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 751

Lundi — 24 — 11 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٧٥١ « القاهرة في يوم الاثنين ١١ محرم سنة ١٣٦٧ — ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

أندريه جيد

صاحب جائزة نوبل هذا العام

للأستاذ عباس محمود العقاد

منذ أمد قصير قرأت للكاتب الفرنسي — أندريه جيد — فصلا من كتابه « قوت الأرض » يفيض بنشوة الحياة ، ويشع بنور الأمل ، يوجه فيه الخطاب إلى ناشيء مجهول من ناشئة المستقبل يسميه « ناثنائيل » ويصوغ كلامه في ذلك الفصل بصيغة هي أقرب إلى تسبيح المؤمن منها إلى إنشاء الأديب .

يقول لصاحبه ناثنائيل : « ما الحيوان إلا حقيبة من الفرح : كل كائن يحب أن يوجد ، وكل موجود يفرح بوجوده ... إنه لهو الفرح الذي يعتلىء بالجزالة فيُسمى الثمرة ، ويترنم بالغناء فيسمى العصفور . والحق الحق أن الطبيعة كلها تنبئنا أن الإنسان مخلوق للسعادة ، وأن النزوع إلى لذة الحس هو محيي نواة الشجرة ومالىء الخلية بالشهد ، ومفعم قلب الإنسان بالحنان .. » .

ويقول : « لن تكون الحياة أجمل مما يرتضيها الإنسان ، وليست الحكمة في العقل بل في الحب ... آه ! إنني إلى اليوم قد عشت بأكثر مما ينبغي من الحزم والروية . وعلى الإنسان أن يكون بلا شريعة لكي يفتح أذنيه للشريعة الجديدة . أين أنت أيها الخلاص ! أين أنت أيتها الحرية . إنني لذاهب إلى حيث تمتد بي نوازع الرغبة . وأنت يا من أحب تعالى معي ، فإنني لذاهب بعيداً ، وسآخذك معي لعلك تذهب إلى أبعد ... » .

***

ثم انقضت فترة بعد ذلك فسمعت أن « أندريه جيد » في القاهرة ، وأنه يأتي إليها منزوياً مستخفياً ليخلو بنفسه ، أو يخلو بسآمته ويأسه ، في جو بعيد عن ضجيج الحياة الاجتماعية وتكاليفها الممضة ، وأنه لا يلقى أحداً ولا يحب أن يلقاه أحد . ولكني صادفته في الطريق فعرفته من صورته وقال لي صاحب المكتبة التي لقيته عندها : إنه جيد ! . فتجاهلت ما قال ، لأنني لم أشأ أن أزعج الرجل في عزلته ، ولأنني لا أحس في نفسي الشوق إلى لقاء أحد ممن أقرأ لهم فيعجبني ما قرأت . عن عقيدة مستقرة عندي : أن الكاتب أحسن ما يكون في كتبه ، وأن القارىء الذي تفوته حقيقة كاتب قرأه ، قلما يعرف من محضره فوق ما عرف من مضامين كلامه .

رأيت وجهاً كاسفاً حزيناً في غير نقمة ، منزوياً في غير جفوة مستسلماً لما به لا يبالي ما سيصير ، لأنه قد بالى كثيراً بما قد صار .

قلت في نفسي لأول وهلة : أهذا هو جيد بشير الحياة ؟ أيكتب اليوم ما كتبه في قوت الأرض قبل سبع وأربعين سنة ؟ وأياً ما كان كلامه المنظور منه اليوم ، فإن الرجل لم ينقض نفسه ، ولم يخل في خواتيم القرن التاسع عشر من نظر إلى ماعسى

أن يصير إليه فى أنصاف القرن العشرين .

إنه لم ينس رحمة الموت يوم أشاد بنعمة الحياة ، لأنه قال فى ذلك الكتاب إن الموت يعودنا لقاءه كلما اقتربنا منه « وإنه يغطى يديه بقفاز ناعم حين يأتى إلينا ، ولا يكظم أنفاسنا قبل أن يعودنا الكظيمة . والعالم الذى ينتزعنا منه يكون فى موعد النزع قد أضاع وضاحته ، ومأنسه ، وقد أضاع من أجل ذلك حقيقته ، وأصبح أمامنا ناصل اللون لا يبعث فراقه فينا ألماً ولا ندامة » .

لقد عملت الخمس والسبعون عملها فى بشير الحياة ، وهو الآن يعيش فى العالم الناصل ، الذى نظر إليه من بعيد ، وهو فى الثامنة والعشرين .

ولكن السن وحدها فيما نعتقد لم تفعل كل هذه الأفاعيل .

فمثل أندريه جيد خليق أن يصطدم بالمثبطات وهو فى ريعان الشباب ، لأنه يدين « بالعيشة الاعتباطية » أو العيشة بغير داع ولا مسوغ لعمل من الأعمال « qratuitous act » كما بشر بها فى كتب صباه ، ولأنه يدين مع ذلك بالصراحة التى لا تعرف الحدود ، ولا تطيق ثقلة الرقابة الاجتماعية فى شأن من شؤون الفكر ، أو الفن ، أو الأخلاق . فلا جرم تسلمه « العيشة الاعتباطية » والصراحة الجامحة ، إلى الغم والخيبة ، قبل نصول العالم فى عينيه من ألوانه الزاهيات .

أى صراحة هذه التى رزقها هذا الرجل الوديع العجيب ؟ إنها صراحة لا تحجم من السخط والحرمان ، ولا تحجم مما هو أرهب للنفس من كل سخط وحرمان ، وهما الخزى والسخرية .

وأعجب ما فيها أنها صراحة لا تنشد غرضاً من الأغراض ، ولا تتجه إلى هدف من الأهداف ، غير التبرم بالكتمان ، والأنفة من تسليمه لسلطان لا يؤمن به ولا يرى ما يراه .

ذهب إلى مستعمرة « الكونغو » ، وعاد منها فى سنة ١٩٢٨ فكانت حملته على الاستعمار الأوربى ، وفى مقدمته الاستعمار الفرنسى — أشد مما يكتبه زنوج « الكونغو » لو دافعوا عن أنفسهم فى وجوه سادتهم البيض .

وقد كان يحسب أن السادة البيض رسل حضارة إنسانية إلى القارة السوداء . فخاب حسبانه وعاد وهو يائس من هذه الرسالة المزعومة ، ومن حاجة العالم الإنسانى إليها ، وشنها غارة شعواء لم تصمد لها الدول المستعمرة ، ولم يسعها أن تدفعها بالتكذيب والمداورة ، وأسفرت آخر الأمر عن « لجنة التحقيق » المشهورة التى أوشكت أن تؤيد كل ما قال .

وقيل يومئذ أن « جيد » قد انقلب إلى أحزاب الشمال ، وقد انقلب فعلا إلى أحزاب الشمال ، وكفر بمذاهب المجتمع القائم جميعاً وهو يظن أن الأمل كله منعقد بنجاح الاشتراكية ، بل الشيوعية ، كما يبشر بها الماركسيون .

ولكن الشيوعية تأسست بعد ذلك فى البلاد الروسية ، ودعى «جيد» مع من دعتهم حكومة السوفييت إلى شهود آثارها فى تلك البلاد ، وعدتهم لا تقل عن مائة وخمسين من الأنصار والمعجبين . فخاب أمله ، وتهدم يقينه ، ولم يكتم ما خامره من الأسف والحسرة على ذلك الأمل الخائب واليقين المهدوم ، وكتب رسالته الأولى عن هذه الرحلة ثم قفاها برسالة أخرى ، يرد بها على ناقديه وثالبيه ، ويؤيد ما قال فى هذه المرة بالرقم والدليل .

على أن هذه الصراحة الجريئة كلها لا تبلغ من العجب مبلغ صراحته فى المسألة الجنسية كما يعرض لها فى بعض تمثيلياته وبعض أقاصيصه واعترافاته .

فهو يعلن فى غير مواربة أن « الشذوذ الجنسى » طبيعة فى بعض الناس كطبيعة الذكورة والأنوثة ، وأن الحكم عليه حكم على بنية خاصة ومزاج خاص ، ولا يصح أن نجعله حكما على رذيلة أو معابة من معائب الأخلاق .

وتصدى له « هنرى ماسى » من الحزب الكاثوليكى الوطنى ، فاغتنم هذه الفرصة لمهاجمة علم من أعلام البروتستانت الفرنسيين ، ـ لأن «جيد» من أسرة بروتستانتية عريقة ـ وأنحى عليه بالتشهير والتجريس ، ورماه بالحطة وإفساد الآداب . فكان جواب «جيد» عليه كتاب كوريدون Corydon الذى يقول فيه ما لم يقله من قبل ، فى شرح « الشذوذ الجنسى » ونفى أضراره من وجهة الصحة ووجهة الأخلاق ، ووجهة المصالح الاجتماعية ، فبلغ فى صراحته هذه — كما أسلفنا — مبلغاً لا تقرن به صراحته فى الهجوم على المذاهب أو الهجوم على الحكومات .

وليست صراحة الرجل فى الرأى مسألة فكر وحسب ، أو

مسألة كلام وكفى . لأن هذه الحرية تكلفه كثيراً من المال ، وتجشمه كثيراً من العناء ، وهو غنى بما ورثه من أمه وبعض أقربائه ، فلا يبخل بمال ينفقه على اللاجئين إلى باريس من المضطهدين فى بلادهم ، سواء كانوا من الألمان أو النمسويين أو الأسبان أو البلجيك ، ويمينهم بكل ما استطاع من المعونة فوق معونة المال .

***

أما قيمة « جيد » الأدبية ، فهى فى بعض نواحيها مما تتفق عليه آراء النقاد ، على صعوبة الاتفاق فى هذه الآراء .

فناقدوه والمعجبون به متفقون على جمال أسلوبه ، يقول بعض ناقديه قبل المعجبين به : أن مجرد المطالعة فى جمل من عباراته ورسائله متعة فنية ، تكفى وحدها للعودة إليه .

وليست لجيد براعة كبراعة « أناتول فرانس » فى لباقة التعبير وسهولة الفكاهة . ولكنه يوازنه بما هو أفضل منه فيه ، وهو جد الرأى وحماسة الروح .

وليست له قدرة بروست فى الوصف والتحليل ، ولكنه يعوّض هذا الضعف بقدرته فى الحوار والحركة ، فيصل بك من طريقهما إلى المقصد الذى يتوخاه الكاتب بالوصف والتحليل .

وقد علق بالرمزية واللهجة الغنائية Lyric فى أوائل حياته ، ثم جنح إلى البساطة والوضوح فاتخذ له أسلوباً يلائمه ، وينتقل بفحواه إلى اللغة التى يترجم إليها ، وتقرأه مترجماً فلا تفوتك معالمه الشخصية من وراء الألفاظ والعبارات .

وقد ورث سليقة المعرفة من بيئته التى نشأ فيها ، لأن أباه جان بول جيد هو علامة الاقتصاد المشهور ، وعمه شارل كان أستاذاً من أساتذة « كوليج دى فرانس » المتازين ، وأسرته كلها من بيئة المثقفين والمطلعين ، ولكنه مع هذا يحسب من ذوى السلائق والأذواق ، ولا يحسب من ذوى الأذهان والأفكار ، ونفوره من المدرسة الذهنية Inellctualism عرض من أعراض هذا الاستعداد .

ولا تقل ملكة النقد عند هذا الأديب عن ملكة الإنشاء والابتكار . فإن آراءه فى دستيفسكى الروسى ، وفى وتيمان الأمريكى ، وفى مونتانى الفرنسى ، وفى الآداب الإنجليزية والألمانية على العموم ، هى مثل فى النقد الصائب والإنصاف المنزه عن الغاية ، والتصرف فى الجمع بين نماذج الفن فى شتى الأمم ، وشتى اللغات ، وشتى العصور .

وقد مارس الكتابة مستتراً ، ومارسها مصرحاً باسمه ، ولكنه ظل عازفاً عن المظاهر والألقاب من شبابه إلى هرمه ، وعرضت عليه العضوية فى « الأكاديمية الفرنسية » فلم يخف إلى قبولها ، وهى أشرف مايتطلع إليه الكاتب الفرنسى من وراء الصيت والتقدير .

وها هى لجنة « نوبل » تخصه هذا العام بجائزتها الأدبية وهو يجاوز الثامنة والسبعين ، فلا تقع الغرابة فى هذا الاختيار إلا من ناحية واحدة : وهى ناحية الإغضاء عن رأيه فى المسائل الجنسية ، ولعلها قدرت صراحته فى الارتداد على مذاهب الهدم ، وقدرت عطفه على الضعفاء والمخذولين ، وقدرت ملكاته الفنية ، وأقامت الميزان بين دواعى التنويه ودواعى الإهمال ، فرجحت كفة الحسنات عندها على كفة السيئات .

عباس محمود العقاد

فى منظار «الخفيف»

للأستاذ علي الطنطاوى

لم يعلم أحد لِمَ لَمْ يكتب الصديق النبيل الأستاذ محمود الخفيف فى العدد الماضى من « الرسالة » ، ولم يعلم هو من الأمر إلا أنه فقد منظاره فجأة ، ثم وجده كما فقده فجأة ، لم يدر أين ذهب ولا كيف أتى ، ولم يعرف سرّ المسألة إلا أنا ، لأنى سرقت « المنظار » من جيبه لما زارنى فى « الرسالة » فى الأسبوع الماضى ، ورددته إلى جيبه لما مرّ بى أمس ، وقد كان عرض علىّ أن يعيرنيه لما رأى رغبتى فيه ، ولكنى خشيت (وسوء الظن عصمة) أن يفسده أو يصنع به شيئاً يمنعنى من الاستمتاع به ، كيلا أعود إلى طلبه منه ، فآثرت أن آخذه على حين غفلة منه لأستعمله صحيحاً غير فاسد ، ثم إن السرقة أخت الاغتصاب ؛ وقد نصّ (الشاعر) على أن :

من أطاق التماس شىء غلاباً   واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا

والشعراء أئمة الأدب ، ولا يستطيع « مقلد » مثلى مخالفة نصوص « الأئمة » ... لذلك سرقت « المنظار » ، ولكنى لم أرَ به مثل تلك الصور الفنّية الكاملة التى كان يراها الأستاذ محمود ، وإنما رأيت ... اسمعوا ما ذا رأيت :

***

وضعت « المنظار» على عينى ، وخرجتُ به من الدار ، وكنت على موعد مع الأستاذ نهاد القاسم [1] لنزور جامع محمد على ، وسرت أنظر إلى بعيد ، فلم أخطُ خطوات حتى أحسست رجّة فى جسدى ، وألم فى ركبتى وقدمى ، وإذا أنا قد سقطت فى حفرة لم أنتبه لها .

وأقبل المارة يخرجوننى ويسألوننى كيف وقعت ؟ !

قلت : كما وقع الفلكى الذى كان ينظر فى النجوم ومسالكها ، ويدقّق فى حركاتها وسكناتها ، ويعمى عما تحت قدميه ، وكما (يسقط) الكاتب الذى يتكلم فى الفلسفات العليا ، ويغفل عن أدواء أمته وأمراضها ، والشاعر الذى يحلّق فى سماوات الخيال ، ويدع أمته تتمرغ فى حضيض الشقاء ...

وتركتهم يعجبون من هذا الكلام الذى حسبوه كلام مجنون ... وسرت حذراً ... أنظر حولى كيلا ألدغ مرتين من جحر واحد ، فأكون شراً من الحمار ، لأن الحمار إن سقط فى حفرة مرة ، يجتنبها فلا يسقط فيها أخرى ، والإنسان (الذى يؤمن به أخونا الأستاذ خلاف) يسقط فى الحفرة الواحدة خمسين مرة ، ثم لا يجتنبها ولا يبتعد عنها ...

ونظرت فى « المنظار» فلم أر فى وجهى ... إلا سوءات مكشوفة و « أوساخاً » ظاهرة ، وبلايا من هذه البلايا ... فكدت من غضبى أكسر هذا « المنظار » المسحور الذى ينظر فيه الأستاذ محمود فيرى « زهرتىْ » الوزارة ، ويبصر غادة « الحمار الآخر » ؛ وأنظر أنا فلا أرى إلا الأوساخ والسوءات ، ورفعته عن عينى ، وأنعمت النظر... فإذا الذى أراه حقيقةٌ كنت أمر بها فلا أنتبه لها ، لتعودى عليها ، وتنبهت لها الآن لما ركبت على عينى « المنظار»، وهى أن الطريق الذى أسلكه كل يوم من دارى إلى جسر الملك الصالح وأحسبه نزِهاً جميلا ، قد فاض بالأقذار من الجانبين ، فمن هنا هؤلاء الناس من الرجال : الشيب والشبان ، والأولاد : البنات والصبيان ، والنساء أحياناً ... (حتى النساء !) يدعون جميعاً بيوت الطهارة وهى أمامهم : فيها الماء ، وعليها الحارس ، وفيها الستر والنظافة ، و « يقضون حاجاتهم » على طول « الشط » أمام الناس ، ومن هناك البنات المصريات فى آخر الشارع ، والأولاد المصريون فى أوله ، يدعون جميعاً المدارس المصرية الطاهرة النظيفة ، ويقصدون هاتين المدرستين الإنكليزيتين ، يفتحون أدمغتهم للانكليز وصنائعهم من أصحاب الأغراض والحاجات ، ليحققوا فيها أغراضهم ، و « يقضوا حاجاتهم » ويجعلوها عشاً لكل وباء وكل مرض ، يضعف الوطنية ، ويؤذى الدين . وإذا طهر الشط من أقذاره الكناس ، ورشاش (الدالين) [1] ، فلن يطهر البلد من أقذار هذه المدارس ، إلا أن تكنسها الحكومة من أرض مصر ، وتلقيها وأهلها فى البحر ...

وركبت الترام وأنا مغيظ مما رأيت محنق ، فرأيت و« المنظار» على عينى ، ما سلانى وسرّى عنى ، رأيت أمامى وجهاً حلواً ، دقيق القسمات ، نظيفاً لم تنزل ساحته الأصباغ ، ولامسته يد

(١) المستشار الاستئنافى فى دمشق وزميل فى البعثة القضائية فى مصر .

(١) أي الـ (دال — دال) : (D.D.T) .

التجميل ، ولكن جمّله ربه ، وصبغه بصبغته ... ومن أحسن من الله صبغة ؟ فيه عينان زرقاوان ، وفم متجمع مستدير ناضج الشفتين ، فوقه شعر أشقر ، لا هو بالطويل المسترسل ، ولا هو بالقصير المحلوق ، وسوالف ليست مقطوطة كسوالف الرجال ، ولا مطلقة كسوالف النساء ، على جسم قد غطته سراويل سابغة ، ورداء له أكمام طويلة ، تبرز منها يد بضّة ملفوفة ، ما تعرف أهي يد بنت مدلّلة ، أم يد غلام مترف ، والعمر فى نحو الخامسة عشرة ، فجعلت أتساءل حائراً : هل هذا شاب أم فتاة ؟ وحاولت أن أجد علامة دالّة ، أو أمارة ظاهرة ، فعدمتُ العلامات ، وخفيت عنى الأمارات ، وطالت حيرتى حتى لقد هممت أن أمدّ يدى فأتلمّس ... ومنعنى أن أفعل أنى استحييت وخفت العواقب ، وأن الشاب قام ، أو أن الفتاة قامت ، فنزل ، أو نزلت ، وكل راكب فى الترام يتساءل مثل تساؤلى ، ويحار مثل حيرتى !

وركب مكانها (أومكانه) ، امرأة فرنجية كأنها من لطافتها... (سيد قشطة) تجر وراءها ثلاثة : ولدين كالخنزيرين السمينين ، لا يعرف طولهما من عرضهما إلا بالقياس ، وعجيزة مثل كيس التبن ... وصلت هى إلى المقعد ، ولا تزال العجيزة تصعد السلّم ، ثم جلست بين الرجلين على طرف المقعد ، وهى تلهث كأنها قاطرة حلوان ... ثم اندفعت فى المقعد فضغطت الرجلين ، فأدخلت واحداً فى الزاوية من هنا ، وواحداً من هناك ، وأقعدت الخنزيرين (أى الولدين) على الركبتين ، وتنفست الصعداء بعد هذا الجهد ، فكانت نفخة مفاجئة أطارت جريدة كانت فى يد الراكب أمامها ...

وأقبل الجابى (الكمسارى) وهو رجل أسمر طويل ، عبوس الوجه ، متين البناء ، له شاربان كساريتى مركب ، فقال لها :

— فلوس !

فمدت إليه يدها بثمانية مليمات ، كأنها تمدها إلى سائل ، فقال لها :

— هنا بريمو ، خمسة عشر مليما .

فرفعت إليه هذه الكرة المفلطحة التى تسمى فى جغرافية جسمها (رأساً) ، ولوت شدقها ، وصعّرت خدها ، ومدت شفتها ، حتى صار وجهها مثل القرعة اليابسة ، وقالت :

— أنا ما بياطي ، أنا مش آهِد كويس .

— خمسة عشر مليما يا مدام .

فغضبت ، وصاحت :

— انتى مسريينْ ما بسير لتيف أبداً ، يتَسّمْ متوهش !

فأسرعت أنزع « المنظار » لألمن أباها ، ومن جاء بها إلى مصر ، ولكنى وجدت (الكمسارى) قد سبقنى إلى هذه المكرمة ، ورأيته قد انقلبت عيناه فى أمّ رأسه ، واصفر وجهه حتى صار كقشرة الليمونة ، وارتجفت شواربه ، ولكنه تماسك وتثبت ، وصفّر فوقف[1] الترامَ ، وقال لها :

— لو كنت رجلا لرأيت ، ولكنك امرأة ، ونحن لا نمد أيدينا إلى النساء ، فقومى انزلى ...

وأكبرت فعله ، وقت أهنئه وأصافحه ، ولولا خشونة خدّه ، وأنها لا تطيب قبلته ، لوثبت عليه فقبلته ، وتمنيت أن يكون كل مصرىّ مثله ، وحمدت للمنظار ما أرانيه ، ولكن الفرصة لم تطل ، فقد فتح الباب ودخل منه سائل[2] كأنه فى جسمه وفى عينيه بشار ابن برد ، عليه ثياب لو أن للقذارة (جائزة) عالمية ، لنال بها الجائزة ، يغنى بصوت تخاله — والعياذ بالله — صوت ثلاثة حمير تنهق معاً ، على نغمة (الجازبند) نهيقاً مقلوباً ، كأنه صراخ الجن فى الأودية المسحورة ، أو نواح المردة فى قعر الجحيم ، أو كأنه الموسيقى الفرنجية ... بشعر لا تفهم له وزناً ولا قافية ولا معنى ولا تجد فيه طرباً ولا متعة ولا لذة ، فكأنه شعر بشرفارس ...

فلما اقترب منى لم أجد أحسن من الفرار ، فنزلت من الترام عند الشارع الذى كان اسمه أيام الاحتلال « شارع مستشفى اللادى كرومر » ، وكنت أنا المصرى الأصل ، الدمشقى المولد والبلد ، أتألم وأقول ما ذا يكون لهذه التسمية من ألم فى نفوس المصريين أصلا ومولداً وبلداً ، وهى تذكرهم بأعدى عدو لهم ، وتمنّ عليهم بمستشفى أنشأته زوجته ببعض ما سرقت من مال مصر ، مع ما أصيبت به مصر على يد زوجها وقومه ، من ذهاب الأنفس والأموال ، ومن ضياع الحرية وهى أعز على الأبىّ من النفس والمال ، وأوثر أن نموت فى العراء (إن لم يكن إلا هذا المستشفى) ، على أن نشفى فيه ، لأن شفاء أجسامنا فيه ، يمرض وطنيتنا ، بمحبة هذه (اللادى) وذكرها بالخير ، وعرفان الجميل

(١) وقفه ولا يقال أوقفه .

(٢) ولا يخلو الترام لحظة من سائل

لها . فلما تنبهت مصر ، وذهبت تخطب أهل الأرض من فوق منبر مجلس الأمن ، تعرفهم ظلم الإنكليز إياها ، وعدوانهم عليها ، رفع الشباب هذه اللوحة ووضعوا مكانها لوحة سمّوه فيها « شارع دنشواى » ، وأشهد لقد كانت تسمية عبقرية ، وكان رداً بارعاً ، وكان جواباً لا يصدر إلا عن إلهام ...

ووجهت « المنظار » إلى هذه اللوحة الجديدة ، أمتع بها روحى ، وأنعش نفسى ، فلم أجدها ، ووجدت اللوحة القديمة قد جددت ، فمسحت « المنظار » ونظرت فلم أر غيرها ، فرفعته عن عينى ونظرت ، فإذا أنا أجد اللوحة القديمة قد جددت حقاً ...

لماذا ؟ هل عادت أيام الاحتلال ؟ !

ورفعت « المنظار » عن عينى لئلا أسقط فى حفرة ، أو أصدم أحداً ، حتى دخلنا المسجد ، فقلت : أضعه لحظة ، علّى أرى فى المسجد ما يسر ويفرح بعد تلك المحزنات ، وكانت الصلاة قد اقتربت ، والمسجد لبعده ، ولازدحام المساجد من حوله ، كأنه خالٍ فما فيه إلا أربعة صفوف ، ونظرت فرأيت ثلاث فتيات سوافر كسائر نساء مصر ، شعرهن يموج على أكتافهن ، وأذرعهن بارزات كلها من الكم اليابانى (الجابونيز) الذى يبدى ما تحت الإبط لكل ذى عينين ، والسيقان مكشوفات لا جوارب تصمد لسترها ، ولا ثوب ينزل لتغطيتها ، ومعهن أمهن ترتدى هذه الملاءة ذات البرقع الذى لا يستر من الوجه إلا مداخل النفَس من الأنف فقط ، ويظهر الباقى كله ... وأسرعت الأم وبناتها إلى حوض الماء يتوضأن ، ويمددن أرجلهن لغسلها ، فلا يبقى مستوراً إلا ... الذى لم يكشف ... ثم يقفن هكذا للصلاة ... وفى المسجد مشايخ ، رأوهن فلم يكلمهن أحد منهم ، والخطيب رآهن فلم يعرض لهن ، فنزعت « المنظار » وأغمضت عينىّ ، وحاولت أن أنساهن وأتوجه إلى الصلاة ، فلم أستطع ، لأن صورتهن لا تزال (أقول الحق) أمام عينى . فإذا كن يلحقننا حتى إلى المسجد ، فكيفَ نفرُّ يا قوم منهن ؟ وكيف يصنع الشاب العزَب ليتقى إغراءهنّ ؟

ألم يخطر على بال أحد من العلماء ، والآباء ، هذا السؤال ؟ !

ورجعنا و « المنظار » على عينى ، ولكنه أخذ يكذب ويشوِّه الحقائق ، فيرينى خياماً من القماش فى أول شارع الخديوى اسماعيل ، وعليها لوحة تقول : إن هذه الخيام (إدارة تنظيم عمارة المدن) ...

فأقول : ينظمون عمارة المدن ، ولا يستطيعون عمارة حجرتين من اللبن والخشب ؟ هذا لا يمكن ... وأهم بطرح المنظار ، ثم أذكر أن هذا ممكن جداً فى الشرق !

أليس يأمر الناس بالتقوى من ليس تقياً ، ويدرّس البلاغة من ليس بليغاً ، ويقود الأمة من يحتاج إلى من يقوده ، ويعطى الأشياء فاقدها ، ويولى الأمور غير أهلها ؟ !

وتابع « المنظار » الكذب ، حتى إذا وصل إلى دار المفوضية السورية ، وهى أفخم من أختيها : الأمريكية والروسية ! ! زاغ « المنظار » عن كل ما فى الدار ، واستقر على « عقد الإيجار » ، فأرانى فيه رقم (٣٠٠) جنيه فى الشهر ، ثم ذهب بى إلى دمشق ، فبصّرنى بآلاف التلاميذ يزدحمون كل سنة على أبواب المدارس ، ثم يرتدون عنها لأنها لا تتسع لهم ، وليس عند الوزارة ما تستأجر به دوراً جديدة ، لأن أجرة الدار (٣٠٠) جنيه فى السنة ! ثم دار بى على المفوضيات السورية فى آفاق الأرض ليرينى ...

ولكنى أغمضت عينى فلم أنظر ، لأن هذا كذب ظاهر ، ونحن أعقل من أن نؤثر المظاهر على الجواهر ، والتزاويق على الحقائق ، والخارجية على المعارف ، وثوب العرس على العروس ! ونحن أعقل من أن نشترى (كراڤتة) بخمسة جنيهات ، ونمشى بلا سراويل !

وسرت ... فإذا « المنظار » يرينى « كذبة » أشنع وأبشع : إعلانات ، فى كل مكان ، وكل شارع ، أن الإخوان المسلمين سيمثلون رواية الهجرة ، على مسرح الأزبكية ...

كذبة قطعاً ، وإلا فهل استحالت دعوة الإخوان ، وهجرة الرسول ، إلى مسرح وتياترو؟ ومن يمثلون ؟ النبى والصديق وعلى؟ أهذه آخرتها ؟

جمعية الشبان المسلمين ، مثّلت مع زوزو نبيل ، وسمّتها ممثلة المسرح الإسلامى ! وجماعة الإخوان تنزل الصحابة إلى تياترو الأزبكية ... فهل تنشر مجلة الأزهر صورة امرأة عارية لتكمل الرواية ؟ وهل يوضع فى جامع الكيخيا أوركسترا أفرنجية ، وفى مسجد الحسين تخت شرقى ؟ !

* * *

لا ... خذ « منظارك » يا أستاذ محمود ... حسبى ما رأيت !

(القاهرة) **على الطنطاوى**

النفـــوذ اليهودى

بين الصحف الأميركية والصحف العربية

للأستــــاذ نقولا الحداد

صوت صارخ فينا وفى سائر البلاد العربية أن اليهود محتكرو الصحف الأميركية للدعاية الصهيونية . وليس للهيئات العربيــة سـبيل للرد على إفك اليهود وتشنيعهم بالعرب والدعاية لصهينة فلسطين . لأن الصهيونيين يسيطرون على الجرائد الأميركية فلا يسمحون لجريدة أن تنشر كلمة حسنة عن العرب ولو بثمن غال

لا تعتبوا يا قوم على الصحف الأميركية فى حين أن بعض صحفنا المصرية ليست أقل خضوعاً لنفوذ اليهود من صحف أميركا ومن يتحقق هــــذه التهمة يجد أنها حقيقة ناصعة . ومن جملة الحوادث التى تؤيد هذه الحقيقة ما يأتى :

تقدم فى حين من الأحيان إلى رئيس تحرير جريدة كبيرة مندوب من قبل هيئة عربية كبرى محترمة بكلمة موجزة ذات شأن عظيم لمصلحة العرب فى المسألة الفلسطينية . فوعد الرئيس بنشرها . ولـكن مضت بضعة أيام ولم تنشر . فعاتب المندوب رئيس تحرير الجريدة على عـدم نشرها . فأجابه أن القيم على إعلانات الجريدة أبى أن تنشر لأن نشرها ليس من مصلحة الجريدة بل هو ضار بها . واعتذر الرئيس بأنه إذا نشر خبراً ضاراً بالجريدة، فالجريدة تضعف ولا تعود تستطيع أن تخدم الأمة والعرب . عجباً ! لا تستطيع أن تخدم الأمة إذا كان نشر خبر يضرها . وإذا كان الخبر ضرورياً لحياة الأمة وهى لا تنشره فإذاً متى وكيف تخدم الأمة ؟

وما لبث المندوب أن عرف أن ذلك القيّم على الإعلانات يهودى وحجته أنه إذا نشر الخبر انقطع اليهود عن الإعلان فى الجريدة . فتأمل . !

حكاية ثانية : منذ نحو سنتين أو أكثر أرسلت إلى إحدى مجلاتنا الـكبرى مقالا بعنوان « لمن فلسطين ؟ » وأثبتُّ فيه بالأسناد التاريخية وغيرها أن اليهود الأجانب الذين يدّعون الآن ملـكية فلسطين ليسوا من نسـل إسرائيل . بل هم أوروبيون تهودوا منذ تشتت الإسرائيليون فى آسيا وأوربا فأغروا بعض الوثنيين باليهودية فتهودوا . فهم ليسوا ساميين كما كان هتلر يزعم . بل هم آريون أكثر من هتلر . ولذلك ليس لهم ضلع البتة فى فلسطين . بل إن فلسطين لأهلها القيمين فيها من قبل موسى إلى اليوم . وقد غيروا دياناتهم من يهود إلى مسيحيين ثم إلى مسلمين حسب تقلبات الحوادث التاريخية والسياسية الخ . هذا كان فحوى المقالة .

ومضت أشهر ولم أر المقالة فى المجلة فذهبت إلى إدارة المجلة عاتباً . ولـكن سكرتير التحرير قابلنى بأنه لا يدرى سبب عدم نشرها . وصاحب المجلة كان متغيباً فلم أتصل به فقلت : هاتها . فتبرم وقال لا أدرى إن كنت أجدها .

فبحثنا بين أوراق التحرير . ومن حسن الحظ وجدناها ثم أرسلتها إلى مجلة أخرى رائجة . ومضت الشهور ولم تنشر فـكتبت إلى إدارة التحرير مطالباً بها . ولم أحصل على جواب ففهمت أنها ذهبت فى سـلة المهملات . ثم علمت أنها لا تنشر لأنها ضد مصلحة اليهود الذين ينشرون إعلانات فى المجلة .

ومنذ عهد غير بعيد كتب أديب لإحدى الجرائد اليومية بضـعة عشر سطراً يطلب من اليهود الذين فى مصر أن يعلنوا شجبهم للصهيونية وبراءتهم منها قولا وعملا وأن هذا الشجب من مصلحتهم ماداموا مواطنين لأكثرية ساخطة على الصهيونية فلم تنشر الجريدة هذه النبذة . ولما عاتب ذلك الـكاتب رئيس تحريرها قال إن هذه النبذة صعبة ملعونة يعنى أنها شبه تهديد لليهود . وهو لا يريد أن يستاء اليهود من جريدته لئلا يحرموها إعلاناتهم . فترى أن الجرائد تحت رحمة يهود البلاد بسبب إعلاناتهم

هذا قليل جداً من كثير جداً من الأخبار المشينة المؤلمـة عن سـيطرة اليهود فى مصر على بعض الجرائد الرائجـة والمجلات المنتشرة .

فلماذا نلوم الصحف الأميركية إذا أذعنت لليهود بعدم نشر شيء من مصلحة العرب ولا سيما لأن قضية العرب ليست قضية

الأميركان ولأنهم الشعب الأميركى . ولماذا لا نلوم الصحف العربية التى تراعى خاطر اليهود فى قضية العرب والقضية قضيتهم فبالله أهكذا تخدم الصحف العربية شعبها وعروبة قرائها ؟ تخدم مصالح اليهود ، واليهود يتذرعون بكل وسيلة لامتصاص مالية البلاد العربية والسيطرة على سياستها إلى غير ذلك مما هو معلوم

لا نجهل أن الصحف فى كل العالم تعيش على الإعلانات . وإيراد الإعلانات يعيش على رواج الجرائد ، ورواج الجرائد يعيش على إقبال القراء عليها ، وهذا الإقبال هو ثمرة جهاد المحررين وإدارة أصحاب الصحف وجهاد عمالها ، ومتى تزايد عدد القراء أو النسخ التى تطبع ارتفعت أجور الإعلانات ، وهذه الإيرادات الأخيرة من الإعلانات تستغلها شركة الإعلانات اليهودية التى تتوسط بين المعلنين والجرائد

لا نجهل هذا ، ولكن لا نفهم لماذا تكون الوساطة بين المعلنين والجرائد فى يد شركة يهودية تتحكم بالجرائد وأصحابها وأقلامها وعمالها وقرائها أيضاً فلا تسمح بنشر شىء ضد مصلحة الصهيونية أو ليس من مصلحة اليهود . وأصبحت الصحف والأقلام العربية مسخرة لليهود . هذه عبودية لا تطاق ، واستخذاء عربى لليهود لا يكاد يصدق .

ولا ندرى لماذا لا تكون الشركة الوسيطة بين المعلنين والصحف وطنية بحتة وتكون مكاسبها لمساهمين وطنيين ويكون الكتاب أحراراً فيما يكتبون لمصلحة بلادهم وإخوانهم العرب .

ترى هل فطن الصحفيون لهذا الضرر العظيم من جراء استلام اليهود لزمام الصحافة فى البلاد يسيرونها على هواهم ؟ أم أنهم فطنوا ولا يبالون ؟ ألا يبالون أن يكون مصير القضية العربية وجميع القضايا المخالفة لمصالح اليهود الصهيونيين الخيبة ؟

أم أنهم لا يبالون بالمصاب إلا إن وقع ، ولا يبادرن إلى تدارك الخطر ، ألا متى أبرق الخطر وأرعد ، وحينذاك لات حين تداركه .

من المدهشات أن يتولى أمر الدعايات بالإعلانات والمقالات والأخبار فى الصحافة العربية لأجل القضية الفلسطينية يهود هم أعداء العروبة الألداء .

أما وجد بين العرب أناس لهم ذكاء اليهود وماليته كمالية اليهود وحيلة كحيلة اليهود لكى يحلوا محل اليهود فى هذه السيطرة على أقلام كتابنا وصحافتنا وإدارة الدعاية عندنا .

لماذا لا ينبرى أناس ممن يفهمون فن الدعاية ويؤلفون شركة كبرى لتولى هذا العمل المنتج أى الوساطة بين المعلنين والجرائد ، ثم تنازع الشركة اليهودية هذا العمل ؟ وحينئذ على جميع جرائدنا أن تتحول من الشركة اليهودية إلى الشركة الوطنية المصرية الخالصة .

لابد أن يتسرع بعض القراء إلى الاعتراض على هذا المشروع الوطنى بأنه إذا برز إلى حيز الفعل انقطع اليهود عن الاعلان فى الجرائد بواسطة هذه الشركة الوطنية . فلينقطعوا إذا كانت الجرائد لاتقبل وساطة الشركة اليهودية بتاتاً ولا تقبل إلا وساطة الشركة الوطنية . لا يستطيعون أن يقاطعوا الصحف لئلا تستأثر المتاجر والمصالح الوطنية بالدعاية وحدها فتروج هذه وتكسب تلك ، لا يستغنون عن الدعاية والإعلانات ، وليس لهم إلا الصحف الوطنية ووساطة الشركة الوطنية .

المشروع لا يحتاج إلا لقليل من الوطنية :

١ — يتصدى له متمولون قليلون ، قد يتراءى لهم فى أول الأمر محتاجاً إلى شىء من التضحية ، ولكنه متى استتب رأوا أنه نتج بلا تضحية .

٢ — على جميع الجرائد أن تتحول إلى وساطة الشركة الوطنية للحصول على الاعلانات . والشركة تخدمهم كما تخدمهم تلك

٣ — على التجار الوطنيين وأصحاب الأعمال أن يقبلوا على هذه الشركة فى الدعاية لهم بالاعلانات وغيرها .

فأين الوطنية وأين الوطنيون ، ينقذون الدعاية العربية من براثن الصهيونية ؟ لماذا لا تسعى نقابة الصحفيين هذا السعى

إن الصهيونيين عازمون على استعباد الشرق العربى كله ولسوف ينجحون إذا لم ننهض لمناهضتهم فى الحال .

نقولا الحداد

حول جـــدل فى الجامعة

للأستـــاذ عبد الفتاح بدوى

— ٣ —

يقول الأستاذ محمد خلف الله فى صفحة ١٢٩٨ من مجلة الرسالة أن نقاشنا إياه ينقسم قسمين مسائل وشتائم وأنه يعرض عن قسم الشتائم ويناقش المسائل .

وليس فى مقالينا اللذين ناقشناه فيهما شتائم فإننا نعيذ قلمنا أن يكون شتاماً فإن الشتائم عيب الشاتم لا عيب المشتوم ولكنه العلم يا أستاذ وهو الجدل العلمى الناصح والعلم لا يعرف الملق ولا التأنق ولا الفرك فى الذروة والغارب إنما العلم هو الألفاظ على دلالاتها : حق وباطل ، وجاهل وعالم ، وصادق وكذاب ، وأمين وخائن وهو سوق الحجة وإقامة الدليل ؛ ولو أننا فى غير مقام علمى لأسبغت عليك من لين الحديث ونعومة الأسلوب ما فى الحرير من طراوة وما فى النسيم من لطف رقيق ؛ ألست ترى أننى حين أتكلم عن شخصك أقول الأستاذ خلف الله وما أنت بأستاذ ؟ فأما إذا وصلنا إلى تحديد الأوصاف فى مقام الجدل العلمى فاعذرنى فالتبعة على نصاحة العلم وعدم قبوله الملق والدهان .

١ — وقال : المعروف دينياً ألا نستنتج من نص قرآنى أمراً لم يقصد إليه القرآن . فقلنا له أن كل كلام لابد له من دلالات ثلاث المطابقية والتضمنية والالتزامية ولا يملك أحد فى الدنيا أن يجرد كلاماً من هذه الثلاث الدلالات أو من بعضها ما دام يملك مسكة من العقل ؛ فجاءنا فى العدد الذى ذكرنا يقول بنصه « ولا نفهم كيف يكون لكل كلام دلالات ثلاث تقصد منه مع أن عبارة المتن — الذى يعرف بعلم البيان — والإيراد المذكور لا يتأتى بالوضعية أى بالدلالة المطابقية ويتأتى بالعقلية أى التضمنية والالتزامية » .

وأنا وأهل العلم جميعاً لا يعرفون متناً اسمه علم البيان « أليست هذه جراءة منى يا أستاذ خلف ؟ » ذلك لأنه لا يوجد متن هكذا وإلا فأين هذا المراء يا أستاذ ؟

ولا أزكك تتخبط كثيراً بل أصحح لك المقام ؛ إنها عبارة مستفيضة فى كتب البلاغة « وأظنك لم تدرسها كما تدل عليه عبارتك » تجدها فى تلخيص المفتاح وفى المفتاح وفى الإيضاح وفى ، وفى ؛ بنصها أو قريب منه ؛ وكأن شيطاناً من الشياطين حولك خطف لك هذه الخطفة من علم البلاغة وهو لا يعيها فألقاها إليك وأنت لا تعيها ؛ وأودعتها مقالك وأنت كذلك لا تعيها ؛ وظننت أنك أتيت بشىء وما هو بشىء .

وإذا كانت هذه عبارة من عبارات البلاغة فما لها ولما كنا وما زلنا فيه من مقام الاستنتاج ؟ ومقام الاستنتاج هو مقام الفهم والتفاهم أى تحميل الكلام دلالاته التى لا يكابر فيها إلا غير عاقل أى فى الدلالات المنطقية كما قلت لك فى مقالى الذى ناقشتك فيه فقلت لك ما نصه « أليس القرآن كلاماً له الدلالات المنطقية الثلاث المطابقية والتضمنية والالتزامية التى لكل كلام ؟ » هذا مقام الاستنتاج الذى كنا وما زلنا نتكلم فيه ، وما له ولعبارة البلاغة تدسها فى غير موضعها دساً وتقحمها اقحاماً ؟ ما للتفاهم والاستنتاج ولإمكان استعمال دلالة دون أخرى فى التجوز والاستعارة ؟! عجيب منك هذا . أتعرف أدب البحث والمناظرة يا أستاذ خلف الله ؟ اعلم أن هذا العلم يقول لك : كلامك فى غير محل النزاع فلا ممنى له . ولقد جرك الحق أن تصفع نفسك بنفسك فتقول عن نفسك انك لا تفهم كيف يكون لكل كلام دلالات ثلاث تقصد منه وأنا والله لا أستطيع أن أصفك بغير ما وصفت به نفسك أنه الحق والحق لا محيد عنه .

ولقد كنت أظننى أجادل شخصاً فى جو علمى عال فلا أجدنى بعد الذى ذكرت فى مقالك هذا إلا مضطراً أن أنتزل إلى تلميذ صغير مبتدىء فى تعلم المنطق والبلاغة .

إعلم وفقك الله تعالى أن اللفظ المستعمل فى حقيقته يجب أن تثبت له دلالة المطابقة [قطعاً] ومتى ثبتت له دلالة المطابقة ثبتت له دلالة التضمن [قطعاً] ومتى ثبتت المطابقة والتضمن ثبتت دلالة الالتزام [قطعاً] ؛

فإن كابرت فى شىء من هذا فلا كلام لنا ولا لأحد معك إلا أن تتعلم مبادىء المنطق وتساير المعقول .

أما المجاز والتجوز والاستعارة إلى غير هـذا مما قال علماء البلاغة فلا علاقة له بالاستنتاج وإنما علاقته بإرادة نقل الكلام عن معناه الحقيقى إلى معنى غير حقيقى أو بعبارتهم : فى أداء

المعنى الواحد بطرق مختلفــة فى وضوح الدلالة والفرق بينهــما كالفرق بين السماء والأرض أو يزيد .

هذا هو العلم وهذا هو الحق أفقهه ويفقهه العلماء فهل تفقهه أنت أيضاً يا أستاذ خلف الله أو تفقهه أنت والذين معك ؟ وهذه أولى مسائلك التى تكلمت معى فيها ؛ بل ما زال لها ملحق أذكره لك فإنك تقول عنى : ماذا يكون موقفه من العـلم حين يثبت بقرائن مادية يقول بها علماء الجيولوجيا من أن هذا البيت [الذى ببكة] ليس أول بيت وضع للناس ؟

وإنى سائلك أنت ؛ أهذا كلام منهج علمى ورجل يتكلم فى العلم ؟ من يقول أن العلم ينبنى على قرائن يا أستاذ خلف الله ؟ إن العلم لا ينبنى إلا على حقائق ، أما الذى ينبنى على القرائن فهو الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً فلو قامت قرائن طبقات الأرض كلها بل وطبقات الهواء والمـاء والسماء ما دلت إلا على قرائن وظنون لا تنفع فى العلم ولا تقدر فى العلم وإنما الذى يقدر ويعلو ويصول قول الله تعالى : (إن أولَ بيت وضع لِلناس للذى بِبكة) ولست بلائمك على هذا التدهور الفـكرى الذى تبنى فيه علماً على قرائن فإن رسالتك كلها من هذا القبيل أدلتها : الفرض والحدس ؛ والتخمين ؛ وأحب أن ألفت الذهن ؛ ومعنى ذلك كما يلحظ القارىء ، وهلم جراً من العبارات الجوف المزوقات ، ثم النتيجة التى تبنيها على هـذه العبارات المزوقات الجوف تجعلها حقائق وتسمها بسمات اليقين ؛ عجائب يا أستاذ خلف الله عجائب

اعلم وفقك الله تعالى أن العلم لا ينبنى على قرائن بل ينبنى على حقائق فإن لم تصدق هذا فابحث أنت عمن يصدقك فى ابتناء العلم على قرائن وظنون ولن يصدقك إلا مجنون ؛ أولم تقرأ أنت المقال الذى تحيلنى عليه « القرآن والنظريات العلمية » ؟ اقرأ وتعـلم وافقه ورد وتكلم ...

٢ — والمسألة الثانية التى تناقشنى فيها أنك قلت أن القصص القرآنى من المتشابه فقلت لك : لسنا نعرف أحداً من المسلمين يقول أن القصص القرآنى من المتشابه .

وجئت فى مقالك آنف الذكر صفحة ١٢٦٨ من مجلة الرسالة تضع بين يدى نصوصاً كثيرة تنطق بأن من العلماء المسلمين من يقول بأن القصص القرآنى من المتشابه . أوما كان أجدر بك أن تضع الأمور فى أنصبتها ولو مرة واحدة ليكون الجدل أو النقاش علمياً لا مهاترة .

وأنا واضع لك الأمور فى أنصبتها ومعيد عليك وعلى الناس جميعاً ما قلته سابقاً أنه لم يقل مسلم ولايقول مسلم ولن يقول مسلم أن القصص القرآنى من المتشابه رغم ما نقلته أنت من النصوص التى وعيتها أنا وعرفتها قبل أن تراها بعينيك .

لقد كتبت فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٧ أولى مقالاتك التى تقول فيها بعد كلامك عن الصلة بين القرآن والتاريخ ما نصه :

« على أن هذه المسألة قديمة ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه » و (أل) فى كلمة (المسألة) المتقدمة للعهد أفاهم أنت ؟ والعهد ههنا ذكرى ؛ أفاهم أنت ؟ والمذكور المتقدم صلة القرآن بالتاريخ

وفى ٦ أكتوبر سنة ١٩٤٧ نشر فى الرسالة تقرير الأستاذ أحمد أمين بك وفسر هـذا التقرير الصلة بين القرآن والتاريخ فى نظر الأستاذ خلف الله وفى رسالة الأستاذ خلف الله وهذه الصلة عنده أن القرآن لا يتقيد قصصه بالواقع وأنه يحتوى أساطير وأنه ينطق الشخص فى قصة بشىء وينطق سواه بهذا الشىء فى نفس القصــة فى مكان آخر ، وأنه ينطق قوماً بما لم ينطقوا به ويقولهم ما لم يقولوا وأنه يقول على شىء لم يقع إنه وقع وأنه قد لا يكون للقصص مدلول واقعى أصلا وإنما هو حكاية عن واقع نفسانى وأنه لا يتحرى الصدق العقلى والواقع .

وفى ١٣ أكتوبر سنة ١٩٤٧ كتبت يا أستاذ خلف الله مقالا ثانياً ثبت منه جميع ما قاله الأستاذ أحمد بك أمين فى تقريره فأصبحت الصلة بين القرآن وبين التاريخ على أتم وضوح وصارت المسألة التى قال عنها الأستاذ خلف الله أنها مسألة قديمة هى مسألة الصلة بين القرآن والتاريخ على هذا المعنى الجلى الواضح أن القرآن لا يتحرى الصدق العقلى ولا الواقع ؛ وأنه مملوء بالأساطير طالما أن فيه القصص الأسطورى ؛ هذه هى المسألة التى يقول أنها مسألة قديمة فإذا ضم إليها بقية الجملة وهى قوله ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه كان الـكلام الذى ينصرف إليه نقاشنا هو ما ادعاه الأستاذ خلف الله من أن مسألة الصلة بين القرآن والتاريخ بالمعنى الذى ذكره من المتشابه ؛ أليس كلامنا كله فى مناقشة كلام الأستاذ خلف الله أم هو فى مناقشة كلام من لا كلام لنا معه ؟!

وأعود بك مرة أخرى فأقول : لسنا نعرف أحداً من المسلمين بل أزيد فأقول أنه لم يقل أحد من المسلمين ، ولا يقول أحد من

المسلمين ، ولن يقول أحد من المسلمين إن القصص القرآنى من المتشابه ؛ وما دمت تحاول الإفلات من النقاش العلمى إفلات المهاترة فإنى أزيد لك الكلمة التى هى مكان العهد فأقول لك أى بالمعنى الذى تذكره فى قولك « على أن هذه المسألة قديمة ... » والتى فسرها تقرير الأستاذ أحمد أمين وأقوالك فيما كتبت بعد فإنى لم أرد عليك إلا فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٧ بعد مقالين لك وبعد تقرير الأستاذ أحمد بك أمين .

أما المتشابه بالمعنى الذى يعرفه مقاتل أو الطبرى أو سواهما فليس من محل النزاع كما يقول أهل العلم فكيف ساغ لك أن تضع شيئاً مكان شىء ؟ لكن هى الطريقة التى دأبت عليها فى مقالاتك وفى رسالتك ألم أثبت عليك التدليس فى النقل والخيانة فى العلم ؟

وكيف طوعت لك نفسك أن تجعل المتشابه عند هؤلاء القدامى هو الذى نفيته فى مقالى مع أننى أثبته لك فى مقالى ؟ ! ألم أنقل لك عبارة المنار وفيها قال الأستاذ الإمام : إن الآيات متشابهات ؟ أو لم أقل لك أنا فى نفس المقال ما نصه « فالأستاذ الإمام لم يقل أن القصص القرآنى من المتشابه بل قال إن الآيات من المتشابه» وفسر هذا التشابه ... »

هذه هى المسألة الثانية التى تناقشنى فيها وما زال علم أدب البحث والمناظرة يقول لك إن كل النقول التى نقلتها فى غير محل النزاع فلا معنى للاستشهاد بها وإنما يفصل فيها المثل المشهور أريه السهى ويرينى القمر بل لهذه المسألة ذيل قصير فإنه أى الأستاذ خلف الله يقول إنه يعرض على أن الآمدى أورد رأى الأصوليين فى القصص فى كتابه [الأحكام] وليس كتاب اسمه [الأحكام] إنما هو [الإحكام] وقد درست هذا الكتاب مع كتاب ابن الحاجب أعظم كتب الأصول فى القسم العالى بمعهد الاسكندرية ، بل لعلها غلطة مطبعية ، بل الأشبه أنها غلطة الأستاذ وأنه ينقل أو ينقل له من حيث يعرف أو لا يعرف فقد سألت مطبعة مجلة الرسالة إن كان لديها [لام ألف] بهمزة قطع من تحت فأرانيها مدير المطبعة ، والخطب فى هذا الذيل يسير على كل حال ؛ بيد أنها الدقة والاستنتاج أردت أن ألفت إليها ذهن الأستاذ خلف الله .

٣ — والمسألة الثالثة التى يناقش فيها أنه يقولَ : إن من المفسرين من لا يلتزم أن كل ماورد فى القصص القرآنى من أحداث غير واقعة فقلت له : ولا نعرف أحداً من الأصوليين ولا من المسلمين لا يقول بأن ماورد فى القرآن من القصص إنما هو أحداث وقعت وحوادث هى خلاصة الحقيقة التى وقعت فى سوالف الزمان .

ولقد قال هذا ؛ وقلت له هذا ؛ وجاء اليوم يرد علينا فيقول وإقحام الشيخ الأصوليين هنا لا معنى له ؛ فلماذا لا معنى له ؟ وكلامك هو الذى لا معنى له ؟ أليس الأصوليون قد تكلموا فى القصص كما تكلم فيه سواهم فكان متشابها عندهم أو غير متشابه كن ذكورا يا أستاذ خلف الله فقد نقلت تعرضهم للقصص قبل ذلك بسطور قلائل .

ثم استمعنا كلام المفسرين إذ يقررون أن من القصص القرآنى أحداث [هكذا بالرفع فليسأل الأستاذ خلف عن سبب ذلك] لم تقع ؛ وإنى مستمع ومنصت ومصيخ قال : جاء فى ابن كثير جـ ١ ص ٥٩٠ بعد تفسيره لقوله تعالى « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ... الخ ما نصه (عن ابن جريج عن عطاء أن هذا مثل) وقد وضع على لفظة مثل رقم (١) وكتب على الهامش بآلة الطباعة هذه العبارة ، يعنى أنها ضرب مثل لا قصة واقعية ...

أين الاستدلال يا عباد الله فى نقل الأستاذ خلف الله ؟ عطاء يقول إن هذا مثل ، والمفسرون جميعاً يجعلون القصص مقابلا للمثل وقد نقلت يا أستاذ خلف ذلك فى نفس هذا المقال غير مرة ففى أى عقل يقال لك إن هذا ليس قصة وإنما هو مثل فتقول أنت إن هذا الذى قيل لك دليل على أنه قصة وعلى أن القائل بهذا القول يقول إن فى قصص القرآن أحداثاً لم تقع؟ ! ارحموا المعقول ارحموا المعقول .

وأنا آخذٌ بأذنك مرة أخرى وقائل لك يا أستاذ خلف الله من الذى وضع رقم (١) على الهامش ؟ وكيف ساغ لك أن تجعله من الاستدلال فى كلامك مع أنه صفعة لك لا ترحمك ؟ ألم يقل لك الهامش [على عدم اعتدادى به كمستند على] أنه ضرب مثل لا قصة واقعة — أفلا يوجهك هذا الهامش (أى يضربك بالكف على وجهك) فيصرخ فى وجهك يقول القصة واقعة وضرب المثل قد يكون بغير الواقع؟ انتبه يا أستاذ خلف الله انتبه انتبه أيقظك الله الذى أيقظ أهل الكهف لا السبعة النيام .

ثم نستمع إليه أى الأستاذ خلف الله مرة أخرى يقول : وجاء فى الرازى جـ ٢ ص ٣٣٣ نسخة الصالة بدار الكتب وذلك بصدد الحديث عن قصة إبراهيم والطير [المسألة الثانية أجمع أهل

بحث فى الكولرا

للدكتور فضل أبو بكر

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

العلاج وطرق الوقاية :

إن الحكمة القائلة « الوقاية خير من العلاج » هى من أصدق الحكم ويجب تطبيقها على الدوام وعلى سائر الأمراض . وهى أصدق ما تكون فى حالة الكولرا إذ من السهل جداً الوقاية منها وعلى النقيض من ذلك يصعب علاجها وقد يتعذر إذا حل مكروبها بالإنسان وظهرت عوارض المرض إذ لم يوجد إلى الآن دواء حاسم غير الدواء الواق كما وجدت الكينا للملاريا والطرطير للبلهارسيا والزرنيخ والزئبق للزهرى والبنسلين لكثير من الأمراض ليس من ضمنها الكولرا من سوء الحظ .

أما العلاج الواق الذى تتوقف عليه نجاة الفرد ونجاة المجموعة فهو الحقن بالمصل الواق « Vacsin » يحقن الفرد باللقاح مرتين تحت الجلد يكون مقدار الأولى سنتيمترا مكعباً وبعد ثمانية أيام من الأولى يحقن مرة ثانية بكمية قدرها سنتيمتران مكعبان . تبدأ مناعة الجسم فى اليوم الخامس وتكون فى أشدها بعد اليوم الخامس عشر ويستمر مفعولها مدة ستة أشهر .

أما تطعيم « حاملى المكروب » فقد وجد فى بعض الأحيان غير كاف ويمكن معرفة هؤلاء « الحملة » بتحليل البراز مرتين وتكون المرة الثانية بعد أسبوع من الأولى ويجب أن تكون النتيجة سلبية فى المرتين وإلا كان الفرد من حامل المكروب وفى هذه الحالة زيادة على حقنهم يعطونهم مايسمونه «بابا كتربوفاج» أى آكل البكتريا ولكل مكروب آكل خاص .

طرق الوقاية :

١ — حقن جميع الأفراد فى المناطق التى يظهر فيها الوباء أولا وتعميم الحقن على جميع السكان على قدر الامكان .

التفسير على أن المراد بالآية قطعهن ... غير أبى مسلم فإنه أنكر ذلك وقال إن إبراهيم عليه السلام لما طلب أحياء الميت من الله تعالى أراه الله تعالى مثالا قرب به الأمر عليه والمراد بصرهن إليك الإمالة والتمرين ...

يا عباد الله ويا أهل العقول — مرة ثانية — أين الاستدلال بأن فى القصص القرآنى أحداثا لم تقع ؟

يجمع المفسرون على أن هذه قصة واقعية فيقول الأستاذ خلف الله أن ذلك الإجماع دليل على أن القصة غير واقعية

ويقول أبو مسلم أنها مثل لا قصة وأن الله تعالى أرى إبراهيم مثالا يقرب به الأمر فيقول الأستاذ خلف الله أن قول أبى مسلم أنه مثل لا قصة دليل على أنه قصة وأنها غير واقعة وإن فى القرآن قصصاً أحداثه لم تقع .

إسمع يا أستاذ خلف الله لا تعليق لى على استدلالك إلا أن أقول لك المثل « احترت يا بخراء من أين أقبلك » . البخراء لا تقبل لأن رائحتها لا تطاق قل شيئاً يشبه العلم وإلا فاسكت ثم نستمع مرة أخرى فإذا به يتحكك كما تحكك أستاذه المشرف على رسالته فى الأستاذ الإمام محمد عبده ويريد أن يسمعنا من قوله شيئاً

ولقد كنت كتبت المقال فى استعراض أقوال الإمام محمد عبده كلها منذ أول قصة الخليقة إلى آخرها وبينت تمام البيان مأتى الخطأ الكبير الذى تردى فيه كاتب رسالة الأستاذ خلف الله ومشرفها على السواء ، ولكن اعجلنى الرد ولفتنى على حد تعبير الأستاذ خلف الله عما سواه

فليكن الكلام فى كل ما قال الأستاذ الإمام محمد عبده وهو كلام كله وجاهة وعلم لمن قرأه ووعاه إلى العدد القادم إن شاء الله .

ألست ترى يا أستاذ خلف الله حتى بعد هذا أننا أولى أن يصل إلى الرشد؟ أما فقه أسرار القرآن الكريم فلا نقول لك فيه إلا ما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : أما والله لا نغمز من هذه الجهة ؛ سنريك منه مالم تكن تعلم وكان فضل الله على عظيما .

وإن شئت علمك منه كثير من تلاميذى

عبد الفتاح بدوى
كلية اللغة العربية

٢ — عزل المريض فى الحال بأماكن العزل بالمستشفيات الخاصة بالأوبئة .

٣ — منع التعرض لجثة المريض بحال من الأحوال واقتراب ذويه منها لغسل الجثة وتكفينها والمشى فى موكب لدفنها ، بل المصلحة العامة — وهى فوق كل الاعتبارات — لا تسمح بذلك .

٤ — تطهير كل إفرازات المريض قبل أن يدفع بها إلى المراحيض كذلك تطهير كل ما لامس المريض عن طريق مباشر أو غير مباشر باحدى المواد الكيماوية وهى كثيرة متوفرة .

٥ — تطهير الغرف والأثاث كذلك تطهير ملابس المرضين والمرضات وكذلك أحذيتهم وبعناية تامة يوميا وعدم السماح لهم بالأكل فى حجرات المرضى .

٦ — مراقبة الناقهين والبحث عن « حاملى المكروب » وفحصهم طبياً .

٧ — تطهير الخضروات والفواكه وقد يكون أضمن وأسلم طبخها قبل استعمالها . كذلك يستحسن عدم الإفراط فى الأكل أو تعاطى الأطعمة عسرة الهضم أو المواد التى تلهب الأغشية المخاطية للامعاء مثل التوابل والبهارات .

٨ — العناية التامة بمياه الشرب وتحليل عينات منها كل يوم أما السكان بالقرى الذين لم يتوفر عندهم الماء الصالح والذين يشربون من ماء الأنهر والآبار فيجب غلى الماء أو تعقيمه بمادة مطهرة قبل شربه أو استعماله بطريقة ما

٩ — محاربة الحشرات ولا سيما الذباب بجميع الطرق المؤدية لإبادته وحفظ الأطعمة بمعزل عنه . كذلك حرق القمامات وفضلات الأكل أولا بأول وهى الأوكار والمراتع الخصبة للذباب يقتات منها ويبيض على هاماتها .

هذا بحث موجز عن وباء الكولرا ذكرنا فيه باختصار بعض ما يهم الجمهور معرفته عن هذا الداء الوبيل وعن طرق الوقاية منه عسى أن يكون فيه بعض النفع .

ولا يفوتنى أن أذكر اهتمام الرأى العام الدولى بهذا الداء وقد علم القارىء مما سلف أن ظهور وباء فى بقعة من الكرة الأرضية فيه خطر يهدد سلامة العالم بأسره وخصوصاً أوربا وقد أضحت جائمة عارية بعد الحرب لهذا بادرت الدول الغربية لنصرتنا ومدت يدها بالمونة لنا كما تقضى بذلك الإنسانية وكما تتطلب ذلك سلامتها نفسها وسلامة الإنسانية جمعاء .

غير أن بعض المستعمرين بدأوا يستغلون هذا الحادث استغلالا دنيئاً مغرضاً وأداة للدعاية ضدنا كما يبالغون فى نعت عامة الشعب بالجهل والتأخر ونلمح من حين لآخر خلال ما يكتبون شماتة ظاهرة وذلك ما يؤلمنا حقاً ويذكرنا بقول من قال .

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

مع أن المنصفين من الغربيين أثنوا على ما تبذله الأمة حكومة وشعباً من مجهودات جبارة لمكافحة الداء إلى أن قال بعض الأمريكيين بأنه لو أصيبت أمريكا بهذا الوباء لما أمكنها أن تعمل أكثر مما يعمله ولاة الأمور فى هذا الصدد .

ولكن بعض المستعمرين لا يحلولهم إلا أن يرمونا بالجهل والتقهقر . الجهل الذى بدأنا نحاربه والذى كان الاحتلال يشجعه ويذكى ناره . الجهل الذى كان « دنلوب » يحمل لواءه ويحمى حماه بل يحارب من يحاربه هذا ويعلم القارىء مما تقدم بأن هذا الوباء لم تنج منه أمة وقد اكتسح العالم عدة مرات ولم يكن وقفا علينا دون غيرنا ولا أكون مبالغاً إن قلت إننا كنا أقل إصابة من غيرنا من الدول الأوربية خلال الأوبئة الماضية مع كوننا أقرب منهم إلى الهند موطن الداء ومعقله .

إن هذا الوباء مهما اشتدت وطأته لا يمكنه أن يلهى شعب وادى النيل عن عزمه لنيل مطالبه وهى جلاء الدخيل عن أرضه بدون قيد ولا شرط بل بعكس ذلك من شأنه أن يزيدنا كراهية وحنقاً على الدخيل المغتصب سيما وقد تحددت مسئوليته عن نشر هذا الداء ولو بطريقة غير مباشرة أو مقصودة مهما تنصل من ذلك .

إن سكان الوادى سوف يقضون بإذن الله على مكروب الكولرا كما سوف يستأصلون مكروب الاستعمار ويفتكون بجراثيمه وهم يعلمون أنها أدهى وأشد فتكا من الكولرا .

دكتور فضل أبو بكر
(باريس)

الفن القصصى فى القرآن

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

وأخيراً عزمت أن أكتب فى هذا الموضوع ، بعد أن رأيت الذين كتبوا فيه لم يتناولوه من الناحية التي يجب أن تتناول فيه ، وتجعل المخطىء يلمس خطأه فلا يسعه إلا أن يعترف به ، وهذا هو الذى يجب أن يؤخذ به المخطىء فى الإسلام ، لأنه دين الإقناع ، ولأن وسيلته هى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، فإذا جاوز من يريد الدفاع عنه هذه الوسيلة أضر به من حيث يريد نفعه ، ولا سيما فى هذا العصر الذى صار الناس يفتتون فيه هذه الوسائل فى المسائل الدينية ، ويأخذونها على أصحابها أقسى مؤاخذة

وإنى أحب أن أنبه الذين يتخذون هذه الوسائل إلى أنها تؤدى إلى عكس مايقصدون ، وتحمل بعض الناس على أن يشتط فى رأيه ، ليقسوا فى الحملة عليه ، ويذهبوا إلى أنه ملحد يجب أن يعاقب أشد عقاب ، فيصير فى نظره ونظر بعض الناس مثل غاليلو وغيره من فلاسفة أوربا ، فقد اضطهدهم رجال الدين فى أوربا على بعض آرائهم ، فصار هذا الاضطهاد محمدة من محامدهم ، وصار مذمة لمضطهديهم .

فلنقتصر على تخطئة من يذهب به عندنا حب الشهرة إلى مثل ذلك الشطط فى الرأى ، ولنبخل عليه بما يريد من رميه بالإلحاد والزندقة ، حتى لا نمكنه من أن يظهر بين الناس بما يحب ، أو يجعل نفسه ضحية من ضحايا الرأى ، فليس أوجع فى نفسه من أن نأخذه فى رفق حتى نبين للناس خطأه ، وحتى يرى أنه لا سبيل له إلا أن يعترف بالخطأ فيعترف ، فإن لم يعترف على نفسه كفاه حكم الناس عليه ، وللناس عقول تفهم ، والحلال بين والحرام بين .

لقد أراد بعض الناس أن يرد على صاحب رسالة الفن القصصى فى القرآن ، ففتحوا أمامه المجال فى الرد عليهم ، فأردت أن أقوم بما يجب على فى هذا الموضوع ، ليصل الناس فيه إلى رأى حاسم ، وينصرفوا عنه إلى ما هو أجدى عليهم ، ويعرفوا أن صاحب هذه الرسالة لم يكن له أن يطفر إلى الكتابة فى موضوع القرآن ، وهو يجهل تعريف التناقض فى المنطق ، ويبنى على جهله به حكما خطيراً فى قصة إبراهيم عليه السلام ، كما جاء فى التقرير الذى رفعه الأستاذ أحمد أمين إلى عميد كلية الآداب ، وقد نشر بالعدد — ٧٤٤ — من مجلة الرسالة الغراء[1] ، وهو يدل على مستوى صاحب هذه الرسالة فى العلم ، وعلى أنه جرى فى رسالته على هذا المنوال ، فقذف بنفسه فى بحر لا يحسن السباحة فيه ، ولم يخض فيه إلا فحول العلماء ، وأكابر الحكماء ، من الطبرى إلى الزمخشرى إلى الرازى ، إلى أمثالهم فى علمهم وحكمتهم .

فقد ذكر الأستاذ أحمد أمين فى تقريره أن صاحب هذه الرسالة يرى أن القصة فى القرآن لا تلتزم الصدق التاريخى، وإنما تتجه كما يتجه الأديب فى تصوير الحادثة تصويراً فنياً ، بدليل التناقض فى رواية الخبر الواحد ، مثل أن البشرى كانت لإبراهيم أو لامرأته .

فدعوى هذا التناقض تدل على أن صاحب هذه الرسالة لا يعرف تعريف التناقض ، وعلى أنه سار فى رسالته بهذا العلم الذى لا يزال فى طور الطفولة ، فضل الصواب ، وخبط خبط عشواء ، والقرآن أجل من أن يتناول بمثل هذا العلم ، وأخطر من أن يحكم فى مسائله من لا يزال يجهل تعريف التناقض

لقد قال الله تعالى فى البشرى بهذا الغلام (وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) الآية — ٧١ — من سورة هود ، وفى هذه الآية كانت البشرى لسارة امرأة ابراهيم عليه السلام

ثم قال فى هـذه البشرى (قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم) الآية —٥٣— من سورة الحجر ، وقال (فبشرناه بغلام حليم) الآية —١٠١— من سورة الصافات ، فكانت البشرى فى الآيتين لإبراهيم عليه السلام .

فهل تبشير سارة مرة بهذا الغلام وتبشير إبراهيم مرة به من التناقض الذى يصح أن تضرب به قصة إبراهيم مثلا للقصة التى لا يلتزم فيها الصدق التاريخى ؟ اللهم لا ، لأن التناقض اختلاف قضيتين فى الإيجاب والسلب اختلافاً يلزم لذاته من صدق إحدى القضيتين كذب الأخرى ، فلا بد فيه من الاختلاف فى الإيجاب والسلب ، ولابد فيه من الاتحاد فى الموضوع والمحمول وقيودهما ، وليس فى هذه القصة اختلاف فى قضية البشرى من جهة الإيجاب

---

(١) قد اعتمد الأستاذ أحمد أمين فى رأيه فى هذه الرسالة على أن ما فيها يثير الجمهور ، وهذا قد يعد منه تهرباً عن إبداء الرأى الصريح فيها.

٥ — من ذكرياتي في بلاد النوبة :

ســـد أسوان

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

لا يعنيني الحديث عن ســد أسوان ، إلا بقدر اتصاله من قريب ، ببلاد النوبة . وإذا كان هذا السد العظيم ، قد لعب دوراً هاماً في حياة القطر الزراعية ، فزاد القدر المنزرع إلى أضعاف أضعافه ، وإنعاش الحياة التجارية ، والاقتصادية ، وزيادة الثروات المصرية إلى حد التضخم في كثير من النواحي ، حتى أصبح هذا السد بحق مفخرة من مفاخر بلادنا المصرية ، له شهرة عالية طائرة ، وصيت دولي ذائع — إذا كان قد لعب هذا الدور في حياة القطر ، فإنه قد لعب دوراً آخر في حيـاة بلاد النوبة ، إحدى مناطق قطرنا العزيز ، ولـكنه مع الأسـف دور عكسي على طول الخط ، وامتداد الطريق . ! !

وبيان ذلك ، أن منطقة النوبة لم تـكن تعرف قبل سنة ثمان وتسعين وثمانمائة وألف شيئاً عن هذا السد ، وإن كانت بعض الأفكار قد اتجهت إلى الانتفاع بهذا الشلال الطبيعي قرب أسوان ، وبخاصة وأن مياه الفيضان تتدفق في موعدها من صيف كل عام ، حاملة الغرين ، والطمي الذي يـكسب الأرض خصباً ، والزرع نماء ونضرة ، ويفيض بالخير والبركات في أنحاء البلاد المصرية...

ونما هذا الشعور ، وكبر ذلك الإحساس ، فرئي أن ضياع مياه النيل في البحر الأبيض المتوسط عبث لا طائل تحته ، ولا غاية ترجى منه ، وأن في الإمكان الإفادة من هذه المياه طوال أيام الســنة وبخاصة وقد أصبحت البلاد تزرع القطن من أيام محمد علي باشا ، وغيره من المحصولات التي تتطلب رياً دائماً...

وولدت الفـكرة ، فـكرة إقامة خزان قرب أسوان ، على الشلال الأول ، وبدأ العاملون يبحثونها سنة أربع وتسعين وثمانمائة وألف ، وكللت بالنجاح ، وتم بناء السد سنة ثنتين وتسعمائة وألف ، بطول قدره خمسون وتسعمائة وألف متر ، وبه ثمانون ومائة فتحة .

والسلب ، فلا تكون من التناقض الذي يلزم فيه صدق إحدى القضيتين وكذب الأخرى ، وإنما كان أن كلا من إبراهيم وامرأته بشر بهذا الغلام ، وقد تـكررت هــذه القصة في هذه السور ، فذكرت في بعضها بشرى إبراهيم به ، وذكرت في بعضها بشرى امرأته به ، تنويعاً في الأسلوب ، وتصريفاً في القصة ، لمقامات تقتضي ذلك التنويع ، وتستدعي ذلك التصريف

ولاشك أن صاحب هذه الرسالة قد سار فيها على هذا التخبط في الحـكم ، لا يفرق بين القصص التي نص القرآن على وقوعها ، وبين الأمثال التي يجوز فيها الوقوع وعدمه ، وهي أمثال لا أساطير وقد ورد كثير منها في القرآن أيضاً ، ولـكن صاحب هذه الرسالة لم يرزق قوة التمييز بينها ، فخبط فيها خبط عشواء ، وسقط سقوط من يتناول ما هو فوق طاقته .

لقد ذكر الله تعالى قصة مريم في سورة آل عمران ، ثم قال فيما ذكره منها (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يـكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) الآية — ٤٤ — من سورة آل عمران ، وهذا نص قاطع في وقوع هذه القصة ، وذكر قصة نوح في سورة هود ، ثم ختمها بقوله (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) فجعل تلك الأنباء وهي من الغيب من دلائل نبوته ، ولا يصح الاستدلال بها على نبوته إلا إذا كانت صحيحة ، وذكر قصة يوسف في سورة يوسف ، ثم ختمها بقوله (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وهذا نص قاطع في وقوع هذه القصة ، وهكذا غير هذه القصص من قصص الأنبياء ونحوها .

وهناك أمثال يضربها الله تعالى للناس ، كقوله تعالى (ضرب الله مثلا عبداً مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) الآية — ٧٥ — من سورة النحل ، فهذا مثل لا يلزم أن يكون واقعاً ، وكذلك ما أشبهه من أمثال القرآن

وقد أتي صاحب هذه الرسالة فيما فاته من الفرق بين هذين الأسلوبين ، فأساء إلى نفسه ، وأساء إلى علمه ، وأساء إلى جامعته ، وما كان له أن يطفر إلى مثل هذا الموضوع في أول نشأته .

عبد المتعال الصعيدي

وقد لحق الأهلين بعض الأضرار بسبب إقامة السد لأن منطقة النوبة ، ارتفعت فيها المياه فأتلفت الأراضى المنخفضة ، وأغرقت المنازل التى على الشاطىء مباشرة . فعوضتهم الحكومة عن هذا كله ، وبلغت تكاليف إقامة السد ، بما فى ذلك التعويضات التى أعطيت الأهلين مليونين وأربعمائة وأربعين ألف جنيه كما أثبت ذلك أحمد خيرى بك فى مقال له بمجلة الصناعة ...

وبعد مضى زمن قصير ، تآكلت بعض الأجزاء خلف الخزان ، بفعل المياه ، فأنشىء له فرش خلفى سنة خمس وتسعمائة وألف ثم سنة ست وتسعمائة وألف كذلك ، وبلغت تكاليف ذلك مائتين وثلاثة وثمانين ألف جنيه . . ! !

وبهذا أصبح السد قوى الدعائم ، وطيد الأركان ، وظل يؤدى رسالته فى البلاد نماء ، وخصباً ، ويبعث فيها الحياة والنضرة والنعيم ، ويفيض عليها الخير والبركة ، إذ استفادت البلاد من كمية البلاد المخزونة عظيم الفائدة ، وانتفعت بها جليل النفع

وبعد بضعة أعوام من إنشاء السد ، رئى تعليته خمسة أمتار ، لأن تصرف النيل الطبيعى مدة الصيف ، مضافاً إليه كمية المياه المخزونة ، لا تكفى حاجة القطر الزراعية ، وبحث الموضوع من جميع نواحيه ، إذ خيف أن تضر هذه التعلية ببناء الخزان نفسه ، وفى ذلك ضرر ماحق وخطر عظيم ... وانتهى البحث إلى إمكان ذلك . دون حدوث أى ضرر أو خطر ، وتمت التعلية فعلا ، وسميت بالتعلية الأولى ...

ولا جرم أن هذه التعلية أضرت إلى حد كبير ببلاد النوبة . إذ ارتفع منسوب مياه الخزان فأغرق كثيراً من المنازل ، وجرف الأراضى المنخفضة نسبياً وأتلف ما بها من زروع ، فقامت الحكومة للمرة الثانية بتعويض الأهلين عن هذا كله ... وبلغت تكاليف التعلية ، بما فى ذلك التعويضات ، مليون وخمسمائة ألف جنيه ...

وكثر عدد السكان ، وبلغ أضعافا مضاعفة بالنسبة لما كان عليه قبل إنشاء السد ، فالرخاء يمن وبركة ، ودعامة من دعائم العمران ، وزيادة النسل ... وقفزت الأرقام من سبعة ملايين ، وتسعة ملايين ... إلى خمسة عشر مليونا بعد إقامة السد بحوالى سبع وعشرين سنة ! !

ولهذا اشتدت حاجة البلاد إلى هذه الكميات المائية التى تذهب سدى ، وتضيع هباء ، فنبتت فكرة التعلية الثانية ... بيد أن هذه الفكرة لم تلق تحبيذاً على طول الخط . بل عورضت معارضة شديدة . ونقدت نقداً لاذعا ، مما دعا الحكومة للاهتمام بأقوال الناقدين ، والمحبذين على السواء . والتروى فى الأمر . والاستمداد له فليس الموضوع من السهولة بحيث يمر مر الكرام ... فأنشأت مكتباً خاصا بذلك سنة سبع وعشرين وتسعمائة وألف كان أهم ما قام به ، إعداد المشروع ، وبحثه من جميع نواحيه ، والنظر فى موضوع التعويضات التى ستعطى للنوبيين بعين الرعاية والعطف لما سيلحقهم من اضرار فى منازلهم ونخيلهم وأراضيهم الزراعية وجميع مرافقها ، بسبب هذه التعلية .

وأخيراً عرض المشروع على لجنة دولية مكونة من ثلاثة مهندسين عالميين : أمريكى ، وانجليزى ، وسويسرى ، وقد وافقت هذه اللجنة على المشروع ، وأقرت تعلية السد تسعة أمتار ، دون إحداث ضرر ولا خلل به ! .

ووقع هذا الخبر بين أبناء البلاد موقعاً حسناً جميلا ، وأنعش كثيراً من الآمال البراقة ، والأمانى الحلوة اللامعة ، فمن قريب ستحيا كثير من الأراضى البور ، بسبب هذه المياه التى سيحجزها السد ويمنع تسربها وضياعها ، وعن قريب تبيع الحكومة كثيراً من الأراضى التى تحتاج إلى إصلاح ، بعد أن تقيم لها المشروعات اللازمة ، من رى وصرف وغير ذلك .

بيد أن هذا الخبر نفسه ، وقع من النوبيين موقعاً قاسيا ... وقوع الصاعقة ، التى تهدم قصور الأمانى ، وتقوض صروح الآمال فى قسوة وعنف وجبروت ... فهم يعلمون معنى التعلية ، ويفهمونه على وجهه الصحيح . ويدركون تمام الإدراك هذه الأمتار التسعة ، التى سترفع منسوب المياه أمام الخزان ، وتجعل من بلادهم مكانا للخزن ، يخرب ديارهم ، ويجلوهم عن مساكنهم ويلقى بهم فى مهب الريح ، تعصف بهم عواصف الأقدار ، وتشتت شملهم دوافع الفرقة . وأهوال الفقر والحاجة والاضطراب ... !

وشرعت الحكومة فى تنفيذ التعلية ، وابتدأ العمل فى نوفبر سنة تسع وعشرين وتسعمائة وألف ، على قدم وساق ، وعناية بالغة ، حتى انتهى بصفة عامة فى ديسمبر سنة ثلاث وثلاثين

وتسعمائة وألف ، بالنفة تكاليف المبانى ، مليونين وستمائة وسبع وعشرين ألف جنيه ... !!

بيد أن هذه التعلية أضرت بمناطق النوبة بالغ الضرر ، بقدر ما أفادت باقى البلاد المصرية ، عظيم الفائدة . ونفعها جليل النفع إذ اجتاحت مياه الخزن منازل الأهلين كلها ، وجرفت بيوتهم ، وأتلفت مزارعهم ، فعوضتهم الحكومة عن هذا كله ، حسب تقدير قامت به ، وقد بلغت التعويضات بسبب التعلية الثانية الأخيرة مليون وستمائة وخمسين ألف جنيه .

ورأت الحكومة أنها مضطرة لإقامة مشاريع اقتضاها ارتفاع المياه فى أيام الخزن ، وإنشاء مرافق جديدة لهذه البلاد ، ودرست كل مصلحة من المصالح واجبها فى هذا الصدد ، وقامت به على وجه ، وإن لم يكن من التمام والكمال ، فقد أرضى إلى حد بعيد أكثر المخلصين فى هذه البلاد ، الذين يعلمون حقيقة موقف الحكومة ، وما تكبدته من نفقات طائلة فى سبيل إنشاء السد ، إذ بلغت التكاليف لإنشاء محطات الرى ومبان للحكومة مائتين وثلاثة وسبعين ألف جنيه ، فإذا ضممت هذا المبلغ إلى المبالغ السابقة من يوم أن أنشىء السد كان المجموع ثمانية ملايين وسبعمائة وثلاثة وسبعين جنيها ، وهو مبلغ ضخم دون ريب ... !!

وأهم المشروعات التى قامت بها مصلحة الرى ، إقامة جسور واقية فى مناطق أبى سمبل لوقايه تسعمائة وخمسة أفدنة تقريبا ، وأدندان لوقاية مائتى فدان تقريبا ، وفى فرسى ، بالسودان لوقاية منطقة حوضية ، مع عمل برابخ رى وصرف ... وإقامة مضخة لرى سبعمائة فدان بمنطقة العلاقى لزرعها زراعة شتوية ... ومضخة لكل من توماس ، وعنيبة بحرى وعنيبة قبلى ، وتوشكى شرق وتوشكى غرب ، ومضخة احتياطية لهذه المناطق ، وذلك لزراعة خمسمائة فدان بكل منطقة لزراعتها زراعة نيلية فقط ، وهذه المضخات مقامة على عوامات ترسو على شاطىء النيل أمام كل منطقة ... وإقامة مضختين بالدكة على عوامة لرى خمسمائة فدان ريا مستديما . وإقامة مضخات على ثلاث عوامات ببلانة لرى ألف وخمسمائة فدان ريا مستديما ، وإقامة مضختين ثابتتين ببلانة كذلك لرى سبعمائة فدان ريا مستديما ...

وقامت مصلحة المبانى بإنشاء مكاتب ومساكن بعنيبة بدلا من مبانى الحكومة التى كانت بالدر مقرا للمركز ومصالح الحكومة المختلفة ، كالمدرسة الإبتدائية ودور للمحكمة الشرعية والتلغراف والتليفون أو البريد ... الخ وأنشأت عدة مدارس أولية وكتاتيب ، ومساجد ، ونقط بوليس ... ونقلت خطوط التلغراف إلى مكانها الحالى ... وأقامت دار الحجر الصحى للمواشى بالشلال (كورنتينا) بدلا من الذى غمرته مياه التخزين

وقامت مصلحة الآثار بتدعيم وتقوية بعض الآثار التى تتأثر من مياه التخزين ...

وهكذا تمت لهذه البلاد مرافقها الأساسية ، التى بعثت الحركة والنشاط فى جميع أنحائها ، وجعلت النوبيين يهدؤون نفسا ، ويرتاحون بالا ، ويعتقدون أن الحكومة مهتمة بأمرهم ، معنية بشأنهم ، عاملة على تحسين حالهم ...

هذه هى الأدوار التى مر بها سد أسوان ، والأثر الذى أحدثه فى هذه البلاد ، إذ قلب نظام الحياة فيها رأسا على عقب . وبدلها بحياتها الأولى ، حياة الهدوء والسكون ، والاطمئنان والاستقرار ، حياة أخرى كلها الكد والجد والسعى والعناء ... وهذه الأدوار تعطيك فكرة واضحة عن قيمة هذا السد العظيم ، الذى أحال تراب القطر المصرى إلى تبر وذهب براق ، ورفع مستوى المعيشة فى البلاد ، وأنعش حياة المصريين أيما إنعاش ، وسيكون فى المستقبل القريب منبع رفاهيتها ورقيها ، عندما يتم مشروع توليد الكهربا ، وفق الله القائمين بالأمر إلى مافيه الخير والصلاح

عبد الحفيظ أبو السعود



فى زوايا الطريق !

دقت إحدى الساعات الكبرى على مقربة منى دقات ثمان والليل بارد الأنفاس وأنا أنقل الخطى فى زحمة الناس على طوار الشارع. وئيدة ثقيلة لا من كلال ولا من ضنى ولكن مما كان يثقل قلبى من صور وقع بى عليها هذا المنظار اللعين ...

وأريد أيها القارىء أن تقاسمنى بعض ما أثقل قلبى فما يزيده لعمرك ثقلا أن أحمله وحدى ، وكثيراً ما سقت إليك ما أضحكك فإن أنا صببت عليك اليوم بعض همى فلا تكن من الناضبين ...

هؤلاء غلمان وبنات من أبناء الشارع وبناته قد أقعوا على باب أحد المطاعم يطعمون بأعينهم مع الطاعمين بأسنانهم وقد حرمهم التقمم رفع القمامة من الشوارع حذر الكوليرا ، وهو منظر قد زال عنه معناه لكثرة ما ألفناه ، ولكن هاهم أولاء جماعة ممن يأكلون بأسنانهم جماعة ليسوا من أهل هذا البلد الذى آواهم فأشبعهم يأبون إلا أن يبرزوا المعنى الذى غاب فهم يلقون ببعض اللقم والقشور ويلهون ضاحكين بمرأى هؤلاء الغلمان كيف يقعون عليها كما تقع الكلاب والقطط وكيف يتزاحمون ويختصمون

ومضيت ثقيل الخطى ثقيل القلب فلم أذهب غير بعيد حتى انعطفت عند زاوية فإذا رجل خشبية تمتد إلى جوار رجل من عظام ولحم وإذا صاحب الرجلين قد أسند ظهره إلى الحائط واستراح من بعض همه بغفوة وأمامه علب الكبريت لعله لم يبع منها بما يتبلغ به فنام ، وابنه الهزيل النحيل يدفعه بيده دفعاً رقيقاً ليوقظه لأنه جائع ؛ وألقيت إلى الصبى قرشاً فما وثق منه فى كفة حتى اندفع يوقظ أباه فى شدة وسرعة ليزف إليه البشرى ...

ومشيت ثقيل القلب وئيد الخطى فما هى إلا خطوات حتى وقفت حيال منظر كم تمنيت لو رآه كل رجال الفن فهاهوذا ضرير قد اضطجع حتى أوشك أن يتمدد على سلم دكان مغلق وأسند ظهره إلى دركة ورفع وجهه صوب السماء فانعكس عليه نور مصباح قريب ، ومد يده يستجدى فى صمت لاينطق ولا يحرك أية حركة فكان منه فى هذا الوضع تمثال بالغ الروعة لو وقع عليه فنان لما ساوى ذلك عنده وقوعه على كنز فما يصور البؤس شيء أحسن مما تصوره هاتان العينان الغائرتان وهذا الوجه الضارع وهذه اليد المعروقة المرتجفة ، ونور المصباح القوى فى وجهه يجمل من ذلك كله صورة ترى ولا ينهض لوصفها كلام ؛ وجاء غلام فانقض على التمثال كالفرخ الجائع وأخرج فى مثل خطرة الطرف مافى جيبه من مليمات وقروش وولى لا يلوى على شيء وانتفض التمثال انتفاضة حسبت أن قد تحرك لها رخام السلم ، وأقبل بعض من شهدوا هذا السطو فألقوا إليه من قروشهم ما أذهب روعه..

ومشيت موجع القلب ثقيل الخطى فلم أكد أنعطف عند زاوية أخرى حتى إذا بى تلقاء رجل يزحف على إسته ويديه وقد ثنى إحدى رجليه أما الرجل الأخرى فلم يبق منها إلا جزء من الفخذ قد كشف عنه لأنه موضع « الأعلان » وبرهان العجز عن العمل ، ومر الناس به لا يتألم أحد فيما أرى لأنهم ألفوا أن يردوا مثل هذا كما ألفت أنا ولكنى تألمت وتألمت وأرجو منك أيها القارىء أن تصدقنى أننى تألمت كما أتشفع عندك بكل عزيز لديك أن تتألم مثلى ...

فإن لم يكن آلمك هذا فدونك شيء آخر وقفت عليه عند زاوية أخرى ، دونك شيء ولا أقول رجلا ، فليس ثمة إلا الجذع فقط لا يدان ولا رجلان ، ومع ذلك فهذا الشيء يزحف ويقطع الطوار كله زاحفاً ... يا إله العالمين إنى أستغيثك ! إن لم تكن الملاجئ لمثل هذا فلمن تكون ؟ وفى أى شرع يكون على هذا أن يعمل — أستغفر الله — بل أن يزحف ليكسب قوته وحوله السيارات الفخمة تنهب الأرض باللاعبين بالذهب !

ومشيت باكى القلب بطيء الخطى حتى كنت أمام «جروبى» فإذا بنتان من بنات الشارع تتشاجران فى عنف على أعين الناس ، وقد ألقتا ما معهما من ورق اليانصيب ، وأنشبت كل منهما أظفارها فى عنق الأخرى ، وذلك لأن إحداهما قطعت الطريق على صاحبتها فباعت دونها ورقة !

ونظرت فإذا معركة أخرى أشد عنفاً تدور غير بعيد بين فتاتين ناهدتين من خدم المنازل ، وقد شدت كل منهما شعر الأخرى وأهوت عليها بحذائها ، وذلك لأن إحداهما ، كما علمت ،

غلبت الأخرى على عيشها فأخرجتها من عملها واستمتعت بالأجرة دونها ؛ وتقاطر السابلة يشهدون هذه المعركة الكبرى ، وقال أجنبي من المارة لصاحبه وهو يضحك : أنظر... فهذا نذير الحرب العالمية الثالثة ...

والتفت على حرب أهلية ثالثة بين حوذى أوقف جواديه المهزيلين ، ووثب من عربته التى شهدت فيما أحسب القاهرة فى عهد إسماعيل ، وراح يصخب فى لهجة الحوذية ونغمتهم ، ويطلب إلى الراكب بقية حقه ، وإلا فمن أين يأكل ، ومن أين تأكل الخيل ، وهو يستغيث الله والمسلمين ، ويخوف هذا الذى لا يريد أن يدفع عاقبة الظالمين ، وقد دارت حولهما حلقة من المتفرجين ، والحوذى يتدفق بلاغة ، إذ يصف الغلاء وما صنع بالناس ، وكأن فى فمه « ميكروفون » . .

ومشيت ضائق الصدر ، حيران الخطى ، ملء نفسى الألم مما أشهد من مخازى مجتمعنا المظيم ، فإذا أنا تلقاء عتل يستوقفنى قل أن رأيت مثله ضخامة وطولا ، له عنق هو وحده أضخم من ذلك الجذع الذى كان يزحف على الأرض ، أما بدنه فيضل البصر فى ضواحيه ، ومد إلىّ ذلك المارد يداً تتسع قبضتها لتتلقى حملا أو غلاماً ، وقال فى غير تلعثم أو تردد : « يا بيه ... أنا جوعان ... عاوز حق لقمة » ! وحرت والله بين أن أضحك فأسرى عن نفسى بعض ما بها ، أو أن أصرخ فى وجهه علّى أنفس عنى بعض همى وغلبتنى الثانية فقلت : اغرب عنى، فلن يشبعك كل ما فى جيبى ، إنك تبنى عمارة وحدك ، فهل يصح أن تطلب لقمة !

وبعد ، فيا حكومة ... يا وزارة الشؤون الاجتماعية ... يا جماعات البر والإحسان ... يا دعاة الإصلاح ... يا من تغارون على كرامة وطنكم وسمعة عاصمتكم ... النوث ... النوث ... إن جميع ما رأيته فى زوايا الطريق فى ليلة واحدة ، وعلى أبعاد متقاربة فى أهم بقاع القاهرة المظيمة الجميلة مما بينته وكثيراً مثله مما لم أبين يصرخ صراخاً عالياً لمن كان له سمع أن هذا عيب ... اجعلوها من باب الترف ، فأزيلوا عن الطرقات هذا الأذى ، فما أطمع أن تجعلوها من الإنسانية !

الخفيف

فى محنة الوباء :

يا للأغنياء للفقراء !!

للأستاذ فريد عين شوكة

جهدى ! وما عندى سوى الأقوال   أدعو لمكرمة ، وحسن فعال
جهد المقل ! وأين لى بخزائن   كالأغنياء تفيض بالأموال ؟
لو كان عندى المال ، لم أبخل به   فى النائبات ، على رقيق الحال !
الكادحين الرازحين من الطوى   الغارقين بشقوة وضلال !

***

غفراً سراة النيل ! لست بحاسد   لكم على فيض الغنى السلسال
كلا ، ولا أنا سائل عن ورده   أجرى حراماً أم سرى بحلال
لكن أعاتبكم لشح نفوسكم   يوم السباق إلى ندى ونوال !
هذا الوباء طغى بمصر ، فزادها   هولا ، على ما ران من أهوال !
كل الطوائف راعها ! لكنما   ذاق الفقير لديه سوء وبال !
قست الحياة عليه ! فهو محطم   نهب لعادية الضنى الغوال !
ما بالكم لا تنهضون لغوثه   بالمال يرخص فى أجل نضال ؟
أين الوفاء لمصر إن لم تبذلوا   فى غير تقتير ، ولا إقلال ؟ !
أتبيت فى فزع ، وتصبح فى أسى   وتظل نهب عواصف البلبال !
والأغنياء الناعمون بخيرها   يحيون فى رغد ، وراحة بال !
بل أين حق الكادحين لكم من الز   رَّاع والصناع والعمال ؟ !
مدوا لهم كف الحنان ، فطالما   جادوا لكم بجلائل الأعمال
واسموا إلى مرضاتهم ، لا تنفثوا   فى البائس المحروم شر خصال
واستعبدوا الأموال ، لا تغدوا بها   أسرى ، تعيش العمر فى الأغلال
ما كانت الأموال غير وسيلة   للحمد والمجد الرفيع الغالى
والمال مهما غر سحر بريقه   يفنى. كما يفنى خداع الآل !
برق يشع ، وفتنة خلابة   إن أطمعت فإلى وشيك زوال
فابنوا لكم أسمى المكارم واشتروا   أبقى المحامد فى فم الأجيال

(منوف)   **فريد عين شوكة**

من الشعر السياسى :

إشراقة الفجر

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

فجر أضاء على إظلامة الزمن   تكفى الليالى التى طالت على الوسن
هذا الأذان بشير الصبح فى بلد   يرن تسبيحه لله فى الأذن
يا ثائرين على الأرسان موثقة   إن الكريم عدو القيد والرسن
ما كان نومكمو يوماً على وهن   أو كان مرقدكم يوماً على غبن
ولم تكن مصر فى أغلال آسرها   مأسورة الروح بل مأسورة البدن
يا موكب النصر أغلينا فرائده   والمجد لا يشترى يوماً بلا ثمن
ما أرخص الروح فى الأوطان هينة
لكنها لسوى الأوطان لم تهن
ماذا شهدت من (الستين) زائدة   إلا الثبات على الأحداث والمحن
تلين كل قناة عند غمزتها   لكن قناتك عند الغمز لم تلن
شدت على البأس. ما مالت لمختبر   عند اللقاء، ولا اهتزت لممتحن
كأن صمدتها الأهرام صاعدة   أعيا على الزمن الباقى من الزمن
يا نائمين على أمجاد أمسكمو   ما قيمة المجد فى اللفات والكفن؟
أما كفى العمر نقضيه مفاخرة   على الهياكل أو شدوا على الدمن؟
هبوا أبوتكم قد أعرقت نسباً
فمن أبو الشمس فى إشراقها الحسن ؟
ما قيمة الأمس فى ماضى تفطنه   إن لم يكن سبباً فى حاضر فطن؟
قالوا (الجلاء) فقلت العبء أثقله   عند التفرد بالأعباء والإحن
إن (الجلاء) عن الأرواح قد صدئت
ليس (الجلاء) عن الكورات والمدن
وللخلاص التزامات. أتحسبها   نوعاً من اللهو أو ضرباً من الددن
والحق لم يحمه جيش بلا عدد   عند اللقاء، وأسطول بلا سفن!!
والمجد لا يبتنى إلا وحائطه   دعامتان من الأخلاق والفطن
أمامكم تبعات المجد فاصطبروا
فى المركب الوعر أو فى المطعم الخشن
هى العزائم لا تنبو على ريب   من الزمان ولا تخبو على الظنن
فما استحال على الإيمان مطلب.
إن قلت يا مستحيل الأمر كن يكن
نعمى الجلاء على الأعمال باقية   ولا تدوم على الأقوال واللسن
شر البلية أوطان بلا سند   من الرجولة. لا قوم بلا وطن.

محمد عبد الغنى حسن

أغنية ...

«... وذاب الوجود فى الأذن لحناً»

للأستاذ أنور العطار

إن تراءيت لى خيالاً وظناً   رقص القلب فرحة وتثنى
واحتوانى حلم رقيق حبيب   هو منى الهوى الذى أتمنى
والنشيد العذب الذى أتغنى

وإذا رفرفت عليك شجونى   وهفا خاطرى وهاج حنينى
فاسألى الليل أن يرق لحالى   فهو مثلى هيمان جم الفتون
شاعر خير الرؤى والفنون

يفتلى فى دمى شبابك جمراً   ويعيد الحياة زهراً وعطراً
ومضات من سحر عينيك لاحت
فسرت فى الفؤاد خمراً وشعراً
ومنى تغمر الجوانح غمراً

يا سنا خاطرى ويا روض عمرى   يا صفائى ويا خيالى وشعرى
طفت بالقلب فرحة وضياء   كالشعاعات فى تباشير فجر
والبشاشات فى بواكير زهر

إن ترأفت بالمحب المعنى   ورحمت الشباب يذبل غصناً
هدهدتنى الحياة مثل الأناشيـ   ـد، وذاب الوجود فى الأذن لحناً
وشفتنى المنى وقلبى غنى

نهر للحنان غنى بقلبى   بنشيد حلو على الدهر عذب
بعث الماضى الحبيب لحوناً   فاتنات تعيد سالف حبى
وتثير الجوى وتغرى وتصبى

دمشق   أنور العطار

تعقيبات

مكتبة الجاحظ :

أتم صديقنا الباحث المحقق الأستاذ عبد السلام هارون تحقيق كتاب الحيوان لأبى عثمان الجاحظ وأخرجه للناس مصححاً مقوماً مكملا ، فلو رآه الجاحظ لقرّت به عينه وطابت نفسه وشكر للأستاذ الفاضل هذا الصنيع الذى أحيا به أثراً خالداً ، وأسدى به إلى العربية يداً ..

ونشر الكتب وتحقيقها ليس بالأمر الهين ، ولكنه عمل يشترك فيه الذوق والفهم ، والعلم وسعة الاطلاع ، ويقتضى بذل الجهد وطول البحث والصبر على مراجَعة النصوص ، وهذا كله قد اجتمع للأستاذ عبد السلام هارون ، وتجلى فيما أخرج من كتب قيمة وحقق من أسفار نافعة ، وقد أعطى لكتب الجاحظ قدراً كبيراً من عنايته ، فهو الآن يعد العدة لإخراج الحلقة الثانية من مكتبة أديب العربية الكبير ، وهى كتاب البيان والتبين ، وقد راجع الأصول المخطوطة لهذا الكتاب ، وكل مواضع النقص فيه ، واستوفى مواقمه الناقصة شرحاً وتعليقاً ، وما بقى إلا أن يقدمه إلى أبناء العربية فى أجمل حلة من التنسيق والطبع ..

على أن الذى يدعو إلى الغبطة أكثر أنه الآن يهتم بجمع الأصول لرسائل الجاحظ المفقودة ، وقد هيأ فعلا رسالة « حيل اللصوص » لأبى عثمان ، وكان الظن بهذه الرسالة أنها ضاعت فى أجواء العصور الخالية ، وإنه لجهد نافع ، وعمل مشكور .

إن هذا الذى ينهض به الأستاذ هارون لعمل تنوء به الجماعة، ولو نهضت به جامعة أو جماعة لحسبته من مفاخرها الخالدة ، ولكنه عمل ينهض به فرد مخلص للعلم . وهو صامت صابر ، قانع بأنه يؤدى واجبه العلمى ، ثم هو لا يظفر من جامعاتنا وهيئاتنا العلمية بكلمة تقدير أو شكر ..

علم وجهل :

والعلم والجهل ضدان لا يجتمعان ، ولكن محطة الإذاعة المصرية قد استطاعت أن تجمع بينهما فى براعة تحسد عليها ، وتدل على عبقريتها ..

تقدم هذه المحطة إلى المستمعين برامج ثقافية تعرض فيها حياة بعض الشعراء والعلماء ورجال التاريخ ، فى أسلوب طريف خفيف يحمل الناس على الاستماع إليه والانتفاع به ، والمحطة تقصد بهذا تثقيف المستمعين وتزويد الذين لم يطلعوا على التراث العربى بذلك الزاد الخفيف ، وهو لا شك قصد حسن تشكر عليه ، ولكن الخطر كل الخطر هو ما تتضمنه تلك البرامج من الأخطاء الشنيعة فى التاريخ والأدب ، وتحريف الوقائع والروايات ، فإن ذلك يعكس القصد الذى تهدف إليه محطة الإذاعة بتقديم هذه البرامج ، فتكون طريقاً إلى الجهل باسم العلم

استمعت منذ ليال إلى برنامج قدمته المحطة عن الشاعر العالم أبى اسماعيل حسين بن على الطغرائى الاصبهانى ، فلو أردت أن أنبه على ما وقع فى ذلك من أخطاء تاريخية وتحريف للوقائع لاحتاج ذلك إلى صفحات من الرسالة .

فلعل المسئولين فى محطة الإذاعة يعنون باستدراك هذا الأمر ، وإذا كان ذلك مما يشق عليهم فمن السهل أن يؤلفوا لجنة علمية أدبية لمراجعة هذه البرامج حتى تخرج سليمة من كل تحريف خالية من تلك الأخطاء التى لا تحتمل ..

دعوة منهزمة ! ! :

إنه لشىء طريف ، وما أكثر الأشياء الطريفة فى هذه الأيام ! !

قالوا إن بعض المتخرجين فى الجامعة وأساتذتها الشبان قد ألفوا من بينهم جمعية أسموها جمعية أنصار اللغة العامية ! وغايتها الدعوة لهذه اللغة باعتبارها لغة الأدب القومى فى مصر الحديثة .. ويبرر أعضاء هذه الجمعية دعوتهم بأن الشرق العربى يمر بالمرحلة التى مرت بها أوروبا فى عصر النهضة حينما تطورت اللهجات الشعبية إلى اللغات الأوروبية الحديثة متفرعة كلها عن أصل واحد وهو اللغة اللاتينية ! !

فاقرأ يا أخى وتحسر على هذا الثمر الذى أثمرته لنا الجامعة ، وعلى هذا التفكير الذى يتحدر من وراء المقول . عقول الشباب المثقف الذى يقال إنه عماد التقدم والنهوض . .

أنا رجل لا أحب أن أخلط مسائل العلم ونظريات الأدب بغيرها من الاتجاهات الأخرى ، الاتجاهات التى تتصل بالأغراض والمآرب ، ولكنى أحب أن أسأل سؤالا خفيفاً : لماذا ترتفع الأصوات بالدعوة إلى العامية فى هذه الأيام التى ندعوا فيها للجامعة العربية وتوثيق الروابط بين أبناء العروبة وحجتنا فى ذلك أن لغتنا واحدة وتقاليدنا واحدة وقوميتنا واحدة ...

إننى أسأل هذا السؤال ، وإنى لأضع يدى على شىء فى هذا المجال ، ولكنى لا أحب أن أصرح به ، ورجائى ألا يضطرنى القائمون بهذه الدعوة المريبة المتهمة إلى التصريح والإفصاح ...

على أنى أدع هذه الناحية جانباً ، وأسأل أولئك « الجامعيين » : ما تلك العامية التى يريدونها لغة قومية لمصر ؟ وفى مصر عشرات من اللهجات العامية التى لا تلتقى فى كثير من الأحيان ، حتى إنه ليصعب على أبناء الوجه البحرى التفاهم مع أبناء مصر العليا ، ثم ماذا يصنعون فى رسم الكلمات ونطق الحروف ونحن نجد مثلا حرف « القاف » ينطقه أبناء الصعيد جيما ، وأبناء بعض المديريات الشمالية « قافا » ، وفى بعض المديريات الأخرى « كافاً » وفى القاهرة والمدن ينطقونه « همزة » ؟ !

ومن يدرى ؟ لعل وراء هذه الدعوة دعوة أخرى ، ولعل « الجامعيون » يطلمون علينا بعد ذلك بالدعوة إلى استقلال كل مديرية من مديريات مصر بعاميتها وبقوميتها . . ألم أقل لك إنه شىء طريف ! !

الجامعات فى سائر بلاد العالم تخرج شباباً مثقفاً مهذباً يعمل لتثقيف العقول وتنوير الأذهان والسمو بها إلى أعلى ، وجامعتنا تخرج شباناً ينحدرون من أعلى إلى أسفل ، ويودون بجدع الأنف أن لو استطاعوا السير فى الطريق على رءوسهم وأقدامهم إلى السماء ليوجهوا إليهم الأنظار ...

حافظ . . ومكبث :

قال صديقنا الأستاذ دريني خشبة فى مقال كتبه عن شوقى والمسرح فى مجلة « الكتاب » :

« ... وكانت لحافظ إبراهيم بدوات يحن فيها إلى المسرح وتشف عما كان يتمناه من استطاعة النظم له . وإلا فما الذى أغراه مثلا بترجمة تلك القطعة الرائعة من نظم شكسبير ، والتى يخاطب فيها مكبث خنجره قبل أن يغتال ابن عمه دنكان ، والتى يقول فى مطلعها :

كأنى أرى فى الليل نصلا مجرداً يطير بكلتا صفحتيه شرار
تقلبه للعين كف خفية ففيه خفوت تارة وقرار

وهى ترجمة جيدة تدل على حسن فهم حافظ لروح شكسبير . »

والحق أن حافظاً لم ينظم هذه القطوعة المتداولة فى وصف خنجر مكبث فحسب ، بل إنه ترجم الرواية جميعها ، ترجمها نثراً وشعراً ، وبذل فى ذلك مجهوداً كبيراً ، وكان يعدها للتمثيل ، ولكنها فقدت منه ، وقد ظل حافظ رحمه الله يتحسر عليها إلى آخر حياته . .

ومما يذكر أن المرحوم سليم سركيس نشر صفحات من هذه الترجمة فى مجلته التى كان يصدرها باسم «سركيس» ، وقد كتب فى العدد الذى صدر بتاريخ ١٥ فبراير سنة ١٩٠٦ يقول : « عرب حافظ إبراهيم الشاعر الكبير رواية ما كبث مكلفاً بذلك من الشيخ سلامة حجازى ليمثلها جوقه ، فاخترت أن أكون السابق إلى نشر شذرات من التعريب دلالة على إجادة المعرب وبياناً للغة هذه الرواية التى ستكون أفضل الروايات المصرية لغة » ... ثم أورد بعد ذلك نحو صفحتين من ذلك التعريب .

وقد عنيت من قديم بجمع كل ما نشر من الشذرات من تلك الترجمة التى تعد أروع آثار حافظ الأدبية ، ولعلى أستطيع فى فرصة قريبة أن أقدمها إلى قراء الرسالة ...

ومما يذكر بهذه المناسبة أن الشاعر الكبير خليل مطران بك قد ترجم رواية مكبث وستمثلها الفرقة المصرية فى هذا الموسم ولا شك أن شاعر القطرين قد عوض الأدب العربى بهذه الترجمة ما خسره بضياع ترجمة حافظ . .

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

الأديب بين العزوبة والزواج :

كتب الأستاذ سلامة موسى مقالا فى جريدة النداء ، عنوانه « الأديب الأعزب والأديب المتزوج — أيهما أخدم للأدب وأخلص للمجتمع ؟ » بدأه بقوله « بين الأدباء كثيرون تزوجوا و كثير منهم التزموا العزوبة . ولم يقم أحد بإحصاء إلى الآن يبين فيه الفرق بين الأديب الأعزب وبين الأديب المتزوج من حيث إخلاصهما للمجتمع وخدمتهما للأدب . مع أن هذا البحث جدير بأن يهدينا فى باب الزواج وباب الأدب معا » وختم المقال بالنتيجة التى رمى إليها فقال : « ولكننا نريد أن نثبت هنا بوجه عام أن العزوبة تخدم الأدب أكثر مما يخدمه الزواج » وقد خلص إلى هذه ، النتيجة من حيث ما ارتآه من أن الحرية التى يحتاج الأديب إليها قبل كل شىء لا تتوافر للمتزوج لأنه يعيش بعقلية عائلية تقيده فلا يستطيع أن يعالج مشكلات المجتمع معالجة قد تصطدم بشعائره الاجتماعية أو عقائده المذهبية ، وأن الزوجة عامل محافظ تكره أن تشذ عن القالب الاجتماعى وهى تفكر فى زواج بناتها ولذلك تصوغهن فى القالب الذى يطلبه الناس ، فهى تمنع زوجها أن يشذ أو يتطرف ، إلى أن قال : « وفى مثل العصر الذى نعيش فيه ، حيث تتغير الأوزان والقيم الاجتماعية ، يحتاج الأديب إلى الحرية حتى يفكر مخلصاً ويكتب مخلصاً ، فإن كان أعزب استطاع ذلك . أما إذا كان متزوجاً فإنه يلتزم الصمت حيث يجب النطق ويرضى بالقيود حين يحتاج الحرية ويمتدح التقاليد التى يدرك مدى خطرها » .

ويبدو بعض الذى ذكره الأستاذ سلامة صحيحا كمحافظة الزوجة واندماجها فى المجتمع وما عساها أن تجذب زوجها الأديب إليه من التقيد ومسايرة الأوضاع السيئة ، ولكنى لا أرى ذلك موصلا إلى ما أراد أن يثبته من أن العزوبة تخدم الأدب أكثر مما يخدمه الزواج ، ولا إلى ما قال به من أن الأديب المتزوج يستحيل عليه أن يكون مبتدعا فذا كما يكون العزب . لأن المسألة هى شخصية الأديب وأصالة طبعه وإيمانه بفنه واندفاعه إلى أهدافه ، فإذا كانت هذه صفاته فلن تستطيع الزوجة ولا « الرغبة فى زواج بناته ! » أن تقيد حريته فتحول دون إبداء ما يراه ، والأستاذ سلامه نفسه مثل لذلك فهو متزوج وصاحب عيال وهو مع هذا يشذ ويتطرف . .

وهذا كله مع وقوفنا معه ونظرنا إلى الموضوع من الزاوية التى نظر إليه منها وهى التطرف فى مهاجمة المجتمع ونظمه . ولم يقل أحد بأن الأديب لا يكون فذا مبتدعا إلا إذا شذ عن المجتمع واصطدم به .

إن حياة الأديب المتزوج تزخر بألوان من العواطف والتجارب لا يعرفها العزب ، وخاصة إذا كان ذا أولاد ، ولا أعتقد أن فى الدنيا عاطفة أقوى من عاطفة الأبوة (والأمومة) فهو يصورها ويقبس منها طاقات روحيــــة ينبعث بها فى كل ما يكتب ، فيبدع .

والمتزوج رجل عينه ملأى . . فهو أقدر على فهم الجمال ، ومقاييسه فيه أدق من مقاييس العزب الذى يخدعه حرمانه . .

على أن الأهم من كل ذلك أن الأديب لابد له من المرأة لا لأنه رجل فحسب بل كذلك لأنه فنان يتميز بخصب الوجدان ، فهو إما يتزوجها ، أو يخدعها ، أو تكون من سواقط الحى . . والأولى أقرب الثلاث إلى شعوره والتغلغل فى حياته والمشاركة فى تبعاته ، وكثيراً ما تتعهده وتحفزه .

هــذا ولو نظرنا إلى الموضوع من الوجهة الإحصائية كما أراد الكاتب فى أول مقاله ، لوجدنا أدباءنا المعروفين عدا قليل منهم متزوجين ، وفى جملتهم من كان معرضاً عن الزواج ثم تزوج ، وفى هؤلاء المتزوجين من ينقد المجتمع ويكتب فى السياسة ، ويعنف فى نقده وفى كتابته ، غير حاسب أى حساب لسخط المجتمع ، أو لجور السياسة ، أو ... لبوار بناته .. ! ولم يحق عليه شىء من ذلك .

كراسى خالية فى المجمع اللغوى :

خلا فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية أربعة كراسى بوفاة الشيخ أحمد إبراهيم بك وعلى إبراهيم باشا والشيخ مصطفى عبد الرازق والأب انستاس مارى الكرملى

وينشط المجمع الآن – وقد استهل دورته الحالية – فى العمل لشغل هذه الكراسى .

قلت لهدنى: لعلهم يتجهون فى اختيار هؤلاء الأربعة إلى استكمال عناصر تعوز المجمع . قال : إن المجمع لا تعوزه عناصر ولا كفايات ، والعجيب أنه يؤثر الاتئاد والتباطؤ ، أو إن شئت فقل التكاسل ، فى العمل مع أن كثيرين من أعضائه لهم نشاط أدبى خارجى عجيب ! وحسبك أن تعلم أنه يشتمل على كبار الأدباء فى مصر ولم يبق بعيدا عنه منهم إلا المازنى والزيات .

قلت : ليتهم يختارون له دما جديدا من الشباب الناضجين ، أم تراهم يستكثرون على الشباب أن يكونوا من أعضاء المجمع اللغوى الخالدين فيه أبدا …

زينب :

قلت فى كلمة سابقة إن علية بنت المهدى كانت تقول الشعر فى غلام يقال له « رشأ » وتكنى عنه بزينب ، ومن قولها فيه :

وجد الفؤاد بزينبا وجدا شديداً متعبا
أصبحت من كلفى بها أدعى سقيما منصبا
ولقد كنيت عن اسمها عمداً لكى لا تغضبا
وجعلت زينب سترة وكتمت أمراً محجبا

فكتبت الأديبة النابهة فدوى عبد الفتاح طوقان فى العدد الماضى من الرسالة ، تقول إن الأبيات لابن رهيمة المدنى وليست لعلية ، وأوردت ما عقب به أبو الفرج على الأبيات بعد أن رواها عن ميمون بن هرون منسوبة إلى علية إذ قال : « هكذا ذكر ميمون بن هرون ، وروايته فيه عن المعروف بالشطرنجى ، ولم يحصل ما رواه ، وهذا الصوت شعره لابن رهيمة المدنى والغناء ليونس الكاتب ، وهو من زيانب يونس المشهورات ، وقد ذكرته معها ، والصحيح أن علية غنت فيه لحنا » ثم قالت الآنسة فدوى إن زيانب يونس سبع قطع من شعر ابن رهيمة كان يقولها فى زينب بنت عكرمة .

وكنت قد قرأت تعقيب أبى الفرج الذى أوردته الآنسة ، فلم أره يتسق مع مضمون الأبيات ، لأن ابن رهيمة يتغزل فى « زينب » وهو اسم حبيبته الصريح فلم يكن ولم يجعل زينب سترة ، ومن قوله فى إحدى زيانبه السبع :

إنما زينب همى بأبى تلك وأمى
بأبى زينب لا أكـ ـنى ولكنى أسمى

وروى أبو الفرج عن راو آخر ، هو عبيد الله بن العباس الربيعى ، قوله : لما علم من علية أنها تكنى عن رشأ بزينب قالت :

القلب مشتاق إلى ريب يا رب ما هذا من العيب
قد تيمت قلبى فلم أستطع إلا البكا يا عالم الغيب
خبأت فى شعرى اسم الذى أردته كالخبء فى الجيب

وقال أبو الفرج « فصحفت اسمها فى ريب » .

فنحن الآن أمام أبيات ، يقول صاحبها إنه يخفى اسم محبوبه ويستره ويكنى عنه ، وعلية هى التى كانت تصنع ذلك واشتهرت به حتى اضطرت إلى التحول عن « زينب » إلى « ريب » وقد نسب الرواة إليها الأبيات ، وكذلك فعل الحصرى فى كتابه « زهر الآداب » إذ قال بالجزء الأول فى علية : « وعلقت بغلام اسمه رشأ وفيه تقول :

أضحى الفؤاد بزينبا صبا كئيباً متعبا
فجعلت زينب سترة وكتمت أمراً معجبا »

فكيف تكون الأبيات بعد ذلك لابن رهيمة واسم صاحبته زينب؟ أيكنى بزينب عن زينب ويسترها بها ؟ !

وما أظن ذلك قد غاب عن فطنة الآنسة فدوى ، ولكنها – فيما يبدو لى – وقعت فيما وقعتُ فيه من حيرة فى اضطراب أبى الفرج ، فأرادت أن تعرف ما أقول فيه . وقد قلت .

الأدب والسينما :

كان مساء الجمعة موعدا للمناظرة التى قامت بنادى الخريجين المصرى فى موضوع « إخراج روائع الفكر على الشاشة متمم لقيمتها الفنية » وقد أيد الرأى الأستاذان كمال شكرى ومصطفى حبيب ، وعارضه الأستاذان يحيى نصار وعلى الراعى .

ومما قاله المؤيدان أن السينما فن له خطره فى قيادة الجماهير وتوجيهها . وقد اجتاز أو أوشك أن يجتاز المرحلة التى كان فيها كل الغرض منه الاتجار وإدرار المال بتقديم ما يسلى دون أن ينفع ، وذلك بفضل الجمهور الذى استنار وطالب بغذاء فكرى

فى منتجات السينما ، فاضطر المخرجون والمنتجون أن يستجيبوا له فقدموا له ما كتبه الأدباء من القصص القيمة ، وأخرجوها من الحيز المحدود إلى عالم أوسع . ولا يستطيع فن السينما أن يقوم ويواجه الجمهور المستنير إلا على جهود الكتاب الذين يعالجون فى رواياتهم مشكلات المجتمع ويصورون آلام الناس وآمالهم ، ولا تستطيع السينما أن تعيش طويلا على ما يقدمه لها من لا حظ لهم من علم أو أدب أو فن .

وفن السينما يتمم قيمة الأدب بتجسيم ما يرمى إليه الأديب وتحريك أشخاصه وتوضيح الغامض من فكرته ، وقد يركز الهدف المبسوط فى صفحات — فى منظر واحد . وهو بعد هذا يتمم رسالته بتبسيطها وتقريبها وتسهيل هضمها ، وبنشرها فى جموع رواد السينما الذين هم أكثر من قراء الأدب ، وبذلك تصبح السينما أداة نشر للأدب بعيدة المدى عظيمة الأثر .

وذهب معارضا الرأى إلى أن الأدب والسينما فنان يختلف أحدهما عن الآخر ، فالأدب يوحى إلى كل قارىء من قرائه الفرادى بمشاعر مختلفة ويؤثر فيهم تأثيرات متباينة ، وعندما يعمد إليه المخرج يستمد تأثيره الخاص ويصبه فى قالبه السينمائى فتتأثر به الجموع المشاهدة تأثيراً واحداً ؛ والأدب أداته الأسلوب والألفاظ ، أما السينما فتعتمد على الصور والحركات والحوار ، فالرواية حين تنتقل إلى السينما تصبح شيئاً آخر غير الأدب . والسينما تتطلب من مشاهدها المتابعة السريعة ، وهذا يقتضى ألا تحتاج مادتها إلى تأمل وإمعان فكر على خلاف الأدب الذى يتيح التأمل والتفكير لقارئه ، بل هو يدعوه إليهما بما فيه من تعمق وبعد غور . والسينما لا تكفى طالب الأدب بل هو بعد أن يشاهد القصة على الشاشة يتشوق إلى قراءتها ليجد فيها ما لم يؤده إليه عرض السينما .

وعلى ذلك فالسينما فن قائم بذاته مغاير للأدب ، ومغاير الشىء لا يتممه .

وبعد أن رد المؤيدون على ذلك وبينوا أن هذه اعتبارات نظرية تقوم على مغالطات يدركها المتأمل — أخذ رأى الحاضرين فى الموضوع ، فأيد الرأى الأكثرون .

قيود العملة ونشر الثقافة :

نشرت إحدى الصحف أن فريقا من منتجى الأفلام السينمائية فى مصر وأصحاب شركات السينما شكوا إلى وزارات المالية والتجارة والخارجية من الصعوبات التى يلاقونها فى استيراد الأموال المستحقة لهم من البلاد الشرقية ثمنا للأفلام التى ترسل من مصر إلى تلك البلاد نظرا للقيود المفروضة على إخراج العملة فى تلك البلاد إلى الخارج . وقد عنيت وزارة المالية ببحث هذا الموضوع ودراسته، فاستقر الرأى على أن تتولى وزارة الخارجية مخابرة حكومات تلك البلاد فى تيسير إخراج العملة من بلادها ثمنا لما يرسل إليها من الأفلام المصرية رغبة فى نشر الثقافة عن هذا الطريق . وقد أرسلت وزارة المالية فعلا إلى وزارة الخارجية نص كتاب بهذا الشأن لتوجهه إلى حكومات بعض البلاد الشرقية لتحقيق ذلك.

والواقع أن المؤلفين فى مصر ودور النشر يشكون هذه الشكوى ، لأنهم يجدون صعوبة فى إصدار المؤلفات إلى البلاد الشقيقة لتلك الأسباب ، والواقع كذلك أن أزمة إصدار المؤلفات المصرية إلى خارج القطر أقدم من قيود العملة ، فقد بدأت هذه الأزمة من سنى الحرب التى قل فيها الورق ، فلم يصرح إلا بتصدير ثلاثين فى المائة من عدد نسخ الكتاب المقدر بما يمنح المؤلف من الورق ، مما مكن لبعض الشقيقات من النشاط فى إصدار مؤلفاتها .

ولم تكد ترفع قيود التصدير حتى جاءت قيود العملة فأصبحت زعامة مصر الأدبية مهددة ، بل هدد التعاون الثقافى بين البلاد العربية ، وكاد يقف انتشار الثقافة العربية فى أرجاء الوطن العربى الأكبر .

ولا شك أن هذا الأمر يدخل فى اختصاص اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، كما يعنى وزارة المعارف المصرية التى تهتم بالتعاون الثقافى العربى . ولابد أنهما عندما تلتفتان إليه ستبذلان له عنايتهما بالاشتراك مع وزارتى المالية والخارجية ، وإنه لجدير بعناية الجميع وإذا كان قد عنى بمسألة الأفلام رغبة فى نشر الثقافة عن طريقها فإن الكتب هى الأداة الأصيلة لنشر الثقافة .

« العباس »



القرقور فى القاموس :

أخرج السيد (البر الريحانى) شقيق (الفيلسوف أمين الريحانى) فى هذه الأيام للقارئين كتاباً كبيراً ، اسمه (قلب لبنان) من إنشاء أخيه ، وقد جاء فيه (ص ٥٢٢) :

« وهاك مثالا من مباحث (برار)[١] التاريخية : بين الجزائر السبع اليونانية جزيرة فقدت اسمها القديم واسمها الأقدم السامى . أما اسمها اليوم فهو (كرفو) . أما اسمها القديم فهو (كركير) وهو غير يونانى . وأن له قصة طريفة جاءت فى الأدوسى .

يوم كان عولس عائداً إلى اثيكا نقم عليه اله البحر ، فحول مركبه إلى صخرة عند الشاطىء ، فسميت الجزيرة باسم ذلك المركب تذكاراً للحادث المفجع .

ثم قال العلامة برار أن معنى كركيرا المركب السريع ، وإن الاسم فنيقى سامى . (فقد كان العرب . يسمون المركب السريع كركر أو كركور .) »

قال الفيلسوف : إنه رجع إلى الفير وزبادى فصل الكاف باب الراء وفصل القاف باب الراء فلم يجد لا كركورا ولا قرقورا .

وقد كان الفيلسوف العبقرى (الأمين) فى هذا القول من المتسرعين وإن كان خطب تسرعه يسيراً هيناً بالقياس إلى تسرع كثير من نظرائه من الفلاسفة والأئمة . يقول الإمام ابن السيد البطليوسى[٢] فى كتابه (الاقتضاب فى شرح لا لأدب الكاتب[٣]) ناعياً على الإمام الأصمعى تسرعه (ص ١٤١) : « كان الأصمعى (عفا الله عنه) يتسرع إلى تخطئة الناس ، وينكر أشياء كلها صحيح » .

« وقد يكون مع المستعجل الزلل » كما يقول القطامى .

(١) فى كتابه Le resurrection d' Homére

(٢) ابن خلكان : السيد بكسر السين وسكون الياء ، وهو من جلة أسماء الذئب سمى به الرجل ، والبطليوسى بفتح الباء والطاء وسكون اللام وفتح الياء .

(٣) لابن قتيبة وهذا هو اسمه لا (أدب الكاتب) .

إن (القرقور) هو فى (القاموس) واليقين أن العلامة برار إنما عنى هذه اللفظة ، وقد قال (كركير أو كركور) إذ لا قاف فى ألسن الفرنج ولا ضاض ولا عين ، ولو سمع (أبو مهدية)[١] حديث القوم لتعجب كيف يلغو هؤلاء الناس ، كيف يحكون وقد خلا لحنهم أو لسنهم أو حكايتهم[٢] من أمثال هذه الحروف .

وهذا قول مجد الدين فى مصنفه (القاموس) : « والقرقور كعصفور السفينة أو الطويلة أو العظيمة » قال شارحه صاحب (التاج) : « والجمع القراقير ، ومنه قول النابغة : (قراقير النبيط على التلال) ، وفى الحديث : فإذا دخل أهل الجنة الجنة ركب شهداء البحر فى قراقير من در » . وإذا شك فى الحديث — وقد نقله (التاج) من (النهاية) — فلا ريب فى صحة ألفاظه فى اللغة . وروى أبو على فى (أماليه) ج ١ ص ٢٧٩ مقطوعة مستطرفة لعبد الصمد بن المعذل فى هجاء ابن أخيه . وردت تلك اللفظة فى مطلعها :

لو كان يعطى المنى الأعمام فى ابن أخ

أصبحت فى جوف قرقور إلى الصين

وقال الهاجى فى ختامها :

إن القلوب لتطوى منك يا ابن أخى[٣]

إذا رأتك على مثل السكاكين

فعندنا — كما ترى — (القرقور) وهذه اللفظة وغيرها هى من الأدلة على أن العربية والنيقية - والفنيقية بنت العربية — كانتا تعطيان الأغريقية كما كانتا تأخذان منها ، وشيخنا يقول:

(١) أعرابى ، له أخبار مستملحة ..

(٢) اللحن : اللغة ، روى اللسان والتاج :

وقوم لهم لحن سوى لحن قومنا وشكل (وبيت الله ، لسنا نشاكله

وفى الأساس : « وعن أبى مهدية . ليس هذا من لحنى ولا من لحن قومى أى من نحوى ومذهبى الذى أميل إليه وأتكلم به ، يعنى لغته ولسنه . وتقول العرب : هذه حكايتنا أى لغتنا . ولكل قوم لسن أى لغة » .

وفى الميمية العبقرية المتنبية :

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه وفى أذن الجوزاء منه زمازم

تجمع فيه كل لسن وأمة فما تفهم الحداث إلا التراجم

قال تفهم كما قال غيره من قبله

(٣) ألف (ابن) لا أرى حذفها هنا .

« والناس بالناس من حضر وبادية » فلكل على كل يد[1] ، ولن يستبد بالفضل كله فى هذه الدنيا مستبد . وما احتفلنا بتلك الكلمة وحرصنا عليها لتكتب فى الصحف أوتقال لكن اهتممنا بها للتاريخ ، وسيمكث (القرقور) فى (القاموس) أو فى الميناء مرسى بالأنجر[2] لا يغدو ولا يروح ، فلا نقول فى وقت : باسم الله مجراه بل باسم الله مرساه ... والعربية — يا أخا العرب — بحر ، فلا تعدم اللفظ الفصيح المأنوس القرآنى .

« السهمى »

تعليق على كلمة :

قرأت فى مجلة الرسالة الغراء مقالا للدكتور عبد الوهاب عزام بك فى العدد ٧٤٨ وقد لفت نظرى فى أثناء المقال استعماله كلمة « اطأدت » جاء بها خلال تحدثه عن ضريح « همايون » فى الهند بقوله : « وما رسخت قواعد الملك ولا اطأدت أساطين الدولة .. الخ » وهذه الكلمة لا تعترف بها القواعد الصرفية لأن ثلاثيها « وطد » وصوغ « افتعل » منها يكون اتطد كوعد واتعد وهكذا ، وزيادة للايضاح أذكر ما كتبه صاحب « المثل السائر » فى أوائل كتابه المذكور عن هذه الكلمة التى جاءت فى شعر أبى تمام ، قال صاحب المثل السائر : وقد غلط أبو تمام فى قوله :

بالقائم الثامن المستخلف اطأدت قواعد الملك ممتداً لها الطول

إلا ترى أنه قال : اطأدت والصواب اتطدت لأن التاء تبدل من الواو فى موضعين أحدهما مقيس عليه كهذا الموضع لأنك إذا بنيت افتعل من الوعد قلت : أتعد ومثله ما ورد فى هذا البيت فإنه من وطد يطد ولا يقال اطأد .

وأما غير المقيس فقولهم : تجاه ، من وجاه ، وتكلان ، من وكل فابدلت الواو تاء للاستحسان ... هذا نص ما قاله ابن الأثير الموصلى فى المثل السائر صفحة ٧ ، ولعل للدكتور عزام حجة تفند زعم الموصلى ليصح قول أبى تمام فيصح قول الدكتور نفسه .

ابراهيم الوائلى

(١) فى (اللسان) : قال ابن شميل : له على يد ، ولا يقولون له عندى يد . وفى الأساس : لفلان عندى يد (قلت) كلاهما أمام فأنت على التخير ، تخير ما شئت .

(٢) فى (المعرب) للجواليقى : انجر فارسى معرب وفى القاموس الأنجر مرساة السفينة خشبات يفرغ بينهما الرصاص إذا رست رست السفينة ، معرب لنكر (قلت) الانجر مذكر لا مؤنث كما جاء فى معجمات عصرية ، وكذلك الميناء وهو يمد ويقصر ، وأول من نبه على هذه اللفظة أعنى الميناء وهو الشيخ ابراهيم اليازجى فى مجلته (الضياء)

حول خبر في النجوم الزاهرة :

إلى الصديق الأستاذ المؤرخ أحمد رمزى بك .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . جاء فى الجزء السابع من « النجوم الزاهرة » ص ١٢٦ سطر ١٦ .

قول مؤلفه أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى حين يتحدث عن قضاة الشافعية بمصر : (وقاضى القضاة جلال الدين المذكور هو صهرى وزوج كريمتى ومات عنها رحمهما الله تعالى وعفا عنهما) وفى هذا الكلام نظر لأن القاضى جلال الدين هذا توفى سنة ٨٢٤ هجرية ، والمؤلف ابن تغرى بردى ولد سنة ٨١٣ هـ على حسب قوله هو فى ترجمته لنفسه . فكيف ينجب بنتاً تتزوج بالقاضى جلال الدين ويموت عنها زوجها سنة ٨٢٤هـ؟ أتكفى هذه السنوات الإحدى عشرة لكى يبلغ الأب الحلم ثم يتزوج فينجب ثم تبلغ بنته سن الزواج ؟

لقد ظننت — توقيا للاستحالة العقلية والطبيعية فى هذا الخبر أن بالنجوم خطأ فى هذا الموضع ؛ وأن القاضى جلال الدين لا بد أن يكون صهرا لصاحب النجوم الزاهرة ولكن فى غير كريمته .

ورجعت إلى كتب التراجم فوجدت فى « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » لابن العماد الحنبلى جزء ٧ ص ٣١٧ أن القاضى جلال الدين تزوج بأخت مؤلف النجوم وهو الذى تولى تربيته . ووجدت فى « الضوء اللامع للسخاوى » ما يفيد أن القاضى جلال الدين تزوج بأخت المؤلف بعد وفاة زوجها الأول الناصرى بن العديم القاضى ..

ألا ترى منى أيها الصديق الكريم أن الخطأ فى كتاب « كالنجوم الزاهرة » يجب أن يصاح حتى لا يضل الباحث ويضطرب . ثم ألا ترى منى أن رواية الشعر فى « النجوم الزاهرة » لا تزال مضطربة ، وأن همة « الدار » أكبر من أن يشق عليها التحرى والتوفيق ؟؟

محمد عبد الغنى حسن

من خبر الجامعة :

جاءنا أن قسم اللغة العربية فى كلية الآداب عقد اجتماعاً برياسة الأستاذ أمين الخولى ، وبناء على اقتراحه تقرر (بمخالفة الأستاذين الشايب وشوقى ضيف) إسناد تدريس علوم القرآن إلى صاحب رسالة الفن القصصى فى القرآن . وعلمنا أنها قد اتصلت بمض الهيئات الإسلامية على أثر ذيوع هذا الخبر بالعميد الدكتور عزام بك ، وفهمت منه أن صاحب هذه الرسالة سيخرج من الجامعة حتما .



قصة تاريخية :

القـــائد المفقود

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

[إلى الذين يحسبون أن المفاوضات السياسية والمداولات الدبلوماسية ستنقذ فلسطين من محنتها ...]

كانت آخر خفقة فى السراج الذى ظل سبعة قرون يضىء أرجاء الدنيا .. فقد استطاع الملك فرنناندو فى غفلة من ملوك العرب بالأندلس أن يتخطف ملكهم الواسع قطعة قطعة ، وأن يطوح بهم من عرش الملك واحداً إثر واحد ، وكان فى الجولة الأخيرة قد استولى على وادى آش والمرية وبازة وغيرها من الأقاليم ، ثم أرسل بجيوشه الجرارة للاستيلاء على غرناطة وكانت هى كل ما بقى للعرب من ذلك المجد الباذخ الذى بناه آباؤهم بالشجاعة والسيف ، فأضاعوه هم بالجبن والخوف ..

واجتاحت تلك الجيوش الجرارة فى يوم وليلة أراضى غرناطة واستولت على مشارفها ، ثم وقفت بأبواب المدينة العظيمة فطوقتها من كل جانب وضربت عليها حصاراً خانقاً حتى تسلم أو تموت جوعاً ، وكان يتولى الدفاع عن المدينة القائد العربى العظيم موسى ابن أبى الخازن ، فلم يهن ولم يجزع أمام تلك القوة الساحقة ، بل وقف يحشد كل ما يملك من شجاعة وحكمة وحيلة لذلك الموقف الرهيب ، فوزع قوات الدفاع على أسوار المدينة ، وجند الشبان الفدائيين للتسلل بين ثغرات الحصار وجلب المؤن للسكان ، ووضع نظاماً لتوزيع الطعام حتى يستطيع السكان أن يثبتوا أطول ما يمكن من الزمن . وكانت لا تفتر لهذا القائد المجاهد عزيمة ، فكان لا يرى فى الليل وفى النهار إلا واقفاً يشد من عزائم جيشه وبنى قومه . أو مشتبكا مع الأعداء فى مناشات عنيفة تقعقع فيها السيوف وتجرى الدماء ..

طال الأمر بهذه الحال الرهيبة ، وظلت غرناطة ترزح تحت الحصار الخانق سبعة أشهر حتى نفد منها الطعام ، وأخذ الجوع يتهدد الأهالى بالفناء الساحق والدمار الماحق ، ورأى أبو عبدالله الملك أنه لا أمل فى النصر ، وأنه ليس فى طاقة السكان أن يتحملوا أكثر مما احتملوا ، فجمع الوزراء والقواد وأهل الشورى وأخذوا يدبرون للخروج من هذه الشدة ، فأجمعوا على أن الأمر أصبح لا يطاق ، وأن التمادى فى الدفاع لا يجدى بعد أن أخذ السكان يتساقطون إعياء وجوعاً ، وأن الحكمة تقضى بالتماس طريق آخر للخروج من هذا الكرب ، ثم اتفقوا على أن خير الطرق فى ذلك هى أن يفاوضوا الملك فرنناندو على وضع يحتمل وشروط للصلح يمكن أداؤها . .

فانتفض القائد موسى فى مكانه ونهض قائلا : ما هـذا الذى أنتم فيه أيها القوم ؟! وما هذا الرأى الذى ترون ! ! أجل ! إن الجوع يعضنا بنابه الأزرق ، وإنه يودى بفلذات أكبادنا ، ولكن فى شرعة الكرامة لا يزال لدينا الكثير ! إننا لم نأكل القطط والكلاب والعشب والحطب بعد ، وإن الجوع فى أسوأ حال أشرف وأكرم من الاستعباد على أى حال ، إن الحر يحتمل أن يرى أطفاله وعشيرته يموتون جوعاً ، وأن يواريهم التراب بيده ثم لا يذرف عليهم دمعة واحدة ، ولكنه لا يحتمل أبداً أن يرى أبناءه وعشيرته أرقاء للغاصبين ، وأن يرى زوجاته وبناته نهباً للفاتحين ، وأن يرى نفسه غريبا طريداً فى مرتع طفولته وصباه وموطن شبابه وشيخوخته ، فاللهم لا تدمنى حتى أعانى تلك الحال .

فعاد القوم يتشاورون ، ولكنهم عادوا فأجمعوا على ما كانوا فيه ، وقال قائلهم : إننا إذا دخلنا فى مفاوضة مع الملك فرنناندو وجرينا معه على طريقة التفاهم والمودة فإنه لا يشق علينا ، لأننا أصبحنا بإزائه لا نملك حولا ولا قوة ، وإنما حاجته إلى الملك لا إلى ظلم الناس والقسوة عليهم . فلنرسل إليه رسولا يفاوضه على شروط التسليم ولننتظر ما يأتى به الرسول ..

قال موسى : كيف تقولون إننا لا نملك حولا ولا قوة ؟! كلا : إننا نملك الموت فى سبيل الشرف ، وما هذه المفاوضة التى تريدونها إلا إظهار للضعف ودعوة إلى التخاذل وإعلان للتسليم والاستسلام وثقوا أنكم لن تسمعوا فى هـذه المفاوضة من الملك فرنناندو إلا كلمة القوى للضعيف ..

ضاعت كلمات القائد موسى صرخة فى واد ونفخة فى رماد ، وما كان يستطيع أن يحرك النفوس الهامدة وأن ينفخ الحياة فى الأموات ، فتركه القوم لحماسته ، وانصرفوا إلى ما اتفقوا عليه من الرأى ، فارسلوا بالوزير أبى القاسم عبد الملك إلى مفاوضة الملك فرننادو فى الصلح والتفاهم معه على الشروط التى يريدها ، فما علم الملك بقدمه لهذه النيابة حتى رحب به أجل ترحيب وأحاطه بالحفاوة والإكرام ، ووكل إلى وزيره أمر المفاوضة مع الوزير العربى وكان أن أملى القوى شروطه على الضعيف ... ثم عاد أبو القاسم يحمل إلى قومه معاهدة كثيرة البنود طويلة الشروح والتفاصيل ، تنص فى أول بنودها على تسليم غرناطة وإطلاق الأسرى الأسبان المعتقلين فيها ، وأن يقسم الملك أبو عبد الله ورجال دولته يمين الطاعة والاخلاص للملك فرنادو ، وأن يقطع له بعض الأراضى ليقضى فيها بقية حياته ، وأن يؤمن المسلمون على أموالهم وعباداتهم وعاداتهم ، وألا يؤخذ منهم من الأموال والضرائب إلا ما كانوا يدفعونه لملوكهم ، وإمهال الملك أبى عبد الله للتفكير فى قبول هذه الشروط ستين يوماً تبتدىء من تاريخ تحرير هذه المعاهدة فى الخامس من نوفبر سنة ١٤٩١م الموافق الثانى والعشرين من المحرم سنة ٨٩٧ هـ

رجع الوزير أبو القاسم يحمل هذه المعاهدة إلى قومه ، فدعا الملك أبو عبد الله الوزراء والرؤساء والفقهاء وأهل الرأى ليشاورهم فيها ، فلما وقفوا على مضمونها غامت الدنيا فى وجوههم وأجهشوا بالبكاء ، ورأوا أنه لا حيلة لهم إلا التسليم والأذعان ، إلا القائد موسى ابن أبى الخازن فإنه صاح فيهم قائلا : « وآسفاه ، أنتم تبكون أيها الرجال ، إذن فالويل للنساء والأطفال ، لقد حذرتكم فما سمعتم . وأنذرتكم فما أصختم ، وإنكم لتسمعون من الملك فرننادو كلمة القوى للضعيف ، وهى كلمة لا يتبدل مدلولها فى إرادة الأقوياء ، ولا يتغير أثرها فى إذعان الضعفاء ، وها أنتم أولاء أيها السادة ترون أنفسكم وقد أصبحتم بهذا الأذعان أرقاء أذلاء ، فنى الغد تبصرون الغاصبين يدخلون بيوتكم ، ويستبيحون حرماتكم ، ويمطاون شعائركم ، ويتخطفون أقواتكم ، ويتحكمون فى رقابكم ، فلماذا ترهبون الموت والموت أهون مما سيصيبكم ، وأشرف مما سيحل بكم ، إن من الشرف أن نواجه الموت اختياراً قبل أن نرغم عليه إرغاماً ، وإن من الكرامة أن ندافع العدو حتى آخر قطرة من دمائنا وحتى نبيد عن آخرنا ...

***

إذا ما أفعم اليأس النفوس صمت الآذان وماتت العزائم ... وهكذا ضاع كلام القائد موسى هباء فلم يحرك من القوم ساكناً، فأذعنوا لما فرضه عليهم الملك فرننادو من الشروط ، ووافقهم الملك أبو عبد الله على ذلك إيثاراً للسلامة فى ملك طرد منه بعد قليل شر طردة .. أما القائد موسى ابن أبى الخازن فإنه أبى أن يستسلم وأن يذعن . . . فقصد من فوره إلى داره وتقلد سلاحه ولبس دروعه وامتطى جواده ثم خرج ليدافع أولئك الغزاة الذين تقدموا ليكتبوا آخر سطر فى تاريخ العرب بالأندلس ..

ولم يعرف أحد ماذا كان مصيره ولا كيف كانت نهايته .. وما يزال التاريخ يبحث إلى اليوم عن ذلك القائد المفقود ..

محمد فهمى عبد اللطيف

مطبعة الرسالة

العدد ٧٥٢ — الاثنين أول ديسمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٠٤٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 752

Lundi — 1 — 12— 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليا

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٧٥٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ محرم سنة ١٣٦٧ — أول ديسمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

لا إله اليوم إلا الهوى !

أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غِشاوة ؟ ذلك هو إنسان اليوم ، وإن شئت فقل هو إنسان الدهر كله ! زعم ابن آدم أنه عرف الله وعلم الحق وحكّم العقل وآثر العدل وتوخى السلام ، ورآءى بعضه بعضاً فتظاهروا بالتصديق ، ونافقوا بالإيمان ، وشقشق خطباؤهم بالهدى ، وتشدق شعراؤهم بالحكمة ؛ وفى قرارة كل امرئ أن الله معناه الهوى ، وأن الحق معناه المنفعة ، وأن العقل معناه الحيلة ؛ فأنا وأنت وهو إنما نذكر عزائم الله وفضائل الخُلق وفرائض القانون إذا لم يكن من ذكرها بد لإدراك الغنيمة مع الراحة ، أو اتقاء الهزيمة عند العجز . وغاية السياسة الآدمية أن تكون ثعلباً مع الضعف وأسداً مع القوة !

أزِلْ عن عينك إن استطعت ما غشيها من رياء الإنسانية وخداع المدنيـة ، ثم انظر إلى حقيقة الإنسان فى نفسك ، وفى عشرائك فى البيت ، ورفقائك فى المدرسة ، وخلطائك فى القهوة ، وزملائك فى العمل ، ورؤسائك فى الديوان ، ونوابك فى البرلمان ، ووزرائك فى الحكومة ، فلا تجد إلا غرائز الحيوان الوحش تسمّت بأحسن الأسماء ، وتزيّت بأجمل الأزياء ، وتجلّت فى أبهى المناظر : فالتفارس تنافس ، والأثرة محبة ، والطمع طموح ، والاستغلال تعاون ، والاستعمار تحالف ، والقوة حق ، والضعف عفة ، والحرمان قناعة ، والختل سياسة ، والشعوذة دين ، والعصبية وطنية !

قد يخدعك الغطاء الذهبى على الناب ، والقفاز الحريرى على المخلب ، فتحسب أن هذا الإنسان الذى هتك بعلمه أستار الطبيعة ، وكشف بعقله أسرار الوجود ، قد هذبه العلم وصقله التمدن ، فارتفع من الأرض إلى السماء ، وانتقل من الحيوان إلى المَلَك ؛ ولكن خلافاً يشجر بين الإخوة على ميراث ، أو شقاقاً ينشأ بين الزعماء على منصب ، أو نزاعاً يحدث بين الدول على بلد ، يستطيع أن يشق الذهب ويمزق الحرير فترى الوحش الآدمى على جبلّته بادى النواجذ متقد العينين ، يتحلب الريق من أنيابه ، ويقطر الدم من أظفاره !

ها نحن أولاء ، كنا نظن لوفرة المساجد فى المدن والقرى ، وكثرة السُّبح فى الرقاب والأيدى ، وتنافس الفقراء فى إقام الصلاة ، وتسابق الأغنياء إلى أداء الحج ، أن الدين قد سيطر على القلوب وهيمن على الضمائر ... فلما ابتلانا الله بوباء الهيضة الجارف ، ووقع الإيمان المزيف تحت المحك ، تمزقت الأغشية عن عفن فى نفوس أكثر الأغنياء والأطباء والمسئولين كان أزكى روائحه الرشوة والشح والسرقة والتواكل والتخاذل والتفريط والقسوة ... وكل هذه الموبقات مشتقات من مصدر واحد هو الأثرة !

وهذه هيئة الأمم المتحدة ، كنا نظن لفرط ما عانى الحلفاء من أهوال الحرب ، وكابدوا من نتائجها ، أنهم يقيمون العالم الجديد على قواعد الميثاق الأطلسى الأربع ؛ فلما تقدمت مصر وفلسطين إليها تستعديان قُوى ميثاقها على بغى انجلترا وجور أمريكا لم تجدا فى قاعة مجلس الأمن إلا مجمع الوحوش والبهائم الذى تخيله (لافونتين) فى الغاب!

إن الرجل يعمل لنفسه ثم لأبنائه ، وإن الحزب يعمل لرئيسه ثم لأعضائه ، وإن الشعب يعمل للمليكه ثم لوزرائه ؛ فمن زعم أن الأنانية تتجه إلى الغيرية ، وأن الحزبية تعمل للوطنية ، وأن الوطنية ترمى إلى الإنسانية ، فقد زور على الإنسان وكذب على الطبيعة !

(القاهرة) احمد حسن الزيات

١٤ - رحلة إلى الهنــــد

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

مدينة أكرا

سار بنا القطار والساعة ثمان وخمس وأربعون دقيقة من صباح السبت ثالث عشر جمادى سنة ١٣٦٦ هـ . وخامس نيسان سنة ١٩٤٧ م من دهلى إلى أكرا .

والمسافة بينهما زهاء أربع ساعات . واستقبلنا على محطة أكرا جماعة من بيت كنش لال أحد أعيان المدينة وأحد تجار الهند المعروفين فى القاهرة . وأردنا أن ننزل بفندق كبير هنالك اسمه إمبريال . وبينما نجلس فى ساحة الفندق ننتظر جواب سؤالنا عن غرف فى الفندق ، جاء رجل هرم يحمل عصافير مرتبطة بخيوط ، فجلس إلينا وشرع يعرض أعاجيبه . رمى بحلقة فى الهواء وأشار إلى عصفور فأدركها فالتقطها قبل أن تقع على الأرض وردّها إليه . وأشار إلى عصفور آخر فطار إلى شجرة قريبة فقطف منها ورقة وجاء إلى صاحبه . ووضع بطاقات من بطاقات اللعب مقلوبة وذكر عدداً فأخذ عصفور يقلّب الأوراق حتى قلب البطاقة ذات العدد المذكور وأخذها بمنقاره وسلّمها إلى معلّمه . ثم جاء بأعواد عليها بكرة صغيرة فيها خيط ينتهى إلى دلو صغير وأشار إلى عصفور فشرع يمسك الخيط بمنقاره ويجرّه حتى يضعه تحت رجله ثم يأخذه كرة أخرى فيطويه تحت رجله حتى طوى الخيط وطلع الدلو فمدّ منقاره إليه وجذبه إليه كأنه يستقى ماء من بئر برشأ ودلو . فقلنا : إحدى عجائب الهند .

ولم نجد غرفاً بالفندق فسرنا إلى دار كنش لال فلبثنا إلى اليوم الثانى فى حفاوة وإكرام فاستحق المضيّفون ثناءنا وشكرنا

***

وأكرا مدينة يسمى باسمها إقليم . وهذا الإقليم وإقليم أوده يؤلفان ولاية كبيرة تسمى U. P. وهذا رمز لاسمها بالإنكليزية : Uvenited Provinees وتسمى فى الهند : ممالك متحدة .

والمدينة مثل دهلى ، ذات مكانة تجارية وحربية عظيمة . ويمرّ بالمدينتين كلتيهما نهر جمنه أحد أنهار الهند الكبيرة .

وقد عرف ملوك الهند حصانة هذه البقعة بمكانها من هذا النهر فاتخذوا مدينة أكرا حاضرة للملك أو إحدى حواضره .

وقد اتخذها السلطان اسكندر اللودى داراً للملك بدَل دهلى وهو من الأسرة اللودية التى تسلطت فى الهند من سنة ٨٥٥ إلى ٩٣٢ هـ . وإنما آثرها على دهلى حينما عرف غناءها فى ضبط الثائرين عليه فى الجنوب . فعظمت مكانتها من ذلك الحين .

ولما جاء إلى الهند الرجل العبقرى بابر ، وقد أسلفنا ذكره ، فتح أكرا سنة ٩٣٢ . وأخذ فيما أخذ من مغانمها الماسة المعروفة باسم كوهِ نور أى جبل النور . وفى أكرا آذنَ بابرُ بأن فتحه الهند ليس غارة موقوتة ولكن ملكا مؤثلا. ولما ملك جلال الدين أكبر حفيد بابر بنى قلعة أكرا ، القلعة الحمراء التى تمتد أسوارها على نهر جمنة ميلا ونصفاً .

وازدادت المدينة وأرباضها منذ بنى أكبر قلعته ، بعجائب من أبنية السلاطين التيموريين بل بمفاخر من الحضارة الإسلامية وصناعاتها . ففى أكرا القلعة والتاج والمسجد ، وفى سكندرة مزار أكبر وآثار أخرى . وعلى مقربة من المدينة فتح بورسكرى وهى مزدحمة بآثار عظيمة رائعة .

مزار أكبر

خرجنا والساعة خمس مساء إلى سكندرة لنزور ضريح جلال الدين أكبر .

ولا يعرف روعة التوجه إلى زيارة ضريح أكبر إلا من عرف تاريخ هذا الرجل الذى لا يعرف تاريخ الإسلام بل تاريخ العالم من الملوك أمثاله إلا قليلا .

ذكرت آنفاً ظهير الدين بابر مقيم الدولة التيمورية أعظم الدول الإسلامية فى الهند . وكذلك ذكرت ابنه هُمايون .

وجلال الدين أكبر الذى أتوجه لزيارته الآن هو ابن همايون وحفيد بابر . وضع هذان له القواعد ليشيد ملكا عظيما ، ويوطد دولة ينبسط سلطانها على الهند إلا قليلا ، ويترك على الزمان سيرة

فى الفتح والعدل والحضارة والعمارة لا تزال مثار إعجاب وتعجب . ولا تزال مفخرة من مفاخر التاريخ الإسلامى .

توفى همايون بعد أن استردَّ ملكه فى الهند ، وابنهُ جلال الدين فى الرابعة عشرة من عمره . فدبر له الملك بايرام خان فدفع عنه الطامعين ، وأخضع الثائرين ، ولم تأخذه فى إقرار السكينة ، والنظام هوادة ولا شفقة . فلما سكنت الفتن واستوسق الأمر تولى جلال الدين تدبير الملك ولما يَعْدُ الثامنة عشرة . وقد حاول هذا الوصى أن يقتطع له إمارة فى أرجاء المملكة وثار على أكبر إلى أن اضطر إلى التسليم له . فأحسن الملك الشاب إلى وصيّه وخيّره بين أن يتولى منصباً عالياً فى الجيش أو يسير إلى الحج مرفّهاً فى موكب عظيم . فاختار الحج .

وكان عفو أكبر عن بايرام خان وإحسانه إليه إيذاناً بسيرة صالحة رفيقة ، سارها أكبر طول عمره .

ثبّت جلال الدين أكبر سلطانه فى أرجاء المملكة كلها . ومدّ فتوحه حتى لم يبق من الهند خارجاً عن سلطانه إلا قليل . ودان معظم الهند له واستقامت الأمور لحكمته وحكمة زمان سلطانه المديد وقد ملك أكثر من خمسين عاماً .

وكان مولعاً بالفتوح البعيدة ، واجتياز الفيافى الموحشة ، وركوب الخيل الجموحة ، واخترع نظماً للجيش وأسلحة . وكان مثالا عالياً فى قيادة الجيوش ، وركوب الأهوال . ولكن هذه الشجاعة والجرأة والفتح والسفر لم تكن إلا أقل مزاياه . فقد كان فى السلم والعمران أعظم منه فى الحرب .

سنّ من القوانين ، وخطّ من الخطط فى مسح الأرض وريها وجباية الخراج ما يشهد بسعة فكره ، وبعد إدراكه ، وقد بقيت بعض سننه متبعة فى الهند إلى هذا العصر .

وجمع هذا الرجل الأمّى حوله من أدباء العالم وشعرائه وكتابه وعلمائه وفلاسفته جمعاً كبيراً حتى كان فى كنفه من شعراء الفارسية زهاء خمسين شاعراً .

وقد جاءه الصناع من أرجاء العالم من آسيا وأوروبا .

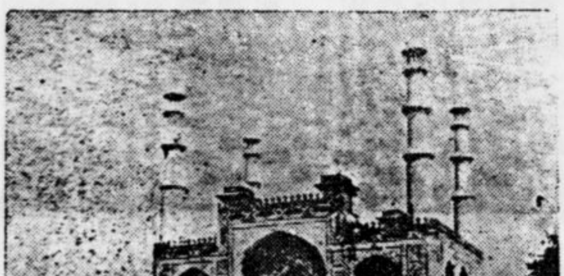
وأنشأ المدارس فى أنحاء المملكة ليعلم فيها المسلمين وغيرهم على السواء . وبنى خزائن الكتب وجمع فيها نفائس الكتب من الأقطار وافتنّ فى صناعة التجليد والتذهيب حتى أنفقت على بعض الكتب آلاف الدنانير ، وقد أبطل العادات الوحشية فى الهند مثل إحراق الزوجات بعد موت أزواجهن .

وحاول أن يُشيع المحبة والمودة والأخوة بين الناس بجمعهم على دين واحد . فألّف من الإسلام والمجوسية والنصرانية وأديان أخرى ديناً سماه « التوحيد الإلهى » وبنى معبداً لهذا الدين ودعا الناس إليه فاتبعه قليل بالرغبة والرهبة . فلما مات لم يبق على دينه أحد .

***

سرنا إلى سكندره حيث ضريح هذا الملك العجيب ، وفى النفس ثورة من ذكرياته بين سفره وحضره ، وحربه وسلمه ، وصوابه وخطئه ، إلى قياس يتردد بين الماضى والحاضر ، للنفس فيه حيرة وحسرة .

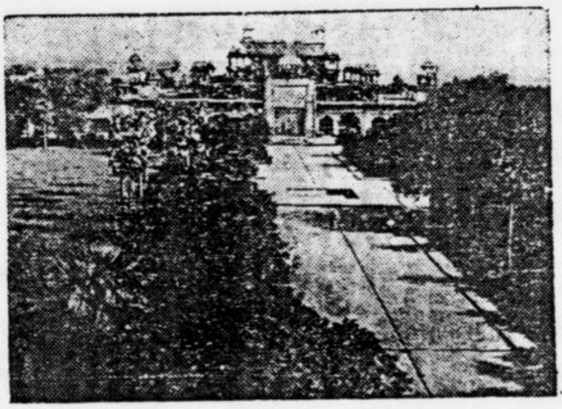
على نحو خمسة أميال من أكرا استقبلنا هذا البناء الهائل الرائع الذى تعاون على إنشائه المُلك والثراء والصناعة بضعة عشر عاماً بين عهد أكبر وعهد ابنه جهانكير . هذا المدخل المفضى إلى الحديقة الفنّاء الفسيحة التى تحيط بالمزار . ولو أن هذا المدخل وحده شيد فوق ضريح ملك عظيم لكافأ عظمته وحُسب بناء فخماً من أبنية الملوك العظيمة . بناء يعلو أربعاً وسبعين قدماً تقوم فى أركانه الأربعة أربع منارات رفيعة تعلو كل واحدة فوق هذا البناء ستاً وثمانين قدماً . ويلقى هذا المدخلُ القادم إليه بعقد عال فخم فيه باب فوقه عقد يشابهه . وعلى جانبى العقد الكبير وجهتان فى كل منهما عقدان (كما يرى فى الصورة) :



مدخل الحديقة التى فيها ضريح جلال الدين أكبر

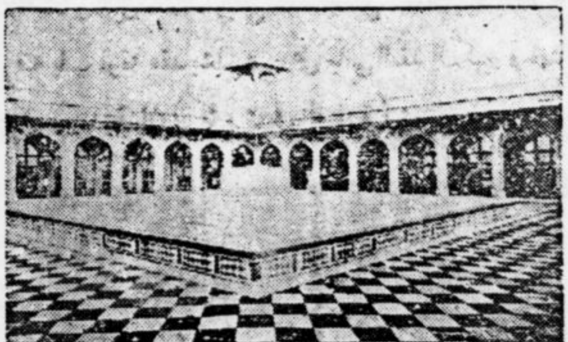
ويفضى هذا المدخل إلى حديقة واسعة تزدحم فيها الخضرة والنضرة ويتوسطها طريق واسع مبلط فيه أحواض ومجارى مياه ونافورات فى هندسة جميلة .

ثم البناء الشامخ الرائع ، خمس طبقات ذات عقود وأبراج ، كل واحدة أكبر مما فوقها وأصغر مما تحتها كأن كل طبقة قاعدة للتى قبلها .



مزار جلال الدين أكبر شاه

صعدنا الطبقة الأولى التى تلى الأرض فهبطنا فى دهليز منحدر إلى قاعة فى وسطها صفيحة واحدة من المرمر تحتها رفات جلال الدين أكبر شاه . وقفنا نقرأ آيات على القبر ونقرأ سطوراً غير مكتوبة من وحى التاريخ وإملاء الزمان .



مثال قبر جلال الدين فى أعلى البناء

ثم صعدنا إلى الطبقات الأخرى حتى الطبقة العليا وهى سطح محاط بدربزين من الرخام الأبيض أبدعت فيه الصناعة تشكيلا وتخريماً . وفى وسطها دكة واسعة مربعة عليها مثال القبر الذى فى بطن الأرض . وقد تجشنى هذا المنظرُ العجيب فما يحسب الزائر وهو يصَّعَّد فى هذه الطبقات أن يلقاه فى قمتها هذا التمثال بعد أن زار القبر فى موضعه من جوف الأرض .

ويطّلع الزائر من هذه القمة على مشاهد رائعة من الجمال والجلال وعلى عبر متقاربة وعظات متوالية . فهو ينظر إلى هذا الهيكل المظيم تحار فيه المين بين عقوده وعمده وقبابه ، تتوالى طبقاته فى نظام محكم ، وهندسة عجيبة . فإذا رمى ببصره فى الفضاء مفكراً أخذته مشاهد من الأبنية الأثرية بين الشجر ، كل منها تاريخ مبهم ، وكل منها كتاب مطبق ، وكل منها مجد غابر وعبرة حاضرة . ويَسحَر المين على القبر وعلى عقود الداخل آيات قرآنية أجيد خطّها أو نحتُها على الرخام .

يقال أن أكبر نفسه بدأ هذا البناء وأتمه ابنه وخليفته جهانكير بعد أن عمل فيه البناءون والصناع عشرين عاماً ويقال إن جهانكير بناه وحده فى سبع سنوات .

ومهما يكن الأمر فقد أكمل هذا الأثر الخالد سنة ١٠٢١هـ وقد مرت عليه حوادث وزلازل ؛ ولكنه لا يزال شاهداً بعظمة أكبر وجهانكير ، ناطقاً بما بلغت الحضارة والأبهة فى ظلال هذه الدولة المظيمة ، أكبر الدول الإسلامية فى الهند . ومن أعظم الدول التى عرفها التاريخ

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

لبيك يا فلسطين !

للأستاذ محمود محمد شاكر

لقد عزمت الأمة العفيفة النبيلة الورعة ، وهى بريطانيا العظمى بلا مراء ، أن ترفع يدها عن فلسطين ، وأن تجلو بجنودها عن هذه الأرض المطهرة ، وأن تترك الأمر لأصحاب البلاد ، هكذا ، يصرفونه على ما توجبه مصالحهم ! ! وفى هذا الوقت نفسه قامت روسيا السوفيتية الغامضة تؤازر أمريكا الصريحة فى صهيونيتها على تقسيم فلسطين تقسيما لا يدرى المرء كيف يصفه ، أهو حماقة ، أم جور ، أم صفاقة ، أم نذالة مركبة فى طبائع الأمم الجشعة ؟ ثم رأينا بريطانيا هَبت تستنكر ، أو تقول الصحف وألسنة الساسة أنها تستنكر هذا الذى تبيته روسيا وأمريكا لفلسطين .

هذا ملخص ما يدور فى أمر فلسطين دون تزويق أو تدليس . ونحن لا نريد أن نبخس بريطانيا حقها فى هذا الموقف الذى تقفه من مسألة فلسطين ، ولكنا أيضاً لا نريد أن نلغى تصرف العقل فنصدق أن هذه الأمة البريطانية تفعل هذا حباً للعرب ، وحفاظاً على حريتهم ، ورغبة فى معونتهم ونصرتهم . فإنها هى التى نفثت فى هذه الصهيونية الخبيثة من روحها منذ دخل الرجل الصليبى « ألنبى » أرض الآباء المطهرة ، وهى التى ضمنت لهؤلاء الصعاليك إنشاء وطن قومى فى فلسطين ، وهى التى أغمضت عن تسلل هؤلاء اللصوص إلى بلاد ليست لهم ، وهم الذين نكَّلوا بالعرب تنكيلا لم يشهد التاريخ أفجر منه ولا ألأمَ أيام ثورة العرب عليهم وعلى جلاَّنهم من اليهود ، وهى التى استعانت باليهود فى الحرب العالمية الثانية ودربتهم وجندتهم وفتحت لهم أبواب الأرض المقدسة ، وهى التى أعانت تهريب اليهود وحمتهم ووقفت تعبث فى مراقبة الهجرة اليهودية ، وهى التى صبرت على إذلال اليهود لها وعلى جلادهم جنودها وضباطها واغتيالهم وخطفهم واتخاذهم رهائن ، هذه بعض فضائل بريطانيا وشىء من نبيل مواقفها فى مسألة فلسطين ! !

وبعد أن فعلت كل هذا طلباً للأجر والحسبة من الله خالقهم وخالق الصهيونيين ، زعمت أنها ولا شك نافضة يدها من هذا الأمر ، وجالية بجنودها عن هذه الأرض ، وتاركة الناس أحراراً يدبرون شئونهم بأيديهم ! فكيف يفهم العقل من كل هذا أن بريطانيا تعترض على مسألة التقسيم لأنها تريد خيراً للعرب ، وتحافظ على وعودها لهم ، وتعمل على رد شر اليهود ومن يمالئهم عن هذه الأمة المسكينة ؟ ! كيف يا شياطين السياسة ؟ !

إن لها من وراء كل هذا التنكر للتقسيم أرباً آخر لا ندرى ما هو على التحقيق ، ولكنا إذا عرضناه على أفاعيل بريطانيا منذ كانت بريطانيا ، فلن نعدم الشك فى نيتها ، ولا الاهتداء إلى موضع الدخل فى تصرفها ، ولا آيات الكذب فى دعواها . وقبل هذا وذاك ، لا يستطيع قلب عربى أن يطمئن إلى أن بريطانيا وأمريكا ، وهما الدولتان المتعاونتان على الخير والشر ، تختلفان فى هذه المسألة بعينها ، إلا أن يكون اختلافهما تعمية وتدليساً لشىء هو أجدى عليهما وعلى الصهيونيين اليهود من اتفاقهما ! وليكن الأرب المكنون بعد ذلك ما يكون !

ونحن العرب لا نحب أن نلق إثم هذه الصهيونية الجائرة على أمريكا وروسيا للذى نراه اليوم من موقفهما وتشددهما وحرصهما على تقسيم فلسطين ، لا لأنهما أمتان بريئتان ، بل لأن الدوافع التى تحملهما على هذا الحرص وهذا التشدد ، إنما جاءت بعد أن فعلت بريطانيا فعلتها ، وأصَّلت لهذه الخبائث أصلا قوياً فى الأرض المطهرة ، ونزعت من يد العرب كل حول وطول فى تصريف شأن بلادهم ، وبعد أن تكرمت بريطانيا على العالم كله بإحداث مشكلة لا حل لها إلا الحل الذى تفصم به كل عقدة خبيثة تستعصى على المحاول .

إننا لا نريد أن نخدع مرة أخرى بنفاق بريطانيا وأكاذيبها وتصنعها لأعين الناس بالبراءة وحب الخير والحرص على الوفاء بالعهود وإنجاز المواعيد ، وبريطانيا تريد أن تذهب فى أمر فلسطين مذهباً جديداً لتكون شهيداً جديداً يستنزل العطف والمحبة من قلوب العرب ، وتريد أن تقف هذا الموقف لأنها تريد أن تخدع مصر والسودان ، وتخدع سورية ولبنان ، وتخدع العراق والباكستان ، وتخدع كل ناطق باللسان العربى فى مشارق الأرض ومغاربها . ولكننا لن ننخدع مرة أخرى أيها الشهيد

الذى استحل دم الأحرار فى مشارق الأرض ومغاربها .

هذه بريطانيا ، وأما أمريكا ، فقد طالما ذهبت فى الدفاع عن الحرية مذهباً كريماً ، ولكن ذلك شىء كان ثم انقضى ، فأمريكا اليوم دولة تصرفها الأحقاد الكثيرة ، وعلى رأس هذه الأحقاد إصرارها على التعصب البغيض إصراراً لا هوادة فيه ، حتى فى قلب بلادها . ثم يلى ذلك تحكم اليهود وتسلطهم على رؤوس أموالها ، وعلى شركاتها ، وعلى مجتمعها ، وعلى رجال سياستها . فالشعب الأمريكى اليوم ألعوبة تلهو بها الصهيونية اليهودية وترفعها وتخفضها كما تشاء ، ولسنا نحن الذين نقول هذا ، بل هذا ما تقوله فئات من الأحرار الأمريكيين أنفسهم ، ولكن هؤلاء الأحرار لا حول لهم ولا طول ، لأن كل شىء هناك فى قبضة اليهود ، ولأن رئيس الولايات المتحدة ، أيًّا كان هذا الرئيس ، لا يكاد يصل إلى كرسى الرئاسة إذا خذلته اليهود وأعرضت عنه فى الانتخابات ، فهو بالاضطرار يدور حيثما داروا به حتى يصير رئيساً للولايات المتحدة ، فإذا صار رئيساً ، فهو فى قبضة اليهود أيضاً طمعاً وخوفاً واضطراراً . وتظن أمريكا ، أو يظن ساستها ، أنهم إذا ناصروا إنشاء الوطن اليهودى ، أو الدولة اليهودية ، فهم بذلك سوف يخلصون من قبضة هذا الوحش اليهودى ، وأنهم يومئذ قادرون على أن يطردوه من بلادهم ويقولوا له : هذه بلادك فاذهب إليها . وهذا تسويل من شياطين اليهود ، وباطل من أباطيلهم يدندنون به فى آذان هؤلاء الساسة ، فاليهود يريدون أن ينشئوا الدولة اليهودية ، لا ليسكنوها ويتركوا البلاد التى أكرمتهم وأضافتهم وخلطتهم بأنفسها ، كلا بل يريدون بهذه الدولة أن يسيطروا على قلب العالم ، وهو الشرق الأوسط ، وأن يحتفظوا بسيطرتهم فى سائر بلاد الله كما هى ، ليكون لهم السلطان فى الأرض ، والغلبة على الأمم جميعاً مسلمها ونصرانيها ، فكلاهما عدو لها ، وهى تحمل لهما جميعاً عداوة لا تفتر ولا تموت . والذين يستنكرون أن يكون هذا هدف اليهود ، لم يقرأوا شيئاً من كلام الصهيونيين ، ولم يعرفوا أن هؤلاء اليهود يطمعون طمعاً لا يشكون فيه ، وهو أن الخلافة فى الأرض ستكون لهم ، وأن هذا الشعب المختار ، هو الذى اختاره الله لسيادة الدنيا واستعباد البشر غير اليهود ! فأمريكا مخدوعة هى وساستها ، إذا ظنت أنها بمناصرتها لهؤلاء السفاحين اليهود ، سوف تكسب شيئاً إلا ذل الحيرة والاضطراب .

وأما روسيا الغامضة ، فسلطان اليهود فيها ليس أقل منه فى أمريكا ، وهم الذين يسولون للروس أنه إذا أنشئت فى فلسطين دولة يهودية ، وإذا ناصرها الروس حتى تكون ، فمعنى ذلك أن روسيا سوف تجد منفذاً لها إلى قلب العالم ، أى إلى الشرق الأوسط ، وأن اليهود لن يخذلوا المذهب الشيوعى ، بل سيفسحون لدعاته المكان ، ويجعلون فلسطين مأوى لهم وملاذاً وكهفاً ، وأن تعاون الروس واليهود سوف يخلص روسيا من سلطان بريطانيا وأمريكا فى هذه الرقعة من الأرض ، وأن اليهود فى حاجة إلى معونة إحدى الدول الكبرى ، فإلا تعنهم روسيا وهى أقرب إليهم من أمريكا وبريطانيا ، فباضطرار ما يبسطون أيديهم إلى أمريكا وبريطانيا ويعاهدونهما على الخير والشر فى التسلط على هذا الشرق الأوسط . وروسيا دولة تصرفها فكرة غالبة كفكرة اليهود هى الاستيلاء على أغنى بقاع الأرض ، لتستطيع أن تنشر مذهبها ، وأن تتوسل بهذا المذهب إلى هدم الكيان الاجتماعى فى الأمم ، فإذا تم لها ذلك استطاعت أن تحكم هذه الأمم وتصرفها على ما يشاء لها هواها . فهى يومئذ صاحبة السلطان الأعلى ، وهى القوة المدمرة ، وهى الظافرة فى الميدان الاجتماعى والسياسى ، وهى يومئذ قد أمنت أن تخشى لبريطانيا العظمى والولايات المتحدة بأساً أو قوة .

هذا تفسير هذه المشكلة المعقدة التى تريدنا بريطانيا ، وتريدنا أمريكا ، وتريدنا روسيا ، على أن نكون فيها كالشاة المذبوحة لا تألم السلخ . فتبًّا لهم جميعاً ، والله المستعان .

بقى شىء آخر لا يخطئه أحد إذا فكر فيه ، وهو أن هذه الدول جميعاً تعلم علم اليقين أنها ترتكب جريمة من أبشع الجرائم فى تاريخ الإنسانية ، جريمة لم ترتكب مثلها أمة من الأمم المتوحشة فضلا عن الأمم الجاهلة ، فضلا عن الأمم المثقفة التى تدعى أنها حارسة الحضارة الإنسانية والقائمة عليها — تلك هى إقحام شعب على شعب آخر ، ليجليه عن بلاده ، وليستذله ، وليستعبده . إن هذه الدول جميعاً تعلم أن هؤلاء اليهود هم أبشع خلق الله استبداداً إذا حكموا ، وهى تعلم أنهم خلق قد خلت نفوسهم من كل معانى الشرف والنبل والمروءة ، وأنهم خلق تملأ قلبه العداوة والبغضاء

والحقد على البشر جميعاً ، وأنهم خلق لا يتورع عن شيء قط يرده عن اقتراف أحط الآثام في سبيل ما يريد — إنها تعلم هذا وأكبر منه وأشنع ، ومع ذلك فهي تريد أن تطلق هذه الوحوش الضارية من غابات الجهل والعصبية والحقد ، لتعيث في هذا الشرق الأوسط كله بفجورها وبغيها وضراوتها ، فتهدم ما تهدم ، وترتكب ما ترتكب ، باسم الحضارة والمدنية والثقافة ... فيالها من جريمة ! يالها من جريمة أيتها الأمم الحارسة لتراث الحضارة الإنسانية ! !

ثم بقي شيء وراء ذلك كله ، ينبغي لكل عربي أن يعلمه ، ولا سيما أولئك الذين يتعرضون اليوم لسياسة هذا الشرق العربي ، وهذا الشرق الإسلامي كله — هو أن إقدام هذه الدول الثلاث على مناصرة المجرمين الصهيونيين تنطوي على معنى قد استقر في أنفسهم وغلب عليها ، وهو احتقارهم للعرب وازدراؤهم لهم ولمدنيتهم ودينهم وحضارتهم واجتماعهم ودولهم وملوكهم ، وقديمهم وحديثهم ، وأن هذا لبان ارتضعوه منذ كانت الحروب الصليبية ، وأن الثقافة والعلم وسهولة اتصال الأمم بعضها ببعض ، كل ذلك لم يغير شيئاً من عقائد الصليبية الأولى في هذا الشرق العربي ، وكل ذلك لم ينفع شيئاً في نزع السم الذي اختلط بالدماء وجرى في العروق مع نسمات الهواء ومضغات الغذاء . وأنه لولا هذا الداء القديم ، وهذه العلة المستعصية ، لما ارتضت هذه الدول أن تبدي كل هذه الجرأة على الحق في مشكلة فلسطين ، بل لوقفت كما وقفت من قبل في مسألة دانزج وغيرها مناصرة لحق الناس في الحرية كما تزعم . هذا معنى لا يفوت عربياً مسلماً كان أو نصرانياً ، لأن هذه الدول تتصرف بأحقاد جاهلة عمياء ، لا ببصر وتمييز وعدل .

وغاب عن هذه الدول جميعاً شيء واحد ، هو أن هذه الأمم التي يصبون عليها أحقادهم المرذولة وسخائمهم العتيقة ، قد لقيت من قبل أشد مما تلقى اليوم ، ومع ذلك فقد استطاعت أن تخرج على الدنيا ظافرة نبيلة لا تحمل حقداً ولا ضغناً ، وانتشلت الحضارة الإنسانية من أوحال الجهل العميق الذي كانت تعيش فيه أوربة وأمريكا وروسيا ، ورفعت المنار لكل مهتد حتى اهتدى .

إن هذه العرب لا تنام على ذل أبداً ، فلتعلم هذا روسيا ، ولتعلمه بريطانيا ، ولتعلمه أمريكا ، وليعلمه الأفاقون من اليهود .

لقد نادت فلسطين غير نيام ، نادت أيقاظاً يحملون بين ضلوعهم تلك الشعلة الخالدة في تاريخ الإنسانية ، والتي نحن القوّام عليها والقائمون بها ، والتي نحن لحاملوها حيثما سرنا في الأرض — شعلة الإيمان بالله الواحد القهار — إن كل سلاح ، سلاح مفلول إذا لقي سلاحنا ؛ لأننا لا نقاتل بالتدمير والخراب ، بل بالتعمير والإنشاء ورد الحقوق على أهلها وإن كانوا قد ظلمونا ونكلوا بنا من قبل . ولتعلم هذه الأمم العدو لنا جميعاً أن المعجزة التي كانت يوماً ما ، سوف تكون مرة أخرى يوم تنبعث من ظلماء هذه الحوادث سراعاً إلى نجدة أمنا فلسطين ، فتنبثق الأرض عن جنود الله القدماء :

عن كل أروعَ ترتاعُ المنونُ له ... إذا تجرد ، لا نِكسٌ ولا جحِدِ
يكاد حين يلاقي القِرنَ من حنَق ... قبل السِّنان على حوبائه يردُ
قلوا ، ولكنهم طابوا ، وأنجدهم ... جيش من الصبر لا يفنى له عدد
إذا رأوا للمنايا عارضاً لبسوا ... من اليقين دُرُوعاً مالها زَرَدُ

هذه ليست خطابة ولا حماسة أيتها الأمم ، بل هي الحق ، وهي عادتنا وعادة الله فينا ، والله غالب على أمركم وأمرنا ، ونحن جند الله في الأرض على رغمكم ، وإن سخرتم أو كذّبتم !

محمود محمد شاكر

تعقيب

للأستاذ علي الطنطاوي

كتب كاتب فى مجلة أسبوعية أن (السيدة نفيسة) التى ينسب إليها القبر المعروف فى مصر ليست إلا الست نفيسة زوجة مراد بك آخر المماليك ، وجاء فى مقالته استطراد إلى ذكر الثورات المصرية قرر فيه أنها قامت كلها باسم الدين ، وأثار ذلك طائفة من القراء فكتبوا إليه محتجين مصححين ، وهاج كاتباً من الكتاب فرد عليه ، مبيناً أن القبر للسيدة نفيسة النسيبة الشريفة الثابت نسبها إلى سيدنا علي ، منكراً أن تكون ثورة مصر قامت باسم الدين ... الخ

ولست معقباً على هذا من جهة التاريخ ، لأن من الواجب أن لا نخلط بين امرأتين بينهما ألف سنة ... وأن نحقق القول فى المساجد والقبور وسائر الآثار ، وأن نمحص أسباب الثورات ونعرف حقيقة الدوافع إليها ، ولكني معقب عليه من جهة الدين .

والدين — كما أفهمه — لا يبالي أكانت صاحبة هذا القبر السيدة نفيسة العلوية ، أم الست نفيسة المرادية ، ولا ينفعها عند الله أن تكون الأولى إن كانت سيئة العمل ، ولا يضرها أن تكون الثانية إن كانت صالحة السيرة ، لأن ميزان الله غير موازين البشر ، والله لا ينظر إلى الصور ولا إلى الأنساب ، وإنما ينظر إلى القلوب وإلى الأعمال ، فبالأعمال بعد الإيمان ، تتفاوت أقدار الناس فى الآخرة ، ولو كان للنسب ثقل فى ميزان الله ما رجح سلمان (الفارسي) وصهيب (الرومي) وبلال (الحبشي) وخف أبو لهب بن عبد المطلب العربي القرشي الهاشمي عم النبي !

والناس لا ينفعهم فى أخراهم أن يكون هذا القبر ، لهذه أو لتلك ، أو لأي إنسان ممن خلق الله ، أو يكون قبراً خالياً ليس فيه أحد ، لأن الإسلام يأبى عبادة الأموات ، وينكر تعظيمهم ، ويسد الذرائع إليها ، لذلك منع رفع القبور وزخرفتها والمغالاة فيها ، فضلا عن اعتقاد النفع والضرر بها وبأصحابها .

ودين الإسلام أساسه التوحيد ، ومنه أن تعتقد أنه لا يضر ولا ينفع إلا الله ، لا أعني ما يدخل فى الأسباب المعروفة والعلل الظاهرة ، إذ لا ينكر نفعها ولا ضررها ، فالطعام نافع والسم ضار ، والطبيب نافع والجاهل ضار ... والناس كلهم والأشياء جميعها منها ما يضر ومنها ما ينفع ، فى حدود سنن الله فى هذا الكون ، وطبيعته التى طبع الوجودَ عليها ، ولكن أعني ما وراء هذه الأسباب والعلل ، إذ ربَّ مريض يستشير أكابر الأطباء ، ويجلب أندر العقاقير ، ويحظى بكامل العناية ، ثم يموت ، وآخر أصابه مثل مرضه فبرئ بأيسر العلاج ، وأقل الجهد ، فالطبيب دال ، ولكن الله الموصل ، والرسول هاد مرشد ، ولكن الله هو الهادي الموفق لاتباع الرشاد ، وفى الوجود شيء يدخل فى طاقة الإنسان ، وأشياء لا تدخل فى طاقته ، فإذا فعل كل ما يقدر عليه ، ولم يبق عليه إلا الالتجاء لقوة خفية قادرة على ما لا تقدر عليه قوته ، فعليه بالالتجاء إلى الله وحده ، واعتقاد أنه هو الذي يضر وينفع ، فإن التجأ إلى غيره ، إلى نبي أو ولي ، حي أو ميت ، يؤمن بأنه يستطيع أن يعينه هذه المعونة الغيبية ، فهذا هو الشرك الذي جاء الإسلام لإبطاله !

أما ما يعتقده العامة من أن هؤلاء الصالحين مقربون إلى الله أكثر منا ، فهم يتخذونهم وسائل ، فلا بأس بذلك ما دامت بعيدة عن المعونة الغيبية ، داخلة فى نطاق الأسباب والعلل ، كالتوسل بدعاء الصالحين . وقد توسل عمر يوم الاستسقاء بدعاء العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتوسل بالنبي نفسه ، مع أنه أفضل من العباس ومن سائر البشر .

ومهما قيل فى مسألة التوسل التى طال فيها الخلاف وكثر الجدال ، ولم يبق فيها جديد يقال ، فليس فى القائلين بالتوسل ، ولا فى المانعين له ، ولا فى المتوقفين فيه ، من يقر ما يرى فى مصر عند قبر سيدنا الحسين (١) ، أو قبر السيدة زينب ، والسيدة نفيسة ، والإمام الشافعي ، وعند كل قبر قائم فى مصر ، عليه قبة ، وله مزار .

إن الذي يصنع عند هذه القبور يجاوز الحد الذي جوَّزه القائلون بالتوسل من العلماء ، ويطغى حتى ليوشك أن يجاوز . . (لقد كدت أقول :) الإسلام !

وإن من أوجب الواجبات على العلماء منعه وإزالته ، حتى لا يظن بعض الشباب أن هذا هو الدين ، فيؤثروا الإلحاد على هذا (الدين ...) الخرافي ! وهذا الذي صار ! !

أما الكلام فى الثورة والدين ، وفرح الكاتب الثاني بضبطه رفيقه متلبساً بجريمة القول فيه ، وفزع الكاتب الأول من نسبة

(١) وسيدنا الحسين رأسه عندنا في الشام بلا كلام وجسده في كربلاء

هذا القول إليه ، فهو دليل واحد من آلاف الدلائل على ما انتهت إليه صورة الدين فى نفوس بعض المتعلمين . فقد استقر فيها أن الدين شىء عتيق لا يليق بالمتعلم أن يتمسك به ، أو يتكلم باسمه إلا إذا لاق به أن يدع السيارة والطيارة ويركب الحمارة ، وأن يترك عمارة إيموبليا ويسكن فى منزل خرب ، وأن يعدل عن مطعم سن جمس إلى وليمة فى قرية يأكلون فيها الرز بالأصابع ...

وأن الدين لا يجوز إدخاله فى العلم ولا فى السياسة ولا فى الحياة اليومية .

وسبب ذلك كله جريمة أجرمها العثمانيون ، هى أنه لما كان عهد البعث (الرونسانس) فى أوربة ، وهبت أوربة لتسابقنا بعد أن كنا نحن السابقين ، لم تجارها الدولة العثمانية فى هذا الطريق الجديد ، ولم تقبس من هذه النار ، ولم تستضىء بهذا الضوء ، ولو هى فعلت (على ما كنا عليه من بقايا الحضارة الأولى) لبقينا نحن السابقين ، فكان من نتيجة هذا الإهمال ، أن وقفنا والدنيا تمشى ، ثم صرنا وراء الدنيا ؛ لا لأنا تأخرنا بل لأن الدنيا تقدمت ، وغدا المسلمون دون الغربيين فى الأخلاق وفى الصناعة وفى الثقافة وفى القوة ، وبقى فقهاؤنا يقرأون الفقه الذى وضعت أحكامه لعصر ما قبل البعث (الرونسانس) مع أن مصادر الفقه تصلح لكل زمان ومكان ونحن ملزمون بالمصادر لا باجتهادات الفقهاء ، والشباب يتعلمون ما عند أوربة وأميركة من العلم ومن المذاهب السياسية والاجتماعية ، ثم يتلفتون إلى العلماء يسألونهم عن حكم الشرع فيها ، فلا يلقى العلماء أمامهم إلا هذه الكتب التى ألفت لغير هذا الزمان يعودون إليها فلا يرون فيها شيئاً من ذلك ولا يعرفون اقتباس الأحكام من مصادرها ، وأصولها ، فينصرف الشباب وقد أيقنوا أن الدين قاصر ، وأنه لا يصلح لهذا الزمان .

ثم ينظرون حولهم فيرون هذه الخرافات والأوهام ، وهذه البدع والضلالات المنسوبة كلها إلى الدين ، من غير أن يجهر أحد بإنكارها وإعلان براءة الدين منها ، فيزداد ظنهم بالدين سوءاً ، ويعودون إلى الغرب فيتلقون عنه كل شىء ، حتى القواعد التى وضعت للديانة المسيحية ومنها (فصل الدين عن السياسة) و (فصل الدين عن العلم) ، مع أن من أول ما ينبغى الاتفاق عليه فى الجدل معانى الألفاظ ، فما معنى الدين عند من وضعوا هذه القواعد ؟

إن معناه (الأحكام التى تحدد صلة الإنسان بربه) والدين بهذا المعنى لا دخل له فى السياسة ولا فى العلم ، وهو شىء شخصى بين العبد وربه ، ومن هنا سارت الكلمة المشهورة : الدين لله والوطن للجميع .

نحن لا ننازع فى هذا ، ولكن موطن النزاع ومكان الخلاف هو : هل الإسلام دين فقط ، موضوعه الصلة بين الإنسان وربه ، أو أن فيه ما يحدد صلات الناس بعضهم ببعض ، حقوقياً وأخلاقياً؟ وصلات الدول بعضها ببعض خاصة وعامة ؟

أليس فى الإسلام أخلاق ، وحقوق ، خاصة وعامة ودولية ؟ وهل يجب الفصل بين هذه القواعد الحقوقية التى تبدو عند المقابلة والمقارنة أعدل وأحكم من القواعد الحقوقية الموضوعة ، هل يجب الفصل بينها وبين السياسة ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟

هذه هى المسألة .

فمن يثبت لنا من الدين نفسه ، أنه قاصر على المسجد والعبادة وأن سورة الأنفال وسورة براءة مثلا ليستا من القرآن ، وأن آلاف الأحاديث التى اعتمد عليها الفقهاء فى المعاملات ليست من الدين؟ وإذا كان ذلك كله من الدين ، فمن يثبت لنا كيف تكون الأمة مسلمة وهى تتمسك ببعض الدين وتترك بعضه ؟

هذا وأنا لا أدعو إلى أن نأخذ الأحكام المدونة فى كتب الفقه كما هى فنجعلها قانوناً ملزماً لا تبديل له ولا تغيير ، ولو كانت أحكاماً اجتهادية مبنية فى الأصل على عرف أو مصلحة مرسلة أو استحسان . لا ، ولا أدعو إلى تحقيق ذلك بثورة مدمرة ، ومظاهرة صاخبة نكتفى بأن نصيح فيها : القرآن دستورنا ، الإسلام دين ودولة ، لا ، بل بأن ينقطع نفر من أهل العلم إلى كتب الدين وإلى قوانين الدول ، وإلى تعرف حاجات العصر ، ونظريات علمائه ، ثم يعدوا مشروعات هذه القوانين . وهذا العمل وإن كان صامتاً خفياً ، لا يعرف صاحبه ولا يطبل حول اسمه بالطبول ، فهو العمل النافع ، وهو كالأساس للبناء العظيم ، يختفى الأساس فى الأرض فلا يظهر ولكن لولاه ما قام البناء .

وملاك الأمر تعريف الشباب بالإسلام ، و (ترجمة) كتبه إلى لسانهم ، لأن الإسلام فى ذاته قوة هائلة ، سره فيه ، وفيه دلائله ، فمن عرفه على حقيقته لم يستطع إلا أن يكون مسلماً ، فإذا كان العلماء حريصين حقاً على ازدهاره ، وعودة أهله إليه ، ورجوع الأمة الإسلامية إلى مجدها ، فهذا هو الطريق .

(القاهرة) **على الطنطاوى**

مع ميخائيل نعيمه

فى « همس الجفون »

للأستاذ مناور عويس

« أيها اللابسون عرى اليتامى كيف تدفأون ؟ .
أيها الكارعون رى العطاش كيف تنقعون ؟
أيها الآكلون خبز الجياع كيف تشبعون ؟ .
أيها الراضعون ثدى الثكالى كيف تسمنون ؟ . .
أيها السائقون ظعن المنايا كيف تهزجون ؟ . .
أيها المستحمون بالدم الحى كيف تطهرون ؟ . .
أيها المدلجون ، إذ يقبل الفجر ، أين تدبرون ؟ . .
أيها البائعون سم الأفاعى هل سوى السم تربحون ؟!! »

رأيتنى إذا عددت الشعراء الذين أفزع إليهم كلما حزبنى أمر وضقت بالحياة والأحياء أعد نعيمه فى طليعة أولئك الشعراء فما أكثر ما اردد قوله :

إذا سماؤك يوماً تحجبت بالغيوم
أغمض جفونك تبصر خلف الغيوم نجوم
والأرض حولك إمّا توشحت بالثلوج
أغمض جفونك تبصر تحت الثلوج مروج !

وإن بليت بداء ـ وقيل داء عياء
أغمض جفونك تبصر فى الداء كل الدواء ! .

وعندما الموت يدنو واللحد يفغر فاه
أغمض جفونك تبصر فى اللحد مهد الحياة !

فما رددت هذه الأبيات إلا شعرت بأن المرارة التى كنت أغص بها قد خف وقعها وانقشعت عن سماء نفسى تلك السحب الدكناء وصغرت فى عينى همومى وآلامى؛ فنعيمه من هذه الناحية طبيب أرواح وقلوب قبل أن يكون شاعراً !

فهو يدخل القلوب بعقاقيره الروحية دون استئذان ،وببساطة فائقة يمتلك تلك القلوب التى أثقلتها هموم العيش وآدها ثقل السنين ويصبح فيها السيد المطاع ، فلا يلبث أن يغسلها بزيته المقدس وينقيها مما علق بها من أوضار ورسب فى قاعها من أقذار حتى تراها تعيش فى عالم نعيمه الروحانى الذى يشيع فيه الحب والخير والجمال ، فنعيمه يقوم بمهمات ثلاث : مهمة الكاهن ، ومهمة الفيلسوف ، ومهمة الشاعر ! ..

ليقل الناس ما شاءوا فلست أؤمن إلا بوجدانى ولست أفهم الحياة والفن إلا به وعلى ضوئه ، وقد هدانى وجدانى إلى حقيقة لا أتزحزح عنها قيد شعرة وهى أن نعيمه فيه نبوة ، ولكنها من نوع جديد ، وآثاره الأدبية هى (امتداد) لأنبياء العهد القديم ، أما الذين لا يرون إلا ما سطر على القرطاس فلم يكتب لهم هذا الكلام . وما دامت الفنون تقاس بمقدار ما تتصل بالنفوس ، والأدب أحد تلك الفنون — ولعله أسماها جميعاً — فنعيمه من أشد الشعراء اتصالا بالنفوس وأعلقهم بالأرواح ...
إنه من أولئك الشعراء والكتاب الذين يرتفعون بالإنسان إلى آفاق الروح الكلى ويمتزجون به امتزاج الليل بالنهار والروح بالجسد ، فما قرأته مرة إلا أحسست بأننى أقرب ما أكون إلى الله وأبعد ما أكون عن (التراب) !

وهذا لعمرى هو الفرق بين أدب السماء وأدب الغرائز والأحقاد .إن من ينعم النظر فى شعر نعيمه ونثره يجد أنه يهدف إلى غاية هى غاية الغايات ، أى نشر المحبة والخير والسلام بين الناس ، تلك المحجة التى طالما سعى إليها الأنبياء والشعراء والفلاسفة منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا ، وسوف يظلون يسعون إليها ما دام الإنسان إنساناً ، وما دامت الأرض أرضاً ، وفى سعيهم المتواصل هذا سعادتهم وسعادة البشرية ، فالسعى إلى الكمال تطور وتجديد أما الكمال فوقوف وجمود كما يقول عبقرى ألمانيا الأعظم «جيتى»

ليست شاعرية نعيمه من تلك الشاعريات التى تعتمد على بلاغة الألفاظ ورنين القوافى وإنما هى شاعرية مجنحة تحلق بين الأرض والسماء ، قوامها الروح ولحمتها وسداها الأفكار السامية والتأملات العميقة . فى شعر نعيمه صوفية حالمة وحيرة وتساؤل وشك وإيمان ، فيه ثورة وتمرد واستسلام ، فيه امتزاج بالكون، فيه صلوات وابتهالات تحمل فى تضاعيفها النور والطمأنينة ، فى شعر نعيمه هينمة النسيم وأنداء الربيع ! ...

***

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى حمل نعيمه البندقية فى

جيش الولايات المتحدة فرأى بعينيه أشلاء إخوانه كيف تمزقها القنابل، كما سمع بأذنيه أنين الجرحى وصراخهم الذي يصم الآذان من ظلم الإنسان ووحشيته فانطبع في نفسه كره شديد للقوة الغاشمة والأقوياء الظالمين، وانتهت الحرب بانتصار الحلفاء على أعدائهم، ولكن المجاعة في سوريا ولبنان كانت تفتك بالألوف من أبناء وطنه فزفر نعيمه هذه الزفرة الحارة وأرسلها صرخة مدوية خالدة:

أخي، إن ضج بعد الحرب غربي بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا، ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتاً مثلي
بقلب خاشع دام
لنبكي حظ موتانا!
أخي، من نحن؟ لا وطن ولا أهل ولا جار
إذا نمنا، إذا قمنا، ردانا الخزي والعار
لقد خمت بنا الدنيا، كما خمت بموتانا!...
فهات الرفش واتبعني
لنحفر خندقاً آخر
نواري فيه أحيانا!! الخ..

هذا هو نعيمه الثائر الذي يريد أن يؤجج النار في الجليد! هذا هو نعيمه الإنسان الناقم الساخط على ظلم الإنسان لأخيه الإنسان..

ولنصغ الآن إلى نعيمه الفيلسوف يفتش عن نفسه في الموج الذي يثور والبحر الذي يبكي عند أقدام الصخور، وفي الرعد الذي يدوي بين طيات الغمام والبرق الذي يفري سيفه جيش الظلام، وفي الريح التي تذرى الثلج عن رؤوس الجبال وفي الفجر الذي يمشي خلسة بين النجوم!

إن رأيت البحر يطغى الموج فيه ويثور،
أو سمعت البحر يبكي عند أقدام الصخور
ترقبي الموج إلى أن يحبس الموج هديره
وتناجي البحر حتى يسمع البحر زفيره
راجعاً منك إليه
هل من الأمواج جئت؟!

إن رأيت الفجر يمشي خلسة بين النجوم
ويوشي جبة الليل المولى بالرسوم
يسمع الفجر ابتهالا، صاعداً منك إليه
وتخرى كنبي هبط الوحي عليه
هل من الفجر انبعثت؟!

حقاً إن نعيمه في قصيدته «من أنت يا نفسي» التي شوهت جمالها وفرقت وحدتها باختياري هذين المقطعين منها لمن أبدع الشعراء تصويراً وأبرعهم تلويناً للفكرة الواحدة. فمن منا لم يحس بنفسه تحاول التفلت والانطلاق، وتحن إلى الامتزاج بمظاهر الكون؟ إلا إنني لا أعرف شاعراً كنعيمه استطاع أن يصور لنا تلك الارتماشات التي تهيمن على النفس الإنسانية أمام هدير الأمواج وقصف الرعود ولمع البروق وأنين الرياح وانبثاق الصبح وغناء البلبل.

لقد بلغ نعيمه في هذه القصيدة درجة الإعجاز الفني لأنه شاعر فيض وإلهام لا شاعر قريحة ونحت ألفاظ. انظر كيف يلخص قصيدته بهذا المقطع الرائع:

إيه نفسي! أنت لحن فيّ قد رنّ صداه
وقعتك يدُ فنان خفيّ لا أراه
أنت ريحٌ ونسيمٌ، أنتِ موج أنت بحرُ
أنت برق، أنت رعدٌ، أنت ليلٌ، أنتِ فجرُ
أنتِ فيضٌ من إله!

وهنا لابد لي من تسجيل هذه الخاطرة في شعر نعيمه، وهي أن شعر نعيمه من ذلك النوع الذي لا يرهق العقل ولا يكده — على ما فيه من عميق الفكر وسامي الخيال — بل يفيض على القلب طمأنينة ويشيع في النفس راحة ويقوى من أجنحة الخيال ويبسط على الروح جواً سحرياً فيه متعة وفيه إخلاد إلى التأملات والاشراقات الروحية التي تقرب الإنسان من خالقه وتبعده عن دنيا الأطماع والسفاسف والشهوات؛ ولعمري تلك مزية شعر الأمم والأجيال!..

***

قال نعيمه: «إذا سئلتم عن أبدع آيات الفن وأغلاها قولوا: ضمير لا يسخر وجبين لا يعفر ولسان حليم شكور، وقلب عفيف

غفور ، وعين لا تبصر القذى ويد لا تنزل الأذى وفكر يرى فى البلية عطية وخيال يربط الأزلية بالأبدية » ولوطبق هذا الدستور الذى استنه نعيمه للفن الرائع لكان أدبه فى طليعة الآداب التى ينطبق عليها هذا الدستور .

ولننتقل الآن إلى نعيمه المتصوف مبتهلا إلى ربه ، ففى ابتهالاته دليل ناصع على انسانيته الشاملة وإيمانه الراسخ بوحدانية الحياة والوجود :

كحل اللهم عينى بشعاع من ضياك — كى تراك
فى جميع الخلق ، فى دود القبور ،
فى نسور الجو فى موج البحار
فى قروح البرص فى وجه السليم
فى يد القاتل فى نجع القتيل
فى سرير العرس فى نعش العظيم
فى يد المحسن فى كف البخيل
فى قذى العاهر فى طهر البتول . . . .
وإذا ما ساورتها سكتتة النوم العميق
فاغمض اللهم جفنيها إلى أن تستفيق . . .
وافتح اللهم أذنى كى تعى دوما نداك - من علاك
فى ثغاء الشاة ، فى زأر الأسود ،
فى نعيق البوم فى نوح الحمام . . . .
فى خرير الماء فى قصف الرعود . . . .
فى هدير البحر فى مس النمام . .
فى صراخ الليل فى همس الصباح
فى بكا الأطفال فى ضحك الكهول .
فى ابتهالات العراة الجائعين . . . .
فى انتخاب الناى فى دق الطبول . .
فى صلاة الملك والعبد السجين . .
وإذا ما قرب الموت وواقاها الصمم .
فأختمن ربى عليها ريثما تحيا الرمم .
واجعل اللهم قلبى واحة — يستقى منها القريب — والغريب!
ماؤها الإيمان أما غرسها . . .
فالرجا والحب والصبر الطويل ! . . .

إلى آخر تلك الابتهالات التى نستشف من بين ثناياها فلسفة نعيمه الانسانية ، المؤمنة الموحدة ، ونطل من خلال مقاطعها على ذلك العالم الروحانى الذى يعبق منه أرج (بوذا) ونفحات (لاوتسو) ...

***

وهلم بنا الآن إلى (أوراق الخريف) ...

قل أن تجتمع الفلسفة والشعر صعيد واحد ، ذلك لأن نبعة الشعر الوجدان ، ونبعة الفلسفة العقل ، وإذا استطاع الشاعر أن يزاوج بين الشعر والفلسفة كما فعل أبو العلاء المعرى (وجيتى) وغيرهما مما عمقت ثقافتهم وتسامت أرواحهم واتسعت آفاق وحيهم ودقت ملاحظتهم لبواطن الحياة وظواهرها ، أقول إذا استطاع الشاعر أن يجمع بين الشعر والفلسفة فهو الشاعر الخالد الذى لا يجوز لأمة أن تدعيه لنفسها دون أمة أخرى لأنه شاعر كل مكان وزمان . ونعيمه — فى اعتقادى — أحد أولئك الشعراء وأن كره عشاق (موزاييك) الألفاظ وعباد الطنين والرنين والقوافى الجوفاء ! .

ففى المقطعين الأولين من (أوراق الخريف) نرى نعيمه شاعراً يؤلمه ويشجيه أن يشاهد تلك الأوراق المصفرة التى لوت أعناقها رياح الخريف وذرتها فى الفضاء . .

إننى لأكاد ألمح دمعة التفجع فى عينيه وهو ينظر إلى تلك الوريقات تتساقط الواحدة تلو الأخرى ناظرات إلى رفيقاتهن اللواتى ما برحن خضراً على غصنهن بأعينهن الدامعة وقلوبهن الواجفة لهول الفراق الذى لا لقاء بعده ولرهبة المصير الذى لا رجعة منه !

هذان المقطعان هما من رائع الشعر لأنهما غاية فى البساطة والصدق والإحساس فضلا عن الموسيقى المترقرقة بين السطور وفضلا عن المعانى الإنسانية والأحاسيس المختلفة التى توحيها الأبيات للقارىء أو السامع ...

(يتبع) مناور عويس

حول قصر الناصر :

فى فن الاخراج المسرحى

للاستـــــــــاذ زكي طليمات

فى العدد ٧٥٠ من هذه المجلة الغراء تفضل الأستاذ (ط) بكلمة طيبة عن تمثيل الفرقة المصرية رواية (النـاصر) للشاعر الكبير عزيز أباظة باشا ، وخصنى فيها بالتفاتة رعاية ، ثم تكرم مخلصاً بالفات نظرى إلى ناحية من نواحى الإخراج الذى أجريته فى المسرحية ، وهى ناحية جديرة بالكشف وفى التعقيب عليها تبيان لمنحى من مناحى الإخراج المسرحى فى مرحلته الحديثة .

يعجب الأستاذ كيف يحدث جرح ، فوق المسرح طبعاً ، من غير أراقة دماء ، فقد طعنت إحدى شخصيات الرواية أخرى بخنجر ، ومع هذا فانه لم ير أثر للدماء ولا تمزق فى الثياب .

وهذا عجب مشروع له ركاز من الحق إذا اعتبرنا فن التمثيل من حيث الأداء ومن حيث الإخراج ، نسخا للحياة ونقلا عن الواقع فى أدق تفاصيله ، أو بالأحرى إذا اعتبرنا المسرح لوحة فوتوغرافية من الواقع

هذا الاعتبار الذى يأخذ به نقاد المسرح المصرى له أصل فى تاريخ تطور الفكرة عن فنون المسرح ، وأقصد بالفكرة وجهة النظر التى يأخذ بها الجمهور أدباؤه وفنانوه ، تبعا للمزاج العام الذى تعمل على تكوينه الاتجاهات الصريحة فى الأدب والفنون ، وقد برزت فى أتم طابع وجهة النظر فى أن يكون فن التمثيل مماثلا كل المماثلة للحياة الواقعية ، فى أواسط القرن الماضى ، وانتشرت فى أواخره وغيرت كل وجهات النظر الأخرى ، على يد المخرج الكبير (أندرية أنطوان) فى فرنسا (استانسلفسكى) فى روسيا ، وكانت هذه الحركة بمثابة رد فعل لما كانت علية فنون المسرح إذ ذاك من ابتعاد عن الواقع واغراق فى الأخذ بالتزاويق .

ولم يك هذا أمرا مستغربا لأن (المذهب الواقعى) كان سائدا فى أوروبا ، وشمـــــل الأدب فى جميع ألوانه ، والفن فى مختلف أنواعه .

ولم يك هذا المذهب الواقعى إلا صدى من أصداء المزاج العام والحركة الفكرية الواعية وغير الواعية . بفعل التقدم الآلى فى الصناعات والمخترعات وبتأثير الحركة العلمية التى انتهت إلى اكتشاف جراثيم الجدرى والدفتريا والسل وغيرها من الأدواء ، وهى حركة قوامها (المجهر) و (معمل الابحاث والتحليل) فكان أن خلد فى أذهان الناس بتأثير هذا ، أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى جوهر الأشياء إذا أخضعها للتحليل والتجزئة ، وأن آله (الفوتوغرافيا) فى إمكانها أن تنقل الحياة الواقعية نقلا دقيقا يطابق الأصل فالفن والحالة هذه ، لا يكون فى أوج كماله إلا إذا نسخ الواقع وماثله .

ويروى تاريخ الإخراج المسرحى ، فى صدد هـذه النزعة الواقعية أعجب الحوادث ، فقد أخرج (أنطوان) زعيم هذه الحركة فى المسرح منظراً فى إحدى الروايات ، يمثل مجزراً للماشية ، فكان أن شاهد الجمهور عدداً من الماشية المذبوحة وقد سلخت جلودها ، وشـدت إلى المشاجب الحديدية ، والدم يقطر منها فوق أرض المسرح ، فصفق الجمهور إعجابا .

وأخرج زميله الروسى منظراً يمثل مقدم باخرة تشق عباب البحر فى يوم عاصف ، فإذا برشاش الماء يتناثر على الصفوف المتقدمة من أمكنة النظارة . وهكذا اصبحت قدرة المخرجين على محاكاة الواقع مقياساً لنفوق والشهرة .

ولم يكن المخرجون فى هذا منحرفين عن الجادة ، لأنهم كانوا يصدرون عما يتفق ونظرتهم ونظرة الجمهور إلى الفن المسرحى من حيث أنه صورة شمسية من الواقع الملموس . وقد تناسوا أن المناظر التى يطالعونها فوق المسرح لا تأخذ من حقائق الأشياء غير مظاهرها ، بدليل أن ما يرونه ممثلا للجدران الصلبة ، والأعمدة ، وحوائط الباخرة ليس إلا أستار ملونة مشدودة إلى إطارات من الخشب ، ويكفى للدلالة على زيف معدنها أن تقع يد إحد الممثلين عليها فإذ هى تهتز وترتعش .

هذه النظرة إلى فنون المسرح أو بالأحرى هـذه (النزعة الواقعية) ، مابرحت تسود الأكثرية الغالبة من الجمهور . وقد جاءت الينا مع مجىء فن التمثيل باللسان العربى ، وفى طيات الموجة الثقافية الغربية التى تكسرت على شواطىء وادي النيـل فيما بعد أواسط القرن الماضى . وقد تأصلت لهذه النزعة فى مجتمعنا جذور أمتدت على مر الزمن ، فإذا الفن بين أيدينا لا يتعدى أن

يكون صوراً شمسية من الواقع فى أدق تفاصيله .

ولكن الزمن قد تطور فى أوروبا التى أخذنا فنون المسرح عنها ، فتغيرت قيم وأوضاع فى الأدب والفن ، فبليت (واقعية) الفن بعد أن اتضح قصورها عن أشباع الواعية الأوروبية التى أزدادت نضجاً على وقع التقدم العلمى فى نواحى الفلسفة وعلم النفس ، الذى أثبت أن المرئيات إنما هى مظاهر ودلائل تشير إلى جوهر الأشياء ولا تفصل ، وتوحى ولا تفصح ، وتجمل ولا تحلل وأن الأخذ بالتركيب Synthése أصوب من الأخذ بالتحليل العاجز المتطاول . وقامت نزعة جديدة فى الأدب والفنون تأخذ بالإيحاء الشامل بدلا من نسخ الواقع وتفاصيله ، وبالتركيز بدلا من التحليل المفصح الذى يعنى بالتفاصيل ولا ينتهى إلى الجوهر . وقامت فى المسرح ، وذلك فى أوائل القرن الحاضر ، حركة تناهض (الواقعية) فى فنون التمثيل وترتكز على ما تقدمت الإشارة إليه ، سرعان ما قضت عليها إذ تركتها بين أيدى المتأخرين من متابعة قافلة التطور فى الأدب والفن . فإذا المناظر المسرحية للاجمال والإشارة فى التصوير ، وإذا الإضاءة للتركيز على المواطن الهمة فى الحركة المسرحية وليس لمجرد الإنارة ، وإذا كل ما يبدو فوق المسرح للايحاء ، وإذا بالمسرح يصبح (تمويها للواقع) وليس (نقلا واقعيا) عنه ، وامتد تأثير الاتجاهات الفنية الحديثة إلى الرئى فوق المسرح فإذا بنا نطالع فوقه مذاهب (الإيحائية) و(التأثرية) و (التعبيرية) فى التصوير والرسم .

وقد زاد فى الأخذ بهذا ما فرضته السرعة فى الانتقال من تأثير على النظرة إلى المرئيات ، هذا التأثير الذى نسخ بدوره فعله على العقل الواعى وغير الواعى ، فغدا مقياس العمل فى كل نواحى الحياة ، (أتيان أكبر الأثر بأبسط الوسائل وفى أسرع وقت) . وكان من أكبر الأسباب التى دفعت بالمسرح إلى أن يأخذ اتجاهاً يجافى الواقعية ، فى تسجيل المرئيات ، هو قصوره عن مجاراة (السينما) فى وسائل أحياء الواقع على الوجه الذى تراه العين المجردة .

من أجل هذا وعلى هدى ما تقدم ذكره فإننا نأخذ بهذا الاتجاه الجديد فى إخراج مسرحياتنا ، حتى نماشى روح العصر الذى نعيش فيه . الإيماءة تأخذ مكان الحركة الكاملة ، وجذع الشجرة ينبىء عن فروعها ويشير إلى أغصانها ، والعامود ذو الطراز المحدود ، أو الحنية أو العقد فى البناء ، يغنى عن إيراد بهو كامل الجدران قد دقت اليد فى إيراد تفاصيله وكذلك الحال فيما هو دون هذا ، فإن طعنة الخنجر أو ضربة السيف ، توحى بما يصاحبها .

وقد يصح أن فى اتباعى هذا المذهب أقدم غير ما يألفه السواد الأكبر من الجمهور ، ولكن من واجبى أن أبشر بالجديد الذى يقبله الجمهور الأوروبى ، وهو جمهور سبقنا فى مضمار فنون المسرح ، وعنه نأخذ فى فنية المسرح وحرفيته ، وهذا الجديد غير عسير استساغته ، لأنه يرتكز على الطبيعة بقدر ولا يجافيها كل المجافاة .

وأؤكد للأستاذ (ط) أن مداركة ما أخذه علينا من أن الدم لم يتفجر على اثر طعنة الخنجر ، من أيسر الأمور ، ويكفى أن نضع فى عب ممثلة دور الفتاة التى تطعن بالخنجر ، (تفاحة) مملوءة بسائل أحمر ، لا بالدم ، فسرعان ما تتفجر تحت ضغط اليد التى تهوى عليها ، فيغشى السائل الأحمر ثيابها ويسيل إلى الأرض ، بل وينطلق رشاشه إلى الجمهور الذى يأخذ مكانه فى الصفوف الأمامية .

ثم ماذا يكون قول الأستاذ (ط) إذا شاهد مرة فى إحدى المسرحيات منظراً يمثل معركة حربية بين صليل السيوف التى من الخشب ، وانفجار القنابل المزيفة التى تفرقع ولا تحدث أثراً ، بما ذا يحاسب المخرج إذا لم ير الدماء تسيل أنهاراً فوق المسرح ، والإشلاء تتطاير هناك وهناك ، ويضرب بعضها وجوه النظارة كما كان يجب أن يجرى فى الواقع ، وهل يصح أن يقول أن المخرج أهدر جانب الواقع ، وتورط فى الخطىء الفاضح .

أقول أن الخدع المسرحية التافهة التى تدخل فى نطاق ما ذكره الأستاذ الناقد أصبحت اليوم لا تؤثر فى الجمهور المثقف ، كما كانت تؤثر فى نفوس أجدادنا مخدوعين أو متناسين الحقيقة ، لأن النضج الذى نزل بالذهنية الحديثة من جراء التطور العلمى العام صار يميل إلى الأخذ بالايحاء حتى ينسرح خيال المشاهد فيكمل التفاصيل ، على وجه قد يكون أروع من تفاصيل مفروضة عليه من سواه .

أقول أن فن المسرح فى مظاهره المادية الخاصة بالإخراج ليس الحياة بواقعيتها وفى دقائقها وتفاصيلها ، وإنما هو تمويه بهذا فى حدود المعقول ، الذى يبعث الإيحاء ويساعد على الرمز وينشط مخيلة النظارة على الإنسراح لاستخراج التفصيل من المجمل ، والكل من الجزء .

زكى طليمات

١ — من وحى الآثار :

مع ملاحى الشلال الأول

للأستاذ مصطفى كامل ابراهيم

« أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » .
(قرآن كريم)

حدثنا الأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود فى العدد ٧٤٦ من الرسالة عن ذكرياته الشائقة فى بلاد النوبة فقال : « وللشلال شهرة بالملاحة ، فأكثر الملاحين الذين يشتغلون فى البواخر النيلية بوجه عام ، تجارية وحكومية ، وشراعية ، من هذه البلاد الصغيرة المسماة بالشلال !! » .

وتروى لنا مخلفات القدماء ها هنا ، أن رجالات الشلال قد أدوا لوادى النيل من الخدمات فى غابر الأيام ما يتوج المصريين بتاج الفخار وهى باقية ما بقى العلم وما بقى الاعتراف بالصنيع ، وأن لهؤلاء الرجال فى أعناقنا جميلا فلنؤده إحياء لذكراهم وإن قل هذا الأداء .

ولقد لعب النيل دوراً هائلا فى حياة المصريين منذ نشأة الحياة الأولى على ضفافه ومنذ بدأ القوم يتعلمون الزرع والضرع على يد « أوزيريس » الطيب القلب ، الكريم المحتد ، فلا عجب إذاً أن ملاحى الشلال الأول الذين وقفوا حياتهم على خدمة النهر والعناية بأمره وحماية منابعه(١) ، أن يكتبوا بأحرف من نور ، سجلا تاريخياً حافلا بجلائل الأعمال .

وقصة « أوزوريس وست »(٢) ، هى القصة التى ملأت وجدان المصريين القدماء طوال أيام تاريخهم القديم ، واحتلت مكان الصدارة من حياتهم الدنيوية ، وأثرت فى نفوسهم بالخير والبركة ، ولعلها السبب الثانى بعد الطبيعة السهلة التى خلقت فى المصريين النفس السمحة ولين العريكة وطيب القلب ، مما أوحى إلى « هيرودوت » أن يصدر حكمه المشهور « المصريون قوم يخشون الله » .

وطال ترديد القصة بين أفواه الناس وأسماع الزمن ، حتى تجاوبت أصداؤها فيما وراء البحر وجاء بلوتارخ سنة ١٢٠ من ميلاد المسيح ، يستنبىء الناس الخبر ، ويستقرىء الآثار ، فسمعها من الكهنة ثم كتبها للناس . ودلت الآثار على أن الرجل لم يكن متجنياً كغيره من المؤرخين(١) .

وقد مست القصة مواطن العبقرية من الأدباء والشعراء المحدثين فقضوا الليالى الطوال ينعمون معها بفيض من الاطمئنان الروحى ثم انطلقت قرائحهم بالنثر والشعر الرصين ذلك لأنها من أجود القصص بل لعلها أجودها جميعاً ، والذى يقرؤها من قلم « شيلير Sehiller » يشعر بأن الرجل كان هائماً بها هيامه بما يكتب ، فأخرجها آيات مبدعات من روائع الفن .

وأنا لا أستطيع أن أتهم المصريين القدماء بأنهم عبدوا الإنسان والحيوان والجماد لذاته ، فإن ما خلفوه من مجد أثيل وثقافة عالية لا تسمح لهم أن ينزلوا هذه المنازل السحيقة من الجهل ، بل الرأى عندى أنهم أدركوا صفات الله تعالى وبحثوا عنه فى ملكوته ، فلم يروه ... ورؤا شيئاً من صفات الخالق فيما خلق ، فقدسوها على أن بها سراً من أسرار الله ... قدسوا «أزوريس» لكرمه ورحمته بالعباد ، والنيل لمثل ذلك «وخنوم» رب الشلال الأول لأنه يحمى منابع النيل ويصنع الخلق من طينته

وبالرغم من أن مصر لم تكن مهبط الأنبياء ، إلا أن المصريين القدماء قد أظهروا استعداداً طيباً لتقبل الأديان السماوية قد ينفردون به دون أمم الأرض ، ففى أيام موسى عليه السلام ، آمنت له امرأة فرعون وكل من شاهد برهان الله على يد رسوله ، ولما جاءت المسيحية اعتنقوها حتى لم يبق فى الديار كافر بها ، ثم لما أشرق نور الإسلام فى شمال الوادى ، سطع ضياؤه بين

(١) اعتقد القدماء أن النيل ينبع من الشلال الأول .
(٢) راجع دكتور أحمد بدوى : فى موكب الشمس ج ١ . ص ٦٩ — ٧٢ — سليم بك حسن : الأدب المصرى القديم ج ٢ — ص ١١٣ — ١١٥ و١٢٧ .

(٣) راجع The Papayri of Chester Beaty. «Hymne d'Osiris», Stele Pib. Nat. 20. Rooder Urkunden Zur Religion P. 22—26.

٢٩٠٤٤

جنباته وتغلغل فى نفوس أبنائه المؤمنين « الذين قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » ، وامتد هديه حتى عم كل بقعة وطئتها أقدام الداعين للاسلام ، أولئك الذين شدّ الله فى أزرهم وقوى نفوسهم فلم تصدهم عن رسالتهم أفاعيل السياسة ولم يقعدهم مال .

ومثل المصريين كمثل ابراهيم عليه السلام لما قلب وجهه فى الكوكب والقمر والشمس باحثاً عن الله ، فلما أعياه البحث تداركه الله برحمته ، فهداه سواء السبيل (١) .

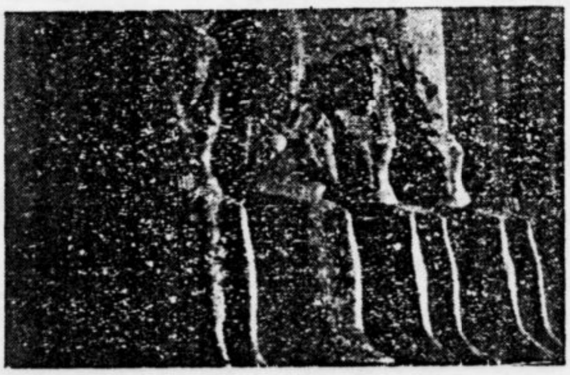
وأنا ممن يعتقدون أن القصص الدينى لم يكن كله حديث خرافة ، فمهما خصبت عقول البشر ومهما حاول المرتزقة من كهنة المصريين القدماء أن يقدموا للناس غذاء روحياً دسماً من الأساطير يعيشون على حسابه ، فلم يكن فى طوقهم ، ولا فى طوق غيرهم ، أن يخترعوا شيئاً من لا شىء ، فقصة « أوزيريس وست » إذاً هى قصة الأحياء من بنى الإنسان ، مثلتها الأيام وكان مسرحها جنبات الوادى الأخضر ، وليس للكهنة عليها من فضل ، اللهم إلا تأليه أشخاصها ، وجلوها ، وتجهيزها ، ثم زفها للناس .

وتتلخص القصة فى أن « ست » حاكم الصعيد الغشوم قد حقد على أخيه « أوزيريس » حاكم الدلتا لعدله وحب الناس له ، فصنع له تابوتاً على قدّه واحتال عليه حتى أرقده فيه ، وأحكم عليه الغطاء ثم ألقاه فى النيل ، وقذفته أمواج البحر إلى بيلوس (جبيل) من أعمال فينيقية (لبنان) ، وهناك أنبت الله عليه شجرة أرز وارفة أعجب بها حاكم تلك البلاد فقطعها ، وجعل منها عموداً يحمل سقف قصره ، وسمت « أيزيس » الزوجة المخلصة حتى عادت بتابوت الشهيد إلى الدلتا ، ثم كشفت الغطاء وأذرفت دمعة ساخنة سقطت على وجهه ، فأعادت إليه حياته بإذن الله ، إلا أن « ست » وافاه والمنية تسعى فى ركابه ، فزق الشهيد قطعاً وبعثر أشلاءه فى أقاليم الوادى ... ثم عمد منه إلى عضو التذكير فبتره وألقى به إلى سمكة فى النيل ، حتى لا ينجب ذرية قوية تنازعه الغلبة والسلطان .

إلا أن « إيزيس » التى حملت من روح زوجها أنجبت له « حوريس » فيعمل هذا على الانتقام لأبيه ، ويطلب الاحتكام فى أمره وتبدأ أولى جلسات المحكمة فى (أون) عين شمس ، ويخاف « ست » على هيئة المحكمة أن تعصف بها فتنة «إيزيس» الجميلة الساحرة ، وتنتقل المحكمة إلى قاعة العدل العليا فى جزيرة فيلة عند الشلال الأول ، غير أن « إيزيس » تسافر إلى الشلال الأول وتطلب من أحد الملاحين أن ينقلها على سفينته إلى الجزيرة ويجيبها السفان أنه لن يستطيع هذا بأذن منها ، وتتمكن أخيراً من إغرائه بالذهب فيحملها إلى الجزيرة .

... وتتم كلمة الله ويجيء الحق ويزهق الباطل ويزهق معه روح « ست » .

ومنذ ذلك اليوم من فجر التاريخ إلى آخر أيام الفراعنة ، والملوك — إلا فى فترات قصيرة — يعتبرون أنفسهم أحفاداً « لحوريس » وذلك لإقرار شرعية حكمهم ، ومن أجل هذا كتبوا أسماءهم داخل إطار فيما يحاكى رسم القصر الملكى ، وقد حطّ عليه الصقر رمز « حوريس »(١) مشرعاً هامته إلى السماء .



وتروى لنا القصة فيما تروى من أنباء الماضى أن مصر قد تذوقت لوناً من ألوان الوحدة تحت حكم ملك واحد فيما قبل أيام « مينا » مؤسس « الأسرة الأولى » . وتروى لنا أيضاً أن لمصر علاقة بلبنان قديمة قدم القصة ، وتطالعنا الآثار بأن مصر أفادت من خشب الأرز اللبنانى فى بناء السفن والتوابيت ، وأغلب الظن أن علاقتهما كانت علاقة الأخ الكريم بالأخ الكريم ، ولم تكن

(١) سورة الأنعام : آيات ٧٥ ، ٧٨ .

(١) كان الأسد رمز الظاهر بيبرس .

غير ذلك طوال أيام تاريخهما ، إلا فى فترات التدخل الأجنبى وتسلطه البغيض .

ونحن لا ننظر إلى القصة من زاوية الخير والشر كما يفعل الوعاظ ، ولكن نراها من ناحية علاقتها التاريخية بالشلال الأول فالنيل شخصية واضحة تلازم البطل « أوزوريس » فى جميع مناظر القصة ، إلا ما كان منها خارج واديه ، بل لعل البطل يندمج مع النيل فى بعض فصول القصة . وشخصية «أوزوريس» فيما يظهر ، هى الصورة المجسمة العاملة المدبرة للنهر الميمون ، بل إن اختيار قاعتى المدل المزدوجة فى عين شمس أولا ، ثم فى الشلال الأول أخيراً على وجه التحديد ، كان بسبب وجود مقياسين للنيل عند منبعه وبدء تفرعه إلى أفرع كثيرة ليست من صلب النيل ، بل إن بعضها لا يمتلىء إلا فى فترة الفيضان — وقد كان للمقياسين أخصائيون يقيسون زيادته ونقصانه ويزنون مياهه ، ويرصدون عليه حركاته ، ثم يقدرون من وراء هذا كله دخل الحكومة وأرزاق الناس .

وعندى أن اهتمام المصريين بمنابع النيل عند الشلال الأول لم يكن عبثاً بل كان لابد لمنابع النيل من إدارة عليا تهيمن عليه ، لا تدانيها فى عظمتها إدارة الشمال ، كما هو الحال فى يومنا هذا ، فإن مصلحة الرى المصرى بالسودان توافى البلاد بأخبار النيل على الدوام .

ويعزز رأينا هذا ما قاله الملاح «لايزيس» من أنه لا يستطيع أن ينقلها بإذن منها — يعنى بذلك أنه موظف مسئول وأنه لا يتلقى الأمر إلا من صاحب الأمر ، وتطالعنا الآثار بأن حاكم الجنوب اتخذ كرسيه فى جزيرة فيلة عند الشلال الأول متمتعاً بأقصى ما يتمتع به عامل من ثقة مليكه .

ونحن إذ نؤمن بوجود إدارة عليا للنيل عند منابعه مع وجود السفان وسفينته فى هذا المكان والاهتمام « بفينقيا » موطن أخشاب الأرز ، كل أولئك يحملنا على الترجيح بأن ملاحى الشلال الأول هم أول من أنشأوا السفن تجرى على صفحة النيل السعيد بسم الله مجريها ومرساها .

ولعل بين أسناد التاريخ الأثرية ما تكشفه لنا الأيام فيؤيد هذا بصورة قاطمة .

ولقد ظل ملاحو الشلال الأول محافظين على عهدهم مع النيل فصادقوه وحالفوه ، وعاشوا بين كنفه فأطلعهم على مكنون سره ودخائل نفسه ، فعرفوا كل صخرة من صخوره ، وخبروا كل شعْبة من شِعابه ، وتروى لنا مخلفات القدماء هنا بأن « أونى » أحد عمال « مون رع » فى جزيرة فيلة فى أيام الأسرة السادسة سنة ٢٣٢٨ قبل ميلاد المسيح تمكن من أن يقتطع طريقاً بين صخور الشلال ليفتح سبيلا لسفن صاحب الجلالة إلى الجنوب ، وبعد ذلك بستمائة سنة[١] تمكن عمال الشلال الأول أن يعيدوا لسنوسرت الثالث فتح هذا الطريق ثم لما كانت أيام تحتمس الثالث الذى مد الله فى سلطانه ، فأمست له أمبراطورية عريضة تمتد من « قرن الأرض إلى أطراف المياه المكوسة »[٢] ، أراد قمع الثائرين فى الجنوب ، فوجد القناة قد طمسها تيار النيل ، فأمر ملاحى الشلال الأول أن يعيدوا حفرها وهكذا مكنوه من العودة إلى طيبة بطريقها . ومن ثم وضع فى أيديهم أمر العناية بها[٣] لتبقى مفتوحة وتجرى التجارة بين الشمال والجنوب ولإيصال ثقافات الشمال إلى أبناء الجنوب فيؤلف الله بين قلوبهم ويصبحوا بنعمته إخواناً . أو للضرب على أيدى الخونة المارقين من أشياع إبليس ، الذين تتحرك فيهم الغرائز الدنيا ، ويدفعهم الأثرة وحب النفس وشهوة المادة إلى تدمير وحدة الوادى السعيد وتقطيع أوصاله ، لمغنم زائل ، أو لجاه زائف ، لا يلبث هذا أن يجرم مقرنين بأصفاد الذلة ، ويطوح بهم إلى الحضيض من وادى العدم

فعليكم سلام الله ، أيها الأمجاد من أبناء « تاستى »[٤] وإلى اللقاء مرة أخرى فنحيى ساعة نستمرىء لذيذ ذكراكم العبقة بعطر الخلود .

(أسوان)

مصطفى كامل ابراهيم
وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

---

(١) راجع Breasted : A History of Fgypt.

(٢) قرن الأرض عند دنقله والمياه المعكوسة هى الفراتين .

(٣) راجع Breasted : A History of Egypt.

(٤) مقاطعة الشلال الأول ، راجع تقوس جوسق سنوسرت بالكرنك .

من الأدب النسوى :

الغزل فى شعر المرأة

للشيخ محمد رجب البيومى

— ٢ —

سنتكلم اليوم عن الغزل السافر ونمنى به ما قالته المرأة ، لتذيع غرامها على رءوس الأشهاد ، فينقله عنها البعيد والقريب ، فهى إذن لا تخشى ملامة أو مسبة ، بل تقدم جريئة على تحمل ما يتهددها فى موقفها الجرىء .

ونعلن بادىء ذى بدء أننا لن نتعرض إلى غزل الجوارى فيما نحن بصدده من الحديث ، لأننا نبحث عن النسيب الصادق الذى يضطرم بالعاطفة المشبوبة ، ويتأجج باللوعة المشتعلة ، وجل ما بأيدينا من غزل هؤلاء لا يهدف لغير الإغواء والتغرير ، بل كثيراً مايهبطن إلى مستوى لا يرضى عنه خلق نبيل ، حتى ليجوز لنا أن نشبههن بمن نرى من ساقطات الممثلات ، حيث يشغلن الصحف الخليعة بالحديث عن رنين القبلات ، وحرارة العناق ، وما يقصدن — علم الله — غير العاقبة الذميمة والخداع المريب .

على أنك لا ترى فى شعر الجوارى موارية أو كناية ، بل تجد نفسك أمام صراحة فاضحة ، ومنطق مكشوف ، كأن تقول إحداهن وهو أهون ما يمكننا أن نستشهد به :

إنى لأرجو أن تكون معانقى فتبيت منى فوق ثدى ناهد
وأراك بين خلاخلى ودمالجى وأراك دون مراحلى ومجاسدى

وأنا لا أنكر أن هذا تصوير صادق لما تنشده الجارية من أمل لذيذ ، فهو من هذه الناحية غزل يرتكز على الإحساس والشعور ، ولكن أدعو الشاعرة أن تبرز عاطفتها تلك ، فى سياق فنى ، يعتمد على التشبيه البارع ، والرقة المتسلسلة حتى تطرب قارئها برونق الأسلوب ، فينسى قسوة الفكرة ومرارة الهدف ، وأصدق مثال لذلك قول حفصة بنت الحاج القرطبية :

أزورك أم تزور فإن قلبى إلى ما تشتهى أبداً يميل
فثغرى مورد عذب زلال وفرع ذؤابتى ظل ظليل
وقد أملت أن تظما وتضحى إذا وافى إليك بى المقيل
تفضل بالجواب فما جميل سكونك عن بثينة يا جميل

فواضح جداً أن هدف الشاعرة الأولى هو بعينه هدف الشاعرة الثانية ، ولكن سياق حفصة جميل فاتن ، ولا غرو فهو طراز أندلسى أخذ جماله من عصره ، واستمد رقته من أهله فجاء صافياً كمرآة النهر الوديع .

ولابد أن يعلم القارىء أن التصريح فى نسيب المرأة كان فى مجموعه أقل من التلميح . وقد قرأت فى هذه الأيام أكثر ما روى لحواء من رائق التشبيب فلم أجد التصريح إلا فى حالات خاصة تخفف من حدته ، وتشفع لقائلته أتم شفاعة ، وهى فى جملتها لا تخرج عن حالات ثلاث :

فالحالة الأولى — وهى الجديرة بالإشفاق — تكون غالباً عند ما تفقد المرأة صوابها الراشد ، وفكرها المتيقظ ، فتندفع فى تيار الحب أعنف اندفاع وأقساه ، ولا تعود تفكر فى غير الشخصية المسيطرة على منافذ إحساسها ، القابضة على زمام فؤادها ، وما ظنك بمن ترسل أشعارها الذائبة ناطقة بجنونها الشق ، غير عابئة بما يلقاه بها الأقربون ، من صنوف الإيذاء والتعذيب كشقراء بنت الحباب ، فقد قاست فى غرامها الطائش ما تقشعر لهوله الأبدان ، وطالما انهال عليها والدها بالسياط المحرقة تشوى الإهاب ، وتمزق الأعضاء ، وهى بعدُ لا تنسى فى جحيمها المشتعل حبيبها يحيى بن حمزة بل تهتف :

أضرب فى يحيى وبينى وبينه مهامه لوسارت بها الريح كلت
ألا ليت يحيى يوم عيهم زارنا وإن نهلت منا السياط وعلت

وكأنى بوالدها وقد رحمها بعض الشىء فبعث إليها صواحبها لائمات عاذلات ، راجياً أن يثوب رشادها العازب إلى وكره ، فتنسى ما تهذر به للغادى والرائح ، ولكن أمل الحباب ينطفىء خابياً حين يجد ابنته تصيح فى آذان اللائمات :

سأرعى ليحيى الحب ماهبت الصبا وإن قطعوا فى ذاك عمدا لسانيا
فقد شف قلبى بعد طول تجلدى أحاديث من يحيى تشيب النواصيا

وهناك من المدنفات من لا تفرق بين النافع والضار ، فهى إذ تصطلى بجحيم الشوق اللافح ، لا تجد من تطلعه على خبيئة سرها غير والدها المنيف ؛ مع أن الأب — لوعقلت الفتاة — أول من

ينبغي أن يكتم عنه هذا النبأ المزعج ، وخاصة إذا كان من قساة البدو ، وجفاة الأعراب ، كوالد الخنساء التيحانية ، تلك التي علقت شاباً من بني خفاجة يدعى جحوشا ، وقاست في حبها العارم ما أقض مضجعها ، وشرد نومها ، فكتمت أمرها عن صواحبها ، وبعثت إلى أبيها التيحان تقول في غير اكتراث :

وإن لنا بالشام لو نستطيعه حبيباً لنا « يانيحان » مصافيا
نعد له الأيام من حب ذكره ونحصى له « يانيحان » اللياليا
فليت المطايا قد رفعنك مصعداً تجوب بأيديها الحزون الفيافيا

وإذن فهى لا تكتفى بازعاج والدها ، بل تتمنى أن يقود بنفسه مطاياه مصعداً إلى جنوب الشام ليكون رسولها الأمين إلى جحوش الحبيب ، والغرام جنون فاضح ، يولد الغرائب ، ويأتي بالمتناقضات ! !

أما الحالة الثانية : فلها من الظروف والملابسات ما يبررها لدى المنصف الأريب ، إذ تكون العاشقة ثيباً مطلقة ، فلا تؤاخذ على هيامها مؤاخذة غيرها من العذارى الناهدات ، بل يُلقى لها الحبل على الغارب ، ويسلم إلى كفها الزمام . أضف إلى ذلك ما غرب عنها من خفر الكواعب ، فقد ودعته إلى غير رجعة ، يوم أن انخرطت في سلك الزوجات ، ولديك أم الضحاك المحاربية فقد أمسكت عن الشعر الغزلى ، حتى طلقها زوجها ، واحتمل عنها إلى مكان نازح ، فهاج بها الشوق واندفعت تقول :

سألت المحبين الذين تحملوا تباريح هذا الحب في سالف الدهر
فقلت لهم ما يذهب الحب بعدما تبوأ ما بين الجوانح والصدر
فقالوا شفاء الحب حب يزيله على الفور أو نأى طويل على الهجر
وما الحب إلا سمع أذن ونظرة ورجنة قلب عن حديث وعن ذكر

وسيعجب القارىء حين يجدها تكشف نقاب الحياء دفعة واحدة ، فتعبر عن الحقيقة المكظومة إذ تنشد :

شفاء الحب تقبيل وضم وجر بالبطون على البطون
ورهز تهمل العينان منه وأخذ بالمناكب والقرون

وفى رأيى أن الغيرة أساس كل بلاء ، فلولا أن الشاعرة قد تضايقت كثيراً بتطليقها واقتران زوجها بغيرها ، لما رددت هذا القول الجرىء . وإن شئت فانظر إلى ولادة بنت المستكفى وهى كما تعلم ، جراءة قول ، وتكبر نفس ، فقد ضرع أمام جمالها الفاتن الوزيران الأديبان ابن زيدون وابن عمار ، فهزأت بهذا حيناً ، وسخرت بذلك أحياناً ، ولكن لم تكد ترى أبا الوليد يداعب جاريتها « عتبة » حتى دبت عقارب الغيرة إلى قلبها ، وعلت وجهها سحابة قاتمة ، من الضجر والضيق ، فتركت كبرياءها وكتبت إلى عاشقها تقول :

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا لم تهو جاريتى ولم تتخير
وتركت غصناً مثمراً بجماله وجنحت للغصن الذى لم يثمر
ولقد علمت بأننى (بدر) الدجى لكن ولعت لشقوتى (بالمشترى)

فكيف إذن نلوم أم الضحاك وقد أبدت ولادة العظيمة ما أبدت من الغيرة والاندفاع . على أن للمحاربية الخاملة في باب النسيب ما يضعها في منزلة ولادة النابهة ، وما زلتُ أردد في إعجاب قولها الرائع :

حديث لو ان اللحم يشوى بحره طرياً أتى أصحابه وهو ينضجُ

ونعرج على الحالة الثالثة ، وهى كثيراً ما تتكرر أمامنا من حين إلى حين ، فقد تكون المرأة عاشقة صبة ، فتجاهد نفسها فى إخفاء ما تكابدُه مجاهدة قاتلة ، ثم تمر الأعوام وراء الأعوام فإذا الشابة العاشقة تصير عجوزا شوهاء ، ذات أولاد وأحفاد ، وإذ ذاك لا تبالى بنقد ، أو تحفل بتجريح ، بل يطيبُ لها أن تجلس مع العذارى الناهدات ، قارئة تاريخ قلبها الحافل بالعجائب والغرائب ، دامعة على صباها الغارب ، وشبابها المرحوم ، ولا عليها فى ذلك ما دام الجميع يتهمها بالهتر والتخريف ، وما دامت قريبة من القبر ، فهى هامة اليوم أو الغد ، وأى نقد يوجه إلى شمطاء شهربة ، تدب على العصا ، وتمشى بها مشى الأسير المكبل كمشرقة البدوية إذ تقول :

جريتُ مع العشاق فى حلبة الهوى
ففقتهمو سبقاً وجئت على رِسلى
فما لبس العشاق من حلل الهوى ولا خلعوا إلا الثياب التى أبلى
ولا شربوا كأساً من الحب حلوة ولا مُرة إلا شرابهمو فضلى

ومع ما فى هذا القول من الصراحة التامة ، فإنه إذا قيس بشعر الرجل كان جميل الأثر ، طيب الوقع ؛ فنحن نرى الإباحيين من فحول الشعراء كامرىء القيس والفرزدق وبشار يطنبون فى ذكرياتهم الماجنة ، إطناباً تنقبض له الصدور ، ولو أننا لا نريد

أن ننشر هـذا اللون من الإفك ، لذكرنا على سبيل الموازنة ماتحمرله الوجوه ؛ غيرأننا نضع أمام القارىء أبياتاً لابن أبى ربيعة قد تواضع فى سردها ، فلم يملأها بما عُهد عنه من إفك ، وهى رغم ذلك من الإباحية فى هوة لا ينحط إليها غزل الحرة ، مهما فحش ولذع . قال أبو الخطاب :

فتناولتها فمالت كغصن   حركتـه ريح عليـه فمارا
ثم كانت دون اللحاف لِمشغو   ف معنّى بها صبوب شمارا
واشتكت شده الإزار من البهـ   ـر وألقت عنها لدىَّ الخمارا
حبّذا رجعـها إليها يديها   فى يدى درعها تحل الازارا !

وإن شئت أن ترى للمرأة شيئا من طراز عمر المكشوف فارجع إلى ما هجّناه من غزل الجوارى فى صدر هذا المقال .

هذا وقد تكون الشاعرةُ مضطرة إلى التصريح بما يعجز عن بيانه اللفظ ويقف دونه الريق ، فتأتى بالمعنى الجلى ، فى تركيب قوى ، دون أن يصدمها المسلك الوعر ، ويجبهُها الواقع المرير ؛ فقد راودَ توبة بن الحمير الخفاجى صاحبته ليلى الأخيلية فشاحت عنه ، وأرادت أن تفهمه موقفها النبيل ، فلم تستعص عليها قافية أو تند عنها عبارة ، بل أجابته فى قوة أسر وبراعة نسج فهى تقول:

وذى حاجة قلنا له لا تبحْ بها   فليس إليها ما حييت سبيلُ
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه   وأنت لأخرى صاحب وحليل
تخالك تهوى غيرها فكأنما   لها فى تظنيها عليك دليلُ

ولعمرى قد بلغت من السمو والروعة شأواً لم يصل إليه معنُ بن أوس ، حين اصطدم بصخرة كصخرتها العاتية فقد كان فى جاهليته يهوى أم مالك خليلته ، فأتت كعادتها إليه بعد إسلامه فقال من أبيات :

ولست كعهد الدار يا أم مالك   ولكن أحاطت بالرقاب السلاسلُ
وعاد الفتى كالكهل ليس بفاعل   سوى الحق شيئاً فاستراح العوازل

وشتان ما بين القولين وإن اتحدت الواقعة ، واتفق المراد !!

ولليلى هذه مراث جيدة فى توبة وكانت تصلها بقليل من الغزل الرائق فتطرب النفوس فى موقفها الحزين ، وأشهد لقد دلت على أن بنات حواء كأبناء آدم ، متانة تركيب ، وجلجلة لفظ وارتفاع مسلك ، ويهمنا أن نعرض نسيبها الدامع إذ تقولُ فى معرض الرثاء :

هو المسك بالأرى الضحاكى شبته   بدرياقة من خمر بيسان قرقف
فيا ألفَ ألف يوم تأتى مسلّماً   فألقاك مثل القسور المتطرف

وهناك من العاشقات غير ليلى مَن أبدعت كثيراً حين نهجت هذا النهج الجذاب ، وزادت فعمدت إلى الجناس الجميل إذ تقول:

كان مثل القضيب قداً ولكن   قده صرف دهره أى قد

أو تقول :

هو الأبيض الريان لو ضربت به   نواح من الريان زالت هضابها

وهكذا تكون الدموع مسرحاً للتشبيب البهيج ! !

ولا نختم هذا الفصل دون أن نلم بنموذج من الغزل الصوفى الذى ترنمت به المرأة فنشرت أمام العيون بروداً قشيبة ، عطرة الذيول . وإذا صح مايقولون من أن الحب الصوفى فى مبدئه حب إنسانى شبَّ وترعرع حتى وصل إلى نهايته العلوية ، فالمرأة أشد قابلية له من الرجل ، لما نعلمه من تأثرها العميق ، وإحساسها الرقيق . ويكفى أن نستشهد برابعة العدوية رضى الله عنها فهى صاحبة اللواء الخفاق بين أخواتها المتصوفات ، ولها من النسيب الفاتن جداول صافية تبل الصدى وتنقعُ الغليل كأن تقول :

أحبك حبين حب الهوى   وحبٌّ لأنك أهلٌ لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى   فشغلى بذكركَ عمن سِواكا
وأما الذى أنتَ أهلٌ لهُ   فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمدُ فى ذا ولا ذاك لى   ولكن لك الحمدُ فى ذا وذاكا

ورابعة كما ينطق التاريخ قد سبقت الشعراء جميعاً إلى الغزل الالهى ففتحت بذلك الطريق لابن عربى وابن الفارض والبرعى ومن يجرى معهم فى ميدان التصوف الوسيع ، ولا أدرى كيف سكت محللو الشعر القدسى فلم يسجلوا يدها البيضاء ! !

(وبعد) فهذه مرآة لامعة تجلو لنا طرائف من الغزل النسوى ونحن حين نزفها إلى القراء والقارئات نتساءل فى عجب : أيوجد بين شاعراتنا الآن من لها — ولو فى غير الغزل — هذه الديباجة المشرقة ، والرقة المتسلسلة ؟ أم أن ذلك عهد مضى ولن يعود ؟ !

(الكفر الجديد) **محمد رجب البيومى**

ربيعى فى قلبى ...

للأُستاذ حسين محمود البشبيشى

أضاءت زمانى نشوةً ومكانيا   حياةُ المنى رفّت بقلبى أغانيا
ربيعى فى قلبى ونفسى وخاطرى   أسير به حيًا ... وأحياه هانيا
طريقى أعطارٌ تضوعُ ، وبهجة   تشيعُ ، وطير طاف بالسعد شاديا
وحولى من معنى الربيع أزاهر
وفى النفس عطرُ الزهر قد فاض صافيا
وقد كنت قبل اليوم أسوان شاكيا
وقد كنت قبل اليوم لهفان باكيا
وقد كنت قبل اليوم وهمًا مشرداً   إلى أمل يُمسى و يُصبح كابيا
إذا أشرقت فى الأفق أنوار بُغيتى   رجعت وفى عينى من الليل ما بيا
فمن ذا الذى أحيا رمادى . والذى   أضاء زمانى نشوةً ومكانيا
فمدت كما أهوى .. وتهوى مشاعرى
ترف بعينىّ الحيـاةُ أمانيا

ربيعك يا ابن الشعر قد لاح . فانطلق
ربيعاً ... وفجّر بالنشـيد دمائيا
ففى الروح موجٌ من نعيمٍ تفجرت
ينابيعهُ سعداً . وفاضت تهانيا
تطالعك الأيام ... وهى بواسم   ويا طالما مرت عليك مآسيا
وترنو لدنياك البشائر حيّة   وقد كنت فى دنيا البشائر فانيا
وحولك جنّات . فقم وانطلق بها   حياةً وإحساساً وشعراً مواتيا

لدنياك . يا روح الربيع مشاعرى
تفيض قصيداً طاهر اللحن ساميا
من الأمل البسام فى جلوة المنى   يبدد يأسى ... أو يقبل عاثريا
من الدوح فينانًا ، من الزهر عاطراً
من النور فتانًا يُضىء ظلاميـا
من الروضة الخضراء ، من جنة الربى
من البلبل الشادى ، من النهر جاريا
من الظل والأنوار والزهر والشذا
من الحب ... من روحى وطهر فؤاديا
أصوغ لك الأشعار يا جنة الدنا   تضىء زمانى نشوةً ومكانيا !

إذا رفّت الأعطار حولى ... تفتّحت
أزاهير نفسى واستنارت سمائيا
وأحسست أنى صرتُ روحاً يقودُه
ويلهمه الأسرار وحياً نقائيا
أحس دبيب العطر فى الزهر قبلما   تحس به الأزهار نشوان ساريا
وأسمع همس اللحن فى كل نغمة   وأدركه نمسان فى الطير خافيا !
كأن بنفسى عالمٌ لا يحدُّه   كيانٌ ولا تحدُوه بالحسى ذاتيا
أكاد أرى بالروح ما كان خافيا   وأدرك بالإلهام ما كان نائيا
تساميت عن دنيا الرغائب وانتهت   حياتى . لآفاق تسامت معانيا
وآمنت حتى خلت أنى نبضة   بقلب الدنا . قد باركتها صلاتيا
وأدركت أنى والربيع يقودنى   أسير بأعماق الحياتين هاديا !
فتلك حياةُ الناس تنساب خدعة   توارت ولكن أراها كما هيا
وتلك حياةُ الروح من طهر مهجتى
تُضىء ضميرى عفةً وكيانيا
ينادمنى منها سموٌ ونشوةٌ   ويسكرها منى الحنين الذى بيا
حنينى لأعماق الحياةِ وسرها   وإنى لأحياها هُدى وتساميا
فبارك حياتى يا ربيع وطف بها
على نبعك الفياض . واسكب حيانيا

ربيع المنى ، يا جنة الناى ، يا صدى
لأنشودة الفردوس يهتز شاديا
ربيع المنى ، يا جنّة العمر ، يا سناً
من اللهِ ، يا هدياً يُضىء الدواجيا
زمانك أضحى فرحة سرمدية   ودنياك أحيت يا ربيع البواليا
وسهلك غذته الحياة ، وأرضعت
ورباك الصوادى فاستحالت مغانيا
أرى روحك النشوى تألق فى الربى
ظلالا .. وأنواراً .. وخمراً .. وساقيا
فيا حانة الأزمان ! لا تنسى أننى   وكأسى فى كفى أتيتك ساعيا
فإن أنت لم تغمر حياتى نشوة   لديك ... فلا ذنب على ولا ليا
وحسبك أنى جئتك اليوم شاديا
نعم . واسقنى واشرب وبارك شرابيا !
فلى فيك شعر طاهر الحمر خالد   أضاء زمانى نشوةً ومكانيا

حسين محمود البشبيشى



فى حجرة البك الناظر ...

« البك الناظر » هى كلمة الإجلال التى يجرى بها العرف على ألسنة الطلاب والموظفين والأساتذة فى مدارسنا طول العام ، وعلى ألسنة آباء التلاميذ وأولياء أمورهم فى الأسبوع الأول من العام الدراسى فحسب ...

وافتتحت المدارس أول الأسبوع الماضى وجلس البك الناظر فى كل مدرسة على كرسيه المحترم أمام مكتبه الموقر وتأهب للقاء طالبى الأذن عليه وقد استجمع أكثر ما يطيق من الجد حتى لينقلب هذا الجد فى كثير من الحالات عنفاً ، وأقصى ما يستطيع من الحزم حتى ليستحيل هذا الحزم شططاً ، ولا يسعك إلا أن تلتمس العذر لأكثرهم من فرط ما يتوسل المتوسلون ويلحف الملحفون ...

ودخلت حجرة البك الناظر فى مدرستنا وهو رجل طويل التجربة حازم عن أصالة تهز كريماً إذ تهزه ، ولكنك على طيبة قلبه مهما بذلت من جهد ومهما اصطنعت من حيلة لا تستطيع أن تزحزحه قيد شعرة عن رأى اقتنع به وبخاصة فيما يتصل بسلوك طلابه ...

واستأذن والد أحد التلاميذ وهو موظف فى أحد الدواوين وطرق الباب طرقة خفيفة ودخل يظهر التخشع والاحتشام وسلم وتلعثم ثم أخذ يتوسل إلى الناظر أن يقبل ابنه المفصول رحمة به ؛ وقطع عليه الناظر حديث توسله بقوله : مثلت هذا الدور أول العام الماضى وقلت هذا الكلام وقبلت ابنك يومها على مضض فما كاد يدخل المدرسة حتى عاد إلى رذالته واستهتاره وطيشه ، وكان هذا سبب رسوبه فكيف تعود إلى الرجاء ، وكيف يتسنى لى أن أقبله ؟

وقال الرجل : وما ذنبى وكيف تأخذنى بجريرة ابنى؟ وتعجب البك الناظر وأوشك أن يغضب ، ثم قال لم أفصلك ولكنى فصلت ابنك ، وما ذنب المدرسة وذنب أبناء الناس حتى أضع بينهم تلميذاً كهذا يفسد مدرسة وحده ؟ وعاد الرجل إلى التوسل والتضرع والتخشع ، واستنفد عبارات الاسترحام من مثل قوله المسامح كريم ... المعروف لن يضيع عند الله ... اعمل معروف! وحياة أولادك ... وهكذا حتى استحال الرجاء إلى نوع غريب من التنطع ؛ وضاق صدر الناظر وضاق صدرى ؛ ولكنى والله قد أخذتنى الشفقة وأحسبنى لو كنت البك الناظر ما كنت إلا مفسد المدرسة بنصف هذا التوسل بل بثلثه ... ولكن ناظرنا لم يشأ أن يستجيب له وخرج الرجل وهو يكاد يبكى ...

وما كدت أرثى لحال الناظر مما يلاقى من ضيق حتى طرق الباب قادم آخر ودخل فإذا برجل يدلف للسبعين فيما يبدو لعينى، حسن الهندام بادى الوجاهة يتوكأ على عصا ولكنه يخطو فى نشاط وإن كان فى مشيته عرج ، وقال قبل أن يصل إلى المكتب : أعذرنى يا سعادة البك إذ أدخل بعصاى فساقى مكسورة فى حادث سيارة . . وجلس وهو يتنفس فى عسر ويحاول أن يجد ريقاً فى فمه ليبتلعه فلا يكاد يجد إلا فى مشقة ؛ ولمحت فى عينيه الألم الممض وتعرفت فى وجهه حيرة ذى الكبرياء بين كبرياء نفسه وبين ما تفرضه ظروف الحياة ؛ واختلجت شفتا الرجل كأنما يجد عسراً فى إخراج الكلام ، ثم تنهد تنهدة طويلة ، وقال وإن كلامه ليتقطع بتقطع نفسه : أنا والد فلان وما جئت لأدافع عنه فابنى بطال ... بطال ... وإنما أردت أن أسألكم وأنتم أطباء الأرواح ماذا أصنع لعلاجه . لقد ضربته الآن حتى بكيت وبكى ، وليست لى حيلة فيه وهو ابن هذه المدرسة طيلة خمس سنوات . . . وتوقف الرجل ومد يداً معروقة ناحلة شاحبة وهو يحك سبابتها بوسطاها إذ يشير بهما ، وبلع شيئاً من ريقه فى عسر وتنهد يستجمع نفسه وقال أريد أن أقول شيئاً آخر وإن لم يكن فى الموضوع .. ليس لى ولد غير هذا ولكن لى بنات ستا ... وهذا موضع أملى وأنا رجل أودع الدنيا وخدمت الأمة مهندساً عشرات السنين ...

ونظرت فإذا الرجل يحبس دمعه جاهداً وإذا العرق يلمح فى جبينه وقد أزاح بيده طربوشه عنه وصار يدق بكفه على قبضة عصاه دقات ويتأوه فى صوت خافت ، وتدلت شفته السفلى فكشفت عن ثناياه الذهبية التى لاءمت صفرتها صفرة خديه الذابلين الغائرين، والتفت إلى البك الناظر فإذا وجهه رثاء كله لحال الرجل حتى لقد ظننته قبل ابنه ؛ ولكنه أشار إلى وقال للرجل : هذا أستاذه فاسمع رأيه فيه ... وحرت والله ماذا أصنع وما أستطيع الكذب ... وفطن الرجل إلى حيرتى وإنه لذو فطنة وكياسة فقال أنا أعرف كل شىء وما جئت مدافعاً كما ذكرت وإنما عدمت الحيلة فأعينونى على أمرى . وكدت لعمر الله أبكى وأعود فأقول لو أننى البك الناظر لغفرت لهذا التلميذ ذنوبه الماضية

الأدب والفن في أسبوع

الصورة الجديدة للأدب :

هذا عنوان المحاضرة التى ألقاها الدكتور طه حسين بك مساء الجمعة برابطة خريجى جامعات فرنسا وسويسرا وبلجيكا .

وقد بدأ الدكتور بأن للأدب صوراً متعددة لا صورة واحدة ، وأن المقصود بهذه المحاضرة على وجه الدقة هو التصور الجديد للأدب ، وهو يختلف أشد الاختلاف بحسب العصور والبيئات . فقد كنا نقول منذ زمن قريب : الأدب مرآة الحياة ، والأديب صورة عصره . فنزهى بذلك ونعده غاية ما يصل إليه الأديب ، ولكننا الآن لا نطمئن إليه ولا نرضى به ، لا نرضى بأن يكون الأدب صورة فحسب بل نطالبه إلى ذلك بشىء آخر ، ثم قال إن الصلة بين الأديب وقرائه مبنية على حرية التعبير عما يريد ليؤثر بهذه الحرية فى قارئه . وإننا لنسأل الأديب : لم تكتب ؟ فيجيب فى تواضع : أكتب لنفسى ، أو يقول فى كبرياء وزهو : أكتب للأجيال القادمة . وربما قال : أكتب للمثقفين ، وهو على كل حال إنما يكتب ليُقرأ وليجد صداه . واستعرض الدكتور العلاقة بين الأديب ومستهلكى أدبه ، من العصور القديمة إلى هذا العصر فبين تطوراتها المتشابهة فى الأدب الفرنسى والأدب العربى من حيث أن الأديب كان فى كل منهما يخاطب طبقة خاصة محدودة أخذت تتسع وتكثر على ممر الأزمان ، وإن كانت قد وقفت فى البيئة العربية عند ما أغار عليها المغيرون من خارجها ، وظلت فى جمودها إلى العصر الحديث ، وبين أن الأدب انتقل عند بزوغ شمس الإسلام ونزول القرآن ، وفى الثورة الفرنسية ، من مجرد تصويره للحياة إلى الجمع بين هذا التصوير وتوجيه الناس إلى مثل عليا.

وانتهى الدكتور من كل ذلك إلى أن الأديب فى هذا العصر وقد كثر قراؤه بانتشار التعليم ، لا ينبغى له أن يقتصر على الحرية فى التعبير والتصوير ، بل عليه أن يشعر إلى جانبها بالتبعات والواجبات ، فهو يكتب لجميع الناس وفيهم من يفهم ما يريد ، ومن يفهم بعض ما يريد ، ومن يفهم غير ما يريد ، فيجب عليه أن يسهل أدبه وييسره ليكون واضحاً مفهوماً للجميع ، والمجتمع الحديث لا يقنع منه أن يرى نفسه فى مرآته بل يتطلب منه أن ينزل من برجه العاجى ليعيش مع الناس فى بؤسهم ونعيمهم فيصور البؤس لتغييره والخلاص منه ، والنعيم للوصول إلى أصفى منه.

فالصورة أو التصور الجديد للأدب أن يحيا الأديب فى البيئة ويشارك الناس أحزانهم ومسراتهم ، لا ليصور ذلك فحسب ، بل ليضيف إلى التصوير التغيير والإصلاح للوصول بالجماهير إلى مستوى فيه السعادة والنعمة والخير .

ثم قال الدكتور : هذا هو سبيل الأديب إلى أن يكون نافعاً وله قراء . أما الأديب الذى ينظر فى النجوم ويشاهد أشعة القمر فى انعكاسها على مختلف الأشياء ولا يغادر برجه العاجى فلن يقرأه إلا المثقفون القليلون ، وقد يسرون منه ويعجبون به ، ولكنه ليس الأديب الذى يشعر إلى الحرية بالتبعات والواجبات ، وليس الأديب الذى يقبل عليه القراء فيجدون أنفسهم وأمانيهم ومطامحهم فيما يكتبه .

وذنوب عام قادم معها ؟ أقول ذلك على علم بأنه خروج على ما يسمونه قواعد التربية ، ولكن ما الحيلة وأنا رجل ضعيف ، وإنى أحذر وزارة المعارف أن تجعلنى ناظراً أبداً وإلا أفسدت لها الدنيا ... وإن كنت لأزعم أن ما أصنعه من مغفرة إنما هو إصلاح وإن خفى ذلك على فحول التربية ...

وقال البك الناظر بوجه الكلام إلى الرجل وهو يدق مقبض عصاه ويتأوه ، لو كان الأمر أمر ابنك وحده لقبلته من أجل خاطرك ولكنى أبعدت سبعة غيره . وارتاح الرجل لهذه الكلمة وقال : هذا كلام طيب أشكرك عليه وهو من كرم خلقك ، ثم نهض يبتلع ريقه فى عسر ويستجمع نفسه المتقطع وسلم والألم والحسرة فى عينيه وملامحه ، وخرج من الحجرة يتكىء على عصاه ويكرر عبارات الشكر والتحية ...

وبعد ، أفلم يأن لمدارسنا أن تغير أسلوبها فلا تجعل المسألة يوماً يبدأ وينتهى على أية صورة وبرامج تقطع تأهباً لامتحانات فاسدة لا تدل على شىء ، ثم لا يبقى بعد ذلك التفات إلى خلق ولا عناية بتربية ولا رعاية لمستقبل أمة ؟ إن على مدارسنا التبعة قبل الآباء فى فساد من تطرد من الفاسدين ، وإن علينا أن نصلحهم أجمعين وإلا فبأى وجه نكون من المربين

الخفيف

عود إلى قريب :

عند ما قال الدكتور طه إننا لا نكتفى من الأديب أن يكون مرآة عصره — داخلنى شىء من الزهو الذى قال إنه يداخل الأدباء ، وقلت فى نفسى : أيكون هذا الرجل الخطير قد قرأ ما كتبته فأثار فى خاطره هذا الذى قال ؟

والذى كتبته كان تعليقاً على ما أفضى به إلى مجلة « الكتاب » من الرأى فى شوقى وحافظ ، إذ قال بأنهما لم يبلغا من الشعر ما كان يجب لهما وللشعر العربى الحديث ، ومما علل به رأيه قوله : « فلم يكن هذان الشاعران إلا مرآتين صادقتين للعصر الذى عاشا فيه »

وكتبت تعليقاً على هذا : « ويحضرنى — لذلك — رأى للدكتور طه حسين فى كتابه (حديث الأربعاء) مؤداه أننا لا نعد الشاعر شاعراً إلا لأنه يعبر عن بيئته ويصور عصره فيحسن التعبير والتصوير . ورأى الدكتور طه فى شوقى وحافظ أنهما لم يبلغا من الشعر ما يجب فأى الرأيين ما زال يرى ؟ »[1] .

وسواء أكان ما قاله فى المحاضرة صدى ما أنفذته فى الرسالة منذ أكثر من شهر أم لم يكن ، فإننى أعتبره جواباً شافياً لذلك التساؤل . ولا أسوق هذا إشباعاً لما قلت إنه داخلنى من الزهو، وإنما أذكره لإزالة الغبار الذى علق برأى الدكتور طه فى شوقى وحافظ من جراء ذلك التعليق .

فننا وشعورنا وبلادنا :

كتب بعض الكاتبين بجريدة الأهرام فى تجميل القاهرة ، فأثاروا فى هذا الموضوع مسألة وضع التماثيل فى الميادين والحدائق لتجميلها ، وقالوا كما قلنا فى عدد مضى من الرسالة بأن تمثال نهضة مصر لا قيمة له ولا داعى لاستمراره فى ميدان المحطة . وقد اقترح أحدهم وضع التماثيل الفرعونية الفائضة فى الميادين لجذب السائحين إليها .. فرد عليه الأستاذ عبد القادر مختار المثال المعروف بأنه يجب أن تكون لنا نهضة فنية تساير ظروفنا الحالية ، فلا نكتفى بالتغنى بالقديم واللجوء إليه كما فكرنا فى القيام بشىء ، وقال : « ولهذا يجب أن نشجع الفنانين المصريين على الإنتاج ومسايرة ظروف البلاد وتطورها ، فنضع تماثيلهم التى ترمز للنواحى الوطنية وتعالج شؤوننا القومية فى الميادين والحدائق العامة حتى يتذوق الجمهور ما فيها من الفن وتكون وسيلة لهديه وتثقيفه وترقية إحساسه » .

وإنى أضيف إلى عدم الاكتفاء بالتغنى بالقديم واللجوء إليه كما قال الأستاذ المثال — أن هذا القديم لا يثير فينا الشعور المنشود لنهضتنا ومرامينا القومية ، وقد راقنى من الأستاذ بيان الغرض من تجميل الميادين بالتماثيل المصرية بأنه تذوق الجمهور للفن وهديه ... الخ ، فلم ينزلق إلى ما انزلق إليه الآخرون من الحرص على جذب الأجانب وخشية وقوع أنظارهم على مقابحنا ، فإنى أفهم أن نجمل البلاد لأهلها وتعرض عليهم بدائع الفنون لتربية الذوق الفنى عندهم ولتحفزهم إلى المثل العليا ، وهذه الأغراض نفسها ترفعنا فى عين الأجانب وترغمهم على احترامنا . فلنتجه نحو أنفسنا ونشعر بشعورنا ونجمل بلادنا لنا ، وحسبنا ما بذلناه عبثاً فى مراعاة أمزجة (الخواجات) والتزويق لهم ...

مهرجان الشباب الأدبى :

رأت المراقبة العامة للثقافة فى وزارة المعارف أن تمكن شباب الجيل من إظهار مواهبه الادبية والفنية ، فألفت لجنة من الاساتذة عبد الرحمن كامل وعبد الله حبيب ومفيد الشوباشى والدكتور ابراهيم جمعة ، لتنظيم مهرجان أدبى فنى يتبارى فيه الشباب الذين لم يتجاوزوا الخامسة والثلاثين ، فى الشعر والزجل ، وفى الموسيقى والتصوير والنحت . وسيكون المهرجان الاول لسنة ١٩٤٨ فى أوائل السنة ، ولم يعين موعده بعد ، على أن يكون بعد ذلك كل عام

وقد قصدت وزارة المعارف بهذه المباريات أن تحفز همة الشباب نحو الإجادة والتفوق ، وأن تتيح الفرصة لإظهار مواهبهم الأدبية والفنية .

ولاشك أن الشباب سيجدون فى هذا المهرجان منفذاً لإبراز كفاياتهم الأدبية التى يتهمون شيوخ الأدب بأنهم يحولون دون ظهورها .

الشذوذ والتطرف :

كم هو ظريف هذا الذى يكتب إلى بتوقيع « البسام » فلا يكتفى بما كستى فى الاتجاه الفكرى ، بل بما كسنى أيضاً فى الاسم ، وإن هذا الصنيع ليخرجنى عما يدل عليه اسمى (العباس) من العبوس ، فأبتسم .. كأننى أنا — لا هو — « البسام » .

قال البسام فى رسالته : « قرأت كلمتك « الأديب بين العزوبة والزواج » ولا أريد أن أدخل فى هذا الموضوع ، وإنما استرعى انتباهى قولك فى الرد على الأستاذ سلامة موسى فيما قال

(١) العدد ٧٤٥ من الرسالة

به من أن الزواج يمنع الأديب أن يشذ أو يتطرف : (وهذا كله مع وقوفنا معه ونظرنا إلى الموضوع من الزاوية التي نظر إليه منها وهي التطرف في مهاجمة المجتمع ونظمه .

ولم يقل أحد بأن الأديب لا يكون فذاً مبتدعاً إلا إذا شذ عن المجتمع واصطدم به) فإني أراك بهذا غافلا أو متغافلا عن حقيقة بديهية ، وهي أن في المجتمع عادات سخيفة ومعتقدات باطلة وأن الأديب الحر هو الذي يهاجم هذه العادات والمعتقدات فلابد من الاصطدام » .

هون عليك يا صديقي البسام . إني موافقك على أن في المجتمع عادات سخيفة ومعتقدات باطلة ، وعلى أن الأديب الحر هو الذي يهاجم هذه العادات والمعتقدات ، أما الذي نختلف فيه فهو أنه لابد من الاصطدام ، إن الأديب الفذ المبتدع هو الذي يمثل للمجتمع سخيف عاداته وباطل معتقداته تمثيلا يجعله يلمس هذا السخف والبطلان ، عدته في ذلك فنه واقتداره على التمثيل والتصوير ، فيشعر المجتمع بنقصه ويتجه نحو الكمال ، ولا اصدام .

أما من يصادم المجتمع فهو الذي تعوزه الكفاية الفنية فليجأ إلى مواجهته بالكلام المجرد ، وقد يتخذله قرنين يلوح بهما ، وكثيراً مايتعمد المصادم ذو القرنين مخالفة الناس ليقول لهم : هأنذا ...

الأناشيد :

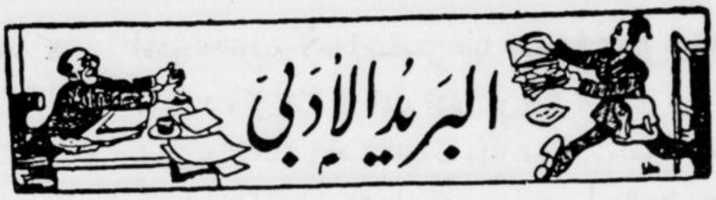
منذ كانت قضية مصر تعرض على مجلس الأمن وكانت إذاعتنا تذيع الأنباء وبعض ما ألقى من الخطب ، وكانت في فترات انتظار تجمع الأنباء تذيع ما تعودت إذاعته من الأغاني المهزلة التي تستعطف قلب الحبيب الهاجر . الخ ، وانبرت الأقلام تنبه على هذه الفوضى وتشير بأن تذاع بدل ذلك أناشيد حماسية تغذى الوعي القومي والشعور المتوثب — منذ ذلك الحين تنبهت الأذهان إلى الفراغ الهائل الذي يحتاج إلى أن يشغل بالأناشيد ، لأن الذي حدث أن الإذاعة أخرجت مالديها من الأناشيد الوطنية وأطلقتها على الآذان التي تحملت شدة وقعها وأبت أن تنفذها إلى القلوب لخلوها مما يصلح وقوداً لشرر الوطنية فيها ، فهذه أناشيد يتطرب بها بعض المغنين في لين وتكسر ..

وتلك أناشيد تنشدها جماعات من الصغار أو الكبار بطريقة آلية تخرج من حناجرهم ميتة رغم إعلاء الصوت بها ، ومن هذه أناشيد وصفوها بأنها قومية وضعت بعد معاهدة سنة ٩٣٦ وقت أن قيل ليس في الإمكان أبدع مما كان ، ولا تزال تلك هي أناشيدنا القومية لأننا لم نستعض عنها بجديد ولم نخل (طرفها) بعد . . . وكل هذه الأناشيد تشترك في أنها لا تؤدى شيئاً مما يجيش به الأفئدة في هذه الظروف وإنما هي كلام منظوم مؤلف من عبارات عامة و (أكلشيهات) مرسومة فنحن أسد العرين وحماة الحمى وأجدادنا مدوا أيديهم إلى الشمس وأمسكوا بقرصها الذهبي . الخ وليس ثمة شيء يصور واقع حياتنا وحاضر جهادنا ، أما التلحين والإلقاء فهما منسجمان مع التأليف .. نغمات عالية وعقائر مرتفعة ، كأن الشاعر الوطنية في مكان سحيق فهم يطلقون أقوى الحناجر لتبلغها الصيحات .. وأكبر دليل على أن تلك الأناشيد لا تنبض بحياة أننا لا نسمع أحداً يرددها طائعاً مختاراً . . ومن المخجل أنك لا تجد نشيداً واحداً يجرى على الألسنة كما تجرى الأغاني المبتذلة من مثل (حموده ياني !) .

وليست الأناشيد في مدارسنا بأحسن حالا ، فهي على ذلك الغرار بدليل أن التلميذ لا يرددها في خارج المدرسة ، ومن أسباب قصورها أن المشرفين على الأناشيد في وزارة المعارف من ذوي الفن الموسيقي لهم خبرتهم في الإيقاع لا في التأليف لأنهم ليسوا من أهل الأدب ، وكثيراً ما يختارون ما يسهل تلحينه أو يوافق قوالب عندهم .

وقد تنبهت الوزارة لذلك فألفت لجنة من الأساتذة عبد الحميد السيد ومحمود غنيم ومحمد الأسمر منذ نحو ستة أشهر لوضع نظام لمسابقة أناشيد مدرسية . وأخيراً أتمت اللجنة مهمتها فاختارت عدداً من الأناشيد التي قدمت إليها ، والمهم في أمر هذه اللجنة أنها كتبت تقريراً عن مهمتها أشارت فيه إلى أن المسابقات ليست هي أضمن الطرق للحصول على الإنتاج الجيد ، لأن التجارب دلت على أن الشعراء المعتدين بأنفسهم يرغبون عن هذه المسابقات وقد اضطرت اللجنة فيما اختارته من الأناشيد إلى الإغضاء عن عيوب الصالح منها وإصلاح هذه العيوب ، وأشارت باتباع طريقة أخرى هي أن يختار بعض الأشخاص المعترف لهم بالكفاية ويكلفون بالإنتاج . ولاشك أننا الآن في حاجة إلى نشيد قومي له خواص الكائن الحي فيردده الجميع ، فما السبيل إليه ؟ أرى أن يختار عدد من شعرائنا المتازين الذين يبدون استعداداً ، ويكلف كل منهم بوضع نشيد يؤجر عليه ، وتؤلف لجنة من ذوي الكفايات الأدبية والفنية لاختيار أحسنها . ولعل لدى قراء الرسالة من المقترحات ما ينفع في هذه المسألة فلا يضنون به .

« العباس »



معهد الجزيرة العربية :

لا يزال الذين يغارون على مستقبل الأدب العربي بجامعة فؤاد يبدون الأسف على ما أشيع من نقل الدكتور عبد الوهاب عزام بك من عمادة كلية الآداب إلى عمادة المفوضية المصرية فى المملكة السعودية بعد أن خلا فى الجامعة مكانا الأستاذين طه حسين بك وأحمد أمين بك ، ويقولون إن نقل الأستاذ العميد من السلك الأدبى إلى السلك السياسى خسارة لدراسة الأدب وقيادته لا تعوض

ولكن الذين يعرفون أن آل عزام من أولى العزم ، وأن عزمهم لا يكاد يعدو الإسلام والعروبة ، يعتقدون أنهم فى كل وجهة وفى كل عمل إنما يجاهدون فى سبيل الدين والأدب ، ويذكرون على سبيل المثال أن من رأى الدكتور عزام أن ينشأ فى الجزيرة العربية معهد لدراستها من النواحى التاريخية والأدبية والجغرافية والجيولوجية تشرف عليه الحكومة السعودية ويتولى العمل فيه بعثة من جامعة فؤاد الأول أو لجنة من جامعة الدول العربية يكون من أعضائها الجغرافى والمهندس والأديب والطبيب والنباتى والمؤرخ ، فيزورون معالمها ، ويرودون مجاهلها ، ويضمون فى ذلك الكتب المطولة والخرائط المفصلة التى تتمم ما بدأ به الأقدمون ، وتصحح ما أخطأ فيه المستشرقون ، وتعين المواضع التى ذكرت فى القرآن الكريم ووردت فى السيرة النبوية والقصص والأشعار والأمثال ، وتصف حيوان الجزيرة ونباتها ومعادنها وأحجارها على الأساليب العلمية الحديثة ؛ فإن الجزيرة مهد العرب ومنشأ تاريخهم ولغتهم ، ولا يزال الأدب العربى خارج الجزيرة يحمل ذكرى هذا الإقليم العظيم فى الألفاظ والأخيلة والصور . فليس مما يزكو بالدول العربية اليوم أن تظل واقفة فى علمها بالجزيرة عند ما كتب الهمدانى فى القرن الرابع ، أو تصبح عالة على ما يكتب الأوربيون فى العصر الحاضر . فإذا كان نقل الدكتور عزام من الأدب إلى السياسة ، ومن مصر إلى الحجاز ، سبيلا إلى تنفيذ هذا الرأى ، وتحقيق هذا الغرض ، فإن العوض يكون أجل والمكسب يكون أعظم .

الفضاء والعدم :

اطلعت على ما كتبه الأستاذ نقولا الحداد فى العدد ٧٤٨ من الرسالة الغراء عن الفضاء والعدم . وفيه يقول إن هذا الحيز الذى نسميه فضاء لابد أن يكون مشغولا بمادة حتما . وأنا أقول أنه لا يجوز لنا أن نبنى أقوالنا فى علم الطبيعة على الحتم هذا ، فأن أجازه حضرة الكاتب فيجوز لى ولأى شخص آخر أن يقول إن قوانين الجاذبية الأرضية التى صاغها إزاك نيوتن ناقصة حتما ولا يجوز الأخذ بها كقوانين ثابتة فى علم الطبيعة ، إذ ربما كان هناك مكان على سطح الأرض تسقط فيه الأثقال من أسفل إلى أعلى ، وليس فى وسع الأستاذ نقولا أو أى عالم من علماء الطبيعة أن يقول إن مكاناً كهذا لا وجود له فى مكان ما على سطح الأرض ما دام فى الأرض بقاع لم يردها رائد للتثبت من أن سقوط الأجسام يجرى فيها طبق العادة ووفقا لقوانين نيوتن .

فإذا وجد ذلك المكان انهدم وانهار أثبت وأرسخ ما قام عليه بناء العلم من قوانين .

ونسى الأستاذ أو أغفل ما قاله أينشتين فى نظريته النسبية وبما أجرى الكثير من علماء الطبيعة من تجارب علمية تنكر ما يسمى بالأثير .

أما انيشتين فقد قال إن السرعة النسبية بين جسمين ماديين قد يكون لها أثر محسوس فى الظواهر المشاهدة ، أما السرعة المطلقة لجسم فى الأثير الراكد فلا أثر لها فى المشاهدات ولا وسيلة لقياسها ، وإذن فلا يجوز لنا أن نفترض وجود مكان مطلق إذا كانت كل الوسائل التى نملكها عاجزة عن قياس سرعتنا فى هذا المكان . ولا معنى للقول بوجود أثير راكد إذا كنا لا نستطيع تحديد مقدار حركتنا فى هذا الأثير ولا اتجاهها . وعليه يجب أن نعدل عن فرض وجود هذا الأثير المكانى وأن نقول بنسبية المكان

وثبوت سرعة الضوء حسب «تجربة ميكلش ومورلى» مبدأ أساس فى نظرية النسبية وهو قانون من قوانين الطبيعة وهو طبقا لمبدأ النسبية مستقل عن الزمان وعن المكان وعن الحركة ؛ وعلى ذلك فسرعة الضوء يجب أن تكون مستقلة عنها جميعاً .

أحمد محمد خلف

ضدان :

الضدان فى قانون المنطق يستحيل عليهما الاجتماع ، ويمكن لهما الارتفاع ولـكنهما فى منطق السياسة ، يمكن اجتماعهما ، ويستحيل ارتفاعهما وهو منطق عجيب غريب . ومن ثم فهو مريب!

ذلك أن الروس والأمريكان ، لأول مرة يلتقيان . فيتفقان، وإن كان فى تلاقيهما معنى الفراق ، وفى فراقهما معنى التلاق فقد اجتمعا . ويا سوء ما اجتمعا ، على مشكلة فلسطين بالتقسيم ، وإن اختلفت مصلحتهما فى الصميم .

فأمريكا تريد أن تحتفظ لنفسها بالوشل ، عن طريق الدولة اليهودية المنتظرة ! وروسيا تريد أن تقيم الدليل على انجلترا بالفشل، عن طريق الحرب الأهلية المستعمرة . فيا لها من لعبة سياسية ، لاشرقية ولاغربية . قد انكشفت قناعها ، وبطل اجتماعها وارتفاعها أيها العرب ، الجهادَ بالدماء . والدماء ، فإنه ليوشك أن يرد المنطق المعكوس ، قوة الواقع الملموس .

اسنا — بكير أبو رجيلة

بيت فى قصيدة:

فى عدد (الهلال) الصادر فى نوفمبر الجارى قصيدة للشاعر الـكبير الأستاذ على الجارم بك بعنوان « صحوة مصر » استوقفنى منها هذا البيت :

وإذا ما الأقوياء انتصروا فعلى الدنيا وأهليها العفاء !

إذ كيف لا ينتصر الأقوياء المتراصون كالبنيان والله سبحانه وتعالى فى كتابه المنزل يقول « وأعدوا لهم ما استطعتم من (قوة) ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

إلا أن يكون المعنى بالأقوياء (الظالمين) كالأحلاف

(الزيتون) — عدنان

خضراء الدمن :

ذكرى فى عدد الرساله الأخير (إياكم وخضراء الدمن) على أنه حديث نبوى ، وأنه من جوامع الـكلم .

وقد بسط علماء الجرح والتعديل القول فى هذا الخبر فرأوا أنه إلى الوضع أقرب منه إلى الصحة ، وقال العلامة المحدث العجلونى فى كتاب (كشف الخفـاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) : قال الدارقطنى : لا يصح من وجه .

احمد مصطفى عليبة

رسالة (الفن القصصى فى القرآن) والأزهر :

أصـدر العلماء المدرسون فى كليات الأزهر وفى مقدمتهم الشيخ الشربينى من هيئة كبار العلماء ، والشيخ عبد الله عامر وكيل كلية الشريعة ، والشيخ عبد العزيز خطاب وكيل كلية أصول الدين ، والشيخ محمد أبو النجا وكيل كلية اللغة العربية ، الفتوى الشرعية التالية :

« اطلعنا على الاستفتاء المقدم من فضيلة الشيخ عبد الفتاح بدوى المدرس بكلية اللغة العربية عن النصوص الواردة فى رسالة الفن القصصى فى القرآن المقدمة من محمـد أحمد أفندى خلف الله المعيد بكلية الآداب ، ونفتى بأن هذه النصوص مكفرة يخرج بها صاحبها من دين الإسلام ، وأنه متى ثبتت هذه النصوص ، فإن مؤلفها كافر ، والمشرف على تأليفها القر لهـا كافر ، ويجب أن لايتصل أحد منهما بدراسة القرآن الـكريم فى الجامعة أوسواها ، ويجب أن يعاقبا بما تقضى به قوانين المملـكة المصرية ، لأن عملهما هذا خروج على الإسلام دين الدولة » . وقد أرسلت هذه الفتوى إلى المراجع العليا . وقد وجه النائب المحترم عبد العزيز الصوفانى بك سؤالا إلى معالى وزير المعارف بشأن هذه الرسالة ، فطلب معاليه تأجيل الإجابة ، وطلب الرسالة من كليـة الآداب ، وألف لجنة برياسته تضم بعض كبار العلماء وأساتذة الجامعة لدراستها من الناحية الدينية

الكتب

الكتب المختارة :

١ – تاريخ المساجد الأثرية

التي صلى بها جلالة الملك فاروق فريضة الجمعة

تأليف الأستاذ حسن عبد الوهاب

يجود الدهر أحايين بملوك عظام، هم قلائد حسان، يتحلى بهم الزمان. ينسب العصر كله إليهم، ويسمى بهم. وعلى يدهم يبعث العلم، ويزهر الشعر، ويزدهر الفن، فإذا نهضت فرنسة بفضل لويس الرابع عشر، ورفت الحضارة في بغداد أيام الرشيد والمأمون وزهت دمشق أيام الوليد، فإنما تفخر وتنهض اليوم مصر في عهد الملك فاروق.

هذا العصر الذي يرعاه المليك اليوم، عصر نهضة قوية رائعة، بدأ بها محمد علي الكبير، وساهم في تقويتها اسماعيل وفؤاد، واليوم يدفع بها إلى الأمام جلالة الملك فاروق.

إن لديك أمثلة كثيراً عن تشجيع الملك العلم، وأخذه بيد العلماء والأدباء، والفنانين، والكتاب الذي أحدثك اليوم عنه، هو فضل للملك العظيم.

فلقد «استن جلالته سنة حسنة بأدائه فريضة الجمعة في مساجد متفرقة من أنحاء عاصمة ملكه السعيد».

«وخص جلالته المساجد الأثرية بعنايته، فأولاها النصيب الأوفر من اختياره. وكان هذا أكبر الأسباب لإصلاحها وإعدادها، إذ تفضل — رعاه الله — فأمر بإصلاح كثير منها»

وقد كان الأستاذ العالم حسن عبد الوهاب، مفتش الآثار العربية في القاهرة، يكتب نبذة تاريخية عن هذه المساجد التي يصلي جلالة الملك بها فريضة الجمعة، ثم رأى جمعها، وشمله جلالة الملك برعايته، فأمر بطبعها على نفقة جلالته.

فهذه الرعاية الملكية، لرجل عالم، عصامي، بذ أقرانه بجده وتنقيره واطلاعه؛ لآية من آيات عظمة المليك، ودليل على روح جلالته المتوثبة للعلم المحبة للعلماء. وتشجيعه ومساهمته في هذه النهضة التي يعود إليه الفضل الكبير منها

والكتاب في جزأين. في الأول «مجموعة من المساجد حوت أهمها وأكبرها. جمعت بين المسجد الجامع، والمدرسة، والخانقاه، وتنوعت فيها العمارة الإسلامية في عصورها المختلفة بمصر تنوعاً يساعد الباحث على الوقوف على تطور تصميماتها وزخارفها، وتفاصيلها المعمارية».

وقد مهد الأستاذ المؤلف لكتابه تمهيداً حسناً موفقاً عن نشأة المساجد، وعن أثر الدول الإسلامية التي حكمت مصر في العمارة الإسلامية.

وقد اتبع الأستاذ طريقة جيدة في كلامه على هذه المدارس أو المساجد، فهو يترجم بادىء بدء للباني، ويدلنا على عصره وشأنه. ثم يتكلم على تاريخ المدرسة أو المسجد، فيصفه وصفاً مستمداً من المصادر التاريخية القديمة الموثوقة، ويضيف إليه الوصف العلمي الواقعي، ويعرض عليك التصميم ويحدثك عن الإصلاحات المختلفة التي طرأت على الأثر التاريخي ويستشهد بالكتابات القديمة الموجودة فيه، ويدلك على نواحي الجمال والروعة في بنائه أو عمارته أو ريازته أو زخارفه ونقوشه، وهو لا يغفل عن إيراد أقوال كبار الآثاريين الفرنسيين أو الإنجليز في البناء الذي يتكلم عليه، وعن مناقشتها ببصيرة، إذا كان مجال المناقشة ذا سمة.

أما الجزء الثاني فهو مجموعة صور فوتوغرافية توضح المساجد التي تناولها المؤلف بالبحث في الجزء الأول. وهي مجموعة ذات شأن لأنك تجد فيها «نماذج مختلفة للواجهات والأبواب والقباب والمنارات والمصاريع الخشبية المطعمة بالسن والمكسوة بالنحاس، والزخارف المنقوشة على السن والخشب والرخام والحجر والجص. كما أنك تجد فيها أنموذجات من المنابر والمحاريب والوزرات والأرضيات الرخامية، والشبابيك النحاسية، والجصية، والكتابات الكوفية، والتربات مما يساعد الباحث والمهندس على تتبع تطور العمارة وتدرجها في عصورها المختلفة».

وفي هذا الجزء مائتان وخمس وسبعون صورة.

وقد أردف المؤلف بحثه بذكر المراجع العربية والمراجع

الفرنجية التى اعتمد عليها . وجعل لكتابه فهارس علمية مختلفة ، كفهرس الموضوعات ، وفهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن .

وقد عنى بإخراج الكتاب عناية فائقة من حيث إخراجه الفني وطبعه وورقه .

إن هذا الكتاب لجدير بأن يقرأ ويقتنى ، وجدير بأن يرجع إليه فى هذا الموضـــوع لأن فيه زبدة مطالعات ، وخبرة أعوام طوال .

وإن من واجبنا ، نحن الذين نهتم بالأمور الآثارية ، أن نهنىء المؤلف على كتابه ، كما هنأناه على نجاح المعرض الذى أقامه فى مؤتمر الآثار بدمشق ، وأن نرفع آيات الشكر إلى جلالة الملك فاروق لرعايته العلم ، وتشجيعه العلماء ، وأمره أن يطبع هذا الكتاب القيم على نفقة جلالته .

٢ – بيان عن مشروع رى
حمص — حماة

بمناسبة انعقاد المؤتمر الهندسى الثالث ، الذى انعقد فى دمشق بين الثامن والحادى عشر من أيلول الفائت أصدرت مصلحة الرى للمنطقة الجنوبية بدمشق (١) بياناً مفيداً عن مشروع رى حمص — حماة . بينت فيه شأن نهر العاصى وبحيرة حمص ، وتأثير الرياح فى البحيرة ، ونظامها ، والسد القديم الذى كان فيها ، والسد القديم الممتد على طول ١١٢٠ متراً الذى صنع لها . ثم تكلمت على الأقنية التى تخرج منها لتروى الأراضى الواسعة الممتدة بين حمص وحماة والتى لا يمر العاصى منها .

والبيان مفيد جيد . وهو يوضح أشياء كثيرة عن هذا المشروع المفيد الجليل . وهو فى ١٦ صفحة مسبوق بمخطط للأقنية التى تروى المناطق ، ومردف بست صور من صور تلك الأقنية .

فنشكر لمن أصدر هذه النشرة جهده .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) بالاشتراك مع القائمين على أمر المؤتمر الهندسى .

أطيـــــــاف
تأليف الأستاذ يوسف السباعى

الولد سر أبيه كما يقولون ، وإن هذه الحقيقة لتبدو واضحة الأثر فى هذا التوافق الكبير بين « الابن » الأستاذ يوسف السباعى و« الأب » الكاتب الكبير الأستاذ محمد السباعى رحمة الله عليه.

كان السباعى الكبير فياض العاطفة ، مستوعب النظرة ، كثير الداخل ، يحاول جاهداً أن يعطيك كل ما فى نفسه مفصلا وهذه هى المظاهر والسمات التى تتجلى فى قصص « الابن » ويلمسها القارىء فى هذه المجموعة التى أخرجها باسم « أطياف » .

وكان السباعى الكبير ينظر إلى الحياة على أنها لعبة ضخمة ، ويرى الناس ممثلين ، كل منهم يؤدى دوره على المسرح الفسيح ثم يتوارى خلف الستار ، وهذه هى أيضاً نظرة « الابن » إلى الحياة وإلى الناس ، وقد صدر مجموعته القصصية بتلك الكلمة المأثورة عن والده « نحن أطياف بملهى لاعب » ، وسمى المجموعة باسم « أطياف » ومن العجيب انك تجد هذه الفكرة تسيطر عليه حتى فى تناول القصة ومعالجتها ، فهو يقف دائماً وراء أشخاصه ثم يحركهم كما يبدو له ، فرة يدفعهم إلى الأمام ، ومرة إلى الخلف وثالثة يلق بهم فى زحمة الحياة وهو واقف كأنه يتلهى بالتفرج عليهم

وأنت تقرأ فى هذه المجموعة قصة جرت على شاطىء الأسكندرية وثانية حدثت فى صميم الريف ، وثالثة وقعت فى محيط أسرة من الأسرة العريقة المحافظة ، ألوان مختلفة ، وبيئات متباينة ، ولكنك تجد صاحبنا فى كل بيئة كأنه يقيم فيها ، ويقف على أسرارها ومظاهرها ، ثم هو لا يكرز نفسه أبداً ، كما يصنع بعض الشبان الذين يمالجون كتابة القصة فى هذه الأيام ، إذ تجد الواحد منهم فى كل ما يكتب يسير فى طريق واحد لا يتعداه ويقف عند نمط من الوقائع كأنه لا يعرف سواه ...

ولكن هناك ناحية يلمس فيها القارىء هوة بعيدة بين « الأب » و « الابن » فقد كان السباعى الكبير فى أسلوبه قوة وكان يغضب ويثور إذ يقع على خطأ عربى لأحد الكتاب ، فيا ترى ماذا كان يصنع لو أنه رأى فى أسلوب « الابن » ما فيه من مفارقات ؟!

محمد فهمى عبد اللطيف

مطبعة الرسالة

العدد ٧٥٣ — الاثنين ٨ ديسمبر ١٩٤٧ — السنه الخامسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٠٤٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 753

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

Lundi — 8 — 12 — 1947

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٥٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ محرم سنة ١٣٦٧ — ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

كتابان قيمان

للأستاذ عباس محمود العقاد

الأستاذان على أدهم وعبد الرحمن صدقى أديبان من جيل واحد ، أحدث سناً من جيل أدباء الشيوخ ، وأكبر سناً من جيل الأدباء الناشئين .

فهما قد نشآ فى إبان النهضة الأدبية الحديثة التى قامت على أسسها الطبيعية وأسبابها المعقولة ، وهى الأسباب التى أشار إليها الأستاذ على أدهم فى مقدمة كتابه « ألوان من أدب الغرب » فقال إنها تتلخص على الأغلب الأعم فى تلاقى ثقافتين ... « فالأدب اليونانى القديم لم ينهض إلا بعد احتكاكه بثقافة قدماء المصريين ، والأدب الرومانى لم يستكمل نضجه إلا بعد احتكاكه بالأدب اليونانى ، والأدب العربى نهض نهضته المعروفة وتعددت مناحيه واتسعت آفاقه بعد احتكاكه بالأدب الفارسى والثقافة اليونانية والرومانية ، والأدب المصرى الحديث يسير الآن فى طريق النهوض والتسامى باحتكاكه بالثقافة الغربية خاصة وسائر الثقافات العالمية عامة » .

ومن مزايا هذه النهضة التى نشأ الأديبان معاً فى إبانها أنها جمعت ذخيرتها من احتكاك الثقافات ، فكان لأدبائها زاد من الأدب الأوروبى عامة والأدب الإنجليزى خاصة ، فاستفادوا صحة الأسلوب وجودة اللغة ، واستفادوا سعة الموضوعات ودقة الأداء ، وسلموا من اللوثة الأخيرة الموجاء التى أعقبت جيلهم واندفعت فى طريق هى أقرب إلى التفانين أو « التقاليع » كما نقول فى لهجتنا البلدية ، مع قلة الزاد من اللغة وقلته من الاطلاع .

والأديبان على نشأتهما فى جيل واحد ، يتجه كل منهما حيث تهديه سليقته ويسلك به مزاجه وملكات طبعه . فالأستاذ على أدهم أقرب إلى منزع البحث والتفكير والدراسات الفلسفية التاريخية ، والأستاذ عبد الرحمن صدقى أقرب إلى منزع الأدب والشعر والدراسات الفنية ، وليس أدل على السليقة المنتظمة من أن ترى كليهما يثبت معالم هذا الاستعداد فى كل أثر يخرج من قلمه ولو كان فى حيز المقالة القصيرة ، فضلا عن البحوث المطولات ، وهكذا كانا فى كتابيهما الأخيرين اللذين ظهرا على التوالى منذ أسابيع .

صدر كتاب الأستاذ على أدهم « ألوان من أدب الغرب » ثم تلاه كتاب الأستاذ عبد الرحمن صدقى « ألحان الحان » أو سيرة الشاعر العباسى أبى نواس .

ففى كتاب الأستاذ على أدهم تقرأ فصولا عن أدباء من الروس أمثال سالتيكوف وتولستوى وترجنيف وكريلوف ، وفصولا أخرى عن أدباء من الطليان مثل مازينى وليو باردى وبابينى ، وعن أناتول فرانس الفرنسى ، وعن أونامونو الأسبانى ، وعن جيتى الألمانى ، وعن كارليل وويلز من كتاب الأدب الإنجليزى ، وعن مترلنك البلجيكى ، وعن مازاريك الشيكوسلوفاكى ، وعن

لافكاديو هيرن اليونانى الإيرلندى الذى سحرته روح الشرق من العرب إلى اليابان .

فالكتاب بحق ألوان من أدب الغرب كله على تعدد أجناسه وموضوعاته ومناحيه ، ولا يخلو فصل من فصوله من فكرة مستقلة ورأى ناضج ووزن صحيح وفهم نافذ إلى اللباب ، ويتسع المجال هنا للتمثيل بالكلمات والعبارات وإن لم يتسع للتمثيل بالعبارة المسهبة أو الفصل الطويل .

فمن عباراته التى تشتمل كل عبارة منها على حكم صحيح أو مقياس صادق ، قوله عن الهجائين فى عصورهم أن « أكثر الهجائين والساخرين لا يستطيعون الخلاص من أوهاق عصرهم والارتفاع فوق مشكلاته ، ولكن الساخر الموهوب قد يستطيع أن يلمح المعنى الأبدى الخالد خلال ضجة العصر ومعمعان أحداثه »

ومنها عن الشعوب والآداب إذ يقول فى أحاديث تولستوى : « من الشعوب شعوب آداب الأرستقراطية أشد تأصلاً فى نفسها مثل العرب خاصة والأرومة السامية عامة ، ومنها شعوب آداب الدمقراطية أبين فى أخلاقها وأعرق فى طباعها مثل الشعب الروسى السلافى » .

ومنها فى المقابلة بين جبابرة الأدب الروسى الثلاثة دستيفسكى وتولستوى وترجنيف أن « دستيفسكى يكثر فى رواياته من التحليل ويسهب فيه إسهاباً ويصف أشخاصه من الداخل ، وتولستوى تتعاون فيه القوتان : قوة التحليل والوصف الداخلى والقدرة على توضيح المظهر الخارجى ورسم السمات البارزة والخصائص البادية ، أما ترجنيف فمجال براعته الوصف الخارجى الدقيق ، وهو يكتفى به ولا يسرف فى التحليل ، والذى يميز ترجنيف عن أضرابه من الروائيين الروسيين هو براعته فى البناء الروائى ، وضبط النسب والتقاسيم ، وتوزيع الظلال والأضواء ، ووضوح الحبكة الروائية » .

وهذه تفرقة بين الأدباء الثلاثة بالغة فى الدقة والصدق والإحاطة والإنصاف .

ومن عباراته الجامعة التى هى أنسب الحقائق للزمان الذى نحن فيه : « هناك ما هو أسمى من الشعب ألا وهو الإنسانية . وإذا شئت العقل » .

ومنها فى وصف أدب أناتول فرانس : « قد امتاز أدبه بخير الصفات التى عرف بها الأدب الفرنسى بوجه عام ، وهى دقة التعبير وسلاسته ، ووضوحه وإشراقه ، مع رشاقة الملمسات ، والتزام الاعتدال ، ومجافاة الغلو والإسراف ... وهو ساخر بارع يتخذ سخره قالب البساطة والتواضع ، فهو لا ينكر الأشياء فى عنف ، ولا ينتقص أحداً فى جفاء وشدة ، وإنما يبتسم ابتسامة خفية مهذبة ، ويتحدث فى رفق ولين » .

ومنها عن الأدب الأسبانى : « لم تظهر فى جنوب جبال البرانس حركة فلسفية ملحوظة أو نهضة علمية مأثورة ، ويعلل بعض مفكرى الأسبانيين ذلك بتغلغل الفردية فى نفوس الأسبانيين ، لأن تلك الفردية المتمادية تعوق تحول الأفكار الشخصية إلى مذاهب اجتماعية ... ويحاول الأدب الأسبانى أن يصف الإنسان من حيث هو إنسان مكون من لحم ودم وأعصاب وعظام ، ولا يطيق أن يحيله فكرة باقية » .

وقد استطاع الأستاذ أدهم أن يعجب بالساخر أناتول فرانس دون أن يعدى باستخفافه ، وأن يعجب بالمتشائم ليو باردى دون أن يتشاءم مثله ، وأن يعجب برجال العزم دون أن ينسى فضل التردد فى تكوين الأفكار ، وتلك علامة واضحة من علامات الفكر المستقل الذى يستطيع أن يفتح نوافذه لجميع جوانب الحياة ، دون أن يستغرق فى جانب منها أو يعطيه فوق حقه من التقدير .

***

أما الأستاذ عبد الرحمن صدقى فقد « رتب » أبا نواس ورتب عصر أبى نواس ، فكان فى تنسيقه للمتفرقات معيناً على وحدة النظر إليها ، وتقريب أسباب النظر فيها والحكم عليها . فتكلم عن الحانات فى عصر الشاعر بين عامة وخاصة ، وتكلم عن مجالس الشراب فى الأديرة والقلايات ، وعن الغزل والسماع ، وعن ملاهى مصر والشام والعراق ومنها حرب الأزهار . وشفع التاريخ بالشواهد الشعرية من ديوان أبى نواس على الأكثر ومن دواوين بعض الشعراء الآخرين حيناً بعد حين . فيقال بحق أن أبا نواس فى ملاهيه وخمرياته يعرف من هذا الكتاب كما لا يعرف من كتاب غيره . وقد أخذ الكاتب نفسه بهذا الغرض دون

بعد قرار التقسيم :

القول للسيف ليس القول للقلم !

للأستاذ على الطنطاوى

لو كان للكلام الآن مكان لقلنا فبذذنا القائلين ، ولبعثناها فى الأرض مقالات تشتعل حروفها ناراً ، وتتفجر كلماتها قنابل ، ويكون منها براكين تنفث الحمم ، ونحن (العربَ) أقرت لنا الدنيا بأنا ملوك المقال ، وألسنة البيان ، كما أقرت لنا أننا أرباب الفعال ، وأبطال الميدان ، ولكن عهد الكلام قد انقضى ، وستسمع الدنيا غداً عنا ، كما سمعت منا ، أحاديث تشيب النواصى ، وتحرق فؤاد العدو ، وتحير من هولها ذوى الأحلام ، وسترى الدنيا أن الذى نهدد به من القوة التى خبأها الدهر فى أعصابنا ، والتى صنعها لنا ميراث آباء صدق ، فى عشرة آلاف معركة مظفرة خاضوها ، ومائة ألف قلعة منيعة اقتحموها ، وألف ألف روح طاهرة ، فى سبيل الله والحق أزهقوها — حقائق، ليست خطابيات تسود بها الصحف ، ويتسلى بها القراء .

ولئن أخذت الأيام السلاح والمال منا ، فوضعتهما فى أيدى عدونا ، فما أخذت منا إيماننا ولا مضاءنا ، ولا سلبتنا عزتنا ولا نبلنا ، ولا بدلت جوهرنا ، ولا جعلت عدونا مثلنا ، لأن الجبان الشاكى السلاح ، لا يغدو بالسلاح بطلا ، والبغل المحلّى سرجه بالدر لا يصير بالدر جواداً ... والأمم الواغلة على المدنية ، العابثة بالمبادئ الإنسانية ، المتخذة العلم ذريعة إلى التدمير ، والفن وسيلة إلى الفساد ، ليست مثل الأمة التى حملت وحدها أمانة المدنية دهراً طويلا ، فما عرفت يد آمن عليها ، وأنفع لها ، من يدها : أخذت المنجل فنقّت روضة الحضارة من الأشواك ، ثم مهدتها وحرثتها وشقت لها الجداول ، وأقامت لها السدود ، وسقتها الماء عذباً نقياً ، حتى إذا بسقت أدواحها ، وامتدت ظلالها ، وملأ الجواء ريّا زهرها ، وانتشى الناس بخمرة عطرها ، وارتووا بعصير ثمرها ، وعاشوا بوافر خيرها ، سلمناها إلى هؤلاء ... المتمدينين ... ليحفظوها للأجيال الآتية ، فلم يكن منهم إلا أن رموا عليها قنبلة ذرية ...

وما ذا تصنع القنبلة الذرية ؟ إنها تميت ولكنها لا تحيى ، فهل عندهم قنبلة أخرى تحيى هذه الحكومة اليهودية التى ماتت من ألفين وخمسمائة سنة ، وتعيد إليها الروح ، وإذا هم استطاعوا اليوم إقامتها وتسنيدها بالأخشاب حتى تبدو كأنها حية ، ولن يستطيعوا ، فهل يبقون معها دائماً يحمونها أن يبتلعها هذا اللج

غيره فقال فى صدر كتابه : « هذه صورة شاعر من أكبر شعراء العربية فى ساعات لهوه ، وما كانت لتغنينا لولا ما أوحت إليه من روائع فنه . فإذا نحن قصرنا القول هنا على مجالس شرابه ، ومن حوله غلمانه وقيانه ، فذلك أن الخمر كانت عروس شعره ، بل هى شيطانه » .

وقد وفى الكتاب بهذا الغرض من ناحية الترتيب والتبويب على الخصوص .

والذى يطلب منا أن نلاحظه عرضاً فى سياق التعقيب على « ألحان الحان » أن مؤلفه الأديب تجاهل كل رأى لنا فى موضوعات كتابه ولا سيما رأينا فى خمريات الخيام وخمريات المعرى وعلاقتهما بخمريات أبى نواس ؛ مع أنه يعلم هذا الرأى حق العلم ويقرر فحواه كل التقرير ، وهو أن سكر الخيام هرب من مشكلة فلسفية ، وأن سكر النواسى عكوف على لذة حسية ، وقد عقد لهذه المقارنة فصلا خاصاً فى كتابه ، وأتبعه بفصل عن المعرى وما قاله فى الخمر ، وحرص على رد الآراء إلى أصحابها فى الهوامش وثبت المؤلفات ، ولعله قدر أن الإغضاء عن ذكر « العقاد » يرضى أناساً كان أرضاؤهم يومئذ مما يعنيه .

إلا أننا نشير إلى هذا التجاهل الذى لا عجب فيه لنقول إنه ينفعنا ولا يضيرنا ، فلا يقولن قائل مع هذا أن العقاد يعطى فوق حقه من معاصريه ، بل له — أو عليه — أن يقول : إن حقه قام على رغم الجهلاء والمتجاهلين ، وأنهم لو استطاعوا لأنكروه ، ولكن إنكاره بحمد الله مما لا يستطاع .

عباس محمود العقاد

العربى الذى يحيط بها ، أو تهدمها موجة عاتية من موجاته ، فتأتى عليها من القواعد ؟ ... أفلم يفكروا فى هذا ؟

أنا أسمع من زمان أن السياسة لا أخلاق لها ، ولكنى لم أعلم قبل اليوم أنها لا عقل فيها ... ولا حياء !

أفلا يستحى هؤلاء (المحترمون) أعضاء هيئة الأمم المتحدة أن ينكروا بالأمس على هتلر أنه سلب حقوق اليهود فأعطاها الألمان ، وأنه أراد العلو فى الأرض بغير الحق ، وأن يثوّروا عليه الدنيا ، دفاعاً عن الحق وعن الديمقراطية ، ثم يجيئوا اليوم فيفعلوا ما لم يفعله هتلر ، ولا موسولينى . وما أدافع عن الملعون موسولينى ، ولكن أقول إنه كان كالذئب يقتل الخروف ليأ كله ويتغذى به ، لذلك عدا (لا رحمه الله) على طرابلس ، أما هؤلاء فيعتدون ليغذوا غيرهم ، ويبيعون دينهم بدنيا سواهم !

أو لا يعقلون أيضاً ؟ ! ولا يخطر على بالهم أنه ربما نشأ هتلر آخر ، يكون اسمه ستالين مثلا ، وربما احتاجوا أن يثيروا الناس عليه مرة ثانية باسم الحق والإنسانية وميثاق الأطلنطى ... فهل يجدون فى الأرض مغفلا واحداً يصدقهم ، بعد الذى رأى منهم ؟

أو لا يعتبرون بما انتهى إليه هتلر ، ومن قبل هتلر نابليون ، ومن قبلهما كسرى وقيصر ، وكل طاغية جبار ؟ فهل دامت الدنيا على أحد حتى تدوم لهم ؟ أهم أشد سلطاناً فى الأرض من الإسكندر ، وتيمورلنك ؟ لقد كان الاسكندر ، وكان تيمور بطلين ليس أمامهما كفوء لهما ، وهؤلاء مهما قويت كل دولة منهم ، فإن لها أكفاء هم أعداء فى ثياب أصدقاء ، وسيضرب الله بعضهم ببعض ، ويريح الإنسانية منهم ومن حضارتهم ، ولا يبقى منهم إلا أخباراً يقرؤها غداً تلاميذ المدارس ، فيعجبون من أصحابها ويلعنونهم عليها . وهذا أمر محقق وإن كان يبدو الآن كالخيال .

أولا يفكرون أنه لو اتخذ مثل هذا القرار ملك من ملوك الحكم المطلق ، أو أمير ظالم من أمراء القرون الوسطى فى أوربة ، لفضحته كتاب التاريخ ، وقالوا ، لص يأخذ مال زيد ليعطيه لعمرو ، وقالوا ، مجنون يجود بما لا يملك ، ولملأوا صحائفهم غيرة على الإنسانية وحقوق الإنسان . فلماذا يخرسون الآن فلا ينطقون ؟ لماذا لا نسمع من أوربة وأميركة ، أصوات من يدعون أنهم أنصار الحق وأن أقلامهم للانسانية ليست لفرد ولا لشعب ؟

لقد غضب أميل زولا لدريفوس ، فقالوا إنه رجل الحق والإنسانية ، وصدقنا ما قالوا ، فلم لا نلقى اليوم فى الغرب كله زولا واحداً ، يغضب لأمة بقضها وقضيضها ، تزاح عن مكانها وتطرد من أرضها ، ليحل اللص الواغل عليها فى محلها ، وتشترك فى هذه المؤامرة الدنسة أمم الغرب كلها . ؟

لماذا يخرسون الآن ؟ ألأن الظلم صار ظلماً منظماً ؟ ألأن قطاع الطرق تركوا الجبال والمغاور وجلسوا فى (ليك سكسس) ألأن محكمة التفتيش صار اسمها (هيئة الأمم المتحدة) ؟ ألأن الجزارين أميركا وروسيا وفرنسا ، والشاة فلسطين ؟

خسأتم يا حلفاء الشيطان . . والله ما فلسطين بالشاة ولكنها القنفذ ، على ظهرها الشوك ، إنها السكين المشحوذة ذات الأربع شُعب ، إنها زجاجة السم الناقع ، فليتقدم لابتلاعها من شاء أن ينتحر ...

***

لا ، ما نريد أن نتكلم . ولو أردنا الكلام ، لدمغنا جباه هذه الأمم التى أقرت التقسيم بأربعمائة مليون لعنة ، تلقى التاريخ بها غداً ، وتلقى الله بعد غد ، وهى مخزاة لها ، وعرّة فى جباهها ولكنا نريد العمل .

ونحن نعترف أننا لا نملك مثل أموال اليهود ، ولا مثل أسلحة الأميركيين ولكنا نملك سبعين مليون روح ، من ورائها ثلاثمائة وثلاثون مليون روح ، نريد أن نزهقها كلها ، أو ندفع عنا هذا الضيم الذى تريدنا عليه أميركا وروسيا ، فهل عندكم من القنابل الذرية ما يكفى لقتل أربعمائة مليون ؟

أما نحن فإن عندنا من القوة ما ندمر به كل شىء لكم فى بلادنا . . بضائعكم ومصالحكم ومدارسكم (وسمعتكم) فلا تستطيعون أن تأخذوا بعد اليوم بترولنا لتحرقونا به ، ولا أموالنا لتحاربونا بها ولا أولادنا لتجعلوهم أعداء لنا ، ولا تجدون فينا بعد اليوم من يسبح بحمدكم ، ونحن نصلى بناركم .

لقد خدعنا بفرنسا أولا ، حتى فزع إليها الزعيم مصطفى كامل وحسب أنها أمة الحرية حقاً ، وأمة حقوق الإنسان . .

وخدعنا بانكلترا ثانياً حتى ترك الملك حسين إخوانه فى الإسلام وحلفاءه فى المعركة ، وانحاز إلى العدو ، وفعل فعلته التى فعل ...

وخدعنا بأميركا ثالثاً ومبادىء ولسن ، وميثاق الاطلنطى .

وخدعنا بروسيا رابعاً ، والمبادىء الشيوعية المثالية التى تجعل الأرض جنة للفقراء . . فذقناوبال ذلك كله علقماً مراً ، ثمالة كأسه تقسيم فلسطين فلن نخدع بهم بعدُ أبداً ، كفرنا بهم كفراً صريحاً لا تأويل له ، ولا شبهة فيه ، ولا رجوع عنه . كفرنا بكل شىء غربى ، إلا الأدب الإنسانى والعلم التجريبى ، فما فيها شرق ولا غربى . كفرنا بموسكو وواشنطون ، ولندن وباريس . . حين رأينا أنه لم يكن معنا من الأمم يوم التقسيم إلا أمم الإسلام وأمم كاليونان والهند حكمها المسلمون ورأت جمال الإسلام ، أفليست هذه حرباً صليبية دينية ؟ أليس أولئك هم المتعصبين حقاً ، ونحن المساكين نتهـم بالتعصب ، لأننا (من حماقتنا) نقول أننا متعصبون ولا نتعصب ... وهم يتعصبون ولكن لا يقولون ...

أنا لا أقول فى هؤلاء المؤتمرين بالحق والعدل شيئاً ، ولو أننا قلنا فيهم أقبح المقال ، لما جزنا عن القصد ، ولما حدنا عن الصدق ، ولا نقول إن العرب لا يقر لهم قرار ، حتى يمحوا بدمائهم هذا (القرار) ، ويطهروا ديار الشام من أقذار الصهيونية ، وينظفوا منازل العربية من أوضار الاستعمار الظاهر منه والمستتر . لا ، ولا أقول : سنفعل ، ولكن سأقول : فعلنا ... ولقد جاءت الأخبار بأن العرب شرعوا بالعمل ، وهذى طلائعه بدت من دمشق ، ودمشق قلب العربيـة ، من القلب ينبثق دم الحياة إلى الرأس والجوارح والأعضاء ...

هذى طلائعه وأوائله ، وأول الغيث قطر ثم ينهمر !

ولست أفخر بأن دمشق ثارت ، فما هى بأولى ثوراتها على الظلم ، ولا بأنها سبقت عواصم العرب كلها ، فدمشق أبداً السباقة إلى كل ما فيه إعزاز العربية والدفاع عنها ، ولكن أفخر بخمسة أمثلة ضربتها دمشق أول أمس ، فيها للعرب هدى ونور !

أولها : أن دمشق أدركت أن دعوى المساواة فى الشيوعية كاذبة ، كدعوى العدالة فى الديمقراطية ، وأنهم كلهم أعداء لنا يأتمرون بنا ، ولصوص يتفقون علينا ، وذئاب تجتمع على نهش لحومنا ، وشرب دمائنا ، فدمرت دار الحزب الشيوعى بعد ما رأت فيها يوماً كيوم مارس ١٩٤٥ .

ففى مارس كانت النار تطلق على أطفالنا ونسائنا من نوافذ دار البعثة الفرنسية فى (الشهداء) بأيدى الفرنسيين وأذنابهم حمير الاستعمار ، وأمس كانت تطلق النار على شبابنا وأطفالنا من نوافذ دار الحزب الشيوعى فى (الشهداء) بأيدى حمير الاستعمار ، أذناب موسكو

وثانيها : وهـذه خلة فى دمشق لا توجد فى غيرها ، أن الأحزاب كلها اجتمعت أمس على اختلافها ، وتقاربت على تباعدها ، فلم تبق فى دمشق حزبية ، لأن الحزبية فى مثل هذا اليوم تعد فى الشام خيانة وطنية .

وثالثها : أن الحكومة كانت مع الشعب ، وأن رئيس الجمهورية خطب فى الشباب والطلاب يدعوهم إلى الجهاد ، ولا عجب فقد كان شكرى بك القوتلى الوطنى المجاهد مقارع الاستعمار قبل أن يصير فخامة السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية وأنه خطب مثل ذلك رئيس الوزارة السيد جميل مردم ، ووزير الداخلية السيد محسن الرازى ، ووزير المعارف الصديق السيد منير العجلانى ، وأن ثلث نواب المجلس تطوعوا مع المطوّعين لنصرة فلسطين . وأنها لم تسق كتائب الشرطة وفرق الجنود ، لضرب وجوه المتظاهرين ، وسد الطرق عليهم ، وكل ما صنعته الحكومة أن حاولت منع الناس من الأذى ، فلما رأت أن الحماسة طاغية وأن المنع لا يكون إلا بإيذاء الناس لم تستطع أن تحتمل مقالة التاريخ عنها : « إن حكومة فلان وفلان ، ذبحت شباب البلد لأنهم خرجوا يدافعون عن فلسطين » وما فى الشام رجل واحد يرضى أن يكون رئيس وزارة ، وأن تنسب إليه هـذه المرّة !

وكان أجل من ذلك كله . أن قررت الحكومة حل الحزب الشيوعى ، ومحو هـذه البقعة النجسة عن وجه دمشق وطرد الموظفين الشيوعيين ، وكانت حسنة من حسنات (المحسن)

ورابعها : أن دمشق أغلقت ملاهيها وسينماتها إلى أجل غير مسمى لأن الأمة التى تجدّ حقاً فى جهاد هو لها مسألة حياة أو موت ، لا تفكر فى تسلية ولا لهو ، وإن هى فعلت كانت أمة لاعبة كاذبة .

وخامسها : أنها جمعت البضائع الصهيونية ، والأفلام

الأميركية ، وأحرقتها فى الشوارع لأنها عرفت أننا إن شتمناهم ونحن نروج بضائعهم ونشترى أفلامهم نكون قد أيدناهم وقويناهم، وأضحكناهم على أنفسنا .

وبعد فلن يصل عدد (الرسالة) إلى أيدى القراء ، حتى يكون هذا الجديد الذى أحدث به عن دمشق قد صار قديماً ، وحتى نسمع عن القاهرة ودمشق وحلب وبغداد والموصل ومكة وعمان والمغرب أدناه وأقصاه وأقطار الباكستان وأندونيسية أخباراً أجل وأعظم ، ثم نسمع من فلسطين الخبر الذى يأكل الأخبار .. خبر الانتصار ، وتحرير الديار .

ولن تقوم للصهيونيين دولة فى فلسطين ، ما دام المسلمون فى الأرض والله فى السماء .

على الطنطاوى

وطن الأحرار فى سوق العبيد

للأستاذ توفيق محمد الشاوى

وقعت الواقعة ، وحدث المستحيل : اتفقت روسيا مع أمريكا ، لا على صيانة سلم العالم وأمنه من خطر المنافسة بينهما وتوسيع كل منهما لنفوذه على حساب استقلال الأمم الصغيرة ، ولكن على تقسيم « فلسطين » . وكأن كلا من هذين العملاقين قد شعر بأن فلسطين الصغيرة ، العربية الأبية ، لن تخضع له منفرداً ، فآثر أن يتفقا معاً تجاوزاً عن خصومتهما التى ملأت أسبابها كل بقعة على ظهر الأرض بدلا من الاعتراف بالعجز والتراجع أمام الإباء العربى والمقاومة الإسلامية . فإن كان فى ذلك معجزة فليس بغريب أن تأتى فلسطين بالمعجزات ، وإذا كانت فلسطين الصغيرة قد حققت تلك المعجزة بفضل تضامن العروبة معها ؛ وهى بعد لم تبدأ المقاومة العملية والتجربة الدموية التى تتأهب لها ، فإن العالم سيشهد قريباً لبطولتها وجهادها بالمعجزة الأخرى ؛ هى أن تنتصر إرادة هذا الشعب العربى الصغير الأبى على خطط الصهيونية وحليفيها العملاقين مجتمعين . وإذا كتبت فلسطين صحائف جهادها بدماء أبطالها ، وسجلت العروبة تضامنها بنجدة شبابها ، فإن قوى الأرض مجتمعة لن تنال من وجودها واستقلالها ، ولو اتفق على ذلك الروس والأمريكان .

إيه يا فلسطين لا تيأسى ولا ترددى ، ولا يقولن دعاة الذلة والاستكانة ماذا نفعل أمام جحافل الشرق الروسى والغرب الأمريكى ، وأين لنا بالقوة التى نحبط بها إرادة « الأمم المتحدة » فما تلك إلا حجة لجبان يبخل بدمه على مواطن الشهادة ، وبراحته على متاعب الجهاد . أما سليل البطولة ومن تجرى فى دمه عزة العروبة فإنه يعلم أن هذا « الاتفاق » بين أنصار الباطل إنما هو وهم وتضليل يقصد به إرهابك وإضعاف عزيمتك ، أملا فى أن ينصرف شعبك عن المقاومة ويرغب فى الاستكانة . فإذا أنت تشبثت بعروبتك وصممت على الجهاد فى سبيل استقلالك فستنهار كل هذه « الاتفاقات » وتتحطم هذه المؤامرات فى ميدان العمل ولعمرى إنه ليس بغريب أن اتفق الروس والأمريكان هذه المرة ؛ فمن ذا الذى لا يتفق على اقتسام شعب لا يقاوم ؟ ومَن ذا الذى لا يتفق حتى مع عدوه على اقتسام غنيمة باردة ، ما دام يظن أنها لن تكلفه شيئاً ؟ ولكن مثل هذه الاتفاقات الرخيصة ستذوب وتتلاشى ، وسترين أن دماء أبنائك كفيلة بمحوها متى أيقن العالم أن إرادتك قوية وأنك عازمة على الدفاع عن حقك بالدماء .

إيه يا فلسطين ، أيتها العربية الأبية ، إن هذا الاتفاق الذى يعلنه الصهيونيون نصراً لهم ، سيعمل دعاتهم ما استطاعوا ليوقعوا فى روع شعبك الباسل أن الأمر قد قضى ولا سبيل إلى المقاومة ؛ والحقيقة أنك قد ارتفعت بهذا الأمر وشرُفت به ، وإن كل أمريكى من المائة مليون الذين يسكنون الولايات المتحدة ليعلم اليوم أن بلاده قد أقدمت على تضحية كبرى باتفاقها مع الروس هذا الاتفاق ، وهو يعرف لماذا أقدمت بلاده على هذه « التضحية » إنه يوقن أنها فعلت ذلك اعتقاداً منها أن ذلك سيجنبها عبء الاصطدام بالمقاومة العربية التى لا تريد مواجهتها وقد أوهمها سماسرة الصهيونية أن هناك شيئاً واحداً يجنبها هذا الصدام ، وهو أن يصدر قرار قانونى من « الأمم المتحدة » ولابد لذلك من رضاء روسيا ، فلتحصل عليه بأى ثمن . فانظرى يا فلسطين الصغيرة أى ثمن تدفع أمريكا لتتفادى مواجهة مقاومتك وحدها

وهل تظنين أن أمريكا كانت تقبل أن تنتظر موافقة روسيا لتفعل شيئاً لو كانت استطاعت أن تفعله وحدها ؟ فما بالك إذا أصبحت مقاومتك حقيقة واقعة ، وأرادت روسيا أن تطالب بنصيبها فى « العمل » مستعينة فى ذلك بسلاحها التقليدى « الفيتو » ؟ قسما إن أمريكا تفضل حينذاك أن تهدم « الأمم المتحدة » بدلا من قبول ذلك ...

إيه يا فلسطين العزيزة ، إنك ستحققين هذه المعجزة ، وإن أبناء العروبة ليتحفزون للتضحية رهن إشارتك ، ويدفعهم إيمانهم بالمثل العليا والمبادىء السامية التى سيكافحون من أجلها ، غير عابئين بدعاة الذلة واليأس ، الذين يتخذون من « الواقع » حجة لبذر أسباب الجزع والاستكانة ، وإن لهم شياطين تعلمهم وتغذيهم بمنطق خادع مضلل ، إنهم ليقولون : كيف تطلبون الانصاف من عالم لا يعرف الإنصاف ، وتنتظرون العدل من دول لم تؤسس إلا على الظلم ، وبماذا تتسلحون ؟ بقوة الروح وعزة النفس فى ميدان لا يعرف إلا عدة الحرب وقوة السلاح . والواقع شهيد بذلك ، فالأمم الصغيرة تباع اليوم فى أسواق السياسة بيع الرقيق ، وتعرض فى مؤتمرات الاستعمار ظاهرها وخفيها عرض السلع . لقد قام مقام الرق الفردى رق جماعى هو الاستعمار بكل صوره من حماية أو وصاية أو انتداب ، هو الرق الأوربى الذى ابتدعه شياطين السياسة ليتحكموا به فى رقاب الأمم والشعوب . ألا ترون أوطانكم التى بيعت فى هذه « الأسواق » السياسية واحداً بعد الآخر ؟ وما « الأمم المتحدة » إلا سوق جديد من أسواق الرقيق ، فإذا استطاع الذهب الصهيونى والنفوذ الأمريكى أن يتما الصفقة ، وأن يملك اليهود فلسطين كلها أو بعضها ، فقد ضاع الحق ولا سبيل إلى استنقاذه ، وتأيد الظلم ، وما هو بجديد ...

ألا وإننا نرى الواقع ولكن بغير عين الجبناء الأذلاء . ونعلم منه ما هو أشد إيلاماً وأبلغ بياناً ، نذكر أن الذين باعوا فلسطين ، والذين يساومون على برقة وطرابلس لم يدخلوها فاتحين وإنما دخلوها حلفاء لأهلها ، أصدقاء لشعوبها ، بذلوا لهم الوعود وقدموا لهم العهود والمواثيق ، فاطمأنوا إليهم وأمنوا لهم ، حتى إذا انتهت الأزمة ، وزالت عنهم الحرب ، نقضوا العهود وتناسوا الميثاق ، وباعوا إخوانهم فى السلاح وأعوانهم فى الكفاح ، لا بيع غالب لمغلوب ، ولا قاهر لمقهور ، ولكنه بيع الصديق للصديق ، وغدر الرفيق بالرفيق ووضع القيد فى يد الحليف دون العدو . تلك والله الكبيرة التى لا يأتيها الوحش فى الغابة ولا يجيزها حتى قانون الذئاب المفترسة ، ولكن يأتيها الأوربى المتمدين ويعاملنا بها الانجليز الحلفاء ...

فما هى القوة إذن ، ولكنها الخيانة والغدر ، وإذا باع الحليف حليفه ، واسترق الرفيق رفيقه ، فإنما يبيع أولا شرفه وكرامته ، ويخلع عن نفسه آدميته . فإذا وُجد فى القرن العشرين دول تقوم على هذه الخطة وتثرى من هذه التجارة ، فهو انحطاط جديد فى الإنسانية قد أصيب به الأقوياء الذين يرضون أن ينزلوا بنفوسهم إلى أحط درجات الإنسانية ، وأصبحوا هم أنفسهم عبيداً لأطماعهم وشهواتهم ، ولا يغير من هذه الحطة وتلك الذلة التى يمارسونها أن كانوا فى يوم من الأيام أقوياء ، وأن تمكنوا بسبب هذه القوة من احتراف ذلك النوع الجديد من « النخاسة » والاتجار بالأحرار ، وإذا كان الرق قد ألغى إلى غير رجعة ، وعلت إرادة الإنسان أن تخضع لسيد مهما يكن ، فإن أشد البلاء أن تصيب النكسة قوماً كانوا أول من دعا لإلغائه ، ولابد لهم أن يفسروا لنا قيام هذه الأسواق الاستعمارية التى يمارسونها ، وأن يقروا معنا أن العبودية وقد انتفت عن الأمم جميعها ، متى أرادت ذلك وصممت عليه ، فإن وصممتها تمكن أن تلق على عصابة النخاسين الذين يمارسون حرفة قد أبطلتها الإنسانية ومبادئها السامية .

أيها الأحرار لم يعد بينكم وبين الحرية إلا عزيمتكم وإرادتكم وما العزيمة إلا البذل والتضحية والاستشهاد . لن يضيركم تلك الصكوك الزائفة الباطلة التى يعدها سماسرة « الأمم المتحدة » متى أعلنتم إرادتكم وقوتكم ، وستحول دماؤكم هذه الصكوك إلى قصاصات حقيرة وتضعون حداً لهذه المهزلة التى تمثل على مسرح « ليك سكسس » والتى يراد بها بيع وطنكم فلسطين ، بيع الرقيق ، فإن العالم لم يعد يقر بعد اليوم أن يباع وطن الأحرار فى سوق العبيد .

توفيق محمد الشاوى
مدرس بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول

الأحـــلام الناجحة

للأستاذ عبد العزيز جادو

(س) فتاة ناهزت الخامسة والعشرين ، وإنها لكالزهرة الناضرة فى الروضة اليانعة ، ترفل فى صحة ضافية ، وتزدهى بجمال فتان . وكان من نعمة الله عليها أن خلّى الله لها والديها يستمتعان بميسرة فى العيش وبهجة فى الحياة . وإذ كانت الآنسة (س) من خريجات الجامعة المتفوقات ، فقد أبت أن تركن إلى الدعة وشاءت أن تشتغل معيدة فى الجامعة ، فوجدت فى عملها هذا لذاذة وأقبلت عليه فى شوق .

وما هى إلا أيام حتى تغير كل شىء ، فانهارت صحتها ، وكثر تغيبها عن عملها ، بعذر وبغير عذر ، وعاد شبابها البهيج وجوماً وانقباضاً .

ولما بحثت حالة هذه الفتاة ، تبين أنها نتيجة حلم .

ولقد سرّها أن ترى الحلم أول مرة على ما فيه من إبهام وغموض ، ولكنه لما تكرر ليلة بعد ليلة أفزعها وأرعبها ، وحاولت جهدها أن تنفيه عن ذاكرتها أثناء ساعات نومها ، ولكن بدون جدوى .

وبدأ الحلم أول مرة كأنما هى فى صحراء موحشة ، وبينما هى تكافح فى سبيل بلوغ الطرف الآخر من البادية ، حيث تعرف أن هناك شراباً ووسائل للترفية ، إذا بها ترى أن الرحلة طويلة شاقة ، وإذا بالشمس اللاذعة تتسلط على رأسها وقفاها وليس لها من دونها حجاب . وكانت (س) تلهث من فرط العطش والتعب ، وكل خطوة تخطوها فى ذلك القفر تشعرها كأنها تقتلع صخراً بأقدامها . وأخيراً بلغت الواحة ، وهنا بدأ الجزء المفزع فى الحلم ، فقد كانت المياه تترع الأنهار وتنصب فى الشلالات ، ثم تكون بركا عميقة فى كل جانب ، فأطفأت الفتاة عطشها بأن شربت جرعة ، غير أنه كان يبدو إلى جانبها شخص فى هيئة الشيطان يهيب بها فى صوت عال ضاحكا : « اشربى ! اشربى ! » ولم يكن بالفتاة حاجة إلى الشرب بعد ما استوفت وا كتفت ، ولكنها أرغمت على العب والاكتراع حتى صار الماء يتدفق ثانية من شفتيها ، ومع ذلك فهى مرغمة أبداً على الشرب . وأخيراً وجدت نفسها تسبح فى مجرى مائى أسود اللون ، ومع إشرافها على الغرق فإنها لا تغرق

وهكذا تكرر الحلم ليلة بعد ليلة ، حتى أمست الفتاة فى حالة تدعو إلى الرثاء

ولما عرضت الآنسة (س) على أحد الأطباء النفسانيين ، وبحث حالتها بحثاً شاملا ، وجد أن إلى جوار المنزل الذى تسكن فيه غدير ماء كان موضع بهجتها فى طفولتها ، ولكنها الآن تخشاه ، ولو أنه أصبح جزءاً من حياتها يلازمها فى رواحها ومغداها وهذا ما تمثل لها فى قول الشيطان : « اشربى ! اشربى ! »

فإذا خلينا حالة هذه الفتاة الشابة جانباً ، وعالجنا الأحلام من جانبها العلمى ، وجدنا أن بعض الناس يفتخر بأنه لا يرى فى نومه حلماً ؛ ومع ميلنا لتصديق هذا الزعم ، إلا أننا نعتقد أن مثل هذا الشخص به ضعف فى الذاكرة ، فنحن لا يمكننا فى كثير من الأحيان تذكر الأحلام بجملتها

ويعتقد كثير من الناس أن الأحلام إنذارات بما سيأتى به الأيام من حوادث . وكتب تفسير الأحلام التى تباع فى الأسواق بكثرة تستوقف النظر ، والتى تفسر كل حلم على حدة ، إنما تعالج الحلم ودلالته المستقبلة

وأقطاب علم النفس اليوم لا ينكرون أن للأحلام معالم دالة على المستقبل ؛ ونحن لا ننكر أن للأحلام تنبؤات ، وإن كانت الأحلام فى الغالب أشباحاً من الحاضر والماضى

ويخبرنا النفسانيون فوق ذلك أن الأحلام تندرج بين تجاريبنا الطبيعية الضرورية لحياتنا ، وأنها تعبير عادى من تعبيرات العقل لا ضرر منه أكثر من الضرر الذى ينجم عن الطعام أو التنفس أو النوم ذاته

وقد وضع الدكتور سيجموند فرويد منذ قرابة أربعين عاماً نظرية عن الأحلام سماها « نظرية الحراسة » . وقصارى هذه النظرية أن النوم ضرورة جوهرية للجسم الصحيح ، وأن العقل ذاته يفعل كل ما فى مكنته ليتحقق من أن الجسد يأخذ حظه المقسوم من النوم المريح ؛ وفى أثناء النوم يلزم العقل الواعى أن يكون فى راحة تامة ، بيد أن العقل الباطن يظل مزاولا وظيفته

خلال النوم من غير أن يوقظ النائم . والعقل الباطن يختزن فى أعماقه حوادث وذكريات اليوم الماضى ، كما يختزن فى قرارته ذكريات الأحداث القديمة التى نسيها تماماً العقل الواعى . ذلك لأن العقل الباطن لا يعرف النسيان ، وهو فى كل لحظة على أهبة أن يبدى للعقل الواعى ما قد نسيه . ولو أن الأحداث التى تمر بالعقل الباطن خلال النوم طافت بالعقل الواعى ، إذن لأرّقت النائم ونفت عنه الراحة . لذا أخذت الطبيعة حيطتها ضد هذا الخطر وقدّمت لنا الأحلام . وميكانيكية المخ هى التى تشكل الأحلام فى صورها المختلفة ، فطوراً تكون شائقة أخاذة ، وطوراً مفزعة مرعبة

على أن الأحلام كيفما تكن حالتها إنما هى حجاب وحفاظ على النوم ، وفى الصباح تبدو الأحلام مضحكة ووهمية كما تراءت فى أشباحها وخيالاتها ، ولكنها تعدّ ناجحة لأنها حفظت راحة الجسم وأدّت وظيفتها المثلى .

والعلم الحديث يقسم الأحلام إلى ثلاث درجات :

الأولى : تختص بالأحلام التى تنجم عن اضطرابات فى الغرفة التى ينام فيها النائم . فلو أن صنبور المياه القريب من حجرة النائم اختل وبدأ يساقط نقطا لها صوت ؛ أو أن الوسادة التى تحت رأسه تكتلت وغلظت ، فإنه فى الحالة الأولى يطالع فى حلمه مشهداً ريفياً بهيجاً ، ويسمع ترنيم الطير على الأشجار . ويحلم فى الحالة الأخرى بأنه يتسلق جبلاً ويستمتع بجمال قمته . فالحلم فى الحالتين يؤدى وظيفته فى حفظ الجسم مستريحا ، وكأنه يقول فى المرة الأولى للنائم « لا تستيقظ ! ليس الأمر أمر صنبور المياه ، ولكنها الطيور تغنى ! » وفى حالة الوسادة الخشنة يقول الحلم للنائم : « إنما أنت تتسلق صخوراً لتصل إلى القمة بعد قليل فتسر بمنظر جميل فلا تكترث ! » وعندئذ يكون الحلم ناجحاً وموفقاً .

الثانية : تنشأ من حوادث اليوم الذى مرّ بالنائم . فلو أن امرأ جازت به فى يومه أحداث غير سارّة ، فقد يرى فى نومه أن رجل البوليس يضرب أحد المارّة مثلاً . ويقول لك حلمك الحارس : « إنها مشاجرة تافهة ، فامض فى نومك مطمئناً ! »

الثالثة : وهى أهم مما تقدم جميعاً — يستيقظ العقل الباطن فى غضونها مستعيداً الأحداث المطوية فى ضمير النائم . وتقوم ميكانيكية الحلم هنا بمساعدات وديّة لاستمرار النوم ، إذ تلوح للعقل بأنه يقفز فوق قنن الجبال أو أسطح المنازل أو يعبر المحيطات ومن ثم يسخر ممن هم دونه فى القوة . هذه الأحلام تنصح للنائم بألا يبالى بما مرّ به من عقبات وصعاب ، أو بما سيجىء به الزمان من مكابدة ومشاق ، ولهذا يمنح قوة خارقة تجعله يستنيم إلى الراحة فلا يستيقظ ...

فالأحلام تعدّ موفقة وناجحة إذا هى أفلحت فى حفظ النائم نائماً فلا يفيق من غفوته قبل استيفائه قسطه من الراحة كاملاً .

***

ولنعد الآن إلى حكاية الآنسة (س) التى صدرنا بها هذا البحث فنقول إن الاخصائى الذى حلل الفتاة نفسياً ، أثبت أن للفتاة عمة انتهرتها ذات مرة لأنها تشرب الماء بطريقة غير مألوفة أثناء تناولها الطعام حتى أنها أصيبت بعسر هضم ، الأمر الذى اضطرها إلى الاقلاع عن عادة تناول الماء خلال تناول الطعام . بل إنها زادت على ذلك فأمست لا تطفىء ظمأها إذا ما شربت فى الأوقات العادية ، ومن ثم كانت (س) تذهب إلى فراشها وهى ظمآى ...

كان ذلك الظمأ حالة ثابتة فى النوم . وكان يهدد بإيقاظ النائم وكان بادىء الرأى ألما ممضاً يسبب التنشيط ، فحول حارس أحلامها الألم إلى صحراء مجدبة قاحلة ، مصحوباً بإيحاء ودى « ستحصلين فوراً على ماء كثير » . وإذ يغدو ظمأ الجسم الفيزيقى أكثر ثبوتا ، يصير حارس الحلم أكثر تأثيراً لا بتعقل فحسب ولكن بصواب أيضاً ! فكان أن صاح الحلم . « لا تستيقظى ، ها هو الماء كثيراً ويمكنك أن تأخذى منه كفايتك ! ... »

ووجد أن الآنسة (س) كانت تتخيل أن الحلم بوفرة الماء قد يكون سببه تعودها الفعلى على الشرب الكثير قبل النوم . فكانت لذلك لا تشرب إلا قليلا قبل ذهابها إلى النوم ، آملة أن يقف الحلم عند حده . وكان مغبة عملها هذا أنها أطلقت العنان لمناد الحلم ...

وكان العلاج فى غاية البساطة . هو أن تتناول قدحين من الماء قبلما تذهب إلى فراشها . وبهذا العلاج البسيط زالت أهمية الحلم وصار لا لزوم له على الإطلاق ، ولذا امتنع عن العودة . وبزوال الحلم زالت أيضاً المخاوف من الماء ، تلك المخاوف التى بدأت تؤثر على عقلها لدرجة خطيرة . واستعادت (س) صحتها ، وسعادتها .

والعلاج الذى نتخذه ضد ما نسميه الأحلام « السيئة » يوجد

مع ميخــــائيل نعيمة

فى «همس الجفون»

للأستاذ مناور عويس

— ٢ —

وفى المقطعين الثالث والرابع نرى نعيمة يستسلم لحكم القضاء الذى يسخر كل ما فى الوجود لكل ما فى الوجود ، كما نراه يعود إلى نغمته المستحبة — وحدة الوجود — وما أقرب فلسفة نعيمة من فلسفة (اسبنوزا) — ووحدة الوجود هذه التى يتغنى بها نعيمه هى وليدة اليأس وابنة الحيرة والشك ، لقد حاول نعيمه أن يؤمن بما لقنوه صغيراً من عقائد وأديان فأبى عليه عقله النفاذ وقلبه الكبير الحساس الواعى أن يؤمن بما لا يرضاه عقله وقلبة الكبيران ، فعكف من ثم على الأديان القديمة والحديثة يغربلها وينخلها ويقتلها درساً وتمحيصاً فاستخلص منها خير ما فيها وخلف قشورها وزؤانها للعميان الذين يؤمنون بالحرف ولايدركون الروح ، أولئك الذين « يكرهون النبتة ويرذلون التربة ! »

أخذ نعيمه من الأديان أثمارها وأزهارها وأوراقها وترك فروعها الجافة الزائدة للغربان تنعق فوقها ! ... ثم خلع على معتقده هذا فنه وروحه فأبدع لنا ديناً وفناً جديدين لا عيب فيهما إلا أنهما إنسانيان شاملان ليس فيهما ارهاق للأرواح ولا استعمار للنفوس والعقول ! . .

دين نعيمة وفنه لا يعرفان للانسانية حدوداً ولا للوطنية سدوداً وقيوداً .

ولقد رحب بأدب نعيمه وعقيدته قوم وأنكرهما آخرون ؛ أما الذين أنكروهما فسوف يرجعون عن ضلالهم عندما تزول عن عقولهم رقى السحر وطلاسم الشعوذة ؛ سوف يفزعون إلى تلك الواحة الوارفة الظلال حيث يستريح المتعبون وثقيلو الأحمال ! .

لابد لكل عبقرى من أن يؤدى تلك الضريبة الباهظة الأزلية — ضريبة العبقرية — لأهل وطنه وزمانه ، ولابد له أيضاً من أن يلبس أكاليل الشوك قبل أن يزدان مفرقه بأكاليل الغار ! فلو لم يكن نعيمه شرقياً اسميت الشوارع باسمه وأقيمت له التماثيل أو على الأقل لوضعت كتبه بين أيدى طلبة الكليات والجامعات . ولكن نعيمه الروحانى الإنسان شرقى يعيش فى مهبط الأنبياء ومصدر الوحى — وكم رجم الشرق من أنبياء وكم قتل من مرسلين! — عفواً أيها القارىء لقد نسيت (أوراق الخريف) مرة ثانية فهاهى كاملة فاقرأ وتأمل وتحسس ثم احكم ؟

تنــاثرى تنــاثرى   يا بهجــة النظر

يا مرقص الشمس   ويا أرجوحة القمر !

يا أرغن الليل   ويا قيثارة السحر

يا رمز فكر حائر   ورسم روح ثائر

يا ذكر مجــد غابر   قد عافك الشجر !

تناثرى تناثرى !

تعــانقى ، وعانقى   أشــباح ما مضى

وزودى أنظارك   من طلعة الفضا

هيهات أن هيهات أن   يعود ما انقضى !

وبعد أن تفارقى   أتراب عهد سابق

سيرى بقلب خافق   فى موكب القضا

تأنقى ، وعانقى ! ..

فى الغالب فى الحياة العادية الصحية ، النظيفة . وإننا إن حكمنا أفكارنا ورتبناها ، يصير نومنا هادئاً مريحاً . وليس هناك أى خوف إن حلمت . فإن كنت متمتعاً بالصحة فلا بد أنك ستحلم الأحلام التى ستحرسك من أى انفعال مزعج ، سواء كان من العالم الذى حولك وأنت نائم أو من العالم الأكبر المخزون فى ذاتك الداخلية . إذن ستنام ، وستجد الصحة فى « المجدد الهادىء للطبيعة الحلوة — النوم » .

والشخص العاقل يستعمل النوم للنفع أيضاً . فالأفكار التى تلازم العقل الواعى قبل النوم مباشرة ، بانتظام أو حتى باطراد ، تتسلل وتأخذ طريقها إلى اللاشعور . فإن كانت الأفكار عن سعادة أو نجاح أو صحة ، فإنها حتما تعجل نشاط اللاشعور وتتحقق تلك الرغبات .

ما أكثر ممكنات النوم . وما أقل استعمالنا لها !

عبد العزيز جادو

سيرى ولا تعاتبى لا ينفع العتاب
ولا تلومى الغصن والريا ح والسحاب
فهى إذا خاطبتها لا تحسن الجواب
والدهر ذو العجائب وباعث النوائب
وخانق الرغائب لا يفهم الخطاب
سيرى ولا تعاتبى !

عودى إلى حضن الثرى وجددى المهود
وانسى جمالا قد ذوى ما كان لن يعود !
كم أزهرت من قبلك وكم ذوت ورود !
فلا تخافى ما جرى ولا تلومى القدر !
من قد أضاع جوهراً يلقاه فى اللحود !
عودى إلى حضن الثرى ! . . .

ليست (أوراق الخريف) هذه سوى رمز للانسان ، ألعوبة الأقدار ، وسخرية الليل والنهار ، الإنسان الذى لا يملك لتلك الأقدار دفعاً ولا لبطش الزمان به كفاً . إن (أوراق الخريف) من عيون شعر نعيمه لا بل يمكن وضعها إلى جانب روائع شعراء الغرب الذين نظموا فى هذا الموضوع ، ومن شك فى ذلك فليقرأها مترجمة ، فالترجمة هى محك الآثار الأدبية ، وبها نميز الشعر الرفيع من الشعر الزائف الذى أملته المناسبات التافهة والأغراض الرخيصة . . انظر إلى قوله :

سيرى ولا تعاتبى لا ينفع العتاب !

أو قوله :

كم أزهرت من قبلك وكم ذوت ورود !

فأية مرارة تفيض من هذا الشعر ؟ وأية بساطة ، وأى إحساس وأية موسيقا ؟ ! إننى أترك للقارىء الحكم والمقارنة بين هذا الشعر البسيط وبين شعر النحت والبلاغة اللفظية . وشتان بين بلاغة الروح وبلاغة اللفظ ، وشتان بين شاعر يعرف مايريد أن يقول وبين شاعر لا يهمه إلا أن تطول قصيدته التى يكثر فيها النظم ويندر الشعر .. إننى لعلى يقين من أن صاحب (همس الجفون) لم ينظم قصيدة من قصائده إلا بعد أن حبل بها فكره وتمخض عنها وجدانه ... اصغ إليه فى قصيدته (التائه) كيف يصور لنا أشواق روحه وأوجاعها وتعطشها إلى الإيمان كما يرسم لنا حيرته فى تلك النار المقدسة التى تشب بين ضلوعه فيطلب أن تختار لها موقداً غير قلبه ، ونحن نحمد الله على أن اختار لتلك النار قلباً شاعراً واعياً كقلب نعيمه ، قلباً (يحول قضبان سجنه أوتار قيثارة) ويخلق لنا من لظى تلك النار واحات نقصدها كلما اشتد علينا قيظ هذه الحياة اللاهب ! . .

أسير فى طريق فى مهمه سحيق
ووحدتى رفيقى ووجهتى الفضا
مطيتى التراب وخوذتى السحاب
ودرعى السراب ورائدى القضا
تسوقنى الثوانى فى موكب الزمان
ولست أدرى شانى فى معرض الورى
فلا القضا ينبئنى ولا الرجا يهدينى
ولا السما تعطينى نوراً لكى أرى
أخالقى رحماكا بما برت يداك
إن لم أكن صداكا فصوتُ من أنا ؟
ربى ألا ترانى أساق كالحملان
ربى أما كفانى عماىَ والونى ؟
فابدل لظى نيرانى بجمرة الإيمان
واجعل من الحنان للقلب مرهما
إذ ذاك بالتهليل أسيرُ فى سبيلى
وخالقى دليلى ووجهتى السما !

هذا هو نعيمه الحائر بين موحيات الكتب التائه فى مفاوز الأديان وشعابها المطلسمة ، قد أضناه تساؤل العقل وأذابه حنين الروح للوصول إلى الحقيقة والإيمان ! ...

هذا هو نعيمه الذى استنجد بالسماء لتهبه راحة الإيمان فلما ضنت عليه السماء بتلك النعمة خلق من نفسه لنفسه سماء ولا كالسماء ونعيما ولا كالنعيم ، وتلك السماء وهذا النعيم اللذان أبدعها نعيمة بصبره الطويل وتهجداته الروحية المضنية إن لم نجدهما فى (همس الجفون) فنحن واجدوهما فى (زاد المعاد) (والمراحل) (والبيادر) .

نعم وصل نعيمه إلى السماء أو (النرفانا) التى حج إليها من قبله (الغزالى ، وابن عربى ، والأسيزى) وطاف فى رحابها (ابن الفارض ، والجنيد ، والحلاج) وغيرهم ممن صفت نفوسهم وطهرت قلوبهم من أقذار الأرض وأوضارها .

(البقية فى العدد القادم)

مناور عويس

طرائف من العصر المملوكى

للأستاذ محمود رزق سليم

تمهيد :

قيضت لى الظروف الاطلاع على كثير من تاريخ العصر المملوكى وأدبه ، واجتماعياته . واستخلصت من ذلك كله مؤلفة موسوعة تصدر تباعا فى أجزاء . وأحببت أن أعجل إلى قراء الرسالة الغراء ؛ فأعرض على أنظارهم صورا شتى لنواحى هذا العصر ، آملا أن يجدوا فيها طرافة ، وأن يجدوا فى هـذه الطرافة شيئاً نافعا يجلى أمامهم وجه هذا العصر وخصائصه ، ويزيل عن حواشيه ما اكتنفها من ظلام .

وستكون هذه الطرائف خليطاً منوعا ما بين تاريخية وأدبية واجتماعية ونحوها وإلى القارىء نبذة تاريخية سريعة تعرف بالعصر .

١ — التعريف بالعصر

العصر المملوكى فترة من فترات التاريخ المصرى الطويل ، وحقبة من أحقابه الواسعة ، تحتجز منه زهاء ثلاثة قرون بين سنتى ٦٤٨هـ — ٩٢٣هـ . وبدأت بدءاً هينالينا لا ضجة فيه ولا صخب إلا لماماً لمـاما ، كما بدأت عصور قبله . ثم أخذ فيه الضجيج يشتد ، والعجيج يزداد ، وما زال حتى انتهى بأن هوت البلاد تحت أعباء حادث جلل وخطب عظيم .

قامت الدولة الأيوبية بمصر بزعامة مؤسسها صلاح الدين الأيوبى وما زالت تعالج الحروب الصليبية وغيرها ، حتى ملك البلاد الملك الصالح نجم الدين الأيوبى أحد ملوك هذه الدولة . فوقعت فى عهده إحدى المعارك الحاسمة فى تلك الحروب وهى معركة « المنصورة » التى أسر فيها ملك فرنسا « لويس التاسع » . وكان الصالح نجم الدين قد استكثر من شراء المماليك من الأتراك ، وربّاهم ، وابتنى لهم قلعة بجزيرة الروضة ، واتخذ منهم حاشية وحرساً وجندا ، ووجد فيهم وفاء وولاء ، كما وجـد فيهم شجاعة وبلاء ، فى حوادثه المختلفة ...

مات الصالح نجم الدين ، والمعركة فى إبانها وريعانها . فكتمت زوجته « شجرة الدر » خبر وفاته ، لتحفظ على جيشه معنويته ، ريثما يعود ابنه « توران شاه » ويتسلم مقاليد الأمور .

عاد توران شاه ، فلم يستطع أن يستصفى زوجة أبيه « شجرة الدر » ولا أن يستخلص مماليك أبيه . فانتهى النزاع بينهما بأن قتلوه قتلة شنيعة .

حينذاك نصب الأمراء من المماليك « شجرة الدر » ملكة على البلاد ...

« وشجرة » الدر تعتبر — من ناحية — بقية من بقايا الأيوبيين ، فوجودها على العرش امتداد لوجودهم . ولكنها — من ناحية أخرى — كانت جارية من جوارى الملك الصالح ، وليست أيوبية من نسل الأيوبيين ، فوجودها على العرش يعتبر بدءاً للعصر المملوكى ، أو هو على الأقل إرهاص ببدئه .

قيل إن خليفة بغداد — إذ ذاك — المستعصم بالله العباسى أرسل إلى رجال مصر يعيرهم بها ، ويوبخهم لأنهم ولوا عليهم امرأة . فخشيت « شجرة الدر » مغبة الأمر ، وأخذ مركزها يتحرج ، وخشيت كذلك أن تتحرك أطماع الطامعين من بقايا الأيوبيين . فأرادت أن تتلافى الأمر ، وأن تحتمى هى وعرشها برجل صنيعة لها ، يكون له من الملك اسمه وشكله ، ويكون لها منه النفوذ والسلطان .

اختارت « شجرة الدر » لذلك مملوك زوجها وهو « أيبك الجاشنكير » وكان حينذاك أحد أمراء دولتها الكبار . فتزوجته وتنازلت له عن العرش ، فارتقاه ملكا ، وبقيت هى بجواره لها الأمر والنهى والحول والطول . وتلقب بالملك المعز ، وكان أول ملوك هذه الدولة .

تسنم الملك المعز عرشه فى غير كثير من الجلبة والضوضاء — كما أشرنا — وبذلك انتقل الملك من دولة إلى دولة ، وبذلك أيضاً بدأت دولة الأرقاء .

ودرج الأمراء فيها على أن يعقدوا مجالس للشورى عند خلو العرش ، ليختاروا من بينهم أميراً يجلس عليه . فإذا تم الأمر لأحدهم كان إليه وحده الحكم والسلطان .

أما هؤلاء الأمراء فهم من المماليك المتقين الذين وصلوا بذكائهم وبلائهم إلى هذه المرتبة . ولهم وحدهم حق اختيار سلطان

البلاد . لهذا كانت طريقة الحكم فى الدولة نمطا فريداً بين طرق الحكم المعروفة .

وقد عاشت هذه الدولة زهاء قرون ثلاثة — كما أشرنا — ويقسمها بعض المؤرخين إلى دولتين . البحرية والبرجية ، أو التركية والجركسية . وملوك الدولة البحرية من المماليك الأتراك ، وملوك الدولة البرجية من المماليك الجراكسة . ومؤسس الأولى الملك المعز « أيبك الجاشنكير » ، ومؤسس الثانية الملك الظاهر « برقوق ابن آنص » .

واتخذت كلتا الدولتين جنودها من المماليك ، إذ عنى الملوك والأمراء معاً بجلبهم وشرائهم من الأسواق الخارجية ، كما عنوا بتنشئتهم تنشئة عسكرية ، واتخذوا منهم بطانة وحرسا . ووكلوا إلى النابهين منهم — بعد عتقهم — مناصب الدولة . وكانت كلها مناصب عسكرية إذا استثنينا منها مناصب القضاء والكتابة وماإليها وتكون من هؤلاء الجنود والأمراء ومن السلطان ، الطبقة الحاكمة فى البلاد ، التى لها دون سواها من نابتة البلاد ، حق الحكم وتصريف الأمور .

واشتهر من ملوك الدولة البحرية غير أيبك . قطز وبيبرس وقلاوون وابنه الناصر محمد . واشتهر من ملوك الدولة الجركسية غير برقوق . ابنه فرج وقايتباى والغورى والأشرف طومان باى .

ولكل من هؤلاء أعمال مجيدة نافعة ما بين حروب خارجية وإصلاحات داخلية . ويعتبر بعض المؤرخين ، هذا العصر امتداداً للعصر الأيوبى ؛ لأن الدولة فى أغلب نظمها نهجت نهج النظم الأيوبية . ولكن — دون شك ورغم هذا — كان للعصر خصائصه ومميزاته التى تفصله عما عداه .

وحقاً احتفظ سلاطين العصر بسلطنتهم مستقلة مرفوعة اللواء عزيزة الجانب تضم بين ممتلكاتها البلاد الشامية والحلبية والحجازية فى أكثر أيامها . غير أنها امتازت ببعث الخلافة العباسية فى القاهرة وتجديدها . بعد ما وئدت فى بغداد على يد التتار عام ٦٥٦ هـ . فأصبحت القاهرة بذلك محوراً دينياً للمسلمين ، وفى ذلك كسب أدبى عظيم كان له أثره فى تثبيت ملك سلاطين مصر فى هذه الحقبة ، وإكسابهم الشرعية اللازمة ، لأنهم كانوا عليها دخلاء . كما كان له أثره فى تلك الحركة العلمية المباركة التى نشطت فى القاهرة والمدن المصرية والمدن التابعة لمصر ، طول العصر .

وكان لها إنتاجها القيم فى ميدان العلوم والآداب الإسلامية والعربية ...

وكما امتازت سلطنة المماليك بإحياء الخلافة العباسية وبالنشاط العلمى ، امتازت بالنظام الرباعى فى القضاء ، إذ أصبح للبلاد أربعة قضاة ، من كل مذهب من المذاهب السنية قاضى قضاة .

وهكذا ترى أن للعصر المملوكى كثيراً من الخصائص والمميزات

ولا بد لنا من القول إن هذه الدولة كافحت ثلاثة أعداء ألداء خارج حدودها ، وهم التتار والفرنجة والعثمانيون عدا الخارجين عليها من أتباعها أو مخالفيها . ونجحت فى درء خطرهم إلى حد كبير ، وسجلت فى سبيل الذود عن مصر وعن الإسلام صفحات خالدة .

غير أن الفتن الداخلية والأطماع غير المشروعة التى نبتت فى رءوس أمرائها كانت علة مزمنة من عللها ، ظلت مضاعفاتها تنهك قوتها وتخضد شوكتها ، حتى أخذت تقربها من نهايتها .

وقد كانت هذه النهاية على يد السلطان سليم ملك العثمانية الذى احتل البلاد عام ٩٢٣ هـ بعد حرب عنيفة طاحنة أبلى فيها الأشرفان الغورى وطومان باى البلاء الحسن . وهذا الاحتلال هو الحادث الجلل الذى أشرنا إليه .

هذه عجالة موجزة تعرف بالعصر . ونحاول فى العجالات القادمة أن نطرف القراء بما يجلى العصر ، ويكشف عن كثير من مميزاته وخصائصه .

محمود رزق سليم

٦ — من ذكرياتي في بلاد النوبة :

نكبة الفيضان ! !

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

وأعنى بالفيضان مياه الخزن التى يبدأ ارتفاعها وفيضانها فى أوائل نوفمبر من كل عام . ولا يستطيع إنسان كائناً ما كان أن ينكر خطر مياه الخزن على بلاد النوبة ، وما جرته على أهلها من ألم ونصب ، ومشقة وعناء ، وما جلبته من فقر وجدب ، وقحط ومسغبة ! !

قد يبدو ذلك عجيباً ، ولكنه ليس بعجيب ، غريباً ولكنه ليس بغريب ، لأنه الواقع لا مرية فيه . وهو وإن حاولنا إخفاءه وستره ، فإننا نخفى الواقع ، ونمارى فى الحق ، ونزيد الداء استفحالا ، والشر طغياناً . . ذلك أن الرجل فى بلاد النوبة يشعر بهذا الشعور ، ويبديه ولا يكتمه ، ويجعله مادة الحديث فى كل مجلس وكل مناسبة . . والمرأة فى بلاد النوبة تشعر بذلك وتحس به وتعلنه فى كل مكان . والصبى والصبية والطفل والطفلة يشعرون جميعاً بذلك ويعلنونه فى صراحة .

هذه الحقيقة على مرارتها ، يجب أن ننظر إليها وندخلها فى حسابنا لنطلب لهذا الداء ، وندرأ هذا الخطر

ولا داعى للمواربة ، ما دام الأمر قد وصل إلى هذا الحد ، وخير طريق نعالج به ذلك الشعور القوى بالغبن الفادح ، والإحساس بالظلم المبين هو الإصغاء لشكاياتهم والعناية ببحث مشكلاتهم ، بحثاً يدفع بها إلى الحياة لا على طريقة البحوث الآلية التى جرت بها عادة الحكومات والتى لا يكون مآلها بعد تشكيل اللجان إلا زوايا النسيان . . ! !

والآن رُب سائل يقول : وهل كذب هؤلاء شعورهم ؟ وهل جانبوا الصواب حينما اعتقدوا هذا ، ورأوا فى سد أسوان نقمة لا نعمة ، وشراً لا خيرَ فيه ؟ ثم أصبح مع الأيام عقيدة راسخة ، متأصلة فى نفوسهم لا يبغون عنها حِولَا ؟ !

والجواب الحق ، لا . لم يكذب هؤلاء شعورهم ، ولم يحيدوا عن الحق ، فلقد دهمتهم هذه المياه مرات عديدة . . دهمتهم عند إنشاء السد ، فقالوا : شدة تزول ، ولن تعود . . ورتبوا حياتهم على ذلك واطمأنوا إلى هذه الحياة . فتركوا منازلهم الأولى ، وبنوا مساكن أخرى فى نجوة من الغرق . ومأمن من الخطر وساروا على هذا النهج حيناً حتى ألفوا هذه الحياة ، وكادوا ينسون حياتهم الأولى قبلَ أن ينتقص الفيضان ومياه الخزن أراضيهم التى يزرعونها ، ودورهم التى يسكنونها وبخاصة والمساحة التى أتلفتها مياه الخزن بعد بناء السد لم تكن مساحة واسعة ، بل كانت محدودة ضيقة ، والخسائر ، ليست فادحة ، بل هينة عوضتهم الحكومة بما رأت فيه الكفاية ، وارتضوا ذلك منها ، اعتقاداً منهم أن هذا الخطر على أراضيهم ومنازلهم لن يتكرر ولن يعود ، وبهذا ألفوا هذا الوضع ، على ما به من ألم وضنى .

ثم ماذا ؟ ثم كان ما كان من أمر التعلية الأولى ، فتشتت شمل الجميع ، وتفرقوا أيدى سبأ هنا وهناك ، لا يدرون ماذا يعملون . وكانت حيرة ، وكان اضطراب ، وكأنما هذا الماء المخزون أمام السد ، عدوٌ لدودٌ لهم . . ثم هدءوا وسكنوا ، وأنشأوا بيوتاً جديدة ولكن أرضهم انتقصت أكثر من ذى قبل وطمست مرافقها ، وتلف زرعها . ووجدوا من عطف الحكومة عليهم ما أعاد إلى نفوسهم الجريحة شيئاً من الطمأنينة والسكينة والاستقرار ، ولكنهم ظلوا يرقبون الحوادث فى يقظة ، وكأنما علقت أنظارهم بالسد وارتبطت آذانهم بكل ما يقال عنه ، حتى تكونت فى نفوسهم عقدة نفسية تعجز عن حلها الأيام ؛ ثم طال الزمن وامتد ، فنسوا هذا كله ، ووجد أكثرهم فى الهجرة باباً من أبواب الكسب خير من الكد والعمل والزراعة والحرث ، فهاجروا إلى القاهرة والاسكندرية ، وإلى كثير من عواصم الأقاليم والمديريات . . وانبثوا فى نواحى القطر ، بحيث لا تكاد تخلو منهم بلدة من بلاده ، أو قصر من القصور ، أو مصلحة ما من مصالح الحكومة ووزاراتها . . .

أما التعلية الثانية أيام صدقى باشا عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة وألف

فقد أثارت كوامن النفوس ، ودخائل القلوب ، وطفح الكيل بأبناء النوبة وهم يرون منازلهم للمرة الثانية ، أو الثالثة فى بعض المناطق الواطئة ، القريبة من سطح النيل ، يفتك بها الماء ويطغى عليها فى ثورة حانقة ، واندفاع مغيظ ..

حدثنى أحد النوبيين فقال : كان أكثرنا يرى منزله يغرقه الماء رُويداً روَيداً ويقضى على ما به من غلات مختزنة ، وأثاث قليل ، ولا يستطيع أن يعمل شيئاً ، لأنه مشغول بنفسه وأولاده الصغار ، وضعاف النسوة والشيوخ . !

ويمكنك أن تدرك ذلك واضحاً جلياً حينما ترتفع مياه الخزن وتبلغ ذروتها فى شهر فبراير ومارس تقريباً . . لقد كنا نخرج إلى النيل ، نسير بجانب الشاطىء ، فلا يتمالك الإنسان نفسه من الأسى واللوعة والحزن ، حينما يرى ذلك النخيل وأشجار الدوم الذى كان فى يوم من الأيام مورد ثروة وغنى لهؤلاء النوبيين ، ومظهر فخار ويسار ، يراه وقد تبدل الحال وتغير ، فإذا به رمز الفقر والبؤس ، تترقرق الدموع فى عيون أصحابه كلما يرونه على هذه الحال ، غريقاً فى النيل ، لا يبدو منه سوى رءوسه الخضر التى أخـذت هى الأخرى فى الذبول والانقراض بتوالى الأيام ، وكأنما هو عالم من البشر والعمالقة يبعث بآخر أنفاســه من جراء طوفان أليم ..

لقد كان إيراد النخلة الواحدة عشرة جنيهات على الأقل ، فمن كان يملك عشر نخلات أو عشرين نخلة يحيا حياة سـعيدة منعمة ، كلها اليسر والرخاء . . أما الآن فقد نقص ثمار النخلة إلى حد كبير ، ولم تعد تغـل أكثر من عُشر ما كانت تغله قبل أن تغمرها مياه الخزن ، هذا فضلا عن النخيل الذى يتساقط على الدوام عاماً بعد عام .. أما قبل التعلية الثانيـة ، فكان عدد النخل وأشجار الدوم يتزايد يوماً بعد يوم ، وثمره يحلو ويكثر عاماً بعد عام ، وعناية الأهلين به تعظم كلما زاد دخلهم منه ، وتحقق أملهم فيه .. !!

ولا زلت أذكر تلك الثورات الصاخبة الطاهرة ، التى كانت تنبعث من قلوب تلاميذى فى الفصل ، وتهتف بها حناجرهم ، وتبدو منغيظة مدمِّرة ، حينما كنت أتحدث معهم فى موضوع إنشائى ، يتناول سد أسوان ، منافعه وآثاره .. !

منافعه وآثاره ؟! إنه لا منفعة له ولا فائدة فيه ..

هكذا كانت عقيدة التلاميذ ، وهكذا كانوا يعلنون هـذه العقيـدة على الرغم من حديثى الطويل معهم ، ومناقشتى لهم ، وشرحى لعناصر الموضوع .. إن واحداً منهم لا يؤمن بهذا السد ولا يعترف به ، ولا يعتقد أنه أدى مصلحة ما إلى القطر عظمت أم حقرت ، بل على العكس من ذلك يجب أن يكون الموضوع ، وتعرض القضية ...

لقد عذرتهم حينذاك ، لأن كل واحد منهم ، لا يرى سوى أثره فى بلاده ، وخطره عليها ، وأضراره اللاحقة بها ، وأنه حرمهم اللقمة السائغة ، والنبتة الناضرة ، والدوحة الباسـقة ، والثمرة اليانعة ، والخير الوفير .. وطاردتهم المياه المحجوزة أمامه فى عنف وقسوة وجبروت ، وأخرجتهم من دورهم ، وهدمتها هدماً ، وطمست معالمها طمساً ، وظلت تطاردهم فى إلحاح ، حتى جعلتهم يسكنون قنن الجبال ، وذرى الهضاب حيث الصخر الصلد لا تؤثر فيه المعاول ، ولا ينبت فيه نبات .. !!

وبالغ بعض النوبيين فى تصوير هذه البلاد على صورة عجيبة غريبة ، لقـــد قال : إنها كانت قبل التعلية الثانية جنة فيحاء ينعم أهلها بالخيرات صنوفاً وألواناً ، ولا تـكاد تفترق بحال من الأحوال عن أنضر بقعة من بلاد القطر ، غنى وثراء ..!!

ولم يرقنى هذا القول كثيراً ، لِما فيه من المبالغة ، التى لا يجدر بالمخلص أن يتصف بها ، لأنها تضر أكثر مما تنفع ، فليس الوضع على ما يفهـمه المتطرفون ، من أنه عداء ونضال ، وبغية سلب هذه البـلاد خيرها ، وحظها من الخير والنعم ، بل هى الحاجة التى دفعت إليها مصلحة القطر المصرى كله ، كما أبنت عن هـذا آنفاً . . وهذه سنة الـكون ، وقانون الوجود .. فلا داعى إذن للمبالغة والمغالاة ، وتصوير الواقع فى غير صورته .. إذ أن المساحة المنزرعة قبل التعلية لا تـكاد تذكر ، ومهما كانت من الخصب والنماء ، فإنها يجب ألا تصور على هذه الصورة ، ولا تنال هذه المنزلة . . ويخيل إلى أن الغلوَّ فى التصوير ، والمبالغـة فى التعبير ، قد أصبح قاعدة يسير عليها الناس ، حتى لا يكاد الباحث يدرك حقيقة الأمر كما يرجو ويحب ، قداسة ونزاهة .. وأعتقد أن الأمور لو وُزنت كما يجب أن توزن ، لعرفنا المهم والأهم

لا ذمة ولا شرف !

للأستاذ نقولا الحداد

أول مرة فى عمر الإنسانية نرى ونسمع أن أمم الأرض جماء وعددها ٥٧ أمة تؤلف منها محكمة تقضى فى مصير أمة صغيرة .

١ - من ندب هذه الأمم لهذا القضاء ؟ — الله ؟ — لا .

٢ — أين كانت هذه المحكمة الأممية يوم كانت فلسطين الحديثة تعانى الأمرين تحت رق الانتداب البريطانى الذى كان يأخذ من العرب ويعطى لليهود ؟ كانت مبعثرة ينهش بعضها بعضاً ؟.

٣ — هل لهذه المحكمة الأممية ضمير الفيصل العادل ؟ لا .

٤ — هل لهذه المحكمة الأممية أن تنفذ الحكم الذى تصدره ؟ كيف ؟

٥ — هل جميع الأمم على الإطلاق خاضعة لأحكام هذه المحكمة ؟ لا ... بعضها تحت القانون . وبعضها فوق القانون ... أليس هكذا تكون العدالة والمساواة ؟

أولا . أن الذين ندبوا السبع والخمسين دولة للقضاء فى هذه المحكمة الأممية . هم ثلاثة أشخاص ، لا ثلاث أمم . هم زعيم روسيا وزعيم بريطانيا وزعيم أميركا يعنى ثلاثة آدميين يتحكمون بمصير ٥٧ أمة أو بمصير ألنى مليون آدمى .

من خوّل هؤلاء الثلاثة هذه السلطة ؟ - الذكاء السياسى ؟ العلم العملى ؟ - لا . لا . لا .

خوّلهم هذه السلطة الحسام المتشق . والمدفع المنطلق . والأورانيوم المنبثق . أضف إلى هذه الثلاثة التوفيق الذى كان فى عالم الغيب وليس لهم فى تدبيره أقل نصيب .

ثانياً — كان أعضاء هذه المحكمة أو بالأحرى كانت أممها الكبيرة كالصغيرة تصخب كالخضم المائج وتصرخ صراخ أهل الجحيم من شدة آلام ذلك الجنون الحربى المطبق . وأى جنون أفظع من أن يدمر الواحد فى ساعة مابناه فى قرن ، ومن أن يتلف الخيرات التى أغدقتها الطبيعة عليه ويصبح فى يوم وليلة حائراً يبحث عن الغذاء والكساء والمأوى فلا يجدها .

كل تلك الثروات الطائلة ذهبت كالعاصفة تذريها الريح كيف يكون الجنون غير هذا ؟

هذه حال الأمم التى تقضى الآن فى مصير أمة صغيرة هى جزء من ألفين من أمم الأرض .

عجباً ! ما بالها تترك الأمم الكبرى التى تعد بمئات الملايين تهش بعضها بعضاً وهذه أحوج إلى الفيصل فى قضاياها من أمة صغيرة كفلسطين .

أليست هذه المحكمة أجدر بأن تنصف روسيا من أميركا وبريطانيا أو تنصف أميركا من روسيا أو تنصف بريطانيا من هذه وتلك ؟

هل إذا تم قضاء هيئة الأمم ال ٥٧ على فلسطين يأمن العالم الحرب ويضمن السلام .

ثالثاً — هل لهذه المحكمة الأممية ضمير الفيصل العادل ؟

يمكنك أن تحلف صادقاً بالله العظيم وبالأنبياء والرسل أجمعين أن أولئك الوفود المتكاثين فى لايك سكسس وفلاشنغ ميدوز وهم ينظرون فى قضايا الأمم المظلومة خالون من الضمير الصالح بتاتاً ، لا ذمة ولا شرف . ما معنى أن بعضهم يتغيبون عن المحكمة وبعضهم يمتنعون عن إعطاء أصواتهم ؟ . معناه أنهم ليسوا ذوى ذمة ولا ضمير ، لأنهم يساومون الأقطاب الكبار أو يخافونهم أو يطمعون برشاوى مادية أو سياسية . وأخيراً ظهر أن دنيئاً منهم قبل رشوة ١٠ آلاف دولار . ألا تباً لهذه المحكمة التى ضميرها المال وذمتها المال وشرفها الريال .

قضية فلسطين واضحة كل الوضوح . وكل مندوب من

ولبدأنا بالأهم ، لأننا فى مسيس الحاجة إليه ، ولكن المجتمع لا يسير على هذا النهج ، وإنما يجعل كل الأمور فى أعلى درجات الاهتمام فيختلط الأمر على ذويه ، وأصحاب الشأن ، فتتعطل حركة الإصلاح فى البلاد ..

ومهما يكن من شىء ، فقد أضرت مياه الخزن بهذه البلاد وأعنى بلاد النوبة ، بقدر ما أفادت بقية بلاد القطر ، ولقد فهمت ذلك جلياً جميع الحكومات المصرية . ولكن مجرد الفهم لا يكفى ، وإنما الواجب أن نسرع بتنفيذ المشروعات المظيمة ، المزمع إقامتها فى هذه البلاد ، وإن هذا الوقت وقتها ، وأخشى ما أخشاه أن تصبح فكرة منسية فى زوايا التاريخ ..!!

عبد الحفيظ أبو السعود

مناديب ال ٥٧ أمة فاهمها تمام الفهم . ولـكن الضمير الحرب واقف دونها . فـكيف نثق بمحكمة ليس لأعضائهـا ضمائر ولا شرف ؟

حقاً . لم يعد عالم عصر الذرة والـكهرباء الخ ممـكناً أن يعيش بسلام إلا بقيام محكمة كهيئة الأمم . ولـكن بكل أسف ليس لهذه المحـكمة ضمير صالح ، هي محكمة شيطانية جهنمية ، وإبليس الرجيم هو الموحى لها ، فمـا ذا يكون مصير الأمم الصغيرة ، بل مصير الأمم الـكبرى إذا كان إبليس رائدها ؟ الحرب طبعاً !

نحن لم ننته من الحرب لأنه لا يزال فى العالم بقية من الخير والعيش ، وإبليس لن يعود عن طغيانه على ملـكوت الإنسان إلا متى دمر هذه البقية الباقية .

أصل السبب فى طغيان الشيطان هو أن الرأسمالية تستفحل كل يوم أكثر من يوم ، واليهود قابضون على زمامها لأنهم عباد المادة ، فما دام فى الأرض يهود فهناك أموال تكافح وتثير السلاح وتضع المدافع والقنابل الخ وتدفع الرجال إلى أتون جهنم .

فلا سلام على الأرض ما دام اليهود يهوداً ، ليتهم يسممون وصايا موسى ، وإن كانت مجحت بحقوق غير بنى إسرائيل .

ما هيئة الأمم هذه إلا ألعوبة صبيانية يلعبها ستالين وتشرشل ثم خلفه بيفن وروزفلت ، ثم خلفه ترومان .

ولـكنها لعبة شريرة ، زعموا أنهم يريدون بها إنصاف الأمم الصغيرة من الأمم الـكبيرة ، فإذا هم يضيفون ظلماً على ظلم .

أتعلم ما سبب نكبة فلسطين الأخيرة ؟

شخص واحـد من ألفى مليون شخص له غرام بكرسى الرئاسة ، ولـكنه ليس أهلا لها ولن يكونها ، فإن صارها كان ٥ ملايين يهودى يحـكمون ١٤٠ مليون إنسان ، ويتصرفون بمقدرات ألفى مليون إنسان

رابعاً — هل لهذه المحـكمة أن تنفذ الحـكم الذى تصدره ؟ وكيف ؟

انكلترا التى هى أصل نـكبة فلسطين من أول الأمر تتنصل من تبعة حكم محكمة هيئة الأمم ، لا تريد إلا أن يعلق العرب واليهود بعضهم ببعض وهى تتفرج ، والله أعلم أى الفريقين تساعد من تحت لتحت ، وأيهما تحرض سراً !

والأميركان لا يريدون أن يرسلوا أولادهم إلى الأرض المقدسة لـكى تغسل دماءهم دم المسيح

وستالين يتمنى أن يحط رجله فى الأرض المقدسة ، ولـكن أميركا وانكلترا تمنعانه ولو بحرب

إذن لا يبقى إلا أن العرب يطهرون أرضهم من جراثيم الشر وحكم محكمة الأمم يصبح « طش فش » لا شىء !

ولما ذا نحن نتوقع من الأمم أن تـكف شر الصهيونيين عنا ، ونحن نعلم أنه « ما حك جلدك غير ظفرك » !

أليس جديراً بنا الآن بل من قبل الآن أن ندفع إنذاراً إلى بريطانيا « العظمى » أن انتدابها الذى كان وبالا على فلسطين قد انتهى فلتتنح ، وتدعنا نحن نسوى حسابنا مع الصهيونيين الذين كانوا من صنع يديها .

وعلينا ، يا عرب جميعاً ، أن نحتل فلسطين ، ونقذف بالصهيونيين (لا باليهود) إلى البحر .

لا أتكلم هذا الـكلام عن نفسى ، لأنى شخص ضعيف إلا بإيمانى ، بل أتكلمه عن لسان ستة وثلاثين مليون عربى .

نقولا الحداد



القرآن في شارع فؤاد !..

إن عجبت من هذا الذى يطالعك به العنوان فأنى أزيدك عجباً إذ أضيف إليه أن ذلك كان فى نحو الساعة العاشرة من مساء يوم الأحد ! حيث يمتلىء هذا الشارع وما تفرع منه بطلاب اللهو من الأجانب والمصريين فى عطلة الأسبوع ...

انعطفت وصديقىَّ من شارع عماد الدين إلى شارع فؤاد فإذا بميكروفون عظيم يملأ الشارع كله بكلام الله فى صوت كان على شدة علوه من أحلى الأصوات وأبعثها للطرب ...

وعجبت وعجب صاحباى وقلنا ماهذا ؟ إنه والله للقرآن! ونظرنا فإذا متجر جديد جميل تزين الأنوار المتوهجة المتلألئة واجهته وجوانبه ، ومنه ينبعث هذا الصوت القوى الساحر بقول الله سبحانه « والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها ... »

وأسرعنا الخطى صوب النور الذى نرى، والنور الذى استشعرته نفوسنا فيما يشرق فى السمع من كلام الله ؛ ووجدنا أنفسنا وسط أصناف من خلق الله يذهب البصر فيهم هنا وهناك وهم حائمون على هذا النور كالفراش يقمون عليه من كل صوب وأرواحهم مستشرفة إلى هذا الصوت الجميل القوى يسترسل فى تنغيمه وتطريبه ، وآذانهم مرهفة وقلوبهم خاشعة وكأن عليهم الطير مما سكنوا ؛ وما أن يقف صاحب هذا اللحن العلوى عند قول الله «ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها» حتى تنبعث بالتصفيق أكفهم وتنطلق بعبارات الاستحسان حناجرهم ...

وأجلت منظارى فى الجمع المحتشد فإذا به خلق من كل طبقة ومن كل نمط ففيه المقبعون والمقبعات والمعممون والمطربشون وفيه العلية يقفون إلى جوار سياراتهم الفخمة ، وفيه المتواضعون مثلى من عباد الله ممن يدبون على أقدامهم ، وفيه عدد من العمال والخدم والحوذية وسائقى سيارات الأجرة وغيرهم بيض وسود من كل سن وفى كل زى وفيه المسلمون وفيه لاريب النصارى واليهود والجميع ينصتون إلى الشيخ مصطفى اسماعيل يتلو آيات الله وينظرون إلى اسم الطرابيشى المصرى تلألئه الأنوار القوية على واجهة متجره الجميل الجديد ...

وامتلأ طوار الشارع حتى لم يبق فيه موضع ، وغص الشارع نفسه بالسيارات والعربات من كل نوع ، حتى التزام نفسه يبطىء سائقوه إذ ينصتون ويقفون على مقربة من المتجر فلا يحبون أن ينطلقوا فيبتعدوا عن هذا الصوت الندي الحلو الذى سحر الناس جميعاً ، والذى يرسله الميكروفون قوياً صافيا لا حشرجة فيه ولا تسلخ ولا كدرة فيملأ به الشارع .

« الله أكبر ... بسم الله الرحمن الرحيم ، والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها »

بهذا التنزيل المجيد كان يصلصل حلق القارىء البارع فى صوت يرتفع إلى عنان السماء ثم يهبط إلى قرار قريب ، فتحس فيه تموج الشماع وتأود الجدول وترسل الكروان وتنغيم البلبل ، وتجد نفسك مسحوراً بهذا الصوت اللين الحلو ، وهذا الإيقاع العبقرى الجميل فى إمالة سائغة لأواخر هذه الآيات الكريمة يهفولها السمع وترتشفها النفس ، وكانت ترتفع مع اللحن نفوس السامعين وتهبط وهم صامتون خاشعون حتى يفرغ ذلك النفس الطويل ، نفس القارىء المفتن فتضج أصوات السامعين بلفظ الجلالة ...

كان المسلمون يطربون للتنزيل الحكيم وقد وجلت قلوبهم لذكر الله وزادتهم آياته إيمانا ، وكانوا يعجبون بذلك الصوت العبقرى القادر وهذا الترتيل الشجى الساحر ؛ وكان غير المسلمين مأخوذين بهذا التطريب العجيب الذين يحسون أثره ولا يتبينون سره ؛ وكان الأجانب مذهولين بهذا المتجر الذى ينبثق منه النور والذى جاء يزحم متاجرهم ويبدأ بهذا التحدى فيفتح أبوابه يوم الأحد ويذيع كلام الله فى شارع فؤاد ... !

ودخلنا على الرغم من الزحمة فناء المتجر فإذا به ممتلىء بالناس، وإذا باقات كبيرة من الزهر تبلغ الواحدة منها قامة الرجل طولا تزين جوانب الفناء وكلها مهداة إلى المتجر الجديد من أصحاب

المتاجر الكبيرة كما دلت على ذلك ما علق عليها من بطاقات .

وكان كل ما في المتجر يملأ النفوس سحراً وشعراً فهذه الأنوار المتألقة وهذه الزهور الناضرة وهذه التلاوة العذبة ، ثم هذه البضائع الجديدة المنسقة على الرفوف اللامعة النظيفة في أناقة وحسن ذوق كل أولئك كان يبعث البهجة في النفوس ويلقي السحر في الخواطر .

« الله أكبر ... بسم الله الرحمن الرحيم ، ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك »

وأخذ الشيخ اسماعيل يرتل هذه السورة ويرددها وقد أفرغ فيها كل فنه وبلغ صوته فيها غاية حلاوته والناس يهزون رؤوسهم في تخشع ونشوة معاً ويودون لو ظلوا وقوفاً يستمعون حتى ينصدع على الأفق عامود الصباح ...

« الله أكبر ... بسم الله الرحمن الرحيم ... والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

ما كاد الشيخ يقف عند هذا الوقف حتى انتزع الناس الزهور من الباقات وامطروه بها من كل جانب وهو في الطابق الأوسط وتشققت حناجرهم بالهتاف ، حتى كأنما طاف بهم طائف من الجنون وقال أحدهم « والله هذا رجل انسرق من الجنة » .

وختم الشيخ تلاوته وأخذ الناس ينصرفون وملء نفوسهم البهجة من هذا الافتتاح الموفق ، ونظرت إلى المتاجر الأخرى فطاف برأسي معنى لعله طاف برؤوس غيري من الناس ؛ وذلك أن المتاجر الأخرى على طوارى الشارع باتت تحس هذه الليلة ذل الغربة ، وكأنما كان هذا القرآن فتحاً في هذا الحي الأفرنجي الذي ما شهدنا فيه مثل هذا من قبل ، وكأنما كان متجر الطرابيشي غزواً يباركه كتاب الله ... وشعرت بالعزة الوطنية حق العزة وأحسست لأول مرة في هذا الشارع أن الدار داري والأهل أهلي والوطن وطني ... واغتلى خيالي وأنا الشاعر الذي يطير به الخيال كل مطير ، فخيل إلي أن الغافقي لم يرتد عن بواتييه ، وأني أسمع القرآن لا في شارع فؤاد ولا في القاهرة ولكن على ضفة السين !

مناقشة هادئة

خلود الروح

للشيخ محمد رجب البيومي

أبي أين تصير الروح حين يضيق بي عمري
أتفنى الروح كالجسم إذا غيبت في قبري
سألت العقل إيضاحاً فقال العقل لا أدري

بني الروح حين تطير تمرح في ربى الخلد
لها في الأفق تغريد يثير كوامن الوجد
ستحيا الروح في الأخرى ويفنى الجسم في اللحد

أبي الجسم يرى بالعين أما الروح بالوهم
فهل تنجو من الموت ويمضي الموت للجسم !
كلام يا أبي كالسحر يستعصي على فهمي

بني الروح في جسمك مثل الملح في الماء
فهل تنكر أنت الملح إن لم يره الرائي
إذا وسوس إبليس فلا تهمم بإصغاء

أبي لست أماري في وجود الروح بالدنيا
ولكن حينما نمضي أتفنى الروح أم تحيا ؟
شكوك جففت حلقي وجئتك أنشد الريا

بني العطر مقياس به يتضح الحكم
مضت أوراقه عنه وكل منه يشتم
كذاك الروح تبقى بعد ما ينعدم الجسم

أبي أوضحت بالتمثيل مادق على فكري
ففي جيبي زجاجات بها قسط من العطر
ستبقى مثله الروح ويمضي الجسم كالزهر

محمد رجب البيومي

تعقيبات

الإسلام .. والسلام

نشرت مجلة « تايم » الأمريكية صورة خيالية للنبي محمد عليه السلام ، وقد رسمته في شكل زنجي يمتطي جواداً وبيده سيف ، وكتبت تحت الصورة « الإسلام لا يعرف السلام » ، وتقول الوكالة التي نقلت هذا النبأ إن سفير الباكستان كان هو الدبلوماسي المسلم الوحيد الذي احتج بشدة لدى سفير أمريكا على هذه الوقاحة ، وأن الدوائر الدبلوماسية في لندن قد بذلت جهوداً جبارة لمنع الجنود المسلمين أبناء الباكستان من القيام بمظاهرات عدائية ضد أمريكا .

هذا ما كان من أبناء الباكستان في لندن . أما عندنا فقد اكتفت الحكومة المصرية بمصادرة عدد المجلة ومنعه من دخول مصر ، وأنا أذكر أن حكومتنا هذه قد ألقت في الأيام الأخيرة بصحفي مصري في غياهب السجون لأنه تطاول وتجاوز الحد إذ كتب كلمة خفيفة يقول فيها إن ملك اليونان وقع في حب فتاة

ولا عجب ، فنحن ناس ظرفاء جداً ، ومجاملون جداً ، وإننا لنحاول أن نراعي مشاعر وإحساسات أولئك الذين يهوون في غير مبالاة على مشاعرنا وإحساساتنا بالنعال ..

لقد كان من الواجب على حكومتنا أن تمنع تلك المجلة منعاً باتاً من دخول مصر وأن تتفاهم مع الجامعة العربية على منعها من دخول الأقطار العربية الإسلامية كلها ، حتى تؤدب أولئك القوم الذين تحركهم أموال الصهيونيين ، فهم يعيشون عبيد المال وأرقاء المنفعة ولو كلفهم ذلك التهجم على الكرامات والاستخفاف بالعواطف والإحساسات ..

وبعد ...

فهذه ليست أول وقاحة من نوعها ، ولن تكون كذلك آخر وقاحة من نوعها ، ونحن نقول لتلك المجلة ولبني قومها : حقاً إن نبي « الإسلام لا يعرف السلام » مع الظلم والطغيان والزور والبهتان ، والاستعمار والاستعباد ، وما بعث محمد عليه الصلاة والسلام إلا ليحطم الأصنام ، ويدحض عبادة الإنسان للانسان ، وينادي أهل الأرض جميعاً إلى كلمة سواء ، هي التوجه إلى الله العلي الكبير ، ونحن أتباعه وأجناده «لن نعرف السلام» حتى نحطم طغيانكم ، ونبطل بهتانكم ، وندفع استعماركم الذي تطوقون به رقاب العباد .

نحن لا نعرف السلام إلا في رعاية الإنسانية وخدمتها ، فمن مبلغ ذلك الكاتب الأحمق أن نبي الإسلام هو الذي نادى منذ أربعة عشر قرناً بأن « لا فضلَ لعربي على عجمي إلا بالتقوى .. » على حين أن قومه الأمريكان يحلون في هذا العصر — الذي يقولون عنه إنه عصر النور والحضارة — قتل الزنوج والهنود لأنهم يعتبرونهم أقل مرتبة في الإنسانية . . وبعد هذا يتحدثون عن الإنسانية وعن المدنية وعن السلام ..

هذا المجمع اللغوي :

مر على إنشاء المجمع اللغوي خمسة عشر عاماً ، فقد أنشيء في عام ١٩٣٢ ، ويذكر الذاكرون أن المرسوم الملكي الذي صدر بإنشاء المجمع قد حدد الأغراض التي طلب إليه تحقيقها وهي :

« ا » أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغي استعماله أو تجنبه من التراكيب .

«ب» أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية وأن ينشر أبحاثاً دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها . «ج» أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

والآن ، وبعد أن مضت تلك السنوات الطويلة التي تغيرت فيها الدنيا ، وتغير العالم والتاريخ ، ما ذا حقق المجمع من تلك الأعراض ، وماذا أجدى على اللغة من تلك المهمات التي رسمها المرسوم ؟ !

قالوا من زمن طويل إنه يشتغل بإنجاز معجم وسيط ، وأنه يعد المدة لوضع معجم مطول ، وهو إلى الآن عندما قالوا : فلا

المعجم الوسيط أخرج وأنجز ، ولا فى المعجم المطول فكر وبحث.

وقالوا إنه سيخرج معجما تاريخياً ، ثم قالوا إنه سيكتفى فى ذلك بإخراج معجم المستشرق الألمانى «فيشر» ، وإلى الآن لم يسمع أبناء العربية خبراً عن ذلك المعجم .

وقالوا إنه سينظم دراسات للهجات العربية ، وقالوا إنه سيضع ويحقق من الألفاظ العربية ما يوسع فى مادة اللغة ويجعلها وافية فى التعبير عن حاجات العصر ، وما أحس الناس أثراً لذلك ، وكل ما كان أن وضع المجمع جملة من الألفاظ والمصطلحات ولكنه طواها فى مضابطه التى لا ترى النـور ، أو نشرها فى تلك المجلة التى يوزعهـا على الرجال الرسميين الذين لا يهمهم أمر اللغـة فى شىء . .

والسبب فى ذلك أن حكومتنا نظرت إلى المجمع كأنه هيئة تشريفية ، لا هيئة عاملة ، فأخذت تلصق به من تريد تشريفهم وخدمتهم لا خدمة اللغة بهم ، فما أشبه المجمع فى حاله الراهنة بهيئة كبار العلماء ، فليس لأيهما أى أثر فى الحياة العلمية .

والعجيب أن الحـكومة تعمد فى كثير من الأحيان إلى اختيار أعضاء فى المجمع من بين الرجال الذين لهم من مشاغلهم الخاصة وأعمالهم فى الدولة ما لا يسمح لهم بالتفكير فى اللغة ولا فى معاجمها ولا فى مجمعها ! !

أيها الناس ، لقد مرت خمسة عشر عاماً ، فقولوا لنا ماذا كسبت اللغة من هـذا المجمع ، وماذا كانت تخسر لو لم يكن هذا المجمع . .

غيرة ! !

كتب أحد الـكتاب مقالا فى إحدى الصحف يقول فيه : « إن من المؤسف حقاً أن يلاحظ الإنسان أن الصلة قد انقطعت أو كادت بين القراء المصريين والأدب الفرنسى المعاصر ، فبينما كان الجيل السـابق من المثقفين المصريين يعرفون الـكثير عن أناتول فرانس وأندريه جيد وفرانسوا مورياك وغيرهم من الأدباء الفرنسيين الذين بلغوا أوجهم بين سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٢٥ نجد القارىء المصرى المعاصر لا يكاد يعرف إلا القليل جداً عن الظاهرين من الأدباء والمفـكرين الفرنسيين اليوم ..»

هذا ما قاله ذلك الـكاتب بلغته وبأسلوبه ، وهذا هو مادعاه إلى التأسف والتحسر ، ونحن لا ندرى : أهى غيرة على الشعب المصرى ، أم على الأدب الفرنسى ؟ !

يا سيدى المتأسف : إن شبابنا منصرفون عن أدبهم ، عازفون عن تراث آبائهم وأجدادهم ، ولا يعنيهم أن يأخذوا منه ما يقوم ألسنتهم ويشعرهم بذاتيتهم وقوميتهم ، أفما كان الأولى أن نفزع لهذا بدل أن تفزع لذلك الأدب الفرنسى الغريب ...

لقد عنينا من قبل بأدب فرنسا ، وبحضارة فرنسا ، وأخلصنا لها المودة والمحبة ، وأشدنا بها يوم كانت ، وبكينا عليها يوم ماتت ، ومع ذلك فقد خذلتنا وهى لمـا تزل ملفوفة فى أكفان الموت ، وأبت علينا حق الحرية والحياة والـكرامة

أنشدوا أدبكم قبل أن تنشدوا أدب الناس ، واحرصوا على أن تـكون لـكم ذاتية فى تفـكيركم ، واتجهوا إلى ما خلف لـكم الآباء من ثروة فـكرية فإنها ثروة ضخمة نافعة ، واعلموا أن التظرف بالـكلمات الأعجمية وقراءة القصص الأوربية أصبح مظهراً من مظاهر التفاهة التى لا تليق بالرجال ...

ابن هشام والدكتور زكي مبارك :

عرض الدكتور زكى مبارك فى مقال له بجريدة « البلاغ » للحديث عن العلامة النحوى ابن هشام الأنصارى فامتدحه وقال إنه يعرف من فلسفة النحو ما لا يعرف سيبويه ، ثم انتقده فى قوله : « ويجب فى المؤكد كونه معرفة ، وشذ قول عائشة رضى الله عنها : ما صام رسول الله شهر أكله إلا رمضان . . »

فقال الدكتور : لأول مرة أستطيع الأخذ بتلابيب ابن هشام الأنصارى ، فالذى سمعناه وقرأناه أن السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق ، وأنها زوجة الرسـول عليه الصلاة والسلام ، فأبوها عربى صريح ، وزوجها سيد العرب ، فكيف يكون فى كلامها شذوذ فى لغة العرب ؟ .

وهنا أحب أن ألفت نظر الدكتور زكى إلى مسألة تناولها العلماء من قبل بالبحث والمناقشة حول الاستشهاد بالحديث . فقد رأى جمهرتهم أن الأحاديث إنما رويت بالمعنى كما دخلها كثيرمن الأحاديث الموضوعة والمصنوعة فى العصر العباسى ، ولهذا منع

الكثيرون الاحتجاج بالحديث في اللغة ، ومنع بعض النحويين الاستشهاد بها في النحو ، وعلى هذا نجد النحويين يناقشون ألفاظ الأحاديث فيحكمون في بعض الأحيان بشذوذها ، وأحياناً بخطئها ، وأحياناً بضعفها ، ولو صح عندهم الحديث بلفظه لما كان لهم أن يحكموا بتلك الأحكام ، فابن هشام إنما يحكم على هذا الكلام المروي عن عائشة ، ولو أن الدكتور زكي مبارك رجع إلى ما قرره العلماء في هذا في كتب النحو المبسوطة ، وكتب الشواهد خاصة مثل خزانة الأدب للبغدادي لأفاد كثيراً ولما تعجل الأخذ بتلابيب ابن هشام ..

هذه مسألة ، وهناك مسألة أخرى يمكن أن يفطن إليها الباحث في النحو ، وهي أن أكثر الأحاديث التي يرى النحويون في ألفاظها مخالفة نحوية إنما رويت عن عائشة رضي الله عنها .. وليس تحت يدي الآن شيء من المصادر لأسرد كل ما ورد في ذلك ، وهي على أي حال مسألة جديرة بالنظر وبالبحث ..

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

ملء كرسيين في المجمع اللغوي

كان يوم الاثنين موعد الجلسة التي عينها مجمع فؤاد الأول للغة العربية لانتخاب عضوين يشغل بهما كرسيين من الأربعة الخالية به ، وقد أسفرت عملية الانتخاب عن فوز معالي الأستاذ على عبد الرازق وزير الأوقاف والأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني . وقد جرى الانتخاب بين الذين رشحهم أعضاء المجمع في جلسة سابقة والمرشح هو من يزكيه عضوان مع بيان مؤهلاته ، وكان قد رشح ثمانية هم : الأستاذ على عبد الرازق والأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني والأستاذ أحمد حسن الزيات ومحمد العشماوي باشا والأستاذ ابراهيم مصطفى والأستاذ محمد على مصطفى والدكتور رمسيس جرجس والشيخ عبد السلام القباني . وكان الأستاذ الزيات تالياً في عدد الأصوات للأستاذ المازني

وقد عرفت مما سبق أن الكراسي الخالية بالمجمع أربعة : ثلاثة منها خلت بوفاة أعضاء مصريين ، وواحد خلا بوفاة عضو عراقي . وقد رأى المجمع الاقتصار الآن على شغل كرسيين مصريين ، على أثر رغبة أبديت في زيادة عدد الأعضاء الأجانب وهم الآن ثمانية وقانون المجمع يفسح لهم المدى إلى عشرة ، على أن المجمع لم يتقيد بعد بشيء في هذا الصدد وليس في القانون ما يقيده

وبعد فليت مجمعنا الموقر يشغل الناس بإنتاجه كما يشغلهم باختيار أعضائه وعقد جلساته وتأليف لجانه .

الثقافات العالية بالبلاد العربية

ألقى الأستاذ فريد أبو حديد بك محاضرة بنادي الخريجين المصري عنوانها « على هامش المؤتمر الثقافي » فبين أهمية المؤتمر الذي عقد بلبنان في الصيف الماضي ، من حيث أثره في التقريب بين وجهات النظر العربية وما أسفر عنه من نجاح في هذا وفي الموضوع الذي انعقد من أجله المؤتمر وهو وضع قدر ثقافي مشترك لطلبة التعليم الابتدائي والثانوي في جميع البلاد العربية . ثم قال إن ثمة أمراً هاماً يجب أن تلتفت إليه الجامعة العربية وتوليه عنايتها ، وهو رفع مستوى الثقافات العالية بالبلاد العربية حتى تساير في ذلك كبريات الأمم وتشارك في الحضارة العالمية مع هيئات العالم الثقافية التي اتجهت أخيراً إلى التقارب والتعاون بين جميع الأمم في العلوم والفنون والآداب ، والتي تنظم جهودها مؤسسة التربية والعلوم والثقافة التابعة لهيئة الأمم المتحدة

وقال الأستاذ فريد بك إن رفع مستوى التعليم لإيجاد علماء وفنيين ممتازين ضروري لترقية المجتمع ورفع مستوى المعيشة والكرامة الإنسانية ، لأن هؤلاء الممتازين في العلوم والفنون المختلفة سيعكفون على الأبحاث ويضعون المشروعات التي تؤدي إلى استنباط موارد جديدة للثروة وإلى التقدم في ميادين الصناعة والزراعة .

أما قصر الاهتمام على نشر التعليم العام فإنه يؤدي إلى نتيجتين سيئتين : الأولى أن الذين يتعلمون ولا يجدون العيش اللائق بهم يلجؤون إلى الانحراف والثورات . والنتيجة الثانية أن المتعلم الذي يخرج إلى بيئة منحطة المستوى لا يلبث أن يندمج فيها ويفقد ما ناله من التعليم

وقد أفاض الأستاذ في شرح هـذه الفكرة وضرب الأمثلة لها . ومما قاله ان الحضارة الحديثة إنما قامت في الأمم الغربية على التخصص والتبحر ، أما نشر التعليم بين أفراد الشعوب فقد تلا ذلك بعد أن اتجهت الرغبات إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وتهيئة الفرص للجميع .

مؤسسة دولية للآداب

من أنباء مؤسسة التربية والعلوم والثقافة التابعة لهيئة الأمم المتحدة — أن لجنة البرنامج والميزانية بها أوصت مؤتمر المؤسسة العام بإنشاء مؤسسة دولية للآداب ، لتوطيد التفاهم بين الشعوب بفضل تبادل مؤلفات كبار أدبائها في نطاق واسع .

وهذه أنباء نرددها ، ولا ندرى أتستمر هـذه المؤسسات وتتحقق أهدافها حتى يجنى العالم ثمراتها أم ستقضى عليها قوى الشر المتغلغلة في دول الغرب والتي بدت أخيراً نواجذها البشعة الكريهة لمحاولة قضم فلسطين .

لم هذا ؟

كتب الأستاذ ابراهيم الابيارى في مجلة الثقافة كلمة بعنوان « أحمد الزين — كلمة رثاء ووفاء » بدأها هكذا : « أليلت أزغ بلبالة صدرت بها فما أنجحت حتى أصبحت . فأممت أم دار الكتب التمس فرجاً في عملة ، وأنسابين زملة . فما وطئت أسكفة الباب حتى بدرنى البائث ينعى إلى (أحمد) وما أحمد . هذا حميم أحم الله حمته فقضى ، وخليل أخل خله ومضى ؛ شكا إلى الطب داءه فما أشكاه ، واستأنى الأجل أجل صغير رعاه فما آناه »

وأنا أعرف الأستاذ الأبيارى رجلا طيباً دمثاً وديعاً موطأ الأكناف ، فعجبت كيف عمل هذه « العملة » ولم عنى نفسه بهذا العناء ؟ لم لم يقل : أتى على الليل وأنا أدافع هماً لزمنى حتى الصباح ، بدل « أليلتُ أزغ بلبالة صدرت بها فما أنجحت حتى أصبحت » وماذا جرى للبواب حتى صار « البائث » ؟ أمن الوفاء يا سيد إبراهيم أن ترثى صديقنا الراحل بمثل هذا ؟ وماذا جنى حتى تحصبه بمثل « هذا حميم أحم الله حمته » أو بكلمة « بقوالك » في قولك « واما الإشفاق على بقوالك فما أعوزنا معه إلى ذى حول يمين بقول » أو هذا جزاء الصديق من الصديق ؟!

أذكر أننى سمعت ثناء من فقيدنا الشاعر على الأستاذ الأبيارى لنبالته وسهولة خلقه ، فقد زامله في إخراج بعض الكتب ، ولكنه لم يكن يدرى أنه سيرثيه بـ « أليلت .. الخ » وفي « الثقافة » مجلة الأصدقاء ! .

وبعد فما غاية هذا « التفاصح » أيريد الكاتب أن يعبر عن أساه ولوعته أم يريد أن يظهر اقتداره على التشدق بالغريب ؟ أما الثانية فله أن يحمد الله على نجاحه فيها وإن كان هذا النجاح لا يهم أحداً غيره . . وأما الأولى فليس سبيلها الجهد في تأليف الغريب وتكوين تلك التراكيب التي تصرف القارئ عن مضمونها إلى غرابتها والاستغراق في العجب من معاناتها ، كما صرفت الكاتب من قبل عن الموضوع إلى هذه المعاناة .. ورحم الله الزين .

الأناشيد أيضاً :

كتبت في الأسبوع الماضى كلمة عن « الأناشيد » بينت فيها ضعف ما لدينا منها وعدم وفائه بالغرض المنشود ، وأشرت إلى حاجتنا في الظرف الحاضر إلى نشيد قومى نابض بالحياة يردده الجميع . وأذكر اليوم أن الأستاذ محمد عبد الوهاب كان قد كتب في « المصرى » ينعى على الشعراء قصورهم في وضع الأناشيد القوية بمعانيها وحسن تعبيرها ، وفي يوم الإثنين نشرت « المصرى » ردوداً لجماعة من شعرائنا على عبد الوهاب .

قال الأستاذ على محمود طه بعد أن أبدى موافقته لعبد الوهاب في نقد الشعراء : « ورأى الأستاذ في التأليف الشعرى صائب وجيل ، ولكنه ينصب في كل ألفاظه ومعانيه على التأليف الموسيقى ، ويتهم صاحبه بألف دليل ودليل على أن موسيقانا في أغانينا أو أناشيدنا بعيدة أيضاً عن الأصالة الفنية والأحاسيس الإنسانية فإذا كان ينعى على الشعراء اصطناعهم لأناشيد لاتهتز بالإحساس الإنسانى ولا تحتفل بالصدق فما له هو وأصحابه سادة الفن يؤلفون لها ألحاناً فيجيء التأليف الموسيقى فاتراً شاحباً أو تلفيقاً مزوقاً » .

وقال الأستاذ صالح جودت : « لحن عبد الوهاب بعض الأغنيات الوطنية مثل (نشيد العلم) و (هتف الداعى) وغيرهما ولكن التوفيق لم يحالفه فيها لأن عبد الوهاب يتميز باللون العاطفى الدافق بالحنان ، وهذا لا يعيبه مطلقا ، فهذا لونه ، وإنما يعيبه أن يخرج عن لونه ويلحن شيئاً ليس له صدى في نفسه » وقال : « ومن الخير لنا حين نهم بنظم أغنية وطنية ليلحنها عبد الوهاب أن تكون أغنية صادقة حقا ، من ناحيتنا ومن ناحيته ، وأن تكون عاطفية كطبيعتنا نحن المصريين وكطبيعة موسيقارنا

عبد الوهاب ، وتكون خالية من الألفاظ الجافة كقصف الرعود والدماء والفداء التى لا نصيب لها من الصحة فى حياتنا الوطنية »

وقال الأستاذ محمود حسن اسماعيل : « كل الأناشيد التى ظهرت حتى اليوم من جميع الشعراء المعاصرين مما أعدوه بقصد المسايرة والإجابة ومداجاة للظروف لا يدخل فى رأيى فى حساب الأناشيد الوطنية الحقة التى تصدر عن إثارة داخلية تدفع الشاعر دفعاً إلى هذا الفيض الوطنى ، ولا أذكر فى تاريخ الأدب الحديث شاعراً واحداً اندفع لشعوره الذاتى بالوطنية إلى إخراج نشيد وطنى واحد » ... وهكذا أجمع هؤلاء الثلاثة — وهم من شعرائنا المبرزين — على أن ما وضع من الأناشيد الوطنية إلى الآن كلام فارغ . ونقد بعضهم تلحينها من حيث أن الأداء الموسيقى غير صادق فى التعبير عن الإحساس والعاطفة ؛ وكل هذا يتلاقى مع ما أبديته من الرأى فى الأسبوع الماضى. والمهم الآن أن أسجل شعور فنانينا وشعرائنا بالنقص فى هذا الجانب من حياتنا الأدبية الفنية ، وأن أستبشر بهذا الشعور ، وأعده إرهاصاً لما يرجى بعده .

بقى لى تعقيب على ما قاله الأستاذ صالح جودت من تميز عبد الوهاب باللون العاطفى وأن طبيعتنا عاطفية ووجوب موافقة الأغنية الوطنية لذلك ؛ فأقول له : إن عاطفة الحب والغرام غير عاطفة الوطنية ، والثانية تستلزم القوة من غير شك ، ونحن وإن كنا لا نبتغى هذه القوة من الكلمات الجوفاء فإننا نطلبها من الطاقة الوطنية التى يشعر بها الشاعر والملحن. وإذا كان تميز عبد الوهاب إنما هو فى العاطفة الغرامية اللينة فليس من اللازم أن يلحن الوطنيات

الأدب والثقافة بالإذاعة :

رفع إلى الجهات المختصة تقرير عن الإذاعة اللاسلكية المصرية كتبه الأستاذ عبد الحميد يونس مبيناً فيه أسباب فسادها ووسائل علاجها ، وتناول بهذا البيان النواحى المختلفة للاذاعة المصرية . وقد اطلعت على نسخة من هذا التقرير فوجدت به فقرات قيمة فى الأدب والثقافة بالإذاعة رأيت أن آتى بصفوتها للفائدة :

كانت الإذاعة فى العهد (الماركونى) مصرية العنوان انجليزية الجوهر والروح . استخدمها البريطانيون فى صرف الشعب عن جد الحياة بإيثار التسلية غير المفيدة والترفيه المسف على الإرشاد الخفيف والتثقيف المقبول ، مما لا تزال آثاره باقية إلى الآن ، فإذا كانت الإذاعة فى عهدها القومى تريد أن تكون أداة تقدم ورقى فيجب أن تمحو آثار العهد الاحتلالى وأن تزاوج بين الفائدة والتسلية . ولن تستقيم الإذاعة فى إدارتها وفيما يصدر عنها من فن أو ثقافة إلا إذا تم الفصل بين الإنتاج الفنى والإدارة الإذاعية ، وإلا إذا صلحت ضمائر الحاكمين على العمل الفنى وكانوا من المتأهلين له ، فينتفى بذلك ما يلاحظ من عدم التخصص ومن الوسائل التى يلجأ إليها المتقدم للاذاعة والتى أهونها التمليق والمصانعة

ولا ينبغى أن يكون عمل الأذاعة مقصوراً على الانتخاب مما يعرض عليها من الانتاج الفنى والعقلى ، وإنما يتعدى ذلك إلى إكمال النقص باستدعاء المواهب المبتعدة عن الاذاعة والاستعانة بالبارزين فى الحياة الفكرية مع عدم إغفال الموهوبين من الناشئين

وعرض التقرير للتمثيلية الاذاعية فندد بتفاهتها وانعدام الهدف والقوام الفنى فيها ، وما يتضمنه بعضها من أفكار فجة ومعوجة ، واقترح أن يحتفل بإنتاج الأدباء المبرزين فى القصة ، وأن يطلب إلى الأدباء إعداد برامج مستوحاة من القصص العربى والاقتباس من روائع الأدب الغربى فى القصة والتمثيل ، والاشادة بمفاخر مصر والإسلام والعرب ، والحذر من الفرعونيات لأن أبناء الأمم العربية الشقيقة يمقتونها مقتهم للأشورية والفينيقية وما إليهما

وقال التقرير إن الإذاعة كادت تهمل الأقصوصة يسردها مؤلفها ، وهى فن قد أصبحت له مكانة بين فنون الأدب ، وهى أقرب من « الحديث » إلى نفوس الناس ؛ وإن الاحتكار سرى إلى الأحاديث حتى أصبح بعض المحدثين يتصيد موضوعه تصيداً يبدو الحرج عليه وهو يلقيه ، وبعضهم يحشر فى موضوعاته المصطلحات الفنية التى لا تتفق وما ينبغى للعمل الإذاعى من التعميم ، وصار لبعضهم حقوق ارتفاق على أبواب بعينها ، كالتعريف بالكتب الذى عهد به إلى فردمعين أيا كانت كفايته الشخصية فإنها لا يمكن أن تستوعب العلوم والفنون جميعاً التى تؤلف فيها أشتات الكتب التى يقدمها. وكذلك سرى الاحتكار إلى الشعر ، فليس المعول فيه على حكم الرأى العام الأدبى ، إذ لا تعنى الإذاعة بتقديم الألوان المختلفة من الشعر ، وإنما كل ما هنالك القرب بين الشاعر ورجال الإذاعة

وأشار التقرير إلى الركن الثقافى الذى اختص به خريجو قسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب الذى يذيع باللغة العربية ثمرات القريحة الانجليزية وصور الحياة البريطانية ويتفنن فى عرضها تفنناً لو استخدمه فى غير هذا الباب لمدحناه عليه ... وقال إن هذا الركن من أثر العهد الاحتلالى ، وإن التعاون الذى بينه وبين الإذاعة التى كان يختار موظفوها من خريجى هذا القسم — لم يقم تعاون مثله مع أية هيئة أخرى ...

« العباسى »



الفضاء والعدم والأثير :

اطلعت على ما قاله الأستاذ أحمد محمد خلف فى العدد ٧٥٢ من الرسالة انتقاداً لما كتبته فى الرسالة فى موضوع « الفضاء والعدم ».

وهو يستنكر قولى بحتمية وجود مادة فى الفضاء ، ويحجنى بمنطقه أنى إذا كنت أجيز هذا الحتم فيجوز له أن ينقض قانون الجاذبية لأنه يمكن أن يوجد على الأرض أجسام تسقط من تحت إلى فوق خلافا لسنة الجاذبية التى تقضى بسقوط الأجسام إلى تحت (نحو مركز الجاذبية) . ولم يعطنا مثلا أو شاهداً على هذا الغرض .

لست أيها الأستاذ أنقض ناموساً من نواميس الطبيعة ، ولا أنا من يقول إن هذا الفضاء مشغول حتما بمادة ، وإنما عيناك العزيزتان حفظهما الله وعيناى ترى الحقيقة الناصعة ، وهى أن أنوار النجوم تملأ الفضاء ، وما هذه الأنوار إلا أمواج كهرطيسية من جملة الأمواج الكهرطيسية التى تحرك طبلة الراديو وترجها فتسمعنا الأصوات البعيدة ، ولا فرق بين أن تكون هذه الأمواج فوتونية سابحة فى الفضاء من تلقاء نفسها ، أو أن تكون تموجات أثيرية

أما الأثير فما نفاه أينشطين ولا أثبته وإنما قال : إن نظريته لا تحتاج إلى الأثير ، فهى تثبت سواء ثبت وجود الأثير أو انتفى .

وإذا كانت عملية ميكلهن ومورلى لم تكشف لهما سرعة الأرض فى بحر الأثير ، وبالتالى حكما بعدم وجود الأثير ، فلأن هذين العالمين كانا موجودين مع جهازهما الذى جربا به عمليتهما ، فخابت العملية التى كرراها مراراً بطرق مختلفة ، ولم تنتج شيئاً لا سرعة الأرض فى الأثير ولا وجود الأثير نفسه ، وكان يجب أن يكونا على غير الأرض لكى يكتشفا سرها .

وقد تحير جميع العلماء من خيبة العملية فى كشف سر الأثير مع أنها عملية محكمة علمياً تمام الإحكام لا غبار عليها . ولكن أينشطين انبرى من دون جميع العلماء مدركا السر ، ومن جراء هذه العملية تجلى له سر النسبية ، فقال لهم : لا تتعجبوا من اتفاق عملية ميكلهن ومورلى وهما على جهازهما على الأرض ، فلو أمكنهما أن يراقبا العملية على الأرض من سطح القمر أو المريخ مثلا لكشفا سرعة الأرض فى الفضاء سواء كان الفضاء أثيريا أو لا أثيريا ، ولكنهما وهما على سطح الأرض مع جهازهما ، فلا يمكن أن يكتشفا شيئا لا سرعة الأرض ولا سكونها ، كما لو كنت على سطح سفينة ضخمة فلا تشعر بسرعة السفينة ، ولكن إذا كنت على الشاطئ ومرت السفينة أمامك شعرت بسرعتها .

فالحركة أو السرعة تختلف باختلاف موقع الراصد ، فالراصد على الأرض يرى الأرض ساكنة والفلك يدور حولها ، ولكنه إذا كان فى مكان بعيد عن الأرض كالمريخ مثلا ، يرى الأرض تسير فى الفضاء ، فالأرض لأهلها ساكنة ، ولكنها لأهل المريخ متحركة — هذه هى النسبية .

فإخفاق عملية ميكلهن ـ مورلى نجمت عن أن الراصد والمرصود كانا فى مكان واحد ، والمكان يتحرك بهما وبجهازهما معاً فى وقت واحد ، فهنا انتفت النسبية .

فالحركة ، وأية حركة ، يتوقف ظهورها على مكان الراصد بالنسبة إلى مكان المرصود ، وهذا هو سبب الصعوبة فى تصور النسبية على من يحاول دراستها .

وحاصل القول أن إخفاق عملية ميكلهن ـ مورلى لم يثبت وجود الأثير ولا نفاه ، لأن نتيجة العملية لا تتوقف على وجود الأثير أو عدمه ، بل على انتفاء النسبية فيها ، فلو كان الرصد فى مكان خلوج عن الأرض كالمريخ مثلا لظهرت سرعة الأرض للراصد . ونحن على الأرض نكتشف سرعة المريخ ، ولو كنا فى المريخ لاستحال علينا أن تكشف سرعته الأبراقية ما فى الأفلاك من الأجرام .

نقولا الحداد

رد على رد :

اطلعت فى العدد الحادى عشر من المجلد الرابع من شهر تشرين الثانى على تعقيبين للاستاذين عدنان أسعد وعادل الغضبان فيما يتعلق بوضعين من المسرحية الشعرية للشاعر الفلسطينى العربى محمد حسن علاء الدين . (امرؤ القيس بن حجر) والموضعان هما فى البيت التالى ذكره وهو .

خليلى لما صاح بلبل سجا   فأطرب سكانا وأطرب رودا

والموضع الثانى هو الشعر المهمزى الذى أنطق به الشاعر قسما

من أشخاص المسرحية وبينهم همام بن سواد وصخر بن وقاص فى الصفحة السادسة بعد المائة والذى أبياته تبتدىء بقول همام بن سواد

هو (الطماح) من أغرى   به ، واندس وشاه

فالاستاذ عدنان أسعد والاستاذ عادل الغضبان توهما أن فعولن لا يجوز انقلابها إلى فعل فى البيت التالى وهو .

خليلى أما صاح بلبل سجا   فأطرب سكانا وأطرب رودا

واليقين هو جواز ذلك خصوصاً إذا كان انسجاب الموسيق الشعرية واضح فى البيت كما هو الأمر فى هذا البيب .

وأن توقيم الشعر لا تدخله الفوضى إلا عندما يصبح الارتكاز فى قواعده على أوهام لم يأت بها ذوو الآذان السليمة من نقادى الشعر ومن قائليه .

أما فيما يختص بالشعر الهمزى فإن ذهاب السيد عدنان أسعد إلى أن الشاعر حذف الحرف الأخير من (غداء) فى قوله .

طموح الشئوم غداء   طموح الشئوم جياء

فهو وهم قاده إليه فيما يبدو إلينا جهله أن حرف المد يكون بعد كل حرف للتصريع سواء أكان هذا الحرف فى آخر الشطر الأولى أو فى آخر الشطر الثانى .

وفى مواضع كثيرة معينة ينبغى أن لا يكتب هذا الحرف وإن كان يلفظ . ثم إن السيد عدنان لا يجمل ما كتبه واضحاً فيما يختص بأن البيت ليس فيه قبض . والسيد عدنان فيما كتبه يجعل كون البيت فيه قبض أو ليس فيه قبض متروكا فى حالة غامضة أمام أنظار القارىء .

وأما قول الأستاذ عادل الغضبان أن الشعر فيه مفاعيل واحدة فهو خطأ أيضاً ، ويظهر أن الوهم ذاته الذى جعل السيد عدنان يخطىء جعله يخطىء هو أيضاً ، فالأمر ليس أمر مفاعيل وإنما الأمر أن الشاعر جمل فى الشعر مفاعيلن ومفاعلتن وكلاهما يردان فى مجزوء الوافر .

وأما ذهاب الأستاذ عادل إلى أن التصريع يستجاد فقط فى مطالع الأشعار ، فهذا مناف كل المنافاة لأسلوب الشعر المتين . فالشاعر الجزل فى أسلوبه كثيراً ما يأتى فى الشعر الواحد له بأكثر من بيت واحد مصرع ، ويكون مجيئه بالأبيات المصرعة أو بالبيتين المصرعين لغاية توقيمية موسيقية ، والتوقيع فى الشعر لا ينفصل عن معنى الشعر ومبناه

حيفا

إبراهيم عبد الستار

رئيس نادي الأنخاء العربي

إلى الأستاذ الفاضل العباس :

قولك يا سيدى الأستاذ هو القول الفصل ؛ ولست أمارى فى أن الأبيات لعلية بعد الذى سقته من وجهة نظرك فى كلمتك البصيرة . ولعل مما يظاهر قولك قول أبى الفرج بعد أن أورد الأبيات (وجد الفؤاد بزينبا) ضمن زيانب يونس ، فقد قال : « غناء يونس ثقيلا أول الخ .. وهو مما يشك فيه من غناء يونس ؛ ولعلية بنت المهدى فيه ثقيل أول آخر لا يشك فيه أنه لها ، كنت فيه عن رشأ الخادم » .

الحق أقول ، إن هذا الشك فى غناء يونس لهذه الزينبية دون سائر الزيانب التى كان يغنيها من شعر ابن رهيمة ؛ هذا الشك من ناحية ، ثم ما تبعه من القول فيما يتعلق بعلية من ناحية أخرى ، كل أولئك كان قد جعلنى أتأرجح لحظات بين الهدى والضلال ، ثم ما لبث أبو الفرج أن ساقنى معه فأضلنى — سامحه الله — إذ قال بعد ذلك . « ومن لا يعلم يزعم أن الشعر لها » أى لعلية .

لو قام اليوم أبو الفرج فقرأ تحقيق الأستاذ العباس لرجع إلى الحق واعترف بالخطأ ، ولندم على تسرعه فى قوله . (ومن لا يعلم يزعم أن الشعر لها) .

شكر الله للاستاذ العباس رفقه ولينه ، ومد فى عمره ، ونفع دولة الأدب بأدبه وعلمه وفضله .

(نابلس)   **فدوى عبد الفتاح طوقان**

تعبير حسابى :

أكبر ظنى — إن لم يخطىء الظن — أن قول من قال « شر فى شر » الرسالة ص ١١٢٦ ، أو قول غيره « نور فى نور » أو « ظلام فى ظلام » بمعنى الزيادة ، هو « تعبير حسابى » .

وهذا التعبير لا ترضى به الضاد فى غير لغة الجداول والأعداد . وإنما الصواب أن يقال « شر على شر أو فوق شر » والله تعالى يقول « فباؤوا بغضب فوق غضب » أو « ظلام فوق ظلام » والله تعالى يقول « كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض » أو « نور على نور » والله يقول « يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور » . وبعد : فهذا قول الله وهذا حديثه . ومن أصدق من الله قيلا ؛ ومن أصدق من الله حديثا ...

(الزيتون)   **عدنان**



شـــاعر . . . !

بقـــلم الأديب كمال رستم

كان قد مضى موهن من الليل ، وهجدت الحركة ، ونامت الكائنات ، وتوارت النجوم وراء ستار الغمام ؛ فعمت العتمة وانبسط رواق الظلام !.

وكان هناك بصيص من نور يتسلل من خصاص نافذة منزل قائم على ناصية الطريق . . .

فى هذا المنزل وفى هذه الغرفة بالذات ؛ كان الشاعر يصغى إلى إحدى القطع الموسيقية تذاع من محطة « صوفيـا » وقد غابت أفكاره فى عوالم من خيال ! . . .

— رحمة بشبابك يابنى . ألا تعطى جسدك حظاً من راحة ؟ قالتها أمه فى نغمة مريرة ، وراحت تنظر إليه بعينين قد رشحت فيهما الدموع ! . ولم يشأ أن يجيبها على قالتها وظل يدور على إيقاع الموسيقى وهو شارد الذهن ، تائه النظر كأنما هو غائب عنها فى عالم آخر غير هذا العالم الأرضى ! ...

ولـكنه ما عتم أن استنبه إلى وجودها فجأة . فتوقف عن الرقص وقال أشبه ما يكون بالحالم :

— معذرة يا أماه . فإنى لألتمس راحة البدن ، وهدوء الضمير فى الإصغاء إلى هـذه الموسيقى الإلهية ؛ فإنها لا تزال تنقلنى على نغماتها السماوية من آفاق إلى آفاق ، حتى ليخيل إلى أننى أفنى فى الوجود المطلق وأغدو ذرة مذعورة فيه ! . . .

وانطلق يدور فى خطوات رتيبة إلا أنها ساذجة فما كان بينها وبين النغم السارى تطابق أو اتفاق ! واستطرد يقول كن يخاطب شخوصاً غير منظورة :

— أواه يا « أوتربى » يا ربة الموسيقى ، أفيضى على كيـانى المـكدود بموسيقاك العذبة فإنها غذاء روحى ، أنصتى يا أماه إلى هذا اللحن الحالم ... إنه « لموزار » ومن قبل استمعت إلى لحنين أحدهما « لباخ » والآخر « لبيتهوفن » ! . .

إن الناس هناك فى « صـوفيا » ليصحون على هذه الأنغام الخالدة ، وإنهم ليغفون عليها ، فتهدهد آلامهم ، وتحيى فيهم موات الأمل ! ...

... وتجاوبت فى نفس أمه أصداء الحـيرة ، وتكلمت فيها وساوسها فأشفقت على ابنها أن تكون مسته مواس الجنون قالت :

— يابنى نم ، واشفق على نفسك ، فإنك مجهد الحس ، مضعضع البدن !

... وتقدم منها فى وناء ومهل ، وأوسد راحتيه كتفيها وقال وهو يدفعها فى هينة ورفق إلى الباب :

— أحرى بك يا أماه أن تعودى إلى فراشك ، وأن تدعينى وحدى تسبح أفكارى وتنطلق شاعريتى ... إن الشاعر يا أماه لا يعيش لنفسه ، إنما يعيش لسواه ! ...

... وشاءت أن تتكلم إلا أن الـكلمات ماتت على شفتيها ... وصلت فيها دمعها يفصح عما استتر فى نفسها من ألم وكمد ، ووجدت أنه لا معدى لها من أن تغادره ، فمضت إلى حجرتها ...

وبرقت فى ذهنها ، وهى مسترخية على فراشها ، صورة ابنها يوم أن كان لا يزال فى المهد طفلا غريراً . وذكرت أنها أملت وقتها أن يكون لها فى المستقبل أمناً من الزمان ... ولـكن الفتى ما كاد أن يشب عن الطوق حتى صـدف عن الدرس واجتوى المدرسة إذ أنس فى نفسه رغبة مشبوبة فى قرض الشعر...

وبدا لأمه أنه لا غناء فى كل الجهود التى بذلتها ليعود ابنها إلى الدرس . وقد كبر فى وهمه أنه شاعر ... فغدا يتغنى بشعره الناس ، وغدا يتردد اسمه على الأفواه ويغدو ذكره ملء الأسماع .

وكانت أمه تنصت إلى تلك الكلمات وإلى سواها ، وتبكى فى ابنها حظها العـاثر . فإن أقرانه قد واصلوا الدرس ، وما كادوا يحصلون على درجاتهم العلمية حتى تلقتهم الوظائف الممتازة . . . وكثيراً ما كان يستجلى فى عينها مايدور برأسها فكان يقول لنفسه :

— هذه أمى تبكينى حياً . لتبك اليوم ؛ فإنها لن تلبث أن تضحك طويلا حينما آخذ مكانى بين فحول الشعراء ، وكبار الأدباء

فإنهم ليقولون فى الأمثال الفرائد . إن من يضحك كثيراً لهو الذى يضحك أخيراً ...

... وبقى الفتى فى غرفته يدور على نغمات الموسيقى . وقد شبه له أنه يستند إلى صدر فتاه ناهد فى دورة راقصة . فكان يحتوى فراغا – يمثلها – بين ذراعيه ، حتى إذا ما انتهت الرقصة قال فى صوت يفيض رقة وحناناً :

– غداً نلتقى هنا يا غرامى فى نفس الموعد ... فإلى اللقاء ...

وراحت ذراعاه تطوقانها ، وسمت شفتاه إلى أن التقتا ، فى الخيال – بشفتيها فى قبلة طويلة حالمة ...

... إن أقسى اللحظات التى تمر بإنسان لهى التى يستشعر فيها أنه محروم من الحب . فإنه فى أعقاب هذا الشعور بالحرمان ، يجفل من الناس . ويعاف صحبتهم ، وينطوى على نفسه ويستوحد ولم تنشب هذه الحال السالبة أن تتحقق فى أحلام اليقظة ؛ فيكبر فى وهمه أنه قد أحبته فتاة وأنها صارت له خليصة فهى تقابله – فى الخيال – فى غفلة من الناس ، وتبثه لواعج الحب ، وتهبه كل ما أنكرته عليه حياة الناس . وإذا ما اختلفت على إنسان هذه الحال أدت به إلى جنون ...

... وما كادت صورة الفتاة تبرح خيال الشاعر حتى جلس إلى مكتبه وغيب يده فى درج من أدراجه ، وأخرج قرطاساً وقلماً وسطر بضع كلمات أنشأ مطلعها بصوت عال :

« اللحن الإلهى » ... ياله من عنوان !

وأكب على القرطاس يثبت ما عن له ، حتى إذا ما فرغ من كتابته نهض إلى النافذة ، وفتحها ووقف وراءها .

وراحت أنسام الفجر الندية تصافح وجهه ، وتاهت نظراته فى الفضاء والمحيط ثم ارتدت إليه مذعورة ؛ فأغلق النافذة ، وتراجع إلى فراشه ، وتطرح عليه ، وأسلم عينيه لإغفاءة طويلة معسولة ...

كان محمد أو الأستاذ محمد كما يحب أن يدعوه الناس ، واحداً من هؤلاء الشبان الذين يسلمون أنفسهم لقراءات غير منظمة ، وكان قد انقطع عن المدرسة فى أولى مراحلها فاعتمد على خبرته الضئيلة فى اختيار لون الثقافة الذى يتفق ومزاجه . فلم يفد شيئاً .

وكان يبعث بمحاولاته الساذجة إلى الصحف والمجلات فكانوا – كما هو منتظر – يغفلونها ولا ينشرونها . فانعكست هذه الحال السالبة على نفسه ؛ فاستشعر لأصحاب الصحف والمحررين على السواء كراهة مرة .. وصور له الوهم أنهم يغارون منه ، وينفسون عليه موهبته الخالقة ...

وكثيراً ما كان يمضى فى الطريق محتضناً أفكاره ، حتى إذا ماصادف صديقاً لم يشأ أن يتركه قبل أن يلقى عليه إحدى قصائده ؛ وكانت خبراته بالدورات العاطفية التى تختلف على الناس منعدمة . فكان يقع على الواحد من أصدقائه وهو مرح الصدر ، غانم الخاطر يريد أن يسمعه إحدى قصائده . فيعتذر صاحبه من عدم إمكانه سماعها . فيناله من ذلك هم كبير ويقول فى نفسه :

– إن الناس عيت عقولهم عن فهم أشعارى ، وفيها تلك الالتماعات الذهنية التى لا تنقاد إلا لذهن جبار ! وإنى عهدتهم يتهافتون على ذلك اللون الرخيص من الأدب الذى تطالعهم به الصحف والمجلات ... أما أنت يا محمد ؛ فإن فى عنقك رسالة ينبغى أن تؤديها ، وإن أصحاب الرسالات ليلاقون من عنت الناس وإجحافهم مالا قبل لغيرهم به . فلتثابر وإنك واصل بإذن الله ...

... ونهض من فراشه فى رأد الضحى ... وأمر يده بين الوسائد وأخرج القرطاس الذى سطر عليه قصيدته « اللحن الإلهى » ونادى اخته ، فما إن أقبلت حتى قال لها :

– اجلسى فسألقى عليك قصيدتى الجديدة «اللحن الإلهى»

... وكانت الفتاة قد تعياها الجهد من تدبير البيت . وكان لا يزال أمامها عمل شاق متواصل . فأجابته فى لهجة يشيع فيها الغضب المستور : إننى جد متعبة ولا قبل لى بسماع قصائدك

ومضت عنه إلى طهى الطعام وتنظيف الصحاف . وبقى هو فى فراشه بعض الوقت تتردد الحسرة بين جنبيه وتمتم

– حتى أنت ياشقيقتى تبالغين فى تحقير شعرى وامتهانه ...

... وكانوا قد أعدوا له طعام الإفطار . فما قاربه ، بل ارتدى ملابسه ، وانطلق إلى الطريق كمن ركبه الشيطان . وكان النهار قد انتصف ، وغامت السماء ، وآذنت بإمطار ...

ودرج فى الطريق وهو ذاهل لا يدرى أين تقوده قدماه ...

ونسى نفسه فراح يتغنى بقصيدته «اللحن الإلهى» . وخيل إليه أن الطبيعة أطرقت تنصت إليه ! لقد عدم فى الناس من يستمع إليه . فليحك إلى الطبيعة شعره وليبثها آلامه ... الطبيعة ...

إنها أخته الخليصة ، فليس فيها مكر الناس وليس فيها خبثهم !

وهطل المطر مدراراً بينما تابع هو طريقه غير حافل حتى لاح له مقهى على رجع البصر نخف إليه !

وتهالك على المقعد فى إعياء ، وراح يرقب حبات البرد وهى تساقط على الأرض فى ثورة وغضب ...

وعن له أن يستعرض — وهو جالس — رحلة حياته فهاله أنه احتمل صنوف الهوان والذل ، والعسف والجور !

وأحس بالحزن ينوش صدره ، والألم يهصر قلبه ... وتزاحمت الصور فى رأسه وبرزت من بينها صورة أمه تتكلم فيها نظراتها بأن آمالها خابت فيه

ثم ومضت فى ذهنه لحظات السعادة الموهوبة التى استشعرها مرة يتيمة فى هدأة حب عابر . فأغمض عينيه على الذكرى الحبيبة يلتذ مقامها فما أسرع أن خبت فى الماضى البعيد !

وجثم على صدره ألم الحرمان ... الحرمان المروع ... وعندئذ جرت على شفتيه بسمة مريرة . وهانت لديه الحياة ، وود لو عاجله الموت ، وتمتم :

— إن من الموهوبين من لم يعرف الناس أقدارهم إلا بعد مماتهم ، وأنهم كانوا فى حياتهم مضطهدين ، محرومين . فلعلك أنت يا محمد أن يكتب لك الخلود بعد وفاتك ...

... وهدأ عند هذه الخاطرة وسكن إليها ، وأخرج القرطاس والقلم من جيبه وسطر عنواناً لقصيدة جديدة ... «الشاعر الخالد»

وجرى قلمه على الصفحة البيضاء كأنه ريشة رسام مفتن . ولما فرغ من تدوين أشعاره ونهض كانت حمرة الشفق قد انتشرت فى السماء ...

وكانت نظراته وهو يدرج فى الطريق عائداً إلى بيتـه قلقة مذعورة لا تثبت على شىء !

وكان ذهنه فى مثل نظراته من الغموض والشرود فراح يبرق بشتى ألوان التفكير .

وانطلق يضحك فى أعمق نفسه ، من وجوده هو ، بل من وجود الناس أجمعين . فما هى الحكمة الكبرى فى خلق هذه الجموع الآدمية ؟ . . . أليبقوا سنوات هى فى عمر الزمان لحظات قصار ، ثم تبتلعهم أمهم الأرض . وكأنهم لم يدرجوا عليها يوماً .

بدا له كل شىء على حقيقته ، وهم وقبض الريح . ماذا جناه من حياته ؟ لا شىء !. .

ولد ، وتألم ، ولن يلبث أن يمضى على الدنيا كآلاف غيره مشيعاً بحزن مصطنع ، وألم مفتعل ! ...

فمن العدم أقبل .. وإلى العدم يعود . وتبقى ذكراه بين الناس تبقى رسالته التى ضمنها أشعاره تلك التى لم يقدر لأحد أن يطلع عليها حتى اليوم . . من يدرى ؟...

لعل أحداً أن يقف عليها ، ولعل كاتباً منصفاً أن يكتب عنه ويسمه « بالشاعر العظيم » ...

وبلغ منزله خائراً مكدوداً فصافحه وجه أمه يشيع فيـه الألم كما يعهد به ! . ولما قدمت له الطعام . تناوله بشهوة منهومة . إذ كان جائعاً ! ...

ودلف إلى حجرته ، وأغلق الباب وراءه كما ألف أن يفعل كل مساء وتهالك على المقعد فى تراخى بدن مجهد ، وأخرج قصيدته « الشاعر الخالد » من جيبه وراح يستعيد قراءتها !..

وأدار مفتاح المذياع فتناهت إلى مسمعه نغمات موسيقى عذبة حنون وشالت به أفكاره إلى السماوات العلا وهو فى حال من خدر الحس وسكرة النفس ...

... ولما مضى موهن من الليل ، وهجدت الحركة ، ونامت الكائنات ؛ تسلل الشاعر فى خطوات مخنـوقة إلى غرفة أمه واستملى منها ومن أخته نظرات طويلة حانية ...

ولما قفل راجعاً إلى غرفته كانت تلتمع فى عينيه دمعات حرى وامتدت يده المرتعشة فى صلابة وعزم إلى زجاجة « الفيرونال » التى كانت أمه تتعاطى أقراصها لتطرد عنها السهر والأرق ، وأفرغ حباتها فى جوفه واحدة بعد الأخرى ...

وبينا كان اللحن ينساب فى هدأة الليل حزيناً مولولا ، كان الشاعر قد خارت قواه وهوى على أرض الغرفة ؛ جثة لا حراك بها !...

كمال رستم

سكك حديد الحكومة المصرية

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور بأنه تقرر ابتداء من يوم ١٦ نوفبر سنة ١٩٤٧ الآتى .

أولا — رفع القيود الموضوعة الآن على جميع وسائل النقل من ناحية سير القطارات ومحطات وقوفها فى جميع أنحاء القطر المصرى .

ثانياً — ملاحظة عدم صرف تذكرة لأى راكب من مصر أو محطات الوجه البحرى إلى محطات الوجه القبلى إلا لحامل شهادة تطعيم ضد الكوليرا بالصورة الشخصية معتمدة من مكتب الصحة المختص وأورنيك مراقبة صحية رقم ٢٥ صحة .

ثالثاً — الانتقال بطريق السكة الحديد داخل مديريتى جرجا وقنا لا يباح إلا للحاصلين على شهادة تطعيم قانونية واورنيك ٢٥ صحه .

رابعاً — القطارات التى تسير الآن بالوجه القبلى تقف بجميع محطات وقوفها المقررة بجدول المسير ابتداء من يوم ١٦ نوفبر سنة ١٩٤٧ .

خامساً — القطارات التى تسير حالياً يستمر مسيرها كجداولها وسيعلن بعد عن القطارات التى سيعاد سيرها تدريجياً .

سادساً — يعاد صرف تذاكر المقابلة بالمحطات المقفولة ابتداء من التاريخ المذكور .

مطبعة الرسالة

العدد ٧٥٤ — الاثنين ١٥ ديسمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٤٧ ، ٢٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

عدد « الرســـالة » السنوى الممتـــاز

سيصدر عدد « الرسالة » الممتاز فى اليوم الخامس من شهر يناير سنة ١٩٤٨ حافلا على عادته بالبحوث الإسلامية والموضوعات العربية لنابهى الكتاب فى مصر والأقطار العربية .

15 em Année No. 754

Lundi — 15 — 12 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٥٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ صفر سنة ١٣٦٧ — ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

صليبية من نوع جديد!

شتان بين الغزوات الصليبية الثمان التى شنتها أوربا النصرانية على الشرق المسلم فى مدى قرنين من العصر الوسيط ، وبين هذه الصليبية التاسعة التى تشنها أوربا وأمريكا على فلسطين فى هذه الأيام من عصرنا الحديث!

تلك غزوات كان مبعثها الفروسية المسيحية والعصبية الدينية ، صدرت عن الإيمان وابتغت مرضاة المسيح ، وهذه غزوة بعثتها اللصوصية الدولية والطاعية الدنيوية فصدرت عن الكفر وابتغت مرضاة يهوذا! ويهوذا هو اليهودى الذى باع المسيح إلى عدوه بدوانق معدودة قبل أن يصيح الديك؛ وهو الذى روّى بالدم المسفوح شجرة الصليب فأثمرت العذاب للناس والخراب للأرض!

ولا يزال يهوذا المسيح ينافس فى الشر إبليس آدم : يبغى الغوائل لأتباع عيسى كما ينصب الحبائل لأتباع محمد؛ فلكل مصلح من يديه صليب ، ولكل نهضة من وساوسه نصيب ، ولكل أمة من دسائسه فتنة!

ومن أعجب الأمور أن تتعاون اليوم دول النصرانية على أن تجعل صانع الصليب سادناً لقبر المسيح وكاهناً لكنيسة القيامة!

لقد كان بطرس الناسك ولويس التاسع أدنى إلى الإيمان من بلفور الواعد وستالين المساعد وترومان المنفذ! كانا يؤلبان حملة الصلبان على أن ينتزعوا مفاتيح الأقداس المسيحية فى فلسطين من أيدى المسلمين سدنتها الشرعيين ليضموها فى أيدى النصارى الغربيين. أما هؤلاء فقد حملوا الأمم المتحدة المسيحية على أن تجود بها على سلائل (اسخريوط) من صهاينة اليهود؛ والجود بما لا تملك على من لا يستحق أغرب حوادث الجود!

ليست المسألة إذن مسألة دين أو جنس؛ إنما هى مسألة استعمار وتنافس. وليست مدافعة الصهيونيين عن قلب العروبة أمراً يعنى فلسطين وحدها أو المسلمين وحدهم ، إنما هو أمر يعنى الأقطار العربية جمعاء ، ويهم العرب مسلمين ومسيحيين على السواء!

ذلك لأن الهيضة ظهرت جراثيمها فى (القرين) ، ثم ظهرت أعراضها بعد أيام فى (قنا). والسرطان إذا نشبت جذوره فى عضو نجمت فروعه فى كل عضو. والصهيونية إذا عشش بومها فى خرائب (سليمان) طبقت أفراخها الأرض ما بين النيل والفرات. والعلَق إذا فشا فى ماء شـق على ذى الدم الحار أن يعيش فيه. واليهود علَق البشرية يمتصون دمها ثم يفرزونه كالعنكبوت خيوطاً من الذهب يصيدون بها الذباب والبعوض من ساسة أوربا وأمريكا! وما دام أمر الصهيونيين والمستعمرين قائماً على العدوان والجور ، فإن الفيصل بيننا وبينهم هو القوة. والقوة منذ جعلها الله قواماً لهذا الكون أودعها الإيمان والذهب والحديد. فأما الإيمان فيجيش فى الصدور العربية جيشان السيل المزبد الهادر فتسمع اصطخابه فى كل بلد. وأما الذهب فيفيض من الخزائن والجيوب ولن يبخل عربى على فلسطين بمال ولا ولد. وأما الحديد فسيصوغه الذهب بأساً للإيمان وروحاً للجِلاد ومنى للجلَد. ومتى اجتمعت هذه الثلاثة للجيش المجاهد فهيهات أن يقف فى سبيله أحد!

احمد حسن الزيات

١٥ ـ رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

عميد كلية الآداب

مدينة أكرا

القلعة

وتوجهنا من مزار جلال الدين أكبر إلى تاج محل ، دخلناه بعد الغروب ثم عدنا إلى زيارته صباح اليوم التالى ومساءه — وسأفرد له مقالا .

ويوم الأحد رابع عشر جمادى الأولى ذهبنا إلى قلعة أكرا . وهى قلعة كبيرة تمتد أسوارها ميلا ونصف ميل على نهر جمنه . وفيها من المساكن والدواوين والأبراج والمساجد ما لا أستطيع وصفه فى هذا المقال .

وقد ذكرت من قبل قلعة دهلى ووصفت بعض ما فيها ، وهذه القلعة تشبهها سعة وضخامة وكثرة أبنية ، ولكن هذه أقدم ، بناها جلال الدين أكبر وزاد فيها ابنه جهانكير ثم شاهجهان أعظم سلاطين هذه الدولة عمارة ، وأجلهم آثاراً . بزَّ فى هذا الشأن سلفه وخلفه على عظم ما شادوا وجيل ما أثر عنهم فى التاريخ وفخامة ما تركوا على الأرض .

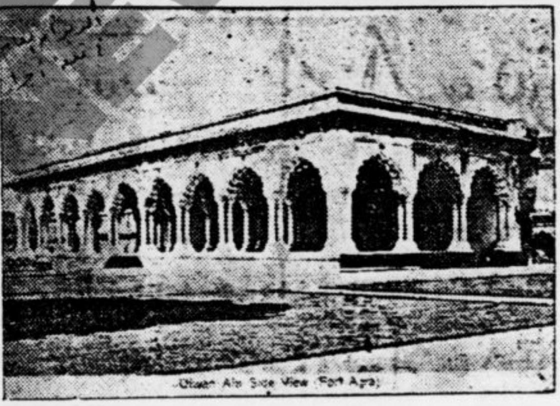
وفى قلعة أكرا آثار لأكبر على أسلوب العمارة الهندية القديمة كالدار التى بناها لزوجه الهندكية . وكان مولعاً بالجمع بين الأساليب المختلفة وقد أسلفنا أنه حاول أن يجمع الناس على دين واحد .

وقلعة دهلى فيها تأنق شاهجهان فى التشييد والتجلة ، وهى فيما رأيت ، أحسن آثاراً وأجل بناء ، وأبقى رونقاً .

وكلتا القلعتين من شواهد الملك الضخم الفخم ، والحضارة ذات الثراء والصناعة ، والرفاهية والأبهة .

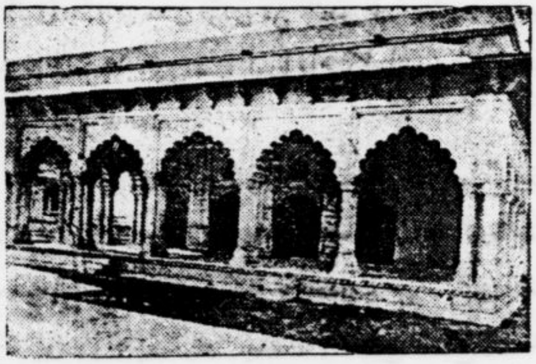
ومن آثار القلعتين الديوان الخاص وهو مجلس السلطان على خاصته ، والديوان العام وهو مجلسه للعامة .

ومع هذا المقال صورتا الديوان العام والخاص فى قلعة أكرا ، والأول مبنى بالحجر الوردى وعليه طلاء يخيل لرائيه أنه من الرخام . وطوله ١٩٨ قدماً فى عرض ٦٧ بناه شاهجهان سنة ١٠٥٧ هـ



« الديوان العام » فى قلعة أكرا وهو من الحجر الوردى يغطيه منظر الرخام، طوله ١٩٨ قدماً فى عرض ٦٧، عليه طلاء بناه شاهجهان سنة ١٠٥٧ هـ (١٦٤٧ م)

والديوان الخاص من آثار شاهجهان كذلك بناه سنة ١٠٤٦ هـ وهو من المرمر مرصع بالجواهر . وطوله ٦٥ قدماً فى عرض ٣٤ .



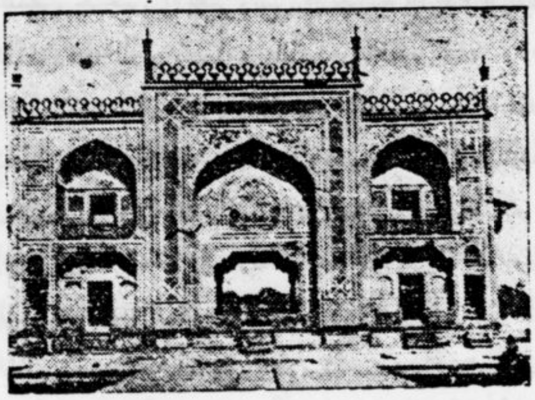
« الديوان الخاص » فى قلعة أكرا من آثار شاهجهان ، وهو من المرمر مرصع بالجواهر ، وطوله ٦٥ قدماً فى عرض ٣٤ قدماً ، بنى سنة ١٠٤٦ هـ

مزار اعتماد الدولة

وبعد أن رأينا من آثار القلعة ، ما اتسع له الوقت خرجنا من بين الآثار العظيمة الكثيرة إلى أثر صغير جميل هو ضريح ميرزا غياث الدين الملقب اعتماد الدولة وهو وزير السلطان جهانكير وأبو نورجهان زوج السلطان .

وقد بنيت هذه الأعجوبة الهندسية نورجهان فى عهد زوجها . تخليداً لذكرى أبيها .

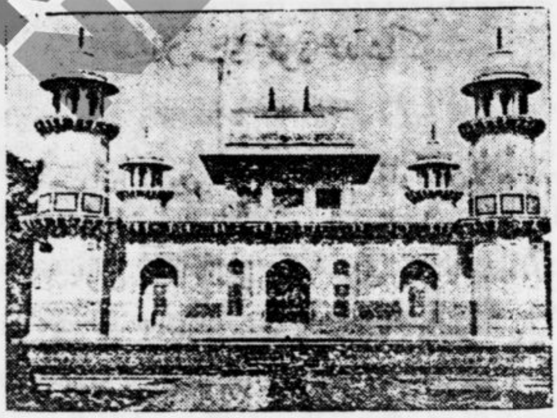
ومزار اعتماد الدولة يشبه فى مدخله وفنائه وخطته المزارات الأخرى التى شادتها هذه الدولة العظيمة ولكنه أضيق رقعة وأصغر حجما.



مدخل مزار اعتماد الدولة

وهو بناء مربع فى أركانه أربعة أبراج جميلة مصنمة وفوقه قبة أو ظلة مستطيلة . وفى وسط البناء تحت القبة قبران لاعتماد الدولة وزوجه . وفى جوانب البناء حجرات فيها قبور لأمراء وأميرات : حجرة فيها آصف جهان وامرأته ، وهما والدا ممتاز محل دفينة التاج . وسنذكرها فى مقال تاج محل ، وحجرة أخرى فيها كريم بك أخو اعتماد الدولة الخ .

وفى البناء جدره وقبته وأبراجه من إبداع الهندسة وعجائب التلوين بالرخام ، وأفانين الصناعة فى التخريم والترصيع مايسحر الزائر ويحيره ، وفيه من الجمال ما يأنس به الزائر ويسكن إليه ، إلى بساطة فى التخطيط تشيع النور فى أرجائه ، وتأذن للزائر وهو تحت القبة أن يسرح طرفه فى الفناء المحيط بالبناء .



مزار اعتماد الدولة فى أكر

وهو يشبه فى زينته وترصيعه تاج محل . وقد كمل هذا المزار قبل الشروع فى بناء التاج بثلاث سنوات . واستغرق بناؤه ثمانى سنوات.

وفى المقال الآتى أحاول وصف الأثر الجميل الذائع الصيت الذى يضىء ذكره فى الأجيال والآفاق . وذلكم تاج الآثار الإسلامية الهندية المسمى « تاج محل » .

عبد الوهاب عزام

فلسطين :

ثلاثة رجـــال

للأستاذ محمود محمد شاكر

أحب أن أقدم بين يدى كلامى هذا كلمة أو كلمتين لا بد منهما : الأولى ، أن أبتهل إلى الله أن يبرىء قلوبنا من الجبن والخور والبخل ، وأن يؤيدنا بالصبر والقوة ، وأن يرفع عنا غضبه ومقته ، فقد كتب علينا الجهاد فى سبيله بما استطعنا . وأحب لكل كاتب وقارىء أن يتوب إلى الله مما اكتسب من إثم يده أو قلبه أو لسانه ، ليتجرد إلى الجهاد وهو طاهر مصمم لا تلفته الدنيا عن الدفاع عن الحق

والثانية : أنى كنت كتبت عن قضايا العرب وعن فلسطين ، فكنت لا أزال أذكر الإسلام وأشفعه بذكر نصارى الشرق ، لأنى أعدهم منا ومن أنفسنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وكنت أرى أن نصارى الشام والعراق قد بذلوا من الجهود فى قضايا العرب ما صرح عن مكنون أنفسهم وعن إخلاصهم الذى لا يدفع ، وأنهم جزء لا يتجزأ من العالم العربى ومن العالم الإسلامى ، وكنت أتخوف أن يقف قبط مصر مترددين عن المشاركة الصريحة فى جهاد العرب والمسلمين فى مسألة فلسطين ، ولكنى أشهد الله اليوم أن قبط مصر قد ملأوا قلوب العرب والمسلمين غبطة بهم وإكباراً لهم ، وحرصاً على مودتهم حرصاً لن يعمل فيه بعد اليوم دس ولا كيد ولا وقيعة . إنه لا يحل لامرىء مسلم أو عربى بعد اليوم أن يرتاب أو يتشكك فى نبل هؤلاء الأخوان الذين نصرونا فى ساعة العسرة لا تدفعهم إلى هذه النصرة رغبة ولا رهبة .

وسأسجل فى هذه الكلمة مآثر لرجلين من أجل النصارى شأناً ، لأنهما وقفا فى الجهاد موقفاً يوجب علينا أن نخلد ذكرهما فى تاريخ العرب وتاريخ المسلمين ، ولا سبيل إلى جزاء هذين الرجلين إلا بأن نرفع ذكرهما فى هذه الساعة وإلى أبد الدهر ، لأنهما قطعا السبيل على كل خبيث من شياطين السياسة القذرة التى انبعثت فى أوربة وأمريكا ، وعلى شياطين اللؤم الصهيونى الدنىء .

أما الأول فهو الشيخ الجليل الصادق غبطة بطريرك الأقباط الأرثوذكس الأنبا يوساب ، فقد اجتمع المسلمون والعرب فى المسجد الجامع الأزهر فى يوم الجمعة ٢٢ المحرم سنة ١٣٦٧ ، فإذا الناس يفاجأون بمقدم القمص مثياس الأنطونى سكرتير غبطته مندوباً من قبله ، ومعه إخوانه من رؤساء الأقباط فى مصر ، القمص جرجس إبرهيم رئيس الكنيسة القبطية الكبرى ، والقمص عبد المسيح سعد ، والقمص مرقص غالى . ودخول هؤلاء الأربعة الكرام إلى المسجد الجامع فى ساعة الجمعة ، ونيابتهم عن غبطة البطريق الأعظم فى شهود هذا اليوم المشهود ، وخطبتهم الناس فى هذا المسجد ، ومشاركتهم فى أكبر مؤتمر إسلامى فى مصر ، قد دل دلالة صريحة على أن الأنبا يوساب البطريق الأعظم ، هو رجل قد نور الله قلبه بالحق ، وآتاه من الفطنة والصدق والأمانة فى دينه وخلقه ما يجعل عمله هذا أمانة فى عنق كل مسلم وعربى ، يحميها ويدفع عنها ويعتز بها ويكرم أصحابها فى عامة أمورنا وخاصتها . وقد فعل ذلك من تلقاء نفسه غير متردد ، فدل ذلك على أنه رجل سياسى مخلص ، وعلى أنه يدرك تمام الإدراك كل ما يحيط بهذا الفجور الصهيونى من الخبائث ، وعلى أنه يأبى أن يدخل بين أقباط مصر ومسلميها مفسد يبغى الوقيعة .

ومن قبل ما وقف هذا البطريق الأعظم موقفاً رد كيد البريطانيين فى نحورهم ، وذلك فى حادثة الزقازيق التى دبرتها بريطانيا لإفساد ما بين المسلمين والأقباط ، فلولا حكمة هذا الرجل النبيل ، لكان هذا الحادث البغيض سبباً فى اشتعال نار الفتنة التى أشعلت بريطانيا مثلها من قبل لتفرق كلمة الأمة تفريقاً يجعل بعضنا لبعض عدواً . ونحن نحمد الله إذ جعل فى إخواننا القبط رجلا كهذا الرجل الجليل ، يقف حارساً يقظاً على أمته وأمتنا ، يرد عنها كل مكيدة . وما دام فى الأقباط هذا الرجل وأمثاله ، فالمسلمون والعرب جميعاً لا يبالون بعد اليوم أن يبذلوا مهجهم فى الذود عن إخوانهم ، وفى حمايتهم ، وفى الدفع عن كل شىء يسوءهم ، ما بقى على ظهر هذه الأرض مسلم يؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر . إنه دين فى أعناقنا للقبط ، نسأل الله أن يهبنا القدرة على أدائه وإن أبواهم أن يقبلوا عن هذه المأثرة جزاء .

وأما الرجل الآخر فهو كصاحبه يتلألأ قلبه بنور الإخلاص والإيمان ، تكلم فأبان عن نفس حرة أفزعت « اليهود المسئولين فى مدينة الأسكندرية » أى يهود مصر ، فأقبلت طائفة منهم تريد أن تثنى هذا الرجل الجليل عن إذاعة حديثه ، فأجابهم بأنه ما قال ما قال إلا وهو يعتقد أنه قول صريح سليم ، وليس إقحاماً للدين فى السياسة ، وأنه يقصد حماية التراث المقدس للمسيحية ،

وانه إنما يتكلم عن عقيدة وإيمان بما يقول . ذلكم هو الرجل النبيل غبطة البابا كريستوفورس الثانى بطريرك الإسكندرية وإفريقية للروم الأرثوذكس .

وقد جاء فى هذا الحديث أن غبطة البطريق الأعظم للروم قد دهش لإنشاء دولتين فى فلسطين ، ودهش أيضاً من أن تكون أمريكا والاتحاد السوفيتى هما الداعيتين إلى هذا التقسيم . ثم قال :

« وإنه لتزداد دهشتنا أن تعمد الولايات المتحدة الأمريكية إلى هذه المحاولة الجريئة رغم أحداث التاريخ الدالة على فساد هذه الفكرة وخطرها . ولهم العبرة فيما حاوله الإمبراطور جوليان الرومانى. ولا ندرى كيف فكرنا فى وضع الأراضى المسيحية المقدسة فى حماية أولئك الذين رغبوا دائماً ، جماعات وأفراداً ، فى أن يعيشوا حتى يروا اليوم الذى لا يسمع فيه ذكر للمسيح . وهل يستطيع إنسان أن يتصور اليهود حرصاً وحماة للأمكنة المقدسة . وهم الذين سيعمدون إلى تدنيسها بمجرد السيادة فيها ؟

« ونحن نرى أيضاً أنه لا يمكن أن يسمح للفاتيكان أن تكون له السيادة فى فلسطين ، فإن الحروب الصليبية قد برهنت على فساد هذه الفكرة . ولهذا فإننا نحن الروم الأرثوذكس نرى أنه فى حالة إلغاء الانتداب الدولى على الأراضى المقدسة ، أو عدم وجود دولة عربية مكان هذا الانتداب ، أن تعطى للمسلمين حماية هذه الأراضى، لأنهم منذ مارسوا حكمها فى هذه القرون الطويلة، قد برهنوا على أنهم جديرون بثقتنا » .

وهذا كلام أقل ما يقال عنه إنه كلام رجل مؤرخ عالم بصير لا يدفعه إلى ما يقول هوًى لشىء ولا رهبة لمكروه . فإن غبطة البابا كريستوفورس قد قضى طفولته وشبابه فى فلسطين ، وقد عرف بنفسه شعور اليهود ضد العرب وضد الأرض المقدسة ، كما قال متكلم بلسان البطريركية الرومية.

وقد أثبت حديث البطريق الأعظم بتمامه لأنه سوف يصبح هو وقائله جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الإسلام ، ولأننا نحن المسلمين نحب أن نحمل المنن فى أعناقنا فنحافظ عليها ونرعاها وندافع عنها ونجزيها أحسن الجزاء . إن حديث هذا الشيخ الأجل سوف يصير قطعة من تاريخنا يرويه أربعمئة مليون عربى ومسلم فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهو حديث يفسر كل ما كنا نقول به من أن مشايعة الدول الأوربية والأمريكية للصهيونية الفاجرة ، قائمة على الصليبية الحمقاء . فهم يحاربوننا حرباً صليبية لا يستثنون فيها مسلماً ولا نصرانياً فى الأرض الإسلامية والعربية وقد كان بعض الناس يعيب علينا هذا الرأى ، ولكن حديث البطريق الأعظم قد كشف الغطاء عن كل ذلك ، ومهد للتاريخ أرضاً جديدة يدرس فيها هذا الصراع بين أهل الشرق العربى الإسلامى من مسلمين ونصارى ، وبين الغرب الصليبى من نصارى ويهود . .

ولكن نصارى الشرق غير نصارى الغرب ، فهؤلاء قوم ملئت قلوبهم أحقاداً صليبية مظلمة لا عقل فيها ولا ضمير لها ، أما نصارى الشرق فهم يعرفون تمام المعرفة أن نصارى الغرب قوم مفترون جاهلون متعصبون يريدون أن يدنسوا هذه الأرض المقدسة باليهود عدواة للمسلمين، غير ناظرين إلا بالعين الصليبية البغيضة ، لا بعين الإنصاف والحق كما ينظر نصارى الشرق . وحسبنا هذا البيان من البطريق الأعظم ، فإنه حسنة لن ينساها له مسلم إلى أن تقوم الساعة

وقبل أن أنتهى إلى ذكر الرجل الثالث أحب أن أنبه القارىء، وأنبه قومى العرب فى كل مكان ، وفى مصر خاصة ، إلى أنه ما كاد « يهود مصر » يعلمون نبأ إذاعة هذا الحديث فى الصحف حتى تبادروا إلى غبطته يريدون أن يثنوه عن نشره وإذاعته . فما معنى هذا الذى يفعله اليهود الذين خلعنا نحن عليهم الجنسية المصرية ؟ وماذا تقول حكومتنا فى هؤلاء القوم الذين يريدون أن يكونوا أعواناً للصهيونية فى قلب بلادنا فى هذه الساعة ؟ أو يحدث هذا فى مصر فى الأسبوع الماضى ، وإذا بنا يقرأ اليوم (٨ ديسمبر سنة ١٩٤٧) أن الشرطة العراقية ألقت القبض عند الحدود العراقية السورية على ثلاثة يهود عراقيين من موظفى شركة الزيت العراقية ومعهم جهاز إرسال لاسلكى . فما معنى هذا ؟ ليعلم اليهود أن العرب لن يقبلوا أن يكون للطابور الخامس عمل فى بلادهم

وننتهى من هذا التعليق لنضم إليه خبر الرجل الثالث الذى ينبغى أن يعرفه العرب والمسلمون ، فقد أفضى سيادة حايم ناحوم افندى الحاخام الأكبر للطائفة الاسرائيلية فى مصر بالتصريح الآتى :

« إنى أرى أن مركزى بوصف كونى رئيساً دينياً وروحياً لأبناء الطائفة الاسرائيلية ، يحول بينى وبين الخوض على صفحات الصحف فى أى مناقشات مهما كان نوعها أو الغرض منها . ولكن إزاء كثرة ما وجه إلينا من أسئلة واستفهامات أرى أن واجبى يحتم على أن أتوجه إلى السائلين وإلى جموع الأمة المصرية الكريمة بكلمة أرجو أن تكون حداً فاصلا لهذا الموضوع: فأبناء الطائفة الاسرائيلية التى أتشرف برياستهم الدينية هم جزء لا يتجزأ

من الأمة المصرية ، يشعرون بشعورها ويتألمون لألمها . فكيف إذن يحاول البعض التشكيك في عواطفهم نحو أبناء بلدتهم المصريين . إن دستور البلاد يكفل لنا جميع الحقوق الممنوحة لأبناء مصر الكريمة سواء بسواء ، ولذلك فإن واجبنا نحو بلادنا يجعلنا نعمل بشعورنا كمصريين . وقد أصدرت أمرى إلى رجال الكنائس الاسرائيلية بإقامة الطقوس الدينية ليعظوا فيها أبناء الطائفة على أن يتضافروا مع إخوانهم المصريين في هذا الظرف العصيب »

ونحن نشكر الحاخام الأكبر ، ولكن ليعلم سيادته أنه قبل أن يتوجه إلينا بكلام يكون « حداً فاصلا ينبغى أن يعمل هو وأبناء طائفته عملا يكون « حداً فاصلا » ، وهذا مع الأسف لم يحدث قط ، وأخشى أن أقول إنه لن يحدث قط . ثم ليأذن لنا سيادته أن نوجه نظره الكريم إلى الذى ذكرناه وذكرته الصحف ولم يستنكره أحد من يهود مصر ، وهو ذهاب بعض المسئولين من اليهود في ثغر الاسكندرية » كي يثنوا البطريق الأعظم للروم الأرثوذكس عن إذاعة حديثه . أهذا أيضاً إقحام للدين في السياسة

وليأذن لنا سيادته أن نقول له إننا نعيش في أرض مصر ، واليهود يعيشون معنا فيها لا في المريخ ، وأننا نعلم علماً يقيناً أن جمهوراً كبيراً من شباب اليهود في مصر ، يجرى بينهم الحديث وبين المصريين ، فلا نجد أحداً منهم يكتم مشايعته لإنشاء دولة يهودية في فلسطين ، بل يفرح بها ويصر على التصريح بأنها خير لبلادنا ، وأنه ينبغى علينا نحن العرب أن نعاون على إنشاء هذه الدولة ، وأن نعيش معاً في سعادة وأمن ورخاء !!!

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبهه إلى أن هذه الساعة التى جاش فيها العالم الإسلامى والعربى ، ليدفع عن فلسطين الجور الذى أرادت هيئة « الأمم المتحدة » التى تصرفها روسيا وأمريكا وبريطانيا ، هى ساعة فاصلة في تاريخ العرب والمسلمين ونصارى الشرق جميعاً ، وليأذن لنا أن ننبهه أيضاً أن النار المشتعلة الآن تفصح كل الإفصاح عن المعنى الذى ينطوى عليه تقسيم فلسطين ، فكيف ذهب عن فطنة سيادته أن يذكر كلمة واحدة صريحة تفصح أيضاً كل الإفصاح عن استنكاره واستنكار طائفته لهذا التقسيم الجائر الذى أرادت أن تفرضه على العرب هيئة الأمم المتحدة ؟

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبهه إلى أن الصهيونية تدعى أنها تتكلم باسم يهود العالم جميعاً ، وأن جميع الدلائل إلى اليوم تدل على أن كثرة يهود العالم منضمة إليهم ، فما هو الضمان الذى يقدمه لنا سيادته حتى تطمئن قلوبنا إلى أن يهود مصر ليسوا كيهود سائر العالم ؟

وليأذن لنا سيادته أيضاً أن ننبهه إلى أن الصهيونية قد أذاعت منذ القديم أنها تريد أن تستولى على أرض إسرائيل كلها من الفرات إلى النيل ، وأن هذا مطبوع منشور في كتبهم ، وأنه حين ذاع نبأ التقسيم وقف مفلوك صهيونى يستنكر التقسيم ثم رضى به على مضض ، لأنه الخطوة الأولى التى تفضى إلى استيلائهم على أرض بنى إسرائيل كلها من الفرات إلى النيل . وأنا لا أظن أن مثل هذا مما يغيب عن الرجل الفاضل العالم أحد أعضاء المجمع اللغوى العربى .

وليأذن لنا سيادته أن نذكره بوصية الله لنا في محكم تنزيله إذ يقول : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، فالمسلمون والعرب جميعاً سوف يقاتلون من يقاتلهم من الصهيونيين ، أما سائر اليهود فلن يعتدى عليهم مسلم ولا عربى ما داموا في ذمتنا ولا يؤلبون علينا . فهل يأذن سيادته بأن يعلم أن المسألة ليست مسألة سياسية نريد أن نقحم الدين فيها ، بل هى مصير العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ؟ وهل يأذن لنا أن نسأله أن يدفع عن يهود مصر كل شك وريبة بأن يصدر بياناً صريحاً عن موقف يهود مصر في مسألة التقسيم ؟ وهل يأذن لنا سيادته أن نطالبه ونطالب أبناء ملته من يهود مصر بأن يفعلوا فعلا صريحاً واضحاً يدل على أن عواطفهم هى عواطف الأمة المصرية تشعر بشعورها وتتألم بألمها؟ وهل يأذن لنا سيادته أن نقول له إن هذا الذى يجرى الآن ليس « ظرفاً عصيباً » كما جاء في كلامه ، بل هو أوضح من ذلك ، هو حرب بيننا وبين يهود العالم وكل من يناصرهم من الأمم ، وأنها حرب سوف تستمر إلى أن يستقر الحق في قراره ولو طالت مئة عام ؟ أفليس من الحكمة إذن أن يتخلى الحاخام الأعظم عن العزلة التى يريدها لنفسه ، ويدخل هو وأبناء طائفته في الجهاد الذى كتب علينا نحن العرب من مسلمين ونصارى ويهود لكى ندفع عن بيت المقدس أدناس الصهيونية ؟

هذه كلمة مجاهد عربى يتقدم بها إلى الحاخام الأعظم تعليقاً على حديثه الذى سوف يبقى مذكوراً في تاريخ الإسلام والعرب لم أعمد فيها إلى شرح أشياء أعرفها حق المعرفة ، انتظاراً لما يكون من عمل سيادة الحاخام الأكبر ليعلم . وسيادته أن

الأحداث أسرع من لمحات البرق فى السحاب المتراكب ، فليبادر إلى الخير مبادرة من عرف وجه الحق فلم يحجم به عن الجهاد خوف ولا فزع ولا إرهاب . إن عمل الحاخام الأكبر هو « الحد الفاصل » الذى ينتظره اليوم أربعمائة مليون مسلم قد استيقظوا وأدركوا أن يهود العالم قد أعلنوا عليهم الحرب ، فلن يخدعهم بعد اليوم شىء عن الطريق الذى سار فيه آباؤهم من قبل ، فنصرهم الله وأيدهم وهزم أعداءهم وأعلى كلمتهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس .

محمود محمد شاكر

كيف حاولت أن أكون خطيباً

للأستاذ زهدى الشواف

إنها محاولة لا أذكرها الآن إلا ضحكت من نفسى ... فلقد كانت نزوة من نزوات الشباب الطائش ، وهفوة من هفوات العاطفة الجموح ... وما أكثر ما تخطىء العاطفة ، وما أكثر ما تزل بالمرء فى مزالق السخف ! .. ولو قُدر لنا أن نتحرر من ربقتها لبرئنا من الضحك من أنفسنا ، ولترفعنا عن كثير من المهازل التى تتمثل على مسرح الحياة .

لقد عينتنى وزارة المعارف معلماً فى مدرسة ابتدائية فبادرت للعمل فرحاً ، ولم أكد أدخل الصف حتى ألفيت نفسى بين حشد من الأطفال لا يحصيهم عد ... لقد كانوا لحداثة عهدهم بالمدرسة أشبه بالمهارة الناشزة التى لم تروض على الركوب ، وكانوا مزيجاً غريباً من طبقات اجتماعية مختلفة ، متفاوتين فهما وخلقاً وإدراكا

وما إن رأونى مقبلا عليهم حتى سكتوا لحظة ، ثم راحوا يتطاولون بأعناقهم فينظرون إلى . وبعد هنيهة عادوا إلى حديثهم وعكفوا على لهوهم ، كأنى لم أحل بينهم أو كأنهم فى ساحة البلد لا تجمعهم مدرسة ولا يهيمن عليهم نظام . ولقد فكرت فى العصا ولكن التعاليم التربوية الحديثة تقول « إن الضرب ممنوع فى المدارس ... » نعم إن الضرب ممنوع لأنه ينافى التعاليم التربوية ولكن حشر مائة طالب فى غرفة واحدة لا ينافيها ! . هذا هو فهمنا للتعاليم ! .. وهذا هو مدى تطبيقنا إياها ! ...

وقد حاولت تأمين النظام بكل ما أوتيت من حكمة ولكن جهودى كلها ذهبت عبثاً . وأنَّى لى أن أفلح والطلاب منصرفون عنى . فهم بين جالس على مقعد ، ومطجع على حصير ، وواقف خلف « درف » الشباك ... إن المقاعد لم تكن لتسعهم كلهم ... فما ذنبهم ؟.. وما ذنبى ؟...

لقد أتيت المدرسة مزوداً بالتعاليم الحديثة مشبعاً بالأفكار المثالية ولكن ما أسرع ما وجدت أن تلك التعاليم ظل لا حقيقة له ، وأن هذه الأفكار بعيدة عن متناول اليد بعد السماء عن الأرض .

وانتصفت الساعة الأولى وأنا حائر فى أمرى لا أجد مخرجاً لى مما أنا فيه . فلما يئست من إصلاحهم ركنت للحيلة ، وذكرت أنى كنت رأيت قبيل مجيئى للمدرسة أناساً التفوا حول خطيب يتكلم بصوت جهورى ، وذكرت أنهم كانوا يصغون إليه هادئين صامتين فأحببت أن أقلد هذا الخطيب لعلى أظفر بهدوء الطلاب وصمتهم . فصعدت المنبر وانطلقت أتكلم بصوت جهورى : « أيها الطلاب ! ... » ولم أكد أنبس بأول كلمة حتى صمتوا وتوجهوا إلى بأنظارهم وأفكارهم ... ياللمعجزة ! ... لقد نجحت طريقتى على ما فيها من سخف ! .. لقد عرفت لأول مرة أن النجاح فى الحياة قد يقوم على السخف والتدجيل أكثر من أن يقوم على العبقرية ... لقد توارت التعاليم التربوية أمام التعاليم السوقية ، وتلاشت الأفكار المثالية أمام الأفكار الصحفية ، واصطنع السخف ما لم يستطع العقل له صنعاً .

وراحت الكلمات تنبعث من فى كالرعد والأطفال صامتون . وما أدرى أصمتوا متأثرين ببلاغتى ، أم سكتوا دهشين لرؤيتى أتكلم بكلام مستغلق لا معنى له . ومهما يكن فى الأمر من شىء فقد أغرانى هدوءهم فاسترسلت فى الخطابة حتى نسيت أنى فى الصف وتملكنى الحماس فرحت أقرع الطاولة بيدى ... ويبدو أن صدى صوتى قد ملأ أرجاء المدرسة فبادر المعلمون لاستطلاع الخبر ولكنهم لم يجسروا على فتح الباب وإنما لبثوا خلفه يسترقون السمع

ولقد أنصتوا وأنصتوا ولكنهم لم يفهموا شيئاً . وأنَّى لهم أن يفهموا كلاماً مزج الأدب بالتربية ، وخلط العلم بالفن ، فأصبح لا تربط بين أجزائه رابطة ، ولا تقوم بين عناصره علاقة ... إنى لم أترك كلمة أحفظها « لوليم جيمس » إلا أتيت عليها . ولم أدع بيتاً أرويه للمتنبى إلا ذكرته . ولقد كان لقوانين الكيمياء والفيزياء النصيب الأوفى من محاضرتى فإنى كنت لا أزال حديث

المهد بها أحفظها عن ظهر قلب ...

وبينا أنا عاكف على إغراق طلابى فى بحار العلم والحكمة ، رفع أحدهم أصبعه فما كان منى إلا أن صحت به : « مالك ؟ » فال بأصبعه وبعينه نحو الباب ... فالتفت ... ويا لهول ما رأيت ... ويا للخجل !.. إنهم المعلمون .

وماتت الكلمات على شفتى فجأة ... لقد صحوت من النشوة التى كانت تمتادنى . ونزلت من عالم الوهم إلى عالم الحقيقة المرة ... يا إلهى أين كنت ؟ ...

وبادرنى أحد الزملاء قائلا : « لقد انتهى الدرس » فأمرت الطلاب بالخروج من الصف ثم انضممت إلى المعلمين ولم أترك لهم مجال النقد وإنما رحت أوهمهم بأن ما قمت به إن هو إلا تطبيق لقاعدة تربوية مشهورة ابتدعها المربى الكبير « أوغست كونت » وما سمع زملائى الأكارم بهذا الاسم حتى شرعوا يثنون على ويطرون طريقتى هذه ... وإنى أعترف الآن أن الحظ ساعفنى فى تلك اللحظة فاستطعت أن أخرج من هذا المأزق الحرج ناصع الجبين ، محاطاً بهالة من إعجاب الزملاء والطلاب ... ولكنى خرجت من المدرسة ولم أعد إليها ، ومازال معلموها — أحسن الله إليهم — يذكرون اسمى مقرونا بالثناء العطر ، وما زال طلابها — وقد أصبحوا شباباً — يرون أنى المثال الذى يقتدى به علماً وأدباً

لقد خرجت من المدرسة ولم أعد إليها . ومرت بى الأيام مراحل شتى فتغيرت من طبيعة عملى ولكنها لم تستطع أن تتطرق إلى فكرة بقيت كامنة فى قرارة نفسى ، تلك الفكرة هى : « أنى خلقت خطيباً ... فيجب أن أكون خطيباً ... »

ومرت أيام وأيام أصبحت بعدها محامياً فوجدت أن الخطابة أصبحت من لوازم مهنتى ولقيت الفرصة مناسبة « لإظهار مواهبى » ثم أدركنى ما يدرك كل محام ناشىء فى « حماه » ففكرت بأننى قد درست المحاماة لا لأكون محامياً فحسب ، بل لأكون نائباً أدافع عن حقوق الشعب تحت قبة البرلمان .

وكيف لا أطمع فى النيابة وقد رأيت جارى « أبا نادر » زعيما يتصدر مجلس الحى ويبحث فى قانون روسيا ويناقشه ، ثم يحمل على أمريكا وينتقد دستورها وسياستها . « وأبو نادر » أمى يجهل حتى موقع روسيا على الخارطة ، ولا يعرف عن أمريكا إلا أنها البلد الذى كان يهاجر إليه السوريون لكسب الرزق ... لقد قرنت نفسى « بأبى نادر » فوجدت أنى أكثر منه أهلية وكفاية فأخذت أعد للزعامة عدتها فرحت أحترم الكبير وأعطف على الصغير وأحيى كل مار أصادفه فى الطريق ، وأغشى كل ندى وأزور كل سامر ... إنها مهمة شاقة ولكنها الوسيلة الوحيدة للزعامة فى هذا البلد .

وشعرت بحاجتى للخطابة ، وعاودنى الحنين إليها . وما إن خطبت مرة واحدة حتى أصبحت المجالس تشتاق لسماع صوتى . وأضحى القوم يشيرون إلىّ بالبنان ويعدوننى مجاهداً ... ما أعظم هذا اللقب !.. وما أرخصه فى هذا البلد !.. إنى — شهد الله — لم أحمل عصاً ولم أرم حجراً ، ولكنه لقب ساقه إلىّ القدر كما ساقه لغيرى ، فلم لا أفيدُ منه ، ولم لا أنتفع ببركاته . إن خطبة واحدة جعلتنى مجاهداً ، فكيف بى لو خطبت كثيراً ... إنى سأكون فى عداد الزعماء الخالدين ...

إن الكلام رأس مال الزعماء ، فلم لا أكون من أهل الكلام ؟ هذه حقيقة أيقنت بها فأحببت أن أروض نفسى على الخطابة ورحت أفتش عن مكان خال من الناس ، ناء عن المدينة ، فلم أجد خيراً من قبة « البرناوى » القائمة على مسافة كيلو متر من شمالى حماه الغربى ، على سفح منحدر ينتهى بطريق ضيقة تؤدى إلى البساتين النائمة فى أحضان « العاصى » .

وهناك كنت أقضى الآصال هانئاً بالوحدة ، ناعماً بمنظر الخضرة والماء . . وكنت أخطب فأطيل ولا أمل ؛ ويتملكنى الحماس فأرغى وأزبد ، ولا أجد من يسمع صوتى غير البقرات العائدات من البساتين ، وقد رحن يمشين مشياً وئيداً فى الطريق الضيقة فى أسفل المنحدر وخلفهن بعض القرويين التعساء ... وكن إذا ما مررن من أمامى بعيداً عنى وسمعن صوتى يقفن قليلاً ويملن بعنقهن نحوى ثم يهززن رءوسهن ويمدن لسيرهن فيخيل إلىّ أنهن يقلن لى : « إذا أصبحت نائباً فأرخص لنا الشعير ... » فأجيبهن : « نعم سأرخص لكنّ الشعير أيتها البقرات العزيزات !... »

وقد ملكت الخطابة نفسى فأصبحت وكلامى كله يكاد يكون خطابة .. واتفق أن رجعت ذات مساء إلى البيت ودخلت غرفتى وأغلقت الباب وشرعت أخطب .. وما هى إلا لحظات حتى انفتح الباب ودخلت أمى والدموع تملأ عينيها : « سلم الله عقلك ! .. ماذا أصابك يا بنى !.» فلزمت الصمت ولم أحر جواباً .. ولكنها أردفت قائلة : « أريد أن تكون كجارنا أبى رشيد ...» وخيم الصمت علينا ثم انسحبت من الغرفة وأغلقت وراءها الباب . ولم أكد أخلو إلى نفسى حتى فكرت فيما قالته أمى .. وأصغيت قليلا

فإذا بصوت جارنا « أبى رشيد » يخترق الظلام ويطرق سمعي .

مسكين أبو رشيد !.. لقد مر عليه شهران والأغلال تلازم يديه والقيود تثقل رجليه .. إنهم يقولون إن به مساً من الجنون . إنه لم يؤذ جاراً ولم يضر إنساناً ولكن أبناءه بصروا به يخطب فى الشوارع والأسواق فاقتادوه إلى بيته وحبسوه فى غرفته ... لقد بح صوته وهو يقول أن ليس به جنون . ولكن ما من سامع ! واختنق وهو يدعو للأخلاق القويمة .. ولكن ما من يطيع !.

وهذا صوته يصل إلى أذنى ضئيلا وهو ينادى : « أيها القوم ! الدين لله والوطن للجميع !. إن بناء الوطن لا يقوم على الطين والأحجار ولكن على المهج والأكباد .. المصلحة العامة رائدنا ونجاح الأمة غايتنا .. »

ما أعذب هذه الكلمات !. لقد طالما سمعتها تتردد فى كل مكان وعلى كل شفة ، يا للعجب : . . هذه الكلمات التى رفعت أناساً إلى مصاف الزعماء والقادة تنحدر بأبى رشيد إلى ظلام غرفته ووحشتها ... ورحت أفكر طويلا فى أمر أبى رشيد !.. مسكين أبو رشيد !.. لقد حكمت عليه الهيئة الاجتماعية بالجنون ولا ذنب له غير الدعوة إلى الأخلاق القويمة .. ومن يعلم ؟. لعل بين جنبي أبى رشيد نفساً أجدر بالزعامة من كثير من النفوس التى تتبوأ عرش الزعامة ، ولكن الهيئة الاجتماعية حكمت عليه بالجنون فكان مجنوناً . لقد كانت مقاييس الجنون طبية بحتة ، ولكن المجتمع جعلها اجتماعية بحتة تخلق من الحمق قادة ، وجعل من العقلاء مجانين .

وكان الليل قد انتصف فاضطجعت فى فراشى وصورة « أبى رشيد » لا تبارح خيالى ، وصوته لا ينفك يطرق مسمعى ضئيلا ضعيفاً . ونمت وقد عولت على ترك الخطابة .. ونمت وقد شيعت كل آمالى وأحلامى ..

وما أشرقت شمس النهار حتى كنت أنهض من فراشى ... وما مالت الشمس للغروب حتى كنت أدرج إلى « البرناوى » لأنقع غليلى بالخطابة ... لقد سلوت أبا رشيد ، ونسيت العظة البالغة التى حملها إلىّ صوته فى الليلة البارحة ... لقد مضت تلك العظة مع الليل وما كان لإنسان أن يتعظ بما فات ..

ووقفت على المنحدر كسابق عهدى أرسل الجمل متتالية ، والكلمات متداخلة حتى شعرت أن الأرض تهتز من وقع كلامى ورأيت أن الأشجار تتمايل فى أقصى البستان من هول خطابى . ولقد تملكنى الحماس فرحت أكثر من الإشارات . ونشأت أضرب الأرض برجلى . وفجأة شعرت بيد قوية تضغط على كتفى والتفت فإذا بمسدسين مصوبين إلى رأسى ، وإذا أنا أمام اثنين من رجال الشرطة الأشداء يتقدمان إلىّ ويحاولان إلقاء القبض علىّ ولقد سدّت المفاجأة علىّ منافذ التفكير فلم أعد أدرى ما أصنع ، وهممت بالابتعاد عن الشرطيين ولكنهما صاحا بصوت واحد :

— حذار أن تتحرك وإلا قتلناك ! ..

— وعلام ذلك . وما هذه المعاملة الشاذة !. احترموا الناس أنا محام .. أنا أستاذ .. أنا ..

— محام .. أستاذ .. هذا ما يخيله لك الجنون ! ..

— الجنون . . .

— اخرس وإلا قتلناك ! ...

ولما أبصرت الجد فى كلامهما ، ورأيت أن من العبث مناقشتهما لزمت الصمت وانقدت إليهما فضربا على يدىّ بالوثاق ورحنا نحث الخطى إلى مخفر « الحسنين »

ودخلنا المخفر مع الليل ، ولم نتخط القبة حتى كنا أمام المأمور « القومسير » ولقد كان هذا يعرفنى معرفة تامة فلم يكد يرانى حتى انتصب واقفاً ونظر إلى رجاله مشدوهاً ، وقلب يديه مستفهماً عن السر فى القبض علىّ . فأجابه أحد رجاله :

— إنه يدعى أنه محام ... وأنه أستاذ ...

— من يكون إذاً ؟ ...

— إنه المجنون الذى أرسلتنا بطلبه ، المجنون الذى روّع المارة فى سفح البرناوى هذا الصباح بما كان يلقيه عليهم من حجارة

تألم « القومسير » لهذه الكلمات وارتسم الألم على محياه . ثم أسرع إلى الوثاق فحله وراح يستعذر إلىّ عن فعل رجاله ، والتفت إليهما يؤنبهما .. وما ينفع الاعتذار !. وما يجدى التأنيب !. لقد كان ما كان ، وشدت يداى بالوثاق ، وأخذت كما يؤخذ المجرمون والمجانين ... لقد خرجت من المخفر وأنا لا أعى ما أصنع ... لقد كانت الصدمة أليمة أنستنى الخطابة ، وزهدتنى فى النيابة . ولم يدر أحد بما أصابنى فقد كتم رجال الشرطة — على غير عادتهم — الأمر ولقد كانت الطريق التى جزناها من البرناوى إلى المخفر مقفرة من المارة .. وإنى لا أزال أحمد الله كثيراً على أن الخبر لم ينتشر وإلا رغب الطامحون عن الخطابة كما رغبت ، وزهد المغرمون بالنيابة كما زهدت ، ولأمست حماه لا تسمع لخطيب صوتاً ولا ترى لنائب وجهاً

حماة (سوريا) **زهدى السواف**

طرائف من العصر المملوكي :

٢ – ابن الوردى والخمول

للأستاذ محمود رزق سليم

لست أدرى أيصلح « الخمول » مبدأ فلسفياً يعتنقه بعض الناس فى هذه الحياة ، ويستشمر من وراء اعتناقه سعادة وراحة ورضا .. وهل فى مكنة امرىء أن يدفع نفسه دفعاً فى زاوية من الخمول يقبع فيها قانع النفس راضى البال قرير العين بخموله ... أم أن المرء بظروفه وبيئته ، وبدرجة ذكائه وحظه من المعرفة ، قد يؤتى نصيباً من الشهرة والصيت ، وقد يحرم . يؤتى هذا النصيب قسراً عنه . ويحرمه قسراً عنه كذلك . وصحيح أن المرء بجده وكده واجتهاده وجلاده يكون عاملا من أهم العوامل فى شهرة نفسه ، وفى إيتائها نصيباً من الصيت والحظ الحسن . ولكن مما لا شك فيه أن عوامل أخرى خارجة عن إرادته ، ذات صلة وثيقة بإيجاد هذه الشهرة ، وخلق ذلك الصيت والحظ. قد تكون هذه العوامل معينة للمرء تأتى إليه طائعة مختارة وفق ما يهوى ويشتهى ، فيصل بها إلى ما يرجو من الشهرة ، فى سهولة ويسر . وقد تكون معوقة له واقفة فى سبيله حجر عثرة ، قاسية عاصية فلا يصل إلى ما يرجو إلا بعد لأى وشدة . وقد لا يصل . والدنيا ذات عجائب ، فكثيراً ما تسوق الشهرة إلى من يستحقها ، وتضفى عليه ذيول النعمة ، ثم تنحيها عن رجل هو أهل لها ، وتحرمه أسباب الرضا . وقديماً قال الشاعر .

متى أرت الدنيا نباهة خامل فلا ترتقب إلا خمول نبيه

وبدهى أن المرء الذى من حقه أن تنبه الدنيا شأنه ، ليس امرأ عادياً ، بل قد أوتىَ من الذكاء وخصوبة الذهن ، ورزق من المعرفة وسعة التفكير ، والقدرة على الإنتاج ، حظاً واسعاً جديراً بأن يجعل منه رجلا مشهوراً من حقه أن تسعى إليه الدنيا ، وأن تنبه شأنه . ودون شك ، هو يرى نفسه جديراً بهذا السعى والنباهة . فإن أوتى منهما حظاً سعد به . وإن حرم ، فإما أن يجدد جهاده وجلاده ، حتى يصل إلى ما تصبو إليه نفسه . وإما أن ييئس ويستنيم إلى الخمول ، ويتخذ منه مبدأ فلسفياً ، وممتنقاً يعيش به ، ويتسلى باعتناقه ، ويجد لذة فى الائتناس به ، تعوضه عما فقده من شهرة ، وعما حرمه من نعمة الصيت ، وعما فاته من مباهج الحياة . ولكننى – كما ذكرت – لست أدرى تماماً هل يجد الخامل – أو المتخامل – لذة فى خموله – أو تخامله – ويستشمر من ورائه سعادة وراحة ورضا . ؟ أم هى سعادة اليائس وراحة القانط ؟ وكم من سعادة فى اليأس ، وكم من راحة فى القنوط ..

ثم أيستطيع هذا الخامل – وقد وهب له الله عوامل النباهة مركبة فى طوايا نفسه – أن يستنيم طويلا إلى يأسه ، ويسكن زماناً إلى خموله ، والدنيا من حوله تتحرك ويسير ركبها . . . وأنداده فيها يصلون إلى منازل دونها منزلته ، ويسمون إلى مكانات من تحتها مكانته ، وتسعى إليهم الدنيا أكثر مما سعت إليه ، مع أنه يشآهم علماً وفقهاً وأدباً ، ويسبقهم ذكاء وحيلة .

وهل هذا الخمول الذى يدفع بنفسه بين أحضانه دفعاً ، يحلو له ويروقه على الدوام ، أم أنه نوبة من نوبات يأسه ، ومضاعفة من مضاعفات قنوطه ، عما قليل يفيق منها ثم يعود إلى سيرته الأولى من الكفاح والجلاد والدأب فى طلب الشهرة ، والجد فى سبيل نعيم الدنيا . .

على أننى أكاد أعتقد أن المرء الذى من حقه أن تنبه الدنيا شأنه ، ولكنها حرمته النباهة ، فدس نفسه بين أحضان الخمول دساً ، إنما ابتغى من وراء ذلك الخمول ضرباً جديداً من نباهة الشأن . وما ذلك منه إلا الحيلة الأخيرة لليائس القانط . الحيلة الأخيرة يجربها ، فيدعى الخمول ، ويتخذه وسيلة إلى الشهرة . . ويعقت الدنيا لكى تسعى إليه ، ويتجمع عن الناس لكي يتساءلوا عنه . .

هذه كلها ضروب من المعانى تنتاب ذهن الإنسان عندما يقرأ طوائف من شعر ابن الوردى .

زين الدين بن الوردى – عمر بن مظفر – من أنبغ شعراء النصف الأول من القرن الثامن الهجرى . وقد توفى عام ٧٤٩ ﻫ وقد نشأ فى مدينة حلب ، وكانت إحدى نيابات المملكة المصرية حينذاك . وقد أوتى ابن الوردى نصيباً محموداً من الذكاء وحضور البديهة وسعة العلم . فقد كان أديباً كاتباً شاعراً فقيهاً . درس فقه الشافعى فبرع فيه وبذ إخوانه وأصبح من علماء هذا المذهب الأعلام ، حتى إنه اختير للنيابة فى الحكم – أى قاضياً فى الأقاليم – ينوب عن قاضى قضاة الشافعية ، وكان كفئاً فى منصبه .

ومال منذ حداثة سنه إلى الأدب ، فكتب وأنشأ ، ودبج الرسائل والإجازات العلمية والمقامات والمفاخرات . وقرض الشعر وافتن فيه ، ونظم فى أبواب منه شتى ، منها : الغزل والفخر والحماسة والمدح والهجاء والنقد والوصف والشكوى والزهد والاعتذار والإخوانيات والفكاهة والنصيحة والحكمة ونظم فى النصيحة والحكمة والنقد قصيدته اللامية المشهورة ذات الأبيات والأمثال السائرة . ونهج فى أسلوبه نهج شعراء عصره من الإغراق فى البديع وبخاصة التورية والتضمين والاقتباس ، مع رصانة وانسجام وقلة تكلف

ولم يقتصر اهتمامه بالأدب على النثر والشعر ، بل نظم فى العلوم وله فى ذلك « نظم البهجة الوردية » فى أكثر من خمسة آلاف بيت ، وهى فى الفقه . وضرب فى الشعر العامى بسهم ، ونظم المواليا والدوبيت .

وفوق ما تقدم برع فى النحو حتى أصبح فيه حجة ، وألف فيه مؤلفات نافعة . وله فى التاريخ كتاب « تتمة المختصر » وهو تذييل على مختصر أبى الفداء . وله فى التقويم كتاب « خريدة العجائب » .

وقد طوف ابن الوردى فى آفاق عدة من الديار الشامية ، وربما وفد على مصر . وذلك سعياً وراء الرزق ، وطلباً للعلم . فاستفاد من العلم شيئاً كثيراً ، وإن كان لم يستفد من الرزق ما يريد

وقد انعقدت فى خلال ذلك أواصر المحبة والمودة بينه وبين كثير من أفذاذ عصره — وقد كان جيله غاصاً بهم — ومنهم أبناء فضل الله العمرى وزراء البلاد الشامية وكتاب سرها . وجمال الدين بن نباتة الشاعر المصرى . وشهاب الدين بن المرحل النحوى المصرى . وعلاء الدين بن أيبك الأديب الدمشقى . والقاضى بدر الدين بن الخشاب المصرى ، والقاضى شمس الدين محمد بن النقيب ، والقاضى كمال الدين بن الزملكانى ، والمجتهد الفقيه ابن تيمية الحرانى . وغيرهم .

وكان ابن الوردى يجادل كلا من هؤلاء ، أو يقارضه الشعر، مجادلة الند للند ، ومقارضة الصديق للصديق . وهكذا راسل وساجل . وربما كان من بينهم من هو أرفع منه منزلة وأعز جاها وأوسع مالا ، ولكن وشيجة الأدب والعلم كانت أقرب الوشائج بينهم وأسماها .

نحن لا نحاول هنا أن نترجم ترجمة وافية لابن الوردى . بل ولا نحاول أن نتحدث عن شعره حديثاً كاملا . . وكل ما نرمى إليه فى هذه الموجزة أن نتحدث عن خمول ابن الوردى . فكان لابد لنا من أن ننوه بمزاياه وبمنزلته بين العلماء والأدباء ، ليحق لنا أن نتساءل بعد ذلك : « هل كان ابن الوردى خاملا » ؟ . .

والخامل فى نظرنا رجل قليل الحيلة ضيق العطن قريب غور الذكاء . ولم يكن ابن الوردى كذلك . فقد قال :

أحسن مدارة الورى ... يفسد عليك نفعها
كم من يد قبلتها ... كان بودى قطعها

لم يكن ابن الوردى قليل الحيلة ، ولا كان خاملا — كما رأينا — ولكنه مع ذلك ، اعتنق الخمول واتخذه عقيدة له ومبدأ . فقت الدنيا وذم أهلها ، وانجمع عن الناس وابتعد عن مجالسهم ، وطلق المناصب وحمل على الساعين إليها . وكل هذا فى مرارة لديه ولوعة . قال :

أتهزأ بي لما أجد وتلعب ... وتعجب من حالى وحالك أعجب
ألا طالما قد كنت مثلك ساعياً ... لجاه ومال جاهداً أتطلب
وطال اجتنابي للخمول فذقته ... فطاب فأحببت الذى أتجنب
وما العيش إلا فى الخمول مع الغنى ... فشكراً لمن فى فضله أتقلب
رضيت كساوى واستخرت بطالتى ... وقلبى مسرور وعيشى طيب
وما ذاك عن مال جزيل وإنما ... كفانى كفاف والقناعة تغلب
ولو ذقتم طيب القناعة متم ... عليها ولكن بدرها يتهيب
تركت لكم عز القضاء وجاهه ... وأبعدت عنه خائفاً أترقب
فقوموا على ساق حديد وشمروا ... لنيل علاء واهجروا النوم واطلبوا
وميلوا وجوروا واحكموا وتحولوا ... وصولوا وطولوا وانبذوا الزهد وانهبوا
ستعلم نفس أى حمل تحملت ... ليوم أمى من هوله الطفل أشيب
لقد نلت من كنز القناعة بغيتى ... وجانبت حرصى والحريص معذب
وعفت بنى الدنيا وغادرت برهم ... لغيرى فلا أشكو ولا أتعتب

(يتبع)

محمود رزق سليم
مدرس بكلية اللغة العربية

مع ميخائيل نعيمه

في « همس الجفون »

للأستاذ مناور عويس

« تتمة »

ما قرأت نعيمه — شاعراً أو ناثراً — إلا أحسستُ بدبيب الروح يسرى فى عروق ، وما أصغيت إليه — خطيباً أومذيعاً — وأحسنت الإصغاء والاستجابة إلا خيل إلىأنني أسمع أنغاماً شجية علوية تنبعث من عالم سحرى مجهول ، ومن رآه يلقى خطابه سلام الله وسلام الناس ، فى قاعة جمعية الشبان المسيحية فى القدس خاله نبياً من أنبياء العهد القديم واقفاًعلىأحد تلالأورشليم يعلم ويعظ ويتوعد ! .

وما شعرت بأفضليتى على غيرى إلا توارد على خاطرى بيتاه اللذان يخاطب بهما الدودة :

ولولاضباب الشك يادودةالثرى ... لكنت ألاقى فى دبيبك إيمانى
لعمرك «ياأختاه !» مافىحياتنا ... مراتب قدر أو تفاوت أثمان !

سوف يأتى ذلك الزمن الذى يدرك فيه الناس قيمة نعيمه الأديب الشاعر الأنسان ، نعيمه الذى أدمى قدميه سرى الليل وقطع المهامة المخوفة ليصل إلى محراب الحياة ، ومدأقل الذين وصلوا إلى ما وصل إليه نعيمه ! ...

نعيمه الذى أذاب قلبه وسماه « همس الجفون » و « زاد المعاد » و « المراحل » و « البيادر » وما هى إلا روحه صاغها ألحاناً وسكبها كلمات ومقاطع ناشراً فى تضاعيفها الحب والخير والسلام والجمال بين الناس وساعياً إلى إيجاد عالم فاضل يليق بصورة الله ومثاله ! ...

قال صديق الأديب عند ما قرأت له ما تقدم من الكلام : « أنك تغدق على نعيمه من الثناء كما لو كان نبياً ! فأجبته : » لو كان نعيمه شاعراً وكاتباً ومفكراً فحسب لما خلعت عليه هذا الوشاح من الإجلال ولما رأيت فيه الانسان الشامل للأديب الكامل ، فالشعراء والكتاب والمفكرون كثيرون بحمد الله ولكن نعيمة إلى فنه الرائع وتفكيره العميق رسول من رسل الروح وثورة على المادية التىأرهقت الإنسان حتى كادت تصرعه .

هو صاحب رسالة إنسانية شاملة يؤديها عن طريق الأدب ، إنه ثورة على جمود القلب وتحجر الروح فى هذا الزمن الرقيع ! ...

هو ناشر تعاليم الشرق الدينية والفلسفية وملبسها ثوبها القشيب ، هو باعث (غوتامابوذا ، ولاوتسو) من مرقديهما ومعيد بردة الشباب إليهما فى القرن العشرين ، هو غضبة من غضبات (يتيم قريش) فى زمن كثر فيه اليتامى والتعساء !

وأخيراً هو صرخة من صرخات (الناصرى) فى عصر كثر فيه الصراخ وارتفع العويل حتى كاد صوت الحديد يطغى على صوت الله !! ...

إن من يقرأ « همس الجفون » يجد أن نعيمه قد مرت عليه مراحل كان فيها عرضة للتجارب التى لابد منها « للعارفين » ففى قصيدته « أنشودة » يقول :

ألقيت دلوى بين الدلاء ... وقلت على أحظى بماء
فعاد دلوى مع الدلاء ... وليس فيه إلا رجائى
علقت عودى على الغصون ... وقلت على أسلو شجونى
فلم تردد على الغصون ... أوتارُ عودى إلا جنونى !
علوت يوماً متن جوادى ... ورشتُ سهمى على الأعادى
فخر ميتاً تحتى جوادى ... وعاد سهمى إلى فؤادى !
أدرت وجهى نحو السحاب ... وصحتُ : رب : خفف عذابى
فجاء صوت من التراب ... يصيح : رب : خفف عذابى !

فى هذه الأنشودة نسمع صراخ روح نعيمه التى قابلت الشر بالخير والبغض بالحب فعاد خيرها عليها شراً وحبها بغضاً ، غير أنه اهتدى فى المقطع الأخير من أنشودته إلى حقيقة استراح إليها وهى : أن الحياة حقل يستثمرة الإنسان وبقدر البذار والعمل ونوعهما تكون الغلة .

والعيش حقل تستثمرينه ... يعطيك مما تستودعينه !

وقد توسع نعيمه فى هذا المعنى فى فصله الرائع « موزع البريد » أو القدر فى كتابه الفريد المشهور (البيادر) .

وفى أنشودة نعيمه هذه صور ومشاهد من معترك الحياة اليومى ، فهو يصور نفسه فارساً يوقع أنشودته على خبب جواده كما يعرض علينا فصولا مألوفة من صراع الإنسان على هذا الكوكب ، ففى كل مقطع من مقاطع الأنشودة صورة بارزة قد استوفت جميع خطوطها وألوانها ؛ وتلك ظاهرة جلية فى شعر نعيمة فلكل قصيدة من قصائده ألحانها التى تنسجم مع بحرها

وروبها وتتجاوب مع روحها ومغزاها . فإذا اجتمع لنا الفكر الرجيح والخيال المجنح والموسيقى الشجية مع توفر الصدق والاحساس ودقة التعبير كان لنا أدب رائع يستحق أن نفاخر به الأمم والأجيال وكل ذلك متوفر فى شعر نعيمه ونثره ...

والآن أنتقل بك أيها القارىء إلى لون آخر من مائدة نعيمه الروحية فأعرض عليك شيئاً من شعره المتشائم الحزين . فقصيدته (قبور تدور) على ما فيها من تشاؤم مر يبعث الألم والحزن فى القلوب ، حقيقة نعرفها ولكن لا نريد أن نصدقها ، وهو فى هذه القصيدة يمجد جمال الروح ويزدرى جمال الجسد كما يؤمن بأن الفناء بقاء وأن البقاء امتثال لإرادة الله كما أن الرجاء شقاء البقاء والمساء شقيق الصباح .

بعينيك نور تراه العيون ... جيلا فتضحك منها المنون
لأن المنايا تحدق فيك ... بعين الزمان التى لا تخون
فتبصر فى مقلتيك تراباً ... وتبصر دوداً وراء الجفون !
فخلى جمالا يراه الغرور ... وليست تراه عيون الدهور
وخلى الجهاد وخلى الطموح ... وخلى القصور وحى القبور
ودورى مع الكون جيلا فجيلا ... فهل نحن إلا قبور تدور ؟!

إن نعيمه لا يريد لنا أن ننخدع بقشور الحياة عن لبابها ولا يحب لنا أن تعمينا أعراضها عن جوهرها ، لهذا لجأ إلى ذلك الأسلوب المنيف ليحد من شهواتنا ويهذب من غرائزنا التى تتهالك على الجمال الفانى تهالك الذباب على الحلوى ، ذلك الجمال الذى لا تكاد نعب منه حتى يزداد عطشنا ونحس بالجوع يمزق أحشاءنا ؛ وليس أسلوب نعيمه هذا بدعة فى الأساليب ، فقبله الأنبياء والمصلحون الروحيون قد استعانوا بهذا الأسلوب للحث على الفضيلة والنهى عن الرذيلة ، والأديان السماوية تقوم على الوعيد أكثر مما تقوم على الوعود ، ونعيمه فضلا عن تأثره العميق — روحاً وتفكيراً وأسلوباً — بالكتب المقدسة والديانات والفلسفات الهندية والصينية نرى للأدب الروسى عامة ولتستوى ودستويفسكى خاصة أثراً ملموساً فى بساطة تعبيره ونزعته الروحية الصوفية المشبعة بالحكمة العالية . . وظاهرة أخرى تلفت النظر فى شعر نعيمه وهى أن قصائده متقاربة التاريخ فآخر تاريخ لما نظمه بالعربية هو عام ١٩٢٥ ، ففى شعره نجد الإيمان إلى جانب الشك والتسليم إلى جانب الثورة مما يدلنا على أنه فى فترة شبابه كان عرضة لتقلبات الأجواء الفكرية والنزعات الوجدانية ، فبينما نراه فى قصيدته (الطمأنينة) مؤمناً بأن سقف بيته من حديد وركنه من حجر ، لا يخشى عواصف الرياح ولا هطول المطر ، يستخف بالهموم والنحوس والشقاء والضجر ويتحدى خطوب الدهر أن تنزل به بالألوف لأن باب قلبه حصين من صنوف الكدر إذ حالف القضاء ورافق القدر ، نجده فى بعض قصائده الأخرى شاكا مرتاباً أو حزيناً متشائماً ، كما نراه فى قصيدته « الهم » يخشى أن يبعث معه الهم يوم القيامة :

أخاف أن مادفنــــا ... يقوم يوم القيامـة ! . . .

ثم اصغ إليه فى قصيدة (النهر المتجمد) كيف ينهى خطابه لذلك النهر .

يا نهر ذا قلبى أراه كما أراك مكبلا
والفرق أنك سوف تنشط من عقالك وهو لا !

والذى أريد أن أخلص إليه هو أن نعيمه سجل فى شعره — على قلته — نبضات قلبه وخلجات روحه ، فشعره صورة صادقة معبرة عن حياته الفكرية والروحية . وأعيد القول بأن نعيمه هو ثورة على (التحجرية الأدبية) و (الانكماشات الانعزالية الإقليمية) ورسالته الإنسانية الشاملة لا تعرف للوطنية حدوداً (كرتونية) ولا للقومية عصبية قبلية دموية ، وهو حد قول الشاعر

وطنى الدنيا ودينى خالق ... وأخى كل شقى فى البشر !

(يافا) **منور عويس**

حس مُرْهَف

للأستاذ ثروت أباظه

قالوا إنه فلان بك ! ألم تسمع به ؟ فلم أكد أجيب بالنفى حتى ضج القوم بالعجب وقالوا : إنه فلان بك ! فقلت : تشرفنا . فقالوا : كيف لا تعرفه؟ فاعتذرت من جهلى الفاضح وصوبت فى الرجل طرفى وصعّدته فإذا هو متراكب اللحم متراكم الشحم منبعج البطن صغير العينين أفطس الأنف ، له فم يوائم ضخامته يعلوه شاربان ينتهى سبالاهما عند أنفه ؛ وهكذا يرسم لك الشاربان والأنف بيضة كبيرة مكتملة ؛ فإذا نفث من فمه دخان شيشته كان من زمجرتها وركام دخانها أشبه بقطار خرب

وتكلم . . فوالله ما وجدت أنفه من قوله ، فمن حديث عن غناه ، إلى نبذة عن هواه ، فإن سما فأخلاط غثة فى السياسة .. وهكذا .. وهكذا جرى الحديث أو وقف على نحو مايجرى حديث أو يقف ، والرجل ماض فى الثرثرة وأنا على موعد فى هذا المكان فلا معدى لى عن السماع . إنه يدخل بلامناسبة فى حديث عن إحساسه وشعوره . . إنه مرهف يعيش على أعصابه . . لا حول ولا قوة إلا بالله ! هو مريض .. لا بأعصابه ، ولكن بحب المرض بأعصابه

وبعض الناس ينتابهم هذا المرض ، وهو داء خلقه الله ولم يخلق له دواء ؛ فإنك إن قلت للمريض به إنه غير مريض غضب واعترته هزة مصطنعة ، وراح يرعش يده ، ويبرق بعينيه ، ويهدر بألفاظه .. إن هذا المرض فى نظر أصحابه نوع من الرفاهية .

عرفت شاعراً مجيداً قرأت له قبل أن أعرفه ، وما كدت ألقاه حتى انطلق يذكر مصائبه فعرفت أنه موسر ، وأن زوجته حبيبته وملهمة وحيه ، وعرفت أن الحياة تمد له من أسباب السعادة وتطالعه بأبهى حللها . . عرفت هذا كله من مصائبه . . فهو يحول كل جميل إلى قبيح بمنظار داكن .. إنه مريض .. ولما حاولت أن آخذ بيده إلى الطريق جذب يده بعنف ، وآلمه أنى لا أحس بآلامه . ولو لا أنها المقابلة الأولى لرمانى بجمود العاطفة وبلادة الحس .. فصحت كلما قابلته أرثى لحاله مهما كان مسروراً حتى أصبح يستطيب لقائى ويستروح عزائى !

انتبهت من هذه الخواطر على صوت موجها الشهير وهو مازال يروى لى — وهو يظن أنى أسمعه — كيف بلغت أعصابه من الحدة مبلغاً لا يمكن للانسان أن يصل إليه ، ولكن لم يطل فقد وافته برقية قرأها فاستجمع فى ذهنه مظاهر الحزن التى يقرأ عنها ثم ألصقها على وجهه فبدا وكأنه حزين .. فم مطبق ، وجبين مقطب ، ورعشة يد غير منتظمة ! ولكنى أشهد الله لم يكن ثمة خلجة من حزن على وجهة . . ماذا ؟ . . قريب له قد مات . . البقاء لله . . هكذا قلنا .. ورجاه الجالسون — وأنا معهم — أن يتصبر فصبر ، ثم أطلقت نكتة فضحك . . لم يبك الرجل ، ولم يقم ذو الشعور الرهيف إلى مصابه ، بل أقام فى مجلسه يكمل الحديث عن حس رقيق فى خلاله وشعور رقيق اختصه به الله ...

لم أطق صبراً فقلت له : يا سيدى .. إنك تتكلم عن أعصابك تصفها بالرفاهة والرقة حتى كدنا نعتقد أنك نسيج من أعصاب غير مغلف ؛ وها أنت ذا تقدم أعصابك فى امتحان ؛ وها هى ذى تنجح نجاحاً لا تجوزه أقوى الأعصاب نسجاً وأشدها متانة . ألم يمت لك قريب . ؟ ألم تضحك ؟ .. لا .. لا تقل إنك تعزى نفسك ، إن العزاء يكون بعد النعى بيوم ؛ هذا لمتين الأعصاب ، أما لمرهفها فعشرة على الأقل . . يا سيدى مل بنا عن هذا الحديث

أظننى كنت ثائراً .. ولا شك أننى فضولى ولكننى على أى حال (صاحب أعصاب أيضاً)

قام الرجل من جلسته ونظر إلىّ فى احتقار شديد وقال : أنت أهنتنى ، وليس من دأبى أن أرد الإهانة بمثلها ، فإلى اللقاء .

— متانة أعصاب أيضاً !

سمعها الرجل بظهره فلم يشأ أن يطيل الحديث فانصرف

— من هو ؟

— غنى يشترى أذناً صاغية لكلامه ، وحزناً لمزعوم آلامه ، بأن يدفع ثمن القهوة

— قسمة ضيزى ! لقد غبنكم الرجل

— نعم أحسسنا بهذا منذ أيام ، فشكراً لك على إنقاذنا منه

— العفو !

ثروت أباظه

الذكرى الأولى:

شكيب الشاعر

للشيخ محمد رجب البيومي

— ١ —

« لو لم يكن شكيب كاتباً فريداً لكان شاعراً مجيداً ؛
فهما كفتان كلما رجحت الواحدة شالت الأخرى »

المنفلوطي

مات أمير البيان .

منذ عام كامل(١) خرجت الصحف على قرائها بهذا النبأ الفاجع فأشعلت القلوب حسرة ، وأرمضت الجوانح لوعة ، ولقد سقطت من عيني عبرات محرقة ، كأني أطالع نعي صديق حبيب ، تصلني به وشائج القرابة والصحبة ولا عجب في ذلك ، فقد تتلمذت سنوات عديدة على أمير البيان ، أدرس كتبه فأستفيد ، وأحفظ قصائده فأنتفع ، كما أنظر إلى مواقفه الرائعة في نصرة القضايا العربية ، فأتمنى أن يوجد بين زعماء الشرق من يقتفي أثره ، وينسج على منواله في التضحية والفداء .

ولقد شعرت بحنين زائد ينازعني إلى الكتابة عنه ، فكنت أسائل نفسي ما عسى أن أقول في هذا الرجل ، وقد كان أمة وحده تسمى وراء العظائم ، وتضطلع بما تنوء به شم الفيالق ، وهو فوق ذلك بحاثة قدير تسير مؤلفاته مسير الشمس في الكون ، وناثر موهوب تتزاحم عليه المعاني الفائقة فيختار منها كل جميل فائق ، وشاعر مطبوع تتطامن له رقاب القوافي ، ويسلس لديه كل أبي جموح .

غير أن الذين تكلموا عنه طيلة العام الفائت لم يتعرضوا إلى شعره الرائع بما ينبغي أن يلم به كل متحدث عن الأمير ، وكأنى بجهاده السياسي ، ونثره العلمي ، قد طغيا على ما تغنى به رحمه الله من فاتن النظم ، وبارع القصيد ، لذلك رأيت أن أتحدث عن فنه الرفيع ليعلم من يتشدقون اليوم بالهراء الغث كيف يكون القريض العربي في ديباجته المشرقة ، وعاطفته الجياشة ، وليدرك القارىء هذا الفرق الواضح بين من يحافظ على عربيته الخالصة ، ولهجته الأصيلة ، وبين من يضله الله على علم ، فينقل ما وعاه من دواوين الفرنجة ، دون أن يشعر بإحساس صادق لما يقول ، ويزيد فيجمل لفته قلقة مفككة تنادي على نفسها بالويل والثبور .

ولقد نشأ الشاعر في أسرة عربية عريقة يتصل نسبها بالنعمان ابن المنذر عظيم الحيرة في عهدها البسام ، فلا غرابة إذن حين نجد الأرسلانيين مفطورين على الطبائع العربية التي تحدث عنها تاريخنا المجيد ، من حب للمروءة ، وذود عن الحياض ، وتملق بالشعر يسمعه العربي ، فتهتز أعطافه مرحا ، ويرقص قلبه طرباً على موسيقاه ، لأنه يفصح عن ذات نفسه أصدق إفصاح .

وسيصدق القارىء كلامي هذا حين يعلم أن الأمير شكيبا وأخويه الأميرين نسيباً وعادلا قد تركوا للشعر العربي كنزاً ثميناً يعتز بفرائده ويباهي بلآلئه وما ظنك بأشقاء ثلاثة فيهم الصناجة الصناع ، والذواقة الفن ، والطائر الصداح

وقد ولد شكيب بعد أخيه نسيب بسنة ونصف فنشأ كالتوأمين دخلا المدرسة معاً ، وتخرجا معاً ، وبدت مخايل شاعريتهما في سن مبكرة ، وهل سمعت أن شاعراً نشر قصائده في الصحف وهو في الرابعة عشرة من عمره قبل شكيب ؟ وهل سمعت أن شاعراً كان الأول في مسابقة شعرية عامة ، وهو في السادسة عشرة قبل نسيب ! ؟ كل هذا كان بفضل الموهبة الشعرية التي انتقلت إليهما عن طريق الوراثة ، والتي ترعرعت بما حفظاه في عهد الحداثة من شعر جيد ، قد ارتقى بهما درجات في سلم الكمال .

على أن القدر قد ساق إليهما في ذلك المهد الشيخ محمد عبده إذ كان أستاذاً في المدرسة السلطانية ببيروت ، فدلهما على شعر البارودي وهو كما نعلم إشراق لفظ وجودة معنى ، حيث أكبا على قصائده حفظاً واستظهاراً ؛ ولا تسل عما يفعله الشاعر المعاصر في أبناء جيله ، فهو يقرب إليهم البعيد ، ويدني منهم الشاسع ، كما يخلق فيهم الرغبة الملحة في الارتقاء إلى منزلة ، والصعود إلى ذروته ، ومن هنا كان سامي نهراً صافيا فاض عليهما في بيروت بالنمير العذب كما فاض على شوقي وحافظ بوادي النيل .

ولقد كان أثر البارودي في شكيب أوضح منه في نسيب ؛ فإنه جذب الأول إلى من يشابهونه من شعراء بني العباس ، فكان قنطرة عبر منها الأمير إلى البحتري والمتنبي والشريف وأخيراً ممن قطف رب السيف والقلم أزاهيرهم الناضرة ؛ أما نسيب فقد عكف — كما يقول أمير البيان — على قراءة شعراء المعلقات ومن لف لفهم من المخضرمين والأمويين ، فجاء لفظه بدوياً وخياله جاهلياً

(١) كانت وفاة الأمير في ٩ ديسمبر ١٩٤٦ .

وأنت حين تقرأ له تحتاج إلى غير قليل من التريث والاطمئنان ، على أنه قد يتأثر بالبارودى فتراه وسطاً بين الجزالة والسلاسة كأن يقول فى فقير بائس .

يخد أديم الأرض خدا كأنما ... له قبل الغبراء ثأر مخلف
جبين بمرفض الصبيب مضمخ ... وشعر بملتص الغبار مغلف
وجيد خفوق الأخدعين كأنما ... تبينت من أوداجه الدم ينطف
إذا زلزلته سرعة الخطو أوشكت ... أضالعه فى زوره تتقصف
كأن أزيز الجوف عند وجيبه ... حسيس هشيم والندى يتوكف
يساقط نثر الطين عنه إذا مشى ... كافض ختم الدين سكران معنف
كأنى به إذ فرق الترب والحصى
يفتش هل فى باطن الأرض منصف
إذا استنجد الآمال عند اكتئابه
تبدى له ستر من القار مغرف

وعلى كل فقد كان أمير البيان أكثر توفيقا فى هيامه بالشعر العباسى وحده ، فقد نضح عليه من العذوبة والرقة ، ما جمل شعره حبيباً إلى نفوس قرائه . ومن نعم الله على شكيب أن هيأ له الأسماع التى تصيخ معجبة إلى إنتاجه من يوم أن عرفته العربية أديباً يافعا يتنقل بين حجرات درسه فكان لا ينشر فى الجرائد — مع حداثة عمره — قصيدة إلا تردد صداها فى ربوع الشام ، ولقد شجعه هذا على المضى فى سبيله ، فاستمر يظهر للعيون قلائده من حين إلى حين ، وما بلغ السابعة عشرة من سنه ، حتى جمع ما نشره متفرقاً فى الصحف بديوان صغير أسماه الباكورة ، وقد جعل إهداءه للأستاذ الإمام ، متودداً إليه فى تواضع ، معترفاً بضآلة هديته فى جانب ما يليق أن يهدى إلى حكيم الإسلام فهو يقول فى اهدائه .

هى دون ما يهدى إليك وطالما ... قبل الكبير هدية من صاغر
أهديتها لا كى تليق وإنما ... مثلى على ما فاق ليس بقادر

ومهما يكن من شىء فقد كان لظهور الباكورة رنين فى مختلف الصحف الشامية ، فهذه تقرظ ، وتلك تنقد ، مما أكسب الشاعر الناشىء منزلة فى القلوب ، والواقع أن فى ديوان الباكورة شاعرية غضة ، تدل على مستقبل زاهر ، إلا أنها — والحق يقال — لا تستأهل هذه الضجة الكبيرة ، إذا قيست بما يقال فى عهدنا الحاضر بعد تنوع المذاهب الشعرية ، ولكنها بالنسبة إلى زمنها السالف حميدة مقبولة ، لأنها محاكاة للشعر القديم فى دقة تدل على نظر ثاقب وفكر حصيف ، على أن الدقة كانت تخون الأمير فى بعض الأحايين ، فيظهر شعره معلناً عن أصله الذى قيس عليه وإليك قوله فى مطلع قصيدة .

بقلبى ما تهمى العيون وتأرق ... وللعين ما يبلى الفؤاد ويرهق
وما كنت ممن يرهق العشق قلبه ... ولكن من يدرى فنونك يعشق

فهذان البيتان يشهدان أنهما مأخوذان من قول المتنبى .

لعينك ما يلقى الفؤاد وما لقى ... وللشوق ما لم يبق منى وما بقى
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه
ولكن من يبصر جفونك يعشق

ومثل هذا التقليد فى « الباكورة » كثير .

وما كاد أمير البيان يتجاوز هذا الدور ويخطو فى العقد الثالث من عمره حتى تمكن من فنه واستوى على قمة مجده ، فصار جيد السبك ، وثاب الخيال ، بعيداً عما بيناه من المحاكاة والتقليد ، ولقد كان مولعا بأستاذه البارودى إلى درجة جعلته يكثر من التفكير فيه ، فصار لا يكتب مقالا فى جريدة أو بحثا فى مجلة ، إلا توجه بشعر سامى ، مبالغاً فى إطرائه ، وتشاء الأقدار أن تقع بعض هذه الكلمات فى يد رب السيف والقلم ، وهو نازح عن عرينه فى سرنديب ، فيدفعه شوق عاصف إلى من يثنى عليه ثم يغلو به الحنين فيكتب إلى الأمير على بعد الدار ونزوح المزار .

أشدت بذكرى بادئاً ومعقباً ... وأمسكت لم أنبس ولم أتكلم
وماذاك ضنا بالوداد على امرىء ... حبانى به لكن تهيبت مقدمى

ولك أن تتصور فرحة الأمير بكتاب أستاذه ، فقد حقق له أمله الكبير فى التعرف به ، فطفق يحمد الظروف الطيبة التى هيأت له ما يريد ، ثم كتب إليه قصيدة عصماء تشتمل وجداً وتندلع حناناً وفيها يقول .

الى كل يوم فيك وجد كأنما ... طوى جانحاً منى على نار ميسم
حلفت بما بين الحطيم وزمزم ... وبالسدرة العليا ألية مقسم
لألفيت عندى دوس مشتجر القنا
وخوضى فى حوض من الدم مفعم
أقل لقلبى فى المواقف هيبة ... وأهون من ذاك المقام المعظم

وهذا تصوير جميل يدلك على ما وصل إليه الأمير فى درجات الشعر وأظن الفرق بينه وبين الباكورة بعيد ، فهذا شعر قوى محكم اعتمد فيه الأمير على نفسه وانتزعه من ذات صدره ، فجاء

فن المســــرح

(تحية للأستاذ الفاضل زكى طليمات)

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

توافينا الأنباء الفنية الخارجية يوماً بعد يوم بدلالات كثيرة على اهتمام الأمم الراقية فى الأعوام الأخيرة بالمسرح اهتماما يوشك أن يعيد إليه اعتباراته الأدبية ومكانته الفنية الصحيحة مما حدا بكثير من النقاد إلى تسمية عصرنا الحــــاضر بعصر (بعث المسرح Rebirth of the Theatre) .

فنحن نجد مثلا أن بعض كبار الممثلين (وفى مقدمتهم شارلس لوتون) يقررون اعتزال السينما وقصر جهودهم على المسرح ! ونجد أيضا أن هيئة فنية لها قيمتها مثل « جمعية المسرحيات ذات الفصل الواحد » فى لندن لا تكتفى بمضاعفة نشاط المسرح الخاص بهـا مضاعفة جبارة بل تقرر علاوة على ذلك طبع ونشر أضخم عدد ممكن من روائع المسرحيات ليتسنى لمن لا يحظى بمشاهدتها مثلا أن يحظى بقراءتها متى أراد . وفعلا صدرت — فى فترة قصيرة — جملة مجموعات من بينها المجموعة المعروفة : « مسرحيات النساء » جمع واختيار الـكاتبة (اليزابيث إفرارد Elizabeth Everard) ونجد كذلك أن مؤتمر الخبراء المسرحيين التابع لمنظمة التعاون الثقافى لهيئة الأمم المتحدة يقرر — فيما يقرر — بجلسته المنعقدة بباريس فى يوليو الماضى : (اعتبار المسرح أداة ثقافية رفيعة ... وإنشاء معهد مسرحى عالمى .. وتأليف جمعية دولية من المسرحيين العمليين والنظريين للنهوض بالمسرح وكفل أسباب التعاون بين رجاله فى العالم والمحافظة عليه من طغيان السينما ... الخ) .

هــذا فى الخارج ، أما فى مصر والشرق بصفة عامة فأغلب الظن أن المسرح لا يزال — بالرغم من جهود القائمين على شؤونه — من أقل الفنون شأناً بلا سبب واضح سوى جهلنا بحقيقته من جهة وعدم التفاتنا إلى مكافحة هذا الجهل من جهة أخرى . ومرد ذلك إلى أننا — فيما يبدو — لم نؤمن بعد هذا الفن العريق من حيث كونه « فناً » له ذاته وله موضوعاته الخاصة به وله مقوماته وله فوائده الأدبية والمادية ... بل لعلنا لم ندرك بعد — أو لم نكد ندرك — ما له من قِيَم ! !

لهذا سأبدأ بشرح موجز لأهم هذه القيم تاركا لمن يشاء حرية المناقشة فى حدود الفن الذى نرجو له كل نماء وازدهار :

المسرح وقيمته الفنية :

لعلنا لا نغـالو إذا قلنا إن الفن المسرحى أرفع الفنون الجميلة وأفضلها . وربما كان من السهل أن نَدِلل على ذلك بدليل بسيط معقول وهو أنه إذا كان كل فن من الفنون يؤدى رسالة ما وبجانب ذلك قد يشبع حاسة ما (الموسيقى تشبع حاسة السمع مثلا والتصوير يشبع حاسة البصر ... وهكذا) فإن الفن المسرحى باعتباره شاملا لـكثير من الفنون يؤدى بالطبع رسالاتها جميعاً أو معظمها وبجانب ذلك يشبع أغلب ما تشبعه من حواس . ولـكننا لا نريد أن نقف عند هــذا التدليل السطحى وإن كان منطقياً فإن للفن المسرحى فى ذاته ومن ذاته قيمة كبرى مستمدة من أنه ينفرد دون سائر الفنون بإبراز ما فى الحياة من صور إنسانية بطريقة حية وناطقة إبرازا « واقعياً » خالصاً . هذه مسألة هامة ودقيقة جدا لأنه قد يظن أحياناً أن التصوير الخيالى أروع من التصوير الواقعى .. وهذه غلطة شائعة . فالخيال إن لم يكن متصلا بالواقع اتصالا قوياً أصبح تخيلا أقرب إلى الوهم وأدعى إلى التضليل ! والفن المسرحى هو أكبر الفنون استئثاراً بالواقع على نحو نموذجى . وهذه ميزته .

ينطق ببراعة قائله الفنان ، وإنى لأعجب كيف اندفع البارودى إلى تلميذه الناشىء هذا الاندفاع الغريب ، فقد نظم فيه من الفرائد كما لو كان خدين شبابه ورفيق صباه ، كأن يقول .

أنا أهواك فطرة ليس فيها ... من مساغ للنقض والإبرام
جمعتنا الآداب قبل التلاقى ... بنسيم الأرواح لا الأجسام
فبلغنا بالود مالم ينلـه ... بحنان القربى ذوو الأرحام
وإذا الحب لم يكن ذاد واع ... كان أرمى قواعدا من شمام

هذا وقد اتصلت المراسلات بين الشاعرين فترة غير قصيرة كان لها أثرها البين فى عظمة الأمير فقد تلفت الدهر بعينيه إلى من يحظى بمساجلة البارودى المظيم ، وتطلع محبو الأدب فى شتى بقاع العربية ، إلى الشاعر الجديد يحفظون قصائده، ويقتنصون فرائده ، ويوازنون بين نثره ونظمه فيجدونه أهلا للحمد والاطراء وهذا بلا شك غنم كبير فاز به الأمير .

(له بقية)

محمد رجب البيومي

فهو — لأصالته وقوته — أشد الفنون نفوراً من الشذوذ الخارق وأصدقها تعبيراً عن الحياة الإنسانية وما يخالجها ويحركها من عواطف مختلفة بحيث لا تخرج الظواهر الممثلة على المسرح عن الحدود الطبيعية. سلوك إنسانى فى عالم إنسانى مأهول يؤثر فى الناس ويتأثر بهم.

ولهذا يشترط فى المسرحية الناجحة أن تكون حوادثها محتملة الوقوع وخاتمتها طبيعية أى متمشية مع مجرى هذه الحوادث وبذلك تكون مرآة ناصعة يشاهد الجمهور فيها صورة من حياته ويلمس العوامل التى كونتها ... أى يرى « حقيقته على المسرح رؤية مجسمة ومركزة كما يحس جمال الفن فى أبدع مظاهره وأبهجها وفى هذا كله ما يثير رغبته فى تصحيح أوضاعه وتجميلها والتطلع إلى مثل عليا.

المسرح وقيمته الفكرية :

كاد يصح فى أذهان الناس أن المسرح مجرد متعة. وإنه لكذلك. ولكن ما نوع هذه المتعة؟ أليس للفكر فيها نصيب؟! وإلا فبماذا نفسر تطور المسرحيات من صراع بين قوتين إلى صراع بين عاطفتين إلى صراع بين الإنسان وبيئته وخواطره وملكاته؟ وبماذا نعلل وجود (مسرحيات المشكلات Problematic Plays) فى أدب المدرسة الحديثة التى أنشأها إبسن النرويجى وتبعه برناردشو وسنج وغيرهما.

الواقع أن الفكر عامل هام من عوامل المسرح. وقد تصل أهميته أحيانا إلى حد اعتباره عاملا أساسياً. لأن المسرح فضلا عن كونه وسيلة للتسلية أو الترفيه فهو فى نفس الوقت وسيلة لتحقيق الاتصال بين تفكير مؤلف المسرحية وبين الجمهور.

وكل ما فى الأمر أن هذا التفكير يظل دائما مستخفياً وراء العناصر الظاهرة الأخرى ولكنه رغم ذلك عنصر ضرورى له ذاتيته الخاصة ويمتاز عن ضروب التفكير الأخرى بثلاث ميزات:

فميزته الأولى أنه لا يعنى بغير « الحقائق الكبرى » وعلامتها أن يكون لها أثر مباشر فى حياة الإنسان وإحساساته كالموت والقضاء والقدر والحب ونحو ذلك. وصحيح أن بعض أدباء فرنسا خاصة وأوربا عامة اتجهوا — فى العصر الحديث — إلى العناية بالحقائق التافهة ذات الأثر المؤقت استجابة لميول العوام وشغفهم بالجديد أياً كان. إلا أن هذا يعتبر انحرافاً خطيراً على حساب الفن الصحيح.

وأخشى أن يفهم من ذلك أن المسرح فن محافظ أو رجعى التفكير وهذا خطأ. لأن الحقائق الكبرى خالدة. فالصراع بين القديم والجديد مثلا حقيقة خالدة نراها فى مسرحية (الضفادع) لأرستوفان. فى القرن الخامس قبل المسيح كما نراها فى المسرحيات الحديثة دون ملل أو استغراب. وحيرة الإنسان وضعفه حيال القضاء حقيقة خالدة يصورها أندريه جيد الآن كما كان يصورها شاعر الإغريق سوفوكليس بلا خلاف فى اللب والجوهر والصميم. وهكذا . . .

وميزته الثانية. أنه لا يعرض الحقائق الكبرى على العقول كقضايا جدلية فتستعصى على الفهم بل يثير الإحساسات والمشاعر فتصبح هذه الحقائق فى متناول مختلف العقليات غالباً. وفضلا عن ذلك فإنه يعرضها عرضاً اختيارياً بمعنى أن الناس لا يجبرون على مشاهدتها ومن هنا يسهل اتصال نفوسهم بها اتصالا مباشراً فيفهمونها من حيث يخيل إليهم أنهم « يتسلون بها ».

وميزته الثالثة: الحوار. ومعلوم أنه أبرع وأفضل أداة فى توضيح الاتجاهات المختلفة أو المتناقضة فى الموضوع الواحد لأنه يعرض الفكرة ثم يقرنها بأضدادها وأشباهها كذلك وحينئذ يتسنى للمشاهدين بالمقارنة أن يتبينوا أوجه الضعف أو القوة فيها. وكم من أفكار كانت بحكم العرف وغيره عقائد راسخة فى الأذهان ثم تناولها مسرحى ماهر مثل برناردشو فاستطاع أن يبين ما فيها من سخف بفضل الحوار الذى يواجه العقل باحتمالات تهز رواسبه وتستبقى ما يؤيده البرهان فقط.

وكل هذا لا ينقص من قيمة (المتعة) التى يجب أن يحس بها المشاهدون. فلا تزال هى الغرض الرئيسى للمسرح. غير أنها لا تخلو من عنصر « الفكر » وإن لم يعمدوا ظاهرياً إلى التفكير البحت ... وإنما يحسون فى نفوسهم بالسرور والائتناس لأنهم — دون شعور ملحوظ — يحللون ما يشاهدونه على قاعدة تفضيل الأسمى والأجمل والأروع ... وهذا هو مناط التفكير السليم.

(للبحث بقية) عبد الفتاح البارودى



فتوات ميرى !

ما أحسبك أيها القارىء إلا قد اتجه ذهنك إلى ما أريد لأول وهلة ، فاستحضرت صورة نفر من شرطتنا الأبطال والعياذ بالله تعالى ، وإلا فمن غير هؤلاء يصدق عليهم هذا النعت وهم مصدر وحيه إلى كما يوحى الشيء الرائع بالمعنى الرائع ؟ .

ولست أكتم عنك أيها القارىء أنى بهؤلاء الأبطال ضائق أبداً ، يغيظنى مجرد مرآهم ، وأكدر الأصباح عندى صباح يطالعنى فيه بطل من هؤلاء قبل أن تقع عيناى على سواه من عباد الله . وإنه والله بعدها ليوم أسود ، أظل أسأل الله فيه العافية

ولست أتبين فى نفسى على وجه اليقين ماذا دس فيها الحفيظة على هؤلاء حتى لأطيق كل صنف غيرهم من الأرذال ، ولا أكاد أطيق حتى مجرد ذكرهم ، ولو تمثلت لى العفاريت وتراقصت حولى بأشكالها وألوانها عن يمين وشمال لأنست إليها ولألفتها قبل أن أستطيع أن أصبر على مرأى واحد من هؤلاء « الفتوات الميرى »

وأرجع بالذاكرة القهقرى ربع قرن فأرانى على سور نادى « سيروس » أتدلى لأهبط فى حديقته وأنا صبى فى الرابعة عشرة وفى يدى كتبى جئت بها من المدرسة مضرباً لأستمع إلى سعد يخطب بعد أوبته من جبل طارق ، وقد حال العساكر عند الباب بينى وبين آلاف غيرى من الدخول ، فما أدرى إلا وعصا شديدة تهوى على وسطى فأقع على ظهرى صارخاً وتتناثر كتبى ولا ينقذنى من الرعب والهلاك إلا أحد الضباط ، وأنسى الألم لفرحتى بالدخول إلى حيث أسمع سعداً . . أيكون مرد بغضى هذه الطائفة إلى ذلك الحادث ؟ ولكن بينى وبينه ربع قرن .

وتثب ذاكرتى إلى الأمس القريب فأجدنى أتهيأ للنزول من الترام ذات يوم ، فإذا بمتل من هؤلاء يتحمس وهو على السلم فى تحية أحد ضباطه ولكن يده الهابطة عن جبينه تقع فى عنف على منظارى فإذا به يطيرعن أنفى ؛ ولولا أنه استقرعلى ذراع أحد الواقفين على السلم لما وقفت له على أثر . على أننى وجدته قد تحطمت إحدى زجاجتيه ، ولا تسل عن مبلغ ما نال أنفى من ألم وما ركبه من ورم بضعة أيام . فهل كان هذا اللعين يثأر لنفسه ولطائفته مقدماً من هذا المنظار ؟ لست أدرى . . . وهل يرجع شيء من حفيظتى على هذه الطائفة إلى ذلك الحادث أيضاً؟ ولكنى ضائق بهم من قبل ذلك ضيقاً شديداً . .

ولقد زادنى غيظاً من هؤلاء وسخطاً عليهم مناظر تتابعت منذ أيام بعضها فى إثر بعض كأنما تآمرت بها الظروف على كيدى . .

هذا رجل ملقى على الأرض ذات مساء على الطوار أمام الغرفة التجارية يقيء من فوق ومن تحت ، وقد أقيم على هذا الطوار ثلاثة من الشرطة غلاظ شداد ليمنعوا السابلة أن تطأ أقدامهم القيء حذر الموت وانتشار الوباء ، وكان أحدهم فى وسط الطوار ، والثانى فى طرفه الشرقى والثالث فى طرفه الغربى ، وكان ما كلفوا به من أمر جد خطير ، ولكنهم اجتمعوا ثلاثتهم يتحدثون وظهورهم إلى المريض والسابلة يطأون القيء ويحملون منه ما يكفى لأبادة القاهرة كلها ؛ ولست أدرى أين ذهب وقتذاك الأطباء والمسعفون ؛ وانزعج أحد المارة لتحذير الناس إياه وهو شاب كان يتأبه ويتنبل بمشيته وملابسه ، ولكنه وطىء القيء ونظرت فإذا به جن جنونه وراح يشتم هؤلاء ما وسعه الشتم ، ثم دخل صيدلية قريبة فطهر حذاءه ، وعاد يستأنف الشتم ويتم المعركة .. أتظن بعد ذلك يا قارئى العزيز أنهم — أعنى هؤلاء العساكر الأماثل — عاد كل إلى موقفه فلبث فيه ؟ .

كلا والله ، فما لبثوا أن تجمعوا ثانية يتحدثون ويضحكون والسابلة يطأون القيء وهم لا يعلمون مبلغ ما يخوضون من هول ، وكان يكتفى أحد الشرطة البواسل بأن يدير وجهه بين حين وحين فيقول لأحد المارة « ما قلنا يا سيدى ألف مرة بلاش مرور من هنا » ..

ورأيت مرة أخرى عدداً من هؤلاء وعلى رؤوسهم خوذات الحديد ، وقد جلسوا على مقاعد جلبوها من أحد المقاهى عند أول شارع قصر العينى فى مدخل ميدان الاسماعيلية وراحوا يمصون وعلى رؤوسهم الخوذات ، عيدان قصب السكر ! .. يا لطيف . . يا دافع البلاء يا رب ! هل يرى نزلاؤنا مسخرة فى مصر أروع من هذه المسخرة ؟ .

ورأيت مرة ثالثة ، فريقاً من هؤلاء — والعياذ بالله مما رأيت — كانوا يضربون بعض المتظاهرين بهراواتهم ، فهل رأيت « الفتوات » ذات مرة فى أحد أحيائنا البلدية يتهيأون لمركة ثم يعمنون فى الحى كله تحطيما وضرباً لا يبالون ماذا يحطمون ولا من يصيبون ؟ على هذا النحو انطلق « الفتوات الميرى » يضربون كل مار فيصيبون طبيباً أومهندساً أو شيخاً أو أستاذاً ، وكان آلم ما شاهدت ضربة فظيعة تهوى على ظهر تلميذ فى نحو الثانية عشرة فمايكاد يصرخ المسكين حتى تنحبس صرخته فى صدره فلا يستطيع إطلاقها من فرط ألمه ، وذقت معه الألم مرتين فقد ذكرت العصا التى « أكلتها » على سور نادى سيروس .

وتشاء المصادفات الأليمة أن « أصطبح منذ يومين باثنين من هؤلاء الشجعان ينظران فى أقفال الدكاكين ، فى الصباح الباكر وقد ألفيت نفسى حيالهما فجأة عند منعطف فى أحد الشوارع ... ياحفيظ! لقد كان يكفينى من الهم مجرد رؤيتهما ، فما بالك أيها القارىء وقد سمعت أحدهما يغنى ... أى والله يغنى وفى يده هراوته قائلا « أنا من ضيع فى الأوهام عمره » . ولست أدرى كيف يكون لهذا الحيوان عمر ؟ وكيف يضيع فى الأوهام عمره وما ضيعه إلا فى الجهل والإجرام ..

وبعد فلو أنى مضيت أسرد ما يغيظنى ويحفظنى على هؤلاء لضاق عنه أضعاف هذا المجال فبحسبى تفكهة للقارىء ودرءاً لما قد يكون ناله من سيرة هؤلاء البواسل من ضيق ، أن أقص عليهم تلك القصة .. أُمِر أحد شرطتنا فى حفلة من الحفلات منعاً للتزاحم أن يدخل الناس . اثنين اثنين ، ووقف الشرطى الهمام النبيه ، فجاء أحد الباشوات ومشى وحده فى غير زحمة ولكن الشرطى منعه من الدخول فهو لا يدخل حسب الأمر إلا اثنين ! وضحك الباشا وعاد فاستصحب سائق سيارته فما أسرع ما أفسح الجندى لهما الطريق ودخل الباشا يضحك ملء نفسه ويدق كفاً بكف ويقص النكتة على المحتفلين قائلا « دخلت بنفس هذا السائق »

وهنيئاً لحكومتنا « فتواتها الميرى » فأنا على يقين أنها تتنازل عن متاحفنا جميعاً فى يسر ولا تتنازل عن هذا الطراز العجيب النادر من شرطتها الذين يحق أن تباهى بهم العالم وتبلغ فى مباهتها حد الأعجاز .

الخفيف

فصل الخطاب

للأستاذ محمود رمزى نظيم

قم لنعكف على كؤوس الشراب وتزود من الشماع المذاب
واسقنى باسم « غلوش » من عصير قد براه الإله فى الإعناب
خمرة أطلقت من الدن فافتر ت سروراً عن لؤلؤ من حباب
نورها الباهر المشعشع يسرى نشوة فى القلوب والأعصاب
تتنحى العقول حين تراها أقبلت فى مواكب الأكواب
كرمها الأخضر الظليل تراها ثورة أعلنت على الألباب
مل إلى الحان واحتسيها وجاور معشراً تائه الهدى والصواب
واجعل اللهو والشراب سفيناً فى بحار الهموم والأوصاب
لا تكن زاهداً ففى العصر زهد هو زهد المحتال والنصاب
ما احتفى الدين بالمظاهر لكن بقلوب صفت صفاء الشراب
ودعاء اللسان من غير قلب طاهر ليس بالدعاء المجاب
كم قلوب فى الحان أصفى وأنقى من قلوب طفت على المحراب
هات هذا الأكسير ينسى شقائى فى ابتعادى عن موطنى واغترابى
فجعتنى الأيام فى خلق النا س وفى المشتهى من الآداب
إيه دنيا كم انهبوها فمالى متعة فى الحياة يا أترابى
أنا فى رحلة عن الملأ الأعـ لى وهذا التراب سوط عذابى
قد بلغت الستين عاماً وما ز لت كما كنت نيراً فى شبابى
صقلتنى الأيام صقلا عنيفاً فصفا جوهرى ورق حجابى
أنا بالله فى ثراء وجاه قد حمانى مذلة الأذناب
أهل جاه الدنيا ظلال أراها تتلاشى فمالها من إياب
رب ضخم الحياة منتفخ الأو داج أمست دياره فى خراب
ثقتى بالحياة ضيعها المو ت فولت ولم تعد فى حسابى
سبقت حكمة المشيئة فى النا س بأن يرجعوا لهذا التراب
وبعينى رأيت مدرجة المو ت توارى الأخيار من أحبابى
أنا فى إثرهم أجد ولى يو م احتضار يكون فيه ذهابى
خدعتنا حضارة الجيل باللين وأودت بنا بظفر وناب
الحياة التى نكابدها اليو م حياة الطغيان والإرهاب
قبضت كفها فهانت على الفضـ ل وضاقت على ذوى الألباب
لا تقل فى الحياة ناس فما حو لك إلا فصائل من ذئاب

صافح البعض بعضهم مستريبـ ـين بأيدى خناجر وحراب
وغدت حالة الممالك فوضى ومشى حربها على الأبواب
ينشدون السلام فى كل يوم كظماء مخدوعة بالسراب
كم تغنت بالسلم فى القوم بوم جاوبتها أنشودة من غراب
ويل هذا السلام من كل جبا ر عنيد مخاتل كذاب
اتخذته الشعوب ربا وما زا ل يسوق القطيع للقصاب
ما لنا نجحد الحروب وفى الحر ب هلاك لا نحس الأرباب
أيها الرب إن خوفك ربا لم يزل وجده العزيز الجناب
لا تغرر بالناس وافرح بما نلـ ـت وباهى بالمجـــد والألقاب
إن عبادك الذين يحابو نك ضلوا وخاسر من يحابى
أقرضوك الثناء منهم لشىء مثلما يقرض النقود المرابى
فارتقبها من السماء ففيما قدرته السماء فصل الخطاب

(أبو الوفا)

محمود رمزى نظيم

الأدب والفن فى أسبوع

مهرجان شوقى :

... وأخيراً أقيم مهرجان شوقى ، وقدر لنا أن نعيش حتى نشهده . . . فمن نحو ستة أشهر تردد الصحف والمجلات أنباءه ، من تأجيل يتجدد ، ومكان يحدد ثم يغير ، وبرنامج يوضع ثم يبدل ، وكان لنا بلاء فى تفنيد ما رأيناه منحرفا فيما كانوا يعتزمون عدلوا عن (الأوبرج) إلى الأوبرا ، وأعلنوا أن من كان قد اشترى تذاكر (الأوبرج) يحتفظ بها للأوبرا مع استرداد ثمن العشاء . وقد دفعت جنيهين ثمن تذكرة الدخول فى الأوبرا ، فليت شعرى كم كان ثمن العشاء فى (الأوبرج) ؟!

وعلى كل حال نحمد الله على أن يسر إقامة المهرجان ، لأنه وإن لم يكن نخما حافلا لائقاً بجلال الموضوع قد أراح الناس من تأجيلاته ودعاياته .

وما كان هـذا الحفل ليكون شيئاً لولا ثلاث كلمات من الأدب القيم ، هى كلمة نثرية لمعالى الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة باشا، وقصيدة الأستاذ طاهر أبو فاشا وقصيدة الدكتور إبراهيم ناجى .

وبقية برنامج الحفل كلمة قصيرة لمحمد صلاح الدين بك ، وزجل من الأستاذ حسين السيد ، وإلقاء فتحى بك قصيدة « يا ناعح الطلح » لشوقى ، وغناء المطربة لوردكاش قطعة من شعر شوقى ، وتمثيل الفرقة القومية فصلا من رواية مجنون ليلى .

ولم يكن الجمهور كبيراً ، من جراء هذا التسعير الفاحش . وقد علمت أن الحفل لم يكلف القائمين به مالا ، لأن المشتركين فيه حتى المطربة والفرقة التمثيلية كانوا متبرعين ، ولهذا لا أدرى ما سيصنعون بجنيهى . .

أبو محجن الثقفى :

كانت فرصة طيبة أن يسمع كثير من الناس الأستاذ الزيات من المذياع وطالما قرءوا له ولم يسمعوا صوته ، فقد أذاع يوم الجمعة حديثاً عن أبى محجن الثقفى ، وكانت مناسبة طيبة أيضاً أن يتحدث عن علم من أعلام الإسلام وبطل من أبطال موقعة القادسية فى هذا الوقت الذى يرجى فيه أن يكون للعرب بفلسطين مواقع كموقعة القادسية ، وما أحوج الشباب فى هذه الآونة العصيبة إلى أن تجلى لهم تلك النماذج الرائعة من الفتوة العربية الإسلامية .

اتجه الأستاذ فى حديثه إلى بيان مرحلة دقيقة فى تاريخ الفتوة العربية وهى مرحلة انتقال من الجاهلية إلى الإسلام ، واتخذ أبا محجن مثلا لها ، فهو فتى من فتيان العرب تقوم الفتوة عنده على الحب والخمر والحرب والتغنى بنشواتها فى رائع الشعر وتقوم إلى جانب ذلك على عزة تأبى الخضوع وتأنف أن ترتدع بالعقوبة ؛ وقد تمادى أبو محجن فى لهوه وشربه رغم إسلامه ، ومرة يؤتى به إلى الفاروق عمر وقد شرب مع ندمائه بوادى العقيق ، فيجلده عمر ، فيصر على الشرب ، فيعاود جلده ثم يأمر بنفيه ، فيتغلب على الشرطى المرافق له فى الطريق ، ويذهب إلى سعد بن أبى وقاص بالعراق فيحبسه : ثم ينشب القتال بين العرب والفرس ، فتهتاج نخوة أبى محجن ويتألم لقيده الذى يمسكه عن خوض المعركة ، ويعبر عن ألمه بأبيات من الشعر تسمعها زوج سعد بن أبى وقاص التى يطلب منها أن تطلقه ويعاهدها أن يرجع إلى قيده بعد انتهاء المعركة ، فتطلقه ، فينطلق إلى الحرب على متن البلقاء فرس سعد ، ويحمل على جيش الأعداء حملة تفضى إلى

هزيمتهم ، ثم يرجع إلى قيده وفاء بعهده . وما يعلم سعد خبره حتى يفك قيده ويطلق سراحه ، ويعلن أنه لا ينبغي أن يحبس من كان ذلك بلاءه ، وأنه لن يحده إذا شرب . وهنا تتخذ الفتوة العربية صبغة الإسلام ، فيقسم أبو محجن لا يذوق الخمر قائلا إنه كان يشربها حتى لا يقال إنه ترك الخمر مخافة العقوبة ، أما الآن فإنه يتركها خشية الله .

شياطين الشعراء :

تذيع محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية فى بعض الأوقات جلسات أدبية تتكون من بعض الأدباء يتناقشون فى الموضوعات الأدبية المختلفة ، ومن طرائف هذه الجلسات ما سمعته فى الجلسة الأخيرة التى تألفت من الأساتذة محمد عبد الغنى حسن وعادل الغضبان واسماعيل مظهر ، إذ تناقشوا فى « شياطين الشعر » فبدأ الأستاذ مظهر بطلب الكلام عن هذه الشياطين ، فأجاب الأستاذ عبد الغنى بأنه من العجب أن يكون للشعر شيطان عند العرب وإلهة عند اليونان ، كما أن من العجب أيضاً أن العرب يعتقدون أن الشيطان إذا مس إنساناً تخبط وخولط فى عقله ، ويعتقدون مع هذا أن الشيطان يوحى إلى الإنسان بالشعر ، فالشيطان عند العرب يوحى ويجنن ... ولم يكتف العرب بذلك بل جعلوا الشياطين أنفسهم شعراء ، ونسبوا إليهم شعراً . وكما سمى اليونان الآلهة بأسماء سمى العرب شياطين الشعر كذلك ، فمسحل شيطان الأعشى وشنقناق شيطان بشار ، وكان شيطان حسان من بنى الشيصبان وهى قبيلة من الجن . واستظرف الأستاذ قول أبى النجم الرجاز :

إنى وكل شاعر من البشر   شيطانه أنثى وشيطانى ذكر

ثم قال الأستاذ عادل : ذكرت يا أخى عبد الغنى أسماء بعض شياطين الشعراء وأن شيطان حسان من بنى الشيصبان ، فاسمح لى أن أذكر بعض قول حسان فى شيطانه ، قال :

ولى صاحب من بنى الشيصبان   فطوراً أقول وطورا هوه

وقد كان لشياطين الشعراء مدن وخيل وكلاب ، وكانوا فى مراتب مختلفة فلا بد أن يكون عليهم أمير ، وإلى هذا يشير القائل:

إنى وإن كنت صغير السن   وكان بالعين نبو عنى
فإن شيطانى أمير الجن

وربما اختار العرب الشياطين للشعر ، لأنهم كانوا أهل حرب وجلاد ، ففتشوا على ما اعتقدوا أنه مصدر القوة فى ذلك ، وأما اليونان فكانوا أهل حكمة وفلسفة وفنون ، فاستوحوا مصدر الجمال ممثلا فى المرأة ، واستعانوا على خلق الجمال بربات الجمال .

ومما أذكره أنا لهذه المناسبة أن أحد النقاد المتقدمين قال : من عجائب أمر حسان أنه كان يقول الشعر فى الجاهلية فيجيد جداً ويدعى أن له شيطاناً يقول الشعر على لسانه كعادة الشعراء فى ذلك فلما أدرك الإسلام واستبدل بالشيطان الملك تراجع شعره وكاد يرك قوله ، ليعلم أن الشيان أصلح للشاعر وأليق به وأذهب فى طريقه من الملك .

وقد رأيت لأبى أسحق المتكلم من أصحاب الجاحظ كلاماً يتصل بهذا الموضوع ، قال بعد أن وصف حياة العرب المنقطعة فى الفلاة واستيحاشهم بالتفرد : « وإذا استوحش الإنسان مثل له الشىء الصغير فى صورة الكبير ، وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت أخلاطه فيرى مالا يرى ويسمع مالا يسمع ، ويتوهم على الشىء الصغير الحقير أنه عظيم جليل ، ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعراً تناشدوه وأحاديث توارثوها ، فازدادوا بذلك إيماناً ونشأ عليه الناشىء ، وربى عليه الطفل ، فصار أحدهم عند مايتوسط الفيافى ، وتشتمل عليه الغيطان فى الليالى الحنادس ، فمند أول وحشة أو فزعة ، وعند صياح بوم أو مجاوبة صدى ، تجده وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور ، وربما كان فى الجنس وأصل الطبيعة نفاجا كذابا ، وصاحب تشنيع وتهويل ، فيقول فى ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة ، فعند ذلك يقول رأيت الغيلان وكلمت السعلاة ، ثم يتجاوز ذلك فيقول قتلتها ، ثم يزيد فيقول رافقتها ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول تزوجتها ... »

مهرجان الشباب

قلت قبل الآن إن المراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف اعتزمت إقامة مهرجان أدبى وفنى للشباب الذين هم دون الخامسة والثلاثين من العمر لتشجيع الأدباء والفنانين منهم على حسن الإنتاج والتبريز فيه .

وقد تقرر أن يكون هذا المهرجان فى شهر فبراير سنة ١٩٤٨ فى مناسبة عيد الميلاد الملكى ، كما تقرر أن تكون مباريات المهرجان فى الموضوعات الأدبية والفنية الآتية :

١ — الشعر بألوانه المختلفة على ألا تتجاوز القصيدة ثلاثين بيتاً

٢ — أدب القصة القصيرة التى تستمد وحيها من صميم الحياة

٣ — أدب التمثيلية القصيرة الصالحة للمسرح أو الإذاعة

٤ — الأناشيد القومية والحماسية وأغانى الطبيعة المصرية والحصاد والأعياد والمناسبات الدينية والوطنية على اختلاف أنواعها

٥ — الموسيقى التصويرية والموسيقى الخفيفة والموسيقى الشعبية وغيرها فردية أو جماعية

٦ — نحت التماثيل المتوسطة الحجم والصغيرة من الجير والبرنز والعاج والخشب وغيرها

٧ — الغناء الانفرادى والإجماعى

٨ — تمثيل المسرحيات القصيرة

٩ — الصور الشمسية والمائية والزيتية للمناظر الطبيعية والأشخاص والمعانى وبالأخص ما كان منها من واقع الحياة المصرية

١٠ — الأشغال اليدوية الدقيقة التى تتجلى فيها المقدرة على التصميم والتنفيذ .

ويشترط فى قبول الانتاج ، غير سن صاحبه ، أن يكون جيداً ومبتكراً لم يسبق عرضه أو نشره .

وباب الاشتراك فى المهرجان مفتوح للجنسين من أفراد الجمهور لطلبة وطالبات الجامعة والمعاهد العليا ومعاهد الفنون والمدارس الثانوية والجامعة الشعبية .

وقد جعل الأسبوع الثالث من شهر يناير سنة ١٩٤٨ غاية المدى لتقديم الإنتاج ، وهو يقدم إلى إدارة خدمة الشباب (٧ شارع سليمان باشا بالقاهرة) وسوف تحرص لجان التحكيم على الفراغ من مهمتها فى الوقت المناسب حتى يتاح للمغنين والملحنين والفرق التمثيلية الحصول على أحسن إنتاج من الأغانى والأناشيد والمسرحيات الفائزة والاستعداد لإخراجها فى المهرجان .

وستخصص جوائز للفائزين فى جميع هذه المباريات ، ولم يستقر الرأى على تفصيلاتها بعد .

وسيلحق بالمهرجان معرض للكتب الصادرة سنة ١٩٤٧ يتألف من الكتب التى يوافى المراقبة بها مؤلفوها ودور النشر والمكتبات .

ملاحظات على المهرجاده

ولا شك أن المهرجان سيكون عظيم الشأن جليل الأثر ، ولهذا أردت مناقشة بعض ما جاء فى برنامجه مشاركة فى العمل لبلوغ ما يرجى له من النجاح والتوفيق .

١ — جعلت لجنة المهرجان الغناء والتلحين والتمثيل مرتبطة بما سيفوز فى المباراة الأدبية من الأغانى والأناشيد والمسرحيات ، فليس لأحد من المتبارين فى هذه الفنون أن يستخدم فنه فى تأليف خارجى ، وفى هـذا تضييق على الفنان وتقييد له ، ولنفرض — مثلا — أن موسيقياً لديه تلحين جيد لنشيد استراح إليه فنه ، أيقدم النشيد أولا للجنة الأدب ويجعل لحنه رهن فوز النشيد فى المباراة ، فإذا لم يفز ضاع اللحن ؟ أم ماذا يصنع ؟

٢ — المفهوم من البرنامج أن التقدم فى مباراة التمثيل للفرق لا للأفراد ، فهل سيكون الحكم بالفوز أو عدمه للفرقة متضامنة أو ينظر إلى كل فرد منها ويحكم على كفايته ؟ وأظن أن الطريقة الثانية أقرب إلى التقدير والإنصاف .

٣ — لم تعين مقادير الجوائز بعد ، ولكن أستطيع بما فهمت من الجو المالى للمهرجان أن أقول إنها قليلة غير مغرية ، ولهذا يخشى ألا يقبل على المهرجان ذوو الإجادة والاعتزاز من الشباب ، فقد صرنا إلى حال تحسن فيها التقدير المالى لمختلف الفنون ، وبعض الشباب يتقاضون على إنتاجهم الفنى من الهيئات الأهلية أجوراً عادية تكاد تساوى الجوائز التى ستخصص فى المهرجان ، وأنا أعلم غيرة القائمين بالمهرجان على الأدب والفن ورغبتهم فى حسن التقدير والتشجيع ، ولكن يقف فى سبيلهم من بيدهم أمر الاعتماد المالى ، وهؤلاء أقل من أصحابنا بكثير فى الغيرة والرغبة السابقتين .

فى منظار الخفيف :

رأيتنى فى حاجة إلى أن أستعير المنظار من الزميل الألمعى الأستاذ محمود الخفيف ، لأستطلع به أمر صديق أديب موظف بوزارة المعارف ، وهو ممن يطالعون القراء برحيق الآداب ، ولكنه — كثير من أمثاله — يضطر إلى الوظيفة الحكومية يؤدى فيها عمله ليأخذ فى مقابله الكفاف ، ويستجيب لدواعى فنه فيما فضل من وقته وجهده

لقيت هذا الصديق أمس فقلت له :

— كيف أنت ؟

— حى لا يرزق !

— لا بأس عليك . . ماذا جرى ؟

— أصدر السكرتير المالى بالوزارة أمراً بوقف صرف مرتبى



تعليق على كلمة :

نشر بهذا العنوان الأديب الفاضل إبراهيم الوائلي في الرسالة العدد (٧٥١) كلمة أخذ فيها على لفظاً استعملته في مقالي عن ضريح همايون في الهند وذلك أني قلت « وما رسخت قواعد الملك ولا اطأدت أساطين الدولة » فقال الأستاذ :

وهذه الكلمة لا تعترف بها القواعد المصرفية لأن ثلاثيها وطد . وصوغ افتعل منها يكون اتطد كوعد واتعد وهكذا »

ونقل بعد هذا ما أخذه صاحب المثل السائر على أبي تمام حين استعمل هذا اللفظ في قوله

بالقائم الثامن المستخلف اطأدت ... قواعد الملك ممتداً لها الطول

وحجتي في استعمال هذا اللفظ مسلم بن الوليد في قوله يمدح يزيد بن مزيد الشيباني :

أثبت سوق بني الإسلام فاطأدت ... يوم الخليج وقد قامت على زلل

وبيت أبي تمام المذكور . وإن لفظاً يستعمله مسلم وأبو تمام جدير أن يستعمل وإن لم تثبته المعاجم . وإن لم يكن بد من تخريج هذا اللفظ من مادة مثبتة في المعاجم فليس هو من وطد كما زعم ابن الأثير فغلط أبا تمام ؛ بل أقرب من هذا أن يكون من ط و د . جاء في القاموس المحيط : وطاد ثبت والطاد الثقيل

وفي اللسان : الطادي الثابت ونقل عن أبي عبيد أنها مقلوبة عن واطد . وأرى أن قلبها عن طاود جائز كذلك بل أقرب .

وفي اللسان أيضاً : طاد إذا ثبت .

فإن لم يكن بد من رد اطأد إلى مادة في المعاجم ، وهذا ليس ضروريا ، فردها طود مع قلب عين الكلمة همزة .

وبعد فللأستاذ الوائلي الشكر على عنايته باللغة وتدقيقه .

عبد الوهاب عزام

إقرار :

قرأت الكلمة القيمة التي كتبها الأستاذ الكبير العقاد في صدر الرسالة في الأسبوع الفارط ، ولقد أنصف فيها صديقنا الأستاذ أدهم كما أنصفني ، فله أصدق الشكر وأطيبه . على أنني إلى جانب هذا الشكر حريص على الاعتذار له من ظهور ثبت المراجع لكتابي «ألحان الحان» عاطلا من اسمه . فلقد اقتصرت في أثناء

لأن يوم عينت بالحكومة كان تعييني (على بند ١١ إعانات) وتبين بعد ذلك أنه إجراء غير سليم . وعلى الرغم من أنني لم أكن قد طلبت تعييني على (بند ١١ إعانات) ولم يكن لي يد في هذا الإجراء الذي لم أعرف عنه شيئاً إلا عند ما وقف صرف مرتبي أخيراً — على الرغم من ذلك حاق بي ضرر ذلك التصرف ؛ وحل بغير جارمه العقاب !

وقابلت المختصين في الوزارة ، فقيل إن السكرتير المالي فعل ذلك ليضطر (إدارة المستخدمين) إلى تصحيح الوضع ، وقالوا لي « إلحق .. حتى لا تصرف بعد ذلك ! » وتلفت حولي لأرى كيف « ألحق » ثم قصدت (المستخدمين) فقالوا لي هناك أيضاً « إلحق ...» وحرت من « ألحق » ؟! ودرت دورة مررت فيها بعلي افندي في (قلم الماهيات) وأحمد افندي في (قلم الميزانية) ومحفوظ افندي في (قلم العلاوات) وكان كل منهم يحيلني إلى الآخر وينصحني بأن « ألحق.. الخ » ولم أخرج من هذا المطاف بطائل ، ولكني عرفت منه أن وزارة المعارف كروية الشكل .. لأني كنت أنتهي إلى حيث بدأت !

وسكت الصديق برهة ثم قال : أتدري ما الذي يهمني من كل ذلك ؟ إنه كيف أفهم أطفالي الأربعة أحكام (البند ١١ إعانات)

وقلت في نفسي : منذ قليل شيعنا الشاعر الرواية أحمد الزين وعرضت مأساته على صفحات « الرسالة » فهل ننتظر حتى يتهاوى الأدباء واحداً إثر واحد ثم نتفجع عليهم ! ولم لا نتفجع على الأحياء ... ؟

وهنا رأيت « المنظار » قد سود الدنيا في وجهي ، فأبعدته عن عيني وقلت للصديق :

— كيف تضار ومعالي الوزير السنهوري باشا رجل عادل !

— إنه لكذلك ، ولكن أين أنا منه ؟

« العباس »

اشتغالى بكتابى على الرجوع إلى بحثه الممتع فى عدد الهلال الخاص بأبى نواس ، وغنى عن البيان أنى — كشأنى فى سائر ما أقرأ — أفدت منه كما أفدت من البحوث الأخرى ، وقد أتيت على ذكر هذا العدد من الهلال فى ثبت المراجع ولم يخطر لى وجوب النص على أصحاب هـذه البحوث وجلهم من الأعلام وفى مقدمتهم أستاذنا العقاد . وأنا أقر بأن البحث المذكور يشتمل على التمييز بين أبى نواس وعمر الخيام بأن النواسى كان سكره عكوفاً على لذة حسية ، وأن الخيام كان سكره هرباً من مشكلة فلسفية .

بيد أنى أحب أن أقرر فى الوقت نفسه أن مثل هذا الرأى عن الخيام قرأته كذلك لغير العقاد . ومما يرجح أنه من الآراء الشائعة ورودُه فى بعض التراجم الفرنسية لرباعيات الشاعر الفارسى فى مقدمة لها غفل من توقيع صاحبها ، وهذا نص العبارة :

Il prend une sorte de plaisir pervers à s'imaginer que ces Joies materielles peuvent le sat sfa re et apaiser l'ango sse de son esprit devant le problème de l'univers(1)

(1) Rubaiyat de Omar khayyam — L'Edition d'art H.piazza

وهذه ترجمتها إلى العربية : [فهو (أى الخيام) يستمرئ الوهم الفاسد بأن فى هذه اللذات الجسدية مرضاة لنفسه وتسكيناً لعذاب فكره أمام مشكلة الـكون] .

ومعاذ الله أن يكون مرادى التعريض بأن العقاد ينقل عن غيره ، فهو — غـير منازع — موفور الغنى بادرا كه وحسه ، عظيم الاعتداد بنفسه . وإنما قصدت إلى أن يكون هذا المثال الذى قدمته شاهداً على أن الـكاتب مهما أوتى من أصالة الابتكار ، فلا يحق له الغلو فى القول بأن معانيه كلها أبكار ، وأنه وحده صاحب عذرتها . فإن الحقائق قد يهتدى إليهـا أكثر من باحث . وفى الأدب المقارن مجال وأى مجال لمساق الشواهد وضرب الأمثال . وأحسب أن فى هذا ما يخفف بعض الشئ من شدة غيرة الأستاذ العقاد على أبكاره ، وإن كان هــذا لا يعفينى من استيفاء ثبت مراجعى لولا ما تقدم من العذر .

أما التعليل الذى ذكره الأستاذ فلعله يعدل به إلى غـيره إذا علم أنى لم أقدم أصول كتابى إلى دار المعارف إلا فى هذا العام . ذاك إذا كان قد أنسى ما نشرته عنه من الدراسات المستفيضة فى مختلف العهود ، وإذا كان كذلك قد عدم الإيمان بأن الذى أحمله لمن هو فى مثل فضـله من الود والإكبار يغلب فى نفسى على كل اعتبار . وأعود فى الختام فأكرر للأستاذ الرجاء فى قبول عذرى مع خالص شكرى .

عبد الرحمن صدقي

(الرسالة) اتفق أن زارنا صديقنا الأستاذ العقاد ساعة جاءتنا هذه الرسالة فلما قرأها علق عليها بهذه الـكلمة :

كل ما يقال فى التعقيب على هـذا الخطاب أنه رجوع إلى الحق من ناحية واحـدة . فإن الذى أوجب إغفال ذكر « العقاد » بهـذه الحجة ليوجب إغفال ذكر الآخرين ممن لهم رأى شاركهم فيه غيرهم . فلماذا هذا النسيان من ناحية دون غيرها ! هنا محل السؤال وقد نستغنى بذكره عن الجواب . وللأديب فضـل الاعتراف بالخطأ على كل حال ، وإن كان لم يخل من المؤاخذة لإشارته إلى كتاب فرنسى يعلم أنه لم يترجم إلى الانجليزية ولم يطلع عليه العقاد . فلا شبهة إذن على استقلال العقاد بالرأى فى هـذا الموضوع .

معارض الجمال أيضاً :

منذ شهرين كتبنا فى هذه المجلة كلمة عن معارض الجمال . ويبدو أن الحديث عن هـذه المعارض لن ينتهى ما دمنا نركب رؤوسنا ويجرفنا التيار الفرنسى الخليع .

فقد أقيمت بعد نشرى الـكلمة السابقة ، مسابقة للجمال فى الإسكندرية ، كان منظموها فرنسيين أيضاً ! .

وأخذت بعد ذلك مجلة الإيماج — المصرية فى كل شىء إلا فى لسانها وأسلوبها — وأعلنت عن مسابقة (فتاة الحائط) ، كما قالت الجريدة مجازاً . . . ولـكن الإنجليز والأمريكان يسمون تلك الفتاة (فتاة الجاذبية) ، أو فتاة التعليق Pin up Girl — ومعنى هـذا أنهم يعلقونها فى المخادع . وتعليق تلك الصور فى حجرات النوم — وخاصة بين اليافعين واليافعات — ذو أثر حميد فى اذكاء عواطف هؤلاء اليافعين .

أستغفر الله ، بل فى اذكاء شعورهم !

ففى أى بلد نحن ؟ .

ولـكنا نحمد الله ، جل شأنه ، فقد لاحظنا أن معظم الصور المسلسلة التى نشرتها الإيماج — المصرية بكل شىء إلا بلسانها وأسلوبها — أقول إن معظم تلك الصور لا تدل على أن صواحبها مصريات . أو الغالبية الـكبرى منهن ... فليس فى المصريات تلك السحنات ، وليس فى المصريات من ترضى أن تكون صاحبة وضع من هذه الأوضاع !

وهنالك شىء آخر .. بل كلمة أخيرة أهمس بها فى أذنك .. فهل سمعت عن مسابقة جمال بين الرجال ؟ .

إن لم تكن قد سمعت ، فاقرأ الجرائد الصادرة فى أواخر شهر أغسطس ، فإن فيها إعلاناً عن مسابقة لاختيار أجمل رجل .

أتدرى ممن أرادوا أن يكون هذا الرجل بين الرجال ؟ .

أرادوه من بين المصارعين المصريين !

قد أكون مخطئاً فى قراءة الإعلان ، ولكن أقسم لك إن هذا هو عين ما قيل ...

وهل تدرى — أخيراً — من هو منظم تلك الحفلة ؟

إنه والله أحد الفرنسيين — أيضاً — ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ...

كتبنا هذا الكلام فى شهر سبتمبر الماضى ، وقد ظهر وباء الكوليرا وقتئذ فانصرفنا عن إرسال هذا الكلام للنشر ، وقلنا مكافحة وباء طارىء أجدى وأنجع من مكافحة وباء قديم .

أما وقد اندثر الوباء الجديد ، أو كاد ، فقد عاد الوباء القديم للظهور .

هذه إعلانات جديدة تظهر فى الصحف المسلمة السيارة تعلن عن مسابقات لأجمل الوجوه وأحلى السيقان ... وتعقد الثانية فى أحد (الفنادق المعروفة) . وقال المشرفون عليها إن المتسابقات سيسرن وراء ستار حيث لا تظهر إلا سيقانهن فحسب . .

ما شاء الله ! ستظهر السيقان والأفخاذ وربما ظهر شىء أبعد من هذا ، ولكن الوجوه لا تظهر ... وقد ظهرت فعلا فى الجرائد ، فرأينا فيها الفتنة والإغراء .

إن الشهوات الدنيا لا تتحرك عن طريق الوجوه الجميلة ، فالوجه الجميل لا يثير الشهوة ، بل تدعو إلى التأمل والتسبيح .

فأما السيقان ، والنهود ، وغيرها ، فهى تجارة الحرب وما بعد الحرب ..

ولم أعلم من كان المشرف على هذه الحفلة أيضاً ، وسألت فقيل لى إنها ، والله أعلم ، (جريدة فرنسية) تصدر بالإسكندرية . وكانت أسماء المتباريات فرنسية أو متفرنسة .

ولكن الذى أعلمه حقاً هو أن ذلك الفندق ، بل أمثاله جميعاً ، ليست بيوتاً حراماً ، ولا تؤجر حجراتها لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة !

لقد ظهر الوباء من قبل ، ولكن حدته خفت بظهور وباء أخف منه هو وباء الكوليرا ..

وخفت حدة الكوليرا ، وعاد الوباء القديم ، الوباء الخطير ، يطل برأسه من جديد .

أليس عندنا طبيب نطاسى بارع يستأصل هذه الأوبئة والأدواء ؟

أليس عندنا جرىء يقول لهؤلاء الناس كلمة رادعة ؟ أم إن كلامنا لا يصل إلى أسماع هؤلاء الذين يعملون على انحلال الشعب المصرى ؟

وإذا كانت الأغلبية المتبارية من هؤلاء النسوة فرنسيات أو أجنبيات ، فهذا لا يغير أننا شعب مصرى شرقى محافظ ، وسنظل محافظين ، أقباطاً ومسلمين .

فبلدنا ليس إباحياً ، ولسنا نبقل هذه الاباحية الفرنسية ...

ومرة أخرى ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ...

حسين الغنام

الفن القصصى فى القرآن :

لما نشر تقرير الأستاذ أحمد أمين بك عن أطروحة الفن القصصى فى القرآن حاول صاحبها أن يتنصل مما نقل فيه ، كما أن الأستاذ الخولى المشرف على الرسالة والذى صرح بتأييده لصاحبها فى كل ما قاله ، طعن فى تقريرى الأستاذين أحمد أمين والشايب وقال إن ما نقلاه عن الأطروحة ليس فيها . وقد ألفت الجامعة لجنة للتحقيق فى ذلك من الأساتذة الشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور زكى حسن والدكتور الشرقاوى ، وقدمت تقريراً جاء فيه:

اتفق الأستاذان أحمد أمين بك واحمد الشايب فى القول بأن أساس هذه الرسالة أن القصص فى القرآن عمل فنى خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ والواقع .

واللجنة تقرر أن هذا صريح وواضح فى جملة مواضع من الرسالة ، وقد أيده الكاتب بما استشهد به من الأمثلة ؛ ففى ص ٣٦ سطر ١٠ قرر أن القرآن (أنطق اليهود بما لم ينطقوا به) وذلك فى قوله تعالى فى سورة النساء (وقولهم إنا قتلنا المسيح الخ) وفى ص ٢٦ قرر كاتب الرسالة عن قوله تعالى فى سورة المائدة (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم الخ) . (إن هذا القول وهذا الحوار تصوير لموقف لم يحدث بعد ، بل لعله لن يحدث) وفى ص ٨٩ قرر الكاتب (إن قصة موسى فى الكهف لم تعتمد على أصل من واقع الحياة)

وتقرر اللجنة أن هذا مخالفة ظاهرة لقول الله تعالى « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » ولقوله سبحانه « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى



السائح والتمثال

بقلم ألدو بالانسزكي

للأستاذ محمد لطفي جمعة

« يعد ألدو بالاسزكى Aldo Palazzaschi من أكبر كتاب بولونيا فهو إيطالى الأصل وكانت له جولة وصولة فى أدب بلاده وقد رأس تحرير جريدة « مارزوكو » وهى أشهر جريدة للنقد الأدبي فى إيطاليا وكانت تصدر فى فيرنزه المعروفة عند غير الطليان باسم فلورنس وهى مهد الفنون والآداب وموطن دانتى البجرى وسافورنارولا وماكيافلى وبوكاشيو وميكال انجلو وغيرهم .

وقد نحا الأستاذ ألدو بالاتسزكى فى الأدب القصصى نحواً جديداً وهو معالجة الحقيقة الانسانية عن طريق الخفاء والغموض . وله كلمات مأثورة فى مقدمة قصصه القصيرة وهى « إن الغموض يجلو كثيراً » وسيرى القارىء العربى صحة هذا الرأى » .

— ١ —

... وكان عائداً من بلدة فى الصين حيث يعبدون إلهاً بادناً ، راقداً فى المعبد ويده تحت ذقنه ، ناظراً إلى بطنه وكأنها وعاء من اللحم الذى ملىء علماً ! معبود شبعان ريان متزن وأن لم يتذوق ثمر الخشخاش ولم ينشق أزهاره (١) لا يعبأ بجاره الذى حطمه ذووه وجرحوا جبينه بأشواك شجرة سقاها بعرقه ودمه وتعهدها ، فلما كبرت وأفرعت وأينعت صنعوا له من أخشابها ما صنعوا ، علموها الجحود فكفرت بنعمة الذى زرعها وسقاها . ولكنَّ الجريح كان مشغولا عن دمه المهراق بالتفكير فى العفو عنهم . ولا يسمع صوت سلفه الصالح الذى ساق جماعة بالعصى وشق بطون العصاة منهم بالمدى : العصاة والسكين وألواح الحجر

(١) فى الأصل « وأن الاتزان لا ينال إلا باحدى هاتين الوسيلتين »

الناطقة ، كان يزجر ويهرق ويرعد ويدعو على الذين آذوا حفيده الأقصى ، ويدهش لمسالمته وليونته واستسلامه ويثنى عليه تسامحه ، أما الزمن فقد تغير وسار على عجل . والعصى التى كانت تسوق الجماعة ، أمست فى أيديهم يسوقون بها الفتى الغريب ولايبالون !! أليس يلقاهم بالكلام فى السهل والجبل ويحاورهم بالكلام فى الحقل والدار ، وعندما يحمي وطيس المعركة يجرد عليهم سيفه ويصوب نحوهم سهامه ويشرع فى وجوههم رمحه ، ويخفى وجهه الهادىء وراء درعه ، ولكن السيف والسهام والرمح والمجن كلها ... كلام ... كلام ... كلام عذب ومر وحار وحار. ولكنه كلام لاعهد لهم به . ولكنه كلام سيوف وخناجر ومدافع وقنابل ودبابات ونسافات « ماشين جنز » هذا الأمل المنشود «تانكس» عزالطلب « افيون شلز » من نوع ممتاز (١)

كان السائح عائداً من بلدة فى الصين ، ولكنها لم تكن وطنه بل كان وطنه وراء بحار الغرب والشمال . فهو هارب من الحضارة باحث عن الوحدة والعزلة الدائمة عن أهل الغرب والشمال . وقد ظن أن ما يسعى إليه قد يكون فى الشرق وراء الجبال الشاهقة والبحار العميقة والصحارى المترامية الأطراف .

طوحت به الأيام إلى هيكل نبيوس إله النور فى مدينة طاشكند ، وراء جبال هيدار ، وهى الشامخة المعتمة بالجليد ، طوال العام بحوان جليدها لا يذوب ولا يجرى ماء على سفوحها .

ولكنه يبقى أبداً مكتلا ، ملتفاً ، ناصع البياض كأنه شعر جسم على رأس شيخ هم ، اشتعل شيباً ، وزاد على ممر الأعوام وضوحاً وشمماً. ولم يعلم الكهنة كيف وصل هذا الغريب الأشعث إلى باب الهيكل فقد وجدوه مرتمياً على العتبات متشبثاً بالأحجار ، لم يسمعوا له صوتاً وما شهدوا له حركة ، فلما دنوا منه تبينوه ، فوجدوه خائر القوى ، منقطع الأنفاس ، مغمض العينين ، شاحب الوجه مكشوف البدن ، فى معظم أجزائه ، ولمح أحد الكهنة أن قدميه تقطران دما . وكانت له لحية سوداء بلون البقية من شعره فهو بلا ريب شاب لم يتخط الثلاثين من عمره ، وإن كان النصب والهم والأمل الخائب قد خطت على جبينه سطوراً عميقة كأنها محفورة بقلم من فولاذ فى صفحة من الرمر الأصفر . وكانت عيناه حادتين ، لم تتغلب الآلام على ما يشع منهما من دلائل الحيوية النابضة . وقد تمتد نظراته إلى ما وراء الأفق ، كأنه يرى شيئاً

(١) فى الأصل هكذا ومعناها مدافع رشاشة ودبابات وقنابل طائرات

بعيداً انفرد هو وحده بشهوده فهو يراه يقيناً ولا يريد أن يشرك أحداً فى رؤيته ، ولذلك يخشى أن لا يصدقه أحد أو يشك فى صدقه هل هى رؤية أم رؤيا هل هى حلم أم حقيقة ، سراب أم ماء ؟ .

فلم يملك الكهنة أن يفتحوا الباب ويتركوا هـذا الميت الحى وراءهم نهباً للذئب والدب وليس فى وسعهم أن يدخلوه بدون تطهير من أدران الدنيا فهو غريب منبوذ ولا يجوز لأحدهم أن يمسه ولا يجوز له أن يمس أحداً . فهنا تفريق بين الطهر والدنس والنقاء والرجس . وهنا نظافة الجسم تحتمها طهارة النفس . لقد هلك كثير من القاصدين إليهم قبل أن يصلوا ، وضل سالكون عدة دون أن تدنوا أقدامهم من العتبات . . . ولـكن كل من يلمس العتبة لا يرد ، ولا يطرد لأنه وصل . فإن كان على قيد الحياة فلا بد من الإذن بقبوله . فما ذنب هذا حتى يحرم ؟ ألم يقرأوا فى وصية نيبوس « بلوغ البـاب قرين الدخول » ولـكنهم أغلقوا الباب ليعودوا إليه بعد لحظة بإذن الدخول . فينقلوه فلما فتحوا الباب والتمسوه لم يجدوه فى حدود الجدران فأخفقوا فى العثور به حتى الصباح

— ٢ —

وقال الأول : إن أثوابه أطمار بالية فهو أكثر تعرضاً للافتراس

والثانى : لقد نحل خداه وتجمدت يداه فمن يكون هذا المسكين الذى قادته قدماه إلينا أهارب لاجىء أم طـالب حكمة أم طالب قوت ؟ ... وقال ثالث : ليس طالب قوت ولا لاجىء . ولـكنه ينشد الهدوء واطمئنان النفس ، أنه بلا شك فار من دمامة الحياة التى قضى نضارة عمره فى أحضانها . لقد تكشفت له عن حقيقتها ففر بالبقية الباقية من نفسه . ولـكنهم كانوا يبحثون عنه قبل البحث عن سبب قدومه إليهم لأن نجاته من الهلاك أفضل من الـكشف عن سر قدومه .

وقال أكبرهم سناً : صدقونى يا إخوتى أنكم تجيبون عن سؤالات يعجز صاحب الشأن نفسه عن الجواب عليها . فإن لمثل هـذا الرجل ناحية غير موجهة إلى تحقيق أغراض بعينها .

وإن كانت له أغراض فقد نسيها أثناء الجهود التى بذلها حين كان يحاول بلوغها . ولا بد له من هذا النسيان وسر ذلك راجع إلى أن القوى التى ينفقها هى من فيض ما أعده له الإله لتحقيق أغراضه فيه — وهو الهدف الأعلى .

فهمهم أحد الـكهنة وكان قصير القامة نحيل البدن أصفر الوجه وقال : الهدف الأعلى ! مافتئت أذكر الهدف الأعلى وأسمع عنه . .

فنظر إليه الذى كان يتكلم وقال :

الهدف الأعلى الذى يرمى إليه الإله هو نفس الغرض الذى كانت ترمى إليه الآلهة فى كل العصور — رفع النفس إلى مستواها الأعلى وتوسيع آفاق مسراتها — ولـكننا نضيع وقتاً نفيساً فى الجدل وربما يكون أحـد الضوارى قد أنشب أظفاره فى ضيفكم ولعل وحشاً يقظاً كان يتتبع خطواته ، ويخشى أن يهاجمه وهو يوشك أن يلجأ إلى الهيكل ، فلما أن فتح الباب توارى الوحش وقد ضاع أمله فى الانقضاض على فريسته ، ولـكنه لم يرض من الغنيمة بالإياب السريع . فلما أغلق الباب بعد فتحه ظن الوحش أنه قد خـلا له الجو وآن أوان الافتراس . ولـكن الـكهنة لم يلبثوا فى حيرتهم حتى سمعوا صوتاً داخل المحراب يستغيث بلسان غير لسانهم ، ويبتهل ويتضرع بقلب مقروح وكبد حرى . فإذا هو الغريب نفسه . وقد عرى من ثيـابه فقد أشفق عليه الإله فأمر بحمله إلى حرمه بلا واسطة ثم غمره فى حوض طهارته وألقى بثيابه الممزقة وراء جدار الهيكل ليغمرها الجليد فتختفى إلى الأبد عن الأعين . كان الغريب يصلى ويستغيث بعنف ، بصوت متهدج وكلام متقطع ، وكانت لحيته الـكثة السوداء تضطرب ، وأسنانه تصطك وقد تبدى ذاهلا عمن حوله من الـكهنة ، الذين تجمعوا ليحدجوه بعيونهم بعد أن رأوا الإله يخرق له العادة ويقبله فى المحراب

ولما فرغ من صلاته جلس وتكلم لهم بلغى البلاد التى جاب آفاقها وقد التقفها جميعاً من أفواه المتكلمين وهو فى سياحته ، فقدموا إليه طعاماً من الشعير والزيت والفاكهة فلم يتذوق منها إلا قليلا وكان يدير عينيه فى قلبه فيبدو عليه السرور أو الألم كما يبدو على وجه من يشاهد أنه فى الماضى القريب السحيق . ولم يكن فى الجمع بين هاتين الصفتين تناقض فإن ماضيه كان حافلا بالـكفاح والجرى وراء الحقيقة : فهو غنى بالحوادث ولذا رآه قريبا وكذلك كان ماضيه محفوفاً بعذاب النفس وألمها فقد اكتوى بنار الحب بقدر ما تعلق بأهداب المثل الأعلى . وتلك التى عذبته لم تـكن جديرة بحبه فهجرها وهو يعطف عليها وتخلى عنها وهو مشوق إليها . هذا طرف من الحوادث الواقعـة التى كان يتـكلم عنها فيصغون إليه ، وهو يسح ويهضب بذكرياته ، كان غنياً وكان شاعراً فى بابلوس عاصمـة الدنيا المتحضرة ، وكان الناس متلهفين على آثاره والنساء متتبعات له متراميات على جسـده يحاولن أن ينهشـنه بأفواههن المحمرة ، أو ينشبن فيه أظفارهن

المحلاة بالخضاب المتعدد الألوان . وكان يرفه بشعره وحكمته عن الناس وينعش قلوبهم ، ويغذى نفوسهم بإبداع فكره ، ويفيض على حياتهم البشر والنور .

ولكنه لم يتزوج ولم يجن على أحد فقد وهبته العناية بصيرة بعيدة المرمى فأنف أن يتصل حياته بنسل ، ولمح النفاق والجحود والنميمة ونكران الجميل والسخرية من خلال البسمات والضحكات والبشاشة الكاذبة والكلمات المعسولة والتبذل فى ذكر الحب والإخلاص والوفاء ، فتزعزعت عقيدته فى دينه لأنه أمسى قوة تواطأت مع السلطان المطلق ومن حوله من السادات وامتنع عليها أن تسلخ الأيمان عن هذه المظالم .

فأنكرها وأنكر الأيمان ثم تزعزع اعتقاده فى الإنسانية والمجتمع بعنف لم يعهده وأحسَّ فى نفسه بنصل قاطع لا شفاء لجرحه وهو الاحتقار لكل ما يحيط به . لقد أحس الهارب بالاحتقار نحو المال والحب والمرأة التى أحبها حيناً وأحبته طويلا ونحو القوة القاهرة التى خنقت العدل وأحيت الظلم والمنافقين والأوغاد والضعفاء . وقد حاولت تلك التى أحبته « أينوبيا » أن تستل منه شعور الاحتقار نحو الدنيا والحكم عليها بالصغار ، فلم تستطع ، لأن أقوالها وأفعالها كانت تزيد إيمانه فى صحة حكمه عليها وعليهم . وبعد أن كان يؤمن بنفسه أمسى لا يؤمن بشىء فأخذ يبكى أحلامه وأمانيه العاثرة وهو يرى بعينى رأسه رجال المادة والقوة والملذات الجشعة متربصين على ركام الإنسانية ولا هم لهم سوى كسب الأموال وكنزها والتحكم فى أعناق الرجال التى أذلها الحرص وجال على أفواهها الجوع ورعى قلوبها الاحتياج والشقاء وتكشفت له الحياة عن بعض حقيقتها فهاهو الإنسان يستمتع بحواسه ولديه من الذهب والورق ما يستمد منه العظمة الكاذبة بقدر ما يملك منها ، حتى صار ميزان أقدار الرجال بما يملكون من النضار ، وبلغ بالفقراء يأس آخذ بالكايتين فآمنوا بالعذاب والأوهام قال الشريد للكهنة « فأقصرت يائساً وصرفت نفسى آسفاً وعولت على الفرار بالبقية الباقية من حشاشتى ووجدانى واستكبرت أن أصبر على معاشرة الناس بعد الذى تحققته وبعد أن صرت أبغض المجالس والنوادى ولا أرتاح إلى أحاديثهم ، ولا أغتبط بالأصدقاء وصرت أجزع من الذين ادعوا محبتى ولا أرى لنفسى قدرة على احتمالهم » فقطع أحد الكهنة حديثه فى رفق وقال له « وتركت وراءك مالك ومكانتك فى بابلوس عاصمة العالم المتحضر وقضيت عشر سنين فى السياحة باحثاً عن الحقيقة . وخرجت من وطنك لتقلب الدنيا وتجعلها كما يجب أن تكون ؟ .. أليست هذه غايتك وأمنيتك وحكمك ! فسكت السائح المجهول كأنه فى سكرة طويلة ونشوة مستمرة وقال كاهن آخر : لقد كان وصولك إلينا فى هيكل نيبوس إله النور إرهاصاً فإن الذين يضلون الطريق دون بلوغ كعبة الآله كثيرون. ووصولك إلى المحراب بدون وسيط علامة إكرام . فحملق السائح فى وجوههم الهادئة لأنه لم يعلم أنه جرد من الهلاهيل التى كانت حول بدنه ودخل فى حمى الإله بدون وسيط ، وأطال النظر فى الوجوه المستنيرة المطمئنة وأخذ ذهنه يكر إلى الوراء فجأة بغير إنذار وتنبه إلى عرائه فأطرق وأخذ يبكى حتى بلل لحيته .

(البقية فى العدد القادم) **محمد لطفى جمعة**

العدد ٧٥٥ — الاثنين ٢٢ ديسمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩٠٤٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 em Année No. 755

Lundi — 22 — 12 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٧٥٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ صفر سنة ١٣٦٧ — ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

عالم مشتبـــك

للأستاذ عباس محمود العقاد

تستعد الولايات المتحدة لمعركة الانتخاب التى تسفر عن انتخاب رئيس الجمهورية .

مسألة داخلية بين الأحزاب السياسية فى الولايات المتحدة ، ولوجرت الأمور فى حدود ظواهرها لما كان فى هذه المسألة مايهتم به العالم إلا من قبيل الاستطلاع أو التشاغل فى أوقات الفراغ بأخبار البلاد الخارجية .

وهكذا كان شأن هذه المسألة فى أوائل القرن العشرين ، أو قبيل الحرب العالمية الماضية .

ولكنها فى هذه المرة تختلف كل الاختلاف من شتى الوجوه . فقد اتفق أن الولايات المتحدة جمعت فيها عشرات الألوف من الصهيونيين الذين يشتركون فى إعطاء الأصوات للرئيس .

واتفق أن هؤلاء الصهيونيين يحتكرون هناك شركات الاعلان ، وأن الصحف هناك لا تعيش بغير أجور الاعلانات ، لأنها تصدر فى عشرات الصفحات ، وقد تصدر أحياناً فى مئات الصفحات التى تزدان بالصور والرسوم فى أيام المواسم والأعياد . فعليها من التكاليف أضعاف ما تدره على أصحابها من الأرباح ، ولكنها تنهض بتكاليفها وتضمن أرباحها كلما ازداد نصيبها من الاعلانات المأجورة ، أو كلما ازدادت حاجتها إلى شركات الصهيونيين .

اتفق هذا وذاك واتفق معهما أن الانجليز ضاقوا ذرعاً بفتنة الارهابيين فى فلسطين ، وأنهم قصدوا أو أذاعوا أنهم يقصدون التنحى عن وصايتهم على الأرض المقدسة .

فسنحت الفرصة للصهيونيين فى الولايات المتحدة ، ونقلوا معركة فلسطين إلى ميدان الانتخاب فى الولايات المتحدة ، فظفروا بما أرادوه هناك ، وخيل إليهم أنهم قد ظفروا بما أرادوه فى أرض الميعاد ، ولك أن تقول إن الولايات المتحدة هى التى ظفرت بتسخيرهم عن رضى منهم ، على رجاء النجاح فى السيطرة على منافذ الشرق القريب .

كذلك وصل إلى الشرق أثر النزاع بين الأحزاب السياسية فى دولة دستورية .

وقبل بضع عشرة سنة سقطت جميع الأحزاب السياسية فى دولة أوربية ، وقامت الدكتاتورية فى تلك الدولة ، وهى ألمانيا النازية .

فصبت نقمتها على اليهود لأنها اتهمتهم بالتواطؤ على هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الماضية .

وراحت إيطاليا الفاشية تحذو حذوها فى بلادها ، وتشبهت بهما دول أخرى فى أوربة الوسطى ، وتدفق اليهود من كل قطر من تلك الأقطار إلى أرض الميعاد ، أو أرض الوعيد !

كانت قضية الهجرة إلى فلسطين قضية معلقة ، أو مشكلة راكدة لا تفلح المساعى الصهيونية فى تحريكها .

فلما انتشر الحكم الدكتاتورى فى أوربة تحركت المشكلة بعد ركود ، وطغى على فلسطين مد البحر بعد جزره ، وتكسرت

أمامه السدود أو فتحت له أبوابها وهى طائعة ، لأن أبوابها كانت بأيدى الإنجليز ، وكان الإنجليز فى حاجة إلى جماعة صهيون ، فقابلوهم على أبواب السدود بالإغضاء ، وزادوا على الاغضاء أحياناً فقابلوهم بالتشجيع والترحيب .

ثم دالت دولة النازيين والفاشيين .

وكان خليقاً بالمد أن ينحسر بعد أمان اليهود من بطش الصليب المعقوف ، وبأس « الحزمة » المضمومة .

ولكن اليهود لا يعملون فى غير أسواق .

وليس فى بلاد المهزومين أسواق تصلح للمساومة والاستغلال .

ولو راجت الأسواق فى أوربة لكسدت الصهيونية فى فلسطين ، ولارتد عنها كل صهيونى غيور ولو قيدوه فى مكانه بالسلاسل والأغلال .

كساد أوربة لم يكن نكبة على أهلها وكفى .

ولكنه كان نكبة على أرض عربية لا ذنب لها فى ذلك الكساد ، وكان نكبة على الشرق القريب كله من وراء تلك الأرض العربية ، ويوشك أن يكون فى الغد — أبعده الله — نكبة على العالم بشرقه وغربه ، ومن أدناه إلى أقصاه .

عالم مشتبك الأطراف .

عالم له جهاز عصبى واحد ، وقد كان منذ عهد قريب خمسين أو ستين بنية حية : كل بنية منها لها جهاز لا يضطرب فى مكانه إلا لما يعتريه .

هذه هى العبرة الكبرى من قضية فلسطين ، ومن كل قضية تشبهها فى هذا الزمان .

فأياً كان نظام الحكم فى قارة دانية أو قارة قاصية ، وأياً كان حال الرواج والكساد فى هذا القطر أو فى ذاك ، فالجهاز العصبى واحد ، والطعنة هنا يدمى لها الجسم هناك ، وقد يكون الطاعن فى المغرب هو الطعين فى المشرق إذا دارت الدورة فى مجراها ، وذهبت الأحداث مع جرائرها ، وعمت الطامة الكبرى وهى لا تخص أحداً فى هذا العالم المتشابك الأطراف .

ولقد كان عالم كهذا فى أشد الحاجة إلى السياسة العالمية العادلة ، لأن الظلم فيه حيث كان بلاء مطبق على كل وطن ، وكل إنسان .

لكنه وجد السياسة العالمية ، ولم يجد العدل فيها .

وجدها ناقصة مختلة ، وجدها منحرفة معتسفة ، وجدها خيبة أمل وقد أرادها مناط رجاء ومعقد يقين .

وهنا الحيرة كل الحيرة فى وزن هذا الرجاء .

فأما النكول عن « السياسة العالمية » فليس فى مقدور أحد يعيش اليوم فى هذا العالم ، ويربط الحس والحركة بأعصاب ذلك الجهاز المتشعب الدقيق .

وأما الرضا بهذه السياسة العالمية فليس فى مقدور المصاب بها ولا فى طاقة الخاسرين فيها ، ونحن الشرقيين من أولئك الخاسرين .

لكننا نضع السؤال الذى تنقطع به الحيرة حين نقول : هذه هيئات عالمية تتعسف الطريق ، فما الحكم عليها جملة واحدة ؟ هل عدمها خير من وجودها أو وجودها خير من عدمها ؟

وهنا تنقطع الحيرة عند كل موازنة بين النتيجتين المتقابلتين .

فوجود هذه الهيئات العالمية خير من عدمها على كل حال ، لأن أميركا التى تعمل بالأساطيل والجيوش والأموال ، شر من أميركا التى تعمل بالمناورات واصطياد الأصوات ، والتزام التظاهر فى جميع هذه المناورات .

أو قل إن المجتمع الذى تقضى محاكمه أحياناً على البرىء ، وتفرج عن المعتدى ، خير من المجتمع الذى لا محكمة فيه .

وأجدر الأوقات أن نذكر فيه هذه الحقيقة هو الوقت الذى تملكنا فيه حمية الغضب فنسخط على الدنيا وما فيها ، وننسى الشر البعيد بما اشتمل علينا من شر قريب .

إن القوى فى المجتمع يستطيع أن يغلب الضعيف عنوة ويستطيع أن يغلبه بما يملكه من وسائل التأجير والتسخير .

يستطيع أن يضع يده على حقه علانية ، ويستطيع أن يضع حقه عليه ببذل المال للمحامى القدير ، وبذل الرشوة للقاضى المريب ، ودفع الحارس عن درك الحراسة ، وسوق الشهود إلى ساحة القضاء .

لكننا مع هذا كله لا نقول إن السطو علانية كالسطو بالحيلة والمحاولة ، ولا نستطيع أن نقول إن عدم المحاكم ووجودها سواء ، فضلا عن ذهابنا مع الغضب قائلين : إن عدمها خير من وجودها فى كل حال

وتلك هى العبرة التى ينبغى أن نذكرها غاضبين ، لأننا لن ننساها ونحن راضون .

فلنكن عند غيرتنا القوية على حقوقنا ، ولنكن كذلك عند فهمنا الصحيح لما حولنا ، وكل ما حولنا يقول لنا إننا فى عالم متشابك الأطراف ، متعاقد الأعصاب ، لا انفراد فيه ولا انعزال .

ولنقل فى الجماعات العالمية ما نشاء ، إلا أن عدمها ووجودها سواء .

عباس محمود العقاد

التلمود خدع اليهود

للأستاذ نقولا الحداد

التلمود الذي فسر فيه اليهود التوراة على هواهم خدع اليهود لأنه زرع في عقولهم أن إلههم الذي سموه «يهوه رب الجنود» هو أقوى من سائر الآلهة وأنه اختصهم بعطفه دون سائر الأمم وأقنعهم بأنهم شعبه الخاص، وما لبث أن أفهمهم أن يهوه هو الله رب السموات والأرض. ولكن الله تعالى لا يقيم وزناً لهذه الوظيفة التي وظفه اليهود فيها. بل هو جل جلاله يعتبر جميع بني آدم على الإطلاق عباده ويرعاهم بعين عنايته على السواء. ولكن ماذا تفعل بعقلية هؤلاء اليهود الذين يريدون أن يحتكروا الله — أستغفر الله — كما يحتكرون كثيراً من خيرات الأرض ونتاج الأمم!

وكان في قديم الزمان لعهد موسى عليه السلام آلهة أخرى للأمم الأخرى التي كانت أمة إسرائيل الهاربة من مصر تغزوها وتغتصب أملاكها وبيوتها ومواشيها وسائر أشيائها

وكان عندهم أن يهوه أقوى من جميع الآلهة التي يعبدها الكنعانيون والحثيون والجرزيون والفلسطينيون والصيدونيون إلى غير هذه القبائل التي كانت تقطن البلاد المسماة حديثاً فلسطين معتمدين على قوة يهوه رب الجنود كما كانوا يلقبونه باعتبار أنهم شعبه الخاص. فمنذ جاء الإسرائيليون إلى أرض كنعان كانت عقيدتهم أن جميع الأمم الأخرى ليست من عباد الله بل هي والسوائم سواء. ولهذا كان يهوه يبيح لهم أن يغزو تلك الأمم ويسلبوها أشياءها.

ولذلك كانوا طوال وجودهم في أرض كنعان التي كانوا يسمونها أرض الميعاد بدعوى أن الله وعدهم بها كانوا في حروب متوالية مع الأمم إلى أن غزاهم بختنصر ثلاث مرات وفي الثالثة سباهم إلى بابل مملكته. وبعد سبي سبعين سنة أطلق سراحهم كورش ملك فارس الذي فتح بابل، فعادوا إلى بلادهم. وما مكثوا طويلا حتى جعلت تتنازعهم دول الشرق والغرب والشمال والجنوب. فما مكثوا في بعض البقعة المسماة الآن فلسطين أكثر من ٣٢٠ سنة. ومع ذلك بقوا من ذلك العهد إلى اليوم يعتقدون أنهم شعب الله الخاص وأن إلههم يهوه أحل لهم سلب الأمم الأخرى بأية الوسائل حتى بالحرب من غير مبرر، وأنه ينصرهم على أعدائهم. ولكن التاريخ أثبت لهم أن يهوههم لم يكن قوياً كما كانوا يدعون أنه ينصرهم لأنهم كانوا دائماً يغلبون على أمرهم؛ وأخيراً تشتتوا في بلاد الله.

ولكنهم لا يزالون يتمسكون بعقيدة أنهم شعب الله الخاص وأنه أحل لهم (معاذ الله) أن يسلبوا أموال الأمم بأية الوسائل الشريفة وغير الشريفة؛ حتى إذا لم يستطيعوا أن يبتزوها بحرب ابتزوها بالحيل والأحابيل الاقتصادية واللاحقية. وعلى هذه العقيدة بنوا دستورهم الاجتماعي وعلى حسب هذه العقيدة سلكوا.

واستفحلت العقيدة في قلوبهم حتى قام شيوخ منهم ووضعوا لهم دستوراً غريباً عجيباً يسمى بروتوكولا وهو يتيح لهم أن يبذلوا كل جهد في إفساد الأمم الأخرى وقتل الفضيلة فيها تمهيداً لاستغلالها، وعليهم أن يبذلوا حتى الشرف لهذه الغاية. وحاصل القول أن عليهم أن يبذلوا كل عزيز وغال من أخلاقهم في سبيل جمع المال، وأن يتوسلوا بأية الوسائل للقبض على زمام السلطة تذرعاً إلى المال. والمال هو قوتهم الوحيدة. وفيما سواه هم نماج.

فإذا اقتضت الوسيلة أن يكون الواحد منهم مسلماً فليكن إلى حين، كما فعل بعضهم في سلانيك. وإذا اقتضى الواحد منهم أن يكون اشتراكياً فليكن. مع أن الاشتراكية تناقض مبادئهم لأنهم رأسماليون. وإذا اقتضى الأمر أن يكون شيوعياً فلا بأس أن يكون. كل الدروب تؤدي إلى هيكل المال.

فكانت نتيجة هذا السلوك أمرين خطيرين:

أولا أنهم امتلكوا القسم العظيم من ثروات العالم لا بالطرق القانونية الشريفة، وإنما بالاحتيال على النظام والقانون واختراع وسائل الابتزاز المختلفة كالنصيب وتقسيط أثمان السندات ذات النصيب والمقامرة والمراهنة والتأمين إلى غير ذلك من اختراعاتهم التي يحسبها لهم بعض المغفلين ذكاء.

وعلى الرغم من تكافهم السلوك المستقيم في المعاملات التجارية

وغيرها تنفضح فيهم روح الجشع والطمع والقسوة والعنف فى المعاملات إلى أن صارت هذه الروح غريزة فيهم ولم يعودوا يشعرون فى أنفسهم أن أخلاقهم غير إنسانية بل يستغربون أن ينسب إليهم فقد الإنسانية ، وهم يظنون فى أنفسهم أنهم إنسانيون كسائر الناس ، ولسوء حظهم لا يراهم الناس هكذا .

هذه التربية التى صبغتهم بها التلمود والبروتوكول أفضت إلى الخطر الثانى ، وهو أن حقد عليهم الناس من كل قبيل وطائفة وجنسية . وهم يستغربون هذا الحقد من الناس أينما كانوا وأينما حلوا يتساءلون : لماذا يحقد عليهم الناس هكذا فى كل مصر وعصر؟ لماذا اضطهدهم الروس فى القرون الماضية ؟ لماذا قسا عليهم هتلر فطردهم من ألمانيا وصادر أملاكهم ؟ يستغربون هذا لأنهم يظنون أنهم بشر وأن أخلاقهم أخلاق بشر وقلوبهم قلوب بشر . ولسوء حظهم أنهم ليسوا كذلك لأن فى عقولهم عقيدة أنهم شعب الله الخاص وحيوات الأمم الأخرى حلال لهم . أليس التلمود قد خدعهم وضلهم فأضرهم ؟

وأخيراً كانوا يضطهدون فى أوروبا وكانوا يستغيثون بأهل الرحمة من نصارى أوربا وأميركا ، لأنهم يعلمون أن هؤلاء الأقوام قد تربوا تربية إنسانية بمقتضى تعاليم مسيحهم فيمكنهم أن يستغلوا فيهم هذه الإنسانية المسيحية فجعلوا يستنزفون أموالهم باسم إسعاف المنكوبين اليهود فى أوربا فجمع لهم المسيحيون فى أميركا ١٧٠ مليون دولار . وسئل مرجنتو العضو فى جمعية جمع الإعانات أين تذهب هذه الدولارات ؟ فقال ٤٠ بالمائة منها تذهب إلى فلسطين . فغضب رئيس الجمعية وقال أنا مستعف من الرئاسة لأنى كنت أظن أن هذه الأموال تذهب إلى المشردين من اليهود فى أوربا لا إلى فلسطين حيث يقيم الصهيونيون دولة على البارود .

ولولا وعد بلفور لعطف عليهم المسلمون أيضاً لأن تعاليم نبيهم لا تختلف عن تعاليم المسيح الإنسانية من حيث العطف والرفق والرحمة ؛ ولطالما عطف المسلمون عليهم فى التاريخ الماضى . ألم يعطف المسلمون عليهم بعد كارثة الأندلس فآووهم فى كبريات عواصمهم[(١)]

ومن أعاجيب فلسفة اليهود أنهم يعللون بغض الناس لهم بأنهم أذكياء فيحسدهم الناس على ذكائهم . وكانوا يذيعون هذه الفكرة حتى اليوم إلى أن تلوثت بها عقول بعض الناس من غير جنسهم وصاروا يقولون أن هؤلاء اليهود جمعوا الثروات بذكائهم وأنهم يستحقون هذا التفوق وهذا الفوز فى عالم المال جزاء للذكاء. وبعضهم يقول لك إنهم يستحقون فلسطين لأنهم عمروها إلى غير ذلك من السفسطات السخيفة .

ليس اليهود أذكى من سائر الأمم ، بل يمكنك أن تقول إنهم دون الوسط فى الذكاء . وإنما الفرق بينهم وبين الأمم الأخرى أن ذكاء هذه الأمم مقرون بالأخلاق الإنسانية من محبة وصدق وداد وإخلاص وعطف ورحمة . وأما ذكاء اليهود فمقرون بقلوب صُم لا تفهم الانسانية ولا الرحمة . فأولئك يستحرمون المحرم وهؤلاء يحللون المحرم ؛ هؤلاء يثرون كثيراً وأولئك يثرون أقل

فهم متى راموا التبجح بالذكاء ذكروا لك اينشطين وبرجسون وغيرهما ، وأغضوا الطرف عن جايمس جينز وأدينغتون وأناطول فرنس وغيرهم . وإذا ذكروا رتشلد ذكرنا لهم ركفلر وكارنجى وفورد . ولكن ماذا فعل آل رتشلد من المبرات التى عملها هؤلاء ؟ ما سمعنا بمؤسسة خيرية للانسانية أسسها يهود ...

ولما استفحل الجشع اليهودى فى أوربا وجعلت أوربا تنبذهم نبذ النواة ولوا وجوههم شطر الشرق وادعوا أن لهم ميراثاً فى فلسطين فلماذا لا يطالبون به ؟ والحقيقة أنهم لا يأتون إلى الشرق لكى يرثوا ميراثاً بل لكى يسهل عليهم الاستيطان فى بلاد أهلها مهملون فيمكنهم أن يثروا فيها بأسهل من أوربا .

فقصدوا إلى الشرق العربى لأنهم استضعفوا أهله ، ولكنهم منذ هذا الأسبوع انقلبت عقيدتهم فى العرب ورأوا أنهم قد ضلوا السبيل ، وأن هذا الصيد دونه أسد الثرى ، وسيعودون من حيث أتوا ، وسيعود ترومان حاميهم إلى الصومعة لأن الشعب الأميركى شرع منذ الآن لا يصدق دعاية الجرائد اليهودية . واليوم قرأنا أن الكونجرس الأميركى سيحقق فى مسألة ضغط ترومان على أعضاء هيئة الأمم .

نقولا الحداد

---

(١) وفى هذه الحرب الفلسطينية عثر العرب على رجل مقعد مفلوج تركه اليهود فى المنزل بلا رأفة ولا رحمة حين هجروا المنزل إلى تل أبيب . فحمله العرب إلى أحد منازلهم وعالوه إلى أن عثروا على وسيلة لارساله إلى قومه مع بعض الانكليز . هذه المأثرة مقابل إحراق اليهود طفلة عربية فى السنتين من عمرها .

الذكرى الأولى :

شكيب الشاعر

للشيخ محمد رجب البيومي

— ٢ —

« لو لم يكن شكيب كاتباً فريداً لكان شاعراً مجيداً ؛
فهما كفتان كلما رجحت الواحدة أشالت الأخرى »

المنفلوطي

كان الجو الأدبي في مبدأ هذا القرن بمصر يبشر بمستقبل بسام تزدهر فيه فنون الأدب ، فهناك مدرستان قويتان للنثر والنظم يتزعم الأولى محمد عبده ويقود الثانية سامي البارودي ، وفي تلامذة المدرستين أشبال فتية تقوى وتشتد بمرور الزمن ، وقد اتخذت من الصحافة ميداناً فسيحاً تترا كض في جهاته ، فتركت وراءها دوياً رناناً جعل الأنظار تتطلع إلى سماء الصحافة المصرية معجبة بأهلتها الجديدة ، تلك التي أخذت تتكامل وتتزايد حتى أمست بدوراً ساطعة تبعث في العقول ضوءها اللماح ، وتنشر في النفوس إشراقها اللامع ، وانظر إلى آثار شوقي والمنفلوطي وحافظ والمويلحي وسائر من تخرج في المدرستين السالفتين ، فإنك واجد ما حدثتك عنه من تألق وسطوع .

ونحن لا نعجب — والحالة كما وصفنا — إذا رأينا الأمير رحمه الله يؤثر الصحافة المصرية بنثره ونظمه ، ويزور وادي النيل بين الفينة والأخرى ، متصلا بأدبائه الذين يفردون معه على دوحة واحدة ، ومن هنا كان أمير البيان ذا صلة قوية بحملة الأقلام في مصر ، يؤثرهم على نفسه ، ويؤثرونه على أنفسهم ، وطالما اشتبك في حوار أدبي عفيف مع عشاق الأدب والمعرفة ، فكان ذا الحجة الدامغة ، والرأي الفاصل .

ونبادر فنعلن أن شكيباً كان يهتم بالنثر أكثر من اهتمامه بالشعر ، لأنه فوق مكانته الأدبية سياسي مجاهد ، له رأي ينفح عنه ، وعقيدة يبثها في أمته ، والسياسيون في حاجة إلى امتشاق القلم كل يوم ، ليعلم الرأي العام ما يدعون إليه ، فلو أنه اتكل على الشعر وحده ، لاستعصى عليه في بعض الأحايين أن يبرز رأيه في وضوح ، فكان لا بد من الاعتصام بالنثر ، حتى يفهم عنه الجمهور ما يريد .

وأنت حين تطالع أشعاره عامة ترى عليها مسحة التسرع والعجلة ، لأنه يترجم عن عواطفه بدون تكلف ، وله من جهاده ما يشغله عن التفكير في معنى غريب أو تشبيه نادر ، كما يصنع عبيد الشعر في كل زمان ومكان ، على أنه مع ذلك مطبوع على التصوير الفني ، والديباجة المشرقة ، واللفظ الموسيقى .

وإذا أردت أن تنظر لشكيب كشاعر متأنق ، فاقرأ مساجلاته مع الشعراء ومعارضاته لأقرانه الأفذاذ ، فهو حينئذ يحرص على أن يكون معهم في درجة واحدة — على رغم فراغهم واشتغاله — فتراه يغوص على المعاني الفائقة ، ويتفنن في التراكيب الممتازة ، ويطير مع الخيال في آفاقه الشاسعة ، وإليك قصيدته :

هل لسان أقواله الإلهام ... وبيان آياته الأحكام ؟

فإنه عارض بها قصيدة شوقي :

رضى المسلمون والإسلام ... فرع عثمان دم فذاك الدوام

فكان شكيب رائعاً مبدعاً ، يسوق معانيه في تسلسل وانسجام ، حتى استطاع أن يوازي أمير الشعراء في دقته وبراعته ، ومن العجيب أنه يتواضع أكثر من اللائق فيقول في قصيدته :

أو أعارض فتى القريض فما عا ... رض ورد الحدائق القلام

وأحب أن ألفت القراء إلى قصيدة أخرى من هذا النوع ، أنشدها الأمير في حفلة خيرية أقيمت بمصر لمعاونة مجاهدي طرابلس الغرب ، وكان من شعرائها شوقي ومطران وشكيب ، وقد قرأت قصيدة الأمير فوجدته أكثر إبداعاً من غيره ، فقد كان نسجه عباسياً ، وخياله عربياً يحلق بك في أجواء حوم فيها أبو تمام والمتنبي ، ويريك كيف تكون براعة المطلع وقوة الأداء فهو يقول :

سلا هل لديهم من حديث لقادم ... من الغرب يروى فيه غلة هائم

وهل نظروا من نحو (برقة) موهنا ... فلاح لهم منها بريق الصوارم

تألق في ليلى ظلام وقسطل ... فتنشئ سحب الدمع من طرف شائم

مواطن إخوان تملوا من الردى ... كؤوساً تساقوها بملء الحلاقم

تهيبهم فيها العدو مهاجماً   فجاء دبيب اللص فى ليل قاتم
ولـيّن فى إقدامه من إهابه   وهل يخدع الإنسان ابن الأراقم

ثم يمضى بعد ذلك فيصف أرانب (رومة) منهكما . ويمدح ضراغم هاشم معجباً وهو فى نظمه يجلجل جاجلة غريبة ، ويأتى بالحكمة فذة رائعة كأن يقول :

وما طال نوم السيف إلا انتبهت   عيون الدواهى منه عن جفن نائم

وللقارىء أن يحكم بهذه القصيدة على شاعرية الأمير الناضجة وقريحته المتوقدة ، ولعله يتساءل معي أى مستقبل كان ينتظر الأمير فى عالم الشعر لو صرف كل همه إليه كما فعل شوقى وحافظ وأى منزلة يحتلها بين شعراء العربية الخالدين .

وتعجبنى علاقة شكيب بزملائه الشعراء فقد كانت ترضى أصحاب المثل العليا فى الأخلاق ، فهو لا يعجب بقصيدة يطالعها فى الصحف إلا ويسارع إلى تقريظها بما تستحق من ثناء ، ونحن نتلمس الآن هذه الروح الطيبة ، فلا نجدها فى معشر من الناس بل نجد ما يناقضها من الغل والحسد ، ولكن شكيباً أفلاطونى يقود الناس إلى مدينته الفاضلة فليتهم اتبعوه ! !

ولقد كان يتحمل كثيراً من المصاعب فى نصرة زملائه الأدباء من كتاب وشعراء فقد وقف أمام اليازجى وهو من هو فى زمنه سمة شهرة ، وصلابة رأى ، ليذب عن شوقى ، ويدفع الحملة التى شنها صاحب الضياء عليه ، وكلها هنات لغوية ، ومآخذ صرفية سطعت عليها شمس شكيب فبددت ضبابها الكثيف وكان هذا الدفاع المجيد وشيجة قوية ربطت أمير الشعراء بأمير البيان فأصبح صفيه الأول ، وخدينه المختار ، وماذا تقول فى مودة عريقة مكثت أربعين سنة وهى فى كل يوم تنمو وتترعرع حتى خطف الموت شوقياً ، فكتب عنه شكيب سفراً قيما ورثاه بقصيدة جمعت إلى صدق اللوعة وحرارة العاطفة براعة الوصف ودقة التعبير ، فهو يبرز لك شعر شوقى فى صورة لا تنطبق على غيره ، ويرسمه أمامك رسماً تتجلى فيه ملامحه وخصائصه فهو يقول

رقت لنغمته القلوب فكيفما   غنى بها رقصت على نبراته
فترى الطبيعة قبل نظرته لها   غير الطبيعة وهى فى مرآته
والحسن يشرق فى العيون بذاته   وهنا يضىء بذاته وصفاته
لو بات يعبث بالشراب أضاف من   كاساته حببا إلى كاساته
أو خاض فى ذكر المذيب تشابهت   أعطاف مستمعيه مع باناته
يلقى على غمرات كل ملمة   قولا يزيل أجاجها بفراته
فإذا تحدث بالربيع ووشيه   أنساك بالتحبير وشى نباته

فأى وصف هنا لا ينطبق على شعر شوقى ، وأى تصور لا يوقفك على خصائص أبياته ؟ الحق أن هذا كلام ينبىء عن مكانة قائله الممتازة فى عالم الفن ، ويدل على الحد الذى وصل إليه رحمه الله فى الجودة والبراعة ، مما يجعلك تصدق قول شاعر القطرين فى رثائه

ولى أخو الأفذاذ من شعرائها   فى جاهليتها وفى الإسلام
جارى الفحول فلم يقصر عنهمو   فى حلبة الإفصاح والإفهام
شتان بين الشاعر المطبوع فى   إحكامه واللاقط النظّام

***

ولقد نظم الأمير فى أكثر فنون الشعر من غزل ومديح وسياسة واجتماعيات ، بيد أنه كان سباقاً فى الرثاء والوصف ، وإبداعه فى الرثاء ليس بمستغرب منه فقد كان ذا وفاء نادر لأصحابه وإخوانه فإذا فجعه الدهر فى واحد منهم لجأ إلى القريض يبثه عاطفته ، ويشكو إليه تباريحه . والواقع أن دموعه الشعرية قد بينت لنا كيف يحافظ الصديق المثالى على مودة صديقه ، إذ بقى له أصدق وفاء فى القرب والنزوح ورثاء الأمير لصديقه أمين فكرى يؤكد ما نقوله فهو يقول :

حملت له بين الضلوع أمانة   لو احتملتها الشم ذابت تصدعا
وأصفيته منى إخاء لو انه   أعار الليالى صفوها رقن مشرعا
وما زلت أرعاه على البعد صاحباً   وقبلى لنجم الأفق من قد تطلعا
فإن يك هذا الأفق غرب بدره   فلا ازهرت فيه الكواكب مطلعاً
فكم من يد أضحت تدق بأختها   وكم شفة باتت تجاور إصبعاً
أخلفت ثغراً بعد ثغرك باسماً   وطرفا تمنى أن ينام فيهجعا
أنا ديك لا راجى الجواب فقد مضى
ويا لهف نفسى أن أقول فتسمعا
فلو صادحات الأيك يدرين من ثوى
لما بتن إلا فى رثائك سجعا

وهو فى مراثيه لا يكتفى بسرد عواطفه بل يتعرض إلى مناقب الفقيد فيجلوها خلابة جذابة فى مرآة شعره ، لا كن يحشد فى مراثيه ما شاء من الأخيلة والتصاوير دون أن تتصل

اتصالا وثيقاً بسمات الفقيد . واقرأ مى رثاءه فى عبد العزيز شاويش فستجد المعنى المطابق والوصف الموافق إذ تراه يقول :

وإذا جررت على الطروس يراعة بات الصرير براحتيك صليلا
تلك اليراعة ود أكبر قائد لو أنها فى كفه ليصولا
تتجاوب الآفاق عن أصدائها ويرتلون فصولها ترتيلا
لا فرق بين السامعين وقد وعوا ما قلته والشاربين شمولا
تغدو أرق من النسيم فإن عدا خطب غدوت الصارم المصقولا
ليث متى يزأر لأمة أحمد (ورد الفرات زئيره والنيلا)

أما شعره الوصفى فقد بلغ فيه ذروة الإبداع ولا سيما حين يتحدث عن المعارك الدامية بين المسلمين والغاصبين ، وقد يكون من المناسب اليوم أن ينظر القارىء إلى قصيدة الأمير فى آثار (حطين) فلن يجد فيها بيتاً عادياً مع أنها قد تجاوزت المائة والخمسين ، وقد استهلها الشاعر بوصف نهر الأردن ، مصوراً تعاريجه وتدفقه متفنناً فيما يسميه البديعيون بحسن التعليل ، ثم خلص إلى بحيرة طبرية فقال فيها ما لم يخطر للمتنبي — وقد وصفها قبل ذلك — على بال .

وانتقل إلى المعركة الحامية فى حطين بين المسلمين والصليبيين ، فتدفق حماسة وخاض حيوية ، وقال فى حرارة واندفاع :

كأنما قومنا وقد وثبوا شم حصون لها القنا جدر
كأنما قومنا وقد وثبوا زعازع للحصون تهتصر
ذاق العدا من سلاف طعنهمو كأسا بغير العنقود تختمر
ضراغم أجفلوا وقد نظروا حمر المنايا — كأنهم حمر
لم يجبنوا ساعة وإن خذلوا وإنما الليث دونه النمر
يوم تلاق الجمعان وانتصف الميزان رهن انحرافه الظفر
عوقب بالأسر موقن بردى وجل ملكا مع العمى العور

وفى هذه الطويلة وصف رائع لبطولة صلاح الدين ، ولا عجب فقد كان الأمير كلفا بشجاعته ومروءته ، وله فيه قصيدة أخرى لا يقولها غير متيم بمآثره ، معجب ببطولته ، ومن فى الدنيا لا يخفض رأسه إجلالا لصلاح الدين ؟ !

هذا ويجدر بنا أن نشير إلى قصيدته فى آثار الأندلس فقد كانت دمعة حارة سكبها شكيب على الفردوس المفقود ، وليت شعرى ما يقول العربى الأبى فى إرثه الضائع ؟ ومجده السليب !

وهل تكون قوافيه غير جمرات مشتعلة تتقد فى النفوس ، وزفرات ملتهبة تتصاعد من الصدور ؟ على أن أمير البيان قد ملك زمام شاعريته فجاء بالمعنى الرائع والوصف المحكم حين قال فى وصف جامع قرطبة وأعمدته القائمة .

تراها صفوفاً قائمات كأنها حدائق نصت من جماد مشجر
من العمد الأسنى فكل يتيمة لها نسب من مقطع متخير
نبت دونها زرق المؤوس وأصبحت لدى الفرى تهزا بالحديد المعصفر
ولكن لفضل الفن ألقت قيادها فصال بها الصناع صولة عنتر
فبينا هى الصم الصلاد إذا انثنت مقاطع جبن أو قوالب سكر
عرائس للتحريم فوق رؤوسها أكاليل در فى قلائد جوهر

ثم يمضى الشاعر إلى نهاية قصيدته رافلا فى هذا الوشى البديع ولست محتاجاً — بعد ما قدمته من النماذج المختارة من شعر الأمير — إلى أن أنص على أنه كان حريصاً على مقاومة التيار الجديد الذى يبيح للشاعر ما يند عنه الذوق العربى من تهرب من الوزن ، وتنصل من القافية ، بل إنه ظل طيلة حياته يذب عن القديم بما يملك من بيان ، وله فى ذلك أبحاث عديدة يمكنك أن تفهم خلاصتها من قوله التهكمى « ونحن نقول للذين يتكلمون فى القديم والجديد ، ويزعمون أن لكل عصر مدرسة على قولهم فى الشعر ، إن هذه المدرسة تكون فى العلم وتكون فى الصناعة وتكون فى الزراعة ، وتكون فى كل شىء إلا فى الشعر ؛ فإن مدرسته هى القلب وطريقته هى النفس ، والنفس البشرية لم تتغير ولن تتغير ، فهى هى فى أزواقها ومشاربها ، وما سمعنا أن الإنجليز زهدوا فى شكسبير لكونه عاش قبل هذه الأيام بثلاثمائة سنة ، ولا أن الألمان عابوا جوته لمجيئه قبل اليوم بمائة وخمسين سنة ، فكيف نعيب المتقدمين ! ؟) وفى اعتقادى أن كلام الأمير جدير بالتأمل والانتباه ، حتى يظهر الصبح لذى عينين .

أى نجم هوى بفقدك يا أمير البيان ! وأى أمل تحطم حين ودعتك العروبة باكية إلى مقرك الأخير ! وأى أرج عاطر يفوح من ضريحك الحبيب .؟!

سلام على القبر الذى ضم أعظما تطوف المعالى حولها فتسلم

محمد رجب البيومي
كلية اللغة العربية

٣ — طرائف من العصر المملوكى :

ابن الوردى والخمول

للأستاذ محمود رزق سليم

ما هى العوامل التى دفعت ابن الوردى دفعاً إلى أحضان الخمول فارتضاه لنفسه مذهباً ومعتنقاً يجد فيه لذاذة وسعادة ؟ . . إن من كان فى مثل فضله وعلمه ، من حقه على الدنيا أن تنبه شأنه ، وتسعى إليه ، وترفه عنه ، وتنوه به ، وتيسر له . فهل أبلغت الدنيا ابن الوردى آماله ، وأفسحت له سبيل المال والجاه ؟ كلا .. لقد روى أنه دخل الشام مرة ، وفقره باد فى رثاثة هيئته ورداءة منظره ، فحضر مجلس القاضى نجم الدين بن صصرى من جلة شهوده . فاستخفوا به وأجلسوه منهم مجلساً بعيداً : ثم أرادوا كتابة مبايعة مِلك . فقال بعض الحاضرين مشيراً إلى ابن الوردى « أعطوا المعرى يكتب المبايعة » ، على سبيل الاستهزاء به . فقال ابن الوردى : « أ أكتبه لكم نظماً أم نثراً » فزاد استهزاؤهم وقالوا « بل نظما » فأملى لساعته نظما لطيفاً ذكر فيه اسم البائع والمشترى وحدود المبيع والشهود والتاريخ وما إلى ذلك . فأقبل القوم عليه معتذرين ، وقد عرفوا مكانته .

فنكران المنزلة وضيق الرزق وقلة الجاه فى مقدمة أسباب خموله .

وقد كان ابن الوردى — فضلا عن علمه وأدبه — ذا نفس أبية تربأ به عن مواطن الذل ، وتنأى به عن مهاوى الخضوع ولو حرم فى سبيل ذلك ما يشتاق إليه من المجد : يقول :

وما جهلت نفسى المعالى وطيبها ولكن رأت أن السلامة أطيب
أصون الذى علمته عن مذلة فللعز فى الدارين قد كنت أتعب
ورحت خفيف الظل عن حمل منة لفتضح بالمكر وهو محجب

ويقول :

ولو شئت فقت الكل حرصاً وجرأة وأرضى بجمعى وارثى وأعصب
أأكثر أموالا وأحمل ثقلها وأتركها للوارثين وأذهب
على الله رزق الوارثين وغيرهم فبعدا لشخص من سوى الله يطلب

وقد كان ابن الوردى — إلى جانب ذلك كله — ذا أسرة ضخمة ، فقد ترك له أبوه جملة من الأشقاء ، ورزقه الله عدة من البنات . وهذه حالة تتطلب السعى الدائم ، والكد والمجالدة ، وبذل الحيلة . ولكن إباء نفسه لم يدع له وسيلة إلى الخضوع فى سبيل الحصول على الرزق . فهو لا يحنى رأساً لرئيس ، ولا يقارف عملا يتنافى مع كرامته ، ولا يبذل ماء وجهه لقاء عرض الدنيا . يقول :

واكتساب الغنى بنظم ونثر فيه نقص للفاضل المشهور
أنا لفظى در النحور ومثلى لم يبع بالحطام در النحور
إن فقر النفوس ذل وشين وغنى النفس عز كل فقير

ولا يسعى إلى منصب القضاء برشوة — وقد كانت ذائعة فى عصره — بل عف عن المنصب جملة لما رأى فيه رقا لنفس الحر . فيقول بعد أن طلق القضاء :

أالرجم بعد العتق فى الرق ثانياً فلا أم لى إن كان ذاك ولاأب

ولقد كان ابن الوردى — كما ذكرنا — قاضياً على حلب نائباً فى قضائها عن قاضى القضاة كمال بن الزملكانى وكان ابن الوردى قد مدحه بقصيدة طلية لأنه استنقذ كنيسة من اليهود بحلب وجعلها مدرسة للحديث . فقال له :

علا لك ذكر ليس يشبهه ذكر وأحرزت فخراً ليس يدركه فخر

ثم أرسل إليه ابن الزملكانى رسولا يطالبه بنقله إلى منبج . فلم يسترح إلى النقل ، وألح فى العودة إلى حلب ، فلم يستمع له ابن الزملكانى . فانقلب ابن الوردى هاجياً شاكياً ، وكانت هذه الحادثة السبب المباشر فى أنه كره المناصب وحياة الوظيفة ، ولجأ إلى الخمول يستعيض بالاطمئنان إليه ما فقده من جاه ورزق . قال مخاطباً ابن الزملكانى :

فمنذ ما قال الذى قاله رسولكم أوضح ما أعضلا
وبان لى ما يقصد الدهر لى لكن رأيت الصبر بى أجملا
وانقطع البحث وزال المرا فقدموا الناقص والأجهلا
تالله لا باشرت من بعدها حكما ومن يرضى بهذا البلا

فضل ابن الوردى من ذلك الحين حياة الخمول على حياة

الكفاح . وارتضى عيش العزلة على المخالطة ، ونشد السلو بين كتبه ودفاتره ، والعزاء بين أقلامه ومحابره ، وراح يرفل فى ثوب من الخمول ، كأنه يرفل فى ثوب من النعيم . وأمعن فى خموله واستمرأه حتى أصبح حبيباً إليه أثيراً عنده . راضـياً بيأسه . قال :

قالوا تركت الحكم قلت تركته   واعتضت عن خضر القضا باليأس
قتل الأنام على الحطام نفوسهم   فصفعت دنياهم بألف مداس

وقد استقر فى نفسه أن الخمول هو نصيبه الحق من الحياة . لأنه قل أن يجتمع الحظ الحسن مع الذكاء . ويندر أن يلتئم الجاه الواسع مع البروز فى العلم والأدب . فذكاء المرء محسوب عليه . وخير لطالب الجاه أن يدع سبيل العلم والأدب ويخليها لغيره . قال :

لا تحرصن على فضل ولا أدب   فقد يضر الفتى علم وتحقيق
ولا تعد من العقال بينهم   فإن كل قليل العقل مرزوق
والحظ أنفع من خط تزوقه   فما يفيد قليل الحظ تزويق
والعلم يحسب من رزق الفتى وله   بكل متسع فى الفضل تضييق
أهل الفضائل والآداب قد كسدوا   والجاهلون فقد قامت لهم سوق
والناس أعداء من سارت فضائله   وإن تعمق قالوا عنه زنديق

وقد بدا لنا من هذه الأبيات عقيدته فى الحظ ، وقد رددها فى أبيات متعددة فقال منها :

لى نفس تقيـة لم يعبها   غير حظى وذا بغير اختيارى
جامع الحظ والذكاء قليل   يصعب الجمع بين ماء ونار

غير أن هذه العقيدة لا يصاحبها الرضا بل السخط ، ولا يخالطها الاطمئنان بل المرارة والحسرة . ألا تراه يقول :

إن لمت حظى فـلا تلمنى   فإن لومى له بحـق
للضد رزق بلا حسـاب   ولى حسـاب بغير رزق

ويقول :

شـتان يا ابن فلان   تماسـتى وسـمودك
أنـا يدودُ قـزى   وأنت قـزز دودك

وما دام أمر الحظ كذلك فلا داعى للسعى وليعش المرء ناعماً فى خموله ، لا عمل ولا نصب ، ولا كد ولا أدب ، ولا سيما بعد أن كافح ونافح ، ودرب وجرب ، فلم يظفر من وراء ذلك بشىء : قال :

ما طلبنا الخمول جهلا ولكن   ذاك عن خبرة وعن تجريب
لو أمنا الزحام فيـه لكنا   نشتهيه لصاحب وحبيب . . .

ويبالغ ابن الوردى فيأسف على ما فات من الزمن فى غير الخمول ، كأنما فاته شىء من العز والجادة فيقول :

أسفى ! كيف كنت أطلب عزاً   بالولايات وهى عين الهوان
كنت لا أعرف الخمول لجهلى   ليتنى كنت خاملا من زمان

وقد أطلق له خموله حرية القول وفتح أمامه فجاج الحديث . ففخر بنفسه ليدل الناس على مفاخره ، ونقد مجتمعه ليبين لأفراده ضروب الفساد فيهم ، وجأر بالشكوى مما أصابه لعله يجد فيهم حميماً . وما كان خموله إلا شكوى صامتة واحتجاجاً سلبياً على حرمانه . فقنع ولكنها القناعة المرة . وقال :

أهملنى قوم وكم فاضـل   يود أن ينظرنى فى المنام

ثم يقول :

قنعت والقنع يعـز الفتى   لما رأيت الحرص ذل الكرام

على أننا نعود إلى تساؤلنا ونقول : هل كان ابن الوردى خاملا ؟ وهل نال من وراء خموله ما يشتهى من الخمول الحق ؟ كلا . . . فإن بعد عن الناس ببدنه فقد قرب إليهم بفكره ، وإن اعتزلهم بجسده فقد عاشرهم بشعره . ونال من وراء انجماعه عنهم ما يكون كامناً فى نفسه من أمل الشهرة والذيوع . وإن حرم الرزق والجاه . وقد مات ابن الوردى ولا يزال شعره يردد ، وذكره يجدد ، وعاش ومات فى النابهين الخالدين . وكان من الشعراء القلائل الذين تركوا للناس مبادىء ومذاهب عاشوا بها ودعوا إليها .

محمود رزق سليم
مدرس بكلية اللغة العربية

(هامش) توفى ابن الوردى فى عام ٧٤٩ هـ .

الأديب والاصلاح الاجتماعى

للأستاذ أحمد محمد العظمة

لا مشاحة أن للأديب تأثيراً قوياً فى النفوس والأفكار والعواطف والأخيلة، وأن له أثراً جلياً فى حياة الأفراد والجماعات، وأن النهضة الأدبية كثيراً ما تمهد للنهضة السياسية والاجتماعية والدينية، وفى تاريخ الثورة الإسلامية والثورة الفرنسية مثلا مصداق ما نقول. ولا بدع فالأديب إذا بكا قلبه مثلا بكا يراعه، وإذا ثارت نفسه ثار أسلوبه، فكأنما هو يكتب بمداد من الدماء يكفى أن يبصره الناس حتى يهيج دماءهم ويخف بها إلى ما يريد منها، وكأنما هو يخطب بأصوات من روحه لا من لسانه حسب الناس أن يسمعوها حتى تتصل بأرواحهم فتعمل فيها عمل العاصفة حيناً ثم تقذف بها حيث تريد (كجلمود صخر حطه السيل من عل). وهذا من أسرار تلك الكهربية الأدبية التى تعمل عملها فى جوها الروحانى فلا يبلغ مبلغها إلاهيه. فليس الأديب إذن أديب الألفاظ الأصيلة ولا الأفكار الوزينة ولكن أديب الفن، والفن رعشة روحانية تصطفى ما تشاء ثم توحى به نغما أو رسما أو كلما تفكيراً أو عاطفة أو خيالا.

إذا كان للأديب هذا الأثر فتعالوا نتساءل عن مبلغ اهتمام معظم أدبائنا بنا وتأثيرهم الاجتماعى التقدمى فينا.

فى ظنى أن الجواب يحمل دون ما ينتظر من أكثرهم، فقد جروا مع الزمان كما أراد كأنهم ليس لهم فى الإصلاح من مراد، إنهم يهتمون بأنفسهم أكثر من اهتمامهم بأوطانهم فلم يكونوا فاعليين بالهام الواجب، بل كانوا ظاهريين انفعاليين بعامل البيئة، ينظرون إلى ألوان الأشياء والحوادث وأشكالها ولا يتأملون فى حقائقها ومآلها، كأنهم يهدفون إلى الجمال الظاهرى الآنى وحده ويجرون فى ذلك وراء غيرهم جنوداً ولا يجرون فى الطليعة قواداً، رأوا الناس استساغوا منهلا فنهلوا منه وعلوا، فبضاعتهم من الرأى تقليدية مخادعة لا ذاتية تأملية، وقد تكون هذه البضاعة من البهرج الدخيل فى الأمة لا الجوهر الأصيل فيها، وقد يكمن فيها استعمار فكرى أو انهيار خلق أو إنذار سياسى، وقد تعقبها الواقعة فلا تجد الأمة لوقعتها دافعة.

غفل الناس عن ذلك كله فنغفل الأدباء مثلهم أو تغافلوا فلم يكرشهم أمرهم ليروه حقيقاً بالاعتداد به والاحتفال له، وقد يكون من أسباب ذلك ظنهم أن الأدب ألهية الحياة فلم يجعلوه جهيراً للخير وبوقاً لليقظة وقد يتذممون منه إن رأوه كذلك فى عيش يبتغونه رقيق الحواشى لا يعرف إلا هزلا.

وقد يلتمس بعضهم المذر لبعض وهو يراه على خطأ فى الرأى وصدق فى العاطفة الجامحة بأنه أديب والأديب مرآة يتراءى فيها كل ما يتجلى لها فليس فى تبديل ما يعرض له يدان، وما ذلك بعذر لو كانوا ينصفون: فالأديب مرآة ولكنها عاقلة، يصحب تشهيها وتلهيها إيمانها وتفكيرها وثقافتها وإرادتها وغايتها، فليست مكرهة على أن تسف وتسخف، بل ينبغى أن تصطفى مما يعرض لها، وأن توجه الحوادث توجيهاً وتؤلف منها مظهراً جميلا لقصد رفيع تريده، كما يؤلف الكيمائى من مختلف العناصر جسما لم يكن وهو يريده، وبذلك يثبت الأديب انفعاله بتأثير بيئته وعوامله الذاتية إثباتاً دفاعياً لا انخذالياً، كما ترى ذلك مثلا فى العبرات للمنفلوطى ووحى القلم للرافعى.

أنا لست غافلا عما يؤلف فى الإصلاح الاجتماعى، ولكننى لست أعنى الآن العلماء الباحثين والكتاب الصحفيين، إنما أعنى الأدباء أولى الرعشات الروحانية الذين مهدت بالحديث عنهم، فما أقلهم وإن كثرت الكتب والصحف، وما أقل منهم حملة المصابيح فى دياجير الحياة الذين يصدر أدبهم حيوياً تغذوه عقيدة راسخة وثقافة جامعة ناضجة فلا يستعبدهم هواهم ولا يستبدبهم ولا يسخرهم تقليدهم ولا يسخر بهم. فأين أين ذاك الماء الزلال الذى يفيض عن معينه الثر الذى لا يعتكر، ويصدر معينه عن السماء تمده بطلها وإن كان هو فى الأرض؟

إن الأدب العربى لا يتعذر الإصلاح عليه فهو يستطيع أن يحيط خبراً بما بين الناس وأن يجتذب ما يحتاجون إليه مما يقوم حياتهم ويدرأ عنهم ما يتهددهم من الآفات الاجتماعية التى انسلت إليهم من سواهم ثم تفشت فيهم وجعلتهم يتداعكون وهم بين أعداء لها يحذرونها وأنصار يفخرون بها ويحضون عليها، حتى لكأن أبا العتاهية يصدق فينا قوله:

إنا لفى زمن ملآن من فتن فلا يعاب به ملآن من فرق

يستبين من هذا كله أن على الأديب العربى اليوم أن يجعل حظه عظيما من بحوث الأخلاق والاجتماع وما إليها ، حتى لا يلتبس عليه الحق بالباطل والشراب الآجل بالسراب العاجل ، فيأخذ نفسه بما صح عنده من أحكام ، وما كرم من أخلاق وما سما من مقاصد ، ويدعو لذلك غير متريث ولامتهيب ، وقد يدعو هذا إلى إلى شيء من المطاولة والتروى والمصاولة ، فلا ضير ، بل يجب أن يكون كذلك حتى يكون الأدب أو بعض الأدب عميقاً معه برهانه فلا يتهلهل عند النظر ولا يضمحل إزاء الحجة ، ولا يتمهل أمام الواجب .

إن المعركة الخلقية والاجتماعية اليوم من الخطورة بمكان ، فهى عند مفترق الطرق ، وهى معركة مبادىء تتصاول ليذهب زبدها جفاء ، ويمكث حقها فى الأرض بعد ثبات أهله وصبرهم وجلدهم وحكمة قيادتهم .

إنها لمعركة مبادىء تبقى بعد الأمة العربية عربية تهتز بتاريخها المجيد ، أو تغدو غربية تمتز بتاريخ من ليس لهم للحق تاريخ إلا من صفحات العدوان على حق خنقوه ودم سفكوه ومجتمع أضلوه . وإن وراء الحق عقيدة صادقة ، وخلقاً كريماً ، وعزة ، وضياء ، وإن وراء الباطل تحللا ، وسفهاً ، وذلة وعماء ، ومايبدى الباطل وما يعيد .

فمن غير الأديب العربى الحمى الأنف يطارحنا بلحنه الأخاذ فيهز القلوب والمشاعر والأفكار ، بل يهز الأرواح هزاً منبهاً إلى السبيل السوى الذى يجد أهله بعده عزهم وهداهم ونماءهم فلا يضلون فى مهامه المذاهب الاجتماعية الكثيرة التى لا يكاد يتبين فيها السارى وضح الطريق ، وإنما يخشى ما فيها من متفجرات تدك بنيان النهضة من القواعد دكا ، ولا تلبث ذويه حتى يعودوا إلى أنفسهم نادمين فينشئوا الحياة ويبنوا المجد كبناء الأبوة الأمجاد .

إن الأمر حقيقة وجد وما هو بخيال وهزل ، فما أحرى الغيُر على يوم الأمة وغيرها أن يفكروا فى هذا الضرب من الأدب والأدباء ، ولعل من الخير أن يدعوا إلى مؤتمر أدبى علمى عربى يجتمع مؤتمروه فى إحدى عواصمنا كل عام ، فتعرض فيه مشكلاتنا الأخلاقية وآفاتنا الاجتماعية ويوجه نحوها الضياء ، ويوصف لها الدواء ، فيقوى الرجاء بأن العرب يسيرون قدماً إلى الأمام ودائماً إلى الأمام بعد أن صدروا عن عكاظهم الجديد عكاظ الخير والأدب والوطن العربى الكبير .

دمشق **أحمد مظهر العظمة**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٣٣ — أمثال . . .

مجمع الأمثال للميدانى :

لولا جلادى غُنم تلادى (١) .

لا بلاد لمن لا تلاد له (٢) .

الروم إذا لم تُغز غزت (٣) .

لا يفل الحديد إلا الحديد .

الشجاع موقّى (٤) .

٩٣٤ — أصيب زوجها وأخوها وأبوها

تاريخ الطبرى : مرّ رسول الله (صلوات الله عليه) بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله بأحد ، فلما نعوا لها قالت : فما فعل رسول الله ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت أرونيه حتى أنظر إليه ، فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل (٥) .

٩٣٥ — الجنة تحت البارقة

الفائق للزمخشرى : عمار : (الجنة تحت البارقة) هى السيوف

(١) الميدانى : لولا مدافعتى عن مالى سلب وأخذ

(٢) لا يقدر الفقير أن يقيم ببلاده وارضه لفقره بل يحتاج أن يرحل عنها (الميدانى) .

(٣) الميداني : يعنى أن العدو إذا لم يقهر رام القهر ، وفى هذا حض على قهر العدو .

(٤) الميدانى : وذلك أنه قل من يرغب فى مبارزته خوفاً على نفسه وهذا كما يقال : احرص على الموت توهب لك الحياة . قلت : ومن أقوالهم : كم منية علتها طلب الحياة ، وحياة سببها التعرض للموت . ومن كلام على (رضى الله عنه) النجاة للمقتحم والهلكة للمتلوم (تلوم فى الأمر) تمكث فيه وانتظر .

(٥) الأساس : وهذا شىء جلل أى هين ، قال : الا كل شيء سواه جلل .

لريقها وهذا كقولهم : الجنة تحت ظلال السيوف .

وفيه : قال أبو هريرة يوم اليرموك : تزينوا للحور العين وجوار ربكم فى جنات النعيم ، فما رئى موطن أكثر قحفاً (١) ساقطاً وكفاً طائحة من ذلك اليوم .

فى الفتوحات المكية : قال بعضهم فى حق المجاهدين :

لأبواب عدن مفتحات … والحور منهن مشرفات
فاستبقوا أيما استباق … وبادروا أيها الغزاة
فبين أيديكم جنان … فيها حسان منعمات
يقلن والخيل سابقات … مهورنا الصبر والثبات

٩٣٦ — نحن والله أهل الحرب

طبقات ابن سعد : قال عبد الله بن عمرو : نحن (والله) أهل الحرب غذينابها ، ومرنا عليها ، وورثناها عن آبائنا كابراً فكابراً . نرمى بالنبل حتى تفنى ، ثم نطاعن بالرماح حتى تكسر الرماح ؛ ثم نمشى بالسيوف فنضارب بها حتى يموت الأعجل منا أو من عدونا .

٩٣٧ — . . . إلا بحيث ترى المنايا سودا

أبو تمام :

ما إن ترى الأحساب بيضا وضحا … إلا بحيث ترى المنايا سودا (٢)

٩٣٨ — . . . فعليكم بالجهاد

كان خالد يقول : ما من ليلة يهدى إلى فيها عروس ، أنا لها محب وأبشر منها بغلام — أحب إلى من ليلة شديدة البرد ، كثيرة الجليد فى سرية أصبح فيها العدو ، فعليكم بالجهاد .

وفى كتاب فتوح الشام للازدى : ثم إن خالداً سار فى الصفوف يقف على أهل كل راية ويقول : يا أهل الإسلام ، إن الصبر عز ، وإن الفشل عجز ، وإن مع الصبر تنصرون ؛ فإن الصابرين هم الأعلون ، وإنه إلى الفشل ما يحور (٣) المبطل ، وإن المحق لا يفشل .

(١) الزمخشرى : القحف هو العظم الذى فوق الدماغ من الجمجمة .

(٢) المتنبي .

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى … حتى يراق على جوانبه الدم

(٣) الأساس : دعى إلى القتال ففشل أى جبن وذهبت قوته ، وعزم على كذا ثم فشل عنه أى نكل عنه ولم يمضه ، وفى التاج : الحور : الرجوع عن الشيء وإلى الشيء .

٩٣٩ — . . . عن أحسابكم ذودوا

عمرو القنا :

القائلين إذا هم بالقنا خرجوا
من غمرة الموت فى حومانها : عودوا
عادوا ، فعادوا كراماً لا تنابلة
عنـد اللقاء ولا رعش رعاديد
لا قوم أكرم منهـم يوم قال لهم
محرض الموت عن أحسابكم : ذودوا

٩٤٠ — لكنه الله يعرفهم

الخراج لأبى يوسف : حدثنى إسماعيل عن قيس عن مدرك ابن عوف الأحمسى . قال : بينا أنا عند عمر إذ أتاه رسول النعمان ابن مقرن فجعل عمر يسأله عن الناس ، فجعل الرجل يذكر من أصيب من الناس بنهاوند فيقول : فلان بن فلان وفلان بن فلان ، ثم قال الرسول : وآخرون لا نعرفهم ، فقال عمر : لكن الله يعرفهم .

وفيه : حدثنى مسعر عن سعد بن إبراهيم : مروا على رجل يوم القادسية وقد قطعت يداه ورجلاه وهو يفحص ويقول : (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا) . فقال له رجل من أنت يا عبد الله ؟ فقال : رجل من الأنصار .

٩٤١ — كذبتم وبيت الله لا تأخذونها

عمرو بن براقة الهمدانى(١) :

كذبتم (وبيت الله) لا تأخذونها
مراغمـة ما دام للسيف قائم
متى تجمع القلب الذكى وصارما
وأنفا حميـا تجتنبك المظالم

٩٤٢ — لعل الله يرزقنى الشهادة

طبقات ابن سعد : عن عامر بن سعد عن أبيه قال : رأيت

(١) وينسب لمالك بن حريم

أخى عمير بن أبى وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله يتوارى ، فقلت : مالك يا أخى ؟ قال أخاف أن يرانى رسول الله فيردنى ، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة . قال : فعرض على رسول الله ، فاستصغره ، فقال : ارجع ، فبكى عمير ، فأجازه رسول الله . قال سعد : فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره ، فقتل ببدر .

٩٤٣ — أحق من لم يكره المنية

ابن جؤجؤة الأعرجى :

أحق من لم يكره المنيـة
حزورٌ ليسـت له ذرية(١)

٩٤٤ — نساؤهم كرجالهم

طبقات ابن سعد : قال محمد بن عمر : شهدت أم عمارة ابن كعب أحداً مع زوجها غزية بن عمرو وابنيها ، وخرجت معهم بشن لها فى أول النهار تريد أن تسقى الجرحى ، فقاتلت يومئذ وأبلت بلاء حسناً . وجرحت اثنى عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف .

***

قتلت أم حكيم يومئذ (يوم مرج الصفر) سبعة بعمود الفسطاط الذى بات فيـه خالد بن سعيد العاص معرساً بها ، وكانت وقعة مرج الصفر فى المحرم سنة أربع عشرة فى خلافة عمر بن الخطاب .

٩٤٥ — . . . فأنا أرابط حتى أموت

قال أبو فضالة الأنصارى : اصطحبت أنا وسهيل بن عمر ابن عبد شمس ليالى أغزانا أبو بكر الصديق فسمعت سهيلا يقول : سمعت رسول الله يقول : مقام أحدكم فى سبيل الله ساعة خير من عمله عمره فى أهله ، قال سهيل : فأنا أرابط حتى أموت ولا أرجع إلى مكة أبداً .

(١) التاج : يقال للغلام إذا راهق ولم يدرك بعد حزور ، وإذا أدرك وقوى واشتد فهو حزور أيضاً .

تعقيبات

الروح العربية :

لقد نديت عيني بالدمع ، وأحسست بقلبي كأنه يريد أن يثب من بين جوانحي وثباً وأنا أستمع لزعماء العرب وقادتهم وهم يتحدثون في اجتماعهم الأول بوزارة الخارجية المصرية عن العمل لإنقاذ فلسطين وصيانة ذلك الوطن المقدس من طغيان الصهيونيين والاستعماريين ...

قال لي سماحة الحاج أمين الحسيني : لقد حان وقت العمل ، ولا بد أن يلعب السيف دوره ، وإذا تكلم السيف فاسكت أيها القلم ... وسننتصر ... ولا بد أن ننتصر ... وإن ينصركم الله فلا غالب لكم ...

وقال لي سعادة الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا : حتى أنت تريد مني أن أتكلم ! إننا في ميدان العمل ، وإنها لكرامة العرب قاطبة ، وإنه لكيان العروبة في سائر أقطارها وأنصارها ، وإنه لتراث الآباء والأجداد نحمله أمانة بين أيدينا ، وإن دماءنا لأقل ما يبذل في سبيل هذا كله ...

لم أكن أسمع كلاماً ، ولكني كنت أرى نفوساً تتوثب بالإباء في قوة وعزيمة ، وقلوباً تتدفق بالحياة في إصرار وحزم ، وعواطف ثائرة متأججة كأنها زفير الجحيم على الظلم والطغيان ، فأيقنت أن الروح العربية لا تزال بخير والحمد لله ، وأن العرب لن يضاموا ما دامت فيهم هذه الروح التي ورثوها عن آبائهم الصيد ، وأجدادهم الصناديد ، وأن فلسطين لن تذل ما دامت تحميها هذه الروح وتصونها من تناوش الذئاب .

لن يسرق العرب تحت عين الشمس مرة أخرى ، ولن تذهب فلسطين فريسة في سوق السماسرة والتجار ، ولن تنحني هاماتنا بعد اليوم أمام التهديد الغاشم والوعيد الظالم ، فقد تيقظ العرب ، وإذا تيقظ العرب ، فالويل ثم الويل للاستعمار وصنائع الاستعمار !

إنني وحدي أنفرد من بين أبناء العربية فأحمد لهيئة الأمم قرارها ، وأزجي الشكر أضعافاً إلى الأمم التي أيدت قرار التقسيم ، لأنها بهذا نادت على العرب أن يتيقظوا ، وأثارت فيهم روحاً كان يهدئ من ثائرتها ما طبعوا عليه من كرم وإنسانية ، وجعلتهم يواجهون الحقيقة حتى لا تعصف بهم الخديعة على غرة ، والأمر كما قال شوقي شاعر العرب :

وكم في طريق الشر خير ونعمة وكم في طريق الطيبات شرور

النصر الأول :

إني أرى التاريخ يعيد نفسه اليوم !

فقد حدث من قبل أن طغى كسرى وبغى ، وصرع النعمان ابن المنذر شر مصرع ، ثم أرسل إلى هانىء بن قبيصة يطلب منه ما استودعه النعمان من الدروع والرماح ، حتى ابنته أيضاً ، فأبى هانىء عليه ذلك وفاء بحق العرب ، فأسرها كسرى في نفسه ، وحشد على العرب زحفاً من جيوشه يسد عين الشمس ، وحسب أنه ساحقهم لا محالة ، وعلم بذلك الشاعر الأيادي لقيط بن معمر الذي كان يتولى الكتابة في ديوان كسرى ، ففزع لقومه ، وأرسل إليهم بهذه الصيحة التاريخية يقول :

يا أيها الراكب المزجي مطيته إلى الجزيرة مرتاداً ومنتجعا
أبلغ إياداً وخلل من سراتهم
إني أرى الرأي — إن لم أعص — قد نصعا
إني أراكم وأرضاً تعجبون بها
مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا
ألا تخافون قوماً لا أبا لكم أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا
ياقوم إن لكم من إرث أولكم مجداً قد اشفقت أن يفنى وينقطعا
ياقوم لا تأمنوا إن كنتم غيُراً على نسائكم كسرى وما جمعا
هو الجلاء الذي يجتث أصلكم فمن رأى مثل ذا رأياً ومن سمعا
قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا
وقلدوا أمركم لله دركم
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

ولقد استجاب العرب لهذه الصيحة ، واندفعوا على صداها يذودون عن شرفهم وحرماتهم ، ووقف هانىء بن مسعود على

جموع العرب يخطب خطبته المأثورة : يامعشر بكر! هالك معذور، خير من ناج فرور ، إن الجزع لا يرد القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدنية ، واستقبال الموت خير من استدباره ، فالجد الجد ، فما من الموت بد !

وهب العرب أنفسهم للموت فى سبيل الشرف والكرامة ، فكتب الله لهم النصر والحياة ، ومكن لهم من الفرس وقهر الطغيان ، وبلغ الأمر إلى النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وكان قد بعث ، فقال : «اليوم أول يوم انتصف فيه العرب لأنفسهم من العجم ، وبى نصروا » !

وابتدأ التاريخ من يومذاك يكتب للعرب صفحات مشرقة حافلة بالنصر بعد النصر على العجم ، وما زالوا حتى أورثهم الله أرضهم وديارهم !

ذلك ما كان من تاريخ النصر الأول للعرب ، حفَّز إليه طغيان كسرى ، وإن العرب اليوم ليمشون إلى النصر الخالد يحفزهم إليه قرار تلك الهيئة فى جانب الظلم والبهتان ، ويعلم الله أننا ما كنا نبغى العدوان ، ولكن الأمر كما قال أبو الطيب شاعر العربية :

غير أن الفتى يلاقى المنايا كالحات ولا يلاقى الهوانا
وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا

نشيد العروبة :

والآن ، وأبناء العروبة يمشون إلى ميدان الجهاد ، ويتحفزون للتضحية والفداء ، والشباب الفتىّ فى القاهرة ودمشق وبيروت وبغداد وعمان وفلسطين وسائر الأقطار العربية يستفزهم الغضب لكرامتهم والذود عن كيانهم ، ألا يجدر أن يكون لهم نشيد واحد يهتفون به لفلسطين ، ويكون حداؤهم المؤتلف فى مواكب الجهاد ضد الغاصبين ! ؟

أجل ، إنه لواجب أن ننحى أناشيدنا المحلية اليوم جانباً ، وأن يكون لنا اليوم « نشيد العروبة » يهتف به كل لسان ، ويفيض به كل وجدان ... فلعل شعراءنا ينسون أحاديث الغزل والهيام ، وينحدرون من أبراجهم العاجية إلى مواكب المجاهدين بأشعارهم وأناشيدهم !

إن الشاعر الذى سيكتب « نشيد العروبة » فى هذه الآونة الحاسمة ، سيكتب لا شك لنفسه الخلود . فيا ترى من هو الشاعر الذى سيكون لذلك الموقف ، ولذلك اليوم ؟ !

الدكتور . . . أحمد أمين :

حدثنى الثقة أن الأساتذة الذين يقومون بالتدريس فى كلية الآداب قد اجتمعوا فيما بينهم وقر رأيهم على أن يتقدموا إلى مجلس الجامعة بمنح الأستاذ أحمد أمين بك درجة الدكتوراه الفخرية تقديراً لعلمه ولجهوده فى خدمة الحياة الثقافية والعلمية .

والأستاذ أحمد أمين بك رجل أخذ حظه ومكانته ، فلن ترفع من قيمته دكتوراه فخرية ، ولا يغض من مكانته عدم حمله لهذا اللقب الذى يحسبه بعض الناس كل شىء فى العلم والمكانة ، وكم بيننا من « دكاترة » ليس لهم من أثر ومن صلة بالعلم إلا حمل هذا اللقب الضخم ، ولكنى أكبر هذا الوفاء من رجال كلية الآداب وأحمد لهم هذا التقدير الذى هو تقدير للعلم فى ذاته ، وإكبار له فى شخص رجل بذل فى سبيل العلم نور البصر ، وضحى بحياة الرفاهية والتقلب فى أعطاف الراحة .

أجل ، لقد وقف الأستاذ أحمد أمين حياته على خدمة العلم ، وقدم للمكتبة العربية تراثاً ضخماً من البحث والدرس يستحق به كل تقدير ، وسيمتد هذا التقدير فى نفوس الأجيال المتعاقبة ، ما دامت الثقافة العربية زاهرة مشرقة . أقول هذا ولعل القراء يذكرون أنى هجمت على هذا الأستاذ الفاضل منذ قريب فى الرسالة لرأى أبداه ولمست فيه شيئاً من الإسراف ، وحسب أستاذنا صاحب « الرسالة » أنى أجحد فضل هذا الرجل ... كلا ! ولكنى أفصل دائماً بين الرأى وصاحبه ، وإن خطأ من الأخطاء لا يحملنى على أن أجحد ما هناك من حسنات ، خاصة وليس فى نفسى شىء من أحد والحمد لله . وقد كنت فى دروسى آخذ بتلابيب أساتذتى ولكنى كنت أجلهم وأحبهم حبى لوالدى ، وما زالت هذه صلتى بهم . فلا عجب أن اغتبطت بهذا الخبر ، وأكبرت هذا التقدير لذلك الأستاذ الجليل ...

« الجاحظ »

الأدب والفن فى أسبوع

حدث فى الفكر الإسلامى :

نشرت مجلة الثقافة[١] بحثاً كبيراً فى مسألة تعدد الزوجات لمعالى الأستاذ عبد العزيز فهمى باشا ، ذهب فيه إلى أن تعدد الزوجات إلى أربع غير قائم على سند من القرآن صالح لقيامه عليه ، وأنه بمقارنة بعض الآيات ببعض يظهر أن الأصل تحريم التعدد ، وقد وصل معاليه إلى هـذه النتيجة من طريق تفهم الآيات القرآنية وتذوق بلاغتها ، فجاء بحثه تشريعياً أدبياً قيماً خطيراً ، قيمته فى البراعة فى معالجة الموضوع ، وخطره فيما انتهى إليه من الرأى ، وهو لهذا يعتبر حدثاً جديداً جللا فى تاريخ الفكر الإسلامى من غير شك .

اعتمد الباحث الكبير فى رأيه على ثلاث آيات من سورة النساء ، هى :

١ — الآية الثانية من السورة وهى : « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً »

٢ — الآية الثالثة ونصها : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا »

٣ — الآية التاسعة والعشرون بعد المائة ونصها : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة »

قال : « إن الكلام فى الآيتين الثانية والثالثة من السورة مسوق لتحقيق فضيلة العدل فى المعاملة ، فأشار فى أولاهما إلى ما كان حاصلا من أكل المخاطبين أموال اليتامى الذين فى ولايتهم ومن العبث بها ، وقد أمرهم باجتناب هذا العبث وعدم التورط فيه لأنه إثم عظيم . ولما كان بعض اليتامى إناثاً فى حجر المخاطبين وكان لهن أموال تحت يدهم ، وكان من عاداتهم السيئة أنهم يتخذون هؤلاء اليتامى زوجات لهم ويمسكونهن هن وأموالهن ضراراً ، وكان هذا أشنع مظهر من مظاهر أكل مال اليتامى ، فتتميماً لفكرة تحقيق العدل (التى فى الآية الثانية من السورة) وتثبيتاً لهـا أشار فى الآية الثالثة إلى هذا المنكر ، وأتى بأبلغ ما يكون من القول لصرفهم عنه . إنه يقول لهم : إذا فهمتم قولى فى الآية السابقة وعلمتم أن أكل مال اليتامى مطلقاً (من ذكور وإناث) إثم كبير ، فلا تتذرعوا إلى هذا العبث بنكاح اليتيمات اللاتى فى حجوركم ، بل تعففوا عن نكاحهن المفضى بكم إلى أكل أموالهن ، ولديكم ممن تستطيبونهن من غيرهن من النساء كثيرات ، تستطيعون أن تنكحوا منهن ما تشاءون ، لا واحدة ولا اثنتين واحدة بعد أخرى ، ولا ثلاثاً واحدة بعد الاثنتين الأوليين ، بل حتى مثنى وثلاث ورباع ، أى جزافاً بلا حساب ولا عدد » ؛ وأشار إلى ما فى التعبير بهذه الكيفية من الهزء والسخرية بالمخاطبين ، وإلى أن أساس القول فى الآيتين فكرة العدل ، ثم دلل على أن الآية ليست مسوقة لتحديد عدد الزوجات بأدلة منها أن « تحديد عدد الزوجات من الأمور الأساسية فى التشريع للعرب ، لأنه يصادم عادة متأصلة فيهم ، والقرآن أجل من أن يأتى بهذا الشأن الأساسى بصفة عرضية جواباً لعبارة شرطية بعيدة بظاهرها عن هذا الشأن ولا مناسبة بينها وبينه ؛ إذ الحق أن أحداً لا يستطيع أن يفهم ما هو الارتباط بين خوف عدم الإقساط فى اليتامى وبين نكاح النساء وإلى أربع فقط . إن القرآن لأجل بلاغة من أن يأتى بهذه المفارقة » ؛ ومنها أن كلمة « ما » فى قوله « ما طاب لكم » من أقوى ما يكون فى إفادة العموم ، وليست موصولة ، ونبه إلى بلاغة القرآن فى أنه استعمل كلمة « طاب » ولم يستعمل « حل » ، لأن الطائب قد يكون حلالا وقد يكون حراماً ، وقال : « إن مثنى وثلاث ورباع » معناها المتفق عليه عند الجميع اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ، لأنها أوصاف معدولة عن أصلها العددى ، يقصد بها التوزيع الجذاف لا تحديد العدد .

وتساءل الباحث كيف تطمئن قلوب المؤمنين إلى الأخذ بما

---

(١) العدد ٤٦٧ .

يرون من أن فلاناً وفلاناً كان تحته ثمـانى نساء أو عشر ، فلما نزلت الآية كلم النبى فأمره بإمساك أربع ومفارقة الباقيات ، وهل يعقـل أن أية شريعة تأتى بتشتيت الزوجات وما قد يكون لهن من أطفال ؟ وقال : « ومن ناحية أخرى فإن قوله : (وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) إن فرض أنه مسوق للتصريح بتعديد النساء إلى أربع فقط ، فإنه يقرر أيضاً حكماً أساسياً هاماً هو وجوب الاقتصار على واحدة عند خوف عدم العدل بين الأربع المزعومات . وهذا الحكم الأساسي كان يقتضى بطبيعة الحال أن يأمر النبى الناس بمفارقة ما زاد على واحدة ، لأن الخوف يملأ كل نفس » .

ثم قال بأن المقصود من عبارة « فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » إنما هو تنظيم الحالة الوقتية وهى حالة الزوجات المتعددات الموجودات فعلا عند نزول هذا القول .

وقال : إن الدين الإسلامى عالج أحوال العرب بكل تؤدة ، وتدرج فى كثير من الأنظمة « وفى الموضوع الذى نحن بصدده الآن قد ترك القرآن الناس على حريتهم وعاداتهم يتزوجون أى عدد من النساء يريدون . وغير صحيح — فى نظرى — أنه حد من هـذه الحرية نصاً أى تحديد ، بل كل الأمر أنه نبههم إلى القاعدة الأساسية فى تشريعه ، وهى مراعاة العدل والابتعاد عن مزالق الجور ، فأوجب على المسلم عند ما يقوم فى نفسه الخوف من عدم العدل أن يقتصر على زوجة واحدة ، ثم أكد هـذا المعنى تأكيداً لا هوادة فيه بقوله : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ؛ فأصبح الأصل الواجب أن يحتذيه كل مسلم يريد الاحتياط لنفسه هو الاقتصار على زوجة واحدة » .

ثم قال بأنه يحل الخروج عن هـذا الأصل إلى التعديد فى حالتين : الأولى إذا انعدم الشرط بأن انتفى موطن خوف الجور بتاتاً كحالة زوجة مريضة أصبحت نهائياً لا تصلح للمباشرة ؛ والحالة الثانية إذا قضت الضرورات الماسة إباحة التعديد كحالات الحروب التى يقتل فيها الرجال ، فلا محيص من تعديد الزوجات تكثيراً للنسل من الذكور .

ثم تناول مسألة خصوصيات النبى فقال : إنها فيما يتعلق بالزواج ليست خصوصيات تمتع، بل خصوصيات حرمان أو تكاليف مست إليها الضرورة لتحقيق المصالح الدينية والاجتماعية ، وقضت بها السياسة الشرعية القائم هو دون غيره بإجرائها . وفصل القول فى الحالات التى تزوج فيها بعد نزول الآيات السابقة مبيناً مبرراتها التى منها — فى مسألة زينب بنت جحش — أن الغرض منها إبطال عادة التبنى وما يترتب عليهـا من تحريم مطلقة المتبنَّى أو المتوفى عنها ، وذلك بشىء عملى يبهر النـاس ، فاختار الله النبى ليكون هو مثال المتبنِّى الذى يدور على شخصه تحقيق موجب التشريع ، وعلى هذا يكون الذى أخفاه فى نفسه هو تأذيه من أن يكون هو المبتلى بذلك .

ومن تلك المبررات لجوء المطلقات والأرامل والبائسات إليه ، وعد كل ذلك محناً وتكاليف مشوبة بالمشقة والحرمان ، ومن ذلك المؤمنة التى تهب نفسها للنبى ، ومثل لها بقوله : « بحسبك أن تتخيل أن الحكومة المصرية مثـلا أصدرت قانوناً يلزم كل من تولى رياسة الوزراء أو مشيخة الأزهر أن يتزوج أية امرأة مصرية مؤمنة تعرض نفسها عليه — بحسبك هذا لتدرك أن يوماً واحداً لا يكاد يمضى على صدور مثل هذا القانون حتى يضج الرئيس أو الشيخ ويفر من منصبه ، وهذا حتى لو كانت الوافدات أبكاراً مكنونات مكفيات المئونة ، لا أرامل أو مطلقات من المسـنات المستميتات » .

ثم بين كيف مال المسلمون إلى عدم التدقيق فى تأويل النص القرآنى وانحدروا إلى القول بإباحة الأربع إطلاقاً — بين ذلك باستعراض حال الجنود فى الحروب الإسلامية الأولى، واضطرارهم إلى الاختلاط الجنسى والزنا محرم عليهم فلم يجدوا إلا التزوج وتكريره مع تعدد الوقائع والتنقلات ، وتسوهل معهم فى ذلك لأن الجنود مدللون فى كل أمـة ، ودام ذلك بدوام الحروب والثورات التى استمرت حتى جاء عصر التدوين ، وكانت عادة الأربع قد صارت من التقاليد القديمة المستقرة التى سرت إلى غير الجنود فاضطر الفقهاء إلى مسايرتها ، وتساهلوا فى تأويل سندها القرآنى كما تساهل فيه المحاربون الأولون .

تعقيب :

وقد سرت مع الباحث الكبير معجباً بقوة حجته ونصاعة بيانه ، ولكن عن لى فى بعض المواطن ما أدلى به فيما يلى :

١ — أباح التعدد فى حالتين ، حالة انتفاء موضع الجور ، وحالة الضرورات . فإذا سلمنا بالحالة الأولى لبطلان المشروط بانتفاء الشرط ، فن أى باب ندخل إلى الحالة الثانية ؟ يقول من

باب « الضرورات تبيح المحظورات » والضرورات يمثلون لها فى الفقه بمثل من تحقق هلاكه إذا لم يأكل الميتة ، فهل ضرورات الحروب وما إليها تماثل ذلك ؟ ثم ألا يرى أن جواز التعدد فى الحالتين معناه إباحة التعدد إباحة مقيدة ؟

٢ — قال بأن الآيات (التى بنى عليها رأيه) نزلت وعند كثير من المسلمين وفى جملتهم النبى عدد من الزوجات ، فكان التشريع للمستقبل ، ونظمت الحال الواقعة بـ « فلا تميلوا كل الميل ... » ويفهم من هذا أن النبى وقع فى بعض عادات العرب السيئة التى أبطلها الإسلام ، والمأثور أن ذلك لم يكن .

٣ — الملاحظتان السابقتان من عمل الذهن ، أما الملاحظة الثالثة فهى شعورية ... فكم يصعب على أن أتصور المجتمع الإسلامى من الصدر إلى الآن — فى هذه الغفلة العجيبة فيما يتعلق بهذا الموضوع .

كرسيان آخران فى المجمع اللغوى :

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى جلسة يوم الإثنين شغل الكرسيين الخاليين فيه بعضو عراقى وعضو فلسطينى ، وحددت جلسة يوم الاثنين ٢٩ ديسمبر الحالى للترشيح وتحديد جلسة بعد لانتخاب العضوين من بين من يرشحون .

وهذان الكرسيان هما الباقيان من الأربعة التى كانت خالية بالمجمع وشغل اثنان منها بانتخاب الأستاذين على عبد الرازق والمازنى منذ أسبوعين . ومما يذكر أن العضو العراقى سيحل محل الأب أنستاس مارى الكرملى الذى توفى فى هذا العام ، أما فلسطين فلم تكن ممثلة فى المجمع وسيأخذ مندوبها كرسيا كان مشغولا بمصرى من الثلاثة المتوفين . ومن الأسماء التى تتردد للترشيح عن فلسطين الأديب اللغوى الكبير الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى .

المسرح الأوربى بعد الحرب :

تحدث الأستاذ صلاح ذهنى بنادى الخريجين المصرى يوم الجمعة عن مشاهداته فى مسرح أوربا بعد الحرب ، فتناول فى حديثه المسرح فى إيطاليا ، وفى فرنسا ، وفى انجلترا ، فقال إن فن الأوبرا الذى عرفت إيطاليا بالتبريز فيه لا يزال على أوضاعه القديمة بحكم الغناء والموسيقى ويخضع له التمثيل والإخراج ، أما المسرح الاستعراضى فقد أصبح فى إيطاليا ميدانا لتناحر المذاهب السياسية ، وعلى الأخص الشيوعية والديمقراطية المسيحية ، وهو وإن كان يعالج المسائل الوطنية والمشاكل القومية إلا أنه يلاحظ أن القوة اختفت منه ، والمراد بالقوة الدعوة العريضة التى كانت تردد أيام الحرب فى العهد الموسلينى . وقال الأستاذ إن استخدام المسرح فى الوطنيات بإيطاليا الآن يشبه ما كانت تصنعه الفرق الاستعراضية بمصر سنة ١٩١٩ ، وخاصة ما كان يلقى فيها من الأناشيد الحماسية

ثم وازن بين المسرح الانجليزى والفرنسى من حيث التجديد فقال إن الأول يسير على طبيعة الانجليزى فى المحافظة وعدم الإسراع فى استقبال التيارات الجديدة ، فتجد المسارح الكبيرة جارية على تقاليدها ولا تكاد ترى الجديد إلا فى المسارح الصغيرة ، أما فى فرنسا فالأمر على خلاف ذلك جريا على طبيعة الفرنسيين فى سرعة الاستجابة لدواعى التقدم ، ومن أمثلة التقدم فى الإخراج الفرنسى أن إحدى الروايات القديمة كان البطل فيها مصورا على أنه كاره للانسانية ، فجعله المخرج عصبيا يفسد باضطراب أعصابه أعماله وعلاقاته بالناس ، واستعان المخرج فى ذلك بعلم النفس وبالضوء إذ يرسل على الشخصية أشعة خاصة تهيج الأعصاب وقال إن عادة الترفيه أيام الحرب قد غلبت على المسرح الفرنسى فمن المشاهد أن يخرج الممثل عن دوره ليأتى بحركات ونكات مضحكة . وقال إن المسارح هناك تتمتع بحرية عجيبة فى عرض المبادئ السياسية ، والشيوعية هى المتغلبة هناك . أما ما عرفت به فرنسا قبل الحرب من المسارح المجونية المتهتكة فلا يزال كما هو .. ولم تستفد فرنسا من محنتها القاسية التى أوقعها فيها انحلالها الخلقى وانغماسها فى الترف واللذات ، كما قال بيتان .

وقال المحاضر إن انجلترا تشكو الفقر فى التأليف المسرحى ، وإن المسارح الناجحة فيها هى المسارح الأمريكية التى غزتها وتغلغلت فيها ، حتى أنك تجد المسرح الرائج الذى يمثل فيه ممثلون انجليز إنما تعرض عليه رواية أمريكية ، فالسائد هناك هو الفن الأمريكى . وقال إنه شاهد فى بعض المسارح الصغيرة نوعاً غريباً من التجديد ، فالمؤلف لا يضع إلا الفصل الأول يصور فيه المشكلة ، ثم تسدل الستارة ويؤخذ رأى الجمهور فى حل المشكلة ، وعلى حسب هذا الرأى يعمل المخرج فى إظهار المنظر التالى ... وهكذا حتى تنتهى الرواية ، وهى لهذا تأخذ وقتاً أطول من المعتاد

وختم المحاضر حديثه بأن المسرح يعيش فى أوربا لأن هناك جمهوراً ممثلا ورواية ، أما مصر ففيها ممثل ولكن ليس فيها جمهور ولا رواية .

« العباس »

الكتب

رسائل الصاحب بن عباد

(صححها وقدم لها عبد الوهاب عزام بك ، وشوقى ضيف)

الصاحب بن عباد من أئمة أدباء القرن الرابع ، وهو تلميذ ابن العميد ، وكلاهما كان وزيراً فى دولة بنى بويه . وكانت آثار الصاحب بن عماد مطوية فى بطون المخطوطات حتى نهض الأستاذ العميد وصاحبه ، فأخرجاها إلى نور الطباعة ، مع العناية بالتصحيح والتحقيق ، وتجلية الصاحب بالتعريف والتقديم . فإذا بالجوهرة المخفية فى خزائن الدور ، تتكشف وتبرز إلى النور ، وهذا عزم من الأستاذ عزام مشكور ، يحمده له قراء العربية ، لأن إبراز كنوز الأدب القديم يعد الخطوة الأولى فى بناء الحضارة الإسلامية.

ولهذه الرسائل قيمة تاريخية ، وقيمة أدبية ، كما ذكرا فى المقدمة ، ونستطيع أن نضيف إليها قيمة اجتماعية كذلك . فالباب الأول فى البشائر والفتوح ؛ والثانى فى العهود ؛ والثالث فى الأمان والإيمان والموافقات والمناشير؛ والرابع فى الوصاة بالحجيج والمصالح وأمر الثغور ؛ والخامس فى الاستعطاف لقلوب أولياء الدعوة والتودد إليهم بمباسطتهم وما يقارب ذلك ؛ والسادس فى إصلاح ذات البين والدعاء إلى الطاعة وتهجين العقوق بين ذوى الأرحام ؛ والسابع فى المدح والتعظيم ؛ والثانى فى الذم والتهجين ؛ والتاسع فى التهانى والأجوبة ؛ والعاشر فى التعازى ؛ والحادى عشر فى الإخوانيات والملاطفات والمداعبات ، والثانى عشر فى التشكر وما يشاكله ؛ والثالث عشر فى الاستزارة والتقريع ؛ والرابع عشر فى التنصل والاسترضاء ؛ والخامس عشر فى الشفاعات ؛ والسادس عشر فى توصية العمال بتجلب المال وإظهار العفاف وحسن السياسة ؛ والسابع عشر فى الآداب والمواعظ . الخ

وقد عرضت فهرس هذه الرسائل لتعلم أنها تتشعب فى كل فن وتضرب فى كل باب ، حتى لتعد صورة صحيحة للعصر الذى كان يعيش فيه الصاحب ، بل هى مرآة للحياة الاجتماعية وما ينبغى أن يكون عليه أدب السلوك ، أو الأخلاق العملية كما نعبر اليوم . ولهذا كنت أحب ألا يقف المدخل الذى دبجته براعة العميد وصاحبه فى التقديم عند حد القيمة التاريخية والأدبية للرسائل . وفى الحق إن هذه الدراسة مثال لما ينبغى أن تكون عليه دراسة الأدباء فى تحقيق سيرتهم ، ونقد أساليبهم ، لولا الطمع إذ كنا نشتهى المزيد . ولا نظن أن هذه الدراسة قصيرة فهى تقع فى عشرين صفحة من القطع الكبير .

أبرز صفة فى هذه الرسائل ، وهى مما يمتاز به الصاحب بن عباد أو قل إن شئت إنها سمة العصر كله ، التزام السجع وتكلف البديع أو كما انتهى المدخل إلى القول « ونرى من كل ما سبق أن الصاحب عنى فى رسائله بالسجع ، فلا ينفك عنه إلا نادرا ، كما عنى بطول الجمل وتحليتها بالبديع ، وخاصة الجناسات والاقتباسات والتشبيهات والاستعارات » .

وعندى أن شيوع الزينة اللفظية ، والتنميق الخارجى للأساليب ، إنما يرجع إلى أن الحضارة الإسلامية وقفت عن الابتكار ، وانصرف الناس مع استتباب الملك وغنى الدولة إلى شغل الفراغ بالتأنق والتجمل ولهذا نجد الحلية والزركشة والزينة تدخل إلى صميم كل فن من الفنون . حلية فى الخط والكتابة ، وفى النقش والعمارة ، وفى الملابس والنسيج ، وفى الشعر والنثر كذلك .

وسأل المحققان فى دراستها أنفسهما سؤالا له قيمة عظيمة « أكان للفارسية أثر فى كتابة الصاحب ، وقد قلنا آنفا إنه كان يتقن الفارسية ؟ » .

ويبدو أن عبد الوهاب عزام بك — وهو أستاذ الأدبين والعارف باللغة الفارسية — آثر التحوط فقال « وأما أن تركيب الجملة العربية طاوع تأثير الفارسية ، أو أن أسلوباً من أساليب العربية يعد محاكاة لأسلوب فارسى ، فأمر عويص ينبغى ألا يقدم عليه الباحث المتثبت إلا بعد بحث طويل دقيق » .

فأنت ترى أن علامة الاستفهام لا تزال موجودة أمام السؤال والطريق مفتوح أمام الباحثين .

وقد وقفت طويلا عند قول المحققين « ونحن نجد فى الرسائل نزعة واضحة إلى القول بالاعتزال والدعوة إليه » . فهذا البحث ، وأعنى به الاعتزال والكلام وما يتصل بهما مما تهفو إليه نفسى ، وكنت أحب أن أجد فى الرسائل ما يشبع رغبتى ، صحيح إن ياقوت يقول عنه إنه كان « مثل أبيه يذهب مذهب الاعتزال » . غير أن قول ياقوت يحتاج إلى تأييد من نصوص الصاحب نفسه .

والذى اعتمد عليه المحققان فى نسبة الاعتزال إليه ما جاء فى الرسالة التاسعة من الباب العاشر « مولاى يتدين بتعديل ربه ، ويعرف مواقع اللطف فى صنعه ، ولا يشك فى اقتران الصلاح بفعله » . وهما يعتمدان أيضاً على رسالتين فى الباب السابع عشر حيث يقول فى الرسالة الثانية إلى أحد الشيوخ بعد كلام « وعلى هذا الذكر فقد كان هذا البلد من البلاد المستغلقة على أهل عدل الله وتوحيده والتصديق بوعده ووعيده . هذا وفى فقهائه وفور وفى الفضل به ظهور ... » وشهرة المعتزلة بأنهم أهل العدل والتوحيد ، والوعد والوعيد ، أعظم من شهرتهم بالتعديل والصلاح.

وجاء فى الرسالة الثالثة تحت هذا الباب نفسه ، يكتب إلى إلى أهل الصيمرة « ... ووصل كتابكم ... إذ كنتم بحمد الله ومنه ، وطوله وفضله ، المشتهرين بالذب عن توحيد الله وعدله ، وصدقه فى وعيده ووعده ، وكان بلدكم من بين البلاد كغرة أدهم وشهاب فى ليل مظلم ، وما فى النعم أجل موقعا ، وأهنأ مشرعاً من النعمة فى القول بالحق والدعاء إليه ، والتدين به والبعث عليه ، ومهانة من شبه الله بخلقه ، فتتابع فى جهده ، أو جوره فى فعله فشك فى حسن نظره وطوله » وهذا نص آخر أكثر فى الاعتزال بياناً ، فيه العدل والتوحيد ، والصدق فى الوعد والوعيد ، ونفى التشبيه ، وامتناع التجوير .

وهنا نستطيع أن نطمئن إلى ما ذكره عنه ياقوت من أنه كان يذهب مذهب الاعتزال . ولكن الدكتور عزام بك والدكتور ضيف لا يطمئنان إلى أن الاعتزال « أكان هذا من عمله هو ، أم من عمل الدولة ، فقد كان عضد الدولة يذهب — فيما يظهر — إلى الاعتزال » .

وبعد فإنا نهنىء المكتبة العربية بهذا الظفر الأدبى ، وبهذه الدراسة العميقة الممتعة ، ونرجو أن ينهج الذين يخرجون المخطوطات هذا النهج السليم .

أحمد فؤاد الأهوانى

شجرة الدر

(تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان)

اتجه الأستاذ محمد سعيد العريان منذ زمن إلى القصص التاريخى الذى يجمع إلى عرض التاريخ وتحقيق حوادثه المتعة الفنية الأدبية ، وقد عنى بتاريخ مصر فى العصور الإسلامية ، يجول فى نواحيه بمصباح المؤرخ ، ويسرح بين وقائعه بخيال القاص الأديب . وأول عمل له فى هذا الحقل قصة « قطر الندى » ثم أخرج بعدها « على باب زويلة » وفى شهر نوفمبر الماضى أخرجت له دار المعارف قصة « شجرة الدر » فى سلسلتها الشهرية (اقرأ) .

تقع حوادث هذه القصة فى نحو ربع قرن من الزمان ، يقع فيها أواخر العصر الأيوبى وأوائل عصر المماليك البحرية ، تبدأ فى حصن كيفا الذى اتخذه الأمير نجم الدين أيوب قاعدة لإمارته فى المشرق حيث ظفر هناك بالجارية الصغيرة الحسناء « شجرة الدر » التى ولدت له فيما بعد وأصبحت زوجته ، وتنتقل حوادث القصة إلى الغرب مع ركب الأمير نحو مصر ، بعد أن بلغه نعى أبيه الملك الكامل ، وقد عول على أن ينتزع العرش من أخيه العادل الذى كان أبوهما قد ولاه العهد ، فيتم له ذلك بعد وقائع ومخاطر فى الطريق كانت شجرة الدر عونا له على اجتيازها والتغلب عليها ويصبح الأمر فى مصر للملك الصالح نجم الدين أيوب ، وإلى جانبه زوجته شجرة الدر تعاونه بسديد رأيها ومحكم تدبيرها . حتى يغزو الصليبيون مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا ، فينزلون إلى دمياط ويهزمون الحامية ، ويقصدون إلى المنصورة التى اتخذها الملك الصالح قاعدة له فى ذلك الوقت ، وتتجمع القوى المصرية فتفتك بالصليبيين فتكا ذريعاً ، ويؤسر لويس التاسع ، ثم يضطر المعتدون إلى إغلاء فدية ملكهم ويخرج من بقى منهم إلى بلادهم مدحورين . وفى أثناء ذلك يموت الملك الصالح وتخفى شجرة الدر أمر موته حتى يحضر ولده الأمير توران شاه من المشرق فيأخذ مكان أبيه ، ثم يقتله أمراء الجيش من المماليك الذين كان يستمين بهم الملك الصالح فى حروبه ، وقد أبلوا فى قتال الصليبيين وهزيمتهم . فتتولى الملك شجرة الدر ثم تتزوج أحد أمراء المماليك (أيبك الجاشنكير) وتخلع نفسها وتوليه ، ثم تقتله ، وتمتنع فى برجها بالقلعة فى حماية مماليكها حتى تموت .

ساق الأستاذ العريان تفاصيل هذه الحوادث فى قالب من الخيال القصصى الممتع ، وتسير معه وهو ينسق أشتاتا من الأحداث

ويصور فنونا وألواناً من نوازع النفوس فتشعر بأنك تعيش فى جوها وتعاشر أناسها ، كأن الكاتب سحرك فنقلك معه إلى حيث يضطرب خياله .. وقد بلغ الغاية فى ذلك عندما هجم الصليبيون على قصر الملك الصالح بالمنصورة ، وتصدى لهم فرقة الحرس برياسة الأمير بيبرس ، وكانت شجرة الدر ترقب المعركة من النافذة وقد أهابت بفتاة من وصيفاتها يحبها بيبرس لتهتف به وتسمعه صوتها، فهتفت الفتاة : « بيبرس بيبرس ! هذا يومك يا بيبرس ! » فيرفع إليها عينه ، ويجول بسيفه فى الرقاب يقد الضلوع ويشق المرائر ويطيح الهام ويجندل الأبطال ، ويقضى هو وجنوده على جيش العدو ، فلا يبقى منه إلا الفارون .

وهدف القصة الأول تحليل شخصية شجرة الدر . وما وصل المؤلف إلى أواخر القصة حتى وجه كل همه إلى هذا الغرض ، فصور نوازع هذه المرأة الطموح وهى تحرص على المجد والسلطان وصور طبيعتها الأنثوية فى معاملة الزوج وفى غيرتها وانتقامها — أدق تصوير .

ومن المفهوم أن المؤلف فى هذا اللون من القصص التاريخى يحافظ على الحقائق التاريخية التى يلبسها ما ينسج من أثواب الخيال ولهذا وقفت عند ما أتى الأستاذ سعيد بخبر مجىء توران شاه إلى مصر والمناداة به سلطانا عليها بعد أن انتهى أمر الصليبيين ، كأن توران شاه لم يشترك فى قتالهم ، وقفت عند هذا ، لأنى أعلم مما اطلعت عليه من كتب التاريخ أن توران شاه حضر وقت اشتباك الحرب وكان له فى قتال الأعداء بلاء ، وعرض الأستاذ أمر العلاقة بين الأمير نجم الدين وبين شجرة الدر على أنها فى أول الأمر جارية مملوكة له ، ولما ولدت له ابنه خليلا قال إنها أصبحت زوجته ، ومن نظم الأحوال الشخصية فى الإسلام أن الجارية أم الولد غير الزوجة ، ولم يذكر الأستاذ أن الأمير عقد زواجه عليها ، ثم سار فى القصة على أنها زوجته

وثمة شىء قد ارتضاه الأستاذ العريان فى حبكة القصة، ولكنى أخالفه فيه ، هو ذلك التنجيم ، من حيث الحديث عنه وسياقه على أنه محقق الوقوع . ولست أنكر ما كان للتنجيم من شأن وذيوع فى تلك العصور ، ولكن أرى عند الإتيان به أن تسلط عليه أشعة تكشف أباطيله أو تشكك فيه على الأقل ، فلم أكن مع المؤلف فى الرأى لما سخر الأقدار فى تحقيق كل ما تنبأ به أبو زهرة المنجم بجملته وتفاصيله !

العباس خضر

معانى الفلسفة

(تأليف الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى)

ما أقدر الله أن يجمع الفلسفة كلها — منذ نشأتها إلى اليوم — فى كتاب محدود الصفحات . وذلك عمل يحتاج إلى التركيز والضغط أقل مما يحتاج إلى التفهيم والفهم . فإن ضغط الأسفار الضخام إلى سفر واحد صغير يبدو فى ذاته عملا سهلا ومركبا هيناً ، ولكنه فى الحق يحتاج إلى أدوات من حسن الاستعداد وهضم المادة ومطاوعة التعبير حتى يكون طيعاً للمعانى الموجزة والأفكار المركزة .

وأظن هذه الأدوات قد اجتمعت للدكتور الأهوانى فجاء كتابه فى معانى الفلسفة على خير ما تجىء عليه كتب الخلاصات العلمية التى كونتها قراءات وأمدتها مطالعات بين القديم والحديث ، وبين العربى والإنجليزى والفرنسى .

وقد فرح مؤلف الكتاب لأنه رأى الناس — يعنى ناس العرب — يقبلون على الفلسفة ، بعد أن ظلوا بعيدين عنها نافرين منها . وهى فرحة الزارع حين يحصد ، لأن صديقنا المؤلف اشتغل بتعليم الفلسفة ولا يزال مشتغلا بها . ولكنه — أثابه الله — ما باله يضيع وقته ويفنى عمره فى تعليم الفلسفة مع أنه يقرر فى الصفحات الأولى من الكتاب أن كل إنسان ما دامت له نظرة فى الحياة فهو فيلسوف . وقد يكون هذا الكلام مقبولاً من أديب أو شاعر ، أما أن يصدر من مشتغل بالفلسفة ومعلم لها فذلك مالم أستطع أن أفهمه . وأنا أجد أن أصحاب الصناعات دائماً يحاولون تعميتها على غيرهم ويلبسونها ثوباً من الرهبة المحوطة بالغموض . ولكن الدكتور الأهوانى يكشف بضاعته من الفلسفة فى غير خفاء . ويهون فى أول الكتاب من أمر الفلسفة حتى ليجعل الناس كلهم فلاسفة ؛ فإذا مضيت معه فى ثنايا الكتاب وجدت الفلسفة على حقيقتها ليست شيئاً كما يحاول أن يجعلنا نتصوره . ووجدت فى قوله بفلسفة كل إنسان فى الحياة مغالطة فى التعبير ؛ وأكاد أجزم أنها مغالطة مقصودة فى أول الكتاب ليستدرجنا بها إلى آخره ... ودليلى على ذلك أن المؤلف استدرجنى أنا إلى قراءة الكتاب لأميز على الأقل بين فلسفتى التى يزعمها فى ، وبين فلسفة الذين كونوا تلك المذاهب العالية . فأدركت آخر الأمر أننى كـكل إنسان عادى ...



رواية الناصر

[تأليف الأستاذ عزيز أباظه باشا]

للأستاذ حبيب الزحلاوي

ما أكثر النواحي الجذابة في هذه الرواية ، بل ما أكثر ما اضطرتنا مشاهدها إلى الالتفات إلى الدقائق التي يخالها البعض من النوافل ، وما هي في الحقيقة إلا في الصميم .

تجمع رواية الناصر بين بدائع الأدب الرفيع ، وروائع الفن الجميل ، وجلال الملك ولكل من هذه الخصائص روعة وجلال بهزان المشاعر ، ويطمئنان الروح ، ويثيران النخوة ، وقد فعلت فعلها في نفس كل من حضر تمثيل هذه الرواية على مسرح الأوبرا .

مؤلف هذه الرواية شاعر مطبوع على الشعر ، وفنان موهوب يساير سجيته بدون عنت ، ويماشي فنه بفطنة وبساطة ، لا يجنح جنوح المتفيهقين في التنقيب على الكلمات المهجورة يحشو بها شعره ، ولا يحذو حذو المتمالين المتمالين من أمثال الشعراء الرمزيين ، بل جمع عناصر إحساسه ، وحشد شوارد خياله في بوتقة شخصيته الخلاقة ، وجمل مشاعره تتأثر لتتفاعل فتتحول إلى حياة عاطفية وذهنية . وقد حتم على نفسه ، لأمر خاص ، أن يستمد موضوعه من وقائع التاريخ العربي في الأندلس ، الحافل بعظائم الأمور ، فاستمده ، في هذه المرة ، من ناحية متواضعة من حياة الناصر في قرطبة .

طبع الأستاذ الفنان عزيز أباظه روايته هذه بطابع خاص ، فخرجت تحمل سمات الوضوح، والملاحظة ، والإنسانية ، والعطف والحب أيضاً ، كما خرجت أيضاً تحمل سمة تقرير الفكرة تقريراً مباشراً ، مصورة صوراً بديعة للجمال الطبيعي ، والوقائع المادية ، وخلجات النفس ، ولهثات الصدور ، ورعشات الأفئدة ، وبسمات الفرح مرسومة رسماً أميناً يستمد حسنه المنسجم من النور واللون ، والجرس والإيقاع ، ومن براعة اختيار الألفاظ المعبرة عن المعاني ،

لست فيلسوفا ولا مشتغلا بالفلسفة . وأدركت أن نظرة كل إنسان إلى الحياة لا تسمى فلسفة ، ولا يسمى صاحبها فيلسوفاً . وإلا لكان زهير بن أبي سلمى الشاعر الحكيم فيلسوفاً بسبب هذه الحفنة من النظرات التي وضعها في معلقته . أو كان أبو العلاء المعري فيلسوفاً بماله من وجهة نظر خاصة في الحياة

وقد قسم المؤلف الكلام على الفلسفة متمشياً مع تاريخ العصور ، فهو يبدأ من اليونان ثم الرومان ثم المسلمين حتى يصل إلى عصر النهضة الأوربية فالعصر الحديث . وهو تقسيم كان أكثر منطقاً لو أن المؤلف يؤرخ للفلسفة . ولكنه يشرح لنا معناها ؛ فما كان أغناه عن هذا التقسيم الزمني الذي لا تراعى فيه معاني الفلسفة — قربا وبعداً واختلافا واتفاقا — بقدر ما راعى فيه تتابع العصور . وقد اضطره المنطق الصحيح للأشياء أن يتحدث عن التوفيق بين الفلسفة والدين عند المسلمين وهو يتحدث عن فلسفة الرومان — ص ٣٦ ؛ لأن المقام هنا ليس مقام زمان ولكنه مقام وحدة في الميزان .

ويقول المؤلف ص ٣١ إن صاعدا الأندلسي يذهب إلى أن الفلسفة الاسلامية عربية . وقد حيرني هذا الكلام فأن المؤلف ينقل في الصفحة نفسها عن صاعد الأندلسي قوله : (وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله — أي العرب — منه شيئاً ولاهيأ طباعهم للعناية به . ولا أعلم أحداً من صميم العرب شهر به إلا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي) . فكيف يتفق استنباط الدكتور مع قول صاعد نفسه ؟ ودع عنك أن الرواية الصحيحة لقول صاعد هي . فلم يمنحهم الله عز وجل شيئاً منه — ألا أبا يوسف) بنصب أب بعد الاستثناء .. « كتاب طبقات الأمم لصاعد ص ٧٠ طبعة السعادة » .

ويبقى كتاب معاني الفلسة بعد هذا معرضاً دقيقاً لماهية الفلسفة ومذاهبها المختلفة من أقدم عصورها إلى اليوم ، وهو معرض قدمه الدكتور الأهواني على مائدة ليس فيها ذلك الدسم الذي تتهوع له النفس ، ولكن فيها تلك البلغة التي يتزود بها المعجلان .

محمد عبد الغني حسن

وقد صب ذلك كله فى قالب حلو كل الحلاوة ، مسبوك فى بحور عديدة من العروض متناسقة متناسبة شجية الإيقاع والنغمات .

***

لا يسأل المؤلف الروائى فيما كتب فأخطأ ، ولا يناقش فى أوضاع أرادها لأبطال روايته ، لأن واجب الناقد هو التعرف على مبلغ الجودة فيما ألف وصنف — وليس للجودة فى طبيعة الشعر سوى الذروة السامقة مقاماً — والشاعر أباظه باشا ، رسم لنا فى روايته هذه بعض مشاهد من أخريات حياة « الناصر » ولمحة من حياة ولديه « الحكم » ولى العهد ، وعبدالله ، أما الحكم فقد كان مفتوناً بحب الجارية « شفق » وهى فتاة أسبانية أسيرة تبناها الناصر وصفى قلبها إلى ولى عهده ، ولكنها متحيرة حيرة الوفاء ، وحيرة الإنصات إلى الهاتف الداعى إلى واجب الوطن والأهل . وكذلك رسم لنا صورة « لعبد الله » الطامع بعرش أبيه ، وأخرى للسيدة « الزهراء » زوجة الناصر وقد عرفت بالجمال الفاتن والرأى السديد ، وصورة ثالثة بالغة غاية الأمانة والصدق لشخص الجاسوسة « منى » وقد تركزت إرادتها فى العمل على دك سلطان العرب فى الأندلس ، واجتثاث حكمهم فيها ، وإعادة أهلها إلى الاستظلال بعرشهم المسلوب .

وهكذا دارت الرواية حول هؤلاء الأبطال الذين يضمهم القصر ، ويجذبهم العرش ، وتتعارض بينهم الأغراض والمآرب ، تارة فى حوار متصل أو متقطع بين شخصين اثنين أو أكثر من شخصين ، وتارة أخرى بنفس طويل صاخب أو رقيق همّاس ، أو بروح رضية عقلية أو وجدانية .

لا شك عندى فى أن المؤلف قد أجاد فى جعل شخصيته الخاصة تعيش فى المواقف التى تخيلها ، وكذلك أجاد مرة أخرى فى أنه سما فى شعره بجمل الشخصيات البارزة فى الرواية تقف الموقف المتخيل فى ذهنه هو . وإنى أقتبس بعض أبيات من مواقف « للحكم » من حبيبته « شفق » ومن موقف لهذه الجاسوسة « منى » ، وشذرات مما جاء على لسان الناصر للتدليل على ما ذهبت إليه فى وصف شعر الشاعر .

الحكم :

يا منية النفس قد أدركته أملا   رفّت له النفس أعواماً وأعواما

أذكيت فى القلب وقداً قد سموت به   فكان حباً وتقديساً وإعظاما

لو لم تكونى فدتك النفس غانمة   لكنت عتباً وأشواقاً وأحلاما

وكنت تسبيحة للروح هامسة   زكت قصيداً وتوقيماً وأنغاما

شفق :

وأنت إن لم تكن قوام مملكة   لكنت فوق قلوب الغيد قواما

ترنو فتلهبها وجداً ، وتسعرها   وقداً ، فتهتز آمالا وآلاما

فلا اللواهث من دقاتها هدأت   ولا الذى نجّ من أجراحها التاما

وكنت أرفع ما ازدان الوجود به   وحياً من الخلق الأسمى وإلهاما

ويقول فى موقف آخر :

بعض الحنان يا شفق   حطّم قلبى يا شفق

أكان ذنباً يوم رفّ   فاصطفاك فعشق ؟

وإنه قبلك ما   ذاق الهوى ولا خفق ؟

وإنه ضمك فى   حياته ثم انصفق ؟

لئن جنى فإنه   عذب فوق ما استحق ؟

لو استطاع لبكى   ولو أطاق لنطق

ويحيى له إذا اشتكى   لألفه فلم يرق

وإن هفا لنظرة   أو بسمة فلم يذق

يصبح لم يغف فإن   دجى له الليل أرق

حدثنى أنك أشـ   فقت عليه ، هل صدق ؟

أتسمعين يا شفق   أترحمين يا شفق ؟

شفق : أخى!

الحكم :

أخوك شفه   وقد جفاك فاحترق

يا نفحة النسمة   تشتف جنى الروض العبق

يا طلعة الفجر إذا   الفجر من السحب انبثق

يا قبلة الطلّ إذا   الطل على الزهر ائتلق

يا غفوة الليل شدا   ها الليل وهو مغتبق

يا نظرة العتب إذا   العتب استكان ورفق

يا رجفة الشوق إذا   الثغر على الثغر انطبق

يا همسة الرضا الكريم   واللقاء يسترق

لم ينطق اللفظ بها   فالتمست عند الحدق

وددت لو يتسع المجال فأقتبس من شعر الشاعر ما ينهض

الدليل الذى لا يدحض على أنه استطاع أن يجعل أبطال الرواية يعيشون فى المواقف التى تخيلها هو ، ولكن ذلك متعسر بسبب الحوار ، والحوار جماله فى سماعه ، وسحره فى تراشق المتجاورين بالكلام الممزوج بالانفعالات النفسية التى تتماوج مع الصوت ، وترتسم على الوجه ، وتبدو فى الحركة والاشارة . وبرغم ذلك أجدنى ملزماً بنقل قطعة من حوار غير متقطع قام بين الجاسوسة الأسبانية وبين الجارية الأسبانية التى تبناها الناصر وأحبها ولى عهده ، وإنى أدعو إلى الاستمتاع ببديع الحوار فى هذه الرواية كل محب لالتقاط المنثور من روائع الحيرة والحب والوفاء بين شفتى «شفق» أمينة رزق الممثلة البارعة ، والاستهداف لشظايا الضغينة والحقد والانتقام تقذفها من جوارحها « منى » فردوس حسن ، الممثلة الممتازة فى البراعة .

منى :

أمة أنت فى الذؤابة منها … ذاقت الذل بعد عز رفيع
فى بلاد ديست وشعب تردى … فى قرار من الهوان وضيع
هتك الغاصبون من كل علج … مسلم .. ستر مجدها الممنوع
أو سمونا مذلة يا ابنة العم … فعشنا نلتذ طعم الخضوع
كالأرقاء والعبيد يرون البغى … حقاً للسيد المتبوع

يا ابنة العم .

شفق :

فاصمتى لا تهيجى … حزة النفس بعد طول هجوعى
أنا بنت الخليفة السمح أفد … يه بنفسى وعترتى وجموعى
الوفاء الكريم يعمر قلبى … والوداد المقيم ملء ضلوعى

منى :

أوفاء لمن رماك فاصمـ … ـاك فاجلاك عن حماك المريع

لم يغفل المؤلف الشاعر عن تصوير جلال الملك وجلالة الملوك، ولم يتورط فى رسم سجايا غير سجاياهم وخلائق ليست خلائقهم ، بل أطلق ريشة رسام « سيانى » تستوى عنده الفوضى والنظام ولكنه ينحرف عن جادة الحق والصدق فقال مرة بلسان «شفق» العاشقة الحيرى « غرام الملوك وشيك الزوال قصير المدى » فيردها عاشقها إلى الحق فيقول لها .

ظلمت الملوك ولم تنصفى … فإن الملوك ملوك الهوى
عرفنا الهوى مهجاً تلتقى … عطاشاً وأفئدة تكتوى

ويقول مرة بلسان الناصر :

قد خبرنا فلم نجد لصلاح … الأمر إلا النهوض بالأمر فردا

ويقول أيضاً :

بنينا على هام الجزيرة دولة … تأشب فى أعطافها العلم والمجد
فلما استقرت واستطالت ترادفت … عليها من الأهل الخيانة والحقد

ويقول أيضاً :

أيرضى المعز الأمر يخرج من يدى … ليخلفنا الأفرنج فى ملكنا قسرا
إذا ما تنازعنا شعوباً وقادة … ومنا رسول الله ذقنا الردى طرا
وإن لم نجاهد جبهة عربية … موحدة كنا لأعدائنا جزرا

ويقول :

ويحسبنا الناس أو فى الدنى … نعيما وأسعد قطانها
لقد جهلوا إن أشقى الرؤو … س رؤوس تنوء بتيجانها

وأخيراً يقول :

إلى ذروة المجد مر بالجيوش … محوطاً بمأثور إيمانها
حياة الملوك ومجد الملوك … لأوطانها وبأوطانها

هل استوفى المؤلف غايته من وضع هذه الرواية على النحو الذى وضعها فيه ، أو أنه أراد شيئاً آخر فخانه القلم ولم يسعفه التوفيق فجنحت سفينته عن غير قصد إلى الشاطىء الآخر ؟

هذا سؤال لا أطلب جوابه ، ولكنى أبيح لنفسى القول ، أن رواية الناصر فى وضعها الحالى ، إنما هى رواية أندلسية ، وأن الجانب العربى فيها ليس بالجانب المفضل بدليل أن عناصر القوة تجمعت فى الشخصيات الأندلسية ، وأن عنصر الضعف تمثل فى الخليفة العربى الشيخ الفانى ، وفى ولى عهده الشاب المتيم المفتون ، وفى ولده الثانى الخائن المؤتمر بعرش والده ، وفى كبير الوزراء والخصى الضالعين معه ، ولم يسلم من الضعف من الشخصيات العربية سوى « الزهراء » زوج الناصر ، هذا ما شجعنى على القول أن طابع الرواية أندلسى موشى بالذهب العربى ، وهذا ما يجعلنى أزعم أن الطابع الأندلسى هو الذى أزكى حدس النظارة فجعلهم يستشعرون بفطرتهم أن الرواية ليست روايتهم ، ولعل مرد ذلك إلى الشعور العربى السائد بيننا اليوم .

ليس يعني هذا أن الرواية لم تلق نجاحاً عظيما ، بل أعني أن عنصر النقد عند المؤلف البارع لم يكن حاد اليقظة ، ولكني أقول بعقيدة وصدق أن الأستاذ الشاعر الكبير عزيز باشا أباظه يملك أكثر الخصائص الأدبية والفنية التي تؤهله لأن يكون أول مؤلف للمسرح بل المؤلف الموهوب الوحيد المعروف حتى الآن لمسرحنا العربي المرتجى .

* * *

الكلام في فن الأستاذ زكي طليمات مخرج الرواية ، إنما هو تحصيل حاصل ، وتحصيل الحاصل هذا معناه التعريف بما هو معروف عن هذا الفنان المتتبع الدؤوب الذي لم تنقطع صلته بالمسرح قط ، والذي لم يغفل عن التطورات والمستحدثات وعن كل ما يمت إلى فن التمثيل بسبب . ولكن يطيب لي أن أضيف تعريفاً جديداً ، وهو أن للمؤلف المسرحي يداً مغنطيسية تجذب الأستاذ طليمات تارة إلى فوق ، وعندها تتبدى مواهبه ، وتشرق معلوماته المدخرة ، وتتفتق ابتكاراته الذاتية ؛ وتارة أخرى تجذبه يد المؤلف المسفّ إلى تحت ، وفي الحالتين يكون المسكين أسير الانجذاب .

لقد كانت يد الشاعر عزيز أباظه باشا قوية في جذبها إلى فوق ، بل كانت روحه الشاعرية هي التي تغلغلت في مسارب مشاعر الأستاذ طليمات ، وقد انتفض كالنسر ، وتجرد للاخراج ، وأخذ بهدوء يكمل عمل المؤلف ، أولا ، بإعطائنا صورة مجسمة للرواية ، ثانياً ، بإشراك خياله النامي ما أشركه الشاعر في حسنا ، ثالثاً ، في إدغام الخيال بالحس ليصيرا حياة واقعية عملية تتجسد في أقوال الممثلين وفي حركاتهم وتنقلاتهم وإشاراتهم ، لترتفع بعدها إلى عرش الذهن المفكر .

لقد ملأ المخرج بصرنا وسمعنا بالأنوار والمناظر ، بالتوجيه والالفات ، بالإشارة والإيماءة ، بالسرعة والبطء ، بالكثير الكثير من الدقائق الفنية التي يعيها ويدركها ، وقد لا يعيها ويدركها سوى الإنسان المثقف .

وليس أدل على ذلك من مواقف الممثلة أمينة رزق ، وقد كانت ندّابة نواحة ، غاضت البسمات في صدرها ، وشُلت أوتار وجهها ، وانساحت دموعها فياضة ، فقد أعادها الأستاذ طليمات إلى قاعدتها ، وخلقها خلقاً جديداً ، فاسترد ثغرها ابتسامته الحلوة ، وطفت على وجهها صور نفسها ، وصارت دموعها تقطر لؤلؤاً على خدين فيهما إشراقة الفرح بالحياة .

أما فردوس حسن فقد انطلقت على سجيتها في تمثيل دورها ، ونفضت ثوب الصناعة ، فبدت كما يراها بارئها على اللدد والعنف والانتقام .

لقد تجلت عظمة هذه الممثلة في عنفها وقسوتها ، في نظراتها الحادة المشتعلة ، في نبرات صوتها الجافية ، في بصمات قدميها تطأ المسرح فيئن المسرح تحت قدميها ، في كظمها ما غاظها من مواطنتها وقد تنكرت لوطنها وقومها ، في استثارة نخوتها ، في التوسل إليها والاستنجاد بها ، في طعنتها النجلاء وقد أغمدت نصل خنجرها حتى قبضته ، في الأنة وقد شفت غليل صدرها بالدم والقتل ! لقد سجلت فردوس حسن أعظم موقف في تاريخ حياتها الفنية لأنه دور يوائم ما انفطرت عليه نفسها .

وددت لو أقف حيال بقية الممثلين والممثلات ، ولكني لأمر ما .. أتجاوز عن هذا الموقف لأتقدم بتهنئة صادقة للمخرج والممثلات والممثلين ، الذين تساندوا وتكاتفوا فبلغوا المكانة التي دعائم مؤلف الرواية إلى الاستواء عليها بجانب عرشه الفني .

حبيب الزحلاوي



الفضاء والعدم أيضاً :

لا يؤاخذنى الأستاذ نقولا الحداد بعدم اقتناعى بما جاء فى تعليقه الأول والثانى ، عن حتمية وجود الأثير فى الفضاء ، فإنه لا يخفى على حضرته أن علم الطبيعة لم تقم قوانينه أو نظرياته على الحتم بل هو كعلم الكيمياء وسائر الطبيعيات ابن التجارب ، فإذا أجريت تجربة فى ناحية من النواحى وثبتت لها نتيجة تتفق والواقع أقيم على أساسها القانون ومنه تستخرج النظريات والمعادلات . والفرق بين القانون والفرض واضح ظاهر .

فالقانون فى العلوم الطبيعية تقرير يجمع عدداً عظيما من الحقائق ثبتت صحتها من التجارب ، إلا أن العقل البشرى لا يقنع بالحقائق بل يتساءل دائماً عن السبب ، ولذا توضع فروض لتفسير هذه الحقائق ، فإن أمكن استنباط كل الحقائق المعروفة من الفروض ، ارتقت إلى مرتبة النظرية العلمية .

فإذا كان كل من قرأت لهم من العلماء والطبيعيين أثناء دراستى لفن اللاسلكى يقولون إن هذا الأثير مجرد فرض علمى . فهل يجوز بعد هذا أن يقول الأستاذ بحتمية وجوده ، وليس فى الإمكان قياسه ، أو الاستدلال عليه بأسباب علمية ملموسة ؟ ؟ فالدكتور البرت اينشتين ينكر نظرية الأثير التى يقدمها الكتاب كمحاولة ، لشرح عملية الإرسال فى اللاسلكى . واينشتين يستهزىء بالوسط الأثيرى المزعوم ويقول أنه كأقصوصة أو رواية أو حيلة مبتكرة لشرح شىء لم يصل العلماء الطبيعيون إلى شرح صحيح له أو الكشف عنه . ثم هو يظن أنها ظاهرة كهرطيسية ، وشارل بروتوس ستينمتز يقول :

ليس هناك موجات أثيرية ؛ أما موجات اللاسلكى أو الضوء فهى من صفات قوة المجال الكهرطيسى الذى يمتد خلال الفضاء . ثم قال إن الطبيعيين ليسوا فى حاجة إلى أية فكرة عن الأثير ، بل من الواجب عليهم أن يفكروا جدياً فى تعريف للموجات الكهرطيسية .

وقال بمثل ذلك E. N. Sa C. andrade فى كتابه The Rechanism of Nature الذى ترجم أخيراً إلى اللغة العربية وزاد على ذلك الأستاذ عاطف البرقوقى فقال فى كتابه « الموج الساحر » من سلسلة إقرأ : لا يميل علماء الطبيعة إلى افتراض الفراغ التام من كل أثر أو وسط ؛ لذلك اخترعوا وسطاً لمثل هذه الموجات وسموه أثيراً . فليرجع الأستاذ نقولا إلى هذا وإلى غيره من المراجع التى سأورد أسماءها فيما بعد .

وأكبر الظن أنه ليس لدينا فى مصر معامل طبيعية للبحث أو علماء طبيعيون وقفوا أنفسهم على هذا اللون من البحوث العالية الغالية التكاليف — إذا استثنينا أستاذنا العالمى الدكتور مشرفه باشا .

وقبل أن أختم ردى هذا أقول إننا جميعاً نعلم كيف تتدرج النظريات العلمية وأخصها النظرية الذرية منذ أن قال بها الأعريق ودالتون . . حتى وقتنا هذا وما أدخل عليها من تعديلات طبقاً لنتائج التجارب والأبحاث ، وتقدم العلم .

فإذا ثبت لدينا اليوم أو غداً بالبرهان والدليل القاطع والتجارب العلمية الصحيحة — لا مجرد الفروض — ما يقول بوجود هذا الأثير فأظن أنه لن يجرؤ كائن على إنكاره ، أما البراهين الكلامية فلا يعترف بها علم الطبيعيات .

وإذا كان أستاذنا الفاضل نقولا الحداد قد وقف على تجارب أو أبحاث أو على ما ينشره العلماء الطبيعيون ـ لا الكلاميون ـ تثبت أو تقيس أو تبرهن بوجود هذا الأثير فليدلنى عليها — مشكوراً — حتى ازداد بذلك علماً .

أحمد محمد حلمى

مؤلف تاريخ الأوزاعى :

نقل المرحوم الأمير شكيب أرسلان فى صفحتى ٦٢٤ ، ٢٥ من كتابه ترجمة السيد رشيد رضا عليه رحمة الله عن الأستاذ السيد محمد علال الفاسى أنه اطلع فى فهرس دار الكتب المصرية على نسبة كتاب « محاسن المساعى فى مناقب الإمام ابن عمرو الأوزاعى » وبأنه من تأليف الحافظ الكبير شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢

وقد شك الأستاذ علال فى هذه النسبة وقال للأمير شكيب ما نصه كما فى صحيفة ٦٢٥ من الكتاب « وقد تعجبت كثيراً من هذه النسبة لأن الكتات من الوجهة الحديثية ليس فى مقام الحافظ .

وراجعت بعض من ترجم لابن حجر فلم أر من نسب له كتاباً بهذا الاسم » إلى أن قال « فلم اطمئن إلى هذه النسبة من حيث كونها تدل على أن الـكتاب فرغ منه قبل وفاته بسنتين وهو إذ ذاك قد بلغ غايته فى العلم والتحرير وأيا ما كان فيجب التثبت من هـذه النسبة والتحفظ فيها » . ولقد كان الأستاذ علال على حق فى شكه فى نسبة الـكتاب للحافظ أحمد ابن حجر .

والصواب أن مؤلف تاريخ الأوزاعى هو أحمد بن زيد . فقد ذكر السخاوى فى الضوء اللامع حـ ٢ ص ٧٢ فى ترجمة احمد ابن محمد الموصلى الدمشقى الحنبلى المعروف بابن زيد المولود سنة ٧٨٩ والمتوفى بدمشق سنة ٨٧٠ أن ابن زيد ألف كتاباً فى مناقب الأوزاعى ، وهذه عبارته [وافرد مناقب كل من تميم الدارى والأوزاعى فى جزء سمى الأول تحفة السارى إلى زيادة تميم الدارى ، والثانى محاسن المساعى فى مناقب أبى عمرو الأوزاعى » ويبقى هنا البحث فى سبب نسبة الـكتاب لابن حجر ، ويظهر لى والله أعلم أن سبب حصول هذا الخطأ هو تحريف كلة ابن زيد إلى ابن حجر بأيدى جهلة الناسخين ولا سيما أن ابن زيد اسمه أحمد ولقبه شهاب الدين ، وابن حجر كذلك فى الاسم واللقب على أن ابن زيد معاصر لابن حجر ، وسمع منه فى رحلته إلى دمشق . قال السخاوى حـ٢ص ٧٢ « وسمع على شيخنا ابن حجر] بدمشق »

محمد صبرى عابدين

معرض كتب سنة ١٩٤٧ :

قررت الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف لمناسبة إقامة المهرجان الأدبى والفنى فى فبراير القادم ، تنظيم معرض للـكتب الصادرة عام ١٩٤٧ وقد بدأت إدارة خدمة الشباب « ٧ شارع سليمان باشا » تتلقى المؤلفات الصادرة فى ذلك العام من المؤلفين ودور النشر .

تصحيح :

وقع فى مقالى الذى رددت به على الأستاذ أحمد محمد خلف فى الرسالة العدد ٧٥٣ صفحة ١٣٦١ بعض أغلاط مطبعية أخفت المعنى المقصود فأدله عليها كى يصححها إذ يقرأ المقال .

السطر ٨ من العمود الأول — النرض والصواب الفرض . ميكافن وردت مراراً بهجئة ميكلهن . ورد فى السطر الثالث من أسفل العمود :

لا تتعجبوا من اتفاق — والصواب من إخفاق

السطر الأخير من المقال « الأبراقية » . وصوابه إلا بمراقبة

نقولا الحداد



السائح والتمثـــال

بقلم ألدوبالانسزكي

للأستاذ محمد لطفي جمعة

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

وعند ما تنبه من غشيته رأى نفســه يرفل فى ثياب جديدة كثياب الكهنة وقد حلق شعره وقلمت أظافره وأحس أنه قد تبدل وقد نسى ماضيه وكأنه يعيش فى الهيـكل منذ ولدته أمه. وإذ كان يسير فى أحد أبهاء الهيـكل ساهياً عن ماضيه، لاهياً عن حاضره لمح تمثالا نصفياً من الحجر الأزرق .. يمثـل سماوة امرأة، ويقوم على قاعدة صغيرة من المرمر الأبيض، فشعر بهبوط فى قوته وأن شيئاً خفياً يجذبه نحو التمثال الأزرق ولم يخطر بباله أنه تمثال إينوبيا، تلك المرأة التى أحبته ونسيها، ولـكنها فجأة لاحت سماوتها أمام عينيه فشعر أولا بأنه نسيها نسياناً مطلقاً .. ثم بدأت عوالم الشعور والأحلام والأفـكار المطمورة فى أعماق روحـه — كما لو كانت فى قرارة بحر عميق، تهب وتنهض وتستيقظ وتبعث وتطفر وتقفز وتدور وتشتعل وتحيا من جديد؛ وفى تلك اللحظة نفسها مر به الكاهن الذى ناقشه عند وصوله لخياه، ووقف له كى ينتظر أنه سوف يخاطبه أو يلقى عليه سؤالا وفى الواقع لم يخيب السائح رجاء الكاهن وقال له وهو لا يملك أن يحول نظره عن التمثال وقد استولت عليه رعشـة ورجفة مصاحبتين للبعث الذى شعر به فى روحه!

— ٣ —

— أتسمح يا سيدى أن أسأل عن صاحبة هـذا التمثال من تـكون؟

— فقال الكاهن وهو يبدى عدم الاكتراث: إنه تحفة ثمينة وتكاد تكون مقدسة، لأنه من صنع مثال لامرأة كان يحبها منذ خمسمائة سنة ... فبهت السائح ثم استجمع قوته وقال

— وما كان اسمها ياسيدى؟ أقصد إلى الفنان والمرأة ..

فسأله الكاهن «وهل يكرثك الأمر إلى حد أنك تود أن تقف على إسم فنان مطمور، وتمثال صغير، مضى عليهما خمسة قرون؟ إن كان إسمهما يهمك فاعلم أن المرأة كانت تدعى إينوبيا، والمثال فيدور. فدارت الدنيا بالسائح، لأن فيدور كان إسمه هو، وأحس بأن الأرض تميد تحت قدميه، ولـكنه تجلد واستنجد بكل ما كان له من قوة إرادة وعزم ليبقى قائماً على عوده. وفى لحظة شعر بأنه لن يقوى على الوقوف فتحامل على قدميه حتى دنا من التمثال وارتكن إليه «فيدور — إينوبيا» وقد رأى الـكاهن كل ماجرى له، ولـكنه لم يمد له يد المعونة ولم ينطق بكلمة وبقى كمن لا يريد أن يضن على صاحبه بجواب على سؤال، ولان يتعدى هذه الحدود، فلما ظن السائح أنه قد استعاد شيئاً من قوة جسمه وروحه قال:

أيمكن يا سيدى أن يتكرر اسم شخصين بعينهما وجنسهما وهيأتهما وخلقهما فى فترتين من الزمن أو فترات عدة؟

فقال الـكاهن: لم أفهم سـؤالك وإن كنت أوشـك أن أستشف معنى بعض ما ترمى إليـه. تقول إنك إذا كنت أنت فيدور وقد أحببت امرأة اسمها إينوبيا فى حياتك هذه وعصرنا هـذا فهل يمكن أن يكون قد عاش قبلـكما فى ماض قريب أو سـحيق شخصان مثلـكما مخلوقان على شاكلتكما؟ وهل هذان الشخصان هما نفسهما اللذان عاشا فى الماضى والحاضر، أم أنهما خلقا على غرار السابقين لهما؟ إن لم يكن إدرا كى قد اقترف جناية الخيانة العظمى فلا بد أن يكون هذا محور سؤالك أو نحوه.

فخارت قوى فيدور لحداثة عهده بقوة الروح التى توحى مثل هذا الـكلام وذلك العلم الـكشاف. وقال: نعم نعم هـذا سؤالى بعينه. فابتسم الـكاهن وقال: إن هذا الذى تخيلته من أبسط الأشياء. إنه الحقيقة بعينها، وإنها لاتدعو إلى الحيرة التى تبدو عليك .. ثم قال له: ادنُ من التمثال والمسه.

فقال السائح: لن أجسر على لمسه. إنه فى نظرى أقدس من أن يمس. فقال الـكاهن: لم يدر بخلدى أن شاعراً متحرراً مثلك يعيش فى هـذا القرن العشرين تستهويه تحفة مصنوعة منذ خمسمائة عام. على أن الجمال ليس مطلقاً ولا تاماً ولا قريباً من

الـكمال فإن الأذنين أدق من الآذان الأنثوية وفى الأنف شذوذ لا يجعل صاحبته ذات فتنة .

فقال السائح سامحنى يا سيدى الـكاهن إذا لم أوفق إلى رضائك بقبول نقدك فانك لا تعلم ما أعلم ولا تشعر بما أشـعر . فأدار الكاهن وجهه ليخفى ضحكة غامضة . واسـتمر فيدور فى حديثه فقال : إنه ليس شبهاً ، ولـكنه صورة طبق الأصل ، ولعله أكثر من هـذا بعد الذى قلته لى فهو نوع من استعادة الحياة نفسها فى هـذا الحجر الأزرق وذاك المرمر المسنون . بالله عليك يا سـيدى الـكاهن خبرنى كيف استطاع مثّال عاش فى القرن الخامس عشر أن يتخيل ثم ينحت فى الحجر الصلد الأزرق هاتين الأذنين الدقيقتين وأن يجعلها جيلتين مرهفتين كما رأيتهما وشعرت بجمالهما ؟ فقال الـكاهن : تقول إنه تخيل ثم نحت ؟ على رسلك ياسيدى ، إنه لم يتخيل ولـكنه رأى وأحب وتعذب. فقال فيدور : رأى الأذنين الجيلتين الرهفتين كما رأيتهما وعرفتهما وشعرت بجمالهما ...

فقال الكاهن وهو يبتسم ابتسامة غامضة ماكرة : وهل تمكن ذلك المثال الحاذق أن يكسب العينين شيئاً من الشبه يقربهما إلى ذاكرتك كما صنع بالأذنين ؟

قال السائح : العينان تكادان تشمان بنورهما الإنسانى وهذه الجبهة العالية المشرقة التى خلعت على صاحبتها جمالا ونبلا ، ثم هذا الأنف الشاذ الذى كانت إينوبيا تزعم أنها عثرت وهى طفلة تجرى وتمرح فأصابها جرح جمل أنفها كما هو .

فقال الـكاهن : عجباً عجباً ! أراك تتذكر كل شىء عن تلك التى أحبتك وهجرتها ، بل فررت منها ، ومن العالم الذى يحتويها.

— ٤ —

فقال السائح : الآن لا أفر منها وقد جمعتنى بها المقادير .

الـكاهن : ولو كانت صخرة صماء لا تنطق كهذه ؟

السائح : لا تنطق ؟ إن فمها بشفتيه الرقيقتين يكاد ينادينى !! وبك قل لى بأية معجزة تخلق امرأتان بهـذا الشبه المحير ، وتعيشان فى زمانين مختلفين ، وهل تظن أن تلك المرأة التى نقل عنها ذلك المثال البائد ، كانت تشبه إينوبيا كل المشابهة .

فتجهم وجه الـكاهن وقال : لا تقل المثال البائد ، فإننا فى عالم لا تبيد فيه ذرة فكيف تبيد فيه الأرواح والإرادات ؟ وأظن أن المشابهة لم تكن مقصورة على الوجه بل كانت شاملة للخلق والروح . لا شك عندى فى ذلك يا سيدى !

وعند ما سمع السائح هذه الـكلمات أسف على ما كان منه نحو تلك التى أحبته وشعر أن إينوبيا كانت ملـكا أرسل إليه لانقاذه فى صورة خفية ، ونظر إلى الـكاهن قائلا :

وهل استعادة الماضى مستحيلة ؟

ولماذا تريد أن تستعيد الماضى الذى خلصت منه ؟

— لقد كنت خادعاً ومخدوعاً ، فإنه لا يستطيع أحـد أن يخلص من ماضيه ، ولا أن يعيش بدونه مهما كان محفوفا بمكاره الذكريات . إنى أحاول جهدى أن أستجمع صورتها الـكاملة فلا أقدر على ذلك .

فقال الـكاهن : ليس هناك ماض ولا حاضر ولا مستقبل . الزمان واحد والمـكان واحد . وليس الماضى آنية ثمينة تحطمت فتنحنى ثم تركع لتجمع شذراتها المتناثرة لتعيد إليها الحياة بالرتق والترقيع كالثوب القديم . إن الحياة وحدة منسجمة لا تتجزأ أو لا تتمزق ولا تتغير ألوانها. وسار الـكاهن فى طريقه. فما كان أشد فرح السائح عندماظفر بهذا الروح الجديد ينبعث إلى قلبه وعقله ! ورأى فى أول الأمر أن يتشبث بالتمثال فاستمسك به حيناً ، ثم استغنى عنه لأنه وجد التطهير فى قلبه ، وعلم أن تلك التى أهمل شأنها كانت هى التى أنقذته من الخبث والحقد والحسـد ومحاولة التحديق فى وجه خالقه ، وهى التى قادت قدميه فى غفـلة من إرادته ، ويقظة من روحه ، إلى هيكل نبيوس إله النور . إذا كانت إينوبيا وفيدور قد عاشا وتألما وتمتعا فى حياة سابقة على الحاضر بخمسمائة عام خلت ، فهذا هو الخلود نفسه ، وهـذا هو الدوام الذى لا فناء بعده . لقد قصد إلى الهيكل هارباً من الدنيا لما راعه ما بها من فساد وهاله ما فيها من تهتك ، وأدهشه ما رضيه أكثر أهلها من إباحة ، فماذا يصنع وهو لا يملك أن يطهر الدنيا ولا سـيما مدينته مما عراها ، ولا يقدر على أن ينفى أهل الخلاعة والخيانة والغـدر من أوطانهم ؟ وعند ما بلغ تلك النقطة من التفـكير سمع صوتاً من نفسه يناديه :

فيدور ! أيها الهارب ! طهّر نفسك أولا ، فإذا بلغت هذه الغاية فقد صرت قادراً على تطهير الآخرين ...

محمد لطفى جمعه المحامى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٥٦ — الاثنين ٢٩ ديسمبر ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

15 em Année No. 756

Lundi — 29 — 12 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٥٦ « القاهرة في يوم الاثنين ١٦ صفر سنة ١٣٦٧ — ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

حسن ، مرقص ، كوهين

خرج الثلاثة من مسرح رتز ، ثم جلسوا في قهوة من قهوات عماد الدين يعقدون صفقة من صفقات الربا الفاحش ، يطلبها حسن ، ويطبخها مرقص ، ويقدمها كوهين . فلما اتفقوا وذهب حسن يشترى كمبيالة مطبوعة من مكان قريب ، أقبل مرقص السمسار على كوهين المرابي يسأله في خبث :

مرقص : أتدرى لماذا يقترض حسن منك هذه الخمسمائة جنيه ليؤديها إليك بعد عام ستمائة وليس مأزوماً ولا محروماً ولا صاحب مشروع ؟

كوهين : وما فائدتى في أن أدرى ؟ إن غاية ما يعنيني من شؤون زبوني أن أعرف مقدار الفائدة وميعاد الدفع . أما غير ذلك فهواء لايملأ كيساً ولا يعمر خزانة !

م — ربما يعنيك في هذه المرة أن تعرف سبب الاقتراض !

ك — هل يريد حسن أن يفتح بهذا المال بنكا للصرافة ؟ أم هل يريد أن يُقرضه زبوناً آخر أقدر بفائدة أخرى أكبر ؟

م — لا هذا ولا ذاك

ك — إذن أرحني من الحديث في شيء لا يُمِر ولا يُحلى .

م — وإذا كان يريد أن يتبرع بهذا القرض لفلسطين العربية ؟

ك يا رحمة الرب ! ويا لقسوة القدر ! ويا رجم إسرائيل ! أنا ؟ أنا أعين على قومى بمالى ؟ ! ... ونظر فرأى حسناً مقبلاً وفى يده الكمبيالة ، فكظم على جِرَّته ، وبسط ما تغضن من جبهته ، ثم قال لحسن وهو يمد يده إليه بالكمبيالة ليملأها :

لقد بدا لى يا حسن بك أن أؤجل عقد الصفقة إلى موعد آخر ! ذلك أدنى أن تنظر في أمرك وأنظر في أمرى ؛ فربما وجدتَ لك دائناً أسهل ، ووجدتُ لى مديناً أفضل !

فقال له حسن ومخايل الدهش والعجب والامتعاض تختلط على وجهه :

ح — ولكنك درست المسألة منذ أيام وانتهيت إلى أننى وفى ملىء ... فما عدا مما بدا ؟

فبادر مرقص إلى الجواب وفى عينيه نظارة توحى ، وعلى شفتيه بسمة تغرى :

م — بلغه على ما يظهر أنك تقترض لتساعد عرب فلسطين !

ح — وماذا في هذا ؟ أليس كوهين مصرياً مثلى ومثلك ، وطنه مصر ، وقومه المصريون ، وإخوانه العرب ، وحاخامه ناحوم الذي قال : يهود مصر مصريون لا صهيونيون !

ك — نعم يا سيدى ! أنا كوهين بن بنيامين ، وطنى الأرض الموعودة ، وقومى اليهود ، وإخوانى الصهيونيون ، وحاخامى الحق هو الذى يتلو علىَّ كل صباح قول الرب في سفر التكوين : (في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) ؛ وإذا كان لك في فلسطين المسجد الأقصى ، ولمرقص مهد المسيح ، فإن لى فيها وعد إبراهيم ونسكه ، وهيكل سليمان وملكه ! ومن قال لك

١٦ ـ رحلة إلى الهنــــد

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض فى المملكة السعودية

شاهجهان وزوجه

السلطان شهاب الدين شاه جهان بن جلال الدين أكبر وخامس الملوك التيموريين فى الهنـد تولى الملك سنة ١٠٣٧ ﻫ (١٦٢٨ م) ودام له السلطان اثنتين وثلاثين سنة .

ولى والدولة فى عنفوانها ، قد ذلل له الصعاب ، ووطد له السلطان أبوه جلال الدين ، وكان كلفا بتشييد الأبنية الضخمة وتجميلها ، فترك أجل آثار الهند ، بل آثار العالم كله .

تزوج الأمير خزّم (وهو اسم شاهجهان قبل أن يلى الملك) سيدة من قرابته اسمها أرجمند بانو (أى السيدة الفاضلة) وهى التى لُقبت من بعد بلقب « ممتاز محل » .

وهذه السيدة بنت الوزير آصف جهان الذى ذكرناه قبلا ، وهو أخو السيدة نورجهان امرأة السلطان جهانكَير .

كان زواج الأمير خزم بالسيدة أرجمند بانو سنة ١٠٢٢ ﻫ قبل أن يرث الملك بخمسة عشر عاماً ، وعاشا سعيدين متحابين ، يأنس الأمير ثم السلطان بزوجه ويسكن إليها ، ويفزع فى الملمّات إلى رأيها ، ودامت صحبتهما ثمانية عشر عاماً .



وسنة ١٠٤٠ ﻫ لثلاث سنين مضت من ملك شاه جهان ، بينما السيدة ممتاز محل مع زوجها فى مدينة برهان بور ، ولدت للمرة الرابعة عشرة وليدة سميت جوهرآرا ، وماتت الأم أثر الوضع .

وقد أرخ أحد الشعراء موتها ببيتين بالفارسية ينتهيان بهذا المصرع « جاى ممتاز محل جنت باد » ، « لتسكن الجنة مثوى ممتاز محل » . وحساب هذا المصرع بالجمّل : ١٠٤٠ .

صدعت وفاتها قلب زوجها ، فولهه الحزن ، حتى صدف عن مُتع الدنيا ، وهمَّ بأن يعتزل الملك والناس ، ثم صبر حزيناً لا تفارقه ذكرى صاحبته .

بقى جثمان السيدة فى برهانپور ستة أشهر ، ثم نقل إلى أكرا وأودع موضعاً فى حديقة تاج محل المعروفة اليوم ، وبعد ستة أشهر أودعت مستقرها الأخير الذى شيد عليه المزار الرائع المسمى « تاج محل » ، وسنذكره بعد .

أراد السلطان أن يشيد لزوجه بناء يضارع مكانتها فى قلبه ، ويعرب عن حبه ووفائه وحزنه ، فتحدى كل ما شاد الملوك ، وما أبدعت فيه أيدى الصناع ، فشاد هذا البناء جميلا كممتاز محل ، عظيما كحب شاه جهان ووفائه ، بل أقام تمثالا للجمال والحب والوفاء ، كما أبدع فيها خيال الشعراء .

غير هذا من اليهود فقد اتّقاك ، والتقية من وصايا الدين والسياسة !

ح — لسنا ندافع عن فلسطين لأن فيها المسجد الأقصى والقريب الأدنى وحسب ، إنما ندافع عنها لأن فيها مع ذلك الخطر الذى تصرح به الآية التى تلوتها أنت من سفر التكوين ... وكان الظن بك يا كوهين ، ومن نوى مصر هذا الشحم الذى يترجرج عليك ، ومن نيل مصر ذلك الذهب الذى يجرى فى يديك ، أن تنهض لمثل ما أنهض له عن سماحة نفس وطيب خاطر ...

لم يستطع ابن يهوذا أن يسمع بقية الحديث ، فترك الكمبيالة على المائدة وقام حردان بده إلى مرقص ليصافحه ، وعينه إلى حسن ليقول له :

إن الدين والجنس والوطن هى الأقانيم اليهودية ، ألفاظها ثلاثة ولكن معناها واحد !

احمد حسن الزيات

دعا المهندسين من أقطار الأرض ، نخطوا ما شاءت خبرتهم وقدرتهم ، فاختار واحدة من الخطط اتخذ لها نموذج من الخشب شيد على مثاله البناء الرائع ، وحشر مهرة الصناع من الأقطار ، وكان منهم النقاش محمد عيسى أفندى من الروم (تركيا) ، ومحمد شريف من سمرقند ، وكان لكل منهما ألف روبية فى الشهر .

وأشرف على العمارة الأمير عبد الكريم ومكرمت خان ، وعملت أيدى البنائين والنحاتين والنقاشين ، وقدرة السلطان وثروته فى هذا البناء ثمانية عشر عاماً كالحقبة التى أمضتها السيدة فى صحبة زوجها ، فتم سنة ١٠٥٧هـ (١٦٤٧م) هذا التمثال المعجز فى بلاغة البناء .

« للكلام صلة » عبد الوهاب عزام

إياكم والمهـــادنة

« ما هكذا تورد يا سعد الإبل ! »

للأستاذ محمود محمد شاكر

إنما حملت أمانة هذا القلم لأصدع بالحق جهاراً فى غير جمجمة ولا إدهان ، ولو عرفت أنى أعجز عن حمل هـذه الأمانة بحقها لقذفت به إلى حيث يذل العزيز ويمتهن الكريم . وقد قصرت نفسى إلى هذا اليوم على مجلة « الرسالة » لأنها ملاذ الأقلام الحرة التى لا تثنيها عن الحق رهبة ، ولا تصدها عن البيان مخافة . وقد جاء اليوم الذى لم يعد يحل فيه لامرئ حر أن يكتم قومه شيئاً يعلم أنه الهدى ، فمن كتمه فى قلبه فقد طوى جوانحه على جذوة من نار جهنم ، تعذبه فى الدنيا ويلقى بها فى الآخرة أشد العذاب . وأنا جندى من جنود هذه العربية ، لو عرفت أنى سوف أحمل سيفاً أو سلاحاً أمضى من هذا القلم لكان مكانى اليوم فى ساحة الوغى فى فلسطين ، ولكنى نذرت على هذا القلم أن لا يكف عن القتال فى سبيل العرب ما استطعت أن أحمله بين أنا ملى ، وما أتيح لى أن أجد مكاناً أقول فيه الحق وأدعو إليه ، لا ينهانى عن الصراحة فيه شىء مما ينهى الناس أو يخدعهم أو يغرر بهم أو يغريهم بباطل من باطل هذه الحياة .

والأمر بيننا وبين يهود سافر كاشراق الصباح لا يغطيه شىء ، ولا تعمى عن جلائه عين ، فهو الحرب الضارية التى لا ترحم . فمن شك فى هذا فإنما يشك عن دخل وفساد لا عن يقين خطأ يلتمس فيه العذر . والحرب معنى معروف للبشر منذ كانوا على هذه الأرض ، ولها أساليب لا يجهلها خبير بها ولا غير خبير ، ومن جهل هذه الأساليب أو تجاهلها أو دعا قومه إلى اطراحها والإغماض عنها فإنما يدعوهم إلى الهلكة والفناء والخزى وذل العصور والآباد . فكل كلة تقال منذ اليوم فى أمر هذه الحرب فهى إما تحريض على القتال ، أو تثبيط عنه . وكل امرئ منا محاسب بما يقول علا شأنه أو سفل ، فإن الحرب لا تعرف شريفاً ليس لسانه بشريف ، ولا تتنكر لمغمور يضىء عنه بيانه أو عمله .

وقد قرأت فى هذه الأيام الأخيرة وسمعت كلمات لا يرفعها أو يشفع لها أن يكون قائلها فلان أو فلان . فإن قيادة هذه الحرب لن تكون لمن يهادن فى الحق الأبلج ، أو يجامل فى المحنة المهلكة . فمن ذلك أنى سمعت الأئمة على منابر المسلمين تذكر الناس بأمر فلسطين وما حل بها وما يراد فيها ، ثم تعقب على ذلك بتذكير الناس بأن فى بلادهم مواطنين من يهود — هم كما يقولون — أهل ذمة ، لهم ما لأهل الذمة والمعاهدين من الأحكام فى ديننا ودين نبينا . وقرأت أيضاً بياناً من « هيئة وادى النيل » أذاعه رئيسها سعادة محمد على علوبة باشا يقول لنافيه : « إن لكم مواطنين من اليهود فى مصر ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم . وقد شاعت حولهم شائعات السوء فقيل إنهم يمدون الصهيونية بالمال ، وإنهم يضنون بما لهم فلا يساهمون معكم فى رد عدوان الباغين . ونحن على يقين من أن إخواننا اليهود فى مصر — وهم أصحاب الملايين — سيبذلون من مالهم للعروبة فى محنتها كما تبذلون ، وسيسارعون إلى تكذيب هذه الشائعات ببذلهم وعطائهم لا بأقوالهم وتصريحاتهم » . .

ولست أدرى ما الذى يحمل هؤلاء القوم على ركوب هـذا المركب فى تغطية عيون الناس عن أفاعيل يهود منذ كان لهم على هذه الأرض مكان يسرحون فيه ؟ فإذا كانوا يريدون أن لا تقع

الفتنة بين يهود مصر وبيننا ، فكفاهم أن يذكروا أن العرب والمسلمين منذ كانوا لم يضطهدوا هذا الجنس من خلق الله إلا عقاباً لشيء جنته أيديهم ، ثم يتركونهم وادعين لا يمسهم شر ولا عنت تحت ظل هذه الدول العربية والإسلامية . وإذا كانوا يريدون أن يفتوا الناس بأن يهود هم أهل ذمة لهم ما لأهل الذمة فى أحكام الإسلام ، فقد أخطأوا . ولا يستطيع متأول أن يتأول على دين الله أن هؤلاء اليهود أهل ذمة أو معاهدون كما توجب أحكام الإسلام لمن يوصف بهذه الصفة . وكان حسب هؤلاء أن يأمروا الناس بالتطوع للقتال والتبرع بالمال ، وأن يصفوا لهم هذه الحرب الملعونة التى تشنها علينا العصبية الصليبية من أوربة وأمريكا ، وأن ينفضوا قلوب الناس حتى يبتدروا مراكزهم فى صفوف المقاتلين ، فإن الحرب كما يقولون جدها جد وهزلها جد . فإذا كان هذا العبث مقبولا يوماً ما ، فإنه اليوم فت فى عضد الأمة المسكينة التى أحاطت بها الأمم لتأكلها « أكل الضروس حلت له أكلاؤه » . فليقلع هؤلاء الواعظون عن عظة فيها الهلاك لأقوامهم ، والذل لأبنائهم ، والعبودية لبلادهم .

أما النداء الذى أذاعه علوبة باشا فقد أفزع كل حريص على خير أمته وبلاده . وكيف لا يفزع امرؤ يقرأ نداء موجهاً إلى عامة الشعوب العربية ثم شعب مصر خاصة وفيه هذه الثقة المطلقة بأن اليهود برآء من كل قادحة تقدح فى إخلاصهم للقضية العربية ! ! وفيه هذا اليقين الذى لا يتزلزل بأنهم سوف يجودون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل فلسطين العربية ! ! ويأتى هذا البيان من رجل معروف الاسم ، مشتغل بالقضايا السياسية والوطنية والعربية ، ينظر إليه الشبابُ نظرة التوقير والإجلال لما يقول .

ونحن لا ندرى هل وقف على شيء غاب عن الناس جميعاً وعرفه هو ، فاستيقن أن ظاهر أمر يهود مصر غير باطنهم ، وأنهم إنما يرسلون الأموال إلى الصهيونية ذراً للرماد فى عيون الناس ، وأنهم يتولون تهريب الأسلحة إلى الصهيونية رحمة بالعرب ودفاعاً عن قضيتهم ، وأنهم يجمعون الشبان اليهود ليبثوا فيهم الدعوة إلى الهجرة إلى أرض الميعاد ، ليدخلوا فلسطين ويكونوا عوناً للعرب على إخوانهم من اليهود الصهيونيين ! !

حسبكم أيها الساسة القدماء ! لئن ظننتم أنكم بأمثال هذا الكلام تستطيعون أن تلينوا الصخر من قلوب يهود مصر حتى ينحازوا إليكم ، ويكونوا لكم أعواناً على أبناء جلدتهم ، فقد خاب ظنكم وخاض بكم الأباطيل المركومة . إنه ما من يهودى على ظهر هذه البسيطة إلا وهو صهيونى متعصب يخفى تحت ذلته ومسكنته غوائل الغدر والفتك . إن يهود العالم على قلب رجل واحد : يريدون أن يلتهموا هذا الشرق العربى كله ، ويكونوا سادته وكبراءه والحاكمين بأمرهم فى كل ثنية من ثنايا أرضه . لا نقول لكم اقرأوا كتب الصهيونية لتعلموا ، بل اقرأوا كتابهم الذى يدينون به ، واسترقوا السمع فيما يجرى على ألسنتهم وهم يتخافتون بينهم ، وادخلوا بيعهم ، وانظروا فى وجوههم ، وتفرسوا فى سمتهم وشمائلهم وحركاتهم ، فيومئذ تعلمون أن تحت هذه الصفحة البريئة الثلاثة أخطبوطاً سفاحاً قد قتله الظمأ إلى دمائكم ولوعه الشوق إلى فرائس أموالكم وبلادكم . وليس بسياسى من لم يعرف عدوه معرفته بنفسه التى بين جنبيه . وليس بسياسى من كتم هذه المعرفة عن قومه فى ساعة القتال والحرب . ولا تظنوا أن يهود تنخدع لكم عن أنفسها حتى تنالوا منها شيئاً تعلم أنه خذلان لدينها وعقائدها وأهوائها ومطامعها منذ كان لهم فى هذه الأرض مجال يتحركون فيه .

إن الذين نشروا هذا النداء إنما يخادعون أنفسهم وأهليهم عن حقائق ما يجرى على أعينهم وبمنظر منهم ومسمع ؛ وهذه صحف تنشر كل يوم من خبائث يهود فى أرض مصر ما يفزع ، وتضع أيديكم على الجريمة وهى تنشأ فى قلب بلادكم ، فكيف يتاح لكم أن توفقوا بين ثقتكم بغيب مكنون فى قلب اليهود ، وظاهر يأتيكم من أفعالهم علانية غير مستور أو محجوب ؟ نحن لا نريدكم أن تحرضوا الناس على الفتك باليهود ، فالعربى أنبل نفساً من أن يفتك ويغدر . بل نريدكم أن تدعوا هذه العظات والسياسات المتعفنة جانباً ، وأن تلقوا إلى قومكم بالحقائق مجردة من كل مهادنة

أو مراوغة ، حتى يعلم شباب العرب أن فى قلب بلادهم قوى يخشى أن تغلب عليهم وتنتزع منهم أمرهم ، وتفت فى محصدات عزائمهم ، ولتستولى على الأمد قبل أن نطيق نحن صدقاً أو عدلا فيما كتب علينا من هذا القتال المر .

أريد أن يعلم من كتب هذا النداء أشياء قد غابت عنه ؟ فليعلم أن يهود مصر يبذلون اليوم آلافاً مؤلفة من الأموال لشراء قطع متجاورات من الأرض فى مشارف مصر ، يدفعون فيها من المال ثلاثة أضعاف ثمنها أو أكثر . وليعلم هؤلاء أن يهود مصر قد فرغوا منذ عشر سنوات من الاستيلاء على تجارة الجلة كلها فى أرض مصر . وليعلم هؤلاء أن هذه الفئة القليلة من يهود قد استطاعت فى زمن الحرب أن تتغلغل فى نواح كثيرة من أعمال لم يكن ليهود مصر بها عهد . وما من شىء من هذا كله إلا وهم يأتونه على هدى وبصيرة وتدبير محكم ، ناظرين إلى شىء واحد ، هو أن الدولة اليهودية سوف تكون فى فلسطين ، وأنهم يومئذ مطالبون بأشياء يؤدونها لدولتهم ، وهى أشياء مفهومة معروفة ، الغرض منها أن تخفق راية يهود على هذه البقعة من الأرض ممتدة من شاطىء الفرات إلى ضفاف النيل .

أيها الناس لا تستهينوا بأمر يهود ! انظروا ماذا كان من أمرهم منذ عشرين سنة ، ثم انظروا إلى خبرهم اليوم ، من كان يظن أن لليهود شأناً أو خطراً فى هذه الدنيا منذ عشرين سنة ، إلا من هدى الله ؟ ثم انظروا اليوم إلى هذه الفئة القليلة من سكان هذه الأرض كيف استطاعت أن تغلب على عقول الأمم والساسة ، وأن تغطى على الحق وهو مشرق كعين الشمس ، وأن تدفع أكبر دولة فى الأرض وهى أمريكا إلى ارتكاب أبشع جريمة فى تاريخ الإنسانية ، وأن تدلس على الرأى العالمى كله حقائق هذه الجريمة ، وأن تشترى بأموالها القلوب والأمم والناس والأفراد . انظروا إلى هذا كله قبل أن تتكلموا ، واتقوا غضب الله قبل أن تزل ألسنتكم بالوعظ المهلك لأنفسكم وأهليكم .

ألا تخافون أن تكون هذه القوة الملامرة التى ذكرتموها فى ندائكم — قوة أصحاب الملايين — وسيلة لتسلط يهود يوماً ما على ساستكم ورجالكم وحكوماتكم ، وأن تكون تهديداً لكم ولأممكم بالمجاعات والاضطرابات الاقتصادية والسياسية ، وأن تكون أسلوباً من أساليب تأليب الأمم عليكم فى هذه المحنة حتى تمطوا القيادة ليهود وأنتم صاغرون ؟ أيها الساسة لا تستهينوا ، فمن استهان بعدوه فقد فرط ، ومن استهان بعدوه فقد مكنه من مقاتله ، ومن استهان بعدوه فقد منحه فرصة للفتك به .

واعلموا أنها الحرب بيننا وبين يهود . والحرب لا تلهو . وهذه الفئات التى تقيم فى أوطان العرب من اليهود سوف تكون يوماً ما « طابوراً خامساً » ، بل هى اليوم كذلك . واعلموا أن اليهود قد مرنوا على أساليب التجسس وتحسس الأخبار فى هذه الحرب ، وأنهم كانوا أعوانا للأمم المقاتلة فى حرب الأعصاب ، وأنهم قوم مردوا على النفاق منذ قديم الآزال ، فكيف تأمنون جانبهم ، وتطالبون قومكم أن يأمنوا جانبهم ؟

ثم أراكم تدعون يهود للتبرع بأموالها فى سبيل قضية العرب ، بل أن يبذلوا أموالهم لتقاتلوا بها أهلهم وعشيرتهم ، فبئس الشىء تطلبون . إن أول ما فى هذا الجهل بالطبيعة البشرية ، ثم غاية الجهل بطبيعة هذه الفئة من يهود التى ظلت أكثر من ألفى سنة تنطوى على نفسها ، وتحافظ على روابطها ، وتجعل دينها هو قوميتها ووطنها ، لا وطن لها ولا قومية إلا اليهودية صرفاً خالصة لا تشوبها شائبة من محبة وطن له أرض وسماء ، إلا أرض الميعاد — إلا فلسطين — إلا أرض اسرائيل من شاطىء الفرات إلى ضفاف النيل .

ثم ألا تخافون أن يتبرع لكم هؤلاء اليهود بآلاف من أموالهم أو أموالنا على الأصح ، يخادعونكم بها ثم يهربون إلى قومهم الملايين ، يمينون بها عليكم ، ويكسبون بها غفلتكم عنهم وعن حركاتهم وأعمالهم ودسائسهم فى قلب بلادكم ؟

أيها الساسة اطلبوا سياسة أخرى غير هذه تكفيكم شر يهود . إننا لا نريد منهم مالا ، ولا نريد منهم حباً للأوطان التى أظلتهم وحمتهم ، ولا نريد منهم رجالا يقاتلون فى صفوفنا ، وإن ديننا لينهانا عن أن نقبل منهم شيئاً . اطلبوا أيها الناس سياسة أخرى تضمن لكم أن تعرفوا خبء يهود ، وأن تصطنعوا من الأسباب ما يكفل لكم قطع أيديهم وألسنتهم من التدسس

والتجسس والمكيدة والغدر . لا تأمروا الناس بالفتك بهم ، بل نحن العرب نحمي الذمار حتى عدونا نحمي ذماره ، ولكن دبروا أمركم وسنوا من القوانين ما ينهى يهود الأوطان العربية عن الغدر بهذه الأوطان التي حمتهم وهم مشردون مضطهدون قد مزقهم الناس كل ممزق .

إن العالم العربي اليوم قد استيقظ من غفوة طالت ، وهو اليوم لا يسمع للساسة القدماء إلا كما يستمع المقاتل البطل إلى صيحات الجبان الذعور ، فليعلم هؤلاء أنه أولى بهم أن يمنحوا الشباب من حكمتهم وتجاربهم وعقلهم ما يهديهم ويقويهم ، لا أن يعظوهم بالمواعظ التي تحفر تحت أقدامهم هوة مظلمة بعيدة القعر ليس يسمع في أرجائها إلا هامهم الموت وهو يدب والنا في دم أو منشباً مخالبه في فريسة . ارحموا الناس وارحموا أنفسكم أيها الرجال .

محمود محمد شاكر

حجج تاريخية

للدكتور جواد علي

يطالب الصهاينة بأرض الميعاد ، أو « الأرض الموعودة » ويعنون بذلك ما جاء في التوراة وعداً « لابرام » « إبراهيم » « وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبدياً وأكون إلههم[1] » .

وفي هذه الآية وفي آيات أخرى أن إبرهيم جد العبرانيين الأعلى لم يكن من أرض « كنعان » أو « أرض فلسطين » بل كان من أرض أخرى وأن فلسطين كانت أرض « الكنعانيين » وقال الرب لابرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم إسمك وتكون بركة ، وأبارك مباركيك ، ولاعنك العنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض[2] » . وجاء بعد ذلك « وظهر الرب لابرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض[1] » .

وقد خصصت هذه الأرض « أرض كنعان » « بإبراهيم » وبنسله ومن نسله العرب واليهود وفي القرآن الكريم أن إبراهيم هو أبو العرب ، والعرب يطالبون بحكم القرآن الكريم بحقهم كذلك في أرض إبراهيم ، وقد حددت التوراة الأرض التي أعطاها الله لإبراهيم وذريته على النحو الآتي « في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلا لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات[2] » .

وجاء في موضع آخر من التوراة « وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا موسى عبدي قد مات ، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل ، كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى ، من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم[3] » .

وجاء في التوراة كذلك «وشاخ يشوع تقدم في الأيام فقال له الرب أنت قد شخت تقدمت في الايام ، وقد بقيت أرض كثيرة جداً للامتلاك هذه هي الأرض الباقية : كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشجور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالا تحسب للكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزى والأشدودي والأشقلوني والجتي والعقروني والعويين ، من التيمن كل أرض الكنعانيين ومغارة التي للصيدونيين إلى أفيق إلى تخم الأموريين وأرض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة ، جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوت مايم جميع الصيدونيين ، أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل[4] » .

فأرض الميعاد التي تتغنى بها الصهيونية أرض واسعة تشتمل على العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن وكل الأراضي التي لم يتمكن أنبياء وملوك بني إسرائيل من امتلاكها .

---

(١) سفر التكوين سفر ١٧ آية ٨ .
(٢) التكوين سفر ١٢ آية ١ — ٣ .

(١) تكوين سفر ١٢ آية ٧ .
(٢) تكوين سفر ١٥ آية ١٨
(٣) يشوع إصحاح ١ آية ١ — ٦ .
(٤) يشوع إصحاح ١٣ آية ١ — ٧ .

والصهيونية تدين بالقومية المتطرفة التى تعلو على قومية « الوطنية النـازية » التى حاربها الحلفاء فإنهم ينظرون إلى أنفسهم بنظرية « الجنس المختار » و « الشعب الذى وضعه الله فوق الشعوب » ، ولذلك فهى تنفر من سائر شعوب الأرض وتنظر إلى نفسها نظرة إعجاب وكبرياء . وقد استمدت نظريتها هذه منذ القديم حيث جاء فى التوراة « لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لـكى تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض[١] » . وتدين بالقوانين التى وضعها « عزرا » « فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعمـلوا مرضاته وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة[٢] » . تلك القوانين التى غدت نموذجاً لقوانين « نورمبرك » .

إن الصهيونية لا تقبل إلا بإحياء الدولة اليهودية المتطرفة ، ولا ترضى بفلسطين وحدها ، جاء فى كتاب « الدولة اليهودية تتحقق » « Judenstaat wird wirklichkeit » « لهـوبرت بولاك » « Hubert Pollack » أعلن بوضوح فى المـؤتمر الصهيـونى العشرين وفى مناسبات علنية أخرى أن « مشروع تقسيم فلسطين هو أصغر من أن يحل المشكلة اليهودية ، ولهذا السبب فإن مثل هذه الدولة لا يمكن أن تتفق مع الأمانى اليهودية ، ولا مع روحية الصهيونية ، ثم إن فلسطين نفسها لا يمكن أن تحل المشكلة اليهودية لأنها أصغر من أن تحل هذه المعضلة ، فلا بد من ضم شرق الأردن ؛ لأنها فى حالة ازدحام فلسطين ازدحاماً تاماً لا يمكن أن تتسع لأكثر من سبعة ملايين نسمة . وفى حالة تقدم الدولة تقدماً كبيراً فسيكون بها حوالى ثلاثة ملايين من العرب ، ولذلك فإنه لا يمكن أن تتسع هذه الدولة فى مثل هذه الظروف لأكثر من أربعة ملايين يهودى ، وإذن لا يمكن أن تتكون دولة يهودية بدون شرق الأردن[٣] » .

وبحث عن المشكلة اليهودية فقال « إن هذه المشكلة لا يمكن حلها إلا إذا نزل الشعب اليهودى بأجمعه فى أرضـه الأصلية كلها ، وتحت حماية دولته الوطنية ، وفى هذا المعنى فقط تحل المشكلة اليهودية ولهذا الهدف تسعى الحركة الصهيونية[١] » .

وقال « هرتزل » مؤسس الحركة الصهيونيـة فى كتابه « الدولة اليهودية » « وفى حالة ما إذا أعطانا جلالة السلطان فلسطين فإننا سنتمكن عندئذ من الإشراف على مالية الامبراطورية العثمانية ، وتكون فى متناول يدنا ، وسنكون بالنسبة لأوربا سداً منيعاً أمام آسيا ؛ وسنكون مركز حماية الثقافة أمام البربرية[٢] » .

ولمـا فشل فى إقنـاع الحكومة العثمانية بإعطاء فلسطين للصهاينة وضع مشروعاً سرياً لغزو فلسطين ، وقد نفذت المؤسسات الصهيونية هذا المشروع ، ويتلخص فى أن يقوم اليهود بإقناع الدول الكبرى بتأييد القضية الصهيونية وبالاعتراف بحق اليهود فى تكوين دولة لهم بفلسطين وبتوجيه أنظار اليهود نحو فلسطين وحثهم على الهجرة إليها حتى تتكون فيها جاليات يهودية قوية تتمركز فى الأرض المقدسة تشـترى الأرض والأملاك إلى أن يكون لليهود عدد كبير فى فلسطين فيثور هؤلاء ، ويطالبون عندئذ بحقهم فى تكوين الدولة اليهـودية . ومتى تكونت الدولة تطرد الأقليات العربية منها وتصبح الدولة اليهودية حقيقة واقعة[٣] » .

وقد اتخذت الصهيونية لها شعاراً هو « تقوية المركز اليهودى فى فلسطين » « Starkuvg der Jüdischen Position in Palästina » .

وقد طبقت هذه السياسة فعلا ؛ ولا تزال تطبق هذه الخطة السرية لاحتلال كل الأراضى التى يطلقون عليها « أرض الميعاد » .

جواد على

(١) التثنية الإصحاح الرابع عشر آية ٢ .
(٢) عزرا الإصحاح العاشر آية ١١ .
(٣) Judenstaat, P. 27 .

(١) Judenstaat. s. 28 .
(٢) Theodo· Herzl. Der Judenstaat, s. 33 .
(٣) Dubvow· Vol. 10 P. 316 .

التـــاريخ يعيد نفسه
بين المسلمين واليهود

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ١ —

للتاريخ حكم يجرى فى الحاضر والمستقبل كما يجرى فى الماضى ، فلا يحزن المسلمون إذا رأوا اليهود يجازونهم الآن على إحسانهم إساءة ، وعلى إنصافهم ظلماً وعدوانا ، فقديماً أحسن المسلمون إلى اليهود فأساءوا إليهم ، وعرضوا عليهم أن يعيشوا فى وطنهم العربى إخواناً لهم ، فرفضوا هذا العرض الكريم ، وأبوا إلا أن تكون جاهلية يمرحون فيها وينهبون ، فكان جزاؤهم الطرد من هذا الوطن ، وسيطردون إن شاء الله من وطننا بفلسطين ، ويجازيهم الله على بغيهم الجديد ، كما جازاهم على بغيهم القديم .

ولو تدبر اليهود حكم التاريخ لخففوا من غلوائهم ، وخافوا حكم الله والتاريخ فيهم ، ولكنهم قوم أعماهم حب النفس ، فلا ينظرون إلى المستقبل ، ولا تنفع فيهم عظة ولا عبرة ، وهذا هو الذى جلب عليهم بغض الشعوب ، وأوقعهم فى كل ما وقعوا فيه من النكبات

استولى الروم على بيت المقدس قبيل الميلاد المسيحى ، وطردوا اليهود منه ، فلجأ فريق منهم إلى بلاد العرب ، ونزلوا بجوارهم فى يثرب وغيرها من بلادهم ، فنزلوا بينهم فى أكرم منزل ، وعاشوا بينهم فى خسير جوار ، وكان العرب فى جاهليتهم دون اليهود علماً بشئون الحياة ، فاستغل اليهود جهلهم ، وأخذوا يقرضونهم الأموال بالربا الفاحش ، حتى صاروا أغنى أهل الحجاز وامتلكوا أخصب أرضه بيثرب وغيرها .

وقد كان العرب فى جاهليتهم يعيشون فى حروب دائمة لا تنقطع فشاركهم اليهود فى تلك الحروب ، وانغمسوا معهم فى تلك الجاهلية الآثمة ، وانقسموا على أنفسهم فيها ، كما انقسم العرب على أنفسهم فلم يحاولوا أن يقوموا بينهم بصلح ، أو يقضوا على شرور تلك الجاهلية ، لأنهم لا يهمهم فى هذه الدنيا إلا جمع المال ، ولا يهمهم شىء من هداية الشعوب إلى ما ينفعهم فى دنياهم أو أخراهم .

وكان أهل المدينة من العرب واليهود منقسمين قبل الإسلام إلى قسمين : أولهما عرب الخزرج ومعهم بنو قينقاع وبنو النضير من اليهود ، وثانيهما عرب الأوس ومعهم بنو قريظة من اليهود وكان بين الفريقين حروب دائمة لا تنقطع ، وكان آخرها حرب بعاث ، وقد وقع قبل الهجرة بخمس سنين .

فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أراد أن يجمع بين أهل هذا الوطن من مسلمين ويهود ، وكان العرب من الأوس والخزرج قد اجتمعوا على الإسلام ، وبقى اليهود على دينهم فلم يسلموا ، فتركهم المسلمون أحراراً فى دينهم ، ولم يكرهوهم على أن يدينوا بالإسلام مثلهم .

فعقد النبى صلى الله عليه وسلم معاهدة بين المسلمين واليهود ، كانت أول معاهدة فرقت بين الدين والوطن منذ الخليقة ، وجعلت الدين لله يحاسب عليه يوم الحساب ، فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، وجعلت الوطن لجميع الناس ، يستوون فى حقوقه على اختلاف أديانهم وأجناسهم ، فلا عصبية ولا قومية ولا غيرهما مما يفرق بين الناس فى الأرض ، ويثير الحروب والعداوات بينهم

وهذه سنة جديدة فى السياسة لم يكن للناس عهد بها قبل الإسلام ، جاءت بأصلين عظيمين جديدين فى هذه الحياة : حرية الاعتقاد ، والمساواة بين الناس فى الوطن . فلم يكن قبل الإسلام أصل من هذين الأصلين ، بل كان أهل الأديان فى حروب دائمة على الدين ، وكانت الشعوب فى حروب دائمة على استعباد بعضهم لبعض ، فأبطل الإسلام الحروب الأولى ، ونادى بها صرخة مدوية فى الأرض (لا إكراه فى الدين) وأبطل الحروب الثانية أيضاً ، وجعل هدفه هداية الناس لا استعبادهم .

فلم يسع اليهود إلا أن يوافقوا فى الظاهر على هذه المعاهدة الكريمة ، حتى لا تظهر نيتهم الخبيثة لأهل هذا الوطن الذى آواهم وأكرمهم ، وحتى لا يظهروا بمظهر الكارهين لدينهم ، وهو يدعو إلى التوحيد كما يدعون ، ويرفض عبادة الأصنام كما يرفضون ، ثم أخذوا يكيدون فى الباطن لأهل هذا الدين الذين لا ذنب لهم عندهم إلا أنهم نهضوا من جاهليتهم ، ورفضوا عبادة الأصنام إلى عبادة الله تعالى ، لأن اليهود لا يهمهم شىء من هذا ، وإنما يهمهم استغلال من يؤويهم فى وطنه ، ويرضيهم

كل الرضا أن يبقى جاهلا يعبد الأصنام ، إذا كان هذا مما يمكنهم من استغلاله ...

فأخذ اليهود يعملون على إثارة العداوة القديمة بين الأوس والخزرج ، ليتفرق جمعهم ، ويتركوا هذا الدين الذى جمع بينهم . ومما عملوه فى ذلك أن شاس بن قيس اليهودى مر على نفر من الأوس والخزرج قد جمعهم مجلس واحد ، ترفرف عليهم فيه أعلام المحبة والإخاء ، وتظهر عليهم فيه آيات الإخلاص والولاء ، فغاظه هذا المظهر الكريم ، وقال . قد اجتمع ملأ قيلة بهذه البلاد(١) لا والله مالنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار . ثم أمر فتى من اليهود أن يعمد إليهم فيجلس معهم ، ويذكر يوم بعاث وما كان قبله من حروبهم ، وينشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيها من الأشعار ، ففعل الفتى ما أمره به شاس ، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا ، حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه . إن شئتم رددناها الآن جذعة . وغضب الفريقان جميعاً ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة(٢) السلاح السلاح . ثم خرجوا إلى تلك الحرة ، فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ما فعلوه ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين ، فلما وصل إليهم قال لهم : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن هداكم الله للاسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف بين قلوبكم ؟ فبكى القوم عند سماع هذه الكلمات ، وعانق بعضهم بعضا ، ورجعوا إلى ألفتهم واتحادهم .

فلما يئس اليهود من التفريق بين المسلمين انقلبوا إلى من بقى على الشرك من أهل المدينة ، وكان أكثرهم من المنافقين الذين يخفون الشرك ويظهرون الإسلام ، فحالفوهم على المسلمين ؟ ثم أخذوا يؤلبون القبائل العربية على حربهم ، وسموا إلى قريش فحالفوها عليهم ، ولم يتورعوا فى عداوتهم للاسلام عن تزيين الشرك وعبادة الأصنام لهذه القبائل ، وتفضيل هذا على الإسلام الذى يدعو إلى التوحيد كما يدعون ، ولم يهمهم أن يخرجوا بهذا على دينهم لأن القومية عندهم أهم من الدين ، وأمر الدنيا عندهم أهم من أمر الآخرة ، فلا يهمهم أن يبيعوا دينهم فى دنياهم ، وسعادة الآخرة فى سعادة الدنيا ، لأنهم الشعب المختار بين الشعوب ، ولا قيمة فى هذه الدنيا لغيرهم .

وكانت سياسة جهل وغباء من أولئك اليهود ، وكانت تدبيرات ظالمة باغية بإزاء ما أراده الإسلام لهم من العدل والإنصاف فجازاهم الله على هذا شر جزاء ، ونصر حق الإسلام على باطلهم ، ورفع ما يدعو إليه من العدل والإخاء والمساواة على ما يدعون إليه من الظلم والعداء والتفريق ، فذهب كل ما سوله الجهل لهم فى القضاء على الإسلام أدراج الرياح ، وفشلت سياستهم الباغية الجاحدة المفرقة ، ولم ينفعهم أولئك المنافقون الذين آثروا حلفهم على حلف المسلمين ، ولو كانوا عقلاء لعلموا أن المنافق لا يبقى على حلف ، ولا يفى بعهد ، ولا يقدر على نصر ، لأنه كاذب فى دينه ضعيف فى نفسه ، فلا ينفع ولا يضر ، وشر الرجال من يصل إلى هذا العجز ، ويكون هذا حاله فى الضعف .

لقد أراد يهود المدينة أن تبقى فى جاهليتها ليستغلوا أهلها ، ورفضوا أن تكون وطنا لهم والمسلمين ، فأبى الله إلا أن تكون وطنا للمسلمين وحدهم ، وأن يحرم منها أولئك اليهود الغرباء ، فنفوا منها إلى أذرعات وغيرها ، وسيعيد التاريخ حكمه فيهم ، وسنبين فيما يأتى كيف يكون هذا الحكم .

عبد المتعال الصعيدى

(١) قيلة هى أم الأوس والخزرج .
(٢) حرة بالمدينة .

معارضات القرآن

للأستاذ على العمارى

قرأت فى بعض المجلات لعالم فاضل مقالا تحت هذا العنوان، وقد تحدث عن ابتداء المعارضات، وأنها كانت من قوم لم يكن ينتظر صدورها منهم، وأن القرشيين — وهم أرباب الفصاحة والبلاغة — لم يحاولوا المعارضة؛ لأنهم خافوا أن يقولوا فيفتضحوا، ولكن بعض المتنبئين تجرأ فعارض القرآن، وذكر الكاتب من هذه المعارضات قول مسيلمة الكذاب: ياضفدع ابنة ضفدع، نقى ما تنقين، أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين. وقوله: ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وغشى. ثم قال: فهو فى المعارضة الأولى يخاطب الضفدع كأنها مخلوق يتعالى فيريد أن يضع من أمرها، ويحط من شأنها، والضفدع مخلوق ضعيف لا يتعالى ولا يتكبر؛ فخطابه بهذا لا يطابق حاله، ومن شرط البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال. وهو فى المعارضة الثانية لا يأتى من دقائق القدرة ما يتعالى إدراكه عن البشر كما قال تعالى فى القرآن الكريم « فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب ». اه

وقد لفت ذهنى فى هذا الكلام أمران:

أولا: أنه يسوق هذه المعارضات سوق القضايا المسلمة، والأمر فيه نظر — كما يقولون —

وثانياً: أنه يزيف هذه المعارضات مستنداً إلى أمور معنوية دون نظر مطلقاً إلى الأسلوب وتهافته، فهو يرد المعارضة الأولى بأن الخطاب فيها غير مطابق لمقتضى الحال، ويرد الثانية بأن ما جاء فيها ليس من دقائق القدرة، ومع أن الأمر لا يقتصر على الناحية المعنوية بل لعل أظهر ما فى هذه المعارضات من ضعف هو ركاكة الأسلوب وسخفه، مع ذلك فان خطاب الضفدع مطابق لمقتضى الحال، لأن قوله « نقى ما تنقين » معناه ارفعى صوتك ما شئت. فانك لا تستطيعين وراء هذا التصويت — الذى يشعر بالجلبة والضوضاء والمظمة — ليس وراءه ما يمكن أن يكون له من أثر من تكدير الماء أو منع الشاربين ...

هذا، وقد كنت أعتقد من زمن بعيد أن هـذه المعارضات وأشباهها من افتعالات الرواة، وتفكهات أصحاب القصص، وأضاحيك السمار فى المجالس والمجتمعات، وأن العرب انقطعوا عن المعارضات حقها وباطلها، ولم أكن أعتقد أن مسيلمة أو غيره من أعراب البادية ينزل إلى هذا المستوى، ويمخرق على قومه وهم فصحاء بلغاء بهـذا الهراء، وكنت وما زلت أحفظ قول الجاحظ عن انقطاع العرب عن المعارضة: « ولم يرُم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر، ولو طمع فيـه لتكلفه، ولو تكلفه لظهر ذلك، ولو ظهر لوجد من يستجيده، ويحامى عليه، ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وقارب وناقض » وهـذا — ولا شك — نص وثيق صريح فى أن شيئاً من هذه المعارضات لم يكن وصل إلى علم الجاحظ، وهو ما هو، فاذا أضفنا إلى ذلك أن كل هذه المعارضات من التهافت وضعف التأليف بحيث يستحيل صدورها من عربى بله عربى يقول فيه المرحوم مصطفى صادق الرافعى أنه أفصح من المتنبى، وذلك حيث يقول فى كتابه إعجاز القرآن « وما المتنبى بأفصح عربية من المنس ولا مسيلمة » على أن مما روى للمتنبى مما قالوا إنه عارض به القرآن أقول من هـذا ما يشبه أن يكون كلاماً مثل قوله « والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار، إن الكافر لفى إخطار، امض على سننك، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين، فإن الله قامع بك زيغ من ألحد فى دينه، وضل عن سبيله » فأين من هذا ما يلصقونه بمسيلمة؟

وفى محفوظى مما لست أستطيع أن أحققه الآن لبعدى عن كتبى، أن مسيلمة طلب منه قومه أن يأتيهم بقرآن فقال: هذا ما لا ينطق به لسان من عضل.

على أن الذى أثار دهشتى — ومن أجله كتبت هذه الكلمة — أن الرافعى عليه الرحمات، قد ساق هذه المعارضات سوق المسلمات وأخذ يشقق القول فيها ويصرفه، وجعل يعلل ضعفها وتهافتها، وذكر منها قول مسيلمة: « والمبذرات زرعاً، والحاصدات حصداً

والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، والخابزات خبزاً ، والثاردات ثرداً ، واللاقمات لقماً ، اهالةً وسمناً ، لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتر فآووه ، والباغى فناوئوه » وقوله « والشاء وألوانها ، وأعجبها السود وألبانها ، والشاة السوداء ، واللبن الأبيض ، إنه لعجب محض ، وقد حرم المذق ، فما لكم لا تمجعون » وقوله « الفيل ما الفيل ، له ذنب وبيل ، وخرطوم طويل » ثم قال الرافعى ، وما كان الرجل من السخف بحيث ترى ، ولا من الجهل بمعانى الكلام ، وسوء البصر بمواضعه ، ولكن لذلك سبباً نحن ذاكروه »

وأقول أن هذا هو الحق ، وأن لنا أن نتخذ هذا القول نفسه عماداً نتكىء عليه فى أفكارنا أن يصدر مثل هذا عن مسيلمة ، فالمعارضة الأولى يلاحظ فيها الاستقصاء الذى لا يعرفه إلا أهل الصناعة من محترفى الكتابة ، أما العربى الأول فما أظن أنه يبلغ به التتبع والاستقصاء إلى حد أن يبتدئ ببذر الزرع وينتهى بلقم الثريد ، ومابقى عليه بعد ذلك إلا أن يختم عبثه بالخاتمة الطبيعية لهذا الترتيب!

ولا شك عندى أن هذه المعارضة دليل واضح فى ذاتها على أنها من وضع فكه متظرف سخف فأجاد السخف ، وليس فيها تقليد للقرآن — كما يقول الرافعى فى سبب ضعفها — فان القرآن لم يكن يسترسل هكذا فى معنى واحد حتى يصل به إلى غايته ، والمعارضة الثانية فيها تكرار من غير مناسبة ، والكلمة الأخيرة أشبه بأن تكون موضع الفكاهة فى السورة !! ، وأنا لا أدرى لماذا يعمد مسيلمة إلى وصف الفيل هذا الوصف الساذج ، وهو ليس من الحيوانات المألوفة عند العرب ، ولماذا اختار الضفدع ، وهو حيوان حقير صغير ، وهو بعد ليس مما يشغل ذهن العربى ؟

ويبدو لى أن الرافعى انساق فى تيار الجاحظ ، فقد جاء فى كتابه الحيوان عند الكلام على الضفدع قوله : ولا أدرى ما هيج مسيلمة على ذكرها ، ولم ساء رأيه فيها ، حتى جعل بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه : يا ضفدع بنت ضفدعين ... الخ ولكنى أظن أن الجاحظ لم يقصد غير السخرية ، وأنه يعلم أن ذلك من موضوعات الظرفاء فجاراهم ، فانا إذا وضعنا هذا القول بجانب قوله الذى نقلناه آنفاً خلصنا بهذه النتيجة .

من يطالع فى كتب الأدب يجد أن المتنبئين كانوا مادة دسمة للتظرف ، وكم من طرفته ألصقت بهم ، وما كان يصح أن يتركوا مسيلمة دون أن يتفكهوا به ، وهو أشهر متنبىء ، ولعل من ذلك ما حدثوا أنه أمهر سجاح التميمية حين تزوجها باسقاط صلاتين من الصلوات التى جاء بها محمد ، كأن مسيلمة كان يؤدى هو وأتباعه وأتباع زوجته النبية الصلوات الخمس ، ويتعبد بشريعة الاسلام !

ولذلك نجد المتظرفين والمتهكمين ينسبون القصة الواحدة فى بعض الأحايين إلى أكثر من واحد ، فهم لا يعنيهم إلا الحكاية ، أما عمن صدرت فذلك أمر ثانوى .

ذلك رأيى فى هذه المعارضات ، و ما كنت أحب أن تساق سوق القضايا المقطوع بها ، سواء كانت فى كتاب أو فى مجلة ، ولاسيما إذا جاء فى جو البحث العلمى لأن ذلك يوقع فى الأذهان أن ذلك أمر قد اتفق على ثبوته ، وليس حوله شبهة ولا عليه اعتراض .

على العمارى

مبعوث الأزهر بالمعهد العلمى بأم درمان

الكأس والغواص

للشاعر الكبير (جيته الألماني)

بقلم الأديب عبد الموجود عبد الحافظ

وقف الملك وحوله حاشيته وأفراد شعبه يطلون على البحر من هذا العلو السامق ، ونظر الملك وأجال طرفه بين الحضور كأنه يبحث عن شيء ثم قال : « من منكم أيها الفتيان النبلاء والفرسان الشجعان يقدر على الاندفاع في هذا البحر اللجي والهوة السحيقة ؟ لقد رميت قدحاً من ذهب فابتلعته المياه في جوفها ، فمن آنس قدرة في نفسه وحصل عليه فليحفظه فهو منحة له »

فما أتى الملك على آخر كلمته حتى ألقى من عالي الصخور المنحدرة المشرفة على البحر الهائج واللجج المائلة ، قدحاً من عسجد في قاع البحر وكرر قوله « من منكم يأنس في نفسه الإقدام على غوص هذه الأعماق ؟ »

واستولى على الحضور سكون رهيب كأنه صمت القبور ، وما هي إلا هنيهة قصيرة حتى هب شاب من بين الجمع الحاشد تظهر عليه آثار الترف والنعم وقد جمع بين اللطف والإقدام ، والحسن والجرأة ، فتقدم في ثبات وعزم وحلَّ منطقته وخلع رداءه وتجرد من كل شيء ؛ فدهش القوم وبهتَ الرجال والنساء وازداد عجب الفتيات وأعجبوا جميعاً به أيما إعجاب . وقف الشاب على حافة الهاوية يتأمل هذا المهوى البعيد ، فسمع اللجج في أغوارها تقصف كأنها الرعد .

زمجر الموج وأرغى البحر وأزبد وغلى غليان الماء في المرجل وارتفع الرزاز حتى صافح الوجوه ، وتبعت الموجة موجة واللجة لجة ، وكأن قوة هذا الجبار المهلك تتجدد ولا تنفد .

ثم سكن هذا الطغيان الجارف وخفت وطأة الموج المتحدر ولمح الناس وسط الزبد الأبيض فوهة سوداء لا قرار لها قاعرة فاها كالجحيم لا تلبث أن تزدرد كل ما يهوى فيها من الموج الصاخب .

واعتمد الشاب على ربه وطلب منه العناية ... وألقى بنفسه في هذه الفوهة المفتوحة ، وسمع وهو يهوى صياح الفزع والرعب وغاب هذا الغواص الجريء وانطبق عليه فم الوحش الكاسر .

صمت كل شيء وأصبح القوم وكأن على رؤوسهم الطير ، ولكن الأنواء ما فتئت تدوى في ظلمات الأغوار ، وطفق القوم يقولون والأسى يقطر من نفوسهم والدمع يسيل من عيونهم : « الوداع الوداع أيها العزيز » وما برح هزيم الهاوية يهبط رويداً رويداً حتى هلعت القلوب وحارت العقول وأمسك القوم أنفاسهم من شدة الهلع .

ثم قال أحد الحاضرين « والله لئن رميت تاجك في هذا الغور الهائل ، وقلت : الملك لمن يرده ما سولت لي نفسي التطلع إليه »

« وكم من فلك اختطفته هذه الأغوار ولم ينج منها إلا حطاماً وساريات مهشمة ودفن باقيها في بطون الرموس ... »

وعلت زمجرة اللجج بغتة فغطت على بقية القول وهاجت عاصفة الموج وعلا كالطود وهجم على الشاطئ كأنه وحش مفترس تخيل للحضور أنه يريد أن يلتقمهم كما ابتلع قبل ثوان ذلك الشاب الجميل فخافوا وفزعوا .

وعلى غرة من القوم ندت صرخة فرح من أحدهم فقد شاهد بين صخب الموج وتلاطمه القوى المنيف ذراعاً وعنقاً مسدلا عليهما شعر أصفر صفرة الذهب . وما هي إلا لحظات حتى طفا الشاب يسبح بقوة وجبروت على سطح الماء يحمل في إحدى يديه الكأس الذهبية والبشر باد على محياه فزاده نوراً على نور .

وعلا صياح الناس فرحين مستبشرين بنجاته من الغرق وقد تغلب على قوة هذا الجبار واقتحم مناطق الخطر وخرج منها سالماً مظفراً .

وتقدم الفتى في زهو وخيلاء والتفت حوله الناس معجبين مهللين حتى بلغ مكان الملك فركع عند قدميه ومد يده بالكأس الذهبية يشع منها النور ، فأشار الملك إلى ابنته المحبوبة أن تأخذ الكأس وتملأها من رحيق فاخر وتقدمها للشاب الباسل ، وصاح الفتى يقول :

« أعمر الله سيدى ومولاى الملك ؛ إن من نعم الله على البشر

أن أسمدهم باستنشاق هذا الهواء النقى ؟ وإن هذه الهاوية لترتجف منها القلوب وترتاع منها النفوس لما فيها من أهوال وظلمات

« لقد هويت إلى البحر فى سرعة خاطفة فقذفتنى موجة جبارة فألقت بى إلى صخرة ، وأعقبتها أخرى أشد منها بأساً وقوة فلم أقو على الثبات أمامها وأعاننى ربى الذى توكلت عليه واستغثت به عند ما رأيت الهول محدقاً بى فرأيت نتوء فى الصخر فملقت به فنجوت من الموت .. وعلى قرب منى شاهدت الكأس معلقة فى شعبة من شعب المرجان فلم تهو إلى القاع السحيق .

وهالنى ما أبصرته من أعماق لا قرار لها فخارت قواى وارتعدت فرائصى ، وزادنى هولا ما شاهدته من وحوش البحر وحيتانه ، وزادنى هولا أنى لم أسمع صوتاً آدمياً ، وكنت أنظر إلى ما أنا فيه وأفكر فى مصيرى ، ولكنى تشجعت وسبحت حتى تناولت الكأس وقذفتنى موجة عاتية فحملتنى إلى سطح البحر فلم أصدق أنى نجوت .

فأثار كلامه إعجاب الملك وقال له هذه الكأس هبة لك وإني أهبك خاتماً مرصعاً بأغلى الجواهر ، فجرب حظك فى النزول مرة أخرى لتحدثنى بما تشاهد من عجائب .

فنظرت إليه ابنة الملك وظهر على وجهها عاطفة الحنان والشفقة وتوسلت إلى أبيها قائلة فى لهجة تشع بالحنان والعطف

اعدل أبت عن هذه المخاطرة القاسية فقد أقدم هذا الشاب الشجاع على ما لم يجد أحد فى نفسه القدرة على الإقدام عليه وعاد من أهوال لم يكتب لأحد منها النجاة قبله . فرحمة بشبابه يا أبت

ولم تتم كلامها حتى ألقى الملك الكأس وقال : أيها الفتى الشجاع ، إن أحضرت لى الكأس جعلتك من خاصة حاشيتى وزوجتك بمن توسلت إلىّ من أجلك .

فوجد فتانا فى نفسه قوة خارقة عند ما نظر إلى ابنة الملك فرأى وجهها وقد تورد حمرة ، وعيناها تنظران إليه يشع منهما النور والخوف معاً على هذا الشاب المقدام .

فعوّل على أن ينال هذه المنحة العظيمة وينال هذه الفتاة التى أحبته وأحبها لأول مرة فألقى بنفسه من شاهق إلى أفواه الموت مرة أخرى وأنصت القوم لزمجرة الموج ورعده وقد ملك الهلع قلوبهم وارتعدت فرائصهم من الهول ، والموج يرتفع ويهبط ويرغى ويزبد ويثور ويزمجر ولكن هيهات أن يعود بالغواص مرة أخرى إلى الحياة .

عبد الموجود عبد الحافظ
« أسيوط »

من وراء المنظار

فى حجرة صاحب ديوان . . . !

استأذنت فسرعان ما أذن لى بالدخول عليه ، ولقينى بترحاب وبشاشة يعرفهما فيه كل من دخل حجرته ، وقل فى أصحاب الديوان من كان له مثل أريحيته ونبله على رفعة منصبه وسعة نفوذه ، فأن أكثرهم وا أسفاه لتسفل نفوسهم بارتفاع مناصبهم ، وإنهم ليتأبهون على الناس ويتكرهون لهم حتى لكأنهم يحيون ويميتون .. وليس لهم فى الواقع من الأمر شىء ..

وإنه لينزلنى منه منزلة الصديق وأنا تلميذه ، ويرفع مكانتى عنده ، ويحب « منظارى » ولا يفتأ يحدثنى عنه .

ومن أعظم ما حببه إلى على كثرة ما أحببت من صفاته ، أنه يستمع فى أناة عجيبة إلى كل شاك ، لا يتبرم ولا يقاطع ولا ينفد صبره ، ثم يقول ما له وما عليه ، لا يلتوى ولا يغالط ولا يتحفظ ..

كان على مقعد قريب من مكتبه وكيله فى العمل ، وهو يكبر رئيسه فيما أعلم بنحو سبعة أعوام ويسبقه فى التخرج بمثل هذه السنوات ، ولم يخف على منظارى أن بنفسه من ذلك شيئاً بل أشياء ..

واستبقانى الرئيس بعد أن أفضيت إليه بما جئت من أجله ؛ ودخل شاب بعد أن أذن له فسلم وظل واقفاً ، وقرأت فى وجهه أنه يكتم غضبه ؛ وأذن لقادم آخر فدخل وهو كهل فى أول الكهولة فيما قدرت ، وأشار إليه الرئيس فجلس على مقعد ينتظر دوره فى الكلام . . . ولمحت كذلك فى وجهه أنه يمتلىء حفيظة وغضبا ..

وقال الرئيس للشاب : أظن أنه ينبغى أن تسافر فأن فلاناً بك مصر على ألا يقبلك بعد اليوم عنده ؛ ومشت فى هيكل الشاب رعدة وقال فى عبارة مضطربة وفى لهجة تصور مرارة نفسه . ممنى ذلك أن الموظف بهيم لا إرادة ولا رأى ولا كرامة له ؟ لم لا يُفهم فلان بك أنه أخطأ حتى لا يعود ثانية إلى الخطأ ، وإلا فما وجه خطأى أنا كيلا أقع فيه من بعد ؟ .. ينبغى إذاً أن أصانع كل رئيس على حساب الحق والكرامة والصالح العام .. لا .. لا .. هذا كثير . .

وظلت فى وجه الرئيس بشاشته على الرغم مما كان يرتسم على محياه من علامات الألم لما يقول الشاب ، وقبل أن يتكلم الرئيس ، انطلق ذلك الكهل الذى كان ينتظر دوره . وقد نهض كالخطيب فقال يخاطب الشاب : اسمح لى أن أنصح لك نصيحة مجرب : طلق الكرامة والذمة والحق والأمانة ما دمت قبلت الوظيفة كرامة ؟ رأى ؟ إرادة ؟ إنك يا بنى تحلم . أنت فى مصر . إنك تكلف نفسك رهقاً شديداً إذ تمسكت منذ الآن برأيك وحكمت ضميرك وأرضيت خلقك .. أنت يا بنى عبد .. لا تغضب فأنا عبد مثلك . . وكل موظف عبد من أكبر كبير إلى أصغر صغير وإنما يستعبد بعضنا بعضا ··· كرامة ؟ رأى ؟ ضمير ؟ ··· أنت فين ؟ ··· المسألة أكل عيش بأى شكل ، وكل واحد لا يهمه إلا نفسه ·· الصالح العام ؟ أين هو ··· احنا فين ؟ ··· داحنا فى مصر ···

وظل صاحب الديوان على هدوئه وبشاشته ، وجلس الخطيب الكهل بعد كلام طويل من هذا القبيل ؛ وأخرج الشاب ورقة من جيبه فدفعها إلى الرئيس فأذا هى استقالته ؛ وراجعه الرئيس متلطفاً ثم استمهله يومين لينظر فى الأمر ؛ وخرج الشاب ، والتفتُ إلى الكهل فأذا قضيته هى قضية ذلك الشاب ولكنه كما قال لا يستقيل لأن له بنين وبنات ينفق على تعليمهم وليس يملك غير مرتبه . . ووعد الرئيس كذلك أن ينظر فى أمره من أجل أولاده فانصرف وهو يقول حسبى الله ···

ونظر إلى الرئيس وقال باسما : كأنى أراك تكتب «منظارك» ؛ وما كاد يلتفت حتى طلب الأذن مستأذن فأدخل ، فاذا بشاب فى نحو الخامسة والثلاثين دمث مهذب فيما يبدو ، فى وجهه من الهم والكدرة أكثر مما فيه من غضب ، وسلم وقال ، أنا فلان ، وسرد تاريخ حياته ، ثم ذكر أن فلاناً من فرقته رقى وهو ثانى الفرقة ، وأنه هو لم يرق وهو الأول ، ويحب أن يعلم لم تخطاه الثانى ، فإن كانت له عيوب فما يشفى نفسه أن يعرفها ، أما أن يقال له إنك « ممتاز » وأما أن يثنى عليه رؤساؤه جميعاً ثم يترك

ويرق من هو دونه فذلك ما لا يستطيع أن يسيغه ولا أن يحمل على قبوله عقله ، وهو ما لا تطيقه كرامته .

وعند ذلك انطلق الوكيل الذى ظل صامتاً منذ أن دخلت ، فأخذ دور ذلك الكهل الخطيب ، وقال فى اتزان ولكن فى كثير من التحمس : اسمع يا أستاذ ألا زلت من السذاجة ... لا تؤاخذنى ... ألا زلت من الطيبة بحيث تفهم أن الأمر أمر كفاية واستحقاق ... إبحث تجد صاحبك تزوج حديثاً فترقى أو جرى فى ركاب عظيم فنال الأجر أو هو قريب فلان باشا أو علان بك ، أو غير ذلك مما أستحى أن أذكره ، فأن استطعت أن تفعل مثله أو يكون لك مثل ظروفه فستظفر بالرقى وإلا فستبقى حيث أنت إلى أن يشاء الله . أنت فى مصر على رأى صاحبنا الذى خرج ... أنت فى مصر يا بنى ... أنظر فها أنذا بينى وبين الستين أربعة أعوام وقد تخطانى من لا أحسبهم جاهدوا فى الحياة جهادى وخدموا البلاد خدمتى ... ثم ضحك ضحكة مرة ونظرت فأذا فى وجه الرئيس شىء من الحرج وفى عينيه ما لا يخفى معناه من اختلاج ، وفطن الوكيل فتدارك الأمر قائلا ... لا مؤاخذة يا بك فأنت ذو فضل وما عنيتك بما أقول ... معاذ الله ، ثم ضحك ضحكة أخرى لم أدر أقصد بها التبسط أم قصد إظهار ما فى نفسه من غضاضة .

وقال الرئيس لهذا الأستاذ : اترك لى مذكرة فسأنظر فى أمرك ، وقال الأستاذ وهو يهم بالانصراف إنى سأقبل على عملى غير متأثر بشىء وإن كان الالم ملء نفسى ولكنى أخشى أن يأتى الوقت الذى أصبح فيه كالحصان تدفعه العربة إن لم يجرها ...

وضحك الوكيل قائلا ... لست أول عبيط ولن تكون الأخير ... أتظن أن فى الرؤساء واحداً يعنى بأن يفكر فى هذا ؟ حسبه التفكير فى نفسه .

ونظر الرئيس إلى ضاحكا وقال . وأنت ما شكواك ؟ فقلت إنى أستكبر أن أشكو ... هل تكتب هذا الذى رأيت وسمعت ؟ قلت لست أصبر إلا بجهد حتى أكتبه .

وقال الوكيل وما جدوى كتابتك ؟ يظهر أنك عبيط آخر ... لا تؤاخذنى . . اكتب ما شئت إنك لا تسمع من فى القبور ... أتحسب هذه أموراً مجهولة تكشف عنها بما تكتب فتنبه ذا غفلة ؟ كلا إن ذلك كله معلوم ، وقد شاع الفساد حتى شمل الدولاب كله فماذا تقول ؟ وماذا تريد بكتابتك ... أأنت صاحب معجزة ؟ والله لو جاءتك معجزة ما استطعت أن تغير ما نحن فيه ... يا شيخ الله يفتح عليك .. أنت فى مصر .. ها .. ها .. ها .. غير الجيل كله وابدأ من جديد .

وتنهد الرئيس وقال لا أخفى عنكما وأحدكما زميلى والآخر تلميذى أنى كرهت العمل وأنى أتمنى لو استطعت أن أفعل فعل ذلك الشاب الذى دفع إلى استقالته ... أتدرون ماذا يقول؟ يقول إنه يريد أن يهاجر إلى الأرجنتين لينسى أنه مصرى ! . إنى أريد أن أعمل شيئاً فلا أستطيع .

لقد فسد الدولاب من فوق فنزل الفساد إلى كل جزء . . . ها أنذا أسمع الشكايات طول يومى ثم أرفع الأمر إلى من هم فوق فلا أظفر بشىء . وأحمل الأوراق المكدسة إلى منزلى فأسهر الليل فى تصريفها وعملى لا يعدو أن يكون فى الغالب تنفيذ ما أومر به .

الخفيف

من الشعر السياسي :

تبعات الجـــلاء

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

أطلتم عليـــه فى الظـــلام شجونه
وقرّحتمو فى الـكهف نوماً جفـونه
فلا تحسبوها رقدة الدهر إنه أعد لهـذا الفجر يوماً عيونه
أليس أذان الفجر من بعض دينـه
فـكيف غفـلتم أن يلبى دينـــه ؟
هو الصبح نادى بالجلاء مبشراً وقد أسمع الدنيا أما تسمعونه ؟
دفعتم به نحو الرقاد ... وإنمـا إلى المجد كنتم والعلا تدفعونه
تريدونه أن لا يكون كأمسه ويأبى عليه المجد أن لا يكونه
مضى لاتصدُّ الـكارثات سبيله ولا تستريب الحادثات يقينه
هوالحر لاتلوى العوارض قصده ولو تقف الدنيا العريضة دونه

فـكـكتم عن الليث الهصـــور وثاقه
وكنتم على الليث اقتحمتم عرينـــه
وحجتكم فيامضى صون عرشه فمن هو أولى منكما أن يصونه
إذا الليث لم يمنع ذمار عرينه فأن الذئاب الطُّـلس لا يمنعونه
إذا ما أعان المرء فى الأمر نفسه فما يمنع الأقدار من أن تعينه ؟
ومنْ مدَّ للدنيا يمين مكافح يمـد له الله القـوى يمينـه
ظننا الجلاء الحلو مراً مذاقه وما الأمر ألا حينما تجهـلونه
ومن أعظم الأمر الجليل تهيبا فأحزم شيء بعـدها أن يهينه
إذا استصعب الأمرَ الفتى فى ابتـــدائه
فأحرى به من بعـــد أن يستهينه

بنى مصر حُمِّـلتم أمانة أمـة وما العبء إلا كل ما تحملونه
فما الفوز بالشيء الذى تأخذونه ولـكنه الشيء الذى تبذلونه
حملتم من الماضى الصـــعاب كثيرة
فهيا احمـــلوا صعب الزمان ولينه
وما ذلك الثوب الذى تخلعونه بأيسر من هذا الذى تلبسونه
فما تبعات الجـد أحلام حالم ولا هى بالتمر الذى تأكلونه
ومن يضمن استقلال مصر بأسرها
إذا لم يجـــد فى كل نفس ضمينه ؟
فلا تحسبوا ثوب الجلاء تزيننا بشيء إذا لم نستطع أن نزينه

بنى مصر ! ! غايات الحيـــاة كثيرة
فـــلا تهنوا فى موقف تقفـــونه
ولا تحمدوا عيد الجلاء ... وإنما أعدُّوا غداة العيد ما تحمدونه
عليكم ديون للبلاد كثيرة رعى الله من وافى فوفَّى ديونه
فلا تجعلوا لحن الخلود قوافيا تنمِّق أبكار الـكلام وعُونه
فليس نشيد الخلد ما تنظمونه ولـكن نشيد الخلد ما تصنعونه

ليـــلة عيد الميلاد

للأستـــاذ زهير ميرزا

حـدق أيتها الأرض ، فقد عم البـــلاء
وانظرى الأشـلاء تطـاير يذروها الفضاء
وانصتى ! فالـكون أضحى محشراً فيه الجزاء
كل نفس أيقنت أن طال فى الدنيا الثواء
والشـــباب اليافع البـكر يواريه الفناء
ناشئ روعـــهُ الخطبُ وأصماه الشقاء
لم يذق من كوبة الدُّنيا سـوى ما فيه داء
قدَّمته راحـةُ الشيطان يحدوه الرجاء
وأقام اليـــوم أعراساً له فيهـا احتفاء
بعثت من فوهة المـــدفع نارٌ وضـــياء
والأهازيج رعـــود وعويـلٌ ... لا غناء
رقص الناس بها هولاً وذعراً كيف شاءوا
وتغنى عازفُ البارود والدمـع سـخاء
هـــكذا الأعراس فى العالم يزجيها الفناء

ليلة الميـــلاد ! أعيا منطق الداء العياء
والتوى القولُ المبين اليوم إذ حُم القضاء
لم يعـد يُمشى بعجنوز ... فى ذاك الرخاء -
حيث يقضى المرء يلقى قـــبرهُ . فيه الثواء
كفنٌ فى السلم من خز ، وفى الحرب دماء
يدفن الآباء أبنـــاء لهم فيهـم رجاء
ويوارون على – البعد – حشاشات أضاءوا
دمعة الشيخ جنون فاستعارٌ فانطفاء

كم شرايين من المندم قـــدّ الأبرياء
كى يروّى منه أفرادٌ من السلم ظماء
قذفوا بالفوج تلو الفوج هُوجاً كيف شاءوا
فأحالوا الأرض أنهـــاراً بها المندمُ ماء
سخروا (المريخ) فانقاد . وتغريه الدماء
وهـــو الشرير فى أعطافه دوماً ظماء
فإذا الأبحار والأرضون والجو ســواء
كلها مذبحٌ جزار له الإنسانُ شاء
كلما ضحى بفوج ؛ سيق للموت الدماء
هكـــذا سكينه مخضوبة فيها اشـــتهاء
كلما قيـــل انتهينا . راعها ذا الانتهـاء

ليلة الميـــلاد ! إن الحرب شر وبلاء
لم نقل فيها ولـكن طال فى اللين الثواء
حسب الظالم أن الشـــبل يغريه الرياء
لم يعد فى القوس صـــبر ... أرهقتنا الثؤباء
زمجرى أيتها الريح ... فلى منـــك ارتواء
وابعثي العنف بأوصـــالى ليحييها الرجاء
واعصفى فى رأسى البكر كما شئت وشاءوا
وانفضى عن كاهل العزة ما أبقى البـــلاء
وابعثيها وثبة الحـــر على من قد أساءوا
عذبتنى رقدة الغافى يغـــذيها ارتخـــاء
والزمان الطفل يطوينا كما يطوى المســـاء
نؤت بالأمس أداريه وفى النفس شـــقاء
واحتملت الإثم فى جنبى . أنا منـــه براء
عجز الطب ... فـــلم يبق لنا إلا الفـداء
الأبى الحـــر لا يشرى كما تشرى الأماء
نحن إما لغد نحيـــا ... وإما فالفناء

مصر فى أحزانها غرقى . أما منها نجبـــاء
أرهق المستعمر الجبس جناحيها يشـــاء
وطنى حتى تنزى من أذاه الطلقـــاء
ظامئ لم يروه بالأمس (نيـــلٌ) ودماء
شرب المندم فى الـكأس ... فغص الأبرياء
إن من فى لثتيه الـــترب لا يرويه ماء

ظمـــآن...

« القلب مصر .. وأنت . أنت سودان »

للشاعر محمـــد قوره

ظمآن .. والقلب فى جنبى ظمآن   وأنت نبع وجنات وشطآن
ظمآن . والرى فى عينيك مؤتلق   ظمآن .. والسحر فى جفنيك ريان
ظمآن . يا زهرتى . والـكأس مترعة
وأنت خمر الهوى . والحسن ندمان
ظمآن . لا لوعتى تهدا على كبدى   وكم يسعّرها فى الحب حرمان
ظمآن . هل قبلة عذراء من شفة   ما مسها فى الهوى من قبل إنسان
لا احتسى كأسها — يوماً — مشعشعة
ولا يعاقرها — فى الحب — صـديان

تذكرى . موعداً — بالشط — جمعنا
والروح خفاقة . والقلب جـــذلان
وصوتك العذب ألحان مولهة   لها بروحى أهازيج وإرنان
كأن كل حصاة فى الثرى صدحت   والموج قيثارة . والرمل ألحان
وكل عين رنت بالشط حاسدة   وكل صب على الكثبان غيران
الـكون !!. ما الـكون !؟ والدنيا وبهجتها
إذا التقينا وفى القلبين تحنان

ليلة الميـــلاد ! هل عدت بيرديك الرجاء
هل يشير العام أن قد عاد للوادى الصفاء
وينار القلب بعد المين ... أم يقضى الغلاء
وبشير الخـــير أنت الآن أم سر خفـــاء
أم ترى نمضى كما كنا وكان القـــدماء
ونوارى العام مثل العام . . . يؤذينا التجاء ؟
أنت غيب ! — مثلما كنت وتبقين ... — وداء !
أســـفى فالدمعـــة الحمراء يدعوها الوفاء
إنمـــا يبكى بدمع المقلتين الشهـداء
قد غفـــو للحشر ... والجزار يقظان يشاء
حسرتى حسرة من من مثـــله يرجى العزاء
نحن صوت الحق والتاريخ ... نحن الشعراء

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٤٦ – فهذا عزم لا يفله إلا الله

لما بلغ قتيبة حد الصين قيل له : قد أوغلت فى بلاد الترك والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر . فقال : بثقتى بنصر الله توغلت ، وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة ، فقال الرجل : اسلك حيث شئت فهذا عزم لا يفله إلا الله .

لى مدة لابدّ أبلغهـــا معلومة فإذا انقضت مت
لو ساورتنى الأسد ضارية لغلبتهـــا مالم يج الوقتُ

٩٤٧ – . . . كثرت السواد وحفظت المتاع

خرج سعيد بن المسيب إلى (الجهاد) وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له : إنك عليل صاحب ضرر ، فقال : استنفدنا الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكنى الحرب كثرت السواد ، وحفظت المتاع .

٩٤٨ – وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم

الحسبة فى الإسلام لابن تيمية : العاجز عن الجهاد بنفسه يجب عليه الجهاد بماله ، ومن عجز عن الجهاد بالبدن لم يسقط عنه الجهاد بالمال ، كما أن من عجز عن الجهاد بالمال لم يسقط عنه الجهاد بالبدن .

٩٤٩ – وأخرج عشرة بدلا عن نفسه

تاريخ بغداد للخطيب : قال الحافظ النيسابورى : لما وقع الاستنفار لطرسوس دخلت على (أحمد حسنيك) وهو يبكى ويقول : قد دخل الطاغى ثغر المسلمين طرسوس ، وليس فى الخزانة ذهب ولا فضة ، ثم باع ضيعتين نفيستين من أجلّ ضياعه بخمسين ألف درهم ، وأخرج عشرة من الغزاة المتطوعة (١) الأجلاد بدلا عن نفسه .

(١) الأساس : هو من المطوعة : من الذين يتطوعون بالجهاد .

٩٥٠ – . . . البدايات عنوان النهايات

نفح الطيب : قال الحافظ القاضى أبو بكر بن العربى فى أحكام القرآن عند تفسير قوله تعالى (انفروا خفافاً وثقالا) ما صورته « ولقد نزل بنا العدو وقصمه الله تعالى » سنة سبع وعشرين وخمسمئة فجاس ديارنا ، وأسر جيرتنا ، وتوسط بلادنا فى عدد حدد الناس عدده فكان كثيراً ، وإن لم يبلغ ما حدده . فقلت للوالى والمولى عليه : هذا عدو الله قد حصل فى الشرك والشبكة ، فلتكن عندكم بركة ، ولتكن منكم إلى نصرة الدين المتعينة عليكم حركة ، فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبق منهم أحد فى جميع الأقطار فيحاط بهم فإنه هالك لا محالة . وإن يسركم الله له فغلبت الذنوب ، ورجفت بالمعاصى القلوب ، وصار كل أحد من الناس ثعلباً يأوى إلى وجاره ، وإن رأى المكيدة بجاره – فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل !!! »

ولا خفاء أن هذا كان قبل أخذ العدو الجزيرة وشرق الأندلس وسرقسطة وميورقة وغيرها ، والبدايات عنوان النهايات

٩٥١ – ليس المروءة أن تبيت منعماً

أبودلف :

ليس المروءة أن تبيت منعما وتظل معتكفاً على الأقداح
ما للرجال وللتنعم إنمـــا خلقوا ليوم كريهة وكفاح

٩٥٢ – فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما

الحصين المرى :

ولست بمبتاع الحياة بسبة ولا مرتق من خشية الموت سلما
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

٩٥٣ – أو عاش منتصفا

العبسى :

من عاذ بالسيف لاقى فرصة عجباً موتا على عجل أو عاش منتصفا

٩٥٤ — . . . خير من الدنيا وما فيها

جامع محمد بن اسماعيل البخارى : لغـــدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها .

***

جامع مسلم بن الحجاج :

قال رجل : أى الناس أفضل يا رسول الله ؟

قال : مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله .

٩٥٥ — ... فاقتلوه بالسيف كائناً من كان

جامع مسلم بن الحجاج :

ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاقتلوه بالسيف كائناً من كان ...

٩٥٦ — آيات

[يا أيها الذين آمنوا ، هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم : تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون] .

[انفروا خفافاً وثقالا ، (١) وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم لو كنتم تعلمون] .

[وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم (٢) ، واصبروا ؛ إن الله مع الصابرين] .

[ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات (٣)] .

الله أكبر !

أين العربُ ، أين العربُ ، أين المسلمون ؟ أين كماةٌ وفداةٌ مؤمنون ؟ أين المجاهدون ؟ أين أباة الضيم ، أين أبطال الجهاد ..؟

(١) الكشاف . خفافاً من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شباباً وشيوخا أو صحاحاً ومراضاً . وفى مفردات الراغب : القصد بالآية الحث بالنفر على كل حال تصعب أو تسهل .

(٢) الكشاف : الريح الدولة شبهت فى نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ، ونفذ أمره .

(٣) فى جامع محمد بن إسماعيل البخارى : لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا .

الأدب والفن في أسبوع

الأدب المقارن :

ألقى الدكتور طه حسين بك محاضرة فى نادى الخريجين المصرى يوم الجمعة ، عنوانها « الأدب المقارن وأثره فى التقريب بين الأمم » بدأها بتصويب كلمة « مقارن » رداً على من يخطئونها فقال : إن القرن فى اللغة الحبل الذى يقرن به بين بعيرين ، فما الذى يمنع أن نقرن بين شاعرين أو فكرتين لنرى ما بينهما من أوجه الشبه والاختلاف ؟ بل إن « المقارنة » أدق من « الموازنة » التى يدعون إلى استعمالها ، لأن الموازنة تقتضى تفضيل شىء على شىء ، وليس فى المقارنة تفضيل .

ثم قال : إن الأدب المقارن ليس حديثاً كما يقولون ، لأن الناس منذ عصور قديمة قاسوا بعض الآداب إلى بعض ، كما فعل هيرودوت ، إذ تحدث عن تأثر اليونانيين ببعض الآداب المصرية القديمة ، وكما فعل العرب فى صدر العصر العباسى ، إذ ترجموا الآداب ، وتحدثوا عن التراث الفنى للأمم التى نقلوا عنها . أما فى العصر الحديث ، فقد تعمق المحدثون النظرات القديمة فى المقارنة بين الآداب ، ووضعوا لها أصولا وقواعد ، حتى تكوّن فن الأدب المقارن الذى يرجع البعض نشأته إلى أوائل القرن الماضى ، ويقول آخرون إنه نشأ فى أواسط القرن الماضى ، ويقول غيرهم إنه حديث جداً ، فمهده أوائل هذا القرن .

وتحدث بعد ذلك عن تأثر أدب الرومان بأدب اليونان وأثره فيه ، وعما نشأ من التفاعل بين الأدبين من ظهور ألوان فى الأدب هنا وهناك . وقال إن الأدب العربى بعد الإسلام يختلف عما كان قبله ، فقد فتح العرب الأمم المجاورة لهم واتصلوا بها وهى ذات حضارة قديمة ، فتأثروا بها ، وتغيرت حياتهم ، وتمتعوا بالترف المادى والترف المعنوى ، فلم يكتفوا بسكنى الدور والقصور ، بل استحدثوا ألواناً من الفن لم يكن لهم بها عهد . فشعراء الحجاز مثلا رأوا أنفسهم أمام فنون وافدة عليهم من الفرس والروم وغيرهم ، هى فنون الغناء والموسيقى والرقص ، فكان لها فى نفوسهم أبلغ الآثار ، فبرعوا فى الغزل واللهو على نحو لم يكن فى الجاهلية ، وحدث هذا فى الحجاز وبه الأماكن المقدسة ، فما بالك بالعراق وخاصة بغداد فى عصر العباسيين الذى امتاز بالدراسات الثقافية والفلسفية ، فلم يكتف الشعراء بملكاتهم ، بل أخذوا بهذه الدراسات وانتفعوا بنتائجها وأفكارها واستعملوا مصطلحاتها فى أشعارهم . وكذلك كان شأن العرب بالأندلس ، بل هم أكثر إمعاناً فى هذا السبيل لمتاخمتهم ومعاشرتهم للأوربيين الذين تأثروا هم أيضاً بالآداب العربية الأندلسية . وقال إن الأمة الفارسية بعدما استعادت لغتها القديمة ظلت تتابع الثقافات والآداب العربية وتتأثر بها .

ثم انتقل إلى أوربا فى عهد النهضة ، فبين كيف ازدهرت الآداب والفنون بإيطاليا فى القرن السادس عشر ، وأخذت أوربا الشمالية عنها هذه الآداب والفنون ، ثم ما كان بعد ذلك من تطلع الفرنسيين إلى الأدب الإنجليزى وانشغالهم به .

ساق الدكتور طه كل ذلك ليصل منه إلى ما يحدثه تبادل الآداب والفنون بين الأمم من التقريب والتأليف ، وأن ذلك حرى أن يصد تيار الجنون الذى يعترى الأمم فى فترات مختلفة ، ثم ليصل أخيراً إلى ما ينبغى أن نفعله الآن ، فقال إننا أخذنا بالحضارة الحديثة فى حياتنا المادية ، فلم نعد نركب الحمر ونتنقل بالإبل ، ولكننا لم نتقدم فى أدبنا عن ذلك ، فلا زلنا نكتفى بما عندنا ، ونزهد فى آداب غيرنا ، ونعمد فى مترجماتنا إلى ما يقصد به اللهو والتسلية ، فيجب أن نقبل على الآداب الأجنبية ، نتفهمها ، ونأخذ عنها ، ونحاكيها ، ثم نبتكر بعد الاستفادة منها ، ليكون لنا أدب يؤخذ عنا كما نأخذ عن غيرنا .

تعقيب :

الذى نعرفه أن الأدب المقارن هو الدراسة التى تقوم على المقارنة بين أدب وأدب للبحث عما يتشابهان وما يختلفان فيه من الخصائص والموضوعات وما إلى ذلك . وقد كان حديث الدكتور طه فى هذا فى أول المحاضرة عندما قال إن القدماء كان لهم نظرات فى قياس بعض الآداب إلى بعض ، وإن المحدثين تعمقوا تلك

النظرات ووسعوا ونظموا الدراسات فى المقارنة بين الآداب .

ولكن حديثه بعد ذلك — وهو معظم المحاضرة وموضوعها — كان فى شىء آخر — على ما نفهم — هو انتقال الآداب من أمة إلى أخرى وتأثير أدب فى آخر ، وأثر هذا فى التقريب بين الأمم ؛ وقد دعا فى ختام محاضرته إلى ألا نكتفى بأدبنا وإلى أن نأخذ من آداب غيرنا ، فهل الأخذ من الآداب الأجنبية يسمى أدباً مقارناً ؟

هذا وقد لجمنا الدكتور طه فى أدبنا المصرى ، الذى تكون من إنتاجه وإنتاج غيره من سائر أساتذتنا أدباء الجيل ، فهم منذ عشرات السنين يطلبون الآداب الأجنبية ويتفهمونها ويترجمونها ويحاكونها ، ونزعم أنهم ابتكروا بعد الاستفادة منها ، وإذا الدكتور طه حسين يقول إننا مكتفون بما عندنا وزاهدون فى آداب غيرنا ... بل يقول إنا واقفون فى حياتنا الأدبية عند ما يقابل ركوب الإبل والحمر فى حياتنا المادية ! ففيم كان ما كان ؟ ...

ومن ظريف المفارقات أنه يقول ذلك فى نادى خريجى القسم الإنجليزى من كلية الآداب الذين يوجهون جهودهم الأدبية كلها إلى دراسة الأدب الإنجليزى وإذاعته بالإذاعة المصرية التى توليه من عنايتها ما لا يظفر به أدبنا !

الصفحات المزوقة

كانت صحفنا اليومية قبل الحرب تخصص كل منها صفحة من صفحاتها للآداب والثقافة العامة ، وكانت تلك الصفحات تقدم للقراء زاداً فكرياً من ثمار الأقلام الناضجة ، ثم كانت الحرب وكانت أزمة الورق فاختفت تلك الصفحات . ولما فكت قيود تحديد الصفحات بعد الحرب عمد كثير من صحفنا إلى تخصيص بعض صفحاتها لـ .. لأى شىء ؟ لست أدرى اسم الذى تنشره هذه الصفحات المزوقة المزركشة ، فشىء أحمر ، وشىء أخضر ، وشىء أصفر ... وكثير ما ترى فى وسط هذا صورة فتاة فى وضع مثير ... ويختار لكل ذلك عناوين لا يتوخى فى وضعها أن تدل على الموضوع ، بل توضع على نحو يلفت الأنظار ولو لم يكن لها فى الموضوع أهمية ...

- كنت وما زلت أنظر إلى هذه الصفحات وأقف عندها ، لأنى مبتلى بأمرين : الأول تتبع ما يكتب شبيها بالآداب والفنون ، الثانى الميل إلى تأمل معارض المحال التجارية « الفترينات » رغم ما يفزعنى من غلاء سلعها فى هذه الأيام مما يحملنى على الاكتفاء بالتأمل والمضى فى طريق ... وكذلك حالى مع تلك الصفحات ، إلا أن الذى يصدنى هنا ويحملنى على المضى هو رخص محتوياتها !

ومن الغريب ما رأيته مرة لأحد من يكتبون تلك الصفحات الملونة : أبيات ، تحت صورة امرأة ، يقول فيها إنها فتاة أحلامه .. فهل هى صورة لفتاة يحبها وينشرها على الناس ، أو هى صورة امرأة ، أية امرأة !

ولم أكن مع كل ذلك مستريح الضمير ، فكنت أتهم نفسى بغمط تلك « الآداب » التى قد تكون « رفيعة » ولكنها لا تلائم مزاجى ، ولكن خفف عنى هذا القلق النفسى الدكتور حسين مؤنس بما كتبه فى « البلاغ » تحت العنوان الذى يتخذه لكتابته يوم الأربعاء وهو « ما سمعت وما رأيت وما قرأت » وخص الموضوع الذى نحن بصدده بالكتابة عنه فيما رأى لا فيما قرأ قائلا إن هذه المقالات ترى ولا تقرأ ، وقد ندد بما يصنعه كاتبوها ، لأن الواحد منهم كما قال « يلخص لك الكتاب لا يذكر لك شيئاً عن هذا الكتاب ولا شيئاً عن مؤلفه ... وهو يحسن إلى نفسه بهذا الأسلوب الغريب فى السطو على كتب الناس . يحسن إلى نفسه لأنه يحول بينك وبين تعرف الأصل وتعرف مقدار الأمانة التى يعرض عليك الكتاب بها ، وقد حاولت كثيراً أن أتعرف الأصول فلم أستطع » إلى أن قال : « وأغرب ما عند هؤلاء الشبان أنهم جميعاً مرضى المقول بشىء تستطيع أن تسميه « جنون الجنس » فكل مقالاتهم وفلسفاتهم تدور حول موضوع واحد : المرأة ! فهم يعرضون عليك قطعاً غرامية ومخاطرات نسائية لا أعرف أين يلتمسونها اللهم إلا إذا كانوا يأذنون لأنفسهم فى الاستقاء من صحف خليعة مما لا يقرأ فى البلاد الأوربية إلا خفية وفى كثير من الحياء » .

ثم جمل الدكتور مؤنس يسائل هؤلاء : لمن يكتبون هذا ؟ أللعقلاء وهم لا يرتاحون لمثل هذا الفحش ؟ أم المجانين وهم ليسوا بحاجة إلى من يزيدهم جنونا ؟ ولماذا يكتبونه ؟ ألتثقيف الناس بالكلام الفارغ ... أم للتسلية والارتزاق والشهرة التى خير منها الخمول . . ؟

توفيق الحكيم أميرا

تبلغ — ولا شك — أذنى الأستاذ توفيق الحكيم ، ما يردد على الأقلام والألسنة من أنه شغل عن الإنتاج الأدبى القيم منذ سنوات بما يكتبه فى « أخبار اليوم » من أشياء أقل ما توصف به أنها ليست كسابق إنتاجه ، ولا بد أنه يشعر بهذا وإن لم يكن يسمعه ؛ ولذلك كتب أخيراً فى أخبار اليوم مقالا بعنوان « فتاة بين جيلين » ساق الحديث فيه على لسان شاب وفتاة أديبين كانا فى مكتبه ، سألت الفتاة وأجابها الشاب ، ومن السؤال والجواب نرى أن الأستاذ الحكيم يحاول أن يبرر ما آل إليه من الركود الأدبى والابتذال الصحفى ، بأن الناس حيروه ... إذا اعتصم بالبرج العاجى قالوا كيف لا يهبط إلى الناس يشعر بشعورهم ويدرس أحوالهم ويعرف أنباءهم ويعرض شكاواهم ويدافع عن حقوقهم ، فإذا فعل عادوا فقالوا أين العزلة التى يكتب فيها لطائفة من الخاصة .

والمغالطة فى هذا الكلام ظاهرة ، لأنه لم يكن فى البرج العاجى يوم كتب « يوميات نائب فى الأرياف » وغيرها مما شعر فيه بشعور الناس ودرس أحوالهم ، فلم الحيرة ؟ أليس هناك إلا العزلة فى البرج وملء الصفحات بكلام لا نبض للفن فيه .. ؟

وأراد أيضاً أن يقول إنه لم يهمل فنه ، وما عليه أن يسكت عامين أو ثلاثة أو خمسة أو عشرة يدرس خلالها نفسه من جديد ، ويزن تأملاته ، ويختزن تجاريبه ، ويراقب أحوال الناس وتطورات المجتمع ، ويراجع أعماله القديمة ، ويبحث عن طرائق للتعبير الفنى جديدة ، ليصل إلى نوع من الفن لا علاقة له بكل ما عالج من قبل .

ولكن هل هو ساكت .. ؟ أو لديه فراغ يدرس فيه ويزن ويختزن ويراقب ويراجع ويبحث ؟

لقد أراد توفيق الحكيم أن يطالع آلاف الناس ، وقدمته إليهم « أخبار اليوم » الواسعة الانتشار ، ولكنه كان (مقلباً) لتوفيق الحكيم ... فلم يؤد هذا التقديم إلا إلى تأخير ... أغلى من ثمنه !

وليت شعرى ، هل الإشارة إلى البحث عن فن جديد ، اعتذار أو إرهاص ؟ وإذا كان الثانى فكل ما نرجو ألا يكون الجديد من نوع « الحمار » و « وصينية البطاطس » ...

اللغة العربية فى السوربون

جاء من باريس أن الشيخ أحمد الزمورى قاضى الدار البيضاء ألقى محاضرة فى قاعة الاحتفالات الكبرى بكلية الحقوق بباريس ، عن مصادر الشريعة الإسلامية ، وأن هذه أول مرة يتاح فيها لخطيب عربى أن يعتلى منبر « السوربون » ويخطب باللغة العربية

والمعروف أن « السوربون » تلقى فيها محاضرات فى مختلف الثقافات والآداب ولكنها لا تكون إلا باللغة الفرنسية ، وعلى هذا قد خرق الذى جرت عليه لأول مرة وباللغة العربية .

والاستفهام التعجبى الذى يقوم بنفسى وبنفسك ، هو : أبلغ حب أبناء السين للغة أبينا يعرب بن قحطان إلى هذا الحد ؟ وهل يرون حقاً أنها اللغة الثانية فى العالم الجديرة بأن تأخذ مكانها إلى جانب لغتهم فى السوربون ؟

ولعلك تذكر — كما أذكر — تلك الصيحة التى انبعثت فى العام الماضى من المغرب — بلاد القاضى المحاضر — بالشكوى من منع الفرنسيين المحتلين وسائل الثقافة الصادرة فى البلاد العربية من كتب وصحف ، من الوصول إلى تلك البلاد التى يريدون أن يفرنسوها — نذكر هذا فنعجب لمن يتظاهرون بالتمكين للعربية فى باريس وهم الذين يعملون على كتم أنفاسها فى مواطنها ! .

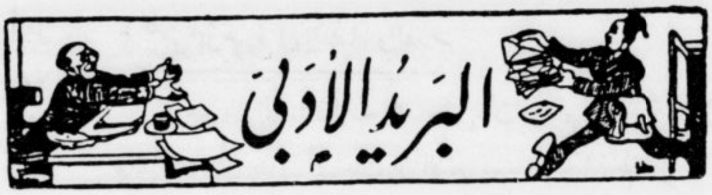
أليس حقيقة الأمر أنها مظاهر استعمارية ؟ ستقول : ومالو (١) إنه كسب للغة العربية مهما تكن الدواعى إليه ؟ ألا تستبشر لأن العربية تزحف ؟ فأقول لك : الأمر كذلك ، ولكن لابد أن نلقى ضوءاً على مثل هذه الحركات لاستبانة مراميها التى هى غير مظاهرها .

مسابقة المجمع الأدبية

كان آخر نوفمبر الماضى النهاية التى حددها مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، لقبول الموضوعات التى تقدم للحصول على المسابقة الأدبية لسنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ ، وهى فى الشعر وفى القصة وفى البحوث الأدبية ، كما بينت ذلك فى حينه .

---

(١) ومالو : تعبير عامى (بضم اللام) ولعل أصله فى سليم العربية بفتحها وتقدير الكلام : وما فى ذلك لوحدث .



حدث فى الفكر الإسلامى :

أخى العباس الفاضل :

لم يسعدنى الحظ بأن أقرأ فى مجلة الثقافة بحث الأستاذ الجليل معالى عبد العزيز فهمى باشا فى مسألة تعدد الزوجات ، ذلك البحث العظيم الذى عددته أنت « حدثاً فى الفكر الإسلامى » ، ولكنى سعدت بتلخيصك له وتعليقك عليه فى « الرسالة » الغراء .

وقد استرعى انتباهى فى هذا الموضوع نقطة واحدة ، هى من البحث كله بمنزلة الأساس من البناء ؛ تلك هى تفسير الأستاذ الجليل لقول الله تبارك وتعالى « مثنى وثلاث ورباع » ، إذ أنه ذهب فى هذا التفسير مذهباً لم يسبقه إليه سابق فيما أعتقد ، فقد ذكر « أن الكلام فى الآيتين (وآتوا اليتامى أموالهم ... وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى) سوق لتحقيق فضيلة العدل فى المعاملة » بتحذير الأوصياء من الوقوع فى الإثم العظيم بأكل أموال اليتامى ظلماً . . « ولما كان بعض اليتامى إناثاً فى حجر المخاطبين ، وكان لهن أموال تحت يدهم ، وكان من عاداتهم السيئة أنهم يتخذون هؤلاء اليتامى زوجات لهم ويمسكونهن هن وأموالهن ضراراً ، وكان هذا أشنع مظهر من مظاهر أكل مال اليتامى — فتتميما لفكرة تحقيق العدل (فى الآية الأولى) وتثبيتاً لها أشار (فى الآية الثانية) إلى هذا المنكر ، وأتى بأبلغ ما يكون من القول لصرفهم عنه ؛ إنه يقول لهم : إذا فهمتم قولى فى الآية السابقة ، وعلمتم أن أكل مال اليتامى مطلقاً (من ذكور وإناث) إثم كبير ، فلا تتذرعوا إلى هــذا العبث بنكاح اليتيمات اللاتى فى حجوركم ، بل تعففوا عن نكاحهن المفضى بكم إلى أكل أموالهن ، ولديكم ممن تستطيبونهن من غيرهن من النساء كثيرات ، تستطيعون أن تنكحوا منهن ما تشاءون ، لا واحدة ولا اثنتين (واحدة بعد أخرى) ، ولا ثلاثاً (واحدة بعد الاثنتين الأوليين) ، بل حتى مثنى وثلاث ورباع ، أى جزافاً بلا حساب ولا عدد » .

وقد غضضت النظر عن كل ما قاله المفسرون فى تفسير هاتين الآيتين ، وما استشهدوا به من كلام الرسول الكريم وعمله ، وما نقلوه من أقوال الأئمة عن الصحابة والتابعين ، ونظرت إلى المعنى مجرداً كما فسره الأستاذ الجليل ، فإذا هو يتلخص فى أن الله سبحانه وتعالى ينهى الأوصياء من المسلمين عن أكل أموال اليتامى ويحذرهم أن يحتالوا على أكل أموال اليتامى القاصرات بالزواج منهن ، ويقول لهم : إن من الخير لكم أن ترغبوا عن هذا الزواج الذى يفضى بكم إلى الإثم العظيم ، إلى زواج لا إثم فيه ولا حرج ، فإن كنتم لابد راغبين فى الزواج فانكحوا ما طاب لكم من النساء من غير هؤلاء القاصرات ، فإنكم واجدون بدل الواحدة اثنتين وثلاثا وأربعا وعدداً لا يحصى ولا يعد .

فليست الآية مسوقة — فى رأى الأستاذ الجليل — لتحديد عدد الزوجات ، ولا لإباحته بأكثر من واحدة ، وإنما هى مسوقة لتحذير الطامعين من الأوصياء فى أموال اليتامى والمحتالين لأكلها بحيلة الزواج منهن : ولفت أنظارهم إلى أن هذا التحايل لا يبعد بهم

وقد قرأت لجنة الأدب بالمجمع معظم الموضوعات المقدمة ، وتوشك أن تفرغ منها ، على أن تعلن نتيجة المسابقة وتحتفل بتوزيع الجوائز فى أوائل السنة المالية القادمة

ومما يذكر أنه قدم فى الشعر ٣١ ديواناً أصحابها من مصر والسودان والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين والحجاز ومن المهجر فى الولايات المتحدة والبرازيل ، منهم ثمانية معروفون . وقدم فى القصة ٢٥ فيها قصص تاريخية وأغلبها من الحياة الحاضرة ، وأصحابها من مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين ، منهم سبعة معروفون . وقدم فى البحوث الأدبية عدد أقل مما قدم فى القصة ، وأصحابها كلهم مصريون ، فيهم شخصية لامعة .

والملاحظ أن المتقدمين على العموم قليلون ، والمصريون على الأخص أقل من المعتاد فى مثل هذه المسابقة . وقد حدثنى بعض الأدباء الذين دخلوا مسابقة المجمع فى السنة الماضية ، فعبروا عن ندمهم على دخولها ، وأبدوا ملاحظات منها ما كان من الإسراف فى تقديم بعض الفائزين فى الحفل الذى أقيم لتوزيع الجوائز ، وموطن الملاحظة أن هؤلاء معروفة صلاتهم ببعض الأعضاء البارزين فى لجنة الأدب بالمجمع .

« العباس »

عن مزالق الإثم : فإذا كانوا راغبين فى الزواج — من أجل الزواج — فالنساء من غير اليتامى كثيرات لا حصر لهن ولا عدد ، فليختاروا منهن ما يشاءون ، على ألا يكون للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة .

فإذا كان الأستاذ الجليل يرى أن الآية لا تحمل معنى إباحة التعدد فى الزوجات ، وأنها لا تبيح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة مهما طاب له من النساء ، فما معنى قوله تعالى بعد ذلك : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ؟ وما وجه الصلة بين هذا الشطر من الآية وبين شطرها الأول وهو قوله تعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ؟ أليس فى الشطر الثانى من الآية ما يشعر — إن لم يدل دلالة صريحة — بأن شطرها الأول يحمل معنى إباحة التعدد ، حتى يمكن أن يكون للرجل عدد من الزوجات يطلب إليه العدل بينهن ؟ وإلا فكيف يكون العدل ممكناً بين زوجة واحدة ؟ وهل العدل إلا توزيع الحقوق بالقسط بين أصحابها ؟ وإذا كان الله سبحانه لم يبح للرجل غير زوجة واحدة ، فكيف يطلب إليه أن يقتصر على واحدة إذا خاف ألا يعدل ؟ أليس هو مقتصراً على واحدة بحكم القانون الذى شرعه الله له ؟ وهل يستقيم نهج الكلام إذا كان المعنى كما يقول الأستاذ الجليل : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء (مقتصرين على واحدة فحسب) ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ؟

أحسب أن نهج الكلام حينئذ لا يستقيم ، وأحسب أن الشطر الثانى بهذا التفسير يكون لغواً ، وكلام الله تبارك وتعالى منزه عن اللغو .

هذا هو جوهر الموضوع ولبابه ، أما أن القرآن « يأتى بهذا الشأن الأساسى بصفة عرضية » أو غير عرضية ، و « جواباً لعبارة شرطية » أو غير شرطية ، فليس أمراً ذا بال ، فالقرآن قانون شامل كامل يكمل بعضه بعضاً ، ويفسر بعضه بعضاً ، وقد يعلم الأستاذ الجليل أن القرآن قد استفرغ جهود المجتهدين من الأئمة والفقهاء ، حتى استنبطوا الأحكام من كل كلمة من كلماته ، بل من كل حرف من حروفه .

أمين دويدار

كلمتى الأخيرة فى الفضاء والعدم

أرجو من الأستاذ أحمد محمد حلمى أن يراجع مقالىّ الأول والثانى ، وأن يدلنى أين قلت إن الأثير موجود حتماً . لم أقل هذا القول . بل قلت إن الأثير مفروض فرضاً ، ولم يثبت ببرهان علمى « وعملى » وأن أينشطاين قال إن نظريته النسبية لا تحتاج إلى الأثير ، وسيان عنده وجد الأثير أم لم يوجد . وقد أوضحت هذا جلياً فى المقال الثانى .

على أن بعض العلماء الكبار قالوا لا غنى عن فرض الأثير سواء ثبت علمياً أو انتفى ، لأن فرضه يعلل بعض الظاهرات الطبيعية .

لم أحتم بوجود الأثير . وإنما حتمت بأن الفضاء ليس فراغاً « عدماً » بل هو متدفق بالأمواج الكهرطيسية ، لأن عيوننا ترى بعضها وهى أمواج النور ونحس بسائر الأمواج كأمواج اللاسلكى والراديو والرادار الخ . وهذه الأمواج مادية لا روحية ، هى شظايا الالكترونات السلبية والبروتونات الإيجابية . وتسمى ضويئات « فوتونات » . وطاقة المادة تأتينا فيها . ولا يهمنا إن كانت محمولة على أجنحة الأثير المفروض أو هى متدفقة فى الفضاء من تلقاء نفسها بلا أجنحة . بعد هذا البيان الواضح فى هذا المقال وفى مقالىّ السابقين لم يبق لشرح الأستاذ أحمد محمد حلمى لزوم عندى لأنى أعرفه ولا أنكره .

نقولا الحداد

أبو نواس :

فى مقال للأستاذ سلامة موسى بمجلة النداء تحت عنوان « الأديب بين العزوبة والزواج » جاء فيه أن أبا نواس الشاعر لم يكن متزوجاً ولذا كان ابتداعياً يهدف فى شعره إلى الثورة على ما سماه الأستاذ ، أوهام المجتمع الزائفة ، وهذا خطأ محض ، إذ أن كل دارس لشعر الحسن بن هانىء يعرف أنه قد ذكر زوجه فى أكثر من بيت فى قصائده وخمرياته حتى ذهب بعض من أرخوا لأبى نواس من قدامى ومحدثين أنه قد أنجب أولاداً من زوجه

محمد الشاذلى حسن

تصويب : جاء فى مقال الأستاذ الزحلاوى المنشور فى العدد الماضى فى أواخر العمود الأول من صفحة ١٤١٦ : ولكنه ينحرف عن جادة الحق . والصواب لم ينحرف كما هو ظاهر من السياق .

فهرس الموضوعات للسنة الخامسة عشرة من الرسالة

مطبعة الرسالة

أحمد حسن الزيات

يقدم إلى كل قارىء يتذوق الأدب ويعشق البلاغة كتبه الآتية :

١ ـ فى أصول الأدب

كتاب فى الأدب والنقد ؛ يتميز بالبحث العميق والتحليل الدقيق والرأى المبتكر .

من موضوعاته : الأدب وحظ العرب منه تاريخه ، العوامل المؤثرة فى الأدب ، النقد عند العرب وأسباب ضعفهم فيه ، تاريخ حياة ألف ليلة وليلة ، أثر الثقافة العربية فى العلم والعالم ، الرواية المسرحية والملحمة وتاريخهما وقواعدهما وأقسامهما وكل ما يتصل بهما ، وهو بحث طريف يكاد يبلغ نصف الكتاب .

طبعة جديدة مزيدة فى ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط وثمنه خمسة وعشرون قرشاً

٢ ـ تاريخ الأدب العربى

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوى ، واستيعاب موجز ، وتحليل مفصل ، واختيار موفق ، ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى .

طبع عشر مرات فى ٥٢٥ صفحة
وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

٣ ـ دفاع عن البلاغة

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة . . . الخ .

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك ... الخ

يقع فى ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشاً عدا أجرة البريد

٤ ـ وحى الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

وهو مجلدان :

المجلد الأول يقع فى حوالى ٥٠٠ صفحة وثمنه أربعون قرشاً
المجلد الثانى يقع فى حوالى ٤٠٠ صفحة وثمنه أربعون قرشاً

٥ ـ آلام فرتر

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف « جوته » الألمانى .

صور فيها : عواطف الشاب في وقت نزوعه إلى الحب وولوعه بالجمال واتحاده مع الطبيعة ... وقد قال عنها لصديقه (أكيرمان) : « كل امرىء يأتي عليه حين من دهره يظن فيه أن (فرتر) إنما كتبت له خاصة » .

ترجمتها العربية تتفق مع أصلها فى قوة الأسلوب ودقته وأناقته وجماله ... وهى مثال للترجمة الأمينة التى تنقل الصورة والفكرة وما يقوم بهما من الروح والخيال والعاطفة ...

طبعت خمس مرات وثمنها ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد

٦ ـ رفائيل

إحدى روائع القصص العالمى الواقعي لشاعر فرنسا الخالد « لامرتين » .

قص فيها بأسلوبه الشعرى تاريخ فترة من شبابه تدفق فيها حسه بالجمال وفاض بها شعوره بالحب ... وهى « كآلام فرتر » فى دقة الترجمة وقوة الأسلوب. طبعت أربع مرات وثمنها ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد

٧ ـ من الأدب الفرنسى

قصائد وأقاصيص

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها .

وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد